الصفحة العدد ٦١ – ربيع الأول – ١٤٠١ هـ – يناير ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية شاملة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

من وحي القرن الهجري الجديد
الشيخ متولي الشعراوي

كتاب الشهر: كيف تتغلب على الألم بدون طبيب؟




MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

العدد ٦١ ينايـــر ١٩٨١

قطـــر ٤ ريالات
البحريـــن ٢٥٠ فلسا
الامارات العربيـة ٤ دراهم
عمـــان ٢٠٠ بيسة
الكويـــت ٢٥ فلسا
السعوديـــة ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العـــراق ٢٥٠ فلسا
الأردن ٢٠٠ فلـــس
ســـوريا ٢٠٠ قرش
لبنـــان ٢٠٠ قرش
مصـــر ١٥٠ مليما
الســـودان ٢٠٠ مليما
ليبيـــا ٣٠٠ درهم
تونـــس ٣٠٠ مليم
الجزائـــر ٣ دنانير
المغـــرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولاريـن اميركيين

الاشتراكات :
للافـــراد :
داخـل قطـــر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربيـــة ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائـــر الحكوميـــة
والمؤسســـات والشركـــات :
داخـل قطـــر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربيـة ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانـــات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بـدولـة قطـر

الدوحة

رئيس التحرير
رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفنى
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير
نبيل خالد الآغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفنى
محمد نبيل الحداد
نائلة فتحى

سكرتير التحرير الفنان
احمد عبد الله
على دياب

المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر ● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة أو المجلة

يناير ٨١

العدد ٦١

التحرير والادارة : ص ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات : ترسل باسم رئيس التحرير

طبعت بمطابع على بن على
Ali Bin Ali Printing Press - Doha

إسلاميات

شئون عربية

شئون خليجية

استطلاعات



أدب وأدباء

أضواء ثقافية

كتاب الشهر

في التراث المعاصر

كلمة

كان معرض الكتاب فى قطر فى الشهر الماضى ظاهرة تعيد الثقة الى النفوس بمستقبل الثقافة فى الوطن العربى . فقد اقبل القراء على شراء الكتب إقبالا شديداً . واستطاع معظم الناشرين ان يبيعوا كل ما جاءوا به من الكتب وقدموه فى هذا المعرض الناجح وعادوا سعداء بما وجدوه من تجاوب واسع مع القراء .

إن الكتاب العربى يمر بازمة لا شك فيها . فقد انصرف القراء الى وسائل اخرى من وسائل الثقافة واهملوا الكتاب ، وكان للتلفزيون النصيب الاكبر من اهتمام الناس ، مما أدى بالناشرين وباصحاب الاقلام معاً الى نوع من الياس الثقافى والاحساس بان مهنة الكاتب توشك ان تنقرض لتحل محلها مهنة التمثيل او مهنة التحدث الى الناس عن طريق التلفزيون او الراديو . ولكن نجاح معرض الكتاب فى قطر ، هذا النجاح الكبير الساحق ، ونجاح معارض الكتب السابقة فى الوطن العربى ، يدل على ان المشكلة ليست فى القارىء ، ولكنها فى طريقة الوصول اليه ، وان الكتاب مازال محتفظا بقيمته وتاثيره ، وان التلفزيون على سحره ، لم يستطع ان يقضى على سحر الكلمة المكتوبة ... المهم ان نعرف كيف نعرض الكتاب وكيف نصل الى القارىء ، وان نثق ثقة عميقة بانه لا بديل للكتاب فى ثقافة الانسان .

الدوحة

علم نفس

فنون

ابواب القراء



مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة واصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت • سمعت • قرات ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير ابواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .



رسائل إلى المحـــرر

الاعلام الاسلامى

● عبدالعزيز الطيب قرشى
الشكينية ـ السودان

قرات باستمتاع ما نشر فى مجلة الدوحة العدد (٥٨) تحت عنوان الاعلام الاسلامي فى ميثاق جاكرتا بقلم الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر ، وإننى لا استطيع أن اصف لكم شعورى حين قرات الموضوع الهام ، واتمنى من كل الدول الاسلامية أن تدافع عن دين الحق دين الاسلام بطبع كتيبات ونشرات وبجميع وسائل الاعلام وإنشاء اذاعات فى كل الدول الاسلامية

عبد العزيز قرشى

الفكر الاسلامى



● شراك مبلود
الجزائر

ما احوجنا فى الوقت الراهن الى تثقيف القارىء العربى ثقافة اسلامية ، هذه الثقافة الاسلامية التى بدات تتوارى مع الأسف الشديد ومع مزيد من التحفظ فى اوساط شبابنا العربى المسلم الذى استسلم لهذه الموجة الجارفة من الفساد والانحلال الخلقى التى تجتاح عالمنا العربى العزيز بدعوى أن الدين الاسلامى دين جامد ولا يصلح لهذا العصر ، وما اخطر هذه الشائعات المزيفة التى يغذيها الاستعمار والرجعية والصهيونية فى إطار حملتهم المحمومة على الأمة العربية والاسلامية . ولذا أرجو أن تتوسعوا فى نشر الفكر الاسلامى .

شراك مبلود

وعاء الروح

● قاسم قاسم
تونس العاصمة ـ
الجمهورية التونسية

أعجبنى التحليل الذى انتهى اليه الدكتور عماد الدين خليل فى مقاله القيم (حوار حول الروح والجسد فى التصور الاسلامى) ، والذى انتهى فيه الى أن الحلال هو القاعدة العريضة فى ميادين الاشباع الغريزى وأن التحريم مسالة استثنائية محدودة المساحة حتى أن القرآن ليعتبر توسيعها بشكل اعتباطى كفراً وافتراء على الله وذلك حسب قوله جل وعلا : (وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله) . وهذا الموقف الاسلامى المبدع أعظم رد مفحم على من يرمى الاسلام بالتحجر وتقييد الحرية الشخصية وقتله وتعذيبه للجسم البشرى بكثرة المحاذير والمحرمات !

إن المحرمات كما هو واضح هى فى الأمور الاستثنائية ، وإن كانت بعض المواد الاستهلاكية قد حرمت فى الدين الاسلامى مثل أكل لحم الخنزير أو الدم أو الميتة فذلك قاطع على أن الاسلام سبق العلم الحديث بقرون عديدة في اظهاره المضار الخطيرة على حياة الانسان من جراء استهلاكها .. وإن الدين الاسلامى بقدر محافظته على روح الانسان واخلاقياته من أى دنس (تحريم الخمر) فهو مجتهد فى المحافظة على جسد الانسان الذى هو وعاء لهذه الروح ولا تستقيم بدونه فى عالم الأحياء .

قاسم قاسم

عالمنا العربى

● محمد سر الختم الخليفة
الصداقة ـ السودان

قرات وبكل اعجاب وحماس المقال الذى كتبه الدكتور حسين مؤنس تحت عنوان «حدود عالمنا العربى وحدود عالمنا الاسلامى» فانى اقول ـ وبحق ـ إنه موضوع يستحق الاهتمام والمتابعة ، لقد أبدى لنا الدكتور ـ بسرده الجزل ـ جوانب مهمة من تاريخنا قد تكون مجهولة لدى البعض ، مع بيان حقائق لا يستهان بها فى تاريخنا .

محمد سر الختم

دفاع عن العثمانيين

● كمال بلكين
كركوك ـ العراق

لماذا يظل كتابنا يتهمون العثمانيين باتهامات لا اساس لها من الصحة ؟ .. الم يكن العثمانيون مسلمين وحملوا راية الاسلام حقبة طويلة من الزمن ؟ .. إننى أقول ذلك بعد ما قرات مقال النور عثمان ابكر الذى كان بعنوان «دعوة لانتماء حميم» فقد وجدت أن الكاتب فى المقال تحدث عن استعباد الأتراك لانسان السودان الطاهر الذكى ، رغم أن العثمانيين لهم دور فى الحفاظ على تراث امتنا الاسلامية .

كمال بلكين

المسرح القطرى

● علي حسن بغدادى
سوهاج ـ ج . م . ع

اتوقع للمسرح القطرى مستقبلا مرموقاً خلال السنوات القليلة القادمة وان يقف شامخا بين المسارح الاخرى التى مضى على انشائها عشرات الأعوام . وليس ذلك التوقع رجماً بالغيب ولا تكهناً ، ولكنه نتيجة منطقية وحتمية لتصميم الشباب القطرى والذى نقلته الينا بقلمها الواقعى دون مبالغة أو تمويه نادية رزق تحت عنوان «الحركة المسرحية فى قطر» وذلك فى عدد اكتوبر الماضى ...

ولقد ناقشت المقال ـ بكل جراة تحمد لها وباسلوب غاية فى الدقة والتحليل والبراعة ـ ثلاثة موضوعات فى مقال واحد ، ولقد حالفها التوفيق فيما ناقشت والموضوعات الثلاثة هى :

(أولا) تاريخ نشاة المسرح القطرى وإعتماده على مجموعة من العناصر الفنية الشابة التى اخذت على عاتقها مسئولية المضى بالحركة المسرحية للأمام وذلك فى بداية السبعينات من هذا القرن . وقد احسن المؤلفون الشبان صنعاً برفضهم البداية بالأعمال المقتبسة والنصوص الأجنبية ، وإصرارهم على أن تكون المسرحية صورة حية وواقعية لمشاكل البيئة المحلية التى يعيشها الناس بكل ما فيها من صعوبات .

(ثانيا) الأخطار التى تواجه المسرح القطرى وأهمها التليفزيون بقنواته المتعددة وصاروخ العصر الفيديو كاسيت ومشقة الذهاب للمسرح الذى لا يعتبر فى دول الخليج من تراث المنطقة ، ونقص العناصر الفنية واعتماد الفرق المسرحية على الهواة فى جميع التخصصات ، وعدم تشجيع الصحافة الفنية لهم بالنقد السليم !! كل تلك الأخطار كفيلة باعاقة تقدم احدث وارقى المسارح العالمية .

(ثالثا) المستقبل الزاهر الذى ينتظر المسرح القطرى وخاصة بعد أن ينتهى بناء المسرح الكبير الذى يقام بتوجيه من سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى ، وكذلك التأييد المستمر من سعادة عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى لفنانى المسرح وتشجيعه لهم بالدعم المادى والعمل على تقديم الخدمات اليهم عن طريق «قسم المسرح» وأمنياته بالتوفيق لكل ابنائه العاملين به .

أرى أن من واجب كاتبة المقال الا تتوقف عن الكتابة عن الحركة المسرحية فى قطر باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الحركة المسرحية فى الوطن العربى الكبير ، وحتى يتابع قراء الدوحة مظاهر تطوره خطوة بخطوة ، كما أننى أرى أن من واجب هيئة تحرير المجلة ـ باعتبارها المجلة الثقافية الجامعة الأولى فى الوطن العربى الآن ـ أن تفسح المجال لنشر مثل هذه المقالات الهادفة

علي حسن بغدادى

مسرح العبث

● محمد ادم محمد
نيالا – السودان

أورد اتفاقى مع كلتبكم حافظ احمد امين فى الذى قاله عن مسرح العبث فى العدد الثامن والخمسين من مجلة الدوحة .

وفى رايى أن هذا الشكل المسرحى يبتعد كثيراً عن الواقع العربى قديمه وحديثه كما انه بعيد عن ذهنية الانسان العربى واظنه حتى فى «الغرب» جاء وليداً للأزمة الخانقة التى يعيشها افراده ، كما انه تعبير عن آلية الحياة التى يعيشها الغرب وسط دوامة سيطرة الآلة

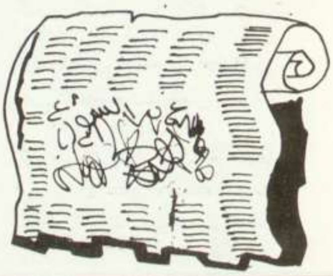
محمد آدم

مقالات العقاد

●صلاح المنصور أحمد
(الخرطوم–السودان)

تحية من الأعماق للمقالات الثلاث التى قدمتموها لأستاذ الفكر عباس محمودالعقاد ..المقالات الثلاث امتعتنا وجعلتنا نزداد اتصالا بالدوحة ونتمنى أن تنقب فى بقية الأدراج والأوراق الخاصة لكبار كتابنا الذين رحلوا، لعلها تجد بقايا من بقاياهم تذكرنا بالجدية وروح الحماس التى سايرت بداية هذا القرن والتى اعطتنا كتاباً لايمكن ان نعوض واحدا منهم إلا بصعوبة شديدة..إننا نطالع الصحف والمجلات اليوم فلا نجد من يفجر فى رؤوسنا قضية او من يثير فى وجداننا فكرة او رؤيا.. فقد اهتمت هذه الدوريات بالمهاترات ودخلت الى سوق المزايدات

ويبدو أن الحال انقلب فاصبحت الكلمة الطاهرة فى سلة المهملات



شهريات يوسف ادريس

● عبدالناصر أحمد صالح
السودان

فى سياق حديث يوسف ادريس فى باب شهريات وردت فقرة للكاتب جاء فيها أن عمر بن الخطاب لو استيقظ على مشهد أمتنا فانه سيجندها لكى تعتصر الحضارة الأوربية كما فعلت اليابان .

وبدورى اتساءل هل كل ما تعانيه امتنا العربية من التخلف فى كل ضروب الحياة ناجم بالدرجة الأولى لافتقارنا الى حضارة الغرب ؟

إن كان ذلك ما يعنيه الكاتب اقول بان مشاكل امتنا العربية اكبر من أن يلخصها الكاتب فى هذا الجانب .

إن اقسى ما تعانيه الأمة فى هذه المرحلة من تاريخها هو (الخمول الفكرى) – إن صح التعبير – والذى افرز جيلا ضعيفاً لا يقوى على الاحاطة بما حوله من احداث وتطورات .

عبد الناصر صالح

أين نحن من عصركم ؟

● رضا عبد الجواد سلامة
القلج – ج . م . ع

قرات مقال صلاح عبدالصبور بعنوان (كتابان تعلمت منهما) تحدث عن أسفه وحزنه لاختفاء كتابين من الكتب القيمة من أيدى الناشئة من الادباء ، وهما المنتخب من أدب العرب – والجوهرة الذهبية .

وبصفتى احد الأدباء المغمورين الذين عناهم شاعرنا بمقالته الطيبة ، اقول :

اسعدكم الله يا سيدى ، فقد نشأت فى عصر من العصور الذهبية ، جيل العمالقة وأهل الفكر والراى الحر المستنير امثال لطفى السيد وطه حسين والعقاد والمازنى و د. مندور وغيرهم ..فجيلكم جيل محظوظ!

أما جيلنا فهو جيل تعس الحظ ، إذ لم تتوفر له سبل التغذية الصحية الفكرية والروحية ، لذا لم ينبغ منه احد ولم يطف على السطح أحد اللهم إلا اذا كان طفرة .

ولقد عثرت بالصدفة يا سيدى على كتاب (المنتخب من أدب العرب طبعة ١٩٣٨) وكان مقرراً على طلبة المدارس الثانوية تحسرت وزادت حسرتى عندما قلبت أوراقه !

أين نحن من عصركم يا سيدى . كان الرجل فى عصركم يجيد لغة اجنبية بجوار اللغة العربية .. أما فى عصرنا ، فنادراً ما نجد من يجيد اللغة العربية .. بل اننى اتحدى إن كان فى عصرنا من يحفظ معلقة من المعلقات !

رضا عبد الجواد

الشعر وقضايا الشباب

● سليمان علي محمد
كلية الطب
جامعة الزقازيق

بالنسبة للمسابقة الشهرية اود أن تجعلوا فيها بابا للتسابق فى انشاء القصائد الشعرية والموضوعات النثرية حتى تظهر لنا براعم الشباب العربى لأنهم هم أدباء وعلماء المستقبل فى بلادنا .

وأود أن تتضمن المجلة بحوثا حول قضايا عربية واسلامية وان يتوفر لها الهدف المقصود وهو اذكاء الروح الاسلامية والعربية فى نفوس الشباب وإدراكه لمسئولياته الاسلامية وسط هذا العالم الكبير .

وأطالب بوجود باب خاص بالشباب يناقش قضاياه المعاصرة ويرد على الأسئلة التى تدور فى الأذهان .

سليمان على

الشعر العالمى

● وفـاء محمد سـعدون
ميت غمر/دقهلية/ج.م.ع

أوجه تحية خاصة للدكتور «رشدى فكار» عن مقاله العظيم عن الفيلسوف الفرنسى «جاز جيتون» ويا حبذا لو كان المقال به بعض الفقرات من كتاباته بدلا من الاسهاب والتطويل عن شخصيته ، واتمنى ان يتدارك ذلك فى مقالاته القادمة .

كما اقترح اصدار كتيب صغير لا يزيد عن صفحتين يوزع مع المجلة وتنشر فيه نماذج من الشعر العالمى باللغة الانجليزية اسهاماً منكم فى نشر الثقافة الشعرية ، ومن الممكن ان يشرف على ذلك الكتيب «عبد القادر حميدة» ...

وفاء سعدون

بطل شرق السودان



● محمد ابراهيم أحمد
بورتسودان – السودان

اعجبنـــى ما رايته وقراته لكمال سعد فى العدد ٥٩ نوفمبر ١٩٨٠ من المجلة عن اغرب من الخيال فى شرق السودان ، وهذه لقطات فريدة فى نوعها تعكس جمال وفن اهل الشرق ، واعجبنى فى المقال انه يصور لنا بطولات أبطال الشرق البواسل ، وإن كان ينقصه شىء واحد هو عدم اشارته الى تمثال البطل عثمان دقنه الذى يطل على جانب من حديقة البلدية ببورتسودان .. إنه تمثال جميل يصور أعرق البطولات والتضحيات التى قام بها بطل الشرق .. وأرجو أن تصدروا لنا وتعطونا نبذات عن عادات وتقاليد غربنا الحبيب فى عدد قادم من مجلتكم المحبوبة لدينا .

محمد ابراهيم أحمد

استطلاعات عن جيبوتى

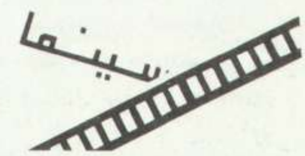


● صالح هيب سعيد
المنصورة ـ عدن

استطلاعات مجلة الدوحة تنقلنا دائماً الى مناطق متعددة نود التعرف على ما يجرى فوقها من احداث وما تضمه بين جنبيها من معالم ذات اهمية ومغزى فى التاريخ القديم والمعاصر .. ولذلك اتمنى أن أرى فى المجلة استطلاعات عن دولة جيبوتى ، تعرفنا بعدد سكانها ، ولغتها ، والعادات والتقاليد ، والمشاريع الحيوية والمستوى الاقتصادى .

صالح سعيد

أين السينما العربية ؟





● عثمانى عبد الواحد
تلمسان ـ الجزائر

انتهز الفرصة لابلغكم إعجابى وتقديرى لما تتناولونه من قضايا وموضوعات هامة ، لكن ما لفت إنتباهى هو أن رءوف توفيق يركز فى أغلب أعداد المجلة على السينما العالمية ولا يحدثنا عن السينما العربية .

ومما تجدر الاشارة إليه أيضاً هو عدم وجود باب عن التلفزيون من مسلسلات تلفزيونية رغم أنها متوفرة ، ولا توجد أخبار فنية ، إلا أن كل هذا لايعنى عدم الرضاء ، فانا معجب بكل أبواب المجلة ، وغايتى أن تتحقق بقية رغبات القراء .

عثمانى عبد الواحد

الاهتمام بالكاريكاتير

● نبيل سعيد أبو الحلج
البقعة ـ الأردن

أرى انكم برغم إفساحكم المجال للكاريكاتير فى مجلتكم الثقافية بصورة رائدة ، جعلت بعض المجلات الثقافية تتابعكم فى ذلك ، إلا اننى أرجو أن يكون مجال هذا الفن فى مجلتكم واسعاً ، خاصة وانه فن فرض نفسه واثبت شعبيته خلال السنوات الماضية ..

والكاريكاتور مصطلح فنى لرسومات تمتاز بالبساطة والحكمة والتوجيه ، بثوب من الطرافة والسخرية ، امتزجت معاً لتكون مزيجاً لطيفاً ، مستساغ الطعم مفيداً .

قد ياتى الكاريكاتير فى اعمال النحت ، كما نجد ذلك فى مخلفات ، الحضارة اليونانية والفرعونية ولكنه موجه فقط للناحية العقائدية ، ونجد الكاريكاتير ايضاً فى الأدب بشكل عام ، فى القصة والشعر والرواية ، حتى فى النكتة والمثل والأمثلة على ذلك كثيرة .

وفى ادبنا العربى الكثير الكثير ممن اعتنوا بهذا الفن الجميل ، ليتمعن القارىء فى قصص الف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، وعلي الزيبق من القصص الشعبى وغيرها . وكتاب البخلاء للجاحظ حافل بالصور الكاريكاتورية



والشخصيات الهزلية ، وما جحا وقراقوش إلا شخصيات هزلية جاءت كرد فعل لأحداث اليمة مر بها الوطن العربى ، وقد تفضل الدكتور محمد رجب النجار بتحليل شخصية جحا فى كتابه الممتع «جحا العربى» .

وقد رأينا فى مطلع هذا القرن صحفاً تحت اسماء كاريكاتورية مضحكة اذكر منها الدبور وغيرها وقد لاقت النجاح الباهر

وإذا ما حاولنا تفسير أسباب نجاح هذا الفن الجميل ، نجد انه مع زحمة هذه الحياة وتشابك ضروبها ، فان النفس بحاجة الى تفريغ ما لديها من شحنات . فياتى الكاريكاتور ساخراً من النفس وتكالبها ، ومن الحياة وتفاهتها ، ومن بعض المستغلين ، واندفاعهم العجيب تجاه هذه الحياة .

إن النفس فى بعض الأحيان تحب من يصقلها ويهذبها ، لذلك نجد انها اندفعت بدون وعى او انذار سابق ، لكشف أسرار الكاريكاتور ، لعلها تجد مبتغاها

لذلك وجب الأخذ بعين الاعتبار هذه الناحية فى النفس وتوجيه الكاريكاتور التوجيه الحسن ، والعناية الفائقة به .

نبيل سعيد

حول التعصب اليهودى

● محمـود جفـلان
حلـب ـ سـورية

قرأت فى مجلة الدوحـة بالعدد (٥٥) فى باب رسائل الى المحرر تعليقاً للقارىء طه حسين محمود الى الاستاذين درويش مصطفى الفار ونبيل خالد الأغا لعدم اضافتهما كلمة «متعصب» الى عنوان حوارهما الذى اجرياه مع الدكتور اليهودى الأمريكى «الفريد ليلينتال» ولكن الأخ طه لم يوضح الى من يتعصب الدكتور ليلنتال

لقد قال الدكتور فى حواره :

«إن العرب خلال تاريخهم كله لم يقدموا لليهود أية اساءة أو أذى لكونهم يهوداً . وإن الخلاف الذى حدث فى صدر الاسلام لم يكن أساسه رغبة العرب فى أن يكرهوا أحداً على دينهم ، ولكن لأن يهود بنى قريظة وقينقاع والنضير نكثوا عهدهم مع النبى صلى اللـــه عليه وسلم ، وتفاوضوا سراً مع مشركى مكة ضده وانه لا توجد أمة احسنت لليهود خلال التاريخ كله مثل العرب» . وهذه حقيقة ، ولكنها تصبح ذات اهمية كبرى عندما تصدر عن يهودى .



وأورد الأخ طه نقداً اخر للاستاذ نبيل خالد الأغا لاعتباره «اسرائيل دولة» عندما قال فى استطلاعه المصور الممتع عن «بئر السبع .. زهرة النقب» : «وتعتبر اسرائيل ثالث دولة فى العالم فى انتاج البروم بعد الولايات المتحدة وبريطانيا» . وأريد من الأخ طه أن يسأل ضميره عن حقيقة سؤاله .. وأن ينظر للأمور نظرة موضوعية عقلانية .. وليست نظرة عاطفية بحتة .

محمود جفلان

الأقلام الجديدة

● فضل محسن محمد
خور عاسر ـ عدن

لقد طغت أكثرية الأقلام المتهاوية على الصفحات فى أغلبية المجلات على النمط



الابداعى الفنى والثقافى وتاه بين زحامها .

وجميعنا يعتقد ان كثيرا من الأقلام اذا سنحت لها فرصة الكتابة فسوف تبدع كثيرا .

وهكذا فاننى لا احب ان اطيل الموضوع وكل ما عندى هو اقتراح ارجو ان يحظى باهتمامكم لما له من اهمية - فى اعتقادى - فى إظهار مواهب ابداعية .. فيا حبذا لو خصصتم صفحتين بعنوان «مع الاقلام الجديدة» يساهم فيه الأصدقاء بمواضيع مختلفة .. ثم يختار من قبلكم احسن موضوع وتعطى له جائزة تقديرية كتشجيع رمزى .. وبهذا تكون مجلتكم قد اتاحت الفرصة لابداعات جديدة ..

فضل محسن محمد

اقتراحات



● سعيد كامل معوض

كفر الدوار - ج . م . ع

اقترح أن تكتبوا فى هوامش المقالات نبذة مختصرة عن المحرر كاتب المقال حتى يمكننا - نحن القراء - معرفته أكثر .

واقترح أن تزيد المساحة المعروضة للقصة والشعر على ما هى عليه الآن . وان تشركوا الشباب من الشعراء والأدباء القراء فى تحرير المجلة وذلك بعرض انتاجهم فى أماكن بارزة وتولوها بعض الاهتمام .

وأخيرا اقترح أن تقوم المجلة بجولة فى أحد مناطق دولة قطر شهريا ثم عرضها على صفحات المجلة وذلك حتى يتمكن كل مواطن عربى من زيارة قطر ولو على الورق !

سعيد كامل

● نعيم الناغية

المطرية - دقهلية - ج.م.ع

الاحظ ان المجلة لا تهتم بالحياة الرياضية ، كما اقترح عليكم الاهتمام بتقديم هذه الابواب :

● باب للأسئلة الدينية للقراء والاجابة عليها .

● تصحيح الأخطاء اللغوية المتداولة فى حياتنا .

● الأسئلة الطبية للقراء والاجابة عليها .

● الثقافة الموسيقية .

● من اقوال الحكماء والشعراء .

نعيم الناغية





● عاشور معوض

عين شمس - مصر

تابعت مجلة الدوحة منذ عام ستة وسبعين . وما تحويه من مادة جادة ومنوعة كان الدافع للمتابعة ، ولكننى افتقدت فيها النافذة التى تعنى بالشباب وأفكارهم ومواهبهم .

عاشور معوض



في وداع أحمد بوهندي

لكل رحلة نهاية واجل ، والمرتحلون فى موكب الحياة يعلمون فى غرارة انفسهم أن الارتحال الدنيوى محكوم عليه بزمن محدد ، وعند الحد المقرر بقضاء الله وقدره يتحول مسار الرحلة باتجاه الأبدية ، حيث تبدأ رحلة اخرى بلا حدود ولا نهايات .

زميلى وصديقى احمد بوهندى عجلّ فى الرحيل الى المسار الآخر ملبياً دعوة الحق ونداء الأبدية ، تاركاً إيانا نعانى من ذهولنا ومن وقع المفاجاة ، نجتر ذكرياته معنا وهى التى كانت بالأمس القريب ، واقعاً معاشاً وأمراً ملموس الجوانب .

وبحثنا فى أعماق النفس ، ومن خلال الدموع الحرى وبين طيات الصمت عن آثار الراحل ، فاذا هي اكثر من ان تعد وتحصى .

يؤكد لنا الموت دائماً من خلال غزواته وهجماته المستمرة ان الانسان الفاضل يموت ولا يموت ، يغيب ولا يغيب . ينسحب الفاضل ويبقى فضله ، يذهب المخبر ويظل الخبر ، ويروح المسافر وتبقى آثار الرحيل .

لقد أكد لي أكثر من مرة صديق أن احمد بوهندى لازال يعيش بيننا فضلا وأدباً وفكراً ومنهجاً وابتسامة لا تعرف الغرور أو التزلف .

وبات من المؤكد عندى أن يد الموت عندما تخطفت زميلى أحمد .. نثرت وأهرقت كل قوارير الطيب التى كان يحملها فى قلبه قبل أن يتوقف الى الأبد .. وإلا لماذا يستمر هذا النعى والحزن على صفحات الجرائد وفى مجالس السمار .

لابد اننا قد تشبثنا بمناقب الراحل وصفاته النادرة فى زمن سيطرت فيه المادة على أرواحنا واحلامنا .

ولابد أننا تمسكنا بالفضيلة رغم رحيل الفاضل .. وبالتسامح والسماحة رغم رحيل السمح والتسامح .

أهو بكاء على النفس أم بكاء على النفيس الضائع ؟ أهى دموع الحزن على الذات أم دموع تسكب على مواكب الرحيل؟ أحمد سبقتنا ونحن فى أثرك سائرون وعسى أن نقتبس من صفاتك وخلالك ما يعزينا عليك ...

رحمك الله .

محمد المعضادى

مراقب عام البرامج بالاذاعة



خواطر من وحي القرآن

محمد متولي الشعراوي

الحمد لله حمد الصدق لله للألوهية الحق ، أحمده حمد الشاكرين وأشهد ألا إله الا الله شهادة شهد بها لنفسه شهادة الذات للذات وشهد بها ملائكته شهادة المشهد . وبعد :

لم تجىء الصيحة بالايمان فى أمة ضعيفة أو قبيلة ضعيفة فقد يقول قائل : لماذا كانت الصيحة الأولى فى مكة والاشعاع الحق فى المدينة ؟ لماذا لم تكن فى المدينة أولا ؟؟ ..

لا .. لابد من نظرة تمحيص وتقييم .

لابد وأن تصدع آذان الفئة الباغية بمنطق الله .. وبمنهج الله .. ولكن لابد أن يكون النصر من غير هذه المنطقة التى لو كان النصر للايمان منها وهى ذات السيادة القرشية لقال قائل : إن العرب قد جاملوا قريشاً فى أن تمسكوا بدين آمنوا به .. وحينئذ تكون العصبية لمحمد هى التى خلقت الايمان بمحمد ولم يخلق ذلك الايمان به عصبية له .

ولذلك فشاء الله أن تجيىء النصرة من المدينة لتعلم الدنيا كلها أن الايمان بمحمد هو الذى خلق العصبية له .

وهنا يجب التنبه إلى أن الضعيف مهما كان ضعيفاً يجب أن يكون قوياً بالحق ، لأنه لو صاح فى أذن السيادة وهو ضعيف مشهور له بالضعف أمام السيادة الطاغية المشهورة بالطغيان وهو يعلم بضعفه أمام خصمه ، فان ذلك لابد وأنه مستند إلى ركن رشيد علوى قويم

فليس من العقل أو من العدل مع النفس أن يرمى الانسان نفسه فى التهلكة دون أن يكون له رصيد من قوة يمنعه من الطغاة إذا أرادوه ، وإن لم يضن عنه الطغيان كان على يقين بانه سيلقى عند الله أضعاف ما فاته فى هذه الحياة .

فاذا انصاع الانسان للمنهج واطمأنت إليه نفسه شعر بالقوة فلا يجد عاطفة قلق ، ولا يجد قلباً متوهجاً بحقد أو غل .

وفى مطلع هذا القرن الهجرى الخامس عشر نشأ فكر اقتصادى معاصر قسم العالم إلى معسكرين وإلى اتباع للمعسكرين .. المعسكر الغربى تمثله الرأسمالية والمعسكر الشرقى تمثله الشيوعية . والمعسكران فى بداية أمرهما كانا على طرفى نقيض . يتمثلان فى أن الرأسمالية كانت استثماراً حراً واستنباط مال حر ، مصارف حرة ، حرية الفرد فى التملك . حريته فى الاستثمار ، حريته فى مصارفه وهذا لاشك جنى على الطائفة المقابلة وهى أدوات الاستثمار .. العمال .. فكان لابد لفئة مظلومة كهذه أن يؤخذ بناصرها .. وكانت هناك طريقتان للأخذ بالناصر .. أن نحد من غلواء السلطة والسيطرة الفردية فى هذا بحيث يستطرق جزءاً من سيطرتها إلى العمال ، أو نعكس المسألة ونواجه الظلم ، فبعد أن كانت السيطرة لراس المال نجعلها للعمال .. إذن أنا لم اصنع شيئاً سوى أننى وجهت الطبقة لأنه ما دامت الرأسمالية هى التى كانت متحكمة سوف أنقل هذا التحكم إلى العمال .

إذن فقد وجدت فى المجتمع طائفة متحكمة هى العمال .. لا تفرق من هذه عندى عن طائفة متحكمة هى الرأسمالية .. والتحكم الثانى أطغى من التحكم الأول .. لماذا ؟ لأن الرأسمالية عادة تنحصر فى أفراد .. فاذا كان الطغاة أفراداً قلة يهون الخطب .. لكن إذا انتقلت السلطة للعمال وهم الجمهرة العظمى صار القوى الظالم أخطر وأقوى .إذن فكان من الواجب أن يحدث الاستطراق . لماذا حدث هذا ؟ لكى أحدد فقط طريقة الاستثمار الرأسمالى لماله .. وبعد ذلك أحدد مصارفه وأحدد نواحى إنتاجه حتى لا يستنبط المال من وسائل تقضى على المجتمع فى ناحية من نواحيه ، لأشبع بطنه ، وأرفع مادتيه ، وأهدم قيمه لابد وأن أجعل الحضارة أو الرقى منسجمة مع النفس كلها بحيث تصير النفس كلها صاحبة طموح .. لا ينبغى أن أعلى ناحية للنفس واخفض اخرى وكان هذا يكفى بأن اضمن حقوق العمال . أضمن حياتهم .. أخفف من ساعات العمل . وأعطيهم تامينات صحية .. لا مانع من أن يشترك العمال الأكفاء فى إدارة المؤسسة لكن الأمر كان غير ذلك فقامت المسالة وانتقل الظلم من الرأسمالية إلى العمال .. إذن هناك ظلم .. ظلم طبقة أصبحت قوة خاصة فى مظهرها ومضمونها ، شرسة فى تحكمها فى ايجاد الحاكم .. إذن الراسمالى كان عنده مال يستغله ولم تكن عنده سلطة يحكم بها ، لكن الآن انتقلت إليه ومعه السلطة التى تحكم ومن هنا يجيىء الخطر .

* * *

نحن ... واجهزة الاعلام

اجهزة الاعلام فى العالم الاسلامى تسير فى اتجاه واحد مع اى نشاط اخر من نشاطات العالم غير الاسلامى . لأن الفتنة بالغرب جعلت الأجهزة كغيرها تحذو حذوه فى كل شىء ، وتنهض بأى لون من الوان النشاط على خطته . فكأننا ننقل كل مجالات الحياة هناك .. وإلى هذه المجالات .. مجالات الاعلام والاعلام فى الغرب كله مهمة شركات .. والمهمة الأساسية لأية شركة .. خدمة رأس المال بتحقيق الارباح .. وتحقيق الارباح لا يتاتى إلا بتحقيق الانتاج الكثير المستحيل للمستهلك ، فالغرض الذى من أجله نشأ الاعلام فى الغرب غرض لا يقوم إلا على تحقيق الأرباح والذى لا يتاتى إلا بتعدد المستهلك الذى يحب كل

الهجري الخامس عشر

ما يمتعه ويحقق له غاياته التى يشتهيها والامتاع دائما يكون سائرا مع تحقيق الشهوات ، وبالتالى فان وسائل الاعلام هناك مرغمة لتحقيق اقصى ما يمكن من المتع الاقتصادية ، والالتذاذ بالانحرافات!

وكل تقدم يقاس بقدر ما يتحقق من هذا الغرض الأصيل ولكن العجيب أن مسائل الاعلام فى العالم الاسلامى ملك للدولة فهى ليست شركات استثمار لكنها مجال خدمات ، ومع ذلك لم يفطن الاعلام إلى هذه الحقيقة ، وسار فى منهجه على وفق مناهج الغرب ، لا يهم القائمون فيه على أمر شركات الاعلام بما يهدد من قيم ، بقدر ما يهمهم ما تحققه من ربح ، والمفروض فى وسائل الاعلام الملتزمة بالقيم الا تنزل إلى المستوى الذى تطلبه غوغائية الجماهير . بل من واجبها أن تترفع بهذه الغوغائية لتاخذ بيدها إلى مستوى رفيع من الفضائل والقيم .

والاعلام لو هبط إلى مستوى الناس الفكرى الهابط لكانوا هم الموجهون ويفقد الاعلام بالتالى دور التوجيه لأن مهمته الأعلى دائما أن ياخذ بيد الادنى .

* * *

المستشرقون والقرآن

حاول الأعداء أن يتحدوا الاسلام بواسطة التبشير ، وبمسائل التبشير ، وقد انتهينا منه بانه لم يظفر بطائل ثم بالاستشراق ايضاً ، فلم يظفر الاستشراق بطائل ايضاً لأنه وإن ظفر اولا بانه دخل بخبث ودهاء على بعض العقول فقد قيض الله فى رجال الاسلام من يرد هذه الأشياء . فقلت ثقة المسلمين فى المستشرقين لأنهم كفار سينظر إليهم المؤمن على انهم ضد دينه . فتكون عنده مناعة من كل ما يقول . إنما الأمة الأصيلة هى أن يردد المستغربون أقوال المستشرقين ، المستغربون هؤلاء لأنهم مسلمون سناخذ كلامهم على انهم مسلمون . هذه الطائفة التى اخذها الأعداء وصنعوها على أيديهم كل واحد منها تولاه جماعة صاغوه صياغة ، وبعد ذلك بعثوا به إلى بلاده فولى المناصب ، وأصبحت لهم السيطرة على مناهج التعليم ومن هنا جاء الخطر ، ومن هنا جاء الفساد . من ثم نجد عداءهم للاسلام أكبر وعندما نترك تحديهم للقرآن ومعركتهم معه ننتقل الى معركة ثانية اقلقتهم واتعبتهم ، ونلاحظ أن أعداء الاسلام صليبيين أو صهيونيين أو شرقيين لو وجدوا أن الاسلام منهج تافه ما عادوه .



لابد من نظرة تقييم مع القرن الهجرى الخامس عشر

● على وسائل الإعلام أن تترفع عن غوغائية الجماهير وتقودها إلى الفضائل والقيم

عداؤهم للاسلام أكثر من عدائهم للهندوكية وعداؤهم للاسلام أكثر من عدائهم للبوذية ، لماذا ؟ لأن هذه لم تدخل معهم فى تجارب السيادة على العالم . فهم لا يريدون للاسلام أن تعود إليه السيادة على العالم ... لابد أن ياتوا إلى عناصر القوة ليحطموها .

ولذلك نجد فلاسفتهم او مستشرقيهم تخونهم بعض عبارات تعطينا مدلولات لنواياهم بالنسبة للاسلام مثلا (وليم دى فور دى بلجراف) يقول «متى زال القرآن ومكة من بلاد العرب حينئذ يمكننا ان نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها «محمد وكتابه» . صدق .. صحيح القرآن ومكة هما أبعدانا عن هذه الحضارة التى يلقون فيها أو فى زخرفها السموم والانحراف ، فاذا كان القرآن ومكة يحولان بيننا وبين هذه الحضارة فهم يريدوننا أن نتدرج فى سبيلها حتى نتحلل ، وإذا تحللنا أمكن للمبدأ فينا أن يبهت وإذا أمكن للمبدأ أن يبهت ينشأ جيل بعد جيل لا شخصية إسلامية له ، وحين لا توجد شخصية إسلامية يكون من السهل اليسير ألا تقوم لهذه الدولة قائمة أبداً .

إذن فيجب مع هذا القرن المقبل أن نفهم التحديات ، وأن نرد الردود المقنعة وأهمها أننا لم نستقبل ولم نؤمن بالله لأننا آمنا بالمنهج ، إنما نحن آمنا بالمنهج لأننا آمنا بالله وبانه من الله . ومادمنا آمنا بالمنهج أنه من الله فلا يجب أن نرد على الله أمراً فهمنا علته ، بعقلنا أو لم نفهمه ، وإلا فالبحث فى كل علة حكم معناه انك رجعت فى القضية الأساسية وهو إيمانك بالله عادلا وإيمانك بالله حكيماً وإيمانك بالله قادراً .

محمد متولى الشعراوى

نص المحاضرة التى ألقاها العالم والكاتب الكبير الدكتور عبد الله عبد الدايم بجامعة قطر فى الشهر الماضى :

د. عبدالله عبدالدايم

التربية العربية أمام تحديات العصر

الحضارة الانسانية فى محنة ، والنظام الاقتصادى والاجتماعى العالمى فى أزمة تشرف على الانتحار ، والوطن العربى - ذو الرسالة العربية والانسانية - يشكو من دائه وداء العالم من حوله .

مشارف القرن الحادى والعشرين لا تحمل له ، كما لا تحمل لسواه ، وعوداً خيرة ، بل تنذر بسوء العاقبة ، ان لم يجهد ويجهد سواه من اجل خلق عالم جديد .

هل تقوى الحضارة العربية ، بما فيها من قيم ومثل وطاقات مادية وروحية ، على الاسهام فى خلق ذلك العالم الجديد وهل تفلح ، من أجل ذلك ، فى توليد طريقها الحضارى الخاص ، وفى التحريض على ولادة طريق حضارى عالمى جديد ؟ .

وأين تقع التربية العربية من هذا كله ؟ وما هى معالمها المنشودة إن ارادت أن يكون لها فى صنع هذا المستقبل العربى والانسانى بلاء وشأن ؟

ذلكم هو السؤال الكبير الذى نطرحه بادىء ذى بداءة والذى نحاول أن نجد بعض الجواب عليه فى حديث هذا المساء .

ونحن إذ نفعل ذلك ننطلق من حقائق أساسية لا بد من توكيدها منذ البداية :

أولها أن التربية العربية لابد أن تكون جزءاً لا يتجزأ من نظرية عربية شاملة فى التنمية عامة ، وأن الفصل بين آفاق التربية وبين آفاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية جملة فصل يؤدى إلى تردى كلتيهما .

وثانيهما أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة للبلدان العربية ، وفى القلب منها تقع التنمية التربوية ،

فتيات سوريات داخل المعامل العلمية .



لابد أن يكون مهادها وقوامها نظرة عربية حضارية خاصة وفلسفة اجتماعية أصيلة ، منها تستقى التنمية العربية معناها وأهدافها ومن خلالها ترسم سبلها ووسائلها .

وثالثهما أن هذه النظرة العربية الحضارية الخاصة لابد أن تبنى فى اطار تصور محدث للحضارة العالمية جمعاء .

وفوق هذه الحقائق كلها تنهض حقيقة راسخة وهى أن العرب - بما يملكون من تراث ومن تطلعات - لن يقبلوا أن يكونوا مجرد أتباع لحضارة عالمية تملىعليهم ولعالم يصاغ لهم ، وأن من واجبهم أن يكون لهم فى صنع مستقبلهم ومستقبل الانسانية نصيب . لقد كانت رسالتهم دوماً ، وستظل ، رسالة انسانية شاملة ، ومن التفريط بها ومن التفريط فى مسيرة الانسانية أن يحجب عطاؤها وأن يحرموا ويحرم العالم من تراثها . ومما يمنح لهذا الدور العربى كامل معناه ، ويجعل من جهده لتوليد صيغة حضارية جديدة مطلباً عملياً وواقعياً ، إلى جانب كونه رسالة ومثلا اعلى ، أن التجربة العالمية كادت تخفق ، وأنها تقود الانسانية كلها نحو مصير مجهول بل مرذول ، وأن الصيحة من أجل تصحيح المسيرة وتقويم الدرب غدت صيحة الجمهرة الكبرى من مفكرى الانسانية والمنظرين لها .

لنبدأ إذن بالازمة فهى التى تومىء إلى الداء وتحدد قسمات الحل المنشود .

الازمة العالمية :

لقد قيل الكثير وكتب ما هو أكثر عن

● هل تقوى قيم الحضارة العربية على خلق ذلك العالم الجديد؟

● لابد من انطلاق التربية من نظرية عربية شاملة في التربية

● ٣٠ مليون طفل لقوا حتفهم بسبب نقص الغذاء في عام واحد

الأزمة التى تعصف بعالمنا اليوم . وليس هدفنا فى مثل هذا الحديث القصير ان نقدم وصفا شاملا لها وان ناتى بالشواهد والأرقام التى تفصح عنها .

وحسبنا أن نقول موجزين ان تلك الشواهد والارقام تجمع على أن الانسانية فى شمالها وجنوبها كما يقال اليوم ـ لم تعرف فى حين من الدهر أزمة مستطيرة كالازمة التى تشكو منها اليوم ، والتى سوف تكون أدهى وأمرفى العقود القادمة ان لم تقم جهود جادة من اجل تجاوزها ، يشترك فيها ابناؤها جميعهم .

وقد يضلل الانظار عن هذه الحقيقة أن هذه الازمة الخطيرة تجأر وتبزغ فى فترة وصل فيها العالم ـ والعالم المتقدم خاصة ـ إلى مستويات من التقدم العلمى والتكنولوجى لم يعرف لها نظير من قبل .

أما الحديث عن مظاهر هذه الازمة المتصلة بالهوة القائمة والمتزايدة بين الدول المتقدمة والدول النامية أو المتخلفة ، فحديث مكرور ، نجتزىء منه بعض الشواهد القليلة ونكتفى بعرضها عرضاً موجزاً بل مخلا من خلال لغة أشبه بلغة البرقيات .

لا نغلو اذا وصفنا النظام العالمى بنظام الفاقة والبؤس ما دام ثلاثة أرباع سكان المعمورة ما يزالون يعانون من صروف التخلف ألواناً ، وما داموا لا يجنون أكثر من ٥ر٣ ٪ من الدخل العالمى

ان ما يسمى باسم العالم الثالث يملك ٨٠٪ من المواد الاولية فى العالم ، ومع ذلك لا يتجاوز نصيبه من الانتاج الصناعى الاجمالى ٧ ٪ بينما تستهلك الولايات المتحدة ، التى لا يعدو سكانها ٦ ٪ من سكان الارض ٥٠٪ من الثروات الطبيعية العالمية .

لقد بينت دراسات منظمة الزراعة العالمية أن ١٥٪ من سكان الارض يتوافر لهم من الغذاء ما يفيض عن الحاجة ، ويعيشون فى المشتى ملاء بطونهم كما يقول الشاعر العربى ، بينما يموت ١٠ ٪ من سكان المعمورة بسبب نقص التغذية وثمة واحد من بين ستة اشخاص فى العالم يشكو من نقص الغذاء ، وتشير التنبؤات إلى أن هذه النسبة سوف تصبح عام ٢٠٠٠ خمسة من ستة أشخاص ، اذا ما استمرت الامور على ما هى عليه .

وبهذا الصدد صاحت السيدة «سوزان جورج» قائلة : اذا كانت قراءة كتابى الجديد سوف تستغرق ست ساعات من وقتك ، فاعلم أنك عندما تقلب الصفحة الأخيرة منه ، يكون الموت قد قضى على ٢٥٠٠٠ شخص فى مكان ما فى العالم بسبب الجوع أو بسبب مرض ناجم عن الجوع .

ويطيب لبعض الكتاب أن يقولوا فى سخرية مريرة إن غذاء الحيوان فى البلدان الغنية مقدم علي غذاء الانسان فى البلدان المتخلفة ، وان حيوانات تلك البلدان تستهلك ربع الانتاج العالمى من الحبوب . بل ان انتاج الصناعة الغذائية الخاصة بالكلاب فى الولايات المتحدة يمثل تقريباً بالنسبة إلى الكلب الواحد ما يقارب الدخل المتوسط للفرد فى البلدان المتخلفة .

وتبين الاحصاءات التى قدمتها منظمة اليونيسيف أن ٣٠ مليون طفل ممن تقل أعمارهم عن ٥ سنوات لقوا حتفهم عام ١٩٧٨ بسبب نقص الغذاء . ومع ذلك دعى عام ١٩٧٩ باسم عام الطفل .

ولا حاجة إلى القول ان ما ينفق سنوياً على التسلح فى العالم يدانى اليوم ٥٠٠ مليار دولار ، بينما لا يتجاوز العون الرسمى الذى يقدم للبلدان المتخلفة كلها ٥ ٪ من هذا الرقم . بل لا حاجة إلى القول ان ثمن طائرة حربية (وهو ثمن يقارب ٢٠ مليون دولار) يكفى لاشادة اربعين الف صيدلية فى المناطق الريفية التى تئن من المرض ، وان توفير ٠٥ ٪ من نفقات التسليح فى العالم يصل بان يمكن البلدان المتخلفة من شراء سائر المعدات الزراعية اللازمة لرفع الانتاج الغذائى والتغلب على مشكلة الغذاء العالمى .

هذا طرف يسير من الشواهد التى تشير إلى الهوة المتزايدة بين العالم المتقدم والعالم المتخلف ، والتى تبين بان عالمنا ما يزال مجعولا إلى حد كبير للاغنياء من دون الفقراء ، وللدول المتقدمة من دون النامية والمتخلفة والنبوءات المتصلة بحال العالم فى مطلع القرن الجديد أفصح قيلاً وأعمق تشاؤماً لا سيما أن نسبة سكان البلدان المتخلفة إلى سكان البلدان المتقدمة آخذ بالازدياد المطرد ، لأسباب كثيرة ننسى غالباً أهمها : وهو أن التناسل الكبير فى البلدان المتخلفة ليس سبباً فى الفقر والتخلف وانما هو نتيجة لهما ، وان الحد من التناسل سبيله الوحيد رفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى والتربوى خاصة فى تلك البلدان .

على أن معالم الأزمة العالمية ليست مقصورة على هذا الجانب وحده ، نعنى هوة التخلف ، بل هى معالم شاملة تصيب البلدان المتقدمة نفسها وتمس النظام العالمى فى البلدان المتطورة تكنولوجيا . وهذا فى نظرنا أجدر بأن ينعم النظر فيه ، وهو أفصح دلالة على

عمق الازمة التى تعصف بالعالم كله .

ذلكم أن بنية الحياة فى هذه البلدان المتقدمة نفسها ، أخذت تبدو ، كما أجمعت الدراسات العديدة ، بنية مريضة تقود الانسان إلى حيث لا يدرى ، وتجعله يحيا فى عالم يكاد يخرج عن سلطانه ، ويتجاوز مشيئته وطموحاته . وجملة ما يقال اليوم فى هذه الحضارة التى أفرزها التقدم العلمى والتكنولوجى انها حضارة جعلت الانسان أكثر تقدماً ولكنها لم تجعله بحال من الاحوال اكثر سعادة وانها تحمل فى ثناياها بذور مرضها بل فنائها .

لقد كان الناس حتى حين فخورين بحضارة تشمخ بما حققته من مكاسب علمية وتكنولوجية لم يعرفها الانسان من قبل . غير أنهم ما لبثوا حتى أدركوا أن هذا النموذج الحضارى الذى انساقوا إليه دون تبصر وتحسب ، يدفعون ثمنه غالياً ، وأنه أدى ويؤدى يوماً بعد يوم إلى توليد مشكلات حياتية وانسانية عميقة : من مثل مشكلات البيئة وتلوثها وفسادها ، ومشكلات الطاقة وقصورها ، ومشكلات التحضر السريع وولادة المدن الكبيرة المهلهلة والمرهقة ، ومشكلات العنف وتزايده ، والتسلح وأخطاره ، والمفاعلات النووية وأخطارها على البيئة والانسان ، وتآكل التربة وانتشار الصحراء ، والبطالة المتزايدة ، ونقص الغذاء ، وتقصير المساكن عن الحاجة ، وسوى ذلك كثير ، هذا فضلا عما هو أدهى وأخطر ، نعنى تدهور القيم الانسانية والخلقية ، وتزايد المشكلات النفسية ، وتفكك الاسرة وانحلالها ، وذوبان الثقافات القومية ، وتزايد العداء بين الافراد والشعوب فى حماة السباق على الاستهلاك الباطل والدعة الموهومة ، إلى غير ذلك .

وفى الجملة لقد انقلب السحر على الساحر ، فأذا بالحضارة التى خلقت من أجل الانسان تخضع الانسان لعنفوانها وإذا بالمارد الذى انطلق ، مارد العلم والتكنولوجيا ، يستعبد صاحبه ومبدعه حتى ليصبح قول الصوفى ابن العربى فى فصوصه :



شباب الغد من الخريجين فى الجامعة القطرية

فأنت عبد وأنت رب
لمن له أنت عبد

ولنضرب مثالا واحداً على مشكلة من هذه المشكلات ، والامثلة اكثر من أن تحصى :

تشير بعض الاحصاءات إلى أن الانسان يقضى كل دقيقة على عشرين هكتاراً من الغابات فى العالم . ولا عجب فالورق اللازم لطباعة العدد الاسبوعى من جريدة النيويورك تايمز ، وهو عدد يخصص حوالى ٨٠٪ منه للاعلانات ، يستلزم تقويض ١٥ هكتاراً من غابات كندا ، والعدد اليومى الذى تصدره الجريدة نفسها يتطلب الاطاحة بستة هكتارات .

السؤال الاساسى الذى يطرح اليوم اذن هو السؤال الاتى : هل تقوى الانسانية على الامساك بأعنة مصيرها وزمام قدرها أم أن الاحداث والازمات هى التى ستقودها وتصوغ مستقبلها ؟

طبيعة الازمة وحلولها :

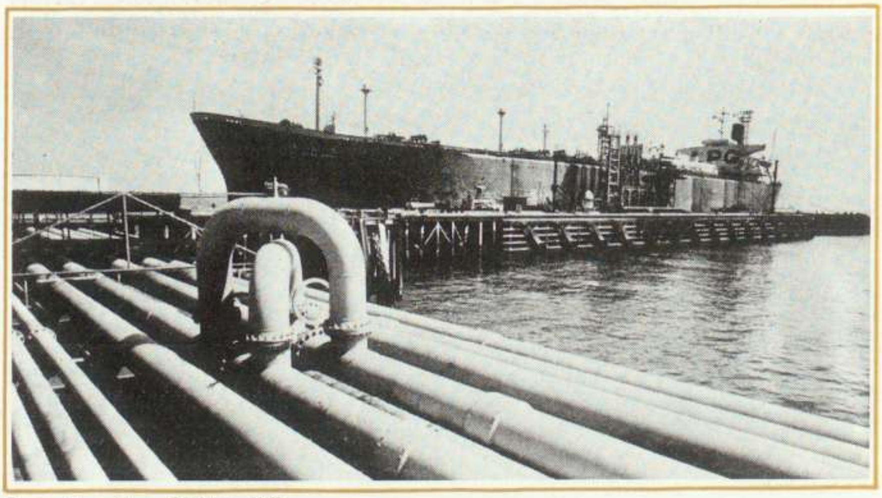
وههنا نخف إلى القول إن جانبا كبيراً من أزمة البلدان المتقدمة مرده إلى الاحجام عن ادراك الصلة العضوية بين هذه الأزمة وأزمة البلدان المتخلفة والنامية . فالعالم المتقدم – رغم مآسيه المتعددة ورغم وصوله إلى طريق يكاد يكون مسدوداً – يحاول ان يصرف بصره عن حقيقة أساسية : وهى أن حل مشكلات العالم المتقدم ومشكلات العالم المتخلف معاً لا يكون الا بخلق نظام عالمى مشترك ، متوازن المصالح ، متضامن الاهداف « ان القيام بجهد عالمى مبتكر تسهم فيه بلدان العالم جميعاً من أجل تجاوز النظام القائم ، هو الطريق الوحيد للتغلب على أزمة العالم فى شمالها وجنوبها . ومن عجب أن البلدان المتقدمة لم تدرك أو لا تحاول أن تدرك أن تنمية العالم الثالث هى التى تؤدى إلى حل الازمات الاقتصادية التى يشكو منها العالم المتقدم نفسه ، وهى التى تفتح آفاقا جديدة لتوظيف الطاقات العلمية والتكنولوجية التى يملكها ، ولتوسيع رقعة نشاط ثرواته المادية والبشرية» .

وكما يقول التقرير الحديث الذى وضعته لجنة برئاسة «ولي برانت» مستشار المانيا الاتحادية سابقا : «اننا نعى اليوم بأن التنمية السريعة للجنوب (يعنى العالم الثالث) تخدم أيضاً مصالح شعوب الشمال » . ان الغرب ، اذا كان يرغب فى أن تكون له حصة وافية من قطعة الحلوى العالمية ، لابد ان يحرص على جعلها اكبر مما هى عليه الان ، عن طريق اشراك العالم الثالث فى تنميتها .

وكيما ندرك طبيعة العلاقة العضوية بين تنمية العالم المتقدم وتنمية العالم المتخلف لنعد قليلا إلى وراء ، الى تاريخ تطور الحضارة الغربية .

كلنا يعلم أن الانطلاقة الصناعية الكبرى فى الغرب خلال القرن التاسع

● تنمية العالم الثالث هي الحل الأمثل للأزمات الاقتصادية في العالم المتقدم



ناقلة عملاقة فى موانىء السعودية

عشر وأوائل القرن العشرين قد تمت على حساب استغلال الثروات الطبيعية لبلدان العالم الثالث التى كانت مستعمرة آنذاك .

بل كلنا يعلم ، وهذا أفصح وأبين ، بأن استغلال الموارد البترولية لبلدان العالم الثالث بأرخص الاثمان حتى أوائل السبعينات ، هو الذى حقق للغرب هذا النمو الاقتصادى الكبير الذى ولد مجتمع الاستهلاك . وكما قال : «جان جاك سرفان شريبر» فى كتابه الجديد «التحدى العالمى» : «ان البترول الرخيص ومليارات البراميل المستخرجة منه والتى تم شراؤها بثمن بخس وباسعار لم تتغير خلال الخمسينات والستينات وبداية السبعينات ، هى التى مولت تمويلا كاملا انطلاقة المجتمعات الصناعية فى اوربا وأمريكا» لقد ظل سعر البترول ثابتاً خلال ما يقرب من سبعين عاماً ، وبيع باقل من دولارين للبرميل الواحد . فبين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٥٠ ارتفع سعره فقط من ١٫٢٠ دولار الى ١٫٧٠ دولار . ومن عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٧٠ ظل ثابتاً فى مكانه ، اذ بيع بـ ١٫٨٠ دولار . الامر الذى يبيح لنا أن نسائل مع «شريبر» نفسه : ما هو مجتمع الاستهلاك ان لم يكن مجتمع البترول الزهيد الثمن ، المبذول للغرب فى سخاء ؟ «بل من حقنا أن نقول معه : ان تفسير هذه المغامرة الجنونية التى قادت الغرب دون ما تردد أو تفكير الى ان يصبح مستعمرة من مستعمرات البترول ، هو أن هذا البترول ظل خلال سنوات طويلة مجانياً إلى حد كبير .

واليوم ، بعد أن تغيرت بنية العالم ، وبعد أن استقلت بلدان العالم الثالث ، يصحو الغرب من سكرته ويدرك أن الثروات الطبيعية فى العالم الثالث وأهمها الثروات البترولية لا يمكن أن تكون نهباً له وان تظل مسخرة لخدمة نظام استهلاكى لا هدف له الا المزيد من الاستهلاك ، ولا هم له الا اذكاء الحاجة الى الاستهلاك لدى الناس واثارة نهمهم ، لا لشىء الا ليستمر مجتمع الاستهلاك فى مسيرته ويسعد القلة من المنتفعين منه .

الحديث فى هذا الشأن ذو شجون وهيهات أن نوفيه بعض حقه فى مثل هذا المقام . وآية هذا كله أن العالم فى أزمة ، وأن مرد هذه الازمة الى عناد الدول المتقدمة واصرارها على أن تعيش الماضى لا الحاضر والمستقبل ، والى ضعف ادراكها للمتغيرات الجديدة التى حدثت فى العالم والتى تدعو الى خلق نظام عالمى جديد ، وأهم ما فيه أن يكون مجعولا للعالم كله ، وأن يكون محوره تنمية العالم الثالث .

دور العرب :

وحتى يحين ذلك اليوم الموعود ، بل من أجل أن يحين ، يتوجب على الدول النامية ، وعلى رأسها الدول العربية ، أن تدلى بدلوها بدلا من أن تقف متفرجة ، وأن تقتحم الميدان صارخة متحدية لا مستخذية ضعيفة ، وأن تكون بالتالى بمثابة الخميرة التى تدفع الى توليد العهد الجديد . لاسيما أن الدول العربية تملك فى هذه الحلبة ورقة أساسية ، يرجى أن تسخرها من أجل خيرها وخير الانسانية ، نعنى ورقة البترول . بل هى تملك ما هو اثمن وأغلى من تلك الورقة ، نعنى قيم تراثها العربى الاسلامى الاصيل التى تقف اليوم من جديد شامخة عزيزة أمام افلاس الايديولوجيات العالمية فى الشرق والغرب .

ومما يدعو إلى الألم أن هذه البلدان العربيةلم تدرك بعد حق الادراك مواطن القوة عندها ، ولم تع حق الوعى دورها العربى والعالمى ، بل ما زالت الى حد بعيد تسير على وجل واستحياء ، تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، تلهث وراء الحضارة الغربية دون أن تضعها فى موضعها الصحيح ، تصطنعها حينا وتنكرها حيناً آخر ، وتمتاح منها نمط حياتها غالباً ، دون أن تضع ذلك النمط موضع التساؤل كما فعل أبناء الحضارة الغربية انفسهم

فما السبيل إذن الى توليد رؤية عربية أصيلة تقدم حلولا سليمة للعرب وللعالم ؟

الاجابة على هذا السؤال الضخم الواسع عديدة الجنبات . غير ان أهم ما فيها الربط الوثيق بين معالجة مشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومشكلات تنمية الثروة البشرية ، بل ان تنمية الثروة البشرية تقع فى القلب منها ، وبدونها لن يكون العلاج الا سطحياً زائفاً عابراً . وفوق هذا وذاك ، لا علاج للأزمة العالمية بتمامها الا عن طريق تجويد الانسان وتجويد تكوينه والارتفاع بطاقاته الخلاقة المبدعة . ان وضع الانسان فى مركز الاهتمامات العالمية هو السبيل لتجاوز أزمة العالم وقلب الوضع العالمى المنحرف عن مجراه ولعل المسألة فى العالم كله لم تعد مسألة الهوة التكنولوجية بل مسألة الهوةالانسانية ، ونعنى بها الهوة القائمة بين نظام اقتصادى اجتماعى

معقد تائه وبين قدرتنا على السيطرة عليه .

دور التربية العربية :

ومن هنا يبرز دور التربية العربية فى خلق الحضارة العربية المنشودة وفى الاسهام فى بناء حضارة عالمية جديدة .

ولن نقدم هنا عرضاً مفصلا لواقع التربية فى البلدان العربية ولمشكلاتها ، فمثل هذا العرض تمتلىء به المؤلفات والدراسات . وحسبنا من ذلك كله أن نشير الى جانبين ، قمينين عندنا بأن يقدما بعض الجواب على المسألة الاساسية التى دائماً نكررها ، نعنى مسألة توليد نظرية حضارية عربية ، جديرة بأبنائها مسهمة فى بناء العالم .

أما الجانب الاول فيتصل بالنمو الكمى للتربية فى البلاد العربية وأما الثانى فيتصل بالنمو النوعى الكيفى . ولنبدأ بأولهما :

كلنا يعلم أن التربية فى البلاد العربية جملة حققت نمواً كمياً كبيراً ، ولا سيما خلال الستينات والسبعينات . ويكفى أن نذكر أن عدد الطلاب بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٨٠ قد ازداد ثلاث مرات فى التعليم الابتدائى ووصلت نسبته الى ٦٣ ٪ من الطلاب الذين فى سن ذلك التعليم ، وأنه تضاعف ست مرات فى التعليم الثانوى ووصلت نسبته إلى ٣٦ ٪ ممن هم فى سنه ، وأنه تضاعف ثمانى مرات فى التعليم العالى ووصلت نسبته الى ٧ ٪ ممن هم فى سن ذلك التعليم . أما نسبة الامية لدى السكان دون الخامسة عشرة فقد هبطت من ٨٠٪ عام ١٩٦٠ إلى ٦٩ ٪ عام ١٩٨٠ .

ومع ذلك فما تزال هنالك أشواط كبيرة يتوجب على التعليم فى البلدان العربية أن يقطعها ، اذا هو طمح الى تعميم التعليم الابتدائى بل المتوسط ، واذا هو عزم على التوسع فى التعليم الثانوى والعالى توسعاً كافياً ، واذا هو شد الرحال نحو مكافحة الأمية التى ما تزال مستشرية ، فضلا عن التوسع فى التعليم السابق على المرحلة الابتدائية الذى ما يزال هزيلا والتوسع فى التعليم المهنى والفنى الذى ما يزال مقصرا عن الشأو المطلوب .



الانسان العربى وتحديات التصنيع .

وهنا تبرز المشكلة : ان هذا التوسع المطلوب شاق وعسير ، تقصر عنه الامكانات المالية والبشرية للدول العربية بما فى ذلك الدول البترولية نفسها حيث ينافس التوسع فى التعليم الضرورى اللازم فى سائر مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وحسبنا أن نذكر ، برهانا على ذلك ، أن البلدان العربية اليوم تخصص ما يقرب من ٢٠ـ٢٥ ٪ فى المتوسط من ميزانيتها للتربية ، وتخصص ما يزيد على ٦ ٪ من الناتج القومى العام .

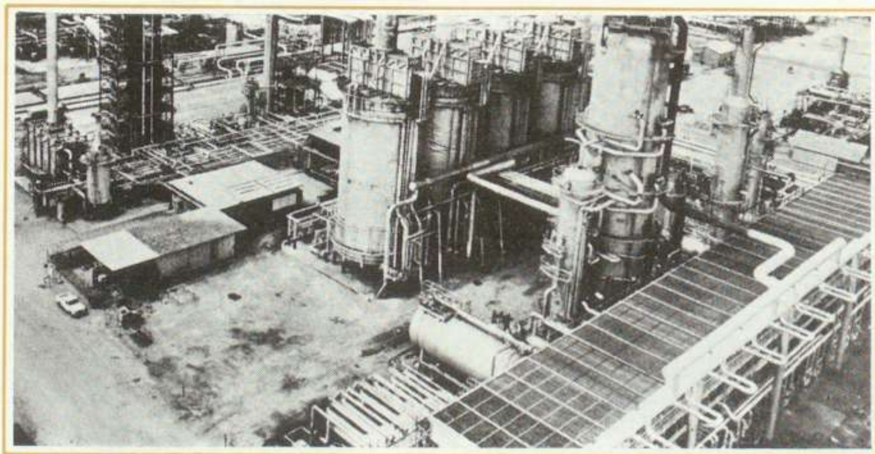
ولاشك أن جانباً من حل هذه الازمة التربوية يكمن فى التعاون العربى الشامل ، وهو تعاون قائم على صور مختلفة ، ويرجى ، أن يتسع ويعزز . على أن هذا الجهد العربى المشترك لا يكفى ولا يجدى الا اذا انطلق من شعار أساسى : هو توليد نظم تربوية قادرة على أن تحقق أمثل استخدام ممكن للموارد المالية والبشرية المتاحة ، أى قادرة على أن تقدم تعليماً أفضل لعدد أكبر من الطلاب بنفس الامكانيات المتوافرة

إن مثل هذا المطلوب الجوهرى لا يتحقق الا من خلال تغيير شامل فى أهداف التربية وبنيتها ومحتواها وطرائقها وادارتها والتخطيط لها ، بحيث تولد تقنيات جديدة قادرة على زيادة المردود الاجمالى للعملية التربوية ، أى قادرة على الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة كما قلنا ونقول . ومن المكرر ان نقول ان البديل الوحيد دوماً وأبداً عن نقص الموارد الطبيعية والمالية توظيف العقل الانسانى والذكاء الانسانى والابتكار الانسانى من أجل حسن استخدام تلك الموارد أو من أجل ابتداع سواها . ولا حاجة بنا إلى تعداد التقنيات التربوية الجديدة القمينة بأن تبلغنا هذه الغاية ، فالادب التربوى العربى والعالمى طافح بالاشارة اليها . انها على سبيل المثال لا الحصر : تغيير اطار التربية التقليدى الذى كاد يصبح أزلياً أبدياً ، اطار الصف المحدود الذى يضم عدداً محدوداً من الطلاب يعلمهم معلم ، التعليم عن طريق الوسائل السمعية البصرية ، القضاء على الهدر والتسرب ، تخفيض كلفة الابنية المدرسية ، اسهام الجماعات المحلية فى بناء المدارس وتمويل التربية ، اللجوء الى المدرسة ذات المعلم الوحيد ، اللجوء الى المدرسة بلا صفوف ، التعليم عن طريق «فريق من المعلمين» ، التعليم الذاتى ، الخ ...

على أن ما يعنينا من هذا كله هو أن تحليل الجانب الكمى للتربية فى البلدان العربية يقودنا حتما ، كما نرى ، الى التأكيد على أهمية الجانب الكيفى النوعى ، فتجويد الكيف والنوع ، فضلا عن قيمته فى ذاته ، هو السبيل الى التغلب على مشكلات الكم .

سوى أن للجانب النوعى بعداً آخر هاماً هو الذى نود أن نتريث عنده لارتباطه الوثيق بالمسألة التى طرحناها . مسألة الرؤية العربية للحضارة . ذلك أن

● هل يستطيع التعليم في بلادنا أن يقدم الإنسان المبدع الخلّاق ؟



الثروة النفطية التى نحاول توظيفها فى مشروعات التنمية

المقياس الاساسى عندنا للجودة النوعية فى التربية ، قدرتها على الاسهام فى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبالتالى فى خلق الانسان العربى المرجو من أجل توليد حضارة عربية أصيلة متقدمة .

ولن يقنعنا فى هذا المجال أن نعيد حديثا غداً مكروراً فنقول ان مثل هذا الاسهام للتربية فى التنمية الشاملة للمجتمع يكون أولا وقبل كل شىء بالتوسع فى التعليم المهنى والفنى ويجعل التعليم موجها نحو العمل المثمر والانتاج المجزىء . وفى رأينا أن المسألةتتجاوز هذا الهدف وأنها أعمق منه وأبعد . المسألة كلها عندنا تتلخص فى جملة واحدة : كيف نجعل التربية عندنا – فى شتى أنواعها وأشكالها – أداة للاسهام فى ابداع الحضارة بدلا من الاكتفاء باستهلاكها دون روية أو تبصر ؟ وتلكم مسألة فيها مسائل :

● أولها أن نتساءل هل يقوى التعليم العلمى والمهنى والفنى فى مراحله المختلفة فى بلادنا على أن يكون فعلا مبدعين للعلوم والفنون والتكنولوجيا ، أم أنه لا يعدو أن يكون أتباعا ثانويين لتقدم علمى وتكنولوجى ليس لنا يد فى خلقه ؟

● وثانيها أن نتساءل من وراء ذلك وفوق ذلك هل الهدف الصحيح والسبيل الأهم ان نعنى خاصة بتطوير التعليم العلمى والفنى والتكنولوجى ، أم أن الهدف فوق هذا وقبل هذا أن نكون الانسان المبدع الخلاق فى شتى فنون المعرفة البشرية ، وعلى رأسها العلوم الانسانية ؟ هل صحيح أننا نحتاج إلى فنيين ومهنيين دون ما حاجة الى علماء فى ميدان علم الاجتماع وعلم السياسة والتاريخ والتربية والتراث العربى الاسلامى وسواها من العلوم التى تمس حياة مجتمعاتنا فى صميمها ؟

الحق أن ما نحتاج اليه هو الابداع والاصالة فى شتى المعرفة الانسانية ، فنيها وانسانيها ، وأننا فى هذه كلها ما نزال نعيش على فتات الغرب وعلى موائده . أو ليس مما يجار أمام الاعين أن أفضل الدراسات عن تراثنا العربى الاسلامى نفسه نستقيها من الغرب ؟ أو ليس مما يبقينا فى مرحلة العجز أننا نتحدث عن مجتمع عربى لا نعرفه وعن انسان عربى لا نعرفه ؟

على أننا حين نؤكد أهمية التربية القادرة على الابداع والعطاء فى شتى المجالات ولا سيما مجالات العلوم الانسانية ، نفعل ذلك انطلاقا من أمور عديدة :

الأول أن الابداع كل لا يتجزأ، وأن من غير الصحيح القول ان المتخلف فى مجال العلوم الانسانية يمكن أن يكون متقدماً فى مجال العلوم الفنية والتكنولوجية والعكس صحيح .

والثانى أن الفضل الاكبر لحضارتنا العربية الاسلامية فى أوج ازدهارها أنها جمعت جمعاً وثيقاً بين العلوم الفنية التطبيقية وبين العلوم الانسانية وخلقت بذلك ما يدعوه فانتيجو «المعجزة العربية»

والثالث أن أزمة الحضارة العالمية ، كما ذكرنا ، أزمة انسانية أولا وقبل كل شىء ، ولن نستطيع أن نسهم بدورنا فى تصويبها الا اذا جعلنا اهتمامنا بالانسان محور فلسفتنا التربوية .

والرابع وهو الأهم ، أن أية حضارة لا يمكن ان تتكون وأن تبدع الا اذا ادركت أولا ذاتها ووعت خصائصها ، وبذلك تصبح قادرة على توليد ثقافة ذاتية أصيلة . ومشكلة المشكلات فى حياتنا العربية أننا معروضون لهجمات حضارية تكاد تنسينا أصولنا وتستلب ثقافتنا الأصلية وتشوه قيمنا الغالية . بل مشكلة المشكلات أن عهودا طويلة من الاستعمار والتخلف خلقت لدى الانسان العربى ضربا من الشعور بالدونية والعجز والانسحاق أمام الغرب ، وأننا أحوج ما نكون ، كيمـا ننطلق فى عزم وايمان ، الى ان نستعيد هويتنا الضائعة وثقتنا المهزوزة .

ولا يفهمن من قولنا اننا نقلل من شان التقدم العلمى والفنى والتكنولوجى ، أن هذا التقدم شئنا أم أبينا روح العصر وقوامه . ولكن كيما نضع هذا التقدم فى اطاره الصحيح ، وكيما نكون فيه مبدعين لا مستهلكين ، وكيما نكيفه وفق حاجاتنا الخاصة ، لابد ان يكون تركيزنا فى التربية العلمية والتكنولوجية التى نقدمها ، فضلا عن أنواع التربية الاخرى ، على مكان التقدم العلمى التكنولوجى فى حضارتنا وحضارة العالم ، وعلى اعادة الثقة بقدرتنا على الابداع فيه ، وعلى جعل جهدنا وبلائنا فى هذا الميدان جزءا لا يتجزأ من نظرة أشمل الى صيغة الحضارة التى ننشدها .

لقد قيل الكثير عن نهضة اليابان السريعة منذ عصر «ميجى» الشهير عام ١٨٦٨ . وظن الكثيرون أنها وليدة البعوث التى أرسلت الى الغرب تسقى من معارفه وتقنياته ، وثمرة عطاء الاختصاصيين الغربيين الذين جاءوا الى اليابان للعمل على تطوير صناعتها . وفى هذا الظن نصف الحقيقة لا الحقيقة كلها . ذلك أن هذه الجهود كلها ما كانت

لتثمر لولا ان اكد القانون الملكى الذى صدر حينذاك على أهمية الانطلاق فى هذا كله من منطلق الاصالة القومية ومن نظام تربوى يضع المهاد العلمى التكنولوجى اللازم جنبا الى جنب مع عنايته الخاصة بتكوين ارادة العمل القومى .

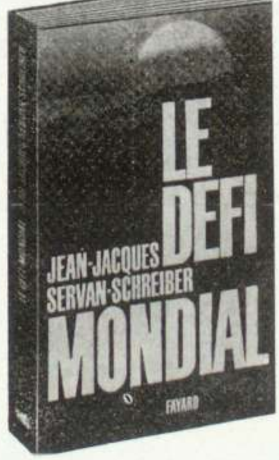
إن تأكيد الاصالة الذاتية والثقافية الذاتية لا يحول ، ولا ينبغى ان يحول ، دون التحديث . ولكن التحديث لا يجد طريقه الى الحياة ولا يأخذ مجراه السليم من دون أصالة وعود الى التراث ويأخذ هذا القول معناه الاعمق اذا ذكرنا مرة أخرى أن حضارة العالم فى أزمة ، وعلينا أن نجتنب تقليدها بعد أن آذنت بالخفوت ، وأن تفاعل الثقافات وتضامن الهويات المختلفة للشعوب هما سبيل تصحيحها وتقويمها .

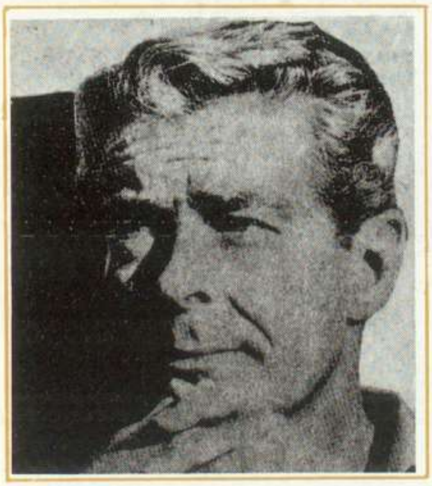
دور الابداع :

وموقد الأصالة ، موقد الذاتية ، تفجير الابداع . ومن هنا ترتد المسالة كلها الى البحث عن تربية عربية تغذى الابداع ، وتستخرج طاقات الابتكار لدى الانسان الى أبعد مدى ممكن .

وتعهد التربية للابداع مطلب ينبغى أن يبدأ منذ نعومة الاظفار ويستمر فى مراحل التربية المختلفة . على أن التربية السابقة على المدرسة والتربية فى مرحلة التعليم الابتدائى تلعبان الدور الاكبر فى رعايته وتفتيقه . أما وسائل ذلك فليس ههنا مجال الحديث عنها . ولعل أهم ما فيها تدريب الطالب على العمل الشخصى والبحث الذاتى المستقل ، وإفساح المجال أمام أصحاب المواهب الفذة فى نظام تربوى لا يعنى مع الأسف بالطلاب الذين قد يكونون متوسطى القدرة فى مواد مدرسية عديدة غير أنهم أفذاذ مبدعون فى مجال أو مجالين ، وتشجيع سائر أشكال الابداع الحر فى الانشاء والرسم وسواهما ، وتنمية الخيال الخلاق ، وتعريف الصغار منذ ميعة الصبا على عالم العلم والتكنولوجيا واستخراج العقل الذى فى أيديهم والذى يفوق العقل الذى فى رؤوسهم على حد تعبير غاندى ، والافادة من فضائل استخدام الاصابع الخمس ، وتنمة روح النقد والتحليل والمناقشة ، وغير ذلك كثير . ولا حاجة الى القول ان تنمية البحث العلمى ووسائلة ولاسيما فى مرحلة التعليم العالى ، جانب هام من جوانب تعهد تربيه الابداع هذه . على أنها لا تؤتى ثمارها الا اذا سبقتها ومهدت لها رعاية لهذه القدرة طويلة ومستمرة منذ الصغر . ولقد خطت التربية الحديثة خطوات كبيرة فى طريق تكوين روح الخلق والابداع هذه ، ايمانا منها بأن من غير الجائز أن نترك أمر نمو هذه القدرة للصدف وحدها ، وانطلاقا من حقيقة أساسية هى أن الخيال المبدع هو الذى يلعب الدور الاكبر فى أية تنمية ، ولا سيما فى التنمية الصناعية . ومما يقوله «شريبر» نفسه فى كتابه القديم عن «التحدى الاميريكى» : «ان الحرب التى تواجه الدول الاوروبية ، أمام التحدى الاميركى ، لا تسدد الينا ضرباتها عن طريق الدولار أو اطنان الفولاذ ، ولا حتى عن طريق الالات الحديثة بل عن طريق الخيال المبدع وموهبة التنظيم» . والقوة الحديثةعنده ثاوية فى القدرة على الابتكار .

وكثير من المربين المحدثين اليوم يرون أن من واجبنا التخلى عن المفهوم العقلى والموسوعى الخالص للثقافة ، وتبنى مفهوم أرهق وأشمل للتربية ، قوامه أن ينمى لدى الطفل — إلى جانب تذوق المعارف — القدرة على التغير والتغيير والابداع ، أن نتيح له السيطرة على العوامل والشروط الاقتصادية والاجتماعية التى تحيط به كيما يحيا غايات ثقافية مستقلة وكيما يسهم إسهاما فعالا فى الحوار الفكرى والعام . ومما يقوله أحد المربين : ان كبت النشاط المبدع لدى الطفل من قبل الآباء والمعلمين هو أولى الأسباب الدالة على كبت النشاطات الخلاقة من قبل المجتمع ولقد ظهرت فى السنوات الاخيرة عشرات المؤلفات التى تعنى بمسالة القدرة على الابداع وأساليب تكوينها لدى الاطفال والشبان . وكلها تؤكد أهمية هذه القدرة ، وتشير الى أن بذورها قائمة لدى كل طفل ، وأن التربية المالوفة هى التى تطفئها غالبا ، حتى ليحق لنا أن نتساءل مع القصاص الفرنسى «الكسندر دوما» : كيف يتاتى أن يكون معظم الاطفال على حظ كبير من الذكاء ، وأن يكون معظم الراشدين على حظ كبير من الغباء؟» ، وأن نجيب معه على هذا السؤال قائلين : «لابد أن تكون التربية هى المسؤولة عن ذلك» . ولنقل عابرين ، خوفا من أى لبس ، ان هذه القدرة على الابداع لا ترتد الى الذكاء ، ولعل الذكاء من دونها أشبه بالثمرة الجافة . انها ملكة تزكو بالرعاية والدربة ، وتحمل وتتئم اذا نحن تعهدناها ، وتغل ثروات فكرية ومادية ليس لانطلاقتها حد . انها الخروج على المالوف ، ومجاوزة الاتباع ، وركوب طريق المبادرة ، وتخيل الطريف





«التحدى العالمى» للكاتب الفرنسى جان سرفان شرايبر .

الطاقة العربية كبيرة ولكنها حبيسة ضمور الإنسان العربي!

المولد ، وهجران السنة والنوم ، وارتياد المجهول واقتحام المغلق

ويشط بنا الحديث ان نحن مضينا فى الحديث عن هذه القدرة وعن وعودها وآفاقها البعيدة التى حملت شعراءنا العرب على الظن بأن وراء الابداع الشعرى روحا من عبقر الجن . وجملة ما نود أن نصل اليه من وراء هذا كله أن العمل على توليد تربية عربية قادرة على خلق نمط حضارى عربى لا يعنى فقط كما يخيل الينا عادة ـ أن نصب جهودنا على نشر التعليم وتنويعه وتفريعه وتجويد مناهجه وطرائقه بل يعنى ـ أولا وقبل كل شىء ـ أن نجعل الانسان الذى يتلقاه قادراً على التفتح الى أبعد مدى وعلى تجاوز ذاته دوما وأبداً وعلى تغيير مجتمعه وتجديد مجتمعه من خلال نظرة مبدعة خلاقة رعيناها فأحسنا رعايتها . أوليست أزمة التخلف الحضارى فى البلاد العربية أزمة فى النهاية الى ضمور الابداع فى المجتمع العربى قرونا طويلة من الزمن ، بعد انهيار الدولة العربية الاسلامية لأسباب مختلفة ، وبعد أن حل محل حرارة الاسلام ووثبته الحضارية الأولى جمود واتباع وتقليد؟ بل أوليست الوثبة الابداعية التى عرفتها الحضارة العربية الاسلامية والتى تلقفها الغرب هى التى فجرت بذور الحضارة الغربية كلها ؟ أو لم يغادر الغرب ، بفضل الحضارة العربية خاصة والحضارة اليونانية الى حد ما أساليب الاتباع والجمود التى عرفوها أيام العهد الوسيط فى أوربا لينطلقوا منذ أيام عصر النهضة نحو حضارة تنضو عنها مخلفات التفكير الاسكلائى الجامد والقياس الارسططالى العقيم ، وتجعل من الاستلقاء فى أحضان الطبيعة واستكناه اسرارها شعار حياتها ، بعد أن كانت الطبيعة واديا للدموع ومسرحاً للخطيئة ؟ بل أوليست الروح التى عرفت باسم روح «بيكون» والتى فجرت الحضارة الغربية الحديثة هى فى حقيقة الامر روح الحضارة العربية الاسلامية سرت الى الغرب وانتشرت فى شعابه ؟

خاتمة :

وبعد ، لعلنا ندرك فى خاتمة هذا الحديث أن الجهد العربى الذى نرجوه لتوليد نظرة عربية خاصة قادرة على تجنيبنا مخاطر الازمة العالمية وعلى تمكيننا من الاسهام فى بناء الكيان العالمى الجديد ، جهد لابد أن ينطلق أولا من التربية ، ومن تربية مبدعة خلاقة . وقد لا نقوى اليوم على تحديد معالم تلك النظرة الحضارية العربية الخاصة ، لانها بناء لا اكتشاف . انها بناء نشيده من خلال عمل طويل النفس نسلطه على التربية لنجعل منها طاقة جديدة تفجر قوى الانسان العربى وتقده قدا جديدا مبتكراً . وعندما يعى الانسان العربى ذاته ومجتمعه وتراثه والعالم من حوله ، وعندما يغدو مزوداً بالخيال الجموح الذى يستشرف رؤى المستقبل ، وعندما ينطلق لديه مارد النقد والمبادرة والعطاء الأصيل ، لابد أن يصبح قادراً على صياغة نظرته الجديدة الى العالم ونظريته العربية المحدثة .

المسألة إذن ليست مسألة وعظ وارشاد ، ليست أن نبين للفتى العربى والطالب العربى ما عليه أن يفعل . انها تزويده فعلا بالقدرة على الفعل ، أى بالقدرة على المبادرة والتغيير والابداع . والمسألة ليست كذلك أن نضع للتربية أجمل الاهداف ، بل أن نقلب تلك الاهداف الى أنماط سلوكية ، كما يقول المربون . والمسألة فوق هذا وقبل هذا ليست أن نكون العالم والمهنى والفنى والمؤرخ والمربى وعالم الاجتماع ومن اليهم ، بل أن نكون لدى هؤلاء جميعاً القدرة على الابداع المستمر .

ان الحدود التى تقف امام النمو الاقتصادى والاجتماعى ، لا يتجاوزها الا ما تحمله قدرة الانسان على التعلم والابتكار من امكانات لا حد لها . وأمام قولنا ان للنمو الاقتصادى حدودا ينبغى أن نضع قولا مقابلا : لاحد للتعليم . وفى تراثنا العربى الاسلامى :

يظل المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه علم فقد جهل وفى الحديث الشريف : منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال . والتعليم فى أحدث معانيه يعنى العملية التى تهىء الانسان لمواجهة مواقف جديدة .

تلكم عندنا شروط النهضة التربوية التى تمهد السبيل لولادة حضارة عربية قادرة على الاجابة على التحديات التى تواجه البلدان العربية وعلى الاسهام فى حل الازمة الحضارية العالمية .

لقد زال الى غير رجعة ذلك الحين من الدهر الذى كان يخيل الينا فيه أن التربية دوما وأبداً أداة التقدم ووسيلته . فالتربية التى تؤدى الى التقدم ليست أى نوع من التربية ، بل لابد أن تشتمل فى واقعها وممارستها على الشروط اللازمة للتقدم . وان لم نفعل كانت التربية عبئا قبل أن تكون عوناً ، وكانت اداة لتخريج أدعياء الثقافة وهم أخطر من فاقديها ، وقادت لا محالة الى مجانبه أهداف التنمية والتقدم بل السير فى عكس اتجاههما .

إن الطاقة العربية طاقة كبيرة ولكنها حبيسة ضمور الانسان العربى وركوده . وما نجده من تخلف فى شتى ميادين حياتنا ، الزراعية منها والصناعية والعلمية والتكنولوجية ، وليد هذا الضفور وذلك الركود . كل شىء فى اماناتنا المادية والبشرية يشير الى أن المتوقع والمأمول أن نكون أفضل حالا مما نحن عليه . فهل نملك حقاً تلك الامكانات؟ الراجح اننا لا نملكها لاننا لا نملك القدرة على استغلالها أوسع استغلال ممكن ، ولأننا لم نحسن تكوين الانسان القادر على ذلك . ومع ذلك ما نزال نتابع السير نحو سراب هارب ، فنجهد ونجهد لنقل العلم والتكنولوجيا وأدواتها دون أن نكون القدرة الذاتية على ابداعهما ، وننسى وسط الزحام محور المحاور وقطب الرحى ، نعنى الانسان المبدع المجدد .

من أعماق ذلك الانسان ينبغى ان نمتاح القدرة والغنى ، ومن تفجير طاقاته ينبغى أن نرتاد الطرق الجدد ، ومن ايقاظه بعد سبات وتعريفه بذاته وتراثه وعالمه نرجو توليد رؤية عربية أصيلة قمينة بأن نحاور العالم من خلالها .

د. عبد الله عبد الدايم

الشاعر المأساة

إلى الشاعر حمد الحجي .. وحزني

شعر: محمد الفهد العيسى





يصدر خلال هذا الشهر ديوان «الابحار فى ليل الشجن» وهو الديوان الجديد للشاعر السعودى الكبير محمد الفهد العيسى ، وهذه إحدى قصائد الديوان :

الليل تغمره السكينهْ
والمُزنة البيضاء تُبحر
تحت أشرعة القمر
حيرى حزينهْ
حطمتها في ظلام الليل
أمواج المدينهْ

* * *

وعلى شاطئها المهجور ..
أغفت ..
تندب أشلاء شراع وسفينة

الكناريّ .. الذي أغرق باللحن الوتر
أخرسته - ظلمة راعبة -
مزّقت في نزوة رعْنا شجونه
ضل فى درب الليالي ..
أيكة حب .. كان يسقيها حنينه
ضاع في درب مَتَاهِ القلقِ الحيران
يجرّ - على وهَنٍ - سنينه
يتنزّى قلبه من شجَن
صب في أضلاعه الوهنى ظنونه
الأحاسيس التي غنى بها
عربدت ..
تجتاح كالبركان



كالإعصار أفياء غصونه

بعثرت أزهاره

في صحارى اليأس ..

كم أدمت جبينه

* * *

الكناريّ الذي غنى الليالي

وتغنى بالليالي

أخرسته ..

- يا لجور الزمان - الليالي

واستباحت سكونه

يا أماسي الحب ..

يا أشواق ..

يا نشوى بلحن البلبل الغريد ..

لن نبكي لحونه

الكناريّ ..

يا أماسي الحب ..

مبحر في قلوع أمينه

سيغني يا رفاقي .. الكناريّ

غداة الفجر أندى لحونه

هموم ثقافية



● أغرب رحلة من سلطنة عمان إلى الصين في سفينة شبيهة بالسفن الخليجية القديمة!

علي عبد الله خليفة

■ سندباد جديد

فى عام ١٩٧٨ بنى عالم الأجناس النرويجى «ثور هايردال» قارباً من البوص وأبحر به مع مجموعة من الاختصاصين فى مجالات مختلفة من العراق إلى البحر الأحمر ليدلل بالتجربة العملية على قدرة مراكب البوص على قطع مسافات طويلة فى الألف الثالث قبل الميلاد . وقد حققت رحلته أهدافها العلمية ، واستفاد منها الدارسون والمهتمون .

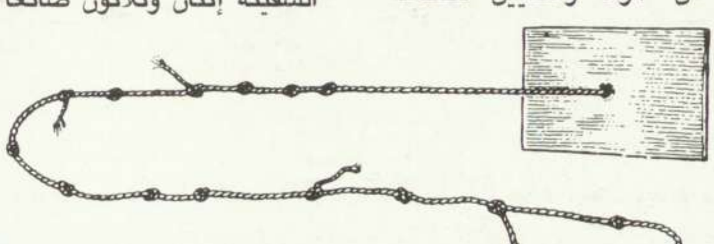
تذكرت ذلك وأنا أتابع باهتمام وإعجاب التجربة العلمية التى يقوم بها العالم الأسكتلندى «تيم سيفرن» للبحث فى طرق الملاحة العربية القديمة إلى البقاع البعيدة ، ليثبت عملياً قدرة بحارة الخليج الأوائل على الابحار بقوارب بدائية من سواحل بلادهم إلى الصين . وتذكر كتب التاريخ بأن العمانيين فى القرن العاشر الميلادى قد نجحوا فى انتزاع الأهمية التجارية من سكان الخليج أيام التنافس على التجارة البحرية بين الموانىء ، فجعلوا من مدينة صحار ميناء مزدهراً تبدأ منه الرحلات إلى الصين . لذلك فقد تبنت هذه التجربة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، فوفرت كل ما يلزم تحقيق الفكرة من المواد والفنيين لصناعة السفينة إلى تجهيزها بالمعدات والبحارة وتقضى فكرة «سيفرن» بأن تصنع سفينة جديدة بنفس الطريقة التى كانت تصنع بها السفن القديمة فى الخليج ، فبدلاً عن المسامير أستخدمت الحبال المستخرجة من ألياف قشرة جوز الهند المجدولة لتثبيت الألواح وشدها مع بعضها البعض بطريقة التخييط المتوازى ، واستخدام نفس الاشرعة القطنية الكبيرة التى كانت تسير السفن فى ذلك الوقت إعتماداً على الريح وعلى مواقع النجوم ، وأن تقطع هذه السفينة رحلة طولها حوالى ستة آلاف ميل من مسقط إلى كانتون بالصين .

ولانجاح التجربة وتقريبها من واقع الحال فى ذلك الزمان اتبعت فى كل خطوة نفس التفاصيل الصغيرة والدقيقة التى كانت تجرى ذلك الزمان لاستكمال صناعة السفن ، فقد جلبت أخشاب السلج اللازمة لصنع السفينة من غابات جنوب الهند ، ونفس الحبال للشد وتثبيت الألواح ، ونفس الفتيل لحشو الشقوق المتفرقة ، ونفس الاشرعة القطنية المثلثة الشكل ، ونفس الزيوت والمواد التى كانت تطلى بها المراكب القديمة فى الخليج . ولقد قام بصنع هذه السفينة إثنان وثلاثون صانعاً اختيروا بدقة من بين النجارين العمانيين المهرة وبلغ طول السفينة ستة وثلاثين قدماً وجهزت لتصبح نسخة طبق الأصل من سفن القرن العاشر الميلادى الشراعية .

لقد عاش صاحب التجربة كل تفاصيل العمل ، وقام بملاقاة المعمرين من ربابنة السفن فى مدينة صور المشهورة بصناعة ذلك النوع من السفن ليستطلع منهم معالم الطريق البحرى الذى سلكه التجار للوصول إلى الصين . ويتناقل الرواة الشعبيون فى عمان بأن أول من قام باجتياز هذا الطريق التاجر العمانى أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذى وصل الصين من عمان حوالى عام ١٣٣هـ ـ ٧٥٠م ليشترى الصبار والأخشاب ، كما يتبين من الوثائق الصينية ان مراكب غرب المحيط الهندى كانت تشاهد فى ميناء كانتون منذ عام ٥١ هـ ـ ٦٧١ م . وأختيار مدينة صور لتكون منطلقاً للرحلة الجديدة جاء لكون المدينة ميناء حيوياً شهيراً مطلاً على الخليج العربى وأهلها من أشهر صناع السفن وأمهر التجار الذين عملوا فى نقل البضائع من وإلى شرق افريقيا والهند .

إن نتائج بعض الأبحاث المعاصرة تؤكد بأن مغامرات السندباد الاسطورية لها علاقة وثيقة بالقصص والروايات الشعبية المتداولة فى المنطقة والمبنية حقيقةعلى معاناة الانسان فى الخليج والسواحل القريبة فى ركوب المجهول والتغرب عن الأهل والديار فى بحر الأهوال والشدائد ، كما انه يحتمل أن تكون صحار بسلطنة عمان هى المدينة التى عاش فيها السندباد قديماً ، ويريد «سيفرن» من مشروعه كذلك أن يثبت بأن لملحمة السندباد جذوراً تاريخية واقعية

وفى أوائل شهر نوفمبر الماضى وبعد نهاية الرياح الموسمية على طول الخط البحرى القديم المؤدى إلى الصين أبحرت سفينة السندباد الجديد فى



طريقة «الكمال» تدلل العقد والذيول على خطوط العرض لموانى معينة ترسو فيها المراكب .

● مايقدم لأطفالنا شيء ، والتجريب في الكتابة للطفل شيء آخر !

● هذا الباحث الذي عايش الأغنية الخليجيّة مايقرب من ربع قرن !



احتفال متواضع وعلى ظهرها خمسة وعشرون فرداً ، ومن المتوقع أن تصل إلى نهاية مطافها فى منتصف صيف ١٩٨١ ، وسيسجل هذا العالم تجربته فى كتاب اتفق مسبقاً مع إحدى دور النشر البريطانية على نشره ليطلع العالم على نتيجة بحثه ، مثلما سبق له ان نشر تجربته الأولى عام ١٩٧٧ والتى ابحر فيها عبر المحيط لاطلسى الشمالى ليثبت عملياً بأن كريستوفر كولمبس وجماعات الفايكنغ لم يكونوا أوائل من وصل إلى امريكا من أوربا ، وإنما سبقتهم جماعات الرهبان الايرلنديين التى أبحرت إلى القارة الجديدة فى قوارب مفتوحة مصنوعة من الجلد ، وقد أبحر «سيفرن»

رسم مبدئى افتراضى على طراز المراكب العابرة للمحيطات التى يحتمل أن يكون البحارة العمانيون قد استخدموها فى رحلاتهم أثناء عصر صحار الذهبى .

قياس ارتفاع النجوم بواسطة طريقة «الكمال» وهى الطريقة التقليدية التى كان يستخدمها البحارة العرب فى معرفة خطوط العرض .



فى ذلك القارب البدائى تلك السنة مع ثلاثة من رفاقه الايرلنديين عن طريق ايسلندا الى ساحل كندا ، ولقد نشرت الصحف الغربية قبل ثلاث سنوات بالتفاصيل كل المخاطر التى واجهتها الرحلة .

عندما يتابع المرء فى وطننا العربى مثل هذه التجارب العلمية التى يضحى فيها الانسان بحياته من أجل هدف نبيل يضيف به شيئاً ما الى أى مجال من مجالات المعرفة لا يسعه إلا أن يشعر بالحسرة بمقدار شعوره باحترام وتقدير هذه الأعمال . إننى أتساءل أين جهود مؤسساتنا العلمية والتربوية ورجالها ممن يتخيرون أقصر السبل وأيسرها لنيل الدرجات العلمية وذلك باجتـــرار المواضيع واستهلاك الكلام قابعين على مكاتبهم الوثيرة فى الغرف المكيفة ؟ فهذا رجل من أبعد البلاد يأتى ليتحقق بالدليل العلمى كيف كان آباؤنا فى الخليج يبحرون الى البعيد ويمدون أنظارهم ويتطاولون بقاماتهم لتحقيق الحلم بينما نحن لاهون الآن بالكرة وحل الكلمات المتقاطعة وتداول الأســهم والمضاربة بالسندات المالية . ترى فيما لو خرج من بيننا مغامـــر بالصدفة يريد إثبات حقيقة علمية هل سيجد من بين هذا الضجيج الهائل من يسمعه ويتفهم قصده ويمده بالعون .. هل ؟

محاولات الكتابة للأطفال في الخليج

أدب الأطفال فى عالمنا العربى فقير جداً ، وجهود الرواد فيه يتيمة وغير مطورة . وتقصيرنا فيه جزء بسيط من إهمالنا الكبير للأمور الصغيرة التى تكبر لتفاجئنا بضخامتها بين حين وحين . فبعد المحاولات الرومانسية الأولى لكامل كيلانى ، وعثمان جلال ، والمتاثرة بما وفد إلينا من الغرب فى هذا المجال أفاق العالم العربى بعد غفوة على محاولات الكتابة الجديدة للاطفال لزكريا تامر وعادل أبو شنب وسليمان العيسى وغيرهم ووصلت إليه انجازات الدول المتقدمة فى مجـال الاهتمام بالطفل وأحس ، متأخراً ـ كالعادة ـ بفداحة ما فرط فى الأيام الخوالى . فانكبت دور النشر العربية بأهداف متضاربة شتى على نشر كل ماله علاقة من بعيد أو قريب بالطفل حتى أنهم عادوا لنبش بطون الكتب التراثية القديمة لاستخراج أية إشارة أو حكاية تخص هذا الطفل المسكين ، فامتلأت المكتبة العربية بسيل جارف من المطبوعات التى تحتاج إلى فرز صارم قبل أن تصل إلى يد القارىء الطفل حتى لا تظلم النماذج الجيدة ذات الهدف النبيل .

وفى منتصف السبعينات عندما بدأت بواكير الكتابة للطفل فى الخليج تطل برأسها خجلة مترددة غمرنا شعور عظيم بالفرح ، واستقبلنا المحاولات الأولى لعبد القادر عقيل ، وخلف أحمد خلف ، وفوزية رشيد بحماس وخوف : حماس ، لهذا التوجه الجديد فى مسار الحركة الادبية الجديدة فى البحرين . وخوف ، على اطفالنا من هذه المحاولات التجريبية الاولى فيما لو وقعت بين أيديهم بعلاتها . ومازلت أذكر تلك المناقشات المحتدمة حول أدق التفاصيل بشأن الكتابة للأطفال ومدى أهمية مزج الابداع الأدبى الغامر برصانة وعلم رجال التربية ودراية الأمهات والآباء القريبين من الطفل اكثر منا . انه لا يمكن لأى كائن بشرى مهما ارتقى بثقافته ومشاعره أن يدرك المعنى الدقيق للامومة أو الابوة قبل ان يجربها حقيقة ويلمسها بشغاف قلبه وروحه . وأذكر اننا كنا نشطح بأفكارنا ونقاشنا إلى البعيد وتبقى الحقيقة راسخة أمامنا وهى أن ما يقدم إلى الطفل شىء والتجريب فى الكتابة للطفل شىء آخر . ولقد صهر جو النقاش والمران والقرب من الطفل بعض تلك التجارب واستطاعت أن تأخذ طريقها بالفعل إلى أطفال الخليج بعد طول معاناة وانتظار . فأصدر عبد القادر عقيل عام ١٩٧٧ فى دبي (من سرق قلم ندى) ، وأصدر خلف أحمد خلف فى قطر (اللعبة) ، ثم توالت إصدارات الكاتبين ، فأصدر كل منها قصتين فى قطر كذلك . ولست هنا فى مجال تقييم هذه الأعمال ،



أطفال الخليج وبداية القراءة .

فانى أتركها لمختص بعد أن تجاوزت مرحلة القبول أو الرفض بالنسبة للمجازفة فى تقديمها إلى الطفل ، لكننى ازاء هذا السيل الجارف الخالى من الابداع ومن ابسط أصول التربية الذى يطفو على السطح من قصص ومسرحيات واناشيد موجهة للطفل ، ربما يكون من المقبول نشر أية محاولة تجريبية فى مجال الأدب والفن فهى موجهة لراشد لديه قدرة ما على التمييز والفرز ، لكن ان يكون ذلك المتلقى لهذا التجريب هو الطفل فهذا أمر خطير يجب ان ننبه إليه لنتدارك أخطاره قبل أن تسوق إلينا الصدف قصصاً وأناشيد ومسرحيات ضعيفة وركيكة وخالية من الاصول الفنية والتربوية ، كتبها صاحبها مستهيناً بهذا الفن الصعب باحثاً عن السهل فى لغة التبسيط المفروضة فى الكتابة للاطفال ، أقول أمراً خطيراً ، لاننى تابعت عن قرب المحاولات المتهافتة لنشر قصص ضعيفة فنياً وتربوياً يصر اصحابها على نشرها وليصالها للطفل بأية وسيلة .

ان استمرار الحوار حول أدب الاطفال ظاهرة صحية مطالبين جميعاً بالاسهام فيها ودفعها لتحقيق اهدافها البعيدة من أجل فرز الابداعات الاصيلة الناضجة فى هذا المجال واعطائها حقها من فرص النشر والوصول كاملا والوقوف بصرامة أمام كل ما هو غث يحاول التسلل بأسم الجديد إلى عقل الطفل .

الموسيقى والغناء في الكويت

حركة نشر الكتب الناشطة فى الكويت هذه الأيام تدعو إلى الاغتباط فهناك أكثر من كتاب غير عادى صدر خلال الستة شهور الماضية . كديوان الأستاذ العدوانى وديوان منصور الخرقاوى وغيرهما ، وهو مؤشر لحيوية النشاط الثقافى فى الكويت الشقيق الذى تساهم فيه بفاعلية المؤسسات الاهلية المتخصصة إلى جانب نشاط الافراد من أدباء وفنانين ، فبقدر حاجة الناشر الجاد إلى دعم القارىء فيما ينشره من كتب يحتاج مناخاً ثقافياً متسامحاً تتفاعل فيه المواهب والطاقات المبدعة وتنشط من خلاله عملية البحث والتاليف لينوع هذا الناشر مايقدمه للقارىء ويشده إلى المتابعة ويشده إلى القراءة وقد اصدرت دار الربيعان للنشر والتوزيع كتاب «الموسيقى والغناء» للاستاذ احمد على احد الموسيقيين العرب الذين عايشوا الأغنية الخليجية ما يقرب من ربع قرن .

يقع الكتاب فى مئة وواحد وعشرين صفحة من القطع الكبير ويبحث فى فن «الصوت» الخليجى الذى ظل لفترة طويلة بعداً عن اهتمام االدارسين والباحثين حتى من أبناء المنطقة أنفسهم وأهمية هذا العمل الفنى الذى سد نقصاً كبيراً فى المكتبة الموسيقية خصوصاً والعربية عموماً تأتى أولا من تمكن الباحث من مادته تمكن العارف الخبير بها وسيطرته على موضوعه بحكم ما توفرت بين يديه من تسجيلات غنائية قديمة ونادرة كالالحان الاولى للفنان عبد الله الفرج الذى تعتبر اسهاماته : اليوم تقنياً وتطويراً لهذا الفن بالاضافة إلى تسجيلات الفنانين ابراهيم بن يعقوب ، خالد البكر ويوسف البكر من الكويت وهو من الرعيل الخليجى الاول الذى أبدع فى أداء فن الصوت . أمثال الفنانين محمد بن فارس وضاحى بن وليد من البحرين وغيرهم . ولقد استمتعت حقاً بقراءة هذا الكتاب وتمنيت لو أن المؤلف لم يقصر بحثه على الكويت وحدها ، فالصوت فن خليجى لا يمكن تجزئته عند الدراسة حسب المناطق ، فالبلاد التى ازدهر فيها مع بداية انتشاره وشيوعه محدوده ، ونماذجه الاولى التى حملتها الينا الاسطوانات القديمة مازال أغلبها متوفراً ومحفوظاً لدى أكثر من جهة . وأمل أن يستمر جهد هذا الباحث فيقدم فى الأيام القادمة دراسة شاملة عن الصوت الخليجى تضاف إلى جهده الرائع هذا .

علي عبد الله خليفه

أين المسلمون من الاسلام ؟!

إن من المبادىء التى ميزت الاسلام التوحيد وهو سبيل القوة والاخاء وهو سبيل التعاون والمساواة ، وهى سبيل العدل والحرية وهى سبيل الكرامة والبر ، وهو سبيل المحبة والسلام وهو سبيل الرخاء . وكل هذه المبادىء معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتاويل أو تحميل أو تعسف . وهى كما ترى تضمن أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية . فهى حرية ان تصلح ما فسد من أمور الناس ، وان تقيم ما اعوج من نظام الدنيا . وقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين .

أين المسلمون اليوم من اسلام عمر وخالد فى الحجاز ، والرشيد والمأمون فى العراق ، والناصر والحكم فى الأندلس ، والعزيز والحاكم فى مصر ؟ ألم يبلغ هؤلاء بفتح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل ، فنزل على حكمهم الدهر ، ودخل فى فلكهم العالم ؟

أحمد حسن الزيات يونيو ١٩٥٢

المستشرقون وهواة القراد

د . عبد السلام العجيلي

صدر منذ فترة باللغة الانجليزية كتاب «قصص عربية حديثة» فى منشورات جامعة اكسفورد ، وهو الكتاب الذى نوهت به وبمترجمه المستشرق الانكليزى دنيس جونسون ديفيس ، مجلات أدبية فى الفترة الأخيرة .

هذا الكتاب يحتوى فيما يحتويه قصة لكاتب هذه السطور اسمها «الرؤيا» . ولهذه القصة بالذات ، أو لترجمتها من قبل المستر دنيس جونسون ديفيس ، حكاية ارويها اليوم هنا . قصة «الرؤيا» هذه تروى أمر شخص رأى فى منامه انه كان يصلى ، وانه قرأ فى الركعة الأولى من صلاته سورة قصيرة من سور القرآن ، وانه جاء فى الصباح الى شيخ قريته يسأله عن تفسير تلك الرؤيا ، وان الشيخ قال له :

ــ هل انت واثق من انك كنت تقرأ سورة الفتح ؟

فيقول الرجل : ــ كل الوثوق . قرأتها بكاملها : اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ...

الى آخر السورة . والى آخر القصة .

وكنت كتبت هذه القصة منذ نحو اثنتى عشر سنة لاحدى محطات الاذاعة العالمية ، فاذيعت فى حينها من تلك المحطة ومن اذاعتين عربيتين اخريين . ثم نشرتها فى مجلة عربية ذائعة الصيت ، معروف صاحبها بعنايته فى اخراج ما ينشر فى مجلته ودقة تحقيقه فيه . وبعد ذلك ظهرت هذه القصة مع قصص اخرى لي فى كتاب أصدرته دار نشر صاحبها يحمل الى جانب شهادته الجامعية الفرنسية شهادة دينية اسلامية ذات قيمة . وتناول قصص هذا



الكتاب بالدراسة والنقد نقاد كثيرون كان بعضهم يفتش فيه عن المآخذ يعدها علي ، وبعضهم كان يختلق تلك المآخذ اختلاقاً . هذا عدا عن دراسة هذه القصة فى ثلاث اطروحات جامعية قدمها اصحابها فى القاهرة ودمشق .

تحت كل هذه الأضواء ، ومن خلال كل هذه الغرابيل ، مرت قصتى هذه دون أن يفطن احد الى الخطيئة التى ارتكبتها فى تسمية السورة القرآنية فى سياق الحكاية . الى أن جاءتنى فى ذات يوم رسالة من دنيس جونسون ديفيس يستأذننى فيها بترجمة قصة «الرؤيا» الى الانكليزية ، ويشير بتهذيب الى أن السورة التى اوردتها فى القصة هى سورة النصر ، وليست كما سميتها سورة الفتح ...

إذن فما اخطأت أنا فيه ، عن غفلة أو عجلة ، وما فات النقاد المخلصين والمتسقطين الزلات وسيئي النية ، وما فات حتى «أبا محمد» ، وهو المرحوم مارون عبود الذى ختم مديحه لقصصى بتنبيهى الى غلطة مطبعية وردت فى احداها .. ما فات كل هؤلاء الكتاب العرب والمسلمين فى موضوع معروف وكثير الطرق قد تنبه اليه المستر جونسون ديفيس ونبه اليه فى رقة وتهذيب !

انها واحدة لهؤلاء المستشرقين تعد لحساب دقتهم وجدهم ونموذجيتهم فى العمل . أو أنها واحدة علينا تعد على حساب لا مبالاتنا أو قصورنا فى التتبع أو عدم جديتنا فيما نتصدى له من أعمال أو ما نتحمل مسئوليته من أقوال .

حين يتجمد الحبر

لقد قيلت فى المستشرقين ، ولا سيما القدماء منهم ، أقوال كثيرة واخذت عليهم مآخذ متعددة ليس بينها الخفة والتهاون وضعف الاهتمام بما درسوا وحققوا أو ألفوا . بل ان انكبابهم على دراسة آداب اللغة العربية وتاريخها قد أوصلهم أحياناً الى درجة تقرب من عشق الصوفية فى التعلق بما يدرسون . ومن يريد صورة حية لهذا الذى اقوله فليقرأ كتاب كراتشكوفسكي المسمى «مع



دنيس جونسون

المخطوطات العربية» فى ترجمته التى أصدرتها دار التقدم فى موسكو .

فى كتاب كراتشكوفسكى هذا نرى الى أية درجة يبلغ تعلق هؤلاء البعيدين عن العرب لغة وديناً وظروفاً اجتماعية بمؤلفات العرب البالية المكتوبة بحروف ممحوة عسيرة الفهم على رق أو بردى أو كاغد غليظ . ونرى كيف ينسى المستعربون ، فى بتروغراد ، فى أواخر الحرب العالمية الأولى ، الجوع والظلام والبرد الذى به يتجمد الحبر فى المحابر ، فيعيدون فرحاً حين يقيمون على مخطوطة من كتاب «المنازل والديار» كتبها بخط يده الأمير أسامة بن منقذ وهو فى الثانية والستين من عمره . ونرى كيف أن كراتشكوفسكى ألغى رحلته التى حجز مكانه لها فى احدى البواخر لأنه تعلق فى آخر لحظة بمخطوطة أعجبه منها بيت شعر فى أولها ، ثم كيف عاد الى السفر بعد أن روى غليله من قراءة تلك المخطوطة ونسخها ، جذلان يردد ذلك البيت الذى خلب لبه من شعر سلامة بن جندل :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب
لو كان يدركه ركض اليعاقيب

الجنون والعقل

ولكن أهم المستشرقين ، من شيوخ قدماء مثل كراتشكوفسكى أو شباب معاصرين مثل دنيس جونسون ديفيس ، وحدهم من أهل الغرب الذين يأخذون جداً عملهم الذين انصرفوا اليه من أعمال الحياة ؟

أظننا كلنا نعرف الجواب ونسلم بأن الجدية صفة من صفات الانسان الغربى، فى القرون الأخيرة من تاريخ العالم ، فى أخذ الحياة والتصرف أثناءها . يستوى فى هذا الباحثون فى آداب اللغة العربية من علماء الاستشراق والباحثون عن القراد من علماء الحشرات أو من طلاب الكليات البيطرية .

لماذا اسمى هنا الباحثين عن القراد دون بقية أنواع الحشرات أو الحيوانات الأخرى ؟ ذاك لأنى لا ازال اذكر زيارة ثلاثة من الفتية الألمان لي منذ عامين ، وقد جاؤوا الى شمال سورية من هانوفر ، فى سيارة احدهم ، سعياً وراء دراسة حشرة القراد فى الشرق الأوسط . كان اثنان منهم فى سبيل اعداد اطروحتين جامعيتين فى الموضوع . وكان حديثهم عن تلك الحشرة ، وعن صنوفها وتوالدها وما تنقله من أمراض وما تستضيفه من حيوانات ، حديث الذى يعتقد مخلصاً ان القراد هو مركز الدنيا وسر الكون . وكان احدهم يطير فرحاً لأنه وجد فى ذلك الصباح ، على شاطىء الفرات ، سلحفاة قد حط عليها القراد ، فاخذ بعضه واضافه الى مجموعته ...

كان أولئك الفتية الثلاثة يحدثوننى عن رحلتهم التى ستستمر بهم من شمالى سورية الى الموصل ، ثم تنحدر بهم الى بغداد فالبصرة ، وقد تنتهى بهم الى بومباى فى الهند . فترجمت هذا لصديق كان معى فقال : كل هذا من أجل القراد ؟ أليسوا مجانين ؟

قلت : بلى .. لعلهم من أولئك الذين قالوا عنهم انهم «مجانين إلا أن سر جنونهم .. عظيم على اعتابه سجد العقل !» .

د. عبد السلام العجيلى

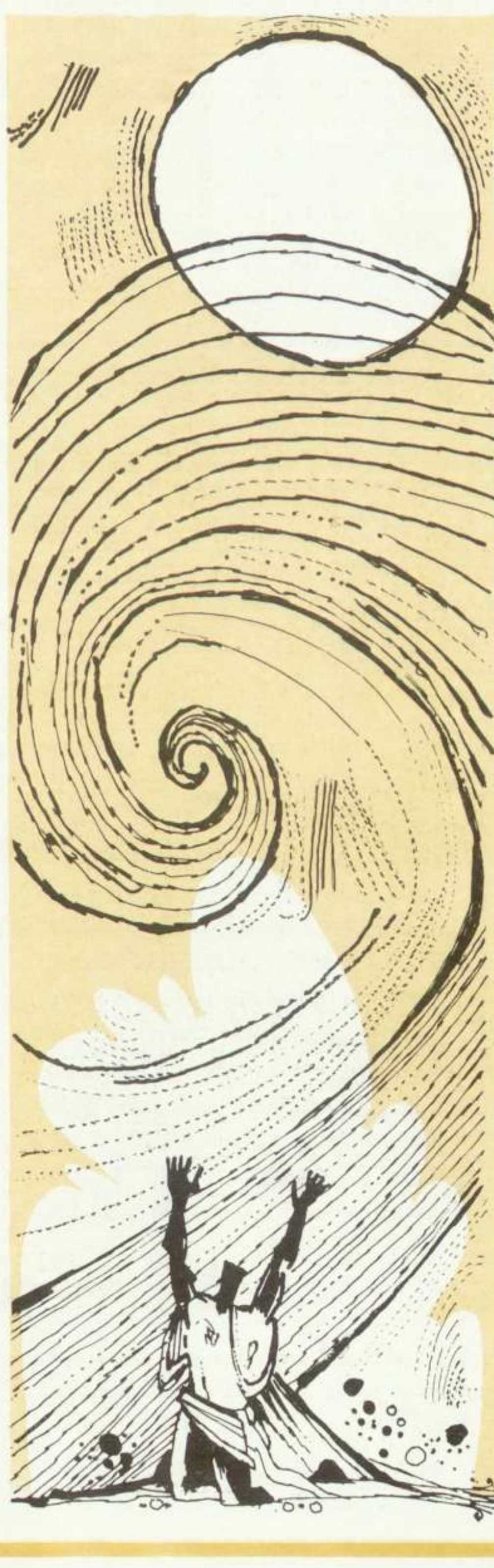
ثورة الجراح

شعر: سعيد تيم

الشوق أفناني وليس بفاني
لو كان لي في العمر عمر ثاني
فمساحة الأحداق لا تسع الرؤى
والحلم أكبر من ضمير زماني
تتوالد الأشواق بين أضالعي
كتوالد الأمواج في الشطآن
مهما تراخت فى السنين أعنتي
فعصية ليلى على النسيان
ليلاي يا عشقي القديم وصبوتي
حتام قيس في هواك يعاني
فلطالما عبر المفارق واكتوى
بجذى الحنين وغلة الظمآن
كم ذا ترحل في العصور مشردا
كم ضل في الرمضاء والقيعان
ينداح في درب القوافل جرحه
يستف رمل الحزن والنكران
حتى تغضن في الزمان جبينه
وهواك حرز لم تنله يدان

* * * * *

يا قوم معذرة فبين جوانحي
وقد اللهيب وثورة البركان
وطني الكبير أحبه وأحبه
لكنما ليلى تهز كياني
سكنت مساماتي وغاصت في دمي
وتجذرت في العمق من وجداني
في أعين الأطفال ألمح رسمها
في خضرة الزيتون بالأغصان
في حبة الليمون تؤسر عنوة
حتى تطوف أبحراً وموانى
في شهقة الموال في وجع الصدى
في ليل منفي عن الأوطان
في زفرة الشيخ الوقور تعلة
ورؤى الديار خوافق ودواني
تلك المنازل والكروم تحفها
وعلى مساحبها الظلال حواني
حفرت خريطتها على أحلامنا
رسمت ملامحها على الأجفان
بمراقد الشهداء يزهر نبتها
متضوعاً بالروح والريحان
في سورة الاسراء يعبق طهرها
في قبة الأقصى وفي الأركان



في مهد عيسى في شذى أفيائه
في عهدة الفاروق للرهبان
في موكب التاريخ يعبر خاشعاً
وعلى منائرها نداء أذان
في دمدمات الريح فوق جبالها
في حمحمات الخيل والفرسان
في سهل حطين وفي شطآنها
في عين جالوت وفي الوديان
هل للتتار على ثراها مورد
هل للصليبيين من سلطان ؟

* * * * *

ما للصهاينة الغزاة تجبروا
وعلوا علو الحاقد الشنان
نبشوا عظام الخالدين تشفياً
سرقوا وميض العز من أجفاني
واستوطنوا أرضي على مرأى الدنا
زرعوا معاقلهم على شطآني
بعتاد امريكا بدولاراتها
بسلاح الاستعمار والأعوان
بتخاذل الكبراء باستسلامهم
بتواطؤ الأذناب والخوان
أسفاً فأمتنا العريقة قد حنت
هاماتها للذل والاذعان
أسفاً فقادتنا استباحوا قهرنا
حذقوا فنون السجن والسجان
من يسلم العملاء مقود ركبه
لا يجتني ثمراً سوى الخذلان

* * * * *

غمست في جرحي المدفق ريشتي
لا تعجبوا فالحرف احمر قاني
الشعر عندي لن يكون عطارة
تذكي مع البخور والعيدان
الشعر عندي لن يكون مهرجاً
ومطبلا في جوقة السلطان
الشعر عندي جذوة مصداقة
قد تكتوى من نارها الكفان
دعني أفجرها دوياً هادراً
في وجه كل مراوغ وجبان
قومي مسيل النفط من شريانهم
يجري الى مدنية الانسان

قومي بلايين الألـــوف تكدست
بخزائن الغرب الأثيـم الجانـي
لترد للأعـداد طعنـات لنـا
وقنابلا فتاكــة النيـران
قومي جموع الطيبيـن تبعثـروا
فالوحـدة الكبرى سراب أماني
تلك الشعارات المفرغـة النـوى
كم ذا تثير نـوازع الغثيـان
هذي قبائلنـا مفككة العـرى
يا بعـد عبس عن بني ذبيـان

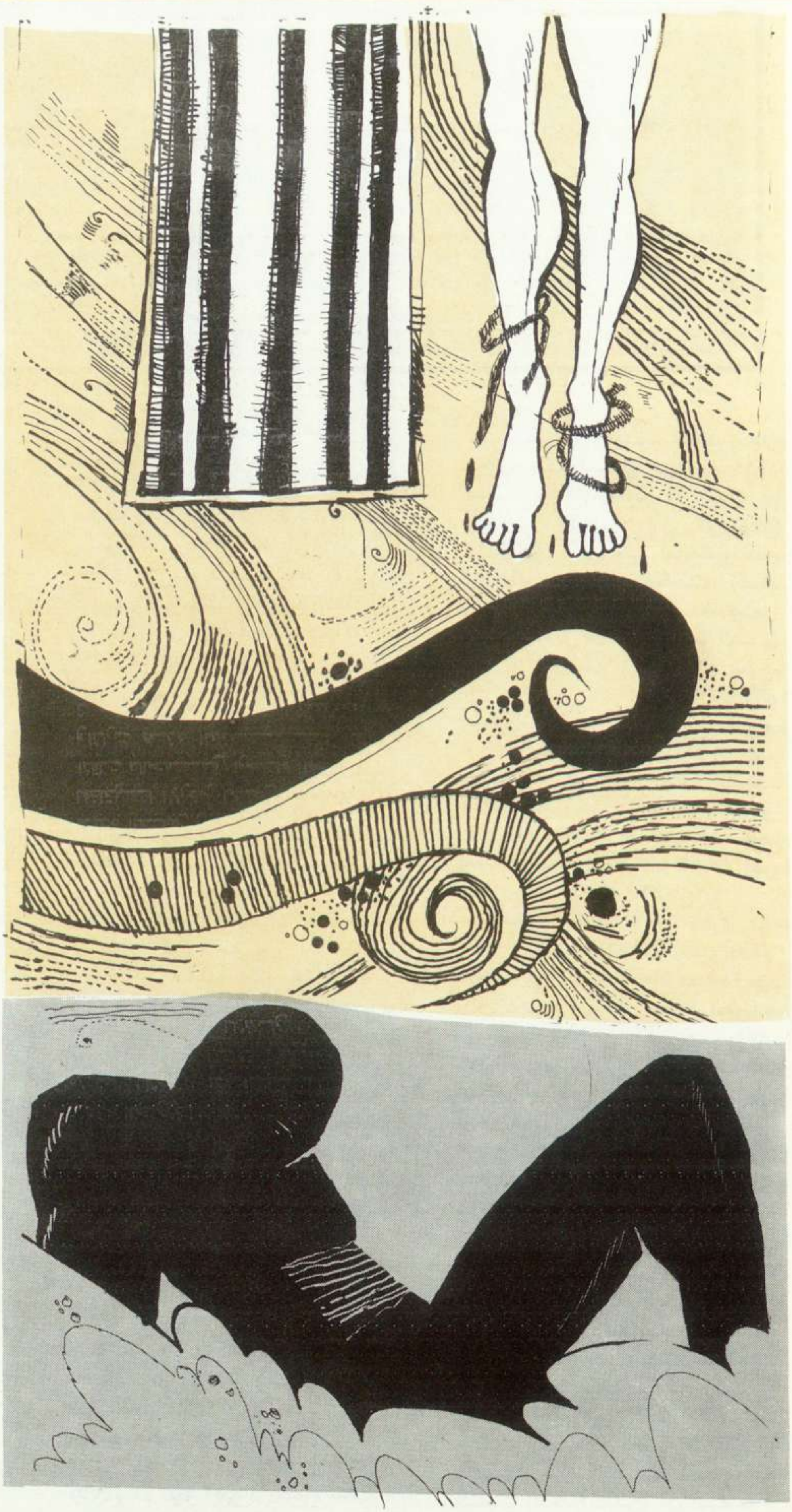
* * * * *

قومي شروق الشـمس ثم غروبها
قومي امتداد البحـر والخلجان
لكنما الاحباط يطفيء شـعلتي
فانا من الغربـاء في أوطانـي
أبداً كلاب الصيد تتبع خطوتي
والمخبرون يهمهـم عنوانـي
في خانة الممنوع تلصق صورتـي
وعلى الحـدود منيعة جدراني
في الظهر من طعن النصـال مغاور
جرح الأخوة جمـرة بلسـاني
فلكم ذبحت على ماقي أمتـي
ولطالما صار القتيـل الجانـي
بدمـي شهور العام ويحي خضبت
في كل شهر تغتلـي أشجانـي
لكنني انبت من جرحـي الوفـا
أطلعت زنبقة من الأحــزان
عانقت موطني الكبيـر ضممتـه
وزرعت فيه حدائقـاً ومجانـي
الثورة الشماء من وجعـي نمت
من صرخة الجوعى من الحرمـان
من لهفة الغيـاب من تعذيبهـم
من أنة المسجون فى القضبـان
ورأيت أحلام الغداة تماوجـت
في أعيـن الأشـبال والفتيان
أدركت معنى أن أثـور مقاتـلا
كم في البنادق منطـق ومعانـي

* * * * *

غمست في جرحي الغضوب براعتي
وعلى السـجون كتبت والحيطان
أنا من فلسـطين اليها انتمـي
عربيـة التاريـخ والانسـان
وبصقت في وجـه الغزاة تحديـاً
ورميتهم بحجارتـي ودخانـي
ووقفت في وجـه الدروع تدوسني
وسقيت أرضي من دمـا شريانـي
وعلى جبال النـار دوت صيحتي
فتجاوبت في السـهل والوديـان
ولرب مأسورين أحـرار النمـا
ومسودين هـم من العبـدان

سعيد تيم



تأملات في محنة شاعر انتهى منتحرًا!

رجـــاء النقـــاش

أعود فى هذا المقال الى ماساة الشاعر احمد العاصى وهى الماساة التى تناولت جانباً منها بالدراسة والتحليل فى عدد يوليو ١٩٧٩ من الدوحة ، «العدد ٤٣» وكنت قد وعدت القارىء الكريم بمواصلة الحديث عن هذه الماساة ، فى جوانبها المختلفة ، ولكن بعض الظروف احاطت بي ، فانقطعت عن الدوحة وعن قرائها الأعزاء عاماً او يزيد ، ولعل هذا الانقطاع كان جزءاً مما اصيب به الشاعر احمد العاصى من سوء حظ ، فقد عاش هذا الشاعر حياته حزيناً تعيساً ، ثم انتحر محترقاً سنة ١٩٣٠ ، وكان فى السابعة والعشرين من عمره آنذاك ، واصدر ديواناً واحداً هو «ديوان العاصى» ورواية واحدة هى «غادة لبنان» ، وعاش العاصى حياته وهو لا يشعر بالثقة او الاطمئنان الى الحياة والناس ، وكان يحس ان الدنيا لا تقدم له الخير ، وإنما تقدم الشر والحزن والأسى والتعاسة . وها هو العاصى يصاب حتى بعد رحيله عن الدنيا باهمال الناس له ، وكما اشرت فى مقالى السابق عنه فانه منذ وفاته منتحراً الى اليوم ، اى بعد خمسين عاماً ، وهو يحتل فى حياتنا الأدبية هامشاً صغيراً تافه الشان ، حتى لا يكاد يحس به احد او يعرفه انسان ، ولا شك ان من سوء الحظ ان ابدا فى الكتابة عن هذا الشاعر الحسلس ثم انقطع عن ذلك فترة طويلة دون ان ادرى متى أعود الى الشاعر وشعره وماساته ، وربما كانت روح الشاعر نفسه غير مبالية بي او بغيرى من الناس ، فهذه الروح لم تكن تتوقع من الآخرين اهتماماً بالشاعر فى حياته أو فى موته ، ولم تكن تنتظر إنصافاً أو كلمة طيبة من اهل هذه الدنيا التى اعتبرها الشاعر دائماً دنيا قاسية لا تعرف الرحمة .

أعود اليوم لمواصلة الحديث عن الشاعر «العاصى» وماساته ، بعد ان تحدثت فى مقالى السابق عن جذور محنته التى نبعت من فقده لأمه وهو صغير ، ثم من زواج ابيه بامراة اخرى ، ثم من دراسته للفلسفة بعد ان ترك دراسة الطب ، وهو فى السنة الثالثة من «كلية الطب» بالقاهرة ، وقد حاولت فى مقالى السابق ان اكشف جذور محنة الشاعر التى ادت به الى الانتحار ، وذلك بدراسة الأسباب العديدة السابقة .

مأساة جيل

واود هنا ان اواصل الكشف عن سر ماساة الشاعر «العاصى» وانها كانت ولا شك ماساة جيل باكمله من المثقفين والأدباء والفنانين العرب يمكننا ان نسميهم جيل «ما بين الحربين» «١٩١٤ ــ ١٩٣٩» . ففى سنة ١٩٣٠ ، وهى السنة التى انتحر فيها العاصى كانت مصر تمر بازمة كبيرة لعلها من اقسى الأزمات التى مرت بها مصر فى حياتها الحديثة ، وكان جانب من هذه الأزمة مرتبطاً بالازمة الاقتصادية التى شملت العالم كله سنة ١٩٢٩ وامتد اثرها حتى سنة ١٩٣٣ . حيث كانت الصورة فى اوروبا وامريكا بالغة القتامة وكانت هذه الصورة القائمة تنبىء بكارثة كبرى ، وقد وقعت الكارثة بالفعل بعد ذلك عندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، اى بعد سنوات قليلة من بداية تلك الأزمة العالمية الكبيرة ، ولكى نتصور حجم هذه الأزمة العالمية فى سنة ١٩٢٩ وما بعدها يكفى أن نعلم أن عدد العاطلين فى تلك السنوات وصل الى ٧ ملايين عاطل فى المانيا و ١١ مليوناً فى امريكا و ٤ ملايين فى انجلترا . ويحدثنا الكاتب «جان بيجى» فى دراسة له عن ازمة ١٩٢٩ فيقول : «إن الأمريكيين لم ينسوا يوم «الخميس» الأسود ، والذى كان يوافق ٢٥ اكتوبر ١٩٢٩ حيث استيقظوا على الصحف وقد حملت صفحاتها اسماء رجال الأعمال الذين انتحروا ، فمنهم من القى بنفسه من مكتبه فى الطابق الحادى عشر من احد الأبنية فى شارع «وول ستريت» ، شارع بورصة نيويورك الشهير ، ومنهم من شنق نفسه فى غرفته فى احد الفنادق ، ومنهم من فضل الموت بالقاء نفسه فى البحر . لقد اجتمعت جماهير غفيرة فى الطرقات حول الراديو الذى كان اختراعاً حديثاً يعيش اوج أهميته وقيمته وتاثيره ــ لمتابعة اخر الأنباء واخر اسماء المنتحرين» .

ويعطينا الكاتب صورة اخرى من واقع الأزمة او الكارثة التى شملت العالم باكمله ، وإن كانت الصورة مستمدة من واقع المجتمع الأمريكى ايضاً ، فيقول : «إن صفوفاً طويلة من الأمريكيين وقفت امام البنوك فى حركة جنونية ، وإذا بمسئول فى احد البنوك يصرخ : لم يبق فى خزينة البنك دولار واحد ، وطغى هلع شديد على الجميع ، وارتفعت الصرخات واختلطت بالتنهد والبكاء المسموع : إنها الكارثة» .

تلك صورة حية للأزمة التى ملأت العالم الغربى ، وقد انعكست هذه الأزمة على البلدان المرتبطة بالعالم الراسمالى فى ذلك الحين ، وكانت مصر فى مقدمة هذه البلدان التى انعكست عليها هذه الأزمة العالمية الضخمة ، فامتلأت مصر بالبطالة ، وانتشرت اعداد كبيرة من العاطلين فى كافة الفئات والطبقات ، وعلى راس الذين تعرضوا لهذه الأزمة الشباب المتعلم المتخرج من الجامعة ،

● إنها مأساة جيل كامل من المثقفين والأدباء والفنانين العرب يمكننا أن نسميهم جيل "ما بين الحربين"

● كانت الصورة في أوروبا وأمريكا بالغة القتامة تنبئ بكارثة كبرى.. وقد وقعت الكارثة عندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩



اسماعيل صدقى

ويحدثنا الدكتور عبد العظيم رمضان عن جانب من جوانب الأزمة الاقتصادية العنيفة فى مصر فى تلك الفترة وذلك فى كتابه عن «تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦» «ص ٧٣٣» فيقول :

«كان من الطبيعى ان تتاثر مصر بالكارثة الاقتصادية العالمية ، فاخذت أسعار القطن «وهو الثروة الكبرى للبلاد فى ذلك الحين» فى النزول بدرجة مخيفة فبيع محصول ١٩٢٩ بسعر ٢٠ جنيها استرلينيا للقنطار مقابل ٢٦ فى العام السابق ، وبيع محصول ١٩٣٠ بسعر ١٢ جنيها ، ومحصول ١٩٣١ بسعر ١٠ جنيهات ، وحتى بهذه الأسعار الرخيصة لم يكن يتيسر الحصول على شار للقطن ولذلك كانت كميات القطن تتكدس عاما بعد عام حتى بلغ المجموع فى عام ١٩٣١ اكثر من اربعة ملايين قنطار ، وقد تهددت هذه الأزمة الاقتصادية مصالح الجماهير ، واستثارت فيهم الغضب ، فانقلبوا على الحكومة يقاومونها بعنف شديد ، وقابلتهم الحكومة بالحديد والنار فتحولت المعركة الى شبه حرب اهلية» .

وكانت الحكومة التى يشير اليها الدكتور رمضان هى حكومة «اسماعيل صدقى باشا» الذى كان مكروها من الشعب الى ابعد الحدود كما سنشير الى ذلك بعد قليل .

الانتحار مرض العصر

وهذه الصورة المباشرة التى يرسمها الدكتور عبد العظيم رمضان عن ازمة ١٩٣٠ ، وهى السنة التى انتحر فيها الشاعر احمد العاصى ، موضوع هذه الدراسة ، نجد لها تصويرا فنيا فى روايتين هامتين هى رواية «القاهرة

● مشكلة الشاعر أحمد العاصي هي مشكلة الفنان الذي يتأثر بما حوله من تجارب ومشكلات حتى لو كانت بعيدة عنه ولا تمسه بصورة مباشرة

الجديدة» لنجيب محفوظ ، وهى اول رواية اجتماعية كتبها بعد رواياته الفرعونية الأولى ، وفى رواية «القاهرة الجديدة» تصوير للازمة الاقتصادية العنيفة كما انعكست على الطبقة الوسطى فى مصر سنة ١٩٣٠ ، اما انعكاسات هذه الأزمة فى الريف فنجد تصويرا فنيا دقيقا لها فى رواية «الارض» لعبد الرحمن الشرقاوى .

ومن الواضح ان هذه الأزمة الاقتصادية التى عمت العالم وتركت اثرها على مصر سنة ١٩٣٠ ، قد نتج عنها فكرة الضيق بالحياة فى مصر والعالم على السواء ، فكثرت حوادث الانتحار بين الذين خسروا اموالهم ، ووجدوا طريق المستقبل امامهم مسدودا ، وبين العاطلين الذين لم يفتح لهم المجتمع باب العمل او الامل ، حتى الطلبة الصغار ، كانوا فى هذا الجو العام يتخلصون من مشاكلهم بالانتحار ، إذا رسبوا فى الامتحانات ، او اصابتهم اية صدمة من صدمات الحياة ، وقد كتب «شوقى» فى هذه الفترة تقريبا قصيدته التى يتحدث فيها عن انتحار الطلبة

حيث يقول :

كل يوم خبر عن حدث
سئم العيش ومن يسام يذر
عاف بالدنيا بناء بعدما
خطب الدنيا واهدى ومهر
ضاق بالعيشة ذرعا فهوى
عن شفا الياس وبئس المنحدر
ذاهبا فى مثل آجال الزهر
هاربا من ساحة العيش وما
شارف الغمرة منها والغدر
لا ارى الأيام إلا معركا
ولا ارى الصنديد فيه من صبر

وفى قلب هذه الأزمة المحلية والعالمية عاش الشاعر احمد العاصى ، ولا شك انه التقط فكرة الانتحار من الجو المحيط به ، ومن قراءاته المتعددة ، وهو الشاعر المثقف الذى يتابع حركة الفكر فى عصره ولم يكن احمد العاصى عاطلا بلا عمل ، فقد تخرج من الجامعة «كلية الآداب قسم الفلسفة» سنة ١٩٢٩ ، ثم عمل فى مكتبة الجامعة ، ولم يكن فقيرا الى الحد الذى يتاثر فيه تاثرا شخصيا بالازمة الاقتصادية التى عمت العالم واصابت مصر فى نفس الوقت ، ولكن مشكلة «احمد العاصى» هى مشكلة الفنان الحساس الذى يتاثر بما حوله من تجارب ومشكلات ، حتى ولو كانت هذه التجارب والمشكلات بعيدة عنه ، وبعيدة عن أن تمسه بصورة مباشرة ، فالواقع الاجتماعى والاقتصادى والنفسى فى مصر سنة ١٩٣٠ كان واقعا شديد المرارة والتعاسة ، وكان الناس يتاثرون بهذا الواقع اشد التاثر ، ويعانون منه معاناة كبيرة، ومن المؤكد أن هذا كله قد اصاب الشاعر احمد العاصى بالم كبير واشعل فيه استعداده للياس ونزعته المتشائمة فى النظر الى الحياة والناس ، كما اشعل فيه ذلك القلق الكامن فى داخله والذى

تأملات في محنة شاعر انتهى منتحراً!

كان يسيطر عليه منذ البداية حتى فى الظروف العادية ، التى لم يكن فيها من التعقيدات العامة ما قد يثير الاحساس باليأس والمرارة وعدم جدوى الحياة .

ولعل مما جعل أحمد العاصى ، يزداد شعوراً بعمق الأزمة التى سيطرت على الحياة فى مصر ، أن والده كان تاجراً ، ولا شك أن التجار تأثروا تأثراً مباشراً بالأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها البلاد ، فكثير من التجار قد أصابتهم الأزمة الاقتصادية بالخسائر الفادحة والارتباكات العنيفة ، ولا شك أن الشاعر أحمد العاصى كان على علاقة غير طيبة بوالده ، بسبب ما أشرنا اليه من زواج الوالد بامرأة أخرى غير والدته بعد وفاتها ، مع أسباب أخرى يمكننا أن نتصورها مثل التناقض الذى ينشأ بصورة طبيعية بين «الابن الشاعر» الذى يمتلىء عقله وقلبه بالقلق والاضطراب ، وبين الأب «التاجر» الذى ينظر الى الحياة نظرة «مادية» دقيقة منظمة .. لا شك أن العاصى كان على علاقة غير سليمة بوالده ، لكل هذه الأسباب ، ورغم ذلك كله فمن الطبيعى أن يتأثر الابن الشاعر بمحنة والده التاجر ، مهما كان بينهما من خلافات ، ولابد أن تكون هذه الأزمة قد زادت من هم الابن الفنان وقلقه واضطرابه واحساسه بالغربة بين الحياة والناس .

موقف من الحياة

وإذا بحثنا فى ديوان العاصى عن أثر الأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها مصر ابتداء من سنة ١٩٢٩ أى قبل انتحار الشاعر بعام واحد ، لم نجد لهذه الأزمة أى أثر مباشر فى قصائد الديوان ، أى أنه لم يتحدث عن الفقر والبطالة أو المأساة الاقتصادية التى أصابت المجتمع كله فى ذلك العام ، ولكننا نجد فى الديوان تعبيراً عن اليأس والنقمة والأسى ، وكل هذه المشاعر هى احدى النتائج الطبيعية للأزمة التى هزت المجتمع وأثرت عليه أشد التأثير ، ولنقف لحظة أمام احدى قصائد العاصى وعنوانها «حقيقة الانسان» فاذا بالانسان كما يراه الشاعر مجرد كائن ضعيف ضائع لا قيمة له فى الحياة ، ولا شك أن مثل هذه الصورة للانسان لا يمكن إلا أن تكون ثمرة للامتزاج بين الواقع «المأزوم» والنفس الحساسة المتألمة ، فالواقع فى أزمته تلك لا يعطى للانسان قيمة ولا وضعاً كريماً ، ولا يجعل لحياته معنى ، والنفس الحساسة تلتقط هذه الصورة ، وتسجلها كما سجلها العاصى بطريقته الشعرية المباشرة حيث يقول فى هذه القصيدة :

ذرة ما بين أرض وسماء
هذه الناس رجال ونساء
لفظتها الأرض لكن ما لها
أثقلت بالحمق أرجاء الفضاء
وأثارت هذه الدنيا ولم
تر مخلوقاً لها فيها كفاء
بعض رأس غص بالحمق يرى
أنه رب الحجا رب الذكاء
ما هى الدنيا وما أسرارها
كلنا بالجهل عن هذا سواء
بعض وحسن مدنوه ساعة
ثم صاغوا منه بعض العلماء
أصغر الدنيا ولم يرصد بها
وتمنى منزلا فوق السماء

ثم يقول فى نهاية القصيدة نفسها :

إن دائى العيش فى الدنيا وما
غير صرف الموت من هذا دواء
سخرونى فى حياتى دون أن
يفهمونى أهى نعمى أم شقاء
عشت فى الدنيا وما من لذة
لي فى الدنيا وما بي من رجاء
أقطع العمر ولا خير أرى
فى بقاء فى حياة أو فناء
أفعل الخير ولا أرجو على
ذلك الخير من الناس جزاء

فالشاعر هنا يرى الانسان ضائعاً ويفسر هذا الضياع بالغرور والحمق ، والشاعر يعيش بين الناس بلا أمل ولا رجاء ولا يجد معنى للحياة مع الآخرين ، وهذه كلها «صور» لمجتمع مضطرب لا يعكس لنا الشاعر أسباب اضطرابه ، وإنما يعكس هذا الاضطراب نفسه ويجسده فى عدم ثقته بالحياة أو بالناس ، أو بأى أمل آخر فى هذه الدنيا.

اغتراب الشاعر

وقد أدى هذا الشعور بانعدام الثقة فى الحياة والناس الى شعور آخر عميق بالاغتراب ، حيث أصبح هذا الاغتراب وجهة نظر يأخذ بها الشاعر فى حياته وينصح بها الآخرين ، وها هو «العاصى» يقول فى قصيدة أخرى عنوانها «نصح» :

عش غريباً وارتحل عنها غريبا
لن ترى فى عيشها إلا عجيبا
لا يرى مستنبىء عن سرها
بين كل الناس فى الدنيا مجيبا
رب أمر خلته حمقاً وقد
خاله الناس حكيماً ومصيبا
رب فعل أنت تأتيه لكى
تطرب الغير فتلقاه غضوبا
رب رأى كان عذبا ناضجا
عد من يأتيه خداعاً كذوبا
فلتخل الناس يحيون كما
قد أرادوا ولتعش فيهم غريبا
ليست العزلة عنهم وحشة
أنت بالعزلة قد تحيا طروبا
إن من أكثر من أصحابه
لا يرى يوماً من الدنيا رطيبا
إن سوءاً من أخ أو صاحب
منهض ما بين الاثنين الحروبا

تلك هى الصورة التى ارتسمت للحياة فى ذهن الشاعر وفى قلبه ووجدانه ، وهى صورة تعيش فى اطار من الحزن والأسى والاغتراب والصراع الذى لا رحمة منه ، كما أنها تمثل تعبيراً مباشراً عن رؤية الشاعر وتجربته الواقعية والروحية معاً ، فى مجتمع «مصر» الذى كان يعانى أزمة شملت كل جوانبه ومست معظم طبقاته الاجتماعية .

الأزمة السياسية

على أن أزمة مصر فى عام ١٩٣٠ الذى انتحر فيه الشاعر أحمد العاصى لم تتوقف عند حدود الأزمة الاقتصادية بل امتدت هذه الأزمة الى الواقع السياسى ، فقد تولى الحكم فى ذلك العام اسماعيل صدقى باشا ، بعد استقالة وزارة الأغلبية الشعبية وهى وزارة حزب الوفد التى كان يرأسها مصطفى النحاس باشا ، وكانت وزارة اسماعيل صدقى من أسوأ الوزارات التى مرت بتاريخ البلاد فيما بين ١٩١٩ و ١٩٥٢ ، وكان الشعب فى معظمه يعارض هذه الوزارة ، ويرفضها أشد الرفض ، فقد ألغى اسماعيل صدقى دستور ١٩٢٣ الذى كان

● عندما يحيا الشاعر بين الناس بلا أمل ولا رجاء ولا يجد معنى لحياته مع الآخرين !

ثمرة لثورة ١٩١٩ الشعبية ، وفرض على البلاد دستوراً جديداً هو الدستور المعروف باسم دستور ١٩٣٠ ، وقامت المظاهرات فى شتى أنحاء البلاد ضد حكم «صدقى» وقابل «صدقى» موقف الشعب بالعنف ، فسقط عدد كبير من القتلى فى معظم المدن المصرية نتيجة للاشتباكات بين رجال الجيش وبين المظاهرات الشعبية ، وكانت قمة الاشتباكات العنيفة فى الاسكندرية يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٣٠ ، حيث بلغ عدد القتلى عشرين ، وبلغ عدد الجرحى خمسمائة ، وكانت هذه الأحداث فى الاسكندرية وغيرها من المدن المصرية نتيجة للصراع بين السلطة والقوى الشعبية الرافضة للحكومة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت ، والتى كانت – بحق – فى نظر الشعب كله حكومة غير وطنية ، لا تراعى مصالح الجماهير ، ولا تعمل على توفير الأمن أو الرخاء أو الحرية لهذه الجماهير ، بل كانت حكومة تقوم على الاستغلال الاقتصادى والاستبداد السياسى . .

وفى اليوم التالى لحوادث الاسكندرية أى فى يوم ١٦ يوليو ١٩٣٠ ، ألقى «سفرى ماكدونالد» رئيس وزراء إنجلترا خطاباً فى مجلس العموم البريطانى تعليقاً على هذه الأحداث ، وكانت انجلترا تحتل مصر فى ذلك الحين ، وجاء فى خطاب «ماكدونالد» أن الحكومة الانجليزية رأت «نظرا لما يتهدد أوراح الأجانب وممتلكاتهم من الخطر فى الاسكندرية أن تصدر أوامرها إلى بارجتين حربيتين بالسفر إلى مياه ذلك الثغر» ، وهذا ما حدث . بالفعل جاءت إلى الاسكندرية بارجتان حربيتان انجليزيتان ، على أساس تلك الحجة التى رددها الانجليز وكرروها منذ اليوم الأول لاحتلالهم لمصر سنة ١٨٨٢ وهى حجةحماية أرواح الأجانب ، والتى كانت انجلترا تتخذ منها ستاراً لتبرير الاحتلال

ألوان من المقاومة

وهكذا يتضح لنا أن سنة ١٩٣٠ لم تكن فقط سنة أزمة اقتصادية عنيفة فى مصر ، بل كانت أيضاً سنة اشتعال وطنى ضد الاحتلال والاستبداد والاستغلال ،



مصطفى النحاس

وكانت من السنوات المشهورة بالنسبة للحركة الشعبية فى مصر من أجل الحرية والدستور والاستقلال والحرب العنيفة على المحتلين وأعوانهم من انصار الاستبداد السياسى والاستغلال الاقتصادى ، وهؤلاء الذين كان يمثلهم إسماعيل صدقى باشا رئيس الحكومة ، والذى فرضه الانجليز والملك فؤاد على البلاد بقوة السلاح ، وقد اشترك الكتاب والأدباء والشعراء فى مقاومة هذه الأوضاع اشتراكا فعالا ، وكتب الشاعر المعروف حافظ ابراهيم قصيدة يهجو فيها صدقى باشا وحكمه ، وهى القصيدة التى قال فيها بيته المشهور :

ودعا عليك الله فى محرابه
الشيخ والقسيس والحاخام

كذلك وقف عباس العقاد فى تلك السنة موقفاً مشهوداً ، حيث كان عضوا فى مجلس النواب الذى حله صدقى باشا ، وفى آخر جلسة من جلسات هذا المجلس قام العقاد . ليقول فى شجاعة ومسئولية وطنية عالية : ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد لأن يسحق أكبر رأس فى البلاد فى سبيل صيانة الدستور وحمايته » وكان العقاد فى هذه الكلمة يهاجم الملك فؤاد الذى كان أساساً من أسس الفساد فى مصر وكان عونا للاستعمار وأنصاره ، وحامياً

للحكم الاستبدادى الذى جسده رئيس حكومته أبشع تجسيد ، وقد دفع العقاد ثمن جرأته وشجاعته ودفاعه عن وطنه ومواطنيه ، فقدمته السلطة للمحاكمة ، وحكمت المحكمة ضده بالسجن تسعة أشهر ابتداء من ٨ ديسمبر ١٩٣٠ ، وحتى يوليو ١٩٣١ .

المصير الشخصى والمصير الوطنى

أين كان شاعرنا أحمد العاصى من هذه الحركة المشتعلة ؟ لقد انتحر العاصى فى نفس العام الذى تعرضت فيه مصر للأزمة الاقتصادية العنيفة ، وتعرضت للأزمة السياسية الكبرى التى أدت الى اشتعال الحركة الوطنية ضد الاستعمار وأعوانه ، ولو أن أحمد العاصى كان مرتبطاً بهذه الحركة الوطنية ، لوجد فيها الخلاص أو بعض الخلاص من أزمته الخاصة ، ومحنته الذاتية ، ولاستطاع أن يربط مصيره الشخصى مع المصير الوطنى العام ، فقد كان الناس يموتون فى الشوارع برصاص الانجليز والسلطة المساندة لهم وكان هذا الموت نوعاً من الاستشهاد الوطنى يدل على قوة أصحابه واندفاعهم فى الحماس لوطنهم ، وامتلاء نفوسهم بالرفض للأوضاع الخاطئة فى المجتمع والحياة ، وفى نفس الوقت الذى كان الشهداء فيه يتساقطون وهم يقاومون الظلم ، كان شاعرنا أحمد العاصى يفكر فى الموت عن طريق الانتحار ، حتى نفذ فكرته بالفعل ، وأحرق نفسه فى حجرته الخاصة بعيداً عن ميدان المعركة المشتعلة فى البلاد .

وهنا نستطيع أن نخرج بالنتيجة المنطقية من هذا كله ، وهى أن «العاصى» كان يفكر تفكيراً فردياً ذاتياً خاصاً ، وأنه نظر الى نفسه ككائن مستقل عن بقية أفراد مجتمعه وعن الظروف التى تحيط به ، وأحس بأن المحنة التى يتعرض لها هى محنة خاصة ، ليس لها جذور اجتماعية ، بل هى محنة نابعة من فساد الحياة بطبيعتها وفساد الوضع الانسانى كله ، وقد كانت هذه النظرة الفلسفية العامة غير الواقعية وغير

تأملات في محنة شاعر انتهى منتحراً!



طه حسين



حافظ ابراهيم

المحددة والتى يمكن أن نسميها باسم «النظرة الميتافيزيقية» أى التى لا تفكر فى الواقع وإنما تفكر فيما هو وراء الواقع .. هذه النظرة «الميتافيزيقية» المضطربة هى سبب رئيسى من أسباب المأساة التى تعرض لها العاصى ، فلو أن العاصى ربط نفسه بمجتمعه وأدرك ما فى هذا المجتمع من صراعات وتطورات ، واتخذ موقفاً الى جانب الحق الوطنى العام ، كما فعل العقاد مثلا ، لامتلأت نفسه بالأمل ، ولأدرك أن فى هذه الدنيا رسالة عليه أن يتحملها الانسان ويحتمل من أجلها العذاب والتعب ، ويحس فى كل ذلك بنوع من التفاؤل والأمل فى المستقبل ، لأن الحياة السيئة ليست سيئة بصورة نهائية ، وليست سيئة بغير أسباب ، فهنالك أسباب عديدة تشوه وجه الحياة ولابد من إزالة هذه الأسباب ، وبذل الجهد فى سبيل القضاء عليها ، وبعد ذلك يمكن القضاء على الصورة المشوهة القبيحة للحياة ، ويمكن أن نرى وجه الدنيا وقد أصبح جميلا مشرقاً يعطى للانسان مصدراً يمكن أن يجد فيه السعادة والبهجة .

حقاً لقد أحس العاصى أن ما أصابه من بلاء نفسى كان محنة خاصة من ناحية وكان محنة مطلقة عامة غامضة الأسباب من ناحية أخرى ، ذلك لأن الذى يقول إن الحياة بطبيعتها شقية وتعيسة ، فانه كمن يقول : إن الشقاء والتعاسة فى هذه الدنيا لا تفسير لهما ولا أمل فى تغييرهما على الاطلاق ، لأنه لا يعترف بأن لهذه التعاسة وهذا الشقاء أسباباً يمكن مقاومتها أو العمل على ازالتها ، وبذلك ينتهى الأمر الى هذه الصورة القاتمة للحياة . إن العاصى من أصحاب النظرة المطلقة لتعاسة الحياة ، بمعنى أنه لا يرى أسباباً واضحة لهذه التعاسة ولا يرى أملا فى التغيير ، ولذلك كان المرض الذى أصاب نفسه باليأس والأسى ، مرضاً لا شفاء منه لأنه مرض غامض ونهائى ولا أمل فيه .

الشعر والوعى السياسى

ولو أن العاصى كان على وعى سياسى أو كان قد سلح نفسه ببعض الثقافة السياسية ، لتغيرت نظرته المتشائمة الى الحياة ، ولأدرك أن الشقاء والتعاسة لهما بعض الأسباب الواضحة ، ولو نظرنا الى الواقع المؤلم فى مصر ، سنة ١٩٣٠ ، وهى السنة التى انتحر فيها العاصى لوجدنا أسباب الشقاء والتعاسة بالنسبة للناس والحياة كامنة فى جزء أساسى منها فى تلك الأزمة

● لو أنه كان على قدر من الوعي السياسي لتغيرت نظرته المتشائمة للحياة ولأدرك أسباب التعاسة



أبو القاسم الشابى

الاقتصادية التى أصابت الناس بالكساد وعرضتهم للمشاكل الكثيرة المعقدة ، وكانت كامنة أيضاً فى تلك الأزمة السياسية التى شملت كل شىء فى البلاد ، وتفجرت من خلالها معركة كبرى بين الشعب من جانب وبين الاستعمار وأعوانه من جانب أخر ، ولو أن العاصى خرج من برجه العاجى أو قوقعته الذاتية ، وفتح فى ذهنه وقلبه مجالا للثقافة السياسية ، الى جانب ثقافته الأدبية والفلسفية ، لأدرك أبعاد

المأساة ، واستطاع ان يحسن بأن محنته ، هى فى جانب كبير منها ، جزء من المحنة العامة التى يتعرض لها المجتمع والناس والوطن ، ولا شك أن مثل هذه الرؤية كانت كفيلة بان تخفف عن الشاعر ذلك الكابوس الذى سيطر عليه ، وجعل منه عاجزاً عن رؤية اى شعاع من النور ، بحيث لم يعد يحس بأن هناك طريقاً للخلاص غير الانتحار .

إن العاصى ، كما تدل سيرة حياته ، وكما يكشف لنا ديوانه الوحيد وروايته الوحيدة ، لم يدرك الواقع السياسى لبلاده ، ولم يسمح لنفسه بالانتماء السياسى الى الحركة الشعبية التى كان يمثلها حزب الوفد فى ذلك الحين ، والتى كان ينتمى اليها الكثيرون من كبار المثقفين مثل العقاد ، والتى انتمى اليها



عباس العقاد

بعد قليل من ذلك التاريخ طه حسين وظل مرتبطاً بها حتى نهاية حياته .

بين شاعرين

ولو اننا قارنا مقارنة سريعة بين الشاعر العاصى وبين شاعر كبير أخر من جيله ومعاصر له هو ابو القاسم الشابى لوجدنا الفرق واضحاً كل الوضوح فى هذا المجال ، فقد كان الشابى مثل العاصى يحس بالمأساة العميقة الكامنة فى الحياة ، ولكن الشابى لم يفسر هذه المأساة بانها ماساة فلسفية غامضة نهائية لا يمكن فهمها او تغييرها كما فعل العاصى ، بل لقد أحس الشابى أن ماساة الحياة لها جانبها الغامض حقاً ، ولكن هناك جانباً أخر كبيراً يمكن فهمه ويمكن تغييره ، وقد وضع الشابى يده على الأسباب المفهومة والتى يمكن مقاومتها وتغييرها ، وذلك بسبب ثقافته المتنوعة التى لم تقتصر على الجانب الأدبى والفلسفى ، بل امتدت الى الجانب الاجتماعى والسياسى ، وقد أدرك الشابى أمرين أساسيين : أولهما أن الانسان لا يمكن أن يكون سعيداً فى مجتمع تعيس وشقى ، ذلك لأن الانسان ليس مجرد كائن منعزل عما حوله ، بل هو كائن مرتبط بالجماعة التى يعيش فيها ، وبظروفها المختلفة . أما الأمر الثانى الذى أدركه الشابى ، فهو أن الانسان إذا استسلم لليأس والحزن وصدمات الحياة قهرته الدنيا وقضت عليه ، ولذلك فقد أكد الشابى على دور الارادة الانسانية ، واعتبرها أداة أساسية لمواجهة الحياة وتغيير الواقع ، ونظر اليها على انها أداة لا يمكن التخلى عنها بحال من الاحوال ، وإلا انهار الانسان وأصيب بالكثير من النكسات ، وأدركته خيبة الأمل النهائية التى قد يندفع الانسان بعدها الى التخلص من الحياة نفسها ، ومن هنا بدت روح المقاومة العامة والشخصية فى شعر الشابى ، فى مقابل روح الاستسلام واليأس والعجز فى شعر العاصى ، رغم أن العصر كان واحداً ، وكانت المشاكل واحدة على التقريب ، ولذلك أيضاً انتشر شعر الشابى واتسعت الآفاق أمامه ، بينما ضاق المجال امام العاصى ، فى الشعر والحياة معاً ، ولا شك هنا أن الثقافة السياسية الواسعة للشابى قد لعبت دوراً كبيراً فى تطوير شعره وموقفه من الحياة ، بينما كان ضعف الثقافة السياسية عند العاصى سبباً جوهرياً كبيراً فى تعميق احساسه بأن ماساة الحياة ، وماساته الشخصية لا حل لهما ولا خلاص منهما على الاطلاق .

على أن المقارنة بين الشاعرين تحتاج الى المزيد من التفصيل لأنها مقارنة بين موقفين من الحياة ، موقف اليأس والعجز وقلة الحيلة ، وموقف التمرد والرغبة فى التغيير والايمان العميق بالارادة الانسانية ، وهذا ما نرجو أن نعود اليه فى مقال جديد .

رجاء النقاش

نعـمان عاشـور

الرصـافي

شـاعر البداوة والحداثة

لا تقتصر أهمية الرصافي على شاعريته وانما يتميز الرصافي بانطلاقته كمفكر حر ومناضل من أصلب الذين خاضوا معترك الكفاح في سبيل الاستقلال الوطني للعراق والنهوض القومي للامة العربية جمعاء ..

من هو الرصافي

هو نبت أصيل من أبناء الشعب العراقي .. كان والده عبد الغني أفندي جنديا في الجندرمة وكانت أمه فاطمة بنت جاسم امرأة عربية من احدى قبائل البدو .. ولد في النصف الشرقي من بغداد الذي يعرف بالرصافة عام ١٨٧٣ .. وشهد وهو طفل ولاية مدحت باشا على العراق من قبل السلطان عبد العزيز .. وهكذا تنسم في صباه هبات الحرية التي حملها أبو الدستور الى كافة ولايات آل عثمان . فلقد كان مدحت من أكثر الولاة الذين عرفهم تاريخ المنطقة تحررا .. فلما شب به الطوق دخل الكتاب في بغداد اذ تفتحت ملكاته على دراسة الدين والفقه وأدب اللغة العربية .. لكنه سرعان ما تحول عن دراسته الدينية الى الدراسة المدنية فالتحق باحدى المدارس العسكرية حتى يجد الوظيفة التي تضمن له الرزق .. ذلك أنه كان يعيش كل صباه مع أمه بينما والده يجوب القفار جنديا .. فأصبح بحكم هذا الوضع المسئول عن اعالة الاسرة ..

الرصافي اذن صاحب نشأة متواضعة لا سبيل فيها أو معها الى الفخر بحسب أو نسب ولذلك كان لا يعتد بشيء قدر اعتداده بشاعريته وحدها .. وقد تأثر الرصافي بأمه تأثرا كبيرا في جميع مراحل حياته . واليها يرجع الفضل في تشبعه للعروبة والبداوة وتلك العزلة التي كان يختارها دائما لنفسه كبدوي يلازم الصحراء في ضجر من المدينة رغم أنه كان من أكثر الناس حبا للحياة واستغراقا في مفاتن المجتمع الحديث واستمتاعا بمباهجه ..

موهبة الشعر

وحين اكتشف الرصافي موهبته في الشعر ترك المدرسة العسكرية واتجه لدراسة الفقه من جديد .. وانكب يلتهم كتب الادب في نهم حتى استوفى حظه من التراث الشعري الشامخ .. ولم يكن أمامه لكي يكسب قوته الا أن يمتهن تدريس اللغة العربية فاستمر على هذه الوظيفة حتى عام ١٩٠٨ .. وطوال هذه الفترة عاش يقرض الشعر ويراسل الصحف العربية في القاهرة ودمشق ولكنه كان يعيش في عناء وعسر شديدين وهو ينهض بأعباء مالية ثقال في سبيل أسرته .. وبلغ الخامسة والثلاثين وهو يدرس في اعدادية بغداد وقد بدأ اسمه يعرف بين الشعراء المرموقين ..

النظرة الفلسفية

ولكن على أي أساس أقام الرصافي شعره ؟! ومن أي نبع كان يستقي فلسفته ؟! ان ذلك ما قد يميزه حقا عن بعض الشعراء المحدثين .. فقد نشأ على عكس شوقي نشأة شعبية خالصة .. ولهذا غلب عليه الجنوح للواقعية كما غلبت على طبيعته الروح الثائرة وتدرج على عكس حافظ ابراهيم .. في بيئة لا تتيح له أدنى سبيل الى الاعتدال .. ولذلك كان عقلانيا لا يعول في حكمه الا على منطق الواقع بقدر ما كان ثائرا لا يطيق الصمت .. وقد أخذ عن ثقافته العربية الاعتداد بالنفس والكبرياء الذي يبلغ حد الصلف .. كما أخذ عن ثقافته الغربية الايمان بالعلم والتقدم المادي والاستقلال بالرأي الى حد مخالفة العرف السائد والتقاليد المقررة والمجاهرة بمعتقده في وجه كل مقدس مهما كانت قداسته ..

أحب صراحتي قولا وفعلا

وأكره أن أميل الى الرياء

على أن هذه الطلاقة كلفته الكثير. فقد بلغ به الحال في بعض هفواته ان كان يبرر المجون تبريرا فلسفيا على انه وسيلة للتحرر العقلي ومقاومة الرياء والنفاق .. لكن الحق الذي يجب أن يقال ان الرصافي كان سابقا لزمانه في كثير من معتقداته بقدر ما كان معبرا عن بيئته في تصويره لهذه النظرات .. من ذلك أنه لم يقف عند حد الدعوة الى مقاومة الاستبداد .. ولا عند المحاجاه العقلية في التمسك بأمجاد الماضي ومفاخره .

ولكن أيها العربي اني
أراك بغير ما يجدي مريدا
فشر العالمين ذوو خمول
اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم
أقامه لنفسه حسبا جديدا
توجه وجه عزمك نحو آت
ولا تلفت الى الماضين جيدا
أرى مستقبل الايام أولى

الرصافي صاحب نشأة متواضعة لاسبيل فيها أو معها إلى الفخر بحسب أو نسب ولذلك جاء اعتداده بشاعريته فقط

● أحب صراحتي قولا وفعلا وأكره أن أميل إلى الرياء

● أيها الناس هذا العصر عصر العلم والجد والعلا في الجهاد

لصالح من يحاول أن يسودا

كان الرصافي اذن مستقبليا في نظرته وتطلعاته .. ولا غرو فهو القائل .. « العصر الحاضر عصر مدنية راقية وعلم واسع وآثار باهرة ومخترعات عجيبة ومستكشفات غريبة كما انه عصر نفوس محررة وأفكار طلقه ومدارك عالية » ..

أيها الناس هذا العصر عصر العلم والجد في العلا والجهاد

عصر حكم البخار والكهرباء والماكينات والمنطاد .

الجنوح الاجتماعي

أما بالنسبة للمجتمع .. فقد كان من أكثر شعراء عصره اهتماما بالمجتمع الذي عاش فيه . ويقول عن ذلك « سمعت بعض ادباء الترك يقولون ان الادب لا غاية له ويتوسعون في القول حتى يعمموا به ما يسمونه بالفنون الجميلة أي الشعر والموسيقى والرسم والنحت .. ولقد تأملت هذا القول فلم أجد فيه ما ينطبق على المعقول اذ لا ريب أن الغاية هي ما يكون لاجله وجود الشيء .. وغاية الشاعر من شعره اثارة العواطف والتأثير في النفوس وبذا فانه لا يسعه بحال من الاحوال أن يقول الشعر صنعة للصنعة بل يقوله لخدمة المجتمع » .

قضية فصل فيها الرصافي من زمن لانه كان شديد الاحساس بحياة الناس وآلامهم لالتصاقه بالجموع الشعبية .. يقول هو نفسه ان مشاهد البؤس في حياة الناس كانت أشد دوافعه الى نظم الشعر .. « لا تحركني الى القصيد تلك النزوات الكاذبة من



الرصافي

أجل وردة نضرة أو ليل مقمر أو غزال شارد نافر .. » وهذه أبيات من قصيد نظمه عن أرملة لقيها ومعها ابنتها تسيران في الطريق .. تنم عن انسانيته ..

لقيتها .. ليتني ما كنت القاها
تمشي وقد أثقل الاملاق ممشاها
أثوابها رثة والرجل حافية
والدمع تذرفه في الخد عيناها ..
مات الذي كان يحميها ويسعدها
فالدهر من بعده بالفقر أشقاها ..

الى أن يقول ..

حتى دنوت اليها وهي ماشية
وادمعي اوسعت في الخد مجراها
وقلت : يا أخت مهلا انني رجل
أشارك الناس طرا في بلاياها

لا غرابة بعد هذا أن يكون موضوعه المفضل دائما الدفاع عن المرأة .. وله في ذلك قصائد عدة نادى فيها بتحرير المرأة .. وتعليمها وتركها لتعمل ومساواتها التامة بالرجل وفي ذلك كان الرصافي أسبق وأشجع من كافة معاصريه .. بل ومن بعض من تلوه ..

كم في بيوت القوم من حره
تبكي من البؤس بعيني أمه
عاب عليها قومها ضله
أن تكسب القوت وان تطعمه

وفي قصيدة أخرى ..

هل يعلم الشرقي أن حياته
تعلو اذا ربى البنات وهذبا
والشرق ليس بناهض الا اذا
ادنى النساء من الرجال وقربا
فاذا ادعيت تقدما لرجاله
جاء التاخر في النساء مكذبا
من أين ينهض قائما من نصفه
يشكو السقام بفالج متوضبا

الكفاح السياسي

والى جانب هذا الوعي الاجتماعي البعيد الغور .. كان الرصافي بالدرجة الاولى سياسي العقلية يفسر ذلك قوله « يجب أن يملك العرب أمرهم في السياسة حتى يمكنهم أن يترقوا لان جميع الشئون الحيوية علمية واجتماعية واقتصادية لا تدور في هذا العصر الا على محور السياسة .. ويستحيل على أمة ان تتقدم في هذه الشئون وهي غير مالكة لأمرها في السياسة » .. وكذلك لم يسعه يوم دعى عام ١٩٠٨ للاشتراك في تحرير احدى الجرائد السياسية التركية الى أن يخف الى الاستانة ليلحق بقرينة الشاعر العراقي جميل الزهاوي ويشايع

الاتحاديين في دعوتهم من أجل الحرية والدستور حتى اذا أغلقت الجـريدة بعد قليل استمر في تركيـا وراح يطنب في تمجيد الهبة التى قاموا بها وانحاز الى صفوفهم بشـكل جارف فعينوه عضـوا في البرلمـان التركي (مجلسي المبعوثان) ••

وأقام الرصافي في الاستانة طوال الحرب العالميـة الاولى الى أن انتهت وادرك أخيرا أن حركة الاتحاديين لم تكن الا دعوة القصد منها احياء مجد تركيا على حساب ولاياتها المستعبدة تحت ستار الحرية والدستور فانقلب يندد بالاتراك ويحنو على وطنه ••

أأمنع عيني أن تجود بدمعهـا
على وطني اني اذن لبخيـل

ثم راح يقرع أهله على تقاعسهم عن الانقضاض على الاتراك بعد أن تكشفت له حقيقة الحكم التركي سواء عن طريق آل عثمان أو عن طريق المخادعين من الاتحاديين •

برئت الى الاحـرار من شر أمـة
أسـيرة حـكام ثقـال قيودهـا
عجبت لقـوم يخضـعون لدولـة
يسوسهم بالموبقـات عميـدها
واعجب من ذا انهـم يرهبونهـا
وأموالها منهـم ومنهـم جنودها

وفي طريقه الى العراق نزل فـي سوريا حيث قامت حركة الجامعـة العربية الرامية الى الاستقلال التـام عن تركيا •• وسرعان ما اندفـع الرصافي يقظا الى أحداث العـالم العربي فانطوى تحت لواء هذا الشعور العربي العام وراح يدعو الى الوحدة والتضامن •

بني العـروبة هبـوا من مراقدكم
الى متى نحن نشكو صـولة النـوب
فقـد لعمري افترقنـا شر مفترق
وقـد لعمري انقلبنا شـر منقلب
بل انهضوا للمعالي خـير نهضتكم
واستعصموا باتحـاد محكم السبب



المواقف الوطنية

والى هذه المرحلة من حياته أصبح الرصافي يتطلع الى مكانته كسياسي لا كشاعر • وعلى قدر ما انقلب على الاتراك راح يندد بدول الاستعمار فـي محاولتها السيطرة عـلى ركب التحرر العربي يوم أرادت انجلتـرا وحليفتها فرنسا اقتسـام البـلاد العربية فيما بينهما بعد انهيـار الحكم العثماني ••

وكم قـد سمعنا ساعة الضرب تدعى
بأشياء من بطـلانها ضـحك الحق
فهـم منعـوا رق الاسير وانمـا
أجازوا لهم أن يشـمل الامم الرق

وقد اضطر أن يقيم في سوريا وهو في حالة يرثى لها من البؤس والاملاق حتى لقد باع معظم مؤلفاته بأبخس الاثمان ليأكل من عائدها الضئيل •• وحين عرضت عليه الوظيفة للتدريس في فلسطين ذهب الى هناك وأقام فيها الى أن استتب الامر بعض الشيء في العراق •• وأثناءها كان الرصـافي قـد خلع العمامة وارتـدى الزي الافرنجي ••

عـلى انه اضطر قبـل وفاته أن يدافع عن نفسه في وصـية رسمية بعثها الى اخوانه في الدين يقـول فيها •• « أراهم يهيجون على العوام باسم الدين وما أظنهم يتركونني حتى يعدموني الحياة •• ان كل ما كتبت من نثر ونظم لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصية وانما قصدت بـه نفـع المجتمع الـذي عشت فيـه والقوم الذين أنا منهم •• وأنا ولله الحمد مسلم مؤمن بالله ورسـوله ايمانا صادقا الا اني أخالف هـؤلاء فيما أراهم عليه من أمور يرونها من الدين وليست هي منه في شيء •• ولا يهمني من الـدين الا جوهـره الخـالص وغايته المطلوبة التي هي الوصول الى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية والحياة الأخروية كذلك » •

في داخل وطنه

وفي عـام ١٩٢١ كان حتما أن

كان مجنوناً بالحرية ولا يعرف حداً لطلاقته وصراحته

يعود الى أرض الرافدين .. فلما ارتد بعد هجرته الطويلة الى أحضان دجله .. طمع،وهو عضو المبعوثان السابق أن يوفق الى مركز سياسي مرموق .. لكنهم عينوه نائبا لرئيس لجنة الترجمة والتأليف فاضطر الى قبول المنصب لحاجته .. ثم ما لبث أن استقال مناضبا « أولى الامر » .. في قصيدة جريئة بهذا الاسم ..

وان أبيتم سوى من عرضه دنس
فلست معكم على شيء بمتفق
لا أبعد الله غيري من مناصبكم
اني بتدنيس عرضي غير مرتزق

وسافر الى الاستانة من جديد .. لم تعد في طاقته الاقامة بالعراق بعد أن ضيقوا عليه الخناق من كل جانب حتى لقد فرضوا عليه الجوع .. ورحل وهو يهجوهم ويهجو وطنه ..

انا ابن دجلة معروفا بها أدبي
وان يك الماء منها ليس يرويني
ويل لبغداد مما سوف تذكره
عني وعنها الليالي في الدواوين

لكنه لم يقم طويلا في تركيا . فما كان يطيق صبرا على البعد عن العراق ..

ان جفتنا بلادنا فهي حب
ومن الحب يستلذ الجفاء
لم نحل عن عهودنا مذ جفتنا
بل لها الود عندنا والوفاء
قد بكينا شجوا عليها ومنها
وعنانا سقامها والشفاء

وكانت عودة سريعة الى العراق اشتغل بعدها في المعارف حتى عام ١٩٣٠ حين بدىء في تشكيل المجلس النيابي الاول فانتخب عضوا عن لواء العمارة .. ولانه كان من أبرز المعارضين للمعاهدة الانجليزية العراقية فقد أعيد انتخابه للنيابة من الامة مرات رغم صلابته وصراحته ومجابهته الشجاعة للانجليز وعملائهم في البلاد ..

ان الوزارة لا أبالك عندنا
ثوب يفصل في معامل لندنا
لايرتديه سوى امرىء أضحى له
طبعا وداد الانجليز وديدنا

وكان من المحال أن يسكت بعد ذلك .. بل كان من المحال أن يقول غير ما يعتقد حتى اتهمه المشفقون عليه ذاتهم باللغو .. فرد عليهم صارخا ..

انا بالحكومة والسياسة أعرف
آلام في تفنيدها وأعنف
ساقول فيها ما اقول ولم اخف
من أن يقولوا .. شاعر متطرف

وقال الكثير الذي استحال نشره . ذلك انه كان مجنونا بالحرية ولا يعرف حدا لطلاقته وصراحته .. ولذا سرعان ما أبعده « أولو الامر » عن حظيرتهم فاعتزل ميدان السياسة وارتدي العباءة وراح يعيش في الصحراء وهو بعد بدوي عريق في بداوته .. وبلغ به الامر في أخريات أيامه انه كان لا يجد القوت رغم معاونة الكثيرين ومنهم السيد مظهر الشادي أحد وجهاء العراق الذي كان يعجب به حتى أمده بالملبس والمسكن وأجرى عليه راتبا شهريا منتظما الى ان مات في ١٦ مارس عام ١٩٤٥ تاركا وراءه ثمانية عشر كتابا في مجموعة محاضراته وتعليقاته ونظراته وشعره .. ومن بينها كتابين عن اللغة العراقية العامية .. لغة الشعب .. مع انه كان من أكثر معاصريه تضلعا في عربيته الفصحى .. يشهد بذلك شعره ونثره معا .

نعمان عاشور

وقف الممثلان المبتدئان يؤديان دورهما فى احد مشاهد المسرحية فارتج عليهما مما دفع الملقن إلى ترديد الحوار المطلوب لذلك الموقف ولكن الممثلين ظلا صامتين ، وبعد ان كرر الملقن الحوار مرتين بصوت مرتفع ، تقدم نحوه احدهم وصاح باعلى صوته :
« لقد سمعناك منذ الوهلة الاولى ولكننا لا نعرف اى منا هو المطلوب منه ترديد ما تقول »

جاء فى احد الصحف الاقليمية البريطانية ما يلى :
« اثناء تشييع جنازة المستر وليام جونسون الذى مات عن الثمانين سنة وقع زميل صباه المستر جون جيمسون البالغ من العمر سبعة وسبعون سنة ميتا ... مما اضفى مسحة حزن على مراسيم الدفن »

ظل الكلب يضايق الضيف اثناء تقديم وجبة العشاء مما حدا بالضيف إلى التعليق على ذلك قائلا :
« يبدو ان كلبكم معجب بي »
فرد عليه المضيف :
قد يكون ذلك صحيحا ولكنك تاكل من الصحن المخصص له .

السياسى :
هو الشخص الذى لا يستطيع ان ينصت لاى حديث مالم يكن هو نفسه المتكلم .

الممثل :
هو الشخص الذى لا يستطيع ان ينصت لاى حديث لا يكون نفسه محوره.

بعد ان القى الكاتب المعروف مارك توين خطبة قصيرة مليئة بالانفعالات فى احدى الحفلات جاءته احدى المستمعات المعجبات به مهنئة ثم سالته إذا كان يزمع ان يجمع خطبه التى القاها فى مناسبات مختلفة وينشرها فى كتاب حاصر اثاره الادبية .. فاجابها بانه يفكر بنشرها بعد وفاته .. فعلقت المعجبة قائلة :
« فكرة رائعة ولكن الا ترى انه من الاحسن ان تعجل بذلك ؟ »

المنفلوطي ودعاة الواقعية

عباس خضر

● إختلفوا معه في عصره، وهاجموا أدبه بحجة أنه لايصور البيئة بأسلوب واقعي!

في الوقت الذي بدأت فيه القراءة الأدبية كانت كتب المنفلوطي هي الرائجة المنتشرة، وما أظن أحداً من أدباء جيلنا إلا تتلمذ على المنفلوطي في كتاباته وأخذ عنه وتأثر به، بل كان ذلك في الجيل الذي سبقنا وكان معاصراً لذلك الكاتب العظيم الذي شغل الحياة الأدبية العربية في حياته وبعد وفاته ..

حدثنا الأستاذ أحمد حسن الزيات أنه وطه حسين وثالث كان زميلا لهما في الأزهر، هو محمود زناتي، كانوا وهم طلاب ناشئون تمتد أبصارهم إلى خارج الجامع الأزهر — كانوا يجتمعون عند «الرواق العباسي» بالجامع العتيد عصر كل يوم خميس ويقرأون مقالات المنفلوطي في جريدة «المؤيد» بإعجاب شديد، وكانت تنشر في أيام الخميس من كل أسبوع. وقد ظهر بعد ذلك تأثر الزيات بالمنفلوطي في كتابته الأنيقة.



أحمد حسن الزيات



محمود تيمور



طه حسين



محمود لاشين

كتابة جادة

ظل مصطفى المنفلوطي على زيه الأزهري الأنيق حتى وفاته. أما الزيات وطه حسين فقد استبدلا بذلك الزي الحلة الافرنجية، كما هو معروف، ويحدثنا الذين رأوا الزيات في حاليه بأنه كان أكثر أناقته في الزي الأول. أما طه حسين فهو على العكس: شاب كفيف البصر جاء من الصعيد يطلب العلم في الأزهر، يلبس أي شيء، وأكبر الظن أنه كان «مبهدلا ..» وتناولته باريس التي سافر إليها مبعوثا من الجامعة المصرية القديمة، تناولته باريس هي والفتاة الباريسية التي تزوجها — بالعناية حتى صار أنيقاً في حلته الافرنجية وعلى عينيه منظار أسود يحجبهما.

بعد هذا الاستطراد نعود إلى كتب المنفلوطي، في الحقيقة أن ذلك الذي قلته عن الزي انما هو في الموضوع، فان كتابة المنفلوطي أنيقة جميلة ذات عبق عربي اسلامي أصيل، تترقرق على الصفحات كما يترقرق الماء الصافي في الجداول .. وفيها سهولة جذابة خرج بها من ربقة الأساليب القديمة المتكلفة.

اذا كنا الآن نعد كتابة المنفلوطي من القديم، فقد كانت في أوانها جديداً متحرراً، بل كانت ثورة على القديم الذي يرسف في أغلال المحسنات والتكلف.

انهمكت في قراءة المنفلوطي بكل مشاعري، وفتنت بعباراته وجمله الموسيقية حتى انني كنت أكتب ما يطربني منها في مذكرة جيب. أضعها في جيبي كأنها محفظة نقود أنفق منها .. وفي أي الوجوه أنفق؟ في موضوعات الانشاء التي نكلف بكتابتها، وكم أكون معتزاً منتشياً وأنا أقوم في حجرة الدراسة وأقرأ الموضوع الذي أعجب الأستاذ ومنحه درجة كبيرة قد تكون «عشرة على عشرة» وقد طلب مني أن أقوم وأقرأه حتى يكون نموذجاً لباقي الطلاب .. والبركة في المنفلوطي!

فيما بعد، وخاصة عند دراستي للمنفلوطي في كتاب «القصة القصيرة في مصر» — وقفت عند مسألة الترجمة المتصرفة التي زاولها المنفلوطي في روايات مثل «ماجدولين» و«الفضيلة» و«الشاعر» وبعض القصص القصيرة في العبرات والنظرات إنه لا يعرف لغة أجنبية، قيل إنها كانت تترجم له ترجمة حرفية وهو يصوغها بقلمه العربي الأصيل.

هل هي ترجمة «بتصرف» وأي تصرف هذا؟ كلمة «بتصرف» كانت متداولة كثيراً اذ ذاك، ولكن ما صنعه المنفلوطي شيء آخر .. انه إضافة إلى الأصل، والناتج مزيج من قريحة أديبين عظيمين، وهو أقرب إلى التأليف منه إلى الترجمة. ولو فرضنا أن آخر قام بترجمة تلك القصص، ولم يكن في مستوى المنفلوطي، ما كانت مركز الجذب الذي وقع في كتابة المنفلوطي وشد إليه جيلا من الأدباء في مصر وفي سائر الوطن العربي.

المدرسة الحديثة

لقد ثار على المنفلوطي شبان في عصره وأرادوا أن ينتزعوا الراية منه، وكانوا عصبة قوية ولكن تأثيرهم كان محدوداً في ذلك الوقت، هم أعضاء «المدرسة الحديثة» الذين ارتادوا فن القصة القصيرة العربية الحديثة، مثل محمد تيمور وأخيه محمود، وعيسى عبيد وأخيه شحاته، وحسن فوزي وأحمد خيري سعيد ومحمود طاهر لاشين

ويحيى حقى . قالوا : هذا أدب لا يمثل الواقع ونحن نريد أدبا قوميا يعبر عن البيئة بأسلوب واقعى ، يصور شخصيات واقعنا ويضع الأيدى على أدواء مجتمعنا ، وفعلا قاموا هم بذلك فى قصصهم القصيرة . وبدأنا نلتفت إليهم ونقرأ لهم ، ولكن من نحن ؟ نحن قلة ، والكثرة لا تزال مشدودة إلى المنفلوطى .

- كانت «المدرسة الحديثة» فى الأدب مثل سيد درويش فى الموسيقى والغناء ، قلة تفهم وتقدر دور كل منهما فى التعبير والالتصاق بالواقع ، ولكن الكثر تعشق المتعة والطرب وتمعن فى طلبهما غير عابئة بما «يتفلسف به المتفلسفون» انصار التعبير والواقع ..

ووقعت فى يدى مجموعة قصص قصيرة لمحمود طاهر لاشين عنوانها «يحكى أن» شىء جديد ولون آخر غير لون المنفلوطى .

انبهرت بقصص لاشين ، ولكنها لم تصرفنى عن قراءة المنفلوطى . أحيانا أجد الظرف فى الأولى، وذلك الظرف المنبعث من خلال تصوير الشخصيات التى تعيش فى المجتمع فعلا ونرى أمثالها فى الواقع ، أضحك من تصرفاتها ، وأعجب بسخرية المؤلف من غطرسة الموظفين وعقليات بعض المواطنين وسوء أعمالهم .. الخ ، ثم أحن إلى البكاء مع المنفلوطى فى شطحاته الرومانسية أو قل فى تعاطفه مع البؤساء والأيتام والثكالى

كنا فى مجتمع مغلوب على أمره فنبكى مع المنفلوطى ، ويلوح لنا بصيص من نور التخلص مع الداعين إلى الأفكار الجديدة المتحمسة للتعبير عن البيئة وتصوير الواقع ، فتعلق انظارنا بـه وتجذبنا جواذبه نحو التطلع إلى مستقبل أحسن . كان أولئك الرواد الواقعيون ملتزمين بالاصلاح الاجتماعى

ومما جذبنى إلى قصص «المدرسة الحديثة» أنها من نوع جديد يحاكى فن الغرب فى الشكل ويجاهد كى يؤصله بمضمون محلى .. وأقول «يجاهد» فلم يكن المضمون خالصاً من الملامح الأوربية فكان كثير من تلك القصص تمصيراً مأخوذاً عن قصص أوربية يصرح الكاتب المصرى فى بعضها بانه مقتبس ، والبعض الآخر يؤخذ فى خفاء ..

لم اكن فى البداية أعبأ بتلك النظرات



مصطفى لطفى المنفلوطى

الناقدة أو الدراسة ، وإنما كنت اغترف والتهم عملا بالقول المأثور : «العق العسل ولا تسل» .

واعود إلى المنفلوطى ، فتستأثر بى المتعة الأدبية النابعة من الأسلوب الجميل والنغمة الحزينة التى تتسق مع الهموم الشخصية والهموم العامة .

كانت الهموم الشخصية تتمثل فى حزن عام يمتزج بالمراهقة .. منه ما يتعلق بحب من لا تنال ! ومنه ما هو ناشىء من شظف العيش ، ومنه ثورة مكبوتة على سوء المعاملة من الأهل من حيث عدم الاقتناع بالأوامر والنواهى التى يفرضونها فرضاً ، وصراع بين أفكار جدت وبين أفكار قديمة يتشبثون بها ..

أما الهموم العامة فكانت غامضة ، أحياناً تظهر بملامحها من مقال وطنى اقرؤه فى جريـدة ، أو مقال من خلال مظاهرة اشترك فيها مع الطلبة ، أو من رؤية جندى من جنود المستعمرين فى القاهرة ..

وأجد متنفساً لكل ذلك وأنا أقرأ كتب المنفلوطى .. كامرأة ثكلى تذهب لتعزى فى مأتم نساء فتنوح على ولدها الفقيد بهذه المناسبة !

والويل كل الويل للدهر الغادر الذى ينزل بنا كل تلك النكبات ، وما أبلغ الكاتب وهو يشن الغارة الكلامية على الدهر ! وأقع فى صراع بين الكتاب الرومانسيين فى سبهم للدهر ، وبين ما نتلقاه من علم دينى يقول : لا تسبوا الدهر ..

وبرغم كل ذلك أجد المتعة كل المتعة الأدبية فى قراءة المنفلوطى ، وقد غرست هذه القراءة فى نفسى مثلا وفضائل ورقة للضعيف ، ومن ذا الذى يقرأ قصة «اليتيم» للمنفلوطى ولا يستشعر هذه الرقة .. ؟

وصرت أقرأ كل ما تقع عليه يدى . وتأرجحت بين قراءة المنفلوطى وسائر الأدب الرومانسى المفرط فى تصوير العواطف والسابح فى خيال لا يكون مثله عادة فى الحياة الواقعية ، بين الأدب الواقعى الجديد الثائر على الرومانسية حتى تغلب هذا الأخير علي وهجرت الرومانسية .

بين الادب والذوق

وكثير من الدارسين إن لم يكونوا كلهم يجتهدون فى شرح الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وبيان ما اقتضته من تغير فى المذاهب الأدبية .

ولا أرى كلامهم كله حقائق .. فالأدب يتبع الذوق .. والأذواق لا تعلل وكثير من الأشياء يمكن التنبؤ فيها بما سيحدث ، ولكن الأدب – وهو مرتبط بالأذواق – لا يصح التنبؤ فيه .. قرأت فى العشرينات من هذا القرن فى مقدمة كتبها محمود تيمور لاحدى مجموعاته القصصية الأولى أننا داخلون على عصر السرعة ، فلن يكون ثمة مجال للقصص الطويلة ، انما المستقبل كله للقصة القصيرة ..

وظهرت بعد ذلك روايات كثيرة طويلة جداً .. ونالت اقبالا عظيماً ، ولم يمنع عصر السرعة من ذلك .. ظهرت «عودة الروح» لتوفيق الحكيم وتلتها «عصفور من الشرق» كجزء ثان لعودة الروح ، وظهرت لنجيب محفوظ الثلاثية المشهورة فى ثلاثة مجلدات ، وظهرت رواية «رد قلبى» ليوسف السباعى فى مجلدين ، وغير ذلك كثير ، لم تستطع «السرعة» أن تقف فى طريقه ..

والفن على وجه عام يرتبط بالأذواق ، وليس الأدب فحسب ، مثلا : كنت فى زمن مضى مشغوفاً بسماع ام كلثوم .. استعد للسهر معها إلى قرب الفجر كل ليلة اذ كانت تحيى هذه الليلة كل أسبوع . ثم بعد ذلك فتر هذا الشغف حتى انى احيانا أغلق الراديو أو انقل إلى محطة أخرى وهى تغنى .. وصرت احب أصواتا أخرى ، لا جديدة فقط ، انما احب أيضاً سماع عبد الوهاب .

لماذا أى شىء من ذاك ؟ لست ادرى .

عباس خضر

محمود شيت خطاب

إنتاج السلاح في الوطن العربي

محاذير استيراد السلاح والعتاد من الدول الخارجية

●

الشروط القاسية التي يفرضونها علينا، رغم أننا نقطع ثمن السلاح من لقمة العيش

الجيش الذى لايكتفى ذاتياً بالسلاح الذى يصنعه فى معامله الوطنية ، لا يستطيع ان يخوض حرباً طويلة الامد ، لان الحرب تعطب السلاح وتبتلع الذخيرة . وتحطم الدروع والطائرات ووسائط النقل ، وتستهلك وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية .

والتسليح الجيد له أثر حاسم فى الجيش من الناحيتين المادية والمعنوية ، فبالاضافة إلى انه قوة مادية للجيش ، لأنه من أهم اقسام إعداد الجيش للحرب فهو فى الوقت ذاته يرفع معنويات الجيش ، لأنه لا معنويات عالية لجيش قليل السلاح او فاسده أو رديئه ، ولا معنويات عالية لجيش لا يثق بسلاحه ولا يعتمد عليه ، ولا معنويات عالية لجيش يعتقد أن سلاحه محدود إذا لم ينفد اليوم فسينفد غداً .

ولأهمية السلاح بالنسبة لكل جيش حديث ، دأبت الحكومات على تصنيع سلاحها فى بلادها ، لتضمن لجيشها ما يحتاج إليه من سلاح وعتاد ، ولا أعرف جيشاً قادراً على خوض حرب طويلة الأمد ، تعتمد حكومته على استيراد السلاح من الدول الأجنبية ، وربما تفرض الدولة التقشف فى نفقاتها الحكومية عدا ما يختص بتسليح جيشها فانها تستثنى التسليح من التقشف ، لأن تزويد الجيش بالسلاح من القضايا المصيرية التى لا تحتمل الاقتصاد فى النفقات فى أى بلد له مكان ومكانة بين الدول الأخرى ، وبخاصة فى أيام الحرب او توقع الحرب .

إن استيراد السلاح والعتاد من الخارج له محاذير كثيرة ، ولعل من أهم تلك المحاذير ، هى أن سياسة الدول تتبدل من حين إلى آخر ، خضوعاً لمصالحها أولا ، ورضوخاً لتيارات خارجية قد لا تكون فى الحسبان .

فاذا كانت الدولة أو الدول الأجنبية التى تصدر السلاح إلى العرب مثلا مع العرب لسبب أو لآخر ، فقد تصبح غداً مع أعداء العرب ، كما حدث ذلك فى كثير من الأحيان .

كما أن ظروف الحرب ظروف متغيرة غير مستقرة ولا ثابتة ، فقد تكون الطرق التى تمر عبرها البواخر والعجلات التى تحمل ما يستورد من سلاح ، مفتوحة اليوم ، ثم تصبح مقفلة غداً .

وقد تمنع الدول مرور سابلة السلاح المستورد عبر بلادها إرضاء للعدو أو تطبيقاً لمبادىء القانون الدولى فى الحياد أو لأسباب أخرى .

وقد تؤدى ظروف الحرب إلى خسائر فادحة فى السلاح والعتاد بشكل غير متوقع ، كما حدث فى السلاح الجوى المصرى فى حرب حزيران (يونيو) من سنة ١٩٦٧ ، وتعويض هذه الخسائر يحتاج إلى وقت طويل .

تلك هى أمثلة قليلة مما يمكن أن يحدث فى الحرب ، وحينذاك يبقى الجيش الذى يعتمد استيراد السلاح والعتاد من الخارج مهدداً بالاستسلام .

من تاريخ الحرب

فى تاريخ الحرب قديماً وحديثاً ، أمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى ، تثبت أن الجيش الذى لا يكتفى ذاتياً بما يحتاج إليه من سلاح وعتاد فى السلام والحرب لا يمكن أن ينتصر ابداً .

وقد كانت الجيوش القديمة تكدس السلاح فى مستودعاتها ، وكان لكل مقاتل من المجاهدين والمرتزقة العرب والمسلمين سلاحه الخاص ، وكانت الدولة توزع السلاح على من لا يمتلك الكمية الكافية منه من المقاتلين ، وكان للعرب والمسلمين فى ايام الفتح وبعده مستودعات ضخمة للسلاح ، لها أمناء يحفظونها فى المشاجب نظيفة سليمة صالحة للاستعمال فى أيام الحرب ، حتى تضمن للجيش إحراز النصر .

أما الجيوش الحديثة ، فلا تنتصر على عدوها إذا لم تكن مكتفية بذاتها فى إنتاج السلاح والعتاد ، وبخاصة بعد ظهور العلوم التطبيقية وأثرها المباشر فى إنتاج السلاح والعتاد المتطور ، وبهذا أصبحت نتيجة الحرب خاضعة إلى حد بعيد للتفوق العلمى .

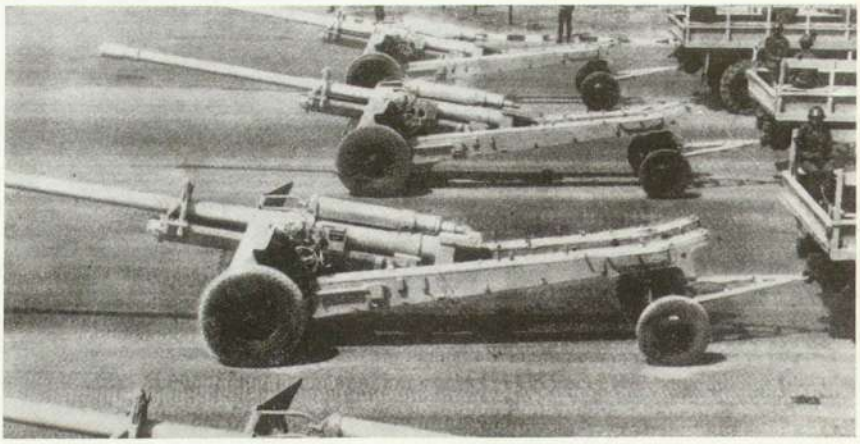
وقد كانت الدول العربية تستورد السلاح والعتاد من الدول الغربية قبل سنة ١٩٤٨ .

وكانت الدول الغربية تضع العراقيل التى لا مسوغ لها فى طرق استيراد السلاح والعتاد للدول العربية .

وكان ثمن السلاح والعتاد المستورد غالياً ، ولكن عراقيل الغرب كانت أفدح من الغلاء الفاحش .

تسويف فى مواعيد تسليم السلاح والعتاد ، وتفكير طويل مفتعل قبل الموافقة على بيع السلاح والعتاد .

وأخيراً ، حين يصل السلاح والعتاد إلى الجيوش العربية لا يصل إليها كاملا



السلاح .. متى يصنع فى بلادنا ؟

بل لابد من وجود نقص مهم فى الكميات التى وصلت ، يفسد هذا النقص المتعمد الصفقة كلها ، ويجعلها ليست ذات جدوى !! مثلا ، تصل المدافع .... بلا عتاد .... أو يصل العتاد .... بلا مدافع .... أو تصل الدروع .... بلا أدوات احتياطية .

والحاصل يبدأ الرد والبدل ، بين الدولة العربية والدولة الغربية ، ويمضى الوقت ثقيلا طويلا بالانتظار ، حتى يستهلك السلاح قبل أن تصل أدواته الاحتياطية !

ولكن الدول الغربية المصدرة للسلاح والعتاد إلى الدول العربية المستوردة له ضاقت من تلك العراقيل بعد مولد الكيان الصهيونى فى الأرض المقدسة سنة ١٩٤٨ ، فظهرت إلى الوجود (احبولة) : توازن القوى بين العرب والعدو الصهيونى ، و (احبولة) شروط الاستعمار بعدم استعمال السلاح والعتاد المستورد من الغرب إلا للأغراض الدفاعية ، و (احبولة) عدم استعمال السلاح والعتاد المستورد من الغرب المستعمر فى الأغراض الهجومية

ومن الواضح أن هذه العراقيل الجديدة التى لفقها الاستعماريون هدفها : حماية العدو الصهيونى ، وإبقاء العرب عزلا من السلاح والعتاد ! وضمان استمرارية التفوق الصهيونى على العرب بالسلاح !

فاذا كان العرب يبذلون كل هذا الجهد والعرق والدموع لاستيراد السلاح والعتاد .

واذا كان العرب يقتطعون ثمن ما يستوردونه من لقمة العيش وعلى حساب مشاريع التنمية والاعمار ، ثم لا يستعملونه ضد العدو الصهيونى ، فضد من ياترى يستعملونه !!

إن الدول العربية التى كانت تستورد سلاحها وعتادها من الدول الغربية قبل سنة ١٩٤٨ ، كانت تحتاج إلى صبر أيوب لتتسلم كميات محدودة من السلاح والذخيرة بأثمان غالية جداً وبأسعار خيالية .

أما الدول العربية التى ظلت تستورد السلاح من الغرب بعد خلق الكيان الصهيونى ، فكانت تحتاج إلى صبر أيوب وذل الجبان لتتسلم كميات محدودة من السلاح والعتاد مقابل أثمان وشروط قاسية مجحفة لا يتحملها كريم .

وللتاريخ أذكر ان الدول الغربية ، هى التى اجبرت العرب إجباراً على كسر احتكار السلاح ، وذلك بانحيازها الأحمق للعدو الصهيونى وتماديها اللامعقول فى هذا الانحياز ، مما جعل العرب مكرهين على كسر احتكار السلاح واللجوء إلى الشرق لاستيراده ، لأن الجيوش العربية كان تسليحها غربياً ، وتبديل السلاح فى نوعيته له مشاكل تدريبية ومشاكل قطع الغيار ومشاكل تنوع الأسلحة فى الجيش الواحد ، ولكن حماقة الغرب اضطرت العرب على اقتحام هذه المشاكل وتحمل اعباء تذليلها .

وللتاريخ ايضاً اذكر للذين ويتجاهلون لسبب أو لآخر ، أن السلاح الشرقى لم يدفع مجاناً بل بثمنه الغالى ، وان استيراده لم يكن بدون شروط ، بل بشروط صعبة فى بعض الأحيان ، وقاسية فى احيان ، ولكن العرب اضطروا على ركوب الأسنة ، إذا لم تكن لديهم حيلة إلا ركوبها .

ولعل من تلك الشروط ، استيراد الخبراء الشرقيين مع أسلحتهم ، وكان العرب قد تخلصوا بشق الأنفس من الخبراء الغربيين فابتلوا من جديد بخبراء شرقيين ، فاذا كان الخبراء الغربيون قد لقنوا الولاء للغرب للذين دربوهم فى الجيوش العربية ، فان الخبراء الشرقيين لقنوا الولاء للشرق لمبادىء الشرق للذين دربوهم فى الجيوش العربية ، والكفر ملة واحدة كما يقول المثل العربى القديم .

وما نريدها (غربية ، ولا نريدها (شرقية) ، بل نريدها عربية ولاؤها واحد وليس مزدوجاً .

محاذير خطيرة فى الاستيراد

إن السلاح والذخيرة المستوردة تكون غالية التكاليف ، بالنسبة إلى تكاليفها إذا تم انتاجها محلياً .

والدول التى تصدر السلاح والعتاد ، تستأثر لنفسها بالجيد من إنتاجها ، إذ لا يمكن وليس من المعقول أن تؤثر غيرها من الدول المستوردة بالأنواع المتميزة من سلاحها وعتادها وتفضل غيرها من الجيوش على جيشها الوطنى .

كما أن السلاح والذخيرة المصدرة تكون — اعتيادياً — من الأنواع غير السرية لا من الأنواع السرية .

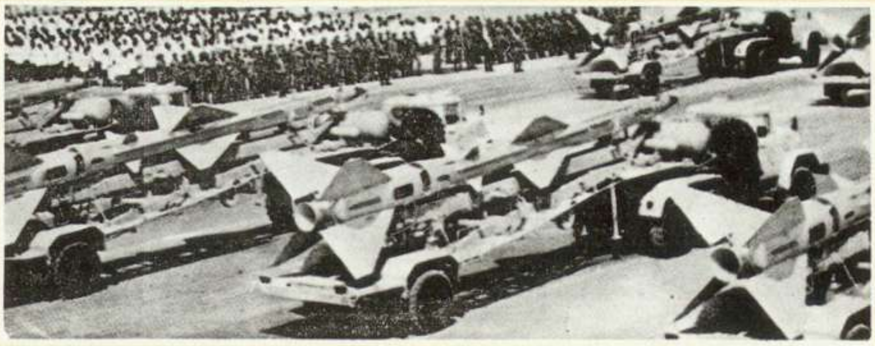
أما الأنواع غير المعروفة والسرية والمخترعات الجديدة ، فلا تعرض فى الأسواق ولا تصدر للخارج ، حتى لا ينكشف امرها .

وقد تسلمت الدول العربية سلاحاً وعتاداً قديماً ، مر بمعامل الصيانة للدول المصدرة ، وجرى تصليح المعطوب منه وإعادة صبغه ، وصدر باعتباره سلاحاً وعتاداً جديداً .

ويسود سوق تصدير السلاح والعتاد طائفة من الأفاقين والمضاربين ، همهم الكسب الحرام ، فيقع فى حبائلهم قسم من المغفلين العرب عن قصد أو عن غير قصد .

وقد تسلمت دول عربية سلاحاً فاسداً وعتاداً معطوباً ، وكان للأفاقين والمضاربين فى الخارج والداخل دور فى

إنتاج السلاح في الوطن العربي



إن كسر احتكار السلاح مطلب قومى

هذا الدور المريب . ولكن الأخطر من كل تلك المخاطر ، تتلخص فى دور التجسس الصهيونى فى كشف أو احباط صفقات الأسلحة المستوردة .

إن كثيراً من معامل الأسلحة والاعتدة الغربية ، تعمل برءوس أموال صهيونية ويسيطر عليها العدو الصهيونى وعملاؤه فى المخابرات الصهيونية (الموساد) ، وهذا يؤدى إلى وصول تفاصيل الكميات المصدرة للعرب إلى مخابرات العدو الصهيونى قبل أن تصل تلك الكميات إلى العرب . وهذه المعامل تؤثر العدو الصهيونى بالأنواع الجيدة من السلاح والعتاد ، وتعطى العرب الأنواع الرديئة منها .

والجواسيس الصهاينة وعملاء (الموساد) ، متغلغلون فى المعامل الحربية ، مهمتهم الأولى مراقبة ما يستورده العرب منها .

ووسائط النقل البرى والبحرى والجوى فى الغرب ، أكثرها شركات خاضعة لأخطبوط رأس المال الصهيونى وفيها موظفون صهاينة، وهى تعج بجواسيس العدو الصهيونى .

ومن المعلوم أن التسليح العسكرى خاضع لأعلى درجات السرية وأقصى درجات الكتمان . واستيراد السلاح والذخيرة تحت هذه الظروف ـ والعرب فى حرب مصيرية ضد العدو الصهيونى ـ على طرفى نقيض من السرية والكتمان فليس من المعقول ولا من المنطق ، أن يبقى العرب يستوردون أسلحتهم وعتادهم تحت ظل مثل هذه الظروف الخطيرة ولا ينتجون فى بلادهم ما يحتاجون إليه من سلاح وعتاد .

وليس سراً أن الأموال الطائلة التى يدفعها العرب ثمناً للسلاح والعتاد المستورد من الدول الأجنبية ، قد تتحول إلى أسلحة وذخيرة تصوب الى صدور العرب !! أهذا ممكن ؟! أهذا يصير ؟!

طريق النصر

إن كسر احتكار السلاح والذخيرة ، على الرغم من انه سهل للعرب أمر استيراد الكميات التى يريدونها فى المكان والزمان اللذين يريدونهما ، وقد كان لذلك فائدة لاشك فيها للعرب ، ولكنه ومع ذلك علاج وقتى يخدر الداء ولا يشفى منه . والعلاج الجذرى الوحيد لمشكلة تسليح الجيوش العربية ـخاصة فى ظروف الحرب العربية الصهيونية ـ هو انتاج السلاح العربى فى المعامل الحربية وبالسواعد العربية وهذا العلاج الناجع ، هو بمقدور العرب .

وبخاصة الدول المنتجة للنفط ، التى تستطيع إنتاج شتى أنواع الأسلحة التقليدية والمتطورة التى لها صلة مباشرة بالعلوم التطبيقة إذ لم يبق إنتاج تلك الأسلحة المتطورة سراً من الأسرار ، والمال العربى ـ إذا عزم العرب على الاكتفاء الذاتى بالسلاح والعتاد الذى ينتجونه ـ كفيل بتحقيق ما يصبون اليه .

ولست اجهل أن قسماً من الدول العربية وجدت طريقها السليم فى الانتاج الحربى محلياً ، فانتجت جزءاً مما تحتاج اليه . ولكن هذا الجهد غير كاف على كل حال ، ويحتاج الى مؤتمر لتنسيق إنتاج السلاح والعتاد العربى ، حتى يوزع الانتاج على الدول العربية ، ويتم التعاون بين الدول العربية فى هذا المجال .

لقد أنتج العدو الصهيونى محلياً معظم أسلحته التى هو بحاجة إليها ، للحفاظ على الأرض العربية التى اغتصبها ، وللتوسع على حساب الدول العربية لتكوين : اسرائيل الكبرى ، من النيل الى الفرات .

بل أصبح العدو الصهيونى إحدى الدول المصدرة للسلاح ، وهناك دول افريقية وآسيوية وأمريكية تستورد السلاح الصهيونى ، كما أن هذا العدو يزود بالسلاح الشراذم التى تريد هدم البلاد العربية وتقويض أركانها ، كما يجرى فى شرذمة سعد حداد الخائنة فى جنوبى لبنان مثلا ، كما جرى فى تسليح القائمين بالفتن والاضطرابات الداخلية فى بعض البلاد العربية ـ كما هو معروف .

فلماذا يحرص العدو الصهيونى على الحرص العظيم على تحقيق باطله ، ولا يحرص العرب مثل هذا الحرص على الدفاع عن حقهم !!!

إن التاريخ لا يرحم ، وما عند الله أدهى وأعظم للمقصرين بحق بلادهم .. ولا أزيد ..

وتسألنى : ما دلائل عزم العرب الأكيد بالأعمال لا بالأقوال ، على استرداد حقوقهم المغتصبة فى الأرض المقدسة فلسطين ، وكل ذرات ترابها من دماء شهداء الصحابة والتابعين والصالحين والمجاهدين ؟!

وجوابى من دون تردد وبثقة عالية أول تلك الدلائل هو : انتاج السلاح والعتاد التقليدى والمتطور فى البلاد العربية الى درجة الاكتفاء الذاتى بانتاجهم المحلى عربياً .

وحينذاك يبدأ دور العمل ، وينتهى دور الكلام !

محمود شيت خطاب

فضل العلم

أوصى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه كميل النخعى فقال له :

يا كميل إن هذه القلوب أوعية فاحفظ عنى ما أقول :

الناس ثلاثة : عالم ربانى . ومتعلم عنده نجاة . وهمج رعاع أتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بالعلم ولم يركنوا الى ركن وثيق . يا كميل العلم خير من المال . العلم يحرسك وأنت تحرس المال . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق . يا كميل محبة العلم دين يدان به ، تكسب المرء الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته . ومنفعة المال تزول بزواله . والعلم حاكم والمال محكوم عليه . يا كميل مات خزان المال وهم احياء .. والعلماء باقون ما بقى الدهر .



نتائج الغدر

قال الحسن بن عبد الله يذم الغدر :

إن الغدر نتائجه وخيمة ، وعواقبه ذميمة ، من ارتقى فى سلمه كان السقوط اليه أقرب ، ومن توصل بسهولته وقع فى الأشد الأصعب ، به تبخس الحقوق ، وتتفرق ، وتتضعضع النفوس وتضمحل المروءة وتذهب الأمانات .



المرء مجزى بما أسلف

أوصى أمير المؤمنين علي بن أبى طالب أحد عماله يوماً فقال :

دع الاسراف مقتصداً . واذكر فى اليوم غداً . وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك . اترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين ، وتطمع وأنت متمرغ فى نعيم تمنعه الضعيف والأرملة وإنما المرء مجزى بما أسلف وقادم على ما قدم .



الأمان لمن ؟

خاطب عمر بن عبد العزيز يوماً المسلمين فقال :

اعلموا أن الأمان غداً لمن خاف الله اليوم ، وباع قليلا بكثير وفانياً بباق . الا ترون انكم فى أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك ترد الى خير الوارثين . ثم أنتم فى كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً قد قضى لله نحبه وبلغ أجله ثم تغيبونه فى صدع من الأرض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسباب . وفارق الأحباب . وباشر التراب وواجه الحساب . غنياً عما ترك فقيراً الى ما قدم .

إلا الأمين !

حدث عبد الله بن علي عن الزهرى قال : قال عمر رضى الله عنه : لا تعترض فيما لا يعنيك ، واعتزل عدوك ، واحتفظ من خليلك إلا الأمين فان الأمين من القوم لا يعدله شيء ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش اليه سرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله .

أربعة ... وأربعة

قال حكيم : أربعة تؤدى الى أربعة : الصمت يؤدى الى السلامة ، والبر يؤدى الى الكرامة ، والجود يؤدى الى السيادة ، والشكر يؤدى الى الزيادة .

لا حسد إلا فى اثنتين !

روي عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .



أفضل من الحق

وقع نزاع بين حيين من قريش فاقبل أبو سفيان عليهم ، وأراد أن يمنعهم من القتال . فما بقي أحد واضع رأسه إلا رفعه . ليسمع ما سيقوله لهم . فقال : يا معشر قريش . هل لكم فى الحق أو فيما هو أفضل من الحق ؟

قالوا : وهل شيء أفضل من الحق ؟

قال : نعم . العفو .

فتهادن القوم واصطلحوا .

عصام شريح

كهانا..

قصة الحاخام الذي أقسم أن يهدم المسجد الأقصى

إنه واحد من الشخصيات العديدة المندفعة في طريق الإرهاب والعداء

ظاهرة الحاخام كهانا ليست فريدة في تاريخ الحركة الصهيونية

افرزت الحركة الصهيونية خلال تاريخها شخصيات تمثل ظواهر لها خصوصية فريدة فى شوفينيتها وعنصريتها ، ومن هذه الشخصيات او الظواهر على سبيل المثال مؤسس الحركة تيودور هرتزل ، ودافيد بن غوريون ، ثم مناحيم بيغن ، الذين عرف عنهم تمسكهم «بحلم» «اسرائيل الكبرى» بشكل او باخر ، واندماجهم فى مقولات التوراة والتلمود الاسطورية .

اما الشخصية التى نحن بصددها هنا فهى اقل قيمة من الناحية السياسية ربما لكنها تمثل تبسيطا للمفاهيم الصهيونية إياها التى امن بها هرتزل وبن غوريون وبيغن وموشي دايان ، ومع ذلك فان هذه الشخصية لا تقل خطورة فى نموذجيتها عن الشخصيات السابقة ، إذ لا يستبعد ان نسمع فى المستقبل ان الحاخام مئير كهانا ـ وهو الشخصية الصهيونية التى نعني ـ وقد اصبح راس السلطة فى الكيان الصهيونى ، تماما كما حدث لمناحيم بيغن ، الذى كان ايام بن غوريون شبه معزول او مغمور او مرفوض .

وتاريخ الحاخام كهانا برغم حداثته مفعم بالممارسات الفاشية ضد العرب ، ومليء «بالنظريات» العنصرية والتطرف العرقى الى درجة الهلوسة . وفى الواقع فان افكار الحاخام مئير كهانا وشخصيته تنبىء ان هذا الرجل يمثل الأصالة فى الفكر الصهيونى الذى يرفض الابتعاد عن منهل الصهيونية التوراتى والتلمودى ، والانجرار وراء احابيل السياسة وتكتيكاتها .

وظاهرة الحاخام كهانا ليست فريدة على أي حال فى تاريخ الحركة الصهيونية ، فتاريخ مناحيم بيغن وآراؤه ـ وخاصة قبل تسلمه الحكم فى الكيان الصهيونى قبل ثلاثة أعوام ـ كانت شبيهة الى حد كبير باراء كهانا ، بل ان الحاخام القادم من بروكلين بالولايات المتحدة لا يخفى إعجابه ببيغن (الأمس) وامتعاضه من بيغن (اليوم) الذى خضع لمقاييس السياسة وتكتيكاتها على حد قوله .

ولأن الحاخام مئير كهانا يمثل الأصالة فى الفكر الصهيونى ـ وبخاصة الفكر اليمينى الصهيونى ـ ولأنه كذلك يمثل نموذجا للشخصية الارهابية بكل معنى الكلمة التى افرزتها الحركة الصهيونية العنصرية ، فان من المهم والطريف معا ان نقدم آراء هذا الرجل ، ونسلط الأضواء على مفاهيمه :

البداية

كان والد الحاخام مئير كهانا قد ولد فى مدينة صفد بفلسطين المحتلة بعد أن هاجرت أسرته من بولندا الى فلسطين فى عام ١٨٧٣ ، وحسب تعبير كهانا هاجرت بدون مساعدة الوكالة اليهودية ، وقد أصبح الوالد حاخاما فيما بعد وارتحل الى الولايات المتحدة الأمريكية فى العشرينات من هذا القرن ، أما والدة كهانا فهى تعيش الآن فى الكيان الصهيونى ، وكانت اسرتها قد هاجرت من ليثوانيا حينما استولى الثوار البولشفيون عليها .

وقد ولد مئير كهانا فى بروكلين بمدينة نيويورك فى عام ١٩٣٢ ، وله شقيق واحد يعيش فى الكيان الصهيونى آنذاك ، وتشير سنوات حياته فى الولايات المتحدة الى أن الحاخام مئير كهانا لم يصادف أية مشاق مالية أو اضطهاد عرقى أو دينى أو أى تمييز لأى سبب ، ويقول هو عن تلك السنوات : «لقد تمتعت بحياة بالغة السعادة» .

لكن نقطة الانعطاف الحاسمة فى حياته كانت لدى اتجاهه الى دراسة اللاهوت اليهودى ، فقد انخرط فى سلك الطلاب الذين يدرسون ويعدون انفسهم ليرسموا بعد انتهاء الدراسة حاخامات . وقد تركزت دراسته فى بروكلين على التوراة اكثر منها على التلمود ، حيث استحوذ التاريخ التوراتى ـ وخاصة حياة الملك داوود ـ على عقل كهانا ، ولعل مما ساعده فى الانغماس فى هذا الحقل من اللاهوت اليهودى ، أن والده كان يحثه باستمرار على الانضمام الى تنظيم «بيتار» ـ وهو جناح الشباب فى الحركة الصهيونية التصحيحية التى تؤمن «بالقومية التوراتية» كتعبير عن الصهيونية السياسية .

المهم ان مئير كهانا رسم حاخاما فى اواخر الخمسينات وفى تلك الفترة ايضا حصل على اجازة فى الحقوق من جامعة نيويورك ، ثم نال درجة الماجستير فى القانون الدولى من نفس الجامعة . وقد تزوج كهانا فى عام ١٩٥٨ ، وبدأ بممارسة مهامه كحاخام فى كنيس «هوارد بيتش» بمنطقة كومينز بمدينة نيويورك ، لكنه فصل من وظيفته هذه بسبب خلاف مع رئيسه فى الكنيس . ويقول كهانا عن هذه الحادثة : لم يبال كثيراً بفصله من عمله ، لأنه كان يتطلع الى العمل كحاخام غير عادى ! ويضيف انه كان «يكره اليهود محدثى النعمة ، اولئك الذين يمتلكون بيوتا تكلف اكثر من مائة الف دولار ، لكن ليس فيها قطعة اثاث واحدة» .

كهانا وخوربا

بعد ذلك اسس مع صديقه (اليهودى أيضاً) جوزيف خوربا (الذى كان قد رسم حاخاماً قبل أن يطرد من وزارة الدفاع) اسسا معاً مكتباً أطلقا عليه اسم «مكتب البحث الاستشارى المتحد» ، لكن خوربا ترك المكتب فى عام ١٩٧٦ ليعمل مستشاراً لرئيس جهاز الاستخبارات فى سلاح الجو الأمريكى ، وهو يعمل حالياً كاحد أهم المستشارين للشؤون



مئير كهانا يصرخ : اطردوا العرب !

الخارجية للرئيس الأمريكى الجديد رونالد ريغان .

أما كهانا فقد اختفى خلال هذه الفترة لمدة ثلاث سنوات (١٩٦٣ – ١٩٦٥) حيث انخرط فى سلك مكتب التحقيقات الفدرالى – إف – بي – آي – ، وقام بمهمة الكشف عن أهدافومصادر تمويل «جماعة جون بيرش» – وهى جماعة اميركية يمينية متطرفة ، وقد تمكن كهانا بعد تنكره ، من التغلغل فى صفوف الجماعة وكشف أهدافها المتمثلة فى إثارة الاضطرابات العنصرية فى الولايات المتحدة والاتجار بالمخدرات ....

وعندما رجع كهانا الى الحياة العلنية فى عام ١٩٦٥ ، أسس مع صديقه خوربا «حركة الرابع من تموز (يوليو)» ، وقد قامت هذه الحركة بتنظيم الخلايا فى المناطق الجامعية ، لكسب التأييد لحرب فيتنام ، والتورط الأميركى فى تلك البلاد . وفى عام ١٩٦٨ أصدرا كتاباً بعنوان «شريحة اللحم اليهودى فى فيتنام» قالا فيه انه فى حال تخلى الولايات المتحدة عن التزاماتها فى فيتنام الجنوبية ، فانها سوف تتخلى عن اسرائيل . وبناء لذلك اخذ كهانا وخوربا يحثان اليهود الاميركيين بحماس شديد على تأييد التدخل العسكرى الأميركى فى فيتنام .

لكن بعد هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام ، انهارت أحلام الحاخام كهانا ، فكتب يقول : «لقد عرفت ان أيام اليهود فى الولايات المتحدة ، قد أصبحت معدودة» ، وان «أميركا كانت نمراً من ورق وهى لن تحارب من أجل اسرائيل» .

عصبة الدفاع اليهودية

وهنا بدأ كهانا يخطط لتاسيس عصبة الدفاع اليهودية ، وقد ساعده عمله كمحرر فى «الصحافة اليهودية» التى كانت تطبع فى بروكلين وتعتبر أكبر صحيفة يهودية فى الولايات المتحدة فى اواخر الستينات ، ساعده أن يطلع عن كثب على أخبار اليهود الأميركيين واحوالهم فى مختلف الولايات ، ففى تلك الفترة وردت الى الصحيفة عشرات الأنباء التى تتحدث عن أعمال «معادية للسامية» – أى لليهود فى الولايات المتحدة ، وبصورة خاصة للفقراء والمسنين منهم ، بهدف إرغامهم على ترك المدن الداخلية . وهنا قام كهانا بتقديم هذه المعلومات الى زعماء المنظمات اليهودية الرئيسية بهدف تحريضهم على اتخاذ اية خطوة مضادة ، لكن هؤلاء طالبوه بعدم نشرها تجنباً لمزيد من التوتر ، وازاء هذا الموقف اتجه تفكير كهانا الى تشكيل عصابة من اليهود فى إحدى ضواحى بروكلين أطلق عليه اسم «رابطة الدفاع اليهودية» ، وزعم فى أول الأمر أن هدف الرابطة هو حماية اليهود من اعتداءات السود والبورتوريكيين . ثم ترك عمله فى الصحافة ليتفرغ لأعمال الرابطة – العصابة ، التى اجتذب بعض شبان اليهود اليافعى السن اليها عن طريق شحن مخيلاتهم بما أسماه «الكبرياء والقوة اليهوديتين» . ثم اقام كهانا معسكرات لتدريب أعضاء عصابته على استخدام السلاح فى جبال كاتسكيل بولاية نيويورك ، واتخذ شعاراً له «البندقية والتوراة» . وقد نفذ كهانا عدة عمليات ارهابية ضد مؤسسات وسفارات عربية وسوفييتيه. وكان يبرر هجماته على الدبلوماسيين العرب فى نيويورك مدعياً أنها رد على هجمات الفلسطينيين ضد أسرائيل . أما تبريره لهجمات عصابته على المؤسسات السوفييتية فى تلك المدينة فيقوم على أن استخدام العنف ضد أهداف سوفييتية سيرغم القيادة السوفييتية على السماح لليهود الروس بالهجرة الى اسرائيل وبالفعل فان «رابطة الدفاع اليهودية» نفذت العديد من عمليات الارهاب هذه ، ففى يوم واحد ، هو يوم ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٦٩ (على سبيل المثال) ، هاجمت الرابطة مكاتب كل من وكالة تاس السوفييتية للأنباء ، ومكتب السياحة السوفييتى ، ومكتب الخطوط الجوية السوفييتية (ايروفلوت) فى نيويورك ، كما اقتحم أعضاء فى الرابطة طائرة ركاب سوفييتية كانت رابضة فى مطار كينيدى ، وكتبوا على جدرانها عبارات معادية للسوفييت .

وفى عام ١٩٧٠ هاجم أعضاء فى الرابطة مكتب «إيروفلوت» بنيويورك بالقنابل . وفى عام ١٩٧١ اطلقوا أربع طلقات على دبلوماسى سوفييتى لدى الأمم المتحدة ، واقتحموا مكاتب لجنة الاعلام العربى وهاجموا الموظفين العرب بالعصى . ومن المفارقات هنا ، أن رابطة الدفاع اليهودية تعاونت مع بعض زعماء المافيا فى الولايات المتحدة ، وفى طليعتهم جوزيف كولومبو الذى قتل فى أوائل السبعينات ، وكان كولومبو هذا قد نظم تظاهرة فى واشنطن فى عام ١٩٧١ للاحتجاج على منع اليهود السوفييت من مغادرة وطنهم الأصلى الى اسرائيل . وكثيراً ما كان يشاهد كهانا وكولومبو معاً ، وعندما قتل كولومبو رثاه كهانا بقوله : «لقد كان رجلا رائعاً ، وصديقاً للشعب اليهودى» .

ويزعم كهانا أن رابطة الدفاع اليهودية ساعدت فى هجرة ١٥٠٠ يهودى سوفييتى ، ويقول إنه فى الوقت الذى كان ينظم فيه الحملات «لتحرير» اليهود الروس ، فان المنظمات الأميركية الأخرى ، لم تكن تجد ما تفعله سوى التحسر عليهم ، وحينما يئس من مستقبل يهود أميركا ، هاجر كهانا الى اسرائيل فى عام ١٩٧١ ، وقام بتنظيم عدة رحلات متوالية بين اسرائيل والولايات المتحدة ، مخططاً للمزيد من العمليات الدولية الكبيرة ، ثم اهمل رابطة الدفاع اليهودية ، وتخلى عنها نهائياً فى عام ١٩٧٤ . ومع أن الرابطة واصلت عملها بعد هجره إياها ، إلا انها عملت «بقلب مريض» على حد تعبيره ، ويعترف كهانا بان فشله الأكبر كان فى عدم قدرته على خلق البديل القيادى للرابطة قبل رحيله الى الكيان الصهيونى .

وفى نيسان (ابريل) الماضى ، وضع كهانا فى السجن فى فلسطين المحتلة بسبب قيادته تظاهرة يهودية بمدينة رام الله بالضفة الغربية المحتلة ، وذلك احتجاجاً على اعتقال أربعة من أعضاء حزبه «كاش : هذا هو الطريق» ، وكانوا قد حطموا عدداً من نوافذ البيوت والمتاجر فى المدينة ، وقد سجن كهانا ثلاثة أيام بسبب اثارته شغباً فى رام الله واعتدائـه على سكانها العرب ، لكن أفرج عنه فيما بعد ، بحجة إتاحة الفرصة أمامه للمشاركة فى جنازة احد أعضاء حزبه الذى قتل مع خمسة آخرين فى مدينة الخليل فى أيار (مايو) الماضى على أيدى مجموعة فدائية .

وفى ١٢ أيار (مايو) المنصرم أمر وزير الحرب السابق عيزر وايزمن بالزج بكهانا فى السجن ، تحسباً لأعمال عنف كان يخطط لارتكابها ضد العرب فى الضفة



الخلاف بين كهانا وبيجين خلاف في التكتيك.. واتفاق على المبدأ



جابوتنسكى



بسام الشكعة



مناحيم بيجين

الغربية المحتلة ، ويرى كهانا فى السجن متعة ما بعدها متعة لانه يوفر له قراءة التوراة اكثر من مرة .

كهانا ويهود أمريكا

يعلن كهانا أن معظم اليهود الأميركيين هم اسوأ حالا من العميان ، وانهم منافقون ، ويقول إن الماساة تكمن فى أن معظمهم يمارسون التقاليد اليهودية والفولكلور اليهودى ، لكن اليهودى المتدين ، هو ذلك الذى يتبع التعاليم القاسية لـ «الميتسفاه — الوصايا» — وهى حسب تعبيره الاستيطان فى ارض فلسطين . يقول : «إن هدفى فى الحياة إذن هو قول الأشياء التى يقولها اى زعيم يهودى آخر ، وهو أن مصير الشعب اليهودى فى المنفى وفى اسرائيل ، هو أن يصبح يهودياً مرة اخرى!! ولن يتحقق هذا إلا فى اسرائيل فقط إذ حينئذ سيضيء مجد الرب على صهيون» .

ويصر كهانا على انه لا يمكن ان تقوم «دولة يهودية» بالمعنى اليهودى لانتظار «المسيح الموعود» ، قبل ان يرجع اليهود الى «أرض اسرائيل» ، ويضيف ان دولة يهودية للمسيح الموعود (اليهودى) ، لا يمكن ان تتواجد مع وجود اقلية عربية فى اسرائيل ، وأن من واجب اليهود أن ينفردوا وحدهم بالأرض ، لكى يبنوا نسيجهم ولحمتهم الأخلاقية .

كهانا والعرب

يعترف كهانا بان من المستحيل على اليهودى أن يشترى حب العربى له مهما قدم له من خدمات ومساعدات !! بل هو يعلن تخوفه منهم نظراً لتناسلهم السريع والكثيف ، ويقول : «ها هم يتكاثرون كالأرانب ، وبمعدل نموهم هذا ، سيسيطرون على الكنيست (البرلمانى الاسرائيلى) فى غضون ربع قرن فقط» .

«إننى لست على استعداد للتضحية بالصهيونية من أجل الديمقراطية .. فهناك حل واحد فقط هو : على العرب أن يرحلوا من اسرائيل ، واذا أصبحت رئيساً للحكومة فسوف أذهب الى العرب واقول لهم ان يرحلوا ، وسوف أعدهم بتعويضات سخية ، فاذا رفضوا ذلك فسوف أجبرهم بالقوة على الرحيل عن طريق وضعهم فى سيارات الماشية بعد منتصف الليل وقذفهم خارج حدود اسرائيل» .

وينفى كهانا تهمة العنصرية عن نفسه ، بسبب إصراره على «طرد» العرب من «اسرائيل» ، يقول : «إن العنصرى هو اليهودى الذى ينادى بأن للعرب نفس الحقوق المتساوية مع اليهود فى دولتهم» .

وفى مطلع العام الجارى ، توجه كهانا الى مدينة نابلس فى سيارة ثبتت عليها مكبرات الصوت ، واخذ يصرخ طالباً من العرب الرحيل ، وقد تصدى له رئيس بلدية المدينة العربية السيد بسام الشكعة الذى دخل فى نقاش حاد معه ، وقال له فى نهايته انك اميركى ويتوجب عليك أنت أن تترك هذه البلاد لأصحابها الشرعيين ، وإننى مستعد لأن ادفع لك ثمن تذكرة سفر الى الولايات المتحدة .

ويتهم السيد الشكعة حكومة مناحيم بيغن بالتواطؤ مع الحاخام كهانا فى مضايقة العرب وإثارة الاضطرابات فى وجوههم ، لأن حكومة بيغن ترغب فى أن يسأم العرب نوع الحياة التى يعيشونها فى الضفة الغربية ، فيرحلون ، ويقول السيد الشكعة أن سياسة كهانا ما هى سوى الامتداد الطبيعى لسياسة الليكود الحاكم .

ويوافق كهانا على تحليل رئيس بلدية نابلس فى نقطة واحدة على الأقل ، فهو يقول : ان له (أى لكهانا) أصدقاء يحتلون مراكز هامة فى حكومة بيغن ، وهم يرغبون فى ترحيل العرب عن اسرائيل ، لكنهم يتخوفون من رد الفعل العالمى ، ويقول احد كبار ضباط الشرطة الاسرائيليين : «إن الحكومة تطلق العنان لكاهانا ، لكنها تلجمه حينما يسبب مشاكل عديدة ، وان وزارة الخارجية تضغط علينا لكى نعتقله حينما يكسر القانون ، وحينما نفعل ذلك ، نجد أن النظام القضائى يطلق سراحه» .

وفى محاضرة ألقاها فى تل أبيب ، قال كهانا : «إنه يجب طرد العرب من اسرائيل» ، وعندما ووجه بالاستنكار واللعنات من طلاب فلسطينيين كانوا حاضرين ، صرخ قائلا : «مازالت حتى الآن هذه«دولتنا» وليست دولتكم ، وباللين أو بالقوة ، سوف نطردكم من هنا» . ثم أخذ يصرخ طالباً طرد العرب من جامعة تل أبيب . وعندما حاول الاستمرار فى محاضرته قال بصوت عال : «إن العرب يشكلون قنبلة موقوتة فى اسرائيل ، ويجب طردهم الى الدول العربية أو الى الغرب» !!

وفى الشهر الماضى دعا كهانا الى سن قانون خاص لطرد العرب من اسرائيل ، ويبرر دعوته هذه بأنه «لا يريد أن يقتلهم كل أسبوع» ، ثم مضى قائلا فى رسالة بعث بها الى صحيفة «جيروزاليم بوست» «إن بامكان العرب الذين يتركون اسرائيل بمحض اختيارهم الحصول على تعويض عن ممتلكاتهم ، أما الذين لا يرغبون فى مغادرتها ، فسيطردون دون تعويض» ، واضاف : «إن خطوة من هذا النوع ضرورية لأن نسبة الولادة المرتفعة بين العرب تهدد الدولة اليهودية» وتساءل كهانا : «ما هو مدى بعدنا عن برلمان اسرائيلى يتألف ثلث

أعضائه من العرب ؟ وما هو مدى بعدنا عن جليل يطالب سكانه العرب بحكم ذاتى ؟ وهل لهم الحق فى أن يتحولوا سلمياً الى أغلبية ، ويحولوا اسم الدولة الى فلسطين ؟؟» وقال أيضاً : «اننى لا أريد أن أرى قبرص أو جنوب أفريقيا أو بلفاست أخرى هنا» .

كهانا والانتخابات القادمة

يخطط كهانا لخوض الانتخابات المقبلة للكنيست الصهيونى ، وأهم مادة دعائية تحفظ له رصيداً فى الانتخابات القادمة ، هى ان حزبه «كاتش» (هذا هو الطريق) ، أطلقت الوعود بان تحل مشاكل اسرائيل الاجتماعية والاقتصادية بضربة واحدة على حد ادعائها ، وذلك عن طريق تهجير العرب من اسرائيل . ويقول كهانا إن مثل هذه الخطوة ستوفر ملايين الدولارات التى تنفق اليوم «على تطوير المدن والقرى العربية» ناهيك بتوفير الأموال التى تنفق على الأمن لمنع هجوم العرب على الاسرائيليين ؟؟ ويتنبأ كهانا بانه سيحصل على مقعدين على الأقل فى الكنيست القادم .

أما نفوذ كهانا القوى ، فيتركز فى مستوطنة «كريات أربع» القريبة من مدينة الخليل ، وهى أكبر مستوطنة فى الضفة الغربية المحتلة ، وله نفوذ بارز بصورة خاصة بين طلبة المدرسة الدينية الذين يتجاوز عددهم المئتين ، وهؤلاء لا يعطون أى اهتمام لحقوق الفلسطينيين.

كما أن الحاخام كهانا يتمتع بنفوذ ملحوظ لدى الأعضاء المتطرفين فى حركة «غوش ايمونيم» ، وله دور ملحوظ ـ وإن كان غير معلن ـ فى الحركات السرية التى نشأت على يمين اليمين الصهيونى الحاكم (بيغن ـ يوسف بورغ) ، ومنها التنظيم المعروف باسم «غال» ـ اى خلاص اسرائيل ـ والذى يقوده مدرس اسمه «يوئيل ليرنر» ومساعده الملازم فى الجيش الاسرائيلى «أدموند عزران» .

اليمين .. واقصى اليمين

والآن .. هل ان ظهور شخصيات مهووسة بمبادىء الصهيونية العنصرية أو حركات سرية متطرفة فى الكيان الصهيونى ، يعتبر ظاهرة شاذة أو غير طبيعية ؟ إن جميع الوقائع تدل على عكس ذلك تماماً ، فاسرائيل اقيمت على



ثمن الاحتلال فى الأرض المحتلة

أرض فلسطين استناداً الى أحلام توراتية تقول ان هذه الأرض العربية هى «أرض الميعاد لشعب الله المختار» ، ومن هذا المنطلق «العقائدى» تفرعت جميع التعاليم الصهيونية العقدية الأخرى .

ولا شك فى أن شخصية الحاخام مئير كهانا التى تعيش بأفكار الماضى السحيق هى شخصية نموذجية فى تعبيرها الواقعى عن حقيقة الصهيونية كحركة رجعية وعنصرية تستمد مقوماتها الفكرية من الأساطير والخرافات التى حفلت بها التوراة والتلمود ، والتى تثير العجب والسخرية فى آن .

وفى الحقيقة وحتى لا نظلم الحاخام كهانا ، فان من السخف كما يبدو لنا ان نحاول التمييز بين يسار ويمين فى الكيان الصهيونى ، إذ انه لا يوجد فى رأينا فى ذلك الكيان سوى إنسان واحد ذى لون عقدى وسياسى واحد هو الصهيونية التى هى بالتأكيد ـ وحتى الآن على الأقل ـ ليست بصهيونيتين أو اكثر .

وهذه الصهيونية تقوم على خمس دعائم فكرية هى :

- اليهود هم شعب الله المختار .
- واليهود هم شعب ذو مصير تاريخى وسمات خاصة لا تتصف بها الشعوب الأخرى .
- وكل يهودى ينتمى حكماً الى «الأمة اليهودية» .
- ويجب على اليهود أن يطمحوا الى العودة الى «وطنهم القديم» ـ فلسطين .

وعلى أى حال هناك خلاف على الأساليب والتكتيك بين كهانا وبيغن أو غيرهما ، لكن لا يوجد بالتأكيد أى خلاف على المبدأ والجوهر . وللتأكيد على ذلك ، فان موشي دايان وقف فى أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ليقول امام حشد من انصاره : «يجب ان يدرك العالم الخارجى ، انه بالاضافة الى الأهمية الاستراتيجية التى تعلقها اسرائيل على كل شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان ومضائق ثيران ، فان سلسلة الجبال الواقعة غربى نهر الأردن انما تقع فى صميم التاريخ اليهودى» . ثم وصف دايان البرنامج التوسعى الصهيونى بقوله : «إنه تحقيق لأحلام السلف من شعبنا» . وما إن وصل هذا الكلام الى أسماع الحاخام الأكبر لليهود السفارديم (ذوى الأصل الغربى) ، حتى سارع هذا الى ارسال برقية لدايان يهنئه فيها على تصريحاته بصدد «أرض اسرائيل» وقال له فيها : «لقد أعطيت التعبير الصحيح لاعتقاد اسرائيل بصدد أرضها ، وتغلغلت فى أعماق التصور اليهودى ، فلتكن لك نعمة العيش لرؤية هذه الأماكن جميعاً وقد تم استيطانها وعم ازدهارها على ايدى اسرائيل» !!

واذا عدنا الى الوراء قليلا ايضاً ، فاننا نرى جابوتنسكي المشهور بتعاليمه الارهابية ، والذى يفخر مناحيم بيغن بكونه احد تلاميذه ، نراه يلقن مريديه ومحازبيه فى منظمة «بيتار» العسكرية فى الثلاثينات نشيداً يقول فى احدى فقراته :

«مجال حيوى للملايين من اليهود
الأردن له ضفتان
واحدة لنا .. والثانية ايضاً ..»

أما نشوء حركات وتنظيمات صهيونية متطرفة تقف على يمين اليمين الصهيونى» وعلى يمين الارهابى مناحيم بيغن نفسه ، كحزب كاش الذى يتزعمه الحاخام كهانا ، وكحركة «غوش ايمونيم» .. الخ ، فانها تبقى فى الواقع النتاج الوحيد الممكن فى ظل العقيدة الصهيونية ، بل إن عدم نشوء مثل هذه التنظيمات الارهابية المتطرفة هو الأمر الذى يثير أشد العجب والاستغراب .

ويبقى أن الحاخام مئير كهانا ليس بالظاهرة الفريدة ، وإن كانت تتمتع بخصوصية واضحة بالنسبة لاستغراقها فى الميثولوجيا الصهيونية ، بل ان هذه الشخصية هى واحدة من شخصيات عديدة عرفنا اندفاعها الأعمى فى طريق الارهاب والعداء ، وسنتعرف فى المستقبل على أخرى من طرازها.

وبعد .. هذه قصة الحاخام اليهودى الذى أقسم أن يهدم المسجد الأقصى ، ولن يتحقق من قسمه شىء ، مهما بالغ فى تطرفه وتعصبه ضد المسلمين والعرب .

عصام شريح

حافظ أحمد أمين

مسرحيات للقراءة وأخرى للتمثيل

حتى منتصف القرن العشرين، كانت الكتابة للمسرح العربي ، اما أدبا صرفا ، أو بغرض التمثيل فقط ، فكان الادباء – مثل توفيق الحكيم ومحمود تيمور وعزيز أباظة يكتبون مسرحياتهم وهدفهم الاول نشرها في كتاب ، وكان أصحاب الفرق المسرحية – مثل نجيب الريحاني ويوسف وهبي – يكتبون أو يستكتبون غيرهم بغرض عرض المسرحية أمام المشاهدين •

كان الادباء يكتبون المسرحيات وهمهم الاول نقل أفكارهم الى القراء عن طريق الادب المسرحي ، فكان البعض يتهمهم بأنهم يكتبون من أبراج عاجية ، وكان أصحاب الفرق يكتبون أو يستكتبون غيرهم وهمهم الاول خلق أدوار لهم ولزملائهم من الممثلين يتألقون فيها ويستعرضون مواهبهم ، فكانوا يتهمون بالتكلف والسطحية •

ولا يعني هذا أن الذي كان يكتب أدبا مسرحيا لم يكن يأمل أن تمثل مسرحياته وتلقى اعجاب المتفرجين ، أو أن الذي كان يكتب للفرق المسرحية لم يكن يأمل أن تنشر أعماله في كتب ناجحة ، وانما يعني أن الجمع بين النجاحين كان أمرا شاقا، بسبب عدم نضج متفرج المسرح العربي (على حد تعبير بعض الادباء)، أو بسبب عدم وعي الاديب العربي بمتطلبات الفن المسرحي (على حد تعبير بعض أصحاب الفرق) •

ظلت الفرق الجادة لفترة طويلة ، تحاول حل المعادلة الصعبة ، وكانت تواصل الكفاح في سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير ، الى أن جاء الاستاذ نعمان عاشور فخطا خطوة واسعة نحو الهدف ، عندما قدمت له فرقة المسرح الحر في منتصف الخمسينات مسرحيتيه (المغماطيس) و (الناس اللي تحت) فحل بهما معادلة من شقين ، كان حلها مستعصيا على المؤلفين من قبله ، وتبعه في هذا المضمار جيل من المؤلفين الادباء من أمثال يوسف ادريس وسعد الدين وهبه وغيرهما •

في عام ١٩٣٦ افتتح المسرح القومي بالقاهرة موسمه المسرحي بمسرحية (أهل الكهف) من تأليف الاستاذ الكبير توفيق الحكيم ، واخراج شيخ المخرجين الاستاذ زكي طليمات ، وتمثيل فطاحل الممثلين والممثلات ، فماذا قال أستاذنا الحكيم عندما شاهد العرض :

« •••• فماذا رأيت ؟ رأيت ما توجست منه •• ان هذا العمل لا يصلح قط للتمثيل على الوجه الذي ألفه أغلب الناس •• » ثم قال : « ••• لقد خرجت تلك الليلة وأنا أشك في عملي ، وأؤمن بصواب رأي الناس » •

نعم !•• أعرضت الجماهير عن مسرحية (أهل الكهف) ، كما أعرضت بعد ذلك عن العروض المسرحية للحكيم ، ورغم هذا الاعراض ، لم تحظ مسرحيات عربية من الاهتمام بمثل ما حظيت به مسرحياته المكتوبة، حتى لقد نفذت طبعتان من (أهل الكهف) نشرتا في عام واحد (عام ١٩٣٣) كما ترجمت كثير من مسرحياته ونشرت بلغات أجنبية عديدة •



ويبدو أن الاستاذ الحكيم لم يقنع بما حققه من نجاح أدبي باهر ، فكان يحزنه ما يراه من اعراض الجماهير عن مسرحياته الممثلة ، وقد سمعناه يقول في جلساته أن مسرحياته تنقسم الى نوعين مختلفين : نوع ذهني يكتبه للنشر ، ونوع اجتماعي يكتبه للتمثيل ، وهو قول تثبت الاحصاءات عكس ما توقعه صاحب المسرحيات ، اذ أقبل الناس على قراءة (مسرح المجتمع) ووجد في القراءة متعة لا تقل عن المتعة التي كان يجدها في المسرحيات الذهنية •

والعجيب أيضا أن اقبال الجماهير على العروض المسرحية التي قدمت (مسرح المجتمع) كان أقل كثيرا من اقبالها على عروض المسرحيات الذهنية، والدليل على ذلك أن متوسط عدد المشاهدين في الحفلة الواحدة لمسرحية (أهل الكهف) بلغ ٢٢ متفرجا عندما أعاد المسرح القومي تقديمها عام ١٩٦٠ ، بينما بلغ متوسط عدد المشاهدين لمسرحية (رصاصة في القلب) ١٤٨ متفرجا في الحفلة الواحدة • ومسرحية (شمس النهار) ١٦٤ متفرجا عام ١٩٦٥ ، ومسرحيات (يا طالع الشجرة) و (مصير صرصار) و (الطعام لكل فم) ٥٦ ، ٨٤ ، ٩٠ متفرجا على التوالي عام ٦٢ – ١٩٦٣ •

والسبب في ذلك – في رأينا – يرجع الى أن المسرحيات الذهنية ، استطاعت أن تجد لها جمهورا مثقفا يحبها (وان كان صغيرا) بينما لم تستطع المسرحيات الاجتماعية خلق جمهور خاص بها •



نعمان عاشور



يوسف ادريس

المسرحيات التي نجحت في كتاب. إذا ما عرضت قد تفشل على المنصة!

التزايد والتناقص

وهناك مقياس آخر ، يؤكد اقبال الناس على قراءة مسرحيات الحكيم ، واعراضهم عن مشاهدتها على المنصة ، هذا المقياس هو تزايد عدد القارئين لمؤلفاته المسرحية كلما أعيد طبعها في الكتب ، وتناقص جمهور مسرحياته كلما أعيد تمثيلها على خشبة المسرح ٠

ان مقياس تزايد أو تناقص عدد المتفرجين أسبوعا بعد أسبوع ، أو عاما بعد عام ، مقياس ذو اهمية كبيرة لدي القائمين على شئون المسرح ٠

فمسرحية (عيلة الدوغري) لنعمان عاشور ــ مثلا ــ قدمها المسرح القومي بالقاهرة في أعوام ٦٢ ــ ٦٣ ٦٣ ــ ١٩٦٤ ، ٦٥ ــ ١٩٦٦ فتزايد متوسط عدد المتفرجين لها في الحفلة الواحدة من ٤٩٦ الى ٦١٤ الى ٧٥٧ على التوالي ، وهو تزايد يدل ــ بلا شك ــ على نجاح كبير ٠

فاذا طبقنا هذا المقياس على مسرحيات الحكيم ، وجدنا أن متوسط عدد المتفرجين لمسرحية (الصفقة) كان ٣٣٣ ، ٩٣ ، ٤٤ متفرجا في الاعوام ٥٧ ــ ١٩٥٨ ، ٦١ ــ ١٩٦٢، ٦٢ ــ ١٩٦٣ على التوالي ، ولمسرحية (السلطان الحائر) كان ١٥٣ ، ١١٤ ، ٤٠ متفرجا في ثلاثة أعوام متتالية ٠ وما يقال عن مسرح الحكيم يقال أيضا عن مسرح تيمور وأحمد شوقي وعزيز أباظة ٠

الشرط الاول

لقد اثبتت جميع التجارب ، وعلى فترات متباعدة ، ومع مختلف الفرق المسرحية ، وباخراج مختلف المخرجين، وتمثيل أحسن الممثلين ، أن كثيرا من المسرحيات التي نجحت في كتاب أو جريدة ، قد تفشل فشلا ذريعا اذا ما عرضت على المنصة ، والعكس صحيح أيضا ، قد تطبع مسرحيات ناجحة جدا ــ كمسرحيات الريحاني ــ فلا يقرأها الا أقل القليل ٠ فما هو السر وراء هذا ؟٠

السر ــ في رأيي ــ أن الشرط الاول في المسرحية المقروءة شرطا ثالثا أو رابعا ــ من حيث الاهمية ــ في المسرحية الممثلة ، والشرط الاول في المسرحية الممثلة يعتبر شرطا ثالثا أو رابعا في المسرحية المقروءة ٠

الشرط الاول في المسرحية المقروءة هو أن تكون جيدة الحبكة ٠

والمسرحية المحبوكة هي المسرحية جيدة التصميم ، ذات الاحداث والشخصيات المتفقة تماما مع فكرة المسرحية وموضوعها ، وهي المسرحية التي يكون نمو الصراع فيها جيد التوقيت ، منطقي مع كل ما يحدث ، وكذلك هبوطه وخاتمته ٠

والشرط الاول في المسرحية الممثلة هو أن تكون مشحونة بالشخصيات والصراعات الحية ، التي تشغل بال المجتمع ، وتستغرق فكره وأحاسيسه ، والتي يراها ذات أهمية بالغة بالنسبة لحياته ومعيشته ٠

ولا يعني هذا أن المسرحية المعروضة على المنصة لا تتطلب جودة الحبكة ، أو ان المسرحية المقروءة لا تتطلب حيوية الشخصيات والصراع، وانما يعني أن المؤلف الماهر في تصميم بناء المسرحية ، ثم يتناول صراعا هامشيا غير حيوي بالنسبة لمجتمعه ، وتنطق شخصياته بكلام المؤلف نفسه ، أقدر على اخراج مسرحية ناجحة فى كتاب ، عن اخراج مسرحية ناجحة فوق منصة ٠ وأن المؤلف الذي لا يجيد الحبكة والتصميم، ولكنه يعبر تعبيرا صادقا عن المشكلات الحية لمجتمعه ، ويرسم الصراع الذي يحسه مواطنوه احساسا عميقا ، أقدر على تأليف مسرحية ناجحة فوق منصة ، عن تأليف مسرحية ناجحة في كتاب أو مجلة ٠

وهناك شروط ذات اهمية متساوية في كل من المسرحية المقروءة والمسرحية الممثلة ، كالحوار الواضح المركز ، والاسلوب الرقيق الجذاب ، الذي يتمشى مع الشخصيات المرسومة ، والذي يخدم موضوع المسرحية ٠

ومن الطبيعي أنه اذا اجتمعت في المسرحية الواحدة هذه الشروط كلها : جودة الحبكة ، وحيوية الصراع والشخصيات ، وسهولة قراءة الحوار، وسهولة النطق به ، واستمتاع الاذن بسماعه ٠٠ الخ تكون من المسرحيات الناجحة في الكتاب وعلى المنصة ، ولكن هذا كله يحتاج الى عبقرية فذة، تجمع بين عبقريتي توفيق الحكيم ونجيب الريحاني ، كتلك التي توصل اليها مؤلفون عالميون من أمثال تنسي وليامز الامريكي ، وجان أنوي الفرنسي ، فجمعوا بين النجاح الادبي، والنجاح الجماهيري ٠

ومع صعوبة هذه الغاية فان الاستاذ نعمان عاشور وبعض زملائه قد حققوا فيها بعض النجاح ، ولو كانت الظروف قد سمحت لمن جاء بعدهم بمواصلة السير في الطريق ، لبلغنا درجة أكبر من التقدم نحو الغاية ٠

حافظ احمد أمين

فولتير

محمد العزب موسى

فى عام ١٧٩١ بعد أن انتصرت الثورة الفرنسية وثبتت أقدامها أصدرت الجمعية الوطنية لنواب الشعب قراراً بنقل رفات الشاعر فولتير من قريته النائية «فيرنى» ليدفن فى مقابر العظماء والخالدين بباريس .

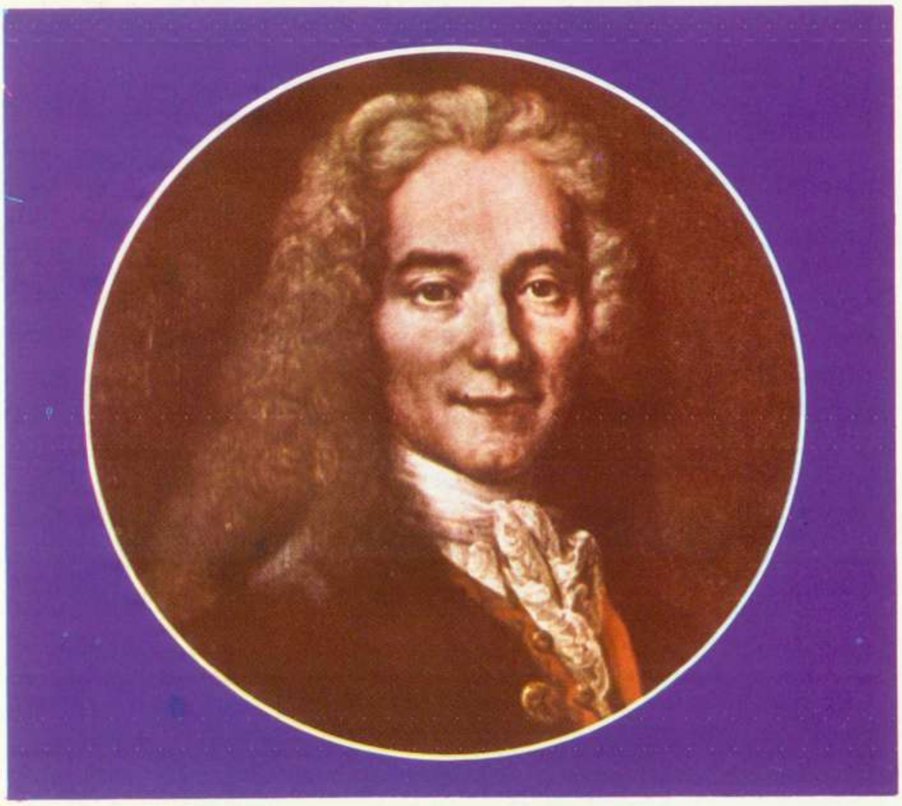
وتم نقل الرفات فى موكب رسمى وشعبى مهيب ، فقد حف رجال الحرس الوطنى بالعربة التى تحمل نعش فولتير والتى صممها خصيصاً لهذا الغرض احد كبار الفنانين الفرنسيين ، ونقشت فى مقدمتها بأحرف ذهبية عبارة تقول : «لقد علمنا أن نكون أحراراً» وتبع العربة زهاء مائة الف من المشيعين فى حين اكتظت الأرصفة والشرفات والنوافذ بالوف أخرى .. لقد خرجت باريس عن بكرة أبيها لتستقبل رفات شاعر الحرية . وتوقفت العربة أمام دار الأوبرا ، وأمام قصر التويلرى ، ، وأمام المنزل الذى عاش فيه فولتير ، وهناك تقدمت فتاتان وقبلتا النعش بين هتافات الجماهير وبكائها ، كانتا ابنتى جان كالاس الذى رفع فولتير عنه الاضطهاد بعد وفاته ..

ثم سار النعش مرة أخرى إلى مسرح الكوميدى فرانسيز ، وهناك علقت على واجهة المسرح لافتتان كبيرتان ، تقول الأولى «لقد كتب أوديب فى السابعة عشرة» وتقول الثانية «وكتب ايرين فى الرابعة والثمانين» ..

وأخيراً وصل الموكب إلى مقابر العظماء أو «البانثيون» حيث أودع النعش الذى يحوى رفات فولتير فى قبر خاص .

ولكن هذا القبر لم يكن نهاية المطاف لعظام الشاعر الثائر ..

اذ بعد ٢٣ عاماً من هذه الأحداث ، وكانت أسرة البوربون الملكية قد عادت إلى عرش فرنسا ورفعوا عظام فولتير وكذلك عظام جان جاك روسو من مقابر



الشاعر فولتير الذى دفنوه فى مقابر العظماء .

العظماء فى البانثيون وحملوها سراً إلى حفرة خارج المدينة حيث احرقوا عظام الرجلين بالجير الحى !! ..

ولم يكتشف هذا الانتقام الرخيص حتى عام ١٨٦٤ فى عهد الجمهورية الثالثة حين فتح القبران ووجدا خاليين ، وهكذا اثبت أنصار النظام القديم على أنهم يعتبرون فولتير وروسو من ألد أعدائهم ..

فولتير .. والشهرة العريضة

تمتع فولتير بشهرة عريضة ونفوذ واسع سواء فى حياته أو بعد وفاته ، ومن الطريف أن نلاحظ أن شهرة فولتير ومكانته الفكرية والاجتماعية لم تكن نتيجةً لأعماله الأدبية فى حد ذاتها . !

فالنقاد المتخصصون يقولون ان مسرحياته وأشعاره ومقالاته الفلسفية لم تكن تفضل كثيراً انتاج عشرات من معاصريه الذين طواهم النسيان ولم يعودوا معروفين إلا لطلبة الدراسات الأدبية أو المنقبين فى سجلات التاريخ .

وكتاباته التاريخية كانت غير موثقة ولا يعتمد عليها ، أما محاولاته البدائية فى ميدان العلوم فكانت ضحلة ولا قيمة لها على الاطلاق !

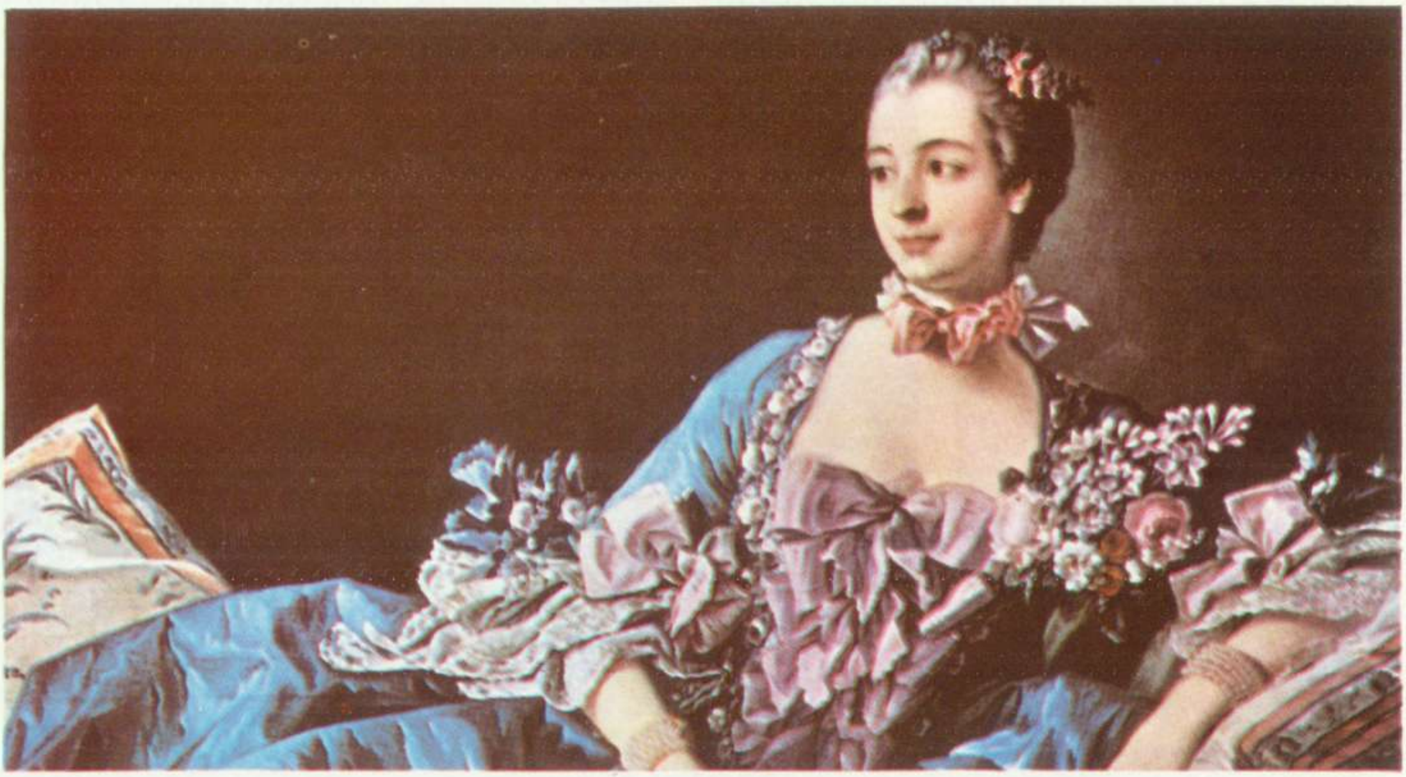
فمن أين إذن نال فولتير شهرته العريضة وأهميته الفكرية على السواء ؟

ان شهرة فولتير العريضة تعود إلى نضاله الذى لا هوادة فيه ضد الغباء البشرى ، وضيق الأفق والتعصب

● شهرة "فولتير" لم تكن نتيجة لأعماله الأدبية بل لآرائه ومواقفه

● كان مناضلا ضد الغباء البشري .. والظلم .. والاضطهاد الاجتماعي

● لم يكن من طبقة النبلاء .. لكنه عاش حياته الطويلة بينهم



كانت مدام دى بومبادور من بين الشخصيات القوية التى أيدته فى قضية كالاس .

والظلم والقسوة والاضهاد الاجتماعى ، فهنا كان فولتير فارس الميدان المجلى ومن هنا يستحق ما نال من شهرة وخلود .

فقد عاش فولتير ٨٥ عاما من عام ١٦٩٤م إلى عام ١٧٧٩م كان فيها إن صح التعبير «ديكتاتوراً للحرية» فى فرنسا وكل أنحاء أوربا ، فكان بذلك يعبر أدق تعبير عن روح عصره وعقلانيته وشكه وكراهيته للتعصب ، وقد علم فولتير ثلاثة أجيال من الشباب كيف يكرهون الظلم والقسوة والاضطهاد الاجتماعى كل فكرة تقليدية وصلت إليهم بالتلقين عن آبائهم وأجدادهم ، وكيف يرفضون أى شىء لا يتفق وشهادة حواسهم وضمائرهم .

وبذلك فتح فولتير الباب على مصراعيه أمام الثورة الفرنسية التى لم يعش ليشهدها ، وكان من اكبر رواد الحريات الفكرية الليبرالية التى أطلقتها الثورة من عقالها .

ومن الغريب ان فولتير مهد لهذا الطوفان دون أن يدرى ، فبالرغم من أنه يعد من أبطال حرية الفكر والتعبير إلا انه هو نفسه لم يكن ثورياً ، اذ لم يكن يعرف شيئاً عن علم السياسة وأصول الحكم ، واذا كانت لديه فكرة عن الحكومة الانسانية المثالية فهى لا تعدو أن تكون فكرة افلاطون عن الملك الفليسوف أو الحاكم المستبد المستنير الذى تساعده نخبة من النبلاء المثقفين.

وبالرغم من أن فولتير لم يكن من طبقة النبلاء إلا انه عاش حياته الطويلة بين النبلاء والوزراء وزهرات المجتمع وكان يغشى أرقى الصالونات والمجتمعات المخملية بل انه اقام فترة فى قصر فرساى فى معية الملك لويس الخامس عشر والوزير ريشيليو ومدام دى بومبادور ، واقام فترة أخرى بقصر «سان سوسى» بلاط الملك فريدريك الاكبر ملك بروسيا فى بوتسدام ، وقد زار كاتب هذه السطور ذلك القصر الموجود حالياً فى أراضى المانيا الديمقراطية وشاهد عرفة فولتير التى تركت على حالها .

وكما لم يكن فولتير ثورياً لم يكن أيضاً قومياً أو وطنياً بل كان يعتبر ان القومية والوطنية مشاعر عاطفية لا تليق برجل الفكر ، وفي حين كان مونتسكيو وطنياً عظيماً وكان روسو يبكي عندما يذكر

لمحات من حياة

فولتير

مراتع طفولته في جنيف كان فولتير بارداً تماماً ازاء فكرة الوطن ، فهو لا يحمل أية مشاعر خاصة نحو وطنه فرنسا ، ولا يتعاطف مع ثورات الوطنيين في بولندا وأمريكا ، وإنما يتفق مع الشاعر الألماني جوته فى اعتبار الوطنية «علامة على هبوط الثقافة» ، ولا يعد نفسه مواطناً فرنسياً وإنما يعتبر نفسه مواطناً أوربياً عالمياً .

كانديد .. اشهر الروايات

واشهر روايات فولتير هى «كانديد» ، وفيها يسخر من حالة التفاؤل الساذج والتواكل القدرى التى يعيش فيها معاصروه ، فان «كانديد» الفتى الطيب الذى علمه الفليسوف «بانجلوس» أن يؤمن باله محب رحيم وبكمال الانسان ، لا يلبث أن يتعرض لسلسلة من المتاعب والمظالم وخيبات الأمل فى رحلة عالمية يقوم بها ، ويجد كانديد ان الانسان فى كل مكان مخلوق قاس جشع غبى ، ويصل فى نهاية الامر إلى لشبونة وقت حدوث الزلزال فيها عام ١٧٥٥م ويشاهد بعينيه الأهوال التى صنعها فيصبح فى أسى : «إذا كان هذا هو خير عالم ممكن أسوأ عالم اذن؟» .

ويلتقى كانديد بالفيلسوف مارتن الذى ينظر إلى الأمور نظرة واقعية ويسأله كانديد عما إذا كان الناس دائما أشراراً قساة منافقين جشعين خونة أغبياء مثلما هم عليه اليوم. ؟ فيقول مارتن :

– ألا تعتقد ان الصقور كانت دائما ذات مناقير ومخالب تمزق بها فرائسها .

فيجيب : بلى

– حسنا .. إذا كانت الصقور لها نفس الطبيعة دائماً فلماذا تتوقع من الانسان أن يغير طبائعه ؟

فيصيح كانديد :

– أوه .. ان هناك فارقاً كبيراً بين الصقور والرجال ، فهؤلاء لهم ارادة حرة

ولكن كانديد يتعلم من زلزال لشبونة أن يرفض نظريات استاذه القديم بانجلوس (الذى يرمز للفكر التقليدى) ويأخذ بأفكار مارتن الواقعية .

ويقول له مارتن فى النهاية :

– عليك أن تعمل ، ولا تتوقف عن العمل ، لا تضيع وقتاً فى تفكير لا طائل من ورائه ، هذه هى الوسيلة الوحيدة التى قد تجعل الحياة محتملة !

ويتنهد كانديد بعمق ، ويقبل نصيحة مارتن ، ويلقى جانباً بكل ما كان يعتقده من أفكار ونظريات .

وتنتهى الراوية بعبارة أصبحت شهيرة فى الادب الفرنسى تقول «ولكن .. علينا أن نزرع حديقتنا» .

* * *

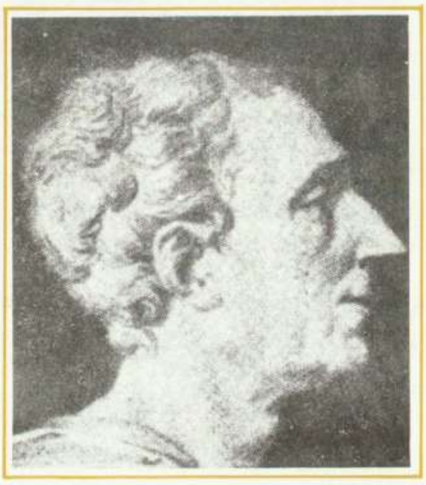
لم يكن زلزال لشبونة هو الحادث الوحيد الذى ترك أثراً عميقاً فى فكر فولتير ، وانما ثمة حولدث أخرى لعبت أدواراً بارزة فى حياته ، وأثرت بشدة فى مجرى تفكيره ..

فعندما كان فولتير شاباً فى الثانية والعشرين وجد نفسه ذات يوم نزيلا فى سجن الباستيل بمقتضى «أمر ادارى» وكان من المألوف فى ذلك الحين استصدار مثل هذه الأوامر الادارية الاستبدادية أو شراءها والزج بمقتضاها بأى انسان فى الباستيل بدون اتهام أو محاكمة .

وكانت التهمة التى سجن بسببها انه ألف قصيدة معينة أغضبت بعض الكبراء ، ولما كان فولتير لم يؤلف هذه القصيدة وانما كان ضحية مؤامرة كيدية لذا فقد أحس بمرارة الظلم والاضطهاد وتولدت لديه كراهية عميقة للقبض التعسفى ظلت تلازمه طوال عمره ، وبمجرد خروجه من السجن أخذ ينادى بانه لا ينبغى تجريم احد بدون محاكمة علنية وطبقاً لقوانين معلنة ومنشورة والغاء نظام الاعتقال بمقتضى الأوامر الادارية . وبلغ من امتعاضه خلال هذه الفترة ان قرر تغيير لقبه من «روى» وهو اسم اسرته الاصلى وكان يوحى بمعنى ملك «روا» إلى فولتير ، وبهذا الاسم المستعار لمع سريعاً فى عالم الأدب وما أن بلغ الثلاثين من العمر حتى أصبح نجماً دائماً فى صالونات باريس الأدبية .

ويبدو أن النبوغ المبكر أدار رأس فولتير ، وأوهمته مكانته الأدبية والاجتماعية بانه ند لأى عظيم فى البلد وذات يوم كان فولتير يتحدث على سجيته فى جلسة ضمت عدداً من ابناء الطبقة الراقية ، فامتعض الفارس النبيل دى روهان من سلوكه وتساءلفى استياء : من هذا الشاب الذى يتحدث بهذا الصوت المرتفع. ؟ فاجابه فولتير بانه شاعر وأديب وهذا يجعله كفؤا لأى فرد من عائلة دى روهان النبيلة ، فاستشاط الفارس النبيل غضباً من هذا الرد ،

مونتسكيو



جان جاك روسو



● النبوغ المبكر أدار رأسه .. وأوهمته مكانته الأدبية أنه نِدّ لأيّ عظيم

وبعد أن انتهى الحفل وخرج فولتير إلى الطريق التف به تابعو النبيل وأوسعوه ضرباً مبرحاً بينما كان الفارس دى روهان يشاهد المنظر من نافذة عربته ذات الستائر الحريرية ، فما كان من فولتير إلا أن تحداهُ للمبارزة ولكن الفارس عدَّ ذلك بمثابة اهانة أخرى وقال ان النبلاء - خاصة من أسرة دى روهان - لا يبارزون من هم أقل منهم منزلة ، وبدلا من ذلك حصل دى روهان على «أمر ادارى» آخر وزج بفولتير فى الباستيل مرة أخرى حيث قضى ستة أشهر !

وبعد اطلاق سراحه أمرته السلطات بمغادرة باريس فقرر أن يسافر إلى انجلترا جزيرة الحريات كما كان يسميها - حيث مكث بها ثلاث سنوات .

نقطة التحول

كانت فترة النفى فى انجلترا نقطة تحول فى حياة فولتير .. فقد غادر فرنسا شاعراً وعاد إليها حكيماً مفكراً .

ففى انجلترا تعرف فولتير على بولنجبروك وبيتر بورو وجوناثان سويفت ، ودرس بامعان أعمال نيوتن وهوبز ولوك وأعجب بالحرية النسبية التى يتمتع بها الكتاب الانجليز حيث لا يمكن الزج بهم فى السجون بأمر من أحد وأعجب فولتير باحترام الانجليز للنجاح الشخصى ، فان أى رجل ناجح فى انجلترا سواء كان اديباً أو تاجراً أو سياسياً كان يلقى معاملة النبلاء ويوضع فى مصاف ابناء اعرق الاسر ، كما أعجب بالدستور الانجليزى وبالتسامح الدينى والفكرى وبجمعية الكويكرز التى نشأت عن طائفة المتطهرين الانجليز . ولكن اعجابه بالأدب الانجليزى كان ضئيلا حتى انه وصف درة شكسبير الخالدة «هاملت» بانها «مجرد مسرحية بربرية فجة وضعها كاتب متوحش مخمور» !

وعندما عاد فولتير إلى فرنسا ألف كتابه «رسائل عن الانجليز» مفضلا فيه الديمقراطية الانجليزية على الاتوقراطية الفرنسية ، ولكن البرلمان



جوته



شكسبير

الفرنسى أمر باحراق الكتاب ، وعاش فولتير فترة من الوقت مهدداً بدخول الباستيل مرة ثالثة .

والواقع انه بالرغم من التصاق فولتير بالوسط الراقى إلا انه كان يضيق به ، فلم يكن هذا الوسط يغتفر لفولتير انه ليس نبيلا بالوراثة ، وعندما اقام فولتير فترة فى بلاط فرساى للاشراف على اخراج أوبرا «الاميرة دى نافار» التى قام بتأليفها لتمثل أمام الملك ، كتب إلى ابنة أخته مدام دينس يشكو «الضيق حتى الموت من الاقامة فى القصر ومحادثة العظماء» ، وكانت قد خصصت له حجرة صغيرة بالقرب من ثكنات الحرس .

وذات مساء - وقد جلسوا يلعبون الورق فى أحد صالونات القصر - سحب فولتير كرسياً وجلس خلف - المرأة التى كان معجبا بها - مدام دى شاتيليه التى اتخذت مكانها على مائدة اللعب الخاصة بالوزير الأول ريشيليو بين مجموعة من ألمع نجوم البلاط ، وكانت مدام دى شاتيليه مغرمة بلعب الورق فى حين كان فولتير لايطيقه ولا يستسيغ السهر إلى ساعة متأخرة من الليل والجلوس فى الغرف المتوترة الحارة ، كان فولتير يأمل أن ينتهى اللعب سريعاً ولكن الخسارة لازمت صديقته التى اصرت على الاستمرار لتعويض بعض خسارتها التى تجاوزت الثمانين الف جنيه ، وضاق فولتير كثيراً فهمس فى اذنها قائلا لماذا تصرين على الاستمرار فى اللعب مع هذه العصابة من الغشاشين ؟ ولكن همسته سمعت بوضوح ، وظهرت علامات الاستياء على وجوه الحاضرين ، فتأكد فولتير انه فى طريقه إلى الباستيل بمقتضى «امر ادارى» للمرة الثالثة فانسحب على الفور مع مدام دى شاتيليه حيث جمعا حاجاتهما الخفيفة وتسللا من القصر خلسة فى الليل ، واختفيا فى منطقة اللورين بالقرب من الحدود ليتمكنا من الهرب إلى الأراضى الالمانية لدى حدوث أى طارىء .

وعاد فولتير بعد أن هدأت العاصفة ليقيم إلى نهاية حياته مع ابنة اخته مدام دينس بضيعته «فيرنى» حيث عاش السنوات الثلاثين الباقية من عمره فى هدوء واستقرار وكان يتردد عليه فى ضيعته مشاهير الأدباء والشعراء والفنانين والسياسيين من جميع انحاء أوربا فينزلون فى ضيافته أياما واسابيع ، وكان هو سعيداً للغاية بكون منزله قد أصبح كعبة للمثقفين من كل انحاء أوربا.

وتحفل كتب التاريخ والأدب بالقضايا التى خاضها فولتير لنصرة المظلومين وكانها قضاياه الشخصية مما طير صيته فى كل أنحاء أوربا كمحام عام عن



الباستيل .

الحقوق الضائعة .

ولكننا هنا نكتفي بالاشارة إلى قضية واحدة لعلها أهم هذه القضايا وأشهرها وهي قضية جان كالاس التي بدأت وقائعها في تولوز عام ١٧٦٢ .

قضية جان كالاس

كانت تولوز مركزا للتعصب الكاثوليكي ضد البروتستنت منذ أيام مذبحة سان برثلميو التي أبيد فيها عشرات الالوف من البروتستنت وكان أهل تولوز يحتفلون بذكراها كل عام في صخب شديد ، ولم يكن يسمح لأي مواطن بروتستنتي في تولوز بأن يتقلد وظيفة رسمية أو يزاول أية مهمة شريفة كالطب والمحاماة والتدريس ، ولايسمح لأي بروتستنتي مهما كانت مكانته الاجتماعية بأن يستخدم خادماً كاثوليكياً .

في هذا الجو من التعصب الشديد كانت تعيش أسرة جان كالاس البروتستينية ، ولما كان كالاس رجلا صبوراً عاقلا لذا فقد استطاع أن يعيش في انسجام تام مع جيرانه الكاثوليك ، وحتى عندما تحول أحد ابنائه إلى الكاثوليكية لم يحاول كالاس أن يمنعه عن ذلك ولم يقطع علاقته به وانما أعلن على الملأ أن من حق ابنائه ان يختاروا الدين الذي يشاءون .

وكان لكالاس ابن آخر في الثامنة والعشرين مريض بداء الكآبة وسوداوية المزاج والجميع يعلمون ذلك فقد كان منطوياً دائما على نفسه وتعود أن يقوم بجولات طويلة وحيداً في الغابات ، واذا تكلم مع أحد فان موضوعه المفضل هو فضائل الانتحار .

وذات يوم عثر على هذا الابن مشنوقاً في احدى غرف المنزل ، ويبدو انه دخل الغرفة وخلع سترته ومعطفه وعلقهما بعناية ثم علق رقبته بعد ذلك في حبل مدلى من السقف . وعندما اكتشف الأب هذه الكارثة التي وقعت أثناء وجود ضيوف كثيرين في المنزل سلم أمره لله وقبل عزاء الضيوف، وبصفته رجلا عاقلا رفض أن يلقى أبنه معاملة المنتحرين المعتادة وكانت العادة قد جرت في تولوز على سحب جثة المنتحر عارية في الطرقات ثم تعليقها على أسوار المدينة لتنهشها النسور .

ولكن أهل تولوز الذين أعماهم التعصب ضد البروتستينية كان لهم رأى آخر ، فقد رفضوا أن يقتنعوا بأن ابن جان كالاس قد انتحر ، وصوروا الحادث بانه جريمة بشعة ارتكبها الأب ليمنع ابنه من التحول إلى الكاثوليكية ، وانتشر النبأ في كل مكان بالمدينة بان كالاس البروتستنتي المتوحش المتعطش للدماء شنق ابنه فلذة كبده بمجرد أن أبدى الشاب رغبته في العودة إلى الدين الصحيح ، واجتمع أهل المدينة وقرروا تشييع جنازة الابن المنتحر بكل هيبة واحترام .

وحاول البعض أن ينطقوا كلمة الحق وأن يشهدوا ببراءة الأب ولكن أصداءهم ذهبت سدى في هدير السخط على الأب الكافر القاسي ، ولم يحاول أحد بما في ذلك المحققون والقضاة أن يتساءل كيف أمكن لشيخ ضعيف في الثالثة والستين أن يشنق شاباً قوياً في الثامنة والعشرين دون أن يبدى هذا أية علامة على المقاومة ؟ أو كيف يمكن أن يقوم الأب بفعلته هذه النكراء في الوقت الذي يمتلىء بيته بالضيوف والزوار وقد شاهدوا بأنفسهم الابن المنتحر يدخل غرفته ويغلقها على نفسه ؟ أو لماذا يقتل كالاس ابناً يريد التحول إلى الكاثوليكية في حين ان أحد ابنائه الآخرين قد سبق إلى ذلك بالفعل وعلاقته به على ما يرام ؟ فمثل هذه التفاصيل التافهة كانت مما لا يلتفت إليه أحد ولا تغير من الأمر شيئاً .

والقت السلطات القبض على كالاس وأسرته وأودعوا السجن لمدة خمسة أشهر ، وأدخلت ابنتاه أحد الأديرة ، ثم بدأت اجراءات التحقيق مع الأب على نمط أساليب القرون الوسطى ، فأخذ إلى غرفة التعذيب وعلق في السقف من معصميه «حتى أصبحت قدماه على ارتفاع متر فوق الأرض» . ثم وضع على آلة الشد «حتى استطالت اطرافه جميعاً» ولكنه رفض أن يعترف بجريمة لم يرتكبها فارغم على ابتلاع كميات

قال عن "هاملت": إنها مسرحية فجّة وضعها كاتب متوحش !

كبيرة من الماء «حتى انتفخت بطنه كالبالون» ولكنه استمر على «عناد الشيطانى» فى رفض الاعتراف بالجريمة فامر قاضى التحقيق بنقله فى عربة المساجين إلى ساحة تنفيذ أحكام الاعدام

وهناك قام الجلاد بتكسير ذراعيه وساقيه فى عدة مواضع ، وبينما هو ملقى على الأرض بلا حراك كان القسس والمحققون يواصلون استجوابه وينهالون عليه باسئلتهم الحادة ، ولكن الرجل الفانى أصر بشجاعة خارقة على التمسك بأنه برىء ، وهى كلمة أخذت تردّدها شفتاه الواجفتان بلا انقطاع ، وأخيراً ضاق كبير القضاة بهذا الاصرار وتأكد انه أمام حالة ميئوس منها ، فاصدر الأمر بفصل رقبة كالاس عن جسده ! .

نشر الوثائق الأصلية

كان كالاس ابن ثالث فتى فتى صغير فى الخامسة عشرة من عمره ، استطاع أن ينجو من المصير الذى لقيته الأسرة ويهرب إلى سويسرا ، ومن هناك راح يتابع فولتير المشهور بالدفاع عن الحريات وحقوق الانسان برسائله المتكررة مطالباً اياه أن يبرىء اسم والده

وبدأ فولتير يبحث حالة جان كالاس بقدر كبير من التردد فهو أولا يستبعد أن يكون كل هؤلاء القضاة الاثنى عشر الذين حاكموا كالاس قد ارتكبوا جميعاً هذا الظلم الفادح وهو ثانياً كان يعرف جيداً أن العاصفة سوف تثور إذا جرؤ على اتهام السلطات القضائية فى تولوز بارتكاب جريمة قتل لاسيما أن الضحية واحد من هؤلاء الهوجنوت الملاعين ، وهو ثالثاً لا يتحمس كثيراً لهؤلاء الهوجوونوت بالفعل ليس لأنه كاثوليكى مخلص أو متعصب ولكن لأنهم يناصبونه العداء ويقاطعون مسرحه . ولكن رغم كل هذه الموانع الوجيهة أقدم فولتير على بحث الحالة بموضوعية متجردة ، وسرعان ما تبين له الحق ، وانه أمام حالة من الظلم الصارخ والاجرام الرهيب . وقد توصل فولتير إلى هذه النتيجة بعد أن قام بنفسه باستجواب عشرات الاشخاص ومستعيناً بالخبرة القضائية لبعض اصدقائه المحامين . وبعد هذا البحث المتأنى نشر فولتير كتيباً بعنوان «الوثائق الأصلية بخصوص أسرة كالاس» ضم شهادات وخطابات شهود العيان فى الحادث ، ثم قام بحملة ضخمة لاثارة الرأى العام ضد الظلم وانعدام ضمانات التحقيق حتى شعرت كل أسرة فى فرنسا — بغض النظر عن عقائدها ومكانتها الاجتماعية — انها معرضة كى تكون ضحية لمثل هذا الظلم الذى تعرضت له أسرة كالاس ، وناشد فولتير كل شخص أن يكتب للسلطات مطالباً باعادة التحقيق فى قضية كالاس،كما كتب هو شخصياً مئات الرسائل إلى كل الشخصيات البارزة فى فرنسا وأوربا يطالبهم برفع أصواتهم إلى جانب العدل فى قضية كالاس ، وتمكن من الحصول على تأييد اشخاص أقوياء منهم الوزير ريشيليو ومدام دى بومبادور بالاضافة إلى عدة ملوك أجنبية لدول أجنبية مثل كاترين امبراطورة روسيا وجورج الثالث ملك اجلترا واغسطس الثالث ملك بولندا وأخيراً وبعد حملة مستمرة ثلاث سنوات لم يسمح فولتير لنفسه فيها بالابتسام على حد تعبيره أعلن مجلس باريس نقض الحكم السابق وتأكيد براءة كالاس ، واتهم دافيد دى بودريه حاكم تولوز بانه المسئول عن الظلم الذى حاق بالاسرة وعزل من منصبه وانتحر بعد ذلك وخرجت ابنتا كالاس من الدير واعيدتا إلى أمهما .. وهما اللتان تقدمتا لتقبيل نعش فولتير عندما حمل إلى باريس لدفنه فى مقابر العظماء بعد قيام الثورة الفرنسية .

محمد العزب موسى

دعوة للفرح !



إذا صادف وتحدث انسان ما عن الحزن ، ثم أضاف كلمة ولو صغيرة تصفه وتضيف عليه بعض الأحاسيس ، فان من حوله سيطلقون عليه صفة التشاؤم .!؟

واذا ما انفرجت اساريره لفرح واقع أو لفرح قادم وبوادر أمل مشرق ، وصفه الناس بالمتفائل .!؟

(انا حزين اذن انا موجود) ! هذه العبارة باتت تنسحب على رأى الاغلبية من الناس ، ومع وقوع الاحزان وانفتاح نوافذها فان هذا اضاف اثباتاً جديداً لاقوالهم ، صحيح ان هذا الزمن مليء بالحزن ، إنما يجب أن يظل للامل المكان فى قلوبنا ، يجب ان نتوقع الفرح دائماً ، ونعد لايام كلها اشراق وحيوية !

مجرد رأى يقول بأن يبدأ كل واحد منا بنفسه ، يرسي دعائم بناء جديد يضفى على حياته حيوية ونشاطاً ، هذا البناء وليكن دعوة للفرح ، يبدأ بخطوات اولها ، ادراك خبايا النفوس وآمالها ، ثم رسم الطريق بثقة وامل وتفاؤل ، وبالتالى نعطى اضاءة مشرقة فى ثنايا اعماقنا فنلتقى مع الآخرين كمجموعة كبرى تضيء بالفرح ومواقفه ، ومن ثم يصبح للحياة لونها الخاص المتميز .!؟

فخري أبو السعود

التفاؤل.. والتشاؤم في الأدبين العربي والانجليزي

فى هذا الباب تقدم الدوحة كل شهر اثراً من آثار تراثنا العربى المعاصر ، وهو تراث غني مليء بالفكر والرأى والثقافة والوعى والتجربة ، ومن الضرورى اعادة هذا التراث ، الى الضوء من جديد ، وهذا مقال كتبه الشاعر الناقد المرحوم فخرى أبو السعود سنة ١٩٣٧ :

حب الحياة كائن فى طبيعة كل حى ، والرضى بها والاطمئنان اليها والاقبال عليها شيمة جميع الأحياء مادامت بنياتهم صحيحة وحاجاتهم حاضرة ، والمرح واللعب غايتهم الأخيرة مادامت غرائزهم مقضية اللبانات مشبعة المطالب . ولما كان الانسان يمتاز بالخيال والفكر فان له مطالب نفسية غير مطالب جسده الغريزية ، يرضى ويرتاح اذا قضاها ، ويقنط ويكتئب اذا اخطاها ، وليس يشكو الحى أو يالم ، وليس يسخط الانسان أو ينقم ، إلا أن يغدو وهو سقيم الجسم أو محروم الغريزة أو ممنوع المطالب . فحب الحياة والاقبال عليها والرضى عنها هى الحال الطبيعية العادية . وذم الحياة والعزوف عنها والسخط عليها حال طارئة استثنائية ، نتيجة لامتناع وسائلها وعدم مواتاة أسبابها .

فالمتشائمون قوم قست الحياة عليهم فحرمتهم قليلا أو كثيراً مما حبت به سواهم ، فثاروا عليها وكالوا لها قسوة بقسوة ، وجزوها على حيفها بمرير الذم والتفنيد ، فلسنا نرى المتشائمين الزارين على الحياة والأحياء رجلا صحيح البدن معتدل المزاج مجدوداً واثقاً بنفسه ، بل كلهم ممن أكسبتهم الوراثة والنشأة أجساماً معتلة أو أعصاباً مختلة ، أو ألحت عليهم الخطوب فحطمت مساعيهم أو اقتنعوا بعجزهم عن مصاولة الأحياء فى ميدان الحياة ، فاورثهم ذلك حساً مرهفاً متيقظاً الى مواطن الشر والقسوة والنقص فى الحياة ، فقعدوا يبرون لها وللمقبلين عليها السهام .

وفى الحياة مواطن للنقص لا تحصى يهتدى اليها الناقمون عليها بلا عناء ، وهى تعرض مثالبها عليهم وتضع أصابعهم على نقائصها ، بيد أن المتفائل المعافى الجسم الناجع المسعى قلما يلتفت الى تلك المساوىء ، واذا التفت اليهافبرهة قصيرة ياسى فيها ويعتبر ، ثم يعود الى ما كان فيه من استمراء لمتعات الحياة واجتلاء لمفاتنها ، متعزياً بهذه المفاتن والمتعات عن تلك النقائص والمقابح ، باذلا جهده لتوفير السعادة لنفسه ولمن حوله ، ومحو ما يستطيع من أسباب الشقاء ، على حين يظل المتشائم أمام ما يروعه من مساوىء الحياة قائماً ، لا يريد أن يحول بصره الى سواها ، بل يهول المساوىء كما يسول له حسه المرهف وخياله المغرق .

والأدباء وغيرهم من رجال الفنون عادة أرهف حساً وأبعد خيالا ممن عداهم ، وما من أديب إلا تتجسم له مقابح الحياة جهمة مقززة فى فترة من فترات حياته ، فتعافها نفسه ، وينقم عليها وعلى نفسه وعلى الأحياء جميعاً ، فاما من كان متفائلا بطبعه معتزاً بنفسه واثقاً من قدرته على خوض وغى الحياة ، فسرعان ما يخرج من تلك الغمة وتنتصر فيه دفعة الحياة القاهرة فيلتفت الى ما بالحياة من مباهج بجانب ما بها من مآسى ، ويطلب العزاء ببعض تلك عن بعض هذه ، ويستن لنفسه مثلا اعلى جديداً فى الحياة ، وأما المتشائم المحس بوطاة الحياة الثقيلة على جسمه المتعب وأعصابه المنهوكة ونفسه الخائرة ، فيرفض كل عزاء ويابى كل ايمان ويسخر من كل مثل أعلى .

الأول يرضى والثانى يرفض

فالفرق الرئيسى بين المتفائل والمتشائم هو أن الأول يرضى العزاء والثانى يرفضه والأول يؤمن بمثل أعلى والثانى يابى الايمان بشىء ، فالمتشائم يرفض الدين فيما يرفض ، فالتشاؤم والدين ضدان لا يلتقيان ، التشاؤم إزراء بالحياة وانكار لجدواها وتحقير لأبنائها والدين يبشر بجدوى الحياة الصالحة ويبث العزاء فى النفوس عن آلام الحياة . وما كانت الديانات الأولى كديانات المصريين والفرس إلا محاولة حاول بها الانسان أن يفسر ما راعه من تحاور قوى الخير والشر فى الحياة ، وأن يتعزى بجانب الخير عن جانب الشر منها ، والتشاؤم هو فقد الايمان بالحياة ورفض العزاء عن شرورها ، فالتشاؤم والدين نقيضان ، ولا ترى متشائماً إلا يسر الانكار للدين أو يعلنه ، ولا مؤمناً معتصماً بدينه قد هوى فى لهوات التشاؤم .

وليس فقد الايمان بالحياة ومثلها العليا — أو التشاؤم — ينتهى بصاحبه فى كل حالة الى الاسراف فى رفضها واعتزالها ، بل هو ربما أدى الى إسراف مناقض لهذا : إسراف فى انتهاب لذاتها القريبة واشباع الغرائز النهمة منها ، تناسياً لمنغصاتها وتخلصاً من لذعات

التفكير فى نقائصها ، فالمتشائمون المعتزلون للحياة الناقمون على الأحياء الساخرون من المجتمع ، والمتشائمون المستهترون باللذات المتهكمون بتقاليد المجتمع واخلاقه ، الخارجون على عرفه المصادمون له فى عقائده ، أولئك وهؤلاء سيان فى التشاؤم ورفض الايمان والعزاء النفسى ، أو قل هما طرفان متباعدان بينهما الوسط الذى يحتله المتفائلون الراضون بالحياة على علاتها المتسلون بنعائمها عن بأسائها فى قصد واعتدال ، المتشبثون ببعض مثلها العليا .

على أن المتشائمين انفسهم لا يخلون من عزاء وإن توهموا سوى ذلك ، واشدهم إمعاناً فى التشاؤم لا ينضب من نفسه حب الحياة ، وعزاء أكثرهم هو ذلك الفن الذى يزاولونه ، هو أدبهم الذى يودعونه فلسفتهم المتشائمة وخطراتهم القاتمة ، ففى كتابة أفكارهم تلك راحة لنفوسهم المعذبة وشفاء لغرائزهم الظامئة ، ولولا أنهم مايزالون يحبون الحياة فى صميم افئدتهم ، على رغم اعلانهم الحرب عليها لما لبثوا بساحتها ، ولو أنهم يزدرونها ويزدرون أبناءها بقدر ما يزعمون ، لما حفلوا بتدوين آرائهم وعرض تلك الآراء على أبنائها ، ففلسفتهم المتشائمة تناقض نفسها بنفسها .

فاذا كانت فلسفة تصدق أو نفسير للحياة يقبل ، فليست فلسفة المتشائمين بالتى ترجح وتفسر الحياة ، وليست رسالتهم التى يؤدونها الى الانسانية بالتى تقبل ، لأن فلسفتهم كما تقدم تناقض نفسها ، وتناقض طبيعة الحياة التى بثت حبها فى جبلات أبنائها ، ومهدت من متعاتها ما يرجح شوائبها ، وزودت بنيها بالسلاح اللازم لهيجائها . ليست فلسفة المتشائمين بالمقبولة فى جملتها وان احتوت فى أطوائها من صائب النظرات وبديع اللفتات وآثار الفكاهة والسخر والوصف والتحليل ما يمتاز به أصحاب ذلك المزاج ، وما يهديهم اليه حسهم المرهف المستوفز وخيالهم المتيقظ المسترسل .

فلسفاتهم متماثلة

وفلسفات المتشائمين فى مختلف الأمم والأجيال متماثلة ، ومواضيعهم متقاربة : إسهاب فى شرح مظاهر تنازع البقاء ، وأطناب فى ذكر لؤم الطباع فى الأحياء وفى الانسان خاصة ، واصرار على تذكر الموت وكرور الزمن وحلول البلى ، وتهويل لضعف الانسان ازاء جبروت القدر ، وتصوير لنفاق المجتمع وجور انظمته ، وتحقير للمراة وموازنة بينها وبين الحياة ، وآراؤهم فى كل ذلك مردها الى اضطراب تكوينهم وتزعزع ثقتهم وحزمانهم من شتى مطالب الحياة ، ففلسفة المتشائمين لا تدلنا على حقائق الحياة والكون ، بمقدار ما تدلنا على نفوس أصحابها وأمزجتهم وعوامل تكوين اذهانهم .

فهم يجزعون لمرأى تنازع البقاء لاحساسهم بانهم عزل ضعفاء ، وينحون على المجتمع بقوارع الكلم لانهم عاجزون عن الانغمار فيه ونيل الحظوة والصدارة به ، ويذكرون الناس بالموت والدثور لان الناس يتمتعون دونهم بالطيبات ، فهم يسلون انفسهم بتكرار القول بان تلك الطيبات عما قليل ذاهبه ، ويخوفون الناس بجبروت القدر لان غيرهم يتمتعون بالقوة والاقتدار فهم يلوحون امام اعينهم بالقدر الذى يتلاعب بهم ويضحك من تدبيرهم ، ويرمون المراة بالغدر والتقلب لأنها تفى لغيرهم ، ويجاهرونها بازدرائهم إياها لانهم يسرون الاحساس بازدرائها اياهم واعراضها عنهم .

ولما كان مرد المزاج السوداوى المتشائم الى عوامل فردية محض ، من وراثة او بيئة ، يظهر المتشائمون فى شتى الأمم والأجيال متفرقين لا اتصال بينهم من مدرسة أو مذهب ، على ان مسحة التشاؤم تطغى عادة فى آداب عصور الادبار السياسى والضيق الاقتصادى والفوضى الخلقية ، فيسود الشك والرفض والتهكم المرير ، كما كان الشأن فى الأدب الروسى تحت الحكم القيصرى ، كما أن صبغة الايمان والبشر والتفاؤل فى عصور الرخاء والنجاح والمغامرة وهى الصبغة التى سادت الأدب الاغريقى فى عصره الذهبى عقب الانتصار على الفرس . فلما تلا ذلك عهد الادبار ظهر السخر والشك ومذاهب الرفض والاعتزال من جهة ، ومذاهب الاستهتار والاباحية من جهة اخرى .

ولعل أشد أدباء الانجليزية نكيراً على الانسان وتهكماً بمساعيه وتهويناً لشانه هو جوناثان سويفت ، وهو أديب نشأ نشأة ضنكة مقلقلة ، ولازمه داء فى أذنه جشمه آلاماً مبرحة ومازال حتى طغى على عقله فى أواخر حياته ، وحالف الاخفاق مطامحه السياسية وصاحب النحس غرامه ، فلم يبق له إلا الانزواء فى عزلته ببعض بلدان أرلنده ، وإلا أن يقول لبعض اصحابه انه يمقت ذلك الحيوان المسمى الانسان من أعماق قلبه وما ذاك إلا لما كابد من عنت الظروف والأمراض ولدد الخصومات وقصص الاخفاق ، وهو الذى كان فيما عدا ذلك من أوفى الناس عهداً واصفاهم وداً ، وهو الذى عطف على الارلنديين ودافع عنهم على حين ناصبهم من قبل ذلك مواطنه وزميله فى حرفة الأدب إدموند سبنسر . وكتاب سويفت «رحلات جليفر» على ما به من سلاسة وفكاهة وبراعة تصوير ، مملوء بالسخر المرير من الانسانية .

وزعيم التشاؤم فى العصر الحديث توماس هاردى ، الذى كانت اشباح الموت والبلى والقدر لا تبرح ناظريه ، وكان لا يمل تكرار موضوعه الوحيد فى شتى قصائده وقصصه : موضوع ضعف الانسان وقلة حيلته وعبث مسعاه ، حيال ضربات القدر الأعمى ، ودوران رحى الزمن الطحون ، فكان دائباً يتفنن فى اختراع المواقف المفجعة والظروف المنحوسة ، يتخذ مشاهدها فى المقابر والبرارى وفى الأيام الداجنة الكالحة ، ويطيف أشخاص روايته بين الموتى ، وينطق الموتى فى أشعاره . ويغالى فى تصوير فجائع الحب : بين الغر والسلو والنسيان والغيرة وجفاف الجمال ، فاشعاره لا تكاد تنتقل بك من غمة إلا الى غمة ولا من محنة للانسان إلا الى انتصار وحشى للأقدار عليه .

ومعاصره أو خليفته فى هذه النظرة المتشائمة الى نصيب الانسانية فى الحياة هو هاوسمان ، الذى كان يحاكيه كثيراً فى اختيار مواضيعه وطريقة معالجتها واجرائه الحديث فيها بين الأحياء والأموات . ومن نماذج ذلك الضرب من شعر التشاؤم قوله : «أما برحت خيلى تحرث الأرض كعهدى بها ، إذ انا حى أسوقها وأسمع صليل شكائمها — بلى ماتزال تنقل خطاها وشكائمها تصل ، ولم يتغير شىء برغم أنك قد رقدت تحت الأرض التى كنت من قبل تحرثها — أو ماتزال الكرة تترامى ويتسابق خلفها الرفاق على شاطىء النهر ، وان آك لا أستطيع اليوم نهوضاً ؟ — نعم تترامى الكرة بينهم وكلهم باذل فى اللعب جهده ، وذلك مرماهم قائماً وحارسه لا ينى — وفتاتى التى شق علي

التفاؤل .. والتشاؤم

في الأدبين العربي والانجليزي

فراقها ، أسئمت البكاء واستطابت طعم الغمض ؟ نعم هى ناعمة فى خدرها ، فنم أنت وقر - وهل صديقى صحيح معافى وقد نحلت أنا وبليت ؟ - وهل وجد بعد فراشى فراشاً وثيراً ؟ أجل أنا يا صاح لي ضجعة كاروح ما يشتهيه الفتى :
سلى حبيبة رجل قضى ، ولا تسالنى حبيبة من» .

ومن أمثلة الوراثة المختلفة والمزاج السوداوى فى تاريخ الأدب الانجليزى كوبر وبيرون كلاهما كان مضطرب التكوين اضطراباً أدى الى ظهور الغرابة فى مسلكيهما وأدبيهما . على أنهما رغم اتفاقهما فى ذلك كانا يختلفان ثقة بالنفس : كان أولهما ضعيفاً متناهياً فى الخجل وكان الثانى مفرطاً فى الزهو والاعتداد بمواهبه ونسبه ، فقنع كوبر بحياة العزلة ولم يعلن على الناس حرباً وإن ظهرت أعراض التشاؤم فى كثير من شعره ، أما بيرون فصادم المجتمع بمسلكه الخلقى كما هاجمه فى شعره ، ولما لفظه المجتمع الانجليزى زاد عتواً وجراة ، وتحدياً لخصومه وتشفياً من مؤيدى النظم الاجتماعية التى كان يمقتها . هذا فضلا عما حفلت به آثاره عامة من تصوير لضعف الانسان وقصر مدته وعبث جهوده .



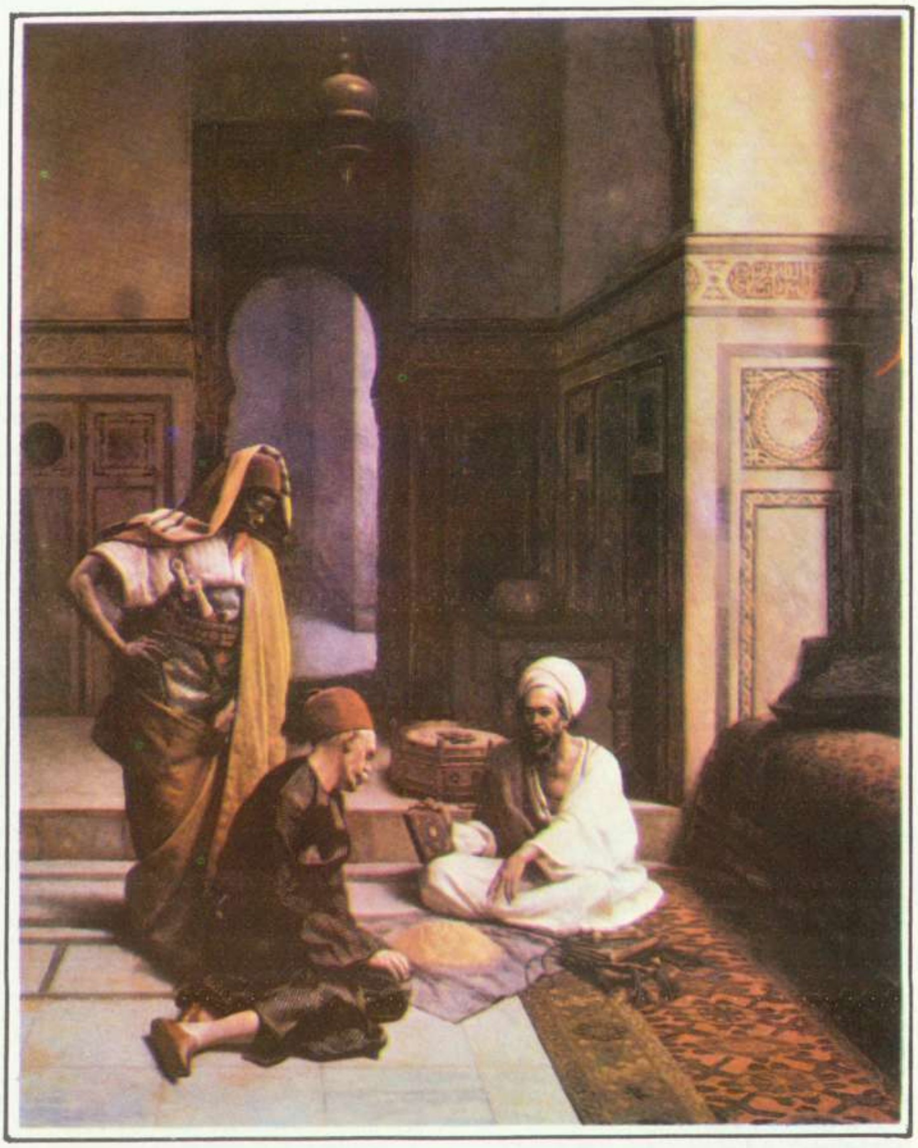
المعرى متشائماً

ورمز التشاؤم فى العربية هو ولا شك المعرى ، الذى اجتمع عليه من أسباب التشاؤم ما لم يجتمع على غيره : من اعتلال التكوين الجسمى ، واختلال الصحة ، والحرمان من شتى اللذات ، واضطراب العصر الذى عاش فيه ، فجاءت فلسفته مثالا نادراً لفلسفات المفكرين المتشائمين : حقر الانسان . وأنذر ببطش القدر ، وذكر بالموت ، وشك فى الدين ، وأزرى بالمرأة ، وندد بالمجتمع . وفند الحكام ، وأطنب فى تنازع البقاء ، ورثى مع ذلك الانسان ورأف بالحيوان ، وضاق بنفسه كما ضاق بغيره وحرم على نفسه اللذات وعاش نباتياً ومات عزباً لم يجن على أحد وعبر عن نظراته النافذة الحكيمة التى سبق بها عصره ، تعبيراً شعرياً عربياً جزلا ممتعاً ، وكان صادقاً صريحاً : اعترف بأنه لم يختر تلك الحياة الضنكة إلا لأن سواها قد شاه فهو القائل .

ولم أرغب عن اللـــــذات إلا
لأن خيارهـــا عنى خنســـــه

فقد كان لدقة حسه شديد الحرص على كرامته ، شديد التوقى لمواطن السخر والزراية ، فكان ذلك حائلا بينه وبين ما تصبو اليه غرائزه من متعات ، وكانت حياته معركة طويلة قائمة داخل نفسه ، بين الرغبة فى الاستمتاع بطيبات الحياة والاصرار على رفضها لاستعصاء سبلها على الكفيف المجدور ، الا أن يبيح كرامته ويهدر حياءه وما اطار خياله الى طيبات الفردوس إلا حرمانه من طيبات الحياة وطول نزوع نفسه اليها . وما كان وصفه لمتعات الخلد إلا إرضاء لشهواته المخمدة تحت رماد التوقر والتقشف . وما كان تاليفه رسالة الغفران أو اتخاذه الخلد مسرحاً لها إلا تنفيساً عن مكتوم نوازعه ، وبفضل هذه النوازع المكبوتة خلف المعرى الكفيف أثراً من آثار الخيال فريداً فى اللغة . كان المبصرون من أدباء العربية منصرفين عن مثله .

والمعرى نسيج وحده فى التشاؤم فى العربية ، يرفع راية الرفض للحياة والاعتزال لها والازراء عليها ، ويمارس فى حياته ما ينادى به فى أشعاره ، ولا ينضوى تحت تلك الراية سواه : إنما كانت غالبية المتشائمين فى العربية الذين نبذوا الايمان ورفضوا العزاء وهانت عليهم الحياة فلم يجدوها أهلا لسعى ولا لحفاوة ، هم طائفة من المتشائمين المستهترين ، الذين ظهروا حين طغت تيارات الترف والمادية



قارىء الحظ .. لوحة عالمية من الشرق

والشكوك ، على المجتمع والعقائد فى العهد العباسى كبشار وأصحابه ، وأبى نواس واترابه ، أولئك ساقهم تفكيرهم الى تصغير الحياة وما يقدس الناس من مثلها العليا ، فلم ينبذوا الحياة جملة بل راحوا يطفئون غليل نفوسهم المتحرقة فى لذات الحياة الدنيا ، ويشبعون غرائزهم الحيوانية متهكمين بما عدا ذلك مما يسميه المجتمع فضائل وعظائم وعقائد . وأبو نواس هو القائل :

وما هناتك الملاهـــــــــي بمثل
إماتة مجـــــــد وإحياء عـــــار

والقائل :

قلت والكاس على كفى تهوى لا لتثامى
أنا لا أعرف ذاك اليوم فى ذاك الزحام

وإنما حرضهم على سلوك تلك السبيل ما كان يسود عصرهم من حرية تقرب من الاباحية ، وما كان يسود المجتمع العربى دائماً من صراحة لا نظير لها فى المجتمع الانجليزى ، حيث التقاليد الاجتماعية شديدة الصرامة ، فعلى حين كان يتاتى لبشار وأبى نواس واضرابهما ان يباشروا وهم معافون حياة الاستهتار التى باشروها ، ويتهكموا بعقائد غيرهم ما شاءوا ، ويترنموا بمخازيهم شعراً ، نرى بيرون لم يجر الى مداهم يلفظ من المجتمع الانجليزى الذي بجله من قبل لشعره وحسبه .

وحياة المعرى وبشار موضع لموازنة ممتعة : كلاهما عاش كفيفاً ، أى مكفوفاً الى مدى بعيد عن كثير من مسرات الحياة ومتعات المبصرين ، فخلقت فيهما تلك الحال وحشة وشذوذاً وزراية على الحياة والأحياء ، ولكن المعرى كان دقيق الحس مرهف الأعصاب ضعيف البنية ، فنفض يده من الحياة ونجا بالسلامة والكرامة ، وبشار كان مفرط الجسد متنزى الحيوانية مضطرم الشهوة فاكب على اشباع شهواته مستهدفاً لزراية الآخرين وتهكمهم ، وشهر عليهم سوط لسانه المقذع ، كما يشرع السبع المنهمك فى تمزيق فريسته مخلبه لذب غيره من السباع عنها .

• • •

تلك مظاهر التشاؤم ، أو فقه الايمان بسمو الحياة والعزاء النفسى عن شوائبها ، فى الأدبين العربى والانجليزى ، وفيما عدا ذلك كان أقطاب الأدبين — لما يتدفق فى شرايينهم وشرايين أمتهم من دفعة الحياة — متفائلين متشبثين بأهداب المثل العليا التى ترضاها لهم طبائعهم وبيئاتهم ، يغبر لهم وجه الحياة حيناً فيبدو أثر ذلك عابثاً فى آثارهم ، ثم يجنحون الى التعزى والايمان : فملتون فى الانجليزية مثلا على فرط ما لاقى من خذلان فى حياته الفردية والعامة وما حل به من فقدان البصر ، ظل وطيد الايمان متطلباً للعزاء الى منتهى حياته ، وكتب ملاحمه فى أواخر ايامه طلباً للترفيه عن نفسه ولكى «يبرر للناس أعمال الله» ، والمتنبى فى العربية رغم ما أصاب من اخفاق متوال فى مطلب حياته الأسمى ، الذى «جل أن يسمى» ورغم ما كابد من حسد وكيد وعداوة ، وما صب على الناس من قوارص كلمه ، ظل أبداً «من نفسه الكبيرة فى جيش وفى كبرياء ذى سلطان» متدرعاً متأهباً للجلاد .

وان يكن هناك مجال للمقابلة ، فالأدب العربى لا شك أكثر اصطباغاً بالتفاؤل والايمان على كثرة ما به من الشكوى ، والأدب الانجليزى أحفل منه بآثار التشاؤم ، ولاسيما فى العصور الحديثة التى زادت الحياة فيها تعقيداً ووطأة ، وإنما يبث ذلك التفاؤل فى المجتمع والأدب العربيين أمران : صحو الجو الذى يعدل المزاج ويبعث البشر والطلاقة والدين الاسلامى الذى يبث الايمان فى النفوس ويحض على اجتلاء متعات الحياة التى أحل الله ، والذى هو كما تقدم القول أكثر تغلغلا فى سرائر معتنقيه ، وشمولا لجوانب حياتهم من غيره من الأديان .

فخرى أبو السعود

د. عبد المنعم عاشور

الصداع النفسي

هذا المرض العصري



قلة فرص الراحة والاسترخاء من أسباب الصداع النفسى .



توتر مفاجىء

هذا الاحساس المزعج الذى يداهمك ويتم التعبير عنه من خلال الجهاز العصبى والنفسى ، ما هى حكايته وأسبابه النفسية ، وما نوع البيئة التى ينتشر فيها هذا المرض ، وهل هو مرض قديم أم مرض معاصر ، كل ذلك وغيره يجعلنا مطالبين بان نجيب على كل الأسئلة التى تدور حول الصداع النفسى كمرض من أهم أمراض العصر ..

وبداية فان الرأس أو الدماغ – كما نعرف – منطقة متسعة من الجسم ، تحتوى على اعضاء كثيرة مثل العيون والآذان والمخ وعظام الجمجمة وعضلات الوجه ، إلا أنه من المصطلح أن نسمى كل ألم يصدر من هذه الأعضاء بالصداع .. وقد اكتشف الانسان بعض أسباب هذا الصداع فى أعراض ظاهرة مثل الضرس المتآكل أو قصر النظر أو التهاب الجيوب الأنفية .. وفى مثل هذه الأعراض لا يسبب الصداع مشكلة لأنه يختفى بعلاج هذه الأسباب الظاهرة ..

أما إذا أصيب الانسان بصداع لا يوجد له سبب ظاهر ، فان الطبيب يصنف هذا الصداع تحت اسم : الصداع النفسى !

أدوات التوتر

ولكن هل معنى ذلك أن الصداع النفسى شكوى وهمية بلا أساس ؟ .. وهل من حقنا أن نطلق على المصاب بالصداع النفسى صفة الكذب او الخداع او التمارض ؟ .. وكيف نعالج صداعاً لا نعرف أسبابه ؟ ..

الواقع أن الطب النفسى والعصبى تصدى للاجابة على هذه الأسئلة مستخدماً المناهج العلمية السليمة وتوصل الى بعض النتائج التى يقول بعضها ان : هناك أعضاء فى الدماغ ، وبالذات فى عضلات الرقبة والجبهة والوجه ، تعتبر مصدراً للصداع نتيجة لتوترها الشديد لمدة طويلة ، وهذه العضلات تعتبر من أدوات التعبير الوجدانى ولذلك فهى دائمة التوتر ، كما أن توتر هذه العضلات مسئول عن الصداع الذى يحس به كل منا بعد فترة من الانفعال الشديد ، وغالباً ما يتبدد هذا الصداع بعد فترة من الاسترخاء أو النوم ..

وقد يصبح هذا النوع الناشىء عن توتر العضلات مشكلة فى الأشخاص الدائمى الانفعال ، الذين لا يجدون وقتاً للاسترخاء وتبديد التوتر .. ومن الواضح أن هؤلاء الناس يتزايدون بصفة مستمرة فى مجتمعاتنا المعاصرة التى تتسم بالانفعال الدائم واليقظة العالية وقلة فرص الراحة والاسترخاء !

وعندما حل الطب النفسى لغز هذه المجموعة من أسباب الصداع ، أمكن للأطباء مساعدة المرضى بهذا النوع من الصداع بطرق مختلفة ، تشترك جميعها فى تنظيم توتر العضلات .. فعلى المستوى الوقائى ينصح الطب النفسى الناس بأن يسمحوا للتوتر العضلى والوجدانى الذى يتراكم باستمرار ، بفرصة دورية للتبرد والاسترخاء ، ويستعان فى ذلك بتمرينات معينة للاسترخاء والهروب المنتظم الى المناطق الهادئة والخضراء والتأمل الروحى والصلوات ..

وعلى المستوى العلاجى يمكن التغلب بسرعة على هذا الصداع ببعض العقاقير وبعض التمرينات والتدليك والعلاج النفسى الذى يرفع من قدرة المريض على احتمال الألم .

● المصابون بالصداع النفسي .. هل هم كاذبون أو متمارضون ؟!
● ثورة حديثة في طب الصداع .. بعد أن اكتشف الأطباء كيمياء الألم
● هناك درجة من السيطرة يمكن أن يمارسها الإنسان ضد الصداع
● تدريب مرضى الصداع لإزالة الألم .. بالطرق النفسية



هموم تؤدى الى القلق والحرمان من النوم .

الهرمونات العصبية

وقد اكتشف الطب مجموعة اخرى من الصداع تنشا من تقلص وتمدد مفاجىء ووقتى وعابر بشرايين الدماغ ، واتضح أن هذا التمدد العابر ما هو إلا نتيجة لارتفاع بعض الهرمونات العصبية بالدم وهو يختفى دائماً بعد فترة استهلاك هذه الهرمونات ..

وقد توصل الطب الى عقاقير مضادة لعمل هذه الهرمونات ، تفسد مفعولها، وتجهض نوبات الصداع الناشىء عنها . كما أمكن للطبيب أن يحدد المريض بهذا النوع من الصداع ، وبالتالى يصف له الأدوية المناسبة ، وبذلك تم حل لغز مجموعة أخرى من مرضى الصداع النفسى الغامض .

الأفيونات الطبيعية

وعندما تكشفت للطب حديثاً اسرار كيمياء الألم حدثت ثورة جديدة فى طب الصداع ، فمثلا ثبت وجود ما يسمى «بالأفيون الطبيعى» فى الجهاز العصبى للانسان والحيوان .. والأفيون الطبيعى مادة مسئولة عن حماية الانسان من الالام والصداع ، وقد رزق الله بها عباده من الحيوان والبشر بدرجات متفاوتة ، واتضح إنها موجودة بكثرة فى الجمل والفيل ولذلك عرف عنهما الاحتمال الشديد للألم ، اما البشر فانهم يختلفون — فيما بينهم — فى درجة ما حباهم الله به من الأفيون الطبيعى ، فبعضهم احتماله مرتفع للألم لارتفاع نسبة ما يحتويه جهازه العصبى من الأفيونات الطبيعية ، وقليل من الناس حرمهم الله من كمية معقولة من الأفيون الطبيعى فاصبحوا نهباً للآلام ..

وإذا ما تاملنا هذه الفئة القليلة لوجدنا فيها ظاهرة واضحة تتلخص فى أن الاحساسات العادية بالألم لديها تكون مضخمة ومكبرة وتتجاوز حدود الاحتمال ، ولذلك فانه يجرى البحث اليوم على قدم وساق لحل مشكلة هذه الأقلية بتنشيط القليل لديهم من الأفيونات الطبيعية .. وفى اتجاه آخر يحاول الطب أن يكتشف لهم عقاقير بديلة تقترب في تركيبها من الأفيون الطبيعى .

بوابات الألم

وفى تقدم آخر لفهم طبيعة عمليات الشعور بالألم والصداع وضع الاطباء أيديهم على مفتاح جديد .. فعند عبور الألم من مصادره الأولية فى أعضاء الجسم الى المراكز العليا فى الجهاز العصبى يمر الألم او الصداع ببوابات متعددة .. وهذه البوابات تسمح باقدار متفاوتة من الألم حسب اتساعها ، فاذا كانت مغلقة خف الصداع او الألم ، وإذا كانت مفتوحة على مصراعيها زاد الصداع !

ويتحكم فى فتح هذه البوابات وغلقها أنظمة مراقبة وتقدير داخلية تراعى مصلحة الانسان ككل ، فمثلا نفتح بوابات الألم على مصاريعها للألم الذى يهدد حياة الانسان — مثل الذبحة الصدرية — أو التى تتطلب اجراء سريعاً !

وهناك درجة من السيطرة يمكن أن يمارسها الانسان على بوابات الألم لديه ، ومن الأمثلة الصارخة التى يمكننا أن نقدمها فى ذلك المجال ، ما يقوم به فقراء الهنود عند المشى على المسامير ، وما يقوم به الجنود فى المعارك ، وكل انسان طبيعى فى لحظات معينة .

وقد حاول الأطباء النفسيون ونجحوا فى تدريب مرضى الصداع وغيره من الآلام عن طريق التحكم فى بوابات الألم لديهم بطرق نفسية واصبح ذلك التحكم من المجالات المفتوحة والمتسعة للسيطرة على الصداع النفسى .

الحرمان من النوم

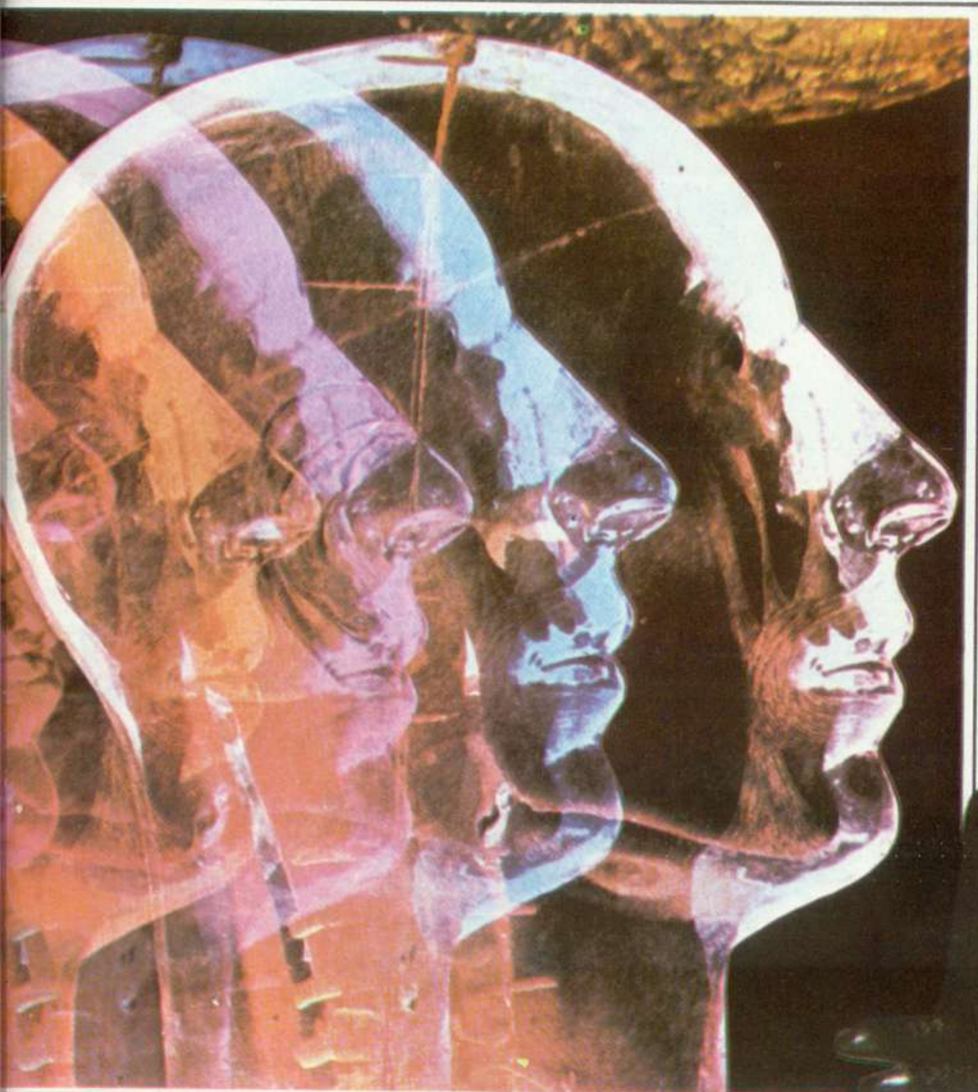
والواقع اننى التقيت فى حياتى بامثلة ونماذج عديدة لمرضى الصداع النفسى ..

وجاءنى رجل فى الأربعين من عمره ،

الصداع النفسي

هذا المرض العصري





لوحة عالمية تصور فيها الفنان مشكلة الصداع النفسى فى هذا العصر المليء بالصخب .

متعدد المواهب والوظائف ، ويومه عبارة عن طاقة مستمرة من العمل ، فهو فى الصباح محام يتنقل بين المحاكم ، وبعد الظهر كاتب مبدع خلاق ، وفى المساء فنان فى التليفزيون .. قال لي ان الصداع عنده يبدأ فى الثامنة مساء ، ويزداد بالتدريج الى أن يحرمه من النوم الطبيعى عند منتصف الليل ، فى وقت يكون فيه مجهداً وأشد حاجة الى الراحة بعد أن أجهد ذهنه وخمدت حواسه وتقلصت عضلاته !

وبالطبع ، كان من السهل عليه أن يفهم مصدر صداعه ، ولكن كان من الصعب عليه أن يزيل الأسباب .. فانغماسه الدائم فى العمل المستمر المتوتر أصبح يعكس هذا النسيج المتشابك من الظروف النفسية والاجتماعية ..

وقد طلب منى أن أصف له عقاراً يفك هذا التوتر كل مساء لكى يذيب الصداع ويتمكن من النوم ، فافهمته خطورة هذا الحل الساذج الناقص ، لأنه من الخطورة استعمال عقار مزيل للتوتر بصفة دائمة ، فهناك شبح الادمان والاعتماد على العقاقير ، كما افهمته أن الصداع فى حالته جرس إنذار ينبه الى أن أجهزته محملة فوق طاقتها بالتوتر المستمر .

وكان من الطبيعى أن يستمع لصوت الحكمة وأن يخفف من أحماله قبل أن ينهار تحت ثقلها !

من هنا بدأ الحوار يأخذ طريقاً سليماً ادى به الى إعادة تنظيم حياته النفسية والاجتماعية ، وزال الصداع .

والحالة الثانية التى التقيت بها كانت لسيدة فى السادسة والعشرين ، رقيقة كالنسيم ، زوجة لرجل ناجح ، طيبة القلب وأم لطفلين ، ولا ينقصها شىء على حد تعبيرها .. قالت لي بان الصداع يفاجئها فى عز النوم ، فتهب مستيقظة تمسك رأسها بكلتا يديها وينتابها غثيان وتفرغ ما فى جوفها مرات ومرات ، وتطفىء الأنوار وتسدل الستائر وتنكمش فى سريرها ولا يخف الصداع ، تبتلع كميات هائلة من الأسبرين والمسكنات المنزلية بلا أدنى فائدة ، وفجاة يختفى الصداع كما بدأ بلا مقدمات بعد أن يكون قد أنهك قواها وأضاع من حياتها يوماً أو بضع يوم ، وتتكرر المأساة عدة مرات فى الشهر وهى بلا حول ولا قوة ولا تدرى متى يفاجئها الصداع ولا أين !

وقد فسدت حياتها الاجتماعية فكم من وليمة انسحبت منها فجاة ، وكم من سهرة افسدها الصداع عليها وعلى





المعاناة من الاضطراب الوجدانى .

أسرتها وأصدقائها !

لاحظت أن بعض الأطعمة والعطور والزهور الطبيعية تجلب لها هذا الصداع فاجتنبتها .. لاحظت كذلك أن بعض الأخبار المزعجة تاتى لها بنوبة الصداع .. ولكنها عجزت تماماً أن تحمى نفسها من معظم نوبات الصداع وعاشت دائماً مهددة بهذه النوبات .

سألتها فاعترفت بأن هذه النوبات من الصداع عاودتها لفترة وهى فى الرابعة عشرة من عمرها ، واختفت عدة سنوات لتعود مرة أخرى منذ عامين .

وبعد فحص باطنى وعصبى ونفسى تبينت أن صداعها من النوع الهرمونى ، وأمكن وصف العقاقير المناسبة ، اضافة الى المساندة النفسية لكى تقبل التعايش مع احتمالات الصداع المفاجىء .

الصداع المستمر

ومن بين الحالات التى التقيت بها كذلك ، سيدة فى الخامسة والأربعين من عمرها ريفية ، أنجبت عشرة من الأولاد ، وكانت حياتها بلا ألم حتى شهور قليلة حيث أصيبت بصداع مستمر وآلام كثيرة فى صدرها وظهرها وبطنها ، الصداع تصفه بانه عميق كسيخ نار ينخر فى مخها . والآلام لها طعم درامى كمسامير وقطع من الزجاج وأمواس تسير تحت جلدها وتحطم عظامها .. أجريت لها أكثر من عملية جراحية بحثاً عن مصادر هذه الآلام بلا فائدة ، وتعرضت لأنواع من الفحص بالأشعة على كل أجزاء جسمها بدون اكتشاف سبب الألم .. أنكرت صراحة أنها تعانى من اضطراب وجدانى أو نفسى .. لم يحدث فى حياتها الاجتماعية أزمات أو محن قريبة بل على العكس بدأت مسئولياتها تقل فى هذا السن .

لم تكن هذه السيدة بطبيعة ثقافتها مهيئة لأن تفهم طبيعة نظرية بوابات الألم ، ولم يكن هناك مبرر لاضاعة الوقت فى محاولة شرحها لها .. ولكننى استخدمت العلاج النفسى المناسب لرفع درجة احتمالها للألم ، ودربتها على قفل بوابات الألم لديها بالدرجة المناسبة .

كان علاجاً طويلا ولكنه على أساس علمى ، وهى الآن تشكو من الصداع أحياناً ومن الآلام أحياناً أخرى ولكنها لم تعد تعتقد بحاجتها الى عمليات جراحية أخرى !

وهكذا نرى أن الصداع النفسى فى حالاته المختلفة وما يسببه من مشاكل وأزمات أصبح من أهم أمراض العصر التى يعانى منها الانسان فى كل مكان !

د. عبد المنعم عاشور

رسائل غير عادية

معروف رفيق

إلى القلق



اكتب اليك أيها القلق ، لا خوفاً منك ، لأننى اعرف حقيقتك ، ولا تزلفاً اليك ، لأنك دون هذه المكانة ..ولكننى - ويا للعجب - اكتب اليك ، لأننى أهواك وأحبك ..

أراك أو أحاد اسمعك تقهقه .. فقد استطعت أن تنتصر على الكثيرين ... فاعلم إذن ، أن معظم ضحاياك ، ممن يستسلمون فى معارك الحياة بسهولة .. ولو اعادوا النظر فى أمرك ، لكافحوك وانتصروا عليك ، لأنك وهم وإن كنت حقيقة بعبعاً وإن كنت من بغاث الطير .. واليك الأسباب :

أنت أيها القلق عندما تستولى على المشاعر ، فانك تنشب اظفارك فى ضعاف الناس ، من هنا راح علماء النفس يكتبون عنك ، واتخذوا منك مادة لابحاثهم .. ولقد قرات كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) .. فوجدت انك مفيد لا ضار .. وقرأت (بنك القلق) لتوفيق الحكيم .. فعرفت أنك وهم منفوخ ، تماماً كالبالون ... يأخذ حيزاً كبيراً ، بينما لا يزيد وزنه عن عدة غرامات ...

أيها القلق .. نريدك أن تبقى معنا .. ولكن بوزن الضيف ، خفيف الظل ، فقليل منك أيها القلق ، يشحذ الهمم ، ويقدح الافكار ، ويحرك العواطف ، ويوقظ القلوب ...

نريد أن نتجرع من كأسك أيها القلق ، جرعة لا تصل إلى حد الجزع ، لأن الجزع فى الواقع يعمى البصر والبصيرة ، ويفقد الجزوع الرؤية الواضحة ، ويجعله يتخبط من هول التباريح ..

بدون القلق الخفيف ، لا ينظم شاعر قصيدة ، ولا يعطى كاتب شيئاً من عطاء ولا يبتكر عالم جديداً فى عالم الاختراع .

قاعدة أرخميدس لم يبتكرها صاحبها المشهور ، إلا بعد قلق ومتابعة ، جعلاه يخرج من الحمام وهو يصيح من الفرح : وجدتها ، وجدتها ..

اسحق نيوتن لم يتوصل الى نظرية الجاذبية ، لمجرد أن التفاحة سقطت على راسه وهو تحت الشجرة .. لولا أنه كان قلقاً على هذا الأمر ، شهوراً عديدة ...

الانتصارات التى حققها القادة ، ما كانت لتحصل لولا قلق أدى الى احكام الخطط ، توصلا للانتصار ...

فلماذا نكرهك أيها القلق إذن ، وأنت الذى تجعلنا نسهر لنعطى ، ونجتهد لنبتكر ، ونفكر لسير عجلة الحضارة ...

مرحباً بك أيها القلق ضيفاً خفيف الظل .. أنت مطلوب ومرغوب ، ولكننا نتعامل معك فى حدود المعقول .. لا خارج الأصول ...

كن ضيفاً مع ليالى الاجتهاد والسهر ، شريطة ألا تثقل علينا .. فاذا فعلت وأثقلت .. طردناك بعنف .. فالى اللقاء ..

إلى شجرة مهيضة الجناح

أيتها الشجرة التى هوت مهيضة الجناح .. تسيل منها الجراح الخضراء ، وتبكى عليها الجنائن الغناء .. اليك اكتب والألم يحز فى نفسى ، وابعث بصرخات الاحتجاج الصامت والمعلن .. لماذا فعلوا بك هذا ؟ وانت مظلتهم فى الهجير .. وحاضنتهم فى اليوم المطير ..

سألتهم فقالوا : هى وعدد من امثالها .. نقطعها ونتخلص منها .. ونقيم مكانها عمارة تدر الأموال ، وتجدد الآمال ...

عجيب انت أيها الانسان .. تمتد يدك الى نسغ الحياة وتغتال فيه الأمل باسم الحياة والأمل .. كانما الأراضى البور الشاسعة .. التى لا مدد فيها ولا شجر .. لم تعد كافية لاطالة البنيان واقامة العمران .. أفما كان الأجدر أن تبقى هذه الشجرة الفينانة وزميلاتها المنتصبات كالصبايا والعين الحور .. عنواناً للحياة ودوحاً ترتاده الطيور وأسراب السنونو والزرزور ؟ ...

وغريب جداً أن يتناسى انسان العصر الحديث ، بعد أن تعلم ووقف على قمم المعرفة ، وادرك أن الشجر عنوان الصحة والجمال ، ومصدر الاقتصاد والمال ، ورئة يتنفس بها ، وخيمة يلوذ فى ظلالها ، عجيب بعد كل ذلك .. أن يمسك سيفه المدنى ليقطع رؤوس هذه الامهات من النعم .

على أن الوقت لم يفت أيتها الشجرة الباكية .. فالأمم تحتفل باسبوع مخصص لجنابك .. أو يوم يدعى باسمك .. وهذا يعنى أن الانسان ، بدأ يدرك مخاطر قطع رقاب الشجر .. وبدأ يتأكد أن قطع شجرة خضراء ، جريمة لا تقل خطورة ، عن قتل انسان من الأبرياء ..

إن تعمير الصحراء بالشجرة .. وتزيينها بالأثل والكازورينا والكينا .. هو العرس الحضارى الراقص .. هو الأمل النابض على كف الصحراء .. فيا أيتها الشجرة ... استضعفوك وذبحوك .. فهل ذبحوا شبل الأسد .. مع الاعتذار للمعرى الشاعر .

ودمت لنا مظلة وزينة وصورة من صور الجمال .. رعاك الله .

مدينة ما تزال تؤدى ضريبة إسلام الأندلس وعروبتها

سبتة المغربية

عبد الكريم غلاب

عندما تتضافر الأسطورة مع حقائق التاريخ لتقدم صورة المأساة !

ترى هل دخلت سبته نفس التاريخ الذى دخلت منه أشبيلية وغرناطة ؟ !



مسجد جديد ـ وهو الأثر الاسلامى بها .

كلما عرجت على شمال المغرب أشتقت أن أزور المدينة الأسيرة التى ما تزال تؤدى ضريبة الأندلس وعروبتها . لا أدرى ما يدفع بى إلى اقتحام «الحدود» والوقوف فى صف طويل أمد جواز سفرى إلى شرطة «الحدود» المغاربة وأسجل رقم سيارتى وأكتب اقراراً بما معى من مال ومتاع ، لأقف مرة أخرى بعد بضعة أمتار عند شرطة «الحدود» الاسبانيين ورجال الجمارك يختمون جواز سفرى ويسجلون رقم السيارة ، وقد يبحثون ما بها من منقولات حتى يأذنوا بالزيارة القصيرة .

ولكنى أتحمل مراراً هذه الاجراءات التى تفصل المغرب عن مدينته الأسيرة لأرضى رغبة تلح فى أعماقى لعلها : الاطمئنان على المدينة العربية المسلمة التى ملأت الدنيا وشغلت الناس .

كنت ذات يوم فى قرية سياحية من هذه القرى الجميلة التى ترصع الشاطىء المغربى الجميل بين تطوان وسبتة (٤٠ كيلو متراً) كان معى صديق العمر الأستاذ عبد المجيد بن جلون فاقترحت ان نقوم بزيارة خاطفة إلى «سبتة» لارضاء الهاجس الذى يتحرك فى نفسى دائماً . أجاب بصرامة :

ـ لا ... لن أدخلها حتى تتحرر .

وما يزال مصراً على ألا يزور احدى بوابات الوطن العربى وعلى قلعتها علم أجنبى .

ولكنى وقد وجدت نفسى فى نهاية هذا الصيف على نفس الشاطىء الجميل اعتبرت من العقوق ألا أعرج على ديار سبتة ، رغم كل الاجراءات المريرة التى تفصلنى عن المدينة دون أن يفصلنى عنها بحر أو جبل أو نهر أو «حدود» حقيقية .

سبتة المغربية



الميدان الرئيسى بمدينة سبتة .

اجتزت «الصراط» غير المستقيم ، ورفع الحاجز الخشبى وإذا بى فى بلد آخر ، ذى تبعية أوروبية له علم ولغة ودين وعملة وجيش . اختلفت عنى اللغة فلم يفهموا عنى ولم افهم عنهم . استعنت أنا ـ كما استعان بعضهم ـ بلغة أجنبية لنتفاهم ، ووقفت أمام شباك بنك لأغير العملة حتى اشرب قهوة أو أدخل مطعماً أو اقف امام دكان . ويصرخ بى شرطى مرور : أن أسرع ولا تتردد فى ملتقى طريقين . وأعتذر لأنى «غريب» ... نعم غريب فى بلدى ، ولأنى لا أفهم اللغة التى تحدث إلى بها قبل أن يصرخ بأعصابه الهائجة . وأضحك لهيجانه وأنا أصرخ «مومينتو» ... دقيقة صبر ...

فيزيد هياجاً وهو يستغرب ـ فيما يبدو . أن أطلب الصبر فى ملتقى ثلاثة شوارع كان على ان أختار بينها دون تردد .

دخلت المدينة ـ زوجتى وانا ـ نجوب شوارعها فاذا بها «سوتا» لا سبتة كما يعرفها التاريخ ، وكما يسميها المغاربة والعرب والمسلمون عموماً ، وكما يتردد اسمها مع اسم آلاف المواطنين «السبتى» المنبثين فى مختلف انحاء المغرب من العيون حتى طنجة مروراً بمراكش وفاس واجدنى فى مدينة لا تختلف عن «مالقة» وفى المغرب آلاف من المواطنين يحملون اسم «المالقى» ـ أو قرطبة ـ وغرناطة وفى المغرب آلاف من المواطنين يحملون اسم «القرطبى» «والغرناطى» .

ترى هل دخلت سبتة نفس التاريخ الذى دخلت منه اشبيلية وغرناطة وقرطبة ومالقة ؟ .

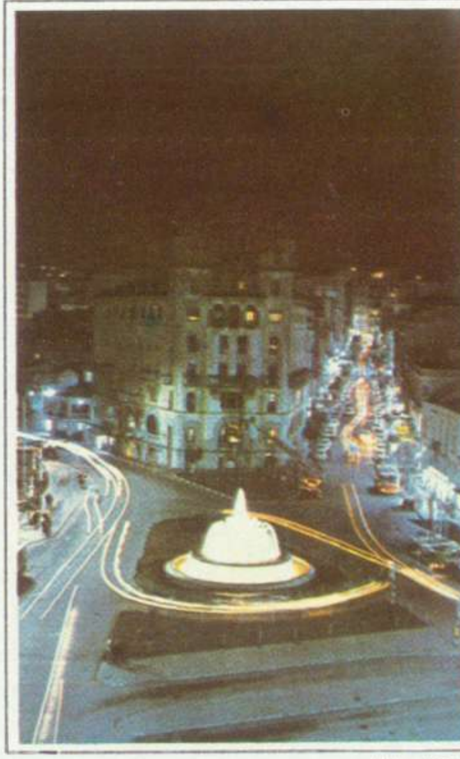
العرب هناك

هذه فى أوربا ، فى الأندلس السليبة ، وسبتتنا فى عمق مغربنا العربى المسلم . ولكن آثار المدينة محيت ولا ترى فيها غير المدينة الأوربية الحديثة ، وغير المظهر الأوربى الحديث وغير اللغة الأسبانية والعلم الأسبانى والجندى الأسبانى . غير أن القلعة ما تزال تشهد بما بناه المغاربة من قلاع للدفاع عن مدينتهم وحمايتها . وعلى القلعة العلم الأسبانى وفى القلعة الجنود الأسبانيون .

وتتجنب وسط المدينة الجميل المطل على خليج سبتة الرائع المشرف على جزء من زقاق العبور الذى استخدمه طارق بن زياد قبل ثلاثة عشر قرناً . وتجوس فى أحياء جانبية فتصادفك عربية بملابسها الريفية تتحدث اللغة العربية ، وتتكلم كما لو كانت تلغى من حسابها بضعة قرون خلت ومدينتها مستعمرة ، ويصادفك عربى يتكلم ويتاجر ويبيع العملة سراً أو فى شبه سر . بضعة آلاف من مواطنينا يشتغلون فى الأعمال الجانبية التافهة : حراس سيارات ، تجار خضر وفواكه وعاديات وهدايا بسيطة وعملة ، دكاكين عربية شبه فوضوية كل ما فيها ينبىء بأنها عربية .

لا يخونك الحدس حينما تستنتج من جولتك الأولى فى المدينة ـ وسطها وأطرافها ـ أن سكان البلاد الأصليين يعيشون على الهامش ، لا تكاد تجد فى أحيائهم مدرسة أو نادياً لا تفتنك الحياة فى هذه الأحياء كما لعلها تغريك فى أحياء السادة الذين أصبحوا يملكون المدينة ويعتبرونها أسبانية .

عاشت سبته كعاصمة علمية ونضالية فى تاريخ المغرب



سبتة فى الليل .



منظر من الاستاد الرياضى فى المدينة .

السكان العرب هناك ليست لهم هوية لا هم مغاربة يتمتعون بالحقوق المدنية للمواطنين ، يتعلمون فى المدارس التى تشرف عليها وزارة التربية الوطنية المغربية يمثلون فى المجالس البلدية والبرلمان ، ولا هم أسبانيون لهم ممثلوهم فى الكورتيس . ويتعلمون فى المدرسة الأسبانية ويوظفون فى الادارة الأسبانية

ومع ذلك فصلابة عروبتهم وإسلامهم ما تزال تحتفظ لهم بلغتهم وعقيدتهم وحتى ملابسهم وتقاليدهم العربية الاسلامية ، فى جو عنصرى عدوانى يواجههم بهم سكان المدينة ، الاغلبية التى يحميها الجيش الأسبانى بضعة قرون من الاحتلال .

المدينة المغربية التى أصبحت أسبانية تقتعد على الرأس الشرقى للبوغاز . وهى تماثل طنجة التى تتربع الرأس الغربى من أقصى شمال المغرب . ومنها تنحدر شرقاً إلى جبال الريف التى تتوج هامة المغرب ، وتطل منه على البحر الأبيض ، ومنها تنحدر غرباً إلى تطوان – إحدى عواصم المغرب الكبرى – وتبعد عنها نحو ٤٠ كيلو متراً ثم إلى طنجة التى تبعد عن تطوان نحو ٦٠ كيلومتراً .

ومن مركزها الجغرافى تستمد مركزها الستراتيجى . تشرف على البوغاز ، بل هى احدى بواباته . برزت فى البحر فكونت شبه جزيرة تحتضن خلجانا طبيعية مما جعل منها ميناء كان من أعظم موانىء البحر الأبيض . والذى يمتلك طنجة وسبتة يستطيع أن يتحكم فى البحر الأبيض . وقد تحكم المغرب منهما قرونا من تاريخه . ومنهما انطلق الاسلام والعروبة إلى أوربا بعد الأندلس ومنهما حاول البرتغاليون والأسبانيون وقبلهما الفينيقيون والرومان السيطرة على شمال القارة الافريقية وتطويق البحر الأبيض .

ويعود التاريخ بسبتة إلى أيام الفينيقيين ففى مكانها أسسوا مدينة (أبيلا) ، ولم يهتد المؤرخون العرب إلى أصل تسميتها ، ولو انهم – على عادتهم – اشتقوا من اسمها اسم شخص سموه «سبت» وقالوا أنه ابن سام بن نوح . ومن هذه الأسطورة نقلوا أحاديث – لاشك انها موضوعة – عن النبى دعا لها بالبركة والنصر .

ولكن البركة الحقيقية التى حلت بالمدينة المغربية العتيقة أنها كانت مجازاً للعرب المسلمين إلى الأندلس . فقد كان يحكمها على عهد الفتح العربى للمغرب «يوليان الغمارى» – قبيلة غمارة من القبائل المشهورة فى المغرب – تحت سلطة الامبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع . فلما فتح عقبة بن نافع المغرب انضم يوليان إليه فاقره على مدينته . سنة ٦٨٢ م . ولا شك أنه ساعد على تجديد الحملة التى قادها طارق بن زياد على الضفة الأخرى من البحر . وبذلك كانت سبتة وطنجة سبيل العرب إلى «طريفة» والصخرة الكبرى التى حملت اسم طارق – وما تزال – ومنهما إلى قلب أوربا حتى بواتييه .

عاصمة علمية

عاشت سبتة كعاصمة علمية ونضالية فى تاريخ المغرب . وكانت صلة وصل بين المغرب والأندلس أيام ازدهار



حصون اسبانية مواجهة للمغرب .

الحياة السياسية والحضارية والثقافية فى القطرين اللذين وحد بينهما حكم المرابطين والموحدين منذ اجتاز يوسف ابن تاشفين الزقاق لانقاذ الاندلس من السقوط فى يد الفونس السادس سنة ٤٧٩ هـ حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م .

أسهمت سبتة وأبناؤها فى النشاط السياسى والثقافى والحضارى للمغرب . ومنها انتشرت الثقافة العربية والاسلامية وتبادلت مع الأندلس نشاطاً ثقافياً ملحوظاً ، كانت صلة الوصل فى الميدان الثقافى بين الأندلس والمغرب . وتميزت بطابع الحضارتين المغربية والأندلسية فى الفكر والفن والحياة الاجتماعية . وتخرج منها سياسيون وعلماء وأدباء وشعراء كانت لهم مكانة علمية كبرى ، ولبعضهم مكانة علمية دولية . الجغرافى العربى الأول (الشريف الادريسى) من أبناء سبتة .

القاضى عياض الموسوعي الكبير ، محمد ابن رشيد الرحالة الكبير ، ابن سبعين الفيلسوف المعروف ، الشريف السبتى ، عبد المهيمن الحضرمى ، مالك بن المرحل الشاعر الكبير ، عائلة العزفى منهم الحكام والأمراء والعلماء والأدباء ، عبد الرحمن الكتامى . وابن غازى الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مرانة القرضى وأبو الحسن السبتى وابنته المحدثة أم المجد مريم وأبو اسحق الأنصارى وأبو الحسن المثيوى . كل هؤلاء وغيرهم كثير أنجبتهم مدينة سبتة الأسيرة . كما أنجبت عديداً من المفكرين والصوفية والمناضلين الذين استشهدوا دفاعاً عن المدينة وعن المغرب كله . ويذكر المؤرخون أن المدينة كانت تضم نحواً من ٦٢ خزانة كتب . وعدداً كبيراً من الربط والزوايا . وكان الرباط مدرسة للعلم ومركزاً لتكوين العلماء والمجاهدين . كما كانت مدينة تعج بمظاهر الحضارة الاقتصادية والاجتماعية .

فى هذه الفترة خاض المغرب ثلاث معارك تاريخية نيابة عن المسلمين والعرب للحفاظ على عروبة الأندلس والمغرب العربى وللابقاء على الاسلام أربعة قرون أخرى فى الأندلس :

أولاها : معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ بقيادة يوسف بن تاشفين ، أعظم ملك فى دولة المرابطين الذى وحد الأندلس مع المغرب ، وأنهى خرافة الهجوم القشتالى على ممالك ملوك الطوائف ، وأوقف زحف الأذفونش فى حملات قوية توالت طيلة خمس سنوات .

وكانت سبتة هى المدينة التى انطلقت منها قوات يوسف بن تاشفين ، فلعبت نفس الدور الذى لعبته زمن الفتح الاسلامى للأندلس .

والثانية : معركة الأرك . وقد قادها يعقوب المنصور الموحدى سنة ٥٩١ هـ وفيها استرجع وحدة الأندلس مع المغرب بعد أن مزقتها أطماع أمراء صغار كان بعضهم يستعين بالعدو ضد البعض فى سبيل إقامة إمارة صغيرة على مدينة أو إقليم .

وقد سبق هذه المعركة الكبرى معارك ثانوية خاضها الموحدون ضد الزحف الصليبى على الأندلس .

والثالثة : معركة خاضها يعقوب المريني ضد القشتاليين سنة ٦٨٤ هـ ـ ١٢٨٥ م فأوقف الزحف الصليبى مرة أخرى الذى استهدف اشبيلية وغرناطة والحصون القريبة من منطقتهما .

لعبت سبتة فى كل المعارك التى خاضها المغرب ضد المد الصليبى دوراً رئيسياً والمعارك الثلاث التى تحدثنا عنها ليست الا نماذج منها .

سبتة هذه المدينة التى كانت تحتل مركزها الحضارى والعلمى والثقافى والسياسى والستراتيجى فى تاريخ المغرب وتاريخ البحر الابيض، كانت مثار تطلع لخصوم العرب والمسلمين التاريخيين منذ الفتح العربى للأندلس .

المخطط الأسبانى البرتغالى

وقد كانت حملة الاسترجاع التى قامت بها أسبانيا والبرتغال لشبه الجزيرة الايبيرية والتى انتهت بسقوط غرناطة ، كانت هذه الحملة ضمن خطة استراتيجية تستهدف منع العرب والمسلمين من أن يعودوا إلى أوربا . لم تقم بهذه الحملة الدولتان الايبيريتان فحسب ، ولكن ساهمت أوربا كلها وعلى راسها الكنسية الكاثوليكية فى روما فى التخطيط والتنفيذ معنى ذلك أن الحروب الصليبية التى شنت فى شرق الوطن العربى هى نفسها التى شنت فى غرب الوطن العربى ، وأن الكنيسة التى باركت ملوك وأباطرة أوربا للهجوم على بيت المقدس واحتلال فلسطين هى التى باركت ملوك ورؤساء دولتى أيبيريا للهجوم على المغرب العربى .

حاول المغرب استرجاع سبتة بكل الوسائل .. دون جدوى !

وهكذا كان المخطط الأسبانى البرتغالى هو احتلال المغرب العربى جميعه تمهيداً لاحتلال أفريقيا . وإذا كانت فكرة تكوين الامبراطورية البرتغالية والأسبانية قد بدأت منذ وصية ايزيبلا الأولى الكاثوليكية باسترداد الأندلس ، فان المغرب كان هو المعبر لتكوين هذه الامبراطورية .

ومن الواضح أن الامبراطوريتين الأسبانية والبرتغالية اللتين امتدتا إلى قلب أفريقيا وإلى أسيا وإلى امريكا اللاتينية لم يكن الهدف منهما اقتصادياً فحسب ، على غرار ما كانت الامبراطورية الانجليزية والفرنسية ، وإنما كان إلى جانب ذلك عسكرياً دينياً ، أى للدفاع عن المسيحية ضد الاسلام ، حتى لا يعود إلى شبه الجزيرة . وطريقه هو المغرب .

وقد اتفقت أسبانيا مع البرتغال على اقتسام المنطقة فكان غربها للبرتغال ومشرقها لاسبانيا بما فيها الجزائر وتونس . وكانت سبتة أحد الموانىء العديدة التى كانت من حصة البرتغال تليها طنجة على الطرف الغربى من رأس المغرب البوغازى ثم تنزل خريطة الاحتلال مع الشاطىء الأطلسى : القصر الصغير ، وأصيلة ، والعرائش ، والمهدية والدار البيضاء (أنفا) والجديدة ، وأسفى ، وأكادير ، والشواطىء الصحراوية حتى مدينة الداخلة (فيلا سيسنيروس) وبدأت الحملة على سبتة وتم احتلالها سنة ١٤١٥ م ــ ٨١٨ هـ وتوالت الحملات البرتغالية على الشواطىء المغربية أزيد من مائة سنة عاش المغرب فيها حروباً طاحنة دفاعية عن نفسه وعقيدته ولغته . وحرر كل الشواطىء حيث هزم البرتغال هزائم منكرة كان أبرزها هزيمة وادى المخازن

كيف تم احتلال سبتة ؟

تتضافر الأسطورة مع حقائق التاريخ لتقدم صورة المأساة . تقول أحداث التاريخ : إن سبتة كانت أقوى مركز فى البحر الأبيض المتوسط تفد إليها البواخر من كل أنحاء البحر . وكانت الباب الرئيسى للمغرب ، منها تبحر كل البواخر إلى المراكز التجارية التى كانت تتعامل مع المغرب ــ وكان مركزاً تجارياً مهماً بما ينتج من مواد فلاحية (من الحبوب حتى قصب السكر) ومواد معدنية مهمة ــ كما كانت ميناء عسكرياً مهماً على شاطئه تقف البواخر التى كانت تحمى المغرب من أى تدخل أجنبى ومنه تبحر البواخر التى نقلت العروبة والاسلام إلى قلب أوربا وحمت المنطقة قروناً عديدة . وحملت التجارة كما حملت البحارة والجنود لحماية غرب البحر الأبيض فى عهد قوة العرب فى المغرب ، ولاسترجاع الأسرى المسلمين الذين كانت تأسرهم سفن القرصنة الأوربية .

وتقول أحداث التاريخ أن البرتغاليين تعاهدوا مع حاكم سبتة على استغلال هذا الميناء لقاء خراج معلوم فى كل سنة . فلما ضمنوا ذلك استغلوه ليوجهوا حربهم ضد المغرب من خلال سبتة .

وتقول أحداث التاريخ أن خون خوان ملك البرتغال استعد للاستيلاء على سبتة ثلاث سنوات وحاصرها ست سنوات كاملات وهاجمها بقيادته وقيادة ثلاثة من أبنائه بأسطول قوى من ٢٠٠ سفينة حربية . وكان الجيش الذى هاجمها يبلغ ٥٠ الف جندى (والمبالغة فى العدد من شيم المؤرخين العرب ...) .

وتقول الأسطورة أن البرتغاليين حملوا إلى الميناء صناديق على أنها مليئة بالبضائع ، واستغلوا يوم الجمعة ــ يوم عطلة وصلاة ــ فخرج من الصناديق ٤٠٠٠ جندى استولوا على المدينة بسرعة . ولم يستطع السكان ولا الدولة أن تواجههم بعد الاستيلاء .

ويضيف التاريخ أن سكان المدينة انتدبوا وفداً كبيراً من الرجال والنساء ليستصرخ الملك أبا سعيد عثمان حتى يهب للدفاع عن المدينة الأسيرة . وكانوا يلبسون المسوح السود والوبر وجلود الماعز والأحذية السوداء حزناً وكمداً على احتلال المدينة واحتقاراً لأنفسهم لأنهم لم يستطيعوا أن يدافعوا عن مدينتهم .

حقائق التاريخ لا تنفى الأسطورة فالحصار الذى دام سنوات استعان بالحيلة لينفذ عملية الاحتلال فى ساعات وأحداث التاريخ الحديث (حرب النكبة) تؤكد امكانية تضافر الحيلة مع العمل العسكرى .

وبدأت الحملة لاسترجاع سبتة ــ موضوع هذا البحث ــ منذ احتلالها خاض المغرب من أجل استرجاعها حروباً بدأت فى سنة ١٤٩٧ م وكانت أخرها حرب تطوان سنة ١٨٦٠ م وحاصر المغرب المدينة ٩١ مرة كان أطولها الحصار الذى ضربه السلطان إسماعيل فى القرن السابع عشر والثامن عشر استمر ٣٣ سنة من (١٦٩٤ ــ ١٧٢٧) وقد كتب السلطان إلى البرلمان البريطانى رسالة فى الموضوع قال فيها : « اننا لم نحاصر مدينة سبتة الا لأنها توجد فى أرضنا وهى على ضفة بوغازنا وتكون جزءاً من مملكتنا ، ولأنها كانت دائماً وأبداً تحت حكمنا وسيادتنا » .

وقد هددت أسبانيا المغرب أكثر من مرة باعلان الحرب ضده اذا ظل يحاصر سبتة . ومن ذلك التهديد الذى تلقاه المغرب فى عهد عبد الرحمن بن هشام سنة ١٨٤٤ . بل إن الحرب اعلنت على المغرب فعلا سنة ١٧٧٤ حينما أكد العاهل المغربى محمد بن عبد الله فى رسالة إلى ملك أسبانيا كارلوس الثالث بأنه عازم على استرجاع سبتة ومليلية وبقية الجيوب المغربية . وأعلنت مرة أخرى سنة ١٧٩١ حينما بعث سلطان المغرب اليزيد بسفيره محمد بن عثمان لمطالبة كارلوس الرابع بالتخلى عن المدن المغربية المحتلة .

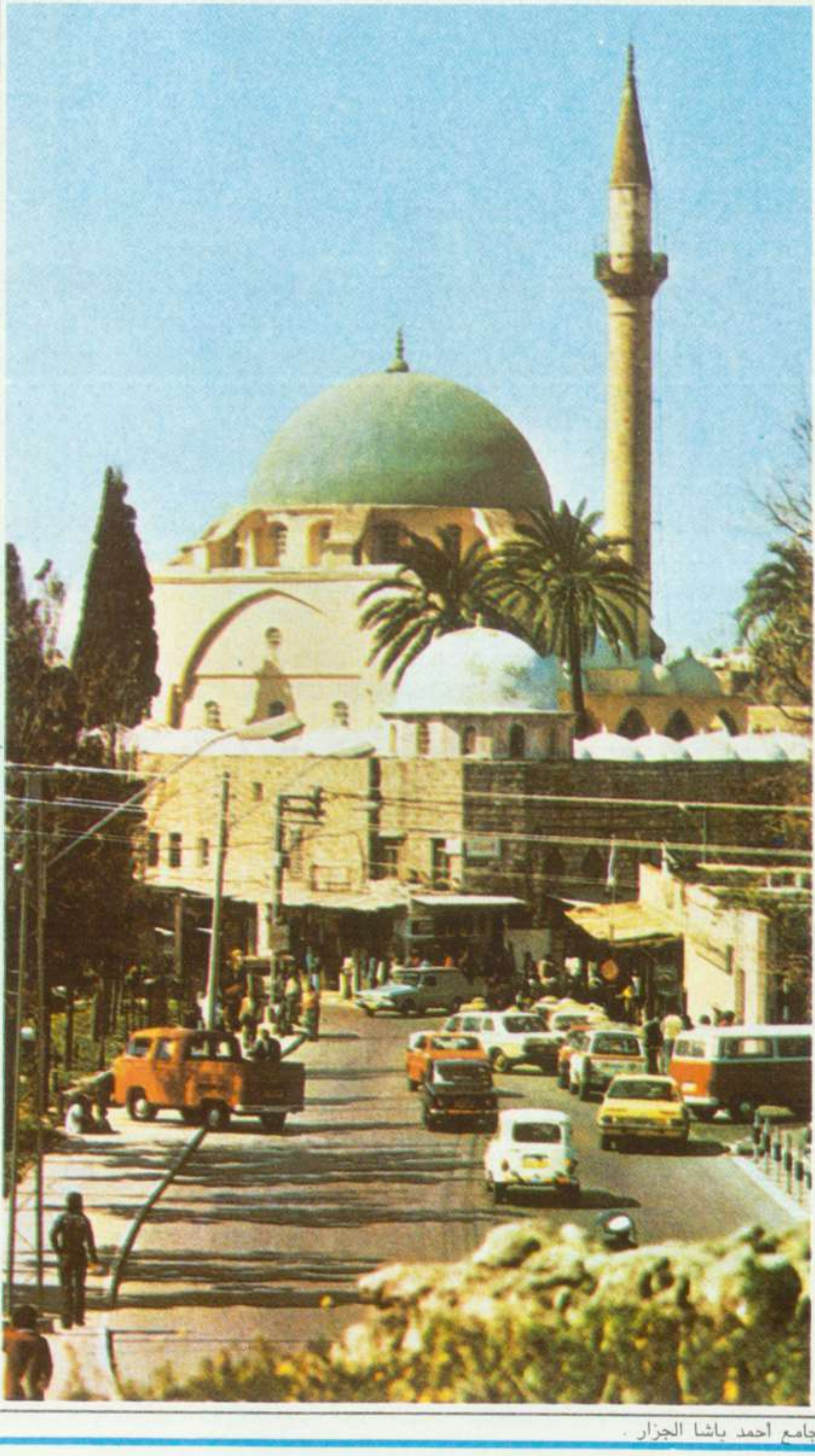
وكذلك يمكن أن نقول إن المغرب استعمل مختلف الوسائل الدبلوماسية والسياسية والعسكرية لاسترجاع سبتة ولكن الحظ العاثر للمدينة العربية أبى الا أن تتعثر جهود استرجاعها ولو بعد ربع قرن من استقلال المغرب .

الرباط ــ عبد الكريم غلاب

عكا

نبيل خالد الأغا

مدينة تغازل الزمن



جامع احمد باشا الجزار .

عندما هممت بزيارة عكا ، نقلت رغبتى الى احد ابناء عمومتى من المقيمين فى فلسطيننا المحتلة والذى يحمل الهوية الاسرائيلية . فقال معلقاً : كنت على يقين بانك ستبدى هذه الرغبة بعد ان قمنا معاً بزيارة القدس ويافا . إن معظم اخواننا المغتربين الذين يحضرون لزيارة ذويهم فى فصل الصيف يتلهفون على زيارة المناطق الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وهم ينقسمون الى قسمين : قسم رأى تلك المناطق قبيل ضياعها ويريد تجديد ذكرياته عنها ، وقسم قرأ عنها وسمع بها ويرغب فى رؤيتها ، وعلى كل حال لن تنالوا إلا المزيد من الآلم !

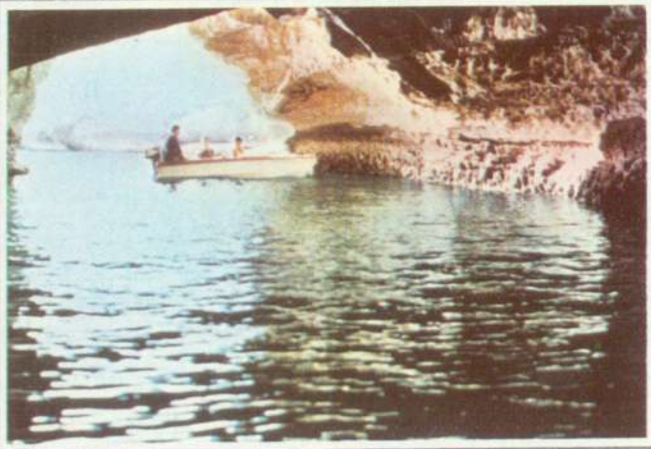
اجبته متاثراً : وهل تستكثر علينا أن نحقق هذه اللهفة يا عصام بعد أن حرمنا رؤيتها طيلة الثلاثين عاماً الماضية ، فى بداية نكسة حزيران (أو نكبة سمها كما تشاء) بعثت أمى فى طلبى فرفضت، وفى العام الثانى والعام الثالث بعثت ايضاً فى طلبى لكننى اصررت على عدم الذهاب اتدرى لماذا؟ لأننى كنت انتظر «يوم التحرير» كي انطلق اليها على صهوة «حصان النصر» . وعندما طال بزوغ فجر ذلك اليوم المجهول اتيت اليكم بقلب دام اثقلته ارزاء الغربة ، وادمته قروح الواقع ، اتيت لأكحل عيناى برؤية أعز ما عندى : أهلى الذين حرمت من رؤياهم ، ووطنى الذى حرمت من حنانه .

قال عصام وقد بدا عليه التاثر : هون عليك يا ابن العم ، فانا لا اتقن فن الاجابة على وجدانياتك .. لكننى واثق بانك ستنسى هذا الحوار «العابس» بمجرد رؤيتك لأسوار عكا وصلاتك فى جامع احمد باشا الجزار !

انطلقت بنا السيارة شمالا صوب عكا عن طريق الساحل الفلسطينى الساحر .

بمجرد دخولنا الأراضى الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ اثارت انتباهنا عدة امور تتمثل فى التنظيم الزراعى

● لماذا منعت قيادة جيش العدو أفرادها من ركوب السيارات العربية ؟
● الغربة التى شعرت بها عندما وصلت إلى مدينة الرمل الحار !



رأس الناقورة من داخل احد الكهوف .



منظر عام لعكا ويبدو جامع الجزار وشاطىء البحر .

الدقيق لكافة المناطق الساحلية التى مررنا بها تقريباً ، اتساع الشوارع وكثرتها ، ونظافتها ، وتنظيم حركة المرور واحترام الجميع لقوانين السير ، وانتشار محطات انتظار الركاب فى كافة أرجاء وطننا المحتل وبخاصة فى الطرق الرئيسية بين المدن .. وملاحظة وجود العسكريين من شباب وشابات تحت سقوف هذه المظلات .

وقد حدث اثناء مرورنا باحد هذه المواقف ان رفع احد العسكريين يده الينا يريد الركوب ، فلم يعره «حامد» اهتماماً . فقلت له : هاته معنا عسى ان نقرا افكاره !

قال حامد : لقد اخطا «الخواجة» ، فلقد اشار الينا ولم ينظر الى لوحة السيارة ، وظن اننا من بنى جلدته ، ولو فطن للامر ما فعل ، لأن قيادة «جيش الدفاع الاسرائيلى» حظرت على افراد قواتها الركوب فى السيارات العربية ، عشرات الجنود الاسرائيليين قد ماتوا واختفوا على يد الفدائيين العرب الذين كانوا يقتنصونهم بهذه الطريقة ، ويغيبونهم عن الوجود .

وحتى تحصر الحكومة الاسرائيلية تحرك المواطنين العرب وتحصى عليهم خطواتهم امرت بان تكون الوان لوحات السيارات فى قطاع غزة مخالفة لالوان مثيلاتها فى الضفة الغربية ، والجليل ، والقدس ، وسيناء ، وبهذه الطريقة يمكنها متابعة اية سيارة عربية ومراقبتها .

مررنا بالمجدل ، واسدود ، ويافا ، وتل ابيب ، وناثانيا ، وعتليت ، وحيفا ، وفى كل مرة كان حامد يزيدنا شرحاً وايضاحاً عن التاريخ القريب لهذه المدن وصراعاتها مع المحتلين .

اما بالنسبة لعكا فقد اعترف حامد بانه لا يعرف الكثير عن تاريخها اللهم إلا قهرها لطموحات نابليون ، وطلب منا أن نحدثه عن النقاط البارزة فى تاريخها قبيل أن نصل اليها .

أحدوثة الزمان

تعتبر عكا فى مقدمة المدن العريقة التى تركت دوياً فى التاريخ على امتداد عمرها الطويل . فقد انشاها اجدادنا الفينيقيون ودعوها «عكو» . وهى كلمة عربية كنعانية معناها «الرمل الحار» ، ويقال بأن الفينيقيين كانوا ياخذون هذا «الرمل الحار» من شواطىء نهر النعامين القريب منها ثم يستخدمونه فى صناعة ادق انواع الزجاج .

أما اسم «عكا» الذى ندعوها اليوم فقد اطلقه عليها المصريون القدماء . وقد ذكرت عكا ضمن المدن التى افتتحها فرعون مصر تحتمس الثالث على اثر انتصاره فى معركة «مجدو» الشهيرة عام ١٤٧٩ ق . م . وقد وجد اسم عكا منقوشاً على الكثير من الحفريات التى اكتشفت فى «تل العمارنة» .

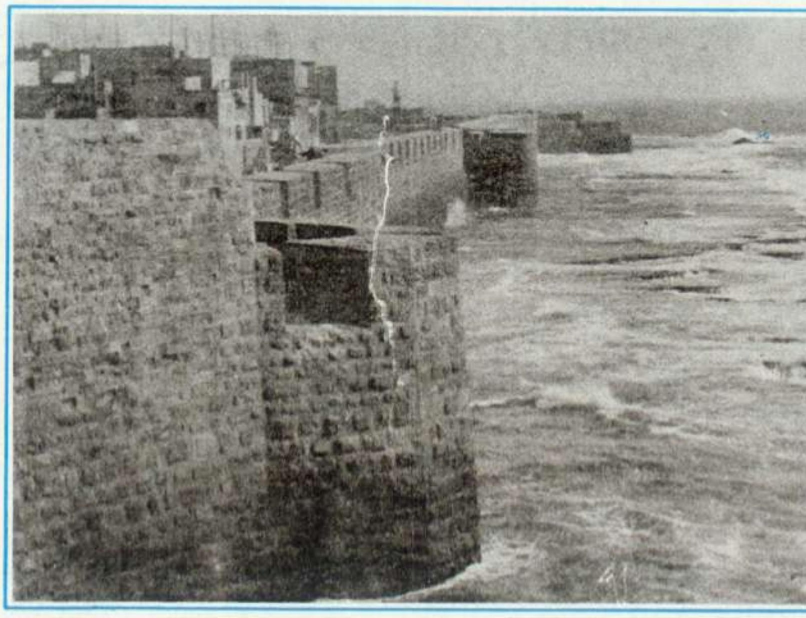
وفى عام ٥٢٥ ق.م كانت عكا منطلقا للقوات الفارسية التى اتجهت الى مصر بقيادة قمبيز ، وبعدئذ خضعت للاسكندر الاكبر ، ثم للقائد الرومانى «بومبى» كغيرها من مدن الشام .

فى أحضان الاسلام

لقد تشرفت عكا بانضوائها تحت راية الاسلام زمن الفتوحات الاسلامية على يد القائدين الداهيتين عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان عام ٦٣٦ م (١٥ هجرية) . وقد استفاد معاوية من مهارة اهل عكا فى الأعمال البحرية المختلفة ، حيث اسس داراً لصناعة السفن امدته بالف وسبعمائة سفينة كانت نواة للاسطول العربى الذى فتح جزر البحر الأبيض المتوسط التى كان أولها جزيرة قبرص .

وهكذا كانت عكا أول ميناء عربى تغزو

عكا مدينة تغـــــــازل الزمن



جانب من سور عكا .



خان العمدان أحد المعالم الاثرية بعكا .

منه قوات المسلمين اولى غزواتها فى البحر المتوسط .

فى حروب الصليبيين

بذل الصليبيون جهوداً مضنية للاستيلاء على عكا ، فقد حاصروها وهم فى طريقهم لاحتلال بيت المقدس ، غير انهم لم يستطيعوا فتحها ، فكرروا المحاولة مرة اخرى وعلى يد «بلدوين» هذه المرة ، لكن عكا لن تستسلم بسهولة .

وبسبب ادراكهم لمكانة عكا السوقية (الاستراتيجية) بالنسبة لنجاح حملاتهم فقد ضاعف الصليبيون من استعداداتهم الحربية لاحتلالها . وفى عام ١١٠٤ ميلادية جدد «بلدوين» حصاره لها بعد أن استعان بسبعين سفينة حربية تتبع جنوا والبندقية ، وبعد عشرين يوماً من الحصار المضنى اضطرت المدينة للاستسلام ، ولم تكن لتستسلم لولا تخاذل القوات الفاطمية عن نجدتها.(على أن تملك بلدوين لعكا ، كفل له ما كان فى مسيس الحاجة اليه ، وهو ميناء صالح لرسو السفن فى كل الفصول ، واضحت عكا الميناء الرئيسى بالمملكة ، فحلت بذلك مكان يافا بمرفئها المكشوف) .

ولقد افاء الله على المسلمين بالمجاهد القائد الاشرف خليل (ابن السلطان قلاوون) ، فحشد جيوشه المصرية والسورية وضرب حصاراً صارما حول عكا استخدم فيه اثنين وتسعين منجنيقا ، ولم تفد المحاصرين نجدات وصلتهم من قبرص ، فاخذت معاقلهم تتهاوى امام وحدة القلوب والاكف والاهداف . وبلغت مدة الحصار اربعة واربعين يوماً ، وورد فى النجوم الزاهرة «ان الله سبحانه وتعالى قدر فتح عكا فى مثل اليوم الذى اخذها الفرنج فيه ، ومثل الساعة التى اخذوها فيها ، وامنهم السلطان ثم قتلهم ، كما فعل الفرنج بالمسلمين فانتقم الله من عاقبتهم» . ولم تكد عكا تصير فى قبضة السلطان حتى شرع فى تدميرها وخرابها حتى لا تستعمل مرة اخرى كراس رمح للصليبيين .

وكان سقوط عكا اعظم كارثة حلت بالمخططات الصليبية الاجرامية ، وانتهى معها اعظم فصل من فصول تاريخ أوربا الوسيط .

إن تكرار فشل الحملات الصليبية على بلادنا يجب ان يكون حافزاً لنا على تطهير فلسطيننا المغتصبة من «صليبية» القرن العشرين المتمثلة فى الكيان الصهيونى البغيض .

عكا فى العهد العثمانى

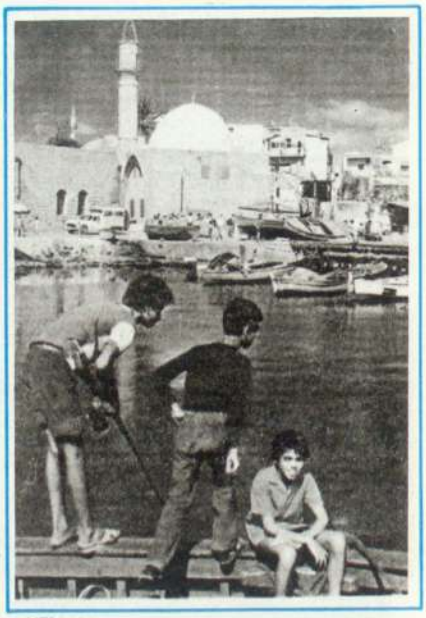
من المعلوم ان الاتراك العثمانيين استولوا على بلادنا اثر انتصار السلطان سليم الأول فى معركة «مرج دابق» عام ١٥١٧ ميلادية . وتم خضوع عكا لنفوذهم تلقائيا ، لكنها شهدت فترة ازدهار فى كافة مناحى حياتها .. وعندما استولى عليها الثائر الفلسطينى ظاهر العمر الزيدانى جعل منها اهم ميناء على البحر الأبيض المتوسط . ويعتبر تاريخه جزءاً من تاريخ نهضة فلسطين وتقدمها ، وفى ذلك يقول احد المؤرخين : «ان شخصية ظاهر المع شخصية ظهرت فى الشرق فى أواخر القرن الثامن عشر ، وانه رغم تجاوزه الثمانين فقد احتفظت قواه العقلية وقدرته الجسمية بنشاط خارق للعادة» .

بعد مقتله تولى احمد باشا الجزار ولاية صيدا أولا ، ثم نقل مقر ولايته الى عكا . فاخذ فى تحصينها وبناء اسوار جديدة لها وجعلها اقوى حصن فى المنطقة كلها ، ويعتبر جامعه الفخم ابدع صورة للفن المعمارى العثمانى .

عكا .. وقبعة نابليون

عندما علم الجزار بوصول الحملة الفرنسية الى مصر ضاعف جهوده فى

من هو الثائر الفلسطيني الذى جعلها أهم ميناء على الأبيض المتوسط ؟



أطفال عرب فى الميناء القديم .



منظر من رأس الناقورة .

تحصين المدينة ،وزودها بمختلف انواع البنادق والمدافع وكافة ادوات الحرب المتوفرة انذاك . وعبا المدافعين بالمشاعر الدينية والوطنية الصادقة وحفزهم لملاقاة عدوهم .

وزحفت الحملة الفرنسية الى فلسطين ، فاحتلت غزة ويافا وحيفا ، واقام نابليون مقر اقامته على جبل الكرمل .. ينظر الى عكا التى تبعد عنه عشرين كيلو متراوفى نفسه شهوة عارمة لتتويج عبقريته العسكرية باحتلالها والهيمنة على بر الشام واكمال الطوق على الانجليز .

وفى العشرين من آذار عام ١٧٩٩ اخذ الجيش الفرنسى مواقعه امام عكا وشىء من الخوف يساوره من تفشى الطاعون ، وبعد اسبوع اصدر نابليون اوامره بالهجوم ، لكنه فوجىء منذ الوهلة الأولى برد عكا العنيف على قنابله ومدفعيته بصورة كثيفة لم تكن بحسبانه فامر الجنرال كليبر بتعزيز القوات الفرنسية التى استطاعت ان تحدث ثغرة فى سور المدينة ، وأراد نابليون أن يكون أول متسلقيها ! «وقد قوبل المهاجمون المندفعون كالمجانين عند الثغرة بافتك نيران مضادة صبت على الفرنسيين فى حصار عكا ، ولعل نصف قوة الجيش المحاصر «بكسر الصاد» قتل او جرح فى هذا الهجوم» .

ودافع الفلسطينيون دفاعاً بطولياً عن مدينتهم ، وهم مدركون بان ذلك يعنى دفاعهم عن ديار المسلمين ، وشرفهم ، ومستقبلهم .

واخيراً .. وبعد كر وفر ، وإقبال وإدبار دام ثلاثة وستين يوماً يئس عبقرى العسكرية الفرنسية من احتلال عكا ، ووقف على ظهر سفينته الحربية جوار الثغرة يندب حظه العاثر ويقول : لقد تحطمت آمالى على أسوارك يا عكا ، وخلع قبعته عن رأسه وقذفها على السور قائلا : يكفى أن قبعتى قد دخلتك يا عكا .. وداعاً لا لقاء بعده !!

وبعد هذا النصر العزيز استتب الأمن بالبلاد ، وزاد الرخاء على العباد ، وامتد حكم الجزار لمدة ثلاثين سنة استطاع خلالها ان يعمر المدينة اعماراً حديثاً حيث شيد الحمامات والأسواق ، وغرس الحدائق والبساتين بالفواكه الغريبة والأزهار النادرة ، وجر المياه اليها من ينابيع مجاورة حتى اصبحت عكا «بلد النعيم المقيم» ! ... وخضعت عكا بعد ذلك لحكم العثمانيين ، ثم المصريين ، ثم الانجليز .

..فى قبضة الانجليز

استولى البريطانيون على عكا اثر انتصارهم على الجيش العثمانى فى جنوبى طولكرم فى ٢٤ ـ ٩ ـ ١٩١٨ م وامتد هذا الاحتلال حتى عام ١٩٤٨ حين قاموا بتسليمها لليهود .

وحسب آخر تنظيم ادارى بريطانى فى فلسطين كانت عكا مركزاً لقضاء كبير يعرف باسم «قضاء عكا» ، ويؤلف قسماً كبيراً من لواء الجليل ، ويعتبر اعلى اقضية فلسطين انتاجاً لزيت الزيتون الفاخر بالنسبة لمساحته .

وفى هذا القضاء استنبط سكانه الكنعانيون صناعة الزجاج ، كما اكتشفوا فى سواحله «صبغ الأرجوان» وهى المادة التى استعملوها فى صباغة الملابس .

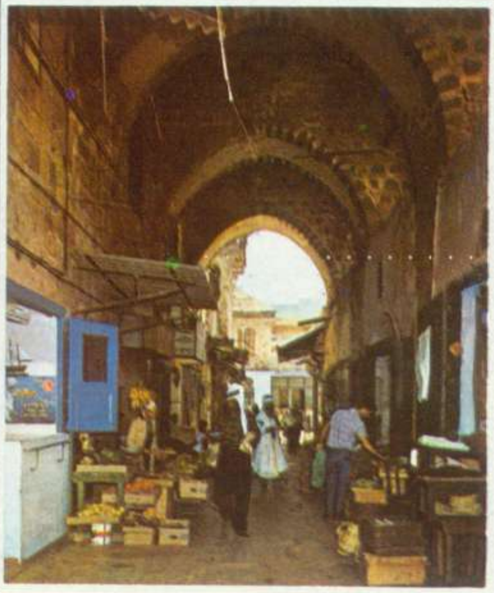
وكان قضاء عكا يتألف من مدينة عكا ذاتها ، اضافة الى اثنتين وخمسين قرية من اهمها : البصة ، ترشيحا ، سخنين ، الكابرى ، طربيخة ، مجدلكروم ، عرابة ، اقرت ، تمرة ، معليا ، الرامه ، البروه ، الزيب ، عمقا ، اضافة الى عشرة معسكرات يهودية تم انشاؤها فى العهد البريطانى الأسود اشهرها مستعمرة «نهاريا» الساحلية .

كان «العكيون» سباقين فى منازلة البريطانيين ومقارعتهم ، ولعل اقدم صدام بينهما وقع فى عام ١٩١٩ م . ثم فى عام ١٩٢٩ على اثر ثورة البراق ،

عكا مدينة تغــــازل الزمن



عكا القديمة .



احد الأسواق القديمة بالمدينة .

وشارك العكيون كذلك فى جميع الثورات والانتفاضات الشعبية التى قام بها اخوانهم فى المدن الفلسطينية الأخرى .

وقد تصدى شباب عكا للقوافل الصهيونية ومنعوها من المرور عن طريق حيفا ــ بيروت من اجل الوصول الى مستعمراتهم فى الشمال ، فاضطروا أن يذهبوا اليها عن طريق البحر فى حراسة البحرية البريطانية .

اما البلدة ذاتها فقد استمرت فى حياتها الاعتيادية بشكل عام ، ونشطت بلديتها فى تنظيمها وتنظيفها والعناية بها . وقد زارها فى تلك الفترة استاذنا المرحوم محمود العابدى فقال : «بعد أن زرنا مساجد المدينة الستة زرنا بستان «البهجة» الذى له من اسمه نصيب كبير وهو ملك آل بيضون ، وقد سبقت عكا غيرها من مدن فلسطين فى الاهتمام باحياء ذكرى المولد النبوى الشريف ، وقد كانت تغص بالوافدين اليها بهذه المناسبة» .

ومن المعلوم انه بجانب حديقة «البهجة» يقع قبر بهاء الله مؤسس البهائية ، وهم طائفة دينية جاءت مع البهاء من بلاد فارس ، واقاموا فى أدرنة اولا ثم بعثهم السلطان عبد الحميد الى عكا ، وعندما تم اعلان «الدستور» كفل لهم حريتهم ، وتقيم غالبيتهم اليوم فى عكا وحيفا .

عكا .. والصليبية الجديدة

برغم بطولة اهلها ، وتمرسهم على قتال الغزاة ، وبرغم حصانة أسوارها ، وشجاعة المدافعين عنها فقد سقطت عكا فى مستنقع الاحتلال الصهيونى الصليبى . ويصف المؤرخ عارف العارف ماساة السقوط بقوله : فى ليل يوم التاسع من أيار عام ١٩٤٨ ميلادية وصلت الهجمات الصهيونية الى ذروة حدتها ، فقد هوجمت المدينة بالوف من المسلحين الصهيونيين الذين كانوا يملكون احدث آلات الحرب .. وصمد مجاهدو عكا عشرة أيام ، وقاوموا ببطولة بالرغم من قلة عددهم ، وضالة عتادهم حتى نفدت ذخيرتهم ، وفقد الغذاء من مدينتهم ، وتحولت عكا الى ستالينجراد ودار القتال فى كل شارع وبيت ، واستطاعت مصفحات وزواحف ومدفعية وزوارق العدو البحرية من السيطرة على زمام الموقف ، وتمكنوا من احتلال المدينة فى ١٨ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ . وهو ذات التاريخ الذى دخلها فيه الأشرف خليل منتصراً على الغزاة الصليبيين قبل ستمائة وسبع وخمسين عاماً ، فيا لمفارقات القدر العجيبة !

مصابيح من عكا

قدمت عكا للاسلام والعروبة مصابيح مضيئة ساهمت فى انارة طريق المعرفة بمفهومها الانسانى الشامل . واليها تنسب الشخصيات التالية :

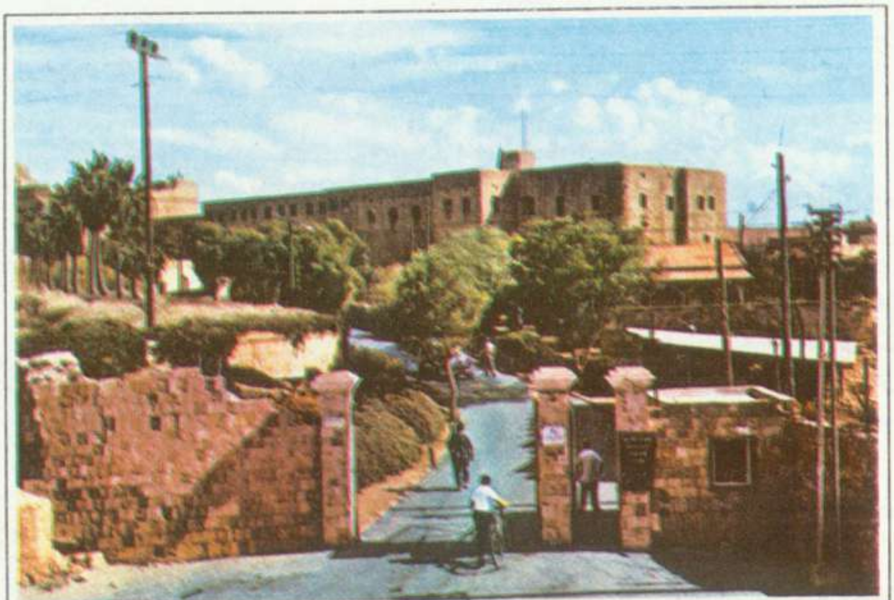
● الشيخ علي بن حسن المغربى اليشرطى الشاذلى : ولد عام ١٧٩٦ ميلادية ، تصوف على الطريقة الشاذلية فاصبح احد كبار مشايخ العصر ، وانتشرت عنه الطريقة الشاذلية ، توفي عن مائة عام ، وله زاوية وقبر يزار . خلفه ابنه الشيخ ابراهيم اليشرطى ، فاكمل رسالة والده الى أن توفاه الله فخلفه ولده السيد الهادي اليشرطى الذى كان يتمتع بنفوذ وهيبة كبيرين لدى أتباعه .

● ميخائيل الصباغ : له عدة مؤلفات ، ومشهور بدقة ابحاثه التاريخية . كان جده ابراهيم طبيباً حاذقاً لظاهر العمر ، توفي عام ١٨١٦ م

● احمد زكى باشا ١٨٦٧ ــ ١٩٣٤ ، ابن ابراهيم النجار الملقب بشيخ العروبة ، من الرواد الأوائل الذين ساهموا فى احياء الآداب العربية ، له عدة مؤلفات ، وجمع مكتبة ضمت ثمانية عشر ألف مجلد .

● سميرة عزام ١٩٢٨ ــ ١٩٦٧ : أديبة وشاعرة وقاصة ، ومترجمة ، عملت فى

● أهم أعلامها : الشيخ على اليشرطى ، سميرة عزام ، غسان كنفانى ، أحمد الشقيرى



قلعة عكا

الحقل الصحفى ، وتعاونت اذاعياً مع اذاعات الشرق الأدنى ، وبغداد ، وبيروت والكويت ، وعمان . لها مؤلفات قصصية قصيرة .

● المهندس خالد محمد الهادي اليشرطى ١٩٣٥ ـ ١٩٧٠ ، اتم دراسته فى بيروت ، وانضم الى حركة التحرير الوطنى «فتح» فاصبح احد قادتها ، توفى فى بيروت وهو فى ريعان شبابه وجهاده فى حادث غامض .

● غسان فايز كنفانى ١٩٣٦ ـ ١٩٧٢ اديب بارز ، وصحفى مرموق ، ومناضل شهم ، كانت له نشاطات واضحة فى الروايةوالقصة القصيرة ، والدراسة الأدبية والسياسية ، اغتيل فى بيروت بعبوة ناسفة وضعتها مخابرات العدو فى سيارته ، فانفجرت به وبابنة اخته .

● أحمد أسعد الشقيرى ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ كان والده عضواً فى البرلمان العثمانى وفى جمعية الاتحاد والترقى ، نال اجازة الحقوق ، وانتمى الى الحركة الوطنية ، وفى عام ١٩٤٥ اختير نقيباً للمحامين ، شغل منصب الأمين العام المساعد للجامعة العربية ، ثم عين رئيساً للوفد السورى فى الأمم المتحدة ، واستعارته المملكة العربية السعودية وزير دولة لدى الأمم المتحدة ، ثم اختير رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٤ ـ ١٩٦٧) . انصرف بعد ذلك الى التاليف ، حيث صدرت له اكثر من عشرة كتب . لقد عاش ومات من أجل فلسطين . رحمه الله .

معالمها الأثرية

تعتبر عكا فى طليعه المدن الفلسطينية التى يؤمها السياح لزيارة معالمها الأثرية والسياحية ومن أهمها :

● جامع الجزار :
تم بناؤه عام ١٧٨١ م ، وهو من اجمل مساجد فلسطين ، ويقال بأن به شعرات من شعرات رسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام محفوظة فى صندوق خاص والله اعلم .

بناه احمد باشا الجزار على غرار مساجد القسطنطينية ، تحيط به الحدائق والأشجار ، وهو مربع ومسقوف بقبة ضخمة ، تنتصب مئذنته الرائعة وسط باحته المستطيلة المحاطة باروقة مقببة قائمة على اعمدة من الجرانيت والرخام ، ويقيم بالأقبية موظفو الجامع وطلاب المدرسة الأحمدية . وتوجد بالمدرسة مكتبة ثرية تحتوى على نفائس الكتب والمخطوطات .

وفي الزاوية الشمالية من فناء الجامع توجد غرفة تضم قبرين من الرخام احدهما للجزار والثانى لخليفته سليمان باشا .

● القلعة :
وتقع شمالى المدينة القديمة ، تتالف من ثلاثة اقسام مخيفة الشكل :
١ ـ برج الخزنة وفيه كان الجزار يخبىء ثروته ويقيم فيه .
٢ ـ الجبخانة وكانت تخزن فيها الأسلحة والذخائر .
٣ ـ الثكنة العثمانية وهى تمثل «السجن المركزى الفلسطينى» وكانت دولة الانتداب الظالمة تغيب فى ردهاته معظم المعتقلين السياسيين ، وكان مبعث شؤم لدى المواطنين وسموه الباستيل . وكانت تتم بين جدرانه السوداء عمليات الشنق والاعدام لمئات من ابطالنا وثوارنا كما تقول الأديبة أسمى طوبي «وقد أعدم فيه اول ثلاثة شهداءفلسطينيين وهم الزير وجمجوم ، وحجازى . وبعد النكبة حول الأعداء قسماً منه الى مصحة نفسانية وحولوا قسماً اخر الى متحف للأدوات الحربية .

● خان العمدان :
بناه الجزاركمضافة للتجار قرب الميناء ، حوله الصهاينة الى ملهى ليلى . كما أن هناك خانات اخرى فى المدينة مثل : خان الشونة ، خان الفرنج ، خان الشواردة . وهناك أماكن أثرية مهمة مثل : السوق الأبيض ، حمام الباشا ، أسوار عكا البرية والبحرية ، قبر بهاء الله ومنزله ، تل الفخار أو تل نابليون . كما ان بالمدينة مساجد ، وحمامات ، وأديرة ، وكنائس ، وقصور ، وزوايا ، وقبر النبى صالح عليه السلام (والله أعلم) ، وقبور بعض أولياء الله الصالحين ، وحدائق ومنتزهات .

وجهاً لوجه

وأخيراً .. وبعد أن قطعنا ما يقرب من مائتى كيلو متر فى طريقنا من خان يونس الى عكا وصلناها عصراً .. وكنا خلال هذه الفترة الزمنية قد فرغنا من «سياحتنا التاريخية» لتبدأ «سياحتنا الميدانية» لهذه المدينة العريقة التى عرفها الزمن فاخذ يغازلها فصاغها قلادة ثمينة علقها على صدره الرحيب فى زهو وخيلاء .

كان دخولنا أولا الى عكا الجديدة ، والجديدة تعنى انها بنيت بعد الاحتلال

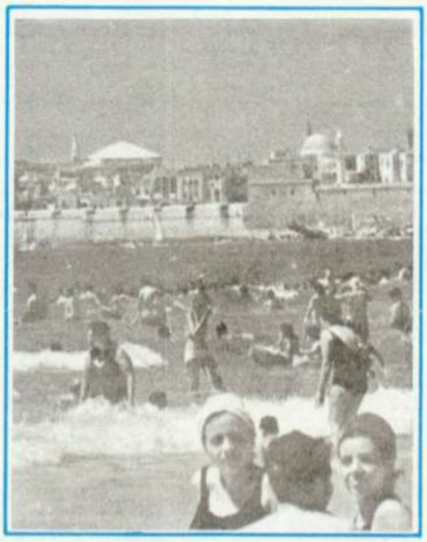
الصهيونى الأول ، ولقد برعت فيها يد الهندسة الحديثة ، فخططت شوارعها على هيئة مستطيلات بها أبنية ذات طوابق أربعة ، جاءت بطريقة فنية تمنع اقامة بنايتين متجاورتين ، بل لابد أن تفصل بينهما حدائق عامة .

والحقيقة اننا لم نتفاعل مع عكا الجديدة تفاعلا وجدانياً ، لأننا شعرنا بغرابتها علينا ، وغربتنا بالنسبة لها ، كنا فى شوق عارم الى «عكا القديمة» .. عكا فلسطين ، والاجداد ، والتراث ، والأمجاد الغابرة ! مساكنها من الطراز القديم ، لم تمتد اليها يد الحداثة ، شوارعها مبلطة بقطع ضخمة من الاسمنت . اهم شوارها مازال يحمل اسم صلاح الدين الايوبى ، وهناك شارعان يحمل احدهما اسم «الهاجاناه» والآخر «وايزمان» !

على أمل اللقاء

لاحظت وجود الكثير من المكتبات العربية ، اثار انتباهى اسم «مكتبة الحياة» ولم اجد صعوبة فى التعرف على صاحبها الشاب ظاهر ياسين .. فاخذ يحدثنى عن بعض جوانب حياتهم فقال : يوجد لدينا آلاف الكتب العربية والانجليزية .. انا لا أتعامل مطلقاً مع الكتب العبرية .. انظر الى أرفف الكتب اننا نتعامل مع كبار الأدباء والكتاب العرب فى شتى مناحى المعرفة ، السلطات الاسرائيلية تسمح لنا باستيراد اغلب الكتب ولا تمنع إلا ما ترى انه خطر عليها .. عندى كتب سياسية حتى لرجال المقاومة الفلسطينية .. كثير من المطابع العربية هنا تعيد طباعة الكتب الرائجة وتحقق ارباحاً كبيرة لأنها «تبلع» حقوق الناشر والمؤلف .

لا أزعم اننى تقي .. الجامع بجوارى واسمع نداء المؤذن لكننى لا البيه ، جرفتنا الحياة فى ملدياتها . عدد المصلين قليل جداً .. حتى فى صلاة الجمعة واغلبهم من كبار السن ، سمعت والدى يتحدث عن الكثرة الهائلة فى عدد المصلين بجامع الجزار قبل الاحتلال ،



منظر من الشاطىء .

حيث كانوا يملأون القاعة الكبيرة اضافة الى سلحاته الخارجية الفسيحة .

إن اليهود يحاربون الاسلام بشتى الطرق ، واعتبر ان عدم صلاتى نجاح لسياستهم ، الكثيرون من الشباب لا يصلون مثلى ، هذه ادانة لنا ولكنها الحقيقة اخشى العذاب لكننى طامع فى مغفرة ربى عز وجل .. اليهود يخططون اكثر من العرب ..لقد انشاوا فى شرقى البلد منطقة صناعية ضخمة «مدينة الصلب» وفيها مصانع للمعلبات والسردين . والبورسلين . كما انشاوا محطة مراقبة الاشعاعات النووية فى البلدة ، وهذه طريقتهم فى كافة المدن . ومحظور علينا الاقتراب منها ، فهل يوجد عندكم مثلها ؟

اضافة لذلك فهناك مصانع للفخار والمرايا والخزف والنسيج والدهان ، ومصنع ضخم للصناعات الكهربائية الكيماوية .

كثير من العائلات الفلسطينية فى عكا تعود بجذورها الأولى الى الأصول التركية والصليبية ، والمصرية ، والسورية ، والمغربية وذلك بسبب الوضع التاريخى الخاص للمدينة . لكن هـذا لا ينفى وجود عائلات عكيــــة عريقة . وإن لم تكن كثيرة العدد مثل : اليشرطى ، العكى ، العفيفى ، عرابى ، الحزوبى ، حنانيه ، فرح ، الطوبى ، شبل السعدى ، الشقيرى ، فضة ، كتمتو ، خمار ، البورى ، الخياط ، بيضون ، الشاعر وغيرها .

نحن أساساً من قرية «البروة» التى ولد فيها الشاعر محمود درويش والمناضل احمد البروانى ، لقد أباد اليهود قريتنا تماماً واقاموا مكانها مستعمرة لهم .. وتشتت شمل أهل قريتنا

ليست لدى ثقة فى الحاضر ، ولكن لدي ثقة فى المستقبل ، يوم يتحد العرب وحدة قلبية حقيقية !

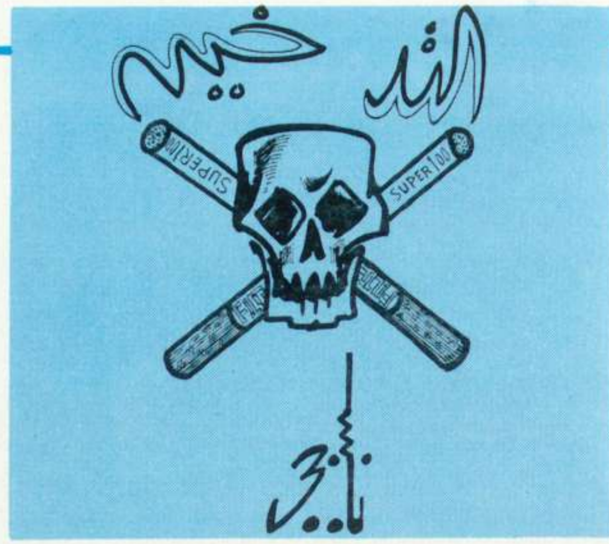
شكرت «ظاهراً» ، وودعته بلهفة على امل اللقاء ذات يوم .. أى يوم !!

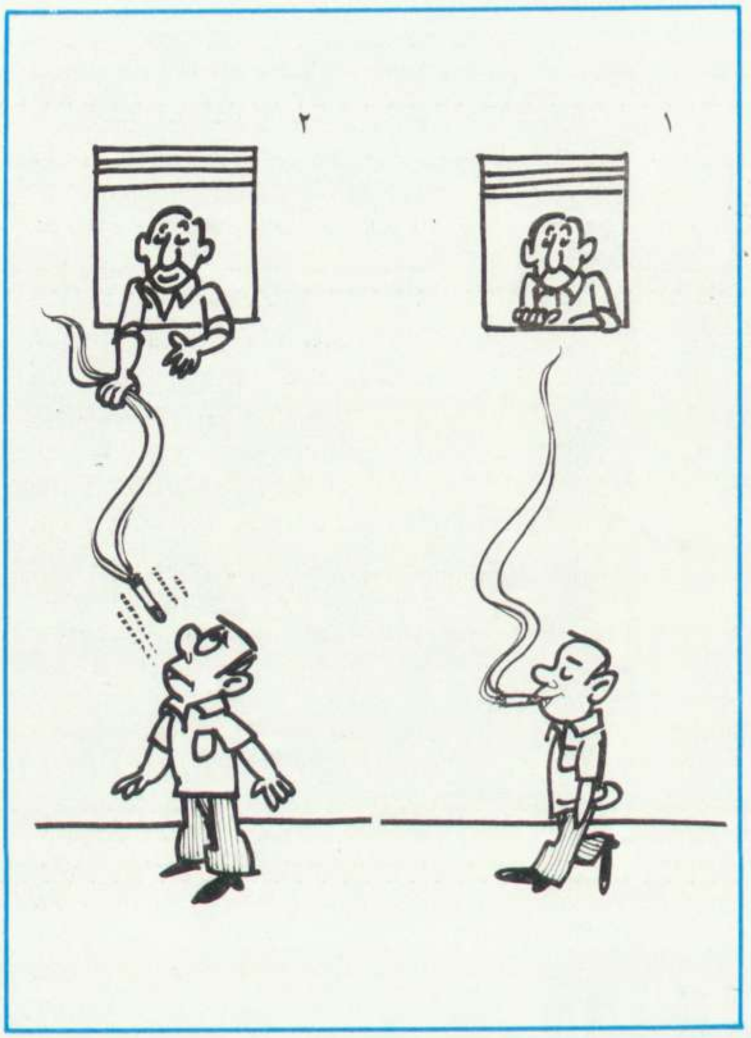
توجهنا الى الأسوار البحرية ووقفنا على أول سور تجاه البحر ، مددت بصرى صوب الأفق الممتد بعيداً ، اشتممت رائحة اسرتى الفلسطينية العربية ذات الأمجاد الغابرة ، حبى الاكبر الذى فلجته السياسة الحمقاء ، والحقد الدفين ، كدت ساعتها أن ارفع عقيرتى وأصرخ من أعماقى يا الف الف وامعتصماه ، يا الف الف واسلاماه ، أين انت يا صلاح الدين .. يا اشرف خليل ، يا جزار ، يا ظاهر العمر ، تعالوا أيها الأموات فانقذوا عكا بعد ان فشل الأحياء فى انقاذها !! وأفقت من شرودى واحلامى على رنة غضب من احد الرجال العرب اطلقها على مجموعة من الصبية الذين يلاحقونه بتهكماتهم وتعليقاتهم ، فحاولت أن أكفهم عنه فقالوا انه مجنون! فاومات برأسى ، وانا اغالب دموعى مبتهلا الى الله أن يرحم كهولة ذلك الرجل «العاقل» الذى يعيش فى زمن «مجنون» !

• • •

ركبت السيارة وانا أوارى نفسى من نفسى .. خجلا ، وأسفاً ، والماً ، مترنماً بترداد قوله تعالى «ربنا افرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين» .

نبيـل خالـد الآغـا


التدخين

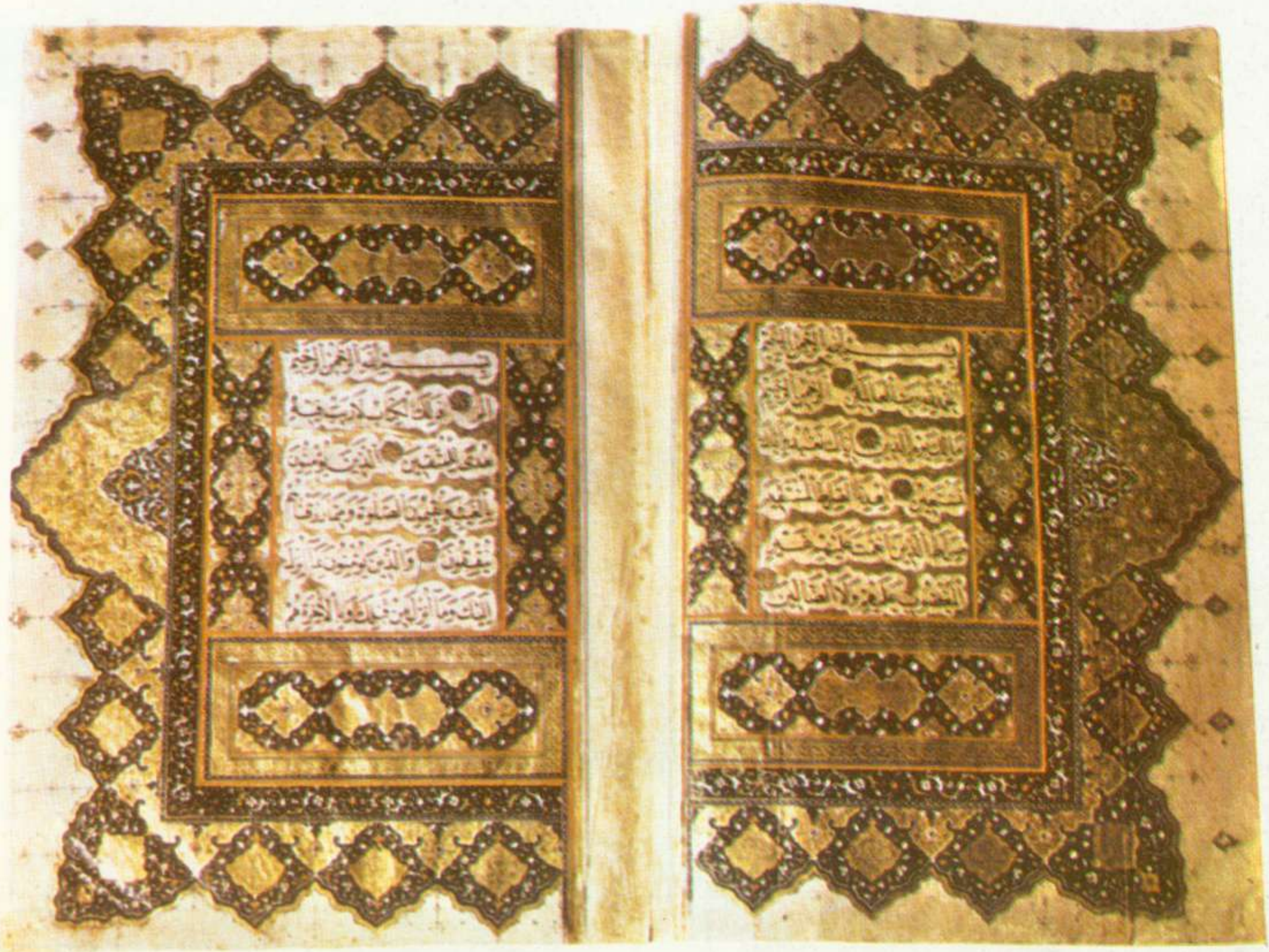

١
٢











توثيق القرآن الكريم أولى منجزات العلم الإسلامية

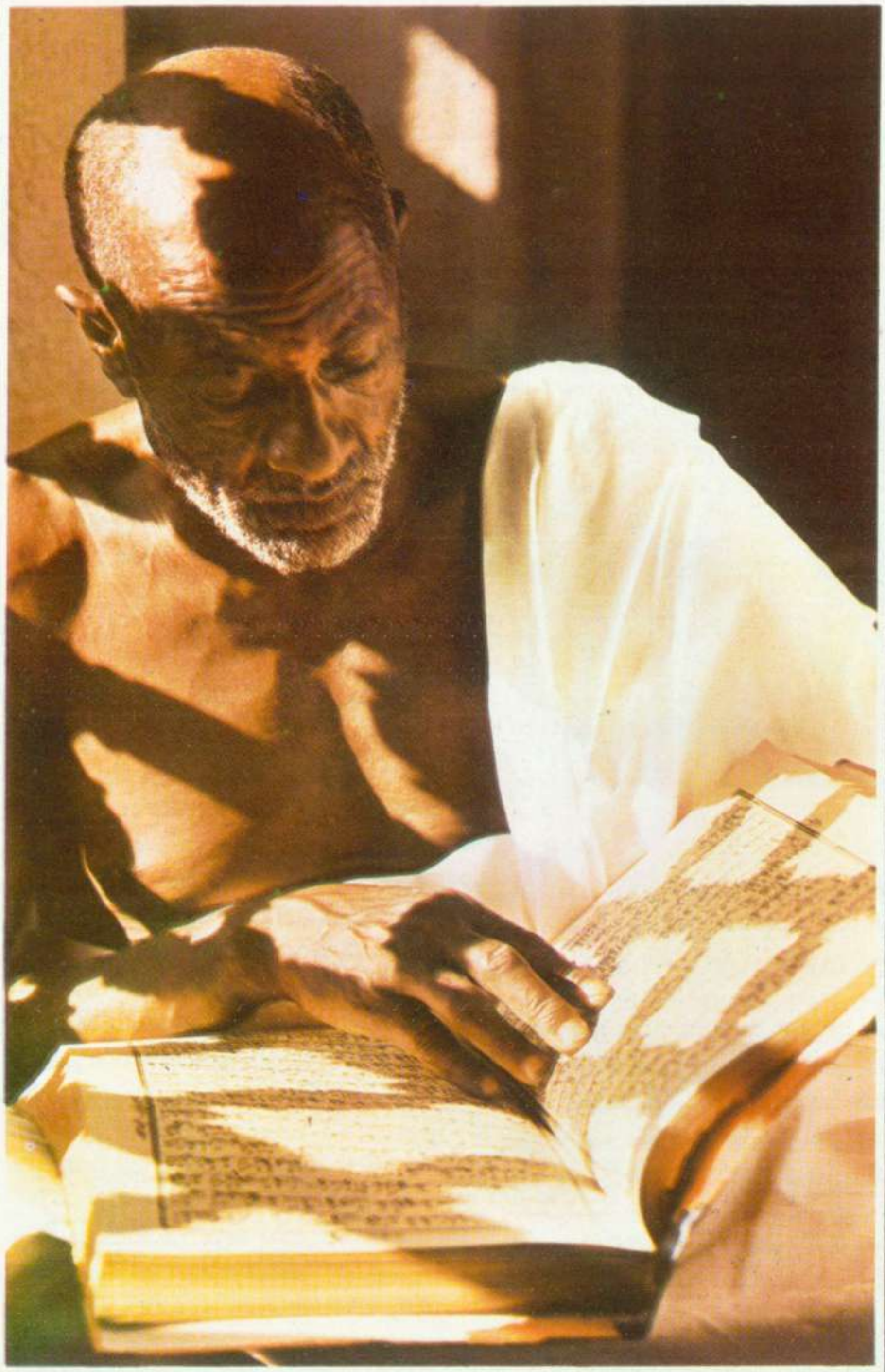
بقلم : أحمد العنانى

من ابرز المواد فى محتوى القرآن الكريم ولا سيما فى مطولات السور المدنية الوصف المتكرر لما فعله اليهود بالأنبياء والكتب السماوية المنزلة ، وما احدثوه فيها من تحريف وتصحيف وما اخفوه منها من امور لا تناسب أهواءهم ومصالحهم ، وما استحدثوه وأدخلوه من افتراء على الله ، أن كان اليهود دائماً ينطوون على جنوح لعبادة «العجل الذهبى» وتسخير الدين للمصالح الدنيوية ، والمتاجرة بكل تلك المدخلات أو المحذوفات من النصوص الأصلية للكتب السماوية ..

ولهذا فما إن توفى الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم حتى بدأ هاجس المسلمين بشأن ضرورة الحفاظ المحكم على النص الأصلى للقرآن الكريم

رسوخ النص القرآنى

لم يستقبل نص فى التاريخ من أية أمة بأية طريقة أو كيفية يمكن مضاهاتها بما حصل بالنسبة للقرآن الكريم ، فلقد كان المسلمون الأولون يتوقعون نزول شيء من القرآن فى كل حادثة كبرى أو ذات مغزى فى حياتهم ، وكذلك حيال ما قد يعتور تلك الحياة من فتنة أو خلاف واضطراب ، هذا بالاضافة الى ما لم يكن للمسلمين به علم ولا توقع كالكثيرمن التشريعات المدققة المفصلة كشئون الميراث والحياة الأسرية وفروع موضوعاتها كالخطبة والزواج والطلاق ومتعلقاته من عدة ونفقة ورعاية أولاد . وفى الحالين ولا سيما فى حالة توقع النزول كما كان فى بدر وأحد وحنين وبعد فتنة الافك وفتنة المنافقين لدى الرجوع





لوحة زيتية للفنان جلال بن عبد الله تبين أدوات وكيفية زخرفة القرآن



نسخة تونسية مزخرفة

● كـــــان القـرآن هو الشغل الشاغل للحركة التى أوجدها ظهور الاسلام بمكة

● مصحف واحد يحوى النص الـــقرآنى مكتوب على وفق اللـهجة القرشية الفصحى

من غزوة بنى المصطلق او تخلف البعض عن الجهاد أو محاولة تاسيس مسجدٌ آخر للمسلمين بنية غير سليمة الى آخر ذلك .

اقول ، فى الحالين كان المسلمون ولاسيما الصحابة الملاصقون للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كلهم آذاناً صاغية فما إن يتلو الرسول الآيات الجديدة حتى تتلقفها الاسماع بمنتهى اللهفة ، ويبادر البعض كل حسب الوسيلة المتاحة له الى تدوين الآيات الجديدة لاضافتها الى ما عنده ، ومراجعة تلاوتها وحفظها وتكرارها ، والاصغاء لصلاة الرسول عليه السلام بها ، والتزام الأمر أو الموعظة اللتين قد تنطوى الآيات عيهما ، أو التعليم أو التحذير الواردين بها ، وكان القرآن ، محتواه وشكله ، هو الشغل الشاغل للحركة التى أوجدتها ظهور الاسلام بمكة أن كان القرآن يتحدى القرشيين على ما امتازوا به من فصاحة أن يضاهوا ولو آية واحدة من أي التنزيل أو يحاكوها ، حتى إن بعض عتاة الكفرةكانوا يتسللون للتسمع لصلاة المسلمين بالقرآن ويظهرون مع الاهتمام الكبير اشد الدهشة لذلك النسيج الفذ من القول المؤثر الذى يعجزون عن محاكاته ويلجون فى الجدال بعدم التصديق مع ذلك بنزوله السماوى ...

لم يكن وارداً مع كل تلك الظروف لن يقع أى خطا فى النص القرآنى أو مخالفة عن الصورة التى جاء بها جبريل عليه السلام الى المصطفى الأمين ولقد كان كل واحد من المسلمين الأوائل على ذلك الجانب المخلص من الانشغال الدائم بالقرآن الذى لا يمكن أن يحصل معه

تحريف أو تغيير أو التباس فى اية كلمة أو عبارة منه ، فهو مسجل عند الكثيرين محفوظ فى صدورهم أجمعين مردد منهم صباح مساء ، وارد على السنتهم وجائش بخواطرهم فى كل ما يعن أو يعرض لحياتهم من قضايا .. فالرسول الكريم أخلاقه القرآن والمسلمون يتاثرونه كل الوفاء والمحبة والاعزاز الذى يكون من المؤمنين الذين يحسون بشرف معاصرة آخر الأنبياء محمد عليه السلام .

ثم كانت حروب الردة

كان طبيعياً جداً أن تؤدى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كاعظم انسان عرفته الدنيا بشهادة المحبين والأعداء المنصفين ، الى هزات عميقة وأن يترك صدى هائلا شمل شبه الجزيرة العربية من أقصاها الى أقصاها ، بل إن تلك الوفاة أحدثت ذهولا ضخماً حتى فى أنفس بعض صحابته عليه السلام من أقرب المقربين له . لكن الغمة لم تلبث أن انكشفت عن جميع من بالمدينة بالرؤية الواضحة الحاسمة للرجل الصادق الفذ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول خليفة له أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وبينما استمسك أبو بكر بحرفية أهداف الرسول الكريم وتابعه الصحابة فى عزمه حيال انفاذ جيش اسامة بن زيد ، والتشدد الحاسم مع القبائل الجديدة العهد بالاسلام والتى فتنت وارتدت ، إلا أن أولئك المفتونين الكثار ظنوها فرصة يهتبلونها للتخلص من الجوانب الحضارية المنضبطة من الاسلام كنظام للحياة الدنيا وللآخرة ، وعاودتهم ذهنيتهم القبلية وعصبياتهم القديمة فارتدوا عن الدين أو عما زعموا انهم لا يقبلون به كدفع الزكاة لحكومة الاسلام فى المدينة ، وكان من أشد الناس عتواً فى تلك الردة قبائل شرقى الجزيرة العربية الأمر الذى أدى فى معركة اليمامة لاستشهاد عدد ناهز السبعين رجلا من حفظة القرآن الكريم .

وتعاظم الأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخاصة وخشي على القرآن الكريم من عواقب فقد ذلك العدد الكبير



بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالاخرة هم يوقنون اولئك

من الصحابة والحفاظ ، وقيل إن عمر مضى لأبى بكر رضى الله عنهما يقول له «لقد استمر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة وإنى اخشى أن يستمر ذلك فيذهب من القرآن كثير وإنى أرى أن تامر بجمع القرآن» ، وقيل ان أبا بكر رضى الله عنه تردد تحرجاً من فعل شىء لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل عمر يراجعه فى الأمر حتى شرح الله تعالى صدره لذلك ، فندب للأمر زيد بن ثابت وهو من ابرز كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أوثق حفاظ الكتاب الكريم .

التوثيق :

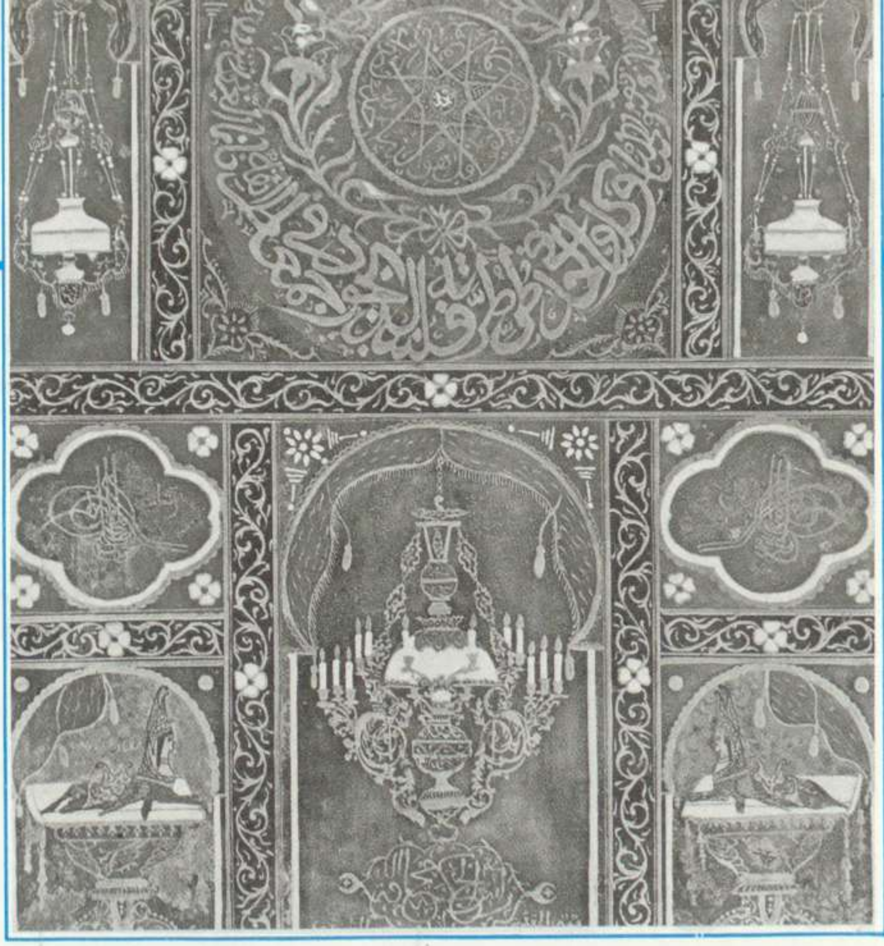
أمر الخليفة كل مسلم لديه أية صحف أو رقاع أو عسب أو اية مادة عليها نصوص قرآنية مكتوبة أن يضعها تحت تصرف زيد بن ثابت كما عين ، إلى جانب زيد ، سالم مولى أبو حذيفه الذى يعتبر من رواد الدراسات الاسلامية ، ليتولى مهمة الجمع ، أما زيد فكان يتولى التدوين للنسخة الأولى المتكاملة من النص القرآنى التى وضعت بعد أقل من سنتين من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان معظم المسلمين يحفظون كل على قدر قريحته ، ومنهم من يحتفظ بالرقاع إضافة إلى حفظه .. لقد كان زيد شاباً يوصف «برجاحة العقل وحسن السيرة» وعلاوة على ذلك فقد كان ، بلغة يومناهذا ، على أكبر قدر من المسئولية يدل على ذلك ما عرف عنه من تكراره القول «فوالله لو كلفونى ثقل جبل من الجبال ما كان أثقل على منه (أى من جمع القرآن ومسئولية ذلك)فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال» .

لم تكن طريقة زيد رضى الله عنه إلا طريقة البحث العلمى المنهجى بكل ما تحمله العبارة من معنى فهو بالنسبة للحفاظ كان يشترط على الحافظ أن ياتى بشاهدين يشهدان بان ما اتى به الرجل محفوظاً فى صدره أو فى مخطوطته كان طبقاً لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم العرضة الأخيرة ، وكتب بين يدى الرسول عليه السلام .وكان القرآن بكامل نصوصه قبل أن تضم النصوص بعضها الى بعض قد عرض فى السنة الأخيرة لحياته عليه السلام من قبل جامعى القرآن على عهده عليه السلام وهم كما يذكر محمد بن اسحاق فى الفهرست على بن ابى طالب ، وسعد بن عبيد بن نعمان وأبو الدرداء عويمر بن زيد ، ومعاذ بن جبل بن أوس وأبو زيد ثابت بن زيد وأبي بن كعب بن قيس .

وبعد مطابقة نص الآية على كل متوفر من العسب أو اللخاف أو اكتاف الغنم والمواشي وعلى حفظ الحفاظ ، كان زيد يتولى تدوينها فى الأديم (الجلد المدبوغ) فلما أكمل مهمته تقدم بكامل صحائف الأديم الى الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ، ثم انتقلت العهدة الى خليفته عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الذى أودعها عند ابنته حفصة لتكون مسئولة عن صيانة العهدة أمامه ، وظلت الصحائف عند حفصة الى ما بعد وفاة والدها ، وطلب خليفته عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك منها لكى يتولى تدوين مصحف يقرؤه المسلمون جميعاً فى الأمصار كما فى المدينة ...

اختلاف اللفظ للنص الواحد

من الأمور المعروفة لسائر الناس أن



الكلمة الواحدة تتعرض لتغاير طفيف فى النطق الصوتى فى القطر الواحد بين بلد وبلد ، وفى القضاء الواحد بين قرية وقرية أو قبيلة وقبيلة ، وذلك واضح فى طريقة لفظ حروف العلة ، ولاسيما الألف بين المد والقصر ، بين الاطالة العلوية والامالة اليائية .. وكان ذلك يقع فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحيث أن ذلك لا يمس النص القرآنى بما يضار بن محتوى أو شكلا وكان عليه السلام يتسامح فى سماع تلك الفروق التى حصرت لاحقاً فوجد أن الممكن تصنيفها فى سبع مجموعات من طرق اللفظ ذوات الخصائص المحددة المعروفة التى عرفت باسم «الأحرف السبعة» .

وكان طبيعياً ألا يثير الموضوع أى ردودفعل ما ظل الأمر محصوراً فى نطاق القبائل العربية الأصيلة داخل شبه الجزيرة فان القرشيين مثلا يعرفون أن التميمى يميل الألف حتى لتخرج من شفتيه أقرب الى لفظ الياء ، ولكن حين خرج المسلمون للفتح فى الأمصار واختلط بالعرب غيرهم من المسلمين المستجدين من الشعوب الأخرى التى أخذت العربية تفشو بينهم طبيعياً أن يظهر بعض الأشكال وسوء الفهم وانه لأمر طبيعى أن يستهجن البعض طريقة لفظ البعض الآخرين وأن يحصل تنافر بين بعض الجنود فى المعسكرات أيهم أصلح لفظاً وأكثر قربـا من الصواب المطلق .

وتجمع الروايات التاريخية على أن حذيفة بن اليمان تولى قيادة جند الفتح فـ، أذربيجان فى عهد ولاية سعيد بن العاص على البصرة للخليفة عثمان بن عفان ، وأن حذيفة لاحظ فى معسكره جنداً من حمص يزعمون أن قراءتهم للقرآن خير من قراءة غيرهم لأنهم أخذوها عن المقداد بن الأسود بينما يقول جند من الكوفة إن قراءتهم خير لأنهم أخذوها عن عبد الله بن مسعود فيما يقول البصريون إن قراءتهم على أبى موسى تجعلهم أصح من كل من عداهم .

وتعاظم الأمر حذيفة وراح يتولى حملة جادة لاعتماد اللفظ القرشى فى مصحف موحد اللفظ منعاً للمجاذير وحباً للخلاف فحدث بذلك سعيد بن العاص كما حدث به عدداً من الصحابة وأخيراً جهر برأيه للخليفة فبادر عثمان رضى الله عنه الى استشارة أصحاب الرسول فتعاظمهم الأمر واشاروا بما أشار به حذيفة وفعلا أمر الخليفة زيد بن ثابت يعاونه عبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام للقيام بالتدوين الثانى للقرآن الكريم على أساس الحسم فى الفروق اللفظية باعتماد اللفظ القرشى ، أفصح وأسلم لفظ عند العرب ، علماً بأن سائرى زملاء زيد فى المهمة هم من القرشيين .

التدوين الثانى

وهكذا فان الرجل الذى شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى تولى عملية التوثيق والتدوين الأول الذى حفظ النص ، كما قام بالتدوين الثانى الذى اعتمد لفظ قريش ، وحالما انتهى من مهمته بكل روح المسئولية العظيمة التى أظهرها فى سابق جهده .

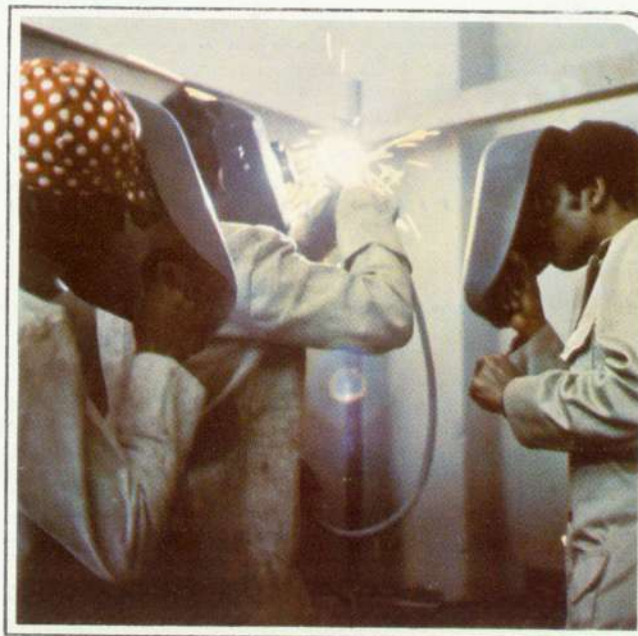
وأصدر الخليفة عثمان رضى الله عنه أمراً باحراق سائر التدوينات الأخرى واعتماد النسخة التى انجزها زيد وزملاؤه ، وانجز من النسخة المعتمدة أربعة مصاحف أبقى أحدها بالمدينة وأرسل بالنسخ الثلاث الى كل من الشام والبصرة والكوفة .

لم يعد هناك إذن سوى مصحف واحد يحوى النص القرآنى مكتوباً على وفق اللهجة القرشية الفصحى ، ويتلى بها ، ولا رسم لكلماته غير ذلك الرسم العثمانى ، فلو قرأ رجل باحدى القراءات السبع أو الحروف السبعة فان ذلك لا يغير ولا يبدل شيئاً من رسم القرآن الكريم الذى نسبت قراءاته الشفوية السبع الى أبى عمرو بن العلاء البصرى ، وحمزة وعاصم الكوفيين ، وابن عامر الشامى وابن كثير المكى ونافع المدنى .

وقد أصبحت الفروق اللفظية الحتمية لأحرف القراءات السبع أساساً لعلم عرف بعلم القراءات كان من شيوخه المعروفين ابو بكر بن مجاهد البغدادى الذى بلور ذلك العلم وبنى هيكله الأساسى فى النصف الأول من القرن الرابع للهجرة ..

وهكذا تحقق وعد الله جل جلاله بحفظ الذكر الحكيم فكان أحكم وأقدم وأوثق وثيقة عرفها الانسان ناجية من كل تحريف وتبديل ...

«أحمد العنانى»









تحقيق: نادية رزق

قطريون

وجها لوجه أمام الصناعة

فى عام ١٩٧٠ ، قررت هيئة الأمم المتحده إنشاء مركز اقليمى للتدريب والتطوير المهنى فى منطقة الخليج .

ولابد أن هيئة الأمم المتحدة كانت لديها ـ قبل ذلك التاريخ بست سنوات ـ المعلومات الكافية عن قرار سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، بانشاء إدارة التدريب والتطوير المهنى فى دولة قطر . إذ كان سموه يرى ببصيرة الحاكم المسئول عن مستقبل وطنه وشعبه ، أنه لا بديل عن الاتجاه نحو خطة التصنيع من أجل تامين مستقبل البلاد وتنويع الدخل القومى فيها . ولأن التصنيع يحتاج بالضرورة الى فنيين ومهنيين مهرة قادرين على العمل فى المصانع والشركات والمؤسسات .. فان انشاء مركز للتدريب والتطوير المهنى يصبح ضرورة أولى على طريق التنمية وهكذا تحول القرار الى التنفيذ :

قامت ادارة التدريب ـ تحت اشراف مديرها فايز قدورة ـ بتأسيس الأقسام المطلوبة . وهكذا بدأ الشباب القطرى يدخلون عالم الآلة المعقدة من باب العلوم النظرية والتطبيقية .

ولهذا .. حين أصدرت هيئة الأمم المتحدة قرارها بانشاء مركز اقليمى للتدريب والتطوير المهنى فى منطقة الخليج .. رأت أن تكون دولة قطر هى مقر هذا المركز . أولا : لخبرتها السابقة فى استلهام الفكرة من واقع احتياجات البيئة وتطبيقها . وثانياً : لأن الموقع الجغرافى لدولة قطر يضعها فى الوسط









● الشباب القطرى يدخل عالم الآلة المعقدة من باب العلوم النظرية والتطبيقية !

● التحدى الحقيقى للعصر هو الاتجاه نحو التصنيع

● لماذا اختارت هيئة الأمم قطر لانشاء مركز إقليمى للتدريب ؟

بين دول الخليج ، وذلك يجعل من المركز مصباً سهلاً تتجه اليه رغبات الشباب فى المنطقة ، مثلما يجعل منه مركز إشعاع تقنى لكل مؤسسات الانتاج فى المنطقة .

وهكذا أيضاً – قبل البدء فى انشاء المركز الذى قررته هيئة الأمم المتحدة – أجريت الاتصالات بين دولة قطر وباقى دول المنطقة لمعرفة احتياجات المستقبل من الفنيين المهرة المدربين للعمل بالمصانع والشركات والمؤسسات فى كل من دولة قطر والدول الخليجية . مثلما أوفدت هيئة الأمم المتحدة خبراءها لكى يستعان بهم ضمن برنامج التنمية . وقد استمر هذا التعاون لمدة خمس سنوات تحقق خلالها :

● تحديد الأهداف الرامية الى تأسيس وإدارة مركز التدريب **المهنى** لتامين التدريب المطلوب .

● تنظيم برامج التدريب المكثفة للمتدربين النظاميين .

● تنظيم برامج تدريبية للدورات الخاصة والوظائف المستحدثة من أجل تحسين كفاءات المهنيين والمراقبين والمشرفين .

و .. بالتدريج ، تم الاستغناء عن خبراء الهيئة . وحل محلهم مدربون قطريون وعرب . ولم يبق فى المركز غير خبير أجنبى واحد . مثلما اقتنع المسئولون بضرورة تبعية مركز التدريب والتطوير المهنى لدولة قطر ، بحيث تتكفل بميزانيته كاملة ، والتى بلغت هذا العام ٢٣١ر١٧ مليون ريال قطرى ، وذلك





قطريون وجهاً لوجه أمام الصناعة

لكى يقوم بتدريب القطريين مهنياً ووظيفياً بالطريقة المناسبة والتى تخولهم الاحلال محل الموظفين الأجانب .

الكوادر الفنية

.. فى لقاء مع فايز قدورة مدير إدارة التدريب والتطوير المهنى قال لي :

– إن هذا المركز هو الوحيد فى منطقة الخليج ، وباقى دول المنطقة تستفيد من وجوده ومن التسهيلات التى تقدمها دولة قطر ، من أجل إعداد كوادر فنية من أبناء الخليج .

وقال لي إنه على سبيل المثال تخرج من المركز فى عام ١٩٧٩ بالتحديد ١٠٥٠ متدرب قطرى ، ١٧٨ عمانى ، ٦٤ يمنى ، ٦١ من دولة الأمارات العربية ، و ٤ سعوديين ، فضلا عن عدد من المتدربين من بين أبناء فلسطين والأردن والصومال والسودان وتنزانيا وباكستان ، فقد بلغ عدد المتخرجين فى العام الماضى ٢٧٣٠ متدرب ، كما أن حكومة قطر تتولى صرف مكافأة مالية لكل المتدربين .

طموح التدريب

وداخل مركز التدريب المهنى يمكنك أن ترى الورش المجهزة بأحدث المعدات المختارة التى يجد فيها المتدربون أنفسهم فى أعمالهم ، بالاضافة لمختبرين لتعليم اللغة الانجليزية .

كما يحتل المركز موقعاً جميلا على مساحة تبلغ ٦٢ر٦٠٠ متر مربع ويبعد حوالى سبعة كيلو مترات غربى مدينة الدوحة فى مدينة خليفة ، وعلى إمتداد كورنيش الدوحة .

وقد تم الانتهاء من إعداء ورشة للأدوات الدقيقة ، وورش للعلوم الهندسية ، كما يجرى إنشاء قسم جديد للديكور ، وغرف جديدة للدراسة بقسم الدورات الخاصة ، وبناء مكتب للرسم الهندسى ، وورشة لجهاز الاختبارات النظرية .

وعندما يلتحق الطلبة الذين انتهوا من الدراسة الابتدائية بمركز التدريب المهنى لابد من مرورهم أولا بقسم الدورات التحضيرية لتأهيلهم للالتحاق بالأقسام المهنية الأخرى ، وبعدها يتم تحويلهم الى الأقسام التى تناسب قدراتهم وميولهم العلمية .

ومدة التدريب بهذا القسم ستة شهور فى الغالب ، وهذا بالطبع يعتمد على ما يبديه المتدرب من تقدم .

والغرض من الالتحاق بهذا القسم هو اعطاء المتدربين الفرصة للتعود على استعمال الآلات اليدوية الدقيقة بالاضافة لتدريبهم على اللغة الانجليزية الأساسية للعمل ، وتحسين مقدرتهم فى الحساب ، وكذلك تعريفهم بالمصطلحات الهندسية البسيطة ، وتدريبهم على عمليات القياس الدقيقة على مقاييس متنوعة مترجمة ومختارة لتناسب مستواهم .

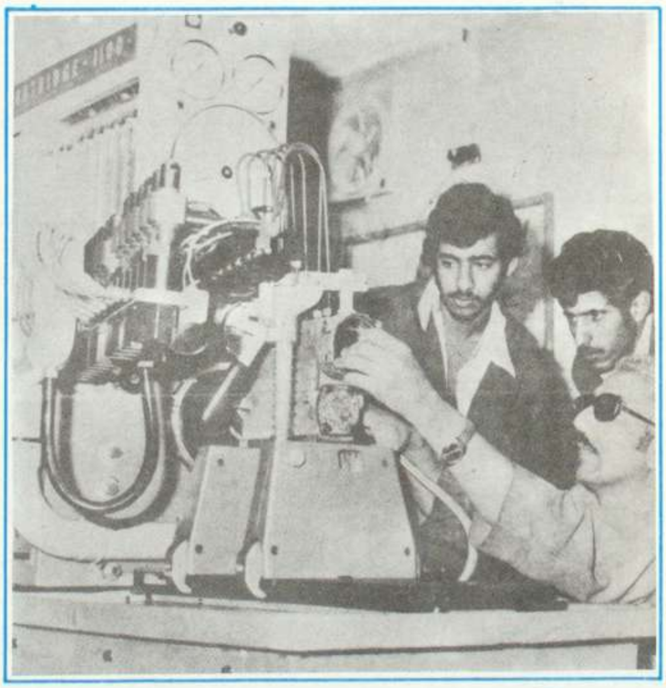
وفى نهاية الدورة يتم تقييم مقدرة كل متدرب حتى يتم تحويله الى قسم التدريب المهنى الذى يبدى نحوه المقدرة الكافية والاستعداد المناسب .

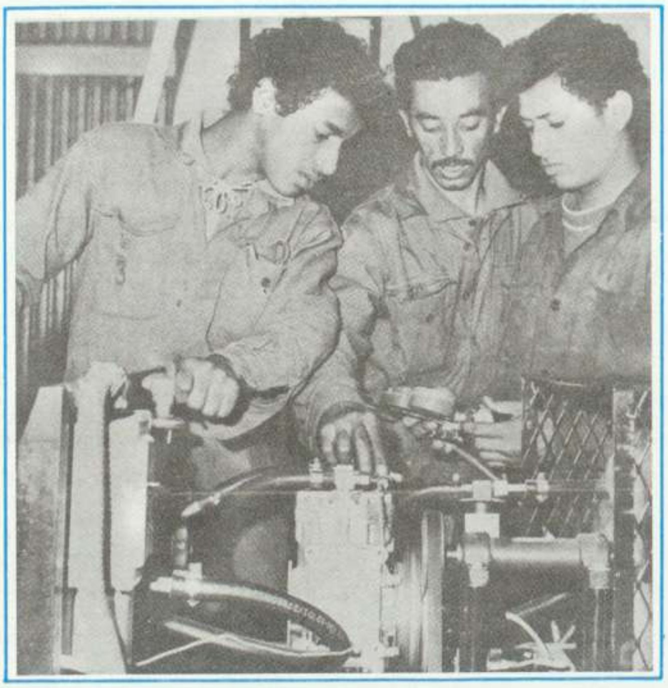
عرض الحقائق

وتاتى الأقسام الأخرى ومهمتها تدريب المهنيين الأكفاء على المهن المختلفة المطلوبة فى الدولة .. ولابد للمتدربين على هذه المهن أن يكونوا حاصلين على شهادات أعلى من الدراسة الابتدائية عند الالتحاق بهذه الدورة التى تتضمن : النجارة ، **الميكانيا** ، التكييف والتبريد ، توليد **الطاقة** ، الديكور ، الخراطة وغيرها .

ومدة الدراسة فى هذه الدورات سنتان ، وتدرس بها المواد العملية والنظرية على السواء بالاضافة لدراسة اللغة الانجليزية والرياضيات والعلوم الهندسية ، وغيرها من العلوم المتعددة .

ولا تؤمن إدارة التدريب فى المركز بأن التدريب مجرد نظريات تعطى للمتدرب ، وعليه أن **يتقبلها** كما هى ، بل تؤمن





● المستقبل للعمل المهنى الذى يعتمد على براعة من يعمل أمام الآلة !

بضرورة عرض الحقائق فى مختبرات العلوم لتوضيح كل برهان ، ثم يطلب من **كل متدرب أن يقوم باجراء التجارب بنفسه حول النظرية المتعلقة بالبحث الذى يدرسه ، وبناء عليه يتم تخريج مهنين ذوى كفاءة ومقدرة ومصدر ثقة لكل من مركز التدريب والدوائر الحكومية** والمصانع التى سينضمون اليها .

كما أن هذا التدريب يسهل عليهم التقدم السريع فى المستقبل للقيام بتدريب أكثر تقدما على المستوى الفنى سواء كان ذلك فى مركز التدريب أو فى أية كلية فنية فى الخارج .

الكفاءات المهنية

ولكى تلتحق بالأقسام الأخرى فى المركز ، فمطلوب الحصول أولا على الشهادة الاعدادية ، لتتدرب داخل المركز على مهن : الراديو والتليفزيون ، مسح الأراضى ، الآلات الدقيقة ، وغيرها من المهن .

والغرض من هذه الدراسة أيضاً هو تأمين المهنيين الأكفاء للالتحاق بالأعمال الحكومية ، وأعمال القطاع الخاص فى الصناعة ليحلوا محل الموظفين الأجانب فى المراكز المهنية المعنية ، كما أن إسهام هؤلاء المتدربين فى خدمة مصالح الدولة سوف يكون له أثره الفعال .

أما القسم الثالث بادارة التدريب فهو قسم الدورات الخاصة وأهمها دورة «سيتى أندجيلدز»وهو معهد فى بريطانيا ينظم دورات للمتدربين فى المركز على الآلات الدقيقة والتجهيزات وأعمال الخراطة ، وتمديدات الكهرباء والميكانيكا وغيرها..

أين يذهبون ؟

وداخل المركز رأيت كيف يجرى التدريب فى قسم تطوير الكفاءة الوظيفية التى يحتاج اليها الموظفون القطريون لدى الحكومة فى مجال الأعمال الكتابية وإدارة الأعمال مما يحقق لهم الكفاءة اللازمة للقيام بأعمالهم الوظيفية على أحسن وجه .

ويهيىء هذا القسم الفرصة للتدريب أثناء الخدمة فى دورات تشمل الأعمال الكتابية والادارية ، ويحق لكل موظف ترشحه دائرته الالتحاق بهذه الدورات ، وعلى رأس هذا القسم يوجد خبير من منظمة العمل الدولية ، مختص فى التدريب على الأعمال الكتابية والسكرتارية والحسابات ، والطباعة .

إلا أنه لابد لكل متدرب من أن يلم باللغة الانجليزية كشرط أساسى للالتحاق بالدورات . ولذلك أنشئت بالادارة ثلاثة مستويات لدراسة اللغة الانجليزية . ثم يدخل المتدرب القسم الذى يتناسب مع ميوله . فاذا انتهى من التدريب ، تم إلحاقه باحد المصانع أو الشركات .

المتدربون القطريون

وقد أثبت المدربون القطريون براعة فائقة فى استيعاب مواد الدراسة العملية والنظرية ، وهم يقومون حالياً بتدريب الأجيال الجديدة من الشباب .

ومن المدربين القطريين : يوسف السليطى ، وحمد فضل النعيمى ، وعيسى الهتمى،وحسن على ، وحمد عتيق السليطى ، الذين يجمعون على ضرورة الكشف على مواهب وميول المتقدم قبل إلحاقه بأى قسم ، ويؤمنون أن المستقبل للعمل المهنى الذى يعتمد على براعة من يعمل أمام الآلة والمعدات الدقيقة ، ويؤكد المدربون القطريون على أن حماس الشباب القطرى يتزايد للالتحاق بالمركز للاستفادة من التسهيلات التى تقدمها الدولة ، حتى يسهموا بعد التخرج فى تقدم ورقى دولتهم ، وليواجهوا تحديات العصر المتمثلة فى التصنيع والتنمية .

نادية رزق

المخاض

بقلم : أم أكثم

● **الليلة الأولى :**

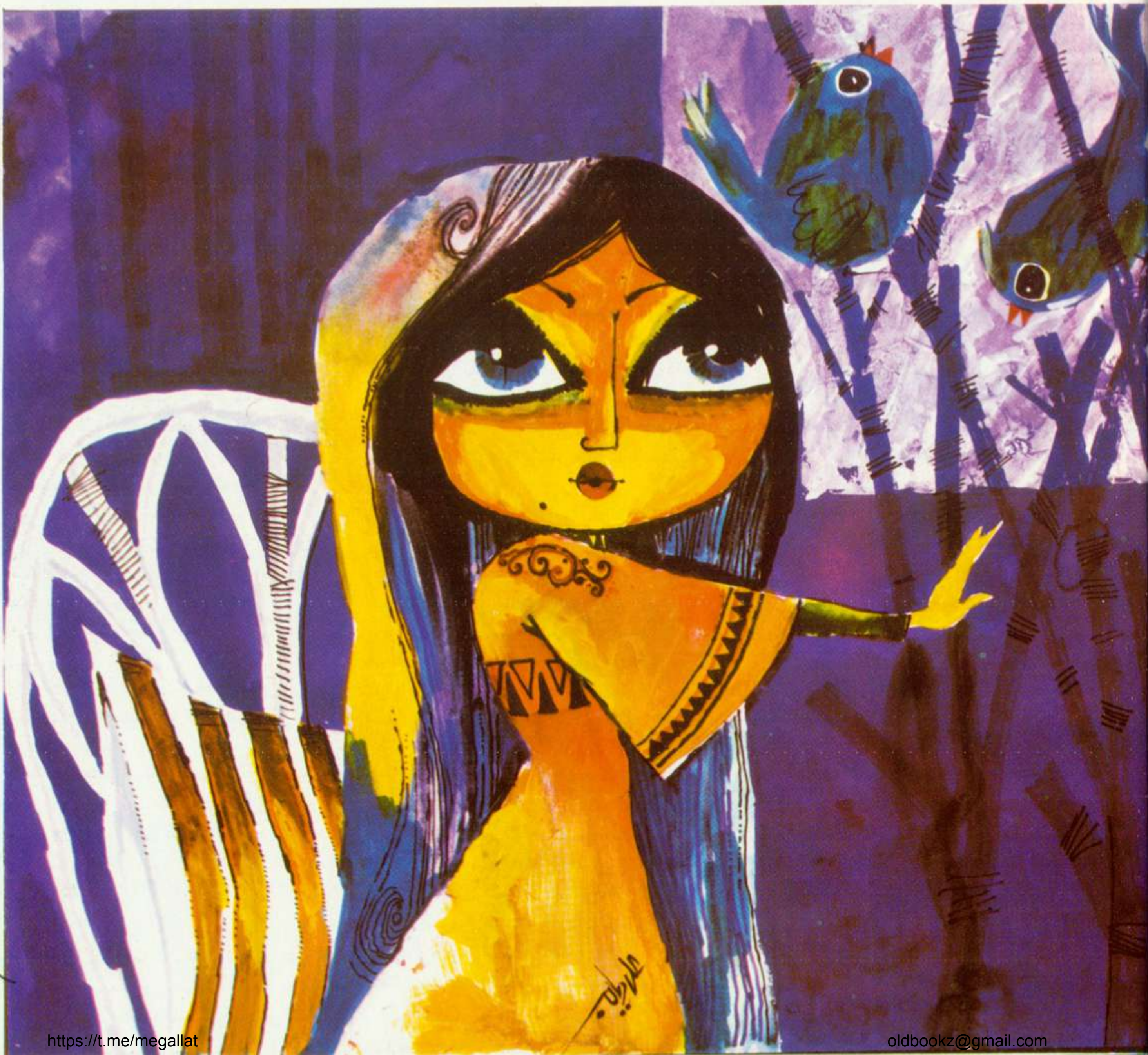
يصعقنى الألم .. فجاة .. بضربة خاطفة كالبرق .. أرتعش كنبتة ضعيفة .. ينتشر .. ينتشر .. ينتشر الألم فى جسدى كذرات رمال فى وجه عاصفة هوجاء .. سقف الغرفة يرتفع .. يبتعد .. أحس أننى بعدت كثيراً عن الله .. المروحة صغيرة .. معلقة .. تعدو بسرعة .. أحسها كحوافر الجياد تسحق رأسي .. الريح تهرول بين الأشجار من خلف النافذة الوحيدة.. المساء يحترق .. الحزن .. ينمو .. ينمو كشجرة لبلاب خرافية اقبض بيد واحدة على قضبان السرير الحديدى .. ذراعى الأخرى مستسلمة فى صمت لكيس بلاستيكى صغير .. مملوء بسائل شفاف كالماء .. يسقط فى عروقى قطرة قطرة .. كدموع مرهقة أوشكت على الجفاف .. أدفن وجهى المتعب فى الوسادة البيضاء .. تكبو جدران الغرفة البيضاء .. الأسرة البيضاء .. ثوبى الأبيض .. المنضدة البيضاء .. تكبو على صدرى .. أحس بثقلها .. أحس بضعفى .. آه .. ما أتعسك يالون الموت والفرح .. تصدم الريح زجاج النافذة بأجنحتها القوية .. يتكسر قلبى .. فى جسد السماء نضجت الغيوم السوداء .. اكتملت دورتها .. بدأت بطرح جنينها .. الغيث الوديع يهمى .. أصغى لتنهد العشب بعد جفاف .. متى .. متى ستكتمل دورة العذاب هذه وتخرج زهرة الأمل لتطل



برأسها الصغير الوديع فى جسدى .. عاصفة هوجاء من أحزانى تطمرنى تحتها .. تسبح عيناى فى بحيرة من الدموع .. كسمكة صغيرة مرعوبه تفر من قدرها .. ينتشر الألم .. الذكريات الشاحبة تتلوى على عنقى تنفث فى صدرى القحط والجفاف .. أذرعة المروحة الثلاثة تتطاول .. تمتد .. تخنقنى .. جسدى ينتفض .. يرتعش كعصفور جريح تحت وابل من المطر .. أصرخ .. الألم ينتشر .. أصرخ .. وصوتى ذاو من شدة الجفاف .. أصرخ .. أموء .. أعوى .. أثغو ..تعدو الممرضة الهندية كالقدر الأحمق .. تلقى نظرة سريعة .. تهز رأسها يمنة وشمالا .. لغتها العربية تذبح على لسانها « لسه بدرى .. ما فى ولاده .. إنت لسه سبع شهور » . أصرخ .. الألم يرشف ما تبقى من قوة فى جسدى .. أموء .. أعوى .. أثغو .. تتلفت النسوة اللاتى يشاركننى الغرفة .. يحيط بهن فى حنان وحب نساء من أسرهن .. أزواجهن ينتظرون فى الخارج تلهفاً لبشارة مزغرده .. يتلفتن تجاهى .. أصرخ .. الألم يقتلعنى اقتلاعاً من على فراشى كشجرة .. أسيرة الظما أنا .. لا يد تمتد نحوى .. لماذا .. لم تأت .. لماذا .. قل أنك ستأتى .. أصدقك .. أغفر .. أموء كقطة مهجوره .. يتلفتن نحوى «مسكينة الله يساعدها» و .. أهوى فى إغماءة عميقة .

● الليلة الثانية :

الشمس تؤذن بالغروب .. أشعتها الراحلة تلقى بخيوط واهية من ضوء على جذوع الأشجار وأوراقها الخضراء .. النضره .. ملتهبة نشوة بلقاء المطر ليلة البارحة .. رحلت الشمس .. وصل الليل .. انزلق القمر من خلف سحابة .. تدثرت النجوم المنتشرة كعيون مضيئة عشقاً بغيمات كثيفة سوداء .. يهمى المطر .. خفيفاً .. رقيقاً .. ناعما .. ولوقع أنفاسه على النافذة الزجاجية صدى كلهثات متحده حادة .. متلاحقة .. هجع الألم .. أنتظر .. كان حزنى هادئاً أليفاً كقطة وديعة .. أنتظر .. المطر يهمس بأنه



المخاض

قادم .. أنا أصدق المطر .
ـ أين أمك ؟
قالت جارتي الصبية .. وجهها الأسمر الهادىء يذكرني بحكايات جدتي الطيبة
.. وأبطالها الطيبين .
ـ ماتت .. بعد ولادتي .. كاد «يفتك بي الحزن فجأة كداء خبيث» . شؤماً عليها .. كنت تجربتها الأولى في المخاض والولادة .. المسكينة «يهطل حزني» لم تعلم بأنها أيضاً تجربتها الأولى والأخيرة مع الموت .
ـ انك شديدة الحساسية .. هذه إرادة الله .. اذن أين والدك ؟
« وتستحيل لهثات المطر الحادة .. إلى صراخ موجع » .
أهمس .. أضمد جرحي النازف .. والسماء الطيبة تصغي ..
ـ مات والدي .. وهو يمشط جدائل البحر بحثاً عن لؤلؤة مهجوره .. مات بلا قبر .. من يدري ربما أغواه ترايتون إله البحر بصدفته العجيبة التي يصدر منها أصواتاً ساحرة .. ربما أغواه .. تركني وحيده .. رحل .. ترايتون لماذا فعلت بي ذلك ؟
ـ إنني لا أفهمك .. حديثك عذب .. **لكنني لا أفهم هل مات والدك في البحر ؟**
« أصبح الحديث عن موتك عذباً يا والدي .. عذباً للقلوب التي لم تعرف أبداً معنى الحزن .. وحزني أنا عميق .. غائر ..كالجدري .. يشفى منه الانسان .. ولكن يترك آثاره عميقة .. عميقة .. عميقة يا أبي .. من يضمني إلى صدره ليطفىء شعلة العذاب المزمنة التي تختلس عمري وتوهجي» .
ـ إذن هل عشت مع جدتك ؟
ـ نعم .
« أحاول .. أحاول .. أتذكر طفولتي .. وجه جدتي الطيب .. حكاياتها .. دارنا الجميلة الأثيله .. و .. ماذا .. ماذا .. لاشيء .. وجثم الظلام على صدري كصقر يغرز مخالبه المقوسة حتى تفجر الحزن حاداً .. إلهي .. هل كانت طفولتي مجرد آثار على الماء » .
وزوجك ؟
ـ مسافر .
« ليتك تصمتين .. كان حزني هذه الليلة أليفاً كقطة وديعة .. بسياطك التي طاردتني بها تحولت القطة إلى لبؤة متوحشة هائجة .. وأنا ضعيفة.. صدقيني .. ضعيفة ومتعبة .. والسقف يرتفع .. يبعد .. وحوافر الجياد تسحق رأسي » .
ـ مسافر !! ألا يعلم بموعد ولادتك ؟ .
«ألا تكفيـن أيتها السمراء الطيبة » .
ـ جاءني المخاض قبل الأوان .. مازال هناك شهران على موعد الولادة الطبيعية .. لكنه مخاض مفاجىء وهو لا يعلم .
ـ آه .. مسكينة من أحضرك إلى المستشفى إذن ؟
« ينداح الحزن على وجهي كأمواج البحر العاتيه .. أختنق » .
ـ جارتي .
ـ هل اتصلت بزوجك ؟
« ما أقساك أيتها السمراء الطيبة .. في ليلة ماطرة كجراحي .. جاءني المخاض .. على غير موعد .. كنت وحيده .. هجرني قبل أن أخبره بحملي .. هجرني مطارداً الخمر والقمار والنساء .. التي نبتت في لحمه ودمه كالطحالب السامه .. دبقت حياتي .. لكنها ستورقه من جديد .. الطفل سينقذني وينقذه .. هذا القادم المنتظر .. كالشمس الدافئة في ليلة مثلجة .. سيعود .. المطر همس في قلبي .. سيعود بعد الولادة .. سيعود .. مع هذا القادم المنتظر .. وأنا أصدق المطر » .
تثاءبت السمراء الطيبة كطفلة بريئة .. استغرقت في النوم .. المطر يقرع زجاج النافذة طوال الليل .. أحسه كقلب ينبض خوفاً ورعباً .. القمر هجر السماء .. وحيدة أنا كنبتة صبار مستوحشة في صحراء قاحلة .. دموعي متدفقة .. غزيرة كنهر .. حارة .. كماء النار تحرق شفتي .. أناخ الظلام بثقله الموج على الأشجار المزهرة المنتشية بعناق المطر .. لم أعد أسمع سوى تنهد العشب .. و .. صراخي المثكول .. الألم ينتشر .. ينتشر .. كذرات رمل في وجه عاصفة هوجاء .. المخاض .. نهاية الانتظار .. المحطة الأخيرة .. و .. صراخي المتوحش ينطلق مهرولا بين الأشجار وطرقات المستشفى الباردة كروح هائمة معذبة .

الليلة الثالثة :

القمر نما واكتمل في بحيرته السوداء .. وتدفقت أشعته الحانية على الأشجار لتكتمل نضارتها .. فرحي يتصاعد من شفتي كالشذى .. يلثم وجوه النجوم التي شاركتني حزني .. المطر يهمس انه قادم .. وتنزلق قطراته المتلألئة في حياء على الزجاج محدثة همساً افتقدته طويلا .. المطر يهمس .. إنه قادم .. وأنا أصدقه
.. احسه وهو يدب الى غرفتي على اطراف قدميه .. ياخذني بين ذراعيه .. ابكي طويلا .. يطلب المغفرة .. اغفر .. أدفن وجهي في صدره .. يتدفق شعري بلون حبات القهوة بين يديه شلالا من الفرح .. المطر قال لي ذلك .. و .. انفاس مغلقة بباب الغرفة .. في يدها كوب من الماء صاف كالزجاج .. وفي الأخرى كبسولة صغيرة نصفها رمادي والآخر وردي بلون الأحلام الجميلة ..
ـ لماذا هذه الكبسولة ؟
ـ « علشان ينام كويس » .
بجنون أضحك ضحكة شاسعة .. دافئة .. معطاءة كالبحر في أيام الصيف
ـ لست بحاجة لها .. دعيني أذهب لرؤية طفلي .
ـ « دلوقتي الدكتورة تجي » .
تدخل .. وأنا ألتحف بردائي الحريري الأخضر .. وأغرق قدمي الصغيرتين في نعال من الفرو الأخضر موشاة بلون سنابل القمح .. يتمرد شعري على كل أسر .. أعطيه حريته .. يقفز من بين أصابعي كعصفور اشتاق السماء .. يتناثر على جسدي .. أصغي لتنهد العشب بعد جفاف .. تدخل .
ـ ها .. رايح فين .
ـ أرجوك .. أريد رؤية طفلي ..
يشحب وجهها .. التجاعيد فيه جداول جفت .. تهز رأسها .
ـ آ .. ما في .. بيبي .. بيبي مات صغير خالص .
بيبي مات .. بيبي مات .. القادم المنتظر .. مات .. مات .. أسقط على الأرض الباردة .. عشرات الأذرع تمتد نحوي .. أسقط .. وتسقط الحياة .

« أم أكثم »

الليلة.. أجمع أشيائي

شعر: محمد محمود الصويغ



يتنزى الجرح من الجرح
تفيق جميع الاحجار ..
يغيب الليل ..
وينصرف السمار ..

وانا ما زلت ..
كما كنت صغيرا
اخترق برأسي الجدران
ولا انظر في وجهي ..
قدام المراة ..
لاني ..
أفضحه حين يراني

الليلة اجمع أشيائي
أجمع أشلائي ..
أغرب ..
أغرب ..
عن عين الشمس
عن الهمس ..

أغرب عن وجهي
أطوي في كبر الطاووس
ردائي ..

وتناديني باسمي
ناشدتك ..
ليس يباح الحب هنا

افيقي ..
انتصري يوما
انتحري يوما
ودعيني في زحمة جهلي
اتذكر جهلي ..

اتكلم ..
لكن حديثي المجنون
يضيع مع الريح ..
كهبة ريح ..
صمتي ..
علمني كيف اضيع وجهي
واضيع رسمي ..
واضيع وهمي ..

وعند المنعطفات الليلية ..
في قريتنا المظلمه الجرداء
من الشوق ..
رجعت اكابر حينا
اضحك حينا ..
أرقص حينا ..
لكني ..
ارجع من معركتي اليوميه
مع وجهي الاحمق ..
دون حياء ..
ارجع مهزوما ..
فدعيني احرق وجهي



بقعة الزيت أثناء زحفها على الشاطىء .

ماذا بعد بقعة الزيت على شواطئ قطر؟

مقاومة أخطبوط التلوث

● كانت مياه الخليج عذراء تحمل في باطنها أغنى مجموعة من الأحياء المائية !

● طيور البحر تخبطت محتضرة وسط السائل الأسود الذي ملأجوفها !

على شواطىء قطر تتجلى الارادة البشرية وهى تحاول مقاومة أخطبوط التلوث . وما بين الرمل . وبقعة الزيت ، وسطح الخليج الداكن . يقف الانسان ليدرك أبعاد هذا الانذار الذى جاء مبكراً وعنيفاً .

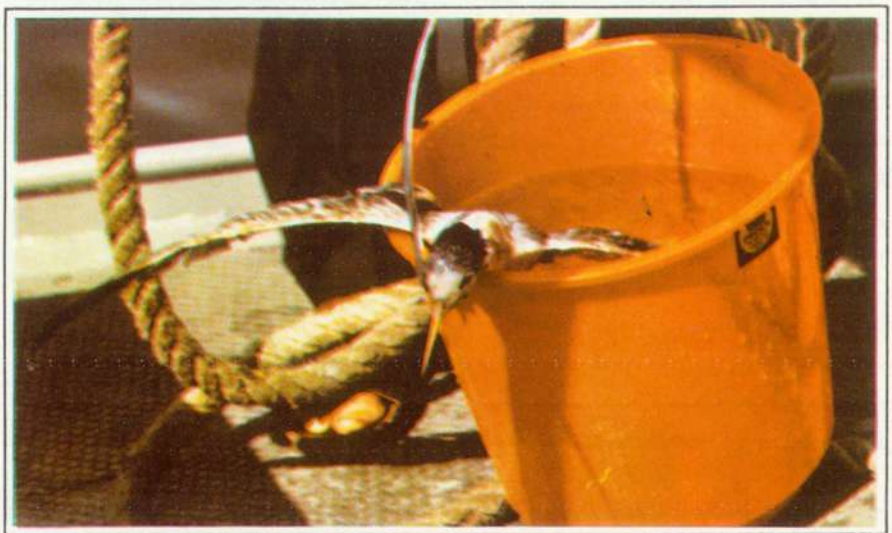
إن بقعة الزيت هذه أشبه ماتكون بالطفح الجلدى لا يمكن تجاهله .. ومنذ أن خرجت هذه الكميات الزيتية الضالة من «رأس تنوره» على الشاطىء السعودى والتيارات المائية والريح تدفعها مثل قدر لا مفر منه إلى شواطىء البحرين شرقاً ..

ثم دفعتها غرباً إلى شواطىء قطر .. ثم جنوباً إلى أبى ظبى .. ثم عادت ببقع كثيرة منها واستدارت حول جزيرة قطر مثل قفاز أسود ..

لقد صنع الرجال بكفاحهم على امتداد الشواطىء ثقوباً فى هذا القفاز وبدا



طائر يطفو على سطح الماء .



ملأ جوفه السائل الأسود فودع الحياة .

النفط الأسود فى الذوبان والتراجع ببطء . وانقذت الشواطىء ولو مؤقتاً ..

إن مشهد طيور البحر وهى تتخبط محتضرة وسط السائل الاسود الذى ملأ جوفها والتصق بريشها على مقربة من كثير من الشواطىء القطرية يدفعنا للتفكير اكثر من مرة فى هذه المشكلة التى فرضت نفسها علينا ..

الانسان عدو بيئته

الانسان هو العدو الأول للبيئة التى تحيط به فهو لا يكتفى بالعيش فيها ولكنه يفرض نفسه كأنه المالك الاوحد لها .. وهو بتدخله المستمر لا يدرك ان البيئة لها اتزانها الخاص رغم تغيرها المستمر .. ولكن هذا التغير لا يكون عميقاً بحيث يؤدى إلى ارباك النظام البيئى ..

ومنذ وقت قصير كانت مياه الخليج مياهاً عذراء . ورغم وقوعه فى طريق حركة التجارة الدولية دائماً . وفى طريق الصراعات المسلحة احياناً إلا أن مياهه الزرقاء ظلت هادئة . تملك فى داخلها اغنى مجموعة من الاحياء المائية فى العالم بالاضافة إلى كميات من اللؤلؤ والمعادن ...

ولكن ظهور البترول قلب هذا الهدوء إلى ضجة عالية . ودفع بالخليج إلى بؤرة الاهتمام العالمى .. وبدأت تزأر على صفحته آلاف الناقلات العملاقة وتجوب أرجاءه عشرات السفن الحربية المسلحة . وتفتح أحشاءه مئات الحفارات التى تبحث عن المزيد والمزيد من السائل الاسود السحرى .. وفى كل يوم يفقد الخليج شيئاً من زرقته . وتتمدد الطحالب فى قاعه كأنها حيوان خرافى وتعطيه من خضرتها لون الاحتضار ..

التلوث من اقدم الكلمات .. بدأت عندما خرج الانسان من كهفه لينصب الفخاخ للحيوانات .. ويشعل النيران لكى ينضجها عليها .. ولكن الكلمة أصبحت اشبه بالصرخة المدوية فى مؤتمر هلسنكى عام ١٩٧٢ حين ارتدت الدول الغربية مسوح القديسين وطالبت الدول النامية الاتقوم بأى مشاريع صناعية أو أى برامج تنمية خوفاً من التلوث .. لحظتها صرخت الدول النامية .. بل مرحباً بالتلوث إذا كان هو الذى يقودنا إلى التقدم .

أوربا «القديسة» هى التى بدأت التلوث . ليس ضد نفسها فقط بل ضد العالم اجمع .. وهى التى جعلت التلوث هو الوريث المعاصر للمجاعات والاوبئة القديمة .. فان أى تغيير كمى أو كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا تقدر الأنظمة البيئيه على استيعابه دون أن يختل توازنها . أوربا لم تبال بهذه التعريفات الاكاديمية ولوثت كل شىء وهى تبحث عن المواد الخام التى تحتاج إليها بأرخص السبل .. لقد كان الاستعمار الاوربى هو نفسه نوعاً من التلوث ..

وفى الخليج أخذ التلوث شكل تنين ضخم متعدد الرؤوس .. جسده غارق فى

ماذا بعد بقعة الزيت على شواطئ قطر؟

المـاء، وفى كل مرة يبرز رأس من رؤوسه الكثيرة .. فهو أمام قطر جاء ببقعة الزيت وقبل ذلك تسبب فى هجرة «الروبيان» إلى أماكن بعيدة .. وأمام الكويت كان الامر اكثر خطورة عندما فوجىء سكان ميناء الشعيبه بالآف الأطنان من السمك الميت وهى تطفو ميتة.

أنبوبة ضيقة

بالفعل الخليج أنبوبة ضيقة . لسان مائى محاصر بين اليابسه لا يستطيع العودة إلى المحيط الهندى الأب ولا مواصلة طريقه . من مضيق هرمز جنوباً حتى شط العرب شمالا حوالي ١٠٠٠ كيلو متر . ليكون مسطحاً مائياً تبلغ مساحته ٢٢٦ ألف كيلو متر مربع .. ولا يجب أن تغرنا الضخامة النسبيه لهذه الأرقام .. فهذه المساحة اشبه بالزجاجة قاعدتها عند شط العرب حيث يتراوح إتساع الخليج بين ٣٠٠ و ٢٠٠ كيلومتر ثم تضيق عند مضيق هرمز لتصل إلى ٦٠ كيلومتراً .. واذا قارناه بالمحيط الهندى الزاخر بالحياه والحركة سوف نكتشف ان الخليج بحيرة شبه راكدة .. أقصى عمق فيه لا يزيد عن ١٠٠ متر .. بينما يبلغ فى إجزاء كثيرة منه اقل من ٢٠ متراً وعلى الناقلات الضخمة ان تأخذ طريقها في حذر شديد وسط المياه العميقة وبعيداً عن الـ ١٣٠ جزيرة صخرية التى تتناثر على طول إتساعه ..

هذه الأنبوبة الضيقة محاصرة بثمانية دول كلها تعيش حركة تطور نشيطة .. هى العراق والكويت والسعودية وقطر والامارات وعمان والبحرين وإيران .. منها سبع دول الخليج هو منفذها المائى الوحيد . والسعودية الدولة الثامنة لا يوجد لها موانىء بترولية على البحر الأحمر .. كل هذا جعل قدرة الخليج على تصريف النفايات التى تسبب له التلوث محدودة للغاية . أضف إلى ذلك درجة الحرارة العالية وارتفاع نسبة الرطوبة طوال العام .

الخليج كان يعد واحداً من اكثر مناطق العالم ثراء بالكائنات البحرية .



تنظيف الشاطىء من بقعة الزيت .

وقد قدر خبراء مصائد الاسماك بمنظمة الاغذية والزراعة الطاقة الانتاجية للخليج اكثر من ٥٠٠ ملليجرام لكل سنتمتر مربع . ويبدو واضحاً أن هذه النسبة قد تراجعت إلى حد كبير . والمشكلة أن الخليج بخلاف كل بحار العالم هو الأمل الوحيد لمستقبل هذه المنطقة ذات الطبيعة القاسية فامكانيات الانتشار الزراعى محدودة . والبترول ثروة ناضبة . وبذلك تعود الأنظار لتتركز عليه باعتباره هو مصدر الحياة الوحيد .. والباقى .. هذا الخليج قد صبر طويلا على ما يجرى على صفحته وعلى شواطئه .. وتحمل الكثير.. عبء الاكتشاف .. ومتاعب التنمية .. ومرارة الصراعات السياسية .. ولكن إلى متى .. ؟ ..

البترول عصب الحياة

مع ظهور البترول بدأت الحياة فى التدفق بسرعة رهيبة على المنطقة . واسرعت حاملات النفط العملاقة فى صفوف طويله وضاقت المسافة بين الحاملة والاخرى إلى كيلومتر واحد . وأصبح يدخل الخليج سنويا اكثر من ٤ الاف ناقلة للنفط فقط . ففى هذه المنطقة وحدها يوجد اكثر من ٥٠٪ من مجموع احتياطى البترول العالمى وحوالى ١٣٪ من احتياطى الغاز الطبيعى وبلغت كمية البترول المنتجة من ٣٠حقلا بحرياً فى الخليج ما يقارب ٣٫٦ مليون طن يومياً .. وأضاف التنقيب المستمر تحت الماء بعداً جديداً للتلوث البحرى نتيجة لتسرب البترول أثناء عملية الحفر ..

وعلى طول خط المواصلات الحيوى هذا نشأت العديد من المشاكل .. فلا يكفى ماتتركه هذه الحاملات خلفها من بقايا نفايات الوقود والأنسان .. بل أن هناك مشكلة «مياه التوازن» فالحاملات الفارغة وهى متجهة إلى موانىء النفط تحاول ان تحافظ على توازنها لذلك تملأ خزاناتها الضخمة الخالية بالمياه حتى إذا اقتربت من المصدر الذى تتزود منه أخذت تفرغ حمولتها شيئاً فشيئاً . وتكون النتيجة أن تنساب مع كل ناقلة كمية كبيرة من المياه المختلطة بالزيت .. وقد بلغت هذه المشكلة من الخطورة أن دفعت حكومة البحرين إلى سن قوانين ضدها فى الأشهر الأخيرة .

وهناك أيضاً مخاطر الأنسكاب العفوى أثناء شحن البترول . وهى مخاطر لا يمكن تلافيها مع الأسف ويقدرها الخبراء بانسكاب حوالى نصف برميل مع تعبئة كل الف برميل .. وترتفع هذه النسبة الضئيلة مع تعبئة ملايين البراميل بشكل يومى ودائم .. وقد زادت هذه النسبة عند حدها وحاصرت بقع الأنسكاب موانىء الشعيبة والشويخ

● جعلت أوروبا التلوث هو الوريث المعاصر للمجاعات والأوبئة القديمة



إزاحة الرمال أمام الشاطىء .

وسعود بالكويت فى عام ١٩٧٤ .

والنفط مادة غير قابلة للذوبان لذلك تشكل كتلاً متماسكة تطفو أو تغوص أو تندفع نحو الشاطىء .

والانسكاب العفوى يمثل للخليج نوعاً من الاستنزاف الدائم .. فاللتر الواحد من النفط يؤدى إلى استهلاك كمية من الاوكسجين موجودة فى حوالى ٤٠٠. الف لتر من ماء البحر ويمثل هذا الحرمان للكائنات البحرية اخلالا خطيراً بالتوازن الذى تعيش فيه .. وهكذا صعدت إلى اكثر من منطقة لافته تقول .. ممنوع السباحة .. وسوف تصعد لافته أخرى لتقول .. «ممنوع الصيد» .. وماذا بعد أن تتكاثر اللافتات ..

المدن مشكلة أخرى

والخليج الآن هو أحدى مناطق الجذب الهامة للأيدى العاملة ولهذا فقد ارتفعت معدلات الاستهلاك وازداد طموح الخطط العمرانية . وامتد الاسفلت وسط الصحراء ينتهك هدوءها وسكنيتها بالآف السيارات التى يتوقع أن تصل إلى مليون سيارة فى أواخر العام يتصاعد منها ٨٠ الف طن من الغازات.

لقد نمت حول الخليج ما يقارب العشرين مدينة تضم حوالى ٥ ملايين نسمة أهمها .





لقطتان لعمليات المقاومة .

مدينة الكويت	٧٠٠ الف نسمة
مدينة البصرة	٣٥٠ الف نسمة
مدينة عبدان	٣٥٠ الف نسمة
ابو ظبى	١٨٠ الف نسمة
الدوحـــة	١٥٠ الف نسمة
الدمـام	١٣٠ الف نسمة
دبى	١٢٠ الف نسمة
المنامة	١٢٠ الف نسمة
بندر عباس	٥٠ الف نسمة

وقد صاحب الارتفاع الكبير فى عدد السكان ارتفاع نسبة النفايات والفضلات والمجارى . وبدا لفترة من الزمن كان الخليج قد تحول إلى بالوعة ضخمة يتحمل كل يوم كميات غير معقوله من المواد الصلبة والمتحجرة والاوراق والمواد الكيماوية والمواد العضوية . وبدأت أسماكه تسبح في بحيرة غريبة .. معادية تزداد نسبة البكتريا فيها يوماً بعد يوم وتزداد نسبة الطحالب تبعاً لذلك مهما تهدد بالزحف على المؤسسات الصناعية وسد منافذها على المياه وتلويثها ..

وقد تنبهت مدن الخليج لخطورة إلقاء فضلاتها فى الخليج دون معالجة .. وأقيم فى الكويت أول مصنع لمعالجة مياه المجارى وصلت طاقته الانتاجية إلى حوالى ١٠٠ ألف متر مكعب يوميا . واقامت قطر مصنعها الضخم فى منطقة النعيجه ويقوم هو أيضاً بنفس الدور .

ومع تزايد السكان ازدادت الحركة التجارية ، فأصبح يعبر مضيق هرمز سفينة محملة كل خمس دقائق سواء دخولا أو خروجاً . وتكدست السفن فى الموانىء الخليجية الصغيرة نسبياً وأصبحت عرضة للانتظار الشهور الطويلة ولا يبدو أن هذه الحركة سوف تتناقص بل هى فى تزايد مستمر .. وهكذا بدأ الخليج واهب الحياة يدفع ثمن ازدهار الحياة على شواطئه .

الأمل والمخاوف

ومع ارتفاع أسعار النفط حدثت تغيرات أساسية أخرى . كان لابد فى موازاة الطفرة الحضارية بتبنى خطط طموحة للتنمية ، وأول هذه الخطط هو بداية التصنع السريع .

وفى التاريخ المعاصر بدأ التلوث مع عصر النهضة الصناعية .. ولكن أهمية الصناعة فى الخليج أنها إحدى البدائل الهامة للمستقبل فالبترول سوف ينفد . والأرض الزراعية محدودة العطاء أمام

ماذا بعد بقعة الزيت على شواطئ قطر؟



هكذا تركت بقعة الزيت مخلفاتها

● ماذا بعد أن تتكاثر لافتات "ممنوع السباحة" أو "ممنوع الصيد"؟

● هكذا تنبهت المدن لخطورة إلقاء فضلاتها في الخليج دون معالجة

الحلم بالازدهار العمرانى الدائم. لم يكن من الممكن أن تترك الدول الخليجية مستقبلها للصدفة العمياء .

كانت الصناعة إذن فى مقدمة التغييرات الاقتصادية التى دخلت المنطقة . وعلى مدى العشر سنوات الماضية أقيمت على ساحل الخليج سلسلة من مصافى البترول العملاقة لكى تستطيع ملاحقة آلاف السفن التى ترسو فى موانيها ولتلاحق أيضاً احتياجاتها العمرانية وتستغل ثرواتها وقد بلغت الطاقة التكرية فى منطقة الخليج ٤,٧٪ من طاقة العالم التكريرية وسوف تصل فى العام القادم الى ٨,٦٪ . وبذلك تكون الطاقة التكررية قد وصلت الى ٩٦ مليون طن من خلال ٨ مصاف . أى حوالى ١٢ مليون طن لكل مصاف .. فاذا علمنا أن الطاقة التكريرية لأى مصفاة نفط فى غرب أوربا لا تتجاوز ٦٠ طن أدركنا مدى خطورة هذه النسبة المضاعفة .. ولوقت قريب كانت الدول الصناعية تقاوم بشدة قيام الدول المنتجة بتكرير منتجاتها ..

ولكن مع ارتفاع درجة التلوث الكبير فى أوربا انقلبت هذه المعارضة الى تشجيع مفاجىء .

ثم توالت المشاريع الصناعية .. وانشقت الرمال الهادئة عن مناطق صناعية جديدة حافلة بعشرات المشروعات . ولا يمكن لأى عاقل أن يقف فى وجه هذا التطور المطلوب .. فالتطور الصناعى هو صورة المستقبل المشرق إذا وضعنا له الضوابط التى تجعله متكيفاً مع البيئة التى تحيط به ..

فالمشكلة أن معظم هذه الصناعات تعتمد على البترول أو على مشتقاته .. وأصبح الخليج يستقبل كميات كبيرة من الأمونيا من مصانع الأسمدة ومصافى البترول . وتتدفق إليه المياه الساخنة العالية التركيز بالاملاح وتحدث فى كل



آثار الزيت .

● الحاجة إلى إنشاء مركز خليجي لمكافحة تلوث البيئة وحماية المستقبل..

وضرورة أن نحيط كل المناطق الصناعية بحزام واقٍ من الأرض الخضراء

لحظة العديد من التغيرات الكيمائية والطبيعية التى تحاصر الكائنات الحية

الخليج مسؤولية أهل الخليج

والمؤسف ان معلوماتنا عن الخليج ضئيلة .. وعن التلوث اشد ضآله .. وامام الدراسات الواسعة التى درست هذا الموضوع فى كل مكان بالعالم تبدو الحاجة ملحة إلى وضع برامج واسعة للتعليم البيئي . فهناك ثغرات واسعة فى المعرفة الاساسية للوضع البيولوجى للخليج ونفتقد وجود «أطلس» يبين لنا توزيع الكائنات البحرية على طول الشواطىء ونفتقد الكثير من الخرائط عن حركة التيارات المائية والمد والجزر .

الخليج هو مسئولية أهل الخليج . وهو مسئولية جماعية لا تخص دولة بمفردها لأن المشكلة متعددة الاطراف لقد دخلت كثير من دول الخليج فى اتفاقيات مكافحة التلوث الدولية واقيمت الندوات والمؤتمرات حول هذا الموضوع . وعقدت جامعة قطر منذ اشهر قليلة ندوة تحت عنوان «رؤية مستقبلية للبيئة ومشكلات التنمية» وبدأت الجهود الصناعية فى منطقة أم سعيد فى تنقية اجوائها من غبار اليوريا وانشات غلايات لتبخير سلفات الامونيا .. وأخذت تتحكم فى نوعية المياه التى تخرج من وحداتها

.. ولكن الحل يحتاج إلى جهد خليجى منظم وموحد ..

اننا فى حاجة لانشاء مركز خليجى لمكافحة التلوث يعطى له من الصلاحيات ما يمكنه من القيام بعمليات المسح الدورى لكل المسح المائى والقيام بدراسات حديثه ثم يقوم بالتدخل الفورى فى الوقت الذى يراه مناسباً .. ويمكن لهذا المركز ان يخلق ويدرب الكوادر المحلية التى سوف تتولى حماية الخليج فى المستقبل . ويجب أيضاً أن يرافقه إنشاء صندوق لمكافحة التلوث تشترك فى تمويله كل الدول المنتجة وشركات النفط وتفرض نسبة رسوم خاصة به على كل برميل بترول يتم تصديره ويمكن لهذا الصندوق ان يحل مشكلة تمويل المعدات التى قد لا تقدر عليها دولة بمفردها .

كما يجب اعادة تخطيط المناطق الصناعية وذلك بخلق رؤيا متوازنة بين ضرورات البيئة ومطالب التنمية وقبل ذلك يجب أن نحيط كل هذه المناطق بحزام واق من الأرض الخضراء .. ويجب نشر هذا الحزام بطول الخليج . فالنبات هو الحل الوحيد لاستعادة هذا التوازن المفقود ..

إن السفن العابرة للخليج يجب أن تراقب بدقة .. وتعد قائمة سوداء لأية سفينة تلقى مياه توازنها فى مياهنا .. ولكن تجهز مستودعات خاصة لهذه المياه يمكن بعد ذلك معالجتها أو تصريفها بطريقة عالمية . وكل سفينة تخالف ذلك تفرض عليها مقاطعة خليجية عامة ..

ولكن .. الامر يتطلب حلولا اكثر جذرية ..

الايمكن أن تخترق خطوط التابلاين الصحراء متجهة غرباً أو جنوباً لتبتدع على البحار المفتوحة موانىء جديدة .. الفكرة قد تبدو غريبة وجنونية بعض الشىء ولكن الا تمثل حلا ينقذ هذا الخليج الهادىء من مياه التوازن والأنسكاب العفوى وبقع الزيت السابحة ..

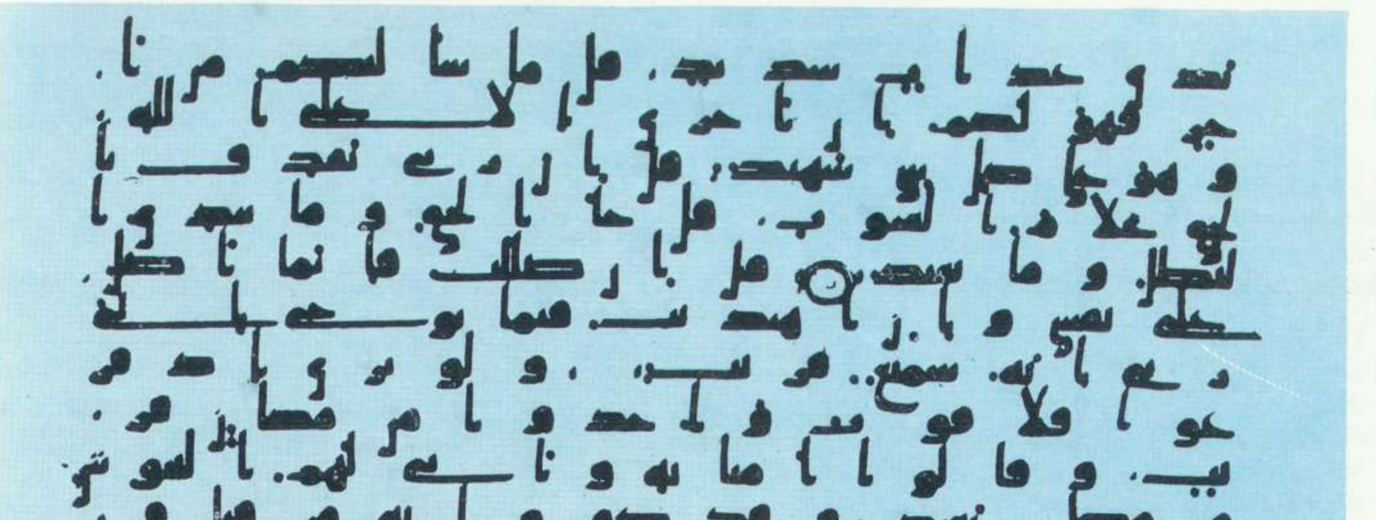
فكروا فى الأمر قبل أن تذوب بقعة الزيت ويبقى الخطر كامنا فى ضمير المجهول ..

دوريش مصطفى الفار

وادي المُكَتَّبْ والقرآن الكريم

- ذلك الوادي الذي يحفر طريقه ميمّماً صوب خليج السويس
- من المؤكد أن الخط العربي هو أجمل خطوط أية لغة من اللغات

فى شبه جزيرة سيناء ، بين مصر وفلسطين ، هنالك واد يطلق عليه البدو اسم (وادى المكتب) على وزن (مخطط ومعظم) وذلك لكثرة ما فيه من الكتابات والنقوش على حوائط الحجر الرملى النوبى ، الذى يحفر ذلك الوادى طريقه فى طبقاته السميكة ، ميمماً صوب خليج السويس ، أو بحر القُلزم كما سماه أجدادنا حين (كانوا) سادة البحار ، أيام أحمد بن ماجد أو بدر الدين لؤلؤ ... ولقد تصدى كثير من الباحثين لدراسة تلك النقوش ... فخرج بعضهم برأى يقول إن تلك النقوش (السينائية) هى أصل الأبجديات كلها !!! وأنها من اختراع عمال المناجم ومهندسي الجيولوجيا ، الذين كانوا قبل الميلاد بألفى عام أو تزيد ، يستخرجون النحاس والفيروز من منطقة (سرابيط الخادم) وما حولها ... وكانوا حينذاك خليطاً متجانساً من المصريين والفلسطينيين (الكنعانيين) متشاركين ، على السراء والضراء ، فى اقامة صرح الحضارة العربية حول وادى النيل العظيم ... ويقول أولئك العلماء إن تلك الأبجدية قد تسربت بصورة ما الى (جنوب) الجزيرة العربية الأم ونشأت عنها الكتابات السبأية واللحيانية ، كما انتقلت الى شمالى الجزيرة العربية كذلك ، حيث نقلها



الفينيقيون من الشام الى بلاد الأغريق فكانت هنالك مصدر كل أبجديات أوروبا ، اللاتينى منها والتيوتونى والسلافى .. ويقول أولئك الباحثون أيضاً ، ان العرب الأنباط ، فى شرق سيناء وجنوب فلسطين والأردن ، حول سلع (البطراء) ، خلطوا مع تلك الأبجدية السينائية شيئاً من حروف الآراميين ، فكانت جذور الأبجدية (العربية) ، التى نمت وترعرعت فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة ... وقد يكون هنالك خلاف بين العلماء ، فى ذلك السياق الذى أسلفناه ، بالنسبة لأصل الأبجدية العربية .. ولكن من المؤكد ، أنه لا يوجد أى خلاف على الاطلاق ، فى أن (الخط العربى) بمختلف صفاته الفنية وروعاته الهندسية ، هو لا جدال أجمل الخطوط التى تكتب بها لغة من لغات البشر ، منذ أن اخترع الانسان الكتابة ، وميزه الله بها عن بقية خلقه أجمعين .. كما أنه من المؤكد أن محبة كتاب الاسلام ، ودستور المسلمين ، القرآن المجيد ، كانت الدافع الأول والأخير للمسلمين (عرباً وغير عرب) لتطوير الخط العربى واختراع أنماطه الخالدة ، التى بلغت أوج عظمتها قبيل سقوط دار الخلافة الاسلامية (بأيدى أبنائها وأعدائها) بعيد الحرب العالمية الأولى ...

ولما كانت الكتابة بالأبجدية العربية ، مرتبطة كل الارتباط بالقرآن ، فقد كان واضحاً لكل ذى بصيرة ، ارتباط كل المحاولات المشبوهة ، من دعوة الى الكتابة (بالحروف اللاتينية) الى مناداة باستقلال كل قطر عربى (بلهجته) الدارجة ، ثقافة وكتابة وشعراً وفناً ، بسوء النية تجاه القرآن ذاته معنى ومبنى .. وفى لجة العصر التجارية ، اتخذ طلاب الربح طباعة كتاب الله سلعة لا يبالون فيها بحرمته ، كما سكت العارفون عن الفروق بين المصاحف الشريفة المتداولة اليوم بين المسلمين ، فهنالك طبعات بالخط (المغربى) وطبعات بالخط (النسخى) وطبعات بخطوط إخواننا المسلمين فى جنوب وجنوب شرق آسيا ، وبين هذه الطبعات فروق لا تؤهل الرجل القارىء العادى ، هنا فى الدوحة مثلا ، أن يقرأ آيات (لا يحفظها) على صفحات مصحف شريف مطبوع فى تونس أو الدار البيضاء ... وأقترح أن ننظر ، ونحن فى مطلع القرن الخامس عشر ، فى مسألة أن تتبنى جميع الهيئات الاسلامية فى كل اقطار الاسلام ، فكرة الحصول على نسخة من المصحف الذى ينسب الى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لنطبع مصحفاً جديداً يتداوله كل المسلمين ، بتصويره بالطرق الحديثة الدقيقة ، بحيث تكون الصفحات اليمنى (أو اليسرى) حاملة لصورة (طبق الأصل) من ذلك المصحف الشريف ، وعلى الصفحة المقابلة نفس الآيات بالخط (النسخ) وحولها هوامش تحمل تفسيراً مبسطاً للمفردات ، ومعانى الآيات ، مستقاة من التفاسير المعتمدة السابقة وآراء الفقهاء الكبار ، المعاصرين ، طبقاً للمعطيات العلمية الحاضرة ، أى أن يجمع هذا المصحف الشريف بين دفتيه ، صورة من الماضى المشرق العظيم ولا أعتقد أن هنالك مسلماً لا يتمنى اليوم اقتناء صورة (طبق الأصل من مصاحف القرن الهجرى *الأول*، مع تفسير مبسط واضح حول النص القرآنى الكريم بالخط النسخى الأكثر انتشاراً بين المسلمين ... وهل أطمع إن تباطأت الهيئات ، كما هى العادة ، أن يتصدى لتنفيذ الأمر أحد أغنياء المسلمين ، وهم كثير ، مجنداً له من البذل والسخاء ، ما ينفعه يوم الفزع الأكبر .. إنا لمنتظرون ...

يدي عذاب شديد ، قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ، قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ، قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۝ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب . ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب . وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد . وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ﴿٥٤﴾

سورة الملائكة أو سورة

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ...


تلك
اللمسات
الصغيرة
قصة قصيرة بقلم : مجيد طوبيا

لم يجد فى جرائد الصباح ما يستهويه ، ولم يطق المكوث فى البيت وحيداً ، فخرج ولم يكن مرتبطاً باى موعد فى ميدان «تريمف» صادفه الدكتور حسن ، لاحظ توتره فساله .. زل لسانه وكان ينوى كتمان الامر :

– اليوم اتم الأربعين !

– يوم ملائم لأن تتزوج .

– نصيحة طبيب ؟؟

– طبيب وصديق .. وعلينا ان نحتفل بك اليوم .

رفض الفكرة مستنكراً : كيف يحتفل بفقد عام كامل من عمره الصغير ؟!

ركبا معاً إلى وسط المدينة .. قبل ان يفترقا اعطاه الدكتور قرصاً صغيراً :

– إن جافاك النوم ليلا ابتلع هذا ، دقائق قليلة وتنلم ، وقد تحلم احلاماً سعيدة اخذه مبتسماً ، ومضى وحيداً شاحباً ، متسكعاً دون هدف ، إلى ان شعر بالضيق ، فوقف حائراً متردداً ، ثم قصد كافيتريا «ل» متوقعاً وجود اصحاب له ، متوقعاً موضوع حديثهم مسبقاً ، حكاية جليسهم «ن» مع الفتاة «ن» (لم يكن قد كون رايا بعد فى الفتاة ، وكان



تلك اللمسات الصغيرة

يرى أن «ن» معتل النفس) .. بالفعل وجدهم ينمون فى هذه السيرة ، ربما هرباً من سيرة الشرق الأوسط وأزماته ، ربما يأساً من عدم جدوى آرائهم !

فشل فى الاندماج معهم .. طلب قهوة باللبن – اكتشف نسيان ساعته بالبيت – فكر أكثر من مرة فى الانصراف ولم يفعل وظل يؤجل ، إلى أن دوى فى المكان انفجار مهول وأصوات زجاج يتهشم ، ثم هرولة الزبائن خارجين ، فخرج مع أصحابه .. عرفوا أن انبوبة بوتاجاز قد انفجرت ، وشاهدوا نيراناً تشتعل ، سرعان ما أخمدها العمال (ودهش وأصحابه لأن آلة الاطفاء الخاصة كانت صالحة للعمل) .. ثم تفرق الشمل ..

– ٢ –

وحيداً مرة اخرى ، هائماً على غير هدى ..وجد «تاكسى» خالياً فركبه عائداً إلى مصر الجديدة .. فى الطريق حدثه السائق كالعادة عن أزمات المرور والاسكان وطوابير الخبز . حدثه ايضا عن فساد الذمم .. شاركه ببعض الهمهمات ، وأنظاره مشدودة إلى حسناء تحت العشرين ، زادها صغر السن حسناً لعله صار كبيراً على مثلها ، لو قابلها فى العمر الملائم لما تركها تضيع منه .. هز رأسه ساخراً فى بداية الشباب قابل من هى أروع ولم يطاردها (بل وربما هرب) .. ومنذ عامين فقط أحبته «منى» بجمالها وربيعها ، ورغم انجذابه ظل يروغ منها ، كان اتساع عينيها يربكه ، فخاف من الوقوع فى حبها ، شعر بأنه لن يحتمل من جديد مضاعفات الهوى (شوق ، غيرة ، عتاب ، فرحة خفية ، وجوم مبهم ، وغض الطرف عن الأخريات !) .. فلما ضاقت من تهربه ، نظرت إلى بياض سالفيه وقالت منذرة :

– حذار ، كن لطيفاً معى ..

– ٣ –

مع دخوله إلى المطعم بمصر الجديدة شرد إلى الصيف الماضى ، فى هذا المكان كان يتعشى مع صديقته الايطالية ، تقربه فى العمر ، ذكية ولطيفة ، كان ينبهر بطريقتها فى طلب الأشياء ..

تمنى لو كانت معه فى هذه الأثناء ، ينشغل بلطفها عن يومه الطويل هذا .. لكن لماذا يتهيب من هذا اليوم ؟! .. أليس يوما كباقى الأيام ، له ليل ونهار وأربع وعشرين ساعة ؟! .. ألآن الناس يظنون أن سن الأربعين هى فاتحة أمراض الشيخوخة ؟! ألآن الأطباء ينصحون فى هذه السن بالاقلال من التدخين والقهوة شعر بأنه لن ينام ليلا إلا بقرص صديقه الدكتور حسن ، القرص المنوم !!

منقبضاً خرج من شروده – لاحظ عينى امرأة ترنو إليه فى اهتمام – نادى على الجرسون :

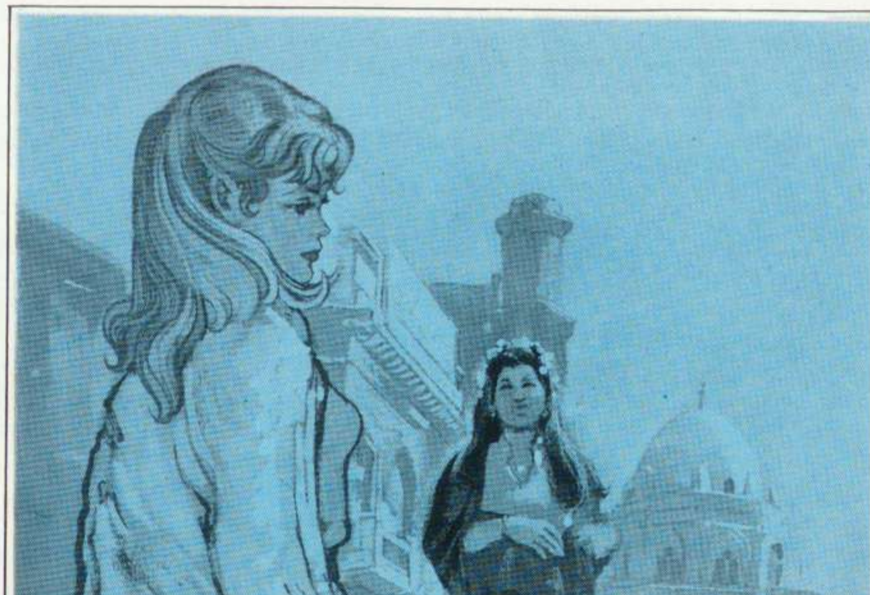
– فنجان قهوة سادة .

شرب القهوة ، بعد الغداء سيدخن الشيشة ، وليرى ماسيحدث لقلبه هذا (الذى ظل ينبض أربعين عاماً كاملة بنجاح ساحق !!) .

جاءه الطعام .. مازالت المرأة تنظر إليه ، أنيقة الملبس ، بديعة التجمل ،تقترب من الخامسة والأربعين !! شعر بصدره ينضغط.. كادت رأسه تنفجر ، فتذكر القرص المنوم ، وقرر أن يغيظ المرأة ويبتلعه ، كى ترى فارسها وقد غلبه النعاس وثقلت رأسه ونام على المائدة ، فيخيب أملها فيه وتكف عن النظر إليه!! .. أحس بقطة المطعم تتمسح فى ساقه – كره الاستجداء فى عينى المرأة – مد إلى القطة قطعة لحم ، شمتها ثم عادت تتمسح فى ساقه .. تأملها منفعلا ، ليس الطعام ما تريد وإنما الحنان ..

نادى على الجرسون كى يدفع ، سيتقاضى هذه المرة إن غالطه فى الحساب ، لكن الحساب جاء مضبوطاً .. ترك بقشيشاً كبيراً ومضى ، هو أيضاً لن يغالط الزمن !! .. رأى تجاعيد المرأة وهو ينصرف ، تذكر أباه على فراش الموت .. تأمل متعجباً وجوه المارة ، عاماً بعد عام يبدد الانسان عمره ، وعندما يظن أنه أنجز شيئاً يجد شبابه قد بدأ يولى !! .. أما هو فحتى هذا الوهم لم يشغل باله به

توجه إلى مقهى الشيشة ، وجلس يدخن .. سرعان ما شعر بالسأم ، ليس موعد التدخين فلماذا جاء ؟! .. بعد تفكير تذكر ، إنما أراد أن يجرب قلبه ! ..



استصغر الفكرة ونهض سائراً .. ثم استقل المترو إلى بيته .

— ٤ —

قشعريرة خفيفة !! لم يعجبه هواء الشقة ، المراة تمنح البيت رائحة افضل ، مزيجاً من هواء الطبيعة وعطرها ورائحة الطبيخ .. لماذا لم تشغله فكرة الزواج كثيراً ؟! .. مرة واحدة أوشك فيها ، وكانت «ميرفت» .. أحب خفة ظلها وعودها ، وعشق عينيها الواسعتين ، كعينى أميرة فرعونية (الآن يعرف سبب ربكته من منى ، لها شبيه عينى ميرفت) ثم حدث اللبس وسوء الفهم وابتعد !! .. وها هو الآن حائرفى شقته وحيد ، لا يستقر فى غرفة ، لا تستهويه الشرفة ، والذكريات تتزاحم ، دون فعل أو عمل ، فهل جاءه زمن الركود ، يتحرك قليلا ويشطح مع الذكريات كثيراً ؟! .

اتجه إلى المطبخ ، ربما لأن الصداع هاجمه ، ملأ براد الشاى بالماء ، أشعل البوتاجاز ، ثم سار إلى الشرفة .. نبح

كلب الجيران فعاد يدخل (على غير العادة لم يستمع إلى نشرات الأخبار المختلفة ، هذا يوم أزمته هو) .. أمسك بمجلة يقلبها ، القاها .. ثم ارتدى «البلوفر» وخرج .. وسار طويلا إلى أن استقر فى مقهى الشيشة ، فجلس يدخن وإلى جواره فنجان القهوة ، وهو يأسف أشد الأسف لأنه لم يدع أصحابه يشاركونه ذكرى ميلاده ! .

— ٥ —

فجأة وهو يرشف القهوة تذكر أنه لم يطفىء البوتاجاز قبل أن يخرج !! .. هب مهرولا إلى البيت .. فى الصباح انفجرت انبوبة فى محل عام ، والآن توشك أنبوبته الخاصة أن تنفجر !! .. أهذا يوم الانفجارات ؟! .

أدرك البيت وماء البراد قارب الجفاف أطفأ الشعلة .. ثم عاد إلى شيشته بالمقهى ، سلمت هذه المرة ، وإن حكاها لصديق فسينصحه بالزواج ، وهو مضرب عنه ، وإنما الفرصة لم تأته بعد .

تنبه إلى الجرسون يضع أمامه قهوة جديدة ، اندهش فهو لم يطلبها ، ابتسم الجرسون :

— عوضاً عن القهوة التى تركتها وبردت .

مجاملة صغيرة ، ابتسم لها شاكراً وأشعرته بسعادة خفية ، اعتبرها هدية عيد ميلاد دون علم هاديها .. أخذ يرشفها وعيناه على الشارع ، مع الرشفة الأخيرة كانت الكآبة قد عادت تقبض قلبه .. أدهشه حال المارة ، سائرين ، متلكئين ، متصادمين .. والليل يهبط ، والسيارات من كل صنف .

جاء صديقه الذى يعمل محققاً بالنيابة ، ابتسم له مجاملا مرحباً .. ثم طلب شيشة جديدة ..

— ٦ —

حدثه وكيل النيابة عن آخر قضية يحقق فيها ، جريمة قتل حارس فى مسرح فكاهى ، أغتيل بعد منتصف الليل امام زوجته وطفلته ، الملابسات غامضة ، شهادة الزوجة تزيد البلبلة ، والطفلة عاجزة عن الكلام ذعراً !!

ازعجته ضجة السيارات ، ولم تشده التفاصيل .. مع دخان الشيشة الجديدة تشتت خواطره ، كيف جاء إلى هذه الدنيا ؟! ..

سمع صديقه المحقق يقول مندهشا :

— تصور !! لم تخرج الزوجة إلى طلب النجدة إلا حوالى العاشرة والنصف صباحاً !! .

— وما الغريب فى هذا ؟؟ .

— يبدو انك لم تركز معى .. الجريمة تمت قرب منتصف الليل ، فماذا كانت تفعل حتى الصباح ، يعنى طوال تسع ساعات تقريباً !! .

— افادكم الله ودمتم !! .

(بالتأكيد لن ينام إلا بالقرص المنوم) .. انحنى يصلح من حجر الشيشة ، فوجد طفلا على الرصيف يحملق مدهوشاً ويهم بلمس النار ، حذره مبتسماً ، احتار الطفل ثم سار خلف أبيه الذى ناداه .. تابع الطفل بنظراته ، فلما التفت إليه مبتسماً شعر بأعصابه تسترخى ، وبعاطفة مريحة تترقرق بداخله .. فجاءت أمه على باله وتمناها على قيد الحياة .. كان وهو طفل بالصعيد يهرب منها ويتجه غرباً ، حيث المعبد الفرعونى المتهدم ، وحيث كباش الغجر وماعزهم .. كان يحب اللهو مع الكباش ، يتقافز من حولها ويقع ضاحكاً عندما ينطحه احدها .. وكان كلما تأخر عن موعد الغداء أرسلت أمه من يحضره

— الولد العفريت ، ذهب ثانية يلعب عند الغجر .. جدى هو !!

أين ميرفت الآن ؟؟ هاجرت مع أسرتها إلى استراليا ، لعلها تزوجت وانجبت ، لكم ندم عليها (لعلها أيضاً ترهلت !) .. وهو الآن تؤرقه فكرة العودة إلى البيت الخالى .

ولكن ما هذا الذى يفعله ؟! أيعزى نفسه بما مضى ؟! .. أجدى له الذهاب إلى البيت وابتلاع القرص ، ثم يحلم كما وعده الدكتور حسن .. وغداً سيكون بداية عام جديد فى حياته ، رضى أم لم يرض !! .

— ٧ —

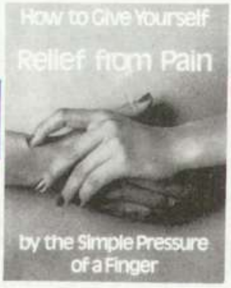
ركب المترو .. كانت به مقاعد خالية لكنه فضل الوقوف ، راح يتأمل وجوه الجالسين ، إجهاد اليوم يطل من عيونهم والاحباط ، عدا ثلاثة شبان يتحادثون بأصوات عالية .. وعلى مقعد قريب رأى رجلا وزوجته وطفلة بديعة العينين ، تعلقت أنظاره بها ، كانت منشغلة بالتطلع إلى الطريق ، وعندما التفتت وراته ينظر إليها خجلت والتصقت بأمها ، احتوتها المرأة فى حنان وأعطته بسمة طيبة .. تشجعت الطفلة ورمقته ، ثم عادت تلعب لعبة الخجل مرة ثانية وثالثة ..

قبل أن ينزل كانت الطفلة قد ألفته ، ومنحته ابتسامة وديعة ملأت قلبه بالسكينة .. فلما نزل إلى الرصيف اشرأبت من النافذة تلوح له مودعة ، فلوح لها ضاحكاً ، وظل واقفاً بابتسامة عريضة ، حتى بارح المترو المحطة ..

استدار إلى بيته ، خفيف الخطو منتعشاً ، سعيداً ببشاشة الطفلة وتلويحها .. دخل شقته وهو ما زال مأخوذاً بها ، بحلاوتها وبراءتها ، فوجد نفسه يتمنى لها ولوالديها السعادة والصحة .. خلع ملابسه وارتدى البيجامة ثم دخل السرير هادىء البال قرير النفس .. أطفأ النور ، سرعان ما نام دون معونة القرص المنوم .. لكنه حلم بطفل يشبهه ، تسلل من وراء أمه بالصعيد ، إلى أطلال المعبد القديم ، رأى كباش الغجر فانطلق يلاعبها ، كلما أوقعه جدى هب واقفاً مواصلا قفزه من جديد .

مجيد طوبيا

كتاب
الشهر





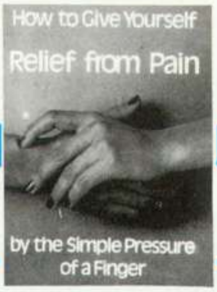
كيف تتغلب على الألم بدون طبيب؟

تأليف : د. روجر دالت

ما إن ظهر هذا الكتاب حتى تصدر قائمة المبيعات . وبيعت من طبعاته المتتالية ملايين النسخ . وذلك لأنه الوحيد من نوعه الذى يزودك بطريقة جيدة وبسيطة تخلصك من الألم فوراً . ويتراوح هذا الألم ما بين الصداع النصفى . ووجع الظهر . ووجع الأسنان .. وعشرات الآلام التى تقضى على راحة الانسان .

والجديد هنا انك تستطيع أن تريح نفسك بنفسك .. لا تنتظر طبيباً ولا تضطر لتعاطى الدواء الذى تكرهه . كل هذا يتحقق بضغطة بسيطة من أصبعك. وسوف تبين الصور المرافقة للكلمات كيف يمكن ان تحقق ذلك عندما تحدد مكان مصدر الألم وتحرك أصابعك عليه فى اتجاه عقارب الساعة .. فتتخلص من الألم دون حاجة لتعاطى الأسبرين .

لقد جربت طريقة دكتور روجر دالت مؤلف هذا الكتاب بواسطة مئات الآلاف من الناس . وأخذ كل واحد منهم يصف



كيف تتغلب على الألم بدون طبيب ؟

هذا الكتاب لصديقه . وهو يتجاوز الآلام الموضوعية ليتدخل فى حالات الحروق . والشد العصبى . والامساك . والاسهال . ومتاعب التنفس والتهاب الحلق .. وعشرات الأعراض الأخرى .

ولكن علينا أن نعرف جيداً أن طريقة د. دالت ليست للعلاج إنما هى نوع من مساعدة النفس على تحمل الألم والتخلص منه .. وهذا الكتاب يسهل لك هذه المهمة .

بقى أن تعرف أن الدكتور روجر دالت متخصص فى طب الأعصاب بمستشفى بياجون فى باريس .

عن الألم

التقسيم التقليدى للحواس خمس : اللمس . التذوق . الشم . السمع . الرؤية ولكن هناك حاسة سادسة .. هى «الألم» . والكثير منا لا يرى فى الألم غير الجانب السيء فقط . ولكن الذين يولدون بدون هذه الحاسة يشعرون بمدى أهميتها . يحدث ذلك حين تصيبهم الجروح الدامية دون أن يحسوا بها .. بينما يمثل الألم بالنسبة لمعظمنا تحذيراً مبكراً مع أول خدش أو اضطراب يصيب أجسادنا

إن قيمة الألم الحقيقية هو انه منبه جيد للخطا بحيث يتطلب العناية الطبية . ولكن أحياناً يتحول الألم الى إحساس زائف بالخطر وهو يعطى إحساساً أكثر من قيمته الحقيقية .. والكتاب يحاول التخفيف من حدة هذا النوع من الآلام .

وكل واحد فى هذه الأيام قد سمع عن الابر الصينية . وحتى وقت قريب كنا نعتقد أنها سر غامض تحيط به رهبة شرقية لا يقدر عليها إلا من تمرس بها . ولكن بعد أن فتحت الصين أبوابها للزوار الأجانب استطاع الكثير من الأخصائيين حضور العمليات الجراحية التى تجرى تحت تاثير الوخز بالابر . وشاهدوا استخدام الابر فى علاج الكثير من الحالات المستعصية مثل «الصمم» وقد نشرت العديد من الأبحاث حول هذا الموضوع وكيفية استعمال الابر بطريقة صحيحة .

وفى الصين نفسها يوجد آلاف من الرجال والنساء الذين يطلق عليهم الأطباء الحفاة الذين تمرسوا بهذه الطريقة على علاج أسرهم وجيرانهم .

أى واحد منا يمكنه أن يتعلم كيف يريح نفسه من الألم .. أو يريح أطفاله أو أصدقاءه بنفس الطريقة .. ونحن هنا لا نتحدث عن الاجراءات المتبعة فى إبر الوخز فهذه الطريقة تحتاج الى متخصصين .. إنما نتحدث عن محاولة سريعة وربما مؤقتة للراحة .. يمكن تطبيقها بسهولة ولكنها تعتمد على نفس المبادىء التى تتم بها عملية الوخز فى اعتمادها على أى نوع من المعالجة الدوائية .

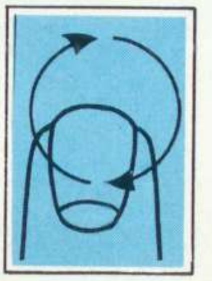
عن طريق الاستعمال

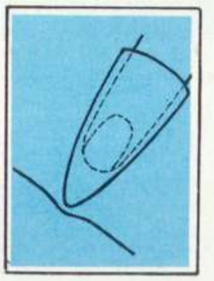
نقاط الوخز عرفت فى الصين فى وقت مبكر .. إنها النقط التى يمكن منها معرفة مكان العصب الذى يغذى منطقة من الجسم . وعن طريق ادخال ابر مختلفة الأطوال فى هذه النقط . وعندما تتاثر هذه النقط تتاثر بالتالى المنطقة التابعة لها ويحدث الاستجابة لهذا المؤثر .

كيف تؤثر على هذه النقط ؟ .. أولا حدد النقطة بدقة كما هو موضح بالدوائر الملونة على مختلف اجزاء الجسم فى الصور المرفقة . وكل نقطة تحتل مساحة صغيرة جداً .. تقريباً حوالى نصف ملليمتر مربع .. ومتى حددتها لن تخطىء مرة اخرى لانها منطقة عالية الحساسية والاحساس بها مختلف عن بقية المنطقة التى تحيط بها .. وسوف نشرح السبب العملى لذلك فيما بعد ..

ما إن تحدد هذه النقطة حتى تبدأ فى معالجتها بالوخز .. ليس بالابر بالطبع ولكن بالضغط عليها باصبعك .. ضع قمة أصبعك الأكبر أو السبابة على النقطة واضغط الى اسفل ثم حرك اصبعك لكى تعطى نوعاً من التدليك السريع والبسيط مع حركة الأصبع فى اتجاه عقارب الساعة .

وإذا أردت نتيجة اسرع يمكن أن تستخدم غطاء احد الأقلام وتضعه فى طرف أصابعك وتضغط بنفس الطريقة السابقة .. ويمكن ايضاً استعمال الحرارة ولكن بحذر شديد .. ويمكن استعمال بعض التيارات الكهربية الخفيفة .. ولكن أفضل وأبسط شيء هو





طرف أصبعك بالطبع ..

وزمن الراحة من الألم يختلف من مريض لآخر .. من بضع دقائق الى ساعات طويلة الى أيام .. ولكن تاثير هذه المغنطة لا يذهب أبداً .. ويمكن استخدامها المرة بعد الأخرى . والآن سوف نرى كيف يمكن معالجة بعض الآلام .

الرأس

١ ـ كيف نعالج وجع الأذن ؟

هناك ثلاثة اجزاء للأذن . الأذن الخارجية . والوسطى . والداخلية . وكل واحدة منهم تقود للأخرى . فالأذن الخارجية تقود الى قناة السمع ثم الى الطبلة ـ وفى الأذن الوسطى يقع فراغ الأذن يحيط به أربعة عظام متداخلة هى التى تنقل الصوت .. والأذن الداخلية هى التى تحفظ التوازن .. وهى لا تحدث ألما ولكن أعراض الاضطراب فيها يتجلى فى الدوخة والطنين فى الأذن والصمم . وهى ليست تهمنا فى هذا المجال .



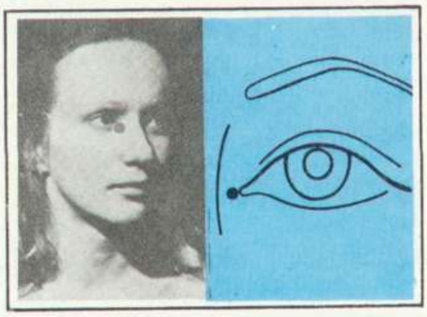
الأذن الخارجية والوسطى هما إذن الأكثر عرضة للألم .. بسبب ظهور البثور الصغير أو الالتهابات وهى تحدث ألما شديداً فى كل المنطقة المحيطة بالأذن

ويمكن أن تحدث بعض المضاعفات مثل فقدان السمع الجزئى .

والصورة توضح النقطة التى يمكن الضغط عليها وتدليكها لكى ترتاح من وجع الأذن . إنها تقع تماماً على العظمة البارزة خلف الأذن . أزح الأذن الى الامام وسوف تجد النقطة فوق العظمة .

٢ ـ كيف تعالج وجع العين ؟ :

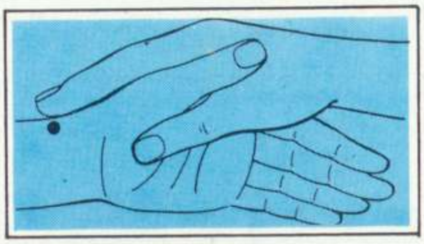
العيون يمكن أن تشعر بالألم لأسباب عديدة .. التراب .. الهواء العاصف .. الاجهاد .. الالتهاب . فى الملتحمة أو الألم الذى يحدثه مرض الجلوكوما وهو ارتفاع ضغط العين . وفى منطقة هامة مثل لعين يجب أن تسرع باستشارة طبيبك .. ولكن حتى يتم علاجها بواسطة العلاج يمكنك أن تتبع هذه الوسيلة لتخفيف الألم بها ..

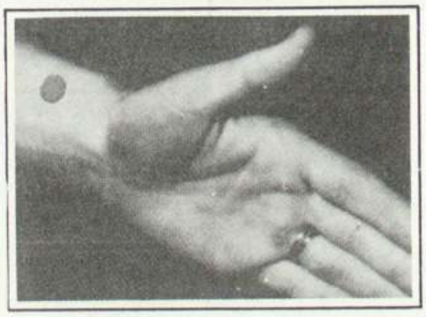


هناك نقطة يمكن أن تخفف عن الم عينك المريضة .. هذه النقطة تقع بالقرب من عينك الأخرى السليمة بجانب ركن العين الداخلى . اضغط على الجانب الأيسر لكى تريح الجانب الأيمن . والعكس صحيح . ولو كانت العينان متعبتين اضغط على النقطتين فى نفس الوقت .

٣ ـ كيف تعالج الصداع ؟ :

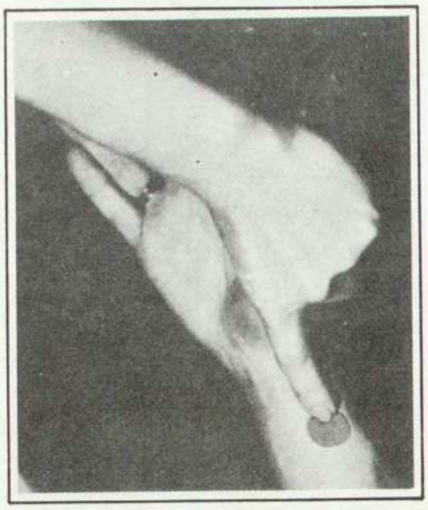
ربما يكون الصداع هو اكثر الآلام انتشاراً . واسبابه كثيرة جداً .. والفحص الطبى الدقيق يجب أن يتم . ولكن يمكن إراحة آلام الصداع من ثلاث نقاط تعتمد على نوعية الصداع ومكانه .. فهناك صداع فى مقدمة الراس أو فى جانبى الصدغين . وهناك صداع فى مؤخرة الراس فى مكان الاتصال مع الرقبة .. وهناك صداع الجمجمة نفسها









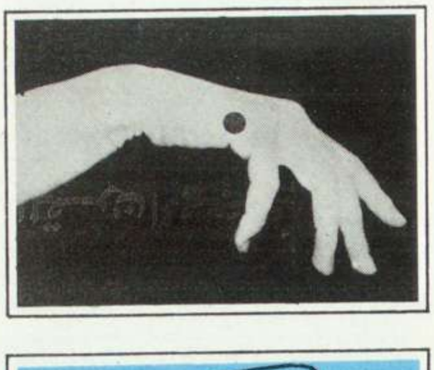


ويصعب تحديد مكانه فهو يشمل الراس كلها ..

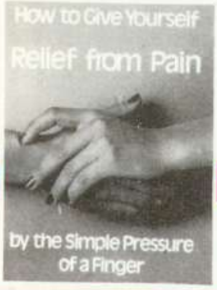
بالنسبة للنوع الاول الموجود فى مقدمة الراس أو الصدغ سواء كان فى جانب واحد أو فى الجانبين .. فان النقطة المؤثرة موجودة فى رسغ اليد فى نفس المكان الذى يشعر فيه الانسان بالنبض ولكن أعلى قليلا فى اتجاه المرفق . ولكى تحددها بدقة فى الرسغ الأيمن على سبيل المثال . افتح يدك اليمنى بحيث يكون الكف الى أعلى والأصبع الأكبر للخارج . أدخل أصبعك الأكبر فى اليد اليمنى مع أصبعك الأكبر فى اليد اليسرى وضع بقية أصابع يدك اليسرى خلف ظهر اليد اليمنى وسوف يقع أصبعك السبابة اذا كان فى خط مستقيم على النقطة الحساسة .

ولو كان الصداع فى مقدمة الراس عليك أن تجرى التدليك فى الرسغين الأيمن والأيسر . واذا كان الصداع موجوداً فى جانب عليك أن تجرى التدليك فى الرسغ الآخر بمعنى انه لو كان الصداع موجوداً فى الجانب الأيسر عليك أن تجرى التدليك فى الجانب الايمن .. والعكس بالعكس .

بالنسبة للصداع الموجود فى مؤخرة الرأس .. فان النقطة المؤثرة موجودة فى الأصبع الأصغر فى جانب اليد . اطو يدك نصف طية وسوف تلاحظ ثنية خط الرأس . واذا تحسستها باصبعك سوف تجد العظمة الخامسة من عظام اليد . وسوف تشعر بقليل من الألم عندما تضغط عليها وهذه هى النقطة التى يجب أن تدلكها .. وبالطبع سوف ندلك







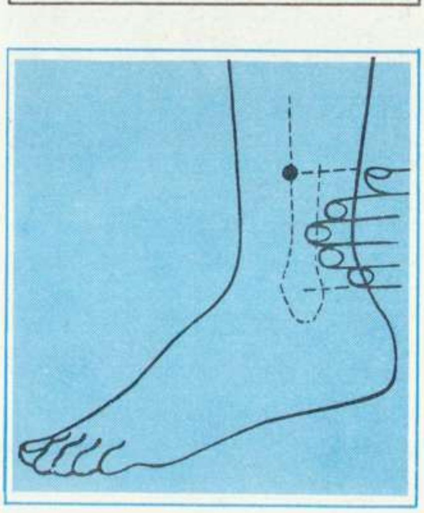
اليد اليمنى إذا كان الألم فى الجانب الأيسر ..

بالنسبة للصداع الذى يشمل الرأس كلها يمكن تدليك كل النقط السابقة بالاضافة الى نقطة أخرى يمكن ان نسميها «الثالثة» وهى موجودة فى الجانب الخارجى من الساق فى التجويف البسيط الذى يقع فى أول العظمة الرفيعة التى تكون مع عظمة أخرى الساق . لكى تجدها بدقة حاول ان تكتشفها بواسطة الأصبع الأكبر وبقية الأصابع بعد أن تضع أصبعك الأصغر على بروز الكعب .. وراقب الرسم .

اضغط على هاتين النقطتين بيديك فى وقت واحد مع تقاطع اليدين .

وبشكل عام فهذا العلاج فعال جداً بالنسبة للصداع ما عدا الصداع الناتج عن أورام المخ أو بعض الحالات الخطرة.



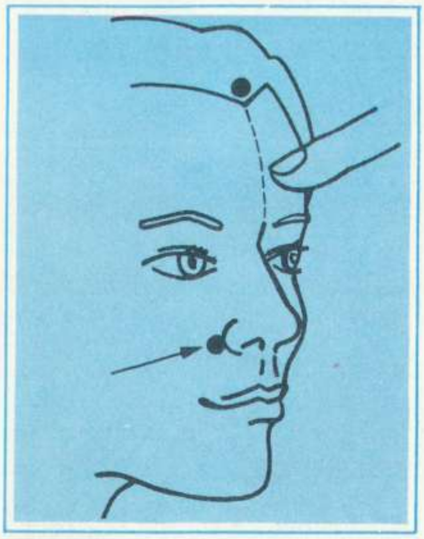


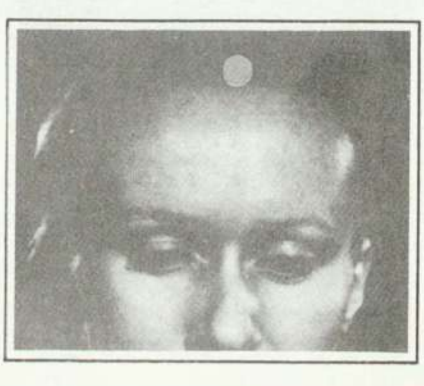
٤ ـ كيف تعالج انسداد الأنف .. ؟

مع الشتاء تزداد درجة الحساسية فى الأنف . وإنسداد الأنف هو أول أعراض الاصابة بفيروس الزكام . ومن الممكن أن تظهر هذه الأعراض أيضاً مع بعض حالات الالتهاب المزمنة مثل التهاب الجيوب الأنفية .

وهناك نقطتان للتخلص من أعراض انسداد الأنف . واحدة ضرورية وموجودة فى منتصف مقدمة الرأس تماماً فوق مستوى خط نمو الشعر . ولو لم يكن هناك شعر من العثور عليها يكون أسهل . مر بأصابعك من فوق كوبرى الأنف فوق الجبهة وسوف تعثر على انخفاض بسيط بعدها . وهى تحتاج الى ضغط قوى بعض الشىء .

وفى حالة ما إذا كانت فتحة الأنف أكثر احتقاناً من الفتحة فان هناك نقطة فى زاوية الأنف . ويجرى تدليك الجانب الأيمن للجانب الأيمن والجانب الأيسر للجانب الأيسر .



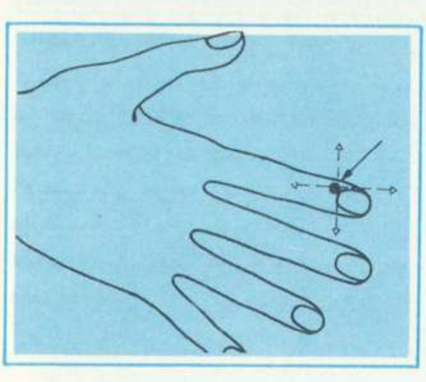


٥ ـ كيف تعالج ألم الأسنان ؟ :

كل واحد يعانى آلام الأسنان من وقت لآخر . ولذلك فمن المهم جداً أن نعرف النقطة المؤثرة التى تريح من الألم ومن حسن الحظ فان تحديدها سهل جداً . النقطةموجودة فى أصبع السبابة فى الثلث الذى يحدده الخط الأفقى الذى يرسم على قاعدة الظفر والخط الرأسى الذى يرسم على حافة الظفر . والنقطة بينهما فعالة جداً فى حالة ألم الأسنان ..

وبالطبع هذا لا يشفى الألم الناتج عن التسوس أو البثور الموجودة فى اللثة ولكنك تستطيع أن تخفف الألم بعض الشىء حتى تذهب الى الطبيب وهى يمكن أن تساعدك على تحمل العلاج بدون استعمال محذر .





الصدر

١ ـ كيف تعالج حالة ضيق التنفس ؟

ضيق التنفس قد يكون احد الأعراض الخطيرة لبعض متاعب القلب خاصة فى كبار السن . أو فى الرئة . وفى الجهاز العصبى . وهكذا إذا كنت تعانى من ضيق التنفس بدون سبب ظاهر فعليك أن تسارع باستشارة طبيبك ، ولكنها قد تكون مجرد حالة مؤقتة كما

يحدث فى بعض الالتهابات الرئوية .. أو حتى الحالات الانفعالية . أو نتيجة لبعض الانعكاسات العصبية كما دلت بعض الأبحاث الأخيرة .. وهذا ما يستدعى بالطبع التدخل للعلاج بالوخز.

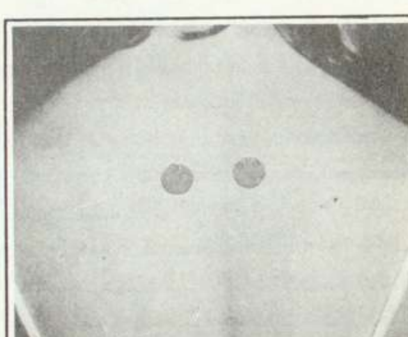
هناك مرض ضيق التنفس هو المرض الأساسى فيه .. وهذا المرض بالطبع هو الربو . والربو يحدث مع التعرض للتيارات الهوائية العنيفة . إذا كان الشخص مصاباً بالحساسية .. أو بسبب الاضطرابات العاطفية ويمكن لهذه الحالة أن تتطور وتصيب المريض بطريقة مزمنة ..

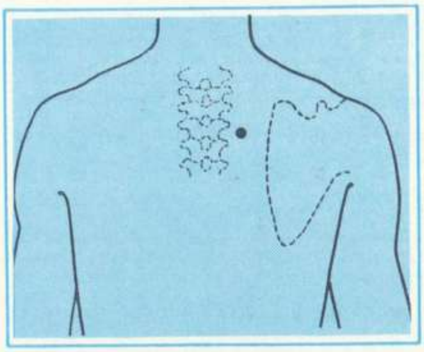
لذلك فمن المفيد أن نعرف الطريقة التى تحقق بها راحة سريعة للشخص الذى يعانى من ضيق التنفس وذلك بتحديد النقاط الحساسة على ظهر المريض ..

هناك نقطتان على جانب العمود الفقرى لظهر المريض . بعرض أصبعين من الخط الموجود فى منتصف الظهر فى مستوى الفقرة الغضروفية الثالثة . ولكى تجد هذه الفقرة يجب على المريض

أن يجلس وأن يحنى رأسه الى أسفل وبالتالى سوف نلاحظ البروز الذى ظهر فى مؤخرة العنق وهو آخر فقرات العنق ونبدأ فى عد الفقرات الى أسفل حتى الرقم ثلاثة وبذلك نصل الى مستوى الفقرة الصدرية الثالثة .

النقطتان إذن على بعد أصبعين من اليمين ومن اليسار . وهما يحتاجان للضغط المتواصل لمدة من الزمن وبالتدريج سوف يبدأ ضيق التنفس وأزيز الصدر فى الاختفاء ولكن اذا كانت الحالة قاسية فلابد من التدخل الطبى فى الحال .



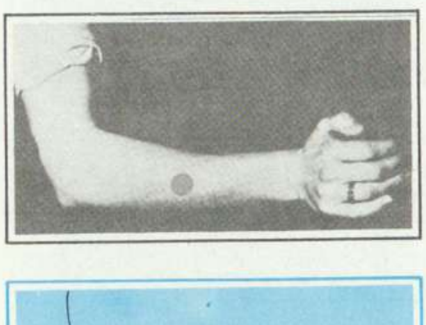


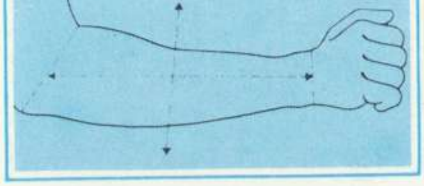
٢ ــ علاج ألم الصدر :

آلام الصدر قد يكون سببها الأعضاء الموجودة داخل الصدر .. القلب والرئتان .. أو فى عضلات الصدر أو عظام القفص الصدرى . إذا كان الألم بدون سبب ظاهر كالجروح فقد يكون الأمر خطيراً وعليك أن تراجع طبيبك . فمن الممكن أن تكون بسبب جلطة فى الشريان التاجى أو حالة ذبحة وهى تظهر غالباً بعد الاجهاد الشديد أو جلطة فى الشريان الرئوى .

على العموم فان آلام الصدر تظهر لدى أقل عارض . وشدة الألم تدل على شدة المرض . وهناك بعض الآلام الروماتزمية التى تصيب جدار الصدر وعظام القفص الصدرى وتسبب الألم .

والنقطة الحساسة هنا تقع فى منتصف ظهر ساعد اليد . بالضبط فى منتصف المسافة بين المرفق والرسغ . وتحتاج للضغط بشدة . وبهذه الطريقة استطاع الجراحون الصينيون أن يستأصلوا أجزاء من الرئة بدون استعمال أى مخدر .





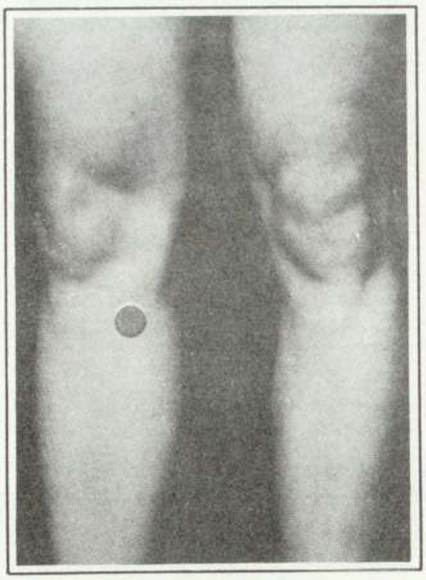
البطن

١ ــ علاج آلام البطن :

آلام البطن هى المغص .. وهو أكثر من نوع .. هناك المغص المعوى الذى يصدرمن اضطرابات الأمعاء . والمغص المرارى نسبة الى القناة المرارية .. ومغص الحالب حين يكون به بعض الحصوات .

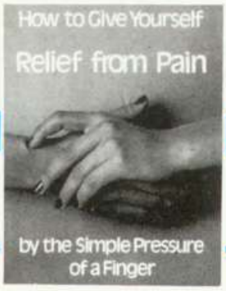
وفى كل الحالات .. يكون المغص قاسياً ومفاجئاً وقد يقود المريض للأغماء .. والراحة هامة هنا تماماً كتشخيص المرض لأن الألم قد يضاعف من خطورة الحالة . والضغط السريع على النقاط الحساسة والضغط عليها يقلل من الألم ويقلل أيضاً من انقباضات الأمعاء .

النقط الحساسة موجودة على الجانب الداخلى للركبتين . على الحافة الخلفية لعظمة الساق الشظية وعندما نتبع حافة العظمة بأصابعنا من أسفل الى أعلى سوف نجد زاوية حيث تتراجع حافة العظمة الى الداخل . النقطة الحساسة فى هذه الزاوية .

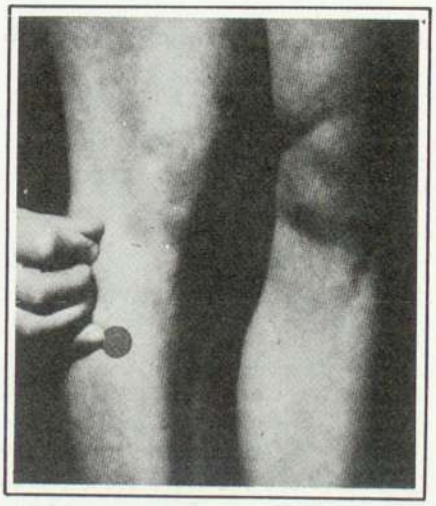


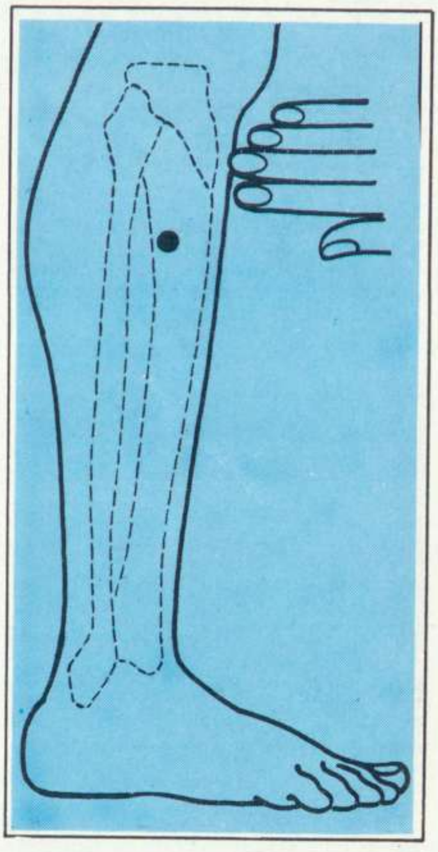
٢ ــ علاج الاسهال :

الاسهال غير سار بالطبع . وأسبابه كثيرة .. ولكنه يسبب فقدان الجسم الكثير من السوائل والمواد الهامة .. ويمكن أن يكون سببه هو أى اضطراب معدى أو عددى ضعيفة . ولكنه قد يكون خطيراً ويسبب سوء التغذية . وهو فى



كيف تتغلب على الألم بدون طبيب ؟





أشد الأعراض ظهوراً لأمراض المنطقة الاستوائية . مثل الدوسنتاريا . وتسمم الطعام .. والكوليرا .

الاسهال الشديد فى حاجة الى عناية طبية ، ولكن الضغط على النقاط الحساسة يمكن أن يعالج الحالات المتوسطة الشدة . وقدم استخدم الصينيون هذه النقاط فى علاج الكوليرا

ايجاد النقطة الحساسة يحتاج الى بعض العناية .. فهى موجودة على بعـد خمسة أصابع من الركبة الى الخارج فى منتصف المسافة بين عظمتى الساق .

٣ ـ علاج الامساك :

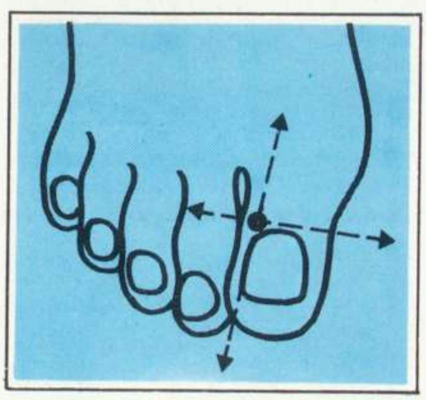
الامساك أحد الأعراض المنتشرة ، وهو ناتج عن قلة التمارين والغذاء غير الصحى خاصة هؤلاء الذين لا يشربون سوائل كافية أو يأكلون خضروات كافية .

وعلاج الامساك بالمسهلات أسوأ . لأن الأمعاء الحساسة من الامساك سرعان ما تنقلب الى اسهال .. ويؤدى هذا الى الجفاف وفقدان الأملاح الهامة للجسم .

وقد تؤدى المسهلات أيضاً الى أمراض مزمنة فى الأمعاء . والضغط بالأصابع يحدث نتيجة فعالة وسهلة .

النقطة الحساسة موجودة فى الزاوية الداخلية لظفر الأصبع الكبير كما هو موضح فى الرسم .

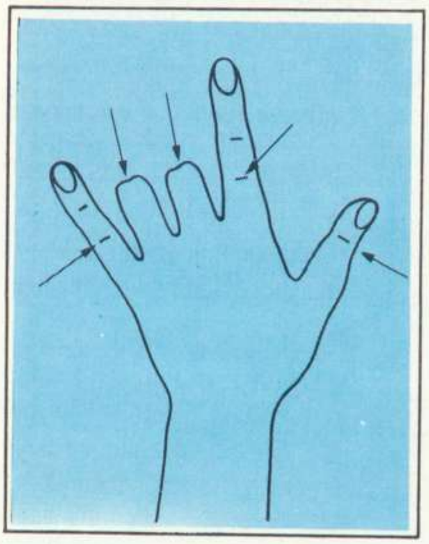




اليد

آلام الأصابع :

يمكن للأصابع أن تؤلم فى حالات الجروح . أو حالات الروماتزم وخاصة فى كبار السن . ووجود نقاط للضغط مفيدة فى مثل هذه الآلام وكلها فى ظهر الأصابع عند العضل الأول . ويمكن تدليك الأصبع الذى تشعر بالألم فيه . وإذا كانت أصابعك كلها تؤلمك فحسب التقاليد الصينية إبدأ أولا بالخنصر . ثم الابهام . ثم الأوسط . ثم السبابة . ثم الأصبع الصغير .

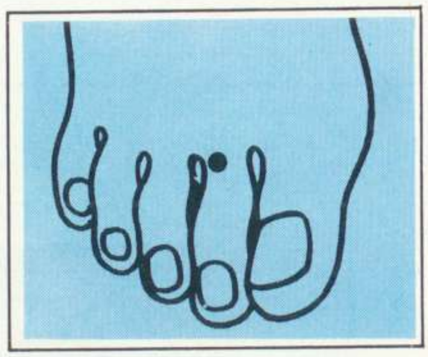


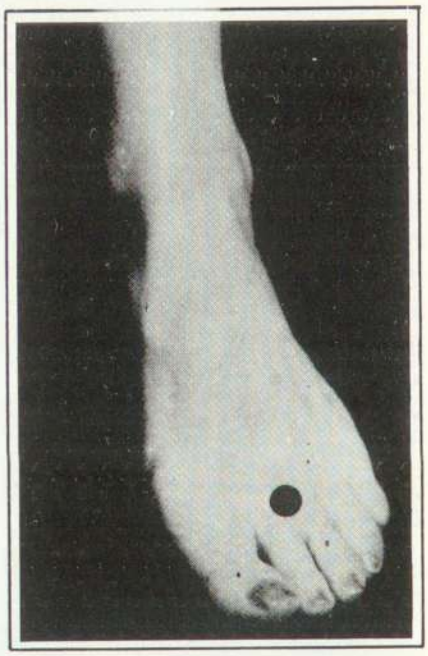
الأرجل والأقدام

١ ـ علاج آلام القدم والأصابع :

أقدامنا المسكينة تعانى كثيراً . فهى محبوسة داخل الأحذية وعرضة للتشوه بسبب الكعوب العالية . وأحياناً تحتاج الى تدخل جراحى . ولقد واجه الصينيون هذه الأعراض منذ وقت طويل إذ تقضى التقاليد بوضع اقدام الفتيات داخل قوالب صغيرة لتكون اقدامهن صغيرة وجميلة . ولأن هذه العملية كانت مؤلمة فقد خففت النقط الحساسة هذه الآلام الى حد كبير .

والنقطة الحساسة هنا موجودة على القدم بالضبط فى مؤخرة الأصبع الثانى وهى تحتاج للتدليك الشديد حتى يظهر تأثيرها .



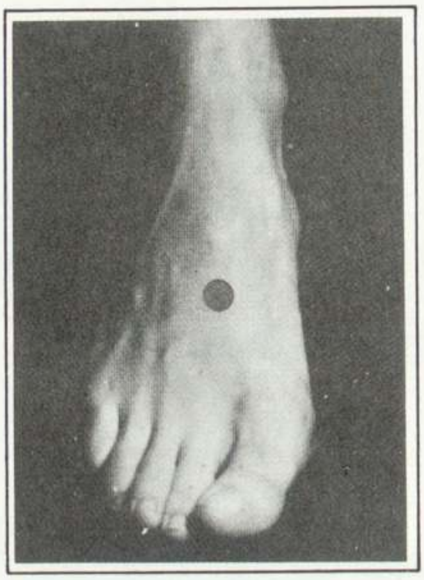


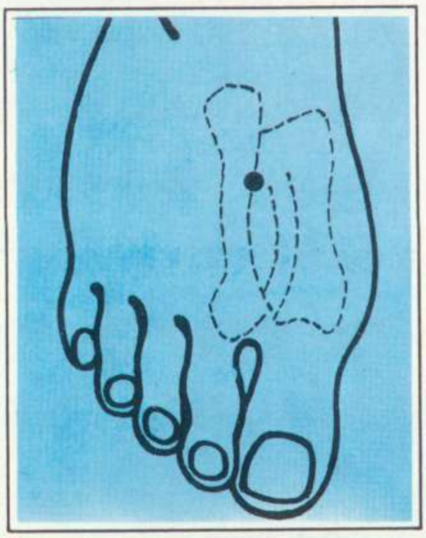
٢ ـ كيف نعالج انتفاخ الساق :

تصاب الساق بالانتفاخ فى العادة عندما يحدث تقصير فى عمل الكليتين أو هبوط فى القلب . وهى بشكل عام أحد الأعراض الخطيرة . وقد يكون سببها اضطراب فى الأجهزة الليمفاوية ..

والبعض يعانى من التورم بسبب الجاذبية الأرضية وهى تبدو واضحة عندما تتلف صمامات بعض شرايين الساق . والعلاج يكون أحياناً فى النوم لفترات كافية مع رفع الساقين الى أعلى والنقط الحساسة تسبب بعضاً من الراحة .

هذه النقطة موجودة على القدم عند تقابل العظام التى تكون قوس القدم وهى على الخط الممتد بين الأصبع الأول والأصبع الثانى .



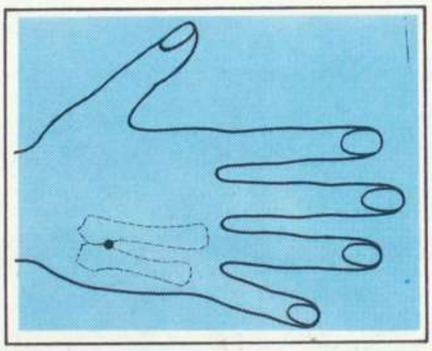


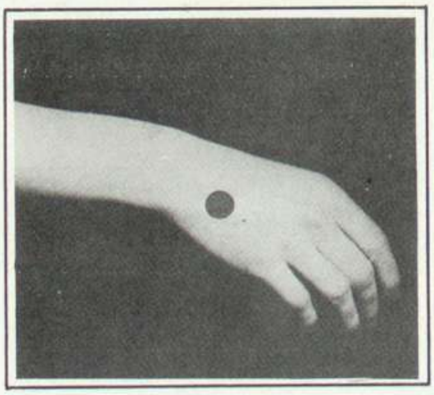
كيف تعالج آلام الظهر ؟

هذا واحد من الظواهر الاجتماعية الحديثة . وهو ينتج من الالتهابات الروماتزمية أو آلام العمود الفقرى . وينتج غالباً من المكوث فى وضع سىء الى فترة طويلة وهو يصنع نوعاً من التشنج والتيبس فى عضلات العمود الفقرى .

والظهر يتأثر بأشياء كثيرة .. حتى بطريقة السير . وارتداء الكعوب العالية النقاط الحساسة تفيد فى تخفيف الكثير من آلام الظهر .

النقطة الحساسة موجودة فى ظهر اليد فى الزاوية بين العظمتين على طول الخط بين الخنصر والبنصر .

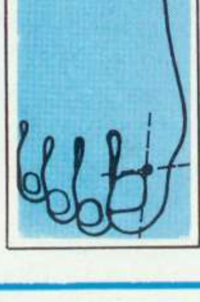




كيف تخففين من آلام العادة الشهرية ؟

أحياناً تأتى العادة الشهرية بكمية كبيرة من الدم .. وبالام شديدة . وتعانى كثير من النساء من هذه الأعراض . ويجب عليها أن تحاول الاستشارة الطبية . ولكن تدليك النقطة الحساسة يقدم مساعدة كبيرة ..

ولتنظيم العادة هناك نقطة فعالة فى القدم . فى الزاوية اليمنى التى تتكون من الخط الذى يرسم عند قاعدة ظفر الأصبع الأكبر وبالخط الذى يرسم فى موازاة الجانب الخارجى لنفس الظفر كما هو مبين بالرسم .





بقلم : محمد فتحي

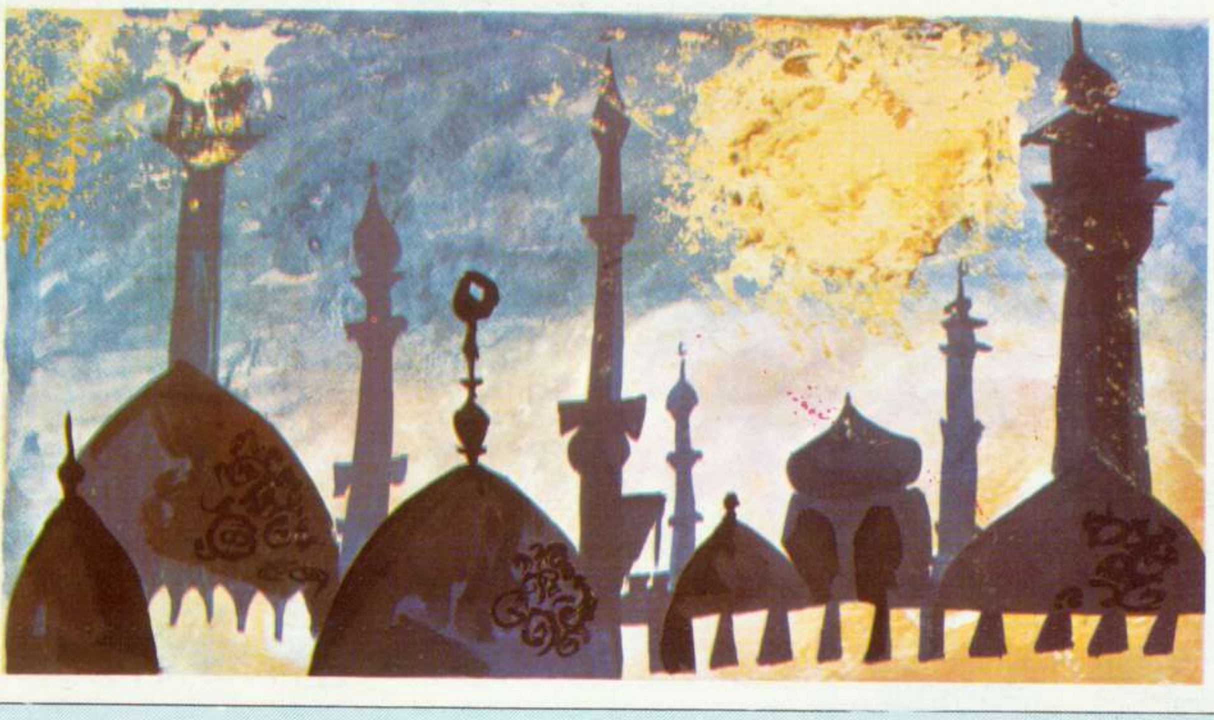
تأملات إعلامية عند منعطف القرن الهجري الخامس عشر

لو كنت سفيراً لبلد أوربى لدى حكومة السودان لأرسلت الى دولتى تقريراً سنوياً خطير الطابع .. عن مناخ رهيب حل فجاة ، وأخذ يفرض نفسه فرضاً منتظماً متصاعداً ، واثق الخطى ، على كل دوائر المجتمع الواعية ، من معاهد وقوى ، سياسية ورئاسية وأكاديمية وأهلية .. فى تناسق عجيب ، ودون أية مقدمات ؛ دون خطة موضوعة ، ودون دفع من جهة بعينها ، أو تبن واضح .. وإنما فى تلقائية عجيبة ، تلقائية الغيث حين ينهمر ، أو النيل تزخر مياهه وتتدافع عند الفيضان ...

مثل هذا السفير تجرى فى عروقه ، فى أغلب الظن ، أثارة من دماء الصليبية هذه الموجة المتعالية التى ارتفعت على حين غرة ، وكأنما انصاعت لأمر علوى ، عندما دقت الساعة الكونية مؤذنة ببزوغ فجر القرن الخامس عشر الهجرى بعثت فى قرارة نفسه رجفة ، وأثارت المخاوف الدفينة عنده وعند العالم المتوجس من الاسلام المتربص به خيفة قومة معهودة مؤثرة للمسلمين ، عند منعطف كل قرن ..

غير أن إطلالة هذا القرن الجديد – فيما يتبين لعين الرقيب – تهل فى ظروف جد مختلفة . فأمة الاسلام تملك اليوم أمرها .. دولها مستقلة ، وحكمها فى أيدى أبنائها .. والمغلوبون على أمرهم من المسلمين فى هذه القارة أو تلك ، لا يستسلمون أبداً .. يصارعون أعداءهم العتاة ، فى شجاعة واستبسال ، دفاعاً عن أرضهم وعقيدتهم وأوطانهم .. لم يعودوا أتباعاً وذيولا ومستعمرات ..!

قد يدخل فى قلب غير المسلم ، شعور بالارتياح والغبطة إذ يرى المسلمين يتقاتلون فيما بينهم ، وإذ يرى كلمتهم غير مجتمعة وغير موحدة ، وإذ يراهم متفرقين شيعاً وأحزاباً .. ! لكن هذا الشعور وهم زائف .. لأنه لا يكشف عن الحقيقة الثابتة . ! وهى أن قاعدة الأمة الاسلامية نقية طاهرة متماسكة ،



● الحكم الاسلامي يكفل للمواطن الحريات والحماية من الشرور الاجتماعية

مستمسكة بقواعد دينها وتعاليمه ، مؤمنة بان المؤمنين إخوة وان المصير واحد ، والغاية واحدة .. فمبدأ التوحيد والوحدانية فى الله ركن مكين من أركان دينهم . فاذا ما تقاتل حكام المسلمين اليوم فيما بينهم ، واختلفوا وتفرقوا فذهبت ريحهم .. فانما تلك مرحلة موقوته مآلها إلى زوال ، إذ لا راد لارادة الشعوب ، لا سيما إذا كانت القضية هى كلمة الله .!

بصر المسلمون بأنهم على أبواب تحول كبير ، بلغ عندهم مرتبة اليقين ! اليقين بأن القرن الجديد سيشهد الثورة الفكرية السياسية الشاملة ، المؤدية الى أن يصبح المسلمون كياناً قوياً موحداً يستهدى بالكتاب والسنة . ويرون ، تبعاً لذلك ، أن تغييراً جذرياً سيشمل الكون ، وأن آثار هذا التعديل الشامل ستشمل الحدود الجغرافية والعلاقات الدولية والمعالجات السياسية ...

أن للحلم الذى حلم به المجددون ، طوال القرنين الماضيين ، من أمثال ابن عبد الوهاب ، وجمال الدين الافغانى فى تحركاته فى مصر وإيران وتركيا ، وإقبال وغيرهم .. أن للحلم العظيم أن يتحقق ! «حسن مكي» .

يقينهم هذا — فيما يرى الرقيب — يقينهم هذا بانبعاث الاسلام ليس مستشفاً من البصيرة أو عن طريق الغيبيات . إنما سبيلهم اليه دلالات ومؤشرات لا تتنكب المنطق وطبيعة الأشياء . دلالات تفجرت وسط ذلك التيار الزاخر ، الذى ملأ الصحائف والكتب

ورددت نبضه ودقاته الاذاعات المسموعة والمرئية والخطابات المنعقدة فى الصحف والجامعات والمنتديات !

يتساءل المقرر .. هل يختلف هذا الذى يجرى فى السودان ، مالئاً الأسماع والأبصار ، نابعاً من الضمائر والأفئدة .. هل يختلف عما هو واقع فى بلدان الأمة الاسلامية جمعاء ؟ الشواهد كلها تنطق بانه لا خلاف .

يلتقى كثير من الرأى فى أن الحضارة الغربية تتداعى .. وفى أن علائم الشيخوخة ، واضحة الظهور ، تدب فى أوصالها .. فى نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وأن الخواء الروحى الحاد ، المتمثل فى انصراف أصحاب الحضارة السائدة عن أديانهم ومعتقداتهم ، وفى طغيان القيم المادية وتسيدها ، قد أيقظ المسلمين وحركهم الى التفكر فى جدوى ما استوردوه من نظم ليبرالية وشيوعية تشهر فى مواطنها إفلاسها ! وأن عودتهم الى منابع قوتهم أو التوطن من جديد أصبحت أمراً حتمياً لا محيص عنه !

يرى المسلمون اليوم رأى العين أن الدعامة الكبرى لكل نهضة حضارية هى العقيدة .. وذلك كما يشير محمد حسين أبوسم — وأنه لا قيمة لرأى أو لفكر ما لم تدعمه العقيدة . ويوضحون أن العقيدة ليست مجرد الايمان الظاهرى أو الشكلى وإنما هو الايمان المعني فى قوله تعالى : «قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم .. إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، اولئك هم الصادقون» .

أجل .. لقد دب الوهن والضعف فى نفوس المسلمين لأن الارتياب فى أمر عقيدتهم داخل نفوسهم .. وظنوا أن حضارة الغرب المادية الطامسة للروحانية والساخرة من العقيدة هى الأقوى والأعز ، وأنها السبيل الذى لا سبيل سواه للرخاء والنعيم !

لكنهم اليوم ، وعند منعطف القرن الهجرى ، يتدبرون أمرهم ، وينقلب ارتيابهم فى دينهم ، الى ارتياب فيما أوحى اليهم وأدخل عليهم ، من أن دينهم هو مظهر التخلف والمسبب له . أو من أن الدين هو أفيون الشعوب ؟!

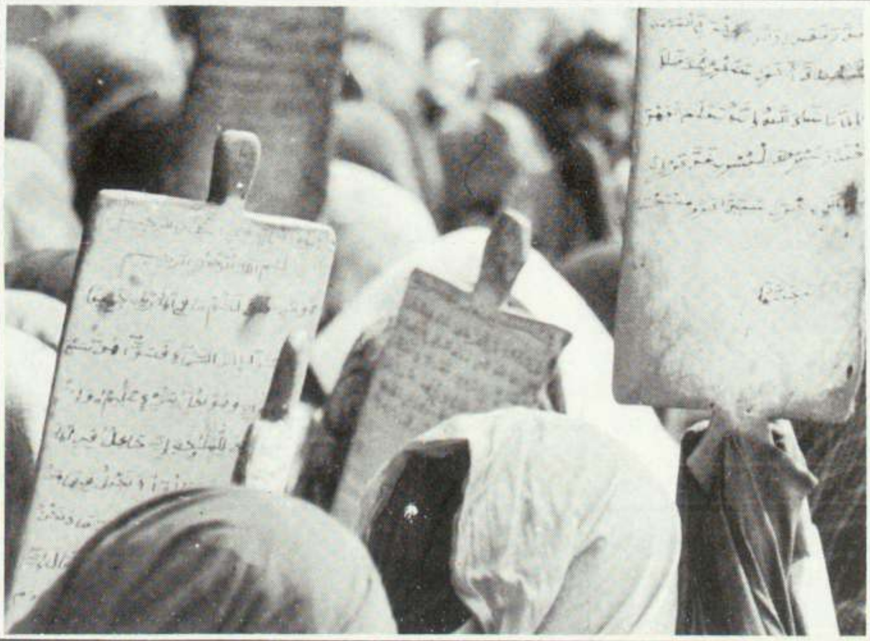
الآن يجهرون — كما يقول هاشم عوض — بأن أمة الاسلام ليست فى حاجة الى نظم مستوردة . فاذا كان الأمر أمر حريات فالحكم الاسلامى يكفل للمواطن الحريات ، والحماية من الفقر ومن الشرور الاجتماعية ، أضعاف ما يطالبه به من واجبات . وأن النظام الاسلامى يعالج جميع مشاكل المجتمع العصرى فالاصلاح السياسى هو إحدى ركائز الدعوة وأحد أعمدتها الأساسية .. كأنما برق فى خاطرهم فجاة أن «الاسلام» يجعل الشورى أساس الحكم بل ويلزم الحاكم بالتشاور مع الآخرين ، حتى وإن كان ذلك الحاكم هو سيد المرسلين وخير البرية قاطبة وهو المصطفى عليه الصلاة والسلام . الانفراد باتخاذ القرار وبغير استشارة يجافى روح الاسلام ونصوصه الصريحة» لم يكتف رسول الله بتحذير طلاب السلطة فى أن لا يحرصوا على الامارة ، ولكنه دعا أمته لعدم تأييد المتكالبين عليها حين قال «لا تولى الامارة لأحد سألها ، ولا حرص عليها ، فان أخونكم عندنا من طلب هذا الأمر» والاسلام يجعل قبول الناس لحكامهم معياراً لقبولهم عند الله تعالى فيقول الرسول «خيار أئمتكم .. الذين تحبونهم ويحبونكم . وشرار ائمتكم .. الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم» وسمعته السيدة عائشة رضى الله عنها يدعو الله فيقول .. «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرق بهم فارفق به» .

وفى المجال الحيوى ، مجال الاقتصاد يرون أن الاصلاح الاقتصادى ركيزة أخرى هامة من ركائز النظام الاسلامى للحكم . فاول ما يحرص عليه هو العدل

رسالة السودان

تأملات إعلامية عند منعطف

القرن الهجري الخامس عشر



الاجتماعى ، خاصة فى جانب تطبيق الفوارق فى الدخول ، وضمان متطلبات الحياة الأساسية للأفراد . وفى ذلك جرى الاسلام على أن لا يكون المال دولة بين الأغنياء ووقفاً عليها . المال فى الاسلام مال الله ، وما الانسان إلا مخلف مؤتمن عليه فحسب . والاسلام يحرم تملك أى فرد للموارد الطبيعية التى تتهيأ للناس من دون جهد بشرى كالمراعى والغابات والمياه الجارية والوقود . ومع هذا فان الاسلام لا يثبط المرء على السعى للثراء، طالما كان له اكتسابه له بالطرق المشروعة مع اداء حق الفقراء والمحتاجين فيه .

واشير الى الركيزة الثالثة من ركائز النظام الاسلامى وهى الاصلاح الاجتماعى . فهو فى جوهره شرط مسبق لتحقيق الاصلاح السياسى والاقتصادى.

إن الأمراض الاجتماعية فى نظر الاسلام هى سبب الكوارث السياسية والاقتصادية .. يستشهدون بقوله تعالى «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحت عليهم بركات من السماء والأرض» . ويرون أن تغيير الأوضاع يجب أن يسبقه تغيير فى مواقف الناس من مجريات الأمور . فمن آيات القرآن «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم» وهذه الآية تنطوى على حقيقة من الحقائق الثابتة التى توصل اليها أهل الاعلام أخيراً وتتركز فيها وظيفة الاعلام أو الاتصال كعلم من علوم السوسيولوجيا .

واضح من صيغة النهج الاسلامى بركائزه الثلاث المبينة انه يقوم على الديمقراطية والعدالة والقضاء على الفساد .

ومن الدلالات ذات المغزى الداعية لتفاؤل المسلمين واستبشارهم بالفجر الجديد والتى نوه ــ كما يقول حسن الترابى ــ عنها بقدر غير قليل من الارتياح انه ثبت فى السنوات الأخيرة من القرن المنصرم ، نبت كثيف من شباب الأمة استيقظ لحقيقة هويته المؤمنة . هذا التيار الدينى المتعاظم وسط الشباب ليس وحده مرد الخطورة فى الأمر ، فالملحوظ أن التحرك نحو النهج الاسلامى ــ باجماع ورضا ــ نابع من القاعدة ، متنزل من القمة ! اى أن تجاوب الوجدان تام بين السلطان والقاعدة . ما هى بفورة انقلاب بغيتها تبديل سطح الحياة العامة أو شكلها ، بل هى قوة تاريخية جليلة تدفع المسلمين مع دورة القرن حتى يسارعوا الخطى ويدوروا بواقعهم الحضارى نحو نهضة جديدة تتبارك مع تقدم القرن .

يخلص المسلمون ــ فيما يقرر الرقيب

إزاء هذا التفاؤل الذى له شواهده ومبرراته ، وإزاء الاقتناع الوجدانى التام ، وإزاء الفراغ الروحى الملموس فى العالم ، ثم تلمس مفكرى الغرب للاسلام وانكبابهم على درسه وتفهمه بامل أن يكون فيه نجاة العالم مما جرته اليه عبادة المادة ، وإزاء الكنز الاسلامى الذى يملكونه وقدراته على معالجة جميع مشكلات المجتمع العصرى ، وإزاء موضع العالم الاسلامى فى خريطة المعمورة ، وهو موضع القلب ، وان العالم كل العالم يتأثر بما يجرى ، ويحس ، وينفعل أكثر من أى جزء آخر من العالم ..

وإزاء ما حباه الله بهم من قوة استراتيجية بسبب حيازتهم للنفط ، وما فجره من قدرات مادية هائلة عند اهله ، وما يمكن أن يفجر من قدرات اخرى ، إذا التفتوا الى تاريخهم وحضارتهم الضاربة فى الأعماق .

إزاء ذلك كله .. يخلص المسلمون الى أن طريقهم مرسومة ، قد يرونها فى قوة يقينهم ، خطى كتبت عليهم .. وانه لذلك يتعين عليهم أن يحزموا أمرهم ويبادروا بنبذ النظم المستوردة ، متجاوزين بذلك التبعية ، ومؤكدين الأصالة ، ومبتعثين نظامهم الاسلامى الشامل ابتعاثاً جديداً فتياً ..

لعلهم الآن يتباحثون فى اعطاء البديل الحضارى للعالم فما يزال ــ كما يقول الصادق المهدى ــ ينقصهم الجانب العلمى لوضعه موضع التجريب والتنفيذ إزاء تعقيدات المجتمع العصرى .

● ● ●

هل الفجر الذى لاحت لعين الرقيب فى السودان المسلم بشائره .. هو الفجر الصادق .. ؟!

وهل طلائع النور فى ديار المسلمين حقاً تهل ؟!

محمد فتحى ــ أم درمان

في معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي

اختفت الكتب

رغم أن الكتاب العربي في أزمة

- ماهي نوعية الكتب التي نفدت في الأيام الأولى من المعرض؟
- لماذا طالب الناشرون بمدة أطول ، وكيف التزموا بأسعار الكتب المعروضة؟

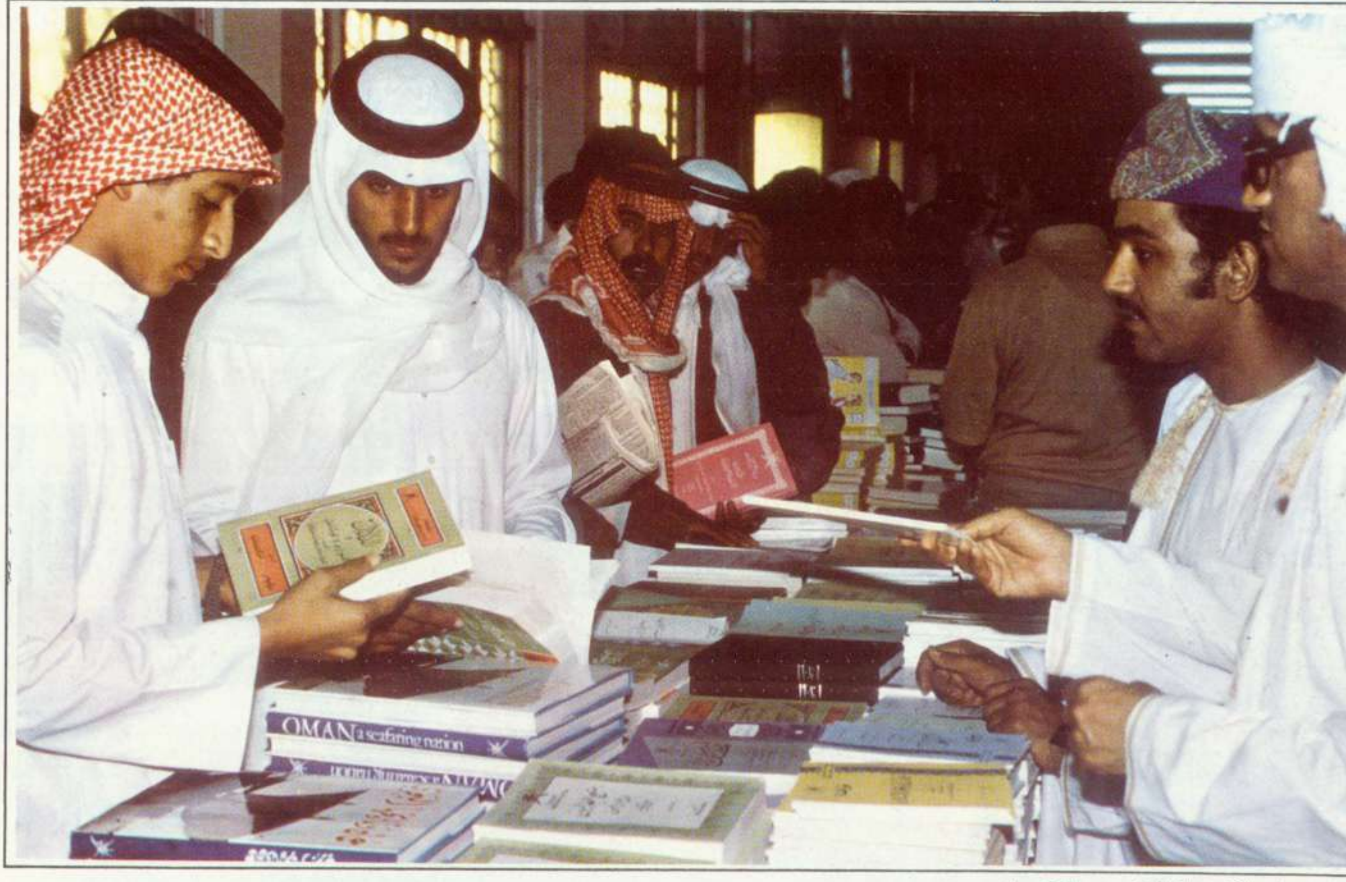


وزير التربية والتعليم سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني يفتتح معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي .

منذ اليوم الثانى لمعرض الدوحة الثالث للكتاب العربى طلب الناشرون الاستجابة لهم لاحضار المزيد من الكتب التى نفدت نتيجة الشغف الشديد للزوار فى إقتناء الكتاب ، رغم كثرة عدد الكتب المعروضة فى هذا العام ، والتى بلغت ١١ الف عنوان تعرضها ٤٣ دار نشر عربية !

وإذا كان الزوار قد جاوزوا إثنى عشر ألفاً من الرجال فى اليوم الأول وعشرة آلاف من النساء فى اليوم الثانى فالملاحظ أن أكثر الكتب التى نفدت فى أول يومين هى كتب الحضارة الاسلامية والروايات والقصص والتدبير المنزلى والأطفال والكتب العلمية المتخصصة ! وقد لوحظ من زوار اليوم الثانى توافد الكثير من طالبات الجامعة والمدارس وربات البيوت .. وهذا الاقبال الواضح من المراة القطرية على اقتناء الكتب ، إنما هو خير دليل على أن المراة فى قطر قارئة ممتازة ، ليس هذا فحسب ، بل وجدنا أكثر النساء يحرصن على إحضار أطفالهن الى المعرض وتشجيعهم على إقتناء الكتب ، مما يؤكد حرصهن على

في معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي



فى جناح الكتب القادمة من سلطنة عمان .

ثقافة أطفالهن وتنمية عادة القراءة لديهم حتى يكونوا النواة الصالحة لمستقبل الحركة الفكرية والثقافية والعلمية فى البلاد ..

لماذا وسط المدينة ؟

وقد طالب الناشرون بمدة أكثر من أسبوعين نتيجة لزيادة اقبال الجمهور على المعرض وعدم قدرتهم على تلبية الطلبات فى هذه المدة المحددة ، إلا أن الاستجابة لهذا الطلب كانت فى حكم المستحيل بعد أن اتضح أن هذه المدة تعتبر أطول فترة لمعرض كتاب فى العالم العربى ، ففى الغالب لم تتجاوز مدة إنعقاد مثل هذا المعرض أكثر من عشرة أيام فى أى بلد عربى !

ونتيجة للنظام الدقيق الذى أعدته اللجنة التحضيرية للمعرض ، وجدنا جميع الناشرين يلتزمون بالأسعار المحددة للكتب ولا يتجاوزونها كما حدث فى معرض الكتاب السابق .. وهذا يرجع الى الحرص على إدراج جميع أسعار الكتب فى دليل المعرض ، حتى لو اختلف السعر للكتاب الواحد والطبعة الواحدة فى عدة مكتبات ..

ومن الواضح أن دليل المعرض أعد هذا العام بطريقة علمية أكثر دقة من دليل المعرض السابق ، فالدليل رتب موضوعياً بطريقة تتيح لأى باحث أو قارىء اختيار الموضوع الواقع فى دائرة اهتمامه ، بالاضافة الى وجود كشاف المؤلفين الذى يعطى القارىء فرصة العثورعلى جميع كتب مؤلفه المفضل !

إلا أن إختيار موقع المعرض الحالى كانت فيه بعض الايجابيات والسلبيات .. من ايجابياته أنه فى وسط المدينة وأمام دار الكتب القطرية وقريب من المدارس والدوائر الحكومية والوصول اليه سهل من جميع المواطنين .. ومن سلبياته ضيق قاعة الاحتفالات والمعارض رغم تضاعف الزوار الذين تجاوزوا فى المعرض السابق ٢٥ ألف زائر

وهذه الحقيقة تدفعنا الى ضرورة الحرص على اقامة المعرض القادم فى مكان أكثر اتساعاً ، معد الاعداد الكامل لاقامة معارض الكتب ، به قاعات للعرض وقاعات للبيع ، وأثاث عرض حديث ، وتحيط به الساحات الفسيحة لاستقبال السيارات وأماكن لتخزين الكتب والمعروضات !

أهمية الكتب الجديدة

وفى لقاء مع مدير دار الكتب القطرية ورئيس اللجنة التحضيرية للمعرض محمد حمد النصر ، قال ان ترتيبات إقامة معرض الدوحة الثالث للكتاب العربى ، بدأت عندما تمت موافقة سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم على اقامة المعرض ، واجتمعنا بالسيد عبد الله تركى وكيل الوزارة لتتكون اللجنة التحضيرية من ذوى الدراية بالنشر وصناعة الكتاب وخدمته ولتضع الدولة كافة امكانياتها المادية

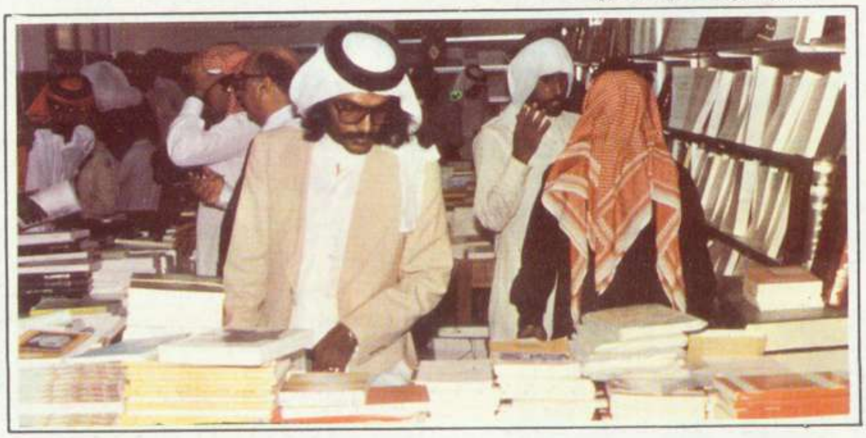
ماذا قالوا عن مناقشة كافة القضايا المتعلقة بالكتاب العربي؟



طلبة المدارس فى المعرض .



الاقبال على قصص الأطفال .



وقف يتأمل عناوين الكتب قبل أن يختار .

والبشرية فى خدمة هذا المعرض الذى رأينا من مجموعة عناوينه انه يتضمن أعداداً هائلة من الكتب الجديدة التى تحتاجها المكتبات المدرسية والجامعية والعامة ودار الكتب القطرية بفروعها الجديدة .. الى جانب حاجة المواطنين وشغفهم الشديد بالكتاب ..

وقال مدير دار الكتب القطرية ان الاهتمام بالكتاب الثقافى جعل الدولة تقيم أول معرض للكتاب فى قطر عام ١٩٧٢ ، ثم أقيم المعرض الثانى فى عام ١٩٧٧ ، ثم رأينا اليوم هذا المعرض الذى أقيم فى مرحلة استكملت فيها الجامعة القطرية كلياتها المتعددة وازداد عدد الخريجين وظهرت بالتأكيد أعداد هائلة من الكتب الجديدة التى أخرجتها المطابع العربية ، وأصبح الاهتمام بتيسير الكتاب العربى ضرورة واجبة فى مجال التعليم والثقافة ، وذلك لدعم النهضة الشاملة فى كل فروع الحياة وتقديراً لدور الكاتب ورسالة الكتابة ..

ماذا يقول الناشرون ؟

والمعروف أن ظاهرة المعارض لم تبدأ فى العالم العربى إلا ببدايات متواضعة عندما أقيم منذ حوالى عشرين عاماً أول معرض للكتاب العربى فى المركز الثقافى العربى فى بيروت .. كما أقيم أول معرض للكتاب الدولى فى العالم العربى منذ ١٣ عاماً فى القاهرة ..

ولعل وجود أعداد كبيرة من الناشرين العرب فى معرض قطر الثالث للكتاب العربى ، هو الذى دفعنا الى أن نناقش معهم كافة القضايا المتعلقة بالكتاب العربى ..

ومن بين الناشرين الذين التقيت بهم شريف الأنصارى وأحمد عويدات من لبنان ويحيى الربيعان من الكويت وعبد المحسن العلى من السعودية وعقيلهالكاديكى من ليبيا وسمير ابو داود وابراهيم المعلم من مصر وعبد الوهاب الآنسى من اليمن وغيرهم ..

فحول العقبات التى تقف أمام الكتاب نجد أن أهم المشاكل تكمن فى أهمية التقدير الجدى للكلمة ، فالمحنة تبدأ منذ لحظة اغلاق أغلب الأبواب أمامه بسبب اختلاف الايدولوجيات ، فالكتاب المسموح به فى مكان ما يمنع فى مكان آخر على بعد بضعة كيلو مترات من المكان الأول !

ثم تأتى مشكلة كلفة الكتاب وغلائه ، ورغم أن الكتاب العربى بكلفته التى تكاد تكون واحدة فى كل أنحاء العالم ، يعتبر فى نظر القراء مرتفع السعر ، فسيرتفع سعره أكثر فى المستقبل القريب عما هو عليه ، والعلة الأولى فى ارتفاع سعر الكتاب تكمن فى حجم المطبوع فى أمة تعدادها ١٥٠ مليون نسمة ولا تتجاوز فيها طباعة الكتاب سبعة آلاف نسخة ، مع مدة لا تقل عن عامين للتصريف !

وهذا بخلاف عدم وجود مواصلات مباشرة فيما عدا الطيران وتكاليفه المرتفعة ، وأيضاً دخول عملة ثالثة فى

في معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي

التعامل بين البلاد العربية نظراً لأننا مازلنا حتى اليوم لا نستطيع التعامل بما لدينا من عملات محلية !

تزوير الكتاب

وحول تزوير الكتاب العربى ، مما يترتب عليه ضياع حقوق الكتاب واحتمالات التزوير فى النصوص نفسها أجمع منْ تحدثت معهم من الناشرين ، على أن قضية تزوير الكتاب أصبحت مبالغ فيها وأصبحت كقميص عثمان بين بعض الناشرين الذين يقفون رواء هذه التقليعة وترويجها فيما بينهم ، وهذا نوع من المنافسة غير الشريفة ، فالكتاب المزور هو الذى يتوفر فيه شرطان ، أن يكون مؤلفه مازال موجوداً ، أو أن يكون الناشر الأصلى له مازال صاحب الحق فى نشره !

والواقع أن كل الضغوط التى دفعت لعملية تزوير الكتاب ، تعود أصلا للناشر الأصلى ، وذلك لعدم توفيره الكتاب فى الأسواق وبسعر معقول يتيح للقارىء أن يستفيد فيما ينشر !

كما أن السنوات الأخيرة رات تراجعاً فى تزوير الكتاب ، لادراك الجهات المستوردة لمدى بشاعة هذا العمل غير الأخلاقى ، وأصبحت اليوم المؤسسات الرسمية فى البلاد العربية تحارب عملية تزوير الكتاب ، بحرصها على استيراد الكتاب من مصدره الأصلى ، وهذا مطبق بصورة واضحة فى الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر بالجزائر ، ووزارة المعارف فى المملكة العربية السعودية التى تشترط الحصول من المؤلف أو المحقق أو المترجم على إذن خطى حتى يتم التعاقد بينها وبين الناشر على أى كتاب اختارته للتداول !

قضية التراث

وعندما تطرقنا فى الحديث الى التراث العربى ومن المسئول عن نشره ومن هو قارؤه ، اتضح أن مسئولية نشره مازالت متروكة للأقدار ، فلا يوجد واحد يمكنه أن يدعى حق هذا الشرف ، وكل ما هنالك أنه توجد رغبة ملحة فى أن تتوحد الجهود لنشر التراث بطريقة علمية تسد احتياجاتنا الملحة الى الثقافة الانسانية فى هذا العصر ..



محمد حمد النصر
مدير دار الكتب



شريف الانصارى
لبنان



يحيى الربيعان
الكويت



عبد المحسن العلى
السعودية



وزير التربية والتعليم سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى فى معرض الدوحة الثالث للكتاب العربى .

● دعم الكتاب الخليجى من الدولة هو الحل المؤقت لانتشاره بين أيدي القراء !



عقيلة الكاديكى
ليبيا



عبد الوهاب الآنسى
اليمن



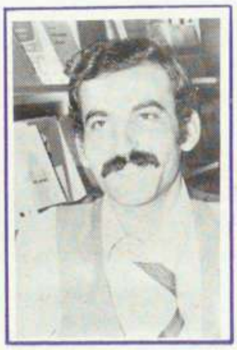
سمير أبو داود
مصر



لحمد عويدات
لبنان



ابراهيم المعلم
مصر



عبد الرحيم صادق
العراق

ورغم الجهود والمحاولات البسيطة والمتواضعة من عدة مؤسسات علمية وجامعية ، إلا أن المتتبع لهذا الميدان يعثر على بعض الأخبار لجهود متناثرة فى احياء التراث ، غير انها لا تمثل الطموحات !

والقارىء للتراث هو كل عربى وكل مسلم .. فضغوط العصر ، والظروف التى تمر بها البلاد العربية والعالم الاسلامى أرغمت القارىء على أن يفتش فى خزائنه عن الكنوز القديمة ، وهى بداية تبشر بعودة الصحوة المرغوبة بعد مرحلة من الاندفاع نحو الثقافة الغربية جعلتنا نعود مضطرين. للاستفادة من عمل الأجيال التى سبقتنا والتى عملت باخلاص وأمانة رغم مرورها بمحن تعتبر أكبر مما نعانيه اليوم ، لأن الأسباب المتاحة لنا فى هذا العصر لم تظفر بها الأمة الاسلامية ولا العربية فى أى عصر من عصورها .. وبالطبع ما نعنيه من أسباب متاحة يتلخص فى وجود أموال متوفرة وعقليات دارسة بأعداد كبيرة وبمستويات مختلفة !

المؤسسات الرسمية

أما الشكوى من المنافسة بين دور النشر الرسمية ودور النشر الخاصة ، فقد كان أكثر من تحدث عنها بواقعية هو مدير مكتب موسوعة التشريعات العربية فى أثينا حبيب اللمسي الذى رأى أن هذه المنافسة فى صالح الكتاب وفى صالح الثقافة العربية ، لأن الدور الذى يمكن أن تلعبه المؤسسات الرسمية لا يمكن بأى حال أن يتوفر للقطاع الخاص ، وهو دور فيه تدعيم للثقافة ككل ، وهو الذى يجعل الكتاب الصادر عن المؤسسات العامة ثمنه أقل بكثير مما يصدر عن المؤسسات الخاصة ، لاختلاف دور كل منهما ، فمثلا فى كتب التراث كتاب من عشرين أو ثلاثين مجلداً نجد أن تكلفته ومجالات توزيعه يعجز عنها القطاع الخاص ، كما أن المتتبع لأغلب ما صدر خلال الربع قرن الأخير من المطولات يجد وراءها دائماً المؤسسات الرسمية والتى تبلورت أخيراً فى دور نشر تتولاها الحكومات مباشرة وبالكامل كما هو الحال عليه الآن فى القاهرة والجزائر وتونس والعراق وليبيا ، ومنتظر أن تعزز هذه المؤسسات بأخرى جديدة فى سوريا مع مطلع هذا العام ..

ولذا فان دخول المؤسسات الرسمية فى مجال النشر سيضع أقدامنا على بداية نهضة ثقافية وعلمية .. كما أن تعاون المؤسسات العامة والخاصة ، كل منها فى ميدانها ومجال تخصصاتها ، سيؤدى الى دعم الكتاب العربى وزيادة انتشاره ..

الكتاب الخليجى

وتتوالى القضايا الأخرى المتعلقة بالكتاب فيما دار بينى وبين الناشرين من حديث لساعات طويلة ..

وفى مقدمتها أزمة الكتاب الخليجى ، فقد اتضح أنه من العوامل التى أدت الى تأخير انتشار الكتاب الخليجى على مستوى الوطن العربى هى : ارتفاع سعره ، فيما عدا الكتب التى تدعمها الدولة مثل كتب سلسلة التراث التى تصدرها وزارة الاعلام فى الكويت والكتب التى تصدر عن دائرة الثقافة والفنون فى قطر .. وهذا بالاضافة الى عدم وجود شركات توزيع تقف وراء طموحات الشباب المثقف الخليجى ونشر أعماله .. وقصور دور الاعلام عن إعطاء الكتاب الخليجى حقه من النقد الموضوعى مع عدم وجود قائمة تعريف بالكتاب الخليجى وعدم وجود تغطية كافية من المؤلفين لكل تخصصات العلوم .. كما أن معظم كتاب الخليج مازالوا يفضلون نشر أعمالهم الشعرية والأدبية فى دور النشر بالقاهرة وبيروت ودمشق ، وهذا مما عاق وجود حركة ثقافية واسعة داخل بلدان الخليج !

وللأسف فان أغلب الناشرين فى العالم العربى مازالوا يؤمنون بأن الأدب الخليجى أدب بيئة وأدب منطقة محددة تأثر بالتراث والتقاليد وحافظ عليها ، ولذا فان التنوع فيه نادر ، وهذه النظرة الخاطئة كانت تمثل سياجاً أمام كافة الأعمال الجادة لأدباء وكتاب وشعراء المنطقة ..

ولذا فان الحل المؤقت الآن يتمثل فى ضرورة دعم الكتاب الخليجى من الدولة بحيث يصبح هذا الكتاب فى متناول أيدى القراء فى أية دولة عربية ، وبالتالى يزداد انتشاره بالشكل الذى يجعله مرآة لبلاده ، يعبر عن الرؤية القومية لانسان المنطقة وعن كافة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ويحمل سمات وخصائص هذه المنطقة بكل ما فيها من أصالة وعطاء ..

وهكذا نرى أن الكتاب العربى بكل مشاكله وقضاياه ، يحاول الخروج من الشرنقة التى تلتصق بجلده .. يحاول أن يتبنى قضية أو يعرض رأياً أو يحل مشكلة انسانية ، بصورة أوسع انتشاراً وأكثر تأثيراً فى الجماهير العريضة !

كمال سعد

الشاعر البحريني

إبراهيم العريض

من الرسم بالألوان .. إلى الرسم بثلاث لغات!



حينما تكون عاشقاً مخلصاً فى العشق ، صادقاً ـ فيما تقول ـ كل الصدق .. وتجلس كى تكتب لحبيبتك البعيدة عنك رسالة خاصة ، فانك ـ ولا شك ـ ستتخير من الألفاظ أرقها وأصفاها .. ولكن الأمر يختلف عندما تجلس كى تكتب لمجموعة من الأصدقاء البعيدين .. لأن درجة الخصوصية ستختفى شيئاً فشيئاً ، وقد تقترب من الاطار العام .. ويختلف الأمر عن هذا وعن ذاك عندما تجلس كي تكتب طلباً رسمياً لاحدى الدوائر الحكومية بشأن أمر يتعلق بك

فى الحالة الأخيرة لن يختلف أسلوبك كثيراً عن أساليب المئات بل الألوف من الموظفين ، بينما فى الحالة الأولى لابد أن يكون اسلوبك متفردا دالا عليك وعلى ما تعكسه نفسيتك .. أما الحالة الثانية ، فانها الحالة الوسط ما بين الخصوصية والعمومية .. وهذا الذى نتحدث عنه هو ما عبر عنه الشاعر العربى ـ البحرينى الكبير ابراهيم العريض .. عندما تعرض لاحدى قضايا الشعر العربى .. وعكس هذه الحالات على المواقف التى يتعرض لها الشاعر بوجه عام .. لقد عبر الشاعر الكبير خير تعبير عن إدراكه لاختلاف اللغة من موقف إلى الآخر ، فقال : «يخطىء هؤلاء الذين يقسمون الشعر أبواباً ، حسب ملابساته الخارجية من مدح ورثاء وفخر أو حماس وغزل أو عتاب ، دون أن ينظروا إلى موقف الشاعر نفسه إزاء هذه الملابسات ، فالروح التى تدفعك أنت لتستفز جماعة من البشر فى حفل حاشد هى غير الروح التى تتحدث



● كل النقاد الذين حققوا رباعيات الخيام أكدوا أنها لم تتجاوز سبع عشرة رباعية

● اتجهت إلى الشعر القصصي حتى أشبع الحنين الكامن في أعماقي لفن الرسم!

بها إلى واحد من هؤلاء ممن هو قريب إلى نفسك ، وهى بالأحرى غير هذه الروح التى تناجى فيها نفسك وحدها ..» .

وبطبيعة الحال فان هذا التصور لطبيعة الشعر ، تصور مغاير لتصورات الشعراء السابقين على شاعرنا العربى - البحرينى الكبير - وهو تصور يؤكد مدى تغلغل الرومانسية داخل أعماق إبراهيم العريض ، الذى يعده كثيرون من النقاد رائد الاتجاه الرومانسى فى الخليج العربى، وهو الاتجاه الذى جاء بمثابة رد فعل تجاه الكلاسيكية بوقارها ورزانتها ، وإيمانها المطلق بالشكليات على حساب الجوهر الانسانى بكل ما يضطرم فيه من عواطف متصارعة ومشاعر متضاربة .

قطعة حية من تاريخنا

كان لقائى بالشاعر الكبير هو اللقاء الأول .. لكننى لم أشعر بجو الكلفة الذى يسود عادة أول لقاء .. بل على العكس .. أحسست بألفة حميمة ، تغمر أرجاء روحى .. وليس هذا بعجيب أو غريب .. فابراهيم العريض شاعر تجاوزت شهرته حدود الساحة الأدبية الخليجية .. وذاع صيته باعتباره شاعراً متميزاً ومتألقاً فى أرجاء الساحة الأدبية العربية بأسرها .. وهو شاعر .. قرأت له العديد من قصائده على صفحات مجلة «الرسالة» العظيمة ، التى كانت بمثابة جامعة أدبية شامخة ، تخرج فيها الكثيرون من الأدباء العرب على اختلاف أقطارهم التى ينتمون إليها

أحسست وأنا أصافحه .. بأننى أمام قطعة حية من التاريخ العربى المعاصر .. أننى أمام مَعْلم من معالم نهضتنا الأدبية والفكرية الحديثة .. وحياة إبراهيم العريض - فى حد ذاتها - حياة تستحق ممن يتعرف على سيرتها كل إكبار وإعجاب فقد ولد فى مدينة بومباى بالهند .. وبعد شهر واحد فحسب من ميلاده .. رحلت والدته عن عالمنا .. فتعهدته بالرعاية سيدة هندية .. وعندما التحق بالمدرسة الابتدائية كانت الدراسة باللغة الأوردية .. أما فى المدرسة الثانوية ، فقد كانت دراسته بالانجليزية إلى جانب الفارسية .. وقد قدر له أن ينتقل إلى البحرين بعد حصوله على شهادة الثانوية .. وكان بصحبة والده .. كان هذا فى عام ١٩٢٦ .. أى أربعة وخمسين عاماً .. ومن المعروف أن عام ١٩٢٦ هو أيضاً العام الذى شهد ميلاد ثلاثة من كبار شعرائنا العرب العراقيين بدر شاكر السياب - بلند الحيدرى - عبد الوهاب البياتى ... وإذا كان إبراهيم العريض قد ظل لفترة طويلة غير عارف بأصول لغتنا العربية العريقة ، فانه أصبح بعدها من شعرائها المرموقين الكبار .. وهذا - فى حد ذاته - أمر جدير بالاكبار والاعجاب ..

لم أكن متجها إلى الشعر !

قلت له : حدثنى عن علاقتك بالشعر .. كيف كانت البداية ؟ ومن الذى أعجبت بهم من شعرائنا العرب أو غير العرب ؟

.. وهل ظل إعجابك بهم كما هو إلى الآن .. أم أن الصورة قد تغيرت ؟! .

قال : قد تستغرب لو قلت لك ان اتجاهى بادىء الأمر لم يكن تجاه الشعر .. فعندما كنت طالباً بالمدارس الهندية .. كنت متوجها - بكل حساسيتى - إلى فن التصوير والرسم .. وظللت على هذه الحال ، حتى شعرت بأن الرسم يحتاج إلى أن أنتقل لعالم فنى معين .. يتيح لى أن أرسم لوحاتى بعمق وصدق أكثر .. وكان الانتقال بصورة طبيعية من فن الرسم .. إلى فن الشعر .. وكنت - فى ذلك الوقت - قد قمت ببعض محاولات شعرية فى النظم بالأوردية والانجليزية .. وعندما أتيت إلى البحرين كان مجال النظم باللغة العربية محدوداً نتيجة الضعف فى التعبير وعدم القدرة على التحكم - بدقة - فى أوزان الشعر .. وقد اقتضى هذا أن أعكف - قرابة أربعة أعوام - على قراءة أمهات الكتب التراثية : الأغانى - الوساطة بين المتنبى وخصومه - الكتب الأخرى من النحو وغير النحو .. وقد أفدت كثيراً من زمالتى للمعلمين المعارين من مصر والعراق والأردن إلى البحرين .. وبعدها استطعت أن أتحول من النظم بالأوردية إلى النظم باللغة الأم .. اللغة العربية . وتوالت قصائدى بالفصحى .. إلى أن تألف منها - مجتمعة - ديوان «الذكرى» .. ولكنى لا أعد هذا الديون سوى مجرد محاولات أولية أخطو بها على درب الشعر .. درب الفن الشاق .. والحق أننى إذا كنت قد طبعت هذا الديوان ، فانه -

الشاعر البحريني
ابراهيم العريض
من الرسم بالألوان..
إلى الرسم بثلاث لغات



من وجهة نظرى – ليس سوى معلم من معالم الطريق لا أكثر ولا أقل .

«الذكرى» .. وبعدها المطولات

● وماذا بعد هذه المحاولة التى تمثلت فى «الذكرى» ؟ .. ماذا عن الشعر القصصى الذى اشتهرت بنظمه ؟

– لا أخفى عليك أننى اتجهت إلى الشعر القصصى ، نتيجة حنينى الكامن فى أعماقى لفن الرسم ، ففى تقديرى أن هذا اللون من الشعر فيه جانب من التصوير والرسم .. وهكذا بدأت النظم .. وكانت المحاولة الأولى تتمثل فى مطولة «عروسى» ، وهى أول نتاج أنشره فى مجلة «الرسالة» وقد احتفى الأديب الكبير المرحوم أحمد حسن الزيات بها أيما احتفاء ... وكان هذا عام ١٩٣٤ .. ثم تتابعت مطولاتى القصصية وأذكر منها «التمثال الحى» و «قلب راقصة» وأخواتها .. وقد نشرتها متتالية فى «الرسالة» من عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٠ ..

● لكنك حتى الآن لم تأخذ بيدنا إلى عالمك الشعرى .. لم تحدثنا بعد عمن تأثرت بهم من الشعراء .. فهل آن الأوان ؟!

– قلت لك إن معرفتى بأسرار اللغة العربية جاءت تالية لمعرفتى بالأوردية والفارسية والانجليزية .. ومن هنا فاننى كنت أول عهدى .. أتذوق – بشكل أعمق – الشعراء العرب الذين كانت أساليبهم أقرب إلى الأساليب التى تذوقتهافى غير محيط اللغة العربية وآدابها .. ولذلك أقول بأننى قد تأثرت بجبران خليل جبران لمعاصرته وتفتحه وخياله الرحب .. وكذلك تأثرت بايليا أبو ماضى لبساطته وعمقه .. ومن غير شعراء المهجر .. تأثرت بمعروف الرصافى وجميل الزهاوى لبساطتهما .. ومازلت – إلى الآن – رغم انقضاء السنوات أرى أن جبران وأبو ماضى يستحقان المنزلة التى يحتلانها فى العالم العربى .. وفى قلبى .

● تحدثنا عن لغتنا الأم .. واللغات التى عرفتها من قبلها .. ولكن هناك سؤالا دائمايلح على ذاكرتى .. وقد وجهته لعدد كبير من الشعراء الذين التقيت بهم قبل لقائنا هذا .. هذا السؤال هو : هل هناك خطر يتهدد لغتنا العربية نتيجة توافد أجناس غير عربية على منطقة الخليج العربى ؟ .. ولا بأس هنا من أن أذكر لك كيف أجاب الشاعر البحرينى الساخر عبد الرحمن رفيع على هذا السؤال .. إنه كان قد أسمعنى لتوه مجموعة من قصائده العامية ، وعندما واجهته بالسؤال .. قال : لكى نتخلص من هذا الخطر .. يتحتم علينا أن نحارب شعر العامية !!

الخطر الذى يتهدد لغتنا

.. ابتسم ابراهيم العريض ابتسامته الهادئة .. وقال إنه يختلف تماماً مع عبد الرحمن رفيع .. ثم استطرد قائلا : أنا لا أعتقد بأن هناك خطراً يتهدد لغتنا من الخارج .. فالخطر الذى يتهددها يأتى من عوامل داخلية فى جسم الأمة العربية .. وهناك عامل أكبر .. هو الأمية فانها كانت مسيطرة على العالم العربى .. وهى التى خلقت البرزخ الواسع القائم بين اللغةالعربية الفصحى وبين اللغات أو اللهجات الدارجة التى تتحدث بها الشعوب العربية .. ولهذا فان القضاء على العامية يجب أن يكون هدفنا الرئيسى الذى نسعى جميعاً لتحقيقه ، فبالقضاء على العامية لا تستطيع الشعوب العربية أن تحافظ على سلامة لغتنا العريقة فحسب ،بل إنها تستطيع أيضاً أن تحافظ على كيانها السياسى والاجتماعى والاقتصادى ..

عمر الخيام .. ورباعياته

غيرت مجرى حديثنا .. سألته عن عمر الخيام الذى أفتتن به .. قلت له أيها الشاعر العربىالكبير .. لقد ترجمت «رباعيات الخيام» .. وآخرون فعلوا هذا أيضاً ، فكيف ترى موقع ترجمتكبين الترجمات الأخرى ؟

– أريد أولا أن أوضح نقطة هامة .. هى أن أغلب المجموعات المطروحة بأسواق الكتب والتى تنسب للخيام .. لها تاريخ .. إنك تلاحظ أن النقاد الذين حققوا رباعيات الخيام أكدوا أنها لم تكن تتجاوز سبع عشرة رباعية .. والذى رفع من شأن الخيام هو الشاعر الانجليزى الشهير فيتزجرالد الذى ترجم الرباعيات بعد أن شاهد نسخة منها فى مكتبة حكومة الهند بكلكتا .. وتحتوى هذه المجموعة على مائة واثنتين وخمسين رباعية وهى منسوخة بعد وفاة الخيام بنحو مائتى سنة .. أى قرنين من الزمان .. وحدث ما نعرفه جميعاً من تزيد وانتحال لدرجة أن عدد الرباعيات تجاوز الألف !! ومن الجدير بالذكر أن الفرس الايرانيين مختلفون فى صحة نسبة عدد كبير من الرباعيات إلى الخيام .. فهناك الكاتب الروائى الايرانى الشهير صادق هدايت الذى جمع (٢٥٢) رباعية ، رأى أنها صحيحة النسبة .. وهناك «فروغى» الذى عد (٢٨٢) رباعية صحيحة ! وعلى هذا فانه إذا قال أحد المترجمين بأنه ترجم رباعيات الخيام . فانه إنما يقصد أنه تخير منها . والواقع أن الخيام ليس من شعراء الدرجة الأولى عند الفرس ، كما أنه كان عالماً وفلكياً أكثر منه شاعراً وقد تعرفت أنا على ترجمات الرباعيات إلى لغتنا العربية .. تعرفت على ترجمة «البستانى» الذى هو أول المترجمين .. ومحمد السباعى .. والزهاوى .. وأحمد الصافى النجفى .. وأحمد رامى .. وفيما يتعلق بترجمتى ، فأنا أقول بأننى مرتاح لها ، لأنها تعطى صورة عن الخيام هى أقرب ما تكون إلى حقيقية .

ينظم بثلاث لغات !

● تذكرت كيف صور الشاعر العربى – البحرينى ابراهيم العريض – ملامح الشاعر – المثال .. وهى صورة رسمها شاعرنا منذ أكثر من أربعين عاماً ضمن قصيدة له نشرها فى «الرسالة» عام ١٩٣٩ .. حاولت أن أستعيد صورة الشاعر كما صورها العريض :

هـو من أحـلامه فى جنـة
فاذا حـدث عنها قيل : جنـا
هـو يهفو لجمـال .. ربمـا
خفيت آثاره فى الكون عنـا
فاذا شـاهده فى روضـة
أو سـحاب مثل الاحساس فنا
والـذى يطربنـا من نغـم
مسـترقا كلما الليل أجنـا
لم يكن غير نيـاط الحـب فى
قلبـه كالوتر الحساس رنـا
هو فى نشـوته يفضى بهـا
نغمـات تملأ الآفاق حسـنا
لا تقـل دنيـاه ظل زائـل
فشـعاع الحب فيهـا ليس يفنى
لو تجلت قـدرة الخـلاق فى
لفظة .. صاغ لها الشـاعر معنى

تذكرت هذه الصورة .. وفى ذهنى سؤال لا يستطيع أن يجيب عنه سوى شاعرنا الكبير .. قلت : أنت تكتب بثلاث لغات ، الأوردية ـ الانجليزية ـ العربية .. فهل تستطيع ـ بالفعل ـ أن تعبر عما تريد التعبير عنه من خلال كل لغة من تلك اللغات .. باعتبار أن لكل لغة إيحاءاتها وظلالها الخاصة .. وأى اللغات أقرب إلى قلبك عندما ما تريد أن تعبر ؟! .

قال : أنا ممن يعتقدون بان لكل لغة عبقريتها الخاصة .. وأنت لا تستطيع أن تحسن النظم أو تاتى بعمل فنى يستحق هذا الاسم إلا إذا كنت على اطلاع عميق بالآثار الجيدة التى تعتز بها اللغة التى كتبت بها هذه الآثار .. ولهذا فانه لابد لكل شاعر ينظم بالعربية أن يطلع على آثارها .. كذلك الأمر فيما يتعلق باللغة الانجليزية .. وهو ما حاولته .. أما فيما يتعلق باللغة الأوردية فاننى لم أنظم بها طيلة حياتى .. لكننى منذ نحو عامين فحسب ، وجدت نفسى وقد جئت إلى الفصل الأخير من فصول حياتى .. فرحت أقلب صفحاته وما سبقها من صفحات .. وقلت لنفسى إنك نشأت فى هذه اللغة وأنت تتقنها .. فلماذا لا تحاول اليوم أن تترك أثراً فيها .. وكان عام الطفل .. حيث كتبت أولى قصائدى بالأوردية .. ثم جاء استهلال القرن الخامس عشر الهجرى .. حيث نظمت بالأوردية تحية له .. وقدمت القصيدتين لسفير الباكستان فى البحرين ـ باعتباره صديقاً حميماً لى ـ وكنت أتصور أن هاتين القصيدتين ربما تضحكانه .. لكنه وجد فيهما شيئاً فنياً كبيراً .. وهكذا أرسلهما إلى باكستان حيث نشرت الأولى فى مجلة خاصة بالطفل وفى صفحة بارزة .. وهناك قصيدة بالأوردية ، كنت قد نظمتها .. وعندما دعيت إلى ناد أدبى من أكبر النوادى الباكستانية ، قلت لنفسى .. ما دامت لدى تلك القصيدة ، فلماذا لا ألقيها على الجمهور .. وكانت المفاجأة أن المتلقين الذين كانوا موجودين عدّوا قصيدتى من القصائد الرائعة ، وعلقوها فى مكان بارز داخل النادى .

قلت لابراهيم العريض : هل يمكننا الآن أن ننتقل إلى حركة الشعر الحر .. لنرى كيف يحكم عليها شاعر ـ فى مثل منزلتك ـ شاعر عاصر مدارس ومذاهب شعرية مختلفة.. ما رأيك ـ يا ترى ـ فى حركة الشعر الحر ؟ .. سألت هذا السؤال وفى ذهنى أن ابراهيم العريض سيبدى اعتراضاً على الشعر بعد أن تقدم العمر بشاعرنا .. لكنه أجاب إجابة حاسمة :

ـ أحب أن أكون معك صريحاً .. أنا من المؤيدين المتحمسين للشعر الحر .. وقد قرأت نتاج بعض شعرائه الممتازين .. أمثال نازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب ونزار قبانى .. وأعجبت بعطائهم الذى قدموه للشعر العربى فى أيامنا هذه . وأنا أعتقد أن قصائد عديدة من قصائد هؤلاء الشعراء جديرة بأن تترجم إلى اللغات الأوربية ، حتى يتعرف العالم على معالم نهضتنا الأدبية التى نعيشها .. ولعلى أذهب أبعد من هذا ، وقد تخالفنى أنت فى الرأى فأقول لك إنه ليس شرطا لكى يكون الشعر شعراً أن يكون موزوناً أو مقفى بالمرة .. فالمهم هو أن نجعل الشعر مصداقاً للحياة التى نعيشها ، ومعبراً عن المعاناة التى نعانيها .. أما إذا جعلنا الشعر بمعزل عن الحياة ، كما كان يفعل شعراؤنا .. بحيث نراهم إذا مدحوا فانهم يجعلون الممدوح أكرم من حاتم الطائى .. وإذا وصفوه بالحماسة والقدرة على المعارك جعلوه عنترة بن شداد .. وهذا بالطبع لا يسمي شعراً لأنه بمعزل عن الحياة .

.. أردت أن أخفف من تحمس شاعرنا الكبير للشعر الحر .. وهو تحمس فوجئت به مفاجأة سارة بطبيعة الحال .. وخشيت أن يكون الأمر مجرد مجاملة لى ولابناء جيلى ممن يكتبون الشعر الحر .. فعرجت بالحوار إلى جانب من الجوانب السلبية فى حركة الشعر الحر .. قلت :

ما رأيك فى الشعر الغامض الذى نطالع الكثير من نماذجه عند أدونيس وغيره من مقلديه .. ؟ .. ألا ترى أن هذا الشعر الغامض يسهم فى تخريب ثقافتنا كما أنه ضد طبيعة مهمة الأدب باعتباره عامل تحريك للجماهير كى تتجاوز واقعها إلى مستقبل مشرق .. هذا فى وقت نحتاج فيه إلى جهود كل المثقفين العرب لدعم مسيرة أمتنا .

قال : هناك جوانب متعددة لقضية الغموض .. فأنا لا أستطيع أن آتى إلى شاعر ، وأجبره على أن يقدم لى اللون الذى أستسيغه وحده ، دون بقية الألوان الأخرى .. وأنا أعتقد أن الشاعر عندما ينظم فانما ينظم لنفسه قبل أن ينظم إلى أحد .. وكل ما فى الأمر أن الشاعر إذا عد كتاباته موجهة لسواه ، ففى هذه الحالة يتوجب عليه أن يوجد أرضية مشتركة بين إبداعه وبين من يتلقون هذا الابداع.

* * *

حين نهضت محيياً ومودعاً ، أحسست بأن الوقت كان يمضى بسرعة ولا عجب .. فحينما يكون الانسان أمام قطعة حية من التاريخ العربى المعاصر .. فانه لا يشبع من التأمل .. ولا يكف عن التساؤل .. وحينما يكون الانسان مع إنسان آخر يلتقى به لأول مرة دون أن يشعر بجو الكلفة الذى يسود ـ عادة ـ أول لقاء .. وإنما يحس بألفة حميمة تغمر أرجاء روحه .. فى هذه الحالة لابد وأن ينقضى الوقت ـ مهما يكن طويلا ـ دون أن نشعر به .. وهذا حقاً ما أحسست به طيلة لقائى بالشاعر العربى ـ البحرينى الكبير ابراهيم العريض .. أمد الله فى عمره .. ليظل عطاؤه متجددا .. فى مثل تجدد مياه النبع الصافى .

حسن توفيق

فسيفساء

شعر : حسن طلب

يا مرسلةً غزلانك في قمحي
في كَرْمي .. تاركةً خيلكِ

ما كان أضلَّ خروجكِ لي
تحت الدوح .. وكان أضلَّكِ
كنتِ مصوبةً نَبْلكِ
لكأنكِ كنتِ حساماً
والعشق استلَّكِ

بل لكأنك أنت المنذورةُ لي
منذ زمانين ..
فأيّ دليلٍ دَلَّكِ ؟
هل شجر الليلك ؟

مهلك ..
عن عنبي رُدِّي خيلَكِ

إني سوف بأكثرك أردّ أَقلَّكِ
وبهتّانِكِ .. مُنْهَلَّكِ

ويلي منك
ومني ويلكِ

أحببتك حبّاً :
لوْ قد تحتك كان أقلَّك
أوْ لو قد فوقك كان أظلَّكِ
أوْ لو قد حولَكِ

ويلك !
من لي بلكِ بي من لكِ ؟

حرّملكِ القمح عليّ
ولكنّ الدوح أحلَّكِ

ويلي أَوْ ويلكِ
أيّة آلهةٍ وصلتْ بنهاري لَيْلَكِ ؟





لي ما تركتْ إلا جسدًا
لو قلَّ
الوصلُ
اعتلَّ
فعُودي مُعْتَلَّكِ

هذي ساعة ما إن ظلٌّ..
إلا ظلَّكِ
رحمتك.. وعدلكِ
ما إنْ بعدكِ طيف حبيبةٍ استهديتُ..
وما إنْ قبلكِ
فلتدعي غزلاني
تغزو حقلكِ
سوف بحقلي
أفعل فعلكِ

بل سوف أُغنِّيك.. وأُغويك
لعل فؤادك.. أو.. فلعلَّكِ
ويلكِ

لي قلب.. لو أنَّ الحلم محل..
كان أحلَّكِ
هل لكِ؟

أوَلَوْ كان حبيبٌ
دون حبيبٍ
ملَّ حبيبًا.. ما ملَّكِ
وَبلكِ يرجو.. لا طلَّكِ

ويلكِ
سوف أسوس بوعدي.. سهلكِ
قولي لِي قولك منذ زمانينِ
ومِيلي ميلك

ولسوف بشملي.. شملكِ

ويلكِ

ما كان أجلَّ خروجكِ لي تحت الدوح
.. وكان أجلَّكِ
ويلكِ

كمال سعد

حياة العقاد في التليفزيون

حياة العقاد حافلة بالذكريات والصفحات المجهولة التى تكشف دائماً كل جديد عن حياة المفكر الراحل الذى نعتبره واحداً من أبرز جيل الرواد فى ذلك القرن !

ولذلك فان مسلسل العقاد الذى سنراه فى تليفزيون قطر ما هو إلا إضافة جديدة تكشف جوانب هامة عن الحياة الخاصة فى حياة العقاد ، وهذه الجوانب ليست جديدة على الذين عاصروا المفكر عن قرب أو الذين تخصصوا فى دراسته ، ولكنها – بدون شك – جديدة على المتفرجين الذين لم يتعرفوا على العقاد إلا من خلال كتاباته !

ومسلسل العقاد – أو العملاق – كما سموه يمثل خطة انتاج يشترك فيها التليفزيون القطرى ضمن سلسلة من الاعمال عن مشاهير المفكرين والأدباء فى العالم الاسلامى أمثال مصطفى صادق الرافعى ، وعلي أحمد باكثير ، ومحمد رشيد رضا ، وأحمد محرم شاعر العروبة والاسلام ، ومحمد إقبال ، وعبد الحميد ابن باديس ، وعمر المختار ، ومحمد عبده والشيخ المراغى ، وعبد القادر الحسينى وغيرهم ..

صلابة المفكر

وفى هذا المسلسل نرى حياة العقاد ، منذ نشاته الأولى حتى عام ١٩٥٢ ، كمحور تنعكس عليه الأحداث السياسية والحركة الاجتماعية فى مصر .. ونرى ما يعترى هذه الحياة من أحداث صاخبة وانفعالات حادة ، ربطته بالتيارات الوطنية التى شارك فيها منذ صباه !

وقد روعى فى اختيار شخصية هذا العملاق – بالذات – ما تحمله من ثراء فكرى واجتماعى وسياسى ، وصدارته لمقدمة قمم الأدب والفكر فى الوطن



العقاد فى شبابه

- لماذا تجاهلنا الفترة التى اتجه فيها بكل قواه إلى إكمال العبقريات ؟
- لم يكن للعقاد مكتب في صحيفته .. بل كان يعمل بنظام القطعة !
- الخطأ الذي صحّحه الأديب على أدهم للعقاد في ندوته الأسبوعية !
- عندما أصرّ العقاد على الاحتفال بشاعر النيل حافظ إبراهيم

العربى ، ولذا فان تقديم الشخصية فى عمل درامى إنما يهدف الى تعريف أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة بحياته ذات الأثر الواضح فى فكرنا منذ بداية هذا القرن !

ولعل اختيار الفنان محمود مرسى لأداء هذا الدور ، إنما هو نتيجة لتميزه باختيار الأدوار الواعية ، فهو لا يهتم بان يكون فى دور الفتى الوسيم بقدر ما يهمه اختيار الانماط الصعبة المعقدة التركيب ، والتى رأينا من بينها عيسى الدباغ وأزمته فى رواية «السمان والخريف» ودوره في «الشحاذ» الذى يجعلنا نشعر بمعاناته من رؤية الظواهر المحيطة به ، وعتريس فى شىء من الخوف ، وعبد الهادى فى ليل وقضبان ، والشاويش فى أغنية على الممر ، ودور عبد الهادى النجار فى المسلسل التليفزيونى الأخير «زينب والعرش» الذى رأينا من خلاله إنساناً ذا إرادة خائرة ، فطبيعته – دائماً – تخونه أمام حبه لزينب لأنه يريد امتلاكها دون أن يتحمل مسئولية تحريرها وتعليمها !

وهو فى شخصية العقاد يتحدى نفسه أمام قدرات المفكر وسماته الواضحة الكامنة فى الكبرياء والاعتزاز بالنفس وصلابة الدفاع عن المواقف والشموخ أمام كل ما يواجهه من مشكلات !

كما أنه يتقمص أدواره الواقعية أثناء موقفه فى مجلس النواب الذى سجن بسببه ، وموقفه عندما هدد بالقتل من بعض الجماعات السرية ، ورفضه للوزارة ومنصب الباشاوية وتفضيله لشرف التعيين كعضو بالمجمع اللغوى !

إلا أننى استغربت عندما وجدت أن المسلسل تتوقف أحداثه عند عام ١٩٥٢ ، وكان من المفروض أن يلقى الأضواء على



العقاد فى المجمع اللغوى

تلك الفترة الهامة من حياته التى اتجه فيها بكل قواه الى الكتابة وإكمال العبقريات وباقى مؤلفاته الاسلامية التى مازالت حية فى نفوسنا !

الاعتراف بالخطأ

ولعلنى فى هذا الصدد أتذكر أن العقاد فى سنواته الأخيرة كان ينشر مقالا أسبوعياً فى صحيفة الاخبار صباح كل اربعاء ، يستلهم فيه موضوعاته من وحى عصره ، فيتناوله بطريقة تعتمد على الحجة والسند وعمق العلم واللغة والخبرة بالناس ..

وكان بريد العقاد يحمل يومياً عشرات الرسائل ، التى كان يقرأها له كل عصر ابن أخيه عامر العقاد – كاتب قصة المسلسل – وكان أصحاب تلك الرسائل يتصورون أن للعقاد مكتباً فى جريدة الأخبار ، وأنه يتقاضى مرتباً من الجريدة رغم أن العقاد كان يكتب فى الجريدة بنظام القطعة ، وكان يتقاضى عن يومياته فى الجريدة أجراً زهيداً ، قال لي مرة انه يصل فى مجموعه شهرياً الى قيمة ما تتقاضاه أى راقصة فى ربع ساعة مذاعة فى التليفزيون !

ومن الوقائع النادرة فى ندوته الأسبوعية التى كانت تقام فى صباح كل يوم جمعة ، ما رواه لي عامر العقاد عن المقال الذى كتبه فى صحيفة الأخبار ١٩٦٢ وقبل وفاته بعامين ..وكان المقال عن أديبين من المشاهير الألمان هما «هينى و لسنج» ذكر أنهما من أصل يهودى .. واعترض الأديب المعروف علي أدهم على ذلك وجاء فى الندوة ليصحح ما وقع فيه العقاد من خطأ بالنسبة للناقد الألمانى الشهير «لسنج» .. وفى الندوة قرر العقاد أن يعود الى دائرة المعارف اليهودية التى ما إن أحضرها حتى اتضح انه ليس يهودياً ولكنه كان يميل الى العطف على اليهود ، فأسرع العقاد ليصحح ذلك فى يومياته التالية ، وقال أنه خلط بينه وبين «ثيودور لسنج» الفيلسوف الذى ولد فى عام ١٨٧٢ وتزوج من إحدى بنات الأسر الألمانية النبيلة ، وارتد مع أهله وأقاربه الى اليهودية وهو فى نحو الخمسين من عمره ، وانضم الى صفوف الصهاينة حتى لقى حتفه على أيدى النازيين عام ١٩٣٣ !

أدب الاعتراف

وهذا المثل الواضح يدل على تقبل العقاد لتصحيح أى خطأ يقع فيه دون الشعور بأن ذلك يقلل من قيمته وقدره ، فقد كان يقول دائماً لكل الذين من حوله إن الجهل هو الاصرار على الخطأ والتمادى فيه ، وان أمانة العلم تستدعى الاعتراف بالخطأ إذا وقعنا فيه !

وتحضرنى هنا واقعة أخرى فى هذا



قبل المحاكمة



فى لقاء مع الفنانة



حديث مع ابنة مفتش الرى

الصدد ، فقد اكتشف الكاتب الاسلامى محمود محمد شاكر بالصدفة وجود خطا فى الطبعات الثلاث من كتاب «ابن الرومى حياته من شعره» فاتصل بالعقاد ليخبره بأن هذا الخطا يكمن فى بيتين من شعر ابن الرومى ، وعلى الفور بدأ الكاتب الكبير فى مراجعة العديد من كتب التراث التى وردت بها بعض أشعار ابن الرومى ، واكتشف حقيقة البيتين ليشكر محمود شاكر على تلك الملاحظة ، وليجرى تصحيح البيتين بنفسه فى الطبعة الرابعة !

ومثل هذه الوقائع وغيرها ، تجعلنا دائماً نتعجب لأن العقاد لم يتحدث بصورة وافية عن نفسه وعن شخصيته فى بعض مؤلفاته إلا فيما صدر منها بعد وفاته مثل «أنا» و «حياة قلم» .. ولعل ذلك يعود الى ما قاله فى كتابه «ردود وحدود» الى أنه غير مطبوع على التوجه الى محراب الاعتراف ، لأنه ضرب من الاستغفار لا يستريح اليه ، ولأنه يدخر لنفسه خباياها وينزهها عن البوح بها لأحد غير مستثن من ذلك إلا القليل !

غير أن كاتب قصة المسلسل ـ عامر العقاد ـ يرى أن هذا الاقتناع جعل سيرة العقاد مازالت غامضة على كثير من القراء ، فهى تحتاج الى تفسير ، ففى مواقف الأديب أو المفكر ما يعتبر درساً مفيداً للأجيال لا يمكن اغفال ذكره ، ولذا فان هذا النوع من الأدب الذى يطلق عليه النقاد «أدب الاعتراف» لا يضير الكاتب فى قليل أو كثير ، بل يجعله اقرب الى القلب والعقل معاً !

قصيدة للمناسبة

إن حياة العقاد التى ترك خلالها للمكتبة العربية تراثاً فكرياً فى شتى موضوعات الحياة وفى الشعر ، مليئة بالمواقف الحية التى كنت أتمنى أن يتضمنها المسلسل ، فعندما تأسس المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى بداية الخمسينات ، تكونت لجانه التى ترأس فيها طه حسين لجنة النثر ، وترأس توفيق الحكيم لجنة المسرح ، بينما ترأس العقاد لجنة الشعر التى اخذت تخلد الشعراء أمثال محمود سامى البارودى وأحمد شوقى ثم قررت أن تخلد الشاعر حافظ ابراهيم ، فجاءهم من يطالب بتأجيل هذا الاحتفال بناء من توصية لرئيس المجلس وقتئذ ، فرفض العقاد ذلك ولوح باستقالته فى حالة الغاء الاحتفال ، وعندئذ اجتمع المجلس فى مواجهة رئيس المجلس وليقول فى وجهه : يكفى حافظ ابراهيم لكى نحتفل به أنه كان من أوائل المتمردين على الاحتلال فى أول ثورة عسكرية على الانجليز فى السودان عام ١٨٩٩ حينما كان ضابطاً فى الجيش المصرى !

وعقب هذا الاجتماع تقرر الاحتفال بحافظ ابراهيم لأربعة أيام فى الاسكندرية ، وشارك فى هذا الاحتفال مندوبون من بعض البلاد العربية ، وكان مما قاله العقاد فى ذلك الاحتفال عن حافظ : «لا نعرف هاتفاً بالقول المنظوم نافس الخطباء المفوهين فى ميادينهم كما



مصطفى النحاس وروز اليوسف .



شخصيات من العصر الذى عاش فيه .

نافسهم هذا الصناجة البليغ بصوته الأجش ونغمته المعبرة وبعده عن التكلف والاسترسال» !

وكان قد أعد قصيدة من اجل المناسبة لم يجهزها ولكنه استلهم وحيها وهو فى القطار ينظر عبر النافذة الى سنابل القمح فى الحقول الخضراء ، ولذا ما أن وصل الى شقته حتى طلب من ابن اخيه عامر العقاد أن يحضر دفتراً وقلماً ، وبدأ يمليه قصيدته عن حافظ التى جاءت فى ٣٥ بيتاً كان مطلعها :

أرفعوا ذكره علياً مبينا
إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظ فى ثراه لم يفتقدنا
وافتقدناه نحن حيناً فحينا
من مضى فى غنى عن الحي
والحي عن الذاهبين لا يغنينا
وإذا الحمد فات نابغ قوم
فهو موت الباقين لا الذاهبين

وفى هذه القصيدة اشاد بمواقف حافظ ابراهيم فى الدفاع عن لغة الضاد عندما قال :

حافظاً أنت كنت للضاد لما
غفها أهلها وظنوا الظنونا
أين فى المنكرين من ليس يروى
لك قولا وجزلا ونسجاً متينا

ودليلا على غناها إذا ما
سامها الفقر معشر مفلسونا
بين شعر له رنين ونثر
يشبه الشعر فى السماع رنينا

ولعل شدة تعلق العقاد بحافظ ودفاعه عنه الى هذا الحد ، هو تلك الصداقة الخاصة التى كانت تربط بينه وبين شاعر النيل ، والتى جعلته يكتشف فى حافظ نفساً انسانية لها مواقف وكوامن واطوار لا تتكرر كثيراً فى العصر الواحد .. وكان يراه – دائماً – فى كل احواله ، عندما كانت صدمات الزمن تؤلمه وعندما كانت شكوى الضعيف تؤرقه !

العقاد الانسان

ورغم أن المسلسل التليفزيونى الذى أخرجه يحيى العلمى لم يتعرض لهذه الواقعة وغيرها ، فان كلمة الحق التى تقال انه قدم شخصية العقاد كانسان بكل ما فيها من جوانب ضعف وقوة ، فمثلا عندما يحس أنه مطعون فى حبه يبدأ فى القلق والحيرة ويصل الى مرحلة الهزة العصبية الحادة ، وعندما يسمع بموت صديقه عبد القادر المازنى يشعر بالأسى يهزه بعنف ويجهش بالبكاء .. فهذا الانسان الشامخ العملاق لا يفلت من جوانب الضعف الانسانى ، ولا يقلل هذا الضعف – مطلقاً – من شموخه النفسى والفكرى !

ويتعرض المسلسل لحب العقاد للقراءة فى صباه عندما كان يتردد على مكتبة يملكها رجل انجليزى فى أسوان ، يطلب منه أن يعلم ابنته اللغة العربية ، وتتعلق «سالى» التى تقوم بدورها «شيرين» بالفتى الذى لم يستطع أن يبادلها هذا التعلق وتركها راحلا الى حى شعبى فى القاهرة ليؤسس جريدة يعبر فيها عن رأيه الى أن اضطر الى اغلاقها بعد افلاسه !

وفى تلك الفترة تصادفه بنت الحارة «قمر» التى تؤدى دورها ماجدة الخطيب ، وتعرض عليه عقب افلاسه تحويشة عمرها ولكنه يرفض باباء الخروج من ضائقته المالية !

أما الاديبة مى زيادة فى المسلسل التليفزيونى فتقوم بدورها «شهيرة» التى تتعرف عليه من خلال هجومه على جبران خليل جبران ، فقد طلبت منه أن يوقف حملته الظالمة ، واستطاعت منذ لقائها به أن تقتنع بشخصيته وآرائه وأن تجذبه الى صالونها الأدبى الذى كان من اشهر المنتديات الأدبية وكان يتردد عليه نخبة من رجال الفكر والأدب والسياسة ..

وفى المسلسل نرى «سارة» وتقوم بدورها صفاء ابو السعود ، وهى توقظ فيه شك المحب وغيرته ، ورغم انه لم يستطع أن يجد فى حبها الاخلاص الذى ينشده لأنها كانت حريصة على أن تعطيه الاحساس بانه ليس الحب الوحيد فى حياتها ، إلا أن صورتها ظلت فى مخيلته لفترة طويلة وحاول نسيانها بكافة الوسائل ، ولكن طيف وجهها ظل يؤرقه ليال وأياماً !

كل ذلك وغيره من الشرائح المختلفة التى التقى بها العقاد فى حياته ، نلتقى بها فى المسلسل التليفزيونى «العملاق» لتخدم الغرض الدرامى فى حياته الفكرية والانسانية على حد سواء !

كمال سعد

حوار مع الدكتورة أميرة حلمي مطر

حول قضايا الفن والجمال

● الحوار بين الحضارات مبدأ يتبعه الغرب .. فلماذا نتقوقع؟

● المطلوب حرّية التعبير للفنان بعيداً عن التزمت والقيود

دعت جامعة قطر فى الشهر الماضى الدكتورة أميرة حلمى مطر رئيسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة .. وقد أجرت مجلة الدوحة معها هذا الحوار(أجرى الحوار : حسن طلب)

تزور قطر هذه الأيام ، الدكتورة أميرة حلمى مطر ، رئيسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، حيث تستضيفها كلية الانسانيات بالجامعة القطرية .

وللدكتورة أميرة مطر ، جهد وافر ، وبحوث فلسفية جادة ، أسهمت بها فى اثراء المكتبة العربية على مدى عشرين عاماً تقريباً ، وشاركت فى إذكاء الوعى الفلسفى لدى القارىء العربى الجاد ، الذى يتطلع الى مثل هذه البحوث الفلسفية المتخصصة .

وقد صدرت الدكتورة أميرة مطر فى كتاباتها ، عن روح موضوعية قدمت من خلالها أهم التيارات القديمة والمعاصرة فى مجرى الفكر الأوربى ، خاصة فى مجال علم الجمال وفلسفة الحضارة . وذلك إدراكاً منها للمهمة الحضارية الكبرى التى تقع على كاهل المشتغلين بالفكر والثقافة فى الوطن العربى

ولم يكن دور الدكتورة أميرة مطر ، مقصوراً على مجرد العرض والتعريف والتقديم ـ وهو فى حد ذاته دور هام ومهمة جليلة ـ بل لقد كان شاغلها فى معظم كتاباتها أن تنقد وتحلل وتقوم ، بعد أن تعرض وتقدم وتشرح ، تشهد على ذلك كتاباتها المتنوعة فى الفلسفة القديمة وفلسفة السياسة والحضارة وعلم الجمال .

ومن الدراسات التى قدمتها أميرة مطر فى مجال فلسفة الفن وعلم الجمال : فلسفة الجمال (١٩٦٢) فى فلسفة الجمال من أفلاطون الى سارتر (١٩٧٤)ـ مقدمة فى علم الجمال (١٩٧٦) ـ كما اشتمل كتابها الأخير : دراسات يونانية (١٩٨٠) ، على فصل طويل فى علم الجمال عند الاغريق ، هذا عدا المقالات الأخرى العديدة حول الفن والجمال والتى نشرت فى دوريات مصرية مثل «الطليعة» ـ «الفكر المعاصر» ـ «الفنون» ..الخ ، والتى جمع بعضها فى كتاب «مقالات فلسفية حول القيم والحضارة ١٩٧٩» . كما كانت الدكتورة أميرة قد ترجمت من قبل ، كتاب الاستطيقا (علم الجمال) للكاتب الفرنسى دينس هويسمان .

ولا شك أن هذا الانتاج الغزير فى مجال بكر هو مجال الدراسات الجمالية ، يعبر عن إيمان أميرة مطر بمدى خطورة وأهمية ذلك الفرع من الدراسات الفلسفية ، وهى التى دأبت على نشر الوعى بالفن والجمال ، ليس فقط لدى طلابها فى كلية الآداب وكلية الفنون التطبيقية ومعهد التذوق الفنى ، بل أيضاً لدى القراء والمثقفين بصفة عامة .

وفى لقائنا مع الدكتورة أميرة مطر دار الحديث بيننا حول تلك الاهتمامات التى تشغلها على الدوام ، وتشغل بال الثقافة والمثقفين هذه الأيام .

قلت لها :

● تعانى حياتنا الثقافية الآن ، من البلبلة والاختلاط اللذين يشوبان مفهوم الفن ، فهل يمكن أن نبدأ بتحديد هذا المفهوم ، بحيث نستطيع أن نتعرف أولا على ماهية الفن وطبيعته ؟

قالت :

ـ الفن فى حقيقته ليس محاكاة للواقع ، كما درج الكثيرون على وصفه بذلك ، فالفن الحقيقى ترجمة للواقع وليس محاكاة له ، ولا شك أن الصورة المحاكية للواقع المباشر لم تعد لها اليوم قيمة الصورة الموحية ، والحق أن فهم الفن على أنه محاكاة للواقع ، قد جنى على فنوننا وجنى على مبدعينا ومتذوقينا ، فاصبحنا لا نألف إلا الشعر المباشر والفن المباشر الذى ينقل الينا تفاصيل الواقع مباشرة ويحاكى دقائقه . بمعنى أصح ، نقول ، إن محاكاة الفن للواقع ، وما يتبع ذلك من قيم المباشرة والسهولة ، افسدت ذوقنا الجمالى وجنت على حاستنا الفنية .

● ولكن ما هو المقصود بالضبط من القول بان الفن ترجمة للواقع وليس محاكاة له

الفن (لغة أخرى)

ـ أقول : إن الفن ليس محاكاة ، وإنما هو ترجمة الواقع بواسطة الكلمات والألوان والأصوات ، ترجمة موحية ، عندئذ يصبح الفن غذاء لروح الانسان ، هذا هو الفن فى أوج عصوره ، خذ مثلا : دانتى ، وشكسبير ، وجوته ، أو بيتهوفن ، وموزار ، وديبوس ، أو ماتيس ، وبيكاسو ودالى . ومن حضارتنا العربية خذ شعر العذريين والمتنبى وأبى العلاء ، كل أولئك الفنانين الكبار تركوا فناً خالداً قادراً على أن يغذينا باستمرار ، ومهما تقادم عليه العهد ، لسبب بسيط ، هو انهم كانوا يترجمون الواقع فى فنونهم الى لغة أخرى ، ويعبرون عنه بأبجدية جديدة ، ولم يكونوا ليقتصروا على مجرد محاكاته كما هو ، وبنفس لغته ومفرداته وإلا ما استطاعت أعمالهم أن تصمد أمام



الزمن وتستشرف الخلود وتاسر نفوسنا .
نعم إن الفن ترجمة للواقع ، وبغير هذا لا نستطيع أن نفهم الفن المعاصر حولنا .

إضافة وابتكار

● فاذا ما انتقلنا من الفن الى الفنان وسألنا : على أية صورة يمكن للفنان ان يترجم الواقع حتى يصير فنانا بحق ؟

– الفنان الحق هو الفنان المجدد ، هو ذلك الذى يعرف كيف يستخدم لغة جديدة ورموزاً أكثر جدة ، تكون أصدق فى ترجمتها للواقع عما عداها وأكثر مواءمة لمقتضيات اللحظة الحضارية . الجديد هوباستمرار اضافة الى الواقع ، والفن إضافة وابتكار وإن لم يكن اضافة فهو مجرد تزيد ، ولن يشتمل حينئذ إلا على مجرد الأفكار والمضامين .

● جئنا الى مشكلة الشكل والمضمون يبدو أن مثل هذا الكلام يقف الى جانب الشكل ، فهل هذا صحيح ؟ وإذا كان كذلك فما هى الحيثيات ؟

– يقال بالفعل ان هذا الكلام يتجه بنا الى سيادة الشكل على المضمون ، ولكن فى ذلك مفارقة ، فالشكل والمضمون ليسا على هذا النحو من التقابل ، وإلا ، فهل يمكن أن يكون هناك شكل فارغ ؟

حقاً ، إن الشكل يجر وراءه دائماً مضموناً غير مباشر ، وذلك فى الفن الحقيقى والأصيل ، أما المضمون المباشر فليس إلا مجرد تسطيح وتبسيط مخل ومبتذل . بعكس المضمون الذى يتكشف من خلال شكل ما ، فهو قطعاً الذى يؤثر على شعور الانسان ، والفن يخاطب الشعور والوجدان قبل أن يخاطب العقل وإلا تحول الى علم من العلوم .

الشكل لا يخلو قطعاً من المضمون ، فقط اترك الشكل يتحكم وعندئذ سترى أنه مرتبط كل الارتباط بمضمون ما ، خذ الفن التجريدى مثلا .. وستجد أنه لا يخلو قط من المضمون ، لأن هناك تكثيفاً وليس تعميماً ، تلخيصاً وليس عرضاً ، وهذه مقولة بديهية فى فلسفة الفن الحديث والمعاصر .

الفوضى الشكلانية

قلت :

● ولكن لابد لنا من وقفة صغيرة هنا حتى لا تختلط الأمور ، فالنظر الى العمل الفنى باعتباره شكلا فى الأساس ، كثيراً ما يكون مدعاة للاتهام بالشكلانية ومظنة للانصياع لتعاليم القائلين «بالفن من اجل الفن»

– هذه اتهامات وادعاءات ينبغى الا نلقى بالا اليها ، فلا تصدق أن هناك شكلا دون محتوى أو دون مضمون .. فليس هناك شكل خالص اللهم إلا فى مجال المنطق فحسب .

● ولكن الشكل فى المنطق موضوع آخر . إنه علاقات صورية مجردة بطبيعتها من اجل تنظيم الأفكار ، وقيمتها فى هذا التجريد ، فهو الذى يمكنها من اداء وظيفتها على النحو المراد لها ، أما الشكل فى العمل الفنى ، فهو أمر آخر ، إنه نسيج العمل الفنى ذاته ، أى انه هنا ينحو نحو التجسيد لا التجريد .

– ولهذا السبب عينه فهو لايمكن ان يكون بدون مضمون ، أنت قلت منذ لحظة انه تجسيد .. فماذا عساه يجسد ؟ طبعاً يجسد المضامين ولكن من خلال بناء فنى معين ، وبواسطة صورة حية موحية .

● هذا حقيقى ، فانا ايضاً أومن اشد الايمان بقيمة الشكل والتشكيل ، وما كنت إلا مستفسراً عن بعض الملابسات العالقة بالمصطلح .. وإنى أود الآن أن أسال عن قضية اخرى طال النقاش حولها خلال العقود الماضية ، اقصد قضية الأصالة والمعاصرة

وما أريد أن أسال عنه هنا ، هو ما يتعلق بالفن والجمال من هذه القضية

– بالطبع هناك الكثير من القيم الجمالية يمكن استلهامها والانطلاق منها الى آفاق إبداعية أرحب ، خذ مثلا الزخرفة العربية ، الموسيقى العربية ، كل هذه قيم جمالية موجودة فى تراثنا ، ولا تزال تؤثر على ذوقنا وتستقر فى وجداننا ، وهى التى تميزنا فى نفس الوقت ، لأنها مستمدة من بيئتنا ، ويمكن أن نستوحى قيمها الشكلية ونطوعها للمضامين الجديدة .

شعر التفعيلة

● ألا يعنى ذلك أن الشكل ليس سوى قالب جامد نصب فيه هذا المضمون

– أنا لا أومن بفصل الشكل عن المضمون ، فالشكل ليس قالباً هندسياً ، وأنا لا أوافق الدكتور زكى نجيب محمود على نظرته الى الشكل بهذا الفهم ، وما قلته عن الشعر الحديث أمر يحدث فى كل الحضارات والفنون التى تتطور قيمها الشكلية باستمرار ، خذ مثلا الحضارة الأوروبية ، وكيف خرجت موسيقاها عن السلم الموسيقى الى الموسيقى اللامقامية لتعبر عن الزحام والضجيج وصخب الآلات الكاتبة ، .. الخ ، كما خرج التصوير عن قواعد المنظور .. كل هذا تطور فى الأشكال ، حدث من اجل تطويع الأشكال القديمة للمضامين الجديدة والواقع الجديد ، وهو تطويع لن يحدث كما قلت إلا بالتطوير ، بابتكار أشكال جديدة فى النهاية .

● بمناسبة الحديث عن الحضارة الغربية ، هل يمكن أن نستفيد من القيم الجمالية الغربية ، والى أى مدى ؟

– ينبغى الا ندعو الى التقوقع حول الذات ، بل يجب أن ننفتح على الحضارات الأخرى ، ولا نكف عن الحوار معها ، فالحوار بين الحضارات مبدأ تتبعه الحضارة الغربية نفسها . ولا يعنى ذلك التخلى عن ثراء تراثنا ، وغنى فنوننا .

سؤال أخير :

● هل ترين أن هناك شروطاً مفتقدة وراء انخفاض مستوى الوعى الفنى والجمال العربى ؟

– المهم أن يكون هناك قدر واف من حرية التعبير ، يتيح خلق أشكال فنية جديدة بعيداً عن التزمت والحجر المفروض على الفن والفنانين المبدعين .

أين نحن من حركة الفنون المعاصرة ؟

جمال قطب



● فى الحياة للفنان البحرينى عباس المحروس . معالجة متطورة لاستخلاص الطابع المحلى

تحدثنا فى المقالات الثلاث السابقة عن ابعاد الأزمة الراهنة والتى تتمثل فى انفصال القطاع العريض من الجمهور عن إبداعات الفنانين الذين يعانون من عدم التقاء الناس وتفاعلهم بانتاجهم . والتمسنا العذر والمبررات لهذا السلوك لكلا الطرفين ، وفى نفس الوقت أوضحنا أسباب القصور عند كل منهما إزاء الآخر أو الظروف التى فرضت عليهما سوياً ، وبتدارس جذور المشكلة ، بدأنا المسيرة مع التلميذ منذ أول عهده بالمدرسة ورأينا هذا الخلط الغريب بين مهمة (الأداء) وما يجب أن تكون عليه التربية الفنية وأهدافها فى ترسيخ وتنمية التذوق الفنى بمعناه الشامل ، ولمسنا المستوى الثقافى الذى يجب أن يكون عليه المدرس لكى يكون أهلا لهذه المسئولية الحضارية الخطيرة .

وكان ذلك أحد الأركان الهامة للمشكلة ونستمر اليوم فى استقصائنا واستعراض كافة الجوانب الأخرى ، علنا ننشىء جيلا متفتحاً ، وقد دربنا بصيرته على التذوق الفنى والاستمتاع بالقيم الجمالية ولمسات الابداع فى كل مرافق الحياة .

التربية الفنية

إننا نسائل أنفسنا : هل نحن جادون حقيقة فى دراسة التربية الفنية للنشء فى مراحل الدراسة المتتالية ؟ أقول هذا وأنا أوقن أن عالم اليوم لا يحتمل إلا الجدية فى كل مخططات التعليم والثقافة المتطورة . وما الفن إلا قمة



● ملامح عربية للفنان اللبنانى رشيد وهبى
ـ الأداء الفنى بأبسط الأساليب ـ



● الفنان والزمن (أندريا ماسون) التطرف فى الحديث .

السلوك الانسانى المهذب الذى يتسم به طابع الحضارة ! والخطأ كل الخطأ أن نظن ونحن فى زحام الأحداث والعقول المكدودة والأذهان المثقلة بمشاكل التطور والتسابق العلمى المحموم ، أن الفن تخصص ثانوى لفئة محدودة نطلق عليهم الفنانين ! أو أن رواده ومحبيه ومتذوقيه هم مجموعة من هواة الفنون المترفين ! فلنتدارس قول أوسكار وايلد :

« إن روعة الشعور بالجمال فى المبتكرات الفنية هى سمة حضارة الشعب ، ولقد علمتنا الفلسفة هدوء النفس واتزان العقل لاحتمال أخطاء الغير ، كما استطعنا بالعلم أن نرقى بمشاعرنا ونهذب سلوكنا لنتسامى بمستوانا الانسانى . أما الفن فيجعل حياة الفرد جنة دنياه ، وبينما الفلاسفة يتساقطون كحبات الرمال ، كما تتساقط معتقداتهم كأوراق الخريف ، يظل الفن الجميل متعة الحياة كفصول السنة التى تتغير فى نظام بديع ودائم » .

ويقول (هافلوك إيليس) فى هذا المعنى :

« بالفن وحده نجد حلولا لمشاكل الحياة ، والفن النقى الخالص لا يعرف الغش أو الخداع ، بل يتسامى على الظلم والآلام والأحزان ليؤكد أسمى معانى الجمال من أجل إسعاد شعب جدير بالحياة . والفنون الجميلة هى دليل العبقرية المبدعة ، وهى بدورها ثمرة من ثمار مجتمع متعلم ومثقف » . ولمعظم القادة والمفكرين من هذه الآراء والأقوال ، نقرأ ونعلم الكثير .

فاذا كان الحال كذلك .. نعود إلى تساؤلنا عن مدى جديتنا فى تنشئة أبنائنا وتوجيههم وجهة فنية سليمة . وإذا هدفنا إلى هذه الغاية ، فما معنى ان تنقطع صلة التلميذ بالدراسة الفنية منذ المراحل الأولى لتعليمه ؟ .

إن أخطر فترة تربوية تتبلور فيها الملكات والمهارات هى فترة مرحلة الدراسة الثانوية .. وهى نفس المرحلة التى يحرم فيها الطالب من دراسة الفن حسب المناهج الدراسية عندنا . وكأنها عبء ثقيل أراد المخططون أن يزيحوه عن كاهله لكى يتفرغ لباقى المقررات ويجيد حفظها ويحصل على (المجموع) ! وإذا أراد بعض الطلبة من ذوى المواهب الفردية أن يلتحقوا بكليات الفنون بعد ذلك ، كان لزاماً عليهم قبل كل شىء أن يخضعوا لقيود المجموع ومكاتب التنسيق واجتياز الامتحان ! وقد يتمكن بعض الشبان من أن ينخرطوا فى كليات الفنون الجميلة بطريقة أو بأخرى كالزهور البرية تتفتح دون أن نتعهدها بالعناية أو الرعاية ، .. فيجدون أنفسهم فى أكاديميات يجب أن تدرس أعلى مستويات الفن الرفيع ، وكل محصلتهم السابقة من الدراسة الفنية لا تعدو أكثر من معلومات سطحية باهتة غطاها غبار السنين .. تلك التى كانت حصيلة تلقينية من ممارسات ساذجة لا يكاد أن يذكرها الطالب فى فترة المراحل الدراسية الأولى من أيام الطفولة .. وقد تحدثنا فى مقال الشهر الماضى عن هذه الفترة بكل ملابساتها وما يجب أن تكون عليه من حيث مقدرة مدرس التربية الفنية ، والمناخ اللازم توفره ، والمناهج المدروسة الواعية ، لا لتدريس مادة بعينها .. ولكن لتنمية ملكات التذوق الفنى بمعناه الكبير .

الامكانيات المفقودة

ومن الغريب حقاً أننا نفتقر إلى الامكانيات البسيطة حتى فى معاهدنا وكلياتنا الفنية المتخصصة ، ويجب أن يكون النقد الذاتى البناء هو هدفنا بتجرد كامل ! وقد يسرح الخيال ليصور هذه الامكانيات بحجم يفوق طاقة الاحتمال ... ولكن الأمر مختلف تماماً . إن الفن التشكيلى بصفة عامة يعتمد أساساً على الطاقة البشرية والموهبة المستعرة فى نفوس الفنانين والتوعية المستنيرة .. وباقل القليل تسير قافلة الأبداع .. طالما كان هناك الوعى والاحساس بمسيرتها .. ومشكلتنا الحقيقية هى ذلك الوعى المفقود ! وزيارة واحدة لبعض هذه الكليات كفيلة بتاكيد المعنى الذى أرمى إليه .. وعلى سبيل المثال ، فقد خطت كلية الفنون الجميلة بالقاهرة خطوة تقدمية رائعة فى مجال التوسع الأفقى العام . باستحداث أقسام تواكب الاهتمامات المعاصرة مثل (فن الرسوم المتحركة والاعلان السينمائى ورسم وإخراج الكتب .. وغيرها). ومثل هذه التخصصات وغيرها نجدها الآن فى كليات الفنون العديدة فى مصر .

ومن الغريب أن مجموعة كبيرة من الدارسين الموهوبين فى هذه الأقسام قد شقوا طريقهم بنجاح مثير ، ولكننا إذا نظرنا إلى الأدوات والآلات البدائية التى درسوا ومارسوا فنهم بواسطتها .. أشفقنا على هذه البراعم المتفتحة التى تمتد إلى جذور فنية وتراثية عريقة ، وتصورنا فى نفس الوقت ، ماذا يكون عليه المستوى إذا ما وفرنا لهم أحدث الخامات والآلات المتطورة التى ينعم بها أقرانهم فى كثير من دول العالم .. وعلى ذلك فالمطلوب ـ وهو طلب غاية فى التواضع ـ تحديث كليات الفنون وإمدادها بكافة الخامات والآلات المتطورة التى تدعم رسالتها على الوجه الأمثل . وكما ذكرت ، فعملية التحديث هذه لاتكلف الملايين ، ولكنها تحتاج إلى

● معظم ما ينشر عن الفنون التشكيلية .. كتابات أكثر تعقيداً من الأعمال الفنية نفسها

أرقام متواضعة .. أما والحال كما هى عليه الآن ، حيث نزوع الفنان إلى الانطوائية والتقوقع ، وانفصال الجمهور عنه وعدم تفاعلهم مع إبداعه ، فلن نستطيع اقناع المسئولين أو غير المسئولين بجدوى وقيمة الفن عامة طالما رأينا هذه الظاهرة السلبية : وهى تباعد الجمهور عن الفنان ، وما المسئولون والمخططون إلا قطاع من هذا الجمهور !

أجهزة الاعلام

وهناك ظاهرة أخرى فى عالمنا العربى فى الوقت ذاته تدعو إلى التأمل مع أنها منطقية مع ما وصلنا إليه من عدم الاهتمام بالفنون التشكيلية : فلا نعجب إذا كان الانطباع السائد فى أذهان المواطن العادى عن أن الفنان هو من يرقص أو يغنى أو يمثل أو يدق الطبول !

.. ومن المتعذر أن يقفز إلى ذهنه أن الفنان التشكيلى هو الفنان الذى يستحق هذا اللقب قبل غيره .. وليس هذا تغالياً أو تحيزاً أو انفعالا ولكنها الحقيقة المعروفة فى العالم أجمع وفى كل لغاته الحية ومصطلحاته ! والسبب فى ذلك يعود فى المقام الأول إلى قصور أجهزة الاعلام وافتقارها إلى المحلل أو الناقد للفنون الجميلة ، وعدم اهتمامها الاهتمام الواجب بهذا النوع من الابداع.

وإذا تناولنا الصحف كمجال للكلمة والصورة ، فاننا نجد ـ باستثناء بعض الكتابات الجادة النادرة ـ أن أغلب ما ينشر عن الفنون التشكيلية عبارة عن كتابات أكثر تعقيداً من الأعمال الفنية نفسها ، أو مجرد حصر وصفى للمعروضات يكتب بسلبية غريبة ، أو على أحسن الفروض تسجيل لانطباعات عابرة ..

وفى جانب آخر نرى أن ما يكتب لا يخرج عن تقولات من التهجمات أو إطراء من المجاملات دون منطق يحكمها أو فهم يؤيدها .. والأهم فى الأمر أن الجمهور يتصفح هذه الكتابات غير عابىء بها فهى لا تعنيه فى شىء .. بنفس السلبية التى يشاهد بها الانتاج الفنى ذاته ! .



● من وحى الصيد للفنان القطرى جاسم زينى . معالجة الشكل بالتكعيب لاخفاء الحداثة على أسلوبه .

أى أننا نفتقر إلى عملية النقد الفنى كعلم له أصوله وأهدافه .

ومن الأمور العادية فى صحافتنا وأجهزة أعلامنا المتعددة ، أن نرى أى إنسان يكتب أو يقول أى كلام عن الفن التشكيلى ! فبعد أن كاد يفقد هذا الفن تأثيره وخطورته على الحركة الثقافية والفكرية عامة ، لم يعد لما يقال عنه بالتالى أى تأثير أو خطورة . وفى هذا المجال لا يسعنا أن نعدد ما يجب أن يكون عليه الناقد من وعى ثقافى وأخلاقى ، ولن نتناول مذاهب النقد ومدارسه المختلفة .. لأنها ستكون ـ والحال هذه ـ دون معنى أو مبرر ! طالما أن المشكلة برمتها فى مثل هذه الضرورة من العلاج الحاسم من كل جوانبها

المتاحف والمعارض

هناك قول مأثور لأحد الأعلام ـ لايحضرنى اسمه ـ مفاده أن الأنسان إذا أراد أن يقف على حضارة أمة من الأمم .. فعليه أولا أن يحيط علماً بمتاحفها وأن يعلم مدى اهتمامها باقامة هذه المتاحف . وقد سبق أن تناولت (الفن الاسلامى) فى أبحاث ومقالات متتالية نشرت تباعاً فى بعض الجرائد والمجلات المتخصصة ، وكان نصيب «الدوحة» منها بضع حلقات

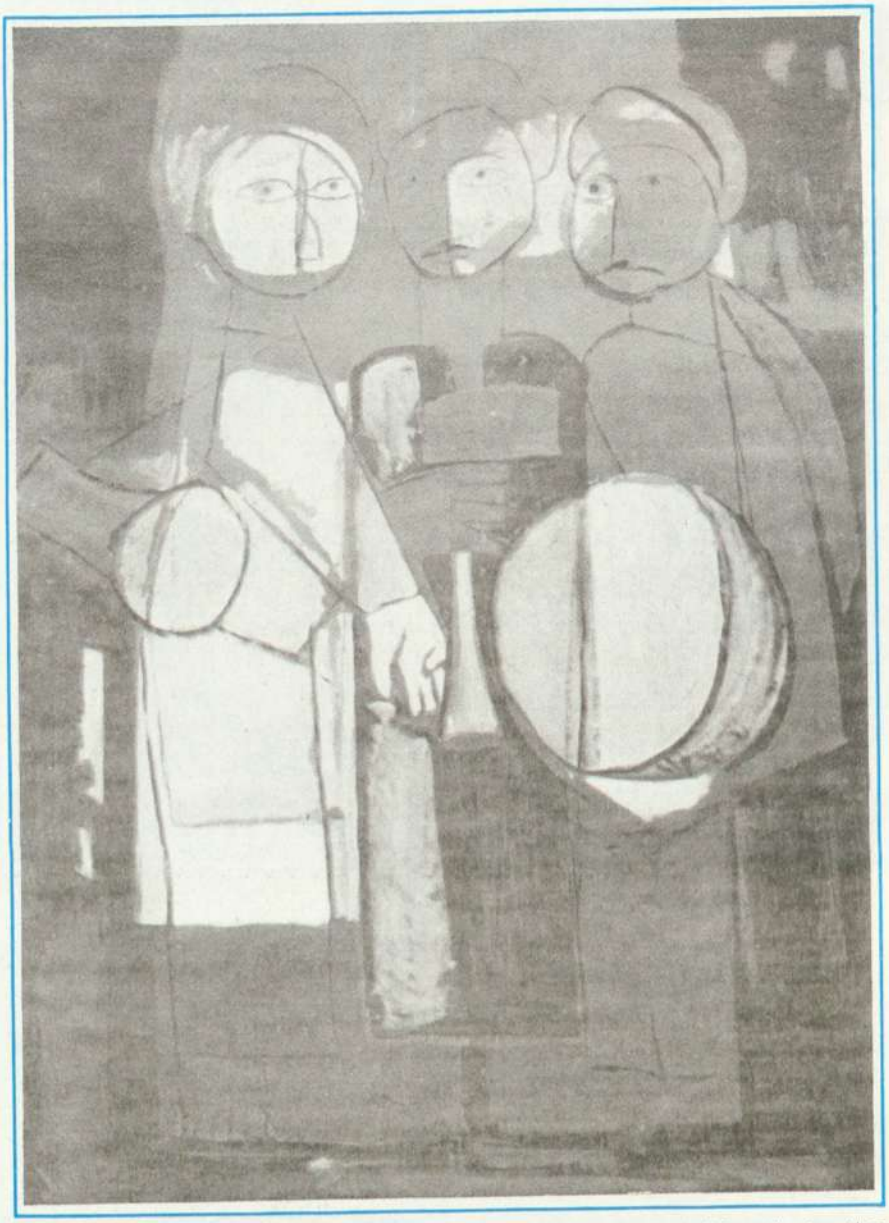


● العازف للفنان السعودى محمد سيام
بداية مبشرة ولكنه تقليد للوحة بيكاسو

فى الشهور الماضية ، وخلصت فى النهاية إلى أننا ـ أصحاب التراث الانسانى الرائع ـ لا نحتفظ إلا بالندرة الضئيلة من هذا التراث ، فى متاحفنا الأقل ندرة وسط عالمنا العربى الفسيح ! .

وقد وصل الأمر ببعض مؤلفى الكتب عن تراثنا أو تاريخنا البعيد والقريب إلى أن يجوبوا دول الغرب أو الشرق بحثاً عن معلومة أو صورة أو وثيقة كاثر من آثارنا العربية أو الاسلامية .. التى أفرغت بلادنا منها تقريباً فى غفلة من الزمن وغفوة من الوعى ! واذا حصل على هذه الوثيقة ، فقد تكون محرفة أو

● الفن هو قمة السلوك الإنساني المهذب الذي يتسم به طابع الحضارة



● الموسيقى الشعبية للفنان العراقى فائق حسن – موازنة محسوبة بين التجريد اللونى المتحرر والموضوع الواقعى

مغرضة أو لبست ثوباً مستعاراً غير ثوبها الأصيل .. وهكذا يزيف التاريخ !

وإذا تناولنا قاعات العرض بين ظهرانينا .. وهى الملتقى الطبيعى بين القلة الباقية من المهتمين بالحركة الفنية والفنانين ، نجد أن الوضع لا يخرج فى مجال هذه الأزمة عن مدى الاهمال الشامل للفنون التشكيلية بكل جوانبها ومتطلباتها . وقد قرأت كلمة (مؤثرة) للفنان صلاح طاهر فى جريدة الأهرام قبيل عيد الفطر المبارك ، وكنت يومها فى اجازة الصيف على شاطىء «بلطيم» الوادع .. وكانت بعنوان : الحضارة كل لا يتجزأ . تناول فيهامأساة قاعات العرض فى القاهرة عاصمة الفن وملتقىالتراث العالمى ، وتكلم عن اختفاء معرض الفن الحديث وتساقط قاعات العرض واحدة بعد الأخرى ، والتآمر على أكبر قاعات الفنون الجميلة عندنا وهى «قاعة باب اللوق» وأظن أنهم الآن يعدون الديكورات اللازمة لتحويلها إلى بنك دولى . وليس الحال بأحسن من ذلك فى معظم العواصم العربية الأخرى :

واستسلمنا لهذا الواقع المر وكأنه قدر لا مفر منه ! ويحدث ما يحدث على مسرح الأهمال والعبث فى ساحة الفن والتاريخ والتراث العربى الاسلامى فى بلادنا بينما تطالعنا وسائل الاعلام العالمية يوماً بعد يوم بأنباء تدل على مدى ما تلقاه المتاحف ومجمعات الفن من الاهتمام فى الدول التى تحترم تاريخها وعراقتها وأمجادها .. بل وأمجادنا نحن أيضاً .. يقومون نيابة عنا بالحفاظ عليها كتراث انسانى وثقافى لشعوب الأرض كافة ، ولعلنا نتذكر ما قرأناه فى شهر أغسطس ١٩٨٠ فى الصحف عن « متحف برلين الاسلامى » حيث وجهت الدعوة للاحتفال بمرور مائة سنة على إنشائه فى المانيا ، وقد نذهل عندما نطالع تفاصيل تنظيمه بحيث نسقت محتوياته التى تشمل تراث العالم الاسلامى كله فى قاعات رائعة تحكى تاريخ الحضارة الاسلامية والفن الاسلامى وكأنه كتاب ميسر مفتوح الم نسائل أنفسنا : كم من المتاحف الاسلامية فى وطننا العربى على غرار متحف برلين هذا ؟ وليست هذه المتاحف الاسلامية فى المانيا فحسب ، ولكننا نجدها تحتل أقساما متكاملة كمتاحف مستقلة ضمن متحف اللوفر بباريس والبريطانى بلندن وفى كثير من المتاحف الامريكية والاوروبية الشهيرة .. ! ولولا وجودمتحف الفن الاسلامى (دار الآثار العربية) الذى يضم ٧٧ الف تحفة والذى ستمر مائة سنة على إنشائه فى ديسمبر ١٩٨١ ، لكان وطننا العربى خالياً تقريباً من مجمعات آثار تراثنا العربى الاسلامى العريق ، ولكننا – مع ذلك – أبينا إلا أن يحتل متحفنا هذا طابقاً واحداً من مبناه الحالى بميدان «باب الخلق» .. وسمحنا – ولا أدرى كيف – بأن تشاركه فى نفس المبنى مطابع هيئة الكتاب ومكتباتها ! .

أعود فأقول : ليست الحضارة فقط كلا لا يتجزأ ، ولكنه الوعى الفنى المفقود عندنا ... أيضاً كل لا يتجزأ .. وما المتاحف والمعارض فى مجال الفن إلا جانب واحد من مشكلة التخاذل الجارفة .. التى تجتاح مشاعرنا فى عالم اليوم حيث تتصارع قوى الفكر والثقافة والتألق الذهنى كوسيلة حاسمة للسبق والسيطرة ! وللمشكلة بقية ، سنوردها فى اللقاء القادم إن شاء الله .

جمال قطب

سينما

رءوف توفيـــق

الرعب القادم على الشاشة



● الطباخ الأسود الذى تتقمصه روح شريرة .



● الممثل جاك نيكلسون فى فيلم تألق .

مطلوب من مشاهد السينما فى الموسم القادم .. أن تكون أعصابه من حديد .. وأن يكون مستعداً لاحتمال كل مشاهد الرعب التى يدبرها له صناع السينما فى أفلامهم القادمة !!

فكل الدلائل تشير الى أن موجة أفلام الرعب ، ستزحف بقوة لتفرض نفسها على الانتاج السينمائى الأمريكى والأوربى !

وقد بدأت ملامح هذه الموجة ، تظهر بشكل تدريجى خلال الأعوام القليلة الماضية .. ثم بدأت تتضح مع هذا العام .. والمتتبع لخطط الانتاج السينمائى لعام ٨١ ، سيكتشف هذا الكم الهائل من الأفلام التى تعتمد على الرعب !!

والرعب الجديد .. يقوم على الأشباح والقوى الخفية والسحر الأسود .. كما يقوم أيضاً على الخيال العلمى ، واستخدامات التكنولوجيا !!

فمصاص الدماء «دراكيولا» .. سيكون موجوداً داخل القصور المهجورة .. كما سيكون موجوداً فى الفضاء !!

● قراءة فى عناوين الأفلام

وحتى نتصور حجم الرعب الذى يدخره لنا صناع السينما فى أفلامهم .. علينا أن نتأمل عناوين بعض تلك الأفلام وكيف أنها قراءة خاطفة من خلال حلقات الانتاج ، وطوفان الاعلانات التى تزدحم بها الصحافة السينمائية الآن .. مثلا ..

● عبارة تقول : «كثير من الأفلام تعدك بالرعب .. ولكن هذا الفيلم مرعب بحق»!! .. والفيلم عنوانه «خيول الليل»

● فيلم بعنوان «شاطىء الدم» يقدمونه بهذه العبارة : «عندما تلامس المياه رمال الشاطىء .. يبدأ الرعب» !

● فيلم بعنوان «الصرخة المكتومة» يقدمونه هكذا : «الرعب مفاجىء جداً .. لدرجة أنه ليس هناك وقت لكى تصرخ» !

● فيلم آخر بعنوان «صرخات فى الليل» يعرض للأصوات الغامضة التى تأتى من خلف الأبواب المغلقة !!

● وفيلم بعنوان «لا تدخل هذا البيت» يأتى بعد رواج فيلم «لا ترد على التليفون» .. وعنوان كلا الفيلمين يوحى بموضوعهما .. فهذا البيت مسكون بالأشباح ... أما لماذا لا ترد على التليفون ، ؟! فلأن الذى يطلبك قاتل يريد أن يتأكد من وجودك !!

«الشيطان يتكلم» .. فيلم تدور فكرته حول الرعب الذى يحدث فى جهاز الكومبيوتر ، عندما تتقمصه روح شيطانية !

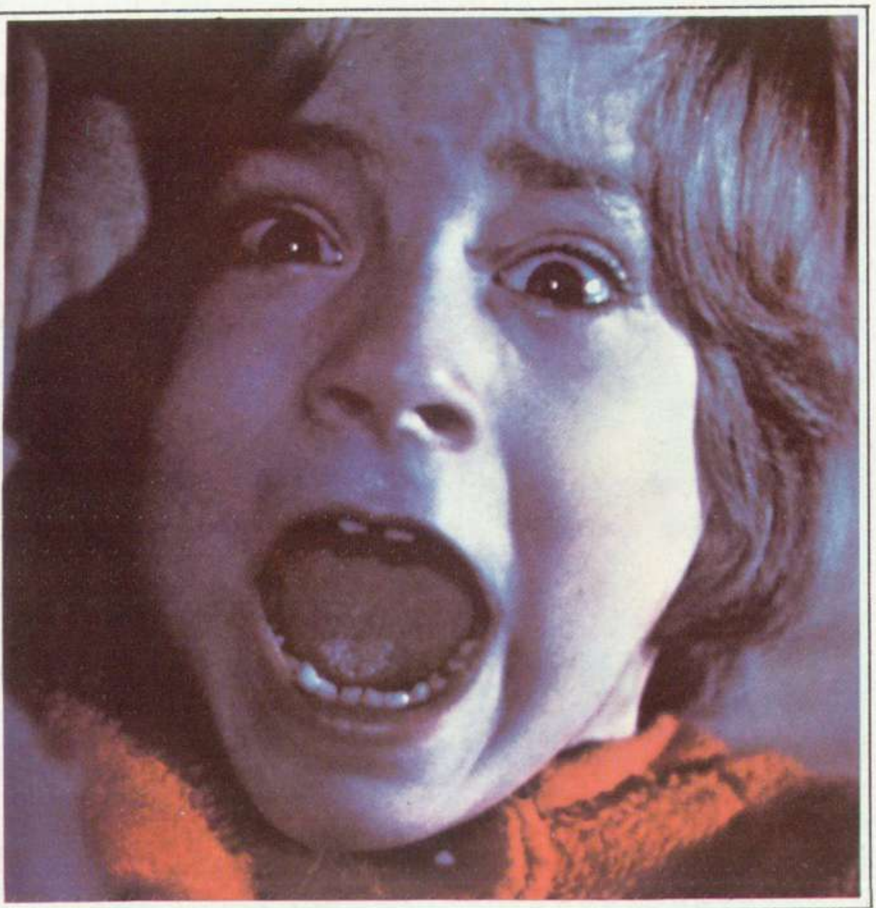
● وفيلم بعنوان «الذين يعوون» وتدور أحداثه فى الفضاء مع «الذين ينتظرون على حافة الظلام .. لايقاظ الرعب داخل كل واحد منا» !

● فيلم بعنوان «الممسوس» يدعون اليه بهذه العبارة : «أهرب من هذا الرجل» !

● حتى هدية عيد الأم ، صنعوا منها فيلماً مرعباً بعنوان «يوم الأم» .. وليلة الزفاف .. جعلوها ليلة القتل فى فيلم



● الممثلة شيللي دوفال فى لحظة رعب .



● الطفلة الصغيرة فى فيللم «تألق» وهى تواجه موقفا مرعبا .

«الزفاف الدامى» !

● فيلم بعنوان «بحيرة الذئب» .. قدموه بقولهم : «لا توجد هناك إثارة اكثر من الصيد .. خصوصاً عندما تكون انت الضحية» !

وتتلاحق الأفلام .. ويتسابقون فى اختيار عبارات الرعب التى يستفزون بها غريزة الخوف عند المشاهدين .. وتصل العبارات الى الحد الذى يقولون فيه : «انه فيلم سيسحب الرعب من حلقك» .. و «إذا لم يخفك هذا الفيلم .. فانت بلا شك انسان ميت» !!

● استوديوهات هونج كونج .. تنشط

والمثير تماماً .. ان موجة افلام الرعب تجد رواجاً هائلا فى أسواق العرض العالمى .. مما جعل اكبر الشركات السينمائية فى أمريكا ، تدخل بكل ثقلها لانتاج هذه النوعية من الأفلام .. ومما جعل أيضاً استوديوهات «هونج كونج» تغير من خططها لتعمل ليل نهار .. من اجل غمر الأسواق بافلام الرعب من فيلم اختاروا له عنوان : «نحن قادمون لناكلك» !!

ومن المعروف أن استوديوهات «هونج كونج» لا تقدم سوى النوعية الرديئة من السينما التجارية ، وهى افلام ذات ميزانيات ضئيلة ، ولا يبذل صناعها اى جهد فنى فى تقديمها .. وإنما كل ميزتها أنها افلام رخيصة الثمن تجد من يشتريها بسهولة ويعرضها فى دور العرض من الدرجة الثالثة ، ويكسب منها بشراهة .. وهذه الأفلام تعتمد على أسواق الدول النامية ، والأحياء الفقيرة فى العواصم الكبرى !

● ولكن .. لماذا يعود الرعب ؟

والسؤال شغل بال الكثيرين من المتتبعين لتطور الفن السينمائى ، والمهتمين بتحليل الظواهر المحيطة به ، والتى تحركه ..

وقيل اكثر من راى .. ولكنى اعتقد أن اكثر الآراء اقتراباً من الحقيقة .. هو الراى الذى قاله المخرج الألمانى الشاب «فيرنر هيرتزوج» ، وهو احد أعمدة السينما الألمانية الجديدة ، وقد قدم لها فيلم : «اجويرا .. غضب الله» .. ثم فيلم «كاسبار هاوزر» .. وقد حقق الفيلمان نجاحاً فنياً مدوياً .. وكانت المفاجاة التالية انه قدم فيلماً مرعباً عن دراكيولا مصاص الدماء .. وكان اسم الفيلم «نوسفيراتو» .. الذى كتب له السيناريو واخرجه وانتجه .. واختار لبطولته الممثل الألمانى الشهير «كلاوس كينسكى» .. وتحمست لتوزيعه عالمياً ، إحدى كبرى الشركات السينمائية الأمريكية ..

وعندما سالوه : لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات وتحمست لانتاجه واخراجه ؟

قال «فيرنر هيرتزوج» :

الرعب القادم على الشاشة







«إن مجتمعنا اصبح يمارس القمع والقهر .. وهذا المناخ ينعكس بالضرورة على الأدب والسينما .. ولهذا فنحن نشهد ميلاد ثقافة مضادة، كرد فعل ضد مجتمع مادى وآلى الى أقصى حد .

«وفى رايى أن افلام مصاصى الدماء غالباً ما تظهر بعد الثورات المجهضة .. وانا شخصياً لا استطيع الهروب من التاثيرات التى يمارسها علينا مجتمعنا» !

● الجمهور من المراهقين !

وسبب اقتناعى بهذا الراى .. عاملان:

الأول ، ما اكدته الأبحاث الأخيرة من زيادة نسبة الأعمال الروائية التى تعالج موضوعات الرعب .. وزيادة معدل توزيعها ، خصوصاً بين جمهور الشباب والمراهقين .

والعامل الثانى .. ما اسفرت عنه الدراسات حول جمهور السينما الآن ، والتى أشارت الى أن النسبة الكبرى من المشاهدين ، تتراوح أعمارهم ما بين ١٣ ـ ٢٠ عاماً .. بينما كان معدل السن بالنسبة للمشاهدين فى بداية السبعينات يتراوح ما بين ١٣ ـ ٢٤ عاماً

واستخلاص النتيجة من الحقيقتين السابقتين .. نجد ان هناك ترابطاً شديداً بين جمهور قراءة الروايات وجمهور مشاهدة السينما .. ويكاد يكون هذا الجمهور واحداً !

ودور النشر كما هو الحال فى شركات الانتاج السينمائى .. تخاطب أساساً جمهورها ، وهو هنا جمهور الشباب والمراهقين .. وهو نفس الجمهور الذى أصيب بالاحباط نتيجة كل الظروف السياسية والاقتصادية التى تحكم العالم الآن .. والتى ورطت الشباب فى حروب لا طائل منها ، واستنزفت أية محاولة للاحتجاج أو الثورة !

والاستغراق فى عالم الرعب ، واستخلاص اللذة من تلاحق الأنفاس ، والتوتر العصبى .. هو نوع من المخدرات التى لجا اليها هذا الشباب ، فى محاولة منه لتجاوز الواقع الذى عجز عن تغييره أو إصلاحه !

وهذه المخدرات تروج لها المؤسسات التجارية الكبرى .. مهما كانت اللافتة التى ترفعها فى الثقافة أو الفن !!

● آخر نموذج للرعب !

واشهر فيلم رعب يعرض اخيراً .. هو فيلم «تالق» للمخرج الأمريكى الكبير «ستانلى كوبريك» ، وهذا المخرج يعرفه عشاق السينما من افلامه: «سبارتاكوس» «لوليتا» ـ ثم رائعته الخالدة «٢٠٠١ : أوديسة الفضاء» ـ ثم فيلمه المليء بالعنف والجراة «البرتقالة الميكانيكية» ثم فيلمه الرقيق «بارى ليندون» .. ها هو يراهن بكل تاريخه الفنى ، لكى ينتج فيلماً مرعباً كاقصى ما يكون الرعب .. فهو يعرض لشخصية طباخ أسود اللون يعمل فى خدمة عائلة مكونة من زوجين وطفلهما الصغير .. وهذا الطباخ تتقمصه روح شريرة لاحد اكلة لحوم البشر ، وهو يستطيع التنبؤ باحداث ستقع (!!) ويأتى ببعض الأفعال التى يحاول بها التاثير على الطفل الصغير ، وانتزاع بذرة الحياة من داخله ، لتسكين روح شريرة بدلا منها (!!) .. وتجرى الأحداث المرعبة فى هذا الاطار ، حيث يتصارع الزوج والزوجة ضد هذا الخطر الداهم !

وقد قام بدور الزوج ، الممثل الأمريكى

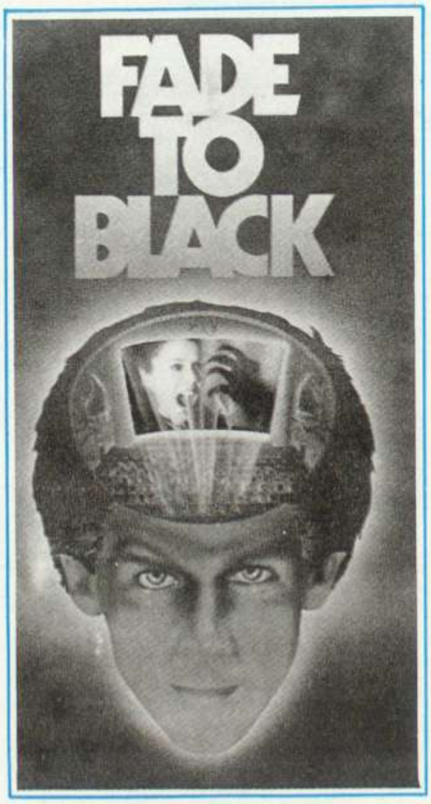


البارع «جاك بنكلسون» اما الزوجة فلعبت دورها الممثلة الأمريكية «شيلى دوفال»

ويحقق هذا الفيلم الآن .. ارقاماً خيالية من الايرادات .. فى نفس الوقت الذى يجد تحفظاً شديداً من النقاد !

فبالرغم من براعة الاخراج .. والدقة المتناهية فى خلق الاثارة .. والمباراة الكاملة فى التمثيل بين الشخصيات الأربعة التى يقوم عليها الفيلم .. إلا ان موضوع الرعب ، وصنع افلام من اجل الرعب فقط .. مسالة غير مقبولة .. خصوصاً من مخرج كبير له اسمه وتاريخه !

وعندما يحكى المخرج «ستانلى كوبريك» عن إعداده لهذا الفيلم .. فهو يعترف ضمناً بسبب اختياره لهذا الموضوع إذ يقول انه ظل عاماً كاملا متفرغاً للذهاب الى دور العرض المختلفة لدراسة جمهور المترددين على السينما ، وليكتشف أن غالبية المترددين من الشباب والمراهقين ، وانه احس بضرورة أن يصنع لهم شيئاً جديداً ومذهلا « ولم يروا مثله من قبل» ! .. وهكذا طلب من سكرتيرته أن تشترى له كل الروايات



والكتب التى تصدر فى اوربا او فى امريكا .. والتى حققت معدلات عالية فى التوزيع .. ونفذت السكرتيرة ما طلبه منها ووجد على مكتبه ما يعادل ثلاثة اطنان من الكتب والروايات (هكذا قال) .. وبدأ يتصفحها الواحد تلو الآخر .. ربما لا يكمل عشر صفحات من كل كتاب ، ثم يلقيه .. حتى توقف مذهولا وفرحاً امام رواية «تالق» لمؤلفها «ستيفن كنج» والتى كانت قد تصدرت قائمة اكثر الروايات مبيعاً .. وقرر ان يخرجها فى فيلم والتقى بالمؤلف .. ثم اتفق مع الممثلين .. وبعدها بدأ تحضير السيناريو ، وتنفيذ الديكورات الضخمة داخل الاستوديو .. حيث رسم وخطط لكل صغيرة وكبيرة ، ليخضعها لتصوره فى اى وقت يشاء .. وأجرى بروفات متكررة ومرهقة مع الممثلين .. وأعاد تصوير كل لقطة عدة مرات ليضمن فرص اختيار افضل اللقطات .. وهكذا استمر العمل فى الفيلم ثلاثة أعوام !

ولا شك أن الجهد المبذول يدل على الرغبة فى تقديم عمل فنى محكم .. ولكن لأى هدف ؟!

● تاريخ الرعب فى السينما

وموجة افلام الرعب الجديدة تأتى فى اعقاب انحسار موجة افلام الكوارث (افلام الزلازل والفيضانات والحرائق وسقوط الطائرات وغرق السفن .. الخ) والرعب الجديد .. ما هو إلا استمرار لنفس الخطة فى خلق جو من الاثارة والغموض .

وقد سجل تاريخ الرعب فى السينما .. بانه فى عام ١٩١٠ ظهر أول فيلم يجسد الشخصية الخرافية «فرانكشتين» .. وفى عام ١٩٣١ ظهر فيلم آخر بنفس العنوان «فرانكشتين» .. وبعدها بعامين ظهر لأول مرة «دراكيولا» فى فيلم .. وفى عام ١٩٣٥ ظهرت زوجة فرانكشتين !!

ومنذ ذلك التاريخ .. لم تكف السينما عن ايجاد صيغة لاحياء هاتين الشخصيتين الخرافيتين ، فى افلام مرعبة .. وقد شهدت فترة الأربعينات انتشاراً كبيراً لهذه النوعية من الأفلام .. وتجىء بداية الخمسينات ليتوارى قليلا دراكيولا وفرانكشتين .. وليفسحا الطريق امام شخصيات اخرى خيالية ، وليمتزج بالخيال العلمى .. ولكن مع بداية السبعينات ، قدم المخرج «ويليام فردكين» فيلمه «طارد الأرواح الشريرة» ليخرق حاجز التكرار ، وليفاجىء عشاق السينما بنوعية جديدة من افلام الرعب ، حيث يقدم حدوتة الشيطان الذى يتقمص جسد فتاة صغيرة !!

ويحدث هذا الفيلم دوياً فنياً وتجارياً .. مما دعى المخرج «فردكين» ليقدم تكملة جديدة لفيلمه والتى ظهرت بعنوان : «طارد الأرواح الشريرة ــ الجزء الثانى»

وهذا النجاح شجع صناع السينما ، لكى يعيدوا إحياء افلام الرعب .. وليبتكروا اشكالا جديدة لرعب فرانكشتين ودراكيولا .. ! وظهر فيلم يمزج بين الشخصيتين !!

ومع ازدهار موجة افلام الرعب هذه الأيام .. بدأت استوديوهات السينما تواصل سلسلة افلام دراكيولا .. وسمعنا عن افلام تحمل هذه العناوين : «دراكيولا .. النجم الأعظم» و «آخر طقوس دراكيولا» و «مصاص الدماء فى الفضاء» !

سينما

الرعب القادم على الشاشة



● جاك نيكلسون في أحد مشاهد فيلم تألق .

سباق المحترفين

ولكن أهم ما يثير الانتباه فى هذه الموجة .. هو دخول كبار المخرجين طرفاً فى السباق .. بداية من «وليام فردكين» الى «ستانلى كوبريك» .. ومروراً بعملاق السينما الأمريكية «جون هيستون» وفيلمه «فوبيا» !

ويصبح السباق فى حرفية العمل ، واستعراض المهارات فى الأجهزة الفنية!

ولهذا عندما نتامل ما قاله المخرج «ويليام مزديكين» رداً على سؤال حول الفرق بين أسلوبه السينمائى فى فيلم «طارد الأرواح الشريرة» ، وأسلوب المخرج هيتشكوك فى فيلم «عقدة نفسية» .. نجد الاجابة تنحصر فى توقيت الاثارة وكميتها .. فهو يقول :

«لقد راقبت هيتشكوك فى فيلمه عقدة نفسية .. ووجدت أنه استطاع أن يمضى بالفيلم ٤٥ دقيقة دون أن يقدم حدثاً هاماً ويصل بالمتفرجين الى الحافة .. ثم فجاة ياسرهم ويضعهم فى جيب بنطلونه .. ومن هنا حاولت فى فيلمى «طارد الأرواح» أن أمضى ساعة من الفيلم دون أن يحدث شيء .. ثم دققت الأجراس .. !! إنه سباق المحترفين . !!

غياب النقد .. هو السبب !

وقد اهتمت مجلة «سايت آند ساوند» – وهى المجلة السينمائية الأولى فى انجلترا والتى تصدر عن معهد الفيلم البريطانى – بتحليل ظاهرة أفلام الرعب .. ونشرت فى عدد الربيع لهذا العام ، مقالا للناقد «جيمس موناكو» .. قال فيه .. إن زيادة كمية الرعب فى الأفلام ، لا يعنى أننا أصبحنا أكثر قلقاً عما كنا عليه منذ عشرين عاماً .. ولا يعنى أيضاً أننا أصبحنا أكثر مللا .. بل هو شيء واضح السخافة .. وقد استشرت هذه الظاهرة بسبب غياب النقد عن مثل هذه الأفلام .. بالرغم من أنها تمثل موجة زاحفة رهيبة .. ولم يعد السؤال : لماذا يعرضون علينا هذه الموضوعات ؟ .. بل أصبح السؤال : ماذا يفعلون بنا.؟!

ويصل الناقد الى نتيجة .. أن صناع مثل هذه الأفلام .. إنما يتلذذون بعذاب الآخرين .. وإذا كان بعض من يذهب الى السينما يضع حداً فاصلا بينه وبين ما يعرضه على الشاشة .. ويردد بينه وبين نفسه «حمداً لله انها مجرد سينما» إلا أن هذه الأفلام ما هى إلا غش وخداع لعقول المتفرجين : «وقد حان الوقت لدراسة العلاقة بين صناع السينما والجمهور .. والعمل على وقف حالة لذة التعذيب التى ظهرت فى السنوات الأخيرة .. !

هذه الأفلام .. لن تعيش

ولكنى أعتقد .. أن أفلام الرعب ، والتهافت على انتاجها ما هو إلا الوجه البشع من التجارة بالفن .

فالفن الحقيقى .. لا يتاجر بالغرائز .

والفن الحقيقى .. مع الانسان ضد كل الصعاب والمعاناة التى يواجهها .

ولهذا .. لن تعيش طويلا موجة أفلام الرعب ، وستلاقى نفس مصير أفلام الكوارث .. ولن ينكرها تاريخ السينما إلا كمجرد بثور على الوجه المضيء للفن السابع . !

«رءوف توفيق»

المسابقة

حل مسابقة :
من . أين . ما ؟
العدد « ٥٩ »

من : سلمان الفارسي .
أين : الحبشة .
ما : القومية .



١ ـ فارس .
٢ ـ البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود .
٣ ـ كمال اتاتورك .
٤ ـ المشمش واللوز والبرقوق . من العائلة الوردية .
٥ ـ في ارض منأى للكريم عن الاذى
وفيها لمن خاف القلا متعــــزل
قائله الشنفري .. في لامية العرب .
٦ ـ امريكي .
٧ ـ المنذر بن ساوى .
٨ ـ ١٩٠ .
٩ ـ غورو .
١٠ ـ لا ليست صحيحة علمياً .
لان الابنوس شجر ينمو في الغابات الاستوائية .

من . أين . ما ؟

● من :
مهندس عربى عبقرى قبل الاسلام ، كوفىء مكافاة يضرب بها المثل . اسمه من خمسة احرف :
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ٤ بلدة اشتهرت بزراعة العدس .
٣ ـ ٥ صمغ عطرى كان مقدساً فى الوثنيات القديمة .
● أين :
بلدة بناها القائد الخالد سعد بن ابي وقاص ، اشتهرت بعلمائها فى النحو والفقه والخط إبان عظمة دولة الاسلام اسمها من ستة احرف :
١ ـ ٥ مما ينهى القران الكريم عن قوله للوالدين .
٣ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٦ ضعوه فى الافواه وامضغوا .
● ما :
ضريبة التقدم العلمى والتكنولوجى والانطلاق الصناعى المعاصر الذى لا تحده القيم الاخلاقية مما سوف يؤثر بالضرر على مستقبل البشر على سطح الارض عاجلا واجلا . اسمها من كلمتين فى عشرة احرف :
١ ـ ٣ ـ ٧ ـ ١٠ رجوع عن الذنب .
٥ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٨ ـ ٤ اسم للأسد .
٧ ـ ٥ ـ ٩ حرف هجاء .

الجواب الصحيح



١ ـ فتح المسلمون الاندلس فى سنة : ٧١١ ـ ٨١١ ـ ٩١١ بعد ميلاد المسيح عليه السلام .
٢ ـ رتب البلدان العربية الآتية من الشرق الى الغرب على التوالى :
نواكشوط ـ الدوحة ـ الخرطوم ـ السلوم ـ الحديدة .
٣ ـ مدحت المالكين فزدت قدراً
اكمل البيت وانسبه الى قائله وفيمن قاله ؟
٤ ـ الأسلحة التالية ، رشاشات ، وحوارق ، وشديدة الانفجار . صنف كل نوع على حدة :
البرن ـ الهاون ـ النابالم ـ الار بى جى الهاوتزر ـ الميلز ـ الاستن ـ العوزى ـ التيللر .
د ـ استشهد البطل احمد عبد العزيز فيما بين الفالوجة والمجدل ، فى شهر يونيو من سنة : ـ
١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ .
٦ ـ «ينمو شجر العلج فى غابات المناطق المعتدلة الشمالية» .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟
٧ ـ ازدهرت الديناصورات الضخمة خلال العصر الجيولوجى المسمى :
الأوردوفيس ـ الجوروى ـ الايوسين .
٨ ـ عنصران من العناصر التالية من مجموعة البلاتين :
النيكل ـ المنجنيز ـ الايريديوم ـ الكروم الأوزميوم .
٩ ـ أول من نظم البريد فى الاسلام هو :
عمر بن الخطاب ـ عمر بن عبد العزيز ـ هارون الرشيد .
١٠ ـ شهيد الثورة الفلسطينية خلال الانتداب البريطانى البطل عز الدين القسام كان بحكم مولده عربياً :
عراقيا ـ سورياً ـ مصرياً ـ تونسياً .

نتيجة مسابقة شهر نوفمبر ١٩٨٠ العدد « ٥٩ »

● فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة . القارىء سعيد فهمى عبد الخالق / جمهورية مصر العربية / المنوفية / شبين الكوم / ميت خاقان .
● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة . القارىء : احمد محمد غضبان / مخيم برج البراجنة / قرب الجامع / بيروت .
● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة . القارىء : روزى ادريس / م.و.ص.ش ص.ب ٦٣١ / مراكش / المغرب .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ يحيى محمد احمد المرتضى ـ صنعاء
٢ ـ بــراده نجـــاة ـ المغرب
٣ ـ مروان عدنان محمد الديرى ـ الاردن
٤ ـ احمد قدرى الريـــدى ـ السعودية
٥ ـ حمدان آدم محمد الحسن ـ السودان
٦ ـ الهـــادى خلفـــه ـ تونس
٧ ـ امانى زهدى ابو عفيفة ـ الدوحة
٨ ـ هـــزار ديـــرى ـ سوريـا
٩ ـ الحسين بن الطاهر مهنى ـ تونس
١٠ ـ يوســف الشبعان ـ البحرين
١١ ـ هـــدى زهيـر ـ الكويت
١٢ ـ مصدق محمد سيد نصر ـ القاهرة

كلمــــات لها معـــنى !

● لا يكفى أن يظل اسم الشهيد لامعاً ، وإنما لابد أن يظل نظيفاً .

«شسترفيلد»

● شيئان من أصعب أهداف الحياة تحقيقاً : ذيوع الصيت ، والاحتفاظ به .

«روبرت شومان»

● الصيت هو ما يعرفه الناس عنا ، أما الخلق فما يعرف الله

«توماس بين»

● النملة مواطن مثالى ، لأنها تضع مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد .

«كارنس داى»

● من الحلاوة ما هو أمر من العلقم ، ومن العلقم ما هو أشهى من الشهد .

«ويات»

● النظام الشمسى لا يهمه حديث الناس عنه ولا يناله .

«امرسون»

● كثيراً ما تنتهى جهود الكاهن بالحرب وكثيراً ما تنتهى جهود الجندى بالسلام .

«بليك»

عبد الرؤوف علي حسن علي
السودان

الأحمــــق .. وحمــــاره



كان عند احمق حمار احمق مثله ، وكان عندما يصفر له صفيراً خفيفاً يمشى ء ببطء وكان عندما يصفر له عالياً ينهب الأرض نهباً وعندما يصفق له يقف فوراً .

وفى ذات يوم كان الاحمق مع حماره راكباً ومقبلا على هوة عظيمة أفذهل الأحمق فرأى الهوة امام عينيه وما بينها وبينه إلا خطوات معدودة فما كان منه إلا ان صفر صفيراً عالياً . ترى ماذا حدث ؟

عبد الله سالم مسيبلى
جدة ــ السعودية

هــــؤلاء .. قـــــالوا

● يجب على كل واحد ان يؤمن بانه موهوب فى شىء ما وهذا الشىء يجب الوصول اليه مهما كلفنا .

«مارى كورى»

● من المجتمع نتعلم كيف نعيش ومن الوحدة نتعلم كيف نموت .

«بايرون»

● إن طموحى الاعظم هو ان اتحدى المستحيل .

«ميكل سن»

● اعتبر بمن مضى قبلك ولا تكن عبداً لمن سياتى بعدك .

«أرسطو»

● اضر الأشياء بالانسان رضاه عن نفسه .

«سقراط»

● جميل ان يموت الانسان لأجل وطنه واجمل منه ان يعيش لأجله .

«كريل»

امهناوى محمد
قسطنطينة ــ الجزائر

حقـــائــــق من نــــــور الايمــــــان



● القلوب :

«القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق اظهرت زيادة أنوارها على الجوارح ، وإذا امتلأت بالباطل اظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح»

● فى الاخلاص :

قال تعالى «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»

وقال تعالى «الا لله الدين الخالص» صدق الله العظيم .

وقال الرسول (ص) لمعاذ بن جبل : «اخلص دينك يكفيك القليل من العمل» صدق رسول الله .

وقال الفضيل بن عياض : «ترك العمل من أجل الناس رياء . والعمل من اجل الناس شرك . والاخلاص أن يعافيك الله منهما» .

وقال ابو عثمان النيسابورى : «الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر للخالق» .

وعندما سئل الجنيد عن الصدق والاخلاص قال «الصدق والاخلاص بينهما فرق : الصدق اصل .. والاخلاص فرع .. الصدق اصل كل شىء .. والاخلاص لا يكون إلا له بعد الدخول فى الاعمال . والاعمال لا تكون مقبولة إلا بهما» .

● ثلاثة من كن فيه كن عليه :

البغى : قال تعالى «يا أيها النس إنما بغيكم على انفسكم» .

المكر : قال تعالى «ولا يحيق المكر السيىء إلا باهله» .

النكث : قال تعالى «فمن نكث فانما ينكث على نفسه» .

اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى
ج . م . ع

حاول أن تعرف • • •





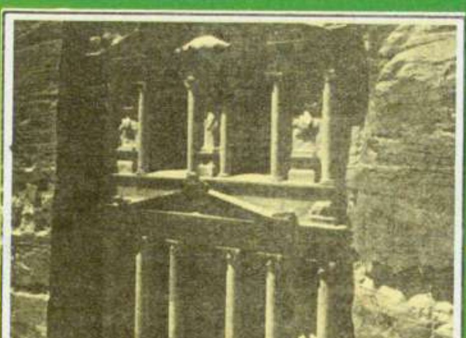
● تمثال مقام فى عاصمة إحدى الدول العربية ، يرمز الى نضال شعب هذه الدولة من اجل استقلالها وحريتها التى نالتها بعد احتلال من عدة دول أوربية . ما اسم هذه الدولة وما هى عاصمتها ؟ ومتى أعلن استقلالها رسمياً ؟

● إحدى جزر البحر الكاريبى ـ يشتهر خليجها بصناعة السفن منذ اكثر من قرنين من الزمان .
ما اسم هذه الجزيرة أو ما اسم مجموعة الجزر التى تنتمى لها هذه الجزيرة ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد «٥٩»

● الصورة الأولى :
البتراء وتقع فى الأردن .

● الصورة الثانية :
بني برج إيفل عام ١٨٨٩ . واسم





المهندس الكسندر جوستاف ايفل .

١ ـ اكرو محمد ـ المغرب .
٢ ـ عبد الرزاق مجبل مظلوم ـ العراق .

١ ـ الراجى احمد ـ المغرب .
٢ ـ جابر محمد علي ـ مصر .

مواقف شعرية

وقف سائل على باب أحد البخلاء وقال له أعطنى شيئاً فقال له ما عندى شيء فقال له السائل هل من طعام ؟ فقال له لا . قال هل من تمر ؟ قال لا .. قال له هل من لبن ؟ قال له لا .. قال هل من زيت ؟ قال له قد سبق أن قلت لك ما عندى شيء وكان يوماً حاراً واشتد بالسائل العطش فقال له اسقنى . فقال ما عندى ماء .. فارتجل السائل هذه الأبيات .

والله والله مرتين
لحفر بئر بابرتين
وكنس أرض الحجاز طرا
فى يوم ريح بريشتين
ونقل بحرين زاخرين
على الأكتاف بمنخلين
ولا وقوف على لئيم
يضيع منه حياء عين

أيمن عبد العظيم الموافى
ج . م . ع

اعتـــراض مفحم

استرسل الدكتور ماك الهانون فى الحديث فيما كان يلقى إحدى محاضراته فى التاريخ ، فى جامعة بيلور فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وجعل يركز على موضوع العقوبات التى استوجبتها سرقة الدجاج فى العهود الأولى من تاريخ بلاده .

قال العالم المحاضر : كانت سرقة الدجاج جريمة كبرى تستوجب قطع يد السارق ، حتى اذا اقترف مثل هذه الجريمة مرة ثانية قطعت يده الأخرى . أما إذا اقدم على سرقة الدجاج مرة ثالثة كان جزاؤه الاعدام .

فرفع أحد الطلاب المستمعين يده واستأذن بالسؤال :

لا غرابة فى اقتراف هذه الجريمة مرة أو مرتين .. أما أن يقدم أحدهم على سرقة الدجاج للمرة الثالثة فهذا ما لا أفهمه ؟! إذ كيف يستطيع الانسان أن يمسك دجاجة وكلتا يديه مقطوعتان ؟!

محمد نعيم الجابى
دمشق ـ سورية

لقطة الشهر



رقصة من الفن الشعبى الافريقى .
فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء : محى الدين حسن محمد ـ سوريا .

كاريكاتيـــر وتعليـــق
العـــدد «٥٩»



ـ المريض للطبيب : خلصنى من هالعلة اللي وراك يا دكتور .
فطمة المنير ـ سوريا
ـ الطبيب للزوجة : إن زوجك يبكى لانه علم أنه شفى وأنه سيذهب الى البيت اليوم .
يوسف محمد مرسى خليل ـ الأردن

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

الورقة الأخيرة

الدكتور: محمد عماره

دين الله واحد

الذين يلبسون مسوح العلماء

فى كتاب (صلة القرآن باليهودية والمسيحية) للدكتور فلهلم رودلف صفحات يدرجها المؤلف ـ بزعمه ـ تحت ما يسمى بـ «مقارنة الأديان»، وفيها يقدم حديثاً يصل إلى حد من التعصب والجهل يثير الاشمئزاز ، بل والغثيان ؟! ..

فهذا المؤلف ، الذى يلبس مسوح «العلماء» يوهم قارئه أن القرآن قد «نقل» عن اليهودية والمسيحية ، وانه لم يفعل ، فى كثير من الأحيان ، سوى عملية «النقل» هذه .. حتى ليسود المؤلف بعضاً من صفحات كتابه «بجداول» يقارن فيها آيات القرآن الكريم «بأصولها» فى (العهد القديم) و (العهد الجديد) ؟! ..

والأمر الذى غفل عنه هذا المؤلف ـ أو تغافل ـ هو وأضرابه ـ أن دين الله واحد ، لم تتبدل أصوله منذ أن بدأ الوحى من الله لآدم وحتى محمد ، خاتم الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ● فالألوهية ● والعمل الصالح ● والبعث والجزاء ..هى أصول هذا الدين الالهى الواحد ، عند كل الرسل ، وفى كل الأمم التى شرفت بالرسالات .. أما «الشرائع» فانها قد تعددت بتعدد الأمم والرسالات ، ففيها التجدد والتجديد ، والاختصاص والتمايز ، وليس فى الدين وأصوله وعقائده ! .

بل إن وجوه الشبه لم تختف من هذه «الشرائع» أيضاً .. ذلك أن من هذه الشرائع ما يظل مجاريا لأطوار لاحقة ، فلا يلحقه النسخ والتجاوز ... وإذا كانت شريعتنا الاسلامية قد أقرت أعرافاً جاهلية صالحة وعقوبات جاهلية على جرائم كان قد تعارف عليها العرب قبل الاسلام ، أفلا يكون أكثر منطقية أن تقر هذه الشريعة وتتبنى بعضاً من مواريث الأمم السابقة على أمة محمد فى التشريع ؟! .. لقد قال علماء الأصول المسلمون : إن شرع من قبلنا هو شرع لنا ، مالم يثبت فيه النسخ ... وكان هذا الموقف تجسيداً وتعبيراً عن وحدة الدين ، واستمرارية المسيرة الانسانية على طريق الاقتراب من تطبيق تعاليم الله ومثله العليا التى ضربها للناس ! ..

وفى قضية وحدة الدين الالهى ، أزلا وأبدا ، يصل وضوح الموقف القرآنى إلى الحد الذى يجعلنا نشك فى سلامة نوايا الذين يرمونه «بالنقل» عن التوراة والانجيل .. «فالنقلة والسارقون» لا يعلنون ... لكن الذى يفعله القرآن هو تعليم للانسانية : أن الدين واحد .. بما يترتب على هذه الحقيقة من إخاء دينى ، لا يفهمه المتعصبون ، الذين تمتلىء أفئدتهم بالروح الصليبية ، رغم تزييهم بأزياء «العلماء» ؟!

فكما قال عيسى فى بشارته : «لا تظنوا أنى جئتكم لأنقض الناموس ... بل لأكمل» .. قال عنه القرآن إنه قد قال لقومه : اننى قد جئتكم (مصدقاً لما بين يدى من التوراة) .. أما عن محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فان الله ، سبحانه ، يعلمنا أنه قد بعثه مصدقاً لما تقدمه من ذات الدين ، فيقول : (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) .. وبالقرآن يتحدث النبى ـ باسم الله ـ إلى بنى اسرائيل قائلا : (وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم) .. وفى آية أخرى يقول الله سبحانه : (ولما جاءهم رسول الله من عند الله مصدقاً لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) ـ ثم يتحدث الله ، سبحانه ، عن قرآنه الكريم على أنه (كتاب من عند الله مصدق لما معهم) وأنه قد نزل (باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) .. الخ ... الخ ..

فوحدة الدين الالهى حقيقة يعيها الذين يصدقون بالرسل والرسالات جميعا .. أما الذين لا يعون هذه الحقيقة ، أو يحركهم العداء فانهم هم الذين يتحدثون ـ فى الديانات ـ عن «السرقات» و «النقول» تحت ستار مقارنة الأديان ! .

الدكتور محمد عمارة


PEPSI
مشروب الجيل الصاعد
بيبسى



فروسية

للفنان القطري محمد الجيدة

السنة السادسة العدد ٦٢ - ربيع الثاني ١٤٠١ هـ - فبراير ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية
  د. أحمد كمال أبو المجد

- قصة حياة أكبر فنان ضاحك في أوروبا.. بقلمه

الدوحة تفتح باب الحوار حول قضية تبسيط اللغة العربية



البخيلة



مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي


MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

العدد ٦٢ فبراير ١٩٨١

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
الاردن ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
السودان ٢٠٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين اميركيين

الاشتراكات :
للافراد :
داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية
والمؤسسات والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام بدولة قطر

الدوحة

رئيس التحرير
رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر   عبد الله جابر
نادية رزق   ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير
نبيل خالد الآغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفنى
محمد نبيل الحداد   نائلة فتحى

سكرتير التحرير الفنيان
احمد عبد الله   على دياب

الغلاف الأول :
لوحة شعبية
للفنان على دسوقى

الغلاف الأخير :
لوحة شعبية
للفنان القطرى
يوسف احمد

فبراير ٨١

العدد ٦٢

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

إسلاميات

دراسات وقضايا



طبعت بمطابع على بن على
Ali Bin Ali Printing Press - Doha

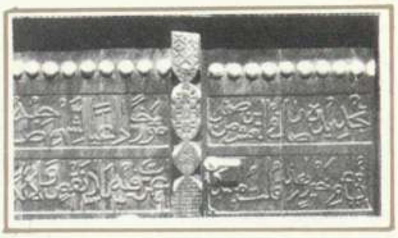
كلمة

عندما يصدر هذا العدد من الدوحة يكون مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى مكة المكرمة والطائف قد انهى اعماله والمهم فى مثل هذا المؤتمر الكبير أن يكون المسلمون قد اكتشفوا فى هذه المرحلة الدقيقةمن تاريخهم أن الحل الوحيد أمامهم هو وحدة الكلمة ، والتاريخ الواضح الدقيق للعمل من أجل علاج المشاكل الكثيرة التى يتعرض لها المسلمون . فبعض المسلمين يعانون من الفقر والجوع حتى الموت . وبعض المسلمين يعانون من الاحتلال والغزو . وبعض المسلمين يعانون من القهر فى شئون عقيدتهم ودينهم حيث يسيطر على أمور البلاد التى يعيشون فيها من يؤمنون بدين غير الاسلام ، ولا يريد هؤلاء للاسلام أن ينهض أو تنهض شعوبه ، وكل هذه المشاكل لا تحلها إلا العودة لمبادىء الاسلام الصحيح والاستجابة لما نادى به القرآن الكريم حين قال «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» ...

ولقد كانت قمة مكة خطوة كبيرة على الطريق .

الدوحة

شئون الخليج والجزيرة



أدب وأدباء

شعر

أبواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبيــة والروحية بين «الدوحة» واصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية
١٢٠ ريالا

أفكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت • سمعت • قرأت
٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طب وعلوم

فنون

استطلاعات

كتاب الشهر

رسائل إلى المحرر

تعليق على مقالين



أمتع لحظة قضيتها فى قراءة مقال - وبلا مبالغة - هى اللحظة التى عشتها مع مقال العالم الكبير الدكتور يوسف القرضاوى - المنشور بالدوحة الغراء - عدد ديسمبر .. (القرن الهجرى الجديد بين آلام الأمس وآمال الغد ..)

حقيقة - والحق أحق أن يقال - لهو مقال رائع وجميل .. ولن أعلق إلا على الجزء الأخير منه .. وهى نظرة الكاتب المتفائلة نحو أمتنا .. وأنا أتفق مع سيادته تمام الاتفاق فى أن أمتنا تملك من وسائل التفوق وأسباب الريادة ما يجعل منها القوة العالمية الثالثة .. فأمتنا تمتلك فعلا الثروة البشرية ، والقوة المادية ، والقوة الروحية المتمثلة فى كتاب الله الخالد وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى أعظم قوة .. فقط لو تمسكنا بكتاب الله وسنة نبيه ..

إن وجهة نظر د. القرضاوى تبين للمتشككين فى قوة أمتنا أن الأمة الاسلامية بخير واننى أرى أن باستطاعتنا أن نكون فى قوة أسلافنا الذين كانوا سادة العالم بوحدتهم وبعلمهم،فقط لو اعتصمنا بحبل الله جميعاً ولم نتفرق ..

وكان مقال الأستاذ / درويش مصطفى الفار فى بابه - أضغاث أحلام - المنشور بنفس العدد بعنوان - الهجرة وحركة الزمان - مقالا رائعا وهو من المقالات العلمية الأدبية . وفيه استخدم الكاتب قدرته الكبيرة فى اخراجه بهذه الصورة الجميلة .. ودعا فيه العالم الاسلامى والعربى الى نبذ الكراهية والمهاجرة من واقعنا المرير المحزن الى الوحدة الشريفة

● نور على أحمد

● قفط - ج.م.ع

مأساة شاعر



بعد غياب طال خمسة شهور عاد رجاء النقاش لاستكمال المقال الثانى عن الشاعر أحمد العاصى ومأساته فى العدد (٦١) الصادر فى يناير الماضى .. وكم كان موفقاً فى عرضه لمأساة هذا الشاعر وظروف حياته التى تماثل أحوال كثير من الشعراء الشباب «الموهوبين والمغمورين فى آن واحد» والذين يجترون أحزانهم من جراء تجاهل :

- كبار الأدباء والشعراء - جمهور النقاد - أجهزة الاعلام «صحافة واذاعة مرئية ومسموعة» .

وخير شاهد على صدق ما أقول . هو خلو ساحة المجتمع العربى من المعارك الأدبية والفكرية . التى كان يقودها عمالقة الأدب والفكر - على صفحات الجرائد والمجلات وعن طريق الكتب «الدسمة» .. وفى الأغلب الأعم «داخل صالونات الأدب» . ولا يخفى على كل محب لتلك الفنون ما كان يحدث فى صالون «مى زيادة» و «دولت أبيض» فى القاهرة .

إن ما قاله الأستاذ رجاء النقاش عن الشاعر المنتحر . لهو دليل ادانة لكل من يملك نافذة لنشر انتاج هؤلاء البؤساء . دون أن يقدم مساعدته ، وينتشل بعضهم من بحر النسيان . ورحم الله الكاتب الساخر كامل الشناوى الذى خرج من تحت معطفه الكثير من الأدباء والشعراء .

وما قيل عن الشاعر أبى القاسم الوجه الآخر المتفائل للشعراء . يجعلنا نأمل أن يظهر المقال الثالث . فى موعده .. حتى نعيش لحظات صادقة فى ظل دوحتنا الغراء الظليلة .

● مصطفى كذلك

ميت غمر / دقهلية / ج.م.ع

تراثنا المسروق

الأعاصير الجافة الكثيرة التى مرت على أمتنا العربية فى الماضى والحاضر القريب ، جاءت من بعيد ، انها أعاصير غبراء كانت ثقيلة الدم والفكر لا تفهم فى لغة الضاد شيئاً ، أعاصير سوداء متفحمة خلقة غيرت مناخ هذه الأمة ، فجعلت شهيقها حسرة مرة ، وترياقها سموماً لاذعة كل ذلك على ما أخذته أعاصير الاستعمار من حضارتها ، والباقى قد طمس من قبلهم . هذه الأمة التى أنارت العالم المظلم وقتذاك ، بقيت خاوية تحس بمرارة الألم

ونحس نحن بمرارة الألم عندما نرى فى متاحف أوربا والعالم مخطوطاتنا التى سرقها الاستعمار ، والمرارة أكبر عندما نذهب الى أوربا من أجل نيل شهادة دراسية فى مواضيع تلك المخطوطات .

يجب على كل عربى يريد أن يحافظ على عروبة هذه الأمة يجب عليه أن يطالب بتلك الآثار

● عبد الكريم حسين مهدى

● جامعة بغداد - العراق

انتاج القراء وعرض الكتب

أبعث اليكم باقتراحين أرجو أن تتكرم المجلة العزيزة بتنفيذ أحدهما على صفحاتها :

● تخصيص باب معين لعرض انتاج قراء المجلة من الاعمال الأدبية «شعر ، قصة» واعطاء هذه الاعمال حقها من الشرح والدراسة والتقييم فان هذا الاقتراح لو تم تنفيذه سيكون نبراسا وهاجا ومنفذا تخرج منه أعمال الشباب الى النور .

● تخصيص باب آخر لعرض كتاب قيم فى كل عدد من أعدادها على أن يكون هذا الكتاب من الكتب العالمية المعروفة والتى تركت أثرا كبيرا فى النفوس وأن يكون الاختيار للكتاب فى شتى المجالات «الأدبية ، والفلسفية والدينية،وفى علم النفس،وفى العلوم الأخرى» .

● محمد محمود عبد الغنى

● القناطر الخيرية ج.م.ع

● ●

- نوافق على الاقتراح ونرجو أن نحققه قريباً .

قرأت
اختراع بالصدفة



يحكى أن قطة كانت تطارد فأراً فى احدى الليالى الجميلة من عام (١٨٩٠) . ولم يكن مضمار السباق سوى طاولة بمختبر الكيميائى الألمانى «ادولف سبيتيلر» ، وفجأة انقلبت احدى القوارير التى كانت تحتوى مادة «الفورمالديهايد» ، المستخرجة من الفحم ، وانزلقت على قطعة الجبن الموضوعة فى مصيدة الفئران .

وفى صبيحة اليوم التالى عقدت الدهشة لسان الكيميائى المذكور ، عندما حاول تنظيف منضدة المختبر من آثار مادة «الفورمالديهايد» التى انسكبت عليها فى الليلة الماضية ، لأنه وجد أن قطعة الجبنة قد أصبحت صلبة كالحجر ، الأمر الذى شجع الكيميائى المذكور على اضافة الحليب على هذه المادة وتم بذلك اكتشاف أول مادة مصنوعة من اللدائن البلاستيكية ، وهى مادة «الكاسيين» .

بهجت درسون رحو

نينوى - العراق

البنو عامر .. ليسوا كلهم من البجا

بالاشارة الى الاستطلاع المنشور فى العدد ٥٩ نوفمبر ٨٠ عن منطقة شرق السودان أرجو أن تسمحوا لي بتوضيح الحقائق الآتية خدمة للأمانة الصحفية : ـ

أولا : هناك قبائل رئيسية لها وزنها ونفوذها فى المنطقة مثل :

١ ـ قبيلة الأشراف ـ سكان خور بركة ـ والجزء المكمل للارتيقة ـ وهم أهل دين وصلاح وتقوى .

٢ ـ العتمن : وهم أيضاً الجزء الذى لا يتجزأ من الأمأر ومشهورون بالكرم والشجاعة والجود .

٣ ـ البشاريون : سكان شمال مدينة بورتسودان .

٤ ـ العبابدة .

٥ ـ النابتاب .

ثانياً : ان البنى عامر ليسوا كلهم من البجا باستثناء الذين يتكلمون باللهجة البجاوية ـ التى هى وحدة واحدة لا تتجزأ .

● مختار أونور عيسى
● بورتسودان ـ السودان

معجم لغوى حديث

أريد معجماً لغوياً حديثاً يساير تطور اللغات والعصور . وفى البداية أسأل سؤالا واحداً ...

هل المعاجم اللغوية العربية الموجودة الآن تحقق الغرض الذى ينشده اللغويون المحدثون ؟ .. وما العلاج ؟؟

فمنهج المعجم : يدور حول الكلمة اللغوية إيضاحاً وشرحاً ليجلو منها ما يسمى بالمعنى العجمى ـ فالكلمات هى مادة المعجم يدور حولها نشاطه شرحاً وتحليلا تاريخياً أو وصفياً ـ هذا ما نراه فى معاجمنا ـ فلقد توقف البحث والتنقيب فى لغتنا ولم ندرك نحن مهمتنا فى [illegible] ما صنف الأقدمون رحمهم الله وما عنوا بجمعه من مفردات اللغة جمعاً وتصنيفاً وتبويباً على نحو ما أدرك غيرنا دورهم نحو لغاتهم فصنفوا واضافوا لمعاجمهم بل اننا نجد لكل عصر عند الغربيين معجماً يهتم بكلماته ولهجته وكيفية نطق كلماته .

والعلاج الذى أراه ، هو عمل معجم لغوى جديد يخدم لغتنا العربية بما يساير تطور العصر مزود بأشياء ، منها تعليم الهجاء الصحيح للكلمة ، وتعليم طريقة نطقها صوتياً وأن يعطى مدخلا من حيث صيغها صرفياً . بل أضيف وأقول يجب علينا أيضاً بعد الخطوة السابقة أن نفرد معجماً لكل عصر من العصور المختلفة السالفة يهتم بمفردات هذا العصر .

● جمال عز الدين محمد
● قنا ـ ج.م.ع

هدايا مع المجلة

أحمل شكرى وشكر شباب الدوحة الجديدة على ما تبذلونه من جهد مخلص فى مجلة الدوحة .

وحبذا لو يصدر معها صورة لبعض الشخصيات التاريخية العربية ، أو أخذ المناظر الطبيعية الجميلة من بلادنا ، لتوزع كهدية مع المجلة .

● أحمد صالح فارس
● الدوحة ـ قطر

دور الأزهر

قرأت مقال الدكتور محمد البهى عن «دور الأزهر فى تكوين الكتلة الثالثة» وأعجبت به أيما اعجاب ، ولقد زاد حصيلتى عن هؤلاء الماديين الذين تدثروا ثوب الاسلام فى أمة الاسلام ليكيدوا لها ، ولينشروا سموم الغرب الفاسد فى المجتمع الاسلامى الصافى .

ولقد تعرض لهم الأستاذ محمد قطب فى كتابه القيم «الانسان بين المادية والاسلام» مفنداً آراء فلاسفتهم الكبار من أمثال دارون وفرويد والذين يقولون بالجبرية الاقتصادية ، وتفسيرهم للسلوك الانسانى على باعث الجنس .

ولكن وددت أن يتطرق الدكتور لواقع الأزهر اليوم . والى كيفية ترميم التصدع الذى أصابه حتى يعود كعبة يحج اليها أبناء هذه الأمة لينهلوا من معين الاسلام الذى لا ينضب من المثل والأخلاق والقيم المستمدة من هذا الدستور الالهى .

● الطيب قسم الله علي
● المدينة المنورة

حول الأفغانى

أثناء استمتاعى بقراءة مذكرات عايدة الشريف عن «محمود شاكر» فى العدد رقم ٦٠ هالنى ما قرأته فى آخر المقال عن جمال الدين الأفغانى .

ولقد ذعرت لذلك وأسفت ، فهل ذهب كل ما عرفناه وقرأناه عن جمال الدين الأفغانى سواء فى المدارس أو الكتب أدراج الرياح ؟

لقد كنت أفضل أن يكون تناول ذلك أكثر تفصيلا لأن هذا الاختصار ألقى فى نفسى ظلا من الشك والريبة حول ما استقر فى نفسى ونفوس الكثيرين عن جمال الدين الأفغانى .

● حسن عبد العظيم
● الفيوم ـ مصر

سمعت

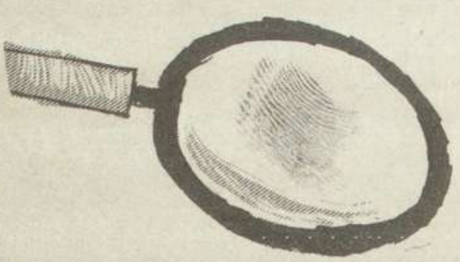
بصمات الأصابع

نعلم أن أنواع البصمات أربعة فاحتمال تطابق بصمة مع أخرى فى النوع هى بنسبة ١ الى ٤ وشكل كل نوع من البصمات لا يقل عن ٤ فاحتمال تطابق البصمتين فى الشكل يكون بنسبة ١ الى ٤ .

وأشكال اتجاه الخطوط الرئيسية لا تقل عن ٤ وأشكال تكون الزوايا عددها ٢٠ وعدد الخطوط بين نقطة الزاوية ونقطة الوسط تكون بنسبة ١ الى ٣٦ وأشكال مميزات الخطوط ٦ بالاضافة الى انه يلزم وجود «١٢» أو «١٦» مميزة منها على الأقل فى كل من البصمتين .

وأشكال العلامات الخاصة لا تقل عن «١٠» وزد على ذلك تطابق أحد الأصابع العشرة ووجود أحد اليدين لرجل وامرأة .

وبناء على هذا يكون احتمال تطابق اصبعين لشخصين مختلفين هو ١ الى ٤ فى ٤ فى ٤ فى ٣٦ فى ١٢ قوة ٦ فى ١٠ فى ٢ فى ٢ أى : ١ الى ٦٠٠ر٥٠٥ر١٨٨ر٤٥ر٠٤٥ر٦٦ أى ما يقرب من احتمال واحد الى ٢٠ ألف مرة قدر عدد سكان الكرة الأرضية .



المهندس / محمد محب الدين
القصير ـ سوريا

د. أحمد كمال أبوالمجد

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

يشهد العالم الاسلامى منذ سنوات تياراً قوياً من الشعور الدينى . ومدا لا يخطئه الباحث الاجتماعى او السياسى فى التوجه نحو الاسلام والمناداة بضرورة الاخذ بمبادئه واحكامه واقامة أمور المجتمع كلها على أساس من شرائعه ونظمه . وقد بدأ هذا التيار هادئا متدرجاً فى نموه أول الأمر ، حتى وصفه البعض بانه مجرد رد فعل طبيعى لنكسة عام ١٩٦٧ ، حاول معه جيل الهزيمة أن يفر «نفسياً» الى أمجاد الماضى .. ولكن سرعة التيار لم تلبث أن تزايدت ، وبدأت مظاهره تصل الى سطح الحياة السياسية والاجتماعية .. كما أخذ أنصاره يتجمعون - على امتداد العالم الاسلامى كله - فى أحزاب وجمعيات ، أكثر أعضائها من الشباب المتحمس .. كما أخذت الحكومات تستجيب بدرجات متفاوتة لضغط هذا التيار .. حتى امتد الاحساس به والاهتمام بأمره خارج العالم الاسلامى ، فامتلأت الصحف والمجلات الاجنبية بدراسات عن هذا المد الاسلامى الجديد ، وعقدت فى الغرب والشرق عشرات الندوات واللقاءات تناقش الظاهرة الجديدة وتبحث فى أسبابها ودوافعها وتحاول رصد معالمها الرئيسية .. كما بدأ الساسة والحكام فى الدول الاسلامية وغير الاسلامية يعيدون حساباتهم على أساس تعاظم هذا التيار الاسلامى الجديد ..

ويستوقفنا فى الحوار الواسع الدائر حول هذا المد الاسلامى الجديد ، أن كثيراً من الباحثين ، وكثيراً من ممثلى هذا التيار نفسه . يتعاملون معه ومع ظواهره ومكوناته وروافده الفكرية والتنظيمية المختلفة كما لو كانت ظواهر جديدة على تاريخ الاسلام وحياة شعوبه .. مع أن المائة سنة الأخيرة من تاريخ العرب والمسلمين قد شهدت موكبا زاخراً من العلماء والزعماء والمصلحين الذين كانت قضيتهم الكبرى فى الحياة هى قضية «الاحياء الاسلامى» .. أو «التمدن الاسلامى» كما سموه .. وهى قضية نستطيع اليوم أن نلخصها فى عناصر ثلاثة :

● الاحساس بأن المسلمين توقفوا عن التقدم ، وركنوا الى الجمود .. وانكفأوا فكرياً ونفسياً على الماضى وحده .. وتراجعت أوضاعهم السياسية والاجتماعية .. الى أحوال من السوء والفساد أحدثت سخطاً عاماً لدى عامة المسلمين وزعماء الاصلاح منهم بوجه خاص .

● ملاحظة ما أحرزته أمم أخرى من تقدم وحركة وسبق فى مجالات العلم والعمل .. وصناعة الحياة بكل جوانبها ، واحكام لفنون التنظيمات الادارية والسياسية .. وأن هذا التقدم أوجد فجوة واسعة بين «أحوال المسلمين» وأحوال غيرهم .. وقد نقل المعرفة بأوضاع الغرب ومدى تقدمه جيل من الرواد الذين اتصلوا بالحضارة الغربية قراءة واطلاعاً ، أو تجربة ومشاهدة .. من أمثال على مبارك ، ورفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسى ، ومالك بن نبى وكثيرون غيرهم ..

● التوجه الى «تدارك الحال» ، باحداث حركة تقدم اسلامى جديد ، تخرج به الشعوب المسلمة من تخلفها .. لتلحق بركب الشعوب الأخرى من حولها . وفى سبيل هذا التوجه ظهرت عشرات من المدارس والتيارات الفكرية ، متراوحة بين المحافظة الفكرية على «التراث» الاسلامى .. وبين الاندفاعة المحمومة الى التخلص منه ، والتعلق بكل ما هو «غربى» من أسس التفكير ومناهجه .. ومنتجات «الحضارة الغربية» وثمراتها .. ولا نبالغ اذا قررنا أن المائة سنة الأخيرة كانت فترة تفاعل هائل خصب بين هذه التيارات .. وأن الاطلاع الواسع والدقيق على الفيض الهائل من الفكر والتجربة الذى اشتملت عليه حركات «الاحياء» «والبعث» «والتمدن» .. شرط لابد منه لفهم «المد الاسلامى المعاصر» - ولاستشراف توجهاته الرئيسية ، وترشيد حركة القائمين على قيادته وريادته ..

التوفيق بين طرفى المعادلة

وليس من أهداف هذه الدراسة أن نضع أمام القارىء من جديد - معالم هذه التيارات .. وهموم روادها .. ومواضع الاتفاق والاختلاف بينهم .. وإنما نطرح هنا «تصوراً خاصاً لمجموعة الشروط التى نراها ضرورية لتحول «حركة الاحياء الاسلامى» المعاصرة الى «صحوة اسلامية حقيقية» ، قادرة على

تحقيق هدفها الأساسى وهو «تحقيق تقدم المسلمين» عبر صيغة متوازنة تنجو من محاذير «الخروج من الذات» «وفقدان الهوية» ـ كما تنجو من أسر «الانحصار فى التجربة التاريخية» ، والانعزال عن تيار الحياة الذى تتم وسط أمواجه التجربة المعاصرة» .

نعم .. إن الحديث عن «التوفيق» بين الأصالة والتجديد .. حديث معاد .. ولكن يظل صحيحاً .. ان المشكلة الحقيقية التى تواجه كل تجربة من تجارب «الاحياء» و «البعث» ـ ليست فى ابتكار أطراف جديدة لهذه المعادلة .. وإنما المشكلة الحقيقية فى التوفيق «الحقيقى» بين طرفى المعادلة توفيقاً يستند الى أمرين :

الأول : الرؤية الدقيقة للظروف الموضوعية «المعاصرة» التى تحيط بالتجربة ، والقدرة على استخدام «منهج» فعال فى توظيف تلك الظروف لخدمة قيم الحضارة «الاسلامية» ومبادئها ..

الثانى : التحديد الواضح لعناصر «الثبات» و «الحركة» فى «التصور الاسلامى للحياة» .. ذلك أن الاسلام يشتمل على عناصر تثبيت للمجتمع ، كما يشتمل على عناصر تطوير وحركة .. وما لم تحدد هذه العناصر تحديداً واضحاً ، فان تجربة الخروج من التخلف عن طريق صيغة تزاوج بين «الأصالة» والتجديد .. ستظل ـ الى غير نهاية ـ محكومة بصراعات مستمرة ، حول ما يقبل التطوير ، وما لا يقبله .. وما يلزم الابقاء عليه من مكونات «التراث» وما يمكن تجاوزه ..

ويحتاج تحديد الموقف من طرفى المعادلة الى دراسة مستفيضة متكاملة .. ولكنى أرجو ـ فى تواضع ـ أن أضع تحت نظر «الرواد» و «القادة» فى تيار «الاحياء الاسلامى» ملاحظتين أساسيتين تتعلقان بالظروف الموضوعية التى تتم فيها تجربتهم ..

الملاحظة الأولى :

ان تجربة «الصحوة الاسلامية» لا تتم بمعزل عن تجارب الآخرين ومصالحهم .. ومن هنا فليس لروادها من حرية الحركة، وفرص التجربة والخطأ .. ما يظنون .. اننى أشير فى ذلك الى ظاهرة خاصة وهى أن سنوات المد الدينى فى العالم وفى البلاد العربية والاسلامية هى ذات السنوات التى تعاظمت خلالها القوة الاقتصادية للعرب والمسلمين نتيجة تدفق النفط من أرضهم وزيادة مواردهم المالية المتجمعة من بيع هذا النفط لعالم يتوقف سير حضارته الصناعية وحياته اليومية على ما يصله من ذلك النفط وعلى الثمن الذى يدفعه له .



عبد الرحمن الكواكبى

إن من الضرورى أن يلاحظ رواد «الصحوة الاسلامية» حقيقة التداخل بين هاتين الظاهرتين فى تحريك اهتمام العالم كله «بالمد الاسلامى المعاصر» فلو كان هذا المد مجرد تيار فكرى يتعاظم تأثيره فى دولة فقيرة بعيدة عن بؤرة التأثير السياسى والاقتصادى لما حفلت به غير حفنة من المؤرخين والعلماء المتخصصين .. أما هذا الاهتمام العام فسببه أن الصحوة تقع فى بلاد مؤثرة على العالم ، وعلى الدول الكبرى ومصالحها .. وسببه ـ فوق ذلك ـ أن هذه الصحوة قد بدأت تأخذ أشكالا غير محافظة وغير تقليدية وأنها تعتنق فى تصورها الغالب للاسلام رؤية شمولية وحركية ذات محتوى اجتماعى وسياسى .. يمكن لآثارها أن تمتد الى خارج العالم الاسلامى لتؤثر فى العديد من الأوضاع السائدة خارج ذلك العالم ...

إن معنى هذا كله ـ من الناحية العملية ـ أن نمو تيار «الصحوة الاسلامية» لن يترك ليمارس حركته الحرة .. نمواً وانتشاراً .. وان للعديد من القوى العالمية مصالح أكيدة فى استدراجه الى مواجهة مبكرة تجهض حركته وتوقف نموه .. أو الى معارك داخلية تستغرق تلك الطاقة .. وتبدد الجهد .. وتنتهى به الى الاختفاء التدريجى كما حدث لموجات عديدة عبر التاريخ ..

الملاحظة الثانية :

أن القرن الذى يستقبله المسلمون ، وهم يستقبلون هذا المد الاسلامى الجديد يتميز بظاهرة بالغة التعقيد ، وهى ظاهرة التسارع الهائل فى معدلات التطور العلمى والتقنى .. ان الايام والسنين ليست كلها سواء كما يتصور كثير من دعاة الاصلاح .. والآثار الاجتماعية والنفسية التى تترتب على التطورات العلمية والصناعية حقيقة سوف تواجهها أجيال المسلمين مع أجيال البشرية كلها خلال القرن المقبل .. ومعنى هذا أن تكيف الأفراد والمجتمعات الاسلامية مع الظروف الجديدة التى تولدها تلك التطورات سيغدو عملية بالغة الصعوبة .. لا تفلح فى مواجهتها «القوالب اللفظية» التى اعتاد كثير من المصلحين أن يواجهوا بها مشاكل الواقع المعقد فيما يشبه الاعتقاد بأن «للألفاظ» و «الشعارات» قدرة ذاتية على التأثير فى الواقع وتغييره .. ان محاولة «عزل» المسلمين عن تيار الحياة العامة ، فى عملية تربوية شبيهة بما سلكه عبر التاريخ ـ كثير من الأنبياء والمرسلين .. لم تعد ممكنة ولن تكون ممكنة فى ظل انهيار الحواجز بين الناس والشعوب ، وبسبب قدرة الوسائل التقنية الحديثة والدائمة التطور على اقتحام النفوس والعقول من فوق أسوار الحماية والعزلة على اختلاف أنواعها .

إن هذه الملاحظة لابد أن توضع فى الحسبان عند مناقشة قضية القديم والجديد .. وقضية «الالتزام بالتراث» .. وكذلك بحث الحاجة الى اجتهاد جديد يواجه به المسلمون الأشكال الجديدة للعلاقات والأوضاع والظواهر .. ،

مستقبل المد الاسلامى

ونستطيع بعد هاتين الملاحظتين أن

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

نعرض مباشرة لشروط أربعة نعتقد أنها تحدد – الى مدى بعيد – مستقبل المد الاسلامى المعاصر وقدرته على أن يتحول الى «صحوة حقيقية» تغير واقع المسلمين ، وتضعهم حيث أراد لهم الله .. خلفاء له فى أرضه .. وقائمين بالعدل والقسط بين خلقه .. وشهداء – بسبب ذلك كله – على سائر الناس .

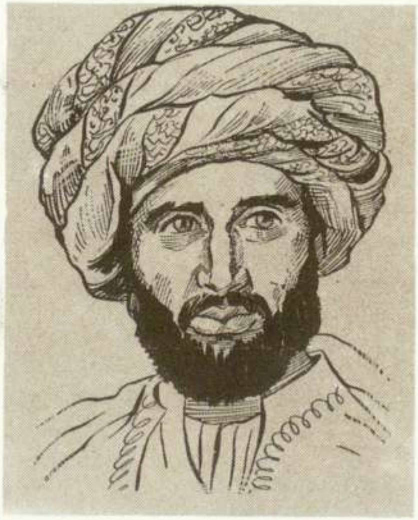
الشرط الأول :

رد اعتبار «العقل» ، ووضعه فى مكانه الصحيح من «التصور الاسلامى» واستخدامه فى ممارسة «الاجتهاد» توصلا الى حلول متجددة للمشاكل المتجددة ..

ونستطيع – دون دخول فى تفصيلات كثيرة يزخر بها تاريخ حضارة الاسلام أن نرصد مستويات أو ميادين ثلاثة طرحت بها قضية «العقل» فى تاريخ الاسلام ..

الميدان الأول : ميدان العقيدة .. وعلم الكلام .. حيث دار بين المعتزلة والأشاعرة خلاف طويل – لم تنقض آثاره – حول دور العقل فى معرفة «الحسن» «والقبح» فى الأشياء والأفعال، وهو خلاف برز فيه المعتزلة ، فرساناً لا يشق لهم غبار فى تقرير دور العقل ومكانته فى التصور الاسلامى كله .. وجدير بالجيل الجديد من أبناء الاسلام أن يجددوا رؤيتهم لهذا الفصل الرائع من فصول تاريخنا الاسلامى وأن ينفضوا عن عقولهم الغبار الكثيف الذى لف علاقة المعتزلة بغيرهم لأسباب سياسية وشخصية .. وأن يقفوا من الأمر كله وقفة الباحث المتمرد .. والمتجرد من الاحكام السابقة لنفر من القدامى والمحدثين .

الميدان الثانى : ميدان التشريع .. حيث ظهرت فى الفقه الاسلامى مدرستان متقابلتان ، عرفت أولاهما باسم مدرسة الحديث ، وعرفت الأخرى باسم مدرسة «الرأى» .. وكان الفارق بين المدرستين – عند التحقيق – فارقاً فى درجة الاعتماد على المصادر التى تنطوى على



رفاعة الطهطاوى

عنصر عقلى كالقياس والاستحسان والمصلحة .. وان بقيت المدرستان ملتزمتين «بالكتاب والسنة» دون تردد أو تفريط .

الميدان الثالث : ميدان التصور الاسلامى العام ..

إن المسلم المعاصر موزع – فى الحقيقة – بين تيارين ، تيار خائف على الاسلام من دعوات التجديد والتحديث والمعاصرة ، مشفق على مبادئه وتعاليمه وآدابه من أن تنحل عراها واحدة بعد الأخرى تحت دعاوى «استخدام العقل» .. «وتيار» يؤكد فى إلحاح أن ما تركه الأولون لا يكفى ، ولا يغنى فى مواجهة الكثير مما طرأ على أحوال المسلمين وغير المسلمين ..وأن المحافظة الحقيقية على الاسلام وعلى مصالح المسلمين لا يمكن أن تتم على وجهها الصحيح ، إلا اذا قدم الدعاة والفقهاء والمجتهدون حلولا حقيقية للمشاكل الحقيقية .. وأنه لا سبيل لشىء من ذلك إلا باستخدام «العقل» ، والاستفادة من ثمراته ... دون خوف ولا تردد .. وكاتب هذه السطور ، يذكر مع هذا الفريق ، بأن الله تعالى انما أنزل على رسله (صلوات الله عليهم) الكتاب «والحكمة» ، وأن المسلم مطالب باتباعهما جميعاً .. وأنه غير متصور أن تمتلىء آيات الكتاب وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى استعمال العقل .. واعتباره جوهر الانسان كله «ولب» وجوده وتسمية الذين يستعملونه لذلك بأنهم «أولو الألباب» ثم يقف بعض الدعاة منه موقف الخائف والمرتاب .. والله تعالى يقول : «إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» .. – اننا نسوق هذه الشواهد والأمثلة حتى ينقشع من تفكير الجيل الجديد من المسلمين وهم أن «الدين» مرادف «للنقل» وأن «الكتاب» منفصل عن «الكون» – وحتى يتأكد من جديد فى وعى المسلم المعاصر ولا وعيه على السواء .. ان القرآن كتاب ، وأن الكون كذلك كتاب . وأن النقل دليل ، والعقل كذلك دليل ..

إن جمال الدين الأفغانى – رحمه الله – قد حدد شروط النهضة أو ما سماه «نيل الأمم للسعادة» فى خاتمة رسالته «فى الرد على الدهريين» ، فذكر من بينها «التحرر من التقليد والتعلق بالدليل والاحتكام الى العقل» ..

إن قضية التحرر من التقليد والاحتكام الى العقل تفتح أمام مجتهدينا وأمام جيلنا كله قضية «التراث» ، والموقف من «السوابق» ..

وفى اعتقادنا أن الدعوة الى التجديد . والتطلع الى تحول المد الاسلامى الى صحوة سيظلان فى نطاق الأمانى والآمال البعيدة المنال ، مالم يصل مجتهدونا الى وضع «السوابق» فى إطارها الصحيح ، باعتبارها «جهداً» إنشائياً فى تطبيق مبادىء الاسلام ونصوصه على وقائع عصر ماض .. وأن الجيل الجديد من حقه أن يكون له جهده الخاص .

ومن واجبه أن يلتفت الى تغيير وقائع عصره هو لا عصور الماضين .. وان الوضع الصحيح «للسوابق» انها «حلول» ، ولكنها لا تدخل بالضرورة لمجرد أنها «قديمة» دائرة الالزام الدينى للأجيال اللاحقة ..

إن الدعوة الى تعطيل العقل . وتجميد أوضاع المجتمع عند نقطة يختارها بعض الدعاة ، هى نقطة «السوابق» التى يتمسكون بها .. قد ساندتها فى تاريخ الفكر الاسلامى رؤية «فاسدة» آن الأوان لرفضها والتحذير منها . وهى عقيدة «تراجع الزمان» .. «وازدياد الفساد» وفضل السابقين على اللاحقين ..

إن الأمر لم يقتصر – كما يقول – الامام محمد عبده على مبدأ «الجمود على

الموجود» وإنما أحيط هذا المبدأ الفاسد بجو قاتم من اليأس خلاصته أن «الزمان قد أقبل على آخره ، وأن الساعة أوشكت أن تقوم» ويرد عليهم الاستاذ الامام – الذى لازالت أنوار علمه الواسع محجوبة – هى الأخرى – بحجب كثيفة من ضيق بعض العقول ، وفساد بعض النفوس ، وشوائب اللدد فى الخصومة ، وشدة بأس المدافعين عن سلطانهم الذاتى فيما يتصوره «كنيسة لهم» داخل حوزة الاسلام .. يقول الامام محمد عبده فى الرد علّى هذا الموقف النفسى الفاسد .. «ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا أنه كاد ينقطع عند نهايته ، ان الذى مضى بيننا وبين مبدأ الاسلام ألف وثلاثمائة وعشرون عاماً وانما هى يوم وبعض يوم أو بعضيوم فقط من أيام الله تعالى . وان آيات الله فى الكون وإن كانت تدل على أن ما مضى على الخليقة يقدر بالدهور الدهارير تشهد بأن ما بقى لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ إن ما بيننا وبين مبدأ الاسلام لا يزيد عن عمر ستة وعشرين رجلا كل رجل يعيش خمسين سنة .. إن زمناً كهذا لا يكفى .. لاهتداء الناس كافة بهديه» ...

ويزاوج محمد عبده هو الآخر بين العقل والايمان قائلا «لن ينقضى العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العلم ويتعاونا معاً على تقديم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ويعرف حدود سلطته . إن نفض التراث ، ووزنه بميزان العقل والدليل مهمة جليلة تحتاج الى موضوعية كبيرة كما تحتاج الى شجاعة هائلة ، حتى تعلن أن النصوص التى تشتمل عليها كثير من الكتب الدينية «فيها الغــث وفيهــا السمين» وأن بينها ما هو غير صحيح ولا معقول ولا منطبق على الكتاب والسنة النبوية الصحيحة» وحتى نجرؤ على التصريح برأينا فى تلك النصوص الفقهية ، والجهد بذلك كله من دون جمجمة فى قول أو تقية من ذى صول» .

الشرط الثانى : تصحيح علاقــــة المسلمين «بالآخرين» ..

وقضية علاقة المسلمين بالآخرين قضية متعددة الجوانب ..



جمال الدين الأفغانى

أ – فهى تشمل علاقة المسلمين بغير المسلمين ، فى جانبها «الدولى» إن جاز هذا التعبير ، وما اذا كانت علاقة سلام أم علاقة حرب .

ب – كما تشمل موقف المسلمين من غير المسلمين ، من حيث جواز الأخذ بثمرات تجاربهم ونتائج اجتهادهم فى أمور الدنيا وعمارتها ..

• • •

أ – لقد قسم علماؤنا الدنيا كلها الى دار سلام ودار حرب .. وتصور البعض لذلك أن «القتال» هو الحالة السائدة بين المسلمين وغيرهم .. وأن القطيعة كاملة مطلقة بين المسلم وغير المسلم ، وأنه لا سبيل لغير المسلم الى اقتحام حدود «المسلمين» إلا بعقد .. هو عقد الذمة أو عقد الأمان المؤقت ..

وتلك كلها تقسيمات تحتاج الى مراجعة كبيرة .

ويبــدو أن فقهاءنا – رحمهم الله – حين صاغوا هذه التقسيمات قد صاغوها وفى خواطرهم أن الزمن لن يطول حتى ترتفع رايات الاسلام على الدنيا كلها . فتكون الأرض كلها دار اسلام .. وفى تصورنا أن العلاقة التى اشار اليها فقهاؤنا لا تزيد كثيراً عن علاقة «عدم الاعتراف السياسى» وأن تأشيرات الدخول الحديثة لا تبعد كثيراً عما سماه فقهاؤنا عقد الامان .. وأن ما عومل به غير المسلمين – فى بعض العهود – من معاملة حملت معها بعض معالم الانتقاص من الكرامة ، ومظاهر التصغير والتحقير ، انما كانت موقفاً سياسياً يحسب على أصحابه .. ولا يحسب على الاسلام .. وأن للانسان فى الاسلام حقوقاً وكرامة سابقة على تدينه وتميزه .. وأن مجتمع الاسلام لا يمكن ولا يجوز شرعاً – أن تضيع فيه هذه الحقوق .

ب – أما فى شأن الأخذ عن غير المسلمين ، والاستفادة بتجاربهم .. فقد آن الأوان لنبذ «الانغلاق» الذى يروج له كثيرون ، معتقدين أن الاستمداد ينبغى أن ينحصر في دائرة الاسلام التاريخى والجغرافى .. وما أحسن ما توجه اليه خير الدين التونسى وما سماه « تحذير ذوى الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم فى الاعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتعش فى عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السير والتراتيب ينبغى أن يهجر .. حتى أنهم يشددون الانكار على من يستحسن شيئاً منها» .

وما أدق قول المواق (المالكى) : ان ما نهينا عنه من أعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا ، أما ما فعلوه على وفق الندب .. أو الاباحة ، فانا لا نتركه لأجل تعاطيهم إياه ، لأن الشرع لم ينه عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله فيه «وقد لخص الفقيه الحنفى الأشهر ابن عابدين ذلك كله بقولة : ان صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا تضر .

ومعنى هذا أن الموقف اليوم تجاه ما يسمى فى مجموعة .. الآراء والمذاهب «المستوردة» ، يحتاج الى اعادة نظر شاملة .. تبرأ من الأوهام والمخاوف والتعميمات الفاسدة التى ولدت وتمت فى جو نفسي من العصاب والعقد والهلع من «الغير» .. وتستند بدلا من ذلك الى ثقة بالنفس وقدرة على الفرز الموضوعى والاختيار المعتمد على معايير من قيم الاسلام ومبادئه ورؤيته لمصالح الناس ..

ولا أريد أن أطيل فى هذا كله ، فالحق فيه واضح معروف ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم «الحكمة ضالة المؤمن» صحيح يتناقله الاقدمون والمحدثون ... ولا ندرى كما يقول خير الدين : «كيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو

حتى يكون المد الإسلامي الجديد صحوة حقيقية

مستحسن فى ذاته ، ويستسهل الامتناع عما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية واحتياط فى غير محله .

الشرط الثالث : مراعاة «الحرية» فى تربية الافراد ، وسياسة «المجموع» .

وبقدر ما غابت أهمية الحرية عن مفكرى الاسلام فى عهود ما قبل النهضة الاسلامية الحديثة .. وحلت محملها «فكرة الطاعة» محوراً أساسياً للعلاقات داخل الاسرة ، وفى علاقات المعلم بالمتعلم بقدر ما انتبه كثير من دعاة

الاصلاح المحدثين الى أن الحرية هى روح الدين .. وأنه بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين .. ولا نتردد لحظة من زمان فى الانضمام الى زمرة العلماء من أصحاب هذا الرأى منكرين على نفر من علمائنا غريب ما انتهوا إليه من آراء فى أمور السياسة زينت لكثير

من الدعاة أن يستبدوا بالرأى ..

.. ان هذه الروح المحافظة وصفها الكواكبى أحسن وصف وأدقه بأنها «المحافظة» على الحالة الجارية وان كانت سيئة هى المسئولة عن ضياع الحرية .. وضياع الحرية ، هو بدوره المسئول عن أكثر ما طرأ على المسلمين من فساد وانحطاط ..

ولا نعرف فى اللغة العربية وصفا دقيقاً لما يفعله الاستبداد وغياب الحرية بالفرد والجماعة ، كالذى يقدمه الكواكبى فى طبائع الاستبداد .. وحسبنا أن نقرأ قوله الاستبداد يقلب السير من الترقى الى الانحطاط ومن التقدم الى التأخر ،

ومن النماء الى الفناء ، ويلازم الأمة ملازمة تبلغ بها حطة العجماوات فلا يعود يهمها الا حفظ حياتها الحيوانية .. بل قد يبلغ فعل الاستبداد بالامة أن



علي مبارك

يحول ميلها الطبيعى من طلب الترقى الى طلب التسفل ، بحيث لو رفعت الى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور ، واذا ألزمت بالحرية تشقى» وحين نضع هذه الحقائق فى اطارها المعاصر .. فاننا نقول ان احساس أكثر «الحركات الاسلامية المعاصرة» بقيمة الحرية احساس ناقص .. ووعى كثير من الدعاة والمصلحين بعقم محاولات الاصلاح فى غياب حرية الفرد وعى محدود .. مع أن الحرية أساس التكليف ومناطه .. وشرط الامر بالمعروف وأساس القدرة على ممارسته .. كما أنها فى النهاية ضمان الرشد الوحيد عند بذل الاجتهاد الفردى والجماعى من جانب الحاكم والمحكوم على السواء ..

ان مشاكل المسلمين فى «مرحلة الصحوة» كثيرة ومعقدة .. وبغير الحرية ، قيمة ، ومبدأ .. فان احتمالات التعثر والانحراف تبقى هائلة ومخيفة

الشرط الرابع : الحرص على ترتيب الاولويات فىّ الدعوة الى الاسلام ... وفى تطبيق أحكامه ومبادئه ..

إن المشكلة – فى جوهرها – تتمثل فى اصرار الدعاة والمصلحين باسم الاسلام على أنه ما دام الله تعالى قد أكمل الدين واتم النعمة .. فان الالتزام بأحكام الاسلام .. لا يفرق فيه بين حكم وحكم ، ولا بين ميدان وميدان وأن مشاكل الزى والحجاب وسماع الموسيقى والغناء تستوى فى وجوب الاهتمام بها مع قضايا الشورى فى الحكم ، والعدل بين الرعية وفى توزيع الثروات ..

إن المعيار الوحيد الذى ترتب به أولويات الامور عند هذا الفريق معيار شكلى نصى خالص يدور أساساً حول درجة ثبوت النص .. وفات هؤلاء أن الأمر لا يمكن – عقلا ومنطقاً وبداهة – أن يكون كذلك .. فقد يثبت حكم فى مسألة فرعية أو ثانوية بدليل أقوى وأوضح من دليل يثبت به حكم آخر فى مسألة تتعلق بالاساسيات ..

ولا يمكن فى هذا المقام أن يعتد بقول قائل ان التدرج والترتيب غير جائزين بعد انقطاع الوحى .. وأن المتبع لا يجوز له الابتداع بالتمييز – فى الأهمية – بين الاحكام .. لا يقال مثل هذا ، ولا يعتد به لأن الأمر – كما نقول دائماً – ليس أمر تدرج فى التشريع ، وانما هو تدرج فى البيان واتباع للحكمة والموعظة الحسنة عند دعوة الناس الى الحق ..

إن ترتيب الاولويات على أساس موضوعى من التمييز بين الضرورات والحاجيات والتحسينات .. وترتيب المصالح .. وترتيب المفاسد .. والترجيح بين المصالح المقصودة .. والمفاسد التى يراد درؤها كل ذلك شرط من شروط فاعلية الدعوة والدعاة ، وجدوى التشريع والتنظيم .. ان هموم الدعاة لا يجوز أن تتحدد بعيداً عن هموم الناس واهتماماتهم .. والخلل فى ترتيب الاولويات حاجز للعقول والنفوس عن الاستجابة للدعاة كما أنه يقطع «مد الصحوة الاسلامية» عما يحيط به من واقع .. ومن انقطع عن الواقع تعثر وزل .. والله تعالى يقول : «يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » ..

وبعد ..

فهذه شروط أربعة .. بغيرها – فيما نرى – يتعثر المد الذى نعايشه للفكر وللاحياء الاسلامى .. ويتعذر عليه أن يخوض المعارك العديدة التى تنتظره مع الظروف المعقدة الجديدة ، ومع القوى العديدة التى تحرص على محاصرته وعزله ووضع العقبات المردية فى طريقه ..ولم يعد حسن نية الدعاة والمصلحين عذراً لهم عن أخطاء التكتيك ، وعن سوء الحساب ... والله تعالى يحب أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه .. ومن اتقانة اعداد العدة له على أكمل الوجوه .

د. أحمد كمال أبو المجد

د. محمد جابر الأنصاري

زاوية الرأي



مسئوليات تنتظر الصحافة الثقافية

عندما بدأت النهضة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر، كانت الصحافة الثقافية، والمجلات العلمية والأدبية، هى عمادها ووسيلة انتشارها قبل عصر الجرائد اليومية السيارة وقبل عصر الاذاعة والتلفزيون. وكانت أعمدة النهضة الأخرى من بعوث وجامعات وتصنيع وعمران تخلق الأفكار الجديدة التى تصب فى مجرى الصحافة الثقافية وتتخذ من المجلات الفكرية وسيلتها للظهور وللوصول الى أكبر قدر من الناس، فيتعمق بالتالى أثر النهضة ويتسع.

وأى تأريخ اليوم للنهضة الحديثة فى الوطن العربى لا يمكن أن يغفل التراث الحضارى القيم الذى أبدعته وخلفته مجلات مثل «الهلال» و «المقتطف» و «الجامعة» وغيرها من المجلات التى تركت بصماتها على صفحة النهضة المبكرة، وصولا الى عهد مجلة «الرسالة» التى صدرت بين ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ ومثلت مدرسة كاملة فى الأدب والقومية والاجتماع، والروح النقدية الرصينة، وخلفت جيلا من الأدباء والمفكرين ورجال الكلمة.

ولكن انشغال الوطن العربى بقضاياه السياسية المرحلية الملحة أدى الى تغليب جانب الصحافة السياسية الاخبارية اليومية التى تنقل أنباء التطورات ووجهات النظر، وتمثل وسيلة من وسائل الصراع السياسى بين مختلف الاتجاهات.

وانشغل الناس بمتابعة الصحف السياسية، وأخذت المجلات الأدبية والعلمية تتوقف واحدة بعد الأخرى، فاختفت مجلة «الثقافة» لأحمد أمين، ومجلة «الكاتب المصرى» لطه حسين؛ وجاء توقف مجلة «الرسالة» بقرار من صاحبها أحمد حسن الزيات عام ١٩٥٣ بمثابة المؤشر التاريخى على انتهاء عصر زاهر من عصور الثقافة العربية التى نذرت نفسها لخدمة النهضة العربية فوق كل الاعتبارات الأخرى من سياسية ومصلحية وغيرها.

وزاد الاهتمام بالصحافة السياسية المباشرة، وصارت الحقيقة العلمية والمعرفة بكل أنواعها فى خدمة موضوع الجريدة اليومية الذى يأتى فى الأغلب مقتضباً ومجزوءاً يخدم وجهة نظر الجريدة المعنية، أكثر مما يخدم التنوير الحضارى العام للأمة، مما أدى الى انتشار السطحية فى التفكير. ورغم ظهور مجلات ثقافية عربية جامعة كالآداب اللبنانية عام ١٩٥٣، وكالعربى الكويتية عام ١٩٥٨، إلا أن الاهتمام بالصحافة السياسية ظل هو الغالب فى العقود الأخيرة.

ولكن الأوضاع العربية الراهنة تشير الى أن الصحافة السياسية بدأت بدورها تتعرض للأفول، وتواجه أزمات غير يسيرة. فاليوم لا نجد جريدة سياسية عربية تستطيع دخول كل بلد عربى والوصول الى كل القراء العرب، كما كانت جريدة «الأهرام» مثلا قبل خمس عشرة سنة.



أحمد أمين



طه حسين



أحمد حسن الزيات

وأصبحت الصحافة السياسية، سواء ما صدر منها فى البلاد العربية أو ما هاجر الى الخارج، متقيدة ليست بقيودها المكانية الضيقة فحسب، بل باعتبارات كثيرة بحساسية الأوضاع العربية الدقيقة والصعبة، مما أدى الى تضييق مدى رسالتها وتأثيرها، رغم كثرتها وتزايد عددها، ورغم اهتمام بعض البلاد العربية بتطوير صحافتها ومدها بالدعم والمساندة.

ويبقى بالطبع، مع هذا، مجال ما للصحافة السياسية، ولكنى أرى على ضوء ما تقدم أن الصحافة الثقافية المتجردة، والبعيدة عن حساسية الأحداث، هى المرشحة اليوم للقيام بالدور الرائد الذى قامت به فى مطلع النهضة العربية، وذلك لعدة أسباب:

أولها، ان الأزمة المصيرية الشاملة التى يعانيها الوطن العربى تحتاج الى عودة فكرية عميقة للجذور وللحقائق الأساسية فى تكوين النهضات وتصحيح مسارها واستنهاض المجتمعات والأمم من كبواتها وعثارها، وهذا يحتاج الى معالجة، بل معالجات علمية وفلسفية هى من صميم اختصاص المجلات الثقافية، بما يتجاوز أية معالجة صحفية يومية أو أسبوعية عابرة. وهو دور يشبه دور «الموسوعيين» فى نهضة أوربا.

وثانيها، ان المجلة الثقافية، بتجردها والتزامها العلمى والموضوعى هى وحدها القادرة اليوم على الوصول الى أى بلد عربى ومخاطبة كل مواطن عربى، بلغة البحث والعلم والثقافة، وبصورة تمكنها من اجتياز حدود التفرقة لاعادة الوحدة الى العقل العربى تمهيداً لاعادة الوحدة المأمولة الى الجسم العربى كله.

إذا صحت هذه الرؤية، فان المجلات الثقافية ينتظرها دور كبير، بل رسالة حيوية، للمساهمة فى تصحيح مسار النهضة العربية، كما فعلت فى بداياتها قبل مئة سنة.

وهذا يجعل مسئولية القائمين بأمر المجلات الثقافية مسئولية فى غاية الأهمية ويتطلب منهم أرفع مستويات الكفاءة الفكرية، والالتزام الخلقى والحضارى الرصين والجاد، للاضطلاع بعبء هذه الرسالة التى تأتى فى مقدمة متطلبات الاحياء العربى المنتظر.

"الدوحـــة" تفتـح بـاب الحـوار

فلنبسّط

• يـا عــلماء اللغـــة العربيـــة قـولـوا رأيكـم في

تفتح «الدوحـــة» ابتداء من هذا العدد باب الحوار حول هذه القضية الحساسة وهى قضية اللغة العربية التى شغلت الباحثين والدارسين فى الجامعات والمجامع العلمية منذ أواخر القرن الماضى وسوف تنشر الدوحــــة كل ما يصلها من مناقشات وتعليقات حول قضية تبسيط اللغة العربية ، ونرجو أن تدور كل المناقشات بجرأة وحرية وصراحة حتى ننقذ لغتنا من المازق الذى تعانيه فى نحوها وصرفها وصلتها بالجيل الجديد الذى أوشك أن ينفصل عنها انفصالا نهائيا ..

ضعف العرب فى لغتهم العربية ظاهرة غريبة تسترعى الاهتمام ، وتستوجب المعالجة الجادة العميقة . والشكوى من هذا الضعف وأسبابه تشغل أذهان المخلصين من علماء اللغة ومن محبيها، وقد رافقت أجيالا منهم ومن تاريخ هذه الأمة ؛ ومن أجلها عقدت عشرات المؤتمـرات والنـدوات والاجتماعات ، وما تزال تعقد فى كل بلد عربى ، وفيها كتبت أكداس من الورق المحبر وعشرات من الكتب ، ومازال تكتب ؛ ولكن هذه كلها ظلت الى اليوم مجرد أبحاث وتوصيات لا تجد من يتابع تحقيقها .

وأسباب الضعف عديدة ، ولكننى أود أن أعالج ههنا واحداً منها ، هو صعوبة قواعد الصرف والنحو التى تقدم للطلاب فى مختلف الصفوف . هذه القواعد المدرسية لا تتوخى فيها السهولة ، ولا مقدرة الطالب ، ولا المواد العديدة المرهقة التى يدرسها ، ولا مدى ادراكه ، ولا قواعد التربية الحديثة . وفى حين نرى أن كتاب القواعد الانكليزية طوال مدة الدراسة كتاب صغير الحجم ، يقتصر على الأهم من القواعد الأجنبية، وبطريقة مبسطة جداً ، نجد أن لكل صف من الصفوف الاعدادية والثانوية وبعض الصفوف الابتدائية ، كتاباً خاصاً فى القواعد يختلف عن كتب الصفوف الأخرى ، والقواعد فيه كثيرة ومعقدة ومطولة ومرهقة . وحين يقارن الطالب بين سهولة ما يدرسه من قواعد اللغة الأجنبية وقلته ، وصعوبة ما يدرسه من قواعد اللغة العربية وكثرته، يجد نفسه أقدر على هضم القواعد الأجنبية منه على العربية . وهذا يولد لديه شعوراً بالعداء للغته العربية . ولهذا نجد أن عدد الطلبة الممتازين فى قواعد العربية قليل ومحدود جداً بين خريجى المدارس الثانوية عندنا ، وبين خريجى الجامعات كذلك . ونحن نعلم أن عدد الذين يستطيعون كتابة رسالة قصيرة بالعربية دون أخطاء لغوية وإملائية قليل جداً حتى بين خريجى الجامعات ، فكيف بالذين يستطيعون الحديث بالفصحى حديثاً سليماً ؟؟

ولننظر نظرة سريعة فى صعوبات قواعد الصرف ، وقواعد النحو ، على سبيل التمثل فقط لا الحصر ، لعلنا نتوصل بعد ذلك الى محاولة معالجة الداء واقتراح العلاج له .



• أطفالنا فى المدارس .. لماذا يتولد لديهم الشعور بالعداء للغة العربية ؟

حول هذه القضية

اللغة العربية

د . عيسى الناعوري

هذه القضية حتى لا تتعرض لغتنا للموت

● ما الفائدة أن يعرف الطالب أن "جاء" أصلها "جَيَأ" و"قال" أصلها "قَوَلَ" وأن "ميزان" أصلها "موزان" وأن "باب" أصلها "بَوَب"..؟!

● في كل اللغات الحية جمع واحد، ونحن عندنا: جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، وجمع التكسير، واسم الجمع، ومنتهى الجموع

● ماذا يعني الإعلال والإبدال والقلب والإدغام..؟

جموع التكسير

أبدأ أولا بقواعد الصرف ، وبجموع التكسير منها . والمعروف أن القسم الأكبر من جموع التكسير شاذ وسماعى ، وليس من الممكن جمعه فى قاعدة واحدة ولا قياس واحد . ولابد من تيسير الأمر على الكاتب والمتحدث ، فكلاهما يجد نفسه مع هذه الجموع فى غابة متشابكة يضيع فيها حتى أكثر الناس ذكاء ، وأحدهم بصراً ، وأوسعهم حافظة ؛ وقد تضيع فيها حتى المعاجم اللغوية أحياناً ولذلك نراها تورد جموعاً متعددة للفرد الواحد .

والقواعد والقواميس ليست نصوصاً منزلة ، بل وضعها أناس مجتهدون مثلنا لتكون وسيلة لا غاية ، وكانوا متفرغين لها العمر كله ، ولا تشغلهم عنها دروس ولا واجبات أخرى ؛ ثم انهم وضعوها لعقولهم "الكبيرة المدركة ، ولطلاب كبار فى العمر ، يسهل عليهم فهمها واستيعابها ؛ ولا سيما أنهم كانوا ندرة ، ولم يكونوا عشرات فى الصف الواحد ، ولا كانوا يقضون على مقاعد الدراسة اثنى عشر عاماً أو أكثر . والذين اجتهدوا فى اللغة من قبل ، وفى بواكير العهد الاسلامى قبل ثلاثة عشر قرناً ، يكون من العقوق لهم ، وللغة نفسها ، أن نقف عند اجتهاداتهم ، ونغلق باب الاجتهاد دون أنفسنا ، ونحن اليوم أوسع اطلاعاً على علوم الماضى والحاضر ، ولنا من وعينا ما يشفع باجتهادنا ، وانفتاحنا الواسع اليوم على لغات الدنيا يعطينا هذا الحق فى الاجتهاد ، لأجل تطوير لغتنا بحسب الزمان الحاضر ، لمصلحة اللغة .

التشويش والتعقيد

ونحن لدينا مع الجموع مشاكل كثيرة فاذا كان فى اللغات الحية الأخرى شىء واحد اسمه (الجمع) — ومعه فى كل لغة بعض الشواذ — وشىء اسمه (المفرد) ، فنحن لدينا الفرد ، والمثنى بكل تعقيداته الاعرابية ، للمذكر وللمؤنث ، ولدينا جموع متعددة متنوعة : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير ، واسم الجمع ، ومنتهى الجموع أو جمع الجمع ؛ ولبعض هذه الجموع قواعد شديدة الصعوبة والتعقيد . واذا لم يكن من الممكن تغيير هذه الجموع أو الاقلال منها ؛ فليكن من

"الدوحة" تفتح باب الحوار
حول هذه القضية

فلنبسط اللغة العربية

الممكن – على الأقل – التساهل فى تقديمها للطلاب بأقل ما يمكن ، وأسهل ما يمكن من القواعد والتعريفات والوجوه والتخريجات التى لا يمكن أن يطبقها الطالب بأى حال . وهذا لن يضير اللغة فى شىء ، بل على العكس ، سيساعد على تقريبها وتحبيبها الى الطالب .

والاعلال والادغام ، والقلب والابدال ، وقواعدها العسيرة .. والأسماء والأفعال المهموزة التى لم تتفق القواعد ولا المعاجم ولا العلماء على طرائق كتابتها ؛ وقواعد تصريف الأفعال المعتلة ، والأفعال المضاعفة ، والأفعال المهموزة . هذه كلها ليس من الممكن أن تدخل فى دماغ الطالب ، حتى فى المرحلة الجامعية ؛ واذا كان لابد من بقائها ، فمن الخير أن تترك ليدرسها المتخصصون فى الدراسات العليا الجامعية فقط . وما الفائدة من أن يعرف الطالب أن (جاء) أصلها (جيأ) و (قال) أصلها (قول) وأن (ميزان) أصلها (موزان) و (باب) أصلها (بوب) وأن (ضم) أصلها (ضمم) .. الخ ؟

ولماذا يجب أن يتعلم الطالب أن الهمزة فى الاسم الممدود قد تكون أصلية، وقد تكون زائدة أو مقلوبة ، وأن لكل حالة قواعدها ، وأن المثنى والجمع والنسبة فيها تختلف فى كل حالة بين بقاء الهمزة أو ردها الى أصلها ، أو جواز الحالين ؟

والتصغير والنسبة بكل وجوههما الصحيحة والشاذة ؟ والمعرب والمبنى ؛ وقواعدهما وعلامات الاعراب والبناء الكثيرة المتشابكة والتى لا تقف عند حدود معقولة ، سواء فى الأفعال أو فى الاسماء ؛ ثم الافعال اللازمة والمتعدية ، والافعال الخمسة ، والافعال المبنية فى حالات اعراب مختلفة ، وأفعال القلوب التى تتعدى الى أكثر من مفعول واحد ، والافعال المتصلة بالضمير ، والافعال المعتلة الآخر ، وغيرها ؟ واسم الفعل ، والفعل الجامد ؟ والمصادر : مصادر الفعل الثلاثى ، ومصادر الفعل الرباعى ، والمصدر المؤول من (أن) وفعلها المضارع أو من (ما كان – ما يكون) للتعجب فى الماضى والمستقبل .

وحركة عين الفعل المضارع التى يضطر معها حتى العلماء الى مراجعة القواميس المختلفة للتأكد من انها مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة ؟ وهمزة الوسط التى لم تتفق حتى المجامع اللغوية بعد على طريقة كتابتها ، ومايزال بعض العلماء يكتبونها على نبرة ، وبعضهم منفصلة وبعضهم على واو ... أليس هذا أثراً واحداً من آثار التشويش والتعقيد فى قواعد اللغة ؟

الزمن تغير !

هذا فى الصرف وحده – وهو قليل من كثير جداً – وحين نجيء الى النحو نجد انفسنا فى غابة أخرى متشابكة ومعقدة: فقواعد النحو مبالغ جداً فى كثرتها وفى شدة تعقيدها . من ذلك ، مثلا ، ولمجرد بيان الصعوبة : وفرة عدد المفعولات – أو المفاعيل – والملحقات بالمفاعيل : المفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول لأجله ، والمفعول معه ، والمفعول المطلق ، ونائب المفعول المطلق ، والحال ، والتمييز ، والنداء ، والاستغاثة ،



● أحد كتب قواعد الصرف والنحو الذى يدرس فى مدارسنا .

والندبة ، والترخيم ، والاختصاص ، والاشتغال و – بلية البلايا – الاستثناء . هذه كلها يمكن أن نطلق عليها اسما واحداً هو (المفعول) ونحدد أغراضه بيسر تام ، دون دخول فى تعقيدات القواعد العجيبة التى يضيع فيها المعلم والطالب على السواء . والتى تكثر فيها التأويلات والتخريجات والجوازات . بين البناء حيناً على علامة رفع أو نصب واعتبار فعل الأمر حيناً بمعنى الماضى (فى التعجب) وجواز الاستثناء بالا . وغير . وسوى . وماعدا . وماخلا . ولاسيما . وما الى ذلك مما لا نهاية له . ولكل شىء وجوهه وتخريجاته العجيبة التى لا تنتهى .

ثم هناك البدل وعطف البيان ، وما بينهما من لبس كثير . والمبتدأ والخبر وما فيهما من قواعد التقديم والتأخير وجوباً أو جوازاً ، ومن حالات المفرد ، والجملة الاسمية ، والجملة الفعلية ، وشبه الجملة . ثم ما يلحق بهما ويختلف عنهما اسم وخبر للافعال الناقصة ، وأفعال المقاربة . وأحرف التشبيه ، ولا النافية للجنس : فهذه كلها تعقيدات مبالغ بها كل المبالغة ، واقل القليل منها يكفى لضبط اللغة وتيسيرها على المدرس والدارس ، لكى نضمن حب الناس للغتهم وإقبالهم على تعلمها ، ولكى نضمن أن لا يجد الطالب سهولة فى اللغات الأجنبية يفتقد مثلها فى لغته .

واذا كانت قواعد الصرف والنحو قد وضعت فى القديم لأجل نخبة من الدارسين ، الذين لم يكونوا يدرسون غير قواعد اللغة والدين ، وكانوا فى الغالب كباراً ناضجين يمكنهم أن يدركوا ويناقشوا ما يقدم لهم ، وكانوا قلة نادرة ممن يشعرون بحاجتهم الى العلم فيتلقونه على الشيوخ المتفرغين له ، فالزمن اليوم تغير ، وكل طفل أصبح بحاجة الى العلم ، يذهب ليتلقاه فى سن لا يستطيع معها أن يدرك أو يناقش أو يستوعب . وهو لا يدرس اللغة وحدها ،

● لماذا كل هذا التعقيد والتشويش في قواعد اللغة؟

● حين نجيء الى النحو نجد أنفسنا في غابة عجيبة ومتشابكة!

بل يحمل من الدروس فوق طاقته .

نحن اذن بحاجة ماسة الى تطوير لغتنا ، بتسهيل قواعدها ، واختصار هذه القواعد الى الحد الأدنى الذى يمكن معه ضبطها دون تعقيد ، ودون فلسفات لغوية ، ودون دخول فى تفصيلات لا آخر لها ، ودون حاجة الى التأويل والتخريج ، وكثرة الوجوه والجوازات التى لا مبرر لها ؛ إن الاكثار من النصوص الجيدة هو وحده الوسيلة لترسيخ اللغة السليمة فى الذهن .

لغة حياة

إننا نريد أن تكون العربية الفصيحة لغة حياة : أعنى لغة تخاطب عامة بين العربى والعربى ، وبين العربى وغير العربى ، مثل لغات سائر الشعوب الحية ؛ ولا نريد لها أن تكون لغة كتابة وخطابة فحسب . واقتصار لغتنا على كونها لغة كتابة وخطابة يجعلها (نصف لغة) فقط ، أو يجعلها قريبة الشبه باللاتينية التى كانت لغة كتابة وخطابة فقط فى القرون الوسطى ، لا لغة حياة واستعمال يومى ، ولذلك زالت عن المكان العلمى الذى كان لها ، ودخلت الى بعض الكنائس فقط ، وانعزلت وأصبحت مهجورة ميتة .

المطلوب اذن هو :

● الاقلال من القواعد والتسليمات والقياسات والتفريعات والتخريجات والجوازات .

● تبسيط أسلوب العرض ليتلاءم مع سن الطالب ووقته ومدى استيعابه .

● البعد عن التعقيد ، لئلا تظل قواعد اللغات الأجنبية أحب الى الطالب من لغته ، وأسهل منها على التعلم .

● تمكين الطالب من ضبط لغته بيسر وبساطة ، لكى تصبح مع الزمن لغة تخاطب لديه ، لا لغة كتاب ومدرسة ، ومع الزمن نضمن شيوعها على ألسنة الأجيال المقبلة .

هذه كلها تتطلب أن يتفرغ لهذا العمل

● لكي تكون اللغة العربية لغة حياة واستعمال يومي ، لا لغة كتابة وخطابة

الإقلال من القواعد والتفريعات والتخريجات والجوازات .

تبسيط أسلوب العرض ليتلاءم مع سن الطالب .

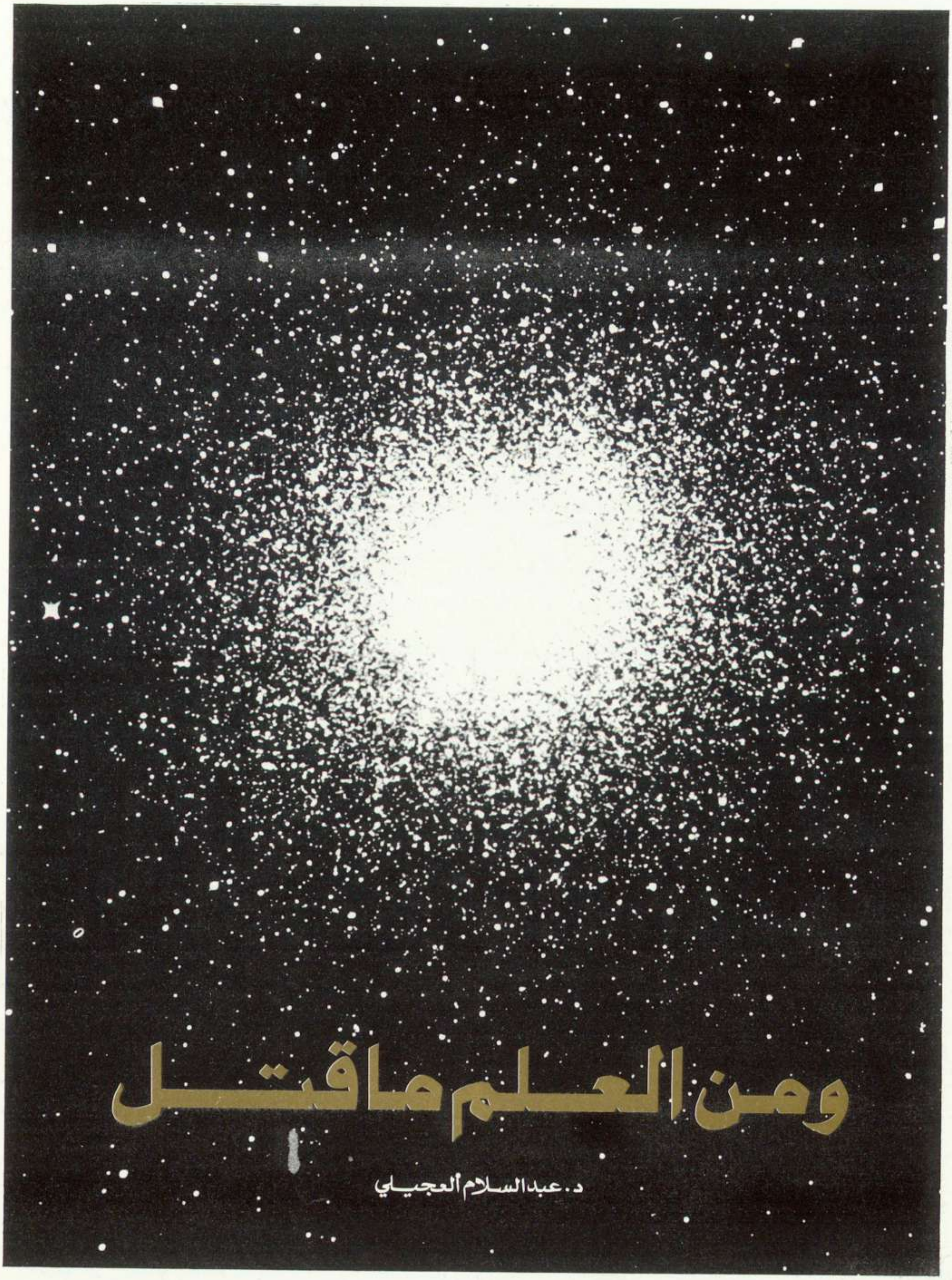
البعد عن التعقيد ، لئلا تظل قواعد اللغات الأجنبية أحب إلى الطالب من لغته ، وأسهل منها على التعليم

تمكين الطالب من ضبط لغته بسهولة ويسر .

الخطير جداً عدد كاف من (المربين) الذين يمارسون تعليم العربية فى مختلف مراحل الدراسة العامة فى الوطن العربى كله ، وليس من علماء اللغة ؛ لأن هؤلاء لم يعودوا فئة مؤهلة للنزول الى مستوى عمر الطالب وادراكه المحدود ، وقد أصبحت اللغة لديهم (غاية) يصعب عليهم التساهل فى تفاصيل قواعدها وفقاً لأصول التربية الحديثة ، وليس فى وسعهم تبسيطها حتى لو أرادوا ذلك . القادرون على القيام بذلك هم المربون الذين يعيشون فى جو الطالب ، ويكافحون فى قلب المعترك ، ويعرفون مدى إدراك الطالب ، ومدى إرهاقه بالمواد الدراسية فلا يحاولون أن يزيدوه إرهاقاً على إرهاقه ، فيكره لغته وينفر منها — كما هو الحال اليوم — .

هذه دعوة الى وزارات التربية والتعليم فى العالم العربى كله ، والى المجامع اللغوية . عسى أن تجد سبيلها الى الأسماع الحريصة على هذه اللغة الشريفة المجيدة .

عيسى الناعورى



ومن العلم ما قتل

د. عبد السلام العجيلي

● قـال الفيلسـوف : كـانوا يجهلون القليـل ، فلما علموا أصبحـوا يجهلون الكثـير !

– .. ومن أوائل الذين قتلهم العلم كان سنمار . لابد انك سمعتهم يقولون جازاه جزاء سنمار . سنمار هذا قتله علمه قبل ألف وخمسمائة عام . كان مهندساً بارعاً بنى لملك الحيرة النعمان بن امرىء القيس قصر الخورنق . وعندما انتهى البناء صعد الملك الى سطحه فأعجبه فقال : ما رأيت مثل هذا قط . فقال سنمار : إنى أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟ قال : لا . قال النعمان : إذن لأدعنها وما يعرفها أحد ! ثم أمر به فقذف من أعلى القصر الى أسفله ، فتقطع ...

وهكذا كان الفيلسوف يحدث صاحبه الطبيب وهو يعدد مضار العلم وفضائل الجهل . بالطبع لم يحمل الطبيب كلام صاحبه على محمل الجد فضحك وقال له

– كيف تريد أن تقنع الناس فى هذا العصر المنير بأن يرتدوا الى الجهل بعد أن جاوزوا بعلمهم كل الحدود ؟

قال : الأصح أن تقول بعد أن جاوزوا بجهلهم كل الحدود . فانت تظن الناس فى هذا العصر قد ازدادوا علماً ، وأنا أقول لك بأنهم ، على العكس ، قد ازدادوا جهلا ...

قال الطبيب : كيف ؟

قال الفيلسوف : كانوا يجهلون القليل فلما علموا أصبحوا يجهلون الكثير . اضرب لك مثلا : كم تظن عدد نجوم السماء ؟

قال الطبيب : وما يدرينى بهذا العدد ؟

قال صاحبه : انا اقول لك ، عدد النجوم التى تراها العين المجردة خمسة آلاف نجم . ماذا كنا نعرف عن هذه النجوم ؟ لا شىء أكثر من انها نقاط مضيئة أغلبها ثابت وقليل منها سيار . ثم جاء العلم بالتلسكوب ومقياس الطيف ومرصد بالومار ومحطة الاستماع الفلكية فى جوردال بانك ، فأصبحنا نعرف بعض التفصيلات عن عشرين نجماً . ولكننا بالمقابل اكتشفنا أن فى السماء خمسة ملايين نجم لم تكن تراها أعيننا ، فأصبحنا نراها دون أن نعرف عن كنهها شيئاً . هذا عدا ملايين الكواسار ...

فقاطعه الطبيب متسائلا : الكواسار ؟ ما هذه ؟

قال : هذه هى العوالم التى اكتشفت مؤخراً والتى يسمونها أشباه النجوم . ما علينا .. لا أريد أن أزيدك علماً لئلا تزداد جهلا . بالاختصار ، كنا بدون علم نجهل ماهية خمسة آلاف نجم فقط ، فلما صرنا علماء أصبحنا نجهل ماهية أربعة ملايين وتسعمائة وتسعة وتسعين ألف وتسعمائة وثمانين نجماً .. أما كان الجهل أحسن لنا اذن ؟

سم النقانق

سكت الطبيب مفكراً ، فقد كان منطق صاحبه الفيلسوف يدعو حقاً الى التفكير بينما أردف هذا يقول :

– أسألك أنت ، ألم يقدك علمك مرة الى الشعور بجهلك العميق ؟

فأجاب : بل كثيراً ما شعرت أمام مرضاى بهذا . عامة الناس يرون فى الطبيب الحاذق نصف اله . فهم يعتقدون أنه يعرف الجسم البشرى والداء والدواء المعرفة الكاملة التى تتيح له أن يهب الشفاء لمن يريد . أما الطبيب فانه يدرك الحقيقة . انه يعرف أن ما يجهله من خفايا الخلية الحيوانية ومن سلوك الجراثيم الممرضة ومن تأثيرات الأدوية فى الأنسجة والأعضاء أكثر بكثير مما يعلمه . فهو كما قلت أنت ، كلما ازداد اطلاعاً تكشفت له مجاهيل جديدة يقف عندها حائراً ، بل انه ليصاب أحياناً بالدوار ...

قال الفيلسوف : احسنت . هذا ما قلته انا فى الأول وانكرته انت : من العلم ما يصيبك بالدوار ، ومنه ما يقتل ... وأكثر الناس خبرة فى هذا هم الأطباء !

فقال الطبيب محتجاً : انك تغمز من الأطباء بهذا ...

فابتسم الفيلسوف وقال : الواقع انكم مظلومون فى هذا المجال . يتندر الناس بكم أحياناً لأنكم بجهلكم ، أو بعلمكم ، تميتون الأفراد . بينما يميت غيركم الآلاف وعشراتها ومئاتها ويرجع بأكاليل الغار ! ولكن خطأكم الكبير هو انكم تعطون السلاح لأولئك القتلة .

فتساءل الطبيب مستنكراً : نحن ؟

قال : نعم . انا اعرف مثلا انه منذ الحرب العالمية الأولى ، بل وقبلها ، توصل علماء الطب والكيمياء الى تركيب السم الذى تفرزه مكروبات النقانق الفاسدة ، هذا الذى تسمونه توكسين بوتيليك .. وانهم حضروا كمية كافية منه للاستعمال الحربى . لابد وانك تعرف بأن ١٥ سنتمتراً مكعباً فقط من هذا السم أى ما يعادل ثلاث ملاعق صغيرة ، كافية لقتل جميع سكان امريكا . أرخص من القنبلة الذرية على كل حال ! انتم الذين وضعتم السلاح فى أيدى مجرمى الحروب المحترفين ...

محاسن الجهل

فاعترض الطبيب بقوله : ولكن احداً لم يستعمل هذا السلاح !

قال الفيلسوف : ليس عن طيبة قلب عزفوا عن استعماله . عزفوا عنه لأن علمهم لم يبلغ القدر الذى يمكنهم من استعماله دون أن يرتد فعله اليهم . أين يجد الجيش المغير الماء لشرب جحافله الكثيرة اذا تسممت منابع المياه فى قارة بكاملها بهذا السم المبيد ؟ كيف يمنعون الريح من أن تحمل ذراته فترتد الى الجيوش الغازية التى استخدمته لابادة عدوها ؟ الجهل هو الذى يمنعهم من استعمال هذا السم ، وحين يعلمون فالويل للبشرية !

قال الطبيب وهو يتهيأ للذهاب معتذراً بوعد عمل :

– أنا معك إذن ، وعلى رغمى ، فى الايمان بمحاسن الجهل ... وفى تصديق ما قاله الأخطل الصغير ، وغناه عبد الوهاب ، بأن من العلم ما قتل ...

فضحك الفيلسوف قائلا : وبأن جفنه علم الغزل .. كأنك نسيت أول البيت ! لولا انك فى عجلة لبرهنت لك على أن هذا هو العلم الصحيح . ولكنك الآن ذاهب ... فالى مرة اخرى اذن ...

د. عبد السلام العجيلى

رجـــاء النقـــاش

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠



هذا كتاب خطير حقاً ، ولست أبالغ إذا قلت إنه أخطر كتاب عربى صدر سنة ١٩٨٠ . ومع ذلك فقد صدر هذا الكتاب بغير ضجيج . ولم يعتمد كاتبه على أي عنصر من عناصر الاثارة . لا في الأسلوب والتعبير . ولا فى تضخيم حجم الأفكار والمعلومات الواردة فى الكتاب . بل إن الكتاب **كثيراً ما يواجهنـــا بعبارات** جافة خالية من أي محاولات للتجميل . ذلك لأن الكاتب يقول لنا الحقيقة . والحقيقة فى ضميره وعقله . يجب أن تكون مجردة وواضحة . بل يجب أن تكون **عارية** . خاصة فى مثل هذا الموضوع الذى يعالجه الكتاب .

الكلامولوجيا ..

ولو أن مجتمعنا العربى تعود أن يأخذ الكلمات مأخذ الجد ، ويتجاوب معها ويتأثر بها ، لكان لهذا الكتاب المتواضع فى شكله وحجمه وأسلوب تعبيره شأن كبير . ولكن المجتمع العربى **أصيب بمرض حضارى واضح ، وقد أسمى البعض هذا المرض من باب الطرافة باسم «الكلامولوجيا» ، وهو فى الحقيقة ليس مرضاً «طريفاً» ، ووصف هذا المرض بسيط : فالانسان العربى من كثرة ما سمع من الكلام ، ومن كثرة ما قرأ من الأقوال والآراء ، ومن قلة ما وجد** من أصداء عملية واقعية للكلمات الكثيرة . هذا الانسان العربى قد أصبح لا يتأثر بالكلمات ولا يصدقها ، ولا ينتظر نتيجة لها ، بل إنه لم يعد يميز بين ما هو حقيقى وما هو زائف وملىء بالأوهام ، تماماً مثلما يصاب الانسان في معدته فتصبح غير قادرة على هضم أى طعام ، ويفقد الانسان بالتدريج قدرته على تذوق الطعام أو التمييز بين الجيد والرديء منه .

الكلام فى الوطن العربى كثير .. والمطبوعات بالأكوام . ولكن كل شىء فقد طعمه وتأثيره ، وانعدمت فيه الفروق بين الألوان . ولذلك فقد صدر هذا الكتاب فى صمت ، ولم يلتفت اليه أحد رغم خطورة ما يقوله الكتاب ، ورغم أن كل كلمة فى هذا الكتاب كانت كفيلة بأن تجعلنا جميعاً : لا ننام !

ضمير حى وثقافة واسعه

والكتاب اسمه «هدر الامكانية بحث فى مدى تقدم الشعب العربى نحو

غاياته» أما المؤلف فهو «الدكتور نادر فرجانى» ، وأنا شخصياً لا أعرف شيئاً عن هذا الكاتب ولم أقرأ له من قبل ، ولكن «مركز دراسات الوحدة العربية» الذى أصدر الكتاب يقول عن المؤلف فى نشرة صغيرة ملحقة بالكتاب إنه «أحد الأقتصاديين الشبان اللامعين وهو وثيق الصلة بموضوع كتابه الجديد ، إذ يعد واحداً من أبرز المهتمين بقضايا تنمية القوى البشرية فى الوطن العربى» .

على أننى إذا لم أكن أعرف شيئاً عن الكاتب قبل أن أقرأ كتابه الجديد فان الكتاب يقدمه بوضوح .. إنه ليس مجرد كاتب من كتاب «الكلامولوجيا» الذين يتحدثون كثيراً بألفاظ رنانة مزوقة لا تعنى شيئاً ، بل هو ضمير حى ، وثقافة واسعة ملتزمة بقضايا هذه الأمة العربية التى تمر بأزمة دقيقة من أخطر ما مر بها من أزمات .

وليس معنى هذا أن الكتاب خال من الأخطاء أو خال من وجهات النظر التى تستحق المناقشة بل والمعارضة ، ولكن الكتاب فى جملته يعتبر عملا فكرياً بالغ الاهمية ، يضيء الواقع العربى الراهن ، ثم يضع التحذير والانذار لنا جميعاً ، على أساس ما يمكن أن يحمله المستقبل من اخطاء كبيرة تتجمع فى النهاية لتصنع كارثة حضارية للعرب .

وموضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه هو دراسة الامكانيات العربية لاقامة مجتمع عصرى متقدم ، ثم دراسة ما تتعرض له هذه الامكانيات من إهدار وتبديد وسوء تنظيم .

وينطلق الكاتب ، الدكتور «فرجانى» ، من الصورة الراهنة للواقع العربى ، فيرى أنها لا توفر العوامل الثلاثة التى تضمن سلامة المجتمع وقدرته على النهوض والتقدم ، وهذه العوامل هى التخلص من التبعية للدول الصناعية الغربية ، وخاصة فى المجال الاقتصادى ثم التعاون بين العرب ، ثم الاهتمام بقضايا التنمية على أساس المشاركة الشعبية المنتجة .

نظرة تشاؤمية ..

وبسبب فقدان هذه العوامل الثلاثة فى

- **إهدار الإمكانية مرض يعاني منه العرب**
- **الوطن العربي غني .. ولكن ليس بالدرجة التي نتوهمها**

الواقع العربى أصبحت الصورة تدعو الى التشاؤم ، حتى انعكس هذا التشاؤم على الباحثين والدارسين فى الشرق والغرب . فأخذوا يعبرون عن يأسهم الخاص من إمكان التعاون والاتحاد بين العرب ، وهو الأمر الذى ينبغى أن يتحقق إذا أردنا أن ننهض ونتقدم . فباحث عربى اسمه «فؤاد عجمى» يكتب فى مجلة «الشئون الخارجية» الأمريكية دراسة يقول فيها : « إن فكرة ظلت مسيطرة على الوعى السياسى للعرب المحدثين تقترب من نهايتها . إن لم تكن قد أصبحت فعلا من تراث الماضى . وهذه هى فكرة الأمة العربية الواحدة» . وباحث أجنبى آخر هو «هوبسون» يقول : «إنه يندر أن يمر عام بدون نكسة أو أكثر لقضية الوحدة العربية . وقد اعتبرها معظم الكتاب الغربيين منتهية» . ويقول كاتب غربى ثالث عاش فترة فى البلاد العربية هو «ووتر برى» : «ستفشل بلدان الشرق الأوسط فى تطوير استراتيجية مشتركة متماسكة وتعاونية للتنمية القومية وفى تطوير موقف تفاوضى جماعى تجاه الشمال «أو الغرب» . ونتيجة لهذا فسوف تفشل فى الحصول على أفضل الشروط الممكنة فى التفاعل مع الشمال «الغرب» .

والكاتب يقصد الوطن العربى بالتحديد عندما يتحدث عن الشرق الأوسط .

على أن هذه النظرة المتشائمة قد انتقلت الى بعض المسئولين العرب ، حيث يقول الشاذلى القليبى أمين الجامعة العربية : «إن التساؤل يطرح نفسه مرة أخرى : هل هناك فعلا أمة عربية واحدة ؟ أو أن تلك الفكرة كانت وهماً من أوهام أجيال عربية سبقت ؟ الآن لم يعد الشك فى القدرة أو الفاعلية ، وإنما وصل الشك الى حقيقة الوجود نفسه ... أى وجود الأمة العربية» .

التفاؤل مطلوب ..

ولكن مؤلف الكتاب يرفض هذه النظرة التشاؤمية ، ويرى أن الواقع العربى ملىء بالأخطاء ، ومليء باهدار الامكانيات ، وأن العرب لو تمكنوا من وقف عملية الاهدار لاستطاعوا أن ينهضوا ، ويتغلبوا على مشاكل الحاضر والمستقبل . يقول الكاتب «إنه إذا كان حال الوطن العربى بهذا السوء الذى لا أمل فيه ، كما يبدو الأمر فى أقوال المتشائمين ، فلماذا الجهد وصيحات التحذير والتنبيه ؟ والاجابة هى أن الخطر الأساسى فى الواقع العربى الراهن هو خطر إهدار إمكانية تاريخية قائمة لازدهار حضارة عربية معاصرة . فلو لم تكن الامكانية قائمة لما وجب التحذير ولا نفع . وإنما التحذير من قبيل الحرص على الاستفادة من الامكانية التاريخية ، ووراءه الاعتقاد بأن امكانية اغتنام الفرصة مازالت بعد قائمة ، وعلى هذا فالتوجه الرئيسى لهذه الدراسة تفاؤلى ، ومن منطلق هذا التفاؤل فاننا نقفز على الواقع العربى المر ونتعامل فى الدراسة مع الوطن العربى كوحدة» .

ولكن الكاتب لا يبنى تفاؤله على الأوهام ، بل بالعكس فانه يصارح نفسه وقراءه بأسلوب علمى دقيق . فالقوة الأساسية للوطن العربى فى نظره هى القوة البشرية ، صحيح أن احصائيات ١٩٧٩ أثبتت أن الوطن العربى يضم أكثر من نصف الاحتياطى العالمى من البترول ، ولكن العمر المتوقع لهذه الاحتياطيات البترولية هو «خمسون عاماً» منذ الآن ، فماذا نفعل بعد نفاد هذا الاحتياطى الكبير ؟ .

المال والحضارة

إن الوطن العربى لا يتضمن كما يقول الكاتب أى احتياطى يذكر من الفحم الذى

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠



● ٧٣٪ من العرب عاطلون و ٦٤٪ أميّون

يوجد ٧٠ ٪ منه فى الاتحاد السوفييتى وأمريكا ، كما أنه باستثناء البترول والغاز الطبيعى ، فان الوطن العربى ليس غنياً بالموارد المعدنية . صحيح أن عائدات البترول يتكون لنا منها ثروة ضخمة بلغت حوالى مائتى بلبون دولار سنة ١٩٨٠ ، ولكن الثابت علمياً أن «توفر الأموال فى حد ذاته لا يكفى لكى يوفر الى جانبه فرصة حقيقية للتنمية بمعناها الحضارى الشامل» ولابد لكى نستفيد من هذه الأموال أن نحسن استخدامها بصورة سليمة ، وإلا أصبحت امكانية من الامكانيات المهدرة .

«وإذا تمت فى المنطقة العربية تنمية ، فلن يكون ذلك إلا فى إطار حركة نهضة قومية تعبىء كل موارد الوطن العربى وتستغلها بكفاءة ، عن طريق تنظيم اجتماعى كفء لتحقيق الغايات العربية، فلا يمكن أن تكون هناك تنمية إلا على المستوى القومى .وإذا تمت التنمية بهذه الصورة فان كل الأقطار العربية تستفيد منها ، فالأقطار العربية متصلة ، حتى لو شاء بعضها أن ينفصل ، وهجرة القوة العاملة العربية الى الدول العربية النفطية وتزايدها فى السنوات الأخيرة خير دليل على ذلك » .

ولذلك «فان الأموال العربية مهما **كانت قيمتها وحجمها لا يمكن أن تشترى** مستقبلا» لأن المستقبل تتم صناعته بالجهد والعمل الدقيق المنتظم والمنتج . ولا يمكن شراء «مستقبل جاهز» بالأموال.

ويعود الكاتب ليسجل بصراحة وجهة نظره فيقول : **«إذا أردنا تلخيص مقومات الامكانية التنموية العربية لوجدنا أن الوطن العربى غنى فقط فى العنصر البشرى ، وهذا الغنى ليس إلا غنى بالامكانية نظراً لضعف القدرات البشرية العربية وإهدار طاقتها حالياً . إلا أن هذا** «العنصر البشرى» هو المقوم الحاسم لامكانية إحداث التنمية فى الوطن العربى . وتعانى الامكانية التنموية من نقص نسبى فى الأرض الزراعية والموارد المعدنية بما فيها موارد الطاقة إجمالا ، إلا أن الوفرة النسبية فى النفط حاليا والعوائد الناجمة عنها ، يمكن أن تكون عاملا إيجابياً مساعداً ، لامكانية تنموية حقيقية إذا أجيد استغلالها قومياً ..

رأى مرفوض ..

وهنا يعلن الكاتب بأمانة وصدق رفضه ، لما يعلنه بعض الباحثين من الآراء التى تشبه الأوهام ، والتى لا تستند على دراسة دقيقة ، ومن هذه الآراء التى يعترض عليها الكاتب ويرفضها رأى الدكتور حامد ربيع الذى يقول : «إن الامكانيات العربية لا حدود لها» وأن «العالم العربى قادر على أن **يتحول الى سلة للطعام ليس فقط للعالم المتخلف بل ولجميع المجتمعات التى** سوف يقدر لها أن تعانى من نقص فى الغذاء» . ومن هذه الآراء التى يرفضها الكاتب قول باحث عربى آخر هو محمد سيد أحمد «... إنه ينبغى أن نشير إلى حقيقة تاريخية مذهلة هى أن ما توفر للعرب فى الربع الأخير من القرن العشرين من عناصر التنمية ، لم يتوفر لبشر قبلهم ....»

هذه فى نظر الكاتب كلها مبالغات لا تثبت للبحث العلمى الدقيق ، والصحيح عنده أن العنصر البشرى هو قوتنا الرئيسية وهو يحتاج الى تنظيم وتوجيه وإعداد سليم حتى يمكن أن يحقق التنمية ، ويتغلب على عناصر النقص الموجودة فى الواقع العربى .

ثراؤنا محدود ..

وهكذا فان الوطن العربى إذا كان غنياً بالبترول ، فهو بمقاييس «الثروة» الحقيقية يعتبر فقيراً ، فالأرض القابلة للزراعة فى الوطن العربى ـ كما يقول الكاتب ـ «بلغت ٥٠ مليون هكتار فى منتصف السبعينات طبقاً لبيانات منظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة» وهذه الأرض القابلة للزراعة فى الوطن العربى هى «حوالى ربع الأرض القابلة للزراعة فى الولايات المتحدة وخمس الأرض القابلة للزراعة فى الاتحاد السوفيتى» ولذلك أصبح الوطن العربى «يعتمد اعتماداً محرجاً ومتزايداً على استيراد الغذاء من الخارج» ، وتكشف مقابلة الانتاج والاحتياجات فى مجال الغذاء فى الوطن العربى عن «توقع قصور متزايد فى انتاج الحبوب ، عماد قائمة الغذاء فى البلدان العربية ، عن الوفاء بالاحتياجات يصل فى مطلع القرن القادم ـ أى بعد أقل من عشرين عاماً ، الى أكثر من نصف الكميات المطلوبة من القمح ، ويتعدى ٤٠ ٪ من الاحتياجات من الأرز والذرة الشامية . كذلك يقدر ألا يفى الانتاج من السكر إلا بأكثر قليلا من نصف الاحتياجات ، كما يتزايد العجز من اللحوم والبيض والألبان عبر فترة التقدير ليتعدى ثلث المطلوب من اللحوم ، وليصل لقرابة ربع الاحتياجات من البيض والألبان فى عام ٢٠٠٠ ، وبناء على هذا التحليل الاجمالى يمكن القول بتوقع بقاء الوطن العربى منطقة عجز غذائى نسبى ، وهذا العجز الغذائى المتوقع وجه قصور فى الامكانية التاريخية لبناء مستقبل عربي مزدهر» .

وهذا نموذج واحد يكشف لنا أن الوطن العربى إذا كان غنياً فانه ليس ذلك الغنى الذى نتوهمه، فهناك عجز كبير فى مجالات حساسة ، لا علاج لها إلا بالعمل

● إلى متى يعيش العرب "عالة" على الصناعة والأغذية الغربية؟

● لماذا لا يصنع العرب ويزرعون ما يحتاجون إليه؟

والجهد ، أما التوهم بأن الوطن العربى «غنى» بصورة مطلقة ولا مثيل لها فذلك وهم يحتاج الى المراجعة والتعديل . وخطورة هذا الوهم أنه يمكن أن يدفعنا الى الاعتماد على الاحساس بأننا أغنياء بغير حدود ، فنتراخى فى مسئوليتنا التاريخية فى العمل المنتظم الدؤوب .

أرقام مؤلمة ...

وننتقل من هذا العرض العام لآراء الكاتب إلى الوقوف أمام لمحات من أزمة الواقع العربى كما جاءت فى هذا الكتاب الخطير :

فمتوسط العمر بالنسبة للانسان العربى هو ٥١ عاماً بينما يصل فى الاتحاد السوفيتى الى ٧٠ وفى أمريكا الشمالية الى ٧٠,٣ .

كذلك فان ثلثى العرب البالغين «حتى سنة ١٩٧٥» ، كانوا يجهلون القراءة والكتابة والحساب . ولم تتمكن البلدان العربية من «انقاص نسبة الأمية» إلا من ٨٢٪ إلى ٦٤٪ فقط فى الفترة ما بين «١٩٦٠ – ١٩٧٥» .وإذا كانت نسبة الأمية فى الوطن العربى قد وصلت إلى ٦٤٪ عام ١٩٧٥ ، فان نسبة الأمية فى أمريكا فى نفس العام كانت ١٪ وفى الاتحاد السوفيتى ١٪ ، وهذا يكشف فداحة ما نحن فيه من تعطيل للقوة البشرية .

ومن الحقائق ذات المغزى أيضاً بالنسبة للعنصر البشرى وعدم استغلال هذا العنصر فى الانتاج «أن نسبة المشاركين فى النشاط الاقتصادى فى الوطن العربى لا تزيد عن ٢٧٪ من مجموع السكان» ، والباقى عاطلون بشكل صريح ، أو عاطلون بصورة غير مباشرة ، «وخلاصة القول أن القوى البشرية العربية فى مجموعها مازالت غير مؤهلة تعليمياً ، مستوى صحتها أقل من مقتضيات جهود تنموية جادة ، وغير مستفاد منها فى أنشطة انتاجية» .

خطر وإحراج

وهناك أرقام أخرى لها دلالة ، منها : أن السلع المصنعة فى الخارج تمثل ٧٠٪ من واردات العالم العربى «سنة ١٩٧٦» وهذا معناه أننا مازلنا نعتمد على الآخرين بنسبة عالية وخطيرة ومحرجة

كذلك «فان الدول العربية تستورد الغذاء نتيجة لعدم كفاية انتاجها الزراعى لحاجات سكانها ، وقد استورد العالم العربى من المواد الغذائية سنة ١٩٧٦ خمسة أمثال ما استورده سنة ١٩٦٠ وهذه زيادات خطيرة مؤثرة» .

ومن ناحية أخرى وعلى الجانب الذى يتصل بعلاقات البلاد العربية ببعضها البعض .. تجمدت أو انقطعت العلاقات العربية الدبلوماسية بصورة ثنائية إحدى عشر مرة خلال عشر سنوات «من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠» ، واندلعت نيران القتال بين شقيقتين عربيتين أو أكثر تسع مرات خلال نفس الفترة «من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠» .

أما الصورة العامة لتطور التجارة بين بلدان الوطن العربى فانها كانت أقل منها منذ عشرين عاماً خلت ، وقد شهد النصف الثانى من السبعينات انكساراً واضحاً فى هذا الصدد» ومازال الوطن العربى فى حركته الاقتصادية يصدر المواد الخام ويستورد المواد المصنعة ، وهذا خطر كبير ، ووضع لابد أن يتغير بحيث نستطيع أن ننتج ما نحتاج اليه أو معظمه فى بلادنا وبأيدينا .

العرب سنة ٢٠٠٠

وينهى المؤلف كتابه الخطير بفصل يسرد فيه نتائج أسئلة قدمها لخمسة وعشرين من كبار الباحثين فى العالم العربى ، وتدور هذه الأسئلة فى جوهرها حول امكانية التطور إلى الأفضل فى المجتمع العربى ، وتأتى النتيجة بأن معظم الباحثين متشائمون ، وأنهم يرون أن سنة ٢٠٠٠ سوف تأتى والعرب ما يزالون فى اتجاه إهدار امكانيات بلادهم.

وهنا يرى الكاتب أن المسألة مسألة اختيار حضارى ، فلو أراد العرب أن يواجهوا مستقبلهم بصورة سليمة فانهم سوف يستطيعون ايقاف هذه الظاهرة .. ظاهرة «إهدار الامكانيات» وفى هذه الحالة ، فانهم سوف يحققون خطوات واضحة فى طريق التقدم والنهوض ، أما إذا اختاروا الاستمرار فى أوضاعهم الراهنة بغير مراجعة ولا تعديل .فسوف يكون التفاؤل وهماً من الأوهام . وبذلك يكون مصير العرب فى أيديهم لا فى أيدى الآخرين . وعليهم أن يختاروا .

هجرة العقول

على أن السؤال النقدى الذى يجب توجيهه الى المؤلف ، وهو يتحدث فى كتابه الخطير عن ظاهرة «إهدار الامكانيات» فى الوطن العربى ... هذا السؤال هو : لماذا لم يشر إلى ظاهرة «هجرة العقول» من الوطن العربى إلى الغرب ؟ ... إن هذه الظاهرة تعتبر من أخطر الظواهر فى ميدان إهدار الامكانيات العربية ، ويكفى فى هذا المجال أن أشير إلى تقرير لليونسكو أعلنه سنة ١٩٦٨ «ونشره الدكتور عبد العظيم أنيس فى مقال له» جاءت فيه هذه الأرقام :

٥٩٪ من الدارسين العرب فى بريطانيا هاجروا إلى أمريكا .

٣٧٪ من الدارسين العرب فى ألمانيا الغربية هاجروا أيضاً إلى أمريكا .

كذلك يقول التقرير إن «جميع» طلبة لبنان الذين درسوا فى أمريكا ظلوا هناك!

وبالنسبة لمصر «لم تكن نسبة حملة

أخطر كتاب عربي سنة ١٩٨٠

المؤهلات العليا من المهاجرين المصريين تزيد على ٤ر٣٪ فى عام ١٩٦٢ ، ثم ارتفعت إلى ٣٥٪ فى عام ١٩٦٧ ، ثم ارتفعت إلى ٥١٪ فى عام ١٩٦٨ . وكلهم من المهندسين أو الأطباء أو خريجى العلوم أو التجارة .

وبالطبع فقد زادت ظاهرة هجرة العقول عشرات المرات منذ ١٩٦٨ إلى اليوم وفى مختلف مجالات الكفاءة والخبرة ، وفى ذلك مظهر خطير من مظاهر إهدار الامكانيات فى الوطن العربى .

كتاب صارم ...

إن كتاب «الدكتور نادر فرجانى» يضع يده على أخطر ما يعانيه المجتمع العربى ... ومهما كان هناك من عناصر الاتفاق أو الاختلاف مع الكاتب ، فان هذا الكتاب هو بغير جدال : أخطر كتاب عربى ظهر سنة ١٩٨٠ ... وهو جدير بأن يهز المجتمع وينبهه ويوقظه من الأحلام والأوهام ، إذا ما نظرنا إلى الكتاب نظرة بحث ومناقشة لما جاء فيه من معلومات وأرقام وآراء صادمة وصادقة مهما كان فيها من الصواب أو الخطأ .

تعليق

..وهل كانت مي عاشقة رخيصة ؟!

المسلسل الذى عرضه «تلفزيون قطر» أخيراً عن العقاد كان مسلسلا ممتازاً رفيع المستوى ، والحقيقة أن مثل هذه المسلسلات تفتح آفاقا جديدة للفن والفكر فى التلفزيون ، ترتقى به وبمستوى ما يقدمه الى المواطن العربى من أعمال ، وتخرج من الدائرة المغلقة المحدودة للمسلسلات التلفزيونية العاطفية وغير العاطفية . ففى هذه المسلسلات الجديدة ينفتح أمام المشاهدين باب واسع يرون منه تاريخنا ، وما كان فيه من جهد وجهاد ومعاناة كبيرة ، من أجل أن يتطور هذا المجتمع وينهض ويقاوم العقبات الكبيرة التى كانت تعوق التطور والنهضة ، والعقاد فى الحقيقة يمثل قصة كفاح نادرة المثال فى الفكر والحياة ، فهذا الرجل الذى لم يحصل على أكثر من الشهادة الابتدائية ، وكان فى بداية شبابه مريضاً بالصدر ، استطاع أن يفرض على نفسه نظاماً قاسياً فى الحياة وفى التعليم الذاتى ، حتى أصبح من أكبر المثقفين فى عصره ، بل فى كل عصور الثقافة العربية ، واستطاع فى نفس الوقت أن يحمى جسمه من الهلاك تحت وطأة المرض الخطير ، حتى عاش خمساً وسبعين عاماً دون أن يترك قلمه إلا قبل وفاته بأيام وذلك لأنه فرض على نفسه «نظاماً عسكرياً» دقيقاً فى الطعام والنوم والحركة والنشاط والرياضة ، حتى استطاع أن يجعل من جسمه العليل عملاقاً يتحمل الحياة ويواصل أيامه حتى هذه السن المتقدمة ، ولقد بلغ العقاد من القوة والحيوية حتى فى



مي زيادة

شيخوخته الى حد دفع أحد أقاربه الى أن يقول لي يوم وفاته : إن العقاد لم يمت موتاً طبيعياً ، فقد كان ـ والأعمار بيد الله ـ قوياً مليئاً بالحياة قادراً على مواصلة الحياة الى ما فوق التسعين .. ثم قال لي قريب العقاد : إن العقاد مات مقتولا على يد بعض الطامعين فيه ! وهذه قصة أخرى بالطبع ، ليس عليها دليل ، ولكنها تقوم على الشبهة والظن .. وبعض الظن إثم كبير .. ولكن القصة مع ذلك قد تكون صحيحة .

المهم أن مسلسل العقاد كان ممتازاً لولا ملاحظة لابد من تسجيلها هنا ، فقد بدت صورة الأدباء الآخرين فى عصره مهزوزة وغير دقيقة ، ولا أمينة . وعلى رأس هذه الصور الخاطئة كانت صورة الأديبة الكبيرة «مي» ، فقد بدت «مى» فى المسلسل عاشقة رخيصة ، تتحكم فيها نزعة عاطفية سطحية ، حتى أصبحت «مى» ـ والعياذ بالله ـ وكأنها من أبطال أفلام الدرجة الثانية المصرية العاطفية التى تقوم على المبالغة والافتعال . وهذه صورة غير صحيحة ولا يمكن ان تكون صحيحة ، فقد كانت مي المرأة الوحيدة فى عصرها «الثلث الأول من هذا القرن» التى استطاعت أن تنشىء صالوناً أدبياً ، يتجه اليه أعظم أدباء العصر ومفكريه ، واستطاعت «مي» أن تحظى باحترام الجميع وتقديرهم ومحبتهم ، واستطاعت أن تحافظ على كرامتها فى جميع الظروف .. ويمكن ان تكون مي قد اتجهت بعواطفها الى العقاد أو غيره من الأدباء ، ولكنها بالقطع لم تكن «رخيصة» العاطفة كما بدت فى مسلسل «العملاق» ... إن أى دراسة لـ «مى» تثبت وتؤكد انها كانت امرأة قادرة على «ضبط عواطفها وسلوكها معاً» وإلا ما استطاعت أن تعيش وحدها بين رجال الفكر الكبار وتفتح صالونها للجميع وتستمر فى ذلك سنوات بعد سنوات ، دون أن يمسها أحد بكلمة سوء .

ولو كان العقاد حياً ، فمن المؤكد انه كان سوف يرفض هذه الصورة المرسومة لـ «مي» فى المسلسل التلفزيونى ، والدليل على ذلك انه رثاها بقصيدة صادقة مؤثرة أكد فيها على نبل شخصيتها وبكى فيها ذوقها الرفيع وسلوكها الراقى المتحضر .. ولو أن الذين صوروها بهذه الصورة على شاشة التلفزيون قرأوا أدبها ، لعرفوا أنه من المستحيل أن تكون مي عاشقة رخيصة بهذا الشكل الذى ظهر فى هذا المسلسل الممتاز !

مثل مي ، لا يمكن أن تحب بهذه الطريقة السطحية المهتزة التي تناسب المراهقات الجاهلات .. ولا تليق بمي .. الحساسة المثقفة التى يمكن أن تحب ، بل يجب أن تحب ولكن بغير هذه الطريقة الرخيصة !

رجاء النقاش

صَبَا نَجْد

شعر : محمد الفهد العيسى



ألا يا صَبَا نجدٍ فديتك يا نجدي
متى كان عهدك - بالأحباب - في نجد ؟
متى كنت فيهم في مواسم حبهم
وفي روضة "التنهات" كيف هموبعدي ؟
أيذكرني الخلان في الوسم عندما
تلوح بروق المُزن .. أم أُنسيوا عهدي ؟
سقى الله أرضًا كنت بين رياضها
أُريقُ كؤوس البَوْح وجدًا على الوجدِ
بها كنت لحنًا بين أضلع شاعر
يغنى لليلى الشوق في القربِ والبعدِ
ويبكي جريحًا نأيَ ليلى وبُعدَها
وذكرى ليالي الوصل في المنهلِ الرّغدِ
تعلقتُ ليلى وهي بعدُ - غريبة -
وقلبي - غريبٌ - مثل ما عندها عندي
وكنت وليلى نحتسي الكأسَ مُتْرعًا
بشوقٍ كراحٍ كالشعاعة كالشهدِ
وهِمْتُ انتشاءً في نَديٍّ وصالها
ليالي .. ما كانت من الزَّمنِ الحَرْد
يظللني فيها من الشِّيح رطبُه
وليلاي عبق الأقحوانة والنّدِ
ألا يا لحَى الله الفراق وليلَه
لحَى القلبَ مني بالتَّولُّهِ والوقْدِ
ألا يا صَبا ما الطِّيب ما العرف بعدها
وما الزهر .. ما القيصوم .. ما العبق للورد ؟
ألا يا صَبا .. ما قد صفا الدهر مثلما
تناهَى إلينا - الحب - في الروض من نجدِ
ومرّت كبَرْقٍ - لحظة العمر - بعدها
تناهت بي الأيـّام في المهْمَهِ الجَرْدِ

د . محمد زكي العشماوي

منهج في دراسة أبي نواس

لعلنا لا نجافى المنهج العلمى السليم إذا قلنا إن دراستنا لأى شاعر من شعراء المرحلة العباسية تحتاج إلى نظرتين :

الأولى عامة وتتصل بابراز خط التطور والنمو فى مسار الشعر العربى وتحاول تحديد أهم ملامح التحول التى حققها الشعر فى تلك المرحلة بوصفها ظواهر عامة ينبغى أن تدخل فى اعتبار الدارس وتنال قدراً من اهتمامه ، هذا إذا كانت هناك ظواهر جديدة ومشتركة تتسم بها المرحلة وتحدد إتجاهاتها

والثانية خاصة وهى تتصل بشاعر معين له سماته الخاصة وعالمه المتفرد من حيث أسلوبه وطرائق تعبيره وموقفه الفكرى العام وإضافاته . وإذا جاز لنا أن نبدأ بالنظرة العامة للمرحلة فيمكننا أن نجمل خطوطها العامة فيما يأتى :

أولا : انتقال الشعر فى المرحلة العباسية بدءا من بشار - من دائرة القبول والرضى والاستسلام والولاء للجماعة واخلاقها الى دائرة التساؤل والرفض والتمرد والسخرية من الجماعة وقيمها والاستخفاف بالعادات والتقاليد الثابتة . وقد ظهرت علامات هذا كله على المستويين الابداعى والاجتماعى على السواء . فقد ساعد تغير الحياة وانتقالها من البادية إلى الحضر ، وتكاثف السكان وتزايدهم فى المدن ، وانتقال الثقافات المختلفة وامتزاجها بالثقافة العربية على نوع من التطور فى شكل المجتمع وفى لون الحياة الجديدة نتج عنه إحساس الشاعر بالعزلة والشعور بالوحدة والقلق ، الأمر الذى دفع به الى ضرورة البحث عن مخرج ، فكان السبيل هو طريق الذات ، والكشف من خلالها عن التوازن الداخلى باتخاذ موقف ينبع من داخله ومن ارادته الحرة البعيدة عن أى تأثير . ومن هنا جاء الاندفاع على تركيز الروح وتحقيق معنى التضرر أو بمعنى آخر التحول من الحضور الجماعى إلى الحضور الذاتى ، وظهور العمل الفنى النابع عن حضور الأنا وغياب الآخر .

ثانيا : لم تعد التجربة الذاتية الجديدة فى الشعر عند كبار شعراء تلك المرحلة مجرد تجربة ذاتها همها إثارة الانفعالات والأحاسيس ، فهذه من أبسط الأمور ، بل ان أرخص أنواع الأدب يستطيع أن يثيرها ، بل صارت التجربة الذاتية رؤية وموقفاً ، وصارت حلماً وفكراً فى ذات الوقت وأصبح الشاعر أحياناً يحلم بعوالم خاصة ، واخذ يتوجه أحياناً أخرى الى الانسان يفكر فيه ، ويتأمل موقفه من الزمن والكون والمصير ، ويتجاوز الحدود المكانية والزمانية الجزئية الى حدود كلية والى عالم ما وراء الحس كما هو الحال فى بعض تجارب أبى نواس وابى العلاء والمتنبى .

ثالثاً : التحول فى شكل الشعر وصياغته فلم يعد هم الشاعر الوصول الى التعبير بقدر ما صار من همومه التفكير فى كيفية التعبير فبدأنا نرى معمارا شعرياً جديداً وتركيباً بنائياً جديداً ، تركيباً يعنى أحياناً بشكل الشعر وصناعته عناية تبلغ حد الولع بالصنعة ، ولعا جعل بعض هؤلاء وهو أبو تمام يخلق لنفسه - على حد قول نيتشه - سلاسل فنية يرقص من خلالها ، وبها . احب أن يخلق لنفسه جوا خاصاً يتنفس فيه ، مؤمناً بأن شجرة الشعر إذا لم تثمر ثمراً غريباً ونادراً فلا كانت الشجرة ولا كان الشعر .

تحرير القصيدة العربية

رابعاً : تحررت القصيدة العربية القديمة من بعض التزاماتها المفروضة عليها فى الشكل والمضمون فتغير الشكل ولم يظهر هذا التغير فى إيقاع الشعر الجديد وتطور أوزانه واقتراب لغته أحياناً من لغة الحياة بل تغير البناء الفنى فتوافرت لدينا بعض التجارب التى يستجيب فيها الشعر لموقف عاطفى واحد يجسد رؤية الشاعر وينشرها عبر القصيدة فى رؤية واحدة مركزة ، واصبحنا نجد الصورة التى تستطيع أن تهيمن على عدة صور فتحقق الوحدة فيما بينها بطريقة اشبه بالصهر بين المتباعدات والمتناقضات ، وظهرت القصيدة التى تتصارع اجزاؤها ثم تتوحد فى النهاية فى كيان عضوى موحد .

خامساً : والى جانب التحول فى الصياغة والبناء الفنى للقصيدة فقد كان ثمة تحول ظاهر فى طبيعة التجربة البشرية أو ما يسمى بمضمون الشعر وما يطرحه من قضايا ، ولعل أبرزها موقف الشعر من المجتمع والناس فاذا كان المجتمع يسحق الشاعر احياناً بموقفه الطاغى أو الظالم أو بشعور اللامبالاة فقد كان الشاعر احياناً يسحق المجتمع بالكلمة الساخرة والتهكم اللاذع ، وكان من نتيجة هذا كله ان اصبح للشعر موقف من الحياة والناس واصبح الشاعر ناقداً للحياة ، وساخراً من الخلل الذى يراه فى عالم الظواهر .

سادساً : ظهرت السخرية واحتلت مكاناً بارزاً فى شعر هذه المرحلة وتعددت أشكالها ومذاهبها أو قل فنونها ، فخرج منها التهكم والتمرد والرفض والعبث أحياناً .

وكان منها الهادىء الذى يحاول فيه الشاعر أن يسخر من آلامه لكى يهون من حملها ، ومنها العنيف الذى يبلغ حد التهكم من حماقة الناس وجهلهم ، ومنها

السخرية الماجنة المستخفة بكل شىء هروباً من الحياة أو هجوماً عليها أو بحثاً عن خلاص أو مخرج من خلالها . ومنها السخرية العقلية التى لا ترى لشىء معنى أو قيمة والتى ترفض الحياة من أساسها .

ابو نواس : شخصية فريدة

فاذا انتقلنا من الملامح العامة للعصر الى أبى نواس فاننا نجد أنفسنا أمام شخصية فريدة على المستويين الشخصى والانسانى نادرة فى حياة أدبنا العربى ، شخصية غنية بتجاعيدها ومنحنياتها ، وإبداعها الفنى تصم أذنيها عن العالم الخارجى كله ، ولا تستضىء أو تتحرك إلا بوحى من عالمها الداخلى فى محاولة لخلق نمط حياتى وفكرة خاص ، ونمط تعبيرى جديد ينبعان من مبدأ : قوامه البدء بالذات والحرية الفردية ، ومن هنا كانت الخطيئة المقدسة وكان التمرد على الواقع ورفض القيم الثابتة كضرورات كيانية مشتبكة بلحمه ودمه وأعصابه لمقاومة كل ما ينفى فردية الانسان أو يحد من حريته ، ولتحقيق وجوده الفنى وعالمه الخاص به .

وهكذا كان أكثر ما يلفت النظر فى هذا الشاعر شيئان بارزان . أولهما طاقة الحياة والفعل ، تلك الطاقة المغيرة والرافضة . وثانيهما : الثنائية أو الازدواجية التى جمعت بين تناقضين أو أكثر فى وقت واحد .

وموطن الصعوبة فى تقديرنا هو فى إزالة التناقض القائم بين هذه الثنائيات واكتشاف الوحدة التى تحقق التكامل والتوازن فى عالم أبى نواس بعد تحديد عناصر التكوين والبناء فى هذه الشخصية الفريدة .

وفى تقديرنا أن هذا ممكن وميسور معاً اذا استطعنا أن نكتشف الخيط الذى يربط بين عوالم ثلاثة أساسية فى حياة هذا الشاعر تلك العوالم هى :

أولا : عالم النشوة الذى يعينه على التالف مع الكون وفى هذا العالم يجب أن نتنبه لظاهرتين خطيرتين الأولى الحرية والثانية الخطيئة ، وكل منهما مرتبط بالآخر إلى حد بعيد فالحرية عند الشاعر هى طاقته المغيرة والرافضة والمتحررة كلما ازداد لوم الناس ازدادت شهوة الشاعر وازداد عناده ونعيبهم عليه ثناء .

إن كنتما لا تشربان معى ... خوف العقاب شربتها وحدى
لا تلمنى على التى قتلتنى ... وأرتنى القبيح غير قبيح
قهوة تترك الصحيح سقيماً ... وتعير السقيم ثوب الصحيح

والخطيئة والمجاهرة بها هى التى تعُينه على تحقيق حريته وتوكيد سعادته وهى الحقيقة التى يشعر أنها تملأ يقينه ، لأنه بالخطيئة يؤكد الرفض ويحقق الحرية .

هناك لا تتخطى الأذن لائمة ... ولا ترى قائلا من ذا ؟ ولا ماذا ؟

ولأن الخطيئة فعل التمرد فهى تريحه وتعبر عن انتصاره على اى سلطان للقمع أو الكبت فهما عنده موت قبل الموت الطبيعى ! .

أنفت نفسى العزيزة أن تقنع ... إلا بكل شىء حرام

وهو هنا يلتقى مع الرومانسيين : والخمر عنده مقدسة فهو يحلها ويشربها فى هالة من الطقوس ، وهى كريمة تجل عن اللئيم :

أجل عن اللئيم الكأس حتى ... كأن الخمر تعصر من عظامى
واسقيها من الفتيان مثلى ... فتختال الكريمة بالكرام

ويقول :

كرخية تترك الطويل من الـ ... ـعيش قصيراً وتبسط الأملا

حالة الحضور

وللخمر لغتان لغة تجسد الواقع المعيش فتصور الخمر ومجالها وندماءها وآنيتها ، وتنقل صورتها كاملة حية . ولغة أخرى تجسد عالمه الثانى أو حياته الثانية التى يخلقها لنفسه هرباً من الحياة الأولى .

وفى الحالتين معاً : حالة الحضور والغربة يتم للشاعر تحقيق ثنائية من ثنائياته ، وهى الجمع بين الوعى واللاوعى أو بين الحقيقة والحلم ، بين الاتصال والانفصال . وبهذا تتحقق له نوعية خاصة فى الحياة لا يجدها فى الواقع فيظفر بلحظة التوهج وهى وحدها صاحبة القيمة ، فهو لا يحب الحياة لذاتها وإنما لقيمتها .

أما العالم الثانى عند أبى نواس فهو عالم الزهد الذى يخرجه من كنه الحياة ويلاقيه بالعالم الثانى الذى يتوق إليه ويتطلع الى ملاقاته . وفى تقديرى ان الزهد عند ابى نواس ليس رد فعل أو حركة مضادة لمجونه أو توبة فى نهاية عمره ، فالمجونة والزهد عنده جنينان فى رحم واحد أو قل هما حبتا قمح فى سنبلة واحدة . ينهضان على أساس واحد مؤداه : ازدراء الحياة ورفضها والسخرية منها والبحث عن خلاص للمرء من وطاتها إما فى لهو عابث ومجون صاخب وجنوح إلى اللذة وإما فى العزوف عنها والبحث عن عالم من الطهر ينجو فيه الانسان من زيف الحياة ووعثائها .

العالم الثالث هو عالم الفن الذى يخلق له السعادة الضائعة ويتعانق فيه إيقاعه الداخلى بايقاع الحياة الخارجية ويرمز لطاقة الفعل المتجردة والمتغيرة عنده :

فمازلت بالأشعار فى كل مشهد ... ألينها ، والشعر من عقد السحر

واللغة عنده تفيض حيوية وانطلاقاً تستلين له طيعة وتفيض بين يديه عذبة رقراقة محتفظة بحيويتها على الدوام .

هذه العوالم الثلاثة لو احسنا الربط بينها وتفسيرها وازالة التناقض القائم بينها امكننا ان نظفر بعناصر التكوين والبناء فى تلك الصورة الفريدة صورة أبى نواس .

أما منهجنا فى البحث فلابد أن يعتمد أولا على تخليص أبى نواس وأخباره وشعره من الفوضى التى علقت به ، ومما التصق بشخصه من أحداث ووقائع نسبت إليه وليست له ثم على اتخاذ المنهج التحليلى النقدى الذى يهتم بتحديد القيم الفنية والجمالية فى شعره ويكشف عن حقائق الحياة والانسان ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يستبعد التاريخ أو السياسة أو المجتمع أو دراسة الشخصية الانسانية ، وإنما يأخذ من كل هذه المعارف على ألا تستعبده واحدة منها أو تصرفه عن المهمة الاساسية وهى اكتشاف موقفه الفكرى العام والوقوف على عناصره الفنية التى تفرده وتحدد عالمه ودنياه الخاصة .

د. محمد زكي العشماوى

همومٌ ثقافية



علي عبدالله خليفة

أوراق خليجية


اوراق خليجية
تصدر عن دار الكلمة باشراف حبيب الصايغ

إن أشد ما يؤلم هو أن ينظر الغير الى منطقة الخليج على أنها منطقة النفط والثروة والتخلف فقط ، ويتعاملون معها من هذا المنطلق ، دون النظر الى التاريخ الحضارى لهذه المنطقة وانجازات أبنائها فى شتى ميادين المعرفة ، والى أن النفط لم يتدفق فى خليج صحراوى خلو من معاناة الانسان التى أورثت أشكالا عديـــدة من المواقـــف الســـياسية والاجتماعية والفكرية . فاذا كان تدفق النفط وما جلبه من ثراء واهتمام هو بداية التعرف على انسان هذه الأرض فان المد لا يمكن له أن يغيب الوجه الحضارى لهذا الانسان مهما كانت هذه النظرة سائدة لغياب الوعى بالتاريخ ونتيجة طبيعية لاهتمامنا نحن أبناء الخليج بابراز الجوانب التى أفرزتها الثروة ، واصرارنا جميعاً على تمثيل دور الباذخ المنعم المتهافت على المتع الحسية أمام الشـــعوب الأخرى ، وإغفالنا الجانب الثقافى والحضارى .

وفى أبعد أو أقرب نقطة الى الخليج ليست هذه النظرة السائدة هى نظرة المواطن العادى الذى لا يهمه أن يعرف كل شىء خارج دائرة حياته وإنما نظرة الكثير من المثقفين العرب والأجانب على حد سواء . فلا يأتى ذكر الخليج إلا فى كتب السياسة والاقتصاد والتخصص فى التاريخ أو الجغرافيا ، أما الكتب المعنية بالفنون والآداب فانها تقوم بمسح شامل لكل الدول العربية وتأتى على ذكر أدق وأصغر تفاصيل نشاطها الثقافى ولا تكاد تشير الى هذه المنطقة حتى بكلمة واحدة . والى ما قبل بضع سنوات لم يحدث أن كلف باحث عربى نفسه باعتبار الأدب في الخليج أحد الروافد الصغيرة لأدبنا العربى ، لأنه ببساطة لا يعلم بوجود أثر لهذا الأدب بهذه المنطقة العامرة بشعرائها وادبائها ومفكريها ، مكتفياً بالاشارات التعميمية الواردة فى كتب التاريخ الأدبى الى شعراء الجزيرة العربية القدماء . والمجلات والدوريات العربية التى تتهافت الآن على نشر اى كلام من أدب أبناء الخليج هى نفسها التى كانت تلقى بالجيد منه الى سلة المهملات حتى الستينات وأوائل السبعينات لعدم القناعة مسبقاً بأن المنطقة يمكن أن تفرز أدباً ذا قيمة فنية ، وكان حلم الشاعر أو القاص ذلك الوقت هو أن تنشر له مجلة أدبية فى القاهرة أو بيروت أو دمشق . وظل ذلك الحلم الى ما قبل سنوات قليلة صعب المنال لم يتحقق إلا فى الملاحق الدعائية أو الأعداد الخاصة التى تصدرها المجلات الأسبوعية وتقبض ثمنها مقدماً ، وضمن تحصيل الحاصل . فى الوقت الذى كانت الحركة الأدبية فى الخليج تبحث فيه عن متنفس لائق للنشر .

إن أية محاولة للتأكيد على وجود وقيمة الفكر والأدب والفن عندنا وامتداده الى أبعد الجذور فى الحضارة الانسانية لجديرة فى هذا الوقت بأن تعضد وأن ترفد بكل ما يدعـــو الى تأصيلها واستمرار فاعليتها . وستطلع على القراء العرب هذه الأيام مطبوعة خليجية جديدة باسم (اوراق خليجية) تصدرها مجموعة من مثقفى دولة الامارات العربية المتحدة بالتعاون مع دار الكلمة للنشر والتوزيع فى بيروت باشراف الشاعر حبيب الصايغ . من المؤمل أن تعنى هذه المطبوعة الجديدة بكل ما يمت الى الخليج بصلة من فكر وفن أدب وتاريخ واجتماع ، محاولة أن تنقل الى القراء العرب أولا الوجه الآخر للخليج العربى .

وعلى الرغم من كثرة المطبوعات المشابهة الشهرية والدورية والفصلية الصادرة فى البلاد العربية ، وتنوع أهدافها واتجاهاتها فان أية مطبوعة ثقافية خليجية جادة هى بلا شك خطوة متقدمة للوقوف فى وجه موجة الالهاء والتسيب والخواء الثقافى السائدة الآن ، وعلامة مضيئة فى مجتمع بدأت تحكمه المادة وتجرى به عجلات الربح التجارى السريع .

وأياً كانت عوامل النجاح أو مبررات الفشل فى مثل هذه الطموحات فسيظل مجرد الهاجس الأصيل فى تأكيد وجودنا الثقافى هو الأمل فى التشبث بكل محاولة والعمل على انجاحها واستمرارها والبدء من جديد متى ما خانتها الظروف .

● تأكيد وجودنا الثقافي الجاد هو الأمل في مواجهة هذا الخواء الفكري

● أيها السادة : ما يطلبه هذا الناشر أقل من قيمة عجلة سيارة

السيد عبد الودود وقصص العرب

● من خلال الهاتف حدثني الرجل بلغة عربية مشوبة بلهجة مصرية صميمة طلب مني مقابلته لاستلام رسالة يحملها إلي من احد الأدباء العرب . طلبت منه اسم الفندق ورقم الغرفة ، وودعته على أمل لقاء الغد .

● في أحد فنادق الدرجة الممتازة ، حيث الرواد عادة من رجال الأعمال واللصوص والخبراء ومدعي الخبرة ، تقدمت من موظف الاستقبال أستفسر عن اسم نزيل الغرفة المقصودة ، لانى لم أساله عن اسمه وهو لم يصر ساعتها على ذكره ، فاجابنى الموظف بان نزيل الغرفة انجليزى اسمه :...

ولم أدعه يكمل . قلت له : لقد اتصل بى أحد الأخوة العرب واعطانى رقم هذه الغرفة فاما أن يكون من مصر أو من السودان ، وليس أجنبياً ، فاكد لي الموظف معلوماته .

● وقفت برهة أراجع الرقم واسم الفندق المكتوب فى مفكرتى ، ثم توجهت الى الهاتف الداخلى وأدرت رقم الغرفة فجاءنى ذلك الصوت العربى نفسه ، وأخبرته بأننى فى انتظاره بالصالة حسب الموعد .

● جاءنى رجل أجنبى وقور سى حوالى الخمسين بعيون زرقاء نافذة ، مد يده إلي باسماً : اسمى دينيس جونسون ديفيز . لقد قابلت صديقك فلان وأعطانى اليك هذه الرسالة ، هل يمكن أن نتحدث بعض الوقت ، إننى مهتم بترجمة الأعمال القصصية العربية الجيدة الى لغة الأدب الانجليزى الحديث ومحاولة نشرها والتعريف بكتابها على نطاق واسع الى قراء الانجليزية فى كل مكان . أعلم أن لديكم بعض القصص الجيدة ، لكنى لا أستطيع أن أحيط بكل ما صدر من قصص أريد أن ترشح لي أحسن ما عندكم فى الخليج ، هل يمكن أن تساعدنى ؟

● ودعت الرجل ووعدته خيراً فى اليوم التالى . وبدأت أراجع الاسم فى الذاكرة ... دينيس جونسون ديفيز .. لقد قرات شيئاً عنه أو شيئاً له ، لقد مر علي هذا الاسم ، لكن أين ؟ وبدأت أقرأ رسالة صديقى ، واستطعت من خلالها ان اهتدى الى معرفة أكثر بهذا الرجل .

● استعرضت مكتبتى فوجدت للرجل كتابين بمشاركة الدكتور عز الدين ابراهيم - لم أقراهما - فى ترجمة الأحاديث القدسية ، وهو ضرب من الأحاديث التى تروى عن النبى ، فيسندها الى الله عز وجل وبسبب هذا الاسناد اكتسبت هذه الأحاديث صفة القدسية ، الأول بعنوان «الأربعون النووية» للامام النووى ، والثانى الأربعون القدسية ، صدرا عن دار القرآن الكريم بدمشق وبيروت . وبدأت أقلب فى بعض المجلات العربية .

● «فى عام ١٩٧٦ ، إذ كنت أستاذاً زائراً فى جامعة كاليفورنيا ببيركلى قررت لصف من طلاب البكالوريوس والماجستير ، مجموعة من القصص العربية المعاصرة ، التى اختارها وترجمها دينيس جونسون ديفيز ، ونشرتها مطبعة جامعة اكسفورد ، وذلك فى دورة عن «الأدب العربى مترجماً» ، أى أن الطلاب فيها كانوا فى غنى عن معرفة العربية ، وقد كان رد الفعل مثيراً حقاً ، من طلاب هم على قدر كبير من النضج والذكاء ، ففى البحوث التى كتبوها عن بعض هذه القصص ، كانت دهشتهم رائعة ، لأن يكتشفوا قصاصين كما قال أحد الطلاب ، لو لم يعرفوا انهم عرب ، لحسبوا أن قصصهم جاءت عن قلم غوغول أو مكسيم غوركى ، وقال أحد الطلاب عن احدى القصص ، انها بدت وكانها مجتزأة من رواية لكاتب من أعظم ما قرأ :.. الخ» قرات ذلك للاديب العربى الكبير الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا فى مجلة الأسبوع العربى عدد ١٠٦٣ الصادر بتاريخ ١٨/٢/١٩٨٠ .

دينيس جونس ديفيز



● ذهبت لمقابلة الرجل مرة ثانية ومعى قائمة باسماء كتاب القصة القصيرة فى الخليج العربى الذين اصدروا مجموعات قصصية ، ونسخاً من المجموعات القصصية التى اخترتها حسب وجهة نظرى لتمثل التيارات والتوجهات الحديثة فى القصة القصيرة بالخليج ، وسلمته عنوانى رابطة الأدباء الكويتيين وأسرة الأدباء والكتاب فى البحرين ، لمزيد من التفاصيل . وبدأ حبل الود يجر الحديث ...

● حدثنى الرجل باخلاص وتعاطف وحماس للعرب ولأدابهم وحضارتهم العريقة . فهو من مواليد كندا عام ١٩٢٢ يحمل الجنسية الانجليزية ، درس فى جامعة لندن ثم كامبرج ، وتتلمذ على يدى الشيخ محمد محمود جمعة المدرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ويدى المستشرق المشهور نيكلسون وحاز

المؤتمر العادى الخامس لوزراء الاعلام فى دول الخليج العربى الذى إنعقد بالدوحة فى فبراير ١٩٨٠ .



درجات علمية عالية فى اللغة العربية والاسلاميات . بدأ اهتمامه بترجمة القصص العربية الحديثة الى الانجليزية عام ١٩٤٢ ، سافر الى مصر عام ١٩٤٥ ليعمل مدرساً للأدب الانجليزى والترجمة العربية .. ومايزال.

● نشر على حسابه الخاص ترجمة لمجموعة قصصية مختارة لمحمود تيمور عام ١٩٤٦ ، بالتجربة العملية أيقن بأن الجهد الفردى محدود الفاعلية ، فاتفق مع دار جامعة اكسفورد للنشر بلندن على اصدار مجموعة من القصص العربية الحديثة المترجمة بالاضافة الى مسرحية (يا طالع الشجرة) لتوفيق الحكيم التى اعتبرت حين صدورها أول مسرحية عربية تترجم الى الانجليزية .

● لم تتطوع أية جهة عربية لشراء نسخة واحدة من هذه الترجمات .

● عندما ترجم (عرس الزين) للطيب صالح وعرض نشرها على نفس الدار اعتذرت لانعدام تشجيع خطواتها الأولى من قبل أجهزة الاعلام والثقافة العربية . انتقل الرجل للتعاون مع دار (هاينمن) وهى ثانى أكبر دار نشر بريطانية ، فنشرت له (عرس الزين) ضمن سلسلة كتاب أفريقيين ، وكذلك (موسم الهجرة الى الشمال) لنفس الكاتب .. وتوالت الاصدارات (السلطان الحائر) ، (مصير صرصار) ، (أغنية الموت) ضمن نفس السلسلة . آخر كتاب تحت الطبع الآن عن الشاعر الفلسطينى محمود درويش .. مختارات من أشعاره ودراسة مستفيضة عن أدب المقاومة الفلسطينية .

● استمرت الدار فى نشر أربعة كتب مترجمة عن الأدب العربى كل عام ، ستضطر هذا العام الى تخفيضها لكتابين فقط ، وربما فى العام الذى يليه الى كتاب واحد .. ثم تتوقف ، وتضرب عرض الحائط بكل ما هو عربى إزاء المصاريف التى تتحملها لتمويل مشروع الترجمة والطبع وتؤثر السلامة على التصدى غير المباشر للدعاية الصهيونية والعداء السافر ضد العرب فى أوربا .

● كانت الدار تطبع من كل ترجمة ثمانية آلاف نسخة يقرأ كل نسخة حوالى خمسون قارىء ، حسب المعدل العالمى لقراء اللغة الانجليزية . وتذكرت شيئاً ..

● .. «إن وزراء الاعلام فى دول الخليج العربية المجتمعين فى مؤتمرهم الخامس فى الدوحة بدولة قطر (فبراير ١٩٨٠) ... بعد أن أجروا مشاورات ومداولات مستفيضة حول الحملات الاعلامية الجائرة التى توجه الى الأمة العربية وبصورة خاصة الدول العربية فى منطقة الخليج من قبل أجهزة الاعلام الأجنبية ، فانهم يرون أن على الدول العربية واجباً قومياً هو القيام بجهود اعلامية منسقة وفى اطار نظام اعلامى عربى جديد يوضح التوجه الحقيقى الصادق لشعوب الأمة العربية وسعيها الدائم لخدمة الحضارة والتقدم الانسانيين ومناصرة الحقوق المشروعة وترسيخ الاستقرار ونشر الرخاء والسلام فى أرجاء العالم .» (من اعلان الدوحة) .

● قلت لصاحبى : ما الذى يحتاجه مشروعك كي يستمر بنفس نشاطه السابق ؟ قال وهو يحدق فى وجهى مبتسماً ، ويمس جرحاً ما بداخلى : إننى أحاول أن أقنع بعض الجهات العربية رسمية أو أهلية بأن تشترى من الناشر مباشرة كل عام عدداً من النسخ مساهمة فى تغطية الخسائر ، لا أريد أكثر من ذلك .

- هل لاقيت تجاوباً من أحد ؟
- إننى أتعثر ، ولم تسنح لي فرصة لتوصيل ما أريد .. انكم هنا مشغولون جداً ، هل تعتقد بأن ما أطلبه كثير ؟
- لا ، أتمنى لك التوفيق .. يا سيد ديفيز .
- عبد الودود ، منذ أكثر من ثلاثين سنة واخوانى وأصدقائى وتلامذتى فى مصر يصرون على تسميتى عبد الودود .

● أيها السادة ، إن ما يطلبه الرجل من كل دولة عربية أقل من قيمة عجلة سيارة.


جو جول


مكسيم جوركى


محمود تيمور


توفيق الحكيم


الطيب صالح


محمود درويش

في وداع السيدة الخضراء



عندما يُغرقُكِ المدُّ
ويمحو ذكرَكِ الأسفلتُ
وتبقَينَ بجوفِ التُّربةِ السَّمراءِ
عِرْقاً واهناً .. ذكرى حياةْ
لملايينِ البواسِقْ
سيِّداتِ الشَّجرِ المُعطِي ، وكُنتِ امْرأةَ البحْرِ ،
يذوبُ البحْرُ وجْداً ، عندما يجثو كليماً
يَغسلُ الأقْدامَ حُبّاً .. ثُمَّ يرحلْ
فإذا عادَ شرِبْتِ دمْعَهُ المالِحَ ، كُنتِ خادِمَ
البيتِ ، ملاذَ المُتعَبِ المُضْنَى وأُمَّ الفُقراءْ
حيْثُما امتدَّتْ على الأرضِ فلاةْ
ثابِتٌ أصْلُكِ ، فرْعاءُ ، رذاذُ الغيْمِ يُقرِيكِ
سلامَ النَّهرِ والبحْرِ وأجْرامَ السَّماءْ

ما الذي يُمْكِنُ للطِّفلِ الذي يغفو على حُضْني أقولْ
عِنْدما يلمحُ ظِلّاً لبقاياكِ بأطْرافِ الحُقولْ
ويُغنِّي بعضَ ما جُنَّتْ بهِ الدُّنيا
وماتتْ مِنْ تباريحِ أساهُ الشُّعراءْ

ما الذي يُمكِنُ يا سيِّدتي الخضْراءُ؟ والدُّنْيا تُغادرْ
لونَها الأخْضَرَ ، والأرضُ التي كانَ لها عُرسُ البِذارْ
قتَلَتْ أشْواقَها الحرَّى
وقالَتْ للرِّجالِ الجُوفِ : هاتُوا
كُلَّ ما تبْغونَهُ آسمَنْتَ وقارْ.

علي عبد الله خليفة

حوار مع: فتاة مثقفة!

د. يحيى الجمل

لم تكن مجرد فتاة جامعية وإنما كانت أكثر من ذلك سعة ثقافة وقوة شخصية ورغبة صادقة فى فهم الحياة وزيادة المعرفة ، وكانت إلى جوار تفوقها فى دراستها الجامعية تحب الاطلاع وتهوى القراءة وتحاول كتابة القصة وتتذوق الشعر ، ولم يكن إطلاعها قاصراً على العربية ، بل كانت ذات باع واسع فى معرفة اللغة الانجليزية والاطلاع على آدابها ، ولذلك كله فان الحوار معها - رغم فارق السن الكبير وما قد يكون من فوارق أخرى كثيرة - كان يشعرنى بغير قليل من المتعة والراحة فى وقت عز علينا فيه معشر الأساتذة أن نجد بين طلابنا والقريبين منا من يحسنون حتى إلقاء السؤال أو الاستماع إلى جوابه .

وكانت إذا بدأت حواراً حول موضوع تحرص على أن تحدد هدف الحوار ولا تحب أن تقفز من موضوع إلى آخر دون أن تستوعب ما بدأته ، أو دون أن يصل النقاش إلى غاية ، وكانت تضجر من زملائها وزميلاتها عندما ينتقلون من موضوع إلى آخر لاصلة له به أو عندما يطرحون أموراًتبدو لها تافهة لا تستحق مجرد الاثارة فضلا عن المناقشة .

جاءتنى يوماً تزف إلى نبأ حصولها على منحة علمية تتيح لها أن تسافر إلى بلد من بلاد الحضارة تقضى فيها عاماً جامعياً ، وكان وجهها ينبىء عن سعادة غامرة ، وهى تسألنى الرأى فى أمر سفرها واغترابها عن أهلها ووطنها لمثل هذه المدة الطويلة لأول مرة ، وزادت سعادتها عندما وافقتها على قبول المنحة وشجعتها على السفر قائلا إنها إضافة ضخمة يا ابنتى لحياتك وتجربتك وثقافتك . اذهبى على بركة الله ولكن لا تنفصلى عن جذورك وأصولك . اذهبى يا ابنتى وحاولى أن تحصلى من العلم قدر ما تستطيعين وحاولى أيضاً قبل ذلك وبعد ذلك أن تثرى حياتك وأن تعمقى جوانبها نتيجة لاحتكاكك بأقوام آخرين وبأنماط من السلوك والتفكير مختلفة عما تألفين .

وكنت أعرف أنها خرجت لتوها من تجربة فاشلة من تلك التجارب التى يمر بها الشباب فى مثل سنها ، ويحسون أثناءها أن الكون كله قد توقف عند تلك التجربة حتى إذا انتهت إذا بهم يفاجأون أن الكون هو هو لم يتغير فيه شىء قط ، وأن هذه التجربة لا تزيد عن أن تكون نقطة مضافة فى تيار الحياة المتدفق .

الحياة السعيدة

وانتقل بنا الحديث من موضوع إلى موضوع ... إلى أن سألتنى :

- ما رأيك فى الحياة السعيدة على ضوء ما مر بك من تجارب الحياة ؟

وأنصت غير قليل ، ثم قلت لها : هل تقبلين أن أدخل على سؤالك نوعاً من التعديل اليسير ؟

قالت : لا ضير ، ولكن ما هو ذلك التعديل الذى تريد أن تدخله على السؤال ؟

قلت لها : دعينا نتحدث عن الحياة الموفقة بدلا من الحديث عن الحياة السعيدة .

وأجابت : لا بأس ولكن ما الذى يدعوك إلى هذا ؟ عهدى بك أنك حريص الحرص كله على انتقاء اللفظ واختيار الكلمات ، ولابد أن يكون لذلك التعديل هدف تقصد إليه من ورائه .

نعم ، يا ابنتى ، ذلك أن الحديث عن السعادة أمر يضرب بنا فى غيابات بغير حدود ، وأنا أعرفك ، تحبين الكلام الواضح المحدد ، وما أظن أن الحديث عن السعادة والحياة السعيدة يمكن أن يكون حديثاً واضحاً محدداً ، إذ كيف يكون الوصف واضحاً إن لم يكن الموصوف كذلك ؟ ما أكثر ما اختلف الفلاسفة والمفكرون حول معنى السعادة ولا يزالون مختلفين . قد أقول لك - وهذا هو رأيى على أى حال - إن السعادة تقوم على أمرين أحدهما إيجابى والآخر سلبى ، ومع ذلك فهما وثيقا الارتباط : الشعور بالرضا والشعور بالاستغناء أرأيت يا ابنتى أننا منذ البداية سنضرب فى غيابات يتوه فيها أمثالنا ممن عركوا الحياة وعركتهم الحياة ، فما بالك أنت ، وأنت تدلفين ببراءة على عتبات الحياة ؟ أليس الأولى بنا أن نتحدث عن الحياة الموفقة ؟ إننا عندئذ سنكون أقرب إلى الأرض وإلى واقع الحياة . وأحب أن أتأكد أنك تعنين بالسؤال الحياة الموفقة بين الزوج والزوجة ، أليس هذا هو ما تقصدين من وراء السؤال ؟ .

قالت ، بل هو ذلك ، وإن لم أرد أن أضع السؤال على هذا النحو المكشوف ، وآثرت أن أطرحه عاماً بغير تحديد . قلت لها : لك العذر ، ففى مثل سنك لا يطرح

السؤال إلا على النحو الذى طرحته ، ولا يفهم إلا على النحو الذى فهمته ، فهو إذن يا ابنتى سؤال لا ينقصه الوضوح ولا التحديد .

والحق معك يا ابنتى ، فالحياة الخاصة الموفقة هى مطلب كل فتى وفتاة بل هى مطلب كل رجل وكل امرأة فى كل مكان ومع ذلك فما أكثر ما نرى حولنا من حيوات ممزقة ومن كائنات تعيش مع بعضها لا يكاد يجمع بينها شىء على الاطلاق . وما أكثر ما ينجم عن ذلك من تعاسة وإحباط .

دعائم ثلاث

أتصور يا ابنتى أن الحياة الموفقة تقوم على دعائم ثلاث ، إن اجتمعت أدت إليها ، وإن اختفت عز معها التوفيق ، أما هذه الدعائم فهى : الاحترام المتبادل ، والفهم المتقارب ، والمقدرة على التسامح .

الاحترام المتبادل يجعل لكل من الطرفين قيمة فى نظر صاحبه . يجعل العلاقة بين طرفين حقاً . تصورى أنك تعيشين مع إنسان لا تجدين فى نفسك احتراماً له ، إنك بالضرورة لن تجدى له فى نفسك مكاناً ، ومن ثم لن تقوم علاقة حقيقية بينكما ، وهذا الاحترام المتبادل لابد وأن يستقر على قيم موضوعية ، يجدها كل طرف لدى الطرف الآخر .

والعلاقة السابقة على الحياة الزوجية بالغة التأثير على هذه الحياة عند قيامها ، وهناك أمور لا تنسى ، وهناك أمور تحفر فى الذاكرة حفراً ، وقد تتصرف الفتاة قبل الزواج بخفة أو بحسن نية أو نتيجة الثقة الزائدة تصرفات معينة مع زوج المستقبل ، فاذا بهذه التصرفات تكون هى بذاتها سبباً لعدم وجود احترام الفتى للفتاة ،أو العكس ، ولابد أن يلقى هذا بدوره ظلالا كئيبة على الحياة الزوجية قد تؤدى إلى تحطيمها تحطيماً .

الاحترام المتبادل يا ابنتى أساس صلب للحياة الموفقة ، وأوشك أن أقول إن هذا الشعور ضرورى للاستقرار النفسى عند الفتاة أكثر منه عند الفتى ، وعلى ذلك فقد يكون هذا الشعور مطلوباً عندها بدرجة أكبر مما هو مطلوب عند صاحبها وقد يكون ذلك أحفظ لحياتها المقبلة ، وأصح نفسياً للاطفال عندما يجيئون إلى هذه الدنيا . إن الشعور بالأمان لدى الطفل أحد مصادره الكبرى : صورة الأب والأطفال مرهفو الشعور ، إلى درجة قد لا يعيها معشر الكبار ، وإحساس الطفل باكبار أمه لأبيه واحترامها له ، يعمق الشعور بالأمان لدى الطفل ، ذلك أنه فى العلاقات النفسية فان الأب مصدر الشعور بالأمان أساساً ، ذلك على حين أن الأم هى مصدر الشعور بالحنان ودفئة الأمران لازمان لكى ينشأ الطفل نشأة نفسية سوية .

أرأيت يا ابنتى أن هذا الاحترام المتبادل أساسى وجوهرى للحياة الموفقة

الدعامة الثانيـــة

– حقاً ما تقول ، لقد انتهت تلك التجربة السريعة التى مررت بها لأننى أحسست بعد فترة قصيرة أننى لا أستطيع أن أجد ما أحترمه لديه احتراماً حقيقياً . ثم ماذا عن الدعامة الثانية ؟ .

– مساحة من الفهم المشترك يا ابنتى .

لابد من قدر من اللقاء الذهنى على أمور واهتمامات مشتركة . لا أقول إن الأفكار يجب أن تكون متطابقة ، فان ذلك أدخل فى باب المحال ، ولكنى أقول إن هذه الأفكار يتعين ألا تكون متناقضة تناقضاً كاملا إذا كنت يا ابنتى ممن يهتمون بالقراءة والاطلاع مثلا ، فلن تجدى راحة مع رجل يكره الكتاب وينفر من الاطلاع . وإذا كنت ترين الحياة هى السهر والنوادى والمجتمعات فانك لن تجدى الراحة مع رجل يحب الهدوء والبيت ويميل إلى العزلة ، والعكس أيضاً صحيح . وإذا كنت ممن يحبون جمع المال واكتنازه ، فانك لن تجدى نفسك مع رجل كل همه ينصرف للبحث العلمى مثلا هذا هو ما أعتقد يا ابنتى ، وجود مساحة من الأرض الذهنية المشتركة ، مع يقينى أن التطابق غير ممكن ، بل قد يكون غير مرغوب فيه ، حتى لو كان ممكنا ، ذلك أن التعدد فى المواهب يعطى الحياة نوعا من الثراء والتكامل .

قالت : لكأنك تعنى ما كان من أمر تلك التجربة العارضة التى بدأت بنوع من الاعجاب العارض ثم تكشفت ، فاذا بنا نجد أن كلا منا يعيش فى عالم مبتوت الصلة بعالم الآخر واهتماماته .

القدرة على التسامح

أما الأمر الثالث يا ابنتى فهو القدرة على التسامح . إذا كان فى امكانك أن تتصورى إنساناً كاملا ، إنسانا بغير



حوار مع: فتاة مثقفة!

أخطاء ، إنسانا بلا نواقص ، فقولى إن التسامح فى الحياة غير ضرورى ، أما حياتنا هذه فلا يوجد فيها من لا يخطىء ، ولا يوجد فيها الكمال ، لأنها بطبيعتها محدودة وناقصة ، فانها لا يمكن أن تسير وتستقيم بين اثنين إلا إذا كان لدى كل منهما الرغبة والمقدرة على التسامح أحيانا .

هذه يا ابنتى فيما أرى دعائم الحياة الموفقة ، إن اجتمعت كان من نتاجها حياة رضية هنية تنتج خيرا ، وان فقدت تهدد تلك الحياة من المخاطر بقدر ما نفقده من العناصر الجوهرية .

قالت : أوشك أن أتفق معك فى كل ما قلت ، ولكنى أخالك نسيت أمرا خطيرا بالغ الخطورة .

– وما هو ذاك الأمر الخطير ؟!

–الحب . الحب يا سيدى الأستاذ . هل تتصور الحياة الموفقة تقوم بغير حب ؟

لقد كنت أنتظر ذلك السؤال وكنت قمينا أن أتعجب لو لم تسأليه .

– الحديث عن الحب يا ابنتى مثله مثل الحديث عن السعادة يدخل بنا إلى الغيبيات من أوسع أبوابها ، الحب يا ابنتى هو أعمق ما فى الحياة ، وأغلى ما فى الحياة ، وأروع ما فى الحياة ، وهو لذلك كله ، ومن أجل ذلك كله عصى على التحديد والتعريف . وعندما أصف الحب على هذا النحو ، أعنى الحب الناضج ، ولا أعنى تلك الضرورات التى يحس بها الشباب تثور أحيانا ثم تمور وكأنها ما كانت ، وهى أمور طبيعية فى حياة الشباب لابد وأن تكون ، ولكنها يا ابنتى ليست هى الحب ، وأخشى أن أقول لك إن الحب نفسه ذلك الاحساس الرائع والعميق ، يصعب أن يوجد ويستحيل أن يستقر وأن يستمر بغير احترام متبادل وفهم مشترك ومقدرة على التسامح بين الحين والحين .

وثقى يا ابنتى أنه ليس أحب إلى نفسى من أن أراك أنت ولداتك تعيشين تلك الحياة المرضية الموفقة التى يفتقدها فى دنيانا هذه كثيرون .. كثيرون .

د. يحيى الجمل

الترويض

مريـد البرغـوثي



تقول : الفضاء الفضاء
وتركض نحو الشباك !

ألا تستطيع التلاقى بنفسك ؟
كل المرايا تكذبك الآن
لا أنت ذاك المزنر بالشمس
والمتلألىء كالبحر عند الشروق
ولا أنت كالصورة المطمئنة فى صفحة فى الهوية
كل ملامحك اليوم مسلوبة
والمسافات زائفة من خطاك .
لقد حددوك كأن الفضاء حواليك سور
وقد حاصروك كأن الخلاء حواليك يوم النشور
وقد أفردوك كأن البلاد خلت من سواك !

ومازلت تستهجن الحادثات
وتبكى كطفل نجا بعد قتل ذويه

وتسمع عبر المسافات من غابة العنف صوتا
تصيح : «هو الصوت»
لكنما
يجىء مروضك المتبهرج
بالسوط ، والسكرية ، والمكر ،
والزركشات المضيئة فى ضجة العازفين
وفى بهجة المذبحة :

على عنق النمر سلسلة من ذهب
على لبدة السبع شال الحرير
على قدم المهر خلخال فضه

تساقطت الآن كل الصفات عن الوحش
إذ أتقن الركض بين الاطارات
حتى تمكن هذا المروض أن يعتليه
فما عاد فى قاعة الضوء وحشاً
وإن عاد للغاب أضحى فريسة من يشتهيه !
روضت
ـ لم أكتهل ـ
غير أنى أضعت صباى
تساقطت الآن عنى خصالى وأوصاف قلبى
فبت أرى فى المرايا سواى !
واستهجن الحادثات
وأبكى
كشيخ نجا بعد قتل بنيه

ومازلت أسمع صوت المروض
مبتهجاً
وتعاليمه مستجابه
يروض وحشاً ، فيحرق غابه !

مازلت أسمع عبر المسافات من شجر العنف
صوتاً ، يحاول أن ..
يقترب .

حســـان عطـــوان

ملامح الشعر الخليجي القومي في مرحلة ماقبل ظهـور النـفـط

لا أظن أن الدراسة المتأنية للشعر العربى فى الخليج ، تكتسب توازنها ، ما لم تقف وقفة موضوعية أمام الأطر التاريخية ، التى شكلت حضارة هذه البلاد العربية الاسلامية ، الضاربة عمقاً فى جذور الزمان ؛ الى حقب قد لا تعيها الذكريات ؛ فى محاولة للربط الموضوعى بين (ثقافة الجزيرة العربية والخليج) من جهة ، كأساس ومنبع ؛ وبين ثقافة الشمال العربى وغربه ؛ فى المساحة الممتدة ما بين (العراق ، والشام ، ومصر والشمال الأفريقى) من جهة ثانية .. إذ لا معنى من فهم الشعر العربى فى الخليج والجزيرة ـ خارج إطار المعطيات الحضارية العربية الاسلامية الواحدة .. وكل دراسة أو فهم خارج هذا الواقع الموضوعى ؛ يعد خاطئاً ومبتسراً ...

إذاً .. لا مناص من إطلالة سريعة ، ومكثفة .. على العمق الثقافى للخليج ...

الجذور العربية فى الخليج

توافق المؤرخون أن «بلاد العرب» الأولى ؛ هى تلك البلاد المترامية من (سورية) وبلاد ما بين النهرين فى الشمال ؛ وفى هذه الرقعة المترامية الأطراف تنامت حضارة مزدهرة .. منها (الأكادية ؛ والبابلية والآشورية والفينيقية فى الشمال) ؛ و (المعينية والسبئية فى الجنوب) .. وخلقت هذه الحضارة فى نهاية الأمر أمة عربية متجانسة ؛ وكان الشعر قبل الاسلام .. عاملا وحد العرب ثقافياً ونفسياً وهيأهم لقبول الاسلام وتبنيه ؛ والذى نزل بلغة عربية (قرشية) صافية .. إذ كانت تلك الأقوام العربية الأولى تتخاطب بالشعر وتتفاهم به ؛ وتضمنه بوحها وشجونها ؛. وكانت الجزيرة العربية مفتوحة دائماً للتمازج والاندماج الحضاريين منذ القديم إذ أشعت عليها أنوار التأثيرات المصرية ؛ والبابلية ؛ والبيزنطية ؛ هذا الاتصال الحضارى .. جعل الخليج غير معزول عن التفاعل مع الحضارات الانسانية منذ القديم .. والى أزمنة لا تعيها الذكريات .



- لا معنى من فهم الشعر العربي في الخليج خارج إطار الثقافة العربية الإسلامية
- تـألق الشعر العربي في الخليج .. عبر أصوات شعرية خالدة
- استجاب الشعر القومى الخليجي لمخاضات الأمة العربية وعبر عن ظواهرها العامة

كان الخليج العربى ؛ على اتصال وثيق بحضارة (السومريين والأكاديين) منذ أقدم العصور ، يكاد يرجع الى (٣٠٠ ق.م) حيث نشأت صلات تجارية بين السومريين والأكاديين والبحرين ، لاستيراد النحاس والخشب من منطقة (مكان) ..

ونتيجة لازدهار الحضارة فى الألف الأولى قبل الميلاد ؛ فى جزر اليونان وحوض المتوسط وبروز الحاجة الى مواد التجارة الأولية من جنوب بلاد العرب ... فقد أصاب المنطقة العربية ثراء كبير ؛ وظلت هذه المنطقة معبراً تذرعه القوافل؛ ولا يخفى ما لهذا الوضع من آثار اجتماعية وثقافية واقتصادية ... حتى سميت هذه البلاد (ببلاد العرب السعيدة) .

قال المؤرخ اليونانى الشهير (هيرودتس) عام (٤٠٠) ق.م «إنها أغنى مكان فى العالم وأكثره ثراء ورخاء .. وأن فى العاصمة السبئية (مأرب) ؛ قصوراً لها أبواب من ذهب مليئة بأوانى الفضة مما جعل المنطقة العربية ، مطمعاً مهماً للغزاة» .

غير أن العرب لم يفقدوا سطوتهم .. فظلت مملكة (الحيرة) جنوب العراق قوة ضاربة فأسست دولة اللخميين فى المنطقة الممتدة بين (الامارات العربية) الآن وبادية الجزيرة الفراتية ، على حفافى الفرات الأعلى ، غير بعيد عن مدينة (الرقة) السورية الآن أو (الرها) ..

كل هذا يقطع لنا بالدليل الأكيد . أن (الخليج والجزيرة العربية وبلاد العرب الأخرى) شكلت وحدة ثقافية وفكرية . نابعة من جذور حضارية واحدة ..

الاسلام والوحدة الثقافية

اذا تجاوزنا العصور الموغلة فى القدم .. حيث يتناهض الاسلام .. ليوحد بشكل جذرى القبائل العربية فى بوتقة وإطار فكرى وسلوكى واحد ؛ نجد شعراء من العرب المسلمين .. يشيدون بالاسلام .. وفتوحاته فيما بعد .. وليسهم الشعر أيضاً جنباً الى جنب فى توطيد أركان الدولة العربية .. فتقرأ لشاعر (خليجى) من قطر .. وهو «قطرى بن الفجاءة» كان خارجياً إذ يقول :

أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً
فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى
فداعيه لأهل الأرض داع ..

وتعاقبت على الخليج .. دعوات فكرية .. حققت انعطافات مهمة فى الفكر العربى والاسلامى . منها (حركة الزنج) التى امتدت فيما بين (العراق والبحرين) بقيادة «على بن محمد» (٨١٦ ـ ٨٨٣ م) و (الحركة القرمطية) بقيادة (أبى سعيد الجنابى) وامتدت بين (البحرين ؛ والمناطق الشرقية وقطر) .. حتى سقوطهم أمام (العيونيين ـ نسبة الى العيون بالاحساء) ..

ولا سبيل الى الخوض فى تفصيلات أدبية .. وشعرية فى هذه الحقبة ؛ إذ يكفى أن نعرف أعلام الشعر العربى فى الاسلام . والعصر الراشدى . والأموى . والعباسى .. لنقول : إنهم نتاج هذه الحضارة التى تنامت بكل معطياتها وتفاعل أحداثها ؛ فيما بين الخليج والجزيرة وبقية البلاد العربية الأخرى ؛ التى انضوت تحت لواء الاسلام ..

وتوالت فيما بعد الغزوات الاستعمارية المعروفة على الوطن العربى الكبير ؛ فأصاب الخليج ما أصاب بقية الدول العربية . من استعمار (برتغالى) عام ١٥٠٨ م ؛ و (اسبانى) عام ١٥٨٠ م . و (هولندى ، وفرنسى ، وعثمانى) فيما بعد ..

إزاء كل هذه الظروف الطبيعية الواحدة فى الخليج والجزيرة العربية تشكلت ثقافة وحضارة واحدة ، وذات سمات متجانسة ومتشابهة إذا لم نقل متطابقة .. وهى فى التحليل النهائى ؛ غير منفصلة ولا بعيدة عن ثقافة بقية المناطق العربية الأخرى شمالا أو غرباً .. وما يدلل على ما نذهب اليه (تقارب اللهجات الشعبية) و (توحد الكيانات اللغوية العربية) .. وهم بالتالى قد كتبوا أدباً وشعراً وفكراً يتسم بطوابع مشتركة وملامح متقاربة وموحدة .. وقد طرقوا مواضيع واحدة لاشتراكهم فى بيئة ومناخ وتحديات وحدت رؤيتهم وفكرهم وأنشطتهم .. وهذا ما نجده فى شعر رواد الخليج ..

مع الرواد الأوائل

ولعل أية اضاءة لمرحلة الرواد من مثقفى وشعراء الخليج تقتضى من الباحث تقصى أولئك الشعراء الذين مثلوا المراحل التاريخية التى مر بها الخليج أصدق تمثيل .. من هؤلاء (عمرو ابن قميئة) .. وهو شاعر جاهلى من قبيلة بكر بن وائل ، وقد استوطن (البحرين الكبرى) .. وأود أن أنوه هنا أن البحرين الكبرى تطلق على الخليج من البصرة حتى عمان .. فيما يطلق اسم (أوال) على (البحرين الحالية) .. ومن أولئك الرواد (سعد بن مالك) جد الشاعر طرفة بن العبد ..

ومن شعراء الخليج أيضاً .. (المتلمس) العبدى . و(المرقش الأكبر) المتوفى عام ٥٥٢ م و(المرقش الأصغر) و(المثقب العبدى) و(الممزق العبدى) وهو فحل من فحول شعراء البحرين ؛ و (الجمال العبدى) .. وهو شاعر بنى عبد القيس ؛ و (نفيل العبدى) و (ابنته) ولها مراثى شعرية عذبة . و (الخرنق) وهى أخت (طرفة بن العبد) .

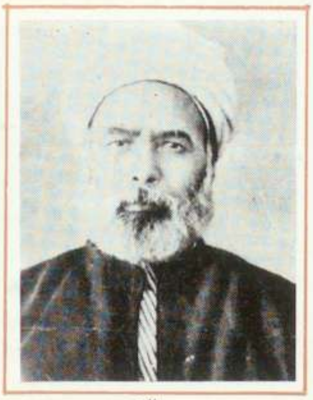
ومنهم أيضاً ظهر شعراء خليجيون ؛ فى العصر الجاهلى هم :

(توبة بن مضرس) و (مالك بن عروة) و (حريث بن الزبرقان) و (المفضل العبدى) و (المخضع) و (الحصين)

ملامح الشعر الخليجي القومي
في مرحلة ما قبل ظهور النفط



خالد محمد الفرج



الشيخ محمد عبده

● قدّم شعراء الخليج البدائل الموضوعية لنهوض الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي

و (جدل بن اشمط) و (أسامة بن ربيعة) و (ثعلبة بن حزن) و (ربيعة بن توبة) و (منقذ بن هلال الشينى) و (هرم بن حيان) و (عمرو بن هبيرة) و (أنس بن مساحق) و (معارك بن مرة) و (زيد بن خذاق) و (مسعود بن سلامة) و (مويلك ابن قابس) و (نشبة بن عمرو) و (النعمان بن حنظلة) و (عمرو بن مرة) و (عطارد بن حاجب) و (عمرو بن أوس ابن عصية) و (مقاتل بن مسعود) و (سلمة بن حبابة) .

وما إن حل الاسلام .. حتى رأينا من شعراء الخليج من الأمويين والخوارج . (نصر بن نصير) و (الجارود بن بشر) و (محمد بن سهل) و (الصلتان العبدى) و (زياد الأعجم العبدى) و (الأعور الشينى) و (كعب الهجرى) و (رشيد الهجرى) و (ابن الجويرية) و (عمرو بن اسوى) و (ابن ثمامة العبدى) و (قطرى ابن الفجاءة) و (كعب بن جابر العبدى) و (عيسى الحظى) .

أما فى العصر العباسى .. فمنهم : (يحيى العبدى) و (الأعصم القرمطى الشهير ، و (ابن أسلم العبدى) و (كشاجم) القرمطى ؛ و (علي بن المقرب العيونى) .. وهو من كبار شعراء الخليج (والشيخ ميثم) وفيما عاش فى الخليج شعراء فى العصور المتأخرة حوالى القرن العاشر الهجرى : (ابراهيم بن سلمان القفطى) و (حسين بن مفلح) و (عبد الرؤوف المسوسوى) و (محمد آل شبانة) و (ماجد الصادقى) و (أبو البحر جعفر الحظى) و (محمد سعيد آل عمير) و (أحمد آل عبد القادر) المتوفى عام ١١٩٤ هـ ؛ و (حسين بن غنام) المتوفى (١٢٢٥ م) ؛ و (أحمد بن مشرف) المتوفى (١٢٥٨ م) و (أبو بكر الملا) و (محمد بن أبى جمهور) و (يوسف بن أحمد الدرازى) و (أحمد بن مهدى) و (علي حسن البلادى) و (حسن علي البدر) و (عبد النبى المانع) .

شعراء العصر الحديث التيار الوطنى

يتميز شعر (أجيال ما قبل النفط) بتيارات متعددة منها (التيار الوطنى) والتيار (القومى الوحدوى) والتيار (الاصلاحى) .. والتيار (التأملى) ..

ولعل أبرز ملامح شعراء التيار الوطنى ؛ أنهم أسهموا بقسط وافر فى تسجيل وقائع الحروب والمعارك ؛ ومن أبرز أولئك الشعراء (عبد الجليل الطباطبائى) العراقى الأصل والمولد ، الكويتى المقام .. الخليجى الثقافة . وقد اضطلع بمهام سياسية مهمة فى (امارة العتوب) الناشئة بزعامة (آل خليفة) .. وانتقل بعدها عام (١٨١٠ م) من (الزبارة) فى قطر الى المحرق فى البحرين .. وفى عام ١٨٤٣ .. هبط الكويت بعد حياة عاصفة مضطربة . وتوفى عام ١٨٥٣ ميلادية .

ونجد أن من سمات شعر هذا الجيل ؛ كان المديح والوصف يغلب على خصائصه الشعرية العامة شيء من محاكاة الشعر الجاهلى . مع مسحة دينية واضحة ومن هؤلاء الشاعر أحمد ابن مشرف .. إذ يصف صراع السعوديين مع غيرهم من القبائل بقوله:

لك الحمد اللهم ما نزل القطر
وما نسخ الديجور من ليلنا الفجر
وما هبت النكبا رخاء وزعزعاً
على نعم لا يستطاع لها حصر
فمن ذلك الفتح المبين الذى له
تهلل وجه الدين وابتسم الثغر ..
فناهيك من فتح به أمن الفلا
وأسفرت البلدان وابتهج الحضر
قبائل عجمان وفيها شوامر
ومن لحسين ينتمون وما بروا ..

وقد صور هذا الجيل بصدق ؛ واقع التناحر القبلى .. وشجعوا على تأجيج نار الحروب .. دون أن يكون لهم أى موقف اصلاحى .. أو رادع .. فها هو الشاعر يهدد جميع البوادى العربية والقبائل التى لا تنضوى للطاعة ..

فقل للبوادى : قد نكثتم عهودكم
وذقتم وبال النكث وانكشف الأمر
فعودوا الى الاسلام واجتنبوا الردى
وإلا فلا يؤويكم السهل والوعر
ونذركم من بعدها أن من عصى
فأفسد أو شق العصا دمه هدر

ويتابع (الشاعر ابن عثيمين) هذا الخط . مادحاً ؛ وهو المولود فى السلمية عام ١٨٥٣ من أعمال الخرج .. وتنقل بين الجزيرة العربية والخليج ؛ وعاش فترة الاضطرابات تلك مساهماً فى تغذية أوار الحروب والتطاحن ؛ وهو يقلد فى شعره مطالع أبى تمام كقوله :

العز والمجد فى الهندية القضب
لا فى الرسائل والتنميق للخطب
(عبد العزيز) الذى ذلت لسطوته
شوس الجبابر من عجم ومن عرب
قال النزال لنا فى الحرب شنشنة
نمشى اليها ولو جثياً على الركب ..
فسار من نفسه فى جحفل حرد
وسار من جيشه فى عسكر لجب
صب الاله عليهم سوط منتقم
من كف محتسب لله مرتقب
فتح به أضحت الاحساء طاهرة
من رجسها وهى فيما مر كالجنب

التيار القومى

وشهدت منطقة الخليج العربى ، موجات عاتية من الغزو الاستعمارى (البرتغالى ، والاسبانى ، والعثمانى .. والبريطانى والفرنسى) واتخذت أشكالا متعددة ، وابتداء من القرن التاسع عشر حيث خرجت من القبضة العثمانية .. لتفرض بريطانيا هيمنتها على الخليج بعد فشل كل الوعود التى قطعتها بريطانيا للشريف حسين ، إذا وقف مع الحلفاء فى حربهم ضد العثمانيين والألمان .. فكان أن برزت بوادر انتفاضات جماهيرية فى الخليج .. وقد وجد

الشعراء أنفسهم أمام استعمار (فرنسي - انجليزي) .. وقد تأثر الشعراء باشعاعات ثورة مصر عام ١٩١٩ وثورة عام ١٩٢٠ فى العراق . وبدأت منطقة الخليج تغلى ، والشعراء الخليجيون يتحسسون ذلك بعمق . وبدأ القمع والكبت الذى مارسه الاستعمار يحفر قسمات واضحة فى الشعر . وكانت آراء جمال الدين الأفغانى و محمد عبده ورفاعة الطهطاوى تزيد فى ارادة الحرية وتوقظ همم الأدباء .. فكان عليهم أن ينادوا بمزيد من الاصلاح . والشورى ، وشيوع التعليم ، بمعزل عن الحركات التبشيرية الغربية ، أو آراء الغرب الاستعمارى . وتجسد ذلك فى الفترة ما بين الحربين العالميتين ١٩١٨ - ١٩٤٥ .

ولعل الدراسة ، تسوقنا منطقياً ، كى نقف عند أبرز شعراء هذا الاتجاه ، القومى .. وبداءة يمكن الاطمئنان الى نتيجة مفادها ، أن حدة التناحر والحروب قد تضامنت ، بين القبائل العربية .. أمام الخطر الخارجى .. وبعد سيادة السعوديين على منطقة الجزيرة العربية .. ضد خصومهم .. فبرز شاعر ؛ يعد ظاهرة متميزة فى هذا الاتجاه القومى .. وهو الشاعر خالد الفرج .. أما لماذا يعد ظاهرة ؛ فلأنه تجاوز الشعر الوصفى المدائحى ؛ الى شعر قومى عام .. منطلقاً من انتمائه الوطنى .. وقد واكب بعمق تفاعلات الأحداث السياسية فى منطقة الخليج والجزيرة العربية .. غير بعيد عن مرافقة ومصاحبة قادة العرب آنذاك ومنهم الملك عبد العزيز بن سعود . والشيخ عيسى حاكم البحرين ؛ وحين كانت الظروف تشتد وتدلهم كان يواجه بوعيه القومى .. وإذا ضاقت به السبل ، فانه لا يستسلم بل يرحل الى الهند ليصدر من هناك عام ١٣٤١ هجرية وعبر المطبعة التى أنشاها أشعاره القومية المناهضة للاستعمار الذى كان هيمن على وطنه ، وقد أكسبه هذا القلق والهم القومى رؤية شمولية عريضة ، مكنته من رسم ملامح تلك المرحلة . . وقد رفدت مواقفه السياسية القومية ، ثقافة انسانية ..وانتصاراً للحق فى كل مكان ويعتقد أن لمعاناته تجربة الهند المريرة ضد الاستعمار - بحكم وجوده هناك - عام ١٩٢٢ - دوراً أساسياً فى بلورة حقده على الاستعمار .. وقد كتب عن غاندى الزعيم الوطنى الهندى :

قطعة من نسيج قطن خام
خشن حول هيكل من عظام
هزت الهند بالمحيط بهملايا
وما بينها من الأقوام
وحدت حولها الملايين ممن
خلقوا وسط بؤرة الانقسام ..
يتحدى القوى الكبيرة بالروح
فيعنو لأمره كل هام
بسلاح من التقشف والزهد
ويرمى قنابلا من صيام

انطلق خالد الفرج (١٨٩٨ - ١٩٥٤م) فى وعيه ؛ لواقع أمته المفككة ووطنه المجزأ .. فكان رائداً فى وعيه لدور الانسان فى مجتمعه إذ يرى أن عليه أن لا يحمل خنجراً يجرح به صدر الوطن ، بل عليه أن يقدم (البلسم والدواء) إذا مرض هذا الجسد :

يا قوم إن مرضت بكم أوطانكم
كونوا من (الآسين) لا العواد
ومتى أتت فرص القيام فشمروا
عن ساعد الاقدام باستعداد
(بالعلم) نقدر أن نعيد تراثنا
حتى نرى الأحفاد كالأجداد
(والاتحاد) هو الأساس وإنه
كالخنصر المبدوء بالتعداد !

ولأن خالد الفرج .. قد فهم موضوعياً ، أن تحديث المجتمع العربى لا يتم إلا عن طريق العلم والعقل سبيلا أولياً للخروج من شرنقة الموت .. يقول :

(والجهل) آفة كل شعب فى الورى
كالقز تهلك نفسه حشراته
قد خدر الأعصاب فعل سمومه
وعلى جفون القوم ران سباته
كيف السبيل الى الرقى وأهله
متخاذلون أباته وحماته ..

لقد كان اشعاع نهوض (القوميات) فى أوربا يؤثر فى فكر المثقفين العرب الرواد فى العصر الحديث .. وكان نجاح تجارب الوحدة الوطنية فى ايطاليا والمانيا وبقية الدول الأوربية .. يلقى آمالا جديدة على امكانية نجاح الوحدة العربية .. من هذه الخلفية الفكرية انطلق خالد الفرج فى مناداته للوحدة ... ولتكن البداية من الوحدة الوطنية . يقول :

هل فى الجزيرة غير شعب واحد
قد مزقت بيد العدا وحداته
من لي (ببسمرك) يضم صفوفه
وعليه تجمع نفسها أشتاته
شعب بنو (قحطان) ركن أساسه
وبنو (نزار) فى العلا شرفاته
بدر له هالاته : (أحقافه)
و (خليجه) و (فراته) و (سراته)

ولعل خالد الفرج فى وعيه القومى ، انطلق من أن التحديات ، المطروحة أمام العرب كانت واحدة ، وأمام الخطر الواحد .. المتمثل بالغرب الاستعمارى الزاحف والمهيمن على الأرض العربية .. يقول :

يستجمع الغرب قواه لكى
يستعبد العالم فى صولته ..
مصالح العالم من نهبه
وساكنو الأقطار فى سخرته ..
والشرق - ويح الشرق - من جهله
وهي به الاحساس من علته
يعلل النفس باجداده
وآيلات المجد من دولته
فان دهاه الغرب فى بأسه
فللقضا التفريج من أزمته
يكلف الأقدار إسعاده
يحلم بالآمال من رقدته ..
كآكل الأفيون يسرى به
السم ويسترسل فى لذته ..

ولقد أفضى هذا الانتماء القومى بالشاعر خالد الفرج الى تسفيه واقع التجزئة والانقسام أمام التحديات الكبرى .. إذ كيف نبرر واقع التجزئة السياسية ، لأمة عربية واحدة ضاربة الجذور فى عمقها التاريخى ، ونموها الاسلامى .. فهل يصح ذلك ؟ .. يقول الفرج ساخراً من التجزئة :

هذى بلاد العرب فى ضعفها
لا يعطف الجار على جيرته
فى كل شبر دولة تاجها
كصاحب التمثيل فى جوقته

ويترك كل بهرجة لفظية فى سبيل تقديم نماذج شعرية ، مفهومة للمتلقى ؛ إذ لا يهتم خالد الفرج بالصياغة اللفظية قدر اعتنائه بتوصيل المضمون .. ولذا يقع فى (المباشرة) و (التقريرية) حتى لتستحيل القصيدة عنده الى (تحليل سياسى) .. ولكن لا يهم مادامت غايته تحريك الواقع الراكد .. (يقول) :

والغرب لا يسمع صوتاً لنا
إن لم يك المدفع فى نبرته
لا يدفع الغرب سوى بأسه
أو قوة تسمو الى قوته
أو لا فان لم نجتمع عاجلا
ونحصر العنصر فى وحدته
ستأكل الهرة أولادها
ويحصل القط على حصته
فحسبنا الاسلام من جامع
ونحن من يعرب فى دوحته

● ● ●

البقية : العدد القادم

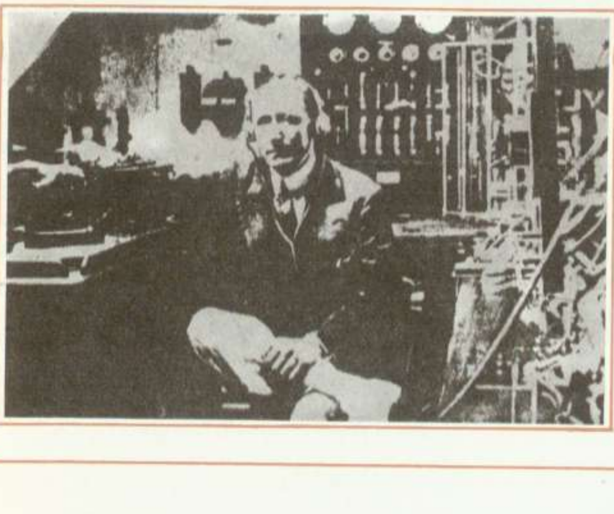
درويش مصطفى الفار

مستقبلنا والموجات الكهرومغناطيسية

● كيف وقعت هذه الموجات تحت طائلة الجشع التجاري؟
● لماذا الانضمن لهذا الجيل المعرفة العلمية الصحيحة؟

لما تبوأ العرب ، بالاسلام ، مقعد قيادة البشر ، اعطوا للبحث العلمى عطاء غير محدود ، واحترموا العلم والتجربة العلمية احتراماً يفوق كل وصف ، حتى حدثنا التاريخ عن القيادة السياسية العليا ، فى شخص خليفة كالمامون بن هارون الرشيد ، مثلا ، ممن كان لا يجد غضاضة فى أن يصحب ، الباحثين والعلماء ، فى تجربة ميدانية ، لقياس مقدار درجة خط العرض ، على سطح الأرض ، بالأميال ، مع ما فى ذلك من مشقة بدنية وعقلية ، لا يتحملها إلا الرجال .. ودفع حب العقيدة واحترام العلم ، المسلمين ، فمنحوا الحضارة الانسانية ، عدداً - لم يحصره العد بعد - من كبار العلماء فى الرياضيات البحتة والتطبيقية بكل فروعها ، من حساب وهندسة فراغية ومقابلة ، ولوغاريتمات ، وحساب مثلثات وهندسة فراغية للخطوط المستقيمة والاقواس ، وتسطيح (اى اسقاط) الكرة والمخروط للمساحة والتخريط ، وفن الحيل الهندسية (الميكانيكا) والحسابات الفلكية ، والملاحة ، بحيث مهدوا الطريق باشعاعات النور من جامعاتهم ومعاهدهم - فى الاندلس على وجه الخصوص - لقيام النهضة العلمية الأوروبية المعاصرة ، ولكى يظهر فى اسكتلندا عبقرى فذ من علماء الرياضة هو «جيمس كلارك ماكسويل» ، الذى تنبأ بمعادلاته الرياضية النظرية البحتة ، بوجود (الموجات) الكهرومغناطيسية ، وهى التى منها موجات الراديو وموجات الضوء التى نراها ، والتى لا تراها العين تحت الحمراء وفوق البنفسجية ، وقال ان هذه الموجات تسير فى الفراغ أو (الأثير) وظل امر الموجات الاشعاعية أو الكهرومغناطيسية اكاديمياً بحتاً ، حتى قام عالم فيزياء المانى ، هو «هينريخ هيرتز» ، باثبات وجود تلك الموجات عملياً ، بتجاربه المشهورة على الملفات الكهربية ، وطور العلماء والباحثون هذه التجارب ، حتى استطاع الايطالى «جوليلمو ماركونى» ، ان يجعل المواصلات لاسلكياً ، اى بغير أسلاك كالهاتف ، أمراً عملياً ، محققاً افكار ماكسويل لدى رجل الشارع ، ثم استطاع الامريكى «جنكنز» والبريطانى «بيرد» - بعد قائمة طويلة من العلماء والباحثين - استخدام الموجات الكهرومغناطيسية فى نقل الصور مع الكلام والغناء ، فاصبح التلفاز العادى ، والملون جزءاً من حياة الناس ، فى كل اقطار الأرض ، المتخمة والجوعى ، النامية والمتقدمة ، النائمة واليقظى ، لا سلطان لهم عليه ولا حيلة لهم فى درء بلائه ، ولا استطاعة عندهم للامتناع عنه وعن الاجتماع اليه والاحاطة به ، ليلا أو نهاراً ، شيباً وشباناً واطفالا ، رجالا ونساء ، سوداً وبيضاً ، جهلة ومتعلمين ... واصبح هذا الاستخدام لموجات صاحبنا ماكسويل ، خارج نطاق البحث العلمى للمعرفة الأكاديمية ، واستكناه اسرار نواميس الله فى كونه ، تحت طائلة الجشع التجارى الذى يقضى منطقه ، وتسير فلسفته - بصرف النظر عما يعود على عامة الناس من نفع أو ضر - بانتهاج طريق انتاج الأجهزة ولزوميات الأجهزة ، من اغان ، واناشيد ،

ماركونى فى مختبره



ورقصات ، ومسلسلات ، وأحاديث ، ومحطات ، وأفلام ، ومعامل حيث لا عناية إلا بجلب المكاسب والأرباح .. وبعد ذلك فليأت الطوفان .. وأمام الأمة الاسلامية ـ والوطن العربى هو قلبها وفؤادها ـ فرصة سانحة ، غير محدودة فى حاضرها ذاك الذى نعرفه ، ولا نعرف من ماضيها شيئاً مثله .. لتسخير الموجات الكهرومغناطيسية المسموعة والمرئية ، كسلاح ، دونه كل الأسلحة والمعدات ، لرأب صدوعها ، وسد ثغراتها ، واستعادة كرامتها ... اذا وفق الله القائمين على مرافق الاذاعات السمعية والبصرية فى كل أرجاء الوطن العربى ، الى ما يلى : ـ

أولا : اصدار وتطبيق تشريعات حازمة باتة ، بألا ينقل الأثير العربى ، أية أغنية ، أو حديث ، أو مسلسل ، بغير اللغة العربية السليمة نحواً وصرفاً ، مما يفهمه كل الناس بين الخليج والمحيط ...

ثانياً : الضرب بيد من حديد ، على كل البرامج التى تفوح منها رائحة أية شبهة تسيء الى الدين أو تخالف قواعده ، وقيمه ، ومثله ، وآدابه ، وتعاليمه ، واقصاء كل المتسللين للاساءة للتراث والقيم من بعيد أو قريب ، وبالتالى منع كل برامج الغناء والسفه والسقوط والتفاهة .

ثالثاً : وضع البرامج الصادقة ، التى تبصر اجيال هذه الأمة بتراثها ، وتوضح معالمه بايدى من يحسنون الأداء فكراً وعلماً ممن لا تشوب سلوكهم النقائص والجروح ، وممن تتمزق قلوبهم حسرة على حاضرنا ومهانتنا بين الناس ...

رابعاً : منع الاذاعات منعاً باتاً عن الخوض فى النزاعات التى تطرأ بين (الحكومات) وحفظها مترفعة عن السباب والشتائم ، بل دفعها دفعاً لازالة الصدوع ، والتبصير بمغبة الخلافات والمنازعات .

خامساً : اقتطاع أكبر قدر من وقت الاذاعات ، للتعليم بمختلف مستوياته ، وشرح قواعد ونظريات أصول العلم والتقنية لكل الأعمار ، بما يرفع المستوى الثقافى للناس ، على أصول صحيحة ، ولعمرى لأن يشرح التلفاز للناس كيفية دوران محرك السيارة تفصيلا ، خير ألف مرة من كثير من التوافه التى لا هم لصانعيها إلا الحصول على المال ...

سادساً : اتخاذ الاذاعات وسيلة جادة لتعريف الشباب بوطنهم الكبير ، وبالعالم حولهم ، بأسلوب علمى فنى جاد ليس فيه فجاجة أو سطحية ، بما يضمن نشأة جيل يؤمن بهذا الوطن الكبير عن معرفة علمية صحيحة ، وبوجدان صادق حى ...

ذلك قليل من كثير يمكن به فى هذا القرن الخامس عشر ان نجعل موجات ماكسويل نافعة مفيدة لمستقبل اجيال هذه الأمة ، بدل تركها ضمن مجموعة المعاول التى تهدم وتفرق ، وتبث الجهالات والسطحيات

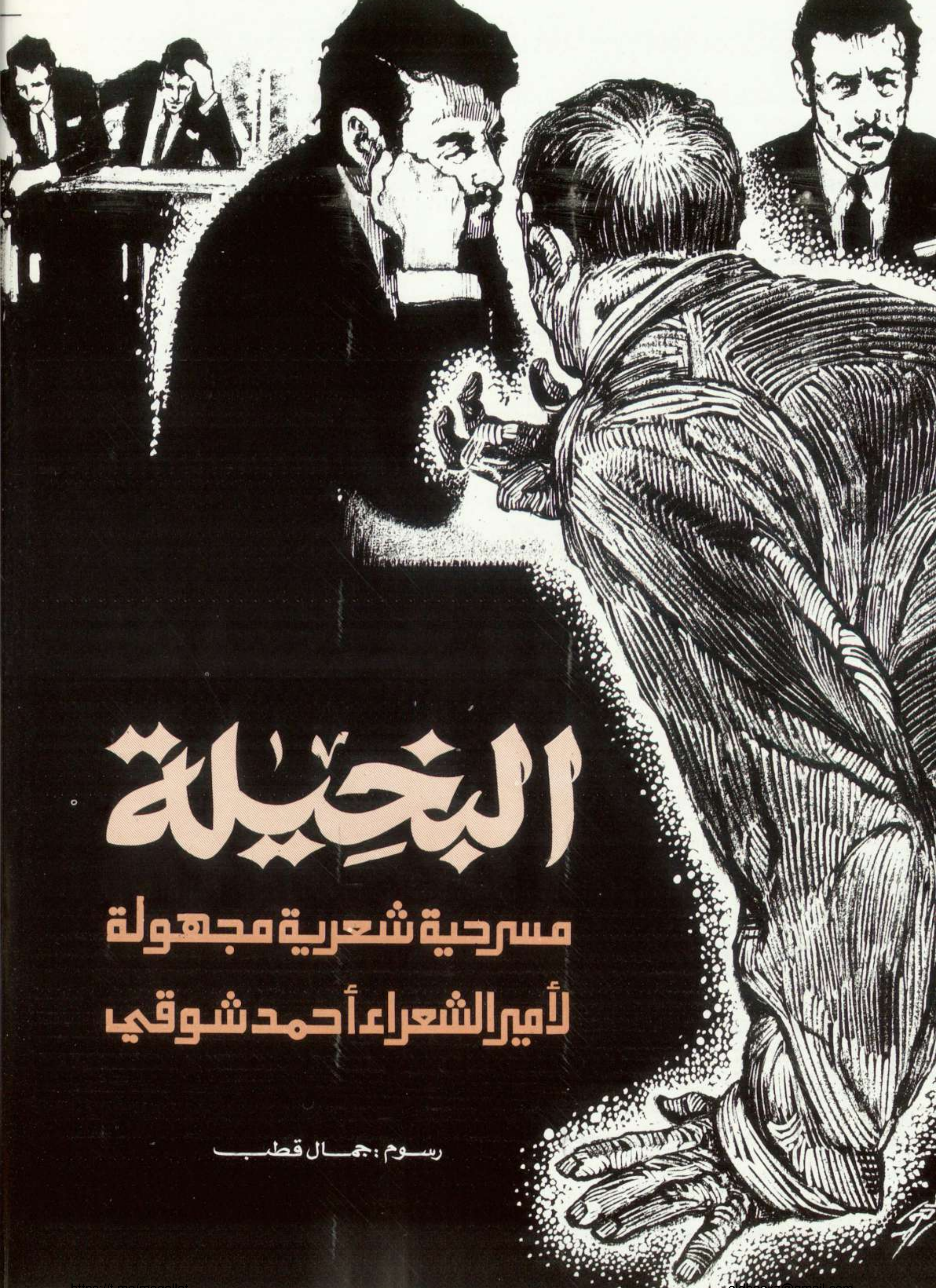
بلاغة الإمام الشافعي وحكمته

كان الامام الشافعى عالماً لغوياً اديباً ، وكان بحكم عروبته وثقافته وتطلبه اللغة والادب والشعر صاحب بيان ضخم وتعبير جزل ، وقد أثرت عنه مجموعة ضخمة من الكلمات البليغة الوجيزة المركزة ، وتناثرت فى الكتب التى كتبها او التى كتبت عنه ، ومنها :

- من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ..
- فقر العلماء فقر اختيار .. وفقر الجهال فقر اضطرار .
- أصحاب المروءات فى جهد ..
- من تزين بباطل هتك ستره ..
- من ولى القضاء ولم يفتقر فهو لص ..
- من سمع باذنه صار حاكيا ، ومن اصغى بقلبه كان واعيا ومن وعظ بفعله كان هاديا .
- من غلبته شدة شهوة الدنيا لزمته العبودية لاهلها .

غاية الوجود

ظهر فى الأندلس فى القرن الثانى عشر للميلاد مفكر عربى عظيم هو ابن طفيل ، وكان فى كل دراساته لا يعترف إلا بالبراهين العلمية ، وقد رأى ان الاخلاق الحميدة توجب على الانسان ان يزيل العوائق التى تعترض نموه وتحقيق غايته من الوجود . وحمل الانسان مسئولية السكوت على الخطا أو الظلم .. وقال ان الاخلاق الحميدة تحتم علينا اصلاح الخطا والسعى الى الخير العام والصالح العام ، فاذا وقع بصرنا على نبات قد حجبه عن الشمس حاجب او تعلق به نبات اخر يؤذيه ، وجب علينا أن نزيل ذلك الحاجب !



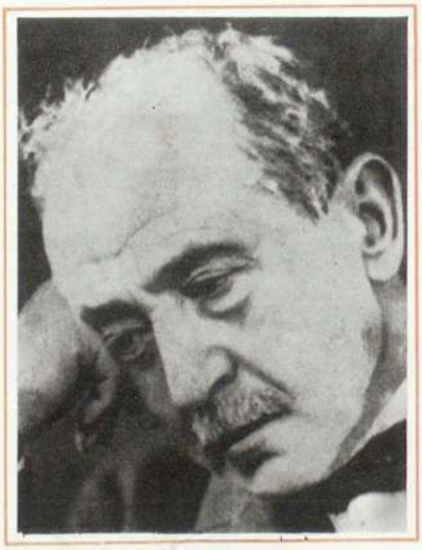
البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

رسوم: جمال قطب

هذه المسرحية

عندما توفى أمير الشعراء أحمد شوقى فى ليلة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ كان قد ترك وراءه كثيراً من الأعمال الفنية التى لم ينشرها فى حياته ، وبعض هذه الأعمال كان يكتبها وينشرها بأسماء مستعارة بسبب بعض الظروف السياسية التى كانت تحيط به ، وكان شوقى كثيراً ما يحتاط فى هذا المجال لشدة حرصه على أن يكون شاعر الأمة كلها ، لا شاعر فريق واحد من هذه الأمة ، وكان شوقى دائماً يميل الى أن يكون موضع الاجماع من الأمة ، فلا تختلف حوله ، وكان هذا الطبع متاصلا فيه ، ولذلك كان فى بعض المواقف يكتب شعراً ، وينشره ، دون توقيع ومن ناحية أخرى فقد كان الرأى العام الأدبى والفنى ينظر الى شوقى على أنه أكبر شعراء العصر ، ويربط بينه وبين الأحداث الكبرى التى تمر بالبلاد ، وكان هذا الأمر يفرض على شوقى بعض التحفظ والحذر ، وهما تحفظ وحذر لا يتلاءمان مع طبيعته الفنية المتحررة المنطلقة ، فقد كان شوقى يكتب كثيراً من الشعر الفكاهى الساخر ، وكان كثيراً ما يكتب الأغانى «باللهجة العامية» ، وخاصة بعد أن اكتشف الفنان محمد عبد الوهاب كملحن ومطرب فى أوائل العشرينات حيث كان شوقى يكتب له معظم أغانيه ذلك الحين ، وكانت كثير من هذه الأغانى بالعامية ، وإن كانت عامية راقية ورقيقة ، ونقية تقترب من الفصحى ، وكثير من هذه الأغانى العامية أصبح مشهوراً ، دون أن يكون منسوباً الى شوقى ، ومن بين الآثار التى لم ينشرها شوقى فى حياته بعض المسرحيات الاجتماعية التى كتبها ، ولم يقدمها



أحمد شوقى

للمطبعة ولا للمسرح ، إما لأنه لم يكن قد أعطاها صورتها النهائية ، وأنه كان يريد أن يعيد النظر فيها ، أو لأنها كانت تعالج مشاكل اجتماعية دقيقة كان متردداً فى إثارتها لسبب أو لآخر .

والمعروف أن شوقى قد مات فجاة ، فقد عاد الى منزله ليلة وفاته قرب منتصف الليل ، بعد أن قام بجولته اليومية المعتادة ، وكان آخرها زيارة جريدة «الجهاد» التى كان يرأس تحريرها محمد توفيق دياب ، ولذلك فقد ترك شوقى وراءه كثيراً من الأعمال الأدبية التى لم يكن قد رتبها أو أعدها - نهائياً - للنشر .

وقد قام الدكتور محمد صبرى السربونى بعد وفاة شوقى بنشر مجلدين كبيرين بعنوان «الشوقيات المجهولة» ، جمع فيها الكثير من الآثار الشعرية والنثرية التى لم تكن معروفة لشوقى ، وقد أشار الدكتور السربونى فى الشوقيات المجهولة الى مسرحية «البخيلة» ونشر فقرات موجزة منها . وها هى «الدوحة» تبدأ فى نشر المسرحية الكاملة ، وقد عثرت على النص الكامل للمسرحية فى مكتبة الفنان المعروف سعد الدين وهبه الذى عثر عليها بدوره فى «متحف المسرح المصرى» الذى تشرف عليه السيدة ليلى جاد . وكانت النسخة التى حصلنا عليها مكتوبة بالآلة الكاتبة ، وبصورة انطمست فيها كثير من الكلمات والحروف ، مما جعل قراءتها عملا صعباً بذلنا فيه كل الجهد لكى يخرج هذا الأثر الأدبى التاريخى الى النور ، تاركين للقراء والنقاد تقدير قيمة النص من الناحية الفنية والشعرية ، وإن كان مما يسعدنا حقاً أن نقول : إننا بنشر هذا النص نصحح تاريخ شوقى الشعرى ونساهم فى إكماله ، بعد ما يقرب من خمسين عاماً على رحيله وقد كان النص الأصلى للمسرحية بعد وفاة شوقى - فيما علمت - عند الدكتور سعيد عبده الذى كان يراجع أعمال شوقى الشعرية ويقدم له الاقتراحات بشانها ، وقد سلمها الدكتور سعيد عبده لمتحف المسرح المصرى حيث عثرنا عليها .

وقد دفعت الدوحة بالمسرحية الى الشاعر والباحث الشاب حسن طلب لمراجعتها وكتابة التعليقات والهوامش اللازمة لها ، حتى تبدو المسرحية أقرب ما تكون الى أصلها الصحيح الواضح .

رجاء النقاش

تمهيد

زمن الرواية : ١٩٠٧
مكان الرواية : القاهرة

أشخاص الرواية

الست نظيفة : «البخيلة»
جمـــال : «حفيدها»
حُسْـنى : «خادمتها»
عبد السلام : «طبيب»
رشـــاد : «سمسار»
عزيـــز : «من أبناء الذوات»

الفصل الأول

«قهوة جميل بميدان لاظ أوغلى.(١)
جمال ورشاد على مائدة يتحدثان وآخرون متفرقون» .

يدخل صبى القهوة بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن ويقول :

هنا ساده هنا القرفه هنا الشاى . ثم ينتقل الى مائدة جمال ورشاد ويقول : خشاف سيدى . والبانزهير لمن . (٢)

جمال : البانزهير لي أنا . (٣)
رشاد : وشيشتى يا مصطفى .
الصبى : طلبتها يا سيدى .

يمر بائع الجرائد منادياً - اللوا

البائع : اقرأوا حديث مصطفى (٤)
اقرأوا خروج المعتمد . (٥)
رشاد : كرومر ؟ خروجه مىى ؟(٦)
البائع : غداً أو بعد غد .
رشاد : من قال ذلك .
البائع : (ويمشى) - مصطفى . (٧)
رشاد : التفت الأفكار حول مصطفى كالقائد .
جمال : وصارت الأخبار عند باعة الجرائد .
رشاد : آمن معى بمصطفى كفى تعنتاً كفى .
والعقلا ...
جمال : كُلُّهُمُوا . (٨)
رشاد : والأذكياء .
جمال : اشربْهُمُوا .
رشاد : ما أنت .
جمال : لست منهمو . (٩)

إنى أنا مع البلـــد
إن قام قمـــت أو قعـــد
لم يرنـــى فيـــه أحـــد

«إثنان على مائدة يتحادثان عن جمال»
الأول : تأمل المكثر من اعجابه
بنفسه ينظر فى ثيابه
تلفت الطاووس فى إهابه

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الثانى : لله ما أظرف . يا له من فتى
قد أبدع البارى تعالى شكله
لو كان هذا ولدى وواحدى
خرجت قبل الموت من مالى له (١٠)
الأول : من الفتى يا اخى ؟
الثانى : جمال .

هـذا الذى يخلف البخيلـه
على الدكاكين والضياع
والثروة الضخمة الجليلـه
هـذا الذى يفترس الأكياسا
ولا يرى الأحلام إلا ماسا
فان صحا شكا لك الافلاسا (١١)
ياخذ من هذا وذاك بالربا
يعطى نحاسا ليرد ذهبا
وقيل شىء فوق ذا ... (١٢)

الأول : وما يقولون ؟
الثانى : عجب
الأول : ماذا ؟
الثانى : بلاط بيتها
مركب على الذهب
الأول : وذلك الآخر من ؟
الثانى : ذاك من السماسر . (١٣)

يبيع كل عامر يصيبه وغامر
وكم وكم زوّج او طلّق من حرائر
تلقاه فى كل طريق كالغبار السائر
من قهوة (لبيرة)(١٤) لمنتدى لسامر
ويدفع الشباب فى الـ وحول والمخاطر
فمن يدى مُسلّف الى يدى مقامر
ومن سموم حانة الى لعاب عاهر
لا يبغض اللـه ولا رسوله
ولا العباد كالمرابين فئة (١٥)

الأول : اى ربا يشترطون يا ترى ؟
الثانى : عشرون او ما فوق ذاك في المئة ؟ (١٦)

انظر الى السمسار يسحر الفتى

وانظر الى الغلام كيف استحسنه
عندى الف ما ملكت وغيرها
من لى بها الفين إن فاتت سنه
الأول : عندك الف انت .

الثانى : ألف ذهباً .
الأول :
تريد تعطيها بفاحش الربا
إذن لقد كنت ترائى يا أخى
ولم تكن تقواك إلا كذبا
جمال يرفع صوته :
(١٧) بالله من هذا الحديث دعنا
وانظر معى هذه الكرنبه (١٨)

«ينظر الى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم» ويقول :
ومن يكون الوجيه ؟
رشاد :
هـذا مقاول يكبرون كسبه
وكل يوم عليه نعل ، وكل يوم عليه جبه
تراكم المال فى يديه من حبة أمس صار قبه (١٩)
جمال :
وما فتن الحظ بالكركدن (٢٠)
وما اعجب المال من سحته ؟

رشاد :
ومن عجب بعد هذا المشيب
(٢١) بنى بائنتين على زوجته
(٢٢) ورام الزواج ببنت النقيب
فما قبلوه على ثروته ؟
جمال : وما تلك ، من هى بنت النقيب ؟
رشاد : فتاة هى البدر فى ليلته .
جمال : وما بيتها ؟
رشاد : قصر آبائها
طويل العماد عريض الغرف
جمال : وما مالها ؟
رشاد : القصر عنوانه
أليس القصور «رموز» الترف
جمال : وما سمعة البيت ؟ (٢٣)
رشاد : ماذا تقول
أما فى قديم البيوت الشرف ؟



جمال : ولم أبت الشيخ وهو الغنى ؟
رشاد :
وهل كل ما فى الزواج المهور ؟
وهل يملأ التيس عين المهاة
وهل تحمل الكركدن القصور

جمال : رشاد أهى حلوة ؟ (٢٤)
رشاد : وذات قصر ، وكفى .
جمال : ما ضر لو أنى صاهرت الغنا والشرفا . (٢٥)
رشاد : وأعرف الأم يا جمال .
جمال : كيف ومن أين ؟
رشاد :
لى ببيت النقيب من نشاتى اتصال (٢٦)
امى كانت اليه تغدو
إذ انا طفل . ولا تزال
جمال :
ماذا ترى رشاد إن طلبتها ؟
ترى تردنى إذا خطبتها
رشاد :
اصغ لي ، انت مثل ما تتمنى
زينب ، تجمع الغنا والجمالا
جمال : الغنى يا رشاد ؟ إنك تهذى .
رشاد : انا اهذى ؟
جمال : اجل وتخلط .
رشاد : لا ، لا
انت فوق النقيب دخلا وريعا
بعد حين وانت اكثر مالا
جدة تجعل الحديد على المال
وتحمى الابواب والاقفالا

جمال :
لكنها يا صديقى
اشد منى ومنكا
رشاد :
صبراً فعما قليل
سيفرج اللـه عنكا
جمال : وجمالى ؟!
رشاد : (يخرج مرآة)
افى جمالك شك ؟
خذ تامل . انظره فى مرآتى (٢٧)
سوف تسبى فؤاد زينب
جمال : من زينب ؟
رشاد : هذا يا صاحبى اسم الفتاة .
جمال :
رشاد ، اسمع ، عقدت العزم فاذهب
وامك فاخطبا لى اليوم زينب
رشاد :
(٢٨) وهب لى ريالين تحت الحساب
وبعد غد نلتقى ها هنا

جمال :

يناوله الريالين ـ :

قبلت فخـــذ

رشاد : «بعد أن ينظر أمامه» :

(٢٩) انتظـــــر يا جمـــــال

بربـك فالحظ قد أحسنا

(٣٠) فهذا أخو زينـب مقبـلا

فسر حيـث شئت ودعنى أنا

عزيز :

رشـــاد أنت ههنـــــا

منـذا الذى كـان معـك ؟

رشاد :

انظــــر الــى ثيابـــــه

ولونهـــا كيـف اتحـد

انظــر الـــى حذائــــه

مـن النظافـــــة ائتلـد

والبنطلـــون مســـتو

لم ينكسر ، لم ينعقـــد

(٣٢) اعرنـــى السـمع أعـر

عنـدى لكـــم شيء يسر

عزيز : ما ذاك ؟ هات ما الخبر ؟

رشاد :

هـذا جمـال وحيـد جـده

بخيلـــة ، يا عزيز ، جِلْـدَه (٣٣)

عزيز : وعمر يا رشاد ؟

رشاد : يربو على الثمانين .

عزيز : تلك مده

والمـال ؟

رشاد :

ما شـــئت مـن فدادين (٣٤)

ومن بيـوت ومن دكاكيـن

والذهب الصب كل ناحيـة (٣٥)

فى البيت ، من مخبا ومدفـون (٣٦)

عزيز : والآن ماذا تبتغى ؟

رشاد أريده لزينبا .

عزيز : وكيف هل يقبلها ؟

رشاد :

كلمتـــه فمــا أبـــى

فامض الـــى أمـــك يـا

عزيـــز بلغهـــا النـبـا (٣٧)

لقد وصفـت القصـر لـلـ

ابلـه وصفـــا عجبـــا

ولم أزل اطـــرى لــه الـ

جـد وامـــدح الأبـــا

وانعت المجـد القديــم

واحلـــى النســـبا

وقلـت عـن امـك خيـرا

وامتدحــت زينبـــا

عزيز : وقد نسيتنى انا .

رشاد : لا . بل اطلت الكذبا .

عزيز : وما الذى قلت عنى ؟

رشاد :

قلـــت : فتـى ما افاقـــا

بالليــل يغشى الملاهـــى

وبالنهـــار الســـباقا

تسالنى عزيـــز رأيـى ؟

عزيز : لم لا ؟

(٣٨) ألست من زمن المهد اخا ؟

رشاد :

أنتم عزيز يا أخى فى أزمـــة

ولا يفـك ضيقكم إلا الغنــى (٣٨)

فى المـال وحـده خلاصكـم

لابد منه اليـوم وإلا فغـدا (٣٩)

عزيز :

اجل بغير المال لا عيش لكـم

وكيف ؟ من أين يجيء ؟ افتنا (٤٠)

رشاد :

مما نخوض فيه منذ ســاعة

من الفتى . من موت جدة الفتى

عزيز :

وما الذى نفعل كى نصيــده

لابـــد مـــن مصيـــدة

رشاد :

تـــلك أنـا

(٤١) اسمع أخى عزيـز أنتم أسرة

لم يبق من وجودها إلا شــفا (٤٢)

(٤٣) قصركم من قـــدم مهـــدم

(٤٤) قد خاط فيه العنكبوت وبنى

سكنتموه ههنـــا وههنـــا

كالبوم كل بومتين فى فضـا

ملأتموه خدماً أشـــد اقهم

دائرة على الرغيف كالرحـــى (٤٥)

انظر الى القصور كيف اصبحت

لم يبق من مقـــدم ولا أغـــا (٤٦)

احتجب القوم وراء ظلهـــا

(٤٧) لا يسال البـــواب إلا قـــال لا

عزيز :

كفـــى رشـــاد ضعـــة

لبؤســـنا ، كفـــى كفـــى

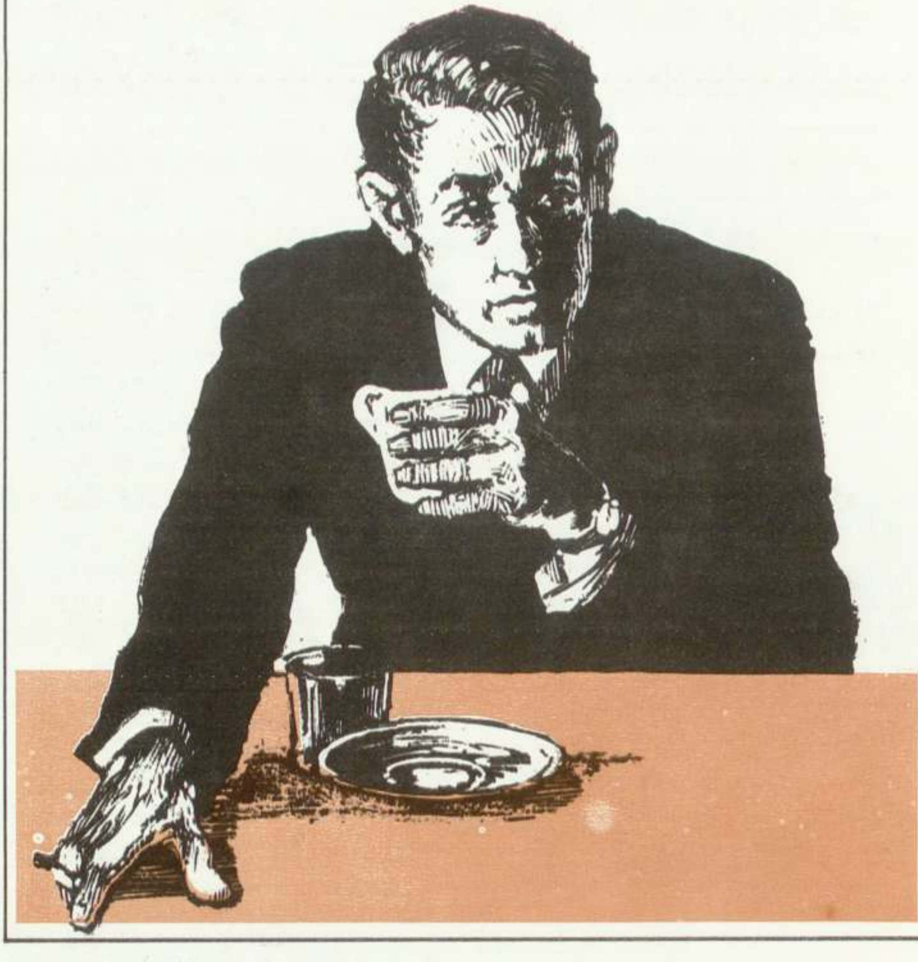
ولا تعـــذب مهجتـــى

ولا تهـــج لـــي البـــكا

(٤٨) وامض واجتهد رشـــاد فـــى

تزويـــج اختـــى بالفتى

إذا كان لهـــا اهـــلا



البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة
لأمير الشعراء أحمد شوقي

رشاد :
(٤٩) ولم لا يا أخي . لم لا ؟
فتى لم يحكه الشبان(٥٠)
هنداماً ولا شكلا
ولم ينكر له الاخوان
لا ظرفاً ولا عقلا
ومن بيت يرى الناس
عليه الخير والنبلا
أبوه كان إنسانا

عزيز :
وهذا كله فضلا
عما وراء جدته

رشاد :
وعن عظيم ثروته
يا ليتني في حالته
اسمع عزيز يا أخي
أنا وأنت لا نرث
أملط يا رب كما خلقتني
راض على قلة ما رزقتني

عزيز :
دعنا من الهزل . هلا
أخذت في الجد ساعة
رشاد أنت صديق
ماذا ترى في البضاعه
ادخل بنا في الجد يا رشاد
متى تراه ؟

رشاد : في غد أراه .
عزيز: لم تقل لي عن الفتى ما أبوه ؟ (٥١)
رشاد : كان فخر الرجال كان مديرا .
عزيز : والفتى كيف شغله ؟
رشاد : في الدواوين .
عزيز : إذن قد نراه يوماً وزيرا .
رشاد : لم لا
«ثم لنفسه» .
قلتها ومن أين أدري
ربما صار حاجباً أو خفيرا

«ثم لعزيز» : ـ
لا تسلني ما أبوه يا أخي
أو من الأم وسل ما جدته

(٥٣) لا ولا ما شغله وما جاهه
في الدواوين ولا ما رتبته
فجمال في غد أو بعده
بوزيرين تساوي ثروته
«بعد لحظة» : ـ
ولم لا وجدته نملة(٥٤)
إذا وقفت أو مشت حصلت
وتدخل في بيتها ما تصيب
ولا يخرج الدهر ما أدخلت
أو انقلبت في جميع الجهات
(٥٥)على القش في فمها ما انفلت (٥٦)
ترى المال في بيتها في اللحاف
وتحت البلاط وحشو الشلت (٥٧)

عزيز :
عجبت . يأتي البخيل المال وهو يرى
أن البخيل اليه غير محتاج
وقلّ ما جاء حراً ماجداً ومشى
الى الكريم الكثير الهم والحاج (٥٨)
آه ما أكثر حاجي
من بحاجاتي أناجي
أزمة درت فلم (٦٠)
ألق لها وجه انفراج

رشاد : عزيز أنت مفلس .
عزيز : ما شئت في ذاك فقل .
رشاد :
(٦١) على البلاط يا عزيز
كلنا ذاك الرجل

عزيز :
إذن جمال صفقة رابحه
لنا كلينا قد فهمت مأربي

رشاد :
ولست أنسى فضلكم عندي ولا
ما طوقت أمك أمي وأبي

عزيز : اذهب إذن رشاد فاخطبه .
رشاد : لمن ؟
عزيز : لي ولزينب وأم زينب .
رشاد : للأم والابن وللبنت ؟ (٦٢)
عزيز : أجل . وكل من مت لنا بالنسب
رشاد : أصبت يا عزيز أنت فطن .
عزيز : لا بل هو البؤس يفطن الغبي

رشاد :
(٦٣) وركوبي يا صديقي
وذهابي وإيابي

عزيز :
امض انفق ما تشاء اصبر(٦٤)
الى يوم الحساب
أنا لو بيع بفلس (٦٥)
لم يجد سوقاً جرابي
كلانا رشاد على زورق
كسير وموج عنيف شقي
فان ننج ننج بخير المتاع
وإلا غرقنا مع الزورق

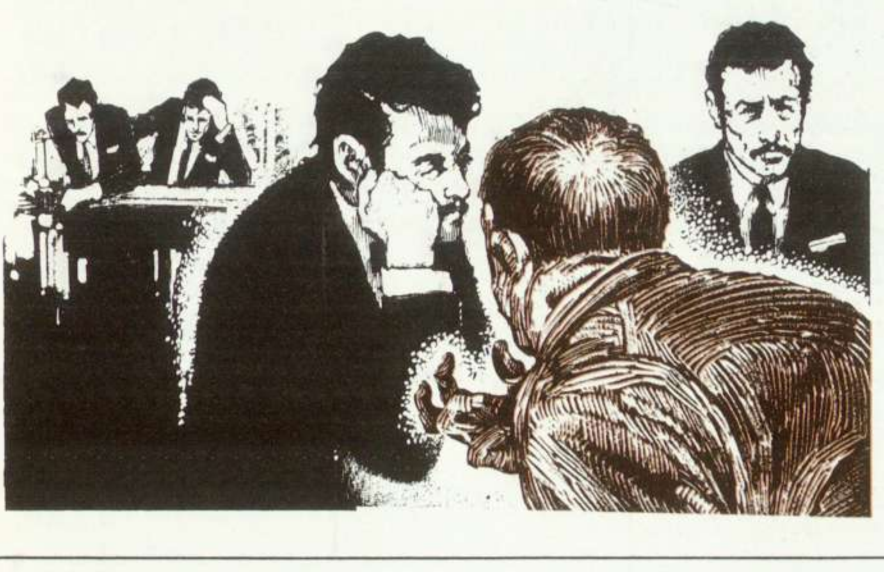
• • •

«ثلاثة آخرون جلوس على مائدة (٦٦) بالقهوة أحدهم يقرأ جريدة والآخران يتحادثان ....»

أحدهم :
(٦٧) من ذلك المطل من لحيته
كالبغل من وراء مخلاة رنا

الثاني :
نسأل عن ذاك الذي انحنى على
(٦٨) صحيفة يقرأ وولانا القفا

الأول : أجل أجل هذا القفا . (٦٩)
الثاني : هذا هو الدكتور .



الأول : من ؟
الثانى :
عبد السلام مرتضى
يقرأ ما صادف من جريدة
من صدرها الأول حتى المنتهى
(٧٠) وتستوى صحف الصباح عنده
(٧١) وصحف ظهرن من عام مضى
تذاكر الدفن التى يكتبها
(٧٣) فى الشهر أضعاف تذاكر الدوا (٧٢)
وعيبه البخل
الأول : فيه بخل ؟
الثانى : أبخل من جارتى نظيفة .
الأول : من يا أخى هذه ؟
الثانى :
عجوز
(٧٤) فى الخط من أسرة شريفة
ليس لها فى الحياة إلا
عبادة المال من وظيفة
حتى لقد صارت حديث الحارة
وضحك الجار وسخر الجاره (٧٥)
كلهمو يحسدها بمالها
ويتمنىَّ حاله كحالها
وهكذا الأنفس فى ضلالها
الأول : ما غناها يا أخى .
الثانى:أكثر هذا الخط مالا .
الأول : ومن الوارث إن ماتت .(٧٦)
الثانى : فتى يدعى جمالا .
الأول : هذا ما در (٧٧)
الجوع يا أخى ولا الأكل معه
لقد دعانى للغداء مرة
فقسم البيضة بين أربعه
وجىء بالشواء

الأول : ماذا جرى ؟
الثانى :
أوحى الى خادمه أن يرفعه
رأى فيه عيباً وإن لم نجد
على اللحم عيباً سوى قلته
فقد كان أنضج لحم رأيت
(٨٠) وقد كان كالمسك فى نكهته

ومن بخله تفتح القهوات (٨١)
وتغلق وهى على «شيشته»
يقضى بها طرفى يومه
ويمضى بها طرفى ليلته
الأول : ومرضاه ؟





البخيلة
مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الثانى :
يلقاهمو فى الطريـــــق
حيناً وحيناً على قهوتــــه

«غلام يدخل القهوة صائحاً»
الغلام : أين هو الدكتور ؟
احدهما : ذاك .
الغلام : «للدكتور»

ســـيدى أخـــى ســـقط
تحـــت التـــــرام

الدكتور :
فليكـــــــــن
(٨٢) أو تحت وابور الزلـــــط
فما الذى أصابـــــــه ؟ (٨٣)

الغلام : انفلق الرأس ؟
الدكتور : فقط ؟
الغلام : دكتور ؟!
الدكتور :
(٨٤) هيـــا ولـــو أنـــى مـــا
عالجـــت فى الشـــارع قط
الغلام :
اللـــــه فى عـــون الجريح
(٨٥) امض جـــراح القـــطط
ستار .

«البقية فى العدد القادم»

مسرحية البخيلة تعليقات وهوامش

يكتبها : حسن طلب

حين دفع إلي رئيس التحرير بهذا المخطوط النفيس المجهول ، وعهد إلي بتحقيقه ، سعدت سعادة حقيقية بان اشارك فى إظهار هذا النص الى النور ، ومن ثم ، فقد فرغت له فراغاً تاماً حتى يظهر على أفضل نحو ممكن.

والحقيقة ، فان النص ، على الرغم من كونه منسوخاً على الألة الكاتبة، فقد كان حافلا بالكثير من الأخطاء التي شوهت المعنى أحياناً وأخلت بالوزن أحياناً أخرى ، ومما زاد الطين بلة ، أن النسخة التى بين أيدينا ليست هى النسخة الأصلية ، بل هى صورة بالكربون ، انطمست فيها بعض الكلمات وضاعت معالمها ، وكانت عملية إعادة قراءتها تحتاج الى الكثير من الأناة والكثير من إعمال الخيال .

وإنى أسجل هنا ، انى عجزت فى بعض المرات عن الوصول الى القراءة السليمة ، ولم يكن مرجعى الأخير إلا رئيس التحرير الذى كان يتدخل بخبرته ، فيجلو ما غمض ويحل ما استشكل .

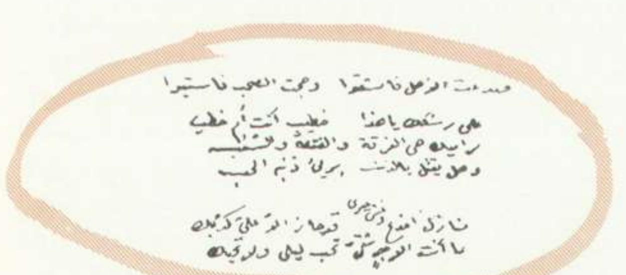
وقد التزمت التزاماً صارماً بالنص ، ولم أتدخل إلا لأصحح خطأ أو تصحيفاً أو اقيم وزناً أو اقوم معنى .. ، وعلى الرغم من أن هناك بعض التصحيحات بالقلم الحبر ثم بالرصاص ، إلا أن ذلك المصحح المجهول (أو المصححين) فاته الكثير .. ، واذا كانت التعليقات تبدو فى ظاهرها كبيرة الحجم ، فهى فى حقيقتها مضغوطة الى أقصى حد لاعتبارات نشر النص فى دورية . ولولا ذلك لبلغت أضعاف ما هى عليه .

وهذه هى الهوامش والتعليقات .

(١) ميدان لازوغلى : ميدان صغير فى القاهرة يتوسط شارعى خيرت ونوبار .

(٢) البنزهير : هو الليمون أو صنف منه (الليمون البلدى) ، والكلمة فارسية الأصل ومعناها : ضد السم ، أى الترياق (الدرياق) .

(٣) فى الأصل : (لي أنا) وهو تصحيف . والصواب ما أثبتناه .



(٤) اقروا اللواء (اراد : (اقرءوا) فخفف لاقامة الوزن . و (اللواء) جريدة مصرية ، يومية ، سياسية ، أسسها مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى (انظر هامش رقم ٧) فى سنة ١٩٠٠ . ورأس تحريرها ، وعند وفاته سنة ١٩٠٨ انتقلت رئاسة تحريرها الى الشيخ عبد العزيز جاويش وتوقفت عن الصدور ١٩١٤ .

(٥) المعتمد : هو المعتمد البريطانى فى مصر ، الذى كان الحاكم الفعلى للبلاد والمتصرف فى شئونها ، ويعتبر كرومر من اشهر من شغلوا هذا المنصب فى تاريخ مصر (انظر الهامش التالى) .

(٦) كرومر : إيرل افلن بيرنج كرومر (١٨٤١ ـ ١٩١٧) . كان قد تقلد عدة مناصب ادارية فى المستعمرات البريطانية فى الشرق ، قبل أن يأتى الى مصر سنة ١٨٨٣ عقب الاحتلال ، حيث عينته بريطانيا قنصلا عاماً ووكيلا بريطانياً ، وعلى الرغم من كفاءته الادارية ، فقد قمع الحريات وأهمل النظام النيابى وقيد سلطة مجلس شورى القوانين ، حدثت فى أواخر عهده مأساة دنشواى (١٣ يونيو ١٩٠٦) . وكان هو المسئول الأول عن أحكام الاعدام التى صدرت ضد الفلاحين المصريين فى هذه القرية (دنشواى) ، مما أثار سخط المصريين وألب عليه الرأى العام حتى لقد اضطر الى أن يستقيل فى ابريل ١٩٠٧ . ومما يذكر أنه كان ـ على الرغم



مصطفى كامل



اللورد كرومر



أحمد لطفى السيد

من انهماكه فى الشئون السياسية والادارية ـ كاتباً نشطاً مرموقاً ، ومن مؤلفاته المشهورة «مصر الحديثة» ١٩٠٨ ، و «الاستعمار القديم والحديث» ١٩١٠ .

والجدير بالذكر أن شوقى ندد بكرومر حين قال من قصيدة له بمناسبة حادثة دنشواى :

نيرون لو أدركت عهد كرومر　　　لعرفت كيف تنفذ الأحكام

(٧) مصطفى كامل : (١٨٧٤ ـ ١٩٠٨) ، زعيم وطنى مصرى معروف ، يعتبر من أبرز المدافعين عن حرية مصر واستقلالها فى التاريخ الحديث ، ولد بالقاهرة وتخرج فى مدرسة الحقوق ثم انصرف الى السياسة ، فدعا الى الحركة الوطنية وقادها فى مواجهة الاحتلال البريطانى ، استغل كل الوسائل الممكنة ، فكان ينظم اللقاءات والمؤتمرات ويشارك فيها ، ويستغل الخطابة ، ويكتب فى الصحف (خاصة صحيفة المؤيد لصاحبها الشيخ علي يوسف) ، ثم لم يلبث أن أسس صحيفة اللواء سنة ١٩٠٠ ، التى كانت تصدر بالعربية فى مصر وبالفرنسية فى فرنسا وبالانجليزية فى بريطانيا ، ثم أسس الحزب الوطنى سنة ١٩٠٧ وكان هو أول رئيس له ، مات فى ريعان شبابه (حوالى ٣٤ عاماً) ، بعد أن أفرغ كل طاقاته فى العمل السياسى الوطنى وربما يكون قد مات مسموماً .

(٨) و (٩) ربما كان فى ذلك اشارة الى أنصار حزب الأمة الذى شارك فى تأسيسه أحمد لطفى السيد ، وكانت جريدة (الجريدة) هى المعبرة عن ذلك الحزب ، الذى عرف بانه كان أكثر تحفظاً وتعقلا فى حل المسالة الوطنية .

(١٠) خرجت قبل الموت من مالى له : يقصد : انفق من ماله على المساكين فى سبيل ذلك الابن .

(١١) «الافلاسا» : فى الأصل (الافلاس) وهو خطا لانه لا ينسجم مع حركة قافية الأبيات .

(١٢) : ما بين قوسين اضافة بخط اليد (بقلم الحبر) .

(١٣) ذاك هو السمسلر : فى الأصل : (ذاك من السمسار) ، وما أثبتناه أكثر انسجاماً مع السياق .

(١٤) البيرة : أراد : (البار) ، فاكتفى بدلالة الشىء على المكان الذى يقدم فيه .

(١٥) ولا فى العباد كالمرابين فئة : أراد (ولا فى العباد ...) فحذف حرف الجر لاقامة الوزن .

(١٦) فوق ذاك فى المئة : (ذاك) كانت غير موجودة ثم أضيفت بخط اليد (بقلم الحبر) ، والاضافة صحيحة وبغيرها لا يستقيم الوزن .

(١٧) بالله : فى الأصل (بالله) ، وبها لا يستقيم المعنى ولا الوزن .

(١٨) الكرنبة : من الخضروات ، نبات من الفصيلة الصليبية ، وهو غذاء معروف ذو رأس ملىء بالأوراق الملفوفة ، معروف منذ قدماء المصريين وتستخدم الكلمة هنا على سبيل السخرية للاشارة الى الرجل الملفوف (كالكرنبة) .

(١٩) من حبة أمس صار قبة : تضمين للمثل المعروف ، (جعل من الحبة قبة) ويضرب للدلالة على الأمر التافه الصغير يجعل منه صاحبه أمراً عظيماً . ونلاحظ أن المثل هنا مستخدم على غير وجهه .

(٢٠) الكركدن : حيوان ثديى من ذوات الحافر ، من آكلات العشب ، يتميز بعظم جرمه وغلظ بدنه وجلده . ويستوطن افريقيا وبعض مناطق آسيا ، أهم ما يميزه أن له قرنا انفيا أو قرنين لدى بعض الأنواع . من أسمائه الأخرى الخرتيت ووحيد القرن .

(٢١) بنى بائنتين : يقال تزوج فلانة أو بنى بها بمعنى واحد .

(٢٢) ورام الزواج ببنت النقيب : لعله يقصد (نقيب الأشراف) وهى وظيفة شرفية معروفة منذ العباسيين . وكان يختار النقيب من آل البيت ، ومن واجباته الحفاظ على سجلات السلالة الشريفة وسمعة أفرادها .

(٢٣) وما سمعة البيت : فى الأصل (سمعت) وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢٤) أهى حلوة : يلاحظ تسكين الهاء فى «أهى» حتى يستقيم الوزن .

(٢٥) ما ضر لو صاهرت الغنى والشرفا : هذا المصراع يحتوى على «وتد مجموع» زيادة فى تفعيلاته ، ولم نهتد الى وسيلة نحذف بها هذا «الوتد» ونحافظ فى نفس الوقت على سلامة المعنى . ومن الطريف أن الشعر الحر يستخدم فى تفعيلاته مثل هذه الزيادة كثيراً ، وهى على كل حال ليست مضرة بالايقاع بل انه يصعب تبينها ، ذلك أن هذا «الوتد» يعتبر فى حد ذاته وحدة ايقاعية مقدارها نصف تفعيلة من «مستفعلن» والمصراع من بحر الرجز .

(٢٦) طبيعة اتصال رشاد ببيت النقيب ستتضح أكثر بعد قليل ، حين يقول رشاد موجهاً الشكر الى (عزيز) :

ولست انسى فضلكم عندى ولا　　　ما طوقت أمك أمــى وأبى

(٢٧) أنظره فى مرآتى : فى الأصل (انظره) ولابد من استبدال ألف القطع بألف الوصل حتى يستقيم الوزن .

(٢٨) إذن أعطنى ليرة :

أ ـ فى الأصل (اعطنى) بدون همز ، وهو خطأ لأنه يخل بالوزن .

ب ـ استخدام (الليرة) هنا ليس غريباً ، حيث كانت معروفة آنذاك بوصفها عملة تركية بدأ صكها منذ سنة ١٨٤٥ م ، وكانت تسمى أيضاً بالمجيدة . واللفظ لاتينى الأصل .

(٢٩) فى الأصل (لا تمضى) والصواب ما أثبتناه .

(٣٠) الصواب (أخو زينب) ولكنه خضع للضرورة الشعرية .

مثل هذا شاذ فى اللغة العربية ، ومن هذا الشذوذ قول رؤبة بن العجاج يمدح عدياً بن حاتم الطائى :

بأبه اقتدى عدي فى الكرم　　　ومن يشابه «أبه» فما ظلم

وكان ينبغى أن يقول (بأبيه) و (أباه) .

(٣١) الطربوش غطاء تقليدى للرأس كان يستخدم فى الكثير من البلاد العربية والاسلامية حتى وقت قريب ، ولكنه أوشك الآن على الانقراض ، وقد قاوم مصطفى كمال أتاتورك استخدامه فى تركيا حتى قضى عليه . والكلمة فارسية الأصل .

(٣٢) فى الأصل (أعره) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣٣) بخيلة يا عزيز جلدة : تعبير شائع فى العامية المصرية للدلالة على البخل .

(٣٤) الفدان وحدة مساحية لقياس الأراضى الزراعية بمصر ، وتبلغ مساحته حوالى أربعة أضعاف مساحة الهكتار .

(٣٥) يريد بالذهب الصب ، الذهب الخالص ، والتعبير دارج .

(٣٦) كلمة (مخبا) تقرأ على أنها اسم مفعول من الفعل الثلاثى خبا حتى يستقيم الوزن .

(٣٧) حذف همزة (النبا) للضرورة الشعرية .

(٣٨) فى الأصل : (ألست من زمن المهد) وبه لا يستقيم الوزن .

(٣٨) فى الأصل (إلا الغنا) وهو تصحيف .

(٣٩) فى الأصل (فولا فغدا) وهو تصحيف .

(٤٠) (أفتنا) كانت فى الأصل بدون همز ، وصححناها حتى يستقيم الوزن .

(٤١) كلمة (أخى) مطموسة فى الأصل .

(٤٢) (شفا) كل شىء هو حرفه أو طرفه أو حافته ، والشاعر يريد أنها على وشك الموت .

مسرحية البخيلة
تعليقات وهوامش



علي يوسف



سليم تقلا



بشارة تقلا

(٤٣) فى الأصل : (قصركم من قديم) وهو تصحيف وبه لا يستقيم الوزن ، والصواب ما أثبتناه .
(٤٤) يعتبر العنكبوت ونسيجه رمزين لما هو بال أو فان أو متداع ، يقول أحمد ناجى :

والبلى أبصرته رأى العيان   ويداه تنسجان العنكبوت
قلت يا ويحك تبدو فى مكان   كل شىء فيه حى لا يموت

(٤٥) (رحا) و (رحى) واحد ، وجمعها أرح وأرحاء ورحى وأرحية .
(٤٦) فى الأصل : (لم يبق من مقدم ولا من آغا) وهو مكسور ويستقيم الوزن إذا قلنا (لم يبق من مقدم ولا آغا) أو (لم يبق من مقدم أو منّ آغا) . والمقدم رتبة عسكرية فوق الرائد ودون العقيد ، والآغا كلمة تركية معناها الرئيس أو الشيخ أو السيد ، وكان صغار الضباط حتى رتبة يوزباشى (نقيب) ، يحملون هذا اللقب .
(٤٧) فى الأصل (لا تسالوا) وهو تصحيف .
(٤٨) فى الأصل (وامضى) وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .
(٤٩) فى الأصل (ولم يا أخى لم لا) ، وقد أضفنا (لا) الأولى حتى يستقيم الوزن .
(٥٠) تضمين لمثل مصرى شعبى معروف .
(٥١) تعبير (ما أبوه) صحيح ، حيث أن (ما) تستخدم أحياناً بمعنى (من) وقد جاء فى القرآن :
(ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء) ....
(٥٢) يسكع ويتسكع بمعنى واحد ، والشاعر تجاوز هنا عن حرف الجر لاقامة الوزن .
(٥٣) تعبير (لا ولا تسأل به) سليم ، فقد جاء فى القرآن : (فاسأل به خبيراً) .
(٥٤) البيت فى الأصل متداخل ، والشطرة الأولى تنتهى عند كلمة (نملة) كما أثبتناها .

(٥٥) فى الأصل (على القش) وهو تصحيف صوابه القرش كما أثبتنا ، والقرش عملة مصرية معروفة .
(٥٦) لم أجد أتفلت بمعنى تفلت ، والشاعر اضطر لاستخدامها لتستقيم قافيته .
(٥٧) (الشلت) فى العامية المصرية جمع (شلتة) ، وهى الحشية أو الوسادة ونحوهما ، وعادة وضع النقود أو المال فى (الشلت) وتحت (البلاط) كانت معروفة وسائدة حتى وقت قريب ، خاصة بين الطبقات الشعبية .
(٥٨) استخدم الشاعر (حلج) بمعنى حاجة ، وهو استخدام وارد فى الشعر العربى .
(٥٩) الدمى من العاج أو المعدن أو الحجر ، معروفة منذ الحضارة المصرية القديمة ، وكانت تصنع لأغراض دينية ، وقد عرف العرب القدامى هذه الدمى وكانوا يضربون بها المثل فى الجمال ، والشعر العربى حافل بصور عديدة تشبه فيها المرأة الجميلة بالدمية .
(٦٠) فى الأصل (درت) وهو تصحيف .

(٦١) تعبير (على البلاطة) مثله مثل (على الحديدة) ، يستخدم فى العامية المصرية للدلالة على الافلاس .
(٦٢) كانت فى الأصل (والبنت) ، ثم تداركها مصحح النسخة (بقلم الحبر) فاستقام الوزن .
(٦٣) أراد (وأجر ركوبى ؟) فحذف المضاف لدلالة المضاف اليه عليه .
(٦٤) فى الأصل (ما تشاء) فحذفنا الهمزة حتى يستقيم الوزن .
(٦٥) (فلوس) فى العامية المصرية بمعنى (نقود) .
(٦٦) فى الأصل (جلوسا) وأثبتناها مرفوعة لأنه لا وجه لنصبها هنا .
(٦٧) فى الأصل (ذلك) وبها يختل الوزن .
(٦٨) خفف الشاعر همزة (يقرأ) ليستقيم له الوزن .
(٦٩) فى العامية المصرية يكنى بـ (القفا) عن الانسان العظيم الجرم البليد العقل .
(٧٠) حتى يستقيم الوزن يجب أن تسكن الحاء فى كلمة (صحف) الأولى ، وتحرك فى الثانية .
(٧١) (الأهرام) هى الصحيفة المصرية اليومية المعروفة الآن ، وقد أسسها كل من سليم وبشارة تقلا سنة ١٨٧٥ ، و (اللواء) سبق الاشارة اليها ، انظر الهامش رقم (٤) .
(٧٢) حذف الشاعر همزة (الدواء) للضرورة الشعرية ، مثلما فعل بهمزة (اللواء) فى البيت السابق .
(٧٣) كلمة (تذاكر) معروفة فى اللغة العربية ، ومفردها (تذكرة) وتعنى كل ما تستذكر به الأمور أو كل ما يدعو منها الى العبرة والذكر ، وقد ورد فى القرآن : (كلا إنها تذكره) . أما (تذكرة) بمعنى (بطاقة) ، فهى محدثة .
(٧٤) (الخط) بفتح الخاء تعنى الطريق ، وبكسرها تعنى المكان المختط للعمارة أو البناء ، والذى أراده الشاعر هو (الخط) بضم الخاء ، بمعنى موقع الحى من المدينة .
(٧٥) سخر منه سخرا وسخرا (بضم السين أو فتحها) بمعنى سخرية .
(٧٦) (إن ماتت) لم تكن موجودة بالأصل ، ثم أضيفت (بقلم الرصاص) ، على غير الاضافات والتصحيحات السابقة والتى كانت كلها بقلم الحبر . وهى اضافة سليمة من حيث أنها متممة للمعنى مقيمة للوزن .
(٧٧) (مادر) هو أبخل العرب ، فى مقابل حاتم الطائى أكرمهم ، ضرب به المثل فى البخل ، وقابل أبو العلاء المعرى بينه وبين حاتم الطائى فى لاميته الشهيرة ، فقال :

إذا وصف الطائى بالبخل مادر   وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت كليلة   وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة رخيصة   ويا نفس جدى إن دهرك هازل

(٧٨) خفف الشاعر (أوما) ليستقيم الوزن .
(٧٩) كلمة (نحن) لم تكن موجودة فى الأصل ، وقد أضيفت بقلم الرصاص أيضاً كالاضافة السابقة ، مما يدل على أن المصحح الذى أتى بالاضافتين واحد ، والاضافة هنا صحيحة ، إذ لا يستقيم الوزن بدونها .
(٨٠) (المسك) ضرب من الطيب معروف برائحته وليس بنكهته كما يشير الشاعر ، ويتخذ المسك من دم بعض أنواع الغزال ، يقول المتنبى فى سيف الدولة :

فان تفق الأنام وأنت منهم   فان المسك بعض دم الغزال

(٨١) أراد الشاعر (المقاهى) فاستعصى عليه الوزن ، فاستبدل بها (القهوات) ، وهى كلمة تستخدم فى العامية بمعنى (المقاهى) ، ولكنها فى الأصل العربى جمع قهوة ، والقهوة هى الخمر أو اللبن الخالص ، وتطلق أيضاً على مشروب البن المسحوق ولكنها بهذا المعنى تعتبر مولدة .
واستخدامها بمعنى الخمر هو المشهور والمعروف منذ الجاهلية . يقول الأعشى ميمون بن قيس :

وقهوة مزة رووافها خضل

(٨٢) (الوابور) كلمة معربة تستخدم فى العامية المصرية للدلالة على بعض الآلات من ذوات المحركات أو من غيرها .
(٨٣) فى الأصل (اصابة) بدون همز .
(٨٤) فى الأصل كلمة (خلنى) مطموسة .
(٨٥) كلمة (امض) غير واضحة فى الأصل .

الثأر

قصة قصيرة بقلم : يوسف الشاروني



ثلاثون عاماً راح خلالها ثلاثون قتيلا أخذاً بالثأر فى قريتنا الجبلية الصغيرة آخرهم كان ضحية صبى فى الرابعة عشرة من عمره ، كان أبوه قد سبق أن مات مقتولا وهو مايزال جنيناً فى رحم أمه ، فلما ولدته لم ترضعه ولم تطعمه إلا هدفاً واحداً فى الحياة : ان ينتقم من قاتل أبيه . وكما انتهت مأساة قريتنا — حتى الآن على الأقل — بصبى فانها بدأت بصبى .

• • •

كان رفاعة من أسرة أبو دومة يصطاد العصافير — فى أحد العصارى — بنبلته فى الحقول المجاورة لبيوت القرية ، غير انه أخطأ — ذات مرة — هدفه وأصاب عين طفل من أسرة الدرمللى . وقد ثار سالم الدرمللى والد الطفل — الذى لم يكن قد بلغ العاشرة — وحلف بالطلاق الا يكون انتقامه بأقل من أن يذبح الصبى المفزوع رفاعة ابن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وقد توسط أهل الخير وحاولوا عبثاً أن يفهموا الوالد المكلوم ان الاصابة غير مقصودة وانها من صبى لا يدرك عواقب الأمور ، وعرضوا عليه دفع دية أو تعويض ، غير أن الوالد الثائر ركب رأسه كما يقولون ، وقد أقسم فكيف يحنث فى قسمه ؟

وحين فشل وسطاء الخير واتضحت خطورة العواقب لهذا الموقف المتصلب ، تدخل عمدتنا واقترح حلا قد يرضى الجميع فمادام الرجل قد أقسم فلينفذ قسمه ، ولكن على شرط أن يمر بالسكين على رقبة الصبى بحدها غير المسنون ، أو بمعنى آخر أن يمثل عملية الذبح كما يفعل الممثل فى المناظر المشابهة على المسرح ، بذلك يبر قسمه دون أن ينفذه . وعندما بدا أن سالم الدرمللى قد اقتنع بهذا الحل بعد أن فقد الجميع الأمل ، واضطرت أسرة أبو دومة الى قبوله أيضاً وإن كان على مضض ، فقد كانوا فى شك أن ينفذ سالم الدرمللى تعهده ، وألا يستغل طيبة العمدة لينفذ قسمه ، فدماغه كانت ناشفة .

وفى الموعد المتفق عليه ذهب كبار أسرة أبو دومة بصحبة الصبى رفاعة الى المكان المتفق عليه وهو دوار العمدة ، كما ذهب سالم الدرمللى وبعض أقاربه . وبعد أن شربوا الشاى دورين ، صنع الرجل حلقة ووقف رجال كل أسرة فى مواجهة الأخرى . وأدرك رفاعة أن دوره قد حان ، فهم بالبكاء فزعاً وتشبث بأبيه لولا أن أخرسته نظرة منه ، فاستجمع شجاعته وتقدم وسط الحلقة ، بينما قدم العمدة السكين بنفسه — ولكن مقلوباً — الى سالم الدرمللى .

ووسط جو مشحون بالتوتر أمسك سالم السكين ، وفى لحظة أقل من اللحظة ، عدل السكين ومرره بكل عنف على رقبة الصبى المكشوفة المستسلمة لتتفجر دماؤه بشدة حتى أصاب رشاشها الواقفين : ثيابهم ووجوههم . وترنح الصبى وهو يرفرف كدجاجة مذبوحة . وفى لحظة خارج الزمن انطلقت الرصاصات من أسرة أبو دومة تتهاوى متسابقة مرشوقة فى جسد سالم الدرمللى : ثلاثون رصاصة — كما جاء فى تقرير الطبيب الشرعى — اخترقت جسده من رأسه الى أسفل بطنه حتى أصبح كالغربال .

تلك كانت البداية ...



وجه مدينة من فلسطين



نبيل خالد الأغا

حيفا
قلادة على صدر الوطن

موقفان تراجيديان واجهتهما في مستهل الجولة التى نقلتنى الى المدينتين الحبيبتين الرائعتين : القدس الخالدة .. محارة اديان السماء ، وحيفا الفاتنة قلادة الشوق التى تزين صدر وطننا الفلسطينى المغتصب !

لقد تعرضت لهذين الموقفين الغريبين وواجهتهما بأسلوب أعترف بداية أنه سلبى وقد لا يرتضيه الكثيرون ! ولكن ما حيلتى وأنا لا أملك غير الدمعة السخية الدافئة اسكبها على وطنى بعد أن عز على أمتى العربية الاسلامية أن تسكب الدم فداء للقداسة والطهارة والكبرياء !

أول الموقفين حدث أثناء احدى الجمع الرمضانية المباركة حيث انطلقت من مدينتى صباحاً فى طريقى الى القدس الحبيبة لزيارتها وللصلاة فى المسجد الأقصى المبارك . وفى العاشرة والنصف أردت تجديد وضوئى استعداداً لأول فريضة أصليها فى ثالث الحرمين الشريفين .

اتجهت الى «سبيل» رئيسى فى الساحة قبالة مسجد الصخرة ، فرأيت عشرات المسلمين متحلقون حول صنابير المياه ، فانتظمت فى دورى ، وبعد أكثر من عشرين دقيقة استطعت الوصول الى احد ها !

بدأت فى الوضوء وكل كيانى منغمس حتى النخاع فى مستنقع نفسى جاوز الحد الأعلى للتعاسة البشرية قاطبة !

وعندما أوشكت على الانتهاء تنبهت الى أن وضوئى لم يكن منظماً ولا متوالياً فبدأت الوضوء من جديد ، وأنا أذوب خجلا من نفسى ومن الرجال الذين ينتظرون أدوارهم خلفى !

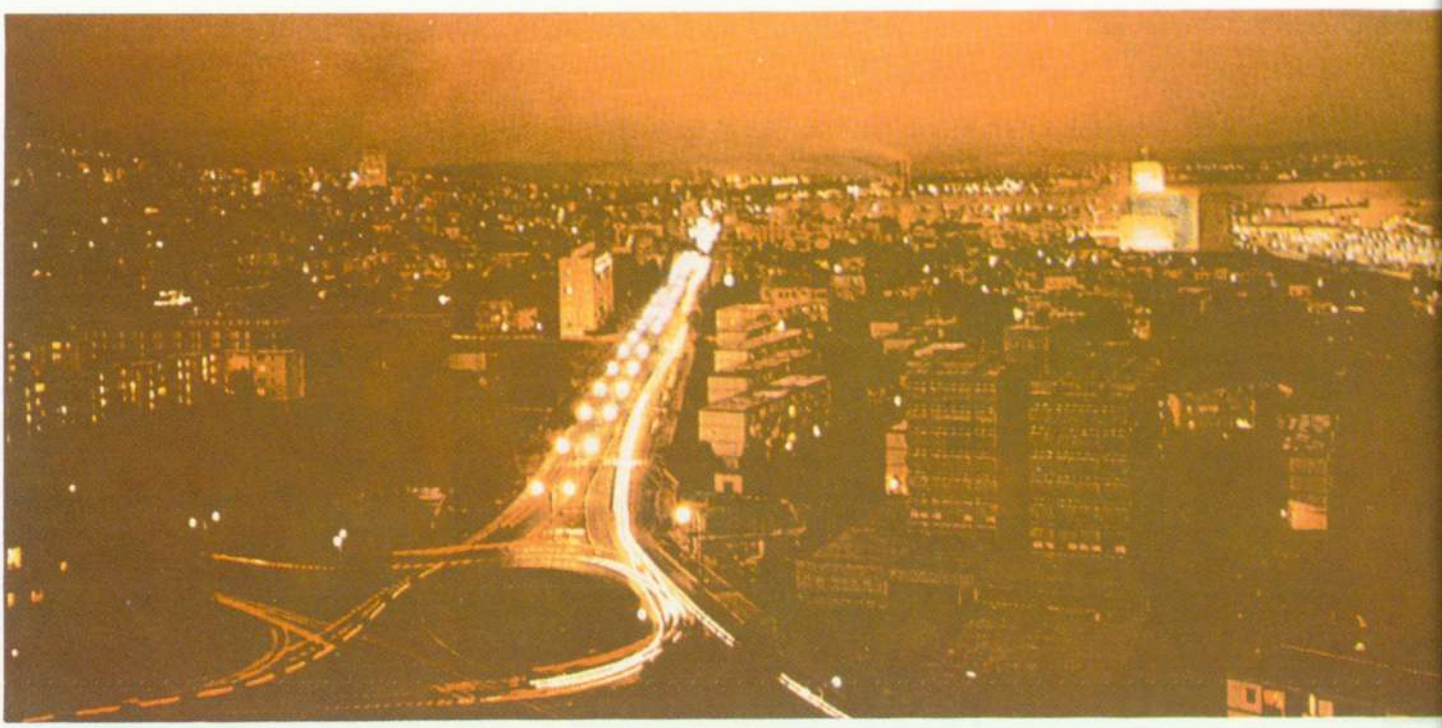
وعندما أوشكت على الانتهاء تنبهت الى خطئي فى ترتيب فرائض الوضوء للمرة الثانية ! .. وبدأت من جديد أغسل وجهى ، وهنا نفد صبر الرجل الواقف خلفى مباشرة . فصرخ بلهجة فلاحينا البسطاء : هيه يا رجل .. قم الى بيتك لتتعلم الوضوء فيه ولا تضيع علينا صلاة الجمعة !!

وأسقط فى يدى ووجدانى وكل ذرة فى كيانى .. فنظرت الى الرجل فى ذل وانكسار وتمنيت ان يهبه الله حكمة لقمان كى يدرك ما بى من حزن يعقوب ، وحسرة يوسف ، وبلوة أيوب ، وألم آدم ! وتمنيت لحظتها أن تكون دموعى بلون دمى حتى يدرك صاحبى أننى اتوضأ وضوءاً آخر لا عهد له به ، وتذكرت قول الشاعر :

لم يخلق الدمـــع لامرىء عبثاً
الله أدرى بلوعة الحـــــزن !

• • •

أما الموقف الثانى فقد حدث على قمة جبل الكرمل .. حينما كنت مستغرقاً متأملا بصمت واجلال منظر مدينة حيفا



● توضأت ثلاث مرات وأنا أسكب الدمعة السخية الدافئة على وطني!
● من الذي يحصد هذا الجمال لأمتع منظر تغرق فيه الأبصار؟
● عندما خرجت "إيزيس" تبحث عن زوجها في كهوف جبل الكرمل!

الآية الرائعة التى أبدعت يد الله صنعها جبل الكرمل يحتضنها ، والأبيض المتوسط يهدهدها ، والنجوم تداعبها ، والسهل يناغيها ، والجمال نفسه يغار منها ، وعيون الحساد تخاف عليها ، إنه بلا شك أمتع منظر تغرق فيه الأبصار بفلسطيننا المغتصبة ... ولكن من الذى يحصد هذا المحصول الجمالى الفريد ؟ ان الاجابة الموحشة عن هذا التساؤل كفيلة بتشييد أهرام جديدة من الوجد والألم على صدرى المترع بالاحزان .. ولم يكن هذا الواقع وحده هو الموقف التراجيدى الوحيد الذى أعني فلقد رأيت أغرب منظر لا أخلاقى وقعت عليه عيناى فى طول حياتى وعرضها ! والذى أتورع حتى عن استحضار صورته البشعة فى خيالى خشية أن أخدش عفة هذا الخيال بشيطانية ذلك القبح ، وإنى لمشفق على كرام القراء من تفصيله .. لكن عز على نفسى أن أراه حادثاً فى وطنى .. وفى أكرم شهر من شهور ربى وبتلقائية شديدة ... انداحت على وجهى حبات الدموع ... ثم سحت عينى خيراتها المدرارة وأخذت أردد قول الرصافى :

أأمنع عينى أن تجود بدمعها
على وطنى إنى اذن لبخيل

وبعد أن عشيت عيناى من طول البكاء وبكى بعضى على بعضى معى كما يقول أحد شعراء الأندلس أخرجت نفسى من محنتها ، وقلت ان تدارسنا لحياة حيفا أنفع وأجدى ألف مرة من بكائنا عليها ، ونواحنا على ضياعها !

جنة الله

تتربع مدينة حيفا الفاتنة على قمة سفح جبل الكرمل الشامخ ، وهو يكون الجزء الشمالى الغربى من جبال نابلس ، حيث يبدأ من وادى الملح وينتهى على شاطىء الأبيض المتوسط عند حيفا ، ويبلغ طوله ١٥ كم ، وعرضه حوالى ثمانى كيلو مترات ، أما أعلى قمة فترتفع ما يقرب من ٥٥٠ متراً عن سطح البحر .

ولقد اكتشف علماء الآثار فى كهوفه ومغاوره بقايا هياكل بشرية ترجع الى العصر الحجرى القديم مما يدل على وجود حياة بشرية فيه منذ آلاف السنين.

وقد ورد فى الأساطير المصرية القديمة أن «ايزيس» خرجت تبحث عن زوجها أوزوريس فى أحد كهوف جبل الكرمل ، فرأت القمح نامياً فى مدخل الكهف . وهى اشارة تدل على أن القمح قد عرف للمرة الأولى فى فلسطين وبوجه خاص على هذا الجبل .

وقد ورد فى الأدب اليونانى القديم أن الفيلسوف الرياضى الشهير «فيثاغورس» عاش فترة من الزمن على جبل الكرمل ، التقى خلالها مع بعض تلاميذه .

وبعض الناس يدعونه «جبل مار الياس» بحجة انتصار هذا النبى

حيفا



جانب من حيفا القديمة ويبدو فيه جبل الكرمل



المدينة تطل على شاطىء البحر

على أعدائه من الوثنيين اليهود فوق الجبل .

وفيما بعد حفل الجبل بالنساك والموحدين الذين تناثروا فى أرجائه يعبدون الله ويتقربون اليه .

أما كلمة «كرمل» ذاتها فهى كنعانية الأصل ، وتعنى كرم الله ، أو جنة الله ، وهى تسمية لها من اسمها نصيب ، حيث كسا الله هذا الجبل بأشكال مختلفة من الأشجار والفواكه منذ قديم الزمن فتواجدت فيه أشجار الصنوبر ، والسريس والبلوط ، والسنديان ، والعبهر ، والخروب ، والجميز ، والتين ، والزيتون ، إضافة الى أنواع عديدة من الرياحين والأزهار .

واذا وقف المرء على أماكن محددة على جبل الكرمل يستطيع أن يكحل عينه برؤية عكا وفنار صور شمالا ، والى ما وراء قيسارية جنوبا ، والى جبال الجليل وجبل الشيخ شرقاً ... اضافة الى منظر الأفق الممتد بعيداً وهو يعانق البحر ويحنو عليه فى لهفة ودلال . انها بلا ريب مشاهد فريدة من أمتع ما تقع عليه العين فى وطننا الفلسطينى المستباح .

تاريخ المدينة

حيفا كلمة عربية ، و «الحيفة» معناها «الناحية» ، وقد ورد ذكرها فى القرن الرابع الميلادى باسم «ايفا» .

ويرجح أنها أنشئت زمن الكنعانيين العرب ، ولكنها عاشت كقرية متواضعة لم تثر اليها انتباه التاريخ القديم ، وانحصرت ميزتها الكبرى فى موقعها الطبيعى النادر ، وكذلك لم يرد لها ذكر ما فى مصادر الفتح العربى الاسلامى ، ولعل أقرب ذكر لها كان فى عام ١١٠٠ ميلادية ، حينما استولى عليها الصليبيون بعد هجومهم على الحامية المصرية الصغيرة التى كانت تدافع عن البلدة .

وقد اهتم لويس التاسع ملك فرنسا بتحصين حيفا وقيسارية بوجه خاص ، إلا أن ذلك التحصين لم ينقذها من قبضة الجيش الاسلامى بقيادة البطل الظاهر بيبرس ، حيث فر الصليبيون وأتاحوا الفرصة لدخول الامراء العرب اليها ...

وغفت حيفا فترة وجيزة من الزمن ثم استيقظت فجاة على وقع أقدام نابليون الذى أقام قيادته على جبل الكرمل .

وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت «مركزاً» لقضاء يحمل اسمها ، وتولى «احسان بك التركي» منصب قائم مقام القضاء ... ومع مرور الزمن اتسعت المدينة .

وقد سمح السلطان العثمانى عبد العزيز للجالية الألمانية بتاسيس حي لها فى حيفا .. فقام المهندس «شوماخر» برسم الخريطة وتنفيذها فى القسم الغربى ... وأصبح ذلك الحى فيما بعد من أجمل أحياء المدينة وأنظفها ، واتفق سكانه منذ البداية على أن لا يبيعوا شيئاً من أراضيه لغير الألمان أنفسهم ... وقد صدقوا النية فى عقدهم «ولم ير حتى الآن انهم باعوا شيئاً من أراضى الحى لغريب عنهم» .

استيطان اليهود فى حيفا

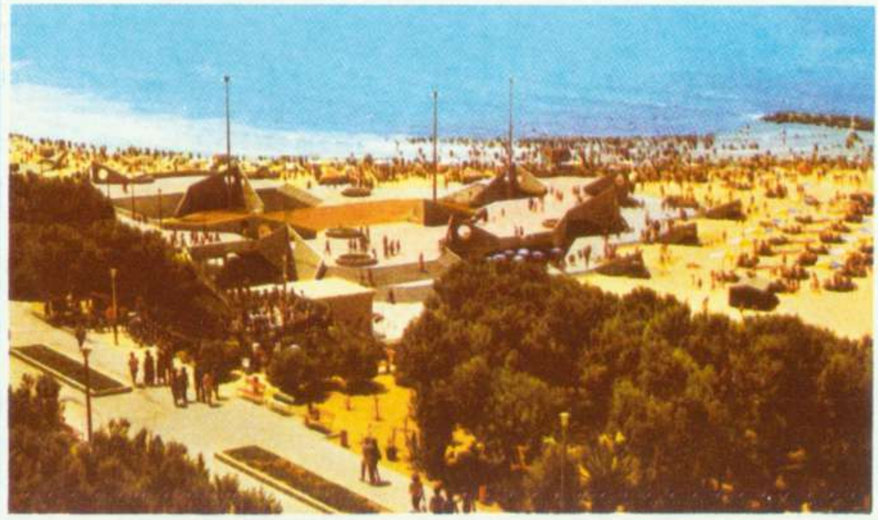
لقد كان اليهود الوطنيون «السفارديم» يسكنون فى حيفا منذ زمن قديم ، وبرغم أن حالتهم الاجتماعية فيها كانت سيئة إلا أنهم كانوا يرفضون النزوح عنها .

أما اليهود الغربيون «الاشكيناز» فقد كانوا قبيل الحرب العالمية الأولى يقطنون فى القسم الغربى من حيفا ، ويشتغل أغلبهم فى التجارة التى برعوا فيها واغتنوا من ورائها . ومن أجل نماء هذه التجارة حصروا بيعهم وشراءهم فيما بينهم فقط .. وافتتحوا لهم فرعاً لمصرف «انجلو فلسطين» ، والذى لا يتعامل إلا مع اليهود فقط ، اضافة الى أنه يبتاع اراض وأملاكا وعقارات مختلفة ويعطيها لشباب اليهود وفقرائهم اضافة الى اقراضهم أموالا يستطيعون بها تنمية مواردهم ، ويستطيعون بعد ذلك اداء ما عليهم على أقساط طويلة الأمد .

وقد اهتم اليهود فى حيفا بنشر اللغة العبرية ، فقاموا بفتح بعض المدارس التى كان يؤمها مئات التلاميذ يومياً .

خمسة أيام حاسمة

هناك خمسة أيام حاسمة وحافلة فى



مصيف ناتانيا

حياة حيفا المعاصرة ...

اليوم الأول كان فى عام ١٩٠٥ ميلادية .. حينما شهدت المدينة ميلاد أول خط حديدى لأول قطار ينطلق من محطتها أو ينتهى اليها . فلقد تحرك فى ذلك اليوم قطار سكة حديد الحجاز فربطها بدمشق وحوران وعمان والحجاز

وبعد أن كانت حيفا وثغرها مقراً متواضعاً لصيادى السمك وصغار التجار أصبحت تنمو وتتوسع فى نهضتها وتجارتها ولكن على حساب جارتها عكا !

فصارت حيفا ميناء هاماً تصدر منه حبوب المنطقة المجاورة ، وتصل بواسطته البضائع المختلفة القادمة من شتى بقاع العالم .

واليوم الثانى من أيام حيفا الحاسمة كان فى عام ١٩١٨ حيث بدأ عهد جديد خيم بظلاله السوداء فيما بعد على حيفا ففلسطين فالشرق الأوسط ، وذلك حينما احتل المدينة الجنرال اللنبى والكولونيل ستانتون وهما يقودان الجيوش البريطانية التى اشتبكت فى معركة حربية مع فلول الجيش التركى الذى كانت مدفعيته الالمانية تتمركز فى غابات الصنوبر فى الكرمل . وكذلك عندما أوصل اليها الجيش البريطانى أول قطار يربطها بمصر حيث صار معظم المسافرين يمرون بها وبخاصة الذين يسافرون بين مصر وسورية وبالعكس .

واليوم الثالث فى حياة حيفا كان فى عام ١٩٤٠ عندما بدأ الجيش البريطانى فى تحريك أول قطار متجه من بيروت وطرابلس خلال الحرب العالمية الثانية . وبهذه الشبكة المهمة من الخطوط الحديدية ارتبطت حيفا بخطوط العالم الرئيسية ، وأصبحت المدينة ذاتها محطة يتدفق اليها ألوف العمال العرب طلباً للرزق ، كما رحل اليها بعض كبار التجار السوريين والمصريين واللبنانيين

أما اليوم الرابع فى حياة مدينتنا الساحرة فقد كان فى عام ١٩٣٣ ... وفيه عدة خطوط عريضة برزت فى تاريخ المدينة ..

فلقد افتتح مدير شركة بترول العراق أول أنابيب البترول الممتدة من كركوك الى حيفا تحمل اليها نصف ما كانت تصدره العراق من بترولها ومنها يصدر الى أوربا وغيرها .

ومما زاد فى ازدهار حيفا وجعلها مقصد الرزق للكثيرين من داخل البلاد وخارجها بناء مصفاة حيفا الشهيرة .

وشهد نفس العام تدشين ميناء حيفا ليكون أعظم موانىء البحر المتوسط بعد مينائى مرسيليا والاسكندرية وبلغ عرض مدخله ١٧٣ متراً ، فاصبح الشريان الحيوى لفلسطين والأردن وسوريا والعراق وايران وغيرها من الأقطار الآسيوية .

ومما ساعد على ازدهار المدينة فى المجال الاقتصادى توفر أعمال البناء وصناعة الاسمنت والسجائر والنسيج والصابون ومطاحن الدقيق وأخيراً صناعة تكرير البترول .

يقول استاذنا المرحوم محمود العابدى : لقد كانت حيفا تشكل قوة مغناطيس تجذب اليها العامل العربى من سائر بلاد الشام دون حساب الحدود السياسية المصطنعة ، ولذلك كان جنيه حيفا يداعب خيال كل طموح ولا سيما التاجر السورى الذى نجح نجاحاً باهراً فى مزاحمة اليهود تجارياً ، لذلك كانت حيفا مركز العمل والعمال فى فلسطين .

ومن الخطوط العريضة التى برزت كذلك فى عام ١٩٣٣ استقبال حيفا لجثمان المغفور له الملك فيصل الأول حيث خرجت الجماهير عن بكرة أبيها تحيي الزعيم العربى الراحل ، وأقامت له بعد ذلك نصباً تذكارياً أمام جامع الاستقلال ، والملك فيصل هو فيصل الأول ابن الحسين الهاشمى يعتبر من أشهر ساسة العرب فى العصر الحديث وقد نودى به ملكاً على العراق عام ١٩٢١ ثم وافته المنية فى سويسرا بعدئذ .

وقد خلد شاعر فلسطين الراحل ابراهيم طوقان هذه المناسبة بقصيدة مطولة جاء فى مطلعها :

شيعى الليل وقومى استقبلى
طلعة الشمس وراء الكرمل
واخشعى ، يوشك أن يغشى الحمى
يا فلسطين سنى من فيصل

وخامس الأيام المشهودة فى حياة حيفا هو يوم الثالث والعشرين من نيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ . وفيه انسحب البريطانيون من حيفا وتركوها لقمة هنية فى أفواه الصهاينة . لقد حدث ذلك برغم أن الأدارة البريطانية قد أكدت مراراً فى بياناتها الرسمية أنها لن تتخلى عن حيفا قبل انتهاء الانتداب يوم الخامس عشر من مايو (أيار) من نفس العام ، وأنهم مسئولون عن الأمن حتى ذلك التاريخ . ولم يقف البريطانيون عند هذا الحد بل عمدوا الى شطر المدينة شطرين ، ووقفوا على منافذها يمنعون وصول النجدات العربية اليها ، بينما ساعدوا اعداءنا على التمركز والتحصن!

الرحيل .. الرحيل

لقد اجمع المؤرخون الذين رصدوا مراحل النكبة الفلسطينية على بطولة المجاهدين الفلسطينيين من أبناء حيفا وقراها المجاورة .. فلقد قاتلوا اليهود

خمسة أشهر كاملة سبقت سقوط المدينة فقتلوا خلقاً كثيراً من أعدائهم ، ونسفوا معامل التكرير التابعة لشركة بترول العراق البريطانية ، ودافعوا عن أرضهم وعرضهم دفاع الصناديد . برغم أن عدد المناضلين الحقيقيين فى حيفا لم يتجاوز فى أى وقت من أوقات النضال عن الأربعمائة مناضل ولقد أظهروا من آيات البطولة والفداء ما يستحق التقدير والاعجاب ...

وبعد أن انسحب البريطانيون من منطقة الميناء ، قام اليهود بهجوم صاعق على المنطقة العربية مهدوا له بضربها بالمدافع وقاذفات الألغام ، وصد الانجليز نجدة عربية قادمة من قرية الطيرة ومنعوها من الدخول إلا إذا تخلت عن أسلحتها !

وزلزل الناس زلزالا عنيفاً .. وغلبوا على أمرهم .. ونفد الجهد .. ونفذت ارادة الله وسقطت حيفا فى مستنقع الاحتلال الصليبى من جديد .

ويصف لنا الاستاذ قسطنطين خمار أحد المشاهد المأساوية للهزيمة فيقول : لقد هرع الذين بقوا على قيد الحياة الى الميناء ، ومعظمهم حفاة بثياب النوم ، فركبوا الزوارق قاصدين عكا أو لبنان ، وبلغ الزحام فى هذه الزوارق أشده حتى انقلب بعضها وغرق ، ومن الأمهات من نسيت صغارها وقد أوصدت باب منزلها دون أن تعي شيئاً لهول الموقف . وكان لكل عائلة قصة من هذا ، ولكل فرد رواية ولعل أفظعها قصة تلك الأم الذاهلة التى نزلت المركب وهى تحمل لفافة حرصت عليها حرصاً شديداً وهى تظنها وليدها ، فلما وصلت الى ميناء عكا وأفاقت من هول الصدمة هالها أن ترى أن ما كانت تحمله لم يكن إلا وسادة فأغمى عليها فوراً .

... وهكذا وفى ساعات سوداء من أيام قاتمة فى تاريخ العرب وفلسطين فرغت المدينة أو كادت من خمسة وسبعين ألف عربى كانوا يشكلون نصف سكانها . ويمتلكون سبعين بالمائة من عقاراتها وانشاءاتها .

أما اليوم فيقدر عدد سكان حيفا وضواحيها بحوالى ٤٥٠ ألف نسمة ، بينما يقدر عدد العرب بحوالى ٢٥ ألف نسمة .



مصيف ناتانيا بالوطن السليب .

تقسيمها الادارى

كان قضاء حيفا فى نهاية الانتداب البريطانى على فلسطين يضم ٥٢ قرية عربية ، وما يقرب من ستين مستعمرة يهودية ، سبع منها فقط أسست فى العهد العثمانى والبقية فى عهد الحكم البريطانى اللعين .

كما كان فى هذا القضاء ما لا يقل عن (١٨) قبيلة من الأعراب منها قبائل : التركمان ، الزبيدات ، السواعيد ، الخوالد ، الزوايده ، العلاقمة ، المنسي ، العوادين ، وغيرهم .

أما القرى العربية فقد دمر الأعداء غالبيتها العظمى باستثناء تسع منها هى : شفا عمرو ، اعبلين ، ابطن ، عارة ، كفر قرع ، عرعرة ، عسفيا ، اجزم ، دالية الكرمل



كاتب المقال داخل مدينة حيفا .

لقد كان عدد اليهود فى هذا القضاء ايام الحكم العثمانى لا يزيد عن ٣,٥ بالمائة من مجموع السكان ، ثم أضحوا فى أواخر العهد البريطانى الأسود ٤٦,٥ بالمائة .

هذا وينسب الى قضاء حيفا عدد كبير من الشخصيات الفلسطينية البارزة منها:

●● نجيب نصار ١٨٦٢ ـ ١٩٤٨ م : صحفى مرموق ، تولى اصدار جريدة «الكرمل» الأسبوعية فى حيفا عام ١٩٠٩ ميلادية . طاردته الحكومة العثمانية بعد أن أقفلت الجريدة ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاود اصدارها الى أن أمرت الحكومة البريطانية باقفالها عام ١٩٤٠ . توفى فى الناصرة فى عام النكبة الأولى .

● رشيد الحاج ابراهيم ١٨٨٩ ـ ١٩٥٣م وجيه مرموق ، وسياسى بارز ، مثل فلسطين فى كثير من المؤتمرات التى عقدت لمجابهة الانتداب البريطانى والهجرة اليهودية . كان واحداً من رجالات فلسطين الذين نفتهم بريطانيا الى جزيرة سيشل عام ١٩٣٧ ، تزعم شئون القتال فى حيفا قبل ضياعها . هاجر الى الأردن وفى عمان أدركته الوفاة

●● نقولا الدر ١٩٠٩ ـ ١٩٦٧ : من مواليد قرية شفا عمرو ، تخرج من كلية «تراسنطة» فى القدس عام ١٩٣٦ ، نزح بعد النكبة الى الاسكندرية ، وبعد عام انتقل الى بيروت حيث أخذ يمارس



جانب من حي الميناء بالمدينة .

نشاطه الصحفى والادبى ، ثم تولى رئاسة تحرير جريدة (ديلى ستار) الانجليزية التى تصدر فى بيروت . وفى عام ١٩٦٤ انتخب نائباً لرئيس المجلس الوطنى الفلسطينى الأول الذي عقد فى القدس ، ثم تولى رئاسة دائرة التوجيه والاعلام بمنظمة التحرير الفلسطينية . حسبه فخراً كتابه الرائع «هكذا ضاعت وهكذا تعود» الذى صدر عام ١٩٦٣ وتضمن شرحاً علمياً وافياً لخطر النفط العربى وعلاقته بكارثة فلسطين وتحريرها .

●● حسن البحيرى ١٩٢٠ ـ ....

ولد فى حيفا ، وأنهى الصف الابتدائى الرابع ، عمل فى سكة الحديد ، ودرس على نفسه الانجليزية والعبرية ، نشر قصائده ومقالاته فى الصحف الفلسطينية والمصرية واللبنانية ، اشترك مع الفدائيين العرب فى نسف «المطحنة الكبرى» وكثير من الأماكن اليهودية المهمة ، بعد النكبة الأولى نزح الى دمشق حيث عمل مراقباً للقسم العربى فى الاذاعة العربية السورية ، ثم عين استاذاً للأدب العربى فى بعض ثانويات دمشق . له عدة دواوين شعرية ومترجمات مطبوعة ومخطوطة .

حيفا .. والواقع

تعتبر حيفا ثالثة أكبـــر المدن الفلسطينية المحتلة بعد القــدس وتل أبيب حيث تبلغ مساحتها حوالى مائة كيلو متر مربع .

وهى مركز مهم للصناعات اليهودية الثقيلة المقامة على خليج عكا ، مثل مصانع الاسمنت ، والأسلاك الكهربية ، والزجاج ، والسماد ، والكيماويات ، وفيها مصفاة البترول وغيرها . أما الميناء فهو بمثابة القلب البحرى النابض للكيان الصهيونى ، وحركة العمل فيه نشيطة جداً تعادل نحو ٥٦ بالمئـة من مجموع حركة العمل فى الموانىء الفلسطينية الحالية الثلاثة : حيفا وأشدود وايلات

ويعتبر مرفأ المدينة مركزاً للاسطول الحربى اليهودى ، وفيه ترسانة ضخمة لبناء السفن واصلاحها .

ووزارة السياحة الاسرائيلية تحاول أن تجعل من حيفا نقطة انطلاق للرحلات السياحية الى مدن وقرى الجليل . وتركز الدعاية السياحية على الجمال الطبيعى للمدينة ، ووجود الميناء نفسه فى مقدمة الأسباب التى تساهم فى زيادة السياحة فى المدينة حيث تتوقف معظم ناقلات الركاب فى هذا المرفأ الحيوى .

ومن أهم الأماكن التى يدعى السياح لزيارتها بالمدينة هى : بناية «داغون» لطحن القمح وترتفع ٦٠ متراً وهى أعلى بناية فى وطننا المغتصب ، وسبعة متاحف هى : المتحف البلدى ، متحف الفن الحديث ، متحف الفولكلور ، المتحف الملاحى ، متحف الفن اليابانى ، المتحف الموسيقى ، متحف الطبيعة وما قبل التاريخ .

ويوجد بالمدينة أكثر من خمسين فندقاً مختلفة الدرجات ، وبعض بيوت الشبيبة ، وعدد كبير من المطاعم بعضها له صبغة شرقية ويقدم المأكولات العربية مثل اللحم المشوى والفلافل والفول والحمص ، والمتبل ، وتدعي الكتيبات السياحية الصهيونية أن هذه المأكولات هى أطعمة اسرائيلية خاصة !

أما أهم الأماكن السياحية فى المدينة فهو «المعبد البهائى والحدائق الفارسية» ويوجد فى الحدائق البالغة الجمال تماثيل من الحجارة لمؤسسى المذهب البهائى . كما يوجد بناء يحتوى على مكتبة ضخمة تضم الكتب والمخطوطات والوثائق التى تخص الحركة البهائية .

ومن مشاهد حيفا الرئيسية (معهد اسرائيل التكنولوجى ـ التخنيون) ، وكان يعرف فى العهد البريطانى (بمعهد حيفا الصناعى) وتشمل الدراسة فيه الهندسة المدنية ، والصناعية ، والمعمارية ، والكيمائية ، وهندسة الطيران ، وتخطيط المدن .

وفى الفترة الأخيرة ألحقت به دوائر متعددة منها: العلوم النووية ، وعلم الميكروبات والجراثيم العامة ، والدراسات العامة ، والتربية ، ويبلغ عدد طلابه حوالى تسعة آلاف طالب .

وفى عام ١٩٦٤ ميلادية تأسست «جامعة حيفا» ، وتضم الكثير من الأقسام العلمية والنظرية ، وبها مكتبة ضخمة تحتوى على ما يقرب من مائتى الف مجلد !

● ● ●

أثناء عودتنا الى خان يونس أخذت أردد بلوعة وأسى مع حسن البحيرى شاعر حيفا وابنها المتيم قوله :

حيفا .. وأنت مزاج الروح فى رمقـــى
وعمق جرح الهوى فى موجعى الخفق
عيناى انت .. وانت العمر أجمعـــه
وانت عرش المنى فى مأملـــي الألق
يشدنى اليك شـــوق لو غمست لـــه
يراع شعرى فى صوب الحيا الغسق
لجف حبرى ولم أبلـــغ قـــراءة ما
ضمت جوانح صدرى من لظى حرقـــى

نبيل خالـد الآغـا

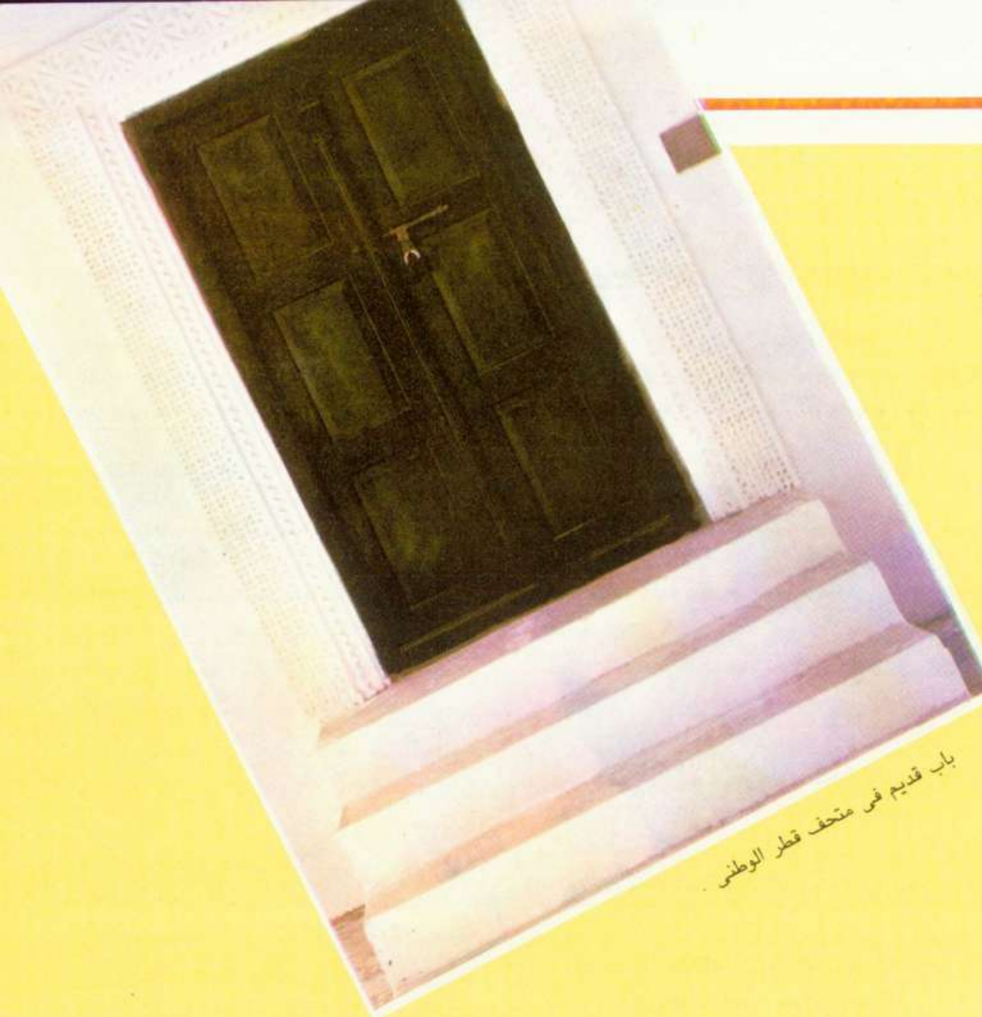
مدخل لدراسة الفولكلور الخليجي

محمد علي عبد الله

● ملامح التشابه الثقافي في فنون شرق الجزيرة العربية
● الزخرفة العربية هي نتاج روح الشعر العربي



واجهة معمارية من البحرين يعلوها ما يشبه المقرنصات الاسلامية .



باب قديم فى متحف قطر الوطنى .

إن الثقافة المادية لمنطقة الخليج العربى ، هى من الثقافات التى مازالت مجهولة وغائبة عن إهتمام كثير من الباحثين التراثيين للخليج ، وقد يرجع احد أسبابها إلى قلة المراجع التى تناولت هذه الناحية .

والثقافة المادية ، هى كل ما صنعه الانسان بيديه ، ليؤدى به الى غرض معيشى ، أمنى ، أو فنى .

وإن اكثر المراجع الموجودة عن منطقة الخليج ، والساحل العربى بالأخص ، هى مراجع تخص الجزء التاريخى او السياسى أو بعض الملاحظات لبعض الرحالة العرب ، أو الأوروبيين منذ نهاية القرن الثامن عشر !

ولذا فان الدخول فى موضوع لا يوجد له رواد خاضوه من قبل ، وأعدوا عنه أرضية يقف عليها من يجيء من بعدهم ، لمن الأمور التى تدخل إلى كثير من المتاهات والافتراضات التى تتحقق صحتها أو يحدث العكس مع مرور الزمن

هذا البيت البسيط

لقد بدأت منذ فترة فى جمع بعض الملاحظات عن الثقافة المادية فى قطر ومقارنتها بباقى منطقة الخليج العربى ، ولم اتعجب عندما وجدت أن وحدة ثقافية كبيرة تجمع بين هذه المنطقة ، ومن هنا وجدت نفسى أذهب إلى بعض مناطق الخليج لأخذ الصور والبحث عن مراجع إذا وجدت ، أو الالتقاء بالباحثين فى التراث الخليجى والمناقشة فى آخر ما توصلوا إليه فى أبحاثهم .

وقد كانت زيارتى إلى الكويت فى شهر اكتوبر من عام ٧٨ ميلاديه ، بغرض الذهاب إلى مركز الفنون الشعبية ، وكم كانت دهشتى كبيرة عندما دخلت هذا المكان ، فهو عبارة عن بيت على شاطىء الخليج العربى ، وهو من البيوت الخليجية البسيطة التى كانت تؤدى أغراضاً عظيمة فى الماضى !

ودهشتى كانت أكبر عندما اكتشفت أن دراسات ذات أهمية كبرى قد خرجت من هذا المكـــان البسيط والذى لم أر باحثين يموجون فى بعض أروقته كما يحدث فى العادة ، بل فى إحدى أطراف هذا المنزل حجرة قالوا لى بانها مكتب الأستاذ صفوت كمال ، وهو رائد فى مجاله ، وقد وصل إلى الكويت فى الستينات ، وقام بابحاث عظيمة فى جمع وتدوين التراث الخليجى منذ تلك الفترة ،وتـوج جهوده المثمرة بكتابين احدهما : المدخل لدراسة الفولكلور الكويتى ، والآخر : من عادات وتقاليد الزواج فى الكويت ، الكتابان تعرضا إلى الثقافه الماديه وحددا وصفاً لها .

التشابه الثقافى

وقد أجريت معه أثناء لقائى به هذا الحديث الذى سألته فيه عن التشابه الثقافى الموجود فى شرق شبه الجزيرة العربية ،واذا ما كانت هنالك أية تيارات ثقافية خارجية دخلت المنطقة ؟

وقال لى أن دراستنا للقبائل العربية تجعلنا نلاحظ أن كل هذه القبائل مشتركة فى جذورها ، بالاضافة إلى أن طبيعة المنطقة تدل على عدم وجود حواجز طبيعية شديدة بين اتصال القبائل مع بعضها كما أن متاخمة الصـحراء للخليـج العربى أوجـدت مهنة البحر ، سواء فى الغوص على اللؤلؤ ، أو السفر للتجارة فيه .

وقال انه يعتقد بان الغوص كان اقدم من التجارة ، والدليل على ذلك انها ذكرت فى نصوص (جلجاميش) ودلمون .

ومن هنا نلاحظ أن الرقعة الثقافية واحدة فى عملية التصور الأسطورى فى البحث عن اللؤلؤ ، كما أن الحفريات التى تمت فى البحرين من عمل (جفرى. بى. بى) مع وضع التصور العلمى الخيالى ، وهو أن جذوراً ثقافيه أخرى دخلت المنطقة وبالأحرى من مصر القديمة ، بالاضافة إلى الاتصال القديم مع أفريقيا والحبشه والهند سواء عن طريق اليمن أو عن طريق الجزيرة العربية ، كل ذلك يدل على أن البحر لم يكن حاجزاً فى وجه عملية الانتقال .

وإذا ما لاحظنا الجانب الثقافى الآخر وذلك فى طرق حياة البدو ، فاننا نرى فى التجارة على سبيل المثال البدو يقومون بنقل التمور منذ القدم ويتاجرون بها ، كما كانوا يقومون بوسائل وسطاء فى النقل ، ما بين فارس والهند ، وكذلك ما بين العراق والهند ، والوسيلة لم تكن عن طريق البر فقط بواسطة الجمال ، بل

كانت هنالك وسيلة البحر أيضاً ، ونستنتج من هذا الانتقال والاتصال النشط عن طريق البر والبحر ، أن التبادل البشرى الثقافى كان مستمراً وموجوداً أيضاً .

مشكلة نوعية الحياة

والدارس للتصورات الأسطورية الموجودة عند العرب ، وبجانب الأساطير العربية يلاحظ تصورات أسطورية أخرى وافدة من الهند وفارس وبلاد مصر القديمة ، وكذلك من بابل وآشور .

بالاضافة إلى أن طبيعة حياة البدوى وبحثه عن الماء والكلأ ، خلفت عند الانسان العربى نوعاً من الألفة مع المناطق الأخرى وثقافتها ، فأصبحت هذه المناطق مطروحة، وجاءت فترة الاستقرار والتى بدأت تطور تصوراتها البسيطة إلى أشكال أعقد واكثر تطوراً ، ومن هنا تبرز أهمية تاريخ القبائل فى دراسة اتصال الثقافات وتأثرها ببعضها البعض .

والمشكلة التى تواجه الباحث فى التراث الشعبى ، أن المراجع التاريخية لا تخبرنا عن نوعية الحياة التى كانت موجودة فى الجزيرة العربية ، فالناحية الفنية تنعدم فى هذه المصادر . فحضارة اليمن وسد مأرب حضارة عمرانية وتشكيلية مازالت بقاياها موجودة حتى اليوم ، والزخارف فى البيوت اليمنية القديمة اليوم ، ومقارنتها ببقايا المنسوجات التى وصلت إلينا ، بما فيها من وحدة زخرفية معمارية تشابه الوحدة الزخرفية الموجودة فى المنسوج وأدوات الحلى ، والسيوف ، احتفظت بنقوشها مدة أطول ، وهذا دليل قاطع على أن وحدة ثقافية في المنطقة كانت موجودة .

فن التجريد الاسلامى

لم يكن هنالك شىء مثل اللغة فى توحيد وسهولة نقل الثقافة بين أجزاء المنطقة ، فهذه لم تكن حاجزاً على الاطلاق ، ماعدا حواجز اللهجات والتى نتخطاها ، وذلك بالتحدث بالعربية الفصحى ، وهذا راجع إلى فضل الدين الاسلامى والقرآن الكريم .

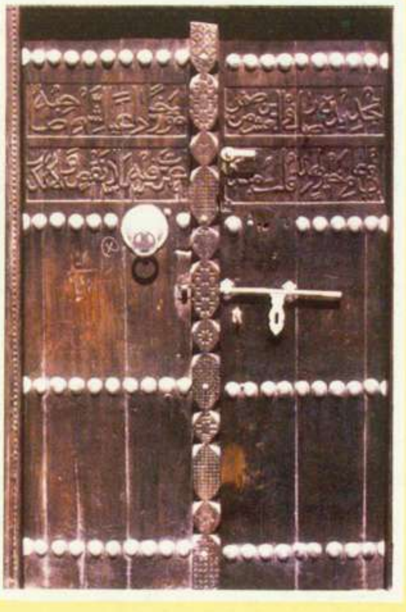
ومن المؤسف أن الموروث فى العصر الجاهلى قليل ، لأنها كانت تعتبر عصر جهالة وثنيه ، ولذا لم يهتم المؤرخون العرب بهذه الفترة ، ولا نستطيع التعرف على أشكال الحياة إلا من خلال الشعر الجاهلى ، ويمكننا التعرف على الثقافة المادية المتمثلة فى الشكل عندما يتغنى الشاعر فى شكل الأزياء و السيوف ، والدروع ، فهذه كلها ثقافة مادية كانت تزخر بها حياتهم .

والحضارة العربية كانت تعتمد على الكلمة ، ليس لأنها كانت مناطق انتقال ، فهذا لم يكن إلا جزءاً فالرحلات التجاريه وسوق عكاظ كانت تمثل ملتقيات ثقافية بين شتى قبائل الجزيرة .

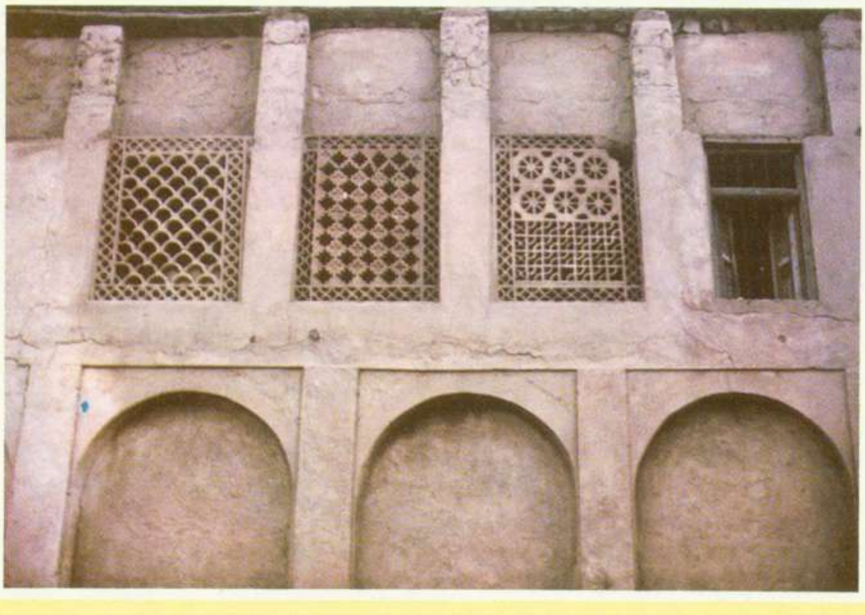
ثم ما معنى أن تعلق المعلقات فى سوق عكاظ . وقد قال بعضهم انها كانت تكتب على الحرير الدمشقى ، وتطرز بخيوط من ذهب وتحتوى كلماتها على وصف للدروع والسيوف .

وفى سير الأبطال ، مثل ملحمة عنترة ، نجد الوصف الثقافى (الآتنوغرافيا) ، ولكن بقاياها اندثرت ، وبقى أن نبحث عنها ، أما الموروث الشفاهى ، فقد حدث عليه تأثير استمر فى أشكال الحلى والتطريز ، وأرى انه يجب أن نركز تماماً على المنسوجات الشعبية ، لأنها تستطيع أن تعطينا صوراً عن الرؤية الفنية التشكيلية عند الفنان العربى القديم .

زخرفة الأبواب .



نمط من الفن المعمارى فى دبى .



والفن العربى عندما ظهر لم يكن مرتبطاً بمفهوم التجريد الاسلامى وإلغاء الصورة ، بل كان مرتبطاً بوحدة الثقافة . ونلاحظ أن كلمة نمنمة عربية ، ومعناها أثر الرياح على الرمال التى جعلت البدوى يلاحظ الآثار الدقيقة جداً ، ويستطيع التعرف على آثار المشي ومدتها وحالة الماشي البصرية والجسدية من اثر على الرمل ، فهذه قدرة على التأمل الشديد جداً المبنى على إدراك التغيرات البسيطة الجزئية .

ولهذا فان الزخرفة العربية المسماه بالأرابسك هى نتاج هذه الروح الموجودة فى الشعر العربى ، وهى تكرار النمنمة فيه ، فالشاعر يضع التفعيلة ويبنى عليها عشرات ومئات الأبيات ، وثقافية واحدة ، فهذه هى نفس نغمة للزخارف ، وكذلك الموسيقى فالتقاسيم فيها نمنمة ، وهذه كلها تعبر عن وحدة ثقافية لهذه المنطقة فى أعقد أشكالها !

المثلث على الأبواب

لقد كنت أبحث عن سبب وجود وحدة زخرفية معينة وهى المثلث ، وتكرارها فى معظم فنون وكماليات حياة الناس فى الخليج العربى ، مثل الأبواب ، وزخرفة الجبس ، وإطارات الأبواب الخشبية ، وعندما سألت احد الحرفيين عن تسميتها قال لى بأنها تسمى (بروج) والبرج عند أهل الخليج يرمز إلى الحماية والأمن ، وهذه الوحدة استعملت بكثرة فى فنون بابل فى بلاد ما بين النهرين وهى أقرب الحضارات القديمة من المنطقة .

والمثلث هو أصغر وحدة هندسية ، والمثلث هو أطوع وحدة هندسية فى تجميل الأشكال ، ومرتبطة بالخط المستقيم ، والمثلث المتساوى الأضلاع ، يصنع تقريباً أى شكل ، حتى الأشكال الدائرية . والتصور القديم للقاء الشمسى أو عالم السماء مع الأرض يكون نصف بيضة ، وهو التقاء شبه مثلث ، ولا مجال هنا للدخول فى فلسفة هذه الأشكال .

تدوين الفن الشعبى

لقد كان الانسان العربى مع الخط المستقيم كعنصر هندسى فى معظم شئون حياته ، كبناء المنزل والنسيج . وبناء السفن تحت ظروف رياضية وهندسية صارمة ، ومن هذا المنطلق كان تأثر الفنان العربى بالهندسة أكثر من أى شىء آخر فى بناء عناصر زخرفية ومثال ذلك الخط المستقيم والخط المنكسر .

إننا لا نستطيع فصل الفن التشكيلى عن الشعر ، فالاثنان وسيلتان للتعبير عن حالة واحدة .

وكذلك فاننا لا نستطيع تفسير نوع أو نمط من الفنون فى عزلة عن بقية الفنون وبالأخص الفنون الشعبية ، لأنها كلها تصدر عن فكرة واحدة ، وثقافة واحدة ، ولكن بوسائل مختلفة ، وتأتى لحظة نرى بأن كل هذه الفنون مشتركة ، ومثال ذلك ما يحدث فى احتفالات الأعراس ، فهنالك الرقص ، والغناء والموسيقى ، والتزيين .

القارىء لهذه السطور يستنتج بأن الفن الشعبى ليس ذلك الفن الناتج عن رجل الشارع أو الرجل الشعبى ولكنه فن تمتد جذوره آلاف السنين وهو يتعرض فى عصرنا الحالى إلى اندثار خطير وسريع يتوجب علينا أن نقوم بحفظه وتدوينه بشتى الطرق والوسائل الحديثة فى التدوين والتوثيق ، حتى نترك مادة لا بأس بها ، للأجيال القادمة ، قبل أن تتداخل الثقافة الانسانية ، بفعل وسائل الاعلام الحديثة ، وتنشأ عنها ثقافة محايدة ، لا تمثل أحداً ولا تنتمى إلى احد وكل ما يبقى للناس وثائقهم التى قاموا بجمعها وتوثيقها .

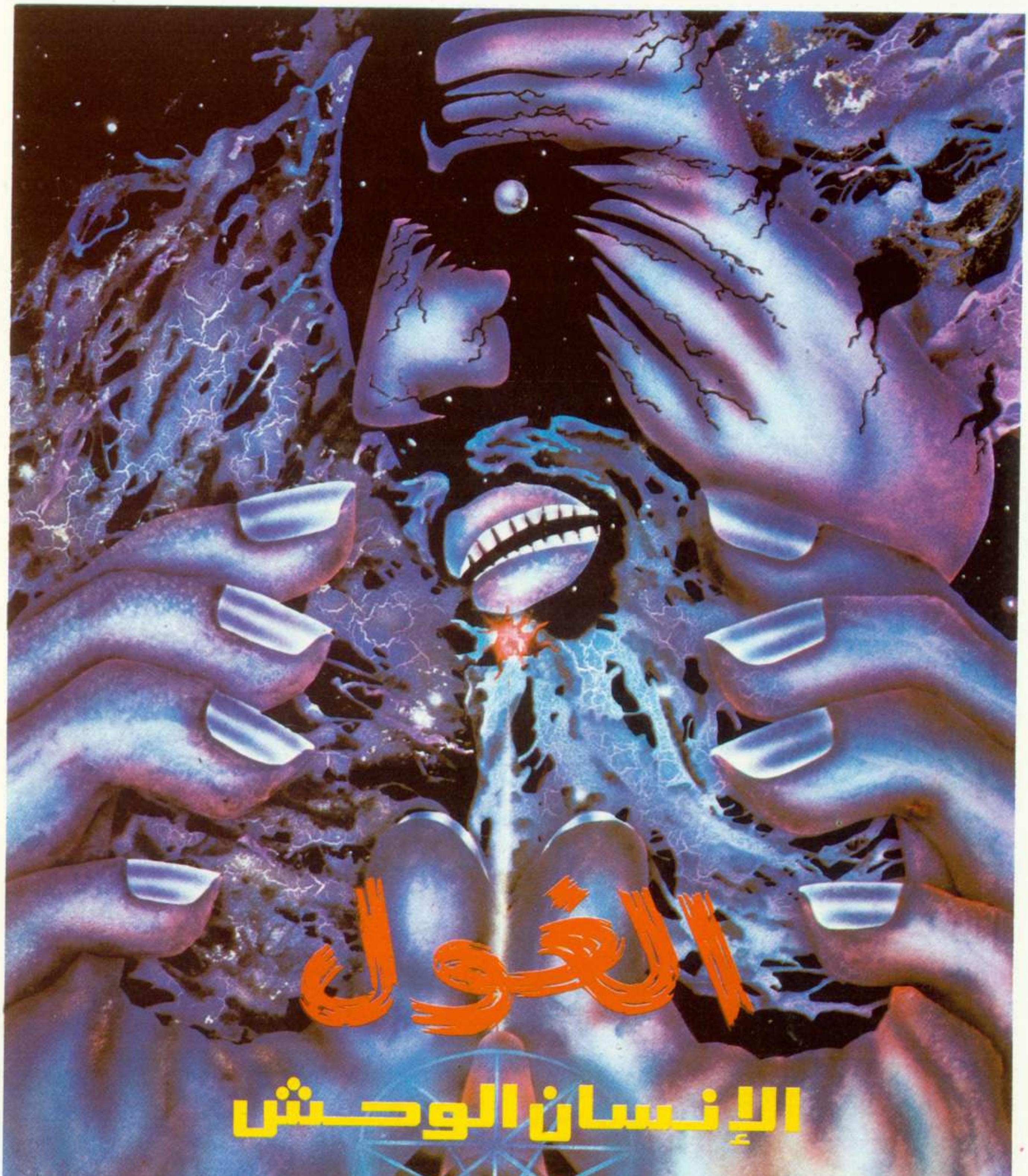
محمد علي عبد الله



قارب الصيد على شاطىء عجمان .



البيوت القديمة فى دبى .


الغول
الإنسان الوحش
في الأدب الشعبي العربي
فاروق خورشيد

● الخــــوف من المجــــهول جعــل الخيــــال الشــعبي يرســم مخلوقاتــ عنيــفة وقاســـية!

تعود الخيال الشعبى أن يجسد مخاوفه من المجهول على شكل مخلوقات عجيبة من طير السماء أو وحش الأرض أو الماء .. وتعود حين يرسم هذه المخلوقات أن يجمع لها كل صفات العنف والقسوة من ناحية ، وكل القدرات الخارقة التى تفوق قواه المحدودة من ناحية أخرى ، كما تعود أن يجمع فى مخلوقاته المتخيلة هذه ، سمات من هنا وهناك ، أى من حيوان البر أو وحش البحر أو طير السماء ، بحيث تخرج شيئا مزيجاً من كل ما هو مهول مخوف من أعضاء هذه المخلوقات التى يراها ويعرف قوتها وبطشها ، ويعرف أيضاً مواطن القوة والبطش فيها .. فيختار هذه المواطن أو يختار منها ، ويضيف بعضها الى البعض ، ثم يضيف من عنده ما يزيد هذه المخلوقات هولا على هول ..

ونستطيع ان نلحق الوحوش الخرافية بالمأثورات الشعبيه والاساطير التى دارت حول الحيوان .

الوحوش الخيالية

وقد استمد الخيال الشعبى شكل وحوشه المخيفة من الحيوان ، وربط هذه الوحوش بمأثوره المتوارث حول الحيوان وربط هذه الوحوش بقوى الشــيطان والجن ، كما ربطها بقوى السحر ، وعلوم الاقلام .. ولهذا أخذت هذه الوحوش الخيالية صفات حيوانية من ناحية الشكل ، وصـفات شريرة من ناحيــة المضمون ، وأحيطت بالأسرار والهواجس ومظنة السحر والطلاسم .. الا ان الحيوانات سواء منها عابرة السماء أو سابحة الماء أو جائلة الأرض ليست وحدها الموجودات الحيه التى يمكن أن يصدر عنها الشر ، فهناك أولا ودائماً الانسان ..

فكما ان الحيــوان منه المستانس النافع ، ومنه الوحوش الضارة ، فالانسان كذلك منه الطيب الخير ، ومنه الشرير الذى يبث الضرر ويحدث من المخـاوف ما يرقى بــه مرتبة الحيوان الضار المخيف ، ومنذ حكاية قابيل وهابيل وهذه الطبيعة المزدوجة تلصق لصوقا كليا بالانسان فى كل عصر وكل مكان .. وبعض النــاس يقتصر شرهم على المحيط الضيق الذى يعيشون فيه ، وبعضهم عتيد يشمل المجتمع كله ، وبعضهم الآخر تمتد اذرع الشر التى يمدونها لتشــمل الوجــود الانســانى لعصرهم ، فيصبحون وحوش زمانهم كله ويتحولون الى اساطير للشر الخالص عبر كل زمان ومكان بعد ذلك .. ومن قابيل الى النمرود الى العماليق الى فرعون الى عوج بن عنق الى طالوت ، الى اهرمين وجمشيد والضحاك ، الى ست أو تتفون ، تمتد اسماء الرجال الذين يمثلون الشر والطغيان ، ويعيشون حياتهم فى سفك الدماء وتدمير كل قوى الخير فى عصورهم ..

وقد بالغ الضمير الشعبى فى صفات هؤلاء البشر مبالغات كثيرة تتفق مع ما تصوره لهم من قدرة على الشر والايذاء ، كما ربطهم دائما بالشيطان من ناحية وبعالم السحر الشرير ، والحكمة الخبيثة ، والاتصال بقوى الشر الخفية من ناحية أخرى الا أن الخيال الشعبى فعل فى وصف هؤلاء الرجال ما فعله فى وصف الوحوش الخيالية المخيفه ، فأضفى عليهم من الصفات ماجعلهم فوق

الغول كما تخيله الفنان التشكيلى وهو يشوى لحم الانسان .



المألوف من اشكال البشر فى الشكل وفى القدرة وفى الاعمار أيضاً .. ويقول الثعلبى فى كتابه (العرائس) وفى وصفه لعوج بن عنق : «كان طول عوج ثلاثة وعشرين الف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول» ولست أدرى كيف يكون هذا ولكنه الخيال الشعبى الذى ربط عظم الشر بعظم الجثة وضخامة الحجم .. ويستمر الثعلبى فى وصف قدرات عوج بن عنق فيقول :«وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب من الماء ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله» هذه القدرة تجسد اضخم ما يمكن ان يصل اليه الخيال الشعبى .. وهذه القدرات الفائقة كلها لا تمنع عنه العقاب ولا تتيح له النجاة من غضب الله لانه جبار وعاص .. ويقول الثعلبى فى حكايته عن عوج بن عنق : «يروى انه اتى نوحا فى ايام الطوفان فقال له احملنى معك فى سفينتك ، فقال له اذهب يا عدو الله لم أومر بك ، فطبق الماء الأرض ، من سهل ومن جبل ، وما جاوز ركبته»

السندباد والغول

وفى نص الثعلبى فى العرائس نجده يقول : «وكانت ام عنق هى احدى بنات آدم من صلبه ، ويقال أنها كانت أول من بغى على وجه الأرض ، وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين فى كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين ، وكان موضع مقعدها خربه من الأرض ، ولما بغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئاباً ونموراً فقتلوها واكلوها» .. وهذا النص يقدم لنا تفسيراً لشيمة عنق ، وهو تفسير لم تقدمه لنا نصوص كتب التفاسير والأخبار فعنق هنا هى أم عوج ، وهى مثله فى الضخامة والبغى ، وهى مثله كافرة يرسل الله الوحوش ليريح الدنيا من شرها ، فهنا أيضاً شخصية الوحش الانسانة .. ذلك المارد المهول وتلك الماردة اللذان جسد فيهما الخيال الشعبى كل مخاوفه من قوى الشر والطغيان من ناحيه، واللذان حملهما الخيال الشعبى ايضاً خوفه

الغول
الإنسان الوحش
في الأدب الشعبي العربي

القديم الهابط من عصور وثنيته الأولى ، والهتها الشريرة الفتاكة الظالمة .. وهما هنا ليسا على صورة حيوان ، أو تجميعاً لكل ما هو مهول من وحوش البر والماء والسماء ، وانما هما هنا مستمدان من الصورة الانسانية للبشر .. ولابد لكى تكتمل صورة الايذاء ، أن يتحول فعل الشر من ميدان المعنى الى ميدان المادة المحسوسة ، وهكذا ربط الخيال الشعبى بين صورة هذا الوحش الانسانى وبين افتراس البشر افتراساً مادياً مجسداً فى أكل لحوم البشر ، وسنجد هذه الصورة مكتملة فى الف ليلة وليلة فى رحلة السندباد البحرى الثالثه .. ففى هذه الرحلة ترمى الريح مركب السندباد الى جبل القرود . وهم اقزام يشبهون القرود فى اشكالهم .

(وهم أقبح الوحوش ، وعليهم شعور مثل لبد الأسود ورؤيتهم تفزع ولا يفهم أحد كلامهم وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الخلقة طول كل واحد منهم أربعة أشبار) وينهب هؤلاء الزغب السفينة ويحطونها على جبلهم ، ويقودون البحارة الى الجزيرة حيث يمكثون فيها مرغمين .. وواضح أنهم وأن لم يأكلوا البشر الا أنهم فى خدمة الغول ساكن الجزيرة

وفى الجزيرة يرى الناجون من المركب قصراً عظيماً فى وسطها فيقصدون اليه بحثة عن الامان ، وطمعاً فى وجود انسان يدلهم على كيفية الخلاص من ورطتهم هذه ..

وفى الصباح التالى ترتج الأرض رجاً تحت اقدام الغول الذى جاء يبحث بينهم عن طعامه ، ويصف السندباد هذا الغول بقوله : «شخص عظيم الخلقة فى صفة انسان ، وهو اسود اللون طويل القامة كأنه نخله عظيمة ، وله عينان كأنهما شعلتان من نار ، وله انياب مثل انياب الخنازير ، وله فم عظيم مثل البئر ، وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخية على صدره ، وله اذنان مثل الحرامين مرخيتان على اكتافه ، وأظافر يديه مثل مخاليب السبع» .. ووسط الرعب الذى احدثه ظهور هذا (الشخص) كما يسميه السندباد يتقدم نحوهم ليجسهم واحداً واحداً (مثل ما يجس الجزار ذبيحة اللحم) ، ثم يختار اسمنهم ، وأكثرهم شحماً ولحماً ، وهو (ريس المركب) أو الربان .. ويحكى السندباد ما فعله الغول به فيقول : «قبض عليه مثلما يقبض الجزار على ذبيحة ، ورماه على الأرض ، ووضع رجله على رقبته ، وجاء بسيخ طويل فادخله فى حلقه حتى أخرجه من دبره ، وأوقد ناراً شديدة ، وركب عليها السيخ المشكوك فيه الريس ، ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه ، واطلعه من النار ، وحطه قدامه ، وفسخه كما يفسخ الرجل الفرخة ، وصار يقطع لحمه بأظافره ويأكل منه ، ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل لحمه ونهش عظمه ، ولم يبق منه شيئاً ورمى باقى العظام فى جنب القصر «هذه الصورة التجسيدية لوحشية الغول ، واكله للحم الناس ونهشه لعظامهم لاشك تثير الرعب ، ولكنها ايضاً ترسم صورة رمزية لوحشية الطاغية اينما كان ، وكيفما كان .. ويتعاون السندباد ومن يتبقى معه من بحارة ، بعد أن يصنعوا مركباً فى صبر وصمت وهو يأكل كل يوم منهم واحداً ، فيأخذون (سيخين من حديد من الاسياخ المنصوبة ، ووضعناهما فى النار القوية حتى احمرا وصارا مثل الجمر ، وقبضنا عليهما قبضاً شديداً وجئنا بهما إلى ذلك الغول ، وهو نائم يشخر ووضعناهما فى عينيه وهو نائم فانطمستا) واستيقظ الغول وجعل يبحث عنهم وهو أعمى دون جدوى فخرج ، فهرع السندباد ومن معه الى المركب ، ولكنهم فوجئوا به يتعقبهم ومعه (انثى اكبر منه وأوحش) ، وركبوا المركب تتعقبهم الحجارة يرميهم بها الغول وأنثاه ..

ألف ليلة وليلة

وتتردد صورة الغول فى أدبنا الشعبى فى أكثر من شكل واكثر من مكان . ففى الليلة (٤٨٤) من الف ليلة وليلة ، ضمن حكاية خاسب كريم .. تلقى السفينة الغارقة بالملك جانشاه ومماليكه الى جزيرة فى البحر ، وفى وسطها يجدون رجلا جالساً الى جوار عين جاريه (فأتوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان الرجل كلمهم بكلام مثل صفير الطير ، فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ، ثم ان الرجل التفت يميناً ويساراً ، وبينما هم يتعجبون من ذلك الرجل اذ هو انقسم نصفين ، وراح كل نصف فى ناحية ، وبينما هم كذلك اذ اقبل عليهم اصناف رجال لا تحصى ولا تعد ، أتوا من جانب الجبل ، وساروا حتى وصلوا الى العين ، وصار كل واحد



لوحة للانسان الغول من متاحف لندن .



غول من عالم الجان .



الضخامة صفة من صفات الانسان الوحش .

منقسماً نصفين ، ثم انهم اتوا جانشاه والمماليك ليأكلوهم ، فلما رآهم جانشاه يريدون أكلهم هرب منهم ، وهربت معه المماليك ، فتبعهم هؤلاء الرجال فأكلوا من المماليك ثلاثة وبقى ثلاثة مع جانشاه) .. وهؤلاء الغيلان هم أنفسهم الذين سيقاتلهم جانشاه ومماليكه حين يأسرهم القرود ، وينصبونه ملكاً عليهم ليحارب معهم اعداءهم الغيلان الذين يحتلون نصف الجزيرة الاخر ..

والصورة هنا تضيف الى جانب الوحشية وأكل لحوم البشر ، مظهراً محيراً فى طبيعة هذه الغيلان التى تنقسم وحدها الى نصفين ، وتتكاثر بهذه الطريقة المزعجة تكاثراً يشبه الكوابيس المخيفة .. واذا كانت الغيلان صاحبة قدرة على التكاثر والانقسام فى حكاية ، فهى صاحبة قدرة على تغير أشكالها فى حكايات أخرى ، ونحن نقرأ فى الليلة الخامسة من الف ليلة وليلة فى (التاجر والعفريت) فى المجلد الأول أن ابن الملك ضل الطريق ، ويلتقى بجارية جميلة تبكى ، وأخبرته أنها بنت ملك من ملوك الهند ضلت طريقها ، فرق ابن الملك لكلامها وحملها على ظهر دابته ، وفى أثناء الطريق استأذنته فى قضاء الحاجة عند دغل (ثم تعوقت فأستبطأها فدخل خلفها وهى لا تعلم به ، فاذا هى غولة وهى تقول لاولادها قد أتيتكم اليوم بغلام سمين) .. ويتخلص منها ابن الملك

بعد ذلك ، ولكن الذى يهمنا من هذه الحكايه هو معرفته بأنها غولة بمجرد أن رآها على حقيقتها فى الدغل .. فصورة الفتاة الجميلة التى ظهرت له عند أول لقاء بها شىء يختلف تماماً عن الصورة التى رآها فيها بالدغل ، ولم يقل لنا ابن الملك كيف عرف أنها غولة . ولكن اكتفى بأن نظر اليها فعرف فوراً أنها غولة ، اذ تغير مظهرها بما هو مألوف عنده من مظهر الغيلان والغولان .. ولكن احتفظ للغولة بطابع أخر غريب ، اذ هى تسعى لتأتى لصغارها بالطعام ،

وهذه الصفة التى تقترب من وجود بذور خير فى اعماق الغولة نعرفها فى الحدوته الشعبية عن الشاطر حسن الذى يخرج باحثاً عن ست الحسن والجمال التى اختطفها المارد فيخبره الحكيم ان يسير فى سكة السلامة حيث سيجد فى اخر الطريق أمنا الغولة ، وقد جلست تسرح شعرها فى حرار الشمس ، فأن وجدها قد جمعت شعرها الى جانب وجهها الايسر فلا يكلمها ابداً ، اما اذا كانت قد جمعت شعرها على جانب وجهها الايمن فليقرئها الشاطر حسن السلام وهى تدله على طريقه خلاصه ،

نحن هنا نشهد عملا من أعمال الخير تقدم عليه الغوله ، حين يتعمد الانسان أن ينسى جانبها القبيح ، وأن يستثير عطفها بتعاطفه معها ، وأخفاء خوفه وكراهيته لها . واعلان قبوله للجانب الحسن فيها ، وتجاهله الكامل للجانب الشرير فيها .

والحكاية الخرافية هنا تجعل السلام والمبادره مفتاحاً للجانب الخير فى الغوله كما أن الدعاء من القلب فى الحكاية السابقة كان المفتاح الى نفس الجانب الخير فيها ، ووسيلة الى تجنب شرها ، بل والحصول على مساعدتها .. وقد يكون فى هذه الحكايات جانب تعليمى ، وقد يكون فيها جانب خلقى .. الا انها على كل حال ترسى بذوراً خيرة فى كل نفس متوحشة شريرة ، حتى لو كانت نفس الغوله ، وهذه الحكايات تؤكد وجود الغوله الانثى الى جانب الغول الذكر ، فما هو الغول ؟ ..

هذا الحيوان الخرافى

تقول الموسوعة العربية الميسرة : «الغول حيوان خرافى اعتقد فيه العرب الجاهليون ، وهو عندهم من الخوارق ، وروى أن بعض الادميين تزوج من أناث الغيلان ، ومما يشير الى وجود علاقة بين هذا الحيوان الخرافى وبين الاساطير والديانات القديمة ما يروى عن علاقته ببعض الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد . والمشهور أن الغول يهلك بضربة واحدة من السيف فاذا ضرب الثانية عاش..» والواقع ان محور هذه الفقرة يرجع فى هذه الفقرة المختصرة الى ما اورده الجاحظ فى الجزء الأول والجزء السادس من كتابه الحيوان من حكايات عن الغول وعن الجان . وقد زخرت الأساطير العربية القديمة بحكايات الغيلان بصورة واضحة ..

فالغيلان إما صنف من الانسان المتوحش ، أو حيوان توحد فتوحش وتغول ، أو ابن من ابناء الجان ولد من بيضه من بيضات زوجته ، وإما خيال توهمه الناس المستوحشون فى القفار والغيلان واما رؤى تحدثها الكواكب فى حركاتها .. فهى اذن إما موجودة خارج الانسان كشىء حقيقى موجود يؤمن به وينسب قواه الى الجان ، واما شىء من خلق مخيلته يضيف اليه التهاويل



ملامح الغول قاسية وعنيفة

الغول
الإنسان الوحش
في الأدب الشعبي العربي

والصور . ولكن هذه الغيلان جميعاً تشترك فى انها (كانت تتراءى لهم فى الليالى وأوقات النهار) فيتوهمون انها انسان فيتبعونها ، فتزيلهم عن الطريق التى هم عليه وتتيههم) كما يقول المسعودى وربما استطعنا ان نضيف الى قوله ، انها ربما ايضاً تراءت لهم على صورة حيوان أو صيد ، وما أكثر قصص الغزالة التى تتراءى للصياد فيتبعها حتى تغيب عن عينيه ، ثم تقف له حتى يراها ويقترب منها ، فتعود وتهرب من امامه مغرية اياه ان يتبعها ، ويتكرر هذا منها ، ومنه حتى يجد نفسه قد ضل الطريق اخر الامر ، وهى (موتيفه) تتكرر كثيراً فى الف ليلة وليلة ، وسيف بن ذى يزن وغيرهما من الحكايات الخرافية والحواديت والسير الشعبية العربية الاخرى .. الا ان الذى يقربها الى هذا الافتراض ما يذكره المسعودى فى قوله : «ويزعمون ان رجليها رجلا عنز . وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون :

يا رجـل عنز انهقى نهيقـــا
لن تنزلى الســبيل والطريقـــا

أسئلة الجاحظ

وهناك الى جوار هذه السمات التى يمكن أن تكون رموزاً وعلامات ، بعض الصفات التى يذكرها الجاحظ فى الجزء الاول من الحيوان فى مراحه الذى كتبه الى احمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة (التربيع والتدبير) .. ففى طوايا هذا المزاح يسأله عن أشياء كثيرة من غرائب (المعرفة) ومنها يسأله (كيف صارت الظباء ماشية الجن ؟ وكيف صارت الغيلان تعير كل شىء الا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضربة وعاشت من ضربتين ؟ ولم صارت الارانب والكلاب والنعام مراكب للغيلان ؟ «وهذه الاسئلة التى يسوقها الجاحظ انما تحوى بعض الرموز الوافدة أو المتخلفة من المعتقدات الاسطورية القديمة . ويذهب الجاحظ الى انها أنثى الجن فيقول (والسعلاة اسم الواحدة من نساء الجن اذا لم تتغول لتفتن السفارة» والمعنى المقصود بالتغول هنا التحول .

ويستأنف حديثه عن هذه الظاهرة ، وهى لاشك تفسر لنا حكايات النساء اللاتى يلبسن الريش ويطرن الى بلادهن التى لا احد فيها سوى النساء ، وهى موجودة فى سيرة سيف بن ذى يزن : «فمن هذا النتاج المشترك ، وهذا الخلق المركب عندهم : بنو السعلاة من عمر بنى يربوع ، وبلقيس ملكة سبأ» وهذه الفقرة تؤيد ما ذهبنا اليه فى مقارنة حكاية بلقيس بهذا الرمز الواضح فى ساقى العنزة عندها وعند الغول . واذا كان يمكن لنا ان نحيل بعض ما جاء فى هذه الحكايات عن الغول الى موتيفات شعبية أو اسطورية قديمة فان هناك رمزا يحيرنا لاتأويل له إلا التأويل الادبى ، وذلك هو ظهور الغول كنصف انسان أو كشق ..

وقد رأينا هذه الصورة فى الحكاية التى ذكرناها عن رحلة الملك جانشاه فى الف ليلة ، ونحن نجد هذه الظاهرة عند الجاحظ الذى ينسب هذا الشق لا الى الغيلان وانما الى الجان فيقول : «ويقولون : ومن الجن جنس ، صورة الواحد منهم على نصف صورة الانسان ، واسمة (الشق) ، وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده ، فربما اهلكه فزعاً ، وربما اهلكه ضرباً وقتلا» ويحكى فى ذلك حديث علقمة بن صفوان ابن امية جد مروان بن الحكم .. ويذكر هذا (الشق) القزوينى فى (عجائب المخلوقات) كما يذكره الدميرى فى (حياة الحيوان) .. الا اننا نراه فى حكايات الف ليلة غولا يأكل الناس . ويحاربه القرود ، ويعيش فى شبه تجمع كبير ..

حكايات الرحالة القدماء

ووجود المجتمعات التى تأكل لحوم البشر شىء عرفه الجغرافيون القدماء ونقلا عن الرحالة الذين سجلوا ملاحظاتهم عن غرائب الأشياء التى صادفتهم فى رحلاتهم . وفى أرخبيل جزر الهند الشرقية جزيرة اسمها (بالوس) كان فيها حتى القرن التاسع عشر قبائل (الباناك) وهى قبائل من السود طوال القامة اكلى لحوم البشر ، ويحكى هيرودس المؤرخ الاغريقى القديم عن قبائل (الساجباتى) انها كانت تأكل اكبر شيوخ القبيلة سنا ، وهى تأكله حتى تحتفظ بحكمته وتجربته ، فقد كانوا يذهبون الى أن خبرة الانسان تكمن فى جسمه ،ويقول ايضاً أن قبائل (البلديان) فى اقصى شرق الهند كانت تأكل من يمرض من رجالها ..

ويقول المؤرخ الرومانى (سترابون) انه شاهد الايرلنديين يأكلون اباءهم حين يمرضون او تدركهم الشيخوخة ، وإن هذا الطقس تقوم به كل اسرة على حدة .. وقضية قتل زعيم القبيلة أو الملك قضية قديمة . وقد أورد (فريزر) فى (الغصن الذهبى) نماذج كثيرة على استمرار عادة قتل الشيوخ اصحاب الحكمة والقوة ، والملوك فى حالة الشيخوخة عند قبائل (الشلوك) فى جنوب السودان وقبائل (اليوكو) فى حوض نهر (النيجر) وفى انجولا عند جنوب مضيق نهر الكونغو ..

* * *

وسواء كان الغول جناً ، أو وحشاً مسه الجن ، او انساناً تجاوز حدود طبيعته البشرية الى طبيعة الوحش الفتاك ، وسواء ايضاً كان الغول ذكراً أم أنثى أم شقا ، فقد لعب الغول دوره الهام بل والرئيسى فى ضمير الفنان الشعبى منذ المرحلة البدائية الاولى لوجوده فوق الأرض ، وحتى ضمير الحكاية الشعبية المعاصرة المتداولة بين ابناء الشعب الذين ورثوا حكاياته مع ما ورثوا من حكايات شعبية اخرى .. وتبقى حقيقة وجود فكرة الغول ، صاحب الشكل الانسانى الذى يأكل البشر ، أو يقتلهم سخرة ، فكأنه يأكل وجودهم الانسانى نفسه ، أو يركبهم بالعبث ، فيعتدى عليهم أو يضلهم عن طريقهم ، كفكرة ثابتة مليئة بالتراكمات عبر العصور ومنذ اقدمها واكثرها بعداً فى الزمن كتجسيد للخوف الانسانى الكامن فى اعماق الانسان من اخيه الانسان ، الذى يتحول من عطاء الاذى والشر ، ومن العمل من اجل بناء الحياة الى العمل من اجل الاستئثار بها وابتلاعها لنفسه وحده مهما احدث من شرور واضرار ...

«فاروق خورشيد»

التوبة

تب قبل موتك بيوم واحد ، ولما كنت لا تعرف متى تموت ، فكن تائباً على الدوام.
«مثل يابانى»

القوة الحقيقية

لقد أدركت أن القوة الحقيقية هنا : عند الفقراء ، فى جامعة الألم ، فى رابطة المحبة ، فى نعمة الرحمة ، فى عظمة التضحية .
«الفنان اليونانى براكستيلس»

قلب المرأة

قلب المرأة أعظم مصدر للحنان والعطف إذا أحبت الرجل ، وأعظم مكان للضغينة إذا كرهته .
«لوثر»



الزواج مستحيل !

سأل خليل مطران الشاعر الساخر إمام العبد : لم لم تتزوج ؟ .. وكان إمام العبد أسود اللون فأجاب :
يا خليلى وأنت خير خليل
لا تلم راهباً بغير دليل
أنا ليل ، وكل حسناء شمس
واجتماعى بها من المستحيل

النور

أريد نوراً .. كثيراً من النور .
«جوته»
على فراش الموت

النظريات والقيم

على أساس النظريات يمكن أن تؤسس مدرسة ، أما على أساس القيم فيمكن أن تؤسس ثقافة أو مدنية ، وأن توجد طريقة جديدة لمعيشة الناس مع بعضهم البعض .



دخان

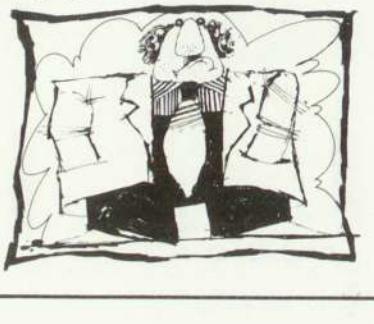
دخان يتبدد فى ألهواء : حبك من لا يحبك !
«جان سارمان»

أكثر الشرور

قال الكسندر دوماس مرة لأحد أصدقائه :
أخطر الشرور التى تصيب الانسان شيئان : المرض .. و .. فقاطعه محدثه قائلا : والموت ! قال دوماس : لا .. الموت ليس مصيبة المصيبة الثانية هى .. الحاجة !

هموم

كلما امتلك الانسان أكثر مما يستعمل زادت همومه .
«برناردشو»



الصديق

.. إنه الشخص الذى له نفس أعدائك
«مارسيل مبينوا»

لغز

لقد ظل شعور الناس بالفخر حين يستذلون إخوانهم فى الانسانية لغزاً مغلقاً لا أجد له حلا .
«غاندى»



حرية ..

حر .. كالعرب .
«أمرسون»
«كاتب أمريكى كبير»

شعارات

شعار العمل فى الحرب : التصميم ، فى الهزيمة : التحدى ، فى النصر : الشهامة ، وفى السلام: النية الحسنة
«تشرشل»

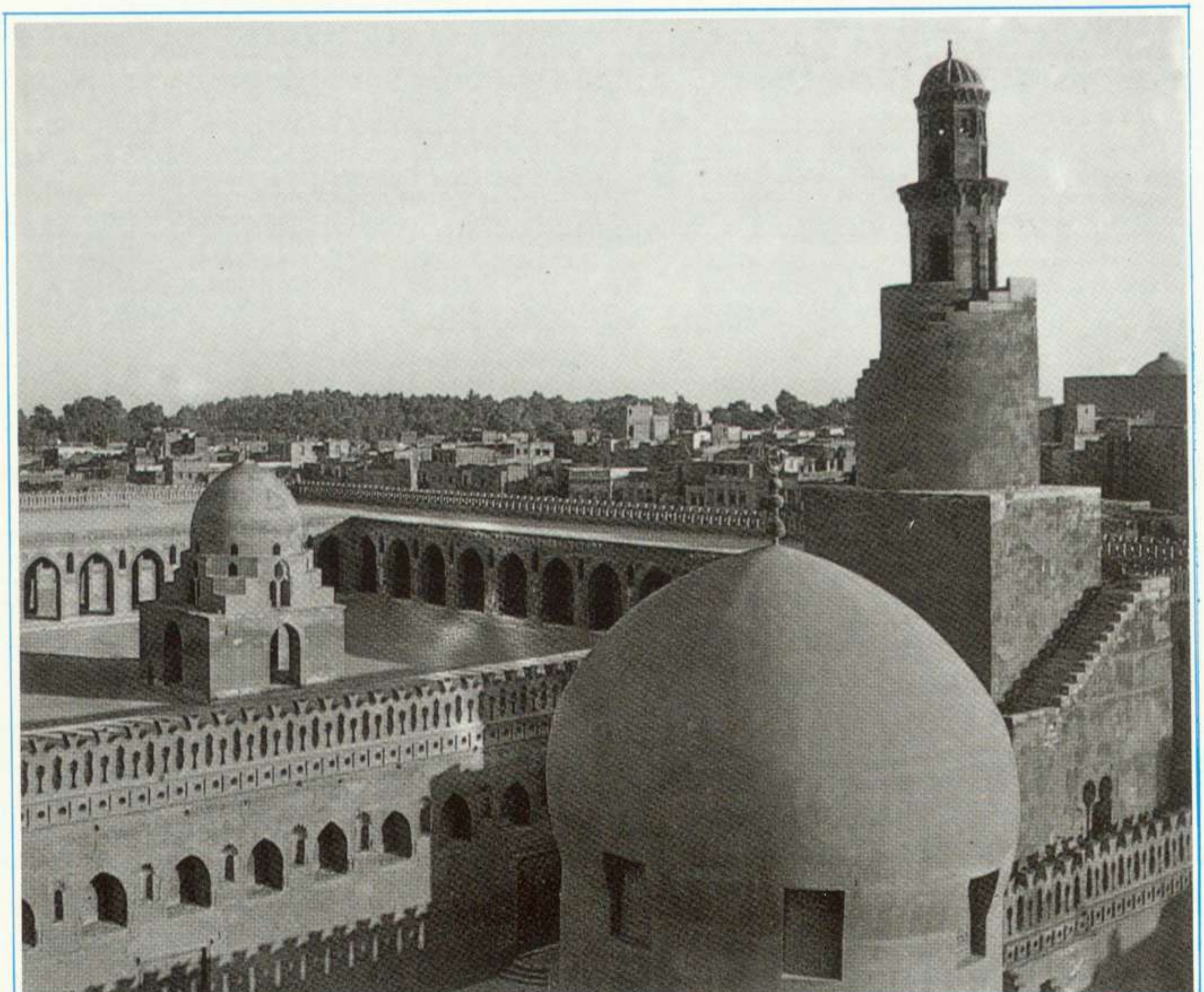
الجهل

الجهل شرط لازم للحياة ذاتها ، ولا أقول السعادة فقط ، ولو كنا نعرف كل شىء ، لم نقدر على احتمال الحياة ساعة واحدة ، والمشاعر التى تجعل الحياة حلوة أو محتملة على الأقل ، تنشأ من أكذوبة وتتغذى بالأوهام .
«أناتول فرانس»

أنـــور الجنـــــدى

التحدّيات في وجه الفكر الإسلامي

لاريب أن الفكر الاسلامى نشأ فى حضانة الدعوة الاسلامية وله جذوره العريقة واصوله المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام والأدب العربى وقد اكتمل مفهوم الاسلام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (اليوم اكملت لكم دينكم) وكانت قواعد الفكر الاسلامى الأساسية قد بدأت ونمت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمدة من القرآن وان هذه القواعد لم تتغير من بعد ولم تجر اضافة أى شىء اليها فظلت قيمها الأساسية كما جاء بها وحى السماء (القرآن) وسنن النبى فى تفسيرها وتطبيقها وانما جرت حركة العمل من داخل الاطار الذى رسمه القرآن ولقد كان اتصال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الاسلام بمفهوم (السنة الجامعة) وهزمت جميع محاولات السيطرة والاحتواء والغزو



● مازالت مناهج المعرفة لا تستجيب لفطرة الإنسان وأشواقه الروحية

الفكرى كما نسميه بلغة العصر وبقيت الحقائق الأساسية قائمة .

أولا : الاسلام دين مميز

إن الاسلام ليس دينـاً كسائـر الأديان ولكنه حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخلاق وان ميزة الاسلام أنه نظريه كلية شاملة وانه لم يجزىء الحياة بل نظر اليها نظرة كلية كما نظر إلى الانسان كوحدة نفسية وجسمية لا تنفصل .

ثانياً : وحدة الفكر الاسلامى وتكامله

وفى الفكر الاسلامى المستمد من الاسلام يقوم منهج تكامل القطاعات والعناصر فى نسق واحد . فالاجتماع والسياسة والأدب والتربية والاقتصاد هى اجزاء وعناصر من شىء واحد هو الاسلام واذا كان الفكر الغربى يجرى على الفصل بين العناصر والوحدات والأجزاء فان الفكر الاسلامى لايقر هذا الفصل ويرى فيه تدميراً للشخصية الانسانية وللمجتمع نفسه ويرى منه قصوراً فى النظرة باعلاء عنصر على عنصر . فالاسلام لا يرى ما يراه الفكر الغربى من استعلاء عناصر المادة والعلم والعقل والمحسوس على العناصر الأخرى ، ويرى أن الروح والمادة يتكاملان والقلب والعقل هما بمثابة عينين فى وجه واحد ، والدنيا والآخرة متصلان صلة جذرية فالحياة كلها تدور حول رسالة وتتصل بانسان له مسئوليته الفردية إزاء عمله وجزائه على هذا العمل . وانسان متصل بمجتمع متفاعل معه ، وانسان له قلب وعقل وروح وجسد لا انفصال بينهما .

ومن هذه الوحدة القائمة بين العناصر فى الفكر والحياة والالتقاء بين الأجزاء فى الفكر الاسلامى لا نجد قضية للخـلاف بين العلـم والديـن ولا بين الدين والأخلاق ولا بين الدين والدولة .



لويس التاسع الذى قاد الحملة الصليبية

وفى ضوء هذا كله فانه ليس هناك فكر دينى أو لغة دينية على النحو الذى يفهمه الغربى الذى يفصل بين المفاهيم وكذلك تختلف نظرة الفكر الاسلامى عن نظرة الفكر الغربى فى أمور كثيرة :

فى الثوابت والمتغيرات ومفهوم التطور والنسبية .

وفى مفهوم البطولة .

ومن هنا فقد أقام الفكر الاسلامى منهجاً للمعرفة خاصاً به يختلف عن منهج المعرفة الغربى ، وهو غير المنهج العلمى التجريبى الخاص بالعلوم .

ثالثاً : منهج المعرفة الاسلامى

أقام الاسلام منهج المعرفة المتكامل ذا الجناحين المستمد أصلا من المصادر الأولية الأساسية : الفطرة والعقل والقلب والوحى . هذا المنهج القائم على المادة والروح والعقل والقلب مخالفاً بذلك الفكر البشرى الانشطارى : القائم فى أحد قطبيه على الروح وحدها أو المادة وحدها أو العقل وحده أو المحسوس وحده أو الذوق أو البصيرة أو الحدس . وكل من هذه المناهج مستقل باسلوبه وطريقته لا يعترف بالآخر ولا يرى أنه وسيلة صالحة للمعرفة . وفى الصورة المعاصرة الآن : المنهج المادى فى عالم الغرب والمنهج الروحى فى الشرق الأقصى معتمداً على البوذية ومفاهيم الاديان الهندية وكذلك كان الأمر قبل ظهور الاسلام : كان هناك الفكر الهلينى اليونانى القائم على التأمل والمنطق المحسوس والفكر القائم على الحدس والاحساس الباطنى . فى وسط هذه التيارات والفلسفات من الفكر البشرى المنحرف ناحية الوثنية أو المادية أو الاباحية قدم الاسلام منهجه الجامع فى المعرفة واقامه على أساس التوحيد.

وماتزال مناهج المعرفة تصطرع وتتضارب ولا تستجيب لفطرة الانسان ولا لأشواقه الروحية ، ويبقى منهج المعرفة الاسلامى الجامع وحده على مفهوم التكامل الذى يربط بين قوى الحواس والعقل والوجدان والروح وبين السمع والبصر والبصيرة والعقل قائماً أشبه بالمنار السامق الذى يهدى الانسان ويهدى الفكر الانسانى وينقذها من لجج الشك والالحاد والوثنية والمادية جميعاً .

والقرآن الكريم على التحقيق هو الذى رسم منهج المعرفة الاسلامى الجامع كما كان منطلق المنهج التجريبى .

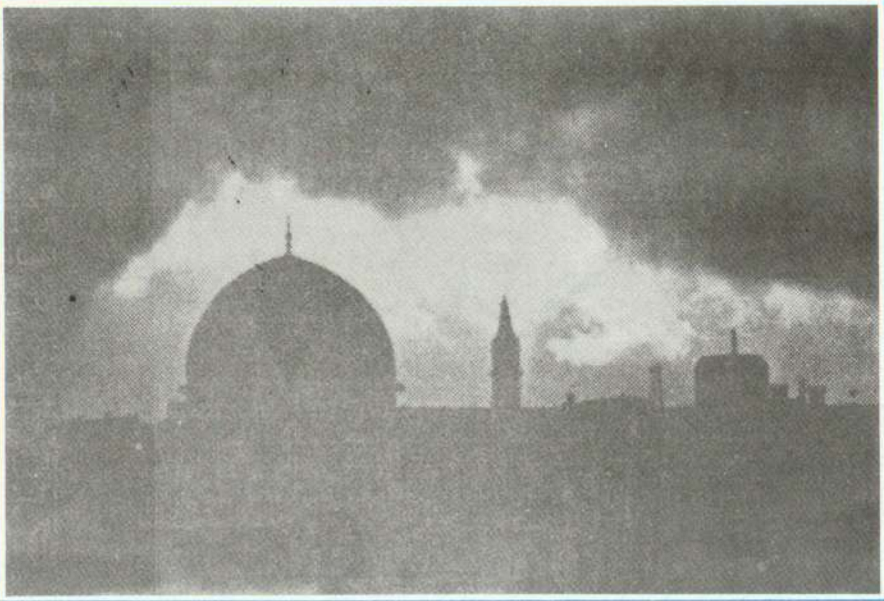
وتتمثل أبرز معالم منهج المعرفة الاسلامى فى الأصول الآتية :

أولا : التفرقة الواضحة بين مقاييس العلوم ومقاييس الانسانيات فمقاييس العلوم مقاييس مادية مستمدة من التجربة والاختبار الدائم المتماثل الذى لا يتغير . وهذه المقاييس تعجز عن أن تخضع الانسان والمجتمعات والنفوس والأخلاق الى نتائجها ، فاذا حاولنا تطبيق مقاييس العلوم فى مجال النفوس أخطأت وفسدت .

ثانياً : الجمع بين إطار الثوابت الأساسى وحركة المتغيرات . وقد وضع الاسلام قاعدة الكليات ذات الاطار الواسع والافق الرحب ، وهى الثوابت التى تقوم عليها دعائمه ، هذه الدعائم التى تمثل الاطار المرن والذى تجرى من داخله حركة التغيير والاجتهاد فى الفروع المتجددة والمسائل المتغيرة بتغير الزمان والمكان .

ثالثاً : تكامل العناصر وتلاقيها وتأثر بعضها ببعض فالنظرة الاسلامية متكاملة لا تتجزأ ولا تأخذ بفرع دون

● التحديات التي واجهها الفكر الإسلامي منذ اتصاله بالفكر البشري



الآخر فكل فرع منها مؤثر فى الفرع الآخر متأثر به .

رابعاً : لكل قيمة وجهان : مادى ومعنوى ، لا انفصال بينهما بل تكامل .

خامساً : لكل نظرة دعامتان : الوحى والعقل .

سادساً : رفض أسلوب التقليد الموروث ، والتبعية وقيام النظرة على أساس الفحص والايمان المتجدد .

سابعاً : إن معرفة الانسان لقوانين الطبيعة لا تغنى عن الايمان بصانع الطبيعة ، بل من الحق ان تهدى اليه وتدل على عظمته .

فى مواجهة التحديات

واجه الفكر الاسلامى التحديات منذ اتصل بالفكر البشرى الذى كان يتمثل فى ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية بما حملت من مفاهيم الوثنية والالحاد والاباحة والمادية وتعدد الالهة فدخل معها فى معركة ضخمة استمرت قروناً ثلاثة حتى استطاع أن يتحرر منها باقامة مفهوم أهل السنة الجامع . وقد امتدت هذه الفلسفات الى مجال العقائد والتفسير والفقه والتصوف وأدخلت عليها كثيراً من الشبهات أو ما أطلق عليه الاسرائيليات .

وقد جددت حركة التغريب والغزو العثمانى هذه الشبهات وأعادوا طرحها فى أفق الفكر الاسلامى مرة أخرى فى العصر الحديث وفى ظروف تختلف عن ظروف القرن الثالث الهجرى وهى ظروف التحدى التى فرضها النفوذ الأجنبى وقد أطلق على هذه الحركة زعماؤها وعلى رأسهم هاملتون جب : حركة التغريب : أى صبغ العالم الاسلامى بصبغة الغرب وإخراجه من طابعه الاسلامى المميز وصهره فى بوتقة الأممية وقد عمل الاستشراق على إثارة السموم فى مختلف المجالات وحملت رياح التبشر الغربى ذلك كله الى المدرسة والجامعة والصحيفة وبعد أن كان دوره مقصوراً على دور التعليم ظاهراً فقد تخفى وتدسس الى جميع فروع الثقافة تحت اسم نظريات جديدة وشاركت قوى التغريب فى مجال الاستشراق فتجمعت على طرح شبهات بعضها لخدمة الاستعمار والنفوذ الأجنبى وبعضها لخدمة الصهيونية وبعضها لخدمة الشيوعية فكان على حركة اليقظة الاسلامية مواجهة هذه التحديات التى تحاول أن تخرج الفكر الاسلامى من ذاتيته الخاصة وطابعه القرآنى .

لقد قامت هذه المحاولة منذ وقت بعيد وكان أول من تحدث عنها لويس التاسع وذلك حينما قاد الحملة الصليبية السابعة الى مصر وهزمت هزيمة نكراء فى المنصورة . هناك فى ابان اعتقاله فكر ودبر وتأمل ، وكتب فى مذكراته هذه الأطروحة الخطيرة قال : إن نتائج الحروب الصليبية بعد أكثر من قرن ونصف قرن تؤكد أن المسلمين لايمكن هزيمتهم عن طريق الحرب والقتال . فان دينهم قدم لهم منهجاً خطيراً فى هذا الشأن هو الجهاد فى سبيل الله والموت فى سبيل حماية الدين . ولذلك فاعتقد أن الاسلوب الصحيح للغرب للسيطرة على المسلمين هو السيطرة على فكرهم وتحويله عن أصوله الحقيقية . إن أوربا اذا ارادت مقاومة الاسلام والقضاء عليه فانما يكون ذلك عن طريق الكلمة ، وعن طريق تحريف هذه المفاهيم وتفريغ الاسلام من تلك المقومات التى تعطيه القوة والصمود . ولذلك فاعتقد انه لو قامت مؤسسة مسيحية أوربية بهذا العمل فان ذلك من شانه أن يصير الاسلام دين عبادة وبذلك يمكن تفريغه من قوته الذاتية الخطيرة التى مكنته خلال القرون من الصمود فى وجه القوات الغازية . ومن هنا نشأت تلك المحاولة الخطيرة التى اسموها التغريب واطلقت عليها الغزو الثقافى والتى قامت عليها مؤسستا التبشير والاستشراق واستهدفت تغيير «أصالة الاسلام» ومقوماته الأساسية واثارة الشبهات حول تاريخه ولغته وعقيدته ورسوله بهدف «توهين» هذا الدين فى نظر أهله واعلاء شأن مناهجهم وأيدلوجياتهم وإخراج المسلمين من الاسلام .

وقد جرت تلك المحاولة فى عدة طرق :

أولا : إثارة الشبهات حول حقائق الاسلام وخاصة مفهومه الأساسى من حيث أنه منهج حياة ونظام مجتمع وإثارة الشبهة بالقول بأنه دين عبادى وتاويل مفهوم الجهاد فى الاسلام الذى هو كبرى فرائضه .

ثانياً : ضرب الاسلام من الداخل عن طريق قوى تحاول أن تحتضن ظاهرياً مفاهيم الاسلام ثم تعمل على إثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة تطبيق

● الأخطار التي اعترضت طريق المسلمين عندما اتجهوا لمناهج الغرب

الشريعة الاسلامية أو مناهج التربية الاسلامية أو حول الحدود القواطع فى الاسلام كالحدود والربا ومحاولة التشكيك فيها .

ثالثاً : تبنى دعوات ضالة كالقاديانية والبهائية واعتبارها من حركات التجديد الاسلامى ، وفتح الطرق أمامها فى المجتمعات الاسلامية .

رابعاً : محاولة تفسير القضايا الكبرى تفسيراً خاطئاً ، على نحو ما يقول به البعض عن الحوار المسيحى ، وغيرها من القضايا بما يخالف الحقيقة التى تتمثل فى ذاتية الاسلام التى تختلف عن تفسيرات الأديان .

خامساً : إحياء الفكر الباطنى والاباحى والمادى سواء فى الفلسفات اليونانية أو الفكر الغنوصى الشرقى ..

ولقد عرف المسلمون مدى الاخطار التى واجهتهم عندما تركوا منهجهم الربانى والمصدر الانسانى الطابع والتمسوا مناهج الغرب سواء منها ما يتصل بالسياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد . وقد جاء هذا نتيجة اضطراب أساليب التربية والتعليم التى وجهت الرواد الى الانبهار والاكبار لفكر الغرب فى نفس الوقت الذى جهلوا فيه أبسط القيم الاسلامية ، كذلك فان القيم الخلقية الغربية التى نواجهها اليوم إنما ازدهرت فى جو الانحلال الذاتى فى بيئة غلبت عليها طوابع المنفعة والأنانية والفردية بينما يقدم الاسلام للبشرية طوابع الرحمة والغيرية والبذل والفداء .

كذلك فان الفكر الاسلامى يؤمن بأن القديم ليس فاسداً كله أو مضطرباً . ذلك لأن قديمنا نحن المسلمين خاصة إنما هو ثمرة أصول ربانية جاءت بوحى السماء ، ثم كان هذا التراث تفسيراً لها وتعميقاً وفهماً . فهذه الصيحة المسمومة التى تقول بانتقاص القديم جملة إنما تحاول أن تنال من هذا الميراث العظيم الذى جاءت به النبوة للبشر من رب العالمين هدى وضياء . ولذلك فان معارضة القديم على إطلاقه هى من دعوات التغريب وما أظن أن أمة ما حتى هذه الأمم التى تدعونا الى ترك القديم ، سواء أكانت أمم الغرب أم الصهيونية ، قد تركت قديمها وتخلت عنه ، والحضارة الغربية عندما تجددت فى القرن الرابع عشر الميلادى بعد سقوط روما فى القرن الرابع وبعد انقطاع دام ألف عام عادت تربط نفسها بالخط الهلينى فى القانون الرومانى والاجتماع والأدب . فكيف يترك المسلمون ميراثهم الممتد خلال أربعة عشر قرناً خوفاً من أن يتهموا بأنهم يحبون القديم .

فالمحافظة قانون طبيعى ومن سنن الكون التى لا تتخلف والمحافظة – لا الرجعية – هى التى تعصم المسيرة من الانحراف وتجعلنا فى إبان الأزمات والأحداث نتلفت لنرى هل نحن حقاً نلتمس من منابعنا الأصيلة أم انحرفنا عنها .

ثانياً : التبعية : ذلك هو الخطر الثانى الذى يواجه الفكر الاسلامى ويجىء هذا نتيجة التصور بأن فكر الأمم الأخرى التى لها قدر من القوة والسيطرة فى العصر الحاضر هو الأصلح وانه مادامت هذه الأمم قد نجحت بهذا المنهج فان علينا أن نقلده ونتبعه حتى نصل إلى ما وصلوا اليه من تقدم وظاهر المعادلة يبدو صحيحاً ولكنه فى واقع الأمر وفى النظرة الأعمق لا يؤدى إلا إلى إذابة الشخصية وتحللها حتى تصبح صورة مهلهلة مضطربة لذلك الأصل الذى تحاول الاقتداء به .

إن أخطر ركائز الفكر الاسلامى هو الأصالة والتميز واستحالة الاندماج والذوبان أو الاحتواء فى دائرة الفكر الأممى ، ذلك لأن الاسلام منهج متكامل بينما تتسم مناهج الفكر الأخرى بالتجزئة والانشطار وهو الذى يمثل قمة الدين والفكر فى وحدة لا تنفصل وهو الذى يعتمد على الوحى والنبوة ورسالة السماء أساساً له ، ثم يكون العقل وسيلة من وسائله والعلم منهجاً يجرى فى مجراه .

إن أخطر ما حذرنا منه ديننا هو متابعة الناس بغير برهان والخروج من ذاتيتنا ومقوماتنا تحت سيطرة الأهواء والبريق ، ولقد كانت أمتنا قادرة فى أشد أوقات المحن على أن تحفظ كنزها فى أحضانها فلا تفرط فيه حتى تزول أزمة الاستلاب من حولها . ذلك أن الأمم التى استهانت بقيمها ومركبات شخصيتها من لغة وعقيدة وتراث وتاريخ ، هذه الأمم ضاعت أدراج الرياح ووضعت فى توابيت المتاحف . ان محاولة مضللة تحاول أن تقول بوحدة المعرفة أو وحدة الفكر وهى دعوى تنبعث من المسيطرين بالنفوذ ، وأدوات الغزو ، تريد أن تحتوى فكر الأمة الاسلامية التى تمر الآن بمرحلة اليقظة والتى لم تمتلك إرادتها بعد كاملة . ومن هنا فان علينا أن نواجه هذه الدعوات إلى التبعية المقنعة بحذر شديد وان نعترف بأنها إنما تريد أن تبتلعنا فى أتونها الضخم .

نحن نؤمن بوحدة الجنس البشرى فى مصادره ووحدة الفكر فى أولياته ، ولكن المحاولات البشرية التى عملت منذ وقت بعيد على تشكيل مناهج لها تختلف عن الفكر الربانى وتغاير قيمه التى جاء بها الوحى عن طريق رسالات السماء ، هذه تحول دون تقبل دعوتها الى وحدة الفكر ، ذلك لأنها ترمى إلى اخراج البشرية من إطار التوحيد والايمان والمسئولية الفردية والأخلاقية والبعث والجزاء وقد نجحت هذه المحاولة فى بعض أطراف الأرض ، وهى التى تمتحننا نحن المسلمين أخطر امتحان ومحنة لتحطيم هذه القوة القائمة بالحق فى وجه الوثنية والمادية والالحاد والاباحية .

فضلا عن أن منهج أية أمة لايصلح لأية أمة أخرى .

والواضح أن هناك محاولات لصهر الفكر الاسلامى فى مفاهيم المسيحية والوثنية والاغريقية والمجوسية والفلسفات عن طريق إحياء مفاهيم الاعتزال والفلسفة وفلسفة التصوف والتأثير على تكامل العقيدة والشريعة والأخلاق عن طريق مفاهيم مدرسة العلوم الاجتماعية والفرويدية والوجودية فعلينا أن نحافظ على أصالة الفكر الاسلامى وذاتيته الخاصة .

أنور الجندى

تنسيق انتاج السلاح في الوطن العربي

محمود شيت خطاب

لا تخلو المؤتمرات العربية من فوائد ، لعل من أهمها تعارف المشاركين فيها ، واطلاعهم على أرجاء الوطن العربى ، وتعرفهم على معالم كل الأقطار العربية ، ومعايشتهم معالم تطورها الحضارى ، وتفقد آلامها وآمالها عن كثب .

ولكن هذه المؤتمرات ازدادت عدداً وقلت مددا ، لأن أكثرها مكررة ليس فى الأقطار العربية حسب ، بل فى القطر العربى الواحد ، والمدينة الواحدة من القطر العربى الواحد ، بل الجامعة الواحدة في المدينة الواحدة من القطر العربى الواحد .

وقد شهدت بعض هذه المؤتمرات وتخلفت عن أكثرها معتذراً ، فلمست سمتين بارزتين فيها : الأولى الأسراف فى النفقات والولائم إلى حد البذخ ، والثانية أنها اكتفت بالمقررات المكتوبة ذات الطموح الرفيع ، ولكن تلك المقررات بقيت حبراً على ورق دون تنفيذ .

ولا قيمة لأى مؤتمر لا تنفذ مقرراته ، لأن العمل هو المفيد ، أما الكلام فلا فائدة فيه .

ولكثرة المؤتمرات ، التى أصبحت لا وزن لها ولا طعم ولا رائحة ، ولتشابه أهدافها وتكرر مواضيعها ولبقاء مقرراتها مجمدة ، وللأسراف المبالغ فيه فى نفقاتها فان المخلصين للعرب يتمنون أن تخصص نفقات المؤتمرات لانتاج السلاح العربى ، وهى مبالغ ضخمة جداً ، وأن يقتصر عقد المؤتمرات على ما يفيد العرب فى حاضرهم ومستقبلهم كمؤتمر تنسيق إنتاج السلاح ، حتى يستغنى العرب نهائياً عن استيراد السلاح الأجنبى ، لأعداد العرب لحرب قادمة



اللقاءات العربية مطالبة بتنسيق انتاج السلاح .

لاشك فيها ضد العدو الصهيونى ، لأن اللغة الوحيدة التى يفهمها هذا العدو ويحترمها فى الوقت نفسه هى لغة القوة أما السلام فلا يؤمن به العدو الصهيونى إلا لتحقيق أهداف مرحلية ، وقد وصف بن غوريون بأنه : «إذا أراد الحرب ، تظاهر بالسلام» ، وهو وصف يصدق على زعماء الصهاينة بدون استثناء !

لقد فرضت الحرب على العرب فرضاً وهم يتحملون أعباءها دفاعاً عن أنفسهم من التوسع الصهيونى العنصرى الاستيطانى ، واستعادة لحقوقهم المشروعة المغتصبة ، فما كان للعرب أهداف عدوانية فى يوم من الأيام إنما أهدافهم الدفاع عن النفس والمطالبة بحقوقهم ، وما ضاع حق وراءه مطالب .

والاعداد للحرب من أول شروط إحراز النصر فيها ، ولا إعداد مضمون النجاح بدون تخطيط دقيق ، والوسيلة الأولى لهذا التخطيط هى : عقد مؤتمر عربى لتنسيق إنتاج السلاح العربى .

أهداف التنسيق

يهدف التنسيق إلى عدم إقامة معامل متشابهة تنتج سلاحاً أو ذخيرة متشابهة دون حاجة إلى إنتاجها .

فاذا كان هناك مصنع ينتج سلاحاً خفيفا كالبندقية مثلا ، وكان ضمن طاقة هذا المصنع تسليح الجيوش العربية كافة بهذا السلاح ، فليس من الاقتصاد فى الانتاج أن يتكرر مثل هذا المصنع فى بلد عربى آخر دون مسوغ ، بل يمكن إنشاء مصنع آخر فى ذلك البلد العربى أو فى بلد عربى آخر ، ينتج سلاحاً غير البندقية كالمسدس مثلا ، وبهذا يتم للعرب إنتاج سلاحين مختلفين بدلا عن سلاح واحد .

● مطلوب عقد مؤتمر عربي عاجل لدراسة وتنسيق إنتاج السلاح في الوطن العربي

● احصائيات دقيقة عن حاجة الجيوش العربية الى السلاح .. كمية ونوعية .. من أجل اتخاذ قرارات سليمة

● من أهداف التنسيق عدم إقامة معامل متشابهة في بلد عربي واحد، واختيار الأماكن العربية المناسبة

● تنسيق الإنتاج الحربي يعتمد على ثلاث دعائم: خبراء عسكريون، علماء اقتصاديون، وخبراء إنتاج السلاح



الاعداد للقوة العربية من أول شروط النصر .

كما أن نفقات توسيع مصنع ما ، هى أقل بكثير من نفقات إنشاء معمل جديد .

فاذا كان مصنع من المصانع الحربية عاجزاً عن تغطية احتياجات الدول العربية كافة من سلاح ما ، فبالامكان توسيعه لرفع طاقته الأنتاجية بدلا من إنشاء مصنع جديد .

هذا التنسيق يهدف أيضاً ، إلى زيادة التعاون الوثيق بين الدول العربية من ناحية التسليح ، فتعرف كل دولة عربية تفاصيل حاجتها إلى السلاح والبلد العربى الذى تستورد منه سلاحاً .

وفى الوقت الحاضر ، تنتج بعض الدول العربية بعض الأسلحة الخفيفة التى تفيض عن حاجة جيشها ، ونوعية إنتاجها لا يقل عن نوعية إنتاج أمثالها فى الدول الأجنبية ، فليس من المعقول أن تستورد دولة من الدول العربية الأخرى ما تحتاج إليه من أسلحة خفيفة أجنبية ولا تستورد ما تنتجه الدول العربية !

إن التعاون العربى فى هذا المجال ، يؤثر أطيب الأثر فى العلاقات بين الدول العربية الشقيقية ، وقد كان لاستيراد العراق من مصر كميات من الأسلحة الخفيفة سنة ١٩٦٣ أحسن الأثر فى العلاقات الأخوية بين الدولتين العربيتين الشقيقتين فى حينه .

ويهدف هذا التنسيق أيضاً إلى عمل مخطط عربى موحد ، لأنشاء المصانع الحربية تمويلا ونوعاً ، بحيث تؤمن تلك المصانع على المدى القريب أو البعيد وبمراحل موقوتة كل حاجات العرب إلى السلاح والذخيرة .

ويهدف هذا التنسيق أيضاً إلى الأفادة من المعامل غير الحربية التى يمكن أن تنتج للأغراض الحربية .

مثلا ، المصانع التى تنتج أجهزة الأذاعة المختلفة ، يمكن أن تنتج الأجهزة اللاسلكية والسلكية كالمرسلات والاخذات لسلاح الأشارة التى تعمل بالكهرباء وبالنضائد (البطاريات) .

ومثل هذا المصنع يغطى حاجات الجيش اللاسلكية المختلفة فى أيام الحرب ، كما يسد حاجات أبناء الشعب إلى أجهزة الأذاعة المسموعة والمرئية المختلفة وإلى النضائد ونحوها فى أيام السلام .

ومصانع السيارات يمكن تحويرها لتنتج المدرعات والناقلات والدبابات المسرّفه ونصف المسرّفه (المجنزرة ونصف المجنزرة) وسيارات النقل العسكرى ...

وكل ذلك يحتاج إلى تخطيط وتنسيق للمدى القريب والبعيد .

ويهدف التنسيق إلى توزيع المصانع الحربية على البلاد العربية ، واختيار الأماكن المناسبة لها فى الأقطار العربية .

إن المصانع المدنية يسيطر عليها العامل الاقتصادى الذى يفضل أن يكون المصنع قريباً من الموارد الخام ، قريباً من وسائط النقل المختلفة ، قريباً من الأسواق المستهلكة ، قريباً من الأيدى العاملة الرخيصة ، فى منطقة مأهولة بالسكان تساعد على بيع الانتاج وتصريفه .. الخ ..

العامل الاقتصادى أولا بالنسبة للمصانع المدنية ، وعامل الأمن أولا بالنسبة للمصانع الحربية .

فالمصنع الحربى ، يقتضى أن يكون فى موضع أمين ، بعيد عن متناول العدو بعيد عن تأثير نيرانه الأرضية والجوية والبحرية .

بل ينبغى أن يدخل فى الحساب

● ثمن المسدس العادي المستورد يبلغ خمسة وعشرين دينارا ، بينما يتكلف إنتاجه نصف دينار فقط !

بالنسبة لأنشاء المصانع الحربية المهمة كمصانع الطائرات مثلا ،خطر القصف بالقنابل النووية والهيدروجينية أو الصواريخ ذات المديات البعيدة .

ومن الطبيعى أن المصنع الحربى الذى تنفق عليه الملايين ، يجب الا يكون تحت رحمة نيران العدو .

وما يقال عن المصانع الحربية ، يقال عن المستودعات الحربية أيضاً ، إذ يجب ألا تكون فى أماكن غير أمينة وألا تكون عرضة لنيران العدو .

ذلك هو موجز أهداف التنسيق لمصانع التسليح العربى من الناحية العسكرية ، التى تنقذ العرب من محاذير استيراد السلاح والعتاد من الدول الأجنبية .

وهى أهداف حيوية بالنسبة للمجهود الحربى العربى .

خبراء التنسيق

يعمل خبراء التنسيق باشراف جامعة الدول العربية ، لكى لا تتخلف أية دولة عربية عن حضور مؤتمر التنسيق ، إذ لا مسوغ لاقتصار الانتاج الحربى العربى على قسم من الدول العربية دون غيرها ، حتى لا يكون هذا الانتاج الحيوى خاضعاً لنوع من التكتلات العربية ، وليكون الانتاج لجميع الجيوش العربية لا لقسم منها ، لأن المطلوب هو حشد الطاقات المادية والمعنوية العربية كافة للحرب ، لا حشد جزء من تلك الطاقات .

وتنسيق الانتاج الحربى للسلاح والعتاد ، يعتمد على ثلاثة أصناف من الخبراء بصورة رئيسة :

الصنف الأول ، هم الخبراء العسكريون ، ويكون واجبهم القرار على أسبقية إنشاء المصانع الحربية ، واختيار مواقع إنشائها ، وتقرير طاقاتها الانتاجية بالنسبة لحاجة الجيوش العربية ، ووضع خطة لحمايتها وأمنها وسرية إنتاجها .



الانتاج المحلى للسلاح هو ضمان التفوق على العدو



تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية

والبلاد العربية واسعة جداً ، فيها الجبال الشاهقة ، والأرض المتموجة ، والسهول الفسيحة ، والصحارى الجرداء ، وهى صالحة إلى أبعد الحدود لانتشار المصانع وحمايتها وإخفائها ، لكى تنتج بكل طاقاتها دون إزعاج العدو فى أيام الحرب بخاصة .

وصحاريها المترامية الأطراف ، تيسر المناطق المناسبة لتجارب الأسلحة التقليدية والمتطورة ، ومن المعلوم أن فرنسا أجرت تجاربها النووية فى صحراء الجزائر قبل استقلالها .

وقد يكون من الصعب إخفاء عدد المصانع الحربية ونوعية إنتاجها ، نظراً لتطور أجهزة الاستمكان ، ولكن من السهل حمايتها فى وضعها بأماكن نائية بعيدة عن مناطق القتال المحتملة ، أو بالاستفادة من طبيعة الأرض ، أو بالمدفعية ضد الجو .

كما يمكن إبقاء مقدار إنتاجها وتوقيته وتوزيعه على الجيوش العربية سراً من الأسرار .

ولابد أن يكون لدى هؤلاء الخبراء العسكريين إحصائيات دقيقة عن حاجة جيوشهم إلى السلاح كمية ونوعية لتعينهم على إعطاء القرارات السليمة عن حاجتهم فى الحاضر وتطوير المصانع لسد احتياجات الجيوش العربية فى المستقبل .

والصنف الثانى هم العلماء الاقتصاديون : واجبهم إعطاء القرار عن أقوم طريقة اقتصادية للانتاج ، لكى تسد حاجات الجيوش العربية إلى السلاح فى الحاضر والمستقبل .

وواجبهم أيضاً ، المساهمة المالية لمتابعة المصانع ونقلها إلى مواضع إنتاجها ونفقات الانتاج .

ومهما قيل فى ضخامة نفقات إنتاج السلاح والعتاد عربياً ، فانه يعتبر اقتصادياً بالنسبة لاستيراده من الخارج وحسبى أن أذكر ، أن ثمن المسدس العادى المستورد يبلغ خمسة وعشرين ديناراً عراقياً كمعدل ، بينما يكلف إنتاجه نصف دينار فقط !!

كما أن إعداد أسباب النصر ، وضمان التفوق على العدو فى ميزان التسليح الذى لن يتم إلا بالانتاج المحلى دون الاستيراد من الخارج ، هو أثمن من النفقات مهمًا بلغت ، فاذا ثلم شرف الأمة فلا قيمة لثرائها .

والصنف الثالث هم خبراء إنتاج

● مؤتمر إنتاج السلاح عربيًّا من المؤتمرات المصيرية ، وينبغي أن يكون مضمون النجاح

السلاح والعتاد ، واجبهم تصميم إنتاج أنواع السلاح والعتاد ، وتنفيذ تلك التصاميم ، وعرض ما يمكن إنتاجه عربياً وما لا يمكن إنتاجه .

دروس وعبر

إن مؤتمر إنتاج السلاح عربياً من المؤتمرات المصيرية ، وينبغى أن يكون مضمون النجاح .

ولكى نضمن نجاحه ، لابد من إجراء خبراء التنسيق بأصنافهم الثلاثة وخبراء جامعة الدول العربية استحضارات تشمل دراسات متخصصة بالغة الدقة والاتقان ، قبل عقد المؤتمر المرتقب .

أما أن تدعو الجامعة العربية إلى عقد المؤتمر دون إجراء تلك الدراسات ،، فيجتمع خبراء الدول العربية وأيديهم خالية من الدراسات أيضاً ، أو يحضر قسم من خبراء الدول العربية باعتبارهم خبراء وهم ليسوا بخبراء من قريب أو بعيد بل هم موظفون اعتياديون ، فان المؤتمر سيخفق حتماً ، لا لأن هناك صعوبات لا يمكن التغلب عليها فى طريق التسليح العربى ، بل لأن مسئولى جامعة الدول العربية لم يقوموا بواجباتهم فى إعداد الدراسات المطلوبة ، ولأن خبراء الدول العربية لم يقوموا بواجباتهم فى إعداد الدراسات أيضاً ، أو كانوا موظفين لا خبراء ، واعتمد مسئولو الجامعة على خبراء الدول العربية ، واعتمد خبراء الدول العربية على مسئولى الجامعة ، فضاعت المسئولية بين الطرفين المتواكلين ، وحلت المصيبة على رأس العرب من جراء هذا التواكل ، ومن المؤسف حقاً أن هذا هو ما يجرى بالفعل فى مؤتمرات جامعة الدول العربية ومؤتمرات الدول العربية الأخرى على النطاقين القطرى والعربى ، وما هكذا يا سعد تورد الابل كما يقول المثل العربى القديم .

إن إعداد الدراسات المفصلة قبل المؤتمر هو الذى يؤدى إلى نجاحه ، فينبغى إعداد الدراسات الشاملة حول إنتاج السلاح العربى من مسئولى جامعة الدول العربية ومن خبراء الدول العربية ، والاطلاع على تلك الدراسات وتمحيصها من ممثلى جامعة الدول العربية وممثلى الدول العربية ، فاذا كانت على المستوى المطلوب عين موعد لعقد مؤتمر التنسيق ، وإلا فينبغى استكمال الدراسات حتى يمكن أن يسير المؤتمر فى النور لا فى الظلام .

ومن المهم الحرص على اختيار الخبراء ، فلهم دور بارز على إنجاح المؤتمر وعلى الانتاج .

وأكثر أهمية هو اختيار المسئول الأول عن الانتاج العربى للسلاح : عسكرياً من دوى الرتب العالية ، معروفاً بنزاهته المطلقة وكفاياته العالية ، وحرصه الشديد .

أما أن نختار المسئول الأول ممن لا صلة له بانتاج السلاح ، فخطأ فاحش أدى بالتجربة التى تولاها إلى الاخفاق الكامل .

وقد حدثنى أحد إخوانى الضباط عن تلك التجربة فى أول أمرها ، فقلت له : ستخفق التجربة حتماً .

وقدم الضابط بغداد بعد ثمانى سنوات من لقائى به ، بعد أن أخفقت التجربة وصفت أعمالها ، فقال : كيف علمت أنها ستخفق !

وسكت ، فما كانت بى حاجة أن أتحدث فى البديهات !

إن العرب فى كل مكان يقولون : عقد الصهاينة سنة ١٨٩٧ مؤتمرهم الصهيونى الأول ، فقال هيرتزل بعد انقضائه : «لو لخصت أعمال المؤتمر فى كلمة واحدة – وهذا مالن أقدم على الجهر به – لقلت : أوجدت الدولة اليهودية : فى غضون خمس سنوات ! ربما ! وفى غضون خمسين سنة ! بالتأكيد» .

والعرب فى كل يوم لهم مؤتمرات لا مؤتمر واحد ، فما لمسنا فيها فائدة للعرب جميعاً ، وقد نلمس فيها فائدة للفرد المشارك فى المؤتمر ... والفرد لا قيمة له بالنسبة لأمته .

ألا يستطيع العرب أن يعقدوا مؤتمراً ناجحاً يكون له ما بعده !

وأجيب بلا تردد : نعم يستطيعون ، إذا وسد الأمر لأهله ، حتى لا تقوم الساعة !

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : «إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة» .

محمود شيت خطاب

وأعـدوا لهـم ...

إن كتب التاريخ المتداولة تكتفى بالاشارة الى مجد العرب وانتصاراتهم عندما كان التاريخ لا يسجل لهم إلا الانتصارات ولكنها لا تذكر الثمن الذى كان يدفعه المنتصرون ، وبعض علماء المسلمين يعددون الفتوحات ويشيرون بكل بساطة الى أن سبب النصر هو الاسلام ، ويهملون الرابطة بين النصر والاستعداد التام الذى ربط الاسلام بينه وبين النصر فاتى أمر الله صريحاً بقوله : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ، وذلك ما فهمه المسلمون الأولون وغفل عنه فيما بعد كثير من الحقدة .

في ذكرى مرور عشر سنوات على وفاة "برتراند رسل"

الفيلسوف البريطاني يقول :

عصام شريح

القضية الفلسطينية قضية شعب له حق الحياة في وطنه

فى الثانى من شباط (فبراير) ١٩٧٠ ـ اى قبل عشر سنوات ـ توفى الفيلسوف البريطانى بيرتراند رسل ، عن سبعة وتسعين عاماً ، فغاب بوفاته عن قمم الفلسفة المعاصرة ، وعن حلبات النضال السياسى والاجتماعى ، وجه من ابرز وجوه القرن العشرين ، وعقل من اكثر العقول انفتاحا وتعمقا واضاءة وتحررا .

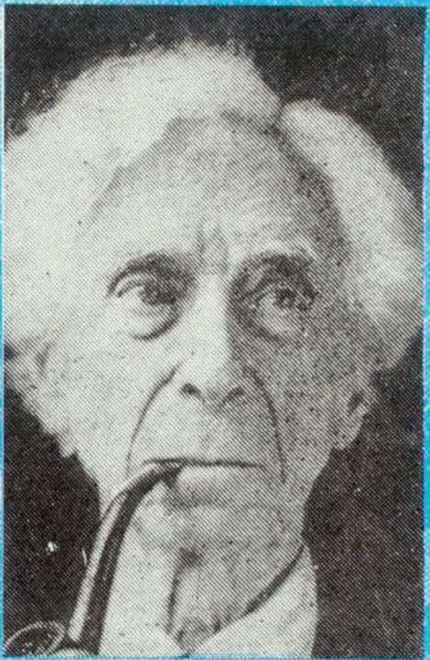
تذكروا إنسانيتكم

ولد بيرتراند رسل فى ١٨ أيار (مايو) من عام ١٨٧٢ ، من ابوين ارستقراطيين ، فأبوه الفايكونت امبرلى ، وجده اللورد جورج رسل احد ابرز رؤساء الوزارات فى ذلك الوقت ، وجده لأمه هو اللورد ستانلى امبرلى . وقد نشأ بيرتراند يتيماً فقد مات ابوه وهو فى عامه الثالث ، بينما ماتت والدته وهو فى عامه الثانى وبموت أبيه انتقل الى جدته لأبيه الليدى رسل لينشأ فى كنفها وبرعايتها . ولقد كان للبيئة التى نشأ فيها رسل أثر كبير على مجرى حياته ايجابياً وسلبياً ، ذلك أن لنشأته البيئية أثراً كبيراً فى اتجاهه الليبرالى دون ريب ، رغم أن اتجاهه الفلسفى اتسم برفضه للخلفية التى ورثها عن عائلته العريقة فى السياسة .

منح رسل جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٥٠ ، واصبح رئيس حملة نزع السلاح النووى فى عام ١٩٥٨ ، واسس «لجنة المائة للعصيان المدنى ضد الحرب النووية» ، ولم يخش دخول السجن فى عام ١٩٦١ وهو فى الثامنة والثمانين بسبب تحريضه الجمهور على التظاهر والاعتصام . وقد اسس «مؤسسة بيرتراند رسل للسلام» و «مؤسسة السلام الأطلسى» ، كما عمل من اجل قضية السلام فى الشرق الاوسط . ولم ينس قط الجانب الانسانى فى حياته ، فاذاع فى عام ١٩٥٤ ، بعد تفجير القنبلة الهيدروجينية الاولى ، رسالة قال فيها : «تذكروا انسانيتكم وانسوا الباقى ، فاذا فعلتم ذلك فالطريق مفتوحة امامكم حتماً نحو الفردوس ، واذا لم تفعلوا ذلك ، فلا شىء امامكم سوى الموت الجماعى» .

فكره السياسى والاجتماعى

كان راسل يقيس العقائد والافكار بمقدار ما تقدم للانسان من سعادة ، ومن ضمن ماخذه على ماركس اعتقاده بأن «ثمة قدرة كونية تدعى المادية الجدلية تتحكم بالتاريخ الانسانى بمعزل عن



برتراند رسل

ارادة الانسان» فقد رفض رسل الشيوعية لانها لا تقدم له هذه السعادة بل هى تزيد فى البؤس الانسانى ، وهو ياخذ على الماركسيين غلوهم فى تقدير العامل المادى الطبقى الاقتصادى ، بحيث تجاوزوا وجود عوامل اخرى فى الاجتماع البشرى لها شأنها الاساسى فى تقرير المصائر ، وفى طليعتها العامل القومى .

إلا ان هذا الليبرالى الرافض للشيوعية كمذهب سياسى واجتماعى ، كان هو نفسه أعدى اعداء الاستعمار الغربى فى الوقت عينه ، وقد تمثل موقفه اولا فى عناده فى رفض الحروب التى تثيرها الدول الرأسمالية الغربية ، وبدعوته إلى السلم والتى لم تعرف هوادة ، وكان ان أيقظته الحرب العالمية الاولى على تلك المجزرة البشرية التى ارتكبتها الدول المتطاحنة والمتنافسة لتحقيق مطامعها ، فوقف رسل فى وجهها وبدأ تحريضه من أجل السلم ، والب قسماً غير يسير من الارستقراطية البريطانية ضد الحروب ، وكانت أهمية مواقف رسل السياسية تكمن فى انه قرن الفكر بالممارسة ، ودافع عن معتقده بنضال لم يعرف أية هوادة ، وارتضى الاضطهاد ودخول السجن من أجل أفكاره .

ولم يكن نضاله يقتصر على صعيد دون آخر ، فكما ناضل فى الميدان السياسى من أجل السلام وحقوق الشعوب ، ناضل كذلك فى الميدان الاجتماعى ، ضد كل سياسة تربوية تقليدية أو نظرة سلفية ، ودعا إلى بناء انسان غير معقد بالتقاليد والأفكار



المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى القاهرة وتوجه اليه الفيلسوف رسل برسالته الأخيرة .

السلفية ، حر فى موقفه من نفسه والعالم سلاحه ومشعله المعرفة العلمية التى كان رسل يتخذها درعه الايمانى الوحيد .

ويرى «إريك فرومن بأن طاقة رسل على التمرد لم تكن تجد جذورها فى أى موقف مجرد ، بل فى حبه الفائق للحياة . وهذا الحب للحياة الذى فاق كل حد هو الدافع الأقوى لموقفه الرافض للحروب ، ولقد كان رسل فى حبه للحياة شاملا كل الجماعات والأقوام والأمم ، فرفض نظرة الاستعمار التى توقف السعادة والحياة على مجموعة من الامم المستنسرة والمستأثرة ، بينما هى تنزع هذا الحق عن أمم أخرى ، ومن أجل هذا الشمول فى حب الحياة غير المميز بين أمم سيدة وأمم مستعبدة ، وبين أمم غنية الموارد ، وأمم فقيرة ، كان موقفه من حرب فيتنام ، حيث اعتبر الرئيس الامريكى الأسبق ليندون جونسون مجرم حرب بسبب موقفه المغذى لأوار تلك الحرب القذرة ، وقد أصدر عليه «حكمه المعنوى» بالاعدام بعد أن شكل محكمته الشهيرة من عدد من أدباء ومفكرى الغرب .

ومن المفارقات الكبرى فى حياة الفيلسوف بيرتراند رسل الذى كان ينادى بالأممية ، وقوفه إلى جانب الثورات القومية فى فلسطين وفيتنام ، فاكد بذلك أن الأممية الحقة والانسانية السليمة هى تلك التى تجسدها ظاهرة الثورة القومية المعاصرة ضد الاستعمار وجميع أشكال الهيمنة الامبريالية .

رسل والصراع العربى - الصهيونى

كان رسل يرى القضية الفلسطينية على حقيقتها : قضية شعب له الحق فى الحياة فى وطنه ، وهو يقول : «إن مأساة شعب فلسطين تتمثل فى اغتصاب وطن ، واعطائه لشعب آخر ، من خلق دولة اجنبية جديدة .. فالى متى سيظل العالم مستعداً لتحمل هذا المشهد الوحشى ؟!» .

وفى تقرير خطير رفعه إلى منظمة الأمم المتحدة وجمعية الصليب الأحمر الدولى فى ١٢ حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، قال الفيلسوف البريطانى اللورد راسل : «إن أولئك الذين يعطفون بحق على اليهود من ضحايا العدوان الهتلرى فى أوروبا ، يجب ألا يساووا بين حق اسرائيل فى البقاء وسياستها فى التوسع الاقليمى. ان العدوان لا مبرر له قط ، وخاصة عندما يقترفه أولئك الذين يعرفون معانيه الكاملة تماماً» .

وكان اللورد رسل قد أوفد بعثة من محكمته الشهيرة لاستقصاء الحقائق عن الجرائم التى ارتكبتها إسرائيل ضد العرب فى حرب الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وقد اعلن «كريستوفر فارلى» - رئيس بعثة رسل للسلام - عند وصوله إلى القاهرة فى ٩-٩-١٩٦٧ «انه تاكد لدى البعثة بما لا يقبل أدنى شك ، أن اسرائيل استخدمت قنابل النابالم فى عدوانها على الدول العربية ، رغم أن استخدام هذا النوع من القنابل محرم دولياً . وقال فارلى : ان البعثة توصلت إلى أدلة ثابتة ، تبرهن على ذلك إذ أنها تضم اثنين من الأعضاء ممن لهم خبرة ودراية فى التعرف على آثار قنابل النابالم ، كما كان برفقة البعثة طبيب محاضر من جامعة روما ، قام بنفسه بفحص الضحايا العرب المصابين بحروق ، وإن أعضاء البعثة شاهدوا بأم أعينهم العديد من الضحايا فى المستشفيات وجميعهم مصابون بحروق من الدرجتين الثانية والثالثة ، وهى حروق لا تنتج إلا عن قنابل النابالم .

وأردف فارلى قائلا : ان الفظائع التى ارتكبتها اسرائيل ، لم تقتصر على استخدام قنابل النابالم ، بل تعدتها إلى الأساليب النازية الوحشية فى معاملة الضحايا وأسرى الحرب العرب ، ولم تراع الحقوق الانسانية . وأننا حصلنا أيضاً على تسجيلات صوتية للضحايا ، سواء من المصابين أو من أسرى الحرب ، والذين اخترناهم بانفسنا دون أى تدخل من السلطات فى كل من الأردن وسوريا ، حسب شروطنا المسبقة ، ولقد استجابت لجميع شروطنا هذه ، كل من الأردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة (مصر) ، لكن السلطات الاسرائيلية لم تعط جواباً قاطعاً يضمن لنا تحقيق ما طلبناه من التسهيلات ، وقد كنا تقدمنا بطلبنا إلى السلطات الاسرائيلية عن طريق السفارة الاسرائيلية فى لندن منذ أسبوعين ، وطلبنا السماح لنا بدخول المناطق التى تحتلها اسرائيل ، والتحدث إلى بعض القادة العرب ، الذين مازالوا محتجزين هنالك ، ولكن الملحق الصحفى الاسرائيلى فى السفارة بلندن ، اتصل بى هاتفياً ، وأعطى رداً غير محدد ولا يفيد بشىء . وقد قام الفيلسوف رسل بنفسه ، بكتابة خطاب مطول إلى السفير الاسرائيلى ، ويتضمن نفس الشروط التى طلبناها من الدول العربية ، والتى

● قال إن الاستشهاد بعذاب الماضي لتبرير عذاب الحاضر هو رياء مفضوح

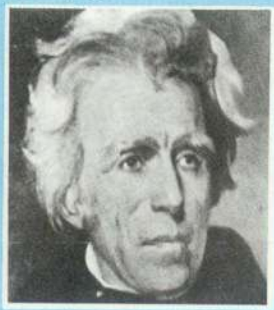
تسمح للبعثة بحرية العمل ضمن مهمتها ودون ضغط من السلطات الاسرائيلية أو العربية أو تدخل منها ، ولكن دون جدوى ، وختم فارلى تصريحه قائلا : ان العدوان الاسرائيلى كان واضحاً» .

وفى ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، أصدر اللورد رسل بياناً آخر قال فيه :

«هناك الآن أدلة واسعة على ان اسرائيل استخدمت أعداداً كبيرة من قنابل النابالم فى هجومها الصاعق «الأخير» على جيرانها العرب .. وانه لمن الواضح تماماً ، ان النابالم ، ليس سلاحاً يستخدم ضد الأشخاص ، وانه لا مكان له فى مجتمع متحضر» .



ليندون جونسون



اندرو جاكسون



أدولف هتلر

الرسالة الأخيرة

آخر رسالة توجه بها بيرتراند رسل الى العالم ، كانت موجهة إلى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى القاهرة فى الأول من شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، وقد دعا رسل فيها إلى اعطاء الشعب الفلسطينى جميع حقوقه ، كما ندد فيها بالاحتلال الاسرائيلى ، وفيما يلى النص الحرفى لتلك الرسالة :

«ترتكز المرحلة الأخيرة من الحرب غير المعلنة فى الشرق الأوسط على خطأ حسابى عميق الجذور ، فالغارات فى عمق الأراضى المصرية لن تقنع السكان المدنيين بالاستسلام ، بل ستعزز تصميمهم على المقاومة . وقد كان هذا الدرس المستقى من جميع عمليات القصف الجوى كافيا ، فقد رد الفيتناميون الذين تحملوا طوال سنوات القصف الأميركى العنيف ، لا بالاستسلام ، بل باسقاط المزيد من طائرات العدو . وفى عام ١٩٤٠ ، قاوم ابناء وطنى غارات هتلر باتحاد وعزيمة لم يسبق لهما مثيل . ولهذا يمكن القول إن الغارات الاسرائيلية الحالية ستفشل فى تحقيق غرضها الاساسى .

وخلال ذلك ينبغى التنديد بها بشدة فى جميع أنحاء العالم .. ان تطور أزمة الشرق الأوسط خطر ومليء بالعبر ، فلقد توسعت إسرائيل طوال عشرين عاماً بقوة السلاح ، وتوجهت بعد كل مرحلة من توسعها إلى «الارادات الحسنة» ، ودعت الى «المفاوضات» ، وهذا هو الدور التقليدى للدولة الاستعمارية التى تريد أن تثبت بأهون السبل ما حققته بالعنف ، فكل غزو جديد يصبح الأساس الجديد للتفاوض من موقع قوة يتجاهل ظلم العدوان السابق . ان العدوان الذى ارتكبته اسرائيل يجب أن يشجب لا لأنه لا يحق لاية دولة ضم أراض أجنبية إليها بالقوة فحسب بل لأن كل عدوان هو تجربة لاكتشاف مدى ما سيتحمل العالم من عدوان .

لقد وصف الصحفى الأميركى إ.ف. ستون اللاجئين الذين يحيطون بفلسطين بمئات الألوف ، بأنهم «حجر الرحى الأدبى فى عنق يهود العالم» ان كثيرين من هؤلاء اللاجئين دخلوا الآن العقد الثالث من عيشهم المزعزع فى «مستوطنات» مؤقته .

إن مأساة شعب فلسطين هى ان دولة اجنبية «أعطت» بلده لشعب آخر بغية خلق دولة جديدة . وكانت النتيجة أن مئات الألوف من الناس الأبرياء شردوا من منازلهم بشكل دائم ، ومع كل نزاع جديد ازداد عددهم .

فحتام سيظل العالم يحتمل هذه الوحشية ؟

من الواضح جداً أن للاجئين كل حق فى العودة إلى الوطن الذى طردوا منه ، وأن حرمانهم من هذا الحق هو سبب استمرار النزاع ، إذ لا يوجد شعب فى العالم يقبل الطرد بشكل جماعى من بلده ، فكيف يطلب من شعب فلسطين تحمل مالا يقبل به شعب آخر ؟

إن تسوية عادلة ودائمة «للاجئين» فى وطنهم هى عنصر أساسى فى اية تسوية حقيقية فى الشرق الأوسط . غالباً ما يقال ، إن علينا أن نتعاطف مع اسرائيل بسبب العذاب الذى لقيه اليهود فى أوروبا على ايدى النازيين ، اننى لا أرى فى هذا سبباً لاستمرار عذاب آخرين ، وان ما تفعله اسرائيل لا يمكن الصفح عنه .

أما الاستشهاد بعذاب الماضى لتبرير عذاب الحاضر ، فهو رياء مفضوح . إن إسرائيل لا تحكم على عدد كبير من «اللاجئين» بالبؤس ، ولا هى تخضع كثيرين من العرب فى الأراضى المحتلة لحكم عسكرى فحسب ، بل إنها تحكم على الدول العربية التى تخلصت أخيراً من الاستعمار بالفقر المستمر نتيجة إعطائها المتطلبات العسكرية ، الأولوية على التنمية الوطنية .

كل الذين يريدون ان يروا نهاية لاهراق الدماء فى الشرق الأوسط يجب أن يتأكدوا أن التسوية التى يتبنونها لا تحمل فى طياتها بذور نزاع قادم ، ان العدالة تتطلب ان تكون أول خطوة للتسوية انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلتها فى حزيران من عام ١٩٦٧ ، وان ثمة حاجة إلى حملة عالمية جديدة لتحقيق العدالة لشعب الشرق الأوسط الذى حرم منها منذ زمن طويل» .

«برتراند رسل : ٣١ـ١ـ١٩٧٠»

رسل والديمقراطية الاميركية

يقول رسل «إن النظرية الديمقراطية بمفهومها الحديث ، لم يبتدعها «جان روسو» (الفرنسى) ، بل العنصر التقدمى فى جيش «كرومويل» فهؤلاء الرجال فشلوا فى بلدهم (بريطانيا) ، الا انهم نقلوا مبادئهم عبر المحيط الأطلسى ، حيث ولدت الديمقراطية الاميركية بعد فترة حضانة .

ويقول : «إن الديمقراطية الاميركية تعرضت إلى تحول كبير عندما أصبح «أندرو جاكسون» رئيساً للجمهورية ، فقد كان الرؤساء السابقون سادة مهذبين معروفين غالباً كملاكين ، وقد مثل أندرو جاكسون ثورة الرواد والمهاجرين على هؤلاء الرجال ، وكان جاكسون يكره الثقافة والمثقفين ، كما كان يشك فى الرجال المتعلمين لأنهم يفهمون أشياء تثير حيرته .

جسر الخلاص :

يرى رسل ان العالم منقسم إلى عدة مناطق ، وفى كل منطقة يتعلم الجيل الطالع أن أبناء بلاده فاضلون بشكل استثنائى ، أما سكان المناطق الأخرى فمنحطون وأشرار ، وهذا فى رأى رسل لا يخدم السلام فى العالم ، ويقول إن «الحروب فى القرن الثامن عشر كانت عملا مربحاً ، فباستثناء حرب الاستقلال الأميركية ، خرجت انكلترا من حروب ذلك القرن رابحة من وجهة نظر مالية ، أما الان فالأمور مختلفة ، وقد وصلت إلى حافة الدمار عن طريق نصرين كاملين ومطلقين فى حربين عالميتين متواليتين ، ولم يعد بالامكان اقناع الشعب الانكليزى بأن الحرب عمل مربح ، على الرغم من أنه ما يزال على الولايات المتحدة الأميركية أن تتعلم هذا الدرس»

لكن ما هى الطريق نحو السلام العالمى ، وقيام عالم لا تسوده الحروب والصراعات ؟

يقول رسل : «إن جعل الأنظمة الديمقراطية ميالة إلى السلام بدلا من الحرب ، هو مهمة المدارس ، اذ يتوجب تعليم التاريخ على انه تاريخ نشوء المدنية والحضارة ، لا تاريخ هذه الأمة أو تلك ، كما يجب تعليمه من وجهة نظر البشرية ككل ، لا بالتشديد غير المناسب على بلد كل فرد .

الحكومة العالمية

ويرى رسل أن الضمان الاقوى لتثبيت اسس السلام فى العالم ، ومنع نشوب الحروب وانتشارها ، والقضاء على المنازعات وفض الخلافات بالطرق السلمية ، انما يكمن فى قيام حكومة عالمية ، فيقول : «ان مسألة اللامركزية حيوية فى دراسة مشكلة الحكومة العالمية ، فمن الواضح انه لو كانت هناك حكومة عالمية ، فانه سيكون لديها مهمات محددة ومعينة ، وان معظم الاعمال التى تقوم بها الحكومات الوطنية حالياً ، ستبقى فى ايدى هذه الحكومات .

وقد يعتقد البعض أن موضوع الحكومة العالمية سيظل مثلا أعلى لا يمكن تحقيقه ، طالما استمر التوتر بين الشرق والغرب ، ولكن التوتر مشكلة ملحة ، لأنه إذا لم يحل خلال الجيل القادم ، فسيصبح بقاء البشرية أمراً مشكوكاً فيه . ويعتبر هذا القول مزعجاً لأن الناس لا يحبون تغيير عاداتهم العقلية التى تعتبر كراهية دولة أجنبية معينة من اكثرها تاصلا ، وهم يكرهون التسليم بأن العادات القديمة لا تتفق مع البقاء ، وثمة قلة قليلة من الناس تتوق إلى البقاء اكثر من توقها إلى عدم التفكير

وهذا الموضوع بالطبع ، لا ينظر إليه هذه النظرة فى عقول الناس ، فما يحدث لديهم هو اعتقاد سريع بأن كل فكر غير عادى هو فكر سخيف ، وهذا الاعتقاد شائع ووطيد الى درجة ان الناس لا يكلفون أنفسهم عناء رؤية ما إذا كان له أساس منطقى ، واننى اعتقد ان كل انسان قادر على مقاومة هذا الاندفاع يجب أن يدرك أن بقاء الجنس البشرى يعتمد على إلغاء الحرب ، وأن الحرب لا يمكن أن تلغى إلا بقيام حكومة عالمية» .

ويتساءل رسل عن السلطات التى تحتاج إليها الحكومة العالمية المقترحة ، ثم يجيب : «إنها بشكل أولى تتعلق بالحرب والسلام ، والحكومة العالمية بحاجة إلى احتكار جميع اسلحة الحرب المهمة ، والى سلطة إعادة النظر فى المعاهدات بين الدول ، ورفض الاعتراف بأية معاهدة لا توافق عليها هذه الحكومة ، كما انها بحاجة الى تصميم حازم لشن حرب على أية دولة تثور على سلطتها أو ترتكب عدواناً على دولة أخرى ، لكنها لن تكون بحاجة إلى السيطرة على الدول فيما يتعلق بتطورها الاقتصادى الداخلى ، وشؤون التعليم ، ومؤسساتها الدينية ، وأية مسألة أخرى يمكن ان تعتبر فعلا مسألة داخلية .

وفى الواقع فان ما يتوجب على الحكومة العالمية ان تأخذه من الدول هو ما أخذ من الفرد منذ زمن بعيد ، ألا وهو حق القتل ، ويتوجب على الدول جميعها أن تدرك أن تحديداً مماثلا لحريتها ليس موضوع اعتراض ، كما يجب عليها ان ترضى بحرية إدارة شؤونها الخاصة ، وعدم المطالبة بأن يتاح لها قتل الغرباء حسب مزاجها» .

رسل .. منطقياً وحالماً

إن رسل المنطقى والواقعى والذى قاوم العدوان والمعتدين ، وحاكم رئيس الولايات المتحدة فى محكمته الشهيرة ، وجرمه بالمسؤولية عن المذابح الجماعية التى ارتكبها الجيش الاميركي ، واعمال الابادة ضد الشعب الفيتنامى ، كما حاكم الصهاينة ـ النازيين الجدد ـ وادرك الى حد كبير الظلم التاريخى الذى لحق بالشعب العربى الفلسطينى . كان يحلم بعالم جديد تنتفى منه الحروب وأعمال القتل والسلوك البربرى ، ولهذا كان صارماً فى آرائه وأحكامه كحد السيف ، فلم يجامل أحداً ولم يتزلف لأحد إلا أنه ـ كما يبدو ـ كان مفرطاً فى التفاؤل . فالعالم مايزال على حاله بعد رحيله بعقد كامل . وربما سيبقى يتخبط فى عدوانيته المجنونة ، وجنوحه اليائس نحو الحروب كوسيلة لتسوية النزاعات وفرض الارادة والهيمنة ، الى عقود وأجيال أخرى . وربما الى قرون مديدة !

عصام شريح

لولوة المسند

السياسة التعليمية
هل ترفع الكفاءة الاقتصادية للمرأة القطرية؟

- مطلوب مؤسسات تعمل على تدريب الفتاة في المجال المهني
- مشاركة المرأة في التنمية تعطي نظرة أرفع لقيمة عملها في المجتمع

تسعى الدول جاهدة فى هذا العصر الذى يتميز بشراسة التنافس الصناعى ، إلى تنويع مصادر دخلها فى سبيل زيادة ثروتها والحفاظ على استمرارية وجودها واكثر ما ينطبق هذا القول على تلك الدول التى كان نصيبها من الثروة الطبيعية فى الحياة ضئيلا .

ودولة قطر التى تعتمد بصورة رئيسية على النفط ، وهو كما نعلم من مصادر الدخل غير الثابتة إلى الأبد ، أحوج ما تكون إلى الاعتماد مستقبلا على موارد أخرى . وأهم هذه الموارد هو العامل البشرى الذى تعتبر تنميته ضرورة اقتصادية ملحة لابد ان تضعها الخطط التنموية لهذا البلد فى المقدمة .

ولا شك أن استثمار العنصر البشرى ذو مردود مربح وخير حيث أنه الدعامة الاقتصادية لدول تغلب على أراضيها الصحراء . إلا انه قد تبرز عوائق كثيرة تعمل على إبطاء نجاح هذا الاستثمار . ومن هذه العوائق انخفاض الفعالية الاقتصادية للمرأة الخليجية وهذا القول ينسحب أيضاً على المرأة القطرية التى هى جزء من المجتمع الخليجى ـ الأمر الذى يستوجب وضع سياسات تعليمية وتدريبية تسهم فى رفع هذه الفعالية .

المرأة ما قبل النفط أنشط اقتصادياً

إن التعليل الذى يطرح لانخفاض هذه الفعالية هو وجود ضغوط اجتماعية . وقد يكون فى هذا التعليل شىء من الواقع ، إلا أنه غير مقبول فى كثير من الأحيان . فمثل هذه الضغوط كانت فى مجتمع ما قبل النفط غير أننا كنا نرى المرأة أكثر فاعلية فى سد الكثير من احتياجاتها المعيشية . فهى فى المجتمعات الحضرية على الشواطىء كانت تقوم بصيد السمك وبناء بيوت الطين وغيرها . وفى المجتمعات البدوية فى الصحراء كانت تعمل فى الرعى والانتاج الحيوانى كاللبن والزبدة ، وتخيط الملابس والخيام وأربطة الماشية

فراغ المرأة ظاهرة مرضية فى المجتمع

رب قائل إن قيوداً اجتماعية معينة قد حدت من نشاط المرأة الاقتصادى فى المجتمع النفطى ، وان ارتفاع مستويات المعيشة قد ساهم فى النظر الى عمل المرأة على انه نوع من الترف ووسيلة لشغل الفراغ ، مما ساعد على جلب عمالة خارجية ـ حتى فى بعض الأنشطة التقليدية للمرأة كالعمل المنزلى .. ولهذا تأثير سلبى اجتماعياً بالطبع على المدى البعيد .

ولابد من القول بصفة عامة إن الأعراف والتقاليد الاجتماعية لا تحول دون وجود سياسات تعليمية وتدريبية وإعلامية تسهم جميعاً فى جعل عمل المرأة أمراً مقبولا ، أو أنها تفسح المجال لقبوله فى المستقبل بصورة تدريجية واذا تم توفير كافة التخصصات العلمية بالنسبة للدراسات الجامعية وكذلك توفير الدراسات العليا فى الداخل ، فعندها تكون الخطط التعليمية قد حققت أغراضها على أكمل وجه ، واستطاعت أن تلبى المتطلبات الاقتصادية فى البلاد خاصة وأن نسبة الاناث إلى العدد الكلى للسكان تكاد تمثل النصف . وليس هناك بالطبع من يريد الجمود للنشاط الاقتصادى للمرأة ، أو صبه فى قطاع واحد وحيد . إن الاعتماد على كلية التربية فى تخريج قوة عاملة نسائية يبدو حكيماً من حيث انه يحقق الهدف الأول للسياسة التعليمية وهو الاكتفاء الذاتى من المدرسات المحليات لكن إذا اقترن تدعيم هذا الهدف وتعزيزه بخطة اقتصادية متكاملة تتحقق بموجبها التنمية فى جميع القطاعات الاقتصادية لأصبح تحقيق التوازن فى توزيع القوى العاملة على هذه القطاعات أمراً مكفولا ، خاصة وأن النفط ليس أبدياً . وكلما كان توسيع القاعدة الانتاجية فى فترة أقصر كلما كان ذلك أفضل وأجدى نفعاً لمستقبل بلادنا ، واضعين نصب أعيننا بالطبع نزوح العمالة الوافدة عن البلاد فى يوم من الأيام ، قرب هذا اليوم أم بعد .

ومن ناحية أخرى فان نسبة مساهمة المدرسات المحليات فى المدارس الابتدائية مثلا قد زادت من ١٥٪ عام ٧٠ ـ ٧١م الى ٣٦ر١٪ فى عام ٧٣ ـ ٧٤م . وهى نسبة تزيد على الضعف . وهذا يبشر بأن هدف الاكتفاء الذاتى من

المدرسات يمكن تحقيقه . وان كان الاعتماد على العمالة الوافدة يعنى صب المزيد من العمالة المحلية فى قطاع الخدمات كالتدريس مثلا ، فيفترض ان تكون الخطط التعليمية اكثر شمولا بحيث تحقق الاكتفاء الذاتى من المدرسات وفى نفس الوقت تلبى حاجات القطاعات الاقتصادية الأخرى .

كيف تكون المرأة النشطة اقتصادياً ؟

إن تلبية حاجة القطاعات الاقتصادية الأخرى تكون بتوفير الفرص الممكنة لدخول العمالة النسائية لهذه القطاعات وهذا يتطلب وجود مؤسسات تعمل على تدريب الفتاة فى المجال المهنى ، وأن يتعدى تدريبها فى إدارة التدريب والتأهيل الاجتماعى الخياطة والتطريز إلى الطباعة والاختزال والتصوير الفوتوغرافى ، واستعمال الكومبيوتر ، والأجهزة المتطورة . وأن تتاح لها الفرصة لخوض العديد من المجالات العلمية المختلفة . كما لابد من زيادة تشجيع المشاركة الاقتصادية للمرأة كافتتاح رياض للأطفال ، وبث توعية إعلامية مكثفة حول أهمية مشاركة المرأة فى تنمية المجتمع مما سيسهم فى إعطاء نظرة أرفع قيمة لعمل المرأة .

وانطلاقاً من هذا الهدف ، كان لنا اللقاء التالى مع عدد من المعيدات القطريات فى جامعة قطر . وجدير بالذكر ان عدد المعيدات فى كلية التربية يزيد على ثلاث وستين معيدة اختيرت ست منهن لاكمال دراساتهن العليا فى الخارج

والمعيدات اللواتى التقينا بهن ، هن :

ظبية السليطى : «لغة عربية» .

أمينة كاظم : «علم اجتماع» .

هيا الدرهم : «لغة عربية» .

منى عبيدان : «لغة عربية» .

أمينة الجابر : «شريعة» .

تسهيل البعثات

● ما هى الفرص التى تتوفر للمعيد الشاب وتتمنين الحصول عليها ؟

ظبية السليطى : فرصة التعليم العالى .. لقد حاولت أن اسافر لكن ظروفى لم تسمح . وحبذا لو يفتح مركز للدراسات العليا هنا . فبذلك ستتاح فرصة عظيمة لخريجات الدفعات الأولى اللواتى شهد الجميع بكفاءتهن لمواصلة دراستهن .

منى عبيدان: أرى ضرورة زيادة تسهيل البعثات ، وخاصة عندما يتوفر المحرم .

أمينة كاظم : إذا كانت هناك ضغوط أسرية أو عائلية قد وقفت حائلا دون ابتعاث الفتاة إلى الخارج للدراسة ، فهناك أيضاً نسبة لا بأس بها من الفتيات ليس لدى ذويهن مانع من سفرهن للخارج

ظبية السليطى: الحد من البعثات بالنسبة للدراسات الجامعية أمر يمكن تقبله نظراً لتوفر الدراسة الجامعية فى بلادنا . وما يقال عن الضغط الاجتماعى وتاثيره على الفتاة نفسياً ، وخصوصاً عندما تواجه مجتمعات أخرى ، قد يصدق الى حد ما على صغيرات السن ولكن هناك بالمقابل حالات كثيرة ، خاصة الدراسات العليا ، كانت فيها فتياتنا مثالا يحتذى - يساعدهن فى ذلك مستواهن الثقافى والسنى .

الحاجة إلى مخطط واضح

● يقال ان أقصى ما تقوم به المعيدة القطرية هو شرب الشاى والقهوة . ما تعليقك ؟!

منى عبيدان : تستطيعين أن تسألى الطالبات عن ذلك ربما كان هذا قبل ان يصدر قرار يلزم المعيدة بالتدريس هذا العام .

ظبية السليطى : أنا أعمل معيدة منذ أربع سنوات . لكن هذه هى السنة الاولى التى أتحرك فيها . لم يكن لنا عمل يذكر . والآن بعد أن عمم التدريس كبديل وهو بديل مؤقت وليس كافياً اذا لم تقم دراسات عليا . وبالرغم مما يقال عن انه ستقام دراسات تمهيدية كنواة للدراسات العليا إلا أن هذا سيأخذ زمناً حتى يتم تنفيذه .

أمينة كاظم : ان إعطاء محاضرة أو محاضرتين فى الأسبوع لا يعتبر كافياً لقد قضت زميلاتى أربع سنوات وهانذا قد قضيت سنتين ولكنى غير راضية عن وضعى وتدعو الحاجة الى مخطط واضح تسير عليه .. لأن من شأن الطريقة الحالية ان تبعد المعيدات وتجعلهن يلجأن الى عمل آخر .

ظبية السليطي : ان مدرسة ابتدائى اكثر انتاجاً واكثر فاعلية منى ، حيث تعطى هى إحدى وعشرين حصة أسبوعياً فى حين أعطى أنا ثلاث محاضرات دون ان تكون هناك صورة واضحة لما سأقوم به بعد ذلك .

تصور آخر

لقد طرحت الأخت ظبية تصوراً لمعالجة الوضع بفتح دراسات تمهيدية . هل لديكن أى تصور آخر؟

أمينة كاظم : نتمنى ان تفتح الدراسات العليا قريباً . وقد فكرت بعض المعيدات بالدراسة على حسابهن الخاص . ولكن لماذا والدولة توفر ذلك للجميع . على الأقل يفتح المجال لاقامة دراسات بالانتساب .

المعيدة س : لكن هناك دراسات لا تتناسب والانتساب كدراسة اللغة الانجليزية ودراسات العلوم التطبيقية .

خطط عملية

● هل لديكن أى خطط عملية لمواجهة المشكلة ؟

منى عبيدان : ان تذهب المعيدة للتدريس فى المدارس على ان يكون لها الحق فى العودة كمعيدة عندما يتم افتتاح الدراسات العليا .

ظبية السليطى : إن لجوء المعيدة لوزارة التربية يعنى وجود مشكلة عجزت الجامعة عن حلها . وهذا مالا تقبله الجامعة . واتوقع أن يرفض مثل هذا الطلب .

امينة كاظم : لقد تقدم بعض الأساتذة بطرح بعض المواد الدراسية للمعيدات والتى يمكن أن تحسب لهن فى جامعات أخرى كجزء من الدراسات العليا . والغريب أن تتراجع تلك الجامعات عن ذلك . لذا يجب أن يكون هناك اتفاق بين جامعة قطر والجامعات الأخرى على احتساب هذه المواد .

منى عبيدان : بالرغم من وجود اتفاق سابق بين جامعة قطر وجامعة القاهرة

لم تحسب لنا مواد كثيرة كمادة اللغة الفارسية عندما ذهبنا للقاهرة . هناك وسيلة أخرى يمكن ان تقوم بها كل معيدة وأعنى الاجتهاد الشخصي ، وهو أن تقوم المعيدة بعمل أبحاث خاصة ثم تنشرها .

هيا الدرهم : اقترح رفع مذكرة لمجلس الجامعة وللمسؤولين توضح الصورة .

مريم الدرويش «سكرتيرة» : اعتقد ان المقابلة الشخصية أفضل كثيراً لانها تعطى فرصة للمناقشة .

أمينة الجابر : لقد عرض موضوع إقامة دراسات عليا فى كلية الشريعة على سمو ولى العهد ، وقد أبدى موافقته فكل الشروط متوفرة فى هذه الكلية لاقامة الدراسات : الطالبات : والهيئة التدريسية والكتب ، إلا ان إدارة الجامعة لم تقدم بعد على تنفيذ المشروع بحجة بدء الدراسة فى كلية دون أخرى ، وإن كلية الشريعة ممثلة بصوت واحد فى مجلس إدارة الجامعة .

المرأة .. والفراغ

● هناك موضوع الفراغ الذى تشكو منه المرأة فى مجتمعنا ، فكيف يمكن معالجته ؟

أمينة كاظم : هذا واقع فعلا . لقد جذبت حركة محو الأمية عدداً كبيراً من النساء وساهمت فى شغل الفراغ عند المرأة . الا ان المرأة المتعلمة تعانى ايضاً من فراغ . أعتقد لو أمكن ايجاد جمعيات نسائية .

أمينة الجابر : أعتقد أن الجمعيات هى وسيلة لاضاعة الوقت .

ظبية السليطى : هى ليست كذلك إن احسن استغلالها . فهى قد تسهم فى علاج مشاكل المرأة أولا ، ومشاكل المجتمع ثانياً .

أمينة كاظم : العنصر القطرى موجود . المشكلة هى مسالة التنظيم وكيفية طرح برامج لتوعية المرأة القطرية وقد يكون مفيداً فى هذا الخصوص الاتصال بالاعلام .

سليم سعيد

ردّ على "لولوة المسند"

هذا هو موقف جامعة قطر

● الجامعة تحرص على توفير العناصر المبشرة بمستقبل علمي .. وتهيئة المعيدات لمستقبل واعد

كان انشاء جامعة قطر سنة ١٩٧٣ م ممثلة فى نواتها كليتى التربية للمعلمين والمعلمات ، استجابة لمتطلبات تلك المرحلة الحضارية التى وصلت اليها قطر ثم نمت الجامعة وتشعبت وعظمت مسئولياتها ، فأصبحت تضم خمس كليات بمختلف فروعها هى :

التربية ، والانسانيات والعلوم الاجتماعية ، والشريعة والدراسات الاسلامية والعلوم ، والهندسة .

وتجرى الدراسات الواعية والمتانية لانشاء كليات تناسب احتياجات المجتمع الذى من أجله كان إنشاء الجامعة ، اضافة الى مراكز للبحوث فى مختلف ضروب المعرفة والتطبيق .

ولقد حرصت جامعة قطر منذ البداية على وضع تخطيط ثابت ومدروس بعناية فائقة لاعداد الهيئة التدريسية القطرية من الجنسين ، تتولى زمام المسئولية فى المستقبل القريب . فعين فيها الكثير من المعيدين والمعيدات وتم ابتعاث بعضهم الى الخارج للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه والانضمام الى أعضاء الهيئة التدريسية .

ونظرة سريعة على احصائيات الجامعة فيما يتعلق بالدراسات العليا للقطريين ، ترينا انجازاً نقول بكل تواضع انه انجاز مميز اذا ما قسناه بعمر الجامعة الذى لم يتجاوز سبع سنين ، انجاز فاق عمرها ، وفاق حدودها فجعلها تتفاعل مع المجتمع القطرى الذى نمت فى وسطه تؤثر فيه وتتأثر به تأثيراً وتأثراً ايجابيين ومثمرين .

يبلغ اجمالى عدد المعيدين والمعيدات مائة وثمانية وعشرين : ثلاث وثمانون معيدة ، منهن عشرون فى بعثات دراسية فى الخارج . وخمسة وأربعون معيداً منهم ستة وثلاثون فى بعثات دراسية .

ويبلغ عدد الحاصلين والحاصلات على الدبلوم الخاص فى التربية خمسة وثلاثين : اثنتان وعشرون طالبة ، وثلاثة عشر طالباً .

ويبلغ عدد الطالبات (المعيدات) اللواتى يدرسن دراسات تمهيدية للدراسات العليا احدى عشرة طالبة .

وبمزيد من الاعتزاز تفخر جامعة قطر بانضمام خمسة من القطريين والقطريات الحاصلين والحاصلات على درجة الدكتوراه الى أعضاء الهيئة التدريسية.

وبانضمام عشرة من المعيدين والمعيدات الحاصلين والحاصلات على درجة الماجستير ، وما هى إلا بضع سنوات حتى تكتمل الهيئة التدريسية القطرية .

لعل هذه العجالة تقودنا الى موضوع المعيدات على وجه التحديد فهن موضوع المقال أو كما يقال «بيت القصيد» حينما تعلن الجامعة عن حاجتها

لمعيدات تشترط مستويات محددة وتقديرات معينة لشغل هذه الوظائف توخياً لتوفير العناصر المبشرة بمستقبل علمى عظيم لكى تكون الهيئة التدريسية القطرية المأمول اكتمالها مبنية على أثبت الأسس ، وأكثر العناصر اشعاعاً للعلم والتعلم .

فالمعيدة بادىء ذى بدء يفترض فيها أن تهيأ للمستقبل الواعد ، والجامعة تتخذ فى سبيل ذلك عدة وسائل :

● بعض المعيـــدات يحملن بكالوريوس التربية ، وقد يقتضى ذلك من بعض المعيدات القيام بدراسات تكميلية تستغرق فصلين أو أكثر لكى تحصل على البكالوريوس من كلية أخرى فى المادة التى تريد التخصص بها فى الدراسات العليا إضافة الى ما تحمله "بكالوريوس" فتطرح الجامعة المقررات التكميلية المطلوبة .

● هناك مقررات تمهيدية للدراسات العليا ستطرحها بعض الأقسام فى الفصل الدراسى القادم ، ويمكن حذف هذه المقررات من مقررات الدراسات العليا بالجامعة متى ابتدأت باذن الله .

● يستعان بالمعيدات فى التدريس فى أجزاء من المقررات باشراف الاستاذ ولا ينظر فى هذا المجال الى عدد الدروس التى تعطى ، بل الى نوعية الدرس ومستوى الطالبات المتلقيات ، والتدريس هنا يراد به توجيه المعيدة ، كيف تستخرج موضوع محاضرتها من أمهات الكتب وكيف تتمكن من توصيل المعلومة الى المتلقيات بأسلوب مقنع ، وكيف تنمى ثقتها بنفسها كى تكسب ثقـــة الطالبات بها .

ويستعان بهن كذلك فى تحمـــل المسئوليات الأكاديمية والادارية الملقاة على عاتق المسئولين بالأقســـام ، والمراقبات ، ومراجعة بحوث الطالبات والقيام بدراسات وتدريبات ميدانية تقوم بها الجامعـــة لجمع البيانـــات والاستفتاءات .

● بالنسبة لمعيدات كلية التربية فالطريق أمامهن واضح ويمكنهن الحصول على الدبلوم العام والدبلوم الخاص الذى يؤهلهن للتسجيل لدرجة الماجستير ، وقد حصل بعضهن على تلك الدرجة وبامتياز .

● يقوم الأساتذة المشرفون بتوجيه المعيدات الى قراءات تخصصية تحت اشرافهم المراد منها صقل المعيدة ، والأخذ بيدها لدراسة بعض المراجع العربيةوالأجنبية ، ومن ثم مناقشتها وتحليلها ، وصولا الى تصور معين أو توجيه معين يمكن المعيدة من اختيار الموضوع الذى ستجعل منه مجـالا لدراستها العليا .

وحرصاً من الجامعة على توثيق الصلة بينها وبين خريجيها وخريجاتها ، ولملء الفراغ الذى قد ينجم عن استرخاء الطالب أو الطالبـــة بعد التخـــرج ، وارتكانهما الى الوظيفـــة والقراءات العامة . لذلك كله افتتحت الجامعة مكتباً للخريجين واخر للخريجات ، ومن أولى واجبات العاملين بهما الاتصال المتواصل بالخريجين والخريجات وعقد لقاءات وندوات وتلقى مقترحات تساعد على بلورة أفكار محددة تنهض بالمجتمع الذى هم دعامته . ومن عجـــب أن الكفاءات التي تقـــوم على مكتـــب الخريجات تشتكى من عدم استجابة الخريجات والمثقفات القطريات بالمستوى المطلوب للدعوات التى يبعثها المكتب لاحياء الندوات والأمسيات الشعرية والمحاضرات العامة .

ثمة نقطة جديرة بالدراسة والتحليل ، وهى قضية البعثـــات الدراسية فى الخارج للمعيدات .

نحمد الله سبحانه الذى قيض لهذا البلد من الرجالات الواعية القادرة على التعامل مع العصر بأسلوب يجمع بين الحداثة والمحافظة على العقيـــدة والتقاليد ومثل هذه الرجالات متوافر فى القيادة ، ومتوافر فى الآباء الذين لا يخضعون الحكم الشرعى للأمزجة فحين يرفضون ابتعاث بناتهم للدراســـات خارج البلاد فهم يعملون بما تمليه عليهم العقيدة السمحة ، وما لم يتوفر المحـــرم الذى يتحمل عن الطالبة أعباء الذهاب والاياب والابتياع والتصديقـــــات والمشاغل التى يصعب عليها اجتيازها بمفردها ، بدون ذلك المحرم أو من يؤمن لها ذلك ، فمن الصعب اخضاع مثل هذا المفهوم الواعى لرغبة واحد أو اثنين من الآباء لا يرون حرجاً من ابتعاث بناتهم .

ولتطويع هذا المفهـــوم المحافظ ليتماشى مع الغاية السامية فى التوجه للدراسات العليا ، فان الجامعة لا تبخل على المعيدات اللواتى يرغبن مرافقة أخوتهن أو أزواجهن المبتعثين فى دراسات عليا فى الخارج ، ومن بين المعيدات من فعلت هذا ورافقت محرمها للدراسات العليا فى الولايات المتحدة الامريكية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد شكلت الجامعة لجنة على مستوى عال تبحث موضوع انشاء دراسات عليا فى كليتى الشريعة والدراســـــات الاسلامية وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، وكلية التربية وكلية العلوم ولا يخفى على ذى بصيرة أن الدراسات العليا فى أية جامعة تحتاج الى دراسة واعية ومتأنية وليس بالأمر السهل أن تطرح مقررات للدراسات العليا دونما اعداد ودونما دراسة لاحتياجات الدولة والمجتمع من مثل هذه الدراسات ، ودائماً يكون التخطيط الشـــامل والمتطلـــع للمستقبل المشرق أبعد من طموحات فرد ، وأعمق من رغبة جامعة فى البدء بتلك الدراسات تبديها معيدة محقة أو حتى معيدات . وفى نفس الوقت فان مجالس الجامعة تبحث أطر التعاون بين جامعة قطر والجامعات الأخرى فيما يتصل بالدراسات العليا ، بحيث يمكن اعتماد الساعات المكتسبة المتقدمة التى تطرحها جامعة قطر بما يعادل السنة التمهيدية للماجستير .

وبناء على ذلك يمكن التسجيل فى تلك الجامعة للماجستير باشراف مزدوج أى باشراف استاذين أحدهما من جامعة قطر ، فاذا تمت الخطوة التى تدرسها الجامعة فان جانباً من الموقف يكون قد ذلل .

على أن الجامعة ترحب بآراء الجميع وتسعد إذ تســـمع أصوات المعيديـــن والمعيدات تعبر عن الرغبات الصادقة والطموح الصادق ، ولكنها فى الوقت نفسه حريصة على ألا تخطو الخطوة إلا بعد الدراسة المتأنية إيماناً منها بأن التطور لا يعنى القفز وإنما السير بثبات نحو الأفضل ، وايماناً بأن العمل الجيد هو العمل الذى يولد جيداً ، حتى لا يصاب بنكسة ولا يعوقه عائق ، فتدرس ظروفه ، لتسايره جودته ويحقق غايته .

سليم سعيد

رئيس قسم العلاقات العامة بالجامعة

نهر الليطاني

لماذا يداعب مخططات إسرائيل؟

منذ دخول القوات السورية الى لبنان فى النصف الأول من عام ١٩٧٦ ، وبعد انتشار هذه القوات فيما بعد ضمن نطاق «قوات الردع العربية» فى معظم أنحاء لبنان ، حذرت «اسرائيل» من انها تعتبر مجرى نهر الليطانى والمناطق الواقعة الى الشمال منه ، «خطأ أحمر» ، لن تسمح للقوات السورية بتجاوزه نحو الجنوب .

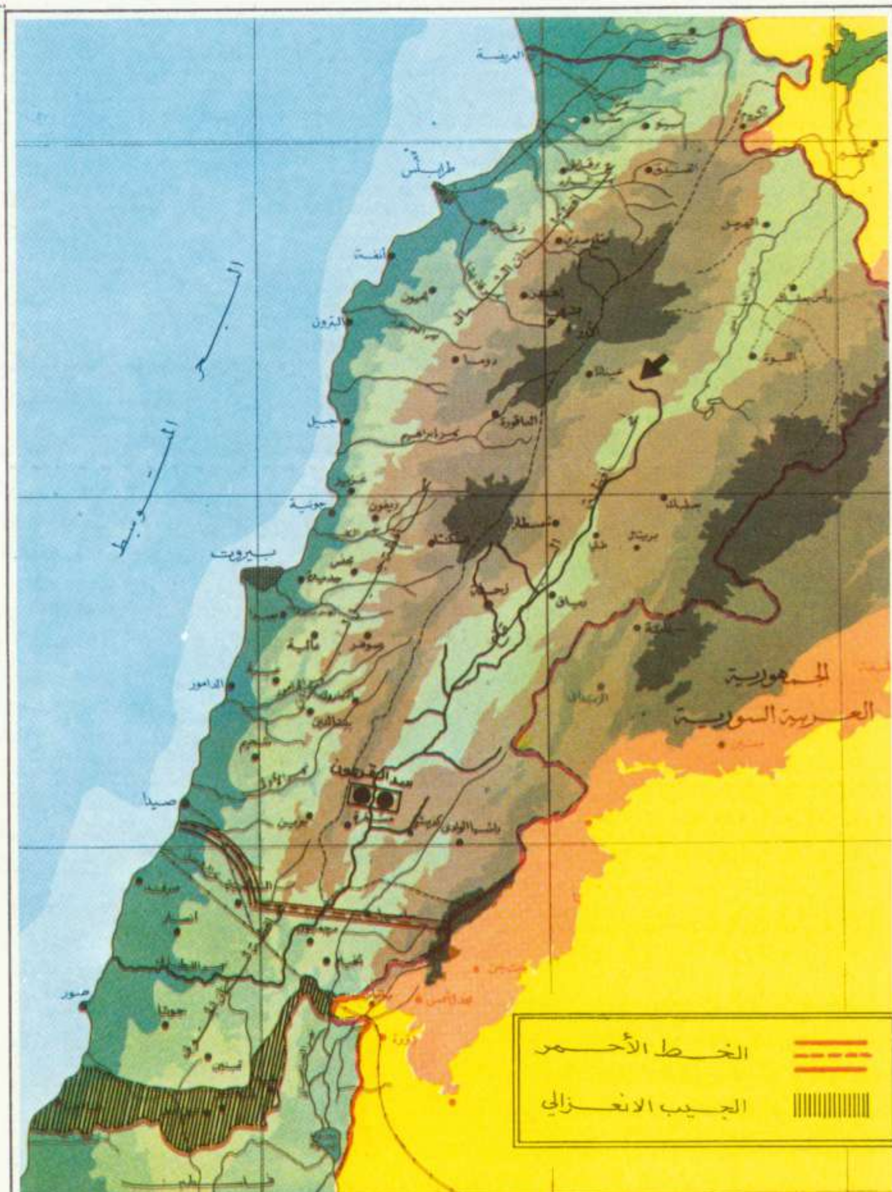
وخلال غزوها لجنوب لبنان فى آذار (مارس) ١٩٧٨ ، وصلت قوات العدو الصهيونى الى بعض قطاعات مجرى نهر الليطانى ، وفى غضون ذلك كانت أجهزة الاعلام الصهيونية والأبواق الاسرائيلية تردد دائماً ، بأن «خط الليطانى» هو «الخط الأحمر» بالنسبة لانتشار القوات السورية فى لبنان .

مطامع قديمة

وفى الواقع ، فان نهر الليطانى بالذات كان محط أنظار قادة الصهيونية الأوائل قبيل إنشاء الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ على أرض فلسطين المغتصبة ، اضافة الى نهر الاردن وروافده فى لبنان .

وفى الواقع فان العدوان الاسرائيلى المستمر على جنوب لبنان منذ حوالى عقد من الزمن ، كان – ومايزال – يرمي الى تحقيق ثلاثة أهداف هى :

- احتلال منطقة الجنوب اللبنانى ابتداء من جنوب مدينة صيدا الساحلية الى جبل الشيخ فى الداخل .
- تصفية قوات الثورة الفلسطينية فى المنطقة وحليفتها قوات الحركة الوطنية اللبنانية .
- إقامة دويلة طائفية «مارونية» ، « دويلة سعد حداد» لفترة مرحلية تخدم الأهداف الصهيونية الاستراتيجية بعيدة المدى .



خريطة مفصلة توضح نهر الليطانى

إن الحديث عن العدوان الصهيونى على جنوب لبنان ، ينبع فى الواقع من المطامع الصهيونية فى هذه المنطقة ، وهو فى أى حال ليس نتيجة مباشرة للتواجد الفلسطينى والوطنى اللبنانى المسلح هناك ، وأى حديث خارج اطار هذه المطامع ، لا يتماشى والحقائق التاريخية المسلم بها .. والوثائق على أية حال هى خير دليل وأفصح ناطق .

- بعد حصول قادة الصهيونية على «وعد بلفور» فى ٢ تشرين الثانى «نوفمبر» من عام ١٩١٧ ، تقدمت لجنة تضم شخصيات صهيونية بريطانية ، بمذكرة الى الحكومة البريطانية ، أصرت فيها على ضرورة اشتمال الحدود الشمالية لفلسطين على المناطق

● كان النهر محط أنظار قادة إسرائيل الأوائل قبل إنشاء الكيان الصهيوني

● الأهداف الثلاثة الكامنة وراء العدوان المستمر على جنوب لبنان

● عندما حدد "وايزمان" أهمية مياه نهر الليطاني للاقتصاد الإسرائيلي



إحدى قرى جنوب لبنان الواقعة على النهر .

اللبنانية الواقعة جنوب نهر الليطانى وسفوح جبل الشيخ الغربية .

● وفى المذكرة الرسمية التى قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام الذى عقده زعماء الحلفاء فى الفترة الواقعة ما بين ١٩١٦ ـ ١٩١٧ ، أصرت الحركة الصهيونية على اشتمال الحدود الشمالية لفلسطين على منطقة جنوب لبنان ، وجبل الشيخ ، وتقول المذكرة بالنص : «إن حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلى :

تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الأبيض المتوسط بالقرب من مدينة صيدا وتتبع منابع المياه التى تتدفق من سفوح جبال لبنان ، حتى جسر القرعون ووادى «التيم» ، ثم باتجاه جنوبى يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ ...»

● وفى ٦ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩١٩ ، حددت الحركة الصهيونية رغبتها فى الاستيلاء على جنوب لبنان وجبل الشيخ بقولها :

«إن الحقيقة الأساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين ، هى أنه لابد من إدخال المياه الضرورية للرى والقوى الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطانى ومنابع مياه نهر الأردن وثلوج جبل الشيخ .

● وفى ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩ ، كتب «حاييم وايزمن» ـ أول رئيس للكيان الصهيونى ـ الى «ديفيد لويد جورج » ـ رئيس الحكومة البريطانية ، محدداً آراءه فى الحدود الشمالية «لفلسطين يهودية» ، قال فيها «بالنص» : «وضعت المنظمة الصهيونية منذ البدء ، الحد الأدنى من المطالب الأساسية لتحقيق «الوطن القومى اليهودى» ، ولا داعى الى القول ، إن الصهيونيين لن يقبلوا ، تحت أية ظروف «خط سايكس ـ بيكو» ، حتى كأساس للتفاوض ، فانه لا يقسم فلسطين «التاريخية» ، ويقطع منبع المياه الذى يزود نهرى الليطانى والأردن فحسب ، بل يفعل أيضاً أكثر من ذلك كثيراً ، فيحرم «الوطن القومى اليهودى» ، من بعض أجود حقول الاستيطان فى الجولان وفى حوران التى يعتمد عليها الى حد بعيد ، نجاح المشروع بأسره .» ويمضى «وايزمان» قائلاً فى تلك الرسالة : «إن مقتضيات الحياة الاقتصادية العصرية ، تتطلب بالحاح ما ندعيه من حقوق فى الشمال . إن مستقبل فلسطين الاقتصادى كله ، يعتمد على موارد مياهها للرى والقوة الكهربائية ، وإن موارد المياه تأتى بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ، ومن منابع نهرى الأردن والليطانى» .

وفى فقرة أخرى من تلك الرسالة قال وايزمان : «... لهذه الأسباب .. نرى من الضرورى أن يضم حد فلسطين الشمالى وادى نهر الليطانى الى مسافة ٢٥ ميلا فوق المنحنى ، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية ، لضمان السيطرة على منابع الأردن ، وإتاحة المجال أمام إعادة تحريج هذه المنطقة» .

نهر الليطاني
لماذا يداعب مخططات إسرائيل؟

● وقد أرسل أحد قادة الصهيونية فى بريطانيا ـ وهو السير هربرت صموئيل الذى عين فى عام ١٩١٨ أول مندوب سام على فلسطين بعد اعلان الانتداب البريطانى عليها ـ أرسل مذكرة الى أحد أعضاء الوفد البريطانى فى مؤتمر السلام بباريس ، شرح فيها الأهمية المستقبلية لفلسطين كوطن قومى لليهود وحدد عوامل نجاح هذا المستقبل بقوله : «إن نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره ، يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود ، وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة ، كما يعتمد ذلك على مدى توفر المياه والقوى المائية ، ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة ، كما وردت فى مذكرة الحركة الصهيونية حيوية للغاية » .

● فى وثيقة سرية أعدها دافيد بن غوريون فى عام ١٩٤١ بعنوان «خطوط هيكلية للسياسة الصهيونية» ، يقول بن غوريون : إن حدود «الدولة اليهودية» المزمع انشاؤها ، تشمل شرق الأردن ، لكنه نصح بعدم الاعلان عن ذلك لأغراض تكتيكية فى ذلك الوقت ، كما ذكر أن «أراضى النقب القاحلة ، وكذلك مياه نهرى الأردن والليطانى يجب أن تكون مشمولة داخل حدودنا» . وقد سرقت «الاستخبارات البريطانية ـ انتلجنس سرفيس» هذه الوثيقة من حقيبة بن غوريون إبان وجوده فى لندن آنذاك ، لكن السفارة البريطانية فى تل أبيب أعادت الوثيقة الى وزارة الخارجية الاسرائيلية بعد مرور ثلاثين عاماً على إخفائها .

● وفى خريف عام ١٩٤١ كشف رئيس الحكومة البريطانية آنذاك «ونستون تشرشل» أمام مجلس العموم عن «أن اليهود طالبوا الحكومة البريطانية رسمياً بأن تطلق أيديهم فى فلسطين كلها ، وأن يضم اليها جنوب لبنان الذى يجرى فيه نهر الليطانى ...» .

● وفى عام ١٩٥١ ، كشف أبا إيبان ـ وزير خارجية العدو الأسبق ـ فى معرض نفيه وجود نوايا توسعية اسرائيلية على حساب البلدان العربية المجاورة ،كشف عن المخططات والنوايا الاسرائيلية بقوله : «لسنا من المهتمين بالنيل والفرات ، ولكننا نولى نهر الأردن ومنابعه كل اهتمام» ... وهذا الكلام الواضح جداً يعنى بصريح العبارة ، أن اسرائيل تسعى الى الاستيلاء على أقضية حاصبيا وراشيا ومرجعيون وجزء من سهل البقاع الغربى فى لبنان .

مشروع جونستون

وفى الخمسينات (١٩٥٣ ـ ١٩٥٥) اشتدت المطامع الصهيونية فى المياه اللبنانية بصورة خاصة والعربية بصورة عامة ، وجاء الدعم الاميركى لكى يبرر هذه المطامع ويسبغ عليها صفة شرعية ما ، فطلعت الولايات المتحدة على العرب بمشروع يرمى الى اقتسام مياه نهر الليطانى وروافده بين اسرائيل ولبنان وسوريا والأردن ، وقد أطلق على ذلك المشروع اسم «مشروع جونستون» ، نسبة الى المهندس الأميركى جونستون . وكان المشروع يرمى فى الواقع الى ايجاد قاعدة اقتصادية ـ زراعية لاسرائيل عن طريق رى صحراء النقب بجنوب فلسطين المحتلة من أجل تحويلها الى منطقة زراعية قادرة على استيعاب خمسة ملايين يهودى ـ كما كان يحلم بذلك بن غوريون والذى كان يردد أن تنفيذ هذا المشروع سوف يرفع عدد «سكان اسرائيل» الى ثمانية ملايين يهودى على أقل تقدير ، وعندها سيستحيل على العرب تدمير اسرائيل . لقد بدأ «إريك جونستون» ـ مبعوث الرئيس دوايت ايزنهاور ـ زياراته للمنطقة فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٣ وعاد اليها ثلاث مرات بعد ذلك كان آخرها فى خريف عام ١٩٥٥ .

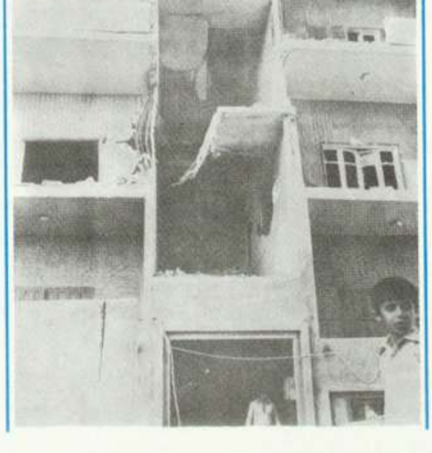
وقد نص المشروع «بايجاز» على التنفيذ ضمن خمسة مراحل تستغرق كل واحدة منها سنتين أو ثلاثاً ، وقدرت تكاليف المشروع آنذاك بنحو مائة وثلاثين مليون دولار ، ينفق منها نحو ثلاثين فى المائة على توليد الطاقة الكهربية وبناء محطاتها ، كما يقضى المشروع ببناء خزان على بعد نحو ١٣٠ كيلو متراً من قرية «إبل السقى» اللبنانية على أن توزع مياه الخزان ١٣٠ مليون متر مكعب فى العام ، خلال الشهور التى تمس الحاجة فيها الى المياه من أجل الرى ، وعلى أن تشق قناة تتفرع عن هذا الخزان الى منطقة تقع بالقرب من مستعمرة «تل حي» الصهيونية ، تنشأ عليها محطة لتوليد القوة الكهربية ، ثم تجرى المياه الى القناة الأساسية التى ستزود منطقة جبال الجليل بشمال فلسطين بالمياه اللازمة .

وقد نص المشروع كذلك على انشاء سدين . أحدهما على ملتقى نهر «دان» بالقناة الأساسية فى منطقة الجليل بشمال فلسطين المحتلة ، لتحويل مياه نهر «دان» و «تل القاضى» الى تلك القناة ، والثانى بالقرب من قرية «عين الحمراء» (بفلسطين المحتلة) ، لتحويل مياه نهر بانياس الى القناة الأساسية لرى منطقة جبال الجليل ، إضافة الى انشاء قناة أساسية بطول ١٢٠ كيلو متراً ، تحول اليها مياه نهرى بانياس ودان ومنابع تل القاضى ، وتسير المياه فى هذه القناة جنوباً حتى تصل الى غرب مدينة طبريا ثم تتفرع عن هذه القناة الأساسية أقنية فرعية يبلغ طولها ١١٠ كيلو مترات ، لرى منطقة الجليل ومرج ابن عامر (بفلسطين المحتلة) .

وقد تضمن «مشروع جونستون» كذلك انشاء قناتين من سد بحيرة طبريا ، الأولى لرى أراضى الغور الغربى من بحيرة طبريا حتى البحر الميت ، ويبلغ طول القناة نحو مائة كيلو متر (عدا عن الأقنية التى ستتفرع عنها) ، أما القناة الأخرى ، فالغرض منها هو نقل المياه من بحيرة طبريا الى الغور الشرقى فى أوقات الجفاف .

وقرب قرية العدسية (فى الأردن) تنشأ قناة تبدأ من سد نهر اليرموك ، وتستخدم فى توليد الكهرباء بواسطة محطة تقام قرب القرية المذكورة ، وتحول منها مياه النهر الى بحيرة طبريا ، كما يبنى سد ومحطة كهربية على مجرى نهر اليرموك قرب محطة «المقارن» فى الأردن

آثار القذف على احدى البنايات فى مدينة صور .





الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان

● المطامع الإسرائيلية المعلنة بالنسبة لمياه نهر الليطاني

بغرض تنمية المياه فى خزان بحيرة طبريا .

وفى النهاية فشل المشروع ، لأن الحكومات العربية (السورية واللبنانية والأردنية والمصرية) شكلت لجنة فنية من الخبراء العرب لدراسة مشروع جونستون وإبداء رأيها فيه ، وبنتيجة الدراسة وضعت اللجنة تقريراً ضافياً عن المشروع بينت فيه اعتراضاتها عليه، وخلصت الى القول إن المشروع يخدم «اسرائيل» أكثر بكثير مما يخدم الدول العربية ، وإزاء انفضاح الأهداف الخبيثة وراء مشروع جونستون ، الذى ظهر واضحاً أنه يستهدف سرقة مياه نهر الليطانى وروافده اضافة الى نهر اليرموك – أحد روافد نهر الأردن – فقد ارتفعت أصوات الاحتجاج العربية الشعبية والرسمية تندد بالمشروع وتطالب برفضة جملة وتفصيلاً ، وكان الفلسطينيون فى طليعة المنددين والرافضين .

مطامع لا تتوقف

بعد فشل مشروع جونستون لسرقة مياه نهر الليطانى ، لم تتوقف المطامع الاسرائيلية المعلنة بالنسبة لهذا النهر ، ففى عام ١٩٥٤ ، نشرت حكومة العدو «مشروع قطن» ، ضمن مشاريعها المائية الرسمية ، وقد تضمن المشروع جر مياه نهر الليطانى ، الذى ينبع ويجرى ويصب فى الأراضى اللبنانية ، الى فلسطين المحتلة عبر قناة حفرت لهذا الغرض ، وهى تمتد من شمال فلسطين الى جنوبها فى صحراء النقب ، والغرض واضح هنا وهو ارواء النقب لتحويله الى أرض زراعية قادرة على استيعاب مزيد من المهاجرين اليهود .

● وفى مطلع عام ١٩٥٥ ، نشرت مجلة «ميدل إيسترن أفيرز» الأميركية الصهيونية ، مقالا جاء فيه : «وكان من الواضح للاسرائيليين أن أحلام تطوير صحراء النقب فى الجنوب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه نهر الليطانى فى لبنان» .

● وفى ٧ تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، أى فى أعقاب الحرب الثالثة ، صرح رئيس حكومة العدو آنذاك «ليفى أشكول» بما يلى : «لا يمكننا ونحن بأمس الحاجة الى المياه ، أن نرى مياه نهر الليطانى تذهب هدراً الى البحر ، وقد أصبحت القنوات جاهزة فى اسرائيل لاستقبال هذه المياه واستخدامها» .

أهم أنهار لبنان

لكن ما هو نهر الليطانى هذا الذى يحظى باهتمام «اسرائيل» البالغ ، ويسيل لعابها بهذا الشكل ؟

إن نهر الليطانى هو أهم أنهار لبنان فى الواقع ، ويبلغ طوله ١٧٠ كيلو متراً ، وهو يجرى بطيئاً فى أعلاه فيتراوح بين ٨٥٠ – ١٠٠٠ متر بين منبعه (نبع العليق) الى الشمال من مدينة بعلبك ، وبلدة «القرعون» حيث توجد بحيرة القرعون ، وهو يجرى بشكل متعرج فى سهل البقاع ، أما بين بلدة القرعون وبلدة مرجعيون ، فيسير فى خانق ضيق تعترضه الجنادل ، ثم يشق طريقه فى جبل عامل متجهاً نحو الغرب ، ليصب فى البحر الأبيض المتوسط الى الشمال من مدينة صور الساحلية ، ويطلق عليه هنا اسم نهر القاسمية . أما تصريفه للمياه فيتراوح ما بين ٦٣ و ٣٩ متراً مكعباً فى متوسط التصريف فى الثانية ، كما يقذف بنحو ٧٠٠ مليون متر مكعب فى البحر دون فائدة .

وفى عام ١٩٥٤ حزمت الحكومة اللبنانية أمرها ، بعدما تبين لها مدى المطامع الصهيونية فى مياه الليطانى ، وقررت استغلال مياه النهر لرى الأراضى اللبنانية واقامة مصانع ومعامل أحدها لتوليد الطاقة الكهربية . وقد شكلت على هذا الأساس «مصلحة الليطانى» التى استندت الى دراسة أجرتها بعثة أميركية ، ووجدت أن معدل تصريف النهر يقارب ٣٥٠ مليون متر مكعب ، فغيرت تصميم سد القرعون بحيث يستوعب ٢٢٠ مليون متر مكعب بدل ٦٠ مليوناً ، لكن خوفاً من تفجر السد بسبب تفجر الرمال والمياه المضغوطة فى «نفق مركبه – الأولى» ، أعيد تصميم السد على طريقة جديدة وانتهى العمل فيه فى عام ١٩٦٨ حيث أقيم على السد معمل كهرباء ومعمل جوت ، أما الرى ومشاريعه فقد تأخرت كثيراً عن هذا التاريخ ، وحتى الآن مايزال الجدل قائماً حول منسوب المياه المخصصة لرى منطقة الجنوب بين ٦٠٠ و ٨٠٠ متر مكعب من الماء . وكان مفترضاً أن يتم رى مساحة من الأرض تبلغ ٣٢ ألفاً و٧٧٠ هكتاراً ، كما أن مشروع استغلال مياه الليطانى يرمى الى تخزين ٢٢٠ مليون متر مكعب امام سد القرعون لصلابة صخور المجرى الغرانيتية ، كما أن المياه المقرر خزنها أمام «سد الخردلى» تقدر بـ ٧٠٠ مليون متر مكعب تستخدم لرى منطقة النبطية السفلى ، كما تستخدم فى توليد الكهرباء وبوشر كذلك فى مشروع لتجميع مياه عيون «عنجر» وتوزيعها ضمن قناة خاصة على أراضى منطقة البقاع الجنوبى تمتد من بلدة القرعون شمالا حتى بلدة «جب جنين» جنوباً ، أما الطاقة الكهربية المقدر توليدها من مشروعات الليطانى فتقدر بـ ٧٢٠,٧٠٠ مليون كيلو واط ساعة على مدار السنة .

نوايا واضحة

إن أهم سمات الحركة الصهيونية فعلاً هو الوضوح . وأطماعها ونواياها المبيتة بالنسبة لنهر الليطانى أو غيره من الأنهار العربية واضحة وضوح الشمس ، والمسئولون الصهاينة لا يخفونها كما رأينا وكما سنرى فى كل يوم آت .

وإذا أضفنا الى حاجة «اسرائيل» للمياه من أجل تحقيق سياسة الاستيطان فى صحراء النقب ومنطقتى الجليل وغور الأردن ، اذا أضفنا الى ذلك كله تفاقم أزمة المياه فى الكيان الصهيونى خلال العقد الحالى ، لأدركنا أن العدو يتحين الظرف والمناسبة على الصعيدين العربى والدولى لتحقيق حلمه القديم فى السطو على المياه العربية ، ونهر الليطانى فى مقدمتها .

فهل نتنبه .. ونفعل – ونحن أحوج ما نكون الى مياهنا – قبل فوات الأوان ؟!

ع . ش



مرض الواحد في المائة

د. عبد المنعم عاشور

«الشيزوفرينيا» حالة من حالات اختلال السلوك الانسانى، تصيب واحداً فى المائة من أفراد أى مجتمع بشرى، وهى مرض عالمى يصيب الانسان بصرف النظر عن مستوى نموه الاقتصادى، وعلى اختلاف عقائده الاجتماعية والسياسية ..

وكثيراً ما أطلقوا عليه عبارة «ضياع العقل المبكر الدائم» لأنه غالباً ما يبدأ فى سن الشباب، وتطول ملازمته لصاحبه حتى تصبح واحدة من صفاته!

والشيزوفرينيا هى السبب فى وجود المؤسسة الرهيبة «مستشفى الأمراض العقلية» التى صممت فى الأصل كملجأ دائم، ومازالت بؤرة الاهتمام الرئيسية فى مشروعات الصحة النفسية فى العالم كله.

والملاحظ أن هذا المرض الغريب يحول حياة واحد فى المائة من سكان العالم الى تراجيديا هائلة، عناصرها الألم النفسى، والضياع الفكرى، والدمار الاقتصادى!

وترتفع هذه النسبة الى ثلاثة فى المائة من مجموع الشباب فى العالم، مما يكسب المأساة بعداً خطيراً ..

وقد حفل الأدب العالمى بنماذج لأناس أصيبوا باختلال فى السلوك، لعل أبرزهم «أوفيليا هاملت»، فهى نموذج للشيزوفرينيا كما صورها شكسبير، حيث كانت تعانى مرض الانفصام، فتبدو هادئة وعاقلة وطبيعية أحياناً، ثم تبدو مضطربة الأعصاب الى حد الجنون وإنكار الواقع والحياة فى إطار الخيال الكامل!

معاناة المرضى

والمعروف أن هذا المرض يمثل تحدياً خطيراً للطب النفسى، حيث يقابل الأطباء فى كل يوم «أوفيليا جديدة» تعانى من ذلك الاضطراب الذى يسيطر على السلوك الانسانى ويحيل الحياة الى جحيم لا يطاق!

وعلى الرغم من تحسن أوضاع

المرضى بالشيزوفرينيا فى القرنين الأخيرين بشكل ملحوظ ، إلا أن هذا المرض يحتاج لما هو أكثر وأفضل ، خاصة بعد انتقال المرض من القيود الحديدية الى القيود الكيميائية ، فى الوقت الذى نطمح فيه الى تحريرهم من أى قيد يعوق ممارستهم للحيـــاة بصورة طبيعية ..

وعموماً فقد انتقلت اتجاهات الطب بكل ما يملك من امكانيات ، الى توجيه هؤلاء المرضى والأخذ بيدهم من مرحلة التشاؤم الشديد الى التفاؤل الحذر .. ومازلنا نطمح فى أمل حقيقى يعيد للمريض شخصيته السوية البعيدة عن المحاذير !

فالواقع أن نظرة المجتمع الى المصابين بالشيزوفرينيا تمثل وصمة لا تغتفر ، وما أحوجنا الى تلك النظرة العطوفة الحانية التى تساعد هؤلاء المرضى وتنتشلهم من قسوة الاحساس بالألم والضياع وفقدان الشخصية !

من هو المصاب ؟

واذا نظرنا الى العالم من حولنا ، لوجدنا أن الدول المتقدمة تجند نصف أسرة المستشفيات النفسية للمصابين بمرض الشيزوفرينيا أو «الفصاميون» ، وهذا العدد من الأسرة يمثل ربع كافة أسرة المستشفيات بشكل عام .. وهذا فى نفس الوقت الذى لا توجد فيه أسرة كافية فى البلاد النامية للفصاميين ..

● الاضطراب الذي يسيطر على السلوك الإنساني ويحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق !

نيفين رامز .. اخر ممثلة قامت بدور أوفيليا فى مسرحية هاملت .



ـ مثل غيرهم من المرضى ـ فهم يأتون فى نهاية القائمة عند وضع الأولويات !

ولا تستكثر الدول المتقدمة نفقات البرامج الخاصة برعاية الفصاميين المتعددة والمتنوعة ، بينما تتجاهل الدول النامية الانفاق فى مجال الصحة النفسية لصالح التنمية فى هذا المجال وفى مجالات أخرى متعددة !

ونحن لا نسمى مريض الشيزوفرينيا بالمجنون أو المعتوه ، لأنها ألفاظ غير دقيقة ، وغير رحيمة ، بل نسميه «السيكوتيك» وهو لفظ لاتينى ، شاع استعماله فى العالم بين الأطباء ، وأيضاً بين العامة ، وأصبح يطلق على الشخص الذى خرج سلوكه بين الجماعة عن المألوف ، واعترف صراحة أو ضمناً بممارسة خبراته الحسية وغير المألوفة ، وأعلن أو أسر أفكاراً غير مألوفة ، وكشفت انفعالاته عن حالة وجدانية مطابقة لخبراته الحسية وأفكاره .

وبالطبع قد يتفق الناس على ما يعتبر غير مألوف ، كما قد يكون الخروج عن المألوف لأسباب أخرى غير المرض النفسى ، وهنا تبدو حيرة ومسئولية الطب النفسى ، لأنه يشارك السيكوتيك فى هذه الصفات الشعراء والدجالون على المستوى الظاهرى ! رغم أنه ليس بالشاعر ولا بالدجال ، وإنما له ذات خاصة جداً !

اختلال الادراك

يختل الادراك فى السيكوتيك الانفصامى ، ويستجيب الوجدان لهذا الاختلال الادراكى ، وينم السلوك عن ذلك الوجدان المضطرب ..

فالادراك يختل بطرق مختلفة : فمثلا قد يصل الى الشعور الاحساسى العادى مكبراً عشرات المرات ، أو مصغراً مئات المرات ، أو مشوشاً بألف طريقة ، فوزن الشعر على فروة الرأس يصبح ثقيلا رهيباً ، واحتكاك الملابس بالجلد يصير شواظ نار ، وقد يتلاشى وزن الجسم ، وقد يعانى المريض من احساسات غريبة مبتكرة ، يصعب عليه تصديقها ، وحتى وصفها للآخرين ، ويتبع اختلال الادراك اضطراب الانتباه ، وضعف التركيز أو انعدامه .

والمؤكد أن الوجدان يستجيب لهذا الادراك المختل ، استجابة تبدأ من التعجب والدهشة ، مما يجرى فى

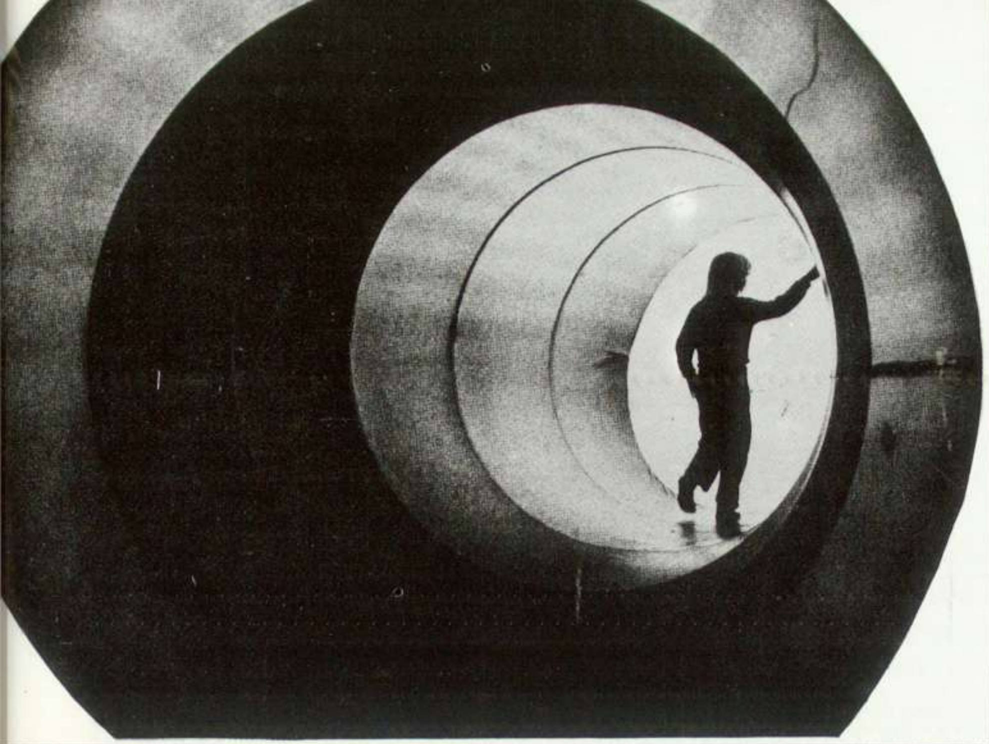


احساس المريض بذاته ، وبالعالم . ويتطور الى حالة من الذعر تحت وطأة غرابة ما يحس المريض أنه يحدث لذاته وللعالم ، وينتهى الوجدان الى التبلد بعدما يعجز عن فهم أو احتواء هذه الأحاسيس الغريبة ، والكيانات المشوهة الجديدة لذاته وللعالم .

وينم السلوك عن تلك الخبرات الحسية والادراكية والوجدانية الغريبة ولا يصعب على المشاهد الخارجى أن يستنتج أن وراء سلوك المريض الشاذ الظاهر يوجد اضطراب داخلى ، ويفصح سلوك المريض عن الوجدان الغالب فى لحظة ما ، فمثلا قد يصبح المريض مثالا صارخاً للذعر الكامل يصرخ ويهرب ويقاوم ، ولا ينام ولا يهدأ ، ويعجز عن وصف هول ما به ، وتحدث حالة الذعر والقلق الشديد هذه فى المراحل الأولى للمرض ، حيث يقاسى المريض الآلام النفسية لذاته ، التى تتمزق بين يديه وهو عاجز تماماً عن أن يفعل شيئاً !

الذهول العظيم

وقد يدخل المريض فيما يمكن تلخيصه بأنه الذهول العظيم ، حيث تتخشب حركاته ، وتتجمد فرائصه ، ويبدو كمن صنع لنفسه قميصاً فولاذياً يخفي تحته ثورة نفسية .



مرض الواحد في المائة

● الطب بكل مايملك من إمكانيات.. يأخذ بيد المرضى لكي ينقلهم من مرحلة التشاؤم الشديد إلى التفاؤل الحذر

ومع تكرار نوبات المرض بما تسببه من نزيف لمقومات المريض النفسية والانسانية ، يمكن تلخيص سلوك المريض فى تعبير تقلص الوجود ، أو الوجود المحدود ،حيث لا يتبقى للمريض غير فائض قليل من الطاقة والارادة ، تكفيان بالكاد لممارسة ضروريات الوجود

وقد يصل وجود المريض فى المراحل المتقدمة الى ما نطلق عليه مجازاً بالرماد الذى هو كل ما تبقى من الوجود الانسانى بعد أن عاشت فيه نار الشيزوفرينيا .

نماذج انسانية

ومن الحالات الانسانية التى عاصرتها لضحايا هذا المرض «سعاد» التى جاءت يدفعها أبوها ، وهى تقدم خطوة وتؤخر اخرى ... زهرة فى السنة الأولى الثانوية ، خلعت ملامح الصبا المشرق ، ولبست قناعاً من الرعب ، عيون جاحظة ، وشعر أشعث ، وفاه فاغر ، وتلفت دائم حذر .. تهرب منى اذا اقتربت منها وتطلب منى أن أمنع عنها ما يصلها من روائح كريهة تصلها هى وحدها ، وأن أفسر لها مصدر الكهرباء التى تعانى من لسعاتها ، لم تعد تذهب الى المدرسة ، واحتمت بغرفتها منذ أسابيع ، ولم يفلح حنان أمها ، ولا حماية أبيها فى اعادة الطمأنينة الى قلبها ! .

هذه حالة من الشيزوفرينيا الحادة . وغيرها حالة «ابراهيم» الذى فاجأته الشيزوفرينيا أثناء خدمته العسكرية الالزامية ، وشاهدته وحيداً فى فراشه بالمستشفى ليلة أن نقلوه اليها ، لا ينبس ببنت شفة ، ولا تختلج ملامحه باية عاطفة ، جفونه مسبلة ، وجبينه يتفصد بالعرق ، قبضتاه مضمومتان على فراغ ، وقامته مشدودة على الفراش .. استجابته تتارجح بين طاعة عمياء لما يؤمر به ، وبين مقاومة حمقاء لأى محاولة تبذل للعناية به ، يلفظ الطعام من فمه اذا وضع بعد محاولات بين شفتيه ، ويستسلم تماماً ببساطة لخرطوم يدفع فى حلقه .. يفقد الحماس للحركة ساعات طويلة حتى ليقضى حاجته فى فراشه .

الاستسلام للموت

أما الاصابة بتقلص الوجود فقد رأيتها فى حالة السيدة «أم طلال» التى جاءت بها أمها بعد عدة أزمات شيزوفرينية على مدى عشر سنوات ، تقلص فيها وجود أم طلال فعجزت عن القيام بدورها كزوجة وأم ، وانسحبت من حياة زوجها وأولادها الأربعة الى حضن أمها وأبيها مرة أخرى ، فلم تعد قادرة على رعاية نفسها .. فأمها العجوز تمشطها ، وتقوم بغسل وجهها ، تنادى على أولادها ليل نهار ، ولكنها ترفض أن يوضعوا فى رعايتها ، تحكى قصة حياتها المؤلمة ، وعلى وجهها ابتسامة بلهاء ، ولا طموح لديها فى أى تغيير ، تنتظر الموت ، ولكنها لا تستعجله !

ومن أمثلة الوجود المتقلص لمرضى الشيزوفرينيا المزمنة أيضاً ، حالة اسماعيل ، ذلك الشاب الذى فقد ذاته تماماً ، وملأ فراغ ذاته الخاوية باعتقاد وهمى أنه منقذ للبشرية ، والى جوار خواء النفس تبلد وجدانه ، بحيث ذبح رفيق سكنه ، وصديق عمره ، بعد أن صلى عليه وكبر ، موقناً أنه يخلص البشرية من المسيح الدجال ، وسار والسكين يقطر دماً ، يعلن فعلته على الملأ ، وهو يغنى !

أين الرعاية العلمية ؟

قد يتولد لدى القارىء فى هذه المرحلة نوع من التساؤل عن الدور الذى يمكن أن يلعبه كمواطن إزاء تلك المأساة الانسانية .. هل يمكن أن يصاب بالشيزوفرينيا ؟ .. وكيف يعرف ذلك فى الوقت المناسب ؟ .. والى من يذهب بشكواه ؟ وكيف يكتشف مبادىء الشيزوفرينيا فيمن حوله ؟ .. وكيف يقلل من عذاب المريض ؟! ..

وفى مجتمعاتنا العربية يوجد مليون فصامى على الأقل ، منهم مائة ألف يحتاجون الى أسرة فى المستشفيات ، وتسعمائة ألف يحتاجون الى العلاج بالعيادات الخارجية والنوادى الخاصة والمؤسسات العلاجية والاجتماعية المتعددة .

ولكى نتوصل الى حصر هذا المليون ،

وتقديم المعونة الطبية اللازمة ، فاننا نحتاج الى ميزانية ضخمة ، ونحتاج الى تضافر الجهود التطوعية والحكومية المتعددة بصورة أشمل .

فلا يوجد عندنا حتى الآن اتحاد أو جمعية تقود الجهد التطوعى فى رعاية مرضى الفصام ، ولا يوجد لدينا العدد الكافى من الأطباء النفسيين وباقى المهن الأخرى التى تعمل فى هذا المجال .

ومازال معظم مرضى الفصام الحاد بلا أمل فى الرعاية العلمية العاجلة المناسبة ، ويعمل لهم بدلا منها الأحجبة ، ويطلق لهم دخان البخور ، ويعيش الدجالون على دمائهم !

مواجهة المشكلة

ومازال معظم الفصاميين المزمنين بلا هوية ، وبلا حقوق ، ويستخدمون «كمخلب للقط» فى الجرائم والانحرافات الاجتماعية ، ويعيشون كمتسولين ويطاردون كمتشردين ، تحبسهم أسرهم خشية العار !

وإننى أتصور الدور الحكومى فى مواجهة المشكلة ، مركزاً على إعطاء الأولوية المناسبة لمشاكل الصحة النفسية فى إطار الخدمات الصحية عموماً ، وما يتبع ذلك من توجيه الامكانيات المادية المعقولة من اقامة مؤسسات علاجية ووقائية وتاهيلية كافية .

وأتصور معه دوراً أهم ممثلا فى الجهد التطوعى فى مجال محاربة الشيزوفرينيا يقـوم به التسعة والتسعون فى المائة من الشعب لصالح الواحد فى المائة ، فالمطلوب منا بحق :

● الاكتشاف المبكر للحالات والتوجيه السليم لها .

● الاشتراك فى تأهيل المرضى بعد شفائهم ومساعدتهم على العودة الى مجتمعاتهم .

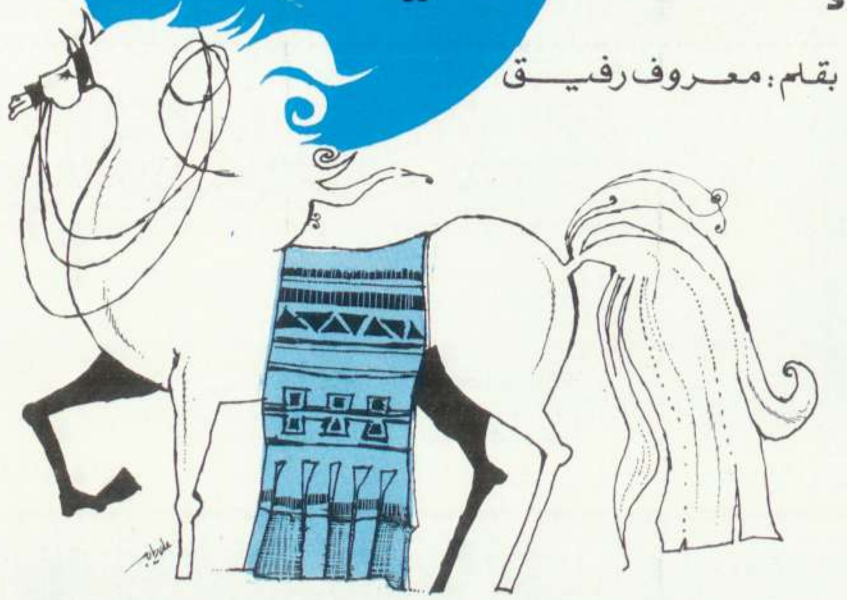
● خلق وممارسة الاتجاه السليم نحو المشكلة وهو الاعتراف بها وتجريدها من الوصمة والامتناع ايجابياً عن التجاهل الدائم لها .

وهذا بالاضافة الى نصيحة أقدمها لكل انسان اذا ما شعر يوماً أنه يتغير من الداخل ، وأن تحولا يحدث له لا يفهم كنهه ، عندئذ يجب أن يسرع بعرض نفسه على الطبيب النفسى ، ولا يترك حالته الى أية تفسيرات ساذجة !

الدكتور عبد المنعم عاشور

رسالة غير عادية إلى عنترة العبسي

بقلم : معـروف رفيـق



ايها الشاعر المناضل ، العاشق الولهان ، الباحث عن الحرية تحت أسنة الحراب ، أبثك عبارات الاحترام والشكر والعرفان .. ذلك أنك بعد مرور القرون .. ظللت رمزاً للحرية ، وبيرقاً من بيارق المجد الوارف ، والتماعه فى سماوات الكرامة والعزة والانتصار .

اتذكر يوم قيل لك : يا عنترة .. كر وانت حر .. فماذا كان الجواب : ان عنترة لا يعرف الكر .. انه يحسن الحلاب والصر .. فكانت تلك العبارة الناضحة بالكبرياء .. المزوجة بالسخرية .. طريقك الى الحرية ، لأنك كررت وانتصرت .. وسجلت بانتصارك حروف الحرية فى قوم كانوا لا يعترفون إلا للقوى الشجاع ...

اهى شريعة الغاب ... يكتبها الأسد والعقاب .. ؟

هل حقاً ما قاله الشاعر المعاصر ؟

إن لم تكن ذئبـاً تهـاب
فرتك انيـاب الذئـاب

أكاد أسمعك تقول اجل .. وتصر أن قومك آنذاك .. هم مثل متكرر فى كل قوم .. وفى كل آن وعهد ...

وماذا عن ابنة عمك عبلة ؟ .. لقد كان مهرها كبيراً وعظيماً .. لم نصدق أن النوق العصافير كانت طلبة عمك .. إنما كان ذلك معجزة تروى لا تقل عن اسطورة اقتطاف النجوم .. ومع ذلك .. اتت باكثر من ذلك .. اتت بالانتصارات تتوالى على اعداء قومك .. لأن دافعك الى تلك الانتصارات .. كان ضرباً من عشق الحرية .. وكان ذلك بحد ذاته ، ضرباً من عشق عبلة .. كانت هى رمز الحرية فى قلبك المشتعل بالثورة .. وعندما يبلغ الانسان الى درجة الهيام بالحرية ، يهون عنده كل شىء .. لأن حروفها تمتد فى كل طريق .. من هنا رايت ابتسامة عبلة فى وطيس المعركة .. هى والسيف .. وكلاهما الهدف والوسيلة ، الست أنت القائل ؟ :

ولقد ذكـرتك والرماح نواهـل
منى وبيض الهنـد تقطر من دمى
فوددت تقبيل السـيوف لأنهـا
لمعت كبارق ثغـرك المبتسـم

يا بن شداد .. يا فارساً جمع بين الفروسية وعفة الحب .. وبين الكبرياء وعبقرية الشعراء .. كانت الحرية حروف كلماتك ، وأبيات قصائدك ، قبل أن يتغنى بها (اليكس هيلى) ، مؤلف كتاب «الجذور» فى أمريكا .. ولقد رضعناها على مقاعد الدرس صغاراً .. وباتت فى دمائنا صبية وشباباً وشيباً ... فلتكن رسالتى اليك .. تعبيراً عما نكنه لك نحن الشباب .. من اعجاب ومحبة وتقدير .

كمال سعد



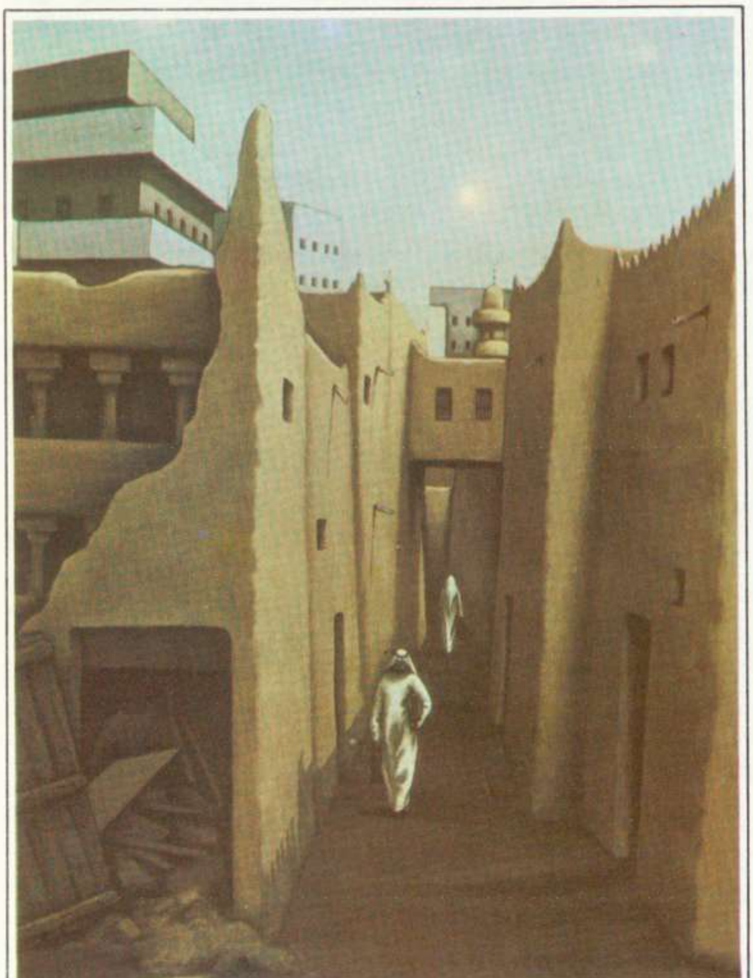
الفنانة السويسرية «مالين باسيل» عاشت فى مدينة الرياض وسجلت انطباعاتها عن سحر القديم .

كلمات بالرسم

حتى لا يضيع سحر القديم وسط الحياة العصرية المتدفقة!



لوحة للمعروضات الرائعة التى وصلتنا عبر عصور طويلة ... هذه المعروضات كانت حلماً للكثيرين فى الماضى ومازالت .



القلب القديم يتآكل بسرعة كبيرة لتحل مكانه العمارات الشاهقة.. فلماذا لا نترك ولو مساحات بسيطة من هذا القلب لتراها الأجيال القادمة ؟

هى فنانة سويسرية وصلت الى المملكة العربية السعودية مع زوجها الأمريكى لتقيم أول معرض لها فى الرياض عام ١٩٧٢ ، ثم تقيم معرضها الثانى عن السعودية فى لندن عام ١٩٧٧ واخيراً بدأت تشعر برغبة جارفة فى تسجيل التراث الذى أخذ يندثر ، منطلقة من هدف نبيل يؤكد أن التراث ملك الجميع ، وانه ثروة غالية لا نستطيع تعويضها فى أى يوم من الأيام ، فقد يستطيع الانسان أن يصنع صاروخاً أو طائرة .. أن يشترى تلفزيوناً أو آلة لغسل الأطباق .. ولكنه لن يتمكن – ولو وضع كل نقود الأرض فى طبق – أن يعيد مبنى قديماً بعد إزالته أو قلعة تاريخية بعد ضياعها !

وعندما تسأل الفنانة السويسرية «مالين باسيل» عن المدرسة الفنية التى تنتمى اليها وعن طريقة معالجتها للموضوع الذى تختاره ، فانها تقول لك ان كل رسوماتها تتعامل مع الأشياء التى على وشك الاختفاء ، فهى تتمنى أن نستمع الى تحذيرها فى كل مكان فى العالم ، ذلك التحذير الذى تطالبنا فيه بأن نحافظ على القديم أثناء رحلة الانبهار بعدوى زحف المبانى الحديثة !

ولكن هل معنى ذلك أنها لا تتعامل مع الحياة الحديثة بكل ما فيها من تطورات ومبان مرتفعة ومطارات حديثة ومعامل لتكرير البترول ومدارس ومستشفيات ؟

بالطبع ، سنجد أن هذا السؤال لا يثير فى ذهنها أكثر من انطباع عابر ، فقد حذفت من تفكيرها كل جديد ، بعد أن جذبها بقوة ذلك الانسان الذى مازال يسير على نفس تقاليد الأجداد ، ويستخدم نفس أساليبهم ، ويحفظ حكاياتهم الصادرة من قلب لم يعرف غير النقاء والحب والكرم والعطف وشجاعة الفرسان !

إنها تحب المدرجات الواهنة من كثرة الأقدام التى وطأتها أثناء الصعود .. وهى تذوب عشقاً فى ألوان الجدران الباهتة والمبانى الطينية التى تشرخت بمضى السنين وبلفحات الرياح وحرارة الشمس الحارقة !

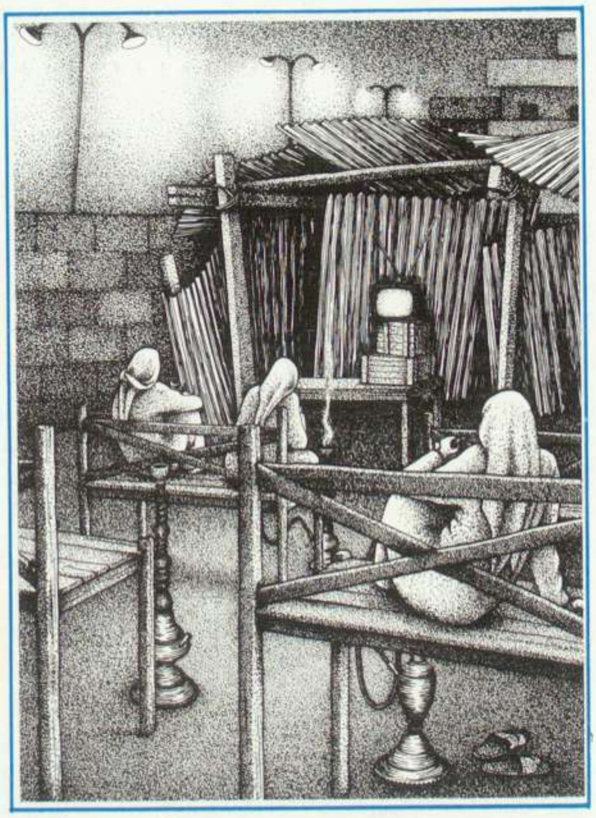


مدن الماضى ...... التى جعلت الفنانة تتمنى أن تقضى بقية حياتها فى تلك المناطق القديمة الساحرة .

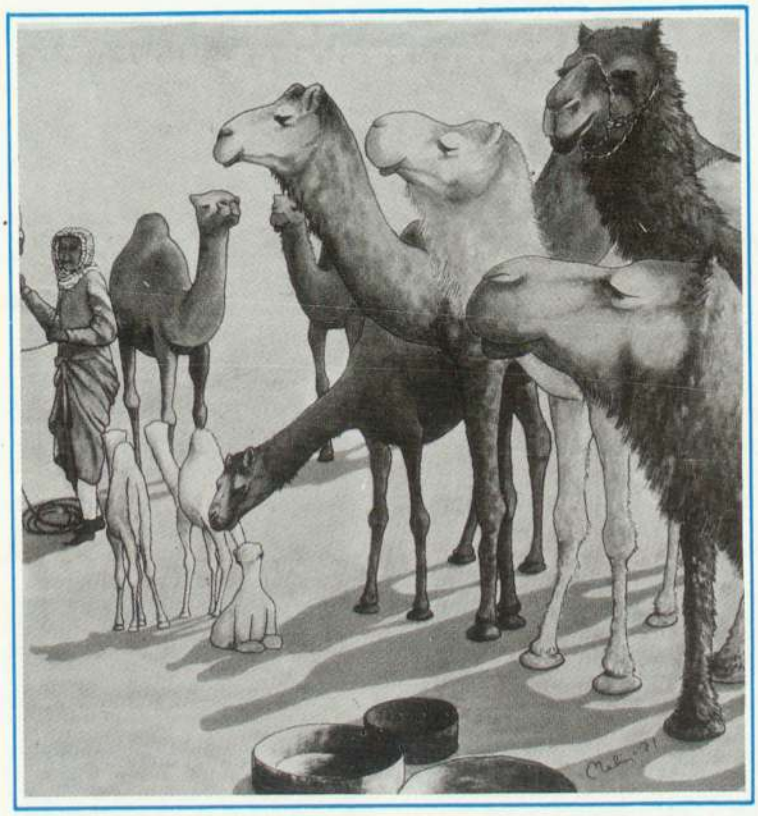


السجاد النادر بألوانه الجميلة وزخارفه الرائعة .. عندما كان الصانع يشعر بمدى ارتباطه العميق بهذا الفن الجميل وكان يعطيه كل ما لديه من إحساس مرهف ومشاعر فياضة .

كلمات بالرسم



المقهى الشعبى ، حيث المقاعد الخشبية العاليّة وزحف الحياة العصرية .. التليفزيون الملون والاضاءة الزاهية .



الجمال التى تتنقل لحمل المياه من الآبار البعيدة .. تعلمك الصبر وقوة التحمل .. واليوم يمكنك أن تراها داخل البيوت الحديثة ، ولكن على هيئة تماثيل خشبية !

● بعد عشرات السنوات .. هل نتذكر الأزقة العتيقة وجدران الطين ؟

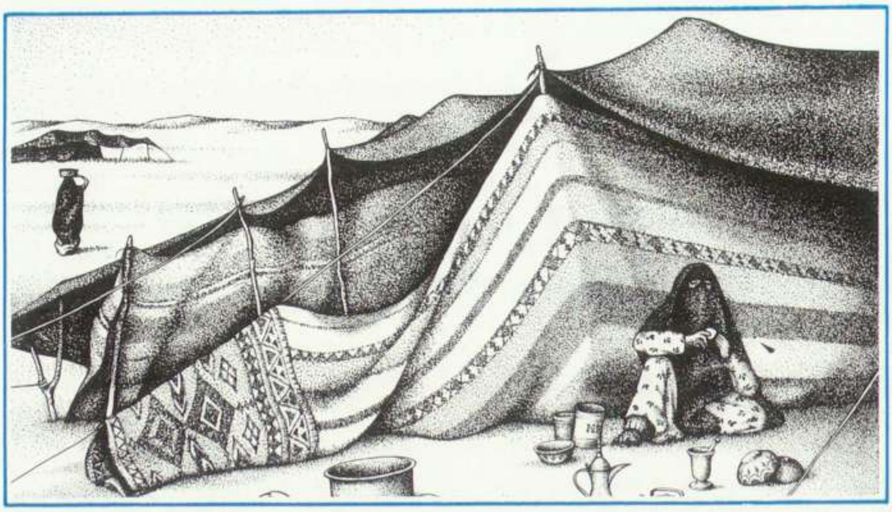
وكثيراً ما جذبها ذلك الوجه المليء بتجاعيد الزمن ، وخيام البدو ، وجمالهم ، وأدواتهم .. إنها تشعر دائماً نحوهم بنفس الحنين الذى مازالت تشعر به نحو معطفها الذى صنعته لها والدتها عندما كانت فى الرابعة عشرة من عمرها .. إن هذا المعطف مازال حتى يومنا هذا ، أغلى قطعة ملابس فى حياتها ، بغض النظر عن كونه أصبح خارج كل المألوف عن الموضة وتطوراتها الحديثة !

وهى تقول أن حبها للقديم فى المملكة العربية السعودية يمثل حنيناً الى كل قديم فى وطنها .. كما أن ضميرها الاجتماعى يدفعها الى الحزن عندما تخطو خارج سور حديقتها فى مدينة الرياض وتنظر حولها ، لتجد فى كل مكان «بولدوزر» مشغولا بالعمل على اختفاء المبانى القديمة أو عمالا يقيمون عمارة حديثة شاهقة الارتفاع !

وهذا الحزن يجعلها تتساءل : لماذا نمحو دائماً تراثنا القديم ونحن نتطور ؟! .. لماذا نلقى بتقاليدنا الجميلة والممتعة من النافذة ونحن نساير حركة العصر ؟!

إنها ترى أن التغيير يتم اليوم فى مئات المساحات .. وبعد عشرات السنوات لن نتذكر شكل هذه المناطق القديمة .. لن نتذكر الأزقة الضيقة التى كانت لا تتسع إلا لدراجات الأطفال .. ولن نتذكر جدران الطين التى يميل لونها الى الاحمرار فى ضوء الشمس بعد الظهر .. ولن نرى مشهد السيدات المحجبات وهن يختفين خلف الأبواب المرسومة والمصنوعة من الخشب السميك .. وكذلك لن نرى الأسواق القديمة والخيام المصنوعه من شعر الجمال السوداء والبنية اللون ، والتى تعكس على الصحراء – فى سلام – ضوء أشعة الشمس عندما تسقط عليها أثناء انحدارها فى الأفق !

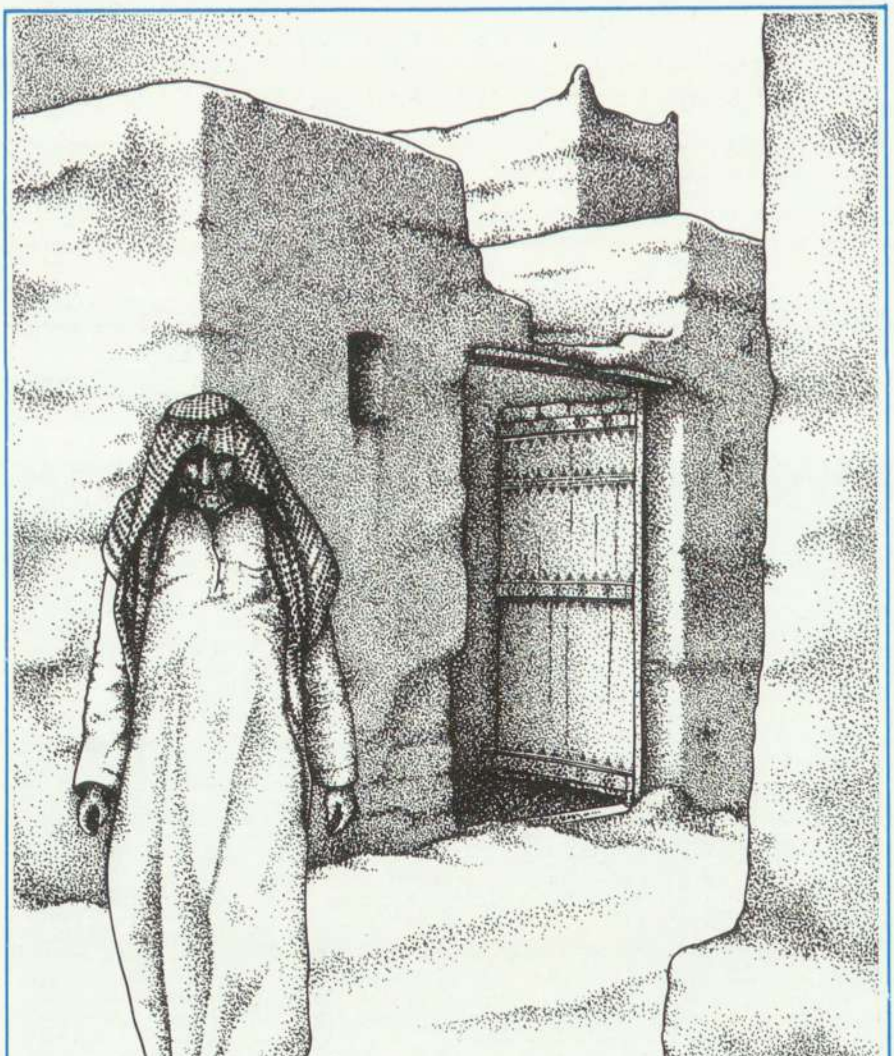
وهذه الأشياء التى ستختفى من الوجود لم نحصل فى مقابلها إلا على الاسفلت وكتل الاسمنت وفترينات المحلات المضيئة والممتلئة بأشياء نستطيع أن نعيش بدونها سعداء ، وهذا بالاضافة الى الشوارع العريضة الحديثة التى لو لعب فيها الأطفال فى حرية وبراءة لتعرضوا لحادثة نتيجة لمئات السيارات المسرعة !



الخيمة البدوية بما فيها من تراث شعبى واتقان فنى بالغ الروعة .. ولوحة أخرى لرجل عجوز فى الطريق الى رحلة وسط الحياة العصرية الحديثة .



ساقى القهوة العربية يقدمها للضيف الى أن يهز يده ، فيعرف وقتها أنه قد استكفى .



ويبدو أن الخيام البدوية والأبواب المرسومة ستكون فى المستقبل مجرد عروض فى المتاحف ، بينما الأسواق القديمة بطابعها الخاص ستصبح حدائق ، والصحراء بما فيها من نقاء وكون رحب ستزحف عليها المبانى الحديثة لتجعل منها مدناً كبيرة مثل تلك المدن الهامة التى نراها اليوم بكل ما تحمل من حياة عصرية متدفقة !

إن هذه الفنانة السويسرية ، أو الانسانة «مالين باسيل» وجدت نفسها بعد كل هذا الاحساس مندفعة الى رسم كل الأشياء القديمة التى لم تصلها يد الحداثة ، لعلها تترك شيئاً للمستقبل ، شيئاً يذكرنا بالتراث الغالى والتقاليد النافذة الى الأعماق !

كمال سعد

عالم غريب

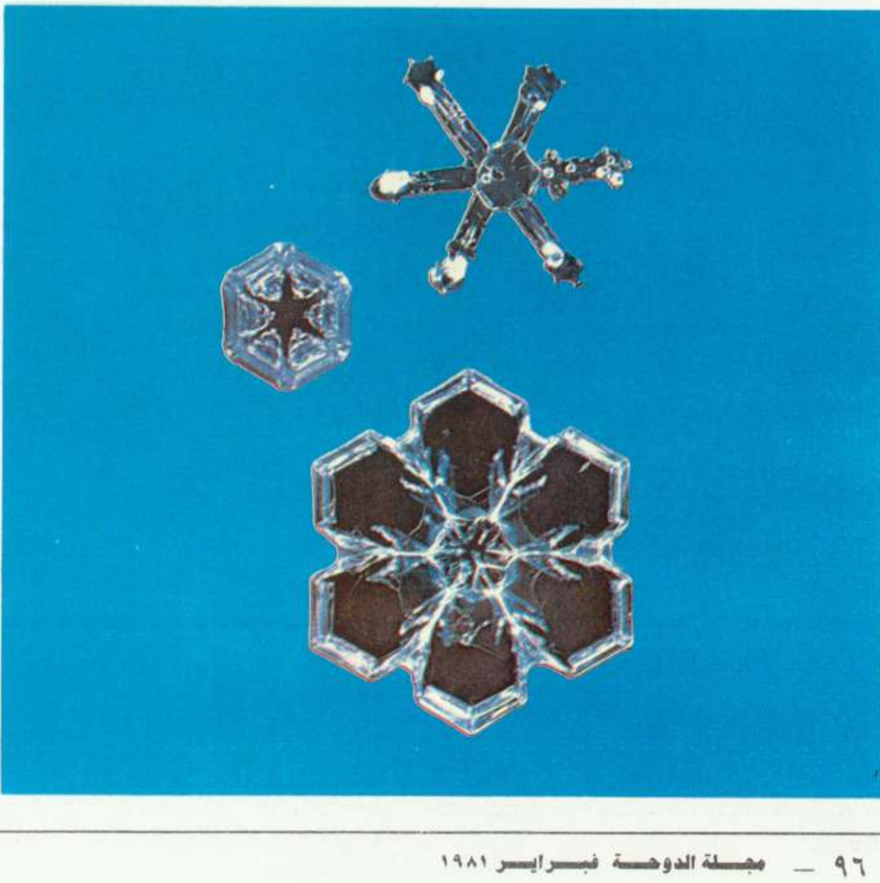
د. عبد المحسن صالح

حتى الزهرة .. تتقن الخدعة!

من أول نظرة ، قد تظنها نحلة ، حطت على زهرة ، لتتغذى على افرازاتها الحلوة .. لكنها ــ فى الحقيقة ــ خدعة قد تجوز علينا ، لكنها حتماً تجوز على النحلة .. والواقع أن ما تراه على الزهور ليس نحلا ، بل إن جزءاً من الزهرة قد تحور بدقة ، واتخذ شكل النحلة .. أو بالتحديد شكل أنثى من أنواع النحل ، وبهذه الفكرة الماكرة تجذب الزهرة اليها ذكور هذا النوع ، ولكى تصبح الفكرة أكثر فاعلية واتقاناً ، تطلق الزهرة رائحة تشبه الرائحة التى تطلقها اناث هذا النوع من النحل ، لتجذب بها ذكورها ، فتقوم بالتزاوج معها وتلقيحها ، ومن خلال هذا التقليد المتقن فى الشكل والحجم واللون والرائحة ، تنخدع الذكور ، وتنتقل من زهرة الى زهرة ، ظناً منها أنها قد عثرت على إناثها ، لكنها تكتشف الخدعة ، فتتكرر اللعبة ، لكن الفائز فيهاهو نبات «الأوركيد» الذى يضمن توزيع حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة ، ليحدث التلقيح المختلط الذى تباركه السماء بفكرة مبتكرة .. وما أكثر الأفكار .. أفكار الحياة !



حتى الماء الزلال .. فيه تناسق وجمال!



الخطوط مستقيمة ، والزوايا متساوية والأضلاع متناسقة ، وكل شىء جاء بدقة متناهية .. ومع ذلك ظهرت هذه الأشكال الهندسية دون الاستعانة بمساطر أو براجل أو زوايا وما شابه ذلك ، لأن أحداً لم يقم برسمها ، بل هى رسمت نفسها بنفسها .. وطبيعى ألا يكون رسم بدون رسام ، لكن الرسام هنا جزيئات الماء .. إنها تستطيع أن تنظم نفسها فى آلاف الأشكال الهندسية ، وبحيث لا يتشابه شكل مع آخر ، وما تراه هنا ليس إلا نموذجاً من هذه الآلاف .. هل تستطيع بعد ذلك إن تعرف ما هى ؟

إنها بللورات من الثلج .. والثلج صورة من صور الماء ، والماء من جزيئات ، ولكل جزيء قطبان كهربيان .. سالب وموجب ، وعندئذ يتجاذب هذا مع ذاك ويرتبط به فى أشكال كلها اتقان وجمال ، وأى شذوذ هنا يرجع الى طريقة التحضير والحفظ التى تتم بوسائل كيميائية وفيزيائية خاصة ، صحيح أن البللورات تذوب وتختفى ، لكنها تترك طبعاتها المتقنة فى الوسط الذى عوملت فيه .. وهذه الصور مكبرة بالميكروسكوب .. والله جميل يحب الجمال !

إنسان يتغلب على "هيليكوبتر" بأسنانه

الصورة لا شك حقيقية ، وليس فيها خداع أو تدليس ، ففى يوم ٧ ابريل ١٩٧٩ استطاع جون ماسيس البلجيكى الأصل ـ وصاحب أقوى أسنان فى العالم ـ والذى يطلقون عليه اسم هرقل ـ استطاع أن يشد هذه الطائرة بأسنانه ويمنعها من الانطلاق . حدث ذلك فى لوس أنجلوس بأمريكا ، وتم تصويرها تليفزيونياً .. وقبل ذلك استطاع أيضاً فى عام ١٩٧٨ أن يحرك ثلاث عربات لقطار بشدها بأسنانه ، وكانت تزن ١٢٤,٧ طناً ، كما استطاع أن يرفع وزناً قدره ٢٣٣ كيلو جراماً من الأرض الى ارتفاع ١٥ سنتيمتراً !

حقاً ما أقوى بناء الانسان !





كأنما ذيله .. فستان زفاف !

تتبارى عرائس البشر وتفتخر بطول ذيل «فستان الزفاف» ولكننا لا نعرف كيف نشأت هذه العادة ، ولا من أين جاءت .. ربما كانت الفكرة تقليداً لذيول بعض الطيور .. والصورة توضح ديكاً يابانياً رباه صاحبه ، وظل يرعاه من أجل ذيله ، وطبيعى أن ذلك يحتاج الى عناية خاصة ، كان يربيه فى قفص ، أو يلف ذيله كلما استطال ، ثم إن ذلك يرجع أيضاً الى سلالة الديك ، ترى .. ما هو أطول ذيل لديك ؟

امسك الخشب ـ ٢٤ قدماً ـ أى حوالى سبعة أمتار وربع المتر !



حلقات من الدخان

إنه عالم مجنون .. مجنون .. مجنون ! فلقد ابتكر من فنون المسابقات كل ما يطرأ وما لا يطرأ لنا على بال .. حتى ولو كان ذلك فى تحقيق رقم قياسى فى تدخين سيجارة ، أو اطلاق حلقات متتابعة من دخان .. فهذا الشاب اليابانى آتسوهيرو ناكاموزا استطاع أن يأخذ نفساً عميقاً من دخان سيجارة ، وزفره على هيئة حلقات من دخان – كما تراها فى الصورة – بلغ عددها ٤٤١ حلقة !

ترى .. هل من منافس ؟

جرب لتعرف !

جرى على الذراعين



أن يمشى الانسان مقلوباً على ذراعيه، فهذا شىء مقبول ، وطالما رأيناه فى حلقات السيرك ، أو على شاطىء البحر ، لكن هذا الشاب الأمريكى – توماس هنت الطالب بالكلية البحرية – استطاع أن ينطلق عدواً على ذراعيه ، فقطع مسافة ٤٥,٧ متراً فى ١٨,٧ ثانية ، أى بمعدل ١٤٦,٦ متراً فى الدقيقة ، أو حوالى سبعة كيلو مترات فى الساعة .. فحقق بذلك رقماً قياسياً عام ١٩٧٨ .

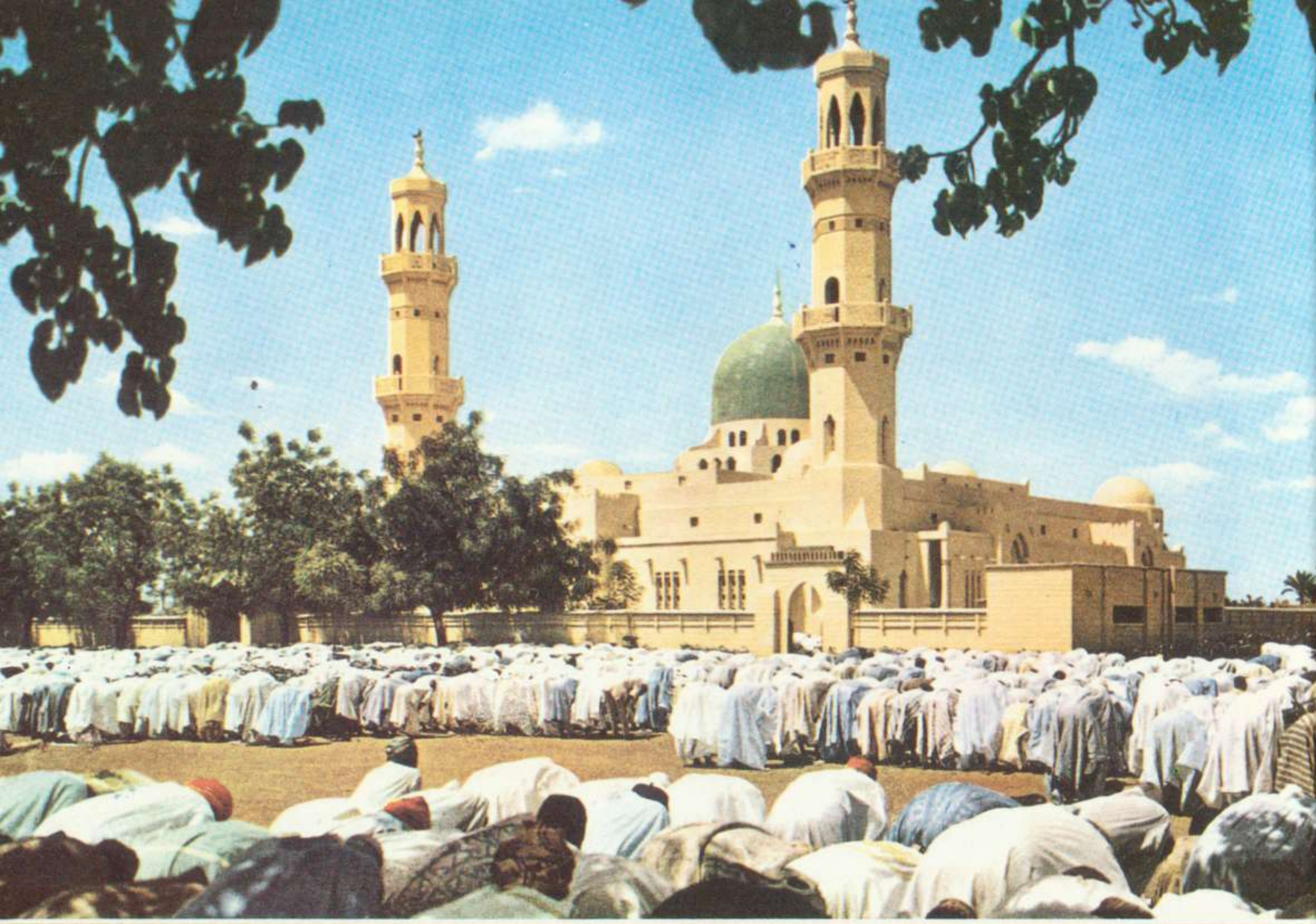
لكن المدعون جوهان هيرلنجر النمسوى استطاع أن يمشى على ذراعيه من فيينا حتى باريس ، فقطع مسافة ١٤٠٠ كيلو متر فى ٥٥ يوماً ، وبمعدل عشرة ساعات يومياً ، وكان متوسط سرعته فى الساعة ٢٥٤٠ متراً .. حدث ذلك فى عام ١٩٠٠ ، ولم تتكرر هذه المحاولة حتى الآن !

كم فى عالمنا من بدع .. خاصة عندما تتحول الفنون الى جنون !

حتى لنط الحبال مسابقات !

استطاع بريان كريستنسين من ايست ريدج بولاية تينسى الأمريكية أن ينط الحبل بمعدل ٢٩٠ مرة فى الدقيقة – أى حوالى خمس نطات فى الثانية – حدث ذلك فى ٣٠ مايو ١٩٧٨ .. لكن الغريب أيضاً أن اليابانى سوزوكى سايتاما ظل يقفز على الحبل طوال ستة ساعات و ١٢ دقيقة ، فحقق رقماً قياسياً بلغ ٥٨ ألف و ٨٦٩ نطة فى أول يناير ١٩٧٩ .





د. حسن عيسى عبد الظاهر

الفولاني

مسلمون لا نعرفهم في غرب إفريقيا!

انتصروا على التعصب وروح القبيلة
وحققوا أعلى نماذج التكافل والعدالة

سوف يصادفك هذا الاسم فى الدراسات الافريقية ، وتسمعه من الناس فى مواطنهم – إن قدر لك – فى صور كثيرة مختلفة ومتقاربة حسب اللهجات واختلافها ، والكتاب وتباينهم .

أما هم فيطلقون على أنفسهم اسم : (الفلانى ، والفولانى ، وفوله ، والفوله ، وفلبى ، والفولبى) .

وأما جيرانهم – من زنوج ، وهوسا ، وبورنو ، ونيليين – فينطقون اسمهم بصور شتى تربو على المائة منها : (فلا ، وفلاتا ، والفلاته) ، وفى الكتابات الأوروبية – وبخاصة الفرنسية – ينطق ويكتب (الفولز) .

فمن هم هؤلاء ؟

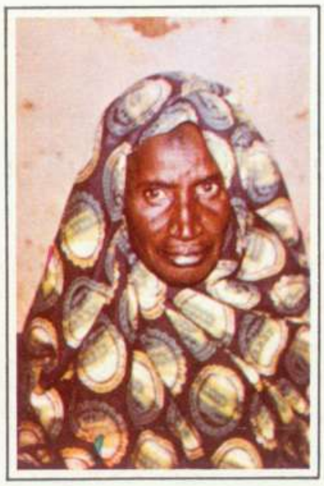
إنهم شعب كبير يعيش منتشراً فى (غرب إفريقية) وله هناك دور تاريخى وحضارى وإسلامى هام قديماً وحديثاً .

وسوف تلتقى بهم عبر أربعة عشر قرناً من شاطىء الأطلسى الشرقى – على حافة غرب إفريقية – وحتى حوض النيل عبر حوض السنغال ، وحوض النيجر ، وحوض تشاد ، وشواطىء البحر الأحمر الغربية تلقاهم على تجمعات مختلفة ما بين قبيلة متميزة ، وبطون متقاربة ، وجماعات شتى ، ودول متعددة ، وأفراد رعاة ومستقرين بدواً وحضراً ، علماء وحكاماً ، متميزين بسيماهم – شكلا ومضموناً – حتى اليوم ، سواء حلوا فى المدن ، أو انتشروا فى المراعى ، أو ترامت بهم شواطىء الصحراء الكبرى وحزام (السافانا) وحواف الغابات ، وشاطىء الأطلسى ، فهم كجماعات أكثر انتشاراً من (الهوسا) .

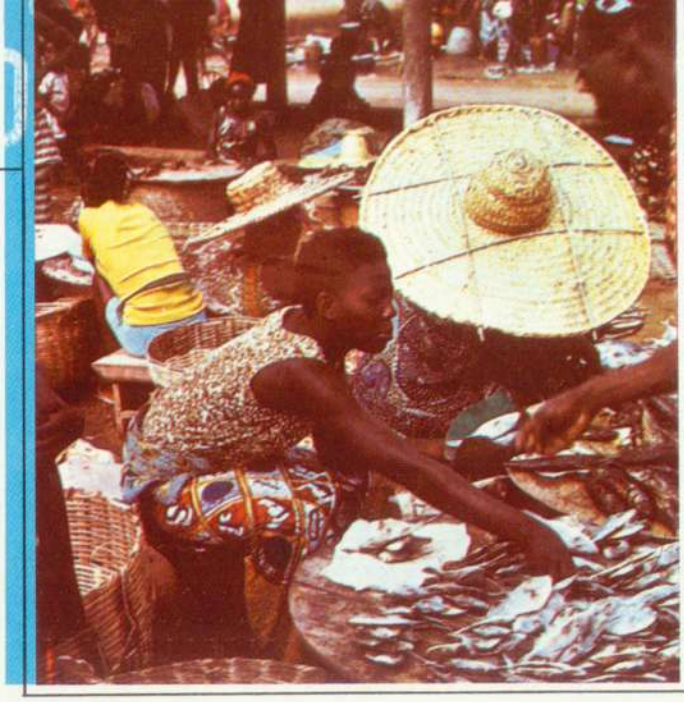
وتزداد أهميتهم فى إقليم (السافانا) المكشوفة حيث يمثلون ثلث السكان فى



أزياء وطنية بألوان زاهية .



عجوز من «الفولانى» .



بائعة السمك .

هضبة (باوتشى) ، واكثر من الخمس فى (أداماوا) و (كانو) و (زراريا) .

وقد ظلوا كذلك حتى أظلتهم راية (امبراطورية الفولانى الاسلامية) فى مطلع القرن الثانى عشر هـ ـ التاسع عشر م ، على يد أمير المؤمنين (الشيخ عثمان دان فوديو) الفولانى .

أصــل الفولانى

وقد تعددت الآراء والنظريات فى محاولات لتحديد أصلهم ، ومعظمها حدسى أو استنتاجى ، كما تباينت المقاييس التى بنيت عليها هذه الآراء والنظريات .

فمنها ما كانت (اللغة) مرتكزاً لتحديد أصلهم .

ومنها ما استند على (اللون) أساساً لبناء نظريته .

ومنها ما اعتمد على الموطن .

وجماع هذه الآراء والنظريات ـ ما هو مكتوب منها ، وما هو متواتر وبخاصة على ألسنة الفولانى أنفسهم ـ يكاد ينحصر فى مجموعتين لكل منهما مستنده ودليله :

١ ـ فمجموعة تذهب إلى أنهم جنس مستقل له خصائصه ، لكن من هم هذا الجنس ؟ هل هم زنوج ؟ أم هم حاميون ؟

٢ ـ ومجموعة تذهب إلى أنهم شعب خليط من عدة أجناس حدث بينها امتزاج ومصاهرة أدت إلى تميزهم (الفولانى) كجنس له خصائص مجتمعة من كل عنصر داخل فى تكوينه .

ويرى (جوليان) أنهم نتاج اختلاط (الحاميين) الأثيوبيين بالعرب والسودان ، مستدلا بصفاتهم الجسمية ، وأن للرحل الرعاة منهم شكلا يبتعد كثيرا عن شكل الزنوج .

ويذهب (آلان بيرنز) إلى أنهم من أصل مصرى يشبهون صور المصريين القدماء المنقوشة على القبور من عهد الهكسوس ، وربما كانوا من الهكسوس الرعاة الذين اضطروا إلى الخروج من مصر ، وأنهم جاءوا من صعيد مصر مهاجرين غرباً عن طريق الصحراء وبلاد المغرب .

لكن ماذا عن رأيهم هم فى نسبهم وأصلهم ؟

المتتبع لهذه المسألة عندهم ـ مدونة فى كتبهم ، أو روايات متداولة على ألسنتهم ـ يلاحظ أنهم حين يتكلمون عن الهوسا أو غيرهم من سكان غرب إفريقية يعبرون عنهم بـ (السودانيين أو النوبيين) ، الأمر الذى يشير إلى أنهم ـ الفولانيين ـ ينتمون إلى مجموعة أخرى مختلفة وبخاصة من الشعوب البيضاء .

أهم المصــــادر

وكعادة الشعوب والقبائل الافريقية فى الانتساب ، فان الفولانيين ـ وهم ينتسبون ـ يحفظون فى ذلك روايات وتاريخا ـ بل وأساطير ـ حول أصولهم فى صور شتى ومتشابهة .

ولعل أهم مصدر عندهم لبيان ذلك هو ما كتبه اثنان من كبار علمائهم وأئمتهم وأمرائهم وهما : الوزير العالم الأستاذ الشيخ عبد الله بن فوزى الفولانى ، والأمير المجاهد محمد بل ـ ابن أخيه ـ وهما من أعلام القرن الثانى عشر هـ التاسع عشر م ـ فى عدة مواضع من تأليفهما مثل كتاب (تزيين الورقات) للأول ، و (إنفاق الميسور) للثانى ، وتابعهما بعد ذلك بعض علمائهم المحدثين المعاصرين مثل العالم ألفا هاشم فى كتابه (تعريف العشائر والخلان) فى مخطوطته (ضبط الملتقطات

وهولاء ـ كنماذج ـ يبعدون النجعة ، ويعمقون أصول نسبهم ضاربين فى أغوار التاريخ حتى يصلوا نسبهم بأبى الأنبياء خليل الرحمن سيدنا (ابراهيم) عليه السلام عبر أحد أحفاده (الروم) الذى كان أصفر فسمى عقبه (بنو الأصفر) .

فلما جاء الفتح الاسلامى للشمال الافريقى امتد به الصحابى الجليل (عقبة بن نافع الفهرى القرشى) إلى المغرب ، ثم عطف ـ كما يقول السلاوى فى الاستقصاء ـ على ساحل المحيط الأطلسى ، وانتهى إلى بلاد (أسفى) ، وأجاز إلى بلاد (السوس) فى جنوب المغرب ، وهناك ـ كما يقول علماء الفولانى ـ التقى بجماعة منهم هم (التوردب) فأسلموا على يديه وتزوج ابنة ملكهم ، وأنجب منها أربعة أولاد إليهم ترجع كل القبائل الفولانى ، فهم إذا ـ بناء على هذا ـ عرب أباً ، وروم أماً ، وقد نظم الوزير الشيخ عبد الله بن فوزى هذا النسب فى أبيات من تزيين الورقات يقول فيها :

فتـــوردب أخـــوال الفولانيين
إخوة لعرب فمن روم بن عيص تفرعوا
و (عقبة) جد للفولانيين من عرب



السوق الأفريقى .



فتيان القبيلة أمام كوخ من القش .

ومن (تور) كانت أمهم (بج مغ) ع ثم يقول : هذا ما تواتر عندنا ، وأخذناه عن الثقاة الذين يخرجون من بلاد (فوت) أعنى العلماء .

وهكذا يبدو إصرارهم على شرف انتساب (الفولانى) إلى (عقبة بن نافع) رضى الله عنه ويفخرون بأبوته لهم ، وبقدمهم فى الاسلام .

مواطن الاستقرار

تنتهى الروايات – غالباً – إلى أن أصول (الفولانى) أتوا من الشرق ، واستوطن أوائلهم جنوب المغرب فى حوض السنغال مستقرين وظاعنين فى أكثر من مكان وأن كثيراً منهم قد دخلوا الاسلام مبكرين بل وفى القرن الأول الهجرى بحكم صلتهم بالصحابى الفاتح (عقبة بن نافع) رضى الله عنه .

وكانت مناطق (فوت) وهى : (فاتور ، وفوتاجللو ، وفوتاماللو) بمثابة مراكز لتجمعهم ، وعواصم لهم ، ومنها ينتشرون فيما حولهم ببطء ، وفى أعداد كثيرة مختلطين بشعوب المنطقة من (التكرار ، والولوف ، والسيرر ثم الهوسا واليوروبا) حاملين معهم دعوة الاسلام ، وناشرين لها ، ومجاهدين فى سبيلها بل ومقيمين دولا باسمها وتحت رايتها .

وفى عهد (امبراطورية مالى الاسلامية) – من القرن الثالث عشر م إلى القرن الخامس عشر م – انتشروا فى أرجائها ، وكانوا من أهم عناصر شعبها المعمر لأراضيها وبلادها .

ثم التقت بطونهم وفروعهم على أرض (الهوسا) مختلطين ومتميزين فى مطالع القرن السابع الهجرى الثالث عشر م ، ولم يزعج تسربهم هذا أحداً إذ كان هادئاً وسليماً ومجرد هجرات جماعية من تلك الهجرات التى عرفتها القارة وعهدتها .

وقد عاصروا فى بلاد الهوسا أحداث غزو (امبراطورته) – القرن الخامس عشر م – لها أيام (أسكيا الكبير) .

كما عاصروا قيام امبراطورية (كانتا) فى (كبى) ثم تدهورها .

ولم تخل ولاية هوسوية منهم ، بل وتزوج بعضهم من الهوسا ، وتكلموا لغتهم ، واشتغلوا بالتجارة ، والرعى ، والعلم ، والامارة ، وتركزوا فى مناطق معينة من أهمها (غوبر ، وكانو ، وبينوى) ، وفى الهضاب الشرقية المؤدية إلى (الكمرون) ، ينزع بعضهم إلى سكنى المدن والاختلاط ، وينزع البعض الآخر إلى عيشة البدو والرعى حتى إذا ما انتصف القرن الثامن عشر م صار لهم كيان له وزنه وأهميته وخطره هناك وإن كانوا من حيث العدد لم يجاوزوا خمس السكان بعامة .

الفولانى وخصائصهم

ينتشر الفولانى فى السودان – بمعناه المطلق قديما – غرب إفريقية كله – قبائل وبطوناً ، وأفخاذاً وفروعاً ، محتفظين بمكانتهم وشهرتهم أينما حلوا مشتغلين بالرعى والزراعة ، والأعمال المدنية فى المدن .

وهم بعامة نشطون فى العمل فى كل مرافق الحياة .

وعلماء الأجناس والاجتماع يصنفونهم – من حيث أسلوب معيشتهم فى مواطنهم – إلى قسمين متمايزين :

فالقسم الأول : (فولانى جيداً) ، و(جيداً) معناها البيت وهم يعنون بهذه التسمية (الحضر) وحياة الاستقرار فى المدن والقرى ، وقد يكون ذلك بين شعوب غريبة عنهم ، ولكنهم وسط هذه الشعوب يكونون متميزين بالعلم والذكاء والنشاط معتزين باسلامهم وسط مجتمعات وثنية مما أضفى عليهم ظلال السيادة فبلغوا فى مجتمعاتهم مقام السلطة والتوجيه والتعليم والقضاء والتجارة ، وبسبب هذا التفوق الحضارى كانوا أحياناً هم سادة الأرض ، بل وكونوا بعض إمارات لهم لها كيانها فى غرب إفريقية بعامة .

وباستقرارهم واختلاطهم بالقبائل الأخرى – وبخاصة الزنوج – بالزواج والتسرى فقدوا كثيراً من خصائصهم الجسمية ، وظهر أثر ذلك فى كثير منهم فى خشونة تقاطيعهم وبناء أجسامهم من فك بارز وشعر مجعد ، وغير ذلك من صفات الزنوجية حتى تميزوا بذلك عن (الفولانى) الرعاة .

وقد بلغ بهم اعتزازهم باسلامهم أن غلبوه على جانب العصبية والدم فهم لا يتزوجون من بنى جنسهم الذين بقوا على وثنيتهم ، كما تخلوا عن كثير من العادات الذائعة التى لا تزال يتبعها الرعاة فى حياتهم ، بل قد يحتفظون أحياناً باحتقارهم التقليدى الذى يكنه الحضر للبدو ، وفى أوائل القرن الثانى عشر م ازداد عدد هؤلاء الحضر (فولانى جيداً) فى ممالك الهوسا وتكلموا بلغتهم ، وقامت لهم هناك دولة إسلامية كبيرة كان لقيامها أثر كبير فى غرب إفريقية

الفولانى



حظائر تربية الأبقار .



فتاة مسلمة تقرأ القرآن باللغة العربية .



عائلة فلانية يحرص كبيرها على تعليم أولاده .



أسرة مسلمة تعرفت على أفرادها فى غرب افريقيا .

بأجمعه ، وانضوى تحت طبقتهم بعض الذين نبذوا حياة الرعى وبعض المستوطنين من الزنوج الرقيق الذين كانوا يتكلمون الفولانية بدرجة جعلتهم يعدون أنفسهم منهم .

الفولانى الرعاة

القسم الثانى : (البوروروجى) — الفولانى الرعاة — أى رعاة البقر أو (فولانى الماشية) وهم رحل متجولون ، ويفضلون التوطن على ضفاف الأنهار منتجعين المرعى لماشيتهم يقيمون بالأرض ما قامت لهم ولماشيتهم بالكلأ ، وما دام السكان الأصليون يتركونهم وشأنهم ، ويصلون فى انتجاعهم إلى بحيرة (تشاد) وإلى أبعد منها بالقرب من ضفاف النيل .

وهم مسالمون ويشتغلون بالزراعة فى بعض الأماكن بوسائل تقليدية ولغرض المرعى أصلا ومع ذلك يزرعون بعض المحاصيل مثل القمح والقطن بأكثر مما يفى بحاجاتهم فيضفون بذلك نوعاً من الرخاء يحمد لهم .

ويعتمدون فى معيشتهم على قطعان مواشيهم وما تنتجه من ألبان ، وهى أساس حياتهم الاقتصادية استهلاكا وتبادلا ، وعملية حلب اللبن من صميم عمل نسائهم — غالباً — بينما يتفرغ الذكور للرعي ، ويذبحون ماشيتهم لغرض الغذاء إلا فى المناسبات ، وكثيراً ما يعهد إليهم المستقرون ومن أثرياء الهوسا برعاية ماشيتهم ويحصلون هم على اللبن فى مقابل ذلك ، وأحياناً يستخدمون رعاة لماشيتهم من الفولانى شبه المستقرين أو من المجتمعات الوثنية ليتفرغوا هم للزراعة .

وقد قدر لهم الهوسا — فى بلادهم — قيمة ما ينتجون ومايخصبون من أرض . وهؤلاء الرعاة — بعامة — يعيشون عيشة بداوة بمعزل عن الاختلاط بغيرهم محتفظين بنقاء دمائهم بدرجة عالية ، وهم بذلك يمثلون شعب (الفولانى) أصدق تمثيل من حيث الصفات الجسمية وغيرها ، فلونهم (وادبى) — أحمر مشرب بسمرة — وتقاطيعهم دقيقة ، وشعرهم مسترسل ، وقامتهم طويلة ، ولا بروز للفك عندهم وهم بعامة يبتعدون بشكلهم عن الزنوج ، ويعيشون فى جماعات متفرقة فى شتى الأقاليم ولهم رؤساء منهم يحكمونهم حكماً معتدلا متعاوناً أكثر من أن يكون فردياً فى سهولة ويسر إذ هم أصحاب طبيعة هادئة ، ويلتزمون ما هو عدل وحق حتى إن من يقترف الشر فيهم يكون موضعاً لكراهية الجميع ، وإن كان الأمر لا يسلم من صور للتنازع فى موسم الجفاف بين الزراع والرعاة على المياه .

واصطلاح (الرؤساء) فيهم مطلق وبالوراثة وتتمتع الأسرة بسلطة مركزية وهم يخضعون للسلطات المحلية فى الأقاليم مع تميزهم بسلوك وصفات يأبون معها أية معاملة غير كريمة ، فاذا



انتاج الحقول معروضاً فى الأسواق .

أسىء إليهم فى مكان هدموا محلاتهم ومضاربهم وارتحلوا إلى غيره ، وفيهم شجاعة يأبون معها الضيم ولهم مهارة فى استعمال أسلحتهم وبخاصة القوس والنشاب ، وكانوا إذا استرق واحد منهم قديماً اتحدوا جميعاً على تحريره .

الروجــــا

وهى مساكنهم ولابد فيها من توفر الوقاية والحماية أساساً وتتكون من أشكال بدائية من نوع بيوت النحل التى تحوطها أسوار من عصى ، ومسقوفة بأعشاب جافة ، وتبنى المساكن المخصصة للنساء المتزوجات على هيئة أكواخ بسيطة التركيب بحيث يسهل نقلها على ظهور الدواب حين تنقلهم وراء المرعى .

وفى الليل تأوى قطعانهم إلى حظائرهم المسورة بالأشواك ، ويربط بعضها إلى بعض أزواجاً مع توجيه رءوسها إلى جهات مختلفة ، وهى مدربة على أن تنطلق وتنتشر فى مراحها عند سماعها صوت الرعاة آمرين أو زامرين .

وقد زرت بعض مضاربهم فى حوض النيجر وتشاد ولمست فيهم الحرص على التدين وإقامة الشعائر رجالا ونساء ، والحفاوة بالمناسبات الاسلامية مع الحاجة الملحة إلى التوجيه الدائم والتعليم الصحيح ، وهم أحسن ما يكونون استجابة حين يأنسون إلى الداعى فيهم بخير .

وفيهم ومنهم علماء ومعلمون ينتقلون معهم يعلمون صبيانهم ويؤمونهم فى صلاتهم إلا أنهم لبعدهم عن العمران محدودو الثقافة فضلا عن تأثر بعض النسوة منهم بالمظاهر الزنجية التى تمليها البيئة حتى لتجد الواحدة منهم تنتحى ناحية فى الطريق أو فى السوق وتصلى بلباس لا يتوفر فيه الستر الذى يطلبه الاسلام ، لكنهن بالتوجيه ، والتعليم يستجبن .

وحياتهم بعامة تقوم على التكافل الكريم فلا يضيع بينهم ضعيف أو عاجز بل إنهم ليعولون المسن والعجوز فيهم .

وما أجمل ما تراهم يوم الجمعة نازحين من مضاربهم فى ملابسهم البيضاء النقية زرافات وزمراً إلى المدينة مبكرين لأداء صلاة الجمعة فى مظهر إسلامى كريم .

لغـــة الفولانى

تعددت الآراء والنظريات حول (لغة الفولانى) من حيث أصلها وتطورها وخصائصها وتصنيفها بما كان مثار جدل بين علماء اللغات والأجناس لأهميتها ودورها الكبير لفهم كثير من مشكلات اللغة فى إفريقية .

فمنهم من يرى أن لغة (الفولانى) الأصلية التى يمكن أن تكون مفتاحاً لمعرفة أصلهم الحقيقى قد هجرت وضاعت .

ومنهم من يرى أنها فى الأصل لغة زنجية .

أما لغتهم التى يتكلمون بها الآن فتسمى (فلفليد) ولا يستبعد أن الفولانى التقطوها أثناء إقامتهم الطويلة فى حوض السنغال .

ويرى (سلجمان) أن الرأى الأكثر إحتمالا أن هذه اللغة (فلفليد) إنما تمثل نمطا قديماً من الكلام انبثق منه سائر لغات الحاميين ، وأنها ليست من جيل لغات البربر أو الصومال ، وإنما الأوفق اعتبارها منتمية إلى جيل أقدم ، ويرى البعض أنها تشبه لغة كانت سائدة لدى الشعوب الوسطى التى تتكلم اللغة السودانية .

وأيا كانت الآراء بشأنها فانها يطلق عليها اليوم اصطلاح (لغة أطلنطينية غربية) .

ولغة (الفلفليد) هذه مبعثرة فى مناطق شاسعة من غرب إفريقية من حوض السنغال إلى حوض النيل ، وهناك إحصاء حديث تقريبى سنة ١٩٦٥ يقدر عدد المتكلمين بها بنحو أربعة ملايين .

وقد كانت تكتب وتدون بحروف عربية قبل عهد الاستعمار ثم قام المبشرون — فى عهد الاستعمار — بتدوينها ضمن مادونوا من اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية وحذفوا منها كثيراً من الألفاظ العربية ضمن حملاتهم للقضاء على المؤثرات الثقافية الاسلامية والعربية فى إفريقية حيث تتفق الدول الأوربية فى مستعمراتها الافريقية على أمر واحد وهو حرمان الافريقيين المسلمين من فرص تعلم اللغة العربية والاسلام ، وقطع أواصر الصلات الثقافية التى كانت تربط غرب إفريقية بشمالها عبر البحر والصحراء ، وقصر فرص التعليم على مدارس الارساليات التى كانت ولا تزال تصر على تنصير طلابها حتى ولو كان ذووهم من المسلمين

ومع هذا لا يزال كثير من (الفولانى) يتكلمون العربية ويتعلمونها فى مدارسهم فضلا عن اهتمامهم بتعليم القرآن الكريم وتلاوته مكتوباً باللغة العربية ومقروءا بها ، وسيظلون .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

غانم السليطي

لماذا سوق البنات في المسرح القطري

■ لماذا حصل «موليير» على نصيب الأسد من المسرح القطري؟
■ نحن في أشد الحاجة إلى جمهور يتذوق فن المسرح بعين ناقدة

قدم المسرح القطرى خلال هذا الشهر مسرحية «سوق البنات» على خشبة مسرح الدوحة ، وقبل أن أتناول المسرحية بالتحليل أرى من الواجب أن نجيب على سؤال يلح على الأذهان :

● ما هو الطابع الذى تنتهجه الحركة المسرحية فى قطر ..؟ وهل هو طابع تغلب عليه الصفة الاجتماعية أم هو مجرد طرح لموضوعات مقتبسة وبعيدة كل البعد عن واقع المجتمع ؟

وللاجابة على هذا السؤال ، أقول بأن واقع الحركة المسرحية غير المنتظم يجعل مهمتنا عسيرة الى حد كبير ، فللأسف لا يوجد نهج عام يطبع أعمالنا المسرحية بملامح خاصة ، سواء فى مجموع ما تقدمه الفرق المسرحية المعتمدة (القطرى ـ السد ـ الأضواء ـ المسرح الأهلى) أو فى مفردات الأعمال الفنية لكل كاتب على حدة !

ولعل ذلك يرجع أولا الى عدم توفر الاستمرارية فى تقديم العروض المسرحية ، لعدم وجود الثقافة المسرحية بشكل عام وقلة نوعيتها بين العاملين فى المسرح ، وقلة الكم البشرى العامل بالمسرح بل وانعدامه فى العنصر النسائى ، والاقلال من دور فن المسرح كوجه حضارى ومؤشر حقيقى لثقافة المجتمع ودوره التربوى فى حياتنا اليومية وما له من أثر كبير ..

هذا من جانب .. ومن جانب آخر ، نجد



«احلام محمد» فى دور الزوجة التى جرت وراء الأحلام الكاذبة

أن عطاءات الكتاب المسرحيين قليلة وتفتقر الى الفكر الثابت والمعاناة التى لا تعرف الاهتزاز أو التراجع والتناول الفنى البعيد عن السطحية فى المعالجة ..

إن دراسة أعمال كتاب المسرح تجعلك تصاب بالدهشة البالغة عندما تجد كاتباً معيناً يقدم لنا مسرحية تناقض ما قاله فى مسرحيته السابقة !

فهم المسرح الجاد

ومن الأسباب الأخرى التى تجعلنا لا نستطيع تحديد ملامح الحركة المسرحية فى قطر هو العمر القصير للمسرح بشكل عام ، وخاصة فى معناه الحديث ، ونوعية البيئة التى يتنفس فيها هذا الفن ، وهى هنا بالطبع بيئة لم يسعفها التلاحم مع هذا الفن الوافد الجديد بالدرجة المطلوبة رغم المحاولات المستمرة لتحقيق الوجود المسرحى الوطيد الصلة بجمهور عريض !

ثم يأتى أخيراً واحد من الأسباب التى تؤثر فى الحركة المسرحية بصورة مباشرة ، ويتمثل فى حيرة العاملين فى المسرح بين ما اكتسبوه من دراسة مسرحية جادة ذات تقاليد فنية ، وبين المد التجارى المسرحى الرخيص الذى يهدف الى إفساد ذوق الجمهور وإبتذال تفكيرهم عن طريق الأعمال الهابطة التى تزخر بها الساحة الفنية فى الوطن العربى ..

إن أكثر الشبان الذين درسوا فن المسرح فى المعاهد الفنية ، عاشوا مع شكسبير وجان أنوى وإبسن وتوفيق الحكيم ، وضحكوا من أعماقهم مع موليير ودورينمات وعلي سالم ، وشدتهم سخرية نعمان عاشور وبرناردشو ، وغاصوا مع آلام سترندبرج ومحمود دياب ، وحلقوا صارخين مع بريخت والفريد فرج ، وتعجبوا من مجريات الأمور مع بوشنر وسعد الله ونوس ..

إن مثل هؤلاء الشبان الذين تسلحوا بهذا الفيض من الروائع المسرحية ، لابد أن تنمو فى صدورهم أمنية فنية فى خدمة الانسان .. تغلفها التضحية ..

سيار الكوارى (الزوج)
وغانم السليطى (فيصل) ومحمد الكوارى (جاسم) فى المسرحية .



أمينة القفاص فى دور (الأم) وصلاح درويش (الأب) أثناء اقناع الزوجة .



ويحميها إيمان عميق برسالة نبيلة تهدف الى ضرورة صياغة الانسان الذى يتذوق المسرح الجاد ويفهمه !

ولكنهم فى نفس الوقت الذى يحاولون فيه أداء رسالتهم يرون المنافسة قائمة بينهم وبين الأعمال الهابطة التى تدغدغ أعماق الجمهور ، ويؤدى هذا التناقض الى فقدان الهدف والى غربة المسرح الجاد وضياعه وسط المستوى الفنى الشائع ، الذى تدعمه أجهزة الفيديو التى أصبحت جزءاً من ديكورات غرف النوم !

ما قبل المسرحية الجديدة

وإذا ما نظرنا الى خريطة الخليج العربى المسرحية ، لوجدنا أن الكويت باعتبارها رائدة فى هذا المجال ، قد أثرت تجربتها على الحركة المسرحية فى بقية دول الخليج .. غير أن جانباً من هذه التجربة مازال يعمل على تحقيق الرغبة فى مجاراة الجو الشائع فنياً بمسايرة المد التجارى ، بينما استطاع الجانب الآخر أن يحل المعادلة الصعبة ويقدم الفن المسرحى الجيد الذى يلقى إقبالا جماهيرياً ، وقد رأينا ذلك فى أعمال الفنانين العظيمين عبد العزيز السريع وصقر الرشود ومنها مسرحية (ضاع الديك) و (بحمدون المحطة) و (١،٢،٣،٤ بوم) ، ونضجت تجربة المرحوم صقر الرشود فى آخر مسرحياته (حفلة على الخازوق) التى ألفها الكاتب العربى محفوظ عبد الرحمن ، والتى تعتبر من وجهة نظرى من الأعمال النادرة فى خريطة المسرح فى الخليج العربى .



«بتضيعك لو انت سايرتها» .

ولهذا فان التجربة المسرحية فى قطر ، باعتبارها جزءاً من التجربة المسرحية فى الخليج وبقية الدول العربية ، إنما تحاول هى الأخرى فى مرحلتها الراهنة أن تقدم الفن الجاد الذى يخلق جمهوراً مسرحياً يتذوق هذا الفن ويقيمه ولا يتفرج عليه كما يتفرج على «خصام فى شارع» !

والمعروف أن المسرح القطرى أخذ منه «موليير» نصيب الأسد ، نتيجة لسهولة نصوصه الفنية ، وعدم تعقيد مسرحياته واشتمالها على جو المفارقات الضاحكة ..

وعلى سبيل المثال رأينا من مسرحيات موليير (البخيل) التى قدمتها فرقة المسرح القطرى من إخراج حسن ابراهيم الذى درس فن المسرح بالمعهد العالى للفنون المسرحية فى الكويت ، وقد عرضت المسرحية باطارها الفرنسى التام، ويكفى هذا لتعرف مدى عمق الهوة والفجوة بين المسرحية الفرنسية والجمهور العربى القطرى ، فعندما يلتقى سعيد وراشد وسلطان بهرباجون وإليز وسجاناريل ، أعتقد أنهم يحتاجون لسنوات حتى يتفهم سعيد مشكلة هرباجون فيتفاعل معها !

ولهذا فقد أصبحت الحاجة ماسة الى نصوص محلية قلباً وقالباً ، حتى تساعد على ايجاد جمهور مسرحى متقبل لكل ما يطرحه العمل الفنى من أفكار وقضايا متداولة !

العودة للنص الاجتماعى

وتجيء مسرحية «سوق البنات» التى قدمتها فرقة المسرح القطرى هذا الموسم (يناير ١٩٨١) معولا من معاول الحفر والتنقيب عن جمهور مسرحى .

وفى هذا الصدد قدمت ادارة الفرقة المسرحية من خلال كتيب قالت فيه : «بعد مراجعة حساباتنا القديمة رأينا أن تجربتنا المسرحية ، بما تخللها من عروض كلاسيكية ورمزية وتجريدية ، لم

عندما قال لها الأب : «زين صبرى حتى يبنى لنا الحجرة» .



لماذا سوق البنات

فى المسرح القطرى

ناقشت المسرحية بعض المظاهر الاجتماعية كالطمع والجري وراء المادة !

● كيف حرك المخرج جموع الممثلين بشكل واقعي ؟



لحظة ندم وسخرية من الأحوال بعد مفاجأة لطيفة بطلبها الطلاق .

تتمكن من جذب جمهور للمسرح .. لذا حاولنا بهذه المسرحية العودة الى النص الاجتماعى المبسط ، الذى يطرح مشكلة اجتماعية بأسلوب كوميدى ساخر ، فكانت سوق البنات ...»

وبالفعل إذا ما أخذنا هذه المقولة بعين الاعتبار ، بغض النظر عن المستوى الفنى للمسرحية ، لوجدنا أننا بهذا المفهوم يمكننا إيجاد فن جماهيرى له دوره الوظيفى فى تغيير مفاهيم اجتماعية ويتخذ من الأسلوب الكوميدى جسراً للوصول الى هدفه !

وفى بداية المسرحية نرى عبد الرحمن (سيار الكوارى) الرجل الثرى الذى اجتمعت فيه صفات الرجل الطيب الناجح والذى يعيش مع والده ، نراه قد تزوج من لطيفة (أحلام محمد) وهى الشابة التى اختارها لذاتها لا لشىء آخر كحسب أو نسب أو مال .. كيف ذلك وهو الغنى وهى الفقيرة ؟!.

ولم تكد تمضى ستة أشهر حتى تظهر أمام عبد الرحمن تصرفات لطيفة التى تؤكد رفضها للحياة معه ، وتصرح له بعدم قبولها له لولا ضغوط والدها البسيط .

ويحاول عبد الرحمن التهدئة ، وتحاول لطيفة التفرقة ، ويحاول أيضاً والدها سعد (صلاح درويش) ووالدتها مريم (أمينة القفاص) وأخوها فيصل (غانم السليطى) فض الخلاف الناشب بشتى الوسائل مؤكدين لها بسخرية مريرة مدى انشراح أحوال الأسرة بعد زواجها بالرجل الثرى ، لكنها تصر وفى رأسها فكرة لا نعرفها بعد !؟.

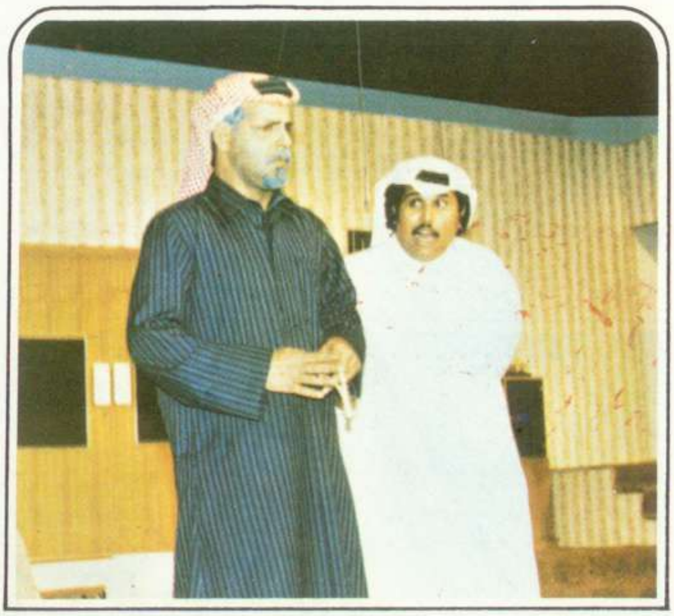
وتحسم الأمور بين عبد الرحمن ولطيفة بعد أن يكتشف أنها تستعمل كل الوسائل التى من شأنها عدم تأكيد الارتباط به ..

ويحتدم الموقف عندما تبوح لجاسم ، الشاب الوسيم الذى تتفق معه على الانفصال عن زوجها والحياة معه ، لتفجع الأسرة بهذا النبأ فى موقف ساخر ضاحك !

وفى الفصل الأخير والذى تدور أحداثه فى بيت سعد ، نرى «جاسم» قد تزوج لطيفة واتضح أنه شاب لعوب ، يلهث وراء رغباته ، فها هى الأسرة تعانى الأمرين لأنه يعيش عالة عليها باسم الحب !

ويستمر جاسم فى استغلال كل ثروات لطيفة المتبقية من خيرات عبد الرحمن لديها ، وتجد لطيفة نفسها أمام أسرتها وهى فى موقف لا تحسد عليه ، فتحاول بدورها تغيير حياة زوجها ودفعه الى تحسين وضعه الحياتى ، ولكن جهودها تضيع فى الهواء ، فهو انسان لا يعرف الطموح !

وتكون المفاجأة حين تعلم الأسرة بأن جاسم الزوج المعشوق سيتزوج من فتاة غنية قريباً ، فتصعق لطيفة ، ويتكسر



هل صحيح أن جاسم كان يطلب عملا عندما دخل الى بيت عبد الرحمن ؟



هلال محمد (والد الزوج) يحاول اقناع ابنه باتخاذ موقف صارم تجاه زوجته .



لا فائدة من اقناع الزوجة بخطأ موقفها .

حبها الوهمى الطائش على صخرة الواقع ، ويتم طلاقها من جاسم .. وتبقى وحيدة ..

وتشاء الظروف أن يجيء عبد الرحمن زوجها السابق الى بيتها ليفاجأ بنبأ طلاقها من الرجل الذى سرقها من عالم الهناء والتعامل العقلانى ، وبهدوء يقترب طالباً منها ألا تنهار ، وأن تبدأ حياتها من جديد ، فلا شيء يصعب أمام ارادة الانسان فى تخليص نفسه من محنته ..

وبالفعل تقف لطيفة وقفة كبرياء وعناد للظروف ، معترفة بأخطائها ومعلنة البداية من جديد ، فالانسان ذو المعدن الأصيل لا يعرف الفشل فى حياته ..

الميزان الفنى

وهكذا نرى أن المسرحية تواجه بعض المظاهر الاجتماعية كالطمع والجرى وراء المادة ، وتطالبنا بأن نعبر الحياة فوق العثرات الكثيرة المحزنة والموجعة والقاسية ، فبدون هذه التجارب لن نتعلم ولن نتفوق ، فالفشل لا يعنى النهاية ولكنه يمثل بداية لرحلة جديدة مليئة بالتجربة والدروس ..

وهى التجربة الأولى للمخرج الشاب علي ميرزا ، وقد بذل من أجلها جهداً كبيراً لاظهار وكشف عناصر عرض مسرحية اجتماعية ، حرك من خلالها الممثلين بشكل واقعى ومقنع للجمهور ...

واذا كانت تجربته مع الممثلين ناجحة من حيث واقعيتها ، فانى أرى أنه مع قدرة الديكور على تصوير جو البذخ والرفاهية فى بيت عبد الرحمن والشعبية والبساطة والبؤس فى بيت سعد ، إلا أنه خلا تماماً من أى لمسة جمالية يحتاجها ديكور فن المسرح ، فقد اكتفوا بقطع الموبيليا الجاهزة المستعارة من المحلات التجارية !

أما الموسيقى المستخدمة فى المسرحية ، فقد كان من الأجدر أن تستمد جذورها من الواقع ، كي تساير روح النص الذى صاغه عبد الله أحمد بمشاركة عاصم توفيق .. صياغة واقعية معبرة ..

ومن حيث الاضاءة ، فلقد تمكن علي ميرزا من الاحساس بالجو الكوميدى للمسرحية ، المتطلب لجو الانارة المسرحية لا الاضاءة العابرة .. إلا إذا استدعى الموقف الدرامى ذلك .

وبالفعل رأينا فى نهاية المسرحية لطيفة بعد أن عزلتها الاضاءة عما حولها محددة لنا قيمتها الفردية من الناحية المادية والنفسية ، مؤكدة المقولة التى سعى اليها النص المسرحى الذى كتب بمجهود واخلاص وعطاء سوف يذكر دائماً عن الحركة المسرحية فى قطر .

غانم السليطى

حتى لا نرى بعيون الآخرين

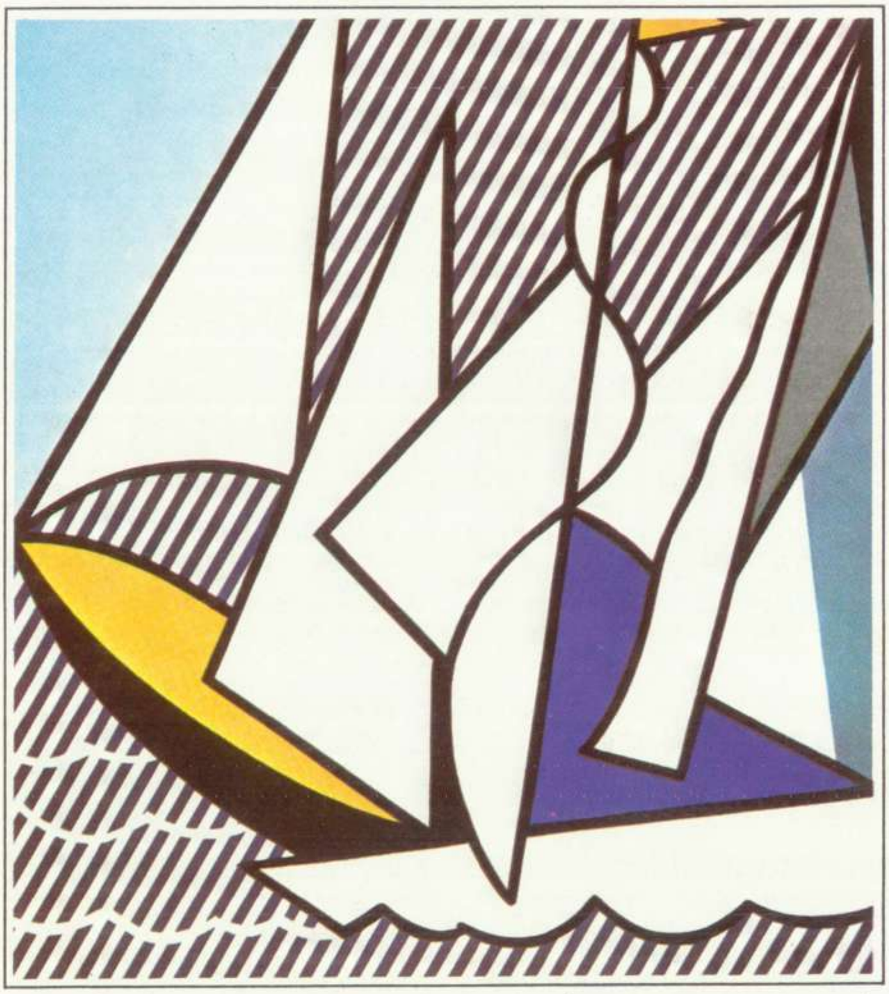
جمال قطب

استعرضنا فى المقالات الماضية ونحن بصدد تقييم ودراسة أزمة الفن التشكيلى فى عالمنا العربى ، مشاكل التربية الفنية والمناهج الدراسية والامكانيات المتاحة لهذه الأنشطة ، كما تناولنا دور أجهزة الاعلام وحركة النقد الفنى الى أن وصلنا لدور المعارض والمتاحف وأثره فى الحفاظ على التراث كمنطلق للحركة الفنية الحديثة ..

ومن الواضح أن عدم اهتمامنا باقامة المعارض وانشاء المتاحف وافتقادنا لروح التحمس بعزيمة صادقة وإصرار لا يعرف الملل ، قد جعل تراثنا نهباً للمتربصين بنا وبكنوزنا التاريخية المطمورة أو المخزونة أو المعروضة فى متاحفنا المتواضعة النادرة ! فلا غرو أن تكتشف أجهزة الأمن من حين لآخر ، أفراداً وعصابات تخصصوا فى السطو على آثارنا ، وحولوا أوكارهم الى مستودعات لهذه الكنوز المنهوبة .. يصدرون منها بطرق دائمة ومنتظمة الى شتى عواصم العالم ، لتستقر فى النهاية فى المتاحف والقصور وعند جامعى التحف وقاعات المزادات العالمية ..

ولعل أطرف تعليق سمعته بهذا الصدد : إنها سرقة وجريمة ليس فى هذا شك .. ولكنهم يحافظون عليها أكثر منا !

ومن الغريب أننا ونحن نفتقر الى أبعد الحدود للمتاحف والوثائق ولدينا معاهد الآثار المتخصصة والأعداد الوفيرة من خيريجيها ، نجد أن معظم الحفريات على أراضينا العربية لا يقوم بها إلا البعثات الأجنبية .. ومن الطبيعى ألا تكون الرقابة على تسرب تحفنا للخارج أو الاتجار فيها على مستوى الخطورة والجدية اللازمة .. ومن الميسور أن ترى (متاحف صغيرة) تزخر بشتى أنواع الآثار الاسلامية وغير الاسلامية فى بيوت البعض من الذين يتفاخرون باقتنائها دون وجل من أى مساءلة أو محاسبة ..



قوارب بحرية للفنان «روى ليشانستيه» وأسلوب اللوحة من آخر صيحات الفنون المستحدثة وهو البوب أرت الذى غزا الفن الأمريكى المعاصر .

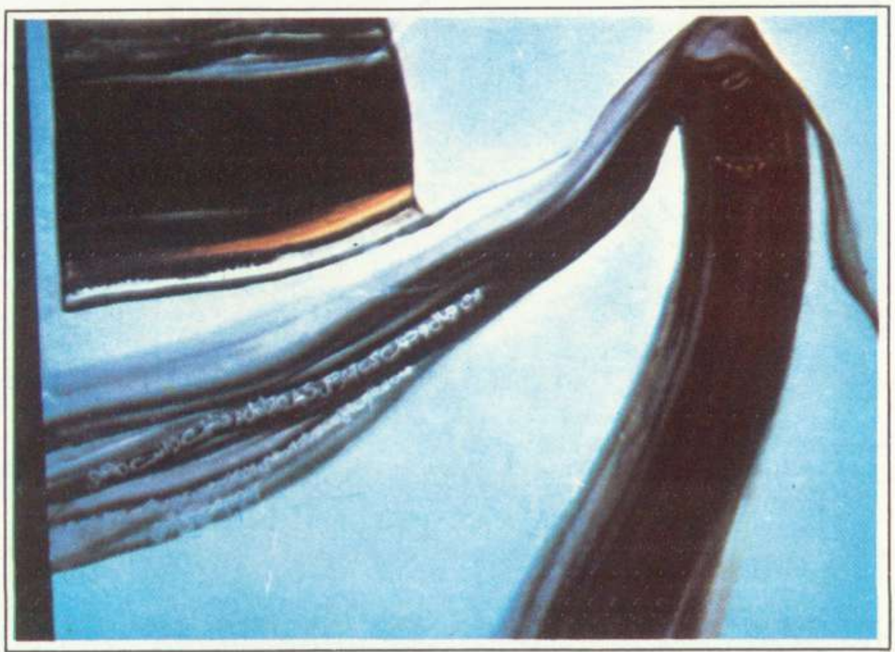
ولا شك أن مثل هذه التحف ليست فى مكانها الصحيح على أية حال .. لأنها تراث تاريخى لا تملكه إلا الدولة صاحبة الأرض .. ومكانه الحقيقى فى متاحفها ..

قيمة التراث

وإذا نظرنا الى ما يحدث إزاء نهب التراث فى عاصمة مثل لندن .. نرى أنه فى صيف ١٩٧٩ ، قد ثارت ثائرة المؤرخين ومحبى الفنون الجميلة فى بريطانيا على أثر الشروع فى واحدة من أعرق قلاعها التاريخية وهى قلعة (وارويك) لمعرض الأعمال الشمعية الشهير الذى تملكه (مدام تاسو) .

وبالرغم من أن القلعة مملوكة شرعياً (للورد بروك) وله مطلق التصرف فيها وفى محتوياتها من الكنوز الفنية .. إلا أن المؤسسات الفنية والصحفية وجميع طوائف الشعب قد هبوا يطالبون بوقف هذا التصرف فى أثر يعتبر تراثاً يضرب

● مطلوب رقابة جدّية لمنع تسرب تراثنا الفني إلى الخارج
● لابد من إنشاء دور للوثائق القومية ومتاحف للتراث



«ريم الديرة» للفنان الكويتى جعفر علي دشتى ولعله من أصدق المعبرين عن التراث بتطور ومعاصرة .



«وجه عجوز» للفنانة القطرية وفيقة سلطان
(التسجيل بأبسط الأساليب وأقربها للفهم) .



ملصق للفنان البحرينى أحمد حسين العريفى
(أبحاث فى البعد الواحد واستخدام الحروف العربية) .

جذوره فى أعماق التاريخ على مدى تسعمائة عام ..

وقد تعود الشعب البريطانى على أن يرتاد هذا الأثر كمزار يمثل جانباً من تاريخه .

... هذا هو الوعى .. دون أن يحتاج منا الى تعليق !

وحتى بالنسبة للأعمال ذات القيمة الفنية المحدودة .. أخضعتها بريطانيا الى رقابتها الدقيقة : فقد بلغت عمليات بيع هذه الأعمال فى عام ١٩٧٨ من داخل بريطانيا ٤٣٤ مليون دولار .. متمثلة فى اللوحات التجارية وقطع الأثاث القديم وبعض التماثيل ذات الملكية الخاصة .

وتحركت على الفور جماعات محبى الفنون الجميلة ... ودعت الى الثورة العارمة لوقف هذا النزيف الفنى حتى تظل الدولة البريطانية مركز استقبال لمثل هذه الأعمال .. وليست محل تصدير لها بأى صورة من الصور . وسارعت الدولة باصدار بياناتها تطمئن الشعب على ثروته الفنية ، وأن التحف ذات القيمة التاريخية والتراثية مصونة لا تمس ، وتؤكد أن جهازها المسمى «بلجنة فحص التحف والأعمال الفنية المصدرة للخارج» والذى أسس من خمسة وعشرين عاماً ، يقوم بواجبه على أكمل وجه ، ولكنه لا يستطيع عمل شىء مؤثر إزاء الملكيات الخاصة من التحف التى تباع بمبالغ خيالية لا تستطيع الدولة توفيرها لتنافس المزايدين فى شرائها ..

ومع ذلك فقد اتخذت الحكومة موقفاً ايجابياً نحو الأعمال ذات القيمة الفنية الكبيرة ؛ فقد كلفت المتحف البريطانى بأن يدخل منافساً لشراء أى تحفة يرى الخبراء أنها لا يجب أن تغادر البلاد .

وفى خلال هذه الأزمة العابرة ، خرج الناقد البريطانى الشهير (هيوز ليجات) على الشعب البريطانى بنداءات ثائرة غاضبة ، وقد لخص هذا الموقف بعبارة اتخذت شعاراً آنذاك : «إنه لمن العار أن

نرى تراثنا الفنى ينهب ولا نستطيع عمل شىء ، إنه الحضارة الانسانية والتاريخ ، إنه ملكنا جميعاً ، ويجب علينا أن نتفانى فى الحفاظ عليه !»

وهل بعد أن سقت مثل هذه الأمثلة ، أجدنى فى حاجة للتدليل على أهمية المتاحف الثقافية المعاصرة ؟

لقد تناولت مشكلة نقص المتاحف فى حياتنا العربية ، منذ عدة شهور على صفحات احدى الجرائد الخليجية .. وناديت بالشروع فوراً فى تأسيس دور الوثائق القومية ومتاحف التراث وذلك بجمع ما بين أيدينا منها والحصول على المزيد بشتى الطرق والوسائل المشروعة .. أو باستنساخ صور لتحفنا التراثية التى تعمر بها متاحف العالم .. وهذا أضعف الايمان !

إننا بذلك نيسر السبل أمام الباحث والمؤرخ والدارس من جيلنا والأجيال العربية القادمة ، وهو فى نفس الوقت متابعة لمسيرة الفن والتاريخ والحضارة ، تلك المسيرة التى كادت أن تندثر تحت تراكمات السنين وأعاصير الأحداث المعاصرة كحبات لؤلؤ انفرط عقدها وسط الزحام !

علاج بالمسكنات

ونأتى لآخر مظاهر القطيعة بين الفنان العربى وجمهوره .. فنرى أن الميدان قد فرغ تقريباً من الحماس اللازم كعنصر حيوى للابداع ، وتقاعس الفنانون الموهوبون عن الزج بأنفسهم فى هذا الفراغ .. حفاظاً على كرامتهم ، فالفنان الحقيقى دائماً ذو حساسية مرهفة ومشاعر رقيقة مهذبة ، ولذلك نراه يؤثر الطوى والانطواء على العمل فى ساحة من فراغ لا يسمع فيها إلا وقع أقدامه !

ووجد الدخلاء والمدعون الفرصة متاحة لانتاجهم الرخيص .. وفرضوا أنفسهم ـ دون محاسبة أو مراجعة ـ على الجمهور فى تدافع وتكالب سوقى كادأن يودى بالبقية الباقية من الذوق الرفيع ! واتسعت الهوة بين العمل الفنى الحقيقى والجمهور الذى تستقطب طاقاته فى الأحداث المتلاحقة ومشاكل الحياة اليومية العابرة .. وتدخلت



احدى قاعات الفن الايطالى فى القرنين ١٧ ، ١٨ بمتحف الارمتياج ـ لينينجراد



احدى لوحات المدرسة الهندوكية فى فن التصوير .. لم تستطع المذاهب الحديثة أن تذيب أصالتها .

الجهات الرسمية فى الدولة من آن لآخر لتنظيم المسابقات أو إقامة المعارض فى المناسبات .. تماماً كما ترفع الرايات وتقام الزينات ثم لا تلبث أن تتلاشى وتنتهى بانتهاء هذه المناسبة أو تلك .

ولما كانت العادة قد جرت أن تنصب هذه المعارض الموسمية وتنفض دون أية حصيلة للفنان ، فقد لجأت الجهات



السلام الذرى للفنان هنرى مور .

المسئولة الى التبرع باقتناء بعض أعمال الفنانين بعد أن اختفى عنصر الطلب الجماهيرى عليها ، ويسعد الفنان مؤقتاً بهذا التبرع «الكريم» .. لقاء أعماله التى تاخذ طريقها عادة الى المخازن والمستودعات !

... وكانت هذه الحلول الجزئية ومازالت تقوم بدور المسكنات للآلام المستوطنة ، ولكنها لا تؤدى الى العلاج الجذرى للمشكلة ذات الأعماق والمتشعبة فى مختلف الأبعاد والأركان .

وليس هذا الحل المؤقت المظهرى ما نأمل فيه .. ولكن العلاج يجب أن يكون حلا شاملا على أساس من الدراسة والفهم والعزم على نشر التذوق وحب الفن ذاته !

.. وما أريد أن أؤكده عن اخلاص واقتناع هو أن نهضتنا الفنية الحديثة ، لا يمكن أن نقيمها على كواهل شباب من المبعوثين لمختلف دول العالم شرقاً وغرباً ، دون أن نسلح هذا الشباب بالقيم التراثية والحضارية المنبثقة من ترابه وبيئته ، ولن يتأتى ذلك بجرعات مركزة من المنشورات أو المحاضرات الانفعالية أو التوصيات والنصائح ، ولكن السبيل الى هذا الهدف هو أن نبدأ فى تقويم الطفل من أولى مراحل دراسته ونتدرج معه بوعى وإدراك كاملين فى شتى مراحل تفتحه وتكامل شخصيته .

وإن هذا الانفصام والتمزق الذى خلق ظاهرة التسيب فى كثير من مرافق حياتنا الثقافية ، ما هو إلا نتيجة لتفتت مصادر التأثير الروحى ، والتهوين من قيمة التراث والأصالة البيئية والتمسح فى تقليد الحضارات الأجنبية بهذه المظهريات الممسوخة .. وبالتالى ، اهتزاز المثل فى غيبة القدوة الصالحة . هذا من الجانب السلوكى فى الحياة العامة ، ومن جانب آخر ، فان معظم فنانينا وقد وجدوا أن سجل المسيرة التاريخية ، قد احتجبت معظم صفحاته عن متاحف التراث بعامل الاهمال وافتعال الأزمات وتحكم الاستعمار وقد فرض علينا أن نرى بعيون الآخرين ، كل هذا وغيره ، أصبح ضباباً يعوق الرؤية الواضحة فكدنا أن نضل الوصول الى أهدافنا القومية .. وتلمسنا طريقنا نحو تلك الأضواء المبهرة فى مجتمعات غير مجتمعنا وتقاليد غريبة عنا .. فتصنعنا التحضر المزيف وصرنا أبواقاً وببغاوات نردد ما يدور فى أوطانهم ، ونقلد انتاجهم من المدارس الفنية المتصارعة دون وعى بطابعها الذى كان وليد تفاعلات وتعقيدات محلية لديهم ، ونتج عن كل ذلك أن رأينا تباعداً وانفصالا بين الفن العربى والجمهور ..

الغرس والحصاد

والآن أعتقد أنه قد آن الأوان لأن نتصور حجم المشكلة بعد أن تمثلت فى الأذهان معظم جوانبها وأبعادها ، وبعد أن تناولناها فى خمس مقالات متتالية على هذه الصفحات ، وليس القصد من وراء ذلك هو أن نصبح كلنا من الفنانين أو أن يكون شغلنا الشاغل فى الحياة هو الفن فحسب .. ولكن ربط الماضى المجيد بالحاضر هو انطلاق نحو تكامل الشخصية الفكرية الواعية .. وهو ثقة بالنفس تنعكس على حب الوطن ذاته . ينطلق الفنان بعدها دون معاناة من آلام القهر والضياع والفاقة ، ليبدع أسمى ما تنطوى عليه الحياة من مكامن الجمال .. وأروع ما تجيش به النفس العامرة بالايمان والمثل والوطنية . وبدلا من أن يسير فى دروب الآخرين ، يقود الجموع فى آفاق العروبة حيث الأمجاد والاعزاز والفخار .. كشجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء !

إن فناناً أسبانياً يدعى «فيكتوريانو سابالا» دفعه ايمانه بوطنه وأمجاده .. وألهبت مشاعره بطـولات الرواد المكتشفين من مواطنيه ومنهم «نونيوث دى بالبوا» الذى عبر برزخ بنما وأطل على المحيطَ الهادى من فوق صهوة جواده الأبيض فسمى من ذلك الحين «مكتشف المحيط الهادى» فما كان من هذا الفنان إلا أن أقام نصباً تذكارياً منحوتاً للبطل المكتشف يبلغ ارتفاعه أكثر من أربعة أمتار فى نفس المكان الذى أطل منه «نونيوث» على المحيط ..

أقام الفنان هذا التمثال من ماله الخاص دون تكليف من أحد . لأنه أحب بلاده وأحب قادتها وتاريخها وتراثها .. وهكذا تفعل التربية السليمة الواعية التى تخلق من كل مواطن فناناً أو بطلا فى أى ميدان ..

وإذا ذهب أحدنا الى اسبانيا ورأى متاحفها ، والعناية الأسطورية بتراثها وآثارها ووثائقها ، لابد وأن يصل لهذه النتيجة الحتمية .. وهى أن استمرارية أمجاد الحاضر والتراث وغرس الشعور بالوطنية وشرف الانتماء الى الوطن .. يخلق المعجزات ! وكان للفن هذا الفضل العظيم فى تخليد تلك المآثر على مر العصور .

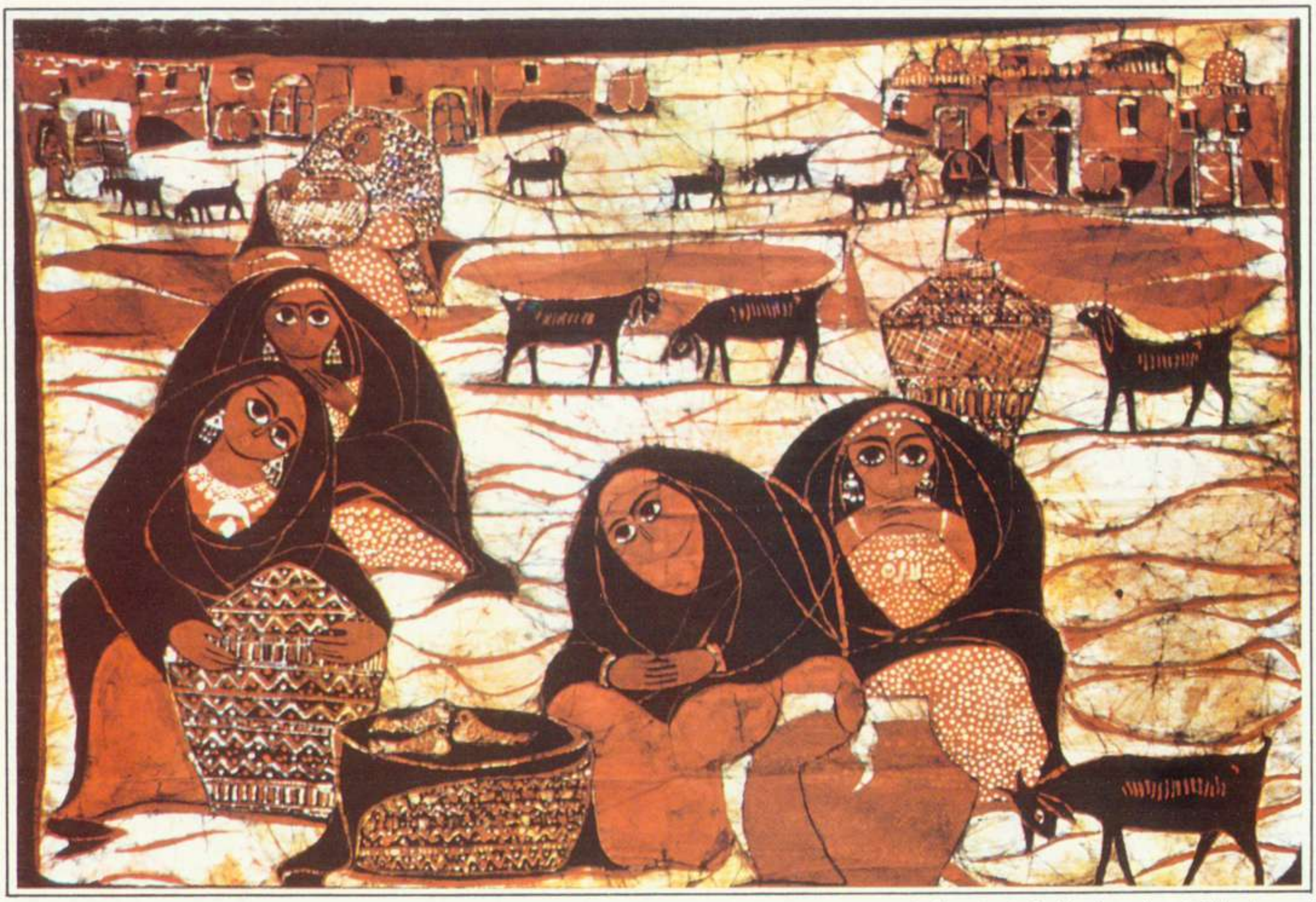
وأحب أن أختتم استعراضنا هذا بقول أوسكار وايلد :

«إن روعة الشعور بالجمـال فى المبتكرات الفنية هى سمة حضارة الشعوب ، ولقد علمتنا الفلسفة هدوء النفس واتزان العقل لاحتمال أخطاء الغير ، كما استطعنا بالعلم أن نرقى بمشاعرنا ونهذب سلوكنا لنتسامى بمستوانا الانسانى ، أما الفن فيجعل حياة الفرد جنة دنياه ، وبينما الفلاسفة يتساقطون كحبات الرمال ، كما تتساقط معتقداتهم كأوراق الخريف ، يظل الفن الجميل متعة للحياة كفصول السنة التى تتغير فى نظام دائم بديع ».

جمال قطب

السباحة في أنهار العشق

مجـــدي نجـيـب



الرسم على القماش بالصبغات الملونة «انتظار قطار الحبوب» .

فن «الباتيك» . أو الرسم على القماش بالصبغات الملونة والمواد الكيمائية والشمع ، يعتبر واحداً من الفنون الجميلة الجديدة على المنطقة العربية بشكل عام .

وقد برز فى هذا المجال الفنان العربى «علي دسوقى» ، الذى استطاع أن يجذب أنظار أوروبا والعرب ، حيث وصل الى درجة عالية من الثقة والتكنيك فى تطويع الألوان «المحدودة» ، فى لغة ناعمة ذات شفافية خاصة ، معبراً عن البيئة العربية فى إيقاع ينبض

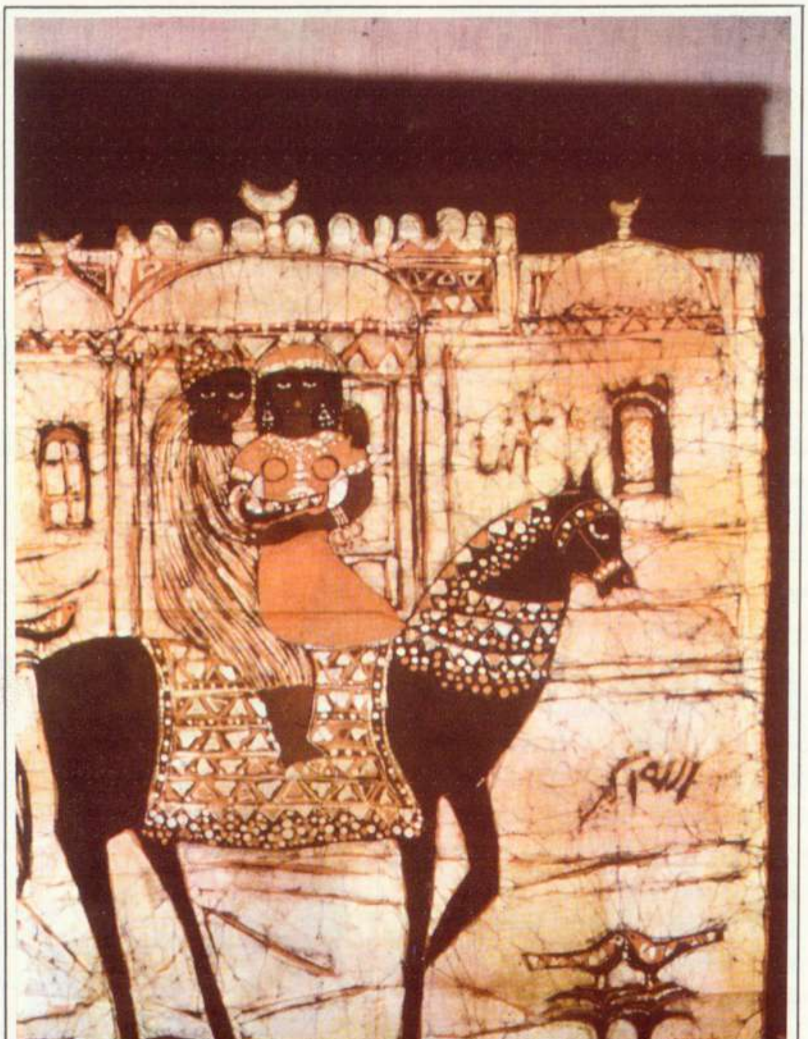


الفنان علي دسوقى أمام احدى لوحاته .



من واقع الحياة الشعبية .

- هكذا عبّر الفنان عن البيئة العربية في لغة شفافة ناعمة!
- تميزت لوحاته بالإيقاع الخافت وجاذبية الشكل واللون!



لوحة من السيرة الشعبية «الفارس والعروس» .

بالتلقائية ، متعاطفاً بشدة مع فنوننا البدائية .. ، واستحضار روح المكان ، ورعشة الدفء والضوء .. والألفة .

كان آخر معارضه ، المعرض الذى أقامه فى نهاية العام الماضى فى مدينة بون بألمانيا ، وقد أثارت لوحاته فى فن «الباتيك» ، الآراء الكثيرة لنقاد الفن هناك ، .. فكتبت جريدة «بون روند شاو» تقول : «المعرض لا يجب أن يفوت أصدقاء فن الباتيك وجميع المهتمين بالفن عامة ، ففى لوحاته التى صور فيها الحياة اليومية فى الأحياء الشعبية بالقاهرة ، استطاع تأكيد العلاقة بين الانسان والبيئة ، فى ألوان ايقاع الموسيقات الشعبية المتوهجة فى فرحة بسيطة» .

وقالت جريدة «هونف فولكس تساتيوننج» :

«إن معظم الشعوب ، تستعمل فن الباتيك كأسلوب تجريدى .. ولكن الفنان علي دسوقى .. اختار التكنيك الصعب ، لكى يعبر عن الحياة اليومية فى هارمونى ذى ايقاع خافت ، ساحر ، فى الشكل واللون ، متخطياً الصعاب التكنيكية فى هذا النوع من الفن الذى يحتاج الى الدقة والصبر» .

وعن فن «الباتيك» ، يقول الفنان علي دسوقى ، ان هذا الفن من الفنون التى تمارس بشكل شعبى فى الهند .. والصين وباكستان .. وبعض دول جنوب أفريقيا ، حيث يقومون باستخلاص

السباحة في أنهار العشق

إنه لا يقدم لنا الرؤيا التعيسة ولكنه يترجم ذلك النبض المتفائل!



مقهى شعبى .



بنات القرية .



راعية من مدينة مرسى مطروح .

«الأصباغ» من بعض النباتات التى تتميز بطول البقاء .. وتعتمد لوحاتهم على صياغة الرموز الشعبية المستمدة من معتقداتهم الدينية ، فى شكل خطوط هندسية مبسطة ، ووحدات زخرفية .

وعلي دسوقى من الفنانين الذين لهم أسلوبهم الخاص المتميز فى التصوير الزيتى .. وفى موضوعاته التى يتناول فيها ـ أيضاً ـ الحياة والبيئة الشعبية فى مثابرة على دراسة الملامح التى تعتبر تسجيلات لفترة تاريخية ، توشك أن تختفى بفعل التطور الحضارى المستمر .

وهو حينما يخاطب عين المشاهد ، لا يخاطبها بشكل مباشر .. ، عالى النبرة ، بل يتحدث فى لغة الفرشاة الناعمة وهى تتحرك فى عشق ومحبة ، تعزف لحنها الدافىء على أوتار المشاعر الانسانية النابضة بالصدق البسيط ، .. فهو حينما يصور الطفولة ـ مثلا ـ لا يقدم لنا الرؤية التعيسة منها .. أو الجوانب البائسة الحزينة ، وإنما يختار الألوان المفرحة التى تحكى حكاية اسطورية جميلة ذات نبض متفائل .. وحينما يصور عازف الربابة ، فانه يميل الى استخدام الايماءات الحسية المعبرة عن رحلات السمر والعشق والبطولة وذكريات الآباء والأجداد ، فتعزف الرؤية فى أعماق المشاهد للوحاته ، أغنية الفرحة والدهشة والحب لهذا الكون الذى تغطيه فى كثير من الأحيان ، سحابات داكنة من الحزن واللوعة .

وبلغة الألوان ، تمكن الفنان علي دسوقى من صياغة الوجدان الانسانى العربى ، فى صورة شعرية بسيطة التراكيب ، بعيدة عن التعقيدات ، زاهية الألوان ، تسبح فى أنهار من البهجة والأمل .

مجدى نجيب

رسول الله

بين الدين والدنيا

د. محمد عمارة

عندما ننظر فى السيرة النبوية ، ونتامل شئون الدولة العربية الاسلامية الأولى ، على عهد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، نلمح موقفاً يتكرر كثيراً ، وفى مواطن عدة ، وملابسات مختلفة ، بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبين صحابته ، عليهم رضوان الله ...

فعندما يواجهون قضية من القضايا أو أمر من الأمور ، ويدلى فيه الرسول برأى .. ويكون لدى الصحابة فى هذه القضية وذلك الأمر ما يودون أن يقولوه تعليقاً ، أو تعديلا على ما قال الرسول ... عند ذلك كانوا يسالون النبى ذلك السؤال التقليدى والشهير : «يا رسول الله ، أهو الوحى ؟ .. أم الرأى والمشورة ؟!» فان قال لهم : إنه الوحى ، كان السمع والطاعة منهم ، وإسلام الوجه لله .. الذى هو المعنى الحقيقى لمصطلح «الاسلام» ! ..

أما إن قال لهم النبى : إنه الرأى .. فانهم ، عند ذلك يدلون بما لهم من آراء وملاحظات ، فتكون الشورى والأخذ والرد والنقد والتصويب ، وصولا الى القرار الذى يتفق عليه الجميع !..

وهذه القضية التى تلقانا كثيراً فى سيرة الرسول ، وخاصة ممارساته السياسية والادارية لشئون الدولة ، جديرة بأن تلفت الانتباه الى ما نسميه «تمييز» الاسلام ــ وليس «الفصل ــ بين ما هو «دين» وما هو «دنيا» ! فعندما يكون الأمر «ديناً» أى وحياً إلهياً ، أو سنة تشريعية تفسر هذا الوحى وتفصله ، فليس هناك مجال «للرأى» أو «المشورة» ، بل الواجب هو الطاعة ــ (الاسلام) ــ والتسليم والانقياد . ومكان العقل هنا هو مكان أداة الفهم ، حتى تكون الطاعة على فهم وعن بينة ! .. وفى ضوء هذه الحقيقة نستطيع فهم اجماع علماء الاسلام على تحريم القول «بالرأى» فى «الدين» !

أما اذا كان الأمر «دنيا» و «سياسة» ، فان «الرأى والمشورة» يصبحان هما السبيل لانضلج الفكر والطريق لاتخاذ القرار ! ..

ويزكى هذا الموقف الاسلامى ويزيدنا اقتناعاً به أن مصطلح «الشورى» فى القرآن الكريم ، قد ارتبط بمصطلح «الأمر» ، الذى يعنى السياسة ، والذى ــ لذلك ــ اشتق منه مصطلح «الأمير» و «أمير المؤمنين» .. والذى يرتبط به «الائتمار» أى التشاور فى «المؤتمرات» ! .



فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ، عليه الصلاة والسلام : (وشاورهم فى الأمر) كما يقول : (وأمرهم شورى بينهم) .. أما فى أمور «الدين» وأصوله ، وقضايا الغيب وأخباره ، ومسائل الشرع الالهى وعلومه ، فلا مكان «للرأى ولا للشورى» .. بل الواجب هو الطاعة والانقياد ! ..

فما كان «ديناً» فان مرجعه ومصدره هو «الوحى» والتنزيل ، لأن فيه من الغيب ما قد لا تدركه العقول الانسانية بذواتها ومع استقلالها بالنظر ... أما ما كان «دنيا» ــ بما فيها «الدولة والسياسة» ــ فالمرجع فيها هو «العقل والتجربة الانسانية» ، المحكومان «بالمصلحة» فى إطار كليات «الدين» ومثله العليا ووصاياه .. وعن هذا «التمييز» تحدث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى القضية الشهيرة التى عرفت بقضية «تأبير النخل» ... فعندما هاجر النبى الى المدينة وجد أهلها يلقحون إناث النخيل من ذكورها .. فاشار الى أن ترك ذلك لن يضر الاثمار .. فتركوه «فشاص» الثمر ! .. ولما ذهب أصحاب النخل الى الرسول يشكون ما صنعه رأيه عليه السلام بثمرهم .. قال لهم : «لم أقل لكم قال الله .. ما كان من أمر دينكم فإلي ، وما كان من أمر دنياكم فانتم أعلم به» ؟!

فهنا «التمييز» ــ وليس «الفصل» ــ بين ما هو «دنيا» وبين ما هو «دين» ... وتلك واحدة من ثمرات النظر فى سيرة الرسول ، عليه الصلاة والسلام !

د. محمد عمارة

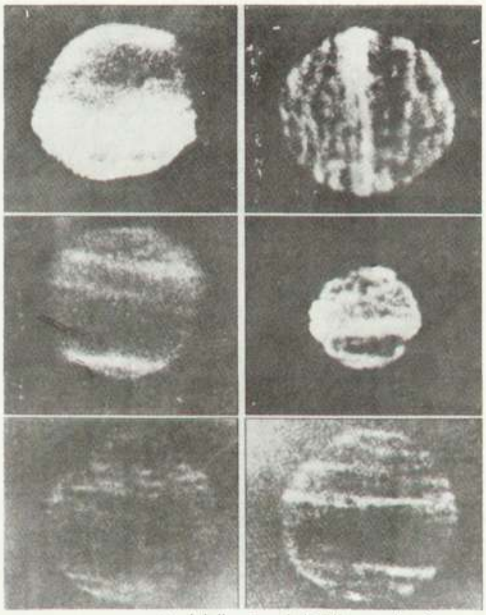
الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟

تأليف الدكتور : محمد عبده يماني

مراجعة وتقديم : أحمد العناني

لقد أينع قطاف الفكر والأدب فى السعودية . انتهى عصر الثمرات الأولى وجاء دفق الحصاد الغزير من الموسم الأول ، وأحسب أننا من الآن فصاعداً سنرى موقع السعودية فى ركبنا الحضارى ممتلئاً بجدارة ، شامخاً مرفوع الراية .. ذلك كان رد «الفعل العفوى» عندى حين وجدتنى مندفعاً بغير توقف فى قراءة «الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟» للاستاذ الدكتور محمد عبده يمانى وزير الاعلام الحالى للمملكة العربية السعودية . لقد تلقيت هذا الكتاب الذى سيجدنى القارىء متحمساً له أكبر الحماسة مع كتابين آخرين بعيد ما بينهما وبين هذا الكتاب العلمى فى ظاهر المحتوى ، ومنحى المضمون فالآخران هما «فتاة من حائل» وهى رواية مطولة و «اليد السفلى» وهى قصة سعودية ، نشر معها فى نفس المجموعة قصة فلسطينية «مشرد بلا خطيئة» ..

ولأول وهلة يتور فى الخاطر سؤال محق «أأديب هذا الرجل أم عالم ؟» وهو سؤال يوجه الى الدكتور اليمانى بقدر ما كان ينبغى أن يوجه الى العلامة المرحوم «الدكتور أحمد زكى» .. والجواب فى الحالتين أو الحالين إن شئت نعم ، أديب عالم أو عالم أديب .. وليس فى هذا الجواب مبالغة فالأصالة العميقة تقتضى تلاقى الرافدين فى منبع واحد .. وما عجز الأديب عن أن يكون عالماً إلا برهان على ضحولة مضمونه ، ولا عجز العالم عن أن يكون أديباً إلا الدليل على نقص فى ملكات خياله وتعبيره ، ولا يكون الأدب أدباً حياً بناء إلا حين ترفده الفكرة الجادة العميقة ، ولا يتحقق فى



هذه الصور التقطها بعض الطيارين . لاجسام قالوا انها .. أطباق طائرة .

العلم ابتكار إلا بخيال متحفز وتعبير ممنطق ومنسق ..

والأطباق الطائرة بين الحقيقة والخيال موضوع خاض فيه الناس ولا سيما الصحفيون وأهل السينما الأمريكية بخاصة خوضاً كثيراً حتى أشاعوا الملالة فى النفوس حين تلقيه .. ولكنى أشهد أن ممارسة القراءة فى هذا المؤلف الرائع تهيىء للقارىء مدخلا مغرياً ، كأنما هو يقترب من الموضوع لأول مرة . لقد وجدتنى أقطع قرابة ستين صفحة فى كتاب من القطع المتوسط قبل أن أرفع رأسى لأقيم ما قرأت تقييم ناقد أو معترض على شىء .. ولقد كانت هذه التجربة الحقيقية مع الكاتب فى حد ذاتها شاهد عدل على القدرة الممتازة للكاتب ... تماماً كما كانت كتابة جورج برنارد شو عن موضوع القديسة جان «جان دارك» معجزة فى الأصالة والابداع حيث يلتقى القارىء بمنتهى الجدة فى موضوع متناهى القدم والتداول ...

وطفقت أبحث عما حملنى على موجة كتاب علمى كل تلك المسافة دون أن أرفع رأسى لأخالف عن مقولات الكاتب أو أناقشها ... وتذكرت كلمات للناقد الأدبى العظيم أبر كرومبى عن هذه العلامة الفارقة للكتاب الموفق فوجدت ذلك ليس فى مجرد الأسلوب السلس المتين والتعبير العربى النقى ولكن فى ميزة متفردة للكتاب كله ، وهى الرسالة التى يؤديها .. انه نموذج رائع للفكر العلمى الاسلامى المعاصر .. انه هذا الربط المحكم بين القرآن والعلم ، وهذه الأدلة المتلاحقة المترابطة على الأبواب التى فتحها القرآن أمام كل المغرمين بكشف قوانين الحياة الخفية ، أولئك الذين لولاهم ما عرفنا الكهرباء ، ولا سخرنا أمواج الجو الخفية ، ولا رصدنا أبعاد الفلك الاسطورية .

يتلاقى العلم والأدب فى تناغم موفق فى هذا المؤلف كما ذكرت ، وبأسلوب فيه كل ما فى العلم من صدق واستقامة ، وما فى الأدب من دفء وجمال ... المؤلف فى مقدمته يسرد : حكايته مع هذا الكتاب .. إنها بدأت بوفود بعض رواد الفضاء الأجانب الى السعودية ومعهم عينة من صخور القمر ، وحيث ان هذا الانجاز الباهر هو قمة هرم من جهود العلماء على مدى العصور ، فان خيال المؤلف عاد بلوعة ليتذكر كل الفضل العظيم الذى كان للاسلام وعلمائه فى قواعد هذا الهرم



د. محمد عبده يمانى .

وأساساته ، وحيث كان ذلك الفضل مظلوماً منكوراً هذه الأيام فقد عزم المؤلف على جمع كل ما يتعلق بالأطباق الطائرة وما يتصل بأمرها من علوم الفضاء ليثبت من شواهد القرآن الكريم ومنجزات العلماء المسلمين مدى الدور الذى لعبه الاسلام فى منجزات الحاضر الهائلة ، وليبعث فى أوصال المثقفين والدارسين والعلماء المسلمين روح الأمل والعزم لوصل الماضى بالحاضر ، لرفع الغبن عن ذلك الماضى المجيد بالأسلوب الحق الوحيد ألا وهو رفعة الحاضر والمستقبل.

وبأسلوب العالم المنهجى يحشد المؤلف طائفة منوعة موثقة مما ورد فى شأن الأطباق الطائرة على شريحة كافية من الزمن المعاصر وعلى امتداد رقاع واسعة من بلدان العالم وتجاربها وأخبارها المذهلة عن تلك الأطباق ، ليخلص من ذلك السرد المنسق كله الى سؤال هو بيت القصيد ، وهو شغل العالم الشاغل من وراء سائر برامج الفضاء المكلفة الطموحة «أتكون تلك الظواهر الغريبة والأطباق الطائرة سفناً فضائية جاءت من عوالم أخرى فى هذا الكون العظيم ؟ واذا كانت هناك حياة فما غاية أحيائها من ارسال سفنهم الفضائية الى كوكبنا ؟»

الخلفيات الأساسية

يرى المؤلف أن النظرة العلمية للموضوع تقتضى أولا تكوين صورة من ابداع الخالق جل جلاله لهذا الكون الذى نعيش فيه ، بملايين مجراته وأفلاكه منها المجموعة الشمسية التى تنتظم أرضنا التى نحيا عليها ... ثم دراسة الموقف الذى اتخذه المسلمون حيال الفلك والفضاء وعلومهما وما ذكر أو أنجز من مقولات فى صدد سكان الكون وذلك قبل محاولة الجواب على التساؤل الأكبر «هل الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ؟»

أذكر أنى قرأت ودرست كتاباً للفلكى البريطانى جيمز جانز عن الكون العجيب الذى نعيش فيه ، والذى اكتشفت لاحقاً مع الأسف أن اثنين من ألمع أسماء كتاب العلوم العرب المحدثين قد نسبا مادته الى نفسيهما .. وفى ذلك الكتاب تفصيلات مذهلة عن حقائق الفضاء الهائل ومليارات أفلاكه وأجرامه ، كما أذكر مقالات نشرت منذ أوائل الأربعينات فى طائفة من أشهر المجلات العلمية بل حتى بعض المجلات الأقل تخصصاً كمجلة لايف والدايجست ... ولكنى لا أذكر أننى فهمت الأمر على وضوح وبساطة وحسن تنسيق كما فهمت عن الدكتور اليمانى والمرحوم الدكتور أحمد زكى . بل وينيف الدكتور اليمانى كل من سبقوه أولا بحداثة المعلومات وثانياً بوضوح الصور الرائعة المنتقاه وبأسلوب الكاتب المعلم الذى اعتاد أن يراعى الأذهان الأقل منه استعداداً للفهم خاصة وأن البحث علمى ومتخصص .

العلوم الكونية فى الاسلام

يشكل الفصل الخاص بالعلوم الكونية فى الاسلام لب الموضوع كله ، وفيه تتجسد تماماً غيرة العالم الأديب المؤمن ضمن ضوابط المنهجية العلمية ... والواقع إن هذا الفصل من أحسن ما يمكن أن يقدم لكل حائر متشكك ، أو جاهل منكر عظمة دينه وأمته من أبناء المسلمين ، فها هنا يقوم الدليل ساطعاً كالنهار على حقائق مذهلة عن الكون وهندسته وحقيقته وحركات أجرامه ، وعن توافر مخلوقات غيبية فيه ، وعن استمرار امتداد سعته وازدياد عدد أجرامه ، وعن مجموعات شموسه وخصائصها .. إن المؤلف يختار لك بخطة تكشف عنها شروحه اللاحقة عن عظمة الحق المتمثل فى القرآن الكريم ، مما لم يكن يخطر ببال فى جزيرة العرب ولا خارجها غداة تنزيل الذكر الحكيم ... ويبدأ المؤلف بايراد كل رواية وردت من مفسرى القرآن الكريم قداماهم ومحدثيهم ليناقش تلك التفاسير ، وينتهى بالنقاش الى ما يهز النفس إعجاباً ويملأ القلب ايماناً والفكر استنارة ورغبة فى المزيد ..

شواهد من التاريخ

فى هذا الفصل يكشف المؤلف عن حقيقة قلما يتنبه لها الدارسون من مثقفينا وهى أن مدى اعترافات الأجانب بفضل المسلمين هو مدى قصير ، وأن الأمر أخطر من ذلك بكثير ، وان ما اقتبس ونقل من العلوم الاسلامية ونسب الى الأوروبيين انتحالا بغير الحق هو أكثر مما يتراءى لنا أو يعرض علينا ، وهو أمر اعترف به قليل من المنصفين الأوروبيين كسيديو .. وأود أن أضيف الى ما يقوله المؤلف بأن كل الانتاج الفكرى والعلمى والفلسفى والأدبى والطبى الأوروبى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ينبغى أن تعاد دراسته من مثقفينا لفرز الحقائق من جديد .. إن علماء المسلمين الذين اضطهدوا فى اسبانيا الكاثوليكية وأدباءهم ومفكريهم توزعوا السكنى فى غرب أوروبا بما فى ذلك انجلترا ، وقد دفعهم الارهاب والخوف الى أن يعطوا الأوروبيين شرف العلم الذى حملوه وبثوه .. أليس غريباً تلك الطفرة العظمى بين بريطانيا القرن الخامس عشر ، وبريطانيا السادس عشر .. أليس عجيباً أن يهبط عليها فجأة كل تلك العبقريات الفلسفية والعلمية والروائية دفعة واحدة .. إن هذا موضوع ضخم ويحتاج لتحقيق ضخم وجماعى أيضاً .. ويعجبك من الدكتور يمانى تلخيص الأمور فى عبارات معبرة ومبسطة وهذه المجموعة من الصور النادرة التى يضمها كتابه .

ولشد ما أثلج صدرى هذا الفصل الرابع الذى سماه المؤلف «شواهد من التاريخ» يريد به المؤلف بابتكار واقتدار أن يهيىء براهين على معلومات واشارات تاريخية من القرآن الكريم حول قدم الحضارات السابقة لتاريخنا

ثم يتصدى المؤلف للموضوع الأساسى فى الفصول الباقية فيقول بروح المؤمن الملتزم والعالم المنهجى ما ينبغى أن يقوله المسلم النموذجى فى هذا العصر مما أدع للقارىء أن يستمتع به فالى هذا الكتاب القيم الصادر عن المطابع الأهلية بشارع عمر بن الخطاب بالرياض فى حوالى مئة وتسعين صفحة ألفت نظر القراء والمثقفين .

أحمد العنانى

البنج وعلاقته بحياة الإنسان

د. عبد الفتاح الزهيري

الكثيرون يتعرضون كل يوم لتجربة التخدير الطبى أثناء اجراء العمليات الجراحية ..

والكثيرون أيضاً ، يودون أن يتعرفوا على كل تفاصيل هذه التجربة الهامة المتعلقة بحياة الانسان ، خاصة بعد أن أصبح التخدير علماً من علوم الطب ..

فالواقع أن التخدير كعلم من علوم الطب أصبح الأطباء يتخصصون فيه ولا يسمح لهم باعطائه لأى مريض إلا اذا حصلوا على دبلوم التخصص فى علم التخدير ، وليس أى طبيب يسمح له بذلك لأن التخدير مسألة تتعلق بحياة المريض . ولا مجال فيها للاجتهاد أو الخطأ والصواب كما كان ذلك منذ خمسين عاماً مضت ..



كان قدماء المصريين يستخدمون مواد مخدرة غير معروفة .

قبل العملية الجراحية

وفى الوقت الحاضر يمكن القول بأن التخدير أصبح مأموناً ولا خطورة فيه على حياة الانسان .. وكل مريض قبل اجراء العملية يجرى عليه كشف دقيق بواسطة طبيب التخدير ، وقد تؤجل العملية مرات قبل السماح له بالتخدير لكى يعالج ويصبح فى وضع لا خطر منه على حياته فى التخدير ..

وكل مريض يعتبر حالة خاصة بذاته وله نظام خاص فى التخدير بحيث يكون نظامه مأموناً وفعالا .

ما هو التخدير ؟

وعلى كل ، فالتخدير حالة مؤقتة من فقدان الوعى الكلى مع عدم الشعور بأى آلام أو احساس آخر باستخدام أدوية خاصة لهذا الغرض ..

وبانتهاء مفعول هذه الأدوية يعود المريض الى وعيه الكامل بدون أية مضاعفات ، ولذلك فهى حالة مؤقتة ..

وهذه الحالة تسمى بالتخدير الكلى الذى يتم إما عن طريق :

- استنشاق مواد مخدرة خاصة .
- أدوية مخدرة تعطى بالوريد .

وهناك التخدير النصفى باستخدام أدوية تحقن فى النخاع الشوكى بالظهر وتؤدى الى تخدير الجزء السفلى من الجسم ويظل المريض مستيقظاً وواعياً بما حوله أثناء الجراحة .

أما التخدير الموضعى فيتم بحقن مواد مخدرة فى مكان الجراحة فتصبح هذه المنطقة مخدرة وخالية من الاحساس بالألم ، وهذا النوع من التخدير الموضعى يكثر استعماله فى خلع الأسنان مثلا ..

حكاية الاكتشاف

إن اكتشاف التخدير الجراحى كان اسهاماً أمريكياً عظيماً ، حيث أن «هورس ويلز» فى يوم ١٠ ديسمبر عام ١٨٤٤ جرب غاز النتروز (الغاز الضاحك) على نفسه وتم خلع ضرس له بدون ألم وبعد ذلك بدأ هذا الطبيب يستخدمه على مرضاه لخلع الأسنان بدون ألم .

وفى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٤٦ نجح مورتون فى خلع ضرس لمريض باستخدام مخدر آخر هو الايثير الذى قابل نجاحاً أكثر من غاز النتروز من حيث قوته وفعاليته .

● لايسمح لأي طبيب بالتخدير حتى لايتعرض المريض للاجتهاد أو الخطأ أو الصواب!

● ماهو الاكتشاف الذي أصبح رائدًا للأدوية المخدّرة وغير قابل للاشتعال؟



اجراء عملية فى المخ منذ أكثر من أربعة آلاف سنة .

وفى عام ١٨٤٧ استخدم الجراح الانجليزى «جيمس سيمبسون» كلوروفوم فى التخدير فى «ادنبرة»، وقد كوفىء على اكتشافه هذا من الملكة فكتوريا ، وقد جربت هذا المخدر فى ولادة الأمير «ليوبولد» بواسطة «جون سنو» ولذلك سمى المخدر الملكى (كلوروفورم) !

وفى عام ١٨٨٤ اكتشف البنج الموضعى «كارل كولر» طبيب الرمد النمسوى باستخدام الكوكيين ، ثم اكتشف البنج النصفى بواسطة «كورنج» فى عام ١٨٩١ .

وشهدت الفترة ما بين عام ١٨٨٠ ـ ١٩٢٠ تقدماً ملحوظاً فى الجراحة والتخدير ، وأصبح التخدير علماً يدرس للأطباء وجذب اليه كثيراً من المتخصصين الذين ساهموا فى تقدمه السريع ، ومنذ عام ١٩٢٠ حتى الآن استحدثت الأجهزة المتنوعة والآلات المختلفة التى جعلت التخدير مأموناً وفعالا ، وبذلك فتح أبواباً للجراحات المختلفة التى كان لا يمكن اجراؤها إلا بتقدم التخدير أساساً لضمان حياة المريض ونجاح العملية الجراحية .

ما قبل الاكتشاف

وقد استخدمت المواد المخدرة منذ القدم ، فمثلا قدماء المصريين الذين استخدموا الجراحة وعرفوها على نطاق واسع ، كانوا يستخدمون مواد مخدرة مازالت حقيقتها غير معروفة مثل كثير من أسرار قدماء المصريين ..

أما الصينيون فقد استخدموا



إمساك المريض أثناء تخديره .

الحشيش (القنب الهندى) لازالة آلام الجراحة التى كانت جراحات سطحية يجريها الجراح بمنتهى السرعة وهناك عقاقير أخرى كانت تستخدم مثل الأفيون بلادونا (ست الحسن) ومشروبات كحولية مختلفة .

كما أن التاريخ يحكى لنا وسائل بدائية متعددة كانت تستخدم مثل الخنق عند الآشوريين لاجراء عملية الختان (الطهارة) واستمرت هذه الطريقة فى ايطاليا حتى القرن السابع عشر الميلادى .

ولكن استخدام المواد المخدرة بطريقة كاملة ومأمونة لمنع الألم أثناء العمليات الجراحية بدأت فى حقبة من الزمن لا تتعدى الخمس سنوات من عام ١٨٤٢ حتى ١٨٤٧ م ثم انتشرت بعد ذلك وتقدمت بخطا سريعة الى الأمام من حيث الأمان والفعالية .

تطور علم التخدير

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أدخلت أدوية «مرخيات العضلات» فى الأربعينات ، فأحدثت تطوراً خطيراً فى مفهوم التخدير وهذه الأدوية تشل حركة العضلات الارادية أثناء التخدير وبذلك يمكن اقلال كمية التخدير بالاستنشاق ..

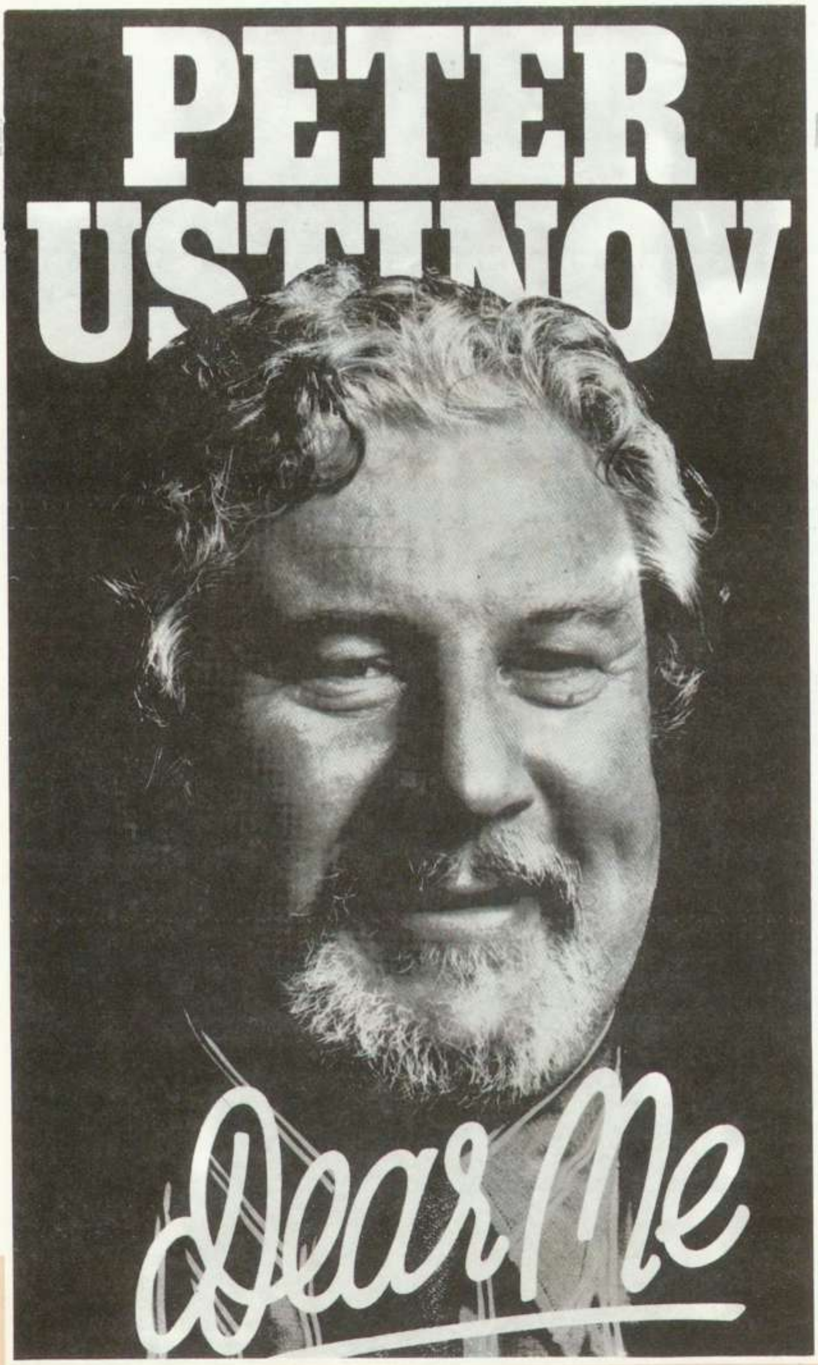
ونظراً لأن هذه الأدوية تشل حركة التنفس أيضاً فقد استحدثت أجهزة التنفس الصناعى أثناء العمليات الجراحية ..

وفى عام ١٩٥٦ اكتشف مخدر بالاستنشاق شديد الفعالية عن الايثير يسمى بالفلوسين الذى أصبح رائد الأدوية المخدرة فى عصرنا هذا نظراً لأنه غير قابل للاشتعال أو الانفجار ، وبذلك انعدمت حوادث اشتعال غرف العمليات وحدوث الانفجارات فيها باستخدام مادة الايثير وأى مصدر حرارى فى غرف العمليات ..

ولقد استحدثت عدة طرق فى التخدير مثل التبريد وتخفيض ضغط الدم وذلك لمساعدة الجراح على القيام بعمليات داخل المخ وداخل القلب ..

والآن وفى كل مستشفى تقريباً توجد وحدة للعلاج المركز فيها أحدث أجهزة التنفس الصناعى ، والكلى الصناعية ، وعلاج الحالات الخطيرة تحت اشراف أطباء التخدير الذين يجيدون هذا العمل .

عبد الفتاح الزهيرى




مع زوجتى هيلين .

عزيزي أنا

● قصة الفنان الضاحك بيتر أوستينوف ورحلة حياته الغريبة .. بقلمه

مزيج غريب من الأحداث والشخصيات كان هو المركب الأساسى الذى صنع شخصية فريدة فذة : «بيتر أوستينوف» .. المؤلف المسرحى ونجم السينما والمسرح والمخرج ومصمم الديكور والأزياء .. الانجليزى المولود فى لندن ، رغم أنه ينتمى إلى أصول روسية وألمانية وفرنسية .. وحبشية أيضاً ! وفى كتابه «عزيزى .. أنا» ــ ٣٤٠



جدى الأكبر الذى عاش ١٠٨ عاما .



فى الوسط جدتى الأثيوبية الكبرى تحمل جدتى والدة أمى .



أبى وأخيه يستعدان لمنصب البارون الأحمر .



أبى وطائرته فى الحرب العظمى .



صورة خطوبة جدى وجدتى – فينيسيا عام ١٨٨٥ .

كنت احب رسم الاسكتشات ومنها بورتريه لبرناردشو .



● حاول أن يعمل في المخابرات الإنجليزية .. لكنه فشل في الامتحان لسبب غريب !

صفحة من مطبوعات بنجوين – يقدم لنا «بيتر أوستينوف» حواراً بينه وبين نفسه ، يستعرض من خلاله سلسة من الأحداث والمواقف التى عاشها وهو يشق طريقه إلى القمة . والكتاب بهذا المعنى ليس سيرة ذاتية متكاملة ، ولكنه عبارة عن مجموعة من الصور الصغيرة التى تكون فى النهاية صورة كبيرة واحدة .. هى حياته .

●● أجداد فى كل مكان :

وما إن تفتح الكتاب حتى تطالعك روحه المرحه ، فهو يهدى كتابه إلى كل من لم يرد ذكرهم فيه .. سواء بالصدفة .. أو عن عمد !

بعدها نبدأ فى التعرف على ذلك المزيج الغريب من الأحداث والشخصيات التى صنعت حياته

كتاب الشهر

عزيزي أنا



ابنتي بافلا .



وشخصيته .. لقد بدأت أمه حملها فى لينينجراد ، لكنه ولد فى لندن عام ١٩٢٠

وأبوه كان مراسلا لوكالة الأنباء الألمانية ، وأحد العوامل الرئيسية وراء اختياره لتلك الوظيفة هو أن اسمه ليس ألمانيا .. فالألمان لم يكونوا يلاقون — فى أعقاب الحرب العالمية الأولى — المعاملة الطيبة فى أوربا ، ولذلك فان رجلا ألمانياً يحمل اسماً روسياً ، ومتزوج من سيدة روسية ، هو الرجل المناسب لتمثيلهم فى انجلترا !

أما إذا عدنا إلى مرحلة أبعد من تلك ، فسوف نكتشف أن أحد أجداده ولد عام ١٧٣٠ فى مدينة ساراتوف على نهر الفولجا ، بينما ولد جد آخر عام ١٧٧٥ فى فينيسيا بايطاليا ، وكان جد ثالث مدرساً باحدى المدارس الريفية الصغيرة على بعد مئات الكيلومترات جنوبى باريس ، وله أيضاً جد كان يعيش فى سويسرا .. إضافة إلى جد خامس عاش فى أديس أبابا ! وقد انتهى هذا الخليط العرقى المتباين إلى جده لوالده ، الذى كان ضابطاً بالجيش الروسى ، ثم تقرر نفيه إلى سيبيريا وبعد أن أمضى هناك بضع سنوات باع كل أملاكه ، التى درت له عائداً ضخماً ، ثم قرر أن يرحل إلى أوربا لكى يستمتع بثروته . وكان «المنفى» الذى يلائم روسياً مثله هو ألمانيا ، واختار أن يقيم فى فورتمبرج ، وهناك منح لقب البارون بلاتون أوستينوف ، باعتبار انه نبيل روسى .

ولأن الرجل كان صاحب مزاج متقلب ، فانه سرعان مامل الحياة فى فورتمبرج ، فانتقل إلى إيطاليا لانه يرتبط بها بوشائج عرقية قديمة .

والصورة التى يرسمها «بير أوستينوف» لجده صورة غريبة حقاً .. فهو مثلا يعتبر أن المال مجلبة للأمراض ، حتى أنه كان يغسل العملات المعدنية فى ماء مطهر قبل أن يذهب لشراء ما يحتاج إليه ، أما العملات الورقية فكان لا يمسك بها إلا وهو يرتدى القفاز . ورغم ذلك فانه رفض دائماً أن يضع أمواله فى البنوك ، وكان يحملها معه فى كل مكان داخل حقائب اليد أو الصناديق وحقائب الملابس !

ولم تستطع زوجته أن تتحمل معاملته القاسية ، وإهماله الشديد لها ، وطباعه الغريبة فكان أن تركت له الدنيا ذات يوم .. وهربت إلى البحر .. مع بحار وقعت فى غرامه . وكانت تلك الحادثة ذات أثر بالغ عليه ، وجعلته يعيد النظر فى حياته وأفكاره . وبعدها قرر الانتقال إلى «الأرض المقدسة» فى فلسطين ، لعله يتطهر من أدران الدنيا وسيئاتها ، حيث بنى له بيتاً كبيراً فى يافا . وهناك التقى بابنة قسيس سويسرى عمل لفترة طويلة مبشراً فى أثيوبيا ، وكان ذلك كافياً — فى رأيه — لكى يتزوج منها وهو مطمئن إلى انه لن يكون ضحية مغامرة مؤسفة أخرى ومن هذه الزوجة أنجب الرجل ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة .. من بينهم «جونا» أبو «بيتر أوستينوف» .

ولأن الجد كان قد حصل على الجنسية الألمانية ، فانه أرسل ابنيه «جونا» و «بيتر» إلى هناك ليكملا تعليمهما . ولما كانت الأوضاع فى تلك الفترة تسير باتجاه اندلاع الحرب العالمية الأولى ، فانهما وجدا نفسيهما مجندين فى الجيش الألمانى ، والتحقا بالسلاح الجوى ، حيث قتل «بيتر» خلال الحرب .

أما الجد .. فما أن شعر برياح الحرب وقد أخذت تهب ، قرر العودة إلى روسيا ليشترك مع جيشها فى الحرب ، مادام جندياً سابقاً . وحينما تقدم للسفارة الروسية طالباً التصريح له بالسفر إلى روسيا ، فوجىء بانهم يرفضون ذلك



دروماتوف وجولييت وحديث مع هارى ترومان .



«بو بروميل» مع روزمارى هاريس ـ بيتر أوستينوف .

لتقدمه فى السن ، وعدم صلاحيته للخدمة العسكرية ، وبحكم طبيعته المعاندة اتخذ قراراً بالسفر إلى روسيا .. متسللا .. حيث انقطعت اخباره هو وزوجته ، وابنه الثالث وابنته ..

●● اكثر الفصول اثارة :

وبعد انتهاء الحرب عمل «جونا» مراسلا لوكالة الأنباء الألمانية فى امستردام لفترة ، ثم شعر بأن من واجبه أن يبحث عن أسرته التى انقطعت أخبارها .. ولكن نجاح الثورة الشيوعية فى روسيا قلب كل الأوضاع ، وجعل من سفره إلى هناك أمراً صعباً . وهنا يحكى لنا «بيتر أوستينوف» مغامرة غريبة ، كانت هى الخطوة الأولى على طريق ميلاده .. فقد وجد أبوه أن الحل الوحيد لدخول روسيا هو الانخراط فى صفوف مئات من أسرى الحرب الذين يجرى تبادلهم ، وفعلا نجحت خطته فاصبح ذات يوم مع مئات الجنود العائدين .. لكنه تبين أنهم يلقون معاملة قاسية للغاية لم يستطع أن يتحملها . وجاءته فرصة التخلص من تلك الظروف الصعبة أثناء نقله مع الجنود بواسطة أحد القطارات أثناء الليل .. حيث قفز منه إلى المجهول !

وبأسلوب يجمع بين السخرية والاثارة يروى «أوستينوف» كيف كان صعباً على ذلك الألمانى الذى ولد فى فلسطين أن يبحث عن أسرته فى بلد تصل مساحته إلى سدس مساحة الكرة الأرضية ، خاصة وانه لا يجيد الروسية ، ولا يعرف أيضاً أية معلومات مفيدة يمكن أن تكون بداية الخيط الذى يمسك به ! والمهم أن «جونا» وصل ـ فى عام ١٩٢٠ ـ إلى مدينة لينتجراد ، ووجد أن من الأفضل بالنسبة له أن يستقر هناك ، حتى يتعرف على طبيعة الحياة ، ويبحث فى الوقت نفسه عن الجسر الذى يمكن أن يعبره ليصل إلى أسرته .

وفى لينتجراد بدأ «جونا» ينخرط فى الحياة ويتعرف على الناس ، ومن بينهم تعرف على أسرة غير عادية .. فالرجل ابن طاه فرنسى أعجب بطهوه وبراعته نبيل روسى فجاء به معه ليستقر فى روسيا ، وخلال إحدى رحلاته لوطنه تزوج من فتاة ايطالية .. ومن هذا المزيج الفرنسى الأيطالى أنجبا ابنة روسية ، شاهدها «جونا» لأول مرة فى إحدى الحفلات فوقع فى غرامها ، وبعدها بأسبوعين كان قد تزوجها !

فى نفس الوقت اكتشف أن والده ـ الذى كان يحاول العودة إلى صفوف الجيش ـ لم يجد من يستمع اليه حتى مات من الجوع . أما أمه ـ وهى نصف اثيوبية ـ واخته «تابيثا» فكانتا مريضتين باحد السجون المحلية .. لأنهما لم تستطيعا التفاهم مع رجال الجيش ، لأنهما لا تعرفان الروسية ، التى لا يعرف غيرها هؤلاء . وبالطبع كان من الصعب التوصل إلى الأفراج عنهما فى الظروف المتشابكة التى مرت بها روسيا فى أعقاب الثورة ، والتى أدت إلى تشديد إجراءات الأمن بشكل مبالغ فيه . ولكن الرشوة كانت هى «الثقب» الذى استطاع «جونا أوستينوف» النفاذ منه ، حيث خرجت فعلا والدته واخته ، وتمكن من إرسالهما إلى القاهرة عن طريق اسطنبول على ظهر احدى السفن .



«أوتيل صحارى» أحد أفلامى .

وبعد أن انتهت المهمة التى جاء من اجلها .. أصبح على «جونا» أن يغادر روسيا هو الآخر . ولم يكن هناك بالطبع سوى نفس «الثقب» ، ومن خلاله حصل على وثيقة تثبت أنه جندى ، وبالتالى يسمح له بمغادرة الاتحاد السوفيتى فى إطار تبادل الأسرى ، على أن تصحبه زوجته الروسية التى تزوجها حديثاً .

وهكذا انتهى اكثر فصول قصة حياة «بيتر أوستينوف» غرابة وإثارة ..

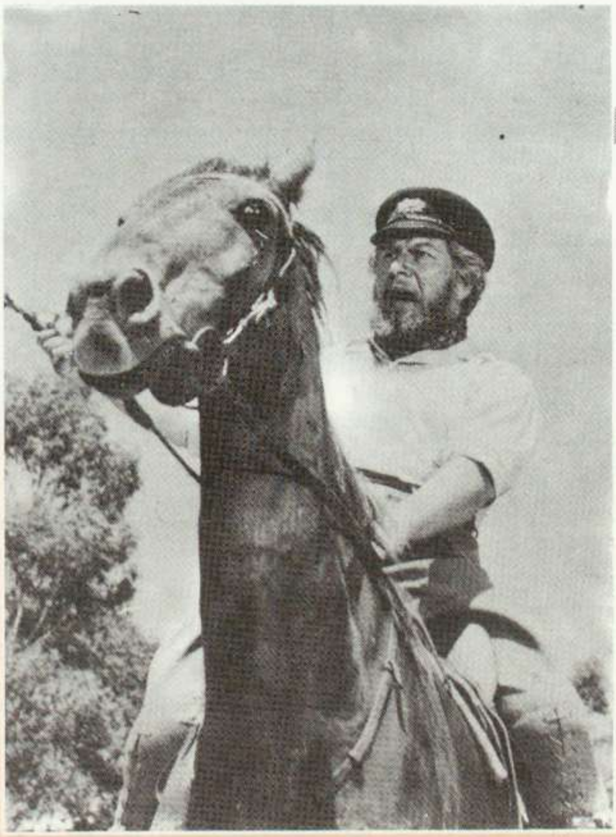
أصبح ممثلا :

وفى انجلترا عاش «بيتر أوستينوف» مع والديه حياتهما الجديدة ، بعد أن حصل والده على الجنسية الانجليزية ، وترك وكالة الأنباء الألمانية ليعمل مراسلا لأحدى الصحف الأيرلندية فى لندن وفى المدرسة استهواه النشاط المسرحى ، وأذهلته فى تلك السن ـ كما يقول ـ قدرة الممثلين على حفظ وأداء أدوارهم ، وهو

كتاب الشهر

عزيزي أنا




«تحت الشمس» .


مع إيزولد فى الجرين بارك .

سر لم يستطع أن يفهمه ، تماماً كما لم يستطع فهم كيف يمكن لعازفى البيانو حفظ كل النوتات الموسيقية .

وكان طبيعياً أن يلتحق بعد ذلك بمدرسة الدراما ، رغم أن ذلك لم يكن يتفق مع أحلام والده . وهناك شعر بأنه أصبح يسبح فى المياه الصالحة له . ويقول إنه كتب فى تلك المرحلة أول مسرحية فى حياته .. وكانت تجمع بين الكوميديا والميلودراما والفارس والتراجيديا فى نفس الوقت ! وكان موضوعها يدور حول عصابة من طراز عصابات شيكاغو تمارس نشاطها فى الريف الانجليزى . ورغم أنها كتبت فيما لا يزيد على ١٥ صفحة ، فانها احتوت على عدد كبير من جرائم القتل .. ففى كل صفحة كان هناك قتيل واحد على الأقل ! وبعدها كتب «أوستينوف» عدة مسرحيات ، ربما كانت أفضل من تلك ، ولكنه لم ينه أياً منها ، إلا أنه اكتشف عبرها أنه يتوق إلى الرحيل بعيداً ..

ثم تستوقفنا حادثة هامة ، تلقى ضوءاً ساطعاً على الظروف غير العادية التى كانت تحياها أسرة «أوستينوف» فى انجلترا . فذات مساء فوجىء بوالده يقترح عليه أن يقضى الأمسية فى مشاهدة فيلم سينمائى . ورغم انه تعجب من ذلك «العرض» الذى يقدمه له والده لأول مرة ، فان الفكرة راقت له . وبينما كان يهبط الدرج فى طريقه إلى السينما قابل عدداً من الرجال يصعدون باتجاه شقة والده واسترعى انتباهه مظهرهم الغامض ، وعندما عاد فى الليل لاحظ أن والده ما يزال يجلس مع أولئك الذين شاهدهم على الدرج ويدور بينهم حديث خافت ، فدلف إلى فراشه دون أن يهتم بمعرفة ما يجرى فى الغرفة الأخرى . ولكن بعد ذلك بعدة سنوات ، وخلال الحرب العالمية خطر له أن يسأل والده عن تلك الليلة وأحداثها الغامضة ، فأخبره «جونا» بأن أحد رجال السفارة الألمانية فى لندن اتصل به فى أحد الأيام وطلب منه التوسط لترتيب لقاء بين عدد من كبار الضباط الألمان والانجليز ، ويستطيع خلاله الألمان نفى ما يتردد عن استعداداتهم ، للحرب ، وذلك مذ منطلق أنه شخص موثوق به من الجانبين وبالفعل أجرى «جونا» اتصالات بوزارة الحرب البريطانية ، أمكن فى نهايتها الاتفاق على تنظيم ذلك اللقاء بشكل سرى . وبعدها جاء إلى لندن الضباط الألمان فى ثياب مدنية ، وعلى ظهر طائرة مدنية عادية ، والتقوا بالضباط الانجليز فى تلك الليلة فى منزل «أوستينوف» !

ونعود معه ثانية إلى أيام الدراسة .. لنجده قد تعرف بفتاة يقول انها ليست جميلة ، ولكن تحيط بها هالة من الغموض الخاص ، الذى اجتذبه إليها ، وجعله يحرص على الجلوس بجوارها خلال الدروس .. أو على الأقل بالقرب منها .. وبسرعة نمت بينهما علاقة وطيدة خاصة بعد أن اكتشفت أنها مثله .. تتوق إلى الرحيل بعيداً .. فقد كانت «ايزولد» ابنة الكاتب المسرحى «رينالد دينهام» تعيش ظروفاً عائلية صعبة ، نظراً لوجود خلافات شديدة ومستمرة بين والديها . وهنا أدرك أن عليه أن يعمل . مادام يفكر فى تكوين أسرة .

وأتيحت له الفرصة ليشترك فى عمل مسرحى ، حيث ظهر فى دور صغير فى مسرحية «تشيكوف» الخال فانيا ، على خشبة مسرح صغير فى شيرى . ويقول «بيتر أوستينوف» إنه اشترى غليوناً ، ثم استقل سيارة أجرة للمرة الأولى فى حياته واتجه إلى محطة القطار فى طريقه إلى المسرح ! وكانت تجربة مثيرة أن يواجه جمهوراً كبيراً ، حيث تحملق فيه كل العيون ، وتتابع حركاته وكلماته .. ولكنه اجتاز «المحنة القاسية» بنجاح ، وفى الليلة التالية كان أداؤه أفضل .

أما المسرحية الثانية التى ظهر فيها فكانت من تأليف الأديب الأسبانى «جارثيا لوركا» ،وهى مسرحيته «ماريانا بينين ١» التى كانت تقدم لأول مرة فى انجلترا ، وأخرجها «جون بوريل» وفيها أدى دور قائد البوليس الأسبانى الفاسق ورغم صعوبة المسرحية فانه استطاع إثبات وجوده ، فكان أن كتبت عنه



مع كيرك دوجلاس في فيلم «سبارتاكوس» .

● هتلر كان السبب في تأجيل أول مسرحية يشترك فيها اوستينوف

صحيفة تايمز تمتدح أداءه ، وقالت إنه أدى دور «بيدروسا» بشكل طيب . ويقول إن ذلك كان بالنسبة إليه حدثاً رائعاً لم يكن يتخيله أبداً ! وأثناء عرض المسرحية ـ الذى استمر لمدة أسبوعين ـ تعرف «أوستينوف» على «تشارلز لوتون» الذى أعجب بما قدمه الممثلون الصغار ، ودعاهم ذات مرة لتناول الشاى فى منزله

●● العمل بالمخابرات !

وبعد عامين أمضاهما فى مدرسة الدراما خرج «بيتر أوستينوف» ليواجه العالم ، وهويبحث عن فرصة يبدأ منها حياته كممثل محترف ، فكتب إلى عدد من المخرجين .. دون أن يتلقى رداً واحداً ، وبدا له أن كل الأبواب مغلقة فى وجهه . وإذا به يتلقى عرضاً للاشتراك فى تمثيل إحدى المسرحيات الكبيرة ، ولكن كبديل للنجم جـورج ديفين» .. فقبله فوراً .. وقرر أن يقوم برحلة خارج بريطانيا عندما ينتهى العرض ويقبض مرتبه . ولكن «ادولف هتلر» ـ أو «استاذ الدراما» كما أسماه ـ فاجأ العالم بأفعاله ، حتى قبل أن يبدأ بروفات المسرحية .. فتقرر صرف النظر عنها !

وكان اندلاع الحرب العالمية الثانية ـ ١٩٣٩ ـ سبباً فى أن يكره «جونا أوستينوف» ألمانيا و «أدولف هتلر» شخصياً لأنه خدعه ، كما كان سبباً فى محاولة فعل أى شىء لخدمة انجلترا ، لاثبات أنه أصبح انجليزياً قحاً ، ولم تعد تربطه بألمانيا أية روابط . ولعل أغرب خطوة أقدم عليها فى هذه الناحية هى أنه حاول أن يلحق ابنه «بيتر» بالمخابرات الأنجليزية ، ورتب له فعلا لقاء لاختباره مع أحد عملاء المخابرات .. فكان على «بيتر» أن يذهب إلى إحدى محطات مترو الأنفاق ، حيث يجد شخصاً يقرأ فى صحيفة نيوز كرونيكل ، فيتقدم منه ويسأله عن الطريق إلى ميدان ايستون .. وعندها سيسأله الرجل عن أى رقم يسأل ، وعندما يقول رقم تسعة سيأخذه الرجل فى جولة يتبادلان الحديث خلالها .



رومانوف وجوليت أخيراً رئيسا لبلدى .

وخلال هذه الفترة اضطر «بيتر أوستينوف» للعمل فى أحد الملاهى ، الذى يحمل اسم «مسرح البلايرز» ، حيث يقدم مقاطع من بعض المسرحيات ، مقابل خمسة جنيهات كل أسبوع . وبعد فترة بدأت لندن تستعيد نشاطها رغم الحرب وأخذت الفرق المسرحية تتحرك ، فعمل ـ للمرة الأولى ـ على مسارح لندن ، وتحسنت أوضاعه المالية .. فتزوج من «إيزولد» وبدأ حياته معها ، بينما لم يزد عمر كل منهما على التاسعة عشرة .

أما طريقه السينمائى فقد بدأ السير فيه ابان نفس الفترة ، حيث اشترك فى فيلم وثائقى اسمه «جريمتى» ومثل فيه شخصية «فان ديرلوب» الألمانى الذى قام بحرق مبنى الرايخستاج . وكان فيلمه الثانى بعنوان «مرحباً بالشهرة» . ثم اشترك بعده فى فيلم جيد ، هو «إحدى طائراتنا مفقودة» ، الذى أخرجه «ميشيل بويل» ، واشتركت فيه مجموعة من الممثلين الانجليز المعروفين ، وأدى فيه دور قسيس ألمانى . وعقب ذلك اشترك فى فيلمين ، أولهما هو «دع الناس تغنى» ، وقدم فيه شخصية عالم تشيكوسلوفاكى ، أما الثانى فكان كوميديا ، وأدى فيه دور تلميذ فى إحدى مدارس التجسس النازية .

ثم بدأ الهجوم الألمانى المكثف على انجلترا ، فانحسر النشاط الفنى وتوقف ، وعاش «أوستينوف» من جراء ذلك فى أزمة مالية حادة .. لم ينقذه منها إلا استدعاؤه للجيش !

●● الهجوم على روسـيا .. وظهور مؤلف جديد !

وفى شهر يناير عام ١٩٤٢ تلقى «بيتر أوستينوف» استدعاء للانضمام للجيش ، وفعلا انضم إلى إحدى وحدات المشاة يوم ١٦ يناير ، ليبدأ سلسلة جديدة من الأحداث . ويقول إنه كان قد انتهى من كتابة احدى مسرحياته قبل انضمامه للجيش قبل عدة أسابيع ، وسلمها إلى احد النقاد ليبدى رأيه فيها وملاحظاته حولها . ولكن مر الوقت دون أن يفاتحه الرجل فى الموضوع ، مكتفياً بالابتسام كلما لقيه ، فادرك أن المسرحية لم تعجبه ، ومن ثم نسيها .. حتى جاء يوم تاريخى غريب .. وهو الثانى والعشرون من يونيو عام ١٩٤٢ .. فقد أعلن فيه أن «هتلر» قام بمغامرة جديدة حيث غزا الاتحاد السوفيتى وأثار النبأ اهتماماً بالغاً فى كل مكان ، باعتباره نقطة تحول فى

عزيزي أنا

- لماذا يتذكر دائماً تاريخ غزو هتلر للاتحاد السوفيتي؟
- النجاح يفتح الطريق دوماً أمام النجاح
- أشياء كثيرة يجهلها أوستينوف عن نفسه!





فى فيلم فيفا ماكس .

مسيرة الحرب . وفى المساء جلس الجندى «بيتر أوستينوف» فى وحدته العسكرية يطالع أنباء الغزو فى صحيفة صانداى تايمز . وبعد أن انتهى أخذ يقلب فى الصحيفة ، فاستوقفه مقال بعنوان : مؤلف مسرحى جديد ، كتبه الناقد المعروف «جيمس أجات» ، وكانت المفاجأة هى أن المقال عنه وعن مسرحيته ويقول إنه لا يستطيع وصف السعادة التى شعر بها ، والتى دفعته لقراءة ذلك المقال عشر مرات .. ولذا ــ كما يقول ــ فانه لا يمكن أن ينسى أبداً تاريخ غزو «هتلر» للاتحاد السوفيتى .

وعرضت مسرحيته « بيت الاعتذارات» ــ التى امتدحها «أجات» ــ يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٤٢ فى لندن ، وأخرجها «اليك كلونيس» على مسرح الفن ، وحققت نجاحاً كبيراً ، كما حظيت بتقدير النقاد بصورة لم يكن يتوقعها ، حتى أن جريدة الدايلى ميل قالت إنها أفضل مسرحية عرضت خلال فترة الحرب العالمية كما أجرت معه الصحيفة لقاء مصوراً ، وبعدها صدرت فى كتاب . ومن الأحداث الطريفة التى يرويها «بيتر أوستينوف» عن تلك المسرحية ، أنه ذهب ذات ليلة خلال إجازة من الجيش ــ لمشاهدة المسرحية ، وبعد العرض استدعاه الممثلون ليكون معهم على المسرح عند تحية الجماهير . وعندما عاد إلى وحدته فوجىء بتوقيع عقوبة عليه لظهوره على المسرح مع الممثلين .. وهو مالا يليق برجل عسكرى !

ولحسن الحظ نقل «أوستينوف» إلى وحدة أخرى قبل تنفيذ العقوبة . وكانت الوحدة الجديدة هى وحدة الخدمات السينمائية بالجيش ، التى كانت تضم مجموعة من الفنيين والفنانين السينمائيين الذين يخدمون بالجيش وبالطبع فان الجو فيها كان مختلفاً تماماً عن الجو العسكرى .. فالجميع فنانون .. ولهم نفس الطموحات والأحلام

والتحق ثانية بوحدة الخدمات السينمائية ، فاشترك مع النجم «دافيد نيفين» ــ الذى كان مجنداً أيضاً ــ فى تصوير فيلم عن الجيش والمعارك التى يخوضها وكان مركز العمل فى الفيلم احد فنادق لندن الكبيرة ، وبمنتهى السهولة كان النجوم وكبار الفنيين المشاركون فى الفيلم يدفعون يدفعون مبالغ كبيرة كل يوم لقاء الطعام والشراب الذى يطلبونه من الفندق ، وهو شىء لم يكن ، النجم الصاعد «أوستينوف» يستطيع أن يفعله .. وهداه تفكيره إلى أن يبيع تمثالا للفنان «رودان» ، لكى يستمتع ــ مثل زملائه ــ بتناول الطعام والشراب فى الفندق . ورغم أنه لم يحصل إلا على ستين جنيها ثمناً للتمثال الثمين ، فان المبلغ كان كافياً لشراء كل ما يريد .. مثل الفنانين الكبار . والطريف أنه خلال وجوده بالولايات المتحدة ، بعد الحرب بعدة سنوات ، وجه له «دافيد نيفين» الدعوة لزيارته فى منزله بهوليوود وهناك لاحظ وجود التمثال .. وعندما سأل «نيفين» من أين اشتراه ، أجابه وهو يبتسم فى سعادة : إنها واحدة من أحسن الفرص التى سنحت لى ، فلم أدفع فيه سوى خمسة وستين جنيهاً عندما اشتريته من أحد محلات لندن الصغيرة أثناء الحرب !

●● «نيرون» فى ايطاليا :

وانتهت الحرب بكل احداثها ، فاصبحت الظروف مناسبة لكى يستانف «بيتر أوستينون» نشاطه ، بعيداً عن الملابس العسكرية ، وما فرضته عليه من قيود كثيرة .

وفى سن الثامنة والعشرين أتيحت له فرصة رائعة ، حيث فتحت أمامه أبواب السينما الأمريكية .. فقد رشحته شركة مترو جولدين ماير لتمثيل شخصية «نيرون» ، فى فيلم «كوفاديس» الذى قررت إعادة إنتاجه . وذهب لأداء اختبار فى الأداء أمام المخرج المعروف «جون هوستون» ، وبذل كل جهده لأثبات قدراته ، فكان أن نجح .. ولكنه فوجىء ببعض المشكلات التى أدت إلى تأجيل العمل فى العمل فى الفيلم لمدة عام .. ولذلك عندما وصلته برقية من الشركة تخطره باختياره للدور وموعد التصوير فى ايطاليا ، قرر ــ احتفاء بتلك المناسبة ــ شراء سيارة جديدة لأول مرة فى حياته ، بعد أن كان يركب سيارة مستعمله . وبالسيارة الجديدة قام بجولة رائعة عبر أسبانيا وفرنسا وايطاليا فى الطريق إلى روما لبدء التصوير .

وهناك التقى بالمخرج «ميرفين ليروى» قبل التصوير ببضع ساعات فقط ،

وتقرر أن يذهب «أوستينوف» إلى أوبرا روما ، لكى يتلقى ثلاثة دروس فى الغناء الأوبرالى ، قبل أن يغنى المرثية التى يرددها «نيرون» بينما روما تحترق . وفوجىء بأن المدرب يسخر من فكرة



أنا وابنى .



فى (الجندى المجهول وزوجته) .



أبى وأمى .

الدروس الثلاثة ، مؤكداً له أن الأمر يحتاج إلى ثلاث سنوات على الأقل .. وربما يثمر بعدها التدريب .. وربما لا ! وبالطبع لم تكن هناك فرصة إلا لتلك الدروس الثلاثة

وبعد انتهاء العمل فى «كوفاديس» عاد إلى لندن وهو يشعر بأنه أضاف الشىء الكثير إلى خبراته ، خاصة وأنه أمضى خمسة أشهر فى روما . تلك المدينة ذات النكهة الخاصة .

●● بين الواقع والخيال :

وفى لندن شرع «بيتر أوستينوف» فى كتابه مسرحية جديدة بعنوان «حب الكولونيلات الأربعة» ، واستوحى أحداثها من الحرب . والكولونيلات ينتمى كل منهم إلى احدى دول الحلفاء : امريكا - انجلترا - فرنسا - الاتحاد السوفيتى . وفى الفصل الأول يبدون لنا رجالا واقعيين تماماً فيهم تجتمع مشاعر السخط والطموح ... ثم يبدأ الشر فى إغرائهم .. وهنا يبدأ الفصل الثانى ، فنجدهم فى القصر المسحور ، وكل منهم يحاول التقرب إلى أميرة القصر «الجمال النائم» بطريقته ، فالانجليزى يستخدم رومانتيكية العصر السليزابيثي ، بينما الفرنسى يتحول إلى ماركيز من القرن السابع عشر ، أما السوفيتى - وهو رجل فظ - فانه يصبح واحداً من ضباط القيصر بزيه الموشى بالقصب ، والأمريكى الذى يتناول باستمرار العديد من الأقراص ، ويبدو متوتر الشخصية ، فيتحول إلى أب لطيف يرتدى زياً عسكرياً وفى الفصل الثانى يرى الأربعة زوجاتهم ، اللاتى وصلن لزيارة أزواجهن .. وهنا يصبح على كل كولونيل أن يختار بين الواقع والخيال .. ويختار الرومانتيكيان - وهما الأمريكى والفرنسى - أن يبقيا فى القصر يداعب كلا منهما حلم أن تحبه الأميرة ، بينما يقرر الروسى والانجليزى العودة للواقع ، ايماناً بأن المثالية انتهى زمنها ، ولا يمكن أن تعود ثانية .

وقد عرضت المسرحية فى شهر مايو عام ١٩٥١ على مسرح ويندهام بلندن ، وتعد أول نجاح كبير يحققه «بيتر أوستينوف» ، بينما يرى هو انها علامة على نضوجه . وتقدمه فى السن . كما عرضت المسرحية فى نيويورك وأخرجها «ريكس هاريسون» الذى قام أيضاً ببطولتها بالاشتراك مع «ليلى بالمر» . وعلى الرغم من أنها لم تعرض هناك لفترة طويلة ، كما عرضت فى لندن ، فانها لقيت نجاحاً كبيراً ، وفازت بجائزة النقاد لأحسن مسرحية غير أمريكية لعام ١٩٥٣ . أما فى باريس فقد عرضت لمدة ست سنوات ، كما عرضت فى ألمانيا الغربية وهولندا والنرويج .

ويبدو أن النجاح يفتح دائما الطريق أمام مزيد من النجاح .. فقد عرض فى نفس الوقت فيلم «كوفاديس» ، ورشح «أوستينوف» لجائزة أحسن ممثل مساعد ويقول هو إن الرياح أخيراً أصبحت مواتية بالنسبة لسفينته .. فانتقل إلى منزل جديد ذى حديقة جميلة ، وكثيراً ما أمضى فيها وقت الفراغ مع كتبه واسطواناته ، وكانت أمه تأتى كثيراً للاقامة معه لبعض الوقت ، بعد انفصاله عن «ايزولد» .

ومع توسع أعماله ونشاطاته ، ونظراً للازعاج الشديد الذى انتابه من رجال الضرائب الذين كانوا يطاردونه باستمرار ، أنشأ شركة لادارة أعماله ، عين فيها والده ، ولكنه كان بعيداً تماماً عن ذلك الجو الغريب عليه ، والذى لا يتناسب مع شخصيته وطبيعته وأسلوب حياته ، وبدا فى الواقع أن «بيتر» هو الأب ، و «جونا» الذى يحاول أن يكون مفيداً .. هو الأبن !

وفى تلك الأثناء أصبحت حياة «بيتر أوستينوف» اكثر هدوءاً وانتظاماً لكنها لم تصبح اكثر استقراراً ، وأخذ يشك فى أنه يصلح للزواج ، على الرغم من ادراكه لحقيقة أنه لا يستطيع الاستمرار فى حياة العزوبة .. فالنجاح والسعادة والمال تبدو غير كافية ، والعزلة ضرورية للكاتب لعملية الابتكار والخلق ، لكن الوحدة شىء قاس .. الوحدة بين الناس .. ووسط المرح والبهجة .

وذات يوم ، وفى احدى المكتبات شاهد فتاة جميلة على غلاف احدى المجلات ، ولفرط اعجابه بالفتاة اشترى المجلة ، ثم ذهب إلى المسرح . وكانت المفاجاة أن ناشره الفرنسى جاءه بعد قليل .. ومعه نفس الفتاة ، وطلب منه العناية بها لأنها جاءت للأقامة فى لندن ، بينما هو مضطر للعودة إلى فرنسا .. وانتهى الأمر بزواجه من «سوزان» ، ثم رحلا معاً إلى الولايات المتحدة لتصوير فيلم فرعونى سخيف .. لم يستطع هو نفسه مشاهدته عندما بدأ عرضه ! وعقب انتهاء العمل فى ذلك العمل اشترك فى فيلم «لسنا ملائكة» .

وبسبب الضرائب الباهظة فى انجلترا ، والتى لا تعنى بدور الكاتب ومشاعره ، وترغمه على أن يكدح لكى يعطى الحكومة معظم نتاج كدحه .. قرر النزوح إلى سويسرا ..

وينتهى الحوار بأن يعترف «أوستينوف» بأنه حقق مزيداً من التعرف على نفسه .. لكن ما تزال هناك أشياء أخرى كثيرة يجهلها !

عبـــاس خضـــر

من الكفراوي إلى أرسين لوبين

أحياناً يكون الكاتب ملهماً كانما يستمد الكلمات من ربه ...
خصوصـــاً عنـــدما يكـــون الحديـــث عـــن شـــخصه .

«أناتول فرانس»



كامل كيلانى .



أبو زيد الهلالى .

انهمكت فى قراءة قصص الهلالية ، وعشت فى جوها زمناً ، وأنا صبى صغير لم أجد أمامى ما يقرأ بخلاف المصحف الشريف غيرها . رأيت عند أبى كتباً لم أفهم فيها شيئاً وقتذاك . ولما كبرت وفهمت عجبت .. كيف وقعت هذه الكتب لأبى وهى فوق مستواه ، فهو لم يجاوز فى التعليم مرحلة كتاب القرية الذى تعلم فيه القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من سور القرآن وآياته .

كتاب «الرحلة الحجازية» لأمين سامى وكتاب «المرأة الجديدة» لقاسم أمين ، وكتاب «اعلام الناس فيما جرى للبرامكة من بنى العباس» وغيرها .

ومعقول أن يكون عند أبى بعض كتب الفقه على مذهب الامام مالك الذى يسير على مقتضاه ، فى تدينه ، وهو قد اختلط بأبناء القرية الذين «جاوروا» فى الأزهر .

وأبى لم «يجاور» ولكنه استفاد من المجاورين العائدين استفاد منهم علماً وقدرة على قراءة كتبهم الأزهرية وفهم محتوياتها الى حد ما .

أما كتاب «المرأة الجديدة» مثلا فأكبر الظن أنه اقتناه مجرد اقتناء ولم يقرأ فيه شيئاً ، وإلا لأحرقه وما أبقاه عنده ... فالمرأة عنده – أى عند أبى – شىء آخر مختلف جداً عن المرأة الجديدة التى يرمى اليها قاسم أمين .. انها حريم وكيف تخرج عن الحريم .. ؟

تركت ذلك كله ولم ألتفت إلا إلى قصص بنى هلال ، ثم قصة عنترة بن شداد التى رأيتها عند أحد أقاربنا



عنترة بن شداد .

فاستعرتها منه ولم أردها اليه ..

أبطال عظام وفرسان كرام : أبو زيد الهلالي ، والزناتى خليفة ، وعنترة بن شداد . لاقوا فى حياتهم وفى سبيل أهدافهم ما لاقوا .. تغلبوا على كل من اعترض طريقهم وحققوا أهدافهم التى رموا اليها ، وكلها خير وانسانية وعزة وكرامة .

أحببت أولئك الأبطال كل الحب . وطالما فرحت بانتصاراتهم وفتكهم بأعدائهم أعداء الخير والانسانية .

ولما كبرت وقرأت عن الأدب الانسانى كان معناه قد قر فى نفسى وإن كان يبحث عما يبلوره ويعبر عنه ، قضية اللون والحرية تبناها عنترة من قديم وسبق فيها أعلام الأدب الزنجيين الأمريكيين المعاصرين الذين يردد العالم الآن ذكرهم .

وقرأت الشعر الذى تشتمل عليه ملحمة عنترة ، بعضه ينسب اليه ، والكل ولا شك من وضع المؤلف المجهول الذى ألف سيرة عنترة . وهو شعر سهل ميسور الفهم لناشىء صغير مثلى ، كما كان مثل هذا الشعر فى قصص الهلالية ، وهو يأتى عندما يحسن أن يؤتى به فى المواقف التى تتطلب الشحنات الوجدانية . واعتقد أن هذا فن ملحمى اكثر فنية من الملاحم اليونانية القديمة

ثم التقيت بعنترة الشاعر الفحل فى تاريخ الأدب العربى ، ورأيت شعره هنا

● أحببت أبطال السيرة الشعبية لانتصارهم على أعداء الخير والإنسانية

● كيف كانت دراسة العلوم في الأزهر غاية في الغرابة؟

● كانت القصص ذات الاتجاه الواقعي المحكم تتسلل إلينا على حذر

قاسم امين .



يختلف عن شعره هناك . هناك فى الأدب الشعبى الذى يخاطب الجماهير على الربابة وبدونها ، فتفهم الجماهير ما يعنيه ، وتردده فى مناسباته .

كان ذلك أول ما قرأت ، لم أر مجلات للأطفال ولم أر الكتب التى كان يضعها للصغار كامل كيلانى وغيره . لم أر هذه إلا بعد أن كبرت وشببت عن الطوق ، واذا كنا نشكو الآن من أن التأليف للأطفال عندنا لا يزال ضعيفاً وغير كاف فأكثر الله خير الدنيا .. فهو شىء عظيم بالنسبة لما كابدناه فى طفولتنا .

بلغت سن الرابعة عشرة وأنا لم أتعلم غير مجرد القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم أو ادعاء حفظه .. فانى لم احفظه تماماً لأنى كنت أغافل «سيدنا» الأعمى وأضع المصحف فى حجرى مفتوحاً على ما أسمعه له ..

ولا أدرى كيف استطعت أن أبدأ تعلمى فى الأزهر ومواجهة العلوم المقررة بقدرة قادر بدأت أصغى وأفهم ما يقوله الشيخ فى شرح «الكفراوى» على متن «الأجرومية» فى النحو ، بدأت فى هذه المرحلة أفتح عينى على عالم جديد فى الأدب ، يتمثل فى أبيات الشعر التى يستشهد بها كتاب النحو فيما يشذ عن القواعد وما يطابقها . كنت أتلهف الى سماع الشيخ وهو يشرح هذه الأبيات وكأنه يذيب الشراب المركز فى الماء المثلج وأنا أشرب هنيئاً مريئاً .

وانهمكت فى هذه الدراسة التى كانت تشمل علوماً حديثة كالحساب والجغرافيا والتاريخ الى جانب العلوم الأزهرية القديمة كالفقه والنحو والتوحيد . كنت مشتاقاً الى العلم

الواقع أن دراسة العلوم الحديثة فى الأزهر فى ذلك الوقت كانت عجيبة ، كان يدرسها لنا أزهريون تخرجوا حديثاً ، وقليلا ما كان يوظف فى ذلك بعض الأفندية من خارج الأزهر . والذى يسترعى الانتباه أن المؤلفين الذين ألفوا فى هذه العلوم الحديثة ـ كانت حديثة إذ ذاك ـ كانوا من المتخصصين فى تعليمها بالمدارس المدنية ، منهم محمد ادريس بك مؤلف كتب الحساب ـ مسلك هؤلاء المؤلفون فى تأليفهم لطلبة الأزهر مسلك التأليف الأزهرى ، وأعتقد أنهم أرادوا أن يخاطبوا عقول الأزهريين بما يناسبهم ، مثلا فى علم الحساب : كان حفظ القواعد غالباً على حل التمرينات والمسائل .

وترامى الى علماء الأزهر «الحديثين» أن هناك وسائل ايضاح فى علم التربية تشوق الطلاب الى الدرس ، فكان شيخ الجغرافيا يبدأ الدرس هكذا : «لو مت وصلوا علي ودفنونى لقامت عظامى من قبرها وقالت : افريقيا تحد من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط .. الخ»

وكنا نتلقى كل ذلك بسذاجة ، ونقرأ كتبه ونحفظه ، ونحن نحسب أن هذا هو العلم ..

والواقع أن العلم كان حقاً فى العلوم الأزهرية القديمة ، أما هذا الذى يدرس لنا فى العلوم الحديثة فقد اتسعت آفاقنا وعرفنا أنه شىء يدعو الى الضحك والسخرية !

كان أقرب شىء الى نفسى من تلك العلوم ، قديمة وحديثة ، هو النحو أى قواعد اللغة العربية ، وأكثر شىء يحببنى فى كتبه القديمة الشعر الذى تأتى به للاستشهاد على صحة القاعدة أو على ما يشذ عنها . وهناك أشياء ـ غير الشعر ـ كنا نحفظها فتكون بمثابة جدول الضرب فى الحساب .. مثل «فائدة ما بعد اذا زائدة» ومثل : سأل الطلاب شيخهم عن حروف الزيادة فقال لهم «سألتمونيها» فجمع حروف الزيادة فى قوله : سألتمونيها ..

استغرقت فى قراءة كتب الدراسة الأزهرية استغراقاً .. كنا على مقتضى الطريقة الأزهرية القديمة القويمة نقرأ الدرس قبل أن نتلقاه من الشيخ فنفهم منه ما نستطيع أن نفهمه ، ونتشوق الى فهم الباقى العويص من شرح المدرس . وقد تدفع «الشقاوة» بعضنا الى أن يقرأ «الحاشية» وهى الكتاب المطبوع على هامش الشرح ، وهذا شرح للمتن .. أى أن المجلد كان يحتوى على ثلاثة كتب مجتمعة فى الصفحات : المتن والشرح والحاشية ـ يقرأ الطالب «الخبيث» الحاشية بحثاً عن أشكال أو اعتراض

من الكفراوي إلى أرسين لوبين

يسوقه فى الدرس معترضاً على الدرس . فاذا كان هذا عالماً بحق ابتسم وأجاب بما أجابت به الحاشية نفسها ، وإن كان من الكسالى الذين لا يقرؤون ولا يبحثون شتم الطالب ، وقد يلعن أباه والبلد الذى قذفه !

ثم تطلعت الى أن أقرأ كتباً أخرى غير الكتب المقررة فى الدراسة ، ولم أكن أستطيع الشراء .. فالقروش التى تتاح لي لا تسمح بشراء أكثر من الكتب المقررة الى جانب النفقة الضرورية .

عرفت أن هناك شيئاً اسمه دار الكتب المصرية وأن الانسان يستطيع أن يذهب اليها ويقرأ ما يحب من كتب ... وفعلت ، بدأت بقراءة الروايات المترجمة والمؤلفة البوليسية والغرامية . وكانت كلها من النوع الرومانسى المغرق فى الخيال ، إذ كان هذا اللون من القصص هو السائد فى ذلك الوقت ، وكانت القصص ذات الاتجاه الواقعى تتسلل الينا على حذر وفى قلة ، سواء فى مجال الترجمة أو التاليف .

طالما عشت مع أبطال تلك الروايات ، وبكيت مع الباكين منهم ، وكان معظمهم باكين .. وكنت أخرج من عالم البكاء الى عالم المغامرات مع القصص البوليسية ، وخاصة قصص «أرسين لوبين» اذ أعجبت بهذه الشخصية التى تكاد تاتى بالمعجزات ، وأثر في بصفة خاصة الاتجاه الانسانى الذى يتلخص فى كلمة «اللص الشريف» ذلك الذى يأخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء ، ولم ألتفت كثيراً الى أن الأخذ من الاغنياء هنا كان بطرق مخالفة للقانون .

ولما أوغلت ـ بعد ذلك ـ فى قراءة الأدب العربى رأيت مغامرات «الصعاليك» تقوم على فكرة «اللص الشريف» وذلك بالسلب والنهب من القادرين والانفاق على المحتاجين .

الخير فى الناس أو فى بعضهم من قديم ، وسيظل كذلك ، ولن ينقطع ، ولن ييأس الانسان من الخير مهما كان من أمور مصيرها كمصير السحاب الذى تذروه الرياح فتشرق الشمس .

عباس خضر

من الشعر الضاحك

الشاعر المعلم



كتب شاعر فلسطين الكبير المعروف المرحوم ابراهيم طوقان هذه القصيدة يعارض فيها قصيدة شوقى المعروفة عن «المعلم» والتى يقول فيها :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وفى هذه القصيدة الساخرة يقول ابراهيم طوقان الذى كان يعمل بالتدريس عند كتابته لهذه القصيدة :

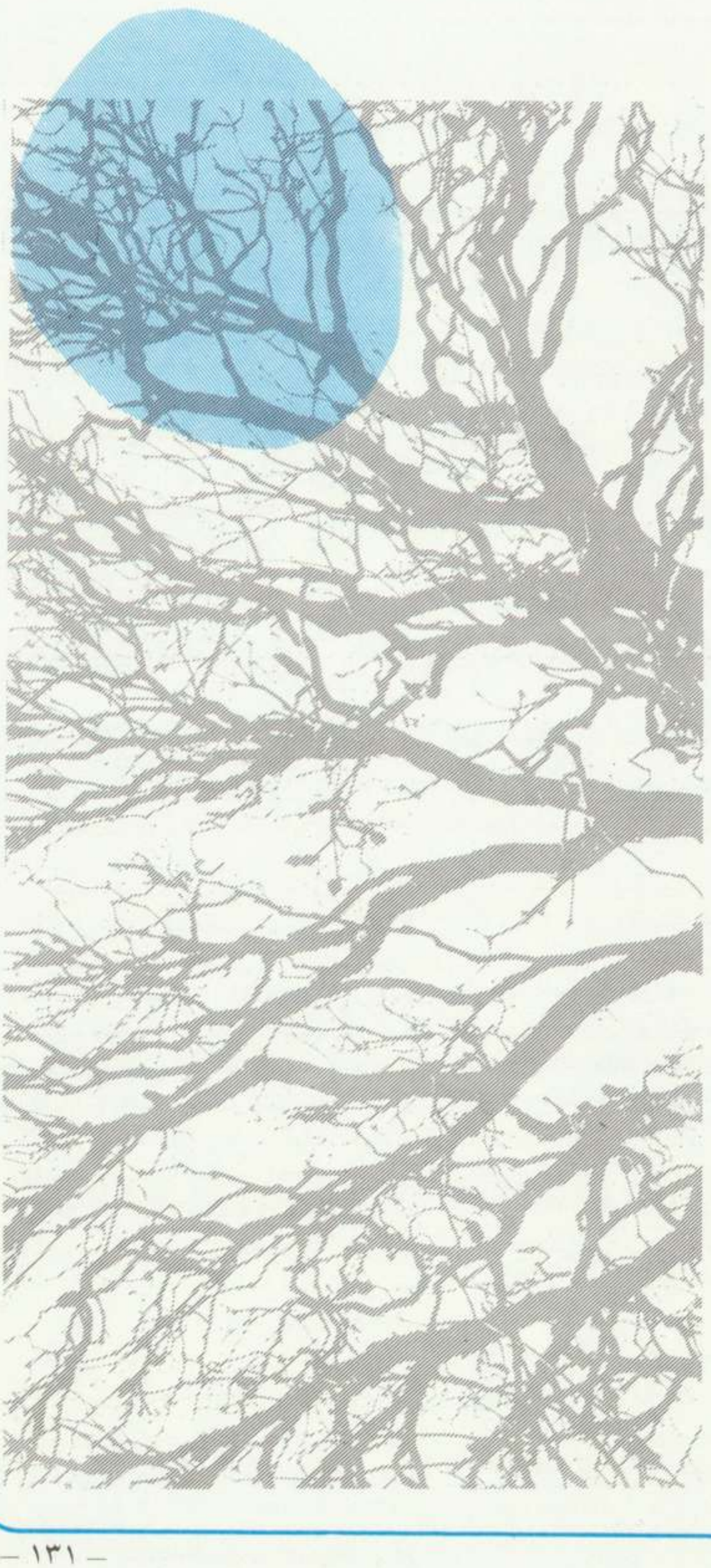
شوقى يقول وما درى بمصيبتى
«قم للمعلم وفه التبجيلا»
اقعد ، فديتك ، هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد يفلقنى الامير بقوله :
«كاد المعلم أن يكون رسولا»
لو جرب التعليم «شوقى» ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمة وكآبة
مرأى «الدفاتر» بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هى صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو ان فى «التصليح» نفعاً يرتجى
وأبيك ، لم أك بالعيون بخيلا
لكن أصلح غلطة نحوية
مثلا ، واتخذ «الكتاب» دليلا
مستشهداً بالغر من اياته
أو «بالحديث» مفصلا تفصيلا
وأغوص فى الشعر القديم فانتقى
ما ليس ملتبساً ولا مبذولا
وأكاد أبعث «سيبويه» من البلى
وذويه من أهل القرون الأولى
فأرى «حماراً» بعد ذلك كله
رفع المضاف اليه والمفعولا
لا تعجبوا إن صحت يوماً صيحة
ووقعت ما بين «البنوك» قتيلا (١)
يا من يريد الانتحار وجدته
إن المعلم لا يعيش طويلا !

(١) البنوك : معناها مقاعد الدراسة .

المسافة

شعر حبيب الصايغ

البحرين



على صهوة البدء سافرت والفجر ضوء وليد
وصلت الى الشمس حيث الضياء مواكب
تستقبل الفاتحين وتطلق احدى وعشرين طلقة
ولم احترق فى الضياء ، وكنت أفتش بالبذلــــة العسكريــــة
جند الشرف

(٢)

عبرت المسافة فى لحظتين .. رفعت يدى احيي الجماهير
وهى تردد حلو الهتاف .. امثل مثل النجوم الكبار ،
واركع .. أسجد .. أركب سيارة خصصتها الضيافة
ليس لها رقم أو علامة
اشق الشوارع شقا .. شوارعهم مثل ورد البنفسج والفل
والفضل يرجع للسيد المستنير الرئيس على البلديــــــــة
شبل الكرامة

وراعى الشهامة
عدو القمامة

(٣)

عبرت المسافة والفجر ضوء وليد
ولكننى ما عبرت النفاق ، ولكننى ما نسيت القمامة
تذكرت درس الحساب واتعبنى جــدول الضرب ، والضرب
يوم الحساب

لقد علمونا على الرغم منا ، وقالوا لنا :
«اثنان فى خمسة .. عشرة .. عشرة فــى ثــلاث تســاوى
ثلاثين» .. يا لضياع الطفولة
ما علمونا بأن النفاق يساوى القمامة
وفى القصر حيث نزلت أتانى صبى القمامــــــــــة فــى
يده المكنسه

ولم أكترث للصبى الرقم
ومن عادتى اننى أرفع الأنف فى حضرة الجند والبســــطاء
الخـــدم

تأملته ثم تمتمت .. من أنت ؟ .. ماذا تريد ؟
مددت يدى اليه بقطعة نقد ، فراح يئن
وراح يردد حلو الهتاف
وما كان يهتف من أجل رفعة أنفى المعظم ..
لكنه كان يهتف من أجله هو ..
من أجل أفواه أولاد الفقراء .

(٤)

تذكرت صوت بلال .. أنين ابن ياسر عمار ..
بين الأنين وبين الصباح هتاف ، وأحضرت مسطرة
قست فيها المسافة بين أنين الفقير وأنف الغني ..
رأيت أباذر يحتل طول المسافة يحمــل لافتــة كتبــت
بالدمـــاء

وأدركت أين الرقم
وأبصرت معنى العلامة
وأدركت أن النفاق يساوى القمامة

نافذة على الثقافة العالمية

محمد العزب موسى

الجورنيكا تعود إلى وطنها



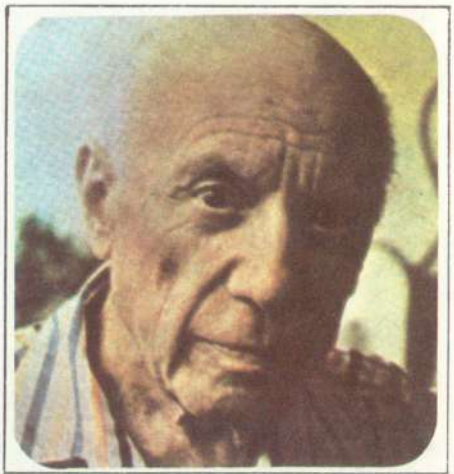
أهوال الحرب الأهلية الاسبانية فى لوحة بيكاسو الشهيرة «الجورنيكا» التى رسمها عام ١٩٣٧

لوحة بيكاسو الشهيرة «جورنيكا» التى رسمها فى باريس عام ١٩٣٧ أصبحت خلال الشهور الأخيرة محوراً لمناقشات حامية . المعروف أن هذه اللوحة تصور أهوال الحرب الأهلية الأسبانية حين تعرضت مدينة جورنيكا باقليم الباسك بشمال أسبانيا لغارة جوية عنيفة من جانب قوات فرانكو الفاشية تركتها أشلاء وحطاماً وتبدو فى اللوحة أشلاء الرجال والنساء وقد اختلطت بأجساد الحيوان وحطام المبانى . وقد أرسلت اللوحة الأصلية فى عام ١٩٣٩ الى متحف الفن الحديث بنيويورك لتحفظ هناك بسبب قيام الحرب العالمية الثانية .

وبعد انتهاء الحرب أعلن الرسام بيكاسو أن هذه اللوحة تخص الشعب الأسبانى ، وطلب عدم اعادتها الى أسبانيا الى أن تتخلص من الحكم الفاشى وتعود مرة أخرى جمهورية ديمقراطية ، ونص عند اعادتها أن تذهب الى متحف برادو بمدريد .

وعندما مات فرانكو فى عام ١٩٧٥ بعد سنتين على وفاة بيكاسو بدأ التفكير فى إعادة اللوحة إلى أسبانيا ، ولكن ورثة بيكاسو ومحاميهم رولاند روماس، أثاروا اعتراضات ، ولكن الكونجرس الأميريكى قرر فى مايو ١٩٧٨ ان اللوحة ينبغى اعادتها الى «الشعب الأسبانى وحكومته الديمقراطية» وبعد ١٤ شهراً من هذا القرار منح شعب الباسك الحكم الذاتى وصدر دستور ديمقراطى جديد فى أسبانيا ، ولم يلبث أن أعلن بعد ذلك ان لوحة جورنيكا فخر الفن الأسبانى الحديث سوف تعبر الاطلنطى مرة أخرى فى أوائل عام ١٩٨١ لتعود الى وطنها الأصلى اثناء الاحتفالات التى ستقام فى أسبانيا بمناسبة مرور مائة عام على مولد بيكاسو .

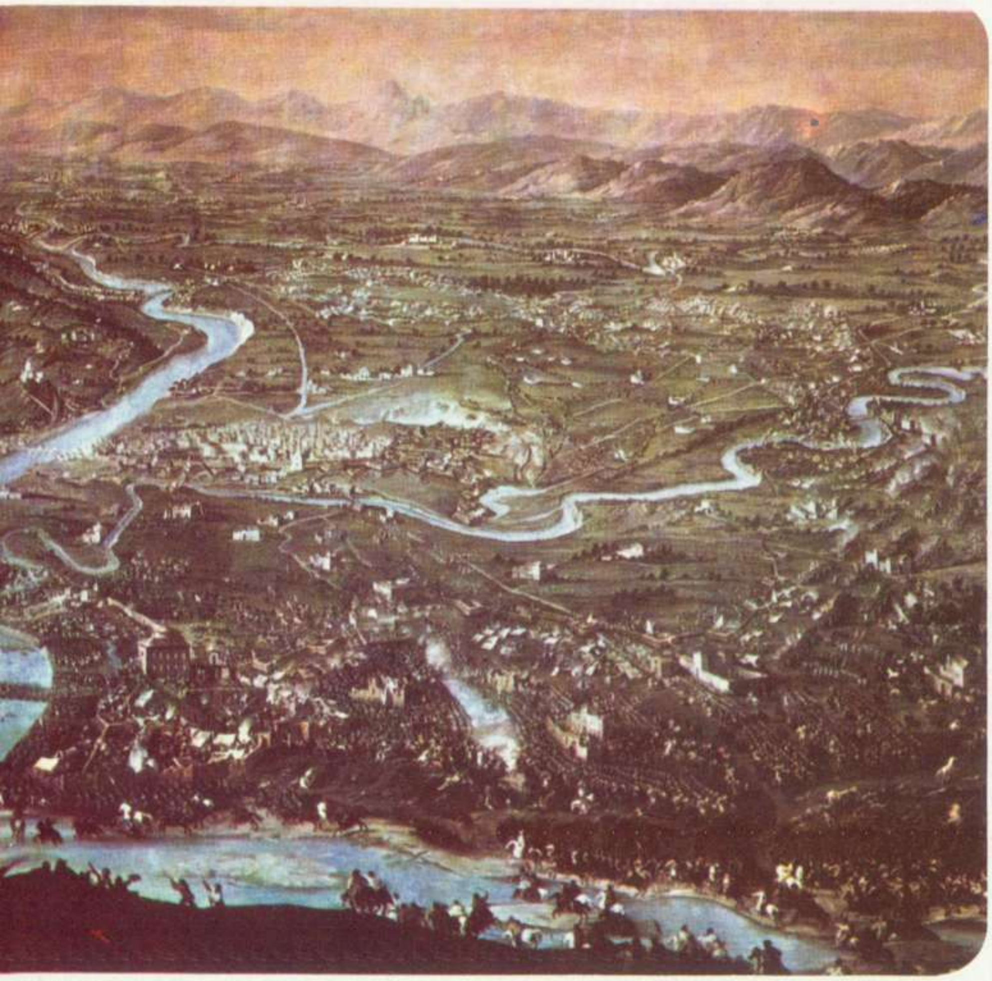
وعلى أثر ذلك ثار خلاف حام بين الأسبان حول المكان الذى ينبغى أن تستقر فيه اللوحة ، فقال سكان «مالاجا» ان بيكاسو ولد فى مدينتهم ويجب أن تستقر اللوحة فى مدينة المولد ، ولكن سكان برشلونة تصدوا لهم قائلين إنهم أحق بالاحتفاظ باللوحة لأن بيكاسو انتقل الى مدينتهم وعمره ١٢ عاماً حيث درس فى مدرسة الفن هناك واستقر فى المدينة الى ان رحل الى باريس عام ١٩٠٤ ، وأضافوا الى ذلك أن «متحف بيكاسو» ببرشلونة يضم ١٦٠٠ لوحة من أعمال بيكاسو كان الفنان قد أهداها الى



الفنان بيكاسو .. اختار موضوعاً يصل الى قلوب الناس



الجنرال فرانكو الذى أمر طائراته بقذف مدينة جورنيكا



لقطة من واقع الحرب الأهلية الاسبانية فى مدينة جورنيكا بشمال أسبانيا

تلك المتحف ويجب أن تستقر الجورنيكا فى نفس المكان كواسطة للعقد بين لوحات بيكاسو الأخرى ، أما سكان مدريد فقد تمسكوا بوصية بيكاسو نفسها وهى ايداع اللوحة فى متحف برادو بالعاصمة ، غير أن مديرى متحف برادو الذى انشىء عام ١٨١٩ يجدون أنفسهم فى موقف ضعيف إذ بالرغم من الجهود التى يبذلونها لتحسين المتحف فان نظام التهوية والاضاءة فيه لا يناسب المواصفات المطلوبة للحفاظ على مثل هذه اللوحة الثمينة خاصة انها منفذة بألوان تجريبية معرضة للتلف الأمر الذى يهدد اللوحة بالتدهور السريع ، وهنا انبرت مدينة جورنيكا نفسها مطالبة بأن تكون مقراً للوحة التى تسجل مأساتها ويقول أهل جورنيكا انه لا يمكننا أن نشير الى ١٦٠٠ لوحة من بيكاسو لتعزيز مطالبنا كما يفعل ابناء برشلونة ولكننا نستطيع أن نشير الى ١٦٠٠ قتيل خلفتهم الطائرات وراءها يوم الغارة .. غير أن قسماً كبيراً من أهل المدينة أعربوا عن معارضتهم الشديدة لمجيء اللوحة الى مدينتهم لأنها سوف تذكرهم بالمأساة الدامية التى لم ينج منها بيت واحد أو أسرة واحدة ويقولون انه لو عادت اللوحة فسوف يعمدون إلى احراقها أو تشويهها !

ولا يدرى أحد على أى وجه سوف ينتهى هذا الخلاف الذى يثير مناقشات حامية فى الصحف والندوات والبرلمان ، وعلى أي حال يبدو ان الاعتبار الرئيسى سيكون : أى هذه المتاحف أقدر على توفير الحراسة والحماية الكافيتين للوحة الثمينة ؟ وهذا الاعتبار فى صالح متحف برادو بالعاصمة لولا سوء الاضاءة والتهوية واذا استقرت اللوحة فى هذا المتحف فانها سوف ترفع عدد رواده يومياً فى تقدير مديريه من ٥٠٠٠ الى ٢٠ ألف .

وهناك آخرون يعتقدون انه من الأفضل أن تستقر لوحة جورنيكا فى «أرض محايدة» فتبقى فى متحف الفن الحديث بنيويورك أو تذهب الى متحف اللوفر بباريس حيث عاش بيكاسو معظم عمره الطويل .

بقى أن تعرف أن هذه اللوحة التى لا تقدر بثمن تقاضى عنها بيكاسو بعد الانتهاء منها عام ١٩٣٧ مبلغ الف بيسيتا (أى أقل من الف جنيه استرلينى) من الحكومة الجمهورية بأسبانيا مقابل «النفقات» التى أنفقها فى رسمها ، أى ثمن الرقعة والألوان والفرش وما أشبه !

● اهتم بها النقاد، ورأى فيها أحد الشعراء: جرس إنذار!

الجورنيكا

تعود إلى وطنها

تاريخ اللوحة

بالرغم من أن بيكاسو حاول دائماً أن يكون بعيداً عن السياسة وكان يقيم فى فرنسا بصفة دائمة إلا أن قدره هيأ له أن يلعب دوراً فريداً فى الحرب الأهلية الأسبانية فبعد أيام من نشوب الحرب أعلنت الحكومة الجمهورية الأسبانية تعيينه مديراً فخرياً لمتحف الفن القومى «برادو» اعترافاً بفضله وقيمته كفنان عظيم، ولم يلبث ان جاءت خطوة أخرى من الحكومة الأسبانية حين طلبت منه أن يساهم بلوحة تكون بمثابة «العمل الكبير» فى الجناح الأسبانى بالمعرض الدولى القادم.

وقرر بيكاسو أن يختار موضوع لوحته عن الحرب الأهلية الاسبانية ولكنه احتار فى اختيار الموضوع الذى «يصل الى قلوب وأذهان آلاف الناس العاديين»

ومرت الأسابيع وبيكاسو لا يستطيع الاستقرار على موضوع معين الى أن «أسعفته» الظروف بموضوعه المأمول، ففى ٢٨ ابريل ١٩٣٧ قام سرب من الطائرات التى أرسلها هتلر لمساعدة الجنرال فرانكو بغارة على الأهداف المدنية فى مدينة جورنيكا الصغيرة باقليم الباسك فى وقت كانت فيه الشوارع والأسواق تعج بالمشترين، وأخذت الطائرات تقذف المدينة قذفا مكثفاً لمدة ثلاث ساعات واسفرت الغارة عن مقتل معظم ابناء المدينة الصغيرة المؤيدة للجمهوريين وتحويلها الى حطام

كانت هذه هى الاشارة التى ينتظرها بيكاسو، فأعد لوحة ضخمة مساحتها ٢٦ قدماً فى ١١٫٥ قدماً وبدأ العمل، ولحسن الحظ فقد احتفظ تاريخ الفن بتسجيل لكل مراحل العمل فى تلك اللوحة الفريدة بفضل امرأة شابة تدعى دورا مار انضمت مؤخراً الى دائرة بيكاسو. كانت دورا صديقة للشاعر جورج باتاى الذى يشارك بيكاسو الاقامة فى مرسمه، وكانت ضمن حلقة من الفنانين والمثقفين الفرنسيين الذين يؤيدون قضية الجمهوريين فى أسبانيا وقد ظهرت هذه الشخصية الحيوية الجميلة بالفعل فى بعض رسوم بيكاسو فى تلك الفترة، ولما كانت دورا مار مصورة فوتوغرافية ماهرة فقد تولت تصوير كل مراحل العمل فى اللوحة منذ أن كانت مجرد استكشات أولية الى أن انتهت كلوحة كاملة.

الأبيض والأسود

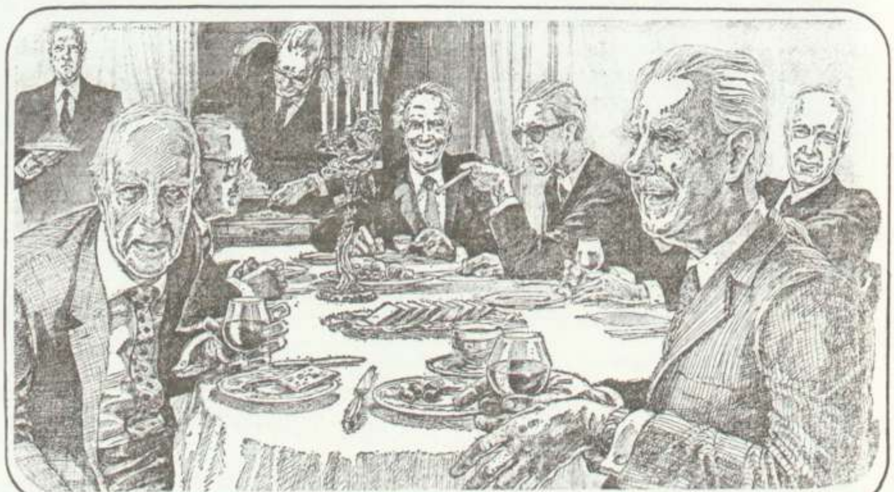
الزم بيكاسو نفسه فى لوحة «جورنيكا» باللونين الأبيض والاسود بالاضافة الى اللون الرمادى بدرجاته المختلفة، وحرم نفسه تماماً من إستخدام الالوان الزاهية كالاحمر والأصفر والأزرق وهى الاكثر قدرة على التعبير، انه موقف يذكرنا بما فرضه على نفسه أبو العلاء المعرى فى اللزوميات حيث ألزم نفسه بما لا يلزم، ولكن فى مقابل استغنائه عن الالوان الفاقعة أصر بيكاسو على أن يكون أى خط أو ضربة فرشاة فى اللوحة علامة على المأساة والرعب المجسد الذى يعانيه أناس فقدوا كل أمل، لقد تحولت اللوحة تحت لمسات فرشاته الى مسرح لرجال ونساء ووحوش يعيشون فى كابوس من الرعب والألم والمعاناة دون أن يبدو السبب المؤثر وهو الهجوم الجوى، فلم تظهر فى اللوحة مثلا الطائرات التى قصفت المدينة أو القنابل والانفجارات التى أحدثتها.

ومن يتأمل اللوحة تأملا وثيقاً لا يمكن أن يغفل عن الاحساس بما يشبه التيار الكهربى يسرى فى كل أنحاء اللوحة من أقصى اليمين حيث المرأة الصارخة فى البيت المحترق الى أقصى اليسار حيث يقف الثور فى مدخل الباب يتطلع من فوق كتفه الى مزيد من الرعب خارج اطار الصورة، وفى الوسط يتمركز حصان وهو الرمز المعتاد للمعاناة السلبية لدى بيكاسو، وتشعر كان الحصان يعتصره الألم ولكنه يصدر صهيلا متحدياً من فمه المفتوح، وتنتثر تحت اقدام الحصان أشلاء محارب لا يرتدى خوذة الأمر الذى يشعرك بانه رجل مدنى وثمة أم تحمل بين ذراعيها جسد ابنها المسجى وتطوح برأسها الى الخلف مصدرة صرخة حزن عميق، وامرأة اخرى تطل على الغرفة وفى يدها مصباح يعمل بالكاز، وضحية اخرى تندفع داخله شبه عارية ويبدو أنها سرعان ما سوف تلقى بنفسها خائرة على الأرض، وكل النساء فى الصورة مجردات تماماً من أى مظهر يدل على الأنوثة كرمز لتجرد الانسان من أساسياته، وهناك أيضاً طائر يفتح منقاره على اتساعه كانه يصرخ، ويتدلى من السقف مصباح كهربى متخف فى شكل الشمس يلقى على المنظر باكمله وهجاً ميكانيكياً مكهرباً..

وعندما افتتح المعرض الدولى فى باريس أخذت الجورنيكا مكان الصدارة فى الجناح الأسبانى، وسرعان ما أصبحت بؤرة اهتمام النقاد وزوار المعرض ومحوراً لاختلافات كبيرة فى وجهات النظر فقد هاجمها البعض ولم يحبوها فى حين تحمس لها الكثيرون وقال عنها الشاعر مايكل ليريس «انها جرس انذار.. ان كل ما نحبه يوشك أن يموت» ثم عرضت اللوحة فى لندن فى العام التالى فأثارت نفس ردود الأفعال من جمهور المشاهدين الانجليز، وبعد ذلك نقلت الى نيويورك فى بداية الحرب العالمية الثانية وظلت هناك طبقاً لوصية بيكاسو الشهيرة الى اليوم فيما عدا زيارة قصيرة قامت بها الى أوربا فى عام ١٩٥٥.

ولقد حاول الكثيرون تفسير رموز اللوحة، ولكن مثل هذه المحاولات فشلت أمام حقيقة بسيطة وهى ان اللوحة عمل من أعمال الفن، والفن له لغته الخاصة، وقد رفض بيكاسو نفسه أية محاولة لتفسير لوحته بدلالة رموزها، فعندما قال أحد النقاد ان بيكاسو يريد بالحصان أن يمثل الوطنية الأسبانية وبالثور أن يمثل الشعب الأسبانى، رد بيكاسو فى اختصار وحزم قائلا: «ان هذا الثور هو ثور، وهذا الحصان هو حصان.. ولكن من حق كل مشاهد أن يفسرهما كما يشاء»!

جوائز نوبل..
هل تذهب إلى مستحقيها ؟



لجنة القراءة لجائزة نوبل فى مطعم السلام الذهبى كما تخيلها أحد الفنانين .



سيشلاف ميلوش .. اسمه يتحدى نقاد العالم .

سيشلاف ميلوش .. اسم يتحدى معظم نقاد الأدب فى العالم ، دعك من قرائه ، أن يكونوا قد سمعوا به ، ومع ذلك فهو اسم الشاعر البولندى الذى فاز بجائزة نوبل للآداب هذا العام ، وقام ملك السويد بتسليمه جائزته (ميدالية ذهبية ومبلغ ٨٤ الفا و ٥٣٤ جنيها استرلينياً) فى حفل أقيم باستوكهلم فى اوائل الشهر الماضى .

وبذا تكون لجنة جائزة نوبل الأدبية قد أضافت اسما مجهولا آخر الى قائمة الفائزين بهذه الجائزة العالمية الامر الذى دعا صحيفة «صنداى تايمز» البريطانية الى التساؤل : هل صارت جائزة نوبل تمنح الآن للمجهولين والنكرات فى دنيا الأدب وليس للمشاهير والمعروفين من الروائيين والشعراء والنقاد العالميين ؟

ولكن يبدو أن ثمة سبباً «وجيها» كان وراء اختيار ميلوش للجائزة هذا العام ، ففى الوقت الذى كانت أجهزة الاعلام العالمية تردد اسمه باعتباره كشفاً خطيرا فى عالم الشعر والأدب كانت نفس الأجهزة تنقل باتساع الأحداث البولندية التى اثقلت كاهل «الكتلة الشرقية» ، وهو نفس السبب الذى أحاط من قبل بوز الشاعر باسترناك والروائى سولجنشتاين بنفس الجائزة .

وربما لا يستطيع أحد أن يطعن فى القيمة الأدبية لفائزين من أمثال باسترناك وسولجنشتاين وميلوش ، أو قد يقال على الأقل ان الآراء تختلف ولكن بأى معيار يتم اختيار أمثال هؤلاء المجهولين فى الوقت الذى تجاهلت فيه الجائزة وخلال ٨٠ عاماً منذ انشائها عشرات بل ومئات من ذوى الاسماء اللامعة وذوى القيمة الأدبية المعترف بها ومنهم فى بريطانيا وحدها على سبيل المثال أدباء من طراز توماس هاردى ، ود.هـ. لورانس ، وجراهام جرين ، وا.م. فورستر ، وجـ.هـ. ويلز . وحتى الذين فازوا بالجائزة - من الانجليز كان أحدهم سياسياً وهو وينستون تشرشل ، والآخر فيلسوفاً وهو برتراند رسل ، والثالث واحدا من أساطير الاستعمار البريطانى وهو روديارد كيبلنج .

إننا لا نكاد نجد بين من فازوا بجائزة نوبل للآداب خلال ٨٠ عاماً - وأمامى ثبت بهم - ممن لايشك فى عبقريتهم الأدبية وتوجههم الانسانى سوى قلة من امثال الشاعر الهندى طاغور (١٨٦١ - ١٩٤١) وجورج برناردشو (١٨٥٦ - ١٩٥٠) وهنرى برجسون (١٨٥٩ - ١٩٤١) وأناتول فرانس (١٨٤٤ - ١٩٢٤) وإرنست همنجواى (١٨٩٨ - ١٩٦٠) ثم تعود الآراء فتختلف مرة أخرى حول فائزين من أمثال اندريه جيد وفرنسوا مورياك ، والبير كامو وجان سارتر والأخيرين من كتاب الأدب الوجودى وقد رفضها سارتر ليكسب برفضها دعاية لنفسه اكثر مما يكسبه بقبولها !

وفى نفس الوقت فقد تجاهلت الجائزة تجاهلا تاماً جميع الأدباء والشعراء والمفكرين فى العالم الثالث ، ففيما عدا طاغور لم يفز بها هندى واحد ، أو صينى

● لماذا جعلوا التفوق الأدبي وقفاً على أبناء الحضارة الغربية؟

جوائز نوبل..

هل تذهب إلى مستحقيها؟

واحد ، أو عربى واحد أو أفريقى واحد ، وكان التفوق الأدبى يجب أن يكون وقفاً على أبناء الحضارة الصناعية الغربية ، وقد لا يكون من قبيل الصدفة ان اليابان وهى الدولة الاسيوية الوحيدة التى فاز أحد أبنائها بالجائزة (ياسونارى كاواباتا – ١٩٦٨) قد انضمت كذلك الى هذا «النادى الحضارى» .

إن تأثر لجنة جائزة نوبل للآداب بالأحداث السياسية والاعتبارات الشخصية لا يكاد محل شك ، فمنذ عامين منحت اللجنة جائزتها لشاعر يهودى مجهول يكتب بلغة «اليديش» تحت ضغط الحركة الصهيونية ، وفى عام ١٩٦٠ منحت الجائزة للشاعر الفرنسى سانت جون بيرس لأنه كان صديقاً حميماً لداج همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة وقد كان له نفوذ كبير على الاكاديمية السويدية ، وفى عام ١٩٢٣ منحت الجائزة للشاعر الايرلندى بيتس غداة انفصال إيرلندا الجنوبية وتكوينها جمهورية ايرلندا الحرة .

وباختصار شديد يمكن ان يقال ان هناك بعيداً فى أقصى الشمال البارد بأرض السويد لجنة من السادة المثقفين تقيم فى نفسها حكماً على الابداع الأدبى فى العالم كله بالرغم من الاختلاف البين فى المشاعر واللغات والحضارات والخلفيات الثقافية بين هؤلاء السادة وبين الأدباء المبدعين فى أركان الأرض الاربعة يمكن أن يكون حكم هؤلاء السادة موضوعياً وعادلا ؟

ولكن من هم هؤلاء السادة اعضاء لجنة نوبل للآداب ، وكيف يختارون من يطوقون جيده الأدبى بأكاليل الفخار ؟

الستة الكبار

تضم اللجنة الأدبية لجائزة نوبل بالأكاديمية السويدية ستة أعضاء من الشعراء والنقاد السويديين . وقد كان أعضاء اللجنة جميعاً حتى وقت قريب



ألفريد نوبل .. ما هى أسرار جائزته ؟

فوق الخامسة والستين ، ولكن عندما خلا مكانان فى اللجنة بموت اثنين من أعضائها مؤخراً بدأ عنصر «الشباب» يجد طريقه اليها بانضمام لارس فورسيل (٥٢ عاماً) والسيدة كريستين إيكمان (٤٧ سنة) !

وعميد الجماعة هو دكتور أنديرس اوسترلنج (٩٦ عاماً) وهو عضو باللجنة بصفة متواصلة منذ عام ١٩١٩ أى انه كان موجوداً عندما حصل اناتول فرانس على الجائزة عام ١٩٢١ ، وهوايته المفضلة أن يعزف على البيانو مقطوعات من القرون الوسطى ، ويقال انه لايزال قارئاً نهما وقادراً على اكتشاف الشباب .

أما الدينامو المحرك للجنة وصاحب أكبر نفوذ فيها فهو دكتور ارتور لوند كفيست (٧٤ عاماً) وهو المغرم باكتشاف المجهولين من الشعراء الأسبان واليونانيين واليهود والبولنديين ، وهناك توافق مزاجى تام بين لوند كفيست واوسترلنج ، وعندما يتفق رأيهما ، ودائماً ما يتفق ، فان الموضوع يحسم .

ودكتور لوند كفيست مثقف عصامى ترك المدرسة فى قريته بشمال السويد فى سن العاشرة ، ثم علم نفسه بنفسه ، فقرأ الكلاسيكيات باللغة السويدية ودرس الانجليزية بجهده الخاص عن طريق ترجمة لا جدوى لها لرواية «اورلاندو» لفيرجينيا وولف باستخدام القاموس ،



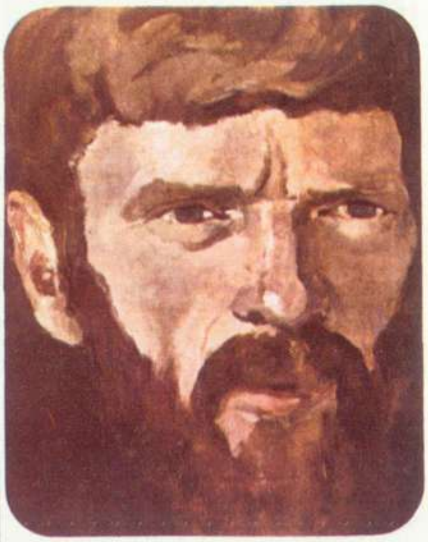
همنجواى .. من الذين استحقوا الجائزة

كما درس الفرنسية بنفس الطريقة ، وواصل التعليم «من منازلهم» حتى حصل على الدكتوراة

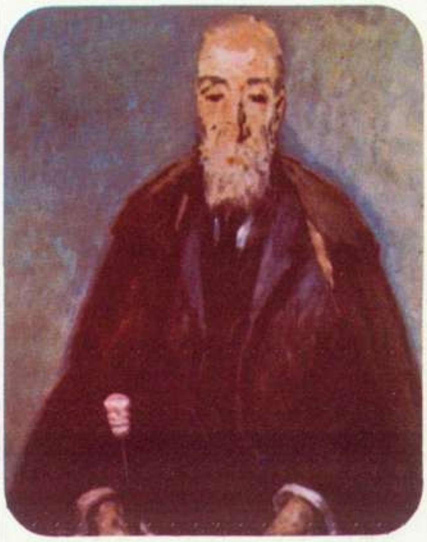
والعضوان الآخران هما البروفيسور لارس جيلستين سكرتير عام الاكاديمية السويدية ، وكارل جيرو الرئيس الادارى للجنة القراءة ، وهما أيضاً فوق الخامسة والستين .

وفى عصر كل خميس ، على مدار العام ، يجتمع هؤلاء السادة فى مكتبة الاكاديمية السويدية خلف القصر الملكى بالحى القديم فى استوكهلم حيث توحى الدهاليز وقاعات المطالعة بجو القرن الثامن عشر ، ويعبق الجو برائحة طهارة الأديرة ، وتستقر الكتب النادرة المجلدة تجليداً فاخراً فوق رفوفها الخشبية المصقولة .. يجتمع هؤلاء السادة لمدة ثلاث ساعات ليتناقشوا فيمن يستحق جائزة نوبل لهذا العام

فاذا ما انتهوا من مداولاتهم الأسبوعية التى يحرزون خلالها تقدماً بطيئاً أسبوعاً بعد أسبوع خرجوا فى الساعة الثامنة مساء الى مطعم مجاور يحمل أجواء القرون الوسطى ، وفى جناح خاص بالدور الأول من ذلك المطعم المسمى دين جيلدن فريدن (أى السلام الذهبى) ينبذون تماماً أى تكلف للرسمية ويتخاطبون بلفظة «أنت» ويتبادلون الطرائف والقفشات حول مائدة عامرة



د. هـ. لورانس تجاهلة الجائزة .



أناتول فرانس .. حظى بالجائزة .

باطيب الطعام ، وأخيراً يقوم دكتور انديرس اوسترلنج عميد الجماعة ذو الستة والتسعين عاماً الى البيانو ليعزف بعض مقطوعاته المفضلة لموسيقيين عاشوا فى القرون الوسطى .

هذا هو البرنامج الاسبوعى للستة الكبار أعضاء لجنة نوبل للآداب ، أما مهمتهم النهائية فهى اختيار خمسة أسماء من قائمة تضم ١٥٠ اسما من المرشحين لجائزة نوبل للعام ثم يقدمون قائمتهم القصيرة الى الأكاديمية السويدية فى بداية الخريف ، وبالرغم من أن اختيارهم غير ملزم نظرياً للأكاديمية إلا ان الفائز النهائى نادراً مالا يكون منبين هذه الاسماء الخمسة وكثيراً ما يكون المرشح الأول فيها .

أما القائمة التى تضم ١٥٠ اسماً فتقوم باعدادها الأجهزة الادارية بالاكاديمية ففى أوائل نوفمبر من كل عام ترسل الاكاديمية السويدية آلافاً من الرسائل الى الاكاديميات والجامعات والنوادى الأدبية والنقاد والمثقفين فى مختلف أنحاء العالم طالبة ترشيح أسماء للفوز بالجائزة ثم يقوم عدد كبير من الخبراء السويديين والأجانب باعداد قوائم المرشحين لقاء مكافآت مجزية ، وأحياناً يقوم أعضاء لجنة القراءة أنفسهم بزيارات الى الخارج لاكتشاف المرشحين ، فاذا كان المرشح يكتب بغير واحدة من اللغات العالمية الثلاث الانجليزية والفرنسية والالمانية فيجب ترجمة مؤلفه الى لغة واحدة منها على الاقل ، واعضاء لجنة القراءة الستة يجيدون على الأقل لغتين أو ثلاث من اللغات العالمية الى جانب لغتهم السويدية .

وقد تبدو فى البداية مهمه تقييم أعمال ١٥٠ من الكتاب العالميين مهمة عسيرة ان لم تكن مستحيلة ، ولكن الأمر فى الواقع أبسط من ذلك كثيراً فغالباً ما يكون هناك شبه إجماع من الرأى العام العالمى على من يستحقون الجائزة كل عام وأكثر من ذلك فان معظم الأسماء تكون قد بحثت لوجودها على القائمة منذ أعوام ومن النادر أن يفوز كاتب بالجائزة دون أن يكون اسمه قد ورد مرتين أو أكثر فى القائمة المختصرة للجنة القراءة القصيرة .

وأعضاء لجنة القراءة الستة من «ذوى الشفاة المطبقة» فهم لا يتحدثون الى الصحافة أو يثرثرون عن عملهم وهم ينفون بشدة انهم يتأثرون بأى عوامل خارجية

ولكن تبقى الحقيقة واضحة كالشمس ان جائزة نوبل للآداب قد منحت لكثيرين ممن لا يستحقونها ، وحجبت عن كثيرين ممن يستحقونها ، وكان هناك دائماً سبب أو آخر وراء قرار المنح أو المنع .

جائزة نوبل للعلوم

من السهل التعرف على المنجزات البارزةفى الطبيعة أو الكيمياء أو الفسيولوجى أو الطب اكثر من الأدب ، فالعلماء فى كل مكان فى العالم يتحدثون لغة واحدة ويعترفون بمعايير علمية واحدة ، ومع ذلك فان مناقشات لجان جوائز نوبل للعلوم هى أيضاً غير خالية تماماً من التاثر بالاعتبارات غير العلمية ، فهنا أيضاً مجال للسياسة ، وللمجاملة ، وللأخطاء .

ففى عام ١٩٢٣ ، مثلا ، منحت جائزة نوبل للعلوم مناصفة لكل من سير فريدريك بانتنج (كندى) و جـ. جـ. ر ماكلويد (اسكتلندى) لاكتشافهما الانسولين ولكن ماكلويد لميكن له فى الواقع أى ضلع فى هذا الاكتشاف ، فقد كان مجرد مدير المعمل الذى يعمل فيه بانتنج مع مساعده الشاب شارلس يوست الذى كان يساعده فى تجاربه خلال أجازته الصيفية ، وكان ماكلويد متغيباً فى اجازته السنوية أثناء الاكتشاف ، وعندما عاد شك فى جدوى العمل ونتائجه وأنب بانتنج ومساعده يوست على تعطيل المعمل فى مثل هذه الابحاث ، ومع ذلك فقد حصل ماكلويد على نصف جائزة نوبل فى الفسيولوجى والطب عندما تبين للعالم جدوى الاكتشاف وحرم الشاب النابغة شارلس يوست من حقه الطبيعى فى التكريم ، وقد كشف سير فريدريك بانتنج هذه الفضيحة الشائنة وأصر كشرط لقبوله الجائزة أن يقتسم مكافأته المالية مع يوست ، ولكن اسم ماكلويد ظل على قائمة الفائزين بجائزة نوبل للعلوم .

واكثر من ذلك تبين أن عالماً رومانياً يدعى باولسكو قد توصل الى نفس الاكتشاف ونشره علمياً قبل اكتشاف بانتنج ويوست للانسولين بستة أشهر ولكن أحداً لم يرشحه للجائزة ، وقد اعترضت لجنة نوبل فيما بعد بأن باولسكو يستحق المشاركة فى الجائزة ولكنها أعربت عن أسفها لعدم امكانها أن تفعل شيئاً لتدارك ما حدث .

وبعد ذلك بثلاث سنوات منحت جائزة

نافذة على الثقافة العالمية

جوائز نوبل..
هل تذهب إلى مستحقيها؟

نوبل للعلول لدانمركى يدعى جوهانس فيبجر لاكتشافه «عنصراً طفيلياً يسبب السرطان» وقد تبين أن أبحاث فيبجر خاطئة وانه لم يكتشف شيئاً ، ونتيجة للخجل الذى عانته لجنة نوبل من جراء ذلك كان على العالم الامريكى فرانسيس بايتون روس أن ينتظر حتى عام ١٩٦٦ – أى عندما أصبح عمره ٨٧ عاماً – ليحصل على جائزة نوبل على أبحاثه عن «الفيروسات المتصلة بالسرطان» التى قام بها فى فجر شبابه عام ١٩١١ !

ونتيجة لحرص اللجان العلمية والطبية لجائزة نوبل على تفادى الأخطاء فان منح الجائزة يتأخر فى المتوسط ١٣ عاماً بعد تاريخ البحث الفائز ، وهذا بدوره يقلل من جدوى الجائزة فقد تظهر خلال فترة التأخير أبحاث اكثر جدة أو قد يموت العالم الذى يستحق التكريم .

وإلى جانب هذه الأخطاء والتسويفات التى تقع فيها اللجان العلمية لجائزة نوبل فان قائمة الفائزين بنوبل للعلوم تخلو من كثير من الاسماء العلمية البارزة التى تشرف القائمة اكثر مما تشرفهم الجائزة . ويضرب البيولوجى البارز سير بيتر ميداوار مثلا على عدم حصول أو . تى . افرى على جائزة نوبل ، ويقول ان افرى هو واضع أسس علم البيولوجيا الجزيئية الحديث فكيف تخلو قائمة جائزة نوبل من اسمه ؟ وقد حصل افرى على ميدالية كوبلى للجمعية الملكية ، وهى جائزة يعتبرها بعض العلماء أرفع من جائزة نوبل .

ولكن بالرغم من هذه المآخذ والأخطاء فان جائزة نوبل للعلوم تلعب دورا كبيراً فى تشجيع البحث العلمى ، وهى فى معظم الأحوال تصيب مستحقيها الحقيقيين ، إلا ان هناك جوانب سلبية لفكرة الجائزة فى حد ذاتها تجدر الاشارة اليها .

● هناك شعور عام بأن مانحى الجائزة يهتمون بمجالات معينة من البحث العلمى اكثرها من النوع الذى يسهل تسليط الأضواء عليه ، الأمر الذى يدعو كثيراً من العلماء الى الاتجاه الى هذه المجالات دون غيرها مما يصيب البحث العلمى فى مجالات أخرى بالتأخر أو الشلل .

حول هذه الملاحظة يقول سير بريان بيبارد مدير معمل كافنديش للابحاث العلمية بجامعة كامبردج أن الجائزة خلقت شعوراً بين العلماء الشبان بأنها تركز على ميدان مكونات الذرة ونتيجة لذلك فان لدينا طلبة فى ميدان «الجزيئات الأساسية» اكثر مما يحتاجه البحث العلمى فى حين أن هناك مجالات أخرى مهملة تماماً وقد لايسمع عنها أحد ، ثم ماذا يفيد اكتشاف كل «الجزيئات الأساسية» فى حل المشكلات الحقيقية لعالمنا المعاصر ؟

● ان عدد العلماء زاد الآن بمقدار ٣٠ ضعفاً عما كان عليه فى عام ١٩٠٠ حين انشئت الجائزة ولكن نفس عدد الجوائز ثابت ، ولذلك ليست هناك فرصة للحصول على جوائز نوبل للعلوم بالنسبة لعشرات من العلماء الذين يستحقونها ، وهنا يلعب الحظ دوراً رئيسياً فى الفوز ، ويصبح الفائز بجائزة أشبه بمن يكسب «ورقة يانصيب» !

● بالرغم من ان الاعتبارات السياسية لاتتدخل على نحو مباشر فى منح جوائز العلوم خاصة عندما يكون الاكتشاف باهراً لا سبيل الى تجاهله او انكاره إلا انه غالباً ما يحدث عند تساوى المرشحين أن تتدخل اعتبارات أخرى فى عملية الاختيار فمثلا هل ينتمى المرشح الى دولة تشعر السويد انها «تستحق الجائزة» ؟ هل المرشح معروف لدى أعضاء الاكاديمية السويدية ؟ أو هل يتمتع بتزكية جهة قوية ؟

● تتجاهل جوائز نوبل للعلوم بعض الميادين العلمية تجاهلا تاماً ، فمثلا لم تمنح جائزة واحدة منها خلال ٨٠ عاماً فى الرياضيات البحتة أو الأحياء البحرية وكذلك لم تمنح أية جائزة فى الفلك حتى العام الماضى (السبب فى ذلك أن نوبل صاحب الجائزة ومكتشف



جائزة الشاعر باسترناك .. قضية تتجدد .

الديناميت دخل فى خصومة مريرة مع أحد الفلكيين فاقسم أن لا يسمح لأى فلكى بالحصول على جوائزه !) .

وكذلك فان قانون جائزة نوبل للعلوم ينص على منحها كمكافأة على «اكتشاف» أو «اختراع» أو «تحسين» فى الميادين العلمية ، وهذا يستبعد مثلا «الأطر الفكرية العلمية العامة» و «المبادىء العلمية الأساسية» و «النظريات العلمية الشاملة» (مثلا نظرية داروين فى النشوء والارتقاء) و «المساهمات العلمية مدى الحياة» .

ولهذا السبب فان أعظم العقول العلمية لا تحصل إلا فى النادر على جوائز نوبل بينما قد يحصل عليها باحث مبتدىء بضربة حظ ، والدليل على ذلك ان انيشتاين العظيم نفسه لم يحصل على جائزة نوبل عن نظرية النسبية التى تعد قمة مساهماته العلمية ، وانما حصل عليها فيما بعد بسنوات طويلة – وكنوع من الاستدراك – على بحثه فى «الكهربائية الضوئية» وهو اقل أهمية بمالا يقاس عن مساهماته الأخرى .

● وأخيراً ، تتحدث الاوساط العلمية عما يمكن أن يسمى «عقدة نوبل» التى أصبحت تطارد البحث العلمى كالشبح المخيف ، هذه «العقدة» تجعل العلماء يتجهون الى البحث فى نقاط يتوقعون الحصول منها على الجائزة دون النقاط أو الموضوعات الاكثر أهمية أو نفعاً ، ويقال ان العالم الطبيعى الالمانى ماكس بورن قضى معظم حياته يعمل فى «مشروع لنوبل» بعد آخر لأنه أصيب بالمرارة لعدم مشاركته الجائزة مع زميله الألمانى فيرنر هايزنبرج عام ١٩٣٢ ، والنتيجة أن ماكس بورن بدد عبقريته الواعدة دون أن ينجز شيئا ، ومات ضحية لعقدة نوبل !

محمد العزب موسى

أول مدرسة للبنات في العالم العربي

نادية محمد رزق

● لماذا ألغت الناظرة الإنجليزية عاماً دراسياً بأكمله؟

● كان أول هدف للمدرسة هو تخريج الأمهات الصالحات



مازالت تلتحق بالمدرسة جنسيات مختلفة .

لو رجعنا بالذاكرة الى عام ١٨٧٠ ، فاننا نجدها فترة غنية بالنشاط الثقافى حينما تولى على مبارك وزارة المعارف بمصر ، وأصبح الاتجاه الوطنى يسيطر على الشعب ، كرد فعل للثقافة الأجنبية التى غزت العالم العربى نتيجة للحملة الفرنسية ، وتغلغل الثقافة الغربية فى انحاء الوطن العربى ، وانتشار مدارس الارساليات الأجنبية المختلفة .

فى ذلك التاريخ تم انشاء عدد من المؤسسات العربية مثل العديد من مدارس البنين ، وإنشاء دار العلوم كمحاولة لاثبات وقوف اللغة العربية جنباً الى جنب مع اللغات الأجنبية ، المنتشرة فى ذلك الوقت ، وإنشاء دار القضاء العربى ، ودار الكتب لجمع التراث العربى المبعثر بعد فترة التخلف للحكم العثمانى .

وفى ذلك الوقت أيضاً دعت «جشم أفت هانم» الزوجة الثالثة للخديوى إسماعيل الى إنشاء مدرسة خاصة لتعليم الفتيات ،

بداية الفكرة

فى العدد ٥١٩ الصادر فى ٥ أغسطس



أحد فصول المدرسة الثانوية



بعض الطالبات أثناء المطالعة فى أرشيف المكتبة .

١٨٧٣ نشرت الجريدة الرسمية بمصر خبر إنشاء مدرسة عربية للبنات داخلية وخارجية لتثقيفهن وتعليمهن ، فكتبت تقول :

«على كل إنسان ان يتزوج ، وعليه ان يختار زوجة صالحة مثقفة تعرف كيف تدير منزلها ، وترعى حقوق زوجها وتربى أولادها ، وتحافظ على صحتها وصحة أولادها وزوجها ، وتحفظ زوجها فى غيابه ، واذا ورد عليها خطاب منه تستطيع أن ترد عليه مبينة له حالة المنزل .

ومن كانت له زوجة كهذه سعد كثيراً فى حياته . ولتخريج أمثال هذه الزوجة ، وتحقيقاً للفوائد الجليلة التى تعود على الوطن أنشئت المدرسة» .

إذن كان السبب فى إنشاء المدرسة كما تقول كريمة عبد الهادى الوكيلة الحالية لمدرسة السنية ، ومن أوائل الخريجات ، هو تعليم الفتيات وتثقيفهن تعليماً أولياً عملياً ونظرياً ليصبحن زوجات فاضلات وأمهات صالحات للمجتمع ويمكنهن من كسب العيش عند الحاجة .

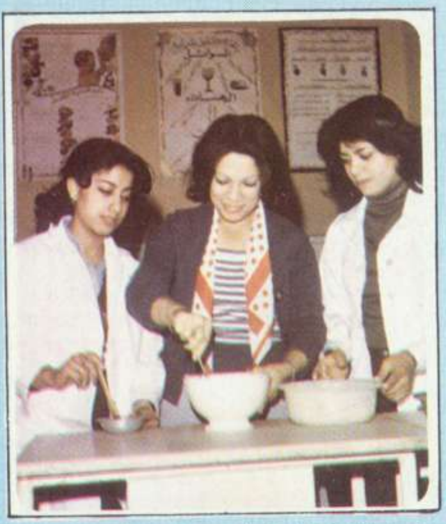
أول مدرسة فى العالم العربى !

وعندما أنشئت المدرسة ، كان التعليم النسوى فى ذلك الوقت يعتبر فى حكم العدم ، إذ لم تكن فى البلاد العربية كلها مدرسة للبنات باستثناء كتاتيب تحفيظ القرآن ، ومدرسة الولادة لتخريج الحكيمات بمصر . ولم يكن يتعلم فيها فى الغالب غير البنات الحبشيات . أما الفتيات من سائر الطبقات فكان الجهل مخيماً عليهن اللهم إلا من كن يتعلمن فى بيوت آبائهن وكن قليلات العدد .

إقبال شديد !

عندما أعلن عن إفتتاح مدرسة البنات عام ١٨٧٣ تهافت على الالتحاق بها الكثير من الفتيات اللاتى كن يتطلعن إلى التعليم ولكنها لم تقبل سوى مائتى تلميذة ، كن يتعلمن مجاناً ، فضلا عن الانفاق على مأكلهن وملبسهن ، وكانت مواد الدراسة تتمثل فى حفظ القرآن الكريم ، والحساب ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والتطريز ، والنسيج ، ثم أضيفت اليها اللغة الفرنسية والانجليزية ودروس البيانو .

وكانت تشرف على المدرسة «ناظرة» تعاونها «وكيلة» ، كما عين للمدرسة «ناظر» هو وحده المسئول عن المسائل المادية الخاصة بالمدرسة ، وسجلات التلميذات والاتصال بأولياء الأمور ، إلا أنه كان لا يحضر الى المدرسة إلا إذا كان وجوده ضرورياً . وللمدرسة «ضابطة» تشرف على النظام «وطبيبة» تعنى بفحص الأغذية ونظافة التلميذات وكانت الطالبات تتراوح اعمارهن بين



إعداد الزوجة الصالحة هدف للمدرسة .

السابعة والخامسة عشرة ، وكن يقمن بجميع أعمال النظافة تحت اشراف الملاحظات ، وبعد سنوات الدراسة الخمس تعود التلميذة الى اسرتها .

وفى سنة ١٨٨٠ إثر خلع الخديوى إسماعيل تأثرت المدرسة بما حدث من اضطراب فى البلاد فتحولت عن غرضها الذى انشئت من أجله ، وأوشكت أن تكون ملجأ لليتيمات وبنات الطبقات الفقيرة ، وهبط عدد تلميذاتها الى مائة تلميذة وهبطت هيئة التدريس الى ستة من المعلمين والمعلمات ، بعد ان كان عددهم واحداً وعشرين .



إنتاج الطالبات من الأشغال اليدوية



وكيل المدرسة أمام لوحة تذكارية

لماذا سميت « السنية » ؟

فى عام ١٨٨٩ تسلمت وزارة المعارف المدرسة ووضعت لها نظاماً جديداً ، وأطلقت عليها اسمها الحالى «المدرسة السنية» ، نظراً للتعديلات والأنظمة التى جعلتها فى مرتبة أعلى مما كانت عليه من قبل ، وجعلتها أول مدرسة عربية منظمة لتعليم البنات فى العالم العربى ، وأصبحت تضم لونين من التعليم : التعليم الابتدائى ، وقسم المعلمات .

وكانت الطالبات يلتحقن بقسم المعلمات بعد حصولهن على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ليدرسن سنتين يتخرجن بعدها مدرسات ، ثم زيدت هذه المدة إلى ثلاث سنوات ، ثم إلى أربع ، وتشجيعاً للطالبات كانت تعطى لهن مكافآت مالية قدرها جنيهان شهرياً ، وكان الفصل الواحد لا يضم اكثر من خمس عشرة طالبة وهيئة التدريس كلها مدرسات إنجليزيات لجميع المواد عدا اللغة العربية .

ومما يدعو الى الغرابة ان ناظرة المدرسة الانجليزية كانت تحتل الطابق الاوسط من المبنى الحالى الذى يبلغ ارتفاعه ثلاثة طوابق ، وتوجد به حالياً مكتبة المدرسة والعديد من الفصول ، اى انها كانت تستغل لشخصها نصف مساحة المدرسة تقريباً .

تطور إلى الأفضل

فى عام ١٩٣٢ ، انتقلت طالبات المعلمات الى مكان آخر ، وأصبحت السنية مدرسة ثانوية مدة الدراسة بها خمس سنوات ، تحصل الطالبة بعد ثلاث منها على شهادة «الكفاءة» ، وفى نهاية المرحلة تحصل على «البكالوريا» ، ثم عدل هذا النظام أخيراً فاصبحت الطالبة تلتحق بها بعد حصولها على شهادة الاعدادية ، وتحول القسم الابتدائى الى قسم إعدادى منفصل ، ثم استقلت بعد ذلك وأصبحت «مدرسة ثانوية» .

عقاب بسبب الوطنية !

عندما اشتعلت الحركة الوطنية بقيادة سعد زغلول سنة ١٩١٩ ، اشتركت طالبات المدرسة فى النضال ضد الانجليز ، فكن يخرجن فى مظاهرات ، وكتبن العديد من مجلات الحائط التى تندد بالاحتلال ، فكان العقاب الذى انزلته الناظرة الانجليزية بالطالبات عقاباً من نوع جديد ، اذ الغت السنة الدراسية كلها ، وأبقت جميع الطالبات للاعادة عقاباً على وطنيتهن !! وظلت الناظرات إنجليزيات حتى عام ١٩٣٩ حينما أسندت النظارة إلى سيدات مصريات ، وكانت أول مصرية تتولى هذا المنصب عايدة وفائى .

اشهر الخريجات !

تقول خديجة خليل الناظرة الحالية إن عدد الدفعات التى تخرجت من المدرسة حتى الآن يبلغ ١٠٧ دفعة منها ٤٨ دفعة ثانوية ، ومن اشهر خريجات المدرسة باحثة البادية ملك حفنى ناصف و السيدة أمينة السعيد ، وكريمة السعيد ، وحنيفه حقى ، والسيدة نبوية موسى ، وسيزا نبراوى وبنت الشاطىء .

واليوم ... ؟

تضم المدرسة ــ كما يقول عبد المقصود عبده ، الوكيل الأول اكبر عدد من الطالبات فى مستوى المرحلة الثانوية بالعالم العربى ، إذ يبلغ عددهن حوالى ٢٦٠٠ طالبة ، وبها اكبر مكتبة مدرسية تحتوى على ١٧٠٠٠ كتاب موزعة بين فروع العلم قديماً وحديثاً ، ومازالت تؤدى رسالتها ، بعد ان كان لها الفضل فى تخريج عدد من بنات الوطن العربى وبعض الأفريقيات والآسيويات وبعد ان حملت أول مشعل للتعليم فى الشرق كله وكان وجودها إيذاناً بخروج المرأة من خدرها ، وثورتها على التقاليد التى أرادت أن تكبلها ، غير أنها اجتازت هذه المصاعب وخرجت من القمقم عملاقاً مرفوع الرأس ، يشارك فى بناء المجتمع العربى ، ويسهم فى شتى نواحيه الثقافية والعمرانية والاجتماعية .

نادية رزق

المسابقة

مـن : حمزة بن عبد المطلب .

أيـن : جبل أحد .

مـا : المها .



١ ـ شكسبير
٢ ـ عمر بن الخطاب .
٣ ـ نعم . هذه العبارة صحيحة علمياً .
٤ ـ الحسن بن الهيثم .
٥ ـ ٦ درجات بالمقياس الستينى .
٦ ـ أبو الطيب .
٧ ـ أوغندا .
٨ ـ قطر .
٩ ـ الشريف الادريسى .
١٠ ـ القسورة ـ الليث ـ السبع .

من . أين . ما ؟

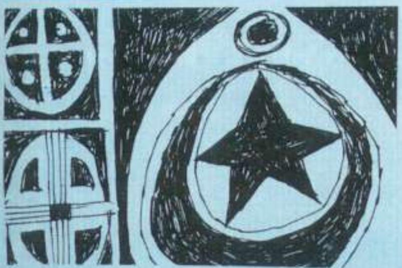


● مـن : ـ
عربى اشتهر بالكرم المطلق قبل الاسلام . اكرم الرسول الأعظم ابنته من اجله . اسمه من كلمتين وعشرة أحرف : ـ
٢ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٤ ـ ١٠ الفتات الخصيبة التى كان يجلبها النيل للارض الزراعية قبل السد العالى .
٥ ـ ٦ ـ ٦ ـ ١ ـ ٨ ـ ٩ قشرة الجذع الخارجية .
٣ ـ ١٠ ـ ٤ قبيلة من العرب .

● أيـن : ـ
ميناء عربية اسمها من أربعة حروف :
١ ـ ٢ اسم عملة صعبة .
٣ ـ ٤ فعل أمر .

● مـا : ـ
المخلوق الحى الذى يولد ولا يلد ، ويخدم الانسان فى المناطق الوعرة منذ قرون اسمه من خمسة أحرف :
٤ ـ ١ ـ ٣ اختفى .
٣ ـ ٢ حرف
١ ـ ٥ أداة تعريف .

الجواب الصحيح



١ ـ فتح القائد الأموى المظفر قتيبة بن مسلم الباهلى مدينة سمرقند فى السنة الهجرية :
٩٣ ـ ١٩٣ ـ ٢٩٣

٢ ـ «يصنع الزئبق من الفضة وحامض البنزويك» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟ .
٣ ـ اذا باض ديك انجليزى احمر خمس بيضات فى ٤ فبراير ١٩٨١ ففى أى يوم من شهر مارس ١٩٨١ تفقس البيضتان الأولى والثانية ؟؟
٤ ـ الماء الثقيل يتكون من اتحاد غاز الأوكسجين مع غاز :
الايدروجين ـ الديتريوم ـ الكلورين
٥ ـ مؤلف أوبرا عايدة التى اغرم بها الخديوى اسماعيل باشا الذى كبل مصر بالديون الخارجية ، هو الموسيقار :
بتهوفن ـ فيرى ـ موتسارت ـ مندلسون
٦ ـ رتب موجات الضوء للألوان التالية من الأقصر الى الأطول :
الأحمر ـ الأزرق ـ الأصفر ـ الأخضر .
٧ ـ أنا ما عشت لست أعدم قوتاً
واذا مت لست أعدم قبراً
هات البيت الذى يلى هذا ، وانسب البيتين الى قائلهما .
٨ ـ كانت نساء العرب فى الجاهلية يستخدمن أوكسيد الحديد الأحمر بمثابة أحمر الشفاه ، وكن يسمين هذا المغر باسم :
الدمام ـ اللثام ـ الوشام .
٩ ـ كان السفير البريطانى أيام حصار الجيش الانجليزى فى ٤ فبراير ١٩٤٢ لقصر عابدين بالقاهرة هو :
اللورد كرومر ـ اللورد كلليرن ـ اللورد كيرزون .
١٠ ـ يطلق اليهود على مدينة نابلس التى عمدتها البطل بسام الشكعة اسم :
حولون ـ شيخم ـ مسادا .

الفائزون بنتيجة مسابقة شهر ديسمبر «العدد ٦٠»

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مهدى محمد عبد الخالق محمد ـ سلطنة عمان .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مصطفى كمال الدين محمد عثمان ـ السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عاطف المعايعه ـ الأردن .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ محمد عبد العزيز عبد الرحمن ـ الشارقة
٢ ـ عمر العركى علي ـ الدوحة
٣ ـ جيهان محمد ـ الكويت
٤ ـ فهد أحمد سلايمة ـ سوريا
٥ ـ الطيب قسم الله علي فديع ـ السعودية
٦ ـ سيف أحمد سيف ـ رأس الخيمة
٧ ـ أحمد عارف الفانى ـ لبنان
٨ ـ حسين عبد الله حردان ـ البحرين
٩ ـ سبأ طاهر أنعم ـ اليمن
١٠ ـ صفوت محمود حسن ـ القاهرة
١١ ـ عبده عبده علي الهربيطى ـ القاهرة
١٢ ـ عبد الحليم الفاتح أحمد ـ السودان

كلمات لها معنى!

● إن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمان .

«فرانكلين»

● النجاح هو الخطيئة الوحيدة التى يرتكبها الانسان بحسن نية ، ومع ذلك لا يغتفرها له زملاؤه !

«امبروزبيرس»

● السر الوحيد الذى تستطيع المرأة أن تحتفظ به ، هو عمرها !

«فولتير»

● من كثر احتماله ، وظهر حلمه ، قل ظلمه ، وكثر أعوانه . ومن قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه ، وصفا ذهنه .

«سقراط»

● الحقيقة الثابتة : هى أنه لا يوجد على الأرض شىء ثابت .

«بللينى»

● التفكير : أسمى أنواع الصلاة .

«جوبو»

● إننى أوجس خيفة من ثلاث جرائد اكثر مما أوجس من مائة ألف مقاتل .

«نابليون»

● نحن نسقط لكى ننهض .. ونهزم فى المعارك لكى نحرز نصرا أروع .. تماما كما ننام لنصحو أكثر قوة ونشاطا . «براوننج»

محمود حلمى عباس لطفى
طب طنطا - ج.م.ع

كيف قسمها بينهم؟



توفى رجل وترك من ضمن مخلفاته ١٧ جملا وله ٣ أولاد . وقد كتب فى وصيته : توزع الجمال السبعة عشر كالتالى : نصفها للأكبر ثلثها للأوسط . تسعها للأصغر .

وقد احتار الجميع كيف تتم هذه القسمة ، وأخيراً جاء رجل ذكى وقسمها لهم بالتساوى وحسب الوصية فكيف قسمها بينهم ؟

● **الاجابة :**

لقد أحضر هذا الرجل جملا من عنده مؤقتا ووضعه مع هذه الجمال السبعة عشر ، فأصبح عددها ثمانية عشر .

فأعطى الأكبر نصفها أى ٩ جمال
وأعطى الاوسط ثلثها أى ٦ جمال
وأعطى الأصغر تسعها أى جملين
وبقى الجمل الذى له . فأخذه مشكورا وانصرف .

محمود زيدان سفارينى
الزرقاء - الأردن

أطول وأكبر

● أطول الحيوانات فى عصرنا الحاضر هو حوت الروكال الذى يبلغ طوله ثلاثة وثلاثين متراً ويزن حوالى مئة وستين طنا ، وأفعى الأناكوندا وطولها احد عشر متراً ، والتمساح يوجد منه ما يزيد طوله على عشرة أمتار .

● وأطول دراجة فى العالم تسير على ثلاث عجلات ويقودها واحد وثلاثون شخصاً ، صنعت فى استراليا عام ١٩٧١ ، أما طولها فيبلغ خمسة عشر متراً .

● اكبر كاتب للاطفال فى الوطن العربى هو المرحوم كامل الكيلانى الذى ولد عام ١٨٩٨ ونشأ فى أحد أحياء القاهرة الشعبية وبدأ الكتابة وهو فى الصف الرابع الابتدائى حيث كتب قصة «الأمير صفوان» وقد حاول نشرها لكن الناشر طرده حين وجده طفلا صغيراً .

● اكبر آلة صنعت عام ١٩٠٠ فى شيكاغو ويبلغ ارتفاعها مترين وأربعة وسبعين سنتيمترا وكانت تحتاج الى خمسة عشر شخصا لادارتها .

ابراهيم محمد بابا أو موسى
الجزائر

طلاق بالصدفة

كان ساعى البريد يسير فى أحد أحياء باريس وفى يده رزمة من الرسائل ومرت بالقرب منه سيدة ، وألقت نظرة خاطفة على الرسائل ، فلاحظت واحدة منها مكتوبة بخط زوجها الذى عرفته فوراً ، فاختطفت الرسالة من يد ساعى البريد وفضت الغلاف فوجدت فى داخله رسالة غرامية موجهةمن زوجها الى امرأة أخرى . ورفعت الزوجة دعوى على الزوج ، مطالبة بالطلاق ، وكسبت القضية ، ولكنها دفعت عشرة آلاف فرنك غرامة لتدخلها فى عمل ساعى البريد وعبثها بالبريد !

حميد الساعدى
بغداد - العراق

أيهما أعقل..؟!

●● قصد الزوج الى صديقه الطبيب وعلى وجهه دلائل اليأس وقال له : أنقذنى يا دكتور إن زوجتى على وشك الجنون .. فهى تريد أن تحتفظ لها بعنزة .. !!

الدكتور : وماذا فى ذلك ؟

الزوج : انها تريد الاحتفاظ بها فى غرفة النوم !

الدكتور : إذن افتح منافذ الحجرة لخروج الرائحة السيئة .

الزوج : كيف أفتح المنافذ .. هل تريد أن يطير منى سرب الحمام الذى احتفظ به فى نفس الغرفة ؟؟

سيد فتح الرحمن سيد - ج.م.ع



حـــاول أن تعــرف ...



● مسجد يقع فى دولة عربية . المدينة التى تضم هذا المسجد تقع على البحر . ما اسم هذا المسجد وما اسم المدينة التى يقع فيها ؟ .



● موقع سياحى شهير فى تونس ـ يقصده زوار من كل مكان ـ يمتاز بالجمال والأصالة والعراقة ـ هل تعرف هذا المكان ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف «العدد ٦٠»

● الصورة الأولى : الفنان فان جوخ .

١ ـ توفيق بسمة ـ تونس .

٢ ـ محمود عبد الرزاق قدو ـ سوريا .

● الصورة الثانية : مسجد باد شاهى بمدينة لاهور ـ باكستان .

١ ـ أحمد سعيد حسن عبد العزيز ـ المدينة المنورة ـ السعودية .

٢ ـ فاطمة محمد حسن ـ الدوحة ـ قطر





اللص الرياضي !



● سافر رجل الى مدينة أوربية وكان يملك قبعة ثمينة اشتراها من أمريكا ، فخاف أن تسرق منه ، وفكر فى حيلة ، فكتب فى ورقة : «حذارى أيها اللص الماهر فاننى بطل العالم فى الملاكمة» . ووضع الورقة على القبعة فى مدخل المطعم .

ولما فرغ من تناول غذائه لم يجد قبعته ووجد مكانها ورقة كتب عليها «إلحقنى يا بطل العالم فى الملاكمة ، إننى بطل العالم فى العدو» .

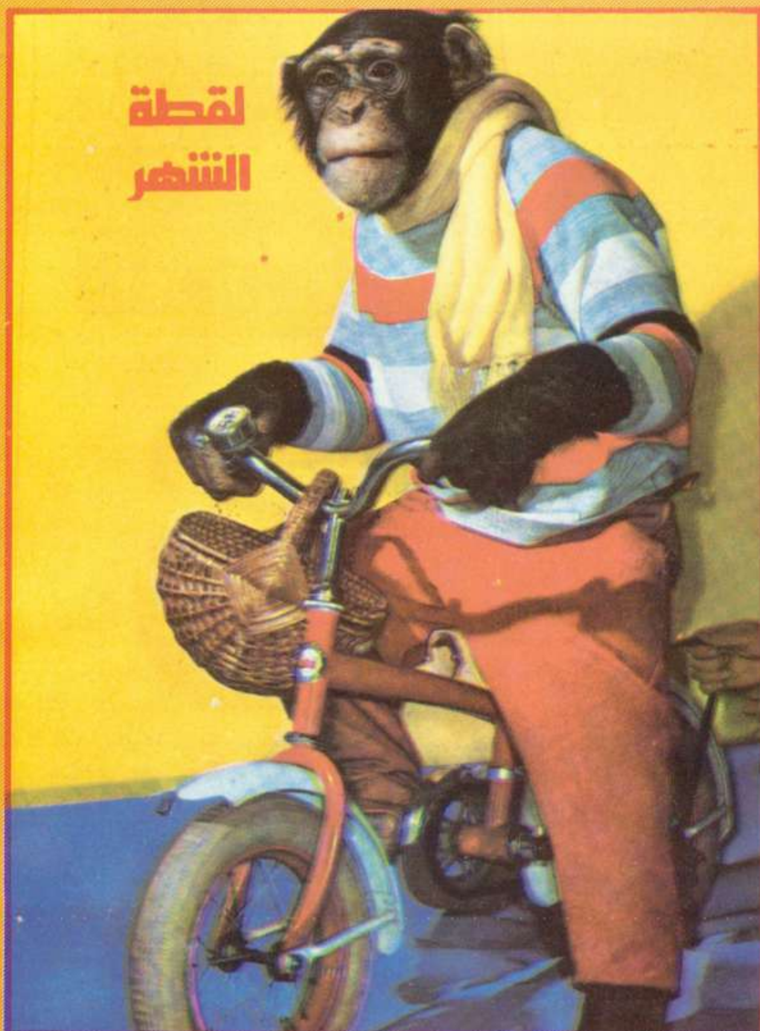
درويش عبد الرزاق
الجزائر

شـــرب الشـــاي



● شرب الشاى فى الشتاء يساعد على تدفئة الجسم أى يزيد درجة حرارة الجسم لأن الشاى يكون ساخناً . أما فى الصيف فان الشاى يساعد على تبريد الجسم وينعشه لان درجة حرارة الجسم ترتفع .. وعند عودتها الى سابق حالتها يشعر الجسم بالانتعاش وبتغير فى درجة حرارة جسمه وكذلك بالاضافة الى ان الشاى الساخن يسبب افراز العرق فى الصيف وعندما يتبخر العرق يشعر الانسان بالبرودة .

دانـه ماجد سعد
دولة قطر



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : رزاق عبد الله ـ المغرب .

كاريكاتير وتعليق "العدد ٦٠"



١ ـ المريض للطبيب : المشكلة التى تقلقنى هى أننى حتى الآن لم أفز فى مسابقات المجلة .

منيرة حامد أحمد
الابراهيمية شرقية ـ مصر

٢ ـ المريض للطبيب : مشكلتى يا دكتور هى أن حماتى حضرت لزيارتنا أمس .

أسامة محمد حسن
كرتير ـ عدن

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريـــال

الفاتح إبراهيم أحمد

قنطار خشب ودرهم حلاوة!

.. من الروايات التى قرأتها فى مادة الأدب الانجليزى لامتحان الشهادة السودانية رواية برناردشو المسماة «بجماليون» .

.. وكعادتى فى القراءة أعود فأقرأ مرة أخرى ما قرأته منذ فترة بعيدة ، فتبرز لي كثير من الزوايا والأبعاد كانت خافية فى القراءة الأولى .. وهذا ما حدث لي مع رواية الأديب الايرلندى برناردشو . فقد أعدت قراءتها وشاهدتها كعمل سينمائى فى الفيلم المسمى ــ سيدتى الجميلة ــ فزاد اعجابى بها لأنها تلمس أشياء هى من صميم اهتماماتى .. ويمكن تلخيصها فى مشاكل التعليم واللغة بالاضافة الى مسائل أخرى كالحب والزواج ..

.. وإذا عدت لأكتب من الذاكـــــرة انطباعاتى عن وقائع تلك الرواية العظيمة مركزاً على شخصيتى مستر «هيجنز» و «أليزا» بطلى الرواية .. أقول بطريقة موجزة وبما يسمح به المجال ..

.. إن مستر «هيجنز» عالم الأصوات له معمل يجرى فيه التجارب .. و «أليزا دوليتل» فتاة غير متعلمة تتحدث الانجليزية بطريقة تجرح أسماع المتعلمين أمثال بروفسير «هيجنز» عالم الأصوات ..

التقى بها هيجنز وأخذها الى بيته وعلمها الطريقة الصحيحة لنطق اللغة الانجليزية حتى تستطيع الاختلاط بالمجتمعات الراقية ..

بالنسبة لهيجنز لم تكن «أليزا» تعنى له شيئاً سوى أنها تجربة ليبرهن بها على مقدرته العلمية ..

أما المسألة بالنسبة لأليزا الفتـاة البسيطة التى كانت تعيش من بيـع الأزهار فى أزقة لندن فلم تكن بهذه البساطة فقد قابلتها مشاكل جديدة بعد انتهاء تجربة البروفسير «هيجنز».. فقد أثار التعليم فى غفلتها أسئلة لم تكن تواجهها من قبل ..

فى قمة الحبكة الروائية واجهت «أليزا» مستر «هيجنز» بتلك التساؤلات قائلة : ــ الى أين أتجه ؟ وماذا أنا فاعلة بنفسى ؟ وما هو مصيرى ؟ .. أسئلة طرحتها بعد انتهاء التجربة ..

.. أما بروفسير «هيجنز» الذى لم تعد له أية ارتباطات مع «أليزا» بعد انتهاء التجربة فقد أجابها بأن صنع الحياة يعنى صنع المتاعب والطريقة الوحيدة لتجنب المتاعب هى قتل الأشياء .

يثير برناردشو من خلال اجابة بروفسير هيجنز مسألة هامة وهى أن «أليزا» قبل التعليم كانت فى حكم الميتة فلذلك لم تواجهها تلك المتاعب . ولكن بعد أن تعلمت واجهت متاعب كبيرة ... نسبة لما أثاره التعليم وما أججه فى نفسها من تفاعلات أدت الى تغيير نظرتها وموقفها من الحياة ..

وإذا اندفعنا مع هذا السياق لابد أن نلتقى على هذا الدرب مع شاعرنا العظيم المتنبى الذى يعكس فى ومضة مشرقة من الشعر وفى بيت واحد ما تعجز الرواية أو القصة أن تعبر عنه إلا فى مئات الصفحات

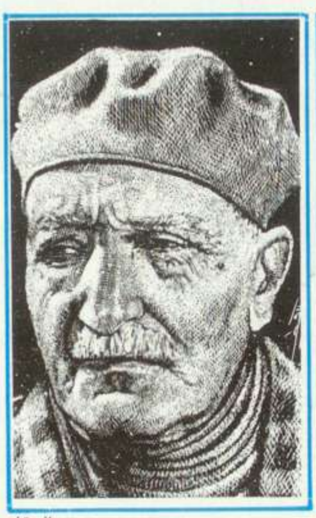
يقول المتنبى معبراً عن حياة وحالة العالم وحياة وحالة الجاهل :

ذو العلم يشقى فى النعيم بعقلـــــه
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعـــــم

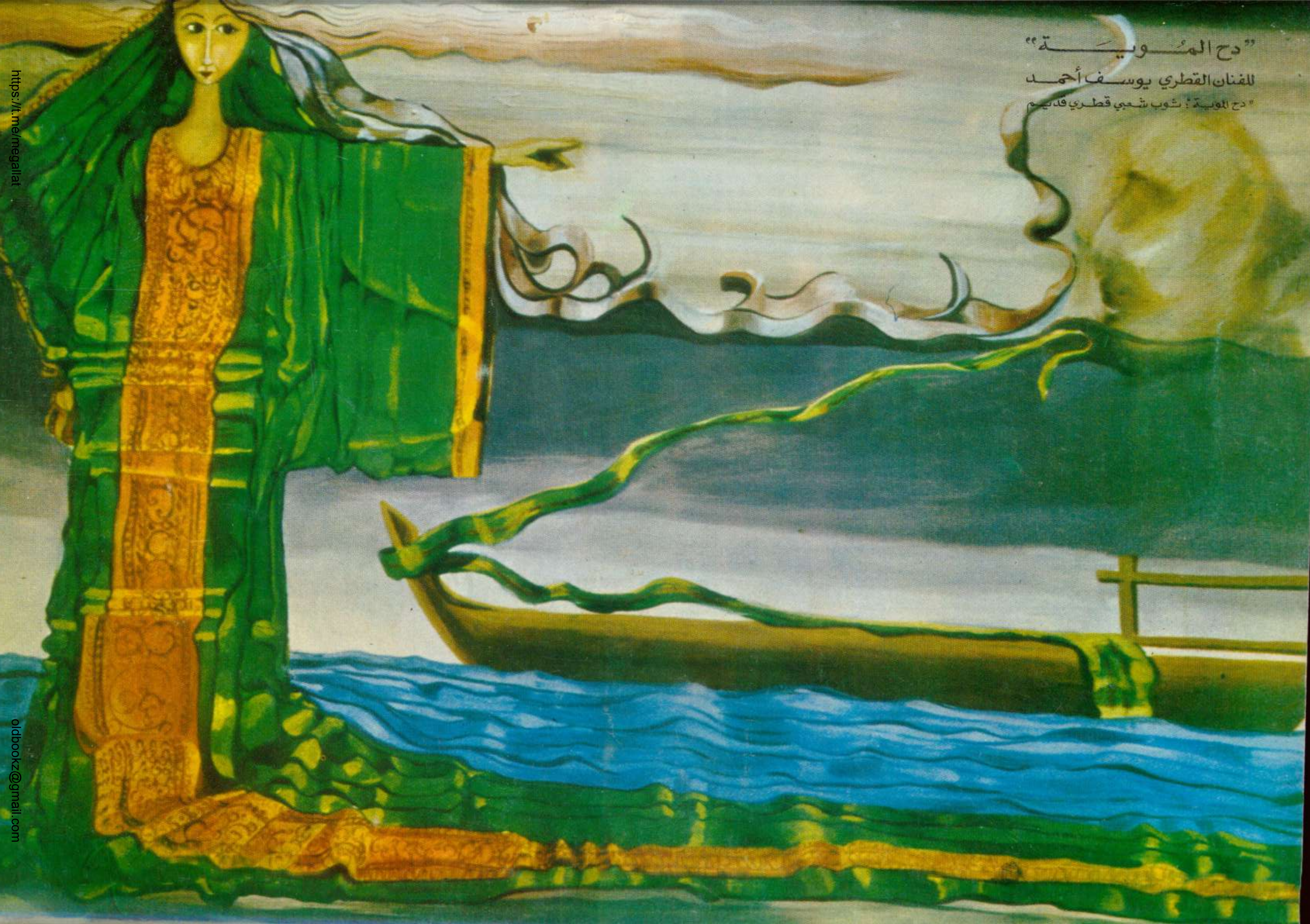
وذلك ربما يذكرنى أيضا بمقياس نقدى للأستاذ العقاد حينما سئل عن رأيه فى القصةوالرواية ، فقد رد بما معناه أنه لا ينكر وجود روائيين وقصاصين عظماء إلا أن ما تعطيه الرواية أو القصة فى صفحات عديدة ربما يعطيه الشعر بايجاز فى بيت واحد لذا فهو يفضل الشعر . وقال إن القصة تعطيك قنطاراً من الخشب لتستخرج منه درهماً واحداً من الحلاوة ..


برناردشو


المتنبى


العقاد


PEPSI
بيبسي
مشروب الجيل الصاعد



"دح المُويَـة"

للفنان القطري يوسف أحمد

"دح الموية": ثوب شعبي قطري قديم

السنة السادسة العدد ٦٣ – جمادى الأولى ١٤٠١ هـ – مارس ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



٢٢ فبراير
٩ سنوات مضيئة في حياة قطر

التحديات الاقتصادية في الخليج والجزيرة
د. علي خليفة الكواري

البخيلة
الفصل الثاني

مسرحية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي


MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

العدد ٦٣ مارس ١٩٨١

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلساً
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلساً
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلساً
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلساً
العراق ٢٥٠ فلساً
الاردن ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليماً
السودان ٢٠٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين اميركيين

الاشتراكات :
للافراد :
داخل قطر ٤٨ ريالا قطرياً
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطرياً
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطرياً
للدوائر الحكومية
والمؤسسات والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطرياً
الاعلانات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام بدولة قطر

الدوحة

رئيس التحرير
رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر — عبد الله جابر
نادية رزق — ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفنى
محمد نبيل الحداد — نائلة فتحى

سكرتيرا التحرير الفنيان
أحمد عبد الله — على دياب

الغلاف
لوحة من وحى الحياة الشعبية فى قطر بريشة الفنان عبد الغنى أبو العينين

مارس ١٩٨١

العدد ٦٣

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات : ترسل باسم رئيس التحرير

طبعت بمطابع على بن على
Ali Bin Ali Printing Press - Doha

إسلاميات

دراسات وقضايا

جزء خاص عن قطر



شئون الخليج والجزيرة

أدب وأدباء

شعر

طب وعلوم



كلمة

نلتقى فى هذا العدد الجديد من الدوحة بظاهرة تلفت النظر وهى أن المرأة تشارك فيه بقصتين جديدتين إحداهما للكاتبة المعروفة ديزى الامير، وهى من أكثر الكاتبات العربيات موهبة ومعاناة، وإخلاصا فى الحياة وفى فن القصة القصيرة، حيث أصدرت حتى الآن ما يقرب من خمس مجموعات قصصية، كان لها كلها قيمتها وأهميتها عند النقاد والباحثين والقراء. أما الكاتبة الثانية فهى الفنانة الخليجية «أم أكثم» وهى كاتبة ذات أسلوب وشخصية، وذات إحساس بالغ الصفاء والرقة، والكلمات عندها قريبة من روح الشعر. وعندما تلتقى الثقافة مع الموهبة والاحساس بما فى الحياة من مشاكل ومعضلات، تتفجر ينابيع الفن الحقيقى الأصيل، وهذا ما يفسر لنا أن أدب المرأة العربية ينطلق يوماً بعد يوم، ويخطو خطوات واسعة ليحتل مكاناً كبيراً فى تاريخنا الأدبى المعاصر.

على أن العدد الجديد من الدوحة يضم أيضاً تقديماً لكتاب أصدرته الناقدة الجديدة الدكتورة رضوى عاشور، وهو كتاب عن الأدب الافريقى، وهنا كذلك نرى المرأة العربية تخطو خطوة أعمق وأصدق فى مجال النقد، لتكشف لنا حقلا أدبياً جديداً هو حقل الرواية الافريقية.. تحية للمرأة العربية، وتحية للجيل الجديد من أديباتنا اللواتى يتقدمن الآن ليقلن كلمة جميلة صادقة ... فى قصة أو رواية أو موقف نقدى أو فكرى واضح متميز.

الدوحة

استطلاعات

فنون

ابواب القراء

مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة وأصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية	١٢٠ ريالا
افكار جديدة	١٠٠ ريال
رأيت • سمعت • قرأت	٦٠ ريالا
دوحة القراء	٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية.

كتاب الشهر

نافذة على الثقافة العالمية

ضحكات الشهر

رسائل إلى المحـــرر

حول موضوع المرأة القطرية

تعقيباً على ما نشر فى العدد السابق من مجلة الدوحة ، فانه يهمنى أن أدلى برأيى فى قضية حساسة ألا وهى مسألة المرأة القطرية ، لاعتقادى بانه موضوع لا يخص المرأة وحدها ، وإنما هو موضوع الجميع ، الرجل والمرأة على السواء ، لأنه موضوع المجتمع باسره فى حاضره ومستقبله . ولايمانى بأهمية الحوار المتفاعل الهادف الذى يساهم باجلاء أبعاد المشكلة ومن ثم الحلول العملية المقترحة لحلها .

من هنا اسجل ملاحظاتى الآتية حول شكل ومضمون مقالى لولوة المسند وسليم سعيد :

الملاحظة الأولى : تتعلق بالشكل الذى جرى به الحوار واتوجه به لمجلة الدوحة نفسها ولباب آراء حرة بالذات . فكيف تطرح وجهة نظر يكون الرد عليها جاهزاً فى نفس العدد . هل يعنى ذلك أن مقال الزميلة لولوة المسند والحوار الذى اجرته قد سلم لادارة الجامعة لتجهيز الرد عليه قبل نشره ، أم ماذا ؟ .

الملاحظة الثانية : إن جوهر الموضوع فى مقال الزميلة لولوة يتناول وضع المرأة القطرية بشكل عام ملحقاً به حوار خاص مع بعض معيدات الجامعة حول أوضاعهن . فى حين جاء موقف جامعة قطر تحت عنوان «رد على لولوة المسند» . مع أن رد الجامعة لا يتناول جوهر القضية وإنما للرد على اجوبة المعيدات .

الملاحظة الثالثة : ان رد الجامعة لم يكن موضوعياً ، فلم يعترف بالواقع المعاش بالنسبة للمعيدات ، ولم يشخص المشكلة كما هى وإنما اتى كنوع من ردة الفعل . وامتلأ المقـــال بالايجابيات دون السلبيات وبتحديد الكمية دون الكيفية . مع احترامى الكامل للمجهودات المبذولة من جانب المسئولين ، وللانجازات التى حققتها الجامعة فى سنوات عمرها .

الملاحظة الرابعة والأخيرة : ان مشاركة المرأة فى بلادنا أمر ضرورى لتطوير القوى المنتجة المحلية ، كما أن المشاركة الفعلية فى القطاعات المختلفة ضرورة قصوى تتطلبها أوضاعنا الاقتصادية والسكانية . ولتحقيق هذا الهدف فالمطلوب هو ايجاد التدرج الضرورى المناسب للوصول اليه من النواحى الفكرية والاعلامية والعملية . ومن كافة المؤسسات الرسمية والأهلية وعلى رأسها جامعة قطر التى من المفترض أن تكون مصدر الاشعاع الفكرى المستنير ومركز أبحـاث يعالج مشاكل المجتمع ومعضلاته وبخصوص المرأة والفتاة بالذات فالمطلوب ربط تخصصات الجامعة وانجازاتها بالخطة الاقتصادية والاجتماعية العامة التى تنتهجها الدولة ، لا على الصعيد النظرى ، وإنما العملى والفعلى كذلك .

خالد الهاجرى
خريج هندسة مدنية ــ الولايات المتحدة الأمريكية

إهدار الامكانيات العربية

مقال رجاء النقاش عن «إهدار الامكانية العربية» يمثل جرس إنذار .. فنحن مطالبون فى عصر العلم والتكنولوجيا بأن نحافظ على كل امكانياتنا وأن نستخدمها الاستخدام الأمثل وهذا لن يتاتى إلا بالاهتمام بمراكز البحوث المتخصصة فى كافة المجالات والتى تقدم لنا كافة الحلول وتبحث فى كل المشاكل التى تواجهنا فى المجالات الاقتصادية .. فمازلنا حتى الآن نضع البحث العلمى فى ذيل الاهتمامات ، رغم أن الدول المتقدمة لم تصل الى مواقعها المتميزة إلا بالدراسة والبحث والتدقيق فى كل مشروع قبل البدء فى تنفيذه .. ثم ان الامكانية البشرية المهدرة فى العالم العربـــى هى الأخرى فى حاجة الى دراسة جديدة حتى لا نضيع الأمل فى نفوس الشباب الذين امتلأت مشاعرهم بالحماس وحب الوطن ؟ إن شباب اليوم تواجهه باستمرار وبعد التخرج مشاكل لا حصر لها ، من بينها العثور على المكان المناسب للمؤهل والدراسة التى افنوا حياتهم فى سبيلها ..

إننى اطالب كاتب المقال بان يوالى مقالاته فى هذا الصدد ، خاصة وان الدراسة التى قدمها تحتاج الى اكثر من مقال واكثر من تعليق .

محمد بوطمير
مراكش ــ المغرب

محاضرات الشيخ الشعراوى

تابعت ذلك اللقاء الجيد مع العالم الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى نشر فى عدد يناير من مجلتكم .. وقد اتيحت لي فرصة الاستماع الى محاضرات هذا العالم الجليل من خلال أجهزة الاذاعة والتليفزيون ، إلا أننى وجدت أن متابعة هذه المحاضرات فى هذه الأجهزة لا تكفى ، فالكلمة المقروءة مازالت هى المرجع الذى يمكننا العودة اليه والاعتماد عليه فى كل المعوقات والمشاكل التى تصادفنا .. فياحبذا لو نشرت مجلتكم هذه المحاضرات المذاعة حتى يستفيد منها اكبر قدر من المسلمين .

يوسف محمد الطيب
سنار ــ السودان

●● نعدكم بنشر مقالات أخرى للشيخ محمد متولى الشعراوى ، بحيث تكون مكتوبة خصيصاً لمجلة الدوحة .

الفنان يرسم نفسه !



رغم انكم مجلة ثقافية واسعة الانتشار ، إلا انكم تتجاهلون باستمرار فناناً من اعظم فنانى العصر ، وهو فنان الاسكندرية «سيف وانلى» ..

ولذا فاننى اتمنى أن تصل رسالتى لكم قبل الذكرى الثانية لرحيله ، حتى تلبوا رغبتى ورغبة الآلاف من عشاق فنه ، وتنشروا مقالاً عن الفنان ، مع لوحات لأعماله التى تمثل فيضاً من الاحاسيس الجميلة التى ستظل فى ذكرانا الى الأبد ..

ويا حبذا لو عثرتم على صورة كان قد رسمها الفنان لنفسه ، وعبر فيها عن رؤيته الذاتية لشخصه من خلال خطوطه البارعة ..

منير منصور أحمد
الرمل ــ الاسكندرية

●● اخذنا باقتراحك .. وتجد فى هذا العدد مقالاً عن فنان الاسكندرية سيف وانلى . كما ستجد فى بداية المقال اللوحة التى رسمها الفنان لنفسه وهى لوحة نادرة وننشرها مع المقال تلبية لطلبك وطلب عشاق الفنان سيف وانلى .

أين الكتاب الجدد ؟

قدموا لنا الأدب العربى الجديد .. ابحثوا عن الأقلام الموهوبة واكشفوا عن كوامن الابداع فى كتاباتها حتى نرى جيلا جديداً من الكتـــاب المتميزين ، نضيفه الى الجيل السابق .. فلو بحثتم عن سر عدم وجود كتاب جدد مرموقين ، لوجدتم أن السبب هو عدم وجود مساحات ينشرون فيها انتاجهم .. فكيف ـ بالله عليكم ـ وهذه هى حالنا ، نصحح بين الحيـن والآخر قائلين : لماذا نضب الحقل الأدبى من الكتاب المبدعين ؟!

وضاح طالب المعولى
سلطنة عمان

●● مجلة الدوحة تحرص باستمرار على نشر انتاج الكتاب الجدد فى العالم العربى ، بشرط أن يكون صالحاً للنشر من الناحية الفنية والفكرية ، ونحن نرحب دائماً بكل انتاج جيد .

انتاج السلاح

تابعت باهتمام مانشر فى مجلة الدوحة العدد (٦١) عن انتاج السلاح فى الوطن العربى لمحمود شيت خطاب .. وقد ترقبت منذ زمن طويل هذا المقال القيم الذى جعلنى بعد قراءته اناشد المسئولين فى الأمة العربية أن يعملوا جاهدين على انتاج السلاح بايدى ابنائهم حتى لا يستطيع اى دخيل أن يطمع فينا وحتى نتمكن من تحرير أراضينا بسلاحنا الذى نعرفه وحتى لا نكون تحت رحمة مورد السلاح وشروطه القاسية التى تبلغ احيانا حد المطالبة بالتدخل فى شئون البلاد !

عبد الله عبد القادر
تمبول — السودان

هواة القراد !

فى مقال «المستشرقون وهواة القراد» قال الدكتور عبد السلام العجيلى ان القراد حشرة ، والصحيح علمياً أن القراد ليس حشرة ، وان طائفة من الحشرات التى تضم ٧٥٠ الف نوعاً ليس بينها القراد .. لأن القراد يتبع فصيلة اخرى اسمها «العنكبوتيات» وهناك فرق بين الفصيلتين رغم أن كلاهما يتبع شعبة مفصليات الأرجل .. لذا وجب التنويه .. حتى يعرف القراء أن القراد لا يمكن ان يكون حشرة ..

محمد عبد الله الهادى
فاقوس — ج . م . ع

حياة المفكرين والعلماء

مقال «لمحات من حياة فولتير» أكثر من رائع .. هذا المقال عكس لنا صورة عن حياة هذه العبقرية التى جمعت بين الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والنقد الساخر فى عصره .. لماذا لا تطلبوا من كاتب المقال محمد العزب موسى أن يكتب لنا مقالات اخرى بنفس الاهتمام عن «مونتسكيو» و «ديكارت» و «هيجل» و «الان إدجاربو» ؟ .. ولماذا لايكتب لنا أيضاً عن المفكرين والعلماء المسلمين الذين ساهموا بدور عظيم فى إثراء العلوم ؟ ..

عبد الرحيم بكارى
خريبكة — المملكة المغربية

●● الزميل محمد العزب موسى يعدك بأن تكون هذه الشخصيات هى موضوعات أعداد قادمة .

محنة الشاعر

شدنى المقال المنشور بعنوان «تأملات فى محنة شاعر انتهى منتحراً» فبعد قراءة المقال وجدت اننا فى اشد الحاجة لمقالات من هذا النوع تلقى الضوء على الذين قتلهم تجاهلنا لهم وعدم إدراكنا لعمق الجرح فى نفوسهم .. هل يستطيع الكاتب أن يقدم لنا نماذج اخرى من هذا النوع ؟ نحن فى الانتظار .

النور محمد بديمة — السودان

التعليق والصورة للقارىء



تعقيباً على ما جاء فى مقال «حياة العقاد فى التلفزيون» الذى كتبه كمال سعد ، اطالب المجلة بان تتبنى فكرة استكمال هذا المسلسل القيم

وبهذه المناسبة فاننى اطالب بالعثور على ممثل قريب الشبه من العقاد للقيام بدوره فى المسلسل الثانى القادم حتى يكون التمثيل اقرب الى الحقيقة .. وفى هذه المناسبة فقد قرات فى الخمسينات أن المخرج السينمائى الأمريكى عندما يكلف باخراج فيلم عن شخصية تاريخية معروفة فانه يلجأ الى كل المختصين لتزويده بصور جميع الممثلين القريبى الشبه من الشخصية

إننى أذكر ذلك ، فى نفس الوقت الذى وجدت نفسى فيه أرسم للعقاد هذه الصورة التى أتمنى نشرها مع الرأى .

محمد فتحى الصافورى ج . م . ع

وسط لهيب الاحتلال

كشف لنا عصام شريح فى مقاله عن «كهانا» مدى كره هذا اليهودى للانسان العربى وكمية بغضه الشديد للأمة العربية .. فى مقابل هذا الوجه الكريه ، ليته يقدم لنا الوجوه العظيمة لأبطال العرب فى الأرض المحتلة أمثال بسام الشكعة وزملائه الذين يكافحون كفاح الابطال وسط لهيب الاحتلال وقسوة مغتصب الأرض .

محمد حسن كوكو — السودان

الدعوة لمكافحة التلوث

رغم اختلاف الحال بالنسبة للبيئة الخليجية فى الوقت الحاضر ، إلا أن الدعوة الى إدراك مخاطر تلوث الخليج تاتى فى مكانها وزمانها ، باعتبار أن الخليج أنبوبة ضيقة بما يجعل قدرته على تصريف النفايا محدودة .

ورغم المحاولات التى جاءت لتدارك خطورة الأمر فى شكل ندوات ومؤتمرات وإتفاقيات بين الدول الخليجية لمكافحة التلوث الدولية ، لكن الحل يحتاج الى تضافر الجهود العربية كلها بانشاء صندوق خاص لمكافحة التلوث تشترك فى تمويله جميع الدول العربية وشركات النفط ، لأن مسئولية أمن الخليج وتطهيره يجب الا تكون قاصرة على الخليجيين فقط ، فهى مسئولية الوطن العربى كله .

محمد آدم
نيالا — السودان

قرات

عن القرصنة

القرصنة مهنة من أقدم المهن التى احترفها الانسان ، وقد ازدهرت فى البحر المتوسط بصفة خاصة على مدى قرون عديدة

وقد كانت القرصنة نوعين ، فالى جانب النوع العادى من القراصنة الذى يعمل مستقلا لحسابه ، فقد وجد كذلك نوع آخر كان يعمل بأوامر من حكومات بعض البلدان إذ كانت لهم سفن تعرف باسم (السفن المفوضة) كانت مخولة من الحكومة بمهاجمة سفن العدو والاستيلاء عليها .

ومن طريف ما يذكر فى مجال القراصنة أن يوليوس قيصر وقع فى أسرهم ذات مرة ، وعندما طلبوا منه فدية قدرها ٢٠ طالنتا (وحدة نقد قديمة) شعر باهانة بالغة وقال إنه يساوى على الأقل ٥٠ ، فوافق القراصنة ضاحكين ، وضحكوا أكثر حين توعدهم بأن يقتنصهم ذات يوم ويقضى عليهم . ولكن ضحكهم لم يطل ، فبعد أسابيع قلائل من إطلاق سراحه ، وقعت عصابة القراصنة كلها فى الأسر وابيدت عن بكرة أبيها .

خالد إبراهيم شهابى
سوريا

فتحي رضوان

المسلمون .. ماذا ينتظرهم في القرن الخامس عشر الهجري؟

المسلمون ينتظرهم ، فى القرن الهجرى الجديد : أحد أمرين . اما الصدر ، واما الصبر .

أما الصدر ، فالطريق إليه ممهد للمسلمين ، كما لم يمهد لهم من قبل ، بل لعله مهد لهم ، كما لم يمهد لأمة أخرى ، على مر العصور والحقب فى التاريخ ، منذ عرف الانسان كيف يسجل وقائع حياته ، وحياة الأمم التى تكونت من افراده وعشائره .

فعناصر الصدارة لأمة بين الأمم هى أولا – شعب يطمح إليها ، ويتوق الى تحقيقها ، وثانياً – شعب تمتع بخلال وصفات تهيء للزعامة ، ويقن عليها ، من وصفات تهيء للزعامة ، وتعين عليها من العمل ، وتغرى على البذل ، وثقة بالنفس تهون على افراده المصاعب والمصائب .

وثالثاً – مال ، يهيء أسباب البناء والتعمير ، ويوفر للحروب العدة والسلاح .

ورابعاً – مركز جغرافى ، يربط الشعب المتطلع للزعامة ، بالآخرين ، ويفتح امامه سبل الاتصال والتبادل ، والأخذ والعطاء .

وخامساً – حضارة قائمة ، أو زائلة أو منتظرة ، تمنح الآخرين ، علماً أو فناً ، أو تفتح امامهم دروب التقدم والترقى .

وقد اجتمع للمسلمين ، كل هذه العناصر ، فهم منذ بعث رسولهم محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، بالدين الجديد ، وخاتم الرسالات ، وهم أهل سيادة ، حتى حينما أدال الزمان على دولهم ، ومحا من الوجود اكثر سلطانهم ، فلم يكفوا عن التطلع الى بعث ما اندثر من عظمتهم ، ومن ثم فقد توالت فى مختلف الاصقاع ، دولهم ، ما تختفى دولة ، الا وتظهر دولة ، وما تبدو لهم ، الا وتبعتها حضارة وثقافة ، تقوم على نفس الدين وتستلهم ما نشره من علم وفن ، وصناعة وأساليب حكم .

فلما ساد الغرب وكاد يطمئن الى زوال سلطان المسلمين الى غير رجعة ، بعد ان سقطت دول المسلمين فى أسبانيا ثم فى شمال افريقية ظهرت دولة الخلافة العثمانية ، فغلبت أهل أوربا الغربية على شرق أوروبا نحواً من خمسة قرون ، وبقوة حرابها وسيوفها ، تخز جانب الأوربيين ، وتدمى جنوبهم .

فلما مالت شمس الدولة العثمانية الى الأفول ، انتشرت حركات التحرير ، والجهاد القومى ، فى طول العالم الاسلامى ، وعرضه ، فعرف أهل أوروبا المدججون بالسلاح ، ألوانا من العذاب على يد مجاهدى المسلمين ، الذين تجردوا من السلاح الحديث ، ومن المال الذى لا غنى عنه ، ونزلت بهم هزائم ، اهتزوا لها عرفوا أمثال عبد القادر الجزائرى ، ومحمد بن عبد الكريم الاول فى الجزائر والثانى فى ريف مراكش .

ساد المسلمين الفقر والجهل ، والفرقة والخلاف ، وبعدوا عن دينهم ، حتى لكأنهم قد خرجوا منه ، واطمأنت نفوسهم الى عقيدة فاسدة ، لا تدرى اهى بقايا دين سماوى ، أو هى وثنية صريحة يخافون معها الأجنبى ، أو يقلدونه ويحاكونه ، أو يتقربون إليه ، ويتزلفون الى ممثليه واعوانهم طمعاً فى شىء من فتات موائده : من مال ، أو سلطان .

العودة الى المجد

ولكنهم فى أحلك أيامهم ، وأسود عصورهم ، لم ينقطعوا قط ، عن الحلم بعودة مجدهم ، مقرونا بحضارتهم وثقافتهم ، وتقاليد حياتهم السامية : والحرص على طلب العلم ، ونشره ، واحترام العلماء ، لذلك ما كاد يبزغ بين جماعة من المسلمين ، نجم رجل منهم . اتصلت نفسه بالدين على وجهه الصحيح ، حتى تدب الحياة فى قوم هذا الرجل ، فينفضوا عن أنفسهم غبار الذل ويتحدوا كما اتحد اجدادهم واسلافهم .

حدث هذا فى شرق الجزيرة العربية حينما خرج من صفوف اهل نجد محمد ابن عبد الوهاب ، وحدث هذا فى انحاء عديدة فى الهند وفى أقصى المغرب والسودان واجزاء اخرى من العالم .

بل ان ظهور كاتب أو خطيب مسلم ، كان وحده ، بلا جيش ولا سلطان ، يؤجج نار الشوق الى تحديد الاسلام وبعث احكامه ، ونشر نوره ، فعبد الله النديم فى مصر ، وعبد الرحمن الكواكبى فى سوريا ، اطلقا نيران ثورات ، أرهبت أهل البغى والطغيان ، وأصحاب السلطان فى أوروبا .

فالشعب المسلم فى اطراف العالم الاسلامى ، وأعطافه لم تخمد فى نفوس ابنائه انوار الاسلام ، والأمل فى دولة عظيمة تضم المسلمين تحت لوائها ، وتقيم حكم ربهم ، ورسالة نبيهم فيسود العدل ، والطمأنينة .

وهو شعب تتباين السنته ، وسحنه وقسمات وجوه ابنائه ، وتتفاوت حظوظهم من المعرفة الصحيحة بالاسلام ومدى قربهم أو بعدهم عن الحضارة الحديثة ، ولكنه مع ذلك شعب فى جملته قريب بعضه من بعض ، ينبض قلب ملايينه ، بشعور واحد ، هو أنهم ينتمون الى خير أمة اخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وان عزهم باد لأنهم تنكبوا طريق هذا الدين ، ولان علماءهم امتلأت عقولهم بالخرافات ، فحشدوا فى طريقهم إلى استلهام هذا الدين والاتصال ، الحواجز والعقبات ، حتى انتقل الى سواهم ، باسماء أخرى ، وبأزياء جديدة .

هذا هو الشعب ابن حضارة عريقة ، شملت الأرض الواقعة من الصين الى

● عندما مالت شمس الدولة العثمانية إلى الأفول .. انتشرت حركات الجهاد القومي في العالم الإسلامي
● الشعب المسلم في أطراف العالم الإسلامي لم تخمد في نفوس أبنائه أنوار الإسلام ورسالة نبيهم
● الأمة الإسلامية اجتمع لها من المال والطاقة موقع جغرافي لم تظفر به مجموعة أخرى من الأمم
● المجتمع الإسلامي فوق كونه مجتمع الإنسانية الموحدة والعدل .. فهو مجتمع الرأي الحر

المحيط ، وغزت اوربا ، واقامت العلم الحديث او مهدت له ، ونقلت لأوروبا ، ما خلفه الاغريق ، والهنود ، والفرس والمصريون من فلسفة وحكمة ، وعلوم طبيعية . ثم شقوا طريقهم إلى علم جديد فخلقوا علوماً جديدة لم يكن للانسانية بها عهداً .

وقد اجتمع للأمة الاسلامية مع المال ، والطاقة ، موقع جغرافى لم تظفر به مجموعة أخرى من الأمم ، فالأمة الاسلامية تشغل حزاماً متصلا يشق وسط آسيا ، ووسط أوروبا ، من الصين الى المحيط ، ويدخل فى نطاقه من وسائط ربط الأمم ، ووصلها ، ونقل تجارتها ، وتبادل ثقافتها مع غيرها ، ما لم تعرفه أمة أخرى . ففى هذا الحزام العجيب : يقع اكبر بحرين كان حوضها كرسى اعظم الدول : البحر الابيض والأحمر . الذى شهد نشوء دول الفراعنة والاغريق والرومان والفرس والعرب والترك والانجليز والفرنسيين . وفى هذا الحزام تجتمع اكبر الانهار : النيل ، والفرات ، ودجلة ، وسيمون وصجون ، والسند ، .. الخ .

وفى نطاقه تقع اكبر المضايق ومفاتيح البحار والتجارة : باب المندب ، وعدن، وبورسعيد ، وجبل طارق وهرمز والملايو .. الخ ..

أما حضارة العالم الاسلامى ، فباقية ، قد تكون ناراً تحت الرماد ، ولكنها متقدة لا تحتاج الا التحريك ، الموقد ، والنفخ فيه قليلا قليلا ، لتشتعل النار ، وتضيء ما حولها .

آثار الحضارة الاسلامية

فاثار الحضارة الاسلامية تشاهد فى كل مكان فى العالم الاسلامى ، مساجد شامخة ، وأسبلة ، ومستوصفات ، وقلاع ومنارات ، وهى من الجمال والروعة ، بحيث لا يكاد يقف امامها المسلم ، ولو كان جاهلا حتى يحس باثرها ، فى صدره وقلبه وعقله . فتطفر دموع الحنين ، والاسى ، والأمل من مآقيه ، لتشعل نار عزمه على استعادة الماضى ، مع احساس بالوحدة من صانعى هذه الآثار

وهذه الآثار أيضاً باقية فى الموسوعات والمجلات والكتب والرسائل التى خلفها علماء ومفكرو ، وأدباء وفقهاء وشعراء العالم الاسلامى ، فى الدين ، والفقه والتاريخ والأدب ، والطب والكيمياء والفيزياء ، والفلك والجغرافيا

ان الأمل ، اذا تجاوز مرحلة التمنى ، المصحوب بغيبوبة احلام اليقظة ، واسترخائها ، كفيل بان يحقق ثلاثة عناصر أخرى ، تفتح الطريق الى تزعم المسلمين ، لدنيا الناس فى القرن الخامس عشر الهجرى :

أولا ـ انبثاق زعامة فى احد بلاد المسلمين ، تجمع الناس حولها فى القطر الذى خرجت منه ، ثم لا تلبث أن تبسط رواقها ، وترفع لواءها على العالم كله . لمجرد التكاثر والاستجابة لهذه الزعامة .

ثانياً ـ وحدة عمل بين زعماء حضارة ومفكرى العالم الاسلامى ، تتكون أولا ، فى صورة رابطة ، تزداد مع الأيام احكاماً وتوثقاً .

ثالثاً ـ حركة شعبية ، تبدو آثارها ، فى اجتماعات ومؤتمرات ومظاهرات فى طول العالم الاسلامى وعرضه ، فى يوم واحد يختاره زعماء الحركة . وقد يكون هذا اليوم هو يوم رأس السنة الهجرية ، أو يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يوم وقفة المسلمين فى عرفة باعتبار أن هذا اليوم هو يوم المؤتمر الاسلامى الاكبر .

اذا تحقق هذا كله ، فالصدارة ، بغير شبهة ولا شك ستكون من حق المسلمين ، وسيتأكد هذا الحق ، بفضل ما يعانى منه الغرب ، وهو القائد لحضارة هذه الأيام أو وضع أسسها ونشر تعاليمها ، وغزا بها الاقطار والأمم ، مع يقين عنده أنها الحضارة المثلى التى لا يجوز لحضارة أخرى ان تقوم الى جانبها . ولذلك فقد بذل أقصى غاية الجهد ، لينتزع أهل الامم والشعوب ، فى افريقيا وآسيا ، من أحضان حضارتهم التى توارثها أجدادهم وآباؤهم ، وما وضعته من تقاليد وقواعد للحياة ، وأساليب للتفكير ليكونوا غربيين اقحاحاً ، يلبسون ويأكلون ، ويحبون ويكرهون ، ويفكرون ويتأملون ، كما يفعل أهل اوروبا وأمريكا .

ولكن حضارة الغرب للأسف ، قد وصلت الى مازق منذ عدة عقود من السنين ، ولا تزال متورطة فى أوحاله ، لا تستطيع الخروج منه . ولا أمل حتى اليوم فى ذلك ، فالغلاء أو التضخم ، والبطالة ، والكساد ، واختلال موازين التجارة والمدفوعات ، كلها تجثم على صدر الانسانية وتكاد تزهق أنفاسها .

دور القادة

فالانسانية فى حاجة واضحة الى اسلوب حياة وطرائق تفكير ، ونماذج للعلاقات الانسانية ، غير ماوضعته وقننته ، وفرضته حضارة الغرب وفى مقدور الاسلام أن يقدم البديل ، اذا أحس المسلمون بالرسالة ، التى تنتظرهم . ولاشك فى ان قادة المسلمين ، فى حاجة الى من ينبههم الى هذا الدور العظيم الذى ينتظر أمتهم ، لينبهوا شعوبهم إليها ، ويضعوا المناهج والخطط المؤدية الى الايقاظ والبعث .

ولاشك أيضاً فى أن هذه المراحل ستكون شاقة ، وطويلة ، ويبدو خلال هذه المراحل ، أن الامل المرموق ، أبعد من ان

المسلمون .. ماذا ينتظرهم في القرن الخامس عشر الهجري ؟

تطوله ، فالانتكاسات ، والردة ، هى جزء من كل عملية من عمليات التطور والبعث التى تمر بها الأمم ، التى أفل نجمها ، وأنسحبت من ميدان القيادة ، وتوارت عن الانظار ، وأخلد ابناؤها الى الراحة ، وآثروا العافية ، على آلام الجهاد .

ولكن أتكون غاية المسلمين ، أن يتصدروا دول العالم ، وأن تكون لهم زعامته ، طمعاً فى السلطة والجاه ، ام أنه سيكون للمسلمين من وراء السعى الى استعادة مجدهم ، ان يقيموا نظاماً عالمياً ، يحقق لابناء آدم من الطمأنينة والرخاء وأسباب التعاون ، ومنع الحروب ، واللجوء الى القوة ، والغضب واشاعة القلق والخوف بين ابناء الانسانية قاطبة : اقويائهم وضعفائهم ، اغنيائهم وفقرائهم .

والواقع ان لفظ (الاسلام) وحده ، يغنى عن بيان مايهدف إليه هذا الدين العظيم ، فمعنى الاسلام ، الاذعان لارادة الله الواحد الذى يظل جميع البشر برعايته ، وحمايته ، والذى يريد لهم رغدا فى العيش ،واخاء ومحبة تقوى أواصرهم ، وتقربهم بعضهم من بعض .

ولقد دعا الاسلام مباشرة الى وحدة الانسانية ، فى القرآن ، واقوال رسول الله قال تعالى : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم» . فاختلاف السنة الناس وتوزيعهم الى قبائل وشعوب ، لا ليقتتلوا ، بل ليتصادقوا ، ويتعارفوا ، فى ظل مبدأ دائم وعقيدة عامة ، ان أفضل الناس هو اتقاهم ، والتقوى هنا البعد عن ايذاء الناس ، وكرهم وانتقاص راحتهم ، اى طاعة أوامر الله التى تأمر الناس بالحب «ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» .

وقد قال رسول الله فى خطبة الوداع فى حجته الوحيدة الى بيت الله : كلكم لآدم وآدم من تراب . ليس لعربى فضل على أعجمى ، ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى والعمل الصالح» .

النظام العادل

ويدعو الاسلام الى اقامة نظام عادل ، للسلام العالمى أساسه قول الله : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله» ، فالنزاع بين الجماعات ، يحسمه التفاوض ، والصلح ، فان لم تفىء احدى الجماعات لما يقضى به الحق والعدل ، فالمجتمع كله ، يحاربها ، ويقاطعها .

كما يدعو الاسلام الى التعايش بين الجماعات ، وان اختلفت مذاهبها وقد دعا القرآن المسلمين الى احسان معاملة غير المسلمين من أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين ، وهما أشد الجماعات حرباً للاسلام فى اول عهده وكان حريا ان يدعو الى حربهم بغير هوادة فقد قال تعالى : «ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن» ، والقاعدة فى الاسلام أن غير المسلمين ممن يعيشون مع المسلمين ، فى أوطانهم ،وتحت سلطانهم ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . ولهم بعد ذلك الحرية فى ان يعبدوا الله ، كما علمهم دينهم ، يقيمون معابدهم ، ويدقون أجراسهم ، ويرتلون تراتيلهم ، بلا حظر ولا قهر ولا إخافة .

بل ان الاسلام دعانا الى نبر ونحسن معاملة من ليس على ديننا مادام لم يتحالف ضدنا ولم يخرجنا من ديارنا ، ولم يرفع سلاحاً فى وجهنا قال تعالى :

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين» .

والاسلام سبق جميع الشرائع الى تقرير حقوق الانسان ، بتقرير القاعدة الاساسية : « ولقد كرمنا بنى آدم » التى بنى عليها قول الله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً » ولعله لم يرد فى شريعة أخرى ، نص ، يرتفع بحرمة النفس الانسانية الى هذا المستوى العالى الذى يجعل قتل فرد واحد ، قتلا للانسانية كلها .

ولقد حرص القرآن على حرية الرأى ، والجهر بالنقد ، للحاكم ، ونصحه ، ثم عزله ، ان لم ينتصح ، وقتله ان تمادى فى الاعتداء على حقوق الرعية وانتهاك واجباته .

وصف القرآن المسلمين فقال :«كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» وقال تعالى «ان الله لا يحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم» .

والحاكم فى الاسلام خاضع للقانون خضوع الشعب اى الرعية ، وقال أول خليفة للمسلمين «أطيعونى ما اطعت الله فيكم» والقاعدة الاسلامية تنص انه «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» ولذلك حين قال عمر للشعب ، «اذا وجدتم في اعوجاجاً فقومونى» فخرج من بين صفوف الناس من قال للخليفة «والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد السيف» وقد جاء هذا القول تطبيقاً لقول رسول الله : «اذا رأيتم الظالم ولم تاخذوا على يديه يوشك أن يعمكم الله بعذاب» .

فالمجتمع الاسلامى فوق كونه مجتمع الانسانية الموحدة ومجتمع العدل ، فهو مجتمع الرأى الحر ، ومن ثم فان المسلمين اذا ما سعوا للزعامة سعوا فى الواقع الى تحقيق سعادة الناس ، وتآلفهم وتوادهم اى الى انسانية جديدة يظلها العدل والرحمة والحرية .

فهل سيتحقق كل هذا فى القرن الخامس عشر الهجرى ؟ ..

فتحى رضوان



زاوية الرأي

ليس أدباً غامضاً .. بل مُضجراً!



المتنبى



شكسبير



فولتير

هل البساطة والوضوح فى العمل الادبى والفنى هما ضد عمق هذا العمل وخصوبته ونفاذه الى كبد الحقيقة وصميم الانسان ؟

سؤال طالما طرحته على نفسى وأنا أفقد اعجابى تدريجاً بهذه الأعمال الشعرية والنثرية التى ظهرت فى السنوات الأخيرة فى الوطن العربى ، ومعظمها من صنف الكلمات المتقاطعة والألغاز التى لا تتصف بالغموض فحسب ، وإنما بالركاكة اللغوية وافتقاد الذوق الفنى كذلك .

والمدهش فى هذه الأعمال ان أصحابها يقولون إنهم انما يتوجهون بأعمالهم الأدبية هذه الى سواد الناس ، وعامة الشعب لتنويرهم وبذر الوعى المتقدم فى نفوسهم ! ولكن هذه المدرسة من الأدباء لم توضح لنا قط كيف يمكن الوصول الى الشعب ومخاطبته وتنويهه بأسلوب التنوير المصطنع المقفل ، والركاكة اللغوية والفنية التى تنفر الناس – وقد نفرتهم بالفعل – من الأدب الجديد والشعر الجديد ..

لنترك هذا السؤال مفتوحاً ، وقد أريق حوله حبر كثير ودارت حوله مناظرات عكاظية كثيرة دون حل من جانب أصحاب هذه الأزمة المفتعلة فى أدبنا الحديث ...

ولنعد الى المشكلة الأساسية لنتأملها وهى : هل حقاً يقوم تناقض جوهرى بين البساطة والوضوح فى العمل الفنى وبين العمق وأصالة التجربة ؟ ماذا تقول لنا تجارب العالم فى هذا المضمار ؟

لنأخذ على سبيل المثال مسرحية لشكسبير ولنتأملها على ضوء هذا السؤال ، باعتبار أن فن شكسبير يمثل قيمة عالمية متفق عليها ..

إن الرجل العادى سرعان ما يندمج فى المسرحية الشكسبيرية بما تقوم عليه من حبكة وحركة وحوار شائق ومفاجآت وشخصيات طريفة وصادقة ومواقف يتعرض لها الانسان فى كل مكان وزمان .

وإن الناقد الفنى يعجب ، فى الوقت ذاته ، بمسرحية شكسبير لأنه يجد فيها إتقان الصياغة المسرحية ، وبلاغة الحوار على بساطته ، مع تعدد معانيه بين واضحة وعميقة ، بين ظاهرة وباطنة ، بين قريبة وبعيدة . هذا الى جانب براعة الصنعة البالغة حد الطبع ..

ثم إن المفكر المهتم بالجانب الفلسفى فى الحياة يجد فى العمل الشكسبيرى بغيته وضالته لأنه يمده من وراء الحوار البسيط والحركة المسرحية الواضحة بأعمق النظرات فى الطبيعة الانسانية وأغوارها البعيدة والعميقة . نعم ، فمن خلال الحوار البسيط والحركة الواضحة ، فى العمل الفنى الجيد ، يمكننا الوصول الى أعمق الأفكار ، وأندر التجارب ..

ولماذا نذهب بعيداً الى شكسبير . لنأخذ المتنبى ، هذا الفنان الذى مايزال حياً فى ضميرنا العربى والذى استطاع أن يختصر العبقرية العربية فى ديوان واحد .. خالد ، لبدوها .. وحضرها .

ذات مرة كنت فى البادية العربية على أطراف الخليج ، وحضرت مجلساً للبدو ، فهالنى ذلك الاستشهاد الواسع بأبيات المتنبى أثناء الحديث من جانب أولئك البسطاء الأميين . وكان شعر أبى الطيب يتردد على ألسنتهم وكأنه حديثهم العفوى وخطراتهم النابعة من نفوسهم .

وكنت قد درست المتنبى فى الجامعة على أيدى نقاد وباحثين متخصصين ورجال فلسفة اعتبروا المتنبى عمق الحضارة العربية وخلاصتها المصفاة الرائعة .. ولم أتصور بعد هذه الدراسة المعمقة ان المتنبى شاعر البسطاء وعامة الشعب أيضاً ، حتى سمعت أولئك البدو فى الصحراء العربية يرددون كلامه وكأنه صديقهم الذى سمروا معه ليلة البارحة ، وبسلاسة وطلاقة قد تفوق قراءة دكاترة الجامعة لشعره !

فتيقنت ان الفنان الأصيل هو الذى يستطيع أن يجمع بين البساطة والعمق ، وبين الموضوع والتبحر ، وبين الظاهر والخفى ، وان مدعى الفن هو الذى يصطنع حاجزاً ويختلق تباعداً بين الجانبين :

يقولون ما أنت فى كل قرية ؟
وما تبتغى .. ما أبتغى جل أن يسمى

هكذا يلخص أبو الطيب تجربته مع الحياة ..

والعبارة الموجزة البسيطة «جل أن يسمى» يفهمها الرجل العادى حسب أحلامه ، ويقرؤها السياسى حسب طموحه ، ويرى فيها العاشق أمنيته ، ويلمح فيها المتصوف ذلك المطلق الذى يجل عن الأسماء والوصف !

هكذا يكون الفنان عظيماً «وعميقاً» وواضحاً وبسيطاً ! ما رأى إخواننا أصحاب الألغاز الثقيلة .. المضجرة ؟

ولقد سئل فولتير مرة : «ما أفضل أساليب البيان ؟ فقال : جميع الأساليب جيدة ، ما عدا المضجر منها !» وليسمح لنا إخواننا هؤلاء أن نقول لهم إن أسلوبهم أكثر من مضجر إنه فوق ذلك مضر بأنفسهم وبأدبهم وبمستقبل هذا الأدب قبل كل شىء .

محمد جابر الانصارى

د. علي خليفة الكواري

التحديات الاقتصادية الراهنة في الخليج والجزيرة

هل نواجهها.. أو نهرب منها؟

تواجه الأقطار المصدرة للنفط فى الجزيرة العربية مجموعة من التحديات الاقتصادية التى تكاد تختص بها دون سواها من الدول غير المصدرة للنفط فى العالم . وتتمثل التحديات فى الظواهر الرئيسية التالية :

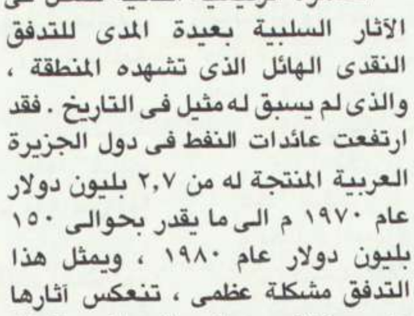
أ ـ اعتماد الناتج المحلى الاجمالى على النفط الخام :

يتمثل هذا التحدى فى اعتماد الناتج المحلى الاجمالى فى دول المنطقة ـ بشكل يكاد يكون مطلقاً ـ على انتاج النفط الخام . ويتضح ذلك من خلال ضيق القاعدة الانتاجية ، حيث أن مساهمة قطاعات الانتاج السلعية الأخرى ، من قطاع الزراعة والصيد وقطاع المناجم والتعدين (عدا النفط) والصناعات التحويلية بما فى ذلك تكرير النفط والصناعات البتروكيماوية ، لم تتجاوز ٦ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى لعام ١٩٧٦ م / ١٩٧٧ م فى كل من أقطار المنطقة ، بينما ساهم قطاع انتاج النفط الخام بحوالى ٧٠ ٪ من مكونات الناتج المحلى الاجمالى . هذا الى جانب الاعتماد شبه المطلق لميزان المدفوعات والايرادات العامة على عائدات تصدير النفط الخام . وتؤكد الخاصية المركزية فى اقتصاد دول المنطقة خلل الهيكل الاقتصادى السائد ، وخطورة ترك السياسات التلقائية تحكم مسار مستقبله . وهذا الخلل ناشىء عن الاعتماد على تصدير سلعة خام واحدة يمثل ريعها الاقتصادى أكثر من ٩٥ ٪ من ايراداتها . وهذا الريع فرضته الندرة النسبية السائدة فى السوق العالمية .

والخطورة هنا ناتجة عن كون النفط مورداً ناضباً ، بالاضافة لما يمكن أن يؤدى اليه التقدم التقنى على المدى البعيد من اكتشافات ، قد تؤثر على أسعاره ومستوى الريع الاقتصادى المتحقق من جراء تصديره . ومعالجة هذا الخلل من خلال التصرفات الاقتصادية التلقائية لن تكون مجدية ، حيث أن معدل عوائد الاستثمار فى أى نشاط انتاجى جديد مهما يكن مريحاً ، فانه ـ فى ضوء التدفق الهائل لعائدات النفط ـ يبدو ضئيلا اذا ما قورنت عوائده ومصاعب تنفيذه ، بعوائد وسهولة تنفيذ النشاطات المنتجة للزيت الخام أو المتطفلة عليه .

ب ـ التدفقات النقدية وتوجيه معظمها للاستهلاك المباشر :

الظاهرة الرئيسية الثانية تتمثل فى الآثار السلبية بعيدة المدى للتدفق النقدى الهائل الذى تشهده المنطقة ، والذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ . فقد ارتفعت عائدات النفط فى دول الجزيرة العربية المنتجة له من ٢,٧ بليون دولار عام ١٩٧٠ م الى ما يقدر بحوالى ١٥٠ بليون دولار عام ١٩٨٠ ، ويمثل هذا التدفق مشكلة عظمى ، تنعكس آثارها على مختلف جوانب الحياة ، فتخل



بتوازنها ، وكأنما هى تجسيد لقول الشاعر العربى :

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أى مفسدة

فقد أصبح الريع المتاتى من صادرات النفط الخام هو المصدر الوحيد لتغطية عجز ايرادات مختلف النشاطات عن مقابلة نفقاتها . وهذا ما أخل اخلالا خطيراً بالآلية الاقتصادية فى المجتمع ، وجعل العلاقة بين مستوى انتاجية أفراده ومستوى استهلاكهم علاقة شبه معدومة . فأخذ مستوى الاستهلاك يتضخم بشكل مخيف أدى الى بروز مجموعة من الظواهر غير الصحية ، يعانى منها اقتصاد المنطقة فى الوقت الحاضر ، وتشكل عقبة حقيقية أمام اقامة أى نشاط منتج فى الحاضر والمستقبل . ويتضح هذا الخلل جلياً ، اذا استبعدنا دعم ريع النفط لأى نشاط قائم ، سواء أكان نشاطاً فردياً أو نشاطاً تقوم به مؤسسة من المؤسسات العامة أو الخاصة ، وقمنا بالمقابلة بين انتاجياته الذاتية واحتياجاته الاستهلاكية أو تكاليف تشغيله .

تنمية القدرات الانتاجية

فالواقع أن الاستهلاك العام والخاص وتصاعد معدلاته رفع تكلفة ومستوى المعيشة فى المنطقة وغير نمطها الاجتماعى ، وأدى الى ارتفاع المطالبة من عموم قطاعات المجتمع وفئاته ، للحصول على مزيد من الدخل اللازم لمسايرة مستوى الاستهلاك السائد . وكحل سهل وسريع وجدت الحكومات أن استخدام عائدات النفط للمساعدة



والدعم أيسر بكثير من محاولة ايجاد النشاطات المنتجة والاعداد اللازم لرفع كفاءة وانتاجية القطاعات المختلفة ، بما يحقق رفع انتاجية الأفراد الى الدرجة التى تبرز مستوى الاستهلاك المستحب اجتماعياً وسياسياً . وهكذا بدأ الخلل بين مستوى الانتاج ومستوى الاستهلاك، أو بين الجهد والمكافأة ، وأصبح الريع المتأتى من تصدير النفط الخام هو المصدر الوحيد لتمويل مختلف أوجه الاستهلاك . وقد يكون مبرراً وجود حد معقول من هذه السياسة ، اذا كان تطبيقها مرحلياً وواعيـاً ، إلا أن الاستمرار فى تطبيقها والاستسلام الى نتائجها يشكلان خطراً كبيراً على تنمية القدرات الانتاجية للمنطقة .

النشاط الانتاجى

وهكذا نجد أن التدفقات النقدية المتزايدة ، وعدم القدرة على استيعابها فى نشاطات ومجالات منتجة يعوق أى توجه لبناء القاعدة الانتاجية الصلبة ، وإحداث التحولات الاقتصادية فى الهيكل المادى والبشرى للانتاج ، بما يسمح بترسيخ أسس عملية التنمية ودعمها فى المدى الطويل . ان ترك هذه التدفقات النقدية تتوجه الى الاستهلاك المباشر سيضر بالقدرة الانتاجية لأقطار المنطقة ، ويعوق قدرة المجتمع على العطاء ، ويزيد حاجته للاستعطاء . ونظرة على مستوى استهلاك الفئة الوسطى والدنيا من المواطنين فى هذه المجتمعات ـ دع عنك الطبقة العليا ـ تبرهن على مدى الخلل الاقتصادى الذى وصلت اليه مجتمعات المنطقة ، وتبين مدى الصعوبة التى تواجه بروز أى قطاع انتاجى جاد ، يستهدف الاعتماد على ذاته وميزاته النسبية . ويقدم منتجاً يستطيع منافسة بقية المنتجات المماثلة . يضاف الى ذلك كله ، أن هذا الخلل الاقتصادى يشكل عائقاً رئيسياً أمام تطوير كفاءة العناصر البشرية ، والاستفادة منها فى القطاعات الأكثر انتاجية . كما أنه أصبح مدعاة لسوء استخدام الموارد الطبيعية الشحيحة مثل المياه الجوفية والرقعة الزراعية المحدودة والثروة النفطية نفسها . وأخيراً وليس آخراً . فان هذا الخلل الاقتصادى قد أدى الى تحويل كثير من أوجه النشاط الانتاجى الى وسيلة للاستهلاك المباشر . وينطبق هذا على النمو الزراعى وعلى استخدام الطرق والموانى والمطارات . بل وينسحب على التعليم والصحة وغيرها من الخدمات التى بدلا من أن توجه منتجاتها النهائية الى المساهمة فى رفع مستوى الانتاج ، فانها توجهت الى زيادة مستوى الاستهلاك وتوسيع مداه .

مواجهة المشكلات

وظاهرة التدفق النقدى يمكن مواجهتها بأكثر من أسلوب يتمثل أفضلها وأكثرها فعالية ، فى علاج أساس المشكلة ، لا فى اللهاث وراء معالجة مظاهرها ، هذا العلاج يحتم وجود نظرة جدية وسياسة نفطية وطنية تربطان انتاج النفط وتدفق عائداته باحتياجات الاستثمار اللازم لخلق تنمية حقيقية قادرة على تغيير الهيكل الاقتصادى للمنطقة ، وخلق القوى والأدوات الانتاجية ، التى تكفل الاحتفاظ بمستوى دخل معقول لمجتمعات المنطقة بعد نضوب البترول .

أما الخيار الثانى لعلاج هذه المشكلة فيتمثل فى اتباع أسلوب مرحلى يأخذ بعين الاعتبار الواقع الراهن ، وبالتالى فانه يهدف الى خلق قنوات أكثر انتاجية مما هو سائد الآن ، بحيث تستطيع هذه القنوات أن تمتص التدفق النقدى ، وتخفف من الآثار السلبية التى يخلقها نتيجة توجيهه الى قطاعات الاستهلاك المختلفة ، وهذا الخيار الثانى هو الصيغة العملية ، نظراً لأن تدفق العائدات النفطية تحكمه ظروف خارجية وداخلية معقدة ، تجعل تحقيق الخيار الأول ـ بشكل مرض ـ فى الوقت الحاضر أمراً صعباً ، يتطلب الكثير من التوعية والضغط الفعال فى اتجاه بناء ارادة مستقلة .

وتعد المشروعات الانتاجية ـ وعلى الأخص التجارى منها ـ وسيلة من الوسائل الهامة التى يمكن اللجوء اليها ، من أجل امتصاص تدفق العائدات النفطية ، بشكل أكثر انتاجية مما هو متبع فى الوقت الحاضر .

في العدد القادم

فرص ضخمة للاستثمار في الجزيرة والخليج

بقلم : د. علي خليفة الكواري

رجل خطير.. وفكرة عجيبة

ناحوم جولدمان

وظاهرة الدعوة إلى إسرائيل محايدة

عصام شريح

هل صحيح ان «اسرائيل» أصبحت على شفا الهاوية ؟ هذا المصير هو ما يتنبأ به الرئيس السابق «للمؤتمر اليهودى العالمى» الدكتور ناحوم غولدمان . لكن هذا الكلام لا يمكن أخذه على اطلاقه ، لأن لدى الدكتور غولدمان حلا آخر ، تستطيع «اسرائيل» اذا قبلت به أن تظل على قيد الوجود .

وفى الواقع فان الدكتور غولدمان بدأ منذ عقد من الزمن يقرع جرس الانذار للاسرائيليين ، وقد ارتفعت حمى القرع هذه لدى غولدمان فى العام الماضى ، حتى لقد ملأ أعمدة الصحف والمجلات الدورية الأجنبية والعربية ضجيجاً ، مطالباً اسرائيل بتقديم «تنازلات» من شانها أن تؤدى الى الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، اما بالنسبة «لاسرائيل» نفسها فقد دعا غولدمان الى تحولها الى دولة محايدة بضمانات عربية ودولية !! ، وبالطبع فان هذه الصرخة التى يطلع بها علينا الرئيس السابق «لمنظمة المؤتمر اليهودى العالمى» ليست نابعة بالتأكيد من ادراك لواقع الخطيئة التاريخية التى ارتكبها اليهود بحق العرب فى اغتصاب أرضهم بفلسطين ، بقدر ما هى تعبير عن رؤيا مرعبة ، لما ينتظر اليهود فى فلسطين وفى «الدياسبورا» اذا لم تحدث عملية تحول جذرية عن الهدف الصهيونى فى المرحلة الحاضرة التى هى فى نظر غولدمان مرحلة الصحوة العربية والانبعاث العربى . لكن قبل الدخول فى تحليل الأهداف البعيدة التى يرمى اليها الدكتور غولدمان من وراء دعوته الى تحييد الكيان الصهيونى «كدولة» معترف بها وبوظيفتها الروحية ، وتصالح هذه «الدولة» مع العرب ، نرى لزاماً علينا أن نشير أولا الى الخطوط العامة لأفكار غولدمان «المتطورة» !!

غولدمان والعرب

يتحدث غولدمان عما يسميه بـ «الخطيئة الأصلية» للحركة الصهيونية ، أى سوء تقدير قادة الصهيونية لأهمية العامل العربى ، وفى طليعتهم مؤسس الصهيونية الدكتور «تيودور هرتسل» الذى «كان يجهل الطابع الخاص والفريد للتاريخ وبنية الشعب اليهودى المبعثر فى أكثر من خمسين بلداً فى جميع القارات» .

وكان الحل الذى قدمه هرتسل «للمسألة اليهودية» فى غاية البساطة — كما يقول غولدمان — ومفاده «ان ثمة شعباً من دون وطن — هو اليهود — وان ثمة وطناً من دون شعب — هو فلسطين — وما علينا سوى وضع اليهود فى باخرة ونقلهم الى فلسطين» .

يعترف غولدمان بأن هذا الحل كان تبسيطاً الى أبعد الحدود ، وبالتالى فهو حل خاطىء لسبب بسيط ، هو أن فلسطين كانت مسكونة بمئات الألوف من العرب ، فى حين كان لليهود فى أوروبا والقارة الأمريكية وطن ما يعيشون فيه كمواطنين عاديين .

لكن غولدمان يتخبط عندما يحاول ادانة قادة الصهيونية بسبب فشلهم فى تقييم العرب تقيماً موضوعياً ، ففى حين اعتبر دعوة هرتسل لاقامة دولة يهودية فى فلسطين (الخالية من السكان !!) عملية مميتة وخطيئة أصلية نراه يصف ذلك الاخفاق فى مواقع أخرى بصفات أخف تأثيراً ووقعاً من مثل «الضعف» و «التغاضى» ، ففى مقال له نشره بصحيفة هآرتس بتاريخ ٣ — ٤ — ١٩٧٠ يقول فى هذا الخصوص: «... إن احدى نقاط الضعف والتغاضى الأساسى للحركة الصهيونية يتمثلان فى عدم اهتمامها بالقضية العربية واستخفافها بشكل كبير بأهميتها» ، ففى كتابات وأقوال المفكرين الايديولوجيين للحركة تحتل النظرة الى العالم العربى دوراً لا يذكر» .

ومع ذلك ، فان غولدمان يعزو الخطأ الاستراتيجى فى تفكير قادة الصهيونية الى هرتسل قبل غيره ، الذى يصفه مرة بالتبسطى الذى قلص أبعاد الصهيونية الى «مسألة تقنية» تتمثل فى نقل أناس بلا أرض الى أرض بلا أناس ، لأنه كان يجهل كل شىء عن القضية العربية بالاضافة الى جهله لتعقيدات المسألة اليهودية .. ويصفه مرة أخرى «بالعبقرى» الذى «نجح» فى تصغير مشكلة معقدة جداً ووضعها فى صيغة مبسطة جداً .

ويرى غولدمان أنه نتيجة لهذا الاستخفاف من قبل منظرى الحركة



ناحوم جولدمان

الصهيونية سواء السابقون أو اللاحقون منهم ، بالقضية العربية ، وعدم التعمق فى فهم النفسية والتاريخ العربيين فانه لم يخطر على بال أحد من قادة الحركة الصهيونية مثلا ان العرب «سيردون بالحرب على قيام دولة يهودية» ، إلا أن غولدمان يشير مع ذلك الى وجود أقلية ضئيلة بين قادة الصهيونية ، كانت تنظر بجدية الى القضية العربية ، بينها هو نفسه اضافة الى مارتن بوبر ويهودا ماغنس ، وأرنست سيمون ، لكن تأثير هذه الأقلية كان متواضعاً جداً إن لم يكن معدوماً ، بحيث لم تستطع إحداث أى تغيير فى مجرى تفكير الأكثرية المطلقة .

وانطلاقاً من هذه الأفكار الغائمة ، ينطلق غولدمان فى تحليله للمؤشرات التاريخية للصراع العربى ـ الصهيونى فنراه يركز فى جميع ما كتب وصرح به على عامل الزمن فى هذا الصراع ، وهو يخالف القائلين بأن هذا العامل يعمل لصالح اسرائيل (لأن اسرائيل تستغل عنصر الوقت لخدمتها أكثر مما يفعل العرب) فيعرب عن اعتقاده بأن العامل الزمنىيعمل لصلح العرب أو على حد تعبيره «لغير صالح اسرائيل» ، لأن العرب سيصلون ـ وربما قريباً ـ الى تفوق على اسرائيل فى النوعية اضافة الى تفوقهم الملموس فى العدد ، خاصة وأنهم أمة حضارية ، وقد كتب فى جريدة هآرتس فى ٣ ـ ٤ ـ ١٩٧٠ يقول : «لقد قلت دائماً بان الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل ، ومن هذه الناحية ، فاننى لا أقف ضد تفكير «بن غوريون» فحسب ، وإنما ضد تفكير كثير من الزعماء الاسرائيليين الحاليين الذين يعترفون بأن التفوق العددى للعرب سيزداد .

إن التفوق الحقيقى لاسرائيل فى الوقت الحاضر يتمثل فى النوعية والطابع والقدرة والمعرفة ، ولكن ينبغى علينا أن لا ننسى أن العرب هم أصحاب تاريخ طويل مع كثير من الأحداث المجيدة ، ذلك أنهم لم يخلقوا حضارة عظيمة ، وواحدة من أهم الديانات فى العالم فحسب ، وإنما حققوا خلال فترات تاريخية تفوقاً عسكرياً واحتلالات ، ولا يمكن لأى شخص معرفة المدة الزمنية التى يحتاجها العرب لكى يتساووا مع اسرائيل فى التكنولوجيا الحديثة ، ولا سيما فيما يتعلق بقطع السلاح ..»

العرب لا ينسون

ثم ان هناك حقيقة فيها الكثير من الصواب يعرضها وايزمن للتدليل على أن العرب لن يكفوا عن مواجهة التحدى بالتحدى ، وان كان يعرضها بشكل فيه الكثير من مجانبة الواقع ، يقول غولدمان «إن العرب لا ينسون ولا يسامحون ، ولذا فان لديهم ميل قوى للتغاضى عن الواقع ، والعيش ضمن إطار الأمانى والأوهام ، فالهزيمة لا تؤثر عليهم ، بل هى تدفعهم فقط الى تأجيل آمالهم بالنصر لبضع سنين أخرى .. إن العرب لا يلتفتون بشكل حقيقى الى الهزائم المتكررة التى يلاقونها ، ويجدون تعزية وتبريراً فى أحداث كثيرة من تاريخهم ، وخاصة حادثة الحروب الصليبية ..» لكن غولدمان مدفوعاً بعقدة "الاستعلاء و «شعب الله المختار» يحاول استبعاد العقلانية من التفكير العربى فى مواجهة الأحداث الجسام كالحروب الصليبية وقيام «اسرائيل» ، فينسب الى العرب انهم «أناس توجههم مشاعرهم وغرائزهم أكثر مما يوجههم عقلهم ..» .

لكن أهم نقطة فى معالجة الدكتور غولدمان بالنسبة للعرب فى مواجهة اسرائيل هى نقطة أو عقدة التفوق العددى للعرب واستحالة مواجهة اسرائيل للعرب فى هذا النطاق ، ولأن العرب أصحاب حضارة فان التفوق النوعى لاسرائيل لن يستمر طويلا ، وعند ذلك ، فان تصفية الكيان الصهيونى تصبح تحصيل حاصل .

ومن هنا فان الرئيس السابق لمنظمة المؤتمر اليهودى العالمى ، لا يخفى يأسه من نجاح الاسرائيليين فى ابعاد العرب عن منطقة الشرق الأوسط ، ولهذا أيضاً فهو يرى أن أى انتصار اسرائيلى جديد ، لن يغير شيئاً فى الحقيقة الأساسية ، وهى التفوق العددى للعرب الآخذ فى التنامى والزيادة باطراد ، وتأسيساً على ذلك ، فان العرب لن يواجهوا أية هزيمة جديدة بشكل مأساوى ، لأن العرب يمكنهم أن يخسروا معارك وحروباً كثيرة دون أن يخامرهم شك فى أن الجولة النهائية ستكون انتصاراً كاسحاً لهم ، فى الوقت الذى يمكن أن تكون هزيمة اسرائيل فى معركة واحدة فقط ، نهاية لها .

ولهذا فان غولدمان يطالب قادة اسرائيل والصهيونية بالسعى دون كلل الى التصالح مع العرب ، وكسب اعترافهم باسرائيل محايدة لأن الحرب أثبتت عقم المقولة الداعية الى ارغام العرب على الاعتراف باسرائيل بالقوة ، يقول غولدمان : «لقد تأملنا الحصول على الأمر (اعتراف العرب باسرائيل) بواسطة توجيه ضربات عسكرية ، أو بواسطة تدخل ومساعدة دول من الخارج ووفق رؤيتى للأمور فان هذا الأسلوب خاطىء من أساسه .»

ومن هذا المنظور يرى غولدمان ان ما فشل اليهود فى احرازه بالحروب ، يمكن تحقيقه بالسلام ... كيف ؟؟! لأن الصراع ـ على حد قوله ـ ليس حتمياً ، واذا ما ركزت اسرائيل اهتمامها على القضية العربية وابتعدت عن الاستخفاف بالعرب ، وغيرت من سياسة التعنت والمكابرة ، فان السلام عند ذاك يصبح فى متناول اليد .

غولدمان والقضية الفلسطينية

يرى غولدمان أن هناك ثلاث عقبات تحول دون تحقيق السلام فى المنطقة ، وهذه هى : القضية الفلسطينية ، والأراضى العربية المحتلة ، ووضع مدينة القدس .

بالنسبة للقضية الفلسطينية يطالب غولدمان بالاعتراف بما يسميه «بالحق العادل» للفلسطينيين ، ويقول فى هذا المجال انه كان يعتقد من جانبه على الدوام بأن للفلسطينيين الحق ذاته

ناحوم جولدمان
وظاهرة الدعوة
إلى إسرائيل محايدة

الذى لليهود فى حرية تقرير المصير ، «ففى هذا العصر الذى يحق فيه لأصغر الشعوب تقرير مصيرها بنفسها ، لا يمكن حجب هذا الحق عن الشعب الفلسطينى الذى هو احد الشعوب الأكثر ذكاء وثقافة بين العرب .» ، ويضيف أن بعض الاسرائيليين يعترف بحق الفلسطينيين فى كيان مستقل ، لكنه يعتقد أن بالامكان ايجاد ذلك الكيان فى الأردن حيث غالبية السكان من الفلسطينيين . يقول غولدمان انه سيكون سعيداً لو قبل الفلسطينيون بهكذا حل ، لكن لا يمكن فرض ذلك عليهم «مثلما لم يكن فى الامكان انيفرض على اليهود مفهوم عدم حاجتهم الى دولة !!»

أما موضوع القدس فيصفه غولدمان بانه دقيق جداً ، لأن القدس هى المكان المقدس بالنسبة للديانات الثلاث الكبرى . ومع أن الحل المفترض لقضية القدس سيكون معقداً جداً ، فان غولدمان يعرب عن اعتقاده بامكان التوصل الى حل وسط فى هذا المجال يضمن وحدة المدينة على الصعيد الادارى ، مع ممثلين بلديين ينتخبهم العرب واليهود معاً ، ويعطى المدينة القديمة (حيث تتواجد الأماكن المقدسة) وضع مدينة حرة أو محايدة ، على غرار الفاتيكان فى روما مثلا ، ويكون هذا الوضع مكفولا بضمانات تقدمها منظمة الأمم المتحدة ، والدول الكبرى ، مما سيتيح لأبناء الديانات الثلاث حرية الدخول الى الأماكن المقدسة واقامة شعائرهم الدينية فيها .

ومن الواضح هنا أن غولدمان يستعيض عن عملية ضم القدس الى الكيان الصهيونى وجعلها عاصمة هذا الكيان ، بصفة أخف وقعاً ، لكنها فى المحصلة الأخيرة لا تختلف كثيراً عن عملية الضم ، وهذه الصيغة هى ما يسميه غولدمان بعملية توحيد المدينة ، لأن هذه العملية ستضمن لاسرائيل اكثرية يهودية فيها

أما بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية فان غولدمان يدعو اسرائيل الى الاعتراف بها بعد أن غدت «هى الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى فى نظر الأكثرية الساحقة من دول العالم» ، ويقترح غولدمان على اسرائيل أن لا تضيع الفرصة ، ويدعوها الى اعلان استعدادها للتفاهم مع منظمة التحرير على أن يقترن هذا الاستعداد بثلاثة شروط هى : شجب المنظمة لما يسميه غولدمان «بالأعمال الارهابية» ، واعترافها بحق اسرائيل فى الوجود ، والتنازل عن المطالبة باقامة دولة علمانية فى فلسطين تضم العرب واليهود ، وتلغى الكيان الاسرائيلى . لكن لماذا يرفض غولدمان مطلب الدولة العلمانية الذى رفعته منظمة التحرير الفلسطينية ؟؟

يرى الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى فى الدولة العلمانية الفلسطينية خطراً على مستقبل الوجود اليهودى فى فلسطين ، وبالتالى نقيضاً للمشروع الصهيونى ، ويتمثل ذلك الخطر فى التكاثر العددى للعرب ، حيث نسبة الولادة لديهم أعلى منها لدى اليهود ، ولن يتمكن اليهود من مجاراة العرب فى هذا الميدان حتى ولو بقي باب الهجرة اليهودية الى فلسطين مشرعاً ، الأمر الذى سيحول العرب الى أكثرية واليهود الى أقلية فى نهاية المطاف ، وبالتالى فان الدولة العلمانية لن تكون دولة يهودية كما أرادتها الصهيونية .

الكيان المحايد !!

يعلق غولدمان آمالا عريضة على تحقيق سلام فى منطقة الشرق الأوسط بشرط أن تتحول اسرائيل الى كيان محايد ، ويعلل هذه الآمال فيعزوها الى عاملين : الأول : إمكان قبول العرب باسرائيل ككيان معترف به فى المنطقة ، والثانى يعود الى أن أكثرية سكان اسرائيل بدأت تدرك أن اسرائيل لا يمكن أن تستمر طويلا فى حالة الحرب أو فى حالة «نصف حرب ـ نصف سلام» . ويقول غولدمان «إن الشعب الاسرائيلى (يصفه بانه من أذكى الشعوب !) ، بات يعي المجموعة التالية من العوامل : الوضع الاقتصادى والمالى لاسرائيل الذى يصل تدهوره الى حد الكارثة ـ عدم القدرة على الاستمرار فى التفوق العسكرى على الدول العربية لسنوات طوال ، نظراً لثروات هذه الدول التى تتيح لها تطوير ترساناتها أكثر بكثير من اسرائيل ـ العزلة الدبلوماسية التي تعيشها اسرائيل ـ ، إذ أن حليفها الوحيد المتبقى هو الولايات المتحدة الأميركية ، وهذا الحليف (كما يرى

عزرا وايزمان



تيودور هرتزل



بن جوريون



- لأن العرب أصحاب حضارة .. فإن التفوق النو[illegible] لإسرائيل لن يستمر طويلا
- صيغة جديدة للخداع اليهودى [illegible] نتنه اليه

غولدمان) هو حليف «غصباً عنه» يساندها بسبب «اللوبى اليهودى» الأميركى وبسبب الالتزامات الماضية نحوها . إن هذه العوامل مجتمعة تدفع اسرائيل – كما يقول غولدمان – الى ادراك حقيقة أن حظها الوحيد فى البقاء يتمثل فى قيام سلام حقيقى مع العرب ، والسلام الحقيقى هذا يشمل وفاقاً نفسياً وفكرياً قائماً على تعاون عربى – اسرائيلى فعلى !! ، لأنه فى القرن العشرين ، وبعد تصفية عصر الاستعمار تستحيل المحافظة على دولة يهودية تضم حتى خمسة أو ستة ملايين يهودى ضمن محيط مؤلف من مائة وخمسين مليون عربى ، دون تحقيق سلام مع العرب .

لكن اسرائيل التى تدخل فى اتفاق سلام شامل مع العرب ، لها صفة اخرى غير صفتها الحالية فى نظر غولدمان ، وهذه الصفة هى الحياد ، فالطريق الى السلام عنده يبدأ أصلا بتحييد اسرائيل تحييداً حقيقياً وقاطعاً أكثر حتى مما هى عليه النمسا ، والتى تشهد ازدهاراً كبيراً بسبب حيادها المضمون عالمياً . لكن غولدمان ينبه الى أن تحييد اسرائيل لا يعنى بأية حال أن عليها رمى أسلحتها فوراً ، إذ يتوجب عليها أن تبقى قوية عسكرياً حتى يقوم ما يسميه «بسلام نفسى فعلى» بينها وبين العرب ، وللوصول الى ذلك يقترح غولدمان أن ترابط قوات الدول الكبرى على الخطوط الفاصلة بين الطرفين ، لمنع أى رغبة عدائية من هذا الطرف أو ذاك .

ويبرر غولدمان حياد اسرائيل بعاملين : الأول ان اسرائيل لا يسكنها أكثر من عشرين بالمائة من يهود العالم ، ومن غير الواقعى التصور بأن أكثرية اليهود ستتجمع فى اسرائيل خلال العقود المقبلة . وفى أى حال فانه من دون تضامن يهود «الدياسبورا» ما كان تم ايجاد اسرائيل ، وما كان بمقدورها الاستمرار فى الوجود حتى الآن ، وحياد اسرائيل المقترح يمكن أن يوفر لجميع يهود العالم ما يسميه غولدمان «بالأمانة الأخلاقية والدينية والروحية لاسرائيل» التى لن تعود حينئذ متورطة فى مشكلات السياسة الدولية ، وهكذا يزعم غولدمان بتمكن يهود العالم من الخلاص من تهمة «الولاء المزدوج» ، تلك التهمة التى باتت تشكل تهديداً لهم فى بعض البلدان التى يعيشون فيها كمواطنين .

اما العامل الثانى فيقوم على استقراء وتحليل لبعض التصريحات التى أفضى بها زعماء عرب (الرئيس الراحل جمال عبد الناصر) ، وهى فى مجملها تشير الى أن اسرائيل القائمة وسط العالم العربى الممتد من المغرب حتى تركيا وايران ، هى «مثل حسكة فى حلق العرب» يمكنها عرقلة السياسة المشتركة لهذا العالم ، ولو كانت اسرائيل محايدة وغير ضالعة فى مسائل السياسة الدولية الأساسية «لاستطاع العالم العربى القبول بالأمر الواقع (أى بوجود اسرائيل) على نحو أسهل !» .

يرى غولدمان ان مستقبل الكيان الصهيونى يواجه مشهدين محتملين :
الأول : هو استمرار اسرائيل فى سياستها الحالية حتى فى حال الاطاحة برئيس الحكومة الحالى مناحيم بيغن ، وهذه السياسة فى حال استمرارها ستقود – كما يقول غولدمان – الى تدمير اسرائيل – ، وفشل تجربة «الدولة اليهودية» سوف يكون أكثر مأساوية لليهود من الناحية المعنوية والنفسية من معسكرات الاعتقال النازية .

أما المشهد الثانى فهو تحول الكيان الاسرائيلى الى «دولة محايدة» ، فمثل هذه الخطوة ستكون «تتويجاً لمعاناة اليهود» التى استمرت ألفى عام !! «فاسرائيل محايدة» من وجهة النظر الشرق أوسطية ، سوف تضمن السلام الذى سيوفر على العرب واليهود حروباً مستمرة مدمرة ، وإزالة الصراع «السياسى» سينمى روحاً جديدة من التعاون بين «اسرائيل المحايدة» وبعض الدول العربية ، مما يؤذن بفوائد هائلة !!

ويضاف الى هذا أن «اسرائيل محايدة» ستكون نعمة لليهود فى العالم – وهذا عنصر مهم فى تفكير غولدمان – لأن ثمانين بالمائة من اليهود يعيشون حالياً خارج الكيان الاسرائيلى ، ولن يحررهم من الولاء المزدوج الذى يعانون منه ، سوى تحويل هذا الكيان الى «دولة محايدة» ، إذ من الصعب جداً على اليهودى أن يختار بين الولاء للدولة التى يعيش فيها وبين الولاء لاسرائيل .

فى الواقع تبدو فكرة «اسرائيل محايدة» جذابة للوهلة الأولى بالنسبة لغير المتعمقين فى واقع الفكر الصهيونى وتاريخ اليهود عبر أجيال طويلة ، إذ من المعروف أن اليهود كانوا حين تواجههم مشكلة صعبة أو مازق قاتل ، يخرجون من صيغة الطروحات الفكرية التى يعيشونها الى صيغ أخرى كبديل يمكن التلاؤم والتكيف معه ، وعندما يستعصى ايجاد الصيغ الجديدة يهربون الى الرؤى والأحلام والأوهام ، وهذا ما يعترف به غولدمان نفسه ، وهذه كلها حلول مرحلية ، إذ أن الحلم الصهيونى فى العودة الى «أرض الميعاد» والتعلق بمقولة «الشعب المختار» هى «الحقيقة الأزلية» التى رافقت اليهود وستظل ترافقهم باستمرار .

ويفضح غولدمان هذا الواقع ، عندما يعرب عن اعتقاده بان «اسرائيل محايدة» ستوقف نزيف الهجرة من الكيان الاسرائيلى ، وتتحول الى قوة جذب لليهود المهاجرين الى فلسطين من جميع انحاء الأرض .

يقول غولدمان (فى حديث لمجلة ورلد برس ريفيو فى تشرين الثانى نوفمبر ١٩٨٠) : «... إن الهجرة اليهودية الى اسرائيل التى تتفوق عليها حالياً الهجرة اليهودية من اسرائيل ، سوف تزداد اذا لم يعد اليهود يخشون التوجه مع اطفالهم الى الحروب ، بالرغم من أن وجود جيش اسرائيلى قوى سوف يكون مطلوباً فى المراحل الأولى للحياد ، إلا أن الجهود الرئيسية يمكن توجيهها نحو تحقيق الاستقرار المالى والابداع الثقافى !!» .

اننا وإن كنا نعرب عن دهشتنا من

ناحوم جولدمان وظاهرة الدعوة إلى إسرائيل محايدة

مقولة الابداع الثقافى هذه لأن اليهود عبر تاريخهم لم يسهموا فى الابداع الثقافى الانسانى ، وهذا ما يشهد به تاريخهم مع الحضارات التى عاشت فى فلسطين وبلاد ما بين النهرين ، حيث اقتبسوا مقولات وأساطير كانت لدى شعوب تلك البلاد بعد أن شوهوها وحولوها الى مقولات ضمنية خاصة بهم وحدهم ، فاننا لا نستغرب أن يكون أحد أهم الأهداف «لاسرائيل المحايدة» هو تحقيق الاستقرار المالى كما يقول غولدمان ، وهو يعنى بذلك أن تتحول اسرائيل الى قوة مالية هائلة فى منطقة الشرق الأوسط ، لكن تاريخ اليهود يعلمنا أن السيطرة المالية فى يدهم على الدوام العنصر الأكثر استخداماً لتحقيق أهدافهم السياسية وغير السياسية . ومن هنا فان أهم ما يرمى اليه غولدمان من فكرة «تحييد اسرائيل» هو فى نظرنا اجتياز المرحلة الخطيرة التى يواجهها الكيان الصهيونى أمام تنامى قوة العرب وازدياد تحررهم السياسى والاقتصادى .

الصيغة الجديدة

يقول غولدمان (المصدر السابق) ان رؤيا صهيون (دولة يهودية فى فلسطين) كانت جذابة وملهمة لعدد كبير من اليهود وخاصة يهود أوروبا الشرقية ، الذين عانوا من الاضطهاد !! فوجدوا فى مثال فكرة «دولة يهودية» ملجأ لهم ، فيما اتخذ مفكرون يهود موقفاً آخر ، ومنهم «آشر غينسبرغ» الذى عرف وكتب باسم مستعار هو «أحاد هعام» (أى واحد من الشعب) ، ودعا الى ايجاد «مركز روحى» فى فلسطين لتجنب ما دعاه بالخطر الأعظم المتمثل فى استيعاب اليهود فى البلدان التى يعيشون فيها .

ويضيف غولدمان أنه تأثر بدعوة «أحاد هعام» هذه ، وبالتالى فان فكرة «اسرائيل محايدة» نابعة من تلك الدعوة لكن من الواضح أن الفكرة لدى الرجلين فرضها هاجس واحد ، هو ايجاد صيغة جديدة أمام اليهود تمنع اندماجهم وذوبانهم فى المجتمعات التى ينزلون بينها ، فالهدف اذن هو منع اليهود من الاندماج عن طريق الزواج المختلط أو التنصر ، وهذا الهدف يفضح مدى تمسك الرجلين بالفكر العنصرى اليهودى : «شعب الله المختار» و «أرض الميعاد» ، وهو اذا كان يتسم ظاهرياً بسمة الثقافة والروحانية والحياد ، فانه فى الواقع يشكل الوجه الآخر لقطعة النقد الصهيونية ، حيث الهدف واحد فى المطاف الأخير بين صهيونية تيودور هرتسل «المباشرة» وصهيونية أحاد هعام وناحوم غولدمان «غير المباشرة» . ومن الواضح جداً أن غولدمان الذى بقى عضواً فاعلا فى قيادة الحركة الصهيونية لمدة اثنى عشر عاماً ولمدة ثلاثين عاماً عضواً فى لجنتها التنفيذية ، لم تهبط عليه رؤيا من السماء ليخرج علينا بطروحاته الجديدة ، وإنما أملتها الظروف الموضوعية والمخاطر التى تحيق بالكيان الصهيونى ، وبيهود العالم اذا ما قدر لهذا الكيان أن ينتهى على أيدى العرب خلال فترة زمنية منظورة . وغولدمان نفسه لا يخفى هذه الظروف الموضوعية ، فهو يتحدث عن العرب ذوى الحضارة ، والذين لا ينسون ولا يغفرون ، وإن تغاضوا فى مرحلة الهزيمة أو نقصان القدرة ، ثم يتحدث عن العامل الزمنى الذى يعمل «لغير صالح اسرائيل» ، ثم عن الحقد المتعاظم ضد اسرائيل واليهود الذى تعتمر به صدور الأجيال العربية الصاعدة ، تنم عن ضعف روح التعاطف والتأييد لاسرائيل فى أوساط الرأى العام الغربى (الأوروبى والأميركى) ، وأخذه فى التلاشى بسرعة ، بسبب الملل الذى ينتاب الأوروبيين بصورة خاصة من قضية الصراع العربى ــ الاسرائيلى ، وضيق الصدر الذى يواجهون به سياسات اسرائيل ، حتى انهم بدأوا يتساءلون : «لماذا ينبغى على هذه الدولة الصغيرة أن تشغل العالم بقضاياها بشكل دائم ، وبشكل أكثر من القضايا الخطيرة والهامة ؟» (صحيفة يديعوت أحرونوت ٣١ ــ ١ ــ ١٩٧٥) . ثم هناك رؤيا غولدمان للتقدم الاقتصادى المرتقب للعالم العربى من خلال موارده النفطية ، وارتباط الاقتصاد الغربى بالنفط ، الأمر الذى يعزز من تصاعد نفوذ العالم العربى فى المستقبل ، وما يترتب على ذلك من انعكاس سلبى على اسرائيل . . ثم هناك التحلل الأخلاقى للاسرائيليين ــ على حد تعبير غولدمان ــ فبعد زيارته لاسرائيل فى آيار (مايو) من العام الماضى عاد غولدمان ليدق جرس الانذار ، وليقول : «... ان الدولة تعانى من التفكك التام ، فالجيش بدأت أخلاقياته فى التراجع ، وكل ما فى اسرائيل لا يمكن أن يصمد طويلا .. واذا واصلت اسرائيل التركيز فى المستقبل على الأمن قبل كل شىء ، وعلى القوة والتفوق العسكرى بدلا من اكتساب الشعور بالقوة ، فانها لن تحقق سلاماً حقيقياً مع العالم العربى ، بل ستدفع أكثر فأكثر الى طريق مسدود ، وسيقودها ذلك الى الهاوية ،

ويبقى هناك عامل آخر ــ وربما كان العامل الأهم ــ فى دفع غولدمان لطرح صيغته الجديدة لانقاذ اسرائيل قبل فوات الأوان من مصير تاريخى واضح فى النهاية ، وهذا العامل هو العامل الفلسطينى ، فتنامى الكفاح المسلح الفلسطينى ، وتعزز موقف منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الدولى ، ثم ظهور ما يسميه غولدمان «بنزعة التطرف» فى أوساط العرب الذين يعيشون فى «اسرائيل» ، وضع الكيان الصهيونى فى موقف وحجم لا يحسد عليهما ، وفضح كثيراً من أضاليل الصهيونية التى كانت تستخدمها لخداع شعوب العالم . واذا كانت طروحات غولدمان ــ وهى شذرات من الأفكار غير المتكاملة كرؤيا مستقبلية ــ تشكل مشروع صيغة لانقاذ اسرائيل «من الهاوية» على حد قول غولدمان نفسه ، فانها بالنسبة الينا نحن العرب تشكل صيغة جديدة للخداع اليهودى الذى يجب أن نتنبه اليه ، دون أن نلغى نظرتنا التكتيكية الى هذه الصيغة .

عصام شريح

رسائل غير عادية

معروف رفيق

إلى المستشرق الفرنسي : جاك بيرك

لازلت أيها المستشرق الوقور ، أذكر كل ما قلته فى احدى محاضراتك فى الدوحة عن مستقبل العرب ...

دعنى استعيد بعض ما قلته : «إن العرب كافحوا الثالوث التقليدى ، الفقر والمرض والجهل .. وهم اليوم يكافحون ثالوثاً جديداً : التشتت ، والضياع والقلق ..»

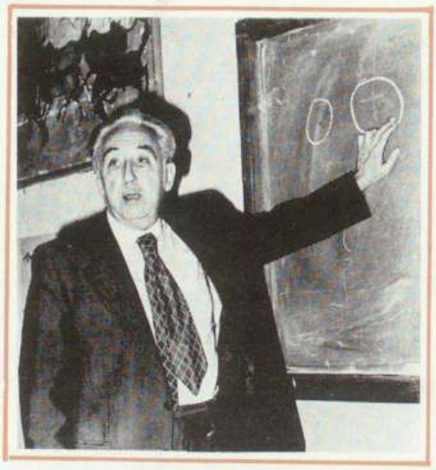
ويومها أضفت اضافة هامة : وعلى العرب اذا أرادوا الانتصار على الثالوث الجديد ، أن يحسنوا التصرف ، فهم أهل حضارة ، وهم أصحاب امكانات متوفرة ، وهم الأمة الوسط ، كما جاء فى القرآن الكريم ، لا تطرف عندهم ولا تقاعس ، يتوسطون جغرافية العالم ، يتوسطون الحضارات .. وعليهم يقع عبء حفظ التوازن العالمى ، شريطة أن يجددوا أنفسهم ، وحضاراتهم ...

سألتك يوماً : انت يا سيدى تفرط فى الثقة بنا أكثر من مفكرينا .. نحن أصحاب حضارة ، وهذا صحيح .. ولكننا اليوم دون حسن ظنك .. أفتمدحنا بما ليس فينا اليوم ؟ فأجبتنى : انا أستاذ كرسى التاريخ الاجتماعى للاسلام المعاصر فى جامعة باريس ، درست علم الاجتماع فى المغرب ، وعملت مديراً لقسم البحوث الفنية والتجريبية ، فى سرس الليان بمصر ، قبل عشرين عاماً .. وأشرفت على مركز الدراسات العربية فى لبنان .. وأحفظ من شعركم ما لم يحفظ خريج الآداب ، وأعرف عن حضارتكم ما يجعلنى مؤلفاً فى هذه الحضارة ... فهل أكون مبالغاً ، أو راجماً بغيب ؟ ...

وأدهشنى هذا المنطق يا سيدى ، فانت تتحدث وكأنك خريج الأزهر ، وتحاضر وكانك ابن العربية الفصحى من أيام امرىء القيس .. وأكثر ما أدهشنى فيك ، أنك أب لسبعة أبناء ... أفتكون منا وأنت لا تعلم ؟ ..

سألتك يومها .. ان قومك يا سيدى يختصرون فى الذرارى والانجاب .. فلماذا تحمل عبء سبعة ، فى مجتمع لا تزيد الأسرة فيه عن طفلين ؟ .. وقلت لي مقالة الواثق الحكيم : « الطفولة هى الابداع البديع فى الكون ، فلماذا يتوقف هذا الابداع يا أخى ؟»

ولم أحر جواباً .. ذلك أن دعوة تنظيم النسل تملأ العالم ، ونظرية مالثوس فى السكان جرس يدق ولا يتوقف ، وعفواً على هذا الاستطراد .. فهو هامش على الرسالة ...



ونعود لما بدأنا به .. أيها المستشرق الفرنسى الوقور ، كم نحتاج الى استرداد الثقة بالنفس ، والى استذكار ما نسيناه من معطيات أمتنا .. فنحن على الأقل ، أصحاب رسالة سماوية .. هى خاتمة الرسالات ، وهى لكل الانسانية بلا تمييز .. وهذا فضل من المولى ، لا يدركه إلا القليل .. والى اللقاء ..

إلى مصمّمي الأزيـــاء

لا أدرى يا مصممى الأزياء ، لماذا تصممون على تغيير «الموضات» حتى قبل انتهاء عمرها وأجلها ..

أين ذهب المضمون والمحتوى والجوهر ؟ أتكون القشور أثقل فى ميزان من اللب يا ذوى الألباب ؟ دعونى أيها المصممون أسألكم :

كيف استطعتم أن تقنعوا المرأة يوماً .. بأن الحذاء ذا الكعب العالى ، شىء رائع الجمال .. على الرغم من نصائح الأطباء ..

ثم كيف استطعتم أن تسخروا من نساء العالم ، يوم قدمتم لهن خلال عشر سنوات فقط .. الماكسى الطويل ، والميدى المتوسط ، والمينى القصير ، والميكرو .. القصير .. القصير ..

كنت أتخيل أن تصرخ المرأة فى وجهك أيها المصمم ، بما صرخت به احدى المطربات : أيظن أنى لعبة بيديه ... ؟ عند ذلك .. كنت سأحترمها من الأعماق .. لأن الجمال الأنثوى ، يجب ألا يخضع بحال من الأحوال ، لعبث شياطين الموضة ..

ولكى أقطع عليكم أيها المصممون احتجاجكم واتهامكم لي بالتخلف ، أقرر اننى لست ضد التجديد ، ولكنى وبصراحة متناهية ، أقول لكم : أنا ضد العبث بالعقول ، ضد السرقة تحت ستار الموضة ، ضد التلهى بمقدرات الناس .



جميل جداً أن يتأنق العربى فى لباسه وطعامه ورياشه .. وأجمل من ذلك أن تتألق العربية بلباسها وطعامها وأثاث منزلها .. ولكن الأجمل والأكمل .. أن يتألق العقل والفكر .. وأن يكون التجديد فى أساليب التطور النافع ... لا فى أساليب الشكل على حساب المضمون .. والى اللقاء ..

تأملات في حياة شاعر خليجي

عبد الرزاق البصير

حتى نفهم الفنان ، كاتباً كان أو قصاصاً أو شاعراً أو رساماً ، فهماً دقيقاً صحيحاً فان علينا أن نتعرف على نشاته وما صادفه من مؤثرات فى بيئته الداخلية والخارجية ، علماً بأن الناس تختلف فى أحاسيسها ومشاعرها وقابلياتها أعظم الاختلاف ولكن المؤثرات تبقى مع ذلك تشكل تفكير الانسان ومسلكه فى الحياة وتذوقه للأشياء وعلى ذلك يكون عطاء الفنان حسب مزاجه وطبيعته والأمور التى أثرت فى نفسه .

ونود فى هذه الدراسة المختصرة أن نتعرف على أديب من أدباء الكويت فنسير معه فى رحلة حياته مرحلة بعد مرحلة ، متبعين أسباب اتجاهه الى الشعر والكتابة من بين أشقائه من أمه وأبيه .

نشأة الشاعر وبيئته

فقد ولد أديبنا يعقوب عبد العزيز الرشيد فى ١٩٢٨/٥/٩ من أب عرف خير الحياة وشرها وذاق مرها وحلوها ، فليس من المبالغة فى شىء اذا قلنا عن والد أديبنا بانه من أهم أركان نهضة الكويت وأنه من أعظم مصابيحها التى أضاءت لها طريق الاصلاح .

يقول عنه الأستاذ الشاعر والمؤرخ الناقد خالد سعود الزيد : «ان لحياة هذا الرجل آفاقاً كثيرة وجوانب متعددة من العظمة والخلود . فعبد العزيز الرشيد علم من أعلام النهضة الفكرية المعاصرة فى الكويت ، فان له جولات ومواقف فى عالم الصحافة غير خفية ، وله صولات ومكان فى دنيا الجهاد الدينى والاصلاح الاجتماعى غير منكر . فمن أندونيسيا ذلك البلد الاسلامى النائى الى المدينة المنورة الى القاهرة عاصمة النور والعلم الى استانبول ، عاصمة الخلافة الاسلامية اذ ذاك كانت رسائله ومقالاته ومحاضراته تنقض كالشهب على رأس الاستعمار والرجعية والمتزمتين فى الدين . فهو أول صحفى فى منطقة الخليج العربى ، إذ أنه أصدر مجلة الكويت سنة ١٩٢٨ ، فكانت منبراً لقادة الفكر العرب .. أفسح فيها المجال للأدباء والمفكرين فى هذه المنطقة بصورة خاصة وفى الوطن العربى بصورة عامة . ولقد تحمل فى سبيل اصدار هذه المجلة ارهاقاً لا يحتمله إلا المؤمنون فى ما يفعله نشر العلم من اثارة للاذهان وانفساح لآفاق الفكر ، فلم تكن توجد مطبعة فى منطقة الخليج العربى فى ذلك الحين . لذلك كان يطبع مجلة الكويت فى بغداد . ولما رأى كثرة الأخطاء المطبعية أخذ يطبعها فى القاهرة . وهو الذى دعا الى تأسيس النادى الأدبى فى الكويت عام ١٩٢٣ كما أنه كان من الداعين الى بناء المكتبة العامة وبناء المدارس الحديثة .

ولنتذكر أنه فعل ذلك كله فى بيئة محافظة أشد المحافظة الى حد كان الناس يستجيبون لمن يقول ان فى تعليم اللغات الأجنبية وقراءة الجغرافيا وتعليم الهندسة وقراء الصحف والمجلات على الدين ، لكن دعوته لقيت مناصرة من رجال كانت قلوبهم مستنيرة وآفاق فكرهم مفتوحة أمثال الشيخ يوسف القناعى ، وفرحان الخالد ، والسيد مساعد ، وأحمد بشر الرومى ، وغيرهم من المجددين ، مما جعل الخصومة بين هؤلاء المجددين وبين أولئك المحافظين عنيفة كأعظم ما يكون العنف ، وهو أول من كتب تاريخ الكويت، ومايزال ذلك الكتاب حتى الآن مرجعاً لكل من يريد أن يؤرخ للكويت . وقد خلف شيخنا المصلح الكبير ثلاثة ذكور وثلاث اناث كان شاعرنا الأستاذ يعقوب خامس ابنائه ، وقد تلقى شاعرنا تعليمه الابتدائى فى مدرسة الأحمدية واقتصر تعليمه عليها ، ثم كان أن اتصل بالسيد ياسين الغربللى فى مجلسه الذى كان يعقد فى منزله كل ليلة والسيد ياسين الغربللى شخصية كويتية مناصرة للتجديد والتطور ، وكانت أكثر الأحاديث التى تدور فى هذا المجلس أدبية واجتماعية . فكانت تقرأ دواوين الشعراء وبعض كتب النقد الأدبى وما الى ذلك من كتب الثقافة . وقد لاحظ السيد ياسين الغربللى اهتمام ذلك الفتى بما يدور فى ذلك المجلس ، الأمر الذى يدل على أن مشاعر هذا الفتى وقابليته ذات ميول ثقافية فما هى إلا أن أخذ يوجه فتاه الى تغذية عقله من ينابيع



يعقوب عبد العزيز الرشيد

المؤرخين والأدباء والمفكرين المعروفة ككتب الجاحظ والأغانى ودواوين المشاهير من الشعراء أمثال أبى الطيب وغيرهم ، واذا بالفتى يستجيب استجابة سريعة فيقبل على القراءة كأشد ما يكون الاقبال ، لا يكاد ينتهى من مصدر تاريخى إلا ويتوجه الى مصدر أدبى وفكرى . وكان السيد ياسين الغربللى ينحو فى اتجاهه منحى قومياً معتدلا مما جعله يغرس الفكرة القومية العربية فى نفس صاحبنا ويوضح له أن الفكرة القومية الصحيحة هى الفكرة التى تعتمد على التعاليم الاسلامية السمحاء . وهكذا أخذت مسيرة حياة صاحبنا الفكرية تسير فى هذا الطريق المستقيم . وقد وجد فى نفسه شوقاً الى التعبير عما يجول فى نفسه من أفكار فبدأ بكتابة المقالة الأدبية والاجتماعية وكان يعرضها على من يعرف فيهم القدرة على التوجيه وظل على هذا المنوال حتى استقامت قناته .

كيف شق طريقه فى الحياة ؟

وحين بلغ عمره الثانية والعشرين وجد فى نفسه حنيناً الى المشاركة فى النهضة التعليمية فتقدم بطلب الى الجهات المختصة فأجابوه أننا لا نستطيع أن نلبى هذا الطلب إلا بعد الامتحان فقبل ذلك فاجتازه بنجاح على مستوى الثانوية ،مما يدل على أن تثقيف صاحبنا لنفسه قد آتى ثماره النافعة . وهنا لا يفوتنا أن نتذكر بأن التعليم المنظم لم يبدأ فى الكويت بصورة دقيقة إلا فى أيام طفولة الشاعر فانخرط فى سلك التدريس لمدة سنة ذهب بعدها الى الجامعة الأمريكية مع بعض اخوانه من المدرسين لدراسة أصول التدريس وعلم النفس ثم عاد لمواصلة التدريس . وقد تعرفت على الشاعر قبل انتظامه فى سلك التدريس وكنا نذهب الى منزل الشاعر المرحوم فهد العسكر من حين الى حين نستمع اليه ينشدنا بعض أشعاره بطريقته المحببة الى النفوس ، وكنت ألاحظ من صديقى الشاعر تلق عجيب حين ينشد الشاعر شعره ، وكان فى أيام تدريسه يواصل نشاطه الأدبى والاجتماعى والسياسى . فقد كان ينشر آراه الأدبية وغير الأدبية فى الصحف والمجلات المحلية وغير المحلية . وفى ذات يوم أقبل علي يحدثنى بصوت تملأ الفرحة نبراته قائلا : لقد عزمت على مواصلة ما بدأ به المرحوم والدى من نشاط صحفى . فقد تقدم الوعى وليس من شك أن اعادة اصدار مجلة الكويت من الأمور التى فيها مواصلة لما بدأه والدى – رحمه الله – من التطور والتجديد وانها ستلاقى اقبالا وتشجيعاً من المثقفين فى هذه المنطقة بل وفى غيرها من الأقطار العربية .

على أنى أود أن أسند رئاسة تحريرها الى شخصية لم يعرف الناس قدرها حق المعرفة بالرغم من ثقافتها الواسعة وتوجهها القومى الناصع وقدرته الكبيرة على الكتابة فى شتى فروع الأدب والتاريخ . قلت : لعلك تعنى أستاذنا عبد الله علي الصانع .. فهز يدى بعنف وقال : انى والله لا أعنى غيره .. فما هى إلا أن ذهبنا اليه مع بعض الأصدقاء وأطلعناه على جلية الأمر فقال : لولا صلتى الأكيدة بالمرحوم الأستاذ عبد العزيز الرشيد لما قبلت هذا الأمر لأن رئاسة تحرير مجلة مسئولية كبيرة فأجبناه جميعاً أنت أهل لها .. ولا تسأل عن الفرحة التى غمرت قلوبنا جميعاً فقد كنا شباباً نطمح أن نقوم بعمل له أثره فى المجتمع . وكان وقوف المرحوم عبد الله الصانع الى جانبنا كسباً عظيماً حقق أكثر مما كنا نحلم به وأخذنا نعد لهذه المهمة الجليلة ، ذلك أننا أخذنا نبشر كل من له صلة من المستنيرين بالمرحوم عبد العزيز الرشيد بما عزمنا عليه من احياء مجلة الكويت التى كان يصدرها المرحوم عبد العزيز الرشيد ، وكنا نلقى من الشعراء والأدباء كل تشجيع واستحسان ، فبذلنا كل ما نملك من جهد لاصدار هذه المجلة وفى مقدمتنا الأستاذ يعقوب الرشيد إذ كان يسهر الليل فى جمع مادة المجلة من تبويب وترتيب ، وكنا نلتقى نهاراً برئيس التحرير وكان الأخ يعقوب يعرض عليه ما يصله من قصائد ومقالات ليبدى فيها رأيه . ولابد من الاعتراف من أن تجربتنا فى الصحافة كانت تجربة غضة العود ، لذلك ترانا نقدم رجلا ونؤخر أخرى حتى اذا ما استقام الأمر وتهيأ كل شيء أصدرنا المجلة فى أبريل سنة ١٩٥٠ . ولم تكد هذه المجلة تبصر النور حتى أحس المثقفون عامة وأصدقاء المرحوم عبد العزيز خاصة بفرحة عارمة غمرت نفوسهم ، وقد زاد من فرحتهم أن رئاستها أسندت الى رجل عرف بالثقافة المستنيرة والجرأة فى قول الحق والخط العربى الاسلامى المستقيم . فقد كان الاستاذ عبد الله الصانع من المساهمين فى نهضة الكويت الفكرية . وقد كان معروفاً بالاطلاع الواسع على الثقافة العربية ،

وكان ذا قريحة قوية وذكاء حاد وكان مهيب الهيئة حسن السمت يفرض على مجالسه احترامه ، له اهتمام خاص بأحداث الخليج وتاريخه ولا سيما منطقة عمان ، فقد كتب عدة مقالات بحث فيها بعض جوانب التاريخ الحديث من هذه المنطقة كما زين تلك المقالات ببعض مقطوعات من شعراء عمان والبحرين . وانه ليطيب لي أن أورد هنا حكاية طريفة سمعتها عنه رحمه الله . فقد ذهب الى الطبيب الوحيد المتخصص لمعالجة العيون فى الكويت فى ذلك الحين ، وكان ذلك فى أيام الصيف ولم تكن المكيفات معروفة عندنا فى تلك الأيام ، وكان الطبيب جالساً يبترد فوق سطح المنزل ولما سأل الأستاذ الصانع عن الطبيب قيل له انه عنك مشغول فأجاب : هل أنتظره ؟ فلما سمع الطبيب حوار

تأملات في حياة شاعر خليجي

أستاذنا مع الموظفين أشرف من السطح وسأل عن الخبر فأخبروه ، فما كان من الطبيب إلا أن أمر أحد موظفيه بأن يفتح عينى أستاذنا الجالس فى فناء المنزل ليكشف عليها وهو فوق السطح ، وتأتى الأستاذ الصانع لتتكشف له الحقيقة كلها . ونظر الطبيب من أعلى وكتب له دواء لعينه وخرج أديبنا الصانع لينظم قصيدة نروى بعض أبياتها :

يا لحا اللـــــه ساعة جئـت فيهـا
أبتغى البرء من طبيـب العيـون
زرت هذا الصفيق أبغـى شـفـاء
فرمانـى بصفعـة المغبـون
يتلقى المرضى بوجـــه عبوس
خلته حين ذاك رب المنـــون
لا يراعى الآداب من قلـة العلـم
ومن ســوء رأيـه المأفـون

ومما يحز فى النفس أن جل آثار هذا الأديب قد ضاعت ولم يبق منها إلا ما نشره فى مجلة الكويت القديمة التى كان يصدرها المرحوم عبد العزيز الرشيد وفى مجلة البعثة وفى مجلة الكويت التى أصدرها الأستاذ الشاعر يعقوب الرشيد. أما هذه القصيدة فانها لم تكن معروفة إلا عند من كان لهم به صلة رحمه الله .

وبالجملة ، فان هذه المجلة لم تستمر فى الصدور إلا نصف عام لأنها كانت فى حاجة شديدة الى المال ، وكانت الحالة الاقتصادية سيئة تحول بيننا وبين ما كنا نرغب فيه ، وبعد أن احتجبت هذه المجلة أو قل بعد أن وئد أملنا الذى كان يتهدهد فى نفوسنا انفرط سلك العقد وافترق كل منا الى غايته فذهب الأستاذ عبد الله الصانع الى لقاء ربه سنة ١٩٥٤ عن عمر يناهـز الخامسة والخمسين .

عودة الى ترجمة الشاعر

أما شاعرنا الأستاذ يعقوب الرشيد فان أمور الحياة قد تقلبت به من مدير للاذاعة الى رئيس مجلة الشرطة الى مدير للمراسم فى وزارة الخارجية ثم سفيراً فى كثير من البلاد ، وكان يمارس نظم الشعر ويكتب المقالات فى تلك الظروف حتى اذا ما تجمعت لديه باقة من القصائد اختار منها ديوانه الأول جعل عنوانه «سواقى الحب» كما نشر أيضاً بعض مقالاته فى كتاب سماه «الكويت فى ميزان الحقيقة والتاريخ» وقد رأيت أن أقف مع القارىء على ديوانه الثانى المسمى «دروب العمر» :

إنك لا تكاد تمضى فى قراءة هذا الديوان إلا وتشعر بأن ناظمه يعيش ناعم البال رضى العيش قد يسر الله له حياته بحيث أصبح قادراً على أن يحقق ما تصبو اليه نفسه من التفيؤ فى ظلال أشجار الحب والتنزه فى رياضه كلما سنحت له فرصة فى حياته . والذين يعرفون ناظم هذا الديوان معرفة تامة يتأكدون بأنه لم يكن متكلفاً فيما رسم من صور لحياته فى هذا الديوان . فقد كان سفيراً للكويت فى دول كثيرة كالهند وباكستان وتركيا والأردن وزائير وغيرها من الدول .

متاعب السفراء

ومن المعروف أن طبيعة عمل السفير تقتضى منه أن ينشىء صلات وثيقة بينه وبين أصحاب المستويات الرفيعة من سفراء وقناصل وصحفيين ووزراء وما الى ذلك من ذوى المناصب العالية والوظائف الحساسة . وانشاء هذه الصلات ليس بالأمر اليسير فهو يستدعى من صاحبها أن تكون زياراته متصلة بينه وبين تلك الفئات من الناس

وعلى كل حال ، فان ما يلاقيه الذين يعملون فى السلك الدبلوماسى من المشاق



عبد الله علي الصانع

كثيرة متنوعة . ولعل ما يشير الى ذلك كله هذه المقطوعة التى نظمها صديقنا الشاعر حين اشتد عليه كرب الغربة فى كنشاسا ، عاصمة زائير ، يقول الشاعر :

برح الشـوق بى فسر يا حـادى
صوب دنيا الجمـال صوب بلادى
أقذف الآه فى البعـاد لأنـى
أحمل الهـم والاسى فى بعـادى
الكويت الكويت .. أى نـداء
فى فمى عابق بطيـب ودادى
إنها موئلى الحبيـب وانـى
فى اغتـراب يشقى عليه مـرادى
عشت فيها كما أراد وفائـى
واعتزازى بما لهـا من أيـاد
أين فيض الهنـاء أين الندامى
أين شمل الأحبـاب أين النادى
كم ليـال جنيت ما شـئت فيهـا
وهواهـا أشهى أغانـى فؤادى
آه يا شـوق لا يواسـيك منـى
غير وصل يجـود فيه رقـادى

بين العسكر والرشيد

ولقد أهدانى صديقى الشاعر ديوانه الأول «سواقى الحب» فاثرت أن آتانى فى الحديث عن الشاعر الى أن تنضج تجربته الشعرية لكى يكون التأمل فيها قادراً على اصدار الحكم عنها بصورة صحيحة . وحين وقع بين يدى هذا الديوان ونظرت فيه ، وإذ بى أمام نفس شاعرة تقف أمام كثير من المشاهد والأحداث وقفة طويلة متأثرة تدفع صاحبها الى أن يتظم ما ينطبع فى نفسه وإذا به شعر مترف .. شبيه بزهور الصباح المغسولة بالندى والمبتسمة

● اهتمامات الشاعر لم تكن مقصورة على مفاتن الجمال .. فقد عبّر - في صدق - عن أحداث الأمة العربيّة

لأنوار الفجر ونسيمه تنفح منه عطور شعر فهد العسكر فى بعض الأحيان . فلنستمع الى الشاعر يعقوب فى قوله :

من على الغصن تغنى بلبلى
واستطاب الورد من فيء الجنان
قال لي إنى هنا فى دوحة
غرد الحب عليها والحنان
كيف لا أحيا بتغريدى وقد
غزل الروض أمانى الحسان
بعد أن غاب ورائى عاذل
حطم النفس بكذب وامتهان

وقوله :

لن ترانى صامتاً يوماً .. ولا
مبعداً نفسى عن هذى الدنان
هى روحى ، هى شعرى أينما
كان رقص الشوق أو رقص القيان
هو بعض من أهازيجى وكم
قد ترامت فى مغانيه افتتان
ها هى الروضة أمست مسرحاً
لنسيج الحب من هذا البنان

ألا تذكرك هذه الأغرودة بقول فهد العسكر :

أذكرينى كلما الشمال هبت
وسرت يا زينة الدنيا جنوب
واذا ما صحت الطير وعبت
خمرة الفجر فى نفح الطيوب
أذكرينى
أذكرينى كلما الناى ترنم
وهفا قلب على قرع الكؤوس
واذا ما شاعر الحى تألم
فبكى فى الشجن واستبكى النفوس
أذكرينى
أذكرينى كلما الصيف أتى
يحمل البشرى لأرباب الغرام
فالتقت كل فتاة وفتى
فاذا الدنيا سلام وابتسام
أذكرينى

وكم كان بودى أن أستنشق مع القارىء عبير بعض الشعراء فى هذا الديوان ولكن يمنعنى عن ذلك خوف الاطالة والخروج عن القصد ، فان فى المقارنة بين شاعر وشاعر والاستشهاد على ذلك بقطع شعرية لكل من الشاعرين متعة لأنفسنا المكدودة فى هذه الأيام الثقيلة .

القومية فى شعر يعقوب الرشيد

على أن أحاسيس شاعرنا واهتماماته لم تكن مقصورة على مفاتن الجمال ومنابع النعيم . وكيف تكون كذلك وهو العربى الذى امتلأت نفسه بالاخلاص لأمته والتأثر بأحداثها . وهل يستطيع عربى أن يبتعد عن أحداث لبنان أو أن لا يرقص قلبه حينما تقترب الوحدة بين دمشق وبغداد ، لذلك نرى الشاعر يعبر عن ألمه حينما رأى الأرواح تزهق فى كل مكان من لبنان فيقول :

يا حقد مزقت النفوس ألا ترى
قد تاه فى دينك عقل العاقل
ما للنفوس وقد تنافر ودها
ما للقلوب كزمرة لجحافل
قامت لتمحو وجه حب قد نما
وصفا بطيب موارد ومناهل

ويقول أيضاً :

لبنان يا دنيا الخيال وحلمه
هلا رغبت عن الغروب الآفل
لتشع فى الدنيا كصبح مشرق
ما أنت إلا كالخيال الحافل
برؤى الجمال ونبعه ومعينه
ومآل أحلام الجمال الرافل
فامسح على الأحداث دمعة صابر
واكسر على الأيام قيد سلاسل
وانثر هلالك والصليب على الورى
لتعود من خوض الغمار الآكل

ولا أود أن أكتم القارىء أنى لم أستسغ عجز البيت الأخير ، فان قول الشاعر (لتعود من خوض الغمار الآكل) قول لا يخلو فى رأيى من تكلف فان خوض غمار الآكل أمر لم يكن إلا اضطراراً لتكملة البيت الذى يحمل أجمل المعانى . فنحن فى حاجة الى تعانق كل المذاهب والأديان فى جميع أرجاء الدنيا بصورة عامة وفى وطننا العربى بصورة خاصة . أما اعراب الشاعر عن فرحتنا جميعاً حينما أعلنت الوحدة بين دمشق وبغداد فقد كان اعراباً قوياً مستمداً من قوة الحديث العظيم الذى كانت كل نفس عربية تتمنى تحقيقه بقول الشاعر :

قد ردت الروح يا بغداد والأمل
وشع فوق ربانا السعد والجذل
وغنت الطير فى الفيحاء صادحة
وهلل السهل والآكام والجبل
وصفق العرب فى أرجاء أمتهم
لقبلة أرسلت فى أثرها الأمل
من إخوة قد بنوا للمجد أعمدة
فسار فى ركبهم نشوان يبتهل
فكم هفا خافقى فى الشام فى وله
ودجلة الخير بالآمال يختلج
فأهله قد سموا فى كل مكرمة
وطاف عبرهم فى الأرض يبتهج
ردوا الى العرب صرحاً للسماء رنا
الى مدار السها بالعز يعتلج
على الفراق قد كانت لنا صور
من وشم أجدادنا بالفخر قد نهجوا

وبعد ، فان هذه لمحات قصيرة لا تكاد تروى صدى أو تشفى غليلا .. فان صفحات الديوان تبلغ ٤٤٧ صفحة .. والحديث عن مستواه الفنى يحتاج الى دراسة مطولة .. نرجو أن أوفق اليها فى فرصة أخرى .

عبد الرزاق البصير



فهد العسكر

نافذة على الثقافة العالمية

محمد العزب موسى

عام ١٩٨١ والستارة السوداء

في عام ١٩٣١ كتب المفكر المؤرخ البريطاني الشهير هـ . ج . ويلز مقالا بعنوان «العالم بعد سنة ٥٠» حاول فيه أن يتنبأ بأحوال العالم بعد نصف قرن . كان مقالا متشائماً بصفة عامة قال فيه ويلز «يخيل لي انني أشاهد ستارة سوداء تسقط حثيثاً ، طية بعد طية ، لتحجب منظر الأمل البهيج الذي أشرق به القرن العشرون» ، وبالرغم من هذه النبوءة القاسية أعرب ويلز عن أمل عريض في رؤيا مضيئة لعالم المستقبل ، عالم تسوده الحرية والوفرة والسلام .

والآن ، ونحن في عام ١٩٨١ ، أي بعد خمسين عام على ظهور مقال ويلز ، نتوقف قليلا لنستعرض المقال ونتساءل : ترى الى أي حد صحت نبوءات ويلز ، هل سقطت الستارة السوداء أم تحققت الرؤيا المضيئة ؟

مستقبل البشرية

إن ويلز ، كما هو معروف ، لم يكن مؤرخاً فحسب ، وإنما بنى شهرته أيضاً ككاتب خيال علمي ، واستطاع في أواخر القرن الماضي أن يتنبأ مع زميله جول فيرن بكثير من المخترعات والتطورات المقبلة ، وله رواية شهيرة تسمى «آلة الزمن» تنبأ فيها بالمستقبل العام للبشرية في ظل الثورة التكنولوجية الحديثة . ويبدو أن هذه الشهرة هي التي دعت صحيفة «التايمز» اللندنية في عام ١٩٣١ أن تطلب من ويلز مقالا يتنبأ فيه بأحوال العالم بعد نصف قرن ، أي في أوائل الثمانينات .

وقد بدأ ويلز مقاله مشيراً الى حقيقة هامة هي أنه من الصعب الآن (١٩٣١) التنبؤ بالمستقبل عما كان عليه الحال منذ نصف قرن (١٨٨١) لأننا نعيش الآن في أزمنة أكثر سرعة وأقل ثباتاً . فمنذ خمسين عاماً كان العالم مقسماً بين عدة حكومات قوية مستقرة تدعمها تقاليد واضحة ثابتة ، فالولايات المتحدة تمضي قدماً في طريق الصعود ، وعملية التصنيع جاريةعلى قدم وساق في شمال العالم وشرقه (أوربا واليابان) والصراع حول استعمار أفريقيا دائر وينذر بالتفاقم ، والتصادم الفرنسي الالماني واضح ومؤكد ، وكانت الحرب في الجو تبدو حتمية ، ولا أحد يستطيع وقف لعبة التسلح ، والتطورات العلمية والميكانيكية تتابع في ثبات مما كان يجعل من السهل التنبؤ بمخترعات مثل الراديو والسيارة والطائرة والغاء المسافة وازدحام وسط المدن الكبرى .



هـ . ج ويلز



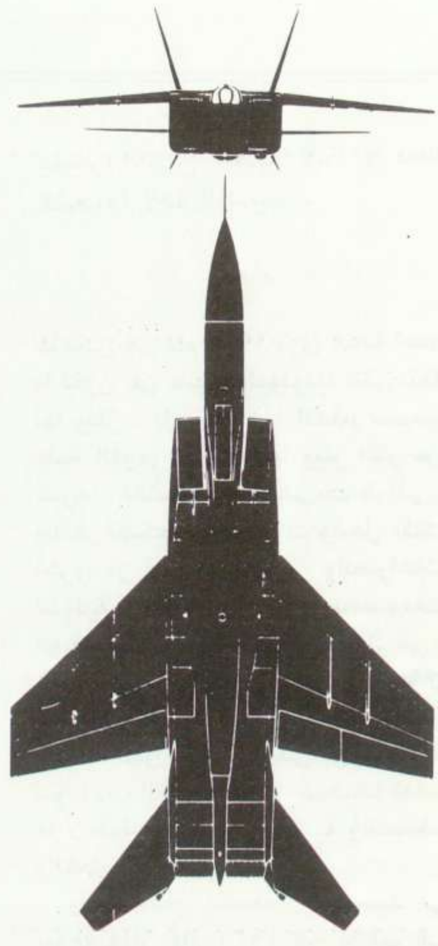
جول فيرن

إلغاء المسافات

لذا كان التنبؤ ـ كما يقول ويلز ـ عملية سهلة في تلك الأيام ، ولكن الأشياء لم تعد الآن كما كانت عليه في الماضي ، لقد فقدنا عنصر الثبات تماماً ، وبدلا من التقدم والتصاعد المطرد صرنا نجد الأزمات والطفرات في كل مكان ، ونجد الشك في كل ثبات ، وصرنا نجد كل الحكومات المعاصرة قد انهكت مادياً ومعنوياً وأصبحت لا تستجيب لمتطلبات البشرية .

حقاً لقد الغى المكان كما أمكن التنبؤ بذلك منذ خمسين عاماً مضت ، ولكن هذا التطور جعل العالم يلتصق سوياً بفعل إلغاء المسافات بين أجزائه ، وفي الوقت الذي أصبحت فيه مصلحة الجنس البشري أن يساس كوحدة واحدة نجد أنه يحكم بوساطة ٧٢ دولة (١٥٢ دولة الآن !) كل منها تعمل جاهدة على تحقيق الرفاهية داخل حدودها وإلحاق الأذى برفاهية الشعوب الأخرى بكافة الطرق .

وهكذا تستمر لعبة قديمة في ظروف جديدة لا تناسبها بالمرة ، والنتيجة الحتمية لذلك اننا نساق من حرب



اقتصادية مبددة للجهود الى حرب عسكرية مدمرة للوجود ، حرب تلعب فيها أدواراً رئيسية الطائرات والغازات ، وسوف تؤدى الى استعباد وتعذيب وتشويه وتدمير وقتل نسبة كبيرة من البشر .

هذا الجانب من نبوءة ويلز قد تحقق حرفياً ، فبعد ٩ سنوات من نشر المقال قامت الحرب العالمية الثانية ، وبعد ١٤ سنة ظهرت طلائع الحرب النووية فى هيروشيما وناجازاكى .

ستارة سوداء

بعد هذه النبوءة يمضى ويلز قائلا انه يرى العالم حالياً ومستقبلا يتحكم فى مصيره العسكر والوطنيون والمرابون ويراه عالماً محاصراً بالشك والريبة والكراهية ، عالماً يخسر ما تبقى له من حريات بسرعة كبيرة ، ويتجه نحو صراع مرير بين الطبقات ، ومهدداً بعشرات الحروب الصغيرة والكبيرة .

وبعد أن يعدد ويلز مظاهر الأزمة الاقتصادية العالمية التى أخذت بخناق العالم فى اوائل الثلاثينات وقت كتابة المقال ، يقول : ومع ذلك فاننى أرى أنه من المحتمل أن يصبح الناس خلال الخمسين عاماً القادمة أقل أمناً ، وأقل غذاء ، وأقل كساء ، وأسوأ اسكاناً عما هم عليه اليوم .

يقول ويلز :

«يخيل الى اننى أشاهد ستارة سوداء تسقط حثيثاً ، طية بعد طية ، لتحجب منظر الأمل البهيج الذى أشرق به القرن العشرون .. ان الطريق ، رغم ذلك ، مازال مفتوحاً نحو عالم ملىء بحريات اكثر وسعادة أكبر ، لقد وصلنا تماماً إلى حدود فردوس التقدم الموعود ، وبقى أن يستجمع الانسان تصميماً هائلا ليجتاز هذه الحدود فى قفزة واحدة جبارة ويتخلص إلى الأبد من قرون الحرب والضياع والدماء التى لطخت صفحات تاريخ البشرية» ..

فهل يمكن أن يجتاز الانسان هذه الحدود التى أصبحت فى مرأى النظر ؟ على هذا السؤال يجيب ويلز بالنفى قائلا :

«ان الكارثة تبدو قادمة حتما ، اعترف اننى لا أرى دلائل مهما كانت ضئيلة تشير إلى يقظة يمكن أن تنقذنا من هذا المصير ، ولكن من ذا الذى يعرف ما قد يدور فى أذهان الشباب ..!

آه .. لقد بدأ ويلز يستدرك تشاؤمه ، ثم يمضى فى هذا الاستدراك قائلا :

«اننا لسنا فى حاجة إلى قوة تفوق مقدرة البشر كى نتجنب الكارثة ، اننا لا نتعرض لهزيمة فى صراع صريح مشرف وانما ننحل ونتعفن ! ونحن بحاجة فقط إلى بضعة آلاف من النفوس الشجاعة وعشر معشار البطولة التى ذهبت هباء فى الحرب الكبرى (الأولى) وحفنة ملايين من الدولارات كى نقوم بحملة عالمية تدعو إلى النظام الجديد ، وتحول مصير البشرية إلى الأنفع .

الوطنية الضيقة الأفق

ويمضى ويلز فى تطوير فكرته الجديدة ..

«يقول البروفيسور اينشتاين : اذا أعلن ٢٪ فقط من سكان أوربا وأمريكا انهم سيقاومون أى حرب تفرض عليهم وانهم مصممون على وضع حد للحماقة العسكرية الى الأبد فان فى ذلك الكفاية لانهاء خطر الحرب .. وانا أوافقه على ذلك تماماً وأضيف ان ٢٪ من سكان القوى الخمس الكبرى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا يمكنهم ارغام حكوماتهم على الجلوس سوياً لوضع نظام من الرقابة الفعالة على النقد والائتمان والانتاج والتوزيع أو بكلمة اخرى انشاء «دكتاتورية فعالة للرخاء العالمى» وسوف يكون على الدول الأخرى أن تنضم إلى هذا النظام أو تمتثل على الأقل لقراراته .

هل يمكن أن يتحقق مثل هذا النظام ؟ ان المشكلة كما يرى ويلز تكمن فى «الوطنية الضيقة الأفق» فان «الوطنيين يحبون بلادهم إلى درجة استعدادهم للهلاك دون السماح بالتعاون مع الأجانب الأقذار» !

يوتوبيا ويلز

ولكن يبدو أن ويلز لم يكن يائساً تماماً وإلا ما سمح لخياله ان ينطلق مستشرفاً آفاق هذا العالم الجديد الذى يمكن أن يتحقق خلال نصف قرن قادم حيث يصبح من الممكن لكل انسان يحيا فى عام ١٩٨١ ان يسمى نفسه مواطناً عالمياً ، وان يكون حراً فى أن يذهب اينما شاء فوق سطح هذا الكوكب البديع دون أن تقف فى وجهه السدود الوطنية المصطنعة أو ضيق ذات اليد ، ان كل ضروريات الجنس البشرى من أطعمة ومواصلات ومساكن صحية ومدن نظيفة وأثاث جميل مريح وخدمات عامة وتعليم وأمن اجتماعى يمكن توفيرها مرة واحدة والى الأبد فى الظروف الجديدة عمل والى الأبد فى الظروف الجديدة بواسطة عمل جماعى يستغرق ما بين ١٢ و ١٥ سنة يشارك فيه كل فرد فى العالم ، وعندئذ يمكن أن تحصل البشرية على حديقة ساحرة تتيح لكل النـــاس أن



ويلى برانت



توفير الغذاء أصبح مشكلة المشاكل فى العالم كله .

يعيشوا بقية حياتهم متحررين من الكد متفرغين للعمل الخلاق متمتعين بالحياة الهنيئة إذ سوف يتكفل النتاج المذهل للصناعة الحديثة بتوفير الكفاية للجميع باقل قدر من المجهود .

تخيلات كاتب وانما امكانيات حقيقية متاحة حالياً أمام الحضارة البشرية على نحو لم يتسن لها فى أى عصر فى الماضى ان الاقتصاديين والعلماء يوافقون تماماً على انه من الممكن خلال فترة لا تتجاوز ١٥ عاماً تحويل العالم إلى مشروع واحد تظله دولة رخاء واحدة .

لماذا لا يتحقق هذا الحلم اليوتوبى الجميل ؟

«ان الف مليون نسمة فى العالم (بتقدير سنة ١٩٣١ !) يعيشون حياة الفاقة والحاجة والاهانة والكد ، وعشرات الملايين معرضون للهلاك فى الحروب بينما هؤلاء الأغنياء المتحكمون فى مصائرنا لا يفعلون شيئاً لانقاذنا من هذا المصير ، وفى نفس الوقت يطالبوننا باحترامهم والأعجاب بهم !

«اذا تحقق هذا الأمل سوف نحصل خلال خمسين عاماً على عالم مختلف تماماً ، سوف يختفى العالم الجاهل ونحصل على عالم متعلم مثقف عارف بأصوله ، قادر على قياس الامكانيكات وتحقيقها ، قادر على التحكم فى مصيره ، سوف يتعلم كل فرد يولد فى عالم الوفرة ذاك أن يحب الحياة بدون تلك المنغصات التى نعرفها ، سوف يكون فى امكانه أن يسبر غور الدراما الهائلة للانجاز البشرى ويتعلم تاريخاً غير تاريخ الملوك والفاتحين والجيوش ، وأن يبذل نصيبه العادل والمحدد فى الانتاج أو فى أية خدمة أخرى للبشرية ، ثم يتفرغ بقية وقته وحياته لتطوير مواهبه واستخدام امكانياته فى التجدد والسعادة والحياة المبهجة ..

«ان هذه الحياة الرائعة السعيدة فى متناول ايدينا ، انها هناك على مرأى البصر كى ناخذها ، ولكن البشرية لا تأخذها ، ولن تأخذها ، ان الستارة تسقط ، وعندما يغيب الفردوس الموعود إلى الأبد سوف يقنع الجنس البشرى نفسه بأن مثل هذا الفردوس لا وجود له مطلقاً ، سوف ننتج حقاً ولكننا ننتج بدافع من الذعر أو الشراهة ، وسوف نهز رءوسنا هازئين من «الحالمين» ونواصل حياتنا التى تعودناها كلصوص ومغفلين ومسخرين ، ونتنفس بارتياح قائلين لا يمكن أن توجد مثل هذه «المدن الفاضلة الخيالية» التى يتحدثون عنها .

«وعندما توضع الأسلحة فى أيدينا من جديد سوف نقتل ،ونقتل ، فالسياط من ورائنا والعدو من أمامنا .. وسوف يستمر التاريخ القديم لأننا لا نملك الشجاعة لأخذ الجديد» ..

أين أصاب وأخطأ ؟

ها نحن فى عام ١٩٨١ نرى عالمنا أبعد ما يكون عن صورة اليوتوبيا التى تنبأ بها ويلز ، بل نجد هذا العالم تسيطر عليه القوى التى كرهها ويلز اكثر من غيرها ، فالتسلح وصل إلى حد خرافى ، والفقر تضاعف عدة مرات وشمل مئات اخرى من ملايين البشر ، والصراعات الدولية القائمة على الخصومات الوطنية تمزق عالمنا تمزيقاً ، فلا شىء البتة تغير إلى الاحسن ، والادق أن يقال صار إلى الاسوأ كل شىء فى عالمنا هذا مصداقاً لقول ويلز «اننى ارى ستارة سوداء .. الخ» ولايزال صحيحاً تماماً ما لا حظه ويلز حول الأنانية والضعف والغطرسة والجبن ..

ولكن نقطة الضعف الرئيسية فى نبوءة ويلز عام ١٩٣١ انه يطالب فى الواقع باستبدال جنس آخر بالجنس البشرى ، وليس من المفيد أن تبنى البشرية أملها فى المستقبل على شروط مستحيلة ، فنحن بشر لا نستطيع الفكاك من طبيعتنا ، وعلينا أن نتعلم كيف نعيش مع هذه الطبيعة فى أحسن الظروف الممكنة .

ان الافيد لنا أن نطالب بتنفيذ خطة تنمية عالمية شاملة على النحو المقترح مثلاً فى «تقرير برانت» حول الحوار بين الشمال والجنوب والذى عقدت من أجله دورة اقتصادية فى الأمم المتحدة فى الخريف الماضى بدلا من أن نركز على تحقيق الايتوبيا . الأفضل للجنس البشرى أن يرى مصلحته فى القضاء على المنازعات لا اثارتها ، وأن تدرك كل دولة انها يمكن أن تكسب بالسلام أكثر مما تكسب بالحرب ، بدلا من أن نحلم بالفردوس الموعود ، فالجنس البشرى لم يخلق فيما يبدو ليناسب الفردوس .. وإلا ما كان آدم قد خرج !

محمد العزب موسى

درويش مصطفى الفار

أمة العرب .. وأعمار الصخور

من المؤكد اليوم فى تاريخ العلوم ، أن العلامة المسلم أبا الريحان محمد بن احمد البيرونى (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) ، الذى وصفه المستشرق المنصف ادوارد سخاو (١٨٨٧) بأنه (أعظم عقلية علمية ظهرت فى التاريخ الانسانى) كان أول من أدرك أن كوكب الأرض جرم قديم ، ممعن فى القدم ، يصل عمره الى آلاف الملايين من الأعوام ، وذلك عندما حسب معدل ماتنحره أنهار الهند من الطبقات الصخرية على مدى عشرة أعوام أو تزيد .. ولقد خاض علماء الأرض فى متاهات عدة لتقدير عمر الأرض وصخورها ، وظلت الأرقام التى يعبرون بها عن عمر الأرض بالسنين والأعوام تعلو وتنخفض حسب جهودهم فى محاولة الفروض والنظريات للوصول الى القوانين العلمية الثابتة ، الى حين .. فمنهم من طرق باب البيرونى ، ومنهم من حاول حساب العمر من معدلات الترسيب ، كأن نقول مثلا إن نهر النيل ، قبل السد العالى ، كان يرسب الطمى بمعدل ملليمتر واحد فى العام الواحد ، فاذا وجدنا قطاعاً فى تربة الكنانة الخصبة يبلغ سمكه عشرين مترا مثلا ، فمعنى هذا ان ذلك القطاع من طبقات الطمى النيلى ترسب على مدى عشرين الف سنة ، أى حينما بدأ الانسان فى العصر الحجرى فى قطر يصنع النقوش على صفحة الصخور ويشكل الظران من صوان طبقات منطقة دخان التى تنتج انظف انواع البترول فى العالم ..

ومنهم من لجأ الى قياس معدل ما تلقى به الانهار من ملح الطعام الذى تذيبه مياهها الجارية ، فى البحر ، ثم مقارنتها بما فى البحر من ملح ، كأن نفترض مثلا ان الرافدين الخالدين دجلة والفرات يلقيان كل عام بمائة طن من ذلك الملح عبر شط العرب ، وان مياه الخليج تحتوى ـ على سبيل المثال ـ على مائة مليون طن من ملح الطعام !!

فمعنى ذلك ، وبافتراض ان مياه الخليج كانت أصلا عذبة لا ملح فيها ، أن هذا البحر الذى يعيش المسلمون على جانبيه منذ أربعة عشر قرناً ، تكون منذ مليون سنة ... وتخللت تلك الإجتهادات العلمية والمحاولات ، بعض الخرافات كتلك التى حمل لواءها قسيس إيرلندى فى القرن السابع عشر الميلادى ، لم يلجأ الى التجربة العلمية والمشاهدة العلمية فى محاولة تقدير عمر الأرض ، بل لجأ الى تفسيرات خيالية لا أساس لها من منطق أو تجربة ، وقال ان الأرض قد خلقت بما عليها عام ٤٠٠٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام !!!

ولكن ذلك لم يوقف جهود العلماء والباحثين حتى وجدوا ضالتهم فى اكتشاف أكده الفيزيائيون فى مختبراتهم ، وهو ان بعض العناصر المكونة لمادة الأرض ، من خصائصها الاشعاع أى ان ذراتها تنفلق تلقائياً متحولة من عنصر إلى آخر ، فنجد ان اليورانيوم مثلا تتحول ذراته بالاشعاع التلقائى الى ذرات من عنصر الرصاص ، وان معدل هذا التحول ثابت محسوب بكل الدقة بحيث اننا نعرف عن كل عنصر مشع اليوم مقدار (نصف حياته) أى الزمن الذى يتحول فيه نصف عدد ذرات أى



حجم من ذلك العنصر الى رصاص ! ونصف العمر هذا يتراوح من جزء من الثانية الى عدة ملايين من السنين ، أى أننا لو استطعنا بالتحليل الكيماوي الدقيق ان نعرف نسبة اليورانيوم الى الرصاص فى صخر ما فاننا نستطيع بكل الثقة ان نقول ان عمر ذلك الصخر هو (كذا مليون) من السنين ، وبتحليل أقدم صخور الأرض والقمر والنيازك التى نعرفها نقول اليوم باطمئنان ان عمر المجموعة الشمسية هو (٦،٥) بليون سنة ... ونحلم اليوم فى ايجاد وسيلة لتعاون (عربى) علمى ، بعيداً عن السير فى حقول الغام السياسة والاقتصاد ، وفى منأى ، الى حين ، عن ما يحيط بهذا الوطن بين المحيط والخليج من حساسيات وذلك بانشاء مختبر تتعاون فيه كل

الشعوب العربية (بلا استثناء لأى سبب) لاجراء دراسات اكاديمية بأحدث الوسائل التى توصل اليها العلم لمقارنة اعمار الصخور فى أرجاء الوطن العربى ، ويتعاون فى هذا العمل العلمى الجليل كل أبناء هذه الأمة المتخصصين ، لمجرد ان تظل حبال الأخوة متصلة مستمرة حتى يقضى الله بأمره فيما بين النظم والحكومات من خلافات . وحبذا ان يتصدى هذا المختبر للدراسات الآتية :

١ ـ مقارنة أعمار أقدم صخور موريتانيا بأعمار مثيلاتها فى عمان والامارات العربية المتحدة ، على سبيل المثال لا الحصر ...

٢ ـ تقدير الأعمار المطلقة لصخور مكة المكرمة ، والطائف وجبل أحد ، والجبال المحيطة بمنطقة بدر الكبرى ، وصخور القدس والخليل وطور سيناء ، وحطين وعين جالوت ... وما ينفق من مال فى هذا العمل الأكاديمى البحث ليس ضائعاً لأن اموالنا تستخدم ، دون شك ، فى أبحاث صخور القمر ، ودراسات الفضاء المختلفة خارج الوطن العربى !!

ولا تعليق !!

درويش مصطفى الفار

٢ ملامح الشعر الخليجي القومي في مرحلة ماقبل ظهور النفط

حسان عطوان

يتضح للدارس أن التيار الاصلاحى فى الخليج ، نشأ متأثراً بالصحوة العربية الاسلامية التى قادها رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى مصر وعبد الرحمن الكواكبى فى سورية ؛ إذ بدأت ملامح غضبة عارمة على الاستعمار وأساليب تجهيله الشعوب التى يستعمرها ؛ تتضح بجلاء .. ولقد واكب هذا التيار الاصلاحى ؛ التيار القومى .. وقد نادى المصلحون الأوائل .. وهم قوميون أيضاً ؛ بـ حرية أبداء الرأى . والكتابة والتعبير . والزامية التعليم ؛ سبيلا الى التحديث . وتوزيع الثروة بالعدالة الاجتماعية على مجموع الشعب . والحد من طغيان الاستعمار وجلائه .. ومواجهة كل أشكاله ..

ويوضح عبد الله مبارك فى كتابه «الأدب العربى المعاصر فى الجزيرة العربية» سمات التيار الاصلاحى بقوله «والحق ان شعراء النهضة فى شرق الجزيرة العربية .. قد أعادوا الشعر الى حظيرة الجماعة ؛ .. وكان موقفهم هو موقف الاحياء للمثل العربية الأولى ؛ وقاموا بدور التنبيه والتحذير ؛ فاخذ هذا الدور سمة التوجه التعليمى ؛ والارشاد الأخلاقى ؛ وفقاً لملابسات النهضة وقضاياها » .

ومن أبرز من مثل هذا الاتجاه الاصلاحى القومى : خالد الفرج ؛ محمد ابن عيسى آل خليفة وعبد العزيز الرشيد ويوسف القناعى وعبد الله الزايد وفهد العسكر وعبد الرحمن المعاودة وصقر الشبيب .

ولقد زاوج شعراء التيار الاصلاحى فى الخليج العربى ؛ بين الموقف الاجتماعى والموقف الوطنى ؛ فوجدوا أن كل تنطح لمهمة اجتماعية هو فى



ابراهيم العريض

المحصلة النهائية يصب فى قنوات الوطنية والقومية .. وهذا ربط عظيم . بين الخاص والعام بين الجزء والكل تنبه اليه هؤلاء المبدعون ؛ وهم يريدون العدالة فى التعليم . ليشمل جميع فئات الشعب ..

ولذلك راحوا يقدمون الدليل تلو الدليل ؛ والمقارنات بين الشرق والغرب ؛ لحث الهمم على اتخاذ جميع الأسباب التى من شأنها أن تردم مداميك التخلف .. وتضع الواقع العربى فى أطره ومحتوياته السليمة .. فيرى الشاعر محمد بن عيسى آل خليفة .. هذه المقارنة على النحو التالى :

سرت للغرب بشوق دافع
فرأيت الغرب للأعمال صالح
قام من أبنائه من أخرجوا
معجزات الفن من كل النواحى
تعبوا فى سيرهم فاستنتجوا
ثمرات العقل بالأيدى الصحاح
أمتى والدهر يمضي مسرعاً
فمتى السعى الى طرق الصحاح
انهضوا واقتحموا مسراكم
يحمد القوم السرى عند الصباح
إن شأو المجد لا يبلغه
عاجز يشرق بالماء القراح ..

هكذا إذاً يرى الاصلاحيون ؛ سبيل النهضة .. فهناك مثال واضح للعيان وهو تجربة نهوض الغرب .. فلا بأس أن نقتحم نحن ـ شأنهم ـ الصعاب ونبلغ المجد .. ويرى الشعر الاصلاحى ـ الاجتماعى فى الخليج أن الفراغ قاتل للانسان ومهلك للشعوب .. فلابد من طلب العلم .. وكسر جدار الفراغ والخواء الزمانى والمكانى .. وذلك عن طريق العمل .. يرى الشاعر محمد بن عيسى :

العزم والحزم مفتاحان للأمل
والفوز ادراكه بالعلم والعمل
العلم نور فخذ من ضوئه قبساً
يهديك فى هذه الدنيا الى السبل
ولا تضع صالح أوقات الفراغ فكم
مرت ولم تنتفع منها على عجل
الناس ضدان إما حازم يقظ
يسعى ، وإما جهول نام فى الكسل ..

وفيما يرى التيار الاصلاحى .. أن الجهل هو سبب كل السقطات الاجتماعية والوطنية والقومية . يقف الشاعر القطرى أحمد يوسف الجابر المولود بالدوحة عام ١٩٠٣ ميلادية .. مستنهضاً طاقات الشباب ؛ فيقول :

بني وطنى هبوا اشتياقاً الى العلا
وشيموا بروق المجد لاحت خمائله
دعوا عنكم الاخلاد بالجهل والونى
فانى ينال المجد فى الناس جاهله
انيروا بنور العلم نهج طريقكم
وسيروا على الهدي الرواء مناهله ..

ويصب الشاعر عبد الرحمن المعاودة جام غضبه ؛ على التيار التغريبى الذى تفشى مؤخراً بين الشباب العربى فى الخليج .. وينبه الى أن هذا الاتجاه قد سخر من تراثه وعافه ؛ وهو بالتالى المسئول عن واقع الانقسام والتجزئة . غير أن غضباً عارماً يتأجج فى صدر المعاودة على كل أنانى ؛ أباح لنفسه أن يجنى كل شىء .. فيما لا يملك غيره شيئاً فيقول :

- في محاولات "إبراهيم العريض" الفلسفية ، بصمات من ثقافة هندية وفارسية
- كان شعر "فهد العسكر" صوتاً غاضباً وصرخة نفس مجروحة
- "خالد الفرج" أحد أهم الأصوات الشعرية القومية في الخليج

تراثنا الضخم لم نحفظ نفائسه
وما أخذنا الى التجديد من سبب
ضعنا وضاع الذى قد خلفوه لنا
وما أضعنا سبيل اللهو واللعب
.. ويح العروبة إن لم يحمها رجل
لم يغره المال أو زيف من الرتب
تباً لكل أنانى يعيش كما
قد شاء والغير فى جوع وفى سغب

ويرى المعاودة أن طريق الخلاص . من ربقة التبعية أن نعود الى تراثنا وأصالتنا ؛ ففى هذه العودة التى تواكب معطيات العصر .. يكون طريق الخلاص:

وتلك آثارنا فى الأرض ماثلة
وفى المآثر يلقى المرء برهانا
واليوم آن بأن نحيي القديم وأن
نعيد من مجدنا الموروث ما بانا
إن الشعوب إذا عز القديم بها
لا يجملن بأن توليه نسيانا ..

واجمالا .. للسمات العامة لتيار الاصلاح الاجتماعى ، فى الشعر العربى فى الخليج ، نقول : لم يكن هذا التيار معزولا عن اليقظة العربية الشاملة التى بشر بها المفكرون .. وكانت (العروة الوثقى) و (أم القرى) أصواتاً تجد لها أصداءها فى الخليج ساعدت على ايقاظ الوعى الاجتماعى الوطنى والقومى ؛ وتجلى فى هذا الاتجاه الاصلاحى .. بارادة العودة الى (الذات) القومية .. مستفيدة من معطيات الحضارة الحديثة .. دون أن تقع فى الاستلاب أو الاستهواء السيكولوجى للغرب .. ولقد تجاوب شعر التيار الاصلاحى مع كل الهبات الاجتماعية ضد الغزاة ؛ شأنه شأن أشعار العرب فى أقطار عربية أخرى ، ترافق ذلك مع وعى فكرى وسياسى لدى فئات واسعة من المستنيرين فى الخليج . وهكذا تكونت ملامح أدب أصلاحى تربوى شعبى .



عبد الرحمن المعاودة

التيار التأملى

هذا التيار التأملى الفلسفى فى الشعر الخليجى ؛ كان يستجيب .. لصوت النفس الداخلى ؛ وتداعى الأفكار .. والنظرة المتعمقة الشفافة ؛ .. لاكتناه الوجود ، وسر الطبيعة .. وما وراء المحسوسات والمدركات ؛ .. ولا أظن أنه كان بعيداً عن التأثر بروافد وتيارات ثقافية شرقية أبرزها : التيار الفلسفى التأملى الهندى والتيار العبثى والتأملى الفارسى والتصوف الاسلامى ؛ والغربة الاجتماعية ..

ومن هذا التيار التأملى نشأت ملامح الشعر الرومانسى الذاتى ؛ ولعل صقر الشبيب وابراهيم العريض .. خير من يمثل هذا الاتجاه .. ولقد استقى هذان الشاعران مادة شعرهما .. ورؤيتهما للوجود .. من اندماج واتحاد مطلق بالوجود والكون ؛ فرأينا سمو المشاعر ؛ ومثالية التصور ؛ وشفافية الرؤية ؛ وأناقة اللفظ .. تتردد فى مكنون أشعارهما ..

فصقر الشبيب شاعر الكويت المولود عام ١٨٩٦ . والمتوفى عام ١٩٦٣ .. يشف عن غنائية صادرة من احباطين اثنين .. أولهما : احباط فيزيولوجى (العمى) وثانيهما : احباط اجتماعى (العزلة ، والوحدة) ونتيجة لهذين الاحباطين .. كتب شعراً ذاتياً عذباً .. وقاده الأمر الى التعزى بأفذاذ الشعر العربى من هؤلاء المنكفئين على ذواتهم ؛ يناجونها ويبوحون لها بأسرارهم .. وعلى رأسهم الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى .. نجد فى أشعار الشبيب قلقاً ممضاً من هذه العزلة .. ها هو يشكو :

وحسبى بالعمى قيداً ممضاً
فبالصبر الجميل أذاه مودى
كأنى فى ــ الكويت ــ على رواها
سكنت مفازة حفت ببيد
شكوت الى كثير من بنيها
باشعارى من البؤس الشديد

ولقد انطلق من هذه العاهة ؛ فى غضبه على المجتمع الذى أهمله .. ولكنه فى نفس الوقت كان يحمل هموم (المكفوفين) من أمثاله ، وقلقهم على تحصيل لقمة العيش .. هذه التجربة الخاصة والمليئة بالاحباط والأسى ؛ جعلت من الشاعر صقر الشبيب .. (غيرياً) .. يقرن تجربته المريرة مع تجارب أخرى . لآخرين من أمثاله .. لذا يعنف بشدة أولئك الأثرياء الطغاة اللامحسنين :

رويداً أيها الطاغى رويداً
فان الدهر خداع غدور
فقبلك أطلع الاثراء منه
لقوم أنجماً زهراً تنير
فظنوا أنها تبقى فعادت
وأنف الظن مرغوم تغور
ولولا شح أهل المال منا
لما استصباهم الموت المرير
فصبراً أيها البؤساء صبراً
فعقبى الصبر يحمدها الصبور

غير أن صقر الشبيب ظل فى أطره الذاتية ؛ حبيساً ؛ على خلاف الشاعر البحرينى ابراهيم العريض (١٩٠٨ ــ ... م) وقد اهتم (العريض) بالطبيعة اهتماماً خاصاً ؛ فحاورها .. وأسقط عليها مواجده وأشواقه ورؤاه ؛ فبرع فى

ملامح الشعر الخليجي القومي
في مرحلة ما قبل ظهور النفط

● كانت الطبيعة ملاذ شعراء التيار التأملي، بثوها أحزانهم وأفراحهم .. واستنبطوا من قوانينها ومظاهرها عمقًا فلسفيًا



يوسف بن عيسى

وصفها .. واستنبط من الجمال حكمة .. ومن الشروق فائدة .. ومن انسياب الأبعاد شوقاً الى الحرية ... غير أن بدايات الشاعر العريض كانت ذاتية ؛ رومانسية محضة ؛ ولكنه استطاع أن يتجاوز هذه المرحلة الى مرحلة الشعر الاجتماعي (الوعظي) . يقول :

حتام أرعى أمة
فى الجهل لذ لها البقاء
خلع العذار شبابها
والشيخ فارقه الحياء
وعقول معظم أهلها
كقلوب نسوتها سواء
وعليهم وجهولهم
فى الحطة المثلى سواء

غير أن تعمقه فى الثقافتين الهندية والبريطانية . لم تجعله يرفض التراث الغربى ؛ إلا أنها أكسبته فهماً جديداً للشعر ؛ فعالج المسرحية الشعرية (وامعتصماه عام ١٩٣٤) .. ولقد تجاوز فى كتابيه الشعريين (العرائس) و (الشموع) ؛ ديوانه الأول (الذكرى ١٩٣١) ويغلب على توجهه العام ما يلى:
أولا : الرومانسية المثالية فى فهم وتلقى العالم . وشفافية الحب الغنائى ..
ثانياً : التمكن الأسلوبى ؛ يجعله رائداً فى باب أناقة العبارة وقوة الكلمة وظلالها الايحائية ..
ثالثاً : طابع القصة فى أشعاره التى تسلمه الى (النثرية التقريرية) . ويغلب على هذه الأشعار الموقف المأساوى الدرامى .
رابعاً : اتحاده الكلى بالطبيعة ..
خامساً : التوفيق بين الكلاسية والرومانسية .

ولئن كانت هذه الملاحظات التى سقناها - هى الغالبة على شعر ابراهيم العريض .. تدل دلالة أكيدة على نزوعه التأملى الفلسفى ؛ فهذا يستدعى انتخاب نماذج شعرية للتدليل على ما نذهب اليه . يقول فى حبه العذرى ؛ . (لمي) ..

ولما تفيانا ظلال خميلة
تساقط مثل الدر فوق خطانا
أشاحت الى الأزهار عنى بوجهها
دلالا ؛ وقالت لي «كفى هذيانا ..
أتامل منى أن أصدق بالهوى
جزافاً ؛ وطرفى لا يراه عيانا» ..
فقلت لها «يا مي» ما الروض ناضراً
ولا الطير أحلى ما يكون لسانا
بأحسن من خد تورد فى الصبا
وأعذب من ثغر يفيض بيانا
وما قيمة الأزهار فى جانب الصبا
أليس الصبا - يا مي - أعظم شانا

يتضح من هذا ولع العريض بالشعر القصصي .. الذى يتحدث عن موقف فى وسط الطبيعة التى أحبها ؛ فهو لايلتقى حبيباته إلا فى عمق البساتين والخمائل .. لكأنه يزاوج بين حبه للطبيعة . وحبه للغزل ! .

الطبيعة

أما الطبيعة فقد أصبحت علامة مميزة فى شعر العريض ويصل الى حد الحوار معها واستنطاقها ، والاتحاد المطلق بتفاصيلها .. وهو يتدفق كالجداول العذبة فى مروجها الممرعة .. يقول :

وقف الفجر على الوادى مطلا من هضابه
كأمير عبقرى زانه حسن شبابه
يا ابنة النور انظرى عقدك منثوراً ببابه
كيف لا ينثنى عليك النهر أثناء انصبابه

● ● ●

يا ابنة الحسن قد عشقتك صوتاً ..
يتهادى .. على جناح الأثير
هو كالروح فى ضلوعى منه
خفقة بللت أرق شعورى
هو كالورد ما نشقت بأنفى
ريحه ، بل لمسته فى ضميرى ..

وهو فى كل هذا وذاك يضفى على الطبيعة سحراً ذاتياً خاصاً ؛ لكاننا أمام شعراء المهجر العظام الذين مزجوا بين الطبيعة التى ذكرتهم بجبال بلادهم وصفاء أنهارها .. فكان العريض وجهاً آخر لهذا التيار الشعرى الذى يمتاح أصوله من البحترى ووصفياته الخالدات أو ابن زيدون وعشقه فى احضان الطبيعة .. وقصص أولئك الشعراء اللاهين عن وعثاء الدنيا .. التماساً لساعة تفرح القلب .. ولعلنا نضع فى هذا التيار الشعرى الخليجي محمد بن عيسى آل خليفة الوائلى وصقر القاسمى وعبد الرحمن المعاودة وفهد العسكر وغازى القصيبى وخليفة الوقيان وغيرهم ..

نظرات فهد العسكر

وعلى هامش الاتجاه التاملى نشا تيار يكاد يسم مرحلة كاملة من مراحل الشعر الخليجى ؛ بطوابع خاصة .. وأبرز من مثله فهد العسكر ؛ وأحمد العدوانى ..

ونحن إذ نقف عند أشعار فهد العسكر نجد أننا أمام شاعر وحيد ؛ فى الحياة .. غريب غربة زمانية ومكانية . فلا يجد ملاذه ولا سلواه إلا فى البوح للطبيعة .. والشكوى التى لا تنتظر رجاء أو أملا .. وهو إذ يكون كذلك فانما يتعمق دلالات الوجود ؛ بفيض من الألق الرومانسى الحزين ؛ الذى يشف عن نفس معذبة .. يلوكها الألم .. والفراق والوحشة .. وفهد العسكر نموذج من أولئك الشعراء العبثيين والعدميين فقد رفض كل القيود الاجتماعية . والأناقات الأسلوبية فى التعامل مع الحياة والمجتمع .. فبدا صوتاً غاضباً فى الشعر الخليجى ؛ وإن كان لم ينفصل عن هموم المجموع العام للأمة ..

لجأ فهد العسكر تعويضاً لما آلت اليه وحدته وغربته الروحية .. الى وصف





جمال الدين الأفغانى



الطهطاوى



عبد الرحمن الكواكبى

الطبيعة .. والوقوف أمام الموت (كظاهرة) ؛ كما لجأ الى (الحب) غير أنه ارتد خاسراً ؛ فغرق فى (كؤوس الخيام) يعاقرها هارباً وحيداً حتى الموت ..

فهد العسكر ؛ تعبير عن قلق جيل سبق ظهور النفط .. كما عبر بعمق عن حدة التناقض بين الأديب المرهف الحس والقلب والمتطلع الى (الماوراء) وبين مجتمع يغرق بالتاخر والجهل والفوضى وفظاظة القلب والجوارح ؛ بعد أن رماه هذا المجتمع باقذر الألفاظ وأحطها .. فلم يجد سوى الهجاء أو الرثاء .. بديلا عما اتهموه به ..

اتخذ فهد العسكر موقفاً غاضباً ؛ من الحياة والمجتمع ؛ لذا نجده حريصاً عن التقاط وابراز التناقض القائم فى الحياة والكون والمجتمع .. وابداعه أشعاره العظيمة ..

واتسم جانب من شعر فهد بشىء من الغموض والحزن .. ولكنه على أى حال غموض قريب من الفهم .. يصف الطبيعة . بقوله :

رأى الربيع وقد أودى الخريف به
بين الطيور كميت بين أهليه
فراح يرسلها أنات محتضر
الى السماء ويشكو ما يعانيه
لا الروض زاه ولا الآكام باسمة
ولا عرائسه سكرى فتلهيه
ماذا رأى غير أعواد مبعثرة
على هشيم به وارى أمانيه

غير أنه لا يعود من المغنم إلا خالى الوفاض ؛ فيشكو المرجفين والزمان :

فجئت أشكو المرجفين وهم
لا در درهم أسباب خذلانى

وتكاد (الشكوى) تصبح ظاهرة ؛ لدى فهد العسكر ؛ ويخيل الى قارئه .. أن به نفساً تعاف الدنايا والصغائر ؛ لكنه لسوء تدبيره .. وعدم قدرته على الممالأة والمدارة .. يثور للأشياء الصغيرة ؛ فيحصل بينه وبين الواقع تناقض وجفوة .. وعندها لا يدرى ماذا يقول ؛ لأنه يصل مباشرة الى درجة هدم الجسور كلها بينه وبين الآخرين ..

فاذا ما انفض عنه الجمع ؛ وبقى وحيداً ؛ وآنس فى نفسه وحشة وخيفة .. راح يناجى تلك النفس القلقة ؛ المريرة .

هذه أزمة كل الشعراء الغضبيين .. ومنهم فهد العسكر .. لأنهم يمتلكون الصدق المطلق الجارح .. لا يصلون الى أى صيغة عملية تجعلهم يتوافقون مع المجتمع .. فينكفئون على ذواتهم .. يبوحون شكوى الوجدان وخيبة الآمال .. وقلة الرجاء ..

أخيراً

ومهما يكن من أمر الشعر العربى الخليجى ؛ فى مرحلة ما قبل ظهور النفط .. فانه وضع لبنات صلبة خالدة .. وعلامات بارزة لا تخطئها عين الدارس المتأمل .. ولقد رصد شعراء هذه المرحلة .. ظواهر شتى .. وعبروا وفق تيارات متعددة .. عن مواضع مختلفة .. كان الهم الوطنى والقومى .. علامة مميزة .. فى أشعار أولئك الرواد .. وكانوا يتطلعون الى أمة عربية متحررة .. ومجتمعة الشمل ..

وفى الجانب الآخر .. لم ينفصل أولئك الشعراء عن ثقافة الانسانية . ومظاهرها الفكرية والفلسفية بشكل عام .. فتعمقوا دلالات الفكر الانسانى ، وهضموها ، فصدرت مشاعرهم وقلوبهم وعقولهم .. بتيارات أدبية (تأملية) اجادوا فى تجويد أشعارهم بنتاج أفكارها ..

على اننا حين نلاحظ ذلك الصوت الرومانسى الحزين .. منبثاً فى أشعار غالبيتهم فما ذاك إلا .. ظاهرة من ظواهر مرحلة تاريخية ألقت بظلالها الكئيبة والحزينة (اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً) على المجتمع العربى الذى كان يخرج من كهف مظلم ، وسبات عميق دام أكثر من (٩٠٠) عام ..

هذا عن الشعر الخليجى فى مرحلة ما قبل ظهور النفط .. دللنا على مظاهره وسماته العامة .. بشكل مكثف ودقيق : فماذا عن الشعر الخليجى فى مرحلة ما بعد ظهور النفط .. هذا ما نأمل معالجته فى مناسبة قادمة إن شاء الله .

حسان عطوان

مراجع الدراسة

- الحركة الشعرية فى الخليج العربى بين التقليد والتطور
  د. نورية صالح الرومى
- دراسات فى أدب البحرين
  المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
  معهد البحوث والدراسات العربية
- ديوان صقر الشبيب .
- ديوان فهد العسكر .
- نظرات جديدة فى الفن الشعرى .
  ابراهيم العريض
- لمحات من الخليج العربى .
  د. جابر الانصارى
- الأدب القطرى الحديث .
  محمد عبد الرحيم كافود
- الكتابات الأولى الحديثة لمثقفى البحرين ١٨٧٥ ـ ١٩٢٥
  مبارك الخاطر

صلاح عبد الصبور



الأربعة الكبار

- لم يوهن صلتي بالعقاد المفكر غير صلتي بالعقاد الشاعر!
- كانت آية عظمة المازني عندنا هي روايته: إبراهيم الكاتب
- عندما اشتدت فتنتنا أيام الدراسة الجامعية بطه حسين

مشارف الخمسين

كتبت منذ سنوات طوال طائفة من المقالات عن أعلام الأدب الأربعة فى تراثنا المعاصر : طه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم ، وابراهيم المازنى . وجمعت هذه المقالات فيما بعد فى كتاب ، ولست هنا أروج للكتاب ولكنى أبغى أن أقدم إقرارى بأن هؤلاء الأربعة الكبار كان لهم أكبر الأثر فى تكوينى العقلى والذوقى فى سنوات الصبا الأولى وما بعدها .. كان العلمان اللامعان منهم هما طه حسين والعقاد وكان العقاد أقرب إلى النفس ، وبخاصة وأننى نموت فكرياً فى السنوات التى واكبت انصرافه عن الكتابة السياسية إلى الكتابة الأدبية تلك السنوات الخصبة التى نشر فيها العقاد كتبه : الله ، وهذه الشجرة ، والعبقريات وسواها ، وكان ما يستهوينى فى العقاد هو ذاته ما استهوانى فى المتنبى ، ومن الغريب أننى بدأت بعكس المتوقع قارئاً للمتنبى وأبى العلاء ، ثم تجاوزتهما إلى العقاد وطه حسين ولعله لم يوهن صلتى بالعقاد المفكر إلا قراءتى للعقاد الشاعر ، بينما توثقت صلتى بطه حسين المفكر خلال قراءتى لطه حسين الكاتب الفنان . ولو أنصف العقاد نفسه لقال عن الشعر كما قال بعض القدماء ، وأظنه الخليل بن احمد حين سئل لم لا ينظم الشعر ، فأجاب بما معناه أن ما يرضاه منه لا يتيسر له ، وما يتيسر له لا يرضاه . معذرة ، فقد أوشكت حين كتبت هذا الرأى القاطع أن أضيق بنفسى ، فما العقاد بهين فى الميزان ، ولست أخشى من تلامذته المتعشقين لكل ما جادت به قريحته ، ولكنى أخشى من كلمة مخيفة لأبى العلاء المعرى يقول فيها :

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى
إنى أخاف عليكمو أن تلتقوا

وانى ليردنى إلى الانصاف هذا البيت فانظر فى شعره الآن فأجد وسط الرمل والحصى والتراب بعضاً من التبر اللامع ولكنه ليس وافراً بحيث تنهض للعقاد حجة بينة فى ملكوت الشعر .

ولقد اشتدت فتنتنا أيام الدراسة الجامعية بطه حسين ، فقد كان معلمونا من زملائه وتلاميذه ، ومن الحق أن بعضهم كانت قد ضاقت نفسه بطه حسين ، وذلك شأن يكون بين المتعاصرين ، أو بين الأساتذة وتلامذتهم النامين الشابين عن الطوق . وكذلك كان شأن أحمد أمين من ناحية ، والدكتور نجيب البهبيتى دارس أبى تمام وصاحب الكتاب الجيد عن تاريخ الشعر العربى من ناحية أخرى . كان أحمد أمين خفيف الظل بارعاً فى إطلاق الفكاهة اللاذعة ، وكان نجيب البهبيتى عصبياً محروراً يرى أن طه حسين قد سلبه حقه ، وأثر عليه زملاءه الذين هم دونه فى الدأب والموهبة . ولكننا على كل حال كنا نعيش فى مدار كوكبه هو طه حسين .

وكانت آية عظمة المازنى عندنا هى روايته النفسية الرفيعة «ابراهيم الكاتب» ولم يصرفنا عن تقديرها ما كان يلفظ به بعض الأدباء عندئذ من أنها مقتبسة من رواية روسية معروفة . ولعل المازنى بهذه الرواية كان سباقاً إلى خلق النموذج الروائى الذى يسمونه الآن «ضد البطل» أو «البطل الضد» ، وهو ما شاع فى الرواية الحديثة .. هذا البطل العدمى الذى لا يزعم لنفسه قضية أو هدفاً ، والذى يواجه الحياة بلا مبالاة .. بطل روايات كامى وديهاميل وسواهما .

أما توفيق الحكيم ، فلا أظن أن كتاباً أدفأ قلوبنا ، ثم ملأها بوهج الفن مثل كتابه «عصفور من الشرق» . وهكذا يستطيع الكاتب الكبير والقارىء المحب أن يجدا باباً يفضى إلى عالم جديد من خلال كتاب ممتلىء بروح الشعر ، يكتبانه معاً ، فيصنع الكاتب شعره وفنه وأفكاره ، أما القارىء فيهب ذلك كله نبض الروح وحمية الحياة .

وإنى لأظن بهذا المعنى أن جيلنا قد أسهم مع توفيق الحكيم فى كتابة «عصفور من الشرق» ، ولعله لو كتب هذا الكتاب فى عصرنا لما مس حبات القلوب كما مسها فى زمنه ، فلقد أصبحت كلمة «الفن» كلمة دارجة وقد قادت الخطى كثيرين من أهل الأدب والفن إلى أوروبا ، وشغلتهم أوروبا عن أنفسهم وذواتهم حتى استطاعوا بعد جهد جهيد أن يحققوا لونا من التوازن النفسى بين الطبع والتطبع .

الرحلة فى جوهر التراث

وها قد مرت السنوات ، وأصبح ما وراءنا من الحياة أكثر مما أمامنا ، وقادنا

ابراهيم المازنى



العقاد



توفيق الحكيم



طه حسين



النظر المنصف إلى أن ندرك أن هذا الجيل العملاق قد صنع فى الأدب العربى صنيعاً باذخاً . ولست أشير إلى الأربعة الكبار فحسب ولكنى قد أضيف اليهم عصبة مرموقة لا أعدد أسماءها خشية أن يفلت منى اسم ، ثم أضيف إلى ذلك كله أن سر عظمتهم كان هو شوقهم إلى الرحلة فى جوهر التراث الأوروبى حتى إذا أدركوه عادوا منه سالمين ممتلئين بالحكمة دون ان يفقدوا مواطىء أقدامهم فى أرضنا العربية المعاصرة .

ولعلى لم أعرف أحداً من الأربعة معرفة شبه وثيقة الا توفيق الحكيم ، فقد قضى المازنى (١٩٤٩) وأنا لم أعتد غشيان مجالس الأدباء بعد ، بل لعلى كنت فى ذلك الوقت صبياً وافر الحظ من حساسية أبناء الريف الذين يخشون أن تضيق بهم المجالس ، فلا يدخلون على أحد إلا حائرين بين الحصر والابانة ، ويتلعثمون عند لقاء الأقطاب من اهل الفن والأدب . ولعلى مازلت حتى الآن اتردد فى لقاء الغريب خوفاً ألا يكون قد جرى لديه ذكرى ، فأحار عندئذ كيف أقدم إليه نفسى تقديماً يرضيه وقد كان ذلك شأنى أيضاً مع العقاد يرحمه الله ، فقد كان بعض أصحابنا فى السنين الأولى من رواد مجلسه فى أيام الجمعة ، وكانوا يدعوننا إلى ذلك ، فنؤجل اللقاء ما استطعنا ، متذرعين بشتى المعاذير ، ولا نستطيع أن نبوح بما فى دخائلنا ، وهى أننا نخشى أن نكون قطعة من زوائد المشهد فى هذه المسرحية الأسبوعية ، التى كان العقاد العظيم ينفرد فيها بمعظم الأدوار .

وجرت بعد ذلك أمور ، واقترن إسمى فى مصر بحركة التجديد الشعرى ، وأصبحت دون أن أعد لهذا الأمر عدته خصماً فكرياً للعقاد العظيم .

بين العقاد وبينى

كان شأن العقاد فى تصويب مسيرة الشعر العربى شأناً لا ينكر ، فهو القائل فى أول الزمان الجديد «إن الشاعر الذى لا نعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف» ، وهو باعث ابن الرومى من رقدة الخلود إلى ساحة الحياة والأحياء ، وهو الذى أوشك أن يزلزل معبد شوقى لولا أن قوائمه كانت من الحجر الصوان . ولكن العقاد حين تقدم به العمر ضاق بشبابه ، ومن هنا غض النظر عن كل ما حفل به الزمن الجديد من أشياء .. لعل ذلك ومضة من ومضات شخصية العقاد ، فان رواد هذا الجديد لم يكونوا من أبنائه العقليين أو الذوقيين . فقد كانت نظرة العقاد النقدية تنبع من النظرية الرومانتيكية الأوروبية التى جهرت بأن الشعر تعبير عن نفس قائله ، وليس الاتجاه النفسى الذى تبناه العقاد فى نقده لأبى نواس إلا صورة صارخة لهذه الرومانتيكية أما نحن فقد كنا بالتقريب ننتمى إلى مدرستين أو الى رغبة التوفيق بين مدرستين ، أولاهما الواقعية ، وثانيتهما مدرسة التحليل اللغوى . وكنت أنا ـ بالتحديد ـ أقرب إلى المدرسة الأخيرة التى قد يكون النقاد العرب القدماء وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجانى العظيم أول مبدعيها . وقد يكون ريتشاردز وإليوت أعظم أعلامها ، على الرغم من أن لاحقهم لم يعرف عن سابقهم شيئاً .

واذكر فى تلك السنوات أن دار جدل متصل على صفحات الصحف بين الأستاذ العقاد وبينى كنت فرحاً به . فمن أنا فى آخر الأمر حتى يسألنى سائل : ما أخبار المعركة بينك وبين العقاد ؟ ولكنى ـ وهذه شهادة للتاريخ ، كنت حريصاً خلال هذا الجدل كله أن أتصاغر فى خطابى للعقاد العظيم ، وإلا فكيف أنكر أيام حياتى حين كنت اقرؤه مرتعد القلب والعقل ..

كان هذا الجدل ينشر فى الصحف اليومية ، وكنت اتتبع تعليق العقاد على كتاباتى ، وهذا التعليق الذى يكشفه لخلصائه دون أن يدونه فى الأوراق ، وكنت أسعد بهذا التعليق ، حتى نلت من العقاد وساماً كريماً .

لقد حلا لأحد العاملين بالتليفزيون أن ينظم لقاء بين العقاد وبين أحد من ينتمون للتيار الشعرى الجديد ، وذهب ليسأل العقاد عمن يختاره لكى ينهض بمناقشته ، فاختارنى العقاد قائلا :

أريد أن أناقش هذا الولد ، فهو قد قرأ بعض الشىء فيما يبدو .. هو ليس جاهلا

ونقل إلى هذا الساعى فى لقائنا الخبر ففرحت به فرحاً كبيرا ، لولا أن عاجلت

العقاد منيته ، وتذكرت عندئذ قول القائل مناظرك نظيرك .. وحمدت الله .. رحم الله العقاد العظيم ...!

شجاعة العقل واشتعال الروح

لقد صحبت العقاد والمازنى فيما فات من السطور ، فلأصحب طه حسين والحكيم فيما بقى ، وتلك قسمة الحياة كما هى قسمتى .. فقد اصطحب العقاد والمازنى طيلة حياتهما ، واصطحب طه حسين وتوفيق الحكيم ردحاً من الزمن ثم افترقا وولدت فى قلب الحكيم جفوة لطه حسين ماغابت عنى ملامحها ، منذ رأيت توفيق الحكيم لا يتحدث عن طه حسين إلا بقوله : الشيخ طه ، بل لقد سمعته مرة ينسبه إلى مدرسة المنشئين البلاغيين ، ويلحقه بالمنفلوطى .

ولكنى هنا لا أريد ترديد حديث المجالس ، فما هذا من دأبى ، ولكنى أريد أن أقول أن طه حسين كان شمساً ساطعة تحب أن تدور حولها الكواكب . كان كلاهما ـ العقاد وهو ـ فنانين كبيرين فى فطرتيهما يعرفان الناس كما يعرف الفنانون مخالطيهم من البشر ، ويخضعان ، فى ذلك لدوافع المحبة والبغضاء . ويستجيبان فى ذلك لسمر السمار وسعاية الوشاة وهمس الآذان ، فرغم أننى فى واقع الأمر كنت تلميذاً لطه حسين إلا أن ما أفسد بينى وبينه هو



احمد أمين

أن أحد الوشاة حين كتبت كتابى الآنف ذكره فى أول الكلام نقل إليه أننى هاجمته فى هذا الكتاب ، ومن ذلك اليوم قلب لى طه حسين ظهر المجن ، كما كان يقال قديماً .

ويبدو لى الآن بعد تسارع السنين أن كلا الرجلين ، كان يحس بعظمته بالغ الاحساس ، ولهما الحق ، فقد كان طه حسين حقيقاً بأن يكون قارئاً على المقابر وكان العقاد حقيقاً بأن يكون كاتب ديوان لولا ما وهب الرجلان من شجاعة العقل واشتعال الروح ، ومن هنا كان احساسهما العظيم بعظمتهما . كان طه حسين يوسع فى مجلسه للأتباع والأشياع ، ويضيق بالأنداد وأشباه الأنداد ، ولعل ذلك هو سر الجفوة المبكرة بينه وبين توفيق الحكيم . ولعلى الآن حين أذكر أننى عشت فى زمن عاش فيه طه حسين ، والتقيت به شخصاً لشخص

فى عام ١٩٥٠ حين درس لنا فى كلية الآداب وقرأنا عليه أبا العلاء المعرى ، حتى توفاه الله بعد بضعة وعشرين عاماً ثم لم أقترب منه إلا لماماً بينما أقترب منه المخاتلون وأشباه الأدباء .. حين أذكر ذلك كله أدركه وأفهمه وأعذره .

ولو سئلت الآن : بم تدين الحساسية العربية الحديثة . بما فيها من أدب وتذوق وذكاء روحى ، لعددت خمساً أو ستا من الشخصيات ، وكان أولها هو طه حسين.

قطب من أهل الفن

أما الحكيم .. فلقد علمنا الأوائل أن لكل زمان قطبه ، وهو قطب أهل الفن فى زماننا ، ولا تخلص رعايتنا للفن إلا اذا اهتدينا بقول القائل «إن المريد بين يدى شيخه كالميت بين يدى غاسله» ، وإنى لأنكر عليه أشياء فى فنه ، فيردنى اليه قول الصوفى القديم «ويكره للمريد مفارقة استاذه» .

لقد كنا قديماً نتناشد نثر توفيق الحكيم كما نتناشد الشعر ، وها نحن الآن نلقاه فنحدثه ، وها هو ذا يحدثنا حين يلقانا ، وها هم أولاء بعض الكتاب يقرنون بين اسمه وبعض اسمائنا ، فلنقتنع بذلك من الحياة حظا ، أما ما دار بينه وبينى من حديث قليل أو كثير خلال عشرين عاماً من المعرفة ، وما أحببت منه وما كرهت ، فذلك للزمان .

صلاح عبد الصبور

الايمان ظاهرة طبيعية

نستطيع أن نرى باعيننا أن الايمان ظاهرة طبيعية فى هذه الحياة . لأن الانسان غير المؤمن انسان «غير طبيعى» فيما نحسه من حيرته واضطرابه ويأسه وانعزاله عن الكون الذى يعيش فيه .. فهو الشذوذ وليس القاعدة فى الحياة الانسانية وفى الظواهر الطبيعية

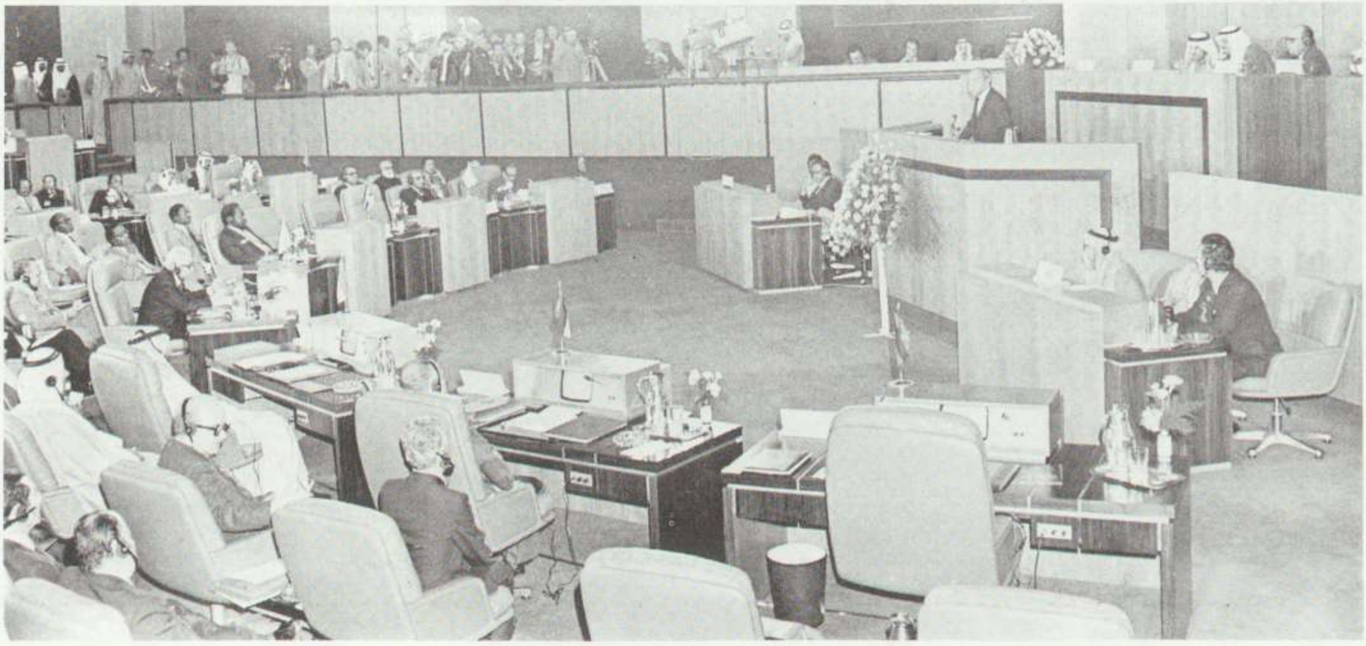
وليست حجة للمنكر أن يقول ان الانكار ممكن فى العقول . بل حجة للمؤمن أن يقول ان حال المنكر ليست بأحسن الأحوال ، وانه إذا انكر عن اضطرار تبين لنا على الفور انه فى حال «غير الحال الطبيعى» الذى يستقيم عليه وجود الأحياء .

وخاتمة المطاف ان الحس والعقل والوعى والبديهة جميعا تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الايمان بالذات الالهية ، وأن هذا الايمان الرشيد هو خير تفسير لسر الخليقة ، يعقله المؤمن ويدين به الفكر ويتطلبه الطبع السليم .

عباس محمود العقاد
(من كتابه : الله)

د. حسن عيسى عبد الظاهر

بلاغ مكة..
وقفة مع النفس والأحداث



جلسات مؤتمر القمة الاسلامى الثالث بالطائف

عدسة: كمال راشد

كان لانعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الثالث بمكة المكرمة فى مطلع القرن الهجرى الجديد وشهر مولد الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم دلالاته :

فالعالم الاسلامى وهو يودع القرن الماضى ، ويستقبل القرن الجديد قد وجد نفسه فى مفترق طرق متباينة تتنازعه

ثم هو يعيش أحداثاً متشابكة - على مستوى محلى وعالمى - على أرضه ومن حوله ، ووسط صراعات تتناوب فيه الانسان ، والأرض ، والامكانات ، والمنهج والتطبيق ، ما بين متطلع وطامع ..

وذلك بحكم وضعه الجغرافى ، والتاريخى ، والحضارى ، والطبيعى ، وفى خضم هذه التيارات الهادرة كان لابد له من (توازن) يحفظ به كيانه .

ثم وهو بصدد السعى والتأكيد على هذا التوازن مشدود بحضارة أثرت المجتمع الانسانى قروناً وأجيالا ومازالت لها إمكانات هذا الثراء ، ومشدود بتاريخ ازدحمت صفحاته بالأنواء والأعاصير وكان له من الصمود والمقومات ما لم يتأت لعالم آخر

توحيد الصفوف

وانسان هذا العالم الاسلامى كان لابد له من وقفة يلتقط فيها أنفاسه حتى يصمد على الأرض بلا دوار

وأصغى العالم الاسلامى بيقظة وانتباه الى الصوت المنبعث من حول قبلته التى توحدت عليها صفوفه

وكانت خطوة صحيحة ، وجديرة أن تتدارس القمة الاسلامية هذا كله تحت مظلة (المثابة والأمن) ؛ فى ظل العقيدة الواحدة ، والقبلة الواحدة ، رجاء تحديد المواقف الموحدة والمتكاملة لهدف واحد ..

وجاء (بلاغ مكة) فى هذا المناخ كله يحاول التعبير عن أمة تجد لتؤكد ذاتها ، وتحقق حياتها ، وتوضح دورها فى إطار من الحق والعدل تستهديه من اسلامها مع مطلع القرن الجديد ، وتسهم به فى مسار الحياة ، وصيانة الانسان

الرؤية والموقف

هذه الأمة .. من هى ؟ .. وماذا تريد ؟ ..

ومع الجذور العميقة لهذه الأمة يذكرنا القرآن الكريم قيام ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ببناء البيت المعظم الذى جعله الله حرماً آمناً ومثابة للناس وقبلة لصلاتهم ، والذى انعقدت عليه إرادة هذه القمة ليكون نقطة التقائهم وانطلاقهم ويذكرنا تضرعهما الى الله تعالى (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ..

تلك هى الأمة بكل معالمها وخصائصها

بلاغ مكة..

وقفة مع النفس والأحداث

(أمة مسلمة لك) ، واستجاب الله دعوة أبى الأنبياء وابنه عليهما السلام وأخرجها للدنيا (هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

هذه هى الأمة التى تسعى لتؤكد ذاتها . وتحاول أن تستبين معالم هذه الذات بكل خصائصها وأهدافها ، وتعلن عنها مع مطلع القرن الجديد بهذه الرؤية فى بلاغها : (إن انتماء المسلمين الصادق الى الاسلام ، والتزامهم الحق بمبادئه وقيمه منهاجاً للحياة هو درعهم الواقى من الأخطار المحدقة بهم ، وسبيلهم الأمثل الى تحقيق المنعة والعزة)

تلك هى بوضوح نقطة البدء والانطلاق .. أمة مسلمة تعرف إطار شخصيتها ، وتعرف ماذا تريد :

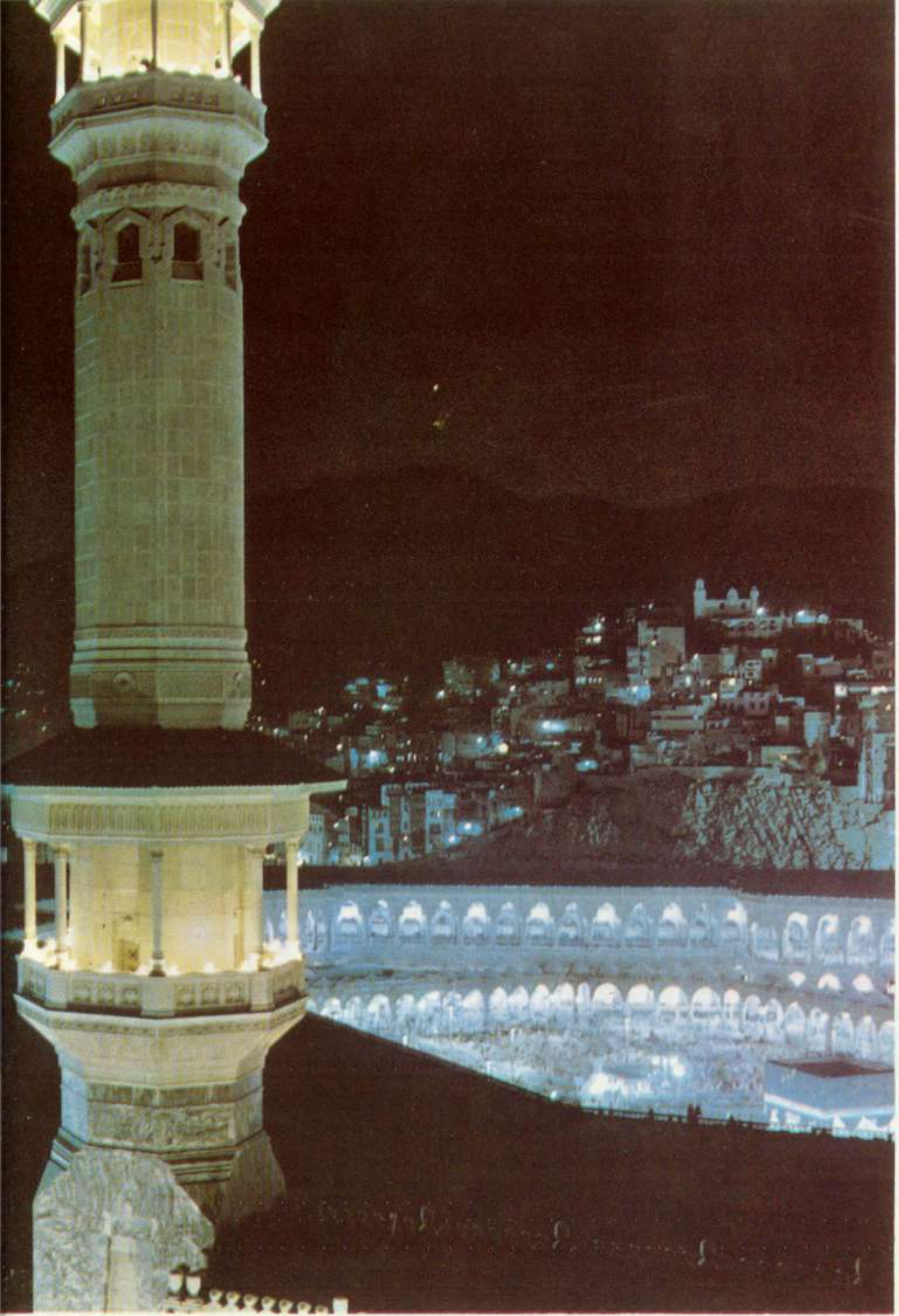
وتلك هى أولى معالم الرؤية الصحيحة على الطريق ... أما الدعوة المعلنة على ضوء هذه الرؤية فتعبر عن نفسها (إن إيمان المسلمين جميعاً بالتعاليم الخالدة المتمثلة فى الحرية ، والعدالة ، وكرامة الانسان ، والتصدى للظلم والعدوان ، وفى التسامح ، والرحمة ، والاخاء يدعونا الى التصميم على اقرار السلام العادل ، والوئام بين الشعوب ، وعلى ضمان حقوق الانسان)

وأمة فى عصرنا الحاضر تصمم على هذا ، لا شك هى أمة تريد أن تمارس الحياة وتشارك فى بناء حضارتها من مستوى انسانى رفيع لا تعزل نفسها بعنصرية ولا تريد علواً فى الأرض بفساد وإنما فى إطار ما تؤكده :

(إننا نؤكد أن الاعتصام بالعقيدة والوقوف فى وجه الالحاد والاتجاهات المناهضة للاسلام يحصن مجتمعاتنا من الوهن فى الذاتية والضعف فى الفاعلية الحضارية ويجنبها ما اعتراها فى ماضيها من فرقة وتبعية العديد من أوطان المسلمين تحت الهيمنة الأجنبية ...)

مواجهة المعوقات

ولعل مشكلة المشاكل لهذه الأمة ، والتحدى الذى يزحزحها عن مكانها



البيت العتيق بمكة المكرمة (مثابة للناس وأمنا)

ويفت فيها ويطمع فيها معاول الهدم تبدو فى عدم توأؤمها مع نفسها ومعالم كيانها فى الحياة كأمة مسلمة لها خصائص ، ورسالة ، وهدف ، ووسائل ، بمستوى هذا كله ، وهى عبر أربعة عشر قرناً فى مد وجزر بمقياس تحقق هذا التواؤم أو تخلخله وتلك حقيقة يشهد بها تاريخها وحضارتها ، بل وواقعها .

ومن هنا كانت ضرورة التأكيد على الانتماء الصادق للاسلام ، وتأكيد الاعتصام بعقيدته حتى يتحقق التواؤم وتنسجم الأمة مع رسالتها فى الحياة وتواجه المخاطر التى تحاول تطويقها أو احتواءها ، أو التسلل اليها

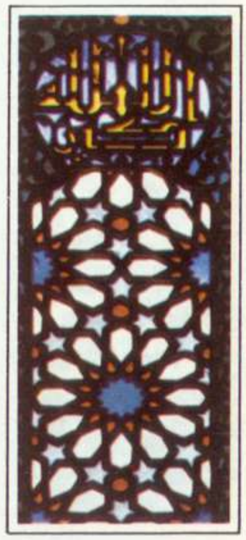
ومن أجل ذلك يعلن البلاغ الخطوة الأولى :

(إننا نقوم فى مؤتمرنا هذا الجامع وبهذا البلد الأمين وفى هذا اليوم الحاسم من تاريخ الاسلام عاقدين العزم على توثيق عرى التضامن بيننا ، واغتنام دواعى النهضة) وفى سبيل ذلك أعلن البلاغ المنهج فى سبع نقاط من خلال رؤية شاملة وإدراك موضوعى لواقع الشعوب الاسلامية وعلاقاتها ببعضها وبما حولها من دول وقوى عالمية يستهدف بتحقيقه التحول الى واقع ومستقبل افضل ..

الأمة الواحدة

أولا : أمة واحدة :





سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني والوفد المرافق لسموه .. في رحاب البيت الحرام





سمو أمير البلاد المفدى والوفد المرافق له في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بمكة

والمعنى بالأمة هنا هى الأمة الملتزمة التى تواءمت مع رسالتها ومعالم شخصيتها دون انفصام أو ازدواج فلا تنسى أنها عانت فى بواكير بنائها الأول من محاولات لخلخلة بنائها فى المدينة المنورة من عناصر تعويق حسبت على الأمة فى مرحلة البناء (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا ...)

وعانت كذلك فى مرحلة بنائها الأول من عناصر متربصة كشف القرآن الكريم عن معالمها : (لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ...)

وعانت من نزعات عصبية تهب عليها بين الحين والحين ، ونزل القرآن يجتث بذور هذه العصبية (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون).

والأمة وهى تعبر أربعة عشر قرناً مثقلة بهذه النتوءات التى تدمى جنوبها هنا وهناك ، وتستشعر خطر هذه الصدوع والشروخ بين الحين والحين ، يأتى البلاغ بهذه الرؤية الواضحة لمعالم هذه الأمة الواحدة ويعلن عنها فى مناخ صدق بالبلد الأمين (عاقدين العزم على توثيق عرى التضامن بيننا) !!!

لكن كيف توثق هذه العرى ؟

يقدم البلاغ هذا التصور :

(إيماناً منا بأن المسلمين وإن تباينت ألسنتهم وألوانهم وتمايزت أوطانهم وأوضاعهم أمة واحدة يعتصمون برابطة الاسلام ويستلهمون فى الحياة منهجاً لا اختلاف عليه ويستمدون معينهم

بلاغ مكة ..
وقفة مع النفس والأحداث

الفكرى من تراث حضارى مشترك) ..

الأمة الوسط

أمة وسط .. هكذا جعلها الله ، وهى – بوسطيتها هذه – أمة ريادة وقيادة (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ؛ ومن أجل التحقق مع النفس بهذه الوسطية ، والقيام بحقها يعلن البلاغ أنهم – أى المسلمين – : (يضطلعون فى العالم برسالة واحدة فيقومون أمة وسطا تأبى الانحياز لسائر الكتل والاتجاهات العقائدية وتأبى كذلك أن تتقاسمها الأهواء أو تتنازعها المصالح) ..

هكذا .. اضطلاع برسالة واحدة ، فلا تذوب فى غيرها من العقائد والنحل والكتل ، وإباء على الانقسام والتنازع فلا تتفتت من داخلها .

والى هذا الحد تبدو الرؤية واضحة لكافة المعالم تقريباً .

فماذا عن الوسائل لتحقيق ذلك ؟

يذكر البلاغ أن العزم منعقد على :

المضى قدماً لتوثيق أواصر التضامن بين شعوبنا ودولنا .

والتجاوز عن كل ما يؤدى الى الشقاق أو الفرقة .

وفض كل نزاع يطرأ بالاحتكام الى المواثيق ومبادىء الأخوة والألفة والترابط ومقاييس العدل المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله .

هذا كله عن المواجهة مع النفس من الداخل وإزاء المشاكل والمعوقات بل والتقلصات .

الأوتار المشدودة

ثانياً : فماذا عن المواجهة مع الغير الذين يقاتلوننا فى الدين ويخرجوننا من ديارنا ويظاهرون على اخراجنا ؟

وماذا عن الانتصار للحق والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان المظلومين فى أى مكان كانوا ؟

– وماذا عن الجروح الغائرة فى جسم الأمة وهى كثيرة ودامية ؟

وماذا عن عمليات الاغتصاب وإهدار الدماء والقوانين والأعراف والتى استهدفت المقدسات بدءا بالقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين وانتزاع الأرض من يد أبنائها وتشريدهم فى محاولات ماكرة للابادة والضياع الى ما لا يحصى ؟

وماذا عن الصدع فى جدار الأمة من شرقها باحداث شرخ ضخم تبتلع من خلاله أفغانستان ؟

وماذا عن انتقاص الأمة من أطرافها ومطاردتها فى عقيدتها وقيمها وفكرها من أوطانها فى أفريقيا ؟ وماذا عن هذا كله ؟

والبلاغ وهو يلمس هذه الأوتار المشدودة يلمسها عن (إدراك منا بأن المسلمين تقع عليهم فى عالم اليوم مظالم كثيرة ، وتحيط بهم مخاطر شتى مردها الى منطق القوة والعدوان ، والى سيادة منهج العنف فى السلوك الدولى) ..

ولمواجهة هذا كله يعلن البلاغ :

(ونحن مصممون على الجهاد بكل الوسائل التى نملكها لتحرير أراضينا المحتلة وأن نتناصر فى الدفاع عن استقلالنا وحرمة أراضينا ، والذود عن حقوقنا ورفع المظالم الواقعة علينا معتمدين على الله ، وعلى قوتنا الذاتية ، وعلى تضامننا المتين) ..

العلاقات الدولية

ثالثاً : دور حضارى بمبادىء الاسلام وإسهام على المستوى العالمى : –

(... نظراً الى ما يشيع فى العلاقات الدولية من شرور العصبية والعنصرية وما يغلب عليها من منطق القوة وسباق التسلح وما يسودها من دواعى النهم والظلم الاقتصادى ، ومن مظاهر الاستعمار والتسلط على الشعوب الضعيفة مما يتهدد العالم بانهيار حضارته الانسانية ، واختلال توازنه الاجتماعى والمادى وطمعاً فى تعاون قوى الخير فى العالم كافة لتسود القيم الانسانية الداعية الى الاخاء والعدل والسلام كما قررتها مبادىء الاسلام ورسختها تقاليده التاريخية فاننا نتوجه داعين سائر الدول والشعوب الى بناء عالم قوامه : صدق النية وتضافر الجهود حتى يسود السلام)

وفى اطار هذه الدعوة الموجهة لسائر الدول والشعوب يحرص البلاغ على : التأكيد والدعوة للعمل على دعم هيئة الأمم المتحدة وسائر المؤسسات الدولية التى تشكل إطاراً صالحاً للتعاون بين بنى الانسان ، وعلى الاستنكار لكل الاتجاهات الرامية الى فرض الوصاية على منظمة الأمم المتحدة وتعويق نشاطها ..

وعلى ادانة اسرائيل والدول التى درجت على انتهاك مبادىء ميثاقها ، وعلى التأكيد لمبادىء وأهداف حركة عدم الانحياز ، وعلى الحرص على دعم جامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، والتضامن الكامل مع دول العالم الثالث .

رابعاً – : على مستوى العالم الاسلامى : –

استشعر البلاغ حاجة شعوبنا الى الاعتصام بدينها الاسلام والاعتماد على تراثها لبناء مجتمع ملتزم بالايمان والعدل والأخلاق فأعلن (تأكيد العزم على الاسترشاد بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى نظام الحياة لمجتمعاتنا

دور الشعوب

ثم ماذا عن دور الشعوب ومشاركتها ، وبناء رأى عام يسهم فى البناء الحضارى ؟؟ والبلاغ وهو يضع يده على جوانب كثيرة من الداء المعوق للأمة الاسلامية فى واقعها يعلن عن حرصه (على إشاعة الشورى بين المسلمين ، وعلى بسط مبادئها فى حياة أمتنا) ويلمس جانباً خطيراً من آثار إشاعة الشورى وهو (حرية الكلمة) الهادفة ممثلة فى الوفاء بواجب الائتمار بالمعروف والنهى عن المنكر وانعقاد الوحدة فى الارادة العامة بين المواطنين واشتراكهم فى تسيير أمورهم العامة فتزول عنهم دواعى الوهن والفرقة . لكن أنى يتأتى ذلك والحواجز كثيفة وكثيرة والموانع متتالية وتزداد تعقيداً يوماً بعد يوم ؟ والبلاغ إزاء ذلك يعلن (وسنعمل فى سبيل ذلك على تيسير الاتصال بين أفراد شعوبنا وهيئاتها وإتاحة فرص التناصح المستمر على المستوى الانسانى والاسلامى) ؛ وهذه نقلة هامة وخطيرة تشد الجسور بين القمة والقاعدة

حقوق الانسان

ووسط مساومات الهيئات والمذاهب العالمية على حقوق الانسان وبعيداً عن هذه المساومات يعلن البلاغ الموقف ، والمبدأ : –

فيؤكد الحرص (على رعاية حقوق الانسان وكرامته مستوحين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم باعتبارهما مرجعاً أساسياً لصيانة حقوق البشر ومصالحهم) .



احدى جلسات العمل فى المؤتمر الاسلامى الثالث .

العلاقات الاقتصادية

خامساً : نحو الجانب الاقتصادى : ـ

ومن واقع الادراك للمصالح المشتركة يعلن البلاغ : (تصميمنا على العمل للقضاء على حالات الفقر التى ماتزال تعانى منها بعض الشعوب ...

وذلك : بدعم تعاوننا الاقتصادى على أساس تكامل إمكاناتنا من أجل تطوير التنمية المتناسقة لبلداننا ...)

ووفقاً لروح التضامن الاسلامى : (نعلن العزم على دفع النهضة الاقتصادية للبلدان الأقل نمواً بيننا ، والحرص على ترشيد سياستنا الانمائية بحيث يتوازن فيها الرقى المادى والروحى والدعوة الى السعى لاقامة العلاقات الاقتصادية فى العالم على أسس العدل والتكامل

والتأكيد من جديد على سيادة الدول على مواردها الطبيعية وحقها فى التحكم فى استغلالها)

التطور الاجتماعى

سادساً : نحو الجانب الاجتماعى : ـ

إزاء الأمية الضاربة بجذورها فى الشعوب الاسلامية والتى تتنافى مع مبادىء الاسلام فان البلاغ يعلن من منطق (الايمان بما نصت عليه مبادىء الاسلام من أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة العزم على التعاون بهدف التوسع فى نشر العلم وتعزيز مؤسساته حتى يتم القضاء على الجهل والأمية ..)

والعمل على ترسيخ المناهج الاسلامية فى التربية والتعليم ..

وتشجيع البحث والاجتهاد بين علماء المسلمين ومفكريهم ..

مع التوسع فى العلم والتقنيات العصرية ..

ويصون أمتنا من الحملات القائمة على استغلال حاجات بعض المسلمين المادية لتفتنهم عن دينهم ..

ومن واقع الايمان بضرورة نشر مبادىء الاسلام ، وإشاعة الثقافة فى المجتمعات الاسلامية وفى العالم ...

يعلن البلاغ : (أننا مصممون على التعاون لتوفير الوسائل البشرية والمادية لتحقيق هذه الأهداف ...).

ويعلن البلاغ عن (التعاهد فى إطار التبادل والخطط المشتركة على تطوير وسائل اعلامنا ومؤسساته التزاماً بهدى الاسلام وتعاليمه بما يكفل لها أثرا فعالا فى اصلاح المجتمع)

سابعاً : النشاط الجماعى والشعبى وفى هذا الصدد يذكر البلاغ بالرضا : قيام منظمة المؤتمر الاسلامى ..

ويلحظ بالطمأنينة اضطراد نموها وتطورها ورسوخ مكانتها فى المحافل الدولية ، ويلحظ كذلك قيام مؤسسات منبثقة عن المنظمة وتواتر المساعى المشتركة فى هذا السبيل ، ويعلن الالتزام بدعم المنظمة وتطويرها وتمكينها من الكفاءات الصالحة ومن الموارد الكافية حتى تنهض بمهامها ..

وكذا دعم صندوق التضامن الاسلامى ودعم صندوق القدس ، وسائر المنظمات ومشروعاتها بما يكفل اداء مهمتها ، والتواصى برعاية ودعم المؤسسات والهيئات الاسلامية الدولية والحكومية التى تتمشى مع اهداف منظمتنا لتوثيق عرى الاخاء بين المسلمين ، وتكثيف تعاونهم فى مختلف الشئون وتأكيد دورهم فى العالم ..

وكذلك دعم المؤسسات والهيئات الاسلامية الشعبية التى تخدم أهداف ومبادىء ميثاق المنظمة ، وذلك بما لايتعارض مع قوانين ونظم الدول الاعضاء ، ويتجه البلاغ الى الشعوب الاسلامية مهيبا بها أن تعتصم بتعاليم دينها وقيمة الحضارية ، وأن توطد جميع قواها تصديا للتحديات التى تحدق بها ، هذا هو (بلاغ مكة) الذى ـ بهذا المضمون الذى تضمنه ـ يعبر عن رؤية واضحة لقضايا الأمة والعصر ، وما تستلزمه من نظر ومنهج وعمل ..

وقد صادق عليه مؤتمر القمة الاسلامى الثالث المنعقد تحت شعار (دورة فلسطين والقدس الشريف) بمكة المكرمة ـ والطائف ـ فى بيانه الختامى فى الفترة ما بين ١٩ ، ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ ، ٢٨ يناير سنة ١٩٨١ م وحضره ملوك ورؤساء وأمراء ثمان وثلاثين دولة اسلامية ، وتابعه ـ بصفة مراقب ـ ثلاث وعشرون دولة ومنظمة ومؤسسة وكلهم يمثلون خمس سكان العالم ـ ألف مليون نسمة ـ ويسكنون أهم وأخطر بقاع المعمورة ..

● ● ●

ومؤتمر بهذا الحجم ، وبهذه الرؤية الواضحةفى ظل البيت الحرام ، ومع مطلع القرن الجديد جدير بأن يكون له صداه وآثاره على المدى القريب والبعيد ..

ولعل أول دلالة للبلاغ الذى صدر عنه (بلاغ مكة) أنه وثيقة التزم بها هذا الجيل . وسوف تكون فى يد الأجيال القادمة إما صحيفة اتهام أو صحيفة فخار للقمة والقاعدة معاً وقد صدر بمنطق العقيدة والرسالة منهجاً وتطبيقاً ..

ولعل أول محك له ولها هو مواجهة المشاكل القائمة الآن بعمل ايجابى يفى بالالتزام ويستقطب ثقة الشعوب الاسلامية وطاقاتها فى عمل ملتزم دائب ودائم ومنظم ومخطط ، فالشعوب فى عصرنا تأمل أن تسمع بعيونها وترى بحواسها عن فهم ووعى ، والبلاغ فرصة مواتية ، ولعله يكون نقطة بداية على الطريق الطويل ، طريق العمل الجاد فى ظل الاسلام وتحت رايته أمة مسلمة واحدة .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

الشاطئ الحزين

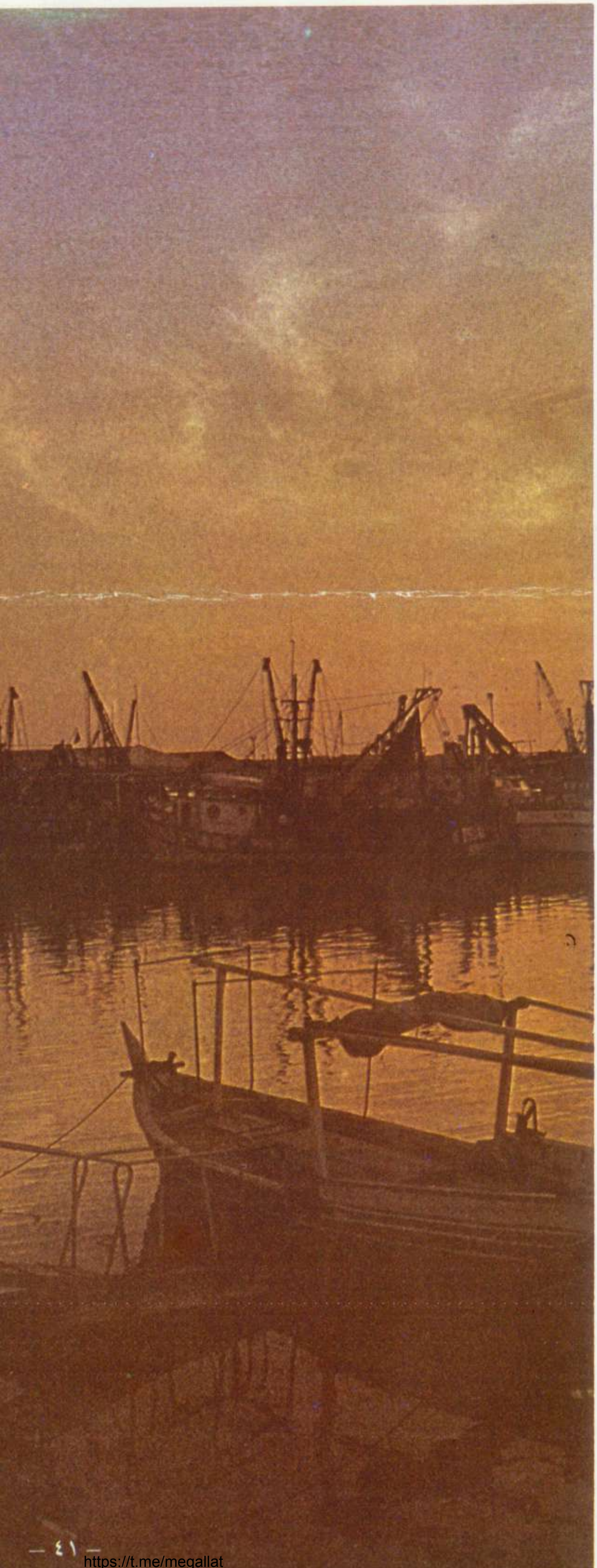


شعر: محمد الفهد العيسى



عند ماينام النجم في حضن السحر
وتذبل الفوانيس التي على الطريق
وتحتضر..
يدلف الصياد نحو الشاطئ الحزين
وفوق متنه ستون عام
يداه ترجفان
رجلاه فوق الأرض تندبان
أمسه الذي مضى
عصاه مثل القوس انحنت
ستون عاما أثقلتها فوق هذه الطريق
"هوزيّه"[1] القديم فوق الرمل ينتظر
الريح نام ..
نجمه - رفيقه - يلوح
ويضرب المجداف صفحة المياه
الليلة العشرون لم يعد يصيد
شباكه تمزقت
البحر لم يعد له رفيق
وغاب يعبر التاريخ للوراء
على مواله الذي رواه عن أبيه
يناجي البحر والأسماك والنجوم

١- الهوري : قارب صغير يستعمله صيادو السمك



ويمسح السماء في عينيه بالرجاء

بالصبر بالأمل

نجمتان تهمسان

ترددان الرَّجْع - للموال - في صمت حزين

يداه ترجفان

مجدافه يردد - الموال - في أنين

مناهل الصبر انتهت

البحر جفَّ فيه الصيد -

لم تعد به حياة

"هوريّه" هنا ينام

على رمال الشاطئ الحزين منذ عام

"هوريّه" حكاية مرسومة على الأفق

أسطورة على الشفاه

"هوريّه" تصطاد فيه الجن كل ليلة

والشيخ والسنون

في كوخه الذي في منتهى الطريق

يرددان ذلك الموال

والجن تهديه - صيد - كل أمسيه

عندما ينام النجم في حضن السحر

عندما تموت

ذبالة الفوانيس التي على الطريق

عالم غريب

كمبيوتر الثمانينات يغزو البيوت ويصل الإنسان بالعالم



التليفون و الاستقبال التلفزيونى قطعة واحدة .



خدمات «بريستل» لرجال الأعمال



التجربة الفرنسية فى مجال «المعلومات المرئية» .



المعلومات التى تريدها تصل الى منزلك أو مكتبك مكتوبة على شاشة تلفزيونك .

حقق عالم الكمبيوتر طفرات هائلة خلال السنوات العشر الأخيرة . وفى عقد الثمانينات ، نعيش الآن عصر المينى كمبيوتر ، والميكرو كمبيوتر بعد أن كان جهاز الكمبيوتر يشغل مساحة كبيرة تملأ طابقاً بأكمله . كما تعددت تطبيقاته واستخداماته أيضاً . فبعد أن كان مقصوراً على مراكز الأبحاث والجامعات وأجهزة الاحصاء والبنوك المركزية ، دخل الكمبيوتر الحياة اليومية للناس من خلال الأجهزة المنزلية وتجارة الجملة فى الأسواق وحتى لعب الأطفال ، وأصبح فى أوروبا وأمريكا من الوسائل التعليمية الأساسية .

التليفون التلفزيونى

ويبدو أثر الكمبيوتر واضحاً فى مجال الاتصالات ، حيث بمقدور أى شخص الحصول على المعلومات التى يريدها سواء كانت هذه المعلومات محلية أو دولية من خلال «التليفون التلفزيونى» إذ يكفى أن يدير قرص التليفون لتظهر أمامه على الشاشة كافة المعلومات والبيانات المطلوبة : أسعار العملات وحركة البورصة ، برامج الأفلام فى دور العرض المختلفة ومواعيد الطائرات والقطارات وحالة الطقس ونتائج المباريات الرياضية وأسماء وعناوين الصيدليات المناوبة .. الخ ..

ويتكون نظام المعلومات هذا من ثلاثة عناصر : كمبيوتر وتليفون وجهاز تلفزيون . ويختزن الكمبيوتر المركزى المعلومات والبيانات والصور بألوانها ويبثها فى الحال الى من يطلبها ، حتى لو اقتضى الأمر عرض صفحات من كتاب ، فالصفحات المطلوبة تظهر فوراً على شاشة التلفزيون .

وتضم كل صفحة ٢٤ سطراً بمتوسط ٤٠ حرفاً فى السطر الواحد . وإذا تضمنت المعلومات صورة معينة فانها تظهر بألوانها الطبيعية التى قد تصل الى سبعة ألوان . وبذلك يستطيع المشترك أن يحصل على كافة المعلومات والبيانات التى يريدها دونما حاجة الى مغادرة مكتبه او منزله ، أو حتى الاستعانة بالتليفون التقليدى الذى أصبح بفضل نظام الاتصالات التلفزيونية من تراث قرن مضى .

الدليل الالكترونى

وتجرى حالياً فى فرنسا تجربة نظام التجربة الى حرمان الصحف من الاعلانات ، بل وافلاس الصحف الاقليمية التى تعتمد بشكل أساسى على المعلومات والبيانات المحلية التى تقدمها لقرائها .

نظام «بريستل»

وتعتبر بريطانيا أسبق دول أوروبا فى تطبيق نظام عام للخدمات المرئية يعمل بالكمبيوتر ويحمل اسم «بريستل» حيث يتم الاتصال بين المشترك والكمبيوتر مباشرة دون حاجة الى وسيط بينهما .

ومن بين المشاكل التى واجهت تنفيذ هذا النظام فى البداية كيفية وصول

«**الدليل الالكترونى» حيث يستطيع المشترك عن طريق التليفون طلب أية معلومات أو بيانات عن أى منطقة فى فرنسا لتظهر فى الحال على شاشة صغيرة بجوار التليفون ، وذلك مقابل** رسم اشتراك يعادل حوالى ٥٠٠ ريال قطرى أى أقل من تكلفة الدليل الورقى .

ولكن هذا النظام يواجه معارضة عنيفة من الصحافة الفرنسية لأنه يمثل تهديداً واضحاً لها ، إذ قد يؤدى نجاح المشترك عن طريق السؤال المباشر الى الجزئية التى يريدها من بين ملايين الصفحات المحتوية على المعلومات .

كما واجهت الباحثين مشكلة أخرى هامة تتعلق بتصميم برامج الكمبيوتر الكفيلة بخفض تكلفة هذا النظام حتى يسهل استخدامه وانتشاره .

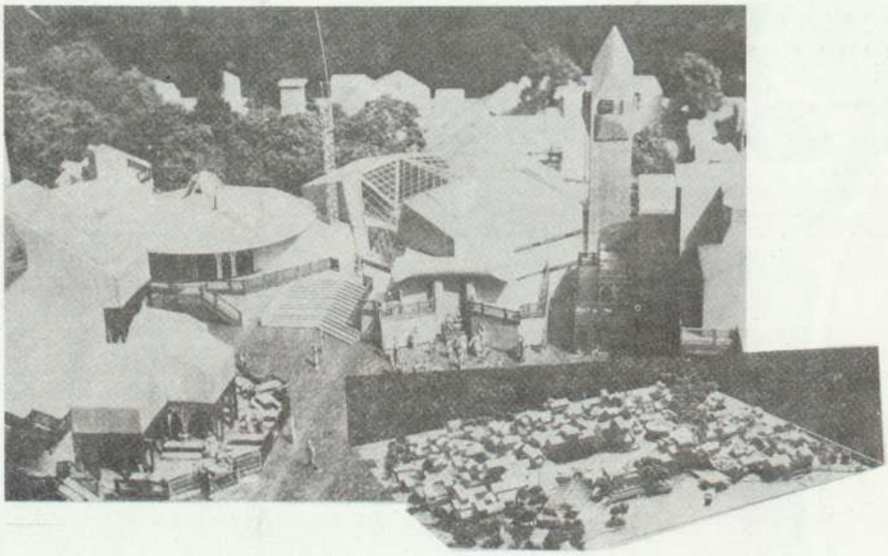
وبعد تجارب وإخفاقات عديدة توصل الباحثون البريطانيون الى طريقة تربط أجهزة التليفون بأجهزة تلفزيونية خاصة يحتوى كل منها على الجهاز الذى يقوم بتحويل الموجات المربعة المعبرة عن اللغة الرقمية للكمبيوتر الى موجات معبرة عن الصوت تناسب خطوط التليفون ، بحيث يجمع جهاز التلفزيون بين خدمات «المعلومات المرئية» واستقبال الارسال التلفزيونى العادى .

وانتقلت تجربة هذا النظام من بريطانيا الى كل من المانيا الغربية وهولندا وسويسرا . وينتظر بدء نظام مماثل فى هونج كونج يعمل بأربع لغات هى الانجليزية والألمانية والفرنسية والهولندية .

ولكن طموح العلماء لا يقف عند حد ، إذ تجرى حالياً دراسة خطوة أكثر تقدماً فى هذا المجال ، لاعداد برامج كمبيوتر تتيح للمشترك طلب المعلومات التى يريدها من أى بنك للمعلومات فى العالم واستقبالها على شاشة التلفزيون العادى .

ومع كل هذا التقدم الهائل الذى تحقق فى عشر سنوات فى مجال الاتصالات الالكترونية فلازال العلماء يحلمون بالكثير ، وأحلام العلماء تبدو أحياناً أغرب من الخيال .

هل ينصف العلم .. قرية المستقبل؟



نموذج لقرية المستقبل

للقرية مكانة خاصة فى قلوبنا ، فهى تشدنا اليها بخضرتها وهدوئها وهوائها النقى . وبقدر ما تثير خيال الشعراء والفنانين ، كانت بعيدة فى أغلب الأحيان عن اهتمام العلماء والمخططين . وهى بالتالى لا تحظى بما تتمتع به المدينة من ثمار العلم والتكنولوجيا .

ولكن ربما تختلف الصورة قريباً ، فقد وضع أحد الباحثين تخطيطاً طموحاً لقرية المستقبل ، يجمع فيها بين خضرة القرية وهدوئها وصفاء سمائها وبين أكثر الأجهزة الالكترونية تطوراً . وتضم القرية الجديدة ألفى شخص وتقوم الحياة فيها على الاكتفاء الذاتى والتوفيق بين متطلبات التكنولوجيا والامكانيات المحدودة لقرية عادية .

وحسب النموذج الذى وضعه الباحث البريطانى ، سيتوسط القرية ميدان رئيسى لا تطرقه وسائل المواصلات ، وتحيط به مجموعة من المبانى الرئيسية تضم فندقاً ومركزاً صحياً ومدرسة ودار حضانة ومكتبة ومقهى وقاعة للاحتفالات .

ومن بين هذه المبانى ، مبنى مشترك لجميع سكان القرية يضم أحدث الأجهزة الالكترونية ، من بينها كمبيوتر يتولى مختلف العمليات الحسابية والاحصائية ويختص بتسجيل استهلاك الكهرباء والمكالمات التليفونية واعداد المرتبات .. كما يضم المبنى سكرتارية وخدمات محاسبية وجهاز استعلامات الكترونى بل ونظام للمعلومات المرئية أيضاً .

ولقد روعى فى تصميم القرية أقصى كفاءة ممكنة فى استهلاك الطاقة ، سواء بالنسبة لتصميم بيوت القرية وأماكن العمل بها ، أو باستخدام مصادر للطاقة قابلة للتجدد بالاضافة الى تطبيق نظام لاسترداد الطاقة واعادة استخدامها .

أما المركز الزراعى بالقرية ، فيضم «صوبات» للنباتات وأحواضاً لتربية الأسماك وبنكاً للحرارة يقوم بتخزين الطاقة فى الصيف عندما ترتفع درجة الحرارة فى الصوبات واطلاقها فى الشتاء .

وتستهدف التكنولوجيا الصناعية المستخدمة فى القرية تدعيم انتاجها من الطعام والملابس والسلع المنزلية الأساسية .

والجدير بالانتباه فى قرية المستقبل أن التكنولوجيا ليست هدفاً فى حد ذاتها .. وإنما هى وسيلة لتوفير حياة أفضل دون مساس بالطابع الأصيل للقرية .. وحتى لا تصبح قطاعاً مشوهاً من مدينة اليوم .. التى يحترق بلهيبها الانسان .



الجمرة الثالثة

أم أكثم

للظلام هذه الليلة عينان تطفحان بالسخرية .. تجلدانه .. تلهبان ظهره .. يشم رائحة لحمه الممزق .. يتقلب .. يتوجع السرير .. تطبق عليه اجفان العتمه الثقيلة .. يختنق الحصار .. ذلك ما يشعر به .. الحصار .. يتفصد جسده عرقاً .. يرفع الغطاء القطني باعياء يستلقى على ظهره .. من جديد يئن السرير .. يشعر بالليل كائناً حياً يذرع الغرفة بخطى ثقيلة .. ليت الشمس لا تشرق .. ليتها لا تشرق .. ليت اعوامه تتوقف عن العدو هذه الليلة لو يكبو حصان عمره .. لو ينطفىء كل شىء .. لو يموت .. لارتاح مما ينتظره صباح الغد الغد .. كم هو مرعب ومرير هذا الغد .. اربعون عاماً لم يخش فيها منه .. لم يحس بثقل اقدام الليل تجوس داره .. لم يشعر بلزوجته الكئيبة تمتزج بأنفاسه .. كان يومه ينتهى على هذا الفراش .. ينام قبل أن يستقر رأسه تماماً على الوسادة .. اربعون عاماً تشرد فيها حاول الجوع اغتيال قوته شهوراً طويلة .. حارب عالماً مجهولا تحت البحر بسيفين منهوكين من جلد وعظم .. جازف بسفره وحيداً فى قارب صغير الى الجزر البعيدة ليأتى منها بما يتاجر به .. شقى كثيراً ليبنى نفسه .. استباحه المرض .. كاد ان يفقد حياته تحت الماء وشواهد صراعه المرير محفورة على جسده ندوبا عميقة ، لكنه كان دائما ينام .. حتى فى عرض البحر العاصف .. لم يعرف ابدا قيمة هذه الهبة الا هذه الليلة . وهو يتقلب على موقد من القلق ووجع الضمير .. ما اقسى ان تظل عيناه مفتوحتين فى جوف الليل تلتقطان دبيب القلق الذى ينهش صدره .. يتلقى فتات قلبه المتاكل براحة يده .. يتذكر الان .. الان يتذكر !! لماذا ؟ . سريره الخشبى الذى عاد له بعد غياب طويل .. ووجده مهترئا كجثة تاخر دفنها .. السوس قد استشرى فيه .. و .. انهارت اعمدته الأربعة .

السوس .. القلق .. الارق .. انفاس زوجته الرتيبة .. كم هو مدهش استسلامها للنوم بهدوء .. وهى تدرى ما يحمله له الغد .. لكنه أيضاً يعرف انها واثقة من نقاء ضميره لذلك استسلمت للنوم كطفلة . وظل هو يتلقى فتات قلبه المتاكل براحة يده .. ضوء شاحب يتسلل كلص من خلال الستارة الحريرية .. يفرك عينيه .. العرق ينبع كالصديد من مسامه يجزع .. يلهث .. تتلاحق انفاسه كموجة مجنونة .. يهز زوجته ..

● انظرى .. هل بزغ النهار ؟!

ـ لا .. الساعة ما تزال الثانية .

● وهذا الضوء !!؟

ـ انه النور المضاء فى فناء الدار .

● لماذا لم تطفئيه !؟

ـ ماذا حدث لك ! نور الفناء ظل مضاء طوال الليالى منذ عشرين عاماً منذ أن سكنا هذا البيت .. وقد امرت انت بذلك .

● نعم .. نعم .. معذرة .

نهض من فراشه متعباً .. خرج الى فناء الدار .. اطفأ النور .. احتوى الليل بعباءته كل شىء .. حتى شجرة السدر العجوز .. لكن رائحة اللوز كانت تتضوع من عباءته السميكة .. رجع الى غرفته يتخبط فى الظلام انهار على فراشه كجبل فجر فى العراء .. صوت الريح .. لزوجة الليل .. أنات السرير كأصوات حيوانات ليلية غامضه لها طعم نبوءة مشئومة .. كيف ؟ . لا يدرى .. غدا عليه ان يقف واخوته الخمسة كشهود الى جانب والده الرجل الكبير ذى المهابة .. صاحب الاملاك الشاسعة .. ضد والدة زوجه الضعيفة الطيبة .. عليه ان يسانده ليحصل ظلماً على بضعة اذرع ليزيد بها فناء احدى عماراته وهى حق لوالدة زوجه وتحتاجها لاضفاء بعض السعة على دارهاالضيقة .. وليست هناك اية اوراق تثبت لها هذا الحق .. لكنهم جميعاً يعلمون أن هذه الاذرع جزء من الأرض المقام عليها بيتها .. وانها لم تهتم بتحديد هذه الأرض لانهم اسرة واحدة .. ولأنه لم يخطر ببالها ان يطمع جد احفادها الثرى .. ذو المكانة الكبيرة فى اذرعها القليلة .. هذه هى القضية .. هل يساندها ويفقد أباه .. ويخسر والده



بالضرورة ماله من مكانة وهيبة ورهبة بين جميع الناس ؟ . ام يقف معـــه .. ويتجرع كل يوم نظرات العتاب والاسى والضعف من عينيها التعبتين ؟ . وهل يصبر على مرارة هذا الكأس ؟

بضعة أذرع تسرق طمانينة أعوامـه الاربعين .. بضعة اذرع تقف كحد السيف بين قلق وقلق .. بين ضعف وضعف .. عليه أن يختار .. آه .. ليت الشمس لا تشرق .

عليه أن يقبض بيده على احدى الجمرتين لاخيار آخر .. لا جمرة ثالثة .. يحتدم الشجار داخله .. تخترق اذنيه كطلقات ناريه اصوال العراك .. يدفن رأسه تحت الوسادة يشخر كثور ذبيح .. يرفس بقدمه .. يصرخ ..

● ما هذا ... ؟!

تنتفض زوجه فزعه .

ـ مـــاذا ؟!

● هذا الصوت ! .

ـ أى صوت !

تتوقف انفاسه من النبض .. تجحظ عيناه .

ـ انصتى .

ـ آه .. انه صوت الماء يتساقط من (الحنفية) المعطوبة .

● صوت الماء !! فقط !!

ـ نعم لقد مضى على ذلك اكثر من شهر .. ذكرتك عدة مرات ان تحضر من يصلحها .. لكنك لم تفعل .

● الماء !! فقط .

.... !!

.... لا جمرة ثالثة ؟!

* * *

النهار .. ساحة اعدامه .. شارع الاسفلت الممتد امام الاذرع المتنازع عليها يتلوى تحت لفح الشمس المحرقة .. القاضى .. وجهه المتغضن الشاحب .. جاء ليعاين مساحة الأرض ارضاء للرجل الكبير .. الشهود الخمسة المتنافرون كأصابع اليد الواحدة .. وهو .. وعيناها الضعيفتان الطيبتان تطلان من خلف (البرقع) والعباءة التى تغطى جسمها الهزيل المكتوم على الرصيف انتظارا .. انتظارا ووحشة كأعمدة النور عندما يهجر الشارع رواده .. وتظل هى تبحلق وحيدة ـ حائرة ..

لو يخذله قلبه الان .. لو يكبو حصان عمره ..

آه ما ابشع هذا الوجع ..

بضعة اذرع كحد السيف . !!

لا جمرة ثالثة .. الماء .. فقط ؟!

ضوء فنار الدار ؟! فقط !

شواهده القديمة المحفورة على جسده السوس .. القلق .. الارق .. فتات قلبه المتاكل .

سريره الخشبى .. السوس .. انهارت اعمدته الأربعة .

الليل ..

يذرع الغرفة بخطى ثقيلة . دبيب القلق ينهش .. صدره .

لو تخذله قدماه الان .. الان .. آه ما أبشع هذا الوجع ..

ما أقسى ان تظل عيناه مفتوحتين فى جوف الليل ..

الوجع .. الوجع . اربعون عاماً القارب الصغير . النوم ..

«نعم هذه الاذرع حق لوالدى وانا شاهد على ذلك» .

يسقط قرص الشمس الحارق على رأسه .. تتدحرج كومة سوداء على الرصيف ..

ينفض الجمع .. يعتلى والده المنبر .. اذان الظهر .

يصهره الحزن .. الحزن ؟ !!!

تسبح قدماه .. يتدحرج الى صحن المسجد ..

الله اكبر .. يرتفع النداء رخيما عذباً يغسل الدنيا ..

الجمرة الثالثة .يسقط قلبه بين عينيه .

الجمرة الثالثة .. يتوقف لهاث النبض النازف .

ويرتفع قرص الشمس .

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة قطر

وزارة التربية والتعليم

إعلان

تعلن وزارة التربية والتعليم عن حاجتها لخبراء متخصصين فى المجالات الموضحة فيما يلى وحسب الشروط التالية :ـ

أولًا: خبير للتقويم التربوي:

١ ـ المؤهلات المطلوبة :

أ) درجة الدكتوراه فى الاختبارات والتقويم من جامعة عربية أو أجنبية معترف بها .

ب) اجادة اللغتين العربية والانجليزية حديثاً وقراءة وكتابة إجادة تامة .

٢ ـ الخبرات العملية فى مجال التخصص :

أ) خبرة عملية فى مجال اشرافى ميدانى تتعلق مباشرة بالاختبارات والتقويم فى التعليم العام لا تقل عن خمس سنوات بعد المؤهل العلمى النهائى .

ب) خبرة فى مجال تدريس التقويم التربوى فى جامعة معترف بها لا تقل عن ثلاث سنوات .

ج) يفضل من لديه بحوث وكتب منشورة فى هذا المجال على أن يوافينا بنسخ من المؤهلات والخبرات والبحوث والكتب غير قابلة للرد .

ثانيًا: خبير للتخطيط التربوي:

١ ـ المؤهلات المطلوبة :

أ) درجة الدكتوراه فى التخطيط التربوى من احدى الجامعات العربية أو الأجنبية المعترف بها

ب) اجادة اللغتين العربية والانجليزية حديثاً وقراءة وكتابة إجادة تامة .

٢ ـ **الخبرات العملية فى مجال التخصص :**

أ) خبرة عملية فى مجال التخطيط التربوى اشراف ميدانى فى التعليم العام لا تقل عن خمس سنوات بعد المؤهل العلمى النهائى .

ب) خبرة فى تدريس مادة التخطيط التربوى فى جامعة معترف بها لا تقل عن ثلاث سنوات .

جـ) يفضل من لديه بحوث وكتب منشورة فى هذا المجال ، على أن يوافينا بنسخ من المؤهلات والخبرات والبحوث والكتب غير قابلة للرد .

● شـــروط عـــامـة

١ ـ الدرجة المخصصة لهذه الوظائف هى د ٢ / ح ١

٢ ـ الراتب الشهرى لهذه الوظائف بالريال القطرى من (٧٦٠٠) الى (٨٦٠٠) وبراتب أساسى مبدئى قدره (٧٦٠٠) ريال ومقدار العلاوة السنوية (٢٠٠) ريال ، بالاضافة الى سلفة مالية قدرها (١٥٠٠٠) ريال لشراء سيارة خاصة تسدد على أقساط شهرية معقولة . تصرف له علاوة بدل تنقل بقيمة (٦٠٠) ريال فى الشهر .

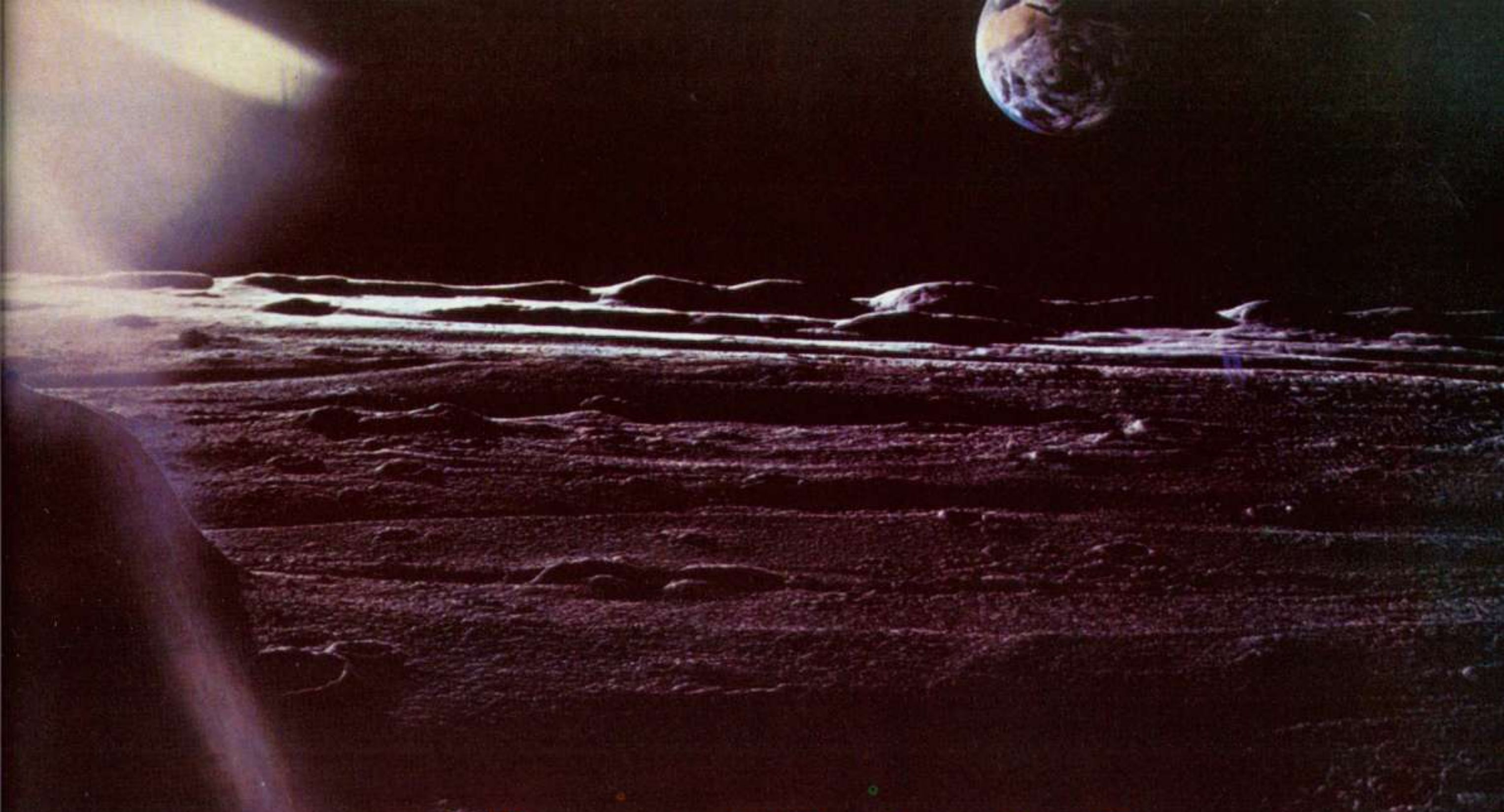
٣ ـ يؤمن للمتعاقد سكن عائلى مجانى مؤثثاً ومزوداً بالماء والكهرباء ومكيفاً بالهواء (حسب نظام الاسكان) .

٤ ـ يمنح تسهيلات السفر المجانى من مكان التعاقد الى مقر عمله وبالعكس بالدرجة السياحية بالطائرة للزوج والزوجة وثلاثة من الأبناء ممن تقل أعمارهم عن الثامنة عشر سنة .

٥ ـ يؤمن العلاج الطبى المجانى له ولأسرته .

٦ ـ على من تتوفر فيه الشروط المطلوبة التقدم بطلبه فى موعد أقصاه شهر واحد من تاريخ نشر هذا الاعلان مفصلا فى الطلب جميع البيانات عن الاسم الكامل وتاريخ الميلاد ، والعنوان بالكامل ، ورقم الهاتف إن وجد ، وجنسيته وديانته ، ومؤهلاته العلمية ، وخبراته العملية ، وغير ذلك ، كما يرفق بالطلب صورة شخصية وصورة عن المستندات المؤيدة للمؤهلات العلمية والخبرات وكذا نسخ من البحوث والكتب التى نشرت له غير قابلة للرد .

ترسل الطلبات بالبريد باسم وكيل وزارة التربية ص . ب (٨٠) الدوحة ـ قطر ، ويكتب على زاوية المغلف (طلب وظيفة خبير تربوى) .



لغز الحياة
بين المعلم الأول وتلاميذه

جمال كناني

الكون فى تصور أرسطو عالماً مليئاً بالحركة

الذى يضع أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) ومعه أفلاطون فى طليعة من عرف العالم من جهابذة الفكر ، لا يتجنى على الواقع ولا يجافى الحقيقة فى شىء ..

فقد خلف كل منهما من نظم كونية نظريات علمية وآثارا خالدة من الفلسفة والرياضيات والميتافيزيقا وغيرها تراثاً عجز الخلف عن مضاهاته ..

أكثر من ذلك أننا اذا نسبنا ما جاء به أفلاطون وأرسطو من نظريات وفلسفات ونظم اجتماعية سياسية فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وما اكتشف فيثاغورس فى القرن السادس قبل الميلاد من أن الأرض كروية ، وما جاء به كوبر نكوس وجاليليو فى القرن السادس عشر من أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس ، وأن الشمس ثابتة لا تتحرك .. كل هذه المعجزات ، فى عصورها ، كانت تسبق ما وصل اليه العلم بقرون ..



أرسطو

فعبقرية هؤلاء ، تفوق فى حسابى عبقرية علماء من أمثال اينشتاين صاحب «النسبية» فما تيسر لهذا من كشوف وآلات حاسبة ومعادلات رياضية وأرصاد فلكية ، لم يكن له نظير أو مقابل أيام اليونان القديمة أو عصر النهضة فى أوروبا ..

والذى رسمه أرسطو من نظام كونى وما نادى به فيثاغورس من أن الأرض كروية على غير ما نرى بأعيننا ، وما جاء كوبرنكوس وجاليليو من حركة الأرض وسكون الشمس لم تكن مجرد نظريات تضيف الى علم الانسان أو تعدله أو تصححه ، ولكنها كانت ثورات وزلازل وتفجرات تقوض كيان المعتقدات الدينية فى تلك العصور تهز دعائم ايمان الناس .. «فالنسبية» على مالها من أهمية وخطر لم تعد كونها تعديلا أدخله أينشتاين على نظرة الانسان الى حركة الاجسام منسوبة بعضها لبعض وتعريفاً للناس بأن الحركة لا تكون الا نسبية وتطبيقاً لذلك على الأجرام السماوية ونظام الكون



الكرة الأرضية من ارتفاع ٩٨ الف ميل

ولكنها لم تمس المعتقدات الدينية ليهودى أو بوذى ، لمسيحى أو مسلم لهذا لم يحرق الناس دار أينشتاين كما حرقوا دار فيثاغورس ولا اتهموه بالالحاد ولم تحاكمه كنيسة كما حاكمت جاليليو من قبل .

••

كان الكون فى تصور أرسطو عالماً فيه كل من الشمس والقمر والكواكب مثبت على كرة من بلور نقى شفاف لا ترى ولكنها موجودة فعلا ، وأن القدرة الالهية هى التى تحرك المحيط الخارجى الأقصى لهذا الكون ، وبذا يحتفظ للكون كله بحركته ، مبتدئاً بالكرة المثبت عليها النجوم وفى داخلها كرات سبع أخرى ، واحدة لكل كوكب (وتدخل الشمس والقمر ضمن هذه الكواكب السبعة) . وفى وسط هذه جميعاً تتواجد الأرض ، ثابتة لا يمكن تحريكها ، مركزاً يتوج عظمة هذا الخلق البديع .

والتزم أرسطو بافتراض وجود محيط خارجى أقصى ، لأنه كان يعتقد بأن كل شىء يتحرك ، يحتاج الى قوة متواصلة تحتفظ له بحركته .. فالعربة مثلا لا تتحرك الا اذا جرها حصان أو بهيم ، ولابد كذلك من استمرارية هذا الجر لتحتفظ العربة بحركتها طوال الوقت .. وكان هذا بالضبط هو الرأى الذى كان على جاليلو دحضه حتى وإن كلفه ذلك شططاً وكان عليه كذلك أن يناقش ما ذكر أرسطو عن «الحركة الطبيعية» و «الحركة العنيفة» وما بينهما من فرق جاء نتيجة لافتراض أرسطو وجود عناصر أربعة هى : الأرض والهواء والنار والماء ، وما ذهب اليه من أن جميع المواد الموجودة فى العالم ما هى الا تشكيلات من هذه العناصر الأربعة ، وأن لكل عنصر مكانه الطبيعى فى نظام الكون ، ويسعى للوصول اليه كما لو كان الجسم أو الشىء حيا له إرادة خاصة به . فكل المواد الأرضية تحاول الوصول الى مستقرها الطبيعى عند مركز الأرض ، فاذا اسقطنا جسما ما اتجه الجسم نحو الأرض فورا .. ومكان الماء .. هو فوق سطح الأرض ، لذا نجد أن الماء ينتشر دائماً سعياً وراء «المستوى الخاص به» .. ومكان الهواء هو فوق الماء .. وفوق هذه كلها كرة من نار .. لذا تندلع ألسنة اللهيب الى أعلى دائماً .. ولناخذ لذلك نظيرا من أرسطو ، قطعة من الخشب ، ولنبحث ما يحدث لها حين تحترق .. اللهب يرتفع منها الى أعلى ، والهواء يخرج من صلبها محدثاً فحيحاً كفحيح الأفعى .. وتتكون قطرات الماء ، فاذا انطفأت النار خلفت العنصر الأرضى ، فى هيئة رماد فالحركة التى تقوم بها العناصر سعياً وراء مكانها الصحيح فى نظام الوجود ، هى ما عرفه أرسطو «بالحركة الطبيعية» وهى تصدر من الداخل وتختلف تماماً عن نوع اخر من أنواع الحركة يكون مصدره من الخارج ، أسماه أرسطو «الحركة العنيفة» ، وذلك لأنها تعنف بالسلوك الطبيعى للأشياء ، والحركة العنيفة هى الحركة التى يقوم بها الجسم عندما يضطر أو يدفع الى الحركة بصورة مغايرة ــ مثال ذلك الدابة تجر العربة أو الكرة تقذف بها فى الهواء أى عندما نستعين بالقوة لنرغم جسماً على تغيير موضعه .. ومادامت الأجسام تعود الى سلوكها الطبيعى عندما تختفى هذه القوة الخارجية أو تزول ، فقد استخلص أرسطو من ذلك أن الحركة العنيفة لابد من قوة مستمرة تساندها .

أدرك أرسطو أن العناصر الأربعة لا تكفى لتعليل ما نرى فى الطبيعة من تنوع الأشياء واختلافها وتعددها . فالفروق التى يمكن تحقيقها عن طريق عناصر أربعة جد محدودة ومتغايراتها قليلة العدد ، وتباديلها وتوافيقها لا تكفى لتعليل كل ما نرى فى الطبيعة من ملايين الأشياء المختلفة . لهذا أضاف أرسطو الى عناصره الأربعة صفات أربع هى البرد والجفاف للأرض ، والدفء والرطوبة للهواء واعتبر أن الحرارة والبرد صفتان ناشطتان وأن الجفاف والسيولة صفتان خاملتان فالأجسام فيما عدا الأجرام السماوية ، تتألف من جفاف ونداوة ، برد أو حرارة ، أو من تشكيلة من هذه الصفات . فالجفاف والبرد من خصائص المواد الأرضية

لغز الحياة
بين المعلم الأول وتلاميذه


ابن رشد


ابن سينا


جاليليو


أفلاطون

والنداوة والبرد من خصائص السوائل والجفاف والنداوة من خصائص الغازات والجفاف والحرارة من خصائص النار .

وكان لأرسطو بالاضافة الى شرحه للمظاهر الخارجية ، نظرية فلسفية عميقة معقدة تصبغ وجهة النظر كلها حتى ليستحيل وصف الطبيعة على أساس الرياضيات وحدها ، كذلك الوصف الذى سعى اليه جاليليو .. فالأجسام فى رأى أرسطو ليست مكونة من المادة (المواد الأربع وصفاتها) لكن هناك لكل منها شكل أو هيئة . والمادة والشكل متواشجان متداخلان تماما لأن المادة لا وجود لها بغير هيئة أو شكل والشكل يحتاج الى مادة لكى يظهر أثره .

ومن غريب الأمر أن كمال هذا النظام الكونى الذى رسمه أرسطو للناس خلق فى عقول غيره من الناس ميلا شديداً الى عدم التفكير .. لم يجد الناس ما يدعو الى بحث الطبيعة واستقصاء خباياها .. لأن أرسطو بحثها .. واكتفى الناس بما جاء به أرسطو واعتبروه نهاية المطاف .. المرجع الأخير .. السلطة العلمية العليا .

كان العالم الطبيعى فى حساب أرسطو كيانا منفصلا عن الكون الذى تصوره .. كان بين السماويات والأرضيات فروق عميقة أصيلة .. ولم يكن فى السماوات مكان للعناصر الأربعة وكانت المواد السماوية ، بدلا من ذلك ، تتألف من عنصر خامس له صفات لا يمكن إفسادها أو إتلافها ، ورأى معاصرو أرسطو حكمة فيما يقول ، فهناك فرق كبير بين السماء والأرض ، كل ما على الأرض يتغير ويبلى ، أما السماوات فباقية على حالها لا تتبدل .

استمر الحال على هذا الوضع فترة طويلة وكان لابد لحدوث أى تغيير ، من بوجهة نظر جديدة .. وكان «كوبرنكوس» هو الذى خلع الأرض عن عرش الكون . وأحل الشمس وجعلها للكون مركزا ..

وأخذ إيمانه بأن الأرض كوكب سيار وأن الثابت الساكن هو الشمس ، يقوى يوماً بعد يوم لأنه وجد فى هذا الوضع تعليلا منطقياً لكل ما يلاحظ من حركة ، مع تمام علمه بأن أرسطو قد ندد بكل من طافت هذه الفكرة برأسه .. رأى كوبرنكوس أن الكون الذى تحتل الشمس مركزه يفوق الكون الذى تتوسطه الأرض من كل ناحية .. من الناحية الجمالية الهندسية

وعارض العلماء النظرية الكوبرنكية لأنها كانت تعنف فى مناقضتها لفيزياء أرسطو – لو أن الأرض سارت فى مدار حول الشمس فان الاجسام اذا سقطت نحو مركز الكون فالواجب بأن تسقط تجاه الشمس لا نحو الأرض فاذا سقطت الأجسام على الأرض – وهو ما يراه الناس ويشاهدونه بانفسهم – وجبت إذن إعادة النظر فى نظام الحركة الطبيعية والحركة العنيفة .

وبعد حوالى سبعين سنة قدر لنظرية كوبرنكوس أن تلعب دور البطولة على مسرح محكمة التفتيش التى حكمت جاليليو .

نادى أرسطو بأهمية وضرورة تحديد الفروق بين أنواع الحركة تحديدا فلسفيا .

فالحركة العنيفة هى التى يولدها فى الجسم المتحرك عامل خارجى ، ولا يسهم الجسم نفسه فيها بنصيب .. وقال أرسطو إن الذى يتحرك إنما يتحرك بسبب شىء آخر . فالنفس هى التى تحرك الكائن الحى .. والحركة الطبيعية تتولد تلقائيا عن طريق عامل داخلى يعرف باسم الطبيعة وهى مسبب لا يتسم بالكفاءة . أما الحركة العنيفة فيسببها عامل خارجى ذو كفاءة ، يؤثر على الجسم المتحرك .. وللفكرة القائلة بأن كل ما يتحرك ، يحركه شىء آخر» أهمية خاصة فيما يتعلق بالحركة العنيفة .

بقى أن نشير الى أن آثار أرسطو ، يلونها شىء من الأفلاطونية المحدثة ، تظهر جلية فى كتابات الكندى الذى ذاع صيته فى بغداد فى القرن التاسع ، وكتابات الفارابى الذى جاء بعد الكندى بقرن كامل واشتغل بالتدريس فى بغداد ، وكان يربط بين مذهب أرسطو من ناحية وبين ميتافيزيقا الأفلاطونية المحدثة

وجاء ابن سينا وكتب ضمن ما كتب «الشفا» فكان فى الجملة صياغة جديدة لما كتب أرسطو مع حلية من الفيض الخلقى الميتافيزيقى

وبلغ أثر أرسطو على العالم العربى ذروته فى كتابات ابن رشد الذى عاش فى قرطبة بالأندلس ، وكان من أكثر المعجبين بأرسطو وفلسفته ، فكان فى تعليقاته الثلاثة يعارض من ناحية ، ما ذهب اليه ابن سينا . ولقد حاول ابن رشد أن يعرض على العالم آراء أرسطو على حقيقتها وواقعها .. وعرض فى كتابه «تهافت التهافت» دفاعا قويا عن الأفلاطونية المحدثة وعن فلسفة أرسطو التى كان الامام الغزالى قد أبدع فى نقدها فى كتابه «تهافت الفلاسفة» .

تلك لمحة عابرة عن بعض آراء أرسطو الذى قيل إنه ولد فى ستاجيرا أو ستافروس . وليس هناك كبير شك فى أن أبويه كانا من اليونان ، وأن أباه كان طبيبا خاصا لأمينتاس الثالث ملك مقدونيا ، وأن هذا الأب مات وأرسطو طفل صغير .. التحق أرسطو بأكاديمية أفلاطون وبقى فيها تلميذا ثم معلما لمدة عشرين عاما . فلما مات الأسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م أحس أرسطو بالخطر يأتيه من جانب الحزب المعارض للمقدونيين فى أثينا فرحل عنها ومات فى العام التالى عن ٦٢ عاما .

هذه هى قصة لغز الحياة بين المعلم الأول : أرسطو ، وتلاميذه من فلاسفة العالم على مر العصور .

جمال الكنانى – لندن

٢٢ فبراير
٩ سنوات مضيئة في حياة قطر



جزء خاص عن قطر

٢٢ فبراير
٩ سنوات مضيئة في حياة قطر

ليست برقية تهنئة..
ولكنها كلمة حق واجبة

هذه كلمة حق يجب أن تقال ، عن دولة قطر ، وعن أميرها المفدى فى مناسبة الذكرى التاسعة لتولى الأمير مقاليد الحكم فى البلاد ،ولقد تعود الكثيرون أن ينظروا الى الحديث فى مثل هـــذه المناسبات ، على أنه ينبع من جـــو المناسبة نفسها ، ويشبه - فى آخـــر الأمر - برقية من برقيات التهنئة التى تمليها المناسبة على الجميع .

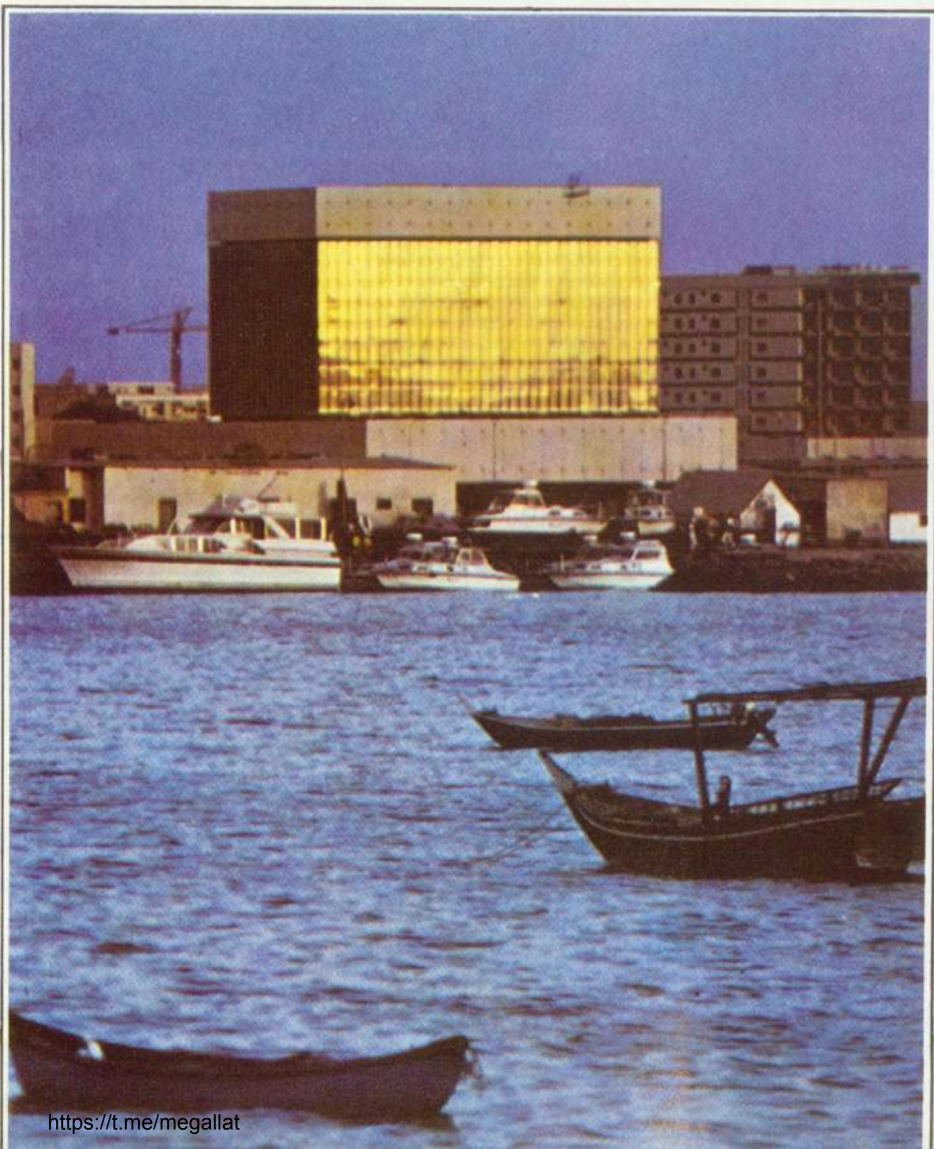
ولكننى أكتب هذه الكلمات دون أن أحس ، بأننى أنساق مع المناسبة لأكتب برقية تهنئة لشعب قطر أو لأميرها المفدى ، وإنما أشعر على العكس أننى أكتب من قلبى وعقلى وتجربتى الحية عما رأيته وعشته فوق هذه الأرض الطيبة ، وفى ظل أميرها العربى الأصيل.

إن قطر خلال السنوات التسع من حكم أميرها المفدى قد أخذت على نفسها عهداً وميثاقاً أن تبنى على شاطىء الخليج قطعة من الحضارة الحديثة الحية التى لا تتنكر لتقاليد الاسلام والعروبة ، وهذا الجمع بين «الأصالة والروح العصرية» يتم فى قطر بدون تكلف ، أو محاولة لفرض أى نوع من الافتعال على الواقع الاجتماعـــى والحضارى للبلاد .

إن قطر تسعى فى عهد أميرها المفدى للاستفادة الواعية من امكانياتها وثروتها ومن هنا يظهر كل يوم فوق هذه الأرض مستشفى جديد ، أو مدرسة أو مصنعاً ، أو جريدة أو مجلة ، أو كلية تضاف الى كليات الجامعة لتفتح أبواب المستقبل لآلاف من الشباب الجديد .

والذى يتابع حركة العمران هنا ، يدرك تماماً أنه ليس عمراناً يقوم فوق السطح بغير جذور ، بل هو عمران حضارى ، يعبر عن إحساس بالماضى ، وإحساس عميق بضرورة تأمين المستقبل وحمايته لأبناء هذا البلد الأمين ، ولكل الذين يعملون فيه من العرب الوافدين ، وينتجون ويساهمون فى بناء قطر ، ويعملون على التقدم بها من مرحلة الاستقلال السياسى الى مراحل أخرى فى الاستقلال الفكرى والحضارى مع التخلص من أى آثار كانت أو يمكن أن تكون لعصر السيادة الغربيـــة على البلاد .

ويكفى أن نشير الى شغف قطر - فى عهد أميرها المفدى - بالصناعة ، وحرصها على أن يتحول البترول فيها الى مصانع حديثة ، يديرها العرب ، وإن استفادوا بخبرة الغربيين وتعلموا منهم دون أن يفقدوا سيادتهم على حركتهم الصناعية القائمة على أسس ثابتة .



فى كل لحظة هنا يولد مصنع جديد . ويقوم بناء للانتاج يغطى حاجة من حاجات قطر أو حاجات العرب خارج قطر . وهذا الشغف بالصناعة هو الذى يملأ قلب قطر وعقلها فى عصر أميرها المفدى ، إنما يدل على طموح صحيح أصيل الى خلق مستقبل سليم ، تكون فيه الثروة الانسانية هى أغلى الثروات وأبقاها ، لأن هذه الثروة الانسانية ، هى أغلى من كل شىء .. حتى من البترول .. فهذه الثروة باقية بعد البترول ، وهى قائمة قبل البترول ، فقد كان عمل الناس وعرقهم قبل أن تتفجر منابع البترول ظاهرة من ظواهر الجهد الانسانى الخارق تستحق التسجيل ، فالذين كانوا يغوصون من أجل اللؤلؤ ، والذين كانوا يعملون فى البحر ، أو فى التجارة بين الشرق والغرب ، هؤلاء جميعاً كانوا من معادن انسانية صلبة ، ولم يكونوا أبداً من المعادن الرخيصة الميسورة ، لأن الحياة قبل البترول كانت تفرض عليهم المعاناة والصبر وكانوا يتحملون كل ألوان الجهد المضنى بكبرياء وكرامة .. مثل هذا الشعب الذى احتمل المشقة ، قبل أن تتفجر فى أرضه ثروة البترول ، جدير وقادر على أن يتحمل مشقة أخرى ، هى أن يصون ثروته الجديدة ، ويجعل منها قيمة حضارية باقية للأجيال القادمة حتى لا تعود هذه الأجيال الى المعاناة من جديد ، وحتى لا تقول هذه الأجيال : لقد كان لنا الكثير .. وأضاعه منا الآباء .

وهذا ما يفسر شغف قطر وأميرها المفدى بالصناعة ، ويفسر هذا الحرص الكبير على أن تتحول الثروة الراهنة الى خبرة انسانية تتجدد مع تجدد الحياة ، ولا تفنى أبداً حتى لو نضبت الأرض يوماً من ثروتها الطبيعية التى تعيش فى جوفها ، لأن هذه الثروة تتحول بالتدريج الى ثروة أخرى فوق سطح الأرض ، هى ثروة المعرفة والعلم والخبرة الفنية ، والمصانع التى تعمل ، والعمران الباقى الذى يزدهر ولا يتعرض للتبديد والضياع .

على أن قطر فى عهد أميرها المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، إنما تتحرك فى الواقع العربى والواقع العالمى كله ، بضمير حى شديد اليقظة لمسئولياته ، فما من قضية عربية ، إلا وكان لقطر وأميرها المفدى مشاركة صادقة جادة فيها ، ويكفى أن نشير الى قضية فلسطين ، وهى قضية القضايا بالنسبة لنا نحن العرب المعاصرين ، وموقف قطر وأميرها المفدى من هذه القضية هو موقف صاحب القضية الأصلى ، لا يتردد فى المشاركة ، وتحمل العبء والاخلاص الكامل لهذه القضية الغالية .

وليس المجال مجال احصائيات وأرقام ولكن الحقيقة الثابتة هى أن المال القطرى كان سلاحاً فى يد الأمة العربية يساندها فى كل موقف ويدافع عن كرامتها ، ويعمل بقوة على أن يخرج العرب جميعاً مما يعانونه من الآلام والمصاعب والمشكلات . فان تركنا قضية الولاء القطرى الصادق ، فى عهد أمير البلاد المفدى ، للقضايا العربية الى حديث الخلافات التى تمزق أمتنا فى هذه المرحلة ، وجدنا سياسة قطر وأميرها المفدى ، من هذه الخلافات المؤلمة هى سياسة البحث الدائم عن وسائل التوحيد والتضامن والاتفاق بين العرب والحق أن موقف قطر وأميرها ، هو من أعف المواقف التى عرفتها السياسات العربية المعاصرة ، لا لأنها سياسة تؤثر السلامة وتغمض العين ، بل لأنها سياسة تقوم على التقاليد الأصيلة ، وتدرك أنه مهما طال الزمن فان الخلافات ينبغى أن تزول ليعود العرب أمة واحدة تتضامن فى وجه التحديات ، ولا تستسلم للبغضاء والانقسام والتمزق .

أما بالنسبة لموقفها من القضايا العالمية فان صوت قطر الآن واضح ومسموع ، دفاعاً عن العدالة والحرية والكرامة الانسانية ، ومساندة دائمة لمشاريع التنمية فيما يسمى بالعالم الثالث .

ولابد أن نذكر أخيراً ، للحقيقة والتاريخ ، ذلك الموقف الذى وقفته قطر وأميرها المفدى من العاملين العرب فى مختلف المجالات بها ، فقد فتحت قطر — فى عهد أميرها المفدى — صدرها للعرب ، وأتاحت الفرصة لهم حتى يتولوا فيها أهم المسئوليات بدون تفرقة ، وبدون تعقيد من أى نوع ، وأصبح أمام كل عربى وافد الى قطر — من العامل اليدوى الى أستاذ الجامعة — فرصة للعمل الكريم بقدر ما يملك من كفاءة وأمانة وإحساس بالمسئولية وقدرة على الانتاج والعطاء . وإنى كواحد من العاملين فى قطر أتخذ منها — بعد مصر — وطناً ثانياً لي ، لأحس مع آلاف العاملين هنا من مصر وغيرها ، بأعظم التقدير والامتنان لهذه الدولة العربية الفتية الأصيلة ، وللنظرة القومية الصادقة التى تنظر بها قطر فى ظل أميرها المفدى الى قوة العمل العربية ، فقد أصبحت هذه القوة تعمل دون شعور بالحرج أو الاغتراب أو القلق أو التردد فى العطاء والانتاج ، ففى قطر نحس جميعاً أننا عرب فى بلادنا وفوق أرضنا ، تمتد الينا يد الاخاء الكريم باستبشار ورحابة صدر وحرص على إتاحة الفرص أمام الجميع ، حقاً .. لقد وجدنا فى هذه الأرض الطيبة فرصاً كريمة للعمل والانتاج وهى فرص ليس فيها من ولا أذى وليس فيها ما يجرح الذى يريد أن يعطى باخلاص وأمانة لأرض قطر ، كما يعطى باخلاص وأمانة ،للأرض التى منها جاء ، والبلد التى نما فيها وشب على ترابها ، وشرب من مائها وأكل فيها الخبز والملح .

تلك يد لقطر ، ولأميرها المفدى ، يذكرها القلب واللسان ، فى كل مكان ، ولا ينساها أبداً من كان فيه خير وكرامة ،

ومن كان على هدى وصواب ، ومن يستطيع أن يدرك المعنى القومى والحضارى الكبير الذى تقوم عليه سياسة قطر فى عهد أميرها المفدى ، وولي عهده الأمين ، من أجل شعب قطر ، ومن أجل الأمة العربية كلها ومن أجل المستقبل الكريم الآمن الذى ينبغى أن يتوفر للانسان العربى وخاصة فى هذه المرحلة الصعبة من تاريخ العرب .

فهنيئاً لقطر ، ولأميرها المفدى ، ولولي عهده الأمين ، ولنا جميعاً ، بيوم ٢٢ فبراير ، فهذا يوم يحمل الى القلب والعقل والضمير كثير من معانى الكرامة الحقيقية للانسان العربى المنتج الذى يريد مناخاً سليماً للعمل والانجاز والمشاركة فى نهضة الأمة العربية وبناء المستقبل العربى .

رجاء النقاش



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع

٢٢ فبراير
٩ سنوات مضيئة في حياة قطر

النمو المتزايد للتعليم في قطر

بقلم الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم





الشباب الجامعي أثناء احتفالات التخرج .

لقد حققت الوزارة نجاحاً عظيماً وملموساً نحو النهوض بحركة التعليم فى قطر فى جميع المجالات فى السنوات الأخيرة وأن هذا التطور والنمو نتيجة لسياسة محددة وموجهة رسمها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى من أجل وضع أسس ودعامات حضارية راسخة لهذه الأمة الناهضة لتنطلق بعلمائها ومثقفيها وبشبابها إلى مصاف الدول المتقدمة ، وباعتبار أن العلم يجب أن يساير متطلبات العصر وتطوره بادخال التكنولوجيا والوسائل التعليمية الحديثة وبتطوير المناهج على أسس علمية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بناء المدارس فى سائر انحاء قطر وتوجيه البعثات إلى كل جامعات ومعاهد العالم وفى جميع التخصصات التى تستوجبها حاجة الدولة فى تقدمها وأيضاً استخدام الخبراء والمستشارين فى المجالات التربوية ، المشاركة في المؤتمرات التعليمية والتربوية الخليجية منها والعربية والعالمية .

كلها أمور نعمل على تحقيقها فى مجال خطتنا التعليمية المتطورة دائماً . ووزارة التربية والتعليم تؤكد هذا الدور وتؤمن به واحصائياتها تدل على النمو المتزايد لأبعاد النهضة التعليمية المنطلقة فى وقتنا الحاضر – فمثلا فى عام ١٣٧١ / ١٣٧٢هـ ١٩٥١ / ١٩٥٢م بدأ التعليم النظامى فى دولة قطر بمدرسة ابتدائية واحدة للبنين فى مدينة الدوحة تضم ٢٤٠ تلميذاً و ٦ مدرسين فقط ، أما هذا العام ١٤٠٠ / ١٤٠١هـ – ١٩٨٠ / ١٩٨١م فقد وصل عدد الطلاب والطالبات إلى ما يربو على أربعين ألفاً من الطلبة والطالبات فى جميع المراحل بالدوحة وبكل المناطق .

وتشهد الوزارة هذا العام أضخم ميزانية حيث خصص لها اكثر من ألف مليون ريال قطرى من أجل إنجاز مشروعاتها فى جميع المجالات والأنشطة

التعليم .. والتطور

فحركة التعليم اذن مستمرة ومنطلقة لتواكب حركة التطور السريع فى جميع مرافق الدولة وذلك من خلال أجهزة الوزارة التشريعية والتنفيذية والتى تتحمل مسئولياتها بجد ومثابرة ودأب وفى كل المواقع .

ولكى نقف على الأبعاد الحقيقية لمدى ما استطاعت أجهزة الوزارة المسئولة أن تحققه من تقدم فى هذا المجال فى الآونة الأخيرة فعلينا أن نؤكد هذا الدور من خلال جانبين رئيسيين .

الجانب الكمى
الجانب النوعى للتعليم

فالجانب الكمى مثلا وبالرجوع إلى احصائيات أجهزة الوزارة المسئولة تظهر لنا زيادة فى عدد الطلاب والطالبات بمدارسنا ليصبح ٣٩٩٩٢ طالباً وطالبة بزيادة / ١٩٨٢ طالباً وطالبة عن العام السابق حيث شكلت هذه الزيادة الكبيرة ٢ر٥٪ وهى نسبة مرتفعة جداً فى معدل ازدياد حركة التعليم فى الدول العربية أما الهيئة التدريسية بالمدارس فقد بلغت هذا العام ٣٤٤١ موظفاً وموظفة بزيادة قدرها ٣٢٩ موظفاً وموظفة ٦ر١٠٪ ومن هذه النسبة

توضح الاحصائيات نمو حركة التقطير فقد أصبح عدد القطريين ١١٣٨ موظفاً وموظفة بنسبة ٣٣٫١٪ من مجموع الموظفين كما بلغ عدد الموظفات القطريات ٩٣٩ بنسبة ٥٠٫٢٪ من مجموع الموظفات .

وفى مجال الخريجين ـ فقد تخرج ١٢٧١ طالباً وطالبة من المرحلة الثانوية العامة والتخصصية من بينهم ٧٥٩ من القطريين والقطريات كما بلغ عدد الخريجات من المدارس الثانوية هذا العام ٦٦٢ طالبة منهن ٤٤٠ طالبة قطرية كما تخرج ٢٩١ من الجامعيين والجامعيات منهم ١١١ خريجاً وخريجة من طلاب الدراسات الجامعية فى الخارج ، ١٨٠ خريجاً وخريجة من جامعة قطر .

وفى مجال المبانى المدرسية فالوزارة تولى فى ذلك اهتماماً متزايداً من خلال خططها الطموحة والتى تهدف أساساً الى توفير كل الوسائل العلمية والكفيلة بتحقيق أهداف العملية التربوية فاحصائية المبانى المدرسية وحتى العام الدراسى الماضى ٧٩/١٩٨٠م كان ٨٥ للمرحلة الابتدائية ، ٣٠ للمرحلة الاعدادية العامة ، ١٩ للمرحلة الثانوية العامة ومبنى واحد لكل من المعهد الدينى ومدرسة الصناعة والتجارة وبالتالى فان عدد هذه المدارس قد وصل الى ٧٢ مبنى مدرسياً للبنين ، ٧١ للبنات

ومن خلال التزايد المطرد للاعداد المقبولة للتلاميذ ولكل المراحل فانه سيتم تسلم ٤٠ مدرسة تباعاً لكل المراحل وحسب خطة مرحلية وضعت على مدار سنتين .

وفى هذا العام تم اعتماد بناء ٢٠ مدرسة أخرى لمختلف المراحل للبنين والبنات

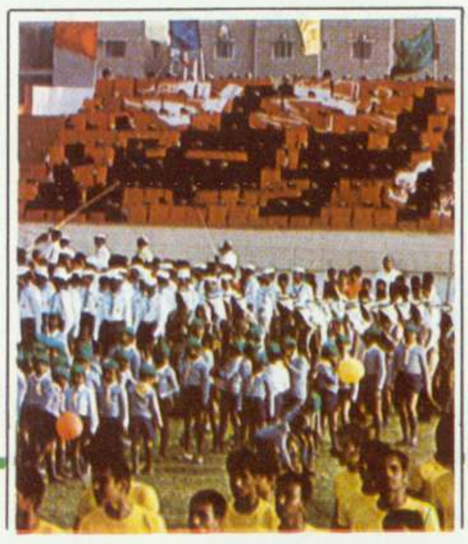
أما فيما يتعلق بالتعليم العالى فقد أصبح عدد طلاب البعثات الدراسية الجامعية والدراسات العليا فى خارج قطر ١١٦٧ طالباً وطالبة كما أصبح عدد طلاب وطالبات كليات جامعة قطر ٢٦٤٢ طالباً وطالبة وقد أولت الوزارة اهتماماً متزايداً بالدور المهم لمدارس محو الأمية وتعليم الكبار حيث أصبح عدد الدارسين والدارسات بمراكز محو الأمية وتعليم الكبار لهذا العام ٧٥٤٨ دارساً ودارسة بزيادة ٨٢٤ دارساً ودارسة عن عام ١٤٠٠ هـ ومن هؤلاء الدارسين ٥٠٠٧ دارساً ، ٢٥٤١ دارسة بزيادة ١٢٫٣٪ وهذه النسبة فى الزيادة تؤكد مدى الرغبة فى الانتظام بهذه المدارس والايمان المطلق بجدوى فاعليتها .

ويتناسب نمو واطراد حركة التعليم تناسباً طردياً مع الموازنة المالية التى خصتها الدولة للوزارة حيث وصلت الموازنة العامة للوزارة لهذا العام لتصبح أكثر من ألف مليون ريال قطرى بزيادة ٤٨٠٫٠٠٠ و ٢٤٨ ريال قطرى عن العام الماضى وتشكل هذه الزيادة نسبة ٣١٫١٪ من حجم الموازنة السابقة .

ويصاحب هذا التطور الكمى الاحصائى تطور نوعى للتعليم ليسيرا معا فى خطين متوازيين وهذا الجانب الفعلى تحمله مسئولو الوزارة فى جميع المجالات بحرصهم على استمرار العطاء والبذل وقد قامت الوزارة بتجارب رائدة فى المنطقة لعديد من المناهج الدراسية وفى استحداث مجالات جديدة للمشروعات التربوية بوضع سياسة استراتيجية متطورة لحركة التعليم فى قطر انطلاقاً من قرار مجلس الوزراء الموقر والذى تشكل تبعا لذلك لخطة عامة من معظم وزارات الدولة

برامج تأهيلية للمعلمين

أما برامج اعداد المعلمين حيث تتميز هذه البرامج بالتطور وفى ذلك فقد الغيت دار المعلمين والمعلمات ونظمت الوزارة مع كليتى التربية بجامعة قطربرامج تأهيلية للمعلمين ضمن الجامعة فى برنامج يشمل سنتين جامعيتين أو ٧٢ ساعة مكتسبه ، ولأول مرة فى تاريخ البلاد العربية التعليمى عملت الوزارة مع جامعة قطر على استحداث بكالوريوس التعليم الابتدائى ، كما نظمتا معاً عدداً من البرامج التأهيلية للمعلمين والمعلمات بمختلف فئاتهم ومراحلهم التعليمية وأقامت الوزارة فى ذلك عدداً كبيراً من الدورات التدريبية شملت الادارة ومدرسى المواد المختلفة لجميع المراحل .



الجيل الجديد .. أمل المستقبل

وهناك عديد من برامج التطوير كتطوير تصنيع الوسائل التعليمية محلياً وتطوير الامتحانات وافتتاح مراحل تعليمية أعلى فى القرى وتطوير البرامج الصحية المدرسية وقائياً وعلاجياً وتطوير برامج التوجيه التربوى الى غير ذلك من المشروعات التطويرية العديدة التى لا يتسع المجال لسردها .

وفى مجال الصحة المدرسية يجرى تطويرها لتشمل جميع التخصصات وتقوم بدورى الوقاية والعلاج بالاضافة إلى التثقيف الصحى واعداد بحوث ميدانية تخدم العملية التربوية .

وأيضاً افتتاح معاهد للتربية الفكرية والتربية الخاصة لرعاية أبنائنا المعوقين وامدادهم بالتعليم اللازم لحالات الأعاقة التى يعايشونها وقد وافق سمو الأمير المفدى على افتتاح هذه المعاهد والحمد لله

كما تولى الوزارة اهتمامها بافتتاح رياض الأطفال (حكومية) نظراً لأهمية هذه المرحلة كبيئة انتقالية بين المنزل والمدرسة

أيضاً تطوير تكنولوجيا التعليم واستخدام التليفزيون التربوى على نطاق واسع وقد بدأت الخطوات التمهيدية لهذا المشروع الحيوى الهام بالتعاون مع وزارة الأعلام وقد بدأ بالفعل انتاج البرامج التجريبية الأولى للتليفزيون التربوى من هذا يتضح مدى الانجازات التربوية المهمة التى حققتها وتحققها الوزارة فى جميع المجالات

وتدل على عظيم الرعاية والدعم الكريمين اللذين تحظى بهما التربية من لدى حضرة صاحب السمو الأمير المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وسمو ولى العهد الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني .

واننا اذ نعاهد الله سبحانه وتعالى على المضى فى هذا الاتجاه مخلصين لله المولى القدير أن يتعهد قيادتنا بالتوفيق والسداد .

محمد بن حمد آل ثانى



المساكن الشعبية





العمل الاجتماعي.. وأهدافه في خطة التنمية

بقلم علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

يحتل العمل الاجتماعى اليوم مكان الصدارة فى خطط التنمية حيث تخطى المفهوم الحديث تلك النظرة الاقتصادية الضيقة التى ترى فيه تراكماً للثروة والانجازات المادية الى معنى التنمية المتكاملة للثروات المادية والبشرية على حد سواء .

من هذا المنطلق لم يعد العمل الاجتماعى كذلك محصوراً ضمن إطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند مجرد الرعاية وتقديم الخدمات ، إنما أصبح عملا يرتكز على توفير الامكانيات والوسائل التى تكفل إنطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية الى أقصى قدر ممكن فى ظل رؤية واضحة للأهداف التى تحقق المستقبل المنفرد .

ولعل المهام التى تقوم بها وزارات العمل والشئون الاجتماعية فى تاريخنا المعاصر من أخطر المهام وأدقها فى حياة المجتمعات الحديثة لاتصالها الوثيق بمفردات الحياة اليومية وبمستقبل الغالبية العظمى من الشعوب .. فمن ضمن منظور الخدمات التى تؤديها هذه الوزارات نجد أن نشاطها يشمل العناية والرعاية للفئات ذات الأوضاع الخاصة كالعجزة والمسنين والمعوقين والأطفال والأمهات .. كما تشمل من جهة تحسين ظروف العمل للعاملين فى القطاعات المختلفة وتحسين مستويات المعيشة لهم والحفاظ على حقوقهم التى يكفلها القانون لهم ..

رفع الكفاءة الاجتماعية

وليست هذه هى المهمة الوحيدة أو الأساسية لوزارات العمل والشئون الاجتماعية بل هناك ما هو أكثر شمولا وعمقاً .. فعلى الصعيد الاجتماعى تقوم الوزارة بمسئولية تنمية النشاطات الجماعية من خلال انشاء المؤسسات الاجتماعية والأهلية التطوعية منها بصورة خاصة ودعمها وتوفير الامكانيات الفنية والفكرية التى تمكنها من القيام بدور ايجابى لصالح الفئات التى تعنى بها فى إطار عملية التنمية الاجتماعية .. أحد وجهى العملية للتنمية الشاملة .

وفى ميدان العمل لابد من ايجاد المناخ الذى يساعد على رفع الكفاءة الانتاجية وتحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى ظل علاقات سليمة ومستقرة بين طرفى الانتاج .. العامل وصاحب العمل .. أيضاً تتبع ما يجرى على الصعيدين الاقليمى والدولى فيما يتعلق بتشريعات العمل ونظمه وأساليبه وظروفه .

الضمان الاجتماعى

إنطلاقاً من هذه المفاهيم وبمراعاة أن المرحلة التى تمر بها البلاد مرحلة تاريخية تتطلب تكريس الجهود والامكانات للانجازات البناءة النافعة بغية تحقيق ما ينشده الجميع للوطن من تقدم وازدهار يمكن القول بان وزارة العمل والشئون الاجتماعية بدولة قطر تضطلع بمهام كبيرة .. إذ تتحمل مسئولية مباشرة فى مجالات العمل والاستخدام بمنهاج علمى سليم .. كذلك الرعاية الاجتماعية والشعبية والتعاونيات التى تقوم على تخطيط ودراسة

كما حاولت الوزارة منذ نشأتها أن ترسخ القوانين والأنظمة وتوضحها للمواطنين وتثبت مسارات تطبيقها وتنفيذها وتحدد آفاق عملها وتوجهاتها .. وقد حققت بذلك انجازات ملموسة فى كل منها .

ففى مجال الشئون الاجتماعية عملت الوزارة على تنظيم قسم الضمان الاجتماعى وتزويده بالمحققين والمحققات الاجتماعيات مما يسهم فى تحسين مستوى الأداء فى هذه الخدمة الهامة التى تقدمها الدولة للأرامل اللائى لا عائل لهن والمطلقات والأيتام والعاجزين عن العمل بسبب المرض أو الاصابة أو الشيخوخة ، على شكل معاش شهرى .. كذلك تقدم مساعدات شهرية أخرى

لبعض الأسر المنتفعة بشروطها والمكونة من رب العائلة وخمسة أفراد . وتقدر قيمة المساعدات التى صرفت خلال العام الماضى ٤٦،٤١٠،٩٩٠ ريالا قطريا .

المشاركة فى بناء المجتمع

وتعد مشاركة الفتاة القطرية فى بناء مجتمعنا المعاصر امرا ضروريا للمساهمة فى نهضة هذا البلد العزيز ومن أجل هذا الهدف السامى تم انشاء مركز التدريب والتأهيل الاجتماعى وذلك لتأهيل وتعليم الفئات التى تتقاضى مساعدات اجتماعية ولم تنل قسطا وافرا من التعليم وذلك بهدف ادماجهن فى المجتمع والاعتماد على انفسهن فى كسب رزقهن ومشاركتهن فى برامجه التنموية .. كذلك رفع كفاءة المرأة القطرية من خلال تعلمها مهنا وحرفا يدوية تتوافق وقدراتها الفطرية كالتفصيل والخياطة واشغال الابرة والأعمال المنزلية والتربية الاجتماعية والاقتصاد المنزلى .

وفى اطار التنمية الاجتماعية التى تقدمها الدولة لمواطنيها من خلال وزارة العمل والشئون الاجتماعية . صدر أول قانون للجمعيات الخيرية عام ١٩٧٤ وبموجبه تأسست الجمعية القطرية لرعاية المعوقين . وقد وافقت الدولة على أن يتولى المواطنون ادارتها بناء على الحماسة الشديدة التى أبداها البعض من المهتمين بالقضايا الاجتماعية العامة للاسهام والمشاركة فى الأعمال الخيرية .

وتهدف الجمعية الى توفير أكبر قدر من الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية للمعوقين القطريين وغيرهم من المقيمين على أرض قطر .. أيضاً الى توعية الجماهير بالمشاكل الاجتماعية والنفسية للمعوقين وطرق الوقاية منها وعلاجها وذلك بالتعاون مع الأجهزة الحكومية والمؤسسات الخاصة والعامة .

حق العمل

أما فى مجال العمل والاستخدام فقد عملت الوزارة من خلال ادارة العمل على السعى لتحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين وتمكينهم من ممارسة حق العمل فى ظل قوانين تحقق لهم العدالة الاجتماعية ومكافحة البطالة ورعاية العاطلين وفتح مجالات جديدة للعمل أمامهم .. أيضاً اهتمت الادارة بتنظيم جهاز التفتيش العمالى وتنميته حيث لا يقتصر عمل هذا الجهاز الهام على تأمين تنفيذ أحكام قانون العمل وإنما يتعدى ذلك ليشمل ارشاد كل من أصحاب العمل والعمال الى أفضل السبل لقيام علاقات صناعية طيبة بين طرفى الانتاج .. أيضاً الاشراف على اجراءات السلامة والصحة المهنية للعمال واتخاذ التدابير والاحتياطات فى أماكن العمل لضمان سلامة الأجهزة والمعدات ..

الاسكان الشعبى

وتسعى دولة قطر بصفة مستمرة الى تهيئة الظروف المعيشية الملائمة للمواطن القطرى .. وهى بهذا المفهوم تقدم كل جهد فى سبيل تحسين ورفع مستواه الصحى والاقتصادى والاجتماعى فوفرت له المسكن المناسب الذى يحقق له الاستقرار ويتناسب مع حجم أسرته وتقاليدها وعاداتها الاجتماعية .. إن نظام المساكن الشعبية التى تقدمها الدولة لذوى الدخل المحدود والعجزة من المواطنين لهو نظام فريد فى نوعه كما يتضح من المزايا والتسهيلات المتوفرة له .. إذ تمنح الدولة للمنتفع قطعة ارض تتراوح مساحتها بين ٦٤٠٠ الى ١٠٠٠٠ قدم مربع دون مقابل لاقامة المسكن الشعبى عليها كما تمنحه قرضاً بدون فوائد لبنائه يسدد على أقساط شهرية تتراوح مدتها ما بين ٢٠ ــ ٢٥ سنة حسب دخل المنتفع على أن يسدد ٦٠ ٪ فقط من قيمته . هذا اضافة الى أن الأجهزة المختصة فى الدولة وعلى رأسها وزارة الأشغال العامة تتولى اعداد الخرائط والمواصفات والمخططات اللازمة والاشراف على تنفيذ البناء .. كما تتولى توصيل الماء والكهرباء والمجارى بالشبكات الرئيسية دون مقابل . وفى النهاية تقدم الدولة للمنتفع عند تسليمه المسكن الشعبى منحة مالية قدرها عشرة آلاف ريال قطرى لتأثيثه ..

التدريب المهنى



أما فى حالة اصابة المنتفع بعجز كلى أو وفاته فانه يعفى أو ورثته من سداد أقساط القرض المتبقية عليه من تاريخ العجز الكلى أو الوفاة .

بالاضافة الى المساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود من المواطنين والعجزة ، قامت الدولة ببناء تجمعات سكنية تشبه المدن الصغيرة الحديثة يتجمع فيها سكان القرى الصغيرة القديمة المجاورة . وتتوفر فى هذه المدن الماء والكهرباء والمرافق الصحية الأخرى اضافة الى الشوارع والمدارس والمساجد والمراكز الطبية ووسائل الاتصال ومراكز الشرطة

الحركة التعاونية

تنفيذاً لسياسة الدولة التى تقضى بتشجيع التعاون بمختلف صوره والعمل على تنمية الحركة التعاونية ونشرها والاشراف على الجمعيات التعاونية تقوم الوزارة بمراقبة الجمعيات التعاونية الاستهلاكية القائمة وتقديم كافة المساعدات لها . كما تقوم بالدعوة الى انشاء المزيد منها وتشجيعها ودعمها . وقد وصل عدد الجمعيات القائمة والمنتشرة فى مختلف أنحاء الدولة ست جمعيات بعضها تم افتتاحه والبعض الآخر فى الترتيبات النهائية لذلك .. كما تتضمن الخطة المقترحة بناء ثلاث جمعيات تعاونية أخرى فى المناطق الجديدة

مع كل ما تقدم .. فان وزارة العمل والشئون الاجتماعية بدولة قطر تدرك أنه لايزال أمامها الكثير للقيام به لأن العمل الاجتماعى لا ينتهى عند هدف معين إذ أن ذلك الهدف هو حلقة فى سلسلة لا تنتهى من الأهداف المتجددة والتى تفرضها طبيعة تطور المجتمع والنظام والمؤسسات الاجتماعية ومتطلبات الحياة .. لذلك تحرص الوزارة على متابعة ما يجرى على المسرحين العالمى والاقليمى عن طريق حضور المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية التى تعقد على المستوى الدولى أو العربى كذلك مع جمع البيانات المختلفة المتعلقة بالعمل والاسكان والشئون الاجتماعية والتعاونيات لدراستها ونشرها للاستفادة منها محلياً . المهم هو أن تكون الرؤية واضحة والهدف محدداً والخطة سليمة وأداة التنفيذ جاهزة وهذا ما نصبو اليه وفقنا الله جميعاً .

علي بن أحمد الأنصارى

٢٢ فبراير.. والسياسة الإعلامية في قطر

بقلم عيسى غانم الكواري
وزير الإعلام

يحتل الاعلام فى بناء الدول المعاصرة مكانة هامة . فهو عنصر من أكبر العناصر التى يقوم عليها بناء الحضارة الحديثة خاصة بعد أن تعددت أجهزة الاعلام وتطورت ، وأصبحت تستقبل كل يوم اضافات جديدة ، تخرج من المصانع ، بعد أن تبتكرها العقول المتخصصة البارعة . واذا حاولنا أن نتابع الاختراعات الحديثة المتقدمة ، وجدنا أن أكثرها وأخطرها إنما يتم فى مجال «السلاح» ثم فى مجال الأجهزة الاعلامية ذلك لأن الدفاع عن النفس وحماية البقاء يتطلبان من الانسان أن يدافع بالسلاح عن وجوده المادى ويدافع بوسائل الاعلام المختلفة عن وجوده المعنوى والحضارى ومن هنا كان تطوير الاذاعة والتلفزيون والصحيفة والمجلة هدفاً أساسياً من أهداف الحضارة الحديثة ، تماماً مثل تطوير الدبابة والصاروخ والغواصة والطائرة والمدفع ، بل إن كثيراً من الأجهزة المتطورة مثل القمر الصناعى قد أصبحت تعمل - عند الدول الكبرى - فى المجال العسكرى والمجال الاعلامى فى نفس الوقت . فهى جهاز عسكرى وجهاز اعلامى معاً .

ولو أننا حاولنا أن نتلفت حولنا فى عالمنا المعاصر ، لنعرف حدود الحركة فى هذا العالم ، لوجدنا الاعلام يحظى من القوى الكبرى جميعاً باهتمام بالغ ، وحتى لو أردنا أن نعرف شيئاً عن القوة التى يعتمد عليها اعداؤنا فى شن حربهم علينا ، فاننا سوف نجد الأعداء يبذلون الغالى والرخيص فى سبيل دعم اعلامهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، والنماذج كثيرة متعددة ، فالاعلام الصهيونى هو السلاح الأول الذى تستخدمه الحركة الصهيونية فى أوروبا وأمريكا وغيرهما من القارات لكسب الرأى العام العالمى ، ولتثبيت المعلومات



والأفكار التى تريد الصهيونية نشرها دفاعاً عن اسرائيل وهجوماً على العرب ، والسيطرة الصهيونية على الصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما ودور النشر معروفة للجميع ، وقد شكا منها بعض زعماء أمريكا أنفسهم كما فعل «روكفلر» الكبير فى كتابه المشهور «اليهودى العالمى» ، بل إن هذا الكتاب نفسه لم يكد يظهر ، حتى اختفى من الأسواق وأصبح وجوده فى أيدى القراء عسيراً بسبب ما يكشفه عن الصهيونية من حقائق . لقد تعرض هذا الكتاب للحرب وتمت مصادرته عن طريق شرائه من الأسواق كلما ظهرت منه نسخة أو طبعة جديدة .

وما يقال عن هذا الكتاب يقال عن آلاف البرامج الاذاعية والأفلام التلفزيونية والسينمائية . ومقالات الصحف والمجلات ، بل وحتى أشرطة الأغانى والموسيقى ، والملصقات الاعلانية .

ولو خطونا خطوة أخرى لنتأمل فيما يقدمه الينا الواقع والتاريخ . فاننا نجد ان اذاعة «ب.ب.سى» بموجاتها الموجهة الى العالم كله تمثل قوة تأثير عالمية بالغة الأهمية والخطورة بالنسبة لبريطانيا . وقديماً كانوا يقولون ان شكسبير أهم لبريطانيا من كل جيوشها ، لأن شكسبير كان ينشر اللغة الانجليزية فى شتى أنحاء العالم ، ويخلق عاطفة كبيرة حوله . تعود بعد ذلك بآثارها الطيبة الى بلاده ، وحديثاً يمكننا أن نقول ان الـ «ب . ب . سى» وشكسبير معاً هما اللذان ينشران التأثير البريطانى فى العالم ، وهما معاً أهم لبريطانيا من أية قوة عسكرية .

تلك كلها حقائق نخرج منها بأن العصر كله يعتبر الاعلام سلاحاً بالغ الأهمية والخطورة .

وعندما بدأت نهضة قطر الحديثة . بعد أن تولى سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى سلطاته الدستورية فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٢ ، وقانون التقدم والتطور والعمران والتحضر هو الذى يحكم كل حركة فى البلاد ، ذلك لأن أمير البلاد المفدى أخذ منذ اللحظة الأولى لتسلمه سلطاته الدستورية يعمل ليلا ونهاراً من أجل أن تصبح قطر قطعة من الحضارة العربية العصرية الحديثة . على أساس راسخ من مبادىء الاسلام والعروبة ، واعتماداً على كل ما هو جيد ومتقدم ومشروع فى وسائل الحضارة فى القرن العشرين .

ولقد وضع أمير البلاد المفدى أمام جميع أجهزة الدولة مبدأ سامياً هو العناية بالانسان فى قطر ، فترقية الانسان وسعادته ورخاؤه ، وتوسيع امكانياته العلمية والمادية والحضارية هو الهدف الأكبر الذى تعمل من أجله أجهزة الدولة فى قطر بتوجيه من أمير البلاد المفدى .

«الثروة من أجل الانسان وليس الانسان من أجل الثروة» .

تلك هى رؤية سموه السديدة لتوظيف الثروة الحقيقية ، والقاعدة المنطقية

الصحيحة للاستثمار الذى يكمن فى الانسان القطرى وفى خلق كوادر قطرية فعالة وقادرة على تحقيق خير انتاج من أجل مستقبل مشرق مزهر .

فمنذ بداية الانطلاقة المباركة فى بناء هذا البلد العزيز وتشييد نهضته الحديثة واعلاء صروحه التى أرست أسسها يد سموه البيضاء ، كان النهج الذى اتبع ، استرشاداً بتوجيهات سمو الأمير ، لتحقيق دولتنا الفتية فى شتى المجالات الثقافية والاجتماعية والصناعية والسياسية والادارية وغيرها ، يقوم على تنمية دعامتنا الوطنية الأساسية الأولى وهى الانسان القطرى جنباً إلى جنب مع تنمية الدعامة الأساسية الثانية وهى الاقتصاد الوطنى .

إننا ، ونحن فى عنفوان انطلاقنا فى حركة إنمائية نشطة للحاق بركب العالم الحاضر وارتياد آفاق التقدم الانسانى المعاصر ، لا نغفو لحظة عن حفاظنا على أصالتنا الدينية وتمسكنا بتعاليمنا الاسلامية وتعلقنا بمبادئنا القومية وتراثنا الأصيل وشخصيتنا العربية .

ويصدق هذا كله على الاعلام القطرى فمنذ عام ١٩٧٢ وحتى الآن نهضت قطر اعلامياً بخطى واسعة التقدم ، مستنيرين في ذلك بنظرة سموه الاعلامية الثاقبة ومحاولين - قدر المستطاع - أن نحقق الأهداف التى يتطلع اليها ابناء وطننا العزيز غير مدعين الكمال الذى هو لله تعالى ... فانطلقت الاذاعة والصحافة والتلفزيون ووكالة الأنباء القطرية . والمطبوعات والنشر والثقافة والفنون والسياحة والاثار ، بقوة الى الامام حتى أصبحت هذه الأجهزة الاعلامية فى مقدمة اجهزة الاعلام فى منطقة الخليج وفى الوطن العربى . ورفعت هذه الأجهزة - بالحق والعدل - صوت قطر عالياً ، فاصبح الصوت القطرى مسموعاً ومطلوباً ، تميل اليه القلوب والعقول فى الداخل والخارج .

وبتوجيه سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى يعمل الأعلام فى قطر على أساس راسخ من هذه المبادىء :

فهو اعلام لا يتخلف من ناحية الامكانيات عن كل ما يبتكره العقل الانسانى من جديد فى هذا العصر ، لأن التخلف عن الأجهزة الجديدة المتقدمة ، يؤدى فى النهاية الى تخلف فى التأثير والوصول الى الرأى العام بطريقة سليمة

وهو اعلام يمضى فى طريق الصدق والموضوعية ، وليس اعلاماً يقوم على الخداع والتلفيق والمبالغة ، فالاعلام فى العالم كله مدرستان احداهما تفتعل وتثير وتتسلل بالأوهام وتحاول ان تكسوها أمام العقول بثوب شفاف وخادع ، هذه مدرسة فى الاعلام .

أما المدرسة الأخرى فيقوم الاعلام فيها على الصدق واحترام العقل الانسانى ، والايمان بان الحقيقة هى الاساس فى كل ما تقدمه الأجهزة الاعلامية حتى لو كان وصول هذه الحقيقة بطيئاً الى الناس . ولكن الحقيقة فى آخر الأمر هى التى تبقى وهى التى تعيش .

وأفضل مثال على ممارسات المدرسة الأولى هو واقع مر المذاق يعيشه حالياً عالمنا العربى بشكل عام ، والبلدان العربية المنتجة للنفط بوجه خاص ، حيث نواجه تحديات اعلامية هائلة وحملات مسعورة بل قل حرباً اعلامية صليبية تشنها اجهزة الاعلام فى الدول الصناعية وخاصة الغربية - تقودها فى ذلك الصهيونية - بغية تشويه صورتنا امام العالم محاولة القاء اسباب ما يسمى بأزمة الطاقة العالمية وما قد يستتبعها من اضطرابات مالية واقتصادية واجتماعية على عاتقنا .

ومن أجل خدمة القضايا العربية المصيرية ونصرة الحقوق العربية العادلة فقد بات لزاماً على العرب ايجاد خطة متكاملة للتصدى لهذا المد الاعلامى الصليبى تستند الى تضامنهم وتؤكد عناصر تقاربهم وتعمل على نبذ خلافاتهم وتفرقتهم ، مع الاخذ بالنواحى العصرية من علم وتكنولوجيا وابراز معطياتهم الاقتصادية على خير وجه .

وعلى هذا الاساس فقد جرت ولا شك محاولات جادة للتنسيق الاعلامى بين الدول العربية . وان اكثر هذه المحاولات ايجابية وتكملة للعمل الاعلامى العربى المشترك هى تلك التى كانت ، ولا تزال ، تقوم بها الدول الخليجية العربية فيما بينها ، وقد قطع التنسيق الاعلامى الخليجي المشترك مرحلة بعيدة المدى ، مترجما احدى ركائز التعاون بين الدول الموقعة على وثيقة انشاء مجلس التعاون الخليجى ، الى واقع ملموس .

وتأكيداً على سلامة البداية وصحة الاساس ليس هناك أفضل من الاستشهاد بكلمات سمو أميرنا المفدى حين قال «ان انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية يشكل تعبيراً ايجابياً صادقاً عن عمق الروابط التاريخية والمصيرية التى تجمع شعوب هذه المنطقة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الوطن العربى الاسلامى الكبير ، ودليلا واضحاً على تصميمها على سلوك انجع الطرق لبلوغ امانيها فى الفوز بأوفر قسط من القدرة الذاتية اللازمة لدعم كيانها وضمان تقدمها وشامل نهضتها وتوفير أسباب ما تصبو اليه من الأمن والاستقرار والعزة والمنعة ، ويؤهلها بالتالى للقيام بدورها الذى تحرص كل الحرص على ادائه كاملا فى شد ازر التضامن العربى الاسلامى بما يعود بالخير العميم على أمتنا العربية الاسلامية وامن وسلام العالم اجمع» .

والاعلام القطرى بعد ذلك كله يقوم على مفهوم «الحرية» وهى حرية لا تقترب من حدود الفوضى ولا تختلط بها على الاطلاق ، فهنا فى قطر شعب مسلم عربى خليجى له تراثه الزاهر ، ومبادئه الراقية وعقيدته الراسخة ، ومن هذا كله ينبع مفهوم الحرية التى نحرص عليها ، ونحرص على ان تكون حرية ايجابية تفتح المجال للابداع والتطور والنهوض

كل ذلك يتم فى اطار السياسة التى رسمها أمير البلاد المفدى ، وبتوجيهه وعنايته ، وبايمانه الذى لا يتزعزع بالعمل على نهضة قطر حتى تصبح قوة للاسلام والعروبة ولكل القضايا العادلة فى العالم .

ومن هنا كان يوم ٢٢ فبراير ، فى حياة قطر يوماً عظيماً ، بدأت منه قوة العقيدة والحضارة على ارض قطر فى مسيرتها نحو التقدم والنهوض ... وما زالت القوة الكامنة فى هذا اليوم تمضى فى طريقها المضىء ، وستظل حتى تتحقق الامال الكبيرة المعقودة على القائد الاب حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وقائد نهضتنا المباركة وسنده الأكبر سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي عهده الأمين .

عيسى غانم الكوارى



مصنع الحديد والصلب

٢٢ فبراير
٩ سنوات مضيئة في حياة قطر



لمحات عن: النهضة الزراعية والصناعية

بقلم المهندس أحمد عبد الرحمن المانع
وكيل وزارة الصناعة والزراعة

يسرني في هذه المناسبة العزيزة أن ألقي الضوء على النهضة الصناعية والزراعية في البلاد عبر سنوات مسيرة الخير بقيادة سمو أمير البلاد المفدى الذي كرس الجهد منذ اللحظة الأولى لتوليه مقاليد الحكم للعمل على تنويع مصادر الدخل القطري باعتبار ذلك أساساً استراتيجياً للتنمية الشاملة

وفي اطار تلك الاستراتيجية، تحددت المعالم الأساسية لسياسة التنمية الزراعية بدولة قطر، وفي محاولة شديدة الايجاز نجد أن المردود الاقتصادي والحضاري لسياسة دولة قطر في تقديم الدعم المادي للمزارع الجديدة والقائمة، وتقديم الخدمات ومستلزمات الانتاج الزراعي ومقاومة الآفات، قد أدى الى اتساع المساحة المحصولية من ١٨ ألف دونم في عام ١٩٧١ الى ٣٧ ألف دونم حالياً، وذلك على الرغم من محدودية الموارد الزراعية

وهكذا اتضح أثر السياسة الزراعية في خلق مجتمع مستقر تتوافر له موارد دائمة لاحتياجاته الأولية من المواد الغذائية، ويكفي أن نعلم أن انتاج الخضروات المحلية يغطي حالياً ٧٠٪ سبعين بالمائة من الاحتياجات السكانية.

ولم تقف أساليب التنمية الزراعية القطرية عند حدود التوسع الأفقي والرأسي للانتاج الزراعي النباتي من خضروات وفاكهة، بل امتدت أيضاً لاقامة عدد من المشاريع الحكومية الرئيسية للهياكل الارتكازية للنهضة الزراعية ليكون لها الريادة والحافز أمام القطاع الخاص لخوض نشاطاته والقيام بدوره الوطني

فقد أنشأت الدولة المؤسسة القطرية العامة للدواجن لتلبية احتياجات السكان من لحوم الدواجن والبيض والتقليل من درجة الاعتماد على الدول الأجنبية في استيراد هذه المنتجات.

ومن البديهي أن يمر أي مشروع جديد ببعض الأخطاء الفنية والادارية ويحاول أن يصحح مساره في ضوء التجربة الواقعية للممارسة. وقد بلغ انتاج مؤسسة الدواجن القطرية في العام الماضي حوالي ستة ملايين بيضة تغطي ١٢,٣ ٪ من احتياجات السكان، كما أمكن انتاج ستة ملايين دجاجة لحم تغطي ١٢,٦ ٪ من الاحتياجات السكانية وتساهم في دعم اقتصاديات المواطن القطري الكريم حيث تباع بأسعار محددة ربما تساوي تلك الأسعار السائدة للمنتجات الأجنبية المستوردة • ولكن النوعية القطرية ثبت بالدليل القاطع أفضليتها على تلك المستوردة ولو شاءت الدولة أن تترك أسعارها تتحدد طبقاً لتفاعل قانوني العرض والطلب لارتفعت أسعارها الى حد كبير.

وأود أن أشير بهذا الصدد الى أن العمل جار لازالة الاختناقات في انتاج المؤسسة للوصول بطاقاتها الانتاجية الى عشرة ملايين بيضة سنوياً وانتاج مليون دجاجة لحم سنوياً، اضافة الى أن هناك دراسة لمضاعفة الانتاج مرتين على الأقل وتشجيع القطاع الخاص في الدخول الى هذا الميدان.

كذلك أنشأت الدولة مزرعة الأغنام "بأبو سمرة" بتكاليف وصلت الى حوالي ١٦ مليون ريال قطري، وهي أيضاً من المزارع الارشادية الرائدة التي تستهدف تنمية الثروة الحيوانية بدولة قطر من خلال تقديمها لامهات جيدة الصفات للمنتجين الزراعيين وسوف تصل الطاقة الانتاجية لمزرعة الأغنام ١٣ ألف رأس سنوياً في غضون السنوات القليلة القادمة باذن الله

ومن بين المشاريع الرئيسية للهياكل الارتكازية للنهضة الزراعية أيضاً أنشأت الدولة الشركة القطرية لصيد الأسماك لتلبية احتياجات السكان من هذه البروتينات المفضلة لدى المستهلك القطري، وللاستفادة من المساحة الاقليمية البحرية الكبيرة المحيطة بشبه الجزيرة القطرية. وقد أصبح الانتاج القطري من الأسماك يغطي ٩٢٪ من الاحتياجات السنوية للسكان.

البيوت الزجاجية

وفي اطار بناء الهيكل الارتكازي للنهضة الزراعية بالبلاد، قامت الحكومة باستيراد أحدث المعدات الزراعية اللازمة لجميع العمليات المزرعية بدءاً من تسوية التربة وحرثها وتخطيطها وآلات الزراعة ومقاومة الآفات والحصاد. ولقد ساهمت تلك المعدات في انجاز العمليات الزراعية بالسرعة المطلوبة للانتاج الزراعي الذي يتطلب أداءها في أوقات محددة لا يمكن تجاوزها. كما ساهمت الميكنة الزراعية أيضاً في تخفيف عبء التكاليف الزراعية على المنتجين الزراعيين.

وقامت الدولة أيضاً بانشاء عدد من البيوت الزجاجية (الزراعية المحمية) وهى خطوة رائدة ومشروعاً مطروحاً ومقترحاً بأن يساهم القطاع الخاص فى انشاء مثل هذه الزراعة الكثيفة، فالبيوت الزجاجية هى الحل والبديل المطروح حالياً للتنمية الزراعية فى البيئات القاحلة، ولكننى أود أن أضيف الى أن الجدوى الاقتصادية لهذه المشروعات مازالت قيد الدراسة بالوزارة وسوف تعلن نتائجها بكل موضوعية عندما تستكمل.

كما قامت بانشاء مزرعة التجارب الحكومية حيث يجرى فيها انتاج الشتلات والتقاوى اللازمة لمحاصيل الخضر والفاكهة

ولما كانت مساحة البرسيم فى أرض قطر كبيرة بالاضافة الى اتساع رقعة الفاكهة ولا سيما الحمضيات، فقد أنشأت الوزارة منحلا لانتاج عسل النحل وهو أيضاً من المشروعات الارشادية الرائدة.

وفى اطار استكمال البنية الأساسية للتنمية الزراعية أنشأت الدولة المستشفى البيطرى المركزى وعدداً من العيادات البيطرية فى مختلف مناطق التجمعات الحيوانية لتغطية الخدمة البيطرية المكثفة من أجل ضمان بقاء ونمو قطعان الثروة الحيوانية.

ومما لا شك فيه، فان استراحة الشحانية بما تحويه من قطيع نادر من الغزلان والمها قد أصبحت علامة سياحية هامة يؤمها الباحثون والزوار من مختلف أنحاء العالم كما أن مشروع منتزه الخور الذى قامت الوزارة بانشائه بناءاً على تعليمات رائد النهضة الأمير المفدى يعتبر متنفساً رائعاً لسكان قطر.

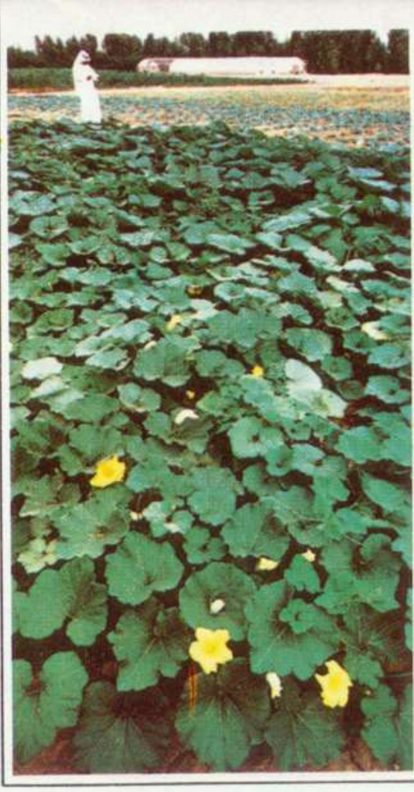
التنمية الصناعية

وفى ظل استراتيجية الدولة لتنويع مصادر دخلها، تحددت أيضاً المعالم الأساسية لسياسة التنمية الصناعية

وبفضل الله وتوفيقه فقد شهدت البلاد خلال السنوات التسع الماضية نهضة صناعية تمثلت فى اقامة عدد من المؤسسات الصناعية ومنها:

١ – شركة قطر للحديد والصلب المحدودة (فاسكو):

وتبلغ تكلفة انشاء هذا المصنع ألف ومائة مليون ريال قطرى، وتبلغ الطاقة الانتاجية للمصنع حوالى أربعمائة ألف طن من القضبان الحديدية سنوياً. ويتكون المصنع من ست وحدات أساسية



المزارع الخضراء.

٢ – شركة قطر للاسمدة الكيماوية (كافكو):

وتضم هذه الشركة مصنعين، يسمى الأول قافكو ١، والثانى قافكو ٣.

قافكو ١: أنشىء هذا المصنع بأم سعيد لانتاج الأمونيا واليوريا وقد بلغت تكاليف انشائه ٣٥٠ مليون ريال قطرى وتبلغ الطاقة الانتاجية لهذا المصنع ألف طن من سماد اليوريا يومياً بالاضافة الى ثلاثمائة طن من الأمونيا.

قافكو ٣: وتبلغ الطاقة الانتاجية له حوالى تسعمائة طن من الأمونيا وألف طن من اليوريا يومياً، وقد بلغت تكاليف انشائه ٩٥٠ مليون ريال قطرى.

٣ – مصفاة البترول:

وقد أنشئت هذه المصفاة لكى تقوم بجميع عمليات تكرير الزيت الخام وتوزيع المنتجات البترولية محلياً. وقد بلغ انتاج مصفاة هذه الشركة تسعة آلاف وخمسمائة برميل يومياً، ونظراً للزيادة المضطردة فى استهلاك البلاد من المنتجات البترولية بالاضافة الى غرض التصدير فقد بدأ العمل على انشاء مصفاة جديدة للبترول بجوار المصفاة الحالية وبطاقة انتاجية قدرها خمسون ألف برميل من الزيت الخام يومياً.

٤ – شركة قطر الوطنية لصناعة الاسمنت:

تبلغ طاقة المصنع الكلية حوالى أكثر من ألف طن يومياً، ومن المستهدف زيادة طاقته الانتاجية فى المستقبل

وتلبية لاحتياجات مصنع الحديد والصلب من الحجر الجيرى، وكذلك لسد حاجة البلاد من هذه المادة كاحدى مواد البناء فقد تم انشاء فرن لانتاج الجير الحى بطاقة انتاجية تبلغ حوالى ٣٠ ألف طن سنوياً.

٥ – مصنع السماد العضوى من القمامة:

أنشىء هذا المصنع لتحويل القمامة الى سماد عضوى وتبلغ طاقته الانتاجية حوالى مائة طن يومياً، كما أنه جار دراسة امكانيات توسعته. وقد بلغت التكاليف الكلية لهذا المصنع حوالى ٢١ مليون ريال قطرى.

٦ – مصنع البتروكيماويات:

وقد تقررانشاء هذا المصنع لانتاج الايثيلين من مزيج الغازات المتبقية من مصنع استخلاص سوائل الغاز الطبيعى. وتبلغ الطاقة الانتاجية لهذا المصنع حوالى ٢٨٠ ألف طن من الايثيلين سنوياً بالاضافة الى ١٤٠ ألف طن سنوياً من مادة البولى ايثيلين، وحوالى ٤٦ ألف طن من الكبريت، وخمسة آلاف طن من البروبيلين.

٧ – مشروع سوائل الغاز الطبيعى:

والهدف الرئيسى من انشاء هذا المصنع هو انتاج الغازات الكثيفة باستخلاصها من الغازات المصاحبة المنتجة من حقل دخان، ومن المقرر أن تكون الطاقة الانتاجية اليومية لهذا المشروع حوالى ١٢٠٠ طن يومياً من البروبان، ٧٥٠ طن من البيوتان، ٤٥٠ طناً من البنزين الطبيعى. كما أن الدولة جادة فى استغلال حقل الغاز الضخم فى الشمال والذى سيكون له دور عظيم فى مستقبل هذه البلاد.

٨ – مطاحن الدقيق:

أنشئت هذه المؤسسة لتلبية الاحتياجات القطرية من دقيق القمح فقد تضمنت وحدات المؤسسة صوامع لتخزين القمح سعتها الحالية ١٧ ألف طن أى ما يكفى استهلاك السكان

٩ – مصنع تجميد الروبيان:

هو أحد الوحدات الانتاجية بشركة قطر الوطنية لصيد الأسماك، وتبلغ طاقته الانتاجية عشرة أطنان يومياً.

هذه بعض لمحات من النهضة الصناعية والزراعية فى قطر فى عهد أميرها المفدى.

أحمد عبد الرحمن المانع



الرعاية الطبية داخل المستشفيات





الصحة والنفس والبيئة

بقلم الدكتور عمر حشيشو

مدير الخدمات الطبية

قطعت دولة قطر أشواطاً بعيدة فى مسيرتها ببرامج النهضة الواسعة فى مختلف المجالات الثقافية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، العمرانية والصحية .. وفى اطار هذا التطور الشامل كان للصحة النصيب الأكبر من اهتمام الدولة ايماناً منها بأن صحة الفرد هى دعامة هذه النهضة التى تشهدها البلاد .

والصحة كما عرفتها منظمة الصحة العالمية .. «هى حالة السلامة والكفاية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة ، وليست مجرد الخلو من المرض أو العجز» . وهذا يعنى أن الصحة يجب أن تكتمل بمظاهرها الثلاثة .. البدن والنفس والبيئة ، على أن لا ننتظر اختلال أحد هذه العناصر أو بعضها حتى نقوم بالمعالجة .. بل يجب وقاية الانسان من الأسباب التى تسبب المرض وقاية عامة وشاملة لكل عنصر من العناصر السابقة حيث يعكس كل منها أثره على الآخر فيسبب حالة المرض .

من هذا المنطلق ، كان من أهم مسئوليات وزارة الصحة العامة العمل على رقابة صحة البيئة كتأمين المياه الصالحة للشرب وحماية الأرض ، ومراقبة التلوث ، وتأمين المسكن الصحى ومحاربة عوامل انتقال الأمراض المعدية ، وسلامة الأغذية ، ورفع مستوى الصحة العامة وتوعية المواطن بعناصر الغذاء الكاملة ، ورعاية الطفولة والأمومة ، ومحاربة تفسخ الروابط العائلية فى المجتمع وما ينتج عنها من أضرار عقلية ونفسية ، وتخفيض نسبة الوفيات بين الأطفال والمواليد ومراقبة النظافة العامة مع رفع مستوى النظافة الشخصية والعمل على إزالة الأمراض المستوطنة ونشر الوعى الصحى بين المواطنين

رعاية الأمومة والطفولة

ولوزارة الصحة العامة خطة شاملة ذات استراتيجية مستقبلية متطورة تقدمها من خلال إدارة الصحة الوقائية ومن خلال مستشفيات الدولة وعياداتها ومراكز الرعاية الصحية الأولية وذلك عدا الحملات الصحية الخاصة فى مجالات التطعيم وسواه ..

وعلى رأس الخدمات التى تقدمها وزارة الصحة العامة بدولة قطر خدمات رعاية الأمومة والطفولة إيماناً منها بان رعاية الطفل فى سنواته الأولى هى الدعامة الأساسية التى يشب بها صحيح الجسم والعقل متمتعاً بالحب والحنان والأمان فى إطار أسرى سليم مع تأمين البيئة الصحية المناسبة وتوفير الرعاية الصحية اللازمة .. كل ذلك لا يقتصر على الطفل وحده بل تتجه هذه الرعاية الى الأم والطفل معاً باعتبار أنهما يمثلان وحدة بيولوجية واحدة .

رعاية خاصة للصحة المهنية

وقد كان للتطور الصناعى الهائل الذى تشهده البلاد فى ميدان الصناعات الثقيلة وصناعة البتروكيماويات ومواد البناء والطفرة العمرانية آثار واضحة على البيئة المجاورة بسبب التلوث من فضلات المصانع وإفرازات الصناعات ونفاياتها مما أصبح يهدد الزرع والضرع والبيئة البحرية والهوائية .. لهذا فقد أولت وزارة الصحة العامة موضوع الصحة المهنية أولوية كبيرة فى برامج تطور الخدمات الطبية فأنشأت قسماً خاصاً بالصحة المهنية عهد اليه بمسئولية الاشراف على صحة العاملين فى الصناعات والمهن المختلفة وحماية البيئة من التلوث .. ويقوم المسئولون بادارة الصحة الوقائية بزيارات ميدانية للمصانع للتعرف على المشاكل الصحية التى تواجه العاملين سواء كانت أمراضاً مهنية أو اصابات عمل ، ووضع الخطط والنظم لمكافحتها عن طريق مراقبة تطبيق وسائل السلامة فى أماكن العمل للحفاظ على مقومات الانتاج ..

الرقابة على الأغذية ومياه الشرب

ولما كانت دولة قطر تعتمد على استيراد معظم المواد الغذائية من

الخارج . كان لابد من الاهتمام برفع مستوى جهاز مراقبة الأغذية وتزويده بالمفتشين الصحيين المؤهلين بعـــد تدريبهم نظرياً وعملياً وذلك لضمان وصول المواد الغذائية ســليمة الى المستهلك إذ أن الغذاء الصحى هو عنصر أساسى وجوهرى للمحافظة على صحة الفرد وبالتالى المحافظة على مجتمع خال من الأمراض التى تنقلها الأغذية فى حالة تلوثها بالجراثيم أو السموم . لذلك فان جهوداً مضنية بذلت وكللت بالنجاح ولاتزال تبذل فى سبيل اتباع خير الطرق وأسلمها فى مراقبة الأغذية المستوردة تقوم بها وزارة الصحة العامة بالمشاركة مع وزارة البلديات . وفى هذا المجال أشاد خبراء منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة الدوليين بالجهود المبذولة من قبل وزارة الصحة العامة بدولة قطر .. والتى يقوم بها مختبر الصحة العامة وتشمل تحليل عينات الأغذية التى يجمعها مفتشو الصحة فى البلدية من الأسواق والمحلات العامة ومفتشو صحة الموانىء من الأغذية المستوردة معلبة وطازجة .. كما يقوم بتحليل السموم البكتيرية والمبيدات فى حالات التسمم الغذائى .. كما يقوم باجراء الفحص الكيماوى البكتريولوجى لعينات يومية لمياه الشرب تجمع من مناطق متفرقة للاطمئنان على سلامتها من الناحية الصحية .

الرعاية الصحية الأولية لكل مواطن

وانطلاقاً من وعى الدولة وادراكها بأن صحة المواطن هى أمر حيوى لاستمرار فعاليته بما يحقق تطور ونمو البلاد وإزدهارها ، قررت مد قاعدة الخدمات الصحية بحيث تغطى جميع المواطنين والقاطنين على أرض قطر على حد سواء

.. فبدأت وزارة الصحة العامة باقامة نظام الرعاية الصحية المتكاملة على مستوى الدولة وأنشأت لذلك ١٦ مركزاً صحياً وزعت جغرافياً على جميع أنحاء البلاد .. وتقدم هذه المراكز خدمـــات أساسية مبنية على نظرية تقديم خدمات طبيب العائلة والخدمات الصحية المتكاملة بجوانبها المتعددة

خدمات المستشفيات

ويوجد بدولة قطر إضافة الى المراكز الصحية المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد مستشفى الرميلة بمدينة الدوحة .. ويعتبر هذا المستشفى صرحاً طبياً عاماً يحوى ٤٧٢ سريراً موزعة على كافة الأقسام : جراحة . أمراض باطنية . أطفال . عيون . أنف وأذن وحنجرة . الكسور والاصابات وقسماً كبيراً للطوارىء .. كما يوجد بها وحدة للعناية المركزة لعلاج جميع الاصابات الخطيرة التى تصل نتيجة حوادث السيارات والحالات الجراحية الصعبة التى تحتاج الى عناية فائقة .

ويلحق بمستشفى الرميلة أيضاً أقسام العيادة الخارجية وعيادة الأسنان التخصصية والمؤلفة من أربع غرف .. كما أضيف اليها وحدة حديثة لمعالجة اصابات الحروق مؤلفة من ١٢ سريراً ومجهزة بأحدث ما توصل اليه العلم الحديث من معدات متطورة لقياس ومراقبة حالات المرض . وتعتبر هذه الوحدة الأولى من نوعها فى العالم العربى من حيث الحداثة والتطور العلمى المجهزة به وطريقة المعالجة المتبعة بها التى تقوم على المعالجة بالماء العادى والملح بتركيز معين وهى من ابتكار أول أخصائى استشارى قطرى المسئول عن هذه الوحدة . كما تضم المستشفى وحدة علاج مركز أخرى لأمراض القلب إضافة الى وحدة ثالثة لأمراض القلب الحادة يتبعها عيادة متخصصة مجهزة بأحدث الوسائل العلمية الحديثة . إضافة الى وحدة ثالثة للعناية المركزة للامراض الباطنية . وسوف يتم خلال هذا الشهر افتتاح قسم مؤقت للكلى الصناعية لمعالجة حالات

الأجهزة الطبية الحديثة



توقف عمل الكلى المزمنة والحادة .

ويوجد بمدينة الدوحة عاصمة دولة قطر أيضاً مستشفى الدوحة العام الذى يقدم خدماته لمرضى الأمراض المزمنة ، والأمراض الصدرية ، وبعض الأمراض النفسية والعقلية ، ويضم قسماً خاصاً بالأطفال المعوقين .. كما يوجد مستشفى خاص بأمراض النساء والولادة يقدم العلاج والعمليات الجراحية اضافة الى جناح خاص للتوليد وآخر للأطفال حديثى الولادة .. كما تضم المستشفى غرفة للعمليات وقسماً كبيراً للعيادة الخارجية اضافة الى بعض الخدمات الضرورية التى يحتاجها المستشفى .

وحرصاً من دولة قطر على تقديم كل الرعاية والاهتمام بصحة المواطنين والمقيمين على أرضها .. فقد قامت إضافة الى كل الجهود السابقة بانشاء مستشفى حمد العام الذى انتهى بناؤه فى الشهر الماضى ضمن إطار مؤسسة حمد العام العلاجية والتى تتبع وزارة الصحة العامة . ويعتبر هذا المستشفى صرحاً طبياً ضخماً من أكبر انجازات الدولة بل ومن أرقى المراكز الطبية التخصصية فى المنطقة . وقد قام مجلس ادارة المؤسسة المؤلف من خيرة الشباب القطرى المثقف الواعى بوضع السياسة العامة التى سوف يسير عليها هذا المركز الطبى إضافة الى المساهمة فى تعيين معظم الجهاز الادارى المركزى لتشـــغيل المستشفى المذكور .

فى النهاية .. يركز المخطط الشامل للرعاية الصحية المتكاملة الذى تقدمه دولة قطر على تحقيق التكامل بين أوجه النشاطات المختلفة التى بدأت وزارة الصحة العامة بالفعل فى تحقيقها وربطها بعضها البعض بحيث تؤدى فى النهاية الى تقديم الخدمات الصحية المتكاملة لكل فرد من أفراد المجتمع القطرى فى جميع أنحاء الدولة .

هذا ومما هو جدير بالذكر أن نسبة النمو فى مستوى الخدمات الطبية التى تقدمها الدولة خلال العشر سنوات الأخيرة ، تعتبر رقماً قياسياً لو قيست بالمعايير الدولية والمطبقة فى أكثر الدول تقدماً .. هذا اضافة الى أن جميع هذه الخدمات تقدم بشكل مجانى دون أى مقابل وفى سهولة ويسر

عمر حشيشو

٢٢ فبراير
٩ سنوات مضيئة في حياة قطر

ماذا تقول..
الموازنة الجديدة للدولة ؟

انه لمن يمن الطالع ان يتزامن صدور الموازنة العامة الجديدة للدولة مع مطلع قرن هجرى جديد أهل على هذا الوطن العزيز وهو يسير بخطى ثابتة قوية فى طريق النهضة والبناء التى اختطها قائد المسيرة حضرة صاحب السمو ـ الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى

ويسعدنى ، بعد صدور المرسوم الأميرى بالموافقة على الموازنة العامة للسنة المالية الجديدة ١٤٠١ هـ ، أن أستعرض الملامح الرئيسية لهذه الموازنة التى جاءت تنفيذاً لتوجيهات سموه الحكيمة بضرورة متابعة المسيرة المباركة من أجل رخاء المواطن ورفاهيته ، وذلك بمضاعفة الجهود المبذولة لاستثمار موارد بلدنا الطيب على خير وجه وتنويع مصادر دخلنا وإنماء امكاناتنا الصناعية وتوسيع رقعة أرضنا الزراعية .

ولقد ترجمت موازنة العام المالى الجديد هذه المعانى متمثلة فيما يلى :

أولا : التنمية بمعناها الشامل بحيث تغطى كافة النشاطات الاقتصادية والاجتماعية بطريقة منسقة لا تعارض بينها .

ثانياً : الرخاء بتحقيق الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى من خلال تنفيذ السياسة المالية العامة للدولة بالأسلوب العلمى المبنى على المؤشرات الاقتصادية والمالية التى تتفق مع الواقع .

ثالثاً : توجيه الطاقات المادية والبشرية لتحقيق أكبر قدر ممكن من القوة الذاتية للدولة .

ولقد عبرت موازنة العام الجديد عن الرغبة فى تحقيق هذه الأهداف حيث تبرز أهمية نفقات المشروعات على وجه الخصوص نظراً لتأثرها وارتباطها بمستوى النمو الاقتصادى والاجتماعى الذى تهدف اليه الدولة ، لذلك فقد كان لميزانية المشروعات الرئيسية العامة النصيب الأوفر من اجمالى اعتمادات



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول .

الميزانية للعام المالى الجديد حيث خصص لها مبلغ ٥,٩١٧ مليون ريال قطرى بزيادة قدرها ٩٨٩ مليون ريال عن العام السابق أى بنسبة قدرها ٢٠٪ يضاف الى ذلك ما خصص لتمويل احتياجات المشروعات الصناعية ومشروعات تطوير وتنمية الثروة البترولية فى البلاد وكذلك قروض البناء للموظفين والتى بلغت فى مجموعها ٣٠٣٨ مليون ريال وبذلك تصل جملة الاعتمادات المخصصة لهذا العام الى ٨٩٥٥ مليون ريال قطرى مقابل ٧٣٦٤ مليون ريال للعام السابق ١٤٠٠ هـ .

وتعكس هذه الأرقام الاهتمام الشديد والمتزايد بدفع عجلة التطور الى الأمام وتغطية احتياجات كافة أوجه النشاطات الاقتصادية والاجتماعية .

من بيان :
سعادة وزير المالية والبترول
الشيخ
عبد العزيز بن خليفة آل ثاني

هموم ثقافية



مصـــادر للدراسات الحديثة حول منطقة الخليج

علي عبدالله خليفة



ابراهيم العريض



د. علي الكواري



د. محمد الرميحى



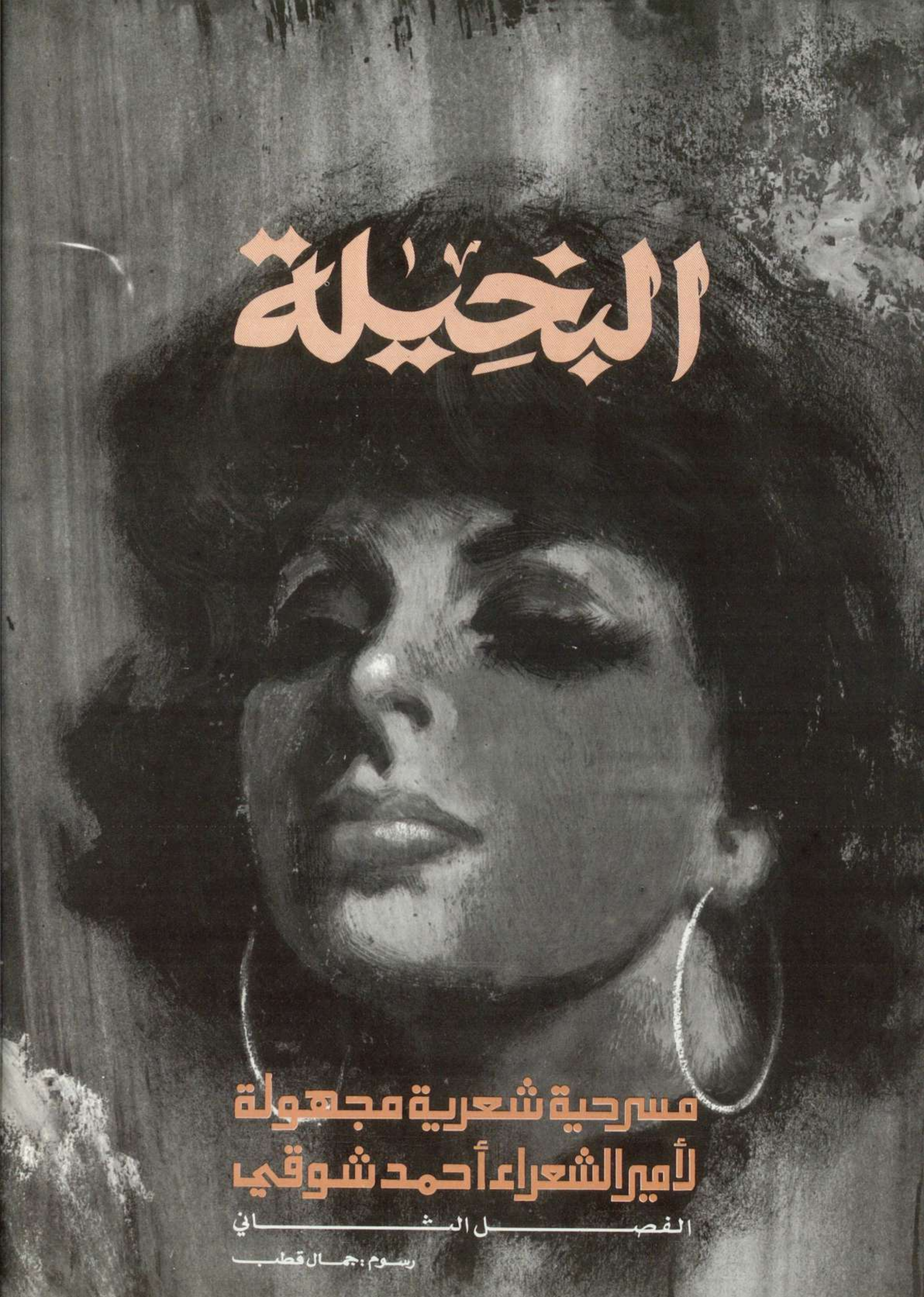
خالد سعود الزيد

كان الدارسون لمنطقة الخليج والجزيرة العربية يتعرضون لعنت شديد نتيجة ندرة المصادر والمدونات وشح المراجع والمعلومات المتوفرة، مما يصرفهم عن التوغل فى موضوع شاق وارتياد مجاهل دون دليل. لذلك انصرف أغلب الباحثين من أبناء المنطقة نفسها - حتى وقت قريب - الى تحضير دراساتهم الأكاديمية فى مجالات مطروقة سهلة الارتياد، لاتكلف مشقة فى البحث والتنقيب لتوفر مراجعها فى أية مكتبة عامة. فى ذات الوقت برز الى الساحة قلة من رواد خليجيين جالدوا وأثبتوا جدارة فى وضع دراسات وأبحاث تأسيسية حديثة تتناول المنطقة.. كل فى اختصاصه، أمثال الشيخ حمد الجاسر و د. عبد الله المبارك والأستاذ عبد الله ابن خميس من المملكة العربية السعودية والأستاذ عبد الله الطائى من سلطنة عمان و د. محمد الرميحى و د. عبد العزيز المنصور والأستاذ خالد سعود الزيد وغيرهم من الكويت و د. محمد جابر الانصارى و د. علي تقي وغيرهم من البحرين و د. علي خليفة الكوارى من قطر.

وعندما وعت المنطقة مدى فقرها فى هذا المجال الذى يتناول طبيعة الأرض وأشكال ومضامين النشاط البشرى عليها أصبح من الملح على الباحث عندنا أن يتناول منطقته البكر بالدرس والتحليل فهو القريب العارف بها. ومع هذا التوجه الذى غذته التطلعات الثقافية المعاصرة وما أنتجته من فكر وفن برزت جهود قوية وناشطة فى الأونة الأخيرة أخذت تسهم فى جمع المصادر الأولية المهمة من مظانها البعيدة وتعمل على تقديمها الى القارىء والباحث على امتداد الوطن العربى كله الى جانب النتاج الجديد. فقد صدر قبل فترة وجيزة عن مطبعة وزارة الاعلام الكويتية (ديوان العريض) شاملا المجموعات الشعرية التى أصدرها الأستاذ ابراهيم العريض منذ ثلاثينات هذا القرن، وعن شركة الربيعان بالكويت أيضاً صدر (أجنحة العاصفة) وهو مجموعة أشعار الأستاذ أحمد مشارى آلعدوانى أحد رواد حركة الشعر الحديث فى الخليج، من جمع وتقديم الأديبين الكويتيين المعروفين خالد الزيد وسليمان الشطى، وفى البحرين صدر عن مطبعة وزارة الاعلام (العناقيد الأربعة) وهو المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر أحمد محمد الخليفة، كما يصدر قريباً عن إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام القطرية (ديوان المعاودة) شاملا الدواوين الشعرية التى أصدرها الشاعر عبد الرحمن المعاودة بين البحرين وقطر، هذا الى جانب جهود وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان وجهود مثيلة بدولة الامارات.

وإذا كان للشعر النصيب الأوفر فى مثل هذا التوجه بحكم كونه النتاج الأغزر، فالأمل هو ألا نترك هذه الجهود للمصادفة وحدها فمن الواجب أن تنظم ويخطط لها مسبقاً لتتوزع جميع المجالات الباقية حسب الأهمية فهناك كثير من مخطوطات قيمة لم تر النور لحد الآن، وكثير من كتب ودوريات نافدة يشكل توفرها أهمية قصوى، وما أحوجنا الى بذل عناية خاصة فى حصرها وإعادة طبعها وتقديمها خدمة للباحث والقارىء على حد سواء وإسهاماً فى الكشف عن خبايا هذه المنطقة الغنية بابداعات الناس قبل أى شيء آخر.

علي عبد الله خليفة



النخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الفصل الثاني

رسوم : جمال قطب

أحداث الفصل الأول

الزمان : غداة استقالة اللورد كرومر ورحيله عن مصر عام ١٩٠٧ .

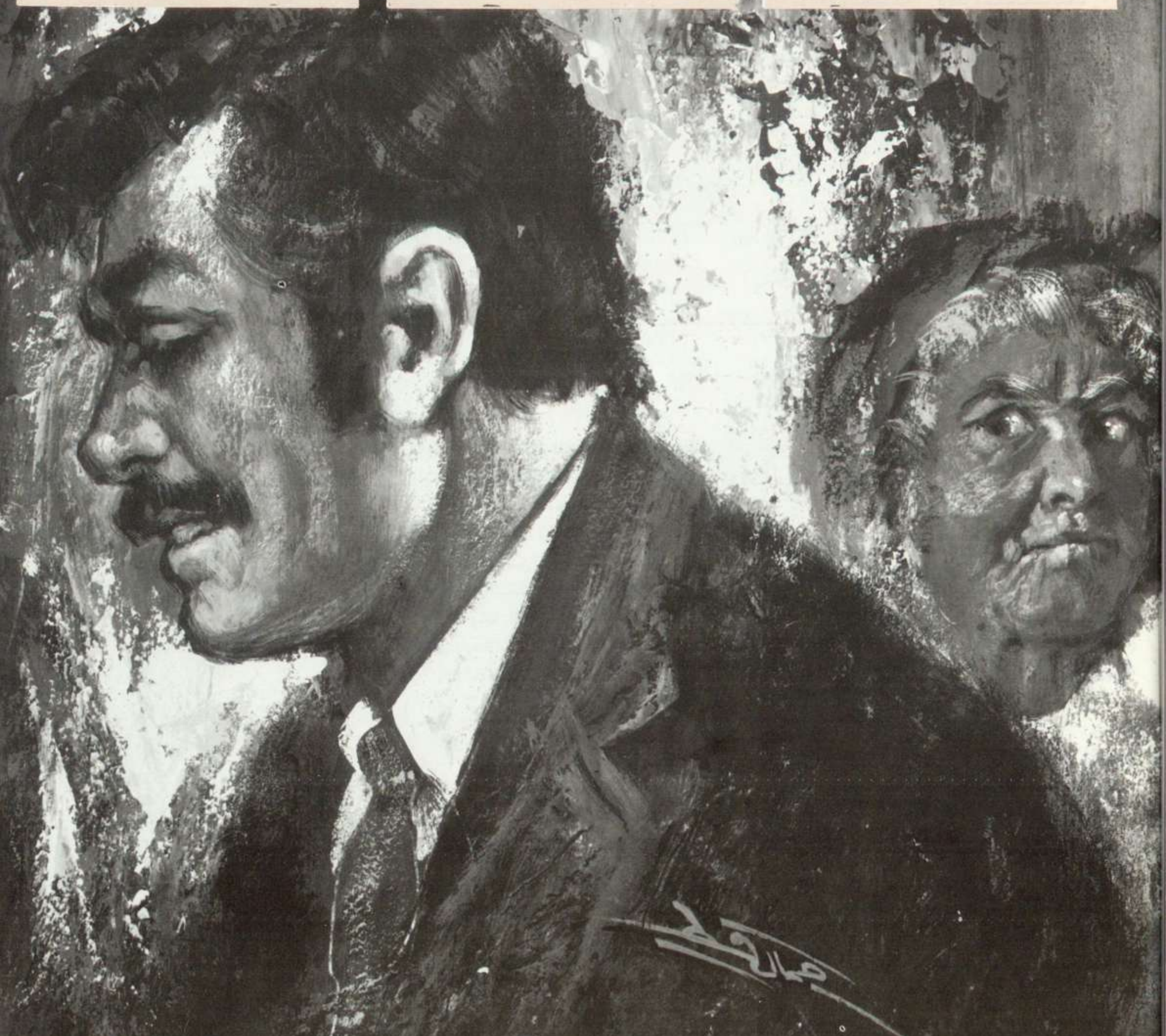
المكان : مقهى فى ميدان لاظوغلى بالقاهرة (يغلب أن يكون مقهى المالية) الذى كان ملتقى الكثير من الشبان المتعلمين ووجهاء القوم

يرتفع الستار على مجموعات من رواد المقهى يثرثرون ويتحاورون فى موضوعات شتى ، فى السياسة وفى أخبار غيرهم من الناس ، ومن بين هؤلاء الرواد نجد بطل المسرحية (جمال) يجلس مع أحد السماسرة الذين اعتادوا أن يجلسوا فى المقهى ليغرروا برواده

ونعرف من سياق الحوار ، أن جمالا له جدة بخيلة ، ولكنها غنية ، ونعرف أيضاً أنها عجوز تنتظر الموت أو ينتظرها الموت بين لحظة وأخرى ولم يكن لها من وريث سوى حفيدها جمال ، وبالطبع ، فإن السمسار وجد فى الارث الكبير الذى ينتظر جمالا صفقة ينبغى ألا تفوت عليه ، فراح يغرر به ويزين له أن يتزوج من فتاة اسمها زينب أوهمه أنها جميلة عصرها وزينة أترابها ، ولم ينس أن يحكم الفخ ، فنسج له الأساطير عن عراقة محتدها وأصالة نسبها وضخامة ثروتها ، والخطاب الذين ردتهم خائبين ، ولم يترك الفتى إلا بعد أن أسال لعابه وجعله يتهافت على خطبتها اليوم قبل الغد ، ثم انثنى إلى شقيق «زينب» هذه ، وهو فتى اسمه عزيز يحمل على سيمائه آثار مجد غابر وغنى مندثر ، ينطبق عليه المثل القائل : عزيز قوم ذل ، وكان السمسار يدرك جيداً نقطة الضعف هذه ، فراح يزين له أن يزوج أخته زينب من أحد الأثرياء ، ألا وهو جمال ، ولم ينس أن يبالغ له فى تصوير ثراء جدته ، ويدنى له من أجلها ، ويبين له كيف أن انفراج أزماتهم المالية سيكون على يد جمال وما سيرثه من ثروة هائلة فيوافقه الرجل بل ويستحث إبرام الخطبة

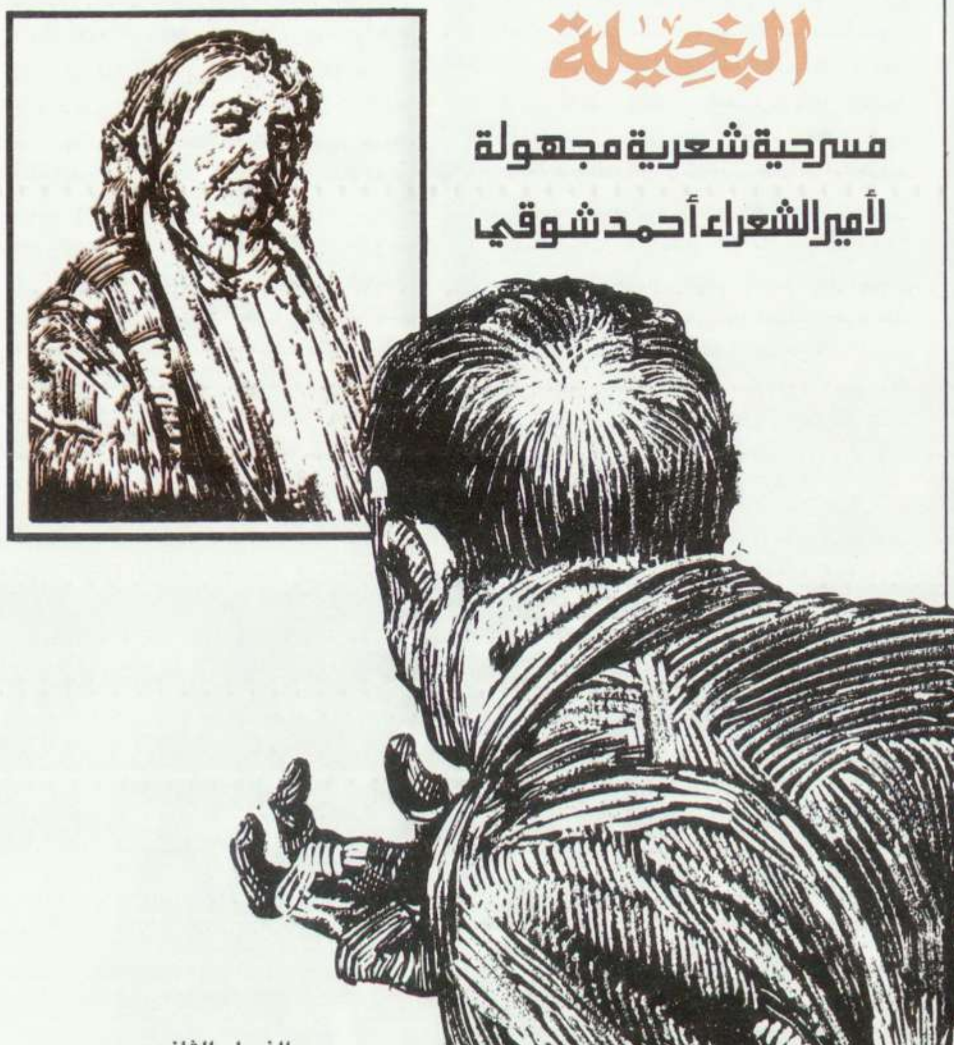
هذه نماذج حية من الحياة الاجتماعية ومن الشخصيات التى تمثلها فى ذلك الوقت

ومن هذه النماذج أيضاً ، طبيب خامل متكاسل مشهور بالبخل هو الآخر (عبد السلام) يترك عمله ويتسكع طوال يومه ويقضى الشطر الأعظم منه فى المقهى وحين ينتهى الفصل الأول ، يكون ذلك الطبيب قد اشتبك فى مشادة كلامية مع أشقاء أحد المصابين فى الشارع ، هذا يريده أن يهب لعلاج شقيقه وذاك يقعده الخمول والكسل .



البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي



الفصل الثاني
(في منزل السيدة نظيفة)

(١) (حجرة بها دكة عليها شلتة ومخدات ثلاث ـ السيدة نظيفة تلبس جلابية من(٢) الشاش الأبيض ومتعصبة بمنديل وفي(٣) رجلها القبقاب) .(٤)

نظيفة : (تتكلم وحدها في الحجرة)
منزلي حولي نظيف
(٥) وأنا الست نظيفة
(٦) وبلاطي ذاك أنقى
(٧) بكثير من صحيفه(٨)
كل ما كلفني ماء (٩)
وصابون وليفه(١٠)
لا بساط لا كليم
لا حرير لا قطيفه
غير هذي الخشبات
(١١)الخيزرانات الخفيفه
ليس بيتي كبيوت الناس
أحمالا كثيفه
أنا بيتي في الهواء الطلق
والشمس اللطيفه
ودكتي تلك أغلى
لديَّ من ألف صفّه(١٢)
كم مال زوجي عليها
وكان يقطر خِفّه
جلست فيها عروسا
واليوم إذ أنا قفه(١٣)
(بعد أن ترى حسنى الخادمة داخلة عليها وبيدها شيء) .
تعالي يا ابنتي جيئي
بماذا جئتني حسنى ؟

حسنى : لقد جئت بفنجان(١٤)
خذيه جربي البُنّا

نظيفة : وهذا شبكي هاتي . (١٥)

حسنى : أجل بالعود قد جيت (١٦)
وفي الكيس مع الدخان (١٧)
(١٨) زندان وكبريت

نظيفة : سلمت حسنى يداك

حسنى : أنا مولاتي فداك
والآن هل آخذ خَرْجَ النهار ؟(١٩)

نظيفة : امضي خذيه إنه في الكرار(٢٠)

حسنى : هياته سيدتي ؟

نظيفة : أجل .

حسنى : وما أخرجت لي ؟

نظيفة : رأس من الثوم
وخمس من صغار البصل

حسنى : والسمن مولاتي ترى ؟

نظيفة : كأس لم أقل
أوقية . (٢١)

حسنى : والأرز ؟

نظيفة : لا ، لا يدخلن منزلي
لقد غلا سعراً ولا
يعجبني السعر الغَلِي

حسنى : ليتك بالزيت افتكرت(٢٢)
والدقيق والعسل

نظيفة : ولم يا حسنى ؟
أراك اليوم عادك البَخَلْ(٢٣)
نسيت أنْ ها هنا
وتحت هذي الكنبه(٢٤)
العشرات من قديم
الكعك والغريّبه(٢٥)

حسنى : لم أنس يا سيدتي .

نظيفة : أنت إذن مخربه .

حسنى : قد اشتهيت لقمة القاضي (٢٦)

نظيفة : اشتهتك عقربه(٢٧)
وما الذي اشتريت يا
حسنى لنا من الخُضَر ؟ (٢٨)

حسنى : «البامية» كأنها(٢٩)
الزمرد الخام الحجر

نظيفة : «البامية» ؟ منذ متى
(٣٠) هذا الخضار قد ظهر ؟

حسنى : جديدة .. قلت عسى
سيدتى بها تُسَر
(٣١) نادى المنادون عليها (٣٢)
منذ أسبوع غبر
(٣٣) ترفل فى شوكتها
وفى شبابها النضر
نظيفة : أجل لقد أكلتها
فى منزل الشيخ عمر
كالذهب الابريز (٣٤)
والثوم عليها كالدرر
حسنى : واليوم تأكلينها
نظيفة : أمر من طعم الصَّبِرْ (٣٥)
اشتريت غاليه (٣٦)
مثل البواكر الأُخَر (٣٧)
حسنى : هدية تلك
نظيفة : وممن ؟
حسنى : من قريب لي حضر
نظيفة : من أين جاء ومتى ؟
حسنى من الصعيد قد بَكَرْ (٣٨)
نظيفة : وبم ترى جزيته (٣٩)
بقبلة مستعجله ؟
حسنى : فطرته فى حياء سيدتى
نظيفة : امضى اطبخى دقيّةً مكملة (٤٠)
كأنها خليه
من عسل محمله
والثوم فيها لؤلؤ
وهى به مكلله
والعظم ..
حسنى : واللحم ؟
نظيفة : احذرى ...
يتعبنى أن آكله
حسنى : اللحم يا سيدتى
فى البامبا ما أسهله
نظيفة : حسنى انظرى
حسنى : سيدتى
نظيفة : على البلاط وسخ
حسنى : الآن أغسل البلاط
ثم أمضى أطبخُ
(تنسلّ السيدة الى حجرتها .. يدخل جمال) .
جمال : حسنى
حسنى : جمال سيدى ؟
جمال : أنت هنا ؟
حسنى : أنت هنا ؟
جمال : ما تصنعين ؟
حسنى : صنعتى اليوم
وصنعتى الغدا
على البلاط أنحنى
أغسله كما ترى

جمال : يا رب لم خلقت للعذاب (٤١)
هذه اليدا ؟
حسنى : لا .. لا عذاب سيدى
إنى أحب العملا
جمال : وأين جدتى ؟ فانى
لا أراها ها هنا
حسنى : أظنها مضت تصلى
فى الخزانة الضحى (٤٢)
جمال : لله أو للمال يا حسنى تُرى ؟
حسنى : كما تشا (٤٣)
(٤٤) مالى وما تعمله ؟
لكل عبد ما نوى
جمال : (لنفسه وقد رأى كيساً على الدكة) . (٤٥)
ما ذاك تحتى .. كيسٌ ؟
بشراى هذا جراب
أعامرٌ ليت شعرى
جرابها أم خراب ؟
كيس ... أجل كيس
وحسنى لا ترى .. لا تسمع
(ثم يقبله)
كيس وفيه ذهب
أخذه أم أدع ؟
(يتركه مترددا)
لا ... لا ... ألص أنا ؟ لا
ليت يدى تنقطع
(يتناوله)
لننظر ما حوى الكيس
(يفتحه ويعد ما فيه)
(٤٦) جنيهان .. ريالان
وهذا فص ياقوت (٤٧)
وذى سبحة مرجان
(يخرج ما فى جيبه)
لننظر ما حوى جيبى
أقرشان ونصفان
حرام شدة البخل
حرام طول حرمانى
(يرد نقوده وينظر الى الكيس)
فان مددت نحو كيسها اليدا
سرقت نفسى ما سرقت أحدا
ولا أرى سارق نفسه اعتدى
لا يا جمال .. ما رأى
رأيك فى الناس أحد
من قال مال الوالدين
مستباح للولد ؟
حسنى : (وقد نظرت اليه خلسة فرأته وهو يسرق)
يا أسفا على جمال
ما صنع ؟

جاء الى الكيس مراراً
ورجع
حام عليه برهة
ثم وقع
(لنفسها)
(٤٨) ويحُ جمالٍ جَرُؤَتْ
على الحرام راحته
ما كان لصاً إنما
جنت عليه جدته
جمال : (يدس الكيس فى جيبه)
ولم لا ؟ والمال
مالى بعدها
وإن تَصَرَّفَتْ
بمالى وحدها
وديعتى حتى
تموت عندها
(يخرج مسرعاً)
حسنى : يا ألف ويلى على جمال
انسل كاللص فى الظلام
(٤٩) الفقر والبخل صَيَّراه
(٥٠) من ابن بيت الى حرام
هو لص وسارق
غير أنى أحبه
حرمته القليل من
حقه .. أين ذنبه ؟
إنى بعينى هذه
رأيته مرددا
لما أحس المال جُنَّ
وأضاع الرشدا
على الضمير والعفاف
(٥١) والحجا تعودا
لو ملأت جَدَّتُه
يديه ما مد اليدا
(ثم تسمع ضجة فتقول :)
قد رن فى الحجرة قبقابها
صلت وعادت من مُصلاها
وما درت وهى تصلى الضحى
أن جمالا من ضحاياها
(تدخل السيدة نظيفة بدون أن ترى حسنى)
(فتقول حسنى لنفسها)
تسرع نحو كيسها
(٥٢) لم ترنى فلأنتظرْ
(٥٣) ماذا ترى تفعل ؟ هل
تبكى دماً ؟ أم تنتحر ؟
نظيفة : (لنفسها)
كيسى كان ها هنا
من ساعة .. شىء عجب

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة

لأمير الشعراء أحمد شوقي

الفصل الثاني



(٥٤) من يا ترى طيَّره ؟
كيف اختفى ؟ أين ذهب ؟
فيه ريالان وفيه
قطعتان من ذهب
(٥٥) وضعته هنا وغبت
عنه .. ليت لم أغب
كيسى حبيبى أين أنت ؟
كيف ألقاك ؟ أجب ؟
(٥٦) كيسَ .. يا رب أعدْ لي كيسى
(٥٧) وخذه لي يا رب من إبليس
وكل لص فاجرٍ خسيس
إن عدتَ لي فشمعة
للحنفى أو شمعتان
(٥٨) قرش يعود لي به
من القروش مائتان
(٥٩) وشمعة للسيده
توضع في مسجدها
تبيت فيه موقده
بالقرب من مرقدها
لا .. أنا في فقر الى شمعة
سيدتى زينب بى عالمه
ولم ير الناس ولم يسمعوا
سيدة تأخذ من خادمه

(ثم بعد أن ترى حسنى)

نظيفة : حسنى
حسنى : مُرى
نظيفة : أنت هنا ؟
حسنى : أجل
نظيفة : تعالى اسمعى
خلى البلاط
حسنى : وما جرى ؟ (٦٠)
نظيفة : دعيه ساعة دعى (٦١)
حسنى : ماذا جرى سيدتى ؟
نظيفة : ما لم أكن أنتظرُ
مصيبة .. فاجعة
حسنى : ماذا دهى ؟ ما الخبر ؟
نظيفة : كيسى كان ها هنا
طيره المُطَيِّرُ
حسنى : ما كان فيه ؟
نظيفة : ذهب
وسبحة وجوهر
حسنى : وهل ظننتِ السوء بى سيدتى ؟
نظيفة : استغفر الله ابنتى .. استغفر
حسنى ابنتى خادمتى تسرقنى (٦٢)
ذلك ما ليس ببالى يخطر (٦٣)
فى ذمة الله كيسى
عوضنى الله عنه
واللص لابد يوماً
يقتص لي الله منه
حسنى : سيدتى مسرفة
سيدتى مضيعة
إن الجراب لم يكن
هذا المكان موضعه
نظيفة : اذهبى يا ابنتى عرفت غريمى
أنت لا تجهلينه فهو منا
حسنى : من ترى ؟ من ؟
نظيفة : سلى ضميرك عنه
أنت منه ملئت قلباً وذهنا
حسنى : من ؟
نظيفة : جمال
حسنى : ماذا تقولين يا مولاتى (٦٤)
نظيفة : الصدق
حسنى : بل تظنين ظننا
من ؟ جمال ؟ هذا محال
فظننى بى أنا السوء
نظيفة : أنت حاشاك حسنى
حسنى : إذن من ؟
قطة فى البيت لما لم تجد لحما
مضت بالكيس ظننته
هو الجلد .. أو العظما ؟
نظيفة : (مستضحكة)
امضى اذهبى يا خباث (٦٥)
يا نكبة فى الاناث
أوشكت تدخل الضحى .. إلبسى (٦٦)
(٦٧) الفوطة حسنى .. طيرى الى الكانون (٦٨)
واحذرى الطبخ أن يشيط (٦٩)
وسدى الباب دون الأنوف .. دون العيون
حسنى : سيدتى ها أنا ذى
ذاهبة لشانيا (٧٠)
انتظرينى ساعة
ثم انظرى طعاميا
(تخرج)
نظيفة : (لنفسها)
قد ذهبت لشانها
اليوم يوم الباميا
حسنى اذهبى إنى لفى شك وإن
أظهرت أنى بك جد واثقه
قد سرق الكيس وما من أحد
سواك فى البيت فأنت السارقه
ولكنى اداريك (٧١)
فاخشى خبر البئر (٧٢)
وكم سيدة قيدها
الخادم بالسر
جمال : (يدخل)
نظيفة : من ؟
جمال : جدتى .. هذا أنا
نظيفة : من ؟ ولدى جمال ؟
جمال : ما صنع الزكام يا
جدة ؟
نظيفة : لا يزال
وأنت ما تصنع يا جمال
كيف الحال ؟
جمال : الحال يا جده
زفت وقطران
نظيفة : كيف جمال .. انفض الجيب
أما فيه جنيهان ؟
جمال : جنيهان ؟ أنا ؟
نظيفة : ولا ريالان ؟
جمال : ومن أين له ؟
جيبى حتى من ريالين خلا
جدة
نظيفة : روحى : تكلم
ماذا ؟ فداك البنونا
جمال : أقول لكن عِدينى (٧٣)
جدة لا تغضبينا
نظيفة : إلا النقود فانى
حلفت أمس يمينا
جمال : إذن أمضى كما جئت
إذن لا شىء يا جده
على أنى لم أظفر
بشىء منك من مده
نظيفة : والثلاثون ريالا ؟
جمال : قد مضى شهر عليها
تلك شمتها يد النشال (٧٤)

فانســلّت اليهــا
نظيفة : لا حرم الله اللصوص خيركـا (٧٥)
ما بالهـم لا يسرقـون غيركا ؟
لم تلقنــى وتنصرف بمالــى
إلا وعـادت قصـة النشـال
كان مالـى ليس بالحـلال
جمـال : لم أقـل مـالك يـا جـدة
(٧٦) ســحت أو حــرام
فلقــد يسرق مــال اللــه
والبيــت الحـــرام
نظيفة : العين يا جمال (٧٧)
جمـال : لا تقولى
فمـا الــى مـالك مـن سـبيل
لعيــن حاســد ولا فضولى
مالك فى اللحاف والمنديـل
(٧٨) مـالك فـى القفـة والزنبيـل
(٧٩) وتحـت مـاء البئـر فى برميل
نظيفة : فى البئر ؟ إن ذا عجــب
مــاذا تصـوغ مـن كــذب ؟
(فى اضطراب)
جمــال لا تنـس الأدب

فـى البئـر يا ابنــى ؟
هــذه ما خطــرت ببالــى
(٨٠) لم لا تقــول : المال قد خبـأت
(٨١) فــى ســـــروالى
لكـن هبونــى قـد فعلـت
ما لكـم وما لــــي ؟
ألســت يا ابنـى حــرة
بصيــرة بمالــــى ؟
أصنـــع مـا شــئت بـه
أصنــع ما بــدا لـــي

جمـال : هونــى جدتــى عليك فانى
لم أنازعــك هـذه الحريه
خبئى المال حيث شئت من المنزل
فى الســقف أو وراء حنيــة
ادفنيــه فى مطبخ أو كـرار
(٨٢) أو لحـاف أو شـلتة أو حشية
أو فواريــه فى قرارة بئـر
ذات عمـق عن الظنون خفيه
جدتــى هــذا كثيـر
مــا الثلاثــون ريــالا ؟

هــى يا جـدة ليســت
(٨٣) عنـد أمثالــى مــالا ؟
لا يمينـاً مـلأت يومــاً
ولا أغنـــت شـــمالا
نظيفة : عند أمثالك ؟
جمـال : أى واللــه
نظيفة : ما أنتـم رجـــالا
هــى تبنــى ثـروة المرء
إذا كانــت حــلالا
اســمع جمــال
جمـال : سامع يا جدتى
نظيفة : جدك يا ابنى كان مفلساً
جمـال : مثلى يا جـدة ؟
نظيفة : لا يا ولدى
بل كان أشقى حالــة وأتعسا
(٨٤) أسس من شروى نقيـر ثـروةً
جمـال : لم تذكـرى جـدةٌ كيف أسسا
ألم يكن سكناه رَبْعاً دارسـاً ؟
(٨٥) ألم يكن طعامــه المدمســا
ألم يكن على البـلاط نومه
(٨٦) ألم يُحَـرِّمْ نفسه أن تلبسا
نظيفة : ومـن نبّــاك أو مـن ذا
رأى جـدك عريانــا ؟
جمـال : هبيهـم لم ينبّونــى
(٨٧) كفانــى بـك عنوانــا

(٨٨) جدتى ما رأيت قط على جســمك
مـذ كنـت غير هــذى الثيـاب
بدلـى ثوبـك القديـم .. أهــذا
كفن يرتـدى ليـوم الحســاب ؟
وعلى الرأس ذانك الشاش و (الأوية)
مـلا تطــاول الأحقــاب
قد عفـا رقعتيهمــا النشر والطيّ
وطول المدى وطـول الخضـاب
لم ير الناظـرون رجليــك إلا
كصبى الحمـام فـى القبقـاب
نظيفة : قد تَوَقَّحْتَ يا جمال .
جمـال : دعينى

اتركينــى (أفش) جـدة ما بى
والدى مات فى الشباب من الحرمان
واليــوم تقتليــن شــبابى
نظيفة : لا تُذَكِّرنى العزيز جمال .. اسكت
عن الجرح لا تحرك مصابــى

جمـال : اقتلينى كوالدى
نظيفة : بَعُدَ الشرّ
بل اسلم وحُطّنــى فى التـراب
إن يا ابنى الجراب والمال فيــه
لك ..
جمـال : من لي ببعض ما فى الجراب ؟
ما انتفاعى به ؟ .. كليه اشربيه



البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي



بعدما اذن الصبا بذهاب
(تغرورق عيناه بالدموع)
اصفحي جدة عما
كان مني واغفري لي
وائذني أيتها الجدة
أمضي لسبيلي
نظيفة : لقد نسيتُ يا جمال
وطويت ما جرى
والآن أدعوك
جمال : لماذا ؟
نظيفة : للغداء .. ما ترى ؟
ابق جمال نقتسم
لوناً جديداً غالياً
ابق بُنَيَّ كل معي
اليوم عندي باميا
جمال : الباميا جديدة ؟
من قال يا جدتيا ؟
نظيفة : أكلتها ؟
جمال : أجل مراراً
عند أصدقائيا
نظيفة : في الباميا خل الطهاة
وخذ الطواهيا
وطبخ حسني يحفظ
الشباب والعوافيا
اجلس جمال ساعة
وناجني بحاجتك
جمال : ماذا أقول جدتي ؟

نظيفة : قل ما تشا لجدتك
جمال : أنا يا جدتي كبرت ولا
أطلب إلا الزواج ...
نظيفة : عندي صبية
لك ..
جمال : من ؟ الخادم ؟ لا ..
كم قلت يا جدة لا
نظيفة : لا تدع حسني خادما .
جمال : ابنة من ؟
نظيفة : بنتي أنا
جمال : لقيطة ربيتها أنت
أليس هكذا ؟
نظيفة : تذاكرنا الزواج تعال ننظرْ
زواجك كم يكلف يا جمالُ
جمال : قليلا جدتي
نظيفة : كم ؟
جمال : نصف ألف
نظيفة : أعندك ما لنصف الألف بال ؟
(لنفسها)
ماتم مصر لا يَبْقَى عليها
ولا يبقى على الأفراح مال
(ثم الى جمال)
اشرح جمال ما يكون
المهر
جمال : عدّيه ميَه
نظيفة : من الجنيهات ؟
جمال : أجل
ليست ريالات هيه
وشبكة تصلح أن تهدى
وأنت المُهْدِيَه
نظيفة : وكم تساوى ؟
جمال : مئة
نظيفة : أخرجها من ماليه ؟
جمال : ومئة كراء بيت
للعروس وليه
نملؤه أمتعة
وحلية وآنيه
ومئة لفرحي
ومئة لجيبيه
نظيفة : واحيرتي واضيعتي
جمال .. واخرابيه
إن أنا زوجتك يا ابني
بعت ما ورائيه
جمال : إذن فاعلمي جدتي
أنني خطبت ...
نظيفة : وما لي ومن تخطب
أحقاً خطبت ؟
جمال : أجل جدتي .
نظيفة : ومن تلك ؟ ما بيتها ؟ ما الأب ؟
جمال : فتاة من الخط .. بنت النقيب

نظيفة : بلا والد واسمها زينب
هنيئاً لك البيت بيت العفاف
جمال : وبيت الغنى والغنى يطلب
نظيفة : أأنت تُعرِّفني! من تكون
وما مالها ؟ إنها تكذب
لأنت أسعد منها
وأنت أكثر مالا
جمال : أنا ؟ انظري ذاك جيبي
هل تبصرين ريالا ؟
نظيفة : بل تلك حسني فتاتي
أتم منها جمالا
وربما صارت على فقرها
أكثر منها في غد مالا
وكيف وجدت المال يا ابني ؟
جمال : اقترضته
نظيفة : وممن وكم يا ابني وكيف رباه ؟
ومن أين تقضي الدين ؟
جمال : يقضيه قادر
على الشيء لا يقضي الديون سواه
نظيفة : أزعق جمال نار حسني .. ادعها
(ثم تنادي)
يا بنت
جمال : حسني .
نظيفة : بنت
حسني : (تدخل)
مولاتي
نظيفة : عندي جمال يتغدى معي
هاتي حيث الباميا هاتي
حسني : سوف ترى يا سيدي صنعتي
وسوف تنسى كفتة الحاتي
نظيفة : حسني بذلت كثيرا
وما رفقت بمالي
أكفتة بيمين
وباميا بشمال ؟
حسني : سيدتي لا تغضبي
لا لحم في المطبخ لا كفتة لا كبابا
العظم لاغير ملأت الباميا
منه .. فطابت نكهة وطابا
نظيفة : يسلم فوك يا ابنتي
(ثم لجمال)
اسمع لها جمال
كيف تحسن الجوابا
جمال : جدتي هل فكرت في أمر حسني
نظيفة : كيف ؟ ماذا ؟
جمال : كما افتكرت بأمري
زوجيها
نظيفة : أزوج البنت ؟
حسني : لا .. لا
سيدي .. ذاك لم يمر بفكري
أنت يا سيدي جمال كثير المزح

فاجعل محل مزحك غيرى
أنا لا أقبل الزواج بانسان
ولو ساق مال قارون مهرى
أنا ما عشت لا أفارق هذا البيت
إلا الى قرارة قبرى

نظيفة : عشت حسنى
(ثم لجمال)
سمعت كيف أجابت ؟
كيف لم تنس لي حنانى وبرى ؟
(وتهم السيدة نظيفة بالوقوف)

جمال : أين يا جدة تمضين .

نظيفة : قريباً خطوتين
أنا قد خبأت أمس
لك يا ابنى موزتين
(تمشى وتخرج)

جمال : بعدت جدتى تعالى أقبلك
تعالى حبيبتى قبلينى

حسنى : بعدت فليكن عفافى ودينى
حول عرضى لا يبعد الله دينى
إن أكن خادماً فنفسى فى خدر
من النبل والعفاف مصون
ابغ يا سيدى سواى لما تدعو
له اليوم من خسيس ودون

جمال : هى حسنى لا يذهب الوقت

حسنى : دعنى
وقت مثلى بجانب الكانون

جمال : قبلة ههنا على الجيد حسنى
أو على الوجنتين أو فى الجبين

حسنى : ما الذى قلت يا جمال ؟

جمال : طلبت الحق

حسنى : حق المهَوَّسِ المجنون
لك يا سيدى جمال شئون
فامض فيها وخلنى وشئونى

جمال : الى أين ؟ قفى حسنى

حسنى : الى الكانون والنار
الى الشغل الذى ينهى
عن الريبة والعار
(وتمشى .. السيدة نظيفة تدخل)

نظيفة : جمال يا ابنى

جمال : جدتى

نظيفة : (لحسنى)
ما لك ترجعينا ؟
الموزتان يا جمال
صارتا عجينا

جمال : القيهما يا جدتى
ألقى العفن النتينا

نظيفة : اشربهما يا ابنى عسى
أن يورثاك لينا

جمال : أنا يا جدة لا أقوى
على هذا العلاج°
إن فى البيت دجاجا
فاطرحيه للدجاج

(ستار) «البقية فى العدد القادم»

البخيلة..

تعليقات وهوامش حول الفصل الثاني

يكتبها : حسن طلب

كنا قد جرينا فى الفصل الأول على الجمع بين الشروح والتعليقات من جهة ، وهوامش التحقيق والضبط من جهة اخرى ، ولم نشا ان نفصل بينهما كما هو جار فى تحقيق النصوص غير المنشورة . ولا يعود ذلك إلا الى رغبتنا فى تخفيف الهوامش الى أقصى حد ممكن ، وعدم انشاء أكثر من سلسلة رقمية واحدة لها .

(١) الدكة :
الدكة فى اللغة هى ما استوى من الرمل ، وهى أيضاً البناء الذى يسطح أعلاه للجلوس عليه ، والمقصود هنا : الكرسى المستطيل المصنوع من الخشب بحيث يتسع لأكثر من جالس ، وهذا المعنى مولد .

(٢) جلابية من الشاش :
الجلابية كلمة عامية فصيحها الجلباب .

(٣) تعصب بالعصابة :
شدها وأحكم لفها ، وبالمنديل : كذلك أيضاً .

(٤) القبقاب :
نعل من الخشب شراكه من الجلد ، وهو بهذا المعنى مولد ، أما القبقاب فى اللغة ، فهو الرجل اذا خلط وهذر ، والقباقب : الثرثار .

(٥) الست نظيفة :
(الست) كلمة مولدة معناها السيدة ، والجمع ستات .

(٦) وبلاطى :
بلاط الأرض هو وجهها الصلب ، وهذا هو المعنى الأصيل للكلمة ، أما المراد هنا ، فهو المعنى المولد أى الحجارة التى تفرش على سطح الأرض.

(٧) بكثير من :
فى الأصل (بكثيرين) وهو تصحيف ، والصواب ما اثبتناه .

(٨) الصحيفة :
هى فى اللغة الورق المكتوب ، وأيضاً : صحيفة الوجه : بشرته أو القطاع الجانبى ، ويجوز أن يكون الشاعر قد أراد هذا المعنى ، ومن المفيد هنا أن نتذكر المثل العامى المصرى الذى يقول : «أنضف من الصينى بعد غسيله» ، فلعل الشاعر قد وضع عينه على هذا المثل وهو يقول (وبلاطى ذاك أنقى .. بكثير من صحيفه) ولكنه سيكون قد اخطأ حينئذ فى استبدال كلمة (صحيفة) بكلمة (صحفة) التى تعنى : (الطبق) .

(٩) كلفنى ماء :
فى الأصل (فاء) وهو تصحيف والصواب كما أثبتنا .

(١٠) صابون وليفة :
الليف : قشر النخل الذى يجاور السعف .

(١١) الخيزرانات :
الخيزران : شجر موطنه الهند يتميز عوده بالمرونة واللين .
والمراد هنا الكراسى المصنوعة من نوع معين من شجر الخيزران ، وهى كراسى متواضعة القيمة بالقياس الى غيرها ، خاصة زمن كتابة المسرحية

(١٢) الصفة :
صفة الدار ، واحدة الصفف ، وهى ما يصطف فيها من مقاعد للجلوس

(١٣) القفة :
هى المقطف الكبير ، والمقطف (اسم مكان من الفعل قطف) وعاء كبير مصنوع من سعف النخيل المجدول ، وكان يستخدم فى الأصل لجمع الثمار

البخيلة
تعليقات وهوامش

وتعبير (انا قفة) هنا . تعبير معروف فى العامة المصرية للدلالة على الشيخوخة أو العجز أو ما شابههما ، وهو تعبير نقلته العامة عن العربية الفصيحة ، إذ كانت العرب تقول : كبر فلان حتى صار كأنه قفة ، ويقول ابن قتيبة فى أدب الكاتب معلقاً على ذلك : القفة هى الشجرة اليابسة البالية ، ويقال قف شجرنا ، إذا يبس .

(١٤) فنجان :
الفنجال كلمة معربة تعنى القدح الصغير يتخذ من الخزف ونحوه ، والجمع فناجيل ، وفنجان لغة فى فنجال .

(١٥) شبكى هاتى :
الشبك كلمة دخيلة على العربية ، وكانت تطلق على أداة للتدخين تشبه (البايب أو الغليون) إلا أن لها ذراعاً طويلة يوضع فى طرفها التبغ ، ثم يشعل ويدخن . وقد كانت سائدة فى عصر شوقى .
وفى الأصل (هات) وهو خطأ ، يقال للمذكر هات كذا .. أعطنيه ، وللمؤنث : هاتى .

(١٦) بالعود : المقصود هنا بالعود عود البخور .

(١٧) جيت :
أراد (جئت) فخفف لتتسق قافيته .

(١٨) زندان :
فى الأصل (زندانى) وهو تصحيف والصواب زندان مثنى زند كما أثبتنا والزند بفتح الزاى المضعفة ، هو العود الأعلى الذى تقدح به النار ، والأسفل هو الزندة .

(١٩) خرج النهار :
خرج الأرض هو ما تخرجه من غلة ، وخرج السحاب ما يخرجه من ماء والجمع أخراج أو خروج ، والمقصود بخرج النهار هنا ما تعودت أن تخرجه السيدة لخادمها من مواد الطبخ واعداد الطعام .

(٢٠) الكرار :
الكلمة دخيلة ، ولم أهتد الى مصدرها ، والمقصود بها هنا المخزن الصغير الذى تحفظ فيه المواد التموينية فى الدار .

(٢١) أوقية :
وحدة موازين فى النظام الانجليزى .

(٢٢) بالزيت افتكرت :
الصحيح أن يقال افتكر الشىء أو افتكر فيه ، أما (افتكر به) فتعبير ركيك لجا اليه الشاعر لاقامة الوزن .

(٢٣) عادك البخل :
حرك الشاعر خاء (البخل) ليستقيم له الوزن .

(٢٤) هذى الكنبة :
فى الأصل (هذه الكنبة) وهو مخل بالوزن ، والكنبة لفظ معرب يعنى الأريكة المستطيلة التى تتسع لغير جالس .

(٢٥) الكعك والغريبة :
الكعك لفظة معربة ، أصلها فارسى ، وتعنى الخبز المحلى بالسكر و (الغريبة) نوع آخر من الحلوى المعروفة فى مصر وفى بعض البلاد العربية الأخرى مثل سوريا ولبنان .

(٢٦) لقمة القاضى :
نوع من الحلوى المصنوعة من الدقيق والسكر والزيت

(٢٧) اشتهتك عقربة :
دعوة سائدة فى مصر لتمنى الشر للغير . والعقربة حشرة سامة معروفة ، تطلق على الذكر والأنثى ولكن يقصد بها الأنثى غالباً فاذا أردنا الأنثى على التخصيص ، قلنا : العقرباء ، والذكر على التخصيص : العقربان .

(٢٨) الخضر :
الصحيح (الخضروات) ، بمعنى البقول الخضراء ، وفى الحديث : «ليس فى الخضروات صدقة» .

(٢٩) الباميا :
اسمها العلمى (هيبسكس اسكيولنتس) ، نبات من العائلة الخبازية

(٣٠) هذا الخضار :
الصحيح : (خضروات) ، انظر الهامش (١١٤)

(٣١) نادى المنادون :
كان الباعة المتجولون ينادون على بضائعهم فى الشوارع والحارات

(٣٢) عليها :
كانت فى الأصل (عليا) وصوبها المصحح بقلم الرصاص

(٣٣) ترفل فى شوكتها:
الشوكة تعنى القوة والبأس
والمراد هنا طزاجة (الباميا) وقرب عهدها بالقطف .

(٣٤) الابريز :
الذهب الخالص واللفظة معربة ، ومنها استوحى رفاعة الطهطاوى عنوان كتابه (تخليص الابريز فى تلخيص باريز) .

(٣٥) الصبر :
أراد (الصبار) ، والصبار نبات صحراوى معروف بمرارة عصارته .

(٣٦) قد اشتريت غالية :
فى الأصل (اشتريت غالية) ، وأضفنا (قد) ليستقيم الوزن ، والغالية : المرتفعة الثمن ، وهى أيضاً الطيب المكون من أخلاط من المسك والعنبر والبلنجوج وغيرها ، يقول أبو الحسن السلامى :
«ختموا بغالية على أصداغه»

(٣٧) البواكر الأخر :
المقصود هنا ما سبق أن اشترته الخادم من خضروات فى أوان ظهورها

(٣٨) من الصعيد قد بكر :
الصعيد فى اللغة : التراب ، أو هو وجه الأرض على الاطلاق ، وقد جاء فى القرآن :
«ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً» (الكهف : ٤٠) .
والمراد هنا صعيد مصر ، أى مصر العليا ، أو الوجه القبلى ،

(٣٩) بم ترى :
يراعى ضرورة تسكين ميم (بم) ليستقيم الوزن ، و (بم) أصلها أداة الاستفهام (ما) أضيف اليها (باء الجر) ، وفى هذه الحالة يلزم حذف ألف (ما) طالما أن هناك حرف جر يسبقها ، على أن تترك الميم مفتوحة للدلالة على الألف المحذوفة ، أما فى الشعر فيباح تسكين الميم للضرورة الشعرية

(٤٠) دقية :
كلمة مولدة تعنى القدر الصغير الحجم المصنوع من النحاس أو غيره من المعادن وفى العامية المصرية تطلق هذه الكلمة على نوع من الطعام يسبك فى البصل المقلى فى السمن .

(٤١) يا رب لم :
يراعى تسكين الميم فى أداة الاستفهام (لم) ، للضرورة الشعرية ، انظر الهامش (١٢٦)

(٤٢) الضحى : الصلوات الخمس معروفة ، وليست الضحى من بينها .

(٤٣) كما تشا :
حذف الشاعر همزة (تشاء) لتتحقق قافيته .

(٤٤) ما لى وما :
فى الأصل (وما لى وما) ، وحذف المصحح الواو فاستقام الوزن .

(٤٥) وقد رأى كيساً على الدكة :
هذه الجملة الارشادية كانت تالية لكلام (جمال) فقدمناها عليه لينسجم السياق . والكيس وحدة تعامل معروفة ، تقول اشتريت هذا بكيس

(٤٦) جنيهان .. ريالان :
الجنيه عملة مصرية معروفة ، والريال كلمة معربة عن كلمة ريال الاسبانية ، بمعنى (الملكى) ، وكان الأسبان أول من تداول الريال بوصفه عملة نقدية ، وهو عندهم (البيزو) . وأطلق لفظ (الريال) فى العالم العربى فى القرنين ١٧ و ١٨ على نقود فضية هولندية والمانية ونمسوية ، وكانت الريالات الأجنبية عملة متداولة فى مصر أيام محمد على . والآن أصبح الريال هو العملة الرسمية فى عدد من الدول العربية أهمها قطر واليمن

والمملكة العربية السعودية .

(٤٧) فص ياقوت :
الياقوت حجر كريم ، منه الأحمر والأزرق ، ويعد من أنفس الجواهر

(٤٨) ويح جمال جرؤت :
فى الأصل (ويح لي قد جرؤت) ، وبها يختل الوزن ، وقد اجترأنا على تصحيحها بهذا الشكل البعيد الى حد ما عن الأصل لكى يستقيم الوزن وينضبط المعنى .

(٤٩) الفقر :
مطموسة فى الأصل .

(٥٠) الى حرام :
أراد (الى ابن حرام) فاضمر ليستقيم الوزن .

(٥١) والحجا :
بالكسر تعنى العقل ، والجمع أحجاء وهو المراد هنا .

(٥٢) فلانتظر :
كانت فى الأصل (فلننتظر) ، ثم غيرناها لما رأينا أن ضمير الجمع لا يحسن أن يرد فى حديث الخادم .

(٥٣) تفعل :
مطموسة فى الأصل .

(٥٤) طيره :
طير الشىء أو طير به : أطاره ، يقال : أطار النوم من عين فلان ، وأطار المال بينهم : قسمه ووزعه ، والكلمة مستخدمة هنا بمعناها العامى المصرى أى : سرقه أو نشله .

(٥٥) وغبت :
مطموسة فى الأصل .

(٥٦) أعد لي كيسى :
(أعد) مطموسة فى الأصل .

(٥٧) وخذه لي :
(هاء) خذه ، غير مشبعة ، فان أشبعت كسر الوزن .

(٥٨) فشمعة للحنفى :
جامع الحنفى معروف ، ويقع بالقرب من درب الجماميز بالقاهرة .

(٥٩) وشمعة للسيدة :
هى السيدة زينب بنت الامام علي بن أبى طالب وشقيقة الامام الحسن والامام الحسين

(٦٠) ما جرى :
فى الأصل (وما جرى) ، وحذف المصحح الواو ، وهو حذف سليم به استقام الوزن .

(٦١) دعيه ساعة :يجب عدم اشباع هاء (دعيه) حتى يستقيم الوزن .

(٦٢) تسرقنى : مطموسة فى الأصل .

(٦٣) ذلك ما ليس ببالى يخطر :
كانت فى الأصل (استغفر الله ابنتى استغفر) ، وهو سهو أدى بالناسخة الى تكرير السطر قبل السابق ، وقد تدارك المصحح هذا التكرير فاستبدل به هذا المصراع (ذلك ما ليس ببالى يخطر) .

(٦٤) ماذا تقولين يا مولاتى :
فى الأصل (ماذا تقولين مولاتى) والاضافة من عندنا لنقيم بها الوزن ، فالبيت فى جملته من بحر الخفيف .

من جمال ؟ ماذا تقولين يا مو — لاتى ؟ الصدق .. بل تظنين ظنا

(٦٥) خباث :
تقرأ بفتح الخاء ،وهى صيغة على وزن اسم الفعل من (خبث) ، لسب المرأة خاصة .

(٦٦) الضحى :
أشار الشاعر منذ قليل الى أن (الست نظيفة صلت الضحى) ، وانظر أيضاً الهامش (١٢٩) .

(٦٧) الفوطة :
(الفوطة) فى العامية المصرية ، قطعة مستطيلة من القماش الوبرى . تستخدم فى تجفيف الجسم بعد الاغتسال

(٦٨) الكانون :
الكانون فى اللغة ، هو من الناس الثقيل الوخم السعاء بالنميمة ، والجمع كوانين ، يقول أبو دهبل الجمحى فى محبوبته عمرة الجمحية :

فليت كوانينا من اهلى وأهلها — بأجمعهم فى لجة البحر لججوا

والكانون أيضاً هو الموقد الذى يستخدم فيه وقود القش أو الخشب

(٦٩) يشيط : شاط العام أو الطبيخ : اشتدت عليه النار فاحترق .

(٧٠) لشانيا :
أصلها : لشانى ، فخففت الهمزة وأشبعت فتحة الياء ثم مدت .

(٧١) أداريك :
داراه : لاينه ولاطفه واستخدم معه الحيلة أو الدهاء ، والسيدة نظيفة مضطرة لمداراة خادمها هنا ، لأنها تعرف سر الثروة المخبأة فى البئر .

(٧٢) فاخشى خبر البئر :
(فاخشى) لم تكن موجودة فى الأصل ، وأضيفت بقلم الرصاص ، وبها استقام المعنى والوزن .

(٧٣) أقول لكن عدينى جدة لا تغضبينا :
كان ينبغى أن يقول (لا تغضبى) ، فالجملة فى أصلها (عدينى جدة أن لا تغضبى) وحذفت (أن) الناصبة ، وبقى معناها قائماً .

(٧٤) النشال :
نشل الانسان أو الحيوان نشولا : هزل وقل لحمه ، ونشل فلان الشىء نشلا : نزعه بشدة وسرعة ، أما النشل بمعنى السرقة وخفة اليد فمحدثة ، وهى المقصودة هنا .

(٧٥) لا حرم : غير واضحة فى الأصل .

(٧٦) السحت :
بضم السين المضعفة ، هو الخبيث من الرزق والكسب وما أتى منه بغير طريق شرعى كالرشوة وغيرها

(٧٧) العين يا جمال : العين هنا رمز للحسد .

(٧٨) فى القفة والزنبيل :
(القفة) مر شرحها ، انظر هامش (٩٩) ، والزنبيل لغة فى الزبيل ، والزبيل هو القفة أو المقطف ، والجمع زبل وزبلان ، وجمع الزنبيل : زنابيل .

(٧٩) برميل: البرميل كلمة دخيلة ، وتطلق على الوعاء المستدير المنبعج

(٨٠) المال قد خبات :
فى الأصل (المال خبات) والاضافة من عندنا لكى يستقيم الوزن .

(٨١) من سروالى :
السروال لباس يغطى السرة والركبتين وما بينهما ، يجوز تذكيره وتأنيثه ، جمعه الصحيح : سراويلات ، وللمتنبى يتغزل :

إنى على شغفى بما فى خمرها — لأعف عما فى سراويلاتها

(٨٢) أو شلتة :
فى الأصل (شلتت) وهو تصحيف . والصواب ما أثبتناه . وانظر الهامش (٥٧)

(٨٣) عند أمثالى مالا :
فى الأصل (عندى أمثالى مالا) وهو تصحيف أيضاً .

(٨٤) شروى نقير :
النقير : الأنقور ، والأنقور : النقرة الدقيقة على ظهر النواة ، ولاسيما نواة البلح ، يضرب بها المثل فى التفاهة وصغائر الأمور

(٨٥) المدمسا :
غير واضحة فى الأصل ، والمدمس فى اللغة : المغطى ، والاناء المدمس هو الذى غطيت جدرانه بالدسم والأوساخ ، ودمس الشىء : غطاه ، ودمس الليل : هبط بظلامه ، والمراد هنا : الفول المدمس ، وهو طعام شعبى مشهور

(٨٦) ألم يحرم نفسه :
أراد : ألم يحرم على نفسه ، فحذف (على) للضرورة الشعرية .

(٨٧) ومن نباك :
أراد : من نبأك فخفف للضرورة الشعرية . وكذلك سيفعل بعد سطرين فيقول (هبيهم لم ينبونى) .

ماتاهاري وابنتها..
أشهر جاسوستين في القرن العشرين

هذه قصة الجاسوسة العالمية ماتا هارى وهى أشهر جاسوسة فى القرن العشرين ، وقد كتبها «كيرت سنجر وجين شرود» ومع هذه القصة ، قصة ابنة ماتا هارى التى حاولت أن تنتقم لأمها فسارت فى نفس الطريق وانتهت نفس النهاية .

وتكشف هذه القصة عن بعض خفايا السياسة الدولية ، وخاصة فى أوقات الحروب ، حيث لايتورع المتحاربون عن استخدام كافة الأساليب والوسائل فى سبيل تحقيق أهدافهم .»

ولا شك أن الحقائق الواردة فى قصة ماتا هارى وابنتها يمكن أن تكشف ، بالاضافة إلى ما فيها من طرافة وإثارة ومتعة أمام المجتمع العربى المعاصر بعض الأساليب التى يستخدمها أعداؤنا ضدنا ، خاصة وأن العرب اليوم معرضون لكل أنواع الهجوم عليهم ، وعلى رأس الهجوم : الجاسوسية .

ولدت «مارجريدا جرتريـــد زيل» الشهيرة بـ «ماتا هارى» بالبلاد الواطئة «هولندا» فى ٧ أغسطس سنة ١٨٧٦ ، ولما بلغت الرابعة عشرة من عمرها دخلت أحد الأديرة الكاثوليكية ، ثم لما بلغت السابعة عشرة من عمرها التقت فى «لاهاى» بالكابتن «كامبل ماك ليدا» التابع لقوات المستعمرات الهولندية ، وسرعان ما تمت الخطبة والزواج ثم أبحر العروسان الى «جاوة» بالهند الصينية .

وما جاء عام ١٨٩٥ حتى كان لماتا هارى ثلاثة أطفال ، كما بدأت العلاقات بين الزوجين تسير من سيء الى أسوأ ، فقد كان الزوج سكيراً وعربيداً ، وكان يعتدى على زوجته بالضرب ، مما شكل خطراً على حياتها .

عيون الصباح

وتوفى «لمارجريدا» طفلها الذكر ، فأرسلت بنتيها الى أحد أقاربهـــا بأندونيسيا ، وهاجرت هى وزوجها ، وانطلقت الى باريس ، آملة أن تنسى هناك أحزانها ، وانضمت الى مسرح راقص ، لكنها لم تصادف نجاحاً يذكر فى بداية حياتها الفنية ، وفى أحد الأيام خطرت لها فكرة فصممت على تنفيذها ، حيث تقدمت الى أحد متعهدى الحفلات على أنها راقصة ، وكانت «مارجريدا» تتميز بشعر فاحم وعيون سوداء وبشرة سمراء ، واختارت لنفسها اسم «ماتا هارى» وهو يعنى باللغة الأندونيسية «عيون الصباح» واتصلت بالصحفيين وأخذت تحكى لهم قصة خيالية عن نفسها ، وقالت لهم إنها ولدت فى الهند من عائلة تنتمى الى طائفة البراهمة المقدسة ، وأن أمها كانت ترقص فى المعابد وهى التى علمتها الرقصات الدينية . وصدقها الجميع .

نجمة لامعة

وراحت «ماتا هارى» تظهر على خشبة المسرح وقد قامت بطلاء جفونها «بالكحل» وتحلت بمختلف المجوهرات الشرقية ، وأصبحت نجمة لامعة بين ليلة وضحاها ، وراحت الراقصات الأخريات يقلدنها فى رقصاتها «الهندية» وامتلأت علب الليل في باريس بأمثالها ، فملأ ذلك قلب الهولندية «ماتا هارى» بالغضب ، وكتبت لأحد أصدقائها «إن الجميع يسرقن آرائى .. سأغادر باريس . لقد قبلت عقداً للعمل فى برلين» .

وفى برلين ، وقع نجل الامبراطور فى شراك حبها ، كما أصبح دوق «برانسويك» من المعجبين بها . ثم رقصت «ماتا هارى» بعد ذلك فى فينا ، وروما ، ومدريد ، وصادفت نجاحاً منقطع النظير ، وكان الجميع ينظرون اليها على أنها من كبريات فاتنـــات العصر ، وكانت «مارجريدا» تعشق حياة البذخ والترف ، وكان هذا الطريق هو الذى قادها الى الجاسوسية ...

ماتا هارى .. تجلس فى الوسط وهى أشهر جاسوسة فى الحرب العالمية الأولى



لقد وعدوها بالكثير اذا هى عملت لحساب الأجهزة السرية الألمانية ، فليس عليها إلا أن تختلر المعجبين بها من كبار الضباط .

وأصبحت «ماتا هارى» من أكبر جواسيس التاريخ ، وهى لم تقم بهذا العمل إلا طمعاً فى المال وحده ، فقد كانت تجهل معنى الوطنية

وجاء عام ١٩١٤ ، واندلعت الحرب العالمية الأولى ، ولم تجد «ماتا هارى» أية صعوبات فى التنقل بين باريس وبرلين ، حيث أنها كانت تتمتع بالجنسية الهندية .

الشكوك تحيط بها

وكانت الأجهزة السرية الايطالية هى أول من كشف القناع عن الدور الحقيقى الذى كانت تقوم به الراقصة ، فقد تسلمت المخابرات الفرنسية ذات يوم البرقية التالية من ايطاليا :

«لقد علمنا أن الراقصة الشهيرة ماتا هارى كانت ضمن ركاب سفينة يابانية مرت بنابلى ، ونفيدكم بأن هذه الراقصة قد تجنست الآن بالجنسية الألمانية» .

وأخذت المخابرات الفرنسية فى مراقبتها ، ولكن رجال مكافحة الجاسوسية فى فرنسا لم يعثروا على أى دليل يدين الراقصة ، غير أنهم لاحظوا ملاحظة واحدة هى أن «ماتا هارى» لم تكن تلقى بخطاباتها الى أصدقائها الموجودين خارج فرنسا فى صندوق البريد ، بل كانت تعهد بها الى بعض الديبلوماسيين السويديين والهولنديين والأسبان الذين كانوا يحملون هذه الرسائل فى حقائبهم الديبلوماسية ، ثم توصل رجال المخابرات الفرنسية الى قراءة خطابات «ماتا هارى» بعد سرقتها من «الحقائب الديبلوماسية» غير أنهم لم يجدوا فيها شيئاً هاماً ، وحاولوا فك «شفرتها» ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك ، وقررت الحكومة الفرنسية طردها وإعادتها الى ألمانيا .

عميلة مزدوجة

وإلى هنا كان من المحتمل ألا تلاقى «ماتا هارى» حتفها اذا خضعت لقرار الطرد ولكنها عرضت على رجال المخابرات الفرنسية العمل لصالح الحلفاء ، وهكذا بدأت فى ممارسة التجسس كعميلة مزدوجة «لفرنسا وألمانيا فى آن واحد» .

أرسل الفرنسيون «ماتا هارى» الى بروكسل حيث كان عليها أن تتصل بأحد قواد الاحتلال الألمانى وهو الجنرال «موريتز فون بيسنج» ، وحملت معها أسماء العملاء البلجيكيين الستة التى كان عليها أن تمدهم بالمعلومات التى ستحصل عليها من الألمان ، غير أنه لم تمض أيام قليلة على وصول «ماتا هارى» الى الأراضى البلجيكية حتى أعدم الألمان أحد هؤلاء العملاء الستة رمياً بالرصاص .

وتوصل أحد العملاء من الانجليز الى أن إعدام هذا الشخص كان بسبب خيانة امرأة .

ورحلت ماتا هارى الى اسبانيا ، وكان عليها أن تمر بلندن ، فاستدعتها «اسكتلانديارد» «الشرطة الانجليزية» وحققت معها ، وقالت فى التحقيق : «إننى أنكر أننى أعمل جاسوسة ، ولكننى أكرس كل وقتى لخدمة فرنسا .

ورد عليها مفتش التحقيق قائلا : «سيدتى ، أنت مشهورة ، ومن الأفضل أن تكرسى كل وقتك لفنك ، وهذه نصيحة أوجهها لك ، وإذا كنت مصممة على السفر الى اسبانيا فاننى أرثى لحالك» .

ولم تقنعها أقوال مفتش التحقيق الانجليزى ، ولم تمنعها من الابحار على أول باخرة الى اسبانيا ، وهناك ، فى مدريد ، تعرفت الراقصة على الضابط الألمانى «الكابتن والتر ولهيم كاناريس» ، أحد أكبر الجواسيس فى العصر الحديث

المحاكمة والاعدام

كان المسئولون فى برلين يجدون أن الراقصة تكلفهم الكثير دون أن تمدهم بما يوازى تلك التكاليف ، وتلقى الكابتن «كاناريس» الأمر بالتكفل بها

وبالرغم من أن الضابط الألمانى كان معجباً بها أشد الاعجاب ، لكنه اضطر الى إطاعة الأوامر التى صدرت اليه . لقد أعطى لماتا هارى شيكاً بمبلغ كبير هو خمسة عشر ألف بيزيتا اسبانية وأمرها بالعودة الى باريس حيث تنتظرها مهمة خاصة . واخبرها «كاناريس» أن ترسل اليه خطاباً «بالشفرة» بمجرد وصولها الى العاصمة الفرنسية ، وأرسلت «ماتا هارى» أو «عين الصباح» البرقية المطلوبة ، فقبض عليها فى اليوم التالى .

لقد أعطاها «كاناريس» شفرة معروفة تماماً لرجال المخابرات الفرنسيين ، وقد أثبت استخدام تلك الشفرة بما لا يدع مجالا للشك ، أن الراقصة على صلة بالأجهزة الألمانية .

وتم تقديم «ماتا هارى» الى المحكمة العسكرية الفرنسية فى ٢٤ يوليو سنة ١٩١٧ .. وراحت تدعى البراءة ، وتؤكد بأن النقود التى فى حوزتها لم تحصل عليها إلا من المعجبين بها ، كما أنها لم

ماتا هاري وابنتها..
أشهر جاسوستين في القرن العشرين



زرار قميص مكتوب عليه رسالة المعلومات .



الجاسوسة الأم تقرأ رسالة لصديقتها قبل اكتشاف مهمتها الخطيرة .

تجمع أية معلومات أو بيانات لغير رجال المخابرات الفرنسية ، ولما سئلت لماذا كانت ترسل رسائلها عن طريق الحقائب الديبلوماسية أجابت بأنها كانت تكتب «لابنتها» .

شائعات

ولكن .. لا «حنان» الأم ، ولا جمال الراقصة ، استطاعا أن يشفعا لها أمام القضاء ، لقد كانت التهم الموجهة اليها خطيرة : اعدام العميل البلجيكى ، وافشاء أسماء رفقائه الخمسة للمخابرات الألمانية .

وصدر الحكم على ماتا هارى بالاعدام ولم تعترض ... ولم تفقد وعيها .

وراجت اشاعات فى باريس بين فترة صدور الحكم باعدامها وتنفيذ الحكم ...

قيل إن ألمانيا كانت على استعداد «لشراء» العفو عنها بأى ثمن .

وقيل إن محاميها الذى وقع فى حبائل حبها حاول إنقاذها ، وأنها قد حصلت على قرار بتأجيل تنفيذ حكم الاعدام .

وبدأت أسطورة «ماتا هارى» :

نسبوا اليها التسبب فى اغراق أربع عشرة قطعة من الاسطول الفرنسى ، ثم اتهمت بعد ذلك بكل ما لا يخطر على بال البشر من جرائم .

١٢ رصاصة فى جسدها

وفى يوم ١٥ أكتوبر عند الفجر اقتيدت الجاسوسة الى «فالنسين» ، وكانت قد كتبت خطاباً أخيراً الى ابنتها ، واعتنت كثيراً بمظهرها . وتم تقييدها الى إحدى الأشجار ، ورفضت وضع العصابة على عينيها .

وأعطى الضابط أمراً باطلاق النار ، وتهاوى جسد «ماتا هارى» ، وقد نفذت فيه اثنتا عشر رصاصة .

وكانت ماتا هارى أول جاسوسة «امرأة» تلقى حتفها رمياً بالرصاص تكفيراً عن جرائمها .

الرسالة الأخيرة

وفى اليوم الذى لقيت فيه «ماتا هارى» حتفها رمياً بالرصاص كانت ابنتها «باندا» لا تتجاوز السابعة عشرة من عمرها ، وكانت لا تكاد تعرف شيئاً عن أبويها .

لقد قيل لها :

إن أباك اختفى ، وحسناً فعل . فقد كان سكيراً وعربيداً ، كما كان يعتدى على والدتك بالضرب ، ووالدتك الآن من أكبر الراقصات فى أوروبا .

وحينما كانت الطفلة «باندا» تسأل عن السبب الذى يمنع والدتها عن المجيء اليها لرؤيتها ، كانوا يجيبونها بأن السبب يرجع الى نشوب الحرب .

كانت الفتاة «باندا» تشبه أمها الى حد كبير ، ولكنها كانت تفوقها جمالا ، وكانت تتميز بنفس البشرة السمراء والشعر الأسود ، ولكنها كانت أقصر قامة من أمها ، وفى شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ ، تسلمت «باندا» آخر خطاب لها من أمها ، حيث قالت لها أمها :

«طفلتى العزيزة :

لدي أشياء كثيرة أود أن أقولها لك ، إن حياتى على وشك الانتهاء ، الساعة الآن الرابعة صباحاً ، بعد ساعتين سأكون فى عداد الأموات ، لقد كنت طفلة صغيرة حينما تركتك ، أرجـوك أن تصدقينى . إننى لم أفعل شيئاً قبيحاً ، لكن قوانين الحرب قاسية .. لقد عشت حياة حافلة .. وأنا لم أعرفك كما ينبغى ولكن العمة «روز» كانت ترسل لي دائماً أخبارك ، والدرجات التى تحصلين عليها فى مدرستك ، إنها تقول بأنك ذكية وجميلة ، وأنا أعرف أنك جميلة لأن عندى صورتك ، وقد كنت أنا صغيرة جداً عندما ذهبت مع والدك الى «جاوة» ، كنت أحب والدك جداً ، ولكـن الطقس الاستوائى والخمر ، ثم موت أخيك ، كل ذلك جعل من والدك رجلا آخر ، حتى أنه حاول قتلى فى أحد الأيام ، فهجرته ، أما



رسالة من الجاسوسة كتبتها على طابع بريد .



استخدام التليفون فى الرسائل العاجلة .

الآن فهناك آخرون سيتولون أمر قتلى .. كان يجب ألا أفارقك .. سأموت وأنا أفكر فيك ... لقد تعلمت أن فى الحياة أشياء أخرى أهم من المال .. أطلب منك أن تصلى من أجلى .. الوداع يا ابنتى العزيزة .. حاولى أن تتمتعى بحياتك ... وألا تبغضينى» .

حياة جديدة

وتركت «باندا» منزل عمتها قائلة إنها تريد أن تصبح مدرسة وتعيش بمفردها ، ولكنها فى نفس تلك الليلة ذهبت لتعيش مع أحد الموظفين الهولنديين ، وهو رجل متقدم فى السن ، كان بالنسبة لها بمثابة الصديق والأب والأستاذ وكان يكبرها بأربعين عاماً ، ولكنها كانت تحبه وتريد الزواج منه . وكان الرجل يقول لها :

«لا يا طفلتى ، إننى أحب أن أراك بجانبى ، وأن أدللك كابنتى ، ولكننى لا أريد أن أرغمك على تمريضى حينما أصير عجوزاً ، مريضاً» .

ثروة كبيرة

ونفذت باندا خطتها التى رسمتها لنفسها : أصبحت مدرسة ، واهتمت اهتماماً خاصاً بتعليم المواطنين وفى عام ١٩٣٥ ، فقدت باندا صديقها القديم ، وقد ترك لها ثروة عريضة وكثيراً من الأصدقاء فى محيط الموظفين الهولنديين

واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ، ولم تمض فترة قصيرة حتى وجدت انجلترا نفسها وحيدة ومهددة بالغزو .

وهاجم اليابانيون سنغافورة ، ووقعت حادثة «بيرل هاربر» ، ثم راح اليابانيون يحتلون جزيرة بعد أخرى من جزر الباسفيك ، وأخيراً جاء يوم احتلت فيه القوات اليابانية «جاوة» .، وهرب معظم الأوروبيين أمام هذا الغزو ، ولم تدرك «باندا» إلا فى عام ١٩٤٢ أنها يجب أن تهتم بالحرب ، وبدأت تفكر كثيراً فى أمها التى كانت ألعوبة فى يد الجانبين المتعاديين فدفعت حياتها ثمناً لذلك .

بداية المأساة

وفى أحد الأيام قالت باندا لتلاميذها : «إن العالم يشبه العجلة الكبيرة ، وفى أعلى هذه العجلة يوجد الأقوياء الذين يسحقون غيرهم ممن يوجدون تحت هذه العجلة ، ولكن الزمن يمر ، والعجلة تدور ، وسيصل البسطاء حتى الى أعلى العجلة ، أما الأقوياء المستبدون فسيلقون مصرعهم تحت العجلة بدورهم» .

وجاءها فى اليوم التالى ضابط يابانى وقال لها وهو يحدق فى عينيها : «لقد أخبرونى عن موضوع درسك الأخير ، أرجو ألا تنسى أننا هنا لتحرير هذه الجزر الأندونيسية من براثن الاستعمار الهولندى ، إننا نعطى الشعب اليوم ، المال والطعام ، وسوف نعطيه أكثر من ذلك فى يوم ليس ببعيد ، سنعطيه الحرية . إننى أطلب منك أن تعالجى هذا الموضوع فى محاضرتك» .

حفلات وأصدقاء

وعادت المدرسة الى منزلها وقد ساورها القلق ، ووجدت فى انتظارها رجلا لم تكن قد رأته منذ عشر سنوات ، إنه عمها «بول لانوس» ، وكان وهو الهولندى يرتدى الزى العسكرى اليابانى وسرعان ما اعترف لها بأنه يعمل لصالح اليابان ، أى أنه خائن لوطنه : هولندا .

ثم قال لها :

أنت لك معرفة بعلية القوم هنا ، إننى أريدك أن تزيدى من حفلات الاستقبال ، كما أريدك أن تستضيفى الى جانب أصدقائك الأشخاص الذين سأعطيك أسماءهم ، وسأتكفل أنا بجميع المصاريف ولن تخسرى شيئاً ، وأدركت «باندا» أن منزلها سيكون مقراً للمخابرات اليابانية ، فقالت :

وماذا اذا رفضت معاونتكم ؟

قال لها :

لن ترفضى .. لقد أُخبرت أصدقاءك عن حقيقة أمك ، ثم ..لقد كنت غير حذرة فى الآونة الأخيرة ... لقد تفوهت بالكثير ضد محررينا اليابانيين ، وهذا كما تعليمن أمر جد خطير .

واضطرت باندا الى القبول ، ولكنها صممت على العمل لحسابها الخاص ، وأصبح منزلها يعج بالمدعوين : ضباط يابانيون ، وكبار شخصيات المدينة ، وديبلوماسيون أجانب .

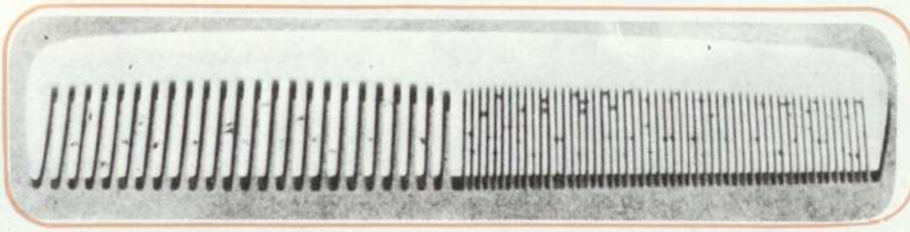
ووقعت فى الحب ..

وفى تلك الفترة ، وقعت باندا لأول مرة فى شباك الحب .. تعرفت على حبيبها فى إحدى حفلاتها ، وكان اسمه «عبد الله» وقد علمت من عمها أنه من أخلص الأندونيسيين الذين يتعاونون مع اليابانيين ، كما أنه يرأس الميليشيا الوطنية المؤيدة للمحررين اليابانيين .

ومرت الأيام ، والحبيبان ، لا يفترقان ، واعترف لها «عبد الله» بأن دوره كمنظم

ماتا هاري وابنتها..
أشهر جاسوستين في القرن العشرين

على اسنان المشط كتبت رسالة .



للميليشيا ليس إلا تمويهاً ، لأنه فى حقيقة الأمر هو المنظم الأول لحركة المقاومة السرية ضد اليابانيين ، وهو يستعد، ويمهد لليوم الذى تقوم فيه الميليشيا وتطالب باستقلال البلاد بمعاونة الحلفاء .

وانضمت «باندا» لحركة المقاومة ، الأندونيسية ، ولكن عبد الله طلب منها أن تستمر فى استقبال اليابانيين حتى تحصل منهم على كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات .

معلومات خطيرة

وأثبتت ابنة «ماتا هارى» أنها أكثر ذكاء من أمها ، لقد كانت هى أول من كشف الستار عن الخطط اليابانية العسكرية ، ونقلت الى «عبد الله» بيانات عسكرية خطيرة عن أمكنة تجمع القوات والقواعد الجوية وتحركات السفن .

وقد علمت المخابرات البريطانية والأمريكية بأمر «باندا» ، ولكن الجميع كانوا يجهلون أنها ابنة «ماتا هارى» .

وقد احتفظ اليابانيون بثقتهم فيها حتى النهاية ، ولكنهم كانوا يشكون فى «عبد الله» غير أنهم لم يجرؤوا على اعتقاله خوفاً من أن يحرك ذلك قوات الميليشيا ضدهم ، وأخيراً نزلت القوات البريطانية حيث حررت تسع مدن ، ولاذ اليابانيون بالهرب ، وقام سكان أندونيسيا ، ينادون بالحرية ، وبدأت حرب جديدة ، بين الشعب الأندونيسى وهولندا .

ولم تفكر هولندا فى تحرير أندونيسيا ولم تكن قضية أندونيسيا أيضاً تشغل بال الأنجليز ، فقد كان همهم الأول هو مقاتلة العدو اليابانى .

واستمرت «باندا» فى اقامة حفلاتها وقامت بالتجسس فى هذه المرة ضد الهولنديين ، وكان لها أعوان كثيرون أهمهم رجل من كوريا يدعى «ماتو» وكان يعمل فى مكتب الحاكم العام الهولندى . وقام الجيش الهولندى فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بحرب دموية ضد أندونيسيا وأخذ الهولنديون يؤكدون أن الأندونيسيين غير قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم ، ووسط هذه المعارك تلقت «باندا» أكبر لطمة فى حياتها . أخبرها «عبد الله» أنه تزوج من فتاة مناضلة فى العشرين من عمرها .

فى أمريكا ...

ولم تحاول المقاومة ، ولكنها صممت على مغادرة أندونيسيا ، وكانت تشعر بأنها مدينة بالكثير لهذا البلد ، ولهذا ما كادت تصل الى أرض أمريكا ، حتى راحت تلقى المحاضرات وتتحدث فى الاذاعة مدافعة عن اندونيسيا .

كنز من الذهب

وفى مدينة هوليود ، التقت بأحد الأثرياء الذى وافق على أن يمدها بالمال اللازم لمساعدة حركة التحرير الاندونيسية ، وكانت باندا تعلم أن هناك فى أندونيسيا كمية من الذهب تبلغ قيمتها ٧٥٠,٠٠٠ دولار ذهباً ، ولا يدرى مكان هذه الكمية من الذهب أحد من الهولنديين أو اليابانيين .

وقام المليونير الذى تعرفت به باندا بشراء الطائرات والعتاد الحربى للاندونيسيين ، وكانت إحدى هذه الطائرات مجهزة خصيصاً لحمل كميات الذهب التى يتكون منها الكنز الاندونيسى . ووصل خبر هذا الذهب الى اسماع الهولنديين، فراحوا يبحثون عنه بشره ولهفة . ولكن المناضلين الأندونيسيين كانوا ينقلونه فى مخابىء أمينة ، واستطاعوا أخيراً شحنه بالطائرات الى الفلبين ، وقد تم استخدام هذا الكنز فى شراء الأسلحة التى ساعدت الشعب الأندونيسى على القتال والحصول على الاستقلال .

وعادت «باندا» الى اندونيسيا لتحضر حفلات الاستقلال ، وكانت تشعر بسعادة غامرة لاعتقادها أنها كفرت عن أخطاء أمها .

مهمة قاتلة

ولكن مستقبلها كجاسوسة لم ينته عند هذا الحد ، فقد أرسلتها واشنطن بعد أن عرفت حقيقتها ، الى الصين للتجسس على الشيوعيين هناك ، وقد أرسلت لرؤسائها بيانات دقيقة على جانب كبير من الأهمية فقد أكدت لواشنطن أن «شيانج كاى شيك» لن يستطيع السيطرة على الصين ، وهو ما حدث بالفعل ، كما أخبرت واشنطن عن هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية ، ولم تمض أشهر قليلة حتى اندلعت الحرب الكورية بين الشمال والجنوب .

ولكن الشيوعيون ألقوا القبض على «باندا» ابنة «ماتا هارى» فقد شاءت الصدفة أن يكون أحد رجال الأمن الشيوعيين هو «ماتو» الذى كان يعمل سابقاً تحت إمرة «باندا» .. لقد عرفها «ماتو» وكشف أمرها لدى السلطات .

وتم اعتقال باندا .

وماتت رمياً بالرصاص دون محاكمة .. عند الفجر فى تمام الساعة ٥,٤٥ ، أى فى نفس اللحظة التى تم فيها تنفيذ حكم الاعدام فى أمها .. «ماتا هارى» .

د. عبد المحسن صالح

ومن السموم الناجعات دواء!



كل الحياة سموم .. لأن من صفاتها تناول النافع، وانتاج الضار .. لا يختلف فى ذلك الميكروب عن النبات عن الانسان والحيوان .. فما من كائن حى يتناول خامات الحياة الطيبة ، إلا ولها نتائج سيئة .. وما لم يتخلص منها أولا بأول ، فلابد أن تتجمع وتصبح سموماً لتبعث به الى الدار الآخرة !

ولكى لا تذهب بنا الظنون كل مذهب ، دعنا نأخذ الانسان كمثال .. فملايين الملايين من الخلايا التى يحتويها جسمه تتغذى وتتنفس وتحول آلاف المركبات الكيميائية من صورة الى أخرى .. كثيرها نافع وهام ، وقليلها ضار وسام .. لكن ذلك لا تتضح معالمه ، إلا اذا توقفت الكليتان عن العمل ، والنتيجة الحتمية لذلك انهيار وغيبوبة يتبعها موت ، ما لم تأته النجدة فى غضون أيام قليلة ، والنجدة تتمثل فى كلى صناعية تخلصه من سمومه التى تتجمع فى دمائه ، وأهم هذه السموم على الاطلاق هو مركب «البولينا» .. فاذا تجمع ـ مع غيره ـ فى الدماء بتركيزات عالية ، كان ذلك بمثابة الانذار بالموت !

وما يسرى على الانسان ، يسرى أيضاً على الحيوان ، أو أى كائن حى آخر .. عظم شأنه أو صغر ، حتى لو كان ذلك ميكروبا لا تراه العين .. صحيح أن الميكروب لا يمتلك كلية تخلصه من سمومه ، فهو لا يحتاج اليها لضآلته ، لكنه يفرز سمومه فى الوسط الذى يعيش فيه ، ولو تجمعت فى تركيزات عالية نتيجة للتحولات الكيميائية التى تقوم بها بلايين الميكروبات ، فلابد أن توقف نشاطها ، وتحيل حياتها الى موت .. ويعنى هذا أن كل خلية ، فى أى كائن حى تكون سمومها أو نفاياتها من نفس المواد التى تهبها الحياة ، ولابد أن تتخلص منها أولا بأول ، وما لم تفعل ، خبت فيها جذوة الحياة !

الداء فى الدواء !

ولكل شىء فى حياتنا حدود ومعايير ؛ فاذا زاد الشىء عن حده ، انقلب الى ضده .. فرب مركبات أو عناصر هامة تحتاجها الكائنات الحية لتدير بها عملياتها الحيوية ، فاذا بها سموماً قاتلات .. ان اجسامنا وأجسام الكائنات الحية الأخرى تحتاج الى عناصر الزرنيخ والنحاس والحديد واليود .. الخ بكميات ضئيلة للغاية ، وغيابها فيه خطر على الحياة ، ومع ذلك فهى سامة ، اذا ما زادت عن حدودها .

والفيتامينات التى يظنها معظم الناس أنها واهبة الحياة ، أو أن الجرعات الكبيرة منها قد تمدهم بقوة كقوة هرقل ، بعض هذه الفيتامينات قد يصبح ساماً ، اذا زادت الجرعة عن حدودها .. ان الذين يسكنون قرب المنطقة القطبية مثلا ، يعيشون على لحم الدب القطبى ، لكنهم اذا أكلوا كبده ، أصابهم تسمم رهيب ، ولقد أوضحت البحوث أن ذلك يرجع الى فيتامين «أ» الموجود بتركيزات عالية وغير عادية فى كبد الحيوان .. أى أن الشىء الذى يصلح الحياة ، هو الذى يفسدها اذا أسرفنا فيه .. «إن الله لا يحب المسرفين» .. فى مال وطعام وشراب ودواء وما شابه ذلك .

إن أقراص الأسبرين التى تزيل الصداع ، وتخفف الآلام الروماتيزمية ، وتخفض ارتفاع الحرارة فى بعض الحالات المرضية كالانفلونزا ونزلات البرد .. هذا الدواء الناجع ، قد يصبح مبيداً للحياة ، ولطالما استخدمه الناس فى الانتحار .. وما عليهم إلا أن يضاعفوا الجرعة ، وعندئذ يحل بالجسم والقلب هبوط تدريجى قد يؤدى الى الوفاة ، ما لم تأتهم نجدة طبية فى الوقت الملائم .

ولا شك أن معظم الأدوية سموم ، ومن أجل هذا حددت جرعاتها بحيث لا تتعدى معاييرها المضبوطة التى تتمشى مع وزن الجسم ، وطبيعى أننا نتناولها مضطرين ، فكأننا نحن نحارب شراً بشر ، أو سماً بسم .. فالمضادات الحيوية مثلا تقتل الميكروب ، لكنها قد تقتلنا أيضاً .. هذا لو زادت عن حدودها .. كذلك تفعل المبيدات الحشرية .. انها تقتل البعوض والذباب والصراصير وما شابه ذلك ، لكنها فى الوقت ذاته قد تقتلنا ، لكن الجرعة التى تقتل الذبابة ، لا تقتل الانسان بطبيعة الحال .. ومع ذلك ، فهناك حالات كثيرة ومعروفة قتل المبيد فيها الانسان بطريق الخطأ ، أو بطريق الانتحار !

حيوانات قد تصبح سامة إذا استخدمت كطعام



ثعبان الموارى



سمك القرش



الولك «حلزون بحرى»



السمكة العقرب .. فى أشواكها تكمن سموم قاتلة .

ومن الكائنات ما هو سام !

ثم ان الانسان ليس كائناً ساماً ، وإن كان هو صانع أكبر حصيلة من السموم التى لوث بها هواءه وماءه وطعامه .. فالمدنية الحديثة ذاتها سلاح ذو حدين : حد معمر ، وحد مخرب .. أو نافع وضار .. أو منقذ ومميت ، لكن أحياناً ما يكون الانسان «ساماً» فى أقواله وأفعاله وسلوكه ، وقد تكون الكلمة أكثر فاعلية من السم ، إذ قد تؤدى الى ضحايا أكثر من ضحايا السم ، ومن أجل هذا يتلفظ الناس أحياناً بتعبيرات تحمل هذا المعنى ، كان يقال ان كلامه سم أو كالسم ، أو أنه ينفث السم من فمه ، وكأنما هو حية تلدغ .. مع الفرق طبعاً بين «لدغة» انسان . ولدغة حية أو ثعبان !

ومادمنا قد ذكرنا الحية والثعبان ، فان ذلك يحملنا الى ضرورة التعرض للكائنات .. وهى واسعة الانتشار فى الطبيعة .. فى الأرض وعلى الأرض وفى الماء والهواء .. فى ممالك الحيوان والنبات والميكروبات على حد سواء .. انها تحمل السم الزعاف ، ورغم ذلك أصبحت سمومها بمثابة السلاح الذى تخيف به أعداءها ، أو تدافع بواسطته عن حياتها ، انها تفرزه أو تنفثه أو تحقنه بوسائل كثيرة لا نستطيع أن نتعرض لها هنا ، وإلا خرج الموضوع من أيدينا دون أن نحقق الهدف الذى جاءت من أجله هذه الدراسة المختصرة !

وأنواع السموم كثيرة جداً ، ولا نستطيع لها حصراً ، فمنها ما هو مميت ، حتى ولو جاء فى تركيزات جد ضئيلة ، ومنها ما يهيج الأعصاب ، أو يشلها ، ومنها ما يدمر الخلايا والعضلات ، أو قد يصيبها بتشنجات رهيبة ، ومنها ما يخدر ، أو يشل مراكز خاصة فى المخ ، أو يذيب كرات الدم ، أو يحدث القيء أو التشنج أو فقدان الوعى أو جفاف الفم والحلق والجلد ، أو التهيج والهلوسة ، أو احداث رغوة مميزة على الفم ، أو استرخاء بعض العضلات المسيطرة على التنفس .. أو .. أو .. الى آخر هذه القائمة من الأعراض التى عرفها الانسان منذ فجر التاريخ ، وعمل لها ألف حساب وحساب ، لكن بعد أن مر بتجارب قاسية وقاتلة على مر العصور ، ومنها تعلم ما ينفعه وما يضره ، وما يغذيه وما يسمه ، فانتقى الصالح ، وتجنب الطالح ، ولايزال الانسان حتى يومنا هذا يشرب من الكأس الذى شرب منه أجداده الذين سبقوه على هذه الأرض بآلاف السنين اذ لازالت السموم تلعب لعبتها ، ولها ضحايا كثيرون .. وقد تجيء السموم أساساً عن طريق الطعام أو الشراب .. ليس مما يدسه الانسان للانسان ، بل عن طريق جهل وعدم دراية ، فكم سمعنا عن طعام يقلب الأفراح حزناً وأتراحاً ومن وراء ذلك ميكروب يأكل مما نأكل فيفرز سمومه بتركيزات جد ضئيلة فى الطعام والشراب دون أن يعرف الناس عن ذلك شيئاً ، لأن الميكروب لا يرى لضآلته بالعين المجردة !

إننا نخشى مثلا لدغة الثعابين والحيات والعقارب ، ونفزع من رؤيتها ، ليس لذاتها ، بل لادراكنا أن لدغتها قد تكون مميتة ، ومع ذلك فسمومها أقل وطأة من السموم التى تفرزها أنواع خاصة من الميكروبات ، هذا اذا قدر لها وسطت على الطعام دون أن ندرى .. اذ تكفى جرعة منها تقدر بحوالى ٠,٠٠٠٠٠٢٤ من الجرام لتقتل انساناً بالغاً هذا وقد فصل نفر من العلماء من الميكروب طرازاً آخر من السم (يعرف باسم الطرازد) ، ويقال أن قوته التدميرية أكبر بحوالى ٢٠ ألف مرة من الطراز السابق (اسمه الطراز «أ» ويفرزه نفس الميكروب المتسبب فى تسمم الطعام) .. وهذا يعنى أن نصف جرام من هذا السم يكفى لقتل سكان العالم أجمع ، وفى قول آخر : يكفى جزء من مائة جزء من الجرام لقتل كل السكان ، لو أن سم الميكروب قد خفف فى مادة الجيلاتين !

إن خطورة السم هنا أعظم بكثير من القنابل النووية ، وهو جزء من الأسلحة البيولوجية المحظور استخدامها حظراً باتاً لأنه يمثل أشنع جريمة فى حق البشرية .

خير وشر !

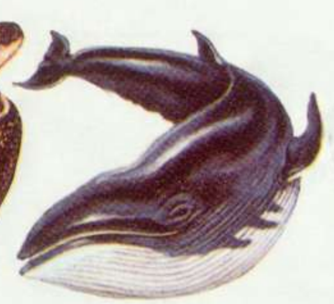
لكن ليست كل الميكروبات بهذه الضراوة ، ولو كانت كذلك لما ظهر على هذا الكوكب مخلوق ، ذلك أن منافذ الطعام والهواء فى أجسامنا تزخر بجيوش رهيبة من الميكروبات ، وهى بطبيعة الحال مسالمة ، بل ان بعضها يعيش فى أمعائنا حياة تعاونية ومثمرة ، فهو يأكل مما فى أمعائنا من طعام مهضوم ، ويرد لنا الجميل على هيئة مجموعة من الفيتامينات الهامة (مجموعة فيتامين ب المركب) ، ولهذا تعتبر هذه الميكروبات المصدر الأساسى والدائم لهذا النوع من الفيتامينات .. لكن ما علينا من كل ذلك ، فالحديث فيه قد يتشعب ويطول ، ويكفى هنا أن نقول أن من الميكروبات ما هو مفيد ، ومنها ما هو ضار ـ مثل الميكروبات التى تسبب



نوع من خيار البحر



الدب القطبى



نوع من الحيتان



سلحفاة جلدية الظهر



التونة الزرقاء

الأمراض (والمرض يظهر من سمومها أساساً) .

والواقع أن أقسام الكائنات الدقيقة كثيرة ومتنوعة .. فمنها البكتريا والطحالب والفطريات (العفن) والحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة أو عديدة الخلايا .. وفى كل قسم من هذه الأقسام نجد خيراً وشراً – طبعاً بالنسبة لنا – ، لأننا نقيس الأمور دائماً على هوانا ، فما قد نراه خيراً لنا ، قد يصبح شراً بالنسبة لكائنات سوانا ، والعكس صحيح .. فعدد أنواع الفطريات مثلا يربو على مائة ألف نوع .. ومن بعض هذه الأنواع نحصل على قائمة طويلة عريضة من المضادات الحيوية التى نقتل بها البكتريا الضارة اذا ماحدث وتسللت داخل أجسامنا ، وهى لا تفرز هذا السلاح البيولوجى من أجل خاطرنا ، بل هو بمثابة سم أو سلاح لتحارب به أعداءها من كائنات أخرى صغيرة تعيش معها فى الطبيعة .. ثم ان بعض هذه الأنواع يسبب أمراضاً (خاصة الأمراض الجلدية – كالقراع مثلا) .. وبعضها يستخدم كطعام ، مثل عيش الغراب وهذا وحده يضم ٣٠ ألف نوع ، والقليل من هذه الأنواع سام اذا استعمل كطعام .. لكن كثيراً من الناس لا يستطيع أن يفرق بين عيش الغراب الطيب والآخر السام ، وكم ذهب من ضحايا لهذا النوع من الطعام . إما غدراً وإما جهلا !

مثل الفطريات هنا كمثل الأسماك .. صحيح أننا نأكل من أطايب البحر الكثير لكن بعض أنواع الأسماك تحوى طرازات من السموم القاتلة ، فلدغتها كلدغة الحيات ، منها على سبيل المثال السمكة العقرب ، والسمكة الشيطان ، والسمكة اليعسوب ، والسمكة اللاسعة أو اللادغة ، وكلها أسماء على مسميات ، فما من مخلوق يدخل مجالها ، أو يصطدم عنوة بجسمها ، إلا وأصابته منها جرعة تجعله يترنح ، ثم يفقد الوعى ، وقد يموت ، وكثيراً ما راح الانسان ضحية هذه الكائنات التى تسكن البحار والمحيطات ، وأحياناً المياه العذبة للأنهار والبحيرات .

وحتى بعض أنواع الضفادع تختزن تحت جلودها سموماً رهيبة ، ولهذا تخشى الكائنات التى يطيب لها لحم الضفادع بأسها ، فبمجرد لمسها ، تنطلق افرازات تشل ضحيتها ، فلا تنعم بوليمتها ، ولو أمسك بضفدعة من هذا النوع ، فكأنما أمسك بجمرة من النار ، لأن افرازاتها تحدث التهابات رهيبة ، ولقد عزل العلماء سمها ، فوجدوا أنه ليس سماً واحداً ، بل خليطاً من سموم شتى ، حتى تصبح فاعليته مؤكدة ، هذا ويكفى جزء واحد من مائة ألف جزء من الجرام للقضاء على انسان بالغ ، ومن أجل هذا كان الهنود الحمر يستخدمون هذه الضفادع ليسمموا بها حرابهم ، فان أصابت الحربة فى غير مقتل ، جاء السم ليفعل ما لم تفعله الحراب !

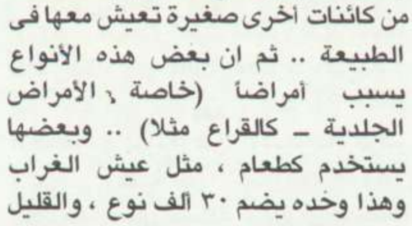
ومادمنا قد ذكرنا الحراب المسممة ، فان الحديث يجرنا الى النباتات السامة التى عرفها الانسان من قديم الزمن وسمم بها حرابه وسهامه ، وهى أيضاً كثيرة ، وسمومها مختلفة ، وتأثيرها على الانسان والحيوان متباين .. ولقد عزلت من هذه النباتات آلاف من مركبات سامة لها بأسها .

القائمة طويلة

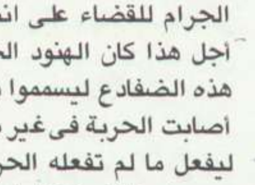
وطبيعى أننا لا نستطيع أن نتعرض هنا للكائنات السامة ، أو التى تفرز سمومها كلما دعت الحاجة الى ذلك ، فلو أننا ذكرنا اسماء فقط ، لملأت الأسماء صفحات مجلة فى حجم تلك المجلة ، فهناك عشرات الألوف من الأنواع التى ثبت أنها تفرز سموماً تختلف فى التركيب وفى التأثير .. ثم أن الكائن الواحد قد لا يكتفى بسم واحد ، بل يستطيع تجهيز عدد من السموم يصل الى عدد أصابع اليد الواحدة ، أو ربما اليدين معاً ، وطبيعى أن الانسان فى عصرنا الحالى ، لا يتعامل معها كما كان يتعامل معها الانسان فى الماضى ، فهناك علم قائم بذاته يعرف باسم «علم السموم» وله أقسام متخصصة فى كثير من الجامعات ، وله أيضاً معاهد أو مراكز بحوث قائمة بذاتها ، ويعمل فيها آلاف العلماء ليل نهار .. ورغم ذلك ، فلازالت هناك نسبة كبيرة من السموم لم يتوصل فيها أحد الى رأى قاطع .. لا فى طبيعة السم وتركيبه ، ولا فى كيفية مقاومة تأثيره ، لأن القائمة طويلة وعريضة !

إن عملية حصر الكائنات التى تفرز سموماً لازالت مستمرة ، ففى كل عام يكتشف العلماء عشرات ومئات من الأنواع السامة .. بداية من الكائنات الدقيقة ، ومروراً بالكائنات الأرقى والأرقى فى مملكتى النبات والحيوان ، خاصة تلك التى تكتشف فى أعماق البحار ، أو فى الغابات البكر .. والبحث هنا ليس سهلا ، خاصة اذا عرفنا أن هناك أسماكاً سامة ، وأخرى غير سامة ، كما أن كل الحيات أو الثعابين أو العناكب أو البابير أو النحل أو الحشرات عموماً ليست سامة ، بل هناك بالفعل حيات وثعابين لا أذى منها ولا ضرر .. والشىء نفسه صحيح فى حالة

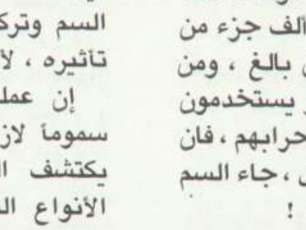
عينات من كائنات سامة



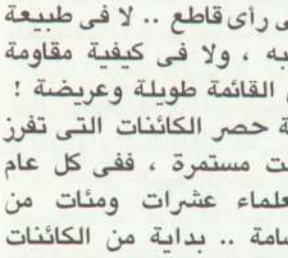
العقارب تفرز سموماً قد يكمن فيها الداء والدواء



فراشة القبح



الاخطبوط المنقط



هيلة «عظاية من الزواحف»

● بعض المعامل الكيمائية توصلت إلى عزل مضادات حيوية من السموم!

النباتات والفطريات .

ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الأصعب ، إذ لابد من تحديد مواقع افراز السموم ، خاصة فى الحيوانات ، ثم عزلها وفصلها وتنقيتها ، وهى خطوات تحتاج الى جهد كبير ، وصبر طويل ، لأن السموم قد توجد بتركيزات ضئيلة ، مما يجعل الحصول على تركيزات مناسبة أمراً صعباً ، لأن الخطوة التالية الأعوص تستلزم اجراء تحليلات كيميائية مفصلة لمعرفة التكوين الدقيق لجزيئات السموم ، وتحديد أنواعها ، وكذلك الشق الفعال منها ، ثم معرفة الأعراض التى تسببها على حيوانات التجارب ، وفوق كل هذا التوصل الى انتاج مركب أو دواء مضاد لكل سم من عشرات الألوف من السموم .. إنها فى الحقيقة متاهات من فوق متاهات وقد لا يصل العلماء فى بعضها الى قرار ، لكن مما لا شك فيه أن ما لا نعرفه اليوم ، قد نعرفه غداً ، لأن العلم دائماً فى تقدم مستمر ، وتطور نحو الأتقن والأحسن .

ومن السموم دواء

لكن الأمر لا يتوقف عند هذه الحدود ، إذ يضع علماء السموم نصب أعينهم دائماً هذه الحكمة التى نادى بها عالم الفسيولوجيا الشهير كلود برنارد الفرنسى حيث قال : «إن السموم قد تستخدم كوسائل لتدمير الحياة ، أو لتخفيف وشفاء الأمراض» .. طبعاً بعض الأمراض ، وليست كلها .. وهو نفس المعنى الذى تناوله بعض الشعراء العرب فى أشعارهم ، نذكر منها مقاطع بعض الأبيات .. «وداونى بالتى كانت هى الداء» .. «ومن السموم "الناجعات" دواء» .. وهو ما اخترناه عنواناً لهذه الدراسة .

لكن مما لا شك فيه ان الانسان من قديم الزمن قد فطن أيضاً الى هذه الحقيقة ، فالطب والدواء عند قدماء المصريين والآشوريين والاغريق ، ومن جاء بعدهم من علماء العرب كانوا يستخدمون الأعشاب الطبية أو مستخلصاتها للتداوى ، فالمواد الفعالة فى هذه الأعشاب هى التى يعزلها العلماء الحاليون بحالة نقية ، ويحددون مواصفاتها الكيميائية ، ليصبح من الميسور تخليقها بعد ذلك .. ثم ان الكثير من مكونات الأعشاب الطبية فيه الداء وفيه الدواء .. كل ذلك يتوقف على الجرعة .. سامة إن كانت كبيرة .. شافية ان كانت معقولة ، ومن هنا نبع شعر الشعراء وحكم الحكماء !

إن شركة دوائية مشهورة مثل شركة هوفمان ـ لاروش قد اعتمدت عدة ملايين من الدولارات لانشاء معهد للبحوث فى شمال مدينة سيدنى باستراليا .. ومهمة هذا المعهد تتركز فقط فى اجراء بحوث خاصة لعزل المواد الدوائية التى يمكن أن توجد فى الكائنات البحرية ولا غيرها ومن هذه المواد تبرز كيمياء السموم المعزولة من تلك الكائنات التى يربو عدد أنواعها على الآلاف .. وطبيعى أن أمثال هذه الشركات لا تبعثر أموالها فى البحوث إلا اذا كان هناك ما يبررها ، فلقد أعلنت بعض المعامل الكيميائية انها قد توصلت الى عزل مضادات حيوية من بعض هذه السموم ، ومن المعروف ان هذه المضادات تستخدم فى محاربة البكتريا التى تسبب الأمراض فى الانسان والحيوان معاً !

ليس هذا فحسب ، بل ان بعض مكونات السموم ثبتت فاعليتها ضد بعض أنواع الفيروسات ، وهى التى تسبب كثيراً من الأمراض الخطيرة المعروفة وغير المعروفة .. أضف الى ذلك أيضاً أنه تم عزل بعض السموم التى اذا أعطيت بجرعات ضئيلة ، تسببت فى تخفيف الالتهابات ، أو شفاء بعضها .

ولقد تمت دراسات حديثة بتمويل من المعهد القومى للسرطان بالولايات المتحدة الامريكية ، وبالتعاون مع برنامج المنح التى تقدم لعلوم البحار ، والغرض من هذه الدراسات يتركز فى الكشف عن الديناميكية البيولوجية التى تنشأ فى الأجسام الحية من جراء استخدام المواد السامة المعزولة من الكائنات البحرية ، ومن بينها الكائنات الاسفنجية والشعب المرجانية وقناديل البحر وغير ذلك من كائنات مشهورة بافراز السموم .. وفى جامعة أوكلاهوما قام فريق من العلماء باختبار ١٦٦٥ مادة سامة معزولة من الكائنات الحية ، واتضح أن بها ١٠٤ عاملا كيميائياً مضاداً لسرطان الدم فى الفئران ، بالاضافة الى ٣٠ مادة أخرى ثبتت فاعليتها فى محاربة الأورام السرطانية فى مزارع خلوية معزولة من الانسان ، ولازالت هذه البحوث فى مهدها ، وهى تبشر بآفاق واسعة لتؤكد من جديد أن «من السموم الناجعات دواء» !

واذا كنا قد تحدثنا عن السموم الحيوانية باختصار ، فان السموم فى عالم النبات أكثر إثارة ، وأعظم أثراً ، ولهذه دراسة قادمة ـ إن شاء الله ـ توضح ما خفى من أسرار عالمنا . فما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد .

د. عبد المحسن صالح



نجمة بحر تاجية الأشواك



العنكبوت البنى



الزبابة «آكلة حشرات»



حيوان منقار البطة «من الثدييات»



الحية الجلجل

د. محمد الغباشي ربيع

قصة المها الأبيض في قطر

الشمس والبللورا

أجمل حيوان عربي عمره ملايين السنين

وإن لكم فى الأنعام لعبرة ...
صدق الله العظيم

سخر الله سبحانه وتعالى لبنى البشر الحيوان منذ القدم ، فمنه الغذاء ومنه الكساء ومنه المسكن ، ومن التامل فيه تؤخذ العظات والعبر .

والحديث اليوم عن حيْوان المهـــا .. والمها هو من اجمل ما خلق الله سبحانه وتعالى من الحيوانات .

وقصته قديمة قدم الدهر ، فقد عاش المها منذ بلايين السنين ، وقد خص الله سبحانه وتعالى وطننا العربى باجمل أنواعه واحسنها وهو المها العربى الأبيض الذى استوطن منذ القدم هذه المنطقة وعاش بها لما لها من خصائص تتناسب وطبيعته .

ولقد كان المها متواجداً فى العصور الحديثة بكثرة فى الربع الخالى بالمملكة العربية السعودية وعلى حدود عمان .

الأصل والمناطق

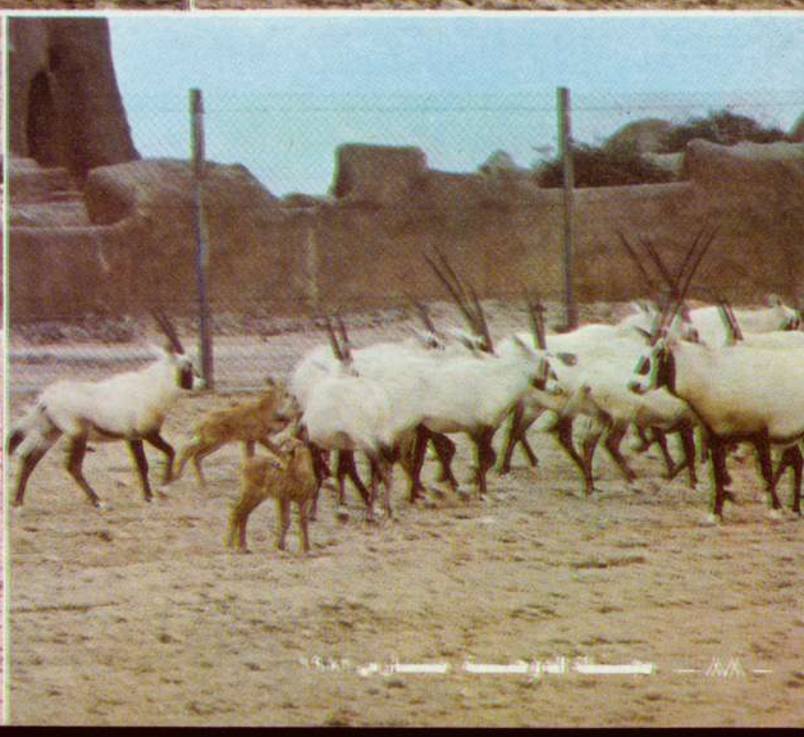
وللمها عدة أنواع ، فمنه المها العربى الأبيض ، والمها غزالى ، والمها بيزا .. والنوعان الأخيران يتواجدان بأفريقيا .

وكلمة مها تعنى «الشمس والبللورا» .









ويطلق عليه باللغة البدوية «وضيحي» لما له من شكل واضح فى الصحراء، واطلق عليه فى اللغات القديمة «اوركس» وهو إسم للبقر الوحشى فى عصر الأغريق والرومان والذى يتواجد فى تلك العصور فى مصر وافريقيا.

وكلمة «اوركس» تعنى «معول» وهى الأزمة ذات الرأس المدببة والتى تأخذ شكل رأس المها مع قرونه.

ويرجع تاريخ المها فى الوطن العربى إلى ملايين السنين حيث كان يتواجد بكثرة فى شبه الجزيرة العربية وأرض العراق ومصر القديمة.

ولقد سميت أماكن بكاملها باسمه واتخذ من اسم المها شعار لتلك المناطق فى هذه العصور. ومنها قرية ابو الحسن الآن بمصر، ونقشت صور للمها على الآثار الفرعونية القديمة ومازالت حتى الآن تعبر عن عظمة ذلك الحيوان وتاريخه الذى لازم الانسان منذ الأزل.

ولقد عاش المها مهاجرا من مكان إلى آخر باحثا عن الطعام والشراب.

وبمرور الزمن وبتزايد الأعداد من البشر يوما بعد يوم أخذ المها فى التجمع فى الأماكن البعيدة بالصحراء بعيدا عن الضوضاء هربا من خطر الانسان الذى يحدق به بين لحظة وأخرى.

وكان لمنطقة الجزيرة العربية وخاصة الربع الخالى من المملكة العربية السعودية المكان الآمن المفضل الغنى بالأعشاب والمياه لهذا الحيوان فتجمع فيه أعداد كثيرة.

لماذا انقرض ؟

ولما كان للمها العربى الأبيض من شكل جميل خلاب، فقد تغنى به الشعراء، وضرب به المثل فى جمال الخلقة وسحر الطبيعة الخلابة.

وامتدت يد الانسان إليه رغبة منه فى اقتنائه والاستفادة من لحومه وجلوده ولهواية العرب فى صيده حكايات منذ القدم، حيث قاموا بصيده بالحبال والنبال والسهام وكلاب الصيد، ثم صادوه فى العصور الحديثة بالأسلحة المتطورة مما قضى على الكثير منه.

وقد ساعد على انقراضه ما عرف عن هذا الحيوان من مشاعر رقيقة حساسة تجعله يضرب عن الطعام والشراب حتى الموت عندما لا تتوافر له الظروف الطبيعية فى الأسر.

المها فى قطـــر

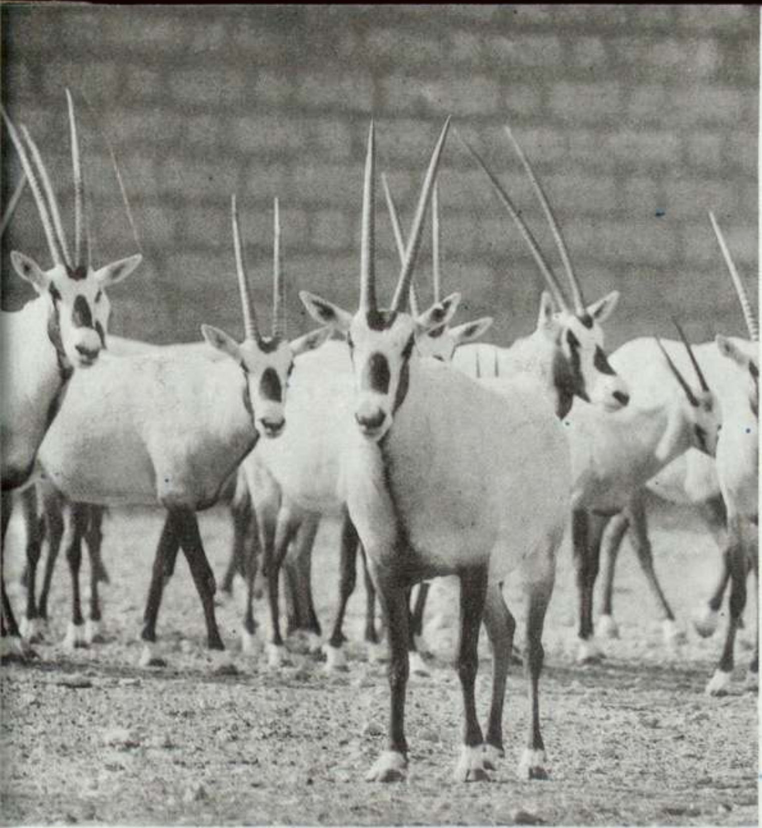
والمها العربى الأبيض من الحيوانات النادرة الآن، فهو لا يتعدى عدة مئات فى العالم. تنفرد دولة قطر بالعدد الأكبر منه، تليها المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية والعراق وعمان

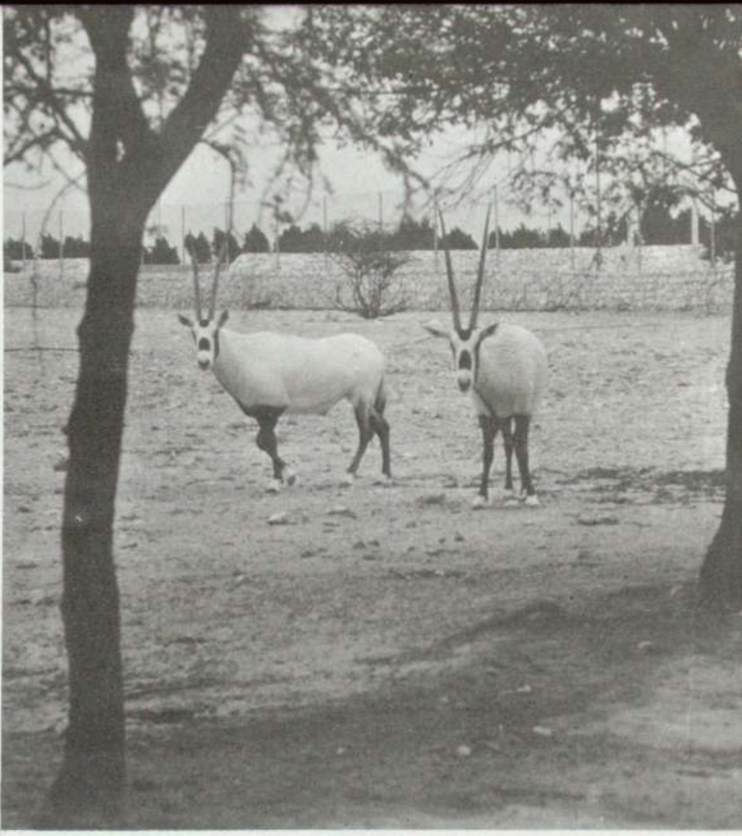












الشمس والبللورا
أجمل حيوان عربي
عمره ملايين السنين

والأردن ومصر ، ولقد استطاعت احدى الجمعيات الخاصة بالمحافظة على البيئة بالولايات المتحدة الأمريكية أن تنجح في الاحتفاظ بأعداد منه في ولاية الأريزونا .

أما باقي أنواع المها كالمها بيزا والمها غزالى فتتواجد بافريقيا .

والمها بيزا يوجد مستأنساً بمنطقة «جالانا» بكينيا وذلك في مجموعات كبيرة تخرج للرعي في الصباح وتعود لارضاع صغارها في صحبة الرعاة ، ويختلف عن المها العربى الأبيض بكبر حجمه نسبياً ولونه المائل إلى اللون البنى .. ويتميز بعضه بخصلة من الشعر المتدلى من الأذن مع انحناء القرون إلى الخلف .

ويرجع الاهتمام بالمها العربى الأبيض في دولة قطر إلى عشرات السنين ــ فلقد قام المرحوم الشيخ جاسم ابن حمد آل ثانى والذى كان رائداً من كبار الرواد في جمعيات حماية الطبيعة في العالم بحملات منظمة على فترات معينة في مواسم الصيد المناسبة باصطياد عدد كبير منه وتوفير المكان المناسب والتغذية المناسبة له حتى أصبح هذا العدد نواة ورصيداً كبيراً من المها الآن .

مزارع المها العربى

ولقد أعطى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني الاهتمام البالغ للمها العربى الأبيض والذى أصبحت دولة قطر تمتلك الآن العدد الأكبر منه منفردة بين دول العالم أجمع .

وتوجد بدولة قطر عدة مزارع للمها العربى الأبيض من أهمها مزرعة الشحانية التى صممت وأقيمت على أحدث النظم العلمية في التربية ، وتوفير الرعاية الصحية لها تحت إشراف وزارة الصناعة والزراعة مما زاد عدد القطيع في السنوات الأخيرة زيادة ملحوظة .

وتمتد الرعاية إلى تبادل المعلومات مع الجمعيات العلمية لحماية الطبيعة لمعرفة أحدث الأساليب في التربية ، والرعاية مع دراسة طبائع الحيوان وخصائصه والاستفادة من ذلك في تكاثر عددها على مر الأيام وحمايتها من الانقراض .

العلامات المميزة

والمها جمع مهاة وهى من فصيلة البقر الوحشى ذات المعدة المركبة مشقوقة الظلف .

والمها البالغ يكسو جسمها شعر أبيض وتزن ما بين ١٥٠ ــ ٢٥٠ كجم ويبلغ طولها (٢٠٠ ــ ٢١٠ سم) وارتفاعها (١٠٠ ــ ١٢٠ سم) ــ وهى ذات قرون طويلة (٧٥ ــ ٨٥ سم) تمتد بانحناءة خفيفة جداً الى الوراء وهى قرون صلبة قوية مصمتة تحيطها حلقات تعطيها قوة وصلابة للدفاع عن نفسها وتتقارب هذه الحلقات الى أن تختفى في الربع الأخير العلوى لتتحول القرون الى ملساء مدببة .

ويوجد على جسم المها علامات مميزة فوق الصدر والبطن والأرجل من الشعر الأسود تأخذ شكلا معيناً مع وجود علامات منها على الوجه والخدين والرأس وخصلة الذيل ، وهى صفات وراثية أصيلة في الحيوان ، حيث يصعب التفريق بينها من هذه العلامات ولا يخرج أحد أفراد القطيع عن هذه العلامات المميزة .

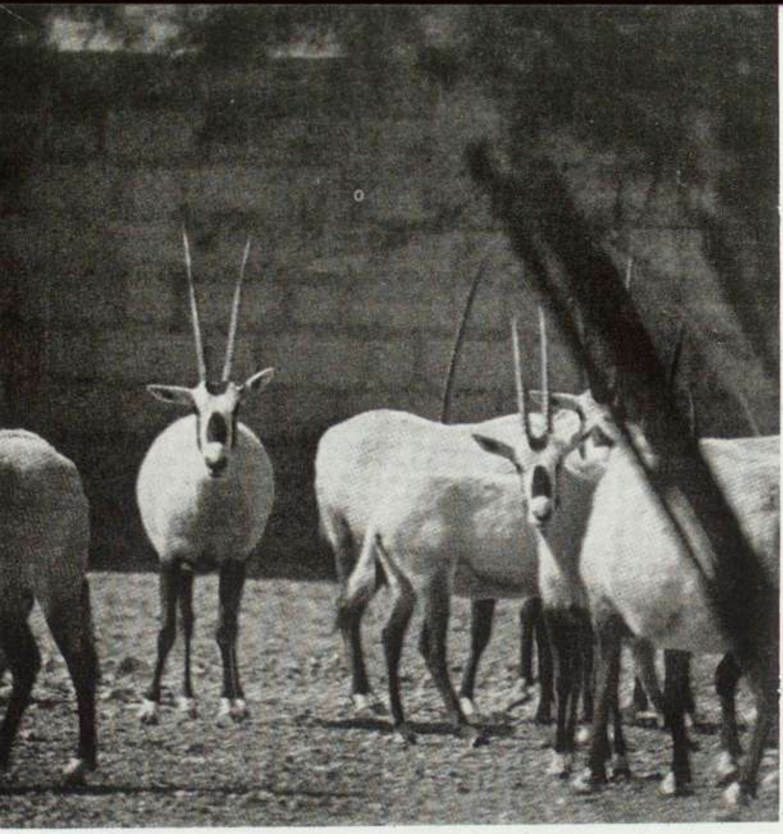
وللمها أربعة أرجل قوية جداً تساعدها على العدو وبسرعة هرباً من الخطر الذى يحدق بها .

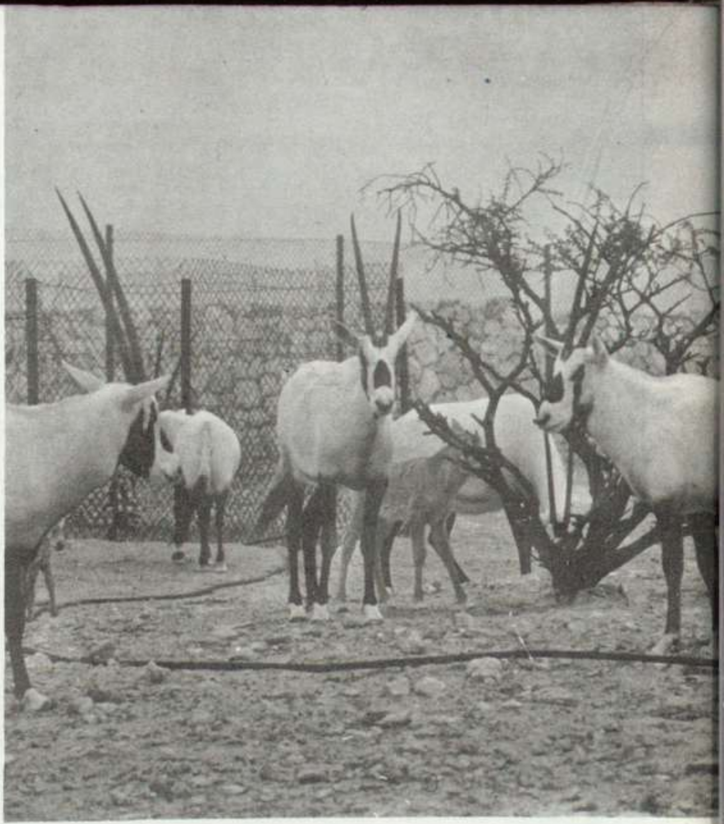
ويعيش المها من ٢٠ ــ ٢٥ سنة ، وتسمى الأنثى البالغة «نعجة» ، ويسمى الذكر (ثوراً) ، أما الصغير فتطلق عليه عدة أسماء من أشهرها «الفضيض» .

هذا الحنان الغريب

والفضيض يخرج إلى الحياة بعد فترة حمل ما بين (٢٧٠ ــ ٢٨٠ يوماً) .

ويكون لونه بنيا ثم بنياً فاتحاً إلى الشكل الأبيض في سن البلوغ .





ولم يثبت أن المها تلد توأماً حتى الآن

والمها عندما يحين لها الوضع تنزوى فى أحد الأركان البعيدة حتى تجىء ساعة الولادة ، وعادة تلد فى المساء ، ولا تحتاج للمساعدة أو التدخل من الانسان أثناء الوضع على الاطلاق ، وترفض ذلك وإلا راحت هى وجنينها ضحية التدخل الآدمى .

والأم فى حالة الحمل أو الوضع تنال إحترام جميع أفراد القطيع حتى ولو قامت معركة بينهم إلى أن يتم الوضع تجد بعضهم يتجمع حولها فى الصباح بشيء من الحنان .

ويستطيع الفضيض العدو بسرعة وراء أمه بعد الولادة بساعات قليلة ، ويتناول لبن أمه لفترة ستة شهور ثم يتناول بعد ذلك الطعام والشراب بين أفراد القطيع ، ليتعود بعد ذلك الاعتماد على النفس .

وتعود الأم لاستقبال الذكر فى خلال العشرة أيام الأولى بعد الوضع ، ولكن نادراً أن تحمل فى تلك الفترة وتعود إلى دورة السبق بعد ٢١ يوماً من المرة الأولى لكى تستقبل الذكر لتحمل فى تلك الفترة أو يتكرر ذلك مرة أخرى أو مرات كل ٢١ يوماً فى خلال الثلاث شهور الأولى بعد الوضع .

معارك حتى الموت

والمها له قدرة تحمل على الجوع والعطش إذا شاءت له الظروف ذلك ، وهو عدو لدود للأفاعى يقتلها بمهارة ، وهى تهرب منه بمجرد أن تشم رائحته من بعيد ولا تستطيع الاقتراب منه .

والمها نادراً أن تراه منفرداً ، فهو محب للجماعة والألفة ، يعيش فى قطعان ، ويتخذ القطيع منه دائماً الذكر الأقوى لكى يقتدى به ويوكل إليه الدفاع عنه ليتصدر الخطر دائماً وهم وراءه ، وعلى الذكور الأخرى الضعيفة أو الصغيرة أن تستسلم لهذا الأمر ، وإلا قام قائد القطيع بعزل المتمرد منهم بعيداً عن الجماعة .

ويتجدد دائماً الذكر الأقوى كل عام أو أكثر كلما ضعف أو تقدم به السن ، وغالباً ما تقوم بين الذكور معركة ينتصر فيها أقواهم لكى يتزعم القطيع من جديد وأحياناً تسفر تلك المعركة عن إصابة بعض الذكور إصابات تؤدى إلى الموت !

حياة الصحراء

والمها فى الصحراء يعيش على ما بها من أعشاب صحراوية ونباتات خضراء ويعتمد فى شرابه على عيون المياه ومياه الأمطار المتجمعة .

وفى مزارع المها بدولة قطر يقدم للقطيع الغذاء الأخضر ، وهو عبارة عن الجت (البرسيم) وعليقة جافة بالاضافة إلى الشعير والفول المجروش مع إضافات كالأملاح المعدنية والفيتامينات

ولابد أن يتوافر للمها الظروف الطبيعية التى تعود عليها فى الصحراء كأن تكون الأرض رملية مع وجود الأشجار والمكان الفسيح لكى لا يشعر الحيوان بالأسر يوما من الأيام ، على أن تكون تلك المزارع بعيدة عن عبث الانسان وعن ضجيج المدينة ، والتى تجعله غير مستقر مما يتسبب فى حدوث معركة بين أفراد القطيع ، كما لو كان نوعاً من الاحتجاج الصارخ على حياة الأسر يذهب ضحيتها عدد من الجرحى ، وأحياناً تؤدى تلك المعركة الى موت بعض أفراد القطيع ، بالاضافة إلى عدم استقراره بحيث لا يستطيع القطيع التزاوج والانجاب بصورة طبيعية .

هذه هى نبذة صغيرة عن المها تاريخه فى الماضى والحاضر ، وقد خص الله سبحانه وتعالى وطننا العربى بأجمل أنواعه وهو المها العربى الأبيض ، لكى يكون ثروة طبيعية وتراثاً حضارياً فريداً من نوعه ، فهل لنا من وقفة تأمل أمام عظمة الخالق وهل لنا أن نكف عن إيذائه وأن تمتد يد الخير للحفاظ على هذا النوع الفريد من الحيوانات ، وأن يشمله كل من فى وسعه ذلك بالرعاية والمحافظة عليه كما تفضل بذلك حضرة صاحب السمو أمير قطر المفدى الشيخ خليفة ابن حمد آل ثانى حفظه الله وأثابه خير الجزاء .

د. محمد الغباشى ربيع



من التراث الإسلامي من التراث الإسلامي من التراث الإسلامي

روائع فنية من وحي الحضارة الإسلامية

على مدى الأزمان كان للحضارات دائماً واجهتان : العلوم والفنون .. وعلى اختلاف طبيعة كل من الفنون والعلوم إلا أن اللقاء بينهما كان دائماً سهلا ومتيسراً ، لأنهما من نتاج عقل الانسان وإبداعه ..

والحضارة الاسلامية زخرت طوال تاريخها بنتاج علمى وفنى أثرى العالم كله ، ولازالت بصماته ماثلة للأذهان فى كل الدراسات التى تجرى حتى الآن فى مراكز البحوث والجامعات ..

فمثلا برغم الهالة التى أحاطت حول «هيروديتس» والخريطة الجغرافية الأولى التى رسمها ، إلا أن الثقل العلمى للخرائط الجغرافية التى أنتجها العالم العربى «الادريسى» بما فيها من دقة متناهية وتمثيل لخطوط الطول والعرض لأول مرة فى تاريخ البشرية ، جعلت من هذا الحدث أكثر أهمية وأكثر ثقلا من الناحية العلمية ..

وفى المقابل فان العمارة الاسلامية التى ارتبطت بفلسفة الدين والحياة ، لاتزال تعكس حتى الآن براعة المهندس الاسلامى فى أساليب الانشاء وما يرتبط بها من وظائف التهوية الطبيعية والاضاءة والزخارف النباتية التى ملأت الفراغ النفسى للصحراء وأعطت للوجدان مساحات غنية وألوان بهجة زاهية ..

ومن الفنون ما عكس عظمة الدولة الاسلامية وبساطة استخدام الخامات وما تحتويه من امكانات أبدعها عقل الفنان الاسلامى ، عندما تناول على سبيل المثال خامة الزجاج ، وشكل بها أوانى ومصابيح وطلاها لأول مرة باللون الذهبى ، وبدون استخدام معدن الذهب الذى تحرمه العقيدة الاسلامية .. وكذلك فقد استخدم الخيوط الذهبية فى المنسوجات والمعلقات ، فضلا عن البراعة فى أشغال الخشب والأرابيسك الدقيق ..

من كل ذلك وغيره ندرك أن الحضارة الاسلامية كانت دليلا على تفوق الانسان العربى وقدرته على الاستفادة من إمكانات العلم والفن على السواء ..

وهذه نماذج من ابداع الحضارة الاسلامية ، التقى فيها الفن بالعلم .

قتلته الكتب

ولد العالم عمرو بن بحر الجاحظ حوالى عام ١٦١ هجرية فى مدينة البصرة العراقية ، ويرجح أن أسرته كانت من أصل حبشى ، تنتسب بالولاء الى بنى كنانه ، وكان دميماً حتى أن الخليفة المتوكل رفض تعيينه مؤدباً لأولاده لأن الأطفال كانوا يفزعون من منظر عينيه الجاحظتين .. ومن هنا جاء لقبه .

وقبل أن ينتقل من البصرة الى بغداد حوالى عام ٢٠٠ هجرية كان قد درس الثقافة الهيلينية .. فمذهب المعتزلة الذى انتمى اليه انما قام على أساس تفسير للعقيدة الاسلامية ، موغل فى العقلانية ، وللدفاع عن الاسلام ضد مهاجميه من الخارج وضد الافساد العقائدى من الداخل .

وقام خلال حياته بتأليف حوالى مائتى كتاب .. منها كتابه الشهير «الحيوان» وهذه احدى لوحاته :

(نعامة تحتضن بيضها) والذى قال فيه :

«وكل معنى سمعناه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه فى كتب الأطباء والمتكلمين ، الا ونحن قد وجدنا قريباً منه فى أشعار العرب والاعراب وفى معرفة أهل لغتنا وملتنا» .

وفى عام ٢٢٥ للهجرة مد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يده ليتناول كتاباً من مكتبته بالبصرة ، وكان قد بلغ الرابعة والتسعين فوقعت عليه قماطر الكتب فقتلته !!

وهكذا .. عاش حياته للكتاب .. ومات أيضاً !!

كيف دافع الجاحظ عن الإسلام ضد مهاجميه في الخارج

●

عندما ذهب الإدريسي إلى صقلية لاهتمام حاكمها بالعلوم الجغرافية

●

الدور الذي لعبته مؤلفات ابن رشد في الفلسفة الغربية

من التراث الإسلامي . من التراث الإسلامي من التراث الإسلامي



خريطة الإدريسي

خريطة جغرافية للعالم قام برسمها العالم العربى أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن ادريس المحمودى الحسنى الملقب (بالادريسى) وهى احدى صفحات كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) الذى أكمله عام ٥٤٩ هـ والمعروف عند الغرب بكتاب (روجر) نسبة الى ملك صقلية النورماندى روجر الثانى الذى الحق الادريسى بالبلاط الملكى وقربه اليه وشجعه على وضع خرائط جغرافية

وتشير أعلى الخريطة الى جهة الجنوب واذا ما عكسناها أمكننا التعرف على حدود البحر المتوسط والأقطار المحيطة به كالجزيرة العربية وبعض أجزاء من آسيا وهى مقسمة الى — ٧ أقاليم وفقاً لدرجات العرض .

وقد ولد الادريسى عام ٤٩٣ هـ . فى سبته بمراكش فى أسرة المحموديين الأشراف ، وقد اشتهر باسم الشريف الادريسى بحكم انحدار سلالته مباشرة من الاسرة النبوية ، وقد درس فى صباه بقرطبة عاصمة الأندلس ، وكان شاعراً وعالماً فى الطب مولعاً بالعلم والرحلات مما جعل روجر الثانى يدعوه لزيارة صقلية حيث كان الملك مولعاً بالعلوم الجغرافية وهذا من أهم الأسباب التى دعت الادريسى للارتباط به .

وقبل أن يتوفى روجر الثانى عام ١١٥٤ هـ . كان الادريسى قد انتهى من صنع كرة سماوية ومن رسم خريطة مدورة الشكل للعالم وكلتاهما من الفضة المصمته التى زوده بها الملك .

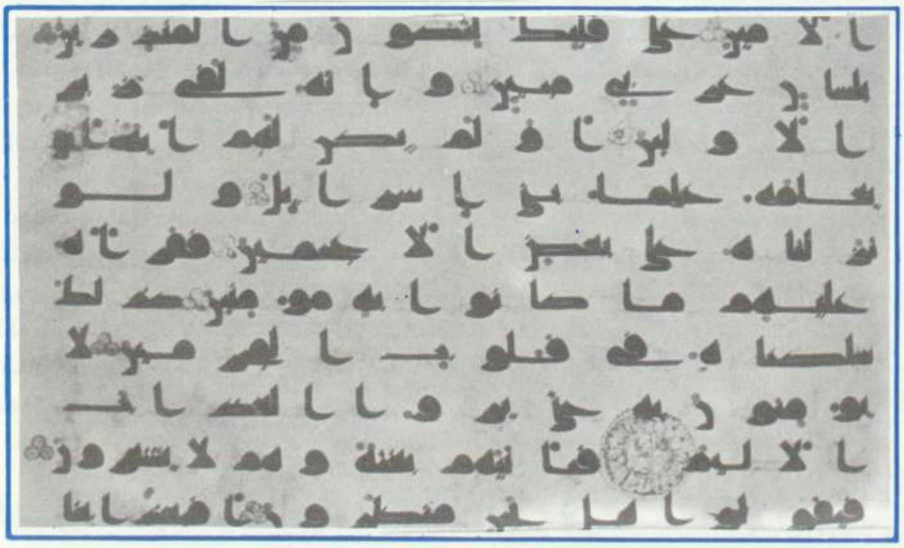
واستمر الادريسى بعد وفاة روجر الثانى فى بلاط بالرمو وضع لابنه .وليام الأول كتاباً آخر فى الجغرافيا بعنوان (روض الأنس ونزهة النفس) .

وكانت وفاته عام ٥٦١ هجرية .

الإبداع في كتابة القرآن الكريم

كان دور الاسلام فى نشر اللغة العربية دوراً رئيسياً ، فلقد نزل القرآن بالعربية وهو ينبوع كل ايمان وتقوى . ولم يكن من المستطاع ترجمته الى أى لسان آخر .. كانت الصلوات وشعائر العبادة الأخرى بالعربية .. ثم كان تفسير القرآن الذى دفع الى نشوء بدايات من البحث العلمى العربى .

وقد كرم الله سبحانه وتعالى المسلمين العرب فى اختيار اللغة العربية لغة للوحى مما جعل دراسة نحوها واستخدامها ضرورة دينية . ان المنزلة السامية الخاصة التى احتلها القرآن الكريم فى العالم الاسلامى أدت الى اهتمام فنانى الخط العرب بأن يبدعوا بل ويضيفوا الفن التشكيلى لكتاباتهم كما يبدو جلياً فى هذه الصفحة من القرآن الكريم المكتوبة بالخط الكوفى فى القرن الثالث للهجرة مع أشكال دائرة ساطعة الألوان تفصل بين الآيات .



طاووس يغسل الأيدي

من المؤسف أن توطدت فى الغرب ، وفى البلدان العربية الأخرى الفكرة السائدة بأن التكنولوجيا انما هى صنيع الغرب وحده ، وانها مستوردات أجنبية .

والحقيقة أن العلماء العرب اهتموا بالتكنولوجيا الميكانيكية قبل غيرهم — وقسموها الى قسمين :

الأول : خاص بالآلات الموجهة للاستخدام اليومى .. كالطواحين ووسائل رفع المياه وآلات الحرب .

أما القسم الثانى فيشتمل على :

الأدوات الموجهة لاثارة العجب والمتعة الفنية فى أوساط علية القوم الذين أوصوا بصنعها .

ونذكر هنا بعض المهندسين العرب مثل (ابناء موسى بن شاكر) المشهورين باسم (بنو موسى) ، وقد وضعوا بحثاً يعد مرجعاً هاماً خاصاً بالحيل : كالأوعية السحرية والنواعير والآلات الموسيقية الذاتية الحركة وكان ذلك عام ٢٣٦ هجرية ، وجاء بعدهم العالم العربى (رضوان بن الساعاتى) الذى كتب دراسة مطولة عام ٦٠٠ هجرية تتحدث عن قيامه باصلاح ساعة مائية عملاقة كان والده قد ركبها فوق باب (جيرون) فى دمشق .

وفى عام ٦٠٢ هجرية وضع (الجزرى) كتاباً يصف فيه الأدوات الهندسية التى صنعها خلال حياته العلمية الطويلة .

وكما يوضح الرسم (اداة غسل الأيدى الطاووسية) وهى وسيلة أوتوماتيكية لغسل الأيدى أو الوضوء ، وهى احدى الحيل المذكورة فى مخطوطه «فى معرفة الحيل الهندسية» .. والذى أكمله عام ٦٠٢ هجرية ، ويحتوى على خمسين آلة هندسية وأداة .

وطريقة العمل بهذه الآلة :

تتدفق كمية بسيطة من الماء من منقار الطاووس على يد الشخص ، ثم يخرج من باب على يمين الآلة غلام يحمل جره من صودا الخضار (تستعمل كصابون) ، ويتدفق الماء .. بينما يغسل الشخص يديه ثم يتوقف وقد جرى الماء فى الحوض الى داخل قاعدة التمثال ثم يفتح بابا على اليسار ويخرج منه غلام آخر يحمل منشفة .



علـــم الحيـــوان عنــد العـــرب



كانت القبائل العربية قبل ظهور الاسلام تعيش فى شبه الجزيرة العربية وقد اصطنعت لنفسها طريقة حياة جعلت بقاءها مرتبط بالحيوانات الاليفة كوسيلة للانتقال والنقل داخل الجزيرة العربية .

ثم جاء انتشار الاسلام . ومعه انتقال العرب الى خارج حدود بلادهم لمقتضيات الفتوح وتشكيل الحضارة العربية الاسلامية ، فارتفع الاهتمام الأساسى بتربية الحيوانات الداجنة الى مستوى العلم . .

وكانت أول دراسة عربية كتاب (الحيوان) لأبى عمرو الجاحظ ثم ظهر – بعد ذلك – (حياة الحيوان) الذى وضعه الفيلسوف والعالم المصرى كمال الدين الديرى فى أوائل القرن الثامن الهجرى .

أما أول كتاب منهجى فى تربية الخيل وفن البيطره ، وهو (الفروسية والخيل) من تاليف محمد بن ابى حزام حوالى عام ٢٤٦ ه والذى تناول فيه سلوك الأفراس وخصائصها وأمراضها وطرق علاجها .

والصورة المنشورة هنا تمثل رسم تشريحى لحصان وهى احدى مخطوطات القرن التاسع الهجرى .

أعظــم فلاســفة الإســلام



لم يبدأ ابن رشد سيرته الفلسفية الا بعد أن قارب الاربعين ، عندما قدمه ابن طفيل الى أمير المؤمنين أبى يعقوب يوسف (٥٥٩ ه – ٥٨٠ ه) ، فأعجب الأمير المثقف بابن رشد وعينه قاضياً لمدينة (اشبيليه) وأمره بشرح كتب (ارسطو) وبعد برهة عينه قاضى القضاة بقرطبة وطبيبه الأول.

كان ابن رشد أعظم فلاسفة الاسلام منذ ظهر ابن سينا ، صنوه الوحيد في المشرق ، ولكن بين الرجلين فوارق ضخمة فهما يختلفان اختلافاً جذرياً فى فهمهما لارسطو وفى تصورهما للعلاقة بين الفلسفة والعقيدة ، وقد وضع كتابين :

فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة فى الاتصال .

والكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة .

وأيضاً كتابه القيم فى الرد على الغزالى (تهافت التهافت) .

بالاضافة الى كتبه فى الفقه على المذهب المالكى .

ولاشك أن الدور الذى لعبته مؤلفاته فى ظهور الفلسفة الغربية وتطورها كانت على قدر من الضخامة مما جعل (رافائيلو) رسام عصر النهضة يضع الفيلسوف العربى ابن رشد فى عداد معلمى الفكر الهيلينى ، فى لوحته «مدرسة أثينا» ويبدو ابن رشد الى اليسار . وعلى رأسه عمامة .



روائع فنية
من وحي الحضارة الإسلامية

أبصرت من الدنيا حتى مللت

تخليداً لذكرى العالم العربى أبو بكر الرازى (٢٥١ ـ ٣٢٢ هـ) أكبرأطباء المسلمين دون منازع ، قامت جامعة «برنستون» بصنع هذه النافذة من الزجاج الملون وزينت بها المصلى المقام بحرم الجامعة .

وقد كتب عليها .

كتاب الحاوى فى الطب / بسم الله الرحمن الرحيم) .

اشارة الى الموسوعة الطبية الضخمة التى وضعها ، وكانت آخر أعماله ، وقد قام طلابه بجمع أجزائها وطبعها ـ بعد وفاته .

ومن سخرية القدر أن الرازى ، وهو العالم الطبيب فقد بصره ـ قبل وفاته ، ونصحه بعض الأطباء باجراء عملية فرنا الى الفضاء طويلا ، وقال قولته المشهورة : (.. لقد أبصرت من الدنيا حتى مللت) .



اسطرلاب من القرن الخامس الهجري

التاريخ يؤكد لنا ولع علماء العرب القدامى بعلم الفلك واكتشاف المجهول ، ومنذ القرن الثانى للهجرة ودراسة علوم الفلك تحظى باهتمام خلفاء المسلمين مثل الخليفة عبد الله المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ) الذى أمر باعداد جداول فلكية جديدة ، فكانت حصيلة ذلك ظهور «الزيج المأمونى» الذى اعتمد فى وضعه على أدوات الرصد والحساب كالاسطرلابات (أى أجهزة قياس الوقت وأبعاد النجوم وحركتها) .

وهذا الاسطرلاب ـ المنشورة صورته ـ صنع فى (توليدو) بأسبانيا الاسلامية فى شوال ٤٦٠ هجرية بواسطة ابراهيم بن سعيد السهلى .

ويلاحظ أنه نقش بالخط الكوفى العربى وهو السمة المميزة لأسبانيا والمغرب الاسلامى .

وتضم خريطة النجوم مؤشرات لمواقع ثمان وعشرين نجماً ودائرة مقسمة الى الأثنى عشر برجا توضح مسار الشمس أثناء العام ، وعند ادارة الخريطة بالاسطرلاب تتضح لنا حركة النجوم أثناء دورانها .



إبريق من البلور

من التحف الاسلامية النادرة التى كان يهتم باقتنائها الأمراء المسلمون ، أوانى البلور الصخرى والتى كانت من الصناعات الفنية التى ازدهرت قبل النهضة الأوربية بقرون وكانت موضع التقدير البالغ لدى أولئك الذين يعنون بالتأنق فى العيش ، كما كانت قصور الأمراء فى القاهرة وبغداد قد بلغت حدا من السخاء فى استصناع هذه القطع الفنية مما كان يمثل ـ وقتها ـ ذروة الفن الدنيوى فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

ومن هذه الأوانى الشهيرة هذا الابريق الموجود ـ حاليا ـ فى متحف سان ماركو بالبندقية ، وهو كوز على شكل الكمثرى ينتهى بعنق ضيق وشفة أوسع منه ، وقد ركب له النحات «يداً» واحدة على صورة (أيل) ذى قرون ، وزخرفه بنحت فهدين على جانبيه ، يحيط بهما بعض النبات ، وقد نقش عليه عبارة : (بركات من الله للامام العزيز بالله) .

وهو الخليفة الفاطمى الذى حكم من عام ٣٦٦ هـ الى عام ٣٨٦ هـ .

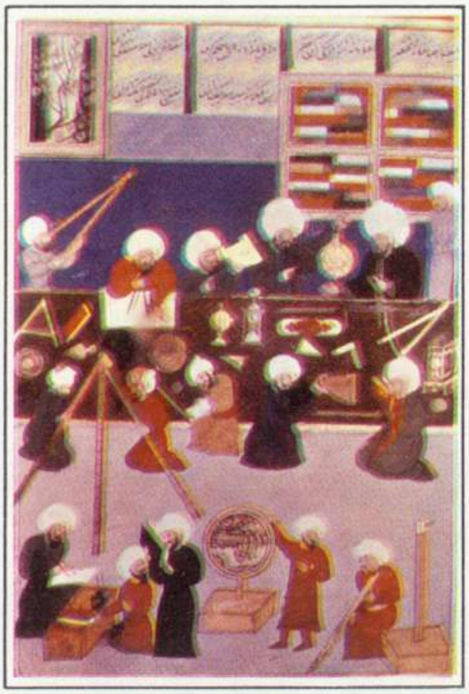
ويقال ان البنادقة استولوا على هذه التحفة النادرة ضمن تحف أخرى موجودة فى متحف سان ماركو ، عندما نهبوا القسطنطينية عام ٦٠٠ هجرية .

مرصد اسطنبول

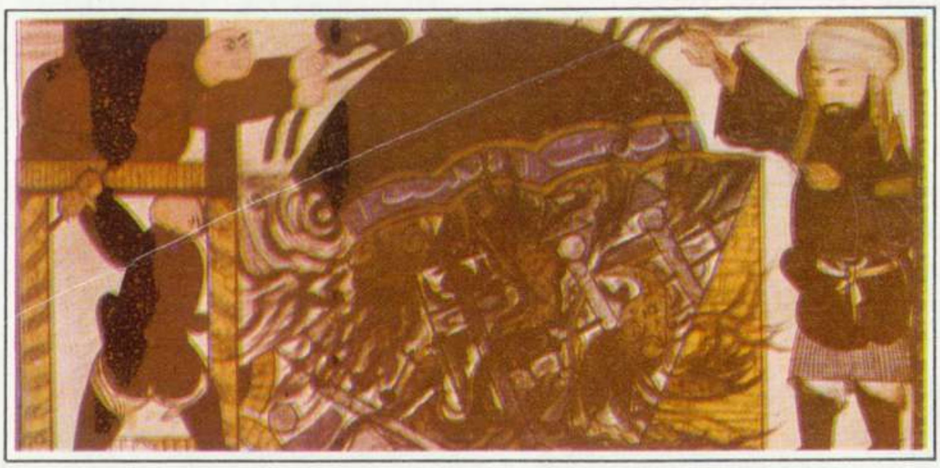
نسخة مصغرة من مخطوط لقصيدة ملحمية كتبت على شرف السلطان العثمانى مراد الثالث تبين خمسة عشر موظفاً يعملون فى مرصد اسطنبول تحت ادارة تقى الدين محمد ، المولود بدمشق ، والذى تولى القضاء ـ فيما بعد ـ بمصر ثم أصبح رئيساً لعلماء الفلك فى العاصمة العثمانية سنة ٩٧٩ هـ .

وقد ساهمت المراصد الاسلامية والتى أسست لتصحيح ما سبقها من معلومات ووضع تقويم فلكى اسلامى متميز يجمع الجداول الفلكية بدقة .

ونذكر من هؤلاء العلماء العرب الفلكيون ابن الزرقانى فى (توليدو) فى القرن الخامس ، وابن الشاطر بدمشق فى القرن الثامن وغيرهم من الرواد الأول لتطور علم الفلك وأثبتوا أنه علم مؤسس على منطلقات فيزيائية ورياضية معاً مما أذهل علماء الغرب قاطبة .



البيرونى والآثار الباقية



البيرونى هو أحد علماء المسلمين الأفذاذ الذين تركوا بصماتهم ظاهرة جلية على العلوم المختلفة كالجغرافيا والتاريخ والفلك والرياضيات والصيدلة وألف فيها جميعاً ما يربو عن المائة مؤلف ومن مبتكراته وضع (قاعدة البيرونى) لحساب نصف قطر الأرض ، وعمل جداول رياضية للجيب والظل ، واستحدث وسيلة لحساب الوزن النوعى لتسعة من المعادن .

وهو الذى اكتشف طريقة استخراج الملح من البحر .

وهنا نستعرض احدى صفحات كتابه الشهير (الآثار الباقية) وفيها يصف تهديم القدس على يد «بختنصر» : وفى شهرأوب «فتح بيت المقدس ودخله بختنصر وخربه بالحريق . وفيه خرب البيت خرابه الثانى وحرث أرضه ، وفى اليوم الخامس عشر صوم زوال النار عن البيت ، وهو خروج بختنصر عنه ورفع الحريق عن خزائنه وهياكله وفى اليوم الثامن عشر منه صوم سببه فى انطفاء سراج الهيكل ببيت المقدس فى ايام أنبون النبى وكان ذلك علامة لغضب الله عليهم» .

د. محمد عمارة

أنتم أعلم بأمور دنياكم

من التجارات الرائجة فى دنيا «الثقافة» الدينية عندنا هذه الأيام، تجارة أولئك الذين يجهدون أنفسهم، ويجهدون الحقيقة، لجعل القرآن الكريم «قاموساً وأطلساً» لكل العلوم والفنون، القديم منها والحديث، وما لم يكشفه العلماء بعد من هذه العلوم والفنون! ... وهى تجارة رائجة رواج سلع «البوتيكات» الاستهلاكية .. رغم تفاهتها إذا ما قيست بضرورات الذين يأخذون الحياة مأخذ الجد، ورغم مضارها على اقتصاد البلاد! ..

ولحسن حظنا، وسوء حظ هؤلاء «التجار» فان لمدرسة التجديد الدينى الحديثة من هذه القضية ـ قضية تحويل القرآن من كتاب دين وهدى ورشاد الى كتاب علوم وفنون ـ موقفاً واضحاً وحاسماً، عبر عنه الامام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ، ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) فهو يقول: «إنه لو كان من وظيفة النبى، صلى الله عليه وسلم، أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية، لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل، وينزع الاستقلال من الانسان، ويلزم أن يلتقى كل فرد من أفراده كل شىء بالتسليم، ولوجب أن يكون عدد الرسل فى كل أمة كافياً لتعليم أفرادها فى كل زمن ما يحتاجون إليه من أمور معاشهم ومعادهم. وإن شئت فقل: لوجب أن لا يكون الانسان هذا النوع الذى نعرفه! نعم، إن الأنبياء ينبهون الناس، بالاجمال، إلى استعمال حواسهم وعقولهم فى كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التى ترتقى بها نفوسهم، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوى الايمان ويزيد فى العبرة .. لقد أرشدنا نبينا، صلى الله عليه وسلم، الى وجوب استقلالنا دونه فى مسائل دنيانا فى واقعة تأبير النخل، إذ قال (انتم أعلم بأمور دنياكم) .. ومن هنا كان السؤال عن حقيقة الروح خطأ .. كما كان السؤال عن علة اختلاف أطوار الأهلة خطأ .. بل عده القرآن من قبيل إتيان البيوت من ظهورها ؟!» فأبواب بيوت هذه العلوم هى: العقل والتجريب، وليس النقل والنصوص والمأثورات! ..

أما المواطن التى عرض فيها القرآن للحديث عن اشارات كونية، فان مقصده منها ـ كما يستطرد الامام محمد عبده ـ هو العظة والعبرة، لا تقرير الحقائق وايراد النظريات، فمثلا «حقيقة البرق والرعد والصاعقة وأسباب حدوثها ليست من مباحث القرآن، لأنها من علم



الطبيعة (أى الخليقة)، وحوادث الجو التى فى استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم، ولا تتوقف على الوحي. وإنما تذكر الظواهر الطبيعية فى القرآن لأجل الاعتبار والاستدلال، وصرف العقل الى البحث الذى يقوى به الفهم والدين .. فالقرآن يذكر، إجمالا، من آثار الله فى الأكوان تحريكاً للعبرة، وتذكيراً بالنعمة وحفزاً للفكرة، لا تقريراً لقواعد الطبيعة وإلزاماً باعتقاد خاص فى الخليقة!».

هكذا يحسم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده القضية .. ويقرر أن القرآن الكريم لا يحدد قواعد للطبيعة وعلومها، ولا يلزم الناس باعتقاد خاص فى الخليقة، أى فى الطبيعة وما يتعلق بها .. ولذلك فليس من سلطان أحد الحجر على العقل فى ميادين العلوم العقلية، وليس لأحد أن يمارس مع علماء العقل والطبيعة والتجربة ما مارسه الكهنة والقساوسة مع العلماء عندما اضطهدوهم بدعوى أن للمسيحية تصوراً خاصاً ومحدداً فى سائر ميادين العلوم! ..

فالاسلام، الذى يطلق العنان للعقل، فى ميادين علومه، لا يطلب من هذا العقل إلا أن يوظف ثمرات بحثه فى سبيل الارتقاء بالانسان على درب انسانيته، والاقتراب به أكثر فأكثر من التصور المستنير والتصديق اليقينى بخالق هذا الكون، الذى خلق العقل وأوحى بالكتاب ليتزاملا ويتآزرا فى هداية الانسان! ..

د. محمد عمارة

الحرية

إن الحرية هى امكانية الشك ، امكانية الوقوع فى الخطأ ، امكانية البحث والتجريب وامكانية أن يقول الانسان : لا

اجناز يوسيلونى



الحرية .. أيضاً

إن الحرية هى حارسة المواهب ، ومغذيتها ، وبدونها تصبح الانسانية هباء .. إنها أنفس النفائس التى منحتنى الحياة إياها وتعلمتها منها .. وبقبولى تعليمها وحرصى عليها شعرت بأننى أستحق الحياة .

أحمد زكى أبو شادى

الصدق

كن صادقاً مع نفسك تكن صادقاً مع الناس أيضاً .

شكسبير فى
مسرحية «هاملت»

شهيد

قل للعروبة أسرعى
لا ينفع المشى الوئيد
وإذا العتاد أردته
فالنار عندك والحديد
والى شهيد إن يكن
بك حاجة فأنا الشهيد

جميل صدقى الزهاوى



شباب



أنا شاب فى
السادسة والستين .

سلامة موسى
سنة ١٩٥٤

الأمل والوهم

سيصبح كل شىء على ما يرام ذات يوم ... هذا هو أملنا .. أما أن نقول إن كل شىء على ما يرام اليوم ... فهذا هو الوهم .

فولتير



الشقى والعظيم

يكون الانسان شقياً حين يعرف أنه شقى . ولكنه يكون عظيماً حين يعرف أن الناس أشقياء .

بسكال

لغة

الرومان .. لو أنهم اضطروا الى تعلم اللاتينية لما وجدوا وقتاً ليفتحوا العالم .

هنريك هاينى



كاتب

كاتب عادى ... ذلك الذى يستطيع الكتابة فى أى وقت .

سومرست موم

اليد والعقل

ما تحتاج اليه بلادنا أياد أقذر .. وعقول أنظف .

روجرز
وزير خارجية أمريكا السابق

نكتة

نكتة الغنى .. دائماً مضحكة .

توماس براون

العلم والجهل

كلما أدبنى الدهر
أرانى نقص عقلى
وإذا ما زدت علماً
زادنى علماً بجهلى

الامام الشافعى

د. زيـن النـيل

الحمل الكاذب

مشكلة اجتماعيّة ونفسيّة قبل أن يكون مشكلة صحّية

لمعرفة الحمل الكاذب لابد أولا من تحديد ما هو الحمل .. والحمل العادى عبارة عن «إنزلاق بويضة ملقحة فى داخل الرحم» ، ويوجد نوع آخر من الحمل وهو غير الطبيعى ويكون بالتصاق البويضة بجسم آخر من أجزاء جسم المرأة كالمبيض أو فى داخل البطن ويعرف بالحمل «خارج المبيض» ، أما النوع الثالث فيسمى «بالحمل العنبى» ، وفيه تحدث تغييرات خلقية فى داخل المشيمة ، إذ توجد بويضة ولكنها لم تلتصق ، ولا تتحول إطلاقاً الى جنين داخل الرحم وهى حالة باثولوجية معروفة .

أما «الحمل الكاذب» فهو عدم وجود بويضة ملقحة ومنزرعة فى أى مكان سواء بالمبيض أو خارجه.



تفسير الظاهرة علمياً

كيف تحدث ميكانيكية هذه الحالات ؟

من الصعب علمياً تفسيرها ولكنها ناتجة عن متغيرات هرمونية ونفسية تؤثر على المخ فيعطى إشاراته لمختلف الأجهزة التى تستجيب له ، فتحدث أعراض الحمل كانقطاع الدورة الشهرية وإنتفاخ الثديين والقيء وإنتفاخ البطن ، وهى حالة عجيبة فعلا وترتبط ببعض السيدات فى ظروف نفسية معينة يستطيع الطبيب تحديدها وإكتشافها .

أسباب الحالة

تحدد حالات الحمـل الكاذب فى عاملين أساسيين إما الخوف من الحمل أو الشوق اليه ، فمثلا إذا نصح الطبيب احدى السيدات بعدم الحمل لأسباب مرضية أو وراثية ونسيت إستعمال مانع لأى سبب ، هنا يهيأ لها حدوث الحمل وتشعر بالأعراض نفسها ، ولكن بعد مرور شهر أو إثنين لابد وأن تعود الدورة الشهرية الى طبيعتها وهنا يزول هذا الاحساس وتختفى الأعراض ، وأيضاً مثلها السيدة التى لا ترغب فى الحمل ولم تستعمل الموانع لأى سبب .

أما العامل الأهم فى هذه الحالة وهو الشوق الى الحمل كأن تتزوج إحدى السيدات ولا تحمل فى خلال سنة أو إثنتين ، وفى أحيان كثيرة تكون مثل هذه السيدة غير قلقة ، ولكن من حولها هم القلقون كحماتها أو زوجها ، مثل هذه السيدة تحدث لها تغييرات نفسية تجعلها تشعر باحساس الحامل . أو السيدة التى لم تنجب بعد مرور سنوات عديدة على زواجها وتكون هى نفسها فى شوق لأن تلد أطفالا ، فتتقمصها كل أعراض الحمل ، وفى هذه الحالة قد تلجأ بعض السيدات لخطف طفل من المستشفى . أما النوع المنتشر حدوثه ويظهر عند كثير من السيدات اللائى أنجبن أكثر من مرة ، ومثل هذه السيدة تستطيع أن تعطى الصورة الواضحة للحمل الكاذب ، لأنها مرت بخبرات سابقة وتدرك مظاهر الحمل وأعراضه ، هذه السيدة عندما تقترب من سن الأربعين وهى الفترة التى قد يبدأ فيها إنقطاع الدورة عند بعض السيدات – وهى متعودة على انقطاعها فقط عند حدوث الحمل – وما تعودت حدوثه يحدث لها بالتملم كالتقيؤ فى الشهور الأولى ، بل وتشعر حتى بحركة الجنين أو تدعى ذلك بالطبع . وهذا النوع يجد الطبيب معه صعوبة كبيرة فى اقناعها

● كيف يكتشف الطبيب الوهم الأكبر الذي تتعرض له المرأة؟

● سيدات أنجبن أكثر من مرّة ومع ذلك يتعرضن لنفس الظاهرة!

● ماذا يحدث عندما تكتشف المرأة حقيقة الحمل الكاذب؟

● الأسباب الطبّية الكامنة وراء عدم إنجاب الأطفال!

وأعتقد أن فى خبرة كل زميل قصصاً كثيرة عن مثل هذه الحالات .

أين تحدث هذه الظاهرة ؟

نادراً ما تحدث مثل هذه الحالة فى المجتمعات المتقدمة كأمريكا وأوروبا لأن الزواج لا يكون بهدف الانجاب فقط ، بل تدخل فيه عدة عوامل مثل الصداقة والعشرة بعكس المجتمعات النامية التى تبنى فيها الأم حياتها حول الأسرة والأطفال ، وإحساسها بالضياع كالطلاق مثلا إذا لم تنجب .. كل هذه ظروف نفسية قاسية على المرأة مما يجعلها بأى شكل من الأشكال ترغب فى الانجاب ولذلك يعتبرها الطب مشكلة اجتماعية ونفسيه . والظروف التى تحدث فيها مختلفة ومتعددة ، وتقل كثيراً فى نسبة المتعلمات ، كما يؤثر التكوين العائلى وطريقة التربية . وكلها عوامل تخفف من حدة هذه الحالة .

نهاية الأكذوبة

تتخوف السيدة التى تعتقد أنها حامل من الذهاب للطبيب ولا ترغب فى ذلك إلا فى الشهور الأخيرة ، ولكن فور الكشف عليها يستطيع الطبيب إكتشاف حالة الحمل الكاذب بعد الستة أسابيع الأولى من انقطاع الدورة الشهرية سواء بالتحليلات المعملية أو بجهاز الموجات فوق الصوتية أو بالأشعة .

وعندما تعلم السيدة بعدم وجود حمل وهى فى شوق شديد اليه تكون غير مستعدة لقبول أى رأى مخالف لذلك ، وكثيراً ما تصاب بصدمة نفسية قد تكون أكبر من صدمة عدم الحمل نفسه وتحتاج للعلاج لدى الأخصائيين النفسيين



والاجتماعيين .

وهذه الحالة تختلف عن سيدة أخرى مات جنينها لأن الأخيرة تعرف أنها لا تتحكم فى الأقدار ، ومما يهون الأمر عليها أملها فى حمل جديد .

وتبدأ أعراض الحمل فى الزوال بمجرد معرفة من حولها بالأمر كالزوج أو الجيران ، ولكن لابد من إقتناعها بالأمر حتى تعود لحالتها الطبيعية كعودة الدورة الشهرية .

ولو رجعنا باختصار لأسباب عدم الحمل لوجدناها تتلخص فى ثلاثة عوامل ، ٣٠٪ أسباب تتعلق بالمرأة مثل عدم إفراز البويضة أو إنسداد الأنابيب أو تغييرات خلقية فى الرحم أو ضيق فى عنق الرحم ، و ٣٠ ٪ أسباب تتعلق بالرجل مثل عدم وجود حيوانات منوية أو ضيق فى الحالب ، و ٣٠ ٪ أسباب مشتركة بالمرأة والرجل . كل هذه العوامل توصل الطب لعلاج أغلبها ، ولكن يبقى الـ ١٠ ٪ عوامل مجهولة وتخرج عن العوامل السابقة ، كأن تكون المرأة صالحة للانجاب وكذلك الرجل ومع ذلك لا يحدث . وأحياناً تكون المشغولات الذهنية والنفسية هى التى تمنع ، وفى كثير من الأحيان عندما تتميز الظروف المحيطة ببعض الأزواج يحدث الحمل لأن عملية التبييض تتحكم فيها عدة عوامل مثل الذهن وعلاقته بالغدة النخامية والهرمونات التى تتأثر بكثير من العوامل النفسية ، وأحياناً الانتقال من بلد لآخر ، أو تغيير الطقس ، والفرح الشديد والحزن الشديد ، أو الحذر .. كلها عوامل تؤثر على خروج البويضة التى لا تخرج إلا مرة واحدة فى الشهر .

ولكن فى المجتمعات الشرقية يلقى العبء على الزوجة فى معظم الأحيان بالرغم من تساوى ظروف الزوجين ، وفى كثير من الحالات لا يستجيب الرجال للذهاب للفحص لأن لدى الكثير منهم وهم خاطىء وهو مادام يستطيع الاتصال بزوجته فهو قادر على الانجاب . ولكن الانسان الحريص لابد وأن يتعاون بنفس القدر للوصول لأسباب عدم الانجاب . وفى أوروبا لا ينظر الطبيب فى هذه المشكلة كحالة متفردة أى كأن تذهب الزوجة وحدها ، بل لابد من ذهاب الزوجين لايمانهم بأنها حالة واحدة بالرغم من وجود شخصين .. وكثيراً ما تحمل الزوجة فى أثناء العلاج بعد أن تزال كثير من العوامل النفسية .

د. زين النيل
مدير مستشفى الولادة ـ الدوحة

ضحكات الشهر

بريشة: صلاح الليثي



الفنان والكاريكاتير

صلاح الليثى ، واحد من أكبر فنانى الكاريكاتير العربى ، بل لقد أصبح الليثى فى السنوات الأخيرة يمثل مدرسة فى فن الكاركاتير خاصة به حيث يتميز أسلوبه الفنى عن سائر أعلام هذا الفن ، وحيث نظرته الساخرة عن غيره من الفنانين أيضاً ، ولذلك احتل صلاح الليثى فى السبعينات مكاناً بارزاً فى هذا الفن الناجح المؤثر على الذوق والرأى العام ، ففى خطوط بسيطة جداً ، تقترب مما نسميه باسم «الشخبطة» ، يصل الليثى إلى «السهل الممتنع» فى فن الكاريكاتير ، إنك تضحك معه من قلبك ، ولكنك تحس انك «تفكر» وأنت تضحك ، وأنك تفكر بعد أن تضحك ، فالليثى لا «يسليك» فقط ، ولكنه يثير أمامك الكثير من المشكلات التى يعانيها الانسان فى الحياة الحديثة ، وهى حياة ليست سهلة بل مليئة بالتعقيدات والهموم ... ومن قلب هذه التعقيدات والهموم ، تنطلق ريشة الليثى ، لتلمس مواضع السخرية العميقة وتكشفها لنا ... فيدفعنا ذلك الى مواجهة ما نجده فى طريقنا بروح قوية جديدة .. لا تعرف اليأس مهما كان حجم ما يواجهه الانسان من ألم .

إن صلاح الليثى الذى تقدم له «الدوحة» هذه اللوحات الضاحكة .. ظاهرة فنية متألقة تستحق منا جميعاً أن نلتفت اليها ونهتم بها ، ونستمد منها ما يمنحه الفن الساخر الأصيل من قوة وحيوية .

إن فن الكاريكاتير أصبح الآن فى نماذجه الرفيعة ، أحد الفنون الهامة التى تحتل مكانها إلى جانب سائر الفنون وخاصة إذا كان الفنان بمستوى صلاح الليثى وإبداعه وعمق نظرته إلى الحياة

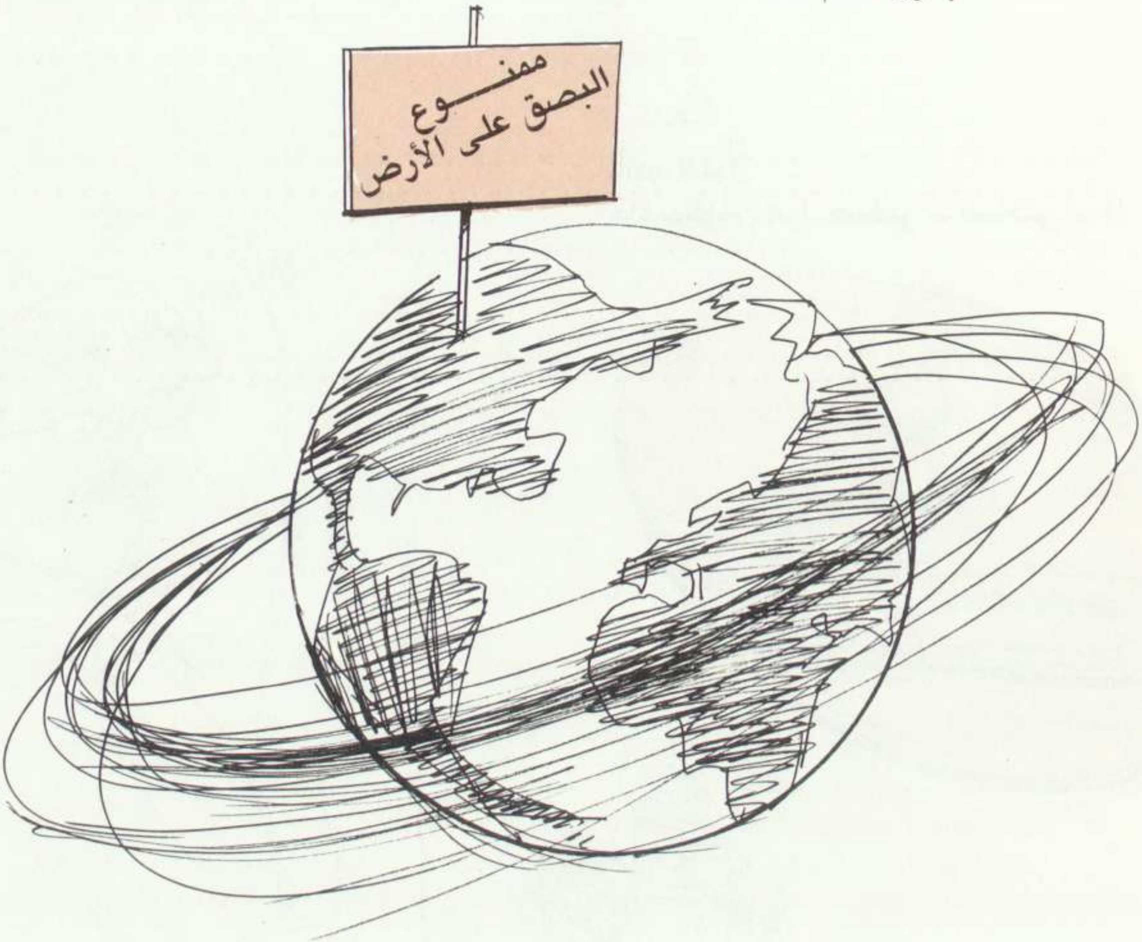


اشتريت تليفزيون ملون أشوف فيه الفرق بين منظمـــات الألوية الحمراء والألويـــة الصفراء .. !!

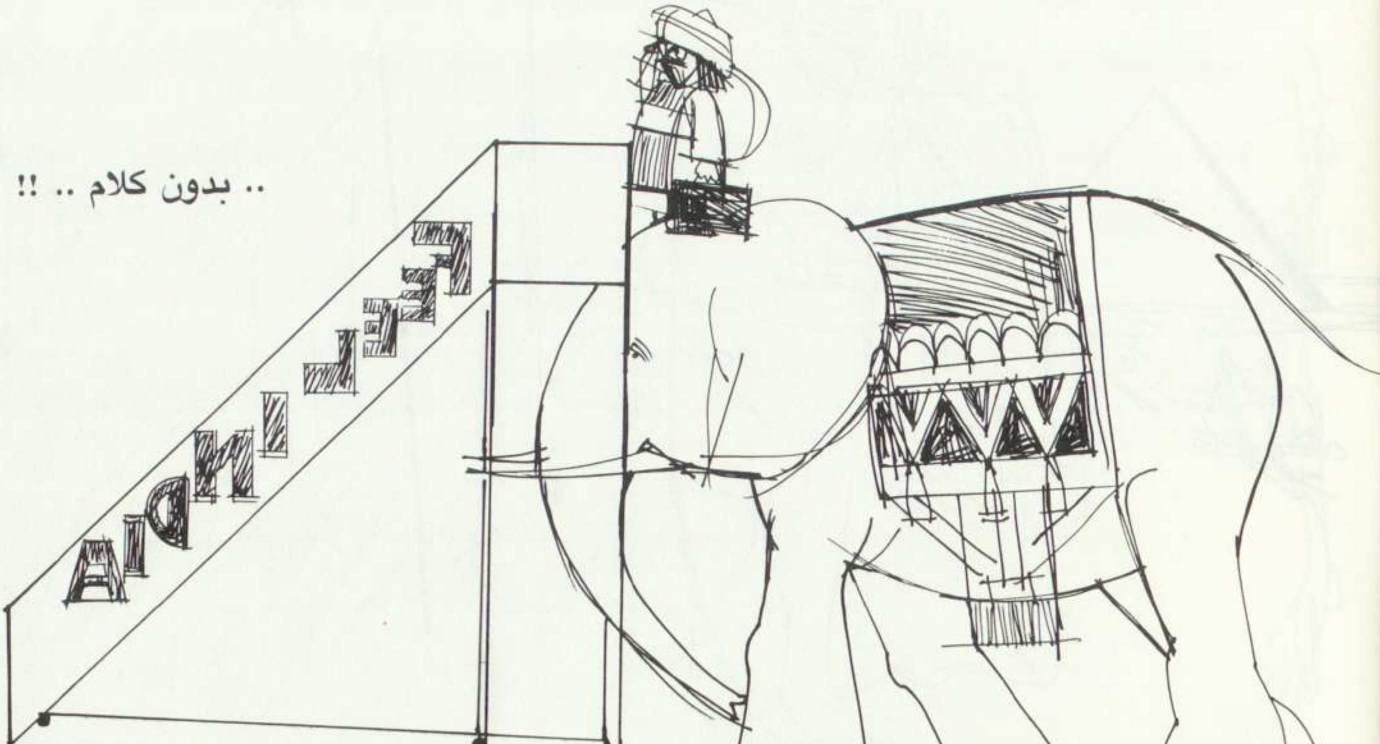


ـ .. كنت سهران أعد الهموم .. !!

.. بدون كلام ...



.. بدون كلام .. !!



ضحكات الشهر

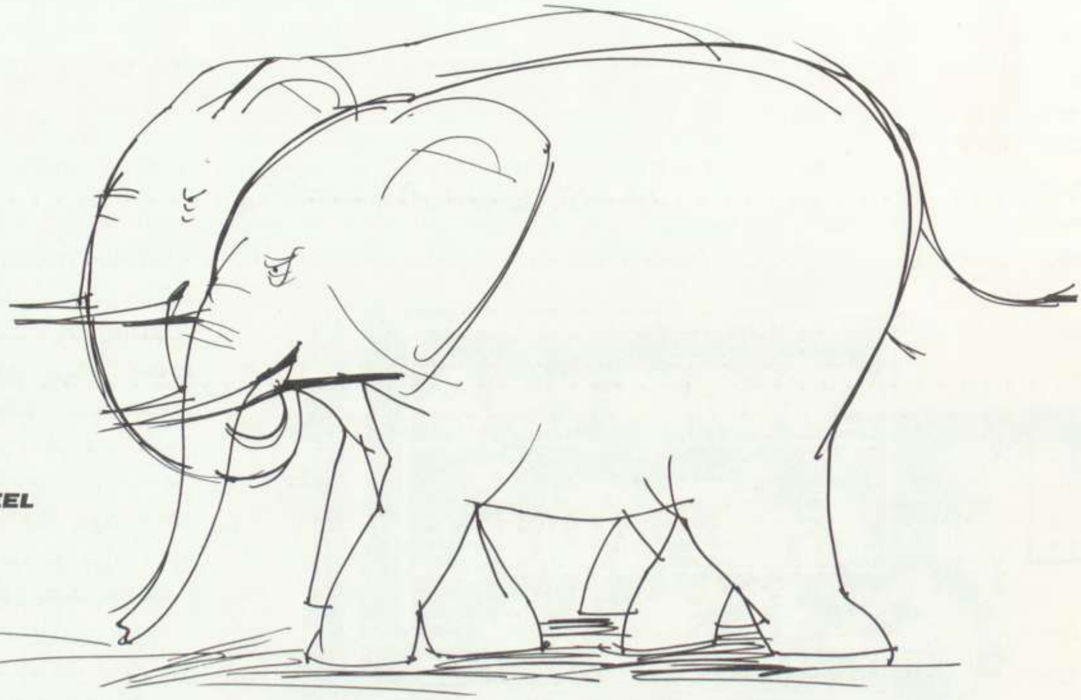
سايحة :

- أبو الهول
ماعندكوش هول صغير .. صاحى .. !!





... فاكر زمان لما كنا .. قرود .. !!



HOW DO YOU FEEL
I FEEL WELL!!





ـ .. فى انتظار
اختراع الأتوبيس .. !!

درجات السلم العليا

قصة بقلم: ديزي الأمير



لم تستطع منع رأسها من الاستدارة نحو واجهات الدكاكين لتحاول بنظرة عابرة رؤية المعروضات ، ولكن الطفلين كانا يشدان يديها ، فهما يريدان العودة الى البيت وبأسرع وقت . انتهى الدوام اليومى للمدرسة وهى .. هى متى ينتهى دوامها السنوى ؟

قبل بضعة أشهر جاء أبوها وأخذ ثمنها السنوى . تمنت لو تراه .. لو تحدثه لتقول له ..لتقول كم هى حزينة .. كم هى عاتبة .. كم تشتاق الى البيت .. كم تريد رؤية أمها .. كم هى .. كم هى تكرهه هو .. تلفظت بالعبارة ثم وضعت يدها على فمها تريد منع شفتيها من التفوه .

يجب احترام الوالدين . يجب محبة الوالدين . نعم يجب احترامهما ومحبتهما .. ولكن لم يجب هذا هل هذه فريضة على الأبناء وحدهم ؟

منذ سنوات تركها أبوها وعمرها بضع سنوات لتخدم فى أحد البيوت . كانت أقصر من أن تصل الى المغسلة وعلمتها سيدة البيت أن تضع صندوقاً خشبياً تحت قدميها لتصل يداها الى الحنفية . ولكن كفيها الصغيرتين وأصابعها القصيرة كانت تعجز أحياناً عن مسك الصحن أو القدح فينزلق من يدها والصوت التالى تدرى ما نتيجته ، ضرب من السيدة على الرأس والظهر والأقدام والوجه .

لم كل هذه الصفعات ؟ الكفان هما السبب فلم لا تكتفى السيدة بضرب يديها ؟ ولكن كل الضرب مؤلم واذا امتد الى أنحاء الجسم فماذا تفعل . تبكى يزداد الضرب . تسكت تعلو الشتائم . تذهب الى أين ؟ وليس لديها غرفة خاصة بها . كانت تنام مع الأولاد ليلا . ولكن نهاراً كل طلبات البيت هى المسئولة عنها وكيف يريدونها أن تدير أمور البيت وتعرف مكان السكاكين والملاعق والصحون والمناشف .. و .. وهى تنتقل كل سنة من بيت الى آخر ؟

هكذا كانت تأمرها ممولة الخادمات وحينما تسألها متى جاء أبوها ولم لم يشاهدها لم يطمئنها على أمها كانت الصفعات تنهال عليها ، صفعات على السكوت وصفعات على الكلام فمتى هو الوقت الصحيح لتوقف الضرب ؟ الطفلان يمسكان يديها الاثنتين . ادارت

وجهها نحو صالون الحلاقة وكادت تتوقف ولكن الولدين سحبا يديها بالحاح يريدان الاسراع . الى البيت وهى .. ما حاجتها للسرعة ؟ البيت ليس بيتها أهله ليس أهلها . الزوار ليسوا أصدقاءها . سحبها الصغيران وهى تتمنى لو انفتح باب صالون الحلاقة

قليلا . كم تمنت لو تعلم ما يدور هناك . كانت ترى سيدات يذهبن ثم يعدن بشكل مغاير ، وجوههن جميلة شعرهن يلمع وقد يتأرجح . ما هى أسرار صالونات الحلاقة ؟

لو تطلب منها سيدتها أن توافيها مرة الى هناك .. لو .. لو تدخل لترى ما يجرى فى ذلك المكان العجيب .

لا تعرف متى ولدت ، لتعد سنوات عمرها ومن لا يسأل عن نوعية البيت الذى تخدم فيه ابنتهم فكيف لهم أن يدونوا يوم مولدها أو السنة ولكنها كانت تسمع صراخ سيدتها بأنها قد كبرت وأن لها أن تعى وتكون أكثر تحمـــــلا للمسئولية . مسئولية ؟ وهل هناك عمل لم تقم به . تنظيف البيت . اعداد الطبخ، غسل الثياب وكيها والاهتمام بالأطفال من ساعة ايقاظهم الى لحظة نومهم كل هذا وهى لا تعرف المسئولية ؟ وتتذكر أنها فى يوم فلجاتها احدى سيدات البيوت وهى تقف أمام المرآة تمشط شعرها .. سحبتها .. سحبت شعرها وجزته بالمقص جزاً لا رحمة فيه .. وأغمضت هى عينيها تخفى الدموع ولكن هبوطها زاد فى غضب سيدتها فصارت تجز بيد وتصفعها بالأخرى وحين وصلت الدموع الى الأرض قالت السيدة تعبت يدى فيا لك من عنيدة . سيدتها الحالية ليست بتلك القسوة ، لا تضربها وتعطيها بعض نقـــود أسبوعياً ، كانت هذه النقود أول عملة تلمسها بيدها .

أخبرها الطفلان عن عبورهما البيت وكانت قد تخطته ببضع خطوات فعادت أدراجها معهما ودخلت خائفة أن يخبر الطفلان أمهما أنها شردت بأفكارها ومشت بها.

خافت أن يعود الضرب والصراخ . تأملت الطفلين تضرعت الى عيونهما وشفتيهما ألا تبوح بما جرى ولكنهما سارعا راكضين الى أحضان الأم وأسرعت هى الى المطبخ تجلب لهم الأكل الذى أعدته قبل الخروج ، تماماً كعادتها المسائية .

لم تدر أن الأطفال ينسون فهـــى لا تستطيع أن تنسى أنها لم تر والديها واخواتها واخوانها الذين لا تعرف كم صار عددهم الآن وأين توزعوا . منذ سنوات وهى لا تنسى أنها تتمنى لو ترى أهلها.رؤية الأهل تلح عليها كلما دخلت بيتاً جديداً . ما نوع أفراد أسرتها ألا يفكرون أنها تشتاق اليهم ؟ أهي تشتاق اليهم أم الى بيت يخصها ؟ لو يأخذوها أسبوعاً هناك .. أسبوعاً واحداً فقط وهى مستعدة أن تخدمهم تخدم أهلها .. تخدم فى بيتها ؟ ما معنى أن يكون للفرد بيت لا تعرف هذا الاحساس ولكنه يظل يلح عليها . كانت تسمع سيداتها يتحدثن عن بيوتهن باعجاب وكبرياء حينما تدخل بالصينية تحمل المآكل للضيوف . كيف تستطيع أن تلغى هذه الفكرة الملحة عليها ؟ .. بيت ليس بيتها .. أناس ليسوا أهلها .. ضيوف ليسوا أصدقاءها .. أطفال لا علاقة لها بهم .. راتب لا تتقاضى منه شيئاً . تذمر لا ينطق .. ألم لا ينسى .. شكوى لمن ولمن ومم ؟ لكل الناس ومن كل شيء ولكن لا زمان ولا مكان ولا أشخاص يقال لهم هذا .

انتهى تدريس الطفلين وذهبا الى فراشهما وبقيت هى تخدم الضيوف ثم تغسل الأوانى وترجعها الى مكانها وتنظف المطبخ وترتبه قبل أن تدخل بصمت كامل غرفة الأولاد تفترش الأرض بينهما واستلقت لا تطلب غير أن يستغرق الطفلان فى النوم فلا يوقظانها قبل الصباح الذى يبدأ به العمل الجديد القديم .

ليتها توقفت قليلا أمام صالون الحلاقة فلعل احدى المرتادات تخرج ، أو تدخل ويفتح الباب لترى ما الذى يدور فى الداخل . تلمست خصلات شعرها . لم يكن مجزوزاً . انه يصل الى أسفل عنقها ستلبى غداً كل طلبات السيدة بطاعة عميقة مخلصة . ولكن ... سيدتها الجديدة حنونة . تكلمها وتعاملها بشكل لا يمكن معه أن تفكر بجز شعرها ولو كان هذا طبعها لفعلته فمن يردعها ؟ أبوها ؟ أخوها ؟ أهلها ؟ صاحبـــة محـــل الاستخدام ؟ الطفلان ؟ الجيران ؟



ليست هذه هى المرة الجديدة فى اكتشاف عدم انتمائها لأحد ولكن لا تدرى لم تألمت الليلة أكثر من آلام الماضى . كل ما حوليها ينتمى لمكان وناس وهى .. كل ما تتمناه أن ترضى عنها سيدتها الجديدة فلا تنتقل فى السنة التالية الى بيت جديد ، ومزاج جديد . ليتها تبقى هنا الى أن يكبر الطفلان ويتزوجان وينجبان .. ؟ لم تفكر قبل اليوم فى أمر اسمه زواج وآخر اسمه انجاب . ليس لها الحق فى التفكير بذلك .

ذاك عالم ليس عالمها وأحداث لا حق لها فى التفكير بها هذا سلم درجاته ليست لقدميها المرهقتين . حين لامس خدها شعرها عادت تلامسه وتفرح أنه ليس مجزوزاً ولا تدرى متى غفت ولكنها تدرى أنها استيقظت كعادتها اليومية والشمس تكاد تلوح . أعدت الفطار ونظفت غرفة الجلوس وحينما أيقظت الطفلين ابتسما ، فتفاءلت . هذا يوم جميل بدأته بابتسامة طفلين بريئين يحبانها . وتذكرت .. تذكرت كل الأطفال الذين ربت وانشأت ورعت . كيف حالهم الآن ، أين وصلوا فى طريق الحياة ؟ طريق حياتهم مرسوم تعرفه ويعرفونه . وهى ؟ .. كانت يوماً طفلة وبريئة ومحبة . واليوم انها تكبر وتكبر معها الكراهية وبقايا البراءة والمحبة هل لها بقايا ؟ الذى تدريه أن أعمالها تكبر ومسئوليات البيوت تكثر وخبرتها تتحسن . فيطلب أبوها أجراً أكبر ويعرض بيت جديد موافقته لهذا الراتب الأكثر . ليت سيدتها الجديدة ترضى بزيادة ثمنها السنوى . هنا لم تضرب يوماً ولم تشتم ورأت .. نعم رأت وتلمست بعض النقود .

قبل أن تأخذ الطفلين الى مدرستهما ، ذهبت كعادتها الى المخبأ فى أحد خزائن المطبخ تحسب كم أصبحت كمية النقود التى جمعتها من دخلها الأسبوعى السرى .

فى طريقها الصباحى للذهاب الى المدرسة ، كان صالون الحلاقة مفتوحاً وأحد الصبيان يغسل الرصيف تمنت لو تقف وترى ما يحويه الصالون ولكن الطفلين سيتأخران عن موعد المدرسة . وفى طريق العودة كان الصالون مغلقاً وصوت الموسيقى العالية يصدر عنه ، لو كان مفتوحاً هل كانت تستطيع الوقوف ؟ ستسألها سيدتها لماذا تأخرت . حسناً

درجات السلم العليا

فعل صالون الحلاقة اذا أغلق بابه ولم يغرها بالوقوف أمامه .

صار صالون الحلاقة هاجسها اليومى وفى كل مرة تمر أمامه يكون مغلقاً أو مفتوحاً نصف فتحة أو مفتوحاً تماماً ولكنها لم تجد فرصة لرؤيته ، فهى لا تغادر البيت إلا لعمل مطلوب فكيف تتأخر وتقف هناك تتفرج ؟ لو فعلت وتأخرت هل تغضب سيدتها اذا عرفت السبب ؟ هل تجز شعرها ؟ عادت تتلمس شعرها وتتأمله منعكساً على واجهة المحلات . شعرها مسترسل غنى ، لو سلمته للحلاق يصففه فكيف يبدو حينذاك ؟ شعر سيدتها مجعد خشن قبل الذهاب الى الحلاق ، ولماع مصقول مرتب بعد العودة ، فماذا يمكن للحلاق أن يفعل بشعرها اذا ذهبت اليه ؟

حسبت عدد الليرات التى تجمعت ، ماذا تفعل بها ؟ هل تشترى فستاناً جديداً ؟ هى ترتدى الثياب القديمة التى تمنحها اياها سيدتها ، تجمعها من أخواتها وبناتهن ، لم تكن الفساتين على مقياسها بعضها أطول من قامتها والآخر أقصر والألوان تفرض عليها ولكن شعرها لا يستطيع أحد تغييره ، إنه ملكها ومغروس فى رأسها ولكن عليها أن تربطه بشريط أو أية خرقة لئلا يتناثر على كتفيها . هذه طلبات السيدة لا حق لها بالتصرف بشعرها الذى هو .. هو ملكها الخاص ؟

أخبرتها السيدة أن الأسرة ستذهب لقضاء عطلة الأسبوع فى الجبل وعليها هى أن تبقى فى البيت تنظفه وترفع السجاد استعداداً لاقتراب موسم الصيف . خافت أن تقول ان البقاء وحدها فى البيت يرعبها فسكتت .. ثم سألت نفسها ، هذه أول مرة تترك فيها فى البيت وحدها ، أهو أمر حسن ؟ أن تكون دون رقيب حرة مستقلة ؟

ولكن السيدة أخبرتها فى آخر النهار أن خادمة خالة الطفلين ستأتى لتكون معها وتشرف على سير التنظيف وحذرتها من عدم طاعتها فالخادمة الكبيرة مزاجية دقيقة فى أمور التنظيف. لا تدرى هل تحس بالارتياح لوجود بشر معها ؟ وهل كان الأفضل لو تمكث وحدها تشتغل دون توجيهات وملاحقة ؟

وجاء يوم السبت واستعدت الأسرة للذهاب ابتسم لها الطفلان قبل ذهابهما وظلا يلوحان لها بأيديهما الصغيرة والسيارة تبتعد بهما فدمعت عيناها وتمنت لو كانت برفقتهما فهما ذاهبان الى الفندق لكان عملها اذن مراقبتهما فقط . تنظيف السجاد تجربة جديدة وخادمة الخالة ما شكلها ؟ سمعت أنها مزاجية هل ستتفقان وتتعاونان ؟

ولم يطل انتظارها طويلا إذ سمعت المفتاح يدور يفتح الباب على الخالة والخادمة . كانت طويلة هزيلة عيناها غائرتان والتعاسة واضحة عليها ، تلبس ثوباً فضفاضاً من مخلفات الخالة البدينة قارنت نفسها بها فاكتشفت أنها أسعد ، شكلها أفضل عمرها أصغر ! وبدأت الخادمة الكبيرة بالسعال ساعة وصولها فكيف تساعدها ؟ ولم خوفتها سيدتها منها وهى لا يبدو عليها غير شكل المأتم ؟

جلست الخالة فى صدر المكان توزع الأعمال وحينما اكتشفت أن المواد الخاصة للتنظيف غير متوفرة فى البيت ، كتبت قائمة بها وأعطتها اياها تجلبها من دكان مجاور .

أخذت الورقة التى لا تدرى ما كتب عليها وخرجت وحينما مرت أمام صالون الحلاق وجدت .. اكتشفت .. هللت .. تبسمت .. لقد كان بابه مفتوحاً وسيدة تخرج اقتربت منها رفعت رأسها اليها فاحت رائحة عطر . مدت رأسها الى الداخل . كان المكان مملوءاً بالسيدات والضجيج يملأ الجو . لم يحس أحد بدخولها فالكل مشغول ، صبية وفتيات ورجال ونساء . بعضهم يغسل الشعر بطريقة مقلوبة .. آخر يلفه باسطوانات صغيرة ملونة .. فتيات يمسكن أيادى وأرجل السيدات يعبثن بها . الحيطان مرايا تجلس أمامها ، نساء يقف بجوارهن رجال يتحدثون همساً أو بصوت عال فاضح . نقلت عيناها . البعض يومى بيده فتنهض سيدة من مكانها الى كرسى آخر . صوت ضجيج يعلو لا تدرى مصدره . بعض المقاعد فوقها كرة .. لا إنها نصف كرة .



ماذ يجرى هنا ؟ ولم كل هذه الأصوات والأدوات والناس ؟ بدأت تكتشف سر صالون الحلاقة . فجأة اقترب منها صبى سألها ما تريد . مدت يدها الى شعرها .. تلمسته . لم يكن مجزوزاً فسكتت . نظر اليها بسخرية وعاد الى طاولة عليها مجلات سلم بعضها للسيدات .

طال وقوفها لم يطلب منها أحد أن تجلس أمام مرآة .. تقلب رأسها على مغسلة . يحاط كتفها بمنشفة . فجأة دخلت سيدة شقراء وهجمت على أحد الرجال صارخة : أنا مستعجلة غير لون شعرى أجابها الرجل وهو مشغول بأحد الرؤوس : لا أستطيع . غيرت لونه صباحاً . أجابته بفجاجة : ماذا يهمك ما دفعت سأدفع لك ثمن الصبغة . زوجى يريدنى أكثر شقرة ، ترك الرجل الرأس وتطلع الى الشقراء ، قلب خصلات شعرها وأجابها سيتلف شعرك ، صبغه مرتين فى يوم واحد يحرقه . أمسكت الشقراء كتفه وهزته : زوجى لن يأخذنى الى السهرة بهذا الشعر أتفهم معنى هذا ؟ أومأ اليها أن تجلس وهرع آخر يحمل طاسة وفرشاة وبدأ يغطى خصلات شعرها بمعجون أبيض .

الحوار الدائر بين الشقراء والرجل شد اصغاءها وتظن أنها فهمت شيئاً ،

بعض السيدات تركن مقاعدهن الى حيث يجلس رجل وراء طاولة قرب الباب وفتحن حقائبهن وتركن أكواماً من الليرات ثم عدن الى حيث الفتيات والشباب ووضعن فى جيوبهن شيئاً . ما هذا الشىء الأخير ؟ فهمت شيئاً مما يجرى فى الصالون فما هذا الذى غاب عن فهمها ؟ أحد الصبية يلبس سيدة معطفاً فتضع فى يده ورقة كان الصبى بقربها وكذلك السيدة ورأت تماماً ما استلمه الصبى من السيدة كان عدداً من الليرات . كل هذه الليرات ثمن لإلباسه إياها المعطف . وتذكرت كل نقودها التى جمعتها من كل أسابيع أشهر السنة التى خدمت بها . كلها كلها لا تعادل هذا المبلغ .

صرخت السيدة الشقراء أن يستعجلوا فصوت زعيق السيارة الواقفة فى الطريق هو صوت سيارة زوجها . وزاد المكان ضجيجاً وحركة وتنقلا وكذلك كانت هناك. ضحكات وأحاديث وفناجين قهوة تدور على الحاضرات . تسللت من الباب وما كانت فى حاجة للتخفى . لفح الهواء وجهها وطير شعرها سحبته . انه معلق برأسها تعرف لونه وطوله ونوعه . الشقراء غيرت لون شعرها مرتين فى اليوم . هناك من يدفع لها الثمن . زوجها ينتظرها للحفلة وهى .. هى من ينتظرها ؟ ما المناسبة التى تنتظرها من أين الثمن لتصفيف الشعر ؟ كيف ضيعت كل هذا الوقت المدفوع ثمنه لأبيها فى هذا المكان ؟ هى لا تملك الوقت ولا المال ولا المناسبة ولا الرجل المهتم فما الذى جمع بينها وبين هؤلاء النسوة ؟ وفى هذا المكان ؟ شعر السيدة ليس ملكها رجلها يعين لونه وله الحق لأنه يدفع الثمن وسيأخذها الى الحفلة . وهى شعرها ملكها ولكنها لا تستطيع تصفيفه لا تملك الثمن ولا الوقت ولا الحفلة . لم كانت هناك ؟ كيف دخلت مكاناً مخصصاً لنوع من النساء علاقتها بهن خدمتهن وتوفير الراحة لهن ، هن سيدات مرتاحات وهى أسيرة متعبة .

تذكرت البيت والسجاد والخالة وخادمتها ماذا ينتظرها من عقاب ؟ انعكست صورتها فى زجاج واجهة محل رأت فستانها المهلهل وشعرها المتناثر أمسكت به تحميه من مقص يجزه .

ديزى الأمير

الجمال الحزين

شعر: عبدالعليم قبّاني



«رآها وهى تطل من النافذة فى ضوء القمر وعلى وجنتيها قطرات دموع ..»

هذى الدموع نداء حائر قلق
لا تتركيه على خديك يحترق
صونيه . صونى دم العشاق من لهب
تململ الورد منه واشتكى الشفق
ماذا تحسين ؟ يا حلماً بأجنحة
وردية فى ربى الفردوس ينطلق
هل مسك الحب ؟ هل أدتك لوعته ؟
من يا ترى ذلك المستهتر النزق ؟
اكذب النفس أن ألقاك باكية
وانت . من بسناها يضحك الأفق

• • •

عيناك نبعان من سحر ومن حلم
فكيف يقوى على هدبيهما الأرق ؟؟
بحيرتان ترامى الليل حولهما
«فجران» طاف على شطيهما الغسق
و «واحتان» تعالى من أظلهما
بوارف من ظلال الخلد يأتلق
فكيف يمكن أن تبكى ؟ ومعذرة
اذا سألت ، فان الشك يستبق
الحسن والحزن فى مرآتك اجتمعا
فكيف ضمهما فى باقة نسق ؟
من كان يحسب أن الحسن مملكة
تؤودها دمعة بالحزن تندفق ؟
أمنت بالحب فوق العقل منطقه
ما قيمة العقل ؟ فى أحكام من عشقوا ؟



د. رضوى عاشور



التابع ينهض

محاولة لاستكشاف الأدب الإفريقي

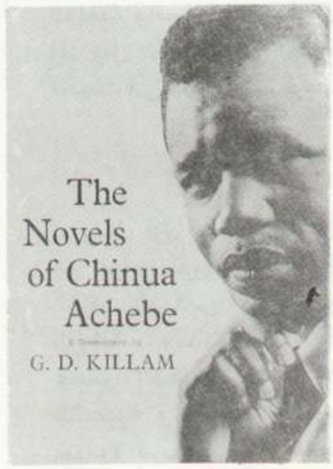
يبدو هذا الكتاب أشبه ما يكون برحلة استكشافية اكثر منه كبحث أدبى . فأفريقيا تبدو أحياناً قارة نائية رغم قربها الجغرافى والتاريخى . وصعوبة الوصول اليها ثقافياً على الأقل جعلتنا نفقد الكثير منها على المستوى السياسى . وافريقيا كانت المبادرة فى موقفها الايجابى معنا فى قضية فلسطين . ولكن رد الفعل العربى كان بارداً مما يهدد بضياع كل شىء .

لقد ترك الاستعمار بيننا كعرب ، وبينهم كافارقة كثيراً من الجسور المقطوعة . وضاعف من حدة القطيعة عدم وجود أرضية مشتركة للحوار لعلها نابعة من افتقاد الثقة . ومن احساسنا بمدى ضعفهم الذى يشبه ضعفنا وتطلعنا دائماً نحو الشمال .. نحو القوى التى سحقتنا ذات يوم سوياً ومازالت تمارس تسلطها السياسى والاقتصادى . ولكن علينا ان نعترف اننا نجهل الكثير عن إفريقيا رغم انها تضم نصف العالم العربى . رغم اننا وهم ضحايا تركة واحدة مثقلة . واصحاب مستقبل غامض لا يمكن أن يجلوه إلا مزيد من الوعى المشترك بيننا .. فهل تفلح الثقافة فى وصل تلك الجسور المقطوعة .. ؟ .. يحاول «التابع ينهض» ان يقدم بعضاً من الاجابة على هذا السؤال .. فالمؤلفة د. رضوى عاشور أختارت أن ترحل خلال الرواية الموجودة فى غرب افريقيا لكى تكتشف كثيراً من القضايا والشواغل التى تؤرق الأفارقة والتى لا تختلف عن الهموم العربية .. والرواية هى اكثر الشهادات المعاصرة قرباً من الحيوية والصدق .. وهى هنا مثل مفتاح نحاول ان نفتح به الكثير من مغاليق الشخصية الافريقية ..

ود. رضوى عاشور تعمل أستاذة للأدب الانجليزى بكلية الاداب بالقاهرة . وقد حصلت على رسالة الماجستير فى الادب المقارن حول تاثير الشاعر الرومانى الانجليزى وليم بليك فى شاعرنا العربى



ف . س . نيابول



شينوا أشيبى



سبينى عثمان

جبران خليل جبران .. ثم سافرت إلى امريكا حيث قامت بدراسة الادب الاسود فى أمريكا وحصلت على درجة الدكتوراه عن الكتابات النقدية السوداء اى محاولات الكتاب الافرو امريكيين صياغة نظرية للأدب الاسود وبلورة مفاهيمهم عن دور الفن وأهميته .. ثم توالت دراستها النقدية عن ادب الشبان فى مصر والعالم العربى .. وكان من أهم كتبها «الطريق إلى الخيمة الأخرى» وهى دراسة فى أدب الكاتب الفلسطينى الشهيد «غسان كنفانى» . و «التابع ينهض» هو المحاولة النقدية الثانية لها . ويثير الكتاب عدة أسئلة .. وعدة قضايا . وربما يكون السؤال الأول هو لماذا اختارت الكاتبة غرب افريقيا جغرافيا .. وتجيب .. « إن اختيار غرب أفريقيا هو ضرورة تحديد منطقة بالذات لتناول إنتاجها الروائى لأن الحديث عن الرواية الافريقية ككل يبدو محفوفاً بالمزالق والعثرات .

التاريخ والصورة الزائفة

إن الأدب الافريقى هو أدب تأكيد .. على الهوية الحضارية والهوية الشخصية ، فقد اشاع الاستعمار عن أفريقيا صورة زائفة . انها ليس لها تاريخ ولا ماض وإن الانسان الاوربى هو الذى حمل لها نور المعرفة .

وهكذا وجد الكاتب الافريقى نفسه فى محاولة دائبة لاثبات وجوده التاريخى . يبقى دائماً مسكوناً بالتاريخ على حد تعبير كاتب كينى . يطرح أسئلة تقوده لأسئلة أخرى يحاول من خلالها البحث عن ملامح الماضى . وتحديد الحاضر والنفاذ إلى المستقبل . وليس هذا الامر فقط ولكن الكاتب الافريقى وجد نفسه منشغلا بالتشابكات السياسية والاجتماعية لواقعه اليومى .. وهكذا أخذت الرواية بعداً سياسياً بجانب البعد التاريخى . ويقول الكاتب النيجرى شنيوا اشينى .

«سوف اكون راضياً لو رواياتى لم تفعل سوى تعليم قرائى أن ماضيهم - بكل قصوراته - لم يكن ليلا طويلا واحداً من التوحش أيقظهم منه الاوربيون الاوائل فكانوا مخلصيهم باسم الرب . ربما كان ما اكتب فناً تطبيقياً مختلفاً عن الفن الصرف ولكن لا يهم . إن الفن شىء هام . ولكن التربية أيضاً مهمة . نوع التربية الذى بذهنى . ولا أرى هناك تناقضاً بين الاثنين» .

الوطن هو المحور الذى تدور حوله الرواية فى غرب افريقيا . تختلف الامزجة وتختلف الرؤى والأساليب الفنية وتتفاوت القدرات ولكن الوطن تاريخه . جراحه . واقعه المعاصر هو دائما الشاغل الرئيسى .

الحمد الله بالفرنسية

وتتصدى المؤلفة د. رضوى عاشور لأهم مشكلة تطرحها مثل هذه الكتابات بل ويطرحها الواقع الأفريقى أيضاً .. هى مشكلة اللغة . إذ كيف يعبر الكاتب عن آلامه وتطلعاته بلغة ليست لغته . بل بلغة المحتل الذى سبب له الآلام وحرمه من التطلعات وحاصره . ان اللغة هى الوعاء الذى تتراكم فيه المعارف والتجارب هى التاريخ والتراث الحضارى فكيف يمكن التخلى عنها وإستبدالها بهذه السهولة ؟ .

تلاحظ د. رضوى أن اللغات المتداولة فى افريقيا تقرب من سبعمائة لغة . إلا أن الغالبية العظمى من هذه اللغات منطوقة وما يكتب منها لا يتعدى الخمسين . كذلك نجد عدداً هائلا من

كتاب الشهر



التابع ينهض

محاولة لاستكشاف الأدب الإفريقي


غسان كنفانى


جبران خليل جبران

القبائل يعيش داخل نطاق الدولة الواحدة تتكلم كل قبيلة بلغة مختلفة عن الأخرى . وهكذا شكلت اللغة الاجنبية التى جاء بها المستعمر اللغة الوحيدة المشتركة بين كل من يعرفون القراءة والكتابة بل إن السياسة التى اتبعها الاستعمار لم تشجع أبدا أى ازدهار للغات المحلية فى الكتابة

كيف يجتاز الكاتب الافريقى هذا المأزق .. ؟ ..

كانت المبادرة للكاتب أموس تيوتولا فى نيجيريا الذى لم يتلق أى تعليم عال .. ولكن موهبته الفياضة وحسه الشعبى عوضت ذلك النقص وبذلك كتب بلغة انجليزية خاصة لا تعترف بالقواعد .. ولا البلاغة .. بل تعتمد على تجربة ابداعية ذات خيال جامح . تكاد تنسى القارىء انه يتحدث باللغة الانجليزية ويتواصل معه من خلالها . انه يبرز الراوى الشعبى الافريقى ولا يهم مدى صحة اللغة التى تروى عن لسانه ما دامت تتدفق مليئة بالاحاسيس .. ثم جاء بعد ذلك دور الكاتب الافريقى المثقف الذى يعرف لغته جيداً وكذلك يعرف اللغة الاجنبية .. وهكذا يحاول الكاتب جابرييل أوكارا أن يقلب نظام الجمله .. ويستخدم الأمثال الشعبية والتشبيهات المستمدة من البيئة .

الكلمات لا تكفى

ولكن إنجاز أفرقة اللغة الانجليزية لم يتم بصورة جيدة إلا على يد شينوا اشيبى الذى خلق أسلوباً خاصاً ليس من موقف «البراءة» بل من موقع التجريب الواعى لانسان يتمتع بحساسية عميقة تجاه اللغة ويعرف أيضاً أن هذه اللغة نبتة حية قد تنمو فى تربة بعينها أو تموت أو تتشوه فى تربة أخرى وهو يقول «لا اعتقد أن المسالة مجرد مسألة كلمات . إن الكلمات مهمة لكن ليس بالدرجة الأولى . أتكلم عن اللغة بمعناها الأعمق . إن رؤية الشخصيات للعالم ، مشاعرهم ، مفهومهم للوجود هى التى تختلف ، ليس الامر مجرد كلمات .. مادامت تستطيع أن ترى هذه الاشياء بالشكل الصحيح فاعتقد ان الكلمات المناسبة سوف تاتيك » ..

وقد اتجه بعض الكتاب إلى إكساب لغتهم صفة محلية واستخدام كلمات وتعبيرات من اللغة الاصلية كما هى فى النص الانجليزى أو الفرنسى فسمبينى عثمان وهو كاتب مسلم من السنغال يكتب بالفرنسّية ويستخدم التعبيرات الشائعة فى اللغة الشعبية فنجد «الحمد لله» «واستغفر الله» «والله أكبر» وغيرها مكتوبة بالحروف اللاتينية .. انها محاولات مستمرة من الكتاب للتأصيل وصراع دائماً مع اللغة الدخيلة ليهزموها فى النهاية كما هزمتهم فى البداية .

وتنقب المؤلفة خلف كل كاتب محاولة ان توضح عنصر التمايز فى تجربته الروائية .. لقد كانت هناك ظاهرة ثقافية لعبت دوراً بارزاً فى نشاة الرواية النيجيرية هى سوق اوينتشا الذى ظهر بعد الحرب العالمية الأولى وساعد على انتشاره إتساع قاعدة التعليم وبالتالى زيادة الجمهور القارىء . فقد ازدهرت فى تلك البلدة الواقعة على نهر النيجر صناعة الكتب تاليفاً ونشراً وتوزيعاً وتفاوتت مواضيع هذه الكتب مابين الاقاصيص ذات المضمون الاجتماعى أو السياسي أو التاريخى والنصائح العلمية والسلوك الاجتماعى وخلافه .. وقد مثل هذا نوعاً من الصحوة الثقافية أسهمت فى خلق قاعدة عريضة من القراء.

البداية مع التراث الشعبى

ولعل أول كاتب هام ظهر فى نيجيريا هو اموسى تيوتولا . الذى أعاد صياغة التراث الشعبى الافريقى ومهد الطريق للرواية .. وكانت روايته الأولى «شريب عصير النخيل» خليط من الحكايات الشعبية والاساطير الافريقية صاغها تيوتولا فى قوة وتدفق .. تماماً كحياته التى خلت من أى تعليم منتظم واعتمدت على العمل الحرفى ولكن خياله الفذ استطاع أن يستوعب ثراء الحكايات الشعبية وأن يجاريها بخلق حكايات تماثلها .. وقد كتب تيوتولا بعد ذلك «حياتى فى غابة الأشباح» و «الصيادة الافريقية الشجاعة» .. وفى هذه الروايات الثلاثة هناك رحلة تقوم بها الشخصية الرئيسية – رحلة طويلة مليئة بالرموز والدلالات والحكايات الشعبية يكتسب خلالها الانسان المعرفة والنضج بعد أن يكون قد مر بعذابات شتى . ومن أشهر الحكايات التى يرويها تيوتولا فى روايته «شريب نبيذ النخيل» حكاية الفتاة التى كانت ترفض الزواج من كل الذين تقدموا لها لأنها تبحث عن الانسان الكامل .. وعندما ذهبت الى السوق ذات صباح لتبيع بعض الأشياء التى صنعتها سحرها رجل جميل المحيا طويل شديد الاناقة بدا لها أنه الانسان الكامل فى كل شىء ، وهكذا تركت الفتاة حاجياتها بالسوق وتبعته حتى داخل الغابة . وهناك رأت هذا الرجل الكامل



وليم بليك

يعيد ما استأجره من الآخرين . كان كل جزء فيه مستعاراً . اعاد الساقين ودفع ثمن استئجارهما واخذ يزحف على بطنه ثم أعاد الذراعين ودفع الثمن أيضاً . ثم أعاد الاضلع وكل اجزاء جسده حتى لم يتبق منه سوى رأس تقفز كالضفدع ثم أعاد جلد الرأس ثم كل ما فيها حتى لم يبق منه إلا جمجمة . وحين رأت الفتاة تلك أصابها الهلع وحاولت العودة ولكن الجمجمة منعتها واخذتها معها إلى البيت حيث تعيش مع بقية اقاربه من الجماجم .

الاشـــياء تتداعى

وبعد أن تستعرض الكاتبة تجربة كاتبين ساخرين من الكاميرون هما فرديناند إينو ولمو نجوبيتى تصل إلى أهم كتاب افريقيا وربما واحد من أهم كتاب العالم وهو شينوا اشيبى .. فقد كانت روايته «الاشياء تتداعى» تمثل مرحلة جديدة فى هذا النوع الأدبى .. وهى تدور حول هزيمة الحضارة الافريقية ممثلة فى حياة جماعة من قبيلة الايبو أمام الغزو الاوربى . إن الاشياء التى تتداعى وتتحطم هنا هى طريقة الحياة الافريقية التقليدية . أما الحضارة التى تزدهر وتصعد فهى الحضارة الاوربية .

ملحمة افريقية

ويأتى سمبينى عثمان من السنغال بدم جديد للرواية الافريقية انه يكتب الرواية العمالية . وفى روايته الأولى «عامل الميناء الأسود» يقدم شهادة حية عن عالم العمالُ السود فى مرسيليا وقسوة الظروف التى يعيشون فيها .. ثم يتطور ليقدم أهم رواياته «قطع خشب الرب» التى تعتمد على واقعة تاريخية هى إضراب عمال سكة حديد خط داكار ــ النيجر الذى يمتد الى ما يقارب الف ميل . وقد استمر هذا الاضراب لمدة خمسة شهور وهويجسد من خلال هذا الاضراب كفاح القارة كلها ضد السيد الابيض الذى يجلس فى أعلى والزنجى الذى يكدح فى الاسفل ..

وتنهى المؤلفة دراستها القيمة بتساؤل .. هل يستمد الادب الافريقى الحديث من كونه رداً على أوضاع سياسية بعينها وانه بالتالى يفقد هذه القيمة بزوال هذه الاوضاع .. ؟ ..

تقول د. رضوى ان اية حركة ادبية تنشأ تعبيراً عن ضرورة واحتياج وقد نشأ الادب الافريقى تعبيراً عن هذه الضرورة . والذى يحدد قيمة العمل هو اتسامه بتحقيق التوازن بين العام والخاص ولهذا فان الادب فى غرب افريقيا يشكل إنجازاً هاماً على طريق تحقيق التجسيد التاريخى لمرحلة بأكملها . وتقول :

«.. إن كتاب الرواية فى غرب افريقيا يؤسسون أدباً قومياً يعكس الثقافة الوطنية لشعوب المنطقة التى يمتزج فيها حضور التاريخ باللحظة المعاشه وهم يستلهمون تراثهم الثقافى الافريقى كما يستفيدون من الانجازات الثقافية الغربية والنتيجة هى أدب رائد بكل ما يتسم به عادة مثل هذا الأدب من مزايا ونواقص » .

حوار مـــع الكاتبة

قلت للكاتبة د. رضوى عاشور :

● من خلال تتبعنا لكتاباتك النقدية بدءاً من دراستك حول أدب الشبان فى مصر ثم رحلتك مع غسان كنفانى والادب الافريقى الاسود فى امريكا .. هل يمكن أن نقول انك تحاولين بلورة نظرية نقدية لأدب العالم الثالث وهل يمكن ان نعتبر الكتابات السوداء فى امريكا جزءاً من أدب العالم الثالث .. ؟

قالت الكتاب السود فى أمريكا يعتبرون أنفسهم بالفعل جزءاً من العالم الثالث وانا أفضل النظر الى كتاباتهم فى هذا السياق . فبعد الحرب الاهلية الامريكية بدأت تظهر مدن سوداء داخل المدن البيضاء .. تجمع سكانى أسود فى نيويورك وتجمع أسود آخر فى شيكاغو .. وأصبح هناك جامعات سوداء ..

ومن المؤسف اننا تعرفنا على الآداب السوداء من خلال نزعة «انثروبولجية» وهى نزعة خطيرة .. لأنها متعالية تفشل فى الدخول الى صميم هذا الادب . فنحن كثيراً ما نسمع عن الأدب الافريقى والكلام عنه بهذا الشكل فيه نوع من الاخلال لأننا حين نتكلم عن الأدب الافريقى نتكلم عن أدب انتجته قارة بأكملها . وهذه القارة قديمة وعريقة وكان لها ثقافات وحضارات . لذلك يجب ان نضع فى الاعتبار أن هذه القارة تمتد من الشمال حيث الثقافة العربية الاسلامية غالبة ، إلى الجنوب حيث توجد آداب مكتوبة وآداب منطوقة . آداب مكتوبة بلغات الغازى وتأثرت تبعاً لذلك بتراث الغازى . وهناك لغات أخرى افريقية مثل العربية والامهرية والسواحيلية والهوسا . وهناك أعمال ادبية متنوعة كتبت بها .

وبالتالى فان هناك آداباً افريقية .. متنوعة .. ولغات افريقية .. أى أن هناك اكثر من أدب ..

الابداع باللغة المضادة

قلت : فى حديثك عن اللغة وقد افردت لها فصلا هاماً فى كتابك ادهشتنى بالفعل ظاهرة الكتابة والابداع من خلال لغة أخرى .. لقد كان «كونراد» وهو البولندى الأصل ظاهرة متميزة فى الآداب المتميزة .. وهناك حديثاً «ف.س. نيابول» من جزر الهند الغربية وهو من كبار كتاب اللغة الانجليزية ..وتحدثت أنت عن شينوا اشيبى وشونيكا .. كيف يتحقق هذا ؟ ..

قالت : إن الحاجة أم الاختراع .. وفى حالة مثل هذه فالحاجة أم التجديد . فالكاتب يبدأ من وضع شديد التعقيد الا وهو إضطراره لاستخدام لغة لتوصيل تجربة منفصلة عن هذه اللغة تاريخياً .. هذه التجربة خاصة به وبشعبه واللغة نتاج شعب مختلف وتجربة بشرية مختلفة . لذلك فالمحاولة الدائبة والواعية لعبور هذه الهوة الفاصلة بين اللغة الدخيلة والتجربة الأصيلة دفعت بالكتاب إلى طرق التجديد . هناك تجديد



كتاب الشهر

التابع ينهض

محاولة لاستكشاف الأدب الإفريقي

بسيط ، محدود كان يدخل الكاتب على أسلوبه السردى بعض العبارات المحلية وهناك طريق اخر هو الضرب عرض الحائط ببنية وقواعد اللغة الدخيلة وكأنه يترجم ترجمة ركيكة عن لغته الأصلية . وبطريقة ما ينجز شيئاً جديراً بالتوقف وبالدراسة . وهناك طريق ثالث هو الذى قام به كاتب مثل اتشيبى كان سديد الوعى باللغة الانجليزية واستطاع أن يطورها من خلال إغنائها بالأمثال وهو يحاول من خلال الترجمة أفرقة اللغة الانجليزية .

كابوس ما بعد الاستقلال

● معظم الروايات التى استعرضتيها كانت فى مرحلة رد الفعل ضد الوجود الاستعمارى . ولكن هناك كثير من البلدان الأفريقية التى تحررت وعاشت فى كابوس الانقلابات القتالية والحكم الدكتاتورى .. هل تصدى الكاتب الافريقى لهذه المرحلة وتحرر من عقدة الاستعمار ؟

ـ لقد تحرر الكاتب بالفعل فالروائى قد لعب دوراً اساسياً فى قول الحقيقة عن الواقع الافريقى . ولكن الستينات أتت بالاستقلال واكتشف الكاتب ان المسألة ليست وجود غاز أوربى فى مواجهة الوطن ولكنها أصعب من هذا . إن هناك صراعاً بين مستغلين ومستغلين من أبناء البلد الواحد . وتوالت الكتابات منذ منتصف الستينات تقدم رؤى نقدية للواقع الافريقى بعد الاستقلال .

ولم يقف الأمر عند هذه الدرجة من الصراعات .. ولكن كانت هناك اسئلة حول دور المثقف وعلاقته بالتاريخ بعد الاستقلال . ما الذى نفعله بالتراث . هل هو عبء او منحة أو ثروة نستفيد منها .

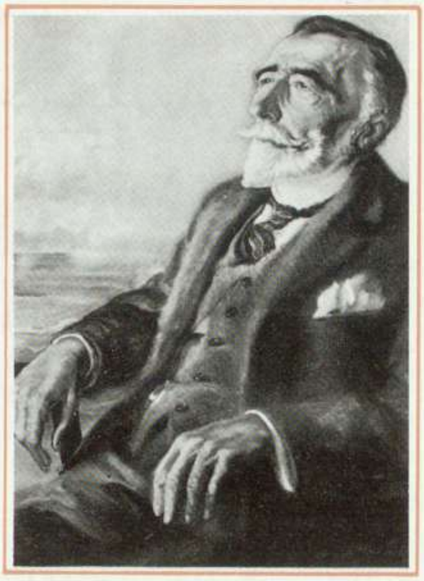
ولكن الذى حدث بعد الاستقلال فى بعض الدول الافريقية كان بالغ العنف بل وصل الى حد الحرب الاهلية . وقد تعرض عدد من الكتاب للعنف البالغ وبدا الأمر كما يصف أحد الكتاب النيجيريين أن الصراع بين الابيض والاسود هو ترف وصراع بالغ الرق بالنسبة لصراع بين الأسود والأسود ..

والواقع اننا بعيدون جداً عن هؤلاء الكتاب رغم ان القضايا التى تشغلهم تشغلنا أيضاً .. فقضية مثل قضية التاريخ مثلا مازالت مثارة فى العالم العربى هل هو عبء .. أم سند .. وسوف نجد هذه التساؤلات موجودة فى ادبهم .

الروائى يستند للتاريخ

● هذا ينقلنا الى الدراسة الجديدة التى تعدين لها الآن وهى استخدام الروائى للتاريخ والتراث فى الرواية ..

كونراد



هل يمكن ان تحدثينا عن هذا الموضوع ؟

قالت ليس هذا بالطبع هو العنوان النهائى لأن الموضوع طموح ويحتاج الى مسح كامل . ولكنى سوف اقوم بدراسة نماذج محددة تكشف عن تناول للتاريخ والتراث على أساس تجريبى من ناحية الشكل .. وسوف تكون نماذجى من الأدب العربى : جمال الغيطانى من مصر ، وأميل حبيبى من فلسطين . ومن افريقيا سوف أختار اتشيبى واميس تيوتولا .

ومن الولايات المتحدة . رالف أليسون . ومن أمريكا اللاتينية ماركيز من كولومبيا وكاربنتيه من كوبا .

إننى لست مهتمة بالرواية التاريخية بالشكل التقليدى ، اننى اهتم بعلاقة الكاتب بالتاريخ .. ما الذى يتيحه الرجوع الى التاريخ للروائى ؟ وما الذى يجعل الروائى يرجع الى فترة تاريخية محددة .. هل هى مجرد الرغبة فى الاسقاط على الحاضر ؟ هل التاريخ مجرد قناع ؟ أم أن الروائى يعمل على عقد صله بين الماضى والحاضر بمعنى أرقى وأفضل بحيث يحتفظ للمرحلة التى يتناولها باستقلاليتها ويثير فى القارىء الاهتمام من خلال تشابه من نوع ما بين ما حدث وما يحدث فهذا الأمر أفضل ؟

إن لوكاش الناقد المجرى يقول «فى الفترات الى تتسم العلاقات الاجتماعية فيها بالعنف فالكاتب يبحث فى التاريخ عن شبيه بالمرحلة التى يمر بها ولا يلجأ الى التاريخ لذاته إلا فى الفترات الهادئة»

إن ما يجمع كل هؤلاء الكتاب الذين أخترتهم كموضوع للدراسة انهم جميعاً من العالم الثالث يعيشون تحت وطأة لحظة بركانية وفى حومة نضال من اجل التحرر الوطني والاجتماعى . وجميعهم لديه تراث غنى يستندون اليه فى بناء مستقبلهم إننى شديدة الاهتمام بالأدب المعبر عن التحرر الوطنى . وارى أن هؤلاء الكتاب معبرين عن ذلك النوع من الأدب . وقبل أن أشرع فى موضوع الدراسة كانت تفاجئنى الصور المتشابهة عند هؤلاء الكتاب برغم عوالمهم المختلفة

إننى ادعو لتكوين فريق من الباحثين لبحث هذا النوع من الأدب .. وادعو الدارسين العرب لتبنى هذا البحث لأن أدبنا العربى هو جزء من أدب التحرر الوطنى .



سيف وانلي

الميلاد الثالث بعد الرحيل

محمد نبيل الحداد

عاش عمره وفنـــه فى مدينـة الاسكندرية ، ينصت الى وشوشات البحر ، وحكايا الموج والرذاذ ، وأصوات المدن البعيدة فيما وراء انتهاء الافق !

مدت له القاهرة حرير الاغراء لكى ينزح الى أضوائها وإعلامها .. فلم يقع فى الاغراء عشقاً للمدينة التى أعطت أعماله الفنية زرقة البحر ، وصفاء التأمل والاصغاء ، والأداء .

ومن الاسكندرية سافرت أعماله الى كل بلاد الدنيا .. وشهرته .. لكـــن الاسكندرية ظلت مرساه والزورق الذى يسافر ثم يعود !

فلما غادر الفنان العربى العالمى سيف وانلى الحياة منذ ثلاث سنوات ..

ضمه ثرى الاسكندرية الى الأبد .. وبقيت المدينة المعشوقة وطن ذكريات سيف وانلى . وبقيت مرسمه الذى يحتفظ فى ذاكرته بأغلى أعمال الفنان !

سيف وانلي الميلاد الثالث بعد الرحيل



سيف وانلى وسط لوحاته فى مرسمه







فى الأيام الأخيرة ، وبالتحديد فى ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٧٩ ، رحل فنان الدولة وفنان الاسكندرية التشكيلى سيف وانلى بعد تاريخ حافل وحقبة هامة من تاريخ الفن المعاصر فى مصر .. رحل سيف وانلى بعيداً عن مصر وعن الاسكندرية . فى استوكهولم ، وهو يعد معرضاً لأعماله فى السويد .

وقبلها بأيام أخرى ، قرأت خبر سفره الى السويد ، ولكم تمنيت أن يعود الرجل سالماً الى الاسكندرية .. لكنه عاد وحيداً ، كما عاش وحيداً بعد وفاة «أدهم» الذى رحل عنه أيضاً منذ زمن سابق !

ومن يعرف سيف وانلى لمرة واحدة ، يكاد أن يهيأ له أنه على معرفة سابقة به منذ زمن طويل ، فلم يكن بين سيف وزائريه أية موانع ، وإن كان لبعض زائريه دوافع لا يعرفها فى الحقيقة ، سوى من كان على أمانة الصدق والصداقة والحب للفنان .

فى ابريل ١٩٧٨ ، لمحته واقفاً على الرصيف ، يبدو كأنه فى انتظار أحد «التاكسيات» ليأخذ طريقاً حيث يريد .. والتفت من بعيد وهمست «إن الواقف يشبه سيف وانلى» ورد سائق التاكسى قائلاً «إنه هو» !

كان سيف وانلى لايزال فى فترة النقاهة الأخيرة ، بعد خروجه من مستشفى المواساة ، حيث كان يعالج هناك .. كان واقفاً يطل على الشارع الطويل الذى افتقده بعد طول غياب .

لا يعرف المواعيد

ولأن سيف وانلى كان أحد معالم الاسكندرية فليس غريباً على أى «اسكندرى» أن يعرفه ويعرف مرسمه ، تماماً كما يعرف متحف البلدية والمتحف الرومانى وعامود السوارى وتمثال سعد زغلول أو محطة الرمل وجامع المرسى أبو العباس وآثار البطالمة فى الشاطبى ومتحف الاحياء المائية فى الأنفوشى أو مصيف أبو قير .. وكلها أماكن إرتمى فى أحضانها سيف وانلى أمام البحر وفوق الرمال .

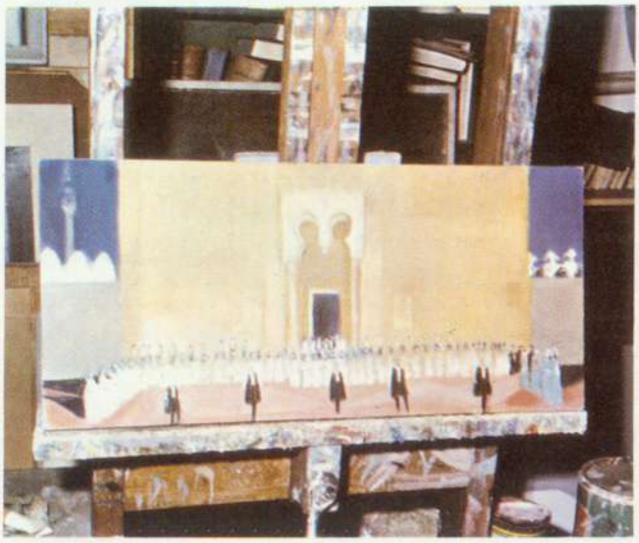
كان يمكن أن تشاهده فى أى مكان ، كما كنت تستطيع أن تذهب اليه فى مرسمه فى أى وقت وبلا موعد لأن «سيف» لم يكن يعرف المواعيد والحساب ، ولم يتقن بروتوكولات الرياء وأصول المراوغة ، فأنت ضيفه فى أى وقت تشاء ، يتحدث معك وهو منهمك فى عمله ، فهو إذا قام الى لوحة ليبدأ العمل فيها فانه لن ينام إلا اذا انتهت أو انتهى ،

● فى مرسمه الكبير بقعة لون زاهية تتحرك فى الفراغ!

الصيد فى أبى قير



أمسية البوصيرى الشعرية



شاطىء العلمين



تماثيل من زجاجات الحبر



أما لو تركها فلن تنتهى اللوحة الى أجل غير مسمى .

الطلبة والأستاذ

جاء سيف بثورة أشكاله الجديدة التى ميزت أعماله وهى أشكال حقد عليها الكثيرون ، كانت خبرة وخلاصة تجاربه الذهنية فى مدارس الفن الكلاسيكية العديدة .. هى محطة خاصة لمتذوقى الفن التشكيلى ، واضحة منذ النظرة الأولى حتى وان خلت من توقيعه .

فوضوى فى مرسمه الكبير مثل بقعة لون هادئة زاهية تتحرك فى الفراغ ، عاش فنه ببساطة وحياته كانت اللوحة الكبرى التى لم يرسمها .. وخلق أشكاله من الفراغ الذى يحيط به ..

الحزن والوحدة والمرض والحياة .. مزيج هائل من المذاهب والتيارات الخاصة ، تحولت بين يديه أشكالا ذات صدى جديد من الرؤية الذاتية التى طرحها للجميع وعلى الجميع أن يختاروا بعد اشارة فتح الطريق .

وفى خلوته كان يصنع أبنية صغيرة من زجاجات الحبر الخالى فى أشكال عذراء جديدة للعين والفكر .. يلهو بالمهملات فيصنع ارهافات كالموسيقى ، فالفن عنده ليس علاقة المطلق باللوحة لكنه علاقة التشكيل للمطلق .

لم يشأ سيف أن يكون اعلانياً ، ولم يكن يعلم أنه سوف يصبح يوماً من كبار الفنانين فى العالم ، ولم يهدف الى الشهرة ولكن الطريق كان يخطو له قرباً كلما تحرك .

لم يلتزم مدرسة أو مذهباً فنياً ، ومع أنه خاض مذاهب ومدارس شتى ، فهو لم ينتم الى احداها ولم ينتم إلا لما يميز أسلوبه ويترك لك انطباع سيف وانلى وحده ، كل المذاهب كانت صالحة له لكنه لم يلتزم أياً منها فكان الوحيد فى النهاية لأنه كان فناناً متميزاً له المقلدون الكثيرون والحاقدون أيضاً . ولأنه عصامى فقد تعلم الفن دون دراسة أكاديمية ، وأخذ على عاتقه تدريس الفن لأجيال كثيرة تخرجت ، كانت تجمع «اسكتشاته» الموقعة باسمه ، أو توقيعاته على الورق الخالى ..

كان يدرس لهم أصول التصوير الزيتى واللعب بالألوان ، ودرس لهم ديكور المسرح والبانوه الزخرفى ، وكلها كانت مواد جديدة دخلت أقسام التصوير فى كليات الفنون الجميلة بعد اعادة تقييم المواد وأصول الأقسام المختلفة .

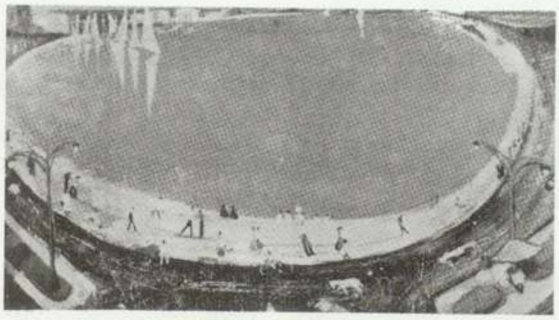
لا أريد أن أقول انه كان بارعاً لأن ذلك يدل على الاحتراف ، وهو بالذات لم يكن محترفاً ، لأن كل لوحاته وكل أعماله طرقت البحر والرمال والسماء والنساء والشمس والقمر والمسرح والباليه والموسيقى والميلاد والحياة والموت ، وكل ما يجول بخاطرك ، ولكل شىء منها مع سيف قصة .

سيف والمرأة

لم يكن لسيف لحظات سقوط أو أهوال



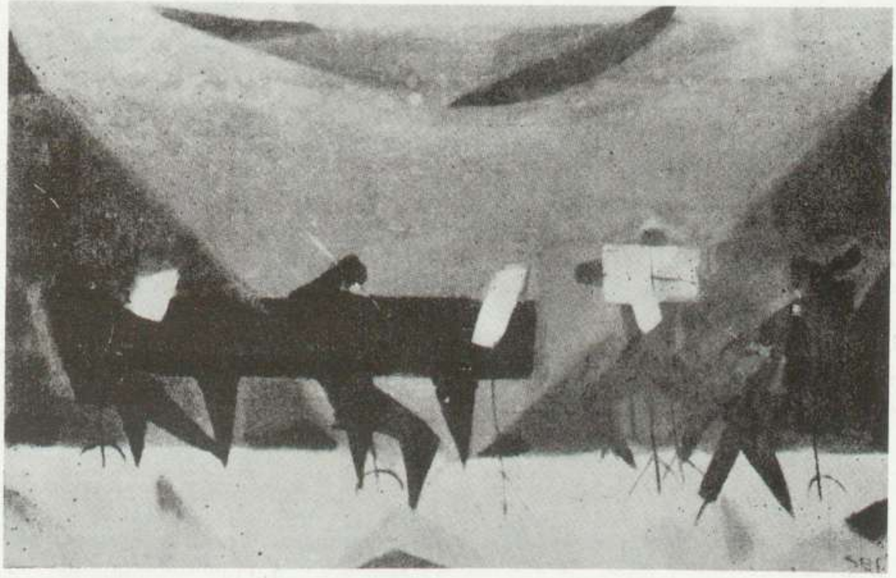
رباعى الاسكندرية .



الميناء الشرقية .



صورة السيدة احسان (١٩٦١) .



قصص ، فلقد تزوج الفن قبل أن يفكر بالزواج ومنذ أن كان صبياً بارزاً فى مادة الرسم ملازماً ومزاملا أخاه أدهم فى سنى الدراسة الابتدائية والثانوية يرسمان معاً ويعرضان معاً ، يرعاه أدهم ويرعى شئون الأتيليه الخاص بهما ، يصعد معه السلم ويعد له القهوة .. ورحل أدهم وبقى «سيف» وحيداً .. .

ولم يتعلق بالمرأة بينما كان يراها حلماً واقعياً ، عرف المرأة فى شمول الأسماء من المعجبين بفنه وتلميذاته بالأتيليه ، ورسمها كثيراً فى كل صورها ، وفى كل ما تصور أن تكون .. رسم السمراء والبيضاء والشقراء ، وكان يرى فى كل وجه عدة وجوه ، كل منهن عرفها سيف وكل منهن عرفت سيف . حتى شاء القدر أن يجمع له من تحيطه بالحنان والعناية والاهتمام بالبيت والحياة .. احسان مختار .. تلميذة وصديقة عمر وزوجة مخلصة ..

ذكريات سيف

الاسكندرية .. شمس النهار فيها وغزارة مطر المساء فى شوارعهـــا ، وأحيائها الراقية والشعبية وجمهورها ومسارحها ، هى كلها ذكريات سيف الذى عشق الاسكندرية ولم يشأ فى يوم أن يتركها نازحاً الى القاهرة من أجل الشهرة والاعلان ، فهو فنان البحر والناس .

أسس سيف ثلاث أتيليهات ، عاش فى اثنين منهما مع أدهم وعاش وحيداً فى مرسمه الثالث الأخير بكل ما حمل من ذكريات جميلة ومؤلمة .. يفاجئه الحزن بغتة فيترك انطباع الاسود عتمة فوق اللوحة ، ومع ذلك فان أفراحه لم تكن بعيدة عنه .. كانت الطمأنينة وحين تشتعل تترك بهجة الألوان فى رقص أشخاصه فوق المسطح أو تمتد أحياناً لتذوب فى سيمفونية لا نهائية ، لكنه عاد الى صخب الألوان ولم ينتحر بعد فترة حزينة ، يؤمن بأن لا شىء فى الحياة يتوقف . وعادت أساريره فى لوحاته المكدسة فى حجرات بيته ومرسمه ، رسم البحر فى أزهى ألوان الحياة ولم يرسمه فى لون الضباب كمن اعتاد أن يرى الاسكندرية أول مرة غريباً عنها ، يكاد ينطق البحر من ألوانه ، شاهد أحد الفنانين الايطاليين إحدى لوحاته وقال له : اننى أشم رائحة البحر فيها .. وكانت اللوحة لا تصور بحراً .

الرمز والانسان

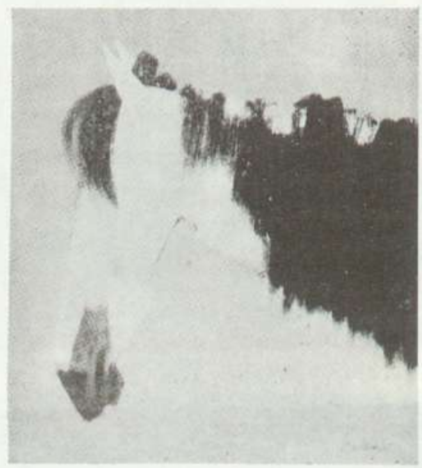
بدأ سيف أكاديمياً كمن يتقن الصنعة وهى بداية من يريد أن يصبح فناناً ، وتنوعت المدارس فى الفن عنده ، وعاصر أكثر من مدرسة فى حياته لكنه انتقل بفرشاته الى كل مرحلة برؤية خاصة كانت هى لوحات سيف التى يمكن أن تميزها فى معرض مـا ، فانت ترى منها الخط والبقعة ، واجتذبته التكعيبية فى مرحلة متميزة ذلك أنها تعتمد على التكسير المرئى للأشياء فى أصغر وحدات الكون ، وأفضل ما يقال عنها أنها كانت فى مرحلة الصوفية التحليلية أو تأمل دقائق الحياة .

عرض سيف لوحاته فى اسبانيا وفرنسا والصين وايطاليا ورومانيا ويوغوسلافيا وكثير من بلاد العالم . يقول سيف عن الفن التشكيلى فى مصر «أراه فناً ليس له جمهور» .. كان يعرف أنه مجتمع الكوكتيل والافتتاح .. يلتقى فيه الصاحب والصاحب .. يرفعون الأنخاب .. كوب من العصير الطازج أو البيبسى المثلج ثم ينفض الحفل دون زائر

البندقية .



حصان دون كيشوت .



جديد فى يوم آخر والى الميعاد المقرر للانتهاء ، وهو حال المعارض جميعاً .

فى بيته فوق سينما «رويال» الذى يحتل أحد المبانى ذات السقوف العالية ، يقع مرسمه الذى يحتل أول الحجرات على اليسار مباشرة ، تقابلك فيها الكتب والألوان والفرش وزجاجات الحبر والأقلام وعلب السجائر والكبريت و «طفايات» السجائر الفارغة والمزدحمة وأكثر ما يدهشك هي كل تلك اللوحات المكدسة أو المتراصة التى تكاد تحجب نور الشبابيك المطلة على هذا الحى الهادىء . مئات الألوف من الأعمال واللوحات والاسكتشات ، يتراءى لك فيها الخط واللون والتكوين بل الرمز ، شمولى فى الفكر والأداء والتجربة ، فهو أحد رواد الفن التشكيلى المعاصر فى العالم وليس فى مصر فقط .

لم تخل لوحاته من الحياة ، عنزة صغيرة أو حصان أو انسان ، بقعة صغيرة تكاد أن تخرج من فراغ هائل مرسوم لترقص أمامك الباليه ، فمن السهل أن ترى الرمز الانسان عند سيف ، يقول لك شيئاً فى لوحة عن آخر فى لوحة أخرى فالشىء وحدة التعبير المطلق اللانهائى عنده .. مثل البحر ، الرمز عنده انسان ، والانسان عنده لون .

عاشت قهوة وكافيتريا «إيليت» التى تقع فى مثلث التقاطع قبل سينما «مترو» بالاسكندرية عصراً ذهبياً فى الستينات فى وجود سيف ، فهى مكانه المفضل الذى يشرب فيه القهوة ، ويطل من شبابيكها على المارة والطريق ، مثل قهوة «بترو» التى يفضلها توفيق الحكيم ، فضلا عن أن الخواجة «إيليت» كان قد وقع عقداً غير مكتوب مع سيف لعرض أعماله هناك وبالمجان فى أى وقت يشاء ، ومنذ ذلك الوقت وسيف يعتمد صالون العرض أو مجلس الحديث والمناقشة حول قضايا الفن مع رواده ومعارفه ومحبيه .

واكتسبت الكافيتريا اسماً يظل معروفاً الى الأبد ، وكسب الخواجة «ايليت» بذكاء واخلاص الشهرة والمال وسمعة المكان ، حتى انه منع دخول المستهترات المتجولات عنده لأنه محراب سيف ، ولم يخسر سيف الشارع الطويل ولم يضن بفنه على عيون الزائر والناظر من بعيد ، وجذب الى الكافيتريا مجتمع الفن من الخاصة والعامة .

وتشاء الظروف أن يصلنى من سيف وانلى رسالة وحيدة أخيـرة فى ٢٩ ـ ٨ ـ ٧٨ ، وعلى الآلة الكاتبة تحمل اسمه ولا تحمل توقيعه بخط يده .. ولم أكن أدرى هل كانت تلك عاداته ؟ فهو فطن طيب واضح وصريح ، لكننى لم أحمل له دوافع من تلك التى كان محظوظاً من يمتلك شيئاً من وراء سيف ، فمازلت أكن له اعزاز الوجود واحترام وجلال ورهبة اللحظة .

سيف والمعاناة

عانى سيف كثيراً من المجتمع المغلق . وكان همه هو متى يبيع لوحة ؟ ولمن يبيع لوحته ؟ غير أن هناك أناساً كانوا يأتون اليه خصيصاً من القاهرة ومن خارج البلاد ، ليرسم لهم شيئاً أى شىء يحمل توقيعه فقط .

رحل سيف قبل أن يرى متحفاً يضم أعماله وأعمال أخيه أدهم وانلى بعد أن طرد لجنة للبحث والتقصى والتقييم ، وماتت فكرة المتحف قبله من زمن .. رحل قبل أن يحتفل بميلاده فى الثلاثين من مارس .

عاش تحولاته من الصميم وغير المألوف حتى تسلل فى هدوء وشموخ وخلود ، رحل فهل تكرمه الدولة كما كرمته فى حياته ليظل اسمه معروفاً فى الاسكندرية بل فى مصر كلها ؟ رحل عائداً الى تراب بلده ، رحـل وخسرت الاسكندرية سيف وانلى وكسبت الدولة أعماله التى لا تقدر بمال !!

سيف وانلى فى سطور

- ● ولد عام ١٩٠٦
- ● عشق الفن مع أخيه أدهم وانلى .
- ● عصامى .. تعلم الفن بجهوده الذاتية .
- ● أقام أول معرض له مع أخيه أدهم بعد ١٥ عاماً من العمل المتواصل فى صمت .
- ● فاز بجائزة مختار للتصوير عام ١٩٣٦
- ● فاز بالجائزة الأولى فى احدى دورات بينالى الاسكندرية فى التصوير عن لوحة «السيمفونية الثالثة لبيتهوفن» .
- ● انتخب رئيساً لجماعة الفنان والكتاب «الاتيليه» بالاسكندرية عام ١٩٦٣ .
- ● منحه الاتحاد السوفيتى جائزة جمال عبد الناصر عام ١٩٧٥ .
- ● نال حوالى ٣٠٠ جائزة محلية وعالمية .
- ● حصل على جائزة الدولة التقديرية والميدالية الذهبية عام ١٩٧٦ .
- ● حصل على وسام العلوم والفنون ومفتاح مدينة الاسكندرية .
- ● نال درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٧٦ تكريماً واعترافاً بدوره وفنه .
- ● منح درجة زمالة الفنانين من جامعة كمبريدج وجواز سفر ايجابى وأدبى من نفس الجامعة .
- ● كتب عنه فى الانسكلوبيديـــا الانجليزية .
- ● لقبته فرنسا بـ «ديجـا» العصر الحديث .

نبيل الحداد





ما بقى من الأندلس الاسلامية قبل دخولها الى عصر المأساة التاريخية

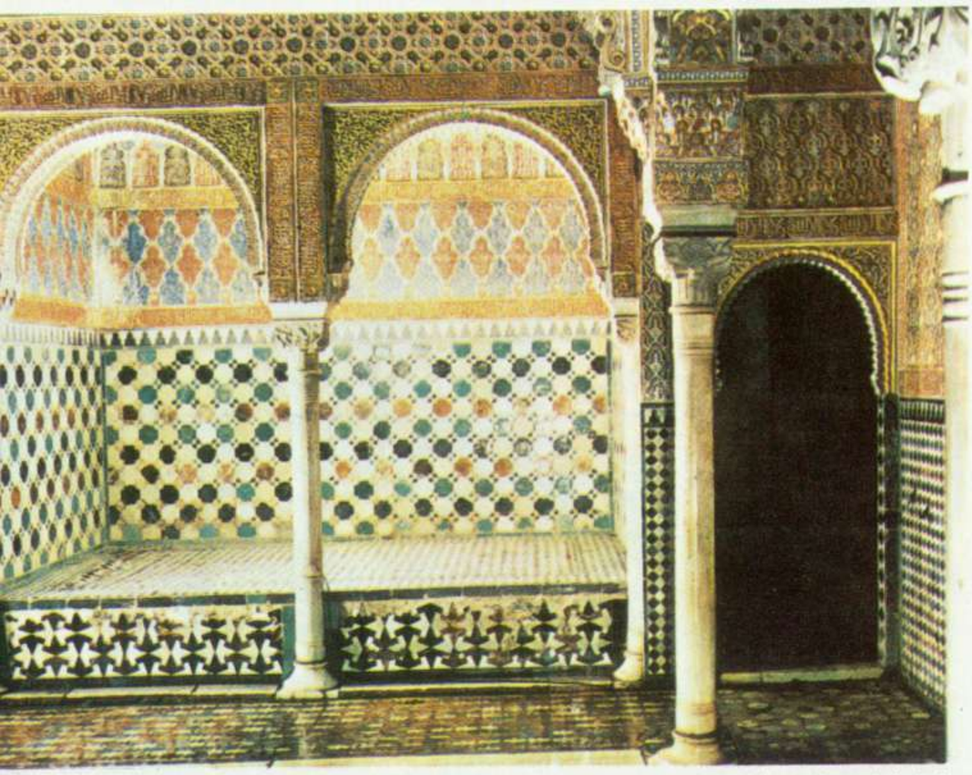
أحمد العناني

من جنة الأندلس.. إلى جحيم أغمات

تبدو مسيرة الأمم أحياناً على درب التاريخ كمجرى نهر على أرض مختلفة التضاريس ، وتبدو فترات التحول فيها وكأنها انحطاط النهر انحطاطاً حاداً من فوق صخور هائلة الأحجام الى منخفض سحيق .. فبينما يغشى النهر الصخور مجتمعاً فى كيان واحد ، اذا هو ينشعب عليها ومن تحتها بدداً متفرقة ، وشعباً متباعدة .. وقد تلتقى هذه بعد مسافة كبيرة أو صغيرة لتعود نهراً واحداً ، وقد لا يعود لها ذلك الكيان أبداً ...

وعلى المساقط فوق الصخور تسمع للماء ضجيجاً ، ويمتلىء الجو رذاذاً وزبداً ، وكذلك تصنع فترات الانتقال بالأمم ، تختلف فيها الاتجاهات وتعظم الخلافات والتناقضات ، يختلط الحابل بالنابل وتضيع على الطرق المعالم ، ويرتقى أراذل ، ويسفل أماثل ، ويجد نهازو الفرص أثمن موسم لنيل المغانم ... ويقع من التناقضات والغرائب ما تتمثل فيه أعظم المآسى التاريخية ...

ولقد دخلت الأندلس الاسلامية فترة رهيبة من هذا القبيل بعد انتهاء المدة القصيرة لحكم العامريين ، ذلك بأن خلافة الأمويين التى وصلت قمة رفعتها فى النصف الأول من القرن الرابع للهجرة فى عهد عبد الرحمن الثالث (الناصر) أول خلفاء الأمويين وأعظمهم ، وابنه الحكم الثانى المتوفى عام ٣٦٦ للهجرة (٩٧٦ م) كانت على الرغم من منجزاتها العسكرية باستعادة كامل شبه الجزيرة الى حكم الاسلام ، ودك حصون المتمرد الخطير عمر بن حفصون ، وإنجازها السياسى باعلان الخلافة فى قرطبة لأول مرة كرد فعل لقيام الدولة الفاطمية فى المغرب وعجز دولة الخلافة فى بغداد عن مواجهتها على طول الساحل الأفريقى ، ورغم انجازاتها الحضارية الرائعة التى جعلت من



هكذا رأينا فى الأندلس أعظم الحضارات .. ثم لقطة أخرى لأهل «أغمات القريبة من مراكش وهم بالزى الوطنى





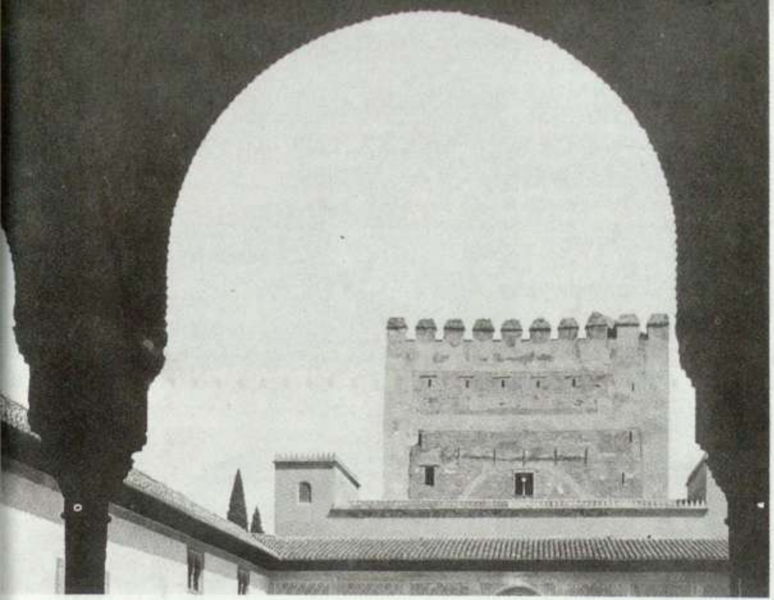
● رغم روعة الزهراء وقصر الحمراء، أصبحت قرطبة معرضة للتمزق!

قرطبة أعجوبة الدنيا بتنظيمها وتنوع أسواقها وجامعتها المشهورة ، وهندسة توزيع المياه فيها وهى ماتزال تثير اعجاب المهندسين هذه الأيام ، ورغم الزهراء وقصر الحمراء فانها ، أى دولة الخلافة الأموية أصبحت مؤهلة للسقوط والتمزق لولا أن عناية الله استنقذتها بذلك الشاب العصامى الفقير المنشأ الحاجب المنصور بن أبى عامر الذى استطاع خلال ربع قرن أن يحول دون انفجار الفتنة العمياء التى عصفت بالبلاد مطلع القرن الحادى عشر للميلاد بعد الوفاة المبكرة لابنه الذى لم يتح له الحكم سوى ست سنوات بعد وفاة أبيه عام ٣٩٣ للهجرة (١٠٠٢ م) .

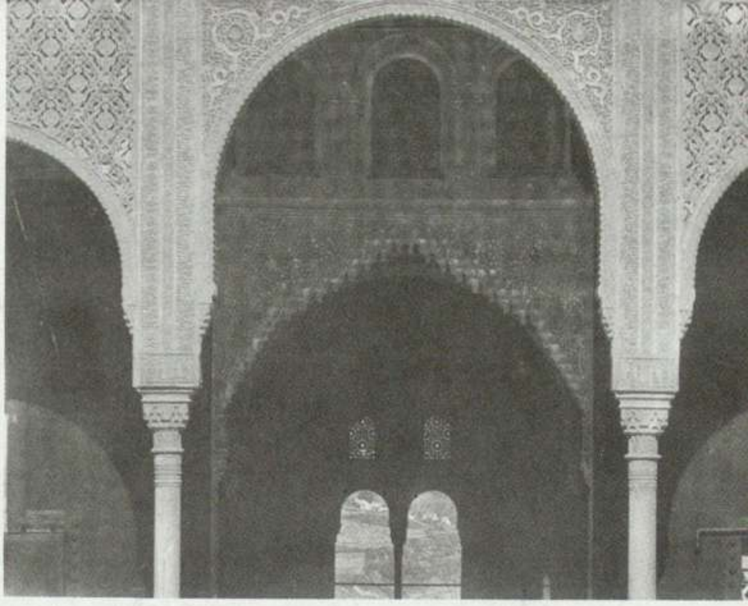
تجاور العظمة والضعف

ولقد يتساءل البعض كيف جاز أن تهوي دولة عبد الرحمن الناصر العظيم وابنه الحكم الذى حافظ على كل ايجابيات الحياة عهد أبيه فى أقل من خمسين سنة .. فلقد توفى الحكم عام ٩٧٦ للميلاد وانفجر الوضع عام (١٠٠٨) وانشطرت دولة الخلافة فأصبحت مجموعة من ممالك الطوائف .

لم يخطر ببال الأمويين فى الأندلس من عهد عبد الرحمن الداخل أن يعلنوا أنفسهم خلفاء مع وجود الخلافة فى بغداد ، فلما أن أعلن الفاطميون خلافتهم فى المغرب كان طبيعياً أن يعلن عبد الرحمن نفسه خليفة ، فلا الفاطميون كخلفاء يقرون دولة للأمويين أو يعترفون بشرعية لها من أى نوع على ضوء ما هو معروف بين الفاطميين والعلويين بعامة وبين الأمويين ، وكان طبيعياً أيضاً أن يظهر الناصر عظمة الخلافة فى قرطبة ويجتذب الأنظار عن منافسيها فى العدوة الأخرى من البحر ، وقد أعانته انتصاراته العظمى على توفير المال اللازم لبناء ضاحية الزهراء جوار قرطبة



جمال البناء المعمارى فى الأندلس .



جدران قصر الحمراء تشهد بروعة المكان ..

من جنة الأندلس.. إلى جحيم أغمات

ليجعل منها قبلة النظار فى كل شىء ، فلا تسل عن روعة البناء وتجزيع الرخام والتمويه بالذهب على الأبواب والقباب ، ولا عن شبكات المياه وفخامة البرك ذوات التماثيل والسباع ، ولا عن الشرفات والأبهاء وأنواع الحدائق المنسقة الغناء .. والناس على دين ملوكهم فانطلقوا يقلدون ، وازدحمت قرطبة وصار فيها مليونان يتمتعون بأعلى مستوى حياتى حققه الانسان قبل عصر الصناعة الحاضر .. والمرافق العامة أقلها ما كان تعداده بالمئات ، الفنادق والخانات ، والمعاهد والمشافى والحمامات ... والأسواق مقسمة وفق أنواع البضائع والحرف والصناعات .. وكان كل شىء جديراً بان يتواصل على خير عافية مادامت قرطبة هى العاصمة الوحيدة لكامل شبه الجزيرة .. ولقد عوتب عبد الرحمن على ذلك البذخ والانفاق .. عاتبه القاضى الأديب المنذر بن سعيد لكن الناصر كان قد أجهدته الحرب المتلاحقة الضروس مدى ربع قرن من حياته فأراد أن يجنى ثمراتها إخلاداً للعافية بآخرة من عمره ، وأن يفعل فى السلام نظير ما فعله فى الحرب .

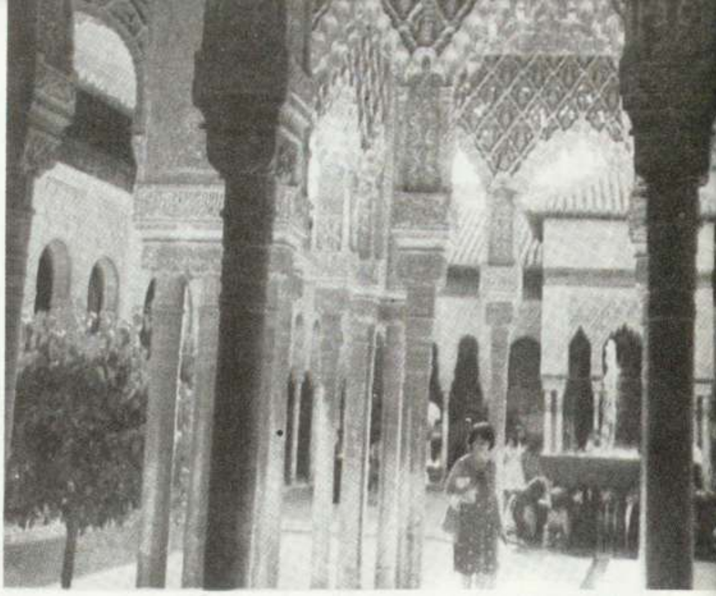
وربما لم يكن عبد الرحمن يعرف أن الأيام ستكشف عن ناحيتى ضعف تداخلتا فى نسيج العظمة التى وصل لها فأما الأولى فهى تعويله على جند الموالى بخاصة ، ولا سيما الصقالبة ، وأما الأمر الآخر فهو أن رفعة الانجاز الحضارى والثقافى إنما تتحقق فى ختام المجد العسكرى والسياسى ، وبداية العد التنازلى لكليهما .... لقد أدخلت فترة السلام الثانية من حكمه بيوتات العرب الى حياة الترف ، والمبالغة فى اقتناء التسهيلات الحياتية وطلب البضائع الاستهلاكية التى كانت تغص بها موانىء الأندلس الشرقية والجنوبية مجلوبة من الشرق ومن أفريقية ، خصوصاً وأن أكثر أولئك المترفين تخلوا عن دورهم العسكرى وركنوا فيه الى الجند الصقالبة والبرابرة .

اشبيلية الحسناء تحكم قرطبة

مضى عبد الرحمن الناصر الى لقاء ربه فى هالة من النصر ، عام ٩٦١ للميلاد وجاء الى سدة الخلافة ولده الحكم المستنصر فمضى على نهج أبيه الى أن مات عام ٩٧٦ للميلاد ، وآل الأمر الى هشام الثانى القاصر ، فكان الاشراف الفعلى لوالدته الملكة صبح ، يعاونها حاجب يدعى المصحفى .. لم يطل به الأمر حتى اكتسح نفوذه فى القصر فتى دفعه ذكاؤه وعصاميته وتقدير الملكة مواهبه الى تقلد كل المهام الفعلية فى الدولة وهو المنصور بن أبى عامر ، الذى خضد شوكة الموالى والصقالبة بتقديم جند المغرب ولا سيما البربر ، واستطاع بهم أن يرد بأس الفرنجة فى الشمال بسلسلة من الغارات الظافرة ، وكان من نفاذ البصيرة وقوة الشخصية بحيث كسب تأييد عناصر الدولة الثلاثة الأساسيين العرب والصقالبة والبربر ، وأرضى بجهاده وحسن بلائه الفقهاء ، كما اجتذب ببهاء شخصيته وكرمه أهل الأدب والشعراء ، وكان ممكناً أن تستمر وحدة الخلافة وقوتها لو أن ولده الجاد المظفر عاش طويلا لكنه مات بعد ست سنوات من أبيه ، فخلفه أخـــوه عبد الرحمن فلم يكن على قدر المهمة ، فما لبثت عناصر القوة الثلاثة أن انفصمت ، فأما العرب فكانت اشبيلية أكبر حواضرهم غربى الأندلس ووسطها ، وأما البربر فكانت غرناطة الى الجنوب تتوسط منطقة انتشارهم ، وأما الصقالبة فكان شرقى الأندلس فى قبضة يدهم ، وعلى أساس هذا التوزيع قامت دول الطوائف المتنافسة خلال القرن الحادى عشر للميلاد – الخامس للهجرة ..... أما قرطبة فكانت حاضرة ضخمة تسكنها عناصر متنوعة وقد أصابها الانقسام بكوارث متعددة ، فبدلا من أن تجبى لها الأموال من سائر شبه الجزيرة باتت كغيرها تدفع الجزية لملوك الفرنجة ، كما شلت حركة الصناعة والتجارة فيها بسبب الانقسامات السياسية واضطراب الأمن ، وأصبح العدد الهائل من سكانها عبئاً ضخماً على كاهلها وربما لأول مرة فى التاريخ الاسلامى نشأ داخلها صراع رهيب متواصل بين الجماهير الضخمة من الحرفيين والعمال المتعطلين وبين الأسر التقليدية الغنية ، وفى مرحلة من هذا الصراع كان ظهور الأديب الشاعر الوزير ابن زيدون ، الذى انعكس اضطراب قرطبة فى حياته وتقلب حظوظه ، وقد كان انحيازه الى دولة العرب المجاورة فى اشبيلية من أسباب نجاح الاشبيليين فى عهد المعتمد فى ضمها اليهم فترة من الزمن انتهت بمأساة

بنو عباد فى أجمل البقاع

كانت اشبيلية هى العاصمة التى



قاعة الأسود فى قصر الحمراء .



رحلات الصيد فى عصور الازدهار .

اصطفاها العرب لهم فى اسبانيا الى حين توفى عبد العزيز بن موسى بن نصير قتيلا فى فتنة للجنود عام سبعة وتسعين للهجرة فانتقلت العاصمة الى قرطبة لكن ذلك لم يقلل من شأن اشبيلية أكبر مدن الاقليم الذى ضم طوال العهد الاسلامى فى اسبانيا الحوض الأدنى لنهر الوادى الكبير حتى جبل الأرك وقادس شرقاً، والى وادى «آنا» الخصيب ومنحدرات جبل الشرف حيث أشجار الفاكهة تزدهر فى موقع من أجمل بقاع الدنيا ، أما المدينة نفسها فتقع فى واد متسع على الضفة اليسرى للنهر وعلى مسافة ستين ميلا من البحر إلا أن السفن تعبر لها كل تلك المسافة من البحر بالنظر لبطء تياره ، فهى بذلك عاصمة نهرية بحرية ، وحاضرة اقليم متنوع التضاريس ، دافىء جاف المناخ

ولقد استأثر بسكنى اشبيلية من العرب قبائل يمانية أشهرها بنو حجاج وبنو خلدون ، وكان بها جماعة كبيرة من الأندلسيين الذين دخلوا فى الاسلام بعد الفتح ، كما كان أكبر مطمع لنصارى الشمال استعادة اشبيلية الخصيبة الحسناء ، وقد أغار عليها النورمان مرتين إبان الدولة الأموية ، وذلك فى عام ٢٣٠ هـ حيث أخرج أولئك البرابرة فى معركة دامية عرفت بوقعة طليطلة ، وفى المرة الثانية عام ٢٤٥ هـ حيل بينهم وبين الوصول لها ، وفى تلك الفترة بنى الأمويون سور المدينة الحصين وجامعها الكبير المشهور . وقد استطاع أبناء الفقيه الأندلسى الذائع الصيت اسماعيل ابن عباد وهو عربى أصيل يرجع نسبه الى قبيلة لخم أن يخلعوا عن اشبيلية سلطة بنى حمود اعتباراً من عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) ، وقد تتابع على الحكم فيها أبو القاسم المتوفى عام ٤٣٤ هـ (١٠٤٢م) ثم أبو عمر عباد الملقب بالمعتضد ، وكان رجلا فارساً شجاعاً غاية فى الحزم والشدة مد حدود اشبيلية الى تخوم غرناطة وتوفى عام ٤٦١ هـ (١٠٦٨ م) ليخلفه ابنه ابو القاسم محمد الثانى الملقب بالمعتمد موضوع مقالتنا هذه .

البطل المأساوى

والآن ، وأنا آمل أن أكون شرحت ظروف الزمان والمكان تمهيداً لفهم واضح لحياة الملك الشاعر ، أبرز رجالات عصر الطوائف ، الرجل البطل الذى تعكس حياته أغرب مجموعة من المتناقضات فى حياة لا مثيل لها ، انتهت بمأساة تذلل الدموع العصية من أعين الجبابرة ، وتظل من أعجب وأغرب حياة عاشها انسان فرد .

وتهيىء الشخصية الفذة للمعتمد بن عباد مجالا خصباً لكل من دارسى التاريخ وعلم النفس ، والعلوم الاجتماعية ، والنقد الأدبى وهى للمفكرين الاسلاميين بخاصة موضوع لم يعط حقه ، وكان ينبغى أن يولى أعظم الاهتمام ، ففيه مجال فسيح لدراسة رائعة عن طبيعة سلوك الفرد المسلم بين وثبة الارادة وضعف الاستطاعة وأمور أخرى سأحاول أن ألقي ضوءاً عليها لمصلحة المهتمين من أهل العزيمة فى البحوث .. فالمعتمد بن عباد فى صداقته لابن عمار ، ومباذله معه يبدو فاسقاً زنديقاً .

والمعتمد بن عباد فى معركة الزلاقة يكشف عن بطل مجاهد يشع بهاء كأعظم أبطال الاسلام .

والمعتمد فى علاقاته الأولى مع الفونسو الثالث يبدو خائناً مفرطاً بكرامة الدين والوطن .

والمعتمد فى حمله زعماء الطوائف المسلمين على استدعاء يوسف بن تاشفين وجيش المرابطين من المغرب ، مع يقينه بأن فى ذلك ضياع عرشه يبدو علماً من أعلام التضحية الفذة فى تاريخنا كله .

والمعتمد فى زواجه من الرميكية الجارية ، وما صدر عنه فى اخلاصه لها وما صدرت عنه هى من برّبه الى آخر أيام حياتها يمثل شخصية رومانسية فذة ويبدو فى قصصه وشعره حول ذلك الحب انساناً حالماً بعيداً عن الصيال والحرب .. بينما المعتمد فى قتاله فى الزلاقة وغير الزلاقة ، وفى انتقامه من ابن عمار يبدو وكأنه آخر انسان يعرف الحب والجمال طريقاً الى قلبه .. والمعتمد فى مرآة الشاعر الشهم أبى بكر ابن اللبانة يبدو أحق أهل المآسى بأحر الدموع الصادقة الى آخر الزمان ...

وفى مرآة ابن عمار يظهر كمخلوق لا يستأهل شيئاً من اهتمام واعتبار .. ذلك بعض تنوير عن شخصية الرجل الذى أراه الدهر أحلى أحواله فى جنة أشبيلية ، وأبشع أهواله راسفاً فى القيود بسجنه فى أغمات .. والذى عرف الغنى قصوراً ورياشاً ، وجنات فى وادى آش الفافا، وعلى حديقة قصره كان المسك والكافور تراباً ، ثم عرف الفقر يرى فيه بناته حافيات يتكسبن بالغزل ولا يعرفن شبعاً حتى فى العيد ... ذلك الذى نظم مراحل مأساته فى شعره ألحاناً شجية خالدة .

احمد العنانى

يوسف القعيد

الأزمة والهروب والمأزق في هذه الأفلام والقصص



●● الدكتور فرج أحمد فرج رئيس قسم علم النفس بجامعة عين شمس . واحد من أكثر وجوه مدرسة عين شمس لعلم النفس تألقاً . حيث يعمل فى صمت منذ سنوات . فى تأصيل رؤياه . وقد استفاد من ميزة أساسية . وهى عزوفه المستمر عن أن يتحول الى ظاهرة اعلامية يومية . تجعله يجرى وراء البريق الاعلامى . حتى لو كان ذلك على حساب التأصيل العلمى . وهو الخطأ الذى قضى على الكثير من الآمال المشرقة فى هذا الميدان . ولأنه باحث جاد . وصاحب قضية . فهذا معناه تجدده المستمر . وقدرته الفائقة على العطاء .

انتهى الدكتور فرج أحمد فرج مؤخراً من دراسة نفسية فى تحليل المحتوى لنماذج مختارة : حيث درس ثلاثة أفلام وثلاث قصص . الأفلام عرضت هذا العام وكذلك القصص نشرت هذا العام أيضاً . وهو فى هذه الدراسة يضع بعض النصوص الفنية والمادة السينمائية . على مائدة التحليل النفسى .

علم النفس والأدب

والباحث فى هذه المحاولة لا ينطلق من فراغ . ثمة محاولات سابقة لعبت دوراً فى ذلك الميدان الهام . أعني استخدام علم النفس فى دراسة الأدب من ناحية . واستخدام الابداع الأدبى والفنى كمادة خام للدراسة النفسية من ناحية أخرى .

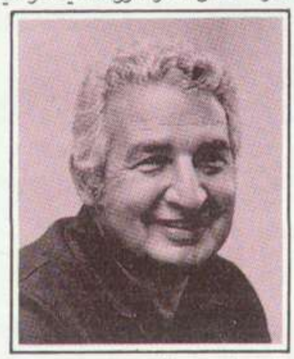
سأتكلم عن الجهود فى هذا الميدان . التى تقف فى مقدمتها ، الدراسة الرائدة للدكتور مصطفى سويف ، حول أسس الابداع الفنى فى الشعر ، وقد تلاها الكثير من المحاولات . فقدم الدكتور عبد الحميد حفورة ، دراسته حول : أسس الابداع الأدبى فى الرواية ، وتبعها بدراسة : حول أسس الابداع فى المسرح . ثم أصدر الدكتور عز الدين اسماعيل دراسته حول : التفسير النفسى للأدب . وأصدر الدكتور محمد أحمد خلف الله دراسته : من وجهة نظر علم النفس فى تحليل الأدب ونقده . ومازال الاتجاه مستمراً ، الدكتور أحمد خيرى حافظ ، له دراسة حول رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ من خلال التحليل النفسى . وشاكر عبد الحميد سليمان ، انتهى من دراسته حول : العملية الابداعية فى القصة المصرية القصيرة . وها هى هيام حاتم ، تعمل حالياً فى دراسة هى الأولى من نوعها حول : اغتراب المرأة فى الرواية العربية المعاصرة ، وكل هذه الدراسات تنطلق



أحداث فيلم «ولازال التحقيق مستمراً» تمثل نظرة رومانسية درامية للواقع الاجتماعى



د. فرج أحمد فرج



احسان عبد القدوس



أحمد بهجت

أصلا من موقف علم النفس .

يقول الدكتور فرج فى دراسته : إن التطور الذى حققه علم النفس . استطاع أن يفطن الى ما وراء مختلف أشكال التعبير النفسى من معان يمكن استجلاؤها ، رغم الصور الغامضة والمقنعة التى تبدو بها . إن دراسة التحليل النفسى للأعمال الأدبية ، قد فتحت السبيل أمامنا الى الدلالة الرمزية ، وترجمة ما يسمى بالعمليات الدفاعية ، تلك العمليات المعقدة والعميقة الجذور ، والتى تبين لنا فى نهاية المطاف اننا بازاء أسلوب آخر غير الأسلوب المباشر فى التعبير عن جوانب عميقة من النفس . إن الأساطير والأعمال الأدبية الناجحة أو الواسعة الانتشار ، تعبر عما فى أعماق مبدعها ، وما فى أعماق مستقبليها .. وإن رواج مثل هذه الأعمال وسرعة انتشارها ، والترحيب بها دليل على مشاركة الآخرين لمبدعيها .

وقد تميز علم النفس ، بفضل اسهامات التحليل النفسى ، بقدرته الفائقة على النفاذ الى الدلالات الرمزية ، واللاشعورية العميقة للمحتوى الظاهر فى الأعمال الأدبية والفنية والمواد الاعلامية . وعلى رأس الموضوعات التى تتسع دلالاتها الرمزية اتساعاً قد يشمل الوجود كله . الدلالة الرمزية للمرأة . فهى ترمز الى المرأة بعامة أو الى الأنوثة أو الأمومة أو الحب والعطاء . كما قد ترمز الى العالم على إتساعه أو الى الوطن ، وتتحدد هذه الدلالة ، ويظهر بعضها على البعض الآخر ، من خلال العمل الفنى أو الأدبى فى مجموعه ، ومن خلال سياق الوقائع والعلاقات . إن المرأة كما يقال فى المصطلحات الحديثة ، تنتج أدوات الانتاج ، ومن ثم ففقدانها أو امتلاكها لا يمكن أن يكون أمراً محايداً أو عديم القيمة . هذا بالاضافة الى ما لصلة الجنس من صلة حميمة بصميم الوجود وجوهر الهوية . ليس هناك ما هو أعمق فى إثارته للألم والشعور بالانسحاق الكامل لدى الرجل من أن ينجح رجل آخر فى أن يحرمه من إمتلاك المرأة . لذلك نستطيع أن نتبين شيوع هذا الأمر عبر الزمان والمكان فى غالبية عظمى من الأعمال الفنية والأدبية .

السينما أولا

ينتقل الباحث بعد هذه المقدمات ، الى المادة التى يدرسها ، وهو يبدأ بفيلم «مع سبق الاصرار» والفيلم يدور حول زوج يعمل مدرساً لزوجته ، يستقبل الزوج صديقاً ، ويقيم هذا الصديق علاقة مع الزوجة ، تتطور العلاقة ، ثم يعين الصديق وكيلا للنائب العام فى القاهرة ، ويغادر بلدة الزوج والزوجة ، وبعد أن يتزوج الصديق ، يفاجأ بالمدرس القديم يطرق بيته ، ليعلن له عن موت زوجته وتركها ابنتها ، ثم ينهى له اكتشافه لحقيقة العلاقة بين الزوجة وبينه ، وان الفتاة ليست ابنة المدرس ، فقد تأكد بالفحص الطبى عن عقمه ، وأنها ابنة هذا الصديق ، ثم تتابع أحداث الفيلم بصورة بوليسية وتنتهى باكتشاف وكيل النيابة أن المدرس قتل زوجته بالسم ، ويحاول وكيل النيابة انتزاع الفتاة منه ، ويقتل المدرس خلال مطاردة البوليس له .

جوهر الفيلم هو العلاقة الثلاثية ، رجلان وامرأة . والعلاقة الثلاثية بذلك تشير الى جوهر الوجود الانسانى ، من حيث هو صراع حتى الموت بين ارادات راغبة . وهذا الصراع يمكن النظر اليه على مستويين ، مستوى فردى داخلى ، تدور رحاه فى نفس الانسان المعاصر ، صراع بين الجانب العقلانى المشروع ممثلا فى الزوج ، والتعبير الرمزى عن عقمه ، أى عجزه عن الاستمرار واخصاب الحياة ، ويصور الفيلم المدرس فى صورة ساذجة بسيطة . والجانب الآخر السلطوى التحكمى ممثلا فى وكيل النيابة . لكن هذا الجانب السلطوى عاجز عن أمرين : أولهما اشهار مشروعية العلاقة الوحيدة فى حياته .

وعاجز عن استرداد ابنته من هذه العلاقة .

يمكن النظر الى الصراع نفسه على مستوى اجتماعى بوصفه صراعاً بين أفراد . يمثل كل منهما وجهاً من وجوه الحياة الاجتماعية . ومن هنا فالصراع بين العقل ويرمز له المدرس . والقوة ويرمز لها وكيل النيابة . أما الزوجة فهى رمز مطلق . لذلك يثير التساؤل : موت المرأة الوحيدة القادرة على الانجاب . هل يعد ذلك تعبيراً رمزياً لتدمير الانسان المخدوع لمقومات هذا الوجود الذى فقده . أو هل يمكن اعتبار اقدام الزوج العقيم على قتل زوجته ثم موته هو بعد ذلك ، تعبير رمزى عن عجز هذه الصورة القاصرة عن الحفاظ على مقومات الوجود ، ممثلة فى الزوجة ، وفقدانه إياها ، فالزوج ليس فقط عاجز عن الاحتفاظ بالزوجة ، بل وأيضاً عاجز عن الاستمرار فى الانجاب ومن ثم يفقدها ، ثم يدمرها . إن عقم الزوج المدرس ، وعقم زوجة وكيل النيابة تعبيران رمزيان بالاضافة الى الموت . موت المدرس وزوجته . هذا كله تصوير رمزى من خلال العمل الفنى لأزمة الانسان على المستوى الفردى . وفى المستوى الاجتماعى ، إن الفيلم فى مجموعه دمار مع سبق الاصرار . وسبب الدمار ذلك الصراع بين العقل والقوة .

ولايزال التحقيق مستمراً

الفيلم صورة مطابقة للسابق . مدرس وزوجته العاقر . يلتقى بزميل له كان أثناء الدراسة نموذجاً للفشل والغباء . لكنه سافر الى خارج البلاد وعاد وهو غنى . ليبدأ فى نشر شباكه حول الزوجة . لكن الصديق الخائن يرفض فكرة الزواج من المرأة اذا ما تم طلاقها من زوجها . بل يزهدها ، ويسعى الى الزواج من شقيقة الزوج ، وتشى الزوجة به عند زوجها على أمل انتقام الزوج منه . ويتم الاتفاق على قتله ، لكن الزوجة تقتله وتحاول أن تترك من الآثار ما ينم عن الزوج ليتم القبض عليه . لكن الزوج لشكه فى غدر الزوجة يقتلها ويسارع بالهرب على أمل أن يتصور البوليس عند حضوره أنهما قتلا بعضهما البعض (ولايزال التحقيق مستمراً) .

إننا هنا بازاء موقف ثلاثى أكثر وضوحاً . رجلان وامرأة . الزوج يمثل العقلانية ، وصديقه يمثل الانتهازية . والزوجة هى الحياة السطحية المظهرية الخالية من الخصب . العقم هنا رمز لانعدام الأصالة والقدرة على الاستمرارية ، ورمز للأنانية الفردية الجشعة العاجزة عن كل عطاء وتضحية . على أن موت الخيانة بهذه الصورة البوليسية تعبير عن ضرورة القضاء على هذه النماذج الفردية ، واستحالة بقائها . لكنه تعبير عن نظرة رومانسية درامية للواقع الاجتماعى . الفيلم مثل سابقه ، عمل مغلق ينتهى بنهاية الفيلم ولا يترك الباب مفتوحاً .

إنتبهوا أيها السادة

صورة ثالثة لنفس القصة ، مع غلبة الطابع العقلانى . زوج ومشروع زوجة ومنافس . أستاذ جامعى وخطيبته وزبال نراه فى بداية الفيلم يطرق أبواب منزل أسرة هذا الذى يصبح أستاذاً ، يطلب يد اخت أستاذ الجامعة وابنه المستشار ، فيطرد ، ومع مرور الأيام ، يصبح هذا الزبال صاحب عمارات ، يطرق الأستاذ ابوابه طلباً لشقة (بخلو) ، وتتابع الأحداث لتعرض ثراء الزبال وتعب الأستاذ فى بحثه المضنى عن خلو يدفعه فى شقة فى احدى عمارات الزبال ، وتنتهى القصة بعجز الاستاذ الدكتور عن الزواج ، بينما ينجح الزبال المتزوج فى خطبة خطيبة الدكتور والزواج منها .

الفيلم يصور الصراع بين عقل المجتمع العاجز وزبالته المتجسمة فى سفه استفزازى .

ويبدو من عنوان الفيلم أنه تنبيه أو تحذير للسادة ، المرأة هى العالم الذى يفلت من بين أصابع العقل ، ليستقر بين براثن الزبالة ، انه احتجاج وتنبيه وتحذير من مثقف الى زملائه المثقفين .
هذه الأفلام الثلاثة خرجت الى النور



محمود ياسين .. الطابع العقلانى أكثر وضوحاً فى فيلم انتبهوا أيها السادة

عام ١٩٨٠ ، وهى واحدة فى جوهرها . الصراع بين رجلين ، أو طرفين حول امرأة ، وفى الحالات الثلاث ، نجد أن الزوج مدرس ابتدائى ، أو اعدادى ، أو جامعى . والطرف الثانى ، إما القوة أو الانتهازية أو الاستغلال والتخلف . الأمر إذن ليس مجرد صدفة . وإنما نحن بازاء استخدام لما يشبه الصورة الذهنية الرمزية الأولية الشاملة للوجود .

قصص تحت الميكرسكوب

يبدأ الدكتور فرج أحمد فرج بقصة احسان عبد القدوس «أرجوك أعطنى هذا الدواء» ، وفى القصة نجد زوجة يحيا زوجها حياة «دونجوانية» .

الحالة «الدنجوانية» للزوج تشير الى انشطار نفسى داخلى . ومن ثم انشطار حضارى فى صميم الهوية السيكلوجية للفرد على المستوى النفسى الداخلى . وانشطار فى صميم الهوية الحضارية على المستوى الأوسع للمجتمع أو الفئة الاجتماعية التى تعبر عنها هذه



أزمة أستاذ الفلسفة حسين فهمى



نور الشريف .. الصراع بين العقل والقوة

الشخصية . أما الزوجة فهى تمثل الطرف المقابل للزوج . الطرف المأزوم . المغبون . والطريف أن القصة لا تقدم الزوجة بوصفها الطرف المضطهد ، ولكن تقدمها باعتبارها مريضاً نفسياً بوصفها نموذجاً يقف فى منتصف الطريق بين أمينة فى بين القصرين لنجيب محفوظ ، والنموذج كامل الحرية والوعى . إن الزوجة هنا لا تقبل ولا ترفض عن موقف واع ، وإنما هى مريضة تتألم وتبحث بمعونة خارجية عن حل .

وتفرض عليها الارادة الخارجية التى لا تمتد جذورها امتداداً كافياً فى أرض واقعها المعاش . تفرض عليها تقريباً حلا لا قبل لها به ولا نفع لها منه . ومن ثم تكون الغيبوبة . القصة لها أسلوب رمزى ، رغم كل ماينسب اليها من عيوب نقدية واتهامات بعدم الواقعية هى تعبير عن مازق طرفاه الرجل فى تمزقه الدنجوانى . والمرأة فى موقفها المغترب وعجزها عن اختيار الطريق . واحسان عبد القدوس يتميز باختياره الدائم لموضوع الجنس للتعبير من خلاله عن قضايا انسانية واجتماعية .

بنت المعلم

بنت المعلم سيد نقدية قصة قصيرة لأحمد بهجت . نشرت فى مارس ١٩٨٠ ، وهى قصة أقرب الى الكوميديا ، تدور حول مدرس جامعى حاصل على الدكتوراه فى الانثربولوجيا . يفكر فى الزواج ، ويختار إحدى طالباته . يختارها لهدوئها ، ويصور له خياله ، أنها لابد من أسرة عريقة ، يدعوها الى مكتبه ويعرض عليها الفكرة ، فتطلب منه الاتجاه الى ابيها وتعطيه اسم الوالد والعنوان ويدهش من اسم الوالد : المعلم سيد نقدية . يذهب اليه وسط حارات بالغة القذارة ، ليجده فى شقة يتخذها مكتباً له ، تفوح منه رائحة الثراء . كان عنده اثنان من المعلمين . يقول الأستاذ انه يريد المعلم فى أمر خاص ، فيقول انه لا يخفى أى شىء على المعلمين ، فيضطر الى الحديث . يقول انه جاء بخصوص (العروسة) فيسأله المعلم شفتها ؟ وقبل الاجابة يقول ان مهرها ثلاثة وثلاثون ونصف . يصعق الدكتور لهذا الأسلوب ، ويحاول الحديث . فيقول له المعلم : المعلمين معاهم اختها اسأل عنها ، فيقولون : زى اللهلوبة تشيل طن ونصف . وهكذا يتضح أن الكلام عن سيارة نصف نقل وانها يشار اليها باسم العروسة . وينتهى الموقف بتصحيح الأمر ، وينصرف المعلمون ، وعندما يفهم المعلم سيد نقدية حقيقة الطلب يقول إن ابن المعلم حنفى سبقه وطلب البنت . وينصرف الدكتور مهموماً محزوناً .

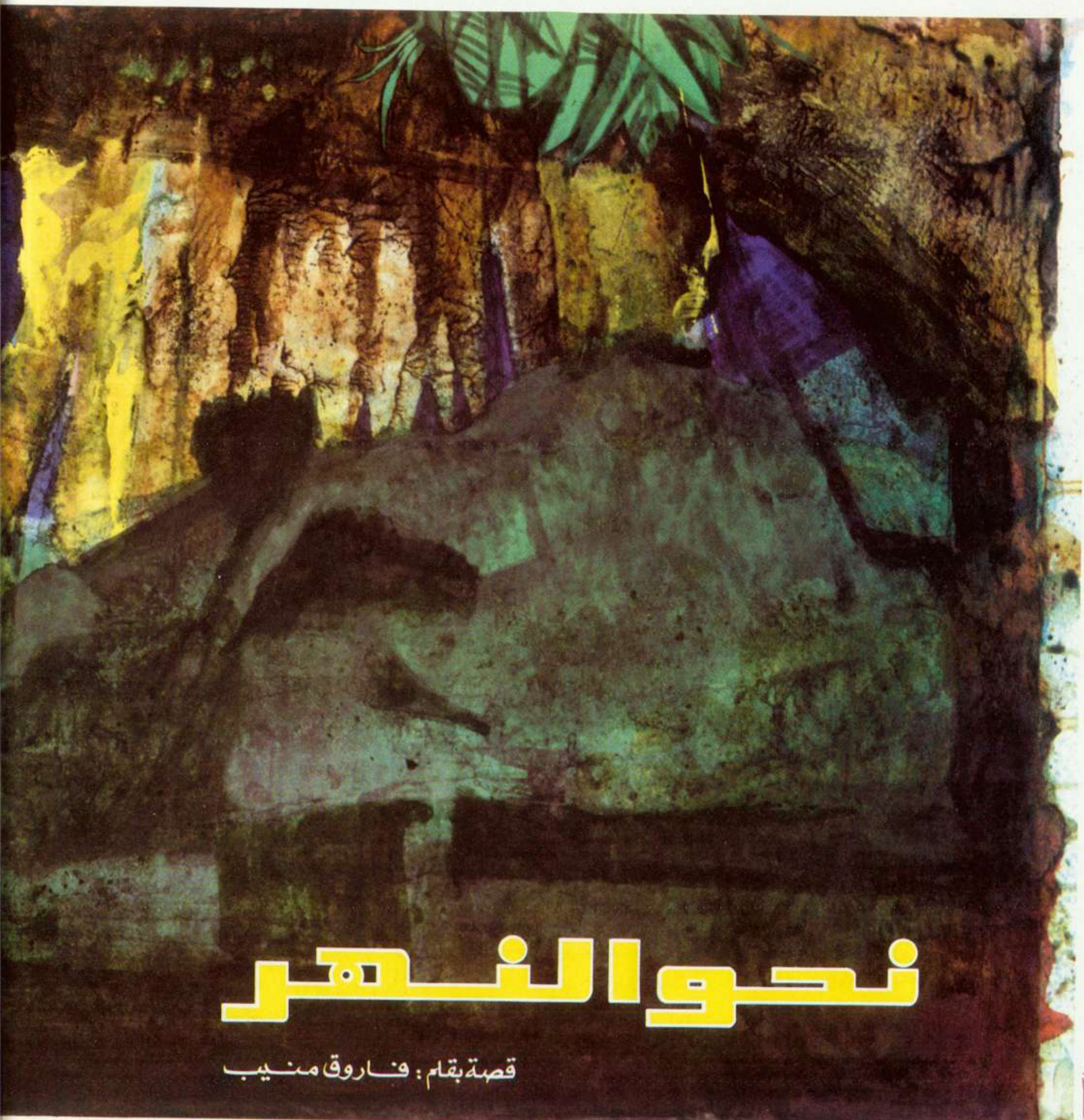
القصة تكاد أن تكون صورة مكررة من انتبهوا أيها السادة . فالعلم والثقافة عاجزان عن تحقيق وجودهما أمام ابن المعلم حنفى ، وهى نفس هزيمة الدكتور أمام الزبال فى الفيلم وكأنهما تكرار لنفس الجملة : لا مكان للعلم والفكر أمام تفشى الجهل والانتهازية .

ثم يعرض لقصة السيجارة الزنوبيا والمغنية المشهورة لأحمد بهجت أيضاً . ويقول ان القصة عن موظف يحضر حفلا أقامته المصلحة ، عندما الزم بشراء تذكرة من تذاكر الحفل ويشارك فى تنظيمه ، وفى تقديم باقة من الورد للمغنية المشهورة ، يجلس فى الصف الأول ويستمع اليها وهى تغنى أغنية حب ، يتوهم انها توجهها اليه هو شخصياً ، ويسرف فى نفث دخان سيجارته الزنوبيا السوداء فى وجهها . يقع فى غرامها متوهماً انها تحبه . وتصبح مجرد هوايته هى الذهاب الى مكان سكنها والوقوف ساعات أمام بيتها لعله يراها خارجة . وذات جمعة يذهب ، وتراه الخادمة ، وتدخله الشقة متوهمة أنه السباك . وتدخل المغنية دورة المياه وتكتشف أنه لا يعمل . وتحدث مواجهة يذكرها بنفسه وبالحفل . فتتصور انه أحد المعجبين الثقلاء . وتهديه صورتها موقعاً عليها منها . وتصرفه بسرعة ، وتطلب من الخادمة ادارة جميع المراوح وأجهزة التكييف تخلصاً من الرائحة المقيتة التى تركها . لكن الموظف الحالم يحمل معه الصورة ، وفى قلبه وهم حب لا وجود له .

القصة حلم يقظة وهروب من واقع أليم . لا سبيل الى تغييره ، الى حلم جميل . مواطن يعيش فى جذب وعقم وحرمان . بل إن السيجارة السوداء وتدخينها تعبير عن الرغبة فى قتل الذات .. انتحار معنوى ومادى . فى هذه القصة . والقصة السابقة يضاف عنصر جديد . عنصر الوهم والاغتراب إزاء عالم جديد غريب . غير مفهوم ولا متوقع . إن اللبس وسوء الفهم فى القصتين ليسا أموراً عارضة أو عديمة القيمة . ولكنهما يعبران عن الشعور الغريب بعالم غير مفهوم وغير متوقع فى القصة الأولى حالة من الاحباط . وفى القصة الثانية نحن بازاء وهم مكتمل الأبعاد .

تكشف لنا هذه الأعمال ، عن الوجود الانسانى من حيث هو وجود قوامه الصراع بين إرادات راغبة . أى إرادات تحركها الرغبة فى الاعتراف بحق صاحب هذه الرغبة فى مشروعية تحقيقها .. نتيجة الصراع تقرر من ستكون له الغلبة أى صاحب الرغبة المشروعة والقابلة للتحقيق وصاحب الرغبة المرفوضة المستحيلة التحقيق .

يوسف القعيد



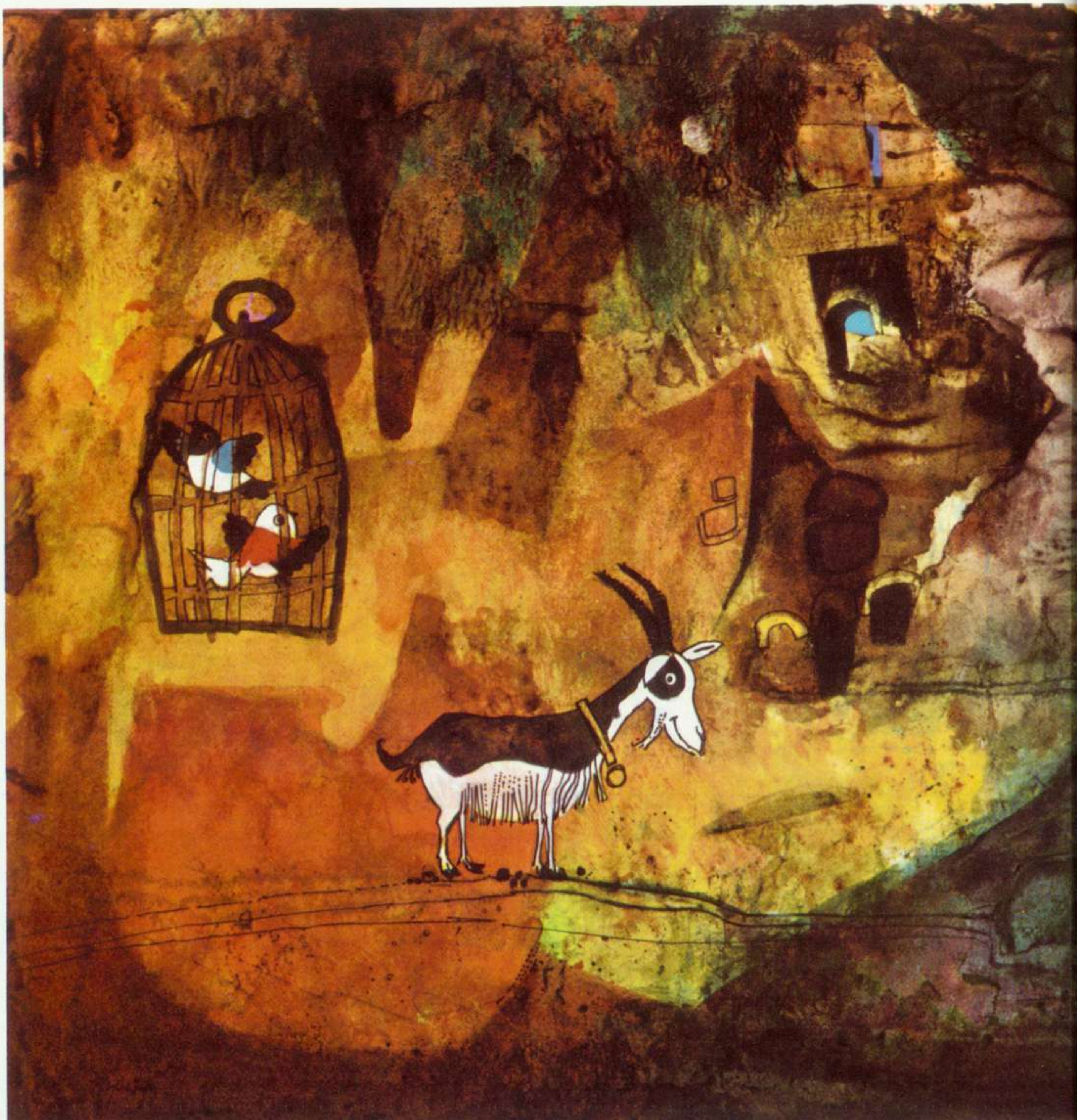
نحو النهر

قصة بقلم : فاروق منيب

كنت خالى البال ، تتهادى الى نفسى راحة لطيفة . وكان الجو ربيعياً منعشاً . شربت كوباً من اللبن الحليب ، ثم فطرت بيضتين وعيشاً طازجاً ساخناً . ولم يبق أمامى الا رياضتى اليومية المفضلة فى المشى . قال لى الأطباء ان المشى صباحاً يطيل العمر . وأنا شغوف بطول العمر منذ زمن بعيد . أرتب كل شىء حتى لا أدخل فى شيخوخة مملة كئيبة . الآن لدى حديقتان للبيت ، واحدة أمامية تزهر بالورد البلدى الناصع الأحمرار ، والأخرى فى الخلف يفرشها الياسمين وأشجار المانجو والبرتقال . وعلى سطح البيت أقفاص عصافير الجنة والديوك الرومى والأرانب التى أغرم بها ، وزهريات الزرع الأخضر اليانع .

الآن أتأهب لرحلة كل صباح ، المشى فى الصباح ساعة حتى لا أصاب بتصلب الشرايين . أطعمت خروفى وعنزاتى الصغرى بحزمة البرسيم وحنوت عليها وأنا سعيد . أرتديت أخف الثياب ، وفكرت فى أتجاه رحلة اليوم . معظم الطرق جاست فيها قدماى ، وفجأة طرقت ذهنى فكرة جديدة ملأتنى طرباً وجيشاناً . لماذا لا أطلع الى التل فى هذا الصباح الجميل ؟! . سكت وأنا أحتضن فى صدرى شعاع الفرح القادم فى وفاء .

أصبح من عادتى تأمل الأفكار المفرحة سرت النشوة فى جسدى كله الى أن وصلت الى قدمى ، فأحسست ببهجة



العافية فى أصابعى . أتوكل على الله بدون تردد . المشوار طويل ، والمكان مرتفع لم أصعد اليه منذ أيام شقاوة الطفولة وطيش الشباب المبكر . ألقيت نظرة سريعة على أشيائى وطيورى وعنزاتى . لفحتنى نسمة هواء طرية ، فتفاءلت . استرخيت مندمجاً فى فرح الطبيعة الطيبة . الأذن والعين والقلب ، كل أولئك يتماوج مع الخضرة الممتدة والمياه المنسابة الرائعة والأشجار العالية التى تشارف الأفق . تخلصت روحى وجسدى من كل الأحزان والقلق اليومى السخيف . اللحظات حلوة وصافية تتدفق على مهل الى نفسى ، فاحتفل بها كأنى فى عرس كونى ، أتلقى تهانى الأحباب والأصدقاء ترف أجنحة الحب فى قلبى . أصبحت أسبح على الأرض مع التيار . غمزت صنارتى ، فانساب السمك الفضى فى حجرى دون أن أسعى اليه .

لم أكن أشعر بأنى أرتفع وأرتفع . التل ما يزال بعيداً ، ولكن عينى تشرح فطائر النسمات والأشجار اليه . وقفت ودرت حول نفسى فى كل اتجاه مبهوراً وفرحاً ومنتشياً بالتيه الذى يحتوينى بين أحضانه . وفوق رأسى كانت الحمامات والعصافير تظلل الطريق ، تطفو ثم تعلو فى درجات متناسقة متناغمة خلال السماء القريبة كنت خائفاً أن يضيع منى شىء لم أره !

نحو النهر

أعود الى أيام الطفولة حيث كان التل يزهو بالخضرة اليانعة ، تكسو أرضه وسماءه الطبيعة الساحرة . أشتاق أن يتواصل الود الخالص القديم الذى تربى بينى وبين التل على مر السنين . هأنذا أعود اليه فى هذا الصباح بعد غياب طويل .

كنت أمشى فى دوائر صغيرة حتى أكتسب حلاوة كل لحظة وكل شبر فى الأرض الخالدة . وفى بعض الأحيان كنت أعود الى شجرة أو زهرة أو موقعة لأتأملها من جديد . لم أعد أمشى أو أسبح بل أغوص وأغرق فى كل حفنة رمل وأخرى . أصابنى خدر لذيذ لم أجربه من قبل ! صفقت وأنا أبتهل الى الله أن يديم نعمته على الأنسان . تماديت فى التلكؤ حتى أشرب الذرات الطائرة والمستكنة فى أعماق الوجود . وفى لحظة واحدة أحببت العالم كله نسيت كل التعب والمعاناة . مشيت ومشيت .. سبحت وسبحت ، طرت وطرت ... ارتفعت وارتفعت ... سموت وسموت ، وعينى ما تزال على التل . أريد أن أعود الى طفولتى وصباى .

حدس لايخيب ، سوف أظل منعماً بالفرح ، كسرة الخبز فى يدى ، وجرعة الماء فى فمى ، والأغنيات الآملة فى صدرى ، تماماً كأيام الطفولة الأولى . لا شىء يضيع . هتفت بأعلى صوتى ، فجاءنى الصدى من قمم أشجار الكازورين والكافور ومن ألسنة العصافير .. أحبك أيتها الدنيا الصغيرة ! كنت أقبض على مصباحى وسط شعاع الشمس الساطعة . لا شىء يضيع ! . تحسست صدرى ، فاذا نبض القلب يرف مع أجنحة الطيور التى ترفرف فوق رأسى . الآن يقرب التل . تركت النهر ورائى ، لكن العرس ما يزال قائماً . أعانق الأحباب . نضحك معاً ، نسترجع الذكريات معاً ، نتجمع فى بلورة واحدة ، نلم الشمل بعد طول فراق

فردت ذراعى على أكتافهم خوفاً عليهم . جرينا معاً ، ثم قعدنا معاً ، غنينا معاً . ابتسمت لأنى سرحت فى خيالى المجنح .

قلت : وداعاً ... فقالوا : لا ... لا ... سوف نبقى معاً . عرجت الى هدفى . بدأ الطريق يتلوى ، الأرض خشنة بعض الشىء ، قدماى تغرزان فى الرمال . تخلفت الطيور وتركتنى وحدى . حرارة الشمس تشتد . أسرعت الخطى . وقعت فقمت مندهشاً ، شرخ قلبى أحساس غريب ، ما الذى حدث ؟! . طردت وساوسى وهواجسى وظنونى . هل أعود الى أحوالى وعاداتى القديمة ؟! همست داعيا ... اللهم نجنا مما نخاف . اقتربت من التل . أين جميزة زمان ؟! . هل تغيرت معالم المكان ؟! . وعن يمينى وأنا ألهث الى أعلى بانت بعض الملامح، كان هناك كتل من الصخور تعترض الطريق ، وأكوام من النفايات تتناثر . وزكمت أنفى الرائحة التى أخاف منها . وفى لحظة خاطفة رأيت المساحة الواسعة .. وحبست أنفاسى ... كانت المقابر تتناثر على الرمال الجرداء ... غشيت عيناى باللون الأبيض ... نبات الصبار يتسلل الى قلبى ... سقطت عافيتى الى قدمى ... لكنى وبسرعة مذهلة ، يممت وجهى الى أسفل ، مطلقاً ساقى للريح ... كنت أجرى ... وأجرى ... وأجرى نحو النهر ! .

«فاروق منيب» ـ لندن

من قصص العرب



خرج المهدى وعلي بن سليمان الى الصعيد ، فعرض لهما قطيع من الظباء ، فأرسلت الكلاب ، وأجريت الخيل ، فرمى المهدى سهماً ، فصرع ظبياً ، ورمى علي ابن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال فى ذلك الشاعر أبو دلامة ، وكان مصاحباً لرحلة الصيد :

قد رمى المهدى ظبياً
شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما
ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل
امرىء يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط من سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة ، ولقب بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق اللقب به .

عبد الله السعدي

ملاحظات حول العملاق

استوقفني المسلسل التليفزيوني «العملاق» لأنه تناول سيرة وحياة عملاق الأدب العربي «عباس محمود العقاد» والمسلسل يعتبر من المسلسلات الدرامية الناجحة من حيث الأداء في التمثيل، والاخراج، والتصوير، وأزياء الفترة، إلا أن هناك عدة ملاحظات لابد من الاشارة اليها، خاصة وأن هذا العمل الفني يتناول شخصية لها أثرها البالغ في فكر أجيالنا والأجيال القادمة ..

فمن المسلسل يتضح أن شخصية مي لم تظهر كاديبة وشاعرة كما هو معروف عنها، وإنما ظهرت منذ البداية كعاشقة، وهذا لا يليق بأديبة وشاعرة مثل مي زيادة، والغريب أن مسلسل العملاق يوحي بأن مي أصابها الجنون والهوس نتيجة تخلي عباس محمود العقاد عنها، علماً بأنها أصيبت بمرض الأعصاب لا نتيجة تخلي العقاد عنها، بل لوفاة والديها، وفقدانها الحنان الزائد عن الحد والتي كانت تتلقاه منهما، بالاضافة الى تخلي الناس عنها لدرجة أن بعضهم رفع القضايا على أبيها يطالب ببعض ما كان مديوناً به للناس، وعلماء النفس يقولون: ان من يفقد الحنان الوافر، والزائد عن الحد فجاة، يصاب بمرض الأعصاب أو التقوقع، ويحدث نفسه بأشياء لن تقع، وإذا كان للعقاد دور في حياة مي، أو في اصابتها بالهوس، فلن يكون السبب المباشر والمؤدي الى اصابتها بالجنون، كما عبر المسلسل!

ونحن مقتنعون بأن الجانب العاطفي موجود في حياة كل انسان سواء أكان شاعراً أم أديباً أو عاملا فقيراً أو تاجراً غنياً، لكن اظهار هذه العاطفة بالشكل الموجود في مسلسل العملاق الذي جعلنا نرى العقاد يقع في حب الواحدة تلو الاخرى، يترك من يشاء ويحب من يشاء، فهذا لا ينبغي أن يكون في حياة هذا الأديب العربي الكبير، وحتى لو كان فان إظهار الجانب العاطفي بهذه الصورة، والتركيز عليه ذلك التركيز الذي يوحي بأن العقاد لا يشغله سوى الانتقال في الحب من واحدة الى أخرى، ولو كان كذلك لما وجد الوقت الكافي لكتابة مؤلفاته ومقالاته وعبقرياته.

إن المسلسل لا يعبر إلا عن وجهة نظر واحدة، وهي وجهة نظر عامر العقاد، والذي أخذ منه الجانب التاريخي في حياة عباس محمود العقاد، صحيح أن الأديب العربي قريبه، وهو يعتبر شاهد عيان، إلا أن شاهد العيان أحياناً يبالغ وأحياناً أخرى يعتمد على الخيال، وكثيراً ما نراه يحلل موقف الشخصية من خلال اقتناعاته الشخصية.

وقد سمعت أن بعض الأساتذة المؤرخين راجعوا النص قبل انتاجه، ووافقوا عليه، فاذا كان هذا الكلام صحيحاً، لم لم تكتب أسماؤهم ضمن قائمة الممثلين والمخرج والاضاءة والاستديو والاكسسوار .. الخ .. علماً بأن أسماء المراجعين مهمة جداً، لأنهم سوف يتحملون ما قدموا من أخطاء، إلا اذا أجازوا النص لشيء في نفس يعقوب، فلما حققوا هدفهم، خافوا من عاقبته، فطلبوا عدم الاشارة الى دورهم في اجازة النص تاريخياً ...

وهناك مسألة أخرى تجعلنا نقول هل معقول انه بعد أسبوع من وفاة الزعيم الوطني سعد زغلول «أستاذ وملهم الأديب العربي عباس محمود العقاد» أن يدخل العقاد في حب جديد. فقط بعد أسبوع من وفاة أستاذه. فأحياناً يبقى الانسان حزيناً لمدة شهر أو أكثر لوفاة رجل كان قد تعرف عليه قبل وفاته بأسبوع أو بيوم أو يومين، فكيف بزعيم وطني كبير مثل سعد زغلول، والعقاد رآه حتى في يوم وفاته .. ألم يكن جديراً بالعقاد العملاق أن يظل فترة متأثراً بهذا الحدث الجلل الذي هز الوطن كله ؟!

ثم ما رأيكم في الكاتب الكبير ابراهيم المازني الذي قرأنا أعماله ودرسناها حتى في كتب وزارة التربية والتعليم القطرية ؟ إن المسلسل لم يقدم لنا فكرة ولكنه أعطانا صورة باهتة عنه، فهو مجرد مادح للعقاد أحياناً أو ناصح له في أحوال أخرى، والغريب أن العقاد لم يأخذ بنصائحه ولو مرة واحدة في حياته رغم متانة الصداقة التي نعلمها جميعاً بين الأديبين !

إلا أن كل هذه الملاحظات، تبقى معها كلمة صدق وهي أن هذا العمل الجاد احسن من غيره .. ويكفي أن العقاد عرف في كل مكان، وفي كل بيت، وعرفت أعماله الوطنية، والناس غير المطلعين على كتب العقاد وحياته، بدأوا يبحثون عن مؤلفات الكاتب .. وفي ذلك فائدة ما بعدها فائدة .. فقد جعل المسلسل الكثيرين يشعرون بأن كتب هذا العملاق العظيم يجب أن تكون في كل بيت حتى يتربى الجيل الجديد على حب الوطن والدفاع عنه والايمان بقضاياه ..

عبد الله السعدي



جمـــال قطـــب

مذاهب غربية

الروكوكو

باريس .. مدينة النور .. نور البصائر والفكر والوجدان .. كانت وما تزال قبلة الفنانين وملتقى المبدعين ومهد التيارات الفكرية التى قادت البشرية الى اشعاعاتها المتألقة منذ قبيل الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر .. وحتى اليوم ! وعلى مدى هذين القرنين ، شهدت المحافل الباريسية العديد من الثورات الفنية والمتغيرات والتطور والبحث عن المدارس الجديدة والأساليب المستحدثة .

إلا أن معظم الآثار الفنية ذات القيمة التى ظهرت فى فرنسا خلال القرون الثلاثة التى سبقت الثورة ، كان إما مستورداً أو مسلوباً باعتباره من غنائم الحرب ، وبخاصة من إيطاليا والبلاد الواطئة «شمال أوروبا» ولا يخفى على الأذهان تلك الأعمال المعجزة لأساطين عصر النهضة فى ايطاليا ، والعبقريات الفنية الفذة فى هولندا وبلاد الشمال الأوروبى ، تلك الأعمال التى ازدهرت فى

احدى لوحات (واطو) وتعتبر نموذجا لفن الروكوكو وأقواسه القوقعية المنمقة .



● كيف استقطب البلاط الفرنسي أعظم الفنانين في البلاد؟

● كانت صاحبة أشهر الصالونات الفنية وتسابق الفنانون على رسمها!

● فرضوا هذا الفن على أذواق الناس وأبصارهم قرابة مائة عام!

عالم الابداع ، قبل أن تتربع فرنسا على عرش الفن الحديث

والبلاد الفرنسية كانت تزخر دائماً بالفنانين العظام وأولت تقاليد البلاط والارستقراطية المرفهة أمور الفن اهتماماً كبيراً ، رفع قيمة الفنان إلى أعلى مستويات الاكبار فى الدولة ، ورأينا أن الفن وأقطابه كانوا من أمضى أسلحة الثورة الفرنسية ذاتها ، كما شاهدنا تطور الفن فكراً وشكلا ومضموناً ليواكب الحركات الثورية المتعاقبة .

وكما كان الفن فى عصر النهضة الايطالى فى خدمة البلاط البابوى فى الفاتيكان ، نجد أن البلاط الفرنسى قد استقطب خير من انجبتهم البلاد من الفنانين طوال القرن الثامن عشر ، وكانوا على أكبر جانب من المقدرة (التكنيكية) والممارسات الرفيقة ، ولكن المشكلة الحقيقية التى وقعوا فى أسر شراكها رغماً عنهم ، كانت الاهتمام بالفتنة الشكلية والبصريات المثالية .. أى أن

(قسم الاخوة هوراس) .. كانت هذه اللوحة بمثابة انقلاب ابداعى قضى على فن الروكوكو .



الروكوكو

الرونق والمظهر كانا محور إجادتهم وتسابقهم ، فجاء فنهم أقرب إلى البريق الزائف والزخرف الذى يثير الاعجاب بالجمال الشكلى .. فحسب !

وقد عرف هذا الأسلوب باسم الروكوكو . ويمكن تمييزه من جزئياته المفعمة بالزخرف والمنحنيات التى تقوم على الأقواس القصيرة المقتضبة ، وهى أقرب ما تكون بالتفافات القواقع ، ومن هنا كان هذا الاسم الذى اطلق على الاسلوب ، إذ هو مشتق من كلمة (روكاى) الفرنسية ومعناها الأقواس قوقعية الشكل .

نعومة الرفاهية

ورأيى أن الفنان فى ذلك العصر لم تنقصه المقدرة على الابداع المتطور الجاد والقوالب الرصينة ، ولكنه كان يرفل فى حلل الأبهة الارستقراطية فى رحاب البلاط والبيوتات الفرنسية المرموقة ، وقد دفع دفعاً إلى هذا الاتجاه المثالى فى النقش والزخرف . إذ أن لكل فنان جمهوره ومستقبلوه ، وكان جمهور الفنان هم هؤلاء السادة المنعمون المترفون ، ومعظمهم من الفاتنات وصاحبات الصالونات الشهيرة التى كانت تعج بها باريس فى تلك الفترة الحالمة الناعمة ، ولعنا نذكر (مدام ريكاميه) ، تلك الفاتنة الشهيرة التى كانت صاحبة واحد من أشهر الصالونات الفرنسية فى القرن الثامن عشر ، والتى تسابق الفنانون من أصحاب مذهب الروكوكو إلى رسم صورها ، وأصبحت هى ذاتها مباراة لابداعات فنية خالدة ، وكان من أهم الفنانين الذين سجلوا صورها (دافيد) ، أسطورة الفن والجاه والسلطان والذى تقوض فن «الروكوكو» على يديه مع مطلع أيام الثورة الفرنسية

أعـــلام الروكوكو

ومن أشهر الرسامين الذين برزوا فى فن الروكوكو ، بل يعتبر أشهرهم جميعاً شاناً هو (واطو) ويأتى بعده مصور لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر (ريجو) وكذلك تألق (بوشيه) وفيجيه لوبران صاحبة الحظوة لدى مارى انطوانيت . أما أكثر المعمرين من الروكوكيين فهو الفنان الأشهر فراجونار وقد امتد به العمر حيث شهد عصر لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر ثم اندلاع الثورة وحكم الارهاب ، ثم عهد الملكية الجديدة التى انشأها نابليون بونابرت .

كان هؤلاء هم أبرز فنانى الروكوكو الغارق فى الترف بعيداً عن واقع الحياة وتجاربها ، وكانت لوحاتهم تسجيلا لتلك المظاهر المتعالية بشكل يرضى غرور أصحابها ، وحتى إذا تطرق الفنان إلى بعض الموضوعات العامة ، فانه يصيغ شخصياتها فى قوالب ناعمة منمقة تجعلها أقرب إلى الدمى ذات البريق القوقعى . أو كأنها جنيات مستوحاة من ربات الميثولوجية الأغريقية والرومانية الاسطورية . وشهد عصر مارى انطوانيت قمة أسلوب الروكوكو ، حيث اصطبغت الحياة فى عصرها بطابع الزخرف المنمق والرفاهية وحدث فى عهد البمبادور عشيقة لويس الخامس عشر ، أن أنتشر فجاة التهوس بالفن الكلاسيكى بين الفنانين الفرنسيين على أثر ما اكتشف من آثار رومانية واغريقية فى الحفريات التى كانت ايطاليا ـ آنذاك ـ تعتبرها شغلها الشاغل ، ووجد الفنانون فى تلك الآثار عالماً إبداعياً يزخر بالثراء والقيم الفنية الرائعة .. فيه الرصانة والواقعية الصارمة التى تصلح لأن تكون مثلا يحتذى به لفن جاد رزين وأخذ الفنانون ـ ومنهم دافيد ـ يغوصون فى دراسة هذه الكلاسيكية الرومانية ، ويقلدونها فى أعمالهم . ولكن بموت لويس الخامس عشر .. انتهت هذه الموجة الكلاسيكية ـ تقريباً ـ وعادت أساليب الروكوكو الارستقراطية إلى سابق عهدها فى أيام مارى انطوانيت .

نهاية الروكوكو

وبالرغم من انحسار تلك الموجة التى تفتحت نحو الكلاسيكية الرومانية سريعاً وعودة أسلوب الروكوكو مرة أخرى ، إلا أن فناناً شاباً كانت موهبته الخارقة مضرب الأمثال ، استمر فى شغفه واعتناقه الأسلوب الكلاسيكى ، فظل متعلقاً به ولم ينحدر ثانية إلى الروكوكو .. كان هذا الفنان هو «لويس دافيد» الذى أصبح فيما بعد ذا شان عظيم ، وسلطة مطلقة فى التحكم فى المسار الفنى بوجه عام ، فقد كانت قبضة أساطين فن الروكوكو قد خفت حدتها بعض الشىء قبيل الثورة الفرنسية ، فانطلق دافيد يستجمع كامل حريته وانتهج الأسلوب الكلاسيكى ذى الأصول الرومانية ، فانجز لوحة شهيرة فى تاريخ الفن قاطبة ، وأسماها (قسم الاخوة هوراس) استوحى موضوعها من أحد المواقف الوطنية فى التاريخ الرومانى . واتسمت هذه اللوحة التاريخة بالرصانة ومتانة التكوين واستقامة الخطوط (على عكس فن الروكوكو الحلزونى المنمق) .

وعندما عرض دافيد لوحته هذه ، فازت على الفور بثقة الجمهور بمختلف طبقاته ومستوياته الثقافية ، وكان كابوساً ثقيلا قد نزح لتوه من فوق صدور الجماهير .. ولا غرو ، فقد فرض الروكوكو على أبصار الناس وأذواقهم كالأوامر الملكية العليا قرابة قرن من الزمان وقد خضع الناس له فى استسلام طوال هذه السنوات .

ولأول مرة فى تاريخ الفن كله .. يطلب لويس السادس عشر من دافيد شراء لوحته ليبرهن على مشاركته للشعب فى مشاعره الوطنية المتدفقة !

المقصلة والروكوكو

ولم تكن لوحة (قسم الاخوة هوارس) مجرد عمل فنى ذى طابع مستقل فحسب ولكنها كانت فى حقيقتها إيذانـــاً بسيطرة فن (الكلاسيكية الجديدة) بعد ذلك .. وقد سادت فرنسا كلها بل وعمت إشعاعاتها كثيراً من بلدان أوروبا ، على أنها بعث لأمجاد عريقة ، واكتشاف لكنوز الفن الحقيقية بكل المقاييس المثالية !

... ويتالق نجم دافيد مع نجاح الثورة الفرنسية ، وأصبح زعيم المصورين فى

● الفنــــان الذي جعــل الرســامين يشـــعرون أن المقصـلة قريبـة من رقابهـم !

الدولة .. وأخذ ـ بدوره ـ يضاعف نشاطه وإبداعه ، فانجز لوحات خالدة استوحى موضوعاتها من المواقف الوطنية والثورية فى التاريخ الرومانى ، وكان من أشهرها وأكثرها ذيوعاً وتأثيراً فى نفوس الجماهير ، لوحة (بروتوس يتلقى نبأ وفاة أبنائه) .

وقد أثار موضوع هذه اللوحة بالذات حماس الشعب سواء من العامة أو المثقفين ، وذلك لأن بروتوس ـ الذى أجهز على الطاغية قيصر ـ كان يتخذه الثوار الفرنسيون رمزاً للبطولة والفداء والحمية الوطنية .

.. وهكذا حظى دافيد بمكانة لم يحظ بها فنان من قبله .. ثم انتخب عضواً بالجمعية الوطنية عام ١٧٩٢ ، وأصبح رسام الثورة الرسمى والحاكم بأمره فى كل ما يتعلق بشئون الفن فى فرنسا . وهكذا قضى قضاء مبرماً على فن الروكوكو ، وفرض بدلا منه ذلك الاسلوب الرصين البارد المتزن الذى تميز به الفن الاغريقى القديم .

وقد بلغ من شدة بأس دافيد أن جعل الرسامين فى عصره يحسون بأن المقصلة فى انتظارهم ما لم يهتفوا فى لوحاتهم بسقوط الروكوكو ، وبحياة الكلاسيكية الجديدة !

وبحكم موقعه ومكانته فى الثورة الفرنسية ، كان يمكن لدافيد أن يقود أى فنان يتقاعس عن المسيرة الجديدة .. إلى المقصلة بالفعل !

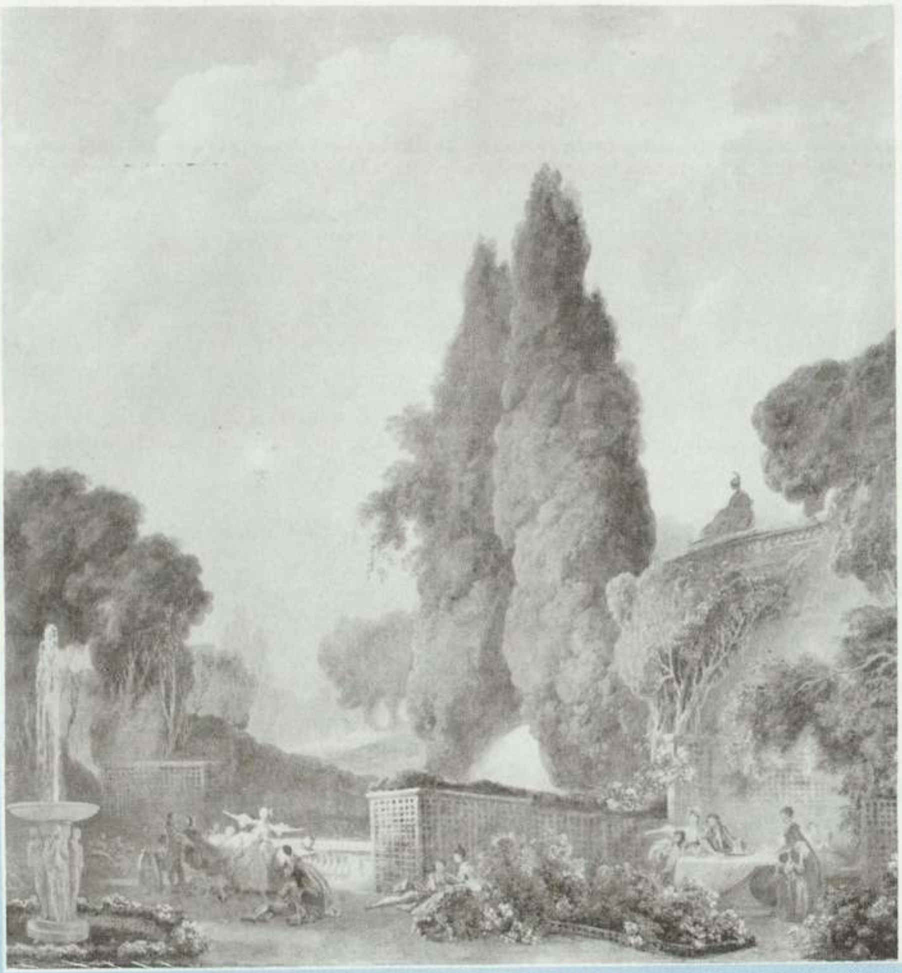
وبالرغم من أن دافيد قد أمضى سنواته الأخيرة فى المنفى حتى مات عام ١٨٢٥ فى بروكسيل ، إلا أن (الكلاسيكية الجديدة) ظلت المذهب الراسخ فى وجدان الفنانين بعد ذلك ، إلى أن قضى عليها نهائيا بظهور المدرسة الرومانتيكية .

ولهذه المدرسة الأخيرة قصة طريفة .. نلتقى معكم وإياها فى لقاء ممتع آخر على درب المسيرة الفنية الحافلة بآيات الابداع والعبقرية .

جمال قطب

احدى لوحات (واطو) وتعتبر نموذجاً لفن الروكوكو وأقواسه القوقعية المنمقة .





لوحة من أعمال «فراجونار» حيث الأسلوب الغارق فى الزخرف والرفاهية .

آخر من تبقى من جيل العظماء في السينما

فنان اليابان الذي حاول الانتحار حزنًا ثم أذهل العالم بفيلمه

رءوف توفيق



مازالت مفاجأة عام ٨٠ السينمائية .. يتردد رنينها فى كل العواصم الكبرى للعالم ، حيثما عرض الفيلم .. وفى سطور كل المجلات والصحف التى تهتم بالفن الرفيع .. وفى نتائج الحصاد النهائى لعام إنتهى ، وما تبقى منه للتاريخ ..

المفاجأة من اليابان .. وصاحبها هذا الفنان البارع ، والذى بلغ السبعين من عمره .. ومازال يتفجر بالحيوية والابداع الفنى .. استاذاً ومعلماً يبهر الجميع فى تواضع وأدب جم !

انه المخرج اليابانى «أكيرا كيرا ساوا» وفيلمه «ظل المحارب» .

وإذا كان الفيلم نموذجاً لعبقرية واعجاز ما يمكن أن يقدمه فن السينما .. فان صانع الفيلم ومبدعه ، نموذج للفنان الأصيل ، العاشق لبلده ولتاريخه ، المناضل من أجل مبادئه ، والذى رفض أن يتنازل أو يساوم ، أو يركب الموجة السهلة .. وفضل أن يعيش فى الظل ، يراقب ، ويتأمل ، ويعانى فى ألم وصمت .. حتى بلغت المأساة ذروتها عندما شرع فى الانتحار حزناً على ما وصل اليه حال الفن فى بلده ، وكيف ألقوا به فى زوايا الاهمال والنسيان والبطالة .. بينما هو الذى وضع اسم بلاده على خريطة السينما فى العالم من خلال أفلامه !!

لحظتها لم يستطع تحمل الكابوس الطويل للمذبحة التى تدور حوله ضد الثقافة الاصيلة .. ولذلك اختار الانتحار .. ولكن روحه لم تقبل هذا الضعف الانسانى .. وقاوم جسده الانتحار .. وعاش الرجل ليكمل الاسطورة الملحمية ، لحياة فنان يحمل كل الحب لبلاده وثقافتها الأصيلة .. بينما يرى كل ما حوله ، مشغولا فى سباق مادى محموم للتخلص من كل الجذور الروحية

انه رجل من الزمن القديم يطل علينا فجأة .. ليذكرنا بمعان وقيم كادت تتلاشى فى خضم الصراع المجنون من أجل الماديات !



براعة استخدام الألوان والعدسات فى التصوير كما تبدو فى هذه اللقطة البانوراما لساحة المعركة

سينما

آخر من تبقى من جيل العظماء في السينما

ولهذا كانت عودة هذا المخرج الى دائرة الضوء مفاجأة مدهشة ومثيرة .. أعادت للاذهان كل المعانى النبيلة .

ورغم مئات الأحداث الفنية .. وألوف الأفلام التى تحركت على شاشات السينما فى العالم .. يبقى هذا الفيلم «ظل المحارب» ، وهذا الرجل «أكيرا كيرا ساوا» .. كأهم حدث فنى عام ٨٠ .

الجذور

وهذا الفيلم .. هو الفيلم رقم (٢٧) فى قائمة أعماله السينمائية .. والتى بدأت عام ١٩٤٣ بأول فيلم طويل يخرجه .. وقد ظل فترة طويلة ، قبل أن تتاح له فرصة الاخراج ، يعمل كمساعد مخرج فى استوديوهات (ب . س . ل) التى أصبحت فيما بعد استوديوهات «توهو» الضخمة القوية .. واستمر يعمل كمساعد مخرج لسبع سنوات متواصلة ، وهو يقول عن تلك الفترة : «لم تكن المسألة سهلة .. فلكى تصبح مخرجاً فى اليابان ، لابد أن تقضى أعواماً طويلة فى العمل كمساعد مخرج» .

واذا عرفنا أن «اكيرا كيرا ساوا» ولد فى مارس ١٩١٠ .. فمعنى هذا أنه أخرج أول أفلامه الطويلة وعمره ٣٣ عاماً .. وحتى فيلمه الأخير «ظل المحارب» الذى عرض فى علم ٨٠ ، عاش حياة فنية مليئة بتجارب النجاح والفشل .. ولكن أهم ما يميز تلك الحياة ، هو الاصرار فى التعبير عن الثقافة الأصيلة والدفاع عن روح اليابان ..

فهو صاحب القول : (من أهم العناصر لصنع عمل شخصى ، أن تكون لديك الثقافة الخاصة ، وأن يكون لك جذور) .

الانتحار

ومن هنا يتوقف الكثير من المحللين لحادثة محاولة انتحار «أكيرا كيرا ساوا» بتمزيق شرايين يده عام ١٩٧١ .. ويرجعون السبب الحقيقى وراء هذه المحاولة ، بأنه لم يكن احساسه بالفشل لسقوط فيلمه «دود يسكادين» ــ عام ٦٩ ــ وهو أول فيلم ملون يخرجه وكان موضوعه عن الفقر والفقراء .. ولم يكن السبب أيضاً إنهيار الشركة السينمائية التى كونها مع ثلاثة مخرجين كبار من اليابان ، وكانت هذه الشركة تقوم على حماسهم فى انتاج الأفلام اليابانية الجادة .. ولكن الشركة تلقت أكبر ضربة بسقوط فيلم «دود يسكادين» وهو الفيلم الأول فى قائمة انتاج الشركة .. مما جعل شركاءه ينفضون عنه .. ويضمدون جراح خسائرهم !

لم يكن الفشل والسقوط .. أو البطالة والافلاس المادى .. هو السبب الحقيقى فى محاولة انتحاره ..

إنما كان السبب هو احساسه بالكارثة التى لحقت بالثقافة اليابانية الأصيلة ، وضياع روح اليابان .. وهو نفس السبب الذى من أجله انتحر الكاتب اليابانى الكبير «نيشيما» ، الذى اختار الانتحار بطريقة «الهارا ــ كيرى» احتجاجاً على سيادة قيم الاهتمام بالجمال الشكلى على حساب الأخلاقيات الأساسية !

ومما يؤكد على صحة هذا التحليل .. أن أفلام المخرج «كيرا ساوا» لا تلقى النجاح الملحوظ داخل اليابان ــ ونقصد هنا بالطبع النجاح التجارى ــ بينما تجد أفلامه ترحيباً بالغاً فى أوربا وأمريكا .. ويترقبها بشغف واهتمام كل المهتمين بالثقافة الأصيلة ، وكل نقاد السينما فى العالم ، وكل الدارسين لفن السينما وعشاقها !

وما حدث لجيل الشباب الجديد فى اليابان أنهم تأثروا الى حد بالغ بنوعية ما يقدمه التليفزيون وهجومه اليومى المتواصل .. بالاضافة الى تدفق الأفلام الأجنبية ــ الغربية بالذات ــ والتى تعزف على أوتار الاثارة والعنف والجنس .

وعملية «غسيل المخ» التى تتم بشكل دءوب ومكثف .. تستهدف أساساً تحويل الفرد من انسان متأمل ومفكر .. الى مجرد تابع فى قطيع يلهث فى دوامة العمل ، يستنزفه تماماً .. ولا يتبقى منه إلا البحث عن المتعة السريعة ، وما يشبع غرائزه ، وهذه محنة العالم فى العصر المادى الذى نعيشه الآن !



المخرج «كيرا ساوا» أثناء اخراج فيلمه الأخير .



لقطات من الفيلم .. توضح براعة المخرج

وربما لهذا السبب يقول المخرج «كيرا ساوا» عن فلسفة أفلامه :

(كل فيلم من أفلامى هو نتيجة لتجربة شخصية .. وانا أعتقد أن المخرج يصنع الأفلام لنفسه .. واذا قال انه يصنع الأفلام للجمهور ، فهو كاذب ! .. واذا كان الفيلم قد أعجب الجمهور ، والمخرج .. فهذا معناه انه والجمهور يتفقان فى



القائد القوى يجلس أمام قادة جيشه



المخرج «كيرا ساوا» أثناء تصوير الفيلم يلقى بتعليماته للمثل الأول .



القادة والجنود وملابس من القرن السادس عشر .

الأفكار .. فالمخرج لا يستطيع صنع فيلم يختلف عن أفكاره ومبادئه .. على الأقل اذا كان مخلصاً وصادقاً مع نفسه) !

زيارته لأمريكا

وبهذا المنطلق استمر المخرج «كيرا ساوا» طوال سنواته الأخيـــرة من ٧٠ ـ ٧٨ وهو لا يعمل شيئاً للسينما اليابانية .. ولم يخرج خلالها غير فيلم «درسو أوزالا» الذى أخرجه لحساب الاتحاد السوفيتى وصوره هناك عام ٧٥ .. ويفوز هذا الفيلم بالجائزة الكبرى لمهرجان موسكو ، وأيضاً بجائزة أوسكار أحسن فيلم أجنبى .. ورغم كل هذا النجاح الفنى الهائل ، لم تحاول السينما اليابانية أن تستفيد من عبقريتـــه وخبرته . ويقول هو عن هذه الفترة :

بعض الناس اعتبرونى كسولا .. أبداً .. فلم تتح لي فرصة للعمل .. هذا هو كل ما حدث .. ولم اكن مستعدا لفعل أى شىء بعد فيلم «درسوا أوزالا» .. عندما أعمل أكون سعيداً .. فالسـينما هى حياتى) .

وتشاء الصدف .. أن يذهــب الى الولايات المتحدة الامريكية عام ٧٨ لاستلام جائزة الأوسكار التى فاز بها عام ٧٦ ..لقد تأخر عامين عن استلامها .. ولكنه ما أن وضع قدمه على الأراضى الامريكية حتى وجد ترحيباً كبيراً .. وتحكى الكاتبة الأمريكية «أدى بول» والتى ألفت كتاباً عن مخرجى السينما اليابانية ، والتى كانت تقوم بتدريس «السينما اليابانية» فى جامعة هارفارد لمدة أربعة أعوام .. انها ما أن تلقت خبر وصول «كيرا ساوا» للولايات المتحدة .. حتى سارعت اليه .. فهو يعرفها منذ أن كانت فى زيارة لليابان تجمع المعلومات لكتابها .. ووضعت له برنامج لقاءات تعارف مع عدد من المخرجين الأمريكيين الشبان والذين يدينون له بوافر التقدير والاعجاب .. ويلتقى به فرنسيس كوبولا (مخرج فيلمى «الأب الروحى» ، ثم الفيلم العملاق «سفر الرؤيا الآن») .. ويلتقى به أيضاً جورج لوكاس (مخرج فيلم الكواكب) .. وتدور بينهم أحاديث طويلة عن الأفلام .. ويخبرهم «كيرا ساوا» عن مشاريعه التى تبدأ فى كتابة سيناريوهاتها ثم تعثر تنفيذها فى السينما اليابانية .. ويحكى عن آخر ما يفكر فيه .. سيناريو فيلم «ظل المحارب» .. ويستمعان اليه بالحب والدهشة .. كيف يلاقى أستاذهم كل هذه الصعوبات ؟ .. ويتبرعان بالاتصال باحدى شركات الانتــاج السينمائية الأمريكية لاقناعها بتمويل انتاج هذا الفيلم الذى يخرجه «كيرا ساوا» .. وينجحان فى اتمام المشروع .. ويتم الاتفاق على أن تقدم الشركة الأمريكية ٦,٥ مليون دولار مساهمة فى انتاج الفيلم .. على أن تتولى حق توزيع الفيلم فى العالم كله ـ ما عدا اليابان ـ .. وقبل كل من المخرجين فرنسيس كوبولا وجورج لوكاس أن يقوما بدور المنتج المنفذ بالنسبة للنسخة الانجليزية من الفيلم !

وهكذا بدأ العمل فى الفيلم مع بداية عام ٧٩ محاطاً بحملة دعاية هائلة ـ على

سينما

آخر من تبقى من جيل العظماء في السينما

الطريقة الأمريكية ـ شملت ، تنظيم رحلات للصحفيين والنقاد من أمريكا وأوربا لمشاهدة عملية تصوير الفيلم على الأراضى اليابانية .. وبدأت المقالات والتحقيقات تتوالى عن الفيلم قبل أن يعرض !

وفى مايو ۱۹۸۰ .. عرض الفيلم لأول مرة عالمياً داخل نطاق مهرجان «كان» السينمائى .. وقد تقدمت به اليابان فى المسابقة الرسمية للمهرجان .

وأحدث الفيلم هزة عنيفة ، انه ـ فعلا ـ فيلم جدير بالعبقرى «كيرا ساوا» .. ولا ينتهى الكلام عن الفيلم طوال المهرجان .. ولا يكاد يطغى عليه أى فيلم آخر .. وتاتى مسابقة المهرجان ليفوز الفيلم بالجائزة الكبرى مناصفة مع الفيلم الأمريكى «كل هذا الجاز» لمخرجه «بوب فوس» .. ولا ينتهى الكلام عن فيلم «كيرا ساوا» .. بل ليبدأ من جديد !! .. فكثير من النقاد الذين حضروا المهرجان ، غضبوا من نتيجة المسابقة ، واعتبروا أن هذا الفيلم يستحق الجائزة الكبرى بلا مشاركة من أى فيلم آخر ـ وقد كان هذا رأيى الشخصى أيضاً ـ .. وانتقل الفيلم للعرض العام فى أوربا وأمريكا .. وليستولى على مشاعر أغلب النقاد .. وعشاق السينما ..

● الانسان .. والحرب

وقصة فيلم «ظل المحارب» يأخذ فترة حقيقية من تاريخ اليابان .. ففى الربع الأخير من القرن السادس عشر كانت اليابان تعيش حالة حروب متصلة بين المقاطعات .. حيث تسعى كل مقاطعة بقيادة حاكمها ، وبقوة جيشها ، للاستيلاء على العاصمة «كيوتو» (وقد كانت كيوتو هى عاصمة اليابان فى ذلك الوقت) .

ويبنى الفيلم مادته على حادثة حقيقية فى تلك الفترة .. عندما أصيب قائد مقاطعة (كاى) فى احدى المعارك مع جيش المقاطعة الأخرى .. وكان هذا القائد المصاب رمزاً للقوة فى مقاطعته وبين أفراد جيشه .. ولهذا أطلقوا عليه : «انه سريع كالريح ، صامت كالغابة ، يحصد كالحريق ، ثابت كالجبل» .. ومن هنا كان لاصابته وقع خطير بين مجلس قيادة الجيش .. خصوصاً وأنه أصيب برصاصة (وقد كانت البنادق فى ذلك الوقت اختراعاً جديداً ومذهلا .. وقد بدأت تستخدمه المقاطعة الأخرى المتنافسة) .. وشعر القائد المصاب بأن نهايته وشيكة .. فاوصى قبل وفاته أن يتكتموا خبر وفاته لمدة ثلاث سنوات وأن يبحثوا عن بديل له ـ يشبهه فى الشكل ـ ويدربوه ليحل محله فى تحركاته بين صفوف جنوده لكى لا يشعروا بغيابه ، وحتى لا يفتر حماسهم .. وهكذا يتم اختيار هذا اللص التافه ، والذى يشبه القائد تماماً ، ليحل محله !





يرسم المخرج كل كادر من الفيلم قبل أن يصوره ، ولهذا تبدو النتيجة وكأنها لوحة فنية .

ويعالج المخرج «كيرا ساوا» فى سيناريو الفيلم الذى كتبه مع صديقه «ماسوتو ايدى» .. فكرة البديل ، ومأساة الانسان الذى يخلع شخصيته الحقيقية ليرتدى سمات شخص آخر ، ويتصرف فى حدود ما كان يفعله الشخص الآخر .. وعندما يخطىء البديل خطأ غير مقصود (كان يحاول فى لحظة نشوة وفرح ، ان يمتطى صهوة جواد القائد الحقيقى .. فيركله الجواد ويلقيه على الأرض .. وينكشف أمره .. ليجد نفسه فجأة مطروداً بعنف وقسوة .. يضربونه ويقذفونه بالحجارة .. ويتحول الجميع الى سياط تنهشه .. ويتحول هو الى شخص منبوذ لا يستحق حتى قطعة الثياب التى تغطى جسده) .. ما أسوأ المصير .. وما أبشع الحروب التى لا منطق لها ! .

وعلى مدى ثلاث ساعات ـ هى مدة عرض الفيلم ـ تتوالى مأساة الانسان والحرب كما أبدعها «كيرا ساوا» فى

فيلمه العظيم الذي استولى
على مشاعر النقاد في العالم كله

كل أعماله عبّرت عن شخصيته
وفلسفته واشتياقه لفهم العالم



المخرج يتحرك بين الجياد ليلقى بملحوظة فنية

صورة غنية أخاذه تتدفق بالحيوية ، والسخرية ، والقوة ، والجمال ..

قائد قوى مهاب .. وأخوة يتنازعون القيادة .. ولص تافه صعلوك يلبسونه ثياب القائد ويحل محله .. وجيوش تستعد .. ومعارك دامية .. وضحايا تتساقط .. ونهاية مفجعة تحصد كل جيش المقاطعة التى كانت قوية وشجاعة والتى لم تخسر معركة دخلتها .. ولكن القوة لا تدوم !!.

● المخرج وأسلوبه فى العمل

عندما سألوا المخرج «كيرا ساوا» عن الرسالة التى يريد أن يبلغها من خلال فيلمه .. أجاب : (أنا لا أستطيع تحديد هذا .. فكل أفلامى تعبر عن شخصيتى .. فلسفتى .. أفكارى .. ولكنها ليست رسالة محددة .. اننى أتوق لفهم العالم .. وتأمين المستقبل) .

وهذا الفيلم يشهد للمخرج «كيرا ساوا» ببراعته كرسام .. فقد صمم كل كادر من الفيلم قبل أن يصوره .. ودفع بالنبض والحرارة فى كل جزء من الكادر .. واستخدم تشكيلات اللون مراعياً كل جزئيات الصورة .

وقد كانت رحلته صعبة فى اختيار أماكن التصوير على الأرض اليابانية .. فهو يسعى الى مكان لا تقطعه هوائيات التليفزيون ، أو أعمدة الاضاءة .. مكان شاسع رحب يستطيع أن يحرك فيه ستمائة ممثل ، ومائتى جواد ! .

والمشكلة الكبرى كانت فى توفير هذا العدد من الجياد .. حيث أصبح من النادر الآن فى اليابان استخدام الجياد .. واذا أمكن توفير هذا العدد بصعوبة .. فان المشكلة تظل قائمة فى تدريبها واعدادها للقيام بدورها فى الفيلم ! .

وهكذا كانت مهمة المخرج «كيرا ساوا» وهو فى السبعين من عمره .. وكأنها مهمة إحياء زمن مضى بكل تفاصيله الدقيقة .. واجتاز المخرج العجوز الامتحان الصعب بنجاح باهر .. وهو يردد فى تواضع وأدب :

«أنا رجل من النوع الذى يضع عواطفه فى عمله .. أنا موجود فى كل شىء أفعله .. أعشق الصيف الحار ، والشتاء البارد ، وسقوط الأمطار والثلوج .. وأعتقد أن أفلامى تعكس هذا .. فأنا أعشق المسائل فى حدودها القصوى ، لأنها تعبر أكثر عن الحياة .. ولهذا أؤمن دائماً بأن الرجال الذين يتصرفون ويفكرون ليعبروا عن ذواتهم وحقيقتهم ، هم أفضل من الآخرين» ! .

والمخرج «كيرا ساوا» دخل فى تجارب كثيرة للوصول الى الحل الأمثل باستخدام عدسات التصوير البعيدة المدى .. واستخدام أكثر من كاميرا فى تصوير المعارك .. كما أنه أصبح خبيراً فى الصوت والموسيقى والمونتاج .. ومن عاداته الفنية المميزة أنه يقوم بمونتاج ما تم تصويره يوماً بيوم .

● استمرار الحلم

إنه مدرسة سينمائية قائمة بذاتها .. واذا كان تاريخه الفنى متوجاً بعدة لآلىء مميزة : (راشامون) عام ٥٠ — (الساموراى السبعة) عام ٥٤ — (عرش الدم) عام ٥٧ — (الغابة المختفية) عام ٥٨ — (المرتفع والمنخفض) عام ٦٣ — (اللحية الحمراء) عام ٦٥ .

فانه مازال يحلم باخراج تراجيديا شكسبير (الملك لير) .. ومازال فى جعبته عدد من الموضوعات المعاصرة .. ولا يعرف التوقف .. أو الاعتزال .. فهو كما يقول «السينما حياتى» ..

وبقدر ما أعطى للسينما .. بقدر ما أعطته السينما من تقدير واعجاب كل المفكرين والمثقفين وعشاق الفن الخالد .. ولقد استحق أن يطلق عليه بجدارة «آخر من تبقى من جيل العظماء فى السينما» !

رءوف توفيق

المسابقة

حل مسابقة
من . أين . ما ؟
العدد «٦١»

من : سنمار
أين : الكوفة
ما : تلوث البيئة

١ ـ ٧١١
٢ ـ الدوحة ـ الحديدة ـ الخرطوم ـ السلوم ـ نواكشوط .
٣ ـ وحين مدحتك اجتزت السحابا ـ نهج البرده لأمير الشعراء أحمد شوقى .
٤ ـ الحوارق : النابالم .
شديدة الانفجار : الهاون ـ أر بى جى ـ الهاوتز ـ الميلز ـ التيلر .
الرشاشات : البرن ـ الاستن ـ العوزى .
٥ ـ ١٩٤٨ .
٦ ـ لا ليست صحيحة علمياً لأن العاج من عظام أسنان حيوان الفيل وليست شجراً ينبت .
٧ ـ الجورى .
٨ ـ الايريديوم ـ الاوزميوم .
٩ ـ عمر بن الخطاب .
١٠ ـ سوريا .

من ـ أين ـ ما؟



● من :
ملك من الفرنجة حاول غزو مصر فهزمه المسلمون شر هزيمة وأسروه وحبسوه فى دار ابن لقمان ، اسمه من أربعة أحرف :
٣ ـ ت ـ ٤ ـ ٢ ـ ١ يستجدى .

● أين : ـ
بلدة عربية سميت بمناسبة هزيمة ذلك الملك . اسمها من ثمانية أحرف :
٣ ـ ٤ ـ ١ ـ ٧ ـ ٨ مكان ضوء
٢ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٥ جمع سارق .

● ما : ـ
الشىء الذى طور المسلمون صناعته تطويراً نمطياً نفع الحضارة الانسانية ، وهو صلة بين الكاتب والقارىء . اسمه من خمسة أحرف :
٥ ـ ١ ـ ٤ مادة فى البترول والفحم .
١ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ اسم قديم للبحرين .

الجواب الصحيح



١ ـ توجد بلدة باسم العريش فى كل من : شبه جزيرة الملايو ـ شبه جزيرة سينا ـ شبه جزيرة قطر .
٢ ـ «يبيض الخفاش فى الأسبوع الثانى من ديسمبر كل عامين» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟
٣ ـ دخل الجنرال اللنبى القدس ، معطياً لبريطانيا العظمى آنذاك فرصة التمكين للصهيونية العالمية من فلسطين أرض المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى ومهد المسيح عليه السلام فى سنة : ـ ١٨١٥ ـ ١٩١٧ ـ ١٩٢٥ .
٤ ـ مؤلف كتب الرياضيات العليا المشهور باسم القانون المسعودى هو العالم المسلم العظيم :
ابن سينا ـ البيرونى ـ الخوارزمى .
٥ ـ آلة ضبط الوقت باستخدام اتجاه الظل كانت تسمى :
الاصطرلاب ـ المزولة ـ القامة .
٦ ـ (من يهن يسهل الهوان عليه) أكمل البيت وانسبه لقائله .
٧ ـ وزير الخارجية الأمريكى الأسبق اليهودى هنرى كيسنجر من أصل : ـ بولندى ـ المانى ـ روسى .
٨ ـ ثلاثة من المعادن التالية من خامات النحاس : ـ
الهيماتيت ـ الزنجفر ـ الملاخايت ـ الكوبرايت ـ الكرايزوكولا ـ الجالينا .
٩ ـ الربابة وهى الآلة الموسيقية فى عموم البوادى العربية لها :
وتر واحد ـ ثلاثة أوتار ـ سبعة أوتار .
١٠ ـ اشتهر جنوب الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ بانتاج :
البخور والمر ـ العاج والابنوس ـ الزنجبيل والعرقسوس .

الفائزون بنتيجة مسابقة شهر يناير "العدد ٦١"

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء محمد عيد الدوسرى ـ البحرين .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : ميرفت حسين ـ العريش .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء السيد محمد مراد ـ الكويت .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ كمال محمد شعبه ـ السعودية
٢ ـ أحمد حسين عفانى ـ السعودية
٣ ـ ابراهيم السيد حسن ـ القاهرة
٤ ـ على عبد الكريم رمضان ـ البحرين
٥ ـ ياسرة روحى منصور ـ الكويت
٦ ـ حسين حسن أبو عواد ـ الأردن
٧ ـ صلاح الدين عبد العزيز ـ القاهرة
٨ ـ عبد الله أبو شقير ـ سوريا
٩ ـ فاتن محمد الشوا ـ الأردن
١٠ ـ سالم آدم سليمان ـ السودان
١١ ـ حمدى الكاشف ـ العريش/سيناء
١٢ ـ مى يوسف تميم ـ سوريا

كلمات لها معنى!

● لا تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك .. فان الأذواق تختلف .

● قيل لبعض الحكماء : من أذل الناس ؟

قال : عالم يجرى عليه حكم جاهل .

● ما من شجرة تحمل الأرز مطبوخاً

● حين تفقد كل شيء ، لا تيأس ، فمازال أمامك المستقبل .

● إن العالم لم يزدد سوءاً فى الواقع ولكن تغطية الأخبار هى التى تحسنت كثيراً .

● اننى أؤمن بفضيلة الصمت ، حتى اننى أستطيع أن اتحدث عنها ساعات كثيرة .

● قيل لحكيم أى قرائك أحب اليك ؟ فقال : «من يقرأ مخلصا ، وينقد متجرداً ، ويعلن الرأى صريحاً لا يصانع فيه ولا يلتوى به» .

● قيل لعمر بن العلاء : «هل يحسن بالمسن أن يتعلم ؟» .. قال : «إن كان يحسن به أن يعيش يحسن به أن يتعلم» .

● قيل لأبى بكر الخوارزمى عند موته ... ما تشتهى : قال : «النظر فى حواشى الكتب» .

حسن بابكر طيفور ـ السودان

أضخم شجرة في العالم



سمعت أن أضخم شجرة فى العالم هى الشجرة العملاقة التى توجد فى كاليفورنيا فى الولايات المتحدة الأمريكية والتى يسمونها (الجنرال شومان) ، تبلغ هذه الشجرة من الارتفاع ٩١ متراً أى أكثر من نصف ارتفاع هرم الجيزة (نحو ١٤٥ متراً) وهى تبلغ من العمر ما بين ٣٥٠٠ سنة و ٤٠٠٠ سنة ويعنى هذا الكلام أن الشجرة عاصرت توت عنخ آمون وعاصرت أيضاً الحياة المعاصرة والاكتشافات الحديثة .

سهاد قواسمة ـ الأردن

مدرسة الدرافيل

فى جزر هاواى ـ بالمحيط الهادى ـ توجد اغرب مدرسة فى العالم ، فتلاميذها هم الدرافيل الذين يتلقون دروسهم فى البحر ومدرسوها يستعينون بحاسب الكترونى يستخدم لغة صناعية جديدة تتيح التفاهم بين المدرسين من البشر وبين التلاميذ من حيوانات الدرفيل .

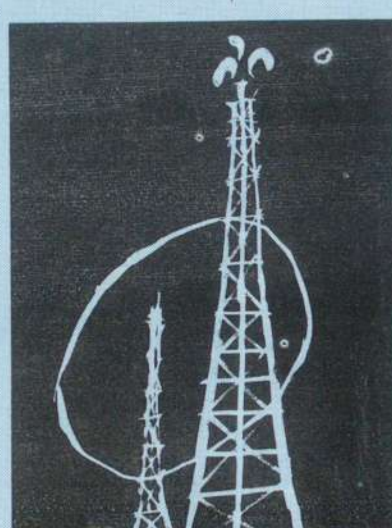
ومن المعروف أن حيوان الدرفيل هو اذكى الحيوانات البحرية على الاطلاق ويتمتع بامكانات عقلية ممتازة جعلته محط انظار الباحثين باستمرار .

والهدف من اقامة هذه المدرسة هو محاولة اجراء الاتصال والحوار بين الانسان والدرفيل ثم تسخير ذكاء هذا الحيوان بعد ذلك لتحقيق اهداف معينة .

أما الدراسة نفسها فتتم عن طريق الحاسب الالكترونى الذى يطلق اصواتا معينه داخل المياه ويصاحبها ظهور اشياء مختلفة مثل الكرة أو الطوق وغير ذلك من الأشياء وبتكرار هذه العملية امكن للدرافيل تفهم الكثير من دلالات الاصوات والرموز .

مهندس بحرى أحمد حسن الحسينى
بورسعيد ج.م.ع.

علّم الإنسان ما لم يعلم



كان من أبرز ما تحقق فى هذا القرن العشرين التقدم الهائل فى مجال الطاقة التى تعتبر المحرك الأساسى فى هذا العصر ، سواء كانت هذه الطاقة بترولية أو كهربائية أو نووية أو شمسية أو غيرها ، كما استقبلت المصانع المزيد من المخترعات والآلات التى ساعدت على سرعة الانتاج وزيادة كميته وجودته ، وانتشرت عملية الميكنة الزراعية حرثا وزراعة وحصاداً ورياً ، الأمر الذى ساعد على اتساع الرقعة الزراعية فى العالم حتى تستطيع أن تواجه حاجة السكان الذين يتزايدون ، وتوفر لهم ما يحتاجون اليه من منتجات غذائية وصناعية .

كذلك التقدم الهائل فى مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية حيث يتم استخدام الأقمار الصناعية فى ربط العالم بشبكة هائلة تنقل كل ما يدور على الهواء مباشرة فتستقبله الأجهزة الالكترونية على شاشاتها لنشاهدها ونحن فى بيوتنا . هذا الى جانب التقدم فى وسائل المواصلات برا وبحرا وجوا .

ومن أهم منجزات هذا القرن ارتياد الفضاء وتطوير الانسان الآلى والكمبيوتر الذى قام بأعمال تشبه المعجزات فى البحوث الفضائية وغيرها .

كما لعبت هذه المخترعات المختلفة دوراً هاماً فى الطب فساهمت فى اكتشاف العديد من الأمراض المستعصية وحددت أسبابها وكيفية علاجها ومازال علماء هذا القرن عاكفون فى معاملهم يبحثون فى أعماق كل مشكلة تواجه عصرنا ليزيدوا من سعادة البشرية وهنائها .

عايدة احمد فهمى والى
العريش ـ شمال سيناء

حـــاول أن تعــرفــ •••



هذا القصر العريق

هذا القصر فى عاصمة اشتهرت بعراقتها ، بناه جيش من ٣٦ ألف صانع وتعرض لعدوان اجرامى فى عام ١٩٧٨ دمر فيه بعض القاعات الفنية والأثرية .. هل يمكنك التعرف عليه ؟



لاعب السيف

لاعب السيف بزيه الشعبى فى دولة اسلامية فى قارة آسيا .. ما اسم الدولة ؟

حـل مسابقـة حـاول أن تعـرف "العدد ٦١"

الصومال وعاصمتها مقديشيو والاستقلال فى عام ١٩٦٠ ● الصورة الثانية : جزيرة (مان أواركى أباكو) جزر الباهاما





١ ــ احمد محمد كشكش ــ البيضاء ــ الجماهيرية الليبية ــ ص . ب (٨)

٢ ــ أكرم محمد عبد السلام ــ الأردن ــ عمان ــ ص . ب (٦٣٥)

١ ــ مها ناجح البسطامى ــ الدوحة ــ قطر ص . ب (٨٠)

٢ ــ عادل صالح سعيد ــ القاهرة ــ منيل الروضة ــ ص . ب (٨١)

عــن الخطــأ

● الانسان مطبوع على الخطأ ، ولكن الأغبياء مطبوعون على التمسك به .

● من يحتج على الخطأ يتقرب من أولئك الذين يؤمنون بالحقيقة .

● بينما تستعد الحقيقة للظهور وتكاد تلامس أقدامها الأرض ، تكون الأكاذيب قد قطعت نصف العالم .

● الأخطاء تطفو كالقش على سطح الماء ، فمن يرغب فى اللؤلؤ يجب أن يغوص الى القاع .

● بعض الناس يدافعون عن أخطائهم كما يذودون عن ميراثهم .

مريم خليل عثمان ــ السودان

لقطة الشهر



استراحة المحارب

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارئة ميرفت احمد علي – القاهرة .

كاريكاتير وتعليق «العدد ٦١»



– إنه لا يريد أن يراه
محمد صفوت – ٤ عمر بن الخطاب – الهرم – ج . م . ع .

– لماذا لم يتحرك الأسد ؟
– لأنه غير مقتنع بالمدرب !
عبد الرحمن شريف الأنصارى
صيدا – لبنان

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

الورقة الأخيرة

فـــــؤاد قنـــديـــل

العصفور والريح

طائراً كان
صغيراً وجميلا .. يجتهد أن
يستنقذ من الريح بعض القش
كلما جمع قشة اختطفها الريح
ودومها فى دواماتها

ويمضى فى إثرها الطائــــر ، يضرب جناحيه بحماس والريح لا تهمد . لحال سعى الطائر الى أن بدأ التعب ينهش فيه ، والأنفاس تتراجع ثقيلة الخطو شرعت حركته تخفت رويداً .. رويداً . وأخيراً .. سقط الطائر .. صغيراً وجميلا كان .

* * *

تمنيت قدحاً من الشاى وأنا منجذب الى احدى «صوناتات» البيانو لبيتهوفن
الأنغام تترى فى ايقاعــات سريعة مضطربة كاهتزاز المرتعد
اللحن يتدفق بلا رتابة
تمنيت قدحاً من الشاى .. البرد شديد جمد أصابعى . أقعدنى . لزمت الفراش .

لكنى مع اللحن العذب نسيت البرد تغلغلت فى جسدى الأنغام . تسربت كالدفء . كالاطمئنان . كالحب وتغلغلت فيها . نفذت . ذبت . تلاشيت وإتحدت .
رأيت على الجدار صورة الطائر المناضل صغيراً وجميلا كان
الايقاع الموسيقى يرسم بكل نغمة جزءاً من ملامح الطائر الصغير .. أجنحته المتوترة . منقاره النشيط . دوامات الريح
تنبهت أن أخى يقول :
ألا تسمعنى .. هل أصنع لك قدحاً من الشاى ؟
أشرت اليه بسبابتى رافضاً
إذن فقد جاء أخى ولم أحس به ، وألح على فى قدح من الشاى .
لماذا تمدد الطائر هكذا وتفتت .. يا أسفى سقط الطائر ..
صغيراً وجميلا كان .

* * *

دقات واهنة تتسلل من خلف البعد من وراء القدرة البشرية على الانصات تشير الى أنفاس الطائر ونبض قلبه إنه مازال حياً
إنتظرت أن يهم من مرقده ، أن يرفع رأسه أو يتألم . أو .. أو يموت أبداً .. ظلت أنفاسه بين بين ، تتمسك بالخيط الدنيوى العجيب .. تهمس وتعترف بالعجز .

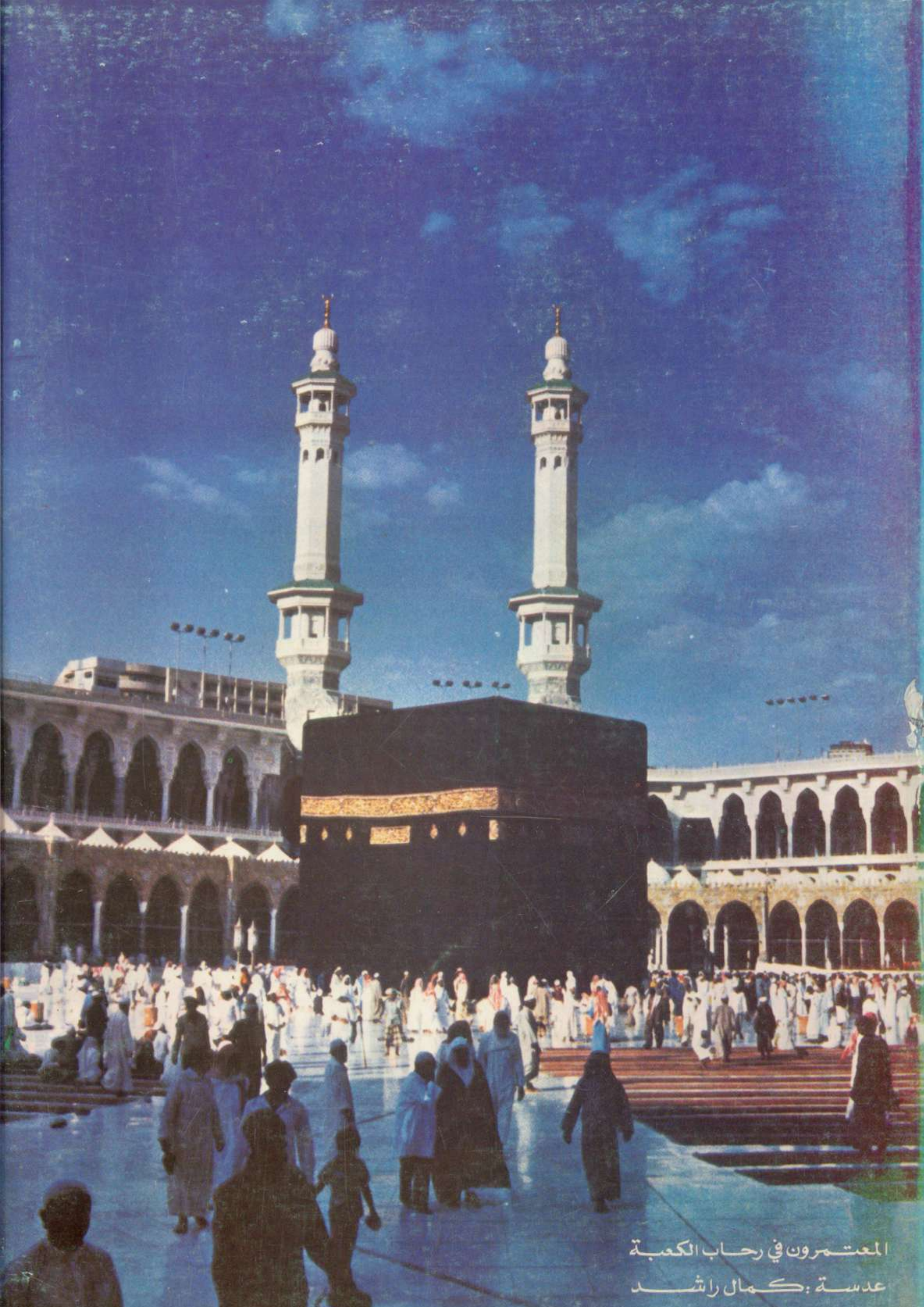
متحفزاً بقيت أرقب حالته
تعالت الأنغام رويداً .. رويداً
بعينى أستمع اليها على الجدار
نهض الطائر فجأة
بعينى على الجدار أراه ، تحمله الأنغام المتصاعدة

ثابتاً وقف على قدميه
تعالى النغم فى نقر سريع
اقبل الطائر يجمع القش بجناحيه ، وقدميه ومنقاره . بكل شىء
إمتلأ فمه بالقش . تقدمت منه الريح تزوم وتعوى . صعد الطائر من بين يديها الى الفضاء . إنطلق إلى عشه الشتائى الجديد
مازال النغم يرسم الصورة بحنكة وإتقان
وضع الطائر فى عشه الحمولة
آب ليجمع غيرها
هدأ اللحن
تعلق الطائر بغصن شجرة يرقب الريح الحائرة
حشد عزمه ، صلب عوده وزكى حماسه واندفع يجمع القش من جديد
ومع كل قشة ينفعل النغم ويتوتر تزداد الهجمات وتعلو النقرات ، وتقوى إرادة العصفور فيجمع ويجمع ، ينقض وينقض والريح تدور حوله متعثرة وحين إمتلأ بالقش فمه صعد الى الفضاء وانطلق الى العش .
كنت أرى الطائر بأذنى على الجدار يبنى عشه ويسويه
تتوالى حركاته فى رقة ووقع حنون .. يجرب فى العش صدره ، يقيسه على جناحيه

يقف فيه ثم ينام . يشرئب بعنقه يبسطه الى أقصى مداه
هل ثمة خطر ؟
يمكن فى عشه الجديد أن يكون فريسة ما هو بالضبط الخطر المنتظر ومن أين ؟
نهض .. مسح الفضاء والاغصان بنظراته من أسفله ومن أعلاه . كل شىء تمام فى أمان . حط الطائر ونام .
هدأ اللحن .. دقات واهنة تشى بتردد الأنفاس وسلامة الصدر المطمئن
وانتهت الصوناتا .
سكنت أصابع بيتهوفن فوق المفاتيح وسقطت فى الفراش . نفذت فيه .
عينى على الجدار تستعيد وتستعيد قصة الطائر والريح

فؤاد قنديل


PEPSI



المعتمرون في رحاب الكعبة
عدسة : كمال راشد

السنة السادسة العدد ٦٤ ـ جمادى الآخر ١٤٠١ هـ ـ ابريل ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



كتاب الشهر:
أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز؟

المعركة بين:
القبعة والطربوش
أنور الجندي

انتقام الأطباء
د. عبد السلام العجيلي

الصيد بالصقور
أفضل رياضة عند العرب


MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر
العدد ٦٤ أبريل ١٩٨١

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الأردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
السودان ٢٠٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم

باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

الاشتراكات :
داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الاعلانات :
يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص.ب - ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقى :
المجلة : الدوحة .
تلكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى :
٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

في هذا العدد

كلمة

مركز التراث والأسبوع السوداني في الدوحة

كان اجتماع وزراء إعلام الخليج فى مسقط فى الشهر الماضى خطوة أخرى طيبة من خطوات التقريب والتوحيد بين أبناء الخليج ، وقد نجح هذا المؤتمر بما أثاره من قضايا وما أصدره من قرارات ، وكان من أهم قرارات هذا المؤتمر ذلك القرار الخاص بانشاء «مركز التراث والفنون الشعبية فى الخليج» ، وقد تقرر أن تكون «الدوحة» مقراً لهذا المركز .

ولا شك أن انشاء مثل هذا المركز يعتبر خطوة ثقافية وحضارية بالغة الأهمية فان جمع التراث الخليجى من أدب ورسم وآثار فكرية وأزياء وتسجيل للعادات والتقاليد ، كلها من الأمور الضرورية الواجبة ، والتى آن الأوان ، لأبناء الخليج أن يحملوا عبئها ، ويؤدوا واجبهم نحوها ، وخاصة فى هذه الفترة التى ينهضون فيها ويسجلون خطوات واسعة فى مجال التقدم .

وعرب الخليج لهم تراثهم الحى ، الذى ينبغى ألا يضيع مع الأيام أو يتبعثر مع ذرات الرمال فى الصحراء ، فالتراث عنصر هام من عناصر الشخصية القومية خاصة إذا كان تراثاً غنياً بأدبه وفنونه وتجاربه الواسعة ، كما هو الأمر فى منطقة الخليج ، ومن ناحية أخرى فان هذا التراث على قيمته الثقافية والحضارية يمثل رداً على الهجوم الاعلامى الموجه الى منطقة الخليج على الساحة الدولية من أعداء لنا كثيرين ، يريدون أن يأكلوا خبزنا وثروتنا ثم يعلنوا فى نفس الوقت أننا شعب متخلف لا يستحق الحياة !!

ويوم أن يظهر مركز التراث الخليجى فاننا نستطيع أن نقول بهدوء لهؤلاء جميعاً : أين كنتم يوم كانت لنا حضارتنا وفكرنا وثقافتنا ، وجهادنا فوق الأرض وفوق مياه المحيطات والبحار ، من أجل نقل العلم والنور والحضارة والقيم الانسانية والتجارة بين شتى شعوب الأرض ؟!

ولا شك أن اختيار الدوحة كمقر أساسى لاقامة مركز التراث هو تكريم لهذه العاصمة التى أصبحت ميداناً للنشاط الاعلامى والثقافى فى منطقة الخليج بل فى العالم العربى كله فهذه العاصمة هى المدينة الطيبة التى تفتح صدرها للمؤتمرات العلمية والندوات الثقافية ومحاضرات العلماء ولقاءات المفكرين والكتاب من كل أنحاء الأرض العربية ، وهى المدينة التى تنهض وتتطلع الى المساهمة الجدية الصادقة فى النشاط العربى والحضارى العام ، ومن هنا كان تكريماً لمدينة الدوحة أن تكون مقراً لمركز التراث الخليجى وكان ذلك أيضاً تكريماً لوفد قطر الذى شارك بجدية ونشاط ووعى برئاسة السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام فى أعمال مؤتمر وزراء إعلام الخليج .

● ● ●

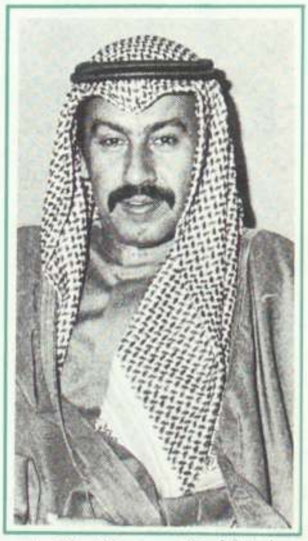
وعلى رأس النشاطات الثقافية التى شهدتها الدوحة فى الشهر الماضى كان الأسبوع الثقافى السودانى ، وفى هذا الأسبوع الذى استضافته الدوحة وفتحت صدرها له ، قدم «السودان» .. هذا البلد العربى الكريم الطيب المبدع ، ألواناً من الفكر والفن رائعة ومثيرة للاعجاب والتقدير ، وكان على رأس ما قدمه الأسبوع الثقافى السودانى فى الدوحة ، تلك المحاضرة التى ألقاها العالم الكبير والأديب اللامع الدكتور عبد الله الطيب ، فقد كانت هذه المحاضرة مثالا نادراً لغزارة العلم ، وقوة الاستنتاج والابداع الفكرى ، وحسن الأداء والقدرة على السيطرة على جمهور المستمعين ، مما أعاد الى الذاكرة أيام المجد الأدبى العربى عندما كان طه حسين يلقى محاضراته فى قاعات كلية الآداب بجامعة القاهرة فيسعى الى هذه المحاضرات الآلاف متلهفين لسماعها ، بعضهم يحب سماع الشعر بصوت طه حسين ، وبعضهم يفتح عقله وقلبه لآرائه الجديدة الجريئة ، فيوافق عليها أو يعارضها ، وبعضهم يتعلق بالفيض الثقافى الغزير الذى يتدفق فى سهولة ويسر من عقل طه حسين ، بصوته المعبر العميق .

لقد كانت محاضرة عبد الله الطيب فى جامعة قطر بالدوحة لمحة من لمحات تلك الأيام الغالية من عصر طه حسين . وفى هذا الأسبوع الثقافى التقت الدوحة بالشاعر المبدع الكبير محمد المهدى المجذوب الذى يعتبر واحداً من أعلام الشعر العربى المعاصر ، وكانت أمسيته الشعرية ، أمسية رائعة بكل معانى الكلمة ... وقد خرج الكثيرون من هذه الأمسية يتساءلون : أين دواوين المجذوب ، ولماذا هى بعيدة عن متناول الأيدى وفيها كل هذا الفن الرفيع ؟!

أما بقية ليالى الأسبوع الثقافى السودانى فى الدوحة ، فقد تألقت فيها الفرقة الشعبية السودانية ، ومعرض الفنون التشكيلية ، وكان الأسبوع إجمالا يقول للجميع : إن فى السودان فناً وإبداعاً فكرياً ونشاطاً ثقافياً بالغ العمق والقيمة .. ولكن هذا الكنز العربى السودانى بحاجة ماسة الى من يسلط عليه الضوء ، ويخرج به الى دنيا العرب الواسعة ، بنفس الطريقة التى ظهر بها فى مدينة الدوحة .

هذا بعض ما شهدته «الدوحة» وما حققته من انجازات فى الشهر الماضى .. ومازالت الدوحة على الطريق نحو المزيد من الحيوية الثقافية والنشاط الفكرى الواسع .

الدوحة



سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى



د. عبد الله الطيب



محمد المهدى المجذوب

د . علي خليفة الكواري

كيف نواجه أخطار المستقبل في الجزيرة والخليج ؟

فى الجزيرة والخليج فرص واسعة للاستثمار الصناعى . وهذه الفرص هى التى تستطيع أن تعطينا كل القدرة على مواجهة احتمالات المستقبل وأخطاره .

يتوفر للمنطقة عدد من الفرص الاستثمارية التى ينبغى اغتنامها والاستفادة من وجودها باقصى سرعة ودرجة ممكنتين .وتتمثل هذه الفرص فى المشروعات الاقتصادية كبيرة الحجم والمتقدمة تقنياً وادارياً ، والتى تتمتع فيها المنطقة بميزة نسبية ، وتحتاجها لسد احتياجاتها المحلية ، ولأجل خلق قطاعات انتاجية جديدة لازمة لاصلاح الخلل الرئيسى فى اقتصادها ، والذى لا يكفى لاصلاحه ، ترشيد طرق الانتاج فى الوحدات الانتاجية القائمة ، وإنما يتطلب انشاء أنشطة انتاجية جديدة بالكامل ، سواء أكان ذلك فى قطاعات الصناعات التحويلية ، أو الصناعات الاستخراجية غير النفطية ، أو فى قطاع الاستثمار الخارجى ، أو غير ذلك من مجالات الانتاج الممكنة . وبما أن مرتكزات القاعدة الانتاجية للمنطقة تعتمد اعتماداً ـ شبه مطلق ـ على انتاج النفط الخام وتصديره ، فان حكومات المنطقة ليس لها خيار سوى المبادرة الى انشاء المشروعات الاقتصادية مباشرة . حيث أن هذه المشروعات هى أساس الهيكل الانتاجى المباشر ، كما أن أهميتها لا تقل عن أهمية مشروعات البنية الأساسية . وبالتالى فان على المنطقة أن تسرع بالتوجه الى انشاء المشروعات الانتاجية المتاحة لها ، بالحجم الذى يتناسب مع قدرتها ، وبالسرعة اللازمة لامتصاص أكبر نسبة من الأرصدة النقدية المتاحة .

وتتمثل فرص الاستثمار المتاحة للمنطقة ، والتى يعجز القطاع الخاص عن القيام بها ، فى ثلاثة قطاعات رئيسية هى : قطاع الصناعة التحويلية الموجهة للتصدير ـ قطاع الاستثمارات الخارجية ـ قطاع مشروعات بدائل الاستيراد .

ولكى تتضح معالم الصورة فيما يتعلق بهذه القطاعات ، فاننا سنحاول إلقاء الضوء على جدوى كل قطاع منها :

قطاع الصناعات التحويلية الموجهة للتصدير

إن للصناعات التحويلية الثقيلة التى تتوفر للمنطقة ميزة نسبية فى انتاجها ، ترتكز ـ بشكل أساسى ـ على أمرين : استخدام الغاز الطبيعى وتوفر القدرة على التمويل . وذلك لأنها تتطلب أن يكون رأس المال كثيفاً . وهى صناعات تستخدم أحدث أساليب التقنية الحديثة وتكون فى مراحلها الأولى موجهة للتصدير ، ثم تتحول تدريجياً الى التكامل التحتى بتشجيع قيام العديد من الصناعات المستخدمة لمنتجاتها اقليمياً وعربياً .

وهذه الصناعات هى ـ فى الحقيقة ـ الوسيلة التى تجتاز بها المنطقة مرحلة الاعتماد على تصدير الزيت الخام الى مرحلة تنوع مصادر الانتاج وزيادة مساهمة الصناعات التحويلية . والغرض منها ، الى جانب كونه مالياً واقتصادياً ، يتمثل فى استيعاب التقنية والفن الادارى والقدرة على استنباطها ، وذلك من خلال التركيز على عمل مواطنى المنطقة فى هذه الصناعات ـ وليس على استيراد الأيدى العاملة ـ مما يؤدى الى القضاء على البطالة المقنعة والبطالة المرفهة فى المجتمع .

وتشمل هذه الصناعات ـ وفقاً لما تبرزه الدراسات الاقتصادية الحالية ـ صناعة التكرير والأسمدة الكيماوية والبتروكيماويات الأساسية مثل الاثلين والميثانول والبروبلين والبيوتادين والجيل الثانى من المنتجات التى يمكن اشتقاقها من هذه الصناعات . (١) فضلا عن بعض الصناعات المعدنية التى تشكل الطاقة جزءاً كبيراً من تكلفتها مثل صناعة الألمونيوم والحديد والنحاس .

ولحسن حظ المنطقة فانها تتمتع بميزة نسبية فى انتاج البتروكيماويات الأساسية ، كما أنها لم ترتبط ـ بعد ـ بالتزام تصدير غازها الطبيعى الى الاسواق العالمية ، وهذا ما يتيح لها فرصة توطين الصناعات البتروكيماوية فيها . بما ينسجم مع مقتضيات النظام الاقتصادى الجديد ، ومطالبة دول العالم الثالث بدعم انتاجها وصادراتها من الصناعة التحويلية .

وقد اثبتت الدراسات توفر هذه الميزة النسبية ، فى مجال الاسمدة الكيماوية والمنتجات البتروكيماوية الأساسية ، حيث تقل تكلفة انتاج ا لمنطقة عن تكلفة الانتاج فى كل الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والمانيا الغربية ، بنسبة قد تصل أحياناً الى النصف (٢) هذا مع العلم بأن الزيادة فى الطلب العالمى فيما يتعلق بهذه المنتجات سيتضاعف عام ١٩٨٧ مقارنة بعام ١٩٧٧ (٣) فى الوقت الذى لم يتجاوز فيه انتاج الوطن العربى عام ١٩٧٧م من الاسمدة الكيماوية ٠٫٠٣٪ من الانتاج العالمى . (٤) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الصناعات تتطلب حجماً ضخماً من الاستثمارات لكى يتسنى لها أن تقوم ، حيث يصل متوسط حجم الاستثمار الى حوالى ٣٠٠ مليون دولار فى المتوسط للمشروع الواحد ، فضلا عن الخبرة الادارية والتقنية والاستثمارية اللازمة لانشائها تعد «فوق قدرة القطاع الخاص» .

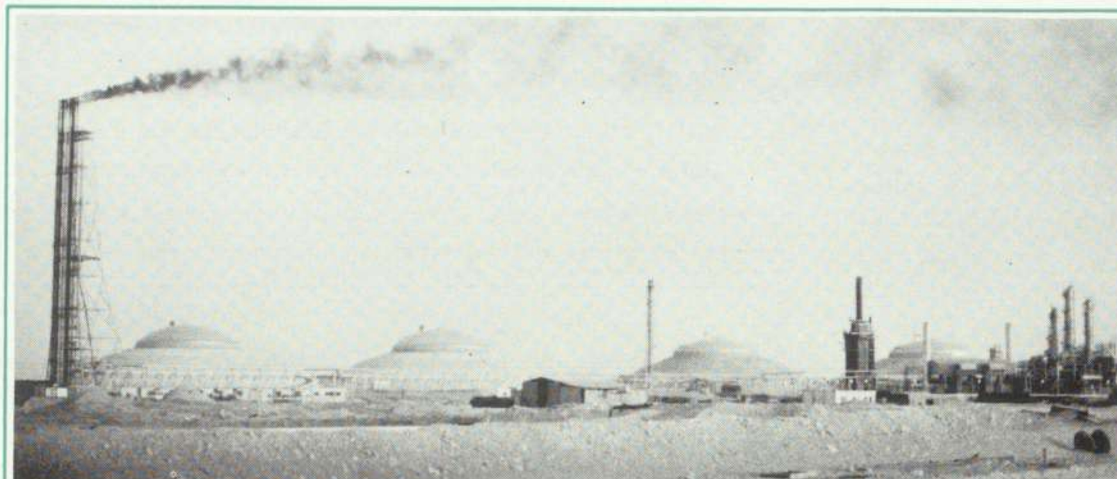
ومما يجدر ذكره أيضاً أن الدولة تمتلك الطاقة والمواد الخام اللازمة لأى منها . الى جانب وجود أهداف وطنية لديها ، تتعلق بخلق قطاعات منتجة ومراكز يتم من خلالها توفير عمالة منتجة للمواطنين واستيعاب التقنية .

من هذا المنطلق فان تفوق القطاع العام على القطاع الخاص والتزامه ، تصبح له اسباب موضوعية ، تحتم قيامه بمبادرة جادة فى مجال انشاء الصناعات التحويلية الثقيلة الموجهة للتصدير .

قطـاع الاستثمارات الخارجية

نتيجة للتدفقات النقدية المتزايدة على دول المنطقة ، بشكل يفوق قدرتها الانتاجية والاستهلاكية على الامتصاص ـ تكونت لديها أرصدة نقدية ضخمة ، قدرها الدكتور عوده أبو رديني ـ الخبير فى صندوق النقد العربى بمبلغ ثمانية وتسعين بليون دولار فى نهاية عام ١٩٧٧ م . بينما لم تتجاوز خمسة بلايين ونصف بليون دولار فى نهاية ١٩٧٢م . كما أشار هذا الخبير الى انخفاض معدل دخل هذه الاستثمارات فى الخارج عام ١٩٧٧ م الى حوالى ٧٫٥٪ ، بعد أن كان حوالى ١١٪ عام ١٩٧٢ (٥) ، هذا ، بالرغم من ارتفاع معدل التضخم فى عام ١٩٧٧ م عن المستوى الذى كان عليه عام ١٩٧٢ م وعام ١٩٨٠ م ، فان بلوغ هذه الفوائض ٢٠٠ بليون دولار فى نهاية ١٩٨٠ م يصبح أمراً محتملا جداً .

وبذلك تواجه دول المنطقة تحدياً من نوع جديد بعد أن وجدت نفسها ـ دون سابق تخطيط أو تصور ـ من أكبر أصحاب الأرصدة المالية المستثمرة خارج حدودها ، وبحكم ضعف القوة السياسية لهذه الدول ، فضلا عن ضعف القدرة الادارية اللازمة لاستثمار أرصدة بهذا الحجم فى سوق عالميـــة تتصف بالاضطراب المالى والمخاطر السياسية ، فان هذا الوضع يعد وضعاً فريداً فى نوعه . فمن المعروف أن من يمتلك المال الفائض عن الاحتياجات المحلية ، هو الذى يملك القوة السياسية ، الى جانب امتلاكه المعرفة والخبرة اللازمة لتأمين وحماية الاستثمارات الخارجية . لذا اقترنت ا ستثمارات دولة ما فى دولة أخرى ، بتفوق الأولى على الثانية فى أغلب الأحوال ، سواء أكان ذلك من الناحية السياسية والادارية أو من الناحية الادارية والخبرة الاستثمارية . ومن الواضح أن هذه الأمور لا تتحقق



الصناعات التى ترتكز على استخدام الغاز الطبيعى فى الخليج .

كيف نواجه أخطار المستقبل في الجزيرة والخليج ؟

لدول المنطقة ، بل ان العكس أقرب الى الصحة . وهذا ما يخلق تحدياً لابد من مواجهته .

ومواجهة هذا التحدى تتطلب الاهتمام بتحديد طبيعة هذه الفوائض ، وما اذا كانت تمثل احتياطيات جارية مؤقتة ، أم أنها تمثل رأسمال سيوجه للاستثمار فى الخارج ، لحين توفر فرص استثمارية معقولة فى الداخل . ولقد تباينت دول المنطقة وتأرجحت فى نظرتها الى عائدات النفط التى لم يتم انفاقها . فقد كانت نظـرة الادارة الانجليزية فى امارات الخليج العربى تقوم على أساس تخصيص نسبة محددة من عائدات النفط من أجل خلق احتياطى عام تكون مهمته استكمال موارد الحكومة فى المستقبل بعد نضوب النفط ، وقد استمر اتباع هذه السياسة مرتبطاً باستمرار «المستشار الانجليزى» فى امارة ما . وساعد تزايد العائلات فى الخمسينات على تبنى مثل هذه السياسة بشكل أو بآخر فى بقية دول المنطقة .

ونتيجة لتعرض هذه الاحتياطات النقدية للمخاطر المالية ، ومن أهمها : تخفيض الاسترلينى ، وعدم قدرة هذه الاحتياطات على ادرار دخل معقول من ناحية ، والضيق المالى الذى واجهته دول المنطقة بحكم عدم نمو عائدات النفط فيها بنسب كافية لمواجهة أوجه الصرف التى أطلق لها العنان فى الخمسينات من ناحية أخرى ، فقد زالت الحصانة عن هذه الأموال التى أريد اعطاؤها صفة رأس المال ، فأصبحت نتيجة لذلك احتياطيات تجارية للميزانيات العامة فى الدول المعنية . ولقد اضطرت جميع دول المنطقة الى سحب مبالغ متزايدة من هذه الاحتياطيات لسد عجز الايرادات العامة عن مقابلة النفقات العامة .

وكانت نتيجة ذلك أن أصبحت الاحتياطيات العامة لجميع دول امارات الخليج العربى (الكويت ـ البحرين ـ قطر ـ أبو ظبى) سواء أكانت مستثمرة فى الداخل أو مودعة فى الخارج ، تمثل ١٠,٩٪ فقط من اجمالى عائدات النفط التى تم تحصيلها منذ بدء انتاجه . ومن الواضح أن هذه النسبة تقل كثيراً عن الهدف المعلن ، وهو تخصيص ما يقارب ثلث عائدات النفط من أجل بناء رأسمال قادر على ادرار دخل يحل محل عائدات النفط فى المستقبل . والجدير بالذكر أن دخل هذه الأرصدة عام ١٩٧٠ م لم يتجاوز ١٠٪ من ايرادات الميزانيات العامة لدول الخليج العربى . (٦)

ومازالت دول المنطقة حتى الآن لم تحدد طبيعة هذه الفوائض . ففى حين يرى بعضها أن هذه الأموال تعد رأسمالا استثمارياً ، مهمته تنويع مصادر الدخل ، لا يصح استخدامه لسد عجز الميزانيات الحكومية ، فانه يجرى التعامل مع هذه الأرصدة بشكل عملى ، على أساس كونها احتياطياً جارياً للميزانية العامة يتم تسييله عند الحاجة لسد عجز تلك الميزانية . وفيما عدا صندوق احتياطى الأجيال القادمة فى الكويت الذى لا يجوز السحب منه إلا بقانون ، فان مؤسسات الاحتياطى فى بقية دول المنطقة غير مقيدة ، وتعد الأموال فيها وديعة وليس رأسمال ـ لصالح وزارات المالية . وهذا المفهوم لعائدات النفط غير المنفقة يجب تغييره بتحويل هذه الفوائض الى رأسمال فى شركات ومؤسسات استثمارية ، تضمن سلامة هذا الاستثمار من المخاطر ، وتحقق عائداً معقـولا يتناسب مع المخاطر المالية والسياسية والاستثمارية التى يتعرض لها . وهذا يستوجب ضرورة التمييز ـ من حيث المبدأ ـ بين احتياطى مالى محدود يمكن تسميته احتياطى الميزانية العامة وبين المال الاحتياطى الفائض الذى يجب اعتباره رأسمالا . وبالتالى يجب أن يوجه هذا الرأسمال الى الاستثمار الدائم سواء أكان هذا الاستثمار فى الداخل أو فى الخارج وسواء أكان استثماراً مالياً أو استثماراً عينياً .

وهذا التمييز بين احتياطى الميزانية ورأس المال الاستثمارى يتطلب التعجيل بخلق مؤسسات استثمارية قادرة على القيام بهذه المهمة الملحة ، وحماية الأرصدة المتراكمة من المخاطر السياسية والمالية المحدقة بها . فقد أصبحت هذه الأرصدة كالجمر فى أيدى المكلفين باستثمارها ، لأن حجمها الحالى يفوق امكانية استيعابها فى استثمارات عينية وإيداعها فى البنوك أو ايكالها لوكلاء استثمار فى الخارج يعرضها أيضاً لمخاطر مالية كبيرة ، الى جانب المخاطر السياسية التى بدأت تتزايد بتزايد حجمها . هذه المخاطر المحدقة تخلق ظرفاً خاصاً تنفرد به دول المنطقة عن بقية دول العالم . ويتطلب هذا الوضع ـ بشكل ملح ـ معالجة هذه المشكلة الاقتصادية ذات المساس بمستقبل المنطقة بشكل عاجل وملح ، مما يطرح دوراً هاماً للمشروع العام التجارى فى الاستثمارات الخارجية .

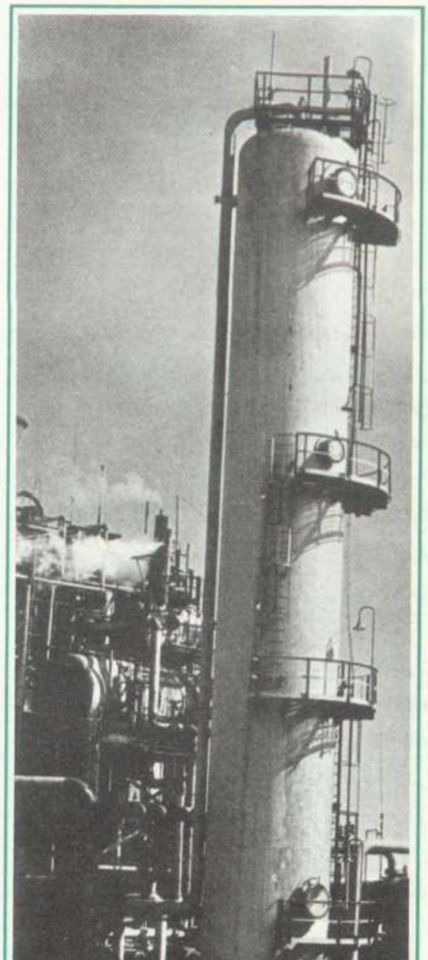
وإذا علم أن حجم رأسمال الشركات الاستثمارية والبنوك الكبيرة يتراوح بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ مليون دولار (٧) فان الاستثمار المجدى لفوائض دول المنطقة المقدرة بمائتى بليون دولار فى نهاية ١٩٨٠ م يحتاج الى انشاء حوالى ألفى شركة وبنك من هذا الحجم . وعشر هذا العدد أخذاً فى الاعتبار أن نوعية المؤسسات والفترة الزمنية اللازمة لانشائها تفوق قدرة القطاع الخاص ، وتحتاج الى معالجة سريعة من القطاع العام بانشاء المشروعات العامـة التجارية .

قطاع مشروعات بدائل الاستيراد

تكاد دول المنطقة أن تستورد جميع احتياجاتها ، سواء المصنعة او الزراعية منها ، فضلا عن الخدمات . ويرجع هذا الى عدد من الأسباب . أهمها عدم وجود استراتيجية تنموية فعالة . وارتفاع

تكلفة الانتاج المحلى نسبياً ، وضيق السوق بالنسبة لكل دولة على حدة . واذا استثنى أثر غياب استراتيجية واضحة المعالم على الانتاج الوطنى ، باعتبار أن هذا القصور هو سبب كل المشكلات الاقتصادية بشكل عام . وليس قاصراً على مشروعات بدائل الاستيراد فحسب ، فان ارتفاع التكلفة المحلية وضيق السوق هما الأمران اللذان يتوجب ايجاد حل لهما . حتى يمكن للمنطقة الاستفادة من فرص الاستثمار المتاحة فى هذا القطاع . ومن الواضح أن القطاع الخاص عاجز عن مواجهة مثل

جانب من مصنع السماد فى الدمام



هذا التحدى الذى يفترض لمجابهته أن يكون ثمة تنسيق اقليمى على مستوى الدول بالاضافة لما يحتمه من حجم استثمار عال لازم لاقامة مشروعات اقتصادية كبيرة حديثة قادرة على تنظيم نفسها بشكل يجعل من تكلفة انتاجها أمراً مقبولا ومعقولا من زاوية فرضه على السوق المحلية .

ولكى تتحقق الفائدة المرجوة من الفرصة التى تتيحها مشروعات بدائل الاستيراد ، خاصة مشروعات الصناعات التحويلية ، مثل صناعة الآلات والصناعات المعدنية ومنتجات الجيل الثالث وما بعده من البتروكيماويات ومواد البناء والصناعات الغذائية ، ومشروعات الخدمات المالية والخدمات الفنية فانه لابد من الاتجاه الى اقامة المشروعات الاقليمية والعربية المشتركة، لما توفره السوق الاقليمية والعربية من حجم تعجز عن توفيره سوق أية دولة بمفردها . ومن المعروف أن عدد سكان الدول المنتجة للنفط فى الجزيرة العربية يقدر بحوالى ١٢ مليون نسمة ، وأن متوسط الدخل الفردى يقدر بحوالى ١٨ ألف دولار سنوياً (٨) . ومتوسط الاستهلاك الفردى بحوالى ٨٠٠٠ دولار سنوياً . وعلى ضوء هذا فان القوة الشرائية لسوق دول المنطقة ـ مجتمعة ـ يمكن تقديرها بما يساوى سوق ١٠٠ مليون نسمة فى الدول المتوسطة الدخل أو ٣٠٠ مليون نسمة فى الدول منخفضة الدخل . ولا شك أن سوقاً هذه قوتها الشرائية توفر مجالا خصباً لاقامة العديد من المشروعات الاقتصادية الكبيرة التى يمكن أن تقام فى أكثر من موقع ، مما يوفر حداً معقولا من المنافسة الصحية بينها . والواقع أن انشاء مشروعات كبيرة وحديثة موجهة أساساً لسد احتياجات السوق الاقليمية والعربية ، وامكانية تكرار العديد منها ، يتيحان قدراً من رقابة السوق ، وهذا مما يؤدى الى خفض تكلفة الانتاج المحلى الى مستوى تكلفة المنتجات المستوردة .

من هذا يتضح وجود مجالات استثمارية ضخمة متاحة للمنطقة ، التى هى فى أمس الحاجة الى الاستفادة منها لبناء مستقبلها الاقتصادى . وسواء أكانت هذه الاستثمارات فى مجال الصناعات التحويلية المعدة للتصدير أو فى مجال الاستثمارات الدولية أو فى الصناعات والمشروعات اللازمة لسد احتياجات الاستهلاك الاقليمى والعربى (بدائل الاستيراد) فان هذه الاستثمارات تحتم اقامة مشروعات كبيرة ذات حجم اقتصادى . وهذا ما يتطلب استخدام أحدث أساليب التقنية والمعرفة الادارية المناسبة ، فضلا عن احتياجها لرأسمال ضخم ، وقدرة على تحمل المخاطر التجارية وتنسيق اقتصادى . وكل هذا لا يتسنى له أن يتحقق بالحجم والسرعة المطلوبين ، إلا عن طريق قيام المشروعات العامة التجارية وتأكيد دورها القيادى فى هذه المجالات .

د. علي خليفة الكوارى

(١) د. علي خليفة الكوارى ، اقتصاديات الاستخدامات البديلة للغاز الطبيعى غير المصاحب فى الخليج العربى ، مجلة النفط والتعاون العربى ، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ، المجلد السادس ، العدد الثالث ١٩٨٠ م ، من ص ٢٩ الى ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ـ ص ٤٥ .

(٣) نفس المرجع ـ ص ٤٧ .

(٤) نشرة الاتحاد العربى لمنتجى الأسمدة الكيماوية ، الأمين العام يبدد المخاوف والتردد فى التوسع فى صناعة الأسمدة العربية ، كانون أول (ديسمبر) ١٩٧٩ ، ص ٤ .

(٧) رأسمال الشركة العربية للاستثمار يبلغ ٢٠٠ مليون دولار ، ورأسمال بنك الخليج يبلغ ١٠٠ مليون دولار .

(٨) على أساس مستوى الانتاج الحالى ، تقدر عائدات النفط لعام ١٩٨٠ بحوالى ١٥٠ بليون دولار وعلى أساس انها تمثل ٧٠٪ من الدخل القومى فان الدخل القومى يمكن تقديره بحوالى ٢١٤ بليون دولار . وعلى أساس أن سكان المنطقة ١٢ مليون نسمة فان متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى يقدر بحوالى ١٨ ألف دولار سنوياً .

٥ Middle East Economic Survey, (MEES), 23rd April, 1979, p.10.

٦ Al Kuwari , A.K., Oil Revenue in the Gulf Emirates.

زاوية الرأي

د. محمد جابر الأنصاري

كلا .. لا نريد هذا التبسيط

تبسط اللغة العربية !

لماذا ؟ وكيف ؟

هذه قضية من القضايا «المزمنة» فى نطاق «علم الكلام» اللغوى العربى الحديث .. كأخواتها الأخريات المزمنات .. مسألة الفصحى والعامية .. ومسألة الشعر المقفى الموزون والشعر الحر ومسألة الالتزام والفن للفن .. الخ

وما أريق من حبر حول هذه المسائل يفوق بكثير جداً ما تحقق من حلول أو نتائج بشأنها .. أى أن الكلام حولها غزير .. والمشكلة ذاتها ـ إن كانت هناك مشكلة ـ باقية معلقة بلا حل .. كسائر قضايانا العربية فى غير علم اللغة !

ولكن يبقى من المفيد فى نهاية كل حقبة ، وفى ختام كل فترة أدبية ، العودة الى تلك القضايا المعلقة لتأملها وإعادة النظر فيها على ضوء حصيلة التجارب والعبر المستمدة منها ، فذلك خير محك وأفضل معيار لغربلة الآراء المطروحة بصدد هذه القضايا واستخلاص لبابها من قشورها ، ولحمها من ورمها ، باعتبار أن التجربة والنتائج المتحققة الملموسة هى القول الفصل والكلمة الأخيرة .

من هذه الزاوية نظرت الى طرح د. عيسى الناعورى لمشكلة تبسيط اللغة العربية فى العدد الأسبق من مجلة الدوحة ، ومن هذا المنطلق استجبت لدعوة الأستاذ رجاء النقاش رئيس التحرير لاعادة فتح الحوار حول هذه القضية ..

١ ـ بادىء ذى بدء لا خلاف حول التقديم العصرى المنطقى لموضوعات الصرف والنحو للنشء الجديد والتخلص من أساليب «ضرب زيد عمرواً» وبلاغة «هو كالأسد فى شجاعته .. وكالبحر فى كرمه» .. الخ .

إن تقديم موضوعات القواعد بنصوص جيدة ملائمة لمنطق العصر ، وبصورة بعيدة عن التعقيد والتفاصيل المربكة والاستثناءات المتشابكة ، هى مسألة لا أعتقد أن هناك خلافاً عليها .

٢ ـ ولكن بعد هذا يجمل بنا التنبه الى أن التبسيط نوعان : ما تعلق منه بالشكل والطريقة والأسلوب ، وهو ما أشرنا إليه ـ ولا خلاف عليه ـ ثم ما تعلق بالمحتوى وصميم اللغة وروحها وتكوينها العضوى ونسغها الحى ونموها التاريخى الذى اتحد بشخصيتها وكيانها .. وهنا لب المشكلة .. أو خطورة دعوة التبسيط .. كيف يمكن «تبسيط» روح الكائن الحى .. **واللغة من الكائنات الحية الملتصقة عضوياً بحياة** الانسان ونبض قلبه وحركة عقله ولسانه ؟

كيف يمكن «تبسيط» شجرة ضخمة جذورها متوغلة فى عمق الأرض .. وجذوعها وفروعها وأوراقها وثمارها ضاربة فى السماء بطبيعتها ، كما انوجدت مع التاريخ ، مع الأجيال ، مع النور والماء والهواء ؟

هل تمكن أحد من علماء الطبيعة «تبسيط» شجرة – مهما كانت أغصانها وأوراقها متداخلة ومتشابكة – وأعاد زرعها من جديد شجرة «مبسطة» بتركيب «أبسط» .. هل يمكن لمثل هذه التجربة أن تنجح .. وتحافظ على حياة الشجرة وروحها وطبيعتها ؟

تلك هي المسألة ..

التقيت بدعوة تبسيط اللغة في شخص أستاذنا الدكتور أنيس فريحة أستاذ الدراسات اللغوية بالجامعة الأميركية ببيروت . واقتنعت حينئذ – مطلع الستينات – بمنطق هذه الدعوة التبسيطية وحيثياتها التربوية لمسايرة روح العصر وتمكين الطالب العربي من إجادة لغته بسرعة ليتفرغ بعدئذ للمواد الدراسية الأخرى وخاصة العلوم الحديثة التي تحتاج لجهد ووقت ، وتحتاج أجيالنا لاستيعابها كضرورة مصيرية .

ثم تسنى لي بعد عشرين سنة أن أبدأ دراسة اللغة الفرنسية على يد أساتذة من أهلها .. واللغة الفرنسية كما هو معروف من لغات العالم المعاصرة الحية ، وأكثرها جمالا ورقياً وأقدرها تعبيراً عن روح الحضارة الحديثة خاصة في نطاق الجماليات والفنون والآداب .. فهالني كيف يتمسك أهل الفرنسية بقواعد لغتهم ، وكأنها نصوص مقدسة ، ويقدمونها حتى للأجنبي الغريب كما هي بأفعالها الصعبة المعقدة ، وطريقة املائها الأصلية ، وطريقة لفظها الدقيق شبه المستحيل على اللسان غير الفرنسي ، دون أدنى تبسيط أو تسهيل – اللهم إلا في طريقة العرض السمعي البصري – ومن أراد الفرنسية فليأخذها كما هي بكل استثناءاتها النحوية وعقدها اللفظية .. فهي هكذا خلقت . وهكذا تنطق . وهكذا تبقى .

بل إن أهل الفرنسية لم يشعروا بنقص لغتهم لأنها لا تتضمن مثلا كلمة واحدة للرقم «سبعين» ، حيث يقولون «ستون وعشرة» ، ولا للرقم «ثمانين» ، حيث يقولون «أربع عشرينات» ولا للرقم «تسعة وتسعين» ، حيث يقولون : «أربع عشرينات – عشرة – وتسعة» !!

لم يخرج أحد من علماء الفرنسية ليطلب تغيير هذه



الكلمات الحسابية وتبسيطها ووضع مصطلحات أسهل محلها على الرغم من أهمية الأرقام في الحياة اليومية والعلمية ، وبالنسبة للكبار والصغار على حد سواء .. فلماذا يشعر علماء العربية بالنقص عندما يجدون في لغتهم جمع التكسير وجمع المؤنث السالم ؟

إن ذلك من طبيعة اللغة وجوهرها ، بل من مظاهر جمالها وتفردها وخصوصيتها ، والتبسيط هنا إخلال بطبيعة الكائن اللغوي وليس علاجاً له .

لنتصور امرأة جمالها في طول عنقها الزائد ، أو في تشابك حاجبيها ورمشيها ، أو في وجود «شامة» على خدها لا توجد عادة على خدود النساء .. فهل من الطبيعي أن نطالب بتقصير عنقها الطويل الرائع بعملية جراحية ليكون طوله في «معدل» طول أعناق الأخريات ؟ أو نقصر شعر حاجبيها ونقصقص رمشيها ونزيل «الشامة» المتميزة المتفردة من فوق خدها لنجعلها «طبيعية» مثل بقية النساء ، وحسب المقياس العام الشائع لملامح بقية النساء ؟

أتصور أن الدكتور عيسى الناعوري سيفضل رؤية هذه المرأة الجميلة بملامحها الفريدة المتميزة .. فلماذا لا يريد ابقاء لغتنا الجميلة بملامحها المحببة الى نفوسنا وألسنتنا وأسماعنا .. بحركاتها ، باعرابها ، بتفعيلاتها ، بنون النسوة فيها ، بجمع الجموع ، بمواضع الادغام ؟!

إن كانت المسألة مسألة مسايرة للعصر واستيعاب للحضارة الحديثة ، فان أمماً شرقية كاليابان والصين ، قد سايرت العصر واستوعبت التكنولوجيا ، رغم تعقيد لغاتها نحواً وصرفاً وكتابة بما يفوق صعوبة العربية .. وكلمة السر هنا وجود الحيوية والقدرة والفاعلية في نفس الأمة ، وليس التوصيل الى تبسيط ما في قواعد لغتها ..

ثم إننا نرى الأجيال العربية – كطه حسين والعقاد وميخائيل نعيمة – التي نشأت على بلاغة اليازجي وسامي البارودي – بالاضافة الى تراثنا الأصيل القديم – قد استوعبت لغتها وأبدعت فيها ، وأضافت اليها ، مع استيعابها لحضارة العصر .. بينما نرى أجيالنا الجديدة التي نشأت في ظل مدارس تبسيط اللغة ، وتسهيل الأدب ، وتجديد الشعر تعاني من الحركة والعجمة وافتقاد الابداع .. ألا ينبهنا هذا الوضع الخطير الى أن هنالك أصولا في حياة الأمم لا تخضع للتبسيط والتسهيل ، وان العبث بها يوصلنا الى ما وصلت اليه مدرسة اللامعقول العربية المعاصرة من تشويش وركاكة وعقم ؟

ورغم كل التشتت والتمزق بين بلادنا العربية ، فقد بقيت لغتنا العربية ، لدى كل العرب على اختلاف منازعهم ، عاملا أساسياً من عوامل التوحيد التي لم تزعزعها النكبات .. بل إن اللغة العربية تتقدم وتنمو وتنتصر رغم تراجع أهلها .. فبالله عليكم دعوها وشأنها ، كما هي ، حتى لا تمسها مذاهب التغيير والتطوير الرائجة الهشة فتصبح هي الأخرى جبهات ومعسكرات !

د. محمد جابر الانصاري

درويش مصطفى الفار

حول لغتنا العربية

التوضيح.. نعم التبسيط.. لا

ظل المفكرون من بنى آدم يتصورون ، لقرون عدة ، أن الأشياء حية أو ميتة ، ترجع فى مادتها الى التراب والماء والنار والهواء ، وإن من صفاتها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة ، ومن ذلك قام تصور خاطىء يقول بامكانية تحويل المعادن الدنيا الى ذهب ، حتى قال ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧م) ببطلان هذه الخرافة ، وأن الحقيقة هى أن الله خلق العناصر هكذا كما نعرفها ولا سبيل الى تحويل فضة أو نحاس الى نضار ... وكان هؤلاء الأقدمون أيضاً يتحدثون عن الأتوموس أو (الجوهر الفرد) وهو الجزء من المادة الذى لا ينقسم ولكنهم لم يفرقوا بين أنواع الأتوموس ، حتى يطلع جون دالتون الانكليزى بنظريته الذرية سنة ١٨٠٣ ، وفيها قال إن ذرات كل عنصر تتشابه فيما بينها حجماً ووزناً وصفة كيماوية وفيزيائية ، وأن الذرة لا تنقسم فهى نهاية الصغر فيما خلق البارىء ، حتى ثبت بطلان ذلك سنة ١٨٩٦ حين اكتشف الفرنسى بيكريل أن ذرات العناصر تخرج اشعاعات خفية لا ترى ، وان من تلك الذرات المشعة تخرج أجزاء مادية من كهارب (اليكترونات) وذرات الهليوم ، أى أن الذرة تنقسم !!! وكان لفيف من علماء الفيزيائيين منهم على سبيل المثال لا الحصر ، رذرفورد وطومسون وعلي مصطفى مشرفة ولينارد وكروكس وزيمان وشتارك ، قد اشتغلوا ردحاً من الزمان بأشعة المهبط وخطوط أطياف العناصر ، وأثبتوا وجود الاليكترون والبروتون كمكونات أساسية لكل الذرات ، وأن الفرق بين المادة والطاقة ما هو إلا فرق سرعة فقط ، واكتشف رونجتن الأشعة السينية فى هذا المضمار أيضاً وكذلك اكتشفت الأشعة الكونية الآتية من أغوار الفضاء البعيد .. وكان ماكس بلانك سنة ١٩٠٠ قد صاغ قانونه الذى يقول بأن الطاقة ليست مجرد موجات متصلة بغير انتهاء وإنما هى تتكون من ذرات أو وحدات تماماً كالمادة. وفى سنة ١٩٠٥ قال اينشتاين فى معادلة رياضية نظرية بامكان تحول المادة الى طاقة ، وتحقق ذلك عملياً سنة ١٩٣٩ على يدى هان وشتراسمان فى برلين وعرفه رجل الشارع سنة ١٩٤٥ بعد إلقاء القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكى !! وكان بوهر سنة ١٩١٥ قد وضع نظريته عن تركيب الذرة وأفلاك الكهارب المسالبة حول النواة الموجبة لتفسير خطوط الطيف ببساطة متناهية فلما اكتشف شادويك العبقرى النيترون سنة ١٩٣٢ تعقدت الصورة وتعدلت النظرية بما يكفل دخول النيترون فى القصة ، ولما استعصت أفلاك الذرة عن الخضوع لرياضيات نيوتن كان لابد من علاج حركاتها بنوع جديد من الرياضيات فى ميكانيكا الكم ، وأبلى فى ذلك بلاء حسناً علي مصطفى مشرفة وشرود نجر وهيز نبرج ودى برولى ومن اليهم من الأبطال كعبد السلام الباكستانى .. وتلى ذلك آلاف من التجارب المضنية ملخصها باختصار أن الذرة ليست من البساطة بحيث نستطيع أن ندرك كنهها كل الادراك ونتصور حقيقتها صادق التصور بمجرد (التبسيط) الذى لا يمس إلا أفهام العوام . فهى على صغرها كيان معقد لا يمكن تبسيطه بل توضيحه ومن شاء فليفهم ومن شاء فليسكت لأننا لا نستطيع أن نضرب صفحاً عن نتائج وقوانين ومعادلات بذل فيها العلماء كل جهد عظيم القدر فى تاريخ المعرفة البشرية لنواميس كون الله الفسيح .. وكذلك الأمر فى الفلك ، مجرات وشموس وملايين السنين الضوئية ومادة مضادة وبقع ظلامية ونجوم نوابض وتحركات لا يدرك مداها الحقيقى إلا الله ، بعد أن كان الأمر مقتصراً على تصور أن الأرض مركز الكون وأن ما حولها مما نراه ما هو إلا أضواء عارضة لا شأن لها !!! والمناداة بتبسيط هذا واغفال حقيقة تعقيده استجابة لعاطفة العطف على ضعاف العقول والأفهام غير السوية إنما هى مناداة للانتصار للجهل وإحالة عقول البشر الى عقول عامة سطحية لا تود أن تبذل جهداً فى المعرفة أو متابعة الفهم الحقيقى المعقد لأسرار كون الله الواسع الفسيح .

وكذلك الشأن مع الخلية الحية ، إذ كان الطبيب العبقرى الرازى قد أدرك بالوجدان المرهف أن هنالك كائنات حية دون قدرة العين ، حين طلب اليه بانى بغداد العظيم أبو جعفر المنصور أن يبنى بيمارستانا (مستشفى) بالجهة المناسبة فطلب ذبح بقرة وفرق لحمها فى أركان بغداد ، واختار لبناء المستشفى ذلك الركن الذى كانت فيه لحمة البقرة آخر ما أصابه التعفن. وثبت بعد أن اخترع فان هوك المجهر ، وأجرى باستور تجاربه المشهورة ، أن حدس الرازى كان صادقاً وأن

هنالك عالماً لا تراه عيوننا هو عالم البكتريا والميكروبات والجراثيم والفيروسات ، وأن وحدة الكائن الحى ، نباتاً أو حيواناً ، هى الخلية،وأن الخلية جزء معقد من ملكوت الله وصنعته تفرز الانزيمات والفيتامينات والهرمونات وتصنع ما لا تصنعه المصانع الكبيرة ، وان أحد مكوناتها وهو الحامض النووى (مثلا) يحار العلماء حتى الآن فى الاتفاق التام على شكل جزيئه ، وأى محاولة لوقف القول بتعقيد تركيب الخلية الحية ، هى وهم فى أدمغة السطحيين الذين لا يفرقون بين (التبسيط) و (التوضيح) .

نفس الكلام ينطبق على تركيب البللورات والمعادن والصخور ... فكون الأشياء معقدة التركيب متعددة الأوصاف بعيدة الأغوار ، قد يستعصى فهمها على بعض مستويات العقول والافهام ، ليس عيباً فى الأشياء وإنما العيب فى الطريقة التى تستخدم لنقل صورة الأشياء الى تلك العقول والأفهام ... وكذلك نقول فى اللغة ، وأقصد اللغة العربية ... لقد بذل علماؤها ونحاتها ودارسوها من الفكر والجهد ، ما يدعو كل ذى خلاق للانحناء لهم تعظيماً وإجلالا .

وليس لعاقل حسن النوايا أن يعيب على هذه اللغة ويتهكم عليها ، وهى ان لم تكن تلج لغات البشر جميعاً ، فهى أسهل بكثير من لغات كثيرة يحترمها أصحابها ووجود المثنى ، ونون النسوة ، وواو القسم ، والمنع من الصرف ، والمفاعيل المطلقة ، والرفع والجر والفتح ، وصيغة منتهى الجموع ، وكان ذلك معناه ان : (هذه اللغة القرآنية الناضجة ، قد شاخت وهرمت وينبغى لنا البحث عن لسان آخر نتكلم به ، تمشياً مع العصر وإثباتاً للتقدمية !!!) ...

لا ... يا أيها السادة ، إننا لن نترك هذه اللغة ولن نستبدلها بغيرها ما بقى على الأرض إنسان ... ولسوف نظل نحترم ونقدس لغة القرآن بنحوها وصرفها وصعوباتها ... ولسوف نبذل الجهد والاصرار للعودة الى الطريقة الصحيحة التى يمكن بها تعلم لغة القرآن وهى معروفة واضحة ... كما هو معروف واضح كيف انحرفت طرائق التعليم فى بلادنا تقليداً أعمى ، بحيث أصبح مستوى الناطقين والكاتبين بهذه اللغة مستوى لا نحسد عليه فى هذه الحقبة من تاريخنا ، شأن عناصر أخرى كثيرة لا نحسد عليها ...

لابد من إعطاء أطفالنا (بتغيير نظم التعليم الحالية المدسوسة علينا) فرصة أكبر لتعلم لغتهم بكل صعوباتها بالغاء كثير من مواد التعليم الحشو ... إن دولا كثيرة معاصرة صعبة لغاتها ، وجدت أن الطريق لتعليم أبنائها ليس الشرود بهم عن لغتهم الى لغة معاصرة أو أكثر انتشاراً ، بل علمتهم لغتهم وأقامت مؤسسات كبيرة جداً للترجمة فى كل مضامير العلوم والفنون ، ومن شاء أن يتعلم لغة أجنبية ، مع اتقان لغة أمه وأبيه فليفعل ، ولكن بدون تهكم أو ازدراء أو احتقار لجهود من سبقوه من أجيالها بالدرس والتمحيص والتصنيف فى قواعدها وبيانها ... إن أبسط الطرق لاستيعاب لغة القرآن هى فى القرآن ، فافتحوا القرآن مرة أخرى بحق واحترام ، فلن تجدوا صعوبة فى تعليم الأجيال لغة الضاد الخالدة ...

درويش مصطفى الفار

في العدد القادم :

أنت على موعد مع هؤلاء الكتاب :

- د. محمد إبراهيم كاظم
- د. حسن عيسى عبد الظاهر
- د. عبد العظيم رمضان
- أحمد العناني
- عون الشريف
- ناهض الريس
- إبراهيم أصلان
- أبو المعاطى أبو النجا
- مجيد طوبيا
- حمدي الكحلوت
- عبد الحميد محادين

إضافة إلى :

أبواب القراء

- رسائل إلى المحرر
- قرأت ورأيت وسمعت
- من تجاربي الشخصية



إنسان بلا حدود

شعر: محمد الفهد العيسى

احْدَوْدَبَ الزَّمَــان
في دُرُوبِ الشَّاعِرِ الإنْسَانْ
وشَابَ في إهابِهِ التّاريخ
واستَفَاءَ ظِلَّهُ المَكَانْ
لاتَغْزِلُ اسْمَهُ الحُرُوف
ضاعت الحروف عِندَ سَفْحِهِ..
وضَلّت القِنَانْ
استَجارت العوادِي فيْئَهُ..
فَكَانْ

* * *

غَامَ في فِنائِهِ القَمَرْ
ذابَ عِنْدَ خطْوِهِ الخَطَرْ
ذابَت الأحْقَادُ في آثارِهِ..
لَمْ تَعُدْ أثَرْ
الحُبُّ مِنْ كَفّيْهِ ثَرٌّ كالنَّدَى
كالظِّلِّ في أُرْجُوحَةِ السَّحَرْ
كَألْفِ عِقْدٍ مِنْ جُمَانْ
يَعْذُبُ الأُجَاجُ عِندَ شاطِئَيْهِ..
يَرْتَوي حَنَانْ
يالَهُ..؟
إبَاءَ حُرٍّ سَيِّدٍ إنْسَانْ

محمود شيت خطاب



هل بدأت الحرب النووية بين العرب وإسرائيل؟

ليست بى حاجة إلى الحديث عن خطر العدو الصهيونى على العرب ، وبلادهم ، ولا عن خطر توسعه الاستيطانى على حساب الوطن العربى ، لتحقيق هدفه المعلن فى التوسع من : النيل إلى الفرات .

وليس هناك ما يحول بينه وبين تحقيق أهدافه المعلنة والسرية ، غير إعداد القوة الضاربه للعرب ، والادعاءات بأن الضمانات الدولية والمنظمات الدولية كافيه لوضع حد للتوسع الصهيونى بدون قوة عربيه ضاربة ، يكذبه الواقع المرير .

إن الضمانات الدولية فى خدمة العدو الصهيونى وحده والقوى العالمية الكبرى تسند هذا العدو سرا وجهرا .

وقد أصدرت هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن مقررات كثيرة حول القضية الفلسطينية ، ولكنها بقيت حبرا على ورق ، لأن العدو الصهيونى لا ينفذها ولا يلتزم بتطبيقها ، واللغة الوحيدة التى يخشاها ويرضخ لها هى لغة القوة ولا يخشى ولا يفهم لغة سواها .

والحرب الحديثة تعتمد العلم وتسخره لصالحها ، وتعتمد العلوم التطبيقية بخاصة لأنتاج الأسلحة المتطورة التقليدية ، وعلى رأسها السلاح النووى .

وقد اهتم العدو الصهيونى بالعلوم عامة والعلوم التطبيقية خاصة اهتماما كبيرا ، فاستقدم العلماء من الخارج ، وأعد العلماء حسب تخطيط دقيق ، واستفاد من هؤلاء جميعاً فى مجال إنتاج السلاح النووى .

السوقية الصهيونية

دأب العدو الصهيونى عن الزعم : بأنه جاء ليبقى ، وأن القدس عاصمته الأبدية .

ودأبت الدول التى وراء العدو الصهيونى ترديد مزاعم الصهاينة ، باعتبار أن الكيان الصهيونى قاعدة للاستعمار فى السلم للحرب ضد المعسكر الشرقى فى حرب متوقعه .

والسوقيه « الاستراتيجية » الصهيونية التى تبنى عليها مزاعمها : هى التغلب على التفوق السكانى للعرب بالتفوق فى مجال العلوم التطبيقية على العرب .

لذلك حرص العدو الصهيونى أشد الحرص على التفوق فى العلوم التطبيقية على العرب من جهة ، وحرص أشد الحرص على حرمان العرب من الانتفاع بالعلوم التطبيقية بشتى الوسائل والأساليب ، ومنها نشاط الأيدى الخفية التى تحرض على هجرة العقول العربية إلى الدول الأجنبية التى هى مع العدو الصهيونى على العرب .

إن نفوس العدو الصهيونى لا تزيد على ثلاثة ملايين نسمة ، ونفوس العرب مئة وخمسون مليون نسمة ، أى أن العرب يبلغون فى الوقت الحاضر خمسون ضعفاً بالنسبة للعدو الصهيونى .

والعرب يزدادون بنسبة (٨ر٦) بالمئة سنوياً فى كل قطر ، بينما يعانى العدو الصهيونى من هجرة معاكسة ، بحيث أن عشر سكانه من يهود الاشكناز المثقفين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ومعنى ذلك هو أن الوقت مع العرب على العدو الصهيونى ، وأن العرب إذا تفوقوا على العدو الصهيونى أو أصبحوا فى مستواه ، فأن الكيان الصهيونى يصبح فى خطر محدق ، وهذا

ما يريده عقلاء الصهاينة ومنهم ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر الصهيوني العالمي .

لاعجب أن يجن جنون العدو الصهيوني حين يجد العرب يبذلون جهودهم فى مجال العلوم التطبيقية ، كما فعلوا ضد العراق خلال النصف الأول من هذه السنة ، فقد أثاروا ضجة عالمية عارمة منبعها الصهاينة ، لعرقلة مساعى العراق العلمية النووية للأغراض السلمية .

السلاح النووى فى العالم

فى اجتماع اليونيسكو الذى عقد فى شهر حزيران (يونيه) من سنة ١٩٧٧ فى باريس وحضرته نخبة من علماء العالم ومفكريه ، وحضره ممثلون عن العرب ، عرضت بعض الحقائق الثابتة عن إنتاج السلاح النووى فى قسم من دول العالم .

لقد وزعت على الحاضرين قائمة بالدول التي تمتلك السلاح النووى علنا ، وبالدول التى تمتلكه سراً ، ومن تلك الدول التى تمتلك السلاح النووى : العدو الصهيونى العنصرى .

ونشرت القائمة الموزعة فى أجهزة الأعلام العالمية فى مختلف اللغات فى حينه .

كما وزعت قائمة بالدول التى تستطيع إنتاج السلاح النووى حتى سنة ١٩٨٥ ، وهى عشرون دولة منها : الأرجنتين ، وكوريا الجنوبية ، والبرازيل ، وتركيا ، ويوغسلافيا ، وألمانيا الغربية ، والسويد ، واستراليا ، واسبانيا ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وهولندا ، ومصر ، والباكستان

وهذا بالطبع خارج نطاق الدول الست الأعضاء فيما يسمى بالنادى الدولى النووى : الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفياتى ، وفرنسا ، وبريطانيا ، والصين الشعبية ، والهند .

وهذه الدول مع العدو الصهيونى ، وقسم منها مع العرب فى نطاق التصريحات الكلامية التى لم تبلغ أبدا حد التنفيذ العملى .

أما الدول التى ستنتج السلاح النووى حتى سنة ١٩٨٥ ، فأكثرها مع العدو الصهيونى بشكل أو بآخر ، عدا تركيا ، والباكستان ، ومصر .

وهذه الدول التى مع العرب ، بحاجة ماسة إلى العون المادى والعلمى ، فلابد من تعاون العرب فى دعمها لتنتج هذا السلاح .

عوامل إنتاج السلاح النووى الصهيونى

أولا : تيسر العلماء :

أنشتين صاحب النظرية النسبية وأبو الذرة الأول يهودى ، وأكثر علماء الذرة فى العالم يهود ، فقد نزح إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بعد الحرب العالميه الثانية من ألمانيا والمجر وإيطاليا من علماء الذرة الصهاينة عدد ضخم من العلماء ، يكفى أن نذكر منهم (فيرمي) و (تيلر) و (ويلر) و (زيلارد) ... الخ .

وقد كان رئيس لجنة الطاقة النووية فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى سنة ١٩٦٦ يهودياً .

وأثبتت محاكمات العلماء الذين فشوا أسرار السلاح النووى إلى الاتحاد لسوفياتى والصين الشعبية فى كل من لولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا من أمثال الدكتور (فوكس) وزوجته ، أن هؤلاء العلماء يهود .

فاذا أفشى علماء الطاقة النووية أسرارها للاتحاد السوفياتى والصين الشعبية ، فليس من المعقول أن يحجموا عن إفشاء تلك الأسرار للعدو الصهيونى !!

ثانياً : تيسر الأفران والمواد النووية :

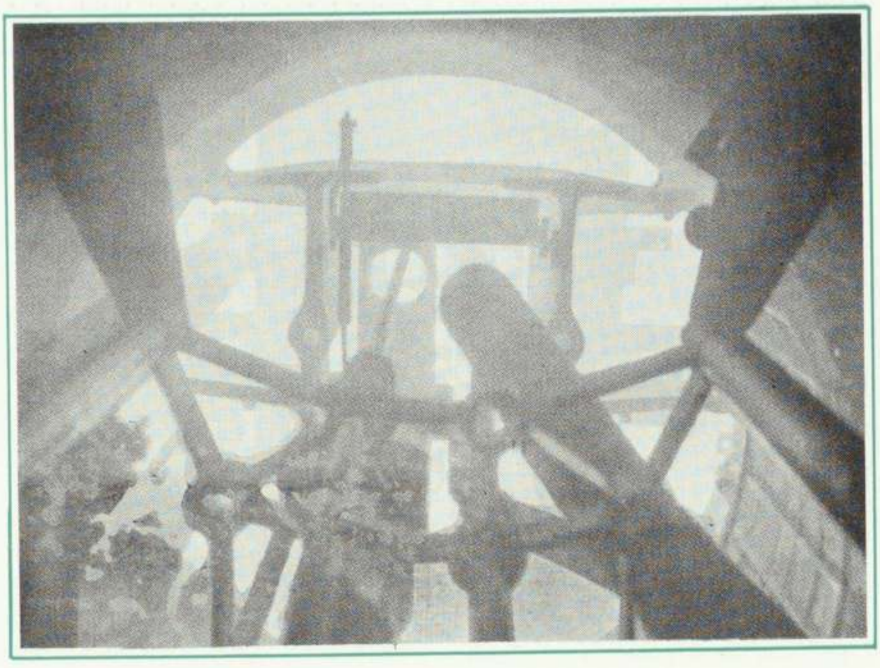
هناك أربع مفاعلات نووية وخمس مسرعات لدى العدو الصهيونى فى الوقت الحاضر .

وقد زودت فرنسا العدو الصهيونى بكمية من البلوتونيوم ، كما أصبح فى وسع أية دولة شراء هذا المعدن من الأسواق العالمية .

كما اكتشف العدو الصهيونى اليورانيوم فى منطقة صحراء (النقب) قبل سنة ١٩٦٠ ، وهذا المعدن متيسر فى منطقة البحر الميت والمنطقة المجاورة لحمامات (الحمة) ، كما استورد العدو الصهيونى الأجهزة لتصفية اليورانيوم .

وقد أصدرت جمعية السندات الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أيلول (سبتمبر) من سنة ١٩٥٧ تقريرا بقلم الخبير الاقتصادى الأمريكى (ليون كيسر لنك) جاء فيه : «إن الصهاينة يقومون بأبحاث لصناعة الماء

قلب مفاعل ذرى



الثقيل ولاستخراج اليورانيوم من مناجم الفوسفات فى صحراء (النقب) ..

وقد استورد العدو الصهيونى كمية من الماء الثقيل من فرنسا ، كما أن معهد وايزمان للابحاث العلمية اكتشف طريقة جديدة لانتاج الماء الثقيل نتيجة لجهوده التى بدأت سنة ١٩٥٧ .

ثالثاً : تيسر المال :

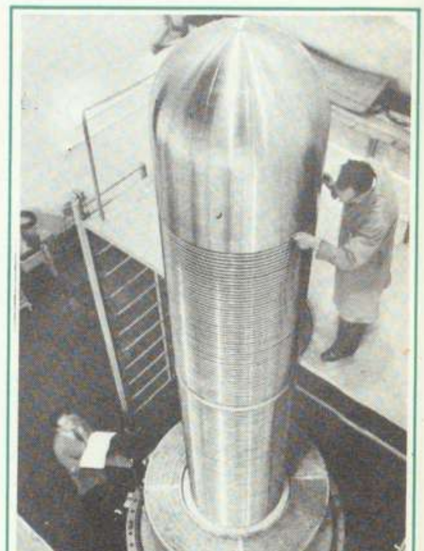
من المؤسف حقاً ، أن تردد بعض أجهزة الأعلام العربيه ، أن العدو الصهيونى يعانى من ضائقة مالية خانقة ، وأنه فى عوز شديد وفقر مدقع ، فتعاون هذه الأجهزة من حيث لا تدرى العدو الصهيونى على كسب عطف العالم وتسهيل مهمة الصهيونية العالمية لجمع الأعانات الضخمة والتبرعـات والمساعدات من يهود العالم وغيرهم لدعم العدو الصهيونى .

وكل يهودى فى العالم ، فى ماله حق معلوم شهرياً للعدو الصهيونى .

إنهم مسيطرون على المصارف العالمية وعلى المضاربة فى الدول الرأسمالية ، وعلى الأسواق العالمية ، وعلى السوق الأوروبية المشتركة .

والواقع أن العدو الصهيونى ليس فقيراً ، كما تصوره أجهزة إعلامه الموجهة فتنقله أجهزة الأعلام العالمية ، وتردده

مولد للطاقة الذرية داخل مركز للبحوث



أجهزة الأعلام العربية دون روية ولا تمحيص .

وهنا أذكر بفقرتين فقط من فقرات بروتكولات حكماء صهيون .

الأولى نصها : «السيطرة على مصادر الثروة فى كل قطر ، وإحتكار الصناعة والصيرفة فى جميع أنحاء العالم ، والاستعانة بالمضاربات للتلاعب فى مقدرات الدول الاقتصادية والسيطرة عليها من هذا الطريق» .

والثانية نصها : «السيطرة على وسائل الأعلام والدعاية والنشر ، كالصحافة والأذاعة والخيالة والأدب والفن والمسرح ... الخ ... في أقطار العالم المهمة ، وتسخيرها لمصلحة الصهيونية العالمية» .

إن هاتين الفقرتين يجب أن تكونا معروفتين لكل من يعمل فى أجهزة الأعلام العربية .

أما أن تنشر أجهزة الأعلام العربية ما تقرأ ، وتذيع ما تسمع ، فهذا ما يتمناه العدو الصهيونى !!

لقد أمدت الولايات الأمريكية العدو الصهيونى بألفى مليون دولار وثلاثمائة مليون دولار خـلال ١٩٧٧ ، وهذه هى المبالغ المعلنة، ولا أحد يعرف حجم المبالغ غير المعلنة . وقد تصاعد هذا المبلغ خلال السنوات التالية حتى بلغ أكثر من ثلاثة آلاف مليون دولار سنة ١٩٨٠ !

كما أن الأموال تتدفق على العدو الصهيونى من مصادر الصهيونية العالمية : تبرعات ، وإعانات وخبرات .

أين يجرى العدو تجاربه

رابعاً : التجارب النووية :

يبدو لأول وهلة ، أن العدو الصهيونى سيجابه مشكلة كبيرة فى محاولته إجراء تجاربه على أسلحته النووية .

إن بريطانيا أجرت تجاربها النووية فى صحراء استراليا ، وفرنسا أجرتها فى صحراء الجزائر قبل استقلالها وفى المحيط بعد استقلال الجزائر كما تفعل الآن .

فأين يمكن أن يجرى العدو الصهيونى تجاربه ؟!

يمكن أن يجريها فى البحر قرب ساحل الأرض العربية المحتلة فى فلسطين ، ويمكن أن يجريها تحت الأرض ، ومن المعروف أن التجارب تحت الأرض لاتقل أهمية عن التجارب فى الجو .

وقد يستغنى عن تجارب الانفلاق النووى ، لأن العدو الصهيونى قد استفاد من تجارب الآخرين ، واستحوذ على عصابة علماء الذرة من اليهود ، فضمن بذلك دقة إنتاجـه النووى إلى درجة لا يحتاج معها إلى تجارب جديدة .

وهذا المسلك يلائم مسلك الصهاينة الفطرى إلى الاقتصاد بالنفقات ، وتسخير خيرات الآخرين لصالحهم .

كما أنه يلائم موقف العدو الصهيونى من عدة وجوه :يساعده على كتمان وجود السلاح النووى فى حوزته ، ويجنبه استثارة الرأى العام العالمى بعامة والرأى العام العربى بخاصة .

كما أن الغرض الرئيسى من إجراء هذه التجارب ، هو تطوير السلاح النووى وتحسينه ، وليس التأكد من الانفلاق النووى ، لأن الانفلاق مضمون تماماً ، وقد رأينا كيف أن قنبلة (هيروشيما) فى اليابان ألقيت دون أن تجرب .

وقد أشارت بعض التقارير العلمية التى نشرت سنة ١٩٦٦ ، إلى أن السلاح النووى الصهيونى سيكون جاهزاً فى أواخر أيلول (سبتمبر) من سنة ١٩٦٦ ، فأحدثت هذه الأنباء ردود فعل مختلفة على الصعيدين العربى والدولى .

وظن معظم العرب حينذاك ، أن هذه الأنباء ليست إلا من الأشاعات الكاذبة ، إلا أن المصادر العلمية المتيسرة أشارت إلى إمكان حدوث تجربة نووية فى مكان ما من صحراء (النقب) على عمق لايقل عن (٨٠٠) متر تحت الأرض .

لقد كان فى الولايات المتحدة الأمريكية أحد عشر مهندساً نووياً من الصهاينة ، أعيدوا إلى الأرض العربية المحتلة ونقلوا حال عودتهم للعمل فى صحراء (النقب) ، فأشرفوا هناك على الأعمال الفنية لأعداد النفق والحفرة التجريبية فى الصحراء .

وقد أكد كل من العالم اليونانى (كرامور تزانوس) الذى عاد إلى بلاده من

الأرض العربية المحتلة فى فلسطين بعد أن قضى سنة فيها للتدريب على العلوم النووية ، والطالب القبرصى الذى عاد إلى بلاده أيضاً بعد أن قضى ستة أشهر فى مركز نووى صهيونى ، ما شاهداه فى الأرض العربية المحتلة فلسطين ، من إنشاءات نووية ضخمة ومحطات مراقبة الاشعاع النووى ومنشآت للحماية المدنية من الاشعاع النووى .

كما أن أحاديث قسم من العلماء الأجانب ، أيدت حدوث تفجير نووى باطنى فى الأرض العربية المحتلة فلسطين خلال شهر تشرين الأول (أكتوبر) من سنة ١٩٦٦ .

كما لاحظ العلماء ، أن نسبة تركيز الاشعاعات النووية قد ارتفعت فى مياه البحر الأبيض المتوسط قرب المياه الأقليمية للأرض العربية المحتلة فلسطين خلال شهرى أيلول (سبتمبر) وتشرين الأول (أكتوبر) من سنة ١٩٦٦ ، وكانت نسبة الارتفاع فى العينات العميقة التى حللوها أكثر من العينات السطحية ، ويعتقد العلماء أن السبب يرجع إلى تفجير نووى تحت سطح الأرض أدى إلى ارتفاع مستوى شدة الاشعاع فى مياه البحر الأبيض المتوسط العميقة ، وأن انتشار الاشعاعات كان من أسفل إلى أعلى .

وقد استنتج العلماء ، أن العدو الصهيونى أجرى تجربة نووية تحت سطح الأرض فى تشرين الأول (أكتوبر) من سنة ١٩٦٦ ، وهذا ما يؤكده خبراء التفجيرات النووية استناداً إلى التحليلات والحسابات التى أجروها .

وتوالت أخبار تجارب العدو الصهيونى فى باطن الأرض العربية المحتلة فلسطين وفى منطقة صحراء (النقب) بالذات ، وتوالى نشر أخبار تلك التجارب فى الصحف والمجلات والمصادر العلمية المتعددة فى العالم ، وفى نشرات معاهد الدراسات السوقية الفرنسية والبريطانية والأمريكية ، ولكن العدو الصهيونى كثف تعتيمه على تلك التجارب ، وبالغ أشد المبالغة فى كتمانها فهو دائب على نكرانها ثابت على التظاهر بعدم إجرائها .

هل بدأت الحرب النووية؟

وبلغ العدو الصهيونى من التعتيم والكتمان حداً منع فيه ممثلى الكونجرس الأمريكى من زيارة مفاعل (ديمونا) النووى ، ومنع الخبراء العالميين غير الصهاينة من زيارته أيضاً ، بينما سمح بزيارة المفاعلات النووية الصهيونية الأخرى .

والغريب فى الأمر ، أن أعضاء الكونجرس الأمريكى الذين قدموا الأرض العربية المحتلة فلسطين لزيارة مفاعل (ديمونا) الصهيونى ، هم من غلاة المؤيدين للعدو الصهيونى ، وقد جاءوا ليروا ثمرات دعمهم لهذا العدو ، فردوا خائبين على أعقابهم بشكل جازم .

كما أن أكثر الخبراء العالميين فى العلوم النووية الذين قدموا لزيارة مفاعل (ديمونا) الصهيونى ، سبق لهم مساعدة العدو الصهيونى فى إرساء دعائم هذا المفاعل وغيره من المفاعلات النووية الصهيونية ،وعلموا الطلاب الصهاينة فى داخل الكيان الصهيونى وخارجه ، قد ردوا على أعقابهم خائبين دون أن يسمح لهم بزيارة مفاعل (ديمونا) .

وكان منع أعضاء الكونجرس الأمريكى والخبراء العالميون سنة ١٩٧٦ ، قد أثار ضجة عالية واستنكارا ، ولكن الضجة والاستنكار لم يؤثرا فى العدو الصهيونى ولم يخرجا أبداً من نطاق الكلام ، دون أن يتلقى الطفل المدلل من أسياده ما يستحق من عقاب .

وهكذا عصى العبد سيده ، والطالب أستاذه ، بعد أن استمكن وحقق مآربه وهذا هو دأب العدو الصهيونى ، له مصالح وليس له صديق .

نشاط صهيونى محموم

فى الوقت الذى يبذل العدو الصهيونى نشاطاً محموماً فى مجال التفوق العلمى التطبيقى على العرب بخاصة والمسلمين بعامة ، يبذل نشاطاً محموماً لحرمان العرب والمسلمين من منافسته فى مجال العلوم التطبيقية بوسائل القرصنة والتجسس والاغتيالات غير المشروعة ، لأن منافسة العرب والمسلمين للعدو الصهيونى إيذان ببدء العد التنازلى لنهاية الكيان الصهيونى البغيض .

ولم تعد قرصنة العدو الصهيونى فى عرقلة شحن الأسلحة والمواد العلمية مجهولة ، كما لم يعد نشاطه التجسسى فى معامل الأسلحة والمفاعلات الأجنبية مجهولا ، كما أن اغتيال الدكتور يحيى المشد أحد العلماء العرب فى باريس معروف .

ولعل القرصنة الصهيونية فى تهريب اليورانيوم دليل على اعتماد العدو الصهيونى على كل وسيلة مشروعة وغير مشروعة فى مجال التفوق العلمى التطبيقى على العرب والمسلمين ، ودليل على إقدامه على كل وسيلة ممكنة لتحقيق هذا الهدف .

فقد أذاعت وكالات الأنباء العالمية ، ومنها الأمريكية بالذات ، فى يوم ٢٠ آب (أغسطس) من سنة ١٩٧٧ ، وذلك بعد اكتشاف قرصنة الصهيونية وانتشار رائحة الفضيحة فى الصحف ، أنه تم تهريب كمية ضخمة من اليورانيوم يزيد وزنها على (٩٣) كيلوغراماً من إحدى الشركات الأمريكية فى ولاية (بنسلفانيا) سنة ١٩٦٦ ، تكفى كل عشرة كيلوغرامات منها لانتاج قنبلةنووية واحدة .

والجدير بالذكر ، أن (زالمان شابيرو) مدير شركة (أبولو)الأمريكية التى تسرب منها اليورانيوم إلى العدو الصهيونى ، أعلن أثناء التحقيق معه سنة ١٩٦٦ ، أن كمية اليورانيوم المهربة ربما تكون قد ألقيت عن طريق الخطأ فى إحدى المستودعات الخاصة بالنفايات !!

وقد أذيع يوم ١٥ أيار (مايو) من سنة ١٩٧٨ ، تهريب حوالى عشرة كيلوات من اليورانيوم من نفس الشركة الأمريكية وبنفس الأسلوب ، وقد وصلت تلك المادة إلى العدو الصهيونى !

فهل يصدق عاقل ، أن هذا التهريب لهذه المادة الحيوية الثمينة ، يمكن أن يجرى صدفة وبدون اتفاق سرى مبيت ؟!

محمود شيت خطاب

إلى شجرة

شعر : جليلة رضا

أرجوك .. لا تقفى أمامى فى فضول قاتل
لا تسأليني كيف جئت .. ومن أنا .. لا تسألى
فلسوف أمنحك الحقيقة .. فاستعدى لاستماعى
ولسوف انتزع القناع لكى أراك .. بلا قناع
ولسوف أحكى الآن سر تطفلى .. فتمهلى

أنا جئت فى هذا المساء لكى أعيش مع الصفاء
أتتبع الأشياء وهى تفر من وجه الضياء
إنى أتيت أفاجىء الصمت المعشش فى الشجر
وأنام عند الجذع راضية .. كما يغفو الثمر
فلقد تعبت من التخيل والتمنى والرجاء

● ●

أنا ليس لي فى البيت ركن كى أنام على فراشى
كل الرغاب هناك تحتل المقاعد والمماشى
رغبات أعوامى الطوال قبعن فى بيتى حيارى
ومشين فى الحجرات جيشاً ظامئاً يطوى الصحارى ـ
ولذا أتيت مع المساء لأستبيح رؤى التلاشى !

● ●

أنا جئت يا نبع الصفاء لكى أعيش مع السكون
لكننى ما كدت أجتاز الربى .. تحت الغصون
حتى سمعتك تصرخين .. وتصخبين على التياع :
ـ ما هذه الضوضاء تبعثها الطيور بلا انقطاع ؟!
فلتسكتى أبناءك المتهورين الطائشين !

● ●

ماذا بهم هذا المساء ؟ .. فقد تمادوا فى الصياح ؟
أيكون هذا الليل عند الطير ليس له صباح ..
أم يا ترى جنوا بوقد الحب فاعتزلوا الرقاد
وتقاسموا الآمال والأحلام فى ظل السهاد
ويحى ! .. فررت من الجراح .. لكى أضم هنا .. الجراح !

● ●

أنا لي لديك ، كما لهم ، ركن بحضنك يا شجيره
أنا لي هنا حق التعبد .. راهباً .. قد جاء ديره
أنا لي التوغل فى دجاك ولي التأمّل فى فضائك
أنا لي الذى قد طرزته يد الطبيعة فى ردائك
.. أوليس لي قلب كقلبك .. ناعم مثل البحيره ؟

● ●

أوليس بى شوق الطيور وفى دمى سر الخميله
ومنى كأوراق الغصون تمد لي كفاً ظليلة
هى كلها أحلام قلب يحتسى كأس الخيال
هى كلها آمال حس مرهف يهوى الجمال
حسبى أحس بها تعيش .. وإن تراءت .. مستحيله



حسّان عطوان

اتجاهات الشعر الخليجي

في مرحلة ما بعد ظهور النفط

أظن أن المحاولة الأولى ، لوضع مرتسمات الشعر العربى فى الخليج (في مرحلة ما قبل النفط) .. كانت قد تطرقت إلى جملة قضايا .. أراها مدخلا أساسياً لفهم مرحلة الشعر العربى فى الخليج (ما بعد النفط) .. واتخذت المحاولة فى سعيها لتأصيل ورسم ملامح ذلك الشعر .. عدة محاور .

(الشعر التقليدى) السلفى ، وعني (شكلا ومضموناً) بمحاكاة القصيدة العربية (الجاهلية..) من حيث البناء الهندسي ، ووحدة البيت والوقوف على الأطلال ، والنسيب .. ومن ثم المديح .. أو الدخول إلى غرض الشاعر .. فأبيات من الحكمة .. كان ذلك يحدث فى كل قصيدة شعرية .. على وجه التقريب .. لشعراء مرحلة التقليد الكربونى .. للقصيدة العربية ، وفى يقينى أن ذلك الشعر كان هابطاً .. من الناحية (البنائية) و (الفكرية) .. واذا تتبعنا (الشعر الخليجى) فى تلك المرحلة .. وأغراضه الشعرية وجدناها .. تتراوح بين :

أ ـ شعر المديح الدينى :

إذ واكب هذا التيار الشعرى فى الخليج ، بدايات تأسيس المملكة العربية السعودية . وما نشأ على هامش هذا التأسيس من (حرب) صغيرة .. بين القبائل المتناحرة ، وما آلت اليه الأمور بعد ذلك من استتباب السيادة «لآل سعود» .. فكان هذا التيار يضع شعره فى إطار (مفهومات دينية مدحية) .. إذ برزت له القضية الجوهرية فى تأسيس الكيانات السياسية آنذاك على صورة (اسلامية) .. فرأيناهم يسوغون العنف والبطش كما تجلى ذلك لدى الشاعر (أحمد بن مشرف عام ١٨٦٨) .. إذ زاوج بين تسويغ العنف السياسى . لاستتباب الكيانات السياسية . وبين المديح للحاكم المنتصر .. وتعتبر القصيدة لدى (ابن مشرف) نسخاً كربونياً عن قصائد المعلقات .. والقصائد الجاهلية . حريصاً على (الاستعارات والكنايات والتشبيهات البلاغية) وما إلى ذلك من ضروب فن (القصيد) النمطي (السلفي) .

ويكاد (ابن عثيمين) (١٨٥٣ ـ) يكون مثالا آخر يعضد ما نذهب اليه من رأي فى هذا (الاتجاه الشعرى الخليجى السلفى) ..

ب ـ شعر المديح السياسى

وقد برز هذا الغرض الشعرى فى القصيدة العربية لشعراء الخليج ، مع تصاعد الحس الجماهيرى العربى القومـى .. والهبات والانتفاضات الشعبية التى دخلت جولات الغضب العارم ضد الاستعمار المخيم على (الخليج) بكل وطأته ومرارته .. فكان هذا الشعر استجابة موضوعية . لواقع النهوض الوطنى فى دول الخليج العربى . ويكاد (الشاعر خالد الفرج ١٨٩٨ ـ ١٩٥٤) يكون أصدق وأبرز نموذج شعرى .. لا بل ـ أكاد أوقن ـ أنه أعمق شاعر خليجى ، نفذ بجدارة وتصميم الى صلب الأحداث السياسية وخلفياتها .. فحمل وتحمل بصبر وكرامة ، تبعات موقف الشاعر الملتزم .. اغتراباً وتشرداً بين الهند ، والبحرين . والكويت ، والعراق ، والسعودية ، وأخيراً (دمشق الشام حيث مات) ..

كان يزاوج بمقدرة فكرية ووضوح بين (الأنا / الشاعر) وبين (مجموع الشعب)

ج ـ شعر الفلسفة والحكمة والطبيعة ...

وهذا الغرض الشعرى الذى حاوله شعراء الخليج .. يصرح مضامين فكرية وفلسفية ، بتأثير من ثقافات (هندية) و (فارسية) وأحياناً (لاتينية) .. واتخاذ وسائل (بنائية فى القصيدة) تكاد تكون رائدة فى شعرنا ، إذ وجدنا لدى الشاعر (ابراهيم العريض) أشكالا متعددة للقصيدة (الملحمية) و (القص الشعرى) .. مصحوباً برؤية فلسفية تعيدك آليا وبلا تردد إلى أشعار (الشاهنامة) والفردوسى ـ والفيروز أبادى ـ وأجواء فلسفة الهند القديمة ، وأشعار طاغور وأحياناً الخيام ، كل هؤلاء لهم أصداء وبصمات فى شعر (العريض) .. لكنه صدر عن صوت خاص به ورؤية تنأى به عن التقليد ، الأمر الذى يجعله شاعراً كبيراً بحق بين شعراء العربية الأوائل ..

د ـ شعر الغربة والعدم والرفض ...

وأكاد أقول إن السمة الشعرية التى وسمت أشعار جيل (صقر الشبيب) و


فهد العسكر


ابراهيم العريض


علي عبد الله خليفة

(فهد العسكر) .. (والشعراء العميان) الذين فقدوا نعمة البصر .. هى الغربة والرفض والانسحاب من الحياة ، راحوا يبثون الغرف المظلمة الرطبة مواجع أفئدتهم المريرة .. فانهالوا على الحياة غضباً عارماً وصراخاً مكبوتاً يشق قلب الليالى .. ولا أظن أن هؤلاء الغاضبين من شعراء الخليج أخذوا حقهم من الدراسة الفنية والفكرية .. لأسباب أرجعها ــ من وجهة نظرى ــ إلى :

أ ــ رفض الواقع لهم .. (المجتمع ، وأسرهم ، وأصدقاؤهم لهم) ..

ب ــ ضياع وتلف أعمق أشعارهم .. لدواعى عدم تدوينها أو إحراقها .

جـ ــ حالات القنوط والاحباط الرهيب الذي تعرض له هؤلاء الشعراء (الغاضبون) والذى دفعهم إلى الصمت الذى أسلمهم بزراية للموت فالنسيان .. (يقول الشبيب) ..

وحسبك أنني أعمى مقل
يضاع فى الكويت بلا طلاب
مقامى صفر كف فى أناس
تعد المعسرين من الكلاب

أقول : يجدر بنا (نحن الدارسين والكتاب العرب) أن نؤرخ لهولاء المنسيين ، وننفذ إلى أعماق ابداعاتهم ــ على ضوء معطيات النقد المعاصر .. ولا سيما الاتجاه (النفسي) فى النقد ..

الشعر وواقع الكيانات السياسية

مع ظهور الكيانات السياسية العربية فى الخليج ، أخذت ملامح صحوة .. ونهوض فكرى تخلى مواقعها الثقافية القديمة لتنتقل عبر (وعى شديد) فى التجذر الوطنى والقومى لانسان الخليج باحثاً عن انتمائه (الروحى) و (السياسى) ، لتوكيد نموذج (المثقف الخليجى المعاصر) وبدا واضحاً أن هذا الانتماء الثقافى ، أخذ يعلن التصاقه وخصوبة رؤاه عبر واقع الكيانات السياسية الخليجية .. ولم يكن متخلفاً فى أى حال من الأحوال .. عن النهوض العام (اقتصادياً) و (سياسياً) و (اجتماعيا) وإن كان من موضوعية القول ، أن نشير إلى أن الجو الثقافى العام لم يكن قد حدد أطره وملامحه بوضوح .. فكان متردداً بين نزوعه السلفى ، وتوقه إلى مواكبة العصر .. ولم تطل فترة التردد .. فأعلن عن هوية حداثته ..

كانت المنطقة ، تمور بالأحداث ، وكان الاستعمار يلفظ آخر أنفاسه .. مع تصاعد الانتفاضات الجماهيرية الغاضبة والمنادية (بالحرية) .. وكان صوت (عبد الناصر) يعلن نهوض القومية العربية .. بعد أن كسر (رأس الرمح القاتل) عبر تحطيمه قواعد الاستعمار فى المنطقة ، وتحركه التاريخى القومى لدعم مواقع (الوطنية المستنيره) فى الوطن العربى فكان الخليج ، يرد الصدى .. ويتسلم هوية الانتماء القومى الصريح .. من هنا .. بدأ الجو الثقافى العام فى الخليج ، يمد جسوره عبر (القاهرة) و (بغداد) و (دمشق) ولعل أبرز المواقع الثقافية الخليجية والتى تفاعلت بقوة وهزتها الأحداث القومية ، تكاد تكون (البحرين) و (الكويت) .. لعدة أسباب منها ..

١ ــ انتشار التعليم والمدارس فى فترات مبكرة ساعدت فى التوعية وايقاظ المشاعر القومية .

٢ ــ فى عام ١٩٣٤ أنشئت أول مطبعة لتنشر الكتاب الذى ساهم فى نهوض الوعى الخليجى .

٣ ــ ارسال البعوث الطلابية إلى أوربا لتلقى العلم والعودة للمشاركة فى التنوير .

٤ ــ تعدد الأندية الثقافية .

٥ ــ انتشار الصحف والدوريات الثقافية والسياسية .

٦ ــ انشاء مجالس الشورى ..

الوطنية الاصلاحية

ولعل أغلب شعراء الخليج قد تفاعلوا مع الأحداث القومية العربية . وكتبوا من خلال ذلك شعراً وأدباً يحث على اتخاذ كل الأسباب التى من شأنها أن تؤكد مواقع الحضارة العربية ، وبأسلوب وعظى وإصلاحى يقول الشاعر «محمد بن عيسى آل خليفة» .

يابنى العرب أفيقوا مالكم
تتناجون بلوم وتلاح
كثرة الأقوال لا تنفعكم
اعملوا فالله يهدى للنجاح
انشروا العلم أقيموا صرحه
فمنار الحق لا يمحوه ماح

ولقد كانت هذه الاصلاحية ، استمراراً لأدب وثقافة العشرينات من القرن العشرين والتى شهدها الخليج العربى ، مع تصاعد حدة حركة مقاومة النفوذ الغربى وضد الضغوط الاستعمارية فى المنطقة العربية . وكان (يوسف القناعى) أديباً خليجياً إصلاحياً ــ هو الآخر ــ

غير أن تحولا نوعياً طرأ على الفكر الثقافى الخليجى . ليغادر (الاصلاحية) إلى (التوفيقية) بين التراث والمعاصرة .. ولنشاهد نماذج أدبية وشعرية تحاول أن تقرأ التراث قراءة معاصرة . على ضوء معطيات العصر .. وهذا ما نلاحظه فى أدب (جيل الشعراء الشباب) .. ويأتى الشاعر (على عبد الله خليفة) كأبرز مثال على هذا التيار .. «وسأفرد له دراسة ملحقة فى موضع آخر» وأعود إلى تسلسل خطوات البحث .. لنرى .

اتجاهات الشعر الخليجي
في مرحلة ما بعد ظهور النفط

تيار المواجهة

وهذا التيار الشعرى .. وقف فى مواجهة الاستعمار والظلم منددا وفاضحا ألاعيب القوى العظمى لتبديد طاقات شعب الخليج العربى .. فيقول الشاعر (ناصر سليمان بو حميد) .

من لهذى الأوطان أرهقها الظلم
فضجت من غفلة الأبناء
لا أرى من مباهج الشعب إلا
صرخات مكبوتة الأصداء

وهذا الصراع الواعى الذى تمثله شعراء تيار المواجهة ، كان يتسم حينا بالانفعال وغالبا ما كان الشعر يقدم الحل والبديل .. فيقدم (عبد الرحمن المعاودة) .. حلا لتطهير الأرض من الغزاة .. وهو السيف .. يقول .

إذا الطغاة تمادوا فى ضلالتهم
يقومون بحد السيف والأسل
عهد لنا كان بالأسلاف مزدهرا
فهل يكون لعود فيه من أمل
إنى أرى حاضر البحرين ينذرنا
بما تخبؤه الأيام من علل
إذا توانيتمو فى سعيكم ذهبت
بلادكم ثم بؤتم بعد بالفشل

ولأن هذا التيار كان يعى أسباب ومسببات السقطات والتحديات .. فقد نبه بحزم وبنوع من النقد الذاتى الايجابى لما ستؤول اليه العاقبة والمصائر إذا لم يوضع حد للتردى ..

ويكاد يندرج تحت هذا التيار الشعرى .. مواقف الشعراء الخليجيين الذين رصدوا واقع الانتفاضات الجماهيرية ، والمظاهرات الطلابية الحاشدة بسقوط الاستعمار ورحيله فى فترة الخمسينات من الخليج ، ولقد صور الشعر المجازر التى ارتكبها المستعمرون بحق المظاهرات الطلابية .. التى احتشدت مندّدة بطرد (الف وخمسمائة عامل عربى) من شركة (بابكو الأميركية ، وهذه الأحداث عرفت بأحداث مارس المجيدة عام ١٩٥٦ فسقط فيها الشهيد (عبد الله حسين نجم) .. عامل عربى خليجى فقير .. حوله (علي عبد الله خليفة) الى رمز للثورة والبذل والموت الملتزم ، فيقول :

كبرت بنت البستين تنامت
فى رياح المستحيل
كانت السقيا .. دماء
كنت (عبد الله) تاريخا من الذل
وللفقر وعاء
رافض أنت ومرفوض عنيد
عبر تاريخ الولاء
إننى اليوم تذكرت أباك
عندما قال أريد
أى وحق الشمس إذ تشرق يوما
إننى دوما أبوها وأريد
فاذا مت سأحيا
كل يوم سوف أحيا من جديد ..

أجيال الشعر الخليجى الحديث

فما هى اتجاهات هذا الجيل الشعرى الذى تفتح على وعى حضارى جديد ، لاسيما بعد النقلة (الاقتصادية) المفاجئة .. أثر ظهور النفط فى الخليج العربى .. أتراهم تواءموا مع المرحلة الجديدة ؟!! . أم استساغوا معطيات هذه النقلة ؟!! أم أنهم ظلوا مرتبطين بواقع مرحلة ما قبل النفط ؟!! .. هذه أسئلة تفرض نفسها وبالحاح .. ونحن إذ نتصدى لمحاولة رسم إطار لثقافة أجيال ما بعد النفط .. فلابد أن نحدد (وبموضوعية) اتجاهات هذه الأجيال الشعرية ، الخليجية .. والأغراض التى طرقوها .. والمفاهيم التىبلوروها فى رؤيتهم الشعرية .. وأجدنى قبل أن احدد تلك الاتجاهات .. أقرر جملة حقائق موضوعية .. أراها على النحو التالى ..

١ ـ تأثر هذا الجيل الشعرى بمعطيات وأطر الثقافة العربية والعالمية المعاصرة بشكل ملفت للنظر ..

٢ ـ الصدق المطلق الذى يصل إلى حد الجرح والنزيف دون مداراة أو تملق للذات أو للواقع الموضوعى .

٣ ـ ظهور اتجاهات انسانية وسياسية فى هذا الشعر ، تتساوق مع خصوصية الانتماء الوطنى والولاء القومي .. والتجذر فى التراث .. رغم الأشكال الحديثة للبنى الهندسية فى القصيدة الحديثة ..

٤ ـ الوعى الحار لارتكاسات الواقع المحلى والعربى والعالمى . وانعكاس ذلك بعمق فى المحاولات الشعرية الحديثة .

ما هى اتجاهات الشعر الخليجى الحديث

وتكاد تنحصر تلك الاتجاهات بما يلى
١ ـ اتجاه رومانسى .
٢ ـ اتجاه واقعي ملتزم .
٣ ـ اتجاه رمزى ميثولوجى ..

أما الأغراض التى طرقها الشعراء العرب الخليجيون فهى نابعة من (الواقع) و (الحلم) .. فهى تارة تنعى البداوة وحياة الألفة والبساطة العربية التى كان يحياها إنسان الخليج فى مرحلة ما قبل النفط ، ومرة نحس الغربة والأسى يكتنفان القصيدة الشعرية وطورا .. يفيء الشاعر إلى الرمز واستلهام الميثولوجيا (العربية القديمة) أو (الانسانية) فى محاولة منه لايجاد مصالحة بين التراث والعصر . مواجها عبر هذا الشكل الشعرى ضغوط الواقع وسقوط القيم وانحدار العالم إلى الحضيض .. ولكل اتجاه شعرى ممثلوه من شعراء الخليج الأصلاء .. ولا تدعى هذه الدراسة إحاطة شاملة بجميع شعراء تلك الاتجاهات .. ولكننى سأكتفى بالوقوف عند النماذج الشعرية الجادة .. وممثليها من الشعراء الخليجيين الذين أكدوا أصواتهم الخاصة بهم .. على أن أعود فى دراسة تالية لتتبع بعض الواعدين شعريا ..

الاتجاه الرومانسى الحديث

ما إن دخلت منطقة الخليج (عصر النفط) .. حتى تدفقت الحضارة بكل

تقنياتها وآلاتها وسلعها الاستهلاكية ، وكان ذلك كافياً ليجد الشعراء (المخضرمون) أنفسهم فى بلبلة وحيرة ، إنها الحياة الجديدة . بكل قيمها السريعة وغير الانسانية . فكيف يتم التزاوج بين بساطة النفس والروح ونزوعها إلى الانطلاق الكسول فى فلوات الصحارى والتريض عند سيف البحار ؟! كيف ؟!! معادلة صعبة لم يهضمها شعراء (الما بين) إذا جاز التعبير .. لذا فقد وجدنا من يستمر على اتجاه (ابراهيم العريض) فى المثابة إلى الطبيعة حتى وإن كانت (بيت شعر وخيمة مبددة فى فلوات وجمل صبور على الرمضاء) ..

فالشاعر الكويتى المخضرم (أحمد العدوانى ١٩٢٣ م – ..) لا ينفك ينعى على عمره تلك البدوات الجميلة التى كانت .. ويرفض مظاهر الحياة الجديدة .

يقول :

ياليت شعرى .. ما أرى ؟ ما فعل القدر
ملاعب الربيع قد حلت بها الغير
عفى على آثارها .. ناس من الحضر
شادوا عليها لهم القصور من حجر
كأنها مقابر معكوسة الصور
كنت هنا ، وكان لى بيت من الشعر
وذكريات نفحت من زهرة العمر ..
الحب فيها والمنى والظل والشجر
واليوم مالى هاهنا .. بيت ولا أثر

لكأن العدوانى يعبر عن هذا التناقض بين قيم ومواصفات اجتماعية وحضارية قديمة تنحسر .. وأخرى جديدة تتقدم وتفرض حضورها .. ولتقلب الحياة رأساً على عقب .. هذا التناقض جعل الاتجاه الرومانسى يتعزز أيضاً لدى (الدكتور القصيبي ١٩٤٠م) .

ولكن فى اتجاه آخر .. كان من أسبابه وبواعثه (هامش الحرية الاجتماعية) والانطلاق الذى حملته الدنيا الجديدة .. (فالكاعب الحسناء) أصبحت على مرأى العين .. فكيف لا يورق القلب حباً ..

يقول القصيبي :

فتنتي ألمح فى عينيك أغوارى السحيقه
وحكايات الصبا الأولى الحكايات العتيقه
فتنتي ألمح فى عينيك ميلاد الحقيقه
من أنا ؟!! تعرف عيناك حكايات شبابى
وارتحالى ضاحكاً للهول فى بحر ضباب
خلف عينيك أرى ضعفى وخوفى وبكائى

هكذا تفجأ الحضارة الوافدة .. قيم هؤلاء الشعراء الخليجيين .. فمن ناقم على هذه النقلة ومن مستجيب لها .. مصور لما يعتمل فيها من (وجد) و (صبابات).. يمضى (القصيبي) مصوراً مظاهر الحياة الجديدة المنطلقة ..

أنت فى دوامة الرقص معه ..
ضمة حرى ، فم قرب فم
وأنا ، – بالسكون الزوبعه ..
ألم منفجر فى ألم
شعرك الأشقر مجنون اللظى
باحث فى لهفة عن كتفيه ..
وأنا منصهر فى قدحى ..
أشرب الجمر الذى يطفو عليه

وتكثر التداعيات الذاتية الرومانسية فى شعر (القصيبي) ، نتيجة خواء الحياة الجديدة التى تخترق أعصابه ، لتسلمه للملل والعناكب الدميمة .

منطرح هنا فى حفرة الهزيمة
أراقب العناكب الدميمة تنسج فوق أضلعى خيوطها
أراقب الصباح والمساء
يتابعان الرحلة العقيمة ..

ومن هذا العقم الانسانى والقنوط .. الذى يحسه (غازى القصيبي) من السعودية والبحرين .. إلى الكويت حيث وجدانيات (خليفة الوقيان) (١٩٤١م – ....) ومحاولات بحثه عن (يوتوبيا المدن الفاضلة) حيث لا قهر ولا عرى ولا جوع .. وهذا ما يجعل الوقيان ، عن جدارة وحق خير من يعبر عن (الهم الجمعى) العام .. يقول (الوقيان) ..

سرت بالأمس كئيباً متعباً
مجهد القلب بدرب الحائرين
عل روحى أن ترى من ظمأ
خيط نور فى دروب المدلجين
حيثما قلبت طرفى لا أرى
غير زيف عشيت منه العيون
ووجوه مسح العار بها
عاره من خجل فى العالمين
تتهادى فى رياض فرشت
بجنى الورد وروح الياسمين
معشر قد أترع الدهر لهم
كل كاس من دموع البائسين

هذا الألم الممض .. الذى يجعل من (الوقيان) ورقة حنونة فى قلب العاصفة .. يدفعه إلى أن يواجه العاصفة .. وكعادة الشعراء الرومانسيين الذاتيين .. يتلقون بؤس الواقع بصدورهم وقلوبهم وزهرات أعمارهم .. يقول .

غير أنى وقد خبرت الليالى
والليالى لكل فجر شهود
قد رأيت الصباح فى جوف كوخ
بائس فوقه تصيح الرعود
يمضغ الجوع والشقاء ويسمو
حين يعلو على القلاع الصمود
قد رأيت الصباح فى كل عين
صلبتها على الطريق الوعود ..

إنها رؤية العارف الخبير بتقلب الليل والنهار .. ومن يدرى ما تحمل الأيام .. هوى وسكينة واطمئنانالروح (الوقيان) المعذبة :

إنى لأهوى أن أرى قبساً
بين النجوم لعالم أرقى
حيث التفت فثم ساجعة
تسقى الهوى من سلسل رقا
الأرض للانسان يعمرها
وعلى معارج وعرها يرقى
لا الظلم ، لا الأحزان تسحقه
لا محنة من كأسها يسقى

حسان عطوان

غازى القصيبى



أحمد العدوانى



هموم ثقافية

علي عبد الله خليفة

الماضي وتحديات العصر

فى العاصمة الفرنسية التقيت بالمفكر الفرنسى البروفيسور جاك بيرك بمكتبه المتواضع فى (الكولج دى فرانس) ، وكنت برفقة أحد المثقفين الخليجيين المقيمين بباريس منذ حوالى أحد عشر عاماً ، ودار الحديث طويلا حول عدة مواضيع مهمة .

إن أول ما يثير إعجابك بهذا الرجل هو سعة إطلاعه على أمور ومشاكل الوطن العربى والأمة الاسلامية ، وموقفه الصلد من نصرتها ، وشغفه بادب منطقة الخليج العربى ضمن اهتماماته الواسعة بالأدب العربى ومتابعته لكل جديد ذات قيمة فيه . ولقد سبق له أن ترجم الى الفرنسية بضع قصائد لشعراء من الخليج ونشرها على نطاق واسع بين قراء اللغة الفرنسية .

ولقد تطرق الحديث الى كتابه القيم (الاسلام والتحدى) الذى أصدره مؤخراً عن دار (غوليمار) بباريس . ويضم هذا الكتاب خلاصة تجربة البروفيسور جاك بيرك مع الفكر الاسلامى ، حيث يؤكد فيه على أن العرب بعد فشلهم فى تجربة البدائل العقائدية للنهوض بمجتمعاتهم النامية أخذوا فى العودة الى الأصول ، وهذا عود محمود لولا انه محفوف بكثير من المزالق المميتة . فالعودة الى الأصول ليست تعنى بأى حال من الأحوال الرجوع الى الماضى والوقوف معه من حيث ابتدا ، وإنما هى وصل الماضى بالحاضر واستكمال الطريق بما يلائم الزمان والتطورات الخطيرة المستجدة فيه ، والتى تشكل فى كل يوم تحد جديد يستوجب المواجهة والاجابة عما يثيره من اسئلة .

يقول بيرك ، وهو يشبك يديه ببعضهما على الطاولة الصغيرة أمامه وعيناه تسرحان فى البعيد : سيفرح أعداؤكم كثيراً وهم يرونكم تغرقون فى الرجوع الى الماضى والقبول به كما هو وانتم أبناء هذا الزمـــان ، وسيصفقون لكم طويلا ويدفعون بكم دفعاً الى البقاء حيث انتم ، بينما بأيديكم إمكانية إعادة صياغة هذا الماضى بلغة العصر وتوظيفه فى الحياة الجديدة الى أبعد الحدود ، فأنتم أمة ذات أصالة وحضارة وغنى ، تواجهون من المشاكل والتحديات ما لم تواجه أمة أخرى فى تاريخنا البشرى .

حول فنـون الخليـج الشعبيـة
الفرق القومية واستلهام التراث الشعبي

مع بداية الاهتمام الاعلامى بفرق الغناء والرقص الشعبى فى الخليج ، وتطور هذا الاهتمام من الدعم والرعاية العامة لياخذ جانب تنظيم هذه الفرق واختيار عناصرها لتشكيل فرق قومية تمثل بلدان الخليج فى الاحتفالات العالمية .. دخلت على بعض الأغانى والرقصات الشعبية الأصلية بعض التحويرات والتعديلات فى الشكل والمضمون بحيث تتناسب والأداء الحديث وأصول العرض على المسارح الاحتفالية الكبرى . وليس هذا مقتصراً على بلد دون آخر ، لكن الظاهرة تنسحب على كل أجزاء الخليج بعد أن شملت بعض الأقطار العربية . وهى ظاهرة جديرة بأن نقف عندها قليلا .

إن مثل هذا التوجه إيجابى ولا شك . يأتى بعد فترة طويلة من إهمال هذه الفرق . فهو من ناحية يقدمنا الى العالم كشعب عريـــق ذى تراث غنى بتعدد الفنون ، ومن ناحية أخرى فان أغلب الفرق التى تسافر لتمثيلنا فى الخارج تطعم بعناصر شابة ، وهى بفعل عشقها الفطرى لهذه الفنون وممارستها والاحتكاك بأساتذتها الشعبيين من كبار السن ستنتقل اليها جميع أصول الأداء الفنى ، وتحفظ لنا بذلك استمرار تدفق هذا الرافد الغنى من التراث . ولكن يبدو لى أننا أغفلنا جانباً مهماً ، وهو استخدام أرقى أدوات التقنية الحديثة فى تسجيل وحفظ تلك الفنون بأصولها الفطرية الأولى قبل أن يمس مادتها الخام أى شيء من التحوير أو التعديل أو التطوير ، وإعدادها كوثيقة مصدرية أساسية ثابتة يأتى التعديل والتحوير والتطوير بعدها . بمعنى آخر ، إننى أرى أنه من الواجب أن نقف لنثبت أصول الفنون الشعبية التى عبرت عن روح الشعب فى فترة زمنية مضت ، حتى نفصل بينها وبين أية محاولة من محاولات التطوير فى عصرنا الحاضر المختلف تماماً عن العصور التى ابتدعت فيها تلك الفنون ، وحتى لا تمحى الأصول الأولية وتختلط الأمور على أجيالنا القادمة ويضيع تراثنا الشعبى فى محاولات التطوير المبتسرة البعيدة عن روح ذلك التراث .

إن عمليات الاستيحاء والاستلهام والتطوير للتراث الشعبى لا يجب أن تكون عملا عشوائياً خاضعاً لمزاج أو أهواء أى فرد أو جهة ، وإنما هى دراسة واستيعاب وحسن تمثل وإعادة خلق .. وإبداع .

● ● ●

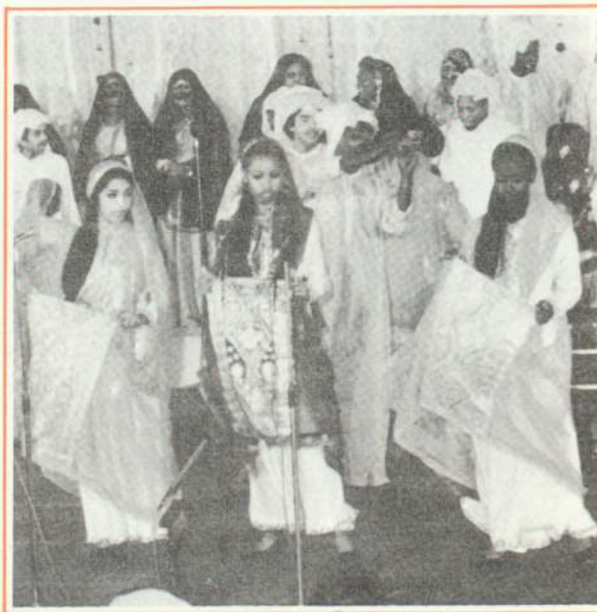
من المعروف محلياً ، أن رقصة (العرضة) من أقدم الفنون الشعبية فى الخليج العربى المرتبطة بطبيعة حياة الانسان فى صحراء الجزيرة العربية حيث الفروسية هى ميدان الرجولة . و (العرضة) رقصة الحرب قديما ، وتعتبر تعبئة إعلامية للمقاتلين ، ودعوة لاستعراض قوتهم وتاييدهم للقائد ، وبث الرعب فى نفس العدو ، وهى الرقصة الوحيدة من بين الرقصات الخليجية التى يشهر فيها الراقصون السلاح من سيوف وخناجر وبنادق ، وهم يرقصون على أنغام الطبول والدفوف والصاجات ، وترديد المنشدين للشعر الحماسى .

أما (الليوه) فهى من الأغنيات الشعبية الخليجية الوافدة من السواحل الأفريقية ، جلبها الأرقاء السود لتعبر عن مدى حزنهم وشوقهم للديار والأهل الذين دونهم أهوال . ويشير المسنون من أساتذة هذا الفن وهم يغالبون فواجع الذاكرة ، الى أن (الليوه) التى تستخف أبناء الخليج طرباً ليست إلا رقصة افريقية جنائزية ، للتعبير عن مدى الحزن وعن أقصى درجات التألم ، يؤديها الانسان المقهور فى مجتمع القبائل البدائية بأفريقيا عندما تلم به مصيبة ، فيأتى اليه أقاربه وأصدقاؤه ومحبوه من رجال ونساء يدورون حوله فى حركات بطيئة ، حاملين رماحهم ، يرددون ما يقول على دقات طبل جهير وصوت مزمار حاد تعبيرا عن المشاركة وحباً فى إظهار العزاء والمساعدة . واقدم ما وصل إلينا من نصوص الكلمات التى تغنى فى (الليوه) باللغة السواحلية (لغة الساحل الافريقى) ينم فعلا عن ألم ممض وحزن لا حد له ، ويصور حالات فاجعة للفقد والفقر والهوان والموت .

ويقول الراوى السيد جمعة فيروز عبد الله الملقب بأبى سماح من الشارقة والبالغ من العمر ٩٧ سنة بأن صوت المزمار الافريقى (الصرناوى) فى رقصة (الليوه) ما هو إلا صراخ نائحة مسكينة .

لقد شاهدت بفرح واعجاب أول عروض الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية على مسرح سينما الخليج فى الدوحة خلال احتفالات قطر بالذكرى التاسعة ليوم ٢٢ فبراير ، وهى تؤدى شيئاً من رقصتى (العرضة) و (الليوه) . فرحت ، وأنا أرى البذرة التى بذرتها إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام القطرية وهى تثمر بعد ثلاث سنوات من الجهد والمال والتغلب على شتى انواع المشاكل التى تواجه أى عمل رائد فى مجتمع نام . فخلال السنوات الثلاث الماضية كان الجهد مضنياً فى اختيار

أول عروض الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية .



العناصر القابلة للتشكل من الجنسين ، وفى تدريب تلك العناصر وتطويع أجسامها الطرية لتستجيب لأصعب الحركات الايقاعية واكسابها اللياقة البدنية المطلوبة باحدث الوسائل العلمية ، ثم دمج هذه العناصر الفنية بفرق فنية شعبية محترفة من النساء والرجال لمدد ليست بقصيرة . وبحكم اهتمامى كنت أتابع ذلك عن كثب منذ التدريبات الأولية فى عام ١٩٧٨ الى العرض التجريبى قبل بضعة أسابيع من العرض العام . ولقد أعجبت بتصميم وأداء اللوحتين المستوحاتين من رقصتى (العرضة) و (الليوه) ، على الرغم من أن التصميم لم يتعد بعض الاضافات والتحويرات الفنية الطفيفة فى حكات الراقصين والعازفين الأصلية شكلا ومضمونا ، لقد كانت لفتة ذكية أن تطعم الفرقة فى أدائها للوحتين على المسرح بعناصر معروفة من كبار محترفى هذه الفنون فى قطر مثل السادة : حارب الحارب ، وابن عواد ، ومبارك بن خميس ، وغيرهم . فهم من جانب ، عنصر ضبط فى الايقاع والرقص لأداء الفتيان الذين يواجهون جمهوراً بهذا الكم الكبير لأول مرة ، ومن جانب آخر ، فان وجودهم واندماجهم فى الأداء يؤكد على أن التحوير فى بعض الحركات ليس بعيداً عن روح الرقصتين ، ولا يمثل خرقاً لأصولهما ، مع اننا يجب أن ننظر الى عمليات التطوير فى فنوننا الشعبية على أنها عمل فنى جديد مغاير للأصل المستوحى منه كلية ، فالتطوير قد يمس جانباً واحداً وقد يمس أغلب الجوانب ويبقى على الروح أو الجوهر .

وإذا كان ميلاد الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية انجازاً مفرحا لادارة الثقافة والفنون ، فاننى أعتبر ظهور الفتاة القطرية لتؤدى لوحات فنية راقصة على المسرح أمام حشد من الجمهور .. جنباً الى جنب مع إخوانها وزملائها الشباب إنجازاً ريادياً رائعاً تسجله وزارة الاعلام بالنسبة للمجتمع القطرى . فتحية لأعضاء وعضوات الفرقة ، تحية لكل الجهود الخيرة التى غذت مسيرتها منذ البداية الى أن تخطت بها الصعاب ، تحية للفنان سامى يونس الذى تعهد البذرة وتحمل مسئولية أن تسقى وتنبت وتعطى .. تباشير الثمر .

العمل الثقافي والعمل الإعلامي

الاعلام علم وفن له أصوله وأجهزته المتطورة ذات الفعاليات النافذة والمؤثرة . وعلى صعيد الدول والهيئات والمؤسسات الكبرى بتنوع أهدافها واختلاف قدراتها يشكل الاعلام جزءاً استراتيجيا مهما فى خططها القريبة أو البعيدة المدى . وإذا كان الاعلام يعتمد فى مفهومه العام على فن تبليغ أو توصيل معلومة ما الى الناس وتحقيق الوصول والتوجيه المطلوب بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، خدمة لغرض معين ، بغض النظر عن نفع هذا الغرض أو ضرره .. صحته أو خطئه بالنسبة لهؤلاء الناس ، حسب وجهات النظر المتباينة ، فان الاعلام بمفهومه المتطور وأجهزته الحديثة يعتبر عالما صغيرا من عوالم الثقافة بمعناها الواسع العميق .

ونتيجة لظروف المجتمعات العربية وتحديدها لنوع الثقافة التى يجب أن تسود بين الناس دخلت الثقافة الرسمية كجهاز صغير من أجهزة الاعلام ، واختلط معناها بالمعنى العام لبقية الأجهزة الاعلامية العتيدة ، وتداخل العمل الثقافى بالعمل الاعلامى حتى أصبح كل منهما يؤخذ بما يؤخذ به الآخر على الرغم من بعد الشقة بينهما ، فيقارن الجهد فى إصدار كتيب ضمن خطة إعلامية ـ إن وجدت ـ بالجهد المبذول فى إصدار كتاب ضمن توجه ثقافى ، فالأول عبارة عن تجميع معلومات مجردة وصور فى متناول اليد والربط بينها وتقديمها بذكاء الى الناس لتحقيق هدف ما ، والثانى ربما يكون تجميع معلومات وآراء ومعارف فى متناول اليد كذلك ، لكنها لا تكفى لتكوين كتاب ، فلابد من إبداع وخلق تلك المادة ممزوجة بظروف كاتبها فى شكل فنى متقن أو تناولها بقدرة غير عادية فى الاستقراء والتحليل والاستنتاج وتقديم جديد فى الفن أو الفكر عموماً . لذلك يرتبط العمل الثقافى بهموم المبدع أو المفكر أكثر من ارتباطه بهموم أى من الناس ، فأغلب أجهزة الثقافة الرسمية فى البلاد العربية التى اعتبرت العمل الثقافى عملا مكتبياً روتينياً خاضعاً لمقتضيات الاعلام قد فشلت فى تحقيق أعمال ثقافية ذات تأثير يذكر فى مجتمعاتها لعدم تجذرها وملاءمتها وقربها من واقع الناس . وبعض البلاد العربية التى أدركت هذه الحقيقة سارعت الى فصل الثقافة عن الاعلام شكلا ومحتوى .

ومع التسليم بأن الثقافة يخلقها التطور الطبيعى للمجتمع مع العوامل المساعدة الأخرى ، وأن أى جهاز رسمى أو شعبى لا يمكن له وحده مهما أوتى من الامكانيات أن يخلق ثقافة ما فى أى مجتمع بين ليلة وضحاها ، فان انشاء مركز ثقافى وتجهيزه بجميع المتطلبات وتسليمه الى أى موظف فى وسط يجهل طبيعة دور هذا المركز ، يعتبر عملا إعلامياً القصد منه ابلاغ القريب والبعيد بوجود هذا الصرح ، ويعتبر المركز نفسه دافعاً قوياً لأعمال ثقافية كبيرة إذا كان ذلك الموظف ممن تشغله هموم الثقافة فى مجتمعه ولديه القدرة على توظيف كل صغيرة وكبيرة لتؤدى فعلها الثقافى فى المجتمع . كما أن إقامة محاضرة لمفكر عظيم من أقصى البلاد تعتبر عملا إعلامياً إذا كانت فى مجتمع متخلف لا يعرف قيمة هذه المحاضرة أو غيرها ولا يتفاعل معها لأنه ببساطة غير مهيأ لذلك ، وتعتبر المحاضرة نفسها عملا ثقافياً إذا كانت فى مجتمع به قدر معقول من المهتمين أو ممن لديهم استعداد ما لتقبل عمل له صلة بالثقافة ، أو كانت هذه المحاضرة ضمن خطة ثقافية مدروسة .

● ● ●

الثقافة ـ حسبما أرى ـ تأسيس فعل متنام يتناول أوليات الأمور من أساساتها ويغذى بصبر وأناة ، تماماً كالبذرة ، تحتاج أولا الى استصلاح الأرض وتقويتها ورفع قدرتها الانتاجية ثم بذرها وريها وتعهد الزرع والتحلى بالصبر .. حتى يثمر . ومجتمعاتنا النامية التى جاءت فيها أجهزة الثقافة الرسمية عشوائية اقتضتها ضرورات الاعلام العربى الحديث وابتلتها الظروف بالرجال غير المناسبين عليها أن تعيد النظر بتأن شديد فيما هو حاصل ، وليس بعيب أن تبدأ من جديد لتخلق فى الأفراد أولا وقبل كل شىء هاجس المعرفة ، وتؤسس بعد ذلك ثقافة سليمة تفعل وتنمو ، وتؤثر فى الناس .

علي عبد الله خليفة

توفيق زياد يتحدث فى يوم الذكرى .



المنصة يتصدرها تمثال للمحراث علاقة الانصهار بين الأرض والفلاح



جماهير الأرض المحتلة فى يوم الأرض



يوم الأرض

يوم الصحوة لعرب الجليل

عصــــام شــريــح

تبرز فى تاريخ الأمم والشعوب نقاط انعطاف حاسمة ، تشكل مرتكزات مهمة أمام الباحث أو الدارس أو المؤرخ ، لاجراء تقييم موضوعى لطبيعة المرحلة التاريخية الراهنة ، ولالقاء بعض الأضواء على المراحل التالية وآفاقها .

ونقاط الانعطاف هذه فى تاريخ القضية الفلسطينية كثيرة منها ، «يوم الأرض» ، ذلك الحدث الجلل الذى سطر ابطاله بدمائهم صحوة عرب ١٩٤٨ ، وعودة الروح فى أبهى حللها القانية لدى عرب الجليل .

فلقد كان يوم الأرض الذى كتبت احداثه بدماء ستة من الشهداء وعشرات الجرحى فى عام ١٩٧٦ ، والذى مرت ذكراه الخامسة فى الثلاثين من آذار (مارس) الماضى ، القاعدة الأساسية التى تبلورت عليها أشكال واساليب النضال الفلسطيني ، وتطورت فيما بعد لتتجسد فى وثيقة تاريخية هى «وثيقة شفا عمرو» التى سنأتى على ذكرها لاحقاً .

خلفيات ومقدمات :

وبالطبع فان الانفجار الذى حدث فى يوم الأرض أو «عرس الأرض» ، لم يأت من فراغ ، وانما جاء نتيجة لتراكم الأسباب والمسببات تماماً كما فى أى حدث تاريخى وتتلخص هذه الأسباب والمسببات فى لجوء السلطات الصهيونية بعيد اغتصابها فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، الى سياسة مصادرة اراضى العرب الذين لم ينزحوا عن ديارهم ، والذين يتكاثف تواجدهم فى ثلاث مناطق هى الجليل

والمثلث والنقب .

وتشير الأرقام والاحصائيات الى أن الصهاينة استولوا بعد انجاز اتفاقيات الهدنة العربية ـ الاسرائيلية ، وكنتيجة طبيعية للحرب الصورية التى سبقت تلك الاتفاقيات ، على ما يقرب من عشرين مليون ونصف المليون دونم من الاراضى الفلسطينية ، وقد جرت عملية اغتصاب الأرض بأشكال وصور مختلفة

ففى منتصف آذار (مارس) من عام ١٩٥٠ ، أقر الكنيست الصهيونى ما اسماه «بقانون املاك الغائبين» ، وبموجبه عين قيم يهودى على املاك الفلسطينيين الذين شردوا عن ارضهم تحت وطأة الأرهاب الصهيونى ، وقد أصبح هذا القيم بموجب التشريع الصادر عن الكنيست مالكاً لاملاك واموال المشردين ، وفى عام ١٩٥٣ ، حول القيم كل ما بحوزته من اراض واطيان واموال منقولة وغير منقولة الى الحكومة الاسرائيلية ، كما حولت المبانى فى المدن الفلسطينية الى شركة «عميدار» الصهيونية لاسكان المهاجرين اليهود ،

وفى أول الأمر لم تكن عملية الاستيلاء على الأرض اكثر من قيام وحدات من الجيش الاسرائيلى أو من المستوطنين اليهود فى الكيبوتسات المجاورة للقرى العربية ، باحاطة الأرض المنوى مصادرتها بأسلاك شائكة ، أو طرد المواطنين العرب من اراضيهم أو قراهم بالقوة أو نقلهم الى قرى أخرى .. هكذا بكل بساطة .

ووفق هذه الأساليب البربرية أخليت قرية «إقرت» فى الجليل الغربى ونقل سكانها فى ٥ تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ١٩٤٨ ، الى قرية «الرامه» ، وتبع ذلك اخلاء قرية كفر برعم ـ القريبة من إقرت ـ من سكانها ايضاً ، وفى ٢٥ـ٣ـ١٩٤٩ ، طرد اهالى قرية كفر عنان من بيوتهم ، وفى ٢٥ـ٣ـ١٩٤٩ طرد ٢٨ مواطناً فلسطينياً من قرية الرامه وشردوا فى القسم الشرقى من فلسطين وفى ٥ـ٦ـ١٩٤٩ طرد سكان قرى الخصاص وقبطية والجاعونه الى منطقة صفد ، وجرى فى ٢٤ـ١ـ١٩٥٠ ترحيل اهالى قرية الغابسية الى قرية الشيخ دنون ، كما جرى فى شباط (فبراير) من عام ١٩٥١ طرد سكان ١٣ قرية عربية فى وادى عاره فى منطقة المثلث ، وفى عام ١٩٥٣ (ايلول ـ سبتمبر) طرد سكان قرية ام الفرج من قريتهم ودمرت بعد ذلك تماماً ، وفى ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٦٥ ، اجبرت قبيلة «البقاره» على مغادرة بلدتها الى سوريا بالقوة .

قانون الطوارىء

وفى انظمة الطوارىء قانون استخدمته السلطات الصهيونية لتبرير مصادرة مزيد من الأراضى العربية ، هو قانون «استغلال الأراضى البور» ـ اى الأراضى غير المزروعة أو غير المستغلة ، ووفقاً لهذا القانون الذى استنه الكنيست فى عام ١٩٤٩ ، منح وزير الزراعة الصهيونى صلاحية «الاستيلاء على الأرض المبورة لتأمين فلاحتها . فى حال لم يقتنع الوزير بان صاحب الأرض بدأ ، أو سيبدأ فلاحة الأرض أو سيستمر فى فلاحتها» .

ووفق هذه القوانين للمصادرة ، أرسيت المقومات الأساسية لاصدار قانون استملاك الأراضى العربية فى عام ١٩٥٣ ، الذى منحت نصوصه وزير المالية صلاحية نقل ملكية الأراضى التى تم الاستيلاء عليها وفق القوانين السابقة الى ملكية الدولة ، وإخفاء صفة الشرعية «المزيفة» على عملية الاغتصاب والاستيلاء تلك .

وفى غضون ذلك نشهد كما تشير الى ذلك الاحصاءات ، تقلصاً شديداً فى حجم الاراضى التابعة للقرى العربية فى منطقة الجليل ، وعلى سبيل المثال كانت الاراضى التابعة لقرية «دير حنا» فى عام ١٩٤٥ تبلغ ١٥٣٥٠ دونما وبعد عمليات المصادرة والتهويد تقلصت فى عام ١٩٦٢ الى ٥٠٩٠ دونما ، وكذلك سخنين الى تقلصت اراضيها من ٧٠١٨١ دونما الى ٢٥٧٧٥ ، وعرابه من ٣٠٨٥٢ دونما الى ١٨٤٢١ دونما ، وما يقال عن هذه القرى الثلاث يقال كذلك عن قرى جث وحرفيش والطيره وطيبة الناصرة وطمره ويافه الناصرة وكابول وكفر كنا ومجد الكروم ونحف ، وقد وصل عدد القرى العربية التى صودرت معظم الاراضى التابعة لها ٤٢ قرية .

مؤتمر الناصرة

وفى النصف الثانى من السبعينات بدأت السلطات الاسرائيلية مرحلة أخرى فى خطتها الرامية الى تهويد منطقة الجليل عن طريق مصادرة مزيد من الاراضى العربية ودفع السكان العرب الى الهجرة الى الخارج . ففى النشرة الشهرية لوزارة الزراعة الاسرائيلية الصادرة فى تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ١٩٧٥ اعلن رسمياً قرار يقضى بالمضى قدماً فى سياسية تهويد الجليل تحت شعار زائف هو «قرار تطوير الجليل» ، وقد اقرت الحكومة الاسرائيلية هذا القانون فى عام ١٩٧٦ ، أما ما جاء فى نشرة وزارة الزراعة حول السكان اليهود بالمقارنة مع «الأقليات غير اليهودية» !! ، فالسكان اليهود لاتتجاوز نسبتهم فى هذه المنطقة ٣٠ بالمائة من مجموع السكان .. وان احد الأهداف الرئيسية «لقرار تطوير الجليل» هو قلب هذه النسبة بين اليهود وغيرهم وتحويل الجليل الى «منطقة ذات أكثرية يهودية» .. واضافت النشرة : «.. وعلى الرغم من الصعوبة فى تحقيق ذلك فى المدى القريب ، لذا تقرر وضع مرحلتين : اولى فى عام ١٩٨٠ ، وثانية فى عام ١٩٩٠» .

وبالطبع فان شعار تطوير الجليل هو شعار زائف قصد منه تهويد الجليل على حد تعبير رئيس اركان الجيش الاسبق حاييم بارليف ، الذى قال خلال اجتماع لما سمى «بالمجلس العام من اجل توطين الجليل» فى آذار (مارس) ١٩٧٦ :

«ان المهمة الاساسية والراهنة هى تحقيق شعار : سيصبح الجليل يهودياً .. ويهودياً صرفاً» .

وازاء هذا التكالب الصهيونى والقرارات الواضحة الأهداف والتصريحات المحمومة البينة المرامى تنادت بعض الشخصيات القيادية فى الجليل الى عقد اجتماع فى حيفا فى ٢٩ـ٧ـ١٩٧٥ ، للتشاور حول الخطوات الواجب اتباعها لمواجهة سياسة تهويد الجليل ، وقد أسفر ذلك الاجتماع عن تشكيل «لجنة المبادرة للدفاع عن الأراضى» ، وبدورها دعت اللجنة الى اجتماع عقد فى الناصرة فى ١٥ ـ ٨ ـ

يوم الأرض

١٩٧٥ ، وقد اتخذ خلال هذا الاجتماع عدة قرارات للدفاع عن الأرض ، وكان ابرزها الدعوة الى عقد مؤتمر شعبى للمطالبة بوقف مصادرة الأرض ، واصدار نداء الى الرأى العام العربى فى الجليل يحثه على مقاومة عملية المصادرة

وبالفعل عقد مؤتمر شعبى فى مدينة الناصره بتاريخ ١٨ـ١٠ـ١٩٧٥ شاركت فيه وفود تمثل المدن والقرى الفلسطينية بلغ تعدادها عدة ألوف من الأشخاص ، وبعد مناقشات ومداولات مستفيضة اصدر المؤتمر الشعبى عدداً من القرارات الهامة كان ابرزها اعلان الاضراب العام ، والتظاهر امام الكنيست ، اذا لم تتراجع الحكومة الاسرائيلية عن مخططات المصادرة وتهويد الأرض ، وجاء فى البيان الذى اعلن فى اعقاب اختتام المؤتمر ما يلى : «.. يؤكد المؤتر بشكل خاص ، رفضه الاستيلاء على الأراضى العربية ، بحجة اقامة مناطق استيطان فى الجليل والمثلث والنقب وعلى اراضى يركا والمكر وجديدة ومعليا وكفر ياسيف فى الجليل الغربى ، كما يرفض المؤتمر الاستيلاء على اراضى الرينة وكفر كنا وعين ماهل والمشهد ويافة الناصرة ، ومدينة الناصره فى الجليل الجنوبى والأوسط ، كما يستنكر الاعتداء على اراضى باقة الغربية وام الفحم والطيبة وغيرها فى المثلث» .

كما جاء فى البيان : «.. ان قرانا تنفجر بسكانها ولا تستطيع الاستمرار فى العيش ضمن مسطحات القرى القديمة ، ولهذا فالمؤتمر يطالب السلطات بتوسيع مسطحات البناء فى كل قرية لاقامة المساكن عليها ، ويطالب المؤتمر الحكومة باعداد وتنفيذ مشاريع اسكان شعبية ورخيصة فى القرى العربية لحل مشكلة المساكن وتمكين القرويين من السكن الانسانى فى قراهم» .

احداث يوم الأرض

لم تجد البيانات والاجتماعات السابقة شيئاً لزحزحة سلطات العدو الاسرائيلى عن موقفها من مصادرة اراضى العرب فى الجليل والمثلث والنقب ، الأمر الذى دفع اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضى العربية الى الاسراع فى الدعوة الى عقد اجتماع موسع كانت اللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية قد دعت اليه فى الناصره فى ٦ـ٣ـ١٩٧٦ ، وقد حضر الاجتماع اضافة الى أعضاء اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضى حوالى عشرين من رؤساء البلديات العرب أو المسؤولين فيها ، وبعد المداولة اتخذ المجتمعون قراراً تاريخياً باعلان اضراب عام فى ٣٠ آذار (مارس) ١٩٧٦ ، للاحتجاج على جريمة مصادرة الاراضى العربية ، واعتبار هذا اليوم «يوم الأرض» . وقد تجاوب الشعب الفلسطينى داخل الوطن المحتل وخارجه مع «يوم الأرض» . فوجهت قيادة الثورة الفسطينية نداء الى جميع ابناء الشعب الفلسطينى للتضامن مع قرار اللجنة القطرية لرؤساء البلديات فى الجليل المحتل بالاضراب العام فى ٣٠ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ .

لكن ماذا حدث فى الجليل فى يوم الأرض ؟

لقد كانت الاستجابة للاضراب الشامل والتصدى للمحتلين عارمة من قبل المواطنين العرب فى الوطن المحتل ، من قرى الجليل الى خان يونس وصحراء النقب ، وقد تعمد يوم الأرض ، بعد مواجهات مع جنود الاحتلال غير متكافئة ، بدماء الشهداء والجرحى ، حيث سقط تسعة شهداء واكثر من تسعين جريحاً .

واحداث ذلك اليوم التاريخى المجيد تتلخص فى ان الجيش الاسرائيلى حاول فك الاضراب بالقوة ومنع التظاهر ورفع الشعارات : «ليوقف سلب الأرض ـ لتلغ المصادرة» ـ «بالروح نفديك ياوطن ـ بالدم نحميك يا أرضنا» .. الخ ، لكن المواطنين العرب تصدوا له فى قرى الجليل ، وكانت المواجهات الدامية فى القرى الثلاث : دير حنا وعرابه وسخنين التى شهدت اعنف التظاهرات العربية ، وحيث اشتبك المواطنون العرب مع جنود الاحتلال الذين استخدموا القنابل المسيلة للدموع والأسلحة الرشاشة والهراوات ، فرد المتظاهرون بقنابل المولوتوف المصنعة محلياً ، وبالمشاعل والحجارة والسكاكين والعصى واطارات السيارات المحترقة ، وقد أسفرت الاشتباكات عن سقوط ثلاثة شهداء فى قرية سخنين ، وثلاثة شهداء فى قرية عرابه ، وشهيد واحد فى قرية دير حنا وبالمقابل اعترفت سلطات العدو باصابة تسعة من الجنود بجروح مختلفة .

وكنموذج لهذه الاشتباكات تروى المواطنة الفلسطينية فاطمه احمد زيدان من دير حنا ما جرى فى يوم الأرض فتقول ان الجيش الاسرائيلى قام بضرب حصار كامل على القرية ، بعد ذلك بدأ الاستفزاز باعتقال احد «الشبان النشيطين فى



جيل جديد يعاهد الشهداء للسير على نفس الدرب .

● يـوم الأرض الدامي أثبت أن الجماهـير الفلسطينيـة مهما طال قهرهـا ترفض الوجـود الصهيـوني لأنـها ترفـض الاسـتكانـة أمام التحـدي

العمل ضد المحتلين» ، وعندما طالبناهم باطلاق سراحه ، ردوا بدخول القرية فى المساء ، وبدأوا باطلاق النار بشكل عشوائى ، ولكن اهل القرية لم يهابوهم بل اشتبكوا معهم رجالا ونساء ، وبالنسبة لى فقد هجم على منزلى حوالى ثلاثين جنديا ، واعتقلوا ابنى واخذوا يضربونه بالهراوات ، وعندما تصديت لهم هجموا علينا جميعا انا واولادى وضربونا ، لكننا لم نسكت لهم فواجهناهم بالمثل ، وفى هذا الوقت كانت شوارع القرية وبيوتها جميعاً تشهد اشتباكات مشابهة ، وعندما رأوا إصرارنا على التصدى لهم ، حاولوا الانسحاب ، لكنهم كانوا خائفين فاعتقلوا حوالى أربعين شاباً (يافعاً) ووضعوهم امامهم خلال عملية الانسحاب .

وفى اليوم التالى اذاعوا بواسطة مكبرات الصوت ان التجول ممنوع تحت طائلة المسؤولية ، لكننا تحديناهم ورفضنا الذل ، وخرجنا الى الشوارع : «بالروح .. بالدم .. نفديك يا أرضنا» ، وبعد قليل هجموا علينا برصاصهم وقنابلهم المسيلة للدموع ، اما نحن فقد تصدينا لهم ثانية ولا سلاح لدينا سوى الحجارة والعصى ، ونتيجة لذلك سقط بعض الجرحى منا بينهم اطفال صغار ، لكننا لم نتراجع حتى ارغمناهم على الانسحاب بعد ان اصيب منهم عدد كبير ، وفى القطاع الشرقى من القرية كانوا خلال الليل قد تمكنوا من دخول بعض البيوت واعتقال بعض الرجال وهم فى ملابس النوم ، بل ان بعض المعتقلين اخذ من بيته عارياً تماماً .. لقد سقط منا ٢٤ جريحا فى تلك المواجهة ..

وتختتم فاطمة احمد زيدان روايتها لاحداث يوم الأرض فى دير حنا بالقول : اننا خضنا مواجهة مع الجنود الاسرائيليين فى ذلك اليوم الأغر وفى ذهننا انه يجب ان ينجح ، فاذا لم يكن ذلك فلن تقوم لنا قائمة بعده .. وقد نجح ، وتحقق الهدف الاساسى منه لشعبنا وتوقفت مصادرة الأرض . وغداً سيعرف الحجر فى الجليل ما فعلناه من اجل ان يظل فلسطينياً .. وعربياً .

يوم الأرض فى عرابه

فى العام التالى اى ١٩٧٧ أحيت اللجنة القطرية للدفاع عن الأرض مهرجانات واحتفالات عديدة فى عموم الوطن المحتل ، كان أبرزها مهرجان عرابه ، الذى خطب فيه عدد من الشخصيات الوطنية على رأسهم توفيق زياد رئيس بلدية الناصره الذى تعهد امام «النصب التذكارى لشهداء الأرض فى عرابه» بالمضى قدماً فى النضال من اجل ان تبقى الأرض عربية ، ولان «حبنا للأرض ، وحبنا للوطن ، وحبنا لأطفالنا وعائلاتنا ولتراب أرضنا المخضب كله بالدم .. وحبنا لأضرحة شهدائنا ، كل ذلك يتطلب منا أن نصعد نضالنا .. وعندما تاتى الساعة ، ويتطلب الامر ما هو اكثر من التظاهر والاضراب ، فسنكون مستعدين للاستشهاد» .

وثيقة شفا عمرو

ومنذ يوم الأرض فى الثلاثين من اذار (مارس) ١٩٧٦ ، والنضال داخل الوطن المحتل يتصاعد وياخذ اشكالا كفاحية وتنظيمية أكثر اهمية وشمولية . فخلال العام الماضى تنادى عرب فلسطين (١٩٤٨) الى عقد مؤتمر شعبى جديد فى مدينة الناصرة ، كان محدداً له يوم السادس كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ ، الا أن حكومة العدو التى اصابها الذعر والهلع ازاء هذه الدعوة ، بادرت الى اتخاذ قرار حاسم بمنع عقد المؤتمر ، لكن عدم عقد المؤتمر لن يمنع انعقاده فى المستقبل بصورة أو باخرى .. إذ اصبح من الصعب جداً إن لم يكن من المستحيل اعادة عقارب الساعة الى الوراء .

وعلى اية حال فقد سبق الدعوة الى عقد مؤتمر الناصرة ، الذى لم يـر النور ، عقد اجتماع تحضيرى فى قرية «شفا عمرو» ، وقد اسفر ذلك الاجتماع عن توقيع الشخصيات الفلسطينية التى حضرته وشاركت فيه ، على «وثيقة شفا عمرو» التاريخية فى السادس من حزيران (يونيو) من العام الماضى .

وقد جاءت تلك الوثيقة لتظهر انبعاث الشخصية الفلسطينية واستحالة طمسها أو تغييبها أو حتى تجاهلها ، إذ ظهرت هذه الشخصية من خلال وثيقة شفا عمرو شخصية قومية متمسكة باصولها العربية وجذورها الفلسطينية الضاربة عميقاً فى الأرض ، وقد اعادت الوثيقة كتابة اسم فلسطين العربية بشكل بارز بكل ثقة وايمان فى كل ذرة تراب وحبة رمل على كل سهل وجبل وفى كل مدينة وقرية ونهر وساقية فى أرض فلسطين المحتلة ، كما تحدثت الوثيقة التاريخية عن اصالة عرب فلسطين وثقتهم التى لا تتزعزع بانتصار الحق العربى فى نهاية المخاض الطويل مع الصهيونية ، وعن ايمانهم بان مستقبل اسرائيل الى اندحار ، ومستقبل العرب الى انتصار .

معنى يوم الأرض

ان وثيقة شفا عمرو الشديدة الأهمية انما جاءت فى الواقع كمحصلة لانتفاضة عرب الجليل فى يوم الأرض الذى قال فيه احد جنرالات جيش العدو : «ان نصف مليون يرفضون التحول الى أقلية خرساء» .

فلقد اثبت يوم الأرض الدامي ان الجماهير الفلسطينية مهما طال قهرها ، ترفض الوجود الصهيونى ليس لفظاً فحسب ، وانما بالممارسة الثورية والكفاح المرير ، لأنها ترفض الاستكانة أمام التحدى الصهيونى مهما كان عاتياً وعنيفاً ، حيث تاريخها الحضارى لا يسمح لها بغير الاستجابة للتحدى ، والدخول فى مواجهة تاريخية حاسمة ، ومن هنا ، فان يوم الأرض ليس يوما عابراً وذكرى هامشية فى تاريخ النضال الفلسطينى بل هو منعطف تاريخى حاسم ، ولدت على زواياه أشكال ارقى واكثر تنظيماً وشمولية فى الجليل بل فى فلسطين المحتلة كلها .

عصـــــام شريح

نافذة على الثقافة العالمية

محمد العزب موسى

مأساة المرأة الغربية في المجتمع الاستهلاكي

هل حررت الاباحية المرأة فى الغرب ؟ هل جعلتها أكثر سعادة واستقلالا ؟ أم أنها دمرت نفسيتها وأوقعتها فى شباك الاستغلال ؟

حول هذا السؤال صدر أخيراً كتاب لمؤلفة أمريكية تدعى مارى كينى جاء بمثابة صرخة تحذير قوية من أنثى لبنات جلدتها بعد أن دفرت «الاباحية» جيلا كاملا من الفتيات فى الغرب .

وقد ظننت فى البداية أن هذا كتاب عن «الدين» لأن عنوانه «لماذا تعمل المسيحية» .

ثم أحسست أنه كتاب فى «علم النفس» لأنه يتحدث عن الاضطرابات النفسية المدمرة التى أحدثتها موجة الاباحية الأخيرة فى المجتمع الأمريكى ، ثم لم ألبث أن خيل لي أنه كتاب فى «علم الاجتماع» حين راح يحلل طبيعة المجتمع الاباحى الاستهلاكى وأثره على الأفراد ، وبعد ذلك اعتقدت أن موضوعه لابد أن يكون فى «السياسة والاقتصاد» لأنه يتتبع التطورات السياسية والاقتصادية التى أعقبت الحرب العالمية الثانية وكانت سبباً فى نشأة هذا المجتمع بكل سماته وآثاره . وأخيراً تنتهى الدائرة عند الدين كما بدأت ، فالعودة الى الدين فى رأى المؤلفة هو المخرج والعلاج .

ترى المؤلفة أن ما يسمى بالتحرر بالنسبة للفتاة الغربية قد أنزل بها أضراراً نفسية واجتماعية وصحية بالغة دون أن يحقق لها كسباً واحداً ..

فالعلاقات التى تتورط فيها الفتيات الصغيرات - وبعضهن فى الرابعة عشرة أو دونها - قد تؤدى بالفتاة الى فقدان ثقتها بالناس وتقضى على قابليتها للحب الحقيقى . أو قد ترسب فى نفسيتها عقدة نقص باعتبارها «غير مقنعة» إذا انصرف عنها الأصدقاء واحداً تلو الآخر كما يحدث فى معظم الحالات ، هذا الى جانب قائمة طويلة من المخاطر الصحية والطبية الجسيمة ومنها احتمال الاصابة بالسرطان والاجهاض والعقم . أما «الحبوب» فلها أيضاً مضارها الجانبية الأكيدة إذا استخدمت قبل نضج الدورة الشهرية وانتظامها .

لماذا اذن تروج الصحف والمجلات الغربية لهذا الانحراف وتزعم أنها حررت المرأة فى حين أننا نادراً ما نقرأ عن هذه المشاكل والمآسى التى يخلقها المجتمع الاباحى ؟

الاثارة أولا !

إن الصحافة الغربية إذ تلعب هذا الدور فانها مدفوعة فى الواقع بسبب قوى هو أن عليها أن تبيع كى تعيش ، انها تحتاج الى الاثارة لترويج التوزيع والاعلان على السواء .

ولكن الصحافة ليست أكثر من واجهة خارجية لسوق من المصالح الواسعة التى تتعامل فى بلايين الدولارات . والتى لا يمكنها ترويج بضاعتها بدون صحافة اثارة ومجتمع إباحى .

وخبراء الاعلان يعلمون يقينا أن فى الامكان أن تبيع أى شىء اذا ربطته بالجنس : أدوات التجميل ومنتجاته . الروائح والعطور . أدوية الشعر . الصابون والشامبو . منظفات الأسنان . المعاجين والزيوت . والاكسسوارات . الطباق والخمور .. الخ

ولم تلبث أن فتحت صحافة الترويج لهذا التحرر المفتعل مجالا واسعاً آخر أمام نوعيات جديدة من المنتجات والمشروعات : وسائل منع الحمل . طرق التنبؤ المبكر بالحمل . عقاقير الاجهاض والتعقيم المؤقت .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل خلقت دعاة التحرر المفتعل «خدمات جديدة» لم يكن لها وجود قبل هذه «الثورة المنحرفة» مثل مؤسسات العناية بالطفل غير المرغوب فيه وعيادات للعلاج . وخدمات الأطباء النفسانيين . ومكاتب المحامين المتخصصين فى الطلاق وجرائم الانحراف . وطرق تهدئة الأعصاب .. الخ

فالصحافة المثيرة تروج للاباحية كى يبيع المنتجون فى هذا المجال منتجاتهم . وهذه فى الواقع لعبة قديمة معروفة فى الانتاج الرأسمالى . أن تخلق مجالا لنشاطك . فالشركة التى تنتج أدوية مثلا يمكنها أن تملأ الدنيا صياحا حول طبيعة الحياة الحديثة وكيف أنها تتسبب فى التوتر والصراع ثم تخرج هى بعقار «جديد ومحسن» فيه الشفاء الأكيد الأكيد !

والمجلات النسائية جزء لا يتجزأ من الهيكل التجارى القائم ولذا فمن المتوقع أن تكون داعية الى الاباحية ، والى الطلاق والاجهاض وموانع الحمل . لأن ذلك يزيد من اتساع السوق الذى تعمل فيه .

هذا المجتمع الاباحى هو الوجه الآخر للمجتمع الاستهلاكى الذى أسفرت عنه التطورات الاقتصادية والاجتماعية بعد

الحرب العالمية الثانية . فقبل هذه الحرب كان الاعلان محوره سد الحاجات الأساسية لدى الجمهور لأن الهيكل الاقتصادى فى تلك الوقت كان يعتمد على الادخار والرغبة فى بناء الأسرة وتأمين احتياجات الأبناء . ولكن مع تحول الاقتصاد الغربى من انتاج السلع الصناعية أساساً الى ميدان الخدمات ظهرت الحاجة الى تحول مماثل فى الرسالة التجارية الموجهة الى المستهلكين . بل والى تغيير مزاج المستهلكين وأحوالهم الاجتماعية .

وقد أشار الى هذه النقطة العالم النفسى الأمريكى بول فيتز فى كتابه «علم النفس كعقيدة» إذ كتب يقول : «فى الوقت الذى احتاج فيه الاقتصاد الغربى الى زيادة عدد المستهلكين أخذ على الفور يشبع ايديولوجية معادية للنظام والطاعة والقناعة ، وداعية الى الطمع والأنانية والشراهة ، وأصبح شعار صناعة الاعلان هو «الآن» فالاعلان الناجح هو الذى يقول «افعل ذلك الآن» .. «اشتر هذا الآن» .. «اقدم فوراً» .

وهنا يلعب التضخم المالى أيضاً دوراً بارزاً فى ترويج الاستهلاك السريع ، فالتضخم يجعل المستهلكين يشعرون بأن عليهم «أن يشتروا ذلك الآن» لأن الأسعار فى العام القادم ستكون أعلى . ولذا فان التضخم أيضاً لعبة رأسمالية محسوبة .

هذه التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتشابكة لم تجد محوراً لها أفضل من استغلال المرأة ، وهكذا تحولت فكرة «تحرر المرأة» من دعوة اصلاحية الى مادة فى خدمة صانعى المال ، أصبحت المرأة مجرد أداة ترويج فى سوق الانتاج الاستهلاكى المتسع ، وتحول ما أريد به أن يكون تحرراً للمرأة الى استعباد لها وتحقير لشأنها ، فالذين يبيعون الاباحية لا يفعلون أكثر من أنهم يستغلون المرأة . والمجتمع الغربى الحديث القائم ظاهرياً على المساواة بين الجنسين ليس فى حقيقته سوى مجتمع رجالى لا يفترق - إلا تظاهراً ونفاقاً - عن أى مجتمع آخر يضطهد المرأة .

ومما له دلالة أن الدعوة الاباحية يروجها عادة بعض الرجال فى حين أن الدعوة الى عفة المرأة وتقديرها كانسان تحمل لواءها عادة النساء . ويذكر كاتب هذه السطور أنه شاهد فى نيويورك فى شهر نوفمبر ١٩٧٩ مظاهرة نسائية ضد الأفلام غير الأخلاقية قامت بتدمير بعض المحلات والمكتبات التى تروج لهذا النوع من البضائع .

ما الذى تحتاج اليه المرأة ؟

كان الفريد أدلر العالم النفسى الشهير وصاحب نظرية «عقدة النقص» أول من لاحظ أن حاجة المرأة الى تقدير الآخرين أكبر من حاجة الرجل ، فالمرأة تحتاج الى الشعور بأنها تقدر لذاتها وليس لجنسها والشواهد التاريخية والبيولوجية والسيكلوجية تدل على أن المرأة لا تزدهر فى جو الاباحية ، بل العكس تماماً هو الصحيح ، انها تزدهر فى جو الحماية والثقة والرقة والاحترام والتقدير .

والنظرة الموضوعية تبين أن المرأة الغربية لم تستفد شيئاً خلال العقود الثلاثة الأخيرة التى حصلت فيها على الحرية بالمفهوم الغربى ، بل يمكننا أن نرى بوضوح أن «مؤشر الشقاء» للمرأة المتحررة فى تزايد مستمر ابتداء من ادمان التدخين الى الاصابة بالأمراض النفسية والعصبية ، ومن استهلاك المهدئات الى استهلاك الخمور ، ومن انهيار الزوجات الى زيادة عدد الأطفال غير الشرعيين ، كما ازدادت على نحو بالغ حالات الانتحار والطلاق والمرض والضياع الاجتماعى بين النساء ، فكيف يمكن بعد ذلك أن يقال ان المرأة خرجت أكثر سعادة من الاباحية ؟

إذن ما الذى تحتاج اليه المرأة الغربية للخروج من هذه الورطة ؟

على هذا السؤال تجيب المؤلفة الأمريكية مارى كينى قائلة ان العلاج يجب أن يبدأ من الرجل قبل المرأة ، إن المطلوب هو الارتفاع بالرجل الى «المستوى الملائكى» للنساء ، لا الهبوط بالنساء الى «المستوى الحيوانى» ، وليس معنى ذلك أن جميع النساء ملائكة وجميع الرجال من جنس الحيوان ، فان معظمنا رجالا ونساء خليط من الاثنين ، ولكن ذلك صحيح فى إطاره العام فالنساء من الناحية البيولوجية يملن الى الاكتفاء بالرجل الواحد ويحتجن الى العلاقة الشخصية الحميمة . أما الرجال فيميلون الى تعود الاشباع والتحرر من القيود والعلاقات .

إن المرأة كى تستعيد انسانيتها وسعادتها يجب أن تحاط بالضمانات والحب والتقدير لا أن تصبح سلعة تباع أو تستغل . لا ينبغى أن تكون المرأة جزءاً من تجارة السيارات أو أدوات التجميل أو جزءاً من صناعة العقاقير أو صناعة المطاط !

أما العلاقة بين الرجل والمرأة فينبغى النظر اليها كشىء مقدس وعلاقة ضرورية ثمينة تحتاج الى الرعاية والعناية ،

وأفضل ما يحقق ذلك هو نظام الزواج .

● ● ●

وبعد ، ما أحرانا نحن فى مجتمعاتنا العربية الاسلامية أن نحذر الانزلاق الى هذه الهاوية التى بدأت المرأة الغربية تشعر بآلامها وشقائها وتتوق الى الخروج منها ، ولما كانت الوقاية خير من العلاج والحلول لا تفيد إلا إذا كانت جذرية لذلك يجب أن نحتاط من أن تتحول مجتمعاتنا الى النمط الاستهلاكى الذى تزحف علينا بشائره للأسف بسرعة فائقة ، إذ سوف تكون مأساتنا فيه مضاعفة لأننا لا ننتج حتى تلك السلع الاستهلاكية التى تفسد المجتمع !

محمد العزب موسى



المجلات النسائية كلها تهتم بالرواج فى الأسواق

حوار صريح مع:
اول مديرة لتحرير جريدة سعودية
واجهت الكثير من الصعاب
ومازلت أكافح بالصبر و الأمل

أجرت الحوار: أم أكشم

اختيرت فى الشهر الماضى الأستاذة خيرية السقاف مديرة لتحرير جريدة «الرياض» اليومية التى تعتبر من أكبر الصحف - إن لم تكن أكبرها - فى المملكة العربية السعودية .. وأشدها حفاظاً على التقليد الصحفى واهتماماً بمستوى العاملين فيها .. وقد تناقلت وكالات الأنباء الخبر باعتباره حدثاً تحولياً كبيراً ونشرته عنها بعض الصحف .. ولم أتصور أن فى اهتمام وسائل الاعلام مبالغة لأن «الرياض» هى أول جريدة يومية فى المنطقة وفى أغلب البلاد العربية تختار من المثقفات مديرة للتحرير .. ولأن الاختيار حدث فى بيئة كانت الاتهامات التى ظلت توجه اليها دائماً هى أنها تقف فى وجه المرأة .. تسد عليها الطرق .. ترفض لها المساهمة .. تمنعها العطاء .. تعاملها كقاصر يوجهها الرجال ولا توجههم فى أى ميدان حتى لو نالت أعلى درجات العلم .. وأثرت عقلها بثقافات شرقية وغربية .. وعاشت قضايا بلادها جمرة فى راحة اليد .. وأرقاً يأبى للجفن إغماضة المستريح .. واختيار الأستاذة خيرية السقاف رد عملى .. هادىء .. على الاتهامات .. ودرس جسور لمن يريد أن يتعلم أن الحفاظ على التقاليد لا يعنى .. ولن يعنى الاحتفاظ بالمرأة داخل صدفة الى الأبد .. ومنعها من مشاركة شقيقها دفق النور .. ووضع حد لليل طال فى بلادنا العربية .

.. كنت أعرف أن خيرية ظلت تكتب لسنوات طويلة بلا توقف .. وأن لها عموداً ثابتاً فى الرياض .. ولها لقاء أسبوعى مع القراء على مساحة صفحة كاملة تكتبها بكلمة شاعرة .. تذر بها الملح على الجرح بجرأة وحب كبير .. لا تكتب عن المستهلكات السمجة .. المبتذلة التى صارت فخاخاً للمرأة الكاتبة ... وضعها رجل ذكى قبل عشر .. عشرين .. مائة سنة : - ضعى قليلا من الفلفل الأبيض والأسود والأحمر والباذنجان الأرجوانى والبيض الأخضر واخفقيها وقلبيها !!. وقدميه طبقاً لذيذاً لضيوفك !!

كانت تكتب عن هموم المثقفة .. تحدثها بلغة تبلغ الحدة .. تصب على رأسها الماء .. ولا ترشه .. لتصحو .. لتقدم شيئاً لبلادها فى إطار النظام .. فى إطار التقليد الذى ظلت خيرية تحترمه .

بدايتها كصحفية لا تشبه كل البدايات .. بل فيها من الاثارة ما يدعوك الى أن تتفرس فى ملامح وجهها الطفلية الجميلة .. وابتسامتها المتواضعة لتبحث عن دلائل تبرر بها إثارة البداية .. فلا تجد إلا خجلا بدوى النقاء وتواضعاً وودا يأسرك .. وهى طفلة تقفز على العتبة الرابعة فى دراستها الابتدائية .

كانت تعلق الكاميرا على كتفها وتجوب شوارع الرياض لتلتقط ما يلفت نظرها من صور وتعلق عليها بسطور وتوقعها باسم «وحيد سقاف» وترسلها الى جريدة الرائد التى رحبت «بمراسلها» .

وكنت أعرف أن خيرية من المبدعات الناضجات فى جميع الأجناس الأدبية تقريباً .. فهى قاصة متميزة لا تعالج السطوح .. بل تنفذ الى ما تحت الجلد .. بلغة تسند ظهرها الى التراث الثرى الرائع .. وشاعرة لا يمكن أن يسقطها ناقد من حسابه .. وكاتبة خاطرة أدبية تشد قارئها شدا .

وكنت أعرف أن المثقفات فى المملكة يكدن يجمعن على احترامها .. وحبها فى نفس الوقت لأنها تعطى الجميل الباهر بلا غرور .. ولأنها تمد يدها لهن كبنات الأم .

رغم كل تلك المؤهلات .. فوجئت .. فالحدث تحولى .. ذهبت اليها .. وأنا سعيدة .. سعادة قافل من حرب منتصرة .. وأدرت معها حواراً .. سبعة عشر سؤالا وفى ذهنى خيرية القاصة .. الشاعرة .. كاتبة الخاطرة الأدبية .. وخيرية الصحفية : -

ثمن الريادة

- للريادة دائماً ثمن .. وأنت رائدة فما هو فى نظرك الثمن الذى دفعته أو تتوقعين دفعه ؟

● الثمن أن أظل قادرة على الكفاح ليس عند النقطة التى وصلت . بل الى ما يحافظ على استمرارية وهج النتيجة .. وأنت تعلمين الكفاح وما يتطلبه .. فعلى الرغم من صعوبة مستلزماته .. إلا أنه يظل هناك الحنين الى أفياء النتيجة .. فلقد واجهت الكثير من الصعاب فى بداية طريقى من بعض الأهل ومن المجتمع .. ومازلت فى سبيل الحقيقة أكابد .. لكن يبقى الأمل والصبر .. أحدهما قاعدة للآخر .

- كمديرة تحرير لصحيفة يومية ما هى صلاحياتك ؟.. أعنى هل تمتد صلاحياتك الادارية لتشمل آدم ؟

● منحت الثقة .. واكتسبتها .. وبادرت بتزويد «الرياض» بمقترحاتى وملاحظاتى قبل أن أكون احد مدراء الجريدة .. والصلاحيات تؤخذ ولا تعطى .. وثمن الأخذ كان منى عطاء الاخلاص .. لذلك لا تستنكرى بصماتى بجوار بصمات زملائى على «الرياض» فى رسم سياستها العامة لأنها الواجهة التى نبث من خلالها مبادىء وقضايا تشمل الانسان بجنسيه .. ولي نفس صلاحيات ما لزملائى الرجال .. أما ما أفعله لزميلاتى فهو منحهن عصارة تجربة .. أجد لزاماً على تقديمها عند التوجيه والاشراف .

- ماذا كانت نشاطاتك الصحفية عدا عمودك الثابت الذى عرفت به ؟

● بدأت تعاملى مع الحرف فى «الندوة» وكنت فى الفصل الرابع الابتدائى . ولم أكن قد تخطيت العقد الأول من عمرى .. وكالطفل تعثرت كثيراً .. ولكنى صمدت أكثر .. بدأت بزوايا متناثرة فى الصحف «الحان فى خاطرى» فى البلاد . «باخلاص» فى المدينة . «لمحات من الواقع» فى اليمامة . «زاويتى» فى الرياض .. وكتبت فى صحف البلاد . المدينة . الجزيرة . عكاظ الصفحات الخاصة بالمقالات المطولة وبعض القصص القصيرة والدراسات الأدبية وأشرفت على صفحات وملاحق المرأة فى اليمامة . الرياض الدعوة . وكتبت برامج للاذاعة . ولقد تخصصت فى المقالة الأدبية أكثر من أى فن آخر الى جانب الشعر الذى نشرته باسماء مستعارة .

- يعتقد البعض أن التخصص الأكاديمى فى مجال الصحافة شرط للنجاح فى العمل الصحفى ما رأيك ؟

● قد يكون من الضرورى المزج .. أى بين التخصص .. وبين الاستعداد .. يا سيدتى ليس كل مختص محترف وناجح .. كما أنه لا يمكننا أن نغفل القدرات الفردية الطبيعية .. فما أروع أن تتبلور بالدراسة المختصة .

الانسان .. قضيتي الأزلية

– معروف انك متخصصة في مناهج اللغة والأدب فما أثر ذلك في عملك الصحفي ؟

● إذا كانت القدرة على العطاء الأدبي موهبة فشطر منها مواكبة تطور اللغة التي يقدم بها .. الخاصة من الناس يعرفون لي مزيتي الأدبية في عطائي الفكري الذي يميل الى الطريقة الجوانية .. أي الابتكار في التسلسل الى بواطن الفكرة .. فقلمي سيال .. وأعني كثيرا بأسلوبي .. والفكرة لدي تتمحور عند قضية الانسان .. فهو قضيتي الأزلية .. لذلك أنهج إليه بلغة لها ميزاتها وجرسها .. إن لأسلوبي بصماته التي تميزه .. لا ادعي ذلك .. فالخاصة قالوا ذلك .. ولست من الحاكمين وإنما من الذين يبحثون عن القيمة .. وقيمتي عملي .. إنني أعني بالفكرة وبالأسلوب .. رعايتي لهما معاً تؤكد احترامي للقارىء .. سواء قدمت له فكراً وأدباً أو قدمت له مادة صحافية خالصة .. إذ أنني أستهجن الاستخفاف بالقارىء

– الصحفية السعودية محكومة بتقاليد مجتمعها .. ومن بينها الحجاب .. والصحافة انغماس في الحياة وتفاعل مع احداثها كما أعتقد .. ألا تعتقدين أن بين هذين الواقعين تناقضاً يحد من فاعلية الصحفية ؟

● حسب تجاربي .. لا أرى مثل هذا التناقض إلا بالقدر الذي يمكننا تجاوزه .

– المملكة ودول الخليج تتعرض لهجوم إعلامي مركز في شكل مؤلفات ومقالات في الصحف والمجلات الغربية .. فما هو الأسلوب الأمثل للتصدي لهذا الهجوم المنظم ؟

● قرأت بعضها .. أتمنى أن نحسن أنفسنا ونهذب من سلوكنا .. وننفتح بعد ذلك .. فلن يجدوا ما يقولون .. على الرغم من أن الكثير مما يقال مبالغ فيه .. إلا أن هناك ما يستوجب العودة الى بلورة فكرة تربية الانسان العربي من جديد .. انه إذا ربي تربية إسلامية صحيحة فسيجد القدرة على مواجهتهم بالحجة والواقع .

– إذا أردنا أن نضع الصحف العربية في مراتب على أساس الشكل والهموم ، ففي أية مرتبة تضعين الصحافة السعودية ؟

● اطلعت على الصحف التونسية والسودانية والمغربية والأردنية وبعض الصحف الخليجية والسورية وأجد أن صحفنا تقف بكل تجرد في مرتبة جيدة .. فهي على الأقل تتصدى للقضايا بشكل أفضل من كثير من زميلاتها مما اطلعت عليها .. والاجابة تحتاج الى دراسة ليكون القول الفصل .

مدارس الصحافة

– لكل نشاطات قيادات ، فمن هم في نظرك الذين يشكلون قيادة أو مدارس في الصحافة العربية ؟

● إذا كان الأوائل من الكتاب يعتبرون مدارس فيمكن اعتبار الطهطاوي ومحمد عبده واليازجي وأديب إسحق والنديم مدارس انطلق عنها ما بعدها .. كما انطلق بعد أصحاب الرسالة والمقتطف والمؤيد أصحاب المنهل وأم القرى وصوت الحجاز والمدينة واليمامة على مستوى داخلي عندنا .. وعلى المستوى العربي العام اعتبر هيكل مدرسة في فكره السياسي حيث ترك له تلاميذه في مصر ، وكذلك سعيد فريحة واللوزي في لبنان وأيضا غسان تويني كما أن هناك من يعتبر الأخوين مصطفى وعلي أمين مدرسة ، إلا أنني أتحفظ في إبداء الرأي حولهما . أما داخليا فيمكن اعتبار «الرياض» إذا لم تكن شهادتي مجروحة مدرسة بدأت على يد حمد الجاسر وتسير في اتجاه خاص على يد تركي السديري .. ولم أكون بعد رأيا في دوريات الدول العربية في المرحلة الحالية .

– إذا خيرت بين عملك في الجامعة وبين وظيفتك الجديدة فيهما تختارين ؟ ولماذا ؟

● كلاهما عزيز علي .. إنني قادرة على العطاء .. فلماذا أحرم من إثبات الوفاء على الصعيدين .. إن هناك بعض واجبات المنزل يمكن أن تشغل وقتا أحتاجه في عمل الجامعة أو الجريدة . ولا يضر أن تقوم به أخرى عني .. أحدد مزاياها عند اختيارها .. خاصة وأن زوجي له اهتمامات مماثلة تتطلب منه نفس الوقت فلا يتعارض ذلك مع عملي .. أما ابنائي فلهما برنامج مدروس بحيث لا نفرط في الرعاية ولا نقلل من أهمية التوجيه لهما .. ولطفلتي «إباء» تطلعات تشابه تطلعاتي عندما ما كنت في سنها .

– في السعودية شعراء مؤهلون لامامة الشعر – إن كان للشعر امامه – كغازي القصيبي مثلا ولكنهم مجهولون أو كالمجهولين في عالمنا العربي فالى أي علل تعزين ذلك ؟

● عدم الصلة بين المفكرين .. وعدم الرغبة عندهم للتعاون والتآلف .. وقصور وسائل النشر والاعلام .. وعدم وجود برامج ثقافية تربطهم ببعضهم .. غير أن القصيبي قد يكون من أكثر الشعراء الذين انطلقوا خارج حدودنا .

تقييم المواهب

– ما تقييمك للأديبات السعوديات ؟

● فوزية أبو خالد : من أكثرهن نضجا .
فوزية البكر : بعد سنوات سنجدها في عطائها تتخطى الحواجز وتقدم غير العادي .
قماشة السيف : عميقة .. ومشروع قاصة على مستوى مميز .. انتقاء الكلمة عندها فن بذاته .
ساره العبيدي : «عراقية» رائعة تقتحم الى الفكرة أي سبيل .. وسبيلها إليها قالب جذاب موحي .

خيرية السقاف في سطور

● من مواليد عام ١٩٥١ م .

● وكيلة عمادة شئون الطلاب لشئون الطالبات بجامعة الرياض .

● تخرجت في كلية الآداب جامعة الرياض – قسم اللغة العربية عام ١٩٧٤ م .

● تخصصت في مناهج اللغة والأدب وحصلت في مجال تخصصها على درجة الماجستير من جامعة ميسوري الأمريكية عام ١٩٧٦ م .

● زوجة الأستاذ يحيى محمود ساعاتي رئيس تحرير مجلة عالم الكتب والمحاضر في المكتبات بجامعة الامام ، وأم لطفلين

● تؤدي عملها كمديرة للتحرير من الخامسة مساء وحتى العاشرة .. وتعمل تحت إشرافها ثماني صحفيات منهن سبع سعوديات ومصرية واحدة وكاتبتان سعوديتان إضافة الى أربع مراسلات في مناطق مختلفة من المملكة .

● أول كاتبة سعودية تكتب عموداً يومياً ثابتاً .

● أسهمت بمحاضرات سنوية بكلية التربية وجامعة الملك فيصل بالاحساء وكليتي العلوم والآداب بالدمام وبعض مدارس البنات في المملكة .

● أفضل الروائيين العرب في نظرها جبرا ابراهيم جبرا .. وعبد الرحمن منيف .. وحنا مينه .. وعبد الرحمن الربيعي .. والطيب صالح .

● تعجبها في غادة السمان قدرتها على التعبير الفني الجميل وتكره **مبالغتها** في التناول .

● تهوى الرسم وتمارسه .. وشعراؤها المفضلون إدجار الن بو وتقرؤه في لغته الانجليزية .. وغازي القصيبي والسياب .. وتقول عن الأخير انه تجذر في أعماقها .

● زارت مصر والمغرب وسويسرا وإيطاليا وانجلترا وفرنسا ومعظم الولايات الأمريكية .

● أول محاضرة سعودية في قسم اللغة العربية .

● أول وكيلة عميد بجامعة الرياض .

● أول من دعت وأشرفت على أن يكون للمرأة أيام في معارض الكتاب الدولية والمحلية داخل المملكة سواء ما كان منها تابعا لوزارة المعارف أو لجامعة الرياض .

● الأثر الأدبي الذي لايزال ماثلا في نفسها «عوليس» لجيمس جويس .

نوره السعد : تبحث عن الحقيقة .. وتعبر عنها بكلمة قوية .
جهير المساعد : صحافية تتسم بالجرأة .. أرجو ألا تتمحور عند جنسي الانسان !!
شريفة الشملان : ما قرأته لها لم يكون لدي فكرة واضحة عن عطائها .
رقية الشبيب : تجربة عميقة لم تعبر عنها بعد .. أتوقع فى القريب أن يعكسها عطاؤها !
عهود الشبل : ليت النظرية عندها تتحول الى تطبيق .

– من خلال تحقيقاتى الصحفية وقراءاتى لاحظت أن الكاتبات اللاتى يكتبن فى صحف المنطقة الوسطى يتميزن بعمق وجدية تعوزان إخواتهن اللاتى يكتبن فى صحف المنطقة الغربية .. فما هو السبب إن كنت تتفقين معى فى الأساس ؟

● مشكلتنا اننا نعطى البادئات حجماً أكبر من الحجم الذى يحتجنه .. ربما للحاجة .. وربما لعدم المسئولية .. فالمسئولون الذين يشعرون بمسئولياتهم لا يجرأون على دفع الغث للضوء .. إنه بصراحة يهمنى أن أقول ما قلته فى كثير من مقالاتى .. ووجهت بالرفض والهجوم : امنعوا الأميات عن التسلق على أنهار الصحف تحجبون عنا التخلف .. وعودة الى التثقيف العام والتحفيز نحو الاجادة والالتزام بها عند أى عطاء يمكننا أن نكون مستوى أفضل .

– ما هى عاصمة الثقافة فى نظرك الآن ؟

● على النطاق العربى كانت بيروت .. وجرحت بيروت .. وما التام جرحها لأن الآخرين لم يمدوا إليها يداً تستقبل قطراتها على أكفهم وتعيدها الى شرايينها .. الرياض تحاول أن تستقطب .. ولكن ليس بعد .. وبغداد عاصمة كثيرة العطاء على أكثر من صعيد .

على النطاق العالمى منذ أن تساوت الاهتمامات البشرية بالفكر وتمكنت التكنولوجيا الحديثة من سرعة الانجازات الثقافية وتقديم المنشور من الفكر والمطبوعات أصبح لكل شعب مزايا .. وفقدت فى رأيى البلدان إمكانية أن تكون إحداها عاصمة للثقافة ، فحيث يوجد الشعب القارىء توجد الثقافة .. وحيث يوجد الاهتمام بالعطاء الفكرى الانسانى توجد الثقافة .. وإنى أرى أن عدد المتعلمين قد كثر فيما أخذ يتناقص عدد المثقفين على مستوى واسع .

– واضح مما تنشره الصحف أن الكاتبة السعودية تتجه الى الخاطرة الأدبية والمقال الاجتماعى والقصة القصيرة اتجاهاً غالباً ، فيما لا يحظى الشعر بالقدر اللازم من الاهتمام ؟

● ربما لأن الشعر يتطلب موهبة خاصة .. أما هذه القوالب التى ذكرت فنحن كما تعلمين مجتمع محافظ .. لا تجد فيه المرأة الفرصة ولا السبيل للتعبير أو الانطلاق .. فمنذ أن أحسنت الامساك بالقلم أفرغت همومها فى أى شكل وجدت أن الكتب المتوفرة لديها قد زودتها بنماذج كثير منها فظهرت القاصات .. وكاتبات المقالات .. ولكن يا سيدتى هل تجدين الثمين المفيد فى كل ما تقرأين ؟! إننى أؤكد لك أنه بمجرد

واجهت الكثير من الصعاب

رأي صريح في كاتبات السعودية

أن تجد المرأة وسيلة أخرى للتحلل من همومها ستنسى القلم !! وتبقى الصفوة من الموهوبات وأرجو أن يزداد العدد .

– هناك أصوات ترتفع ضد ابتعاث الفتيات لمواصلة تعليمهن فى الخارج حفاظاً على التقاليد وأصوات تقول ان التطور يعنى الاقتحام والتفاعل .. فأين تقفين ؟

● إذا أردنا أن نقول ان الاقتحام والتفاعل أفضل فلابد أن نحكم الطريقة كوسيلة تربط بين الحفاظ وبين الهدف .. فمادام الهدف من الابتعاث العلم والافادة فهذا لا يتنافى مع الحفاظ على المسلك والمظهر الاسلاميين .. إن الشرع قبل التقاليد .. ويمكن أن نلفظ التقاليد ولكن لا يمكن تجاهل الشرع بحال من الأحوال .. إننى أطالب بالتوازن بين الهدف من السفر وبين حق اللـــه على الانسان .

بين أزمتين : النقد والابداع

– البعض يذهب الى أن هناك أزمة نقد ويقول بعض آخر أن هناك أزمة إبداع فما هو رأيك ؟

● يقولون هناك أزمة إبداع ، فهل يودون تعطيل القدرة العقلية للانسان .. إن مثل هذا القول فيه الكثير من المغالطات .

إن حركة الابداع قد قوبلت فى كل عصر بالانكار والنفور وعدم التقبل ، ليس لأن الفكر الانسانى غير قادر على الابداع فى عطائه وإنما لأن ما يشاهده الانسان ويسمعه ويقرأه من الصعوبة بمكان ان يتقبل غيره بسهولة ، إذ قد يبلغ ما ألفه من مجرى الدماء والامتزاج بالأمزجة ، وتوجيه نظرته الى القيم . إن ما نشهده من حركة تطور فى فنون الأدب العديدة وما يمتزج بهذه الأنواع الأدبية من السمو والرقى فى حركة الفكر المبدع ، يبرز تطور مفاهيمه ، ذلك أننا نتلمس تمثل القيم الجمالية المثالية والتى هى ليست مجموعة القيم الاجتماعية أو الانسانية ، ويخالفنى بها ما كان منها يرتبط بالمجردات من الحق والخير والجمال . وخاصة جمال الأشكال السامية ، إن حركة الابداع تعنى دحر الموروث ، فهى إذن تتطلب تبدلا جذرياً لكثير من الأذواق الخاصة والعامة ، وطالما هى ثابتة فهى إذن قادرة على الاستقطاب لعناصر لها تأثيرها فى الناس ، فيكون هناك كفالة لأن تعطى هذه الحركة هوية إثبات الوجود . اننا نسبق الزمن اذا حكمنا عليها بالاختناق .

أما فيما يتصل بأزمة النقد المعاصر فأخطر ما فيها هذه الجمهرة من مناهج النقد التى ينجم عنها الضياع بلا فائدة !! إن الاجابة على سؤالك تستوجب تصنيف هذه المناهج التى توجه حركة النقد فى الساحة الأدبية ، فهناك ما يسمى بالنقد الذاتى أو التأثيرى وأخطر ما فى هذا المنهج انه يخضع عملية الحكم على العمل الأدبى الى الذوق الخاص للناقد ، ثم النقد الموضوعى الذى يرتكز على التطبيق لأصول مرعية وقواعد مقررة ، فهو على عكس الأول إذ يحتكم الى قواعد اللغة والبلاغة ونحوهما ، ثم كان النقد الاعتقادى أو العقيدى الذى سيطر لفترة من الزمن ، واعتبره كثير من الدارسين آفة النقد ، إذ حين اجتاحت المعتقدات الغربية والماركسية بصفة خاصة ، وسيطرت على بيئات أدبية لها سماتها وأصالتها ، أخضعت عملية النقد الى ما استقر من معتقدات لدى الناقدين كان اعتقادهم دينياً أو وطنياً أو عنصرياً الأمر الذى أثقل النقد الأدبى ببحوث السياسة والاجتماع والاقتصاد وتلاشت القيم الجمالية فى العمل الأدبى ، ثم ظهر النقد العلمى كما تعلمين فى أواخر القرن التاسع عشر فى نهاية النهضة العلمية الشاملة ، وانعكس على بعض العلوم ، فظهرت نظرية تطور الأجناس «نظرية داروين» وأعجب ما فى الأمر أن ينسحب القول فى النشوء والارتقاء عنها الى الأعمال الأدبية نفسها ، ففسد الذوق وحدث الارتباك ، لذلك نرى أن مبعث مقولة ان هناك أزمة نقد ، أن **هذه المناهج جميعها لا تتصل بالأعمال الأدبية كما أرى أو كما يرى معظم الدارسين وإنما تتصل** بمجموعة المؤثرات التى تهيأت لها كالبيئة والعامل النفسى ونحوه ، فبحث الرواد بعد ذلك عن مناهج تعنى بالنص الأدبى نفسه فنشأ النقد الجمالى الذى يعنى بالأسلوب ، ثم أخيراً نجد النقد البنائى أو البنوى ، فى كل ذلك نجد أن هذه المناهج جميعها كانت العامل المسبب للارتباك والخلط الذى يقال معه هناك أزمة نقد . إن الانسان أروع ما فيه عقله فهو المحتوى العميق الجذاب الذى يغرى لمحاولة اكتشاف أروع ما فيه وإظهاره ودفعه نحو الضوء ، فكيف ندعى عجزه بتوريطه فى أزمة لا أساس لها على صعيد العطاء إبداعاً أو نقداً ؟ إننا نحتاج الى استقرار فقط ليكون الابداع قدرة تقابلها القدرة على النقد

أم أكثم

أداء الفرض وعمران الأرض

د. محمد عمارة

من القواعد التى حددها الماوردى ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ / ٩٧٤ ـ ١٠٥٨ م) لقيام الصلاح وتحقق الاصلاح فى المجتمع : «قاعدة الدين» !

ويشترط الماوردى لفعالية الدين وتاثيره أن يكون «متبعاً» ـ (بالبناء للمجهول) ـ أى أن يتدين به الناس ، بمعنى أن يمارسوه فى سلوكهم ، لا أن تكون تعاليمه ووصاياه حبيسة الكتب والشعارات ، أو مادة لستر المنكرات ، وبضائع للتجارات ؟! ..

وعند الماوردى أن التدين بالدين ليس تعبداً فقط ، ولا هو بالأمر المقطوع الصلة بالغايات وأهداف الاصلاح ، وإلا لما كان له مكان بين قواعد الاصلاح الاجتماعى .. فالتدين لابد وأن يصرف أصحابه عن الشهوات ويكبح جماح الارادات أن تتعدى حدود الاعتدال ! ..

وهو لا ينسى أن ينبه ، على لسان بعض الحكماء ، على أن الآداب اللازمة لصلاح المجتمع لا ينفرد بتقريرها الدين وليست بقاصرة على شريعته ، لأن حياة الناس لها جانب «مدنى» ، أى سياسى ، وكما أن للدين أدباً يتمثل فى شريعته ، فان السياسة هى الأخرى أدباً .. وأدب الشريعة يدعو الانسان لأداء «الفروض» ، ويجعله عادلا مع نفسه ، بينما يختص الأدب السياسى بعمارة الدنيا وزينتها ، والتخلق به يجعل الانسان عادلا مع الآخرين ! ... وبعبارة الماوردى «... فان الأدب أدبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ، فأدب الشريعة : ما أدى الفرض وأدب السياسة : ما عمر الأرض ! .. ومن ترك الفرض فقد ظلم نفسه ، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره ؟! ..»

وينبه الماوردى على أن الأدبين ـ الشرعى والسياسى ـ «كلاهما يرجع الى العدل» .. لأن العدل هو الشرط لتحقق «سلامة السلطان ، وعمارة البلدان !» ..

وبعد قاعدة : «الدين المتبع» تأتى قاعدة : «السلطان القاهر !» فى تعداد القواعد التى حددها الماوردى لاصلاح المجتمعات وصلاحها .. و «السلطان القاهر» ، عنده ، يعنى السلطة القوية المهابة ، لا بمعنى المستبدة الجائرة ، إذ العدل عنده هو الأساس .. وإنما بمعنى السلطة التى توفر لأهل العمل والانتاج ، وللانسان الخير السوي فى المجتمع الفرص كى ينمى قدراته وملكاته ويزيد من ثمرات أعماله ، وذلك بتوجيه القوة والهيبة ضد الفئات والأفراد الجانحة الى الظلم والاجرام والانحراف عن قواعد العدل وأسس الاصلاح ..

فعلى السلطة أن تعمل على التأليف بين التيارات والأهواء المختلفة والقلوب المتفرقة ، وأن تأخذ على أيدى المتغلبين والمتعادين ، وأن تهذب أو تكبح الجامح من الغرائز ، كى لا تجلب الأضرار ! ..

وفى حديث الماوردى عن السلطة والسلطان ينبه الى دور العقيدة الدينية فى بناء الدول عند نشاتها ، ويتحدث عن إسهام الدين فى تاليف قلوب الجماعة التى تبنى دولتها الواحدة ، وكيف «أن السلطان إن لم يكن على دين تجتمع به القلوب ، حتى يرى أهله الطاعة فيه فرضاً ، والتناصر عليه حتماً ، لم يكن للسلطان دوام ولا لأيامه صفو ، وكان سلطان قهر واستبداد ! ..

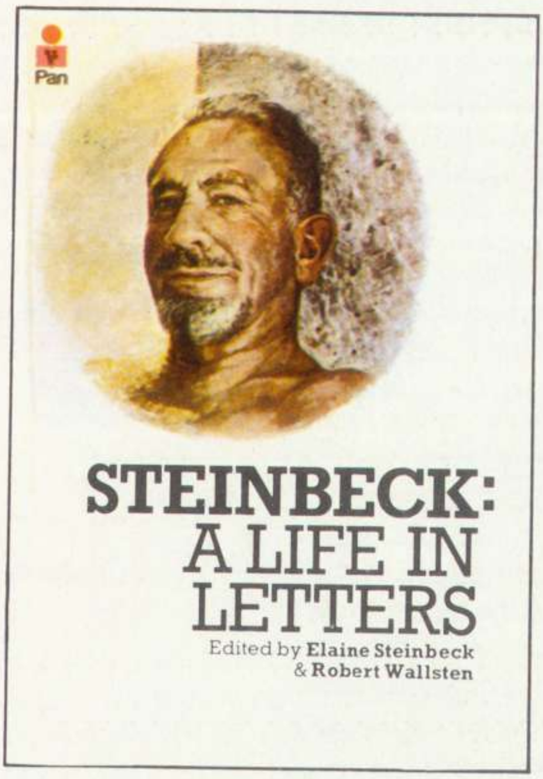
وهذه لمحة ذكية من مفكر فى عمران المجتمعات وقيام دولها ، تنبىء عن المكانة العالية التى أحلها للفكر والنظريات والعقائد بين الأسس الضرورية لبناء السلطة والسلطان فى أى مجتمع من المجتمعات .. والماوردى بفكرته هذه يسبق ابن خلدون (٧٣٣ ـ ٨٠٩ هـ / ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) ـ الذى تحدث هو الآخر ، باستفاضة ، عن هذه القضية فى مقدمته ـ يسبقه بعدة قرون !

د. محمد عمارة

كتاب الشهر

فنان عالمي .. حياته من رسائله

أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز ؟



فى الأيام الأخيرة كتب اليه يوفتشنكو رسالة مفتوحة .. هتف به فيها .. «وأنت .. أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز ؟» ولم يرد جون شتاينبك .. كان يعتقد دائماً أن الرد على المسائل أصعب بكثير من كتابتها .. وكانت الأيام الأخيرة غريبة حقاً .. قرر فيها أن يذهب الى فيتنام ليصف الحرب الدائرة هناك فى رسائل صحفية الى مجلة نيوزداى الأمريكية .. وهناك فى أرض الحرب القذرة أخذ يتغنى بالهدف الحضارى العادل الذى تسعى اليه أمريكا .. وبالجندى الأمريكى الذى يحتضن سلاحه فى حنان .. وعن حقول الأرز وهى ترتجف .. ببساطة شديدة خلع الذئب العجوز رداءه القديم وأخذ يبرر حرباً لا مبرر لها .. ويؤيد شيئاً يستنكره الجميع .. كان قد ألف العشرات من الأعمال الروائية الناجحة .. وحصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٦٢ وأصبح واحداً من أهم أعمدة الأدب العالمى الحديث .. وامتلأت صوره التى كتبها عن الكادحين فى أمريكا والمنبوذين والصعاليك أنصاف الشعراء وعمال التراحيل . والأسرات المهاجرة . ورواد الأرض الجديدة والباحثين عن العدل ودفء الشمس . امتلأت هذه الصور بقوة أسلوبه وسحر قلمه .. فماذا حدث للذئب العجوز فى أيامه الأخيرة ؟ .

هل يعطينا هذا الكتاب الجديد الذى صدر عن حياته إجابة عن هذا التساؤل ؟ .. الكتاب يقع فى حوالى ألف صفحة من القطع المتوسط .. تتناول كل المراحل التى أمسك فيها شتاينبك بالقلم .. وبالتحديد منذ عام ١٩٢٣ تاريخ أول رسالة عثر عليها حتى عام ١٩٦٥ .. وكأنما أرخ جون شتاينبك لحياته بصورة غير مباشرة وذلك من خلال تلك الكمية الهائلة التى بعثها لكل الذين يعرفهم فى مختلف أطوار حياته .. ولأن الكمية المطلوب حصرها كانت كبيرة فقد استغرق إعداد هذا الكتاب أكثر من ثلاثة أعوام قضتها أرملة الكاتب ألين شتاينبك وأقرب أصدقائه روبرت والستن فى جمع هذه الرسائل المتفرقة ..

التواصل من خلال الحروف

يقول جون شتاينبك «فى الستين من عمرى تركت الكثير من الآثار ..» هكذا كتب فى عام ١٩٦٢ .. وكانت هذه الآثار تشمل الكثير من الكتب التى كتبها أو قرأها .. والرحلات التى قام بها والأماكن التى زارها والأشخاص الذين قابلهم .. الذين أحبهم أو كرههم والأعمال التى بدأها ثم تخلى عنها والمشاريع التى لم تنفذ والأفكار التى ماتت فور ولادتها .. إن الآثار التى يمكن تتبعها تجسد هذه العقلية الخلاقة التى لم تهدأ أبداً إلا ذلك الهدوء الذى تجده فى العمل .. وتجسد أيضاً ذلك النضال الدائب الذى بذلته كى تتعلم أكثر وأكثر .

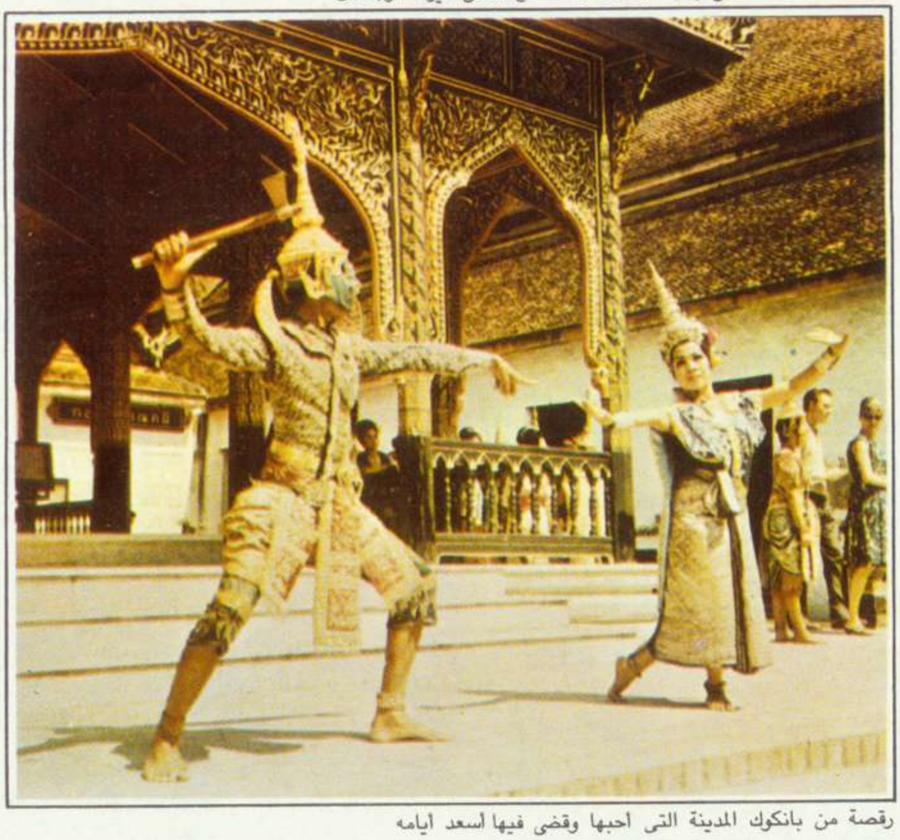
كان شتاينبك يحب كتابة الرسائل .. ويقول «انها أحد أشكال الحديث» كان يرسل رسائله الى أصدقاء يمكن رفع سماعة التليفون والتحدث معهم ولكنه لم يكن يؤمن بتلك الآلة .. «أنا أكتب بالرغم من التليفون فانا لا أتصور أننى قادر على التواصل عبر هذه الآلة الغريبة» وبالطبع فنحن نشعر بالامتنان لعدم القابلية هذه لأنها أرغمته على أن يكتب كل هذا الحجم من الرسائل .

لقد أصبحت هواية كتابة الرسائل بالنسبة لشتاينبك عملا أساسياً .. إنها احدى الطرق التى يشحذ بها ذهنه كل صباح قبل أن يبدأ أعماله الأخرى .. فأول ما يفعله بعد اليقظة هو أن يتناول بعضاً من العصير ثم يعقبها بكتابة الرسائل فوق أى شىء متاح أمامه .. فى البداية كان يكتبها على أوراق أبيه . أو ينتزعها من دفتر الحسابات الجارية أو على قوائم حساب الفنادق أثناء الرحلات . الشىء الذى لم يكن يتغير رغم تغير نوع الورق هو القلم الرصاص الذى كان يهوى الكتابة به باستمرار . لقد أصبح شيئاً مألوفاً بالنسبة لأصدقائه حين يفتحون أغلفة الرسائل ويجدون خطه المنمق ذا الحروف المستديرة فوق ورق يميل الى اللون الأصفر ويدركون على الفور أنها رسالة من شتاينبك .

كان يكن ميلا عاطفياً نحو الأقلام الرصاص . نحو الطريقة التى يرقد بها كل قلم بين أصابعه . وزنه والضغط الذى يحدثه . «اننى مغرم كل صباح ببرى الأقلام .. وأحياناً أبرى عشرين قلماً مرة واحدة حتى تكفى أعمالى لبقية اليوم .. بالطبع لم أكن أستطيع أن أتوقف عن الكتابة لكى أبرى قلماً جديداً ..» لقد تعود أن يكتب الكثير من الكلمات فى أضيق حيز ممكن حتى لقد كتب مرة أكثر من ٥٠٠ كلمة على ظهر بطاقة بريدية . لقد علمته طفولته الشاقة أن يكون شديد الاقتصاد فى استخدام



أعز الأصدقاء : المخرج إيليا كازان وهو هنا مع الممثل كيرك دوجلاس



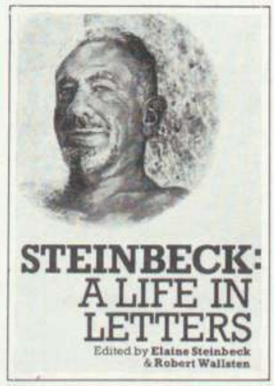
رقصة من بانكوك المدينة التى أحبها وقضى فيها أسعد أيامه

● كان يخاف البقاء وحيداً حتى لا يصبح جزءاً من الظلام الذي يحيطه

● وكان يخاف من أضواء جائزة نوبل ويتمنى العودة للكتابة من جديد

كتاب الشهر

أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز ؟



الورق . ولم يستطع أن يتخلص من هذه العادة بعد أن واتته الشهرة وأصبحت شركات الورق العالمية تبعث اليه بهدايا من منتجاتها . وغالباً ما كانت مخطوطاته تسبب المتاعب لعمال المطبعة .. وكانت رسائله تحتاج لعدسات مكبرة لقراءتها .

كتب شتاينبك عدة آلاف من الرسائل . كان أحياناً يكتب ست أو سبع رسائل فى نفس اليوم وكان الأمر أشبه بمعجزة أن يجد فى نفسه القدرة على انجاز التسعة وعشرين عملا أدبياً التى طبعت قبل وفاته . وكان يحتفظ ببضع نسخ نادرة من الرسائل التى أرسلها .. واذا أردنا تقسيم هذه الآلاف من الرسائل تقسيماً أولياً سوف نجد أن حوالى ٦٠٠ رسالة تغطى حياته منذ عمر الرابعة عشرة أرسلها الى اليزابث أوتيس صديقته . ومنذ العشرين وطوال الفترة التى قضاها فى الكلية أرسل مجموعة الى صديقة أخرى هى كارلتون شيفيلد ثم الى ناشره باسكال كوفيس .

كيف تجمعت الرسائل ؟

وقد اتبع المعدان — أى أرملته وصديقه — خططاً دقيقة للوصول الى مجموعة الأصدقاء التى كان يراسلها شتاينبك للحصول على ما لديهم من رسائل . فقد بحثا أولا فى قوائم كل الأصدقاء والمعارف الذين بعثوا اليه يهنئونه بعد فوزه بجائزة نوبل .. وبحثا ثانياً فى قوائم كل الذين أرسلوا يعزون فى وفاته .. كتبا اليهم جميعاً يسألونهم عن أى نوع من أنواع الرسائل .. الرسائل الجادة . المرحة . رسائل الأعمال . الحب . وكل الرسائل التى تعكس حالات المزاج المختلفة لرجل مزاجى .

وقد أجاب معظم هؤلاء الأصدقاء بالايجاب وبعثوا بما فى حوزتهم من رسائل . وكان البعض منهم قد أهدى مجموعات كبيرة لمكتبات الجامعات . والمدهش أن الكثيرين منهم كانوا يحتفظون برسائل كتبها شتاينبك عندما لم يكن اسمه قد لمع بعد .. لقد رأوا من خلال سطور هذه الرسائل صورة الموهبة التى سوف تتألق وتملأ سماء أمريكا والعالم بالأدب والفن ..

بالطبع هناك العديد من الرسائل التى مزقت . والعديد منها نسي أصحابها أين احتفظوا بها ؟ . والعديد من الرسائل التى ضاعت . والبعض أصر على أن يخفى بعض الرسائل حتى لا تضر بمكانته الأدبية،وبعض من عائلة شتاينبك أحسوا أن خصوصيتهم سوف تنتهك اذا كشفوا عن الرسائل التى فى حوزتهم .

ورغم ذلك فقد تجمعت مجموعة من الرسائل لم يكن يتخيل أحد أنها موجودة وبقى أمام المعدان — أى الأرملة والصديق — أن يتبعا النمو الفكرى والأدبى لشتاينبك ويقومان بتقسيم هذه المجموعة الضخمة زمنياً . وبدأت عملية التتبع التاريخى للرسائل التى لم يكتب شتاينبك تاريخها أو محاولة فك طلاسم التواريخ المختوم بها طوابع البريد .. ففى أغلب الأحيان لم يكن يهتم بتاريخ العام .. أو الشهر .. بل كان يكتب أحياناً فى السطر الأول .. «اليوم الاربعاء .. على ما أعتقد ..»

وبدأت الصعوبة الثانية فى محاولة تتبع الأماكن التى عاش فيها .. فى مراحل العمر المبكرة تنقل بين أكثر من مكان .. وكانت هناك رسائل متتابعة متقاربة التواريخ تحمل عناوين مختلفة ومتضاربة أحياناً .. كان يصف كل شىء يراه بشغف الأطفال .. يتحدث عن الزهور التى شاهد تفتحها .. والاحتفالات التى تقام بعد الحصاد .. ولكن كان يجب وضع كل علامات الأميال هذه التى يصفها فى إطار الزمن ..

لقد استغرق كل هذا الجهد أكثر من عامين .. لترتيب المتناقضات وملء الفراغات وإعادة اكتشاف شتاينبك من خلال رسائله ..

الخوف من الوحدة

ولد جون شتاينبك فى ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ فى مدينة ساليناس فى ولاية كاليفورنيا . كان أبوه يعمل مديراً لأحد المطاحن وأمه مدرسة وكان ترتيبه الثالث بين أربعة أطفال كانوا جميعاً إناثاً ما عداه بالطبع . تخرج من المدرسة عام ١٩١٩ وبدأ دراسة متقطعة فى جامعة ستانفورد .. وتركها الى نيويورك ليقوم بنشر بعض القصص القصيرة التى ألفها ولكنه لم يجد ناشراً .. وعاد الى كاليفورنيا ولكنه لم ييأس ولم يتوقف عن الكتابة وتقلب فى هذه الفترة بين مختلف الأعمال الحقيرة والمتوسطة وبدأ يكتسب مفردات عالمه على أرض الواقع .. «لقد وجدت عملا كحارس لعقار فى بحيرة تاهو يتطلب منى أن أعانى من الثلوج والتجمد لمدة ثمانية أشهر كل عام وكان أقرب جار لي يقع على بعد أربعة أميال ...» هكذا كتب فى احدى رسائله .. وكان فى هذه الفترة يعيد كتابة روايته الأولى «الكأس الذهبية» التى كانت تدور حول القرصان الشهير مورجان يصف فيها مغامراته وسط البحار ولا ينسى أن يكتب فى رسالته لصديقه فى نفس هذه الفترة .. «أكتب اليك لأننى خائف .. خائف من أن أبقى هكذا وحيداً .. أن أصبح جزءاً من الظلام الذى يحيط بى .. فى الليلة السابقة جاء حيوان ضخم وأخذ يتشمم من تحت عقب الباب لقد

رأيت ظله ولكن لم استطع الحركة» .

ولم يستطع رغم ذلك أن يبعد عن مخيلته ذكرياته الأولى الى مدينة ساليناس «كنا أناساً فقراء يعيشون فوق تل تمتد تحته الأراضي الشاسعة .. وكانت هذه الأراضي تجعلنا نشعر أننا أغنياء حتى ونحن لا نملك ثمن الطعام» .

وبعد أن تخرجت من المدرسة العليا بدأت أولى تجاربه الغرامية !كتب الى احدى الفتيات .. «لقد رقصنا سوياً مرتين .. وكان هناك صف عابس من النسوة العجائز اللاتى يحسبن أنفسهن رقيبات على الآداب العامة ..» وكتب الى فتاة أخرى «لم أعد استطيع التوقف الآن يا فلورانس .. فأنا أملك الكثير من الطموح والقليل من النقود.. أنا فقير لدرجة مزعجة .. فاننى أجد لزاماً علي أن أطعم شخصاً آخر قبل أن أطعم نفسى .. اننى مرغم على العيش بين الأطباق القذرة .. والجرسونات .. وفى نفس الوقت هناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها عن علم النفس وعن علوم المنطق ..» وكان يصف فى رسالته هذه تلك الفترة التى عمل فيها فى أحد المقاهى فى مدينة بالواتك .

لقد تقلب ـ كما قلنا ـ فى العديد من الأعمال لكى يكمل تعليمه .. «كنت أعمل .. ثم أذهب للمدرسة .. ثم أعود للعمل مرة أخرى» . وأصبح كاتباً فى مخزن ثم فى محل خردوات ثم اشتغل ملاحظ عمال ومساح أراضى ثم عاملا يدوياً وأصبحت كل هذه التجارب هى الأساس فى مسرحيته «عن الفئران والرجال» .

الزواج الأول

فى عام ١٩٢٦ قابل الفتاة التى أصبحت زوجته فيما بعد كارول هيننج هى وأختها وكانتا تقضيان اجازة فى مدينة هاتشرى حيث كان يعمل شتاينبك. وعلى أثر ذلك ترك المدينة وتتبعها الى سان فرنسيسكو حيث كانت تعمل بها وهناك اشترك فى السكن فى شقة مع احد أصدقائه ولم يتم المسرحية التى كان قد بدأ يؤلفها تحت عنوان «الأرض الخضراء» وتحولت هذه البداية الناقصة بعد أن أجرى عليها العديد من التحويلات والتعديلات الى احدى رواياته الهامة «نحو إله مجهول» . وفى عام ١٩٣٠ تزوج من كارول وانتقلت الأسرة للعيش فى كوخ يطل على المحيط الهادىء ..

بعد الزواج عملت كارول فى أحد المختبرات البيولوجية كان يرأسه صديق لشتاينبك قدر له أن يكون له تأثير هام فى حياته وفكره .. كان فيلسوفاً وعالماً بالحفريات يدعى ادوار . ف . ريكتس . وكانا قد تقابلا فى عام ١٩٣٠ وقضيا معاً أوقاتاً طويلة داخل المعمل الذى يقع فى «شارع الكنارى» ويطل على المحيط حيث كان هذا العالم يدرس كائنات الساحل الغربى .. وقد أصبح هذا المعمل هو الخلفية للعديد من قصص شتاينبك .. وظهر ريكتس بنفسه كاحد شخصيات روايته «شارع الكنارى» وقد استمرت صداقتهما حتى عام ١٩٤٠ . وكتب الى صديقه جورج آلب .. «كارول تعمل الآن .. وتحب .. فهى تشرف على زوج من الثعابين وعلى حوالى ٢٠٠ فأر أبيض وكلهم يعيشون فى حالة حب . بل انها تدخل حيوانات غريبة على أخرى مختلفة وسرعان ما يدب التعارف بينهما وتبدأ قصة حب ..»

وتدهورت صحة أم جون شتاينبك فجأة .. وبدأ هو وزوجته يقسمان وقتهما بين بيت العائلة فى ساليناس وبيتهما الصغير على المحيط .. وكتب الى جورج ألب .. «هذه أوقات حزينة .. لم أعد استطيع أن أفهم ما يحدث لأمى العزيزة بالضبط .. فى يوم تبدو كما لو كانت صحتها تتحسن ثم فجأة تتدهور الى الأسوأ .. أبى لا يعرف درجة المرض ونحن لا نخبره فهو يملك من المتاعب ما فيه الكفاية» وماتت الأم وكتب الى صديقه روبرت بالو .. «مات أبى بعد ستة شهور قضاها يحاول التمسك بعد موت أمى .. ودفن بجوارها فى نفس المكان .. ماذا أفعل .. أكتب رواية بعنوان «تورتيلا فلات» كنت فى حاجة لمن يعيننى ولم أجد سوى الكتابة .. لقد تهشم بيتنا بسرعة كبيرة .. وعندما جاءت الريح لم تجد ما تأخذه» .

الفئران والرجال

وفى عام ١٩٣٧ فازت مسرحية «عن الفئران والرجال» بجائزة نادى كتاب الشهر واختارها النقاد كأفضل عمل درامى وكان شتاينبك يستعد فى هذه الأثناء لكتابة رواية «معركة ديبيوس» وقام بزيارة للحصن الجنونى الذى

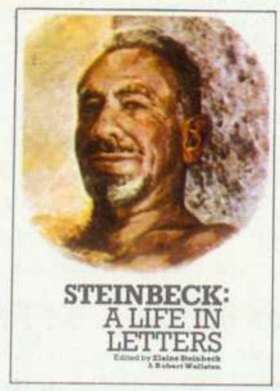
● أهم رواياته «عناقيد الغضب».. لم تلق النجاح فى البداية

وقف فى البداية ضد حرب فيتنام ثم تحول موقفه !



كتاب الشهر

أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز؟





رواد الأرض الجديدة الذين كتب عنهم فى أعماله

● أعرف أنني أملك الكثير من الطموح.. والقليل من النقود

● طلبت منه جاكلين كنيدي كتاباً عن حياة زوجها.. ولكنه رفض

حدثت فيه هذه المعركة . ووقع أيضاً مع شركة براموت للانتاج السينمائى عقداً لتحويل رواية «تورتيلا فلات» الى فيلم .
ثم قام هو وزوجته برحلة الى الاتحاد السوفيتى فى البلاد الاسكندنافية ثم عادا الى نيويورك للاعداد لاخراج «عن الفئران والرجال» فوق خشبة المسرح وقد حققت هذه المسرحية نجاحاً كبيراً حيث استمر عرضها لمدة ٢٠٧ ليلة متواصلة وكتب يقول .. «لم أعد أهتم بأن يستمر هذا العرض طويلا .. لقد بعثت فيه الحياة ذات ليلة رائعة وفى هذا الكفاية .. لقد أصبحت الشخصيات حقيقية واختلفت كثيراً عما تخيلتها ولكنها امتلأت بالحياة» . وتصاعد نجاح المسرحية رغم ذلك وقررت شركة وارنر تحويلها الى فيلم سينمائى يقوم ببطولته النجم جيمس كاجنى وكتب شتاينبك .. «لقد أصبح البريد الذى يصلنى كبيراً لدرجة مرعبة .. ولم أعد أدرى ماذا أقول من كثرة الأحاديث المطلوب أن أدلى بها .. واذا خرجت الى أى مكان حاصرتنى الأوتوجرافات التى تطلب توقيعى .. لست أدرى ما سر هذا الجنون .. اننى أوقع للجميع إلا أصدقائى .. والأمر يزداد سوءاً» .

مرارة النجاح

ولكن هذه الأشياء لم تكن أشد فواكه النجاح مرارة .. فقد أعلنت امرأة صغيرة كان شتاينبك يعرفها وهى مازالت طفلة أنها حامل منه . وقد اصابته الدعوى التى رفعتها عليه باكتئاب عميق ويبدو أنها أحدثت تأثيراً سيئاً على زواجه وفى نفس الوقت أصيبت العلاقة بينه وبين صديقه القديم الكاتب جورج ألب بشرخ .. وكتب ريتشارد ألب أخو الكاتب يقول موضحاً السبب .. «إن الغيرة الفنية هى سبب هذا الشرخ .. وأنا أعلم جيداً أن جزءاً كبيراً يعود فى ذلك الى جورج .. وليس جون» . وكتب اليه شتاينبك يقول له .. «فى هذه الفترة فاننى أحتاج الى العون والمساعدة والى من يقف بجانبى ولكنى أراك تحاول أن تدمر كل شىء .. وان تفتح جروحاً لا تندمل وتواصل صفعى دون مبرر .. اذا أردت الخصام فلتكن خصومة شريفة فاننى لا أحتمل طويلا النخس بالسهام» .
لقد سقطت الدعوة ضده وخرج منها بريئاً . ولكنه توقف سنة كاملة عن الكتابة حتى عام ١٩٣٩ عندما أخرج روايته الرائعة «عناقيد الغضب» وكتب يقول لصديقته اليزابث أوتيس «لقد كتبت رواية حطمت فيها أزماناً عديدة .. طوال عشر سنوات وأنا أفكر فى كتابتها ولم أكن أجرؤ على ذلك .. لقد كتبت التاريخ فى وقت حدوثه وحاولت جاهداً ألا أكون مخطئاً ..» .
والمدهش فى الأمر أن هذه الرواية العظيمة لم تلق نجاحاً فى أول صدورها ورغم أن الناشر طبعها بكميات كبيرة فقد ظلت نسبة المبيعات منخفضة الى حد مدهش .. وكتب الى صديقته اليزابث .. «أنا لست حزيناً فأنا أعرف أنها رواية عظيمة .. غداً سوف يعرفون قيمتها ويطالبون الناشر بملايين النسخ الزائدة ..» وقد حدث هذا بالفعل . فقد كتب عنها الناقد مارشال بيست «انها أهم عمل أدبى ظهر فى القرن العشرين» وقد حصلت هذه الرواية على جائزة بوليتزر لعام ١٩٤٠ .

وفى عام ١٩٤٣ حدث تغير فى حياته حين ذهب للاشتراك فى اخراج فيلم يموله سلاح الطيران الأمريكى عن الغزو اليابانى ضد القواعد الأمريكية فى الباسفيك وتعرف على ألين دولين

كونجر . وطفت فجأة كل المشاكل التى كانت غارقة بينه وبين زوجته الأولى كارول وحدث الطلاق وكتب يقول .. «لم أعد أتذكر أية بهجة . كل ما أذكره هى الأوقات السيئة التى قضيتها فى الأعوام الأخيرة . الانهيار الأخير هذا لم يدهشنى فقد كان متوقعاً منذ الخطوة الأولى . ولكن ما يدهشنى الآن هو كيف يمكن لشخصين أن يسببا لبعضهما مثل هذا الأذى طوال احد عشر عاماً ..»

وفى مارس من نفس العام تزوج شتاينبك للمرة الثانية فى مدينة نيو أورليانز «كانت حفلة زفاف جميلة . وكان الجميع فى منتهى الرقة معنا .. لقد ضحكوا .. وغنوا .. وشربوا .. وصنعوا لنا زفافاً مرحاً .»

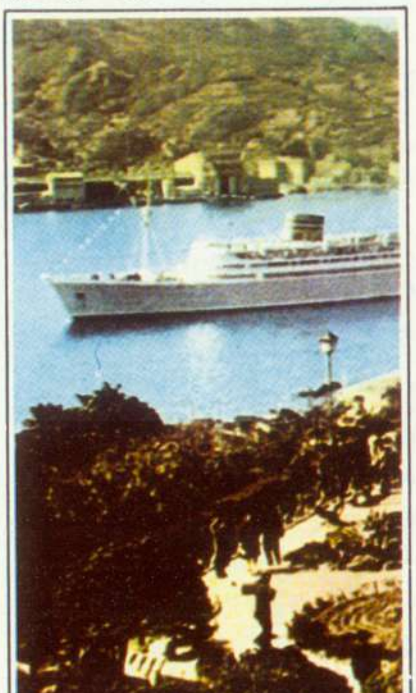
شهدت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية استقراراً نسبياً لحياة جون شتاينبك وانتقل للاقامة فى احدى الضواحى الريفية فى مسكن فاخر لينعم ببعض الهدوء وتواصلت أعماله الأدبية واتخذ مكانه وسط صف الأدباء التقدميين فى العالم .. وقام مع أحد وفود الكونجرس بزيارة لليابان التى خرجت منهزمة من الحرب تعانى جراح التدمير الذرى وكتب الى الأديب الأمريكى الشهير وليم فولكز يصف زيارته لليابان «لقد حاولت أن أحتفظ طويلا بدهشتى إزاء حياتهم الاجتماعية .. كنت أحس أن فى أعماق كل منهم بوذا راقداً مستكيناً منتظراً .. إن علينا أن نذكر كل هذه الثقافات القديمة التى تختبىء خلف كل هذه الجلود الصفراء الرقيقة .. انهم يعطونك الاحساس بأن كونك كاتباً أو فناناً أو أديباً هذا شىء مهم جداً .»

البحث عن الملك آرثر

فى عام ١٩٥٩ توجه شتاينبك وزوجته آلين الى انجلترا وعاش فى مدينة بيرتون وبدأ فى تأليف رواية عن الملك ارثر وفرسان المائدة المستديرة .. وكتب يقول «بالأمس تسلقت التلال الى عاصمة ارثر القديمة «كاميلوت» وكانت أزهار الاوركيدا تملأ كل حوافى القنوات كأنما كان ارثر يتأملها منذ لحظات .. وعندما تأملت الأبراج القديمة .. والطرز المعمارية .. وقاعة الفرسان أحسست أنى على وشك البكاء» ولكى يستعيد ذلك الجو الارثرى القديم فقد قام هو والكاتب الانجليزى روبرت بولت والكاتبة سينيثا ولستن برحلة الى ولز عبر وادى واى .

وفى خلال هذه الفترة هاجمته أولى النوبات التى لم تستطع آلين شتاينبك أن تشخصها أو تعرف سببها . لقد شعر شتاينبك بوعكة وتوجه الى الفراش وتركته ليرتاح وهبطت الى الطابق السفلى للمطبخ . ولكن بعد فترة دفعها شعور غامض لأن تترك المطبخ وتتجه الى أعلى مرة أخرى حيث وجدته فاقد الوعى وقد سقطت السيجارة المشتعلة من بين أصابعه واشتبكت النار فى بيجامته وفى أغطية الفراش . وبسرعة أطفأت النار وهرعت تطلب النجدة . ونقل الى المستشفى وشخصت حالته على أساس أنها «ضربة شمس» حادة .. وظل فى المستشفى لمدة سبعة أيام وكتب بعد ذلك .. «أوشك أن أفقد حياتى دون أن أملك أى قدرة على المقاومة أو الاختيار .. آلين تعتقد أن جسدى مريض ولكن المسألة أخطر من ذلك .. إن المرض

زار اليابان بعد أن خرجت مهزومة من الحرب



يكمن فى أعماق روحى ..»

الرحيل مع تشارلى

وعاد الى أمريكا فى عام ١٩٦٠ حيث قام برحلة طويلة عبر مختلف ولاياتها وكانت حصيلة هذه الجولة «رحلات مع تشارلى» كان قد كتب للعديد من أصدقائه حول هذه الرحلة القادمة ولكن الزمن مر قبل أن يقوم بها وكانت صديقته اليزابث أوتيس تلح عليه . وفى ذات يوم قال لزوجته آلين

– أريد أن أسألك شيئاً .. هل أستطيع أن اخذ تشارلى ؟ ..

وكان يعنى بذلك الكلب الصغير الذى أهداه لها .. وقالت زوجته :

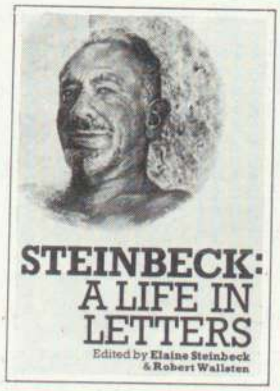
– بالطبع .. فسوف يعتنى بك ..

وطوال هذه الرحلة بدأ شتاينبك يبعث برسائله الى آلين ولم تتوقف إلا حين لحقت به فى جزء منها وعبرا معاً الساحل الغربى الى تكساس ولويزيانا ثم عادا الى نيويورك .. وكتب اليه الرئيس كيندى يقول .. «سوف أكون مسروراً عندما نتقابل شخصياً وعندما نتناقش معاً فى مختلف القضايا الفنية».

وحضر أولى الحفلات الأدبية الفنية التى تعود كيندى أن يقيمها فى البيت الأبيض وعكف بعد ذلك على الفور فى تاليف أروع أعماله الأدبية على الاطلاق .. «شتاء السخط» . وشرع أيضاً فى الاعداد للقيام برحلة حول العالم ولكن الأصدقاء المقربين أخذوا يحثون آلين على عدم الموافقة خوفاً على تدهور صحته .. ويبدو أنه لم يعد قادراً بالفعل على تنفيذ ما اعتزمه فقد كتب يقول .. «أشعر بالخجل من احساسى بالضعف فى الأسابيع الأخيرة .. وأصبح احساسى باستعادة الحيوية أمراً بعيداً» ولكنه استعاد صحته سريعاً رغم هذه النبرة الغير متفائلة وبدأ رحلته الى ايطاليا واليونان وقضى وقتاً طويلا يتجول بين الجزر اليونانية . ولكنه عاد الى الولايات المتحدة بسرعة عندما اشتعلت أزمة كوبا .. ووسط تلك الأنباء العاصفة والتهديدات باشعال الحرب العالمية سمع النبأ فى كلمات قليلة .. لقد فاز بجائزة نوبل للآداب .. وانهمرت عليه

كتاب الشهر

أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز؟



طلبت منه جاكلين أن يؤلف كتابا عن كيندى



رسائل التهانى من كل أنحاء العالم .. ما بين أربعمائة وخمسمائة رسالة كل يوم وكتبت اليه الأديبة جون أوهارا «أهنئك .. لم أر أحداً استحق هذه الجائزة خيراً منك ...» ورد عليها .. «لقد جعلتنى هذه الجائزة أحس أخيراً أننى لست وحدى» .

الخوف من أضواء «نوبل»

وتسلم جائزة نوبل فى حفل صاخب فى استوكهولم وقضى بعضاً من الوقت فى لندن قبل أن يعود الى نيويورك .. وحاول أن يستعيد هدوءه ويبعد عن عينيه وهج الجائزة اللامعة ويعود للكتابة وكتب الى صديق قديم «أحس بحنين للكتابة أكثر من أى وقت مضى .. ولكنى أتساءل .. هل هذه الجائزة حقيقية .. هل كل الذين فازوا بها حقيقيون .. الأساطير هنا تطفو على السطح .. وعندما يغرق المرء فى الأسطورة لا يستطيع أن ينقذ نفسه .. والطريق الوحيدة للانقاذ هى أن تقمع جماح هذه النفس .. هوليود مغرية .. والتلفزيون مغر .. والعالم لا يكف عن الصراخ .. ولكن أريد أن أعود للكتابة من جديد ...»

وفى عام ١٩٦٣ كتب شتاينبك .. «اننى لم أعد كاتباً صغيراً واعداً بالكثير .. لقد استنفذت كل وعودى ...» كان يستعد وقتها للرحلة خلف السور الحديدى . حيث يذهب فى زيارة فى إطار نوع من التبادل الثقافى بين أمريكا وروسيا .

ولكن ذات صباح فى ساج هاربور استيقظ شتاينبك من النوم دون أن يستطيع الرؤية .. لقد حدث له انفصال شبكى .. وأجريت له عملية جراحية فى مستشفى ساوث هامبتون وقضى فترة نقاهة طويلة كانت تزوره صديقته جون أوهارا لتقرأ عليه وتسلى وحدته .. وكتب اليها .. «لقد تحسن بصرى بعض الشىء .. وكنت أتمنى أن أظل مغمض العينين حتى ننتهى من كل الأحاديث المعلقة بيننا ...»

وكتب عن رفيق رحلاته تشارلى .. «لقد أصبح عجوزاً ولكنه لا يريد الاعتراف بذلك .. عظام الفخذ انكسرت على أثر حادث سيارة تسبب له فى حادث من الآلام خاصة عندما يتغير الطقس ..

ولكنه فى الصباح يتصرف برعونة شديدة كما لو كان شاباً ...» وتدهورت حالة الكلب طوال عام كامل . فى أبريل كتب شتاينبك .. «الأسبوع الماضى كان حزيناً . لقد مات تشارلى .. لقد مات ممن يمكن أن نسميه «التعاسة البشرية» التى نضفيها على غيرنا من المخلوقات» .

خلف الستار الحديدى

وبدأ يستعد لتنفيذ رحلته الموعودة الى الاتحاد السوفيتى . خلف الستار الحديدى .. وكتب الى زوجته يقول عندما كانت بعيدة عنه فى زيارة لتكساس «أليس هذا مدهشاً أن أضيع فى برارى روسيا الموحشة .. إن كلمة «سيبريا» لها رنين جميل فى أذنى» وكتب الى الأديب السوفيتى الشهير شولوخوف .. «هل تذكر ذلك اليوم عندما تقابلنا بعد الظهر فى ستوكهولم .. لقد وعدتنى أنا وزوجتى ببعض الكافيار من نهر الدون . اننى لم أنس ذلك الوعد بعد . سوف نكون فى موسكو فى منتصف أكتوبر فى زيارة تستغرق شهراً وسوف أكون مسروراً حين أتمكن من مقابلتك .. أنا آسف لا أستطيع الكتابة اليك بالروسية .. كتبت اليك باللغة الوحيدة التى أستطيعها» . وكتب أيضاً الى الأديب الروسى الكبير ايليا اهرنبورج .. «لعلك تذكر أنك كنت دليلى وملاكى الحارس فى زيارتى الأولى . كابا المسكين قد مات .. مات فى حرب فيتنام التى كان يرفضها .. سوف نتلاقى لنتحدث عنه» .

كيندى يموت

وكانت زيارته لموسكو حافلة بالفعل فقد أحاطه الكتاب الروس بسلسلة من الحفلات والاحتفاءات لم يستطع أن ينساها . عندما توجه من موسكو الى وارسو سمع خبر اغتيال الرئيس الأمريكى الذى كان يحبه جون كيندى فى ليلة ٢٢ نوفمبر .. «عزيزتى مسز . كيندى .. أسفنا لك .. بل لأنفسنا .. لأنفسنا .. كنت أتمنى أن تري شكل سفارتنا فى وارسو .. تشاهدين صورته الكبيرة فى البهو الرئيسى وهى محاطة بالزهور .. وبالدموع .. ومنذ الصباح حتى المساء تقف صفوف طويلة من الناس ليقدموا

تعازيهم الحارة .. وكل أنواع الناس .. ومعظمهم من الفقراء .. يضعون زهورهم ويوقعون بأسمائهم فى سجل ضخم .. لقد امتلأت سجلات عديدة ولم تنقطع أفواج الناس . إنهم يأتون ليلة بعد ليلة .. فى حزن وبطء .. لم أشاهد أبداً مثل هذا الوقار الحزين .. وعندما نبكى نراهم جميعاً يبكون .. قلوبنا معك .. ونحن نحبك .. كلنا ..».

وواصل شتاينبك رحيله من النمسا الى المجر .. وأرسلت اليه مسز كينذى تطلب أن تراه لكى تناقش معه تأليف كتاب عن الرئيس الراحل كينذى .. ولكنه اعتذر برقة فقد أزعجه حادث الاغتيال لدرجة أنه لا يستطيع أن يتمثله مرة أخرى .. وعندما ألحت عليه كتب يقول .. «لقد كنت على حق عندما قلت ان الكتاب ليس أكثر من كتاب .. ولكنه يكتسب قيمته عندما يدور حول رجل مات .. لأنه يبعثه حياً .. لعلنا نستطيع الانتظار حتى تنتهى تلك الكوابيس الدامية .. لأن الحياة تعطينا دائماً المزيد من الوعود» .

لقد أرسل شتاينبك الى جاكلين كينذى التى كان يكن لها ولزوجها إعجاباً خاصاً العديد من الرسائل .. وعندما استخرجتها جاكلين لكى تشارك بها فى إعداد الكتاب كتبت الى أرملة شتاينبك .. «لقد وجدت رسائل زوجك . ولا أستطيع أن أعبر لك ماذا كانت تعنى هذه الرسائل فى ذلك الوقت .. لقد ساعدتنى على مواجهة كل المخاوف التى كانت تطاردنى .. أنت لم تعرفى حديثى مع زوجك فى هذه الأيام .. اننى أتذكر حكمته وبعد نظره .. ولا أستطيع أن أتذكر أى نوع من الكتب كنا نتناقش حوله .. ولكنى سعيدة لأن هذا الكتاب لم يكتب . إن هذه الرسائل قالت لي أكثر من عشرات الكتب ..».

فيتنام .. والسقوط الأخير

فى عام ١٩٦٦ أصدر كتابه «أمريكا والأمريكيون» ثم قام برحلته الأخيرة الى جنوب شرق آسيا .

فى ١٥ مارس كان جالساً أمام التلفزيون يشاهد خطاب الرئيس الأمريكى ليندون جونسون أمام الكونجرس .. وهتف جونسون «سوف ننتصر .. سوف ننقذ فيتنام من المستنقع الشيوعى الذى تغرقها فيه قوات الفيت كونج ..» وعلى الفور نهض وكتب فى نفس الليلة رسالة الى جونسون يقول له فيها .. «هناك رجل يقول الكلمة .. والكلمة كما يقول الكتاب المقدس تعنى الله . ولكنها هنا تعنى الحياة وتعنى الأمل .. وفى تاريخنا لم يكن هناك أكثر من خمس أو ست لحظات غيرت فيها الكلمة الخرائط وغيرت شكل المستقبل .. خطابك كان واحدة من هذه اللحظات . بعد الآن لن نستطيع العودة الى الوراء .. سوف يوضع اسمك وسط عظماء الرجال فى التاريخ الأمريكى ..» .. ورد عليه الرئيس الأمريكى جونسون قائلا .. «الآف الرسائل وصلتنى بعد الخطاب ولكن لم يهزنى واحد منهم مثلما هزنى خطابك .. أشكرك يا صديقى العزيز على ثقتك .. وعلى حرارتك» .

كيف يمكن تفسير هذا التحول الغريب .. هل هذا عائد للصداقة الوطيدة التى كانت تربطه بالرئيس جونسون .. أم أن السبب هو ابنه الذى سافر الى فيتنام للاشتراك فى الحرب .. لقد بدا هذا الموقف بالنسبة للمحيطين به كتغير كبير وإنكار لكل الأشياء التى وقف طويلا خلفها .

وبدأت رحلته الغريبة الى فيتنام .. «كنت أعتقد أن الشرق الأقصى هو أقصى ما يكون عن دائرة اهتماماتى .. لم أكن أريد أن أذهب ولكن الضرورة تدفعنى للذهاب .. »

أى ضرورة ؟ ..

لقد سافر ليس بناء على رغبة الرئيس جونسون كما قال فى احدى رسائله .. ولكن كمراسل لصحيفة «نيوز داى» وكان يقترب وقتها من عيد ميلاده الخامس والستين وكتب يقول .. «لن أذهب الى أى مكان بدون ألين .. الحياة قصيرة جداً بدونها .. » وكتب الى المخرج السينمائى الشهير إليا كازان الذى أخرج روايته «شرق عدن» للسينما «ماذا لو أتيت معى الى جنوب شرق آسيا .. الحرب فى فيتنام على وشك الانتهاء وهناك بقية بلدان الشرق .. أريدك أن تكون معى لعلنا نصنع شيئاً مشتركاً ..» ولم يلب كازان الدعوة بالطبع ..

وكتب من فيتنام .. «الماء يحيط بكل البيوت فى هذه المنطقة ولا أدرى كيف يعيشون فى داخلها .. ولا كيف يتعرفون على السلاح الأمريكى .. رجالنا يتحركون ببطء .. يمسكون أسلحتهم كالبراعم التى لم تتفتح بعد .. يسيرون فى بطء .. وتصميم .. لقد قضينا أمس كله فى الطيران الى بانكوك حيث شاهدنا قتالا استخدمت فيه كل أنواع الأسلحة والمعدات . هناك وقت ضئيل للنوم هنا ولكن لم أشعر أننى أفضل فى حياتى كما أشعر الآن ؟!!» .

وكتب من بانكوك .. «نحن الآن فى جزيرة جميلة بنانج .. نحن الآن نستريح فيها . طول الجزيرة عشرة أميال تناولنا فيها العشاء وخضنا معركة كفاتحة للشهية »

وانتهت الرحلة التى استغرقت خمسة شهور بجولة اضافية فى آسيا كأنما يحاول أن يؤكد لنفسه أن ما تفعله أمريكا فى المنطقة هو نشر الحضارة والحرية .. وليس نشر الموت .

لقد كان التناقض فى أعماقه هائلا . ولم يستطع أن يتحمل أكثر من ذلك فسقط مريضاً فى هونج كونج ونقل على وجه السرعة الى مستشفى فى نيويورك وظل طوال فترة مرضه يهذى بذكريات الحرب . وعاد فى نهاية الصيف الى بيته فى لونج ايلاند ولكن حالته تدهورت واضطر الى اجراء جراحة بزل من النخاع الشوكى وظل راقداً فى فراشه لا يستطيع التجول إلا فى إطار غرفته .

وفى يوليو عام ١٩٦٨ تعرض لحالة هبوط فى القلب ودخل المستشفى مرة أخرى ولكن حالته ازدادت سوءاً وكتب رسائل قصيرة يقول فيها «انه سوف يشعر بالتحسن اذا اشترى آلة كاتبة وكتب لكل أصدقائه .. ولكن الأزمة التالية لم تعطه الفرصة ..»

وتوقف قلب شتاينبك .. وانتهت تلك الحياة الطويلة الحافلة ..

وثيقة إسلامية نادرة جدًّا:

مسلم أسباني أمام محاكم التفتيش

د. الطاهر أحمد مكي

ريشة: هبة عنايت

منذ عامين لقيت فى مدريد مساعد مدرس فى كلية أزهرية جاء على منحة مخصصة لكلية الآداب فى المنيا ، ليحصل على الدكتوراه فى الأدب الأندلسى . كان مندهشاً ومذهولا : رد السلام على الناس فى المطار حين هبطت الطائرة فلم يجبه أحد ، ومد سمعه الى ما يقولون فلم يفهم شيئاً ، وسأل عن أقرب مسجد يؤدي فيه الصلاة فعرف أن مدريد ليس فيها أى مسجد على الاطلاق، وتبين له أنه سيدرس الأدب فى الجامعة بلغة لا يعرفها ، ويكتب رسالته فى لغة عليه أن يتعلمها ، فأخذ الحكاية من قصير ، جمع أوراقه وعاد الى بلاده ، والحصول على الدكتوراه هنا أسهل بكثير !

والحق أن ما جرى فى الأندلس شىء لا يتصوره العقل ، هذه البلاد كانت يوماً تتحدث كلها اللغة العربية ، وتدين فى جملتها بالاسلام ، ومنذ ثلاثة قرون فحسب ، كان فيها من على دينه القديم يعبد الله سراً ، ويتكلم العربية خفية ، حتى لا تمتد اليه محاكم التفتيش .

وكنت أشك فى أن القرن السابع عشر شهد شيئاً من هذا ، حتى وقعت يدى على وثيقة تعود الى مطلعه ، وقف صاحبها متهماً بأنه يبطن الاسلام ويدعو اليه ، وأطبقت على الوثيقة فى الحال ، فوثائق محاكم التفتيش الخاصة بالمسلمين محفوظة فى أمكنة لا يصلها غير القليلين ، وباذن خاص من الدوائر الدينية العليا .

وتبدو لنا هذه المحاكمة هينة الآن ، والاحتفاظ بالدين شىء عادى ، ولكن ! .. لو بدأت معى الرحلة من أولها فستجد أنها كانت أياماً مليئة بالرعب والقسوة والتعذيب ، وأن القابض فيها على دينه كالقابض على الجمر .

نهاية دولة الاسلام

مع نهاية القرن العاشر الميلادى كانت الدولة العربية ، أو الاسلامية إن شئت ، فهما مصطلحان لشىء واحد فى العصر الوسيط ، تشمل معظم اسبانيا ، بينما قامت جماعات صغيرة فى الشمال الغربى على شاطىء البحر ، قوامها فرسان فروا من المعارك طلباً للنجاة ، وعاشوا فيها يقطعون الطرق ، ويهاجمون الحدود ، ثم يلوذون بقمم الجبال ، ونمت هذه الجماعات ، ثم تطورت ، وأخذت شكل دويلات صغيرة ، دخلت التاريخ تحت اسم : ممالك الشمال المسيحية . ومع الزمن قويت ، وأخذت تستغل ضعف الدولة العربية ، فالتهمت مدنها واحدة وراء أخرى ، حتى إذا كان القرن الثالث عشر حصرتها فى مثلث رأسه غرناطة ، وقاعدته مدينتا المرية والجزيرة الخضراء .

وظلت دولة العرب تقاوم ، ثم أدركها الهرم القاتل ، الذى يلحق الدول من جراء الجرى وراء المغانم والانتفاع بها ، وبسبب غرق الكثيرين فى الانطلاق مع كل وسائل الرفاهية والاستمتاع ، فكان ذلك بداية لأفول المجد وضياع كل ما تم من انتصارات ..

وأحكم العدو حصاره حول العاصمة ، وحين بدا للقائمين على حكم آخر معاقل الأندلس ، أن المقاومة تتطلب كثيراً من الجهد والتضحيات استجابوا لاغراء العدو ، ومفاوضته سراً بعيداً عن رقابة الجماهير ، وفى غفلة منها ، وغايتهم الأولى كيف يفلتون بجواهرهم وثرواتهم وأملاكهم ، وماذا سيقدم لهم مقابل التنازل له عنها ؟ .

وصمد عامة الناس ، وكانوا على استعداد لأن يصمدوا أعواماً ، ولأن يقاتلوا دون بيوتهم وأعراضهم فليس عندهم ما يخسرونه مع القتال ، ولا ما يكسبونه مع الهزيمة ، إنهم مع التسليم يفقدون كل شىء ، حتى سبب بقائهم .

وتمت الصفقة على أى حال من وراء ظهور الجميع ، وطوقها الجنود من جوانب غير معهودة ، وحين حاولت الجماهير أن تقاوم ، وهى تهتف بسقوط الخائن ، أطفئت الثورات فى قسوة . وفى الصباح الباكر من يوم الاثنين ٢ يناير ١٤٩٢ م ، تم تسليم العاصمة ، وخرج القائد المهزوم حاكم غرناطة ، فى طريقه الى ضياعه الجديدة التى قبضها ، ومعه ثرواته التى حصلها ، وحين ألقى آخر نظرة على غرناطة عاصمته أحس بأنه خسر مجداً ، وأضاع ملكاً ، وتخلى عن شعبه لحظة العسرة ، وألقى به فى الهاوية لحظة المحنة ، وبدت له المدينة جميلة على نحو لم تكنه يوماً ، فاجتاح أعماقه أسى حزين ، وأحس أنه خسر شيئاً عظيماً ، فبدأ يتنهد حسرة وبكى ،

وردت عليه أمه ، السلطانة عائشة : «حسناً فعلت يا بنى ، أبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه كالرجال» . وحمل الطريق منذ تلك اللحظة ، وحتى يومنا ، اسم : زفرة العربى ! .

تضمنت معاهدة التسليم شروطاً هامة لحماية عامة الناس فى غرناطة ، كسباً لرضاهم ، وتشجيعاً لهم على ترك دينهم ، ثم بدأت الخطة الرهيبة حين أخذ عراف الملكة على عاتقه ، فى عام ١٤٩٩ ، أن يقوم



مسلم أسبانى
أمام محاكم التفتيش



بحملة مكثفة لاكراه المسلمين على الكثلكة ، فحول المسجد الجامع فى المدينة الى كنيسة ، وعمد فى يوم واحد ثلاثة آلاف مسلم ، وأصدر قراره بجمع كل ما عند المسلمين من كتب ، وطلب منهم تقديمها وإلا تعرضوا لأقسى العقوبات ، وجمع منها ما يتجاوز المليون مخطوطة ، احتفظ من بينها بالكتب الطبية ، وأرسلها الى جامعة القلعة ، ثم أسلم بقيتها الى النيران ، فى حفل عام أقيم فى ميدان باب الرملة على مقربة من الحمراء .

وبدأ ينتزع الأطفال من آبائهم ليربيهم فى العقيدة الكاثوليكية ، واستولى على أوقاف المساجد ، بعد أن حولها الى كنائس ، لينفق منها على هذه الأعمال . وأخذ بقية الأساقفة ، بوحى منه ، أو بدافع المنافسة ، يسابقونه فى هذه الأعمال . وأدت هذه الأعمال المخالفة لمعاهدة التسليم الى ثورة سكان غرناطة فأطفأها الاسبان بقسوة ، وانتهز الكاردينال الفرصة ليقول إن السكان بثورتهم فقدوا كل الحقوق التى نصت عليها المعاهدة ، ومن ثم فليس أمامهم إلا أمران : أن يصبحوا كاثوليكاً أو أن يرحلوا . وآثرت الأغلبية أن تبقى .

الرضا ، منها : تامين الصغير والكبير فى النفس والأهل والمال ، وإبقاء الناس فى أماكنهم ودورهم وعقارهم . وأن تبقى لهم شريعتهم يتقاضون فيها ، وأن تظل لهم مساجدهم وأوقافهم ، وألا يدخل الكاثوليك دار مسلم ولا يغصبوا أحداً ، وألا يولى على المسلمين إلا مسلم ، وأن يطلق سراح جميع الأسرى المسلمين . والذين يرغبون أن يتركوا غرناطة الى أفريقية لهم ذلك ، وفى سفن يقدمها الملك الاسبانى ، مقابل أجر معين ، لمدة محددة ، بعدها يدفع من يرحل عشر ثروته للدولة .

ونصت المعاهدة على ألا يؤخذ أحد بذنب غيره ، وألا يرغم من أسلم من الكاثوليك على العودة الى دينه ، ولا يعاقب أحد على الجرائم التى وقعت ضد الكاثوليك فى زمن الحرب ، ولا يكلف المسلمون بضيافة الجنود الاسبان ، ولا ترفع عليهم الضرائب عما هو معتاد ، ولا يسمح للاسبان بالتطلع على بيوت المسلمين ، ولا يدخلون المساجد ، ويسير المسلم فى بلادهم آمناً فى نفسه وماله ، ولا يلزم المسلم بوضع علامة مميزة ، ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم من أمور دينه ، ومن ضحك منه يعاقب ، وترفع عنهم الضرائب سنين معلومة .

المعاهدة قصاصة ورق

كان الملك الاسبانى عازماً فى البدء على احترام المعاهدة التى تحمل توقيعه وتوقيع البابا فى روما الى جواره ، ولكن الأمور سارت على غير ما تقرر ، دون أن يستطيع عليها اعتراضاً .

فقد أخذ أسقف غرناطة يعمل لحسابه ، وعلى مسئوليته ، فى حمل المسلمين على أن يصبحوا كاثوليكاً ، واستجاب له فى البدء عدد من الأسر الغنية والعريقة بمفهوم العصر ، على حين قاومت جماهير العامة هذا الاتجاه بعنف ، وفى مواجهة قوة غاشمة ، وفى ظروف بالغة السوء ، ولم يستطع أن يحقق فى حملته هذه ، على امتداد سنوات ، إلا نتائج محدودة للغاية ، مما أغضب الكاردينال خمينيث

مسلمون حقيقة وواقعاً

أصدر الكاردينال أوامره بتعميد كل المسلمين ، دون اعتداد برأيهم ، ودون حتى أن تتاح لهم الفرصة ليعرفوا شيئاً من الدين الجديد الذى يساقون اليه ، والذين رفضوا لاذوا بجبال البشرات القريبة من غرناطة ، وهى منطقة جبلية صعبة للغاية ، وعاش فيها كاتب هذه السطور شهرين كاملين دارساً ، ولاتزال أسماء القرى ، وألقاب العائلات عربية حتى يومنا هذا .

وقد أطلق على المسلمين المتنصرين اسم «المسيحيون الجدد» ، تمييزاً لهم عن الكاثوليك القدامى ، ودخلوا التاريخ أيضاً تحت اسم «الموريسكوس» ، تصغير كلمة «مورو» ، أى المسلمين الصغار . ورغم قبولهم الدين الجديد ظاهراً كانوا موضع احتقار ظاهر ، ويعاملون كما لو كانوا رقيقاً ، أو مواطنين من الدرجة الثالثة فى أحسن تقدير ، كانوا — على حد تعبير مؤرخ اسبانى — كاثوليكاً فيما يتصل بالواجبات والمسئوليات ، ولكنهم ظلوا مسلمين وعرباً فيما يتصل بالمخاطر والصعوبات وعدم المساواة أمام القانون» .

وسارت حملة الكثلكة فى بقية بلاد الأندلس على نحو ما سارت عليه فى غرناطة .

وفى عام ١٥٢٦ بدا واضحاً لمحاكم التفتيش ، وكانت قد أقيمت من زمن طويل لمتابعة الالحاد واليهود والمساس بأمور الدين ، إن كثلكة هؤلاء المسلمين عمل ظاهرى بحت ، القصد منه الافلات من الملاحقة فحسب ، فقد تبين لها أنهم ازدادوا تمسكاً باتخاذ العربية وسيلة للحديث ، وأنهم يجهلون اللغة الاسبانية بل انهم علموا الاسبان فى منطقة بلنسية اللغة العربية ليتم فيها التفاهم بينهم ،

وزاد المشكلة تعقيداً أن الرهبان الموكلين بتنصيرهم لا يعرفون من اللغة العربية شيئاً ، أو يعرفون شيئاً قليلا للغاية لا يصلح لشىء ، وهكذا أصدر الكاردينال أوامره : بما أن هؤلاء الموريسكوس من رعايا الملك فان عليهم أن يتعلموا لغته فى خلال ثلاثة أعوام .

ثم تبين أن اللغة ليست إلا جانباً من المشكلة ، فتأكد أن هؤلاء المسلمين لم يتخلوا لا هم ، ولا بنوهم عن عقيدتهم ، فهم فى السر يصومون ويؤدون الصلاة ، ويتزوجون على الطريقة الاسلامية ، ويرفضون واقعاً التراجع خطوة واحدة عن شخصيتهم الحقيقية للاندماج فى المجتمع الجديد .

الى محاكم التفتيش

وإزاء هذه الظاهرة تقرر إخضاع الموريسكوس لمحاكم التفتيش ، ولم يكونوا يخضعون لها من قبل .

ومحاكم التفتيش طراز غريب من المحاكم انشىء فى القرن الخامس عشر للمحافظة على نقاء العقيدة الكاثوليكية، وكانت هذه غايتها ، أما وسائلها وسلطاتها فغير محدودة .

وبدأت الأوامر بهدم الحمامات العربية ، أو الاستحمام على الطريقة العربية ، أو التحدث باللغة العربية ، أو ارتداء الملابس العربية ، أو الاستماع الى الموسيقى العربية ، أو السمر على الطريقة العربية ، وباختصار محظور كل شىء له صلة بالماضى ، أو يميز هؤلاء الموريسكوس عن غيرهم ، وكل مخالفة لهذه الأوامر تعد خروجاً على العقيدة ، وتحال الى محاكم التفتيش .

قد تقوم وثيقة الاتهام على إشاعة ، مجرد إشاعة ، أو يذهب الانسان بنفسه ، ليعترف رعباً ، ودليلا على حسن نيته ، بلفظ تفوه به عرضاً ، ودون أن يعنى شيئاً ، ويخشى أن يكون أحد قد سمعه . ومن بين وثائقها التى نشرت نجد مثلا هذا الاعتراف : «أنا إيزابيل لويث ،زوجة فرانسيسكو لوبث ، قلت دون أن أتدبر ما قلت ، أو أعتقده : لا أستطيع أن أقول رأيى فى الآخرة ، لأنى لا أرى شيئاً مما يجرى هناك ، كمثل جار تعود الناس أن يتفوهوا به . ونجد شخصاً مقدماً للمحاكمة ، لأنه قال عرضاً يشير الى الآخرة : «أنا هنا بخير ، ولست أعرف ما هناك» !

وقد تكون الوثيقة شهادة الجيران عليه ، أو وجود كتابات عنده تبرر اتهامه وتقديم المسلم سابقاً ، أو ما يسمى بالمسيحى الجديد ، الى المحاكمة لا يستدعى إثباتاً أو شهوداً ، مجرد بلاغ من أى انسان بأنه يشك فى أنه يسير فى شىء من حياته ، مهما كان تافهاً ، على طريقة المسلمين . وفتح هذا الباب على مصراعيه أمام الضغائن الشخصية ، الذى يطمع فى زوجة جاره ، والمالك الذى يريد أن يهرب من أجر عامله ، والتاجر الذى يخشى منافسة زميله ، وباختصار فان الطريق واسع وعريض لكل من يريد أن يتخلص من أى انسان ، وأية تهمة صالحة لأن تدفع بمسلم سابق الى أعماق السجون .

اجراءات المحاكمة

ومع أى اتهام يصل المحكمة عن أى طريق وبأية وسيلة ، يصدر المدعى فى المحكمة أمراً باعتقال المتهم ، ويتم الاعتقال فجأة فى منتصف الليل ، يوقظ المتهم ، ويحمل الى سجن سرى فى حالة من الرعب والاضطراب ، ولا يمكن لأى متهم أن يعرف حقيقة التهمة الموجهة اليه ، ويبقى الشهود والمبلغون سراً عليه ، ولا على غيره ، لا يعرفهم أحد أبداً غير أعضاء المحكمة ، ويستولى على كل الوثائق التى توجد فى حوزته ، وإذا كانت التهمة الموجهة اليه خطيرة ، وكل التهم خطيرة ودائماً ، تصدر المحكمة قراراً بمصادرة كل ثرواته ، طول أيام المحاكمة ، وقد تأخذ سنوات ، الى أن يبرأ فترد اليه ، أويدان فتثبت المصادرة، ولم تبرىء المحكمة شخصاً واحداً فى تاريخها الطويل .

المساكين الذين عاشوا في هذا السجن

والسجن السرى الذى سوف يلقى فيه بالمتهم مكان أشد تعاسة من أسوأ مكان يمكن أن يفكر فيه الانسان ، فهو مظلم ، ومرتع لكل الحشرات والأوبئة ، وتشارك الحيوانات المفترسة السجناء فى الاقامة به ، وعليهما أن يتفاهما ، أو يقضى أحدهما على الآخر .

ويبقى المتهم فى السجن شهوراً قبل أن يخطر بالتهمة الموجهة اليه ، وسوف تمضى شهور طويلة بين كل مرة ومرة يستدعى فيها لسؤاله ، ويسأله المدعى فى المرة الأولى عما إذا كان يعرف لماذا ألقى به فى السجن ، وما هى التهم التى يمكن أن توجه اليه ، ثم يطلب منه أن يعود الى نفسه ، وأن يتأمل واقعه ، وأن يعترف بكل الخطايا التى يمليها عليها ضميره . وخلال ذلك يسأله عن اسمه وعنوانه ، وأسرته وأقربائه ، وأصدقائه وأساتذته ، والأمكنة التى عاش فيها أو كان يتردد عليها .

ومن المألوف ألا يقاطع المتهم فى إجابته ، وأن يترك له أن يتحدث كما يشاء ، وأن يسجل عليه الكاتب كل ما يقول ، وقد يطلب منه أن يؤدى الصلوات المسيحية المختلفة ، ليعرف ما إذا كان مسيحياً حقاً ، وهل هو طيب أم مهمل ، وهل متعمق فى كاثوليكيته أم يأخذها على نحو هين .

وتجرى المحاكمة بطيئة للغاية ، إلا فى الحالات النادرة التى ترى فيها محكمة التفتيش أن الأمر يتطلب الاسراع والعجلة ، حينئذ تختصر الوقت والاجراءات وتصدر قرارها فوراً .

وبعد هذه المقابلات يقدم المدعى قائمة

مسلم أسبانى أمام محاكم التفتيش

الاتهام ، والتى يمكن تعديلها ، وإضافة أشياء جديدة اليها فى أى وقت ، ويسأل رئيس المحكمة الشهود ، أو يترك أمرهم لكاتب الجلسة ، وسؤال الشهود يتم سراً فى كل الأحوال ، ولا يعرفهم المتهم أبداً ، وتأتى التهم مجملة والحكمة من وراء هذا ألا تتاح له البرهنة على ما بينه وبينهم ، أو بين واحد منهم من عداوة ، فيسقط شهادتهم ، فاذا ساعده الحظ ، وذكر عرضاً اسم واحد منهم دون أن يعرف ، وبرهن على عداوة بينهما ، وتبين للمحكمة أنه من الشهود ، يمكن أن تراجعه فى شهادته .

تؤمن محاكم التفتيش بأن الاعتراف سيد الأدلة ، وغايتها الأولى والأخيرة أن تحصل على هذا الاعتراف ، وليس مهماً كيف تحصل عليه ، أما الأدلة الأخرى فقد انتهى دورها بمجرد اعتقال المتهم . وإذا لم يعترف فان وسائل التعذيب جاهزة ، وتشمل كل ما يخطر على قلب بشر ، وما لم يدر بالفكر المعاصر ، من الجوع والعطش ، والحرق والجلد ، وبتر الأعضاء ، ونزع الشعر ، ومواجهة الحيوانات الضارية . والشىء الوحيد الذى نعرفه على أيامنا ، ولم يستخدم يومها ، هو الجنس ، لأن التعساء الذين انتهى بهم المطاف الى سجون محاكم التفتيش ، والنهاية التعسة التى يتوقعونها ، لم تبق لديهم ما يغارون عليه فى أنفسهم ، أو فى أعراضهم .

يبدأ التعذيب عندما يتبين أن الاعترافات غير كافية ، أو يعترف ثم يحاول أن يظهر حسن نيته ، أو أن يبرىء نفسه مع الاعتراف من تهمة الالحاد . وكلما كان الاتهام تافهاً ومهزوزاً كان التعذيب مراً وقاسياً . وخلال تعذيب المتهم يجلس الكتبة حوله يسجلون اعترافاته ، وصراخه وآلامه وبكاءه ، وطلبه الرحمة أو الشفقة . ويخضع الشاهد للتعذيب نفسه إذا جاءت شهادته على غير رغبة المحكمة . ولم يكن ثمة ما يعفى الانسان من التعذيب ، الشيخ كالطفل ، والمرأة كالرجل ، ويجرى تعذيب المتهمين وهم عرايا ، ويتم فى بطء لتؤدى كل مرحلة غايتها فى الايلام ، ولا يسأل المتهم عن شىء لحظة التعذيب ولكن ما يتفوه به يقيد ، وما يرد من اعترافات أثناءه عليه أن يؤكده خلال أربعة وعشرين ساعة من وقف التعذيب ، وإلا أعيد اليه مرة أخرى .

ثم تأتى المرحلة الأخيرة ، وهى إعلان الحكم ، وتعلن الأحكام الخفيفة فى المحكمة ، وأحكام التهم الضخمة يتم إعلانها فى مهرجان عام وكبير ، ولا يعرف المتهم درجة الحكم إلا فى صباح اليوم الذى يتقرر فيه المهرجان ، ويرتدى ثياباً خاصة تعرف منها الجماهير طبيعة التهمة الموجهة اليه ، ونوع الحكم فيها . والمحكوم عليه بالموت حرقاً وحدهم يخطرون بالحكم مساء ، لتكون أمامهم ليلة كاملة يعترفون فيها أمام أنفسهم بما أخفوه عن المحكمة ، حتى يلقوا الله وضمائر مطمئنة .

وقد تحكم بالجلد ، وهى فى ذاك لا تقيم للسن وزناً ، فقد أصدرت حكمها بجلد شيخ فى السادسة والثمانين ، وفتاة فى الثالثة عشرة ، بمائتى جلدة لكل منهما . وقد تحكم على المتهم بارتداء ملابس معينة طوال حياته ، فاذا سار فى الشارع كان الناس ملزمين بسبه وإهانته



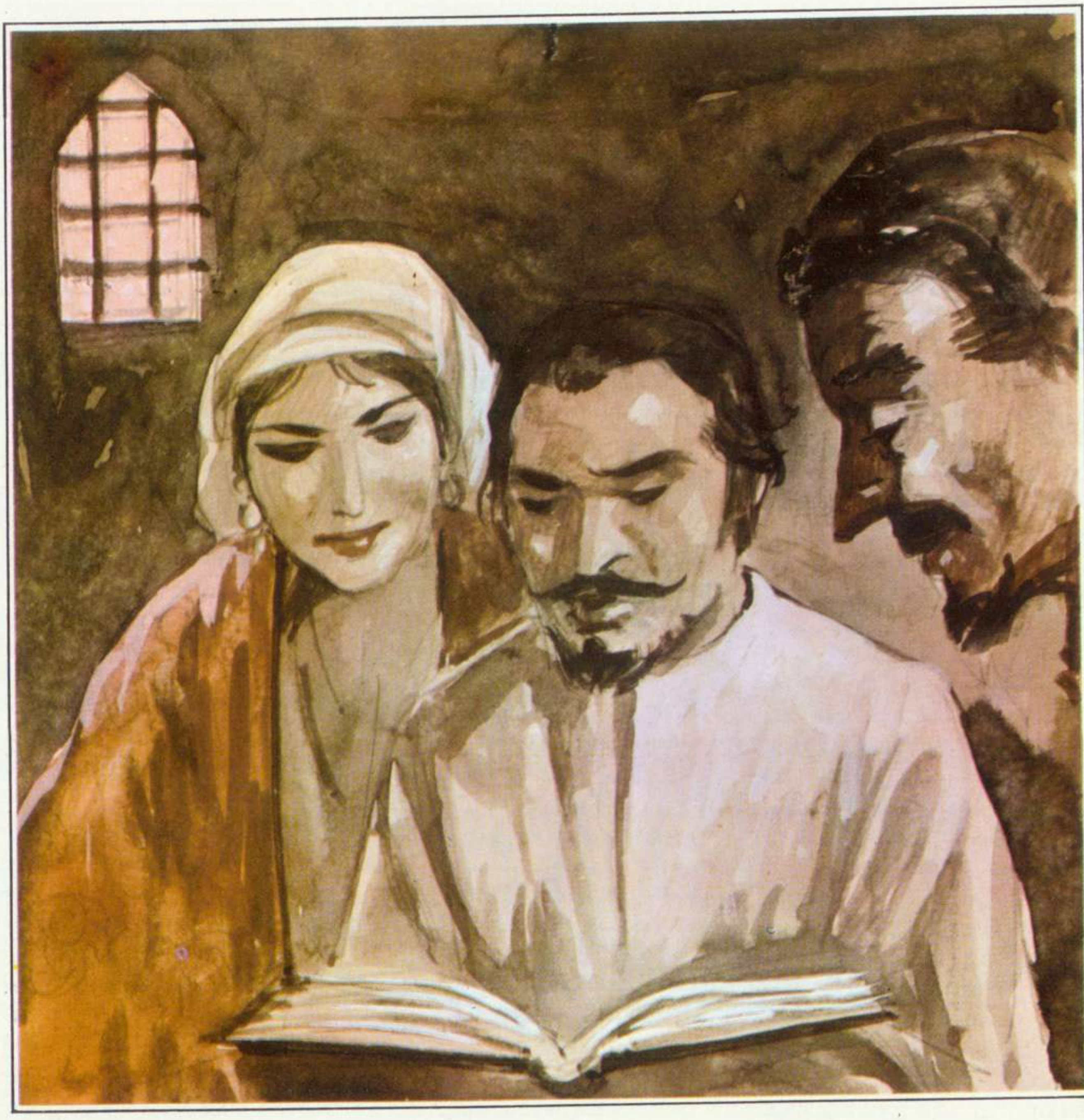
ثم تأتى عقوبة السجن مدى الحياة ، وهى أهون العقوبات وأخفها ، لأن ازدحام السجون أرهق الكنيسة بنفقاتهم وإزاء عجزها عن بناء سجون جديدة ، كانت تطلق سراح القدامى منهم ، مهما أمضوا من العقوبة ، لتستقبل المستجدين .

ومع ذلك فسوف نلتقى باسبانى مسلم ، مقدم الى محكمة التفتيش ، بعد مائة عام من تنفيذ القانون ، لا بتهمة أنه أخفى الاسلام وراء اعتناقه الكاثوليكية فحسب وإنما بتهمة أنه كان يبشر به سراً بين الآخرين حوله ، يدعوهم اليه ، ويعلمهم مبادئه ، وهذا هو الجديد فى الوثيقة التى سنقدمها مترجمة .

ترى كم من المسلمين الآخرين ظلوا مثله على دينهم ، يحتفظون به فى قلوبهم ، ويعلمونه أبناءهم خفية ، ويدعون اليه الآخرين سراً ، من المؤكد أنهم يبلغون الآلاف عدداً ، وسوف تقدر روعة هذه الصلابة ، إذا عرفت أن الذين حكمت عليهم محاكم التفتيش بالاعدام حرقاً يتجاوزون الأربعين ألف عدداً ، ثم اقتنعت أخيراً بأن كل الذين اعتنقوا الكاثوليكية مكرهين ، احتفظوا سراً باسلامهم نقياً ، فصدر القرار بطردهم جميعاً عن وطنهم عام ١٦١٣ ، وكانوا قرابة المليونين ، وتخلف منهم عدة آلاف.

لقد عثرت على هذه الوثيقة صدفة ، فى دار المحفوظات التاريخية الوطنية فى مدريد ، فى القسم الخاص بوثائق محكمة التفتيش فى بلنسية ، والوصول الى مثل هذه الوثائق ليس أمراً سهلا على الدوام، وقد نقلتها ، وجاءت فى اللغة الاسبانية القديمة ، وهى اعتراف من فرنسى اعتنق الاسلام ، بتأثير مسلم من بلنسية ، فأصبح شاهداً ومتهماً فى الوقت نفسه ، وقد تم الاعتراف فى جلسة واحدة ، ومن المؤكد أنها تكررت ، ولم أهتد اليها ، ومن المؤكد أن هناك وثائق أخرى تحمل اعترافات المتهم الأصلى ، ولم أتوصل اليها أيضاً .

والى القارىء نص الاعتراف ، وينشر للمرة الأولى فى اللغة العربية ، مترجماً



مباشرة عن لغته الاسبانية نفسها .

نص الوثيقة

اعتراف تم أمام محكمة تفتيش بلنسية ، من قبل خوان بيبى ، مسيحى قديم ، فرنسى المواطنة ، وفيه يصرح بافاضة كيف أن سيده فكينت ، موريسكى من بلنسية أقنعه باعتناق الاسلام ، ودفعه الى أداء الفرائض الاسلامية .

فى جلسة لمحكمة التفتيش المقدسة لمدينة بلنسية ، فى ٢٢ أغسطس ١٦٠٥ م ، برئاسة فيدريك كورنت ، أحضر بناء على طلبه ، رجل من السجن السرى ، وحلف بأن يقول الحقيقة عن التهمة الموجهة اليه فى هذه الجلسة ، وكذلك فى الجلسات التالية حتى تنتهى المحكمة من الاتهام الموجه اليه ، وأن يحتفظ بالأمر سراً .

قال : إن اسمه خوان بيبى ، راعى غنم ويعيش فى «سوت» ، فى بيت ميلون دى قمرة ، مسيحى جديد ، وإنه أصلا من مدينة روان ، فى محافظة من مملكة فرنسا ، ولا يعرف كم يبلغ من الأعوام ، ولكنه فيما يظن يجب أن يكون قد بلغ ٢٥ عاماً ، غير أن مظهره يوحى بأنه قد تجاوز الثلاثين ، وإنه ألقى القبض عليه فى منسَنيرة ، فى الجبل الأبيض ، حيث

مسلم أسباني
أمام محاكم التفتيش



يرعى أغنام سيده ، ووضعوه أمس فى السجن السرى لمحكمة التفتيش المقدسة وصرح بنسبه ، وأنه من طبقة وجيل مسيحى قديم ، وجنسيته فرنسى من مدينة روان .

وقد صدر الأمر بالقبض على هذا الشاهد كمتهم ، لأنه كان يأتى بأعمال كالمسلمين ، وعندما ذكر الأمر أمامه لأول مرة اعترف بالآتى عن هذا الاتهام .

قال إنه سوف يقول الحقيقة ، لأنه يود أن ينقذ نفسه ، وأنه عصى الله سيدنا ، ويطلب الرحمة ، وأنه شديد الندم ، ولن يعود الى العيش مرة أخرى بين الموريسكيين . والحقيقة أنه يقيم فى مدينة شقرب كما قال ، مع فكينت هذا ، وهو مسيحى جديد ، ولأنه ظل وقتاً طويلا معه ، امتد أحياناً الى ست سنوات ، ورغم أنه كان يلتقى مع مسيحيين جدد آخرين ، كان يعيش دائماً ويبيت فى دار فكينت ، وبما أن هذا كان مسلماً ، ويعيش حياة اسلامية ، فقد أقنعه بأن يصبح مسلماً ، وأن يعيش حياة المسلمين ، لأنه إن صنع هذا فسوف ينجو ، أما إذا كان مسيحياً فلن ينجو ، ويقول : إنه قاوم ، وظل يعتقد فى المسيح أكثر من ثلاثة أعوام ، ولكنه أخيراً ، كشخص بسيط ، اعتقد أن من الأفضل له أن يصبح مسلماً ، وأنه يستطيع أن ينجو فى دين المسلمين ، وهكذا فانه قبل عيد الميلاد الماضى بثمانية أشهر على التقريب قرر أن يعتنق الاسلام ، ووعد فكينت بأن يصبح مسلماً ، وعلمه هذا كيف يغتسل ويتوضأ أمامه ، عند أحد عيون سوت ، واستجاب له خوان ، فغسل قدميه ويديه ورأسه والأعضاء المخجلة ، ولكنه لم يقل أية كلمة لأنه لا يعرف ولا يفهم العربية ، وبعد ذلك أحضر فكينت حصيرة الى العين ، مخبأة تحت عباءته ، وجلس فى وسطها ، وقبلها أولا ، وبعد ذلك قبلها خوان ثلاث مرات ، لأن فكينت علمه هذا ، ثم اتجه الى حيث تشرق الشمس ، ثم رفع وخفض رأسه ثلاث مرات ، وقال فكينت بعض الصلوات باللغة العربية ، التى لا يفهمها خوان ، وبعد أن انتهت الصلاة ذهب هذا ليرعى الغنم .

وفى اليوم التالى ، مع طلوع الشمس ، توضأ وصلى بنفس الطريقة ، وكان فكينت نفسه ، المشار اليه ، حاضراً ، وقال بالعربية أشياء من التى تخص المسلمين وبدأ يقوم ويقعد وخوان يصنع مثله .

وفى اليوم الثالث أيضاً ، فى الساعة نفسها من طلوع الشمس ، للمرة الثالثة ، توضأ وصلى ، عند نفس العين ، وعلى نفس الصورة ، وفكينت يعلمه ما يجب عليه أن يعلمه ، وهو يصلى بالعربية كما قلنا ، وبعد أن قام خوان بالوضوء والصلاة ثلاث مرات ، لحظ أنه ارتكب معصية كبيرة ، وتألم مما فعل ، وعرض على فكينت ألا يصنع هذا أزيد مما صنع لأنه مسيحى طيب ، وأنه يعمل مع سيده لكى يقبض ما يجب ، ويذهب الى روما ، ويعترف بخطيئته ، ولكنهم لا يدفعون له .

ثم توقف عن الاعتراف .

وسئل عما إذا كان ثمة أشياء أخرى ، أو طقوس اسلامية قام بها ، وأن عليه أن يعترف كاملا ، دون أن يخفى أى شىء ، لكى يبرىء ضميره ، ولصالحه من الأوفق له كثيراً أن يعترف ، وأن يقول كل شىء كاملا وبالتفصيل ، دون أن يترك شيئاً ، ولا تغضب نفسك ، ولا شاهداً آخر مزيفاً ، وبهذه الطريقة يمكن أن نستخدم معك الرحمة على نحو أفضل .

قال : إنه يرغب فى أن يبرىء ضميره تماماً ، وأنه سوف يفكر ، وسيقول كل ما يتذكر ، ولقد قلت له أن يفكر جيداً هذه الليلة ، لأن من الأوفق له كثيراً أن يعترف بالحقيقة كاملة .

وسئل : عندما وعد بأن يصير مسلماً ، وتوضأ وصلى ثلاث مرات ، على نحو ما اعترف ، هل كان يعرف أن الدين الاسلامى ، وأن الوضوء والصلوات التى قام بها ضد العقيدة الكاثوليكية المقدسة وعما إذا اعتقد أن دين المسلمين هذا يجعل منه شخصاً طيباً ، وكافياً لينقذ روحه معه ، وأن يذهب الى السماء ؟ فاعترف بأنه كان يعرف جيداً أن دين المسلمين هذا ، وأن الوضوء والصلاة ضد قانون المسيح سيدنا ، ولكن بما أن فكينت ظل يقنعه لمدة طويلة بأن يصبح مسلماً ، وأنه بالدين الاسلامى سوف ينقذ روحه ويصعد الى السماء . وبما أن خوان بسيط اعتقد أن دين المسلمين كاف لانقاذه ، وهكذا وعد فكينت بأن يعتنق الاسلام ، وقام كمسلم بالوضوء والصلاة ثلاث مرات على نحو ما ذكر . وغايته أن ينقذ روحه بهذه الصلوات . وبعد أن أداها عاد الى نفسه ، وتألم كثيراً مما فعل ، وفكر فى أن يعود مسيحياً ، وأن يذهب الى روما ، وأن يعيش ويموت على العقيدة الكاثوليكية المقدسة .

وقد هددته بعظمة الله سيدنا بأن يفكر جيداً فى موضوعه ، وأن يقول الحقيقة كاملة لينقذ روحه ، ثم أمرت بأن يعود الى سجنه السرى .

رئيس محكمة التفتيش
الدكتور فيدريك كورنت
(توقيع)
السكرتير : الأب خوان بيدال (توقيع)

• • •

من فكينت هذا ؟ إنه واحد من ألوف المسلمين الطيبين فى اسبانيا ، توزعتهم السجون ، وأكلتهم الطرق ، أو كانوا طعاماً شهياً للنيران ، ذهبوا ولم تبكهم عين ، ولا خط تاريخهم قلم !

د. الطاهر أحمد مكى

كلمات من أجل نيسابور

م. كجراي



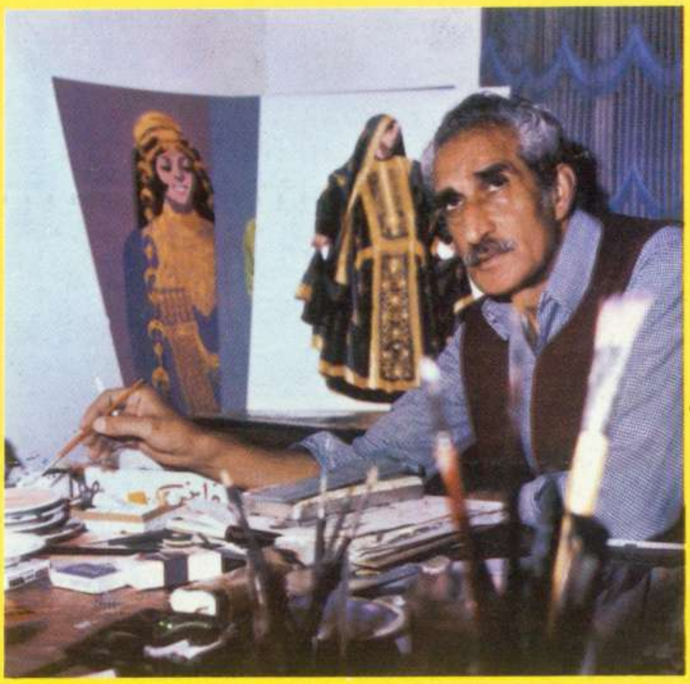
واهاً لنيسابور
تنوء بالأحزان
فاجأها الدمار فاستلقت على قارعة الطريق
دامية العيون لا تملك أن تنفذ من دوامة الحريق
وريد ينزف ،
نبض قلبها يهتز تحت خيمة الدخان
فى ليلها يرتعش الصخر ، يجوس الذعر فى خرائب المكان
يختنق الجماد والنبات والانسان
واهاً لنيسابور ترقد كالفريسة المخدرة
تنام فى دائرة الظل كما الحقيقة المزوره
تأريخها الناصع فى امتداده
يزرح تحت ثقل الآلية المجنزره
لو مرة واحدة تنمرت عيونها
لما غدت كالساحة المهجورة المسوره
لانهد ركن الصمت ،
جاء الصحو عبر اللحظة المدمره
أبحث فى دروبها عن ومضة الرفض
فلا ألمح غير غصة الفجيعة
قضاتها يمشون فى دائرة الشيطان
يمتشقون السيف
يستثمرون مطر الحزن وغيم الصيف
يبررون الزيف
ومنطق الكارثة المريعه
يقايضون الخبز بالشريعة

* * *

الحزن رؤيا حلم تعبر لا تأبه بالجدار
حين تعرى الصمت واستلقى على أريكة النهار
تصاعد البنفسج الحزين كالبخار
وغامت العيون
تجسدت مقاطع الحروف فى شواهد القبور
عرفت ما غاب عن الذاكرة الحزينه
يا قلبى الراسف فى أزقة المدينه
لو لم يدب الذعر فى عروق نيسابور
تجمدت أطرافها
وفاتها أن تدرك اليقظة، أو تألف ما ينبض فوق رحم الجذور
فلتذبل الأوراق أو يزدهر الخابور
النهر فى هديره يجتاح كل صلف الصخور
يدمر القلاع والحصون والجسور



ثوب المرأة القطرية .. وفوقه العباءة



الفنان عبد الغنى أبو العينين

لمسة فنان على الثوب الخليجي

رشاقة التعبير وجمال الألوان

رحلة مع أولى لوحات الفرقة الشعبية

كمال سعد

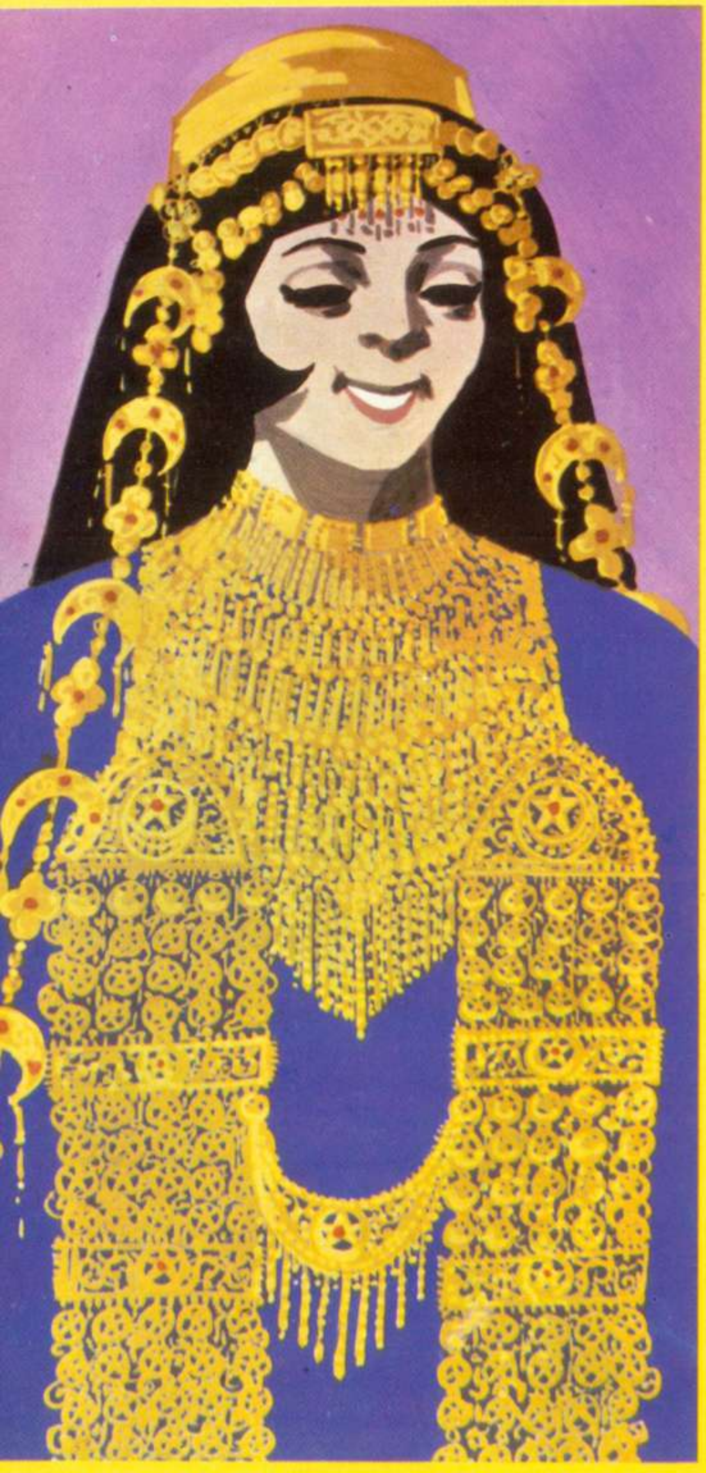
من ادق العبارات التى قرأتها عن وظيفة الملابس فى حياتنا ، ما قاله أحد الفلاسفة ، من أن الملابس تحلق بنا الى آفاق الفن الخالص ، حيث نرى معانى الرشاقة وجمال التحفز وقمة البراءة

والاحساس بشىء ما يوشك أن يظهر لأنه معلق عند حافة ما هو ظاهر وصريح !

ولأن الرسام الفنان هو ذلك الموهوب الذى يحيل الموديل الذى أمامه وتبعاً لامكانياته الى لوحة فنية تعبر عن



الملابس البيضاء هى رداء الرجال وفوقها عباءة



نماذج من حلى المرأة القطرية

الجمال وتكشف عن الحقيقة وسر وجودها . فقد وجدت نفسى أقف متأملا لهذا الجهد الفنى المبذول فى اللوحات التى رسمها الفنان التشكيلى المعروف عبد الغنى أبو العينين لملابس الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، مستمدا تفاصيلها من العادات الموروثة عن الآباء والأجداد ، التى من بينها ثوب المرأة الطويل الذى يسمونه «الدراعة» والذى توضع فوقه عباءة سوداء تسمى «الدفة» تغطى كل جسم المرأة مع «البطولة» أو البرقع القماشى الأسود الذى يوضع على الوجه ولا يكشف إلا عن العينين حفاظا على العادات والتقاليد .



آلة الطنبورة الموسيقية التى تعتبر من الآلات الرئيسية المستخدمة فى كثير من الرقصات الشعبية



الربابة الخليجية بين قوس العازف وأنامله .. يفصح بها عن احاسيسه ومشاعره

رشاقة التعبير وجمال الألوان

ونظرا لشهرة الفنان «أبو العينين» فى تصميد أزياء وديكور الفرق الشعبية فى العالم العربى ، فقد التقى به فى القاهرة منذ ثلاث سنوات سامى يونس مدرب الفرقة القطرية . وأعطاه فكرة مسبقة عن الفرقة .. وتعرف فى هذا اللقاء على بعض التفاصيل عن المناسبات الوطنية والرقصات التى من أشهرها «العرضة» التى تؤدى فى حلقات على نغمات الطبول والدفوف ، وأزياء الرجل القطرى البعيدة عن الغلو والتكلف . وأزياء المرأة التى تهتم فى وقت واحد بالجماليات والتقاليد . وغير ذلك من الموروثات الشعبية كالخضاب (الحناء) والحلى وأقراط الأنف المسماة «زميم» والعطور التى تزين بها المرأة شعرها الطويل المنساب كما خلقه الله فى الطبيعة بلا زيف أو قيد !

وعقب هذا اللقاء بدأ الفنان أبو العينين يتابع بحثه فى مراجع عديدة للاعداد لأزياء وديكورات الفرقة . ثم حضر فى الشهر الماضى الى مدينة الدوحة ليرى بنفسه الرقصات بعد استكمال تدريبها ، وأعجبه الأداء الحركى ومدى قدرة أعضاء الفرقة على ايصال المناسبة الاجتماعية الى الجمهور أينما كان سواء فى قطر أو الخارج . وبدأ يرسم بشكل «كروكى» أزياء الفرقة من خلال رؤيته لكل رقصة على حدة . وفى النهاية وضع أمامه حصيلة الرسومات متخيلا البرنامج كله ، ثم بدأ فى تنفيذ أزياء كل رقصة على حدة حسب المجموعة المشاركة فيها ، لنرى الفرقة بهذه الصورة الجذابة أثناء تقديم عروضها الفنية فى احتفالات ٢٢ فبراير أمام الجمهور القطرى ..

الألوان والخطوط المتميزة

والفنان عبد الغنى أبو العينين الذى رأينا لمساته الفنية على أزياء الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، هو واحد من أوائل جيل المدرسة الفنية



لاعب السيف وعازف الايقاع وتشكيلة مختلفة من الأزياء

فى الصحافة التى وضعت بذور الاخراج الفنى من ناحية التذوق وإدخال اللغة التشكيلية لتقوم بدورها فى ابراز الأسلوب الصحفى وإعطاء طابع لشكل الجريدة أو المجلة .. وكان دوره واضحاً – مع الفنان حسن فؤاد – عند ظهور مجلة «صباح الخير» فى الخمسينات ، بحيث بدأ هذا الاتجاه الجديد يبرز فى الصحافة العربية بصفة عامة !

وبعد أن ربى أبو العينين جيلا جديدا من الشبان الفنانين فى الحقل الصحفى، اتجه الى المسرح لتصميم الديكورات والملابس ، وركز كل جهوده فى تطوير هذا الفن ، ليصبح سمة خاصة تتميز بها فرق الفنون الشعبية والأوبريتات الغنائية فى العالم العربى !

واذا نظرنا الى أسلوب الفنان أبو العينين فى تصميم ملابس الفرق الشعبية ، لوجدنا أنه يعتمد على الجزئيات الزخرفية المتوارثة من الأزياء والرسومات الشعبية البدائية والكتب القديمة وغيرها ، فهو يأخذ هذه الموروثات ويقدمها فى ثوب جديد غير منفر ، مع الحفاظ على الجذور والأصالة.

ويمكننا كذلك أن نرى فى أسلوبه الفنى ما يميزه عن غيره من الفنانين ، فألوانه لها جاذبية خاصة . وخطوطه تعتمد على الانسيابية التى تجعلك تتعرف على لوحاته – بدون امضاء – لو عرضت أمامك وسط لوحات مئات الفنانين !

وأثناء لقائى مع الفنان عبد الغنى أبو العينين عرفت أنه صمم أزياء الفيلم العراقى «القادسية» الذى جسدت أحداثه إحدى المعارك الحاسمة فى التاريخ الاسلامى ، عندما امتد نور الاسلام الى الشرق ليتوغل أقاصى آسيا .. كما أن تصميماته لفرقة الفنون الشعبية فى سلطنة عمان حازت على الجائزة الأولى فى مهرجان الفنون الشعبية الذى أقيم فى المانيا الاتحادية . وهذا بخلاف تصميماته الأخرى للفرق العربية التى من بينها فرقة المسرح الوطنى الجزائرى ، وتصميماته للفرقة القومية للفنون الشعبية بالاضافة لعمله كمدير لمركز الفنون الشعبية فى مصر !

ولكل ذلك وغيره ، كان لابد أن يتطرق حوارى مع الفنان الى أهمية الملابس فى



من الأزياء التى قدمت بها الفرقة القطرية عروضها



الاعتماد على الجزئيات الزخرفية فى تصميم الأزياء

رشاقة التعبير وجمال الألوان

الحياة العربية ، خاصة وان العرب اعتبروا الملبس من مستكملات التجميل وأعطوه أهمية فى استكمال مقومات المظهر والجمال ..

والواقع أن المسلمين فى صدر الاسلام كانوا يميلون الى الخشونة فى الملبس ، حتى جاء العصر الأموى وكثرت الأموال واختلط العرب بغيرهم من الجنسيات فاقبلوا على اقتناء الملابس وشجعوا النساج على إجادتها وابتدعوا الألوان المختلفة والوشى الجيد ، لتصل الملابس فى العصر العباسى الى حد التأنق واستخدام العديد من المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية ، وكان من أغلى المنسوجات فى ذلك العصر «الخز» وهو نسيج ناعم يصنع من الحرير وفراء الأرانب ، وينافسه «الأبريسم» وهو حرير خالص و «الديباج» وهو نسيج حريرى موشى بالقصب و «البز» وهو نسيج قطنى ثمين وغير ذلك .. واستمر الاهتمام بالأناقة فى العصور التى تلت العصر العباسى ، حتى أصبحت دكاكين «البزازين» والصرافين فى تلك الفترة مملوءة بالذهب والجواهر والنقد والأمتعة المختلفة والملابس المذهبة والمقصبة التى لا تترك متسعاً فى أى مكان لمن يريد أن يجلس !

وأسأل الفنان أبو العينين : هل صحيح أن نساء العرب كن يكتبن الأشعار على ملابسهن ؟

وقال لى : نعم .. كانوا يكتبون الأشعار الرقيقة والجمل الظريفة بتطريزها على الأقمشة والأكمام والعصائب والذوائب والزنانير والمناديل والجوارب .. وكان من الشائع عند النساء فى العصور العربية الأولى وضع عصابة مزركشة بالألوان ومكتوب عليها بالخيوط الذهبية أو الفضية شعر .. وفى كتاب «العقد الفريد» لبشير بن عبد ربه حكايات كثيرة عن ذلك ، فقد أشار الى أنه وجد على عصابة احدى جوارى هارون الرشيد بيتان من الشعر :

تمت ، وتم الحسن فى وجهها
فكل شىء ، ما سواها محال
للناس فى شهر هلال ، ولى
فى وجهها كل صبح هلال

أزياء المسرح والسينما

قلت لعبد الغنى أبو العينين : هل الأزياء فى الواقع شىء وعلى المسرح شىء آخر ؟

قال : الأزياء فى الواقع تختلف عنها فى المسرح .. فالمسرح يعتمد فى كل عروضه على اضاءة صناعية .. وهذه الاضاءة لها تأثير على اختيار الألوان واختيار الخامة .. وإذا أضفنا المسافة بين المتفرج والمؤدى ، اتضح لنا أهمية ابراز السمات التقليدية بصورة واضحة معبرة حتى تصل الى المتفرج وتؤثر فيه وتقنعه بما يراه أمامه من أحداث أو مواقف تعبيرية !

● هل هذا ينطبق على الأزياء فى السينما ؟

ـ بالطبع لا .. فالكاميرا تقترب جداً من المؤدى .. وهذا يحتاج الى ملابس واقعية مطابقة تماماً للحقيقة ، فنحن هنا لسنا فى حاجة الى استبدال أو تغيير الخامات حتى لا نشوه الواقع !

● إذن فعادة ما يحدث بعض التغيير فى ملابس الرقصات الشعبية المتوارثة ؟

ـ هذا لزوم العمل الفنى ، خاصة وأنه لابد أن تتوفر مهارة من نوع خاص فى



نماذج من الموروثات الشعبية فى الملابس



إختيار الخامة الصالحة لحركة الراقص

مصمم أزياء الرقصات الشعبية .. ومطلوب من هذا المصمم ألا يكرر شكل الزى أو لونه أكثر من مرة فى فقرات البرنامج، حتى يشعر المتفرج بالتجديد الدائم .. ثم اننا لو أخذنا رقصة معروفة مثل «الدبكة» وهى تؤدى فى بلاد عربية كثيرة، لوجدنا أن المؤدى فى الطبيعة ليس لديه مهارة الفنان الراقص، لأن الراقص المحترف يؤدى بحركات أقوى وأكثر براعة بحيث يحتاج الى ملابس أكثر متانة وأكثر ملاءمة لاظهار حركته على المسرح . وهذه حرفة تحتاج أيضاً لمهارة من نوع خاص !

الربابة فى أوربا

وانتقل حوارى مع الفنان عبد الغنى أبو العينين الى عدة موضوعات مختلفة تدخل فى صميم تخصصه .. وخرجت من هذا الحوار بعدة حقائق :

● الأزياء فى المناطق الحدودية للبلاد العربية المجاورة لبعضها فيها الكثير من التشابه، واننا عند دراسة الأزياء العربية يجب ألا نهمل علاقتها بأزياء البلاد التى حولها وعلاقتها بما هو مستورد فى التاريخ وخاصة ما أتى الينا من ملابس عن طريق الهند ..

● السينما العربية لا تعطى وقتاً لدراسة الملابس والديكور ولهذا فان معظم أفلامنا التاريخية تشوه العصر الذى تقدمه فيما عدا فيلمين أو ثلاثة من بينهم المومياء وصلاح الدين، فبقية أفلامنا التاريخية تعكس صورة كاريكاتيرية فى الديكور والملابس !

● إذا كان هذا هو حال السينما، فما بالك بالتليفزيون ؟! إن طابع العجلة فيه تجعلك تشعر بغربة التمثيليات عن الواقع التاريخى والجغرافى أيضاً، فنحن مثلا نرى فى التمثيليات التى تقدم عصور الاسلام الأولى المنسوجات المشجرة أو ذات الصبغات الكيميائية، وكلنا نعرف أنهم فى هذه العصور لم يعرفوا هذه الألوان، بل ولم يرتدوا الهيلانكا أو الجرسية

وماذا غير ذلك ؟

يقول الفنان عبد الغنى أبو العينين : عندما ظهرت الفرقة الشعبية القومية للفنون الشعبية فى مصر، أخذت أركز فى مركز الفنون الشعبية على جمع وتصنيف المادة الشعبية ووضعها فى خدمة الرقصات

● رغم اننا وضعنا خطة وبرنامج لبداية الدراسة فى المعهد العالى للفنون الشعبية وإقامة متحف لفن الشعب من أول رشيد حتى النوبة، إلا أن المشروعين مازالا حتى يومنا هذا فى أدراج المكاتب .. كما أن مجلة الفنون الشعبية المتخصصة التى كان يرأس تحريرها الدكتور عبد الحميد يونس اختفت ولم تبذل محاولات جديدة لاعادتها للظهور !

● الفنانون التقليديون بدأوا فى السفر الى باريس وتركوا عذوبة الغناء للأهل بعد أن بهرتهم حكاية توقيع «الأوتوجرافات» .. وأصبح «متقال» وآخرون يغنون على الربابة والأرغول فى كباريهات أوربا، وهكذا حال الدنيا !

● رغم أن الفرقة القومية للفنون الشعبية وفرقة رضا مستمرتان بجهود فردية، إلا أنهما يعيدان تقديم العروض القديمة، وإن كان كفاحهما يستحق كل الاعجاب والتقدير !

والحديث مع الفنان عبد الغنى أبو العينين لا يتوقف عند حد، فهو موسوعة فنية فى مجال تخصصه، وهو فنان موهوب، جعلته التجربة يقدم لنا لوحات فنية تحلق بنا الى آفاق الفن الخالص، حيث نرى رشاقة الخطوط وجمال الألوان وبساطة التعبير التى تكشف عن الحقيقة بدون لف أو دوران !

كمال سعد

الصيد بالصقور .. أفضل رياضة عند العرب

الصحراء ميدانها .. والفراسة صفتها

والصائد الماهر يشبه صقره

د. محمد الغباشي ربيع

«يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب» .
صدق الله العظيم

عرف العرب الصيد بالصقور منذ مئات السنين قبل الاسلام ، واعتبروه رياضتهم المفضلة ، يمارسها أفراد الشعب - تماماً - كما يمارسها الأمراء والملوك والحكام ، وفى وقت من الأوقات أصبحت هذه الرياضة معروفة لدى جميع الأعمار ، فقد شغف بها الشيوخ الطاعنون فى السن ، وولع بعشقها الشباب فى مقتبل العمر !

فالعرب هم أول من قاموا بتدريب الصقور على الصيد ، وكان أول من مارس تلك الهواية من بينهم «الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة» .. كما كان حمزة



عم الرسول الكريم من بين الذين اشتهروا بالصيد بالصقور فى فجر الاسلام ، وقد أشهر اسلامه عند رجوعه من رحلة صيد وهو يحمل صقره على يده !

فوائد رحلات القنص

وقد توارث العرب جيلا بعد جيل رياضة أجدادهم .. فى العصر الأموى والعصر العباسى ذاعت رياضة الصيد بالصقور ، ولم يمارسها الخلفاء وحدهم ، وإنما شاركهم فى الولع بها مختلف الطبقات ، وتفننوا فى طرق تدريب الصقور وتباروا فى اختراع أدوات الصيد التى يحتاجونها فى رحلات القنص ..

ومن فوائد رحلات القنص انها تجلو الطباع على حقيقتها ، فتظهر السجايا النبيلة ، والأخلاق الحميدة ، والصفات الطيبة التى يتحلى بها رفاق الرحلة .. كما أن هذه الرحلات تظهر أيضاً أى عيب فى الأخلاق والعادات ، بحيث يستطيع أى انسان أن يكتشف من خلالها الخبيث من الطيب ، ويختار الصديق الوفى الذى يمكن الاعتماد عليه فى الأزمات والمحن !

وهذا بالاضافة الى ما يستفيده القانص من رياضة نفسية وبدنية ، تجعله يعود من رحلته منشرح الصدر ، مقبلا على زحمة الحياة بنفس هادئة وقلب متفتح وإحساس جميل خلاب !

وكثيراً ما تدور أثناء رحلات القنص المناقشات المفيدة فى أمور الدنيا وأمور الآخرة ، حيث يتم التباحث حول حلول المشاكل الخاصة والعامة فى أمور الحياة الى جانب التأمل فى خلق الله سبحانه وتعالى ونعمه الباطنة والظاهرة ، وما أحل الله للناس من طيبات ، وما وضع سبحانه من حدود وقوانين ، بما فى ذلك من آداب الصيد وتحليله .

كما وأن الصيد يغرس فى النفس معنى الفروسية والشجاعة ، ويعلمنا الصبر والجلد وفنون المراوغة ومتى يكون الاقبال ومتى يكون الادبار ، وهذه الدروس تفيد فى الحرب مع الاعداد للذود عن الوطن .

ولقد نقل الغربيون والفارسيون هذه الرياضة عن العرب ومارسوها ، إلا أنهم لم يتفننوا فيها كما تفنن العرب وأهل البادية ، ويرجع ذلك الى أن طبيعة البادية من أخصب ما يكون لهذه الرياضة الشيقة ، بالاضافة لما للعرب من غريزة طبيعية فى الشجاعة والفروسية تعودوا عليها منذ القدم وتوارثوها جيلا بعد جيل .

ولقد تفنن العرب فى الخليـــج والجزيرة العربية فى هذه الرياضة وأبدعوا فيها أيما ابداع وتفوقوا على كل بلاد الشرق والغرب ، حتى انه أصبح للصقر شأن كبير ، حيث تتوج به بعض أعلام الدول العربية «صقر قريش» ..

وتعتمد هذه الرياضة أساساً على





مجموعة من اللقطات النادرة فى رحلات القنص التى يعود منها القانص مع صقوره مستفيداً من الرياضة النفسية والبدنية

الصيد بالصقور..

أفضل رياضة عند العرب



تصوير: أمين بدوى

الصقر المدرب التدريب الجيد ، وعلى الرجل المحنك ذى الخبرة والشجاعة والاقدام فى ساحة القنص !

اصطياد الصقور

ولكن كيف يتم اصطياد الصقور ؟ ..
هناك عدة طرق لصيد الصقور من أشهرخا طريقة الشباك ، وفيها تربط حمامة من قدمها بخيط طويل من النايلون ويغطى جسمها بشبكة من نفس هذه الخيوط تصنع بطريقة خاصة ، ويمسك بطرف الخيط من الجهة الأخرى صائد الصقر الذى يختبىء فى كهف صغير أعد لذلك خصيصاً وذلك فى المنطقة التى تؤكد الدلائل وجود الصقور بها ، فيأتى الصقر منقضاً على هذه الحمامة ليأكلها فتعلق مخالبه بالشبكة المنسوجة حول جسمها ، وعندئذ يستطيع الصياد أن يقبض على الصقر بكل سهولة ولكن بمهارة وفن حتى لا يؤذيه ، وقد تستغرق عملية صيد الصقر الواحد يوماً كاملا أو عدة أيام ، ويستدل على أماكن وجود الصقور فى المنطقة التى تعيش فيها بآثار أقدامه على الرمال أو فضلاته أو بعض ما يقذفه من فمه من فضلات الطعام «الربابة» على الصخور !

وبعد أن يمسك الصياد بالصقر يقوم بوضع «القفا» على جسمه ، «والقفا» مصنوع من القماش خصيصاً لاحكام القبض على الصقر والسيطرة عليه ، ثم يقوم بعد ذلك باغلاق عينه من أعلى الجفون بالخيط لكى لا يرى شيئاً يزعجه ثم يقوم بربطه بخيوط خاصة من أرجله فوق المخلب ، ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة التدريب وهى مرحلة شاقة لا يستطيع القيام بها إلا المدرب المحنك ذو الخبرة الطويلة .

ويستطيع المدرب الماهر تدريب صقر أو اثنين فى الموسم الواحد ، وتستغرق فترة التدريب من شهر الى شهرين ، يستطيع الصقر بعدها أن يتعرف على صاحبه ومجالسيه وسماع ندائهم وتلبية الأوامر ، وبعد ذلك يستطيع أن يذهب به الى ساحة القنص واثقاً من



في بداية التدريب على مطاردة الفريسة

صقره ، واثقاً بنفسه ، ليعود غانماً من رحلته ظافرا بالصيد الثمين !

صفات الصقور وأنواعها

والصقور تصطاد الحبارى والأرانب البرية والغزلان والكروان ، ويختلف الصيد من ناحية النوع والكم باختلاف مهارة الصقر المدرب ومساعدة مدربه له .

وللصقور أنواع مختلفة ، فمنها الحر والشاهين والباشق والباز . وأفضل هذه الأنواع هو الحر لما لديه من قوة تحمل وطاقة خارقة فى المطاردة والصبر على تحمل مراوغة الطريدة والسرعة فى ملاحقتها .

والصقر الحر يعيش فى الصحراء حيث تتوافر الطيور والأرانب البرية والفئران ، وهو من الصقور التى تتحمل الجوع والعطش لفترات طويلة وهو قصير الذيل عريض المنكبين والرأس ، أصفر المنقار والرجلين ، ومن ألوانه الأبيض والأحمر والأصفر المائل الى الاحمرار أو الاخضرار وكذلك اللون الأسود ، وهو دائماً يسكن الكهوف والمغارات فى سفوح الجبال . ومن فصائل الصقر الحر المعروفة : وكر الحرار والحرموشه . إلا أنها تختلف وتتباين من حيث الحجم والشكل والكفاءة تبايناً نسبياً .

أما الصقر شاهين فهو من الأنواع الجيدة أيضاً ويستخدم فى الصيد ، وهو حاد الطبع ، متقلب المزاج ، وأسرع من الحر على ملاحقة الفريسة فى المسافات القصيرة ، ولكنه أقل فى طول النفس وأصغر حجماً من الحر .

وكلمة شاهين كلمة فارسية معناها الميزان وترجع تسمية هذا النوع من الصقور بالشاهين إلى مقدرته الفائقة على التوازن أثناء الطيران والكر والفر . وكذلك لمقدرته على التوازن فى الجوع والشبع .

والشاهين من الطيور التى تعيش على الشواطىء ويتغذى على طيور الماء وهو يتواجد بكثرة فى بلاد فارس ثم البلاد العربية .

ومن ألوانه الأسود الخالص والأسود الممتزج بالأبيض فى منطقة الرأس والصدر والبطن ، ومنه المائل الى الحمرة .

ومن أنواع الشاهين : وكرى الشواهين . وتبع الشواهين .

وتختلف هذه الأنواع من الشواهين اختلافاً بسيطاً من حيث الشكل والحجم ولون المخالب والعينين والطباع .

ومن الصقور ما يطلق عليه الباشق ، وتتعدد ألوانه كالأخضر والأحمر والأصفر أو خليط بين هذا وذاك ، ولكن من عيوبه أنه كثيراً ما يهرب من صاحبه أثناء مطاردة الفريسة .

ومن أبرع الصقور فى صيد الأرانب صقر الباز ، وهو محبوب فى أوربا وأمريكا أكثر من الأنواع الأخرى ، وذلك لمهارته فى مطاردة الفريسة فى الغابات وبين الأشجار ، وكثيراً ما يستعان بكلاب الصيد معه لاستدلاله على الفريسة !

والباز من الصقور التى تتوافر فيه الشجاعة والجراة ومن أشهر أنواعه الأشهب والأبيض الناصع البياض .

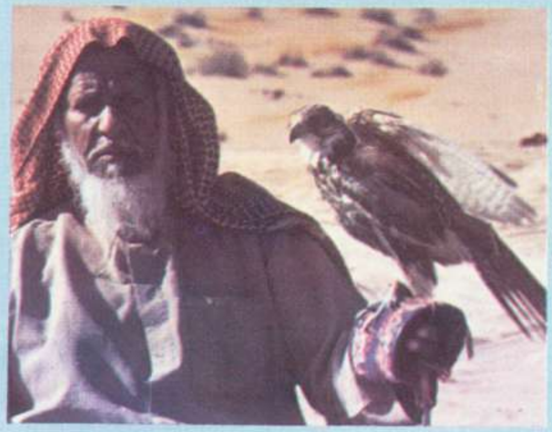
ويعيش الباز بين الأشجار حيث تتوافر الفريسة والماء اللازم له . ومن عادات الصقور أن (تقرنص) وذلك بأن يلقى الصقر معظم ريش جناحيه ويبدأ فى ظهور ريش جديد . فى هذه الحالة يعكف صاحبه على اعطائه الراحة التامة والامتناع عن الخروج به للصيد ويضعه فى مكان نظيف ويقدم اليه الطعام الجيد من لحوم الطيور والأرانب البرية الى جانب الماء النظيف ولا مانع من إضافة بعض الفيتامينات والأملاح المعدنية اللازمة لذلك وتستغرق هذه





الصقور المتحفزة للصيد فى الرحلة التى تستغرق أياماً طويلة

الصيد بالصقور أفضل رياضة عند العرب



● من صفات الصقر الجيد أن يكون واسع العينين قوي البصر

● اتخذ العرب من الصقور رمزاً للقوة والبطولة وعزة النفس العربية

العملية ـ فترة إنبات الريش الجديد ـ من خمسة الى ستة أسابيع تقريباً .

النوادي الخاصة

ومن صفات الصقر الجيد : أن يكون واسع العينين ، قوى البصر ، طويل العنق ممتلىء الرقبة والفخذين ، قوى الصدر ، قصير الساقين ، قصير الذنب ، طويل الجناحين ، قوى المخلبين ، غليظ الأصابع ، واسع المنخر ، متوازن الجناحين كطرفى المقص .

ولقد انتقل الاهتمام بالصقور الى الغرب ، وحرصوا على تقليد العرب فى ذلك ، بحيث نجد نواد خاصة لهذه الصقور

ويراعى فى غذاء الصقور أن يكون الطعام من الطيور المذبوحة الطازجة ، وخاصة فروخ الحمام الخالية من الاصابة بالتريكومونياسيس ، وكذا الأرانب البرية ، كما يراعى إعطاء الصقور كبد هذه الطيور وبعض الدهون وذلك لاحتوائها على فيتامين «أ» اللازم للصقور والذى يقيها بعض الأمراض ويرفع من مقاومتها ، ويستحسن عدم إعطاء الصقور اللحوم المحفوظة لفترات طويلة أو المذبوحة بالسلخانات .

وبالاضافة الى ذلك تراعى الفيتامينات المركبة وفيتامين «أ» وذلك باضافتها الى الغذاء من وقت لآخر .

وأكثر الفترات التى يحتاج فيها الصقر لعناية فى الطعام هى فترة تغيير الريش (القرنصة) فكلما لقى الصقر من رعاية وعناية كلما تغير الريش بسرعة وبدون تعرض لأي أمراض !

أمراض الصقور

ومن أشهر أمراض الصقور :

● انتفاخ أسفل القدم ويطلق عليه باللغة الدارجة «المسمار» ، وينتج ذلك عن عدم حركة الصقر لفترات طويلة على الوكر وهو الحامل المعد خصيصاً للوقوف عليه ويجب أن يكون ليناً ناعماً جافاً وأحياناً يكون السبب فى هذه الانتفاخات أيضاً خلل فى الكليتين وترسيب أملاح اليوريت فى بعض هذه الأماكن . وللجروح البسيطة فى منطقة القدم دور أساسى فى ذلك حيث يتسرب من خلالها مسببات هذا الالتهاب من البكتريا وأحياناً تحدث انتفاخات جانبية فى أماكن متفرقة من أرجله حول المخالب وتشبه فى ذلك الخراريج التى تصل الى الأوتار والمفاصل وفيها تكمن الخطورة ، وتعالج هذه الحالة حديثاً وبنجاح فائق بالجراحة الحديثة ثم يوضع الصقر بعدها على وكر نظيف مغطى بقطعة من القماش أو المخمل الناعم أو نسيج خاص من الحشائش الصناعية التى تشبه الى حد كبير الحشائش الطبيعية فى ليونتها ومرونتها ويمنع من ملامسة المياه طوال فترة العلاج .

ولتفادى هذا المرض الخطير لابد من اعطاء الحركة اللازمة والتمرين اليومى للصقر مع مراعاة اعطائه الوجبات المحتوية على الفيتامينات خاصة فيتامين «أ» .

● إلتهاب الرئتين (الرداد) ويحدث التهاب الرئتين غالباً نتيجة اصابة الصقور بنزلات البرد الحادة أو التعرض لبعض أنواع البكتريا المسببة لذلك وأحياناً تكون الاصابة نتيجة انتقال الطفيليات الداخلية الى الرئتين لتسبب



مكافأة القناص عقب القيام بمهمته فى الرحلة

تهتكا بأنسجتها مما يؤدى الى الوفاة .

● الأسبرو جللوسس : وهو يسبب إلتهاباً مميتاً بالرئتين وتحدث الاصابة للطيور التى توضع فى أماكن رطبة عديمة التهوية مظلمة حيث ينمو فيها مسببات هذا المرض .

● الترايكومويناسس : وتنتقل الاصابة الى الصقور عن طريق تناول لحوم أفراخ الحمام المصابة بهذا المرض وللتغلب على ذلك يراعى التأكد من خلو فروخ الحمام من هذا المرض وتعطى فروخ الحمام بعد ذبحها بمدة لا تقل عن ساعة أو وضعها لمدة ساعة على الأقل فى الثلاجة لكى تقضى على هذا الميكروب بتغير درجات الحرارة عليه ثم تعاد تدفئتها واعطاؤها له .

● نوبات الصرع : وفيها تحدث تقلصات بكل جسم الصقر ويبدو متصلباً تماماً والسبب غير معروف حتى الآن إلا أن هناك بعض الحالات التى عولجت بالمضادات الحيوية والكالسيوم مع وضع الصقر فى مكان دافىء هادىء بعيداً عن الضوء .

والحالات التى تشفى من هذا المرض تظل مجهدة وغير قادرة على الصيد لفترات طويلة وبعض السموم (الكيميائية) التى يتناولها الصقر بطريقة الخطأ تحدث مثل هذه الأعراض

● الجدرى : وهو من الأمراض الخطيرة التى تصيب الصقور وتقلل من مقاومتها وترفع درجة حرارته وتصل به الى درجة امتناعه عن تناول الطعام والشراب .

والجدرى مرض معد للصقور الأخرى . وإن لم يعتنى بالصقر فى تلك الفترة ويقدم له العلاج المناسب يؤدى به الى النفوق .

● الطفيليات الخارجية : ومنها أنواع خاصة من القمل الذى يعيش على جسم الصقر من الخارج ويتغذى على دمه وينقل اليه الأمراض وينهك مقاومته

● الطفيليات الداخلية : وهى ديدان داخلية تعيش بأمعاء الصقور وتسبب له ضعف شديد لتغذيتها على طعامه المهضوم

منع المضادات الحيوية

والصقور من الطيور الحساسة والثمينة فى نفس الوقت ، وعلى صاحب الصقر أن يعهد بها الى الطبيب المتمرن الخبير بأمورها عند ملاحظة أى تغير عليها .

ويستحسن تفادى حقن الصقور بالمضادات الحيوية أو المركبات الدوائية وذلك لشدة حساسية الصقور لذلك ، ويستعاض عن الحقن باعطاء العلاج عن طريق الفم أو الغذاء أو مياه الشرب وذلك بالكميات المناسبة والمحسوبة بدقة !

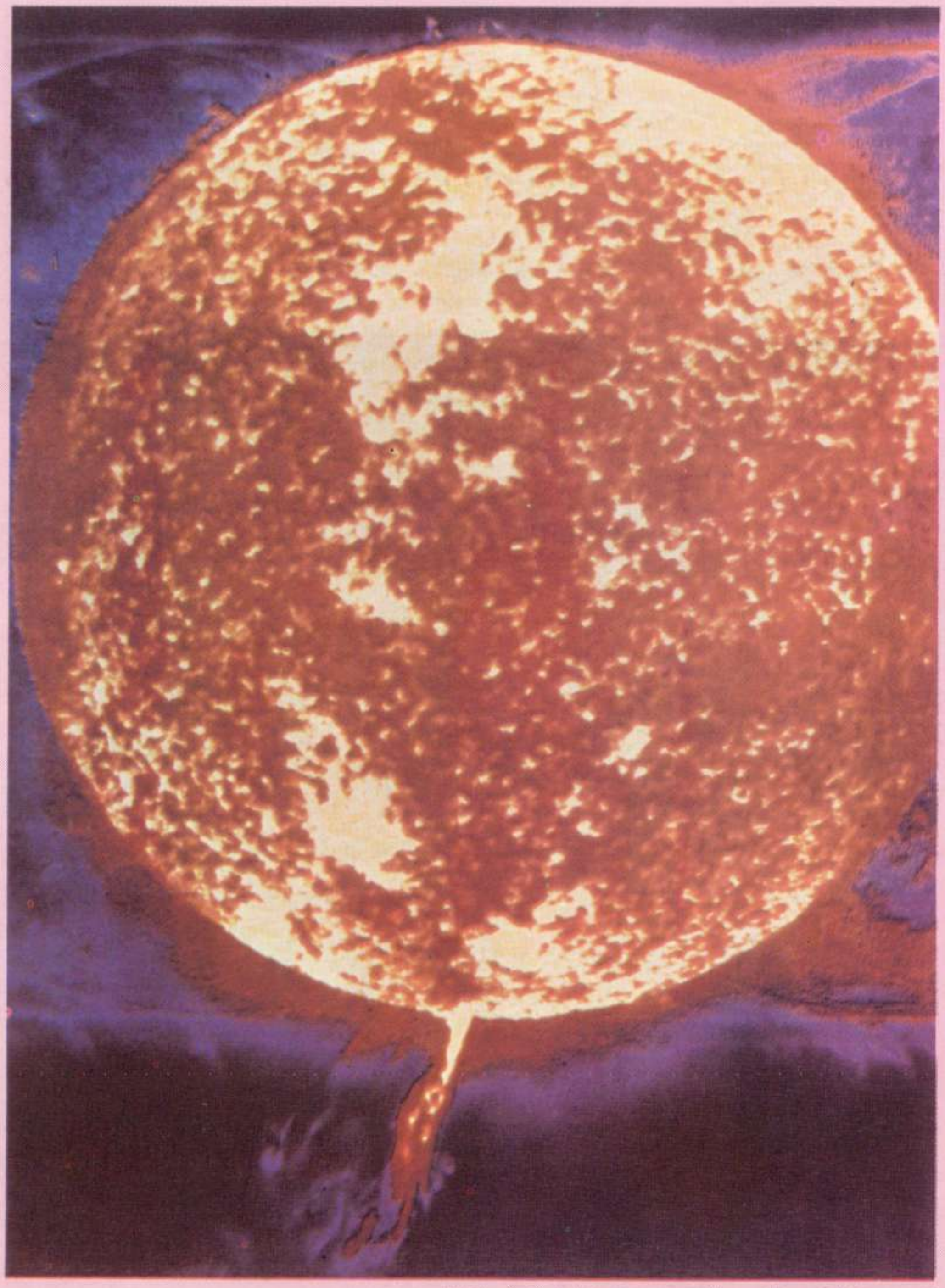
● ● ●

تلك نبذة عن الصقور ورياضة الصيد بها ، عرفها العرب قبل غيرهم من شعوب الدنيا ومارسوها بكل دقة وفن ، ونظموا فيها الشعر والنثر ، واستفادوا منها فى حروبهم مع الأعداء ، واتخذوا من الصقور رمزاً للقوة والبطولة وعزة النفس ، وهى رياضة تذكرنا دائماً بتقاليدنا العربية الأصيلة نتعلم منها كرم الأخلاق وحسن الفضيلة ، وهى تاريخ حى لأجدادنا العرب ورمز القوة والشجاعة والفروسية والانتصارات فى الحروب ورمز للمحبة والاخاء والشهامة والرجولة مع كل الأصدقاء .

د. محمد الغباشى ربيع

عبد الله
السعدي

هل اقترب عصر الطاقة الشمسية ؟



أقرب صورة للشمس التى يحاولون تسخير أشعتها فى توفير الطاقة

الى متى يستطيع العالم أن يستولد الطاقة من الفحم والغاز والنفط ... ؟

بعضهم يعتقد أن هذا ممكن لمدة نصف قرن ، والمتفائلون يؤكدون أن مصادر الطاقة هذه تكفى العالم مدة مئة سنة أخرى ، خاصة وأن العلوم التقنية لم تستنفد حتى الآن جميع الامكانيات ، والدليل على ذلك أن حفر الأرض لم يبلغ حتى اليوم سوى عمق ثلاثة آلاف متر ، وهذا بالنسبة لقشرة الكرة الأرضية لا يعد سوى «خدش» ، وإذا استطاع الانسان أن يحفر قشرة الأرض حتى الأعماق ، فربما استخرج منها طاقات غزيرة تسد حاجات الانسانية لمئات السنين !

وإذا بحثنا وراء التيار الكهربى المستخرج من الطاقة الشمسية فاننا سنتعرف على مصدر من مصادر الطاقة أيضاً ، إلا أن مجال هذه الطاقة الجديدة لن يتوفر إلا فى البلدان ذات المناخ الحار ، فضلا عن أن سعر الكيلواط المستخرج من طاقة الشمس يفوق فى الوقت الحاضر أسعار سائر أنواع الطاقة بنسبة عشرة أضعاف !

وبخلاف ذلك فقد أصبحت الدول الصناعية تسعى وراء الطاقة الذرية باعتبارها طاقة المستقبل رغم ما تحمله من أضرار بالغة ممثلة فى الاشعاع الذرى ، فلابد من تخزين النفايات الذرية الحاصلة عن استعمال المفاعلات الذرية

فى المصانع ، ولهذا لم يجد العلماء أمامهم غير طريقة التخزين فى صناديق فولاذية محكمة الاغلاق ، ثم إغراق هذه الصناديق فى أعماق البحر بعيداً عن المدن .. إلا أنه رغم جميع الأخطار لا تستطيع الدول المصنعة أن تستغنى عن الطاقة الذرية !

وأسطع دليل على ذلك هو أن الطاقة الذرية أصبحت فى الولايات المتحدة تنتج من الكهرباء ما يعادل مجموع ما تنتجه فرنسا بالأساليب التقليدية !

انتاج الضروريات

وقد كثر الحديث عن مصادر النفط الخام فى السنوات الأخيرة على أساس أن مخزون هذه الثروة يتضاءل باستمرار وأنه من الضرورى الملح الابقاء على كمية كافية منه ، ليس لانتاج المحروقات ، بل لانتاج الأدوية والمضادات والأسمدة والسوائل الكيماوية المستخدمة فى القضاء على الحشرات !

وهذا لا يعنى أن نحرم البشرية من انتاج البلاستيك والألمونيوم ومن صنع انبوبة «انغستمنتس» التى تتحمل قدراً كبيراً من الحرارة يصل الى ٤٥٠ درجة مئوية ، ولكن المطلوب هو ضمان قدر كاف لانتاج الضروريات !

تسخير الطاقة الشمسية

وفى الأونة الأخيرة اتجه العلماء الى تسخير الأشعة الشمسية عوضاً عن البترول .

ويؤكد هؤلاء العلماء أن الطاقة الشمسية متوفرة بشكل كاف ، وهى تمثل أكثر من احتياجات العالم ، بالاضافة الى نظافتها ، أى عدم تلويث الهواء نتيجة عملية الاحتراق ، كما هى الحال فى الزيت والفحم الحجرى وغيرهما من المواد الملتهبة !

وقد حرصت بعض الشركات البريطانية المختصة على جمع المعلومات عن أشعة الشمس ، وأساليب الاستفادة منها ، وقد تم بالفعل تدشين محطة للأشعة الشمسية فى كلية كير كالدى الفنية على الشاطىء الغربى من اسكتلندا ، وتعمل المحطة عن طريق مجموعة من الألواح والأنابيب الشمسية مساحتها ٧٢ متراً مربعاً ، توفر ٧٥ كيلواط من الطاقة ، كافية لتسخين كمية كبيرة من المياه فى الكلية ، وتتألف المجموعة الشمسية من ٤٠ لوحاً ، تختزن وتوزع الطاقة الشمسية ، ويبلغ طول اللوح ١,٨ متراً بعرض متر واحد .

وهذه الألواح مجمعة من عشرة إطارات – كل أربعة منها فى إطار ، واللوح عبارة عن انبوب متعرج من الفولاذ الذى لا يصدأ فوق صفحة من السوبرال – .

وتنتج شركة «دولتون هيتنغ سيستمز» التى تنتمى الى شركة دولتون لانتاج الزجاج ، نوعين من الألواح الشمسية مؤلفة من الأنابيب الفولاذية والألومنيوم والنحاس ، وهى متوفرة بالمادة التى يطلبها الشارى «المشترى» وحسب رغبته .

وهناك جهاز دائرى لجمع أشعة الشمس ، وأثبتت التجارب أنه خلال يوم مشمس عادى فى بريطانيا يمكن رفع درجة حرارة ١٣٦ ليتر من الماء من ١٥ درجة مئوية الى ٥٢ درجة ، خلال ساعتين أو ثلاث ساعات ، وأن الجهاز هذا متوفر بأنابيب يبلغ طولها حتى ٧٥ متراً مع جميع ما تحتاجه من الزوائد ، وهناك شركة توصلت الى اختراع جهاز أطلقت عليه اسم «صن دوال» يجمع حرارة الشمس عن طريق ألواح ماصة من مادة النحاس ، ومطلية بالدهان الأسود .

ومن أجل تأمين أفضل وسيلة للحصول على الحرارة وتحويلها ، فان الأنبوب النحاسى ملتصق باللوحة النحاسية لولبياً ، وبطريقة مائلة قليلا كى يتم ضغط الأنبوب بشدة على اللوحة بقصد عدم إهدار أى مقدار من الطاقة الشمسية ، وأن جميع كمية الماء تكون عرضة لأشعة الشمس ، وقد صنعت اللوحة النحاسية بأسلوب يجعلها تقاوم بعناد كبير العواصف والرياح العنيفة ، وتصنع الألواح من مواد غير قابلة للصدأ ومن البلاستيك المقوى بالألياف الزجاجية داخلها اسفنج صناعى ، وذلك من أجل تحقيق غرضين ، الأول عدم تسرب الحرارة بسبب طبيعة الاسفنج العازلة ومن أجل تقوية جوانب الخزانات .

مضخات الطاقة

وتدور الأبحاث الآن حول امكانية تطوير مضخات بسيطة التركيب وزهيدة الثمن ، تستمد قوتها من الطاقة الشمسية بدلا من الوقود المكلف ، وتكون فى متناول صغار الفلاحين ، وتقوم مجموعة بريطانية بتطوير هذه المضخة لكى تعتمد على الطاقة الشمسية لاسعاد الانسان من خلال أسلوبين هما :

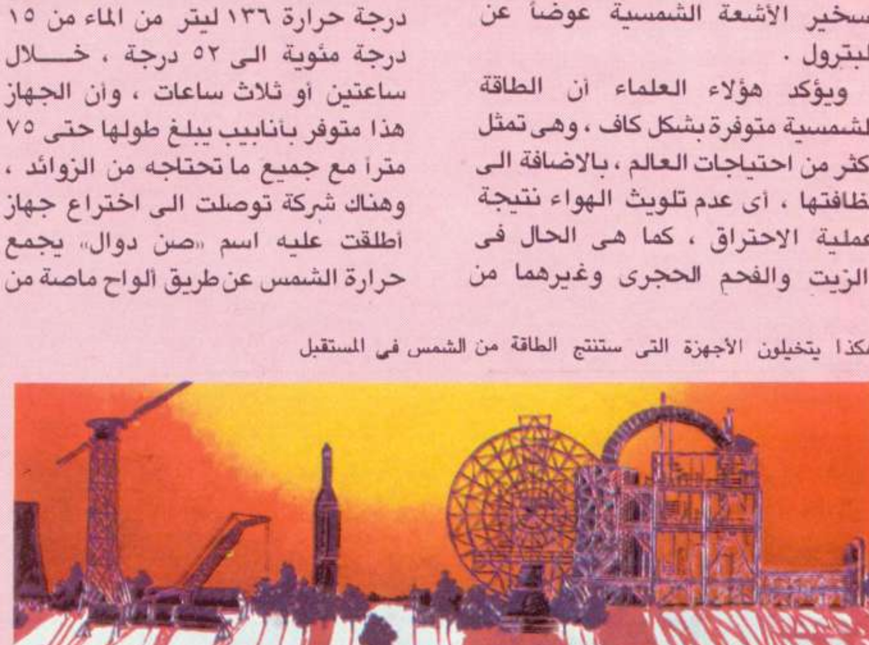
جمع الماء فى خزان صغير يضخ الى سخانات شمسية ، تحول السوائل مثل الفريون الى غاز يدير بدوره المضخة الزراعية ، ويدور الماء والغاز دورة تامة ، أى أن الماء يدخل السخانات ويتحول الى غاز يدير المضخة ويتحول الى سائل ، ويعود الى السخانات وهكذا ...

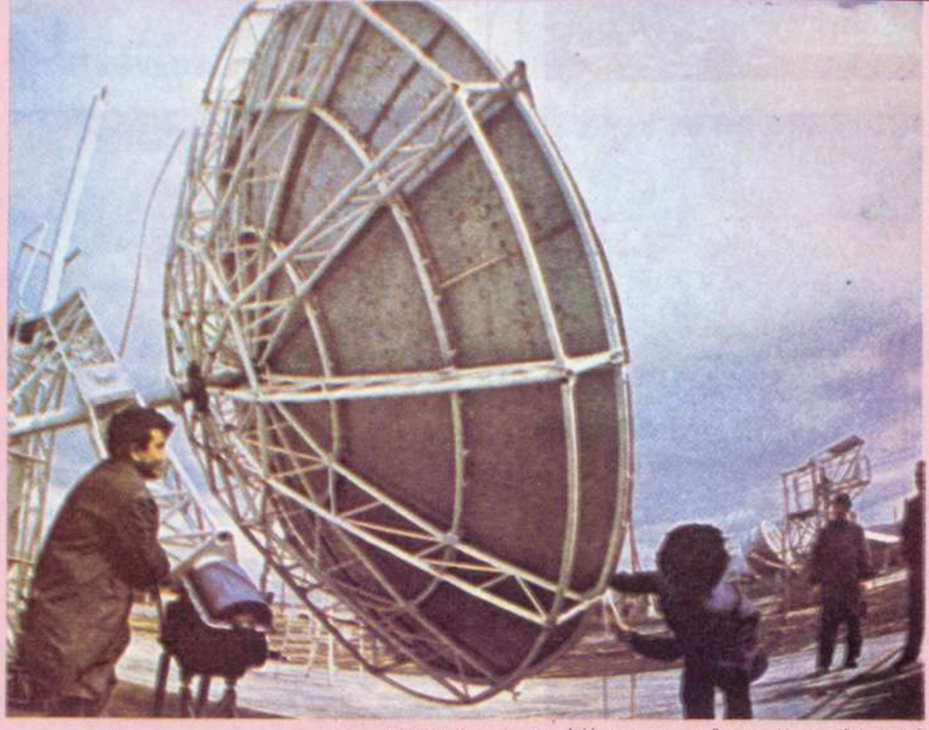
ويعتمد الأسلوب الآخر على التقاط أشعة الشمس بواسطة ألواح وتحويلها الى طاقة كهربائية تدير المضخة بالطريقة التقليدية المعروفة ...

ولكل من الأسلوبين حسناته وسيئاته ومن واجب الفريق الهندسى البحث فى أى من الأسلوبين أجدى وأنفع وأرخص ثمناً ، خاصة وأن التفكير يتجه الى صنع ٥٠,٠٠٠ مضخة فى العام الواحد ...

ومما لا شك فيه مطلقاً أن التمكن من إخضاع الطاقة الشمسية وتسخيرها فى أعمال الرى الزراعية ، سيكون مصدر ترحيب من قبل المزارعين الصغار فى العالم الثالث ، الذين يعانون نقصاً فى المجالين الزراعى والمائى ...

هكذا يتخيلون الأجهزة التى ستنتج الطاقة من الشمس فى المستقبل





احدث الأجهزة المستخدمة فى تسخين المياه عن طريق الطاقة الشمسية

هل اقترب عصر الطاقة الشمسية ؟

الأسماك والتدفئة

وفى محيط الأسماك ثبت أن التدفئة الشمسية زادت معدل نمو صغار سمك الشبوط ، ففى بداية عام ١٩٨٠ ، استعملت خمس برك ، كل منها بطول ٣٤ متراً ، وعرض ٣ أمتار ، وهى على شكل ٧ مع عمق أقصاه متر واحد . وتركت ثلاث منها مكشوفة ، وغطيت الاثنتان الأخريان بسقوف من البلاستيك «الى س . ف» ، وقد دفئت إحداهما ، وبطنت بركتان مكشوفتان ، والبركتان المسقوفتان ، بألواح البوتل السوداء ، كما أن البركتين المسقوفتين ، وبركة مكشوفة واحدة ، زودتا بالأوكسجين .. وعندما تصل درجة حرارة المياه المارة عبر ألواح جمع أشعة الشمس الى أكثر من درجتين مئويتين أعلى من درجة الحرارة فى البركة المغطاة ، والمراد تدفئتها ، تقوم مضخة بتدوير المياه حول أنبوب نحاسى لتحويل الحرارة يمتد على طول البركة .. ووضعت فى كل من البرك الخمس ٢٠٠٠ سمكة شبوط صغيرة ، وغذيت الأسماك بغذاء فيه ٥٠ ٪ بروتين وقد قدرت الكمية بناء على رقم تقديرى لبقاء الأسماك ، ولكن تبين فيما بعد أنه منخفض كثيراً فى البرك المغطاة وعال جداً فى البرك الخارجية المكشوفة ...

وقد صمم الآن أول جهاز تلفزيون فى العالم ، يعمل بالطاقة الشمسية أطلق عليه اسم «سان سيت» أى «غروب الشمس» ، إذ صمم للعمل أثناء الليل فى المناطق الريفية النائية فى البلدان النامية ، حيث لا تتوفر خدمات الكهرباء العامة ، وفى أثناء النهار يوضع هذا الجهاز خارج البيت لتعبئة بطارياته بالكهرباء التى تولدها الخلايا الشمسية القائمة على سطحه ، ويترك فى الشمس لنحو ٨ ساعات لتجميع مقدار من الطاقة يكفى لمشاهدة التلفزيون فى المساء لمدة لا تقل عن ٤ ساعات .

الأقمار الصناعية

وفى دنيا النباتات يسعى العلماء الآن لتطوير طريقة تقليد النباتات فى عمليتها الكيميائية ، التى تتم بفعل الطاقة المستمدة من أشعة الشمس ، وذلك من أجل انتاج الوقود فقط وكفاءة عالية ، لذا يستخدمون فى ذلك أصبغة مختلفة على غرار طريقة النباتات القائمة على صبغة الكلور وقبل الخضراء مع مواد وحفازات كيميائية أخرى .

ويهدف العلماء الى استحداث وسيلة تعمل بالطاقة الشمسية لشطر الماء الى عنصرين فى تيارين منفصلين واحد من الغاز الهيدروجين ، والآخر من الأوكسجين ...

وحاليا تخطط هيئة الطيران والفضاء الوطنية الأميركية لاطلاق محطات قوى شمسية فى الفضاء ، فى وقت ليس بالبعيد ، حيث ستقوم الأقمار الصناعية بتجميع أشعة الشمس وترسل الطاقة المجمعة الى الأرض على متن أشعة متناهية فى القصر .. وسيكون لكل قمر صناعى «جناحان» هائلان مغموران بالملايين من الخلايا الشمسية ، وتعمل هذه الخلايا على تحويل أشعة الشمس الى كهرباء .. إن محطة مدارية واحدة من هذا الحجم كفيلة بتوليد ١٠,٠٠٠ ميغاواط من الطاقة الكهربائية ، وهى كافية لتلبية احتياجات مدينة ضخمة مثل نيويورك فى عام ٢٠٠٠ ..

القرية الشمسية

وخلال العام الماضى تم فى المملكة العربية السعودية اختيار قريتى الجبلية والعيينة لتكونا مكاناً لمشروع القرية الشمسية ، وهو تطوير استخدام الطاقة الشمسية عن طريق التطبيق العملى للوصول الى أنسب أسلوب لتطبيق تكنولوجيا توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية ، وقد روعي فى اختيار القريتين أن تكونا قريبتين من الرياض ، لتسهيل ادارة المشروع من ناحية ، ولتيسير زيارات المسئولين والمتخصصين حتى لا يتحملوا مشقة السفر لمسافات بعيدة ، وتضم القريتان حوالى ثلاث آلاف نسمة ، وتبعد احداهما عن الربوة التى اختيرت موقعاً لبناء المحطة عشرة كيلو مترات ، وستضاء القريتان بطاقة الكهرباء المستمدة من الشمس ، وفكرة استغلال مساحات الشمس فى القريتين سيتم من خلال وضع مرايا عاكسة ذات مساحات كبيرة ، تعكس أشعتها بشكل مركز على خلية فلطائية ضوئية ، والخلية مصنوعة من مواد تتأثر بحرارة الشمس، لتدير توربينة صغيرة تولد الكهرباء .

والفكرة من استخدام المرايا هى استغلال مسطحها المتسع فى استقبال أكبر كمية ممكنة من أشعة الشمس لتركيزها على بؤرة صغيرة هى (الخلايا) الشمسية التى تحول الشمس الى تيار كهربى قوى يقدر بميجاوات .

عبد الله السعدى

محمد علي الطاهر

عاشق الحرية



المجاهد محمد على الطاهر مع جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز

نبيل خالد الأغا

عندما بلغته أخبار الوفاة تأثر الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة تأثراً شديداً لغياب صديق نضاله القديم المجاهد الفلسطينى الكبير محمد علي الطاهر صاحب جريدة «الشورى» ، وبعث الى اسرته الكريمة فى بيروت ببرقية تعزية مؤثرة وصف الفقيد فيها بأنه (صديق الكفاح المخلص الوفى المجاهد العربى الصادق الذى قضى حياته مكافحاً ومناصراً لسائر القضايا العربية بقلمه ولسانه وماله) .

وقال معترفاً بجميله : (ولن أنسى تلك الفترة التى توطدت فيها بينى وبينه الاخوة فى الجهاد ، وقد كان أول من عرفت من المجاهدين العرب الصادقين ، فكان لي خير الأنيس فى دار الغربة ، ونعم المعين فى التعريف بالقضية التونسية لدى المحافل الدولية ، وبقى على حسن عهده ، وجميل وفائه ، وخالص صداقته التى لم تزد على مر الأيام إلا رسوخاً وتوطداً) .

مدرسة ومنهاج

لم يكن الطاهر زعيماً من الزعماء ، ولا رئيساً من الرؤساء ، ولا وزيراً من الوزراء ، بل كان مدرسة ومنهاجاً فى وقت واحد ، أما المدرسة فهى العروبة والحرية والاستقلال ، وأما المنهاج فهو الكفاح والنضال بالرصاصة والكلمة والمحراث والسنبلة ، والمساهمون هم الوطنيون المخلصون لقضايا أوطانهم ، أما المتخرجون فهم الأبطال والزعماء والمجاهدون . ولقد التحق بمدرسته



مع الرئيس الحبيب بورقيبة

الكثيرون من عشاق الحرية والاستقلال ، وحقق - بوطنيته الصادقة - وحدة العرب قبيل انشاء الجامعة العربية بأكثر من عشرين عاماً ! لهذا لم يكن مستغرباً أن يصفه مكرم عبيد بأنه «سفير الأقطار العربية فى مصر» . ويصفه مصطفى النحاس بأنه «سفير مصر فى الأقطار العربية» !

وهنا تلزمنا وقفة استعادة لحياة «السفير» محمد علي الطاهر الذى استنشق عبير الحياة فى عام ١٨٩٤ م فى مدينة نابلس الفلسطينية المناضلة ، وتلقى تعليمه الابتدائى والاعدادى فى مدارسها الاميرية ، ثم عمل فى مكتب البريد والتلغراف لفترة وجيزة ، لكنها أفادته كثيراً حيث استطاع من خلالها أن يطلع على بعض الواقع الأليم الذى يهدد وطنه من جراء المؤامرات الاستعمارية التى تستهدف خلع الوجود العربى فى فلسطين ، وغرس الوطن القومى الصهيونى فيها .

وكما كان يفعل الكثيرون من أحرار العرب فى تلك الأيام هاجر الطاهر أثناء الحرب العالمية الأولى الى مصر شأن بعض أدباء الشام الذين سكنوا دار العروبة الكبرى واتخذوها مركزاً

عاشق الحرية

لنشاطاتهم المختلفة من مثل : جورجى زيدان ، واسعاف النشاشيبى ، ورشيد رضا ، ويعقوب صروف ، وبشارة تقلا ، وانطون الجميل ، وفارس نمر ، وإيليا أبى ماضى ، ومى زيادة وغيرهم .

وقد عمل آنذاك فى جريدة «الكوكب» التى كانت الحكومة الحجازية الهاشمية تصدرها فى مصر ، ويرأس تحريرها الشيخ محمد القلقيلى .

وفى عام ١٩٢٠ نجح الطاهر فى تشكيل «اللجنة الفلسطينية العربية» بصورة قانونية لتسهيل الأمور المتعلقة بالشئون الفلسطينية .

وحتى يتمكن من مناجزة خصمه بصورة استقلالية نال امتيازاً لاصدار جريدة «الشورى» الاسبوعية ، وقد صدر العدد الأول منها فى القاهرة بتاريخ ٢٢ من أكتوبر عام ١٩٢٤ م ، وكان شعارها الذى اختاره انها «جريدة تدافع عن سوريا ولبنان وفلسطين وشرقى الأردن» . ثم اتسعت دائرة هذا الشعار فيما بعد ، فصارت الجريدة تبحث فى شئون «البلاد العربية الآسيوية والافريقية والأقطار المستعبدة» .

لقد كانت الشورى جريدة رأى وتعليق أولا وأخيراً ، وكانت الجريدة الوحيدة فى العالم ذات الارادة الواضحة ، والغاية الصلبة ، والرسالة القويمة الواضحة . فلم تكن تقبل اعلانات قط ، ولم تكن ترتهن نفسها لسفارات أجنبية أبداً ، وكان الجميع يهابونها ويحترمونها كما يقول الاستاذ محمد الفرحانى .

وكان قراء الشورى يتلهفون على وصولها أسبوعياً عن طريق البريد واستطاعت أن تجذب اليها أقلام كبار الكتاب والأدباء والصحفيين ، وفى مقدمتهم أمير البيان شكيب أرسلان الذى اعتلى قلمه الرصين منبر الشورى فترة طويلة ، ويرى أستاذنا الكبير عجاج نويهض أن الأقلام والألسنة صارت تقول «أمير البيان» للأمير شكيب أرسلان عندما صار يكتب فى الشورى ، ثم طار اللقب فى الدنيا الى اليوم والغد ! ولكن بسبب اتجاهاتها التحررية ، ومهاجمتها للمستعمرين وأذنابهم كانت الصحيفة تتعرض للتعطيل والالغاء والتوقيف مراراً ، ولم يكن الطاهر ليستكين أو ييأس أو يهادن ، بل عمد الى اصدار صحف بديلة فى فترات التعطيل مثل : المنهاج ، العلم المصرى ، الرقيب ، الناس ، الجديد والشباب» ولكنها جميعاً كانت تحمل اسم صاحبها ، وكانت الرقابة الانجليزية فى فلسطين تصادرها فى أغلب الأحايين ، وفى النهاية أصدرت الحكومة أمراً بمنع أية جريدة تصدر فى القاهرة باللغة العربية وعليها اسم محمد علي الطاهر !

الشورى .. ندوة ثقافية

ولقد نجح الطاهر فى جعل مكتب الشورى ندوة ثقافية حية يرتادها الأحرار الذين كانت تكتظ بهم قاهرة المعز من كافة أرجاء العالمين العربي والاسلامى ، وبسبب دماثة خلقه ، وحسن معشره ، وكريم خصاله استحوذ أبو الحسن على شغاف القلوب ، وطار ذكره خارج الحدود الجغرافية المصرية



أبو الحسن يعانق مصطفى النحاس

كواحد من أشد أنصار القضايا العربية والاسلامية ، ولا عجب إذن أن يأتى البعض الى القاهرة وليس معه إلا جواز سفر وحقيبة وعنوان الشورى ، حيث يستقبله الرجل ويقوم بواجب الضيافة نحوه ، ويحيطه بالرعاية ، ويسهل له الاقامة ، ويزوده بكل ما يحتاج اليه .

وهكذا صار له فى كل بلد أصدقاء وأحباب وخلان ، وعاد أكثرهم فيما بعد ليتولوا مناصب الزعامة والريادة فيها ، وحسبنا أن نذكر بعضاً من هؤلاء الكرام الذين كانت تربطهم بأبى الحسن أوثق الصلات فى مصر : الحبيب بورقيبة ، شكرى القوتلى ، عبد الكريم الخطابى ، ادريس السنوسى ، محمد أمين الحسينى رياض الصلح ، مصطفى النحاس ، علال الفاسى ، شيخ العروبة أحمد زكى باشا ، صبرى العسلى ، أحمد نعمان ، سيف الاسلام محمد البدر ، وغيرهم .

ويذكر التاريخ لأبى الحسن أنه كان خلف كفاح الشهيد البطل عمر المختار فى حشد الأنصار والأموال ، كما كان له دور بارز فى التوسط لدى الحكومة المصرية من أجل قبول الأمير عبد الكريم الخطابى لاجئاً سياسياً فى مصر ، ومعروف أن البطل المغربى ثار على اسبانيا ثم على فرنسا فى الريف ، وحكم عليه بالنفى لمدة واحد وعشرين عاماً فى جزيرة «رينيون» (١٩٢٦ ـ ١٩٤٧) .

كل هذه المواقف والخصال وجدت لها صدى معطاءاً لدى من عرفوا صاحب الشورى وعاشروه عن قرب ، وقد كان شاعر القطرين خليل مطران واحداً من هؤلاء ، وقد قال فيه قصيدة عام ١٩٢٨ جاء فيها :

(أبو الحسن) أصفى الرفاق سريرة
وأوفاهم عهداً على القرب والناي
وأبسلهم ذوداً عن العرض والحمى
وأثبتهم رأياً على صالح الراي
يكافح عن أوطانه وحقوقها
بلا وهن فى عزمه وبلا وهي
فما ينتهى عن قصده لعوائق
تعوق ، ولا يلوى بأمر ولا نهي
ولا برحت «شوراه» أنقى صحيفة
يبث الهدى فيها على النشر والطي
تمج بها تلك البراعة نورها
لكشف ظلامات الكرام وللهدي



أثناء اشتراكه فى المؤتمر الاسلامى العام فى القدس (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) ممثلا عن مسلمى أوغندا وعدن

بريطانيا .. أم الاستعمار

قبيل فترة وجيزة من نشوب الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ م عاد الطاهر الى فلسطين بعد أن أخذ إذناً بالاقامة هناك مدة عام واحد ، لكن السلطات البريطانية المنتدبة أنذرته بضرورة مغادرة فلسطين بحجة أنه «أجنبى» (!) ولا تحق له الاقامة الطويلة فيها . فدهش لذلك التعليل الواهى فقال معلقاً : «بأى حق تعتبرنى لندن أجنبياً ، وكل شىء يشهد بأنى ابن هذه البلاد ، بينما قانون لندن يعتبر اليهودى البولونى المهاجر فلسطينياً ؟!» .

لم يكن غريباً هذا السلوك على دولة استعمارية ضليعة فى معاداتها لأحد خصومها الضليعين أيضاً فى كراهيتها .. فلقد كان محمد الطاهر لا ينفك عن مهاجمتها ، وفضح نواياها ، وكشف عورة عملائها ، فلا توجد لديه «ذقن ممشطة» تستوجب الاحترام اذا انحرفت عن جادة الوطنية الحقة ، لقد كان دائم التردد لعدة مقولات كمثل قوله : «ان بريطانيا هى أم الاستعمار ، وهى التى علمت فرنسا وايطاليا فن الاستعمار بعد أن تعلمته من هولندا ، وورثت مستعمرات المانيا» . وقوله : «المستعمرون هم ، هم تبطرهم النعمة ، وتصلحهم النقمة ، ولا ينفع معهم إلا سحقهم ومحقهم الى أبد الآبدين» . وكذلك قوله : «إن كل شىء فى نظرنا يهون إلا بقاء الانجليز» .

وكان الطاهر يسعى لاقامة صلات قوية مع اخوانه أحرار مصر ، ونجح فى مسعاه بصورة واضحة ، وقد كان مصطفى النحاس باشا أول رئيس حكومة مصرية (١٩٣٧) دافعت عن فلسطين رسمياً فى عصبة الأمم بجنيف ، وعندما عاد بعض أحرار فلسطين من منفاهم بجزيرة سيشل نجح الطاهر أيضاً فى مد جسور الصلة مع حزب «الوفد» ومع النحاس شخصياً «على اعتبار أن أبطال مصر فى سيشل (١٩٢٢ م) أولى بالصداقة مع أبطال فلسطين الذين كانوا بعد ذلك فى سيشل (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩)» . وهو تأييد عربى للجانب الوفدى له معناه فى تلك الايام كما يقول الطاهر .

ومن آرائه عدم الايمان بجمعية الأمم «لأن قواعد ولسون الخيالية أوهمت الناس أن جمعية الأمم ستكون لخدمة الأمم الضعيفة ، فاذا هى عصابة لا عمل لها إلا تسويغ اعتداءات الأقوياء على الضعفاء» .

ثمن الحرية

وكان لابد لصاحب الشورى أن يدفع ثمن مغالاته فى طلب الحرية والاستقلال فقد أوعزت السلطات البريطانية فى مصر بالقبض عليه ، وأودع فى أحد المعتقلات سنة ١٩٤٠ م ، فلم تهن

عزيمته ، بل تقبل الأمر بفخر واعتزاز ، وعلق على ذلك بقوله : «الآن أصبحت منكوباً مثل اخوانى وأقاربى أهل فلسطين الذين نكبوا جميعاً ، لم يبق من المنسوبين لفلسطين أحد بدون حبس إلا أنا ، فأستطيع الآن أن أرفع رأسى أمامهم شامخاً» .

وقد ندد بعض رجالات مصر والوطن العربى بحادث الاعتقال التعسفى ، فقال بعض كبار الموظفين الانجليز : ان مشكلتنا مع محمد علي الطاهر مشكلة لا علاج لها ، فهو اذا حبسناه هاج أصحابه علينا ، وان تركناه هيج الرأى العام علينا !» .

وأثناء وجوده فى المعتقل مرض أبو الحسن مرضاً استوجب نقله الى أحد المستشفيات للعلاج ، وأثناء وجوده فيه استطاع أن ينفذ خطة للهرب بعد أن لبس لباس «ابن البلد» ، واختفى قرابة عام كامل متنقلا بين محافظات مصر المختلفة ، وعندما تم تكليف صديقه مصطفى النحاس بتأليف حكومة جديدة – بعد اقالة حكومة حسين سري – استطاع الطاهر بطريقة ذكية أن يدخل عليه مرتدياً زى أمير عربى أثناء اجتماعه بالصحفيين فى مارس عام ١٩٤٢ م ، فأصدر النحاس أمراً بالعفو عنه وأطلق سراحه . وخلال فترة اختفائه سطر الخطوط الرئيسية لكتابه الذى اسماه «ظلام السجن» والذى دون فيه ملاحظاته وخواطره وأشجانه وطبع عام ١٩٥١ م ، وفى الصفحة الأخيرة قال معلقاً عليه : «... هو مذكرات ومفكرات عن حوادث وقعت ، وحالة وجدت فصورتها ، ولا أزعم أننى أصنع كتاباً فى الهندسة أو فى علم الفلسفة ، فالكتاب يرسم صفحة لحياة شخص مر على مسرح الدنيا فترك آثار أقدام على رمال الزمان ثم مضى ، بعد أن دون بعض مشاهداته وأخباره ، وشيئاً من الخواطر التى كرت فى خاطره .» .

وبعد تلك الحادثة بسبع سنوات حن أبو الحسن الى المعتقل ، أو بالأحرى حن المعتقل اليه ، فعاد الى غياهبه بأمر من ابراهيم عبد الهادى بوصفه رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام وأودع معتقل «هاكستب» البريطانى فى صحراء السويس ، لكنه لم يمكث به طويلا ، فمن حسن حظه أن تولى حسين سرى رئاسة الوزارة حيث أمر بالافراج عنه فى العاشر من أغسطس عام ١٩٤٩ .

كانت جريدة الشورى قد تعطلت منذ الحرب العالمية الثانية ، وتوقفت نهائياً عن الصدور ، وبعد أن عاش صاحبها فى مصر أربعين عاماً انتقل كلية الى لبنان فى شهر نيسان عام ١٩٥٥ بعد أن ملأ الدنيا العربية جهاداً ونضالا وجلاداً .

وفى بيروت تابع رسالته الوطنية ، ولبث ينمى صلاته وصداقاته ، وحفل بيته مساء كل يوم «اثنين» بالعديد من الشخصيات اللبنانية والعربية حيث تدور المناقشات فى شتى مناحى الحياة وبخاصة السياسية منها .

وبرغم أن أستاذنا كان يحمل على منكبيه أعباء سبعين عاماً إلا أنه كان يتمتع بذاكرة حديدية نادرة ، فهو يسرد لك أدق جزئيات الحدث الذى وقع منذ نصف قرن ، كما لو أنه حدث منذ نصف شهر !



أبو الحسن يقف إلى جانب دار الشورى فى القاهرة

بين الطاهر وبورقيبة

لقد وقف الطاهر وأوقف «شوراه» الى جانب الشعب التونسى البطل والى جانب ممثله المجاهد الحبيب بورقيبه الذي قصد مكتب الشورى فى أول مرة وصل فيها الى مصر مهاجراً اليها من تونس عام ١٩٤٥ م ، وقد عرفه بالشخصيات العربية المرموقة ، وقدمه للصحافة وللأندية المصرية بصورة تتلاءم مع مكانته . وأقام له حفلة تكريم دعا اليها صفوة رجالات الدولة ، وكبار الوافدين اليها ، وسخر قلمه للتعريف بالقضية التونسية . وعندما كان بورقيبة يضطر الى السفر خارج مصر يقوم بمراسلة أبي الحسن بانتظام ، حيث كان الزعيم التونسى يطلعه على سير نشاطاته وتحركاته الوطنية ، ويستشيره فى بعض الأمور السياسية ، ولقد تيسر لكاتب هذه السطور أن يطلع على احدى تلك الرسائل التى كانت أسطرها الأخيرة تدلل على عمق الرابطة بين المجاهدين الكريمين حيث جاء فيها حرفياً : قبلاتى الى ابنى حسن ، وفائق احتراماتى الى أم الحسن ، ولك محبتى الخالصة وتقديرى العظيم ، مع اعترافى بفضلك الجزيل : أخوك فى الدين والوطن والجهاد ، الداعى لك بالصحة والعافية والتوفيق – الحبيب بورقيبة .

وتشاء إرادة الله أن تنتصر تونس على محتليها ، وتنال استقلالها ، ويتولى الحبيب بورقيبة رئاسة جمهوريتها ، ولم ينس المجاهد الوفى صديقه ، فقد دعاه لزيارة تونس مرات عديدة ، وفى كل مرة كان يرحب به ترحيباً عظيماً ، وفى زيارته الأولى دعاه ليلقى كلمة فى البرلمان التونسى كما يفعل رؤساء الدول الضيوف على دول صديقة ، وأنعم عليه بوسام الاستقلال ، ولقبه بـ «بطل الاستقلال التونسى» .

وعندما زار الرئيس الحبيب بورقيبة لبنان عام ١٩٦٥ قصد الى دار المجاهد الطاهر فى موكب رسمى خارقاً بذلك الأصول المتبعة فى «البروتوكول» ، وذلك



الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ومحمد على الطاهر . حياتهما قصة جهاد طويل

وفاء منه لصديقه الذى أنهكته الشيخوخة ، وإشعاراً له بأن المعتقلات ليست هى الثمرة الوحيدة للوطنية .

الوفاة !

أصيب أبو الحسن بمرض خطير أدخل على أثره مستشفى الجامعة الامريكية ببيروت ، ومكث فيه فترة من الزمن يصارع تضخم القلب ، وثقب الرئة ومضاعفات الزلال صراعاً غير متكافىء ، وأخيراً نفذت ارادة الله وفاضت روحه الى بارئها يوم الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٧٤ م بعد أربعة وثمانين عاماً قضاها فى الكفاح من أجل القضايا العربية والاسلامية ، وشيع الى مثواه الأخير بموكب رسمى مهيب تقدمته فصائل من رجال الثورة الفلسطينية ، وعدد كبير من سفراء الدول والشخصيات اللبنانية والعربية ، ودفن جثمانه «الطاهر» فى مقبرة شهداء فلسطين ببيروت .

ومن غريب الصدف أنه مات قبيل مرور أربعين يوماً على وفاة صديقه ورفيق دربه سماحة مفتى فلسطين الحاج محمد أمين الحسينى ، وبعد أشهر قليلة من وفاة صديقه المناضل علال الفاسى ، عليهم جميعاً رحمات الله وبركاته .

من آثاره القلمية

● نظرات الشورى (١٩٣٢) ويقع فى ٢٧٠ صفحة ، وهو عبارة عن فصول وملاحظات وخواطر عن العالم الاسلامى والوضع فى فلسطين آنذاك .

● ذكرى الأمير شكيب ارسلان (١٩٤٧) ويقع فى ٥٠٠ صفحة

● ظلام السجن (١٩٥١).

● رسائل بورقيبة ، وهو مجلد يحتوى على الرسائل التى تبادلها الحبيب بورقيبة مع الطاهر أيام الكفاح التونسى .

● خمسون عاماً فى القضايا العربية

وحسبنا أن نردد مع الشاعر الكبير محمود أبو الوفا وهو يرثى صديقه محمد علي الطاهر إذ يقول :

يا طاهـــر الروح بل يا طاهـــر البدن
تعيش ذكــراك طيباً يا أبا الحســن
يا أعظم الناس جوداً بعد حاتمـــه
إن لم تكن خاتـم الأجواد فى الزمـن
مجاهداً عشت مثل السيف منصلتـا
دون العروبـة لم ترهب ولم تلـــن
حياك بياك فى الدارين يا رجـــلا
لله عاش وللاسلام والوطـــن

... وأخيراً فلعلنا استطعنا أن نقرأ «صفحة من حياة مناضل مر على مسرح الدنيا فترك آثار أقدام على رمال الزمان ثم مضى بعد أن دون بعض مشاهداته وأخباره ، وشيئاً من الخواطر التى كرت فى خاطره» .

نبيل خالد الآغا

يوسف الشاروني

قصة القصة عند العرب

تنقسم آراء المعترضين على وجود الفن القصصي عند العرب الى ثلاثة آراء غالباً : رأى يرى أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى العصر الحديث عند نهضتهم ابتداء من القرن التاسع عشر ، ورأى يرى أن العرب لم يعرفوا القصة إلا منذ ترجم ابن المقفع كتاب «كليلة ودمنة» فى العصر العباسى ، أما الرأى الثالث فيرى أن العرب عرفوا القصة قبل ذلك كما عرفتها بقية الشعوب ، لكنها منقولة من حولهم ، فهى من أصول هندية أو فارسية أو يونانية .. الخ .

المهم أن العرب لم يبدعوا القصة - كما يقول ارنست رينان - لسببين رئيسيين : أولهما أن العقل السامى يميل الى التجريد ولا ينزع الى التجسيم ، وثانيهما أن البيئة الصحراوية التى عاش فيها العرب لم تكن غنية بالمناظر المتنوعة ، فلم تمنحهم المخيلة المبتكرة التى تتوافر للغربيين .

وقد ردد مثل هذا الكلام أو قريباً منه جوقة أخرى من المستشرقين مثل : أوليرى ، ومرجوليوث ، وفون جرونباوم وغيرهم . بل ردده بعض كتاب العربية ، ولعلهم متأثرون برأى هؤلاء المستشرقين مثل ميخائيل نعيمة فى «الغربال» ، وعبد العزيز البشرى فى «المختار» وأحمد أمين فى «فجر الاسلام» ، وعباس العقاد فى «الفصول» وتوفيق الحكيم فى «زهرة العمر» . فهؤلاء اتفقوا - ولتعليلات مختلفة - على أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى عصور متأخرة كالعصر العباسى .

القصة الحديثة فى الأدب العربى :

أما أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى العصر الحديث ، فان القائلين بهذا يقصدون القصة بالمعنى الفنى الحديث الذى لم يعرفه الغربيون أنفسهم إلا قبل ذلك بقليل وبعد ظهور المطبعة . فالقصة الحديثة ارتبط ظهورها بتطورات حضارية كان فى مقدمتها ظهور المطبعة ، وبروز الطبقة الوسطى والنظم الديمقراطية وحصول المرأة على قدر أكبر من الحرية وخروجها الى ميدان العمل ومشاركتها الرجل فيه ، وانتشار التعليم . وتطور الطباعة أدى الى ظهور الصحافة التى احتلت فيها القصة القصيرة أو الرواية التى تنشر على حلقات مكاناً هاماً لجذب جمهور القراء . كما ظهرت علوم كانت جنيناً ضمن علوم أخرى ، ثم أخذت تستقل شيئاً فشيئاً ، لعل أهمها بالنسبة للأدب «علم النفس» . وكانت أهمية هذا العلم انه جعل نظرة الانسان للانسان لا تقف عند ظاهره ، بل حاول أن يستكشف عالمه الداخلى .

كل هذه العوامل أدخلت تغييرات جوهرية على القص بجميع أنواعه . ولعل أهم التغييرات التى حدثت يمكن تلخيصها فى أن القصة أخذت تبتعد شيئاً فشيئاً عن التعريف الافلاطونى بأن الفن تقليد للتقليد . (كصورة المقعد التى يرسمها فنان هى تقليد للمقعد الذى يصنعه النجار الذى هو بدوره تقليد للمقعد فى عالم المثل) ، إذ أصبح لها وجودها المستقل وتركت مهمة النقل عن التاريخ أو الواقع للصحافة . فالصحافة تنقل ماوقع من حوادث الى قرائها بعد أن تحذف منها وتضيف اليها لاثارة القراء وجذب انتباههم . وأصبح على القصاص أن يبحث عن مجال جديد يجرب فيه قلمه وكان هذا البحث فى الوقت الذى بدأ يظهر فيه الاهتمام بعلم النفس . هذا المجال كان هو العالم الداخلى للانسان . وكانت هذه أول خطوة لابتعاد القصة عن عالم الواقع ، حتى انتهت الرواية والقصة الى ما يعرف بضد الرواية حيناً وباللاقصة حيناً آخر ، وهى الرواية أو القصة التى تلغى الحدث تقريباً أو لا تعتمد عليه أساسا . كما ظهرت قبل ذلك القصة النفسية وما يعرف بروايات المونولوج الداخلى مثل روايات بروست وجيمس وفرجينيا وولف . وكل هذه قوالب وأساليب ما كان يمكن لها أن تظهر لولا الكلمة المطبوعة .

فالحدث الذى كان أساسياً وجوهرياً فى القصة الشفاهية حتى يمكن جذب أذن المستمع اليها توارى بتطور القصة المطبوعة ، حتى أن كثيراً مما يكتب من قصص لا يمكن تلخيصه لسامع فى أكثر من كلمات قلائل ، فهو مرتبط بكلماته المكتوبة أكثر بكثير مما يتبقى منه من كلمات تروى .

ونتيجة لظهور المطبعة أمكن التخلى عن أساليب السجع وتضمين القصة أبياتاً من الشعر ذلك «أن هذا الشعر أولا يدخل هذه القصص عبثاً .. فهو أولا يكون عموداً فقرياً فى كل قصة .. والشعر كتعبير قولى منغوم أسهل حفظاً وأقرب الى اللصوق بالنفس من الحديث النثرى المرسل . ولهذا فالقطع الشعرية تبدو كالتكئة التى يستند اليها الرواة فى حفظ القصة كلها . ويؤيد هذا أن معظم ما ورد من شعر إنما يروي الأحداث مرة أخرى على لسان بطل من أبطال هذه الأحداث» . فتضمين الشعر فى القصة العربية القديمة تجعل منه وثيقة منغومة تحفظ الحدث من الزوال بما تتيحه من يسر فى

● هل صحيح أن العرب لم يعرفوا القصة قبل بداية القرن التاسع عشر ؟

● القصة بمعناها الحديث ، لم يعرفها الغربيون قبل ظهور المطبعة

● متى أمكن التخلي عن أساليب السجع وأبيات الشعر في القصة ؟

الحفظ والرواية .

كذلك أصبح البطل فى القصة العادية هو الرجل العادى فى حضارتنا نتيجة لانتشار النظم الديمقراطية ونمو الطبقة الوسطى بحيث أصبح معظم الكتاب والقراء منها ، بينما كان النبلاء أو الابطال الشعبيون وأنصاف الآلهة هم أبطال الأعمال الأدبية قبل عصر المطبعة.

فخصائص القصة بالمعنى الفنى الحديث هى خصائص القصة المطبوعة ، وقد سبقنا الغرب اليها لأنه سبقنا فى استخدام المطبعة . أما ما قبل عصر المطبعة فلا الغرب ولا الشرق العربى كان يعرف ـ ولم يكن يمكن أن يعرف ـ القصة الحديثة . بل ان القصة الأوربية الحديثة كان من روافدها الفن القصصى كما عرف عند العرب قبل عصر النهضة . ويقول المستشرق الانجليزى «جب» فى كتابه «تراث الاسلام» أن «قصص الغرب وآدابهم كانت بدء انقلاب هام فى تاريخ الأدب الأوروبى فى مطلع القرن السابع عشر ، فيومئذ كان ميلاد القصة الحديثـــــــة ، وهذا «سرفانتس» نفسه كان مديناً للثقافة الاندلسية . وقصته : دون كيشوت ـ كما صرح بذلك بريسكوت ـ أندلسية بحتة فيما ظهر فيها من لباقة وفطنة» . فالقصة الغربية المعاصرة ـ والتى تأثرنا بها فى قصصنا المعـاصر الى جانب مؤثرات أخرى من تاريخنا الأدبى ـ ليست إلا مرحلة من مراحل هذه القصة سبقتها مراحل وستتلوها مراحل .

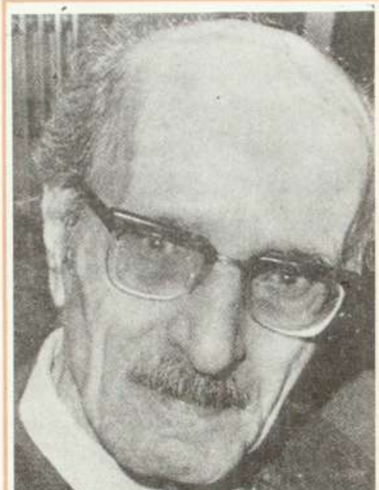
القصة فى التراث العربى :

أما أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى العصر العباسى عندما ترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة . فهذا القول يتجاهل تراثاً قصصياً ضخماً عرفه العرب قبل ذلك ، ويريد أن يقول أن كل ما أنتجه العرب من قصص منذ ذلك التاريخ ـ مثلما يقال اليوم عن القصة العربية الحديثة ـ ليس إلا نتيجة الترجمة عن شعوب أخرى . والواقع أن العرب عرفوا القصة قبل ذلك التاريخ مثل القصص الدينى وقصص الحب العذرى والنوادر بل قصص الحيوان التى يضم مثلها كتاب كليلة ودمنة على نحو ما نجد فى أمثالهم ، بل ان هناك من يقول أن قصص كليلة ودمنة ليس مترجماً بل ان ابن المقفع شارك فى تأليفه .

أما ان التراث القصصى العربى ـ منذ عصر الجاهلية ـ منقول عن شعوب أخرى ، فهذه حجة يمكن لأى عالم من علماء الفنون الشعبية أن يفندها ، فكما اختلطت الأجناس البشرية ببعضها فى منطقة حوض البحر الابيض ، كذلك اختلطت آدابها فأخـــذ كل من الآخر وأعطاه ، كما اختلطت آداب الشعوب السامية . فالأدب اليونانى الذى تفخر به أوربا فيه عناصر من مختلف آداب الشعوب التى سبقته حضارياً مثل مصر الفرعونية حيث تتردد فيه اسماء مدن وآلهة فرعونية على نحو ما نرى فى اسطورة أوديب التى نقرأ فيها عن مدينة طيبة وأبى الهول ، وقصة حصان طرواده لها شبيه فى القصص الفرعونى . وتتلخص القصة فى أن المدعو تحوتى

أحد قواد تحتمس خدع حاكم مدينة يافا فادخل جنده على تلك البلدة مختبئين فى سلال محمولة على حمير . ومع ذلك لم يقل أحد أن الأدب اليونانى منقول عن غيره . أو أن اليونان لم يوهبوا عبقرية الابداع الفنى . المهم أن كل شعب يصهر فى بوتقته ويتمثل هذا

ميخائيل نعيمة



محمد فريد أبو حديد



قصة القصة عند العرب

التراث المشترك ليفرزه لنا عملا أدبياً متميزاً بخصائص متفردة .

فالعرب عرفوا قصة ما قبل المطبعة كما عرفها الأوربيون ، وكما أن المطبعة هى وسيلة نشر القصة فى عصرنا كذلك كانت الرواية الشفاهية هى الوسيلة الرئيسية لاذاعة قصص ما قبل عصر المطبعة . وقد كان لوسيلة الاذاعة هذه اثرها فى شكل ما يروى من قصص . ولم يكن استخدام الرواية الشفاهية قاصراً على الأدب الشعبى فقط ، بل حتى القصص المكتوب باللغة الفصحى والمعروف مؤلفه بل والذى تفنن مؤلفوه فى الصنعة كانت وسيلة ذيوعه بين الجماهير العريضة هى الرواية الشفاهية . «لأن القاص الذى يلقى قصة على جماعةمن الناس يميل الى التزويق ، واستغلال الفنون الأدبية يجعلها معتمداً له فى التاثير على أسماع الناس وأنفسهم» .

فشروط البلاغة فى النقد العربى القديم مأخوذة من الخطابة ، «فالنثر العربى فن إلقائى يقوم على المواجهة المباشرة. وقد استغل القصاص هذه القابلية عند السامعين فى أكثر الأحيان وحلت القصص فى المساجد محل الخطب والمواعظفى العصور المتأخرة .. واختلطت مقاصد القصاص دون تمييز. لكن الاستعانة بوسيلة الاجتذاب المباشر كانت عامة يفهمها الناس ويتأثرون بها . ولذلك حين جاء «الحريرى» بمقاماته فى القرن الخامس الهجرى ، أثارت تلك المقامات ريبة معاصريه ، فنفوا نسبتها اليه ... لأنه جاء بفنون غريبة على الذوق الأدبى العام . ومن أهم هذه الفنون اعتماده على الصنعة الكتابية . وأعنى بذلك أن جزءاً كبيراً من صنعته التى تعتمد على الاعجام والاهمال للحروف لا تدركها الأذن عند سماعها لأول وهلة ، بل تلتفت اليها حين تراها العين مكتوبة أمامها . وأظن أن الأمر الذى دعا الحريرى الى هذا ـ فضلا عن غاية تعليمية واضحة ـ هو شيوع فن الكتابة بين الناس» . ورغم معرفة كثير من رواة القصة فىتراثنا العربى القراءة والكتابة ، وانهم استعانوا بهما لتدوين الأحاديث والأقوال ، وان بعضهم خلف مقداراً كبيراً من الصحف المكتوبة . ومع ذلك يغلب على الرواية المنقولة عنهم طابع النقل الشفوى ، وذلك للأهمية التى تتمتع بها الرواية الشفوية فى المجتمع الاسلامى فى نقل ودراسة جميع العلوم الاسلامية ، حتى بعد عصر التدوين ونشاطه إذ بقيت الرواية الشفوية هى الغالبة على مناهج البحث والتأليف عند العلماء المسلمين ، وهى الطريقة الغالبة على علماء الحديث خاصة . ولذلك فتوثيق الرواية يتاتى من اسنادها الى المتقدمين من أوائل المسلمين . وهذا الأمر يفسر ظاهرة استعانة القصاص المتاخرين بالاسانيد الاسلامية المعروفة فى العلم الحديث لتوثيق رواياتهم فى نظر المجتمع الاسلامى ، وهذا ما قام به قصاصون مشهورون ، كمقاتل بن سليمان والكلبى وابنه وغيرهم .

على ضوء هذا الفهم وفى حدوده عرف العرب القصة ابتداء من «القصة ـ التاريخ» أو «القصة ـ الواقع» ، وهو القصص الذى قد يكون له أصل تاريخى ثم حذف الراوى منه وأضاف اليه بحيث نقله مما وقع الى ما يحتمل أن يقع أى من التاريخ الى الفن ،وذلك على نحو ما نجد فيما يعرف فى أدبنا العربى بقصص الحب العذرى ، حتى «القصة ـ

الشيخ عبد العزيز البشرى



الفانتازيا» التى تتجاوز الحدود الزمنية والمكانية وتذوب الفواصل بين العالم المرئى واللامرئى وتزدحم بعالم الجن والسحر والأماكن الموصودة والطلسمات، وقضية حدوثها أو عدم حدوثها خارجة عن اهتمام السامع أو القارىء .

وهكذا عرف تراثنا شتى أنواع القصص التى اختلفت سواء فى موضوعها أو شكلها ، كالقصة الدينية وقصص الحيوان والأمثال النوادر والمقامات والقصة الفلسفية والقصص والسير الشعبية .

بل لقد عرف تراثنا المجموعات القصصية التى تمتاز عن مجموعاتنا المعاصرة بأنها كانت تندرج تحت موضوع واحد مثل كتاب «البخلاء» للجاحظ (المولود عام ١٦٠ هجرية والمتوفى عام ٢٥٥ هـ .) والمكافأة وحسن العقبى لأحمد بن يوسف (المتوفى عام ٣٣٩ هـ) والفرج بعد الشدة للتنوخى (المولود عام ٣٢٧ هـ . والمتوفى عام ٣٨٤ هـ .) ومصارع العشاق لابن السراج (المولود عام ٤١٧ هـ . والمتوفى عام ٥٠٠ هـ .) بل ان بعض هذه الكتب مبوب يجمع فى كل باب مجموعة قصصية تحت موضوع واحد أكثر تحديداً . فأحمد بن يوسف الذى كان كاتباً فى خدمة الطولونيين بمصر ينقسم كتابه الى ثلاثة أبواب : المكافأة على الحسن ، فالمكافأة على القبيح ، وأخيراً حسن العقبى .

فان لم تكن القصص تندرج تحت موضوع واحد فقد حرص مؤلفوها أو جامعوها على أن يربطوا بينها برباط فنى فيما عرف بلسم : القصة الاطار ، على نحو ما نجد فى قصص ألف ليلة وليلة التى كانت ترويها شهرزاد للملك شهريار تأجيلا لموتها ، وعلى نحو قصة دبشليم الملك وبيديا الفيلسوف التى انبثقت منها قصص كليلة ودمنة .

وهناك طريقة ثالثة للجمع بين مجموعة من القصص نجدها فى ألف ليلة وليلة أيضاً ، تلك هى طريقة القصص المتداخلة أى رواية قصة من داخل قصة .

وهكذا نجد أن العرب لم يعرفوا القصة فحسب ، بل عرفوا المجموعات



عبد الله بن المقفع



الجاحظ



أحمد أمين

● عند ما تمكن الوجدان العربي من تمثل الأشكال وصهرها في بوتقته الحضارية

القصصية وحرصوا على أن يبرروا وجودها معاً ، مرة عن طريق الموضوع الواحد ، ومرة عن طريق القصة الاطار ، ومرة ثالثة عن طريق التداخل .

التفاعل بين الشرق والغرب

وليست أهمية هذا التراث أن نعترف فحسب بوجوده وتنوعه وخصوبته ، بل أيضاً فيما تركه من أثر فى كل من القصص الأوربى والقصص العربى الحديث . أما عن تأثر الأدب الأوربى بالقصة العربية القديمة فقد اعترف به المستشرقون قبل أن يخوض فيه باحثونا، فتأثرهم بألف ليلة وليلة وبالمقامات وبقصة حى بن يقظان أصبح من تكرار القول الخوض فيه .

أما فيما يتصل بمدى أثر هذا القصص فى القصة العربية الحديثة ، فان المتتبع لبداياتنا القصصية فى نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يلاحظ وجود تيارين : تيار اتصل بهذا التراث وتأثر به ،وآخر لم يلتفت الى هذا التراث لأن أصحابه لم يدرسوا الأدب العربى ، وحتى الذين ألموا بهذا الأدب كان أكثرهم لا علم له بالقصة العربية فى عصورها الماضية لأنها كانت مستبعدة فى الدراسة التقليدية . ويمكن القول ان التيار الأول يمثله فى مصر المويلحى والمنفلوطى ، وهما يتفقان فى الشكل والمضمون من جانب ويختلفان فيهما أيضاً من جانب آخر . فقد كان كلاهما معتزاً بالشكل اللغوى والأسلوب العربى كما كانا متأثرين بدعوة الاصلاح التى أثارها جمال الدين الأفغانى وحمل رسالتها تلاميذه من بعده . وهما يختلفان بعد ذلك ، فالمويلحى يأخذ شكل المقامة ، والمنفلوطى يسترسل متحرراً من قيود السجع . ويسلك المويلحى الدعوة الاصلاحية بنقد المجتمع مغلباً جانب العقل على جانب العاطفة ، فكان أقرب الى الواقعية من حيث المضمون ، أما المنفلوطى فقد أخذ الجانب العاطفى المفرط وأوغل فى رومانسية العصر الآتية من الغرب . أما التيار الآخر المتأثر بالغرب فقد انتظم فيه صف طويل يبدأ بمحمد تيمور وأخيه محمود تيمور . وكان تأثر هؤلاء بالآداب الأجنبية .

ومع أن التيار الأول قد بدا انه توقف ، إلا أنه فى الواقع قد أخذ يتسرب بحيث أننا نجد فى النهاية كتاباً مثل توفيق الحكيم وعلي أحمد باكثير ومحمد فريد أبو حديد وفاروق خورشيد وعباس خضر .. الخ يستلهمون تراثنا القصصى ليصيغوه فى قالب القصة المعاصرة .

فالعرب عرفوا القصة فى مرحلة ما قبل عصر المطبعة ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الشعوب . وقد تفاوتت هذه الأشكال ما بين القصر الذى لا يتجاوز روايته دقائق كما فى النادرة والطول الذى قد تستغرق روايته أمسيات تمتد شهوراً كما فى السير الشعبية . كما تفاوتت هذه الأشكال ما بين ابداع عربى خالص على نحو ما نجد فى المقامات ، وتأثر بما أبدعته شعوب أخرى ، وإن كان الوجدان العربى قد تمكن من تمثل هذه الأشكال المنقولة وصهرها فى بوتقته الحضارية بحيث يصبح بدوره ابداعاً أو ما هو أقرب الى الابداع . فالفكر العربى فكر خصب متنوع ، وليس الابداع القصصى ـ على المستويين الفردى والجماعى ، الفصيح والعامى ـ إلا رافد من روافده المتعددة .

يوسف الشارونى

أعرابية على قبر زوجها

قال الأصمعي : دخلت على بعض مقابر الأعراب ، ومعى صاحب لى ، فاذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوت شجى ، فالتفت إلى صاحبى ، فقلت : هل رأيت أعجب من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبنى أراه .

ثم قلت : يا هذه ، إنى أراك حزينة وما عليك زى الحزن ، فانشدت تقول :

فان تسألانى فيم حزنى ؟ فاننى رهينة هذا القبر يا فتيان
وإنى لأستحييه والتراب بيننا كما كنت أستحييه حيث يرانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر ، يا من كان ينعم بى بالا ، ويكثر فى الدنيا مواساتى

قد زرت قبرك فى حليى وفى حللى كاننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه أن قد تسر به من بعض هيئاتى
فمن رآنى رأى عبرى مولهة عجيبة الزى تبكى بين أموات

من قصص العرب

أجرى الحوار:
بابكر عيسى

حوار مع: جمال محمد أحمد

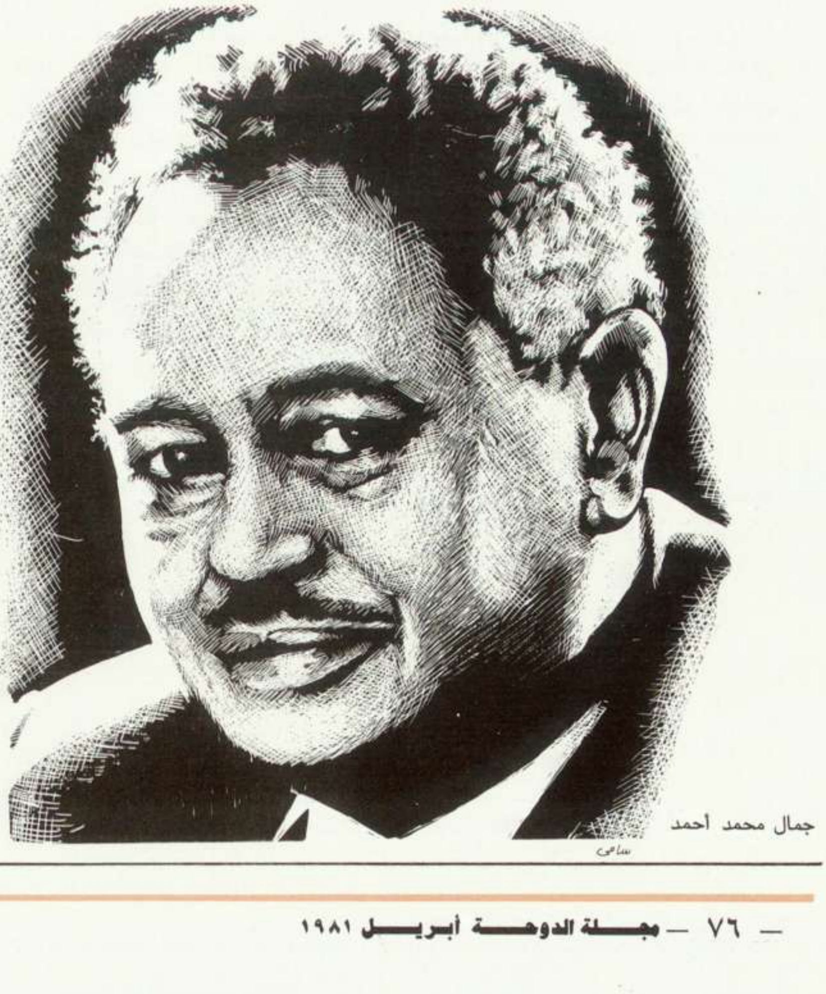
هل هناك صراع بين العروبة والنزعة الإفريقية؟

«اللقاء العربى الأفريقى عودة لمسار التاريخ فى القارة فى معنى من المعانى، عودة لصراع العبقرية العربية ضد الفتوه الأوربية والعلوم الجديدة فيها، والطموح الذى عم أوربا بعد أن جلست على قمة الدنيا بعد الثورة الصناعية، واستطاعت أن تفصم العرى بين العرب والأفريقيين بالسيف والنار تارة، والحيلة الواسعة تارة. خلا لها الجو فى الأندلس الأفريقية كما خلا لها فى الأندلس الأوربية.. بين أوربا المعاصرة فى الغرب وبين العرب المعاصرين ثارات فى القارة الأفريقية، وقلة قليلة من العرب والأفريقيين تلك التى تعرف كيف اقحمت أوروبا نفسها على العرب والأفريقيين وكانوا جماعة متالفة اكثر الأحيان، انتفعت أوروبا وابنتها أمريكا بقطع الذى كان بين العرب والأفريقيين، من تزاوج وتراحم وتجارة. حلت أوروبا وابنتها أمريكا محل العرب بالنار والدهاء على خلاف بين العلائق الأوربية الأفريقية، والعلائق العربية الأفريقية».

وكان الوقت مساء، حملت أوراقى وحزمة أشواق قديمة، وجلست إليه فى منزله بامتداد الخرطوم، كان على موعد مع رحلة جديدة وهى امتداد لحالة التجوال الدائم التى يعيشها والتى أورثه إياها عمله الدبلوماسى لسنوات وتبوؤه لمنصب وزير للخارجية لمدة من الزمن، جاب خلالها العالم شرقاً وغرباً، عربياً وأفريقياً.. وخلال ذلك ازداد اهتمامه بالقضايا الانسانية والقضايا العربية الأفريقية على وجه التحديد.

استعرت بعض كلماته وأنا أقول: استاذ جمال محمد أحمد: الحس والاقتدار شقا مقص لا يغنيك شق عن الآخر. معاً يقطعان الطريق، على انفراد يعجزان.. ولقد أخذت أنت هذا السبيل وهو أقرب لسبيل الروائى يختار شخوصه ومواقفهم وأحزانهم وأفراحهم فى فترة فى التاريخ أو فترات، أقرب لسبيل نجيب محفوظ فى بعض آثاره، وسبيل ركس وارنر فى كل آثاره.. احترمت الحقائق والقرارات والحوار والمذاهب السياسية ولكنك لم تعدها العنصر الأول فى الذى نعمل والذى لا نعمل، فى الذى نحب والذى لا نحب، أخذتها أغطية قبلها الناس على مر السنين، كيلا تبين شهواتهم عارية لقاء بعضها البعض، حين تصطدم، وجنب بعضها البعض حين تلتقى.

وما سعيت به إليك أن تحدثنى عن جرح أفريقيا، وعن الحوار الذى بدأ وانقطع بين العالمين العربى والأفريقى، ودور الاعلام المطلوب لتعميق الروابط.. وعدم الانحياز، والفكرة البديلة عن عدم الانحياز، واخفاقات منظمة الوحدة الأفريقية.. فتماسك القارة الأفريقية يعنينا فى المنطقة العربية، وسلامتها بضع من سلامة القارة.. أمن أفريقيا بضع من أمن العرب.. وهكذا بدأ الحوار



جمال محمد أحمد

● اللقـــاء العـــربي الإفـريـــقي تصحيـــح لمســـار التـــاريـــخ

● الإســلام انــتشــر في إفريقيــا بقــوتــه الخاصــة رغــم تقصيـر المسلمين
● الأقــرب إلى طبيـــعــة الأشــيـاء أن يفكــر هــذا الجـيــل في شيء آخــر

الحوار العربى الافريقى

رغم أن العربى اليوم مرهوب لقدرته على حجب الاعانة أو ما يملك من خيرات إلا أن التفكك فى الجسم العربى الكبير لا يدعو إلى التوقير سواء فى افريقيا أو فى محيط الأسرة الدولية .. وأخشى أن يكون هذا سبباً إضافياً للاسباب الأخرى التى تجعل التعامل مع العربى عسيراً .

هناك تعاون مستمر وثابت مثلما فى المصرف العربى للتنمية فى افريقيا كما أن الصناديق العربية تقوم بانجازات كبيرة .. ورغم ذلك لا تجد كلمة ثناء واحدة على هذا العمل للعربى الكبير ، بينما نجد كلمات الثناء تنهال على أقل ما يعمل فى مواكب أخرى .. لماذا ؟ لأن البلاد الأخرى لها صلات أعمق ، والتفكك العربى يدعو إلى الحذر ، فالأفريقى الذى يريد أن يثنى على من أحسن إليه يخاف أن يغضب الآخرين .. ومن كان يظن رجلا عامر القلب طيب الاحساس نحو المواقف العربية مثل كنث كاوندا حينما يقدم كتاباً لأحد أعماله عن التعاون العربى الأفريقى يتكلم بغاية الحذر عن المقدار الذى أنجز حالياً ، ولا يستطيع أن ينطلق ، فهو يخشى إن أثنى على هذه الدولة أن يغضب الأخرى .. فالتفكك العربى لا يدعو إلى التوقير .

وأشير هنا لماذا تعثر اللقاء فى القاهرة ، ولماذا خرجت تلك المنظمات والمنشآت المرتابة ، هذا لم يكن منه مفر ، ففى النفس الأفريقية أشياء كثيرة لاتحبب إليها الانسان العربى ، وذلك من كثرة ما كتب عن تجارة الرقيق .. وأظنك تذكر القصة التى جرت وقائعها فى الجمعية التشريعية فى السودان أيام الانجليز ، فقد وقف أحد الأخوة



كنث كاوندا

الجنوبيين وكان قوى العاطفة بالوضع الموجود ، كارها للوضع القادم وهو الاستقلال .. فكان يرى الاستقلال فيما يخص الجنوبى هو استبدال سيد بسيد وقد وصفه البعض فى حينها بأنه انسان مبالغ ومسرف كما قيل عنه الكثير ..

وأنا رأيت فى ذلك الخشية التى فى نفسه من الاستقلال ، فهو لم يكن رجلا غير أمين ولا غير صادق .. فقد كان صادقا لأنه قال ما فى داخله ، ومثل هذا كان يمثل للعلاقه بين العرب والأفارقة .

فلو تيسر الوقت – والتاريخ لا يعطى كل هذه التجربة – للعربى أن يعرض نفسه اكثر عن الطريق الثقافى لتأسست علاقة أمتن ، والأفريقى يفهم عقلية العربى ، ففى ندوة الشارقة دار حديث حول أحد الأفارقة من الأصول العربية ، وكان يعمل بالتجارة فى زنجبار .. وبعد الاجتماع التقيت بأحد السفراء الأفارقة فوجدته عاتباً على أشد العتب لأننى أثنيت على هذا العربى الذى كانت محطته زنجبار والذى كان يعمل فى المنطقة الشرقية بالتجارة ويتعاون فى الأمور الادارية والحكم مع سلطان زنجبار .. وتحدث السفير الأفريقى عن هذه الشخصية الأفريقية المنحدرة من أصول عربية كما لو كان يخلو من أى صفة إلا صفة تجارة الرقيق .. فالرجل ما كان بعيداً عن هذه التجارة لكنها كانت تجارة مألوفة ، والدور العربى فى الاقليم الأفريقى ما كان أقسى ولا أعنف من الدور الأوروبى .. ولكن ليس هناك من أوضح القضية العربية للأفريقى بشكل يفهمه الأفريقى .. وقد كان الدور العربى قريباً جداً من الدور الأفريقى ذاته ، وكانوا جميعاً وسطاء بين مالك الرق وبائع الرق ، فبعض الأفارقة اشتركوا بقدر غير قليل فى تجارة الرقيق .

ورغم أن المقادير لا يمكن أن تتساوى ، حيث لا يوجد مقياس ، إلا أن الوصمة علقت فى العنق العربى .. وأتمنى هنا أن لا نكتفى بالجسور المادية لربط الاقليم العربى الأفريقى ، وانما ينبغى أن نعزز هذه الروابط بالروابط غير المادية ، مثل الروابط الثقافية والروحية .

دور الاعلام

.. الاعلام فى المنطقة العربية اعلام رسمى ... وقليل المتروك للعمل الفردى ، والاعلام الحكومى يعبر فى العادة عن وجهة نظر الحكومة سواء أكانت مصيبة أم مخطئة .. وحتى ما يقال فى المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية لا يعدو كونه كلاماً رسمياً .. ولا أبالغ قط إن قلت أن قصة عربية واحدة متقنة الكتابة تقرأ على النطاق الأفريقى أو مقالة تحدث أثراً لا تستطيع الأجهزة الرسمية أن تحدثه مهما أتقنت عملها .

ثم أن المنشآت الأوربية والأمريكية يقظة ومسنودة بأموال وتيسر البحث والعمل لكل أفريقى .

والذين يظنون أن المعاهد الاسلامية انجاز معاصر ، يضللون أنفسهم لأن



حوار مع:
جمال محمد أحمد

الأزهر مثلا والمعاهد الاسلامية الحاضرة كانت موجودة قبل العربى المعاصر ، فالأزهر عمره ألف سنة وكان يؤمه الأفارقة من دار شنقيط ومن سنار ... الخ ولقد أطلعت من كتاب قديم اسمه مطالعات افريقية أن طلاباً من ممبسا واوغندا كانوا يأتون إلى «كريم» داخل الصحراء قرب الربع الخالى يدرسون الاسلام والعلوم الاسلامية فى المعاهد الاسلامية القائمة ... واذا ظن العربى المعاصر انها من انجازه يكون غافلا ، فالعبور الأفريقى إلى داخل الصحراء المسلمة كان يتم بالقوارب عبر المحيط الهندى إلى عدن وبالاقدام إلى حضرموت وإلى داخل الصحراء إلى دار كريم ..

الاسلام فى أفريقيا

الاسلام انتشر فى القارة الأفريقية بقدرته هو وليس بعون المسلمين ، بمعنى قدرته على الحياة .. فالأفريقى وجد فى الاسلام ما نعرفه نحن من أن الاسلام دين الفطرة . كما أن الاسلام لم يغير حياة الافريقى رأساً على عقب كما أرادت المسيحية .. الاسلام هيأ نفسه بطبيعة روحه فاقبل عليه الأفريقيون بعد ذلك ، وإن كنا هنا لا ننكر دور الأخوان فى الطريقة الأحمدية وانتشارهم فى غرب أفريقيا وشرقها إلى أن جاء العهد المعاصر وهو يساعد الآن بمقدار .

وما عنيته بقوة الاسلام وقدرته .. أنه فى الوقت الذى بدأ فيه التبشير الأوربى بآلاته ومعداته وثقافاته على الاغراء والاستمالة كان الاقبال على الاسلام اكثر .. ولولا قوة الاسلام لا محى من القارة الأفريقية لأنه ظل مضطهداً لمدة ستة قرون غاية الاضطهاد من القوى المسيحية وقد كان بعض المتشددين من المبشرين المسيحيين يكتبون لأهلهم فى أوربا قائلين : صحيح أن أفريقيا تقبل على الاسلام لأنه دين المتوحشين مثلهم .. ولقد كان هؤلاء يقاومون الاسلام مقاومة عنيفة ، ولكن الاسلام بقوته الذاتية استطاع أن يبقى ويكبر ويشاع .

عدم الانحياز

عدم الانحياز سيفقد كثيراً من مزاياه ، لا لشىء فى جوهر عدم الانحياز ، انما الزمن لا يقف ، الزمن يمضى .. فكرة عدم الانحياز – لو تذكر – بدأت فى مؤتمر باندونج بطريقة الرسم ، وهى أن – يتحدث الأشخاص رسمياً فى فكرة من الأفكار ، رغم أن فكرة الحياد الايجابى كانت قائمة ، ومضى الزمن والتقت أفكار مجموعة من القادة كان لها دور بارز فى توحيد فكرة عدم الانحياز ، وهذه الأفكار ما كان يمكن أن يكون لهـا هذا الدور لولا دور القادة الذين طرحوها فى بلادهم المفردة ، فنهرو مثلا ما كان يمكن أن يكون ذا بال فى عدم الانحياز لو لم يكن فى بلده ذا مكان وكذلك ناصر لو لم تكن له مكانة فى وطنه العربى كما ان شواين لاى من صناع ربع الدنيا (الصين) .

وقد جاءت الفكرة فى فترة تاريخية كان لابد أن تكون ، وأعطت العالم الثالث الكثير من الحماية ضد التغول السياسى وقدراً مقبولا من التغول الاقتصادى – ما استطاعت الكثير فى هذا المجال – وبعد مضى ما يقرب من ثلاثين سنة تغير الحال والذى نراه الآن من عدم الانحياز هو فقط حرص الأجيال ، فثلاثين سنة هى عمر جيل حرص على أن يبقى منشآته السابقة على قيد الحياة .

والأقرب إلى طبيعة الأشياء أن يفكر هذا الجيل فى شىء آخر غير عدم الانحياز ، فريح الوفاق بين روسيا وأمريكا أصابت الناس بذعر . فقد بدأ الوفاق كحكم ثنائى على الدنيا .. لكن هذا الخوف اتضح أنه لا أساس له ، ميـزان القوى بين أمريكا والاتحاد السوفيتى إلى جانب دخول أوربا الغربية يلعب دوراً بارزاً فى السلام وبعد جيل كامل سيفكر الجيل الحالى فى شىء آخر غير عدم الانحياز .. فهل كان يخطر فى ذهن نهرو أو ناصر أو سوكارنو أن يرأس عدم الانحياز ماركسى ؟ ومن يعرف قد يقود عدم الانحياز المرة القادمة شخص من الطرف الآخر ، يمينى بمقدار ما القيادة الحالية فى شخص ماركسى .

ملامح البديل

الفكرة التى نشأت ليعالجها عدم الانحياز عولجت ، لكن بعض آثارها لازالت معنا ، بعض الأسس ستظل كما هى ، انما الفكرة القادمة ستعالج الأشياء التى استحدثت – ربما اكون ممعناً فى الخيال – إن المسائل السياسية تأتى فى المقام الثانى بينما المسائل الاقتصادية تأتى فى المقام الأول .

بالنسبة للجيل الماضى كان الاستقلال الوطنى فى المقام الأول أما الجيل الحالى فيريد أن يعطى الاستقلال الوطنى المحتوى الاقتصادى .. فالمذاهب السياسية ما عاد لها المكان الكبير ، فقد التقت المذاهب الآن حول المنفعة الاقتصادية .. ومن عبث التاريخ بالناس أن المذاهب ما عادت تحتل المكان الأول . لو تذكر فى السودان بعض ذوى البصر والحكمة وحتى فى عز العراك كانوا يقولون «التعمير قبل التحرير» – كانوا قلة – واذا استرجعنا الذاكرة الذين عملوا مظاهرات كانوا وطنيين ذوى عاطفة حسنة أما الآخرون فقد كانوا ذوى حكمة .

فالفكرة التى تعالج قضايا معينة تبدأ



نهرو



جمال عبد الناصر



شواين لاى



سوكارنو

لا أدري ماذا أصاب روح التطلع والبحث العلمي والثقافي عند العرب

فى الذبول مع علاج القضايا .

التحدى الحضارى

الكلام فى هذه النقطة يستوجب الحرص والحذر .. واتساءل بدورى «لماذا تحد حضارى للعرب» .. أفهم أن يكون هناك تحد حضارى لأمة ليس لها حضارة أما تحد حضارى للعرب فانه شىء يدعو للتساؤل .. وان عنى أحدهم الحضارة الميكانيكية المعاصرة وأن العرب لم يشاركوا فيها ، قد يكون هذا صحيحاً ، واذا قبلنا هذه الفرضية رغم اتصال أوربا بالعالم العربى وعلى مدى مائتى سنة متصلة .

وفى هذه النقطة أنا لا أمشى معك كل الطريق ، وإن كنت أقبل بالسير فيه بعض الطريق .. فالحضارة الميكانيكية الأوربية وراءها حضارة روحية قوية ، ولو لم تكن هى لما كانت تلك ، بمعنى أنه بمقدار الأثرالذى تركهنيوتن وبمقدار الأثر الذى تركه الطب فى التقدم الآلى الميكانيكى الأوربى .. بمقدار الأثر الذى تركه لوثر فى نفوس الناس ، والذى تركه داروين لا يقل أثرا عن الذى تركه ليوناردافنشى .. ولا يمكن القول بهذا التقسيم أن تلك حضارة ميكانيكية ونحن أهل الروح فقط ، والحضارة العربية مسنودة بفكرة الروح والامكانات .. وهناك ارث حضارى موجود ـ ليس منكورا بأن العرب لهم دور مؤثر .

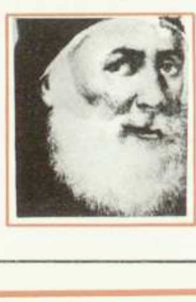
وإن كان ثمة حديث عن أن المجتمعات العربية ، مجتمعات استهلاكية عجزت أن تعطى الانسانية شيئاً جديداً .. فأراه فى أن الصلة بين أوروبا المعاصرة وبين المنطقة العربية تعود لزمن بعيد .. التواصل الحضارى كان قائماً عبر الارساليات التى كانت منتشرة فى لبنان وبعض بلاد الشام من أمريكا ، والبعثات التى بدأت فى عهد محمد على .. ولكن ماذا حدث ؟ لماذا لم يأخذ العربى هذه الفنون والعلوم على نحو يعينه وان يكون على مقدار حضارته ، التى أقعدتها فترات الضعف العربى الذى كان موجوداً ، ليتواصل الضعف ، لماذا ؟ ..

والآن هل يعمل شىء لتدارك هذا ؟ الجامعات الأوروبية والأمريكية ملئى بالشباب العربى ، والمنطقة العربية فيها جامعات ليست قليلة ويتخرج منها الكثير .. ولكن أخاف أحياناً أن المحصول النهائى ليس بمقدار الجهد المبذول ، الحصيلة قليلة .

هذه الأيام فرغت من ترجمة كتاب عن التغيير الأفريقى والعنصر الانسانى ودوره فى التغيير الأفريقى .. وبصدد كتابة مقدمة ، ومن الأشياء التى أديرها الآن فى ذهنى أن أجد الكلمات المناسبة لتعبر عما لمسته فى الكاتب «ميلفون هيرسكوفتش» مؤلف الكتاب وهو بروفسير كان يدرس فى جامعتى شيكاغو وكولمبيا .. هذا الكاتب لم يكتب هذا الكتاب وهو جالس فى مكتبه ، طوف القارة الأفريقية أربعين سنة .. وعندنا قليل الذى يذهب ويرى ويكتشف .. وأنا متأثر بهذه الفكرة ، فالشخص لا يمكن أن يحدث أى أثر فكرى وثقافى وهو جالس فى مكتبه .. والفكرة قديمة فالمعسودى ما كتب «مروج الذهب» وهو قابع فى بغداد أو البصرة .. فروح التطلع والطموح العلمى والثقافى كانت فى العرب ، ولا أدرى ماذا أصابها ؟



نيوتن



محمد على

منظمة الوحدة الأفريقية

هذه المنظمة واجهت عقبات كثيرة ، وعجزت فى ايجاد أجوبة لكثير من الأسئلة الأفريقية المطروحة .. والشىء الذى لا يغيب عن ذهنى كلما فكرت فى المنظمة هو أن عمرها صغير ، خمسة عشر عاماً .. والقضايا التى عجزت المنظمة عنها ليست قضايا سهلة وانما هى شديدة التعقيد ، والمشاكل التى تواجهها المنظمة مثل ما حدث بين اوغندا وتنزانيا والصحراء الغربية وغيرها .

ولا أعتقد أن فى ميثاق منظمة الوحدة الأفريقية ما يستدعى العجلة فى التغيير .. الشىء الوحيد الذى يتمناه المرء على المنظمة هو أن تعطى وكالات المنظمة روحاً أقوى ، فالوكالات المتخصصة للمنظمة ، الأفريقية فى القارة يمكن أن تحدث أبلغ الأثر .. خذ الأمم المتحدة التى تجمع مواهب العالم بأسره تجد أن انجازات اليونسكو والصحة العالمية أقوى واكبر من انجازات الجمعية العامة ، ولو قيل لى اليوم أن امنح كل الأموال للمنظمات المتخصصة وأن أبقى على مكتب صغير فى نيويورك لوافقت .. صحيح أن منظمة الأغذية والزراعة الدولية فى روما لا تستطيع أن تقاوم كل هذا الجوع الموجود فى العالم ، ولكن جهد المنظمة وطواف العاملين فى اماكن الجوع يطلعك على الجهد المبذول .

وأنا أسالك بدورى هل سمعت أن منظمة الوحدة الأفريقية معنية بالجوع فى أفريقيا ؟ هل سمعت وكالات الصحة معنية بصحة اللاجئين فى أفريقيا ؟ علماً بأن لأفريقيا اكبر نصيب من اللاجئين .

واعتقد أن الوكالات المتخصصة فى المنظمة الأفريقية هى التى تحتاج لرعاية فى هذا الوقت ، أما الأسس السياسية الموضوعة فى ميثاق المنظمة فانها تبدو لى على مقدار عجز الانسان المعاصر أو قدرته .

● وكان على موعد مع الطائرة التى تقله إلى باريس ، وانقطع الحوار على امل أن يستكمل فى جلسة قادمة ..

بابكر عيسى



حتى لا تسقط مريضاً من العمل

د. عبد المنعم عاشـور

إدمان العمل هو أن تظل تعمل وتعمل، وتعجز عن الراحة حتى تسقط مريضاً أو ميتاً .

وإدمان العمل ظاهرة مرضية فى غاية الخطورة على الفرد وعلى المجتمع . لأن مدمن العمل يقل انتاجه ، ويكثر شقاؤه ، ويقصر عمره .

وكما يعيب أى مجتمع ارتفاع نسبة البطالة فيه ، يعيبه ارتفاع نسبة مدمنى العمل ، ولذلك فان الذى يصلح للفرد وللمجتمع ، هو العمل المخطط الذى يراعى الاحتياجات والامكانيات ، ويقوم العمل فيه على اسس علمية ..

والخط الفاصل بين العمل الجاد ، وادمان العمل واضح ودقيق . فالعمل الجاد الصحى ينتهي بحالة من الاشباع النفسى ، يعقبها القدرة على الاسترخاء ، والاستمتاع بالفراغ أو اللعب ، أما مدمن العمل فلا يشبع ، وتزداد حاجته الى مزيد من العمل يوماً بعد يوم ، ويعجز عن الاستمتاع بالفراغ والراحة ، وتظهر عليه علامات الحرمان من تعاطى العمل إذا أجبرته الظروف على الانقطاع عن العمل .

هل يشبه الادمان على العمل الادمان على الكحول أو المخدر أو التدخين ؟ .. نعم الى حد كبير !

ففى جميع حالات الادمان نجد الاستعداد البيولوجى الموروث ، ونجد العوامل النفسية والاجتماعية المكتسبة على حد سواء ..

دوافع العمل

العمل هو الوسيلة الأساسية لاشباع الدوافع المختلفة ، ولذلك يعمل جميع الناس مهما اختلفت دوافعهم .

والمفروض أن العمل ينتهى باشباع الدافع ، فاذا كنت تعمل لكى تأكل وتلبس وتتزوج ، فانك ستعمل حتى تشبع وتكتسى وتقر عينك ..

واذا كنت تعمل لكى ترد عدواً فسينتهى عملك بشعورك بالأمان . وهذه أمثلة للعمل ، اشباعاً للدوافع المخفضة للتوتر ، أى أنك تظل متوتراً حتى تلبى حاجتك ، فينخفض توترك ويقف سعيك .

وهناك نوع آخر من الدوافع يتلو ذلك ، فبعد أن تأكل وتشرب وتأمن وتحب ، وينخفض توترك ، تصحو فى نفسك دوافع أخرى تتطلب رفع التوتر ، مثل الدوافع الى الاستكشاف والاستطلاع والعبث بما حولك ..

وهذه الدوافع يشبعها العمل فى مجالات السفر والاختراع والابتكار ، ولا يتوقف العمل هنا حتى تصبح فى حالة عالية من التوتر .

وهناك نوع ثالث من الدوافع حار العلماء فى فهمه ، فلا هو يخفض التوتر . ولا هو يرفعه !

فقد لوحظ أن الانسان والحيوان يمارسان نوعاً من تنبيه الذات بلا حاجة ظاهرة ، حيث يظل الانسان الكائن يعمل لينبه نفسه ويظل منتبهاً منتشياً حتى يسقط صريعاً أو مغشياً عليه .

فهل يمكن أن نفسر سلوك إدمان العمل من هذا المنطلق ؟

وهل يبدأ الادمان كسلوك مقصود به تلبية حاجة من الحاجات الثلاث المشار اليها ، وهى تخفيض التوتر ، ورفع التوتر وتنبيه الذات ؟

والاجابة على ذلك صعبة للغاية ، فان مدمن العمل يستمر فى العمل بعد اشباع حاجاته ، تماماً وزيادة ، ومدمن العمل يستمر فى العمل حتى ضد حاجاته الأساسية ، فقد يلهيه العمل عن تناول الطعام أو ممارسة الحب ، أو حتى النوم .

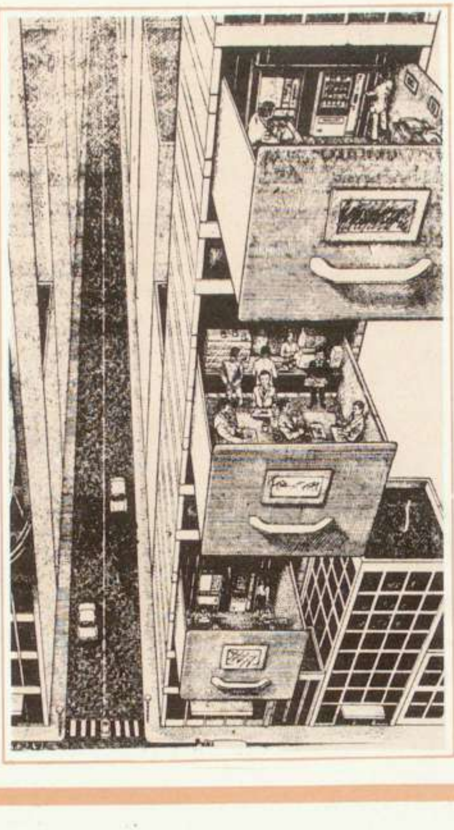
تفسير إدمان العمل

ولابد من وجود عامل آخر لتفسير إدمان العمل ..

ففى بعض حالات ادمان العمل يبدو أثر الشخصية المرضية واضحاً .

فهناك الشخصية القهرية التى تتسم بالجمود والتصلب والتردد والتكرار ، ويكون التوتر النفسى عالياً بصورة مرضية ، ويحتاج الشخص لعمل شيء ما لتخفيض هذا التوتر المتجدد ، فيظل يغسل يديه أو يراجع حساباته ، أو يعد نقوده بلا قدرة على التوقف حتى يجهد تماماً ، وهو غالباً ما يعرف سخف ما يفعل ، ولكنه عاجز عن السيطرة على أفكاره المريضة .

ومن أصحاب هذه الشخصية القهرية بعض مدمنى العمل ، وهم مدفوعون من الداخل الى العمل لتخفيض نوع من



التوتر المرضى لا ينخفض إلا بالعمل وحده .

فتجدهم أشقياء يعانون لأنهم يودون لو يستطيعون الراحة ، ويرفضون أى بديل عن العمل لتخفيض التوتر ، ويعانى من يعمل معهم زميلا ، أو رئيساً أو مرءوساً ، فانهم يحاولون دفع عجلة العمل حولهم لتسير مع معدلهم العالى . ويختلف مستوى الجودة فى أدائهم بطريقة متناقضة ، فهم أحياناً ينتجون انتاجاً فى قمة الجودة لاهتمامهم بالكمال وأحياناً يتعثر انتاجهم لغرقهم فى التفاصيل !

وأصحاب هذه الشخصية أكثر من غيرهم تعرضاً للاكتئاب ، وهم فى حالات الاكتئاب يكونون أكثر توتراً ، ويكونون عاجزين عن العمل ، ولكنهم لا يعترفون ، فلا يلجأون الى الطبيب ولا يأوون الى فراشهم إلا بصعوبة ، ويستعجلون الشفاء حتى يعودوا الى أعمالهم !

وهناك مدمنو عمل هم فى الحقيقة ضحايا لظروف اجتماعية خبيثة ، مثلهم مثل أولئك الذين يعيشون تحت ظروف اجتماعية قاسية لا مهرب منها إلا بالغيبوبة !

العمل حتى الموت

وهناك نوع من اضطراب الشخصية يؤدى الى ادمان العمل ، وهو ما يطلق عليه اجرائياً الشخصية (ألف) ، ولتفسير ذلك أقول :

راقب نفسك أو من حولك ، فاذا وجدت شخصاً يعمل عملين أو ثلاثة فى وقت واحد ، كأن يأكل ويقرأ ويتحدث فى نفس الوقت ويسير فى الطريق هرولة ، بينما يسير الناس مشياً ، ويدخل فى تنافس مع نفسه بحيث لا يرضى عن أى شيء أنجزه ، فهذا هو الشخصية (ألف) .. وهو أكثر الناس تعرضاً لمرض شرايين القلب ، وغالباً ما ينقطع إدمانه على العمل بانتقاله الى المستشفى أو الموت فجأة وهو على مكتبه !

وهذا النوع من الشخصية منتشر بين المديرين والوزراء وكبار الأطباء والصحفيين .. وهذه الشخصيات مفيدة للمجتمع لو أحسنت رعايتها ، ولكنها لو

حتى لاتسقط
مريضا من العمل

تركت لادمانها للعمل تقطف زهورها قبل الأوان ، ويقل اسهامها فى خدمة المجتمع.
وقد بدأت المؤسسات فى الدول المتقدمة تنتبه الى هذه المشكلة ، وقامت بعمل برامج لمواجهتها ، فهم يدرسون شخصية العاملين ويفرزون أصحاب الشخصية «أ» ويخضعونهم لبرامج رعاية صحية وترويحية منظمة باعتبارهم ثروة قومية .



نماذج لادمان العمل

ومنها الرجل الذى يعمل باستمرار حتى لا يعود الى المنزل إلا وقد نامت زوجته المشاكسة ، فضاً للاشتباك !
ومن أمثلة ذلك المرأة ذات العجز العاطفى ، التى تعمل باستمرار هرباً من عواطفها .
وهناك أنواع من الأعمال خائنة ومخادعة ، توهمك بأنها تشبع حاجاتك ، وهى فى الحقيقة تطعمك وهماً ، وتسقيك سراباً ، فتظل تعمل وتعمل ، ولا خيار لك ، وقد لا تكتشف ذلك قبل أن تصبح مدمناً ، ومن أمثلتها الفن والأدب .
وهناك مجتمعات يختل فيها ميزان الأخذ والعطاء ، فنجد أناساً بلا عمل ، ويظل أناس يعملون ، وكأن حظهم فى الحياة هو العمل فقط . ويصبح إدمانهم للعمل هو الغيبوبة التى يهربون اليها .

حول العلاج الناجح

وإذا تساءلنا .. وماذا عن العلاج ؟ وللاجابة على ذلك نقول ، إن كل حالة ادمان عمل تحتاج الى دراسة كاملة لبيان العوامل المختلفة لبداية حالة الادمان ، والتى دفعت بالادمان الى الاستمرار ، وقد تحتاج بعض الحالات الى علاج نفسى واجتماعى متخصص .

ولكننا ندعو الى زيادة الوعى بالمشكلة ، فقد تكتشف فى نفسك اصابة بادمان العمل ، أو تكتشفها فيمن حولك .
وكما سبق أن أشرنا فان مدمن العمل قد يكون على دراية وبصيرة بحالته ، فيطلب العلاج ، أو على الأقل يتعاون إذا قدم اليه النصح . وقد يكون فاقد البصيرة تماماً ، عاجزاً عن تقدير خطورة حالته ، ولا يقبل المساعدة .
وفى جميع الأحوال يتحتم على الطبيب المعالج أن يراقب الحالة جيداً ، فقد يكون ادمان العمل مقترناً بأمراض نفسية أخرى ، أو يخفى تحته أمراضاً أخرى !
ونظراً لتلك النهضة التى يشهدها عالمنا العربى فى علم الادارة فاننا نطمح أن يدرج ادمان العمل ضمن مشاكل العاملين الصحية ، ونحن فى حاجة الى مزيد من البحث العلمى للوقوف على أسرار هذه المشكلة الخطيرة ، فان كثيراً من علمائنا ووزرائنا ومفكرينا يسقطون صرعى لادمانهم العمل ، ونحن لازلنا أمة فقيرة ، نحتاج الى هذا النوع من الرجال ، والذين يحتاج الأمر لسنوات طويلة لاعدادهم وتجهيزهم لكى يعطوا لأمتهم من فكرهم وعملهم .

إن عدم اهتمامنا بمشاكلهم الصحية والنفسية ، ومن ضمنها ادمان العمل ، هو من أسباب هجرة البعض منهم الى البلاد المتقدمة ، حيث يعتنى بالانسان قبل الآلة !

أما عزائى لمدمنى العمل فى العالم العربى المعاصر ، فهو أننى واحد منهم ، ولكننى نجحت فى أن استرخى اليوم بلا عمل ، لأكتب هذا المقال !

د. عبد المنعم عاشور

دعانى من هو خير منك !

حج الحجاج فنزل ببعض المياه ودعا بالغداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغدى معى واساله عن بعض الأمر ، فنظر الحاجب فاذا هو بأعرابى نائم فضربه برجله وقال : ائت الأمير . فأتاه فقال له الحجاج : اغسل يدك وتغد معى . قال إنه دعانى من هو خير منك فأجبته ، فقال الحجاج من الذى دعاك ! قال : الله تعالى دعانى للصوم فصمت قال : فى هذا اليوم الحار . قال : نعم ، صمت ليوم أحر منه ، قال : فافطر وتصوم غداً ، قال : إن ضمنت لى البقاء إلى الغد ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسالنى عاجلا بآجل لاتقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخباز ، ولكن طيبته العافية !

من قصص العرب

د. عبد السلام العجيلي

انتقام الأطباء

كانا صديقين للطبيب ، ومدعوين الى الغداء على مائدته . إلا أن هذا وذاك لم يمنعاهما من أن يجعلا حديثهما المتبادل مع مضيفهما ، فى انتظار تهيئة مائدة الطعام ، تهكماً لاذعاً على الطب ، مهنة هذا المضيف ، ونقداً ساخراً على الأطباء زملائه . سأله أولهما ، وهو مدير لاحدى مؤسسات القطاع العام ، دأبه التنقل بين العاصمة وبلدان أوروبا المختلفة فى شئون مؤسسته :

– هل تعرف آكسيل مونتى ؟

أجاب الطبيب : ليس هذا الاسم غريباً علي . هل هو مغن ؟

فضحك المدير ، وقال : بل هو زميل لك يا دكتور . أنا كذلك لم أكن أعرفه ، ولكن لا أحد يلومنى على هذا . عرفته فقط منذ أسابيع قليلة حين اشتريت أحد كتبه من محطة سان لازار فى باريس وأنا فى طريقى من تلك المدينة الى المانيا . نعم أحد كتبه ... فهو طبيب حقاً ولكنه فى الوقت نفسه كاتب .

قال الطبيب : الآن تذكرت . آكسيل مونتى ... طبيب سويدى عاش فى فرنسا فى أوائل هذا القرن ...

قال المدير : صحيح . عاش فى فرنسا وفى انكلترا وفى السويد ، وفى جزيرة كابرى فى ايطاليا بصورة خاصة . ليس المهم هذا . المهم ان كتابه أعجبنى حتى أنى لم أشعر بطول المسافة التى قطعها بى القطار بين باريس وبون . وأعجبنى هو حين صدق حكمى على الأطباء فاعترف بأنهم ليسوا كما يتظاهرون تجرداً ونزاهة ، وسموا على الشهوات ، فى ممارسة مهنتهم .. فهم لا يتورعون عن تسخير ما تتيحه لهم هذه المهنة من مميزات فى قضاء مآربهم التى هى ليست دوماً فوق الشبهات .

قال الطبيب : وهل يقـول زميلى السويدى كل هذا فى كتابه ؟

قال المدير : خذ منى ، مختصرة ، هذه الحكاية التى يرويها هو بنفسه عن نفسه . احدى المترددات على عيادته فى باريس كونتيس جميلة وشابة زوجة كونت ثرى وكهل . كانت تلك الكونتيس مريضة بالوهم ، فكسب رضاها بأن صدق لها أوهامها وقال لها بأنه على خلاف الأطباء الآخرين الذين كانوا يصفون شكاويها بأنها شكاوى متخيلة ، قال لها انها مريضة حقاً وانها مصابة بالكوليت . والكوليت ، أو التهاب الكولون ، كان الداء الموضة فى تلك الأيام . أصبح آكسيل مونتى بهذا موضع ثقة الكونتيس ثم صديقاً للكونت ، حتى انهما دعواه الى قضاء اجازته الصيفية فى قصرهما الريفى خارج باريس . ومما أورده ذلك الطبيب الأديب فى صفحات كتابه ندرك أن ما أغراه بقبول تلك الدعوة لم يكن غرامه بريف فرنسا بل تعلقه بمريضته الفاتنة الحسن ، التى غرست فيها كهولة زوجها وانشغاله بادارة أملاكه الواسعة تلك الأمراض الوهمية . ربما وجدت يا عزيزى لزميلك عذراً فى ايهامـــه الكونتيس بأنها مصابة بالكوليت ، بأن تقول ان هذه طريقة ناجعة لمداواة المرضى بالوهم . وربما وجدت له عذره كذلك فى افتتانه بجمال تلك الامرأة بأن تقول ان الاطباء بشر لهم عيونهم التى ترى وقلوبهم التى تخفق . ولكن ماذا تقول فى تصرفات زميلك فى أثناء اقامته فى قصر الكونت خلال تلك الاجازة ؟

فتساءل الطبيب : وما هى تلك التصرفات ؟ أنا لم أقرأ كتاب آكسيل مونتى الذى تتحدث عنه ...

قال المدير : إذن فأنا أخبرك . بينما كان صاحبنا مستمتعاً بنزهاته المسائية تحت ضياء القمر فى حدائق القصر وفى صحبة الكونتيس الجميلة ، جاء من يفسد عليه نزهاته وخلواته . كان القادم ضابط شاب ، يختال فى بزته العسكرية ويتشدق مفتخراً بمهارته فى الرماية وبأنه قادر على اصابة عين عصفور بمسدسه من بعد خمسين متراً . ذلك هو الفيكونت موريس أحد أقرباء الكونتيس وأحد المتيمين بجمالها والطامعين بنيل

انتقام الأطباء

الحظوة منها . أفسد هذا الضابط النبيل الوسيم بمجيئه اجازة طبيبنا العاشق وأثار غيرته ، فماذا تراه يفعل ؟ هداه تفكيره الى أن يستغل حرص الفيكونت على صحته فيوهمه ، كذلك ، بأنه مصاب بهذا الداء الارستقراطى .. الكوليت ! وكان زميلك من الذكاء بأنه لم يتول بنفسه ايهام غريمه بهذا ، بل انه أوحى بذلك الى طبيب العائلة الريفى الذى سره أن يكتشف فى ريفه النائى إصابة بهذا الداء الذى لا يصيب إلا عليه القوم فى باريس العاصمة ...

ابتسم الطبيب لما سمعه من المدير وقال : زميل ماكر ولا شك .. انى أحيي ذكراه بكل تقدير ...

تابع المدير قائلا : ولو تعرف أية معالجة فرضها الطبيب الريفى ، باشارة من أكسيل مونتى بالطبع ، على الضابط المسكين ! كان هذا المسكين يتهيأ لدخول مباراة فى الرماية واثقاً من أنه سيخرج منها بلقب الرامى فى الجيش ذلك العام . إلا أن الطبيبين فرضا عليه ملازمة الفراش لثلاثة أيام متتالية ، وعلى رأسه كيس ثلج وعلى بطنه لصقة خردل ملتهبة . وحين أراد الفيكونت أن ينهض من فراشه بعد انتهاء الأيام الثلاثة ، وفى يوم المباراة ، أوحى أكسيل مونتى الى الطبيب الريفى أن يمنعه بشدة من ذلك ، وأن يلزمه سريره أياماً ثلاثة أخرى يبدل فيها المعالجة بأن يضع لصقة الخردل الملتهبة على الرأس وكيس الثلج على البطن ...

وهنا لم يملك الطبيب نفسه عن الضحك ، متصوراً الفيكونت المسكين تطبق عليه هذه المعالجة التى لم ترد فى أى مرجع طبى . وأضاف المدير :

ـ بالطبع أنت تضحك . احسبنى دللتك الى طريقة جديدة للانتقام من غرمائك ، أو من العذال الذين يحاولون التلصص على مشاكلك العاطفية . وتقولون انكم اقسمتم قسم ابقراط على أنكم لا تمدون أبصاركم الى نساء البيوت التى تدخلونها كمعالجين ، ولا تستخدمون فنكم فى تحقيق غاياتكم المادية ومصالحكم الشخصية ! ... كلكم فى الهوا سوا يا معاشر الدكاترة ...

وهنا تدخل فى الحديث الصديق الآخر ، وهو مدرس أدب متقاعد ، انصرف منذ تركه وظيفته الى قراءة الكتب العربية القديمة ، الكتب الصفر كما يسمونها ، مشتركاً فى تحقيق بعض مخطوطاتها . قال مخاطباً المدير :

ـ أنا معك فى أن كل سادتنا الدكاترة فى الهوا ، أو فى الهوى سوا . عندى مصداق على ذلك حكاية طبيب آخر ، هو جبرائيل بن بختيشوع .

قال المدير متسائلا : الدكتور جبرائيل هذا من يكون ؟ لم أسمع باسمه قبل الآن .

قال الطبيب وقد وجدها فرصة للتندر على صديقه المدير : غريب أن لا تكون تعرفه . انه طبيب كبير الشهرة . ألم تلتق به فى أسفارك الكثيرة بين عواصم الدنيا ؟

فتابع المدرس المتقاعد كلامه متجاهلا تندر مضيفهما ، قال : انه طبيب قديم ، عاش منذ ألف ومائتى عام ، أيام بنى العباس . له حكاية رواها ابن أبى اصيبعة فى كتابه طبقات الأطباء ، تبين قدر ما عليه اخواننا الأطباء الكرام ، منذ القدم ، من حسن استغلال مهنتهم الشريفة لأغراضهم الدنيوية .. ولا أقول الدنيئة .

تساءل المدير فى لهفة : بديع .. ما هى حكاية الدكتور جبرائيل يا أستاذنا ؟

قال المدرس : الحكاية ، إذا لم أكن نسيتها ، هى ...

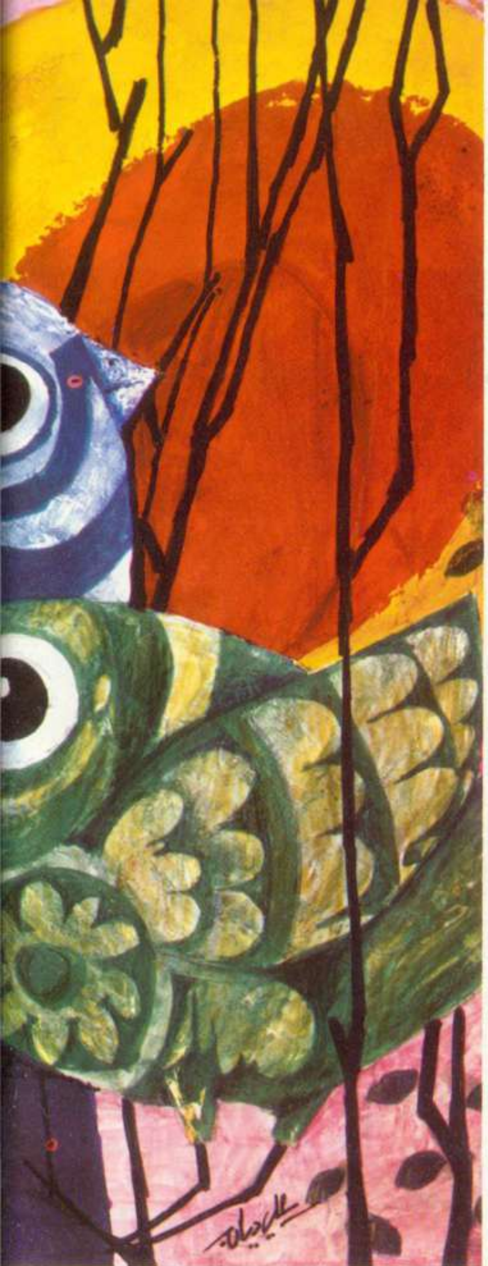
فقاطعه الطبيب قائلا : اصبر . كتاب طبقات الأطباء موجود عندى . انه مجلد كبير ومذهب . اعترف لك بأننى لم أقرأه ، ولكنه زينة حسنة لمكتبتى .

فقال المدرس متمثلا :

وفى طاقاته كتب كبار
منضدة ، ولكن ما قراها ...

ثم أضاف : إذا كان ذلك ، فاعمل معروفاً وناولنى هذا المجلد لأقرأ عليكما الحكاية بنصها ...

فتوجه الطبيب الى مكتبته ، وكانت



فى صدر البهو حيث كانوا يجلسون ، وعاد يحمل الكتاب المجلد وهو يقول :

ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء .. ابن أبي اصيبعة . هذا هو . لا بأس أن أعرف ما فعله زملائى السالفون فى باب الانتقام من الأخصام .

فتناول المدرس المتقاعد المجلد وأخذ يقلبه الى أن وقف عند صفحة بعينها ، وأخذ يقرأ لصاحبيه ما جاء فيها وفى ما يليها :

«جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس كان مشهوراً بالفضل ، جيد التصرف فى المداواة عالى الهمة ، سعيد الجد ، حظياً عند الخلفاء ، رفيع المنزلة عندهم ، وهم كثيرو الاحسان اليه . وحصل من جهتهم من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء .. ومن حكاياته معهم ما رواه فرخ الخادم المعروف بأبى خراسان مولى



رسوم : علي دياب

صالح بن الرشيد . قال كان مولاى صالح ابن الرشيد والياً على البصرة ، وكان عامله عليها ، أى وكيله ، أبو الرازى . فلما أحدث جبرائيل بن بختيشوع عمارة داره التى فى الميدان طلب من مولاى صالح أن يهدى له خمسمائة ساجة ، وهى الخشبة الطويلة المربعة التى تجلب من الهند . وكانت الساجة بثلاثة عشر ديناراً . فاستكثر مولاى ذلك وقال لجبرائيل : أما خمسمائة فلا ، ولكنى أكتب الى ابن الرازى كى يحمل اليك مائتى ساجة . قال جبرائيل : إذن فلا حاجة بى اليها . قال فرخ : فقلت لسيدى أرى أن جبرائيل قد تكدر منك وسيدبر عليك تدبيراً بغيضاً . فأجابنى بقوله : جبرائيل أهون علي من كل هين ، لأنى لا أشرب له دواء ولا أقبل منه علاجاً . وحدث بعض هذا أن مولاى صالح بن الرشيد دعا أخاه أمير المؤمنين المأمون الى زيارته ، وتهيأ لهذه الزيارة بكل ما هو أهل لدعوة الخليفة ، وتكلف لذلك بنفقة كبيرة وعناية فائقة فلما استوى المجلس فى تلك الدعوة بالمأمون قال جبرائيل ، وكان لا يفارق الخليفة الذى لم يكن يتناول طعاماً إلا بموافقته : يا أمير المؤمنين أرى وجهك متغيراً . ثم قام اليه فجس عرقه ، وقال له : يشرب أميـــر المؤمنين شربة سكنجبين ، ويؤخر الغداء حتى يفهم الخبر . ففعل المأمون ما أشار به الطبيب ، وتوقف الخدم عن تهيئة موائد الغداء . وراح جبرائيل يجس عرق الخليفة فى الوقت بعد الوقت ، وأشار الى غلمانه ، فلم يشعر صالح بن الرشيد إلا وقد دخل غلمان جبرائيل ومعهم رغيف واحد وألوان طعام اتخذت من قرع وماش وما أشبه ذلك . وقال للمأمون: إنى أكره لأمير المؤمنين أن يأكل فى يومه هذا شيئاً من لحوم الحيوان ، فليأكل من هذه الألوان . فأكل منها ونام القيلولة . فلما انتبه من قائلته قال له جبرائيل : يا أمير المؤمنين ، رائحة النبيذ تزيد فى الحرارة ، والرأى لك الانصراف من هنا . فانصرف المأمون ولم يذق لقمة من طعام الوليمة ولا شرب شربة من نبيذها ، وتلفت نفقة مولاى صالح كلها ، وامتلأ بانصراف المأمون من داره على هذه الحال غيظاً وكمداً . وحين ذهب الخليفة التفت الي ، وقد أدرك ما الذى جعل جبرائيل بن بختيشوع يفعل فعلته ، وقال لي : يا أبا خراسان ، الصحيح أن التمييز بين مائتى ساجة وخمسمائة ساجة واستزارة الخليفة لا يجتمعان ..»

أطبق المدرس المتقاعد الكتاب عند

انتهاء هذه الحكاية وقال :

ـ أليست قصة تشبه قصة زميلك السويدى التى رواها لنا أخونا المدير ؟ لا فرق بين هذا وذاك إلا فى أن السويدى استغل طبه فى مأرب قلبه ، بينما استغله الطبيب العباسى فى مأرب جيبه ...

قال المدير : ما أظنهم يتورعون عن استغلال فنهم الانسانى بطريقة شيطانية فى أى ناحية من نواحى الحياه . فى السياسة مثلا .. اننا نراهم فى هذا العصر يتصدرون الواجهات السياسية فى كل مكان ، رؤساء للجمهوريات مرات وللوزارات مرات أخرى .. بدءاً من كليمنصو وانتهاء بهؤلاء الأطباء الوزراء الذين تغص بهم حكومات العالم الثالث . يعلم الله أى العقاقير المخدرة ، أو المهيجة ، قد استخدموها حتى وصلوا الى هذه المناصب ...

هنا ضحك الطبيب وهو يقول : أنتم اثنان وأنا وحدى ، فكيف لي أن أقدر عليكما ؟ مادمتما قد تكلمتما عن السياسة فانى أذكر أن مشادة قد جرت فى ألمانيا القيصرية بين بسمارك ، مستشار بروسيا الحديدى ، وروبرت كوخ العالم الجراثيمى المشهور . أثارت هذه المشادة بسمارك الى درجة جعلته يرسل الى كوخ شاهديه طالباً اياه للمبارزة . لم يرتع كوخ ، وهو الطبيب البعيد عن أجواء القتال ، من هذا الطلب وقال للشاهدين : ان سعادة المستشار يطلبنى للمبارزة واختيار السلاح الذى نتبارز به يكون فى هذه الحالة من حقى ... حسناً .. قولا له انى اخترت سلاحاً للمبارزة قطعتين من السجق موجودتين الآن أمامى .. انهما متشابهتان فى المنظر ، إلا أن أحديهما سليمة والثانية محشوة بسم النقانق التى تفرزه عصيات التعفن والمميت موتاً سريعاً .. فليختر هو احدى القطعتين وليترك لي الثانية ، والذى تكون القطعة الموبوءة من نصيبه يكون الخاسر فى المبارزة ...

قال المدرس : يا لها من طريقة مبتكرة فى البراز . وماذا جرى بعد هذا ؟

قال الطبيب : لم يجر شىء ذو بال . ضحك بسمارك حين نقل له الشاهدان هذا الكلام وتنازل عن دعوته ، موقناً أن

انتقام الأطباء

الأطباء أخصام ليس من السهل الدخول معهم فى امتحان .

قال المدير : تماماً كما أيقن قبله صالح ابن الرشيد وأيقن مثله ذلك الضابط غريم أكسيل مونتى . كأنك أنت تريد أن تقول لنا هذا . آمنا يا سيدى . ولكننا نريدك أن تصدقنا القول .. ان شهوة الانتقام احساس لا يخلو منه انسان ، ترى ألم تستخدم أنت طبك فى موقف انتقامى مثل هذه المواقف التى تحدثنا عنها ؟

● ●

سكت الطبيب برهة ، مفكراً فى جواب هذا السؤال ، ثم قال :

ـ الصحيح أن شهوة الانتقام ، كما يقول سيدنا المدير ، احساس لا يخلو منه انسان . فى مرات كثيرة اشتهيت أن أغرس الابرة التى استخدمها فى مداواة مرضاى فى قلب أحدهم ، بدلا من غرسها فى اليته أو فى وريده .. لأن أحدهم ذاك كان انساناً وضيعاً ومؤذياً ، أو خائناً مجرماً ، أو ... أو ... ولكن بين أن تشتهى أمراً وأن تفعل ذلك الأمر فارق كبير .

قال المدير : أخونا الدكتور يريد اقناعنا بأنه ملاك مبرأ من العيوب .

فقال الطبيب : الذى أريد أن أقوله انى ما استطعت يوماً أن أستخدم طبى لانتقم من أعدائى .. لا اسميهم أعداء ، فأنا فى الواقع لا أجد أحداً يستحق أن أعتبره عدواً لي .

قال الاستاذ : ما هذا التواضع يا عزيزى ؟!

تابع الطبيب كلامه ، متجاهلا السخرية التى نطق بها الأستاذ المتقاعد جملته : لست ملاكاً مبرأ من العيوب . إلا أنى إذا أردت الانتقام ممن يستحقه فانى لا أعدم سلاحاً ، غير سلاح الطب ، استخدمه فى انتقامى .

فتساءل المدير قائلا : مثلا ؟

تردد الطبيب فى الجواب كمن يبحث عنه فى ذاكرته ، أو كأنه يريد اختيار واقعة بين وقائع كثيرة . ومالبث أن ابتسم وقال :

ـ خذ هذه مثلا . كنت فى دعوة غداء عند اسرة صديقة لي ، فى مدينة غير هذه المدينة . الأسرة أب وأم وبنتان ، كبراهما فى الثامنة عشرة تتألق صباً وجمالا وتطفر حبوراً لمناسبة لم أعرفها من الأسرة بل اطلعت عليها قبل زيارتى لها . فمنذ قليل عقدت خطبة تلك الفتاة على شاب من عمرها ، من أسرة ميسورة الحال ، وينتظره مستقبل باهر . أثناء الغداء انتهى بنا حديث المائدة ، كما هو المألوف فى أيامنا ، الى السياسة ، ومن السياسة الى محورها فى شرقنا العربى ، أعنى القضية الفلسطينية . واندفعنا ، أنا والأب رب البيت ، فى غمرة التساؤلات والتعليقات والتفسيرات عما يصنعه العرب وما يلاقونه فى نزاعهم مع اسرائيل وجهودهم للقضاء على وجودها السرطانى . وفجأة تدخلت البنت الكبرى فى حديثنا لتقول : ولماذا هذه الأنانية منكم ؟ .. لماذا لا تعطون اليهود هذه الأرض التى يطالبون بها فتستريحون وتريحون ؟

قال المدير مستفهماً : أكانت الفتاة تقول هذا جادة ؟

أجاب الطبيب : كل الجد .

فسأل الأستاذ المتقاعد ، وقد بدت عليه ملامح الاستنكار : وماذا كان موقف أبيها من ذلك الكلام ؟

هز الطبيب كتفيه قبل أن يقول : أنت لا تعرف تلك الأسرة . الأب ، على أنه من جيلنا ومن وسطنا مؤمن بوطنه وقوميته ، لم يكن يجد من حقه أن ينكر على ابنته ، ربيبة المدارس الأجنبية والجو الغربى ، حريتها فى آرائها . أما الأم فكانت تتطلع الى ابنتها بعينين حادبتين كالمعجبة بجرأتها على المساس بما لا يمس ...

قال الأستاذ المتقاعد : لو كنت أنا لرفضت أن تدخل لقمة من طعام تلك الأسرة الى جوفى .. إذن لوضعت الشوكة والسكين على المائدة وغادرت المنزل فوراً ...

فقال الطبيب وهو يبتسم : لم يكن هذا وارداً فى تلك اللحظة . الصحيح أنى امتلأت حنقاً من كلام تلك الصبية المدللة الطافرة هناء ، إلا أنى ضبطت أعصابى

مفكراً بالطريقة التى أشفى بها غيظى منها . وجاءت الطريقة حين أديرت القهوة فى نهاية الغداء . سألتنى الأم وهى ترمق ابنتها بطرف عينها : ألا تعرف شيئاً من التبصير فى الفناجين يا دكتور ؟ قلت دون تردد : وكيـف لا ؟ هاتى فنجانك لأرى حظك فيه ...

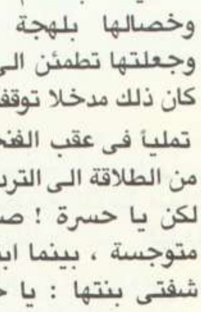
فقاطعه الاستاذ المتقاعد سائلا : وهل تعرف حقاً قراءة الحظ فى الفنجان ؟ هذه مزية جديدة لم نعرفها لك قبلا .

قال الطبيب : اصبر علي . حين قلت هذا تنهدت الأم وقالت : حظى أعرفه جيداً مع هذا الرجل الطيب ، وأشارت الى زوجها ، ولكنى أحب .. وأشارت الى فنجـــان ابنتها . علمت ما الذى تقصده فتناولت فنجان الفتاة الكبرى ورحت أقرأ ، فى بقع القهوة الراكدة فى عقبه ، حظها ...

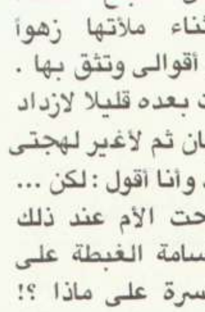
وهنا تنحنح المدير كمن يريد أن يعلق بشيء ، إلا أن الطبيب استمهله باشارة من يده وتابع يقول :

ـ الواقع انى قرأت لها الحظ الذى كنت أتمناه لها بعد أن جرحتنـــى بتساؤلها المستنكر حول حق اليهود المزعوم فى اغتصاب جزء من وطننا الغالى . قلبت الفنجان فى يدى مطولا متظاهراً بالتمعن فى دراسة الأشكال التى رسمها الطحل فى عقبه ، ثم بدأت الحديث بالكلام عن طباع الفتاة وخصالها بلهجة ثناء ملأتها زهواً وجعلتها تطمئن الى أقوالى وتثق بها . كان ذلك مدخلا توقفت بعده قليلا لازداد تملياً فى عقب الفنجان ثم لأغير لهجتى من الطلاقة الى التردد وأنا أقول : لكن ... لكن يا حسرة ! صاحت الأم عند ذلك متوجسة ، بينما ابتسامة الغبطة على شفتى بنتها : يا حسرة على ماذا ؟!

بسمارك



كليمنصو



تظاهرت من جديد بالتردد فى البوح بما تسره لي بقع الطحل فى الفنجان ، ثم انطلقت أتحدث عن مستقبل غير سار ، تبينته فى تلك البقع ، للفتاة التى يجب أن تكون السعادة من نصيبها لولا أن تغيراً قريباً فى حياتها سيجلب لها التعاسة . ومن دون أن ألفظ كلمة الخطبة أو العرس أو الزواج . كان واضحاً أن ابنة صديقى تمشى نحو مصير بائس فى مشروع الزواج التى هى طائرة فرحاً لاقدامها عليه .. أو أن هذا ما زعمت أنى أراه فى عقب فنجـــان قهوتها ! كان مفروضاً أن لا علم لي بمشروع الزواج ذاك ، لذا فقد كان حديثى عن المستقبل المظلم عمومياً ومجرداً ، إلا أن كل كلمة منه كانت تدق على أوتار مشاعر أفراد الأسرة ، ومشاعر الفتاة بصورة خاصة ، فتهز أعماق وجدانهم . وتفننت فى وصف ذلك الشقاء المقبل المتوقع بالموهبة التى أملاها علي غيظى وكما كنت أتمناه لتلك الفتاة فى ذلك الحين . ولم أنتبه الى قدرة تلك الموهبة وتأثيرها على سامعى إلا حين رأيت جفون الفتاة تخضل بدموعها ورأيت قطرتين من تلك الدموع تسيلان على وجنتيها وتبلغان ملتقى شفتيها فى جانبى وجهها دون أن تجد من نفسها القدرة أو الرغبة على مسحهما ...

قال الأستاذ المتقاعد ، وقد نسي استنكاره الذى أبداه منذ قليل لقولة تلك الفتاة : يا لك من فظ غليظ القلب !

قال الطبيب : هكذا كان . وأنا أعترف بأن تينك الدمعتين نزلتا برداً وسلاماً على صدرى المغيظ . شعرت بأنى انتقمت ، وانى أحسنت الانتقام .

قال المدير وهو يقلب شفتيه : انت سادى خبيث . وبعد ذلك ؟

قال الطبيب : سمعت بعد ذلك أن الفتاة فسخت خطبتها من ذلك الفتى .

فصاح المدير باستنكار غير مصطنع : الى هذا الحد ؟! لا يا صاحبى .. أنت أسوأ من أكسيل مونتى ومن الدكتور العتيق الذى اسماه أستاذنا بختيشوع .

قال الأستاذ المتقاعد مصححاً ، وبلهجة من يوافق المدير على انتقاده : الدكتور جبرائيل بن بختيشوع ...

قال الطبيب : لا تحملا علي بهذه الشدة . أطمئنكما بأن الفتاة تزوجت بعد ذلك زواجاً موفقاً ، ورزقت بولدين ، وهى الآن تعيش مع زوجها ، وهو غير خطيبها السابق ، ومع ولديها فى سعادة وبحبوحة . لست منزعجاً لهذا بل انى ، بالعكس ، مغتبط . إن أباها لايزال صديقى ، كما انها هى لم تكن بعيدة عنى فى طفولتها وصباها الى أن تحولت شابة جميلة وزوجة سعيدة . ولكنى أردت أن أروى لكم كيف تملكتنى شهوة الانتقام ذات مرة ، وكيف انى حين استجبت لدوافعها لم استخدم طبى ، وإنما لجأت الى سبيل آخر فى شفاء غيظى .

قال المدير : وأى فرق بين هذا وذاك ؟ لو لم تكن طبيباً ، أكانت لك القدرة على معرفة خوافى نفس بنت صديقك ، ثم على التأثير فيها بالشكل الذى فعلته ؟

قال الأستاذ المتقاعد : الحق معك يا سيادة المدير فى هذا .

وهنا ضحك الطبيب وهو يقول : انكما تثيراننى . اذا كنتما حقاً تؤمنان بما تقولانه فاحذرا انتقامى . ها ان أهل البيت يشيرون الينا بأن المائدة جاهزة ، فقوما الى الطعام يرحمنى ويرحمكم الله .

فتطلع الأستاذ الى المدير وهما يتوجهان الى غرفة المائدة وقال له : أتسمع ؟ انه يتحدث عن الانتقام . لن نأكل لقمة من صحن على مائدته قبل أن يسبقنا بلقمة منه . لا تنس أن الطبيب ابن فراس قتل ابن الرومى بخشكنانة مسمومة دسها فى طعامه ...

فسأله المدير وهو يضحك : قتلـه بماذا ؟

قال الأستاذ : بخشكنانة . خشك بالفارسية يابس ، ونانة هو الخبز . الخشكنانة هى مايدعى اليوم بسكويت . أطعم زميل أخينا هذا ابن الرومى بسكوتة مسمومة فقضى على عبقريته التى قل أن جاد تاريخ الأدب بأمثالها .

وضحك المدير والطبيب من هذا الذى قاله الأستاذ بلهجة من يؤمن بما قال ، دون أن يمنعه ايمانه ذاك من أن يكون أول الثلاثة جلوساً الى المائدة ، وأكثرهم اقبالا على ألوان الطعام ورغبة فيها وفتكاً بها .

د. عبد السلام العجيلى



المفتاح والجنة

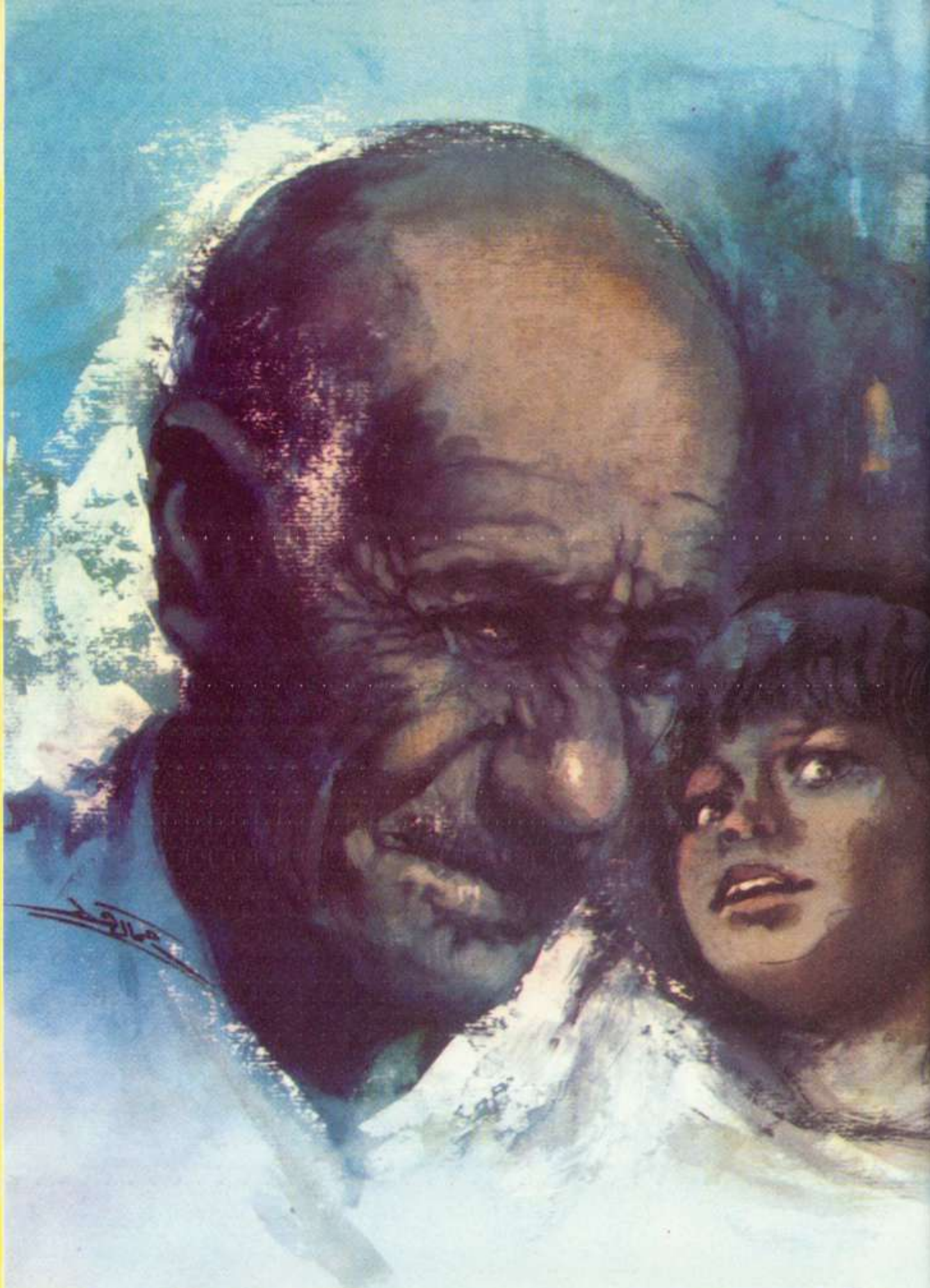
قصة: نهى سمارة

ولدت نهى سمارة فلسطينية الأم والأب في طولكرم بفلسطين عام ١٩٤٤ . ونشأت في بيروت التى اضطر والدها الى اللجوء اليها مع زوجته وطفلتيه عام ١٩٤٨ ، و ذلك بسبب نشاطه السياسى ضد الاحتلال الصهيونى .
شاركت فى الصحف والمجلات البيروتية باعمال قصصية ، ونشرت أول رواية لها عام ١٩٧٣ بعنوان «فى مدينة المستنقع» التى تفصح عن عدم تكيفها فى مدينة شروطها غير شروط احلامها الفلسطينية .
عام ١٩٧٥ ، اضطرتها الحرب اللبنانية الى الانتقال مع طفليها الى لندن ، وباريس حيث تعيش الآن .
الاقتلاع الثانى والحرب اللبنانية التى عاشتها فى الغربة هما دافعها الى كتابة مجموعة قصصية قصيرة بعنوان «الطاولات عاشت اكثر» .
وستصدر لها مجموعة جديدة عن «دار الافاق الجديدة» ببيروت ، تشكل وقائع ونتائج حرب لبنان خلفية شخصياتها .

● كان حضن أمى ينبض توتراً ، والسيارة الخضراء تقطع الطريق بلهاث السرعة ، ألتقط أنفاس أمى الهلعة فيزداد صراخى ، الجميع حولى واقع فى الصمت ، السائق ينظر الى أبى ويرجوه إسكاتى ، تمتد يد أبى بلوح الشيكولاته ، فلا ألبث أن أرميها فى وجهه ، يلتفت متوسلا طالباً من أمى اسكاتى .

فجأة كمن ولد فى الماء واللون كان الأزرق على يمينى وعلى يسارى ، غمرتنى البهجة فسقطت فى حضن أمى مبتسمة هانئة ، مسحت أمى بيدها على شعرى وتمتمت «الحمد لله» .

تنهد أبى وقال «فأل حسن» سمعت السائق بعدها بقليل يقول «بعد لحظات نعبر بحيرة طبرية ، لم يبق كثيراً حتى



نصل الى الناقورة وندخل الأراضى اللبنانية ، وينتهى هذا الكابوس» .
فى نهاية صوته خرجت طلقات نارية ، همهم أبى لقد أصابوا ركاب السيارة السوداء «خلفنا» احتلنا الصمت حتى وصلت الى بيت قديم فى قلب بيروت .

● ● ●

كانت يدى تتلمس الحقيبة الصغيرة، وجسد طائرة «البوينغ» يرتفع بها متجهاً الى بيروت . كان رواد الطائرة يلتفتون الى بعضهم بعض محاولين التعرف على وجه أليف عرفوه يسير فى خندق الغميق ، أو التقوا به فى مصعد العازارية ، أو موظف فى البناية التى كانوا يعملون فيها ، أو صديق قديم فى المدرسة التى تعلموا فيها الأبجدية ، أو نازل فى مقهى اعتادوا الاسترخاء عنده قبل الحرب .. زعيم لبنانى مشى نحو الدرجة الأولى ثم التفت محيياً جمهور الطائرة ، لم يرد عليه أحد التحية ، عجوز كانت تجر خلفها ثلاثة أطفال وفى عيونها توقد ولهفة الى حيث هى عائدة ، قالت لمن يجلس على يسارها: الحمد لله على سلامتنا جميعاً . رجل أعمال يصافح شاباً بحرارة ويقول له : «طيران الشرق الأوسط هو المكان المصغر لمدينتنا ، واستمرار الشركة هو استمرار للبنان» أجاب الشاب بسخرية «لبنان السياحة والاصطياف» شابة تقبل شاباً على وجنتيه وتقول بمرارة : «وأخيراً عدنا» .
يدى تزداد انقباضاً على حقيبتى ، افتحها وأتأكد من وجود المفتاح للبيت القديم القابع فى قلب بيروت .

● ● ●

«أتعرفين ماذا يفعل عمك كل مساء» ؟؟
كان عمى يدخل كل مساء الى غرفته ويحكم اغلاق الباب وراءه ، ثم يفتح صندوقاً قديماً ويخرج منه مفتاحاً عتيقاً لمنزله فى الناصرة ، يلمعه ويمسح الصدأ عنه ، يتأمله دقائق ثم يخرج من غرفته وشعاع خاص يومض فى عينيه ويبدأ بعد أن ينظف حاملة سجائره من النيكوتين يروي معزوفته المكررة : بيارته مقعده اليومى عند أبى موسى ، لعب الطاولة فى مقهى أبى فريد ، أزهاره التى زرعها فى حديقة البيت ، أجراس صوت الكنيسة صباح كل احد ، مجنون الناصرة أنور ، هدى التى تحب المجنون ، وتناوله يومياً من فتحة بوابة الحديد علكة ينفخها بالونات ويسير فيها فى سوق المدينة القديم ، أبو جورج الذى لم يهاجر لأنه بلا أطفال يخشى عليهم من انتقام المحتلين ...
تنهدت هدى وقالت :
ما أن تنتهى معزوفة عمك اليومية ، حتى ينسحب لسماع نشرة الأخبار .
فى مرة بادرت عمى وأنا أجلس مع عائلته ، «ولكن لماذا تحتفظ بالمفتاح» ؟
أجاب : «قد أعود يوماً وأفتح الباب ، ان اسرائيل قابعة على كذبة وسط هذه المنطقة ، ثم يلتفت الى ابنته هدى ويقول «أو ربما تقوم هى بالمهمة عنى حين تكبر ... البيوت والأوطان تبقى ، أما نحن فنذهب» .

● ● ●

لدهشتنا مازالت بيروت تقف عامودية ببناياتها حين أخذت الطائرة بالهبوط ، أصابت جسدى رعشة من هذا اللقاء ، وتذكرت عمى الذى مات بلا رعشة لقائه بفلسطينه . فلسطينه التى كان يراها أحلاماً فى غرفته كل مساء ، حين هبطنا الطائرة ، لم تكن الفوضى تزعج أياً من رواد الطائرة ، الجميع ظل راضياً وهو يتابع تفاصيل جمع الحقائب أخذت أول تاكسى ، بدأ السائق يتحدث عن معاناته فى الحرب ، ما أن وصلت الى البيت القديم القابع فى قلب بيروت حتى وجدت البناية حيثما تركت ، مسكين عمى ، لقد عرفت انهم هدموا منزله

وأقاموا مزرعة برتقال هناك ، صعدت الدرج . كان للمفتاح صوت الصرير القديم ذاته ، انفتح الباب عن كل ما تركته فى البيت ورائى ، كل شىء مكانه ، أخذت أتلمس ما حولى كأعمى يريد أن يعيد صلته القديمة الحميمة بملمس ما ألف ، الساعة القديمة ، عقاربها تقف جامدة مصلوبة عند الساعة الثالثة إلا ربعاً ... العصفور المطرز فى السجادة مازال يحدق بى ذات التحديقة التى كنت أراها فيه حين كنت طفلة ، نتوءات الحائط الذى سقط منه الدهان والذى يرسم صورة الوجه الانسانى الضاحك ، علامات قلم رصاص أبى يقيس كم ازداد طولى سنة بعد سنة ، سريرى وحتى الروائح القديمة ، الأصوات المنادية على البندورة والخيار والبقدونس ، صور الطفولة والمراهقة وأوراقى المهملة التى لم تعبث بها أصابع أمى وأخى قبل رحيلهما الى عمان .

أخذت أقرأ أنا القديمة : كلمات على خيبة ، كلمات على حب ، كلمات على توقع تجربة ، كلمات على حزن ، كلمات على فرح ، وكنت هناك : كلمات مجنحة فى الدرج ، والأحاسيس تنزف انفعالا وشوقاً الى أنا الجذور . الى توقد الدفء فى الشرايين المتجلدة غربة على مدى سنتين ، فهناك خارج بيروت كم يصعب الانفعال ، وكم يصعب التذكار .

كان تنقلى بين الوجوه والأمكنة فى لندن أشبه بورقة صفراء بلا نكهة أو تاريخ ...

• • •

قالت هدى : كان أبى يقول اننـــــا الفلسطينيون حين تركنا الوطن ، أصبحنا أشبه بأوراق الكربون ، نشبه ذواتنا ولكننا لسنا تماماً هى .. لو سألتنى ما هى فلسطين اليك حينما كنت طفلة ، لاجبتك : انها الضجر ، لم يكن أبى يحدثنا إلا عن فلسطين ، كانت فلسطين بالنسبة لنا أذنه الكبيرة الملتصقة بالمذياع لتتابع نشرات الأخبار وصوته الصارخ بنا أن نصمت ، كان المذياع وأخباره يحدد حجم انشراح أبى أو انقباضه ، لقد اختلست فلسطين أبى منا حتى أن أمى سمعتها تمازح جارتها قائلة :



المفتاح والجنة

«إن فلسطين أشبه بالضرة فى هذا البيت» .

صمتت هدى ثم قالت :

الاطفال لا تعرف أن تحلم بالحديقة الخضراء التى سوف تاتى ، انها تريدها أن تكون موجودة لكى تلعب فيها ، الأطفال لا تحب أن تتوق الى الالعاب ، بل تريدها أن تمضى فيها اكتشافاً وتمزيقاً ، أما أبى ، فقد ظل يعيش وعد الجنة ، حاضرنا واقع مؤجل ومستقبلنا هامش حالم اسمه «العودة» وفى صدر البيت كانت كلمة «سوف نعود» حاضرة فى أذهاننا تحت خارطة «فلسطين» ، انها اللوحة الوحيدة التى قبل أبى أن نزين فيها جدران منزلنا ، تصورى مرة كنا نمر فى صيدا وكانت عابقة فى ربيعها برائحة زهر البرتقال ، تناول أبى محرمته وقال : ما هذه الرائحة البغيضة ، كم تختلف عن رائحة زهر برتقال يافا ...

ضحكت هدى وقالت : أثناء الحرب كثرت معزوفة استبدال فلسطين بجنوب لبنان ، ليتهم عرفوا أبى ، لفهموا ... فكيف يمكن للجنة أن تستبدل فى أذهان أولادها ؟

• • •

لقد عدت ، لم يعودوا .. تذكرة طائرة أعادتنى الى البيت القديم القابع فى قلب بيروت .

خرجت فيه أتلمس ما بقى من تاريخ الشارع والمدينة . ــ والأصدقاء ..

كانت الوجوه منتفخة بلا بريق ، والأجساد مكتنزة بلا عافية .. عيون الرجال تتوقد شبقاً ولهفات غريبة ، بدت النساء أكثر تحرراً فى تحركاتهــن وسلوكهن وأكثر ثقة ، الجميع معباً بقصص عاشها وكان شاهداً عليها ، كانت أذنى كأذن عمى حين يسمع نشرة الأخبار ، تود الاستماع واختزان سنوات الحرب ، وبدأت برحلة التفتيش عن قافلة الأصدقاء القدامى ، وشيئاً فشيئاً بدأت الأمكنة تعيد الذكرى فى موت بعضهم ، ابراهيم الذى سقط على وقع قذيفة التهمت الصف الذى جاء يشترى الخبز من عند الفران ، نايف مختنقاً وهو يحاول الهرب من حريق المبنى ، سامى الذى استشهد وهو يلعب بالكرة تحت منزله ، كادت المدينة تفرغ ، أصدقائى معظمهم هاجروا ، من بقي تغير ، سميحة أصبح هاجسها المال والفواتير ، جانيت لا حديث لها إلا بيروت الفرح والنوادى الليلية قبل الحرب . جورج يعدد أمجاده القتالية والتخطيطية أثناء الحرب .

كنت ألهث من فم لآخر ، ومن قصة لأخرى ، حتى فقدت قدرتى للاستيعاب .. بدأت الافواه أشبه بشريط ثرثرة حاكى ، حتى ان جارتى كلما وجدتنى أفتح البيت وأنا عائدة منهكة من تجوالى بين قصص الأصدقاء والمدينة ، تصر على أن أدخل لزيارتها ، وكنت دائماً أتهرب بالتعب حتى انها قالت لي بذكاء يوماً : «لا تخافى ، لن أفعل كالآخرين ، لن أحدثك بما دار أثناء الحرب حتى لا يحصل معك كما حصل مع ابن أخى .. لقد انتهى وهو يقـول لنفسـه : «اسمعونى وأنا أيضاً لي قصتى» تعالى وسأسمع قصتك ..

ودخلت وأنا محرجة ، أشعر بتفاهة ما مررت به فى الغربة ، ما قصصى ؟ مسارح لندن ؟ شارع الكينغز رود ؟ وصرعات شارع البيكاديللى الحافل والبارات والصخب ، هل أحدثها عن العرب ونواحهم وفجورهم فى بلاد الانجلوسكسون : الفرق الشاسع بين عمرينا أربكنى ! كيف أبدأ الحديث ، ولم تمهلنى كثيراً حتى قالت جارتى :

ــ «الحمد لله لم أفقد عزيزاً أو قريباً ، عشنا داخل هذا البيت كسردين ميت فى علبة فلو أنى لم أبع سيارة زوجى وسجاد البيت ومنزلنا الصيفى ، لجعنا فعلا ، لقد اقتصر مصروفنا كما تعرفين على اللقمة التى نتناولها كل يوم ، وقد تضاعفت بفعل بقائنا الطويل فى المنزل ، حمايتنا الوحيدة هى جدراننا الأربعة .. وان لم تعد حماية حقيقية ، فكم أقتص

الموت نياماً أبرياء كانوا داخل جدرانهم ، وأنت لم أسمعك تقولين شيئاً ..

ـ ما كنت أفعل أى شىء يستحق الذكر كنا كأننا نضع أجساداً مستعارة فى مكان ، وقلوبنا وعقولنا هنا ، لم نهاجر اختياراً لننهل من ثقافة الحضارة الغربية وتصورى أى ألم ! مرة حين كان تل الزعتر يقاوم ويسقط ألماً وموتاً ودماراً، والنساء هنا تأكل الجرذ وتشرب من المستنقعات وأطفالنا يتضورون جوعاً ، فتحت هناك جهاز التلفزة ، وطوال عشر دقائق كان الحديث يدور على ازدياد سعر زجاجة الحليب «بنس واحد» أى ما يقرب العشرة قروش ، هذا حجم قضايا الحضارة . ماذا أحدثك .. جلست مرة لأتناول مشروباً بارداً بعد أن عبأت صدرى قراءة عن الدمار الذى أصابنا .. وفجأة لمحت على المقهى صندوقاً كتب عليه :

مازال بعضهم أحياء «تبرع بقروش قليلة للمسنين والعاجزين» .

أسقطت ما معـــى من قروش ، وأحسست قلبى يكبر ويتسع لآلامهم وآلامنا ... فجروحنا مازالت تنزف بلا معالجة ، وهم مازالوا يعالجون جروح المسنين ، فماذا أحدثك أيضاً ، كل اهتمامهم بالانسان كان يوجه كطعنات خنجر الى صدورنا ، أين هم وأين نحن ؟. مرة وأنا أقطع الطريق سمعت صوت جرس خافت ، سألت ماذا يكون ؟ : قالوا هذا للعميان ، العاجزون عن رؤية الضوء الأخضر كي يقطعوا الطريق وهذا الجرس هو بديل لهم ليجتازوا الطريق بأمان ..

سمعت جارتى تقول :

ـ لقد تعذبت كثيراً ..

وتمتمت بتواضع مصطنع وأنا أتثاءب ..

ـ لكل عذابه .

حين غادرت بابها ، قالت : لقد تركت أمك البيت ، وأنا الآن مكانها ، هذا بيتك رجاء لا ترفضى «صحن الطبيخ» الذى سأرسله لك ، إنك واحدة من أفـراد العائلة .. ضحكت وأنا أقول لها :

«لعنة الله على حضارتهم ، تصورى مرة وأنا أصعد الدرج فى بيتى هناك ، لمحت جارتى العجوز ، فقلت لها صباح الخير ، وأجابتنى : لماذا تقولين لي صباح الخير ؟! أنا لا أعرفك .

كررت ورائى : لعنة اللـــه على حضارتهم ، ان ابن أخى يقول عنهم انهم يتكلمون عن الانسانية إلا أنهم لا يحبون الانسان ... انه إنما يكرر جملة واحدة عنهم :

«إن حضارتهم تخلف ، وإن تخلفنا حضارة» .

● ● ●

فى الصباح استبشرت خيراً فى المدينة وأنا أرى رسالة عليها طابع بريدى وختم ، ومكتوب على الطابع المملكة الأردنية الهاشمية . الرسالة كانت من ابنة عمى هدى تقول فيها :

ـ كلنا بخير ، وأمك أيضاً ، أخوك وجد عملا فى شركة محاسبة ، كانت عودتك من لندن مفاجأة ، نتوقع قدومك الى هنا بأقرب وقت ، لقد عرفت بوفاة عمك كما أظن ، لقد مات ميتة طبيعية هانئة ، لم يكن موته مربكاً ، وكلنا ندرك بسبب الجلطة القلبية التى عاش منها عشر سنوات انه مشرف على الموت فى يوم أو آخر ، إلا أن دفنه كان مربكاً ، لقد حصل يوم السبت «الأسود» والتفاصيل عرفتها بواسطة والدتك .. ما أصعب أن تعيش مع جثة والدك ثلاثة أيام لأنك غير قادرة للقيام بمراسيم الدفن . كان يجب ان يموت مكرماً ، أن تسير جنازة طويلة وراء نعشه ، وأن يحضر جميع أصدقائه ومعارفه وأقربائه ، ولكنه كان يعترف بأن الغريب يموت كالكلب ... لا يعرف أى أرض غريبة ستحوى رفاته .. وهذا ما حصل ، أسرعت السيارة الحاملة نعشه الى المقبرة ، خوفاً من القذائف والرصاص .. ودفن فى مقبرة الشهداء فى بيـــروت .. لم يسر وراءه أحد ، مسكين لقد كان أبى يردد قبل موته :

إن حرب لبنان تدرب الشباب على القتال من أجل فلسطين ، العدو الخارجى سيوحد صف أهل البلد الواحد لمقاتلة العدو .. هذا الحالم الذى عرفته جيداً .. وأحبك كثيراً ..

عمان كما تعلمين مليئة بأقرباء لنا مشتركين ، الهجرة الثانية أصعب من الهجرة الأولى كما تعرفين .. الأولى عانيناها على ألسنة أهلنـــا ، وكم اتهمناهم بالمبالغة .. وأما الثانية فأكلت من جلدنا وأعصابنا الكثير .. الآن بدأت أفهم أبى وحنينه ، فالوطن ليس إلا ذكريات ، يومياً أحلم وأتذكر حياتى الماضية فى بيروت . عمان مدينة خانقة وقليلة النوافذ ... إنها تلائم حياة انسان تجاوز الخمسين .. وتقاعد .

الخبر الذى أود أن أورده لك ، اننى حين وصلت عمان طلبت بواسطة مسافر الى الناصرة أن يطلب من خالتى أن تطلب لي اذناً من السلطات الاسرائيلية لزيارتهم ، الاذن الذى يسمونه «جمع الشمل» وقد فعلت هذا ، لن أحدثك عن رحلتى الشاقة فى عبـــور الجسر والاهانات والتفتيش والسير الحافى لعبور الحدود .. المهم اننى ذهبت الى حيث كان منزلنا والصندوق القديم الذى يحتوى المفتاح القديم الذى أعطانى إياه أبى أملا ... كنت أعرف جيداً أن منزلنا تهدم ، وأن مكانه أصبح مزرعة للدجاج ، واكتشفت أن أبى كان يعرف ، فقد أخبرته خالتى كما قالت لي ، واستطعت بمجهود خاص أن أولج المزرعة وأعرف تماماً أين كان بيتنا ، وأين كان الباب وأخذت أحفر ، حفرت كثيراً ودفنت الصندوق هناك . تلك كانت معلقتى ، «معلقة فلسطينية جداً» ، كنت كأننى أدفن أبى وأحلامه ، ولقد بكيت فعلا فوق التراب حتى تبلل .. كما لم أبك يوم دفن أبى ..

شعرت براحة كبيرة بعدها ، ومازلت أشعرها حتى اليوم ، لقد فكرت أن الأرض وحدها لها الحق أن تختزن فى جوفها الماضى والأمل والتطلع ..

لن أبق فى عمان أخى وجد عملا فى كندا بواسطة أولاد عمنا الموسرين .. اننا يا ابنة عمى أصبحنا يهود العالم (لو أنهم يعرفون !) موزعين فى كل مكان ، وحيث نكون نجنى ونحلم . ففى داخلنا أمل اسمه .. العودة .. الجنة الموعودة ، لو أنهم يعرفون حجم هذا المرض داخلنا .. لما تركونا على ما نحن عليه ! ولكن يبدو أنهم لا يعرفون !

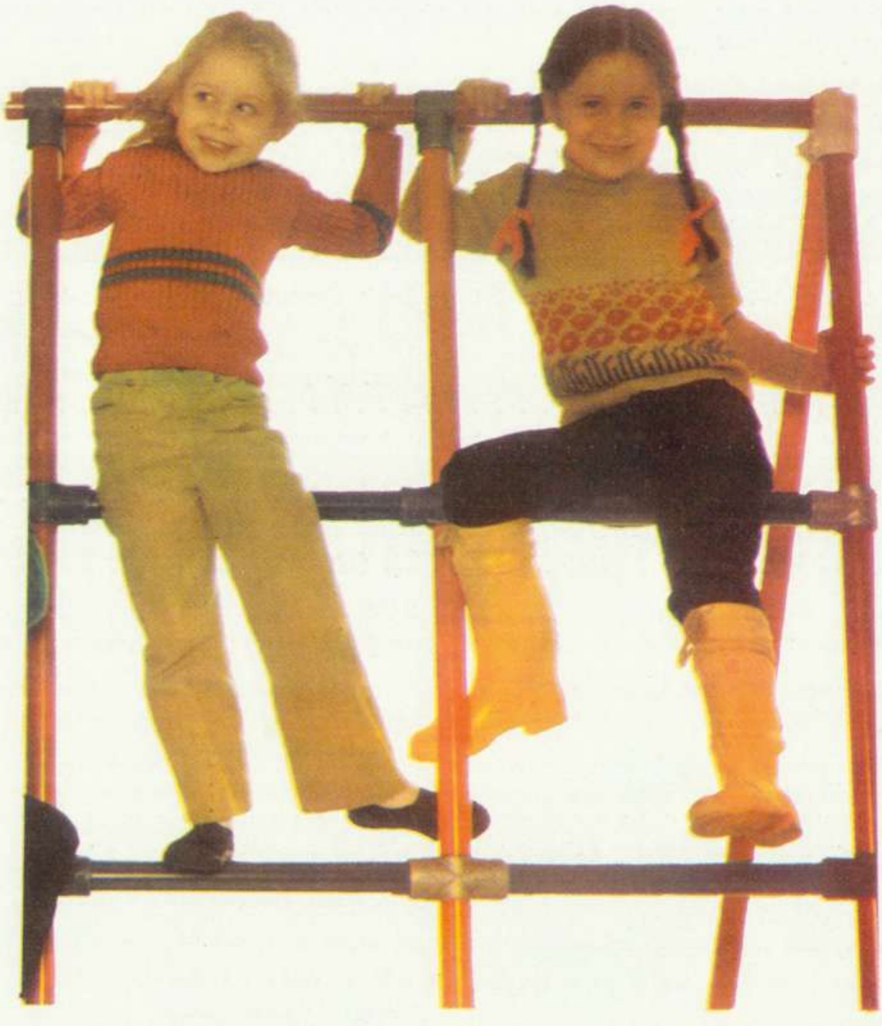
لك كل الحب والوفاء

هدى

نهى سماره

خطر يهدد طفلك

د. مدحت رضا



أصبح مرض شلل الأطفال يمثل شبحاً رهيباً لكل أسرة فى عصرنا الحديث .. وكثيراً ما أدى الخوف من تسلل هذا المرض الى أجساد أطفالنا ، الى إصابة الأمهات والآباء بقلق بالغ على أولادهم وبناتهم ..

وقد ظلت الاصابة بهذا المرض وبائية حتى أواخر الأربعينات حين اكتشف العلم الطعم المضاد على شكل حقنة ، ولوحظ بعد التطعيم انخفاض كبير فى نسبة الاصابة بهذا المرض ، ثم تطورت الاكتشافات الى أن وصلت الى شكلها الحالى ، أى النقط التى تحتوى على «فيروس» المرض نفسه بما فيه من خصائص تعطى مناعة وتمنع الاصابة بالمرض فى نفس الوقت !

وطريقة التطعيم بالنقط بسيطة وسهلة للغاية ، وأية ممرضة يمكنها أن تشرف على عملية التطعيم بعد معرفة وطريقة الحفظ السليمة باشراف الطبيب .

قوانين التطعيم

ونتيجة لانتشار التطعيم بهذا الشكل اختفى المرض تماماً من بعض الدول مثل سويسرا والسويد ، بل وأصبحوا يسمونه فى تلك البلاد بالمرض التاريخى ويرجع ذلك ، إلى أن هذه الدول فى بداية تجربتها أصدرت القوانين التى أجبرت أولياء الأمور على تطعيم أبنائهم ، وبعد ذلك أصبحت عملية التطعيم عادة لا تحتاج الى قوانين ، فالكل يدرك أهمية ذلك وضرورة الذهاب فى المواعيد المحددة !

الاصابة بالمرض

وكما نعرف فان الطفل يولد ويكتسب مناعة من أمه ضد هذا المرض ، بشرط أن تكون هى نفسها لديها هذه المناعة .. ويهاجم المرض جسم الطفل عندما تبدأ الأجسام المضادة الموجودة فى الاضمحلال ، وهنا يكون لدى الطفل الذى لم يطعم قابلية للاصابة بالمرض ..

وكثيراً ما نرى أطفالا يتعرضون للاصابة بالميكروب عندما يدخل الفيروس الى أجسامهم ، ولكنه لا يستمر طويلا لأن المرض يمر على شكل انفلونزا تؤدى الى ارتفاع الحرارة مع قليل من القيء والاسهال ، ويبرأ الطفل دون أن تعرف الأم أنه كان مصاباً بميكروب شلل الأطفال ، ووقتها يكتسب الطفل مناعة ولا يصاب به مدى الحياة .

ولو قسنا نسبة الأطفال الذين يصابون بالمرض الفعلى الى الذين أخذوا الميكروب ولكنهم لم يصابوا بالمرض لوجدناها نسبة قليلة ، والغالبية تأخذه على شكل ميكروب يدخل الجسم ثم يقاومه وينتهى الأمر بالسلامة .. لأنه من المعروف أن الاصابة تأتى عندما تستمر الحرارة فى الارتفاع بعد مرور ثلاثة أيام ، فذلك يعنى أن الطفل ليست لديه المناعة الكافية ، فنلاحظ عدم قدرته على تحريك رجله ، وهنا تكون الاصابة الفعلية بشلل الأطفال !

أسباب الاصابة

وهناك أكثر من سبب لتسلل المرض الى جسم الطفل ، مثل أن يكون قد أصيب بنزلة معوية أو التهاب رئوى ، فهذا يدل على أن مناعته قليلة ، والجهاز الذى يعطى الأجسام المضادة فى جسده ضعيف ومنهك ، ولذا فما ان يدخل ميكروب الشلل الى جسده حتى لا يستطيع مقاومته !

ومن الملاحظ ـ كذلك ـ أن الطفل الذى يرضع رضاعة صناعية تختلف مقاومته عن ذلك الذى يرضع من أمه ، بالاضافة لعدم التطعيم ضد المرض .. وهذا ما يبرر إصابة طفل وعدم إصابة آخر بمرض شلل الأطفال بالرغم من وجودهم فى نفس المكان .

وهناك وهم خاطىء لدى كثير من الأمهات ، إذ يعتقدن أن الطفل أصيب بشلل الأطفال نتيجة للتطعيم ، وهذه الحالة لا يمكن حدوثها أبدا ، وكل ما فى الأمر أن الأم تحاول إخفاء إهمالها فى عدم تطعيم طفلها لعلها بذلك تكون قد أرضت ضميرها وما ارتكبته من خطأ فى حق طفلها البرىء !

الحيرة أمام الميكروب

ولكن هل يمكننا تشخيص المرض فى أيامه الأولى ؟ ..

الواقع أن الطبيب يستطيع أن يشخص المرض بعد أربعة أيام من الاصابة بمجرد النظر الى رجل الطفل .. وهنا لا يستطيع الطب عمل أى شىء بل يقف مكتوف الأيدى أمام الميكروب الذى دخل لجسم الطفل غير المطعم ، وأمامه حالة مجهولة حتى يرى أين ستتوقف وحتى ينتهى الطور الحاد للمرض .. فقد يقف هذا المرض عند إصابة بسيطة فى أحد قدمى الطفل ، وقد يمتد ليشمل أطرافه الأربعة وقد يصل الى أخطر حالته التى تؤدى الى تعطل عمل الجهاز التنفسى والى وضع ماكينة الرئة الحديدية أو المعيشة على جهاز التنفس الآلى ، وهذه الحالة لا ينجو من الشلل فيها إلا الرأس واللسان !

العلاج المتقدم

والعلاج بعد الاصابة بمرض شلل الأطفال يعتمد على الراحة ، مع تناول المضادات للحراريات ، الى أن يذهب الدور الحاد ، ويبدأ العلاج الطبيعى ..

وقد استطاعت دول الغرب المتقدمة أن تصل لنتائج جيدة ـ بمساعدة الأم ـ فى تنفيذ تعليمات المستشفى بالمنزل .. من بينها ضرورة اجراء التدليك حتى تتيبس العضلة !

وقد يلجأ الطبيب الى اجراء عملية جراحية ، إلا أن هذه العملية يجب ألا تجرى للطفل إلا بعد سن معينة . حتى يترك الفرصة لنمو العظام !

وكل هذه الاجراءات لن تشفى المريض بل تساعده على الحركة والتكيف مع حالته المرضية حتى يستطيع العيش فى المجتمع بدون عقد وحتى لا يشعر بأى عبء على عاتقه !

حماية الأطفال

والواقع أنه لا يوجد أدنى عذر يبرر للأم أو الأب عدم تطعيم أطفالهم ، فالعيادات الصحية متوفرة فى كل مكان ، ولن يكلفنا الأمر سوى الذهاب ثلاث مرات فقط لتناول النقط الثلاث التى تحمى فلذات أكبادنا من هذا المرض اللعين .

ونظام التطعيم فى العالم يختلف من دولة لأخرى ، فالذى يطبق فى سويسرا مثلا لا نستطيع تطبيقه فى مصر أو قطر لأن كل دولة لها ما يناسبها .

بالنسبة لنا ، نحن نعيش ـ مثل غيرنا ـ تحت تهديد وخطر وجود المرض باستمرار ، لذلك نبدأ فى التطعيم من الشهر الثالث وليس قبل ذلك ، لوجود الأجسام المضادة التى اكتسبها الطفل من أمه ، والجرعة الثانية بعد أربعة أو ستة أسابيع ، وكذلك الثالثة ..



والجرعة الأولى تعطى مناعة حوالى ٧٠٪ ، والثانية ٨٥٪ وتصل المناعة فى الثالثة الى ٩٩٪

ولا يكتسب الطفل المناعة الكاملة إلا بعد الثلاث جرعات ، ولا يترك تطعيم شلل الأطفال أى آثار جانبية مثل ارتفاع درجة الحرارة أو الاسهال .

وهناك نصيحة للأم التى ترضع طفلها طبيعياً ، فعليها أن تعطيه التطعيم بعد ساعتين من الرضاعة لأن لبن الأم يعطى مناعة تفسد التطعيم !

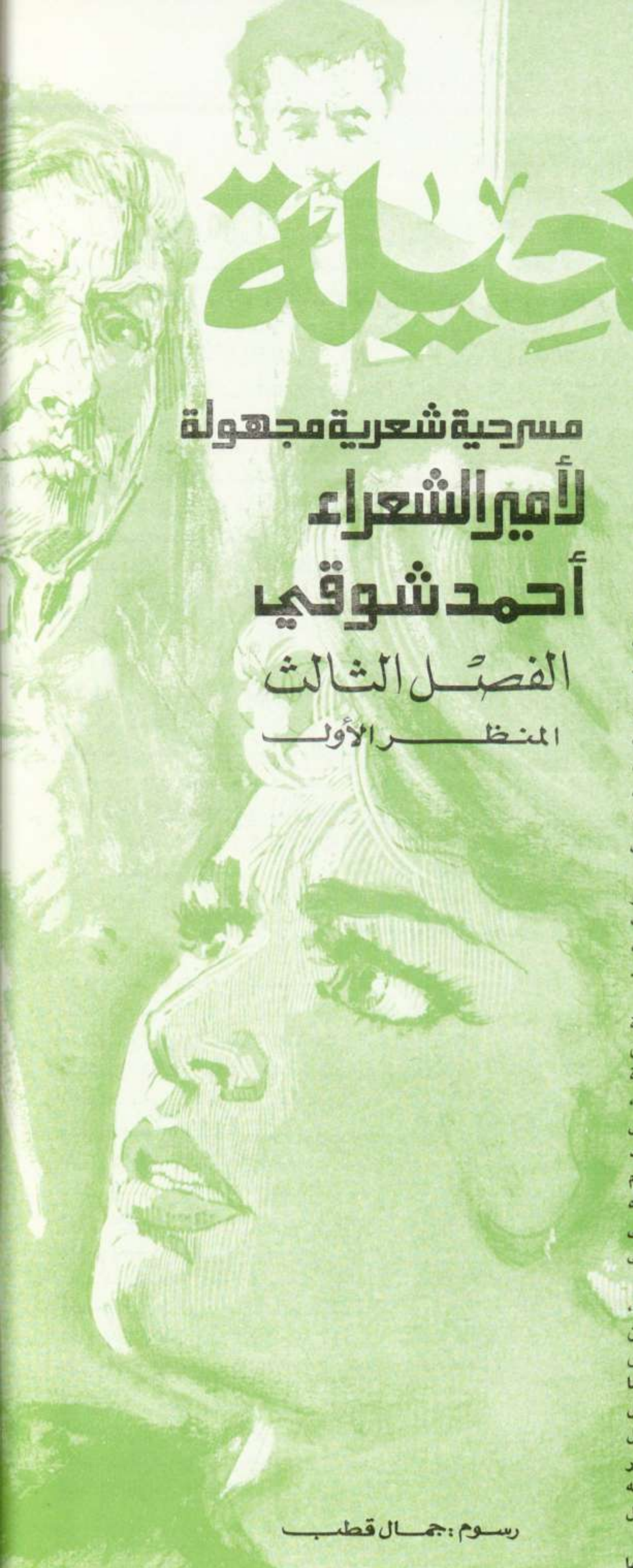
وهناك ظاهرة تبدو واضحة فى المجتمعات المتقدمة ، فأحياناً يصاب الكبار بهذا المرض نتيجة لعدم دخول الفيروس الى أجسامهم وهم صغار مثلما يحدث فى الدول النامية حيث ينتشر المرض ويصاب به الآلاف ، ثم يكتسبون المناعة !

المرض القديم

إذن فمرض شلل الأطفال ليس معضلة كما نتصور ، فهو أمر بسيط لو راعيناه منذ البداية ، فنحن نستطيع القضاء عليه بسهولة إذا ما اتبعنا الارشادات الصحية التى تحتم علينا تطعيم أطفالنا فى مرحلة مبكرة بالنقاط الثلاث الواقية ..

إننا إذا فعلنا ذلك نكون قد حولنا هذا المرض الى مرض تاريخى كما حدث فى بعض البلاد الأوروبية ، وتكون ذكراه مجرد ذكرى عابرة نقرأها فى كتب التاريخ . تماماً كما نقرأ اليوم الحقيقة القائلة بان هذا المرض عرفته البشرية من قديم الزمان ، وفى مصر القديمة عثروا عليه فى رسوم فرعونية لرجل مصاب بضمور فى قدميه !

د. مدحت رضا
اخصائى استشارى لأمراض الأطفال
وزارة الصحة



البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الفصل الثالث

المنظر الأول

رسوم : جمال قطب

أحداث الفصلين : الأول والثانى

الزمان : غداة استقالة اللورد كرومر ورحيله عن مصر عام ١٩٠٧ .
المكان : مقهى «المالية» بميدان لاظوغلى بالقاهرة .

يرتفع الستار عن جماعات من رواد المقهى يثرثرون فى موضوعات شتى ، ومن بين هؤلاء نجد «جمالا» بطل المسرحية ، يجلس مع أحد السماسرة الذين يترددون على المقهى ليغرروا برواده .

ويجد السمسار فى جمال فريسته المنشودة ، فجمال سيرث عن قريب ثروة جدته البخيلة العجوز ، التى تنتظر الموت أو ينتظرها الموت ، ويغتنم السمسار هذا الموقف ، فيغرى جمالا بالزواج من فتاة اسمها «زينب» ، وهى سليلة أسرة عريقة من الاشراف ، جار عليها الدهر وقلب لها الزمان ظهر المجن ، فتبدل نعيمها بؤسا وغناها فاقة ، ويأتى الى المقهى شقيق «زينب» هذه ، واسمه «عزيز» فينفرد به السمسار ويظل به الى أن يقنعه بتزويج شقيقته لجمال حتى تنفرج ضائقتهم بثروة هذا الوريث المنتظرة ، ولا يترك السمسار أحداً من الطرفين إلا بعد أن يجعله متلهفاً على إبرام الصفقة ، حتى إذا تمت تكون له أتعابه منهما جميعاً . وبالفعل ينجح السمسار ، فيما أراد ، ونجد أن كلا من جمال وعزيز يتلهفان بالفعل على الخطبة ، هذا من أجل المال والارث الكبير الذى سيؤول لزوج أخته وتعم فائدته على العائلة ، وذاك من أجل عراقة الفتاة وجمالها المزعوم .

ومن بين رواد المقهى الآخرين ، طبيب خامل خائب معروف بالبخل هو الآخر ، يدعى «عبد السلام» ، وحين ينتهى الفصل الأول ، يكون ذلك الطبيب قد اشتبك فى مشادة كلامية مع شقيق أحد المصابين فى حوادث الطريق ، هذا يريده أن يهب لعلاج شقيقه ، وذاك يقعده الخمول والكسل .

وفى بداية الفصل الثانى ينفرج الستار عن الست «نظيفة» ، هذه الجدة الثرية البخيلة ، وقد أخذت تؤنب خادمتها «حسنى» على ما اشترته من خضروات غالية الثمن ، ويطول الحوار ، ويكشف فى نفس الوقت عن شدة بخل هذه الجدة حتى انها لتضن على نفسها وعلى خادمها بالقوت الكافى ، وبينما تذهب الجدة لاداء الصلاة ، يدخل الحفيد «جمال» ، ويقع على كيس نقود نسيته جدته على إحدى الارائك ، فيلتقطه ويدسه فى جيبه بعد تردد طويل ، وتندهش حسنى الخادم ، وكانت قد رأت جمالا من حيث لم يرها ، ثم لا تلبث أن تسوق الاعذار والتبريرات التى دفعت جمالا لهذه السرقة ، فهو محروم ، ولو أن جدته أعطته ما يسد حاجاته لما مد يده على الكيس ، ونشتم من هذا الدفاع أن حسنى تحب جمالا ولكنها لا تجرؤ على مكاشفته .

تعود الجدة من صلاتها لتكتشف ضياع الكيس ، فيطير صوابها ، وتتجه شكوكها الى «حسنى» ولكنها لا تستطيع أن تجهر باتهامها ، لأن «حسنى» تعرف أسرارها ، وتعرف أمر الذهب المخبأ فى البئر ، وفى نفس الوقت لم تستطع حسنى أن ترشد على «جمال» لأسباب عاطفية ، وعندما يعود جمال مرة أخرى ، يشتبك مع جدته فى حوار طويل هو يتهمها بالبخل الشديد وبحرمانه من النقود ، وهى تتهمه بالتبذير وترى أن المبلغ القليل الذى تعطيه له كاف تماماً ، وتضرب له المثل بحرص أبيه وبخله ، ويثور الحفيد فى وجه جدته ، ويبوح لها بكل ما يعرف من أمر الذهب الذى خبأته ويخبرها انه لم يعد بحاجة الى شىء منها ، فقد اقترض مبلغاً من المال وخطب به «زينب» بنت النقيب وشقيقة عزيز .

وفى نهاية الفصل ينفرد جمال بحسنى ، فيغازلها ويطاردها ، ولكنها تتابى عليه ، إلى أن تحضر الجدة ، فينتهى الموقف وتهبط الستارة .

الست نظيفة على فراش أرضى (١) فى قاعة من منزلها وحولها حسنى وجماعة جئن للسؤال عنها من الجارات).

زائرة : (وهى داخلة)

العوافى أم الأفندى (٢) العوافى

حسنى : اخفضى الصوت .. اسكى يا خاله

الزائرة : ما لها ؟ ما بها عفا الله عنها ؟

حسنى : هى من ليلتين فى شر حاله (٣)

زائرة : أم الأفندى عوفيت
من قلبها تحبنى
ما كان أندى يدها
على الفقير والغنى
شفاها الله للبيت
وللجار وللجاره
جرى إحسانها كالسيل
حتى أغرق الحاره
قد وقعت عينى عليها
مرة فى السيده

أخرى : فما رأيت ؟

الأولى : نخوة
وكرماً ما أزيده
جاءت وراحت تقرض الله
وتعطى مسجده
وكلما مد فقير يده

الثانية : عضت يده
يا أخت أين ذلك المدح العطر ؟
وأين جودها الذى كان المطر ؟ (٤)

الأولى : (لحسنى)
انظرى خلفك حسنى

حسنى : من ؟

الأولى : هى الشيخة بنبه (٥)
(الشيخة بنبة (٦) تتقدم)

بنبه : كيف حال الهانم (٧) اليوم ؟

حسنى : انظرى الحالة صعبه

إحدى الزائرات :
حسنى اطرحى الغم ولا
تستسلمى الى الكدر
رأيت رؤيا أمس

أخرى : ما ذلك ؟

حسنى : خيراً .. ما الخبر ؟

الزائرة : رأيتنى فوق طريق
فيه طين ومطر
مشت به (٨) أم جمال
تنثنى وتفتكر (٩)
تحمل حمل جمل
أو جملين .. من حجر

حسنى : ثم ؟

صاحبة الرؤيا :
إذا فوق الطريق
ثم (١٠) شيخ قد ظهر
كأن نور وجهه
تحت العمامة القمر
قد طرح الأحمال عنها
فجرت على الأثر (١١)
حتى لبثت ساعة
عجبت كيف لم تطر
سمعت يا شيخة رؤياى

الشيخة : سمعت العجبا
رؤيا كأنها الفلق (١٢)
تبارك الذى خلق
أم جمال أعينت
وزال عنها العناء
وذلك الشيخ قطب (١٣)
على يديه الشفاء

أخرى : أم جمال بخير
قد ألقى الحمل عنها
(يظهر الدكتور مقبلا)

إحدى الزائرات :
ماذا ؟ من الداخل ؟ من يا ترى ؟

أخرى : هذا هو الدكتور عبد السلام

الأولى : أبعد هذا .. القطب يؤتى به ؟

الثانية : وأى قطب ؟

الأولى : هلى نسيت المنام ؟

أخرى ماذا تقول ؟ تظن هذا القطب !

الأولى : ذاك هو العمى
هذا الطبيب مطربش (١٤)
والقطب كان معمما
شتان بين القمر
المنور الملمح (١٥)
وبين تيس الجبل
المفلفل المملح (١٦)
ما تلك فوق عينه ؟ (١٧)

الثانية : زجاجة مدوره
تقيه ضوء الشمس .. أو
تمنع عنه الغبره (١٨)

كأنها غمامة
تحجب عينى بقره

الأولى (١٩) :
ولم تغطى بالثياب السود
رأساً (٢٠) لقدم ؟
كأنما أخرج من
زكيبة من الفحم (٢١)

الثانية (٢٢) :
سود الثياب بمصر
صارت ثياب الأماره
فلا ترين (٢٣) بياضاً
إلا على شيخ حاره

الأولى : وما بفيه ؟ (٢٤)

الثانية : إسألى حسنى

حسنى : بفيه «توسكنه» (٢٥)

الأولى : مسكين الدكتور قد
أصبح فوه مدخنه

الدكتور : العوافى أم الأفندى العوافى

حسنى : هى فى غشية ونوم عميق

الدكتور : كيف حسنى ؟ ما حال أم جمال ؟

حسنى : هى فى الكرب .. خفف الله عنها

الدكتور : ودوائى ؟

حسنى : لما تعاطته نامت

نومة لم تقم الى اليوم منها
ما بها يا سيدى ما داؤها ؟

الدكتور : تخمة من أكلة ذات دسم

حسنى :
تخمة ؟ لا سيدى (٢٦) الدكتور .. لا
نحن لا نعرف فى البيت التخم

الدكتور : إذن بها ضعف

حسنى : ومن أين جاء الضعف ؟

الدكتور : من قلة ما تطعم (٢٧)

حسنى : وما يقوى الضعف ؟

الدكتور : الأكل يا حسنى

حسنى : وكيف الأكل أين الفم ؟

الدكتور : رحم الله زوجها
انه كان صاحبى
كان فى كل منزل
وطريق .. بجانبى
(ثم ينتقل الدكتور فجاة لمخاطبة احدى الزائرات)
خضرة أنت ههنا (٢٨)
ما تصنعين يا ابنتى ؟

خضرة : فى كل ساعة أجى (٢٩)
أسأل عن سيدتى

الدكتور : وحسن زوجك ما يصنع

خضرة : فى البيت انطرح
منذ تناول العلاج
بالأوانى ما سرح (٣٠)

الدكتور : وما له لم يجئنى ؟

خضرة : بأى رجل يجيكا (٣١)

الدكتور : (الى مرجانة)
ما ذاك يا بيضاء ماذا أرى ؟

مرجانة : تورم الخد من الدمل (٣٢)

الدكتور : (يخرج مشرطاً من جيبه)
هاتى (٣٣) أريه (٣٤) .. اصبرى ساعة أفتحه ..

مرجانة : لا . لا يفتح الله لي (٣٥)

أخرى : دعيه يفعل تستريحى ..

أخرى : اقعدى



البخيلة

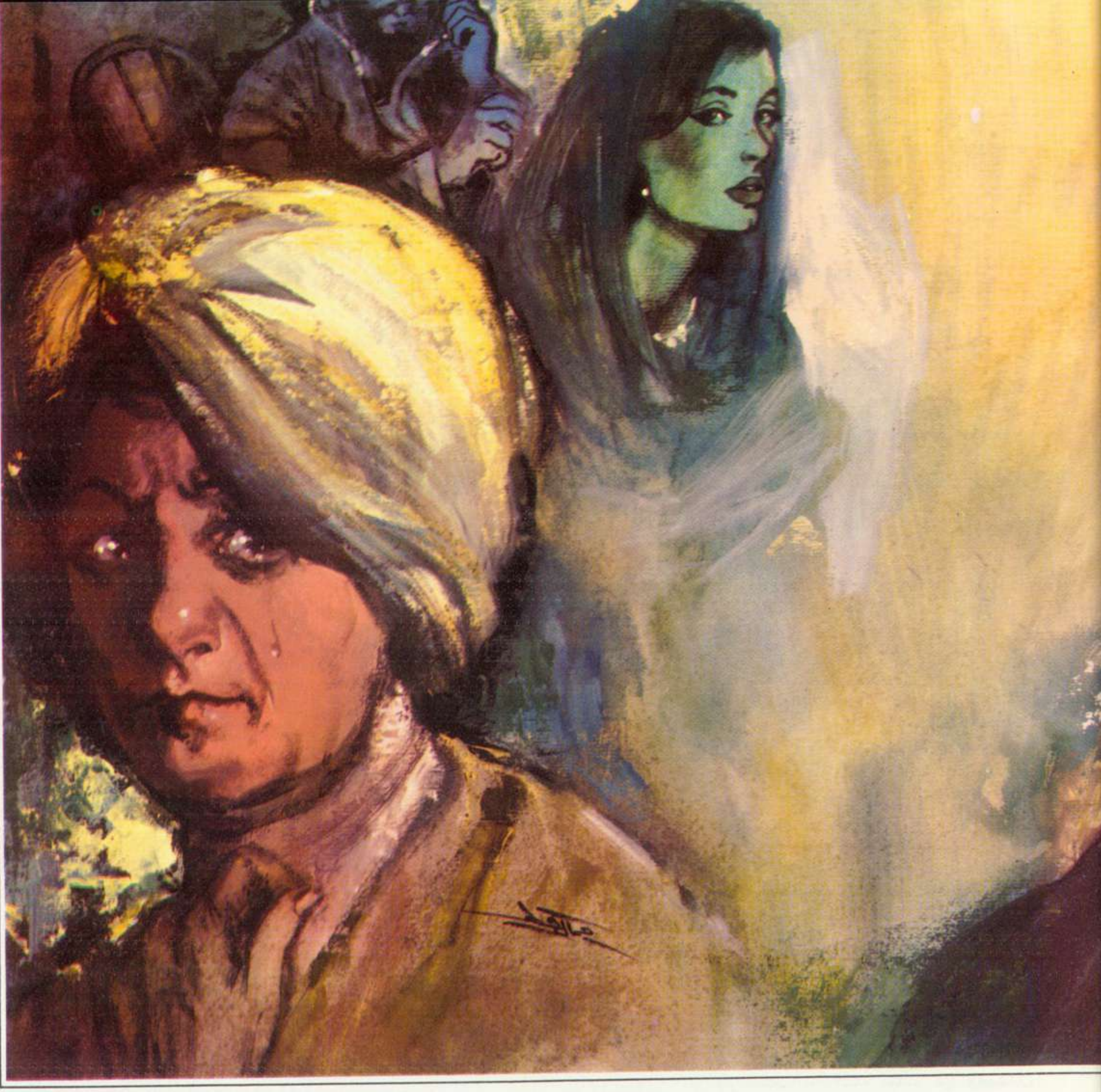
مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

حذار مرجانة أن تفعلى
(يدخل جمال)
الدكتور : من (٣٦) ذاك ؟ أنت جمال ؟

جمال : من ؟ سيدى الدكتور ؟ (٣٧)
كيف وجدت جدتى ؟
الدكتور : تسير نحو العافيه
جمال :
وكيف وهى من ثلاث (٣٨) لم تفق ؟
حسنى : بل إنها من أربع كما ترى
وارحمتاه لك يا سيدتى
ولطف الله بنا فيما جرى
جمال :
حسنى أقلى الحزن .. يعفو الله عن
ازيد من هذا .. ويشفى أكثرا
الدكتور :
دعا (٣٩) .. لا تخافا ولا تحزنا
فما (٤٠) الأمر لليأس بالصائر
وكم فاقد الرشد لا غائب
ورائى تركت .. ولا حاضر
وآخر لا راقد فى الفراش
إذا قلبوه ولا ساهر
حسنى : أمرضاك كلهمو هكذا ؟
وهل يستفيقون يا سيدى ؟
الدكتور : تقوم عليهم يدى بالشفاء
قيام المسيح على المقعد (٤١)
حسنى : (لجمال)
وأنت سيدى جمال .. قونى (٤٢)
علمنى العزاء والتصبرا
زائرة : مرجانة .. انظريهما
الأخرى : يحبها
الأولى : تحبه
الثانية : وبيديه قلبها
الأولى : وفى يديها قلبه

(يخرج جمال ، تخرج مرجانة وبعض الزائرات . وتدخل إحدى الجارات تدعى زهرة)

زهرة : ما حال أم الأفندى ؟
حسنى : سيدتى فى العذاب
مضى عليها أربع
فى كربة لا تفرج
فى النزع لا وعي لها
والسر (٤٣) ليس يخرج
زهرة :
حسنى اسمعى .. لدي خاطر خطر (٤٤)
حسنى : ما ذاك ؟
أخرى : ماذا ؟ ما الخبر ؟
زهرة :
اصغين : مما جربوه فى الأسر
صوت الفلوس (٤٥) عند رأس المحتضر
إن كان فى دنياه بالبخل اشتهر
يسمعها فينطفى (٤٦) على الأثر
وكلما تأخرت عنه انتظر
حسنى : إذن قومى أريحيها
إذن من هذه الحاله
زهرة : وأين الشاش والفضة ؟
حسنى : من مالى يا خاله
زهرة : مالك أو مال سواك ..
كل ما قد حضر
القصد أن يقرع صوت
المال .. سمع المحتضر
حسنى اسمعى لي أصغى
هاتى (٤٧) ملاءة فرش
والآن فليلق كل
منكن فيها بقرش
(ثم لحسنى)
حسنى خذى من طرف
(ثم لأخرى)



وأنت من ذاك الطرف
(للجميع)
وأنا أبقى ههنا
(لصبى موجود)
وأنت .. قم خذ لا تخف
والآن فلتقم الى الفراش
ومثل صنعى فاصنعوا بالشاش
(يدخل جمال)

جمال : ما الحال حسنى ؟ وكيف أمست؟
حسنى : فى النزع والكرب لاتزال

(يذهبون بالشاش حتى يقتربون من فراش المحتضرة وهم ممسكون (٤٨) بجهاته الأربع ، فتخرج الأولى نقوداً وتلقيها فى الشاش (٤٩) ، فيعمل الباقون مثلها . يتقدم جمال فجأة ويخرج من جيوبه نقوداً ويقول) :

جمال : وأنا أيضاً أشترك
هاك خذى ما أمتلك
وضعت كل فضتى
كى تستريح جدتى
(يلقى النقود)

(الأربعة يهزون الشاش بالنقود بينهم ، وتقول الأولى مخاطبة المحتضرة) :

الأولى : امضى ولا تفكرى فى المال
وانسى حديث القرش والريال
أنت وما ملكت للزوال

هزوا معى .. هزوا معى
يا أيها الروح اطلعى
الى (٥٠) النعيم الأوسع
وديعة الله اذهبى
امضى ولا تعذبى
لله عودى .. والنبى (٥١)

احدى السيدات : (بعد وفاة الجدة)
قد انقضى الأمر
قد خرج السر
حسنى .. لك الأجر

حسنى : (لجمال)
الصبر .. واخرج سيدى جمال
لمثل ذا لا يصلح الرجال

الجزء الأخير من المسرحية
العدد القادم

البخيلة

تعليقات وهوامش حول الفصل الثالث

يكتبها: حسن طلب

الفصل الثالث من «البخيلة» هو الفصل الأخير فيها، وهو أطولها وأكبرها حجماً، فهو الفصل الوحيد في المسرحية الذى يتكون من منظرين كل منظر منهما يقارب فى حجمه فصلا كاملا من الفصلين الأولين، ومن هنا فقد رأينا أن نضغط الهوامش والتعليقات الى أقصى حد ممكـــن، فتغاضينا عن الاشارة الى عشرات التصويبات المتعلقة ببعض الأخطاء الخفيفة، التى تعزى بالدرجة الأولى الى رداءة النسخ مثل اسقاط الهمزة من المواضع التى كان يجب إثباتها فيها، وإثباتها حيث كان يجب إسقاطها كما أغفلنا الاشارة الى المواضع الكثيرة التى كان ينبغى أن تصرف فيها أسماء الأعلام أو تمنع من الصرف، حسبما تقتضى الضرورة الشعرية، وكذلك المواضع التي يجب أن تتحول فيها الهاء الى تاء مربوطة أو العكس وغير ذلك من الهنات التى لا تخفى على فطنة القارىء.

وبانتهاء هوامش هذا الفصل وتعليقاته، نكون قد أتممنا تحقيق النص وضبطه، ريثما نفرغ لتحليله ونقده فى العدد القادم. وهذه هى هوامش وتعليقات الفصل الثالث والأخير:

(١) فى الأصل (أضى) وهو تصحيف تداركه المصحح المجهول.

(٢) «العوافى أم الأفندى»: «العوافى» لفظة فصيحة مفردها عافية، يستخدمها العامة فى التحية خاصة فى الريف والأماكن الشعبية، و «الأفندى» لفظة تركية، تعنى «السيد»، وكان يلقب بها طبقة المتعلمين

(٣) كلمة «شر» مطموسة فى الأصل.

(٤) فى الأصل «كان كالمطر»، وهو مخل بالوزن.

(٥) هكذا فى الأصل، وهذا الاسم (بنبا) ـ ويكتب أيضاً (بنبة) ـ شائع فى الأوساط المصرية الشعبية، وربما يكون مأخوذاً من كلمة عامية ذات أصل فرعونى، هى كلمة (بنبى) التى تعنى: الشىء ذا اللون الأحمر الخفيف الحمرة.

(٦) فى الأصل (بنبا) وقد أجرينا رسمها كسابقتها بالتاء المربوطة.

(٧) «الهانم» كلمة معربة لم أهتد الى مصدرها الأصلى، وتعنى السيدة الكريمة والعقيلة المخدرة من النساء.

(٨) فى الأصل «مشت فيه»، وقد أصلحناها لكى يستقيم الوزن.

(٩) فى الأصل «تتثنى وتفكر»، وهو موزون ولكن على بحر الرمل، ولما كانت الأبيات من مجزوء الرجز، فقد أجريناها مجراها.

(١٠) «ثم شيخ»: فى الأصل «قزم شيخ» وهو تصحيف.

(١١) يقال «جاء فى أثر كذا»، أى جاء فى عقبه أو تالياً له.

(١٢) الفلق هو الصبح، سمى كذلك لأنه يفلق ظلام الليل أى يشقه، وقد جاء فى القرآن:

«قل أعوذ برب الفلق»

(١٣) القطب فى العربية، هو المحور الذى تدور حوله الرحى، ومن هنا قيل «قطب الرحى»، لكل أمر جوهرى تتعلق به أمور أخرى ثانوية، وقطب القوم: سيدهم وأميرهم: والجمع قطوب وأقطاب. وقد تطورت الكلمة فاكتسبت دلالة ثيولوجية فى الاستخدام الشعبى، فأصبحت تطلق على أولياء الله وشيوخ الطرق الذين يتأتى لهم القيام بالخوارق والمعجزات، وهذا المعنى هو المراد هنا.

(١٤) «مطربش» أى لابساً الطربوش، والطربوش مر شرحه.

(١٥) «القمر المنور للملح»: يقال للشىء: هو أبيض لملح، أى شديد البياض.

(١٦) «المفلفل المملح»: الفلفل والملح معروفان والمراد هنا الزراية والاستهجان.

(١٧) فى الأصل «عينيه» وبها يختل الوزن، فأصلحناها. والجدير بالذكر أن المفرد يطلق كثيراً للدلالة على الجمع أو المثنى فى العربية القديمة.

(١٨) «الغبرة» (بفتح الغين والباء والراء). هى الغبار، وقد ورد فى القرآن:

«ووجوه يومئذ عليها غبرة»

(١٩) كلمة «الأولى» ساقطة فى الأصل، وأضفناها ليتسق بها الحوار.

(٢٠) كلمة «رأساً» مطموسة فى الأصل.

(٢١) «الزكيبة» كلمة فرعونية الأصل تعنى: الغرارة، والغرارة: وعاء من الجوت تعبأ فيه الحبوب، ويراعى فى هذا البيت أن الشاعر حرك حاء «الفحم» ليقيم الوزن.

(٢٢) كلمة «الثانية» ساقطة من الأصل، وأضفناها ليتسق الحوار.

(٢٣) فى الأصل «فلا تزين»، وهو تصحيف.

(٢٤) جاء هذا السطر والذى يليه فى أول الصفحة، حيث لم يلحق إلا بطرف ظهر ورقة (الكربون) فصعبت قراءتهما إذ لم يبن منهما إلا نصف الحروف، ولا نزعم أنهما مثبتان هنا كما أرادهما الشاعر، فقد اجتهدنا أن نخمن رسمهما حسبما يقتضى الوزن والسياق.

(٢٥) «التوسكنة» لفظة معربة لم أقع على أصلها ولم أتعرف على معناها، ولعلها اسم أداة من أدوات التدخين التى كانت سائدة فى عصر شوقى، مثلها مثل الشبك (بضم الشين والباء)، انظر الهامش (١٥) فى الفصل الثانى.

(٢٦) فى الأصل «لا يا سيدى»، فحذفنا الياء ليستقيم الوزن.

(٢٧) فى الأصل «مل قلة»، وهو تصحيف.

(٢٨) فى الأصل «هنا»، وبها يختل الوزن.

(٢٩) خفف الشاعر همزة «أجىء» ليقيم الوزن.

(٣٠) سرح الرجل: خرج بالغداة، وسرح بالأوانى: خرج بها يبيع ويشترى، ولا يفعل ذلك إلا الباعة الجوالون.

(٣١) «يجيكا»: أصلها: يجيئك، فخفف الهمزة وأشبع الفتحة فصارت ألفا لكى يستقيم له وزنه وقافيته.

(٣٢) «الدمل» بالدال المضعفة المضمومة والميم المفتوحة بالتضعيف أو بدونه، خراج يصيب أنسجة الجلد من التهاب أو نحوه، فتتقيح فيه كرات الدم البيضاء. والجمع دماميل أو دمامل.

(٣٣) فى الأصل «هات» وهى للمذكر، ولذلك صححناها.

(٣٤) الصواب أن يقول: «أرنيه» أو «أريه لي».

(٣٥) «لا يفتح الله لي»: يقال فتح الله على القارىء: لقنه ما كان نسيه وذكره به، وفتح له: هيأ له سبل الخير والسداد.

(٣٦) فى الأصل «ما» واستبدلنا بها «من» حتى تصلح للعاقل.

(٣٧) الوزن غير مكتمل فى هذا الشطر وقد تركناه على حاله لأن المعنى مكتمل.

(٣٨) أراد: من ثلاث ليال، يقول الحطيئة «جرول بن أوس»:

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

(٣٩) «دعا»: فعل أمر للمثنى من الدعة بمعنى قرا وأسكنا.

(٤٠) فى الأصل «ففا» وهو تصحيف.

(٤١) إشارة الى معجزات المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى إبراء المعتوهين.

(٤٢) فى الأصل «نونى»، وهو تصحيف.

(٤٣) «السر» من كل شىء: جوهره وأصله، والمراد هنا الروح.

(٤٤) فى الأصل: «لدى خاطر خضره» وهو تصحيف شديد يفسد المعنى والوزن كليهما.

(٤٥) «الفلوس»: جمع فلس (بفتح)، وأصله القشرة التى تكسو جلد بعض أنواع السمك، ويطلق أيضاً على عملة عربية قديمة، كانت تساوى سدس الدرهم. ولفظ «الفلوس» يطلق على النقود عامة، تماماً كما يطلق لفظ «الدراهم» فى أماكن عربية أخرى

(٤٦) خفف همزة «ينطفىء» لاقامة الوزن.

(٤٧) فى الأصل «هات» وقد صححناها، انظر الهامش رقم (٣٣).

(٤٨) فى الأصل «ماسكون جهاته»، وقد فضلنا التعبير المثبت هنا.

(٤٩) فى الأصل «وتلقيها بالشاش»، وفضلنا التعبير المثبت هنا أيضاً.

(٥٠) «طلع على النعيم»: أقبل وأتى اليه فجاة.

(٥١) «والنبى»، قسم يجرى كثيرا على ألسنة العامة فى مصر.

روائي عربي اعترف نقاد العالم بأدبه

فتحي غانم

لمفيد فوزي :



جيلنا انتزع مكانه من العمالقة .. بالذراع

لا أحد يكره الأحاديث الصحفية مثل الكاتب الروائى فتحى غانم انه يعتبرها «مضيعة للوقت» ! وقد حاولت اقناعه ان القارىء الذى يحتفى به ويقبل بنهم وشغف على مؤلفاته يهمه أن يعرف فتحى غانم ، الانسان وافكاره ومكونات وجدانه وشيئاً ما عن حياته الشخصية . ورفض فتحى غانم هذا المبرر لاجراء حديث صحفى معه قائلاً ان هذا يشبه ـ كما يقولون ـ الباعث على مقابلة «أوزه» والحديث معها لأنى مثلا احب فطيره من كبد الاوز !

وعندما قلت لفتحى غانم انه من الضرورى ان يتعرف الناس على رؤاك الأدبية . قال بسرعة : «انها فى رواياتى . والحديث الصحفى لن يكون بأى حال .. الجدار النهائى لأفكارى» .

وأردت ان استفز فتحى غانم ، فربما كانت هذه وسيلة للوصول الى اتفاق معه على المقابلة . فقلت ان الأديب الايطالى الكبير «البرتومورافيا» يعتبر المقابلات الصحفية والأدبية مع الكتاب والروائيين جزءا مكملا لأعمالهم الأدبية وضوءاً كاشفاً لشخصيات رواياتهم .. بل إنه قال ذات مرة «ان المعارك الصحفية والهجمات النقدية تنعشنى» . وصمت فتحى غانم ثم انطلق يضحك وقال «بيد أنها لا تنعشنى أنا» .. واستطرد يقول : ان ما ينعشنى حقاً هو دراسة نقدية يجريها ناقد جاد بمعزل عنى . إن هذا بمثابة اعادة اكتشاف لى ولفنى الروائى»

عدت اقول لفتحى غانم : ربما أخطأت فى العرض . ان ما اريده ليس حديثاً صحفياً يصحبنى فيه مصور صحفى شاهراً عدساته فى وجهك . انه ابعد من هذا . انا اريد ان اتحاور معك .

... ...

أريد أن أتقاسم معك «حواراً» . فانا ـ وهذه ملاحظة شخصية ، قد عملت معك وتحت رئاستك ، وعرفتك قليل البوح . نادر الكلام ، أقرب ما تكون الى الغموض!

قال بسرعة ..«هل هى محاولة إذن لازاحة الغموض عنى» ؟

قلت : بل هى محاولة للتعرف عليك أكثر . للرحلة الحميمة فى اعماقك أكثر . للتريض معك ومع شخصياتك الروائية اكثر !

ويبدو اننى نجحت فى اقناع فتحى غانم بصيغة الحوار معه لأنه ضحك وقال «حدد الوقت وانا مستعد» !

قالها بطريقة لاعب الشطرنج الماهر الذى يعلن عن قبوله للدخول فى مباراة مع «هاو» .. مثلى !

وعصر أحد الأيام ، وكان الجو بارداً ..

روائي عربي

... ...

قلت لفتحى غانم وانا حريص على استرساله وعدم مقاطعته :

ـ انك تستخدم عقلك فى رواياتك ببعض من الخبث !

قال فتحى غانم : ربما استريح اكثر لكلمة «المكر» . وهذا حقيقى ! انا أرى ان الروائى لا يحب ان يعبر عما يريد بطريقة مباشرة والا صار ما يكتبه مقالا ! الروائى يجب أن يعرف أصول اللعبة . لابد أن يجيد التحضير بمكر لشخصياته لابد أن يعرف كيف يمهد للمواقف القادمة . انها فن الصنعة عند من كان قدرهم الرواية . ففى اى موقف ، حيث تبرز الأزمة أمامك ، كقارىء لرواية ما ، يكون الروائى قد استخدم «المكر» فلا هو يكشف لك ابعاد الموقف بوضوح ولا هو «يعتم» عليك الصورة . لكنه يخلق فيه حالة من الحيرة تدعوك للاشتراك مع الأبطال فى أزمتهم . هذا هو العقل ودوره فى فن الرواية . فاذا كان الفنان يمضى فى رحلته مستكشفاً شواطئه وبحاره ، فان بوصلته هى العقل . العقل المكار ، كعقول الأطفال . اذ بدون هذا «المكر» تفقد الطبخة ، طعم الملح !

قلت للروائى الكبير : فى أول رواياتك .. كان الموضوع بالنسبة لى غامضاً . اخترت مسرحاً غريباً قرية القرنه فى الأقصر .. هناك فى صعيد مصر . ولكنى شعرت أنك ـ فى أعماقك ـ تصمم المكان وتتصوره قرية ما ، تحت أى سماء ماذا قصدت برواية الجبل ؟ طالما أن العقل شريك للفنان .

قال فتحى غانم : رواية الجبل ، هى أولى رواياتى . وقد طرحت فيها موضوعاً كان يحيرنى وهو الرغبة فى الاصلاح . انها عملية تحتاج لوقفه موضوعية . فى شرقنا العربى عموما ، ناخذ الرغبة فى الاصلاح بعاطفة مشبوبه وبحماس رنان واحياناً نتشنج ونصرخ «يجب الاصلاح فوراً . الاصلاح ضرورة . الاصلاح أولا» . ندخل فى منطقة الشعارات وننسى أن الاصلاح قضية معنوية لا تتم بين يوم وليلة . انها عملية استيعاب لعادات نفسية وذهنية .. ثم تغييرها ببطء وعلى مدى بعيد .. دون انتظار سريع للعائد ، الاصلاح بأسلوب يجب . يجب . يجب ، ينتهى الى مسار آخر غير ما نبغيه منذ البداية .

هناك ظروف مجتمع . فكيف نتعامل انسانياً مع ظروف مجتمعنا . ذلك ما كان يسيطر على وانا اكتب الجبل . ان التخطيط لمشاريع اجتماعية يحتاج فى الواقع الى فهم كامل للأرض والناس والدواب التى ستكون حقل التجربة . ان عدم إدراك هذا فى عملية الاصلاح الاجتماعى يجلب .. الصدمات ، وهذه حقيقة ! وفى رواية «الجبل» تعرضت لعملية قرية نموذجية جاءت لتبيد عادات أهلها وقيمهم السائدة . لقد شاركوا فى بناء القرية بدلا من الكهوف التى كانوا يعيشون فيها .. ليس من أجل التغيير ولكن من أجل «الأجور» التى تقاضوها عن جهد البناء . ثم اكتشفوا ان هذا البناء الجديد يعاديهم ويعادى مفاهيمهم ، ويبعد عنهم الحيوانات التى يستأنسون بقربها منهم .

فماذا فعلوا فى النهاية ؟ حرقوا القرية الجديدة .. وظلوا فى الكهوف ربما حتى الآن . هذا هو «مضمون» رواية الجبل .

قلت لفتحى غانم : انه مضمون أردت ان تعبر عنه برواية . أليس هذا من واجب عالم الاجتماع اكثر من الروائى ؟!

استفز السؤال فتحى غانم . فصمت ثم ضحك وقال .. وسيلتى مختلفة . انا أطرح قضية بأسلوب روائى ولكنى لا اتعرض لنظريات أو أقف كالخطيب . أو ألقى محاضرة . كلنا ـ فى نهاية الأمر ـ نعبر انا برواية ، وعالم الاجتماع بدراسة . انها رؤية ، يراها الفنان والعالم كل على حده من زاوية .

كان الدفء الذى أحس به ، هو ذلك اللقاء الحميم من النقاش الساخن والبارد أحياناً .. مع الكاتب الروائى فتحى غانم

● أنا أمهّد لشخصيات رواياتي بمكر

● أكبر مغامرة للكاتب مفاجآت نفسه في الكتابة

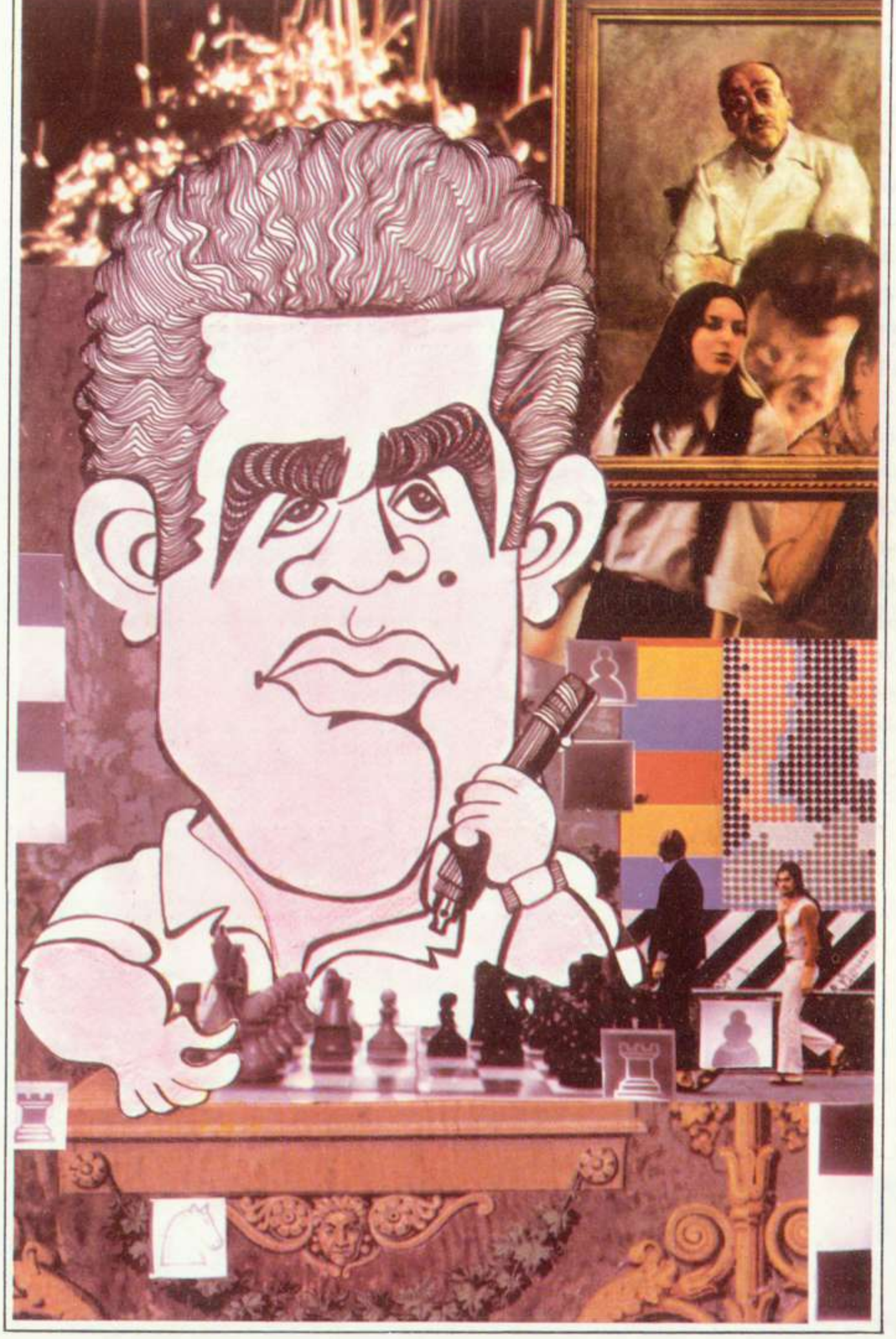
● لا ينعشني سوى دراسة جادة لناقد جاد

● لا أميل في الفن للأحكام القاطعة .. إنها عبث

● تحدّي الإنسان الدائم للموت .. يشغلني

● افتعلت معركة مع طه حسين وهاجمته لأشتهر

● أنا امتداد في السلوك للكاتب عباس العقاد



كمباراة شطرنج ، كان الحوار . انه لا يرد على «لعبتى» الا بتأن شديد وفهم كبير . لايتهور . واذا تحمس ، فمن باب اتقانه . واذا صمت ، فهو يفكر . واذا ضحك فهو يفكر أيضاً ولكن بأسلوب آخر . وليس من الضرورى أن يعبر هذا الضحك عن سعادته ! ان مفردات سعادته أو تعاسته. مفردات خاصة به !

وقد كان من الضرورى ان اتسلل اليه ، فهو لا يحب البدايات المحددة . لقد اعترف لى مره أنه يعشق «اللعب بالأسلوب» .

قال مرة «احب أن أوجد فى قلب مباراة لم اتفق مع خصمى على اللقاء» . ولكن كيف أبدأ المباراة بدون صفارة الحكم .

ان تجربة الحوار مع فتحى غانم ، مغامرة . ولكن كان من الضرورى أن أمضى فى الشوط الى آخره .

... ...

قلت لفتحى غانم وكأنى أفكر بصوت عال «أشعر أن الرواية عندك أشبه ما تكون بمعمار فنى دقيق . وأحس أنك مهندس تتميز أعمالك بالرقى والنضج والعالمية انك تعبر فى رواياتك الحدود الجغرافية ، وتمد جسورا الى العالم ، ربما لأن بطلك هو الانسان دائماً .. فى أى أرض وتحت أى سماء .. ودعنى أقل انك فنان يستخدم عقله بذكاء . ويحيرنى سؤال : هل الفن عملة يسيطر عليها العقل ؟ هل يضبط الفنان شطحاته ـ ان صح التعبير ـ على ساعة العقل وعقاربها المحددة بالدقيقة والثانية ؟ استوعب فتحى غانم السؤال جيداً وقال : هكذا اتصور الأمر .

ان العقل مطلوب دائماً . انه شريك الفنان . والعمل الفنى أشبه ما يكون برحلة . الغريب فى هذه الرحلة انك تحدد الهدف . ولكن الاتجاه الذى تفكر فيه ـ أثناء هذه الرحلة الفنية ـ يتغير . فهى ـ فى نهاية الأمر ـ معركة مع العقل ومع العواطف ومع النفس ، مع الآخرين مع التجارب ، مع الذكريات ، مع الظروف مع الورقة والقلم . لأنك حين تمسك بالقلم وتجلس لتكتب ، فان هذا دون ان تحس وسيلة من وسائل المعرفة . للدقة اكثر ، وسيلة من وسائل الاستبصار . ان ظروف الكتابة نفسها قد تملى على الكاتب نمطاً من الكلمات والتعبيرات . ان مناخ الكتابة يدخل فى كيمياء العلاقة بين الكاتب وما يكتب . وأحياناً ـ وهذا ينطبق على الروائى ـ يجد نفسه يرتاد مناطق لم يفكر فيها من قبل . ويذهب فى برارى لم تخطر له على بال . وبأسلوب الرواية ، ويمشى فى سكك لم يخطط لها من البداية ، ان الكتابة مغامرة يحرسها العقل والا كانت عبثاً وفوضى . وأنا كروائى ، على أن أتحمل مفاجآت المغامرة بما فيها بل واخطرها مفاجآت نفسى ! قد أفاجأ من داخلى بأصوات وبذكريات وبمواقف وبمشاعر تفرض نفسها . وتقوم معركة بين ما «أتصوره» بعقلى وبين هذه الأصوات الداخلية الملحة ونتيجة هذا الصراع هو الذى يحدد «مسار» الرواية .

روائي عربي

قلت للروائى المكار وانا استخدم أسلوبه فى الحوار .. ماذا كان رؤاك فى رواية الساخن والبارد ؟

أخذ يجتر ـ فيما أظن ـ شخوص هذه الرواية ، لأنه أجاب بعد قليل . وقال : فى «الساخن والبارد» ، طرحت قيمة لقاء الشرق بالغرب . والفرق بين الانفعال العاطفى والصدق العاطفى مقابلة بين حضارة من الشرق وتقاليد من الغرب . امتحان للقيم فى الشرق وامتحان للطبائع فى الغرب .

قلت لفتحى غانم : ولكنك لم ترس على شاطىء . طرحت القضية وعقدت الامتحان .. ولم نصل معك الى قاعدة .

دعنى أسألك ، هل الرواية ، عمل فنى يجب ان يتحرر من الاحكام ؟

قال فتحى غانم : أنا شخصياً ، لا أميل إلى الأحكام القاطعة فى الفن . الاحكام فى الفن كالاحكام فى الحياة . فالحياة مستمرة وهناك متغيرات ولا اظن ان هناك عاقلا يقف جامداً عند أحكام بعينيها . فالأمر نسبى . المهم ان نفهم أنفسنا فى ظروف معينة ومناخ معين . ونعرف ان ما يصدر عنا من احكام فى هذه الظروف ليس خالداً بالضروره . انه متغير .. كالحياة تماماً . وانا اعتقد أنه ليس من مهمة الفنان اصدار احكام قاطعة ونهائية .

... ...

شعرت أننى فتحت شهية فتحى غانم للحوار . كان يصغى لتساؤلاتى بشدة ويسمح لى بمقاطعته أحياناً ويوافق بهز رأسه على بعض ملاحظاتى ويدخن بسعادة . كنت أراه فى احسن حالاته . كأنه يكتب فصلا من رواية جديدة . كأنه يلعب مباراة شطرنج بصفاء ذهنى كبير .

قلت له : أريد أن اقترب منك اكثر وافهم الأرضية الذهنية التى ترتكز عليها كروائى . اننى احس ان الانسان هو بطل مسرحك الذهنى . انك تضع «ابطالك» امامك وتحركهم كقطع الشطرنج . انك تختار «اقدارهم» ومسارها !

شرد منى فتحى غانم .. شرود من يريد تجميع أفكاره وصارحنى بأنه لأول مرة ـ يفاجأ بهذا السؤال : «الأرضية الذهنية التى يرتكز عليها» . قال وقد انخفض صوته .. أصبح الايقاع ابطأ :

ـ الحياة كمعركة فى مواجهة الفناء .. الموت . قدرة الانسان على أن يحيا . حياة الانسان هى وجه للحياة ووجه آخر للموت . كلما انغمس الانسان فى الحياة انغمس فى الموت . تحقيق الحياة بخصوبة وفاعلية هو تعرض للموت . القدرة على الصمود والاستمرار هو التحدى فى كل لحظة للموت . بلوغ ذروة النضج فى الحياة هو الوصول الى الحكمة التى تجعل الانسان قوياً فى مواجهة الموت وقادراً على استقباله . هذه المعانى تشغلنى ! لا تحددنى فى اطار . لا تحسبنى فى اقوال . اطلق يدى !

قلت لفتحى غانم : فى روايتك «الرجل الذى فقد ظله» تقترب فى الأسلوب من «رباعية الأسكندرية» .. هل اخطأت !

قال بلا مبالاة : ربما ! (لا مبالاة فتحى غانم عفوية احياناً ومرسومة كثيراً) ثم اعتدل فتحى غانم فى جلسته وقال : الأسلوب عندى يحقق لى متعة ، وأنا أحب ألعب ! أحب ان اجرب فى كل مره أمسك بقلم. مغامره فى الأسلوب ! أحيانا اتلذذ كثيراً بتصوير الأحداث من خلال منولوج داخلى . أحياناً أتوقف عن اصدار أى احكام حتى على انفعالات الأبطال والشخصيات فى الروايات واعتبر نفسى كاميرا تصور تصويراً بارداً وارقب ما سوف يحدث ! أحياناً أتأمل العلاقة بين موقف خاص جداً وقضية عامة فى كل مره ابحث عن زوايا فى الحياة واستخدام «الأسلوب» الذى يناسب . فالأسلوب هنا ، وسيلة وليس غاية .

قلت للروائى : ان عدسة الصحفى ـ مثلى ـ مفتوحة دائماً .. فهل عدسة الروائى ـ مثلك ـ مفتوحة بنفس الزاوية ؟!

أجاب : الاحساس بصور الحياة ومواقفها وانفعالاتها لا يتوقف أبداً . هناك دائماً «ردود فعل» تؤثر فى أعصاب الانسان وقد تعطله عن التفكير . أنا اعترف لك ان جهازى العصبى من النوع المشتعل الذى يستقبل الاشياء بحدة وان لم يظهر ذلك أمامك ! أحياناً أسمع إنساناً يقول : امضيت وقتاً مريحاً ودخنت سيجارة .. ويسترسل فى وصف لحظات هنائه .. اعترف لك اننى لا أعرف هذه المشاعر ولا أظن اننى اقضى مع الناس وقتاً مريحاً . هل هناك خلل ما فى جهازى العصبى ؟ لا أدرى !

قلت لفتحى غانم : لو قمت بزيارةمكتبك .. فمن ساقابله ؟

ضحك وقال : سوف يستقبلك بالنيابة عنى أرسطو . ان كتابه «الأخلاق» مهم جداً بالنسبة لى . ان كتب أرسطو تحتل مكاناً فى مكتبتى . وأرسطو ، يمثل لى ان العقل الانسانى عقل ناضج منذ زمن بعيد وعلينا الا نضيع وقتنا فى قضايا فكر فيها غيرنا ووصلوا فيها الى احكام عميقة وحققوا بتجاربهم الانسانية نتائج وليتنا نتعامل مع المعانى التى تركوها فتوفر لنا الوقت .. والجهد !

... .

قلت لفتحى غانم : لمحت شعاعاً من السعادة ، ترجمه وميض فى عينيك .. ولم أفهم سره المفاجىء !

ظل يضحك على ملاحظتى وقال ان درجة قوة الملاحظة عندى تصل الى ما فوق المائة . وهى مرهقة لنفسى وللآخرين ثم أجاب وقال : سر سعادته المفاجئة ، لقد كنت اقرأ قبل ان أقابلك اعترافاً عالمياً بمحاولاتى الأدبية . كنت اقرأ المقال الرئيسى للناقد الأدبى للصاندى تايمز اللندنية . كان يقارن بين الرجل الذى فقد ظله ورباعية الاسكندرية لداريل . ربما كان هذا الناقد رقم ثلاثين من العالم الذى تصدى لاعمالى بالاحتفاء والنقد والدراسة . كان هذا بمثابة مدرسة لى ، وأرى فيها نفسى على مستوى عالمى . لقد تجاوزت حدودى المحلية واصبح لى قارىء ـ بعد ترجمة مؤلفاتى ـ على المستوى العالمى . وهذا يشيع فى نفسى السعادة ويريحنى .

سألت فتحى غانم وانا احافظ على شعاع السعادة الذى كان لايزال واقعاً تحت تأثيره .

– لماذا لم تتواصل الأجيال الأدبية بعد جيلكم الذى يمكن وصفه بجيل الوسط .

ويبدو ان كلمة «تتواصل» لم تعجب فتحى غانم ، لأنه كشر عندما ذكرتها .. واشعل سيجارة وقال فى وصلة صراحة .

أحب أن أقول لك ان حكاية «تواصل» الأجيال الأدبية ، مجرد انشاء لغوى . فنحن لم نتسلم الرسالة من جيل العمالقة الذى سبقنا . ولن نسلم الرسالة للجيل الذى يأتى بعدنا ! اننى افتح لك قلبى واحدثك بصراحة شديدة ! لقد اخذ جيلنا مكانه من جيل العمالقة بالدراع ! لقد فتحنا عيوننا نحن – جيل الوسط – كما تصفه ، فوجدنا : عميد الأدب د. طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم والكاتب الكبير عباس العقاد والأستاذ محمود تيمور والأستاذ عبد القادر المازنى . عالم منفصل عنا تماماً . وقد كانت لى ظروف خاصة عرفت فيها العقاد عن طريق والدى رحمه الله . فقد كان صديقاً للعقاد .. وذكر العقاد اسمى فى كتابه «عابر سبيل» وهويرثى والدى .

لقد خطر ببالى ان نتصدى لهؤلاء العمالقة ولا ننتظر منهم المن والسلوى . فماذا فعلت ؟! قررت ان افكر بشكل عملى وأتساءل: لماذا جئت انا كأديب . وما هو دورى ؟ ربما أملى على هذا التفكير ما قرأته لبرناردشو يومئذ «يوم هاجمت شكسبير ، ولد لى قلم بأسنان كاملة» !

كنت قد قررت أن اهاجم طه حسين ! كتبت سلسلة مقالات فى الخمسينات . بعنوان «طه حسين عقبة كبيرة أمام القصة ..» واذكر أن د. طه حسين



استدعانى ليعرف هل اكتب عن «فهلوه» أم قناعة . وذهبت اليه فى بيته بفيلا راماتان بشارع الهرم .. وقلت له بثقة شديدة كل ما اريد . يومئذ ، من الممكن أن أقول ، لقد ولد لى قلم بأنياب ! وتحركت البحيرة الراكدة اكثر عندما اصدرت انا والدكتور رشاد رشدى بياناً عن القصة القصيرة وكيف ينبغى أن تكون . وغضب يومها الراحل يوسف السباعى واعتبرها اهانة أدبية سليطة ! وبعد قليل هاجمنا يوسف السباعى فى مجلة مسامرات الجيب واطلق علينا انا ورشاد رشدى «ليز» و «لين» . نسبة الى راقصتين شهيرتين فى ذلك الوقت !!! وكان عنوان مقاله : ليز ولين القصة المصرية !

أردت ان اذكر لك هذه القصة لأدلل ، كيف تسللت الى شارع الأدب الذى يسيطر عليه الاساتذة والدكاتره الكبار . كان ذلك .. بالدراع ! وفى اعتقادى ان الجديد الموهوب لا يحب أن ينتظر ، فسوف يطول انتظاره بدون جدوى ، عليه ان يتصدى .. للمعركة . عليه أن «يتكلم» ليحفر باظافره مكاناً لنفسه . على الأديب الشاب ان يعبر عن نفسه بدون خوف فاما ان يكون أو لا يكون !

... ...

صمت – فجأة – فتحى غانم .

طال الصمت ، فشعرت انه دخل «محارة» نفسه . ان الفنان يحس أحيانا أنه أقام خارج نفسه ، وقتا ربما أطول مما ينبغى ، فيعود على الفور ، وكأنه يلوذ بهذه النفس من صخب العالم . «يرتد الى ذاته» كما يقول برتراند رسل ! فهل انقطع الحوار بينى وبينه ؟

لا أظن ..!

اننى أحاول أن أجعل من «الجلسة» ، مباراة شطرنج . وهى الشىء الوحيد – بعد الرواية – الذى يستغرقه تماماً .

وكان خراج فتحى غانم من محارته عملية صعبة .. ومع ذلك التقطت منه بعض الملامح التى كان لابد لها لاستكمال الصورة .

●● «فى تلك الأيام» ، قصدت أن أقول إنه لا جدوى من الارهاب السياسى . فى قصتى «الرجل الذى فقد ظله» ، كنت أركز على ان الحقيقة لها أربعة وجوه . وفى قصتى «زينب والعرش» قصدت ان عرش الانسان هو ارادته وزمام نفسه .

●● «انا اكتب فى أى وقت وقلمى هو الذى يخط ولست أنا . وأكبر مغامرة لكاتب . هى لحظة العلاقة بين القلم والورقة !» .

●● «الشطرنج ، لعبة مرهقة وجاده ، وهى رياضة عقلية تتطلب جهداً وجداً وجلداً» .

●● «اهتمامى الشديد بالموسيقى الكلاسيك أبعدتنى عن الطرب الشرقى . فهل أفسدت ذوقى ؟!»

●● « الرحلة فى المكان تساوى عندى رحلة فى الزمان . فاذا قطعت مائة كيلو ، معناها اننى أمضيت عاماً كاملا» .

●● «أنا امتداد فى السلوك الخاص ومعاملة نفسى بالكاتب عباس العقاد . ان له فى نفسى صورة الكاتب . وقد بهرنى توفيق الحكيم وأخذت منه حلاوة الجملة وتركيزها وغموضها أحيانا وأناقتها والتعرف على العالم الغربى وأشكاله المعمارية . قد تعلمت من د. طه حسين دقة اللغة وتقديس الكلمة وترديدها وتكرارها بانغام موسيقية» .

وفى العمل الصحفى ، تتلمذت على يد على أمين ومحمد التابعى .

●● تأثرت بكتابات هيمنجواى . لقد فرحت بأسلوبه المحدد ، الخالى من التشبيهات والاستعارات . تابعت ايضاً كتابات القصاصه الانجليزية «كاترين مانسفيلد» ونبهنى القصاص الفنان سعد مكاوى الى «البير كامى» فشرعت اقرأ كل ما كتبه كامى بلذة غامرة . و ..

ولم يكن الحوار مع فتحى غانم ، مجرد «جلسة حميمه» للنشر فيما بعد .. بقدر ما كانت عملية «تعارف» تتم ببساطة ودون افتعال . عملية تعارف بين كاتب وقرائه الأحياء .

وكنت أنا .. الجسر !

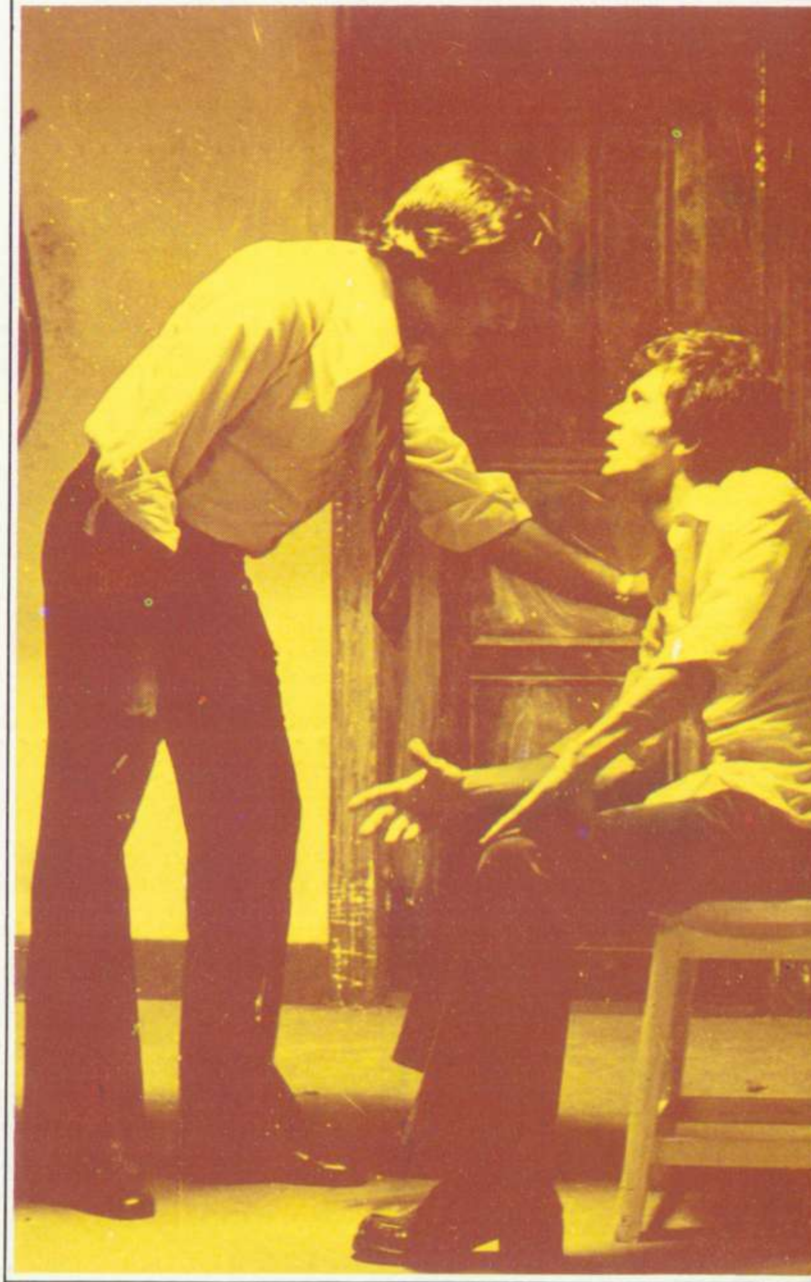
ومازالت وانا انقل وقائع اللقاء بالكاتب الروائى فتحى غانم ، اذكر كلماته . «أنا كاتب معركة الكلمة . نعم حملتنى الكلمة لأقاصى صعيد مصر وكتبت . حملتنى الى القطب الشمالى وكتبت . حملتنى الى أعماق نفسى وكتبت . ولاتزال الكلمة هى المغامرة . والمغامرة هى الكلمة» .

«مفيد فوزى»

سينما

رءوف توفيق

مأزق المخرجين الشبان.. في السينما المصرية



محمد صبحى وكمال الشناوى فى فيلم «الكرنك» من اخراج على بدرخان

إن أى متأمل لخريطة السينما المصرية ، فى السنوات العشر الأخيرة .. يلاحظ بوضوح شديد .. زيادة نسبة المخرجين الشبان ، الذين اقتحموا مجال العمل السينمائى .. وقدموا أنفسهم من خلال الأفلام على مر تلك السنوات .

أغلبهم درس فنون السينما أكاديمياً ، فى المعهد العالى للسينما بالقاهرة ، والذى انشىء فى أكتوبر عام ١٩٥٩ .. وعدد قليل منهم جاء للسينما من التلفزيون .

وصاحب ظهور هؤلاء المخرجين الشبان ، موجة من الترحيب والتفاؤل .. فقد كانت هناك آمال كثيرة معقودة على الجديد فى الشكل والمضمون ، الذى سيغيرون به مسار السينما المصرية الى الأفضل .. وكلما تعثر واحد منهم .. كان المتفائلون يقولون ان آمالنا مازالت متجددة فى الشبان الآخرين .. انهم سيحققون لنا كل ما نحلم به للسينما !

ولكن .. تكرر السقوط .. الواحد تلو الآخر !

وظل المتفائلون على موقفهم .. إن هذا السقوط لا يعنى أكثر من كبوة جواد ، .. والانطلاق حتماً سيحدث !!

والآن .. ما الذى تبقى من كل هذه الآمال والأحلام !

من يمسك بالأموال .. فى السينما ؟!

منذ البداية .. لابد من إقرار حقيقة .. إن مناقشة هذا الموضوع لا تستهدف إصدار حكم بالاداتة .. أو البراءة على



ماجدة الخطيب وشكرى سرحان فى فيلم «زائر الفجر» اخراج ممدوح شكرى

مسيرة هؤلاء المخرجين الشبان ..
والأمانة تقتضى أن نناقش وضع هؤلاء المخرجين .. داخل إطار الوضع الاقتصادى ككل للسينما المصرية ..
فظهور مخرج جديد .. واستمراره فى العمل .. مرهون الى حد كبير بمن يمسكون بالأموال فى قطاع السينما !! وكيف ينظرون الى السينما ؟ وكيف يحركون الأموال لتحقيق هذه النظرة ؟!
فعندما كانت الدولة تشرف على قطاع السينما ، اشرافاً كاملا فى التمويل والانتاج والتوزيع (فترة ما أطلق عليه القطاع العام فى السينما من عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٧١) .. ورغم كل الأخطاء الادارية التى صاحبت هذه الفترة ، إلا أن النتيجة المشرفة والباقية ، هى فتح المجال أمام المخرجين الشبان ، لتطعيم السينما المصرية بالدماء الجديدة .
وأعطت الدولة فرصة العمل والتجربة .. !
وكما يحدث فى كل تجربة جديدة .. كان لابد من حدوث نسبة الخطأ ..
وتحملت الدولة ثمن هذا الخطأ فى مقابل تحقيق الهدف .. وواصلت رعايتها واحتضانها للمواهب الشابة ..
ولكن عندما تركت الدولة ، للقطاع الخاص ، مهمة تسيير عجلة الانتاج السينمائى .. وجد المخرجون الشبان ، أنهم فى مفترق طريقين : إما الاصرار على أفكارهم وأحلامهم ورؤيتهم للسينما الجديدة .. وإما تقديم التنازلات ، والرضوخ لرغبات صاحب المال !!

سينما

مأزق المخرجين الشبان

وكلا الطريقين .. صعب .. ومرير !

فالطريق الأول يعنى الانتظار الطويل .. والبطالة التى تمتد الى حين العثور على صاحب المال الذى يقتنع بالمغامرة، ويؤمن بالجديد .. وقد لا يتحقق هذا .. وتكون النتيجة مزيداً من الانتظار، والبطالة، واليأس !

أما الطريق الثانى .. فيعنى أن قبول مبدأ التنازل، سيؤدى حتماً الى مزيد من التنازلات .. حتى يتحول الفنان المبتكر الى مجرد أداة فى يد صاحب المال !

وكان على المخرجين الشبان .. أن يقرروا مصيرهم ومستقبلهم .. وأن يكتووا بنيران التجربة .. وأن يتحملوا النتائج مهما كانت ..

سيطرة الموزع الأجنبى

ومشكلة السينما المصرية، أنها عاشت ومازالت تحت رحمة الموزع الأجنبى عنها، والذى يملك حق توزيع الفيلم فى المنطقة العربية، وبالتالى يتحكم فى نوعية الفيلم وموضوعه وممثليه ومخرجه !! .. فهو الذى يمنح «سلطة التوزيع» والتى على أساسها يتحدد ميلاد الفيلم .. فمن خلال هذه السلطة يتحرك دولاب العمل . !

والموزع الأجنبى بذكائه التجارى، يعرف حقيقة هامة فى اقتصاديات السينما المصرية .. إن الفيلم المصرى لا يمكن أن يغطى تكلفته من إيراد العرض داخل مصر، نتيجة قلة دور العرض السينمائى التى يمكن من خلالها أن يتنفس الفيلم ويعيش .. وبالرغم من أن تعداد سكان مصر تعدى رقم ٤٢ مليون نسمة .. إلا أن دور العرض السينمائى لا تزيد، بل تتناقص نتيجة عوامل القدم وعدم الصلاحية، أو لأن أصحابها هدموها ليستغلوا مساحتها فى بناء العمارات السكنية التى تدر عليهم دخلا مرتفعاً .. وفى آخر احصائية عن عدد المترددين على دور السينما فى مصر (عام ٧٨) .. بلغ الرقم حوالى ٧٠ مليوناً،

ومع افتراض أن الفرد الواحد يذهب للسينما عشر مرات فى السنة، فمعنى هذا أن من يذهب للسينما فى مصر يصل تعدادهم الى سبعة ملايين نسمة فقط . وان هناك مناطق كثيرة فى مصر لم تصلها السينما، كمكان ثابت وصالح دائماً للعرض . !

ولكل هذه الأسباب .. فان الفيلم المصرى يغطى ٤٠ بالمئة من تكلفته، من الايراد المحلى .. أما الباقى فمن الايراد الخارجى ! . ومن هنا يمسك الموزع الأجنبى برقبة السينما المصرية !

الحصار يواجه الشباب

وهذا الموزع الأجنبى يعرف كيف يحافظ على أمواله، وينميها بكل الطرق .. انه يلعب دائماً على المضمـون .. ولا يغامر إلا بحساب شديد، ولمصلحة خاصة يريد أن يحققها، أو لاثبات حسن نيته .

وهو عندما يتعامل مع مخرج جديد شاب .. فهو يضع فى حسابه أن هذا المخرج الجديد لن يطلب أجراً كبيراً، ولن تكون له اشتراطات المخرج القديم ..

وهذا الموزع الأجنبى، التاجر دائماً، ينظر للأمور بنظرة حسابية بحته .. فقد يستطيع أن يوفر ألفين أو ثلاثة آلاف من أجر المخرج الشاب .. ولكنه فى نفس الوقت يؤمن بانه ليس من أجل مليم ملح يفسد الطبخة – على حد تعبير المثل الشعبى المصرى – ومن هنا فهو يشترط نوعية الموضوع الذى يقدمه هذا المخرج الشاب الجديد، ويحدد أيضاً الممثلين النجوم أصحاب الأسماء اللامعة والذى سيبيع الفيلم بأسمائهم !



عادل امام ولبلبة فى فيلم «خللى بالك من جيرانك» للمخرج محمد عبد العزيز



يسرا فى فيلم الثأر (اخراج محمد خان)



فريد شوقى وفيلم «لا تبكى ياحبيب العمر» .. اخراج احمد يحيى

أى أن الحصار يواجه المخرج الشاب من كل جانب .. والكماشة تطبق على حركته .. ويصبح مجال الابداع محدوداً جداً !

وهكذا وجد المخرجـــون الشبان أنفسهم فى مأزق ! .

كيف يثبتون الجديد الذى جاءوا من أجله ؟

وكيف ينافسون القديم ؟

وكيف يبررون دراستهم الأكاديمية لفن السينما .. واعجابهم الشديد ببعض التيارات السينمائية الغربية ، ونجومها اللامعين فى الاخراج ؟!

لابد أن هناك منفذاً للتعبير عن أنفسهم . واختلفت المحـــاولات .. وتباعدت . واهتزت المؤشرات بيـــن الارتفاع والهبوط . ولنتوقف أمام بعض الأسماء .

مخرجون ومحاولات

● حسين كمال .. المخرج الذى انتقل من التلفزيون الى السينما .. ليقدم أول أفلامه السينمائية «المستحيل» عن قصة للدكتور مصطفى محمود ، عام ٦٥ فى ظل رعاية الدولة للسينما ، وسياسة فتح الأبواب للمواهب الجديدة الشابة.. ويحقق حسين كمال فى هذا الفيلم الأول، مستوى فنياً متميزاً ، يلفت الأنظار اليه .. ثم يحقق قدراً أكبر من الموضوعية والفن فى فيلم «البوسطجى» عن قصة يحيى حقى ، عام ٦٨ .. وفى العام التالى يفاجىء الجمهور والنقاد .. بفيلمين متناقضين تماماً .. «شىء من الخوف» .. و «أبى فوق الشجرة» .. وتكتمل المفاجأة الغريبة ، بالنجاح التجارى الهائل الذى حققه فيلم «أبى فوق الشجرة» بطولة عبد الحليم حافظ .. وتهتز الصورة أمام المخرج حسين كمال .. هل يقدم أفلاماً ترضى المثقفين والنقاد .. أم يقدم أفلاماً تجارية سهلة ترضى الجمهور العادى ؟! .. وكأن قضية الفن لا تحسم إلا بهذه الحدود الفاصلة !

وتلقائياً ينحاز حسين كمال الى الفيلم التجارى .. وإن كان لم يفقد قدرته على التجديد فى الأسلوب الفنى .. والاهتمام بالشكل !

● أشرف فهمى .. تعرف عليه الجمهور ، من خلال فيلم «ليل وقضبان» عام ٧٣ واستقبله النقاد بحفاوة بالغة .. فهو خريج المعهد العالي للسينما والذى سافر الى أمريكا لاستكمال دراسته .. ليعود مبشراً بميلاد مخرج شاب يعرف كيف يستخدم أدواته الفنية ، وفى نفس الوقت يتعرض لموضوع حساس يناقش سلطة القمع والارهاب .. ولكن لأسباب تجارية محضة ، لا يحقق هذا الفيلم النجاح المتوقع ..ويستسلم أشرف فهمى لرغبات المنتجين والموزعين ، وتسيطر عليه فكرة عبثية تماماً ، أن يحاول منافسة المخرجين الذين يحطمون الأرقام القياسية فى الايرادات من خلال أفلام مخدرة فيها كل عناصر الطبخة التجارية من عنف وجنس وإثارة .. وبالفعل يدخل أشرف فهمى هذه التجربة تحت تأثير العناد وإثبات أن النجاح التجارى شىء سهل !! ويعود أشرف من هذه التجربة والتى يطلق عليها «سنوات الانتشار» ..

ويراجع نفسه .. ويقرر أن يسترد زمام الأمور الى يده ، ويختار أفلامـــه ... مستفيداً من كل محاولاته السابقة ، فيقدم فى العامين الأخيرين «مع سبق الاصرار» .. «ولايزال التحقيق مستمراً» .. ويحقق النجاح الفنى والتجارى .. ويكسب من جديد ثقة النقاد ..

● محمد راضى .. وعلي عبد الخالق .. اسمان بارزان فى «جماعة السينما الجديدة» التى تشكلت عام ٦٩ لخلق تيار سينمائى جديد ، يعبر عن الواقع المصرى ، ويرفض الأشكال التقليدية للسينما المصرية ..

وقد كان تشكيل هذه الجماعة ، خطوة

سينما

مأزق المخرجين الشباب..

جريئة وجادة من شباب السينما المثقف المتحمس للتغيير، ولتقديم الجديد .

وظهر أول فيلم من انتاج الجماعة فى عام ٧٢ .. «أغنية على الممر» للمخرج علي عبد الخالق .. وكان الفيلم موحياً بمعان وأحلام كثيرة .. ولكنه لم ينجح تجارياً ! .

ثم تبعه الفيلم الثانى من انتاج الجماعة .. وهو فيلم «الظلال على الجانب الآخر» للمخرج غالب شعث .. والذى عرض عام ٧٥ بعد انتهاء العمل منه بأربع سنوات ، ظل الفيلم خلالها حبيس العلب الصفيح ، وظل المخرج حبيس الانتظار والقلق .. ولم يحقق الفيلم النجاح التجارى ، رغم ارتفاع مستواه الفنى ، وأهمية الموضوع الذى يتناوله عن القضية الفلسطينية .

وهكذا اختفى المخرج علي عبد الخالق بعيداً عن الاستديوهات .. واختفى المخرج غالب شعث بعيداً عن مصر .. أما رئيس الجماعة ، المخرج «محمد راضى» فقد دخل فى محاولات تجريبية من خلال فيلميه «الحاجز» و «الأبرياء» .. ولم يستطع أن يحدد هويته الفنية أو قضيته الفكرية .. ثم فجأة يلمع اسمه ويحقق بعض الآمال المفقودة فى فيلمه «أبناء الصمت» عام ٧٤ .. وهذا الفيلم يعتبر حتى الآن من أفضل الأفلام التى عبرت عن مشاعر وأحاسيس الجندى المصرى فى معاركه مع العدو الاسرائيلى .

ولكن .. ككل الأشياء التى تقع بلا منطق فى السينما المصرية ..

تفككت جماعة السينما الجديدة .. وراح أغلب أعضائها يبحثون عن طرقهم الخاصة فى خضم الأمواج العاتية للسينما المصرية .. وفجأة تحول المبشرون بالسينما الجديدة، الى منفذين تقليديين للافلام التى تكتلوا لرفضها !!

فنرى المخرج «علي عبد الخالق» يقدم فى عام ٨٠ «الأبالسة» بطولة فريد شوقى .. و «عذاب الحب» بطولة عماد عبد الحليم .. وكلا الفيلمين صدمة حقيقية !

أما المخرج «محمد راضى» فيقدم فى عام ٨٠ فيلم «الجحيم» بطولة عادل امام .. وهو فيلم تجارى بحت يعتمد على شعبية الممثل النجم عادل امام .. وفيه كل عناصر الفيلم التقليدى من عنف وإثارة ومصادفات غريبة !!

... وأسماء أخرى

وما حدث بالنسبة لتلك الاسماء الشابة فى فترة الستينات ومنتصف السبعينات .. حدث بشكل أكثر قسوة لعدد آخر من اسماء المخرجين الشبان فى السنوات الخمس الأخيرة ..

فنجد المخرج علي بدرخان الذى قدم نفسه للجمهور من خلال فيلم «الحب الذى كان» والذى بشر به مخرجاً حساساً واعياً .. نراه يقدم رؤيته السياسية فى فيلم «الكرنك» فيصيبنا بالحيرة والدهشة .. انه مخرج جيد بلا شك .. ولكن ما الذى يريد أن يقوله فى هذا الفيلم ؟ .. وهو نفس السؤال المحير الذى يتبادر للذهن بعد مشاهدة فيلمه التالى «شيلينى وأشيلك» .. ثم يعود الى مستواه الأول فى فيلم «شفيقة ومتولى» .

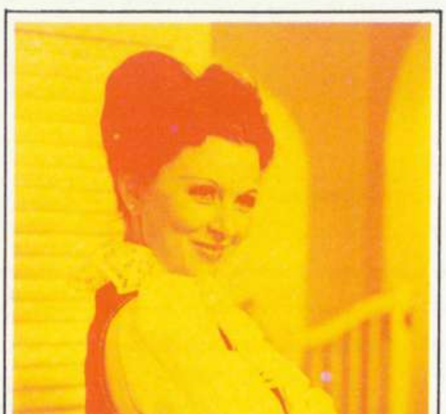
والمخرج أحمد يحيى .. هذا الشاب الذى قدم بنجاح فيلم «العذاب امرأة» .. نراه يتورط بعد ذلك فى ميلودرامية فاقعة «لا تبك يا حبيب العمر» ـ «حب لا يرى الشمس» ـ «ليلة بكى فيها القمر» .

والمخرج أحمد ياسين .. خريج معهد السينما والذى كرر عيوب كل المخرجين التقليديين فى فيلمه «الملاعين» .. ثم غاب عن الساحة !

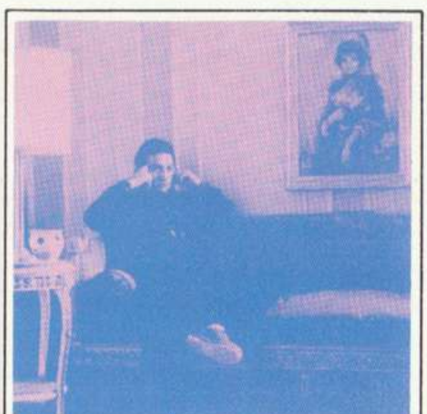
والمخرج سمير سيف .. الشاب البارع فى تقديم أفلام الحركة والاثارة على غرار المدرسة الامريكية .. فيقدم «دائرة الانتقام» أول أفلامه .. ثم يسقط متخبطاً فى متاهة السينما التجارية «قطة على نار» «ابليس فى المدينة» .. وأخيراً «المتوحشة» .

والمخرج محمد عبد العزيز .. أكثر المخرجين الشبان انتاجاً .. ولكن يحتار الناقد فى تحديد مستواه .. فهو أحياناً مخرج جيد فى فيلم «انتبهوا أيها السادة» .. وأحياناً كثيرة مخرج متوسط .. أو عادى جداً .. فى فيلم «رجل فقد عقله» وفيلم «شفاه لا تعرف الكذب» وفيلم «غاوى مشاكل» .. وكل هذه الأفلام عرضت له فى عام واحد .. وهو عام ٨٠ ..

والمخرج الجديد محمد خان .. الذى اقتحم دائرة الضوء فى العام الماضى من خلال فيلمه «الرغبة» و «ضربة شمس» .. انه يبهرنا بالأسلوب الفنى الأنيق .. ولكن يبقى الأسلوب كمجرد شكل براق يخفى وراءه موضوعاً تقليدياً أو



سعاد حسنى فى فيلم «المتوحشة» .. اخراج سمير سيف



نور الشريف فى فيلم «الرغبة» اخراج محمد خان



عماد عبد الحليم ونجوى ابراهيم فى فيلم «عذاب الحب» من اخراج على عبد الخالق

موضوعاً مستورداً من الخارج !!
وربما كانت هذه قضية أغلب المخرجين الشبان .

الهروب من الموضوع الجاد

فالاهتمام بالشكل .. والبحث عن أسلوب فنى متميز .. يطغى تماماً على تفكير أغلب المخرجين الشبان .. ولعل السبب فى ذلك .. انهم يحاولون المرور من بوابة السينما المصرية دون أى صدام حقيقى مع أصحاب شركات الانتاج .. والموزعين الأجانب .. وأى صدام آخر مع الرقابة .. !

انهم يريدون العمل .. بلا مشاكل .. أو بمعنى أدق بأقل قدر من المشاكل .. حتى كادت صيغة العمل أن تكون : «اصنع فيلماً ولا تتوقف .. فلن تغير وحدك حال السينما» !!

وبهذا المنطق تستمر عجلة الانتاج فى السينما المصرية .. حتى لا تكاد تشعر بفرق واضح .. بين ما يقدمه مخرج قديم ، وما يقدمه مخرج شاب .. إلا فى بعض المحاولات الفنية كاستخدام عناصر التصوير والمونتاج والديكور والموسيقى .

أما الموضوع .. أساس الفيلم .. فيكاد يكون محصوراً داخل النطاق الآمن ! .

وتصبح محاولة اقتحام الموضوع الجاد أو الجرىء .. محاولة محفوفة دائماً بالمخاطر .. والمصاعب ..

وربما ينتظر أصحابها الشـــــهور والسنين لكى يظفروا بها أو ببعضها .. وعليهم أن يدفعوا ثمن هذا الانتظار من عمرهم وقوتهم اليومى ..

هل يتحقق هذا الحل ؟

ولا حل – فى رأيى – سوى تكتل شباب السينما المصرية فى جمعيات فنية ، تعرض شروطها .. وتحقق بتكتلها ضرب حصار التجار والموزعين ..

فهؤلاء الشباب بما يملكون من موهبة، وبما يملكون من تأثير فى مواقع العمل داخل السينما ، فى كل الفروع من التمثيل والاخراج والتصوير والمونتاج .. الخ .. يستطيعون أن يختاروا لأنفسهم الصيغة الجديدة التى يغيرون بها وجه الشاشة المصرية .. وفى نفس الوقت يحققون الحلم الذى طالما تغنوا به ..

ولن يأتى هذا .. إلا بالتخلى عن الفردية .. واللهفة على الشهرة والمال ..

ولكن يبدو أن هذا المطلب أصبح صعباً جداً فى هذا الزمان ..

وعلينا أن ننتظر .. فمن يدرى ؟!

«رءوف توفيق»

د. عبد المحسن صالح

نبات يمرض وإنسان "يهلوس"!

فى اثناء الحرب العالمية الثانية عكف دكتور البرت هوفمان وزملاؤه فى مؤسسة «سويس» الدوائية بسويسرا على تحليل محتويات فطر أو عفن أسود اللون ، صلب القوام ، وفى ذات يوم من ايام عام ١٩٤٣ شعر هوفمان باحساس غريب دفعه لأن يهجر معمله ، ويتوجه الى منزله ، والى هنا يقول : «لقد رأيت من صالحى أن أترك عملى ، لأننى دخلت فى حالة من القلق الممزوجة بدوار غريب ، وعندما استلقيت على سريرى ، احسست كأننى مخمور بشعور لذيذ مصحوب بخيال مثير .. وعندما اغمضت عينى ، مرت بخيالى صور غريبة تتميز بالتحرر والانطلاق من كل ما هو معروف للحواس !» .

وعندما أفاق هوفمان من ملذاته وتصوراته الجميلة ، بدأ يراجع نفسه ، علّه يتوصل الى السر فى حدوث هذه الحالة الغريبة ، وعندئذ قادته حاسته العملية الى افتراض ما ، وربما تساءل : هل يمكن ان يكون هذا الشعور نتيجة لظهور مادة كيميائية ، وان الصدفة السعيدة قد لعبت دورها ، وقدمت لى وللبشرية «هدية» لم تكن تداعب خيالى ، ولا هى كانت هدفى الذى اسعى اليه فى معملى ؟ .

ربما .. فهناك صدف فى العلم قد تمخضت عن اكتشافات لم تكن فى الحسبان – وربما اعاد التاريخ نفسه مع قصة اخرى حدثت قبل ذلك بمائة وثلاثة واربعين عاماً .. ففى عام ١٨٠٠ ، وبينما كان الكيميائى الشهير «سير» همفرى ديفى يسخن احد الأملاح النيتروجينية ، انطلق غاز شفاف ، وبدأ يستنشقه دون وعى منه ، وعندئذ شعر بأن شفتيه قد انفرجتا ، وبدأ كأنما هو يضحك ببلاهة ، وران عليه شعور غريب ولهذا اطلق عليه اسم «الغاز المضحك أو المبهج» (وطبيعى انه عرف أنه أمام غاز جديد اطلق عليه اسم أوكسيد النيتروز) ، واشار الى امكان استخدامه فى التخدير ، لكن احداً لم يأخذ كلامه على محمل الجد ، وبعد ٤٤ عاماً أقيم معرض بولاية كونيكتيكت الأمريكية ، والغريب أن المعرض قد اطلق عليه «المعرض الكبير لاستنشاق الغاز المضحك» ، والأغرب أن الدعوة فيه كانت مقصورة على علية القوم ، وعلى لافتة كبيرة ، كتب اعلان مضحك ، جاء هكذا : «عليكم ان تستنشقوا الغاز المضحك ، لتضحكوا وتغنوا وترقصوا وتمرحوا أو تتشاجروا .. فكل انسان حر فى سلوكه ، وعلى حسب ما تمليه اخلاقه» .. وعلى هذا الاعلان يجىء بعده تعليق طريف مكتوب هكذا : «اغلب الظن ان احداً منكم لن يتشاجر ، لأن الغاز سيقدم فقط للسادة ذوى المهابة والاحترام .. ثم انه معرض اقيم خاصة لعلية القوم !» .

ونحن نقص عليك ذلك ليس للمزاح أو التسلية ، بل لنعرض صورة غريبة من سلوك الناس وسذاجتهم فى تناولهم لبعض الجوانب العلمية ، ثم ما تمخض عن ذلك من صدفة اخرى طيبة التقطها طبيب اسنان كان يمزح ويتسلى مع المازحين فى هذا المعرض الغريب .. المهم أن احد الحاضرين قد استبد به الحماس فاستنشق الغاز بشغف ، ربما ليطرب اكثر ، لكنه بدأ وكأنما هو يريد ان يتشاجر ، فقفز من على المسرح المنصوب كثور هائج ، لاكسيد مهذب من علية القوم وعندئذ اصطدم بحاجز معدنى قائم ، فجرحت ساقه جرحاً بليغاً ، واعترف بعد ذلك انه لم يشعر بالألم رغم الأصابة والتقط طبيب الأسنان هذه الملاحظة العابرة ، واستخدم الغاز بعد ذلك فى تخدير مرضاه اثناء خلع الضروس والأسنان ، لكن التخدير بالغاز المضحك لم ينفع فى العمليات الجراحية الكبيرة ، اذ يستلزم ذلك استنشاقه بكميات وافرة ، وعندئذ تظهر خطورته ، لأن الغاز سام اذا زادت الجرعة عن حدودها .. لكن هذه الصدفة قد مهدت للعلماء فرصاً اخرى لاكتشاف سلسلة من المواد الكيميائية التى تصلح للتخدير الجراحى مثل الايثير والكلوروفورم وما تبع ذلك من مواد مخدرة وقوية ومأمونة العواقب .

والصدف التى وقعت للعلماء ، وحققوا بها اكتشافات لم تكن على البال ، صدف كثيرة ومتنوعة ، وحتى كاتب هذا المقال قد اثيب أيضاً بثلاث صدف سعيدة فى حياته العلمية ، وحققنا بها اهدافاً لم تكن على البال ، لكن هذا ليس مجاله ، وقد نعود الى ذلك الموضوع لنوفيه حقه فى دراسات أخرى منفصلة .

ولا أحد يعرف كيف تسربت هذه المادة الى جسم هوفمان السويسرى ، وجعلته يمر بتجربة مثيرة من التصورات الغريبة اذ ربما نفذت الى دمه من خلال يديه الملوثتين بها دون أن يدرى ، اذ ثبت بعد ذلك ان الآثار الطفيفة من هذه المادة قد تحدث مفعولا محسوساً .

المهم أن هوفمان ذهب الى معمله فى اليوم التالى ، وكله شغف وحماس وأمل فى اكتشاف شىء جديد ، وعاد الى المادة الكيميائية التى اشتقها من العفن ، وبعد أن أجرى عليها عمليات عزل وتنقية ، وتناول منها جرعة ضئيلة غاية الضآلة .. وربما أقل من جزئين اثنين من عشرة آلاف جزء من الجرام .. أى غبارة لا تكاد ترى ، وبعد برهة قصيرة ، بدأ المفعول هذه المرة أقوى ، ومر بظواهر نفسية عبر

عنها بعد ذلك بقوله «لقد فقدت كل شعورى بالوقت .. ثم بدا لى وكأنما الزمان والمكان قد أصبحا مختلين ، ولقد خيمت على الهواجس ، وهيأت لى اننى سأتحول الى شخص مخبول ، لكن أسوأ ما فى الموضوع أننى كنت واعياً تماما بوجودى وحالتى ، ومع ذلك لم أستطع أن أتحكم فى وضع حد لما أنا فيه .. إذ كنت أشعر أحياناً أننى خارج جسمى ، وظننت أننى قد مت ، وأن ذاتى (الأنا) كانت محلقة ومعلقة فى مكان ما بالسماء وجسدى ميتا ومسجى على الأريكة ، ولقد لاحظت بوضوح وسجلت بثقة أن ذاتى الأخرى كانت تحوم فى الحجرة وهى تئن وتنوح !» .

والى هنا قد يبرز أمامنا سؤال طال انتظاره : ما هى العلاقة بين كل ما سردناه ، وبين عنوان هذه الدراسة .. اى نبات يمرض ، وانسان يهلوس ؟ .

لأن هلوسة هوفمان التى حلت به جاءت من مادة كيميائية مشتقة من عفن أو فطر أصاب نباتاً فى بعض حبوبه ، فحلت محل الحبة المصابة كتلة سوداء صلبة القوام ، لتبرز منها على هيئة اسطوانية تشبه سن القلم الرصاص ، أو اكبر واسمك قليلا .. وهذا الجسم يعرف علمياً باسم «الارجوت» ، وفيه تكمن عدة مركبات كيميائية صنعها الفطر ، وهى من ضمن اشباه القلويات أو القلويدات (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة بعنوان : نباتات دخلت التاريخ) .. ولهذا قد يكمن فيها الداء ، وقد يكمن فيها الدواء .. وبجوار ذلك مادة مشتقة عزلها هوفمان ، لتصبح اغرب مادة تتمخض عنها اعظم هلوسة يمكن ان تحل بالعقول ، ومن أجل هذا جذبت انتباه العلماء واثارت فضولهم ، ولازالوا حتى يومنا هذا فى اسرارها حائرين !

أما النبات المصاب فيعرف باسم الجودار ، وهو يتبع العائلة النجيلية التى تضم أجناساً وأنواعاً كثيرة مثل القمح والشعير والنجيل وما شبه ذلك ، ولقد كانت حبوب الجودار تستخدم كدقيق ليصنع منه الخبز ، وقد يصبح تناول هذا الخبز خطراً على الحوامل نتيجة لاصابته بالفطر (أو مرض الأرجوت) ، لأن بعض القلويدات الموجودة فى الخبز الذى جاء من الجودار المصاب ، كانت تسبب انقباضات فى الرحم ، وتؤدى الى الاجهاض ، وكانت اقدم معلومة عن هذه الظاهرة هى التى جاءتنا منقوشة على قطعة من الفخار يرجع تاريخها الى ٤٠٠ عام قبل الميلاد ، وعليها يجىء «ان من بين الأشياء الذميمة التى خلقت ، تبرز هذه الأعشاب (يقصد بها الجودار) التى تجهض الحوامل وتؤدى الى موتهم !» .

العلم يكشف المستور

وقبل ان نقدم المادة التى تخلقت من هذا المرض الفطرى على يدى هوفمان ، وما احدثته من هلوسة غريبة ، وما تمخض بعد ذلك من بحوث علمية على هذه المادة ، كان لزاماً علينا أن نتعرض لتاريخ هذا المرض النباتى ، وما فعله مع الانسان والحيوان على حد سواء .

لقد كانت حيوانات المراعى التى قد يسوقها سوء حظها لترعى نبات الجودار المصاب — حتى قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب — تصاب بدورها بأعراض تختلف باختلاف الجرعة التى تناولتها مع رعيها ، فأحياناً ما يحدث لها اجهاض فى حالات الحمل ، وقد يؤدى ذلك الى الموت .. مثلها فى ذلك كمثل النساء الحوامل .. واذا كانت الجرعة زائدة ، تساقطت حوافرها ، وتآكلت ذيولها وآذانها ، وتشنجت عضلاتها ، وقد يؤدى ذلك إلى وفاتها !

وعندما كان الأوربيون يأكلون — منذ قرون — خبز الجودار المصاب ، كانت تظهر عليهم اعراض مرض غريب ، ولما يعرفوا له سبباً ، اطلقوا عليه اسم «نار القديس انطون» ، وذلك لاحساسهم بوخز فى جلودهم يستدعى حكها أو «هرشها» ، فتصاب ببقع حمراء كأنما هى نتجت من لسعة النيران ، وقد يتبع ذلك ضعف الدورة الدموية فى الأطراف ، وغالباً ما يؤدى ذلك الى غرغرينا فتكتسب الأيدى والأقدام لوناً أسود ، وقد تتساقط الأظافر والأصابع .. تماماً كما تتساقط حوافر المواشى وذيولها ، واحياناً ما كان البعض يشعر بالارتباك العقلى والخمول الجسدى !

وقد يظهر هذا الوباء بين مئات الألوف أو الملايين من البشر خاصة عندما لا تكفى محاصيل القمح لاطعام الناس ، فكانوا يلجأون الى الجودار ، فينتشر الوباء بينهم كما تنتشر النار فى الهشيم ، وتظهر أعراض تختلف باختلاف تركيز «الارجوت» فى الدقيق ، وأحياناً ما يسبب موت الآلاف .

ورغم كل ذلك ، فلم يعرف الناس سر هذا البلاء الا منذ حوالى قرن مضى ، والغريب انهم كانوا يستخدمون مسحوق الارجوت أو منقوعه بتركيزات ضئيلة فى بعض الأغراض الطبية ، من ذلك مثلا انهم كانوا يقدمون هذا «السم» للسيدات اللائى يعانين من حالات ولادة



الصور الأربعة مختارة عن فيلم علمى يوضح تأثير حبوب الهلوسة على الانسان .. من اليسار إلى اليمين : حبة من حبوب الهلوسة ، ثم تتعاطاها سيدة ويوضع على وجهها قناع حتى يحجب عينيها عن كل ما حولها ، وعندما يبدأ تأثير الحبة ، يرفع الغطاء ، ويظهر واضحاً تعبيرات وجهها التى تنم على أنها تعيش فى عالم آخر ملىء بكل ما هو مثير وغريب .

نبات يمرض وإنسان يهلوس

عسرة ، فيساعد جدار الرحم على التقلص وييسر الولادة ، وأحياناً ما كانوا يستخدمونه فى علاج الصداع النصفى ، حيث يقوم بالتأثير على الجهاز العصبى السمبتاوى ، فيؤدى ذلك الى تخفيض نبض الأوعية الدموية الدماغية ، ولا زال هذا العلاج أو ذاك معترفاً به فى الدوائر الطبية حتى اليوم .

كل هذا وغيره ، قد دفع العلماء الى اجراء سلسلة من «التحريات» العلمية لكشف سر هذا المرض النباتى الذى ينعكس بمساوئه على الانسان والحيوان ومع ذلك ، فمن مساوئه قد تنبع بعض حسناته ، وتاريخ هذه التحريات طويل ومثير ، لكن يكفى أن نقول أن «الارجوت» يحتوى على عدة قلويدات هامة ، ولقد عزلها العلماء واحداً واحداً ، فاختاروا منها الحسن ، وتجنبوا السىء ، الى ان يجىء هوفمان ويكتشف ان أحد مشتقات الارجوت التى ظهرت بالصدفة فى معمله ، قد اثارت زوبعة كبيرة فى الأوساط العلمية ، لأن المادة المكتشفة تلعب بالعقول ، وكأنما هى ــ أى العقول ــ تحت تأثيرها بمثابة ريشة فى مهب الرياح .

ترى .. ما هى تلك المادة ، وما طبيعتها ولماذا تدفع العقول الى الهلوسة ؟

ل. س. د. تساوى هلوسة !

ان المادة التى اشتقها هوفمان بحالة نقية من الارجوت تعرف باسم «ال. اس. دى.» ، وهى اختصار لاسم المركب الكيميائى حامض ليسير جيك داى ايثيل آميد ، وعندما نشر اكتشافه فى احدى المجلات العلمية المتخصصة ، واشار الى ما يمكن أن تؤدى اليه فى دراسة أسرار المخ أو العقل البشرى ، بدأ العلماء بالفعل فى القيام ببحوث كثيرة على المتطوعين ، حتى بلغت هذه البحوث عدة آلاف ، لكن الأمر قد تسرب الى الصحافة ورجل الشارع ، فأصبح لهذه المادة سوق سوداء وخفية ، واقبل عليها الملايين ، ظنا منهم ان الـ «ال. اس. دى» هو جنة العقل الذى يحلق بهم فى آفاق واسعة لا يحدها زمان ولا مكان ، وبهذا يهيئون لعقولهم راحة من هموم الواقع ، واسترخاء من اجهادات الحياة !

ولقد علق علماء الأمراض النفسية على هذه المادة آمالا عريضة ، إذ ظنوا انها ستكون المفتاح الذى يفتح لهم مغاليق اسرار العقل ، ويوضح لهم ألغاز الاضطرابات النفسية والعقلية ، وعلى رأسها ظاهرة انفصام الشخصية ، لكن هذه المادة قد تسببت فى طرد استاذين من جامعة هارفارد الشهيرة ، ليس لأنهما استخدما هذه المادة فى بحوثهما ، بل يرجع ذلك أساساً الى اتخاذ بعض طلبتهم وطالباتهم «كحيوانات تجارب» لاختبار مفعول هذه المادة ، وما تبع ذلك من انتشار الهلوسة بينهم ، وما نتج عن ذلك من فوضى وتصورات لم يعرفه حرم الجامعة من قبل ، ولا يمكن ان يقره !

صحيح أن هناك شبه اتفاق بأن حبوب الهلوسة تلك لا تؤدى الى الادمان ، إذ هى لا تدخل ضمن قائمة المواد المخدرة مثل الحشيش والمورفين والكوكايين والهيروين وما شابه ذلك ، بل تتبع مجموعة المواد المهلوسة أو الهذيانية ، وهى التى تتداخل بطريقة أو بأخرى فى التوصيلات العصبية بين خلايا المخ ، وتحول نبضاتها القويمة الطبيعية عن طريقها السوى ، الى طريق آخر غير سليم ، أو غير وارد فى «ملفات» المخ أو سجلاته ، والنتيجة أنها تظهر لنا عالمنا بطريقة أخرى غير التى مارسناها وعرفناها ، وقد يؤدى ذلك أحياناً الى ورود المهلوس موارد الهلاك ، اذ قد تصور أنه باستطاعته ان يحلق فى الهواء بجناحين خياليين ، فيقفز من نافذة أو شرفة ، ليطير الى آفاق واسعة غير محدودة بزمان ومكان ، وقد يتوقف زمانه ويتحدد مكانه فى قبر صنعه له خياله ، فينتقل الى الدار الآخرة غير مأسوف عليه !

أو هى كما يصفها لنا دكتور سيدنى كوهن من كلية الطب بجامعة كاليفورنيا ــ «التى قد تقتل عندما تدفعك بشجاعة وتهور ، وتصور لك أنك تستطيع ان تمشى على الماء أو تستمتع بالنار ، أو تنطلق فى الهواء .. أن المشكلة الحقيقية مع حبوب الهلوسة تكمن فى سوء استخدامها ، فالذين ينجذبون الى سحرها ، والمحلقون فى تصوراتهم ، هم الخاسرون اخيراً ، لأنهم يتعرضون لمشكلات لا يستطيعون لها حلا» .

والواقع أن العلماء لم يتفقوا على رأى واحد .. فبعضهم يشير الى أن تناول حبوب الهلوسة قد يؤدى الى اخطاء فى المادة الوراثية التى تقوم عليها حياة الخلايا ومن قائل أنها قد تنفع فى بحوث الأمراض العصبية ، ومن قائل انها قد تفيد فى حالات الاجهاد الذهنى ، وتهيىء للانسان انطلاقاً من سجون العقل ، ولابد أن يكون ذلك تحت اشراف طبى ، ومن قائل انها بلاء وشر مستطير ، وهى احدى النواتج السيئة التى قدمها العلم للبشرية .. الى آخر هذه الاراء التى يراها كل باحث من وجهة نظر خاصة ، مستنداً فى ذلك الى بحوثه المنشورة أو غير المنشورة .



تجـربة علميـة لأثـر الحبـوب على نشاط المخ

عودة الى عالم متناقض

ان واحداً مثل دكتور كوهن الضالع فى بحوث الهلوسة ، والذى اشار من قبل الى ان حبوب الهلوسة قد تقتل ، يعود ليقول عنها «ان هذه الحبوب يبدو وكأنما هى ترفع غشاوة عن العين لأول وهلة» (أو ربما بتعبير ادق ترفع عن العقل بعض أحكامه) .. اذ يبدو كل شىء أوضح واجمل واكثر حدة فى التكوين ، ثم بعد ساعة أو اكثر قد يختفى ذلك ، ويحل محله خداع للبصر ، فترى الواحد منهم



كاهنة من الهنود الحمر بالمكسيك وهى تقوم بتجهيز أحد أنواع «عيش الغراب» الذى يحتوى على مادة «الميسكالين» .

وقد سرح فى عالم آخر ، ويبدو وهو يتأمل فى قطعة من خشب أو حجر ، وكأنما هو كمن ادرك جوهر هذه الأشياء ، وعرف مضمون الوجود !

ان اهتزاز العقل بهذه المادة يجعله يهلوس ويتصور عالما بلوريا شفافاً ، وكأنما جبال قد تحولت الى ذهب وجواهر براقة ، ويرى الأشياء بصور هندسية أو حية ، فتتحول أمامه الى نافورات من أضواء ذات ألوان زاهية ، أو فراشات محلقة ، أو طيور مغردة ، أو زهور راقصة .. الخ ، وأحياناً ما يتفتح العقل على اسرار خافية فيه منذ زمن طويل ، فيرى بصورة واضحة بعض ما دفن فى عقله الباطن من احداث ربما مرت فى طفولته وصباه ، وهذا ما جذب علماء النفس فى أول الأمر ، وشيدوا على حبوب الهلوسة آمالا عريضة ، اذ ظنوا أنها ستفتح لهم مكنونات النفس البشرية علهم يصلون الى حقيقتها ، لكن ذلك لم يحقق كل الآمال التى داعبت تلك العقول

وثمة أثر آخر قد تظهره هذه الحبوب فى عقول بعض الناس ، ويطلق عليه اسم «المطابقة أو الدمج الانسانى» وفيه يسبح العقل فى «خيالات من الشعور بالحب أو الحزن أو العزلة أو العذاب الجسدى ، وكأنما هو يشعر – وهو يمر بهذه التجارب – انه ليس وحده فى ذلك ، بل ان كل الناس يشاركونه هذا الشعور فى كل الأزمنة» – اى كأنهم يندمجون معه فى كل حالة من حالاته !

نبات يمرض وإنسان يهلوس

وعلى النقيض من ذلك قد تتراءى للعقل صور اخرى مفزعة ، فيشعر الذى تعاطى الحبوب انه قد تضاءل واصبح فى حجم الفار ، أو أن يده قد تضخمت واصبحت فى حجم جسمه أو ربما اكبر ، وان رأسه قد استطالت واصبحت «كالطرطور» ، أو أن أصابعه قد أصبحت فى حجم وشكل أصابع الفيل ، أو أن الأشياء الثابتة فى الحجرة قد تركت أماكنها ، وتحركت فيها هائمة ، أو طارت فى جوها محلقة .. الى آخر هذه التصورات الرديئة التى تنبع من حبوب ما أنزل الله بها من سلطان !

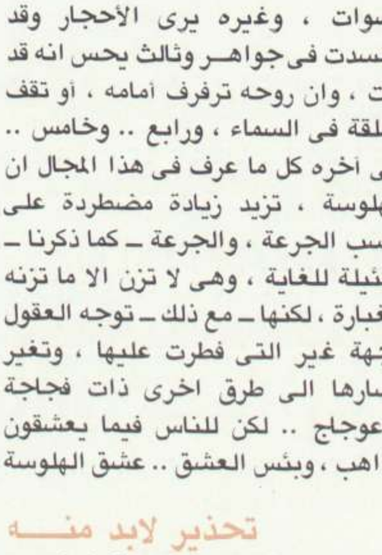
فعلى سبيل المثال يصف لنا أحد الذين تناولوا حبوب الـ «ال. اس. دى» حالته بعد ان تناول حبة بها ۰٫۰۰۰۸ جرام ، فيقول «لقد رأيت نفسى وكأنما جسمى قد انكمش الى الشبر طولا ، والغرفة بدورها قد انكمشت ، لكن صديقين كانا يجلسان معى فى الغرفة ، قد بقيا بحجميهما العاديين ، وعندما نظرت اليهما ، هيىء الى كأنما انا اصبحت مثل داود وهو ينظر الى جالوت العملاق ، وعندئذ احتميت منهما وراء زجاجة كانت مرتكزة على الأرض (لاحظ أنه قد حسب الزجاجة أضخم من جسمه) ، ولقد ساورنى الخوف من مرور احدهما على بقدمه فيصعقنى تحت حذائه» !

ويصف كاتب فنان حالته بعد أن اخذ جرعة وزنها ۰٫۰۰۰۲۵ جرام (ولقد سبق له أن تعاطى حبوب الهلوسة عدة مرات) ، فيقول : لقد تمشيت بعدها بعيداً عن منزلى ، وعندئذ هيىء الى ان السيارات قد تحولت الى عربات تجرها جياد ، وكانت تطاردنى لتدوسنى ، ورأيت البيوت وقد تحولت الى قصور من زجاج ، وبدأت تنفجر ، وتتطاير منها شظايا كأنما الابر والمدى ، فتنطلق نحوى تريد أن تمزق جسدى .. وعندئذ انطلقت عائداً الى بيتى ، وانتابتنى هواجس شتى ، وبدأت أسجلها ، وعندما عدت الى وعيى ، رأيتها هكذا : شياطين .. شياطين .. عددهم ملايين .. ستة آلاف شارع تنز بالبلغم .. كل خوذة تحمل رأساً .. كل حربة تقطر دمعة .. الى اين المفر ؟ .. هل هو اضطهاد ؟ .. بيت الموت يطوينى .. الى آخر هذه الهلوسة التى سجلها فى صفحات !

ولا أحد يعرف السر فى اختلاف استجابة الأفراد لهذه المادة .. فلماذا يحسب أحدهم الألوان وقد تحولت الى اصوات ، وغيره يرى الأحجار وقد تجسدت فى جواهر وثالث يحس انه قد مات ، وان روحه ترفرف أمامه ، أو تقف معلقة فى السماء ، ورابع .. وخامس .. الى آخره كل ما عرف فى هذا المجال ان الهلوسة ، تزيد زيادة مضطردة على حسب الجرعة ، والجرعة ـ كما ذكرنا ـ ضئيلة للغاية ، وهى لا تزن الا ما تزنه الغبارة ، لكنها ـ مع ذلك ـ توجه العقول وجهة غير التى فطرت عليها ، وتغير مسارها الى طرق اخرى ذات فجاجة واعوجاج .. لكن للناس فيما يعشقون مذاهب ، وبئس العشق .. عشق الهلوسة

تحذير لابد منه

ورغم أن حبوب الهلوسة لا تسبب ادمانا ، الا انها بمثابة السم المغلف بالعسل ، فهى ـ بجوار انها تصور للانسان الجحيم والنعيم ـ تحدث آثاراً جانبية قد لا تحمد عقباها .. فبعد ان يمر على تناول الحبة ما بين نصف ساعة وساعتين ـ يختلف ذلك باختلاف قوة الانسان ـ قد تظهر اعراض على هيئة توتر عضلى ووخزات ورعدات وارتفاع فى نبض القلب وعمق فى التنفس ووجع فى اماكن مختلفة بالجسم ، لكن قد يحدث الأغماء والصداع فى حالات نادرة ، وقد تتسع حدقة العين عند بعض الناس ، فى حين أن البعض الاخر يعترف بأنه لا يشعر الا بقشعريرة تشبه قشعريرة البرد ، وبعد كل هذه الأعراض أو بعضها يستمر الانسان فى هلوسة لفترة تتراوح ما بين ست وثمانى ساعات ، ثم يزول الأثر تدريجياً ، لكن قد يحدث ان يتعرض الفرد ـ وعلى فترات متقطعة ـ لحالات من الكآبة والهلع والهذيان وهبوط فى قواه الحيوية ، وقد يستمر ذلك لعدة أيام ، أو حتى لأسابيع ، رغم أنه دخل التجربة لأول مرة .



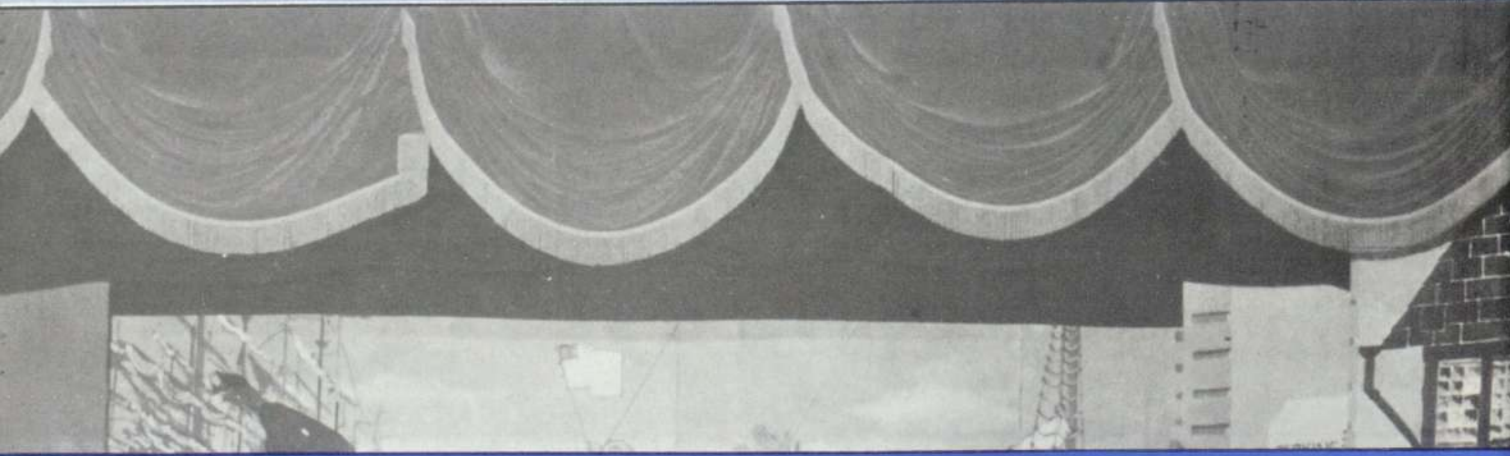
احد الرسامين يعبر عن الكيفية التى كان يرى بها نفسه اثناء مروره بتجربة حبوب الهلوسة . لاحظ عدم التناسق فى نسب اعضاء الجسم ، وهو يدل على عدم تناسق فى نشاط المخ !

ان الساعين للهروب من المتاعب ، إنما يهربون من متاعب الحياة الى متاعب الهلوسة ، وطبيعى أن احداً لا يستطيع ان يلوم الانسان الذى يسعى للتخلص من متاعبه ، لكن ذلك يجب ان يتم تحت رعاية واستشارة طبيب ، أى على الانسان أن يأتى البيوت من ابوابها ، والذين يقولون ان الانسان طبيب نفسه ، لم يجانبهم الصواب ، خاصة اذا كان مرضه ناشئاً من توتر وقلق واجهاد .. «فمن المؤكد ان ينبوع التعقل والطمأنينة كامن فى أنفسنا ، وليس فى مهدئات أو منشطات أو حبوب هلوسة» ـ على حد تعبير دكتور فرانسيس بريسلاند !

ثم ان هناك انباء وتقارير تشير الى دخول حبوب الهلوسة بطريق غير مشروع الى معظم الدول العربية ، وهذا يتطلب منا أن ندق له نواقيس الخطر .. ثم ان الذى يحترم نفسه ومجتمعه ، لا يمكن ان يكون حشاشاً أو «افيونجيا» «او مهلوساً» .. ذلك ان العقل هو أعظم هبة فى هذا الوجود ، وهو يستحق منا التقديس لا «التهليس» .. وقاكم الله شرور النفس الأمارة بالسوء ، وفى ذلك الكفاية لقوم يتدبرون ويفقهون .

دكتور عبد المحسن صالح

جزء خاص



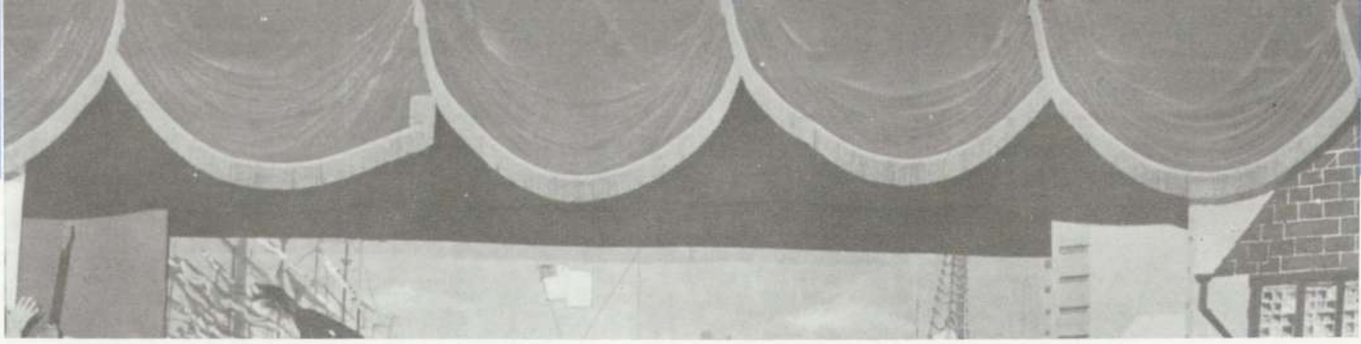
عن المسرح



هذا الجزء

تقدم الدوحة على الصفحات التاليه جزءاً خاصاً عن المسرح العربى ، يتناول صفحة من الصفحات الأولى المشرقة فى حياة الحركة المسرحية العربية ، هى صورة حية للفنان الضاحك نجيب الريحانى يرسمها الكاتب المسرحى الكبير نعمان عاشور ، وفى هذا الجزء أيضاً قصة الفرقة المسرحية التى أنشأها أولاد عكاشة ، وقد كتب هذه الدراسة الدكتور محمد يوسف نجم الباحث المعروف والمؤرخ المسرحى الكبير ، ويضم الجزء قصة حياة الفنان الكبير شفيق نور الدين الذى رحل فى الشهر الماضى عن دنيانا ، بعد أن وقف على خشبة المسرح خمسين سنة متصلة ، كانت كلها نوعاً فريداً من الكفاح الفنى الذى يثبت أن نجاح الفنان لا يعتمد أبداً على الموهبة وحدها وإنما يولد هذا النجاح فى أحضان الجهد والاخلاص والمثابرة والعمل المتصل ، وأخيراً نلتقى بنخبة من الفنانين العاملين فى المسرح الخليجى ليحدثونا بصراحة عن مشاكلهم فى شهادات واقعية حية .

إن هذا الجزء الخاص عن المسرح هو رحلة فكرية فى عالم المسرح العربى رحلة تمتد من الجذور الأولى إلى آفاق المستقبل ، حيث أصبح المسرح العربى الآن مجالا للنشاط الواسع فى كل الأقطار ... وعندما تمضى حركة المسرح فى طريقها وهى على وعى بتاريخها ومشاكلها .. فان ذلك يعطى أملا أكبر فى مزيد من النضج للحركة المسرحية العربية .. وفى القدرة على إيجاد الحلول عندما تتعرض هذه الحركة لأى نوع من الصعوبات .





لقاء مع :

نجيب الريحاني

نعمان عاشور

كان لابد لكى أحصل على شهادة البكالوريا وهى ما يعادل الثانوية العامة عندنا هذه الأيام أن التحق باحدى المدارس بالقاهرة .. وبالفعل تنقلت بين اكثر من مدرسة حكومية حتى رسى بى المطاف اخيراً فى مدرسة تابعة للاوقاف الملكية .. هى مدرسة فاروق الأول فى روض الفرج .. ولكنى كنت اقطن فى حى السيدة زينب مع بعض اقاربى ..والمسافة بين روض الفرج والسيدة زينب .. أى جنوب القاهرة واقصى شمالها .. يقطعها ترام واحد تتكلف مصروفاً غير عادى .. لهذا كنت احصل يومياً على ما يعادل عشرة قروش . مبلغ لا يستهان به بالقياس الى قيمة القرش فى مثل تلك الأيام . كنت فى الرابعة الثانوية اهوى السينما ولا انقطع عن مشاهدتها .. وعلى مدار النصف الأول من العام الدراسى كنت قد اتيت على جميع سينمات وسط المدينة بما يكفله لى مصروفى اليومى الكبير من قدرة على ادخار اكثر من خمسة قروش يومياً .. لكننى سرعان ما زهدت فى مشاهدة السينما خاصة حين قادتنى قدماى لاكثر من أسبوع الى مسارح وملاهى شارع عماد الدين وكانت لها فى واعيتى ذكريات حافلة من زياراتى المتقطعة فى صحبة والدى وعمى للعاصمة والنزول فى فندق يتوسط شارع الأضواء والمسارح ثم عن الذكريات التى كان يرويها لى أبى عن شبابه الذى قضاه فى عماد الدين بصحبة الفنان الكبير على الكسار الذى كان صديقاً لاصقاً به .. كانت أسعار السينما رخيصة وزهيدة .. ولم أنقطع عن السينما كلية .. ولكننى بدأت أهوى دخول المسرح وفى كل خميس تقريباً يتوافر لى اكثر من خمسين قرشاً لأسارع بها الى عماد الدين .

بعد كشكش بيه

كان ذلك فى عام ١٩٣٦ وقد عاد الريحانى ليسترد مكانته فأصبح مسرحه هو المسرح الوحيد تقريباً الذى لا تنقطع له عروض .. بينما كانت الفرقة القومية التى أنشأتها الحكومة حينذاك تتابع تقديم مسرحيات لها صفة الجدية ولكنها تخلو من التجديد وتقديم العروض التى لا يمكن مشاهدتها اكثر من مرة .. وتوزع اهتمامى بين مشاهدة «أهل الكهف» لتوفيق الحكيم و «مجنون ليلى» لشوقى فكنت أعيش مع زكى طليمات وأحمد علام وأمينة رزق أسبوعياً ثم أسارع فى الأسبوع التالى لمشاهدة الريحانى .. صحيح اننى كنت انبهر بما تقدمه الفرقة القومية من أعمال الحكيم وشوقى وعزيز أباظة ومحمود تيمور . ولكننى أمام إغراء الريحانى وما تطور اليه مسرحه من كوميديا اجتماعية لم أكن أتوانى عن ترجيح كفته أسبوعياً .. خصوصاً وقد جئت الى القاهرة وأنا مزود بذخيرة مشجعة عن ناظر مدرسة بلدنا الذى كان يهوى الريحانى وحكى لنا الكثير عن رواياته .. وكانت تلك هى مرحلة ما بعد كشكش بيه .. مرحلة المسرحيات الاجتماعية التى يلعب فيها الريحانى دور الانسان المقهور الذى قست عليه الظروف نتيجة لوضعه الاجتماعى .. المسكين التعس الغلبان والصادق المخلص الأمين الذى يجاهد الحياة لكى يعيش شريفاً فلا يستطيع ويضطر إلى النفاق والمداهنة حتى يحصل على القوت .. وتلك الشخصية ترددت فى جميع مسرحيات الريحانى فى تلك الفترة وبلورها فى «ثلاثين يوم فى السجن» .. وقد بهرتنى فابعدتنى عن شوقى وتوفيق الحكيم

الحرب الثانية

هكذا عشت اتردد على مسرح الريحانى حتى قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ولم أكن أيامها قد بلغت العشرين من عمرى ولا أزال طالباً فى الثانوى .. ودفعنى حبى للريحانى وإعجابى به ذات ليلة أن أقف على باب خروج الممثلين .. الباب الخلفى لمسرح الريتز لأشاهده وهو يخرج فلما رايته ظللت أبحلق فى وجهه وانا اتابعه شاخصاً فى عينيه الى أن اخرج لى لسانه ليبعدنى عنه .. وبالفعل خجلت من نفسى فلم أستطع الا أن اجرى من أمامه .. ولكن هذا لم يمنعنى بعدها بأسبوع من العودة لمشاهدة الريحانى وهو خارج بعد التمثيل .. ولكنه لم يخرج وعلمت بعدها انه ظل ساهراً حتى الصباح ليعيد اخراج المسرحية مع «الجوقة» لأن عرضها لم يعجبه .

لقاء جرىء

كنت قد أصبحت مجنون ريحانى .. فلم يمر



جورج أبيض



حسن فايق



بديع خيرى

أسبوع ثالث حتى وجدتنى اندفع إلى شارع عماد الدين وكان ذلك فى الصباح بعد أن صرفونا من الدراسة بسبب الاضرابات وفيما أنا أسير ناحية مسرح الريتز .. لمحت الريحانى بذاته جلساً على مقهى يقابل احدى العمارات المجاورة للمسرح .. كان يمسح حذاءه ويدخن الشيشة (النرجيله) وترددت فى محاولة الكلام معه ولكنى وقفت على الرصيف اتابع حركاته .. كان شديد الحيوية يلاحق الجرسون ثم يحادث ماسح الأحذية ويستغرق فى الضحك على الاجابات التى يتلقاها منهما . وشجعتنى بساطته هذه على أن أتقدم منه وقبل ان افتح فمى بكلمة دعانى إلى الجلوس وأخبرنى أنه لاحظ مراقبتى له فاجبته .

– انا تلميذ فى ثانوى ومعجب بك وبمسرحياتك .

– تبقى تستحق واحد «لكوم» .

ونادى على الجرسون وطلب اليه أن يحضر لى قطعة من الملبن «التركى» ثم قال :

– باين عليك تلميذ نجيب .. بس مش نجيب الريحانى طبعاً ..

وقهقه ضاحكاً والجرسون يضع أمامى الطبق الصغير وهو يحاور ماسح الأحذية .

– الجزمة دى حمره .. خذ قرشين صاغ .. السوده عندى بقرش ..

ودفع له المبلغ ثم التفت ناحيتى .

– قلت حضرتك انك تلميذ .. طيب وايه اللى عاجبك فى مسرحياتى ؟

– فيها حاجات حقيقية من اللى بيحصل فى حياتنا .

– حاجات تضحك .. مش كده .. ما هم كمان بيقولوا عليه فيلسوف .. وانا لا فيلسوف ولا حاجة .

– أنت مصلح اجتماعى .

– ما احبهاش الكلمة دى .. انا مضحك اجتماعى .. لكن دا انت باين عليك متبحر قوى مع ان سنك يعنى .

– انا فى رابعة ثانوى .

– يعنى ما خدتش البكالوريا .

– وسالنى بغته والجرسون يحرك له الفحم المحترق فى النرجيله :

– لكن قولى .. بتجيب فلوس منين تدخل بها المسرح .. ؟

– من مصروفى .. أصلى بقيت اكره السينما .

– لكن احنا ما عندناش ترسو .

– ما أنا بادخل كل شهر مره .

– اجيب لك واحد لكوم تانى .

– متشكر .

ووقفت لأهم بالانصراف .. فلاحقنى .

– اقعد رايح فين ؟ .

– مروح .. اصل بيتنا بعيد فى السيدة زينب والنهارده كان اضراب لحسن يتخضوا عليه لو اتأخرت .

– أمال بتسهر فى المسرح إزاى بالليل ؟

– يوم الخميس بس .

– عندنا رواية جديدة الجمعة الجايه .

– عارفها .. «الدنيا لما تضحك» .

وكان يضرب كفاً بكف وأنا اغادره مستأذناً .

– حاجه عجيبه !! الحق أهلك لحسن يتخضوا عليك .

وراح يترنم وهو ينادى الجرسون باغنية شعبية معروفة .

– يا عم حمزة احنا التلامذه .. عايشين على العيش الحاف .. والنوم من غير لحاف .

وكان يهتز وهو يترنم بالأغنية غير عابىء بأحد حوله .

رويت هذه الواقعة بعد ذلك بسنوات طويلة للاستاذ بديع خيرى وكنت اتردد عليه اسبوعياً اذ كان يرأس جمعية أصدقاء سيد درويش وكنت من أعضائها وتعقد فى منزله .. فابتسم قائلا .

ما هو دا كان طبع سي نجيب بالضبط .. كبير مع الكبار وصغير مع الصغيرين .

بعد الحرب

كان ذلك عام ١٩٣٦ .. وكان شارع الأضواء والمسارح فى اعقاب الحرب العالمية الثانية أى بعدها بتسع سنوات يجاهد لاستعادة مكانته السابقة ولكن مسارحه وملاهيه كانت تتلاحق فى الافلاس .. فالكسار يتعثر بمسرحه وفرقته .. وهناك فرقة فوزى منيب وهى الأخرى على وشك الاغلاق ثم بعض صالات الرقص والكباريهات المتبقية من امجاد الحرب .. ولم يكن هناك مسرح ثابت بينهما جميعاً غير مسرح الريحانى .. فقد اعاد الريحانى تجميع فرقته من جديد على نهاية الحرب ليبدأ المرحلة الأخيرة من نشاطه قبل ان يدركه الموت عام ١٩٤٩ .. ولذلك انتعش مسرحه فى تلك الفترة على صور كاسحة حتى كاد يطغى على كافة وجوه النشاط المسرحى الأخرى ومنها الفرقة القومية الحكومية ذاتها .

حدثنى بديع خيرى عن هذه الفترة فقال ان الريحانى رغم نجاحه فى السينما بالأفلام القليلة التى مثلها وكنا نؤلفها معاً أيضا مأخوذة عن مسرحياتنا القديمة .. كان دائم الحنين الى المسرح .. ولهذا استجاب بمجرد انتهاء سنوات الحرب وبالتحديد عام ١٩٤٥ لرغبة أعضاء فرقته القدامى .. شرفنطح والقصرى ومارى منيب وميمى شكيب واستيفان روستى وحسن فايق وغيرهم .. فما أن انتهت الحرب حتى عدنا جميعاً الى مسرح الريتز الذى كنا قد اشتريناه من قبل .

ويصف بديع خيرى تلك الفترة بانها كانت من أغنى وانضج الفترات فى حياتهما .. فقد أدى انقطاعهما عن المسرح الى معاودة النظر فى كثير من الأمور .. وعلى رأسها نوعية المسرحيات التى كانت تقدم .

حياته المسرحيــة

وهنا تلزمنا وقفة استعادة لحياة الريحانى المسرحية .. ولد الريحانى فى القاهرة قبل بداية القرن العشرين باكثر من عشرين سنة .. وكان جده الأول عراقياً . وقد تشرب بالروح الشعبية من البداية لأنه خرج من حوارى القاهرة بحكم نشأته فى أسرة فقيرة تعثرت بها الحياة من البداية .. وكان الريحانى من صغره خفيف الظل متهكماً ساخراً « وابن نكته» كما يصفه بديع خيرى .. وفيه ملكة قوية على تقليد الناس والسخرية من تصرفاتهم بصورة لاذعة وتلقائية مباشرة لا تعرف التحرز ولم ينل الريحانى قسطا وافيا من التعليم ولذلك ترك الدراسة من مبدأ شبابه والتحق بالعمل كاتباً فى احد البنوك .. وكل ما عرف عنه من هوايات واهتمامات فى تلك الفترة .. انّه كان يتمنى أن يكون شاعراً ولكنه كان يهوى التمثيل . وساعده الحظ من البداية أن يكون له زميل يشابهه فى البنك العقارى المصرى الذى اشتغل فيه .. وكان هذا الزميل هو المرحوم عزيز عيد .. رائد الاخراج المسرحى عندنا .. فارتبط به الريحانى وشاركه جهاده الباكر على مدار العشر سنوات الأولى من القرن فى تكوين العديد من الفرق المسرحية الصغيرة الفاشلة إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

... الاحتراف

بعدها انتظم الريحانى فى عداد الممثلين



لقاء مع :
نجيب الريحاني

المحترفين وكان يعمل فى صالات الرقص الاستعراضية الغنائية التى ملات رحاب شارع عماد الدين لتسلية الجنود الانجليز طوال سنوات الحرب فكان يقوم بتقديم الاسكتشات الفكاهية حتى اتيحت له الفرصة لتقديم اسكتش فكاهى عن شخصية ابتكرها بنفسه وعرف واشتهر بها شهرة عريضة .. وكانت تلك الشخصية «كشكش بيه» عمدة القرية الريفى الذى جاء الى العاصمة لينعم بمباهجها وجيوبه متخمة بالنقود من بيع محصول القطن وكانت أسعار القطن أيامها فى ارتفاع بسبب الحرب .. ونتيجة لهذا النجاح سرعان ما نجد الريحانى قد ترك ملاهى الرقص وأسس مسرحاً باسمه هو مسرح الريحانى .. وبدأ ينافس الفرق المسرحية الأخرى القائمة حينذاك وكان يمثلها فى الجانب الغنائى فرقة الشيخ سلامة حجازى وفى الجانب التراجيدى فرقة جورج ابيض وفى الجانب الجاد ما يحاول تقديمه محمد تيمور من مؤلفات مسرحية .. فما أن انتهت الحرب حتى كان الريحانى قد برز بفرقته ورسخ بمسرحه فى عماد الدين ليقارع الفرق المتتابعة بعد ذلك وعلى رأسها فرقة رمسيس التى أوجدها يوسف وهبى .. وظل الريحانى شامخاً بفرقته لا ينافسه فى مجاله الكوميدى الناجح أحد غير فرقة على الكسار ، وكان من البراعة بحيث استطاع ان يستقطب لمسرحه محمد تيمور من المؤلفين وسيد درويش من الملحنين .. وهكذا قامت ثورة ١٩١٩ ومسرح الريحانى فى الاوج من شهرته ونجاحه .. وفى تلك الفترة انضم اليه بديع خيرى ليؤلف معه المسرحيات ويشاركه فى منافسة الفرق العديدة الأخرى .

الفكاهة الصارخة

وصف لى بديع خيرى رحمه الله هذه الفترة فقال انها كانت من ازهى فترات النشاط المسرحى التى تفوق فيها الريحانى بكوميدياته الفكاهية .. لكنها للأسف لم تدم طويلا .. لأن العديد من أصحاب الفرق المنافسة وأصحاب المجلات الفنية .. أثار الكثير من الشكوك حول اخلاص الريحانى للحركة الوطنية سيما حين استمر يتابع تقديم عروضه الفكاهية فى ظل أوضاع سياسية ويرفض اقحام فرقته فى السياسة .. فاتهموه بأنه من صنائع الاحتلال الانجليزى وانه يعادى الحركة الوطنية .. ومن اجل ذلك اضطر الريحانى بدلا من اغلاق فرقته ان يرتحل بها الى جولة فى شمال افريقيا ثم فى البرازيل لأكثر من ثلاث مواسم . كتب الاستاذ يحيي حقى عن ذلك فمال الى ترجيح الاتهام وقال ان الريحانى كان أيامها يصر بفكاهته الناجحة على أهدار الروح الجريئة التى تحاول اشاعتها الفرق الأخرى .. كيوسف وهبى وفاطمة رشدى وغيرهما .. فلما عاد الريحانى بعد سنوات لافتتاح مسرحه .. لازمه نفس نجاحه السابق لأن الفرق الأخرى كانت قد تعثرت والحركة الوطنية ذاتها قد لاحقها الخفوت فى ظل التنافس الحزبى وبتأثير الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣٢ .

الكوميديا الاجتماعية

خبت جذوة المسرح الجاد بالفعل ..وتشتت الفرق حتى اقدمت الدولة عام ١٩٣٥ لأول مرة على انشاء الفرق القومية لجمع شتات المشردين من كبار الممثلين للفرق المنهارة .. وتاسست الفرق على انقاض الازدهار المسرحى الذى صاحب السنوات الاولى الباكرة التى تلت ثورة ١٩١٩ .. وانتعشت حركة التاليف على يد توفيق الحكيم وشوقى وعزيز اباظة وعلى أحمد باكثير وغيرهم .. لكنهم كانوا يقدمون مسرحيات جافه ومترجمات لم تستطع ان تصمد أمام ما جاء الريحانى ليجدد به شباب مسرحه مرة أخرى .. مقتبسات ومترجمات يعدها عن مسرحيات فرق البوليفار الفرنسى الكوميديه الناجحه .. يعيد صياغتها ويركز فيها بديع خيرى على سياق الأحداث وترابطها مع النص الاصلى المأخوذة منه بما يتفق مع الجو الاجتماعى ثم يشتركان معاً فى صياغة المشاهد المنسقة بحيث تطابق الشخصيات مجموعة الممثلين العاملين معهما فى الفرقة .. كل فى دوره الذى يجيد أداءه نمطياً .. اعنى بحركاته وملامحه الفكاهية مثل شرفنطح فى دور العسكرى ومارى منيب فى دور الحماة والقصرى فى دور المعلم البلدى وهكذا .. وكان وضع النص يأخذ فترة طويلة أحياناً ما كانت تبلغ العام .. ينصرف خلالها بديع خيرى لاعداد واقتباس نص جديد فى حين يظل «سى نجيب» يصنف ويحذف ويجدد فى الحوار والمشاهد مما تقع عليه اذنه أو عينه من تصرفات وكلمات من الأحداث اليومية الجارية حتى تكتمل الرواية . فاذا أتم «سى نجيب» ما يقنعه نهائياً .. شرعا فى البحث عن عنوان المسرحية . وكان ذلك بدوره يأتى بعد عناء وأحياناً بطريق الصدفة المحضه .

الريحانى فى السينما

وكانت تلك هى الفترة التى قابلت فيها الريحانى وأنا لا ازال طالباً .. لكنها لم تدم طويلا .. فسرعان ما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وانتعشت صناعة السينما المصرية بينما انتهى نشاط المسرح بفعل الاظلام وتحديد ساعات السهر الليلية فانصرف الريحانى الى السينما .. واشترك فى تاليف وانتاج وتمثيل افلامه المعروفة «أحمر شفايف» «أبو حلموس» و «سى عمر» و «سلامة فى خير» وغيرها جنباً الى جنب مع النجوم المشهورين فى تلك الفترة التى عرفت بمرحلة سينما أغنياء الحرب .

مهاجمة السينما

فى عام ١٩٥٨ على ما اذكر كان المسرح القومى يقدم مسرحيتى «سيما أونطة» التى أثارت جدلا ومعارك كثيرة من جانب السينمائيين وذات ليلة فوجئت بحضور الأستاذ بديع خيرى ليشاهد المسرحية .. كان يتساند على عصاه ويمشى بصعوبة بالغة فصحبته الى احدى البناوير مرحباً ومحيياً .. وبعد نهاية الفصل الأول لحق بى احد العمال وانا اغادر المسرح طالباً الى ان اتكرم بلقاء الاستاذ بديع خيرى .. وقد سجلت تلك الواقعة فى كتابى «المسرح حياتى» . دخلت على الرجل فى البنوار فقام متعثراً على عصاه .. ورجانى أن اخذه من البنوار الى احد المقاعد الامامية .. لأنه لا يسمع من الحوار شيئاً والبنوار بعيد عن خشبة المسرح .. وبالفعل صحبته الى مقعد احضرناه خصيصا له ليجلس عليه واضطررت الى انتظاره حتى نهاية العرض وهو ما كنت اتحاشاه فى معظم الليالى خوفاً من تحرش السينمائيين خارج المسرح .. تساند الرجل على كتفى وهو يتجه الى سيارته مردداً «هذا عمل جرىء نجحت فيه انت كما لم انجح انا والريحانى» ودعانى الى شرب الشاى معه فى منزله يوم الأحد .. وكان يومه المفضل لاستقبال ضيوفه .

فى تلك الجلسة انصب الحديث كله حول الفترة الأخيرة من حياة الريحانى ومسرحه . خرج الريحانى من العمل فى السينما خلال سنوات الحرب ورغم نجاح افلامه ساخطاً على السينمائيين نافراً من الوسط السينمائى مفضلا المسرح . فلما اعاد افتتاح مسرحه بعدها .. كان أول ما اتجه اليه مهاجمة السينما فى المسرح وشجعه على هذا الاتجاه انتشار موجة من السخط المعتاد دائماً على ما تقدمه السينما كصناعة من افلام .. ولكن المسرحية فشلت ولم تعرض لأكثر من أسبوعين واضطرت الفرقة



فاطمة رشدى



يوسف وهبى

بعدها إلى عرض «ريبوراتوار» قديم لحين الانتهاء من اعداد مسرحية جديدة .

مرحلة النضج

كان ذلك بعد عام ١٩٤٥ واستمر الريحانى على مدى الاربع سنوات التى عاشها يقدم عدداً من المسرحيات الجديدة التى تعتبر انضج أعماله واكثرها جدية وتجاوباً مع النبض الذى تفيض به حياتنا العامة سياسياً واجتماعياً وفكرياً .. قدم مسرحية «قسمتى» وتعرض فيها بأسلوب ساخر لاذع لحياة الانسان العادى الذى تظلمه ظروفه الاقتصادية .. نفس شخصية المسكين الغلبان عاثر الحظ التى كان يقدمها من قبل .. ولكن بوعى وتفتح اضاف فيه الى مصادفات الحظ التعس العوامل الاقتصادية التى تؤثر على شخصيته ومعنوياته واخلاقياته وقيمه .. وان يكن فى خيط رفيع يكاد يتلمس فيه بعض معالم الشخصية فى جانبها الطبقى الذى لم يتصد له من قبل .

كانت مسرحيته الثانية فى هذا المضمار سياسية فاقعة اخذها من موضوع مكرر معاد . سبق ان قدمه مارون النقاش فى القرن التاسع عشر بل وسبق أن قدمته أكثر من جوقة على أوائل القرن .. وهو موضوع المواطن الذى تمنى على الخليفة يوماً وهو لا يعرف شخصيته ان ياخذ مكان الخليفة وسيعرف كيف يصلح البلد .. فما كان من الخليفة الا أن اجتذبه الى القصر وولاه الخلافة وراح يراقب ما سيفعل .. فاذا به يفشل فى اصلاح الحال .. إطار الموضوع نفسه ماخوذ من الف ليلة وليلة وحكاية ابو الحسن المغفل ولكنه موجود على نفس الصورة فى الآداب الغربية ذاتها وقد اخرج فى أكثر من فيلم سينمائى وأكثر من مسرحية هزلية ..

كان هذا هو موضوع مسرحية حكم قراقوش .. وقد احدث تقديم الريحانى له ضجة .

أما بديع خيرى الشريك التوأم للريحانى فى كل مؤلفاته فروى لى وهو يلخص نشاطهما فى هذه الفترة .. ان المسألة اقتصرت على حضور رئيس الديوان أيامذاك وهو احمد حسنين .. وكان من محبى مشاهدة الريحانى .. وانه لفت نظرهما الى ان الموضوع فيه تزيد بعض الشيء ويلزم تخفيفه ولكنه لم يحاول منعه أو إيقاف العرض .. بل لقد اذيعت المسرحية أيامها فى الراديو .. وانا شخصياً شاهدتها اكثر من مره على المسرح وسمعتها مذاعة على الهواء .. ومن شدة انبهارى بها .. اندفعت الى محاولة ثانية لاحظى برؤية الريحانى ومكالمته .. وكنت قد تخرجت من الجامعة واصبحت موظفاً ولم اعد تلميذاً وامضى بعض ليالى ساهراً فى مقاهى عماد الدين .



علي الكسار

حسن ومرقص وكوهين

كنت جالساً ذات مرة فى مقهى ركس مساء بشارع الالفى المطل على عماد الدين فى صحبة زميل يعمل معى فى نفس الوظيفة .. وكان بجوارنا الممثل الكوميدى الراحل عبد النبى محمد يلعب الطاولة وهو من الممثلين المعدودين فى جوقة الريحانى . وكان لى سابق معرفة به .. فلما سألته عن اخبار الجوقة قال انها متوقفة لان سى نجيب بيشطب مع بديع خيرى فى رواية جديدة . وانهم يجرون عليها بروفات صباحية فى مسرح الريتز باشراف نجيب الريحانى فلما أبديت رغبتى فى مشاهدة البروفات أو حضورها قال أن هذا مستحيل فطلبت اليه ان يقدمنى للريحانى بصفتى صحفياً يريد أن يجرى معه حديثاً . تردد عبد النبى محمد أول الأمر .. ثم تكفل باستقبالى فى بوفيه المسرح حيث يجلس الريحانى خلال استراحات البروفة ويقدمنى اليه .. وحدث ذلك فعلا .. وكان الريحانى يومها فى حالة نفسية طيبة بسبب قرب انتهاء البروفات وتحديد ليلة الافتتاح ،، واخبرنى عبد النبى محمد ان سى نجيب حيقابلنى وهذا من حسن الحظ لانه رايق .. ذلك ان الريحانى كانت تلازمه لحظات انقباض مخيفة .. يصاب معها بالوجوم والقرف وكراهية الدنيا بكل ما فيها فلا يطيق مكالمة أحد .

مع سبق الاصرار

جاءت اللحظة المناسبة حين اهل الريحانى فقدموا له مقعداً وطلب شيشة عجمى وهو يقهقه .. وكان فى صحبته حسن فايق كان يعاتبه لانه لم يحفظ دوره فى الفصل الثالث مع انه دور اهم من دور الريحانى نفسه كما راح يشرح له .. وحسن فايق يعتذر ووعده أن يحفظ الدور جيداً ابتداء من الغد .. وأسرع عبد النبى ساخراً من حجج حسن فايق عن عدم حفظه للدور .. التفت الى الريحانى بغته .

ـ باين عليك لسه بتتمرن وجاى تتمرن عليه .. انت فى مجلة ايه ؟!!

تلعثمت ولم اجد جواباً .. فلاحظ ارتباكى .

ـ قول ما تنكسفش .. ولا يكون فى العصفور الازرق يا حسن ، فرد عليه حسن فايق .

ـ ايوه .. انت فاكرها دى يا سى نجيب .. مين عارف يمكن يطلع فى الوطواط الأغبر .

وانفجر الريحانى ضاحكاً .

ـ الله يخيبك يا حسن .. فكرتنى بالذى مضى . الشيء العجيب اننى لم اشعر بالاهانة .. وانتقلت الى عدوى الضحك معهما وكأننى كنت جالساً فى صالة المسرح أمام مشهد تمثيلى مما يقدمانه .

وفجأة جاء أحدهم يجرى من وراء الكواليس معلناً وصول الاستاذ بديع خيرى .. فطلب الريحانى تأجيل الشيشة .. وقام مستأذناً .

ـ أنا كنت موصيه على كلمتين لك يا حسن .. لكن ما دام ما بتحفظش حا أخذهم لنفسى .. اذ كان كتبهم .

وأشار عبد النبى محمد منبها الريحانى الى وجودى .

ـ تعال اتفرج على البروفة .. وكفايه عليك .. بلا صحافة بلا غيره بس أوعى تكتب كلمة واحده عنها .. اتفرج وانت ساكت .

ونزلت الى الصالة فى صحبة عبد النبى محمد الذى أخبرنى أن الريحانى لم يسبق أن سمح لاحد غريب أن يشاهد بروفاته .. وظللنا جلوساً فى الصالة لفترة حتى خرج احدهم معلناً أن سى نجيب الغى البروفة واجلها لمدة أسبوع .

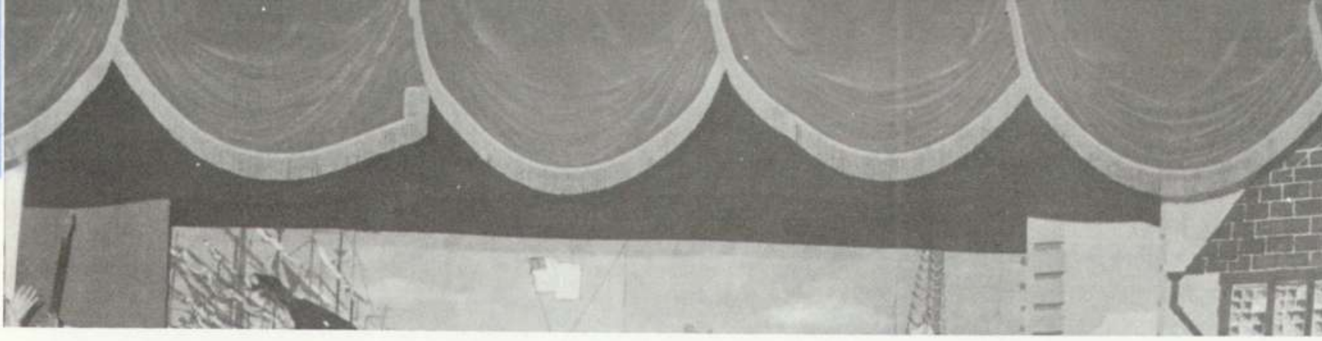
وضرب عبد النبى كفاً بكف .. وقام ليعرف السبب .. ثم عاد ليخبرنى أن سى نجيب جاءته سفرية مفاجئة الى الاسكندرية .

تلك هى المعالم التقريبية التى اذكرها عما حدث .. ولكنى علمت بعدها ان السبب كان مرجعه الى ان الريحانى حين قابل بديع خيرى ، لم يوافقه على ما كتب ، وقرر السفر للاسكندرية ليكتب بنفسه خاتمة «حسن ومرقص وكوهين» وكان هذا هو اسم المسرحية الجديدة التى تجرى عليها البروفات .. وهى من انضج مسرحيات الريحانى وان كانت اقلها فكاهة لانها تتصدى لمعالجة قضية حساسه هى قضية تعايش المسلمين والاقباط واليهود .. وهو موضوع من العسير تناوله بأسلوب الفكاهة التى عرف بها الريحانى ..

عبقرية

والواقع أن هذه الاستحالة .. فى تمثيل مسرحيات الريحانى من غير الريحانى .. هى التى تشكل الأساس الهام فى طبيعة مسرحه فرغم اشتراكه فى كتابتها ومساهمته فى اخراجها فان ادواره فيها محال ان يمثلها غيره .. ذلك ان الريحانى كان من بداية ظهوره صاحب موهبة لا تضارع كممثل كوميدى متفرد فذ وقادر على كسب الجمهور وقد استطاع ان يحافظ على كيان مسرحه حتى نهاية حياته بفضل هذه الموهبة وما كانت تمده به من وعى مكنه من التطور بمسرحياته عبر عديد المراحل التى عاشها هذا المسرح بين مختلف المسارح الأخرى

نعمان عاشور



مسرح أولاد عكاشه قبل عهد الأزبكية

د. محمد يوسف نجم

اولاد عكاشة اربعة اخوة ، «١» احترف منهم التمثيل ثلاثة هم عبد الله وعبد الحميد وزكى . اكبرهم هو عبد الله الذى كان عطاراً ، سمع به القرداحى سنة ١٨٩٧ فبعث فى طلبه فجاء الى منزله . وسمع القرداحى وعبد الرازق عنايت غناءه فطربا له وشرعا فى تدريبه على الغناء المسرحى ، لولا انه مرض مرضاً شديداً لازمه عاماً كاملا فلم يتمكن من العمل إذ ذاك . وبعد زمن نقه من مرضه ، فضمه اليه الشيخ سلامة اثناء عمله مع اسكندر فرح ، ليكون ملحناً ومساعداً له فى التواشيح . «٢» ويبدو انه استمر فى العمل مع الشيخ سلامة فى جوق اسكندر فرح ، ثم انتقل معه حين انفصل الشيخ عن مديره والف جوقاً خاصاً به سنة ١٩٠٥ . وكان يقف فى جوقة الملحنين مع الشيخ حامد المغربى ومحمود رحمى وسواهما من المنشدين ، الى ان اسند اليه الشيخ بعض الأدوار التمثيلية فى «صلاح الدين الايوبى» و «تسبا» و «اللص الشريف» ، وفى فصول محمد ناجى للضحكة التى كانت تختتم بها بعض حفلات الجوق . وبرز اسمه حين أسند اليه دور الفارس روجيه فى «اليتيمتين» ، «٣» واخذ نجمه فى الصعود بعد أن أصيب الشيخ سلامة بالشلل أثناء الرحلة السورية فى صيف ١٩٠٩ . إذ وكل اليه عبد الرازق عنايت إدارة الجوق اثناء مرض الشيخ . وقد بدا الجوق الجديد الذى ضم عكاشة واحمد ابو العدل ومحمد بهجت وميليا ديان ومريم سماط ممارسة نشاطه التمثيلى بدار التمثيل العربى من اول سبتمبر ١٩٠٩ . وعندما عاد الشيخ من الشلم فى أوائل اكتوبر ١٩٠٩ اشرف فترة من الزمن على عمل الجوق ، ولكنه راى فى اواخر ذلك الشهر ان يؤجر المسرح لاحدى فرق السيرك . فاستاء افراد الجوق من تصرف مديرهم ، وقرروا الاستمرار فى العمل مستقلين عنه ، واستاجروا تياترو اسكندر فرح بشارع عبد العزيز ونصبوا عبد الله عكاشة مديراً عليهم كما ذكرنا ، «٤» واصدروا نشرة وزعوها على الصحف أعلنوا فيها انهم اشتركوا معاً واتفقوا على تمثيل افضل روايات دار التمثيل العربى ، وعلى تقديم رواية جديدة كل شهر ، وانهم سيمثلون ثلاث مرات فى الأسبوع ، مساء السبت والثلاثاء والخميس ، «٥» ومنذ ذلك الحين دخل أولاد عكاشة طور التجاذب والتنافر مع الشيخ سلامة «٦» .

(١) شركة التمثيل العربى (١٩٠٩ ـ ١٩١٠)

ابتدا الجوق عمله فى أول ديسمبر سنة ١٩٠٩ وقدم فى موسمه هذا عدداً من المسرحيات القديمة وهى : «مغاور الجن» و «البخيل» و «شهداء الوطنية» و «العواطف الشريفة» و «أوتللو» و «البرج الهائل» و «انس الجليس» و «غانية الأندلس» و «عواطف البنين» و «صدق الاخاء» و «تسبا» و «ابو الحسن المغفل» و «مطامع النساء» و «عائدة» و «مارى تيودور» و «العفو القاتل» و «تليماك» و «ضحية الغواية» و «هملت» و «حفظ الوداد» (الظلوم) و «محاسن الصدف» و «عبرة الأبكار» .

وقد حقق الجوق فى اول عهده نجاحاً ملموساً مستغلا اسم الشيخ سلامة ومسرحياته . ولكنه لم يلبث أن تدهور بسبب سوء الادارة ، ولم يوفق الى نجاح يغطى نفقات المسرح وأجور الممثلين «٧» .

وعقب انتهاء الموسم المصرى سافر الجوق الى سورية ، «٨» فمثل فى بيروت على مسرح «زهرة سورية» بعض مسرحياته ومنها : «مارى تيودور» و «غانية الاندلس» و «عواطف البنين» . «٩» ثم قام بجولة فى عدد من المدن السورية ، وعاد من حلب الى بيروت حوالى منتصف سبتمبر . وذكرت إحدى الصحف اللبنانية اسم مسرحية من المسرحيات التى مثلها بعد عودته وهى «القضية المشهورة» . «١٠»

وعقب عودة الجوق من الرحلة السورية عاد الانسجام ثانية بينه وبين الشيخ سلامة ، فتعاون الجوقان فترة من الزمن امتدت من أكتوبر ١٩١٠ حتى مايو ١٩١١ . «١١»

(٢) الجوق العربى الجديد (١٩١١ ـ ١٩١٢)

انفصل أولاد عكاشة عن الجوق المشترك فى أواخر موسم ١٩١٠ ـ ١٩١١ . والفوا بالتعاون مع عزيز عيد «١٢» جوقاً جديداً أسندوا إدارته الى الأديب المترجم الياس فياض . وكان من اعضاء الجوق علي يوسف ومحمود رضا وحسن ثابت . «١٣»

قدم الجوق الجديد فى القاهرة عدداً من المسرحيات ، مثلها فى مسرحى عباس والأزبكية ، منها : «شهداء الغرام» و «الكابورال سيمون» و «تسبا» و «مارى تيودور» . «١٤» وقد استقبلت الصحف هذا الجوق بالترحاب واثنت على اتجاهه الجديد فى التمثيل الواقعى ، الذى كان بلا شك أثراً من آثار مخرج الجوق عزيز عيد . «١٥»

وبعد هذا الموسم القصير فى القاهرة سافر الجوق الى البلاد السورية لاحياء الموسم الصيفى كالعادة . واشارت الصحف اللبنانية الى تمثيله مسرحيتى «الكابوراك سيمون» و «شهداء الغرام» . «١٦» واشارت المقطم الى رحلته الى حلب حيث مثل «مارى تيودور» . «١٧»

وعاد الجوق الى مصر فى الأسبوع الثانى من سبتمبر ١٩١١ ، وأعلن عن افتتاح موسمه الجديد بالتياترو المصرى بشارع عبد العزيز .



عبد الله عكاشة



زكي عكاشة

"١٨" وفى هذا الموسم قدم المسرحيات التالية : "مارى تيودور" و "تسبا" و "عواطف البنين" و "غرام وانتقام" (السيد) و "غانية الأندلس" ، و "تليماك" و "شهداء الغرام" و "ضحية الغواية" و "عبرة الأبكار" و "مغاور الجن" و "الكابورال سيمون" و "صدق الاخاء" و "مطامع النساء" و "عائدة" و "حفظ الوداد" (الظلوم) و "صلاح الدين الأيوبى" و "عظة الملوك" . وقدم مسرحية جديدة هى "حياة المقامر" . وكان عبد الله عكاشة يقوم بأهم الأدوار الغنائية ، وعزيز عيد يقوم بالادوار غير الغنائية ، الى جانب اضطلاعه بالاخراج . وكانت الماظ استاتى الممثلة الأولى . وانضم أبو العدل الى الجوق فى أكتوبر ١٩١١ . "١٩" وقد حمل بعض مكاتبى الصحف حملة شعواء على هذا الجوق . واتهموا أصحابه بالجهل والغرور وخداع الجمهور وعدم تقبل النقد البناء الذى يوجه اليهم ومقابلته بالشتائم المقذعة . "٢٠" .

وفى أوائل مارس ١٩١٢ ، انفصل عزيز عيد عن الجوق وانضم الى الجوق العربى الذى كان يؤلفه جورج أبيض . واتفق أولاد عكاشة مع الشيخ سلامة حجازى على العمل متحدين ، وذلك حين بلغتهم أخبار جوق أبيض الفتى الذى حشد له أقوى العناصر التمثيلية من محترفين وهواة ، فخشوا أن ينهزموا أمامه وآثروا التعاون معاً ليستطيعوا الصمود أمام هذا الخطر الداهم . "٢١" .

(٣) بعد الانفصال عن الشيخ

استمر التعاون بين الجوقين الغنائيين من ٥ مارس حتى ١٤ ديسمبر ١٩١٢ . "٢٢" ثم استقل كل جوق بعمله فألف أولاد عكاشة بعد حين جوقهم الجديد من أحمد فهيم ومحمد بهجت ومحمود رحمى وعلي يوسف ومحمود حبيب ومريم سماط وفكتوريا موسى وصالحة قاصين وماتيل نجار ونظلة مزراحى . واستهل عمله فى شهر فبراير ١٩١٣ "٢٣" بمسرحية "عظة الملوك" ، وقدم موسماً متقطعاً لم يصلنا من أخباره إلا القليل ، ثم رأيناه يتحد مع جورج أبيض فى جوق جديد دعى "جوق أبيض وعكاشة" .

ويبدو ان أبيض استغل لتصدع الذى حدث فى صفوف المسرح الغنائى ، منافسه الأول آنذاك ، وحاول أن يدعم مسرحه الجدى المتجهم الذى أخذ الاقبال عليه يخف ، بعنصر الغناء الذى كان يشكل – مع الفكاهة – دعامتى المسرح المصرى القويتين آنذاك . وكان أبيض ، من ناحية أخرى ، يستعد لتقديم موسمه الثانى الممتاز على مسرح الأوبرا ، فآثر أن لا يخوض المغامرة وحيداً ، فضم جهوده الى جهود أبناء عكاشة ، واختاروا عدداً من المسرحيات اقتسماه بالتساوى وقدموا المسرحيات التالية : "الساحرة" و "نابليون" و "البرج الهائل" و "مصر الجديدة ومصر القديمة" و "الشيخ متلوف" ، وهى مسرحيات أبيض ، و "ضحية الغواية" و "عيشة المقامر" و "غانية الأندلس" و "عائدة" و "شهداء الغرام" ، وهى من المسرحيات التى تدرب عليها أولاد عكاشة وممثلوهم فى الأجواق السابقة وخاصة جوق الشيخ سلامة .

وظل هذا التعاون قائماً حتى شهر مايو . ثم استمر أبيض فى عمله وانقطعت عنا أخبار أبناء عكاشة وجوقهم حتى رحلة الصيف . "٢٤" .

وقد تحدث محمد تيمور عن نشاط أولاد عكاشة فى هذه الفترة التى كانوا فيها يتجاذبون مع الشيخ ويتدافعون فقال : آل عكاشة ثلاثة من الرجال عبد الله وعبد الحميد وزكى لم يحترفوا التمثيل فى وقت واحد . دخله أولهم وهو أكبرهم وتلاه عبد الحميد ثم انضم اليهم زكى وألفوا أخيراً جوقهم الذى تحول الى شركة .

أول عيوب آل عكاشة الجهل المطبق بأسرار الفن ، فهم بلا نزاع معذورون فى الروايات السقيمة التى يخرجونها للجمهور لأنهم لا يعلمون إن كانت هذه الروايات فنية أو غير فنية . بيد أن الجمهور معذور أيضاً فى نفوره وانقباضه عنهم ، فكل انسان يحصد ما زرعه ويأكل ما حصده . ولعل هذا الجهل المطبق هو الذى حدا بهم للتمسك بروايات الشيخ التلحينية التى تكاد تعفو آثارها من عالم التمثيل . ونحن لا نعلم أى نوع من أنواع التمثيل تقوم الجماعة باحيائه ، فتارة نراهم يخرجون الدرام والكوميدى والكوميدى دراماتيك وطوراً نراهم رجعوا الى التمثيل الغنائى وأعادوا عظة الملوك وعائدة . وكل هذا ظناً منهم أن كل ما ينشده المنشد أو يصرخ به الممثل على خشبة المسرح يعد تمثيلا يهتز له الجمهور . وثانى عيوبهم أنهم غير أكفاء للتمثيل ، ولا أدرى لماذا يقف الثلاثة على المسرح وقد أثبتت لهم الأيام عدم صلاحيتهم لذلك ، بل لم نسمع أن أحدهم أتقن دوراً من الأدوار ، اللهم إلا دور الشيخ متلوف ، ودور الوزير فى رواية (القضاء والقدر) وقد امتاز بهما عبد الله عن بقية أدواره بيد أنه لم يفعل فيهما شيئاً غريباً . وثالث عيوبهم أصواتهم ، وفى ذلك ما يلزمهم بهجر الغناء التمثيلى هجراً أبدياً . أنا لا أنكر على عبد الله جمال صوته إذا غنى من طبقة ضعيفة ، على شريطة أن يطرب سامعيه فى غرفة صغيرة . ولا أنكر على عبد الحميد رقة صوته وذلك الحنان الذى ينبعث منه ، ولكنه يجهد نفسه على المسرح وصوته لا يصلح كصوت أخيه إلا للغرف . أما زكى فنحن لا ننكر عليه صوته السليم من الضعف ، بل تلك الرنة التى تصلح كثيراً للمسرح ولكنه خال من الرقة والحنان والجمال ، وإذا غنى خرج عن قاعدة الغناء ، فكل غنائه (نشاز) .

ونحن ننصح له كثيراً أن يأخذ قواعد الغناء عن رجل كرحمى حتى يصلح النقص الكبير الذى يؤلم به آذان السامعين . ورابع عيوبهم ادعاؤهم القدرة الفنية ، وفى ذلك ما يحدو بهم للتمسك بخشبة المسرح ، وعدم رضوخهم لنصائح الناصحين وعدولهم عن تأليف لجنة فنية تهديهم السبيل السوى . فاذا جلست مع عبد الله وحادثته فى الفن مزج لك التراجيدى بالدرام والدرام بالكوميدى والكوميدى دراماتيك بالفودفيل . فاذا أردت أن تشرح له حقيقة هذه الأنواع وافقك فى الحل واستمر أدراجه فى الحديث حتى يعود لحالته الأولى من المزج والخلط . ثم يحادثك عن أمانيه فى رقى الفن وعن الأدوار التى برز فيها الشيخ بيد أنه لا يهتدى فى كل حديثه لشئ فنى – مع اعتقاده أنه أبو الفن وابنه ومن ذوى قرباه . وإذا جلست مع عبد الحميد مشى على آثار أحاديث أخيه ، وزاد عليها حديثه عن الممثلين الذين كانوا تحت رئاسته ثم انفصلوا عنه وساعدهم الحظ فأصبحوا من كبار الممثلين . ثم يتكلم عن المناظر

مسرح أولاد عكاشه قبل عهد الأزبكية

التى اشتراها والملابس التى صرف من أجلها ما فى كيسه . وإذا حادثت زكى رأيت فى حديثه الدليل القاطع على رئاسته الادارية والفنية ، وعلى الأدوار التى مثلها والتى سيمثلها ، وعلى كفاءته التى تعادل كفاءة رشدى . وتخرج من أحاديث الفرسان الثلاثة وانت لا تعلم ماذا قالوا لك ، ولا عن أى شىء كانوا يتحدثون . أما هذه العيوب الأربعة فهى اشد تاثيرا على الفن من جميع عيوب المديرين الآخرين . ولا نغالى لو قلنا إن جميع عيوب أبيض ورشدى وعبد تصغر وتتضاءل وتتلاشى أيضاً أمام العيب الأول من عيوب آل عكاشة .

مميزاتهم

معذرة إذا قلت عن آل عكاشة إن ليس لهم أى ميزة فنية ، ولكنهم استعاضوا عنها بميزة السياسة مع الجمهور . فتراهم يتمسكون بالظرف واللطف فى أحاديثهم ، بعد أن ينقبوا عن الجمل العذبة اللذيذة التى يشفعونها أمام من يحادثهم بالتحيات المختلفة والابتسامات المحبوبة . وكم ودوا أن يكون لهم من الكلام ما يمازج الروح لطافة ويجرى مع النسيم رقة . ولهم فى ذلك من الغرائب والعجائب ما يقصر البنان عن تسطيره ويكل اللسان عن ذكره . ولولا هذه الأساليب المختلفة والابتسامات المحبوبة التى تنهزم أمامها إرادة الناس لما عاش جوقهم الحى المميت ، ولا رأينا إعلاناتهم ملصقة على الجدران تحمل أسماءهم . ولكننا نخشى أن لا يطول أمد هذه الميزة ، ومع اعترافنا أنها من لوازم مديرى الأجواق . غير أن المغالاة فى كل شىء كفر ، وعلى الأخص إذا لم يكن وراء الأكمة ما تنبلج له النفوس وتقر العيون .

مجهودهم الفنى

ليس فى وسعنا أن نقسم مجهود آل عكاشة الضئيل الى أقسام عديدة ، كما فعلنا مع من سبقهم من المديرين ، خشية أن يمل القارىء . ويكفينا أن نستخلص من مجهودهم ثلاثة أطوار : الأول طور الظلام القاتم ، والثانى طور النور الضئيل ، والثالث طور الروايات الجديدة .

طور الظلام القاتم

يبتدىء هذا الطور من يوم انفصال الشيخ عن اسكندر فرح وذهابه لدار التمثيل العربى . هناك سمعت باسم عبد الله عكاشة . ولا أدرى بالضبط تاريخ احترافه التمثيل ، فربما كان من المشتغلين مع فرح قبل انفصال الشيخ أو ممن انضموا للشيخ بعد انفصاله عن فرح . مكث عكاشة فى جوق الشيخ الجديد ونحن لا نعرف من أمره غير وقوفه على المسرح مع الشيخ حامد المغربى فى جوقة الملحنين . يساعد الشيخ إذا انفرد الشيخ بلحن من الألحان ، ساعة إنشادهم ما كان يسمى فى ذلك العهد بالسلام . وكنا نراه أيضاً ينشد فى هذه الجوقة إذا دعتها المواقف التمثيلية لترديد بعض الألحان . ثم رأيناه يمثل بعض الأدوار الصغيرة فى (صلاح الدين الأيوبى) و (تسبا) و (اللص الشريف) ، ورأيناه أيضاً يمثل بجانب محمد ناجى فى بعض الفصول المضحكة . وظل عبد الله خامل الذكر لا ينتقل من ظلام التمثيل الى نوره حتى دعت رواية اليتيمتين الشيخ لأن يبحث بين أفراد جوقه عن شاب جميل الصورة يقوم بتمثيل دور الفارس روجيه . ولقد أعيى البحث والتنقيب مجهود الشيخ بعد أن فرق جميع الأدوار على كبار رجال فرقته ، وأخيراً عثر على عبد الله وأهداه دور الفارس روجيه ، وكأنه كان يقول له : إذا قمت بتمثيل الدور خير قيام رفعت ناظرك وأعليت كعبك . غير أن عبد الله هوى بالدور الى قرار الهاوية الى يوم أن تخلى عنه بعض مرض الشيخ لأخيه زكى . بيد أن عبد الله كاد أن يطير فرحاً بالدور فى ذلك العهد ، حتى إنه كان يقول لكل من قابله (أنا الفارس روجيه نصير الحق والعدل) . هذا هو الطور الأول من أطوار عبد الله عكاشة ، ولم يكن لأخويه نصيب فيه لابتعادهم عن المسرح فى هذه الأيام . ويحسن بنا أن نذكر أن اسكندر فرح دعا عبد الله عكاشة فى تلك المدة للانضمام الى جوقه ، فرفض عبد الله خشية أن لا ينهض بفن التمثيل وأن لا يبسط سلطانه إذا هو افترق عن الشيخ ، والشيخ فى ذلك العهد كان كالسيل الجارف ، يسوم مناظريه الخسف ويحصدهم حصاد السنبل . ولعل القارىء الكريم بعد قراءته ما سطرنا فى هذا الطور يوافقنا على تسميته باسم طور الظلام القاتم .

طور النور الضئيل

ثم أصيب الشيخ بالفالج فى ربوع الشام ، فاضطربت الأمور وازدحمت الخطوب . ومكث بعض أفراد الشيخ بجانبه ، وأتى البعض الى مصر ، وكان من بينهم عبد الله . وما لبثوا أن دفعوا به الى المسرح يمثل أدوار الشيخ ، فصفق الناس لسماع صوته ، وما كان التصفيق إلا صدى تلك الأنة التى كانت تتردد فى قلب الجمهور لغيبة من لقبوه فى ذلك العهد بعمدة التمثيل العربى . وما لبثنا قليلا أن رأينا عبد الحميد يقف على المسرح فى جوقة الألحان ، خالعاً جبته وقفطانه وعمامته ليلبس الدرع والخوذة أو الردنجوت وما تتطلبه من رباط رقبة وياقة وحذاء أسود لامع . ومكث الجوق يمثل فى دار التمثيل . والوحشة تقدح فى صدر الجمهور اقتداح النار فى الزند . وود الجوق أن يغسل فؤاد الجمهور مما علق به من الوساوس ، فانتقل الى تياترو عبد العزيز وأصدر نشرة له ذكر فيها تحوله من جوق الى شركة ، وانفصاله عن الشيخ مرغماً لا اختياراً . وابتدأ التمثيل فى تياترو عبد العزيز ، وظل يمثل زهاء عام . وبلغ عبد الله عكاشة المرتبة التى يحسده عليها القاصى عنها ويمقته من أجلها الطامع فيها . ولم يظهر الجوق على المسرح غير رواية واحدة جديدة (شهداء الوطنية) وهى نوع من (العواطف الشريفة) ، أى من نوع الروايات التى تداس فيها التحاليل النفسية من أجل تلك الكلمات الرنانة التى تطن فى آذان الجمهور فيصفق لها . ثم انتقل الجوق من شارع عبد العزيز الى مهبطه القديم (دار التمثيل العربى) وما لبث أن تحول الى جوق يحمل اسم الشيخ ، وأخرج للناس رواية واحدة جديدة (القضية المشهورة) وهى من نوع (شهداء الوطنية) وأعاد روايات اسكندر فرح التى كان يناضل بها الشيخ ، وما أعادها إلا من أجل انضمام عزيز عيد اليه . فرأينا على مسرح دار التمثيل (مارى تيودور وابنة حارس الصيد ونتيجة الرسائل والكابورال سيمون) . ومثل عبد الله دور الفتى الضابط فى (القضية المشهورة) والعشيق فى (مارى تيودور) ودور الفتى الأول فى (الكابورال سيمون) ، ولم يفعل فيها شيئاً ، وتخلى عن رواية (ابنة حارس الصيد) و (نتيجة الرسائل) كما تخلى عن دور هملت ودور البطل فى (عواطف البنين) بل عن كل دور تمثيلى كان يمثله الشيخ ، واكتفى بالأدوار التلحينية . وكيف لا يكتفى بهذه الأدوار وهى سفينة نجاته . أما عبد الحميد فلم يخرج عن جوق الألحان قيد شبر اللهم إلا تمثيله أدوار (الكمبارس) ، بيد أنهم دفعوه لتمثيل دور وليم فى (صلاح الدين الأيوبى) فلم يحسن تمثيله ولا إنشاد قصائده .

ثم ظهر على المسرح زكى عكاشة . وكان هذا أول عهده بالتمثيل ، وقام بدور رودريك فى (السيد) وظن أفراد الجوق أنهم وجدوا فى صوته الرنان برد فؤادهم وضالة أملهم ، ولكنهم أبعدوه عن دارهم بعد تمثيله الدور ، فخرج منها وهو لا يعرف السبب الذى اقتضى بيعه بعد ابتياعه . وكيف يعرف زكى السبب وهو كثير الغرور ، يعتقد فى نفسه الكفاءة ، ويثق بها ثقة عمياء ، ويأبى الاقتداء بأخيه عبد الحميد فى تمثيل دور (الكمبارس) . ثم عاد الشيخ للوقوف على المسرح لانشاد بعض القصائد بين الفصول . وكانت هذه العودة سبباً فى انفصال عبد الحميد وعبد الله وتأليفهم جوقاً يضم تحت لوائه أخاهم زكى وعزيز عيد وعلي يوسف ورضا وحسن ثابت ولبث جوقهم يمثل فى القاهرة ثم انتقل منها

سلامة حجازى



عزيز عيد



الى الشام . ثم عاد الى القاهرة ومثل فى تياترو عبد العزيز . ولم يخرج للناس رواية واحدة جديدة ، بل ولم يجد فى الجمهور وجهاً خصيباً ولا على المسرح مرعى رطيباً ، فاذا نظر يمنة وجد المحن وإذا عطف يسرة رأى الحسرات ، وظل يناضل وهو مخذول الأمل ، غير عالم أن الداء لا يحسمه غير الدواء . وفى نهاية العام ألف جورج أفندى أبيض جوقه من خيرة أفراد جوق سلامة وجوق عكاشة ، فانضم آل عكاشة للشيخ سلامة ومثلوا فى دار التمثيل العربى سوياً . ثم افترق الفرسان الثلاثة عن الشيخ ، ثم انضموا لأبيض وأعادوا معه فى دار الأوبرا روايتى (عائدة) و (الافريقية) ، والأخيرة كما نعلم من مجهود جوق اسكندر فرح . ثم انضموا جميعاً وأبيض معهم للشيخ وسافروا الى الشام ، ثم عادوا متفرقين . ومثل الشيخ فى كازينو دي باريز وعكاشة فى دار التمثيل العربى ، وأبيض لجأ الى منزله ثم عاد وألف جوقة . ولم يفعل آل عكاشة فى هذين السنتين شيئاً يذكر ، بل ولم يخرجوا رواية واحدة جديدة ، وانحصر مجهودهم فى إعادة الروايات القديمة وتمثيل تلك الأدوار العتيقة التى رثت حبالها وتقطعت أوصالها . «٢٥».

طور الاستقلال

(١) فى الطريق الى دار التمثيل العربى الجديد (١٩١٣ ـ ١٩١٤)

فى شهر اغسطس ١٩١٣ استاجر أبناء عكاشة تياترو فردى فى القاهرة ، وهو الذى كان استاذهم وولي نعمتهم الشيخ سلامة قد استاجره قبل ذلك بثمانى سنوات ليقدم عليه أقوى مواسمه قبل أن تنزل به كارثة الشلل . ورأوا أن يهدموا المسرح القديم ، وأن يقيموا مكانه مسرحاً جديداً يعدونه لاستقبال موسمهم الجديد بعد عودتهم من رحلة الصيف المشتركة . «٢٦».

عاد الجوق من رحلته تلك فى أواخر نوفمبر ١٩١٣ . «٢٧» وأعيد تاليفه فضم عزيز عيد ، بعد انفصاله عن أبيض ـ وكان يتولى الاخراج فضلا عن التمثيل ـ وأحمد فهيم ومحمود رحمى ومحمود حبيب ومحمد بهجت ومريم سماط وفكتوريا موسى ، عدا أولاد عكاشة الثلاثة . واشترك الشيخ سلامة فى تمثيل بعض المسرحيات . وجهز الجوق بالملابس الجديدة . من عصرية وتاريخية . «٢٨».

وقد قدم الجوق فى موسمه المتقطع هذا عدداً من المسرحيات القديمة . نذكر منها : «شهداء الغرام» و «تسبا» و «خداع الدهر» (البريئة المتهمة) و «صلاح الدين الأيوبى» و «صدق الاخاء» و «القضية المشهورة» و «الشيخ متلوف» و «البرج الهائل» و «تليماك» . وقد قدمها بمسرح برنتانيا وبالأوبرا فى القاهرة ، وبالمنيا وبالمنصورة .

وقدم فى موسم الأوبرا ثلاث مسرحيات جديدة هى «طارق بن زياد» و «القضاء والقدر» و «نعيم ابن حازم» . «٢٩» وقد كتب أحد الأدباء نقداً عن موسم الأوبرا تناول فيه أولا نصوص المسرحيات بالنقد السريع ، ثم تحدث عن الممثلين والتمثيل فقال :

كما أنه ليس من الصدق وحسن العمل أن يكال المدح جزافاً للأجواق تغريراً بها وغشاً لها ، كذلك ليس من العدل اتخاذ طريقة النقد الشديد فى نقد تمثيلهم ورواياتهم ، فان شيئاً من التسامح أمر ضرورى فى مبتدأ هذا الفن على شرط الا يكون فى هذا التسامح مخالفة للانصاف وغش للجمهور . ولذلك إذا سكت الكتاب والجمهور عن كثير مما رأوه مما يسوء ، فانهم يذكرون بالاحسان والاجادة فى مقدمة الممثلين محمود حبيب ممثل دور موسى بن نصير فى رواية طارق بن زياد ، فقد كان فيه ممثلا حقيقيا بمعنى الكلمة ، وأحمد فهيم ممثل دور طارق الذى لو أحسن تفصيله له لكان أقام المسرح وأقعده ، ومع ذلك فقد كان فيه آية من الآيات وليس ذلك بكثير على أحمد فهيم . ومحمد بهجت الذى أجاد دور الشحاذ حسن إجادة تنطبق على ما له من الشهرة فى التمثيل أو تزيد . وزكى عكاشة المعروف بخفة ظله على المرسح ، وعزيز عيد مدير التمثيل ومعلمه فى الجوق الذى ظهرت آثاره وطريقته فى تعليم التمثيل فى الروايات الثلاث .

ثم قدم عدداً من مسرحياته القديمة والجديدة بالقاهرة والمنصورة والاسكندرية . وفى شهر مايو ١٩١٤ سافر الجوق على عادته ، الى بلاد الشام وامتدت رحلته حتى حوالى منتصف شهر اغسطس . «٣٠».

واستانف التمثيل بعد عودته فى تياترو حديقة الأزبكية ، فقدم «طارق بن زياد» و «الكابورال سيمون» و «هملت» و «عظة الملوك» و «مارى تيودور» و «شهداء الغرام» و «نعيم بن حازم» و «القضاء والقدر» و «العواطف الشريفة» و «القضية المشهورة» و «اليتيمتين» و «سارقة الأطفال» ، وهى جميعاً من المسرحيات التى سبق تمثيلها . وقدم مسرحيتين جديدتين هما «بائعة الخبز» و «منقذ اليتامى» . وكان عبد الله عكاشة ، رئيس الجوق ، يقوم بأدوار البطولة فى معظم هذه المسرحيات ، ويتخلى عنها أحياناً لأحمد فهيم أو لمحمد بهجت أو لعزيز عيد .

وقد سجل لنا محمد تيمور رأيه فى هذا الموسم فقال :

أعاد آل عكاشة تاليف جوقهم ، وكان بين أفراده عزيز عيد وبهجت وفهيم ومحمود حبيب ومريم سماط وفكتوريا موسى ، ومثلوا فى دار الأوبرا ثلاث روايات جدد : (طارق بن زياد) وكتبوا عليها أنها لأمير من أمراء البيان وأخفوا اسم المؤلف وهو صديقنا الكاتب الفاضل حنا افندى أندراوس ، و (القضاء والقدر) لادوارد كنوبلتز ، ترجمها للافرنسية جول ليمتر وترجمها للعربية عن الافرنسية الشاعر الكبير خليل مطران ، ورواية (نعيم بن حازم) للكاتب الفاضل عبد الحليم دولار . والروايات الثلاث عربية ، والأولى من نوع الدرام الرومانتيك ، أجاد المؤلف إحكام بنائها ولكنه لم ينجح النجاح المطلوب فى تحليل أنفس أشخاصها . والثانية من قصص ألف ليلة وليلة محكمة الوضع ولكنها تافهة الموضوع ولم تنجح فى انكلترا إلا لغرابة موضوعها وجمال مناظرها العربية ، أما فى فرنسا فكانت أقرب للسقوط منها الى النجاح . بيد أنها نجحت فى مصر والفضل فى ذلك راجع لذلك القلم الفياض وتلك البلاغة التى امتاز بها صديقنا الفاضل شاعر القطرين .

أما الرواية الثالثة فلا أعرف عنها شيئاً . ولقد كانت هذه الروايات الثلاث فالا حسناً لآل عكاشة واستبشر الجمهور من ورائها خيراً كبيراً ووثق بالفرسان الثلاثة وانتظر منهم روايات أخرى جديدة . أما عبد الله فلم ينجح إلا فى دور الوزير فى (القضاء والقدر) وسقط هو وأخواه فى الروايتين (نعيم بن حازم) و (طارق بن زياد) . «٣١».

(٢) عهد دار التمثيل العربى الجديد (١٩١٤ ـ ١٩١٧)

فى الساعة التاسعة من مساء الأربعاء ٢٨ أكتوبر افتتح عبد الله عكاشة وإخوته مسرحهم الخاص ، «دار التمثيل العربى الجديد» ، بشارع الباب البحرى لحديقة الأزبكية ، على أنقاض دار التمثيل العربى التى أقامها أستاذهم الشيخ سلامة حجازى سنة ١٩٠٥ .

والفوا جوق جديداً ضم كبار ممثلى وممثلات العصر منهم ـ عدا العكاشيين ـ محمود حبيب وعبد المجيد شكرى ومحمد بهجت ومحمد يوسف ونظلة مزراحى وصالحة قاصين . والقى فى حفلة الافتتاح بعض القصائد والخطب ، ومثل الفصل

محمد تيمور



خليل مطران



منيرة المهدية



الرابع من مسرحية «القضاء والقدر» . «٣٢».

أقدم الجوق على مغامرته الجديدة وأمامه منافس خطر هو جوق جورج أبيض وحجازى ، الذى جمع علمين من أعلام المسرح آنذاك ، وضم الغناء الى التراجيديا . ولذا كان عليه أن يضع هذه المنافسة فى حسابه دوماً وأن يستعين عليها بالرسائل المصطنعة الكثيرة التى الجىء اليها الجوق المنافس .

واستمر موسمه هذا زهاء سبعة أشهر ، كان فيها التمثيل منتظماً بمعدل ثلاث حفلات فى الأسبوع . وقد قدم هذا الموسم المسرحيات القديمة التالية : «تليماك» و «القضية المشهورة» و «غانية الأندلس» و «مغائر الجن» و «صلاح الدين الأيوبى» و «عائدة» و «عظة الملوك» و «اللص الشريف» و «البرج الهائل» و «مارى تيودور» و «شهداء الغرام» و «اليتيمتين» و «الشيخ متلوف» و «تسبا» و «هملت» و «سارقة الأطفال» و «أبو الحسن المغفل» و «جناية الملكة أو صياد دجلة» (هارون الرشيد مع قوت القلوب وخليفة الصياد) .

أما المسرحيات الجديدة التى قدمها فبعضها جديد أعد لهذا الموسم ، والآخر مما قدمه الجوق فى موسمه السابق ، أو مما كان يقدمه جوق أبيض وحجازى فى موسمه ذاك ، وهذه المسرحيات هى : «القضاء والقدر» و «بائعة الخبز» ـ من مسرحيات الموسم السابق ـ و «بريد ليون» و «شهادة الميت» و «ذات نجلاء العين» و «لأجل الشرف أو هكذا عدل الناس» و «عفيرة» و «السلطان صلاح الدين ومملكة أورشليم» و «أورلندة الحسناء ملكة بولونيا» و «بنات الشوارع وبنات الخدور» و «ورقة الآس» و «شمس الصباح» و «اليد السوداء» .

ومن هذا التعداد نلاحظ أن نسبة المسرحيات الجديدة ـ إذا صح انها جميعاً جديدة ولم يغير اسم بعضها ـ عالية جداً هذا الموسم . وخاصة أن جوق أبيض وحجازى المنافس لم يقدم فى موسمه هذا سوى مسرحية جديدة واحدة هى مسرحية «الحاكم بأمر الله» . وجدير بالملاحظة أيضاً أن الجوق عني بالمسرحيات المؤلفة ، الى جانب المسرحيات المترجمة ، مستجيباً للدعوة التى كانت تتردد آنذاك فى الصحف والمجلات حاثة الكتاب على تأليف المسرحية المحلية .

وكان بعض هذه المسرحيات يمثلها الجوق المنافس ، جوق أبيض وحجازى ، فى موسمه ومنها : «عائدة» و «هملت» و «عظة الملوك» و «تليماك» و «شهداء الغرام» و «اليتيمتين» و «صلاح الدين الأيوبى» و «السلطان صلاح الدين ومملكة أورشليم» و «غانية الأندلس» . وبعضها كان يمثل فى الأسبوع نفسه .

ونرى من مراجعة المسرحيات التى قدمت أن الجوق عمد الى التنويع ، فقدم مسرحيات غنائية وأخرى تاريخية ودرامية وكوميدية . واصطنع كثيراً من الحيل والمغريات لاجتذاب الجمهور ـ وهو مما كان شائعاً فى تلك الفترة ـ فاحتفظ بالأوركسترا التى كان يقودها عبد الحليم على ، مع أن جوق أبيض وحجازى استغنى عنها لسوء الحال وضيق ذات اليد ، واستعان بالغناء الذى كان يقدمه زكى مراد ومنيرة المهدية وتوحيدة بين الفصول أو عقب التمثيل ، وقدم فصولا مضحكة اضطلع بها محمد كمال المصرى (شرفنطح فيما بعد) ، وعرض الصور المتحركة التى كانت تقدمها شركة أبو الهول ، وقدم جوقاً يابانياً للألعاب البهلوانية بين الفصول . وكانت هذه المغريات تقدم فى الحفلات النهارية فى الأكثر .

● ●

وهنا نصل الى رأى النقاد فى جوق عكاشة ثم ظهور مسرح حديقة الأزبكية فى عام ١٩٢٠ وهذا هو موضوع الجزء الثانى من البحث فالى العدد القادم ، حيث نتابع هذه الوثيقة الهامة من وثائق المسرح العربى

د. محمد يوسف نجم

هوامش

١ ـ هم عبد الله وعبد الباقى وعبد الحميد وزكى ، وأصلهم من فرسيس الشرقية (انظر المقطم ٢١ ديسمبر ١٩١٥ ، فى نعى عمهم) . وقد أدركنا منهم عبد الحميد الذى أفادنا الكثير من المعلومات عن نشاط الأسرة التمثيلى .

٢ ـ «مذكرات ممثلة» لمريم سماط ، فى الأهرام ٦ سبتمبر ١٩١٥ .

٣ ـ انظر كتاب حياتنا التمثيلية لمحمد تيمور (مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٢٢) : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، وكتاب الشيخ سلامة حجازى لمحمد فاضل (مطبعة الأمة ، دمنهور «مصر» ، ١٩٣٢) : ٤٥ ، وفيه يذكر أن الشيخ ضم الاخوة الثلاثة الى فرقته الأولى بدار التمثيل العربى .

٤ ـ «مذكرات ممثلة» لمريم سماط ، فى الأهرام ٢٦ سبتمبر ١٩١٥ . وانظر مقالنا «مسرح الشيخ سلامة حجازى فى طور الاستقلال» فى مجلة الأبحاث ، السنة ٢٦ (١٩٧٣ ـ ١٩٧٧) : ٥٧ ـ ١٣٩ .

٥ ـ المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩١٩ .

٦ ـ انظر مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازى .

٧ ـ «مذكرات ممثلة» لمريم سماط ، فى الأهرام ٢٦ سبتمبر ١٩١٥ .

٨ ـ وصل الجوق الى بيروت فى ٢٨ مايو ١٩١٠ (انظر لسان الحال «بيروت» بهذا التاريخ) .

٩ ـ لسان الحال ٢٨ مايو و ١ و ٧ يونية ١٩١٠ .

١٠ ـ لسان الحال ١٦ و ٢٣ سبتمبر ١٩١٠ .

١١ ـ انظر اخبار هذا الموسم فى مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازى .

١٢ ـ انظر الأفكار (القاهرة) ٩ يونية ١٩١١ ، والمؤيد ١٤ يونية ١٩١١ ، مقال محمد تيمور فى المنبر (القاهرة) ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ .

١٣ ـ حياتنا التمثيلية لمحمد تيمور : ٢٠٦ ، والمنبر ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ .

١٤ ـ الأفكار ٩ يونية ١٩١١ ، والمؤيد ١٤ و ١٨ و ٢٨ يونيو و ١ يوليه ١٩١١ ، والمقطم ١٠ و ١٦ و ٢٩ يونيه ١٩١١ .

١٥ ـ انظر المؤيد ١٤ يونية و ١ يولية ١٩١١ .

١٦ ـ لسان الحال ١٢ و ١٥ يولية ١٩١١ .

١٧ ـ المقطم ١٧ اغسطس ١٩١١ .

١٨ ـ الأهرام ٢٩ أغسطس ، والمقطم ١٢ سبتمبر ١٩١١ . ويبدو أن المسرح زود بأثاث وملابس جديدة انظر الأخبار (القاهرة) ٣٠ أغسطس ١٩١١

١٩ ـ المؤيد ٢٢ اكتوبر ١٩١١ .

٢٠ ـ انظر ما نشر من هذا النقد فى المحروسة (القاهرة) ٥ و ٨ و ١٠ و ١٦ ديسمبر ١٩١١ وخاصة المقال الأخير وهو بقلم غلى عنايت

٢١ ـ انظر مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازى بمجلة الأبحاث .

٢٢ ـ الأفكار ٢٢ ديسمبر ١٩١٢ .

٢٣ ـ المقطم ٢٠ فبراير ١٩١٣ .

٢٤ ـ انظر مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازى بمجلة الأبحاث .

٢٥ ـ حياتنا التمثيلية : ١٩٩ ـ ٢٠٧ .

٢٦ ـ المقطم ٥ اغسطس ١٩١٣ .

٢٧ ـ المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩١٣ .

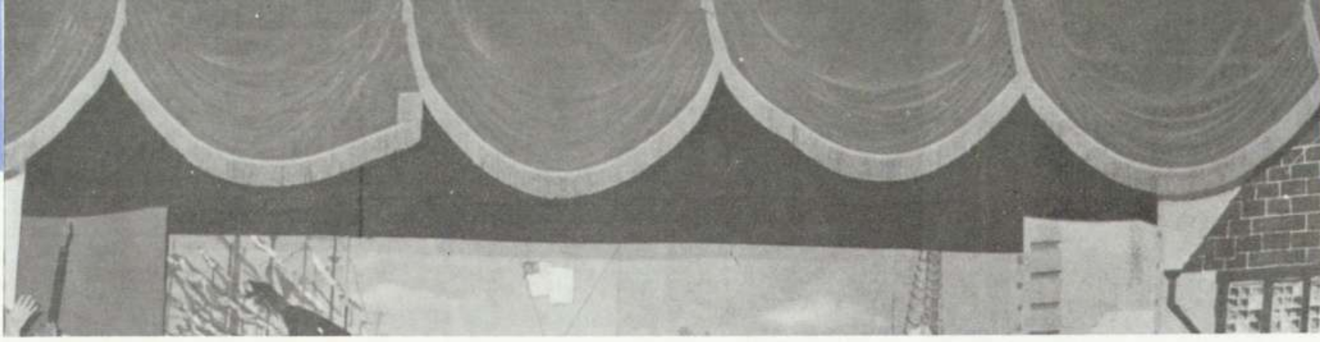
٢٨ ـ المقطم ٥ ديسمبر ١٩١٣ ، وحياتنا التمثيلية لمحمد تيمور : ٢٠٨ ، والمنبر اكتوبر ١٩١٨ ، والأفكار ٨ أكتوبر ١٩١٤ .

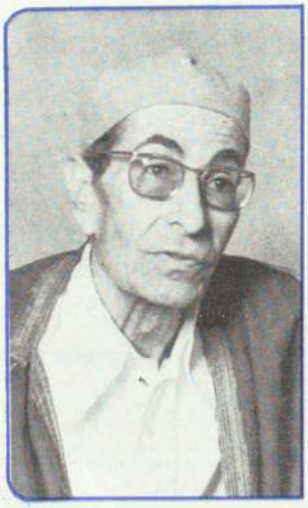
٢٩ ـ الأهرام ١٩ أغسطس ١٩١٤ .

٣٠ ـ المحروسة ٢٥ مارس ١٩١٠ .

٣١ ـ حياتنا التمثيلية : ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

٣٢ ـ انظر المقطم ٢٩ أكتوبر ١٩١٤ .





سقط "الشاويش صابر" بعد خمسين عاما من الكفاح الفني



مشوار فنى طويل ، عمره قرابة خمسين عاماً ، قضاها شفيق نور الدين مكافحاً ومجاهداً فى صمت .. يسهم بدور كبير فى تدعيم الحركة المسرحية العربية ، ويحفل تاريخه الفنى الطويل بصفحات مضيئة من الجهد والكفـــاح والتضحيات ...

كان شفيق نور الدين طفلا كغيره من أطفال قرية (بيجرم) مركز قويسنا بمحافظة المنوفية فى مصر العربية .. اجتاز فترة الطفولة فى "كتاب" الشيخ عيسى ، ولما انتهى من حفظ أكثر آيات القرآن ، ألحقه أبوه بالمدرسة الابتدائية ، التى يلبس تلاميذها "البدل" فقد كانت أمنية الأب أن يصبح ابنه موظفاً فى الحكومة .. يذهب الى "الديوان" صباحاً ، ويعود منه بعد منتصف النهار حاملا فى يده الجريدة الصباحية ، ليجلس أمام الدار ويلتف حوله الفلاحــون يستمعون اليه وهو يقرأ لهم أخبار الدنيا .. وحصل شفيق نور الدين على الشهادة الابتدائية والتحق بالمدرسة الثانوية ، ليواصل المشوار حتى يصل الى الوظيفة ، ويحقق صور المستقبل الذى تخيله له والده .. !

ولكنه ما كاد يقترب من السنة الثالثة الثانوية التى كان الطلاب يحصلون بعدها على شهادة (الكفاءة) حتى تعثر فى الدراسة ، فقد زارت قرية "بيجرم" فرقة الشيخ "أحمد الشامى" التمثيلية ، وقدمت بعض مسرحياتها باللهجة العامية ، وأثارت الفرقة إعجاب الفلاحين من أهل القرية ، ومنهم شفيق نور الدين ، الذى اجتمع بعد ذلك بأهله وأصدقائه من الفلاحين ، ليقرأ لهم الصحف والمجلات التى كانت تنقل لهم خطب سعد زغلول ، وأخبار كفاحه ضد الاستعمار الانجليزى .. لكنه فى هذه المرة لم يقرأ الجريدة بل أخذ يتحدث عن الروايات التى عرضتها فرقة الشيخ "أحمد الشامى" وكان يحفظ حوار كل مسرحية ، ويقلد الممثلين وهم يمثلون .. وأعجب الفلاحون بتقليد شفيق نور الدين للممثلين ، وشجعه اعجابهم على أن يحول (جرن) القرية ، الى مسرح .. وكان هو الممثل الوحيد الذى يمثل أمامهم كل الأدوار ، كانوا يضحكون من أعماقهم أحياناً ويصفقون اعجاباً فى أحيان أخرى .. !

تقليد نجوم الكوميديا

وملكت عليه هذه الهواية كل اهتمامه ، فكان من الطبيعى أن يرسب فى امتحان شهادة الكفاءة .. وكان نظام التعليم وقتئذ ، يحرم الطالب الذى يسقط فى هذه الشهادة من مواصلة التعليم الثانوى ، فقرر والده أن يلحقه بمدرسة الفنون والصناعات بالاسكندرية .. وفرح شفيق بهذا الانتقال الذى سيجعله يشاهد الفرق المسرحية ، التى كانت تعرض مسرحياتها كل يـــوم بالاسكندرية .. وكان يذهب الى (حي محرم بك) حيث كان علي الكسار يقيم سرادقاً ، يعرض عليه مع فرقته أشهر مسرحياته الكوميدية ، لذلك كان يذهب الى حى المينا الشرقية ، ليشاهد فرقة فوزى منيب أكبر منافس لعلي الكسار وقتئذ .. وكان يحفظ جميع الروايات التى يشاهدها عن ظهر قلب بمجرد مشاهدتها مرة واحدة .. وكان هدفه من ذلك أن يعود فى الاجازة الصيفية الى قرية (بيجرم) بجوار قويسنا بالمنوفية ، ليعيد تمثيل هذه الروايات أمام أصدقائه وأقاربه من الفلاحين .. وفعلا تحقق هدفه ، فقد عاد الى القرية بعد نهاية العام الدراسى الأول فى مدرسة الفنون والصنايع بالاسكندرية ، واستطاع أن

سقط "الشاويش صابر" بعد خمسين عاما من الكفاح الفني


شفيق نور الدين وزوجته التى تزوجها عام ١٩٣٩ وأنجب منها ولدين وثلاث بنات

يفرش (الجرن) بالسجاجيد ، ويضع بعض الكراسى ، ويزود هذا الجرن ببعض (الكلوبات) ... ويدرب بعض الفلاحين الذين يعرفون القراءة والكتابة بعض الشىء على أدوار المسرحية ، وأقام عدة حفلات .. وأقبل أهالى قرية بيجرم على هذه الحفلات ، وأصبح شفيق نور الدين حديث القرية كلها ، وسمع أبوه بأخبار هذه الحفلات التى كان يتحدث عنها زملاؤه موظفو بنك التسليف الانجليزى وكان هذا البنك يقرض الفلاحين بضمان محصول القطن الذى كان البنك يستولى عليه بعد ذلك بأبخس الأسعار .. !!

بائع الخبز

وطلب منه والده أن يتفرغ لدراسته ، ويهجر الهواية الفنية ، ولكنه لم ينفذ رغبة والده ، بل مضى يشاهد المسرحيات فى الشتاء ، ليعيد تمثيلها فى الصيف ،بنفس الطريقة ، فقرر والده أن ينقله من مدرسة الصناعات بالاسكندرية الى مدرسة الصناعات بالقاهرة ، لعله يجد فى حياة القاهرة ما يبعده عن الفن ، ولكن كان هذا ما يريده شفيق نور الدين ، فقد اندمج فى الحياة الفنية فى القاهرة ، وأهمل دراسته تماماً ، والتحق بمعهد التمثيل الذى أنشأته وزارة المعارف سنة ١٩٣١ ،ثم أغلقه حلمى عيسى باشا وزير المعارف بحجة حماية الأخلاق والتقاليد .. ولم يسع والده إلا أن يطرده ويقاطعه بسبب اهتمامه بالفن واهماله للتعليم ، فبدأ يعانى مرارة الحياة وشظف العيش ، خصوصاً وأن الأزمة الاقتصادية العالمية فى أوائل الثلاثينات قد زادت مخالبها ، ونشرت الفقر والحاجة فى العالم كله ، .. وكان والده قد استقال من وظيفته فى البنك ، ليستغل خبرته فى صفقات بيع القطن ولكن شاءت الظروف الاقتصادية أن يتعرض الأب لضربات مالية قاصمة ، وكان قد حدث أن أشفق الأب على ظروف ابنه ، فجاء الى القاهرة وأقنع ابنه أن يعود معه الى قريتهما ، ليجرب حظه معه فى تجارة القطن ، ولكن انهيار الحالة الاقتصادية ، أدت الى أن يخسر الأب كل ثروته ، ويعود مع ابنه الى القاهرة ، وعمل الأب كاتباً فى مخبز ، بينما اشتغل شفيق بائعاً للخبز الذى ينتجه هذا المخبز .. !!

ممنوع التمثيل

وفى هذه الأثناء لم ينقطع شفيق عن التردد على الوسط الفنى واستطاع أن يتقدم لامتحان عقدته الفرقة القومية (المسرح القومى الآن) فى بداية تكوينها ، لحاجتها الى مجموعة من الهواة تدربهم على التمثيل والأعمال الفنية الأخرى ، ونجح شفيق نور الدين فى هذا الامتحان ، هو وخمسة هواة ، كان بينهم يحيى شاهين وحسن اسماعيل (المخرج التلفزيونى الآن) وحسن سالم ومحمود اسماعيل (المخرج والممثل والمؤلف ..) وتقرر لكل منهم مرتب شهرى قدره ثلاثة جنيهات ، ولكنه طرد هو وزملاؤه بعد فترة العمل الأولى ، لأن ميزانية الفرقة وقتئذ لم تتحمل مرتبات الهواة ، ولكن فتوح نشاطى سعى لأن يستعين به فى أدوار الكومبارس ، وفى التلقين أيضاً ، ولما أظهر كفاءة كملقن ، تقرر إعادة تعيينه فى الفرقة كملقن بمرتب أربعة جنيهات فى الشهر ، وظل سجيناً فى «كمبوشة» الملقن أكثر من سبع سنوات بهذا المرتب الضئيل ، وكان يلقن الممثلين حوارهم من ذاكرته ، لأنه أصبح يحفظ كل المسرحيات عن ظهر قلب . !

وكلما حاول شفيق نور الدين أن ينتقل من ملقن الى ممثل ، فوجىء بحرب شديدة من كبار الممثلين ، الذين كانوا يحولون بين الهواة ، وبين الأدوار التمثيلية ، خشية أن يهددوا مستقبلهم ، فاقترح شفيق نور الدين على زملائه الهواة أن يكونوا فرقة تمثيلية باسم فرقة (شباب الطليعة) ...

واستجاب جميع زملائه لهذه الفكرة ، وقدموا



شفيق نور الدين فى مسرحية «سكة السلامة» .



شفيق نور الدين فى مسرحية «السلطان الحائر» .

ثلاث مسرحيات من فصل واحد ، أخرجها المخرج فتوح نشاطى الذى كان شديد العطف عليهم ، وكان يدافع عن قضيتهم .. ولما كان شفيق أكثر الذين نجحوا فى هذه الحفلة ، فقد بدأ يعانى من غطرسة كبار ممثلى الفرقة القومية الذين شعروا أنهم أمام ممثل يتمتع بمواهب كبيرة ، وينتظره مستقبل كبير ... فعطوا على أن يربطوه بحبال داخل كمبوشة الملقن ، وظل مقيداً الى هذه الكمبوشة ، مدى سبع سنوات ، حتى أتيح له أن يمثل دوراً صغيراً فى مسرحية (الشيخ متلوف) .. ثم دوراً أكبر فى مسرحية (عزيزة هانم) وقد ظل الناس يصفقون له عدة دقائق ..

الشهرة الفنية

ولكن مولد شهرته الفنية كممثل مسرحى موهوب ، كان فى مسرحية (ملك القطن) تاليف الدكتور يوسف ادريس ، فقد وضع هذا الدور قدمه على أول طريق الشهرة ، ثم بلغ قمة النجاح بعد ذلك فى مسرحية (قهوة الملوك) التى كتبها لطفى الخولى ومسرحية (المحروسة) التى كتبها سعد الدين وهبه ... ومضى بعد ذلك فى طريقه حتى أصبح واحداً من الفنانين الذين يعتز بهم المسرح والسينما والتلفزيون .. وكان دائماً عملاقاً فى أدواره ، مهما كان الدور صغيراً .

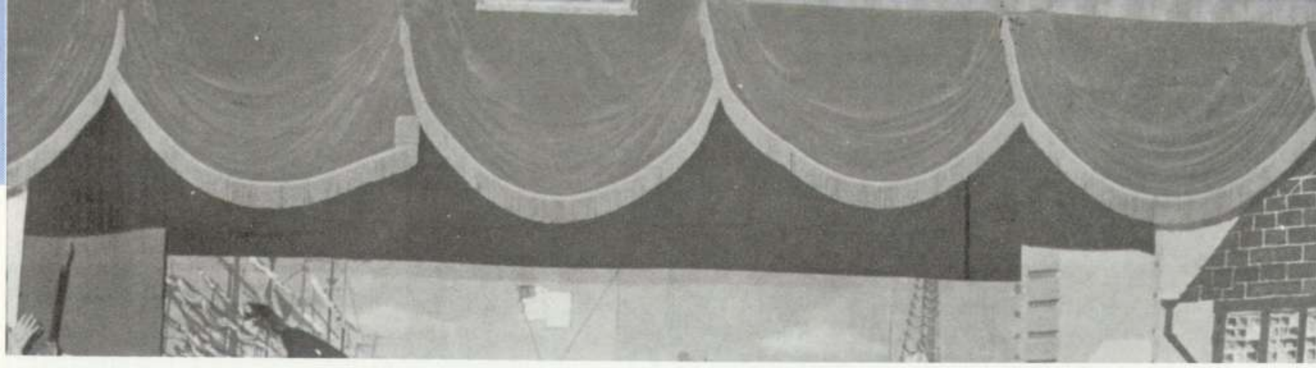
ولكن شاء قدره أن يصاب بمرض الحساسية فى الصدر ، ويجيئه هذا المرض ، وهو فى قمة انطلاقه الفنى ، والأضواء تحيطه من كل جانب ، بعد حرمان طويل واهمال مرير .. كانت بداية المرض عندما أصيب بنزلة شعبية حادة .. وتعرض تدريجياً لنوبات الحساسية ، كلما تغيرت درجة حرارة الجو ، ولم تعد تجدى معه معظم المضادات الحيوية لكثرة استخدامه لها مما أدى الى اصابته بضعف شديد .. وفى سنة ١٩٧٧ اشتدت عليه أزمة المرض ، ودخل احدى المستشفيات للعلاج على نفقة الدولة ، ثم غادر المستشفى بعد أن شفى ، وبدأ يستأنف نشاطه الفنى ، واقتضى عمله فى بعض مسلسلات التلفزيون التى تصور خارج القاهرة ، أن يسافر الى بعض دول الخليج ، ثم اشترك كذلك فى بعض المسرحيات ، وكانت آخرها مسرحية (سهرة مع الحكومة) .. ويبدو أن صحته لم تحتمل هذا الجهد خصوصاً وأنه قد تجاوز السبعين من عمره ، فهو من مواليد شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ .. وهكذا سقط الفنان الكبير مريضاً ، ولزم الفراش فى الأسابيع الأخيرة حتى وافته المنية .. !!

ثروة فنية

وقد كان شفيق نور الدين معروفاً بين زملائه فى الوسط الفنى ، انه يعيش حياة معتدلة ، وتقف وراءه زوجة تربطه بها صلة القربى ، وقد عنيت بتنظيم حياته ، وتامين مستقبله هو والأولاد الذين رزقا بهم .. ولكن هذا الاستقرار العائلى لا يمنع من أنه قد انفق على علاج نفسه كثيراً ، وان هذا العلاج استهلك جانباً كبيراً من ثروته الصغيرة التى جمعها من شهرته الفنية التى جاءته متاخرة بعد أن قضى من عمره الفنى فترة طويلة بعيداً عن الأضواء والشهرة التى تحقق الرخاء والثروة . !!

ولكنه ترك ثروة كبيرة من الأدوار التى ستظل الجماهير تذكرها له ، مثل (قمحاوى أبو شادوف) فى مسرحية (ملك القطن) و (الأستاذ منجد) فى (المحروسة) و (الشاويش صابر) فى مسرحية (السبنسه) و (الطواف) فى مسرحية (عيلة الدغرى) و (عامل التليفون) فى مسرحية (سهرة مع الحكومة) وغير ذلك من الأدوار التى لا يمكن أن ينساها الجمهور سواء على الشاشة الكبيرة أو الشاشة الصغيرة أو خشبة المسرح .

حسين عثمان



شهادات واقعية من المسرح الخليجي



الجمهور القطرى ـ وجمهور منطقة الخليج عموماً ـ على موعد فى شهر رمضان القادم مع مسلسل تليفزيونى جديد تم تصويره فى استديوهات تليفزيون قطر . المسلسل بعنوان «أحلى الأيام» ، ويحكى قصة عائلة قطرية يقوم فيها «الجد» بحل مشكلات الأسرة . وهى مشكلات كل فرد فيها وطريقته فى التفكير وأسلوب الحياة الذى يتخذه لنفسه . فالأم سيدة عصبية المزاج شديدة الغيرة . والزوج مهمل لبيته منصرف لحياته الخاصة . والابن الأكبر مذعن للعادات والتقاليد . والابن الأصغر راغب فى اللهو وإهمال واجباته . وأما الابنة فهى فى محاولات شاقة ويائسة بين أن توفق بين رغبات أمها ، ورغبتها هى فى تحقيق طموحها العلمى .

شخصيات جميعها متصادمة .. كل له عالمه .. وسلوكه .. وطموحاته الشخصية . ومن خلال ذلك كله تولد المشكلات التى تضع «الجد» فى موقف حلال المشاكل ؟ أما الأحداث نفسها التى صاغها الكاتب التليفزيونى «عاصم توفيق» وأخرجها للشاشة القطرية «حسن بشير» .. فقد اختار لها الكاتب إطاراً كوميدياً عصرياً يصل إلى وجدان المشاهد بالهدف عن طريق الاضحاك والسخرية من المشكلات التى تمس كيان أسرة ، إذ المفروض أن يقوم بناء الأسرة على أساس من التفاهم والالتقاء فى المنتصف تماماً .

قام ببطولة هذا المسلسل مجموعة من الفنانين المعروفين فى دول الخليج : من الكويت .. والبحرين ..وقطر. هناك على سبيل المثال ابراهيم الصلال وحياة الفهد ، وهيفاء عادل ، وعائشة ابراهيم ، وأحلام محمد ، وغازى حسين ، وغانم السليطى ، وعلى حسن ، ومحمد البلم .

و «الدوحة» رأت فى لقائها بهؤلاء الفنانين الذين تعرفهم شاشات التليفزيون فى منطقة الخليج جيداً .. رأت أن تنصت إلى كل منهم على حدة ، ليتعرف القارىء على وجهة نظرهم ـ كشهادات واقعية ـ فى الحركة الفنية في منطقة الخليج :

نادية رزق

إبراهيم الصلال

ضرورة إحياء التراث



المسرح الخليجى مازال فى بداياته بالرغم من استفادة المسرح الكويتى من تجارب الدول العربية كالعراق ومصر .

وإذا أردنا انعاش المسرح الخليجى فلابد من تقديم نصوص جيدة ومدروسة وتشجيع الكتاب على التأليف للمسرح ، وتشجيع الفنانين على الدراسة الأكاديمية لأنها تعطى خلفية ثقافية للممثل .

والافتقار الى النقد الفنى يعد سبباً من أسباب ركود الحركة المسرحية فى الخليج ، لأن أغلب نقاد المسرح محررون فنيون وليسوا دارسين متخصصين ، والخليج لم يتعود بعد على وجود هذا النوع من النقد .

والمسرح يعكس البيئة ويؤثر فيها ويتأثر بها ، ولذا فمطلوب من المسرح إحياء التراث وتقديمه بصورة جديدة تجذب الجمهور وإلا حكم على نفسه بالفشل ، وظل فى الصفوف الخلفية من مسيرة الفن الخليجى العربى والانسانى .

غانم السليطى

الخلط بين المسرح والتجارة



الحركة المسرحية تفتقر لبعض العناصر التى تستطيع إنعاشها ودفعها للأمام ، فالمسرح يعانى من قلة المثقفين مسرحياً ، وعدم تحمس العنصر النسائى للعمل الفنى ، وعدم وجود مؤسسات ثقافية كجمعيات للفنانين أو مجلة مسرحية متخصصة ، كذلك المجتمع الخليجى مازال فى دور التعود على عادة الذهاب للمسرح ، وكما نعرف فان المسرح لا يزدهر إلا بتشجيع من المجتمع وبظهور حركة نقدية من بين صفوف متفرجيه ..

والخوف الآن من الخلط بين المسرح والتجارة حيث توجد فى دول الخليج العديد من الشركات الفنية التى تقدم عروضاً ساذجة تؤثر على المستوى الفكرى للمتفرجين ، وتلقى إقبالا منقطع النظير ..

ولهذا ففى رأيى أن نهضة المسرح الخليجى لن تتحقق إلا بايجاد طابع خاص يحمل رائحته ، وتقديم عروض تتناول مشكلات المجتمع بحيث تكون أشمل من القضايا الاجتماعية التقليدية كالزواج والطلاق وباقى الأمور الاجتماعية ، أى بتقديم ما هو أوسع وأعم تمشياً مع التقدم الحضارى والثقافى الذى يشهده الوطن والعالم كله .. أما إذا استمر المسرح الخليجى على هذا النمط من الأعمال فلن يجد من يشاهده فى المستقبل ، خصوصاً مع انتشار الأجيال المثقفة التى تتطلع الى آفاق أوسع .

وقد عملت بالمسرح القطرى منذ عام ١٩٧١ ، وتخرجت من قسم النقد والأدب المسرحى لمعهد الفنون المسرحية بالقاهرة ، وأدركت من قراءتى ورؤيتى للأعمال المسرحية المتعددة ، اننى اتجهت الى أرقى الفنون وأعظمها قدراً ..

حياة الفهد

أهم مشاكل المسرح



قضيت على خشبة المسرح أكثر من ١٩ عاماً حيث كنت من أوائل مؤسسى الفرق المسرحية بالكويت .. وفى رأيى أن المسرح الخليجى بدأ يفرض وجوده بالرغم من عدم إعتراف الكثيرين به ، والتقصير يأتى من الفرق المسرحية التى تنغلق على نفسها ولا تحاول الخروج للاستفادة من خبرات الدول الأخرى بينما تبادل الزيارات يعطى أبعاداً كثيرة للعمل .

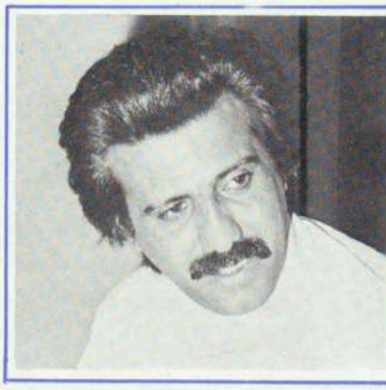
ومازالت الحركة المسرحية فى بعض بلدان الخليج كالبحرين والامارات بحاجة الى هزة قوية برغم تواجد الشباب المجتهد المتحمس للعمل المسرحى ولكن الظروف مازالت غير مواتية من حوله ..

وأهم أسباب ركود المسرح الخليجى حتى الآن تتلخص فى عدم وجود المؤلف المسرحى القادر على استخراج النص المقبول من جميع المستويات ، والحل هو اختيار النصوص الهادفة التى تخدم الأفكار الإنسانية والتى تقف أمام انتشار «المسرح التجارى» الذى بدأ يؤثر على المسرح الجاد ويشكل ظاهرة خطيرة لمستقبل المسرح فى الخليج .

وبالطبع فمن ضمن مشاكل المسرح الخليجى أنه يفتقر الى العنصر النسائى ، الأمر الذى يدفع بعض المسارح الى الاستعانة بالخبرات النسائية من الدول العربية المختلفة !



علي حسن
الطريق إلى الإبداع المسرحي



● لو إهتمت الفرق المسرحية بالبلدان الخليجية بتبادل الزيارات وتقديم العروض لاستفادت كثيراً من تجارب بعضها البعض ، كما أن إتقان الصنعة الفنية هو العامل الحاسم فى إنجاح العمل المسرحى ، لأن الفن ليس موهبة فقط ولكنه يعتمد على الدراسة ، ويخضع لعدة قواعد وتقاليد فنية ..

ونحن نعرف أن أية موهبة لا يمكن أن تصل الى طموحاتها إلا بالثقافة والدراسة ، فالمعرفة تدفع الفنان باستمرار الى الابداع وتعطيه رؤيا أشمل وأعرض ..

وقد عملت فى المسرح القطرى منذ عام ١٩٦٩ فى مسرحية «صقر قريش» ، ورغم ما نعانيه من مشاكل موجودة فى كافة المسارح العربية فان الحركة المسرحية فى الخليج منتعشة وتتطور باستمرار وتقدم مسرحيات مختلفة النوعية ، وكلها تبشر بالخير اذا ما أعطيناها كل الجهد والاهتمام والمثابرة على خلق حركة فنية مؤثرة .

أحلام محمد
طموحات المسرح الخليجي

● المسرح فى بعض الدول الخليجية مازال يمشى بخطوات متعثرة ، ولكنه رغم ذلك يعد مسرحاً جيداً على قلة ما يقدم من نصوص .

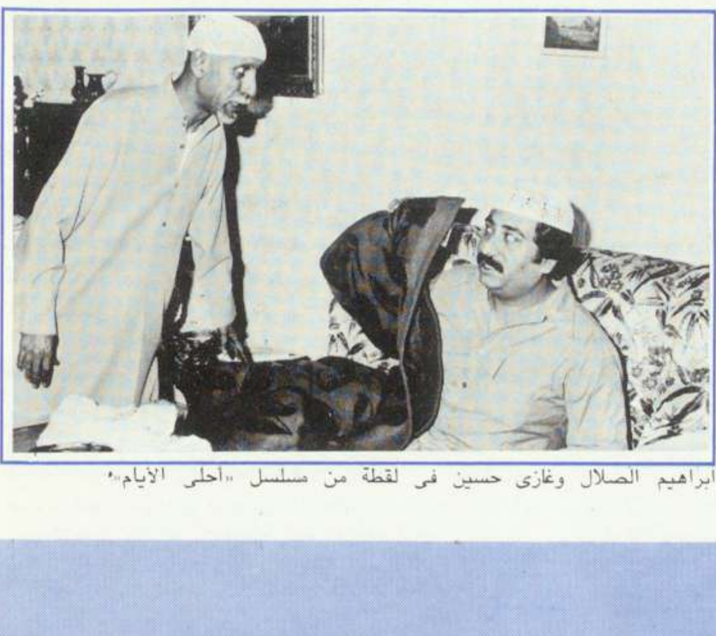
ومن أهم مشاكل المسرح الخليجى عدم التشجيع المطلوب رغم المعونة المالية السنوية التى لا تتناسب مع طموحات المسرح ، كذلك قلة صالات العرض ..

ولو تعاونت وسائل الاعلام لأعطت النهضة المسرحية دفعة قوية ، ولكن أغلب أجهزة الاعلام لا تعطى للمسرح حقه الواجب ، ونادراً ما تتناول الأقلام العروض المسرحية بالنقد الهادف ، ونادراً ما يعرضها التلفزيون أو تقدمها الاذاعة ..

لأننى تخرجت من المعهد العالى للفنون المسرحية وأدركت أثناء دراستى أن الدراسة تعطى المفتاح الأساسية للثقافة ، فاننى أقول دائماً لاخوانى هنا فى البحرين أن الدراسة وحدها لا تكفى فلابد من وجود الموهبة ولابد من الاطلاع الدائم على الثقافات التى تنمى فى عقولنا الادراك وتصقل التجربة .



حسن بشير مخرج مسلسل «أحلى الأيام»



ابراهيم الصلال وغازى حسين فى لقطة من مسلسل «أحلى الأيام»

من عيون الحكمة

في دروب المحنة

الحكماء الذين كتبوا قبلنا هم رحالة سبقونا فى دروب المحنة . إنهم يبسطون أيديهم داعين إيانا أن نكون فى رفقتهم عندما يتخلى عنا كل من فى الوجود .

«برناردين دوسان بيير»

الصغير .. والعظيم

على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

«المتنبى»

الموت .. والحياة

نحن نساق بالطبيعة الى الموت ... ونساق بالعقل الى الحياة .

«أبو حيان التوحيدى»

لا مستقر

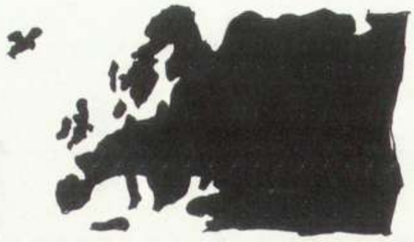
طلبت المستقر بكل أرض
فلم أر لى بأرض مستقرا

«أبو العتاهية»

انحطاط أوروبا

إننى أتحدث فى مرارة وألم عن القوى المتجمعة فى الغرب لقيادة سفينة الحضارة . إن الذى يحركها هو العواطف لا المثل العليا . إن الوقت قد حان لتدرك أوروبا أن التطفل القهرى الذى تزاوله فى القارتين الكبيرتين آسيا وافريقيا أكبر قارتين فى العالم ، لابد أنه سيؤدى بها الى انحطاط وتدهور أخلاقى .

«رابندرانات طاغور»
من كتابه «الوحدة الخلاقة»



أكبر من الفرح

واحسرتاه ! إن فى كل مكان من هذه الأرض شقاء لا يقاس اليه ما قد يوجد من فرح .

«أنتيجون»
من مسرحية «أوديب ملكا»

أحزان في المستقبل

أتعلم على أى شىء حزنك ؟ إنه ليس على شىء مفقود فقدته من زمن معين تستطيع أن تقول متى كان عندك ومتى ذهب . وإنما هو على شىء لايزال حيا قائما فيك . هو عهد أسمى من عهدك الحاضر تطلبه .. هو عالم أجمل من عالمك هذا .

«هولدر لاين»

الشعر أن نحلم

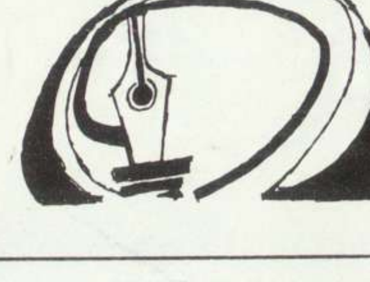
ليس الشعر فى أن تقول كل شىء ... بل هو فى أن تحلم النفس بكل شىء

«سانت بيوف»

المدهش هو الموضوع

أما السبب الذى يقارن الفيلسوف نفسه بالشاعر فهو لأن «المدهش» هو موضوع كليهما .

«توماس الاكوينى»



الدهشة هي الإنسان

لقد وجدت لكى أندهش . إن الدهشة هى أسمى ما يستطيع أن يصل اليه الانسان .

«جوته»

قالوا في الكتاب

يوجد مكان واحد فى العالم يمكن للشخص أن يكون فيه سعيدا : إنه المكتبة .

«أوجستين بريل»

أعلا .. وأسفل

● أنتم تنظرون الى أعلا حين تطلبون الارتفاع .. أما أنا فأنظر الى أسفل لأننى مرتفع .

الخير هو الشجاعة

● تسألون : ما هو الخير ؟ الخير أن تكون شجاعا .

التعجل .. رذيلة

● لقد بات الناس يخجلون من الراحة والهدوء . ويكاد التأمل الطويل أن يصيبهم بلذع الضمير . إنهم يفكرون وهم ينظرون الى الساعة فى أيديهم ، تماما كما يأكلون طعام الغذاء وأعينهم على أخبار البورصة . إن التعجل هو الرزيلة الحقيقية للعالم الحديث .

الكذب والعمى !

● إذا ذهب صدقى فقد عميت . فاذا أردت المعرفة فقد أردت الصدق ، أعنى الشدة والتضييق على نفسى والقساوة التى لا تلين .

«نيتشه»


أسافر في القلب



شعر : محمد إبراهيم أبوسنة

من وحي زيارة في خريف ١٩٨٠ إلى الولايات المتحدة الأمريكية

هذا هو البدر يأتى من الشرق ..
.. أخضر مثل اليمام الذى فى الأساطير
أزرق مثل المياه التى فى البحار ...
.. وأحمر كالحب . أصفر كالموت فى كل بلد ..
..لا يريدك أبيض مثل النهار ..

● ● ●

يجيء من الشرق ...
..يفتح نافذة من جريد النخيل
على القلب ..
.. ها هو وجهك تمرح فيه الدموع
وتشرق فيه نجوم السماء الحزينة
يرفرف طيرك بين الضلوع
ويسألنى عن زمان الرجوع
وريح من الغرب تأكلنى إذ تجوع

● ● ●

هو البرق يمضغنى
ثم يلقى بجثة حلمى الى مستنقعات المغيب
تظل عيونى تجوب الشوارع
عبر فراغ المسافات

عبر فراغ القلوب
وكل النجوم هنا من زجاج ..
القلوب هنا من حديد
«مساء سعيد»
«صباح سعيد»
«وداعاً»
صحارى وبيد
صحارى وبيد
ولا يخفق القلب إلا لهذى الغصون التى ..
.. تورق الآن بالحزن يسقط فيها
الخريف . تموت السنجاب بين حشائشها
ثم تهوى العصافير ميتة فى المياه
ولا يخفق القلب إلا لصوت السكون ..
.. الذى يبعث الآن بين ضباب
الأشعة وجه الأحبة
فوق مرايا النسيم المراوغ

يمضى إلى موعد فى حنايا الشجر

● ● ●

مرة هذه البرتقالة فى الحلق
مثل الفراق المفاجىء
مثل الدموع التى تتراجع فى العين
حين يجيش الأسى فى الفؤاد
فيغدو بحجم مدينة
مرة هذه المسافة يقطعها
الضوء والظل يكثر فيها الأنين
ويغدو العذاب طريق المسافر ..
.. تغدو القطيعة دار الاقامة
.. والحزن مرقده
والحياة الجنون
أيها القادم من ناحية الشرق تحمل
عطر الأحبة . هل من جديد سوى الذكريات ؟
وهل من قديم سوى وخزات الألم ؟
ها هو الدمع يدفئنى فى شتاء المراره
وذاكرتى الآن تفتح أبوابها
فتطل عظام الحياة القديمة ..
.. من شاطىء النهر .
حتى صخور المدينة
وها هو وجهك يقبل نحوى ..
يعاتبنى ...
.. ثم يملأ روحى بشوق اللقاء
وحلو الغناء .. ولا تعذلينى
فانى أسافر الى القلب ليلا
الى حيث أنت
وحين يجيء النهار ...
أسافر أقطع هذى الفيافى
الى حيث يسطع نورك
تحت سماء المقطم والنيل والهرم الأكبر
والأصغر . حيث يصير الزمان
حديقة أفراحنا
والرحيل الجحيم
أسافر فى القلب .
هذا هو البدر يطلع مثل اليمام
الذى فى الأساطير . أزرق مثل
المياه التى فى البحار ..
وأحمر كالحب ..
أصفر كالموت فى بلد لا يريدك ..
أبيض مثل النهار

حلم ليلة صيف

أم أكثم



استسلمت أمى واخوتى للنوم .. والصيف يمطر حرارة وحبات عرق .. الهواء ساكن .. والقمر بدر .. أنا مازلت يقظة أرشف فنجان قهوة .. تخيفنى دقات قلبى المتلاحقة كساعة الحائط التى تتوسط بهو دارنا .. انتصف الليل .. تركت دفاتر تلميذاتى الصغيرات بيد مثلوجة .. تسللت عبر الدرج المؤدى لسطح دارنا كفأر مذعور .. ضممت رداء نومى الأزرق .. وأنا أرقب الظلام وصمته .. تعثرت قدمى العارية على درجات السلم المتآكلة .. جزعت .. تلفت مذعورة .. خائفة .. وجلة .. كهارب من العدالة .. بدا الظلام كغول خرافى يترصدنى .. كتمت صرخة انطلقت كحربة من حلقى .. امتلأت أجفانى برطوبة الليل .. أسرعت الخطى .. خفقات قلبى تتفجر فى صدرى .. عدوت .. الدقيقة الأولى بعد منتصف الليل .. كان هناك .. تدفقت ضفائر شعرى المجدولة .. ارتجف ثوب نومى الأزرق .. انسكبت حرارة الشموس من أنفاسه .. أكتم صرختى .. أقاوم الصراخ .. وأنفاسى تتهدج .. وعيناه بحيرتا نجوم تغرقنى .. أحترق .. أقاوم الصراخ

.. أقاوم الصراخ .. وأطلق صرخة .. كصرخة الولادة .

استيقظت من نومى مذعورة أتصبب عرقاً .. أنفاسى متلاحقة .. أصابع مغروسة فى كتفى .. كانت أمى .. تهزنى بعنف «ماذا حدث .. استيقظى .. لماذا تصرخين وأنت نائمة ؟» تمالكت أنفاسى وأنا أمسح حبات العرق من على جبينى «آه يا أمى .. كابوس .. كابوس مرعب .. منذ ليال عديدة وهو يداهمنى كلما أغمضت عينى .. وبدا القلق محفوراً فى وجه أمى الحنون» لابد أنه كابوس مرعب .. لقد تكرر صراخك كل ليلة .. وأفزعت اخوتك الصغار .. عليك بقراءة القرآن قبل نومك . ومسحت بيدها الطيبة شعرى المجدول وهى تتلو آيات من كتاب الله . اروى لى تفاصيل حلمك .. ما هو هذا الكابوس الذى يفزعك كل ليلة» ارتجفت أنفاسى .. آه .. ماذا أقول لك يا أمى .. لا أذكر التفاصيل .. لكنه كابوس مرعب .. قلت هذا وأنا أتحسس ثوبى الأزرق .. وشعرى المجدول .. آه .. كان حلماً رهيباً .

تخرجت منذ أعوام من دار المعلمات .. وعملت فى مدرسة ابتدائية .. أقف على أعتاب الثلاثين .. تلميذاتى الصغيرات كبرن .. وأنا مازلت كالأرض البور .. وأمى مازالت تنتظر فارس الأحلام الذى لم تمطر به سمائى .. وأنا أزداد امتلاء .. وجفافاً .. مازالت تعاملنى كطفلة فى العاشرة .. زجرتنى يوماً وأنا فى الخامسة والعشرين من عمرى لأنى تجرأت على وضع أحمر شفاه على شفتى .. وشذبت حاجبى .. ومن يومها كففت عن تشذيب ملامحى .. ظلت خصلات شعرى مجدولة .. مخنوقة على ظهرى كطفلة فى العاشرة .. أيامى تتسرب كالماء بين صياح تلميذاتى .. وأحاديث رواد منزلنا من العجائز وصوت ارتشاف القهوة .. وأنا أدفن فى حجرى روايات الحب الملتهبة .. التهمها .. وأحلم .. حتى تلتهب جدائل شعرى المعتقة .. أحلم .. وأستيقظ على صراخ أمى وهى تأمرنى باغلاق زرار ثوب تمرد على أوامرها .. وزجاج نافذة دفعته الريح فأغضبها .

كنت قافلة بعد نهاية اليوم الدراسى لمنزلى .. عندما لمحتك بقامتك الفارعة .. ووجهك الأسمر .. كأبطال رواياتى داخلا منزلك المجاور لمنزلنا .. اهتز قلبى وأنا أفترس ملامحك من خلال الشال الأسود الذى يلف وجهى .. ومن يومها كففت عن أحلام الصحو .. وصرت كابوساً يفترس جدائلى .. ومن يومها كففت عن قراءة الروايات لأن صورتك توسدت كل الحروف .. وكل أغلفة الكتب .. ومن يومها وجدائل شعرى كلوح من الصلج المحمى تحرق ظهرى .. وأنا لا أكف عن مطاردتك من خلف ستائر غرفتى .. وأرتجف .. كأوراق الخريف .. خشية أن ترانى ..

كان القمر بدراً عندما استيقظت من نومى مذعورة .. وأمى تحتضننى .. تبسمل وتحوقل .. وأنا أرتعد .. أزداد التصاقاً بأمى .. جسدى مغسول بحبات العرق .. الحمى تأكلنى .. أنفاسى تتلاطم كالأمواج .. يزداد ذعر أمى .. وأنا أنتحب .. جفاف ثلاثين عاماً تأكل شفتى .. أحاول التحديق فى وجه أمى المتعب .. افشل .. أجفانى ثقيلة .. ثقيلة .. كقطع من الحديد تسقط داخل عينى .. أغمضها .. الخريف .. الخريف يا أمى .. يجتاح سهولى كأسراب الجراد .. وأنا أذوى كحقول الذرة .. أنا يقتلنى الجفاف صلى .. صلى .. يا أمى صلاة المطر .. استسقى السماء .. أهذى .. أهذى .. يمطر وجه أمى .. أنا فى جوف حوت أبحث عن أصداف .. وأنا فى جوف حوت .. شاطئى يأكله جزر أبدى .. أنا أذوى كحقول الذرة .. الخريف يجتاح سهولى .. تهمد أنفاسى تحت دثار الصوف الثقيل



.. وأنا أعرق .. أرتجف .. القشعريرة .. الحمى .. ضعيفة أنا .. يمطر وجه أمى .. وأسقط أنا فى بركان الكوابيس .

مع تساقط ندى الصباح .. كانت أمى تطرق دار شيخ حينا الجليل .. دعته لزيارتنا .. بكت بين يديه .. أخبرته أن الأرواح سكنت دارنا .. واستفردت بى .. جاء يتلو القرآن .. وأنا هامدة تحت الدثار .. وعيناى جمرتان اتقدتا .. ترقبان حبات السبحة المتساقطة على رأسى .. مازال الكابوس يطرق غفوتى .. الوهن يتسرب كشعاع الشمس فى جسدى .. عافت نفسى الزاد .. الحمى تسلبنى أنفاسى .. أزداد ذبولا .

داهمنى الأرق .. اختفى الكابوس الليلى .. شعرت بوحشة .. كففت عن الصراخ كل ليلة .. شعرت بوحشة .. خرجت من غرفتى .. الدقيقة الأولى بعد منتصف الليل .. وأنا أحتضن ثوب نومى الأزرق .. كان القمر بدراً .. بحلقت .. هذا هو الباب المؤدى لسطح دارنا .. آه .. لا أدرى مدى صحة التفاصيل الصغيرة للكابوس .. صعدت السلم العتيق .. فاحت منه رائحة عتق مهجورة .. صعدت السلالم المتاكلة .. ارتجف قلبى .. هذا هو الحائط الفاصل بين دارنا وداره .. آه .. لألقى نظرة .. أثار الكابوس فضولى .. بحثت فى الظلام عن حطام شىء أستند عليه لألقى نظرة على سطح جارى .. رفعت جسدى .. خفق قلبى .. كان نائماً هناك بقامته الفارعة .. حاولت العودة .. لم أقدر .. كنت كنبتة غرست هناك .. شلت قدمى .. تصبب العرق غزيراً على وجهى .. ندت منى صرخة .. استيقظ النائم .. أضاء المصباح .. تقدم بهدوء كسحابة ممطرة .. منحنى راحة يده .. ارتجفت .. حاولت صده بيدى .. انغرست يدى فى كتفه .. كنبتة غرست هناك .. انسكبت ضفائرى المعتقة .. ارتجف ثوب نومى الأزرق .. انى أحترق .. أحاول الصراخ .. أحاول الصراخ .. عجزت .. لم أصرخ .. أغمض المصباح جفنه .. لفنا الصمت .. تنفست بعمق .. تدفق نبيذى المعتق على صدره .. تملكتنى السكينة .. غفوت .. كان القمر بدراً .. والصيف يمطر حرارة وحبات عرق .



أنـــور الجـنـدى

المعركة بين القبّعة والطربوش

● كانت معركة الزى من أهم المعارك الاجتماعية التى دارت خلال فترة مابين الحربين (١٩٢٠ – ١٩٣٩) وقد نتجت عن اختلاف وجه التعليم وازدواجيته بين التعليم الدينى والتعليم المدنى من ناحية ، وبين الولاء للثقافات الفرنسية والانجليزية مما اثار ما يسمى بمعركة (لاتينيون وسكسونيون) وقد اتجهت طوائف المتعلمين الى استبدال العمامة بالطربوش أولا ، ثم نشأت فكرة استبدال الطربوش بالقبعة من بعد وكانت معارك قد جرت فى دار العلوم عام ١٩٢٥ حول استبدال الزى الأزهرى بالزى العصرى ، وقال الشيخ حافظ عبد ربه : ان الزى الأزهرى بوضعه الحالى عائق كبير يحجب عن صاحبه كثيراً من حقائق الحياة ويدفع به خطوات الى الوراء أو على الأقل يمنعه من مشاركة المجتمع فى شتى مرافقه ونواحيه ، وانه فى الوقت نفسه يؤكد الطبقية بين صفوف الشعب ويبقى على الفوارق البغيضة المدفوعة ●

● وقد جرى البحث حول العلاقة بين تغيير الزى وتغيير العقلية وهل يمكن أن يؤدى هذا التطور المادى الى تطور فكرى ؟

واتصلت الأبحاث بمناسبة الثورة التركية التى وصلت أصداؤها الى البلاد المصرية وخاصة فيما يتعلق بفرض القبعة على الأتراك العثمانيين وإلغاء الطربوش والعمامة . وتعددت الابحاث حول العمامة والطربوش والقبعة وقيل إن «العمامة» زى دينى بحت لا صلة له بالدين ولا بالاسلام وان الزى الأزهرى خلقته الظروف ودعا اليه الوسط .

وقد طالب علماء الأزهر بجعله مقصوراً على رجال الدين ، ورد الجانب الآخر ان العمامة زى أقره الشرع إذ كانت فى صدر الاسلام زياً يتميز به المسلمون عن غيرهم وان الزى الأزهرى فضفاض يلائم الصحة ولا يحول دون الاندماج فى المجتمع .

وقد وجهت حملة ضخمة الى «العمامة» للتخلص منها وهاجم الشيخ أبو الوفا التفتازانى خصوم العمامة (٢٠ مارس ١٩٢٦ – الأهرام) وقال : انه اذا اختفت العمامة قبر الطربوش ، لانها لا تجد ما تستند اليه وقال : ان العمامة زى قومى وان العمائم تيجان العرب ، أما الطربوش فيكفى أن ينفرد بالظهور بعد العمامة ليختفى بعد أسبوع من تاريخ زوالها لأن الحملة عليه سهلة موفقة ، أما القبعة التى يريدونها زياً لنشء هذا البلد الكريم فهى مظهر الفناء المطلق الذى تبتلع فجوته الشخصية المصرية وتضيع فى قيافيه مميزات أهل هذا البلد الظاهرية فلا تعرفهم بسيماهم وتراهم عبدة أزياء تغيرت ملامحهم !

الطربوش :

تاريخ قديم

أما الطربوش فتاريخه انه جاء مع الأتراك العثمانيين الذين لبسوه بعد فتح القسطنطينية وأخذه الأتراك من اليونان وأخذته مصر من الأتراك ، وتخلى عنه مصطفى كمال . ومصر تلبس الطربوش قبل أن تصنع طربوشاً واحداً وتستورده من النمسا ، وقد لبس أحمد زكى باشا سكرتير مجلس الوزراء



الطربوش الأبيض بعد أن قاطعت مصر النمسا وأضربت عن شراء بضائعها .

وقال المقطم فى حملته على الطربوش (١٤ يونيه ١٩١٧) إن الغربيين والشرقيين يظنون أن الطربوش شعار دينى اسلامى وهو ظن بعيد عن الحقيقة فانه ليس فى الاسلام زى خاص . كما أن الطربوش ليس شعاراً اسلامياً . كذلك القبعة ليست شعاراً مسيحياً .

أما الطربوش فقد اقتبسه السلطان محمود الثانى العثمانى من الروم نصارى الأرخبيل ولم ينقض أكثر من مائة سنة من اتخاذه غطاء للرأس بدلا من تيجان الانكشارية ودعا المقطم الى إبطال الطربوش واستبداله بلباس آخر .

وقد ذكر الباحثون أن التمسك بالطربوش يرجع الى عوامل أهمها مسالة القومية والمصرية والشعار المصرى وتميز المصرى على غيره .

العقلية لا القبعة

وقد جرت الدعوة الى القبعة كلباس صالح وصحى بدلا من الطربوش وقال دعاة القبعة : ان الطربوش يحبس الدم وتنجم عنه أضرار الصلع ، وانه ليس هناك ما ينص فى الدين على تحريم القبعة أو اشتراط أى لباس آخر .

وقد تصدت جماعة الرابطة الشرقية والجمعية الطبية المصرية لبحث الأمر من الوجهة الطبية والدينية وذكر أن الجمهورية التركية لم تتخذ القبعة لسبب صحى بل لسبب اجتماعى ، هو اختيار اللباس الاوربى ، وأفتت الرابطة والجمعية الطبية بأن أفضل لباس للرأس يوافق مصر فى زمن الصيف هو «القلنسوة البيضاء» المصنوعة من الفلين .

وقال الدكتور محجوب ثابت فى حديث له مع السيد محب الدين الخطيب (١٤ أغسطس ١٩٢٦) ان الطربوش صحياً خير من القبعة . وذكر أنه لا يدافع عن الطربوش لذاته وقال : اما ان القبعة لباس المتمدينين فالتمدن ليس بالبرنيطة ولكن بالمعارف العلمية التى جعلت لابس القبعة يصل الى هذه المكانة فى الدنيا ، هذه المكانة التى وصل اليها بعلوم القوة والثروة والعمران . وقال إن البرنيطة شعار أمم تحاول استلاب استقلالنا والاستيلاء على ديارنا واحتقارنا فى أوطاننا وتاريخنا

المعركة
بين القبعة والطربوش

وذكر أن الكماليين سجنوا من أجل القبعة من سجنوا وشردوا من شردوا ، وقال «متطربش» معلقاً : تبرنطوا اذا شئتم ، وتعمموا اذا أردتم ، وتطربشوا اذا حلا لكم ، ولكن لا تنسوا أن الدين والوطنية والأخلاق والقومية ليست فى الثياب بل فى الألباب ولا فى الدثار بل الأفكار ، ولا شكل الملبوس بل فى العقول التى فى الرؤوس.

وأجمع كثير من الباحثين على أن مسألة الخروج من العمامة الى الطربوش ومن الطربوش الى القبعة إنما هو تقليد للغرب ، لا تقصد به منفعة واضحة أو غاية معلومة ، وجرى ذكر ما قال «سعد زغلول» فى معارضته لنبذ الطربوش «مثل الذين يبدلون شعارهم بشعار غيرهم كمثل الذين تبرأوا من انسابهم»وقال العقاد : «إن من سقوط الهمة أن يتوارى الانسان وراء القبعة خجلا من جنسه»

وقالت جريدة المانشيستر جارديان : انه بينما العرب والترك يستعبدون للازياء الغربية بأبشع أشكالها وأبعدها عن جمال الخيال والتصور يتحول الغربيون الى التنويع والتزويق» .

وقد حققت هذه الحملة تحول كثير من طلبة دار العلوم والقضاء الشرعى من العمامة الى الطربوش ، أما الأزهر فقد منع التغيير .

وصدرت فى مصر فتوى رسمية (١٩٢٦/٣/٢٥) بأن المذاهب الأربعة المعمول بها مجمعة على تحريم لبس القبعة عند عدم الميل الى دين أصحابها ، وعدم قصد الاستخفاف بدين الاسلام ، وان فى تغيير الزى القومى فناء للشخصية وذلك شأن الضعيف .

وردت الفتوى على ما قيل من أن الزى الغربى يدفع احتقار الغربيين وقالت : «إن الزى لا يدفع احتقاراً ولا يرد عاراً مع فساد الخلق وتأخر العلم وعدم النهوض بالصنائع والأعمال الاقتصادية والأخلاقية» .

ولم تلبث أن وقعت حادثة الطربوش فى تركيا بين وزير مصر المفوض ومصطفى كمال أتاتورك حيث أشار رئيس الجمهورية التركية الى الوزير المصرى برفع طربوشه فى حفل رسمى .

امتداد المعركة الى البلاد العربية

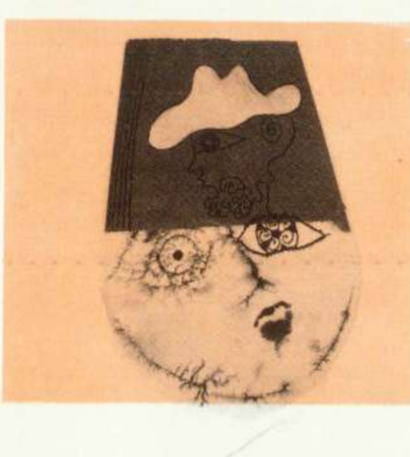
وامتدت معركة الطربوش الى سوريا فكتبت جريدة النهار (١٩٣٣/٩/١٢) بأن الطربوش نمساوى وليس عربياً ، وانه يذهب بثروة البلاد وأن دمشق تستورد مائتى ألف طربوش كل عام وتدفع ربع مليون ليرة عثمانية على أقل تقدير . وقالت : واذا فرضنا أن الطربوش كان منتشراً منذ مائتى سنة فاننا نجد أن دمشق دفعت للنمسا ثمن طرابيش خمسين مليون ليرة عثمانية .

وذكرت أنه يجرى البحث عن غطاء آخر للرأس ، هل هو القبعة الافرنجية أم الكوفية البدوية ، أم العمامة ، أم السدارة العراقية ؟

وقالت ان فكرة اعدام الطربوش ليست فكرة حديثة ، فقد أحرق فى العام الفائت واستعيض عنه بالسدارة العراقية .

وفى العراق لبس الملك فيصل السدارة إعلاناً لتحرر بلاده والابتعاد عن زى الترك ، وانتشرت السدارة الوطنيةفى العراق كما جرى عام ١٩٣٦ فرض السترة والبنطلون على سائقى السيارات .

وأثيرت مسألة الطربوش والقبعة فى مصر بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ وجرى التفكير فى توحيد الزى ووضع لباس جديد للرأس وأجمع الكثيرون على أن توحيد الزى لازمة من اللوازم الاستقلالية .



مشروع القرش

وفى هذه الفترة تقدم الأستاذ أحمد حسين رئيس جماعة مصر الفتاة بدعوته الى مشروع القرش لانشاء مصنع للطرابيش فى مصر بديلا من استيراد الطربوش النمساوى ونجحت الفكرة وجمع مبلغ كبير وأنشىء مصنع القرش الذى غطى حاجة المصريين الى الطربوش . وأشير الى أن كلمة (قبعة) كلمة كلدانية ، وانها تسمى فى قاموس الفيروزبادى (البرنس) . وروت الأهرام أن سليم سركيس هو أول من فكر فى لبس القبعة بدلا من الطربوش عام ١٩١٧ ، وفى نفس العام كتب (شيخ) يطلب الى اخوانه المشايخ لبس الطرابيش بدلا من العمائم ، وكان معنى ذلك أن فكرة استبدال القبعة بالطربوش هى فكرة مصرية لا تركية .

وأحدثت القبعة معارك كلامية مرتين: الأولى عندما أعلن الدكتور محمود عزمى انه سيخلع الطربوش فى يوم معين ويلبس القبعة ، ثم تردد فى ذلك وتأجل مشروعه عاماً كاملا متعللا بما اسماه «الأخطاء الوراثية» التى حالت دون ذلك .

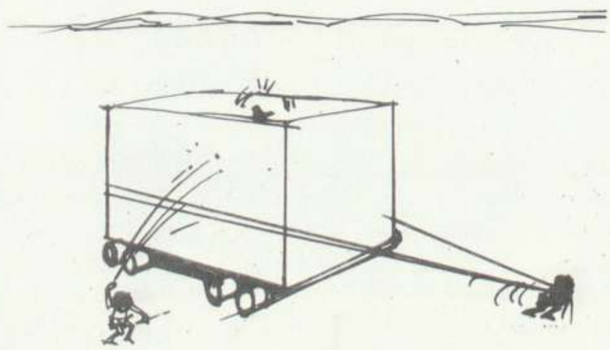
ولم تلبث مصر أن حلت هذه المشكلة حلا نهائياً حين ألغي الطربوش تماماً بعد سقوط الملكية وحل محله «البيريه» الذى لبسه أمثال توفيق الحكيم والعقاد ، أما باقى الشعب فقد فضل أن يكون حاسر الرأس ، أما العمامة فقد ثبتت فى البيئات الأزهرية بعد أن انحسرت قليلا وتطور الزى الأزهرى الى ما يقارب الزى الافرنجى (قميص وبنطال) وفوقهما «كاكولة» وبذلك انتهت مشكلة الزى تماماً ولم يعد لبس القبعة أو ما يماثلها مما يثير أية أزمة .

وقد رد عليه السيد مصطفى صادق الرافعى مفنداً هذه الوجهة وكان هذا عام ١٩٢٦ وبعد عشر سنوات تجددت المعركة حينما كتب توفيق الحكيم مقاله المشهور (أن الأوان أن نلبس القبعة) وقد رد عليه كثيرون وهاتان المعركتان ستكونان موضع تفصيل فى مقال تال إن شاء الله .

أنور الجندى

ضحكات الشهر

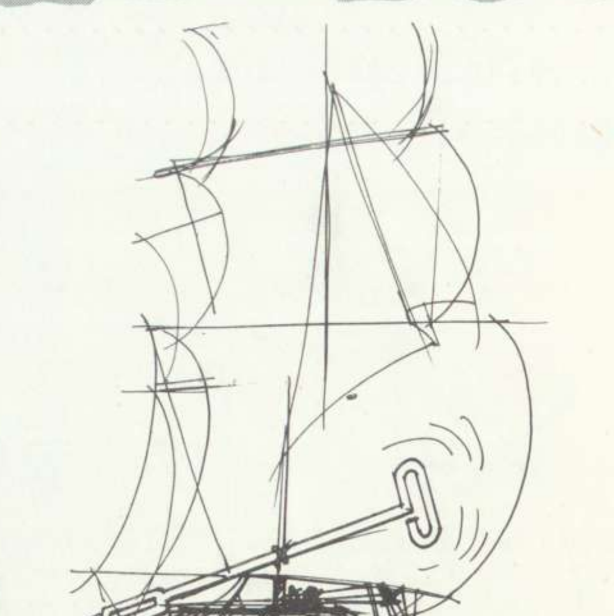




– ... هش !



– .. فين أيام السعر الجاهلى
.. كان البيت من بابه .. بفلس !



– ... حافتح سردينيا ... !



– .. بدون كلام .. !!

ضحكات الشهر

بريشة: صلاح الليثي



(برنامج الفضاء يتكلف ١٥ بليون دولار يومياً للسيطرة على العالم عسكرياً)

عامل لعامل معاك ٢٠ دولار سلف لأول القمر .. !!



رجل لبغبغاء

.. برقية لك ... أبوك السقا مات ... !!



ــ .. احنا مفكرين ــ الأسلحة الفاسدة سبب هزيمتنا عام ١٩٤٨ والأغنية الفاسدة ستتسبب فى فنائنا عام ١٩٨١ !!



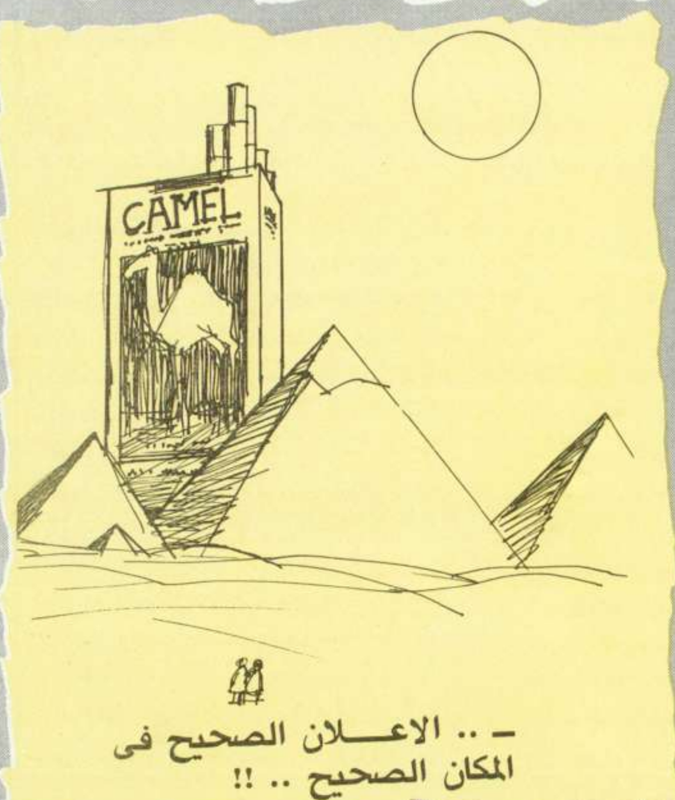
واحد لتانى ـ .. ما الدنيا إلا مسرح كبير
.. واحنا كومبارس . "



واحد من عالم آخر ـ سهران باعد الهموم !!



ـ .. أنت مواليد برج ايه ..؟
ـ .. بيزا المايل .. !



ـ .. الاعــــلان الصحيح فى
المكان الصحيح .. !!

المسابقة

حل مسابقة
من . أين . ما العدد «٦٢»

من : حاتم الطائى .
أين : ينبع .
ما : البغل .



١ ـ ٩٣ هـ .
٢ ـ لا ليست صحيحة علمياً لأن الزئبق يخلقه الله هكذا .
٣ ـ الديك لا يبيض .
٤ ـ الديثريوم .
٥ ـ فيردى .
٦ ـ الأزرق ـ الأخضر ـ الأصفر ـ الأحمر .
٧ ـ همتى همة الملوك ونفسى
نفس حر ترى المذلة كفرا
قائله الامام الشافعى رضى الله عنه .
٨ ـ الدمام .
٩ ـ اللورد كللين .
١٠ ـ شيخم .

مَن - أين - ما؟

● من : ـ
مصارع جبار قيل إنه ولد فى مدينة غزة بفلسطين المحتلة اسمه من خمسة أحرف :
٢ ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ فاكهة .
٥ ـ ٤ ـ ٢ ضد صحو .

● أين : ـ
إقليم اسلامى جعلته السياسة الاستعمارية موضع نزاع وفتنة حتى بعد أفول نجم الاستعمار من منطقته . اسمه من خمسة أحرف : ـ
١ ـ ٢ ـ ٥ ـ ٤ طعام قوامه العدس والأرز .
٣ ـ ١ ـ ٥ من صفات الاستعمار .

● ما : ـ
كتاب يدعي أصحابه أنه منزل من الله تعالى ، وهو فى الحقيقة مجموعة من الضلالات والأكاذيب التى نسجها كبار مفكريهم ليدفعوهم الى معاداة بقية خلق الله والتعالى عليهم . اسمه من سبعة أحرف :
١ ـ ٤ ـ ٧ ـ ٦ ـ ٥ شبه جوز الهند .
٣ ـ ٢ مرتفع .

الجواب الصحيح

١ ـ بدأ تصدير البترول من حقول دولة قطر فى منطقة دخان الى العالم الخارجى لأول مرة فى سنة :
١٩١٣ ـ ١٩٤٦ ـ ١٩٤٩ ـ ١٩٥٩ ـ ١٩٦١ .

٢ ـ جاء ذكر ثمرة الزيتون المباركة فى القرآن الكريم :
ست مرات ـ خمس مرات ـ أربع مرات .

٣ ـ ينسب كتاب (مفاتيح العلوم) الى العالم العبقرى المسلم :
الاصطخرى ـ الخوارزمى ـ الفرغانى .

٤ ـ «العقارب السوداء تتبع عائلة الحشرات الصحراوية» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟

٥ ـ اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
أكمل هذا البيت وانسبه لقائله .

٦ ـ كان أول رئيس للدولة الصهيونية التى مكنتها بريطانيا من الاستيلاء على فلسطين سنة ١٩٤٨ هو :
جابوتنسكى ـ بن غوريون ـ حاييم وايزمان .

٧ ـ «اليوم خمر ، وغداً أمر ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً» .
قائل هذه العبارة بعد مقتل أبيه هو الشاعر الجاهلى : ـ
عمرو بن كلثوم ـ امرؤ القيس ـ زهير بن أبى سلمى .

٨ ـ رتب أسماء الحكام المسلمين الآتية من الأقدم الى الأحدث : ـ
هارون الرشيد ـ مروان الحمار ـ صلاح الدين الأيوبى ـ أحمد بن طولون .

٩ ـ أنشئت جامعة القاهرة باسم جامعة فؤاد الأول فى سنة :
١٨٢٥ ـ ١٩٢٥ ـ ١٩٥٢ .

١٠ ـ يصنع الاسمنت من الطين وقليل من خام الحديد وقليل من الجص ومادة مما يلى :
الجرانيت ـ الحجر الجيرى ـ الدايورايت ـ ملح الطعام ـ الطلق .

الفائزون بنتيجة مسابقة مَن - أين - ما؟ العدد ٦٢

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء:
أحمد طاهر ابراهيم خلاف / ٥ شارع الأمير ابراهيم / كامب شيزار / الاسكندرية .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء
أورى مصطفى / حي سوسيكا / حي المحمدى / د م ش رقم ٢٩١ الدار البيضاء / المغرب .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
ايمان عيسى الأعرج / ص . ب ٨٠ الدوحة / قطر .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ الطيب عبيد هدى ـ السودان
٢ ـ محمد تيسير الزين ـ سوريا
٣ ـ سعد عبد العزيز شاهين ـ طنطا
٤ ـ بيسان الرمحى ـ الكويت
٥ ـ مهدى عبد الخالق ـ سلطنة عمان
٦ ـ محمد نزيه لصوى ـ الدوحة
٧ ـ جلال الدين ضو البيت ـ دبى
٨ ـ ندى سالم سليمان ـ الأردن
٩ ـ محمد سليمان المجارحة ـ الأردن
١٠ ـ لطيفة ابراهيم سعد ـ البحرين
١١ ـ عبد الحميد أحمد ـ البحرين
١٢ ـ محمد عبد العزيز عفيفى ـ القاهرة

كلمات لها معنى

● قال ونستون تشرشل :

● إن العمل ليس هو وحده مصدر طعامنا وشرابنا ، إنه مصدر حياتنا .

● الشجاعة هى أول صفات الانسان ، لأنها الصفة التى تضمن بقية الصفات .

● وقال الرئيس تيودور روزفلت :

● من الأفضل أن تجرب كل شىء عظيم ، أن تجرب النصر والهزيمة ، انه أحسن من أن تعيش آمناً مع هؤلاء الذين لا يجدون لذة فى شىء ولا يتألمون من شىء ... انهم يعيشون حيارى بين الظلام والنور ، انهم لا يعرفون النصر أو الهزيمة .

● وقال الفيلسوف أندريه جيد :

● كل انسان عنده حصة من العزلة ، وطريقة استفادته من هذه العزلة هى التى تدل على مدى نجاحه وفشله فى الحياة .

● اننى أكره الناس الذين يتألمون من أعمالهم ، اذا كان هذا العمل لا يعجبهم فلماذا لا يبحثون عن غيره ، ان المتعة التى يلقاها الانسان فى عمله دليل على صلاحيته لهذا العمل .

سعد الله غانم محمد
الموصل – العراق

ذكاء معاوية



● قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لي حاجة عندك أتقضيها ؟

قال عبد الله : نعم ، ولكن لي أنا أيضاً عندك حاجة أتقضيها ؟

قال معاوية : نعم .

قال عبد الله : سل حاجتك .

قال معاوية : هب لي دورك وضياعك بالطائف .

قال عبد الله : نعم قد فعلت هى لك من الآن .

قال معاوية : إذاً سل حاجتك وصل رحمك.

قال عبد الله : ردها إلي .

وجيه محمد مرسى
جمهورية مصر العربية

طرائف

● قال الطبيب للمريض بعد أن فحصه :
– لا تخف ، لقد كنت مصاباً بمثل مرضك هذا منذ سنين وها أنذا قد شفيت منه كما ترى .

فقال له المريض على الفور :
– أتوسل اليك أن تدلنى على الطبيب الذى عالجك .

● اشترى رجل اشتهر بالبخل الشديد تذكرتى ياناصيب ففازت احداهما بالجائزة الأولى وهى سيارة فخمة حديثة ولكنه رغم ذلك بدا مكتئباً حزيناً .

فسأله أحد أصدقائه عن سبب حزنه وتوتره برغم مكسبه فقال :
– إننى نادم لأننى اشتريت التذكرة الأخرى أيضاً .

● قال الزوج المثقل بالحقائب لزوجته بعد أن فاتهما القطار :
– لو لم تستغرقى كل هذا الوقت فى الزينة وارتداء الثياب لاستطعنا اللحاق بالقطار .

فأجابته الزوجة :
– ولو لم تتعجلنا هكذا لما اضطررنا لانتظار القطار التالى كل هذا الوقت الطويل .

فكرى عبد المجيد شديد اسماعيل. مصر

قطرات ندى من الغرب



● ما من أحد فى هذا العالم إلا وغارق فى همومه وأحزانه وآلامه حتى الأطفال لا يخلون من الآلام والأحزان العميقة ولابد من التخفيف عن أحزانهم وإلا لما كثرت صناعة مهدئات الأطفال وما كثر مستهلكوها .

«برنارد باروخ»

● حزين هو العالم وما أشد عبوسه وتقطيبه ولكن يشوبه حيناً بعد حين قليل من السعادة. ولكن أين سعادته القليلة من أحزانه العظيمة التى تطغى على سعادته ، ويراودنى تفكير لو أننى بحر من السعادة والفرح لأغرق هذا العالم بين أمواجى ولكن لا أشعر بأن هذا الحلم سيتحقق فى يوم من الأيام .

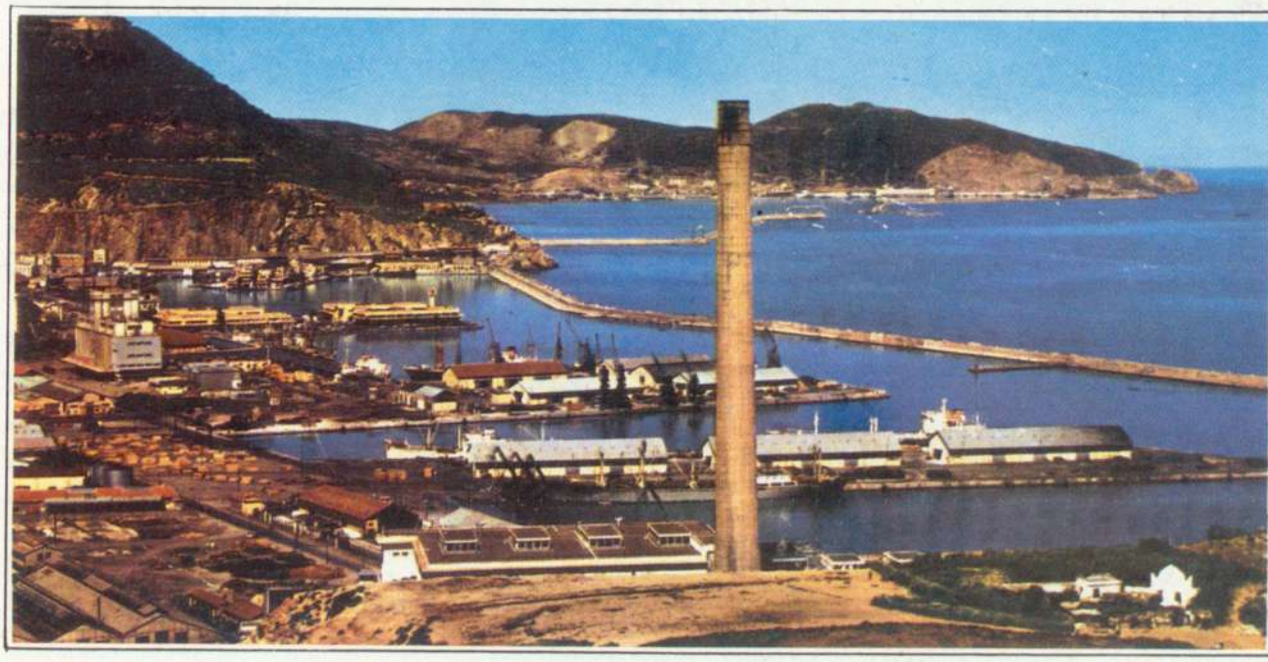
«جون آدمز»

● الطبيعة الخضراء بكل ما فيها من روعة وبهاء والأزهار الرقيقة بكل جمالها الساحر والسنابل المتموجة تموج البحر بكل فتونها الجذاب رسائل ترويح للنفوس وإمتاع للأبصار وإسعاد للقلوب من عناء الهموم والأحزان .

«هيلين كلر»

عماد عبد الحميد نصار
عمان – الأردن

حـــــاول أن تعـــرف •••

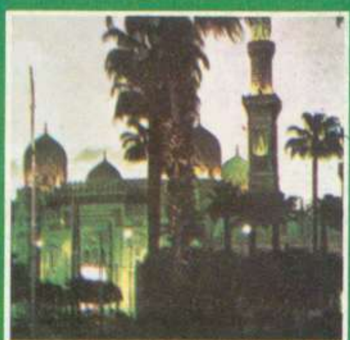


مدينة تقع على البحر المتوسط فى احدى الدول العربية التى جاهدت سنين طوال وضحت بآلاف من الشهداء حتى تحررت من نير الاستعمار .
ما اسم هذه المدينة ؟

حل مسابقة "حاول أن تعرف" العدد "٩٢"

● الصورة الأولى :
مسجد "أبو العباس المرسى" بالاسكندرية .

● الصورة الثانية :
الحمامات ــ تونس .





١ ــ حسان الريس ــ دمشق ــ سوريا
٢ ــ محيى الدين عبد الفتاح حماد ادفو ــ مصر .

١ ــ كاميليا عبد الحميد الشنوانى مصر
٢ ــ أكرم عبد الجبار ــ العراق

التـفاؤل .. والتشـاؤم

● المتفائل هو الرجل الذى يرى ضوءا لا وجود له ، والمتشائم هو الغبى الذى يحاول أن يطفىء هذا الضوء !

● المتفائل يرى الضـــوء الأخضر ، والمتشائم ينظر الى نفس هذا الضوء ، ولكنه يراه دائماً أحمر .. أما الفيلسوف فهو مصاب بعمى الألوان !

● كيف يمكن أن نتطلع الى مستقبل وردى ، ونحن نسرح بأفكارنا ونغوص بها فى أحزان الماضى ؟ .

● الفرق بين المتفائل والمتشائم ، هو الفرق بين الرجل الذى يراك تقع فى حفرة فيمد اليك يده ويساعدك على الخروج منها ، وبين الرجل الذى لا يكاد يراك تسقط فى الحفرة حتى يسارع بدوره الى القاء نفسه فيها معك !

درويش محمد ــ الجزائر

نــــوادرجـــحـــا

عندما أغار تيمورلنك على بلاد الأناضول ، واقترب من قرية جحا ، خرج لاستقباله ومعه هدية له وكانت أوزة ، ولما أنهكه الجوع فى الطريق ، أكل فخذاً منها ، فلما دفعها لتيمورلنك سأله : أين فخذ الأوزة ؟

أجاب : أيها الملك ان الأوز جميعه برجل واحدة ...

فقال : وكيف ذلك ؟

قال جحا : انظر الى أسرابه بين يديك وكان أمامه سرب منها واقف على رجل واحدة ، فلما رأى ذلك ، أمر بضرب الطبول ، فلما طربت هاج الأوز ومشى على رجليه .

فقال لجحا : ألا ترى أنه برجلين يا جحا ؟

فأجاب جحا : أيها الملك الصالح . والله لو هددتنى بمثل هذا الطبل لمشيت على أربع !

محمد عبيد محمد محمود
جمهورية مصر العربية

لقطة الشهر



● فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء ياسر عبد الرحمن ابو بكر ٣٣ شارع المستشفى (شيكولانى) شقة ٣٢ _ القاهرة _ ج ٠ م ٠ ع ٠

حل كاريكاتير وتعليق العدد ٦٢



● ... يا رب يطلع بترول .

مؤمن فاضل كريم
كلية آداب الاسكندرية

● الرجل الواقف لزميله : لا تنس أن تضع السمك الذى تصطاده فى الثلاجة .

مرسى

كاريكاتير وتعليق



ضـع التـعليـق المنـاسـب واربـح ١٠٠ ريـال

عباس خضر

عشق الأدب

أظن أننا متفقون على أن الحركة الأدبية فى عالمنا العربى الآن ضعيفة كماً وكيفاً وإقبالا . واذا تركنا «الكم» جانباً ونظرنا فى الباقى نرى أن ضعف «الكيف» له دخل كبير فى ضعف «الاقبال» لسبب معروف فى «السوق» وهو أن البضاعة الرديئة لا تجد إقبالا من المشترين ..

والسؤال بعد هو : لماذا ؟

لماذا نرى الآن الانتاج الأدبى - فى مجموعه لا فى جميعه - رديئاً أو لا يبلغ المستوى الذى كان عليه أدب الرواد ؟

ذلك الأدب : أدب الرواد الذى التف حوله قراء زمانه ومن بعدهم ، على حين نرى الآن قراءنا - على اتساع رقعتهم وكثرة عددهم - ينصرفون الى قراءة «الكلمات المتقاطعة» وما اليها .. والجادون أكثرهم يذهبون الى قراءات أخرى .

ثم لماذا لا نرى الأدب الآن يعبر عن زمانه كما ينبغى وكما عبر أولئك السابقون عن زمانهم ؟

قد يصح القول بان أدباءنا الجدد يعبرون عن زمانهم ، لا بانتاج حي يصور المجتمع الحاضر ويرى القراء فيه أنفسهم بوضوح لا تغيم فيه الحقيقة ولا يغمض القصد ، وإنما يعبرون عن الزمان بوجودهم أنفسهم من حيث السلوك والنهج فى الحياة .. زمان الجرى وراء المادة واستخلاصها من أى سبيل ..

هذا ، أو ذاك ، أديب موهوب لا شك فى موهبته ، أنبتته الأرض التى أنبتت من قبله من الأعلام العظام ، ولكنه لا يعكف على الأدب كما كانوا يفعلون ، ولا يعانى ما كانوا فى سبيله يعانون ، بل هو يجرى ويلهث وراء ما يسمونه وسائل الاعلام المختلفة كالاذاعة والتليفزيون ، يعد لها برامج يجمع لها من هنا وهناك ، والصحافة كذلك تأكل من كده وطاقته ، إذ يبذل فيها ما كان أولى بموهبته الأدبية صقلا وتنمية .

كان الأوائل يعشقون الأدب ويعانون فى حياتهم لكى يظلوا عليه عاكفين ، لا يشركون به شيئاً ، فان أشركوا به شيئاً كان على الهامش . أذكر يوم احتفاء المجمع اللغوى بالعضو الجديد : توفيق الحكيم ، وكانت كلمة الاحتفال من طه حسين ، وأذكر أنه كان من المدح الذى أضفاه طه حسين على الحكيم أنه لم يول اهتمامه للأعمال التى وليها ، لأن همه كله كان منصرفاً الى الأدب .

الأدب لا يحب «الضرة» .. يحب أن ينفرد باهتمام عاشقه ، فان انصرف عنه العاشق الى غيره لم يمنحه الاجادة والتبريز .

غض الطرف عن قلة نشأت فى الغنى مثل أحمد شوقى ومحمود تيمور وشكيب أرسلان ، وانظر فى تاريخ حياة الكثرة تجدهم مروا فى حياتهم بأزمات عصيبة ولم تصرفهم صارفة عن الأدب : دراسته والانتاج فيه . باع المازنى كتبه ليأكل بثمنها .. ثم حدث مرة أن اشترى زيتوناً من بقال ، وعندما فحص القرطاس الذى وضع فيه الزيتون وجده ورقة من ديوانه .. فأكل الزيتون وحمد الله ، ولم يتخل عن الأدب ، ولم يطلب غيره من أعراض الدنيا .

على أن تلك القلة التى أشرنا اليها عانت من أجل الأدب هى أيضاً ، إذ انصرفت عما فى بيئتها ومن فيها من الترف والمترفين ، واتجه أفرادها الى حرفة الأدب والمعاناة فيها وخدمة المعشوق المحبوب ..

ولست أجرد الأديب من بشريته ، ولا أنكر عليه أن يطلب ما يقوم به حياته ، ولكنى أتصور موقفه من الأدب مثل الموقف من الشجرة الظليلة الجميلة ، إن أثمرت أثمرت ، وإلا ظلت قائمة جميلة ظليلة .

قد يقال إن مؤلفى الأدب فى الغرب ينالون كثيراً من المال عائداً لكتبهم التى توزع بالملايين ، ويضفى عليهم ذلك متعة ونعمة ... وهذا شيء عظيم ورزق حلال ، ولكنه يجيء بدون قصد ، بمعنى أن الأديب ينتج ما ينتج كغدة تفرز ما خلقت لتفرزه ، ليس حافزه ولا فى باله ما سيدره العمل الأدبى من مال ، ويجيء بعد ذلك ما يجيء من الدخل كمكافأة له غير محسوب حسابها من الأصل .

أعتقد أن مؤلفة قصة «ذهب مع الريح» - مثلا - لم تكن عندما كتبتها تظن أنها ستجنى منها ما جنت ، ولم يكن ذلك حافزاً لها على الكتابة ، ثم همى الغيث ... على أن المثير للانتباه أن الغيث الذى همى لم يحفز الكاتبة على انتاج بعد القصة الفريدة ... وهذا يقطع بأن المال لم يكن باعثها .

نعود بعد ذلك الى أصحابنا فى هذا الجيل الذين يبددون طاقاتهم ومواهبهم هنا وهناك فى أعمال كان الانتاج الأدبى والتسلح له أولى بها . ليسوا كلهم سواء ، ولكن الظاهرة الغالبة هى ما نرى ، وهى التى تجر الركود الى حياتنا الأدبية . وقد نلتمس لهم العذر بان يكونوا عائلين وتلك الأعمال الخارجة عن نطاق الأدب تجذبهم وتغريهم وتلبى حاجاتهم الى المال . ولكن النتيجة هى ما نرى : كساد فى الأدب وضعف فى الانتاج ، ثم شكوى صارخة من ضعف الحياة الأدبية .

تلك هى المشكلة ، فما الحل ؟

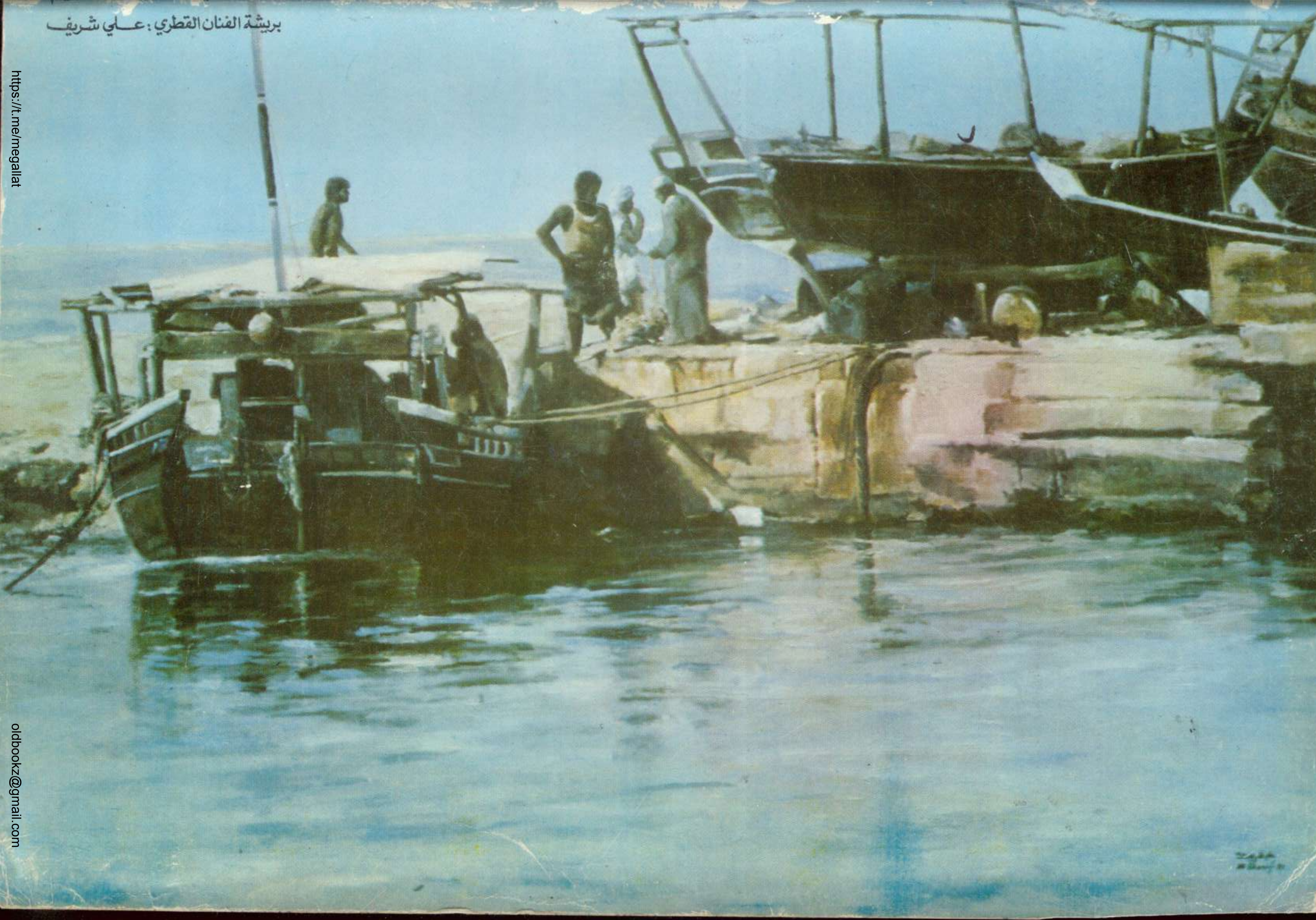
لا شك أن ما تفعله بعض الحكومات العربية من تشجيع وبذل فى هذا السبيل لا شك أن هذا مجد ، ولكنه ليس كل شيء ، ولن يستطيع أحد أن يرغم المتأدبين على عشق الأدب والعكوف عليه واستعذاب المعاناة فى سبيله . وعاشق ليلى لم يلفت أحد نظره اليها ، ولم يطالب بعشقها .

إنما هى الطبيعة أو هو الله خالق الطبيعة ، هو الذى يخلق ما يشاء ومن يشاء ويوجه الى ما يشاء . وليس لنا عند امتناع المطر إلا صلاة الاستسقاء ...

عباس خضر


PEPSI

بريشة الفنان القطري: علي شريف



السنة السادسة العدد ٦٥ ـ رجب ١٤٠١ هـ ـ مايو ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية




MIRINDA

الدوحة

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٥ مايو ١٩٨١

الأسعار:

قطر ٤ ريالات	تونس ٣٠٠ مليم
البحرين ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٣ دنانير
الامارات العربية ٤ دراهم	المغرب ٣ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة	باقى دول العالم :
الكويت ٢٥ فلسا	ما يعادل دولارين امريكيين
السعودية ٤ ريالات	الاشتراكات : داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا	بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا	فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
العراق ٢٥٠ فلسا	للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات :
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس	داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
سوريا ٢٠٠ قرش	بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
لبنان ٢٠٠ قرش	فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
مصر ١٥٠ مليما	الاعلانات :
السودان ٢٠٠ مليما	يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات
ليبيا ٣٠٠ درهم	

المراسلات:

التحرير والادارة :
ص.ب - ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقى :
المجلة : الدوحة .
تلكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٣٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى :
٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ماينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

طبعت بمطابع علي بن علي . الدوحة - قطر



غازى القصيبى



د. اياد القزاز



د. يوسف إدريس



كين ويتنجهام

فى هذا العدد

كلمة

من أجل العرب جميعا
لا من أجل الخليج فقط

فى نهاية هذا الشهر ينعقد مؤتمر قمة دول الخليج ، وسوف يكون هذا الاجتماع بداية مرحلة جديدة فى مجال « التعاون الخليجى » ، تنطلق بعدها فكرة هذا التعاون بالخروج الى نطاق الواقع التطبيقى المباشر .

والحقيقة أن « التعاون الخليجى » هو خطوة لتحقيق مزيد من المصلحة المشتركة لأبناء الخليج ، ولكنه فى نفس الوقت خطوة كبيرة من أجل تحقيق المصلحة العربية المشتركة .

فالتعاون الخليجى ليس من أجل الخليج فقط ... ولكن من أجل العرب جميعاً .

إن الواقع السياسى العالمى يؤكد يوماً بعد يوم ، أن « منطقة الخليج » قد أصبحت من أخطر مناطق العالم تاثيرا وقوة ، وخاصة بعد الموقف الخليجى الصامد فى حرب ١٩٧٣ ، ومن أجل هذا كله فان اعداءنا ، وعلى رأسهم اسرائيل والحركة الصهيونية من ورائها ، إنما يعملون بصورة دائمة على محاربة دول الخليج فى كل ميدان وفى كل مجال ، فالاعلام الغربى الخاضع لتأثير الصهيونية ،لا يكف عن إطلاق التهم الصغيرة والكبيرة ضد الدول البترولية ودول الخليج على وجه الخصوص وعلى رأس هذه الاتهامات أن دول الخليج ، وغيرها من دول البترول هى مصدر « الأزمة الاقتصادية العالمية » ، بسبب الارتفاع فى أسعار البترول ، بالاضافة إلى اتهامات أخرى ، أصغر أو أكبر ... والحقيقة وراء مثل هذه الاتهامات أن « الخليج » قد أصبح قوة حقيقية مؤثرة بالنسبة للأمة العربية كلها . إنه يساهم بنصيب واسع فى مسئولية النهوض الحضارى ، وفى مسئولية المواجهة ضد الصهيونية ، وفى مسئولية العمل على توحيد الصفوف العربية ، وإنهاء الخلافات بين الأشقاء ، وفى تحمل مسئولية التنمية والاستثمار ، لمواجهة مشاكل الحاضر والمستقبل ، كل هذه « المواقف الخليجية » انتهت فى آخر الأمر الى أن يصبح الخليج قوة مؤثرة بالنسبة للحاضر العربى والمستقبل العربى معاً . وهذا هو السر الرئيسى وراء الحملات المليئة بالافتراء والتشويه والتشويش ضد الخليج .

وفى هذه الظروف التى تمر بها الأمة العربية ، يكون التعاون الخليجى خطوة كبرى فى مسيرة الأمة العربية ، نحو التخلص من مشاكلها ومصاعب حياتها ومواجهة أعدائها مواجهة حاسمة .

إن القمة الخليجية وما سوف يتبعها من خطوات على طريق التعاون سوف ينعكس أثرها بوضوح ــ لصالح العرب والمسلمين جميعاً ــ على هذه المشكلات :

١ ــ موقف اسرائيل المتصلب من القضية الفلسطينية .

٢ ــ المقاومة الفلسطينية وجهادها الشريف من أجل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

٣ ــ الأزمة اللبنانية وما يعانيه شعب لبنان من آلام انتهت بمقتل ٦٠ ألف لبناني خلال ما يقرب من ست سنوات ، بمعدل عشرة آلاف قتيل كل عام .

٤ ــ مشاكل التنمية فى البلاد العربية والاسلامية الفقيرة .

٥ ــ أزمة افغانستان المسلمة المحتلة بقوات أجنبية .

وفوق ذلك كله ، فسوف يكون للقمة الخليجية ، وما يتبعها من خطوات فى مجال التعاون الخليجى أكبر الأثر على تحقيق الصورة السليمة لأمن الخليج ، بقوة ذاتية للخليج نفسه ، وبدون السماح بأى تدخل خارجى .

بقيت كلمة عن دور قطر ، حيث كانت قطر دائماً فى مقدمة الصف فى مجال التعاون الخليجى مع إخوتها وأشقائها ، وسوف تواصل الطريق من أجل الخليج .. ومن أجل العرب جميعاً .

الدوحة

● أصل الفولانى ●

فى العدد رقم ٦٢ ـ فبراير ١٩٨١ ـ كتب الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر ، بحثاً تاريخياً ممتعاً عن قبائل «الفولانى» الافريقية .

وقد استعرض سيادته الآراء المختلفة ووجهات النظر المتباينة عن أصل «الفولانى» ولم ينته الى رأى قاطع . فهل أصلهم الحقيقى لم يعرف حتى الآن ؟

نور علي احمد
قفط ـ صعيد مصر

● الهوسا .. ! ●

طالعت فى العدد رقـــم ٦٠ ـ ديسمبر ١٩٨٠ ـ مقالا عن الهوسا بقلم الدكتـــور حســـن عيسى عبد الظاهر ذكر فيه أن الهوسا يسيطرون على التجارة فى جميع أنحاء السودان الأوسط وأن لغة الهوسا هى لغة المعاملات التجارية .

وهذا ـ فى رأيى ـ مخالف للواقع فلغتنا فى جميع أنحاء السودان هى العربية وليس هناك سيطرة لأحد على التجارة فى أى منطقة بالسودان . فعلى أى أساس ذكر الدكتور عبد الظاهر المعلومات التى وردت بالمقال ؟

أسامة سراج حسن
السودان



● عرضنا الرسالتين على الدكتـــور حســـن عيسى عبد الظاهر الذى أجاب عنهما بما يلى :

ـ بالنسبة للسؤال الخاص «بالفولانى» فقد ذكرت فى مقالى ذاك أن محاولة تحديد أصلهم قامت على آراء ونظريات معظمها حدسى أو استنتاجى ، وأن الروايات تنتهى غالباً الى أن أصول «الفولانى» أتوا من الشرق ، وعلى ذلك فلا يمكن للمجازفة بالجزم برأى أو ترجيحه فى تحديد أصلهم حتى الآن على الأقل ، ولعل البحث العلمى والتاريخى يصل الى قطع فى ذلك مستقبلا .

ـ أما بالنسبة بالتساؤل الخاص «بالهوسا» ، فان المعنى باسم «السودان» فى المقال هو المصطلح القديم ، وهو ما كان معروفاً فى كتابات علمائنا المسلمين من جغرافيين ومؤرخين من أمثال الاصطخرى الذى ذكر أن السودان يطلق على الحزام الممتد فى قلب قارة افريقية من الغرب الى الشرق ، ثم تحدد وقصر على تلك المنطقة شبه الصحراوية التى تغلغل فيها الاسلام والتى تعرف الآن بغرب افريقيا ، وبقى هذا المصطلح سائداً حتى القرن الماضى .

وكذلك اسم السودان الأوسط كان يعنى المنطقة بين النيجر الأوسط الى القرب من غرب دارفور ، ويسمى أيضاً غرب افريقيا ، وليس المعنى بحال المصطلح الحديث لهذا الاسم وهو سودان وادى النيل .

أما العبـــارة التى استوقفت القارىء ، فلو أعاد النظر فيها لوجد أن المعنى بها هى مرحلة ما بعد انهيار «امبراطورية صنغى» فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى .

● الفنان جمال قطب ●

الى الفنان الأستاذ جمال قطب :

عايشت فنك وتعلمت الذوق من ريشتك منذ كنت تعمل مشرفاً فنياً لدار الهلال ، وكم تمنيت أن التقى بك ، لارتشف من منبع فنك العظيم .

ملايين القراء تسعدهم لوحاتك وكتاباتك فى الفن وعنه ، على صفحات الدوحة ، ونستزيدك كتابة ورسماً .

هل يتكرم فناننا الكبير جمال قطب بأن يرسل لي صورة له .. أرجو ذلك .

ابراهيم محمد السندى
مدينة عيسى ـ البحرين

من تجـــاربي الشخصيـــة

أنا أم « سعيد وهناء » .. كنت أعيش فى بيت زوجى «عبد الله» حيث كان الحب يعبق فى المكان برائحته الذكية ، فيشبع بطوننا التى لم تمتلىء يوماً بطعام ، والسعادة كانت موسيقانا التى نعزفها قبل النوم لتريح أجساماً أضناها البحث عن لقمة العيش .

وفجاة تداعت أركان ذلك العش السعيد ، فقد ظلت تنفث فيه أمى سمومها حتى هدمته ..

كانت أمى من ذلك النوع الذى تستهويه مظاهر الثراء ويطرب لرنين المال ، .. تزوجت أبى عندما كانت تنحنى له الرءوس ، وتمتد إليه الأيدى طالبة الود والصداقة والعطاء ، وأفلس أبى بعد ولادتى بعامين ، فانفض الأصدقاء وولى هرباً منه الأقربون ، حتى أمى لم ترحم ظروفه الصعبة ، فهجرته ، الى زوج آخر تفوح منه رائحة المال .

بقيت مع أبى فترة نقاسى معاً صروف الحياة ، حتى مات ، فانتقلت للاقامة مع أمى وزوجها الثانى .. وضاق بى زوجها ذرعاً ، وكنت قد تعرفت «بعبدالله» الشاب الجامعى المكافح ، ولمس ضيقى فعرض علي الزواج ، وقرر أن يعمل ، ويكمل دراسته مساء .

ورحبت بذلك ورحب زوج أمى ، وانتقلت الى بيت زوجية متواضع ، وإن كانت تملأ جوانبه السعادة .

وبذل «عبد الله» غاية مايبذله إنسان نبيل .. كان يعمل نهارا ويدرس ليلا الى أن انهى دراسته الجامعية والتحق بعمل افضل ، واضطر الى كثرة السفر والترحال .

وضجرت بالوحدة رغم «سعيد وهناء» والتمست الصحبة عند بعض الصديقات ، رغم وجود أمى معى بعد أن هجرها زوجها .. والتقيت بذلك الشاب الغنى الوسيم «فريد» ، فاثمرت نصائح أمى وإغراء فريد .. فهو يريدنى ليعوضنى عن فقرى ووحدتى ..

وقاومت فترة ، واستسلمت بعدها .. فقد أخذت صورة «عبد الله» المسافر دائما تتضاءل ليحتل مكانها وجود «فريد» قريباً منى .

هجرت بيت الزوجية الى آخر أعده فريد لي ولأمى معى ، وطلبت الطلاق من «عبد الله» وأصررت عليه فأعطانيه واحتفظ بسعيد وهناء .

مضت أشهر قليلة ، وماتت أمى .. ثم هجرنى «فريد» .. وعشت وحيدة أجتر آلامى وأقاسى عذاب الوحدة .

وكبر سعيد وكبرت هناء وتزوجا وفوجئت بهناء تأتينى يوماً باكية شاكية ، لقد ملت حياتها مع زوجها ، وتريد أن تطلق منه ، لتتزوج من آخر أغراها غناه ، وغشى ناظريها كلامه المعسول .. !

فزعت وهلعت .. وعاد بي شريط الذكريات القاسية الى قصتى وقصة أمى من قبلي .. وتخيلت «هناء» وقد تردت الى ماصار إليه أمرى وأمر جدتها .. وانهرت لحظات ، واستجمعت بعدها شتاتى ، وتمالكت نفسى .. وجلست أقص عليها الحقيقة كاملة .. !



«حمدوني نعيمة»
الرباط ـ المغرب

• ملاحظتان على هوامش البخيلة •

مع استمتاعى الدائم بمجلة الدوحة ، اطلعت على صفحات العدد رقم (٦٢) بشوق كبير ..

وأود هنا أن أقول ،وهذا حق على كل قارئى الدوحة ، اننى قرأت «تعليقات وهوامش» عن مسرحية البخيلة ووجدت أن بها خطئين ، ففى رقم (٧٧) هناك ثلاثة أبيات للشاعر أبو العلاء المعرى وبعد قراءتى لعدة مراجع وجدت نص البيتين الأول والثانى كما يلى :

وقال السها للشمس أنت خفيـــة
وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحيـــاة ذميمـــة
ويا نفس جدى إن دهـــرك هـــازل

وكذلك فقد ورد فى رقم (٤٤) بيتان من الشعر «لاحمد ناجى» الذى قد يكون الشاعر ابراهيم ناجى .

عبد الكريم عمر التميمى
حضرموت ـ اليمن

• بالنسبة لأبيات المعرى فهناك أكثر من رواية من بينها روايتك ، وهذه مسألة شائعة فى الشعر العربى القديم .. أما بالنسبة لملاحظتك الأخرى ، فقد ورد خطأ فى المجلة احمد ناجى والصواب هو الشـاعر ابراهيم ناجى كما ذكرت .

• المستشرقـــون وهواة القراد •

أشكر للسيد محمد عبد الله الهادى من فاقوس ج.م.ع تصحيحه العلمي ، فى العدد ٦٣ من الدوحة ، فى مقالى عن المستشرقين وهواة القراد من تسميتى للقراد حشرة .

تصف المصادر العربية القديمة القــــراد بانه دويبة . ويسمى قاموس المورد القراد حشرة . كما أن قاموس وبستر الانكليزى يطلق هذا الأسم فى معنى ثان على أصناف يصفها بانها حشرات طفيلية . هذا عدا عن أن موسوعة انسيكلوبيديا أونيفرساليس الفرنسية الحديثة تقول عن صنف العنكوبوتيات الذى ينتسب إليه القراد بانه كان يعد من الحشرات عديمة الاجنحة قبل أن يزداد التصنيف تفصيلا ويفرد ذلك الصنف فى زمرة خاصة به .

واحسب أنى لو كنت كتبت فى مقالي ، بدلا عن حشرة القراد ، عنكبية القراد أو عنكبوتية القراد لكان علي أن أورد شرحاً كي يصبح هذا التركيب مفهوماً . فليغتفر هذا التعميم ، أو هذا التجاوز البسيط ، فى مقال مكتوب لغير المتخصصين من المثقفين .

د. عبد السلام العجيلي
سورية ـ الرقة

• ردود سريعة •

• القارىء : الوردانـــى عبد الرزاق .
مكناس ـ المغرب
ـ اقتراحكم منفذ ولكـــن بصورة أخرى فى مسابقات المجلة .

• القارىء : ماهـــر محمد عبد القادر ـ كلية الهندسة والتكنولوجيا ـ حلوان
ـ ما أشرت اليه فى رسالتك هو خطأ مطبعى غير مقصود نشكر لك اهتمامك ودقة ملاحظتك .

هؤلاء ..

تقرألهم في العدد القادم والأعداد القادمة

- د. أسامة عبدالرحمن
- د. محمد متولي الشعراوي
- محمود شيت خطاب
- يوسف الشاروني
- د. عيسى الناعوري
- محمد العزب موسى
- أبوالمعاطي أبوالنجا
- د. نورية صالح الرومي
- د. حسن عيسى عبدالظاهر
- محمد العدناني
- حسان عطوان
- عبدالله الطوخي
- محمد إبراهيم أبوسنة
- أحمد شفيق أبوعوف
- د. أحمد عثمان
- سمير فريد
- محمد البساطي
- عباس خضر
- صلاح الدين المقريزي
- حسن طلب

وابتداء من العدد القادم
لقاء شهري
مع الكاتب الإسلامي الكبير
خالد محمد خالد

رأيـــت



بعد غروب شمس احد الأيام ، وبعد أن انسدلت ستائر الظلمة على الكون ، قادتنى قدماى الى ميدان التحرير ، لأخفف ضجرا اعترانى .

ارتقيت درجات الكوبرى العلوى ، لأبعد نفسى عن زحام الميدان ، وعند نهاية هذه الدرجات وصل الى سمعى نداء خافت يحلول جاهداً أن يشق الضجيج من حوله ليصل الى أسماع المارة ، وكانت نبراته تتضح قليلا قليلا كلما دنوت من مصدره .

ووجدت نفسى بعد قليل ، اتوقف عند مشهد غريب .. غلام دون الثانية عشرة من عمره ، ينتحى جانباً من الكوبرى تحت أعمدة الضوء ، يفترش قطعة من «الخيش» ويسند ظهره الى الحاجز ، واضعاً أمامه بعض الكراسات والأقلام يبيعها ، ويمسك بين يديه كتاباً مدرسياً يستذكر منه دروسه .

الغلام غير عابىء بزحام المارة حوله ، ولا بضجيج السيارات أسفل الكوبرى ، ولا يلتفت لأحد ، إلا عندما يعلن ـ بين الفينة والأخرى ـ عن سلعته ، وإلا إذا تقدم احد الناس ليشترى منه قلما أو كراسا ، فتتهلل أسارير وجهه ، وتفتر شفتاه عن بسمة رضا وسعادة ريثما يضع القروش فى جيبه بحرص وعناية ، فهى وسيلته لمواجهة الحياة ، وهى عصاه التى يتوكأ عليها ليرقى سلم العيش ، ويهش بها صروف دهره ، ثم ينصرف مرة أخرى بكل حواسه الى كتابه ، يعتصر فكره ليعتصر ما فى الكتاب من علم ، ويكاد أن يذوب كل منهما فى الآخر .

واخذت أرقب وجهه ، فارى فيه علامات التصميم والارادة ، ليقهر الزمن أو يقهر واقعه الأليم ، ويكاد يفتت قلمه بين أنامله كلما خط بضع كلمات فى هامش الكتاب ، وكأنه فنان أصيل ينحت فى صخر صلد تمثالا مجسدا يكاد ينطق بالحياة .

ونظرت إليه وهو يقلب صفحات كتابه ، وكأنما يطوى مع كل صفحة منه ، يوماً من أيام الحاضر المؤلم ، ليجعل منه ماضياً لاتتكرر أحداثه ، وليستحث الخطى مع كل صفحة مقبلة ، ليجعل منها شعاعاً يضيء له المستقبل المبهم .

وتركته ومضيت .

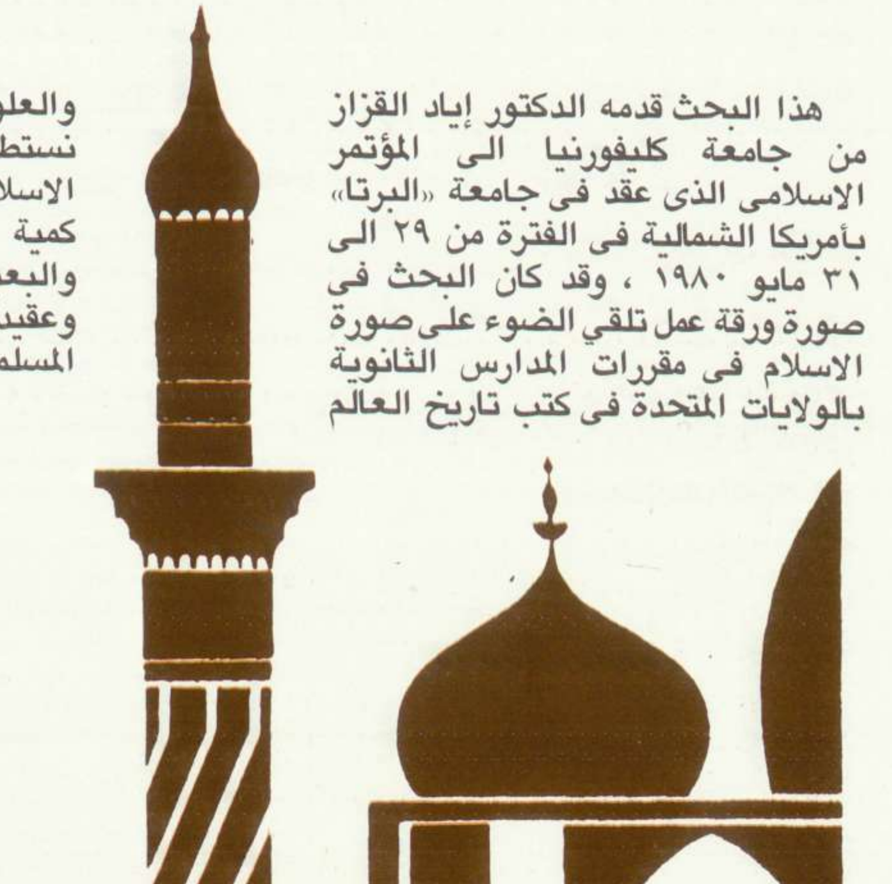
« أحمـد محمود الكناني »
كلية الأعلام ـ جامعة القاهرة

صوت عربي من الولايات المتحدة:

صورة الإسلام والمسلمين في الكتب المدرسية الأمريكية

د. إياد القزاز

هذا البحث قدمه الدكتور إياد القزاز من جامعة كليفورنيا الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى جامعة «البرتا» بأمريكا الشمالية فى الفترة من ٢٩ الى ٣١ مايو ١٩٨٠ ، وقد كان البحث فى صورة ورقة عمل تلقي الضوء على صورة الاسلام فى مقررات المدارس الثانوية بالولايات المتحدة فى كتب تاريخ العالم والعلوم الاجتماعية ، وتقدم الحلول التى نستطيع عن طريقها أن نصحح صورة الاسلام فى أذهان الطلاب الذين يتلقون كمية غريبة من المعلومات المشوهة والبعيدة كل البعد عن طبيعة الاسلام وعقيدته الراسخة فى قلوب ملايين المسلمين فى العالم كله ..



التصورات هى مجموعة الصور التى يكونها شخص ما عن آخر ، أو مجموعة ما عن أخرى . ولمحتواها أثر بعيد فى صاحبها فى تعامله وردود فعله تجاه الآخرين . فهى تشكل مواقفه سلباً وايجاباً ، وحياداً ، وانصرافاً عن الاهتمام . ولذا يهتم دارس السلوك الانسانى اهتماماً كبيراً بتقصى ودراسة المصادر التى يستقى منها الناس تصوراتهم عن الآخرين .

وقد أجمع علماء الاجتماع والسلوك على أن التجربة التى يمر بها الانسان فى المدرسة تشكل مصدراً أساسياً فى تكوين تصوراته عن الآخرين . فالمدرسة كمؤسسة تأتى فى المكان الثانى مباشرة بعد العائلة من حيث تأثيرها الدائم والقوى . والواقع أن كل أمريكى مولود فى هذا البلد يمر بتجربة هذه المؤسسة ، وكثيرون هم أولئك الذين يقضون الجزء الأكبر من يومهم بها . كما أن المدارس الابتدائية بوجه خاص تستقبل الأطفال

فى سن مبكرة وقابلة للتأثر والتشبع العميق بما يلقى عليها .

دور الكتب الدراسية

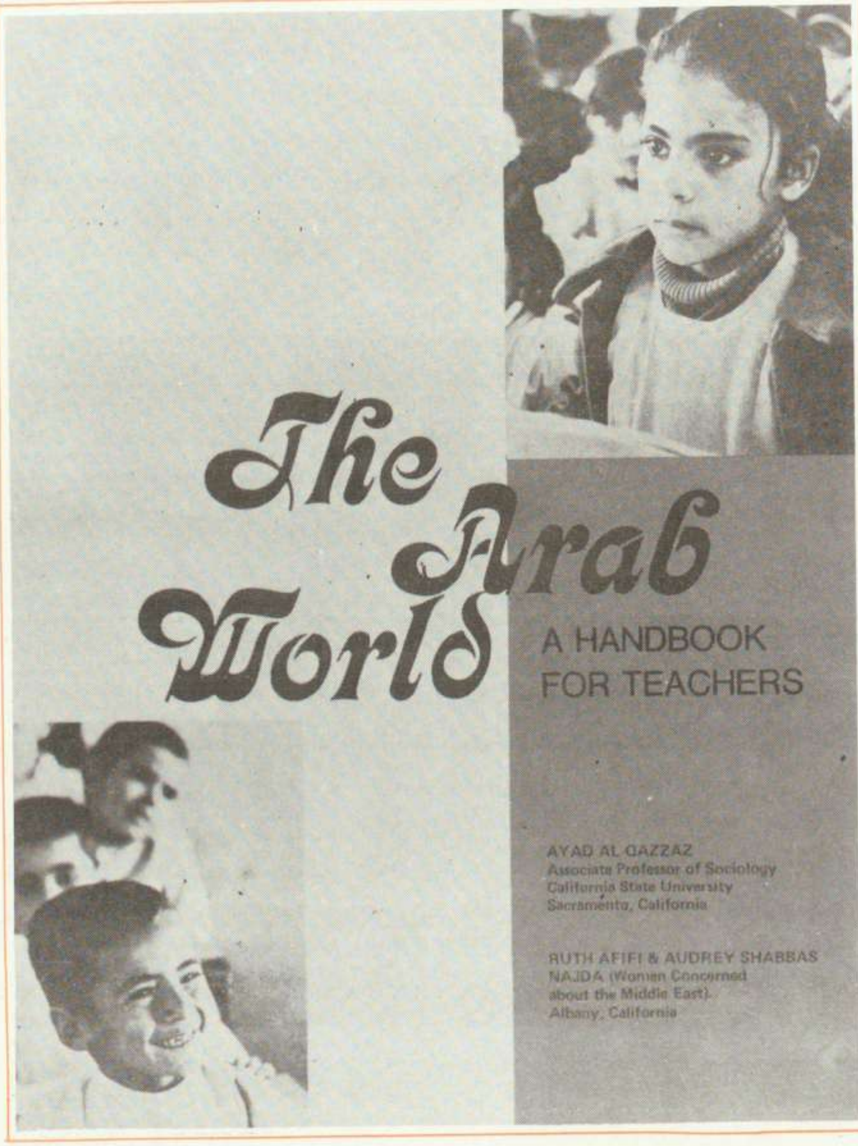
والكتب الدراسية المقررة ركن أساسى فى النظام المدرسى . وهى عماد التعليم الرسمى فى كل المراحل المدرسية . وفى المراحل الابتدائية والثانوية يعتمد المعلمون اعتماداً شديداً على تلك المقررات كمصدر للمعرفة وكأداة رئيسية فى قيامهم بالتدريس .. سواء كان ذلك لعدم اكتمال تدريب المعلم أو عدم اهتمامه أو ضيق وقته . فالمدرس العادى فى المرحلة الابتدائية ، كما يقول الدكتور جويس ، مطالب بأن يحيط بجملة من المواضيع تشمل أدب الأطفال ومادة قراءتهم ، والرياضيات والعلوم . ولا يمكن بالطبع لكل معلم أن يكون خبيراً فى مجالات بكل هذا الاتساع ، ولذا فان مدرس الصف العادى يعتمد اعتماداً أشبه ما يكون كاملا على الكتب الدراسية المقررة وعلى المرشد الخاص بكل مادة .

ويضيف د. جويس أن المشكلة تتخذ شكلا أكثر حدة فى المرحلة الثانوية ، لأن المدرس بها يعمل بين ما يقارب المائة وخمسين طالباً فى اليوم الواحد ، ولا يتسنى له من ثمة أن يفصل المادة لكل واحد منهم ، أو حتى لكل صف ، الأمر الذى يضطره الى الاعتماد على المادة الجاهزة .. وهى المقررات .

فالكتب المقررة ، وخاصة تلك المتعلقة بالانسانيات والعلوم الاجتماعية ، هى المصدر الأول الذى يتزود منه الطالب بمواقفه ومعتقداته ومشاعره تجاه عالمه الخاص به ، وتجاه من هم من بلدان أخرى ذات خلفيات مغايرة . فهى التى توفر للاطفال والمراهقين المعلومات الضرورية لمعرفة التاريخ الانسانى وثقافات العالم . وهى جزء لا غنى عنه فى عملية التعليم والتعلم .

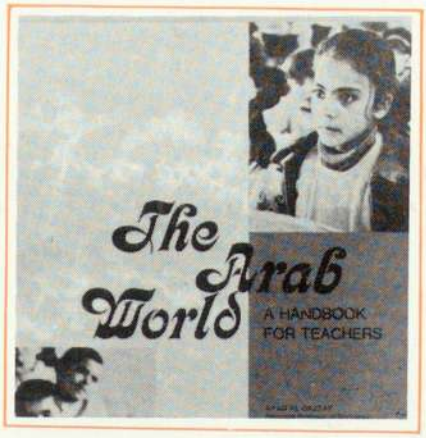
البذرة الأولى للحصاد

وتشـــير الدراســـات الخاصـــة بالسيكولوجية الاجتماعية المرتبطة



بعملية التشكيل الاجتماعى الى أن المعرفة التى يتم تحصيلها فى المدرسة الابتدائية والمرحلة الثانوية ذات أثر عميق ودائم ، ويمكن ارجاع المواقف التى يتخذها البالغون تجاه مجموعات معينة الى ما استقوه من صور بالمدرسة . ولذلك نجد أن كل أو معظم حكومات العالم تمارس قدراً كبيراً من السيطرة على المؤسسات التعليمية وخاصة المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وتراهما أخطر من أن تتركا لرغبات وارادة الأفراد . ويمكن القول بان نوعية الحياة ومعدل ومدى التطور الاجتماعى والاقتصادى كلها يعتمد الى حد بعيد على ما تقدمه المدارس من تشكيل لتصورات التلاميذ ، وان الحكومات المختلفة تستخدم الكتب المقررة والمعلمين لبث المعرفة بين تلاميذ بلادها عن بلدهم كما عن الدول الأخرى ، وبالتالى فان المقررات وسيلة من وسائل بث تصورات سلبية عن الدول الأجنبية .

ويتم ذلك عن طريق الحذف (الاغفال) أو الاضافة . والحذف هو عدم مناقشة المواضيع التى يمكن أن تسلط ضوءاً ايجابياً عن الدولة أو الأمم المقرر دراستها . أما الاضافة فهى حشد معلومات ناقصة أو مبتورة أو عديمة الدقة ، أو متحيزة أو مغلوطة أو غير ذات صلة مباشرة بالنص ، وذلك بقصد ايقاظ وبث تصورات سلبية ، أو مشوهة عن الأمة أو الأمم قيد النقاش .



صورة الإسلام والمسلمين
في الكتب المدرسية الأمريكية

ويمكن القول مع لوثر ايفانز بان الكتب المقررة والمعلمين هم البذرة الأولى لحصاد كبير من التفاهم الدولى والصداقة اذا تم تقديم الحقائق نوعاً وحجماً صحيحة .. أو البذرة لحصادمن الحقد وسوء التفاهم والاحتقار بين الشعوب وطرق العيش المختلفة اذا قدمت الحقائق فى غير ما توازن ، ومغلوطة مشوهة .

وتظهر مشكلة التحيز والتشويه والحذف وسوء التقديم هذه أكثر ما تظهر فى المادة المقررة عن الاسلام . وقد اعترف العلماء بأبعاد هذه المشكلة .. واظهرت دراسات عديدة ضرورة القيام بمراجعة كبيرة لتصحيح هذا الموقف .

أبعاد المشكلة

تستخدم هذه الورقة طريقة التحليل النوعى للمحتوى ، التى طورت فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن لدراسة وسائل الاعلام ، واستخدمت فى دراسة مواد أخرى منها الوثائق الشخصية والمقابلات والاختبارات ، وسجلات المرضى ، والكتب المقررة .

وقد أخذنا وحدة للتحليل فى هذه الدراسة هى فصول أو صفحات من كتب العلوم الاجتماعية وتاريخ العالم فى مقررات المدارس الثانوية ، والتى تناقش وتعرض الاسلام ، وتم التركيز على :

- الصور أو الخرائط .
- الصفحات التى تستخدم فى تقديم الاسلام .
- المعلومات الخاطئة أو المشوهة أو الفاقدة للدقة .
- المعلومات التى حذفت ، والتى كان يمكن أن تعطى صورة ايجابية عن الاسلام .

والكتب المختارة للتحليل كلها صادرة فى عام ١٩٧٥ أو بعد ذلك التاريخ ، لأن الدراسات السابقة قد درست الكتب الصادرة قبل عام ١٩٧٥ .. وقمنا باجراء مقارنات ومقابلات مع تلك الدراسات السابقة للوقوف على الفرق بين محتويات الكتب الجديدة والقديمة ، ومعرفة مدى التغيير الذى طرأ مع مرور الزمن . والمشكلة التى قامت أمامنا فى تلك المقارنة مشكلة فى أسلوب البحث ، إذ أن الدراسات السابقة لتحليل المقررات كانت قد تمت فى اطار أوسع هو دراسة صورة الشرق الأوسط أو العرب ، مما جعلها عامة ومقتضبة . ولن تتم مقارنتها من جانبنا إلا حين تتصل بموضوعنا .

وقد حددنا مدى انتشار واستخدام المقررات فى الأجزاء المختلفة من الولايات المتحدة على أساس قوائم الكتب التى جمعت من (ورش العمل) الخاصة بمعلمى المدارس الثانوية فى كاليفورنيا ونبراسكا وواشنطون دى سى فى عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ . وكان قد طلب الى المعلمين فى ورش العمل تلك أن يضعوا قوائم بأسماء كتب المقررات التى يستخدمونها أو أوصوا باستخدامها من قبل سلطات التعليم بالولاية أو المنطقة فى باب تدريس تاريخ العالم أو ما يتصل به .

والكتب التى تم مسحها وتحليلها فى هذه الدراسة هى تلك المذكورة فى كل القوائم التى أعدها المعلمون . وقد افترضنا أنها مستخدمة فى الولايات الأخرى بناء على أن المقررات كلها تطبع وتنشر من قبل شركات خاصة يهمها أن يتم التوزيع على المستوى القومى الأوسع ، وان الولايات المتجاورة تتبادل خبراتها ومن ثمة تؤثر على بعضها فى انتقاء الكتب المقررة ، كما اننا اتصلنا هاتفياً بعدد كبير من معلمى الثانويات فى ولايات الغرب ، والغرب الأوسط ، والمناطق الشرقية من الولايات المتحدة فأكدوا لنا أنهم يستخدمون هذه الكتب المقررة فى ولاياتهم .

وقد قدمنا ما توصلت اليه هذه الدراسة تحت ثمانية عناوين رئيسية هى :

- تناول الاسلام بشكل عام .
- تسمية الدين .
- عدد المسلمين .
- صورة الرسول (ص) .
- الطبيعة العسكرية للاسلام .
- المرأة فى الاسلام .
- الصليبيون .
- متفرقات .

عناصر الاسلام

تقدم معظم الكتب المقررة العناصر الأساسية للاسلام بشكل سليم ، وتشمل العقيدة الأساسية ، وأركان الايمان ، والفرائض الخمس ، وحياة النبى (ص) . ولكن مناقشة ذلك كله تتم بشكل مختصر جداً . وتعترف المقررات بدور الاسلام ومساهمته فى صنع الحضارة العالمية بشكل عام ، ولكن ذلك الاعتراف يتم فى اختصار وتبسيط وسطحية ، ودون محاولة جادة لمناقشة وعرض ما تدين به الحضارة المعاصرة للحضارة الاسلامية فى مجال الرياضيات وعلم الجبر والفلسفة والطب والكيمياء .. الخ . أما وجود الاسلام فى اسبانيا حيث كان العلماء من كل الأديان يعملون معاً لمدة سبعة قرون لتطوير واحدة من قمم الحضارة العليا والثقافة فى أوربا الوسيطة ، فقد أهمل تماماً .

ولا تمثل معالجة الاسلام فى الكتب المقررة الجديدة أى تحسن ملحوظ بالمقارنة الى سابقاتها ، إذ أن دراسات كان قد قام بها الامى وكينى والقزاز وكريسفالد وبيرى قد أبرزت نفس النواقص والسلبيات .

توصيف الدين

- تسمية الدين :

استخدمت كل المقررات التى تم

مسحها لأغراض هذه الدراسة لفظة «الاسلام» لتوصيف دين المسلمين ، ولم يرد فى أى منها لفظ «الديانة المحمدية» ، بل إن واحداً من تلك الكتب المقررة يقترح على المدرس فى الجزء الخاص بالأسئلة أن يوجه للطلاب هذا السؤال : «لماذا يكره أهل المنطقة تسميتهم بالمحمديين؟» «الناس والثقافة ، تأليف أ . س غاربارينو ، ١٩٧٥ ص ١٦٧» .

ويؤكد كتاب آخر أنه (من الخطأ أن نسميهم محمديين ، لأن محمداً لم يقدم نفسه لقومه كإله) ويرد فى مقرر ثالث : «ان محمداً ، كما جاء فى القرآن ، هو واحد من رسل الله ، وبالرغم من أنه مكان تقدير كبير فان المسلمين لا يعبدونه باى شكل . لقد كان محمد واحداً من الذين اختارهم الله لتبليغ رسالته . ولذا فان الاشارة الأكثر صحة هى أن نطلق لفظ «الاسلام» على هذا الدين ، وليس «المحمدية» .

«إن وصف المسلمين بأنهم محمديون أمر يكرهه المسلمون لأنه يوحي بأن محمداً هو عنصر مركزى فى الاسلام ، بينما هو فى واقع الأمر مجرد رسول . وبعبارة أخرى ، فان محمداً بالنسبة للمسلمين لا تضفى عليه صفة التقديس مثلما تفعل المسيحية بالنسبة للمسيح (عليه السلام) » .

وفى هذه النقطة تمثل المقررات الجديدة تحسناً واضحاً بالمقارنة الى المقررات السابقة ، والتى وجد (ألامى) فى دراسته حول التعليم الابتدائى بولاية أوهايو فى الخمسينات لفظة «المحمدية» مستخدمة استخداماً متكرراً فى كثير من الكتب التى قام بمسحها ، كما أن كتب تاريخ العالم والعلوم الاجتماعية المستخدمة فى كاليفورنيا فى الستينات وأوائل السبعينات كانت تستخدم فى بعض الأحيان لفظة «المحمدية» لوصف الدين الاسلامى» .



لماذا التقليل ؟

● ــ عدد المسلمين :

تعمد معظم المقررات الجديدة ، كسابقاتها ، الى التقليل من عدد المسلمين فى العالم ، وكلها تقريباً تقدر عددهم باقل من خمسمائة مليون مسلم .. وتعتبر الاسلام ثانى أكبر الأديان فى العالم من ناحية عدد معتنقيه .

ولكن نظرة عاجلة للدول التى يمثل فيها الاسلام دين أغلبية الناس كافية لتدلنا على أن عدد المسلمين فى العالم يزيد عن ٧٠٠ مليون مسلم .

ليس من الدين

● ــ صورة الرسول (ص) :

وثمة خطأ آخر فى التصور تتضمنه هذه المقررات ، وهو تصوير الرسول (ص) فى كثير منها ، ووضع تعليقات شاذة تحت صوره . فقد قدم أحد المقررات رسماً فارسياً مصغراً للرسول (ص) وتحته تعليق هو : (محمــد وأتباعه : ما هى الصفات التى يراها الفنان فى هذا القائد الدينى ؟) .

وفى كتاب آخر رسمان للنبى الكريم وتحتهما هذا التعليق (حاول أهل مكة ذات مرة أن يرجموا محمداً بسبب تعاليمه الدينية ، وكانوا مغضبين . فقام تاجر معتبر من أهلها شفيعاً له عند القوم ، وأنقذ محمداً .)

لقد فشلت هذه المقررات وغيرها فى تعريف الطلاب بأن الاسلام فى القرن الثامن قد حرم رسم الجسد ، وتصوير الرسول (ص) . وبالرغم من عدم وجود نص صريح فى القرآن يمنع المسلمين من رسم الأجساد الحية فان مصدر التحريم هو قولة منسوبة الى السيدة عائشة زوجة النبى (ص) . وكان النبى (ص) قد وجدها تطرز صورة على مخدة ، فقال لها ما يعنى : ألا تدرين أن الملائكة لا تدخل بيتاً به صورة .. وأن راسم الصورة يعذب فى اليوم الآخر ؟ (الاسلام من أول عهده . تأليف د. ستيورات ، نيويورك ١٩٦٧ ص ١٠٥) .

العسكرية فى الاسلام

تعالت احتجاجات مؤلفى الدراسات السابقة ضد التركيز الشديد المبالغ فيه على الطبيعة العسكرية فى الاسلام فى المقررات . ولحظوا أن مناقشة موضوع الاسلام والحرب تتم وسط حشد من الألفاظ المنتقصة من قدر الاسلام ، وحشد من الأخطاء والادعاءات المغرضة ، والحذف والاغفال . مما يؤدى الى تكريس سوء فهم الرسالة الحقيقية للاسلام .

وقد أصرت المقررات الجديدة أيضاً على التركيز على الطبيعة العسكرية للاسلام .. كما تظهر ذلك المقتطفات التالية :

ففى كلمات تحت احدى الصور نقرأ «منظر سفينة حربية للمسلمين على الساحل الاسبانى» . ونقرأ تحت صورة أخرى «الغزاة المسلمون يحاصرون مدينة ماسينا فى صقلية فى القرن الحادى عشر» . والكتاب الذى وردت فيه هذه التعليقات لا يكتفى بتخصيص ثمانى صور للنزعة الحربية فى الاسلام ، بل يفرد صفحة كاملة لفكرة الحرب المقدسة فى الاسلام ، ويختمها بالسؤال التالى : «اتظن أن روح الجهاد مازالت مشتعلة فى يومنا هذا ؟ هل يمكنك الاتيان بشواهد على اجابتك ؟» .

ونجد أن نفس هذا الكتاب المقرر لا يخصص سوى ثلث صفحة للحضارة الاسلامية وأثرها على الحضـــارة العالمية .

ويصر كتاب آخر على أن محمداً ، على العكس من المسيح ، كان يمتدح ما أسماه بالحرب المقدسة . ويرى أن السيف هو مفتاح الجنة .. وأن من يستشهد فى المعركة مغفورة خطاياه ، ومثواه الجنة .

ونقرأ فى كتاب آخر :

«وكان المحاربون العرب يحملون السيف والايمان الراسخ الى المعركة ،

موقنين أنهم يدخلون حرباً مقدسة لنشر الاسلام .. ويقول القرآن (الكريم) ان من يستشهد مجاهداً له الفوز بالجنة» .

ويدعى مقرر آخر أن انتشار الاسلام كان سريعاً ، وأن محمداً دعا الى حرب مقدسة ضد الكافرين بالاسلام ، وأن العرب قد اجتمعوا الى جهاد اكتسح الشرق الأوسط حتى بلغ الغرب .

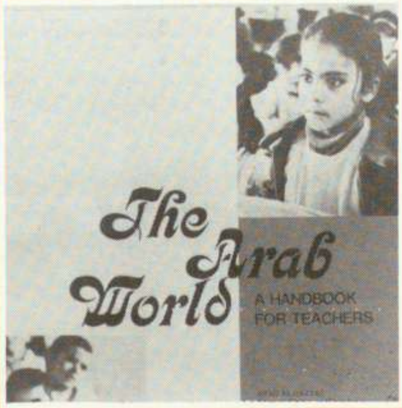
وفى نص آخر يدعى الكاتب أن الاسلام قد نص على ضرورة فرض الاسلام بالقوة على غير المسيحيين واليهود وأن الحرب المقدسة يمكن اعلانها لنشر الدعوة .

وآخر يقول : «وقد نشر العرب الاسلام عن طريق الحرب ضد جيرانهم» .

ويجيء ما يلى فى نص آخر : «فبينما استخدم اليهود والمسيحيون التبشير للدعوة لدينهم ، عمد المسلمون فى معظم الأحوال الى استخدام الحرب والعنف لنشر دينهم . وكان النصر حليف المسلمين فى حملاتهم لأن تكتيكهم الحربى كان ذكياً ، ولأن دافعهم كان هو الطمع فى الغنائم . وأهم من ذلك أنهم ما كانوا يهابون الموت فى سبيل دعوتهم ، لأن محمداً قد أقسم لهم بأن القتال فى سبيل الدين خير من الدنيا وما فيها ، وأن خروج أحدهم الى المعركة أفضل من صلاة ستة أعوام ببيته ..

التركيز على الحرب

إن التركيز على الحرب فى الاسلام فى كثير من الكتب المقررة يكرس الأفكار الخاطئة عن هذه الدنيا وذلك باثارة اقترانه بالحروب المقدسة والسيف . وقد فشلت معظم الكتب المقررة فى تعريف الطلاب بأن الدخول فى الاسلام لم يتم بين ليلة وضحاها وبالسيف ، وانما عبر عملية بطيئة استغرقت عدة قرون ، كما أن كثيراً من هذه المقررات قد عجزت عن شرح سياسة التسامح فى الاسلام تجاه أهل الكتاب ، الذين ظلوا ينعمون فى حمى الاسلام قروناً عديدة . وأغفلت هذه المقررات نصائح النبى (ص) وخلفائه الراشدين من بعده الى قادة جيوش المسلمين بالحرص على عدم تشويه أو قتل الطفل أو الشيخ المسن أو المرأة ، أو



صورة الإسلام والمسلمين في الكتب المدرسية الأمريكية

قطع النخل أو حرقه ، أو قطع أى شجر مثمر ، أو نفق الحيوان إلا لسد حاجة .

والأخطر من ذلك كله أن تلك المقررات لا تفصل بين الدين الاسلامى كما هو فى تعاليمه وبين الدولة التى قامت باسم الاسلام . فالاسلام مثل غيره من الأديان هو دين العدالة والمساواة والمثل السامية الرفيعة . ولقد كانت الدولة عبر القرون تسيء استخدام الدين الاسلامى ، وتمارس باسمه ما لا يمت اليه بصلة .. سعياً وراء مصالح من بيده الحكم .

المرأة فى الاسلام

وتنحو معظم الكتب المقررة كسابقتها الى رسم صورة مشوهة عن وضع المرأة ودورها فى الاسلام ، إذ يصفها أحد تلك الكتب كما يلى : «لقد وعد محمد (ص) الرجال من المسلمين حياة رائعة بعد الموت ، حيث يستلقون على أرائك مزينة بالجواهر ، ويقوم بخدمتهم ولدان مخلدون ، بأباريق وأكواب من أصفى وأجود الخمر ، وفاكهة مما يشتهون ، وطير مما يحبون . أما النساء فليس لهن أن يطمحن الى مثل ذلك النعيم بعد الموت لأن الإعتقاد الذى ساد هو أنهن بلا روح . (لندر ص ١٣٩ ـ ١٤٠) .

ويصور كتاب آخر المعاملة التى تجدها المرأة عند المسلمين كما يلى : «إن تعاليم الاسلام لتأمر النساء بالقيام بخدمة وطاعة أزواجهن وآبائهن وينص القانون الاسلامى على ألا يكشفن وجوههن أمام الغرباء ، وعليهن اخفاء الوجه حتى فى بيوتهن اذا جاء ضيف . ويمكن للمرأة أن تطبخ وتجهز الوليمة الفاخرة للضيوف ، ولكن لا يحق لها أن تشارك فيها . وعلى المرأة والفتاة أن تطعما ما يتبقى من طعام بعد أن يفرغ الرجال من طعامهم . ويعلم الابناء أن واجب أمهاتهم الرئيسى هو القيام بخدمتهم . أما البنات فلا يتم حسابهن حتى بين أطفال الرجل . (من كتاب بلدان الشرق الأوسط ص ٥٢ ـ ٥٣) .

إن مؤلفى تلك المقررات لم يكلفوا أنفسهم عناء اخبار القارىء بأن وضع المرأة فى الاسلام قد تحسن كثيراً بالمقارنة الى ما كانت عليه المرأة قبل الاسلام . فقد سجل التاريخ أن المرأة فى بلاد العرب قبل الاسلام كانت تعتبر من قبل الرجال مجرد سلعة تشترى وتباع ، وتورث . ولكن الاسلام قد منحها حق أن تتملك ، وتتصرف فى ما تملك كيف شاءت وأن تحتفظ باسمها بعد الزواج ، وأن تكفل القاصر ، وأن تقوم بالتجارة أو العمل ، وأن تقاضى الآخرين أمام المحاكم دون حاجة الى إذن من زوجها .. كما أن الاسلام قد بشر المؤمنين والمؤمنات بالجنة اذا خلصت أعمالهم وأعمالهن فى الدنيا .. وأن الحساب والجزاء لا يقومان على نوعية الجنس ، بل على العمل الصالح والتقوى وفق ما نادى به الاسلام .

الصليبيون

لا تلقى الكتب الجديدة اللائمة على العرب المسلمين فيما يختص بالحروب الصليبية ، بل تلقيها على الأتراك الذين غزوا الأراضى المقدسة وجعلوا الأمور صعبة للحجيج . ويورد أحد الكتب أنه «فى عام ٦٤٠ م فتح العرب فلسطين ، ولكنهم تسامحوا تجاه الأديان الأخرى ، وسمحوا للمسيحيين بمواصلة الحج الى أماكنهم المقدسة . ولكن الأتراك السلاجقة هاجموا الأماكن المقدسة عند المسيحيين ونهبوا واستعبدوا الحجاج منهم» (لندر ص ١٨٠) .

وتتفق كل الكتب على أن الأتراك

السلاجقة ، وهم قبائل بدوية دخلت الاسلام حديثاً ، هم الذين قاموا بنهب ومهاجمة الحجيج .

متفرقات

وقد اورد عدد من المقررات معلومات خاطئة ومضللة عن الاسلام . فقد ذكر أحدها أن المسلم الورع يصلى خمس مرات كل يوم فى بيته أو أى مكان آخر ، إلا فى يوم الجمعة ، حيث يجب أن يصلى فى الجامع . وبهذا يعطى المؤلف انطباعاً خاطئاً ومضللا ، فالمسلم يمكنه أن يصلى فى أى مكان يريد ، بما فى ذلك يوم الجمعة .

ويورد نفس المؤلف أن رمضان هو الشهر الذى ولد فيه محمد (ص) ... وفيه هاجر . والمعروف أن ولادته صلوات الله عليه وسلامه كانت فى ربيع الأول ، وهجرته فى محرم ، وموته فى ربيع الأول .

خاتمة

إن العرض القصير الذى قدمناه والمناقشة حول مقررات التعليم الثانوى فى الولايات المتحدة فى مجال تاريخ العالم الجديد والعلوم الاجتماعية ليكشفان عن سلبيات ونواقص كثيرة فى تلك المقررات . وقد وجدنا أن كل كتب المقررات تقريباً تنطوى على قدر كبير من المعلومات المضللة فى تناول عدد من القضايا المرتبطة بالاسلام ، وهى مضللة إما لنقص فيها أو لأنها منتزعة عن الاطار الذى نمت فيه ، أو لحشو فيها لا صلة له بالموضوع ، أو لأن المادة المقدمة لم يتم عرضها على الوجه السليم وبايفاء شرح سليم . وكل ذلك يؤدى بالضرورة الى تكريس المفاهيم المجترة حالياً عن الاسلام .

وقد أوضح العرض أيضاً أن التحسن فى تناول الاسلام وتقديمه لم يكن إلا طفيفاً فى السنوات التى مرت منذ اصدار المقررات السابقة التى غطتها دراسات سابقة ، إذ أن كل السلبيات والنواقص قد عادت مرة أخرى الى الظهور فى الكتب الجديدة ، وباختصار فان الحاجة الى تقديم الاسلام بشكل متوازن مازالت قضية عاجلة لكى يتسنى للطلاب أن يتعلموا بموضوعية الأسس الرئيسية للعقيدة الاسلامية والحضارة الاسلامية
ونقدم التوصيات والمقترحات التالية لتصحيح وتحسين تناول وتقديم الاسلام فى كتب مقررات المدارس الثانوية فى الولايات المتحدة :

● – دراسة صورة الاسلام فى مقررات المدارس الثانوية الأمريكية على أسس منتظمة ولسنوات طويلة أو لعدد من العقود وذلك لسببين : أولهما ، أن مثل تلك الدراسة ستوفر لرجال التربية وادارة التعليم سيلا متصلا من المعلومات عن نوعية المعلومات المتوفرة فى الكتب ، وتمدنا من جهة أخرى بالوسائل التى تمكننا من اكتشاف وقياس التغيير الى أفضل أو الى أسوأ فى نوع المعلومات المتوفرة فى كتب المقررات .

٢ – ان السياسة الأمريكية تقوم على الضغط والمجموعات المنظمة . ولذا يجدر بكل المهتمين بصورة الاسلام أن ينظموا أنفسهم للضغط على السلطات التعليمية المحلية واللجان التعليمية لاختيار الكتب الجيدة التى تقدم معلومات صحيحة وكافية عن الاسلام .

ويجب أن يمتد هذا الضغط المنظم الى الناشرين أيضاً ليحثهم على التحسين النوعى والكمى فى تناول الاسلام .

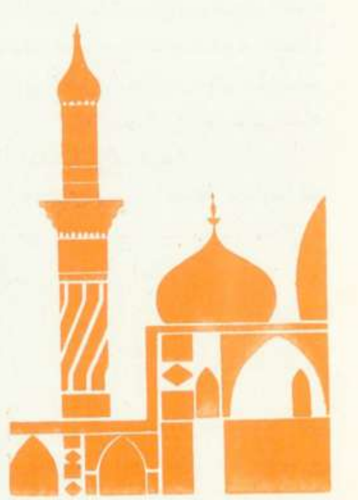
● – تنظيم حلقات دراسية وسمنارات ومؤتمرات حول الاسلام على أساس منتظم للمعلمين الذين يستطيعون حضورها ، وذلك بمصاريف اسمية ، وأن يقدم فى تلك اللقاءات محاضرات وشروح وعروض بواسطة خبراء فى المواضيع المختلفة المتصلة بالاسلام . ويجب بذل الجهود لتشجيع المدارس الخاصة فى المناطق على تقدير مثل أولئك المعلمين الذين يستفيدون من تلك اللقاءات .

● – بذل جهود منسقة لتطوير وحدة مختصة حول الاسلام فى كل المراحل ، للمعلمين والطلبة على حد سواء ، وأن تكون متوفرة بتكلفة زهيدة للمعلمين والطلاب .

● – اعداد قاموس متخصص عن الاسلام ، يتكون من ١٠٠ مادة فى كل صفحة أو صفحتين ، تناقش قضية أو مسألة متصلة بالاسلام ، وأن تكون كل مادة مدخلة مكونة من معلومات صحيحة ودقيقة حتى آخر لحظة ، وأن تذكر مراجع للقراءة للتوسع فى الموضوع ، وأن تكتب المواد المدرجة بلغة ميسرة للفهم فالغرض من هذا المعجم هو أن يكون بمثابة مرجع سريع للمعلمين والطلبة على السواء .

● – على المجموعات المسلمة فى كل أنحاء الولايات المتحدة أن تقيم مكتباً ممن يستطيعون تقديم الأحاديث فى المدارس متى طلب منهم ذلك ، على أن يكونوا من بين من لهم قدرة على التوصيل والاتصال فى مجال تقديم المعلومات للطلاب ، إذ لا يكفى كون الواحد منهم مسلماً ، أو حتى إماماً ، فالمهم هنا أن يتم اختيار شخص متمكن من لغة مخاطبة التلاميذ وقادر على الاتصال بهم وتوصيل المعلومات اليهم لتحقيق أفضل النتائج .

د. إياد القزاز



جامعة قطر
ومطالب المرحلة الحضارية

د. محمد إبراهيم كاظم

تحاول جامعة قطر أن تضع نصب عينيها وهى تخطط للمستقبل أن تحقق مطالب المرحلة الحضارية التى يمر بها المجتمع القطرى باعتباره جزءاً من مجتمعات أوسع هى المجتمع الخليجى والمجتمع العربى والمجتمع الاسلامى والمجتمع الانسانى .. فالمرحلة الحضارية الراهنة تحتاج الى مجموعة من المتطلبات مثل اعداد المتخصصين فى المجالات المختلفة وتقديم الكوادر الفنية والفكرية والمساهمة فى تطوير المجتمع نفسه والاسراع بخطاه بما يؤدى الى إلتحامه بالعصر الحديث ، مع الحفاظ على المقومات والقيم والعقائد الأصيلة .. وهذا بالاضافة للانتباه الى تضييق الفجوة الحتمية بين جيل الأبناء وجيل الآباء .. ومن كل ذلك وغيره نجد أن متطلبات المجتمع والاعتبارات الحضارية تفرض صيغة معينة على الجامعة تتسم بقابلية التطور الديناميكى ، كما تفرض على الجامعة أسلوب سيرها والتخطيط الذى تقوم عليه ..

الكليات المؤجلة

وقد روعيت هذه النواحى كلها مع بداية قيام التعليم الجامعى فى دولة قطر عندما بدأت الدراسة بكلية التربية ثم تلاها كليات العلوم ، والانسانيات والعلوم الاجتماعية والشريعة والدراسات الاسلامية ، ثم كلية الهندسة هذا العام .. وكان المفروض أن تبدأ أيضاً كلية الادارة وكلية الاعلام ، إلا أن المقومات الكافية لقيام هاتين الكليتين على المستوى الذى يتناسب مع طموح الجامعة ، لم تتوفر بالدرجة المطلوبة ، الأمر الذى أدى الى تأجيل بداية الدراسة بها بعض الوقت .. وكذلك قادت الدراسات التى قامت بها الجامعة الى تأجيل انشاء كلية للطب .. إلا أننا فى نفس الوقت عملنا على تطوير مضمون المناهج فى جامعة قطر فأوجدنا دراسات يحتاجها المجتمع نفسه ، كالدراسات الاعلامية ودراسات المكتبات والتخطيط الاقليمى والعمل الاجتماعى والاقتصاد المنزلى ، كما أنشأنا فى الجامعة مركزاً للبحوث التربوية ومركزاً للبحوث العلمية والتطبيقية ، وصدرت القرارات الأميرية الخاصة بمركز بحوث الانسانيات ومركز دراسات السيرة والسنة النبوية ..

بحوث المراكز العلمية

ورغم مضى فترة قصيرة على انشاء مركز البحوث التربوية ، إلا أنه أنجز العديد من الدراسات ، وأعد حتى يومنا هذا ١٦ بحثاً ومجموعة من الدراسات تشمل تطوير تدريس اللغة والتنشئة الاجتماعية للأطفال وزيادة فعالية الدراسة للطلبة وذلك فى إطار تخطيط شامل للمناهج وطرق التدريس والكتب وخلافه .. أما مركز البحوث العلمية والتطبيقية فقد أنجز دراسة كاملة عن نباتات دولة قطر وهى على وشك الصدور ، ويقوم الباحثون بمراحل تالية فى هذه الدراسة حيث يبحثون العناصر الاقتصادية والطبية فى هذه النباتات .. واضافة الى ذلك فان هذا المركز نفسه يقوم حالياً باعداد دراسات حول تحلية المياه والزراعة بدون تربة واستنباط طرق جديدة لمواد البناء من خامات قطرية .. ومن أجل استكمال كل مقومات البحث العلمى داخل هذا المركز تم التعاقد على بناء أحدث سفينة للبحوث المائية والبحرية ..

أما المراكز العلمية الأخرى فى الجامعة ، فانها لم تبدأ نشاطها الفعلى حتى الآن ، بسبب ضيق المكان ، أو لعدم استكمال القوى البشرية اللازمة ..

الجامعة والمجتمع

ومع الانتقال الى المبانى الجامعية الجديدة فى أغسطس عام ١٩٨٢ ، سوف يكون هناك حل جذرى

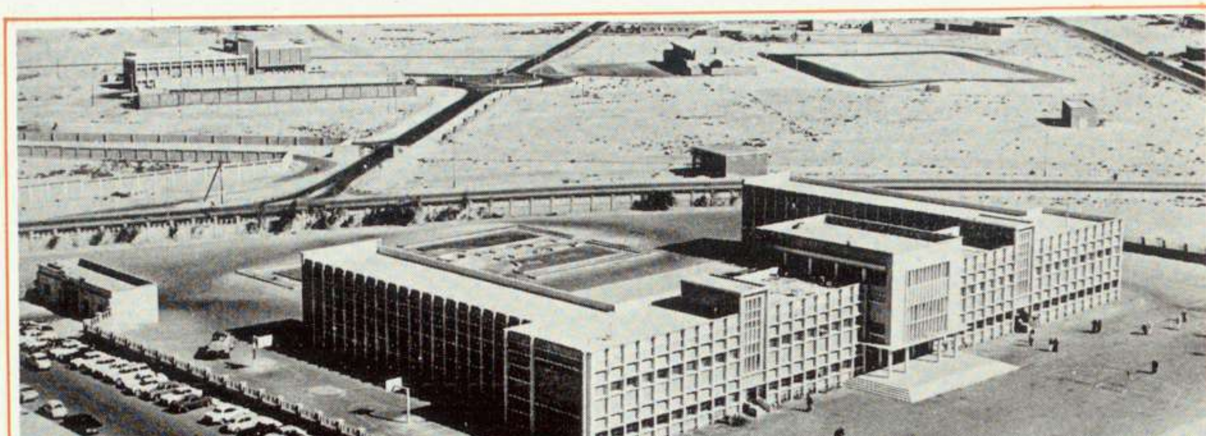
لكثير من هذه القضايا ، بما فى ذلك المختبرات الاضافية والأماكن المناسبة لاقامة مراكز البحوث ، وهذا بخلاف التطوير الجذرى للمكتبات الجامعية التى تعد الآن لتكون مرتبطة ببنوك المعلومات العالمية ولاستخدامات الحاسبات الالكترونية (كمبيوتر) .. ووقتها سندرك معنى أن ننظر الى الجامعة باعتبارها كائناً حياً قادراً على النمو، وفى نفس الوقت يحتاج الى كل مقومات التطوير والنماء ، ومعنى ارتباط الجامعة بالمجتمع الذى تنتمى اليه ..

والواقع أن الجامعة التى لا تتفاعل مع المجتمع ولا تؤثر فى توجيه خطاه ، ولا ترتبط بجذوره وقيمه وأماله وآلامه ، ما هى إلا جسم غريب لا يستحق الحياة فالجامعات بالذات لا يمكن أن تكون حيادية فهى إما تعمل لصالح المجتمع أو تكون عبئاً عليه ، ومن هنا كان من الضرورى أن تتضح انعكاسات هذا المفهوم على جامعة قطر وأساليبها وبرامجها وكلياتها وأساتذتها وطلابها ، ولناخذ مثلا ما طرأ من تطور على كلية الانسانيات فى جامعة قطر خلال السنوات الثمانية من عمرهـــا ، حيث بدأت الدراســـة بها من خـــلال حاجة المجتمع ومتطلباته بتخصصات فى اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والاجتماع واللغات الأجنبية ، ثم ظهرت الحاجة الى المخطط العمرانى فتطورت برامج الجغرافيا لتضم هذا التخصص ، كما تطورت شعبة اللغة العربية لتتوجه الى تخصصات الصحافة ثم اتسعت لتضم تخصصات الاعلام بما فى ذلك علوم الاتصال وهى الاذاعة والتليفزيون والعلاقات العامة ، واتجه تخصص التاريخ ليشمل الوثائق والتوثيق ثم المكتبات ، وستتخرج فى العام المقبل المجموعة الأولى من الذين درسوا المكتبات فى جامعة قطر كتخصص ثانوى، ومن هؤلاء تبدأ القاعدة البشرية التى سيعهد اليها بدور رئيسى فى تطوير مكتبات جامعة قطر ثم المكتبات المدرسية ثم مكتبات البيئة التى ستتوفر فيما بعد ..

عطاء هذا الجيل

وبالنسبة لدور كلية الانسانيات فى العمل الاجتماعى فان الدراسات بها لم تقف عند حد تفاعلات المجتمع وعناصر وأصول هذه التفاعلات وآثارها على حركة المجتمع ، بل بدأ التوجه الى العمل الاجتماعى فى المدرسة بعد أن أصبحت المدرسة الحديثة مؤسسة اجتماعية فى حد ذاتها ، وبعد أن أصبح أفراد هذه المؤسسة فى حاجة الى خدمات المختص فى العمل الاجتماعى الى جوار الخدمات التى يقدمها المعلم .. ومن هنا بدأنا نعد هذا الأخصائى الذى يستطيع أن يساهم بدوره داخل المدارس ووسط الطلاب ، كما بدأنا نعد فى نفس الوقت الأخصائى الاجتماعى المطلوب فى التجمعات الأخرى وخاصة داخل المصانع ، فالمعروف أن المجتمع القطرى يتجه الى التصنيع ، وهو فى حاجة الى جيل قادر على العطاء المستمر حتى يجنى ثمار هذه الحركة المباركة ..

وعلى نفس القياس يمكننا أن نتحدث عن كلية التربية التى تعتز ببرامجها العادية ، فى نفس الوقت الذى تعتز فيه بصفة خاصة ببرامجها فى ميدان التعليم الابتدائى ، فاتفاق الجامعة مع وزارة التربية والتعليم على أن التعليم الابتدائى تخصص له مقوماته وأسسه ومهاراته ، سمح بأن تبدأ الجامعة فى اعداد المعلم الذى يتعامل مع مرحلة من أهم مراحل التنشئة والتكوين على مستوى الأفراد والمجتمع ، ونحن نامل أن يكون ذلك بداية لتغيير اجتماعى جذرى فى النظرة الى الطفولة والى التعليم الابتدائى ، فقد خرجت الجامعة ـ فعلا ـ مجموعة من الفتيات والشبان من حملة البكالوريوس فى التعليم الابتدائى، ولازالت التجربة مستمرة بصورة تبشر بالخير ..



جامعة قطر

ومطالب المرحلة الحضارية

الفكر الاسلامى

وتعتبر كلية الشريعة والدراسات الاسلامية هى الكلية المسئولة ـ بالتعاون مع كلية التربية ـ عن اعداد مدرسى الدراسات الاسلامية فى التعليم العالى، ونامل أن يكون هناك تطوير جذرى فى النظرة الى التربية الدينية فى المدارس ، فمدرس الدين لا يمكن أن يقوم بدوره السليم اذا كان على هامش الحياة الحديثة أو لا صلة له بمفهوم المدرسة الحديثة ، ومن هنا فان برنامج اعداد مدرس الدين يجب أن يضم خلفيات كافية فى الاقتصاد والاجتماع والعلوم ، حتى يصبح الفكر الذى يمثله هذا المدرس فكراً اسلامياً أصيلاً مرتبطاً بعلوم العصر ، وحتى نستعيد عصر الأئمة العظام فى تراث الاسلام وهم هؤلاء الذين قدموا فكراً اسلامياً خالداً من خلال تعاملهم مع حقائق الحياة العلمية فى العصور التى وجدوا فيها ، ونرجو أن تتمكن كلية الشريعة والدراسات الاسلامية من أن تخرج لقطر والعالم الاسلامى الوعاظ والأئمة والقضاة القادرين على التعامل مع كل قضايا العصر من منطلق قوانين الاسلام الخالدة ..

الجامعات الشقيقة

ومن نفس المنطلق الساعى الى ربط الجامعة بالمجتمع ، قامت كلية الهندسة فى جامعة قطر ، وبدأت هذا العام على أساس إعداد تخصصات الهندسة الكيمائية والهندسة الميكانيكية والهندسة الكهربائية والهندسة المدنية .. وتضم هذه التخصصات المعروفة تخصصات عصرية حديثة ، وذلك من منطلق دراسة شاملة عن احتياجات المجتمع القطرى والخليجى ومسيرته نحو التعمير والتصنيع والتنمية الشاملة ، ولم ندخل فى تخطيطنا هندسة البترول لأن تخصص الهندسة الكيمائية يجيب على الأولويات الملحة فى قطر ، كما اننا ننطلق من تنسيقنا مع الجامعات الشقيقة فى المنطقة ، فوجود جامعة كاملة للمعادن والبترول على بعد ٤٠٠ كيلو متر فى الظهران تجعلنا نكتفى بوجودها ونخطط فى مجالات أخرى تحتاجها المنطقة ..

المعيدون القطريون

ومن كل ذلك وغيره ، نرى أن التعليم فى جامعة قطر يتطور وفقاً للمجالات التى ننتمى اليها اجتماعياً وحضارياً وتاريخياً ..

وهذا يتم من ناحية ، فى نفس الوقت الذى تتطور فيه الجامعة من داخلها ، لتصبح أقدر على أداء رسالتها .. وفى هذا الخصوص وحدنا برنامج الجامعة فى اعداد الهيئة الادارية والتعليمية القطرية ، وفى هذا العام صدرت القرارات الأميرية بتعيين مساعد لمدير الجامعة وأميناً للجامعة من خيرة الشباب القطرى المثقف .. وكانت خطة تقطير الجهاز الادارى للجامعة قد بدأت منذ سنوات طويلة ، ونحن نعتز بالحقيقة القائلة بان الجهاز الادارى لجامعة قطر يتقدم ـ فى خطوات التقطير ـ معظم الأجهزة الادارية فى الدولة ..

أما بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس ، فمن المعروف أن معظم أعضاء الهيئة التدريسية من غير القطريين ، وهم يضمون العديد من الجنسيات العربية والأجنبية وعلى وجه التحديد الاخوة من الجامعات المصرية والعراقية والسورية والسودانية والأردنية ، كما تضم زملاء من الجامعات الأميركية والأوربية والاسترالية والباكستانية وسيريلنكا ..

وتضم جامعة قطر ستة من القطريين من حملة الدكتوراه ، وينتظر أن يصل هذا الرقم ما بين ١٥ ، ٢٠ فى أواخر عام ١٩٨٢ ..

والواقع أن كل المعيدين والمدرسين المساعدين فى الجامعة من القطريين ، وهم أكثر من مائة بينهم عدد كبير من الفتيات اللاتى يسرن فى دراستهن العليا بنجاح ، كما أن من بينهن من لم يبدأن دراستهن العليا بعد لأسباب تنشغل الجامعة بمعالجتها ..

وفى ختام ذلك كله ينبغى أن نكرر أن الأعمال العظيمة لا تبدأ كبيرة ولكن تبدأ جيدة ، ولقد حاولت جامعة قطر ـ وتحاول ـ ألا تكون جامعة للأعداد الكبيرة ولكن جامعة للمستوى الرفيع ..

واذا كانت جامعة قطر قد حققت من المنجزات ما يمثل قفزات الى الأمام ، فان طموحاتها أكبر بكثير مما حققت ، وأحلامها أعرض من آمالها فى الواقع ، وهى واثقة من أنها تسير بخطى ثابتة نحو التقدم والازدهار تحت قيادة راعى الحركة العلمية والرئيس الأعلى للجامعة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى الذى كان لقراراته وتوصياته الأثر البالغ والحاسم فى كل ما تحققه الجامعة من نجاحات وتقدم وازدهار ..

د. محمد ابراهيم كاظم



التـحـدّي



شعر: محمد الفهد العيسى

طاوَلَتْني الأَمْواجُ عُنْفاً ولٰكِنْ
حَطَّمَتْها عَلى الشَّواطِي صُخُوري

داهَمَتْني الرِّياحُ عَصْفاً هَجيراً
فَتلاشَتْ مِنْ لَفْحِ وَهْجِ سَعيري

أَنا صِنْوٌ لِكُلِّ خَطْبٍ جَسيمٍ
والعَوادي تَمَرَّغَتْ في ثُبُوري

لاحَقَتْني عَلى القِنانِ بُغاثٌ
مَزَّقَتْها عَلى السُّفُوحِ نُسُوري

كَمْ جَوارٍ تَحَطَّمَتْ وَشِراعٍ
فَوْقَ مَوْجٍ مُعَرْبِدٍ في بُحُوري

كَمْ غُثاءٍ جَرَفْتُهُ، كَمْ عُواءٍ
كَمْ سِنانٍ تَحَطَّمَتْ مِنْ سُطوري

يا بُغاثاً أَثَرْتَ فِيَّ ادِّكاراً
لِبُغاثٍ قَدْ أَوْغَلَتْ في العُصُورِ

زِدْ ضَلالاً فَمِلْءُ قَلْبي يَقينٌ
وَضِياءُ شُمُوسِهُ مِنْ ضَميري

حالِماتٌ هِيَ اللَّيالي بِدَرْبي
فَشُمُوخي بِكُلِّ دَرْبٍ نَصيري

د. عبد الله الطيب للدوحة :

لا .. لتبسيط اللغة

لابد من العودة إلى أصولها

أجرى الحوار: الفاتح إبراهيم أحمد

- بدون لغة صحيحة .. لا يمكن تعريب العلوم الحديثة
- قبل التسرع في تبسيط اللغة يجب إصلاح أساليب تدريسها
- مستوى التعليم اللغوي أثّر في قدرتنا على التعبير
- اللغة التي نستعملها اليوم لا تدل على عمق في الثقافة
- أكبر أخطائنا أننا أهملنا دروس القرآن الكريم

.. ونحن فى هذا العصر الذى تعقدت فيه الحياة وتشابكت تشابك خطوط الأسطوانة .. لاتجد الأمة العربية والاسلامية نفسها بمعزل عما يدور حولها ولا يمكن أن تكون بمنأى عما يجرى الآن .. وهاهنا يكمن التحدى .. ولابد من الاستجابة لمواجهة هذا التحدى ، وهذا التحدى يتعلق بمستقبلنا الحضارى ، والاستجابة لابد أن تكون فى مستوى ذلك .. ومن أهم التحديات التى تواجهنا مشاكل اللغة وقضاياها وقد طرحت مجلة الدوحة منذ فترة موضوع مشكلات اللغة العربية للمناقشة المفتوحة .

واتاح لنا الأسبوع الثقافى السودانى الذى اقيم بالدوحة فرصة اللقاء بالدكتور عبد الله الطيب استاذ الأدب العربى بجامعة الخرطوم وجامعات المغرب لاجراء حوار معه فى نطاق القضية المطروحة إسهاماً متواضعاً فى هذا الصدد ..

.. وقد يرى البعض فى الحلول التى يطرحها الدكتور الطيب بعض التشدد أو كله .. وقد يراه البعض متطرفاً وقد نتفق معه مرة ونختلف معه مرات إلا أننا لانملك إلا أن نحترم أراءه ..

والدكتور الطيب عالم جليل اصطحب الكتب طويلا وسبر أغوار اللغة ودرس الآداب العربية قديمها وحديثها ، كما اطلع على الآداب الغربية فى لغاتها الأصيلة .

وقد امتد الحوار مع الدكتور الطيب زهاء ساعتين فشمل قضايا اللغة العربية ومناهج تعليمها للصغار وقضايا التعبير بالعربية والكتابة بها كما تطرق الحديث إلى اسباب الداء ووسائل العلاج .. كما تناول مسالة تبسيط اللغة وتسهيلها .

اللغة والسهل الممتنع

- ....؟

- « عرف القدماء فى النقد لفظاً استخدموه للبحترى مثلا ، وهو قولهم هذا شاعر أسلوبه من السهل الممتنع .. يعنون بذلك أن كلامه سهل ميسور يتناوله سامعه من قرب ولا يحتاج الى كد للذهن كثير فى تتبع ماهو عويص من ألفاظه أو غامض من معانيه .. ولكن السهل الممتنع أمر لايبلغ إلا باختيار شديد وملكة خارقة من جانب من يقبل عليه ..

ولم يكن محصول البحترى من اللغة



د. عبد الله الطيب

العربية مقتصراً على عدد من الكلمات ويدلنا على ذلك أنه أختار مجموعة من الشعر تعرف باسم حماسة البحترى ولعله كان يحفظ أكثر أبياتها ..

وإذا انتقل بنا الحديث من اللغة الى البلاغة نقول أنها بتعدد مذاهبها لابد فيها من ملكة ومن علم . وعلوم اللغة هى أول مايتردد به الانسان لكي يدخل عرين البلاغة ..

ونحن اليوم قد فقدنا هذه البلاغة لأن اللغة المستعملة دون قصد منى لاتدل على عمق فى ثقافه ، وحتى الكتاب العرب الذين نعدهم ممتازين لايستطيع أحدهم أن يصف منظرا رآه بنوع الدقة التى يستطيعها الكاتب الفرنسى أو الانجليزى ..

فالكاتب العربى قاصر من جهة الموسوعة اللغوية وعلى غير ثقة من نفسه من جهة البيان العربى ، والعجيب فى هذا أنه ليس بالنسبة للعربية فقط ولكن أيضاً بالنسبة للغة الدارجـــة ..

إن الملكة فى تجويد الدارجة قد ذهبت مع ذهاب عناصر بداوتها .. وبدأت تشيع بيننا فى المدن لغة تغلب عليها العموميات وتغلب عليها الألفاظ المشتركة فى ميادين خاصة وذلك من النوع الذى يسميه الافرنج بالكليشيهات أى اللغة القالبية وهى لغات يتعامل بها الناس ولا يستطيعون أن يصفوا بها أمرا بدقة .

أسباب هبوط مستوى اللغة

ـ .... ؟

ـ « السبب فى هذا الوضع أن التعليم عندنا غير جيد ..

التعليم يبدأ بطريقة متكلفة ندرس الصغير فى أول الأمر كتباً لا تمت الى بيئته بصلة وفيها ذخيرة محدودة محصورة من المفردات ثم لا نتابع هذا بمكتبة ضخمة تناسب سنه وتزداد فيها الذخيرة مع زيادة سنه ..

والصغير يقبل على الكتب التى تناسبه إذا وجدها ، ويتزود منها حتى إذا صار مستطيعاً للتعبير وجد أمامه ذخيرة واسعة من القول والتجارب يستطيع أن يستخدمها ..

فالطفل فى سن الثالثة والخامسة داخل المجتمع القروى وأطراف المدينة كان ذا موسوعة كبيرة من اللغة الدارجة .. أما الآن وبسماع الراديو والتليفزيون قلت هذه الموسوعة وانحصرت فى القالبيات التى يسمعها ويتلقاها من هذه الاجهزة.. وبذلك تصبح ملكته التعبيرية محصورة وسيجىء جيل تكون فيه ملكة الاطفال وملكة آبائهم محصورة حتى ينتج من ذلك جيل عيبى فى آخر الأمر ..

ولو وازنا بين هؤلاء وبين ما يشابههم من أجيال الافرنج وجدنا أن ذخائر اولئك أوسع وانهم يتعمدون توسيعها بأصناف من أساليب الحياة ، ولا أريد بذلك أن اوازن بين مجتمع ومجتمع ولكن هذه الظاهرة ينبغى أن ينبه لها ..

هجرة النحو والقواعد

ـ .... ؟

ـ « على سبيل المثال الطلبة يؤخذون فى اللغة الفرنسية بدروس الأفعال المختلفة وطريقة تصريفها ويحفظون الشواذ منها عن ظهر قلب ..

ونحن لا نصنع شيئاً من هذا بل صار النحو عندنا ضمناً فى المراحل الأولى وافترضنا أن النحو شىء كامن فى نفس الصغير ويمكن أن يستخرج منه بممارسة القراءة بقطع قد لاتكون هى فى ذات نفسها جيدة وحتى إن توفرت فيها الجودة فهذا الافتراض خطأ ..

وأرى أنه ينبغى أن يدرس الصغير النحو وينبغى أن نحفظه القواعد وأن نأخذه بتطبيقها .. ومن الطبيعى أن لا يتساوى الصغار فى ملكاتهم فمنهم المبرز ومنهم المتوسط وهلم جرا ولكن هذا يمكن تلافيه بما نعطيه للناشئة من ضروب الكتب والخطب أو عن طريق المذياع وغيره إذا كانت على طريقة تربوية منظمة وليست بطريقة فوضوية وبذلك



لا.. لتبسيط اللغة العربية

تتسع مدارك الصغير ..

أكبر الأخطاء..إهمال القرآن

– .... ؟

– « إن من أكبر اخطائنا أننا اهملنا دروس القرآن .. لأن المسلم لا ينبغى أن يخجل من أن يقول أنه مسلم ولكن الواقع الذى نراه الآن أن بعض المسلمين يخجلون من قولهم إنا مسلمون حتى كأن هذه جريمة يتوارى الانسان من التصريح بها !! .

وفى الانجليزية مثلا نرى الكتاب المقدس من الأسس التى يدرسها الصغار ويأخذون منها البلاغة ، ونحن كنا نصنع أكثر من ذلك وكنا نحفظ القرآن عن ظهر قلب ..

إن حفظ مايتيسر من القرآن فى مرحلة مبكرة وفى زمان مبكر يفيدنا ..

إن القرآن الكريم ناصع التعابير وبه رنة الموسيقى العربية ورنة الجرس العربى الصحيح فى أحسن أساليبه ويتعلم منه النطق الصحيح ..

وأنا بنفسى سمعت الازهريين الآن ينطقون الثاء سيناً والذال زاياً وغير ذلك من الأخطاء مع أن هذا لو علم فى مرحلة القرآن لكفيناه وأصبح النطق صحيحاً فى مرحلة مبكرة ..

وتغلب على الطريقة المستخدمة فى التعليم بالمدارس الآن الطريقة التحليلية وهى أصعب الطرق فى تعليم النشء لأنك تعطى الناشىء المادة الخام لتركيب الكلمة والجملة ثم تحمله بعد ذلك على تركيبها وهذا صعب للغاية ..

والصغير يراها كلمة واحدة ويراها جملة واحدة فمن الاسهل أن تنطقها له كلمة واحدة وجملة واحدة وتأخذ بالمحاكاة ثم تأتى مرحلة التحليل فيما بعد على الطريقة القرآنية القديمة ..

البحث عن اساليب جديدة للتدريس

– .... ؟

– إن طرق التدريس وأساليبه عندنا تحتاج الى مراجعة كما أن الكتب التى توضع للأطفال تحتاج ايضاً الى إعادة نظر .

ويحق لنا فى هذا الصدد أن نتساءل أين هى الكتب التى وضعت للأطفال فى الزمان الماضى وذلك حينما كان الطفل يجد مجموعة طيبة من الأساطير التى تعينه على تنمية الخيال وتعينه على التعبير ..

وبالرغم من أن بعض هذه الكتب لم يكن مكتوباً باسلوب بالغ الجودة إلا أنها كانت تنمى ملكة الطفل وخياله ..

إن المادة التى تصلح لكتب الاطفال كثيرة جداً مما يمكن أن تبنى عليه مكتبة عامرة وهذا مجال فيه تقصير كبير ..

وقد حاول كامل كيلانى رحمة الله عليه أن يعطى الطفل مبادىء مكتبة ولكن العمل الذى بدأه لم يكمل ..

فقبل أن يتعجل الناس ويصموا اللغة العربية بالعقم والصعوبة ويدعون الى تبسيطها ينبغى أن يصلحوا أساليب التعليم أولا ثم ينظروا بعد ذلك هل يحصل النشء على شىء أم لا ؟ .

إفتقاد المختارات الشعرية والنثرية

من الأشياء التى اهملت الآن تعلم المختارات النثرية والشعرية التى كانت تدرس فى سن مبكرة وتحفظ عن ظهر قلب مثل مقامات الحريرى ، وكانت متنوعة منها مايصلح لهذه السن ومنها مايصلح لتلك السن ولكنها جميعاً تحتوى على مادة خصبة وكلمات تبقى مع المرء مدى حياته لو حفظها فى صغره ..

هذا الكتاب الذى كان يدرس فى الماضى اختفى مرة واحدة من المدارس ونراه الآن عنواناً فى كتب تاريخ الأدب .. وربما عمد إليه بعض الدارسين والمتخصصين ..

ومن المختارات التى اختفت تماماً تلك التى كانت تعطى للناشئة من ديوان الحماسة . أذكر مثلا القصيدة اللامية المشهورة للسموءل والتى يقول فيها :

إذا المرء لم يسلم من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل ..

هذه القصيدة كانت تدرس فى سن مبكرة ..

وأرى أن الجيل الأول من المعلمين كان أعرف بطريقة التدريس ممن تلوهم وأعنى بالجيل الأول جيل حمزة فتح الله وحفنى ناصف من المصريين فهؤلاء وضعوا فى النحو قواعد اللغة العربية ووضعوا فى المختارات كتاب أدبيات اللغة العربية ..

وكان من الشاميين جيل يقاربهم ومنهم

لويس شيخو الذى وضع كتاب مجارى الأدب وهذه الكتب كانت تشتمل على نخبة طيبة من مختارات نثرية وشعرية وأمثال وحكم من أمثال الميداني ومن غيره من قصص كقصة الزباء ملكة الفرات وأخبار حرب الباسوس وداحس والغبراء .

إن المختارات هى التى نشأت جيل شوقى والعقاد وحافظ ومادة هؤلاء فى اللغة لاريب فى جودتها ..

ذلك الجيل عندما طلب منه تعريب كتب الهندسة والطب عندما بعثوا فى البعثات لم يترددوا فدرسوا تلك اللغات وترجموا ماتيسر لهم .. علماً بأن هذا المجهود تقام له الآن اللجان وتعقد له الندوات بغير نتيجة .

المدرس مشكلة التعليم

— .... ؟

— « اعتقد أن قضية الشعر ومشكلة الكتابة عامة فى زماننا هذا مردها إلى أن اساس اللغة العربية ضعيف ، وقد تعقدت المشكلة جدا حتى أن حلها يوشك الى الاستحالة لأن العنصر الأول فى حل مشاكل التعليم هو المدرس ، والمدرس الآن يعسر الحصول عليه لعدة أسباب .. أولاً— كثرة الحاجة الى التدريس استدعت كثرة المدارس .. كثرة المدارس استدعت كثرة المدرسين .. كثرة المدرسين « أرخصت أسعارهم » .. رخص أسعارهم نفر أجود من عسى أن يقوم بالتدريس عن مهنة التدريس والتمس أبواباً أخرى للرزق ..

ودارت القضية وينبغى أن تكسر هذه الحلقة المفرغة لكى يوجد حل مناسب وهذا يخرج بنا من نطاق الأدب والعلم الى مسألة عامة ..

قد يدعو ذلك الى الاستغراب لكنى اصبحت اعتقد اعتقاداً جازماً أن كسر هذه الحلقة المفرغة لن يتأتى إلا بأن تتخلى الدولة تماماً عن التعليم !! . فمن أراد أن يكون نجارا فليكن ومن أراد أن يكون طبيباً أو مهندساً أو صحفياً أو إذاعيا فليكن !!

هذا حل متطرف ولكن لابد أن يأتى زمن تعجز فيه اداة الدولة كل العجز عن سد حاجة الناس من التعليم وبما يريدونه ، وكما قال طه حسين ينبغى أن يكون التعليم كالهواء يأخذه الكل ..

.. إن اوربا استطاعت شيئاً من هذا لأنها حلت المشكلة الأساسية وهى مشكلة التعليم اللغوى الذى يكون به الأداء فى فترة مبكرة عندما كان عدد المدارس قليلا ، وعندما كان فى الامكان أن تعمم بين الناس لغة ثقافية وغنية .. وحمل الناس انجلترا وفرنسا وغيرهما على استعمال اللغة السلطانية أى اللغة العالية ..

حمل الناس عليها عن طريق المدارس وعن طريق الجيش لأنهم اشتغلوا فى الحروب وكانوا يحملون على سماع اللغة العالية من الأوامر والنواهى وهذا جعلهم يقرأون ويسمعون ويتلقون هذه اللغـــة وعمل على توفير مكتبات وكتب تناسب المراحل المختلفة ..

.. وبالرغم من ذلك فان للأوربيين مشاكلهم فى التعليم وهم يحلونها بما يرونه مناسباً .. ولكن المشكلة عندنا قد تعقدت وليس الحل قط فى تبسيط اللغة العربيـــة ..

العودة الى الأصول

— .... ؟

— « اعتقد انه لا حل ولا مخرج إلا أن نأخذ بالطريق العسر ، وهو أن نرجع مرة أخرى الى تعليم اللغة العربية من أصولها وهذا مهم ليس للغة العربية وحدها وإنما بالنسبة للعلوم الأخرى أيضاً لأن التعريب لن يستطيع ان يقوم به فى العلوم المختلفة إلا الاكفاء فى تلك العلوم ..

فلن يستطع تعريب الهندسة إلا المهندس والطب إلا الطبيب والرياضيات إلا الرياضى وقل ذلك فى سائر العلوم ..

ولكن قبل أن يضطلع الطبيب والمهندس بالترجمة ينبغى أن يكون قد حصل من اللغة العربية على قدر كاف وهذا لا يمكن تحصيله فى المراحل المتأخرة بقدر ما يمكن تحصيله فى المراحل المتقدمة ..

وبتعبير أخر إذا اهتممنا بتعليم الناشئة تعليماً طيباً فى لغتهم عندما يتخصصون فى العلوم المختلفة يستطيعون أن ينقلوا من اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ما شاءوا الى اللغة العربية وتعليم اللغة الأجنبية لابد منه لأخذ علوم الآخرين ، ولكن ينبغى أن تكون اللغة العربية هى أساسهم الذى يعولون عليه فى التأليف والتعريب والتعليم وهذا ممكن ولكن غير مأخوذ به الآن .

نحن الآن نعد التخصص فى اللغة العربية بمنزلة التخصص فى الطب مثلا وهذا خطأ لأن اللغة العربية ليست بمهنة وإنما هى اداة تدريس ، ينبغى أن يتحلى بها الكل ،فالذى يدرس اللغة قد درسها فى مرحلة متقدمة والذى سيتخصص فيه الآن هو الطرق المختلفة فى التعليم .

الفاتح ابراهيم أحمد

● أعتقد أن قضية الشعر ومشكلة الكتابة عامّة مردّها إلى أن أساس اللغة العربية ضعيف وقد تعقدت المشكلة حتى إن حلها يوشك إلى الاستحالة

● نحن الآن نعدّ التخصص في اللغة العربية بمنزلة التخصص في الطب مثلا.. وهذا خطأ.. لأن اللغة العربية ليست بمهنة وإنما هي أداة تدريس

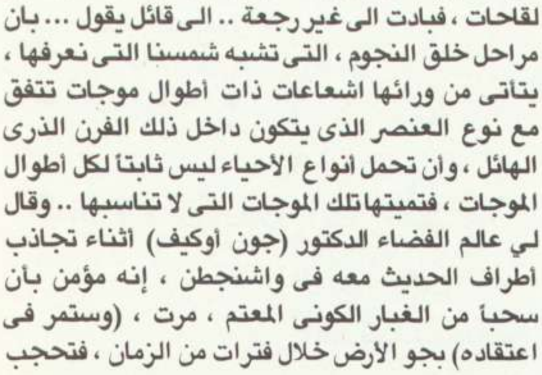
درويش مصطفى الفار

لكي لا نندثر ونفنى

لايزال علماء الحياة القديمة (الباليانتولوجيا) يقفون حيارى مشدوهين بعيدين جداً عن تفسير صحيح ، مقبول علميا ووجدانياً ، لناموس من نواميس الله فى الخلق ، يتجلى فى ظاهرة انقراض واندثار انواع من النبات والحيوان التى ازدهرت ، وصالت وجالت ، فى بحار الأرض ، وأنهارها ، وأوديتها وغاباتها ، وجوها ، منذ ملايين السنين ، ثم زالت دولتها فجاة ، ولم يبق منها ما يدلنا على انها (كانت) .. إلا أشلاء منها استحجرت فى صم الحجارة مذ كانت رطبة كما يقول شاعرنا الأموى (الطرماح) :

لنا المجد إذ صم الحجارة رطبـــة
وعهد الصفا باللين من أقدم العهد

ولا أدرى إذا ما كان الطرماح ، رحمه الله ، يعنى بقدم العهد ملايين السنين .. فمن تلك الأنواع المندثرة اشجار كانت تشبه النخيل ، وأخرى تحاكى الصنوبر و (أرز لبنان) لانزال نعثر على مستحجرات من أوراقها وثمارها ، بل وجذوعها وصموغها وحبوب لقاحها ، فى طبقات الفحم الحجرى ، فى بلاد كثيرة كما فى سيناء مصر ، وفى المغرب الأقصى ، وفى عمان ، وفى اليمن (لا أحدد الشمالى أم الجنوبى) ... وحيوانات قشرية مثل (الجمبرى والاستاكوزا وأبى جلمبو) يسمونها ثلاثيات الفصوص ، عاشت فى بحار حقب الحياة القديمة منذ أكثر من ثلاثمائة مليون سنة ثم اختفت دون إنذار ... وحيوانات ضخمة رهيبة ، كان منها السابح والطائر وما يمشى على بطنه ، أو رجليه وذيله، أو أربعة أرجل ، سموها الديناصورات ، بعضها كان ياكل غيره من الحيوان ، والبعض الآخر كان نباتياً يعاف اللحم والعظم ... وحيوانات أخرى لا شبيه أو قريب لها اليوم ، من حيوان شائع فى بحارنا المعاصرة إلا الأخطبوط و (أم الحبر) .. كانت تعيش فى قواقع حلزونية تتميز بحزوز معقدة مسننة ، تفصل ما بين مراحل نموها ، فى صور وأشكال تساعد على اتخاذها (حفريات دالة) مؤكدة ، لتمييز طبقات عصر جيولوجى يسمونه الجوروى ، نسبة الى جبال جورا فى حواف كتلة مرتفعات الألب الشهيرة .. عاصرت دولة الديناصورات فى عنفوانها ، وخلا منهما مسرح الحياة معاً فجاة ، دون سبب نعلمه حتى الآن يقيناً ... ولا يفتأ العلماء يقدمون من التفسيرات ، ما يحلو لهم ، ولكن هذه التفسيرات أحياناً ، رغم التقدم العلمى والتكنولوجى (المادى) الهائل فى عصرنا ، لا تخلو من مذاق (فقه بيزنطة) الذى أضاع وقتاً ، لابأس به ، فى مسألة البيضة والدجاجة ... فمن تلك المحاولات للتفسير ، القول بانه يمكن تصور أن الديناصورات فيما بينها (عائلياً) كانت تتزاوج أحياناً ، كما تفعل الأتن والخيل ، فتلد بغالا ديناصورية عقيمة ، حتى انتهى بها شيوع العقم الى الفناء والاندثار ... ويقول آخرون بان براكين أو مياهاً جوفية حارة مصحوبة بغاز كبريتيد الهيدروجين السام ، قتلت تلك المخلوقات عن بكرة أبيها .. أو أن وباء ديناصورياً : كالكوليرا والجدرى والطاعون ، سلطه الله على تلك الحيوانات حيث لم يك فى حوزتها طب وقائى ، ولا أمصال ، أو لقاحات ، فبادت الى غير رجعة .. الى قائل يقول ... بان مراحل خلق النجوم ، التى تشبه شمسنا التى نعرفها ، يتأتى من ورائها اشعاعات ذات أطوال موجات تتفق مع نوع العنصر الذى يتكون داخل ذلك الفرن الذرى الهائل ، وأن تحمل انواع الأحياء ليس ثابتاً لكل أطوال الموجات ، فتميتها تلك الموجات التى لا تناسبها .. وقال لي عالم الفضاء الدكتور (جون أوكيف) أثناء تجاذب أطراف الحديث معه فى واشنجطن ، إنه مؤمن بأن سحباً من الغبار الكونى المعتم ، مرت ، (وستمر فى اعتقاده) بجو الأرض خلال فترات من الزمان ، فتحجب



ضوء الشمس ، عن الأرض نهائياً ، فتشل حركة الحياة نباتاً وحيواناً ، فتهلك أصناف من النبات والحيوان ، فزعاً أو جوعاً ، وينجى الله الصابرين ...

ولئن جاز تعدد الآراء ، وتشعب الأفكار ، فى مضمار محاولات تفسير اندثار أنواع من النبات والحيوان ، منذ ملايين السنين .. ولئن وجدنا عذراً للهنود الحمر أهل أمريكا الأصليين ، أو لسكان استراليا البدائيين ، إذ باغتتهم عوامل الابادة فجاة ؛ فاننى أتساءل ، ويتساءل معى كل مهموم محزون لحالة هذه الأمة ، فى كل أقطارها .. هل يجوز لنا الاستمرار على ما نحن فيه ، مسيرين ، بمحض اختيارنا ، نحو مصير النباتات والحيوانات التى لم يبق منها إلا حفرياتها ... فالى متى تظل طبول موكب الفناء تدق وألحـــانه الجنـــائزية تعزف :

- فى لبنان الدامى الجريح ...
- بين العراق وايران ...
- بين اليمنين .. والجنوبى منهما وعمان ...
- بين مصر وليبيا والسودان .. وفى تشاد .. وأوغندة.
- على شاطىء المحيط والبحر فى المغرب الأقصى ...
- بين سوريا والعراق والأردن ...
- فى الصومال واريتريا ...
- حول القبلة الأولى للاسلام ، ومهد المسيح عليه السلام ؟؟؟؟
- فى أفغانستان .

ناهيك عن مآسى الأقليات التى تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...

والى متى نظل بأسلوب فقهاء بيزنطة ، نعقد اللقاءات والمؤتمرات واللجان ، وندبج المقالات ، والقصائد ، والأحاديث ، والكتب ، والأبحاث ، دون أن نصل الى مغنم يحول بيننـــا وبين ما أصـــاب الديناصورات ؟

والى متى سنظل غارقين فى لجة الديكتاتوريات ، المقنعة والمعلنة ، سادرين فى عماية تحجب عن بصائرنا الأعداء (الحقيقيين) لأمتنا المتربصين بها الدوائر ، وتغض أبصارنا عن نفر من أنفسنا وبين ظهرانينا قد يكون منهم صنو ورفيق (لكمال امين ثابت ايلى كوهين) صاحب القصة المشهورة فى التاريخ العربى المعاصر ، ونتغافل فى بلاهة عن سموم التخريب (الحقيقية) فيما تتقيؤه اذاعاتنا المرئية والمسموعة ؟؟؟ أعتقد أنه قد آن الأوان ، قبل أن نصبح حفريات بين أيدى علماء الباليانثولوجيا ، أن نشكل (جماعة) شعبية حكومية من علمائنا ومفكرينا وأساتذة جامعاتنا ، المشهود لهم على مستوى الوطن الاسلامى كله ، بالخلق والعقل والحكمة والغيرة وعدم الانحياز لغير العروبة والاسلام ... علهم أن يصلوا الى ما لم يصل اليه من قبلهم من المؤتمرات واللجان التى لا يحصيها العد ، فى تاريخ هذه الأمة الحديث ...

درويش مصطفى الفار

رسائل غير عادية

إلى فتاة ويلز

معروف رفيق

اليك أيتها الفتاة الذكية ، يا صاحبة الأنامل البارعة ، ويا ذات الارادة الحية القوية ، أكتب هذه الكلمات ، عساها تصلك ، فى كوخك المتواضع ، فى قرية بيل كاى بأوسا ويلز ...

قرأت عن كفاحك الذى تحدثت عنه الصحف ، وكيف أنك أعدت لأنوال النسيج اليدوية ، أمجادها الغابرة ، وأيامها الخوالى ، عندما اقتنيت مغزلا قديماً ، تحولين بواسطته ، ما تجمعينه من شعر كلاب سيبيريا البيضاء ، الى معاطف جميلة ، تبيعينها بأغلى الأسعار ..

وقد أدهشتنى الفكرة يا آنستى ، لأنك تستغلين ما تساقط من شعور تلك الكلاب البيضاء ، القادمة من سيبيريا الجليدية ، وتغزلينها فى صمت ودأب .. لتوضع على أكتاف أمثالك من الفتيات ...

كما أدهشنى أن اسمك المتواضع ، قد أدرج فى دليل الصناعات والمهن المحلية ، بأمر من مجلس تنمية الريف

أى تكريم للعمل هذا الذى نقرأ عنه ؟. وأى اهتمام بالعاملين والعاملات ،

بل أى ذكاء هذا الذى جعل فتاة مثل مورين برين ، تستغل شعور الكلاب عندما تتساقط ، لتحيلها الى معاطف مغزولة ؟ ..

لقد شاهدت صورتك المنشورة فى احدى الصحف ، وأنت تجلسين الى مغزلك القديم ، الذى يعمل برشاقة الأنامل وحركة القدمين ...

هل تصدقين أنك تذكريننى بجدتى ، التى كانت تملك مغزلا صغيراً ، تغزل بواسطته صوف الخراف أو الماعز ؟ .

اسمحى أن أنقل اليك أسمى تحياتى ، وفائق تقديرى ، لأنك اتخذت من العمل الشريف ، دونما استنكاف أو اشمئزاز من عمل بسيط كهذا ، وسيلة للعيش الشريف .

بل اسمح لنفسى أن أهنئك بحرارة ، لأنك اخترت المجال المناسب ، لعمل يشرف المرأة ، لأنها تبدع فيه أيما ابداع .

يا فتاة ويلز ، يا صاحبة المغزل اليدوى .. تيهى بنشر اسمك فى سجل المهن اليدوية ، وفى دليل الصناعات التى عادت للحياة ...

فأمثالك جديرات بالحياة .



صلاح عبد الصبور

مشارف الخمسين

على الشاطئ الغربي .. لأول مرة

آن الأوان أن أرسى على شط حروف لغة الفرنجة ، فنحن ننمو عقلياً وذوقياً فى هذا الزمن الحديث ، وقد وقر فى أذهاننا ألا خلاص لنا إلا بادراك ما عليه هؤلاء القوم من علم وفن وذوق . ورغم أننى حين انتظمت طالباً فى الجامعة منذ ثلاثة وثلاثين عاماً ، كنت طالب لغة العرب وآدابهم ، إلا أن الأسماء التى كانت تقرع آذاننا كل صباح أو معظمها ، كانت اسماء أجانب ، وكفى بالفرع العاتى من المستشرقين دليلا على ذلك . فان قراءة طه حسين كانت تقودنا الى نالينو ، وقراءة تاريخ العقائد الاسلامية كانت تقودنا الى أجناس جولد تسيهر ، والبحث عن مصادر الأدب العربى كان يقودنا الى نولدكه . وهكذا كان الحال فى مجال الدرس الأدبى ، أما فى مجال الذوق فقد كان المناخ الأدبى آنئذ عامراً باسماء المدارس الأدبية الأوروبية المتوالية منذ نشأت الرمزية فى أواخر القرن الماضى ، ونازعتها البارناسية فى فرنسا آفاقها ، ثم خلعت السيريالية ضبابها على أرض الشعر ، وعبثت بها ما طاب لها العبث ، حتى ولدت منها سقيطتها الدادية ، ثم ولدت الواقعية الاشتراكية ، وانطلقت الوجودية بمذهبها الحديث فى النظر الى الانسان والفن .

كانت أسماء كثيرة تتردد فى أروقة كلية الآداب وقاعاتها ، وكان كل من سمع من الطلاب عن مذهب أو اسم علم من الأعلام يعتنقهما عند أول بادرة نقاش . فلدينا عشرات من الجوركيين (جمع جوركى) والسراترة (جمع سارتر) والالاتيه (جمع إليوت) الى آخر هذه القائمة الطويلة من الأعلام ، وأذكر فى ذلك الوقت أن كل من كتب حرفاً فى النقد أو التذوق كان يحرص على أن يحليه باقتباس بعض خطرات هؤلاء الفرنجة ، حتى اننى أقرأ الآن كتباً لنقاد جهيرين من نقاد ذلك الزمان ، فأجدهم يقتبسون اسم هذا الكاتب أو ذاك فى نسق خاطىء وبابتسار مخل شديد الاخلال ، ولكن ماذا قد يصنع أمثالنا من المتطلعين وعينهم بصيرة بالفن ، ويدهم قصيرة عن الوصول الى هذه المنابع الثرية والارتواء من مائها ، فهم يقنعون بهؤلاء الوسطاء الذين أدركوا لغة الغرب وقرأوا بها ، ثم شغلوا أنفسهم وشغلونا بهذه الترجمات والملخصات والتعليقات .

مع الدكتور بدوى

ولا أظن أن أحداً من أبناء جيلى لم يقرأ مؤلفات الدكتور عبد الرحمن بدوى ومترجماته ، والدكتور بدوى رجل قوى الشخصية العقلية والذوقية بلا شك ، ولذلك فان نيتشه أو شوبنهور أو أرسطو الذين قدمهم لنا ليسوا هم ذواتهم الحقة ، بقدر ما هم صور منعكسة فى مرآة بدوى . فقد صنع بدوى بالفلسفة المعاصرة وبالفن المعاصر ما صنع ابن رشد والفارابى بأرسطو القديم ، إذ قدموه لنا فيلسوفاً مشغولا بمشاكل المجتمع الاسلامى العقلية ، وكذلك فعلوا بافلاطون الحكيم وبأفلوطين اللاهوتى . وكان صنيع بدوى هو أن جعل روحه القلق الشاعرى المتطلع للآفاق البعيدة يحلق فوق هؤلاء الأعلام ، ويظللهم بجناحيه الواسعين .

ولكن فضل بدوى لا ينكر ولا يجحد ، وكيف لنا ونحن نتعثر فى قراءة الانجليزية أن نرتاد هذه القمم الأولمبية الشامخة ، أو نتسلل الى هذه الغابات الجرمانية السوداء . فليجز الله عنا الدكتور عبد الرحمن بدوى خير الجزاء .

ـ وأذكر من معالم القراءات فى ذلك الزمان كتاب الدكتور لويس عوض عن الأدب الانجليزى الحديث ، الذى انتظم مجموعة من المقالات كتبها لويس فى

د. طه حسين



شبابه الباكر فى مجلة «الكاتب المصرى» التى كان يرأس تحريرها طه حسين ، كما أذكر له مقدمته لترجمة «بروميثوس طليقاً» للشاعر شللى ، ولقد كان الدكتور عوض فى ذلك الوقت مشغولا الى جانب الرؤية الفنية بالجانب الاجتماعى فى نتاج الأدباء الذين عنى بهم ، فاذا كان بدوى يقدم لنا هؤلاء الأعلام كأرواح قلقة ، فان لويس يقدم لنا أعلامه كعقول مدركة فاعلة .

وأذكر أيضاً كتاب الدكتور محمد مندور «نماذج بشرية» الذى نثر فيه طائفة من شخصيات الأدب العالمى ، لا الأدباء بل الأبطال وأشباه الأبطال الروائيين والمسرحيين ، مستطرداً فى لغة عذبة الى جلاء واقعهم الذى خلقهم ، وآفاقهم التى خلقوا فيها ، ثم الرمز الانسانى والأخلاقى الذى حملوه للأجيال . فلقد كان مندور فى ذلك الوقت نموذجاً للناقد الفنى الأخلاقى ، بينما كان لويس عوض ناقداً فى رؤية اجتماعية ، وأظن أن المواقف قد تبدلت كثيراً عند هذين الناقدين الرائدين فيما بعد .

كان ذلك هو بعض القدر الرصين من تعريف نقاد ذلك الزمان لنا بالأدب الأوروبى ، تقدم به ثلاثة من جيل الوسط من الأكاديميين ، وذلك بعد أن ارتاد طه حسين الطريق ومهده ، أما محاولات الهواة وأشباه القراء فقد طالما أساءت الى معرفتنا وضللتنا عن ادراك القيمة الحقيقية لما نقرأ . أذكر الآن ناقداً من ألمع نقاد ذلك الزمان ، وأقرأ ما كتبه عن «سارتر» الذى كان ولوعاً بذكره ، ثم أعود الى سارتر الذى اقتنيته أصيلا ومترجماً فيما بعد فلا أكاد أجد شيئاً من الصلة بين سارتر الحقيقى وسارتر المبتدع .

ولقد كان علي محمود طه مولعاً بذكر اسماء الشعراء الفرنسيين فى تخريج قصائده ومطالعها والتعريف باتجاهاتهم الأدبية ، ولا أظن أن شيئاً من ذلك كان مجدياً بحق للقارىء ، كما أولع بعض النقاد بالمقارنة بين إلياس أبى شبكة وبودلير ، أو بين بعض شعراء الرومانتيكية المصرية وشعراء البحيرة الانجليز ، دون قدر واف من علم ، ولكنها البادرة النقدية غير المؤصلة أو المدروسة .

مع ت . س . اليوت

كان ذلك حالى مع أدب الفرنجة ، حتى رزقنى الله من حيث لا أحتسب بمن شق لي الطريق ، وشجعنى على الولوج متكئاً على الانجليزية وبعض الفرنسية الى هذا العالم الطريف .

كان الشاعر الناقد ت . س . اليوت قد هبط الى بلادنا لأول مرة على صفحات كتاب لويس عوض عن الأدب الانجليزى الحديث ، ولكن لويس عوض حذرنا منه كأنه الحلوى السامة حين قال انه شاعر عظيم ورجعى عظيم أيضاً . ولقد كانت كلمة «رجعى» فى تلك الفترة أسوأ الكلمات وقعاً فى آذاننا . ولكن صديقاً قديماً يسبقنى فى الجامعة ببضعة أعوام قال لي ذات مرة إن مجموعة من شعر إليوت ترقد فى مكتبة الجامعة التى كان يعمل بها ، ثم استعارها لي . وقرأناها معاً ، وقرأنا خطراته النقدية أو بعضها أيضاً معاً .

كان ذلك الصديق هو الناقد القصاص «بدر الديب» ، ولا أظن أن كثيراً من أهل زماننا يعرف أمور الفن والأدب معرفة حقة كما يعرفها بدر ، ولا أعرف أحداً تحمس لتجربتى الشعرية فى إبانها الأول كما تحمس لها بدر . ولقد كتب بدر مقدمة ديوانى الأول «الناس فى بلادى» .. عام ١٩٥٧ ، وفى بيته احتفلت احتفالا يتيماً بهذا الديوان حين صدر . فأولم بدر وليمة دعا اليها حفنة من صحابنا ، وذكرنى بما كان يقال من ان القبيلة كانت اذا نبغ فيها شاعر أولمت الولائم ودقت الطبول .. على فرض أننى كنت حقاً قد نبغت أو قاربت النبوغ .

ولكن يا للذكريات ووطأتها على النفس .. هاأنذا أثب هكذا سبع سنوات أو ثمان لأتوقف عند مساء أجده طاوياً ما سبقه من أصباح وأمسيات طوال . فقبل هذه الليلة بسنوات كنت قد غمست نفسى فى لغة الفرنجة وآدابها غمساً ، لا شعرها فحسب ، بل رواياتها ومسرحها وبعض فلسفتها ونقدها ، كما كنت قد عودت عينى على مطالعة جمال اللوحات الفنية واستشراف موسيقاها اللونية والتشكيلية . فانا أحد عشاق الفن التشكيلى فى هذا الزمان المختلط الدميم وأحد الذين يعتقدون أن الحضارة العربية قد فقدت كثيراً من مقوماتها فقدت هذه الحاسة التشكيلية التى كانت تتجلى فى عمارة المساجد وتزيين الكتب وتجميل الخط ، وكانت آخر مذابح التشكيل هو اهمالنا المتعمد لتزيين الخطوط وتحسينها ، حتى ماتت مدرسة الخطاطين المسلمين .

ولا أذكر صديقى بدر الديب إلا وذكرت صديقى عبد الغفار مكاوى ، فقد كان عبد الغفار مكاوى — ومازال — مثقفاً طلعه كما يقول القاموس فى وصف أمثاله



ت . س . إليوت



د . محمد مندور



د . لويس عوض

مشارف الخمسين

على الشاطئ الغربي ..لأول مــــرة

تجاوزه مشيراً الى طريق الخلاص .
وربما كان طريق الخلاص الذى اختاره إليوت ، وهو الدين ، طريقاً غير مجمع عليه ، فى عصر يزدهى بالعلم والاحصاء ، ولكنه على أى حال أحد الطرق المطروحة على الوجدان المعاصر .
لم يكن إليوت إذن مجرد متنبىء ، بل كان داعية واقعياً ، أى متصلا بالواقع ، وكان هذا هو سر جاذبيته التى خلقت له مكانة سامقة فى عالمنا الشعرى المعاصر .

أى متطلعاً الى اجتياز الواقع الثقافى الى آفاق جديدة ، وهو الذى حدثنى عن مجموعات من الشعر الأوروبى فى مكتبة الجامعة كان قد سبقنى الى قراءتها ومحبتها ، وكان من أولها فيما أذكر مجموعة مترجمة الى الانجليزية من شعر الشاعر الألمانى رينر ماريا ريلكه شاعر رومانتيكية أوائل القرن العشرين .
وكما يحدث فى الحياة أن يقودك صديق ، كذلك يقودك الأدباء الذين تقرأ لهم الى أصدقائك الجدد ، ومن قراءة إليوت وشعره ونقده ، عرفت من يحبهم من الشعراء الميتافيزيقيين الانجليز ، ورأسهم جون دون ، وعرفت دانتى الايطالى فى كوميدياه المقدسة ، وعرفت أستاذه عزرا باوند ، وأتباعه المتمردين وعلى رأسهم الشاعر الانجليزى المتأمرك الكبير دبليو . هـ . أودن ، وعن طريق آخر هو طريق الحب عرفت الشاعر الايرلندى ييتس والشاعر الويلزى ديلان توماس ، وكلاهما قرأته لي صديقة كريمة . وكذلك قدمتنى صديقة كريمة الى عالم الروائى الأمريكى وليام فوكنر الذى كانت تعشقه عشقاً ، حين قالت لي : إنه شكسبير العصر الحديث .. نثراً .
والآن يبقى لي من ذلك الزمن المنهوم بالقراءة ظلال وظلال ، لعل أجدرها بالذكر هى الظلال التى خلفها إليوت العظيم .

وقد يكون أعظم مافى إليوت كما قال سبندر هو أنه جمع بين ضدين ، أولهما الطابع الروحى السلبى لعالمنا المعاصر ، وثانيهما الطابع الروحى الايجابى للتقليد الذوقى والفنى فى العالم القديم ، فقد كان شاعراً ممسوساً بفكرة الزمن ، ولقد التقى فى شعره الماضى والحاضر فى هيئة رموز تكشف حين التأمل فيها عن قيم اجتماعية ودينية بالغة العمق . وليس تفرد إليوت إلا أثراً من آثار ثقافته الواسعة ، فقد درس الفلسفة والتراث الانسانى دراسة مستوعبة ، ولعل ذلك يكون حافزاً لشعرائنا الطالعين لكى يدركوا أن الثقافة مقوم رئيسى من مقومات شاعر العصر .
وإنى لأرى الآن بعد مرور الزمان أن إليوت لم يكن هروبياً ولا رجعياً . فقد هاجمه كثير من ناشئة الشعراء فى عصره زاعمين أنه يهرب الى العالم القديم يتخذ منه موضوعاته ورموزه زهداً فى العالم الحديث ، ويبدو لي الآن أن هذه مقولة متعجلة ، فلم يكن إتكاء إليوت على الماضى إلا رغبة فى عرض الحاضر بفقره الروحى عليه ، لكى يكون ذلك دافعاً لأبناء هذا الحاضر أن يتجاوزوا إملاقهم الروحى والفكرى ، وهو رأى إليوت ، حين انطلق من مقولة بودلير ان هذا العالم الحديث عالم خرب ومزيف لم يقف عند ذلك الحد ، بل

علي محمود طه



انصاف مع النفس

ولقد شغل كثير من النقاد بالمقارنة بين مسرحية إليوت الشعرية «جريمة قتل فى الكاتدرائية» وبين مسرحيتى «مأساة الحلاج» حتى غدا هذا الموضوع أحد الموضوعات الرئيسية فى الأدب المقارن فى جامعاتنا العربية .
وقد يفزع غيرى لهذا الموضوع ، ففيه اتهام بالمحاكاة أو السرقة مما ينفى أصالة الشاعر ، ولكن رجلا مثلى قرأ نظرية إليوت فى الموروث الأدبى لابد أنه قد نقد هذه الحسلسية المريضة . فليس التراث إلا صفحات ممتدة يفيد منها لاحق من سابق ، ومتعلم من معلم .
ولكنى – انصافاً لنفسى – أقول اننى لم أنسج على منوال إليوت ولم أقع تحت أفراس عربته المطهمة . فمازال لدي تصوري الخاص للمسرح حتى هذا الفرع الذى تنتمى اليه المسرحيتان ، وهو مسرح الاستشهاد والقداسة ، الذى تنتسب اليه أيضاً مسرحيات «التعزية» الفارسية ، ومسرحية «القديسة جون» لبرنارد شو ، و «رجل الله» لجان أنوى ، وغيرهما .
ولعل أكبر أثر لاليوت فى تفكيرى هو أثره كناقد ، فهو إذا طعن بعض رصفائه فى شاعريته ، مثل روبرت جريفز الذى كتب عنه أسوأ مايكتب ، هو ناقد مجمع على ثقافته ونفاذ فكره وعمق حاسته . ومن المستطاع بلا شك أن يضاف اسمه الى اسماء النقاد الكبار أصحاب النظريات النقدية ، مثل أرسطو ولسنج وكولردج وريتشارذ وغيرهم .
ولكن هذا حديث متعجل ، فلنتمهل له ولأمثاله قليلا فى إطلالة قادمة .

صلاح عبد الصبور

د . محمد عماره

السّلفيّة ..

مصطلح «السلفية» من المصطلحات التى يحيط بمضمونها الغموض ، فى عدد من الدوائر الفكرية والسياسية فى واقعنا العربى والاسلامى المعاصر ..

فهناك من يرون فى «السلفية» و «السلفيين» : التيار المحافظ والجامد فى حياتنا الفكرية ، وفى الجانب الدينى من هذه الحياة على وجه الخصوص ..

وهناك من يرون فى «السلفية» وأهلها : التيار الأكثر تحرراً من الخرافة والبدع ، ومن ثم الأكثر استنارة فى مجال الفكر الدينى بالذات !

وهذا الغموض ، أو عدم التحديد ، لم ينشأ من الوهم أو الفراغ ، ذلك أن من الذين ينتسبون الى «السلفية» من هم ، بالفعل ، محافظون وجامدون . ومنهم من هم فى الطليعة المنادية بالتجديد الدينى وضرورة فك إسار العقل من قيود الخرافة والبدع والتقليد ! .. كما أن منهم من يرى «سلفه الصالح» ، الذى يترسم خطاه ، فى «علماء» عصور الانحطاط والركاكة المظلمة التى مرت بأمتنا تحت حكم المماليك والعثمانيين .. ومنهم ، أيضاً ، من يرى «سلفه الصالح» فى أعلام عصر الخلق والابداع والازدهار الذى عرفته أمتنا ، وبلورت فيه حضارتها «القومية ــ العقلانية ــ المستنيرة» ، قبل انحطاط عصر المماليك .. وأيضاً فمن «السلفيين» من يتنكر للعقل ، كقوة انسانية ، عندما ينكر عليها القدرة على البرهنة والحكم والتمييز بين ما هو حسن ونافع وما هو قبيح وضار ، ويحصر القدرة على ذلك فى النصوص والمأثورات وحدها .. على حين أن من «السلفيين» من يعلى مقام العقل ويعزز من سلطانه ، حتى ليعتبره أجل القوى التى ميز الله بها الانسان وأعظمها ، ومن ثم يمنحه الاستقلال فى مجال «عالم الشهادة» وفى نطاق الحياة الدنيا وما بها من ظواهر وعلوم ومعضلات ، على حين يجعل السلطان للنصوص والمأثورات فى نطاق «عالم الغيب» الذى لم ولن يدرك العقل كنهه ، وإن كان هو الأداة فى فهم ما جاءنا حوله من نصوص ومأثورات ! .

إذن .. فنحن بازاء مصطلح يحيط بمضمونه الغموض وعدم التحديد ..

وإذا نحن ذهبنا نلتمس معنى هذا المصطلح فى القرآن الكريم فاننا نجد أن «السلف» يعنى : «الماضى» وما سبق الحياة الحاضرة التى يحياها الانسان (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) (عفا الله عما سلف) (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) .. فالسلف هنا هو : «الماضى» ، وما سبق وتقدم على الحياة الحاضرة للانسان ..

ونفس هذا المعنى يدل عليه هذا المصطلح فى الحديث النبوى الشريف ..



فعندما حضرت الوفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال لابنته فاطمة : «... ولا أراه إلا قد حضر أجلى ، وإنك أول أهل بيتى لحوقاً بى ، ونعم السلف أنا لك !» .. كما نجده مستخدماً بالمعنى الشائع فى دوائر المال والتجارة ، أى اقراض المال ، فالسائب بن أبى السائب يروى : «أنه كان يشارك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قبل الاسلام ، فى التجارة ، فلما كان يوم الفتح جاءه ، فقال النبى : مرحباً بأخى وشريكى ، كان لا يدارى ولا يمارى ، يا سائب ، قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تقبل منك ، وهى اليوم تقبل منك . وكان ذا سلف وصلة» .. أى كان يقرض المال ويصل الأرحام ! .

وفى معاجم اللغة لا يختلف مضمون هذا المصطلح عن ذلك الذى وجدناه فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ... ونحو ذلك ، أيضاً ، نجد مضمون المصطلح فى (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوى .. «فكل من تقدمك من آبائك وقرابتك فهو سلف لك .. والسلف ــ فى الشرع ــ اسم لكل من يقلد ــ (بالبناء المجهول) ــ مذهبه فى الدين ويتبع ــ (بالبناء للمجهول) ــ أثره .. وقد يطلق السلف شاملا للمجتهدين كلهم ..»

هكذا نجد مصطلح «السلف» و «السلفية» واضح المعنى محدد المفهوم .. غير أنه مثير للغموض وعدم التحديد ؟! .. فهو يعنى : «الماضى» .. لكن أى ماض ؟! .. ويعنى السابقين .. لكن أى تيار من تيارات السابقين ؟! .. تلك هى القضية ، وتلك هو سر الغموض !

صرخـة مثقف إنجليزي حول المسرح العربي

مطلوب مؤتمر للمسرحيين العرب في لندن

• كين ويتنجهام

قبل أسابيع قليلة رفع مندوبو الدول العربية بمنظمة الأمم المتحدة احتجاجاً شديداً على برنامج تلفزيونى أعدته وأذاعته شبكة أى بى سى الأمريكية عن الصراع فى الشرق الأوسط ، مشوهة صورته وطبيعته . وليست هذه هى المرة الأولى التى تمارس فيها تلك الشبكة التلفزيونية الأمريكية تحيزاً صارخاً ضد العرب . والمؤسف حقاً أن مثل هذه الأفلام ومواجهة العرب لها بالاحتجاج أمر أصبح مألوفاً فى الغرب . وما «موت أميرة» الذى أثار عاصفة من الغضب فى العالم العربى كله سوى مثال واحد فقط .

ومع ذلك ، فإن الاحتجاج وحده لا يلغى الآثار السلبية العميقة التى يتركها فيلم . ولا يمكن ايقاف الاستمرار فى تشويه صورة العرب بردود الفعل السلبية ، وإنما بالعمل الايجابى . ان رجل الشارع فى أوروبا ليس ملوماً لكونه يصدق ما يعرض عليه من شاشة التلفزيون .. لأنه لم يجد فرصة لمعرفة أى شىء عن العالم العربى خارج نطاق الجدل السياسى والتذمر من ارتفاع أسعار النفط . وهو باختصار لا يعرف شيئاً عن العربى كانسان ، ولا عن المجتمع العربى ككائن حى لا يختلف عن مجتمعه هو نفسه إلا فى درجة التطور .

إن التفاهم بين الناس العاديين ـ لا بين الحكومات ـ لا يتم عادة إلا فى مجال التبادل الثقافى .. سواء كان ذلك عبر المسرح ، أو الأفلام ، أو الرواية ، أو أى شكل آخر من أشكال التعبير . ومع ذلك ، وعلى الرغم من وفرة الانتاج الأدبى والفنى المؤثر من إبداع الفنانين والكتاب العرب فى الخمسة والعشرين عاماً الماضية ، فان تلك الأعمال مازالت بعيدة عن متناول العالم الخارجى إلا ما عالجه منها عدد قليل من المستشرقين .. وهم ، كما يتوقع ، لا يهمهم أن يهبطوا من أبراجهم الأكاديمية العاجية ليقدموا حصيلة معرفتهم المتخصصة الى الجمهور العام . ولكننا لا نستطيع القاء اللوم كله على جماعة ضئيلة الحجم كالمستشرقين ، بل إن الدول العربية نفسها موضع لوم لأنها قعدت حتى الآن عن استخدام أمضى أسلحتها القادرة على مواجهة الدعاية الصهيونية ، إذ أن أفضل السبل لدحض الباطل هو اظهار الحقيقة ، وإن أفضل السبل لكسب تعاطف الأجنبى مع العرب وثقافتهم التى تختلف عن ثقافته هو تمكينه من رؤية وتفهم طريقة العرب فى الحياة من خلال منظور الكتاب والفنانين العرب .

مشكلة اللغة

وقد يحتج قائل بمشكلة اللغة .. وأنا أول من يعترف بصعوبة ترجمة الأعمال الأدبية العربية الى الانجليزية أو أية لغات أوروبية أخرى ، خاصة وقد قمت بترجمة مسرحيات وأعمال أدبية عربية . ولكنها ليست بالعقبة التى يستحيل اجتيازها .. بالرغم من أن عدد الأعمال الأدبية العربية الحديثة المتوفرة للقارىء غير العربى ضئيل للغاية .

إن أيسر سبيل لتذليل هذه المشكلة هو الفنون المرئية .. والمسرح والأفلام . وبالنسبة للمسرح ـ على الأقل ـ أقامت هيئة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) التابعة لمنظمة الأمم المتحدة معهداً عالمياً للمسرح لتطوير الاتصال والروابط بين المسرحيين من مختلف الثقافات والمناطق . وهنا أيضاً نجد أن الدول العربية قد أهملت هذا المشروع ، ولم تشترك بعدد كبير فى هذه المؤسسة وبشكل رسمى .

غياب المسرح العربى

وفى مؤتمر للمسرح العالمى عقد مؤخراً فى جزيرة قبرص التى لا تبعد كثيراً عن الدول العربية ، لم تشترك من الدول العربية سوى الأردن ، وهى حديثة عهد بالمسرح . أما حركات المسرح الكبرى الرئيسية فى العالم العربى ـ بمصر ، وسوريا ، والعراق ، والجزائر ، والمغرب ، ودول الخليج ـ فقد سجلت غياباً تاماً عن المؤتمر . ولذا لم يكن من المستغرب أن يتساءل مندوبون من الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية ـ بعد أن

تجشموا عناء السفر الى قبرص النائية عنهم ـ عن وجود مسرح فى العالم العربى ، وعن صحة الانطباع السائد بأن الاسلام لا يبيح المسرح . وقد تمت مناقشات حية وجادة خارج قاعة المؤتمر ، طرح فيها مسرحيون من كل أرجاء العالم أسئلة عديدة عن تطور المسرح العربى .. وأسعدهم أن يسمعوا أنه مزدهر على مستويات عدة .. ولكنهم كانوا يريدون معرفة المزيد .

ومن هنا بالذات انبثقت فكرة عقد مؤتمر عالمى خاص يعقد فى لندن لإتاحة الفرصة للمسرحيين العرب للاجتماع بعدد كبير من نظرائهم البريطانيين ، وبمسرحيين من قارات الدنيا الخمس .. حيث يتم التقديم والتعريف بما جرى فى المسرح العربى فى السنوات العشر الماضية ، كما يتم تبادل الرأى حول طرق الاداء المسرحى ، وكيفية خلق الجمهور المسرحى ، وأساليب الكتابة والاخراج ـ وبمعنى أشمل : توفير مناخ واطار لعملية تبادل بين الطرفين العربى والعالمى .. خاصة والمسرح المتطور فى الدول الصناعية أمامه الكثير ليتعلمه من المسرح النامى فى الدول النامية .. وهذه حقيقة يعترف بها المسرحيون .. وكانت قد وجدت تعبيراً كاملا عنها فى الأعمال التجريبية التى قام بها بيتر بروك .

وقد أبدى مركز المعهد العالمى للمسرح ببريطانيا حماساً للفكرة لوعيه بخطورة نقص المعلومات عن المسرح فى العالم العربى ، كما أن عدداً من المخرجين قد تساءلوا عن امكانية الحصول على عدد من المسرحيات العربية مترجمة الى اللغة الانجليزية .

لماذا .. لندن ؟

وإذا ثار سؤال حول اختيار لندن مكاناً لعقد هذا المؤتمر فان المدينة باعتراف الجميع هى أكبر مركز للمسرح العالمى ، وتوفر للمندوبين المؤتمريـن بها ثروة من فرص الوقوف على أعمال مسرحية عالمية بمسارحها الكثيرة أثناء حضورهم المؤتمر نفسه ، كما أن لندن هى مركز للصحافة العالمية الناطقة بالانجليزية والتى يهم المؤتمر أن يتم عبرها تقديم المسرح العربى الى العالم الناطق بالانجليزية .

وبالاضافة الى ذلك ، هناك رابطة قائمة بين المسرح البريطانى والمسرح العربى ، إذ أن عدداً كبيراً من المسارح فى العالم العربى ، كمسرح الدوحة ، ومسرح عمان ، قد تم تجهيزها بأيدى فنية بريطانية ، ووظفت بعض الدول العربية بريطانيين كمستشارين لتطوير الحركات المسرحية الناشئة بها . وقد تلقى كثير من الممثلين والمخرجين العرب تدريباً مهنياً فى معاهد المسرح التى تذخر بها بريطانيا ، فتاثرت أساليبهم وطرقهم فى الأداء بالأساليب البريطانية .. خاصة فى مجال المسرح التجريبى . ويستطيع المرء أن يلاحظ فى كثير من المسرحيات العربية اشارات واضحة تدل على تاثرها بأعمال مسرحية بريطانية .. فى الاخراج ، أو الاضاءة ، أو النص نفسه .

ويمكن للمرء إذن أن يتصور مدى قيمة لقاء عالمى تجتمع فيه تجارب بيتر برووك أو بيتر هول الى جنب تجارب عربية محددة كتجربة كرم مطاوع ، وسعد أردش ، وحيث يمكن لألفريد فرج وكاتب ياسين أن يتبادلا وجهات النظر والأفكار مع جون أوزبورن وطوم ستوبارد .

بعيداً عن السياسة

إن مثل هذه اللقاءات البعيدة عن عالم السياسة وحبائله هى التى تتيح للمجتمعات المختلفة أن تلتقى عبر لغة مشتركة .. هى الثقافة . ولكن مجرد تبادل الآراء والأفكار حول المسرح لا يكفى ، لأن المسرح فن عملى وتطبيقى .. وليس مجرد أفكار ونظريات . ومن ثمة لابد أن يصاحب مؤتمر المسرح العربى مهرجان تقدم فيه بعض أبرز الأعمال المسرحية العربية التى أنتجت فى السنوات القريبة .. والتى تمثل الأنواع المختلفة للمسرح العربى كله . ويمكن تقديم ترجمة فورية تساعد المشاهدين من غير المتحدثين بالعربية على فهم المسرحيات المقدمة . وهذا تقليد كان سائداً فى لندن ، ولكنه توقف فى العقد الأخير .

فهل يمكن اعتبار مثل هذا المشروع حلماً جنونياً .. أو وهماً لا يمكن تحقيقه ؟

لا أظن ذلك .. فقد شهدت لندن ومراكز أوروبية أخرى قيام مهرجانات بها للمسرح تصاحبها مؤتمرات حول ما يجرى فى أصقاع نائية من العالم ، وكانت البداية دائماً أفكار منطلقة من شرارة حماس . وعمل متواصل ومكثف . وإن كان المرء لا يستطيع الجزم بأن هذا المؤتمر العالمى للمسرح العربى ومهرجانه سيتمان، فان الأمر المهم هو أن يكف العالم العربى عن الشكوى من أن صورته يتم تشويهها فى الغرب ، وأن ينتهز الفرصة التى يطرحها أناس عاديون وبلا دوافع سياسية ، يبغون من منطلق طبيعتهم كبشر أن يقيموا اتصالا وروابط أوثق وأفضل على المستوى العالمى .

«كين ويتنجهام»

سعد أردش



كرم مطاوع



ندوة التنمية

طريق للمشاركة في تطوير مجتمع الجزيرة العربية ومواجهة تحديات الحاضر والمستقبل

كثر الحديث فى الفترة الأخيرة عن « ندوة التنمية » التى شارك فى اجتماعاتها عدد كبير من المفكرين والمثقفين المهتمين بالتنمية فى أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط ، وكان من بين المشاركين فى نشاط الندوة الدكتور على خليفة الكوارى ، وحول ندوة التنمية وأهدافها وطريقة عملها جرى هذا الحوار مع الدكتور الكوارى ..

● أولا ماهى أهداف هذه الندوة ؟

ــ الندوة تجمع المهتمين بالتنمية فى اقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط باعتبار هذه المنطقة شريحة عربية ، حيث توجد مشاكل متشابهة بين هذه الاقطار ، ولا تتكرر هذه المشاكل بالنسبة للدول الاخرى المنتجة للنفط ، ومن هنا كان التركيز الأساسى على اقطار الجزيرة العربية ومازالت هذه الندوة فى دور التكوين أو مايمكن أن نسميه بالمرحلة التحضيرية ، وهناك لجنة تعمل فى اطار هذه المرحلة التحضيرية ، وقد وضعت الندوة امامها هدفاً أساسياً هو التركيز على موضوع التنمية فى كل الوان النشاط الذى تقوم به ..

● إذن ماهى الأعمال التى يمكن أن تقوم بها هذه الندوة ؟

ــ النشاط الاساسى يتمثل فى رعاية الدراسات التى تتناول مشكلة التنمية من جوانبها المختلفة وقد لجانا منذ البداية الى طرح سؤال حول الدراسة التى يمكن أن يكون لها اهمية استراتيجية ، وقد اشترك معنا عدد من الخبراء والباحثين فى تحديد الموضوع ، واتفق على البدء بدراسة «المشروعات العامة» وهى الشركات التى انشاتها الحكومات فى دول المنطقة .. هذه المشروعات العامة لها اهمية خاصة ، فهى التى يتم الاعتماد عليها فى تنويع مصادر الدخل وبناء قاعدة انتاجية لمواجهة عصر ما بعد النفط ، حيث يقتضى التخطيط السليم أن نفترض أن هذا العصر سوف يبدأ بعد ثلاثين سنة فى المتوسط ، كذلك تهدف هذه المشروعات الى خلق عمالة منتجة واستخدام هذه المشروعات كاداة للتحول الاقتصادى السليم من عصر النفط الى عصر مابعد النفط ، ومثل هذه المشروعات لا يكون دورها مقصورا على المرحلة الراهنة بل يتخطاه الى المستقبل البعيد او ما يمكن أن يسمى بالبعد الاستراتيجى للعمل الانتاجى ..

● معنى هذا أن الموضوع الاول الذى اتفقتم عليه هو «المشروعات العامة» وهنا نسال عن المنهج الذى اتبعتموه فى البحث . ؟

ــ لم نكن نريد لمثل هذا البحث أن يكون مجرد بحث نظرى ، بعيد عن الواقع ، أو مبنى على تصورات مجردة ثبت أنها قليلة الجدوى ، ويكفى فيها أن يعكف أحد الباحثين على جمع بعض المعلومات من بعض المصادر العلمية المختلفة ، وغالبا ما تخرج هذه الدراسة عن أى مساس بواقعنا ، لأن المصادر الأصلية تكون فى العادة متصلة بواقع آخر وظروف أخرى ، ومن هنا اتجهنا فى البحث الى البدء بالاتصال بثلاث فئات ، الأولى هى فئة المسئولين المباشرين عن ادارة مثل هذه المشروعات مثل ــ رئيس مجلس الادارة او العضو المنتدب او مدير الشركة ــ أما الفئة الثانية فهى فئة الوزراء المختصين والمسئولين عن التخطيط العام ، وتاتى الفئة الثالثة لتمثل الاشخاص المهتمين بالتنمية والأمور العامة فى المنطقة ..

● نحب أن نتوقف هنا لنسال عن نتيجة مثل هذه الاتصالات ، خاصة وأن مثل هذا المنهج العلمى غير مالوف فى الوطن العربى ، وكثيرا ما تكون النتيجة هى مجرد رسائل رسمية متبادلة ، مليئة بالمجاملات ، بعيدة عن الاحصائيات والمعلومات الدقيقــــة . ؟

ــ فعلا كنا نخشى من ذلك فى البداية ، ولكن الحقيقة اننا وجدنا تجاوبا كبيرا ونتائج ذات جدوى علمية دقيقة ، وقد اجرينا مقابلات مع ستين شخصية ، وكان الهدف من هذه المقابلات فهم المشكلات والمصاعب التى تواجه المشروعات العامة فى المنطقة .. ومن ناحية اخرى تم الاتصال بمجموعة من المختصين من خارج المنطقة ، من بينهم بعض الأساتذة الأجانب المهتمون بالمشروعات العامة . وكانت كل هذه الاتصالات على مستوى علمى رفيع فى دقة المعلومات والاحصائيات والبعد عن أى عملية من عمليات المجاملة أو التمويه أو غير ذلك مما يصيب البحث العلمى بالقصور ونقص الأدوات

● على ضوء ذلك .. ماذا كانت الخطوات التى اعتمدتها الدراسة فى



المراحل التالية ..

ــ كان من السهل بعد ذلك أن نتحرك الى الأمام اعددنا اطارا عاما للدراسة سميناه « اسئلة استهلالية للمناقشة » ودعونا لأول لقاء يحضره المشاركون فى الندوة أو عدد منهم ، وقد تم ذلك بالفعل فى أبو ظبى بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٧٩ م .

● وماذا كانت نتيجة هذا الاجتماع ؟

ــ ركزنا فى لقاء ابو ظبى على مناقشة المدخل الى دراسة كفاءة أداء المشروع العام فى الأقطار المنتجة للنفط فى الجزيرة العربية ، وكان الرئيس العام للمؤتمر هو الأستاذ/ احمد خليفة السويدى ، وحرصنا على أن يكون اللقاء نوعياً ، بمعنى الابتعاد عن التصريحات الصحافية والدعائية بهدف إضفاء الطابع العلمى الكامل على المناقشة ، وقد اشترك فى هذا اللقاء ثلاثون شخصية ، وعقدنا خمس جلسات تناولت الموضوعات التالية :

١ ــ ماهى مسوغات انشاء المشروعات العامة فى بلدان الجزيرة العربية المنتجة للنفط ، وماهو الدور الذى يجب أن تضطلع به هذه المشروعات العامة فى التنمية الاقتصادية للمنطقة ؟

٢ ــ مدى الرقابة الخارجية على المشروع العام فى مواجهة الاستقلال الادارى ؟

٣ ــ اختيار وتعبئة وتطوير وحفز المدراء التنفيذيين .

٤ ــ العوامل الذاتية التى تؤثر على تكلفة المشروع وعوائده .

٥ ــ تقييم الأداء فى المشروعات العامة .

وقد رأس الجلسات الخمس على التوالى الاساتذة : عبد الباقى النورى ، عبد العزيز راشد الراشد ، عبد الله النيبارى ، د. على خلف ، عبد العزيز الزامل .

● وهل كانت هناك خطوات لاحقة لهذا اللقـــاء ؟ .

ــ أثناء هذا اللقاء وجدنا رغبة شديدة من كافة المشاركين فى اللقاء على ألا تنتهى هذه التجربة بمجرد انتهاء اللقاء ، وانبثق عن اللقاء لجنة تحضيرية اجتمعت فى الدوحة فى شهر يونيو ١٩٨٠ واتفقت على عقد اجتماع ثان فى البحرين يكون موضوعه ادارة التنمية فى اقطار الجزيرة العربية وتم تكليف الدكتور اسامة عبد الرحمن عميد كلية العلوم الادارية بجامعة الرياض بادارة لقاء البحرين والاعداد له ، كذلك ناقش اجتماع الدوحة فكرة تكوين الندوة وتم الاتفاق على أهداف عامة لها ، ورؤى عدم الاستعجال مع العمل المتريث فى سبيل النضج وبلورة الفكرة بصورة سليمة .. كما أن هناك الراشد ، عبد الله النيبارى ، د. علي الخلف ، عبد اتجاه بيروقراطى يأكل ميزانية الندوة وهى الميزانية التى تعتمد على اشتراكات الافراد والمساعدات .. فهناك حرص على أن يتم استخدام هذه الميزانية فى أغراض علمية مثمرة

● هنا نحب أن نسأل .. مادمتم اتفقتم على الأهداف .. هل يمكننا أن نتعرف عليها .؟

ــ حتى الآن لم تحدد اهداف الندوة بشكل نهائى ولكن الأهداف المقترحة مبدئياً تتمثل فى ايجـــاد منـــاخ علمى وفكـــرى متجـــــــدد يخلق الصلة والتفاعل بين ابناء المنطقة حول قضايا التنمية ويكرس الجهود نحو دراسة أوضاع التنمية وتحليل عقباتها واستشراف حلول لها وبلورة استراتيجيات علمية من اجل بناء هيكل اجتماعى وانتاجى اقتصادى سليم ، كما تعمل الندوة على توثيق أواصر الارتباط والاتصال مع ابناء المنطقة المعنيين بأمور تنميتها ، والعمل على خلق « ذاتية التنمية » فى المنطقة بعيدا عن التجارب المنقولة ، واثارة الرغبة والحافز لدى أبناء المنطقة لتناول قضايا ومشاكل البيئة من خلال حوار جامع بناء يضم المسئولين بصفتهم غير الرسمية مع غيرهم من المهتمين بالأمور العامة ، وكذلك تهدف الندوة الى تعميق الوعى والادراك من اجل تطبيق الأساليب والنظم العلمية وتطوير ادارة التنمية بما يسمح للمنطقة بالمزيد من الاستخدام الأمثل لمواردها ، كذلك تهدف الندوة الى تبادل الخبرة والمعرفة والاستفادة من التجارب الناجحة وتلاشى الازدواجية فى الجهود والعمل على ربط هذه الجهود واستكمال الحلقات المفقودة فيها والبدء من حيث انتهى الآخرون والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة فى الأسلوب ..

● ولكن ما هى سبل تحقيق هذه الأهداف ؟

ــ سبل تحقيق هذه الأهداف فى الوقت الحاضر تتم باتباع الوسائل التالية : يلتقى المشاركون فى الندوة سنوياً على هيئة اجتماع عام يتناول الآراء حول موضوع رئيسى ذى أهمية استراتيجية فى عملية التنمية تعد له أوراق تحضيرية ويحدد له إطار علمى للنقاش تحت اشراف مدير الاجتماع السنوى الذى يكون مسئولا عن ادارته والتخطيط له وكتابة تقرير نهائى عنه .. ومن ناحية اخرى تتم رعاية مشروعات دراسية متخصصة تتناول موضوعات محددة ذات أهمية خاصة وذات تاثير مستقبلى على تنمية المنطقة أو محاولة ايجاد اسلوب لحل مشكلة أو عقبة تواجه ادارة التنمية بالمنطقة تحددها اللجنة التحضيرية حسب البرنامج المقرر ، مع تكليف احد المختصين لقيادة جهود البحث المتعلق بها بالتعاون مع اعضاء الندوة وغيرهم من المختصين من أبناء المنطقة .. ثم عقد اجتماعات أو ندوات أو مؤتمرات او المشاركة فيها حسب ما تقرره اللجنة التحضيرية ..

● هذه هى اهداف الندوة كما شرحتموها .. ونود أن نتوقف عند المشروع الدراسى السنوى ، فنسأل عن مشروع عام ١٩٨١ ؟

ــ موضوع عام ١٩٨١ هو الواقع الحالى للقوى العاملة المحلية وأهمية الاعتماد عليها ،

ندوة التنمية
طريق للمشاركة في تطوير مجتمع الجزيرة العربية ومواجهة تحديات الحاضر والمستقبل

وقد تم تكليف السيد سليمان عبد الرازق المطوع نائب العضو المنتدب فى شركة نفط الكويت بالتحضير للمشروع وإدارته .. وبالاضافة لذلك بدأ التحضير لمشروع دراسى آخر حول الفوائض النقدية لأقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط ، وسيقوم بادارته والتحضير له الأستاذ عبد الوهاب علي تمار رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة الكويتية للاستثمارات والمقاولات والتجارة الخارجية .

● إذن نود أخيراً أن نسال عن أول ثمرة علمية لهذه الندوة ؟

– الثمرة العلمية الأولى هى كتاب قمت باعداده تحت عنوان «دور المشروعات العامة فى التنمية الاقتصادية – مدخل الى دراسة كفاءة أداء المشروعات العامة فى أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط» وسوف يتم طبع هذا الكتاب فى الكويت ويصدر فى سلسلة عالم المعرفة فى أول يونيو القادم (١٩٨١) .

● هل يمكن أن ناخذ فكرة عما يتضمنه هذا الكتاب ؟

– يتناول الكتاب مبررات انشاء المشروعات العامة فى المنطقة ودورها فى التنمية ، والموازنة بين الرقابة على المشروع العام واستقلاله الادارى ، والعمل على ايجاد عادات ادارية جديدة ذات كفاءة ، وأهمية تعبئة الكوادر المحلية واعدادها مع امكانية ترشيد سبل ايجاد القيادات الادارية .. كذلك يتناول الكتاب المشروعات العامة والعوامل الداخلية ذات التاثير المباشر على كفاءتها ، ثم تقييم أداء المشروعات العامة .. وأخيراً يتضمن الكتاب أربعة ملاحق تشمل أسماء المساهمين فى مشروع الدراسة وجدول أعمال اجتماع أبو ظبى وأسئلة استهلالية للمناقشة فى الاجتماع الأول للمشاركين وبيانات احصائية من واقع المقابلات مع مسئولى ادارة المشروعات العامة .. وأيضاً فى الكتاب قائمة موسعة جداً بكافة المصادر والوثائق والمراجع التى تم الاستناد اليها والتى بلغت حوالى ٧٠ مرجعاً ومصدراً ..

● ● ●

وعند هذا الحد من الحديث انتهى اللقاء مع الدكتور علي خليفة الكوارى حول ندوة التنمية بكل ما تمثله من آمال علمية كبيرة لدى بعض المثقفين والمفكرين من أبناء المنطقة الذين يريدون المشاركة على أوسع نطاق فى تطوير مجتمعهم والنهوض به ومواجهة كل التحديات التى يتعرض لها فى الحاضر والمستقبل .



المشاركون في ندوة أبوظبي

هذه هي أسماء المشاركين فى لقاء أبو ظبى فى الفترة من ١٢/٢٥ الى ١٩٧٩/١٢/٢٧ :

● الدكتور/ أسامة عبد الرحمن
عميد كلية العلوم الادارية – جامعة الرياض – الرياض – السعودية .

● الاستاذ/ احمد على الدعيج .
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للمجموعة الاستثمارية العقارية الكويتية – الكويت .

● الاستاذ/ احمد محمد السبيعى
مدير ومهندس ادارة الأعتدة الميكانيكية وزارة الأشغال العامة . ونائب رئيس مجلس ادارة شركة قطر للحديد والصلب – قطر .

● الاستاذ/ تركى بن خالد السديرى
رئيس الديوان العام للخدمة المدنية عضو المجلس الأعلى للجامعات – الرياض – السعودية .

● الدكتور / جميل عبد الله الحشى .
مدير عام مشروع الجبيل الهيئة السلكية لمنطقة الجبيل الصناعية عضو مجلس ادارة الدار السعودية للخدمات الاستشارية – الجبيل – السعودية .

● الدكتور/ حسن ابراهيم
مدير جامعة الكويت – الكويت .

● الاستاذ/ حسن عبد الله فخرو
مدير عام شركة نفط البحرين الوطنية – البحرين .

● الاستاذ/ سعيد احمد غباش
وزير التخطيط – ابو ظبى – الامارات العربية المتحدة .

● الاستاذ/ سليمان عبد الرازق المطوع .
نائب العضو المنتدب (للادارة) شركة نفط الكويت نائب رئيس هيئة الجنوب والخليج العربى – الكويت

● الاستاذ/ سيف احمد الغرير .
رئيس اتحاد الغرف التجارية والصناعية والزراعية . ورئيس مجلس ادارة بنك عمان – دبى – الامارات العربية المتحدة .

● الدكتور / عبد الله جمعه الكبيسى
محاضر – جامعة قطر عضو مجلس الجامعة الأعلى – الدوحة

● الاستاذ/ عبد الله النيبارى
سكرتير الجمعية الاقتصادية الكويتية رئيس اللجنة المالية – مجلس الأمة السابق – الكويت .

● الاستاذ/ عبد الباقى عبد الله النورى .
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب بشركة صناعة الكيماويات البترولية – الكويت .





● الاستاذ/ عبد الله يوسف الغانم
وزير الكهرباء السابق ـ الكويت
● الاستاذ/ عبد الرحمن بن محمد السدحان .
أمين عام مجلس الخدمة المدنية ـ السعوديـة .
● الدكتور/ عبد الرحمن عبد الله الزامل . نائب المحافـظ .
رئيس مجلس ادارة الشركة الموحدة لكهرباء المنطقة الجنوبية الغربية ـ السعودية
● الاستاذ/ عبد العزيز راشد الراشد رئيس مكتب الراشد (محاسبون ومراجعون قانونيون) ـ الرياض نائب رئيس مجلس الادارة ومحافظ المؤسسة العامة لتحلية المياه سابقاً وكيل وزارة المالية والاقتصاد الوطني السعوديـة .
● الدكتور/ عبد العزيز السلطان نائب المدير العام للمكتب الهندسي الكويتي . رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب لشركة التعبئة والبلاستيك الصناعية ـ الكويت .
● الاستاذ/ عبد العزيز عبد الله الزامل .
نائب رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة السعودية للصناعات الأساسية . السعوديـة .
ئيس مجلس ادارة الشركة السعودية للحديد والصلب .
● الاستاذ/ عبد الوهاب على التمار رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة الكويتية للاستثمارات والمقاولات والتجارة الخارجية .
نائب رئيس بنك الخليج العربي ـ الكويـت .
● الدكتور/ على خليفة الكوارى مدير مشروع الدراسة ـ قطـر
● الاستاذ/ على صالح الصالح رئيس اللجنة المالية ـ المجلس الوطني السابق ـ البحرين .
● الدكتور/ على عبد الرحمن الخلف أمين عام منظمة الخليج للاستشارات الصناعية ـ قطـر .
● الاستاذ/ غانم فارس المزروعي سكرتير عام جهاز أبو ظبي للاستثمار عضو الشركة العربية للاستثمار . الامارات العربية المتحدة
● الاستاذ/ فاروق عبد الله نعمه مدير العلاقات وشئون الموظفين بالهيئة القطرية لانتاج البترول ـ قطر
● الاستاذ/فهد بن سعود الدغيشر رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة العقارية السعودية . عضو مجلس ادارة البنك العربي الوطني ـ السعوديـة .
● الدكتور/ محمود حمزه كروها مدير عام شركة بترول أبو ظبي الوطنية ـ الامارات العربية المتحدة
● الدكتور/ منصور الباحسين مدير عام شركة حرض للانتاج الزراعي والحيواني . وكيل وزارة الزراعة (سابقاً) ـ السعودية .
● الاستاذ/ مؤيد عبد العزيز الرشيد الوكيل المساعد لشئون الصناعة ـ وزارة الصناعة والتجارة ـ الكويت
● الاستاذ/ يوسف ابراهيم الغانم رئيس شركة المعدات ومن كبار رجال الأعمال . عضو مجلس التخطيط السابق ـ الكويت .

د. عبد السلام العجيلي

البحث عن حكم موضوعي

● البحث عن الأحكام الموضوعية فى الحياة من أصعب المستحيلات .. حتى العلوم الحديثة التى تتظاهر بالموضوعية لاترى من الحقيقة إلا الجانب الذى يلائمها .. وهذا هو السؤال .. الا يمكن للانسان ان يرى العالم بعيداً عن ذاته ..؟ ●

● كنت أحدث صاحبى فى أن الموضوعية فى الأحكام تكاد تكون مستحيلة ، حتى فى الأمور العلمية الصرف ، فسألنى قائلا :

– ما الذى يدعوك الى هذا الكلام ؟

قلت : انه الكتاب الذى تراه فى يدى . كتاب قرأته منذ عشرة أعوام ، ونويت فى ذلك الحين أن أعود الى قراءته ثانية . غير أن الأيام والمشاغل حالت بينى وبينه حتى عثرت عليه اليوم وأنا أتفقد رفوف مكتبتى .

ألقى صاحبى على الكتاب نظرة سريعة وقال : انه بالفرنسية . أهو رواية ؟

قلت : بل هو دراسة علمية فلسفية صدرت فى أول السبعينات فأثارت عند صدورها ضجة فى أوساط الفكر فى كثير من بلدان العالم . عنوان الكتاب «المصادفة والضرورة» ، ومؤلفه جاك مونو ، وهو عالم فرنسى قد نال جائزة نوبل فى عام ١٩٦٤ على أبحاثه فى الميكانيكية البيوكيميائية لانتقال المعلومات الوراثية ودور حامض الريبونوكلونيك المنظم للمورثات فى تركيب البروتينات ...

قال صاحبى ، وهو يكاد يضحك : لا شك فى انها أبحاث معقدة . مجرد تسميتها يكفى لالقاء الرعب فى نفس انسان متواضع الثقافة مثلى .

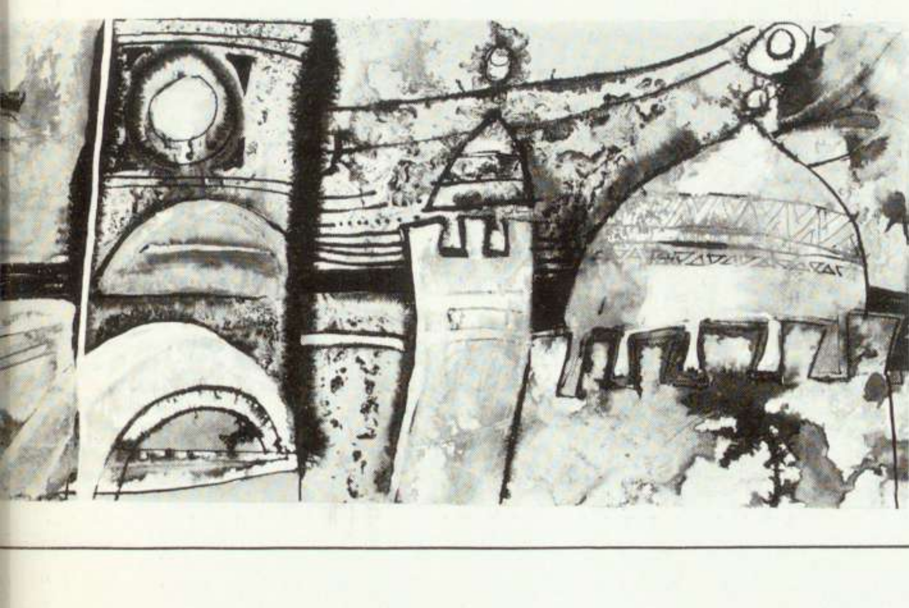
قلت : الحق معك . انها من الدقة والتعقيد بحيث لا يستطيع ملاحقتها إلا الصفوة من ذوى الاختصاص . على أن الكتاب نفسه ليس سجلا لابحاث جاك مونو العسيرة الفهم هذه . انه يحتوى أفكاراً فلسفية مستقاة من تلك الأبحاث . وهذا لا يعنى أن قراءة الكتاب أمر سهل . لابد من زاد كاف من علوم الكيمياء والبيولوجيا ومن جلد وصبر لمن يريد فهم تلك الأفكار المستقاة من تلك الينابيع .

قال : وعلى الرغم من هذا كنت أنت تريد أن تعيد قراءة الكتاب . ألم تكفك منه قراءة واحدة ؟!

قلت : الصحيح انى كنت أنوى أن أعقد مقالا على بعض الآراء الواردة فيه . افتتح جاك مونو كتابه بكلمة للفيلسوف الاغريقى ديميقريطس هذا نصها : «كل ما هو موجود فى الكون هو ثمرة المصادفة والضرورة» . ومع ذلك فقد تبين لي أن أبحاث كتاب «المصادفة والضرورة» تنتهى الى أن موجودات الكون لم توجد اعتباطاً . انها ، أى تلك الأبحاث التى درس بها العلم الحديث والمتطور دقائق التكوين فى الأحياء وغير الأحياء ، تدعو الى الايمان بأن هناك قدرة عاقلة صانعة لهذا التكوين ...

قال صاحبى متسائلا : وهذا يعنى ...

قلت : يعنى ان هذا الباحث الحائز على جائزة نوبل ، الواقف على قمة العلم المادى ، يكشف لنا فى طريق دراسته للتكون البدئى للموجودات الحية أن هناك قوة مسيطرة ، مهيمنة واعية ومنظمة ، ما أجدرها بأن تدعى الخالق الأزلى ! دراسة المادة هنا تنتهى على البرهنة على وجود ما هو أسمى من المادة ... على وجوده تبارك وتعالى . كنت أريد أن أكتب مقالى على هذا الذى بينته لي قراءتى الأولى لكتاب جاك مونو ...



يا دائم الاحسان

هل أدرك صاحبى أهمية ما حدثته به ؟ لا أدرى على التحقيق . هو فى الواقع أكثر انصرافاً الى الأدب وتعلقاً به منه الى العلم أو الفلسفة . قال يسألنى :

ـ أخبرنى ماذا فعلت فى النهاية .. هل كتبت المقال ؟

قلت : لا .. لم أفعل . وذلك لسبب بسيط ، هو الذى دفعنى الى القول بان الموضوعية فى الاحكام ، حتى فى القضايا العلمية ،تكاد تكون مستحيلة . فبعد أن تهيأت لكتابة مقالى وقعت فى احدى المجلات على بحث كتبه مفكر لا أشك فى جديته وكفاءته عن مؤلف جاك مونوهذا ، عالج فيه النقطة التى كنت أريد أنا معالجتها بالذات . إلا أن ذلك المفكرانتهى فى بحثه الى نتيجة مغايرة تمام المغايرة لما رأيته أنا . لقد تبين له أن ما جاء به جاك مونو فى كتابه يدعم بقوة ويؤكد أقوال الملحدين والدهريين ، ممن ينكرون وجود الخالق عز وجل ...

قال صاحبى مستغرباً : هكذا بكل بساطة ؟! لعلك أخطأت فى فهم كتاب عالمك الكبير . سبق وقلت لي ان مضمونه عسير الهضم .

قلت : لا .. فأنالم أجد عسراً فى ادراك ذلك المضمون . والقضية ليست قضية فهم خاطىء ، لا من جانبى ولا من جانب المفكر صاحب البحث الآخر . كل منا نحن الاثنين ، ان شئت الصحيح ، استنتج من أبحاث العصر المتطورة التى تضمنها كتاب «المصادفة والضرورة» نتيجة متأثرة بعوامل متعددة ، مشحون بها وعي واحدنا ولا وعيه . كان الحقل الذى دخلناه واحداً ، إلا أن كلامنا تزود من ذلك الحقل بالجنى الذى يحبه ويؤثره .

وهنا هز صديقى رأسه وقال : أظننى فهمت قصدك . قرأت مرة فى واحد من كتب الصوفية ان جماعة مختلفى المشارب كانوا فى صحن أحد المنازل حين تسرب اليهم من الطريق صوت مناد يكرر جملة بعينها ، فسمع كل منهم تلك الجملة بشكل مختلف عن رفاقه . سمعها قائد القافلة : من يسري الى اسوان ؟ ... وسمعها الفارس :من يركب الحصان ؟ .. وسمعها عابد زاهد كان فى الجماعة : يا دائم الاحسان ! وحين اقترب المنادى من المنزل الذى كانوا فيه ،تبين أنه بائع خضار كان ينادى على بضاعته قائلا : من يشترى الباذنجان ؟! هذه ، فيما أعتقد ، شبيهة حكايتك مع الكاتب الآخر الذى فهم من كتابكما المفضل عكس ما فهمته أنت ...

قلت تشبيه فى محله . وأضيف أن القضية تكررت معى فى ندوة عقدتها لطلاب الصفوف العليا فى احدى جامعاتنا ، فى مدرج كلية الآداب بتلك الجامعة ، منذ بضعة أسابيع . فى تلك الندوة تسابق طلاب كانوا قد تهيأوا لها بدراسة بعض كتاباتى ، تسابقوا فى إلقاء الأسئلة علي حول مضامين ما قرأوا لي من قصص وروايات . أنا ، كما تعرفنى لست كاتباً غامضاً أو بعيداً عن افهام قارئى ما أريد . ومع ذلك فان بعض أولئك الشباب رأوا فى ما كتبته أموراً لم أوردها واستشفوا أهدافاً لم أقصدها ، فقولونى فيها ما لم أقله ..

سألنى صاحبى : ماذا قولوك ؟

أجبته : أضرب لك مثالا . حاورنى أحدهم فى مفهوم الصراع الطبقى فى أخر رواياتى ، التى عنوانها «المغمورون» . الصحيح انى لم أتعرض فى تلك الرواية لقضية الصراع الطبقى . ولكن جيل اليوم من الشباب ، وليس هذا مأخذاً عليهم ، يرون الصراع الطبقى فى أحلام نومهم لكثرة ما يتردد تعبيره فى وسائل الاعلام وفى الدراسات الجادة وغير الجادة ، عدا عن تردده فى بعض مناحى الحياة . حاولت تصحيح الفكرة التى كونها ذلك المحاور عن مضمون روايتى ، إلا أنه أصر ، وأحسب غيره من زملائه كانوا مثله ، أصر على طريقته الخاصة فى فهم ما كتبت . كان اصراراً غريباً جديراً بأن يثيرنى ، إلا أنى قابلته بابتسام وأنهيت الحوار بقولى انه حر فى ما يراه مثل حريتى فى أن لا أستصوب ما يراه ...

قال صاحبى : لعله مخلص فى اعتقاده صواب رأيه . كان جديراً بك أن تشكره .

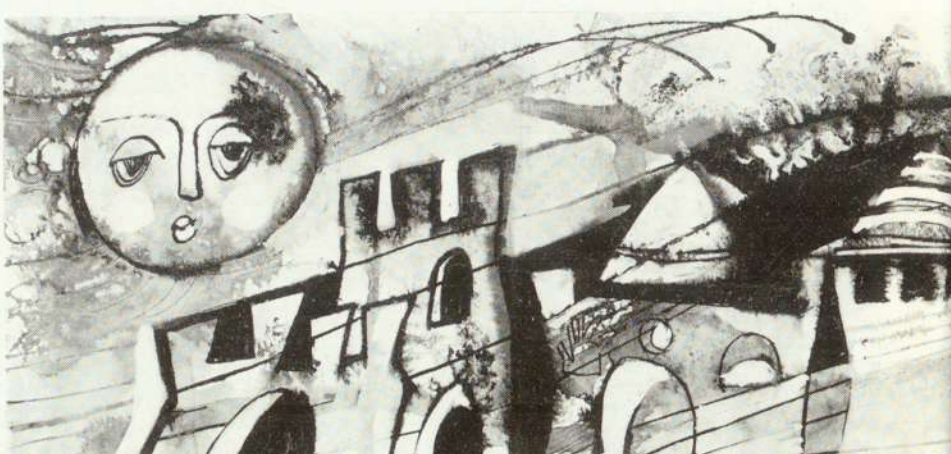
هذا التفاوت

ضحكت وقلت له : اذن فأنت ترى أن أولئك الشباب اكتشفوا فى روايتى أموراً لم أعرفها ومقاصد لم أستهدفها ..

قال : ربما كان الأمر كذلك . وربما أنك فى ما فهمته من فصول «المصادفة والضرورة» ، والكاتب الذى فهم منها عكس ما فهمت ، وكذلك الشباب.. أن كلا منكم يرى الأمور من خلال نفسه . من خلال مكونات هذه النفس ، وراثية وبيئية ومكتسبة بالتعليم والتربية . نفوسكم أوان وآراؤكم نضح لما تحتويه تلك الأوانى . لقد فطن الأولون الى هذا منذ القديم فقال قائلهم :

وحسبكم هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذى فيه ينضح

عبد السلام العجيلى



• بعد نصف قرن من الزمان •

الحقيقة الضائعة

في صراع العقاد والزهاوي

د. الطاهر أحمد مكي

عاش الشاعر العراقى الكبير صدقى الزهاوى ينشد الشهرة ويسعى وراءها ، شأن كل الفنانين ، ومن وسائلها السلبية أن تتعلق بمن هو أكبر منك ، أو يسبقك ، فتأخذ بخناقه ، تنقده وتتعقب سقطاته وكانت الصحف والمجلات فى العشرينات تفسح له من صفحاتها مكاناً واسعاً ، واتسم نقد تلك السنوات بالقسوة والعنف ، لا يجامل ولا يتخفف ، ولا يقدم على نشر إبداعه إلا من وثق فى نفسه ، وتأكد من خطاه ، وأثرى ذلك الحوار العنيف الصاخب حياتنا الأدبية ، وأزاح الستر عن الملكات الكامنة وأفسح الطريق أمامها لتمضى صعداً لا تبالى .



أحمد شوقى



صدقى الزهاوى



عباس العقاد

ولم يكن هجوم طه حسين العنيف على المنفلوطى إلا شيئاً من هذا القبيل ، ويمكن أن نقول الشىء مثله فى معظم النقد الذى وجهه عباس العقاد إلى شوقى ، وانضم إليهم الزهاوى فأنكر أن يكون شوقى أمير الشعراء ، وظل يلقبه بشاعر النيل ، وحين وجد نفسه وحيداً فى هذا الطريق أقترح أن يكون هناك أميران ، واحد فى مصر ، والثانى فى العراق :

قالوا لشاعر مصر
دار الامارة تبنى
فقلت يا أهل مصر
منكم أمير ومنا

ثم انتهز الفرصة المواتية ليهبش فى شوقى كما صنع آخرون ، وجاءته حين نشر أمير الشعراء قصيدته فى رثاء الشاعر اسماعيل صبرى ، فى صيف عام ١٩٢٣ ، ومطلعها :

أجل وإن طال الزمان موافى
أخلى يديك من الخليل الوافى

فبادر بنقدها على صفحات جريدة العراق ، بتوقيع «شاعر عراقى كبير» ، ولم يكن بأقل من أنداده فى القاهرة تحاملا وعنفاً ، وصنع هذا فى اللحظة التى أجمع فيها أمره على مغادرة بغداد والرحيل إلى القاهرة ، ولكن مرضاً مفاجئاً ألزمه الفراش خمسة أشهر ، ثم اشتعلت الثورة فى سوريا ، فأخرت سفره حتى أوائل عام ١٩٢٤ . وقبل أن يسافر بأيام أقام له أدباء العراق حفل توديع ألقى فيه كلمة وقصيدة جاء فيها :

ليس لى من بعد العراق مفر
غير مصر ، ومصر أخت العراق
فى رحيلى عن العراق إلى مصر
مصابى معادل لاشتياقى

وفى أوائل شهر يونيه من عام ١٩٢٤ وصل الشاعر العراقى الكبير إلى القاهرة واستقر فى «بنسيون سافوى» فى شارع شريف ، وفيه أخذ يتردد عليه الشعراء والصحفيون ، ورجال الفكر والقلم ، وبدأ ينشر قصائده فى الصحف المصرية :

المقطم ، والأهرام ، والسياسية ، وأضفت عليه هذه الصحف لقب الشاعر الفيلسوف ، وكانت أولى قصائده بعد أن هبط القاهرة فى جريدة المقطم بعنوان : «إلى مصر» ، ومطلعها :

لقد سرت من بغداد يدفعنى الوجد
إلى حيث وكر الشعر طائره سعد
ويشملنى أبناؤها برعاية
أرى أننى قد لا أرى مثلها بعد
فتعلم بغداد على بعد أرضها
بأن ابنها فى مصر منزله حمد

ولكن شوقى ـ وكان شديد الحساسية بكل ما يقال عنه ، ويجفل من النقد فى قوة ـ أمسك عن زيارة الزهاوى أو الترحيب به ، وكان يحتفى بكل شاعر أو أديب يهبط القاهرة ، عربياً أو غير عربى ، وجاراه فى هذا خليل مطران وحافظ إبراهيم ، مجاملة لشوقى على التأكيد ، وهو تقصير ما كان يجب أن يكون .

● فى القاهرة كما فى بغداد :

كان الزهاوى متحرر الفكر جداً ، لا يأخذ فى الاعتبار مستوى التطور الفكرى الذى عليه عامة الناس حوله ، وعانى من ذلك كثيراً . ففى العراق ، ولما يزل فى شرخ الشباب خاض معركة الدفاع عن المرأة ، بكل جرأة وشجاعة ، متأثراً دون شك بآراء قاسم أمين ، وخرج على المجتمع العراقى المحافظ والمتزمت فى ذلك الوقت بمقال نشره على صفحات المؤيد الأسبوعى فى القاهرة ، فى ٧ أغسطس ١٩١٠ ، بعنوان المرأة والدفاع عنها ، عرض فيه لمواهب المرأة وإمكاناتها وتحدث عن الحجاب ومضاره ، ودعا الى تحريرها منه ومن الجهل ، بحجج قوية ، ومنطق مقنع ، ولم يكد المؤيد يصل بغداد ويقرؤه الناس ، حتى ثارت ثائرة كبار رجال الدين ، وأدى الى رد فعل عنيف .

فقد كتب الشيخ محمد سعيد النقشبندى ، وهو من كبار رجال الدين ، كتيباً يرد فيه على الزهاوى ، بعنوان : «السيف البارق ، فى عنق المارق» ، واتهمه فيه بالكفر والالحاد والزندقة . وتوالت المقالات رداً عليه فى بغداد والقاهرة على السواء ، وقيل فى بعضها ، نكاية به ، انه يدعو الى تعدد الأزواج .

وهاج الرأى العام العراقى بأجمعه ، ومن أمامه ، أو من ورائه ، رجال الدين ،

● كان الزهاوي متطور الفكر لا يأخذ في الاعتبار مستوى التطور الفكري الذي عليه عامة الناس من حوله

وطلبوا من ناظم باشا والي العراق عزله من وظيفته فى مدرسة الحقوق ، وخشى الزهاوى من اعتداء العامة عليه فاختفى فى بيته أياماً ، وأخذ بعض الأدباء يعابثونه فكانوا يكتبون اليه رسائل التهديد غفلا بلا توقيع ، وأحس الرجل انه وحده ، لا أحد معه ، ولا حول ولا طول له ، فتنكر لمقاله ، ورغم أنه مدسوس عليه ، فى رسالة مفتوحة نشرتها جريدة الرقيب البغدادية ، ثم تبرأ منه ثانية فى رسالة بعث بها إلى السيد هبة الدين الشهرستانى ، وكان من كبار العلماء ورجال الدين ، لينشرها فى مجلته العلم ، فنشرها له ، وعلق عليها بما يخفف من ثائرة الجماهير : «فاذا تحقق عندنا أن الفاضل الزهاوى ينكر صدور تلك المقالة من قلمه ، ويعترف بفساد ما تخيل الناس من ظاهرها ، ويظهر أن الأحكام التى سنها شرعنا الأطهر ، هو الأصلح بحال النساء ، عقلا وعرفاً ، فقد بلغنا أمنيتنا ، وظفرنا بتلك النتيجة على أحسن صورة وأقل مؤونة ومسعى» ، ثم دعاه فى نهاية تعليقه الى مقاضاة الجريدة التى نسبت اليه ما يهينه ، ويهين الدين ، ويفضح عدوه العراقى الذى تجاسر عليه ، وعلى شرعه المتين ، فى تزوير هذه المقالة .

وبداهة آخر ما يفكر فيه حاكم مستبد ، فى دولة متخلفة ، أن يحافظ على حرية الرأى ، أو يحمي كرامة الكاتب ، ولهذا استجاب ناظم باشا والى العراق لرغبة العامة والعلماء فوراً ، وعزل الزهاوى عن وظيفته ، وعبثاً حاول الشاعر الكبير أن يعود إليها رغم تنصله من المقال ، واستجارته بكبار العلماء ، ولكن أمير المؤمنين فى الآستانة عزل ناظم باشا ، بعد أن تراهق على فتاة أرمنية صغيرة ، وفقد صوابه إزاء جمالها ، ولم يتوقف عن ملاحقتها ثم اضطهادها (١) ، فضجت منه بغداد ، واتخذ خصومه من القضية سلاحاً أشهروه عليه ، وعين مكانه جمال باشا ، والذى اشتهر باسم السفاح ، وقد انتقم منه الزهاوى ، ونظم فيه قصيدة طويلة ، بعنوان : «طاغية بغداد» ، هاجمه فيها بعنف ، وقسا عليه فى النقد

ثم وسط صديقه الشاعر بشارة الخورى أو الأخطل الصغير ، فى أن يتوسط له عند جمال باشا ، حين يهبط بيروت فى طريقه إلى بغداد ، وقد كان ، فقد قرب هذا الزهاوى إليه ، واعاده الى منصبه فى مدرسة الحقوق ، وفى عهده انتخب الزهاوى نائباً عن «لواء المنتفق» فى مجلس المبعوثان .

ولكن الزهاوى وجد فى القاهرة من ينصره فى دعوته ، فدافع عنه الشاعر ولى الدين يكن ، ووجه إليه قصيدة جاء فيها :

أسير بدار الظلم أعياه اسره
أما من فتى فى الناس حر يناصره
عفاء على الزوراء بعد «جميلها»
إذا ربعها المعمور أخلف داثره

ووقف إلى جانبه شبلى شميل ، وكان يمثل جانب الأفكار المتطرفة فى التحرر ، ويدفع الناس حوله دفعا إلى الشك والتمرد ، والايمان والعلم والعقل ، ولا غيرهما .

الدمع ينطق !

وفى ضوء هذا التأييد بدت القاهرة للشاعر الزهاوى أكثر تحرراً من بغداد ، وخيل إليه أنه يستطيع فيها أن يقول ما يريد ، وما يؤمن به ، دون أن يثير الناس حوله ، ودون أن يقيم الدنيا أو يقعدها ، ولذا لم يكد يستقر به المقام ، ويرتاح هونا ، ويدفع عن جسده وعثاء السفر ، حتى نشر فى جريدة السياسة ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٢ ، قصيدته «الدمع ينطق» ، وجاء فيها :

وسائلة هل بعد أن يعبث البلى
بأجسادنا نحيا طويلا ونرزق ؟
فقلت مجيبا : اننى لست واثقاً
بغير الذى حسي له يتحقق
وهيهات أن ترجى الحياة لميت
اليه البلى فى قبره يتطرق
تقولين : يفنى الجسم والروح خالد
فهل بخلود الروح عندك موثق ؟
ومع أن فكرة موت الروح تجد لها عند

الحقيقة الضائعة في صراع العقاد والزهاوي

بعض الفرق الاسلامية سنداً ، وبها يؤمن بعض العلماء المسلمين ، إلا أن المحافظين من علماء الأزهر فى قاهرة العشرينات ـ وألفوا الثورة على أية مغامرة فكرية تتجاوز حدود ما ألفوا ـ لم يدعوا هذه الأبيات تمر ، كأن أبياتاً عابرة يقولها شاعر كبير فى صحيفة سيارة ، حتى ولو افترضنا جدلا أنها تخرج على حدود الدين ، سوف تأتى على الاسلام ، ومثلها تفيض به كتب الأدب والتاريخ ، بل بما هو أكثر خروجاً وصراحة وزندقة ، وما أصاب قائليها عنت ولا ضيق .

على أى حال تصدى للقصيدة شيخ لا يذكر له التاريخ غير هذا الموقف الردىء ، ويدعى عبد الحميد قطيط ، ولو أنه تصدى للفكرة مناقشاً أو مفنداً أو معترضاً ، لكان للتاريخ منه موقف آخر ، ولكنه وجه كتاباً مفتوحاً إلى وزير الداخلية على صفحات جريدة الأخبار ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٤ ، يستعديه على الشاعر ، لأنه أنكر البعث بعد الموت ، وجحد ما فى القبر من نعيم وعذاب ، ورآه ضيفاً ثقيلا آذى المصريين على اختلاف أديانهم ، إلى آخره من كلام سخيف غير مسئول ، ورد عليه السيد محمد محمد عبد اللطيف شعراً ، بقصيدة نشرها فى جريدة السياسة نفسها ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٣٠ .

ووجه إليه العالم المفكر محمد فريد وجدى كتاباً مفتوحاً مهذباً ، نشرته جريدة السياسة بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٦ ، ناقش فيه آراء الزهاوى فى أدب وعلم ، وفندها فى تهذيب ولطف ، اختلف معه تماماً ، ولكنه فى الوقت نفسه قرر حقيقة هامة ، ما أحوجنا إلى أن تكرر ، وأن نعيها ، وأن نضعها محط أنظارنا تماماً ، يقول : «لا أمل ، فى اعتقادى ، لنهوض أمة نهضة عقلية ما لم تصل إلى هذه الدرجة من ترك المفكرين أحراراً فى بث أصولهم ، وإخلاء المجال لآرائهم تتنازع البقاء ، مطلقة من كل قيد . سبقنا الغرب إلى هذه الفضيلة فحييت العقول فيه حياتها الطيبة ، وخلصت الأفكار من أصفادها الموبقة ، وتجلت الحقيقة لطلابها من بين هذه المعامع زاهية متلألئة» .

وتناول القضية أيضاً أحمد الصاوى محمد فى عموده «ما قل ودل» فى جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٧ ، فأخذ على الشيخ الأزهرى أنه عوض أن يطلب «ضيفنا الكريم الشاعر إلى الحوار والمناظرة ، وبدل أن يدحض زعمه بالأدلة ويثبت خطأ نظريته ، ليقضى عليها ويمحوها كما تمحو آية النهار ظلمات الليل ، كما يفعل العلماء فى كل أمة ناضجة الرأى ، وهبت نعمة التفكير ، ووفرت لها حرية الفكر ، نعم بدل أن يفعل ذلك نراه يلتجىء فى كلمته إلى الحكومة» . «أكذلك يكون نصيب أستاذ مفكر ، ابن أمة شرقية كريمة صديقة .. فى ديار هى منارة الشرق ، وموطن الفكر الحر ؟» .

وقد رد الزهاوى على العلامة محمد فريد وجدى رداً جميلا ، وأهداه ديوانه ، ورسالته «المجمل» ، ولكنه لم يلقه ، ورد على الشيخ قطيط أيضا رداً موجزاً وعلمياً .

ومع أن الزهاوى سبق أن عانى فى وطنه شيئاً كهذا ، لكنه فيما أتصور لم يكن يعرف أن كثيرين أيضاً فى القاهرة على شاكلة الشيخ قطيط ، يحترفون الضجيج من قديم ، وقل أن يعيرهم أحد اهتماماً على الصعيد العملى ، فأخذه الخوف من كل جوانبه ، ولفه رعب قاتم ، وفيما يبدو لم يجد من يقف إلى جواره شخصياً ويطمئنه ، فأسرع يحزم حقائبه وغادر القاهرة فى ظروف غير طيبة ، فى ١٩٢٤/٩/٢٨ ، قبل أن يمضى أسبوع على نشر رسالة الشيخ الأزهرى . وخسر الشاعر ، وخسرت القاهرة على التأكيد أيضاً ، فلو امتدت به الحياة فى جنباتها فى فجر اليقظة القومية ، وامتدت الجسور بينه وبين عالم كان ثريا بالأدب والفكر ، وصافياً فى الصراع والحوار ، لأثرى تجارته ، ولأضاف إلى عالم القاهرة الأدبى جديداً مفيداً .

بين الزهاوى والعقاد

لقى الزهاوى أثناء الشهور الأربعة التى قضاها فى القاهرة العقاد مراراً ، وتزاورا ، ورغم ذلك كان القدر يحتفظ له بمعركة كبرى مع كاتب الشرق الجبار . ذلك أن العقاد تلقى رسالة من كاتب تونسى يدعى عبد القادر بن خليفة بن ميلاد ، يحب الزهاوى شاعراً ، ويعجب به فيلسوفاً ، ويسأله : هل الزهاوى شاعر أو عالم أو فيلسوف ؟ . ورد عليه العقاد بكلمة نشرها فى البلاغ الأسبوعى ، فى اكتوبر ١٩٢٧ ، وأجمل فيها رأيه فى شاعر العراق الكبير : «ان الأستاذ الزهاوى صاحب ملكة علمية من طراز رفيع ، وأنه يصيب فى تفكيره ما طرق من المسائل التى يجتزىء فيها الاستقرار والتحليل ، ولا تفتقر إلى البديهة والشعور ، فمن ينشده فلينشده عالماً ينظم أو يجنح إلى الفلسفة ، فهو قمين باصغاء إليه ، وإقبال عليه فى هذا المجال وإن خير مكان له هو بين رجال العلوم ، ورادة القضايا المنطقية ، فهو لا يبلغ بين الفلاسفة والشعراء مثل ذلك المكان .

وعقب الزهاوى على رأى العقاد برد طويل نشرته جريدة السياسة الأسبوعية فى ١٩٢٧/١٠/٢٢ ، وجاء فيه : «قرأت ذلك النقد على ما فيه من إجحاف شاكراً له عنايته بى ، إلى درجة أن يكلف نفسه كتابة مقالة طويلة عريضة جواباً على

أحمد الصاوى محمد



اسماعيل صبرى



سؤال سائل أديب عنى . وما كنت آمل فى يوم من الأيام أن يحشرنى الأستاذ فى زمرة الفلاسفة أو الشعراء ليؤسفنى إخراجه إياى منهما ، وقد دخل فيهما كثير من الناعقين ، ذلك لمخالفة مبدئى المادى مبدأه الروحى ، ولا يخفى ما بينهما من البون الشاسع» .

«ثم نفى عنى الخيال والعاطفة إلا قليلا ، والبديهة بتاتاً ، أما أنا فأرى أن الشاعر العصرى صاحب حقيقة وخيال وعاطفة ، ولا يبعد بها عن الواقع المحسوس ، وأرى أن الفيلسوف صاحب بصيرة يتحرى بها الحقيقة وحسب ، ولا شأن للبديهة فيه إلا قليلا ، ولا أخالفه فيما يراه للعالم» .

وبعد أن فند آراء العقاد فكرة فكرة ختم رده بكلمة تنبىء عن تقديره له ، وحرصه على أواصر مودته : «وعسى ألا يكون ردى هـــذا مغيراً قلب الأستاذ علي ، فانى لم أقصد به إلا الدفاع عما أعتقد أنه حق كنت قد جئت به ، ومكانة الأستاذ الرفيعة فى العلم والأدب محفوظة ، لا تتزعزع بمثل هذه المماحكات العلمية ، وربما كانت وسيلة لبقاء أواصر المودة ، متواشجة بيننا إلى آخر أيامى المحدودة» .

ولم يشأ العقاد أن يقف بالحوار عند هذا الحد ، فعاد إلى رد الزهاوى ، وتناوله فى مقال ضاف نشره فى البلاغ الأسبوعى بتاريخ ١٩٢٧/١٠/٢٨ ، وربما كان أوضح ما فيه أن العقاد رسم لنا منهجه فى الجدل والنقاش واضحاً جلياً ، فهو لا يصنع ذلك حباً فيهما ، ولا جريا وراء ضجيجهما ، وإنما لاجلاء الحقيقة وبيان الرأى ، يقول : «وليس يضيرنى أنا أن يزيد عدد الفلاسفة والشعراء فى الأرض واحداً أو أكثر ، فاننى لم أتكفل بهم ، ولا تحسب على أخطاؤهم ، ويختلس منى صوابهم ، ولست ممن يحبون الجدل فى غير حقيقة تجلى ، أو رأى يستوضح ، فان الجدل الذى يطول فيه الأخذ والرد لغير شىء من هذا هو لغو الكلام ، وفضول بطالة ، فاذا رجعت اليوم إلى الموضوع فليست رجعتى إليه لحرص على تقليل حظ الزهاوى من الفلسفة والشعر ، ولا المطاولة فى الجدل ، وإنما هى لاستخراج الحقيقة التى أردتها من الأستاذ نفسه ، وبيان المعنى الذى ذهبت إليه من طريقة الأستاذ فى ملاحظة الأشياء ، وفهم أعمال الناس» .

ولم يتراجع الزهاوى ، فرد على العقاد ثانية فى جريدة السياسة الأسبوعية ، بتاريخ ١٩٢٧/١٢/١٠ ، مناقشاً لخصمه ، وواقفاً عند رأيه ، وختم رده الثانى على نحو ما أنهى رده الأول ، تقديراً للعقاد ، وتحية له على البعد : «وبعد فهل يأذن لى الأستاذ أن أمد إليه يدى النحيلة الباردة من شتاء الحياة ، إلى يده القوية الحارة ، أصافحه على البعد بها ، كما كنا نتزاور فى مصر» .

وأسرها الزهاوى فى نفسه

ومهما يكن من أمر فقد أسرها الزهاوى فى نفسه ، وواتته الفرصة حين أصدر العقاد ديوانه الرابع عام ١٩٢٦ ، وجاء بعد سنوات ست من ديوانه الثالث ، فتلقفه الزهاوى ، وأعمل فيه عقله وقلمه نقداً وتمزيقاً دون أن يعرف أحد ذلك .

ففى شهر أبريل من عام ١٩٢٨ نشرت مجلة «لغة العرب» التى يصدرها الأب أنستاس الكرملى فى بغداد الحلقة الأولى من نقد يستهدف العقاد شاعراً تحت عنوان «ديوان العقاد» وجاء المقال بلا توقيع ، واستهله الناقد بقوله : «الأستاذ العقاد كاتب كبير ، وكنا نعتقد كذلك أنه شاعر كبير حتى جاءنا ديوانه الجديد ، حافلا بما نظمه قديماً وحديثاً ، فاذا هو دون ما أكبر تصورنا وإذا هو مشحون بالأغلاط والضرورات القبيحة ، وإذا هو قبر للمعانى الميتة ، دارس فيه كثير من العظام البالية ، وإذا هو تافه المعانى فى الأكثر ، وإذا هو فى كثير من قصيدة يخرج عن الموضوع ، فلا تبقى «الوحدة» المتوخاة منه ، وإذا هو يبالغ أو يغرق فى كثير من أبياته ، وإذا هو يقلد القدماء فليس فيه ما يمت إلى الشعور بواشجة ، إلا أبياتاً قليلة متفرقة هنا أو هناك» .

«وكنا نراه قبل نشر ديوانه يطعن فى مواهب كبار الشعراء ، بل كان ينال من كل شاعر عربى تقريباً ، مصريا كان أو شاميا أو عراقيا ، فما كنا نفهم علة ذلك بعد سكوته الطويل عن الشعر والشعراء حتى ظهر ديوانه العجيب فأدركنا السر» ! .

ويمضى الكاتب فى نقد لغوى يتناول الأبيات مفردة ، والكلمات مستقلة ، وأكثره مماحكات يمسك فيها بخناق الشاعر لأنه جرى على غير نهج الكثرة من اللغويين ، أو المعتاد من قواعد النحو وغفل عن حقيقة كبرى فى النقد الحديث ، وهى أن الشاعر العظيم يشكل اللغة تشكيلا جديداً ، فيصبح عبثه بها قاعدة ، ومنحاه مذهباً ، وهو أمر لم يغفل القدماء عنه ، فكان لنا معه ما يسمى «ضرورات الشعر» ، وهى الأخطاء والهفوات التى تباح للشاعر ولا تقبل من غيره . ولنأخذ لذلك مثلا :

يقول العقاد :

يشكو من الدنيـــا الألى لولاهم
ما كانت الدنيـــا تحب وترغب

فيعلق عليه الناقد :

« «رغب» فعل لازم ، لا يبنى منه المجهول إلا بحرف الجر ، ورغب لايحذف منه حرف الجر لأنه يتعدى بحرفين مختلفين : فيه وعنه ، ويختلف معناه بموجبهما فأى معنى يريده منهما ؟ وإذا صحت قاعدته من أن الذين تحب الدنيا بهم يشكون من الدنيا ، فماله قد تعجب فى البيت قبله من نحيب حبيبه ؟» .

ويقول العقاد :

وما عجزت عنـــك الغداة وإنمـــا
لـــكل شباب هيبة حين يهـــرم

ويعلق الناقد : «الذى أعرفه أن الشباب لا يجتمع والهرم» .

ثم والت مجلة «لغة العرب» نقد الديوان ، فنشرت الحلقة الثانية منه فى عددها الصادر فى مارس ١٩٢٨ ، والثالثة فى شهر يونيه من العام نفسه .

بين العقاد والكرملي

ولم يكد العقاد يقرأ ما جاء فى الحلقة الأولى من هذا النقد حتى بادر بالرد عليه فى «البلاغ الأسبوعى» ، عدد ١٥ يونية ١٩٢٨ م ، بعنوان : «نقد غريب» .

يقول العقاد فى رده : إن رسالة جاءته بتوقيع أكرم أحمد ، وكان شاعراً شاباً ، وتلميذاً مقرباً من الزهاوى ، وموجزها : إن أناساً فى بغداد يمشون بالدس بينه

الحقيقة الضائعة
في صراع العقاد و الزهاوي

وبين الزهاوى ، لأنهم كتبوا إليه يزعمون أن ما نشرته «لغة العرب» فى نقد ديوان العقاد إنما كتبه الزهاوى انتقاماً لنفسه مما كتب عنه العقاد فى البلاغ الاسبوعى من قبل ، ولكنهم كاذبون فيما زعموا ، وإن الأب الكرملى ليس بالرجل الذى يدعى لنفسه كلام الآخرين ، وأن أناساً اقترحوا على الزهاوى أن ينقد ديوان العقاد فأبى مخافة أن يجيء نقده على غير ما يريد من النزاهة والانصاف ، ويعرض على العقاد أن يكتب عن «اللباب» ديوان الزهاوى الجديد ، ثم يتبعه الزهاوى فيكتب عن ديوان العقاد ، ويرى أن يبدأ العقاد الكتابة لأنه الذى بدأ التحامل على صاحب «اللباب» .

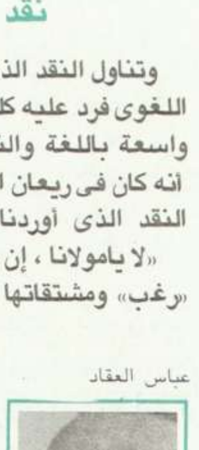
هل حقاً أن العقاد لم يكن قد اطلع على مجلة «لغة العرب» ، ولم يسمع بالنقد الموجه إليه حتى جاءته هذه الرسالة ؟ أشك فى ذلك كثيراً ، ولكنها إحدى وسائل التجاهل ، والتقليل من شأن النقد والناقد ، كانت تستخدم فى تلك الأيام ، وفى أيامنا هذه على السواء . لكن من الواضح شبهة أن يكون الزهاوى هو الذى كتب النقد لم تتأكد عند العقاد ، وحتى لم تبلغ جانب الرجحان ، لأنه لم يعرض له من قريب ولا بعيد ، وصب جام نقده على الأب أنستاس الكرملى ، لا على أنه سمح بالنشر ، ومسئول عنه عند غيبة التوقيع ، وإنما بوصفه كاتباً للمقى ، وكان كفؤاً لأن يواجه الاثنين ، إلا إذا ظننا بالعقاد الخبث ، وأنه أراد أن يوقع بين الاثنين ، وأن يحمل رجلا لا جريرة له ، نقد شاعر تخفى وراءه ، وهو شىء لا أجزم به ، ولكنى لا أستبعده على أى حال .

ومهما يكن من أمر ، فلم يكن بين يدى العقاد من الشواهد المادية ما يدين به الزهاوى ، ولا كذلك فيما يتصل بالأب الكرملى ، فهو صاحب مجلة «لغة العرب» ، ومحررها ، ولذلك انتهى العقاد إلى ما تقضى به تقاليد الصحافة فى مثل هذه الحال ، وهو أن يكون رئيس التحرير مسئولا : «ليس من شأنى أنا أن أعزو هذا الكلام إلى غير صاحب المجلة ، المكتوب اسمه على غلافها ، فان النقد هو الذى يعنينى ، وليس الكاتب ولا من أوعز إليه ، وقد صدر النقد فى مجلة لم تنسبه إلى أحد ، فهو لها إذن ، وهى راضية عنه موافقة عليه» .

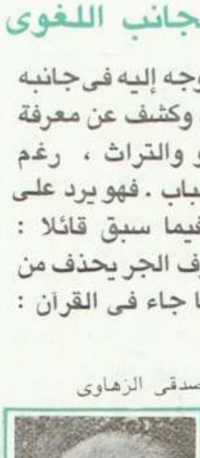
وقد صب العقاد جام غضبه على الأب الكرملى ، ولم يقف به ــ كعادته وأسلوب النقد على أيامه ــ عند حد معين ، وإذا كان ناقد العقاد أسرف فى مآخذ لغوية ليست بذاك ، فان العقاد تجاوز التصويب والدفاع إلى التجريح الشخصى القاسى : «ولست أعرف معرفة اليقين ما الأب أنستاس مارى الكرملى ، صاحب المجلة المكتوب اسمه على غلافها ولكنى كنت سمعت من صاحب لى أديب ، إنه راهب دير أدمن الاشتغال باللغة العربية ، حتى تريب رؤساؤه به لهذا ، فنفوه إلى دير ينقطع فيه عن خدمة هذه اللغة زمناً لا أدرى ما قدره ، فان صح ما رواه صاحبى الأديب ، فهم قد أطلقوه الآن لأنهم رجعوا إلى الصواب فى أمره ، وعرفوا أن البلية على اللغة العربية فى اشتغاله بها لا فى انصرافه عنها ، وتركها وشأنها» .

نقد الجانب اللغوى

وتناول النقد الذى وجه إليه فى جانبه اللغوى فرد عليه كله ، وكشف عن معرفة واسعة باللغة والنحو والتراث ، رغم أنه كان فى ريعان الشباب . فهو يرد على النقد الذى أوردناه فيما سبق قائلا : «لا يامولانا ، إن حرف الجر يحذف من «رغب» ومشتقاتها كما جاء فى القرآن :



عباس العقاد



صدقى الزهاوى

«وترغبون ان تنكحوهن» ، وكما جاء فى الشعر الذى استشهد به ابن هشام :

ويرغب أن يبنى المعالى خالد
ويرغب أن يرضى صنيع الألائم

وكما جاء فى قول يونس حين سئل عن الشعراء : «امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذ رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب» . وكما جاء فى قول الشريف :

طواك إلى غيرى المعتفى
وجاوز أبوابك الراغب

وكما جاء فى قول البحترى :

تولته أسرار الصدور وأقبلت
إليه القلوب من محب وراغب

وكما يعلم الأب ، لو أنه يقرأ كتب النحو ، فضلا عن الدواوين وأقوال الأدباء» .

ولكن العقاد أهمل الرد على الجانب الذى يتصل بالمعنى ، لأن وجهات النظر فيه تختلف ، وفيه بعض الحق ، ولن يكون رده حاسماً قاطعاً على نحو ما كان عليه فى قضايا النحو واللغة .

كان رد العقاد عنيفاً ، ولا يتوقع من العقاد غيره ، فهو صادق مع نفسه دائماً تلك طبعه وتلك طبيعته ، وحين قرأ الأستاذ مصطفى على هذا الرد كتب فى جريدة العراق بتاريخ ١١ تموز ١٩٢٨ كلمة بعنوان : «المؤاخذ بذنب غيره» ، ألمح فيها إلى أن كاتب المقال شخص آخر غير الكرملى ، ولكنه لم يبين من هو ، يقول : «ولكن كلمة الحق يصعب على أن لا أقولها ، تلك هى : إن الكرملى قد أوخذ بذنب غيره ، غيره انتقد العقاد ، وغيره أساء إلى العقاد ، وهوالذى عوقب على تلك الاساءة ، وهو الذى أوخذ بتلك الفعلة ، وبعد : فلله در أنستاس ما هو اليوم من العقاد محتمل ، وساعده الله بين أشداق أى أسد وقع !» .

ولكن ناقد العقاد لم يتوقف ، فقد نشرت «لغة العرب» فى عددها الصادر فى تموز ١٩٢٨ رداً على العقاد ، بغير توقيع أيضاً ، بل إن كاتب الرد فى هذه المرة اتخذ من الأسلوب ما يومىء إلى أنه الأب الكرملى ، حيث قال : لا أدرى لماذا كان نقدى غريباً ألكونى تجرأت على نقد ديوان الأستاذ وهو الذى يخشى الناس معرة لسانه فيتجنبونه لئلا يصيبهم رشاش من شتائمه التى يقذفها على من يتصدى لنقده ، أم هناك

سبب آخر أجهله ؟» .

«على أن الأجدر بالأستاذ أن يثوب إلى نفسه ، ويقرع الحجة بالحجة شأن العلماء ، فلا يحنق ولا يتهور ، والذى لا يحترم الناس فالناس لا يحترمونه» .

جاء رد «لغة العرب» فى مجال اللغة قوياً ، وإن لم يأت على دفاع العقاد ، وعمق الشبهة فى أن كاتبه إن لم يكن الأب الكرملى نفسه ، فقد أعان عليه ، ووجه صاحبه ، وجرى بقلمه بين أفكاره دعماً وتدليلا .

ونشرت الحلقة الثانية من النقد فى العدد الخامس من مجلة «لغة العرب» ، مارس ١٩٢٨ ، وجرى فيها الناقد على نحو ما صنع فى الأولى ، يسل من القصائد أبياتاً يبين ما فيها من عوج لا ترتضيه اللغة ، أو تأباه قواعد النحو أو يخاله العقل ، للوهلة الأولى ، محالا فى مجال الفكر ، وعندما يقع بيت للعقاد يستحق الثناء يذكر ذلك ، ولكنه لا يلبث أن ينقض عليه ، فيأخذ ما أعطى ، ويأتى على ما نسبه إليه من إحسان :

« ومما أجاد فيه الأستاذ :

ليس بين الجفـون والعقـل إلا
خطوتا سـائر فحاذر وأمسك
أول الخطوتيـن نسيانك الناس
وأما الأخـرى فنسيان نفسك

وكان الأحسن ، لو ساعده الوزن ، أن يقول : أولى الخطوتين كما قال الأخرى !»

وتلت الحلقة الثانية ثالثة نشرت فى العدد السادس ، مايو ١٩٢٨ ، ورد عليها العقاد أيضاً فى البلاغ الأسبوعى ، ٢٠ يوليه ١٩٢٨ ، وكانت المقدمة كما عودنا العقاد : «فى هذا الجزء مثال آخر من نقده ، يدل كما يدل سابقه على جهل مطبق بقواعد اللغة ، وفهم ضيق للأدب ومعانى الشعر ، لم أر لها مشابها بين جهلاء النقدة ، وأدعياء اللغة ، وهم غير قليلين» .

ثم يختم رده بقوله :

«لقـد أضعنا الوقت ، وأطلنـا مناقشة جاهل بلغ من جهله ما يراه القراء ، فلا لوم علينا ، لأننا لا نعد من ضياع الوقت أن نكشف لقراء العربية كيف يشتهر مثل أنستاس الكرملى هذه الشهرة باللغة ، وهو فى علم اللغة بهذا المكان الحقير ، فان ذلك ـ كما قلنا ـ لعبرة ، وإن فيه تصحيحاً لمقاييس الناس ، وفتحاً لأعينهم على حقائق الدعاوى والاشاعات» .

ولم تسكت صحيفة «لغة العرب» عن رد العقاد ، وإنما تناولته فى عددها التاسع ، أيلول ١٩٢٨ ، واتهمته بأنه يسب عجزاً ، وأن الناقد قادر على أن يجاريه فى سبه : «ما أسهل السب والشتم والثلب لو كانا يغنيان عن الحجة ، كما فعل الأستاذ العقاد ، بعد أن عجز عن قرع حججى بالحجج ، ولو أردت لأشبعته سباً كما يفعل ، ولكنى لا أجاريه فى سفهه ، بل أمر بلغوه كريماً ، وأقول سلاماً» .

ومع الحلقة السادسة توقفت مجلة «لغة العرب» عن نشر شىء ، وهدأت المعركة بينها وبين العقاد .

● التجاوب الفكري والأدبي بين أدباء الوطن العربي يدعم وحدتهم القومية ويقوي الإحساس بوحدة المصير

من هو الكاتب الحقيقى ؟

جاءت هذه المقالات دون توقيع كما قلنا ، ودون تقديم أيضاً ينبىء عن كاتبها أو يلمح إليه ، ويخلى المجلة وصاحبها من المسئولية ، واتجه رد العقاد إلى الأب الكرملى مباشرة ، وهاجمه شخصياً ، ويغلب على ظنى أن العقاد تصوره كاتبها ، ففيها من اللغة علم كثير ، وبالنحو معرفة عميقه ، وعهدنا بالشعراء ألا صبر لهم على المعاجم ، ولا كتب القواعد ، وبقى الأمر على هذا النحو تلك الأعوام وماتلاها .

ولكن الباحث العراقى الأستاذ عبد الرزاق الهلالى أزاح النقاب عن هذا السر فى دراسته الرائعة القيمة عن الزهاوى ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٦ ، وجاء كشفه للأمر مدعوماً بالوثائق المادية ، وليس ظناً يدفع إليه الحدس والتخمين ، ولم يكن يهدف إلى هذه القضية بدءا ، وإنما كان بصدد دراسة نقد الكرملى للعقاد ، وظن كغيره أنها من قلمه، ولكنه لم يجدهما فى ثبت مقالات الكرملى لعام ١٩٢٨ ، وتضمنها كتاب الأستاذ كوركيس عواد عنه ، فاتصل بالمؤلف يسأله عن سبب إغفالها ، فكان رده : إن هذه المقالات كانت بقلم الزهاوى ، وليست بقلم الكرملى .

ـ وكيف نثبت ذلك ومر على النقد قرابة نصف قرن ؟

ـ إن الدليل مادى ، فمسودات النقد موجودة ، وهى فى حوزة الأخ ميخائيل عواد .

واتصل الأستاذ الهلالى بالأستاذ ميخائيل عواد ، فأنبأه هذا بأنها توجد الآن فى خزانة المحفوظات فى مكتبة كلية الآداب ، فى جامعة بغداد .

المسودات بخط الزهاوى نفسه ، وتتضمن النقد كاملا ، وجاء فى ١١٠ صفحة ، لم ينشر منها غير محتوى ٥١ صفحة فقط ، ثم توقفت المجلة عن نشر البقية ، لسبب غير واضح ، ويمكن للمرء أن يتصوره فقد كان الأب الكرملى رجل دين ، وكانت الشتائم تنهال عليه ، وتنال من قدره ، بينما بقى الزهاوى بمنجى منها ، له كل إيجابياتها ، ولا يناله من شرها أى رذاذ .

وإنها لحقيقة تستحق أن تعلن وتدرس ، وأن يدور حولها نقاش طويل ، الشاعر صدقى الزهاوى ينقد ، والعقاد يرد على الأب الكرملى ويمسك بخناقه . وبين الأمرين يقف الدارس المعاصر ، والقارىء الشاب يتأمل حقائق رائعة ، تتمثل فى هذه الحيوية الدافقة فى حياتنا الثقافية منذ خمسين عاماً مضت ، أو يزيد ، وهذا التجاوب الفكرى والأدبى القوى ، بين أدباء كل أقطار العروبة ، يدعم وحدتهم القومية ، ويرسخ فى نفوس الناشئة الاحساس بوحدة المستقبل والمصير ، ويجعل منا على تعدد أقطارنا أمة واحدة ، وراء السياسة وبعيداً عنها ، فى دولة حرة ، قادتها الكتاب والأدباء ، وسلاحها المجلة والكتاب .

د. الطاهر أحمد مكى

مصطفى وهبي التل

شاعر الهروب إلى عالم الصعاليك والنَّوَر

عبد الحميد محادين



لست أظن أن شاعراً عربياً فى هذا النصف الأول من القرن العشرين بسط نفسه على مساحة وطنه ، وبسط شعره على مساحة نفسه ، كما فعل مصطفى وهبى التل (١) ، الشاعر الاردنى الذى تقرؤه ، فيفجؤك بخصائص ، يكاد يتفرد بها .

هذا الشاعر يبهرك بالتزامه ، وقدرته على تمثل هموم البسطاء والفقراء والصعاليك من شعبه ، ويبلغ الذروة فى ذلك حين يجعل شعره هو حياته ، وحياته هى شعره .

ولا يستطيع أحد أن يحسب عليه كلمة قالها ولا يعنيها من حيث ممارساته الفعلية .. ويصل بك الأمر الى الاعتقاد بأن مصطفى التل ، هو الشاعر الذى لا تحتاج مع ديوانه الى أى مصدر آخر للتعرف على حياته وهمومه ، وتركيبه النفسى .. فشعره يجيب عن أى سؤال متعلق به .. ولعله ، نموذج أو شاهد على ما كان يطلبه العقاد فى الشاعر .. وهو أن يكون هو فى شعره ..

اذا قرأت «عشيات وادى اليابس» ــ وهذا رسم ديوانه ــ فلن تحتاج الى من يضيف اليك أى شىء عنه ! .

هناك فى هذا الشاعر جوانب كثيرة تستحق الدرس والتناول ، وهى متنوعة ومحورية ، تملك أبعاداً تصلح مقدمات للأحكام الأدبية أو النقدية ، وتصلح استدلالات فى كثير من الأحيان على ظواهر أدبية لذاتها . وسأكتفى هنا بتناول جانب واحد من شعره ، يتعلق بموضوعاته أكثر من تعلقه لفنية البناء لدى الشاعر ، فلذلك مجال آخر .

يبرز فى شعره الجانب الرافض من خلال بعدين أو لنقل من خلال توجهين متكاملين ، يتعلقان بهذا النقد الاجتماعى والسياسى اللاذع الذى كان لا يتردد فى توجيهه وبكافة الاتجاهات دون خوف أو وجل .

وقد حدد فى شعره النقدى وهو معظم شعره طابعاً لاذعاً وساخراً ، ومباشراً حسب الأحوال ، وحسب الأهداف التى يتوجه الى النيل منها ، وقد كون له رموزاً يتحرك فوق امتداداتها ، تاركاً لمساته النقدية والهجومية فوقها ، ولقد تلخص هذا الموقف من خلال رفضه وهروبه ، ولقد رفض كثيراً من الظواهر الاجتماعية والسياسية ، وانتقدها ، ثم برر بها هروبه النفسى ، والذهنى ثم المكانى ، ولعل ثورته ورفضه وهروبه هى جميعها جوانب تبادلية من حيث التأثير فيه وفى شعره ، ولعل الشاعر فى نقده وفى رفضه وفى هروبه ، وهذا الشق الأول من موقفه، وفى انتقائه لعالمه المثالى الذى عثر عليه فى واقع الحياة ، وهذا الشق الثانى ، فيمثلان البعد المحورى لشعره ..

ويتسم فى هجومه النقدى أنه ينحاز الى البسطاء والمظلومين من شعبه ، والظلم وضع اجتماعى يتمثل فيه الظالم

● في هجومه النقدي ينحاز إلى البسطاء والمظلومين

والمظلوم متقابلين ، مع اتفاق فى العلاقة :

والشعب أضيع عندهم من سائل
قذر يمد ذراعه للئيم
والمرهفوه على حساب شقائه
بمناعة من بؤسه ونعيد (٢)

ولا يخفى الشاعر انتماءه وانحيازه ، وهجومه ، وعداءه للمتنفذين ، المتسلطين ، الذين يبنون سعادتهم على شقاء الآخرين ، كاشفاً زيفهم ودعاواهم ، ويصل الى قناعات مشتقة من هذا التناقض الانسانى المخيف :

لما رأيت الكذب سر تفوق الفئة السرية
ورأيت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحية
ونظرت احلاس الوظائف سادة بين البرية
أيقنت أن الألمعية فى ازدراء الألمعية

وشاعر كمصطفى التل لابد أن يختار موقعاً يقف فيه ، ويحدد من هناك أهدافه الأولى ، مدركاً الكثير من معطيات هذا المجتمع ومفصلا ما يراه الانسان العادى مجملا ، نافذاً الى ما وراء القشرة ..

كم فارس هو فى الحقيقة عند رائبه مطية
ومدجج قاد السرية وهو قواد السرية

وكان الهجوم أحد وسائله للمقاومة ، ولقد مارس شاعرنا الهروب بكافة أشكاله وهو ليس هروب الضعيف ، لكنه واحد من أساليبه فى الهجوم :

هات اسقنى ما للحياة بغير عربدة مزية
واسبأ لنا ان الزقاق مباءة الأمم السبية

وقد يضطر الشاعر الى ما هو أكثر من مجرد هذا الهروب الذهنى أو النفسى ، فقد وجد أحياناً أنه فى مواجهة مهما بلغت صلابته فلن يستطيع الى ازاحتها سبيلا ..

وهو يشير الى الهروب حين يتعب ويرهق :

إن فى بعد الفتى عن موطن
سامه الغوغاء ارهاقاً لربح
هاتها واشرب فقومى كاد من
فرط ايقاظى لهم صوتى يبح

وأمام الالحاح ، أخذ يبحث عن البدائل ، وكأنه اهتدى الى الهروب المكانى فهو شكل من أشكال الرفض العنيف .. ولعله هروب رومانسى ، فالطبيعة والحياة البسيطة الرعوية هى ما يود تاركاً وراء ظهره هذه الحياة الزائفة المعقدة :

ان أرى لى بيت شعر حوله
من شلايا قومك السرحان سرح
فى فلاة ليس للعلج بها
حية تسعى وثعبان يفح

ولقد شغل الشاعر وظائف كثيرة ومتعددة وكان بعضها من تلك الوظائف المتقدمة ذات النفوذ ، ولكنه مع ذلك لم ينس انحيازه المطلق الى الفقراء والصعاليك ، بل يعتبر نفسه قيماً على أمورهم .. وقد طالبه بعض الأغنياء مرة بتحصيل نقودهم من مديونيهم من الناس ، بحكم وظيفته ، ولكنه لم يستجب لمطالبهم ، وتخلى عن الوظيفة من أجل ذلك .. وقال يرد على هؤلاء :

هذى الوظيفة إن كانت وجائبها
وقفاً عليهم ، فعنها الله يغنينى
إن الصعاليك اخوانى وإن لهم
حقاً به لو شعرتم لم تلومونى
إن الصعاليك مثلى مفلسون وهم
لمثل هذا الزمان الزفت خبونى
والأمر لو كان لى لم تفرحوا أبداً
من أجل دين لكم يوماً بمسجونى



فبلطوا البحر غيظاً من معاملتى
وبالجحيم إن استطعتم فزجونى
فما أنا راجع عن كيد طغمتكم
حفظاً لحق الطفارى والمساكين

وهو إذ يلمس الآلام فى قاع المجتمع وأسفله ، حيث المسحوقون ، لا يتهيب أكثر الأمور تعقيداً ، بل يرتقى الى الموضوعات السياسية المعقدة ، ويلمس جوانب بالغة الحساسية ، وقد كان الشاعر محامياً ، يحمل درجة فى القانون من جامعة دمشق، وكان مثقفاً ثقافة عالية تسمح له أن يخوض فى الموضوعات العامة ، بل لقد عمل فى السياسة فترة ، حيث كان عام ١٩٤١ رئيساً للتشريفات فى ديوان الأمير عبد الله ، وقد بعث به الى مصر فى مهمة لمقابلة مصطفى النحاس ، وألقى فى تلك الرحلة محاضرة فى الجامعة المصرية بعنوان «وحدة الوجود» (٣) والتقى هناك بالشاعر ابراهيم ناجى ، وهذا يعكس أن الشاعر كان على علم بما يجرى فى زمانه ، وكان ملماً بأكثر من بيئة عربية .

وهو يجيد السخرية اللاذعة ، وتبادل العلاقات ، ويلخص حياته تلخيصاً حقيقياً صادقاً ..

حياتى مثلما أنبوك ارهاق وتشريد
وسجن بعده منفى وتعذيب وتبعيد

وكان يعلم أين تكمن المأساة ، وهنا يتلمس الجذور الاجتماعية للفعل نفسه ، والفعل نفسه هو حصيلة التعقيدات والاحباطات والانكفاءات الانسانية :

شمس العدالة لم تشرق على نفر
مؤلف من مخاريق وخرسان
فليتق الله بى شعبى محبته
كانت وما برحت دينى وديدانى

وهنا يذكرنا بجبران خليل جبران ، الذى أحب شعبه الى حد الغضب عليه حين لم يعرف كيف يستخلص حقه ، ومع ذلك كان الشاعر صادق الاحساس يتلمس مكامن الفعل التاريخى فى أعماق المجتمع :

شاعر الهروب
إلى عالم الصعاليك والنَّوَر

ويح الغنـى من الفقيـر إذا
ما جـاع وانتهك الطـوى ربعـه

وهذا الجانب فى شاعريته رغم اثارته وأهميته لا تكتمل به الصورة ولا نكون التعادل الذهنى والفنى عن شاعرنا قبل أن نلج معه عالمه الثانى ، عالم البدائل الذى اتخذه الشاعر وهو المجتمع «النورى» . ولعل الشاعر كان يدرك أن الناس يحتقرون هؤلاء النور أيما احتقار، ولكنه حين عايشهم أدرك الجوانب الطيبة فى حياتهم من جهة ، وتعاطف مع بؤسهم وانسحاقهم من جهة أخرى ، وأراد أن يشهر بالمجتمع الكاذب من خلال مدح هذا المجتمع وكشف مزاياه ، فكان يشير الى نقيض ذلك فى الحياة العامة التى كان يرفضها ، وأراد أن يعريها من خلال ابراز فضائل ذلك المجتمع المرفوض منهم ، وقد كانت هروبات الشاعر النفسية مقدمة لهذا الهروب الاجتماعى والمكانى ، فقد وجد فى عالم النور عالماً مثالياً ، واتخذ منه مستقراً له ، ووجد فيه بعداً رمزياً هاجم من خلاله من أراد هجومهم ، ونكل بهم وآذاهم أيما أذى ..

«والنور هؤلاء .. قوم رحل لا ينتمون الى وطن ويقال انهم جاءوا من الهند ، وانتشروا فى بقية بلدان الشرق الأوسط ، وهم قادرون على التأقلم والمحافظة فى أن واحد ، ففى الوقت الذى يستطيعون فيه اقتباس عادات سكان المحيط الذى يحلون فيه يحتفظون بمزاياهم الأصلية الخاصة ، وتنتشر زحوفهم فى جميع البلدان العربية كغيرها من البلدان ، ويطلقون عليهم أسماء شتى» (٤) وهم يمارسون فى مجتمعاتهم حرفاً شتى من النشاطات ، ومنها بعض الحرف الخفيفة ويمارسون فى مجتمعاتهم الرقص والطرب واقامة الحفلات الراقصة ، ويرتاد مضاربهم الباحثون عن الوصف والطرب واللهو ، والتهتك أحياناً .. وقد عاش معهم الشاعر أياماً طويلة وتعرف فيها على خصائصهم ، وصادق زعيمهم «الهبر» والهبر لقب لهذا الزعيم الضخم الجثة ، وقد كان صديقاً للشاعر ، وادخله الى رحاب شعره ومنحه أبعاداً رمزية كبيرة ، فهو رمز مرة ، وحقيقة مرة أخرى ، ووظفه فى شعره وظائف مختلفة . وقد اتكأ عليه ليستن هجوماته حين لا يستطيع أن أن يشنها مباشرة .. فيتهمه بالعيوب التى يريد أن يتهم بها الذين يهاجمهم ، وقد يرمز به الى هذه الطبقة المحتقرة فى المجتمع ، وقد يرمز به لخلق النقائض بينه وبين خصومه ..

كان الشاعر ينظر الى المجتمع النورى نظرة ذات بعدين ، البعد الأول كواقع اجتماعى له معطياته الموضوعية وقيمه الخاصة المختلفة عن سواه ، وكان هذا المجتمع يقيم عادة فى خرابيش أى بيوت من الخيش والشعر ، وهى زرية ومهينة ، ولا يتمتعون باحترام الناس ..

أما البعد الثانى فهو ينظر لهم رمزاً للانسحاق الانسانى والضياع البشرى ، وقد كان الشاعر يسخر من ترفع الناس على النور ، ويهاجمهم لترفعهم الزائف ويكشف عن ظواهرهم الكاذبة ، ويذكر هؤلاء الناس أن فى المجتمع النورى قيماً علياً أنبل من تلك التى فى مجتمعاتهم ، وانهم إذ يزدرون النور انما يعبرون عن عقدهم وتشنجاتهم ...

ويؤكد الشاعر هذه النظرة التى كانت مفعمة بالاحترام للنور ، وليس احتراماً قائماً على مجرد نزوة ، وإنما لأنه وجد فى مجتمعاتهم من الخصائص والقيم والممارسات التى تحكم المجتمعات الأخرى بالوصول اليها ، فالتحق بهذا المجتمع النورى عملياً ، ومارس داخله حقوقه الانسانية من حب وكرموصبوة ، وصادق النور وزعيمهم الهبر ، وأدخله الى رحاب الخلود من خلال أشعاره ، وأفرد للهبر هذا مساحة لا بأس بها فى شعره ..

ومن معسكرات النور شن هجوماً مضاداً على المجتمع وتوابعه ، ولقد حاول ادخال النور الى صلب المجتمع ، وحاول الحصول على اعتراف رسمى بهم ومن خلال الهبر كان يبدأ الهجوم ..

طلب الهبر مقابلة مدعى عام عمان ، ورفض هذا المقابلة ، مترفعاً على الهبر ، ومزدرياً له ، فعلم الشاعر مصطفى التل بذلك فكتب اليه ..

يا مدعى عام اللـواء وانت من فهم القضيـة
«الهبر» جاءك للسلام فكيف تمنعه التحيـة
الآن كسـوته ممزقـة وهيئتـه زريـه ؟!!
قد صده جنديك الفظ الغليظ بلا رويه
وابى عليه أن يـراك فجاء ممتعضـاً اليـه
فاسرع وكفر يا هداك اللـه عن تلك الخطيه
وادخله حالا للمقـام وفز بطلعتـه البهيـه

ولا تخفى المضامين الاجتماعية التى عكسها فى هذا الهجوم والسخرية اللاذعة ، فالناس حسب هيئاتهم لا حسب حقائقهم ، والمجتمع لا ينال الاحترام فيه سوى سراة القـوم وأغنياؤه .

جعل من الهبر رمزاً ، يلقت اليه الخطاب اذا خاف أو تحرج ، دون أن تكون للهبر علاقة بهذا الأمر ، وكان الناس يدركون أن الهبر ليس المقصود بذلك ، فهو يوري به ، ويمدحه أحياناً ليذم سواه ، أو يذمه ليذم غيره فيه .

وفى الأبيات التالية يوجه الى المجتمع ، بل الى المترفين على حساب الشعب نقده من خلال التوجه الى الهبر:

يا هبـر بى فقر كفقـرك للابـاء وللحميـه
أو ما ترانى قد شـبعت على حساب الأكثريـة
وأكلـت بسكوتا وهذا الشعب لا يجد القليه (٥)
ولبست إذ قومى عراة غير ما نسـجت يديـه

لكن لماذا نطيل الحديث عن الهبر ، فلننتقل الى قوم الهبر ، الى النور ، الذين فى حياتهم وجد الشاعر الحياة البديلة التى تستحق أن تعاش ، ويهرب اليها من

● شعره وثيقة اجتماعية يصور المجتمع بكل نقاط ضعفه وقوته

هذا المجتمع الكاذب الزائف ، وقد أدرك أن المجتمع النورى على هوانه أفضل منه ، وكان يذم الآخرين من خلال ذلك ، ويعبر عن أحلامه التى كان يتمناها لشعبه ، ويعنى القيم ، لا الحياة نفسها ، فوجدها قيماً تحققت للنور ..

يا هبر شعبك بالحياة من أمتى
أضحى الأحق وبالكرامة أجدر
يا هبر هات لي الربابة وانطلق
بى حيث قومك أسهلوا أم أصحروا
أنا مثلكم أصبحت لا أرض ولا
أهل ولا دار ولا لي معشر

هنا مفتاح الموقف كله فى علاقته بالنور فهم تعساء ، والمجتمع يحتقرهم وهم أحق بالحياة من هذا المجتمع .. وصار الشاعر واحداً منهم .. وكانت فى نظر المجتمع كلمة «نور» سبة ، ولكنه يؤكد أن الأمر غير ذلك وهو يفاخر بهم ، لينال من محتقريهم ومهاجميهم .

ولعل الشعر كوثيقة اجتماعية تصور هذا المجتمع بكل نقاط ضعفه وقوته كان الوسيلة من خلال بحثه على النقيض وعثوره عليه ، حيث وجد ذلك فى مجتمع النور ..

بين الخرابيش لا عمرى يضيع سدى
ولا يضيق الهدى ذرعاً بأطوار
بين الخرابيش لا عبد ولا أمة
ولا أرقاء فى أزياء أحرار
ولا نضار ولا دخل ضريبته
ثمنى ولا بيدر يمنى بمعشار
بين الخرابيش لا حرص ولا طمع
ولا احتراب على فلس ودينار
الكل زط مساواة محققة
تنفى الفوارق بين الجار والجار

هذا هو المجتمع الحلم ، هذه اليوتوبيا ، التى بحث عنها الفلاسفة ، وجدها الشاعر على الأرض ، حقيقة واقعة .. انهم النور .. الكل عند المجتمع النورى أحرار ، لا أحد يسفك دم أحد ، ولا يوجد طمع ولا حرص ولا حرب على فلس ودينار ، مساواة مطلقة .. فى الخرابيش مجتمع النور النموذجى ..

يعدد الشاعر الصفات التى هم براء منها ، والاهتمامات التى لم تصلهم ، فهم بخير لأنهم لم يتسموا بسمات المجتمع الآخر :

وتعال عند المنتشين بطبعهم
من حان ألحان الربابة نسمر
الطامعين وليس من أمل لهم
والقانطين وكلهم مستبشر
الآخذين من الحياة بصفوها
والتاركين لغيرهم ما يكدر
نور نسميهم ونحن بعرفهم
منهم وفى عين الحقيقة أنور



ومن المعسكر النورى يتلمس ناقداً ومنددأ وغامزاً ولامزاً ..

اخوان سلمى خربشوا
فالاحتفاء بهم لزام
والهبر قد زار الربوع
فيا هلا عم السلام
ودع السياسة للألى
قد أتقنوا صف الكلام
لبسوا الحرير وشعبنا
يا هبر لا يجد المضام
نقضوا العهود فلا عهود
ولا وفاء ولا ذمام
قد أمرضتهم تخمة
وحدتك سارية العظام
فقضوا عليك بما قضوا
وأنوف قومك فى الرغام

هكذا .. شعب لا تاريخ له ولا ذكريات .. انه واقعهم ، ومع ذلك فقد وجد فيهم من الفضائل ما لم يجد فى قطاعات كبيرة من شعبه .. ولقد كان يتعرض هو نفسه الى نقد الناس لأنه يعايش النور .. لكنه لا يحفل بهم ..

وقد حرؤت ولم أحفل بلومهم
بين الخرابيش عند الزط اردانى

أين تقع الحقيقة .. من هو الفاضل ، ومن هو الذى استطاع أن يحيط بحقائق المجتمع ، أى شاعر كمصطفى التل استطاع أن يكون صادقاً مع نفسه ومع شعره ومع فنه ، وهذا حسبه .. انه «عرار» شاعر الأردن ..

عبد الحميد محادين ـ البحرين

اشارات :

(١) مصطفى وهبى التل .. ولد سنة ١٨٩٩ فى اربد ، شمال الأردن ، وتوفى سنة ١٩٤٩ . وقد عاش حياة قلقة مضطربة ، شغل خلالها عشرات الوظائف ، وسجن عشرات المرات ، ونفى الى أكثر من جهة ، كان يلقب بـ«عرار» .. وقد أخذ هذا اللقب من قول الشاعر عمرو بن شاس الأسدى فى ابنه عرار :

أرادت عراراً بالهوان ، ومن يرد عراراً ، لعمرى ، بالهوان فقد ظلم

له ديوان شعر اسمه «عشيات وادى اليابس» .

(٢) كل الشعر فى المقال من ديوانه عشيات وادى اليابس ، المطبوع سنة ١٩٧٣ .

(٣) الحركة الشعرية فى بلاط الملك عبد الله بن الحسين ، تاليف : تركى أحمد الرجا المغيض .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) القلية : هى القمح بعد أن يتم تحميصه على النار .. وهو أكل الفقراء .

مجيد طوبيا

إنجليزية في صعيد مصر ومغامرة في عالم يحيى حقي



●● فى صدر شبابه عمل يحيى حقى معاونا للادارة فى مركز «منفلوط» بصعيد مصر ، وذلك فى عامى ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ .. وكانت مرحلة من أغنى مراحل حياته استيعاباً وتفتحاً ، سجلها فيما بعد على مستويين : المستوى الوصفى فى كتابه الشيق «خليها على الله» .. والمستوى القصصى فى مجموعته البديعة «دماء وطين» ..

وفى العام الماضى ١٩٨٠ ــ اى بعد أكثر من نصف قرن (٥٢ عاماً) ــ جاءت الى مصر مستشرقة انجليزية شابة اسمها «ميريام كوك» .. جاءت بهدف أساسى هو مقابلة يحيى حقى والتعرف عليه عن قرب ، بعد أن عرفته وأغرمت به عن طريق كتاباته .. وبعد أن التقت به وتحاورت معه مراراً ، شدت رحالها فجأة إلى منفلوط تبحث فيها عن جزء هام من عالمه ، ما انقرض منه وما تغير أو بقى حتى الآن .. فكانت نتيجة رحلتها مقالا نشرته بالانجليزية تحت عنوان «البحث عن حلم» .. سردت فيه تجربتها الطريفة ..

غير أن جموح خيالها أدى إلى اختلاط بعض الأمور عليها وتناقض بعض تفاصيلها .. كما أدت محاولتها لتفخيم جهدها وتضخيم ما انجزته الى تقديم رحلتها لمركز منفلوط الشهير بصعيد مصر وكأنها مغامرة استكشافيه الى بقعة مجهولة على سطح الكرة الأرضية ، وكأنها قد قامت بالرحلة الثامنة للسندباد ، أو السندبادة إن جاز التأنيث !!

وإرجاع تأثير حكايات السندباد على خيالها يرجع الفضل فيه الى استاذنا يحيى حقى نفسه ، وقد وافقته على هــــذا ..

ولنقرأ معاً ترجمة النص الكامل لمقالها «البحث عن حلم» ●●

البحث عن حلم

منذ عامين قرأت اسم يحيى حقى لأول مرة ، منذ عامين بذلت محاولاتى الأولى لفهم قصصه الأسرة ، منذ عامين قررت أن أكرس كل جهدى لدراسة أعمال هذا المصرى .. ومع تلمس طريقى عبر حبكاته الروائية وجدت نفسى أتعاطف مع هذا العجوز الطيب ، ومع هذا التعاطف جاءت الرغبة ، الشغف الى مقابلته .. أخيراً حققت طموحى الذى طال انتظاره ، وطرت الى القاهرة ..

بعد المشاق المألوفة مع التاكسيات والفنادق ، انتهت بى الاقامة لدى أسرة مصرية فى «مصر الجديدة» ، على بعد مرمى حجر من بيت حقى .. مع سنوح أول فرصة توجهت الى طابقه ، وكم كانت غبطتى عندما وجدته يقيم هناك فعلا .. رحب بي بحرارة ، ثم سارع الى دعوتى للمشاركة وزوجته وابنته فى تناول العشاء لدى «أندريه» فى اليوم التالى ، ولم تكن هذه إلا بداية لثلاثة أسابيع من الكرم والضيافة .. ومن خلال مناقشاتنا العديدة ، كان أمر ما يزداد وضوحاً ــ وهذا هو اللغز ــ ذلك التوقير البالغ الذى يكنه لمنفلوط ، تلك المدينة الكائنة بصعيد مصر ، حيث أمضى عامين من شبابه ، تركت فيه انطباعاً عميقاً ، انطباعاً يحرص عليه فى حماس !.. انه لم يعد اليها ثانية !!

شغلنى الأمر ، فصممت على أن أقوم أنا بالرحلة .. وبالفعل ، وبعد أسبوع فى اسوان ، ركبت قطار الليل المتجه الى أسيوط ، ولم يكن لدى معظم من سألتهم أية فكرة عن موقع منفلوط ، وذهلوا من تصميمى على الذهاب اليها !! .. وفى الثالثة صباحاً وقف القطار فى محطة أسيوط الصغيرة ، وكان علي أن أنتظر قطار منفلوط فى الخامسة والنصف .. جرجرت خطاى الى بوفيه المحطة نصف واعية من التعب ، ثم جلست ألتمس أقصى راحة ممكنة فوق مقعد من الحديد يواجه منضدة حديدية ، وطلبت كوباً من الشاى الساخن المحلى ، تبعته بثلاثة أخرى ، بينما كان بعض الصبية مستمرين فى نقل زجاجات الكولا الفارغة الى صناديقها ، يندفعون فى وحشية نحو بعض الكلاب الضالة ، ثم يعودون لاعادة ترتيب صناديقهم المبعثرة ..

أخيراً ، حدثت حركة وبعض الاثارة ، مع زحف قطار قديم قذر ، تثاقل صوب المحطة ، قطار منفلوط .. وركبته فى رعاية شيخ وقور قيل لي انه من أهالى منفلوط ، ورغم شدة فضول المسافرين ، إلا أن أحداً منهم لم يحادثنى .. وتقدم القطار متباطئاً عبر وادى النيل ، متلكئاً عند كل وقفة فى الطريق ، وأخيراً وصلنا .. وسألنى الشيخ الذى وضعت فى رعايته عمن أقصد ، وعندما أجبته أومأ ثم مضى بحزم صوب منزل المحامى «مكسيموس» ..

المنزل عبارة عن ثلاثة طوابق من الحجارة ، بمحاذاة شريط السكة الحديد له شرفة فسيحة فى طابقه الأرضى .. الآن عرفت المنزل ، لكن الساعة مازالت السادسة صباحاً ، ولم أكن أريد إزعاج



● البحث عن جذور العمل الأدبى لا يتوقف عند حدود .. وهذه التجربة التى تقدمها مستشرقة انجليزية فى صعيد مصر جديرة بالتأمل .. ولكنها تقدم صوراً مليئة بالقسوة ولا تخلو من نبرة عنصرية .. فى هذا المقال نقدم هذا النموذج عن هذه النظرة الغربية للعالم العربى وسوف نخصص مقال العدد القادم للرد على مثل هذه الكلمات المتجنية ●



سكانه فى مثل هذا الوقت المبكر ، لهذا شكرت دليلى وسألته إن كان يعرف مقهى قريباً ، غير أنه لم يجبنى ولم يعرنى انتباهاً ، بل راح يطرق الباب فى إلحاح ، متجاهلا توسلاتى :

– كل انسان يستيقظ مبكراً فى منفلوط هكذا أكد لي :

– انهم فقط لم يسمعوا الطرقات .

ثم راح يشن هجوماً مجدداً من الطرقات على الباب ..

أخيراً أطلت امرأة عجوز صغيرة الحجم فى ملابس سوداء ، أطلت من باب جانبى متسائلة : من هذه ؟؟ .. من تريدين ؟؟ من أرسلك ؟؟ .. لم أسمع عنه أبداً (طبقاً لما أجابتنى به) .. وبينما أنا واقفة فى احباطى ، فتح الباب الأمامى وخرجت منه الى الشرفة امرأة فى روب أخضر ، جذبتها الضجة المبكرة .. وشعرت بالراحة ،لقد عرفت الاسم الذى ذكرته ، وحثتنى على الدخول .. واتجهنا الى الصالون المواجه ، حيث جلسنا الى مقاعد البلاستيك المرصوصة الى الحائط والسيدتان ترمقانى بعيون نعسانة ، تتفوهان من حين لآخر بكلمة أو بعبارة ترحيب ، من غير أن تسألنى احداهما أى سؤال ، أوتبدى أقل اهتمام بمحاولاتى المتلهفة الى تقديم نفسى وشرح سبب زيارتى .. بعد فترة ، اقترحت صغراهما تناول الفطار ، وخرجت ومعها السيدة العجوز الضئيلة ، لأبقى متروكةوحيدة فى الصالون ، أتأمل الزهور الصناعية الكالحة فى زهريتها وسط المنضدة ، ونقوش المقاعد الزاهية التى تشف من تحت أغطية النايلون ، ثم شعاع الضوء الخابى الذى بدأ يتسلل عبر شيش النافذة ، وكأنه لا يعرف أين يجب عليه أن يستقر .. وكانت الساعة الكبيرة فوق

النضد المواجه تدق الدقائق فى عزم ماض ، عندما بدأت أتوجس خيفة أن تكون مضيفتى قد نسيتنى فى الصالون المعتم عديم التهوية .. أخيراً حدثت أصوات وحفيف أثواب وطرقعة شباشب ثم ظهرت سيدة الدار تحمل صينية ، سحبت ترابيزة صغيرة من بين المقاعد ، وضعت عليها الصينية ، ثم دفعتها الى مقربة منى ، لأجد بها طبقاً من البيض المقلى ورغيفاً من العيش «الفينو» وصحن مربى وكوب شاى .. عندما تيقنت أن كل هذا لي لوحدى شعرت بالغضب واعترضت ، فأكدت لي بأنهم لا يتناولون الافطار أبداً ، وكان عزاء صغيراً لحرجى !.. فى تلك اللحظة رجعت السيدة العجوز ، ومرة أخرى عادت الاثنتان تجلسان فى مواجهتى ؛ تنظران نحوى ، تطمئنان أحياناً على راحتى .. ثم سرعان ما عدت وحيدة من جديد وحتى قرب انتهائى من الطعام ، فبدأت أقلق من اختفائهما ، هذه المرة بسبب انضمام عدد من الذباب الذى أخذ يطن

طائراً من مفرش بلاستيك الى آخر ، فى محاولة يائسة للافلات من هذا الخير ..

أخيراً ظهرت السيدة الصغيرة ، ترتدى ثوباً أوربياً حسن المظهر ، وفى هذه المرة رحبت بى بحرارة وكأنها تستعيد صديقاً قديماً ، وهذه المرة أيضاً كانت شغوفة لمعرفة كل شىء عن يحيى حقى ، طبعاً هى تعرف عنه الكثير ، لقد كان صديق والدها ، وفى مكان ما بمكتبة أبيها توجد بعض كتاباته ، هل أحب أن أراها ؟؟ .. حسناً ، بالتأكيد أريد لكن علي أن ألحق بالقطار التالى المتوجه الى القاهرة ، الوقت ضيق وهناك الكثير الذى أود مشاهدته ، من الضرورى رؤية المدينة كلها ، وزيارة القرى المحيطة ، والذهاب الى دير الراهبات على بعد ساعتين من منفلوط ، كل هذا والقطار التالى الى القاهرة موعده فى الثانية عشرة والنصف !

– دعينا نذهب الى المحكمة ، لابد أن هناك من يعرف يحيى حقى .

كان حماسها غير المتوقع مغرياً ،

عالم يحيى حقي



وجلسنا فى عربة حنطور يجرها حصان – والحنطور والحمار هما وسيلتا المواصلات الوحيدة فى المدينة – وبفرض أن أحداً لم يعد باقياً ممن عاشوا بمنفلوط عندما كان حقى معاون ادارة بها فان هذا الحصان الذى أكل منه الزمن وشرب لابد وأن يكون قد عاصره .. ولقد مضى بطيئاً وبشكل مؤلم فى محاذاة شريط السكة الحديد حتى وصلنا الى بناية خرسانية ، إشارت اليها السيدة فى اعتزاز معلنة أنها المحكمة .. مجرد أن تقدمنا اليها التفت من حولنا مجموعة من الموظفات ، وأخبرتهم السيدة بقصتى ، ثم سرنا جميعاً الى داخل المبنى ، وصرت منقادة من غرفة لأخرى للتحدث مع كل موظف فى المكان .. لا أحد منهم يعرف أى شىء عن يحيى حقى ، وإن كانت الجرائم المحلية التى تحدثوا عنها تقترب كثيراً مما رواه فى مذكراته ، الى حد انه – وبعد خمسين عاماً – مازالت قرية «بنى رازق» تسجل أكبر نسبة من جرائم القتل ..

بعد زيارة كل زاوية وركن فى المحكمة، خرجنا الى حيث الحرارة تتزايد باطراد ، نبحث فى شارع البستان عن البيت القديم الذى سكنه حقى ، وفشلت فى اكتشافه من بين باقى البيوت ، رغم أن الشارع كله بدا وكأن لمسة تغيير واحدة لم تمسه طوال مائة عام ..

الآن ، وبعد انجاز مهماتى الأساسية ، اقترحت مضيفتى زيارة «أفخم محل بالمدينة» .. كان وقع العبارة على مثيراً ، وعلى هذا أخذ السائق تعليمات جديدة ، وارتكنت تحت مظلة الحنطور ، فى ترف نادر ، أرى ولا يرانى أحد .. ولم يكن «أفخم محل بالمدينة» سوى دكان لبعض الأقمشة ، صفوف فوق صفوف من الأقمشة القطنية ، من الرمادى والبنى والأسود ، وكل شىء يعلوه التراب .. بعد تفحص الأرفف قادتنى مضيفتى الى الطابق الثانى ، ثم أخذتنى بشىء من الاثارة الى الركن حيث طلبت من البائع أن يرينا بعض القمصان ، أشار الى عدد من الألوان متسائلا ، أومأت مضيفتى بحماس الى إحداها .. جذبها البائع من مكانها ، وبعد أن نفض عنها كمية مرعبة من التراب وضعها فوق الترابيزة وفردها .. وطلبت منى الرأى ، وكانت المشكلة أنى لم أفلح فى معرفة كنه ما أراه ، أهو ثوب أم قميص أم «أوفرول» .. لكنى ألمحت أنها جميعاً تبدو لطيفة ، فأشارت الى ما اتضح انه قميص حريمى :

– ما رأيك فى هذا الذى به عصافير زرقاء ؟

– جميل جداً .. ولكن أليس واسعاً عليك بعض الشىء ؟!

– آه .. انه ليس لى ، انه لك .

– لا لا لا . مستحيل أن أقبل . أنت لطيفة جداً . لكن عليك ألا تعطينى أى شىء .

كان رفضى صارماً لا يسمح بأى لبس .. فتأكدت السيدة المسكينة أننى فعلا لا أريد هذا الرداء ، بدت مصعوقة ، وكذلك كنت أنا .

فى الطابق الأرضى كانت تنتظرنى لوحة حية من عالم يحيى حقى : أوكازيون (من كتاب دمعة فابتسامة) .. مجموعة من الفلاحات يجادلن البائع على عينة من القماش الرمادى ، مع تزايد الجدال كان مزيد من النسوة ينضم من الطريق ، بحيث أصبح المكان صاخباً .. وبينما كانت مضيفتى تشترى لنفسها بعض الثياب ، سألت بائعاً أين يمكننى أن أشترى رداء مثل ما ترتديه أولئك النسوة؟ .. على الفور طوف سؤالى العجيب بأرجاء المكان ، فتوقفت المجادلات ، وتوجه اهتمام النسوة نحوى : أى نوع من الثياب تريدين ؟؟ .. مثل هذا ؟؟ – أزاحت امرأة حجاب وجهها جانباً لتظهر فتحة صدر جريئة .. مثل هذا ؟؟ – قلبت أخرى طرف ثوبها لترينى بطانته القطيفة .. وثوب ثالث بتطريز مزركش ، آخر مذيل بالدانتيل والكرانيش .. واكتشفت – لدهشتى البالغة – أن كل امرأة لها ثوب مختلف ، رغم التشابه الخارجى فى المظهر وسواد اللون .. وفى النهاية عندما اخترت الزى الذى راقنى أكثر ، اشتريت أربعة ياردات من القماش الأسود – وقد أبدت النسوة اعتراضاً بأن على أن أختار لوناً فاتحاً ، غير مدركات أننى ربما أجد الأسود أكثر جاذبية – ثم ركبنا الحنطور متوجهات الى الخياطة ، وفى صحبتنا مجموعة صغيرة منهن أكدن لى أن الثوب سوف يكون جاهزاً فى ساعات معدودة ..

بعد قليل وصلنا الى نهاية حارة ، حيث توجب علينا أن نترجل ، وسرعان ما عرجنا الى زقاق ضيق ، متلمسين الطريق فى حذر عبر الزبالة والفئران ، لنصل فى النهاية الى ساحة مفتوحة تفوح برائحة الزبالة ، تجلس فى ركنها فتاة الى ماكينة خياطة تدار بالقدم ، عن يسارها كومة من الأقمشة ، وعن يمينها طفل فى حوالى الثامنة يغطى الذباب جميع وجهه .. بعد التحية تم ابلاغ الخياطة بما أريد ، أومأت ثم أعلنت فى اقتضاب أن الثوب سيكون جاهزاً بعد ساعتين ، لم تأخذ مقاساتى أو ترسم أى رسومات ، مجرد نظرة عابرة منها . وبعد ساعتين كنت أرفل الى البيت مع مضيفتى فى ثوبى الجديد الفلاحى الأسود ، مفصلا تماماً على مقاسى ، لأتذكر فى البيت حكايات حقى عن زيارات الأجانب لمصر (فى فكـــرة فابتسامة) ..

لزم إعداد الغداء مزيد من الربكة ، إذ كانت الأسرة المضيفة من الأقباط ، وكان الوقت صياماً ولا يأكلون طوال اليوم سوى وجبتين ، بعض المسلوق وشىء من البسكويت المجفف .. أما بالنسبة لى ، فقد أعدوا دجاجة وأرزاً وبعض الخضر ودعوة ملحة للأكل ..

بعد الظهر انسحبت أنا والسيدتان الى طابق السيدة العجوز للنوم ، وعلى الرغم من أن بالطابق ثلاث غرف للنوم إلا أن ثلاثتنا نمنا فى غرفة واحدة صغيرة .. حاولت أنا النوم جاهدة ، بينما ظلت السيدتان تنظران لى ..

بعد القيلولة تجهزنا ثلاثتنا لصلاة القداس التى تستمر حوالى الساعتين ، فهما تذهبان بعد الظهر دائماً وطوال أيام الصيام الى الكنيسة .. وجلسنا فى الصفوف الخلفية ، وكان منتظراً منى أن أرتل بصفة مستمرة ، عندما توقفت

لالتقاط الأنفاس ، أشارت مضيفتى فى قلق الى صفحة فى كتاب الترانيم ، وكان علي أن أواصل بكل قوتى .. ثم استغرقت الوعظة ساعة أخرى عن النار والجحيم ، خرجنا بعدها وقد زادتنا الخبرة جلداً .. ومع حلول الظلام بدت محلات الحرفيين أكثر وضوحاً بفضل مصابيح الغاز المتوهجة فى أركانها من فوق بعض الأشياء الصدئة ، وكانت المقاهى ممتلئة عن آخرها ، والجرسونات يهرولون من ترابيزة لأخرى ، والمتسولون يحومون من محسن مرتقب الى آخر ، بينما طرقعات قواشيط الطاولة فى كل مكان ..

مع عودتنا الى البيت أصرت مضيفتى على الذهاب الى «مكتبة» أبيها لتفحص خطابات أو قصصاً من المؤكد أن والدها قد تلقاها من حقى .. ووجدنا «الكاتب» يجلس فى «المكتبة» ببعض الوثائق المتربة ، ورغم حرارة الجو فقد كان يرتدى معطفاً طويلا من وبر الجمل فوق جلابية بيضاء قذرة ، وطاقية صوفية راح يضبط وضعها فوق رأسه وهو يجيب على أسئلة السيدة .. بدا واضحاً أنه ليست لديه أية فكرة عن مكان هذه الأوراق ، وفى الحقيقة عن مكان أية أوراق أخرى فى هذه المتاهة .. وعلى هذا أخذنا ـ أنا وهى ـ نبحث بين الكتب العتيقة جداً والمتربة ، وانهمكت مضيفتى تفتح كل مجلد وكأنها تأمل فى العثور على كنز ما .. فلما ثبت عقم المحاولة فى هذه الغرفة جذبتنى ـ على غير رغبة منى ـ نحو أخرى صغيرة ، وهذه المـــرة استعنا بلمبتى جاز ، واستدعى الأمر بعض الوقت كى أميز المحتويات ، عن يسار الباب مجموعة من الزكائب المغطاة بمسحوق أبيض ، وعن اليمين ارتكزت الى الحائط مكتبة كبيرة ، اتضح لي بعد التمعن عن قرب أن مئات الكتب إنما وضعت فوق أرففها جزافاً ودون تبويب .. لكن مضيفتى أخذت تسحب كومة من بعد كومة وتضعها على الأرض طالبة منى فى شغف شديد فحصها :

ـ لم يلمس أحد هذه الكتب منذ سنين بالتحديد منذ مات «بابا» من أربع سنوات أخشى أن تكون متربة بعض الشىء ، فكما ترين لقد اضطررنا منذ عامين الى تخزين الدقيق فى هذه الغرفة .

لاثبات قولها هذا مسحت مجلداً ضخماً كانت قد ألقت به الى الأرض تواً .. وكلما أوغلت فى البحث كلما كانت الكتب أكثر تمزقاً وتهرءاً .. وللحال أدركت أننا لن نعثر فى كومة الأوراق هذه المغطاة بالدقيق على أية كلمة لها علاقة بحقى .. لكن عملية البحث كانت قد استحوذت تماماً على مضيفتى ، وفشلت جميع همهماتى المثبطة لاثنائها عن حماسها ، ولم ينقذنى أخيراً سوى لفظ احدى اللمبتين لأنفاسها وانطفائها ، مما خفض الاضاءة بشكل كبير ، ودفع بالسيدة الطيبة الى هجر عملية البحث .

تحسسنا طريقنا الى الجزء الرئيسى من البيت ، حيث كان «الكاتب» يسير هنا وهناك غير سعيد ، يتعجل رحيلنا كى يغلق «المكتبة» .. عدل من طاقيته مؤكداً أنه سوف يكمل عملنا الصالح فى اليوم التالى ..

مع عودتنا الى الدار كان العشاء فى انتظارنا ، مسلوق وبسكويت للأسرة ، دجاج وأرز وخضار لي .. ومع خروجنا من غرفة الطعام لاحظت أن السيدة العجوز تستعجل شخصاً ما لمغادرة غرفة المعيشة : أحدب متدثر فى سروال ، يتدحرج فى شكل غريب ، ما ان أوشك أن يختفى حتى التفت لوهلة ، مظهراً تقطيبة مرعبة من وجه شاحب محاط بخصلات رمادية ، وكان هذا كل ما رأيته «منها» ، ولم أسمع كلمة إيضاح واحدة أكثر من أن السيدة العجوز قد أخذتها الى أعلى .. ومن ثم وقبل أن أتهيأ ، كان وقت النوم قد حان ، وذهبت أنا والسيدتان الأخريان الى أعلى للنوم ..

ـ لرعبى وجدت السرير الذى نمت عليه وقت القيلولة وقد تغطى بالحشرات .. وكان علي أن أدخل تحت الناموسية كى لا يلتهمنى الناموس القادم من الترعة أسفل الشرفة .. وأمضيت الليل تتبادلنى أرضية البق وحصار من الناموس المتحفز لاعداد وليمة منى ، وفوق كل هذا زوجان من العيون عند طرف الغرفة ترقبان كل حركة لي خلال العتمة الخفيفة ، وزوجان متخيلان من العيون المفتوحة ترقبانى من الغرفة المجاورة عبر ظلام هذه الليلة الليلاء ..

ومع الشعاع الأول للفجر نهضنا جميعاً ، وجسدى كتلة من اللدغات والقرص أخذت أهرشها دون رحمة ، والساعة مازالت الخامسة صباحاً .. وكانت السيدة الصغيرة قد اختفت لاعداد وجبة أخرى غير مرغوب فيها للفطار ، ولم يكن هناك من شىء ليثنيها عن عزمها ، لهذا وطنت نفسى على الانتظار ، مواصلة الهرش من حين لآخر .. وعندما تحققت مضيفتى من عزمى على اللحاق بقطار الثامنة صباحاً حاولت إغرائى على البقاء مقترحة زيارة بعض الأماكن المجاورة وتفصيل بعض الثياب الجديدة .. لكنى لم أجد راحتى إلا عندما أفلت من هذه الرتابة المميتة ..

فى الخارج كانت منفلوط قد عادت الى الحياة ، وقد رفعت المزاليج الحديدية ، وبدأ الفلاحون فى التوجه الى الحقول ، وأشعة الشمس الذهبية تغطى بحمرتها طين البيوت .. لقد طلع النهار .

● لابد من تعليق

ذلك هو ما كتبته الانجليزية ميريام كوك ، فى ترجمة كاملة حرفية إلا بما يقتضيه سياق اللغة العربية .. ولنا عليه تعليق ، بالاعجاب أحياناً ، وبالتفنيد واللوم أحياناً أخرى .. ولهذا مقال قادم .

مجيد طوبيا


IN SEARCH OF A DREAM

by Miriam Cooke

TWO YEARS HAD PASSED since I had first read Yahya Haqqi's name, two years since I had first tried to understand his haunting stories, two years since I had first decided that I should concentrate all my efforts on the works of this Egyptian. Weaving my way through the intricacies of the tales I had come to empathise with this kindly old man — and with this empathy had come a desire, a curiosity to meet him. In March I finally realised my long-standing ambition and I flew to Cairo.

صورة من المقال الذى نشرته المستشرقة الانجليزية .

أحمد العنانى

■ من جنات أشبيلية إلى جحيم أغمات ■

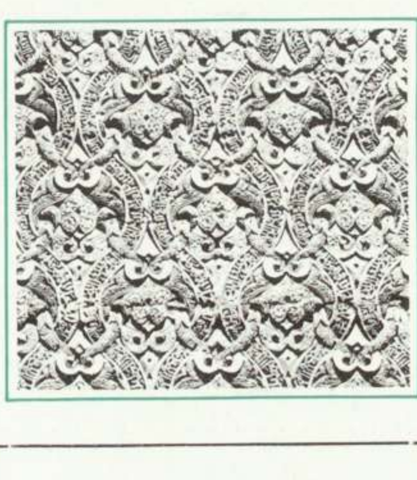
المعتمد بن عباد
شاعر المأساة العربية في الأندلس

في عام اثنين وثلاثين وأربعمائة للهجرة ، وفى حصن من تلك الحصون التى لا يكاد يخلو من واحد منها موقع استراتيجى فى شبه جزيرة إيبيريا التى تشمل اسبانيا والبرتغال ، ويشكل الأندلس أخصب بقاعها فى الجنوب ولد المعتمد بن عباد ، وكان ذلك الحصن فى باجه غربى الأندلس .

وكان مولد المعتمد قبل وفاة جده القاضى أبى القاسم بن عباد مؤسس الدولة العبادية فى أشبيليه ، وتولى والده عباد المعروف بالمعتضد بسنة واحدة .

والعباديون أسرة ثابت انتسابها إلى قبيلة لخم اليمانية ، وكان جدهم الأول بين جنود الفتح في الأندلس ، وقد استقر ككثير من اليمانيين في الجزء الجنوبي الغربي من الأندلس ، ولم يعرف للعبادين هؤلاء دور يبرزهم على مسرح الأحداث خلال القرون الثلاثة التي مرت على الفتح الاسلامي قبل ظهور القاضي ابي القاسم ، لكنه بدا من حالهم لاحقاً أنهم أسرة عربية تقليدية ، حريصة على مزايا الشرف العربى المعروفة ، من نخوة وكرم وفروسية ، كما اشتغل غير واحد منهم بالقضاء ، وكانوا جديرين أن تستمر الحياة بهم مطمئنة كما عودتهم لولا الظروف المهتزة التى نشأت عن انهيار دولة الأمويين بالأندلس واضطراب الأمور فى قرطبه اضطراباً هائلا في الربع الأول من القرن الخامس الهجرى انتهى آخر الأمر عام (٤٢٢) للهجرة بطرد آخر مستخلف من بنى أمية من عاصمة جدهم العظيم عبد الرحمن الناصر .

وعلى الأثر نشأ فى كل من قرطبة واشبيليه ، ولأول مرة فى التاريخ الاسلامى نوع من الحكم تتولاه لجنة شعبية .. كان من أبرز رجالاتها في اشبيليه القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل ، وكان والده يعد مثلا فى العلم والاستقامة ونقاوة الضمير فى عصر عم فيه الفساد ، لكن هذا القاضي لم يكن على غرار أبيه من حيث طموحه للرياسة فقد تخلص من أعضاء اللجنة الشعبية واحداً بعد واحد ، حتى أصبحت الكلمة له وحده في اشبيليه ، وكان رجلا داهية حديدى الارادة أدرك أنه لن يكون قادراً على تثبيت ملكه أو توسيعه كما كان يطمح بسبب قوة التحالف البربرى الذى كان يحيط به من ناحية قرطبه ، فضلا عن غرناطه وقرمونه وباجه وغيرها فلجأ إلى حيلة تكاد تخالط الأساطير ، فقد كان معروفاً أن آخر خلفاء بنى أمية الشرعيين فى قرطبه هو هشام الثانى المعروف بالمؤيد بالله قد طرد من قرطبه من قبل ابناء عمومته عام ٤٠٣ هـ واختفى عن الناس متنكراً فكثرت الأقاويل عنه ، ولا سيما من الذين أسفهم كثيراً انهيار



دولة الأمويين .. ولجأ القاضى الاشبيلى إلى رجل من العامة يشتغل بصناعة الحصر ويسمى خلفاً فى وجهه شبه غريب بوجه المؤيد بالله المختفى ، فوضع القاضي يده عليه ، ورتب كل ما يلزم للادعاء بأن الرجل هو الخليفة الأموى المتنكر السابق ، واستخدم مواهبه وماله ودعاته فى تعميم القصة ، وألزم كل لائذ به من صغار الأمراء بالتسليم على الخليفة الأموى المدعى ، وبذلك أمسك بزمام الشرعية ، وسمى نفسه مجرد حاجب لذلك الداعى .. وكانت قصة طويلة ممتعة أفاد القاضى منها تثبيت مركزه وتوسيعه قبل ان يتوفى عام ٤٣٣ هـ .

متناقضات في شخصية

وبعده جاء لحكم اشبيليه ابنه عباد فى السنة التالية لمولد ابنه المعتمد فى حصن باجه كما ذكرت ، وكان يلقب أولا بفخر الدولة حاجب الخليفة هشام المؤيد استمراراً فى القصة إياها .. ثم تلقب بعد انتهاء تلك الاسطورة السياسية باسم المعتضد .. ولقد كان لهذا الرجل تأثير كبير فى حياة المعتمد يقتضينا أن نلقى بعض الأضواء على حياته .. لقد كان هذا الرجل فى غاية الوسامة ، يجمع المتناقضات فى شخصيته العجيبة ، فهو شاعر فى مناسبات نادرة ، ويتذوق الشعر الجيد وينقده كخير ناقد لكنه لا يدع الشعر ولا النفسية التى يمثلها الشعر تستولى عليه ، فلقد كان

أشد دهاء من والده ، وأقسى قلباً من أى حاكم عرفته الأندلس ، ويزين مدخل قصره بنصب تشير إلى رؤوس أكابر خصومه الذين قتلهم ، يخلص لمن يثبت عنده إخلاصهم إلى نهاية العمر والى أبعد ما يقتضيه الاخلاص من تضحية ، ولا يرتد عن قمة الانتقام من أعدائه لا يقبل فى ذلك وساطة ولا شفاعة ، وكانت نظراته ثاقبة وتدبيره محكماً لا يصل نديم ولا صديق إلى سره ، وكان على أعين الناس الحاكم الحازم العادل ، فاذا جن عليه الليل فهو المسرف فى شرابه ومجونه وقد صور ذلك هو نفسه بأبيات ورد فيها هذا القول المعبر .

وأمسى على اللذات واللهو عاكفاً
وأضحي بساحات الرياسة أختال

وكان مسرفاً فى الانفاق على قصوره وبذخه ، لا يتردد فى القتل حين يرتاب ، وقد بدأ بقتل حبيب وزير والده ، وكان يضع رؤوس القتلى كما ذكرت فى هياكل خشبية ينصبها على عمد كأنها الشجر فى حديقته وكان يقول «فى مثل هذا البستان فليتنزه» وكان عباد هذا أو المعتضد يحمل لواء العداوة للبربر فى الأندلس ، ومما قيل فى اصراره على تلك العداوة إن قارىء طوالع قرأ فى كفته نبوءة بأن البربر هم الذين يزيلون ملكه ، وذلك ما حصل ولكن فى عصر ولده المعتمد ..

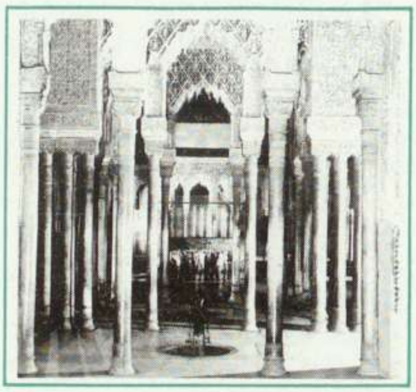
تربية المعتمد

كان المعتضد يكرر لولده محمد الذى عرف لاحقا بالمعتمد قوله «لقد ولدت فى حصن وان قدرك القتال ، ولا يكن لك صديق تلهو معه لهوا يفضى به الى سرك فينال منك ، واستيقظ ولا تتردد عند وجوب القتل والا كان القتيل أنت وعندما بلغ المعتمد الثالثة عشرة من العمر ، وبعد أن رأى ابوه انه استكمل ما يلزم الرجل المسئول من دراسات تقليدية فى اللغة والتفسير والحديث وشىء من الفقه ، أقامه قائداً على حامية مدينة شلب ، ثم ضم إليها المعتمد منطقة شنتمريه (سينت مارى) على ساحل المحيط الأطلسى ، وأقام المعتمد هناك والياً .. وهناك فى منطقة من أروع مناطق الدنيا حسناً ، واكثرها مرائى جمال وبدائع نشأ المعتمد شاباً صغيراً مراهقاً ومسئولا .. وهناك تعرف عليه وخلب لبه إعجابا الشاعر الانتهازى الأفاق ابن عمار .. ومع أن المعتضد سمع من ابن عمار هذا شعر مديح أعجبه لكنه زجر ولده محمداً عن صحبته ، وحذره من مكامن الشر فى نفس ذلك القرين السيىء . ولكن المعتمد لم يدرك الأمر إلا بآخرة منه ، وبعد أن تسبب ابن عمار فى سقوط حصن المسلمين الأعظم فى الأندلس ، طليطلة ..

وخلال ولاية المعتمد على مدينة شلب وما جاورها وقع خلاف خطير بين والده المعتضد وأخيه اسماعيل بن المعتضد ولى عهد اشبيليه ، الذى أراده أبوه اقتحام الزهراء والاستيلاءعلى قرطبه فرفض اسماعيل الخطة لأنها تضعه بين نارين .. الناس المعارضين فى العاصمة القديمة والبربر المعادين من خلفه فغضب عليه أبوه غضبه الذى لا يرتد عن نهايته .. وامتد العداء فى مراحل طويله ، وانتهى بأن قتل المعتضد ولده ، وأصبحت ولاية العهد للمعتمد ، وبعد ذلك بقليل قرر المعتضد أيضاً أن الوقت حان لانهاء اسطورة الخلافة الأموية فعمد إلى قتل خلف الحصرى الذى كان يسميه أمير المؤمنين هشاماً المؤيد ، واحتفل بدفنه زاعماً أن المتوفى قد أوصى له بالحجابة الدائمة وميراث الحكم على الأندلس كلها ..

أول خطأ كبير

كان طبيعياً على ضوء سائر الظروف التى أشرنا لها فى مقالنا السابق وفى هذا المقال أن يجد محمد المعتمد بن عباد فى



صميم نفسه أثراً قاسياً للضغوط التى توقعها على وجدانه الغض ، وحسه المرهف ، شخصية والده الطاغية ، وأن يتجاوب مع خطط الماكرين وعلى رأسهم ابن عمار فيغرق نفسه فى ليالى اللهو ، وقد حصد أول ثمرة لذلك الاغراق فى حادثة مالقه . كان يحكم مالقه ـ وسكانها خليط من العرب والبربر ـ طاغية من البربر مسرف فى البذخ والقسوة يدعى باديس ، وكان يتبع عاصمته فى مالقه خمس وعشرون ناحية فيها من الحصون بعددها تماماً ، وضاق الناس به عربهم وبربرهم على حد سواء فاتصلوا بحاكم اشبيليه ، ورتبوا معه الأمور على أساس قيامهم بالثورة فاذا ما اشتد أوراها يتقدم الجيش الاشبيلي بقيادة محمد المعتمد ويمسى الناس ويصبحون دولة واحدة .. ومضت الخطة إلى تمامها ، وسقط سائر الحصون فيما عدا حصن مالقه .. وكان المفروض ألا يلقى المعتمد سلاحه إلا بعد انتهاء الأمر بسقوط حصن العاصمة .. ولكنه كان شاباً غرا أصغى إلى نصائح بعض لداته من أمراء البربر فضلا عن ابن عمار صديقه ، وترك الحبل على الغارب ، وما علم ان البربر توصلوا خلال لهوه إلى اتفاق مع باديس فرضوا عليه به ما كانوا يريدون منه قبل ثورتهم عليه .. فلما أتموا اتفاقهم انطلقوا من خارج الحصن ومن داخله يطاردون جيش المعتمد الذى كان قد انساح فى تلك البلاد الجميلة ينشد اللهو والكسب ، وكانت هزيمة منكرة لاشبيليه لم ينج منها المعتمد إلا بفراره إلى رنده وهناك أدرك خطأه الكبير ، وعلمته الحياة أول درس حقيقى شديد المرارة ومع انه كان ينظم الابيات القليلة أحياناً ، لكنه فى أولى مآسى حياته عرف أن به شاعراً مجيداً .. لقد هزته التجربة الشاقة من الأعماق .. وكان يواجه أباً لا كسائر الآباء . ومأساة أخيه اسماعيل ما تزال حية فى الوجدان وذكراها ماثلة عالقة ... فما الذى يستطيعه سوى الشعر يحمله اعتذاره وأسفه ، ويترجم به عن آلامه ، ويسترضى به أبا خاب فيه أمله عند أول تجربة عنيفة .. فما أروع الحظ فى فهم أبيه الشعر وتذوقه الجيد منه .. ومن هنا انطلقت رائية الاعتذار أولى القصائد الباقية من شعر المعتمد الخالد .. وها هو

المعتمد بن عباد
شاعر المأساة العربية في الأندلس

يرسل لأبيه بعد وقوع القدر وعمى البصر .. وفائت لا يرده الحذر :

سكن فؤادك ، لا تذهب بك الفكر
ماذا يعيد عليك البث والحذر
وازجر جفونك لا ترض البكاء لها
واصبر فقد كنت عند الخطب تصطبر
وإن يكن قدر قد عاق عن وطر
فلا مرد لما يأتى به القدر
وان تكن خيبة فى الدهر واحدة
فكم غزوت ، ومن أشياعك الظفر
إن كنت فى حيرة من جرم مجترم
فان عذرك فى ظلمائها قمر

والقصيدة أطول مما أوردناه ، واختصرنا منها لنفسح المجال لسواها .

الى جحيم أغمات

وبعد ست سنوات من اغتفار المعتضد خطأ ابنه محمد (المعتمد) حين أضاع باهماله موقع مالقة الهام استدعاه أبوه وهو فى وضع نفسى بالغ السوء ليتولى ولاية عهد اشبيلية . وكان لقب المعتمد عندئذ هو «المؤيد» وهو لقب لازمه وظهر فى القصائد التى نظمت فى مدحه ولاسيما من صديقه ابن عمار . ولم يستبدله بلقب «المعتمد» إلا بعد وفاة أبيه عام أربعمئة واحدى وستين للهجرة وذلك زيادة فى تكريم حبيبته الرميكية «اعتماد» .

وتعتبر اعتماد جارية ابن رميك من أشهر الشخصيات النسوية فى التاريخ العربى ، وهى من ناحية الجدل الذى أثارته فى الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية وبخاصة فى المغرب والأندلس تنيف أهمية على شجرة الدر وكليوباترا فى التاريخ المصرى - الرومانى .

مجرد صدفة

وتجرى قصة زواج المعتمد من اعتماد هذه كما يرويها صاحب الذخيرة ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم فى إطار رومانسى ، وهى حقيقة بأروع صور الرومانسية إذا رفض التصور الذى أقدمه الآن بأن حكاية زواجها ربما كانت تدبير من قرين السوء الانتهازى محمد ابن عمار ذلك العبقرى الآفاق الذى تقلبت به الحياة بين فقر جعله يعتبر ملء مخلاة شعير جائزة يفرح لها وغنى جعله لا يرضى أن تكون هديته لبعض أصدقائه فى مرسية أقل من حمل عشرين بغلا متينا بأغلى وأحلى أنواع المطرزات والديباج وثياب المخمل المقصبة والطيب والحلى وبعض الأدوات الفنية الصغيرة الثمينة .. وسواء أكان زواج المعتمد من الرميكية نتيجة الحب الذى جاءت به رياح الصدفة العابرة أم كان تدبيراً من ابن عمار كما أعتقد الآن ، واحسب انى أول من يقدم هذه النظرية . فان ذلك الزواج لم يؤثر فى حياة المعتمد وحده وإنما أثر فى سير الأحداث السياسية فى الأندلس وكان واحداً من أهم أسلحة الدعاية التى استخدمها الفقهاء وانصار الحزب المرابطى المغربى لثل عرش المعتمد وسائر ملوك الطوائف الأقل منه أهمية وبالتالى توحيد الأندلس والمغرب .. وسأعرض لذلك فى حينه ، أما الآن فدعنى أسرد قصة ذلك الزواج ووجهة نظرى المتواضعة بشأنه ..

لقاء الرميكية

وللمرء ولكل قارىء غير متخصص فى أى عصر تاريخى أن يناقش وجاهة ما يرويه المؤرخون والكتاب عن تلك المرأة الجارية وكيف أمكن أن تكون بذلك الموضع من الأهمية والتأثير .. ولكن عجب هؤلاء يزول حين يعلمون أن ثمن



الجارية من نوع اعتماد الرميكية قد كان يقارب أحيانا نصف مليون دينار ...

ولقد كان هناك أناس يجازفون بحياتهم كلها من أجل انتاج جارية واحدة من طراز اعتماد هذه ولكن أية جارية ؟ فالى جانب جمال التكوين الخلقى كانت تلك الجارية تتلقى تثقيفا متكاملا فى سائر المناشط الثقافية والفنية التى تجعل منها مناط حب الخلفاء والملوك وسلوة قلوبهم ، وتتراوح تلك المناشط أو المساقات الدراسية وفق روح العصر ، واحتمالات السوق .. ولكن الشعر وفهمه ونقده وغناءه والموسيقى وآلاتها وعلمها والبصر بألحانها وإيقاعاتها ، والقصص التاريخى وبعض علوم القرآن والسنة كانت جميعاً تدخل فى تلك المساقات ..

ولقد اعتاد الأمير محمد (المؤيد حينذاك) أن يخرج مع صديقه وصفيه محمد بن عمار الى موقع ساحر قريب من شاطىء الوادى الكبير حيث الزروع الرائعة والبساتين العامرة ، ومناظر جبال الشرف الشجراء الساحرة - قريبا من حدود البرتغال اليوم - بعيداً عن أعين الرقباء للتنزه بما فيه الخمر الشائعة فى اشبيلية والتندر بالشعر والقصص . وقيل إنهما فى مثل تلك النزهة ذات يوم حين هبت ريح ضعيفة الحركة فغضنت وجه نهير هناك متفرع من نهر الوادى الكبير .. فبدأ للمعتمد فى منافساته الشعرية لصاحبه وهو أيضاً شاعر متمكن أن يطلب اليه تشطيراً لصدر بيت استوحاه المعتمد من منظر سطح النهير تحت وطأة الريح المعتدلة .

قال المعتمد .. شطر يا أبا بكر - وتلك كانت كنية ابن عمار :

«نسج الريح على الماء زرد»

وما كاد ابن عمار يبدأ مجرد الاهتمام بايجاد عجز لصدر بيت متكامل حتى ارتفع صوت نسوى رائع ساحر يقول :

«أى درع لقتال لو جمد»

وهناك فغر الرجلان فاهيهما دهشة .. أية جنية تلك التى صدرت عن ذلك الجواب المحكم الذكى ؟ وينهض المعتمد باحثاً عن مصدر الصوت خلال الغيضة الملتفة على شاطىء النهر فاذا وجه رائع وقوام ممشوق وابتسامة ساحرة تواجهه من فتاة كأنها جنية الماء الموحية فى

أساطير الاغريق .. وتلاقت الأعين الأربع فانسجمت المشاعر واختلج القلبان وكان حب مهلك مقعد .. ولم يبرح «المؤيد» محمد بن المعتضد مكانه إلا حين دل على أهل الفتاة ، ، فاذا هى جارية لابن رميك وقدم المعتمد (المؤيد) للرجل ما طلب ، وبنى بها من ليلته وتزوج .. فما مر يوم إلا وحبها يغلغل فى قلبه ويزيد من فرط ما يتفتق عن ذهنها وحركاتها من جمال وذكاء وعلم وفن وحسن حيلة وتصرف حتى ملكت عليه لبه ، وصارت محور تحركه وعلة سروره أو غضبه .. وحيث هى ملأت بيته بالأبناء والبنات من غير أن يضار جمالها وظرفها وحيويتها فقد استحكم أمرها فى قلب الرجل وحياته ... كان ينظم لها القصيدة المطولة اذا باعدت الظروف بينها وبينه أياماً معدودات ، وكان ينظم المقطوعة مبتدئة أبياتها بحروف اسم اعتماد ، وكان ينظم فى مدحها ويغالى بها كاثمـــن ما فى حياته ...

وما كان أحد ينافسها على قلب محمد زوجها إلا صديقه ابن عمار الذى أوغر قلوباً كثيرة عليه فى اشبيلية وخارجها فسعى به الى المعتضد فنفاه الى سرقسطة باقصى الشمال الأندلسى قريباً من حدود فرنسا لكنه لم يمكث هناك سوى بضع سنوات عاد بعدها بدعوة من صديقه المعتمد (المؤيد) بمجرد موت أبيه المعتضد وتوليه الامارة فى مكانه .

وجميلة رائعة هذه الأسطورة الرومانسية عن زواج المعتمد بن عباد من الرميكية .. ولكن لما كان بعض رواة التاريخ ينسبون الى ابن عمار انه هو الذى طرح فكرة التشطير على المعتمد وليس العكس .. ولما كان الذى نهض يركض باحثاً عن الصوت النسوى وصاحبته هو المعتمد وليس الرجل الذى يفترض أن ينهض لخدمته كابن عمار .. ولما كانت مثل هذه التصرفات قد صدرت عن ابن عمار — الذى لو شهد عصرنا وعمل فيه مخرجاً لأزرى بسيسيل دى ميل وأرسون ويلز — من فرط عبقريته فى طبخ المؤامرات من كل الأنواع والمستويات . فانى لا أستبعد أن يكون ابن عمار على صلة بابن رميك ومعرفة بالرجل وجاريته وانه رتب المكان والزمان والكيفية لتمرير ذلك الحب على المعتمد ... ولكن الحقيقة التى ينهض عليها التاريخ علماً لا تنهض بمثل هذه الأدلة الظرفية التى لا يبنى عليها حكم لذلك يظل الأمر محتاجاً فى هذه الفرضية الى براهين عملية لتجعل منها نظرية مقبولة .. وهذا يتطلب دراسة واسعة وعميقة جداً فى سائر النصف الثانى من القرن الخامس من تاريخ اشبيلية الأدبى والاجتماعى وحيث أن معظم تاريخنا هو تاريخ ملوك وحكام فان الأمر يكاد يبلغ حد الاستحالة .. خصوصاً وان كتاب الذخيرة لابن بسام وموسوعة نفح الطيب لابن الخطيب يكادان يكونان هما المصدرين الوحيدين للقصة ..

المسرح السياسى

كانت الحركة التى عرفت تاريخياً بحركة الاسترداد الاسبانية قد بلغت بداية ذروتها فى شخص فيرديناند المسمى بالعظيم فى تاريخ قشتالة وهو والد لثلاثة أولاد لعب أحدهم وهو ألفونسو دوراً هاماً فى توحيد ممالك الاسبان الصغرى فى مناطق الشمال والغرب الجبلية ، وذلك بقتله أخيه سانكو والاستيلاء على حصته من مملكة أبيهما ثم سجنه أخاه الآخر جرسيا سجناً استغرق حياة الضحية مدى ثمانى عشرة سنة حتى مات فى السجن .. وبعد ذلك توجه الرجل القاتل الذى عرفه المسلمون الاندلسيون باسم الطاغية الأذفنش ، وعرفه قومه باسم الفونسو السادس صوب دويلات الطوائف الاسلامية معلناً تصميمه على ضم سائر أملاكهم لدولته ، وفارضاً عليهم جميعاً الجزية ، وملقباً نفسه باسم ملك الملتين (يعنى الاسلام والنصرانية) ، وهو يجيء بعد ابن عمار والرميكية ، من حيث صلته بالمعتمد وتأثيره فى حياته .

أحمد العنانى

كلمـــــات

أنا الجاد الوحيد والآخرون يهزلون .

كولوش
الممثل الفرنسى الهزلى
الذى رشح نفسه لرئاسة
الجمهورية الفرنسية

شعبنا مصمم على أن يكون الكونغو اسمه الكونغو وليس زائير .

فرانسوا لومومبا
ابن الزعيم الراحل
باتريس لومومبا

أنا مقاتلة شرسة .

غادة السمان

الأفلام التاريخية مخدرات والعودة الى التاريخ واقعية .

المخرج السينمائى
صلاح أبو سيف



كرايسكي

اليهودي الذي يطالب بدولة فلسطينية

عصام شريح

في أعقاب الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة ـ حرب عام ١٩٦٧ ـ وبالتحديد في العام التالي ـ ١٩٦٨ ـ برز اسم مستشار النمسا الحالي برونو كرايسكي ، كباحث عن السلام في منطقة الشرق الأوسط .

ولأن الأفكار لا تولد عادة في صحراء ، بل هي نتيجة لأسباب موضوعية ، ومخاضات عملية ، فان كرايسكي لم يتحرك للتنديد بالصهاينة غداة عدوانهم الأول على الشعب العربي الفلسطيني في عام ١٩٤٨ ، واغتصابهم ذلك الجزء الغالي والمهم من الوطن العربي ، وقد تأخر المستشار النمساوي عشرين سنة بين ١٩٤٨ و ١٩٦٨ ، ليبدأ في التحرك والاهتمام بالصراع العربي ـ الصهيوني ، والعمل من اجل حل سياسي لهذا الصراع يفي «ببعض» الحقوق العربية ، ولا يؤذي الكيان الصهيوني في واقعه الذي كان عليه قبيل عام ١٩٦٧ .

لقد حدثت متغيرات كثيرة خلال العشرين سنة تلك (١٩٤٨ ـ ١٩٦٨) ، وطرأت معطيات جديدة في المنطقة على الاصعدة الايديولوجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ، وبصورة خاصة في اعقاب الحرب الثالثة ، هي في الواقع العوامل التي دفعت بالمستشار كرايسكي الى الأهتمام والتحرك الذي نرى ونحس به ●

وقبل ان نحدد هذه العوامل وندخل في مناقشتها ، سنلجأ الى وضع افكار كرايسكي أمام القارىء ، لكي نسهل عملية العوامل الدافعة لذلك الاهتمام والتحرك أولا ومحاكمتها أو تقييمها ثانياً لكن ما يجب التنويه إليه قبل كل ذلك ، ان كرايسكي كان في طليعة الشخصيات المسئولة في الغرب ، التي استشعرت خطورة المأزق الذي أدخلت اسرائيل نفسها فيه بعد حرب عام ١٩٦٧ ، برغم انتصارها المذهل عسكريا في تلك الحرب بالاضافة الى الاخطار الشديدة التي اصبح الصراع العربي ـ الاسرائيلي يعكسها على العالم اجمع ، وبصورة خاصة على أوروبا الغربية .

الخطوة الأولى :

بادىء ذي بدء ، لابد من ملاحظة ان برونو كرايسكي مستشار النمسا ـ ذلك البلد الأوروبي الصغير الذي لا يتجاوز عدد سكانه اثنى عشر مليون نسمة ،

يلعب دوراً دولياً كبيراً لا يتناسب أبداً مع حجم دولته وامكاناتها، وقد يبدو امراً مدهشاً بالفعل ، ان يتنطح كرايسكي (اليهودى أصلا) لهذا الدور فى وقت يفقد فيه العالم الغربى ضميره واخلاقه اكثر فاكثر ، وفى أيام تحول فيها العقل الأوروبى الى مجرد حاسبة الكترونية ، لا هم له سوى عد براميل البترول التى يتلقفهابنهم ظاهر من المنطقة العربية .

على اية حال ، يتحدث كرايسكي عن نفسه فيقول انه اشتراكى يؤمن بالعالمية ولا يحمل اية أفكار مسبقة بالنسبة لأى شعب ، ومن هذا المنطلق ، وبهذه الروح يمارس عمله السياسى والأمل يحدوه بأن يتمكن من الاسهام فى ايجاد حل سياسى للصراع العربى ـ الصهيونى ، عن طريق مد الجسور بين الطرفين .

ويتحدث كرايسكى عن أول اهتمام له بالعالم العربى فى عام ١٩٦٨ ، فيقول فى كتاب بعنوان «النمسا بين الشرق والغرب» ، ان اسرائيل احتكرت الاحزاب الاشتراكية فى الغرب (احزاب الاشتراكية الدولية) وسواهم من الاحزاب والمنظمات السياسية وغير السياسية ، وكان حزب العمل الاسرائيلى «الاشتراكى» يضع العراقيل دائماً فى طريق اقامة اتصالات مع العرب .

لكن بعد حرب عام ١٩٦٧ انتهى التفكير بكرايسكي الى ضرورة الخروج من عقدة الذنب التي شعر بها الديمقراطيون الاشتراكيون فى الغرب نحو اليهود الذين لقوا مجازر جماعية على يد النازية الهتلرية ، خاصة وان كرايسكي يعتقد ان ملاحقة هتلر لليهود لم تكن بسبب معتقدهم الدينى أو اصلهم العرقى ، حيث هناك عدد كبير من الاشتراكيين أبادهم هتلر فى ألمانيا دون ان تكون لهم ادنى علاقة باليهودية .

ومن هذا المنطلق بدأ كرايسكى يدعو الى القيام باتصالات مع العالم العربى اذا شاءت أوروبا الغربية تحقيق حل سلمى لصراع الشرق الأوسط .

ويقول كرايسكى فى هذا الصدد ، انه فى عام ١٩٦٨ ـ فى فيينا ـ وخلال انعقاد مؤتمر الاشتراكية الدولية ، دعا المؤتمر الى فتح صفحة جديدة بين الأوروبيين الغربيين والعرب ، وقال ان فى العالم العربى تيارات اشتراكية عربية ، يمكن تشجيعها وافهام قادتها ان

كرايسكي يختلف مع جميع القيادات الصهيونية



بامكانهم الاعتماد على دعم أوروبا الغربية ، لكن كرايسكى يضيف هنا ، انه لم يهمل بالطبع لفت نظر زملائه فى الاشتراكية الدولية الى الثروة النفطية التى تختزنها الأرض العربية .

وبالطبع فان تلك الاشارة إلى العالم العربى من قبل كرايسكى اثارت السخرية والاستخفاف نحو المستشار النمساوى الذى نظر اليه زملاؤه «الاشتراكيون» ، وبينهم يغئال ألون ، نظرة من يشفق على زميل مصاب «بعاهة» الطوباوية الاشتراكية .

لكن الأمر بدل تماماً بعد اسابيع قليلة على انتهاء الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة فى تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٧٣ . فبعد خمس سنوات من تلك المحاولة الأولى لقيام اتصال بين الأوروبيين الغربيين والعرب كرر كرايسكي المحاولة ، واطلق دعوته من جديد لفتح حوار مع العالم العربى ، وخلال مؤتمر الاشتراكية الدولية الذى عقد فى لندن فى عام ١٩٧٣ ، فوجىء المستشار النمساوى بقبول المؤتمرين ، بمن فيهم رئيسة حكومة العدو السابقة غولدا مئير ، ارسال «بعثة لتقصى الحقائق» ، هدفها استبدال صفحة العداء بين الأوروبين الغربيين والعرب بصفحة جديدة عنوانها الصداقة والبحث فى شروط حل سلمى للصراع العربى ـ الصهيونى .

موقف من الصهيونية

نتيجة لنشاطه الداعى الى حل سياسي لصراع الشرق الأوسط ، روجت اسرائيل والصهيونية العالمية شائعة عن كرايسكي مؤداها ان المستشار النمساوى معاد للصهيونية ولاسرائيل معاً ، وفي الواقع فان هناك مغالاة بعيدة فى هذا الوصف لكرايسكى ، لأنه لم يناد ولا مرة واحدة بالغاء اسرائيل «كدولة يهودية» بل ان جل ما يطالب به هو كبح جماح التوسع لدى الصهاينة على حساب الأرض العربية ، ودعوتهم الى الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة وبقية الأراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، مقابل سلام دائم فى المنطقة واعتراف العرب باسرائيل بعد تعديل الخطوط الفاصلة تعديلا طفيفاً فى الضفة الغربية لصالح اسرائيل بالطبع .

لكن ماذا يقول كرايسكى عن الصهيونية ؟

يقول : ان فلسفة الصهيونية تستند الى نظريات سياسية وهمية ، فافتراضها بان جميع يهود العالم منحدرون من اصل واحد ، كان مقره فلسطين فى الماضى ، خطأ من الوجهة التاريخية .

ويضيف : انه كما هناك خطأ فى القول بامة آرية على اساس عرقى كما نادت بذلك النازية ، فان هناك خطأ فى القول ان هناك امة يهودية بالمعنى العنصرى .

ويستشهد كرايسكى على فساد العنصرية أو العرقية اليهودية بيهود اسرائيل الذين ينتسبون الى أشكال (انثروبولوجية) بشرية متباينة ، حيث كل يهودى اسرائيلى يحمل الصفات الجسمية للبلاد التى وفد منها . ومن هنا فان كرايسكى يقول ان الظاهرة اليهودية دينية وليست عنصرية ، وحتى داخل اليهودية نفسها ، توجد تيارات دينية مختلفة مما ينفى عن اليهودية وحدتها الصارمة التى يريد الصهاينة العنصريون اظهارها بها ، لكن المستشار النمساوى يشير الى ما يسميه بشعور اليهود بوحدة جامعة فيما بينهم ، وهو يعزوها الى «اسطورة» الاضطهاد الذى عانوا منه عبر حقب تاريخية مختلفة ، وفى اشارة مهمة للمسالة يقول إن قادة الصهيونية يرون ان من مصلحة حركتهم



كرايسكي

اليهودي الذي يطالب بدولة فلسطينية

ان يبقى اليهود «الدياسبورا» واقعين تحت وطأة الاضطهاد المستمر ، لأن فى ذلك الضمانة الأهم لتطلعهم الى «اسرائيل» على انها «أرض الخلاص والأمن لكل يهودى فى العالم» .

ويعود كرايسكى الى التأكيد على نظريته الأساسية ، بأن الانتماء المشترك الى اليهودية غير موجود ، كما ان ادعاء الصهاينة بأن فلسطين هى أرض اليهود ادعاء خاطىء ، فاليهودية لم تكن مستقرة فى الأصل فى منطقة الشرق الأوسط ، بل فى بلاد شمال شرقى أوروبا ، وفى بولونيا والاتحاد السوفيتي

القضية الفلسطينية

والآن : كيف ينظر كرايسكى الى الفلسطينيين ؟ وكيف يتصور الحل للقضية الفلسطينية ؟

يقول : «ان كل حل «للمشكلة» الفلسطينية يجب ان يأخذ بعين الاعتبار عنصرين هما : الاعتراف باسرائيل «كدولة» مستقلة والاعتراف بحق الفلسطينيين بانشاء دولة فلسطينية لهم .

أما بالنسبة لشكل الدولة الفلسطينية ومساحة الأرض التى ستقوم عليها وعدد سكانها ، فان كرايسكى يعترف بان ذلك يشكل مشكلة بالفعل ، مما يستحيل معه التحديد ، لكنه على اية حال لا يرى سوى جواباً واحداً ، وهو ان الدولة الفلسطينية «المطلوبة» ، يجب ان تقوم فى الضفة الغربية وفى الأردن ، ويمكن تصور نوع من الكونفدرالية فى المستقبل بين الأردن والدولة الفلسطينية الصغيرة فى الضفة الغربية .

لكن هناك سؤال : هل سيكون لهذه الدولة الفلسطينية الصغيرة ، فى حال نشوئها ، مقومات الحياة ؟

يجيب كرايسكى برد نتحفظ عليه ، وهو باختصار ، ان اسرائيل عند قيامها لم يكن لها مقومات حياة ، وان الأردن اشد فقرا من الضفة الغربية ، ومنذ اكثر من ستين عاماً ، ارتفعت اصوات تقول ان النمسا ـ تلك الدولة الصغيرة ـ غير قابلة للحياة طويلا ، وان حظها فى البقاء ضئيل جداً . ويضيف : ان دولة فلسطينية ولو صغيرة ، يمكنها ان تعيش اذا كان مواطنوها مصممون او راغبون فى استمرارها وبقائها ، فالارادة السياسية عنده تشكل عنصراً حاسما فى مصير الدول (؟؟) ، ثم ان الدول العربية الغنية ستكون ملزمة بدعم هذه الدولة الفلسطينية إذ أنها ساهمت وستسهم فى اقامتها ، فلابد لها ان تتحمل مسئولية استمراها وبقائها ، وهذا ما حدث تماماً لاسرائيل ، وبالاضافة الى ما تقدم فسيكون بين اسرائيل والأردن والدولة الفلسطينية (كما يدعى كرايسكى) علاقات مصالح مشتركة تساعد الدولة الفلسطينية على البقاء ، ومهما يكن من أمر فانه اذا اراد الفلسطينيون دولة ، فيجب ان ينالوها ، إذ يجب ان لا ينسى أحد ان عدد الفلسطينيين يناهز الثلاثة ملايين (والصحيح أربعة ملايين) .

ويدعو كرايسكى الاسرائيليين الى اغتنام «الفرصة الوحيدة القائمة اليوم» وأن يتصالحوا مع الفلسطينيين بأخذهم «موقفا معتدلا ومعقولا» ، وستكون الحدود مفتوحة بعد تحقيق الصلح ، بين «اسرائيل» والدولة الفلسطينية ، لتسهيل التنقل والتعاون بين «الشعبين»

ويستدرك كرايسكى ليقول ان هذه ليست افكاراً خيالية ، كما قد يتبادر الى ذهن البعض ، إلا ان تحقيقها يقتضي «منح» أرض للفلسطينيين يقيمون عليها وهذه الأرض لا تتوفر الا اذا انسحبت اسرائيل من الأرض العربية المحتلة .

ويضيف انه سيكون للصلح بين اسرائيل والعرب اصداء قوية ، وان على الاسرائيليين ان يفهموا ان الشعب الفلسطيني هو الأرقى من ناحية المستوى الثقافى بين الشعوب العربية ، وان بين الفلسطينيين اكبر عدد بين هذه الشعوب من حملة الشهادات الجامعية ، وهم يشغلون مراكز هامة فى العالم العربى ، كما يتوجب على الاسرائيليين ان يتخلوا عن غطرستهم وتعاليهم على العرب ، وان يدركوا ان العالم العربى يشهد اليوم حقبة انبعاث فكرى .

وينصح كرايسكى الاسرائيليين بان لا يغتبطوا كثيرا بالمعارك التى يخوضونها مع الفلسطينيين فى جنوب لبنان ، ويقول ان الفلسطينيين قد يصابون بانكسارات عسكرية كما حدث فى لبنان .. الا انه يستحيل إسكاتهم او اخضاعهم للوصاية .

ثم يدعو اسرائيل الى ادراك حقيقة اساسية اخرى وهى ان منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الوحيد والناطق باسم الشعب الفلسطينى ، وبرغم ان هناك فئات تنكر على المنظمة حقها بالتحدث باسم الفلسطينيين ، الا ان منظمة التحرير نالت اعتراف هيئة الأمم

المتحدة بها مما اتاح لرئيسها ان يخاطب العالم من على منبرها وان يكون لها ممثل دائم فى المنظمة الدولية ولو بصفة مراقب ، ويحذر كرايسكى أيضاً من ان زعماء المنظمة قد يتغيرون ، لكن المنظمة باقية .

الاعتراف المتبادل

يطرح كرايسكى بعد ذلك ، مسألة الاعتراف المتبادل بين «الدولة الاسرائيلية» والدولة الفلسطينية ، وهو يرى ان القاعدة والأساس للاعتراف المتبادل هو قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ ، على ان يجرى «إكمال وتعديل» هذا القرار (القرار يصف الشعب الفلسطيني فى صيغته الأصلية بانه جماعات من اللاجئين وليس كشعب له قضية وطنية وحقوق سياسية) .

والتعديل الذى يطلبه كرايسكى يتوجب ان يتضمن النص على حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني وقيام دولة مستقلة . لكن المستشار النمساوى يعقد كل آماله فى امكان تحقيق هذا الحل ، على نجاح حزب العمل الاسرائيلى بزعامة شمعون بيريس فى الانتخابات الاسرائيلية القادمة ، فهو ينسب الى «زميله» فى «الاشتراكية الدولية» قوله انه يريد اعادة الضفة الغربية وقطاع غزه الى الأردن ، كما ينسب كرايسكى الى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات قوله «اريد أولا الضفة والقطاع وبعد ذلك افكر ما سأعمل فيهما ، فقد أرتب اوضاعى مع الأردن» (صحيفة السفير اللبنانية ١٦/٦/١٩٨٠) .

ويضيف كرايسكى انه اذا كان الطرفان يقولان الصدق ، فهناك امكانية لاقامة جسر يربط بين الطرفين والوصول الى حل ، لكن ماذا اذا غير بيريس رأيه بعد نجاح حزبه فى الانتخابات القادمة ؟

يقول كرايسكى : فى هذه الحالة لابد من الحصول على شكل من المفاوضات بحيث يجرى التعرف على مطالب كل فريق بالتحديد ، وهناك المئات من الأسئلة التى ستطرح «وعندما نجد لها الأجوبة نجد الحلول» ـ أما الحل فسيكون فى نقطة ما فى الوسط ، ومؤتمر جنيف الشرق أوسطى هو المكان الصالح لهذا الحوار المنشود على ان يضم ممثلين عن الشعب الفلسطيني ، أما اعتراف الفلسطينيين باسرائيل فهو الورقة الأخيرة التى سيلعبونها ، لأنها الورقة الوحيدة الرابحة فى ايديهم !

تبقى قضية القدس ، التى يقدم لها كرايسكى حلا غامضاً بعض الشىء ، فهو يشبهها بروما التى تعنى بالنسبة لاى كاثوليكى فى العالم مركز اقامة للبابا ، لكنها تعنى للآخرين عاصمة لايطاليا !! فبالامكان فى نظر كرايسكى رفع العلم العربى فوق المقدسات الاسلامية والمسيحية ضمن وضع خاص ، لكن على ان تبقى القدس عاصمة لاسرائيل !!

ماذا يقول الاسرائيليون عن كرايسكى

لقد اختلف برونو كرايسكى مع جميع القيادات التى مرت فى اسرائيل منذ عام ١٩٧٣ ، وفى تلك السنة كان بينه وبين غولدا مئير حوار ساخن حول مسألة المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتي حيث اغلق المعسكر الذى كان يستقبل المهاجرين اليهود قبل توجههم الى اسرائيل ، وذلك بعد عملية فدائية تم خلالها احتجاز رهائن . وبعد مقابلة بينها وبين كرايسكى فى اعقاب حرب تشرين الأول (اكتوبر) عادت غولدا مئير



الى تل ابيب لتعلن انها «خجلة من هذا اليهودى الذى يلبس كوفية مرقطة» . ومناحيم بيغن الذى وصفه كرايسكى بانه «يعمل فى السياسة كما يعمل البقال الصغير» ، لم يوفره من ابشع النعوت ومنها اتهامه باللاسامية ، كما ان يوسف بورغ اتهمه باستخدام لغة تذكر بلغة النازيين .

عود على بدء

قلنا فى مطلع هذه المقالة ، ان الافكار لاتنبت فى صحراء بل هى نتيجة منطقية لحدوث متغيرات وتشكل معطيـــات جديدة سياسية واقتصادية وعسكرية .

لهذا رأينا كرايسكى يربط طروحاته للاتصال بالعرب أمام الاشتراكية الدولية وتحقيق سلام فى الشرق الأوسط ، بقضية امدادات النفط العربى ، والخطر الذى يمكن ان يواجه اوروبا فى حال اندلاع حرب خامسة فى الشرق الأوسط ، ولجوء العرب الى فرض حظر نفطى جديد ثم ما تشكله عائدات النفط من خطر على ميزان التسلح بين العرب والكيان الصهيونى ، وكرايسكى نفسه لا يخفى فزعه من استخدام العرب لعوائد النفط من اجل شراء الأسلحة ، فهو يقول فى وثيقة اعدها وقدمها لمؤتمر الاشتراكية الدولية الذى عقد فى فيينا فى ٨ـ٧ـ١٩٧٨ ما يلى : «... واذا لم تجد أزمة الشرق الأوسط حلا ، فاننا سنجد عائدات البترول فى العالم العربى تتجه الى اهداف التسليح ، وتتوصل فى السنوات العشر القادمة الى تدعيم نوعية وقدرات الجيوش العربية ، مما سيهدد وجود اسرائيل .. وذلك ان اية قوة عسكرية اسرائيلية للهجوم المضاد ، مهما كانت ناجحة وقادرة على الضرب ، فلن تتمكن من تغيير الميزان بالكامل لصالح اسرائيل ، ولكنها ستزيد من احتمالات الخطر العام بالحرب ، وان الثمن الذى ستدفعه اسرائيل من دم ابنائها سيكون فى ازدياد مستمر» .

ان هذه الفقرة من الوثيقة التى اعدها كرايسكى تكشف عن «اليهودى الصغير المتخفى» فى اعماق كرايسكى ، ذلك اليهودى الخائف على اسرائيل والضنين بهدر دماء ابنائها .

عصـــام شريح

سرّ مثير
من أسرار الحرب العالمية الثانية

هل كان تشرشل يستعد للاستسلام لهتلر سنة ١٩٤٠؟!

مجدي نصيف

لين ديتون مؤرخ وكاتب قصة بريطانى . أصدر هذا الشهر رواية جديدة اسمها «إكس . بى . دى» ، انفجرت مثل قنبلة فى بريطانيا . الرواية هاجمها معظم النقاد والمؤرخون وانزعج منها الزعماء السياسيون . السبب أنها تمس شخصية بريطانية هى ونستون تشرشل، وتدعى أنه «كان يستعد للاستسلام لهتلر .. لولا ! ...»

الرواية الجديدة تقول ان «تشرشل بطل ولكن .. بقدمين من طين» ، ذلك أنها تدعي أنه قد قابل هتلر سراً فى ١١ يونيه عام ١٩٤٠ قبيل استسلام فرنسا بثلاثة أيام ، وعندما كانت بريطانيا تترنح آنذاك بعد هزيمة دنكرك القاسية وغزو فرنسا السريع ، المرير ، وكانت المقابلة .. هكذا تدعى الرواية ، لمناقشة هتلر فى شروط استسلام ذليل .

الأكثر من ذلك أن الرواية تدعى معرفتها بشروط الاستسلام الذليل . تقول الرواية ان تشرشل كانت معنوياته منخفضة للغاية فعرض استسلاماً مقابل تسليم هتلر المستعمرات البريطانية فى افريقيا والتى استولت عليها بريطانيا من ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وكذلك اشراف ألمانيا الجزئى على ايرلندا ، وعلى البحرية البريطانية الملكية ، وكذلك يتم السماح لقوات العاصفة الألمانية (الـ إس إس) والجستابو ، بالاشراف على البوليس البريطانى .

وتدعي الرواية أن هذا الاتفاق التمهيدى لم يتم تنفيذه لسبب بسيط لأن ونستون تشرشل تلقى وعداً من الرئيس الأمريكى روزفلت بانقاذ بريطانيا ، وذلك بأن تدخل أمريكا الحرب الى جانب الحلفاء .

ماذا حدث فى ليلة ١١ يونيو ؟

ولم يكتف الناشر بما جاء فى الرواية ، بل أضاف اليها من عنده بعض المشهيات: صورة لونستون تشرشل يصافح أدولف هتلر الزعيم النازى وكأن المقابلة قد تمت بالفعل ، والصورة لم تنشر من قبل بطبيعة الحال لأنها .. مزيفة ، وإن رفض الناشر أن يقول هذه الحقيقة .

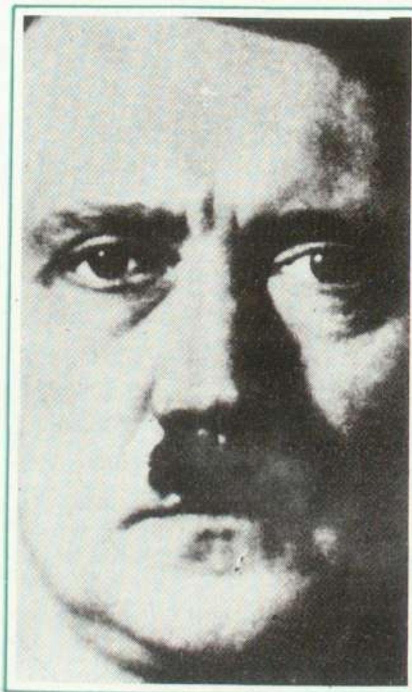
ما هى الواقعة المختلف عليها ؟

فى صباح الحادى عشر من يونيه عام ١٩٤٠ ، أقلع ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا العظمى ، على متن طائرة صغيرة خاصة الى وسط فرنسا ، الى مدينة بريير الفرنسية خلف الخطوط الألمانية . هناك ترك ونستون تشرشل جنرالاته الذين طاروا معه ـ بما فى ذلك حرسه الخاص ـ وطار الى قرية صغيرة على الحدود البلجيكية ، عند قرية برولى دى بيش .

«الرواية تدعى أن هذا اللقاء السرى كان مع أدولف هتلر الزعيم النازى ، لتسليم بريطانيا لألمانيا» .

ودخل الدكتور مارتن جيلبيرت المعركة . وهو المؤرخ البريطانى الذى كتب حياة ونستون يوماً بيوم ، وهو يعمل بالصدفة الآن فى الجزء السادس من كتابه الكبير عن حياة تشرشل ، ويتحدث فيه عن عام ١٩٤٠ ، حيث لابد وأنه سيتناول بالكتابة اليومين اللذين


تشرشل


هتلر

تناولهما لين دييتون بالحديث .

يقول الدكتور جيلبيرت :

تشرشل لم يقابل هتلر أبداً ، لا فى عام ١٩٤٠ ولا فى أى عام آخر . إن الرجل الذى أصر على أن تستمر بريطانيا فى حربها ضد المانيا النازية قد اشتهر بعلامة «النصر» ، وهى رفع الأصبعين دلالة على جملته الشهيرة أيضاً والتى تتكون من كلمة واحدة : «سننتصر» .

ويصف الدكتور جيلبيرت تفاصيل يومى ١١ و ١٢ يونيو عام ١٩٤٠ فى حياة تشرشل من خلال الوثائق الموجودة فيقول :

كان هذان اليومان أكثر الأيام درامية فى حياة تشرشل ، والصورة مثيرة — من الناحية التاريخية والواقعية — أكثر مما رسمها خيال الكاتب لين دييتون . كانت فرنسا على وشك الاستسلام ، وكانت «قوة استكشاف بريطانية» هناك مهددة بالفناء على أيدى الجيش الألمانى النازى .

هنا طار ونستون تشرشل مع فريق سياسى — عسكرى على مستوى عال ، الى فرنسا ، لحث الفرنسيين على الاستمرار فى المعركة والصمود وعدم الاستسلام . وكان هذا الفريق يتكون من : أنطونى ايدن وزير الخارجية ، والفيلد ماريشال سير جون ديل قائد الأركان العامة ، والجنرال توج اسماى رئيس أركان «مجلس الحرب» ، والبريجادير أوتولوند نائب مدير العمليات الحربية بمجلس الحرب ، والبريجادير جنرال سير ادوارد سبيرز ضابط الاتصال بين ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى ومسيو ريموند رئيس وزراء فرنسا .

وهذه الفترة مليئة بالوثائق والمذكرات .

فمن بين من اشترك فى هذه الرحلة السرية ، هناك من نشر مذكراته مثل أنطونى ايدن وزير الخارجية ، والفيلد ماريشال سير جون ديل . هناك أيضاً تقارير «مجلس الحرب» ، ذلك أن كل مهمات تشرشل وما قام به ، مسجل فى سجلات المجلس ، هذا الى جانب تقرير تشرشل نفسه عن تلك الرحلة «الغامضة» ، فهو لا يمكن أن يكون قد ذهب بدافع شخصى بعد أن أصابه اليأس ، ولابد أن تكون هذه الرحلة بتكليف . ثم هناك أيضاً أوراق تشرشل بأجمعها التى يحتفظ بها «مكتب السجلات العامة» .

الرحلة السرية

ما هى حقيقة الرحلة «الغامضة» «السرية» إذن ؟

لقد ثبت بالفعل أن تشرشل قد ذهب الى قرية اسمها بريير على الحدود الفرنسية — البلجيكية فى ١١ يونيه ١٩٤٠ ، لاجتماع فورى مع ريموند رئيس وزراء فرنسا ، والجنرال ويبجاند قائد الجيش الفرنسى (المندحر) والماريشال بيتان (الذى سلم فرنسا للالمان) والجنرال جورج ، ثم جنرال صغير السن لم يكن معروفاً حتى ذلك الوقت اسمه شارل ديجول .

استمر الاجتماع حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى : ١٢ يونيه عام ١٩٤٠ . وتقول التقارير التاريخية التى أذيعت ونشرت عن هذا الاجتماع ، انه كان اجتماعاً مأساوياً ، فقد قدم الجنرال ويبجاند قائد الجيش الفرنسى تقريراً على الحالة اليائسة للقوات الفرنسية . نصح الوفد البريطانى الجانب الفرنسى بطلب «هدنة» .

باختصار ، كانت فرنسا تتحلل ، وكان تشرشل يحاول ايجاد أفضل الأشكال الممكنة للصمود ، حتى لا يتدهور موقف الحلفاء . فى هذا الاجتماع التاريخى قال رئيس الوزراء الفرنسى لونستون تشرشل :

— «ألا يبدو أن هناك ضوءاً ما فى نهاية النفق المظلم الطويل» .

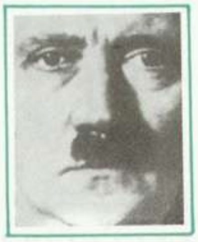
وتذكر التقارير — التاريخية — أن تشرشل قال له :

— ومع ذلك فان بريطانيا مصممة على أن تخوض المعركة . وأرجو أن تقوم فرنسا بنفس الشىء .

لكن البعثة البريطانية السياسية — العسكرية فشلت فى اقناع الفرنسيين بالصمود ، وطار تشرشل عائداً الى هيندون فى ليلة الثانى عشر من يونيه عام ١٩٤٠ ، وعبر الشاطىء الفرنسى . ومن نافذة طائرته ، شاهد الهافر وقد تصاعدت منها ألسنة النيران . وكان

هل كان تشرشل يستعد للاستسلام لهتلر سنة ١٩٤٠؟!





يمسك بيده مسودة تلغراف ، أرسله فيما بعد للرئيس الأمريكى روزفلت ، يطلب فيه مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية «لانقاذ الديمقراطية من الدمار» .

كتب ونستون تشرشل بعد ذلك يتحدث عن اجتماعه بالجانب الفرنسى :

– إن الماريشال العجوز بيتان مستعد أن يمد يده ويستسلم بتوقيع معاهدة مع الألمان . لكن هناك جنرال صغير اسمه تشارل ديغول ، أعتقد أنه سيفعل الكثير.

وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك : سلم بيتان فرنسا لهتلر ، واستمر الجنرال ديجول يناضل ضد النازية ، وقد ساعده تشرشل على وجه الخصوص .

تقول الوثائق ان تشرشل ذهب بعد ذلك مباشرة من هيندون الى اجتماع طارىء «لمجلس الحرب» البريطانى . وكان هذا الاجتماع تاريخياً ، إذ كانت «معركة بريطانيا» على وشك أن تبدأ .

فكيف يمكن أن يكون تشرشل قد قابل هتلر ؟

والأحياء ... أيضاً

ولم يكتف لين دييتون بالكتابة عن الأموات ، لكنه تناول فى روايته تحركات وافكار بعض المعاصرين ومنهم السيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا والمدير العام للمخابرات البريطانية . فالرواية تتضمن عدة اجتماعات تمت بين رئيسة الوزراء ومدير الـ إم ١٦ . وقد اسماه المؤلف دييتون سير سيدنى ريدن . وقال فى روايته ان السيدة تاتشر وجدت مدير جهاز مخابراتها صعب المراس ، والتفاهم معه مستحيل . وعلق مدير المخابرات – فى الرواية – على شخصية رئيسة الوزراء بقوله : «إنها شخصية شريرة للغاية» .

وما أغضب الشخصيات الرسمية البريطانية أكثر أن المؤلف ذكر فى روايته أن السير ونستون تشرشل قد اصطحب معه مدير المخابرات فى الاجتماع السرى بهتلر عام ١٩٤٠ ، ثم قتل بعد ذلك فى حادث سيارة غامض عام ١٩٥٩ .

الذى يقلق أكثر أن المؤلف مؤرخ أيضاً ، وهو يخلط وقائعاً عديدة صحيحة مع وقائع غير صحيحة على الاطلاق ، ويخلط شخصيات حقيقية بعدد من الشخصيات الخيالية ، إذ يتضمن قلب الرواية قصة حقيقية ، فقبل نهاية الحرب العالمية الثانية بعدة أسابيع ، قام النازى بدفق حمولة قطار كاملة . من الكنوز الفنية والأرشيفات والذهب ، فى منجم كايسيرودا بميركوس بغرب ثورنيجيا . واكتشف الأمريكيون المسألة ، فاستولوا على الحمولة وقاموا بشحنها فى سفينة الى فرانكفورت . لكن خلال نقل شحنة السفينة باللوريات الى فرانكفورت تختفى ثلاثة لوريات بحمولتها ولا تصل . وهذه القصة الحقيقية موجودة وثائقها فى واشنطن . ولكن لم يكشف القناع عنها بعد . وقد حصل دييتون على مادة أرشيفية لهذه الواقعة ووصفها بأشخاصها ووقائعها ثم خلط جزءاً منها بخيال المؤلف مما يعقد المسألة . انه يبنى روايته على مؤامرات متشابكة ووقائع وشخصيات حقيقية ، ثم يذكر بعض الأحداث الملفقة .

يقول دييتون عن روايته : «اننى كتبتها كمحطة استراحة بعد عدة كتب تاريخية . اننى أكتب فى هذه الرواية ما أريده وما أتصوره ، ولا التزم ولا أحاسب بالتالى على الوقائع التاريخية والوثائق والخط الحيادى العلمى الذى يجب أن أسير عليه فى كتبى التاريخية» .

والسؤال المطروح الآن :

هل يحق للمؤرخ أن يقوم بهذا ؟

هل من حقه أن يشوه شخصيات تاريخية ؟

واذا كان من حق الكاتب أن يتناول الأحداث كما يريد ... فالى أى مدى ؟ .

مجدى نصيف

لندن

كلمات

من طارد أرنبين فى وقت واحد لم يدرك أيا منهما .

مثل أوروبى

لقد حدث لي ألف مرة أن بصقت على الناس ثم هرولت أسعى وراءهم «طالباً رضاهم» !

احدى شخصيات الجريمة والعقاب
لد ستويفسكى

إن الخطأ هو الميزة الوحيدة التى يمتاز بها الكائن الانسانى على سائر الكائنات الحية . من يخطىء يصل الى الحقيقة . أنا انسان لأننى أخطىء . ما وصل انسان الى حقيقة واحدة إلا بعد أن أخطأ أربع عشرة مرة .

دستوفسكى

إبراهيم السمان
الاردن

الانتماء



الكلمة عملة صعبة غطاؤها الصدق . وهى أول ورقة نقد شفوية تعامل بها الانسان . ولكن التيارات الفكرية المختلفة التى عج بها الأثير العربى فى ربع القرن الماضى عومت كثيراً من الكلمات والعبارات فى بنوك الفكر السياسى التجارى بعد أن كانت قطعاً نادرة راسخة الغطاء .

و (الانتماء) من الكلمات التى أصابها التعويم ففقدت فى عقول الأجيال الصاعدة هويتها واضطرب مفهومها ومدلولها وغدت فى نظرها معادلة غير متوازنة الأطراف .

أصبح الانتماء أمراً يتلقاه المواطن ولا يتعلمه ودرس استظهار يحفظ كلماته دون أن يعيش واقعه . وعبارات تساق اليه فى حديث أو خطبة أو صحيفة ، وليس فى ممارسة أو تجربة . صرنا نطلب اليه الانتماء لوطنه بالرادار دون أن نعطيه أسبابه ووسائله .. ولقد نسينا أو تناسينا أبسط قواعده . فأول جذور الانتماء هو قراءة التاريخ .. واذا ما انتقلنا من الماضى الى الحاضر كان الوطن والأرض .. والبيت .. والعمل .. والحرية .. والعدالة الاجتماعية .. وكرامة الفرد .. واحترام الفكر .. هى المثيرات التى تسكن عقل الانسان ووجدانه .

يقول علماء النفس : إن أسباب الحنين الى الوطن هى فقدان المثيرات التى تشده الى البيئة والجو اللذين عاش فيهما .. ويشبهون تلك المثيرات بأوتاد الخيمة . فاذا ما غاب انسان عن وطنه أصبح خيمة بدون أوتاد تربطها بأرضها .. فالأرض وهى أم الانتماء لم تكن فى هذا الجيل هى الهدف . ولعلنا حاربنا الانتماء بغير وعى عن طريق الهجرة من القرية .. وموطن الانتماء والانتاج الى المدينة واجهة الخدمات والاستهلاك . كأننا نعد المواطن لمجتمع خدمات لا مجتمع انتاج وخلق وابداع !!

والتربية الوطنية بمختلف معاهدها لم تقم بدورها العلمى فى إعداد المواطن المنتمى . فالمعلم كان يتحدث الى الطالب عن الانتماء حديثاً نظرياً حماسياً مخدراً يبدأ بأبيات من شعر الفخر الشخصى وينتهى بنشيد عن الوطن الحبيب السليب !

والانسان كائن اجتماعى منتم بفطرته وحب الوطن انتماء وبقدر عطاء الوطن لأبنائه يكون الانتماء الذى يخلق المعجزات . قال لي صديق عندما كنا فى زيارة لاحدى مدن أوروبا : من أجل هذا الوطن الجنة كانت تضحيات أبنائه فى الحرب العالمية الثانية ..

وعندما نسمع أو نقرأ فى كتب التاريخ عن ملايين المواطنين الذين ماتوا دفاعاً عن مدنهم وصمدوا لنيران مئات القنابل التى تسقطها الطائرات على بيوتهم فان سر معجزتهم هو الانتماء . إنه لون من ألوان الحب والتضحية الصامتة فى سبيل مجتمع أبرز سماته العطاء .

والانتماء لا يفرض على انسان جائع ، لأن انتماءه يتحرك كابرة المغنطيس نحو الرغيف . والانتماء لا يطلب الى مشرد لا أرض ولا بيت ، ولا عمل ، ولا كرامة له . وقبل ذلك كله يستحيل الانتماء الى تربة مجدبة من الفكر أو مجتمع يتعامل مثقفوه ومترفوه مع الفكر فى المناسبات والصالونات خارج أوقات العمل !

الانتماء طفولة مضيئة وصبا دافق بالحياة وشباب حالم بالغد ورجولة مشدودة بعاطر الذكريات الى أرض خضراء . فضوء الطفولة لا ينطفىء فى النفس وسعادة الصبا تبقى شعلة فى العقل . وحلم الشباب يغدو حياة متجددة الأمل .. وهى كلها من روافد نهر الانتماء العظيم .

وضريبة الانتماء لا تفرض على انسان بلا طفولة ، ولا صبا ، ولا شباب . إنه ينتمى الى اللحظة التى يعيش فيها ، والأرض التى يقف عليها أينما كانت ، والفكر المشع الذى يهديه سواء السبيل . وهنا تكمن مشكلة من أخطر مشاكل العصر التى تواجه المجتمعات النامية غير المنتمية وهى : الهجرة .. هجرة العقول .. والكفاءات ؟؟

الكلام عن الانتماء يبقى نفخاً فى (قربة مثقوبة) بالتعبير الفولكلورى ؟؟ ما لم نترجم لأجيالنا الصاعدة معانيه واقعياً على صعيد مؤسساتنا الرسمية والأهلية وهى أول خطوة حقيقية على طريق الحياة المتحضرة .. ولا سبيل الى ذلك بغير الفكر والمال يوضعان فى المسار الصحيح على الأرض العربية .



عبد القادر الجزائري و الوحدة الوطنية

يشعر كثير من العرب هذه الأيام بأن آمالهم فى تحقيق الوحدة العربية المنشودة ، تتبخر شيئاً فشيئاً مع ازدياد التمزق فى العالم العربى ، وتوالى الانقسامات ، وتصاعد الخلافات . ويخيل الى الكثيرين أن أوضاع الوطن العربى لا تتغير الى الأحسن ، بل الى الأسوأ ! .. وفى الحقيقة أن أوضاع العالم العربى قد تحسنت كثيراً عما كانت عليه فى القرن الماضى ، منذ تحرر من الأستعمار ، كما تحقق له قدر من الوحدة السياسية والاقتصادية ، وتحققت على مستوى كل بلد وحدته الوطنية ـ وهذه كلها إنجازات كبيرة لم يكن يعرفها العالم العربى فى القرن الماضى . فكثير من البلاد العربية حتى عن قريب لم تكن قد حققت بعد وحدتها الوطنية ، التى هى الخطوة الأولى نحو الوحدة القومية ، وقد خاضت غمار معارك أهلية طاحنة حتى تمكنت من تحقيق هذه الوحدة ، وانتقلت بذلك الى مرحلة الدولة القومية الحديثة . ويرجع الفضل فى ذلك الى زعماء أوتوا البصيرة لاستشراق مستقبل بلادهم وأوتوا مواهب الزعامة لتحقيق هذه الوحدة فى مرحلة من المراحل ، ومن هؤلاء الزعماء : الأمير عبد القادر الجزائرى . الذى شغلته كثيراً قضية الوحدة الوطنية ، واستنفدت كثيراً من طاقاته النضالية ضد الاستعمار .

وعندما ولد عبد القادر الجزائرى فى شهر مايو ١٨٠٧ فى قرية صغيرة تسمى القيطنة أو «الجيطنة» فى إقليم وهران ، كابن رابع للشريف محيى الدين ، شيخ الطريقة القادرية ـ كانت الجزائر ولاية من ولايات الدولة العثمانية ، مثلها فى ذلك مثل غيرها من البلاد العربية الأخرى ، وكان المجتمع الجزائرى ، ككل المجتمعات العربية أيضاً ، مجتمعاً إسلامياً بالدرجة الأولى ، أى مجتمعاً يربط بين أفراده الشعور بالانتماء للدين الاسلامى والعالم الاسلامى ، بأكثر مما يربط بينهم الشعور بالانتماء لوطن محدود هو الوطن الجزائرى ، أو قومية محدودة هى القومية الجزائرية ! .

مجتمع مفتت :

ولكن هذا المجتمع ، نظراً لطبيعة الجزائر الجبلية ، كان منقسماً على نفسه في شكل قبائل وعشائر ، تدين بالولاء لرؤسائها وزعمائها بأكثر مما تدين للسلطة المركزية التركية التى تعينها الدولة العثمانية فى المدن القليلة وكان جزء من هذه القبائل يعيش مستقلا لحد كبير عن هذه السلطة المركزية فى المناطق الجبلية الحصينة ، تحت نفوذ عائلات كبيرة تستمد قوتها وهيمنتها من الدين أو الكفاءة الحربية . بينما كان جزء من هذه القبائل يخضع مباشرة للسلطة التركية ، ويعرف باسم : «قبائل الرعية» ، والجزء الآخر متحالف مع هذه السلطة يعمل فى خدمتها ، ويعرف باسم «قبائل المخزن» ، مثل قبائل الدوائر ،

والزمالة ، أو الكراغلة ..

وكان عبد القادر الجزائرى ينتمى لاحدى العائلات العربية النبيلة ذات الطابع الدينى التى كانت تتركز فى غرب الجزائر ، وهى قبيلة بنى هاشم العربية التى كان موطنها قرب مدينة «معسكر» عاصمة وهران . وكانت العائلات النبيلة فى الجزائر تنقسم الى قسمين ، قسم يستمد مكانته من السيف ، ويطلق عليه اسم «الأجواد» ، وتتركز فى شرقى الجزائر ، وقسم يستمد مكانته من الدين ويطلق عليهم اسم «المرابطين» . وكانت أسرة عبد القادر أسرة مرابطية ، أى أسرة دينية ، ومع ذلك فقد قدر لعبد القادر الجزائرى أن يقود حركة التحرير الجزائرية ضد الفرنسيين ، لأن تعلمه الدين لم يمنعه من تعلم فنون الفروسية بل وعلى نحو أعده للقيام فيما بعد بأدواره المدهشة التى حيرت اعداءه ، مثل عدم النوم خلال أسابيع ، والتعرض للصدام ، وندرة إغماد سيفه ، حتى استحق ما قيل عنه من أن «سرجه كان عرشه» !

ففى عام ١٨٣٠ احتلت فرنسا مدينة «الجزائر» منتهزة حادث ضربة المروحة المشهورة التى زعم فيها قنصل فرنسا ، بيير ديغال ، أنه تلقى لطمة من مروحة الداى حسين باشا حاكم الجزائر التركى أثناء احتدام نقاش بينهما . وقد فرضت فرنسا الحصار البحرى على ميناء الجزائر فى يونيو ١٨٢٧ ، وفى يوم ٢٥ مايو ١٨٣٠ ، أى بعد ثلاث سنوات ، وجهت حملة بحرية كبيرة من قاعدة طولون البحرية ، تمكنت بعد قتال عنيف من احتلال مدينة الجزائر .

وفى بداية الأمر ، لم يثر احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر أى خوف أو قلق فى نفوس الجزائريين فى أنحاء البلاد ، لأن ظروف الصراع بين الجزائريين والأوروبيين فى ذلك الوقت كانت تؤدى أحياناً الى احتلال الأوروبين لبعض المدن الساحلية ، ثم لا يلبث هذا الاحتلال أن يزول ، ولا يمتد الى الداخل . ولكن سلوك الفرنسيين فى هذه المرة أقنع الجزائريين بأن حضورهم لم يكن حضوراً عادياً ، اذ أخذوا فى الاستيلاء على كل المدن الساحلية ، وبدأوا فى مد سيطرتهم العسكرية نحو جبال أطلس ! . وسرعان ما أخذ عنصر المواجهة الرئيسى فى الجزائر ، وهو القبائل ، فى الاستعداد للمقاومة . فحين قاد الجنرال دى بورمون حملة عسكرية الى مدينة «البليدة» الواقعة فى سفح جبال أطلس يوم ٢٤ يوليو ١٨٣٠ ، انقضت عليه وعلى قواته كتائب العرب والقبائل من الجبال المحيطة ، وهى تصيح صيحة الحرب ، وأنزلت به الهزيمة واضطرته إلى الانسحاب الى مدينة الجزائر .

ولم يلبث «المرابطون» ، وهم الذين يقودون ويوجهون الفكر الدينى القومى ، أن أعلنوا عزمهم على شن الحرب المقدسة ضد الفرنسيين . واستقر رأيهم على دعوة محيي الدين ، والد عبد القادر لقيادتهم فى هذه الحرب ، ولكنه عندما اتصلوا به لهذا الغرض اقترح العمل تحت قيادة سلطان المغرب ، على أساس أن القبائل منقسمة على بعضها ، وزعماء البلاد يتآمرون ضد بعضهم البعض ، «وسلطان المغرب» قوة يمكن أن تدين لها القبائل بالخضوع ، «فاذا حاربنا تحت لوائه فسننتصر انتصاراً مؤكداً» .

وبالفعل توجهت بعثة جزائرية من كبار المرابطين إلى فاس ، وعرضت على السلطان عبد الرحمن أن يكون سلطاناً عليهم . فقبل بعد تردد ، وأرسل ابنه الأمير على نائباً عنه إلى تلمسان ، حيث سارعت القبائل إلى أعلان ولائها له . ولكن فرنسا وجهت انذاراً الى سلطان المغرب بالانسحاب العاجل من الجزائر أو اعلان الحرب ضده ، فأمر إبنه بالعودة ، وسحب جنوده . وبذلك ألقيت مسئولية الدفاع عن البلاد الى بنيها .

وقد أعاد انسحاب جيوش المغرب من الجزائر الوضع الى ما كان عليه ، فعرض المرابطون مرة أخرى على الشريف محيى الدين منصب سلطان الجزائر ، فرشح لهم هذه المرة ابنه عبد القادر ، فأرسلوا فى استدعائه ، وكان عمره وقتذاك خمساً وعشرين سنة ، ونصبوه عليهم سلطاناً فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٨٣٢ .

وحدة الجزائر !

ومنذ اللحظة الأولى لتسلم عبد القادر السلطنة ، شعر بأنه لن يستطيع أداء مهمته الا اذا توحدت البلاد تحت سلطته ودانت بالولاء له فأرسل فى اليوم التالى خطابات الى القبائل التى لم تشارك فى بيعته ، يدعوها الى الدخول فى طاعته قائلا :

«تولينا هذه المسئولية الهامة على مضض شديد ، أملين أن يكون ذلك وسيلة لتوحيد المسلمين ، وتوفير الأمن لكل الأهالى ، وصد وطرد العدو الغاصب لذلك ندعوكم الى أن تشاركوا فى هذا العهد أو العقد بيننا وبينكم . سارعوا اذن لاعلان ولائكم وطاعتكم ، والله يجازيكم فى الدنيا والآخرة . إن ثقتى فى الله كبيرة ، ومنه وحده أرجو الجزاء والنجاح» .

على أن هذا النداء من جانب عبد القادر لم يلق من القبائل استجابة واحدة فقد كانت هذه القبائل ــ كما ذكرنا ــ تعيش متباعدة ، وفى حالة استقلال نسبى عن السلطة المركزية التركية التى كان يمثلها حاكم الجزائر التركى ، ولم تكن تدين بالولاء ــ من ثم ــ الا لشيوخها ولم تكن تطيق الخضوع لسلطة واحدة ولذلك شعر كثير منها بنفور من الخضوع لحكم فرد واحد ، بل شعر زعماؤها بانهم لا يقلون فى صفات الزعامة وأحقيتهم لها عن الأمير عبد القادر . فلماذا يدينون له وحدة بالطاعة ؟ .

بل إنه فى اقليم وهران نفسه ، الذى ينتمى اليه عبد القادر ، أعلن بعض رؤساء القبائل رفضهم لزعامته، مثل : سيدى العريبى ، رئيس قبيلة فليته ، والغمارى ، رئيس قبيلة بنى انجاد ، ومحمد بن نونه فى تلمسان ، ومصطفى ابن اسماعيل زعيم قبائل المخزن .

وعندئذ شعر عبد القادر الجزائرى بأنه ربما كان عليه فى البداية أن يثبت جدارته بحكم البلاد عن طريق تحقيق انتصارات على الفرنسيين ، فجمع القبائل الموالية له ، وزحف بهم من مدينة معسكر فى ربيع عام ١٨٣٣ قاصدا وهران . واشتبك مع القوات الفرنسية بقيادة الجنرال دى ميشيل حول حصن فرنسى فى مكان يدعى «الكرمة» . فسحق صفوف الفرنسيين فى السهل ، وأجبرها على الانسحاب ، وأسر منهم ثلاثين أسيراً .

وقد أفلح هذا الانتصار بالفعل فى جلب ولاء كثير من القبائل التى رفضت من قبل مبايعة عبد القادر ، وعلى رأسها الحاج بن عيسى . ولكن بعض القبائل الأخرى ظلت على موقفها . ولما كان تحقيق الاستقلال والتحرر من الفرنسيين لا يتأتى والبلاد منقسمة

مفتتة ، فقد شعر عبد القادر أن عليه أولا تحقيق الوحدة القومية ولو بالقوة . وقرر لذلك مهاجمة القبائل التى لم تعترف بسلطته ،واخضاعها بالسيف ، وحملها على الولاء له وللنظام الذى أقامه .

وعلى ذلك فقد باغت عبد القادر سيدى العريبى على رأس خمسة آلاف مقاتل ، وألحق به هزيمة بالغة ، واضطر سيدى العريبى الى تقديم تعهد مكتوب بالطاعة له ، وتقديم ابنه رهينة لديه لتحقيق تعهده .

ثم واصل عبد القادر زحفه وسط سهل نهر الشلف الواسع والمناطق المجاورة له حيث سارعت كثير من القبائل الى الانضمام اليه ، وتقدم حتى وصل الى سلسلة جبال العرنشريش المنيعة ، التى كانت تقطنها قبائل قوية لم تتعود الخضوع من قبل لأية سلطة مركزية . فلم يتعرض لها ، وتحاشى التوغل فيها ، حتى يشتد عود قواته ، ثم هاجم مدينة «أرزيو» الواقعة على بعد فرسخين من ميناء «أرزيو» ، واحتلها ، وبسط نفوذه على الميناء . وبذلك أصبح فى وسعه الاتصال بالخارج .

ولم يلبث عبد القادر أن زحف على تلمسان ،. التى كانت بها بقايا القوات التركية ، ويسكنها «الكراغلة» ، الذين ينحدرون من آباء أتراك وجزائريين . وكان العرب فيها تحت قيادة محمد بن نونة . فألحق به الهزيمة ، ولكنه لم يستطع اخضاع الكراغلة لاحتلالهم القلعة ، ولعدم وجود مدفعية لديه ، فتفاوض معهم ، وأقام أحد مساعديه حاكماً على المدينة . ثم عاد الى معسكر .

وقد كان على عبد القادر بعد ذلك حمل القبائل الأخرى غير المتعاونة معه ، على عدم التعاون مع الفرنسيين وعدم التعامل التجارى معهم ، فأذاع فتوى اسلامية بأن كل من يساعد الفرنسيين يعتبر مرتداً عن دينه . وأطلق على القبائل المتعاونة مع الفرنسيين اسم : «المتنصرة » ، كما كان يشكل قوة ضغط وطنية واسلامية على هذه القبائل ، منعتها من التعامل مع الأعداء ، وألحقت بالفرنسيين متاعب تموينية كبيرة ، أجبرتهم على ابرام «معاهدة دى ميشيل» مع عبد القادر فى فبراير ١٨٣٤ ، اعترفوا فيها به . كرئيس لدولة مستقلة ، وسيادته على غرب ووسط الجزائر ،



عبد القادر الجزائري والوحـــدة الوطنيـــة

وانحصرت مواقع الفرنسيين فى الحصون .

على أن عبد القادر عندما شرع فى بناء دولته ، مستفيداً من فرصة السلام المؤقت بينه وبين الفرنسيين ، وأراد الحصول على موارد للدولة عن طريق فرض الضرائب ، اعترضت كثير من القبائل على ذلك . وعبثاً حاول عبد القادر إفهام القبائل أنه لا يجمع الضرائب لاستخدامها فى مصاريف عائلته ، وانما فى تأسيس حكومة منظمة توفر الأمن للمواطنين ، وتعمل على انتصار الاسلام ، فقد أصرت بعض القبائل على موقفها من الرفض ، والتفت حول مصطفى بن اسماعيل على رأس قبائل الدوائر والزمالة ، وأعلن سيدى العريبى الثورة على عبد القادر . كما انضمت بعض القبائل الى سيدى حمادى ، حاكم تلمسان ، الذى كان على صلة بمصطفى ابن اسماعيل .

عبد القادر فى الميدان

وقرر عبد القادر القضاء على الانقسام بالقوة ، فنزل بكل قواته على سيدى العريبى وهزمه مرة أخرى ، وأسره . وعاقب القبائل المتمردة عقاباً شديداً ، وجمع منها الضرائب . ثم تقابل مع مصطفى بن اسماعيل فى سهل محرز يوم ١٣ يوليو ١٨٣٤ ، حيث دارت معركة كبيرة أنهكت الطرفين ، وانتهت بقيام مفاوضات بينهما للصلح ، ثم توجه عبد القادر إلى تلمسان ، فاعتقل مساعده الخائن سيدى حمادى ، ووضعه فى السجن .

وبعد أن حقق عبد القادر الوحدة الوطنية على هذا النحو ، أخذ فى تنظيم دولته وتكوين جيشه النظامى ، متأسيا بمحمد على باشا فى مصر ، حتى أخذت أنظار المصلحين فى مناطق الجزائر الأخرى التى لم تدخل ضمن اطار دولته ، تتطلع الى الدخول فى طاعته ، حتى يطبق فى أقاليمهم ما يطبق فى اقليم وهران من إصلاح ، وأرسل سكان المدية ومليانة ، وهما من أهم مدن اقليم التيطرى ، وفوداً الى عبد القادر يطلبون اليه السير الى اقليمه ، وضمه الى دولته على أن محاولات عبد القادر ضم اقليم التيطرى لم تلبث أن قادته الى حربين : الحرب الأولى مع أمير اقليم التيطرى ، وهو أحد رجال الطريقة الشاذلية من اشراف الصحراء ، الذى ادعى لنفسه القداسة ، واستولى على مدينة المدية ، واستقبله الناس استقبالا كبيراً ، ويدعى الحاج موسى — والحرب الثانية مع الفرنسيين .

وبالنسبة للحرب مع الحاج موسى ، فقد هزمه عبد القادر هزيمة ساحقة فى ابريل ١٩٣٥ ، رغم ما أذاعه الأول من أن مدافع عبد القادر لن تنطلق ! ، فقد رد عبد القادر بأنه اذا كانت مدافعه لن تنطلق ، فسيعترف بالتدخل الالهى فى هذا الموضوع وينسحب ! . ولكن مدافع عبد القادر انطلقت ، وكذبت نبوءة المتنبى ، واستولى عبد القادر على اقليم التيطرى وسط الترحيب العام .

أما بالنسبة للحرب مع الفرنسيين ، فان استيلاء عبد القادر على التيطرى على هذا النحو جعل الفرنسيين يخشون على أنفسهم من امتداد نفوذه حتى يشمل الجزائر كلها ، فأخذوا يتحرشون به عن طريق استغلال الروح القبلية الانقسامية فى الجزائر ، فشجعوا قبائل الدوائر والزمالة على طلب الحماية الفرنسية ، ووقعوا معها على معاهدة تضعها تحت الحماية الفرنسية ، وتصبح بمقتضاها رعية فرنسية ! .

وبذلك أصبحت الحرب بين عبد القادر والفرنسيين أمراً مقضياً ، لأن عبد القادر كتب الى الحاكم الفرنسى تريزيلى «لن أرفع يدى عن قبائل الدوائر والزمالة حتى ولو دخلوا وراء حصون وهران ، إلا بعد أن يتوبوا ويندموا . فان دينى يمنعنى من السماح لمسلم بأن يكون تحت سلطة أجنبى» . ثم نشبت الحرب

فى يونية لتستمر عامين .

على أنه فى خلال هذه الحرب تعرض عبد القادر لبعض الهزائم ، التى كانت تحدث آثارها فى القبائل سلبا ، فتنشق بعضها ، وتنقلب على عبد القادر . وعند ذلك كان عبد القادر يسارع الى معاقبة المنشقين خوفاً على الوحدة الوطنية من أن يسرى فيها سرطان التفتت والانقسام واستخدم فى ذلك سلاح القسوة فى بعض الأحيان .

فعندما أعلن أحد الثائرين ، ويدعى سيدى ابراهيم انشقاقه على عبد القادر ، وانتحل لنفسه لقب سلطان ، جرد عبد القادر سيفه ، وعلقه فى سرجه ، واقسم ألا يغمده وألا ينزل عن فرسه ، حتى يقطع رأس الخائن ! . وبالفعل تمكن عبد القادر من القبض على سيدى ابراهيم وقطع رأسه جزاء خيانته ! .

وعندما رفضت بعض القبائل فى جنوب اقليم التيطرى ، بعد إبرام معاهدة التافنة ، دفع الضرائب لعبد القادر ، وكونت ضده اتحاداً كبيراً – دعاها عبد القادر «باسم النبى محمد» إلى طاعة القانون والاقتداء بقبائل الشمال والغرب الجزائرى فى الطاعة ، فلما لم تحدث دعوته الأثر المطلوب ، زحف عبد القادر عليها ، ومزقها شر ممزق وسلم «ابن المختار» نفسه طالباً العفو . ولما كان غرض عبد القادر من الحرب توحيد القبائل وليس الانتقام ، فلم يكتف بالعفو عن ابن المختار ، بل عينه خليفة عنه على القبائل المنهزمة ، مما جعل ابن المختار منذ ذلك الحين من أكثر أنصار عبد القادر ولاء له . وقد أدى هذا الانتصار إلى اعلان كثير من القبائل الأخرى على الحدود الجنوبية لاقليم قسنطينة ولاءها لعبد القادر .



الأمير عبد القادر الجزائرى

وفى ذلك الحين تمثلت العقبة فى سبيل الدولة الموحدة فى منطقة الأغواط على بعد مائتى ميل من وهران ، حيث كان يعيش بنو عراش ، الذين كانوا يتكونون من عشر قبائل قوية وكثيرة العدد تحت رئاسة مرابطهم الحاج محمد ابن سالم التجينى ، الذى كان يعيش كحاكم مستقل فى معقله الحصين «عين ماضى» ، التى كانت عبارة عن مدينة محصنة على الطريقة العربية ، تحتوى على ثلثمائة منزل فقط . وكانت لها عاصمة تحوطها ابراج كثيرة سميكة ، تنتشر حولها البساتين التى كانت قادرة على الدفاع عن نفسها ، وبها العين التى اعطت للمدينة اسمها ، وهى «عين ماضى» . وكان التجينى يرفض تماماً فكرة توحيد الجزائر تحت سلطان عربى.

اصرار على النصر

وقد قرر عبد القادر اخضاع التجينى ، وزحف بجيشه يوم ١٢ يونية ١٨٣٨ ، وفاجأ التجينى قبل أن تتاح له الفرصة لغلق أبواب المدينة ، وأحكم الحصار حول الأسوار بقواته ، وأمر بقطع جميع الأشجار ، ونصب المدافع فى الأماكن التى خلت بقطعها .

على أنه قدر لعبد القادر أن يواجه مقاومة فريدة من نوعها ، اذ كان كلما فتح بمدافعه بعض الثغرات فى الأسوار ، تمكن المدافعون البواسل من سدها . واستمر الحصار شهوراً ، كاد كل من المدافعين والمهاجمين يموتون جوعاً ! . فالمدافعون كانوا يقترون على أنفسهم فى الأقوات الى درجة تحفظهم بالكاد من الموت جوعاً ، والمحاصرون كانوا يعتمدون فى تموينهم على القوافل التى تصلهم من الشمال ، ولكن هذه القوافل كانت تتعرض لهجمات المغيرين من بنى عراش أثناء مرورها بالصحراء ! .

وقد كان هذا الموقف من أشد ما تعرض له عبد القادر . فلم يسبق له أن دخل فى صراع له مثل تلك العواقب البعيدة المدى على وحدة الأمة الجزائرية . فاذا اعترف بفشله ، وانسحب دون فتح «عين ماضى» ، فان جميع الصحراء الجزائرية وقبائل بنى عراش ، التى يرأسها التجينى ، سوف تبقى منشقة عليه . ولذلك أعلن أنه يفضل الموت حيث هو على اعلان هذا الفشل .

وفى هذه اللحظات الحرجة ، تمكنت بعض الامدادات من الوصول الى عبد القادر سالمة ، فنجح بها فى الحاق الهزيمة بالتجينى ، وتعهد التجينى بالجلاء عن «عين ماضى» والذهاب بأتباعه الى الأغواط ، وأن يكون ابنه رهينة لدى عبد القادر . وعندما تم الجلاء دمر عبد القادر المدينة وسواها بالأرض وكتب الى خليفته فى وهران يشرح أسباب محاربته للتجينى قائلا :

«ان الله تعالى قد حملنا مسئولية توحيد جميع أهل هذه البلاد الى شريعة سيدنا محمد . وعندما توجهنا الى الصحراء ، لم نتوجه للاضرار بالمسلمين الحقيقيين أو اخضاعهم وتخريبهم ، وانما لايقاظ ايمانهم ، وجمع شملهم ، وارساء النظام فيما بينهم . وعندما استجاب الجميع لدعوتنا فيما عدا التجينى ، وجدنا أنفسنا وجها لوجه أمام الذين غرر بهم الشيطان وزين لهم العصيان ، فاستعملنا حق سيادتنا ، وأمرنا جيشنا المنتصر بمحاربتهم ، وكان الدين يفرض علينا ذلك» .

وكان على عبد القادر بعد ذلك معاقبة بنى عراش ، الذين كانت البراهين تقطع بصلتهم بالفرنسيين . وقد اتبع فى هذه المرة السرية المطلقة ، فلم يطلع أحداً من فرسانه على اتجاه الحملة ، حتى ظهر أمام خيام بنى عراش عند الفجر ، وكانت هناك أكثر من عشرة آلاف خيمة تغطى السهول ، فانقض بجيشه عليها كالاعصار ، وكان يحذر فرسانه من التعرض للنساء ، وكان فى وسعه القضاء عليهم وافنائهم جميعاً ، ولكنه عفا عنهم بعد أن وعده شيوخهم بالولاء فى المستقبل . وظل بنو عراش منذ ذلك الحين أكثر أتباع عبد القادر اخلاصاً وولاء ، حتى آخر لحظة ! .

ولم يكن عبد القادر يستخدم القوة فى التوحيد الا عند عجز الوسائل السلمية ، وكانت هذه الوسائل الأخيرة كثيراً ما تنجح وتعفى عبد القادر من استخدام السلاح . ومن ذلك أنه استطاع أن يضم منطقة القبائل الكبرى ، وهى تلك المنطقة

عبد القادر الجزائري والوحدة الوطنية



الساحرة من جبال جرجرة ، التى كانت تمتد من مدينة الجزائر شرقاً الى بجاية ، باللين والاقناع . فقد توجه الى هذه المنطقة التى لم تخضع لسلطة مركزية من قبل ، فى سبتمبر ١٨٣٩ فى حملة سلام على رأس خمسين فارساً فقط ، ووقف فى جموعهم خطيباً قائلا :

«لقد هزمت الفرنسيين الذين جاءوا لاحتلال أرض الجزائر . وقد أطاع الغرب الجزائرى كله أوامرى ، واتحد تحت لوائى . وقد بقى أن ينضم الشرق الجزائرى . فتأكدوا أننى لو لم أقف بصلابة فى وجه الفرنسيين المعتدين ، لانقضوا عليكم انقضاض البحر الهائج ، فاذا ساعدتمونى فسأرميهم فى البحر ، واذا أبيتم مساعدتى فسيأتى اليوم الذى يسترقونكم فيه ويدوسون حرماتكم . فاستيقظوا يا أهل جرجره ، فان ما أطلبه منكم هو الطاعة والاتحاد ، والمحافظة على قوانين ديننا المقدس ، لكى ننتصر على المستعمرين» .

وهكذا كان عبد القادر يربط على الدوام قضية الوحدة الوطنية بقضية التحرر الوطنى والاستقلال ، ولكن الاستعمار الفرنسى كان بدوره يعرف خطورة الوحدة الوطنية على وجوده فى الجزائر ، ولذلك حين امتد سلطان عبد القادر على مساحة شاسعة من أرض الجزائر ، وأصبح صاحب سيادة مطلقة على المناطق التى تقع بين قسنطينة واقليم الجزائر ، والتى كان الفرنسيون يعتمدون عليها فى تموينهم بالمواد الغذائية — تجددت الحرب بين الطرفين فى ١٨ نوفمبر ١٨٣٩ .

ولكن فى هذه المرة كان الفرنسيون قد استفادوا من حروبهم الطويلة مع عبد القادر ، فتخلوا عن أسلوبهم العسكرى السابق ، وانتهجوا أسلوبه هو الذى يعتمد على مرونة الهجوم والانسحاب عند اللزوم ، واتبعوا خطة الطوابير المتحركة التى تهاجم فى جميع الجبهات وفى الوقت نفسه أخذوا يضغطون على القبائل للانفضاض من حول عبد القادر بالوعد والوعيد . مما سبب متاعب شديدة لعبد القادر .

استبسال واستسلام !

ولكن عبد القادر الجزائرى لم يكف عن محاربة التفتت والانقسام بنفس القوة التى كان يحارب بها المستعمرين ، وكان يوجه الحملات للضرب على أيدى القبائل المنشقة حتى لا تتشجع القبائل الأخرى على التمرد ، فتنهار الدولة على أيدى بنيها قبل أن تتهاوى على أيدى الأعداء !

لذلك بينما كان الجنرال لامورسيير يطارده ، كان يقوم بغزوة سريعة ضد قبائل البرجية ، ويحاول استرداد سلطته بين القبائل الواقعة بين سهل وادى الشلف والبحر ، ثم يقوم بغزوة فى جنوب مليانة ، ويتوجه الى جبال ترارة على حدود المغرب الأقصى ، حيث استطاع الجنرال بيدو اخضاع كثير من القبائل هناك ، فينزل على قبائل ندرومة التى عرفت بولائها التام لعبد القادر ، يستثير حماسها القديم ، حتى طلبت منه العفو ، وتعهدت بغسل عارها فى ميدان الشرف . كما نزل بقبائل بنى سناش وغيرها من قبائل الحدود مع المغرب . حيث حذت حذو قبائل ندرومه فى الاعتذار والتعهد بالقتال . وكان يميز بين القبائل التى تخلت عنه مرغمة بسبب تنكيل الفرنسيين ، وبين القبائل التى تخلت عنه من باب التخاذل والخيانة . فعفا عن الأولى ، وأنزل العقاب الصارم بالثانية تنفيذاً لأحكام القرآن فى معاملة الخائنين .

●●●

ولكن نضال عبد القادر فى جبهتين :

جبهة الوحدة الوطنية ، وجبهة التحرير الوطنى ، كان لابد أن يؤثر على جهوده سلبا لصالح الفرنسيين . وزادت متاعبه حين اضطر الى مقاتلة السلطان عبد الرحمن ، سلطان المغرب بعد أن طلب منه بضغط الفرنسيين وتهديدهم ، الانسحاب بقواته من الحدود المغربية ، وحقق الانتصار عليه . وكان الفرنسيون فى ذلك الحين قد شددوا هجومهم فى كل الانحاء ، حتى وجدت القبائل نفسها بين الفناء التام والاستسلام ، ولم تغن محاولات عبد القادر لشدها الى النضال الوطنى بالاقناع أو بالقوة ، فحيثما حل وجد الفتور والقنوط واليأس ، بل ان نزوله ببعض القبائل أصبح يعد فى ذلك الحين علامة من علامات سوء الطالع ومقدمة للخراب ! .

●●●

وبذلك نضبت موارد عبد القادر الجزائرى المادية والبشرية ، التى كانت تمكنه من الصمود فى وجه الفرنسيين ، واضطر الى تسليم نفسه يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٤٧ ، ولكن بعد مائة عام تقريباً من هذا التاريخ ، كانت الجزائر قد حققت وحدتها الوطنية فى جبهة التحرير الوطنى الجزائرية ، واستطاعت بذلك تحرير نفسها من قبضة الفرنسيين واقامة دولة الجزائر المستقلة .

ع . ر



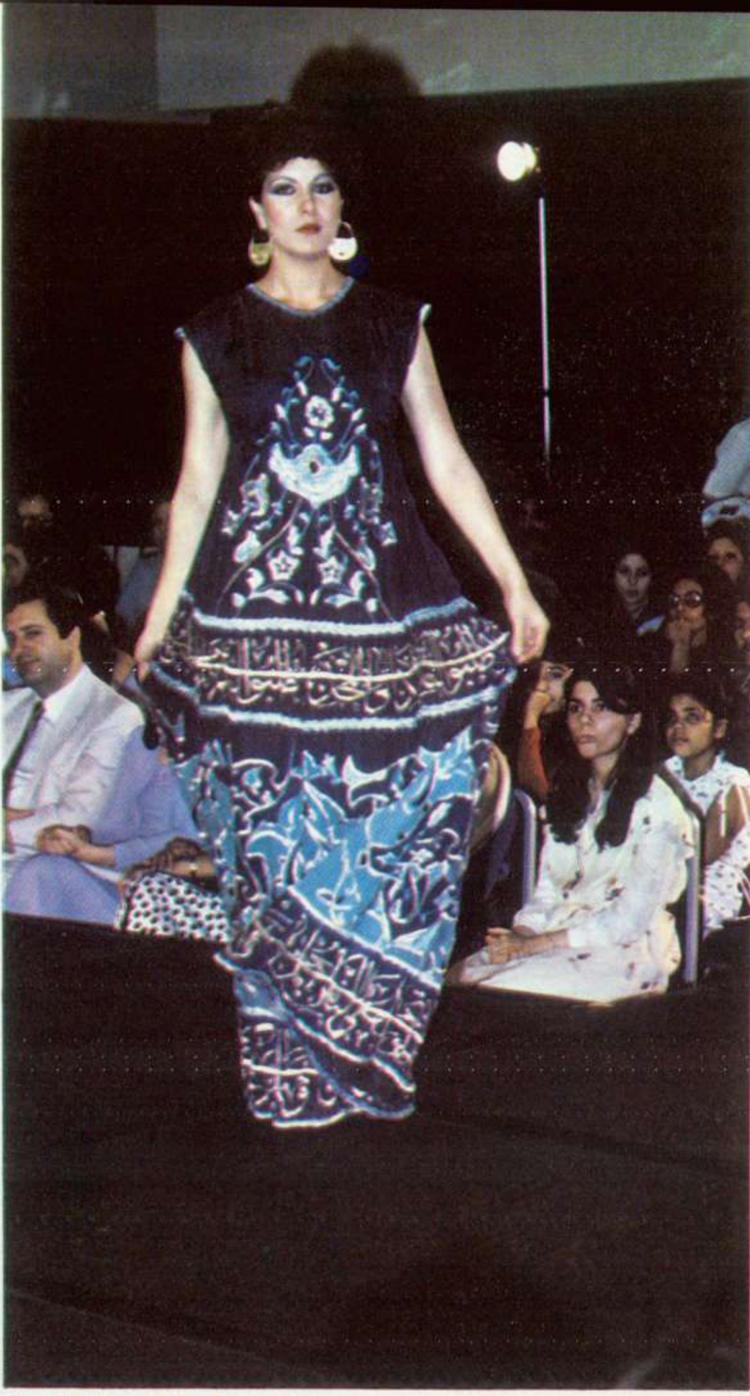
أزياء عربية من وحي التراث وعصور الإسلام الأولى

نادية محمّد رزق

مر التاريخ أمام المشاهدين من خلال العرض الذى قدمته دار الأزياء العراقية فى زيارتها الأولى لدولة قطر .

وكان العرض يضم الى جوار التاريخ عناصر أخرى متعددة كالفن التشكيلى ، والمسرح ، والموسيقى ، والتراث ، والحضارات القديمة التى يلتقى عبر رحلتها طوال آلاف السنين الحاضر بالمستقبل ، من خلال عرض جذاب يعتمد على الابتكار والابداع وثراء الألوان وإتقان تنفيذها ..

ولكى نقترب أكثر من المفاهيم والأسس لعروض الأزياء التى رأيناها أمامنا لابد من إعطاء لمحة عن تاريخ الأزياء العراقية وتطورها على مر العصور .



زى منقوش بخطوط عربية



زى الأميرة الحضرية دوشفرى

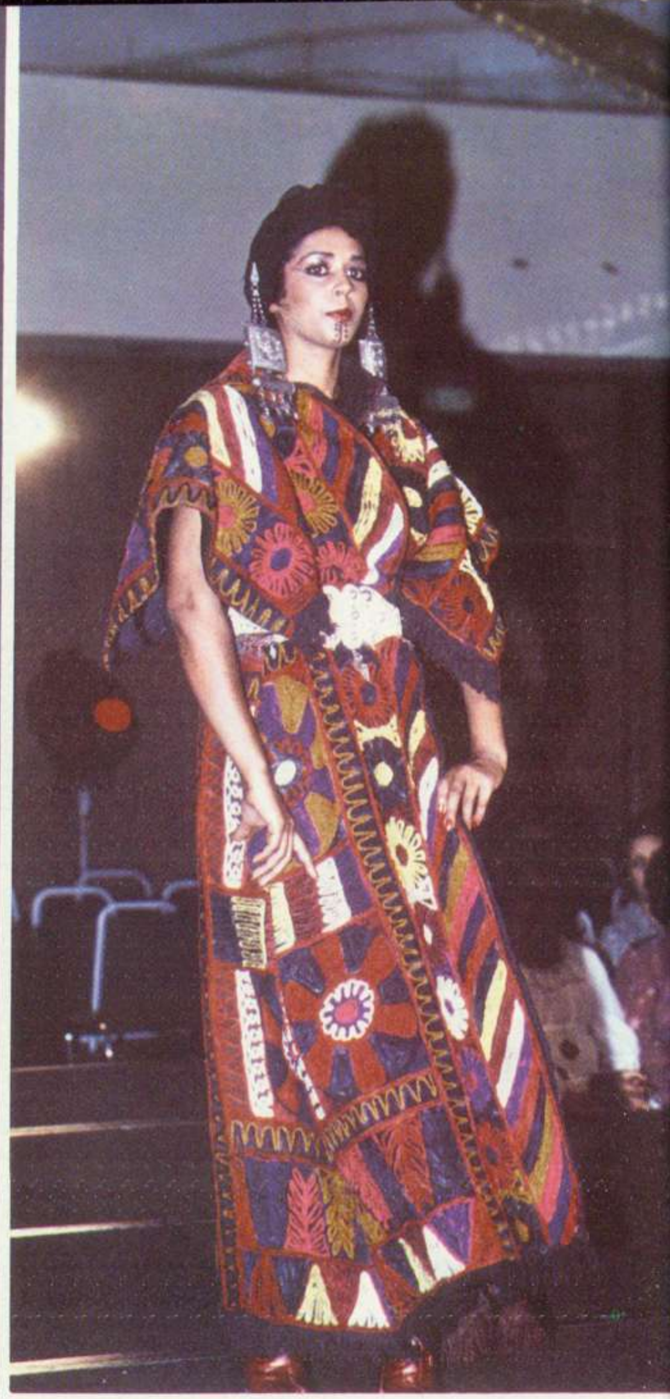
أزياء عربية

أهمية الأزياء

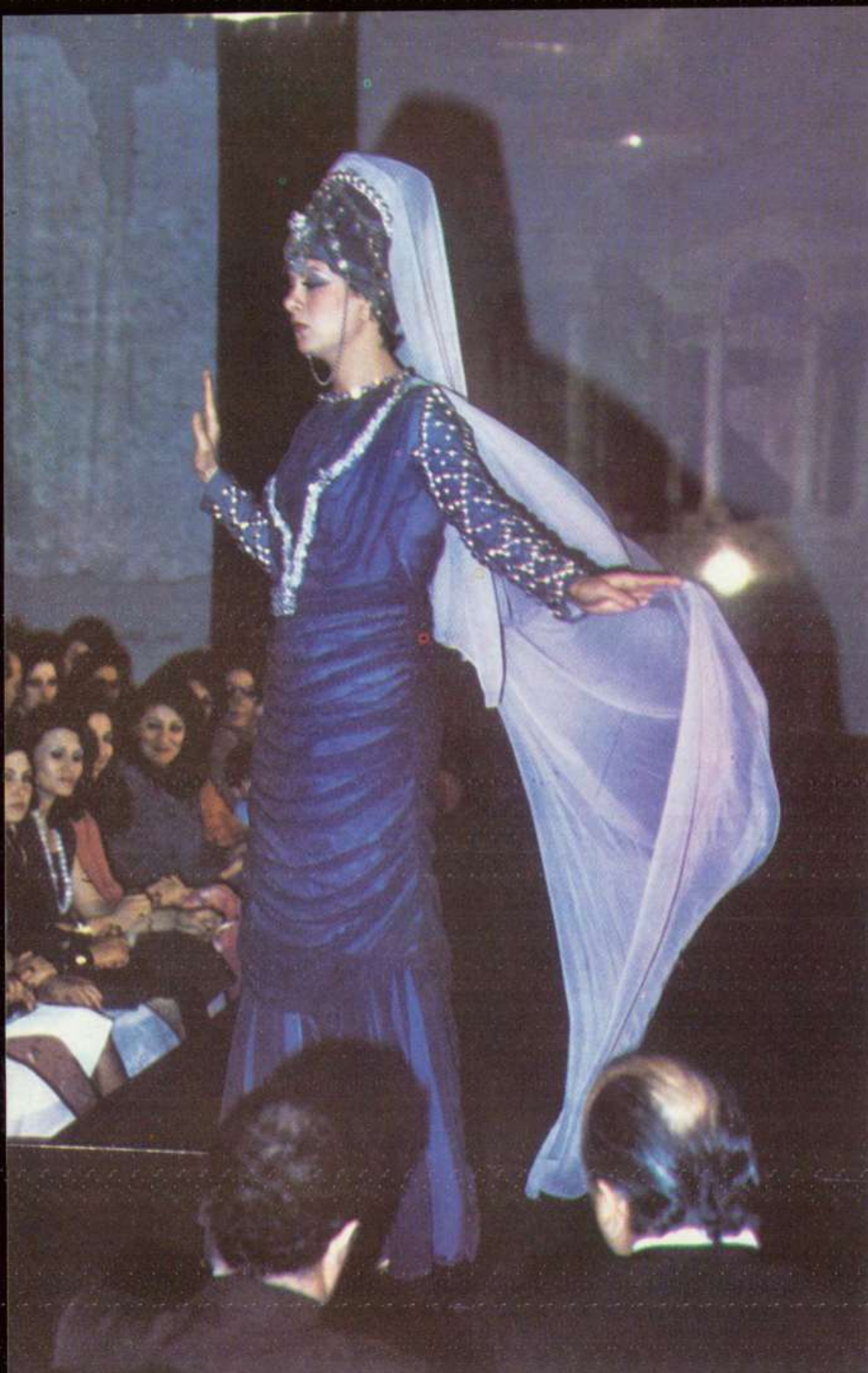
عبر الحضارة العراقية كان الزى متصلا بكل ما يحيط به من ظروف، وكان متأثراً تأثراً كبيراً بالرخاء والفن اللذين شملا الحياة وقتئذ .. وقد أدى ذلك الى الاهتمام بالزى اهتماماً كبيراً حتى وصل أحياناً الى درجة اعتباره جزءاً من وجود الانسان الثقافى والروحى !

وإذا كان الزى فى بداياته الأولى لم يزد عن كونه واسطة لحماية جسم الانسان ووقايته من العوارض المؤذية فى الطبيعة كما ظهر فى العرض، فانه بلغ على مر التاريخ والعصور مرحلة رائعة من التطور ! .

وفى الاكتشافات الأثرية ما يعطينا الدليل على التقدم العظيم الذى بلغته فنون النسيج وصناعة الملابس وأدوات الزينة فى ربوع العراق ... فقد كان المعبد منذ ذلك الحين مركزاً هاماً لصناعة النسيج، وكانت المعابد تحتوى ما يشبه المعامل الصغيرة التى يتحقق فيها كل شيء بداية من عملية جز الصوف الى غزله وحياكته .. وكان النساجون يتمتعون بمراكز مرموقة داخل مجتمعاتهم فى ذلك الوقت، حتى بلغت صناعة الأزياء درجة كبيرة من التقدم والتطور فى الفترة السومرية الحديثة، كما ظهر ذلك من خلال عرض الأزياء، حيث انتشر الزى المعروف باسم «كوناكيس»، وهو رداء يلتف حول الجسم ويغطى الكتف والذراع الأيسر، وقد تدلت فوقه شراشيب !



فكرة هذا الزى مستوحاه من السجاد
الشعبى من مدينة السماوه بجنوب العراق



فستان من قطعتين مطبوع برسوم تاريخيه

الزخارف الحضارية

واستمر هذا الأسلوب «الكوناكيس» طيلة آلاف السنين الى أن ظهر العصر «الاكادى» الذى تميزت أزياؤه بارتباطها الوثيق بالدين والطقوس والسحرة !

وظل الاهتمام بالزى العراقى عبر كل الحضارات العراقية واستمد علاقته الوطيدة من المعتقدات الدينية ، ومن وحى الطبيعة التى أمدت الانسان بكل ما يحتاجه من غذاء روحى ! .

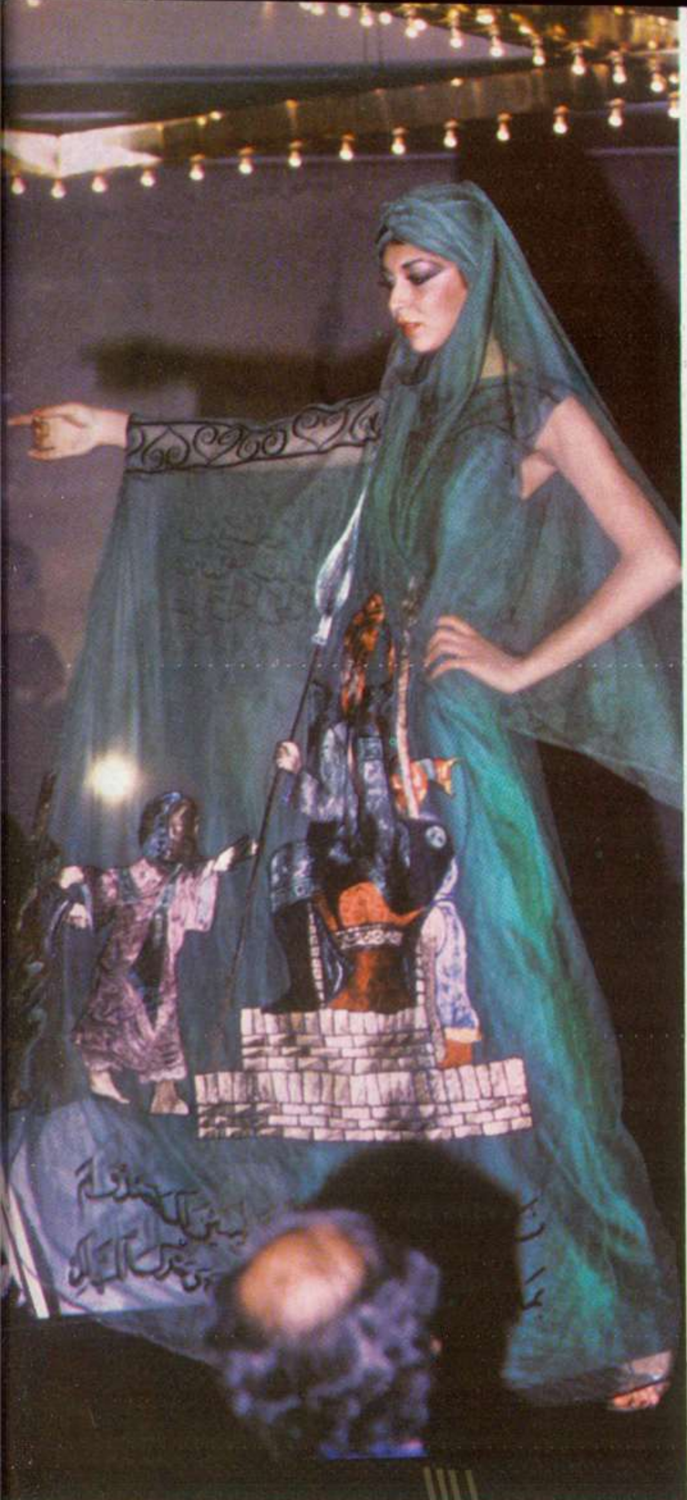
ثم تطور الزى فى العهد البابلى تطوراً جعله يصبح نموذجاً رائعاً للذوق العالمى فأصبح الزى فى هذا العهد يتألف فى الغالب من ثوب داخلى قصير من القطن يغطيه «الكوناكيس» ، وبعدها ظهر الزى الآشورى بما فيه من زخارف ونقوش مطرزة رأينا مدى روعتها من خلال العرض ..

ثم تدور عجلة الزمن ، وتطوى أمامنا قرون الماضى لتظهر العارضات العراقيات فى ثياب حضرية غنية بالنقوش والزخارف والمجوهـــرات .. ووقتها شعرنا بمدى روعة الزمن وأهميته فى حياتنا اليومية ، وبقيمة ما قدمته دار الأزياء العراقية حين قدمت أمامنا رداء الأميرة الحضرية «دو شغرى» فى اخراج جديد يملأ العين والنفس بالمتعة والاحساس بالجمال والأناقة ! .

أزياء بالخط الكوفى

وتبرز على المسرح من جديد أزياء أغنى العهود وأعظمها جمالا واتقاناً وهو العصر الاسلامى .. عندما أتاحت الحياة للناس امكانية الاهتمام بملابسهم ومظاهرهم !

كانت تلك الأزياء تستوحى الى جانب الزخارف الجميلة أساليب الخط





كتابة بالخط الكوفى وزخرفة عربية لأبيات من رباعيات الخيام على ثوب عربى .

زى منقوش بزخارف للفنان العراقى الواسطى من القرن الثالث عشر

أزياء عربية

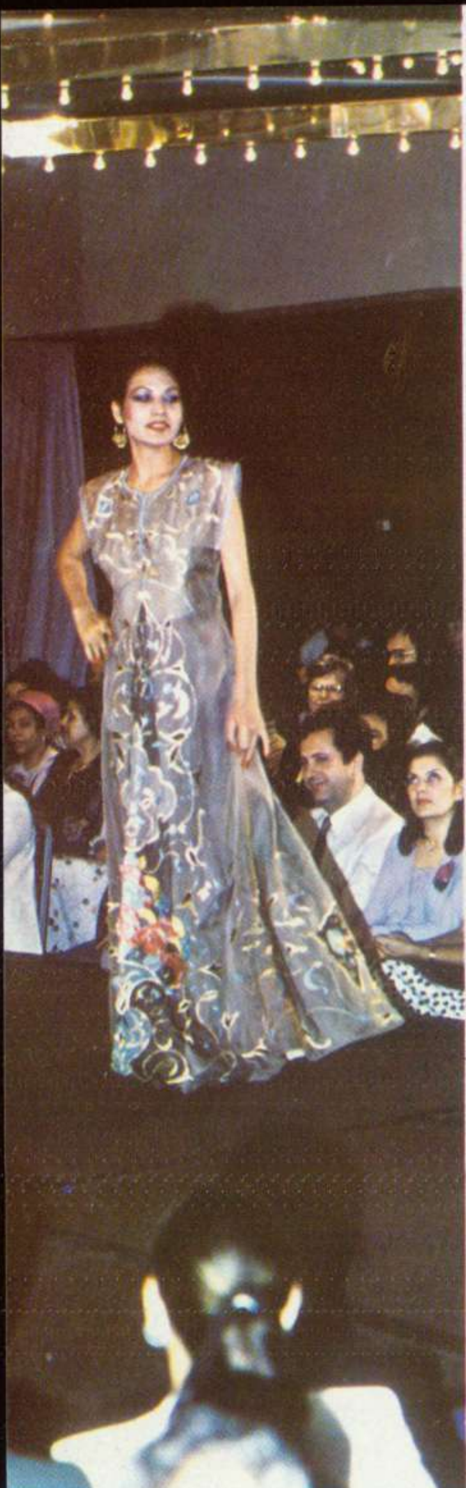
والكتابة المختلفة فتنقش عليها أبيات الشعر والأقوال الحكيمة والآيات القرآنية الكريمة والعبارات الجميلة الأخرى !

وقد برز الخط الكوفى فى تكوين نقوش بعض الثياب الحريرية ذات الطيات الناعمة الكثيرة ، وعلى زخارف الأكمام وجوانب الصدر والعمائم !

استخدام المواد المحلية

وقد استوحت دار الأزياء العراقية الكثير من فنون الحضارة الاسلامية الغنية بالزخارف والخطوط والألوان الجذابة المتناسقة فى ابراز العناصر الزخرفية التى تميزت بها تشكيلة الأزياء التى رآها الجمهور القطرى ..

ولم يقف الأمر عند اقتباس العناصر الفنية من الحضارات العراقية القديمة ، بل عمدت هذه المؤسسة الى التقاط كل ما هو جميل ونفيس فى الفلكلور العراقى والخامة الشعبية العراقية ، وأدى ذلك الى ظهور بعض الأزياء التى استعملت فيها المواد المحلية مثل اليشماغ والعباءة والشف المطرز ! .



فستان منقوش بزخارف ورسوم شعبية



فستان طويل منقوش بزخارف وخطوط إسلامية

عروض من التراث

وإذا ألقينا نظرة على دار الأزياء العراقية لعرفنا أنها أنشئت منذ عشر سنوات كما تقول «فريال الكليدار» مديرة الدار ومصممة الأزياء الأولى بها ، وهى مؤسسة تتبع وزارة الثقافة والاعلام فى بغداد .. وهذه الدار تنتهج أسلوباً خاصاً يعتمد على الاقتباس من التراث الحضارى لوادى الرافدين وتقديم عروض مستوحاة من الآثار والمخطوطات والمعلومات العامة عن هذه الحضارة !

وكل ذلك يقدم بتسلسل تاريخى للتعريف بحضارة العراق ، ومن هذا المنطلق الحضارى الثقافى تقدم العروض التى رأينا أثناءها ١٢٠ ثوباً من مختلف العصور ! .

وعندما سألت عن مدى مساهمة دار الأزياء العراقية فى تطوير الزى ، قالوا إن الدار لا تقوم بتقليد الزى القديم تقليداً أعمى ، ولا تنقله بترجمة حرفية ، ولكنها تستخدم القيمة الجمالية فى الشكل ، وتأخذ من الأصل أهم ما فيه من ملامح لتعيد صياغتها من جديد بالأسلوب الحديث الذى تتحقق فيه الأصالة والمعاصرة فى وقت واحد ! .

وقد قدمت دار الأزياء العراقية عروضها فى ٣٢ دولة منها أمريكا ، ودول أوروبا ، واليابان ومعظم الدول العربية . وكانت زيارتها لدولة قطر فى هذا الشهر مقدمة لزياراتها العديدة لدول الخليج خلال عام ١٩٨١ .

نادية رزق

قصة قصيرة

د. يوسف إدريس

ربما للمرة النادرة الثالثة أو الرابعة فى حياتى ، حدث ذلك الشىء الذى كثيرا ما يحلم به أى راكب اعتاد ركوب الطائرة وحيدا حتى أصبحت مسألة من يكون جاره وكيف يكون أهم ما يخطر بباله قبل وأثناء وربما بعد الركوب . بضربة حظ مفاجئة ، والمقاعد حولى وعبر الطائرة كثيرة وفارغة ، وجاءت الحلوة الطويلة . ذلك الطول السامق الذى نفتقده فى شرقياتنا العظيمات القصيرات ، مبتسمة ابتسامة المرحب بك ، وبكل ما يمكن أن يدور بخلدك ، حمراء الشعر ، حمراء النمش ، حمراء البياض ، والحمرة درجات ودرجات ، وبالدقة مرسومة وموزعة ، حمراء لحمرتها هالة وكأن الهة الجمال تسلط عليها من يوم ولادتها كشافاً مسرحياً متلون الحمرة يتبعها أنى تتوجه ، ولها يصبح الظل والواجهة ، والمسقط والبروفيل . جاءت وتلفتت واختارت ، دون المقاعد جميعها ، ذلك المجاور لي واعتلته ، فعلى الفور أصبح الكرسى عرشاً ، وردا على ابتسامتها المرحبة أطلقت تحية لها ألف ابتسامة ترحيب . ملكة من بافاريا بكل ارادتها اختارتنى لأكون شعبها الوحيد المحظوظ . بل الظاهر ان صمام الحظ كان قد أفلت من قبضة النحس تماماً وقبل أن تقلع الطائرة كانت قد طلبت منى مطلباً صعباً جدا ، ومن فرط جسامته يكاد يكون





السيجار

مستحيلا ، أن أتفضل وأتنازل وأسمح وأكون دليلها حين تصل القاهرة ، دليلها الى أوتيل لائق ، فهذه أول مرة لها فى الشرق ، تحلم به منذ عاشت ، والقاهرة بالذات كانت دائماً مركز الحلم ، ولهذا فلم تمض فى بيروت إلا يوماً ، ومن فرط لهفتها ذهبت الى المطار دون حجز ، ومن حظها الحسن أنهم ارتضوا الوضع ، وها هى الآن فى الطائرة ، وبعد أقل من ساعتين ستكون فى قلب المدينة الحلم .

صدقونى أو احسدونى أو تزمتوا وتظاهروا بالنفاق والورع ، ولكنها راحت مرة أخرى ترجونى أن ترافقنى ، وليس أن أرافقها أنا ، الى حيث (أضيع وقتى !) بعض الوقت كى أساعدها فى ايجاد المكان المناسب فى الفندق المناسب ، وبالسعر المناسب فهى تمقت الهيلتون والشيراتون ، والأماكن الخاصة بالأغنياء لأنهم عواجيز أو العواجيز لأنهم أغنياء ، تعبد الفنادق ذات الطابع ، حبذا لو كان لدينا فنادق فى الهواء الطلق ، أو فيلات غرفها خيام وفناؤها الصحراء وطعامها يشوى فى العراء على النار ، والنار يقلبها بدوى بلحيته السوداء وشبابه الأسمر وعقاله المدلى ، اهمالا أو أناقة ، الى جانب . حبذا لو يشوى لها اللحـــم ومعها يلتهمه ، فى ليلة تحت خيمة ، ليلة لا يشهدها سوى القمر .

حين رأيتها قادمة فى الممر ودون أن أدرى كنت من فرط طولها وهيبة الأنوثة المكتملة فى القوام الكامل قد أعطيتها خمسة وثلاثين عاماً أو شيئاً من هذا القبيل ، حين اقتربت بدا لى عمرها الحقيقى الثلاثين ، حين ابتسمت وجلست وتحادثنا ، بالذات حين بدأت تغمغم حلمها اليقظ وكشافات حمرتها تزداد توهجاً وكل نمشة فى وجهها تكتظ انفعالا وتصنع من مكانها وبسمتها الى جارتها وعلاقتها بالجارة الأخرى كلمة سر جمالى خاص تبوح عن نفسها وتتكشف ، وعمرها يتناقص ، بحيث قرب النهاية ولولا أنها لا تصح إلا لمن جاوزت الطفولة ، إلا لصبية تدرك وعن يقين تلمس لماذا المرأة مطلوبة ؟ لماذا يتقاتل عليها الرجال ؟ لماذا تضن بالحب لأنها هى الحب ، كل الحب ، حين تحب . لولا هذا لارتدت الى العاشرة وكلماتها تتحشرج بالحلم وبالنهاية حلماً . ما أجملكن أيتها الغربيات فى شىء واحد حين لا تجعلن ألسنتكن تنفرد وحدها بكل الحديث ، حين نالت أجسادكن معكن الحرية ، وأصبح لها ، ومع العقل والقلب ، حق التعبير ، تحلمن أو حتى تتكلمن أحلاماً فتستحلن جميعاً حلماً ، بالصدق وليس بالتمثيل .

وما أبشعك أيتها البافارية الألمانية كأنك من قبيلة جن أحمر انحدرت ، كنت تحلمين وتقتربين منى تزيدينى مشاركة لك فى حلمك ، تحلمين ويزداد كشافك الأبدى احمراراً ، وبنفس حلمك «النفس حلمك» ينصب من حيث لا أدرى على ملامحى ذلك الاصفرار المتغامق الفضاح ، فبحلمك تبنيه كنت تقوضين حلماً لى مذ رأيتك ، وبقاهرة تضعينها فى خيالك وصحراء وباللحم البدوى كنت تقتلين قاهرة أجمل أعرفها وأحفظ أركانها ، وصحراء أروع ما فيها أنها ليست من رمال ، وببدويك الأسمر ولحيته وشاربه كنت تنزعين عنى ، كما يفعل بعض مخرجينا بقساوة ، دورى ، دور البطل ، فلا بدوى أنا ولا ذقن لى . وبلون جلدى لا أمت الى الصحراء أو حتى محافظات بحرى ، عيناى مصيبتهما السوداء أنهما ليستا سوداوين كما بطلك ، ذلك الذى لم أشعر نحوه بذرة تفسير لحماسك هذا الفائر المتوحش .

وأيضاً كما يفعل ممثلونا والرواية تقرأ حيث لا أحد ، إلا الملقن يصغى الى الموضوع ، وإنما الكل ، وبلا وعي يبحث عن أكثر الأدوار صلاحية له ، أغناها (بالأفيهات والنكات) أطولها ، أبطلها كما يحدث هناك ، وحلمى يتحطم ، ولونك يحمر ، ولون البطل يسود ، ولونى أنا يصفر ، كنت . وقد فقدت الدور الرئيسى أبحث بغير ما لهفة عن الدور الذى أعدته لى فى حلمك ذاك .

فجأة ضحكت . بانزعاج مؤدب سريع توقفت عن الحديث وسألتنى : ماذا حدث ؟ هل أخطأت فى شىء ؟

كان انزعاجها حقيقياً فالضحك فى المانيا ليس كالضحك هنا ، فمن حقك المطلق هنا أن تضحك فى أى وقت تشاء ولأى كلام يقال حتى لو كان الكلام جاداً ليس فيه ما يضحك ، بل بالذات لو كان الكلام جاداً حقيقة وليس فيه ما يضحك . الضحك هناك ، كأى شىء ، لابد أن يتوفر لحدوثه أسباب وجيهة قوية مقنعة جداً وواضحة جداً ولا يختلف عليها اثنان . حتى فى بعض الروايات مثلا ممكن أن تحدث مواقف تدفعك دفعاً للضحك ، ولكن لأن النص لم ينص على الضحك هنا ، فان أحداً لا يضحك . الضحك هناك نظام وكأى شىء لابد أن يتم بنظام ، فاذا فعل انسان فعلتى ، وفى نهاية كنهاية حلمها فى لحظة تحشرج فيها صوتها ضحك ، فلابد أن شيئاً قد اختل فى

السيجار



النظام العام . جننت أنا أو جنت هى ، أو تسرب مع فتحات الهواء فى الطائرة شىء من الغاز الضاحك . انزعجت ، وبلهفة ، تساءلت مروعة لماذا أضحك ؟

وكنت أضحك لأنى اكتشفت أن دورى فى حلمها هو الدور الذى نحتفظ به فى الرواية للرجل الطيب الذى يقود الناس لتحقيق أحلامهم «للقادة» .

كنت أضحك للكم الهائل من خيبة الأمل التى أحسست بها ، فليس لشخصى اختارتنى ملكتى البافارية وفضلت المقعد الخالى بجوارى على كل ما عداه من مقاعد خالية ، وإنما لمؤهلاتى تلك التى يتطلبها دورى . واضح أنى عربى مثقف ، أعرف لغات ، أعرف النساء أيضاً ، وأحب ـ كما رأت كل أمثالى فى بيروت وغير بيروت ـ أن أساعد السيدة ، أى سيدة ، فما بالك بجنية ملتهبة الأنوثة صاخبة الاحمرار .

يا بنت الايه . اسمعى إذن و .

وكما يتحدث الطلبة فى برنامج ألف سلام ، وكخطابات المغتربين ومحاضرات ذوى الحماس ، رحت ، والأصفر فى وجهى ينتقل الى البرتقالية والطماطمية والبطيخية وما شئت من ألوان الاحمرار ، رحت ، وبقسوة ، وبلاغة ، أو فلنفعل كاللغويين الكبار ونقول : بقسوة بليغة ، أو ببلاغة قاسية ، رحت أخلع تلك الصورة البدائية الكريهة التى يبدو انها علقتها فى عقلها منذ الطفولة . كلما غاظتنى بحلمها عن البدوى وسمرته كلما تهورت فى حماسى دفاعاً عن برج الجزيرة وآثار الفراعنة ، ساعة العصرية على شرفة مينا هاوس .

وحين انتهيت ضحكت ، ربما تقليداً لما فعلت بكلامها أنا ووجدت أن عليها اتباعه ورد التحية فعلت . ولكنى أنا انزعجت . فقد خفت أن تكون قد وقفت على سر البلاغة القاسية والقسوة البلاغية وحماسى المفاجىء للبرج لا جمال البتة فيه وربما أى برج حمام أبيض ، فى أى نجع ، يبدو لى أكثر منه وداعة وحضارة ورمزا .

أكثرت من تفاصيل البداية أعرف ، فأنتم لابد أنكم . مثلما كنت أنا تماماً ، شغوفين أن تنتهى البدايات بسرعة . وفى القاهرة أصبح ، وحدى مع البافارية الغريبة الحالمة بليلة تنطبع فيها آثار الأحلام على الرمال .

ولقد حدث .

بل ، ولقد حدث أكثر من هذا .

حين هبطنا القاهرة . كان اللقاء قد تم . فى بيروت بدأنا والبدوى حلمها ، وهى أو مثلها حلمى ، وكعادة الحياة والأحياء ، نبدأ معها ومعهم مستنكرين ، مطلقاً مختلفين غير راضين ببساطة نرفض الواقع تماماً ونرفض الخضوع . وببساطة وكما رفضت أنا حلمها تماماً حتى مزقت القاهرة كلها من أجله ، وكما لابد كانت سترفض حلمى لو عرفته ، وكعادة الأحياء أيضاً حين يرفضون الواقع المفروض ثم شيئاً فشيئاً يلتقون بادئين من الأمانى المشتركة والأحلام ، نحن أيضاً ، تعادينا تماماً فى الحلم ، ولكن الواقع المحض بدأ يقربنا ، واقتراب الواقع من الواقع فن اسألوا عنه أهل الذكر . فالسيدة حين تخرج السيجارة وتضعها فى فمها دون أن تبحث أو تحاول حتى البحث عن ثقاب ، منتظرة أن تفعل أنت ذلك الحريق الصغير الذى تلتقط بعضه بطرف سيجارتها ، وبحنكة تتذوق طعم الدخان الناتج عنها ، السيدة حين تفعل هذا تضعك فى الواقع أمام امتحان يرسب البعض فيه رسوباً لا نقض فيه .

ذلك أنها أيها السادة ، حين تضع السيجارة فى فمها الذى ضيقته خصيصاً ... حين يحدث هذا انما يكون فى الواقع بداية لمحاورة محاذية تسير جنباً الى جنب مع الحوار العادى . المحاورة الحقيقية ذات اللغة الخاصة والمستويات المختلفة فى الادراك والفهم . المحاورة الأهم التى من خلالها تدرك المرأة من أنت ، فى الحقيقة من أنت ، وأى الرجال أنت ، وبأى الخصال تتمتع ، وأين نقط الضعف ، انك اذا اندفعت مثلا كالتلميذ الخائف أن ينسى المحفوظات ملهوفاً فتبحث فى جيبك عن الولاعة ، وما أن تعثر عليها حتى تحس بالاضطراب ، ومن بعيد تدقها تشعلها ، وغالباً ما تفشل ، وبعصبية من يريد اثبات البراعة ثانية وربما ثالثة تحاول ، ثم تقرب النار بخوف من يخشى أن يحرقها وليس بأناقة من يتيح لها أوسع الفرص لاستعراض أناقتها الخاصة فى تحاشى اللهب ، والاقتراب من الشعلة ، وأخذ النفس ، واخراج النفس ، والتحرك اقداماً وتراجعاً ، والتفاتاً وابتلاعاً ، واهمالا فى الاسراع والتراخى الذى تنشد له الأعصاب . اسألوا أهل الذكر . ستجدون أن لكل حركة كتاباً أو باباً ، وللأبواب مفاتيح والمفاتيح أحجام ، والمشكلة ليست مشكلة اصطدام رجل بامرأة وخلاص ، المشكلة أن تدبر بحيث يبدو الالتقاء طبيعياً أكثر من الالتقاء نفسه ، المشكلة أنك عارف وانها عارفة «وأنك عارف أنها عارفة وهى عارفة أنك عارف أنها عارفة «وهلم جرا ولكن كيف ؟





وأين الرجل الذى يصبح فخره هذه المرة أنه الجاهل (مدعياً طبعاً) وقوته أنه الغبى المفاجأ ، وكأن الأمر يحدث ولا يد له فيه . إن شرب الشاى هو شرب الشاى ، ولكن أن تجعل من مجرد احتساء قدح من الشاى فناً وطقوساً تزاولها مستمتعاً وكأنها ليست وسيلة لشرب شاى أى شاى ولكنها هى الوسيلة غاية فى حد ذاتها ، كيف تجعل من كلمة «شكراً» تبدو وكأنها أهم كلمة نطقتها فى حياتك ، وكأنك لأول مرة تقولها ، ومن أجلها استخرجتها من صندوق كنوزك التى لم يرها أحد ، وتقدمها باعزاز الملك يقلد الملكة التاج ، كيف ، بصدق تجعلها تحس بكلمة شكراً ، بنطقك لها ، باخلاصك واعزازك واختصاصك بها ، تاجاً ، باهراً كالتاج الحقيقى ، على رأسها ساعة ترى الرجال تضعه ، وعلى كل الناس ، وبالكلمة متوجه فوق شعرها تفخر وتتيه .

اسألوا أهل الذكر .

فأنا لم أسألهم فقط ، أنا بعض من أهل الذكر هؤلاء .

وكأن من المحتم إذن أن أجعل الحلم الذى فى خيالها يتبخر ،

وأحل مكانه ما أريده أنا .

وما أردته بالضبط تحقق .

فقد تحولت الخيمة الى حجرة فى فندق فاخر .

وتحول البدوى الأسمر ذو اللحية الى شخصى أنا ، محدثاً وأنيقاً وبارعاً .

ومضت خطتى فى طريقها بأسرع وأروع ما توقعت .

وانتهى العشاء .

وكنت أعرف وأحفظ درس السيجارة ، والحريق الصغير الذى على أن أحدثه .

وأول نفس لها من السيجارة كيف تخرجه .

ومددت يدى بعلبتى أنا أعزم .

ولكنها هزت رأسها بأناقة بالغة معتذرة .

وببيد رخوة ، مدت يدها الى حقيبة يدها ، وفتحتها ، وأخرجت ....

أخرجت ...

أخرجت سيجاراً ضخماً من حجم (تشرشل) .

وفضت عنه ورق السلوفان .

وبين شفتيها وضعته .

ومالت برأسها وبفمها ، وبالسيجارة ناحيتى ، تطلب الشعلة .

وكالمذهول المنوم تماماً ، وبأكثر من فشل واحد اشتعل طرف السيجار فى النهاية .

وبتلذذ عظيم مضت تمتص رحيق دخان وتنفثه ليشيع فى الحجرة تلك الرائحة الخاصة للسيجار الهافانا .

ولابد أنها لاحظت ذهولى .

فبنعومة بالغة سألتنى :

ـ أيضايقك أن أشرب سيجاراً .

قلت بسرعة : أبداً أبداً .

ثم رحت أقول ببطء شديد : أبداً ... أبداً ..

ولكنى كنت أقولها وأنا سرحان تماماً ..

لقد كان فى عقلها حلم بدوى لحمى حمراوى طردته ،

ولكن ..

هذا السيجار ..

كلما رأيتها من (الفاس) أو (البروفيل) نفس الملامح الدقيقة ، النمش البنى فوق الأرضية المحمرة ، الشعر المتوهج بالاحمرار ، كل شىء كما كان ، ولكن السيجار ذلك السيجار اللعين ، قد غير بوجوده ، بمجرد وجوده ، معنى كل شىء ، طعم كل شىء ، تطبق بفمها على فم السيجار فينبت لها شارب ،

والرائحة التى تعبق المكان تحيل ملكة بافاريا الى كائن آخر ، أى كائن غير المرأة .

قالت : أعرف ان كثيراً من الرجال لا يعجبهم أن تدخن المرأة السيجار مثلهم . أرجو أن تكون أنت من المؤمنين بالمساواة ، أليس كذلك ؟!

هززت رأسى موافقاً ، وعن يقين موافق فالسيجار فى الحقيقة قد ساوى بينها ، وبين ملكتى البافارية ، وبين الرجل ، أى رجل ، أنا مثلا ...

د. يوسف ادريس



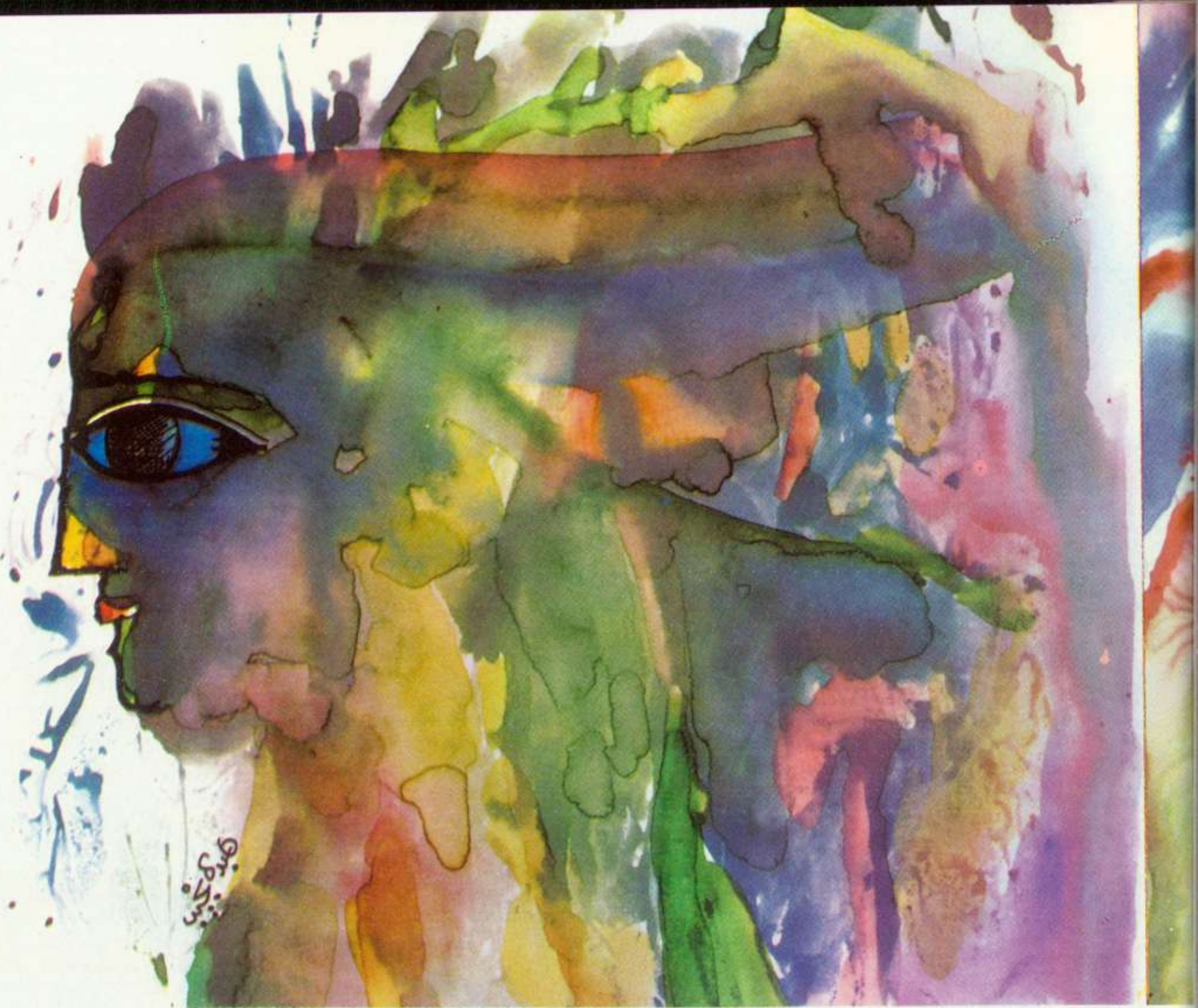


شعر :
د. غازي القصيبي

المومياء

وقلت لي السحر في البحر والليل والبدر
والكائنات المدماة بالعشق
تحلم أن تتضاعف وهي تحب
وتكبر وهي تحب
وتولد في الفجر ،
قلت لي السحر في الوتر
المتنفس شوقاً وشعراً
وقلت .. وقلت ..
وأرسلت روحى تعبر هذا الفضاء
المرصع باللانهاية تسأل ما السحر ؟
ما الحب ؟ ما العيش ؟ ما الموت ؟
تسأل .. تسأل ..
يا أنت !
لا تنبشى ألف جرح قديم
وألف سؤال عتيق
فانى نسيت الضماد
نسيت الاجابات
منذ تبرأت من نزوة الشعراء

وعدت الى زمرة الأذكياء
الذين يخوضون هذى الحياة
بدون سؤال بدون جواب
ويأتزرون النقود ويرتشفون النقود
ويستنشقون النقود
وهذي الثواني التي أخذتنا
الى عبقر كيف جاءت ؟
وكيف استطاعت عبور الطريق
المدجج بالمال والجاه والعز والبأس ؟
كيف استطاعت نفاذاً لقلبي ؟
ويا ويح قلبي !
منذ سنين تجمد
كيف يعيش الفتى دون قلب يدق ؟
ودون دماء تسيل ؟
تحنطت لكنني لم أبح
فمشيت ولم يدر من مر بي
انني دون قلب
فمن أين أقبلت



ترتجلين القصائد
تستمطرين الكواكب
زخة وجد
تثيرين زوبعة في الرميم ؟
أنا قد تقاعدت سيدتي
من مطاردة الوهم عبر صحاري الخيال
تقاعدت من رحلتي
في تخوم الرجاء
وعبر بحار المخاض المليئة
موجاً عنيفاً
تقاعدت أعلنت للناس
أني قد كنت منذ سنين طوال
ومت فمن يفضح السر ؟
من يحفرالقبر ؟

سيدتي ! أوغل الليل فانطلقي
ودعي المومياء الذي مسه البحر
لم ينتفض مسه الليل لم ينتفض
مسه البدر لم ينتفض

يتأمل في المال والجاه والعز والبأس .
حسناء أنت ؟!
أظن فما عدت أشعر بالحسن
كل الجوارى سواء .
لو جئتني في صباي
منحتك شعراً جميلا
وحباً طهوراً
ولكن أتيت وقد يبس الكرم
والطير هاجر والعمر أقفر
ما في ضلوعي سوى رزمة من نقود
فهل أنت ، كالأخريات ، سبتك النقود ؟
أم البحر أغناك
عن همسة الدر ؟
والبدر أغناك
عن شهقة الماس ؟

سيدتي !
اتركيني فاني أطلت الكلام
وأدركني الآن ضوء الصباح .



كيف نحافظ على عيون أطفالنا؟

د. سيد الخميسي

هناك حقيقة علمية بسيطة وهى أن الانسان كى يرى الأشياء القريبة أو البعيدة بوضوح يجب أن تقع صورتها على شبكية العين ، أما إذا وقعت صورة هذه الأشياء أمام الشبكية فمعنى ذلك أن الشخص مصاب بقصر النظر ، وإذا وقعت الصورة خارج العين أصيب الشخص بما يعرف بطول النظر .. وفى كلتا الحالتين سواء طول النظر أو قصره فان الشخص لا يستطيع أن يرى بوضوح سواء الأشياء البعيدة أو القريبة ، ولهذا يحاول المخ القيام بتصحيح هذا الخطأ عن طريق ارسال اشارات لاشعورية الى العين فى سبيل الرؤية بوضوح ، وهنا تبذل العين مجهوداً قد يكون أكثر مما ينبغى عليها القيام به .

وفى حالة الطفل ، فانه يشعر بزغللة وعدم وضوح الرؤية أمامه وألم حول عينيه وداخلهما ، ولذلك يجب على أسرة الطفل أن تذهب فوراً لعمل فحص لقوة ابصاره فى بداية دخوله الى المدرسة ، وذلك لتحديد قوة إبصاره لاكتشاف وعلاج أية أمراض مبكرة تمنعه من العمل بكفاءة ، ولتحديد مدى حاجته لاستعمال نظارة طبية !

أمراض الأطفال

وأغلب أمراض العيون التى يعانى منها الأطفال تتركز فى الالتهابات التى تحدث نتيجة لدخول ميكروب الى العين وعادة يصاب بها الطفل عن طريق الملامسة كاستخدام مناشف شخص مصاب بمرض رمدى معدى ، أو عن طريق الهواء الذى يحمل تراباً محمــــلا بالميكروبات ويسبب التهابات صديدية بالملتحمة ، كما يلعب الذباب دوراً كبيراً فى نقل الميكروب الى العيون عن طريق الأطعمة المكشوفة ..

وكثيراً ما تصاب عيون الأطفال نتيجة لدخول الأتربة أثناء اللعب أو نتيجة لضربة متعمدة أثناء مشاجرة ، وفى هذه الحالة يجب غسل العين بسرعة بالماء حتى يتم عرض الطفل على الطبيب ، وأحياناً يصاب طلبة المدارس أثناء اجراء التجارب العملية بمعامل الكيمياء والطبيعة .. وهنا لابد من عمل غسيل سريع للعين ووضع مرهم «تيراميسين» ثم عرض الطفل فوراً على الطبيب .

أما أخطر حالات الاصابة فتتمثل فى دخول أجسام غريبة بالعين مثل دبوس أو إصابتها بآلة حادة ، وهنا تربط العين ويعرض الطفل فوراً على الطبيب لاجراء اللازم ..



الأنيميا والارهاق

وتعتبر العين عضواً عاملا بالجسم البشرى وتتبع تغييراته ، فعندما يصاب الطفل ببعض الأمراض الباطنية فان ذلك يؤثر على العين وتشعر فوراً بالاجهاد !

وهناك حالات بسيطة مثل فقر الدم أو الأنيميا ، وهى حالات منتشرة بين البنات فى سن البلوغ وتسبب لهن الصداع «وزغللة» بالعين ، وفى هذه الحالات يقوم الطبيب بعمل فحص من الناحية الرمدية ثم يكمل العلاج بعمل تحليل دم للتأكد من أن هذه الحالة ناتجة عن فقر دم فقط .. وبالعلاج تتحسن الأنيميا فتتحسن حالة العين ..

وما يقال عن تأثير الأنيميا على العين يقال عن الارهاق الجسمانى والعصبى أيضاً ، فهو يؤثر على العين وبزواله تعود العافية الى الابصار !

الفحص الطبى

وبمجرد ولادة الطفل يجب الكشف على عينيه لاكتشاف أى تشوهات خلقية أو وجود إفرازات صديدية تحتاج لعلاج .. وهذه الحالة تعالج بالمستشفى بعد الولادة مباشرة .. وخلال الأسبوع الأول فاننا ننصح باستعمال قطرة مطهرة للعين .. ولكن هناك إجراء يجب اتخاذه قبل الولادة وهو علاج أية التهابات ميكروبية تصيب المهبل حيث أن الطفل يصاب بالعدوى أثناء الولادة .. وتستطيع الأم ملاحظة ضعف البصر فى طفلها ، ولذلك لابد من عرضه على الطبيب ابتداء من سن سنتين لعمل فحص لقاع العين ، أما إذا نصح الطبيب بعمل نظارة طبية للطفل فلابد فى هذه الحالة من الكشف الطبى كل ستة شهور أو كل سنة على الأكثر لتغيير رقم النظارة ، حيث أن الفترة حتى سن ٢١ سنة تعتبر فترة نمو ، ومع نمو الجسم والمخ يتم التغيير فى حجم العين



هل الضعف مرض ؟

إن قوة أو ضعف الابصار شىء طبيعى مثل الطول أو القصر لدى الأطفال ويتبع نمو الجسم ، ويمكن اصلاح الضعف باستعمال النظارة الطبية ، ولكن هناك أمراض معينة تصيب العين مثل السحابات والعكمات بالقرنية ، والماء الأبيض والأزرق ، وأمراض الشبكية وأمراض العصب البصرى .. وهذه الأمراض تسبب ضعف البصر ولا تصلح معها النظارة الطبية ، والطبيب هو الذى يحدد علاج كل حالة بما يناسبها .. ولذلك لابد للأم عند ملاحظتها أى ضعف بقوة إبصار طفلها أن تعرضه على الطبيب فوراً لمعرفة هل سيتحسن نظره باستعمال النظارة أم أن هناك مرضاً آخراً بالعين يحتاج لعلاج أو اجراء عملية جراحية .. وعادة لا تجرى العمليات بالعين إلا بعد سن السنتين .. ولكن اذا نصح الطبيب بالنظارة الطبية للطفل فلابد من استعمالها مبكراً للأسباب الآتية :

- اذا كان الطفل يعانى من حول فى عينيه ، فان ٩٠٪ من الحالات تتحسن باستعمال النظارة .
- اذا كان ضعف قوة الابصار ذا درجة عالية مما يسبب له صداعاً خاصة بعد القراءة لمدة طويلة .
- يجب أن يتعود الطفل على استعمال النظارة الطبية منذ الصغر ، لكى تكون الصورة التى يراها واضحة وفى حجمها الطبيعى بحيث تكون الصورة من العين اليمنى متماثلة فى الحجم ودرجة الوضوح بالصورة المنقولة عن طريق العين اليسرى ، حيث يتم تطابق بالصورتين فى المخ ، وبذلك يرى الطفل صورة واحدة للشىء ، أما إذا أهمل الطفل استعمال النظارة فسيجد صعوبة بالغة فى التعود على استعمالها عندما يكبر ، مما تسبب له بعض المتاعب .

د. سيد الخميسى

للأطفال
حكاية
بالألوان

الفرقة الموسيقية

كان هناك فأر صغير رمادى اللون يعيش فى احدى سفن الاحتفالات الراسية بجانب الشاطىء . كل يوم كان يتجول على السفينة ويذهب الى المؤخرة لكى يجلس ويستمتع بحرارة الشمس . وفى المساء كان يشاهد الحفلة الراقصة التى تقام كل ليلة .. والفرقة الموسيقيةالتى تعزف وينتهز هذه الفرصة لكى يهبط درج السفينة ثم يتسلل الى المطبخ ويصعد الى الرف حيث يوجد الجبن اللذيذ ..

وفى هذه الليلة تسلل الفأر الرمادى وأكل كل الجبن الموجود .. ثم صعد الى حيث يقف الكابتن ليسمع ماذا سيقوله عن حفلة الليلة ..ولكنه بدلا من ذلك رأى الطباخ مقبلا وهو يقول للكابتن :

ـ هذا الفأر اللعين أكل الجبن كله .. يجب أن نحضر قطة حتى تمسك به ..

وقال الكابتن ..

ـ حسن احضر قطة .. وأحضر أيضاً بعض «بطارخ» السمك للحفلة هذه الليلة ..

ولم يبال الفأر بهذه الأنباء .. ولكنه فى اليوم الثانى حين كان يتسلل خارجاً من جحره كى يستمتع بالشمس فاذا بقط ضخم يمسكه من ذيله .. وصرخ الفأر ..

ـ أوه .. من فضلك .. لا تؤذنى .. وسوف أدلك على مكان تجد فيه الكثير من «بطارخ» السمك اللذيذة ..

وفكر القط قليلا ثم ترك ذيل الفأر وهو

ـ اتفقنا ..

وفى المساء أنصت القط والفأر حتى بدأت الفرقة الموسيقية فى العزف ثم همس الفأر :

ـ اتبعنى .

وسار القط خلفه فى هدوء الى المطبخ حيث كانت بطارخ السمك اللذيذة .. وانقض القط عليها فى لهفة .. وانقض الفأر على الجبن الجديد الذى وجده .. وقال القط فى صوت مستمتع ..

ـ لذيذ ..

وحين فرغا سوياً من البطارخ .. والجبن كانا قد أصبحا أصدقاء مدى الحياة ..

وفى الصباح عندما اكتشف الطباخ ما حدث احمر وجهه من الغيظ وذهب الى الكابتن وهو يصيح ..

ـ هذا القط لم يفعل أى شىء .. ومازال



الفأر طليقاً وقد ذهب الجبن الجديد والأدهى من ذلك أن بطارخ السمك قد اختفت أيضاً .. يجب أن نحضر كلباً لكى نتخلص من القط ..

وقال الكابتن ..

– حسناً .. احضر كلباً .. واحضر أيضاً بعض شرائح الكبد بدلا من «بطارخ» السمك ..

وذهب الطباخ ليحضر شرائح الكبد فرأى كلباً صغيراً بالقرب من الساحل .. فهتف به وأعطاه بعض قطع العظم وسرعان ما أقنعه أن يصعد معه الى ظهر السفينة ..

مر وقت قبل أن يشم الكلب رائحة القط وأخذ يتجول فى السفينة بحثاً عنه .. وفى هذه اللحظة كان القط والفأر ذاهبين الى مؤخرة السفينة ليستمتعا بالشمس .. عندما انقض الكلب على القط وأمسكه من ذيله ورفع مخلبه لكى يهوى به عليه .. ولكن القط قال له ..

– لو أنك وعدت أنك لن تؤذينى سوف أدلك على مكان تجد فيه الكثير من شرائح الكبد اللذيذة ..

فكر الكلب قليلا ثم قال ..

–حم .. حم اتفقنا ..

قال القط ..

– انتظر إذن معنا حتى المساء وسوف ندلك عليها ..

وفى الليل . ما إن بدأت الفرقة الموسيقية فى العزف حتى تسلل الثلاثة الى المطبخ . وانقض كل واحد منهم على الطعام الذى يفضله .. وبعد أن فرغوا من الطعام كانوا قد أصبحوا أصدقاء مدى الحياة ..

وفى اليوم التالى خرجوا الى سطح السفينة كى يستمتعوا بالشمس وسرعان ماصاح الفأر ..

– إنتبهوا الكابتن قادم ومعه الطباخ.

جرى الثلاثة واختبأوا تحت المقاعد .. وسمعوا الطباخ وهو يقول فى غضب ..

– لقد فعلتها هذه الحيوانات ثانية .. لقد أكلوا شرائح الكبد .. والبطارخ .. والجبن .. يجب أن نتخلص منهم ثم نصنع فخاً للفأر ..

وقال الكابتن ..

– لايوجد إلا المشاكل اليوم .. ماذا أفعل مع حيواناتك هذه .. لقد تركت الفرقة الموسيقية الآلات ورحلت بعيداً .. ماذا أفعل فى الحفلة الموسيقية التى سوف نقيمها الليلـــة ..

وانصرف الرجلان وهما يفكران فى حيرة .. ونهض الفأر من تحت المقعد وهو يهتف بهما ..

– هل سمعتما .. ان الكابتن والطباخ ينويان التخلص منا ويجب أن نفعل شيئاً لنوقف ذلك .. لدى فكرة ..

وقال القط ..

– هيا .. اخبرنا بها ..

قال الفأر ..

– نحن نستطيع أن نعزف الموسيقى .. لقد راقبت الفرقة كثيراً وهى تعزف وأستطيع أن اعلمكم كيف تفعلون ذلك ..

وهتف الاثنان فى صوت واحد ..

– فكرة عظيمة ..

وجاء الليل .. وكانت ليلة هادئة تماماً .. وأخذ الناس يتساءلون لماذا لاتوجد موسيقى .. ؟

وفجأة ارتفعت أصوات الموسيقى عالية .. وازدادت سرعة الايقاع .. وهتف الناس ..

– يالها من فرقة موسيقية رائعة ..

وأسرعوا بالذهاب ليروا من يعزف وقد ارتفعت الضحكات من كل ارجاء السفينة .. وجرى الكابتن والطباخ ايضاً .. وفى البداية كان يعتقد أن الفرقة قد عادت الى السفينة .. ولكنه توقف مدهوشاً .. كان القط يتقافز فوق البيانو ويدوس المفاتيح بقدميه وكان الكلب يعزف على الكمان كالموسيقى الحقيقى ..

وقال الكابتن فى دهشة ..

– ولكن الجيتار .. يبدو كأنه يعزف من تلقاء نفسه ..

وسار الى الجيتار والقى عليه نظرة قريبة ثم هتف فى الطباخ ..

– انظر .. أنه الفأر الصغير يعزف على الجيتار .

وقال الطباخ فى غيظ ..

– هذه الحيوانات السيئة الأدب سارقة الطعام ..

وقال الكابتن ..

– كلا .. كلا .. انها ليست سيئة الأدب وليست سارقة منذ الآن سوف نطعم هذه الحيوانات اللطيفة .. سوف تحضر الجبن للفأر .. والبطارخ للقط .. وشرائح الكبد للكلب .. سوف نبذل جهدنا حتى لانفقد هذه الفرقة ..

ونظر الثلاثة الى بعضهم فى سعادة .. وعادوا للعزف .. ولم يعودوا للسرقة بعد ذلك .



البخيلة

الفصل الثالث

المنظر الثاني

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

رسوم: جمال قطب



(فى منزل المرحومة الست نظيفة . تظهر حسنى فى ثوب أسود)

حسنى : (لنفسها)

عينى .. أحق أننى فى منزلـــى ؟!
لا .. كان لـي فوهبتــه لجمــال
غاليت فى شعب الفؤاد بحبه (٥٢)
حتى وهبت له الثميــن الغالــى
أعطيته ما كان (٥٣) أصبح فى يدى
من مال جدتــه .. فليس بمالــى
لم يرض قلبى أن أعيش ســعيدة
ويعيش فى بؤس ورقـــة حـــال
أتراه يقدر (٥٤) خدمتى ومحبتــى
أو لا يمـر له الصنيــع ببـــال
رحمـــة اللـــه علـى ســيدتى
وسقى اللــه ثراهـــا وجزاهـــا
حرمتنـــى الشــاش حتــى ذهبت
فكستنى الخز (٥٥) فى الموت يداهـــا
وحمتنــى المــاء حتــى احتجبـت
فسقيت الشهد من فيض نداها (٥٦)
صار لــي من بعدهـــا منزلهـــا
والدكاكين .. وآلت ضيعتاهـــا (٥٧)
ثـروة قـد نهض الجــوع بهـــا
ومشى الحرمـــان فيها فبناهـــا
وهبـت لـــى كل ما قد ملكـــت
لم تـدع مـن ذاك شيئاً لفتاهـــا

(بعد (٥٨) لحظة)

لا .. ذاك مـــــال جمـــــال
تركتـــــــه لجمـــــــال
وعـــدت ما كنـــت من قبـل (٥٩)
فوطتــــــى هــــى مالـــــى

أجل أنا الخادم والطاهيـه
وما أنا السارقة (٦٠) الباغيـة
ولا على النـــاس طفيليـــة
اجعـــل أموالهمـــو ماليـه

سمعت حديث البخل حتى صحبته
زماناً .. أراه كل حيـن وأســمع
يــروح ويغـدو بين عينــى صورة
ويأتى حيالى بالحياة ويرجـــع

ســيدتى وبخلهــــا
فــى الخـط ســارا كالمثــل
وانتقلــت وذكرهـــا
بالبخـــل فيـــه ما انتقــل
يرحمهـــا اللـــــه فمـا
أنسى (٦١) لها تلك الجمــل
فــى غضـب عنـد الحــوار
واضطــراب .. وزعـل (٦٢)
ومـــا اختلفـــا مـــرة

ملخـــص مـــا نشـــر

الزمان : غداة استقالة اللورد كرومر ورحيله عن مصر عام ١٩٠٧ .
المكان : مقهى «المالية» بميدان «لاظوغلى» بالقاهرة .

يرفع الستار عن جماعات من رواد المقهى يثرثرون فى موضوعات شتى ، ومن بين هؤلاء نجد «جمالا» بطل المسرحية ، يجلس مع أحد السماسرة الذين يترددون على المقهى ليغرروا برواده .

و «جمال» هذا ، هوحفيد الجدة الثرية البخيلة «الست نظيفة» ، وسوف تؤول اليه ثروتها الهائلة عما قريب ، فهو وريثها الوحيد ، وهى عجوز بلغت من الكبر عتياً ، ومالت شمس عمرها الى المغيب ، وتلوح فى أفق المسرحية شخصية أخرى ، هى شخصية «عزيز» ، ابن نقيب الأشراف وسليل الأسرة العريقة التى جار عليها الزمن وبدل نعيمها بؤساً وترف عيشها شظفاً ، ولعزيز هذا أخت جميلة اسمها «زينب» ، لا تظهر فى المسرحية وإن تردد اسمها كثيراً . وينظر السمسار فيجد أمامه صفقة مربحة ، عزيز وأسرته يحتاجون الى المال ، وجمال يحتاج الى عروس جميلة عريقة المحتد ، فيبذل قصارى جهده ليقنع جمالا بالزواج من زينب مطرياً له على جمالها مبالغاً فى عراقة أرومتها، ومن جهة أخرى يقنع عزيزاً بالموافقة على هذه الزيجة حتى تنفرج أزمتهم المالية على يد جمال وما سيرثه من ثروة هائلة بعد وفاة جدته ، ولا يترك أياً من الطرفين إلا بعد أن يكون قد ألبس هذا عمامة ذاك . كما تلوح أيضاً شخصية جديدة كوميدية ، هى شخصية الطبيب «عبد السلام» الذى يتصف بالبخل والخمول والخيبة . وحين يهبط ستار الفصل الأول ، يكون هذا الطبيب قد اشتبك فى مشادة كلامية مع شقيق أحد المصابين ، هذا يريده أن يهب لعلاج صديقه ، وذاك يقعده الكسل والخمول .

وفى الفصل الثانى نتعرف على «الست نظيفة» ، هذه الثرية البخيلة التى تدور حولها أحداث المسرحية ، ونتعرف أيضاً على خادمتها الشابة «حسنى» ، ومن الحوار الذى يدور بين السيدة والخادم ، نلمس مدى تقتير هذه السيدة حتى إنها لتضن على نفسها وخادمها بالقوت الكافى وتابى إلا أن تعيش وإياها على الكفاف . وتنكشف لنا فى هذا الفصل طبيعة العلاقة بين جمال وجدته ، فهى لا تعطيه إلا أقل القليل لينفق به على نفسه ، حتى اضطرته الى أن يسرق كيس نقودها عندما وجده أمامه صدفة . ويدخل الحفيد مع جدته فى حوار طويل نعرف منه أن البخل صفة متأصلة فى هذه الأسرة ، ونكتشف أن جمالا يكتشف أسرار جدته ويعرف الأمكنة التى تخبىء فيها الذهب والنقود . وفى نهاية الحواريثور عليها ويعلن تمرده ورفضه لثروتها ، ويخبرها .أنه لن يحتاج لمساعدتها فى الزواج ، فقد اقترض مبلغاً من المال وعقد خطبته على زينب بنت النقيب .

أما عن علاقة جمال بحسنى الخادم ، فاننا نعرف من خلال الحوار ، أن حسنى تحب جمالا ،حتى انها لتتستر عليه حين رأته يأخذ كيس النقود معرضة نفسها لشكوك الجدة ، ولكن جمالا لا يريد إلا أن يلهو معها ويسترق معها أية بادرة للمتعة ، وبالفعل ينفرد بها ويراودها ، فتمتنع عليه ، وينتهى الموقف بحضور الجدة . ويهبط الستار .

وفى الفصل الثالث والأخير ، يبدأ المنظر الأول وقد رقدت الجدة طريحة المرض ، وتتوافد الزائرات والجارات على حسنى .. فمنهن مرجانة وخضرة وزهرة وبنبة ، ويأتى الدكتور عبد السلام ، ذلك الطبيب الفاشل ، ومن خلال الحوار نعرف أن هؤلاء الزائرات العائدات ما جئن إلا ليتخلصن من هذه الجدة البخيلة . وبالفعل يقمن اليها وهى تحتضر ، فيجمعن بعض النقود ويخشخشن لها بها عند أذنيها ، اعتقاداً منهن أن صوت النقود يعجل بموت أى بخيل محتضر ويأتى جمال فيشترك معهن .. الى أن تفيض روح الجدة ، فيهبط الستار .

البخيلة

فى حمل ولا جمل
لكن لأجل الثوم كان
الخلف (٦٣) أو حول البصل
ولم نكن من الدقيق
ننتهى ولا العسل

يرحمها الله وإن
لم تأت (٦٤) يوماً بحسن
عاشت بثوب واحد
كالميت عاش بكفن
أما أنا .. فالشاش أو
ما دون ذاك فى الثمن
وبذلتى (٦٥) وفوطتى
طال عليهما الزمن
وأجرتى عشرون قرشاً
مع كثرة المهن
البئر (٦٦) لا أبرحها
خارجة وداخله
صاعدة كالدلو كل
ساعة ونازله
طباخة أصنع من
لا شىء شيئاً .. فآكله
وانحنى على البلاط
كل حين أغسله
وكل دكان (٦٧) على
أجرها أحصله

(تدخل زهرة)

زهرة : العوافى يا ابنتى
حسنى : من جاءنا ؟
خالتى زهرة ؟ أهلا مرحبا
ادخلى
زهرة : (لنفسها .. فى حسد وحقد)
يا لك من طباخة
نثر الحظ عليها الذهبا
(ثم لحسنى)
يا هناك (٦٨) المال حسنى
حسنى : مال من ؟
زهرة : (لنفسها)
هى تخفى

حسنى : بلغوك الكذبا
زهرة : عجباً .. أنت إذن لم ترثى
مال مولاتك ؟
حسنى : لا .. لا . عجبا
أنا يا خالة لست (٦٩) لصة
لعن الله الغنى المغتصبا
زهرة : إن للجيران حسنى
ألسناً تهذى طوالا
حسنى : ما الذى قالوه ؟
زهرة : قالوا :
أنت جردت (٧٠) جمالا
حسنى : كذبوا والله لم ألمس
له باليد مالا

(تخرج زهرة وتتبعها حسنى . يدخل جمال)
(تدخل حسنى فترى جمالا (٧١))

حسنى : من ههنا ؟ جمال سيدى !
جمال : أجل .. أنا الغريب فى بيت أبى
أنا الذى قد سلبوه ماله
لم يبق من مالى ما لم أسلب
قد ضربتنى فى الحياة جدتى
وفى الممات
حسنى : ألف لا .. لم تضرب
اجلس تفضل استرح
هون عليك سيدى
جمال : لم يبق من مالك يا
جدة شىء فى يدى
ضيعت أمسى ثم لم
يكف فضيعت غدى
حسنى
حسنى : جمال
جمال : افترقنا
حسنى : كيف ؟ لا أبداً
جمال :
تغير الأمر من حال الى حال (٧٢)
أنت الغنية حسنى والفقير أنا
المال مالك منذ اليوم لا مالى
حسنى : المال يا جمال ؟ الفقر ؟ الغنى ؟
ماذا تقول سيدى ؟ ماذا جرى ؟
جمال : أليس حرمانى لوناً متقناً (٧٣)
طبخته أنت وجدتى معاً ؟
لا تجمعى القتل على والبكا
حسنى دعي الخبث ولا تجاهلى

حسنى : أتعلم الخبث علي والريا (٧٤) ؟
حرمت مم ؟
جمال : من تراث جدتى
حسنى : إذن من الوارث ؟
جمال : أنت لا أنا
حسنى :
أنا (٧٥) أراك سيدى تهزأ بى
كفى جمال سخراً (٧٦) منى كفى
أقسم هذا الأمر لم أعمل (٧٧) له
واننى آخر من درى به
جمال :
أما رأيت كاتباً معمما
وشاهدين يعملون ههنا ؟
وشيخة تملى عليهم سخفها
تحرم ذا قربى وتعطى أجنبيا (٧٨)
كعين ربوة تخطى خيرها
الى الوهاد (٧٩) مستحقات الربى
حسنى :
جمال سيدى تعال (٨٠) نحتكم
الى الحقوق والصواب والنهى (٨١)
هب ما تقول يا جمال قد جرى
جمال : لقد جرى
حسنى :
حسنى : هات الكتاب فامح ما
تشاء ، وأثبت ما تشا (٨٢)
بدل وغير فى كتاب
وقفها (٨٣) كما ترى
أنت غناى .. إن غضبت
ما انتفاعى بالغنى ؟
أمضي فأبغي سيداً
أو أبتغى سيدة أطهو لها (٨٤)
جمال : ماذا أرى؟ تبكين حسنى ؟ مم ؟
حسنى : لا (٨٥)
جمال : كفى ابنتى كفى بكى
حسنى :
خذ مالها وخلنى أعيش كما (٨٦)
كنت أعيش أولا
جمال (٨٧) :
بحياتى قولى (٨٨) الحقيقة حسنى
أتحبيننى ؟
حسنى : أجل .. ملء قلبى
جمال : مثل حبى ؟



حسنى : جمال .. أحببتنى اليوم ؟
جمال : قديم وحق عينيك حبى
كنت أهواك طفلة تملأين البيت
والحوش (٨٩) من صياح ووثب
كنت أهواك طفلة (٩٠)
فى الكوانين نافخة
كنت أهواك خادمة
كنت أهواك طابخه
(ثم يمسك يدها ويقول) :
كم اشتهيتها (٩١) يدا
ما فرغت من العمل
كنت (٩٢) أراها كيد الملكة (٩٣)
أهلا للقبل
وأشتهى رائحة الثوم (٩٤)
عليها والبصل
حسنى : سيدى أنت خطبت (٩٥)
جمال : لا
حسنى : نعم
بل خطبت امرأة ذات يسار
وأبوها كابر (٩٦) ذو لقب
وله زرع وضرع وعقار (٩٧)
جمال : وما تريدين حسنى ؟
أأنفض اليد منها ؟
اللـه رب جمال
يغنيه عنك وعنها
(امرأة تريد الصعود)
المرأة : أأحد فى المنزل ؟
جمال : (من أعلى)
من هذه ؟
المرأة (٩٨) : أم علي
أنت هنا يا سيدى ؟
جمال : أجل تفضلى ادخلى
أم علي : (تصعد)
دستوركم (٩٩)
جمال : تفضلى
لا أحد فى المنزل
حسنى : (لجمال)
من ؟ تلك من ؟
جمال : امرأة
من بيت أصهارى الجدد
صديقة قديمة
فى كل أمر تجتهد

حسنى : ماذا تريد يا ترى ؟
جمال : الآن نعلم الخبر
أما أنا فليس لى
فى بنت إنسان وطر (١٠٠)
حسنى : كرهت سيدى الغنى ؟
جمال : أجل
حسنى : وهكذا أنا
(ثم وهى خارجة)
لا يأخذ الانسان من
دنياه إلا الكفنا
(تدخل أم علي)
جمال : يا مرحباً أم علي
ماذا حملت من خبر ؟
أم علي : كنت رسول الصفو واليوم
أتيت بالكدر
جمال : ماذا ؟
أم علي : أصخ يا سيدى
أم العروس جنت
جمال : كيف ولم أم علي ؟
أم علي : تريد فسخ الخطبة
جمال : كذا أنا
أم علي : وأنت أيضاً ؟
جمال : تلك كانت نيتى
قد سمعت لا شك أنى
قد خسرت ثروتى
قد علمت بأننى
قد حرمتنى جدتى ؟!
أم علي : أجل
جمال : فقالت مفلس
ليس يليق لابنتى (١٠١)
أم علي :
وهذه (الشبكة) يا سيدى
انظر .. تأمل .. خاتم لا يعاب
وهذه قيمة ما جاءنا
من سبت النقل (١٠٢) وغالى الثياب
خمسون .. خذها .. عد .. من عادتى ..
جمال : (يأخذها)
أن تغلطى (١٠٣) يا خالتى فى الحساب
(ثم ينتهى من العدد)
أم علي : هى خمسون سيدى ؟
جمال : هذه خمسة لك

اذهبى .. لست ناسياً
أبد الدهر فضلك
(تخرج أم علي ثم تدخل حسنى) (١٠٤)
جمال : (بعد أن يراها)
رباه ما ذاك ؟ تلك حسنى ؟!
من أين حسنى ؟!
حسنى : من الستاره (١٠٥)
سمعت ما قالت العجوز
ولم تفتنى لها عباره
خذ سيدى (١٠٦)
جمال : ما ذلكا ؟ (١٠٧)
حسنى : ذلك وقف (١٠٨) اسرتك
(تناوله ورقة)
كانت شروط (١٠٩) الوقف لى
فاستعملت لخدمتك
وما ظننت ثروتى
ما كان غير ثروتك
ذاك اتفاق قد جرى
بينى وبين جدتك
ما أرصدت (١١٠) لجهتى
حولته لجهتك
جمال : جدتى فى مماتها
برة بى ومحسنه
فعلت فى (١١١) فعلة
نبهتنى من السنه
ساء فى المال مذهبى
فرأت أن تحسنه
وأنت حسنى .. أتحبيننى ؟
حسنى : أأنت فى ذلك ترتاب ؟
قد كنت دنيا مغلقاً بابها
دونى .. فكيف انفتح الباب ؟
جمال : الآن حسنى أقبلى
نجر حديث ما مضى
كيف وجدت جدتى ؟
وما مكانى عندها ؟
حسنى : تحبك الحب الذى
كانت تحبه (١١٢) ابنها
وتكتسى إن غبت عنها
أو بعدت الولها
تكاد لا تسمع إن
غبت .. تكاد لا ترى



البخيلة

جمال : فما لهـا كانت تذيقنـى
.. الجفـاء مالهـا ؟
فلو سألتهـا العمـى
ضـنت علـى بالعمـى
حسنى : سيدتى بخيلة
جمال : أعلـم ياحسـنى بـذا
وهـى إذا قيسـت الـى
جدى .. كالغيث نـدى (١١٣)
علمهـا جـدى .. وكـان
.. أجمـد النـاس يـدا
حسنى : وأنـا أيضـاً سـيدى
أصـبت بالبخـل أنـا
جمال :
حنانيك ١١٤ ماذا قلت حسنى ؟ أخفتنى
أقدر ربى أن يطـول عذابـى ؟!
أأعداك حسنى بخل جدتى (١١٥) ؟ اننى
إذن من مصاب صائـر لمصـاب
حسنى :
لا تخش (١١٦) بخلى سيدى .. لست من
تبخل فى حـق .. ولا واجـب
جمال : ويحى ! .. أأرميك بالبخـل ؟!
قبـح اللــه ظنـى
وقـد رأيـت بعينـى
وقـد سـمعت بأذنـى
فأنت (١١٧) أرجعت مالـى
وكان قد ضـاع منـى
فما سوى اللـه حسـنى

يقـدر يجزيـك عنـى
ستجمعنا الدنيا غداً .. كيف يا تـرى
يكون طعامـى أو يكون شرابـى
حسنى : سنشرب المـاء فى أوان (١١٨)
غالية حلـوة نضيدة (١١٩)
جمال : وبيرة ظهر كل يوم (١٢٠)
حسنى : توضع فى الثلج والبروده
جمال : والأكل ؟
حسنى : ما شـئت مـن شـواء
ومن دفين ومن عصيده (١٢١)
جمال :
نسيت شيئاً وليس ينسى (١٢٢)
حسنى : ما ذلك (١٢٣) ؟
جمال : الباميـة الجديـدة (١٢٤)
هـذه الشـبكة التـى
أرجعتهـا المغفلـة
خاتـم (١٢٥) قـد وضعتـه
فى البنـان (١٢٦) المقبلـة
(يلبسها الخاتم ويقبل يدها)
حسنى : والمهر ؟
جمال :
(يشير (١٢٧) الى النقود المردودة (١٢٨))
.. تـلك هـى لـك
أعطـى جمـال مـا ملك
ما المال مهراً للمـلك (١٢٩)
حسنى : ومهرك سيدى ؟
جمال :
مهـرى ؟ ترانـا

تزوجنا على دين النصارى ؟! (١٣٠)
ا ـ ـى حسـنى المـزاح ..
حسنى : أقول جداً
ولم تأبى ؟ أتحسب ذاك عـاراً ؟!
وكم من مسـلمات سقن مهـراً
وإن دعى الأباعـد والعقار (١٣١)
جمال : إذن هاتى (١٣٢) اذكرى مهرى
وسـميه علـى قـدرى
فقـد تعطيننـى قرشـاً
وقرشـين !! ومـا أدرى ....
حسنى : بل الدنيـا وما فيهـا
وما جـل عـن الحصـر
جمـال .. انزل الى البئـر
تجد مهـرك فى القعـر
جمال : مهرى فى البئر ؟
حسنى : أجل
جمال : كيف هوى (١٣٣) .. كيف نزل ؟!
أنزلهـا ؟! هـذا خبـل
حسنى : ننـزل إن شـئت معـا
لكـى أريـك الموضعـا
هنـاك تبصـر العجـب
جمال : ما ذاك ؟
حسنى : صـندوق خشـب
ممتلىء من الذهـب (١٣٤)
جمال : هنـاك الذهـب الحلـو
إذن طيـرى بنـا طيـرى
قبلـت المهـر يا حسـنى
الى البيـر الى البيـر (١٣٥)
انتهت الرواية (١٣٦) ستار

البخيلة

تعليقات وهوامش حول الفصـل الثالث

يكتبها : حسـن طلـب

(٥٢) الصياغة الصحيحة ينبغى أن تكون : «غاليت بحبها فى شعب الفؤاد» ، والشعب (بكسر الشين المضعفة) : السهل المنبسط يكون بين جبلين فيضرب فيه القوم خيامهم
وانخفاض مستوى الشعب ، يجرى فيه الماء فتخضوضر أرضه ويكثر نباته
(٥٣) فى الأصل «ما كان لي» ، فحذفنا «لي» ليستقيم الوزن .
(٥٤) قدر (بالقاف والدال المفتوحتين) الشىء قدراً : عرف مقداره وبين قيمته ومنزلته . يقول تعالى : «وما قدروا الله حق قدره» .

(٥٥) «الخز» : نسيج يتخذ من (الابريسم) ، وهو الحرير الخالص .
(٥٦) فى الأصل «مداها» ، وهو تصحيف .
(٥٧) «الت ضيعتاها» : فى الاصل «البت» وهو تصحيف . والضيعة : الأرض الخصبة الكثيرة الغلة ، وتطورت فاصبحت تطلق على مساحة
(٥٨) فى الأصل «بهد» ، وتداركها المصحح المجهول .
(٥٩) أراد : «وعدت كما كنت من قبل» . فخضع للضرورة الشعرية وأخل بالمعنى .
(٦٠) فى الأصل «السرقة» وهو تصحيف به ينكسر الوزن .
(٦١) فى الأصل «انس» وهو خطا .
(٦٢) الزعل (بالزاى المضعفة المفتوحة والعين المفتوحة) . هو النشاط وخفة الحركة . أما «الزعل» بمعنى الغضب فمولدة .
(٦٣) الخلف (بضم الخاء وتسكين اللام) . اسم من الاخلاف . وهو مصطلح فلسفى استخدمه فلاسفة المسلمين فيما يسمى ببرهان الخلف . ويعنى التناقض الذى لا يقبله العقل ، لأنه ينطوى على استحالة منطقية . والمراد هنا : الخلاف بمعنى النزاع .
(٦٤) فى الأصل (تاتى) ، وهو خطا .
(٦٥) «البذلة» ـ بكسر الذال ـ ما يبتذل من الثياب فى العمل دون أن يصان ، جمعها : بذل ثم تطورت لتعنى الحلة الفاخرة القشيبة .
(٦٦) ذلك انها تخبىء فيها الذهب . فلزمتها خوفاً على مالها .
(٦٧) «الدكان» كلمة معربة بمعنى الحانوت ، ولم أر وجهاً لتأنيثها هنا .
(٦٨) «يا هناك» : مطموسة فى الأصل

(٦٩) «لست لصة» : لا يستقيم الوزن الا باشباع ضمة «لست» .
(٧٠) جرد فلانا من الميراث : حرمه نصيبه منه .
(٧١) فى الأصل «جمل» بالرفع ، وهو خطأ .
(٧٢) ماخوذ من البيت الشهير :

ما بين طرفة عين وانتباهتها　　　يغير الله من حال الى حال

(٧٣) كلمة «متقنا» مطموسة فى الأصل .
(٧٤) حذف همزة «الرياء» لتحقق قافيته .
(٧٥) فى الأصل «أن» وهو تصحيف .
(٧٦) ينبغى تحريك خاء «سخرا» ليستقيم الوزن .
(٧٧) فى الأصل (أعمل) ، وهو تصحيف .
(٧٨) «أجنب» و «أجنبى» بمعنى واحد ، والجمع أجانب .
(٧٩) «الوهاد» جمع «وهدة» ، وهى الأرض المنخفضة .
(٨٠) فى الأصل «تعالى» ، وهو خطأ .
(٨١) «النهى» جمع «نهية» ، وهى العقل .
(٨٢) حول ألف القطع فى «أثبت» الى ألف وصل ، وخفف همزة «تشاء» للضرورة الشعرية .
(٨٣) «الوقف» فى الفقه : حبس العين على ملك الواقف أو فى سبيل الله .
(٨٤) و (٨٥) و (٨٦) كل شطر من هذه يحتوى على تفعيلة زائدة ، وهى جميعا من مجزوء الرجز .
(٨٧) «جمال» ساقطة من الأصل ، إذ لم تقع تحت ظهر ورقة (الكربون) .
(٨٨) فى الأصل «قل» ، وهو خطأ .
(٨٩) حوش الدار : فناؤها .
(٩٠) كان هذا البيت ساقطا من الأصل . ثم أضيف بقلم الرصاص وبخط رديء ، وقرأناه بعد جهد جهيد .
(٩١) فى الأصل «كنت أشتهيها» ، وبه يختل الوزن .
(٩٢) مطموسة فى الأصل ، وأصلحت بقلم الرصاص .
(٩٣) يراعى تسكين لام «الملكة» ليستقيم الوزن .
(٩٤) «الثوم» : نبات عشبى من الفصيلة الزنبقية ، له فصوص شديدة الحرافة نفاذة الرائحة ، يستخدم فى الطعام وأغراض الطب ، و «الفوم» لغة فيه .
(٩٥) ينبغى اشباع فتحة التاء فى «خطبت» ليتحقق الوزن .
(٩٦) الكابر : الكبير مقاما ومنزلة ، وكذلك السيد العظيم او الجد الأكبر ، يقول الكميت بن زيد :

أنتم معادن للخلا　　　فة كابرا من بعد كابر

(٩٧) «وله زرع وضرع وعقار» : الضرع : مدر اللبن من المواشي ، ويقال : فلان ليس له من زرع وضرع ، أى : معدم لا يمتلك شيئا ، والعقار بفتح العين ، أية ثروة غير منقولة يمتلكها الانسان ، كالأرض والدور وغيرها ، وهو المراد هنا ، وبضم العين : الخمر .
(٩٨) فى الأصل «أم علي» بدلا من «المرأة» . والتغيير من عندنا ، لأن الاسم لم يكن قد ورد فى سياق الحوار بعد .
(٩٩) «دستور» او «دستوركم» ، تعبيران يستخدمهما العامة للاستئذان فى الدخول او لتنبيه أهل الدار الى أن هناك غريبا داخلا عليها ، حتى لا يفاجأوا به .
(١٠٠) فى الأصل «وتر» ، وهو تصحيف يختل به المعنى ، والوطر : الحاجة والبغية . يقال : فلان قضى وتره من فلانة : نال مراده منها ، ويقـول ابو دهبل الجمحى :

قضت وطرا من اهل مكة ناقتى　　　سوى أمل فى الماجد ابن حزام

(١٠١) الصواب أن يقول : «ليس يليق بابنتى» ، يقال لاق الشىء به ليقا ولياقا وليقانا ، أى لصق به ، ويقال : لا يليق بك كذا ، أى لا يحسن بك فلا تجعله يلصق بك .
(١٠٢) «السبت» بفتحتين صحفته العامة عن : «سفط» بفتحتين أيضا ، والسفط وعاء تحفظ فيه المرأة طيبها وأدوات زينتها ، ثم تطور فاصبح يصنع من رقائق الغاب ، وتوضع فيه الزهور ، والمراد هنا : الهدايا التى يحملها العريس لعروسه عند الخطبة .
(١٠٣) يتضح هنا اتجاه احمد شوقى للتبسيط والاقتراب من اللغة الدارجة ، فلو أنه قال «تخطئى» بدلا من «تغلطى» لما تغير الوزن ولا المعنى ولكنه اختار الكلمة الأقرب الى العامة .
(١٠٤) فى الأصل : (تخرج أم علي) (تدخل حسنى) . فدمجناهما .
(١٠٥) الستارة هى الستار ، جمعها ستائر ، وجمع الستار : ستر ، بضمتين .
(١٠٦) «خذ سيدى» ، لم تقع تماما تحت ظهر ورقة (الكربون) ، فاختفت نصف حروفها .
(١٠٧) فى الأصل «ما ذاك» وبها يختل الوزن .
(١٠٨) «ذلك وقف أسرتك» ، انظر الهامش (٨٣) .
(١٠٩) فى الأصل «تروط» ، وهو تصحيف .
(١١٠) أرصد الشيء له : أعده وهيأه ، وأرصد الحساب : أظهره وأحضره .
(١١١) «فعلت فى فعلة» : تعبير دارج ، و «الفعلة» المرة من العمل ، ويشار بها الى الفعلة المستنكرة ، وفى القرآن :
«وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين» .
(١١٢) أراد : تحبه لابنها .
(١١٣) فى الأصل «ندا» ، والصحيح ما أثبتناه .
(١١٤) «حنانيك» : مطموسة فى الأصل .
(١١٥) فى الأصل «جديا» ، وهو تصحيف .
(١١٦) فى الأصل (لا تخشى) ، وهو خطأ .
(١١٧) فى الأصل «وانت» بدون همز .
(١١٨) هذا الشطر والذى يليه لم يقعا تحت ورقة (الكربون) فى الكتابة الأولى ، وأعيد نسخهما بدون (كربون) .
(١١٩) النضيد : المنسق المرتب ، والمضموم بعضه الى بعض ، يقول طرفة ابن العبد فى وصف ناقته :

وطي محال كالحنى خلوفه　　　وأجرنة لزت بدأي منضد

(١٢٠) فى الأصل : «كل ظهر يوم» . وما أثبتناه أفصح وأبلغ .
(١٢١) الدفين والعصيدة طعامان ، أما الدفين فهو اللحم يدفن فى الأرز ويطهى حتى ينضج ، وأما العصيدة فهى الدقيق المسلوق الملتوت بالسمن ، والجمع : عصائد .
(١٢٢) فى الأصل : «نسيت حسنى ما ليس ينسى» ، وتدخلنا فى إعادة صياغتها بهذا الشكل لنصلح الوزن .
(١٢٣) فى الأصل «ما ذاك» ، وهو مخل بالوزن .
(١٢٤) ارجع الى حديث الباميا فى الفصل الأول ، و «الشبكة» بمعناها المحدث : الهدية يقدمها الخطيب لخطيبته اعلانا للخطبة .
(١٢٥) فى الأصل «خاتما» ، ولم نروجها لنصبها إلا على التخريج .
(١٢٦) «البنان» جمع «البنانة» ، وهى طرف الاصبع .
(١٢٧) فى الأصل «وبشير» .
(١٢٨) فى الأصل (المرتدة) .
(١٢٩) «الملك» بفتحتين : واحد الملائكة ، وهو كائن ذو جسم لطيف نورانى كما جاء فى الكتب المقدسة ، والعامة تقول : الملاك .
(١٣٠) لم يقع لي أن فتيات النصارى هن اللائى يقدمن المهر لفتيانهن ، وما أعلمه أن الفتى والفتاة منهم ، يتعاونان معا فى تأثيث عش الزوجية .
(١٣١) «وإن دعى الأباعد والعقارا» : الاباعد جمع «ابعد» ، وهى صفة يكنى بها عن الاسم عند الذم فقط ، يقال : لعن الله الأبعد ، وفى الحديث أن رجلا دخل على الرسول فقال : إن الأبعد قد زنى ، يريد نفسه ، ولكن هذا المعنى ليس هو المقصود هنا ، ولعل شوقى أراد الكلمة العامية «الأبعدية» فجمعها على «الأباعد» ، والابعدية تعنى عند العامة : الضيعة ، فيكون المعنى أن هؤلاء المسلمات يسقن المهور الى خطبانهن ، ويغلين فيها حتى لتشتمل على العقارات و «الابعديات» .
(١٣٢) فى الأصل «هات» ، وهو خطأ .
(١٣٣) فى الأصل «هوا» ، وهو خطأ املائى .
(١٣٤) يقال : ممتلىء بالذهب ، وليس منه . على أن العرب جروا على أن يبدلوا هذا الحرف بغيره من حروف الجر . ومما جاء فى استخدام «الباء» بمعنى «من» قول عنترة :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت　　　زوراء تنفر عن حياض الديلم

أراد : من ماء الدحرضين .
(١٣٥) خفف همزة «البئر» لتتحقق القافية .



بريخت فى بريطانيا

● مازالت أعمال بيرتولد بريخت ، الشاعر والمسرحى الألمانى ، تعامل بقدر من التحفظ فى بلاد الانجليز لصعوبة تصنيفه والوثوق فى سلامة التعامل مع أعماله التى تغشى دنيا السياسة والمال والهموم القومية والالتزام الشخصى . ومازال بريخت فى بريطانيا وقفاً على قلة العارفين به مسرحياً ، وشعره أقل حظاً من مسرحياته

رغم أنه كان يأمل ان تتجاوز شهرته كشاعر كونه مبدع مسرح طليعى .

ولذا اعتبرت الساحة الثقافية ببريطانيا قيام صهره ايكهارد شال بتقديم قراءة لبعض أشعاره وأغانيه فرصة ذهبية للتعريف بهذا الجانب من ابداع بريخت .

والهرشال عضو فى فرقة مسرح برلين ومشهود له بقدرته الهائلة على تفجير امكانيات أسطورية فى الأداء المنفرد .. ويشعر من يستمع اليه فى قراءته لأشعار بريخت بانه مقذوف به الى عالم لا يطمئن المرء فيه الى شىء سوى عزم الانسان وتصميم ارادته على البقاء باى ثمن . وذاك هو جوهر عالم بريخت الشعرى .

أشباح هاملت

● صدر من دار نشر جامعة كمبردج كتاب جديد حول تصور النقاد والكتاب المعاصرين للشخصية الغامضة لبطل ماساة شكسبير «هاملت .. أمير الدنمارك» .

وينظر كاتبه مارتن سكوفيلد فى مواقف نقاد محدثين من أمثال مالارمى ولافورج واليوت وجيمس جويس و د. هـ . لورنس وكير كجارد وكلوديل وبول فاليرى وفرانتز كافكا .. من شخصية (هاملت) وآرائهم فى المسرحية .. قبل أن يخلص الى جملة آراء خاصة به ، وربما كان أهم جزء فى الكتاب هو ذاك الذى يبحث فى مدى حقيقة (الشبح) فى المسرحية ومدى احساس هاملت بانه ملزم بالوفاء بما أمر به شبح والده القتيل .

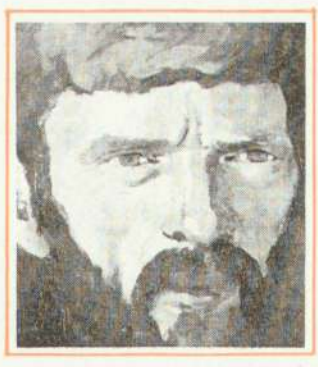
وكان ملارمى يرى فى الأمير هاملت بطلا روحياً يبحث عن الحقيقة والنظام .. ويعتبر المسرحية تاملا شكسبيرياً مداره مشكلة الفعل . أما كلوديل فهو يرى أن هاملت لا يفعل أكثر من القيام بدور ، وأنه فقد الاحساس بالعالم المحيط به . وبالنسبة لبول فاليرى فان هاملت ممثل العقل الحديث فى كل مظاهره ، مع التواءة اضافية هى ما يخالطه من جزئيات من الثقافة السابقة .. والنظرة هذه تمهيد لرأى ت .س . اليوت واقتباساته المضمنة فى قصيدة «الأرض الخراب» .

كان كيركجارد دنماركياً كهاملت ، الأمر الذى ساعده على استبطان شخصيته ، فوجدها مثالا للرعب الذى يلعب دوراً مركزياً فى تفكير هذا الفيلسوف الوجودى . ولكن المسرحية لم تتح له مجالا ليتعمق الشك الدينى لخلوها منه .

وكان كافكا بطبيعته مهيئاً للتعاطف مع هاملت وعلاقته بابيه وتأففه من الجنس ، وذلك على عكس اليوت الذى كان ينظر الى هاملت كبطل وأبله ، كما مثله فى قصيدة «بروفروك» .

ويبدو أن د . هـ . لورنس ـ الذى لم تعرف عنه قدرة على النقد ـ لم يجد فى (الشبح) ما يرفعه الى بؤرة الاهتمام .. ولم يكن مرتاحاً لطبيعة هاملت المتمزقة .

ويؤخذ على السيد سكوفيل اهماله لشاعرين لموقفيهما الرومانتيكى من هاملت ، وهما باسترناك وأخماتوفا ..



نابوكوف ناقداً

● «محاضرات فى الأدب» هو حصيلة السنوات ١٩٤١ ـ ١٩٤٨ التى قضاها فلاديمير نابوكوف محاضراً فى كلية ولليسلى بأمريكا قبل أن يهنأ بالعيش الرغد من ريع روايته «لوليتا» .



وفى كتابه هذا ـ ٣٨٥ صفحة ـ يعيد نابوكوف صياغة محاضرات أدارها حول أعمال فنية بريطانية وفرنسية والمانية هى «مانسفيلد بارك» لجين أوستن ، و «بيت الرعب» لشارلز ديكنز و «مدام بوفارى» لفلوبير و «المسخ» لكافكا و «يوليسيس» لجيمس جويس و «جيكل والسيد هايد» لروبرت استيفنصون حيث يبدى نابوكوف اعجابه بالعمل الخيلى الذى هو جوهر نظرته الأدبية .

ومجمل رأى نابوكوف فى هذه المحاضرات هو أن العمل الأدبى مجرد «فقاعة هواء» ، ولا يمكن مناقشته إلا وفق شروطه . وكما قال عن فلوبير «فان عالم الروائى هو عالم الخيال بمنطقه الخاص وقواعده وتقاليده الخاصة به» وهو موقف أدبى يعتمد أكثر ما يعتمد على الدراسة المدققة فى النصوص الأدبية ، وعلى مقدرة الناقد فى ابراز مهمة الأدب الأساسية والوحيدة . والتى هى الاتصال بالآخرين ـ كما يرى نابوكوف .

وتطبع هذه المحاضرات القارىء بأن نابوكوف يسخر من فرويد ، ولا يحفل كثيراً بالنقاد الاجتماعيين للأدب من أمثال صديقه ادموند ويلسون ـ ناقد شكسبير ـ وهو موقف يصعب تقبله من أى ناقد جاد للأعمال المذكورة . ولكن ما يجعل قراءة هذا الكتاب أمراً شيقاً هو ما يتخلله من تعليقات طازجة من نابوكوف .. مثل قوله :

«ولد الأدب ذات يوم عندما أقبل صبى يعدو صارخاً : «الذئب ! الذئب !» ولكن لم يكن ثمة ذئب يطارده !» .

البحث عن ك

● لأكثر من خمسين عاماً ظلت مسالة فرانتز كافكا تشغل الأذهان . وقد صدر كتاب جديد بعنوان «عالم فرانتز كافكا» ليذكرنا بانه

واحد من أولئك المشاهير الذين لا يمكن اهمالهم بتصنيفهم والحكم عليهم ضمن نوع أو آخر من أنواع الكتاب .

إن شهرة كافكا نفسها ما كانت ستتم لو كان ماكس برود قد استجاب لوصية كافكا باحراق كل مسودات أعماله بعد موته . فهو لم يكسب شهرة فى حياته .. لأن القصص القليلة التى نشرها لم تسهم وقتها كثيراً فى رفع حجاب الجهل به فى حياته المغمورة وظروفها .

وتساعد المادة التى جمعها البروفسير ج . ب . ستيرن بالكتابة ، المتعصبين لها .. للحد الذى يصفها بانها «نوع من الصلاة بالنسبة له ..» وأنه يريد أن يكون جديراً بالكتابة فى كل لحظة .. ولكن بعض المقاطع الأخرى فيما أورده السيد ستيرن تبيح لنا أن نعتبر الكتابة بالنسبة لكافكا نوعاً من المرض . فقد خضع لدواعيها ومطاليبها فى سنيه الأخيرة بمثل ما خضع لداء الصدر ولم يكن ثمة استشفاء له منهما .

ويبدو أن كافكا لم يكن يكتب إلا لنفسه .. وأن الرغبة فى الاتصال بالآخرين أو النشر من أجل الشهرة أو كسب الاعتراف به ككاتب لم تلعب إلا دوراً طفيفاً فى هوسه بالكتابة ومع ذلك تبين خطاباته ومذكراته انه كان قادراً على الاتصال مع اصدقائه وانه كان محدثاً رائعاً رغم اقلاله .



خطاب ريغان فى المزاد العلنى !

● بيع خطاب من صفحتين بخط الرئيس الأمريكى الجديد بـ ١٢٥٠٠ دولار . وقد كتبه ريغان دفاعاً عن صديقه المغنى فرانك سيناترا بعد أن أبدى بعض خلصائه تذمراً من علاقته بالمغنى الذى تحوم شكوك حول اتصالاته بشخصيات عالم الجريمة المنظمة .

ويقر ريغان فى جزء من خطابه بانه على علم تام بحوادث الشجار مع المصورين فى علب الليل التى يقوم بها سيناترا ، ويصف



ذلك السلوك بانه «سلوك لا يرتضيه ولا يشجع عليه» ولكنه يصر على انه لا يعرف فاعل خير أكثر من صديقه المغنى ..

ويعتذر ريغان لأنه خط الخطاب بيده بانه كان مضطراً للسفر فى حملة انتخابية .. ولا سبيل له للوصول الى مكتبه لاملائه على سكرتيرته .

وكان أكبر مبلغ دفع من قبل فى خطاب هو ثلاثة آلاف دولار .. وذلك عام ١٩٧٧ عندما كتب الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون خطاب شكر الى احد الجنرالات استضاف نيكسون ذات ليلة .

الرجل البهلوان

● ربما كان الحب الأول لبيتر أوتولى هو المسرح .. ولكنه لم يعبر عن حبه ذاك بما يرد عنه غائلة النقاد حين قام بدور «ماكبث» فى مسرحية شكسبير الشهيرة . ان قدراته وموهبته الفذة تتجلى أفضل ما يكون التجلى فى دنيا السينما .. وليس ذلك لخلوها من الممثل السينمائى المقتدر، بل لأن بيتر أوتولى يعصف بكل المفاهيم المتعلقة بجودة الأداء فى السينما : فهو يقوم بالأداء أمام الكاميرا وكانه أمام جمهور قوامه آلاف الناس ، وليس مجرد عين واحدة .

وقد ظهر ابداعه فى أكمل صوره فى دور المخرج السينمائى فى فيلم (الرجل البهلوان) .. الذى يمكن اعتباره أكثر فيلم صادف عسراً فى الولادة فى السنوات الأخيرة . فقد رفضت كل استوديوهات هوليود الكبرى دعمه ، وعندما نجح ريتشارد ريش فى انتاجه بأموال مستقلة ، رفضت شبكات التوزيع الكبرى فى الولايات المتحدة أن توزعه . ولكن إصرار المستر ريش مكنه من تقديمه فى أكثر من صالة عرض ، وأصبح بذلك واحداً من أكثر الأفلام التى حظيت بالنقد والنجاح الجماهيرى فى أمريكا فى الثمانينات .

وقد استغرق انتاج الفيلم منذ أن شرع فيه ريش وحتى فراغه منه تسع سنوات .. وهو رقم قياسى بالنسبة لمشروع فيلم .

ويقوم الفيلم على كتاب يحكى قصة هارب من الخدمة فى فيتنام .. يظل مطارداً فى أمريكا .. حتى يجد نفسه فى شركة انتاج فيلم عن الحرب العالمية الأولى .. ويفلت من مطارديه بأن يصبح بديلا للقائم بدور «البهلوان» فى الفيلم ، والذى كان قد تسبب فى موته عن طريق الصدفة .

فهو فيلم عن صناعة السينما ، بالرغم من انه لا يخضع للتصنيف تحت أى نوع من أنواع الأفلام المعروفة .



فنانة الثمانينات فى بريطانيا

يتوقع نقاد الفن فى بريطانيا أن تتالق بيترا كلارك كواحدة من أبرز الفنانين فى الثمانينات . ولوحاتها فى نظر الخبراء مزيج من أعمال الشاعر والفنان الرومانتيكى وليم بليك والفنان ستانلى سبنسر ، كما أن رسمها يوقظ فى ذاكرة المتلقى رسومات الألمانى البريخت دورر حيناً ، وأعمال المثال البريطانى هنرى مور حيناً آخر .

والأخت بيترا ، التى كانت تمارس هواية الرسم والتلوين سراً فى احد الأديرة بالجنوب البريطانى ، تهتم بالتفاصيل الدقيقة ، وتتمتع بقدرة خارقة على الرسم من أية زاوية .. وبجرأة فى استخدام الألوان بانطلاق منشرح .

جائزة الشعر

● كانت جائزة الشعر التى تقدمها جامعة ييل الأمريكية سنوياً من نصيب شاعرين أمريكيين هما ماى سوينصون ـ ٦١ عاماً ـ وهوارد نيميروف ـ ٦٠ عاماً ـ ، تقديراً لمجموعات شعرية لهما تضم حصاد عمريهما الشعرى .

حوار مع شاعرة سعودية :

مريم البغدادي في عواطفها الانسانية



أجرت الحوار : أم أكثم

الحركة الأدبية فى المملكة ناشطة حتى الروعة .. التحول شبه كلى الى الابداع فى مجالات الشعر.. والقصة .. والتشكيل .. أبناء العشرينات والثلاثينات من الجنسين يتسامون على أسباب الترف المبذولة .. التى تلد الاسترخاء .. والتبلد غالباً .. يحولون الحلم كلمات .. والأمل كلمات .. والرؤى ألواناً وشعراً .. يعون تراثهم .. يعون التراث الانسانى .. فيغنون به إبداعاتهم .. ويهبون الأرواح .. الفرح بنضج مدهش .. وأصالة فى الالتفاتة .. وفى المعالجة .. وحواء هنا .. لا تتسكع فى المؤخرة .. انها تمدح .. تثير غبطة .. تثير حسد العاجز .. قامتها اخترقت السقف العربى الوطىء .. لغتها تحتاج ترجماناً .. لأنها لغة القرن الآتى .. ولغة الحزن الجليل .. والجسارة المدهشة .. لم تعد تعلك لجامها بالصمت الحريمى المخزى .. سقط اللجام .. أسقطته الارادة .. والتوجه اللهيف الى آفاق القرن الآتى .. الصحف والمجلات معمورة بقضايا تثيرها المثقفات .. دوماً .. أسبوعياً .. يومياً .. وخلال الاسابيع الماضية صدرت عدة مؤلفات كان لحواء فيها نصيب .. ولآدم الذى كان يضرب جبهة شقيقته فى العالم لتتأخر عنه ميلا .. أو لتقعى طاعمة .. كاسية .. يكاد يقعدها لولا تشددها إذا تقوم الى جارتها الكسل !! تصوروا الظلم والظلام الذى كان !!

ومن بين الاصدارات ديوان «عواطف انسانية» شعر الدكتورة مريم البغدادى .. وقد عرف الناشر الشاعرة بأنها أديبة سعودية حصلت على شهادة الدكتوراه فى الأدب العربى من جامعة باريس ، وبعد عودتها التحقت بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .. وانضمت الى هيئة التدريس فى كلية الآداب بفرعيها فى جدة ومكة ، ثم فى كلية آداب جامعة الرياض ، وعملت فيها مدة سنتين ، عادت بعدها الى جامعة الملك عبد العزيز بجدة .. وهى الآن وكيلة لكلية الآداب فيها .. ولها مشاركات إذاعية .. حيث تساهم فى كتابة الاحاديث المسائية «الاسلامية والأدبية» فى الاذاعة المحلية .. ونشر لها قصائد فى المجلات والجرائد المحلية وبعض الكتابات الأدبية الأخرى .. تقوم حالياً بترجمة كتاب عن شعراء «التروبادور» من الفرنسية الى العربية ، الى جانب دراسة لبعض مختارات شعرية ونثرية تحليلية من الأدب العربى القديم .

الديوان يتكون من سبع وثمانين قصيدة فى مائة وأربعين صفحة .. قدم له وزير الاعلام الدكتور محمد عبده يمانى .. فى الديوان خمس وخمسون قصيدة وجدانية .. وثلاث عشرة قصيدة تغنى فيها حزنها وشوقها لوحيدها عدنان .. وسبع قصائد وطنية من بينها قصيدة رثاء للخالد فيصل بن عبد العزيز .. وأربع قصائد تشكو فيها جراحاً خلفتها الخادمات فى نفسها .. وقصيدة واحدة أدانت فيها اتفاقية «كامب ديفيد» .. وأخرى تدين فيها أحداث الحرم المكى عنوانها «شاهت الوجوه» وست قصائد تتحدث فيها عن قضايا سلوكية وأخلاقية التزمت الشاعرة بالشكل الكلاسيكى التزاماً لم تخرج عليه أبداً .. وقد خلت قصائدها من الخصائص التى تكفل للشعر .. للفن فى عمومه السيرورة .. والبقاء الطويل .. الخيال منزوع القوادم ..الصور مسطحة .. بل إنى أعترف أن العنوان ذاته استوقفنى طويلا .. فهو عنوان «آسن» إن صح التعبير .. خال من الايحاء .. وأجدنى مرغمة على مقارنته بالعنوان الذى اختارته الشاعرة السعودية المبدعة فوزية أبو خالد لديوانها «الى متى يغتالونك ليلة العرس» .. ألا تعتقدون معى أن العنوان الأخير قدم لكم الشاعرة .. إن «عواطف انسانية» يشعرنى بأن الكاتبة امرأة ليست لديها الرغبة أو القدرة حتى على محاولة التعبير عن عواطفها بصورة فيها من الحداثة والحيوية والحرارة ما

يجعلنا نرفع وجوهنا نحوها دهشة وإعجاباً .. بينما يدفعنا «الى متى يغتالونك ليلة العرس» الى الاستعداد نفسياً لمواجهة امرأة أطالت أظافرها تحدياً .. واستحالت أعماقها الى موقد يدفعنا لرفع الأكف حماية لأنفسنا من شرره المتطاير .. ولعل هذا ما حبس بعض الذين كتبوا عن ديوان الدكتورة مريم وفى أذهانهم وجوب الرفق بالقوارير فى دائرة اللغة ..فوصفوها بالصحة ولم يصفوا المفردة بالجمال والايحاء .. أما غيرهم أو محرر «الجزيرة» الأدبى على وجه التخصيص فقد استقبل الديوان بمزيج من التسفيل والسخرية المرة مما خرج بمقاله من دائرة النقد الى دائرة التجريح الشخصى .

و .. لم أرد أن أقيم .. لم أرد أن أحاكم المفردة والصورة وأبحث فى الديوان عن شروط الفن لأكتب عما أجد .. فضلت أن أقدم الشاعرة .. صاحبة الأثر .. وهى تستحق الحوار لمكانتها العلمية .. ولمشاريعها الأدبية التى لاتزال فكراً لم تتحول الى واقع .. ولمحاولاتها الشعرية التى قدمتها الى الناس ديواناً مطبوعاً .. لم يرضنى .. لم يرض مقاييس الفن .. ولكنه يرضى الشاعرة .. ولعله أن يرضى مؤرخ تطور الحركة الأدبية وتأرجحها فى السعودية .. وقد بدت هذه الحركة ناشطة .. واسعة الخطو واثقة .

الصدى السلبى

و .. كان هذا الحوار :

– ما تعليقك على الصدى السلبى الذى ووجه به ديوانك الأول ؟

● أمر طبيعى أن يكون هناك مؤيدون ومعارضون فى نفس الوقت كلما طرح على الساحة الفكرية كتاب أدبى أو ديوان شعرى ، وتاريخ الآداب ملىء بالأمثلة على ذلك ، وأقربها ما نقرأه فى «الوساطة بين المتنبى وخصومه» (!!!) وغير ذلك من كتب استعرضت هذه السلبيات كما عرضت للايجابيات . ولعل سبب الاتجاه السلبى بالنسبة لديوانى ما يتضمنه من قصائد غزلية .. والغزل كما تعلمين قلما يقابل بالقبول إذا كان صادراً عن سيدة ، خاصة وأن بيئتنا الكريمة محافظة ولم تعتد على ذلك إلا من الرجل ، فكيف بى أصرح عن خلجات وعاطفة كان عليها أن ترخي غطاءها وتستتر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لم يكن ماكتبه بعض الاخوة نقداً وإنما كان نوعاً من التجريح المنصب على شخصية الكاتبة دون فنها ، وهذا لا يعد نقداً بأية صفة من الصفات ، بل هو عدم فهم لماهية النقد وأصوله ، وهذا يدل على تطاول وجهل وسوء فهم ممن يتصدرون للنقد وليس لديهم سلاحه ، ولم يأخذ بعضهم الأخطاء المطبعية الكثيرة بعين الاعتبار فحاسبوا على ذلك دون تقديرها، وهذا قصور ، فهل سمعت بناقد قد يؤاخذ الأديب على مؤهل علمى أو وظيفى ؟؟ هذا كنه ما قوبل به ديوانى من سلبية ، إنه ليس نقداً أبداً أبداً .

– جميع قصائدك عمودية .. فهل هو موقف من الشعر الحديث ؟

● من حيث المبدأ ، أنا لا أستسيغ الشعر الحديث ، أو على الأقل كثيراً منه، حيث تأسرنى الموسيقى الشعرية التقليدية ، والشعر بدون موسيقى لا يسمى شعراً ، وأكثر الشعر الحديث يفتقد عنصر الموسيقى الذى يأسر القلب ويشنف السمع .. فترين كثيراً منه مضطرباً ، له رنة غريبة بعيدة عن الذوق الشرقى ، رغم أن لى محاولات فى الشعر الحديث لا أحبها ولا أحب عرضها على أحد لأننى لست مقتنعة بها .. ولعلى أكون على خطأ ، ولكن هذا راجع لذوقى الشخصى .

تفسير للضراعة

– لا أجد أى أثر لدراستك وحياتك فى فرنسا على شعرك سواء من ناحية الشكل أو الهموم ، فبماذا تفسرين ذلك ؟

● إذا كنت تقصدين التأثير الفكرى ، فانه لا شك ظاهر فى حنايا بعض القصائد ، حتى الصور والعواطف ، فان تلمستها تجدى أطرافاً منها متناثرة هنا وهناك ، فهناك اللمسات الرومانسية والعواطف المهومة ، وإن كانت الكآبة والحزن الدفين أظهر ما فيها ولعل الغربة أو الاغتراب فى دنيا تفيض بالمادية عكس صورة الحزن على كلماتى ، والروح هى عالمى ، وأتوق الى كل ما هو روحانى ، والروحانية غريبة فى هذا العصر ، يتيمة تلتمس الحنان وتبحث عنه وتفتقده فلا تجد أمامها سوى الهموم ، والهموم نبع الحزن والألم ، ولذا ينضح شعرى بهما .

– من الممكن أن يفسر اتجاهك فى شعرك الوجدانى بالمازوكية .. أو حب الأذى للنفس .. فهل تجدين أنت تفسيراً أخر لهذه الضراعة التى تصل حد التذلل الذى تقابلين بها الغدر .. والهجر .. والملال ؟

● أعترض أولا على تعبير «حب الأذى» ، حيث أن المودة والأذى الذى يدل على بغض لا يلتقيان أبداً ، ذلك لأن المحب لا يستطيع أن يؤذى وإلا لما أحب ، إن المودة أيتها الأخت عاطفة سامية مترفعة عن الدنيا وبعيدة عن كل ما يؤذى مشاعر المحبوب ، والمحب الحق بطبيعته متذلل متضرع ، ويجد لذة فى تذلله للمحبوب ، لأنه شق نفسه ، ومادام الحب استحسان روحانى وامتزاج نفسانى كما يقول ابن حزم ، فلا وجود للأذى من المحب للحبيب ، حيث يؤذى نفسه بهذا لو فعل ، وليست الضراعة أو

● أمر طبيعي أن يكون هناك مؤيدون ومعارضون في نفس الوقت

● جميع القصائد عمودية .. فهل هو موقف من الشعر الحديث ؟

● التأثير العربي هو صاحب الفضل الأول في أشعارنا

مريم البغدادي في عواطفها

التذلل أذى أو حباً للأذى ، بل هما طاعة المحب لمحبوبه ، وقد قال ابن حزم فى هذا المعنى : ـ

ليس التذلل فى الهــــوى مســتنكر
فالحـــــب فيه يخضـع المستكبر

والهجر يوجبه التذلل على حد قول ابن حزم ، وهو ألذ من كثير الوصال ، وإن أضنى المحب وآلمه ، ولهذا فلا شىء هنا اسمه أذى ، بل هى صفات المحب وعلامات الحب ، وكل حب لا يخلو من هجر وفرقة وصبر وتذلل ، ومع هذا فبكل هذا لذة لا تعدلها لذة إلا حب الله .

الغضب والأمومة

ـ كرست أربع قصائد من ديوانك لذم الخادمات ولعنتهن بغضب وحقد .. أهى تجربة شخصية أم اجتماعية ؟

● أرفض كلمة «حقد» لأن لا مكان له بقلبى ، ولهذا أرضى بكلمة «غضب» تجاه أفعال الخادمة التى مررت معها بتجربة مرة ، عرضتنى خلالها لكثير من المشاكل ، إذن هى تجربة شخصية تمثل مشكلة اجتماعية ملموسة فى مجتمعنا الحاضر ، ولا يخلو منها بيت ، ولو بحثت عن ذلك لوجدت مئات الأمثلة على ذلك .

ـ ما هى قصة عدنان ابنك الذى كان موضوعاً لثلاث عشرة قصيدة ؟

● إنه ولدى الوحيد الذى اضطررت لفراقه منذ ولادته حتى بلغ الرابعة من عمره نظراً لظروفى العملية والصحية والزوجية ، وهو مازال فى الخامسة من عمره الآن ، ولذا كانت عاطفة الأمومة تغلبنى وشوقى اليه يهزنى ، فتتفجر عاطفتى كلمات مشتاقة ، متلهفة الى عودته الى أحضانى ، وهكذا كان فى النهاية .

ـ لماذا اخترت بالذات ترجمة كتاب عن الشعراء الجوالين وفى القرنين الثامن والتاسع عشر شعراء فرنسيون تركوا آثاراً أوضح فى الشعر الفرنسى والعالمى ؟

● لفت نظرى كتاب للكاتب الفرنسى لافيت هوسا ، وفيه موضوع طريف عن «محاكم الحب» ، فأردت معرفتها ومقابلتها مع ما فى الشعر العربى . فوجدت مثيلا لها فى شعر الغزل عندنا ، ومازلت أفكر فى بحث الموضوع فى بحث مستقل ، وعلى كل حال فالتأثير العربى هو صاحب الفضل الأول فى شعر هؤلاء ، وهو ما يهمنى مؤقتاً على الأقل .

النقد مهمة صعبة

ـ فى حديث للشاعر المبدع غازى القصيبى الى جريدة الجزيرة قال ان الناقد الأدبى السعودى الذى يلفت النظر لم يظهر بعد ، ما رأيك ؟

● ما قاله الشاعر الرقيق والأديب معالى الدكتور غازى القصيبى صحيح ، والدليل على صحته ما ترينه الآن على صفحات الأدب فى الجرائد والمجلات المحلية ، تجريح وشتائم ليس فيهما شىء من التقييم أو التقويم ، والنقد مهمة صعبة لا يتقنها إلا ناقد متمكن يعرف مواطن الفن ، يتذوق الأدب ويعلله ، ويتمتع بدقة الحس والملاحظة القائمة على قواعد وأصول تحدد أطر النقد الفنى من جميع الجوانب ، وليس الذوق والسليقة هما كل شىء فى النقد ، وليس النقد أحكاماً فارغة ، إنما هو قائم على الفهم وحسن التفسير والمقدرة على التعليل والحيطة فى اصدار الأحكام . الى جانب الموضوعية فى الموازنة والتمييز والفحص وتبيان قيمة النص الأدبى ودرجته من حيث الجودة أو الرداءة دون الخضوع الى مؤثرات خارجية تفسد الحكم ، علاوة على ذلك ، وجوب أن يكون الناقد مثقفاً متمرساً ملماً بأطراف العلوم التى تفيده فى تفسير العمل الأدبى ، وكما ترين كم هو صعب دور الناقد فى تفسير العمل الأدبى ، وهل بعد ذلك توافقيننى على أن النقد هنا بمعناه الذى أشار اليه الدكتور القصيبى لم يظهر بعد ؟

ماذا كان موضوع رسالتك لنيل الدكتوراه ؟

● كانت دراسة مقارنة تبحث عن حقوق المرأة العربية ومكانتها من واقع النصوص الأدبية «الجاهلية» .

ـ ما رأيك بالشاعر والشاعرة السعودية ؟

● هناك شعراء سعوديون على مستويات فنية مختلفة ، فمنهم القمة والرائد ، ومنهم مازال فى أول الطريق ، ولعلهم لا يختلفون عن الشعراء فى الوطن العربى من حيث الاجادة أو غيرها لأنهم جزء من الوطن العربى ، ولهذا أفضل أن يدرجوا كشعراء عرب ، بغض النظر عن موطنهم ، رغم السمات الخاصة لكل بيئة ، إلا أنهم فى النهاية «شعراء العربية» .

ـ سؤال تقليدى : بمن تأثرت من الشعراء ، ومن تفضلين قراءاتهم من الكتاب والشعراء ؟

● أكثر تأثرى بالعباس بن الأحنف ثم عمر بن أبى ربيعة ، وأحب قراءة شعر الجاهليين فى المقام الأول ثم الشعر العباسى ، ومن الكتاب الجاحظ ومن المحدثين طه حسين .

أم أكثم

وزهورهم زهورنا ..

إننا نستخدم الزهور المصنوعة من البلاستيك تاركين زهورنا الطبيعية الحية . والذى يدفعنا الى استخدام الزهور الصناعية وترك الزهور الطبيعية هو التقليد .. مجرد التقليد .. على الرغم من أن الغرب استحدث هذا النوع من الزهور الصناعية لافتقار أرضه ومناخه الى الزهور الطبيعية .

المهندس المعمارى
حسن فتحى

زهرة البرسيم

شعر: علي عبدالله خليفة



أخذت هواك قنديلا ، وأوجعني سواد
الليل في عيني ، والأبراج موصدة منافذها
على قلبي
تشد قوافل العشاق راحلة ، خيامي السود
ما برحت ، وجف النبع ، والوديان لم تكلأ
بهذا العام ، والصحراء لم تشهد لنا عرساً .
يعذبني هديل حمائم الأسحار ، وجه الريح مغبر
يباغتني ، ويخطف صحوة التذكار ، أحملها
تئن حبيبتي في القلب مجروحة ..
وتشكو زهرة البرسيم .. لا أحد
يضمد خدها في الحفل ، كانت أعين الرقباء
من خلف السيلج الشوك مفتوحة ..
ولا أحد ،
سوى سبع من السنوات مذبوحة ..
وضوء جاء من نجمة .

● ● ● ● ●

يداي تمر فوق الصخر ، يطلع من مياه البحر ،
يعلو ، تشهق الأمواج ، يسعل في أعالي
البرج ناطور تهدل يرمق الأطراف مرتاحاً ..
لأن البحر ليس لديه مفتاح التوابيت
الحديدية ..
وأن الصخر مغروز بقاع البحر ، والفقراء
مكدودون في الاغفاءة الأولى ..
تنادي زهرة البرسيم ، ترسل عطرها
من داخل الأسوار . صقر الصيد فك
قناعه الجلدي ، روح قلب سيده ،
وحلق يضرب الأبعاد ..
تجرأ في البراري . موسم الصياد لم يأت
وأعطى البرق أشياء
ونبه في الحباري غفلة الميعاد ،

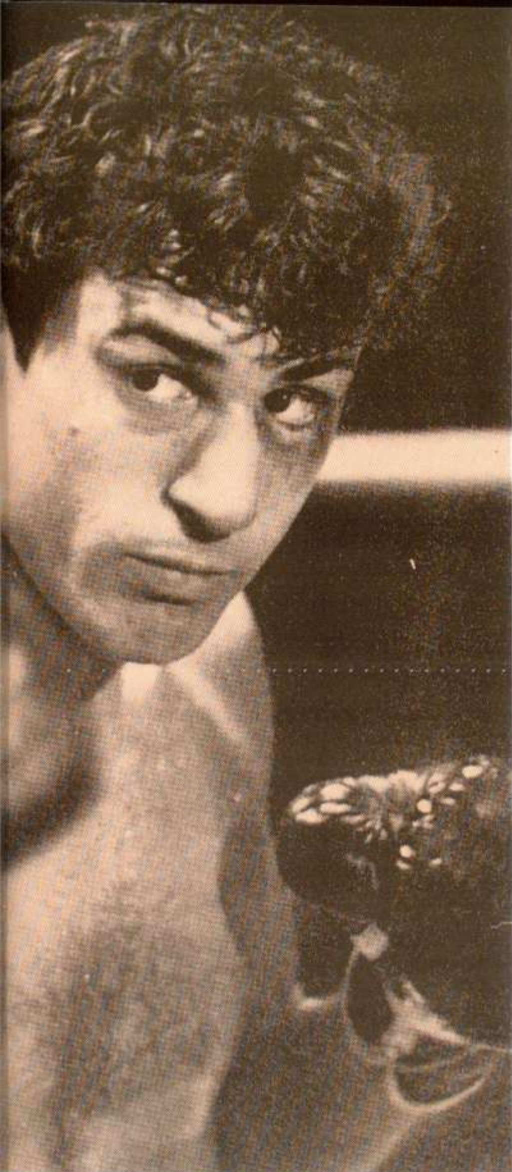
هـــامش :

● البرسيم من اقدم المحاصيل ــ ٢٠٠٠ ق . م . ــ التي تتحمل الأجواء المختلفة ، له زهر جميل ، يعد من احسن النباتات لنحل العسل ، ويزرع بالأرض لزيادة خصبها وتحسين خواصها .. إضافة إلى أنه محصول علف رئيسي .
استعمل اليونانيون البرسيم في صناعة الأكاليل ، وقدسه الايرلنديون واتخذوا منه شعاراً دينياً .

سينما

رءوف توفيق

الملاكمون على الشاشة لأسباب نفسية خاصة!



الممثل « دى نيرو » فى فيلم «الثور الهائج»



لقطات من فيلم «روكى ـ٢ـ»



الممثل « دى نيرو » فى فيلم
« نيويورك .. نيويورك »

لأسباب نفسية خاصة جداً .. أنتجت السينما الأمريكية خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، ستة أفلام تدور أحداثها حول أبطال الملاكمة !

آخر هذه الافلام : «الثور الهائج» الذى رشح لعدة جوائز أوسكار هامة لهذا العام .. منها أحسن فيلم ، أحسن مخرج أحسن ممثل ..

ومن قبل فاز فيلم «روكى» عام ٧٧ بثلاث جوائز أوسكار ، كأحسن فيلم ، وأحسن اخراج ، وأحسن مونتاج .

لماذا .. الملاكمة بالذات ؟!

هذا هو السؤال الذى يقودنا الى هذه الحالة النفسية الخاصة .

فعن الملاكمة .. يتقابل الخصمان وجهاً لوجه .. فى مربع محدود .. مغلق عليهما .. وكل منهما شبه عار ، ينتظر لحظة البداية للانقضاض على الآخر ، وانتزاع الفوز .. أسلحتها القوة ، والصلابة ، واللياقة والقدرة على المناورة ، والتحمل ، والمواصلة .. واختيار الأسلوب المناسب لانهاك الخصم ، وتسديد الضربة القاضية .

انها اللعبة التى تقوم على المواجهة .. والتحدى الشخصى ..

المكان محدود .. والزمن محدود .. والخصم واضح .

وهى أشبه ما تكون بلعبة الحياة .. عندما يصبح على الفرد العادى أن يصارع كل الظروف الصعبة المحيطة به .. ليثبت لنفسه أولا ، وللآخرين ، أنه موجود على خريطة المجتمع .. وانه قادر على المواصلة والاستمرار ..

انه الحلم الذى يراود الكثيرين .. لاثبات الوجود .. والتميز .

وإذا لم يستطع أن يحقق هذا الحلم .. فهناك من يلوح له بامكانية الخروج من دائرة الاستسلام .. ومحاولة التجربة ..

ولهذا يتصور كثير من جمهور مباريات الملاكمة .. أنهم فى مكان بطلهم المفضل



لقطة من فيلم « الحدث الرئيسى »

الذى يسدد اللكمات القاسية ، للخصم العنيد .. فهذا الخصم يجسد لهم كل مشاكلهم وهمومهم ومتاعبهم التى يتمنون الخلاص منها ..

ولأنها مسألة تشغل بال الكثيرين فى المجتمعات الآلية .. فقد التقطت السينما الامريكية النجاح الهائل الذى حققه فيلم «روكى» .. وبدأت تنتبه لرد فعل الجمهور .. وحماسه .. وارتباطه بهذه الشخصية التى قدمها ذلك الفيلم .

● من هو «روكى» ؟

إنه ليس رجلا خارقاً ، يتخطى الموانع ويحقق المستحيل .. ليس سوبرمان .. ولا جيمس بوند .. بل هو مجرد انسان عادى ، طيب القلب ، بسيط ، واحد من قاع المدينة يعيش وحيداً ، داخل بيت متواضع جداً .. ليس له أصدقاء .. تطل من عينيه نظرات الدهشة والحيرة .. يتلعثم فى الكلام .. لا يعرف كيف يعبر عن نفسه .. ودائماً هناك من يتجاوزه بالاهمال ، أو بالاساءة .. وهناك من يحاول أن يستخدمه ، أو يضغط عليه لفعل شىء .. وهو لا يستطيع أن يتخذ قراراً بالنسبة لحياته : «عندما ولدت .. قال لي أبى .. أنت لم تولد بعقل راجح .. فاستخدم جسمك .. وهكذا أصبحت ملاكماً» !

مجرد انسان يتحرك وسط الزحام .. والجميع من حوله مشغولون بحياتهم الخاصة .. وهمومهم .

حتى تأتى هذه اللحظة العبثية من هذا الملاكم الشهير ، بطل العالم ، الذى أصيب فى عظام كتفه ، ويريد أن يظل فى الأضواء .. فيدبر مع مدير دعايته على التقاط أى ملاكم مغمور لينازله .. وهكذا يقع الاختيار على الملاكم «روكى» كمجرد اسم أعجبه «كأنه عنوان لفيلم مثير» !!

ويجد «روكى» نفسه داخل دائرة التحدى وعليه أن يثبت وجوده .

إنه لم يختر هذه المباراة .. ولا يفهم لماذا اختاروه هو بالذات ؟

ولكنه يخضع جسده لتدريبات شاقة وجادة .. ويلتف حوله الذين أهملوه من قبل ، انهم يريدون الآن أن يرتبطوا به ، ليضمنوا نصيباً من الشهرة والمال !

وهو أيضاً لا يفهم لماذا التفوا حوله الآن .. ولماذا يقدمون خدماتهم بهذا السخاء ؟!

وعندما تقترب لحظة المواجهة بينه وبين بطل العالم .. يشعر بالخوف والتردد .. ويبوح لأول مرة بمشاعره الى صديقته التى وقفت بجواره بصدق وحنان .. يقول لها بكل الألم : «لا أستطيع أن أفعل هذا .. لا أستطيع أن أنتصر عليه .. من أكون أنا .. لم أكن شيئاً .. ولن أكون .. وتبذل صديقته كل ما فى جهدها لاعادة الأمل اليه .. إنها تجد فيه تعبيراً عن قضيتها الخاصة ، وتستمد من هذا

التحدى وقوداً لصحوتها .

وعندما يصمد «روكى» فى هذه المعركة الشرسة .. يكون قد صمد من أجلها .. ومن أجل اثبات وجوده .. وبالتالى من أجل كل المطحونين أمثاله ، والضائعين وسط الزحام !

● البحث عن أسلوب للحياة

ولهذا السبب أقبل الجمهور على هذا الفيلم .. ليس حباً فى شخصية ملاكم .. ولكن بحثاً عن أسلوب للحياة ..

وليس من قبيل الدعاية ، أن يقول كاتب قصة الفيلم وممثله .. «سلفستر ستالون» انه تلقى عدداً كبيراً من الخطابات يقول أصحابها ان «فلسفة» روكى غيرت حياتهم .. فقد طبقوا قصة روكى على حالاتهم الخاصة فاكتشفوا انهم من الممكن أن يكونوا أفضل مما هم عليه الآن «موظفون أفضل .. مدرسون أفضل .. حلاقون أفضل .. المهم انهم استخدموا امكانياتهم فى أحسن صورة» !

● مواصلة الأسطورة

واستثماراً لهذا النجاح .. قام «سيلفستر ستالون» بتاليف الجزء الثانى من روكى .. والتى ظهرت بعنوان «روكى ـ ٢ ـ» وقام بتمثيله بالاضافة الى الاخراج أيضاً !

وفى الجزء الثانى يواصل هذا الخط الانسانى فى رحلة «روكى» بعد زواجه من صديقته التى وقفت بجواره .. ثم اصابته الشديدة فى عينه أثر ضربة فى احدى مباريات الملاكمة .. مما جعله يقرر الاعتزال .. ويكتفى بالحياة السهلة المريحة بين أثاث فاخر وملابس أنيقة .. حتى انتهى رصيده المالى .. وبدأ يبحث عن عمل .. ولكن دائماً ما كان يواجه بما لا يرضاه ضميره ومبادئه .. فيترك العمل أو يطردونه منه .. وتتأزم الأمور .. فزوجته تنتظر مولوداً .. وهو بلا عمل .. ويقرر أن يعود للملاكمة ، فهى الشىء الوحيد الذى يجيده .. وتقابل زوجته هذا القرار بالخوف عليه .. ويحذره مدربه من خطورة الملاكمة فى مثل حالته .. فأية اصابة جديدة فى عينه السليمة ، معناها العمى الكامل !! .. ولكنه يقبل التحدى .. ويعود للتمرين الشاق .. ويطلب منازلة بطل العالم فى مباراة أطلق عليها «مباراة العصر» !

انهانفس القصة .. بتفاصيل جديدة .

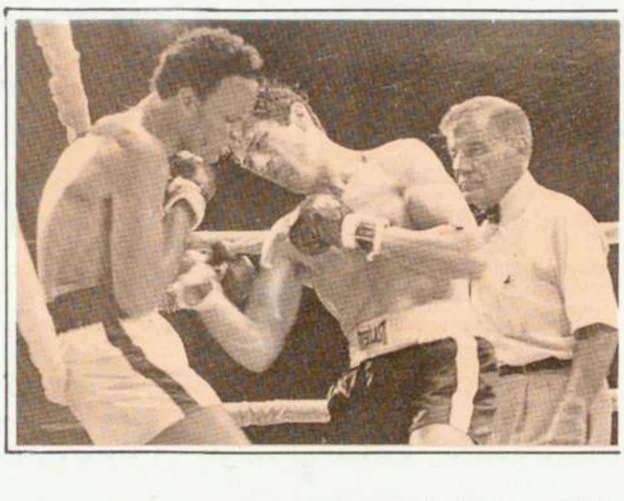
ولا يحقق فيلم «روكى ـ ٢ ـ» نفس النجاح الذى حققه الجزء الأول .. وان كان قد سجل اسم «سيلفستر ستالون» كأحد أشهر نجوم السينما وأكثرهم شعبية !

وهذا الممثل ، المؤلف ، المخرج .. عندما روى قصة حياته .. أصبحت جزءاً من الاسطورة التى يتداولها الجمهور الأمريكى عن «روكى» !

● الاصرار على تحدى الفشل

فهذا الشاب الذى لا يتجاوز عمره ثلاثة وثلاثين عاماً .. عاش شخصياً تجارب الفشل المتعددة .. فهو من أصل ايطالى ، هاجر والده الى أمريكا .. ونشأ فى الاحياء الفقيرة .. ولم يكمل تعليمه .. وحاول أن يغزو السينما ممثلا .. ولكنه فشل فى الأدوار الثانوية التى أداها .. وفشل أيضاً فى العمل ممثلا بالمسرح .. حاول كثيراً أن يثبت وجوده .. ولكن الفشل كان له بالمرصاد .. ويحكى هو قائلا :

«فى عيد ميلادى التاسع والعشرين .. كنت أعيش فى هوليود .. وليس لى رصيد سوى ١٠٦ دولار .. وفى هذا اليوم اشترت زوجتى قطعة من الكيك بدولار وربع .. وقالت لى تمنى أمنية .. وتمنيت أن نخرج من هذه الحالة البائسة .. فهناك طفل فى الطريق .. ولا أمل فى أية انفراجة قريبة .. وأخذت قطعة الكيك وجلست على مكتبى ، ورأسى تدور .. ما الذى يمكن أن أكتبه للسينما ؟ ما كنت قد كتبته من قبل كان سيئاً .. ماذا أريد أنا سيلفستر ستالون أن أشاهده على الشاشة واستمتع به ؟ ازدحمت رأسى بعشرات الأفكار ولم أستطع أن أركز على شىء .. ولكى أنصف نفسى ، أخذت ما تبقى من النقود المخصصة للترفيه ، وذهبت لأشاهد مباراة ملاكمة بين محمد علي كلاى وبين «شيك وبنر» من خلال دائرة تليفزيونية مغلقة .. ولم تكن المباراة فى بدايتها توحى بانها مباراة هامة .. بل كانت مجرد نكتة جماهيرية .. ولكن مع مرورالوقت تجسدت الدراما أمام عينى .. ها هو كلاى يسقط على أرض الحلبة ، والجمهور يشتعل بالجنون .. و «وبنر» يكمل الجولة الخامسة عشر أمام محمد علي العظيم .. وأحسست لحظتها أن «وبنر» كسب ليلتها أكثر بكثير من النقود التى سيقبضها .. انه يتوج رحلة مرانه الشاقة ويكفيه الآن أن يرفع رأسه عالياً .. ليلتها شاهدت نشوة الفرح والفوز .. وفى تلك الليلة ولدت شخصية «روكى» ..



الممثل «دى نيرو» فى احد مشاهد الملاكمة من فيلم «الثوار الهائج»



لقطة من فيلم «روكى ـ٢ـ» للممثل ستالون وهو يتدرب فى شوارع نيويورك



المثل «دى نيرو» مع ليزا مانيللى فى فيلم « نيويورك .. نيويورك »

رجل عادى قد تجده فى أى شارع .. والناس تنظر لروكى كجزء من التراجيديا الأمريكية .. رجل بلا مواهب .. ولكنه رجل مليء بالمشاعر والأحاسيس .. انه رجل يشبه الكثيرين منا .. وبدأت تتجسد أمامى الفكرة .. وكونت مع زوجتى ما يشبه فريق عمل فى مصنع لا يتوقف أبداً .. لمدة ثلاثة أيام ونصف .. الشمس تشرق وتغيب وأنا أكتب .. وزوجتى تنقل ما أكتبه على الآلة الكاتبة .. كنت مدفوعاً للانتهاء من السيناريو فى أسرع وقت .. بالرغم من أن أحداً لم يطلب منى شيئاً» !

ويستكمل «سيلفستر ستالون» روايته عن نفسه .. ليحكى كيف أصر أن يلعب هو دور البطولة فى الفيلم ، رغم كل اعتراضات المنتجين الذين أرادوا أن يرشحوا اسماء نجوم معروفة .. وارتفع أجر سيناريو «روكى» من ٧٥ ألف دولار الى ٢٠٠ ألف دولار .. وهو يرفض أن يبيعه إلا اذا لعب هو دور البطولة .. وقد كان له ما أراد .. وطموحه الفنى لا يتوقف !

فبعد أن حقق حلمه بالبطولة .. انتقل الى حلم الاخراج والذى تحقق له أيضاً .. ومازال يواصل أحلامه !

وهكذا تستمر الاسطورة ..

«روكى» فى الخيال .. و «روكى» فى الواقع ..

● «الثور الهائج» .. وقصة حقيقية لملاكم

وتتوالى الأفلام الأمريكية بعد ذلك ، تداعب هذا الوتر الحساس عند الجمهور من خلال قصص تدور أحداثها حول أبطال ملاكمة .. يثيرون الحماس .. أو يثيرون العطف !

هذه الأفلام هى : «البطل» ـ «الحدث الرئيسى» ـ «ماتيلدا» .. وأخيراً «الثور الهائج» الذى يثير ترحيباً ونقاشاً حيوياً بين عشاق السينما ونقادها ..

وفيلم «الثور الهائج» من اخراج «مارتن سكورسيس» وبطولة «روبرت دى نيرو» .. هذا الثنائى الفنى الناجح الذى قدم من قبل فيلم «سائق التاكسى» الذى فاز بالجائزة الكبرى لمهرجان كان ٧٦ .. ورشح الممثل «دى نيرو» لجائزة أوسكار أحسن ممثل .. ثم قدما معاً بعد ذلك «نيويورك .. نيويورك» عام ٧٨ .

وقصة فيلم «الثور الهائج» مأخوذة عن الحياة الحقيقية لبطل الملاكمة السابق «جاك لاموتا» الذى لمع فى أمريكا فى منتصف الأربعينات وأوائل الخمسينات .. وعرفه الجمهور ملاكماً قوياً يقاتل كالثور الهائج .. ثم جاء اعتزاله عام ٥٤ .. وكان اعتزاله قراراً متوقعاً من جمهور الملاكمة وخبرائها .. فجزء من مشكلة «لاموتا» ترجع لطريقته فى الملاكمة .. فهو مصمم على الاحتفاظ بالبطولة .. وهذه الفكرة حطمته تماماً .. وانتهت به الى حيث الانتقال مع زوجته وأطفاله الثلاثة الى فلوريدا ، ليفتح باراً على شاطىء ميامى .. ويفرط فى الشراب .. ويزداد وزنه .. ويزداد هياجه وثورته على أقرب الناس اليه .. فتطلب زوجته الطلاق .. ثم يصدر حكماً بايداعه السجن بتهمة تحريض فتاة قاصر على العمل فى محله كغانية .. ويستمر فى السجن ستة أشهر ، تكون بالنسبة له أقسى أيام العمر وأشد سوءاً من لحظات انهياره فى مباريات الملاكمة .. وعندما خرج من السجن ، اتجه الى التمثيل فى الأدوار الثانوية بالأفلام .. وعاش فى نيويورك بالقرب من الشارع الذى يسكن فيه المخرج «سكورسيس» !

● الإنسان الذى أسطورة نفسه

وقد صدر عام ٧٠ كتاب يروى قصة حياة الملاكم «لاموتا» .. وعندما قرأه الممثل «دى نيرو» أعجب بشخصية هذا الملاكم وأراد أن يقدمها فى فيلم .. وذهب يحمل الكتاب وفكرته الى صديقه المخرج «سكورسيس» .. وكان هذا منذ خمسة أعوام .. وفى البداية تردد المخرج أمام فكرة اخراج فيلم عن بطل ملاكمة .. فلم



لقطة من فيلم « روكى ـ٢ـ »

الملاكمون على الشاشة

● الأبيض والأسود يعود الى الشاشة

وقد تم تصوير الفيلم بالأبيض والأسود .. وهذا الأمر أثار الدهشة ولكن المخرج علق قائلا «بالاضافة الى المشاكل المثارة حالياً مع الشركة المنتجة لأفلام النيجاتيف الملونة .. فقد أردت أن يكون فيلماً مختلفاً عن كل الأفلام التى قدمت أخيراً قصصاً عن الملاكمين .. ويهمنى أيضاً أن تختلف نظرة المتفرجين الى فيلمى» !

ومن باب الاختلاف أيضاً قام المخرج بتصوير مشاهد الملاكمة بكاميرا واحدة فقط ، ثبتت خارج حلبة الملاكمة .. بينما كل أفلام الملاكمة السابقة صورت بأكثر من كاميرا ـ أحياناً سبع كاميرات ـ من مختلف الزوايا .

وبالرغم من أن الفيلم طوله الزمنى يصل الى الساعتين .. إلا أن مشاهد الملاكمة لا تتجاوز ١٥ دقيقة فقط .. ويقول المخرج «ان الموضوع ليس داخل حلبة الملاكمة .. بل خارجها .. وبالذات علاقة هذا الملاكم مع زوجته وأخيه .. انها حياة رجل تعامل مع كل من حوله بقسوة فى سبيل تحقيق حلمه بالبطولة .. كان يتصرف بطريقة حيوانية .. رغم الروح الشفافة التى كانت تتجلى فى شخصيته وفى تربيته الدينية حيث عاش فترة صباه فى اصلاحية للأحداث تحت اشراف أحد رجال الدين ، وهو الذى شجعه على رياضة الملاكمة» .

ورغم أن الملاكم السابق «لاموتا» مازال يعيش حتى يومنا هذا .. ويسكن بالقرب من منزل المخرج .. إلا أن المخرج لم يدعه لمشاهدة أجزاء الفيلم حتى بعد الانتهاء من تصويره .. ويبرر المخرج تصرفه قائلا : «كان من دعوته .. فقد غيرنا بعض الأحداث .. ومن العسير أن تشرح ذلك .. فحتى الفيلم التسجيلى قد يكن مقتنعاً بأن يخوض فى تفاصيل عالم الملاكمة .. ولكن اصرار وحماس «دى نيرو» وجلسات المناقشة التى عقدها المخرج مع المهتمين برياضة الملاكمة ، دفعته لأن يتحمس لاخراج الفيلم .

ويجيء الفيلم أميناً ودقيقاً تماماً لعالم الملاكمة .. حتى ان ناقد مجلة «الفيلم الأمريكى» التى يصدرها معهد الفيلم الأمريكى .. قال فى مقالة طويلة :

«يبدو وكأن عالم الملاكمة هو المكان الطبيعى الذى ولد فيه المخـــرج «سكورسيس» !

ويعلق المخرج قائلا : «أنا لا افعل أى شيء بدون اقتناع كامل» !

وقد تنقل سيناريو الفيلم بين ثلاثة من أشهر كتاب السيناريو الذين تعامل معهم المخرج من قبل فى أفلامه السابقة .. بغية الوصول الى الصيغة التى ترضى الممثل «دى نيرو» والمخرج ..

وعندما سألوا المخرج «سكورسيس» عما شجعه فى قصة حياة الملاكم «لاموتا» لكى يجسدها فى فيلم .. قال :

«لقد وجدت فيه نموذجاً للشخص الذى يعثر على نفسه .. وهذا شيء هام جداً فى حياتنا الآن وسط أمواج اليأس والاستسلام وعدم القدرة ، أو الرغبة ، فى اكتشاف الذات .. فالملاكم «لاموتا» هو باختصار قصة حياة شخص كسب شيئاً .. وخسر كل شيء .. ثم استرد نفسه» !

لا يكون ملتزماً تماماً بالواقع .. وفى قصة حياة لاموتا حذفنا أجزاء وأسقطنا أجزاء أخرى أثناء المونتاج» !

● الممثل العبقرى وماذا فعل ؟

ونأتى الى الممثل «روبرت دى نيرو» فهو فى هذا الفيلم يضيف فصلا جديداً من فن التقمص .. فمن المعروف عنه أنه يدرس كل ما يتعلق بالشخصية التى يمثلها .. الحركات ، السكنات ، أسلوب التعامل ، اللهجة ، الملابس .. كل شيء تقريباً .. فمثلا فى فيلم «سائق التاكسى» عمل فعلا كسائق تاكسى قبل تصوير مشاهد الفيلم ، وعاش التجربة كاملة بكل ظروفها ومفاجآتها حتى ينقلها الى الشاشة .. وفى فيلم «نيويورك .. نيويورك» ارتبط بعازف ساكسفون ليعلمه كيفية العزف على هذه الآلة .. وظل يتدرب على العزف وعلى كل الحركات الملازمة للشخصية لمدة ستة أشهر ، لدرجة أنه تمرن على عزف مقطوعة واحدة لسبعة آلاف مرة !! .. وفى فيلم «صائد الغزلان» عاش مع عمال مصنع للصلب ليتعلم منهم أسلوبهم اليومى فى العمل والحياة ..

ويقول «دى نيرو» عن فلسفته فى التمثيل :

«اننى أشعر باحتياجى الشديد للاقتراب جسمانياً وعقليا من الشخصية التى ألعبها .. ابتداء من عاداتها اليومية .. الى أسلوبها فى التفكير والمشاعر» .

وربما أوضح ماقيل عن لغز هذا الممثل الموهوب .. ما قاله عنه المخرج فرنسيس توبولا الذى تعامل معه فى فيلم «الأب الروحى ـ الجزء الثانى» .. إذ وصفه بايجاز شديد قائلا ..

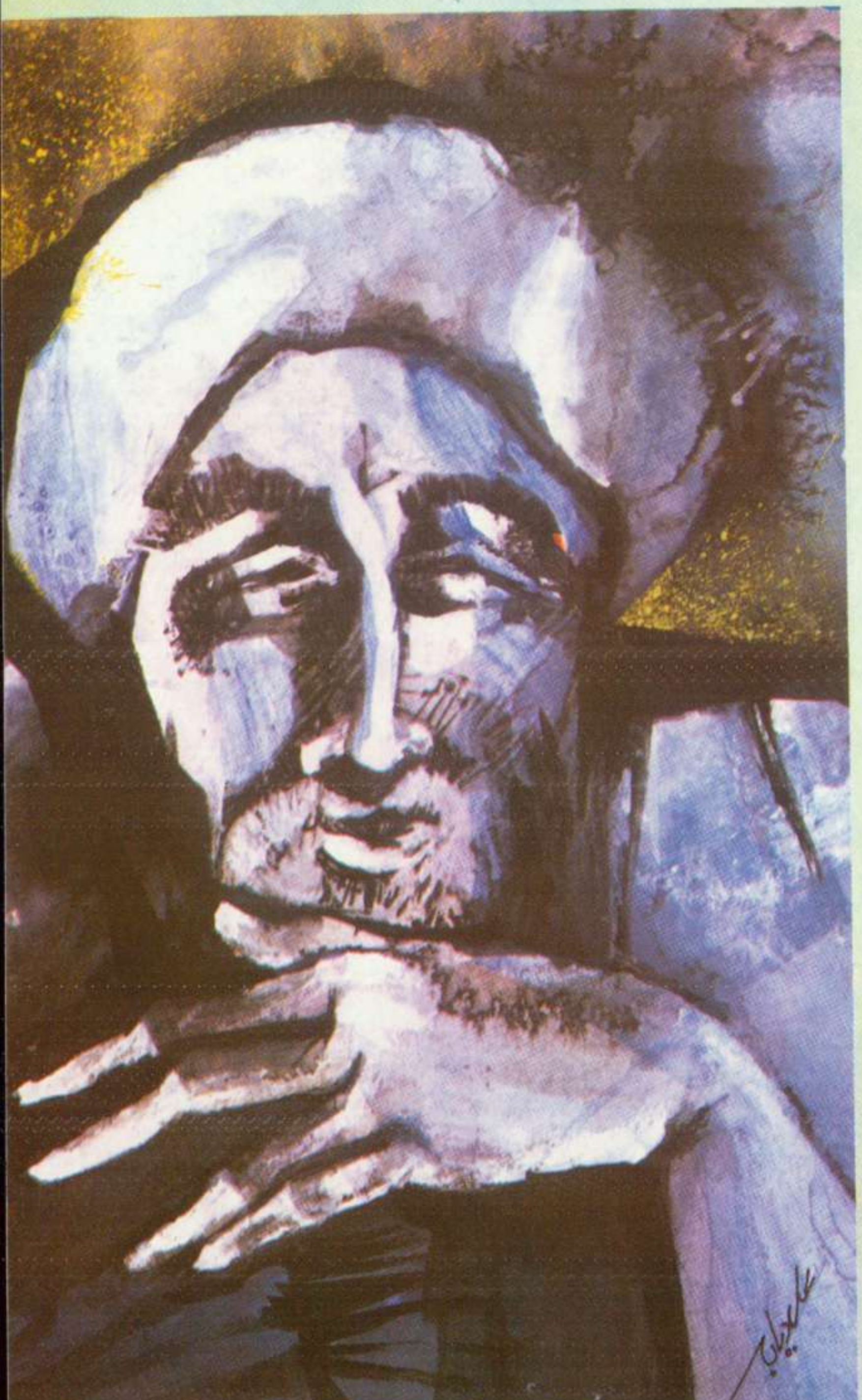
«انه فنان يعرف لغة الكاميرا .. ويعرف كيف يكلمها .. أحياناً أكثر مما نعرف نحن الذين نديرها» !

وقد فاز «دى نيرو» بجائزة أوسكار أحسن ممثل ثان عن دوره فى فيلم «الأب الروحى ـ الجزء الثانى» عام ٧٤ .. ومنذ ذلك التاريخ وترشيحات الأوسكار لا تخلو من اسمه .

«رءوف توفيق»

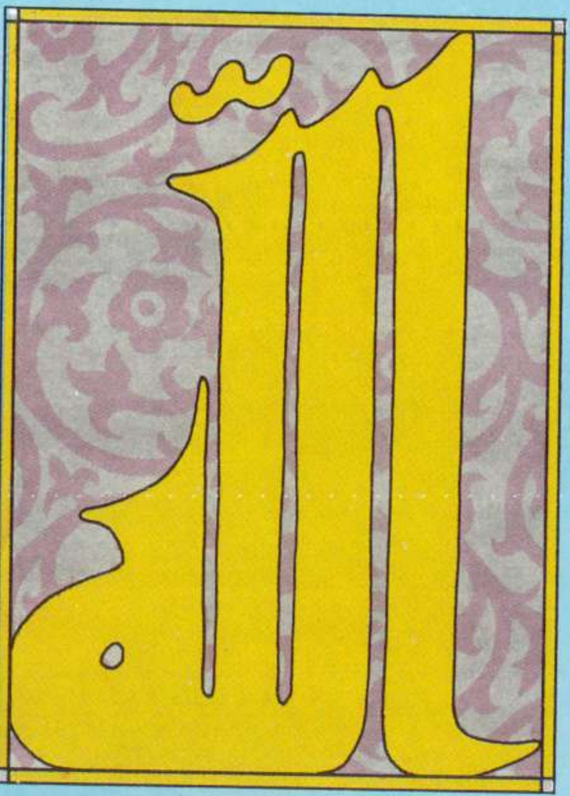
"غلام الله شهيدا"

شعر: د. محمد فوزي مصطفى
جامعة قطر

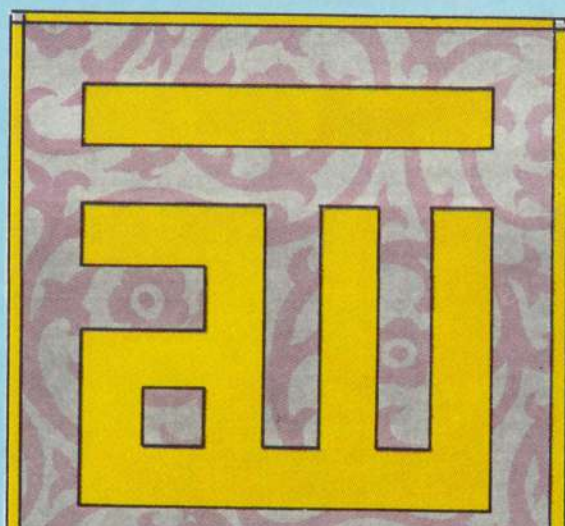


كان غلام الله صبياً فى السبعين
يرعى زهر الوديان الجبليه
لا يملك فى الدنيا غير ملاءة خز جرباء
وغنيمات لبناء
وعلى زند غلام غداره
يحشوها ببقايا بارود وحصاه
كل الوقت لديه صلاه
غليون يؤنس وحدته
بعد وفاة الزوجه .. ورحيل الأبناء
كان غلام الله
يمضغ بعض الأعشاب الطبيه
ويسبح لله تعالى سراً أودعه فى البريه
وتراءى للحالم فى الملكوت
سرب من أرتال حديد رقطاء
تتلوى فى حضن الوادى
وبلا إنذار
سمع المذياع يطالبه بالاستسلام
لم يسعفه الوقت لحشو الغداره
سيق غلام الله الى كابول
مخفوراً بين حراب العسكر
والدهشة تعلو ما بين الصدغين سؤال
من يحمى قطيع الأغنام
إن جن الجوع بذئب ضار حول الوديان. ؟
من يحشو الغداره

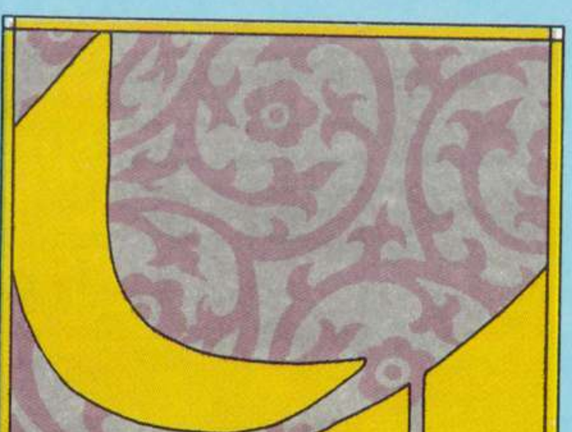
الله في الخط العربي



لفظ الجلالة ، عن خط كوفى للخطاط المغربى القندوسى ، أواخر القرن التاسع .

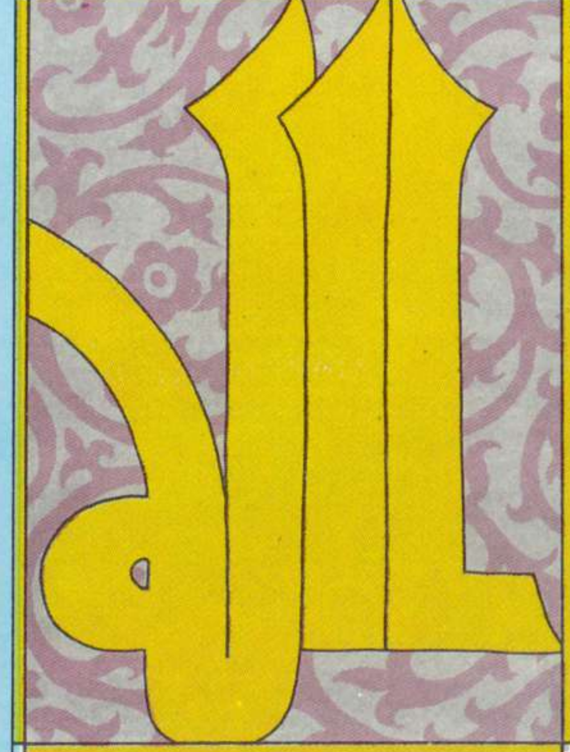


لفظ الجلالة ، بالخط الكوفى الهندسى ، عن واجهة مدرسة خارجيرد ـ ايران ، القرن الخامس عشر .

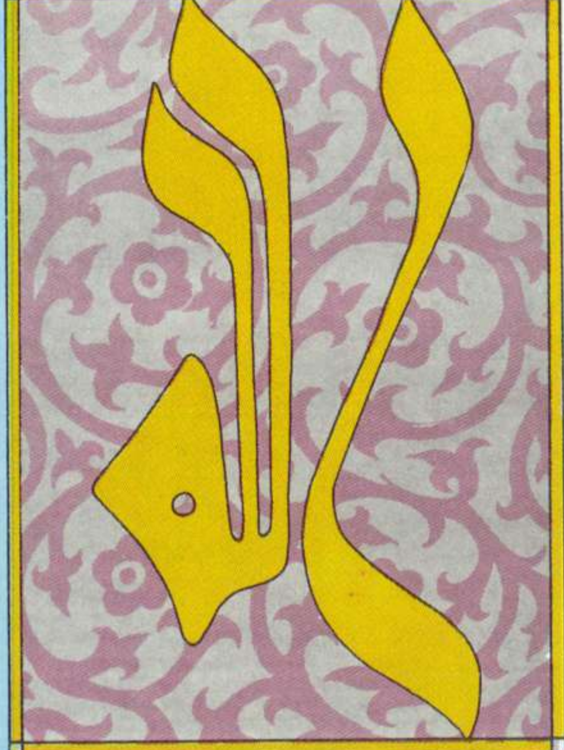


لفظ الجلالة بالخط الكوفى القديم عن مصحف من القرن التاسع ، سوريا أو العراق .

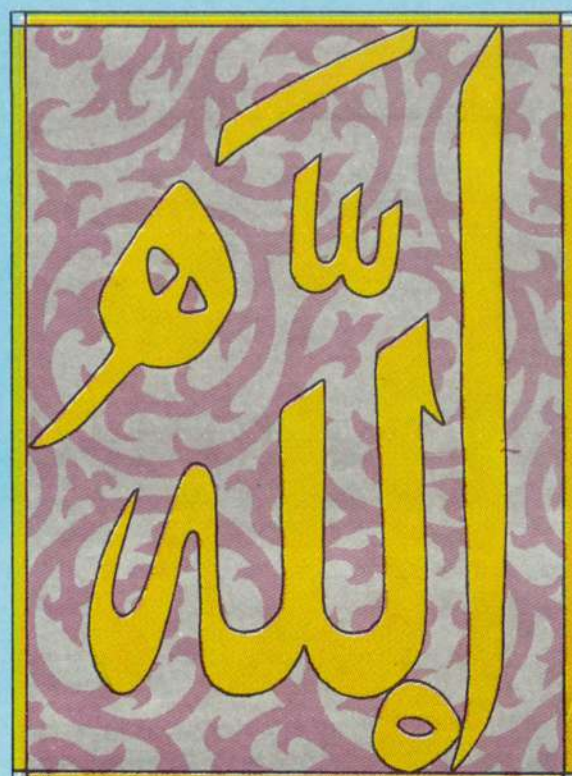
كان الخطاط العربى فى مختلف العصور «قوة» كبرى من قوى الحضارة والثقافة ، فالخطاط هو الذى كتب جميع نسخ القرآن الكريم منذ مصحف عثمان حتى ظهور المطبعة بل حتى بعد ظهور المطبعة ظل الخط هو الأسلوب الذى تعتمد عليه طباعة نسخ القرآن المختلفة، كذلك فان جميع كتب التراث العربى العظيمة مكتوبة بالخط العربى قرناً بعد قرن ، وقد أصدرت دار الشروق فى بيروت مجموعة من البطاقات ، واختارت الدار لفظ الجلالة ، من الخطوط العربية المختلفة فى الأسلوب والتاريخ ، وجعلت منها لوحات فنية بديعة ، وهذه نماذج من لفظ الجلالة «الله» كما كتبه الخطاط العربى الذى تربى فى مدرسة القرآن وآمن بالله ، ووضع كل موهبته فى كتابة لفظ الجلالة فى أجمل صورة .



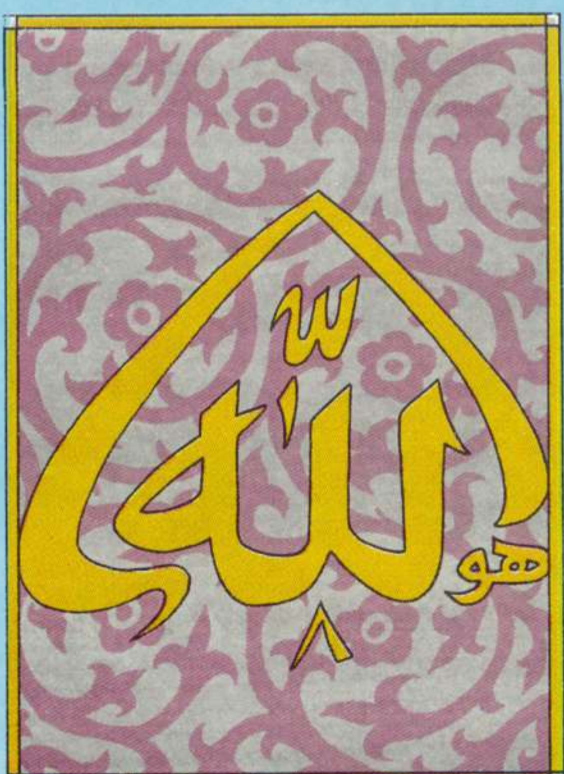
لفظ الجلالة ، بالخط الكوفى المعمارى ، من مدرسة السلطان حسن ، القاهرة .



لفظ الجلالة بالخط الكوفى النيسابورى .



لفظ الجلالة ، عن نقش على القاشانى فى مقام عبد الله انصارى ، هرات ــ أفغانستان ، القرن الخامس عشر الميلادى



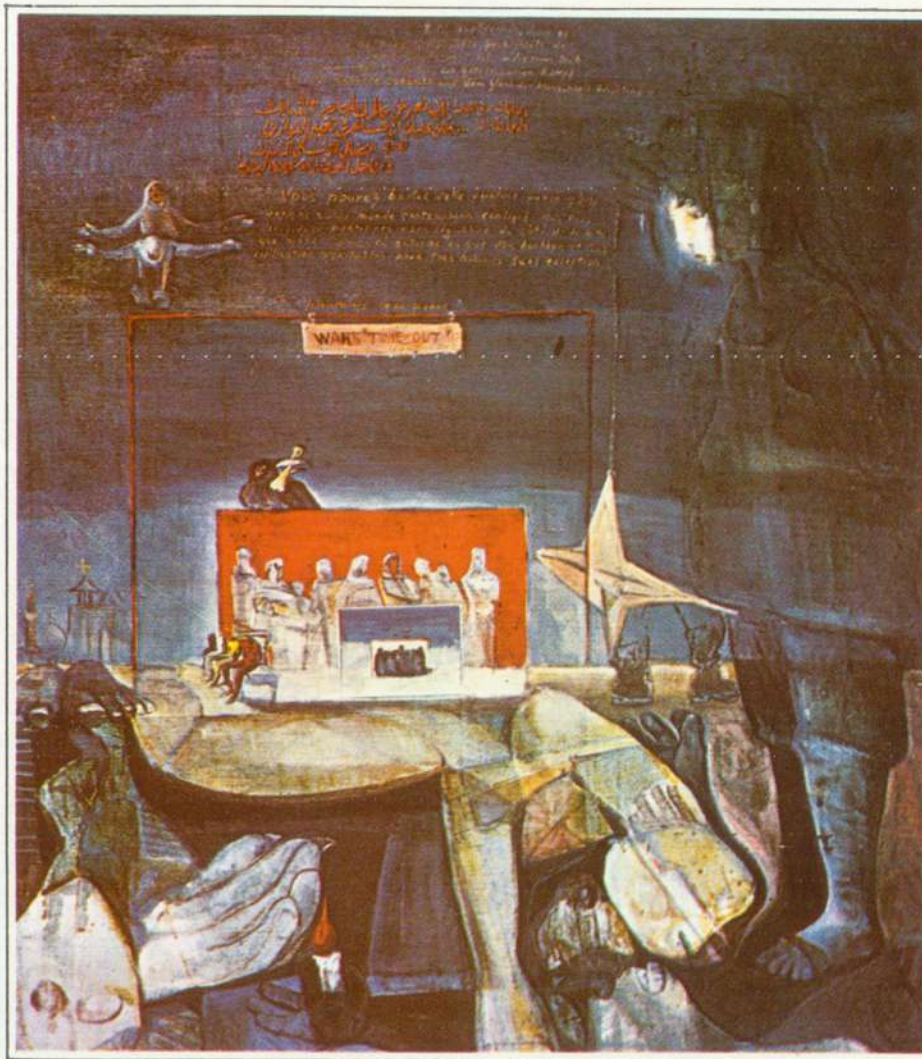
لفظ الجلالة ، خط بأسلوب التاج مأخوذ عن تطريز الكسوة الشريفة ، القاهرة ــ مصر .

الجمال والتفاؤل في الزمن الصعب

مجدي
نجيب

● تأكيد فكرة الجمال عند الفنان من خلال استلهام لفظ الجلالة و القرآن الكريم

● الطفل العربي بملامحه وكأنه أحد الأسرى في معسكرات الإهمال واللامبالاه من الكبار .. ولكن ؟!



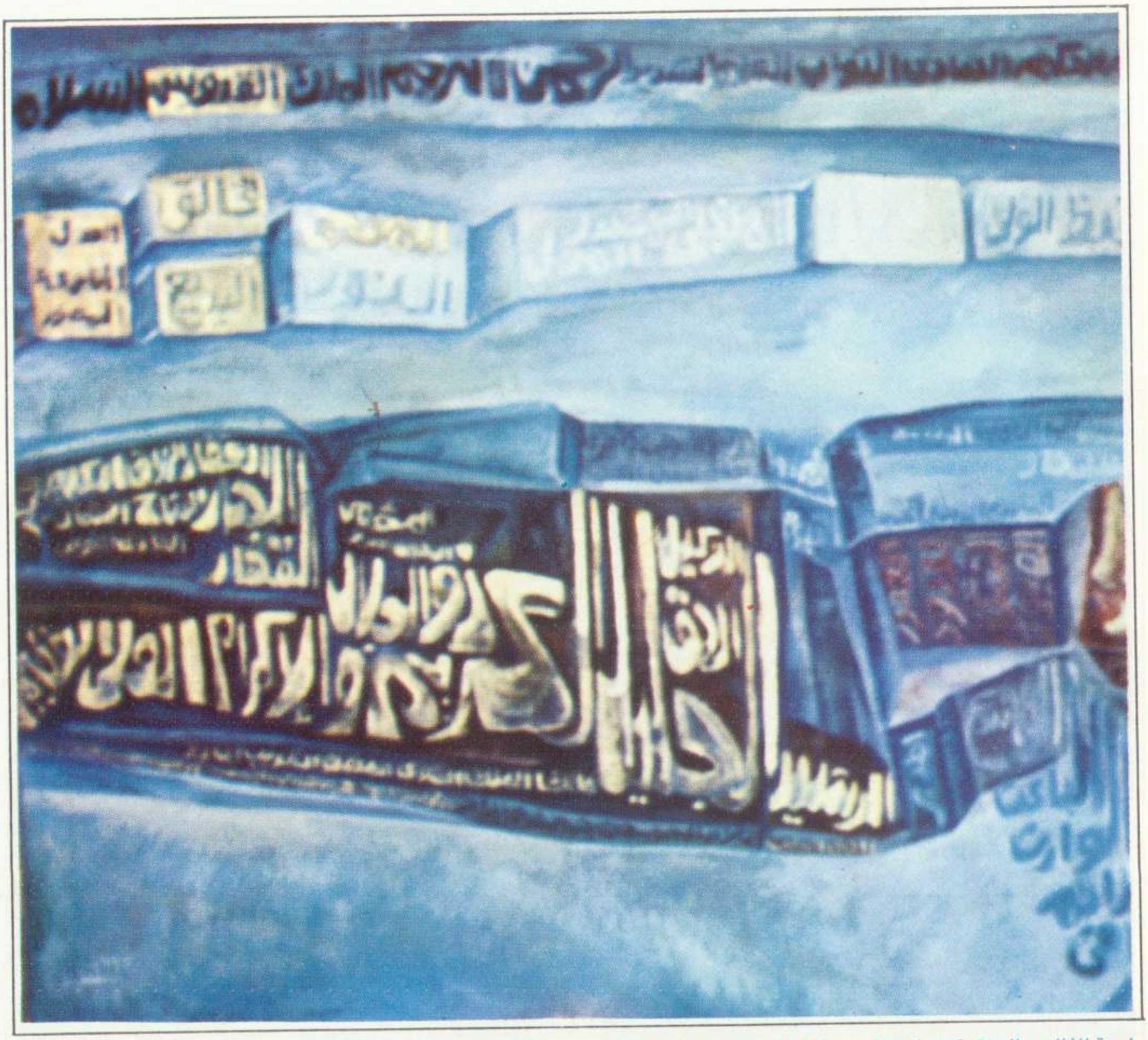
لوحتان .. الأولى بعنوان «عالمنا المتناقض» للفنان شوكت الربيعى .. حاول فيها استخدام الخط العربى والأجنبى وتوظيفه للتعبير عن الانسان المعاصر .. أما اللوحة الأخرى فهى لتكوين بديع لألفاظ الجلالة للفنانة عطية مصطفى .



الأسم : عطيه مصطفى .
العمل : فنانة تشكيلية .
مكان الميلاد : مدينة الاسكندرية .
هدفها : تاكيد فكرة «الجمال» من خلال لوحاتها .

فهى تؤمن أن الفن رسالة من خلال عالم الجمال الذى يحيط بنا ، رغم ضباب الزحام والتشويه فى الحياة والأشكال الاجتماعية .. والنفسيات نتيجة صراعات العصر والبشر .

فالجمال صفة من الصفات المميزة لانسان العصر الحديث والمعاصر ، وللانسان بشكل عام فى كل تطورات حياته الاجتماعية والانسانية والسياسية .



لوحة للفنان «هانس تروكس» استطاع من خلالها استلهام الخط العربى فى تشكيلات مبتكرة .

والجمال .. حقيقة ثابتة ، قادرة على جذب الفنان ، وكأنها مغناطيس سحرى يشده الى عالم من الدهشة والمحبة .. والرؤيا التخيلية ، المستقبلية ، صاعداً سلم الحق والخير للبشرية وللوطن بأبعاده الغير اقليمية .

وفكرة «الجمال» وقيمه الجمالية ـ بشكل عام ـ تميل الى تصوير التفاؤل وتخطى حواجز الرعب من المجهول .. والافلات من فوهات بنادق الزمن المصوبة الى صدر البشرية فى مختلف عصورها .. وهى قيم الى حد ما ـ نسبية ـ ، تؤدى بالتالى الى عملية استكشاف مستمر لاختراق أبواب ومتاريس الوجود للتعرف على حقيقته .

وقد حاولت واحدة من فنانينا التشكيليين الانطلاق فى طريق استكشاف وفك رموز الخط العربى وأبعاده .. والاستفادة من ألفاظ الجلالة فى القرآن الكريم ، فى محاولة جادة لتأكيد فكرة «الجمال» المتأصلة دائماً فى جذب الفنان بدهشته فى زمن الصعب ، زمن الرعب الغامض الى الكشف عن أعماقه ودواخله وعن الآخرين .. وعن كل ما يحيط به .

والفنانة التى نتحدث عنها هى : عطية مصطفى ، التى أطلق عليها نقاد فرنسا لقب «الحاجة» ، بدأت حياتها الفنية بشكل تقليدى فى محاولة للبحث والتعرف على العالم المحيط بها ، وكان ذلك عام ١٩٦٥ ، حيث كانت بدايتها الاشتراك فى معارض القاهرة والمعارض الخارجية ، ولم تكن فى تلك الفكرة قد توصلت بداية الانطلاق لمرحلة مميزة خاصة بها كباقى فنانينا العرب فى بداياتهم الفنية التى تعتبر فى أولها لعبة رمزية غامضة وسط هذا الكون المليء بطوفان الفوضى وأعاصير الحزن وتنهدات الألم وصهد الغضب وإيقاع الرعب .

فاقامت فى بداية حياتها الفنية أكثر من خمسة معارض ، كانت خلالها تقوم بعملية التجريب فى صبر .. ، وجاء معرضها السادس الذى خصصته كله عن «الطفل العربى» بمناسبة العام

الجمال والتفاؤل في الزمن الصعب



استخدام الخط العربى فى تكوين بديع يشكل هارمونى لونى .



أخر معرض لها فى باريس .. وصحفية فرنسية توجه لها سؤالا أثناء الافتتاح .

الدولى للطفل ، جزءاً من بداية موفقة للتعرف على نفسها وعلى ما يحيط بها من تناقضات ، وكأن العالم حولها فى تلك الفترة ، مثل معسكر تحيط به الأسلاك الشائكة من كل جانب .. وقد حاولت فى معرضها أن تتعرف - فى تخوف - على ذلك العالم الغريب المليء بالبراءة العذبة ، المعذبة .. والمعاناة قبل الأوان ، فصورت الأطفال فى عالم مسحور يحيطه التوجس والخوف من المستقبل وطلاسم ايقاع الحياة اليومية الذى يشبه أجراس الانذار .. ، فصورت الطفولة البريئة وهى تبحث عن نافذة ضوء مشرقة ، تطل على مستقبل أفضل فى دولنا النامية التى تهمل الطفل فى جميع أنواع حياته المعيشية ، من أول الكتاب والتعليم والموسيقى والغناء والاستمتاع بطفولته المفقودة .. ، الى فكرة لأى شيء ينتمى فى وطنه العربى ، وقد يرجع ذلك الى نتيجة صراع الكبار وعدم تفرغهم للاهتمام بعالم الطفل .. وكأن الطفل مخلوق هامشى على جانب الحياة .

ومع ذلك ، فقد ألقت الفنانة عطية مصطفى بفرشاتها وألوانها وجلست تتأمل فى انجازاتها ، وقررت الانطلاق فى طريق جديد .. فاختارت كلمات «القرآن الكريم» ومفرداته .. و «اسماء الله الحسنى» فى عملية تشكيل جديدة لمحاولة إبداعية ، وكأنها فجأة غرقت فى بحار الصوفية والتأمل الروحى بعد رحلة معاناة عمرها ستة عشر عاماً وهى





الفنانة وهى ترتدى الزى الاسلامى وتناقش فى هدوء ما أرادت أن تعبـر عنـه .

تضرب بفرشاتها على القماش للتعرف على عالم الكبار والصغار ، .. وفى النهاية ، اقتنعت أن ذلك الطريق لا يرضى أعماقها الفنية وأحاسيسها بالبحث عن الجمال من أجل رؤيا مستقبلية واضحة .

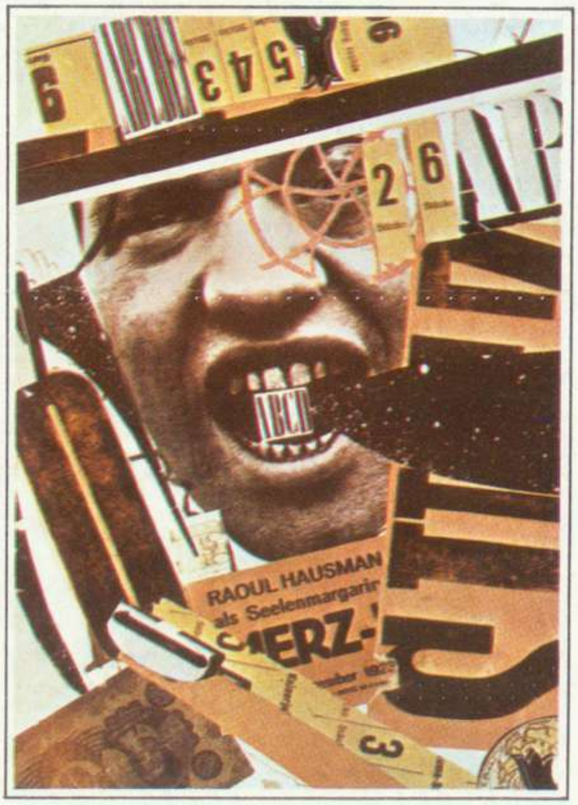
وكان انطلاقها المميز فى معرضها الأخير الذى أقامته فى باريس مع بداية عامنا الجديد ، حيث عرضت فيه ٢٢ لوحة جميعها مستوحاة من «القرآن الكريم» ، .. وهى تحاول بذلك الدخول من باب الروحانية الى اشراقة الرؤيا الصوفية والهدوء النفسى ، لفك رموز خطنا العربى بمعانيه القدسية المتألقة عبر كل العصور حتى يومنا هذا .

وهى فى لوحاتها المستوحاة من الخط العربى ، ليست واحدة من الرواد الأوائل .. ولكن سبقها فى هذا المجال العديد من الفنانين العرب والأجانب باستخدام الخط بشكل عام فى أعمالهم الفنية .

ولكن الفنانة عطية مصطفى ، استطاعت أن تتميز بانتقاء خطوط معينة ذات ايقاع متواحد له فى أعماق الانسان العربى جذور روحية أصيلة ، تجعله يشعر بالانتماء والراحة النفسية فى أثناء المشاهدة لتلك اللوحات فى عشق متجدد فى الزمن المادى الطاغى بغرائبه وأعاجيبه وابتكاراته التى لا تنتمى لأى جذور عميقة الأصل .

مجدى نجيب

مـــذاهـــب غـــريـــبة



الأبجدية (هول هوسمان)



رقصة دادية (هوس ١٩١٩)

الـــداديـــة

سوف نتغنى بحب الخطر والجسارة
وروح التمرد ..
سوف نشيد بالعدوان والسهاد
المحموم .
والخطوات الوثابة والقفزات
البهلوانية واللكمة على الأذن .
سوف نمجد الحرب والروح
العسكرية المدمرة .
وفن الفوضى الهدام ، والأفكار القاتلة.
سوف نزدرى النساء ، ونعاف الجمال.
هلموا يا مضرمى الحرائق أشعلوا
النار فى المكتبات .
حولوا الطوفان والأوحال الى المتاحف
لتغرق الفنون .

جمـــال قطـــب



تكوين (هوسمان ١٩٢٠)



لاعبو الورق (أوتو نكس ١٩٢٠)

لم يكن ذلك الصوت المطنطن الذى انبثق من ايطاليا صوت موسولينى .. وإنما كان صيحة مخربة أطلقها الشاعر الايطالى مارينيتى عام ١٩٠٩ ، أى فى وقت لم يكن قد سمع فيه أحد باسم موسولينى .. وكأنما كان يتنبأ هذا الشاعر بعصره المشئوم .. فمنذ ذلك الحين توالت على حركة الابداع العالمى نزعات واتجاهات انقضت على الروح الجمالية الوادعة وحولتها الى عناصر تجريبية جامدة خلت فى معظمها من عوامل التألق البصرى والايحاءات الجمالية المثالية !

واجتاحت (التجريدية) ميدان الفن .. وحطمت الجانب الموضوعى نهائياً .. وأبقت على جانب (الشكل) فحسب ، وسمى الفن بعد هذه الهجمة التجريدية باسم (اللاموضوعى) ! واستمرت النزعات التجريدية تتقاذف الفن باسم التشريح والتجديد والتصوف والتبسيط والاختزال .. حتى تسامى (تصوفهم) الى درجة النقاء الذى لا يشوبه أى (فن) وعرضوا لوحاتهم صفحة بيضاء .. خالصة .. تحت اسم (السوبرماسية) .. ولكن كل هذه النزعات والأسماء والمسميات .. تهون إذا ما قورنت بما حدث فى أحد مقاهى مدينة زيورخ عام ١٩١٦ .

المخاض

عندما تفاقمت الحرب العالمية الأولى حصدت أرواح الكثيرين من الكتاب والفنانين المهرة ، وتسببت فى تخريب المدنية الأوروبية .. وأصيب المفكرون والفنانون بالاكتئاب ، وسئموا الحياة .. وزهدوا كل أنواع الفن والابداع وثاروا على المدنية الحديثة الزائفة ، وركنوا الى اليأس والقنوط .. وجاء دور العامل النفسى الحاسم عند الفنان .. وهو الشعور بالضياع والظلم تحت وطأة الدمار الشامل والمحادثات الدبلوماسية المخادعة وفضائح مقاومات الرأسمالية العالمية وانتشار الالحاد وغياب القيم وسيطرة القوى المادية الشرسة ..

... اجتمع الفنانون فى مدينة محايدة فى سويسرا هى (زيورخ) وكانت هذه المدينة مأوى لأفواج المهاجرين من أوروبا الوسطى من ألمانيا ورومانيا وهنغاريا .. وفى نفس الوقت وفد من نيويورك مجموعة أخرى من الفنانين الذين لجأوا اليها فى بداية الحرب ، وكان من بينهم فنانون بارزون من أمثال (مارسيل دوشا) وفرنسيس بيكابيا وغيرهما .

وكان الشاعر الألمانى الشهير هوجو بال قد أقام عام ١٩١٦ منتدى أدبياً فى زيورخ على شكل مقهى ذى طابع خاص أطلق عليه (حانة فولتير) ، وقد أصبح هذا المنتدى الثقافى أشهر تجمع أوروبى يضم صفوة المفكرين من مختلف الجنسيات ..

الدادية

وتدارس الجمع تلك الظروف السائدة آنذاك .. وخرجوا بتصور عام لما آلت اليه الأحوال العالمية وخلصوا الى نتيجة مرة المذاق كئيبة الصورة .. وأعدوا أنفسهم للتعبير المأساوى عنها .

وفى الثامن من فبراير ١٩١٦ .. وعلى أثر اجتماع صاخب هادر فى مقهى شهير بزيورخ يسمى (مقهى تيراس) دفع الشاعر الرومانى تريستان تزارا الذى أصبح زعيماً للجماعة فيما بعد ، بقطعة من الورق داخل معجم (لاروس) جزافاً وبغير قصد ، وفتح المعجم ، ووجد أن شريط الورق يشير الى كلمة سخيفة هى (دادا) . وتعنى بالفرنسية : لعبة من الخشب على هيئة حصان . فوقف تزارا وأعلن كلمة (دادا) أسماً للحركة التعبيرية الجديدة .. فلاقت حماساً منقطع النظير من جموع الحاضرين الذين يعيشون مأساة الحرب وآثارها النفسية المدمرة !

وتكونت الدادية ، وشملت فنــون الرسم والشعر والأدب وكل انواع التعبير بأسلوب سلبى هدام مليىء بالهزل السخيف والتفاهات .. لقد كان مبدأ الداديين هو مهاجمة القيم وتخريب (الجماليات) ، ومعاداة الذين يقدسون الفن أو يحترمون الابداع الراقى .. !! وعموماً كانت أهدافهم هى السخرية من الفن ذاته ، وعرض كل ما هو قبيح وغريب وعابث وغير معقول !

فن ضد الفن

وكانت فلسفتهم ـ إذا كانت تسمى مجازاً بالفلسفة ـ تقول : لكى نناظر هذا الخراب والدمار الذى حل بالعالم ، فلابد من خلق فن يناقض الفن ذاته ! وأطلقوا على هذا المنهج «ضد الفن» .. ومن شعاراتهم : «كل شىء يساوى لا شىء !» إذن فاللاشىء هو كل شىء !!

ومن الغريب أن الدادية قد انتشرت فى أوروبا بسرعة جنونية ، وكان نجاحها يرجع الى عاملين أساسيين : الأول : أن طبيعتها المناقضة المتمردة على كل ما هو معقول ومنطقى . قد تمشت مع ما ساد العالم فى أثناء وأعقاب الحرب العالمية الأولى من شعور بتبدد الأحلام والاحباط وخيبة الآمال . والثانى : أن مظاهراتها الجنونية من معارض عجيبة وحفلات رقص شاذة ، وأمسيات لتلاوة (قصائد) من الشعر اللامعقول الحافل بألوان البلاهة المصطنعة ، كل ذلك قد وجدت فيه الصحف مادة غزيرة لتسلية قرائها ، الذين كانوا فى أشد الحاجة الى ما يفرج عن همومهم ومآسيهم ..

وقد اجتذبت هذه الحركة ـ لفترة وجيزة من الزمن ـ عدداً من كبار الفنانين من أمثال بيكاسو وجروز .. ولكنهم سرعان ما انصرفوا عنها ليمضى كل منهم فى طريقه الخاص بعد أن انحدرت الدادية الى هذه المستويات الدنيا من العبث والاسفاف !

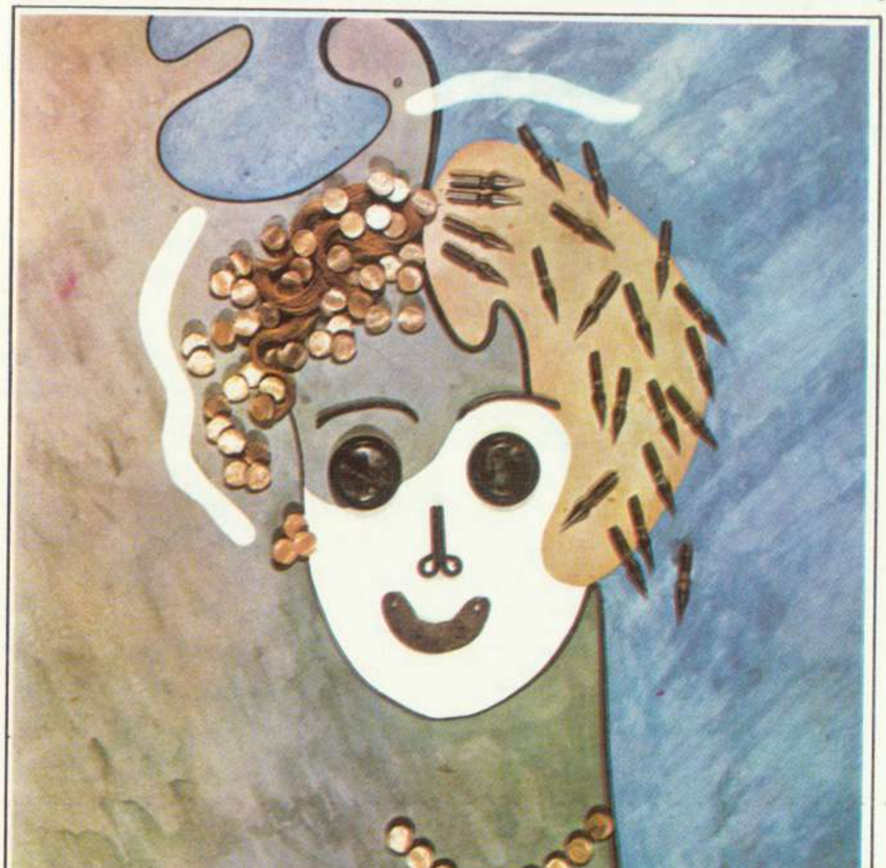
وفى نفس الوقت سارع الآلاف الى الانضمام لهذا (المهرجان) الجنونى .. ومعظمهم من صغار الفنانين والمهرجين ، بل من عامة الناس الذين لم يكن لديهم أى قدر من الثقافة أو الموهبة .. فقد كان من أيسر الأمور أن يصبح المرء دادياً .. وما عليه إلا أن يشارك فى أى شىء أو فى كل شىء من هذا العبث .

وكانت للداديين مجلة خاصة هى (كباريه فولتير) ، كما كان لهم معارضهم .. وأعلن زعيمهم (تزارا) فى ١٤ يوليو ١٩١٦ الاعلان الدادى الأول ، الذى سخر فيه بمرارة من الفن والعلم والفلسفة وعلم النفس ، ودعا الى التخريب والانحلال !

وقد اتسمت الاجتماعات بالفوضى والشغب والضجيج فضلا عن تعليمات زعيمهم الغريبة ! وعلى سبيل المثال : كانت تقوم هذه المعارض التى تزخر بلوحات من نوع شاذ : أحجار وعظام آدميين وقطع من الأنسجة المدرجة بالدماء وحيوانات وحشرات ميتة .. كل هذا الخليط العجيب مثبت داخل أطر على مسطحات اللوحات .. بشكل منفر ومقزز .. وكلما شعر المتفرجون بهذا (التقزز) .. إزداد العارضون بهجة وصخباً جنونياً .. حمى هستيرية أقامت الدنيا وأقعدتها باسم الفن !!

وفى جانب آخر ، نرى أن أحد هذه المعارض لابد للدخول له من المرور عبر

وجه فتاة .. حشد من الأشياء الصغيرة كالسنون والزرايز والخيوط وقطع الحديد (فرانسيس بيكابيا)





احدى لوحات فرنسيس بيكابيا من الاخشاب والريش والالوان .. اشياء لا يحكمها منطق

ممرات داخل حمام شعبى مظلم ، جلس فى أركانه فتيات يقران شعراً فاضحاً ويأتين بحركات مبتذلة .. ويتقدم (فنان) من الداديين هو (دى شام) ويعرض لوحة نقل فيها صورة (موناليزا) التى أبدعها دافنشى ، ولكنه وضع لها شارباً مقوساً بصورة هزلية ساخرة !

وفى بعض الأحيان ، كان عدد من الشعراء يقرأون أشعارهم معاً فى نفس الوقت بصوت جهورى مزعج ، تصاحبه الأجراس الكهربائية والموسيقى الصاخبة .. ويقف جمهور المشاهدين ، وقد وضعوا أصابعهم فى آذانهم ، وهم أيضاً فى هياج مثير !

وكانت هذه المهرجانات الدادية لا تنتهى فى العادة إلا بحضور الشرطه وسقوط الجرحى فى ساحات الاجتماعات التى غالباً ما كان ينالها التحطيم والتخريب !

كلمة حق نقولها

فبالرغم من العزم الصادق عند الداديين لتقليل أهمية الفنون والآداب ، وحتى العقل نفسه ، وبالرغم من الهزل السخيف والتفاهات التى كانت تزخر بها منتدياتهم ومطبوعاتهم ومهرجاناتهم ..

إلا أن التاريخ ليشهد بالذكاء الحاد الذى كان يكمن وراء هذا المذهب : فلقد أبدع (عدو الفن) أى فنان الدادية أعمالا رائعة رغماً عنه . وكتب (مقاوم الشعر) وهو شاعر الدادية أشعاراً ذات رؤى جديدة أضافت الى فن الشعر آفاقاً رحبة جميلة . وبينما يمكن القول بصدق ان مذهب الدادية لم ينتج فناً عظيماً ، فقد كانت الأفكار والبدع ، وحتى السخافات ، منطلقاً ونقطة ارتكاز لكثير من الفنانين فى السنوات المقبلة لأن يكونوا فنانين متألقين عالميين ذوى مواهب متفتحة تفيض بالثراء الابداعى ! وما الفنانون السيرياليون ومذهب السيريالية الذى أعقب الدادية إلاثمرة من ثمرات الحركة الدادية ..

أما الشعراء ،وقد غلب على أسلوبهم الطابع الهجائى اللاذع ، إلا أننا - بالرغم من عدم تناسق معناه ومبناه - نلمس معان وصوراً غاية فى الجمال ، وهذا واضح كل الوضوح فى قصيدة زعيم الدادية ترستان تزارا فيقول فى احدى قصائده :

- فى داخل نفسك .. مصابيح تدخن
- مستنقع من العسل الأزرق
- القطة القابعة فى ذهب الفندق الفلمنكى .
- تهدر .. ثم تهدر
- كثير من راكبى الدراجات فى لون رملى أصفر
- القصور الجديدة للآباء
- انك تدخل مسرعاً فى دخيلة نفسى
- الكانجارو فى أمعاء القارب الناعس !

وبتعبير آخر عن روح الحركة الدادية نجدها مجسدة فى لوحاتهم التى خلدها تاريخ الفن .. حقيقة لم تصل الى ذروة القيمة الفنية ، ولكنها كانت كنذر الصواعق التى تعلن عن اقتراب ثورة جديدة فى عالم الفن المعاصر . وحدثت هذه الثورة فعلا فانتزعت للقرن العشرين ملامح فنية مميزة لا تخطئها العين !

... وتداعت أركان الدادية كحركة فنية .. وغربت شمسها عام ١٩٢١ .. وكان العالم يتغير حينذاك الى الأحسن ويحدوه الأمل فى أن تعم روح التفاؤل فى أوروبا كلها .. أى أن هناك حركة رومانسية جديدة فى طريقها الى الظهور .. وتوارت الدادية .. إذ لم يعد لها ما تستند اليه من مقومات الحياة .

وقد وصف احد الفلاسفة نهاية الدادية بقوله : لقد ازدهرت الدادية فى جو الكآبة والدمار ، وتداعت عندما أشرقت على العالم روح الأمل والتفاؤل !

لقد كانت كالخفافيش لا تحيا إلا فى حلكة الظلام !

جمال قطب

ناهض منير الريّس

وفــــاء

● شقيقة الشاعر ولدت فى مدينة غزة سنة ١٩٤٥ . وتلقت علومها الثانوية فى مدرسة الزهراء بغزة . وحصلت على اجازة قسم الآداب فى اللغة العربية من جامعة القاهرة . كانت شاعرة وأماً صالحة . توفيت من مرض السرطان فى مستشفى رويال مارسدن فى لندن فى ربيع عام ١٩٨٠ .



على رُدُهات المشافى المضيئةِ وَسْطَ الضبابْ
سأكتب تذكار حزنى
متى كف هذا السحابْ

● ● ●

سأكتبُ سطراً بفحم الحريق ، وَسَطْراً بأظفارى الناشبه
وأملأ جدرانها الشاحبهْ
بشِعرى ، كصيحةِ وحش جريحْ
يفاجئهُ ـ وهو يطلع فى غابة الموت ـ غيم وريح
يفاجئه برد أسود يتساقط فوق الجروحْ

سأكتب فوق (جناح الأشعة) حتى أصب شعاع عيونى
وفوق (جناح الجراحة) احفر بالظفر أوجاع روحِ الحبيبة
ثم أغير على رُدهة (الكيمياء) ، فاحقن فيها جنونى
وأبكى هنا وهنا كَ ، ومن فرط قهرى أصيحْ

● ● ●

سأكتب فوق جناح الأشعة عن صمت آلاته المفزعه
ومشهدها المتنكر بالأقنعه
وأنَفَتِها المستحيلة بعد انقضاء السنهْ
ألا أيها البهو : إن العصافير فيك تموت وليس تغردُ .. أنتَ قبيحٌ .. قبيحْ ..
وتشبه قَبْراً ، وفيكَ برودته . أيها الموت : أنت فسيحُ فسيحْ
أظنك وارَيْتَها فيك مذ دخلتك وقالت سلاما
وقد افزعتها صرامة هيئتك الحجريه
وأحسبها عَرَفَتْ خَفَقَانَ الفؤاد ، ومَسَّت بمنديلها عرقاً بارداً ، وهنا بدأت تتفحص موقعها كالجنود القدامى .
إذن لا سبيل سوى للصمود ، وخير لمثلِك أن تتجلدَ ، خيرٌ لمثلِك أن تتجلد ، خير لمثلك أن تحبس الدمع إلا لماما
إذا استندت فى السرير وعاودها طيف أطفالها الأربعة .
فمدتْ إلى رسمِهم يَدَها ، تتأمل نظرةَ عينِ الصغيره .
ويارب ! كم هى ناعمة ناعمه
أليس الوجود مخيفاً على هذه النظرة الحالمه
ولكنها ـ مع ذلك ـ تزجى ابتساما !!



• • •

ساكتب فوق جناح الجراحة عن صف تلك المشارط فوق صوانيها المعْدَنيه
فيا طالما ارتد من رهبة بَصرُ الناظرينْ .
اذا انشق باب وقد عبروا مسرعين .

• • •

وطالعهم حد شفرتها ، يتوعد بالبتر والقطع ، بالسيف والنطعْ .
كيف بغاليتى وهى جاءت على موعدٍ ؟!
تم تزدرد الريق . تنطق صُفرتها بانبعاثةِ خوفٍ عميق .
وحنظلة فى اللهاة تفح بخاراً كريه السخونة : أىُّ المشارط
أرهف حداً ؟ وأى الأطباء أثبت زنداً ؟ وهل يتوقف زحفُ
العدو الضرير الأصم إذا قطع النصل ثدى الأمومة ؟ أمْ
يختفى الذئب ثم يعود بناب أحَدّ ، لينهشَ ، ينهشَ ، يمتد ،
يمتد ؟ رباه ! ما هذه الظلمات ؟ وهذى الأسرة والهمسات ؟
وخَجْلى هى الشمس خلف النوافذ أشرق منها شعاع وغاب شعاع .
نهار ملفق
وليل مؤرق .
وقُبّرة لا تطير .
تعلق منها الجناح بشوك السيلج
تعلق بالحائط الجهم ، والسقف ، والمزهريات ، والقطرات ولوح الزجاج .

• • •

سأكتب فى رُدْهة الكيمياء عن الابر المستدقة ، مصاصة الدم ، كل صباح وكل مساء .
عن الوخز فى الغفوات القصيره .
وعن قطرات المحاليل ، إذ تَتَنزل فى عرقها قطرة قطرة ، توهن الصخر والصبرَ والساعد المرتَهَن .
وتَصْلُبها لتكابد — بعد الذى كابدته — صراع الزمن .
كأن الثوانى أدركها الداء فانتفختْ ورماً ، طَفَحَتْ بالبثور ، وعلّقها مارد فى الهواء .
ودبت عليها نِمالٌ ضريره .
تدور على حافةِ الغثيان ، وتسقط فوق بياض الملاءة ، مَوْجَ خواطِرَ سوداءَ قادمةً فى كفن .
ستار النهاية ، ثم يكون الصفاء
إذا هَدّ فاسُ العذابات سِجْنَ البدن .
ولاح الضياء ..
— هو الموت .
— لو أنه الموت !
— لكن متى ؟
— اقبلوا يا أهالى السماء ، ولا تمكثوا فى الغيوم . تعالوا الى من تمدت لكم يدها ..
اقبِلوا بالعَزاءِ .. العزاءِ .. العزاءْ .

• • •

وداَعاً وفاء .

• قصـــة قصـــيرة •

عن الغول والعنقاء

حمـــدي الكحلوت

أ ـ الربوة

فى لحظة صفاء .. يرق الجبل .. تشف القمة عن وجه صبوح .. ويزهو السفح بخضرة غريبة كأنى أراها لأول مرة .. تتلاحق فى البعد غيمتان .. أتابع بينهما المساحة الزرقاء وهى تنكمش بالتدريج .. ويدور الرأس .. النوم محرم .. أستند برأسى الى جدار القلعة .. أحتضن أجزاء «الدكتريوف» الدافئة .. أشارك فوهته الطويلة التحديق فى الأفق البعيد .. من هناك يطل وجه أمى .. جميلا .. شاحبا .. تصرخ واقفة .. تهتز الأرض تحت قدميها .. أستيقظ دفعة واحدة .. فى ضوء الحجرة الخافت أتبين المشهد الرهيب .

كانوا ثلاثة .. وأمى واقفة بينهم .. تصرخ .. تنشب أظافرها فى وجوههم تتشبث بالأرض والجدران .. وهم بأجسامهم الضخمة يردون بجزء يسير من قوتهم وبكل قدرتهم على الضحك والاستهزاء .. لم تكن المعركة متكافئة بأى حال .. تضيع صرخاتها فى الهواء .. والليل طرف رابع يغطى الجريمة ويفتح فاهاً واسعاً بالسخرية .. يبتلع الصراخ والاستغاثة .. والضحك وأنا أختلس النظر من تحت الغطاء .. الرعب يشل أطرافى عن الحركة .. أربع سنوات لا تكفى حينذاك لاستيعاب المشهد .. لكن الذاكرة الطفلة .. تلتقط الصـــورة وقسمات الوجوه القبيحة .. وخطوط الألم والصراخ تؤطرها .. تختزنها .. تذيبها .. وتصنع منها تعويذة أفعال .. حصناً لأيام القحط والموت .. ويخفت الصوت المكمم .. ويقتادونها مكبلة .. ترفرف بذراعيها .. لكن السكين تغوص فى الخاصره .. فتخرس بقيّة المقاومة .. ويبتعد صوت أقدامهم وجلبتهـم .. فيهجم على البكاء .. حتى الصباح .. دون مغادرة الحجرة .. أو فهم لما حدث .

ب ـ الحضيض

المخيم لا يفتح ذراعيه .. مقبرة نعم .. وليس لكل الأموات .. مدرسة نعم .. وليس لكل التلاميذ .. وإغاثة نعم .. وليس لدرجة الحياة .. وجدى يتولى إكمال المهمة .. سبعون عاماً .. وأربعة أخوة .. وغرفة واحدة .. نعمة .. بل نقمة .. لا هذه ولا تلك .. بل هى بداية البداية .. ففى أوحال المخيم نمت بذرة وحلمت أن تصبح سيفاً .. لا تكتفى بشق التربة وتمزيق الخيمة فقط .. بل تغمد فى قلب الأعصار .. فتنهى اسم الغربة .. أن تصبح بيتاً للشمس والعصافير فيبتسم المقهورون .. وتنبت زهرة فى مرقد كل شهيد . وينعتق الحب من الأسر .. وينضب معين الأحزان .

ـ اسمع يا ولدى .. واهتزت لحيته البيضاء المهيبة ولوح لي بأصبع أمام عينيه : لا أعرف فيما تفكر .. لكن عليك أن تفرح لأن الشتاء القادم لن يأتى ونحن فى نفس الخيمة ..

ـ نعم يا جدى .. سقف القرميد أرحم .. بل انى اكتشفت أن ضيق حجرتنا فيه مزايا كثيرة .. فهو مع البطاطين القليلة والأنفاس الكثيرة أحسن وسيلة لدرء هجوم البرد .. والجوع .. والتفكير ..

ـ انت لم تعد صغيراً .. وانا لم أعد اقوى على حمل أكياس التموين .. انكمش جدى داخل معطفه الأبيض .. سعل وحوقل فأسرعت أجيبه الى ما يريد وأنا أربت على يده المعروقة :

ـ منذ الدورة القادمة سأذهب معك الى المركز .. آن لك أن تستريح .

وعبر الأزقة فى المخيم الكبير .. عرفت طريقى الى المركز .. ووراءك يا جدى أشق زحام الجياع .. أفتح الأكيـــاس .. والصفائح الفارغة .. حفنات من الدقيق .. والسمن .. والصابون .. وأطنان من المر والمذلة .. تغوص فى الجراح الكامنة .. فتلتهب الذاكرة بما فيها .. تستحضر صورتها .. وبؤرة الألم .. والوجوه الثلاثة .. لقد بدأت أتعرف عليها .. لم تعد مجهولة تماماً كالأمس ..

ـ عدت الى التفكير بصوت عال .. لا يهمنى ذلك .. يا ولدى خذ البطاقة انهم ينادون علينا .. لقد جاء دورنا .. ولا تنس أن تأخذها معك الى العيادة .. لتعالج أخيك الصغير .

ـ نعم .. سأقف فى طوابيـــر المصدورين وأنصاف الأموات طويلا فى انتظار حبة الأسبرين .. وأقراص التخدير . وأتسمع أخبار الأم عبر الأناشيد والطبول .. والاجتماعات .. والعيون الحزينة .. والموت البطيء .

جـ ـ ما بينهما

.. الآن فهمت كل شيء .. فككت رموز الطوطم .. وتعرفت على الوجوه الثلاثة : الوجه الأول والثانى والثالث . بالاصغاء الى صوت الريح المجروحة عبر شقوق القرميد .. الى أنات الجرحى فى الليل الطويل .. الى نشرات الأخبار ورسائل المشردين .. الى أحاديث الجد عن القرية والأرض .. اكتملت صورة الوجه الأول .. يأتى فى نهاية قامة طويلة .. أملس كجلد ثعبان .. أحمر كشعلة متقدة .. تتوسطه عينا ذئب .

كان يعتمر قبعة داكنة .. تلقى بظلالها على الجدار المقابل .. وتحفر فى جدار الذاكرة رسوماً عميقة .. عرفناه باسم الخواجة رغم أنه كان يلبس الملابس العربية ويرطن بلغة ثقيلة ويتقرب من الناس .. مظهراً ورعاً وتقوى ورقة جانب .. أحبه البعض .. ووثقوا به .. وكان حبهم خليطاً من المصلحة والاحترام والخوف .. كنت صغيراً .. لكنى لم أكن له إلا مشاعر الكراهية .. فى المرات القليلة



عن الغول والعنقاء

التى رأيته فيها ربما لشكله الغريب .. أو لابتسامته المتغطرسة .. أو لعبارات التحذير التى كانت ترد فى أحاديث أبى عنه قبل أن يعتقلوه .. وتحققت كل أحاسيسى بالشر تجاهه فى تلك الليلة .. كانت يده أشد وطأة فوق كاهل أمى وبرزت أنيابه البشعة وراء القناع الوسيم .

الوجه الثانى كان لمختار القرية .. ومن فى القرية لا يعرفه .. ولا يرهبه ؟ .. بملابسه الفضفاضة ونظراته الحادة .. ومسبحته التى يلوح بها دائماً أثناء الحديث .. كان يدعى الصداقة لأبى وكثيراً ما زار بيتنا .. وأذكر مداعباته الثقيلة لي كلما زارنا .. ومعه حاشيته ولا أزال أجهل سبب تلقيبه بالحاج رغم معرفة الجميع بعدم حدوث هذه الحجة ولا انطباقها على مشاريعه الكثيرة الآثمة .. وسلوكه المعروف .. وصداقته الوطيدة مع الخواجة .. ورغم ذلك فقد كان ثرياً ويتقرب منه الجميع ويغفرون له كل شىء ففى امكانه الترهيب والترغيب للكبير والصغير ولم يصدق أحد بأنه سبب مصائب القرية كلها أو أنهم يعرفون ولا يريدون التصادم معه حتى كانت تلك الليلة السوداء التى رافق فيها الخواجة علناً .

أما الوجه الثالث فقد لفه الغموض .. لم أشاهد وقتها منه شيئاً . كان مستديراً بظهره فى مواجهة فراشى .. لم أرصد منه سوى قامة نحيلة مسربلة بمعطف أسود .. وقطعة قماش سوداء مستديرة تغطى أعلى الرأس .. ولا أدرى كيف ثبتها فى قمة رأسه دون أن تسقط كل مدة العراك .. والأغرب من هذا كله تلك الجدائل المتدلية أمام أذنيه .. كان أكثر الثلاثة عنفاً وقوة . دفع أمى طوال الوقت .. غاصت سكينه فى خاصرتها ليجبرها على الحركة ولتكف عن الصراخ والرفيف بذراعيها ولتبتعد مكبلة أسيرة فى يديه الغليظتين .. لم يره أحد من قبل فى القرية .. يقولون أنه من أقرباء الخواجة ويهمسون أحياناً بأنه ابنه الغير شرعى .. لا أحد يعرف له قوماً أو موطناً .. ولا أحد يحبه لخبثه وعدوانيته .. حتى قريبه الخواجه ، وكذلك المختار الذى تشاجر معه أكثر من مرة لكن دون أن يتجاوز حدوده خوفاً من الخواجه الذى يعطف عليه وسبب مجيئه الى بيتنا فى تلك الليلة المشئومة .

د ــ المحك

يبدو أن تحديقى فى الأفق قد امتد أكثر مما يجب .. فقد بدأت حجارة القلعة تؤلم رأسى عند نقطة الارتكاز .. فى حين بدأت تعكر صفو السماء .. غربان على ارتفاع شاهق .. نعرف هذه العلامة .. نستعد لها .. تدور الفوهات فى كل اتجاه .. تتعالى أصوات الرجال .. ينشدون .. يردون بالفولاذ .. يتحركون بفرح كأنهم فى عرس .. استعدوا له .. ويعرفون عدد الوافدين .. وموعد قدومهم .. وطريقة التعامل معهم .. ونواياهم .

ذهب سرب وأتى آخر .. والأرض تئن وتهتز .. والرجال ثابتون .. هنا القمة .. البحر يقذف جحيمه والأرض تميد



بأهلها .. والجبل يكشر عن أنيابه هى الابادة .. وأصوات الرجال تختلط بالدخان الكثيف .. نحن هنا وهنا القمة تتماسك حجارة فى القلعة .. وتتساقط حجارة .. لم تعد تقوى على التعامل مع الفولاذ بعد المنجنيق .. ومع حصار الجو والبحر والأرض بعد حصار الأرض وحدها .. ورفاقى من حولى ينشدون لها .. نحن هنا وهنا القمة .. ويتوافد أهل العرس .. كلما تكاثرت الغيوم .. وتقبل الأرض وجه فتيانها .. تعانق شوقهم للحياة .. للشمس .. للأرض .. تمتص حبهم .. دمهم أحلامهم .. ولكنا نبقى هنا وتبقى هنا القمة .

رويداً .. رويداً .. تنسحب الفلول .. وتنقشع سحب الدخان الأسود .. والموت وتنعق فى الجو آخر بومة .. عائدة .. فأضمد الجرح وأحنو على مدفعى أنظف فيه الرماد .. وألتقط منظارى أراقب آخر مجموعة اجتازت الحد .. وتحدت .. لتنقل الى الأم السلام .. والاصرار .. وتسمع من فمها آخر الأخبار .. عن وجوه ثلاثة .. أسرتها ومازال .. أدور بناظرى على القمم .. فتبدو لي فى لحظة صفاء .. بعد العاصفة .. وقبل العاصفة ،، التالية .. ويبدو الجبل رقيقاً .. ويزهو السفح بخضرة غريبة .. وفى السماء تتراكض غيمتان .. أتابع بينهما المساحات الزرقاء تتشكل وتكون صوراً وأشكالا .. ولكن تظل العين مع الأفق البعيد .. وتظل فى الذاكرة صورة الأم والوجوه الثلاثة .. وخطوط الألم تؤطر الصورة القاتمة .. وصوت المذياع بقربى يتحدث عن الأصدقاء الثلاثة : «.. نعم .. فالخواجة صديق رغم كل شىء .. وهو لا ذنب له بأن ذراعه غادره .. عدوانية .. فصداقتنا معه هو وليس مع ذراعه .. الوجه الثالث له .. وعلينا أن نتضامن لنحارب ذراعه فقط .. ونبقى عليه صديقاً فهناك ما هو أشد خطراً علينا جميعاً .. هناك الغول والعنقاء والديناصور وأحلامنا ومعاركنا فى جزر الواق واق !!!» .. أعود الى الدكتريوف أحضنه .. أطوح بالمذياع بعيداً .. لتبقى الصورة رائعة .. تلك الآتية من الأفق .. ومع الغد ...

حمدى الحكلوت

د. محمد الغباشي ربيع

الخيول العربية

حكاية خالدة مع الشعراء وأبطال الملاحم الشعبية



● للخيول قصة عريقة وشيقة يقال انها كانت وحشية غير مستأنسة ثم كان أول من اعتنى بها هو اسماعيل بن ابراهيم . سخرها الله له فكانت أول من ركبها . وكان نبى الله داود محباً للخيل شغوفاً بها فجمع منها ألف فرس ورثها عنه سليمان فقال فيها «ما ورثنى داود مالا أحب إلي من هذه الخيل» .. وكانت تطلق على الخيل كلمة «الخير» لتفاؤلهم بها ، وبما كانت تجلبه من الخير فى الصيد ، والرهان ، وتحقيق النصر على الأعداء . وقيل إن «سليمان» جلس يستعرض خيوله يوماً ما حتى شغلته عن صلاة العصر ولم يبق منها سوى مائة فرس ، فأدرك فوات الصلاة ، فغضب ، وقام لصلاته ثم عاد لاستعراض المائة الباقية قائلا : «هذه المائة أحب إلي من التسعمائة التى فتنتنى عن ذكر ربى .»●

الخيول العربية





لوحات تمثل الخيول العربية فى التاريخ العربى .. عندما كان الفارس هو سيد القبيلة وحاميها .

زاد الطريق

ويرجع أصل الخيول العربية الى خيول سليمان بن داود ، فلقد جاءه جماعة من عمان بعد زواجه من بلقيس ملكة سبأ يسألونه فى أمر دينهم ودنياهم وعندما هموا بالرحيل سألوه على ما يعينهم على زاد الطريق فى رحلة العودة فأمر لهم بأحد خيوله لاستعماله فى الصيد فكان خير الزاد وأطلقوا عليه بعد العودة «زاد الراكب» . وكان زاد الراكب أول فرس بين خيول العرب من خيل داود مثلما كان زاد الراكب من أجود الخيول فقاموا بتزويجه من أفراسهم فأنتجوا من سلالته الهجين ، والدينارى . ثم توالت الأنساب والاحساب بين خيول العرب من سلالة زاد الراكب فكان منها أعوج ، وسبل ، وذو العقال ، وجلوى ، والخرز الى أن كانت مائة وسبعة وخمسين فرساً معروفة فى الجاهلية والاسلام ، وهذه الأسماء يعرفها من هو ذو خبرة ودراية بتاريخ الخيول العربية ولا يتسع الحديث هنا عن ذكرها بالتفصيل .

الخيول أولا

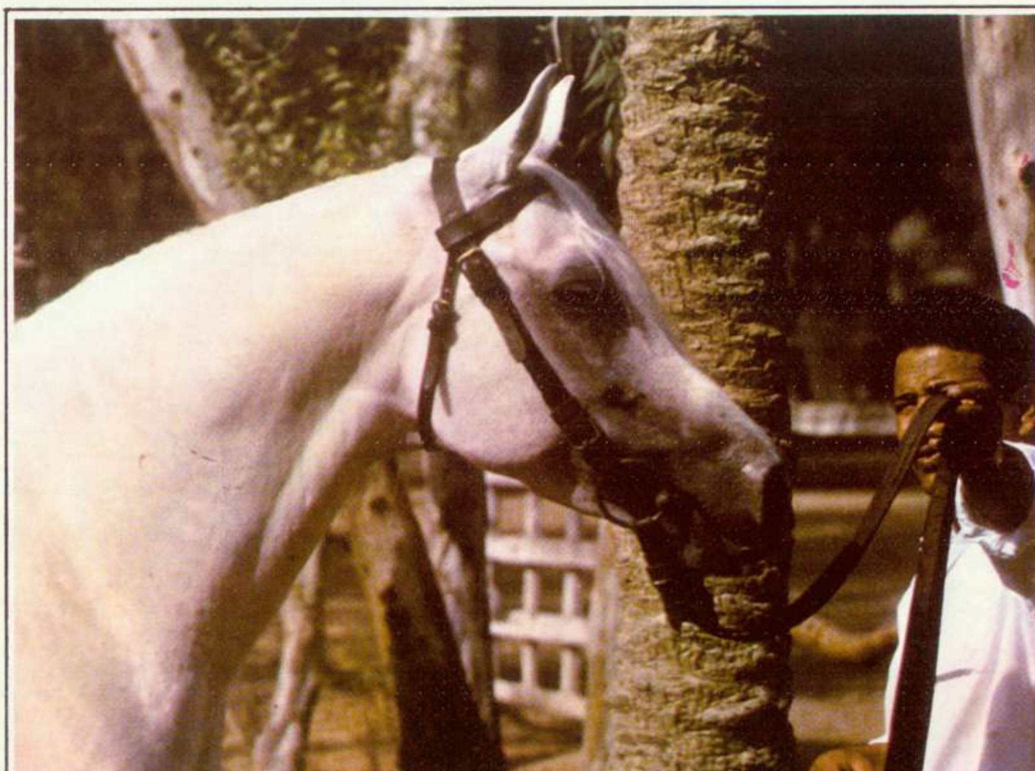
والخيول تنحدر من أصل الخيول البرية والتى كانت تعيش منذ بدء الخليقة فى آسيا وافريقيا .

● ماهي حكاية أول فرس بين خيول العرب؟ وكيف توالت الأنساب والأحساب في الجاهلية والإسلام؟

● كان العرب يفضلون الخيول على الأولاد.. وذات مرّة هجا عنترة قوماً لأنهم أهملوا خيولهم!



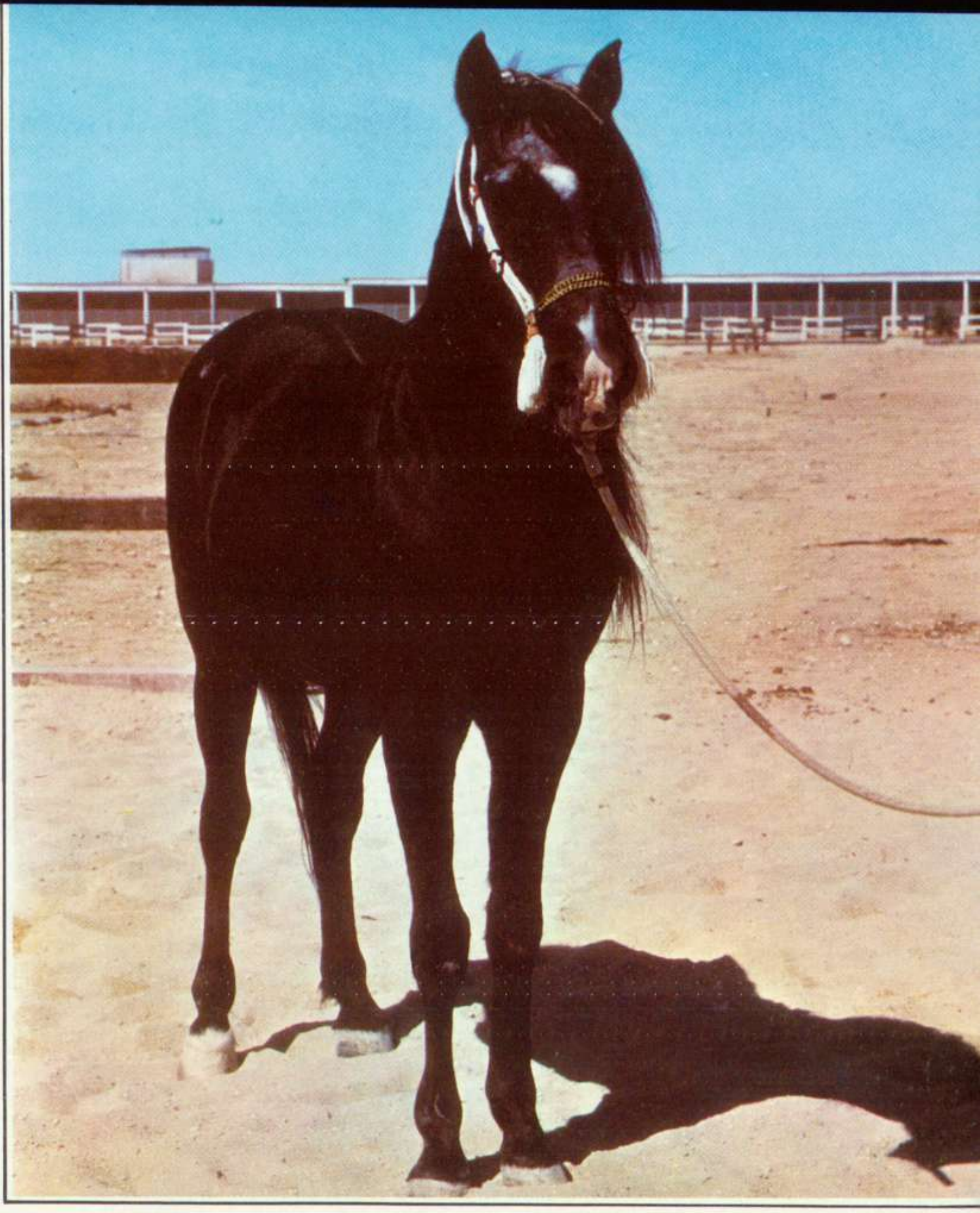
«وندان» اجمل الخيول القطرية .. وسهم اجمل الخيول العربية فى القاهرة .



الخيول العربية

● كيف ارتبطت أسماء الخيول بالبطولات والانتصارات والفروسية في الإسلام؟

● الحسناء التي وصفها امرؤ القيس بالفرس الذي لا يسبقه أي شيء حتى الوحوش!



لقطتان .. الأولى لحصان عربى فى قطر له كل ميزات الخيول الأصيلة .. واللقطة الأخرى لتدريب الخيول على الفروسية فى مدينة الدوحة .

ولم يكن العرب فى الجاهلية يهتمون بشىء من الحيوانات قدر اهتمامهم بالخيول ، فكانت تنال تكريمهم الى درجة تفضيلها على أولادهم وأنفسهم إذ قال عمر بن مالك :

وسابح كعقاب الدجن أجمله
دون العيال له الايثار واللطف

وكان بعضهم يعير البعض على عدم اهتمامه بخيوله فقال عنترة يهجو قوماً أهملوا خيولهم :

ابن ذبيبة ما لمهركم
متهوشاً وبطونكم عجر

وجاء الدين الاسلامى الحنيف فكرم الخيل «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على تربيتها ، وزاد اهتمامه بها فكان يعطى للفرس فى تقسيم الغنائم سهمين وللفارس سهماً واحداً ونهى أيضاً عن جز أذناب الخيل وأعرافها ونواصيها فقال : أما أذنابها فمذابها وأما أعرافها فأدفاؤها وأما نواصيها ففيها الخير .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يرتبط من الخيول لزاز ، ولحاف ، والمرتجز ، والسكب ، واليعسوب .

وكان لحمزة بن عبد المطلب فرس تدعى «ورد» وهى من بنات ذى العقال ولد أعوج كان يرتبطها ضمن خيوله فى سبيل الله وتحقيق النصر على الكفار ، وقال فيها :

ليس عندى إلا سلاح وورد
قارح من بنات ذى العقال
أتقى دونه المنايا بنفسى
وهو دونى يغشى صدور العوالى

ولقد ارتبط اسم الخيل بالبطولات والفروسية والانتصارات منذ القدم ولعبت الخيول دوراً أساسياً فى تحقيق النصر للعرب فى الفتوحات الاسلامية وارتبطت أيضاً بالأسماء اللامعة فى القصص والملاحم الشعبية مثل «عنترة ابن شداد» الذى قال فى فرسه الأدهم :

يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر فى لبان الأدهم

وكما حرص العرب على تسمية خيولهم حرصوا أيضاً على ألوانها فللخيول ألوان منها الأدهم ، والأخضر ، والكميت ، والأصفر ، والأشقر ، والأشهب



وورد ، والأبرش ، وملمع ، وموليع ، وأشم ، وأشهر ألوانها الكميت وهو الفرس الشديد الحمرة عرفه وغرته وذيله سود وإن كانت حمراً فهو أشقر ، والورد فيما بين الكميت والأشقر .

حتى أصوات الخيل لها مسميات فمنها الحمحمة ، والوهوهة ، والنهم ، والصئى ، والصهيل ، والضباح . قال تعالى يقسم بالخيل الضباح فى سورة العاديات : «والعاديات ضبحا» وهى الخيل التى كانت تستعمل فى الغزوات التى تعدو فتضبح .

وللخيول أيضاً علامات مميزة مرغوب بعضها ومكروه البعض وقد وصف العرب كل جزء فى جسم الحصان باسمه ابتداء من قمة الرأس وحتى حافره الى خصلة الذيل وبدقة تامة لم يستطع بعدها علماء الشرق والغرب إلا أن يأخذوها كما هى بعد ترجمتها من اللغة العربية .

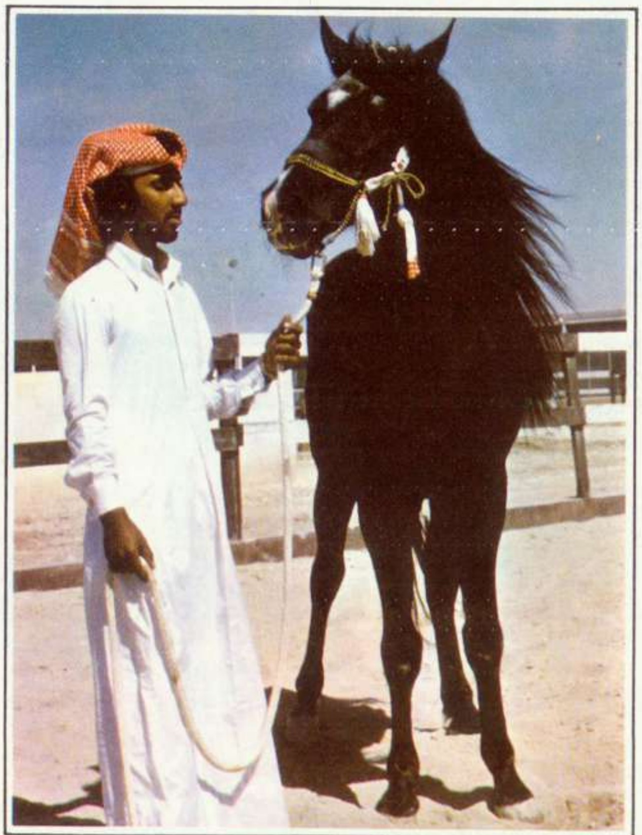
ومن العلامات المحبوبة فى الخيل بياض الجبهة والذى يقع بين العينين حتى الشفة العليا وتسمى «السيالة» ـ وكذلك الحجل وهو بياض المنطقة فوق الحافر وخاصة إذا كان محجلا الثلاثة عدا الأمامية ـ والشكال من الخيل غير مرغوب فيه وهو المحجل اليد اليسرى مع رجله اليمنى أو رجله اليسرى مع يده اليمنى .

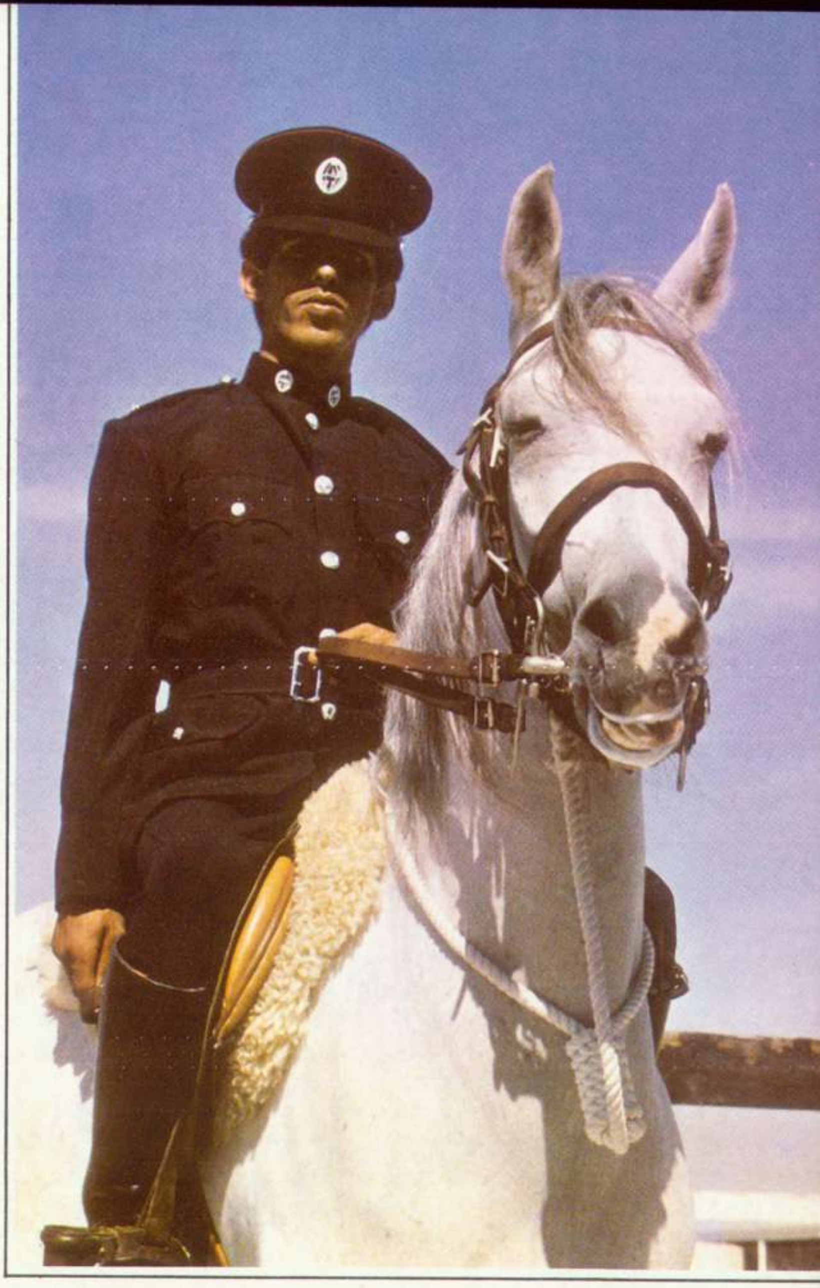
والذكر من الخيل يطلق عليه الحصان ويطلق اسم الخيل على الجماعة وسميت خيلا لاختيالها فى مشيتها ـ ويطلق اسم الفرس على الذكر والأنثى ـ أما الجواد فهو الفرس الجيد العدو وسمى جواداً لأنه جواد فى عدوه ومن أحسن الجياد هى الجياد الصافنات : أى الذى يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك بأحد أرجله وهى قمة اللياقة .

والفلو هو الصغير بعد افتلائه من أمه أى بعد فطامه ويظل فلواً حتى يبلغ من العمر سنة ويسمى حولى حتى يستكمل عامين كاملين ـ والمهر هو ولد الفرس والأنثى مهرة والعتيق من الخيل النقى وهو غير قابل للطعن فى أصالته العربية والعتيق تعنى الكريم وتطلق على الجواد الرائع العربى الأبوين والأجداد. وكانت الخيل مرتعاً خصباً لخيال الشعراء فقال يصفها امرؤ القيس :

الخيول العربية

الخيول العربية مع مدربيها





له أيطـــلا ظبـــى وساقا نعامـــــة
وارخــــاء سرحان وتقريــــب تتفــــل
وقال فى قصيدة أخرى :

وقد اغتـدى والطيـــر فى وكناتهــا
بمنجرد قيـــد الأوابـــد هيكــــل
مكـــر مفـــر مقبـــل مدبـــر معاً
كجلمـــود صخر حطه السيل من عل

وقيد الأوابد هو الفرس الجواد الذى لا يسبقه أى شىء حتى الوحوش ومن الأساطير القديمة أن الخيل فى المنام عز وقوة وزينة .

ومن طباع الخيل : الخيلاء ، والزهو بالنفس ، والسرور، ومحبة صاحبه ومما يدل على كرم النفس أنه لا يأكل بقية علف غيره وهو كبنى البشر طبعه المرح ، والزعل ، والاكتئاب .

والحصان العربى من أحسن أنواع الخيول على الاطلاق وأقدرها . وموطنه الأصلى شبه الجزيرة العربية ، وهو من أجود أنواع الخيول . ويمتاز بصفاته الوراثية الأصيلة التى لم تتغير على مرور أجياله فلقد ثبت أنه الأقدر على السرعة وقوة التحمل والعزيمة والصبر حيث أكسبته الصحراء هذه الصفات دون الخيول الأوربية التى عاشت فى المناطق الغنية بالمراعى ، والتى يتصف معظمها بضخامة حجمها وعنفها وشراستها .

ويشتهر الحصان العربى أيضاً برقته ووفائه وحسن خلقه ، ويبلغ متوسط ارتفاعه حوالى ستة وخمسين بوصة ويمتاز بصغر رأسه وجبهته العريضة وأذنيه الصغيرتين الرقيقتين وبعينه الكحيلة الواسعة وأنفه البارز المقعر من أسفل جبهته ، وباتساع منخاريه وفمه الوسيم ، وبشفتيه الرقيقتين وفكه العريض . وهو واســـع الصـدر ضيق الخاصرة رشيق الأضلاع مفتول العضلات ساعداه قويان طويلان وركبتاه عريضتان وعرقوباه قويان . حوافره سوداء قوية صلبة متوسطة الميل على الأرض . عنقه مقوس قليلا بالتحديب الى أعلا ، ظهره قصير مستقيم عريض ، وينتهى بكفل عريض مستقيم وذيله ينتهى بخصلة من الشعر الطويل الجميل .

وانطلاقاً من ايمان دولة قطر فى المساهمة بالحفاظ على التراث العربى





المجلات التى تصدر عن الحصان العربى .. واشهر الخيول العربية فى منطقة الزهراء بالقاهرة

● اهتمام دولة قطر بتربية الخيول العربية جعلها تفوز في دورة الخليج العربية للفروسية

من الخيول العربية الأصيلة أعطت الاهتمام الأكبر لها والعمل على زيادة أعدادها وعلى تدريب الشباب القطرى وغرس رياضة الفروسية فى أنفسهم . فقد أنشأت نادياً للسباق والفروسية يتبع المركز الأعلى لرعاية الشباب برعاه سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولي العهد ووزير الدفاع بنفسه ويتولى ادارته الشيخ عبد الله بن علي آل ثانى رئيس اتحاد الفروسية ، وعبد الله بن علي العطية رئيساً له ، بالاضافة الى مجموعة على قدر كبير من الكفاءة للقيام بتدريب الشباب على القفز والسباق .

وينال نادى السباق والفروسية الرعاية الكاملة حتى أصبح الآن يضم عدداً كبيراً من الخيول العربية الأصيلة والمدربة تدريباً عالياً على القفز والسباق حيث تنقسم هذه الخيول الى خمس مجموعات وهى خيول السباق ، وخيول القفز ، وخيول التدريب ، وخيول الانتاج والمهور الصغيرة .

وتقدم للخيول الرعاية الطبية الكاملة بالاضافة الى نظام غذائى مدروس بدقة حسب المجهود ونوع العمل الذى يقوم به كل فرس على حدة . مثلما يتاح لها أيضاً نوع خاص من الرعاية للعمل على زيادة الانتاج وزيادة العدد من الخيول العربية ذات الصفات النقية العتيقة .

وتعتبر دولة قطر احدى الدول المؤسسة لدورة الخليج العربية للفروسية والتى تقام سنوياً بين دول المنطقة ، والتى فازت فيها دولة قطر فى السنوات الأخيرة بمراكز متقدمة بفرسيها «حامد» و «وردة» .

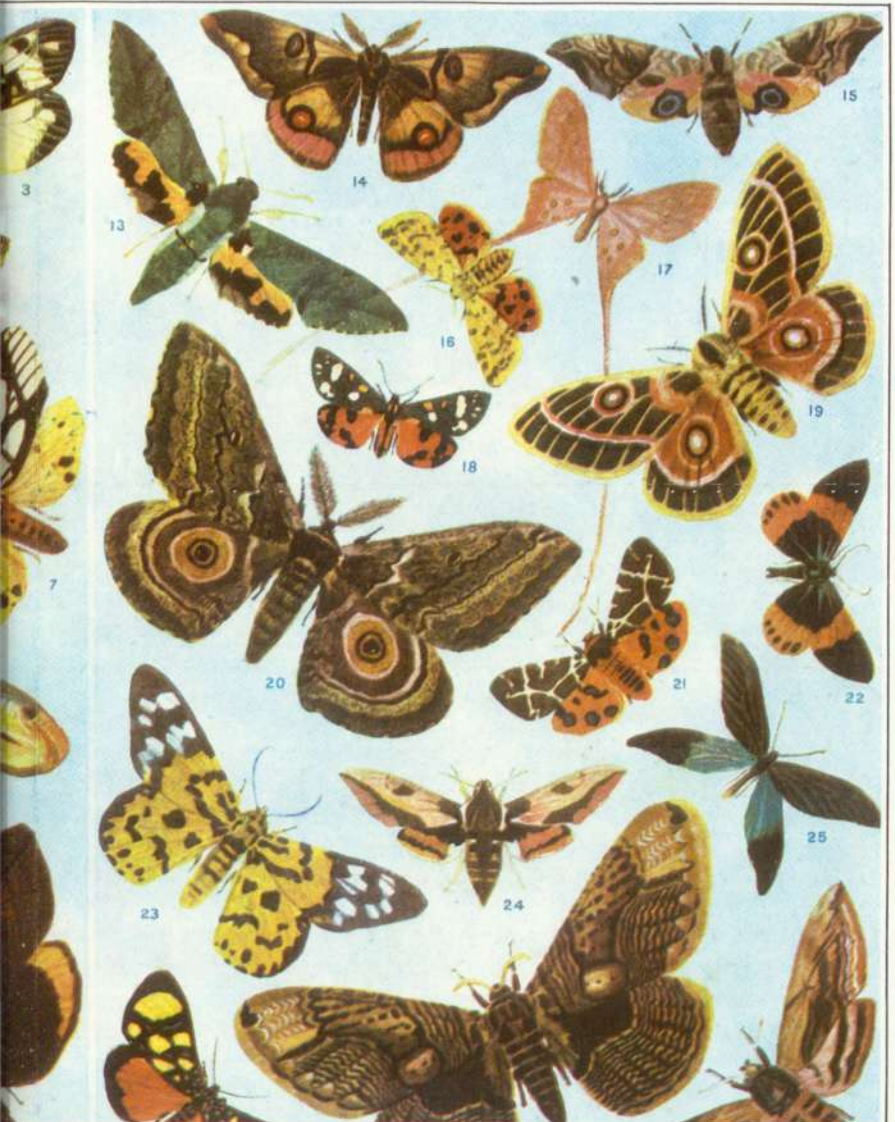
ويقوم النادى صباح كل يوم بتمرين الخيول وتدريبها على القفز والسباق وتخصص الفترة المسائية لتدريب الهواة والناشئين من الفرسان .

وعلى مر الأيام والسنين سوف لا تنتهى الصداقة بين الانسان والخيول بالرغم من وسائل الرفاهية وتقدم عالم السيارات والنقل الحديثة . فان الخيول هى الوسيلة التى يجد الانسان فيها المتعة والعز والجمال الى جانب المرح والسرور وارضاء لرغبته فى التمتع بالحياة وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه العزيز «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» .

د. محمد الغباشى ربيع

د.عبدالمحسن صالح

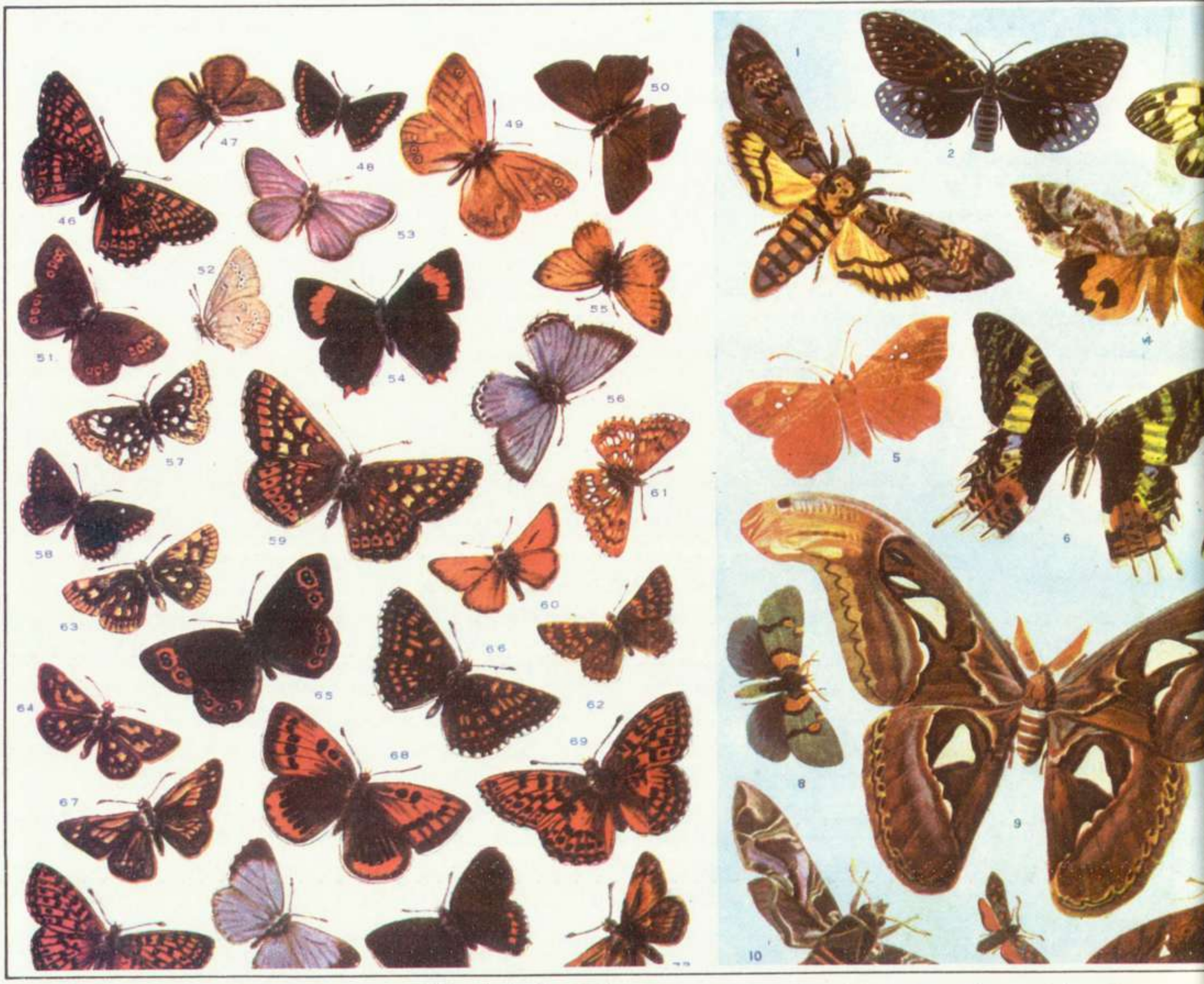
نعم حشرات لكنها حسناوات



مهرجان بديع من فراشات ذات احجام والوان مختلفة .. وما تراه فى الصور المنشورة ليس إلا بمثابة فقرة صغيرة فى مجلد كبير ، إذ يوجد من هذه الأنواع عشرات الألوف ، وكل نوع قد جاء «بديكورات» تختلف عن اى نوع آخر ، وكأنما هذه الألوان قد أصبحت بمثابة الهوية التى تحدد لكل نوع عائلته ورتبته التى ينتمى اليها .. وكم فى الطبيعة من «متاحف» جميلة حية !

.. من عادة معظم الناس انهم يذكرون الحشرات بسيئاتها ويتغاضون عن حسناتها .. رغم أن الحسنات اكثر من السيئات .. فأردأ انواع الصفات التى يمكن أن تلصق بانسان ، هو وصفه بأنه حشرة يمكن أن يداس مثلها بالنعال .. منتهى التحقير !

والحق أن كثيراً من الحشرات لا يستحق هذا التحقير .. صحيح أن قليلها سيء وقبيح ، لكن كثيرها نافع وجميل ، أو بأضعف الايمان لا أذى منها ولا ضرر ، لأن لها مجتمعاتها وبيئاتها التى عاشت بها بعيداً عن أذى الانسان .. لكنها مع ذلك لا تسلم من أذى هذا المخلوق المتجبر المتغطرس على نوعه ، أو على كل نوع آخر سواه .. أفلا يكفينا مثلا أن الانسان قد بدأ يمر فى بيئته ، ويلوث هواءه



وماءه وأرضه ، ويقلب موازين الطبيعة التى أرسى الله قواعدها بالعدل والقسطاس من قديم الأزل ؟ .. قال تعالى «والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج» .. والواقع أن الحشرات هى قمة هذه الموازين ، فأى خلل فى توازنها ، سوف ينعكس على خلل بيئة الانسان والحيوان والنبات .. أى أن ما يراه الانسان بنظرته القاصرة شراً ، قد يكون فيه الخير على مستوى الحياة ذاتها .. ذلك أن الحياة لا تهتم بالأفراد قدر اهتمامها بالأنواع ، فالأفراد زائلون ، لكن الأنواع باقية ، ومن صراعها ودفعها الأزلى ، نشأ التوازن الذى تباركه السماء .

عالم كبير ومثير

دعنا نتصور أن انساناً قد تفرغ للتعرف على أنواع الحشرات التى تشاركه الحياة على هذا الكوكب ، وانه منح كل نوع من وقته دقيقة واحدة ، ليلقى عليه نظرة فاحصة ، ويطلع على بعض تفاصيله الظاهرة ، أو على بعض ما حبته به الطبيعة من تناسق فى الألوان ، قد تجذب لجمالها فضول كل فنان .. عندئذ لن ينتهى من هذا العرض إلا بعد سنتين كاملتين ، أو ربما أكثر ، وعلى شرط ألا يضيع دقيقة واحدة آناء الليل وأطراف النهار ، ذلك أن عدد أنواع الحشرات يربو على المليون نوع ، وهى دائماً قابلة للزيادة ، إذ يضيف العلماء الى هذه القائمة الضخمة عدة آلاف من الأنواع الجديدة المكتشفة كل عام ، وهذا ينبئك بأن الله يخلق ما يشاء بغير حساب !

وعلينا ألا ندخل فى هذه القائمة أنواع العقارب (٦٥٠ نوعاً) والعناكب (٣٠ ألف نوع) ، والقراد (١٠ آلاف نوع) وعديدات الأرجل (١٧٠٠ نوع) .. الى آخر هذه القائمة التى تضم مئات الألوف من الأنواع ، وقد يحسبها الانسان حشرات ، وما هى بذلك ، وإن كانت تتبع معها قبيلة كبيرة يطلق عليها اسم ذوات الأرجل المفصلية !

لكن لا علينا من كل ذلك ، ولنتركه لعلماء الحشرات الذين يتوهون فى غابات من التقسيم والأسماء التى تملأ مجلدات من فوق مجلدات .. فالمعروف أن عدد أنواع رتب الحشرات تفوق كل الأنواع الأخرى فى مملكة الحيوان بثلاثة أو أربعة أضعاف ، ولقد ظهرت الحشرات أول ما ظهرت منذ حوالى ٣٥٠ مليوناً من الأعوام ، وتعرضت لكل المحن والمصائب والظروف الصعبة التى لا

نعم حشرات لكنها حسناوات

يمكن أن يتحملها البشر ، ورغم ذلك فقد شقت طريقها ، وتخطت كل العوائق ، وأثبتت وجودها فى كل بيئة أرضية أو مائية يصعب على العقل تصورها ، فمنها أنواع تعيش على النبات والحيوان الذى يسكن القطبين ، ومنها ما اثبت وجوده فى الكهوف العميقة ، أو فى الصحارى الحارة القاحلة ، ومنها ما يعيش فى مياه البحار والأنهار والمستنقعات ، أو يعيش مدفونا تحت حبيبات الثرى ، او متطفلا على الانسان والحيوان والنبات ، أو يحيا حياة رمامة ، أو ينشىء لنفسه حياة اجتماعية متطورة قد تجذب لنظامها ودقتها وفنونها أنظار المتأملين فى حياة الكائنات .. وباختصار فان الحشرات لم تترك ركناً من هذا الكوكب إلا وكان لها فيه نصيب ، وكأنما لسان حالها يقول «نحن دائماً هنا ، فالكوكب كوكبنا ، والكفاح والصمود سبيلنا» !

مميزات عالية

لكن .. ما الذى ساعدها على هذا الصمود والانتشار ؟

الواقع انها اكتسبت ميزات يسيل لها لعاب الانسان .. فبعض أنواع الحشرات قد اجتاز الامتحان الصعب الذى وضعه لها العلماء .. من ذلك مثلا أنهم وضعوها فى درجة حرارة تصل الى ٣٠ تحت الصفر المئوى ، فتجمدت وأصبحت صلبة كالثلج ، وعندما خرجت من هذا الاختبار الصعب ، تحركت وانطلقت الى حال سبيلها ، وهذا ما لا يقدر عليه الانسان ، إذ لابد أن ينتقل بعدها الى رحمة مولاه ، وعلى الجانب الآخر اكتشف العلماء بعض الحشرات المائية وهى تعيش طيلة حياتها فى مياه الينابيع الحارة التى تصل حرارتها الى أكثر من ٥٠ درجة مئوية .. جرب ذلك مع انسان أو حيوان أو نبات تجده ينفق فى غضون ساعات !

أو جرب وضع انسان أو حيوان فى وعاء أو كابينة مفرغة من الهواء ، تجده يدمى وينفجر ويموت ، لكن بعض الحشرات تحت هذه الظروف لا تموت .. أو اغمر سمكة أوحيواناً أو دودة أو نباتاً فى محلول من الملح المركز حتى درجة التشبع ، ترى أنسجته قد فقدت ماءها وتكرمشت كجسد مومياء محنطة ، لكن بعض أنواع الحشرات تستطيع أن تعيش فى المياه الملحية المركزة حتى درجة التشبع (وهى الأحواض المائية التى نحصل منها على ملح الطعام عندما تصل الى قمة تركيزها) .. وغيرها يستطيع أن يقاوم غياب غاز الأوكسجين لساعات ، وأخرى تعيش على البترول أو الزيت الخام .. وباختصار ، فلقد تأقلمت الحشرات وتكيفت مع كل بيئة غريبة على مداركنا ، وكأنما هى قد حلت علينا من كوكب آخر ، رغم أنها نشأت قبلنا ، وصمدت ، والحياة تحب الصامدين ، وتقضى على الضعفاء والمستضعفين .. بشراً كانوا أو حشرات !

ولقد عبر موريس ميترلينك عن ذلك أجمل تعبير ، إذ نراه يكتب «يبدو أن شيئاً فى الحشرات قد جعلها مخالفة لكل عرف وتقليد يطوف بعقولنا من حيث العادات والسلوكيات والمعنويات .. انها أكثر منا قوة وشيطانية وفظاعة وحماقة وشذوذاً على كل ما هو مألوف» !

ثم يكتب دكتور ج . هولاند «عندما يبهت القمر ، وتذوى الشمس ، وتلف الأرض طبقات من جليد ، وتنتهى حياة الانسان والحيوان والنبات ، وتزول المدن ويصبح كوكبنا خراباً وصقيعاً لا تستقيم معه الحياة ، عندئذ قد تكون هناك حشرة تتشبث بأشنة (نبات دنيء) ، وتلوح بقرنى استشعارها ، علامة على انها الوحيدة التى صمدت للمصيبة دون سائر الحيوانات» !

ولهذا الوصف ما يبرره ، لأن الحشرات قد امتلكت مؤهلات يمكن أن تسود بها فى كل البيئات التى تعمل لها البشر ألف حساب وحساب ، كما انك لو قارنت قوتها وشدة تحملها بانسان مع أخذنا فى الاعتبار حجم هذه وذاك ، لوجدت أن الحشرة فى النهاية تكسب ، والانسان يخسر !

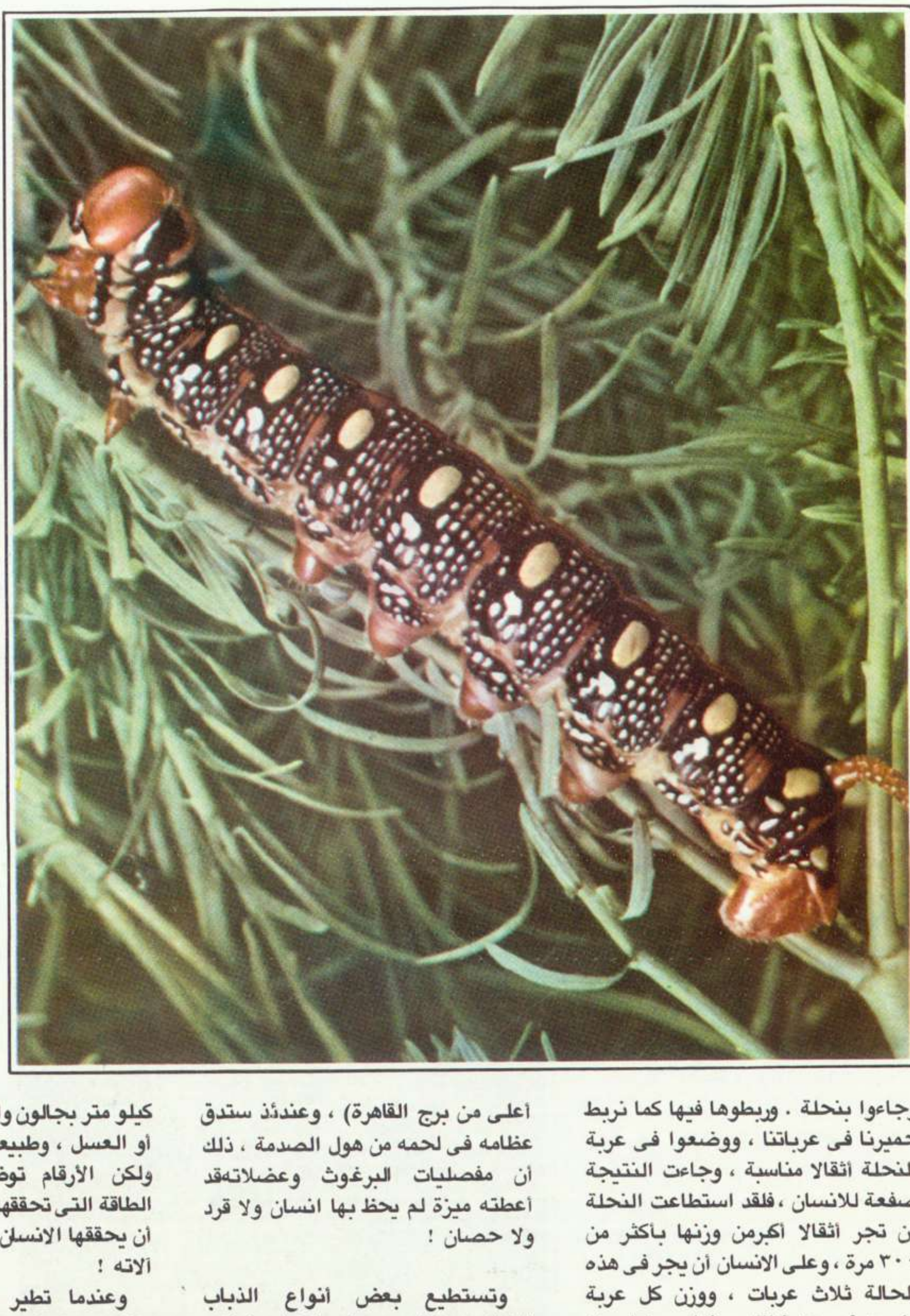
كفاءات تحطم غرور الانسان !

خذ على سبيل المثال نملة ، انها بالنسبة لنا طبعاً صغيرة الشأن ، ضئيلة الوزن ، لكن من الضآلة قد تنبع القوة ، إذ أنها تستطيع أن تحمل بين فكيها طعاماً أثقل من وزنها بحوالى ٥٠ مرة ، ولنأخذ انساناً وزنه ٨٠ كيلو جراماً عندئذ عليه أن يرفع بين فكيه حملا يصل وزنه الى ٤٠٠٠ كيلو جرام حتى يكسب الرهان من نملة .. وهو لن يكسب أبداً ، حتى ولو استعان على ذلك بذراعيه وساقيه ، لأن الرقم القياسى العالمى أصغر من ذلك بكثير (حوالى ٢١٢ كيلو جراماً) .

ويبلغ فضول بعض العلماء مداه للكشف عن قوة هذه الحشرات ، فيقومون بتجارب قد نحسبها صبيانية ، لكنها توضح أسراراً تحتفظ بها تلك الكائنات .. من ذلك مثلا انهم صنعوا عربة صغيرة ،



دورة أو يرقة أخرى جاءت بتوزيع آخر مختلف فى الألوان ، ولا شك أن الطبيعة غنية «بديكورات» جميلة بالآلاف ، لكن جمالها يخفى عن عيون كثير من البشر ، ومع ذلك فلهذا النوع من الزخرفة مريدون



مهرجان متحرك من الألوان ، وكأنما قد خطته يد فنان .. فهذه الدورة هى طور يسمى باليرقة ، وبعد هذا الطور تدخل فى طور أخر يعرف باسم طور «العذراء» ، وفيه تصبح فى شرنقتها كالمومياء ، واخيراً تتطور وتتحور لتصبح فراشة جميلة ، وعليها تتوزع الألوان بطريقة اخرى .. وما أروع الفنون – فنون الحياة .

وجاءوا بنحلة . وربطوها فيها كما نربط حميرنا فى عرباتنا ، ووضعوا فى عربة النحلة أثقالا مناسبة ، وجاءت النتيجة صفعة للانسان ، فلقد استطاعت النحلة أن تجر أثقالا أكبرمن وزنها بأكثر من ٣٠٠ مرة ، وعلى الانسان أن يجر فى هذه الحالة ثلاث عربات ، ووزن كل عربة ما بين ٩ – ١٠ أطنان .. فهل يستطيع ؟

حتى البرغوث حقق رقماً قياسياً فى المسافة والارتفاع ، إذ أنه فى قفزة واحدة قطع مسافة أطول من جسمه بحوالى ٢٠٠ مرة ، ولكى يحقق الانسان ذلك ، فعليه أن يقفز ٣٥٠ متراً فى قفزة واحدة ، ولابد ان يرتفع بها الى مائتى متر (أى أعلى من برج القاهرة) ، وعندئذ ستدق عظامه فى لحمه من هول الصدمة ، ذلك أن مفصليات البرغوث وعضلاتهقد أعطته ميزة لم يحظ بها انسان ولا قرد ولا حصان !

وتستطيع بعض أنواع الذباب الطنان أن تطير بسرعة ٤٠ كيلو متراً فى الساعة ، وفى حالات طارئة قد ترتفع الى ٦٠ كيلو متراً .. أما نحلة العسل فيبلغ متوسط سرعتها حوالى ١٨ كيلو متراً فى الساعة ، لكن هناك عملية حسابية طريفة مؤداها أن النحلة تستطيع أن تقطع مسافة ستة ملايين ونصف مليون كيلو متر بجالون واحد من رحيق الأزهار أو العسل ، وطبيعى أن ذلك لا يحدث ، ولكن الأرقام توضح لنا اقتصاديات الطاقة التى تحققها الحشرات ، ولا يمكن أن يحققها الانسان .. لا مع نفسه ولا مع آلاته !

وعندما تطير بعض الحشرات ، وتضرب بأجنحتها فى الهواء ، فانها تحقق بها اهتزازات خيالية ، إذ يصل معدلها الى ٦٢,٧٦٠ اهتزازة فى الدقيقة ، أو ما يزيد على ألف فى الثانية الواحدة وفى تجربة أجريت تحت ظروف خاصة لواحدة من الحشرات الصغيرة ذات الأجنحة الرقيقة ، تبين أن المعدل قد

نعم حشرات لكنها حسناوات

ارتفع الى ١٣٣,٠٨٠ فى الدقيقة ، وطبيعى أن الذى يحرك الأجنحة عضلات ، ولم يعرف العلماء حتى الآن عضلة يمكن أن تهتز بين انقباض وانبساط بمثل هذه السرعة الفائقة !

والغريب أن عدد العضلات فى بعض انواع الحشرات تفوق عدد العضلات فى الانسان أضعافاً ، فجسم الانسان يحتوى على حوالى ٨٠٠ عضلة مميزة ، فى حين أن الجرادة تمتلك ٩٠٠ عضلة ، وبعض اليرقات (الديدان) التى تتحور فيما بعد الى عذراوات وحشرات بالغة ، يصل فيها العدد الى حوالى ٤٠٠٠ عضلة مميزة ..

والأرقام بعد ذلك كثيرة ، والمفارقات غريبة بين حشرة وانسان !

وللحشرات مبادىء فى الحياة!

لا شك أن هذا العنوان مضلل ، ولهذا وجب علينا أن نسارع بالقول ونشير الى أن المبادىء الحشرية ليست على مستوى المبادىء البشرية ، وهى التى نعرفها نحن فى حياتنا على هيئات شتى كالصدق والأمانة والرحمة والعدل واحترام الغير .. الخ ، ومع ذلك ، فللحشرات مبدأن أساسيان ، أولهما : حاول أن تأكل ، وحاذر أن تؤكل ، وثانيهما : تناكح وتكاثر حتى يبقى للنوع قوته وصموده !

ولكى يصبح لهذين المبدأين مغزى فى الحياة ، دعنا نتصور — مجرد تصور — أن الانسان قد تضاءل وأصبح فى حجم الحشرة ، وعندئذ سيصبح فى وضع لا يحسد عليه ، ولابد — والحال كذلك — انه يجد نفسه مرغماً على تطبيق المبدأين السالفين — أى لا يكون مستسلماً ومتواكلا ، بل عليه أن يضع نصب عينيه الحذر .. كل الحذر ، فالأعداء كثيرون .. عقارب وعناكب وطيور وضفادع وزنابير وحيات وحيوانات من هواة آكل الحشرات .. الى آخر هذه القائمة من الجياع التى لا هم لها إلا أن تأكل قبل أن تؤكل ، ولا شك أن الانسان «الحشرة» سوف ينتابه رعب قاتل (مع فرض أنه لايزال يحتفظ بعقله) فهو لم يمارس هذه الحياة البشعة التى يكمن فيها خطر الموت مع كل خطوة من خطوات قدميه الضئيلتين .. فهو لم يمارس القفز ولا الطيران ولا التمويه ولا التخفى ولا المناورة ولا حفر المخابىء ولا المقاومة التى حظيت بها الحشرات ، وقد يكون هذا الانسان متغطرساً ومتجبراً ومتعجرفاً مع مجتمعه البشرى، لكنه لن يكون كذلك فى هذا المجتمع الحيوانى والحشرى ، بل سيصبح مغبوناً مهيض الجناح فى مجتمع من الرعاع ، فلا حكم هناك إلا حكم القوة ، وحكم الغاب !

وقد يشعر المسكين بطنين نحلة طنانة ، فيحسبها طائرة نفاثة ، فيهرب على قدر ما تسعفه ساقيه الرقيقتين ، وعندئذ قد تبرز له مصيبة تختفى تحت ورقة شجرة ، فيهرب ، وبعدها قد يقابله عنكبوت متربص على باب حفرته ، فيهرب ، وقد يقفز دون قصد منه قفزة عشوائية ، فيقع أسيراً فى شبكة عنكبوت آخر ، وعندئذ لا يستطيع خلاصاً ، واليه يتقدم العنكبوت ليمتص عصارته ، وقد يصرخ ، لكن ما من سميع ولا منقذ ولا مجيب ، وقد يأتى فى تلك الأثناء ضفدع ، فيأكل العنكبوت بما أكل ، وقبل أن يهنأ الضفدع بوليمته ، تأتيه مصيبة على هيئة حية ، فتأكل كل من آكل وأكل وأكل !

وطبيعى أن ما قدمناه هنا ليس إلا صورة مصغرة ومتواضعة لسلاسل معقدة ومتشابكة ، وتعرف باسم سلاسل الطعام .. وهى تعنى ببساطة : ان كل من أكل لابد أن يؤكل .. أو عندما تجوع البطون ، فكل المبادىء تهون ، خاصة فى عالم «الرعاع» ، ولا يختلف هنا — من حيث المبدأ — البشر عن الحشرات أو أى كائن آخر !

المبدأ الثانى

ومادامت الأمور تسير هناك على مبدأ اشباع البطون ، فلابد أن يعوض المفقود عن طريق المولود ، وهنا يظهر المبدأ الثانى : تناكحوا وتكاثروا .. لتكون هناك



فراشة من مدغشقر ، وهى تعتبر من أكبر وأجمل أنواع الفراشات ، ولهذا يطلقون عليها أحيانا الفتنة المحلقة !



نعم .. خنافس ، لكنها بمثابة الزبرجد الحى ، وهى تعتبر من أكثر الحشرات جاذبية ، خاصة عندما تلمع فى أشعة الشمس ، فتحسبها حجراً من الأحجار الكريمة ، ولا غرو – والحال كذلك – أن تصبح زينة للنساء !

ذرية تعوض المأكول ، وتحفظ الأنواع من الانقراض .. وقد كان !

وقد يتقابل الانسان الحشرى – الذى لايزال يعيش فى رعب دائم – مع نملة محنكة فيأنس اليها ، وتأنس اليه (المعروف أن بعض أنواع النمل تستضيف فى مستعمراتها حشرات أخرى ، وليكن صاحبنا من هؤلاء الضيوف) ، وقد يطلعها على بعض معالم حياة عالمه ، وعندئذ ترق لحاله ، وتعلمه الحكمة ، وكأنما هو «سليمان» زمانه ، فتقول «اعلم يا صاح ان كل هذه الأنواع قد صمدت عشرات الملايين من السنين عن طريق حيل ووسائل لتتجنب بها المخاطر ، وعلى رأس هذه الوسائل تأتى ضخامة التناسل ، فلا أحد هنا يستطيع أن يتجنب المحظور .. ولا شك أن لنا أعداء كثيرين ، ونقع لها ضحايا بالملايين ، فلماذا لا نعوض ذلك بانتاج ذرية بعشرات ومئات الملايين .. انها – كما ترى – عملية حسابية بسيطة .. وكلما ضعفت حيلة المخلوق فى تجنب المحظور ، كلما كانت ذريته كثيرة .. ان لنا ملكة – بورك فيها – لا تكف عن وضع البيض آناء الليل وأطراف النهار .. عشرة آلاف بيضة فى يوم واحد ، بعشرة آلاف قادم للحياة كل يوم ، وتستمر العملية يوماً فى اثر يوم ، وأسبوعاً من وراء أسبوع ، وشهراً يعقبه شهر وشهور ، ولابد من رعاية وعناية واطعام لهذه العشرات أو المئات من الألوف ، ولقد علمتنا الحياة ألا نتراخى ولا نتكاسل ولا نتواكل ، بل علينا أن نعمل ونعمل بجدية وكفاح ، وأن نحصل على لقمة العيش بأية وسيلة ومن أى مصدر .. ان عالمنا يختلف عن عالمكم المدلل .. الحياة بالنسبة لنا معادلة صعبة ، ومع ذلك ، فلا صعاب مع الكفاح .. انها دروس مستفادة عبر ملايين السنين ، والحكيم من استفاد» !

والواقع أن عالم الحشرات وما دونه ضليـــع فى انتـاج اعداد هائلة مـــن الذرية ، فرب حشرة واحـــدة من مليون حشرة يمتد بهـا العمـــر لتمـــوت بالشيخوخـــة ، والباقــى يتعرض رغماً عنه لعوامل طبيعية وحياتية تنال منه من مولده حتى شبابه ، ونادراً ما يصل الى سن الشيخوخة كما هو الحال فى الانسان والحيوانات الثديية ، كما أن تربية صغار الحشرات وتنشئتهم تتم فى أسرع وقت ممكن ، ثم دفعهم بعد أيام لمجابهة معركة الحياة ، ومن خلال ذلك تتوازن الأمور بين ما يفد على هذا الكوكب ، وما يرحل عنه ولكل شىء فى الخلق حساب ومقدار ، وما أكثر ما يغيب فيه عن مدارك الناس ، إلا من وهبوا أنفسهم للبحث والتنقيب عما فى هذا الخلق من أسرار ظاهرة وخافية !

عالم من الفتنة والجمال

ورغم أن ذكر الحشرة قد يصيب بعض النفوس بالقرف والازدراء ، نتيجة للخلط بين النافع والضار ، أو لذكر الكائنات بسيئاتها دون حسناتها ، أو لما وقر فى النفوس من أن الحشرات هى جالبة الأمراض ، ومهلكة الزرع والضرع .. لكن ذلك ليس عدلا ، فالخدمات التى تقدمها الحشرات للحياة ، حتى لا تتقطع سلاسلها ، ولا تنفصم روابطها ، خدمات لا تكاد تعد ولا تحصى ، وقد نتعرض لذلك فى دراسات أخرى قادمة ، لكن الذى عولنا عليه من البداية أن نقدم ما فى الحشرات من صور حية جميلة ، حتى لكأنما بعضها بمثابة أحجار كريمة متحركة ، ليس ذلك فحسب ، بل ان الألوان المختلفة تتوزع عليها ، وتعطيها بريقاً كأنما هو ناشىء من جواهـــر مرصعة !

حتى يرقات هذه الحشرات (هى ديدان) قد جاءت هى الأخرى وكأنما هى «بانوراما» تضفى على الطبيعة رونقاً وجاذبية خاصة .. وأحياناً ما تأتى البويضات مزركشة بأشكال هندسية ، أو ألوان متداخلة ، فتفصح عن بديع صنع الله !

وأما عن الفراشات ، فحدث ولا حرج ، ولابد أن تكون فى هذه الحالة شاعراً ملهماً ، أو فناناً رقيقاً ، لتتأمل وتصف وتنقل صوراً لا يغنى عنها وصف ولا كلام والصور المنشورة خير دليل على ما نقول «صنع الله الذى اتقن كل شىء» .

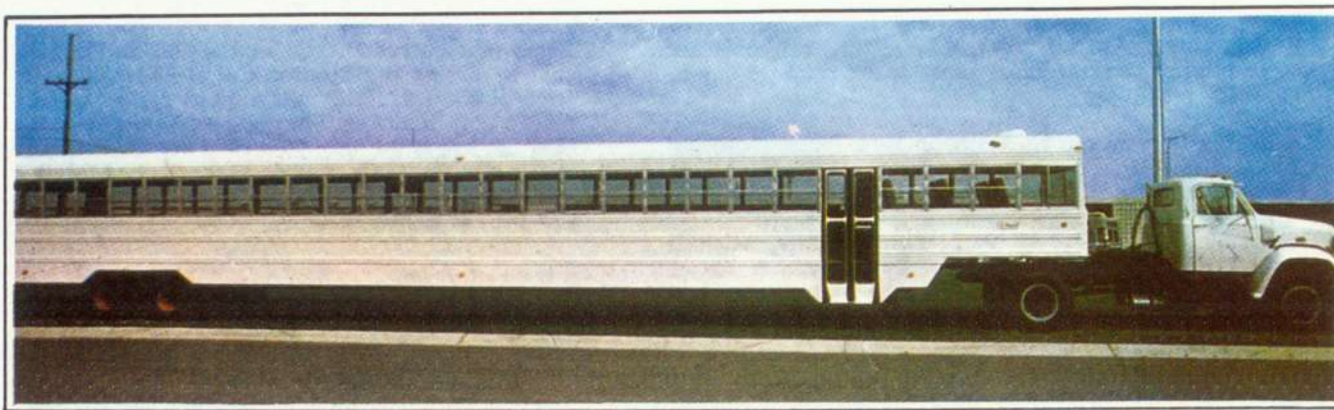
دكتور عبد المحسن صالح

لقطات من الكون المثير



زجاجات «شربات» حيـــــة !

● من أول نظرة تبدو الصورة «كبالونات» لها رؤوس حشرات ، وهى فى الواقع كذلك لأن كل نحلة هنا قد أصبحت بمثابة «زجاجة» حية مملوءة برحيق حلو المذاق ، ولا احد يعرف على وجه الدقة ، متى وكيف توصل النحل إلى هذه الفكرة ، لكن على اية حال قد ادخر من يومه لغده بفكرة غريبة قد لا تطوف بعقولنا ، وكانما النحل يعرف أن هناك أيام رخاء ، وأياما عجافا ، ولكى يتخطى الأيام العجاف ، فقد اهتدى إلى فكرة تخزين نسبة من الرحيق الحلو فى عبوات ، ولهذا اختار نسبة من الشغالة ليحولها إلى زجاجات حية ، وعندما يعود النحل بالرحيق الذى جمعه ، كان عليه أن يغذى باقى أفراد المستعمرة (خاصة الأطفال) مما جمع ، والباقى يدفعه دفعاً بطريقته الخاصة ليختزنه فى هذه الزجاجات النحلية الحية التى تراها معلقة هنا فى سقف المستعمرة حتى إذا جاءت الأيام العجاف ، استرد وديعته من مخازنه ، ليوزعها على أفراد مستعمرته بالعدل والقسطاس .. وما أغرب الأفكار .. افكار الحياة ، حتى لو كان ذلك على مستوى الحشرات ! ●



أطول «أتوبيس» في العـــالم

● أنتجت شركة «واين» بولاية انديانا الامريكية هذا الاوتوبيس لاستخدامه فى بعض دول الشرق الأوسط خاصة ، ولغيرها من دول اخرى فى العالم ، ويبلغ طول هذا الاتوبيس ٢٣ متراً أو اكثر قليلا ، ويزن حوالى احد عشر طنا ، وبه ١٢١ مقعداً للركاب ، لكن الأوتوبيس يستوعب زيادة على ذلك ٦٦ راكباً وقوفا .. اى أن سعته الكلية تصل إلى ١٨٧ راكبا ، وهذا يعنى أنه يستطيع أن يستوعب من المقاعد حوالي ضعف ما تستوعبه عربتا قطار من النوع الفاخر ، ولهذا يعتبر ذلك الأتوبيس أطول وأضخم سيارة ركوب من نوعها فى العالم حتى وقتنا الحاضر .. وربما تاتى الأيام بكل ما هو جديد وغريب ●



حتى الأحذية .. لها متاحف !

● بمقارنة بسيطة بين حجم هذا الحذاء وطوله ، وبين حجم الفتاة وطولها ، فانه من الممكن أن تختفى فى داخله دون أن تظهر معالمها .. وذلك أن وزن هذا الحذاء يبلغ ٣١٫٧ كيلو جراماً ، وطوله متراً وثلث المتر ، أما حجمه فمتروك لتقديرك !

وعمر هذا الحذاء قد قارب على المائة عام ، إذ انه صنع فى عام ١٨٨٧ خصيصاً لشركة نيوآرك التجارية بنوتنجهام بانجلترا ، وهو الآن محفوظ بمتحف «كلارس» للأحذية بمقاطعة سومرست ، ويعتبر هذا الحذاء أكبر حذاء صنع فى العالم حتى الآن ، ولم يصنع ـ بطبيعة الحال ـ من اجل إنسان ، بل كنوع من الدعاية ليس إلا ! ●



أغرب لحيـــة

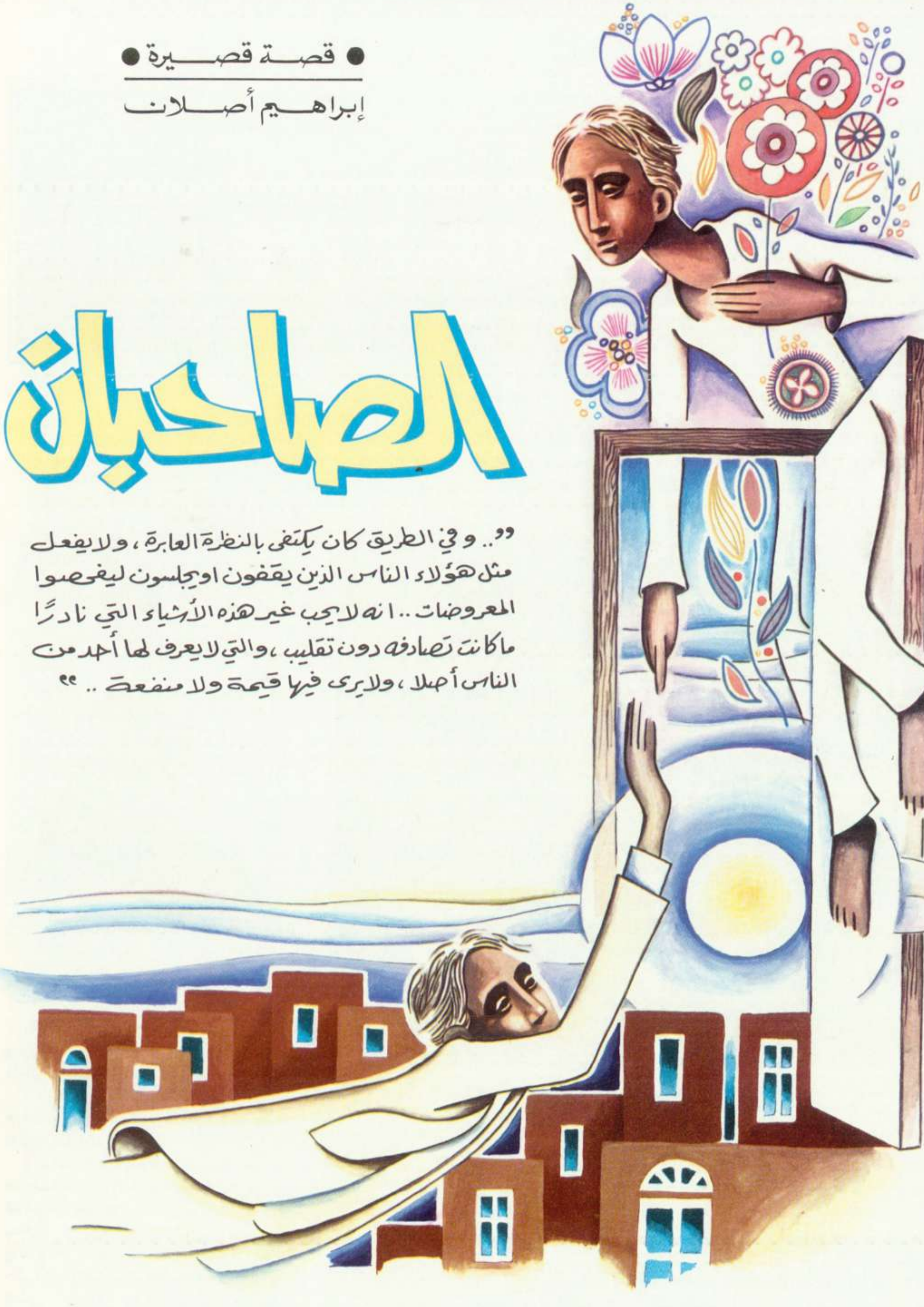
● هذا الرجل المدعو «دون كوك» من أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية استطاع فى يوم ٦ ابريل عام ١٩٧٩ أن يرتدى اغرب لحية من نوعها فى العالم ، لأن لحيته التى تراها هنا ليست إلا لحية حشرية ، أو بالتحديد لحية من سرب من النحل وصل عدده إلى حوالى ١٧٥٠٠ نحلة ، ولقد دفعته هوايته الغريبة إلى تثبيت احدى ملكات النحل على ذقنه ، ثم أطلق سراب النحل من الصندوق الموجود على يساره ، فاتجه النحل إلى ملكته ، واحاط بها ـ نحلة من وراء نحلة حتى تكونت له هذه اللحية المثيرة ، وهو حريص اشد الحرص على أن يجلس كالصنم بدون أدنى حركة ، حتى لا يثير النحل فيلسعه .. ألا ترى معنا بعد ذلك أن الانسان يهوى الشهرة ، حتى ولو كان السبيل إليها تهور وجنون لا يخلو بدوره من الأخطار ؟ ●

● قصـــة قصـــيرة ●

إبراهـــيم أصـــلان

الصاحبان

".. وفي الطريق كان يكتفي بالنظرة العابرة، ولا يفعل مثل هؤلاء الناس الذين يقفون او يجلسون ليفحصوا المعروضات .. انه لا يحب غير هذه الأشياء التي نادرًا ما كانت تصادفه دون تقليب، والتي لا يعرف لها أحد من الناس أصلا، ولا يرى فيها قيمة ولا منفعة .."



● كان هناك صاحبان يعيشان فى مدينة (إمبابة) . احدهما هو (محمود) الذى يعيش وحيداً ، والآخر هو (مرزوق) الذى يعيش مع زوجته وولديه . وفى يوم (الجمعة) كان (محمود) يقوم من نومه متأخراً ، أما (مرزوق) فقد كان يصحو مبكراً من دوشة الأولاد ، يفطر معهم ، ثم يخرج الى سوق (إمبابة) ويمشى بين صفوف الباعة الذين يعرضون مخلفات البيوت على جانبى الطريق الممتد ، فى سبيله الى البيت الصغير الذى يعيش فيه صديقه (محمود) ، لكى يزوره ، ويقضى معه فترة من الوقت .

وفى الطريق كان (مرزوق) يكتفى بالنظرة العابرة ، ولا يفعل مثل هؤلاء الناس الذين يقفون أو يجلسون ليفحصوا المعروضات ويقلبوا فيها ، لأنه لم يكن يحب إلا هذه الأشياء التى نادراً ما كانت تصادفه دون تقليب ، والتى لا يعرف لها احد من الناس أصلا ولا يرى فيها قيمة ولا منفعة ، والتى كان يعرف أنه على نحو ما سوف يلقاها ، فيلقاها ، ويتجه اليها ويشتريها ويحملها الى صديقه (محمود) الذى لا يذهب الى السوق ، لأن السنوات الطويلة التى جرب فيها علمته انه لو عاند نفسه ولم يأخذها ، فانه سوف يأتى يوم الجمعة التالية الى السوق باحثاً عنها ، وهو يعرف أنه لن يجدها ، فلا يجدها . حينئذ يحس بالخسارة ، ويستولى عليه الندم ، ويظل طول وقته يذكرها ولا يعـــرف كيف ينساها .

المرة الوحيدة التى اشترى فيها شيئاً من تلك الأشياء التى يعرفها الناس ، كانت زجاجة عسلية اللون ، لها بطن صغير مكور ، خشنة الملمس ولها عنق قصير حافته مقلوبة وناعمة ، وكانت كلها فى حجم عقلة الأصبع ، وكان قد رآها فأحبها واقتناها دون أن يخبر (محموداً) عنها ، ومن يومها لم تفارقه إلا عندما يخلع ثيابه لينام ، وكان يمسك بها الآن فى جيب سترته الصوفية المفتوحة ، عندما خايل عينيه هيكل معدنى فى لون الفضة الى جوار كومة قاتمة من الخردة انحدر من عليها واستقر على قاعدته المتربة الخفيفة . حمله وراح يتأمل فيه . فى الناحية اليسرى ، كانت خمس قطع مختلفة الأحجام والأطوال ، وكانت كل قطعة تمد من كتفيها قطعتين من السلك النحاسى القصير ومكسوتين بخيوط من الحرير الملون . وكانت القطع الخمس ملتمة فى شبه دائرة حول أصغرها حجماً ، ومحجوزة كلها داخل قفص من الأسلاك الرفيعة ، وله بوابة صغيرة تطل على الناحية الأخرى من القاعدة ، حيث انتصب حاملان فى أعلاهما محور صغير تقوم عليه عجلة مستديرة من السلك المزدوج المطروق ، أدارها بابهامه ، وعندما توقفت ، رأى المفاتيح الجانبية العارية فى قاعدته المتربة الخفيفة ، وأعاده الى مكانه ، واتجه الى بيت صديقه (محمود) ، وهناك صافح السيدة العجوز التى تجلس وحدها تبكى فى طرحتها السوداء ، ودخل من الباب .

كان (محمود) يجلس وحيداً على السرير السفرى المنصوب . وكانت الجدران مغطاة بكميات من الكتب المتراصة على أرفف الخشب المحمولة من أطرافها بالحبال المجدولة ، وكان هناك عدد من اللوحات المعلقة ، وماسورة بندقية ، ومجموعة مختلفة من زجاجات الخمر الفارغة ولمبات الجاز النحاسية وأجهزة الراديو ذات الصناديق القديمة العالية ، ومرآة عريضة باطار من الخشب الثقيل المنقوش ، ومقعدان ، ودولاب قصير من (الأبلاكاش) عليه (بيك أب) وتحته زوجان من الأحذية . تطلع (مرزوق) الى (محمود) وسأله إن كان قد أيقظه من النوم ، وقال (محمود) دون أن ينظر اليه أنه صحا اليوم مبكراً مع أنه نام فى وقت متأخر ، وتساءل (مرزوق) وهو يهم بالقيام إن كان يريد أن ينام الآن ، ولكن (محمود) انكر ذلك بهزة من رأسه ، وحينئذ تناول (مرزوق) الجريدة المفتوحة على حافة السرير المنصوب وراح يتفحصها ويطل من فوق حافتها الى (محمود) الذى ذهب ليعد الشاى . وسأله (محمود) عن أحوال السوق ، وقال (مرزوق) وهو يخرج علبة سجاير انه لا يوجد هناك ما يستحق الاهتمام ، وأخذ نفساً من السيجارة وفكر فى الهيكل المعدنى الذى رآه ، وأخذه الضيق وقال انه لن يشترى بعد اليوم شيئاً من السوق ، بل انه لن يذهب اليه ، أبداً . وعاد (محمود) مسرعاً وهو يقول كيف ؟ وقال (مرزوق) هكذا ، لانه لا يفهم فائدة أن ينفق الواحد نقوده على أشياء لا قيمة لها ويزحم بها البيت ، ولكن (محمود) عاد يقول كيف ؟ هل نسيت ؟ هل نسيت كل الأشياء التى أتينا بها من هناك ؟ هل نسيت الموتور الصغير الذى صنعنا منه المروحة التى مازالت تدور عند شقيقتك المتزوجة ؟ والأباجورة ، والساعة الخشبية التى أصلحناها ، وعربة الاطفاء الصغيرة ، والاسطوانات القديمة التى استمعنا اليها ، والمفتاح الكبير ، والعدسة البللور التى رأينا بها الكلمات الدقيقة ، ذكره بكل الأشياء التى صنعاها معاً ، وجلس حزيناً وهو ينظر الى قدميه الحافيتين وترك (مرزوق) الجريدة وظل صامتاً وهو يضم شفتيه ويمدهما الى الأمام ، وقال يائساً انه يريد حقاً أن يكف عن ذلك ، قال انه صادف اليوم شيئاً من الأشياء التى لا يمكن تعويضها ، ومع ذلك لم يأخذه ، لأنه قرر وانتهى الأمر . وتغير صوته وهو يصيح فى (محمود) كأنه يعايره لأنه لا يعرف الشراء ، إن السوق لم يعد هو السوق ، والأيام لم تعد هى الأيام . ونظر الى (محمود) الذى كان مازال مطرقاً وحزيناً ، وأطفأ سيجارته وهو يقول ، لا فائدة ، نعم ، سوف يظل يقول هذا الكلام دون فائدة ، وهز رأسه ، انه لا يتوب أبداً ، ويعرف انه لن يكف عن شراء هذه الأشياء اللعينة ، وقام (محمود) واقفاً ، ومد يده الى مفتاح الراديو الخشبى القريب وأداره ، وصب الشاى وأذاب السكر وعاد بوجه صغير مبتسم . كان قد وضع الكوبين فى كفة ميزان من النحاس القديم الأصفر . وجلس الصديقان ورأى كل منهما الآخر . وفكر (مرزوق) أن يقوم ويشترى الهيكل المعدنى ويعود به حتى لا يضيع ، ولكنه تردد قليلا ثم عاند نفسه . وفكر أن يمد يده الى جيب سترته ويتناول زجاجته الصغيرة التى يخفيها ، ولكنه خشى أن يفعل ذلك حتى لا يراها (مرزوق) . وقال لنفسه انه لن يذهب الآن ، وانه سوف يبحث عنه جيداً عندما يذهب الى السوق يوم الجمعة القادم ، وأمسك كوب الشاى الكبير الدافىء . أراد (مرزوق) مرة أخرى ، أن يجرب حظه .

ابراهيم أصلان

د. محمد يوسف نجم

مسرح أولاد عكاشة

وثيقة هامة في تاريخ المسرح العربي

● فى العدد الماضى تحدث د. محمد يوسف نجم عن «مسرح أولاد عكاشة» من حيث الجهود والمراحل التى مر بها ذلك المسرح ، حتى أصبح حقيقة مسرحية رائدة ، وفى هذه الحلقة يلقى الكاتب الضوء على الأعمال المسرحية المتعددة التى قدمها «أولاد عكاشة» ، وآراء النقاد فيها ، وكذلك المنافسات الفنية التى قامت حينذاك بين فرقة أولاد عكاشة ، والفرق المسرحية الأخرى ●



زكى عكاشة



عبد الله عكاشة

نقد المؤلف الممثل عبد العزيز حمدى تمثيل جوق عكاشة مسرحية «السلطان صلاح الدين ومملكة أورشليم» . وبعد أن تحدث عن المعركة التى أثارها المؤلف فرح أنطون بتقديمه المسرحية لجوقي عكاشة وأبيض وحجازى فى الوقت نفسه ، تناول المسرحية بالتقديم ثم تحدث عن التمثيل فقال :

ولقد أظهر الممثلون فى جوقة عكاشة براعة تذكر ، إلا أن بعضهم لم يظهر بالمظهر اللائق به ، كممثل دور أمير الأسطول فانه أفقد الدور قوته لما أبداه من الضعف والجبن اللذين لا يلتقيان بأمير البحر فى عهد السلطان صلاح الدين فضلا عن ظهوره بشارب أسود ولحية حمراء .. وقد ظهر أكثر الممثلين بملابس أفخر وأبهى من ملابس السلطان ، مع أن اللياقة تقضى بأن تكون ملابس الحاشية أقل فى رونقها وبهائها من ملابس الملك مهما كان تقشفه وورعه ، وقد لاحظت أن ممثل دور صلاح الدين فى جوق عكاشة ظهر بمظهر رجل يناهز الأربعين من عمره أو أكثر قليلا ، وهذا ينافى ما جاء فى كلامه حيث قال : إن له سبعة عشر ابناً وابنة ـ يندر أن يرزق رجل بكل هذه الأبناء وهو فى ذلك العمر . أما من حيث التمثيل فقد أجاد إجادة أعجب بها جل المشاهدين وكان تصفيق الاستحسان حاداً . «٣٣».

وانتهى هذا الموسم فى ١٠ يوليه ١٩١٥ ، ولم تستطع الفرقة السفر الى سورية ، كالعادة ، بسبب الحرب ، فقضت موسمها الصيفى فى رأس البر .

وقد سجل لنا محمد تيمور رأيه فى هذا الموسم فقال :

وكان صاحب دار التمثيل العربى قد هدمه عن آخره ثم أعاد بناءه من جديد على طرز حديث ، فاستاجره آل عكاشة بعد أن افترق عنهم عزيز عيد ولكنهم استعاضوا عنه ببعض أفراد جوق أبيض كحسن ثابت وعبد المجيد شكرى وأخيه أحمد حافظ . وانضم اليهم من بين أفراد جوق الشيخ : حسين حسنى ومارى ابراهيم ، ووثبوا للتمثيل فى دار التمثيل العربى ، وأخرجوا للناس روايات جديدة لا تستحق الذكر لخروجها عن دائرة الفن الصحيح فمن (بريد ليون) (لذات نجلاء العين) ومن (ذات نجلاء العين) الى (لأجل الشرف) ومن (اجل الشرف) (لليد السوداء) وكل هذه الروايات من نوع (اليتيمتين) ولكنها أقل منها شهرة وتأثيراً . فلم ينجح الجوق فى إخراجها ، والسبب فى ذلك الجهل بأسرار الفن وعدم تأليف لجنة فنية تفرق بين الغث والثمين من الروايات . أما عبد الله فقد تخلى عن جميع هذه الروايات ولكنه عاد ومثل دور البطل فى (ذات نجلاء العين) وفى (لأجل الشرف) ، ولكنه أضحك الناس بدل أن يبكيهم . أما زكى فمثل فى كل هذه الروايات دور الفتى الأول ولكنه هوى به الى قرار الهاوية ، وذلك لكثرة إشاراته وحركاته ، بل لصراخه الذى يضعه فى غير موضعه ، ولو تخلى زكى عن هذه العيوب متبعاً نصيحة الناصحين ـ وهذا من أصعب الأمور ـ لكان له فى عالم التمثيل شأن آخر ، وذلك لصلاحية جسمه وصوته للمسرح . أما عبد الحميد فلم يخرج فيها عن دائرة (الكمبارس) . ثم عاد الجوق يمثل رواية (أبى حسن المغفل) وهى فودفيل قديمة العهد جميلة الموضوع أضحكت الناس كثيراً ونجحت نجاحاً كبيراً ، كان الفضل فيه للمرحوم محمود حبيب . ومثل عبد الله دور الفتى الأول ومر فيه دون أن يلتفت اليه انسان . ثم أعاد الجوق تمثيل رواية (اليتيمتين) وقام عبد الحميد بدور الشيخ فلم يحسن الغناء ولا التمثيل ، وكانت هذه أول مرة وآخر مرة مثل فيها عبد الحميد دوراً مهماً ، اللهم إلا دور المزاحم فى رواية (شهداء الغرام) . والدور لا يحتاج للبراعة ولا للرشاقة . ومثل زكى دور الفارس روجيه فكان فيه خيراً من عبد الله ، ولكنه اتبع فيه تلك الخطة التى تقف فى سبيله كلما أراد الصعود . ثم أعاد الجوق رواية (الشيخ متلوف) ، وأتقن فيها عبد الله دوره . ثم مثلوا (صلاح الدين ومملكة أورشليم) وكان الفضل فى إخراجهم هذه الرواية الفنية عائداً للخلاف الذى وقع بين فرح أنطون وأبيض . «٣٤».

موسم ١٩١٥ ـ ١٩١٦ :

عاد الجوق من موسمه الصيفى براس البر حوالى منتصف سبتمبر ١٩١٥ ، «٣٥» وقرر أن يستانف التمثيل ويجعله ثلاث ليال فى الأسبوع كالمعتاد . وعين عبد الواحد صالح مديراً للأوركسترا . «٣٦» وقد أشيع بعد مضي شهر على افتتاح الموسم أن الشيخ سلامة حجازى أخذ يفاوض أولاد عكاشة فى أن يشترك معهم فى العمل ويشترط عليهم أن تسمى دار التمثيل العربى والجوق باسمه . «٣٧» على أن ذلك لم يحدث لأن الشيخ استمر مع شريكه أبيض حتى نهاية الموسم . ويبدو أن ظروف الحرب القاسية ومنافسة أبيض وحجازى حالا بين الجوق وبين تقديم الكثير من المسرحيات الجديدة ، ولعله قنع بما قدمه منها فى موسمه السابق فأعاد فى مطلع موسمه تقديم المسرحيات القديمة ، من حصيلته وحصيلة الفرق الأخرى ، فمثل المسرحيات التالية «القضاء والقدر» و «الشيخ متلوف» و «اليتيمتين» و «تليماك» و «القضية المشهورة» و «عائدة» و «تسبا» و «بائعة الخبز» و «عظة الملوك» و «هملت» و «ضحية الغواية» و «مظالم الآباء» (الابنة المظلومة) .

مثل الجوق هذه المسرحيات فى الأسابيع الخمسة الأولى من موسمه ، بمعدل مسرحيتين كل أسبوع ، مستعيناً بشهرة محمود حبيب وبالفصول الهزلية التى كان يقدمها محمد ناجى .

ويبدو أن فاتحة الموسم لم تكن تبشر بخير كثير يبعث فى نفوس أصحاب الجوق الاطمئنان الى سائره ، ولذا قرروا أن يبعثوا النشاط فى الموسم بادخال عنصر الفودفيل والتمثيل الهزلى .

كان عزيز عيد قد ألف فى مايو من هذا العام جوقاً للفودفيل ، دعاه «جوق الكوميدى

العربى» «٣٨» حقق النجاح ولفت النظر بقوة الى هذا اللون الجديد المقبول شعبياً . فقرر أبناء عكاشة توحيد جهود الجوقين ، على أن يبقى لكل منهما استقلاله ، بمعنى أن يمثل كل منهما ليلة ثم يقسم الايراد بينهما مناصفة . «٣٩» وأخذت نتائج هذا التعاون تظهر منذ شهر نوفمبر ، واستمر الحال كذلك حتى أوائل مايو ١٩١٦ . وقد قدم «جوق الكوميدى العربى» أثناء ذلك عدداً من المسرحيات الهزلية التى اشتهر عزيز عيد بتقديمها فى مواسمه السابقة . وعندما انشق عنه عزيز عيد وتلاميذه ضم اليه الممثل الكوميدى عمر وصفى ليقوم ببطولة المسرحيات الكوميدية . «٤٠»

أما جوق عكاشة فقد اقتصر فى ما تبقى من شهور الموسم على إعادة المسرحيات القديمة ، فقدم منها : «صلاح الدين الأيوبى» و «الشيخ متلوف» و «مظالم الآباء» و «القضاء والقدر» و «عبرة الأبكار» (ابنة حارس الصيد) و «بائعة الخبز» و «البريئة المتهمة» و «العواطف الشريفة» (ابنة صاحب معمل الحديد) و «تسبا» و «عظة الملوك» و «اليتيمتين» و «غانية الأندلس» و «القضية المشهورة» و «هارون الرشيد مع قوت القلوب وخليفة الصياد» و «صدق الاخاء» و «طارق بن زياد» و «شهداء الغرام» و «هملت» و «مصرع الزباء» و «بريد ليون» و «البخيل» و «عنترة بن شداد» .

كما اضطر – إنقاذاً لموسمه – الى تقديم عدد من المسرحيات الجديدة ، وهى : «الميت الحي» و «زفاف النوتى» و «ابنة وصي الملك» و «زهراب ورستم» التى كانت مقررة على طلاب البكالوريا ، وكان جوق أبيض وحجازى قد قدمها قبله فى الموسم نفسه .

وفى الأسبوع الثانى من شهر أغسطس ١٩١٦ ، أنهى الجوق موسمه فى القاهرة وسافر الى رأس البر لتقديم موسمه الصيفى . «٤١»

موسم ١٩١٦ – ١٩١٧

عاد الجوق من موسمه الصيفى حوالى منتصف سبتمبر ليبدأ موسمه الجديد فى دار التمثيل العربى . وكان الجوق المنافس قد حل أنذاك «٤٢» وألف الشيخ جوقاً جديداً مثل به موسمه الأخير على مسرح الأوبرا .

ويبدو أن عقد العكاشيين مع صاحب دار التمثيل كان لسنتين فقط ، إذ ان الجوق لم يمثل فيه أثناء الموسم سوى ثلاثة شهور متقطعة ، كذلك مثل فى بعض عواصم القطر كالمنيا والزقازيق . وقدم أثناء ذلك المسرحيات التالية : «البخيل» و «مصرع الزباء» و «الشيخ متلوف» و «تليماك» و «خداع الدهر» و «شهداء الغرام» و «غرام وانتقام» و «عواطف البنين» و «اليتيمتين» و «القضية المشهورة» و «غانية الأندلس» و «القضاء والقدر» و «الأفريقية» و «محاسن الصدف» و «هملت» و «ضحية الغواية» و «شمس الصباح» و «اليد السوداء» .

وفى يناير ١٩١٧ حين كانت الفرق الكبيرة التى عنيت بالمسرحية الغنائية والتراجيديا تعانى الكساد بسبب انصراف الجمهور عنها وإقباله على مسرح الفودفيل والريفيو ، تداعى نفر من المثقفين والمصلحين الى شد أزر الأجواق الجدية (المحترمة) لكى تستطيع الصمود فى وجه التيار الفودفلى الطاغى . ورأوا أن خير وسيلة لتقوية هذه الأجواق وتوحيدها فى جوق واحد . وكان على رأس هذه الدعوة الدكتور عبد العزيز نظمى ومحمد طلعت حرب وعبد الكريم رؤوف المحامى الذين تألفت منهم لجنة – إثر احد الاجتماعات – لوضع القانون اللازم لهذه الشركة الموحدة . «٤٣» .

وبعد أيام تمخضت هذه الجهود عن تأليف شركة توصية بأسهم قوامها أولاد عكاشة وبعض رجال المال وعلى رأسهم عبد الخالق باشا مدكور ومحمد طلعت حرب ، دعيت «شركة ترقية التمثيل العربى» ، ونيطت إدارتها بمحمود عزت . وقد عينت رواتب الممثلين ، فكان راتب عبد الله عكاشة مثلا عشرة جنيهات وراتب فكتوريا موسى ثمانية جنيهات . «٤٤» وأعلنت الشركة الجديدة أنها ستبدأ تمثيلها فى العهد الجديد مساء الخميس ٨ فبراير على مسرح دار الأوبرا .

شركة ترقية التمثيل العربى : ما قبل الأزبكية ١٩١٧ – ١٩٢٠

أخذت صورة هذا العهد الجديد تتضح فى إجراءات كثيرة مستحدثة بدأت الشركة عهدها بها ، ومنها العناية بالاعلانات الضخمة البارزة ، ونشر المقالات الاعلانية التى تذكر فيها أسماء الممثلين وأدوارهم «٤٥» ، وتقديم المسرحيات الجديدة التى أخذ يعد لها كبار كتاب العصر .



محمد تيمور



عزيز عيد



سلامة حجازى



جورج أبيض

وفى شهر مارس ذكرت الأهرام أن الشركة تسعى لدى وزارة الأشغال العمومية كى تعطيها حق التمثيل فى تياترو الأزبكية التزاماً لمدة سنتين أو ثلاث بشروط معينة «٤٦» . ثم عادت الأهرام فى شهر مايو فأوردت الخبر التالى :

اتفقت وزارة الأشغال العمومية وشركة التمثيل العربى المعروفة فى القاهرة على أن تتنازل الأولى منها للثانية عن تياترو حديقة الأزبكية خمس عشرة سنة متوالية باجرة قدرها ١٢ جنيهاً فى السنة . وعلى أن تجدد الشركة فى هذا التنازل بناء تياترو وتصلحه وتنظمه وتؤسسه بالشكل والأثاث الذى كان فى النية تجديده به وتأثيثه قبيل الحرب الحالية . وكانت النفقة المقدرة له يومئذ نحو ١٨٠٠ جنيه مصرى . وقد وقع الفريقان هذا الاتفاق أمس . والخمس عشرة سنة المبينة فى هذا الاتفاق تبدأ من تاريخ تجديد التياترو وتصليحه وتأثيثه وموافقة وزارة الأشغال العمومية عليه . «٤٧»

أخذت الشركة إذن تفكر فى مشكلة وجود المسرح الثابت المجهز ، ذلك أن الاستقرار فى مسرح واحد معد إعداداً جيداً كان سبباً من أسباب نجاح الأجواق ، وخاصة فى هذه الفترة التى كانت المسارح المجهزة فيها قليلة . وقد اتضحت خطورة هذه المشكلة فى الموسم التالى للفرقة ، بعد أن اضطرت الى إخلاء مسرح دار التمثيل العربى الجديد الذى شغلته فى الموسمين السابقين . ولو لم يسعفها الحظ والنفوذ والقدرة المالية ، وتساعدها احداث الحرب التى حالت دون قدوم الفرق الأجنبية لما وجدت لها موطىء قدم فى مسرح برنتانيا أو مسرح الأوبرا .

وقد تابعت الشركة تمثيل الشهور الباقية من موسمها الشتوى على مسارح متعددة فى القاهرة وخارجها ، وقدمت أربع مسرحيات جديدة هى : «القرصان» و «الاتجار بالزواج» و «معارك الحياة» و «المرأة الفاتنة» ، فضلا عن المسرحيات القديمة التى سبق لها ولغيرها من الأجواق تقديمها ، ومنها «الشيخ متلوف» و «تليماك» و «القضاء والقدر» و «شمس الصباح» و «الأفريقية» و «أبو الحسن المغفل» و «طارق بن زياد» و «القضية المشهورة» و «عواطف البنين» و «اليتيمتين» و «عائدة» .

وقد استطعنا بفضل الاعلانات الضخمة المفصلة التى كانت تنشرها الفرقة فى عهدها الجديد أن نعرف أسماء بعض ممثلى المسرحيات وأدوارهم فيها . فكان توزيع الأدوار فى مسرحية «الاتجار بالزواج» كما يلي : «٤٨»

عبد الله عكاشة (محمود بك) ، زكى عكاشة (ابنه جميل) ، توفيق ظاظا ومحمود رحمى (من اصدقاء محمود بك) ، عبد الحميد عكاشة (فؤاد) محمد بهجت (رئيس المحكمة) ، احمد فهمى (الخادم) ، حسن حبيب (العسكرى) ، محمود وهبى (السجان) ، فكتوريا موسى (زوجة محمود

مسرح أولاد عكاشه

بك) ، لطيفة أمين (الخادمة) ، مريم سماط ، نهوى حسنى ، لبيبة فارس . ووزعت الأدوار فى «القضية المشهورة» كما يلى : «٤٩» .

عبد الله عكاشة (جان رينو) ، توفيق ظاظا (الدوق دوبتر) ، زكى عكاشة (راؤول) ، أحمد فهمى (شنبوران) ، فكتوريا موسى (ماتيلده) ، مريم سماط (الرئيسة) ، نهوى حسنى (فالانتين)، لبيبة فارس (الدوقة) ، محمد بهجت ، عبد الحميد عكاشة ، محمد يوسف . ووزعت أدوار «معارك الحياة» كما يلى : «٥٠» .

عبد الله عكاشة (الفيكونت دى لانكراى) ، زكى عكاشة (الضابط روشكيم) ، محمد يوسف (ليكورتو) ، فكتوريا موسى (ماتيلده) ، توفيق ظاظا (المسجل سيشرين) . نهوى حسنى (أوروزيل) ، مريم سماط (الحماة) ، لبيبة فارس (العمة) . ووزعت أدوار «المرأة الفاتنــة» كما يلى : «٥١» محمد بهجت (مستر جاك) ، توفيق ظاظا (السير ماتشم) ، محمد يوسف (زوج اميليا) ، مريم سماط (الزوجة الغيورة) ، زكى عكاشة (الزوج العاشق) ، نهوى حسنى (المرأة الفاتنة) ، لبيبة فارس (جوليا) .

موسم ١٩١٧ ــ ١٩١٨

انقضى الموسم السابق فى القاهرة فى أواخر يونيو ١٩١٧ ، ثم سافرت الفرقة الى الاسكندرية لتقضى جزءاً من موسمها الصيفى ، وبعد ذلك سافرت الى رأس البر .

عادت الفرقة من رأس البر فى أوائل سبتمبر ١٩١٧ . واستهلت موسمها الجديد فى ١٠ سبتمبر ١٩١٧ . ومثلت على مسارح عدة فى القاهرة وخارجها ، وأسهمت فى حفلات الصليب الأحمر التى كان يقيمها إسهاماً فى مشروع «يومنا هذا» . وقدمت فى موسمها هذا أربع مسرحيات جديدة هى : «انجومار المتوحش» و «الراهب المتنكر أو الحضارتين» و «ابن تميم أو الأمير الظافر» و «الزنبقة الذهبية» .

كما قدمت عدداً من المسرحيات القديمة ، من حصيلتها وحصيلة الفرق الأخرى نذكر منها : «معارك الحياة» و «أبو الحسن المغفل» و «مصرع الزباء» و «طارق بن زياد» و «عبرة الأبكار» و «عظة الملوك» و «مى وهوراس» و «القضاء والقدر» و «القضية المشــــهورة» و «تليماك» و «اليتيمتين» .

واستمر موسم القاهرة حتى أواخر مايو ١٩١٨ ثم قدمت ست حفلات فى الاسكندرية ، فى شهر يوليه . ولعلها أتمت موسمها الصيفى فى رأس البر كالعادة .

موسم ١٩١٨ ــ ١٩١٩

افتتحت الفرقة موسمها الجديد فى ٢٢ اكتوبر ١٩١٨ على مسرح الأوبرا ، وتنقلت فى هذا الموسم بين مسرح الأوبرا ومسرح بريتانيا . وقد قدمت فى موسمها هذا مسرحيتين جديدتين هما :

«الأمير سليم» و «مصارع الشهوات» ، وقدمت من مسرحياتها المستحدثة والقديمة المسرحيات التالية : «الراهب المتنكر» و «الزنبقة الذهبية» و «القضاء والقدر» و «انجومار المتوحش» و «زفاف النوتى» و «مصرع الزباء» و «خداع الدهر» و «أبو الحسن المغفل» و «ضحية الغواية» و «اليتيمتين» و «معارك الحياة» و «الاتجار بالزواج» و «عظة الملوك» و «تسبا» و «غانية الأندلس» .

وقد تعطل موسمها هذا بسبب أحداث الثورة . وفى شهر يوليه اشتركت مع جوق الأوبريت كوميك الذى كان يديره سليم عطا الله وكميل شمبير وقدمت فى الاسكندرية عدداً من الحفلات المشتركة .

وفى أغسطس ١٩١٩ أعلنت الأهرام «٥٢» أنها بحاجة الى مسرحيات جديدة بمناسبة قرب افتتاح مسرحها الجديد ، وكان نص الاعلان كما يلى :

تتشرف شركة ترقية التمثيل العربى بمناسبة قرب افتتاح التياترو الجديد بحديقة الأزبكية باعلان حضرات المؤلفين والكتاب أنها فى حاجة الى ثلاث روايات موضوعة غير منقولة مصرية أو شرقية موضوعاً وأشخاصاً :

الأولى : تاريخية موضوعها واقعة صحيحة .
الثانية : أخلاقية جدية .
الثالثة : أخلاقية هزلية .

والشركة تقبل ما يعرض عليها من الروايات لغاية ١٥ أكتوبر ١٩١٩ ، بشرط أن تكون مطابقة لشروط الشركة . ويمكن لحضرات المؤلفين الاطلاع عليها بمكتب حضرة فؤاد بك سلطان بمركز شركة التعاون المالى التجارية بشارع الكنيسة الجديدة بالاسماعيلية رقم ٢ . وللشركة مطلق الحرية فى قبول أو رفض أى رواية بدون إيضاح أسباب .

موسم ١٩١٩ ــ ١٩٢٠

استهلت الفرقة موسمها الأخير قبل عهد حديقة الأزبكية على مسرح برنتانيا فى ٦ سبتمبر ١٩١٩ فى أول ليالى عيد الفطر . ولم يكن موسماً منتظماً حافلاً لانشغالها باعداد المسرح الجديد . ومثلت فى شهر أبريل موسماً على مسرح الأوبرا ، قدمت فيه مسرحيتين جديدتين هما «الشريف الطريد» و «الشريط الأحمر» ، وأعادت تمثيل مسرحياتها القديمة فقدمت منها : «اليتيمتين» و «انجومار المتوحش» و «مغاور الجن» و «غانية الأندلس» و «معارك الحياة» و «تليماك» و «الأمير سليم» و «عظة الملوك» .

ومثلت فى الاسكندرية فى شهر أغسطس أربع ليال هى ليالى عيد الأضحى .

وبهذا انتهى موسمها الأخير ، فى طور الحيرة والتنقل بين المسارح ، وسيغدو لها شأن كبير فى عهد مسرح حديقة الأزبكية الذى مثلت عليه ثمانية مواسم منتظمة .

د. محمد يوسف نجم

هـــــــوامـــــــش

٣٣ ــ المؤيد ١٠ ابريل ١٩١٥ .
٣٤ ــ حياتنا التمثيلية : ٢٠٨ ــ ٢١٠ ; وانظر نقد عفيرة فى الأفكار ١٩ فبراير ١٩١٥ .
٣٥ ــ الأفكار والمقطم والأهرام ١٣ سبتمبر ١٩١٥ .
٣٦ ــ الأهرام ١٣ سبتمبر ١٩١٥ .
٣٧ ــ الأخبار ٣٠ أكتوبر ١٩١٥ .
٣٨ ــ انظر أخباره فى مقالنا «المسرح الكوميدى فى مصر ١٩٠٥ ــ ١٩٢٠» بمجلة الأبحاث ، السنة ٢٢ (حزيران ١٩٦٩) .
٣٩ ــ مذكرات نجيب الريحانى (كتاب الهلال ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٩) : ٥٦ ــ ٥٧ .
٤٠ ــ المنبر ١٩ يونية ١٩١٦ .
٤١ ــ المقطم ٨ أغسطس ١٩١٦ .
٤٢ ــ حل جوق أبيض وحجازى فى أوائل سبتمبر ١٩١٦ ، انظر الوطن (القاهرة) ١ سبتمبر ١٩١٦ .
٤٣ ــ انظر الوطن ٧ يوليه ١٩١٦ ، والأخبار ١٨ يناير ١٩١٧ ، والمحروسة ٢٠ يناير ١٩١٧ .
٤٤ ــ المحروسة ٢٣ يناير و ٨ فبراير ١٩١٧ ، والأخبار ٢٨ يناير ١٩١٧ ، والمقطم ١ فبراير ١٩١٧ .
٤٥ ــ انتقلت عدوى التجديد أيضاً الى اعلانات جورج أبيض ومنيرة المهدية وفرق الفودفيل .
٤٦ ــ الأهرام ٣ مارس ١٩١٧ .
٤٧ ــ الأهرام ١٣ مايو ١٩١٧ .
٤٨ ــ المقطم ٢٤ فبراير ١٩١٧ .
٤٩ ــ المقطم ٢٣ أبريل ١٩١٧ .
٥٠ ــ م. ٢٤ أبريل ١٩١٧ .
٥٠ ــ المقطم ٢٤ أبريل ١٩١٧ .

● الانسان .. الكبرياء ●

● كان فى قلبى فرح غريب .. فرح لا يتاتى إلا من الضمير المرتاح .
● اننى احب هذه الحياة حباً لا تكلف فيه ، واريد ان اتحدث عنها بحرية : إنها تمنحنى كبريائى لكونى انساناً .

● انا لا اتخلى عن شىء من ذاتى ، ولا اتحجب باى قناع . يكفينى ان اتعلم بالصبر علم الحياة الصعب الذى يفوق كل فنون الحياة .

● امام هذا العالم لا اريد ان اكذب ولا يكذب علي . اريد ان احمل صحوى حتى الثمالة ، وان انظر الى نهايتى بكل إسراف غيرتى وسعادتى . إننا بابداعنا ميتات واعية تقرب المسافة التى تفصلنا عن العالم ، وندخل بلا فرح فى الانجاز الواعى لصور نشوى عن عالم اضعناه الى الأبد .

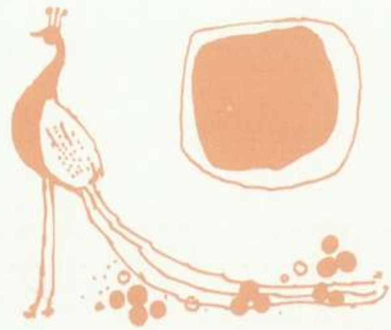
«البير كامو»



● أفكار الآخرين ●

● كل ما هنالك أنه لم يكن على استعداد لأن يسمح لأفكار الآخرين أو عواطفهم بأن تنتقل ـ عن طريق العدوى ـ الى دنياه .

«أندريه جيد»



● الجرح .. والشعر ●

رب جرح قد صار ينبـوع شـعـر
تلتقـى عنده النفوس الظوامـى
وزفير امسى ـ إذا قدسـته الروح ـ
ضربـاً مـن قـدس الانغـام
وعـذاب قد فاح منـه بخـور
خالـد فى مجامـر الاحـلام
وإذا انت لم تعـذب وتغمس
قلمـا فـى قـرارة الآلام
فقوافيـك زخـرف وبريـق
كعظـام فى مدفـن من رخـام

«إلياس ابو شبكة»

● أعظم الأشـياء ●

● لا يتصور احد أن الشاعر ينبغى أن يرتبط بأعظم الأشياء منذ اللحظة الأولى فسوف يدفعه القدر مع الزمن الى الكشف عن ذاته من خلال تلك الأشياء ، وهى هدفه الماثل لعينيه دائماً ، بوسائل خاصة لم يعرفها احد من قبل .

«رينيه ماريا ريلكه»

● مجـد الأولـين ●

ماذا يرد عليكـم عـز أولكـم
إن ضـاع آخـره أو ذل واتضعـا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكـم
ثم افزعوا . قد ينال الأمن من فزعـا
يا قـوم : إن لكم من إرث أولكـم
مجداً قد أشفقت أن يفنـى وينقطعـا

«لقيط بن يعمر الايادى»
أول شاعر قومى فى الجاهلية

● الـزبد والبحـر ●

● إن الأحداث تبعث فى نفسى السام . الأحداث هى الزبد ، وأنا مشغول بالبحر. فالبحر هو الذى يصطاد فيه
والبحر هو الذى نبحر فوق مياهه
والبحر هو الذى نغوص فى أعماقه .

«بول فاليرى»



● الزمن المكتـوب ●

غداً ، وغداً ، وغداً
وكل غد يزحف بهذه الخطا الحقيرة
يوماً إثر يوم ،
حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب .
وإذا كل أماسينا قد أنارت للحمقى
المساكين ، الطريق الى الموت والتراب .
ألا انطفئى أيتها الشمعة الوجيزة !
ما الحياة إلا ظل يمشى ،
ممثل مسكين يتبختر ويستشيط ساعة
على المسرح ، ثم لا يسمعه أحد .

«مكبث شكسبير»
ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

● المـودة ●

● ليس فى العالم ما يجعل الانسان ضرورياً لأخيه الانسان .. إلا المودة .

«جيته»

رسالة حب خالدة

بقلم: جان جاك روسو   ترجمة: نجيب المستكاوي

هذه رسالة حب كتبها جان جاك روسو إلى الآنسة سير . وكان قد رآها ذات مرة فى زيارة لأحد الأديرة بمدينة ليون ، وتعرف بها ، وأثرت فى نفسه أعمق التأثير ثم عاد ورآها مرة أخرى بعد الأولى بست سنوات ، كما يتبين من «الاعترافات» . وأحبها روسو حباً عنيفاً ، شأنه فى كل حب ، وقد قالت له مدام دوديتو ذات مرة «إنك أرق حبيب يمكن أن يخطر على البال ، كلا ما أحب رجل قط مثلما تحب» . ولعل هذه الرسالة تعبر خير تعبير عن بعض ما يخالج قلب العاشق من مشاعر وعواطف ..

آنستى ...

لقد عرضت نفسى لخطر رؤيتك مرة اخرى ، وقد حقق مرآك مخاوفى ، إذ نكأ كل جراح قلبى . لقد فقدت بقربك البقية الباقية من صوابى ، وإنى لأشعر — فى حالتى التى أرديتينى اليها — بأنى لم أعد أصلح لشىء إلا لأن أعبدك . إن بلائى ليبلغ من الوبال بحيث لا رجاء لي ولا رغبة فى البرء منه ، ومع تعرضى لكل ما قد ينجم عنه ، لابد من أن أحبك الى الأبد . أفهم ، يا آنستى ، أن ليس لي أى أمل فى تجاوب من ناحيتك ، فأنا شاب معدم ، وليس لي إلا قلب أقدمه لك ، ومهما كان هذا القلب مفعماً باللهب والعاطفة والحنان فهو بلا شك ليس بالهدية التى تحظى قبولك . ومع ذلك أشعر فى ذوب حنوى الذى لا ينضب له معين ، وفى طبعى الحى دائماً والثابت دائماً ، بموارد للسعادة كان يجب أن يقام لها وزن — لدى حبيبة مرهفة الحس — كتعويض عما يعوزنى من مال ووسامة . لكن واعجباه ! فقد عاملتينى بجفوة لا تصدق ، وإذا كان حدث أن أظهرت حيالى شيئاً من المجاراة فقد كنت تقتضين منى على إثره ثمناً يبلغ من الفداحة بحيث يجعلنى أكاد أقسم أنك لم يكن لك مقصد إلا أن تسومينى العذاب .

كل هذا يؤنسنى ولا يدهشنى ، فانى أجد فى نقائصى ما يبرر صلابة قلبك نحوى : لكن لا تحسبى أنى أتهمك بصلابة القلب حقيقة . لا ، فان قلبك قد خلق للحب مثلما خلق محياك . أما يأسى فمرجعه الى أنى لم أكن الذى يؤثر فيه . إنى أعلم علم اليقين أنه كان لك صلات ، بل أعرف اسم ذلك المخلوق السعيد الذى عرف ببراعته كيف يحملك على الاستماع اليه . ولكى أعطيك فكرة عن طريقتى فى التفكير ، فانى عرفت ذلك صدفة ، دون سعى منى ، ولن يسمح لي احترامى لك بأن أود معرفة شىء آخر عن سلوكك إلا ما تشائين أن تخبرينى به بنفسك . وجماع القول إنى إذا كنت قلت لك إنك لن تكونى راهبة قط ، فانما لمعرفتى أنك لم تخلقى بأية حال لتكونى راهبة . ولئن كنت كعاشق ولهان أنظر بهول وورع الى ذلك القرار المجحف فانى كصديق ورجل فاضل لن أنصحك بأن توافقى على نوايا أهلك فى هذا الشأن ؛ إذ أنك باستعدادك المناقض لذلك تماماً لن تعملى إلا على أن تعدى نفسك لأسف زائد وندم طويل . وإنى لأقول لك ذلك كما أعتقد به فى أعماق نفسى ودون أن أصغى الى مصالحى الخاصة ، ولو قد فكرت على خلاف ذلك ، لأعربت لك عن فكرى بالمثل ؛ ولكنت وجدت على الأقل سعادتى فى سعادتك ، لما أرى من عجزى عن أن أكون سعيداً أنا نفسى . استطيع

أن أؤكد لك أنك ستجدين منى فى الجملة نفس الاستقامة ونفس الرقة ؛ ومهما بلغ من حنانى ومن هيامى فانى أؤكد لك أنى أفتخر بأنى أكثر من ذلك رجل شريف فاضل .

واأسفاه ! لو شئت أن تعيرينى أذناً صاغية ، أستطيع أن أقول إنى إذن لكنت أجعلك تعرفين السعادة الحقة . وما من شخص يستطيع أن يستشعرها خيراً منى ؛ بل أزعم أنه ما من شخص يستطيع أن يذيقها خيراً منى : رباه ! لو أنى استطعت أن أتوصل الى هذا الامتلاك الفاتن ، للقيت فيه حتفى بلا مراء . وكيف أجد فى روحى من الوسائل ما يكفى لصد هذا السيل من اللذاذات .

لكن لو أن الحب أتى بمعجزة ، لو أنه أبقى على حياتى ، فمهما كان مبلغ الاضطرام فى قلبى أحس أنه إذن لكان يضاعفه ، وأنه لكى يحول دون أن أقضى نحبى فى غمار سعادتى ، لكان فى كل لحظة بلفحات النيران الجديدة يؤجج دمى : وإن هذه الفكرة وحدها لتجعله يغلى .

لست بمستطيع أن أقاوم حبائل خيال مغو ، فان صورتك السابية تتعقبنى حيثما كنت ؛ ولا أستطيع أن أتخلص منها حتى بالاستسلام لها ؛ إنها تلاحقنى حتى خلال رقادى ، إنها تهيج قلبى وتثير خواطرى ، إنها تضعضع بنيتى ، والخلاصة أنى أشعر بأنك تقتلينى برغمك ، وبأنه مهما بلغ من قسوتك حيالى ، فنصيبى أن أموت بحبى لك . وسواء أكانت قسوة حقيقية ، أو طيبة وهمية فان المقدر لحبى هو دائماً أن يوردنى حتفى . لكن واأسفاه ! إنى بشكواى من عذابى أعد لنفسى عذاباً جديداً ؛ فلا أستطيع أن أفكر فى شأن حبى دون أن يضطرم قلبى ويحتدم خيالى ، ومهما قررت أن أطيعك فى بدء رسائلى ، اشعر على الأثر بأنى أندفع فأخرج عما تطلبينه منى . أتراك من القسوة بحيث تعاقبيننى على ذلك ؟ إن الله يغتفر الغلطات غير الارادية ، فبربك لا تكونى أمعن منه صرامة ، واقيمى وزناً لشططميل لا يغلب ولا يرد ، يقودنى برغمى الى أبعد مما أود ؛ أبعد بكثير حتى إنه لو كان بوسعى أن أنال مليكتى المعبودة لحظة واحدة على شريطة أن أشنق بعدها بربع ساعة ،



لقبلت هذا العرض بغبطة أكثر مما لو عرض علي عرش الكون !

بعد هذا لم يعد لي ما أقوله لك ؛ لابد أن تكونى وحشاً همجياً لكى تأبى علي على الأقل قليلا من الشفقة .

لا الطمع ولا البطلان يمسان قلباً مثل قلبى ؛ وقد كنت عزمت على إنفاق بقية عمرى كفيلسوف فى صومعة كانت عرضت لي ؛ لقد قضيت على هذه المشروعات الجميلة جميعاً ؛ إذ شعرت أنه يستحيل علي أن أعيش بعيداً عنك ، ولكى أدبر وسائل اقترابى منك ، فانى أعول على القيام برحلة ومشروعات سوف تحول تعاستى المعهودة دون نجاحها بلا شك .

أما وقد قدر لي أن أجتر الأوهام ، فلا مناص على الأقل من أن أستسلم لأعذبها ، أعنى لتلك التى تنصب عليك : أى أنستى ، تفضلى فاظهرى شيئاً من إمارات العطف والحدب على صب مستهام لم يقترف جرماً حيالك غير أن وجدك خليقة بالحب ؛ عينى لي عنواناً ، واسمحى أن أعين لك آخر ، للرسائل التى سوف يكون لي شرف كتابتها إليك ، والردود التى ستتفضلين بتدبيجها إلي . والخلاصة بربك دعي لي بدافع الشفقة بعض شعاع من الأمل حتى ولو لتسكين الحماقات التى أستطيع أن أقدم عليها ليس غير .

ولا تحكمى علي خلال إقامتى هنا بأن أراك بهذه الندرة ، فلن يسعنى أن أطيق هذا الحكم ؛ امنحينى على الأقل ، فى فترات عدم التلاقى ، سلوة الكتابة إليك وتلقى أنبائك ؛ وإلا زدت من ترددى عليك ، مخاطراً بمهاجمة كل ما قد ينجم عن ذلك . إنى أقيم لدى الأرملة بتى ، بشارع جانتى ، بالسيف الملكى .

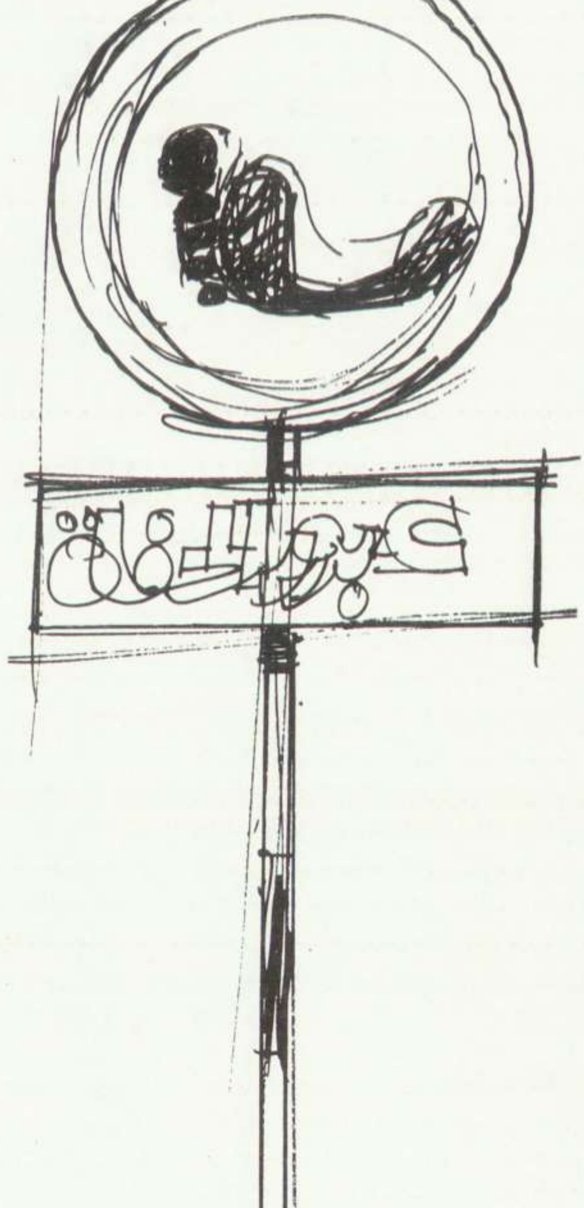
ضحكات الشهر



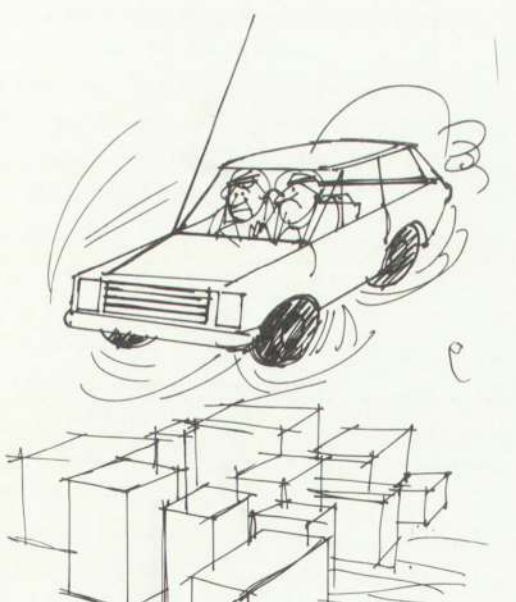
صلاح الليثي



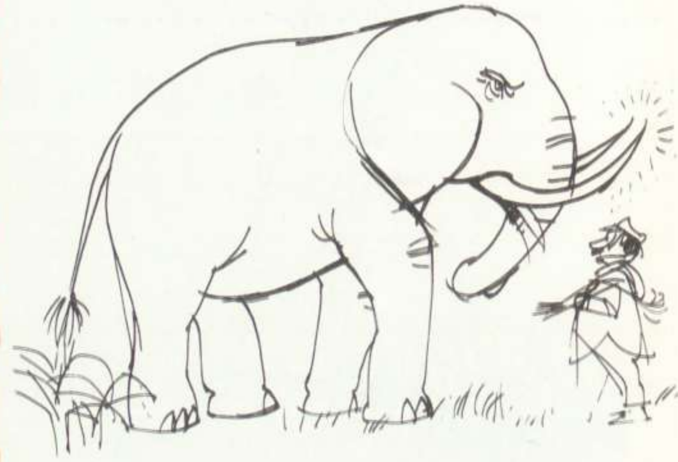
.. ده تزوير فى ورق ... محشي ..!!



.. بدون كلام .. !!



.. عاوز الحق اتفرج على
التجاروالمستهلكين على القناة الهضمية



ـ .. أنا شخصياً باحترمك
.. من أجل سنك فقط .. !!



ـ مكتب طيران

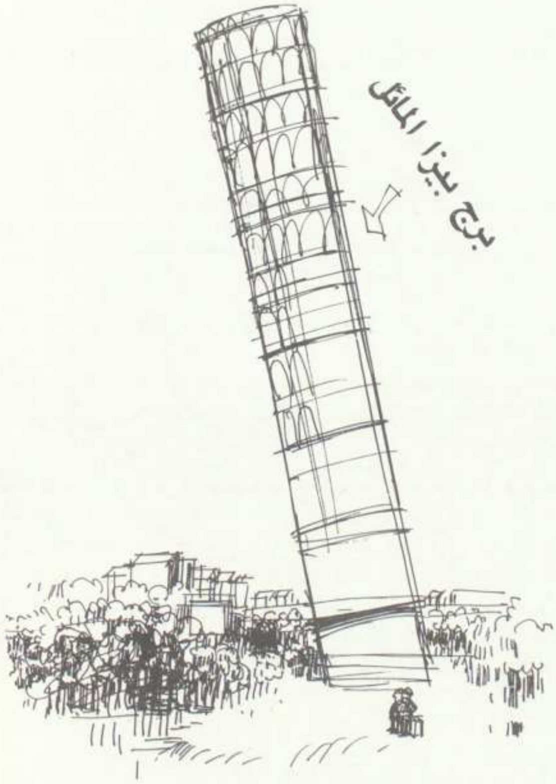


ـ .. من ايام قدماء العصريين
.. لما كانوا بيطلعوا القمر بسلم .. !!

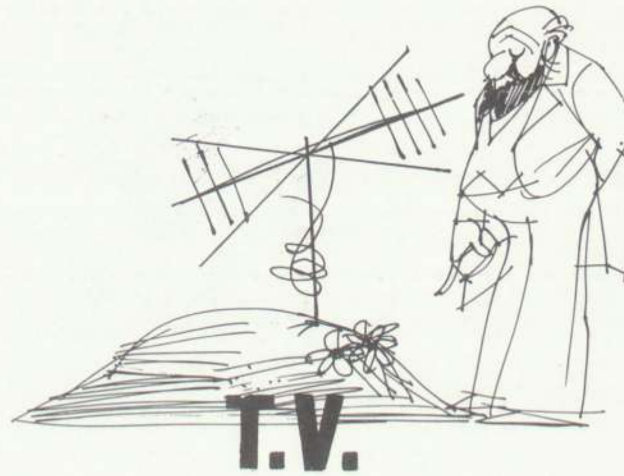


دارون .. بأثبت ان أصل القرد .. إنسان .. !!

ضحكات الشهر



ـ .. نشاهد فيه ايش .. ما الدنيا مليانه حاجات كثير مايله .. !!

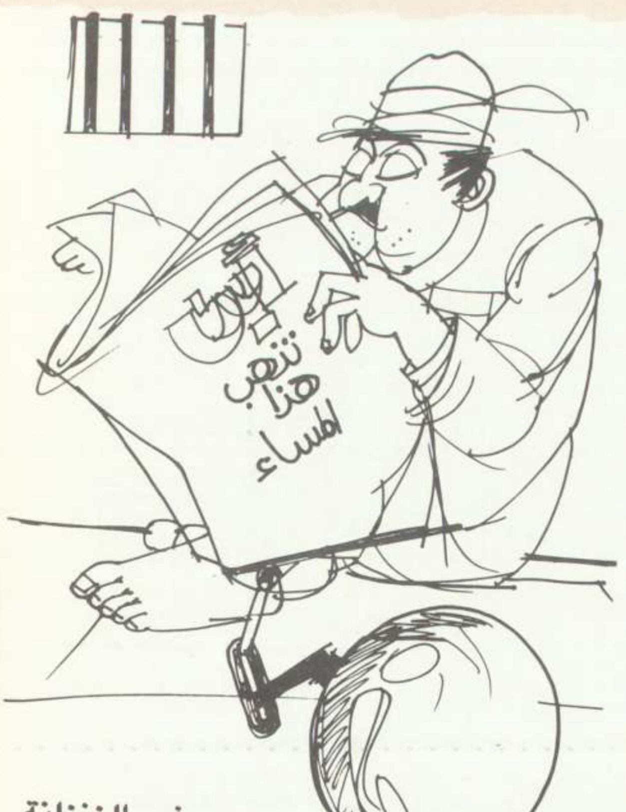


.. هنا يرقد الأبيض والأسود فى أمان .. !!

من العصر الفقرى



.. بدون كلام .. !!



فى الزنزانة

وسام التعب

شعر: محمد القيسي
"الأردن"



أى نافذة سكنت هذه الليلكه
وزعت فى الجهات يدى
وضلوعى
شظايا غدي
وانزوت فى الخطى المربكه !

• • •

قلت من أين الى أين تدور الشبكه
لا رعاياك ناموا وكفوا
ولا
مر فى جسدى
طائر الحركه

• • •

قلت آتيك ذات ضحى من شقوق الخيام
داخلا فى التفاصيل أو خارجاً
من صليل العظام
قلت سيدتى
ها أنا ذا أدور الأرض فاتحة ودماً
ضالعاً فى الضلالة والصعلكه
مشرعاً قامتى مثل صفصافة لا تنام
عيونى معى
ناقتى ودمى ورغيف الكلام
وأرى ما يمور بعينيك من فرح غائب ،
وسبيل ،

أرى دعوة القلب أن أسلكه
أترين الذى في لهوأ إذن
أم ترين على جبهتى ،
شارة التهلكه !
ليس تفاحة ما توهج فى الصدر ، لكن قلبى الذى قادنى
لرنين الخسارة ، قلبى الذى كان قيدنى بالسبب
ثم قلدنى فى احتفال طويل ،
وسام التعب
ها هو الآن ينفض عنه الرذاذ
شفقاً يدفق الضوء ، دفلى ،
عصافير تغرد أضلاعها وتغنى ،
فضاء يد ، وعناقيد مشتبكه
يدخل الآن تجربة اللون منفرداً ،
ساحلا ، ومدى موحشاً فى الظلال ،
وقُبرة هالكه
كوكب غامض ما أرى ،
أم ترى كرة برتقالية ،
زهرة تتهدل فى خفة ،
قمر نابض فى الخطوط ، وأجنحة ،
وقصائد جارحة مشركه
إنها بجعة اللون ، حالمة مرة ،
ومراراً أرى وجهها ليلكه
فى يديها أناشيد بحر ،
فأين حدود الرضا
أى زهر تفتح فى ذروة اللؤلؤه ؟!
كرنفال امرأة
وسرير من العشب ، هذا حنايا تراب بعيد ،
وأيقونة موشكه
أن تقول الذى فى دمى من صراخ ،
ولجلجة وعيون
أن تقول الجنون
وهى تومىء لي مدركه
أن نهراً من الأخضر الانفعالى يلبس وجهى
يجوس البرارى غزالا ،
وأنى لن أتركه
أى درب سيفضي الى بنية اللون ،
أو كرمة فى الرؤى غائمه !
أى شمس تكون دليلى الى بيت أمى
ودفقة رعشتها الحالمه
لا يد تسند الآن صدر المغنى
وقد أوشك الصمت أن يدركه .

دوحة القراء



المسابقة

مَن

امبراطور مسلم كان ينظر الى السحابة فى عنان السماء ويقول : إمطرى انى شئت ، فسيأتينى خراجك اسمه من احد عشر حرفا فى كلمتين :
٢ ـ ٧ ـ ٦ ـ ٥ ـ ١ ـ ٦ ـ ٨ ـ مجارى المياه .
١٠ ـ ٩ ـ ٣ ـ ١١ ـ ٤ ـ ٥ يهربون

أين

بلدة عربية قديمة العهد ، انشىء بها اول متحف فى تاريخ الحضارة البشرية . اسمها من عشرة احرف : ـ
٣ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٥ ـ ١ ـ ٦ المقيمون بالمكان .
٩ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٥ ـ ١٠ يلحق به .

ما

احدى عجائب الدنيا السبع فى مشرق الوطن العربى ، اسمها من كلمتين فى سبعة احرف : ـ
٥ ـ ٧ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٢ علم اخترعه المسلمون .
١ ـ ٥ ـ ٤ مدخل مشروع .

الإجابة الصحيحة





١ ـ « يستخرج الطولوين لصناعة المفرقعات من البترول »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟ ؟

٢ ـ تسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه مفاتيح القدس من البطريرك منغوريوس فى السنة الهجرية :
١٦ ـ ١٨ ـ ٢٠

٣ ـ كتاب (نقد الشعر) ألفه : مصطفى لطفى المنفلوطى ـ قدامة بن جعفر ـ أحمد بك شوقى .

٤ ـ جغرافياً ، تقع مدينة أسوان بالنسبة لمدينة الموصل فى الاتجاه : الشمال الشرقى ـ الجنوب الغربى ـ الشمال .

٥ ـ يتكون اللؤلؤ والصدف أساساً من افراز الحيوان الرخو لمادة معدنية هى : ـ كاربونات الكالسيوم ـ كرومات الكالسيوم ـ كلورات الكالسيوم .

٦ ـ « وهكذا كان أهل الأرض مذ فطروا .. » أكمل البيت وانسبه الى قائله .

٧ ـ رتب العناصر الاتية من الأخف الى الأثقل بالنسبة لوزنها الذرى : الزئبق ـ الصوديوم ـ المغنسيوم ـ النحاس ـ القصدير ـ الذهب .

٨ ـ ثلاثة من الألفاظ الآتية ممنوعة من الصرف ماهى ؟
بساتين ـ عمر ـ سيارات ـ عثمان ـ سلامة .

٩ ـ مؤلف أسفار « فى ظلال القرآن » هو : الشهيد عز الدين القسام ـ الشهيد سيد قطب ـ الشهيد عمر المختار .

١٠ ـ أول طيار عبر المحيط الأطلنطى فى طائرة بمفرده هو :
لندنبرج ـ هيزنبرج ـ إميل لودفيج .

حل مسابقة العدد ٦٣

مـن : لويس .
أيـن : المنصورة .
مـا : الورق .

١ ـ شبه جزيرة سيناء ـ شبه جزيرة قطر .
٢ ـ لا ليست صحيحة علمياً ـ لأن الخفاش يلد لأنه حيوان ثدى .
٣ ـ ١٩١٧ .
٤ ـ البيرونى .
٥ ـ المزولة .
٦ ـ ما لجرح بميت ايلام قائله المتنبى .
٧ ـ المانى .
٨ ـ الملاخيت ـ الكوبرايت ـ الكرايزوكولا .
٩ ـ وتر واحد .
١٠ ـ البخور والمر .

الفائزون بنتيجة مسابقة العدد ٦٣

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : علاء الدين أحمد ـ ص . ب ٢٧١٣ الدوحة .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : المصطفى ابن محمد يحيى ـ ص . ب ٤ / المقاطعة الخامسة / موريتانيا .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : هديل مروان جرار / مدرسة الأمير الثانوية ص . ب ٣٧ / أم القوين ـ الامارات

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ سهام محمد ابراهيم ـ الشارقة
٢ ـ عبد الكريم دافر موسى ـ العراق
٣ ـ منى محمد مروان ـ الكويت
٤ ـ أكرو محمد ـ المغرب
٥ ـ الصحبى الخليفى ـ تونس
٦ ـ لولوه شاهين الضحكى ـ البحرين
٧ ـ محمد كامل عاشور ـ السعودية
٨ ـ محمد يوسف فضل غانم ـ الأردن
٩ ـ كامل يوسف ذيب ـ لبنان
١٠ ـ طارق أحمد مصطفى ـ السودان
١١ ـ طه محمد القاطونى ـ دمياط
١٢ ـ صبرى أحمد عبد السلام ـ دمنهور

يرجى من الأصدقاء القراء ، أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت لهم .

فراسة عضد الدولة



حكى انه قدم رجل إلى بغداد ومعه عقد يساوى ألف دينار فأراد بيعه فلم يوفق فجاء إلى عطار موصوف بالخير والديانة فأودع العقد عنده وحجوأتى بهدية للعطار وسلم عليه فقال له العطار : من أنت ومن يعرفك ؟ فقال أنا صاحب العقد . فلما كلمه طرده وألقاه عن دكانه ، فاجتمع الناس وقالوا ويلك ، هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه الا هذا ؟ فتحير الحاج وتردد عليه فما زاده الا شتما وضرباً ، فقيل له لو ذهبت إلى عضد الدولة لحصل لك من فراسته خير .

فكتب قصته وجعلها على قصبة وعرضها عليه ، فقال ما شأنك ، فقص عليه القصة فقال اذهب غداً واجلس في دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك في اليوم الرابع ، فأقف وأسلم عليك فلا ترد على الا السلام ، فاذا انصرفت اعد عليه ذكر العقد ثم اعلمني بما يقول لك ، ففعل الحاج ذلك فلما كان فى اليوم الرابع جاء عضد الدولة في موكبه العظيم ، فلما رأى الحاج ، وقف وقال السلام عليكم فقال الحاج وعليكم السلام ، ولم يتحرك فقال يا أخى تقدم من العراق ولا تأتينا ولا تعرض علينا حوائجك ، فقال له ما أتفق هذا ، ولم يزده على ذلك شيئا ، هذا والعسكر واقف بكماله ، فأنذهل العطار وأيقن بالموت ، فلما انصرف عضد الدولة ، التفت العطار الى الحاج وقال له يا أخى متى أودعتنى هذا العقد وفى أى شىء هو ملفوف فذكرنى لعلى اتذكر ، فقال من صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم فتح جرابا وأخرج منه العقد ، وقال الله أعلم اننى كنت ناسياً ولو لم تذكرنى ماتذكرت ، فأخذ الحاج العقد ومضى الى عضد الدولة فأعلمه ، فعلقه فى عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودي عليه هذا جزاء من استودع ثم جحد ، ثم أخذ الحاج عقده ورجع إلى بلاده ؟

أحمد مبارك دحمان — اليمن الديموقراطية

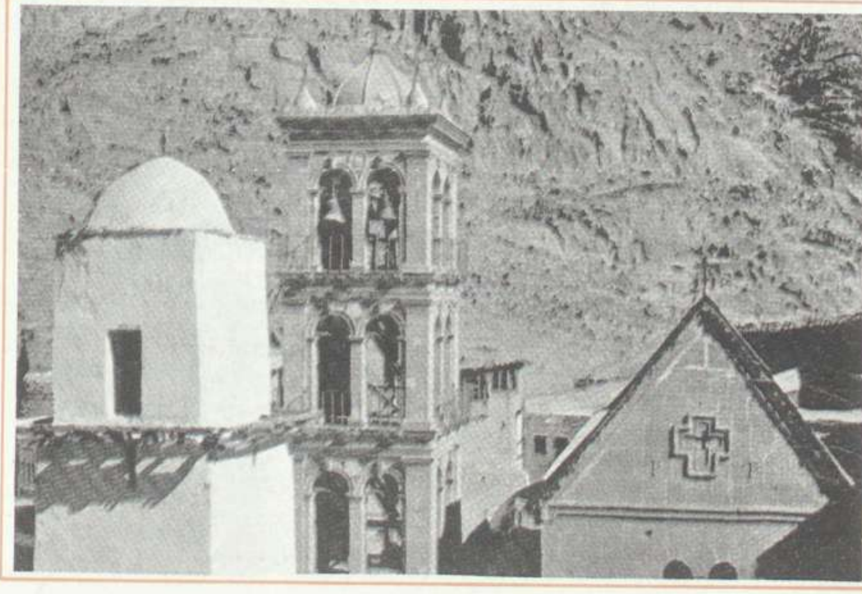
دوحة القراء

حـاول أن تعـرف ...



ـ هذه الخريطة الصماء لدولة غربية . يصل تعداد سكانها الى حوالى مائة وعشرين مليون نسمة . تشتهر بالانتاج الزراعى الواسع والمتنوع الى جانب الانتاج الصناعى . بها احتياطى بمناجم اليورانيوم يقدر بحوالى مائتى ألف طن . ترجع أكبر شهرتها الى زراعة محصول معين لا يؤكل .

ـ هل عرفت اسم هذه الدولة وما هى عاصمتها ؟



مسجد وكنيسة متجاوران فى شبه جزيرة تقع فى احدى القارات بينما يقع باقى الدولة التى تتبعها فى قارة أخرى . بنى هـذا المسـجد فى القرن الخامس الهجرى بينما بنيت الكنيسة فى القرن الثالث الميلادى .

ما اسم شبه الجزيرة هذه وما اسم المكان الذى يضم المسجد والكنيسة ؟ .

حـوار

تحاور حكيم مع ابنه فقال له :

ـ ما السداد يا بنى ؟

● قال : دفع المنكر بالمعروف .

ـ وما الشرف ؟

● اصطناع العشرة وطيب السريرة .

ـ وما السماحة ؟

● هى البذل فى العسر واليسر .

ـ وما اللوم ؟

● احتقار المرء لنفسه .

ـ وما الجبن ؟

● الجرأة على الصديق والفرار من العدو .

ـ والغنى ؟

● رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل .

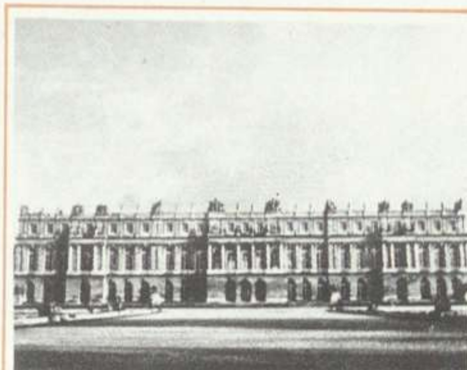
ـ وما تقوله فى الحلم ؟

● كظم الغيظ وملك النفس .

هانى أحمد عبد الحميد
كلية العلوم ـ جامعة الزقازيق

حـل مسـابقة حـاول أن تعـرف العـدد ٦٣

الصورة الأولى :
قصر الاليزيه فى باريس



١ ـ فخرى عبد السلام عثمان ـ الأردن

٢ ـ محفوظ بدر الدين . ـ . الجزائر

الصورة الثانية :
لاعب بالسيف من باكستان .



١ ـ نجاة عقيل عبد الله ـ عجمان

٢ ـ حسين أحمد الكاشف ـ العريش

من أقوال الحكماء

● ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة : إن لم تنفعه لا تضره ، وإن لم تفرحه لا تغمه ، وإن لم تمدحه لا تذمه .

● من السهل أن تضحى من أجل الصديق ، لكن من الصعب أن تجد الصديق الذى يستحق التضحية .

● المشورة هى أن تسأل أخاك أن يوافقك على أمر قد قطعت فيه برأى ..

● الابتسامة هى اللغة الوحيدة التى لا تحتاج الى ترجمة .

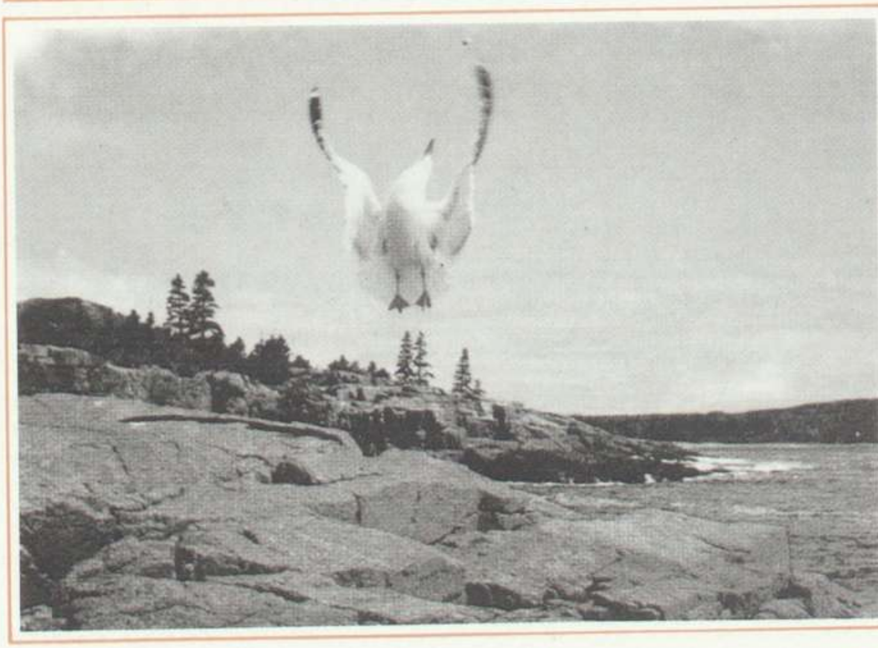
● رغم أن الجمال لا يعد من الضرورات لوجود الانسان وبقائه ، إلا أنه من الضرورات لسعادته .

● لا تتكلم على ملأ من الناس إلا عندما يكون قولك أفضل من صمتك .

● المرأة الفاضلة أفضل من أفضل الرجال وامرأة السوء أسوأ من أسوأ الرجال .

عز الدين أحمد بهجت الكويت

لقطة الشهر



دعـــــــاء

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : عمار أحمد مختار ـ طرابلس ـ ليبيا .

حل كاريكاتير وتعليق العدد ٦٣



ـ الدليل للسائح : «وهذا هو النصب التذكارى للخائف المجهول» .

عبد المنعم أحمد جمعة ـ ج . م . ع

ـ الرجل لصديقه «يظهر أنه هارب من حماته» .

أشرف محمد حسن القاهرة

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

الورقة الأخيرة

قنطار من الحلاوة ودرهم من الحلاوة أيضاً

● قولة الأستاذ العقاد «إن القصة تعطيك قنطاراً من الخشب لتستخرج منه درهماً من الحلاوة» و «أن ما تعطيه القصة أو الرواية فى صفحات كثيرة ربما يعطيه الشعر فى بيت واحد» ـ ليست هذه القولة مسلمة ، وخاصة بالنسبة لما كتبه الأستاذ الفاتح ابراهيم أحمد فى الورقة الأخيرة من «الدوحة» ـ عدد ٦٢ ـ إذ تحدث عن مسرحية «بيجماليون» لبرناردشو ، وألقى نظرات إعجاب على مضمونها وموضوعها الذى يقول إن بطلة المسرحية التى أجريت عليها التجربة لنقلها من حال الجهل والابتذال فى النطق والكلام الى حال الرقى ـ كانت قبل التعليم فى حكم الميتة فلم تواجهها متاعب الحياة ، ولكن بعد أن تعلمت واجهت متاعب كثيرة ، لما أثاره التعليم وما أججه فى نفسها من تفاعلات أدت الى تغيير نظراتها وموقفها من الحياة . ثم قال الأخ الفاتح ان هذا المعنى انعكس فى بيت واحد للمتنبى هو :

ذو العلم يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

ولكى يصل الى قولة العقاد التى حكاها وصف البيت بأنه «ومضة مشرقة فى بيت واحد تعبر عما تعجز الرواية أن تعبر عنه إلا فى مئات من الصفحات» .

والواقع أن المسرحية لم ترد أن تقول ذلك فى ومضة وعجزت .. وما كان لها ولا لغيرها من القصص أن تفعل ، وإنما أرادت أن تجسد المعنى المقصود بتصوير حياة البطلة وما جرى لها ، ولم يكن هذا التجسيد «خشباً» بل كان حلاوة يستمتع بها القارىء على طول الصفحات ، ولم «تعجز» المسرحية عن أن تقول شيئاً فى ومضة .. وليس من شأنها أن تفعل ، بل يقتضى الفن القصصى ـ ككل فن ـ أن تبث ما تقول فى تضاعيف التصوير ، ولو قالته مباشرة فى ومضة كما قال الشاعر لكان ذلك عيباً كبيراً ، إذ يعد من المباشرة التى تفسد الفن . وشعر الحكم كله يؤتى من هذه الناحية ..

أرأيت لو تغذيت بأقراص محضرة تمد جسمك بحاجته من الغذاء وتغنيك عن تناول الطعام العادى الشهى فى خضم وقضم ومضغ وتذوق وتلمظ ؟

الرواية أو القصة أو المسرحية هى التى تتيح لك ما يتيحه الطعام الشهى من متعة التذوق والتلمظ و ... و ... الخ ، فهى «مطبوخة» لكى تستمتع بها على طول القراءة فى الصفحات الكثيرة ، ثم تستخلص منها ما تستخلص ، كما تستخلص الخلاصة المهضومة فى المعدة وتوابعها وتجرى هذه الخلاصة فى العروق دماً يغذى سائر الأعضاء . وكان يمكن ان تستغنى عن شراء اللحم والخضر والسمن والبصل والثوم والتوابل .. الخ ، وتستغنى كذلك عن الطاهى أو الطاهية ، أو تريح زوجتك من عناء الطهى ، أو توفر جهداً تبذله بنفسك ... وما عليك إلا أن تأخذ أقراصاً تبلعها فى «ومضة» وينتهى الأمر .

ولا أريد بعد أن أفضل شيئاً على شىء فأقول بأن القصة أفضل من الشعر ، فلكل مذاقه ، ولكل حلاوته ، وليس لأفعل التفضيل أن يتسلل الى هنا ، وما أكثر ما يتسلل فيفسد الأمور .. يبدو لي أن أفعل التفضيل لازمنا من الصغر يوم كان يقال لنا : أيهما تحب الفطير أم الشوكولاته ؟

فالقصة حلوة ، والشعر حلو ، وإذا كان البيت الواحد يعطى درهم حلاوة فان الرواية تعطى قنطاراً من الحلاوة ، ولكل حلاوته كما قلت .

العقاد عملاق فى الأدب ، كما كان عملاقاً فى الجسم ، وكما أطلق عليه المسلسل التليفزيونى الذى عرضته الشاشة الصغيرة من قطر . وبرغم ذلك ليس كل ما يقوله يؤخذ قضية مسلمة .

مسرحية «بيجماليون» أنت قرأتها يا سيد فاتح ، وشاهدت الفلم «سيدتى الجميلة» الذى أخذ منها ، قل لي كم استمتعت بها وكم قضيت من وقت فى هذا الاستمتاع ، هل كنت تعانى خشباً أم كنت تتذوق حلاوة ؟

وروايات وقصص توفيق الحكيم ونجيب محفوظ والطيب صالح وغيرهم من عمالقة القصة عرباً وغير عرب ، أهذا كله خشب يفتقد الحلاوة التى تكون فى بيت شعر للمتنبى أو غيره ؟

أنت سودانى كريم ، من البلاد التى أنجبت الطيب صالح ، فهل رأيت الحياة السودانية المصورة المعطاة من قلمه فى «عرس الزين» و «موسم الهجرة الى الشمال» ؟ هل يعطيك حلاوتها المبثوثة فى الصفحات الكثيرة العدد بيت واحد أو أكثر لشاعر أى شاعر ؟

والعقاد نفسه فى روايته «سارة» التى صور فيها حالة الشك : شك المحب فى حبيبه من حيث الشرك فى الحب ، هل يعطيك ما أعطاه بيت أو حتى قصيدة من شعره نفسه ؟

حقاً ان كثيراً من الروايات والقصص هذر فى هذر .. لا تبلغ أن تكون خشباً ، وكذلك الشعر ، كم فيه من نظم لكلام فارغ ...

والحلاوة تكون فى القصة وتكون فى الشعر ، والخشب أو نشارته يكون فى هذا كما يكون فى تلك .. من الخشب ما هو «فورمايكا» أثمن بكثير من بعض الشعر والقصص .

عباس خضر


PEPSI



شقاوة أطفال للفنان القطري: محمد الجيدة

السنة السادسة العدد ٦٦ ـ شعبان ١٤٠١ هـ ـ يونيه ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية





البعد المفقود في حياة الإنسان المعاصر

خالد محمد خالد

شهريات د. يوسف إدريس

المرأة لغويا وحضاريا

محمد العدناني





لقاء مع الفنان

حلمي التوني

واتجاه أصيل في الرسم للأطفال


MIRINDA

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٦ - يونيو "حزيران" ١٩٨١

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الاداري والمالي : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة أو المجلة

طبعت بمطابع علي بن علي . الدوحة - قطر

في هذا العدد

خالد محمد خالد



متولى الشعراوى



د. يوسف ادريس





د. محمد الرميحى



د. محمد الأنصارى



جمال قطب

كلمة

آمال ثقافية في التعاون الخليجي

□ يصدر هذا العدد من «الدوحة» بعد أيام من اجتماع قمة «التعاون الخليجى» فى أبو ظبى ، ولا شك أن مجلس التعاون الخليجى قد اصبح الآن موضع آمال كبيرة لكل العرب فى الخليج وخارج الخليج ، وهى آمال متعددة متنوعة ، يرجو الجميع أن تتحقق فى كل المجالات ابتداء من التنمية الاقتصادية الى الأمن القومى .. على أن المثقفين العرب فى الخليج ، وخارج الخليج ، يحملون ايضاً آمالهم الكبيرة فى مجلس التعاون الخليجى ، وهذه ملامح عامة لبعض الآمال المنشودة من التعاون الخليجى ، والتى ينتظر الجميع أن تكون ضمن خطة ثقافية واسعة فى هذا المجال :

فهناك مشروع « دائرة المعارف العربية » التى توازى دائرة المعارف البريطانية ، وتختلف عنها فى أنها سوف تعبر عن حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا العربى الطويل المشترك ، ومثل هذا المشروع لا يمكن أن يقوم به فرد أو مؤسسة عادية ، أو دولة لا تملك إمكانيات كافية لانجازه ، والفرصة الحقيقية المتاحة هى أن يتم تحقيق هذا المشروع عن طريق مجلس التعاون الخليجى فى تخطيطه الثقافى لخدمة العرب ، خليجيين وغير خليجيين .

والمشروع الثانى الذى يمكن أن يتحقق فى هذا المجال هو دائرة معارف اسلامية ، مثل دائرة المعارف الاسلامية التى أصدرها عدد من كبار المستشرقين الألمان ، ولكن دائرة المعارف الاسلامية التى صدرت فى أوربا – على قيمتها وأهميتها – مليئة بالأخطاء وأحياناً بالدسائس والسموم . ودائرة المعارف الاسلامية المقترحة ينبغى أن تصحح الأخطاء وترد على أى عدوان حضارى وثقافى ضدنا وما أكثر ألوان العدوان فى هذا المجال .

هناك بعد ذلك المخطوطات العربية المبددة فى انحاء العالم والتى بلغ عددها الملايين ، وهى موجودة فى تركيا وهولندا والمانيا ، وعديد من البلاد غير العربية ، ولابد من نقل هذه المخطوطات الى العالم العربى بالطرق العلمية الحديثة لأن الذين يملكونها لن يفرطوا فيها ، ولكنهم يمكن أن يسمحوا لنا بتسجيلها بأسلوب « الميكروفيلم » على سبيل المثال .

ويمكن أن يقام فى الخليج ، وعن طريق مجلس التعاون ، مركز عالمى للمخطوطات العربية ، وسوف يكون مثل هذا المركز منارة حضارية كبرى ، وهو ثروة مادية ومعنوية لا تقدر بمال فى الحاضر والمستقبل .

وليس المهم فقط أن نحصل على هذه المخطوطات ، بل لابد من خلق أجهزة علمية من بين شباب الأجيال الجديدة ، وذلك من أجل تحقيقها ونشرها ، وتصحيح التاريخ العربى والفكر العربى كله من خلال نشر هذه المخطوطات ... المهم أن نؤكد أن هذا المشروع قد يتكلف كثيرا ، ولكنه رابح مادياً على المدى الطويل بما يعوض تكاليفه أضعافاً مضاعفة ، بل ربما يعود على الخليج بالربح المادى والمعنوى الوفير بصورة دائمة ومنتظمة .

هناك أيضاً قضية اللغة العربية ودراستها بالنسبة للمسلمين غير الناطقين بالعربية وبخاصة فى أفريقيا وآسيا فاللغة العربية هى اكبر دعم للنفوذ الحضارى العربى ، بل هى بصراحة أكبر دعم للنفوذ السياسى والاقتصادى العربى ، وذلك أمر معلوم وواضح بالنسبة للشعوب الحية جميعاً ، وعندما تزور ملكة انجلترا أو رئيسة وزرائها بلداً من البلدان ، يكون من بين برامجهما الرئيسية تقديم معونات مادية وأدبية للمدارس والمعاهد التى تقوم بتدريس اللغة الانجليزية ، لأن الثروة الأولى لانجلترا الآن هى اللغة الانجليزية والثقافة الانجليزية ، وينبغى أن تكون ثروتنا الأولى والثابتة هى اللغة العربية ، واللغة العربية بانتشارها إنما تحمى معها وتصون كل ما نملكه ، وعلى رأس ما نملكه : البترول ، فكلما انتشرت اللغة كسبنا الأصدقاء ، والانصار ، والمؤيدين ، وازدادت عروبة البترول ، وازداد رسوخه فى الأرض ، بل واستطعنا أن نكون أصحاب قوة حتى بعد نفاد البترول ، كما أصبحت انجلترا – عن طريق لغتها وثقافتها – ذات قوة وتأثير واسعين فى العالم كله ، حتى بعد أن فقدت الكثير من مصادر قوتها التى كانت معروفة فى القرن الماضى وأوائل هذا القرن .

إن الدور الخليجى فى ميدان الثقافة العربية واسع وهام ، وهناك آمال كبيرة ينتظرها العرب جميعاً من مجلس التعاون فى هذا المجال .

نعم .. كل العرب ينتظرون هذا الخير الثقافى العام على يد مجلس التعاون الخليجى ، الذى نرجو أن يكون ميلاده بداية نهوض وثراء وخطوات واسعة وحقيقية الى الأمام .

رجاء النقاش

رسائل إلى المحرر

● قنطار خشب

● لفتت نظرى الصفحة الاخيرة فى العدد الثانى والستين ـ فبراير ٨١ ـ .. بل هزتنى بعنف .. «إن قنطاراً من خشب الرواية بدرهم من الحلاوة نجده فى بيت شعر واحد» نتيجة فيها تجاوز كبير ، ولي عليها تحفظ.

إننى من عشاق الشعر الى حد الهيام ، ومع ذلك لا أرى هذه النتيجة صحيحة ، فان المغزى الذى نخرج به من الرواية ، إنما نخرج به بعد أن نكون قد عايشنا صورة من الحياة ، تتلامس معنا ونتلامس معها بشكل او باخر ، وبعد أن نكون قد تمتعنا بالكثير من العطاءات الطيبة من خلال هذه المعايشة ، وتعرفنا على افكار وصور وآراء حية نابضة متماوجة ، ترتسم أمامنا .

أما قراءة بيت الشعر الذى نخرج منه بنفس المغزى ، فاننا سرعان ما ننسى هذا المغزى بنفس السرعة التى استخرجناه بها .

إن مجرد سرد القصص والحكايات بحد ذاته مطلب غال وثمين عند الشاعر العبقرى الألمانى «جوته» وما المغزى فى رأيه إلا رشفة الدواء السحرية التى تتسرب وترشح قطرة قطرة ، حتى تغدو جرعة شافية فى نهاية الرواية .

ولو أننا وافقنا الكاتب على رأيه ، لأدرنا ظهورنا لتسعين بالمائة من عمالقة الأدب فى العصر الحديث ، ولأغلقنا باباً من أبـواب الثقافـة والمعرفة .

واخيراً ... ألم يستخدم القرآن الكريم أسلوب القصة فى سوره وآياته .. !

محمد رمضان الأحمر
دمشق ـ سوريا

● السفينة السندباد الجديد

اشارة الى مقال الاستاذ على عبد الله خليفة بعنوان هموم ثقافية المنشور بالعدد (يناير ١٩٨١) والخاص ببناء السفينة ـ السندباد الجديد ـ التى اقلعت من سلطنة عمان قاصدة الشرق الاقصى مسترجعة بذلك امجاد العرب الاوائل حين كانوا سادة البحار فانه لما يؤسف له ان بعض الذين شاركوا فى صنعها نجارون هنود مع انها بنيت فى مدينة صور العمانية ذات التاريخ العريق فى صناعة السفن .

طالب عمانى

● شكراً لشعورك ، ولا يخفى عليك علاقة سلطنة عمان الحضارية مع الهند وكذلك بقية أقطار الخليج العربى منذ أزمان بعيدة ، وكون نجارين هنوداً قد شاركوا فى صنع السفينة لا يقلل من القيمة العلمية للتجربة والتى أعادت الى الأذهان ما كان للبحارة العمانيين من أمجاد عريقة فى ركوب البحر .

علي عبد الله خليفة

● احياء التراث العربى

أتساءل لماذا لا تشارك مجلة الدوحة فى احياء التراث العربى بتناول احد أعلام الأدب العربى القديم وأعماله العظيمة ،حتى تسهم المجلة فى التعريف بماضينا التليد ، وتربطه بحاضرنا .. ، وحتى تكون الأجيال العربية على وعي تام بماضيها لتعي قوميتها وتراثها وحضارتها العريقة .

عبد العليم علي عبد العليم
كفر الزيات ـ ج ٠ م ٠ ع ٠

ـ هذه رسالة تقوم بها مجلة الدوحة فعلا من خلال موضوعاتها الكثيرة المتنوعة ولو تابعت الأعداد الصادرة ستجد ان ذلك متحقق فعلا .

● الأدب الشعبى

بعد قراءتى للعدد (٦٣ ـ مارس ٨١) لاحظت قلة الجرعة الادبية والعلمية الشعبية فى المجلة ويقتصر النشر على الراقى منه فقط لذلك أرجو أن تعرفونا بالأدب الشعبى الخليجى .

السيد علي الحلوانى
كفر صقر ـ ج ٠ م ٠ ع

● راجع الأعداد الاخيرة من المجلة تجد الاجابة

● من تجاربي الشخصية
الطفل الكبير

أبواب الاستراحة مفتوحة دائماً ، فتزيد احساساً بالغربة ، ولأنك لا تملك شيئاً تغلقه على نفسك فيزيد احساسك بالضياع .

حمى خفيفة أصابتنى . عرق بارد ورعشة طول الليل ، وانا وحدى . السفر كان طويلا وشاقا . حولى لا يوجد شيء غير الظلمة . بيوت القرية أشباح تتراءى عن بعد ، كالعفاريت التى كانت تحكى لنا جدتى عنها .

الأطفال هنا كصغار الحيوانات الخائفة ، ترانى فتجفل وتجرى .

قلقت وقمت مراراً . النوم غير عميق كمياه مستنقع القرية ، متقطع كالطريق الترابى الذى يربطها بالمدينة .

نهضت أخيراً . عزمت على أن أخرج من هذا القبر الحي لأتمشى فى ساحة المستشفى . جلست على حافة السرير. الطفل قابع بجوار سريرى مثل كلب متعب . لا أدرى متى دخل الغرفة .

ـ متى جئت ؟

ـ منذ لحظة . سألت عنك فقالوا إنك مريض . أنت طبيب فكيف تمرض ؟

كان يحشر جسمه فى جلبابه الكستور القذر الممزق . عظامه تطل من فتحات فى الجلباب كقـرون استشعار . صدره العارى يطل هو الآخر من طوق الجلباب المفتوح . فى وجهه براءة الطفولة ، وضنك حياة قاسية تقفز من عينيه كبطاقة هوية .

كثيراً ما كان يأتينى فى عيادتى الخاصة . يدخل فى صمت . يجلس على الأرض . يحرك رقبته فى كل اتجاه كقط ينتظر قطعة لحم . يحدق فى المرضى وأثاث الحجرة . وكما يجيء يذهب . كان يتيماً يعيش مع جدتـه العجـوز المصابـة بالشلل الرعاش . وكانت هى بداية تعرفى به . أحضرها الى المستشفى يريد شفاءها .

ـ ليس لي سواها . إنها تسكب الطعام والشاى بيديها المرتعشتين دوماً . لا تستطيع غسل الملابس .

وبدأت علاجها ، واستجابت بعد وقت طويل . دائماً كان يشكرنى ويردد ما تقوله جدته :

ـ ربنا يحنن عليك .

احضرها مرات كثيرة الى عيادتى الخاصة . كنت أعطيه بعض عينات الدواء . بدأت مع الأيام الفة بيننا .

كانت تنفرج أساريره احيانا . لم يكن يعرف طعم الضحك .كان فى كل مرة يعرض علي ما جمعه من قروش ثمناً لدواء جدته وكنت أردها له شاكراً .

قال لي : سألت عنك فى العيادة فلم أجدك . قالوا إنك مريض . سلامتك

كانت يده اليمنى مطبقة على منديل قديم أزرق .

قال : جدتى تسلم عليك . إنها تحبنى وتحبك . ليس لي فى الدنيا سواها . تاخذنى فى حضنها طول الليل . تقول اننى أشبه أبى . مات قبل أن أولد . أمى ماتت بعد ولادتى بشهور .

فتح المنديل الأزرق وأخرج منه جنيها أعطاه لي .

ـ أتعبناك وأثقلنا عليك . خذ هذا الجنيه فانت فى حاجة اليه الآن . انت مريض والعيادة مغلقة . هذا ما بقى من عيديتى . أعطانى الناس قروشا كثيرة . أخذها صاحب الدكان وأعطانى هذا . كنت ساشترى به جلباباً جديداً ولكن انت أولى منى الآن . ق: تحتاج ثمن الدواء لأن العيادة مغلقة .

وطفرت من عينى دمعة وسرحت قليلا .. وقبل أن أرد اليه الجنيه كان قد انصرف .

دكتور / أحمد كمال الجزار
كفر الشيخ ـ ج ٠ م ٠ ع ٠

"الـــدوحـــة" في الأنـــبـــاء

● نشرت الزميلة اليومية الكويتية « الأنباء » تحقيقاً عن مجلة «الدوحة» تناولت فيه بالتنويه والتعليق مواد العدد الماضي. والدوحة إذ تشكر الزميلة « الأنباء » ، على إحساسها الحميم بها ، وحفاوة التنويه بمادتها العربية المتنوعة ، إنما تؤكد بهذه البادرة أواصر العلاقة الطيبة بين صحف الخليج العربي ودورياته المتعددة ، التي تلعب الآن دورها الملحوظ في محيط الثقافة العربية .



الأنباء

مجلة "الدوحة" تقدم للقارئ العربي الكثير..

ولكن هل يتوازى الكم مع الكيف؟

السيجار

● الدفاع عن الشرف والحيـــاة

تذكرت وأنا أقرأ مقال «انتاج السلاح في الوطن العربي» قولا مأثوراً للزعيم الوطني مصطفى كامل : إن الأمم لا تنهض إلا بنفسها ولا تسترد استقلالها إلا بمجهوداتها وإن الشعب كالفرد لا يكون آمناً إلا إذا كان قوياً بنفسه ،مستجمعاً لكل عدد الدفاع عن الشرف والحياة ..

ولهذا فانني أؤيد اللواء الركن محمود شيت خطاب في كل ما جاء في مقاله ، بل وأقول له إن الأمة العربية بموقعها الاستراتيجي وبما تملك من ثروات علمية وطبيعية واقتصادية وروحية قادرة على الوصول الى أهدافها إذا ما عرفت طريقها الصحيح الذي يحتاج للعرق والجهد والصبر والتضحية بدون حدود .

محمود جفلان
حلب ـ سوريا

● بدلا من قسوة الحياة الثقافية !



إنها محنة أن نفاجأ بشاعر ينتحر فجأة ليجعلنا نقف طويلا متأملين هذا المشهد الدرامي وكأنه وثيقة اتهام ضد عصره .. فمتى ننظر لكل من يحمل القلم بنظرة مليئة بالحب والحماس وعدم الاحباط ؟ .. نرجو من رئيس التحرير أن يواصل مقالاته عن أمثال الشاعر أحمد العاصي ، وحتى نعوضهم عن كل مايلاقونه من معاناة وضياع في زحمة وقسوة الحياة الثقافية .

عمر عثمان كرم الله
الجزيرة ـ أبا ـ السودان

ردود سريعة

● القارىء : مصطفى طولان ـ أدرار ـ الجزائر :
ـ الأستاذ رجاء النقاش رئيس التحرير يشكر لك شعورك الرقيق ويحيي أخوتك وعروبتك وسيحاول أن يكتب في الموضوع الذي أشرت اليه .

● القارىء : الجهبلي عبد العزيز ـ الدار البيضاء ـ المغرب .
● القارىء : مكرم بنزينة ـ المحرس ـ تونس :
ـ اهتمام المجلة بأدب وحضارة دول المغرب العربي واهتمامها بالنهضة الفكرية والثقافية هناك ، لا تقل بحال عن الاهتمام الذي تلقاه بلاد المشرق العربي ولو تصفحتما أعداد المجلة لوجدتما الدليل على ذلك .
والمجلة تفتح صفحاتها دائماً لكل انتاج جيد هادف رفيع المستوى .

● القارئة عـزة علي غزال ـ الدوحة ـ قطر :
ـ المجلة ترحب بانتاج القراء وتتولى رعايته إذا كان في مستوى مناسب .

« بين الأهل والأعداء »

بعد صدور كتابه عن الشهيد الحي عبد القادر الحسيني يسعى الزميل نبيل خالد الأغا لاستكمل فصول كتابه الجديد « بين الأهل والاعداء » والذي تم نشر أغلب مواده في الأعداد الأخيرة من المجلة تحت عنوان « وجه مدينة من فلسطين » .
ومن منطلق حرصه على شمولية الكتاب فهو يأمل من الأخوة القراء موافاته بأية معلومات صحيحة وصور حية عن مدن : اللد والرملة والمجدل وصفد وبئر السبع ورام الله ، مع التكرم بتزويده بأسماء أشهر وأعرق العائلات والشخصيات البارزة فيها . ومراسلته على عنوان المجلة .

هؤلاء

تقـــرألهـــم في العـــدد القـــادم والأعـــداد التـــالية

● عبدالكريم غلاب
● الدكتور حافظ الجمالي
● عثمان صالح سبي
● الدكتور أحمد عثمان
● نعمان عاشور
● عبدالرزاق البصير
● محمد المهدي المجذوب
● محمود شيت خطاب
● يوسف الشاروني
● علي الملك
● رءوف توفيق
● محمد البساطي
● الدكتور طه وادي
● مصطفى أبو النصر

وفي العدد القادم :

الإنـــمـاء والأمـــن والنفـــط في الوطن العـــربي

● الدكتور يوسف الصايغ

البعد المفقود في حياة الإنسان المعاصر

بقلم: خالد محمد خالد

ابتداء من هذا العدد يلتقى قراء الدوحة شهرياً مع الكاتب الكبير خالد محمد خالد ، ويسعد الدوحة أن ينضم الى اسرتها هذا القلم الجرىء المعروف بأمانته واصالته وصلابة رأيه وقوة تعبيره واتساع ثقافته وفكره وصدق رؤيته .

■ يوشك الدين أن يصير بعداً مفقوداً فى الحضارة الماثلة وفى حياة الانسان المعاصر .

وإذا قلت «الدين» فأنا أعنى جوهره وروحه قبل شعائره وطقوسه .

والدين بهذا المعنى يفصل بينه وبين إنساننا المعاصر غربة مفتعلة ، وقطيعة مصطنعة .

فالانسان ، شاء أم أبى .. درى أم لم يدر وثيق الوشائج بالدين ، لأن فطرته التى فطره الله عليها تحكم هذه الصلة وتوثقها .. يقول الرسول عليه السلام :

«كل مولود يولد على الفطرة» .

ويحكى الله فى قرآنه العظيم عن الذين يتجاهلون وجوده سبحانه ، ويعمون عن رؤيته فى آثار قدرته ورحمته – انهم إذا حلت بهم كارثة أو أظلتهم صاعقة تحركت فطرتهم وفجأهم ايمانهم المخبوء والمكبوت فلجأوا الى الله فزعين وصرخوا باسمه ضارعين : يصف سبحانه هذا المشهد فيقول :

«.. حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين» .. !!

● ●

وأذكر أننى قرأت من عهد بعيد مقالا لطيار أمريكى كان عنوانه (ليس فى الجو إلحاد) .. وتتلخص قصته – كما رواها – فى أنه كان أستاذاً باحدى الجامعات ، وكان ملحداً ، لا يؤمن بالله ولا يعترف بالدين . وعند نشوب الحرب العالمية الثانية جند طياراً .. وفى احدى المعارك الجوية التى خاضها مع رفاقه فى السلاح تصدى لهم سرب من الطائرات الألمانية المقاتلة .. ودارت بين الفريقين معركة حامية .. ورأى طائرات رفاقه تتساقط بطائريها وتتناثر شظاياها كأنها عهن منفوش . وبقى وحيداً فى هذا الجحيم يتناوشه السرب الألمانى ويصليه من قذائفه سعيراً ..

وفجأة – كما يقول – تذكر الله .. وسمع لسانه ينطلق من عقاله هاتفاً : يا رب !! وراح يراكض الطائرات الألمانية فى شجاعة اليائس ، وأحس كأنه فى غيبوبة أو كابوس موحش رأى نفسه وسط طائرته وقد هبطت بسلام لتجثم على أرض مطارها .. !!

ها نحن أولاء أمام انسان على قدر كبير من الثقافة ، وأستاذ فى جامعة قضى حياته ملحداً ، يقهر بغروره صوت فطرته .. ظاناً بالله ظن السوء ، ويحسب أنه قد طوى فكرة الدين ونبذها بعيداً ، ويحسب أنه كبت أنفاس الفطرة فيه الى الأبد .. ولكنه لا يكاد يدنو منه الخطر ويحيط به الموت حتى يدرك فى مثل لمح البصر أنه مجرد عبد صغير لاله كبير ، وأن كل ما تعلمه من فلسفات الالحاد لم يكن سوى رماد يتوهج تحته وميض نار مقدسة .. وفجأة برزت الفطرة الكامنة ودوى صوتها معلماً ذلك المغرور الضعيف أنه أكثر عجزاً من أن يسكت صوتها الأبدى الذى انطلق فى ساعة العسر ولحظات الكرب والموت ضارعاً الى من بيده الأمر

وهو على كل شيء قدير !!!

● ●

وقريباً من هذه الواقعة – أذكر نبأ «تيتوف» وهو على ما أذكر ثانى رائد فضاء أطلقه الاتحاد السوفييتى ليطوف حول الأرض ، فقد سئل «تيتوف» إثر عودته من رحلته : ما السؤال الذى طرأ على بالك عندما رأيت الأرض كالتفاحة المعلقة فى الفضاء ؟ فكان جوابه : كان السؤال الذى فاجأنى هو : من الذى يمسكها ؟ إن هذا السؤال فى حقيقته سؤال دينى ألقت به الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

فـ «تيتوف» هذا شاب من جيل الثورة البلشفية فى روسيا رضع الالحاد طفلا ، واغتذى به شاباً ورجلا . ولو أن الالحاد قادر على محو الفطرة لما خطر هذا السؤال أبداً على بال «تيتوف» فالذى يمسكها وفق ما تعلم ليس الله .. إنما هى الجاذبية .. الجاذبية التى صنعتها المادة ولم يصنعها الاله !!

أما وقد فاجأه السؤال (من الذى يمسكها) فقد كان هذا السؤال الذى ألقته عليه فطرته دحضاً ونبذاً لكل أفكاره الملحدة .

إن إيمان أبى الأنبياء «ابراهيم» عليه السلام بدأ بسؤال شبيه بهذا السؤال . ألا وهو (من وراء هذه النجوم وهذا القمر وهذه الشمس ؟) .

إن الايمان بالله فطرة ، والايمان بالدين فطرة مهما يحاول الملحد كبتها فان لها لحظات تبزغ فيها كالشمس وتفرض نفسها فى قوة واقتدار .

● ●

وهذا البعد المفقود فى حياة انساننا المعاصر ، ليس مفقـوداً بالنسبة للملحدين وحدهم .. بل هو كذلك بالنسبة لأعداد هائلة من المتدينين .

ذلك أن المهم فى الدين جوهره وروحه .

يقول الفيلسوف الأسبانى «سانتايانا» عندما سئل عن الدين ما هو ؟ أجـاب قائلا : (الدين هو ما يفعله الانسان فى خلوته) .

وهو – طبعاً – لا يعنى أن الدين شعائر تؤدى فى تكتم وخفاء .. إنما يعنى بما يفعله الانسان فى خلوته ، تجرده حين يتعبد تجرداً كاملا الى الله ، ناضياً عن نفسه كل مشاغله اللاهثة .

أجل .. لكأنه يعنى الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم حين سئل عن

● هذا البعد المفقود فى حياة إنساننا المعاصر ليس مفقودًا بالنسبة للملحدين وحدهم ، بل هو كذلك بالنسبة لأعداد هائلة من المتدينين

الاحسان ، وهو مقام يعلو مقام الاسلام ومقام الايمان فأجاب عليه السلام :

«الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك» .

هذا هو تماماً «البعد المفقود» فى حياتنا المعاصرة سواء الملحدين منا أو المؤمنين . لأن العبرة فى التدين الوصول الى هذه المنزلة ، التى حدثنا عنها الرسول الكريم ، أن تعيش بروحك فى دائرة الضوء تريك الله ، أو تريك أن الله يراك .

ولقد سئل الصوفى الكبير الشيخ احمد زروق عن التصوف ، فقال : (هو صدق التوجه الى الله) .. وهو بهذا يريد أن يضع أبصارنا على حقيقة الدين .

إن الانسان لا يستطيع أن يعيش فى خواء من الايمان ، مهما شغلته شهوات نفسه ومتاع دنياه . بل انه كلما ازداد عباً من الشهوات والمتع كان كمن يطفىء الظمأ بماء البحر الملح الأجاج !!

إن الانسان المعاصر يحيا فى خيال أزجته الحضارة التى نعيشها . وهو محروم حتى من سكينة النفس التى دعا بها فيلسوف صينى قديم فقال :

«يا رب خل ترف الحياة الدنيا كله تحت أقدام الحمقى ، وأعطنى سكينة نفسى» !! .

ومن عجب أن الانسان فى عصرنا يبذل جهوداً مضنية فى سبيل ارهاق نفسه واشقائها وفى سبيل اهدار فرصته فى هذه الحياة !!. ذلك أن فرصته الحقيقية ماثلة فى أن يعثر على روحه

وسط هذا الظلام الدامس ، وأن يصلها فى نسك حقيقى طاهر بربها الذى زكاها . وسبيله لهذا هو الايمان بالدين والاقبال عليه .. هو التدين الذكى الوثيق الذى يبعث الروح من ترقدها ويسير مع الفطرة الصادقة التى فطرنا الله عليها .

وبدون تحقيق هذا البعد المفقود فى حياة الانسان ستظل حياته ناقصة ومفلسة ، وستنتهى نهاية خاسرة ..

إن الانسان فى مجتمعنا البشرى «قشة» تعصف بها أهواء الحياة ومغريات البيئة ، وانه لكى يربح حياته وينجو بمصيره عليه أن يتعرف الى هذا «البعد المفقود» .. عليه أن يقيم مع السماء علاقات نظيفة وخيرة .

● ●

لست متشائماً تجاه ما ينتاب الانسان المعاصر من انحلال وشرود ، فان ذلك كله يحرك فى أعماقنا هذا السؤال الدينى : «الى أين .. ؟؟» .

والكبت الذى يعانيـه «حسنا الأخلاقى» سيؤدى الى انقلاب حتمى ، نعيش اليوم مقدماته فى هذه الفوضى السلوكية والضياع النفسى .

إن سلوكنا سلوك من يسخر من نفسه بما نقترفه من عبث واستهتار .

إننا – حيث نكون – عبيد شهواتنا . بيد أننا نفعل الشر ونغثى .. وهذا الغثيان فى التحليل النهائى له ، ليس إلا رفضاً لنوع الحياة التى نحياها . ودعوة للقيم الفاضلة والخالدة ، كى تعود وتأخذ بأيدينا .

لكن زورق النجاة الذى يستطيع أن يستنقذنا من الموج الفاغر سيظل متمثلا فى ذلك البعد المفقود .. فى الدين الذى جعله الله بيننا وبينه رابطة خالدة .

هناك فيلسوف لا أذكر اسمه قال : «لو لم يكن هناك دين ، لوجب علينا أن نخترع الدين» . !!

وهذا الفيلسوف كان بحاجة ملحة الى عزاء ، فقال هذه الكلمات ..

أجل .. اننا نرى ، أو يرى الكثيرون منا فى الدينَ مجرد عزاء ، لكن الدين أكثر من عزاء . بل إن العزاء الذى يقدمه للناس هو أدنى عطاياه وهباته .

والذين يرون فى الدين عزاء وحسب ، عندما يرتطمون بشقاء الحياة الذى يزلزل نفوسهم ، يصيرون الى الكفر أقرب منهم للايمان ؛ لأنهم لم يجدوا العزاء

الذى توقعوه من الدين !!

إن الدين وعد الله الحق ، وكلمته الصادقة .. هو تربية وتقويم ومشحذ لكل قوى العدالة والخير فى الانسان .. إنه أكثر من عزاء لأنه حاجة روحية غريزية ، وحتم علينا أن نتقبلها ونلبى نداءها فى الأخذ بتلك التعاليم المقدسة التى شرعها الله لنا ، ودعانا اليها ، وجعل هناءنا الأبدى فى احترامها . إن الدين نور يكشف لنا خدع الحياة وأوهانها .. ومن عجب أن كثيرين من ناس هذا العصر يحسبون الدين وهماً ، ومسكناً لتطلعات العقل الانسانى وصاداً له عن وثباته الجريئة للكشف عن الحقيقة . مع أن الدين هو الحقيقة الأولى فى حياتنا ، ولا يستحق الكافرون به سوى الرثاء .

إن الذين يؤمنون بوجود الشمس مثلا لا يأتون أمراً مذكوراً ، لأنهم يبصرونها ويجدون الحرارة فى أشعتها . والطفل الصغير ، بل والذبابة قادران على الايمان بها .. أما الذين يؤمنون بالغيب ، فأولئك هم المؤمنون حقاً . أولئك هم الذين استوى رشدهم وبلغ تمامه .

من أجل ذلك استهل الله القرآن الكريم بتحية أزجاها اليهم فقال سبحانه فى أول سورة البقرة :

«.. ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ..» .

فالايمان بالغيب هو دعوة الدين ووسيلته لجمع الانسان ببعده المفقود ، وارتفاع به وتسام عن المحسوسات الفانية الى الآفاق التى يشرف منها على عالم الحق المبين ، ويعانق فيها نصيره الذى يلتقى به على عتبات خلود لا شك فيه ولا ارتياب .

● ●

إن تحويل قضايا الوجود الانسانى الى «مفاهيم عقلية» عمل مقبول ما لم يتوقف عند هذا المدى القريب . وإنما علينا وعلى أهل الذكر والعلم فينا أن يطلوا بنا أيضاً على المفاهيم الروحية لتلك القضايا ، وذلك الوجود .

فالذين ينكرون الدين أو يتجاهلونه ، إنما يعزلون أنفسهم عن مصدر الوجود ، وبالتالى فهم يعزلون تفكيرهم وعقولهم عن الحقيقة قانعين منها بالقشور دون اللباب .

● العبرة في التديّن هي في الوصول إلى المنزلة التي حدّثنا عنها الرسول الكريم : أن تعيش بروحك في دائرة الضوء ، تريك الله أو ترى أن الله يراك

الفيلسوف الألماني جوته





كونفشيوس .. احد نساك هذه الحضارة

وستظل البشرية مهما تطوف بين الكواكب وتحلق فى أجواء السماوات .. ستظل حبيسة جهلها وعنادها حتى تثوب الى بعدها المفقود ، وحتى يكون لها «رؤية دينية» تحترمها وتذعن لها ، وتجدد عن طريقها إيمانها بالذى خلق فسوى وقدر فهدى ..

إن الانسان المعاصر يمكن أن يكون «وباء معاصراً» إذا هو لم يفعل شيئاً يدنيه أو يرد اليه هذا البعد المفقود ، وإذا هو عاش الى أرذل العمر عاقاً لروحه

إننا ضحايا أطماعنا وضحايا جوعنا اللاهث الى المجد والثراء والجاه .. وإن المجد والثراء والشهرة ، وبقية هذه العائلة ، ليست أكثر من عصابة تسرق من النفس البشرية خير فضائلها جرياً وراء سرب كذوب !!

وإن مطامعنا الكثيرة وطموحاتنا المسعورة لا ترفع قط من أخلاقنا ، ناهيك عن أن تجمعنا مع الله فى الطريق الى مصيرنا .. وإن ما يبحث عنه الرجل الأعلى ليس هو ما فى هذه الدنيا من هباء .

● ●

أنا أعلم أننا نعيش فى خضم حضارة مادية .. حضارة تغرى الناس بألا يؤمنوا إلا بما تقدمه لهم من ماديات ، ومحسوسات وشهوات .

ومع هذا ، فلا بأس .. فهنا تمتحن رجولة الرجال ، وشرف الشرفاء وحكمة العقلاء !!

إن هذه الحضارة المادية تدفعنا فى نفس الوقت — ومن غير أن تريد — الى عالم الروح الحق والرحيب .. ونساك هذه الحضارة ، هم العظماء حقاً .

كان «كونفشيوس» يقول :

«الناسك الذى يهرب الى الصومعة ، ويعتزل الناس ، لا يأتى أمراً مذكوراً .. أما ناسك المدينة ، فهو الناسك حقاً» !!! .

فالمؤمنون بالله وبكتبه وبرسله وسط هذه الحضارة المجنونة هم الفضلاء الأبرار ، وهم أولو الألباب .. إن الحضارة المعاصرة فى حركتها الداهمة ، وضجتها الفارغة والضارية ، هى سبيل الروح الى الظهور ، لأن الأمر كما يقول الفيلسوف الألمانى «جوته» :

«السكون يكون الحكمة ، والضوضاء تكون الأخلاق» ..

ونحن لا ينبغى أن نضيق بحضارتنا الزائغة ، ونعلن الافلاس أمامها . بل علينا أن نحث الخطى فى الجرى وراء بعدنا المفقود .. وراء الدين الحق فى جوهره الصافى وحقيقته المتألقة .

خالد محمد خالد

النفط والثقافة

بقلم الدكتور محمد غانم الرميحي

● ظاهرة جديدة اسمها : البترو-دكتور

● عندنا كُتّاب لا يكتبون ، وإنما يُكتب لهم كجزء من المظهرية الاجتماعية

● هنالك إنتاج ثقافي عربي هابط تمّ إعداده للتصدير النفطي فقط .. مثل المسلسلات التافهة والكوميديات الرخيصة !

● لا بدّ من وقفة حاسمة ضدّ ما نتعرض له من انهيار ثقافي

● لا يجوز أن نضع على النفط كل مشكلاتنا ، فالنفط عنصر محايد ينبغي أن نستخدمه في الأفضل دائما

لمعنى الثقافة العام شقان أساسيان اصطلح على انهما المفهومان العامان للثقافة ، مع الاعتراف بتعدد معانيها وتشعبها . الأول هو المعنى الواسع للثقافة ، ويعنى كل ما أنتجه الانسان من فكر وثقافة ومادة . أى أن كل منتجات الانسان فى حياته اليومية والعلمية والترفيهية هو الثقافة لذلك المجتمع .

والمعنى الآخر هو المعنى الضيق للثقافة ، ويعنى ما أنتجه الانسان فى مجتمعه من منتجات فكرية قد تحول بعضها الى منتج مادى . والثقافة اليوم تعنى أكثر ما تعنى المعنى الأخير (المنتج الفكرى) ويستخدم على هذا الأساس فى السياق اللاحق . مع الأخذ بعين الاعتبار أن الثقافة تلك تكون ملتصقة بالواقع الاجتماعى .

وتكمن لدى كل تشكيلة اجتماعية اقتصادية (مجتمع) ثقافة معينة لها طابع ذلك المجتمع ، وتحمل سماته ، ومتعلقة أيضاً بشكل الانتاج المادى لذلك المجتمع المعنى .

ومجتمعات الخليج العربى قبل النفط كانت لها بهذا المعنى ثقافة مرتبطة بأشكال الانتاج المادى الذى كان سائداً عندها كالغوص على اللؤلؤ أو التجارة ، أو الرعى ، أو حتى الزراعة البسيطة فى الواحات . وترتبط الثقافة أيضاً بالبيئة الجغرافية الصحراوية الجافة . وكذلك باللغة (العربية) .

كانت السمة الغالبة للثقافة عندها هى الثقافة العربية . وكان الطابع المحلى المتشبع بمحصلات ثقافية منقولة من مجتمعات أخرى يحتك بها مجتمع الخليج (كالهند وشرق افريقيا وبر ايران) . هذه الثقافة مفهومة من المجتمع المحلى ومتأثرة بواقعه الموضوعى .

كانت الثقافة . بهذا المعنى (الانتاج الفكرى) مرتبطة أيما ارتباط بالواقع الموضوعى للمجتمع الذى كان مجتمعاً بسيطا ومحدوداً . فالمنتج الثقافى كان محدوداً أيضاً ونابعاً من ذلك المجتمع .

أما أشكاله فقد كانت عديدة — أكثرها الشعر النبطى (الشعبى) المنقول أو المغنى سواء أكان ذلك فى البر أو البحر . ومنها الأهازيج الشعبية التى تحفظها

النفط والثقافة

النساء عن ظهر قلب لتغنى فى الأعياد والمناسبات . وكان التدوين محدوداً نتيجة عدم وجود أدوات التدوين كالطباعة أو التسجيل . ومعظم المنتج الثقافى كان يحفظ عن ظهر قلب وينقل للأجيال الجديدة . أما التراث الثقافى العربى فقد كان يغذي الواقع الثقافى المحلى . ويعتمد عليه إما عن طريق حفظ وقراءة القرآن والأحاديث ، أو عن طريق حفظ أهازيج «عنترة بن شداد» و«أبو زيد الهلالى» و «الزناتى خليفة» .

وعندما عرف جزء من أبناء الخليج الكتابة والقراءة بشكل منظم فى بداية هذا القرن ، نتيجة وجود الفائض المادى المحدود بعد عدة نجاحات فى مواسم الغوص ، ظهرت فئة جديدة ومحدودة من المتعلمين التى توفر لها التعليم إما فى الهند ، أو بعض التعليم فى المنطقة الشرقية من الجزيرة (الاحساء) فى المدارس التى فتحها الأتراك فى نهاية القرن الماضى . وأصبحت هذه الفئة هى حاملة بذور الثقافة الجديدة (العربية) ، فقد أطلعت على الصحف العربية الصادرة فى القاهرة وبغداد وحاولت تقليدها بعد ذلك . ومن أبرز هذه الشخصيات : المرحومان / عبد الله الزايد (البحرين) ، وعبد العزيز الرشيد (الكويت) .

كان المنتج الثقافى بشكل عام حتى ظهور النفط متواكباً مع البيئة المادية ومعبراً عنها ، تظهر فيه صورة الحرمان المادى والمعنوى من جهة وصورة التململ من الواقع الاستعمارى من جهة أخرى . كما ظهرت فى هذه الثقافة مجموعة من الثقافات الجانبية الملونة بالأصول العرقية لمجموعات القادمين الى الخليج نتيجة الاضطهاد أو الفقر (البر الايرانى) أو نتيجة جلب العبيد وتجارته الرابحة من البر الافريقى . فتجد الأعراس والمآتم للمجموعات العرقية (الايرانية) واضحة بشكل فلكلورى متميز . كما أن رقصات الرجال والنساء ذوى الأصول العرقية الافريقية كانت مميزة ، ولكن سرعان ما تمازجت هذه الأشكال الفلكلورية والثقافية مع الثقافة المحلية. إلا أن التى قام بها الأفراد بشكل علنى شبه تجارى كان مقصوراً على مكانة معينة فى المجتمع وهى التى لا تنتمى الى أصول قبلية معروفة ، أو من العبيد المحررين والمهاجرين ، وبخاصة تلك الأعمال الفلكلورية المجلوبة . أما أبناء القبائل فكانت الرقصات التعبيرية (العرض) من صلب عملهم الثقافى . كما كان قرض الشعر وروايته . تلك كانت السمات الثقافية لمجتمع الخليج قبل النفط .

بشائر الثقافة الجديدة

لقد ظهر النفط فى الخليج فى أوقات متلاحقة فظهر فى بعض الأقطار الخليجية قبل الحرب العالمية الثانية وبعضها الآخر بعد الحرب العالمية بسنوات . وتراوحت الاستفادة القصوى من مداخيل هذا النفط بين مجتمع وآخر . كما كان حجم الانتاج النفطى مختلفاً أيضاً . إلا أن المنطقة بصفة عامة ، شهدت استفادة من هذا النفط فى خلق بناء تحتى متشعب كان من بينه البنية التعليمية ، فأسست المدارس بدرجات متفاوتة وبدأت قطاعات من المجتمع تهجر الحرف والأعمال القديمة (البحرية والبرية) وتتجه الى الحرف والأعمال الجديدة المستقرة التى ظهرت بعد النفط .

وهكذا بدأت تكونات لمجتمع ثقافى جديد ، اعتمد فى البداية على مجاراة لما هو مطروح فى الساحة العربية نتيجة لتدفق المعلمين والعاملين العرب الى اقطار الخليج ، والذين حملوا معهم مجتمعهم الثقافى العربى والذين وجدوا آذاناً صاغية لدى المجتمعات الجديدة فى الخليج .



فبدأت محاولات جلب المعدات الطباعية واصدار الصحف والمجلات . وزاد من هذا الاتصال الثقافى توجه عدد كبير من أبناء المنطقة الى مراكز التعليم فى بغداد والقاهرة ودمشق . وظهرت فى هذه الفترة نتاجات ثقافية أصيلة معبرة عن الواقع المعاش ، الواقع الجديد الذى لم يخبره أحد من قبل من رفاهية العيش النسبية وسهولة الحصول على اللقمة . فى هذه الفترة ، التى يمكن أن تحصر فيما بين الحربين العالميتين وتمتد الى وسط الخمسينات ظهرت بشائر الثقافة العربية فى الخليج وكانت بالفعل نابعة من المعاناة الجديدة وبصفة خاصة الآلام والآمال النابعة من التغيير الجديد .

يمكن رصد هذه البشائر من متابعة الشعراء وكتاب القصة والمقالة ومؤلفى الأغانى الشعبية . وكلها كانت تعبر عن الواقع المعاش . واقع معاناة الثروة الجديدة ، والتغيرات الاجتماعية المصاحبة لكل ذلك . هذه الفترة تميز فيها الخلق الثقافى الأصيل ، وكانت اقتصادياً قبل الانطلاقة النفطية الهائلة فى الستينات والسبعينات .

النفط والاغتراب الثقافى

ما لبثت تلك البدايات الأصيلة أن طمرت بسيل جارف من المنتج الثقافى غير الأصيل فأصبحت الثقافة وانتاجها ليس عملية ابداع وخلق شخصية وقريبة الى الذات ، بل أصبحت فى المجتمع الاستهلاكى الجديد يزين بها البعض شخصياتهم . فتوفر المال واتساع مجالات استهلاك المنتوج الثقافى شجع البعض على شراء ذلك المنتوج ونسبته الى النفس . فظهر كتاب لا يعرفون الكتابة وشعراء لا يعرفون قرض الشعر ، وقصاصون لا يفقهون الفن القصصى ، وتباعد المنتج الثقافى عن الذات وعن الواقع نتيجة لظهور المجتمع الاستهلاكى المعتمد عليه واقع اقتصادى استهلاكى ، وشارك فى هذا المهرجان الاغترابى الكبير (الدولة الناشئة) . فقد ظهرت بمظهر المحافظ والمجمع للثقافة ،

فأصدرت (الدولة) الكثير من المجلات ذات الورق المصقول والصور الملونة ، وجلبت قنوات ثقافية جديدة كالاعلام الالكترونى (الاذاعة والتلفزيون) ، وهى مجالات تحتاج الى منتج ثقافى غزير ومتواصل . وفى طريق محاولة الدولة لاغناء هذه القنوات الثقافية بالمنتج المحلى ، ظهر الغث الكبير الذى طمر النذر السمين فتراجع الى الدرجات السفلى .

كما شجع التنافس غير المخطط فى وسائل الاعلام الاقليمية على أن يكون هناك طلب واسع على المنتوج الثقافى المحدود والمتشابه ، مما زاد من سطحية هذا المنتوج وتكراره . فالرقصات الشعبية والأهازيج بالرغم من تقاربها من بعضها فى حالتها الأصلية ، نجدها تفرعت تفرعاً يقلل من مضمونها وتضاف لها من أجل ذلك اضافات محدودة غير متقنة ، كالأغانى ، والرقصات النسائية والرجالية ، أو حتى القصص الدرامية المكتوبة أو المطروقة فى أجهزة الاعلام . واغتراب الثقافة النفطية جاء جزئياً من توسيع الاستهلاك الثقافى فى المجتمعات النفطية ، وقد أثر أيضاً فى المنتج الثقافى العربى الذى تسبب تسيباً واضحاً . فقام هذا الانتاج فى بعض البلاد العربية من أجل (فقط) تصديره الى أهل النفط . ومثـــال على ذلك المسلسلات التليفزيونية البدوية الساذجة أو المسلسلات الكوميدية غير الهادفة . فقد أثر النفط هنا سلبياً حتى فى المنتوج الثقافى العربى فى بلاده . وأصبحت أيضاً بلاد النفط وصحفها واستوديوهاتها مجالا لتزييف الثقافة العربية واغترابها .

الثقافة والجهد الانسانى

الثقافة هى جهد انسانى خلاق نابع من المجتمع ومتى انفصل هذا الجهد عن الانسان وعن معاناته أصبح شيئاً لا معنى له ولا فائدة منه . لهذا يتضح فى الثقافة النفطية الهامشية بعدها عن تبصير الانسان بواقعه ، بمشكلات الانسان الحقيقية فى المجتمع النفطى . وحيث يسير هذا المجتمع الى جذور اجتماعية ، اقتصادية جديدة ، تنفصل الثقافة عن الانتاج المادى . فتصبح ثقافة عناوين فقط ، ثقافة ترفيه شكلية . وبمعنى واحد ثقافة سلبية .

الشحم واللحم والورم

من مظاهر ثقافة العناوين فى الخليج اليوم العدد الهائل من الكتاب ومدعي الانتاج الثقافى الذين لا يفقهون فى الثقافة أو فى المنتج ذاته شيئاً فاسماء شعراء لا يعرفون كيف ينتج الشعراء وكتاب قصة لا يعرفون كيفية بناء العمل القصصى . ومؤلفون لا يفقهون فى البحث العلمى ، وإنما يكتب لهم ، كجزء من المظهرية الاجتماعية . وقد يبدأ المؤلف بالشعر أو القصة أو التأليف وينتهى بلا شيء . وعزز من هذه المظاهرة ما يمكن أن يسمى بظاهرة (البترو / دكتور) أى ظاهرة الحصول على الدكتوراه ، اكمال الشهادة الجامعية العليا التى أصبحت كاكمال للمظهر الاجتماعى ، دون معاناة لمشكلات البحث العلمى الحقيقى . فتجد هنا ورم الثقافة النفطية الذى يحسبه الكثيرون شحمها !!

الأورام الأخرى الظاهرة فى المجتمع الخليجى النفطى ظاهرة ما يمكن أن يسمى «الاختراق الثقافى» ــ تلك الفئة من المستفيدين ــ الذين حصلوا فى السنوات الأخيرة على تعليم وثقافة الجامعات الغربية ، وكل ما حفظوه منها هو الرطانة فى اللسان لا غير . وهنا تجد ظاهرة اختراق ثقافى خطير فكل ما هو غربى بالنسبة لهؤلاء صحيح ، وأكيد . وكل ما هو محلى وعربى خرافة غير علمية تحتاج الى تصحيح ، ومن هنا انفصلت هذه الفئة عن الواقع . فلم تساهم فى تطور الثقافة أو تأصيلها وعاشت بالتالى فى غربة ثقافية لازالت تعانى منها هذه الشرائح .

أما الفئة الأخرى والتى لا تحمل بذور التأصيل الحقيقى فهماً أو معاناة أو علماً قدر لها من خلال وسائل الاعلام المكتوبة والالكترونية التى انتشرت بشكل كبير أن تحمل لواء تزييف الثقافة تحت شعار تأصيلها . ومن هنا وجدت الثقافة المحلية سيلا هائلا من كلمات الأغانى التى ليس لها معنى .. بل وفى بعض الأحيان مقززة المعنى ، تأخذ المطلع والبداية من الأغانى الشعبية الأصيلة وتطمرها بكلمات غريبة مفسدة حتى طابعها الأصيل ، بكلمات ليس لها معنى إلا السذاجة والاغراق فى التفاهات .

لذلك نجد اليوم مثلا مجموعة ضخمة من الأغانى الخليجية لسد فقرات الساعات الطويلة للبث الاذاعى والتلفزيونى ، ولكنها فى الحقيقة لا تعنى شيئاً بالنسبة للمستمع ، وكلما تمعنت فى معانيها عرفت أكثر مدى تفاهتها . ومسلسلات تلفزيونية تفتقد المضمون والشكل وهى أيضاً جاهزة لسد الساعات الطويلة من البث التلفزيونى ، وكتب وقصص وشعر ورقصات فلكلورية كلها تصب فى ذلك التيار العجول من الانتاج الثقافى لصالح جمع المال السريع أو الحصول على الشهرة المزيفة ، وتصل فى النهاية الى تزييف واقع المجتمع ومعاناة جماهيره الحقيقية .

من هنا الى أين ؟

اذا كان هذا واقع الثقافة فى الخليج اليوم ، فما هو مستقبلها ؟ هل من المؤمل أن يوقف هذا الانهيار الثقافى الذى سببه النفط ، ليبنى بدلا منه سداً ثقافياً جديداً مرتبطاً بمعاناة الناس ؟ هل الاشكال فى السياسات الثقافية أم فى الناس أم هو فى النفط ؟

تلك أسئلة كثيرة يعجز الاجابة عليها فرد بذاته ، وما غرضنا هو فقط الملاحظات العامة على شكل الثقافة السائدة اليوم فى أقطار الخليج العربى . والسبب ليس سبباً واحداً إنما هو مجموعة من الأسباب المتداخلة والمعقدة . وأول ما يجب عمله هو الوقوف والنظر الى هذا التدفق من المنتج الثقافى لعلنا نبحث بعدها عن الأسباب ونعالجها .

هناك حقيقة أخيرة لا يكتمل أى حديث حول الثقافة فى الخليج بدون ذكره ، وهو أن هناك محاولات جادة فى احشاء كل هذا المنتج الثقافى ، محاولات تبشر بخير عميم ، ولكنها مازالت جنينة ، وتحتاج الى رعاية وصقل .

ولا يجب أن نضع كل مشكلاتنا على النفط فهو عنصر محايد ، يمكن أن نستخدمه الى الأفضل عندما نضع سياسات وأولويات لهذا الأفضل الآتى الى هنا مع الشروق ومع ثقافة جديدة وأصيلة تخدم المجتمع لأنها تنبع منه .

محمد غانم الرميحى

زاوية الرأي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

في حتمية الحل الحضاري الشامل

ليس سرا أن الأمة العربية لا تقتصر معاناتها على مشكلة جانبية ، أو ناحية معينة من نواحي الحياة دون غيرها فمن الواضح الآن أن هناك أزمة أخلاق ، وأزمة فكر ، وأزمة أدب ولغة ، بالاضافة إلى أزمات الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

كلما تعمقت أزمة الأمة ، وتعددت أوجهها ، وشملت مختلف جوانب الحياة ، كلما تطلبت حلا شاملا فى مستوى شمولها وعمقها وتعدد جوانبها .

من هنا أهمية « النظرية الشاملة الجامعة » التى تحتاجها الأزمة العربية المزمنة ، ومن هنا أيضاً تقصير الحلول الجانبية ، وسبب اخفاقها ، فى مواجهة الوضع .

منذ سنوات والأطراف العربية ، كل فى حقل اختصاصه وسلطته تحاول تقديم حلول ومعالجات ..

فتارة نسمع عن مؤتمر سياسى يتوصل الى صيغ وتسويات ويطرح معالجات وتوصيات ..

وتارة نسمع عن مؤتمر للمفكرين يبحث الأزمة على صعيدها الفكرى الخالص ويصدر أبحاثاً ودراسات .

وتارة نسمع عن مؤتمر من نوع ثالث ، ورابع ، وخامس للاقتصاديين والانمائيين يضعون أجمل الخطط للتقدم والنهوض ..

ولكن عواصف الأزمة الشاملة سرعان ما تجرف تسويات أهل السياسة ، ودراسات أهل الفكر ، وخطط أهل التنمية ، لنعود الى نقطة الصفر من جديد ونحن نتساءل للمرة الألف : والآن ما العمل ، وما الحل ، وما طريق الخلاص .. ؟

ليس سراً أن الأمة العربية لا تقتصر معاناتها على مشكلة جانبية ، أو ناحية معينة من نواحى الحياة دون غيرها .. فمن الواضح الآن أن هناك أزمة أخلاق ، وأزمة فكر ، وأزمة أدب ولغة وفن ، بالاضافة الى أزمات الاجتماع والسياسة والاقتصاد ..

لذلك فمن الضرورى معالجة الأزمة على أنها أزمة حضارة ، وعلى أنها أزمة وجود ، وعلى أنها أزمة كيانية تمس العمود الفقرى من حياة الأمة ، وتشمل روحها وأسسها الحياتية كافة ، ولا تقتصر على أزمة بعينها ، كأزمة البحث عن حل لمشكلة الشرق الأوسط ، أو مسألة البحث عن أفضل سبل التنمية ، أو مسألة كسب الرأى العام العالمى ، أو انتظار هذه المبادرة الدولية أو تلك

بشأن هذه المنطقة أو تلك من الوطن العربى .

لا نقول أن هذه المسائل ليست مهمة ، ولكن هذه المسائل – كأزمتنا مع العدو الاسرائيلى ، وضعفنا بين القوى الدولية ، وقلة انتاجنا وإبداعنا الحضارى بين الأمم – هذه وغيرها هى مظاهر وانعكاسات لأزمتنا الذاتية الشاملة التى هى مصدر الألم ، ومصدر تلك المشكلات وغيرها : هاهنا مصدر الداء الذى يجب علاجه ، والذى لا يفيد معه حل تلك المشكلة الفرعية أو تلك الأزمة الجانبية

الذين يتصورون مثلا أن خلاصنا سيكون فى الأسراع بتحقيق حل ، أى حل ، مع اسرائيل ، هل يعتقدون حقاً أن مجرد حدوث التسوية سيحل أزمة الانسان العربى ، وسيلغى معاناته المعيشية ، وسيعيد له حرياته ، ويرفع مستواه الحضارى ، ويحسن من انتاجيته .. الى آخر هذه القضايا الملحة بالنسبة لذلك الانسان .. أم أن الطبيعى هو البدء بالحل المنطقى – والصعب بطبيعة الحال – وهو البحث عن اسس الحضارة الصحيحة وأسس الحياة الكريمة ، ثم دفع الانسان العربى بعد ذلك لمواجهة اسرائيل ، وغير اسرائيل ، من قوى التحدى والتهديد .. ؟ إن البيت العربى من الداخل ، أعنى عمق الشخصية العربية وعمق الوجود العربى فى الصميم ، وليس فقط الأوضاع العربية الظاهرة على السطح ، إن البيت العربى من الداخل ، بهذا المعنى ، هو الأزمة الملحة المستعجلة ، وفى أسسه ودعائمه وقاعدته ، قبل أن يكون فى جوانبه وواجهاته . ولو أن هذا البيت كان راسخاً ومعافى ومحصناً ، لما كانت هناك اسرائيل ، ولا أمريكا ، ولا روسيا ، ولا جراثيم البلهارسيا والجدرى ، ولا مظاهر الجهل والفقر ، ولا معضلات الحرية والعدل ، ولا عدوى التفتيت الطائفى والمذهبى ، ولا عقم الابداع العقلى ، ولا نضوب الانتاج الحضارى .

لذلك فان أية معالجة جزئية ، أو مؤقته ، مهما كانت مخلصة ودقيقة ، لن تحقق الخلاص ، لأنها ببساطة تسد فتحة واحدة أو ثقباً واحداً فى السفينة العربية ، المتعددة الثقوب ، فيأتى الماء من الجوانب الأخرى ، ويطغى ليهدد السفينة كلها بالغرق .

فى بداية النهضة ، كان هناك « الحل التربوى » الذى دعا اليه محمد عبده وغيره من رواد النهضة الأولى فى مصـر ولبنان ثم اتضح أن الحل التربوى ، وحده ، تضيع منجزاته فى أمة تفتقر الى الحرية والعدل الاجتماعى والى البناء الاقتصادى . وكيف تبقى « المدرسة » منتجة وفاعلة ، إذا كان المجتمع من حولها يعج بالكبت والجوع والصراع الطبقى وقلة الانتاجية ؟

ثم جاء « التصور الديمقراطى » كحل لدى جيل آخر من الرواد كلطفى السيد وطه حسين .. ولكن كيف تبقى الديمقراطية ، التى هى بحاجة الى استقرار ونمو تدريجى ووعى متصاعد ، فى أمة مهددة بعدم الاستقرار من قوى الداخل وأعداء الخارج ، ولدى جماهير غير مؤهلة أصلا للممارسة الديمقراطية وواجباتها ومسئولياتها وهى تحتاج الى كسرة خبز قبل أن تفكر فى صناديق الاقتراع ، وتحتاج لدروس فى محو الأمية ، أكثر من حاجتها الى النصوص الدستورية والفذلكات البرلمانية ؟ !

بعد ذلك حصل التوجه نحو الحل « القومى الوحدوى السياسى » ، وتحققت – مؤقتاً – بعض المنجزات بهذا الاتجاه ، ولكن سرعان ما عادت المسيرة الى الوراء ، لأن الحركة الوحدوية كانت تفتقر للفلسفة الصلبة من ورائها ، وللعقيدة الراسخة فى صلبها وللايمان بالحرية لجماهيرها وللعمل المنظم المنتج ، ولاحترام الانسان وكرامته ..

وبعد هزيمة حزيران ، ومع ازدياد الانتاج النفطى فى عدد من البلاد العربية ، ظهر اتجاه يدعو إلى ضرورة «التنمية» الصناعية لخلق قاعدة لجوانب النهضة الأخرى ، في هذا العصر الذي يعتمد التنافس فيه بين الأمم على مدى قدرتها الانتاجية فى حقل التصنيع والتقنية .

هذا « الاتجاه الانمائي » هو الاتجاه السائد الآن ، والذى تصب فى مجراه معظم الجهود . وهو اتجاه إذا نظرنا إليه فى ضوء خططه الاقتصادية الخالصة ، وفى جوانبه التقنية المتخصصة يبدو مقنعاً ومضموناً وحافلا بالثمار ، ولكن من الضرورة القصوى أن نتأكد ان كانت خططنا الانمائية تتوافق مع قيمنا الحضارية ، وتنبع من ضمير شعبنا لا من فكر قلة من الاخصائيين ، وتعتمد على العمل المنتج المنظم للمواطنين اكثر من اعتمادها على اليد العاملة المستوردة ، وتهدف لتحقيق استقلالنا الاقتصادى لا ربطنا باى كتلة اقتصادية ، أو إفادة الاستثمارات الأجنبية .. الخ .. أعنى باختصار ، هل «الحل الانمائى» السائد حالياً يسد كل ثقوب السفينة أم يقتصر على سد ثقب واحد كالحلول السابقة ؟

والسؤال الآن لماذا لا نجرب كل تلك الحلول مجتمعة بعد أن نصبها فى نظرية شاملة وفى دليل عمل متكامل ؟

وهذه ليست عملية جمع بطبيعة الحال . انها تتطلب الغوص إلى الجذور لمواجهة أسس المعضلة كلها فى العقل ، فى الروح ، فى الضمير ، فى المجتمع ، فى السياسة ، فى الاقتصاد ، فى كل جانب من جوانب الحياة بلا استثناء . فهكذا تكون الحلول الحضارية المجدية والباقية .

إن ظاهرة العودة الى الاسلام لدى الجماهير العربية ، يمكن تفسير جانب منها من زاوية كون الاسلام حلا شمولياً لمختلف جوانب الحياة ، بخلاف الحلول الأخرى التى جربت معها . صحيح أن الجماهير تتمسك بالاسلام لأنه دينها وتراثها ، ولكن الصحيح أيضاً ، وبالاضافة الى ذلك ، أن سر ديمومة الاسلام فى كونه نظاماً روحياً وعملياً شاملا ونافذاً لصميم الحياة والكون ومختلف هموم الانسان وأنشطته .

ولقد استطاع العرب الأقدمون أن يستمدوا من النظام الاسلامى حلولا عملية مثمرة ناسبت أوضاعهم وظروفهم التاريخية .

فمتى سيستطيع العرب المحدثون ، عرب الأزمة ، أن يستمدوا من النظام الاسلامي حلولا عملية ، عصرية وتقدمية ، تناسب احتياجاتهم الحضارية الراهنة ؟ ما أصعب الاجابة !

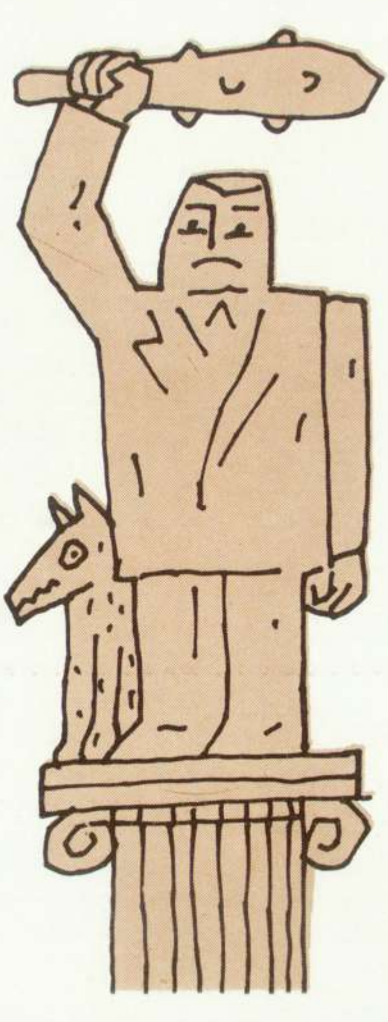
التماثيل

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

يشق نهر الدانوب قلب بودابست عاصمة هنغاريا فيشطرها شطرين ، بودا على يمينه وبست على شماله ، وفى جانب بودا ، عند نهاية واحد من الجسور المتعددة التى تعبر الدانوب واصلة احد الشطرين بالآخر وقعت عينى على منظر لا ينسى . فى ذلك المكان ، عند طرف ذلك الجسر ، رأيت قاعدة من الرخام عريضة واضح انها اعدت لتحمل تمثالا عملاقاً . كانت القاعدة خالية ، أما التمثال فقد كان ممددا على الأرض الى جانبها بأبعاده الهائلة . تمثال لرجل ضخم ، سليم الأجزاء ، ولكنه مكبوب على وجهه وأنفه ممرغ فى الرغام ..

التمثال هو تمثال ستالين . كان منتصبا بجبروت على قاعدته طيلة حياة صاحبه ... عندما كان صاحبه يملأ القلوب بمشاعر تتراوح بين الرهبة والتقدير والمحبة ، بقدر مايكون اصحاب تلك القلوب قد ذاقوا من بطشه أو أكبروا من انجازاته أو صدقوا دعايات أبواقه . ولكن ستالين مات ، وقامت فى عام ١٩٥٦ انتفاضة المجر التى تحرر فيها الشعب الهنغارى من ربقة التبعية المطلقة لروسيا . وكان تحررا قصير الأمد ، إذ ما لبثت قوات الاتحاد السوفييتى أن اجتاحت هنغاريا وعاصمتها حائلة بذلك دون أن تنتقل عدوى التمرد الى بلدان أوروبا الاشتراكية الأخرى . بقى من هذا العهد التحررى أثر واحد ، هو تمثال ستالين الذى أنزله الثائرون عن قاعدته ، وطرحوه أرضاً ، يرمزون بذلك الى تحطيم النير وتمزيق الطغيان ، كما رأيته فى زيارتى لبودابست منذ سنين عديدة .

ياله من منظر ! الجنراليسيمو جوزيف فيساريونوفتش ستالين ، الرجل الفولاذى والحاكم المطلق البطاش ، ذلك الذى كانت تتدحرج باشارة منه رؤوس ماريشالات الاتحاد السوفييتى والمنظرين الكبار للشيوعية ومناضليها العنيدين ،



والذى تحكم بأرواح الملايين الكثيرة فى بلاده والبلاد الدائرة فى فلك تلك البلاد ، كما سيطر على افكار ملايين أكثر فى سائر بلاد العالم ، ذلك الطاغية الداهية الجبار ينزل من علياء مجده وتزال هيبته وتغطى الوحول ونفايات الشوارع تمثاله كأن لم يكن له يوماً عز ولا كان له سلطـان ! ... أى درس يجده فى هذا المنظر كل من يغتر باذعان الجماهير وخضوعها وتصفيقها ، وبرفعة المناصب وجبروت السلطة؟!

حذاء خروتشيف

رب سائل يسأل : مادام الجيش السوفييتى قد خنق انتفاضة الهنغاريين على ما رأوه طغياناً للاتحاد السوفييتى عليهم ، لماذا لم يعد تمثال ستالين الى قاعدته منتصباً شامخاً .

فى الجواب على هذا السؤال تكمن بقية المهزلة ـ المأساة . ذلك أن ستالين لم ينزل عن مقامه كتمثال على ضفة الدانوب فحسب ، وانما أنكره اهله ، الروس والسوفييت ، فى عقر داره . وكانت ذروة ذلك الانكار مؤتمر الحزب الشيوعى العشرون الذى عقد فى أكتوبر من عام ١٩٥٦ ، وفيه حطم خروتشيف صورة ستالين المعنوية مبعثرا أمجاده ، مفصلا طغيانه ، ومعددا الكوارث والجرائم التى ارتكبت فى عهده وبأمره . هذا مع العلم أن خروتشيف لم يبلغ المكانة التى أهلته لأن يخلف ستالين فى مناصبه إلا بفضل ستالين نفسه .

وقد رووا أنه فى ذلك المؤتمر ، وفي

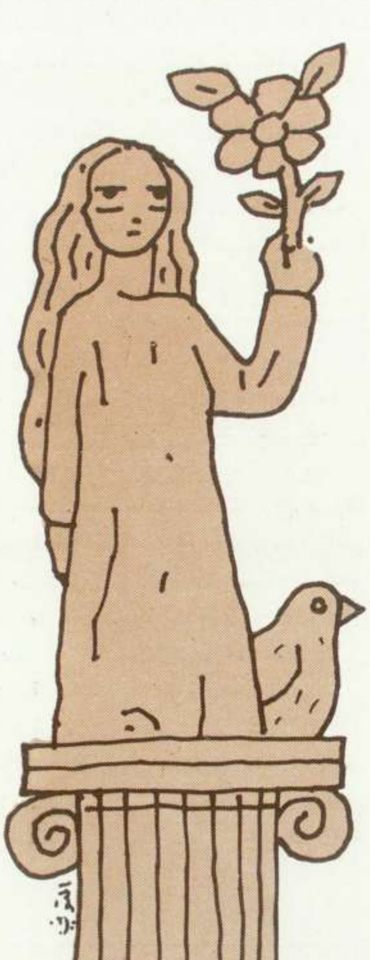
اعقاب خطاب خروتشيف فيه ، وبينما كان هذا يرد على أقوال المناقشين والمستفسرين ، تلقى سؤالا مكتوباً فى ورقة غير موقعة يقول فيه صاحبها : «ماد مت، ايها الرفيق خروتشيف ، تعرف كل هذا من أخطاء ستالين ، لماذا سكت عنه وظللت طيلة حياته احد المقربين إليه ؟» قرأ خروتشيف الورقة بصوت عال وقال : ليرفع الرفيق صاحب السؤال أصبعه ويعرفنا بنفسه ، فلم ترفع اصبع فى قاعة المؤتمر على الرغم من تكرار الدعوة . عند ذاك ابتسم خروتشيف وهو واقف على المنبر.وقال : السبب الذى دعانى ، فى حياة ستالين ، الى السكوت عما كنت أراه واعتقده هو نفسه الذى منع الرفيق صاحب السؤال عن رفع اصبعه أمامى الآن ...

ذلك أحد أساليب خروتشيف فى الرد على مناوئيه ومعارضيه ، ولعله اسلم تلك الأساليب . فمن اساليبه المثيرة ما رأيته يرد به على ما لم يعجبه من اقوال المندوبين فى اجتماع الهيئة العامة للأمم المتحدة . فقد كنت فى نيويورك فى خريف عام ١٩٦٠ وتابعت ما كان يعرضه التلفزيون من مناظر اجتماع مندوبى دول العالم فى القاعة الكبرى لهيئة الأمم فى مقرها فى مانهاتن فى دورة ذلك العام. وكان منظرا فريدا فى غرابته عندما شاهدت ، ومثلى الملايين الذين كانوا يتطلعون الى شاشة التلفزيون ، خروتشيف ينتزع حذاءه من قدمه ويقرع به المنضدة أمامه بشدة وتكرار ، حين تجاوز أحد الخطباء الحد فى انتقاد الاتحاد السوفييتى . تصرف لا يصدق وقوعه . إلا أنه ، على كل حال وبالرغم من تجافيه عن اللياقة ، يظل اسلم من أساليب أخرى اتبعها الرجل نفسه فى ظروف مغايرة ، مثل ما حاول أن يفعله من غرس صواريخه الذرية فى كوبا واضعاً العالم على شفا حرب نووية ، أو ما فعله حقاً حين اجتاحت جيوشه هنغاريا وفرضت على شعبها ارادته ونظامه .

الصبى البائل

أعود الى التماثيل وما توحيه من عبر. كثيرون ممن زاروا بروكسيل ، عاصمة بلجيكا ، يعرفون تلك النافورة الضاحكة المنحوتة بشكل تمثال صبى جميل صغير يسمونه هناك «مانكان بيس» ، أو الصبى البائل ...

أقيم هذا التمثال الصغير فى زاوية هى مفترق شارعين من شوارع بروكسل القديمة ، تذكاراً لحكاية صبى هو ابن أحد أعيان تلك المدينة فى القرون الوسطى . كان صبياً فى نحو الخامسة من عمره ، خرج فى صبيحة أحد الايام من قصر أبيه وانطلق وحيداً فى البلدة فضل طريقه فى أزقتها الضيقة المتشابكة وافتقده أهله فقامت قيامتهم ، وتوزعوا هم وأصدقاؤهم وخدمهم يبحثون عنه فى كل مكان . وفى ساعة متأخرة من النهار عثروا على الصبى فى حى بعيد ، واقفاً لوحده ، يتبول فى الزقاق بكل براءة . وكان سرور أبيه بتلك اللقيا كبيراً فأراد تخليدها بأن أقام فى ذلك المكان نافورة هى تمثال طفله الحبيب ، الذى يبدو واقفاً فى زاوية زقاقين ، وظهره الى الجدار ، يتبول ماء زلالا طالما تزاحم أهل بروكسل على الشرب منه فى القرون الماضية تزاحم السواح عليه فى هذه الأيام .



ما من زائر لبروكسل وقف أمام تمثال مانيكان بيس إلا ملأت الابتسامة وجهه وفاضت مشاعره بالحنو والغبطة لمرأى هذا الطفل المزيج من الوداعة والشيطنة.

التمثال الذى يرتاده كل صنوف البشر

العبرة فى تمثال مانيكان بيس تبدو فى أنه لا يزال قائماً فى زاويته منذ مئات السنين ، يرتاده كل صنوف الناس ، ومامنهم إلا ابتسم لمرآه واعجب به وحيا ذكراه ، ليس فيه ضخامة تمثال ستالين ولا عظمة النصب التى ينحتها الطغاة لأنفسهم وهم فى ذروة سلطانهم تخليدا لأمجاد مصطنعة ، ولا تلبث أن تتحطم حين يتبدد ذلك السلطان وينكشف زور تلك الأمجاد . هؤلاء تعميهم العزة بالاثم عن أن يدركوا أن النصب الجائرة ستحمل لعنات تزداد وفرة بازدياد مظاهر الفخامة فى تلك النصب . وكان الخير أن يقوا انفسهم تلك اللعنات ، إذ لم يكن بالعدل والانصاف فبالتواضع والتخـــفف ...

يروى سعدى الشيرازى فى كتابه روضة الورد ، «كلستان» ، قصة صبيين التقيا فى مقبرة ، احدهما ابن رجل كان ذا نفوذ وسلطان والثانى ابن انسان كان فقيرا متواضعاً . قال ابن السيد ذى النفوذ : انظر الى النصب المبنى على قبر أبى ... انه من الرخام الثقيل الفاخر ، نقوشه ملونة كأزهار النيروز وحجارته مرصعة بالذهب والفيروز ، أما قبر أبيك فمبنى بلبنتين ومرشوش من التراب بقبضتين . فأجابه ابن الفقير قائلا : اسكت أيها الغبى .. فحين ينفخ فى الصور وينشر أهل القبور يحاول أبوك زحزحة الرخام الثقيل عن صدره فلا يقدر ، بينما يكفى أبى أن يرفع رأسه ليشق عن جسده التراب ، وقبل أن يتحرك أبوك من تحت تلك الاحجار يكون أبى قد وصل الى الجنة ونجا من النار ! .

حقاً إذن لقد فاز المخفون ... هذا لو عقل الجائرون من أهل التماثيل الضخمة والنصب المتعددة ، المثقلون على الناس وعلى انفسهم .

د. عبد السلام العجيلى

د. يوسف إدريس

البخلان: الحكيم ونجيب محفوظ

أعرف مسبقاً أن ألف خطاب احتجاج ستجيئنى على إضاعة وقت القراء فى هذه الدردشة التى لا معنى لها . ولكن قبل أن يفكر أحدكم فى امتشاق قلمه ، وهات ياكتابة ، اقول لكم :
ومالها الدردشة ؟ أليست خيرا من جليس السوء ؟ ألم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلا حقاً ؟

أحياناً يتحول مكتبى فى الأهرام الى مضيفة كمضايف العمد لا ينقصها الشاى والقهوة . وإن كان ينقصها لتصبح مضيفة شرقاوية حقيقية . الغذاء والعشاء والبيات إن أمكن . وقد تعود ضيوفى الأعزاء التراكم . بمعنى أن الضيف يكون قادماً لانهاء عمل أو تسجيل حديث ، فيأتى آخر أو آخرون أو أخريات ، فتحلو القعدة ، وتبدأ المناقشات وتعارفات إذ قد كففت من زمن أن أعرف أحدا بأحد . ذلك أن ذاكرتى ضوئية ورقمية وغير سمعية بالمرة . بمعنى أنى من الصعب علي تماماً أن اتذكر اسماً ، ربما لانسان عشت معه سنين أو كان صديقى لعمر طويل . أما الشكل فأبدا أنا لا أنسى شكلا رأيته أو مشهد شارع ولو كان جانبياً مررت به ، ولهذا فالعناوين عندى ضوئية أيضاً ...

وكثيرا ما تحدث متناقضات فى هذه القعدات ، طالب من جماعات الاسلام يشتبك فى نقاش مع طالبة مؤمنـــه تماماً بأن لا أحد له حق التدخل - تحت أى أسم - فيما يجب عليها أن تفعله أو تؤمن به . مناقشة ، تناقشنى أما النقاد كما اقول أنا إذ هم لم يعودوا يستعملون أشياء هبلاء كالتى علمونا طويلا أن نستعملها مثل « خرط القتاد» ، و «ثالثة الأثافى و «القشـــة التى قصمت ظهر البعير» . بعير «مازدا» والآن «داتسون» المعدل ، و «فيات ١٣٢» ، والفرق بينه وبين «أودى» حيث لا قشة تقسم عامود الكردان ولا فى العجلة أى ندامة وإنما هى «تيوب لس» تلحم من تلقاء نفسها إذا حتى دخلها مسمار .

وأنا أحب الناس والشباب والاندماج فى نقاش مستعص ، أو إثارة قضية ليس فيها علامات تعصب أو بكاء على أحوالنا التى لا تسر . هذا كله أهم عندى من أى قراءة ، أو انفـراد . وأجد فيه أحياناً متعه كمتعة الكتابة . أحب الناس الى درجة أنى احزن حقيقة حين يصلنى خطاب من صديق قارىء يستحلفنى فيه أن أرد ولو بكلمة . وبعضهم يتكرم ويضع ظرفاً مكتوباً عليه عنوانه ، وملصوقاً به طابع البريد ، ومعه الجملة التى أصبحت تقليدية « مع الشكر لساعى البريد » ورغم كل هذا اتمزق ألماً ، ولا أملك أن أجيب . شىء مابينـى وبين كتابة الرسائل حتى لو كانت كلمة . لي شقيق فى بلد عربى لم أكتب له منذ ثلاثة أعوام ، أفضل أن أخاطبه بالتليفون ، أو بالبرقية ، ولا أرسل خطاباً . بعض الناس لهم طبائع مجنونة خاصة ، أنا جنونى هو ارسال رسائل . وقد كان من الممكن للأهرام أن يحل المشكلة ويعين لي سكرتيرة ، ولكن الأهرام لا يفعل ، ليس تقصيرا ، وإنما احتراماً لتقاليد الأهرام فى هذا المجال بالذات . والتقليد بالطبع ليس من تقاليد الأهرام ، ولكنه من صنع وابتكار استاذنا ووالدنا الحبيب توفيق الحكيم . فحين ارادوا أن يعينوا له سكرتيرة ، أو سكرتير .. احتج بشدة ورفض هذا الأمر رفضاً باتاً . فلما عمل زميلنا وصديقنا الكبير نجيب محفوظ كاتباً للأهرام ، أيضاً عرضوا عليه حكاية السكرتارية ، وعرف برفض استاذنا واستاذه توفيق الحكيم .. أصر هو الآخر . واحد من اصراراته المبدئية أن يعين له سكرتير بينما الاستاذ الكبير بلا سكرتير . ولقد ظللت انكش من ناحيتى حين عنيت فى مسألة المبدأية هذه فلم أجد فى المسألة أى مبدأ ولا شىء آخر بالمرة . فى النهاية وبعد تقص هائل عرفت أن الموضوع له سبب وحيد خالد ، ليس المرأة بطبيعة الحال ، ولكنه بخل الاستاذ توفيق الحكيم الذى كثيرا ما أخذته على محمل الهزل . ولكن اتضح أن المسألة حقيقية لا هزل فيها . فهو مثلا لا يكتب إلا بقلم رصاص من النوع



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ

المضلع الباهت الرصاص المتعب جداً فى امساكه والكتابة به . وباختصار أرخص قلم رصاص يبع أو يباع فى السوق . وحين سألته عن سر تمسكه بالكتابة بالقلم الرصاص ، قال : حتى إذا ضاع لا أحزن عليه .
والأقلام عادة لا تضيع .. انها « تلطش » فى الغالب أو فى النادر ما تؤخذ سهوا . وهذا القلم الأصفر الذى لى أحد عشر عاما وأنا أرى الاستاذ توفيق الحكيم يكتب به ، ليس فقط لا يضيع لأن أحدا لا يمكن أن يفكر فى لطشه . بل انه ليبلغ من قبح المنظر لدرجة لا يمكن معها لانسان ما أن يأخذه سهوا . فقبحه كفيل بافاقته من عملية السهو والتخلص منه فور انتهاء الكتابة ، كما لو كان شبهة أو جريمة . وهو قلم غريب فتصوروا ان له عشرة أعوام على « برية » واحدة ، إذ اتضح أن الرصاص الخفيف لا يتأثر كثيرا باحتكاكه بالورق ، ولهذا فسنه لا يتناقص إلا كل حين وحين . وايضاً هذا هو أحد الأسباب الكبرى وراء اختيار الحكيم له. بل حتى لونه الأصفر له حكمة : لماذا يأستاذ توفيق ؟ لأنه لون باهت منفر فى الأقلام بالذات . الألوان الغامقة فى الأقلام هى التى تغرى بالسهو . أو باللطش ، الأحمر ، والأسود ، والأزرق . أما الأصفر فانه أحد الألوان القليلة التى تجعل الانسان يسهو عن ان يسهو ، ويأخذ القلم سهوا .
وإذا كان توفيق الحكيم هو الذى يملك الحضور البخلي المسرحى ، فان نجيب محفوظ هو البخيل الذى لا يستطيع إنس أو جن أن يكتشفه فى لحظة بخل ، فهو لا يخلع أبدا ملابس التنكر حتى وراء الستار ، وحتى بينه وبين نفسه . قال لي الاستاذ توفيق الحكيم مرة حين سألته لماذا لا يشجع ويشيع عن نفسه حكاية البخل هذه . أذكر أنه أجابنى بما يدل على ذكاء شديد ، إذ قال لي ان البخيل الذى يحاول أن يكتم أمر بخله عبيط لأنه سيدفع الناس جميعاً لانتقاده والنيل منه دائماً لبخله . أما الذى يعرف الناس عنه جميعاً انه بخيل فان أحدا لا يذكره بسوء لبخله ، وتتحول المسألة من رذيلة مضطر أن يدافع عنها الى نكتة ، بل الى ما هو أكثر ، الى حقيقة لا يناقشها أحد ، توفر عليك متاعب الحرج من كل انسان تصادفه . وبهذا تبخل دون ازعاج أو استنكار ، وتزاول متعتك تلك علناً وعلى رءوس الأشهاد ، ودون ذرة لوم من أحد .
وهكذا فان طريقة نجيب محفوظ فى البخل متعبة له وللآخرين . فبينما حول توفيق الحكيم بخله الى نكتة ينميها ويشجعها ، فان نجيب محفوظ على عكسه يخاف تماماً ان يعرف عنه انه بخيل ، يخاف خوفاً دراميا حقيقياً يأخذه كرواياته التراجيدية مأخذا جادا لا هزل فيه . فهو مثلا من جلاس المقاهى ولابد أن يطلب لك إذا كنت قادماً وهو جالس قبلك طلباً . لا يطلب طلباً وإنما يحدد قاطعاً عليك طريقة الاختيار قائلا : مضبوط والا ساده ؟ وهكذا تجد نفسك وقد انحصر اختيارك بين القهوة والقهوة . والقهوة سعرها معروف ، قل خمسة فى المقهى ، وقرشين فى الأهرام . لكى يخفى نجيب هذا البخل القهرى المركب فيه يطلب لكل قادم طلباً ، ولكنه طوال الجلسة يتعذب . وأنا لم أجلس معه كثيرا على المقاهى أو فى الأهرام . ولكنى كنت الاحظ أنه لا يندمج تماماً فى أية مناقشة خطيرة تنشأ أو إذا اندمج فانما يقول رأيه بسرعة ، وبأسرع من البرق يكون قد عاد الى حالته الأولى ، حالة التفكير فى شىء ما يحيره . فعلا تحس ان هناك شاغلا مستمرا يشغله ولقد ظللت اسأل نفسى عن هذا الذى يشغل أخانا الأكبر نجيب محفوظ طوال الوقت إلى أن حدثت أمامى هنة بسيطة كشفت عن كل شىء . فهو قبل أن يغادر الجلسة يحاسب الجرسون طبعاً . ومرة ذكر الجرسون ثلاثة شاى واربعة قهوة ، فاذا بالأستاذ نجيب محفوظ يسارع بتصحيح الخطأ ويقول « لا .. أربعة شاى وثلاثة قهوة » .
دهشت لبعض الوقت ، ولكن فجأة ومضت الفكرة أمامى . ان أى انسان عادى نادرا ما يذكر بالضبط عدد ونوع الطلبات التى طلبت خاصة إذا كانت الجلسة صغيرة ، فبقدر عدد الحاضرين تكون الطلبات . أما ان يتذكر إنسان انهم كانوا أربعة شاى وليسوا ثلاث .. وثلاثة قهـوة وليسوا أربعة .. فمعنى هذا أن المسألة كانت تشغل باله طول الوقت . أيكون هذا هو السر الذى

شهريات

البخيلان: الحكيم ونجيب محفوظ


توفيق الحكيم


نجيب محفوظ

يحول بين الاستاذ نجيب محفوظ وبين الاستطراد فى اندماجه فى المناقشات ؟ إذ لو تجافى الأمر دقائق ، لما استطاعت ذاكرته أن تعود تفتش عدد فناجين القهوة وتفنطها ,على جانب حتى لا تختلط بعدد أكواب الشاى .

وياله من مشهد خالد ما أراه كل خميس حيث الموعد الذى ضبطناه على ساعة نجيب محفوظ أن يلتقى كتاب الأهرام أسبوعياً . مشهد توفيق الحكيم وهو يزاول متعة البخل بكل صهللة واستمتاع ، بينما بخل نجيب محفوظ سبب له كل هذا الجهد النفسى الخفى لمعرفة كم عدد الشايات التى طلبت ، وكم عدد القهوات ، وكم عدد المشروبات الغازية . ذلك أنه لو وضع سره البخيلى فى بير ، يتولى هو – رغم أننا نجتمع فى حجرة توفيق الحكيم – طلب الطلبات للقادمين . وحيث أن الحضور أحياناً قد يصلوا الى العشرين .. فتصور محنة صديقنا الكبير أبو النجب ، ونحن منطلقون على سجيتنا نقهقه ونحلل ونسخر ، وتوفيق الحكيم فى أوج مزاولته لبخله وتدليله والطبطبة عليه ، وتزيينه للناظرين . الجميع فى متعته . والوحيد الذى يختلس المتعة اختلاساً حين ينتهز بين كل حين وحين الفرصة ليلقى برأى سريع مركز حكيم كالزلطة المصوبة بعناية الى قطار المناقشات ، ثم بسرعة اللهب يعود فيمسك بفناجين القهوة والشاى واعدادها – بنت الذين – التى كادت تنتهز الفرصة لتختلط أو تفلت ، إذ الفارق بينها مهول ، فنجان القهوة بثلاثة قروش ، بينما فنجان الشاى بقرشين ، كارثة لو اختلط فنجان بفنجان ، ومأساة لو تعبت ذاكرة « بدوى » الساعى ، واختلط أكثر من زوجين ...

●●

فى لحظة خلوة جميلة وانا اوصل الاستاذ توفيق الحكيم الى بيته بعربتى سألته : لماذا رفض – حقيقة حكاية السكرتيرة واستن هذا التقليد الذى نعانى منه جميعا ؟ .

قال لي : بصراحـــة بصراحـــة . قلت : بصراحـــة بصراحـــة

قال : أنا اتعقدت من مسألة السكرتيرات هذه حين كنت ذات عام أو بالضبط سنة ١٩٤٢ أزور التابعى الله يرحمه فى مكتبه ، وحين نادى السكرتيرة ليبعد لها بشىء لاحظ انها تتثاءب . فسألها فقالت : أصل امبارح كان عيد ميلادى ياأستاذ وسهرنا شوية .

– عيد ميلادك ؟

قال المرحوم التابعى :

–' أيوه .

– ولا تقوليليش .

– مسألة ما تستهلش يابيه .

محمد التابعى

احسان عبد القدوس





– إزاى ما تستهلش ؟

و « ضرب » يده فى جيبه فوجد أن ما معه ورقتين من ذات العشرة جنيهات وقال :

– دول بدل هدية متواضعة جداً . إنما حا عوضالك السنة الجاية إن شاء الله .

صمت طويلا ، وقلت وانا أتأمل الموقف

– طيب .. وماذا فى ذلك عقدك ؟ .

قال : سكرتيرة التابعى قالتها ببراءة .. دلوقتى بقى بيحتفلوا بعيد ميلادهم مرتين وثلاثة فى السنة . أندب أنا فى هدية عيد ميلاد كل سنة علشان إيه ؟

– مش ضرورى .. تجاهل .

– بيطلعوا أخبث . تروح جايبالي يوم عيد ميلادى كرافتة رجالي بجنيه ولازم غصب عنى أردها لها .

.. وهكذا من أجل ألا يكلف نفسه مشقة أن يستعين ويستجير بهذه السكرتيرة أو تلك لتكتب له خطاباً على الآلة الكاتبة للناشر ، وعناء الذهاب الى البوستة ، والوقوف فى طابور لشراء الطابع ، ومشوار آخر للصندوق ، يكلف نفسه عناء أنه حين يود التحدث فى أمر أو الى شخص خاص ، يستعير مكتب إحسان عبد القدوس ، أو مصطفى بهجت بدوى ، ثلاثة أرباع وقته فى الأهرام ، وفى غيره ، مضيع فى مسائل كان من الممكن أن يحلها سكرتير أو سكرتيرة ، ليتفرغ هو الى ما هو أخطر .

كل هذا حتى لا يكلف نفسه عناء هدية فى عيد ميلاد أو عيدية لسكرتير . يكلف نفسه ويكلفنا كلنا هذا العناء الذى وضع تقاليده ! !

أعرف مسبقاً أن آلف خطاب احتجاج ستجيئنى على إضاعة وقت القراء فى هذه الدردشة التى لا معنى لها ، ولكن قبل أن يفكر أحدكم فى امتشاق قلمه وهات ياكتابة أقول لكم : وما لها الدردشة أحياناً ؟ أليست خيرا من جليس السوء أو قول السوء ؟ ألم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلا حقا ؟

ليس الاهرام مسجدا . انه جريدة ولست إماماً . فأنا كاتب . ومن حقكم علي أن اريحكم أحياناً من الأجزاء الجادة فى كلينا .

د. يوسف ادريس

دRويش مصطفى الفار

التقدم.. والأخلاق

بلغ الانتاج العالمى من الذهب الابريز قرابة أربعين مليون أوقية خلال العام الميلادى ١٩٧٩ ، ولكننا لا نعرف يقيناً الرقم الذى بلغه الانتاج العالمى من عسجد صخور قشرة الأرض ، تبرا أو شذرات ، منذ أن اكتشف قدماء المصريين سر وجود ذلك الفلز الأصفر الرنان فى معادنه بعروق المرو ورمال وديان الصحراء الشرقية ، غرب البحر الأحمر ، تلك التى سموها بلاد النوبة ، اشتقاقاً من كلمة (نوب) التى كانت تعنى بلغتهم « الذهب » ، بعد أن نزحوا من الجزيرة العربية الأم ليؤسسوا أول حضارة فى التاريخ حول النيل الخالد ... وتقوم اليوم صناعة استخراج الذهب من خاماته على أسس علمية فى خطوات منظمة محكمة ، تبدأ بأن تجتث العروق أو السامات ، التى يثبت الاستطلاع احتواءها على الذهب ، وتنقل حصيلة المنجم الى حيث تطحن بآلات ضخام ، لا تتوقف عن العمل ليل نهار ، فتحول الصخر الصلد الى تراب ناعم دقيق ، يتم غمره بمحلول مائى لمادة سامة قاتلة تسمى السيانور ، وهى التى انتحر بازدرادها مساعد هتلر الشهير ، هيرمان جورنج ، فى سجن نورمبرج ، فيتحد الذهب بالسيانيد مكوناً مركباً كيماوياً معقداً ذائباً فى الماء ، وينقل هذا المحلول الذهبى السام الى جواب راسيات ، تمهيداً لاستخلاص الذهب منه ، نضارا ينفع الناس ، أو يستذل بعضاً منهم للآخرين ... ولا يستخلص الذهب من المحلول إلا بعلم . إذ عرف المشتغلون بالعلم من نواميس الله وقوانينه فى تفاعلات المواد ، أن لكل عنصر من عناصر الأرض صفات كهربائية تتيح لفلز أن يحل مكان فلز آخر ، أى يطرده من مركباته ، ومن هنا يلقون بمسحوق خشن لفلز الخارصين (الزنك) فى المحلول الذهبى ، بحساب وميزان فيطرد الخارصين الذهب ، الذى يترسب على صورة مسحوق أسمر ، ينقل بعناية ويغسل بماء غزير ، ثم يجفف ويخضع لسلسلة طويلة من المعالجات بالكيماويات والأفران حتى يصير فى النهاية سبائك من نضار .

ولأننا حين نتدبر ما يقول به العلم ، اليوم ، عن المادة فى الكون ، من وجهة نظر الفيزياء والكيمياء ، ونحترم النتائج والقوانين التى توصل اليها الباحثون عبر القرون ، والتى تقول بأن مادة الكون ، المعلوم لنا حتى الآن ، قد بناها الخالق سبحانه من لبنات أساسية أربع هى البروتون ، والنترون ، والالكترون ، والنترينو ، ومنحها صفات من الطاقة ، أربع أيضاً ، هى الجاذبية ، والكهرومغناطيسية ، والطاقة الذرية الضعيفة التى تحفظ الالكترونات فى أفلاكها حول نواة الذرة ، والطاقة الذرية القوية التى تربط على قلوب النترونات والبروتونات فى نواة الذرة ، وان التنوع فى اختلاط هذه المقومات الثمان ، هو الذى يعطينا ذلك التنوع الرهيب الذى لا يحصره العد ، من الألوان والكثافات والطعوم والأصوات فى الصخر والحيوان والنبات والغازات والسوائل ، وأن ما نسميه موجباً لو كان سالباً ، وما نسميه سالباً لو كان موجباً ، خلافاً لما نصف به المادة ، فان صفات المادة سوف تكون بالتأكيد شيئاً غير تلك التى تدركها حواسنا ، وأن عالم الجن والملائكة الخفى عن تلك الحواس ، هو حقيقة علمية يرفضها عقل سليم يعرف أهمية احترام العلم والدين معاً . هذا بالاضافة الى أن الصفات التى أعطاناها العلم للمادة والطاقة ، مما يشمل خاصية فلز أن يطرد فلزاً آخر كما يفعل الخارصين بالذهب فى محلول السيانور ، لا تكمل الصورة التى يعرفها العلماء والشعراء على سواء ، فأين نضع صفات الانسان التى منها ، الشجاعة والجرأة والجبن والخوف ، والكرم والبخل ، والحب والكره ، والشوق والحنين ، والثأر ، والاصرار ، والجمال والقبح ، والايمان والكفر ، والنفاق والصدق ، والوفاء والغدر ، والخبث والنزاهة ، والرياء والملق ، والحزن والفرح والطرب ، والقلق والغباء ، والذكاء ، والأمانة والخيانة ، وغير ذلك من الصفات والسمات البشرية التى لم يخضعها العلم بعد ، لمقياس أو ميزان أو مجهر أو أنبوب اختبار ، وهى الصفات التى لو اجتمعت الجوانب الخيرة الايجابية منها فى مجموعة من البشر ، وكانت فى الميزان أثقل من الجوانب الشريرة السلبية ، فان تلك الجماعة ، كما يقول التاريخ كله ، سوف تكون لها الغلبة فى الصراع ، والقدرة على اجتياز المحن ، والصعاب ، وتخطى العقبات التى ترسمها المخططات الشريرة لوأدها وانتثارها ، وهذا ما صنعه الاســلام بالعرب فجعلهم أئمة الناس وحملة لواء الحضارة والعدل لعدة قرون ، حتى إذا ما دالت دولتهم (الاخلاقية) دالت دولتهم السياسية وعادوا ادراجهم سياسياً الى حالتهم فيما قبل الاسلام ... فالتكوين (المادى) للشعوب والأمم ، والذرات والطاقات التى خلق الله منها أبدانهم ، واحدة لا تختلف ولا تتمايز .

ولكن الاختلاف والتمايز يتأتى من مجموعة أخلاق وصفات ، يمكن لكل قيادة واعية هادفة ساهرة ، أن توجه اليها أفراد شعوبها ، حتى تصبح تلك الصفات هى الغالبة على مجتمعاتها بما يجعلها فى مأمن من الضياع فى هذه الغابة البشرية التى وصلت الى القمر ، وسبرت اجواز الفضاء ، ولكنها لازالت بحاجة الى الأخلاق .



الأحرف العذارى

شعر : محمد الفهد العيسى

● الابحار فى ليل الشجن : ـ أحدث دواوين الشاعر السعودى الكبير محمد الفهد العيسى .. صدر أخيرا عن مؤسسة « تهامة » ضمن سلسلة « الكتاب العربى السعودى » فى ٢٩٢ صفحة ، تضم ٦٥ قصيدة .

والأحرف العذارى : إحدى قصائد الشاعر الكبير فى ديوانه الجديد ●

" ١ "

عِنْدَمَا يَلُفُّ اللَّيْلُ فِي ظَلَامِهِ الْمَدِينَهْ

وَتُقْفَلُ الأَبْوَابُ وَالنَّوَافِذْ

عِنْدَمَا تَنَاوَبُ النُّجُومُ فَوْقَ قَرْيَتِي الْحِرَاسَهْ

وَتَغْفُو فَوْقَ أَحْضَانِ السَّكِينَهْ

" ٢ "

شَيْخُ قَرْيَتِي عَلَى كُرْسِيِّهِ الْقَدِيمِ يَقْتَعِدْ

وَحَوْلَهُ ذُبَالَةُ الْفَانُوسِ تَرْتَعِدْ

يَنْفُثُ الدُّخَانَ مِنْ غَلْيُونِهِ سِنِينَ ذِكْرَيَاتْ

أَيَّامَ كَانَ يَمْتَطِي الْحِصَانْ

وَيَرْنُو نَحْوَ رُمْحِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانْ

أَيَّامَ كَانْ ..

وَنَفْسُهُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي إِلَيْهِ تَسْتَمِعْ

كُنْتُ .. كَانْ ..

أَحْلَامُهُ انْتَهَتْ - إِلَى السَّبْعِينَ - نَامْ

وَاحْتَرِقْ .. وَاحْتَرِقْ ..

"٣"

عِنْدَمَا الأَطْفَالُ لِلأَحْلَامِ تَبْتَسِمْ

وَتَلْهُو فِي أَسِرَّةٍ تَهُزُّهَا مَلَاكْ

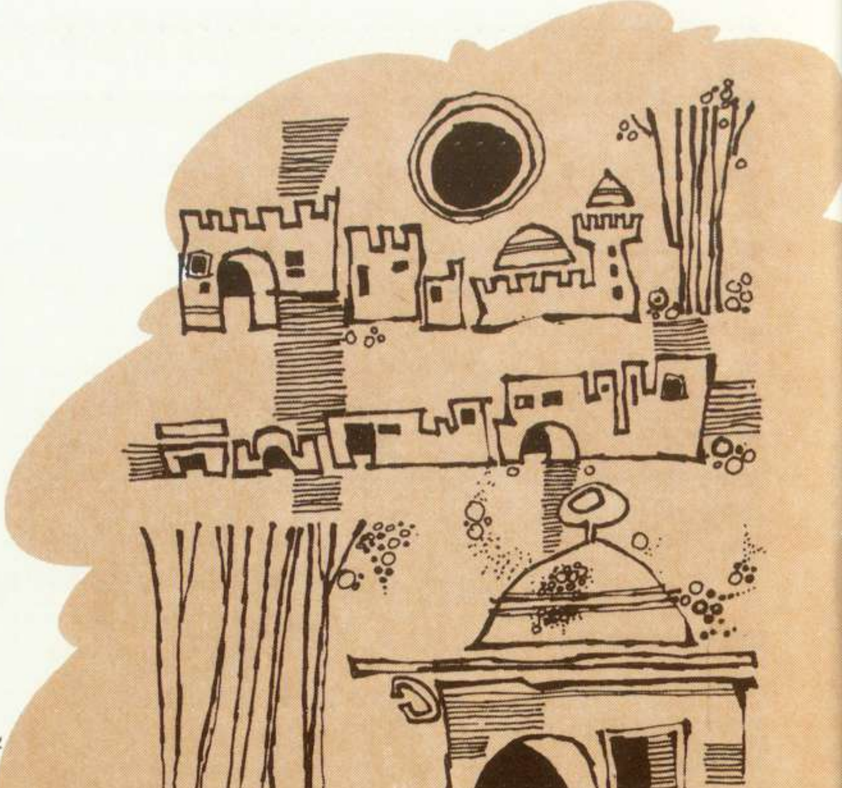
تَشْدُو لَهُمْ أُغْنِيَّةً بِحُلْوِ الذِّكْرَيَاتْ

عَنِ الظِّبَا الَّتِي تَعَانَقَتْ فِي "رَوْضَةِ التَّنْهَاتْ" (٢)

وَعَنْ .. وَعَنْ ..

وَتَنْتَهِي الحِكَايَهْ ..

وَأَحْتَرِقْ .. وَأَحْتَرِقْ



"٤"

أُحِسُّ أَنَّ بُرْكَانًا يَثُورُ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي فِي غَضَبْ

وَأَلْفُ أَفْعَى نَهْمَةٌ تَلُوبُ فِي عُرُوقِي

مِنْ سُمُومِهَا تَوَقَّدُ اللَّهَبْ ..

وَأَحْتَرِقْ .. وَأَحْتَرِقْ ..

وَالأَحْرُفُ العَذَارَى تُمْطِرُ الدُّمُوعَ وَالأَرَقْ

تَدَاعَى بَيْنَ أَضْلُعِي قَصِيدَةٌ حَزِينَهْ

آهِ .. زَفْرَةٌ حَرَّى كَدَرْعٍ جَارِفٍ (١)

يَجْتَثُّ - مِنْ أُصُولِهَا - الشَّجَرْ

يَجُرُّ مَا قُدَّامَهُ - مَا كُلُّ فِي طَرِيقِهِ -

وَيَنْحَدِرْ

وَيَصْحُو - بُعَيْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ -

إِعْصَارٌ .. غِطَاؤُهُ جِرَاحْ

وَأَحْرُفٌ مِنَ العَذَارَى ..

تَوَشَّحَتْ شَلَّالَ ضَوْءٍ مِنْ سَمَاحْ

وَشَدَّتْ حَوْلَ خَصْرِهَا

جَدَائِلًا مَنْسُوجَةً مِنَ القَمَرْ

- روضة التنهات: من رياض نجد المشهورة
- سيل درع: جاء منحدرا من الوادي دون مطر في محله.

محمد متولى الشعراوى

الدعاء

وصادق العبادة

احمدك ربى واستعينك كما علمتنا ان نحمد واصلى واسلم على خير انبيائك وصفوة رسلك ، رسول صدق مبلغ عن إله حق .. وبعد .

قال سبحانه وتعلى :

« الا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد ٢٨ .

أى أن الانسان عندما يتذكر أن قوة الله سبحانه وتعالى وقدرته موجودة ، وانها قادرة على كل شئ لا تحدها قيود ولا حدود فانه يطمئن قلبه .. لماذا ؟ لأن الانسان إذا تخلت الأسباب عنه فلا يتخلى ولن يتخلى الله عنه .

وإن الله مهما سدت السبل ، أو ضاقت الأزمة .. لديه الحل من حيث لا ندرى ولا نعلم ، ومن هنا فان المؤمن لا يدخل إلى قلبه الشقاء أبدا .. لماذا ؟ لانه مطمئن الى قدرة الله وإلى عدله . مطمئن الى رحمة الله ، وبذكر الله تطمئن القلوب . ولكن لماذا كان الدعاء هو مخ العبادة ؟ لأنه يذكرنا دائماً بضعفنا وقوة الله ، وقدرتنا المحدودة ، وقدرة الله المطلقة ، يضع فى قلبنا الخشوع والخضوع ، ويجعلنا نحس أن الله سبحانه وتعالى قائم على كونه .

هذه الخشية التى تدخل القلب تنزع منه غرور الدنيا مهما كان . فاننى مهما علوت فقير الى الله سبحانه وتعالى ومهما كنت فى الدنيا ، ومهما علا شأنى على هذه الأرض ، فلا ابلغ ذرة من ذرات ملك الله .. ومن هنا فانا أعلم مقامى فلا أطغى ، وأعلم حاجتى الى الله فأخشاه وأعبده حق عبادته ، فلا تغرنى قدرتى على الناس مهما بلغت ، وأعرف جزاء وحساب الله ، فلا يغرينى الحرام مهما استطعت أن اصل اليه

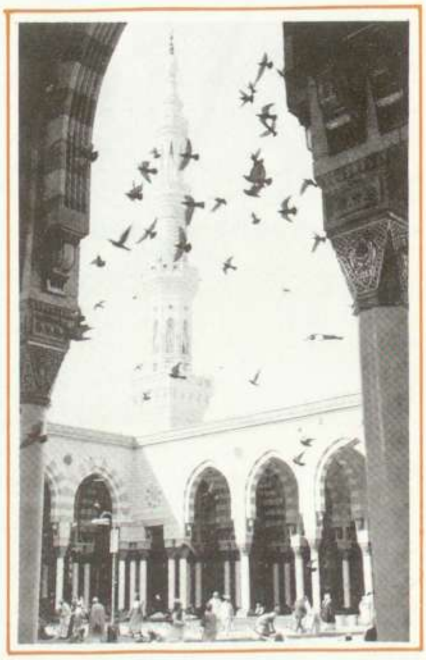
ما هو الدعــــاء ؟ .

الدعاء فى معناه : أن نعيش مع الله دائما لا نتركه لحظة واحدة .. كلما نسيته تذكرته ، وكلما بعدت عنه فزعت ،

وكلما علا شأنك فى الكون أحسست بضآلة كل ما يمكن أن تعطيه هذه الدنيا لانسان ، بجانب ما يعطيه الله سبحانه وتعالى لدعوة واحدة تخرج بكلمة (يارب) . إن الدعاء هو إحساس مستمر يعجز العبد أمام قدرات الله سبحانه وتعالى . وهذا الاحساس هو أساس الايمان وهو أساس العبادة ، فكلما احس الانسان بعجزه أمام الله ، وكلما أحس بعظمة قدرات الله .. خرج الغرور البشرى من النفس ، ودخل إليها الإحساس بالقدرة الحقيقية ، والقيم الحقيقية للانسان التى تعتبر لا شئ بجانب الكون وقدرات الله سبحانه وتعالى . والغرور هو أول مراتب المعصية وهو مدخل الشيطان الى النفس البشرية . ذلك أن هذا الغرور يجعل النفس تحس بقدراتها ، وتعبد هذه القدرات ، فالانسان ما اغتر إلا عندما حسب أنه يستطيع أن يستغنى عن الله سبحانه وتعالى وأن يصنع قدرته بنفسه وأنه يملك من القدرة والقوة ما يجعله فى غنى عن عون الله سبحانه وتعالى تجد أن هذا الانسان لا يستغفر أبداً .. ولا يطلب من الله المغفرة .. ولا يرجو منه الرحمة .. ذلك لأن الكبر فى نفسه يجعله يحس بالاستغناء . وهذا الكبر يمضى ليصبح كفرا ، ويكبر ليصبح عبادة للنفس وعبادة للبشر .

معصية إبليس

ومن هنا فان معصية إبليس بدأت بالغرور ، وتمرده على أوامر الله سبحانه وتعالى ، لأن نفسه دخلها الغرور ، فقال خلقتنى من نار وخلقته من طين. رافضا بذلك امر الله . لأنه اعتقد أنه من معدن



افضل من معدن الانسان ، دخل الغرور الى نفسه ، فلم يجعله يعصى فقط ثم يندم ، بل يعصى ويرد الأمر على الله ، ويرفض أن يعترف بانه مخطىء ، بل يقول لله سبحانه وتعالى ، لن أفعل هذا لأننى أفضل من هذا الأنسان ، وهذا الغرور بذاته معصية كبرى لا يمكن أن يوجد فى النفس البشرية مع الدعاء ، فالدعاء تضرع وخشية ورفع لقدرات الله سبحانه وتعالى ، والغرور بعد عن هذه القدرات ولذلك كان الدعاء مخ العبادة .

غرور آدم وحواء

الغرور هو الذى أخرج آدم وحواء من الجنة.حسبا أنهما سيكونان خالدين ، وسيكون لهما ملك لا يبلى ، فاخذهما الغرور من التمتع بنعم الله التى أباحها لهما .. الى محاولة الاستغناء عن هذه النعمة بقوة ذاتية ، لا يملكانها ، ولا يملكها أحد إلا الله سبحانه وتعالى . ومن هنا كانت شهوة الغرور والملك هى التى دفعت بهما الى الخطيئة .

ولكن الفرق بين خطيئة آدم وبين خطيئة إبليس ، أن آدم ندم على ما فعل واعترف بذنبه واستغفر ربه ، أما إبليس فانه أمعن فى الغرور ،ورد الأمر على الله سبحانه وتعالى فكان جزاؤه طرداً أبدياً من رحمة الله ، ومن هنا استعان إبليس بعزة الله التى تجعله لا يتأثر بطاعة الخلق جميعاً .. أو معصيتهم به ، تلك العزة التى فيها استغناء الله عن جميع خلقه ، استعان بها ليبقيه الله الى يوم البعث ، وهنا يكون الغرور أول مراتب الخطيئة ، فاذا اغتر الانسان بقوله أو بماله أو بجاهه .. أو بسلطانه أو بأى شىء منحه الله إياه فى الدنيا فانه فى هذه الحالة قد فتح أول أبواب المعصية.وفتح باب الشيطان يمكن أن يؤدى الى الهلاك .

ألوان من الدعاء

على أن الدعاء فيه نواح كثيرة . فبعض الناس يرفع يديه للسماء ويقول يارب،ولا يستجيب الله له . وبعض الناس يعتقد أنه بالتجائه إلى الله فان الله سيمكنه من عدوه ، ويجعله قادراً ويجعله يبطش بذلك الذى ظلمه ، والبعض الآخر ، يتوقع أن عدم الاستجابة للدعاء هى عدم رضا من الله سبحانه وتعالى .

دعاء المظلوم : فاذا قلت يارب واستنجدت بالله تعالى وكنت مظلوماً فان توقع الاجابة أو الاستجابة فى نفس اللحظة هو عمل من ظاهر اعمال الدنيا ، لا يؤتيه الله سبحانه وتعالى اختبارا للايمان والصبر فالله جل جلاله يستطيع أن يرسل أنبياءه وأولياءه ، ويعطيهم القوة والقدرة ليحكموا ، ولا يستطيع احد أن يهزمهم أو يتغلب عليهم وهكذا تسود العدالة فى الأرض قهراً .

الايمان بالاختيار

ولقد اعطى الله لسليمان ملكاً لن يؤتيه أحداً بعده ، وكان كل مافى الأرض من قوة مسخراً لخدمته وكان يستطيع أن يفرض قهراً ما يريد ، وعندما أرسل الى ملكة سبأ يدعوها الى الاسلام ، وكانت ملكة ذات بأس وقوة ،لم يخش بأسها ولا قوتها ولكنه كان يعلم انه يستطيع أن ياتى بجنود لا قبل لملكة سبأ ، ولا لجيوشها بمقاومتهم ، وهو معه قوة الدنيا كلها .. ومعه الريح ومعه جيوش من الانس والجن ومعه الغلبة وقوة الله سبحانه وتعالى .. إذن فقد كان من الممكن بدلا من هذا الصراع الدائر فى الدنيا أن يرسل رسولا يعطيه من القوة والقدرة ما يخضع الناس للايمان . بل إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

« إن نشأ ننزل عليها من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » الشعراء ٤ .

أى أن الله يستطيع أن ينزل من السماء آية تخضع كل هؤلاء البشر للايمان ولكن الله لا يريد ذلك .. إنه يريد أن يأتى الانسان إليه مختاراً لأنه ميز الانسان دون سواه بالعقل وهو محل الاختيار بين البديلات . يريد أن يقول الانسان (ياربى) اخترت طاعتك واخترت الايمان وهنا يريد الله من عباده أن يقبلوا على منهجه وهم فى مقدورهم ألا يقبلوا عليه .

فالله يريد طواعية الايمان واختيارية اليقين به .

رزقنا الله العمل بكتابه الكريم ومنة نبيه الأمين.

التسامح والتواضع

الانسان هو أولا وأخيرا غاية كل الأعمال وغاية الدولة وغاية الأمة وغاية البشرية فى توقها الى السعادة ، ولكنه لا يسعد ولا يستقيم له أمر ولا يقر له قرار إلا إذا كان هو نفسه يستحق ذلك وكان شديداً مع نفسه وفى مستوى اخلاقى مرض ويعمل فى جهره وسره لوجه الله ووفقا للواجب والمصلحة العامة ، لا كما ورثها أو كما قيل له عنها بل كما اهتدى اليها بعقله وضميره ، وهو دائماً يراجع رأيه ويبحث ويتوق الى الحق ، والحق ليس شيئاً مطلقا أبداً ، الحق هو ايضا شىء نسبى . ويجب التواضع لأنه شرط التسامح الذى لا يستقيم العيش الجماعى من دونه .

محمد مزالى

رئيس وزراء تونس والمفكر العربى المعروف

دولة سعد الحداد

الخنجر الذي زرعته إسرائيل في ظهر العرب

بقلم: عصام شريح

يوم ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٧٩ ، أعلن سعد الحداد ـ وهو ضابط سابق فى الجيش اللبنانى برتبة رائد ـ عن قيام « دولة لبنان الحر » فى منطقة الشريط الحدودى الذى تسيطر عليه الميليشيا الانعزالية التى يقودها ، وقال الحداد ، أن قيام « دويلته » بدعم من « اسرائيل » هو السبيل لما أسماه بانقاذ لبنان وتحريره من « الاجانب » (الفلسطينيين وقوات الردع العربية) .

ومنذ ذلك اليوم ، ودويلة سعد الحداد هذه التى لم يعترف بها احد سوى اسرائيل وتقوم بدور « كلب الحراسة » بالنسبة للكيان الصهيوني ، فهى تقوم بعمليات المواجهة المباشرة مع القوات اللبنانية ـ الفلسطينية المشتركة فى جنوب لبنان من جهة ، وتتلقى فى نفس الوقت اللطمات من هذه القوات ، والتى كان مفترضاً أن تتلقاها اسرائيل

ومما يعزز هذا الرأى ، أن السلطات الاسرائيلية منحت «رئيس» هذه الدويلة «سعد الحداد» منزلا فى مستوطنة «المطلة» الصهيونية ، القريبة من بلد القليعة ، وقد زاره مراسل أجنبى مرة فى منزله هذا ، وطرح عليه سيلا من الأسئلة لكن المراسل دهش وهو يسمع ضابط استخبارات اسرائيلى كان موجوداً فى المنزل ، يجيب على أسئلته ، بينما كان سعد الحداد يلوذ بالصمت إلا فيما ندر .

ومن الأدلة على تبعية الحداد لاسرائيل ، أنه أعلن بتاريخ ١٩٨٠/٩/٨ عن نقل «سفارة لبنان الحر» من بلدة «متوله» الواقعة فى منطقة الشريط الحدودى ، الى القدس المحتلة ، وذلك بناء على قرار ما يسمى «باللجنة الخارجية» فى دويلته .

وفى ١٩٨٠/٩/١٩ ، اجتمع الحداد فى بلدة القليعة ، مع عشرات من رؤساء البلديات وأعضاء المجالس البلدية الاسرائيليين ، وخلال الاجتماع وجه الحداد ، بعد حديث عن «الجبهة المشتركة» بين اسرائيل وميليشياه ، وجه نداء لهؤلاء الاسرائيليين ، لكى يساندوا القرى الواقعة فى منطقة الجيب الانعزالى ، وذكر أن هذا التأييد قد يتعزز عن طريق ربط الشبكة الكهربائية للقرى الواقعة فى المنطقة التى يسيطر عليها ، بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، وطلب الحداد كذلك مساعدة اسرائيلية لاقامة خطوط تليفونية وتحسين الطرق ، وشبكات المياه فى المنطقة .

أما من الجانب الاسرائيلى ، فقد تحدث المعلق «زئيف شيف» فى صحيفة هآرتس بتاريخ ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٩ ، عن تبعية الانعزاليين فى منطقة الشريط الحدودى للكيان الصهيونى ، فقال : «... إن عبء إعالة الجيوب (المسيحية) ، من الناحية المالية ، قد ألغى منذ ذلك الحين (منذ عملية غزو جنوب لبنان فى عام ١٩٧٨) ، على عاتق الحكومة الاسرائيلية ، بما فى ذلك دفع رواتب كافة المستخدمين الرسميين (ملايين الليرات الاسرائيلية) .

وتقيم القيادة الاسرائيلية مراكز ثابتة لها فى منطقة الجيب الانعزالى ، وفى كل مدينة أو قرية فيها ، يوجد ضابط استخبارات اسرائيلى ، هو الحاكم الفعلى فيها ، وهناك ضباط اسرائيليون آخرون مكلفون بشئون كل قطاع من قطاعات الشريط الحدودى ، أما الحاكم الاسرائيلى الأعلى للشريط كله ، فهو الكولونيل «يورام هامزراحى» الذى يطلق عليه سكان المنطقة اسم «العقيد جعفر» ، وهو مشهور جداً فى المنطقة ، ويتقن اللغة العربية ، ويستدل من اسم عائلته ، على انه يهودى من أصل لبنانى ، فعائلة مزراحى من العائلات اليهودية المعروفة فى بيروت .

غزو جنوب لبنان

قد يكون من نافل القول ، ان نذكر أن الصهاينة كانوا يطمعون بالاستيلاء على جنوب لبنان لما يزخر به من مياه وأنهار ، قبل قيام اسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة ، وانطلاقاً من هذه المطامع كانت اسرائيل منذ قيامها فى عام ١٩٤٨ ، تشن العدوان إثر العدوان على منطقة الجنوب اللبنانى ، تمهيداً لتحقيق



أطماعها فيه . وكان أول اجتياح اسرائيلى واسع لجنوب لبنان قد وقع فى عام ١٩٤٨ ، حيث ارتكب الصهاينة خلاله مجزرة رهيبة فى قرية «حولا» الحدودية ، ذبحوا خلالها سبعين مواطناً لبنانياً بين طفل وامرأة وشاب دفعة واحدة ، تماماً كما فعل النازيون خلال الحرب العالمية الثانية .

وابتداء من عام ١٩٦٧ ، بلغت الاعتداءات الاسرائيلية على منطقة الجنوب اللبنانى مبلغاً يفوق الوصف سواء فى عنفها أو اتساعها .

إنما حسبنا هنا أن نقف عند أكبر عملية غزو اسرائيلية لمنطقة الجنوب فى عام ١٩٧٨ .

ففى فجر الخامس عشر من آذار (مارس) من تلك السنة ، اجتاحت اسرائيل جنوب لبنان بثلاثين ألف جندى من قواتها النظامية ، وشمل الهجوم البر والبحر والجو ، وامتد على مدى ثمانية أيام متوالية ، وكان من نتيجة هذا الهجوم سقوط أكثر من ألف شهيد ، واصابة ما يزيد على ثلاثة آلاف شخص بجروح ، وتهجير ما ينوف عن ربع مليون مواطن لبنانى وفلسطينى عن قراهم ومدنهم ومخيماتهم ، وتدمير ١٣ مدينة وقرية تدميراً كاملا ، وأكثر من سبعة آلاف منزل ومدرسة ومعبد ومؤسسة اقتصادية واجتماعية وثقافية .

ثم كان الاحتلال الاسرائيلى السافر لما يقارب نصف مساحة الجنوب اللبنانى ، الموضوع منذ زمن بعيد على خارطة المطامع الصهيونية ، وانسحبت اسرائيل بسبب المقاومة الشجاعة ، للقوات المشتركة ، التى واجهت بها العدوان الاسرائيلى ، رغم التفاوت الهائل فى العدد والمعدات بين الطرفين ، وتحت ضغط الرأى العام العالمى ، وبعد القرارات العديدة التى أصدرها مجلس الأمن الدولى ، بادانة العدوان الاسرائيلى ، ومطالبة اسرائيل بسحب جميع قواتها العسكرية من الأراضى اللبنانية فى الجنوب ، وبعد تمركز قوة مؤقتة من القوات الدولية من اجل تأكيد الانسحاب الاسرائيلى انسحاباً كلياً وفعلياً من أرض الجنوب ، فقد أبقت اسرائيل فى حوزتها شريطاً عريضاً من الأرض ، وعلى امتداد الحدود الجنوبية للبنان مع فلسطين المحتلة ، ومن باب التمويه نصبت على هذا الجزء المحتل نفراً من عملائها المحليين بقيادة سعد الحداد .

وكان الهدف واضحاً منذ البداية ، ان الدعم العسكرى والمالى والسياسى للانعزاليين فى منطقة الشريط الحدودى إنما يهدف الى بسط النفوذ الاسرائيلى والهيمنة الاسرائيلية على لبنان كله ، تحت شعار زائف هو حماية المسيحيين فيه .

ومن هنا فان ما جرى ، وما يجرى فى منطقة جنوب لبنان ، هو فى الواقع جزء من مخطط يستهدف لبنان ككل ، وتمتد آثاره لتشمل المنطقة العربية المجاورة .

ومن وحى هذا المخطط ، أعلنت «اسرائيل» فى أعقاب مرابطة القوات الدولية فى جنوب لبنان ، وفى الثالث عشر من حزيران (يونيو) ١٩٧٨ ، انها حققت أهدافها من عملية غزو الجنوب اللبنانى ، والتى تطلق عليها اسم «عملية الليطانى» ، وانها ستنسحب من المنطقة بعد تسليمها الى القوات الدولية .

ولكن ما حدث فعلا هو ان اسرائيل سلمت ١٤ موقعاً للقوات الدولية معظمها فى القرى الخلفية البعيدة عن الخط الحدودى مع فلسطين المحتلة ، مقابل ٢٣ موقعاً سلمتها للميليشيا الانعزالية وتقع جميعها على امتداد الشريط الحدودى وقد جرت عملية التسلم والتسليم بين الجنرال الاسرائيلى «أفيغدور بن غال» والرائد اللبنانى المنشق سعد الحداد فى احتفال رسمى نقله التلفزيون الاسرائيلى ومراسلو الصحف ووكالات الأنباء الاسرائيلية والعالمية . وبعد انزال العلم الاسرائيلى ورفع العلم اللبنانى مكانه ، جرى تبادل القبلات والخطب بين الطرفين ، وقال «بن غال» فى كلمته «إننا من جهتنا سنفى بالتزاماتنا لحماية الاقلية المسيحية ، وأتمنى كل الخير لأصدقائنا» وقد شكر سعد الحداد السلطات الاسرائيلية على المساعدات التى قدمتها للميليشيا التى يقودها . ولم تكتف اسرائيل بذلك ، وإنما أعطت للميليشيا الانعزالية قبل انسحابها الشكلى خمسين دبابة وناقلة جنود مدرعة مع طواقمها الاسرائيلية ، وعشرين مدفع ميدان ، وذلك لتمكن الانعزاليين من إحكام سيطرتهم على منطقة الشريط الحدودى الذى تطلق عليه اسم «الجدار الطيب» .

حجم الدويلة

تمتد دويلة الحداد فى منطقة الجيب الانعزالى من مرجعيون شمالا الى الناقورة فى الجنوب ، على طول الخط المحاذى لمنطقة عمليات القوات الدولية التى دخلت المنطقة بموجب قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٤٢٥ ، لتفصل بين القوات الفلسطينية ــ اللبنانية المشتركة من جهة والقوات الاسرائيلية من جهة أخرى ، ولتساعد السلطة اللبنانية على استعادة سيطرتها على منطقة الجنوب حتى خط الحدود المعترف به دولياً . ومع الوقت أى منذ الاعلان عن قيام الدويلة الانعزالية فى الجنوب ، أخذت الميليشيا فى التمدد والتوسع على الطريقة الصهيونية عينها ، فاحتلت حتى كانون

دولة سعد الحداد

الثانى (يناير) ١٩٨٠ ، أكثر من ١٢ قرية وتلة ، بطول ثلاثة كيلو مترات وعمق وسطى قدره خمسمائة متر تقريباً ، اضافة الى قيام اسرائيل بمؤازرة الميليشيا الانعزالية باحتلال أراضى نبع ومزرعة «الوزانى» ، ومرتفعات قرية «كفر شوبا» وخراج قرية «علما الشعب» و «عيترون» وغيرهما .

وبشكل اجمالى فان «دويلة لبنان الحر» تمتد على طول ٨٠ كيلو متراً ، وبعمق يتراوح ما بين ٥ ــ ١٦ كيلو متراً ، وتقدر المساحة الاجمالية للدويلة بثمانمائة كيلو متر مربع . وفى تقدير المراسلين الأجانب العاملين فى منطقة لبنان الجنوبى ، أن تعداد عناصر الميليشيا التى يقودها سعد الحداد ، يبلغ حوالى ألفى عنصر ، بينهم ٨٥٠ جندياً سابقاً فى الجيش اللبنانى ، كانوا أصلا تحت امرة الرائد المنشق ، عندما تولى القيادة العسكرية فى المنطقة الحدودية ، بصورة شرعية ، كضابط فى الجيش اللبنانى ، وقبل أن تقرر قيادة هذا الجيش طرده بسبب تعامله مع العدو .

أما العدد الحالى لسكان الشريط الحدوى ، فيتراوح ما بين ٥٠ ــ ٦٠ ألفاً (٣٥ ألفاً منهم من المسلمين (الشيعة) ، و ٢٥ ألفاً منهم من المسيحين) . وكان العدد الاجمالى لسكان هذه المنطقة قبل أن يهاجر القسم الأكبر منهم الى الضواحى الجنوبية من العاصمة اللبنانية بيروت ، فى أعقاب الغزو الاسرائيلى لجنوب لبنان فى عام ١٩٧٨ ، يبلغ ١٥٠ ألفاً . وتضم دويلة سعد الحداد حالياً «قضاء مرجعيون» بكامله ، وحوالى نصف مساحة «قضاء بنت جبيل» ، وربع «قضاء صور» .

أما موارد الدويلة الانعزالية فتاتى أولا من اسرائيل ، ثم من عمليات التهريب الناشطة ، حيث ذكرت صحيفة «يديعوت احرونوت» أن أصواتاً كثيرة فى اسرائيل بدأت تتحدث عن أن «الجدار الطيب» قد أضحى بوابة للتهريب على نطاق واسع وقالت ان رجال أمن اسرائيليين وضباطاً وجنوداً من القوات الدولية ، بالاضافة الى عصابات اجرام محترفة من المدنيين، يشاركون جميعاً فى عمليات التهريب هذه ، واشارت الصحيفة الى أن المواد والبضائع المهربة عديدة ، وهى تضم بصورة رئيسية : المخدرات (الحشيش) والمشروبات الروحية (العرق الزحلاوى) والسجائر والأجهزة الكهربية المسروقة من الحوانيت التى نهبها الاسرائيليون خلال غزوهم الأخير لجنوب لبنان ، وفوق هذا وذاك ، فهناك كميات هائلة من الأسلحة والمتفجرات بين المواد التى يشملها التهريب مما دفع بالجيش الاسرائيلى الى المشاركة فى عمليات التفتيش ونصب الكمائن بحثاً عن الأسلحة .

أما المصدر الثالث فياتى من الرسوم الجمركية التى تفرضها الميليشيا الانعزالية بايعاز من الاسرائيليين ، على جميع البضائع التى يستوردها التجار فى المنطقة من المناطق اللبنانية الأخرى، فالتاجر المقيم فى «بنت جبيل» أو «العديسة» أو «ميس الجبل» ، عليه اذا أراد استيراد بضائعه من صور أو صيدا أو بيروت ، أن يدفع رسوماً عنها

وترمى السياسة الاسرائيلية من وراء فرض هذه الرسوم على البضائع اللبنانية المستوردة ، الى تشجيع وحماية البضائع الاسرائيلية التى يمكن ادخالها الى قرى الشريط دون فرض رسوم عليها .

الاضطهاد والذل

والسؤال الذى يطرح نفسه فى سياق الحديث عن «دويلة لبنان الحر» هو : كيف يعيش اللبنانيون العاديون الذين كتب عليهم أن يبقوا فى مدنهم وقراهم داخل منطقة الجيب الانعزالى ؟

إن شهادات الذين تسنى لهم أن يخرجوا من منطقة الجيب الانعزالى ، بعد أن دفعوا جزية بلغت خمسة آلاف ليرة لبنانية ، أفادوا أن الاهلين هناك مغلوبون على أمرهم ، وانهم يقاسون من الاضطهاد والاذلال من قبل رجال الاستخبارات الاسرائيلية ونفر من أعوانهم . ففى عام ١٩٧٨ عندما توجهت قوة من الجيش اللبنانى الى منطقة الجنوب ورابطت فى بلدة كوكبا ، جرت اتصالات بين عشرات الجنود (السابقين) ، والعاملين مع ميليشيا سعد الحداد ، واتفقوا على الفرار والالتحاق بالجيش النظامى فى «كوكبا»، لكن عندما علم الاسرائيليون والحداد بذلك ، قاموا باعتقال عشرات من الجنود «المتمردين» ، ولايزال عديد من هؤلاء مجهولى المصير .

والاضطهاد الاسرائيلى داخل الجيب الانعزالى قد يكون بسبب «الصليب» الذى يعلقه المسيحيون عادة على صدورهم ، ويبدو أن عقدة الحقد والانتقام من المسيحيين ، تستفيق فى صدورهم لدى مشاهدتهم للصليب ، باعتبار المسيحية العدو الأساسى لليهودية ، لأنها هى التى قضت عليها فى العهد الرومانى ، إذ حصلت حوادث قتل وإهانة وتعذيب لعديد من المسيحيين فى دويلة الحداد ، بسبب تعليقهم الصليب فى صدورهم أثناء توجههم الى العمل داخل الكيان الصهيونى .

وقد روى أحد أفراد الميليشيا ، انه بعد نقله الى مستشفى اسرائيلى للعلاج من جرح أصيب به فى كتفه ، أقدمت احدى الممرضات على نزع الصليب المعلق فى عنقه ، ثم صفعته وراحت توجه اليه الشتائم وقد عالجت الاستخبارات الاسرائيلية هذه الحالة بأن أوعزت الى سعد الحداد بأن يوحى للمسيحيين من سكان دويلته ، بعدم تعليق الصليب على صدورهم لدى توجههم الى العمل فى اسرائيل ، كما لجأ الاسرائيليون الى فرض استبدال الملابس على كل من يعبر بوابات «الجدار الطيب» الى داخل اسرائيل ، بملابس خاصة رسمت عليها نجمة اسرائيل ، وعند العودة يستعيد هؤلاء ملابسهم الأصلية .

وفى أواخر سنة ١٩٧٨ وصل زهاء ثلاثمائة مسلح الى دويلة الحداد قادمين من جونيه التى تعتبر حالياً عاصمة «الغيتو الانعزالى» الذى يحكمه بشير الجميل ، وكان مقرراً أن يمضى هؤلاء فترة شهرين لدى الحداد ، لكنهم بعد أقل من أسبوع من وصولهم قرروا العودة الى «جونيه» عن طريق البحر ، بسبب

المضايقات التى واجهــــوها مــن الاسرائيليين .

ويتعرض كل من يتقدم بطلب لمغادرة «الدويلة» للتنكيل والتعذيب بعد تحقيق مضن ، أما إذا قدم «المغادر» أسباباً مقنعة لخروجه من الدويلة ، فعليه قبل كل شيء أن يدفع ضريبة تبلغ خمسة آلاف ليرة ، ثم يغادر ، متحملا بنفسه مسئولية هذه «المغامرة» .وكم من هؤلاء «المغامرين» من أطلقت عليه النار من كمين نصبته لهم عناصر الميليشيا فقتل أو جرح وهو فى سبيله الى الخروج من المنطقة .

يضاف الى هذا النزاع المستشرى بين بلدتى القليعة ومرجعيون بسبب الصراع على النفوذ ، فأهالى «القليعة» ـ القرية المارونية يرفضون زعامة سعد الحداد المفروضة عليهم فرضاً من قبل الاسرائيليين ، باعتباره «كاثوليكياً» وليس «مارونياً» ، كما يرفضون جعل مرجعيون التى يسكنها خليط من الطوائف المسيحية غير «الموارنة» ، عاصمة لـ «دولة لبنان الحر» ، ويطالبون بجعل «القليعة» العاصمة بدلا منها .

● ينبغي أن تتحد جهود العرب لدرء هذا الخطر قبل استفحاله وانتقال عدواه إلى أجزاء أخرى من الوطن العربي

وفى شباط (فبراير) الماضى ، وقع ما يشبه التمرد فى بلدة «عين إبل» القريبة من بلدة «بنت جبيل» ، حيث رفضت أكثرية أهالى هذه البلدة التجنيد الاجبارى والانخراط فى سلك الميليشيا بعد أن قرر الاسرائيليون تحويلها الى جيش نظامى ، وقد حاول المعارضون من أبناء «عين إبل» لهذه الخطوة الحصول على مباركة بشير الجميل القائد العسكرى لحزب الكتائب فى منطقة «الغيتو الانعزالى» فى الشمال ، لكن الجميل أبدى امتعاضه من هذا الطلب أمام أشخاص قدموا الى جونيه خصيصاً لهذا الغرض ، وطلب اليهم بلهجة الأمر الامتثال لأوامر الاسرائيليين وسعد الحداد ، ويخشى كثيرون من «المتمردين» الانضمام لجيش سعد الحداد خوفاً من أن يلجأ الاسرائيليون الى الانتقام منهم .

دويلة تتحدى العرب

لقد اتضح من سياق هذا البحث ، أن دويلة سعد الحداد ، إنما هى مجرد دمية يلعب بها العــدو الصهيونــى ، ويستخدمها «كحصان طروادة» ، لتحدى العرب وضربهم فى عقر دارهم ، والخطر الذى تفرضه هذه الدويلة ليس خطراً لبنانياً بحتاً ، بل هو تهديد يمس الدول العربيةمجتمعة ، لأنه يهدد أمنها الداخلى بالذات ، وإن بدا ذلك على المدى البعيد بالنسبة لبعض الدول العربية ، فيما هو خطر راهن أو قريب بالنسبة لدول عربية أخرى .

و «دولة لبنان الحر» تشكل خطراً على مستقبل كل دولة عربية لأنها تشكل فى الواقع النموذج المطلوب بالنسبة للفئات الشعوبية ، كما تشكل فى نفس الوقت أداة تحريض للاقليات الطائفية والعرقية فى الوطن العربى ، من أجل السعى الى الانفصال واقامة دويلات تلعب دور «مخلــب القـط» فى الاستراتيجية الاستعمارية والصهيونية ضد العرب .

نقول ذلك لأن دويلة سعد الحداد تجد امتداداً فعلياً لها فى وسط وشمال لبنان فى منطقة «الغيتو الانعزالى» الذى يحكمه حزب الكتائب . ولم يخف بيير الجميل رئيس حزب الكتائب ونجله بشير الجميل رئيس «المكتب الحربى الكتائبى» تأييدهما لسعد حداد ودويلته كما أن كميل شمعون رئيس حزب الأحرار الانعزالى جدد تأييده لسعد حداد أكثر من مرة ، وصرح فى ٢٥/٤/١٩٧٩ بقوله: «إننى أؤيد سعد الحداد فى حركته لتحرير لبنان» .

وانطلاقاً من الخطر الكامن أو الخطر المحدق بكل دولة عربية والذى تسببه دويلة سعد الحداد فى منطقة الشريط الحدودى بجنوب لبنان ينبغى أن تنصب جميع الجهود العربية لدرء هذا الخطر قبل استفحاله وللقضاء على هذا السرطان قبل انتقاله الى أجزاء أخرى فى الجسد العربى .

عصام شريح

من هــو سـعد الحــداد؟



تشير سيرة حياته ، الى أن جده « مخايل الحداد » استوطن بلدة مرجعيون فى جنوب لبنان مع أوائل القرن الحالي ، وأن أباه كان يعمل « مكارياً » ـ اى يقوم بنقل البضائع أو الخضار والفواكه على ظهر دابة يملكها ـ وفي فترة الحرب العالمية الثانية ، ولدى دخول الجيش البريطانى بلدة مرجعيون بجنوب لبنان في عام ١٩٤١ ، عمل « سعد الحداد » وكان ما يزال طفلا ـ مع والده فترة ، ثم عمل لدى إحدى الدوائر العسكرية البريطانية ، ثم دخل مدرسة تابعة لدير الكاثوليك في مرجعيون ، حيث نال الشهادة الابتدائية ، وقد ارسله الدير على حسابه للدراسة فى بيروت ، فنال شهادة البكالوريا (القسم الأول) فى عام ١٩٥١ ، ودخل المدرسة الحربية (الكلية الحربية) فى العام التالى ، بعد ان حظى بدعم من كميل شمعون الذى كان بدأ يبرز على ساحة العمل السياسى فى لبنان ، كما توسط له لدخول المدرسة الحربية ، مطران مرجعيون للروم الكاثوليك ، وقد تزوج سعد الحداد من مدرسة فى المرحلة الابتدائية تدعى « مارى » ولسعد الحداد ، اربعة إخوة ، توفى احدهم ، ويقع المكتب العسكرى لسعد الحداد حالياً ، الى جانب « بوليفار كميل شمعون » بين بلدتى « القليعة » و « مرجعيون » .

شاعر دارين بين الحضور والغياب

علي عبد الله خليفة

إبراهيم الغدير بين الحضور والغياب

يقول الشاعر العربي :

يمررن بالدهنا خفافاً عيابهم
ويخرجن من (دارين) بجر الحقائب

و «دارين» جزيرة صغيرة فى أقصى الطرف الشرقى للجزيرة العربية المطل على الخليج العربى ، وإلى أواخر القرن الميلادى الماضى كان بها حوالى مائة بيت . ومنذ أزمان غابرة اسهمت فى الدور الاقتصادى والثقافى لمنطقة البحرين القديمة الى ما قبل النفط حيث كانت محطة استراحة وتزود بالمؤن لسفن صيد اللؤلؤ ، لكونها المنفذ البحرى لمنطقة « تاروت » الزراعية الغنية بغابات النخيل وعيون الماء العذبة .

ومن قول الشاعر يمكن استقراء شيء عن المكانة الاستراتيجية لهذه الجزيرة ، فقوافل التجارة القديمة والمسافرون القاصدون والعابرون يمرون بصحراء الجزيرة العربية المعروفة بالدهناء بحقائبهم فارغة خفيفة الحمل وصولا الى القطيف (وتاروت) ويغادرون (دارين) بحمل ثقيل من البضائع والمؤن تنتفخ به حقائبهم .

وقد سكنت « دارين » أعرق القبائل العربية ، وما زالت بها آثار بيوت كريمة وأحفاد أسر عريقة كان لها شأن لا يستهان به ، فقد سكنتها قبائل (بنى خالد) و (الجنيدات) و (السادة) ، ورحل اليها المرحوم السيد راشد بن فاضل البنعلي واقام بها ، وهو شاعر ورجل علم وثقافة وفكر ، كما كانت مقراً لسكنى وأعمال المرحوم السيد محمد بن عبد الوهاب الفيحانى جد الشاعر القطرى المشهور محمد الفيحانى ، وبها الآن أعرق وأهم رواة الشعر الشعبى وممارسى فنون البحر الغنائية .

يربط هذه الجزيرة باليابسة طريق قديم قبل أن تجتازه تمر بـ (حمام تاروت) وهو أشهر نبع ماء عذب كانت له مكانة خاصة فى المنطقة كحمام شعبى خلده شاعر مجهول فى أبيات من الشعر تحولت الى اغنية شعبية مشهورة ، تقول :

حمام تاروت عليك اليوم طيرين
طير محنى وطير أريش العين
نصبت فخ الهوى باصيد الاثنين
صدت المحنى وخطانى أريش العين

زرت دارين مرتين ، مرة عام ١٩٧٢ فى جولة ميدانية لجمع نصوص الموال الشعبى الخليجى ، وكان دليلى الى (دارين) ومن فيها الشاعر الشعبى (ابراهيم الغدير) أحد ابناء دارين الذين ورثوا اصالة ونبل تلك الجزيرة الصغيرة المعتقة العابقة بحكايا التاريخ ، المثيرة لخيالنا نحن أبناء الخليج من هذا الجيل المشدود بعواطفه الى ما قبل النفط ، بما توحيه من جو البساطة والألفة والقدم ، وابراهيم الغدير شاعر أصيل موهوب بكل ما تعنيه هذه الكلمات من معان وابعاد . ولقد سمعت منه وقتها أرق وأعذب شعر حديث سمعته بلهجتنا المحكية ، وخلال فترة بقائى معه فى دارين محاطين بكرم وعناية أهل تلك الجزيرة كنت استزيده شعراً ولا أبدى له كل إعجابى ، بل كنت أقسو عليه فى نقد الهفوات وهو يساعدنى فى ذلك بظرفه وروحه المرحة فيلغى تلك القصائد جملة وتفصيلا ، ويحجم جداً عن قراءة أى منها أكثر من مرة واحدة لأنها حسبما يقول صادقاً ودون ادعاء للتواضع لا تستحق أن تسمع أكثر من مرة واحدة .

لقد شدتنى أشعار الغدير ببساطتها وعمقها ونبضها الساخن المعبر عن معاناة مشحونة بالقلق والتوتر والانفجارات الداخلية ، وتمثل لغتها الشفافة مرحلة متقدمة من تطور لهجة الخليج الحديثة وارتقائها حتى لتكاد أغلب مفرداتها أن تكون نقية فصيحة ،

والغدير كانسان ، عفوى بسيط يقول الشعر كما يتنفس الهواء وكما تحضره الطرفة ، لكنه دائم القلق والتوتر وفى اغلب الأحيان على غير وفاق مع العالم من حوله بصراحة ووضوح .

وقتها كانت بداية حركة الشعر العامى الحديث فى الخليج ، وقوة زخمها الجدى في التعبير عن الهموم المعاشة لانسان هذه المنطقة ، وكان صوتها الدافىء العميق يمتد وصولا ويلقى تجاوباً ويمارس فعل التأثير ، وكان من الممكن أن يكون لأشعار هذا الشاعر مكان بارز ومذاق خاص في تلك الحركة . ولأني ساعتها كنت واثقاً بأننى سأقرأ تلك القصائد فى ديوان أو اسمعها مسجلة على شريط فاننى لم احتفظ بشىء منها . وهذا الشاعر السعودى كانت وما زالت متاحة أمامه كل فرص النشر فى الجرائد والمجلات ، ولم يكن يعدم وسيلة ما لطبع أشعاره فى المملكة أو خارجها ، لكنه شاعر مهمل كسلان يتحكم المزاج الشخصي وعدم الاكتراث لشىء بكل

تصرفاته ، في وقت يتهافت فيه صعاليك الشــعر والادعياء على نشر ترهاتهم ومشاركة عوامل اخرى على افساد الذوق الفني لجمهور الشعر العامي ، وتهديم كل ما بنته المحاولات الشعرية الجادة للارتقاء بلغة الشعر العامى الى درجة قريبة من اللغة الأم وتضييق الشقة فيما بينهما .

لا أدرى ان كان هذا الشاعر قد استمر أو توقف ؟ ابدع جديداً أم تقهقر ؟ فكل الطرق الموصلة اليه مقطوعة ،لكننى موقن بأن صمت وغياب شعراء مجيدين من أمثال الغدير وإهمالهم نشر اشعارهم وتطويرها ما يقرب من عشر سنين دون مبرر فنى يعتبر اسهاماً فى تشجيع السلبيات التى انحرفت بهذا الفن الى الاضحاك الفارغ والاسفاف فى استعمال المفردة العامية عند أوائل السبعينات ثم الى النبطية المصطنعة فى أواخرها وحتى الآن ، وهى المرحلة التى يحاول فيها الشعراء الشباب المتعلمون على امتداد الخليج والجزيرة العربية استعارة لغة الشعر النبطي القديمة لصناعة اشعار حديثة بعيدة عن روح العصر ومعاناته بنفس الادوات الفنية

القديمة التى استهلكها شعراء النبط خلال ما يقرب من عشرة قرون للتعبير عن ظروف وهموم زمانهم الذى مضى .

إن ايقاع حياتنا المعاصرة السريع مستمر وسيزداد سرعة ولن يلتفت أبداً الى من يتهاون فى حق نفسه . واذا كان الجيد لا يطرح جودته ولا يهتم بابراز جوانب قوته وتمايزه ويثبت حضوره باستمرار فان الفاسد والردىء سيغرق كل شيء فى غياب البديل .

مركز التراث الشـعبي
الحــلم والواقـــع

« ينبغى أن نحلم ، والخلاف بين الحلم والحقيقة لا يسبب اى ضرر ، على ان يكون الحالم صادق الايمان بحلمه ، وعلى أن يتأمل الحياة بانتباه ويقارن بين ملاحظاته والقصور التى يبنيها فى الهواء ، وعلى أن يعمل بوجه عام وبصــورة وجدانية على تحقيق حلمه ، فعند وجود التماس بين الحلم والحياة تسير الأمور على ما يرام » .

تذكرت ذلك القول الحكيم لاحد المفكرين بعد ان انهيت اللمسات الأخيرة لدراسة تفصيلية متواضعة من حوالى مائة صفحة عن مرحلة التخطيط والتأسيس لانشاء مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ، الذى كان يوماً ما حلماً من الأحلام الثقافية التى يتمنى المرء أن تتحقق على أرضه ومن أجل أهله وتراث قومه .

فمنطقة الخليج تعتبر من أجزاء الوطن العربى التى تأخرت كثيراً فى رعاية وحماية تراثها الشعبى والعمل على الاستفادة منه بالرغم من اكتساح التغيرات لكل مناحى الحياة ونفاذها إلى أعماق الانسان بسرعة مذهلة فى هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم بحيث طغى الجديد الوافد على اصالة القديم وطمر منابعه واخذ يعمل فيه تغييراً وتحويراً يبعد به عن الأصول .

وقبل مائة عام من الآن ــ تقريباً ــ ادركت الشعوب المتقدمة بأنه اذا كانت هذه هى سنة الحياة وهذا هو قانون التطور ، فلابد من رعاية وحماية جذورها وأصولها من الضياع والتلف فسنت القوانين وانشأت المراكز والهيئات والجمعيات الوطنية المختصة برعاية وحماية التراث الشعبي وبذلت من اجل ذلك المال والخبرات والتضحيات ، واستطاعت أن تصل ماضيها بحاضرها .

وعندما تتنبه منطقتنا الآن الى أهمية التراث الشعبى بعد قرون من الاهتمام والعمل الدولى بهذا الموضوع فان ذلك يعنى أن اشياء كثيرة قد ضاعت أو حورت واختلطت معالمها أو طمرت بفعل تقادم الزمن ، ولكنه بالتأكيد لا يعنى أن الوقت قد فات وضاعت الفرصة .

فما زالت اغلب معالم تراثنا الشعبى باقية فى ذاكرة الحفاظ والرواة والمسنين وبين ايدينا كل الوسائل والطرق الحديثة وتجارب الشعوب الأخرى فى الانتفاع بها ، وما علينا إلا أن نأخذ هذا الأمر بأقصى درجات الجدية والبذل والتخطيط والتنظيم وادارة العمل .

وقرار وزراء الاعلام بدول الخليج العربية بانشاء مركز التراث الشعبى فى الدوحة بدولة قطر يأتى فى ظرف سياسى واجتماعى ملائم يخدم التوجه العام للفكرة واهدافها .

فدول المنطقة الآن فى اقصى درجات التقارب والتفاهم والتنسيق فيما بينها ، اضافة الى ان أغلب مجتمعات الخليج تدرك مدى أهمية تراثها الشعبى كأحد مكونات الثقافة للشخصية الخليجية ، وهى فرصة ممتازة لدولة قطر يمكن ان تعمل من خلالها على تغذية المشروع بكل عوامل النجاح من اجل ان يكون هذا المركز أنموذجاً وقدوة فنيةوادارية تحتذى لتجني شعوب المنطقة ثمار التعاون الخليجي فى المجال الثقافي .

علي عبد الله خليفة

كلمـــات

● إذا لم يستطع المرء أن يقاوم العنف أو العدوان أو الظلم عن طريق البعد عن العنف بأسلوب ذوى الشجاعة والاقدام .. فمن الواجب عليه مقاومته عنوة إذا اقتضى الحال .

« غـــاندى »

● إن الجرائم والمؤامرات وفساد الأخلاق .. كلها انحرافات لا تنبت إلا في الظلام .

« الروائى الفرنسى مارسيل إيميه »



هنرى جيمس ناقداً

رسائل هنرى جيمس ـ الجزء الثالث ١٨٨٣ ـ ١٨٩٥ ـ دار ماكميلان للنشر .

● تغطى هذه الرسائل الفترة التى كان فيها «هنرى جيمس» ، الروائى الامريكى ، فى الاربعين من عمره ، وقد ذاع صيته ككاتب ناجح تحتفى به الدوائر اللندنية الموسرة .

وهى ايضاً الفترة التى عانى فيها عدداً من الاخفاقات والصدمات العاطفية التى اثرت فيه لدرجة لم يستطع التغلب على جراحها طيلة حياته . ولئن كان موت اخته « اليس » قد حررها من حياة تعيسة ، فان « هنرى » لم يهنأ بعدها لشدة تعلقه بها . وقد زاد فى عمق جراحه العاطفية موت صديقه الكاتب البريطانى « روبرت لويس ستيفنسون » .. كما أن انتحار صديقته « فينمور » قد آلمه بشكل مروع .. وفوق ذلك كله فشله الذريع فى النجاح ككاتب مسرحى .

وتظهر الرسائل أن « هنرى جيمس » لم يعجب إلا بكاتبين من كتاب انجلترا وقتها .. هما « روبرت ستيفنسون » والشاعر «كيبلنغ» الذى كان فتى صغيرا آنذاك . وكان اعجابه بالكاتب « و . د . هاولز » صديقه ، يشوبه نوع من التحفظ ، كما أن « جيمس » كان قليل الحماس للكتاب الأمريكيين .

وقد قرأ للروائى « ترولوب » وخاصة سيرته الذاتية . وكان يعتبرها واحدا من اكثر الكتب غرابة وطرافة فى الأدب كله . وقد وجد فى « كارليل » ، حين قرأ مجلديه ، كاتباً له تأثير كبير ، وقدرة على الاثارة .. وقال انه ذو نفس قاسية ، ناقمة ، غيورة ، لئيمة .

أما عن الكاتب « فرانسيس مارلون كروفورد » الذى كان مشهورا فى أمريكا آنذاك ، فهو يقول : « ان ما تحدثنى به من نجاح روايته الاخيرة يثير تقززى ويكاد أن يصيبنى بالشلل . فهى عندى رواية رديئة بشكل .. ولا أرى كيف يمكن لكل هذا العدد من الناس ان يصبر على قراءتها .. »

ولم يكن رفيقاً بـ « توماس هاردى » الذى اجمع النقاد على قدرته ورصانة وجمال اسلوبه . والغريب أن روايات « زولا » كانت تعجب « جيمس » ، ولكنه عندما التقى بزولا نفسه ، وجده رجلا متعقلا ، عادياً ، تعوزه الخبرة والتجارب .. كما قال عنه .

أما عن المسرحى « إبسن » فقد كتب الى صديق له قائلا : « أظنك تجعل منه ظاهرة أغنى مما هو فى الواقع . لقد اصابتنى قراءة « الأشباح » بالصدمة ، وخذلتنى جدا .. »

وقد راجع «جيمس» موقفه من «إبسن» فى وقت لاحق .. ولكن فشله فى تفهم وإدراك القدرات الدرامية فى أعمال « إبسن » هو الذى قد يفسر فشله هو نفسه فى كتابة مسرحيات ناجحة .

عندليب النيل

● ربما بدا هذا القول غريبا ـ يقول « راسل هاريس » فى صحيفة « الجارديان البريطانية » وهو يستعيد ذلك الصوت الذى سحر الملوك وبهر جيلا كاملا ، واوقف الحروب فى الشرق الأوسط . صوت نجمة الشرق ، كوكبه ، وعندليبه الذى غاب ـ ولكن الموسيقى العربية وتلك الغربية تشتركان فى امور كثيرة ، وان لم يظهر ذلك من الوهلة الأولى . والفارق الوحيد بينهما ، والذى به يتمايزان ، هو ربع النغم فى الموسيقى العربية والذى يجعل السامع الغربى يظن أن المغنى قد أخطأ فى أداء اللحن الذى قصد اليه وما عدا ذلك فان الاغانى الأخيرة لأم كلثوم هى قريبة جدا فى تركيبها وبنائها . كما أن الموسيقى العربية تستخدم الى حد كبير زخرفة الألحان وتوشيحها كما تفعل الغربية ، فالتزيين الصوتى هو الذى يفسح أمام الفنان رخصة اظهار براعته الصوتية . ولذا فان الفرق ليس كبيرا بين مقطع تؤديه أم كلثوم فى انطلاقة مبدعة وغناء ألحبيبات المهجورات فى أوبرا « دون جيوفانى » لموتزارت .

وقد ادركت أم كلثوم مدى قوة الكلمة العربية وابعادها ، والاسلوب الصحيح للوصول الى المستمعين ، وذلك عن طريق المزج بين جمل موزونة مختارة فى عناية وموسيقى ممتازة من وضع خبير بها ، وحس مرهف ، حاد ، لكيفية جذب المستمع وتقييده الى أن ينتظر كل مقطع ، وتذوقه ، ثم المطالبة به ، فهى تغنى السطر ، ثم تعيده كلمة كلمة بدلا من إعادته مقطعاً مقطعاً .. وبعد ان تستنفذ امكانيات الكلمات مفردة ، تعود لتغنى مجموعة من الكلمات منتزعة منها كل تغيير ممكن الابراز ، وكل ظلال للمعانى كامنة بها .. ثم تنفحها حياة جديدة بسطر من الشعر جديد .

والموضوع الأساسى لكل اغانى ام كلثوم هو « الحب » وكل ما يرتبطبه . وكانت كوكب الشرق بمثابة الكتاب الدال الى كل العواطف المرتبطة بالحب . وربما كانت افضل كلمات وصفت غناءها .. بعد موتها .. هى كلمات عبد الوهاب الذى كتب معظم الحانها . فقد وصف صوتها بانه كاللون الاخضر بين الالوان . فقد وهبها الله صوتا .. وكانت رائعة مجودة لنطق الكلمات ، إذ تعلمت تلاوة القرآن (الكريم) منذ سن مبكرة .. وكانت حريصة جدا على جمال الموسيقى ، ومدققة فى ما تغنيه » .

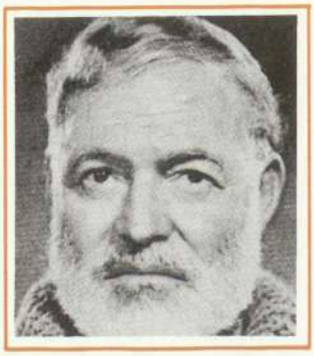
إن الغرابة التى تصيب الغربى حين يزور الشرق الأوسط ويسمع أهله يتحدثون عن نجمتهم المحبوبة ليست فى إسرافهم وغلوهم فى تقديرها ، وانما هى وليدة ذلك الاخلاص والتفانى الذى يوقظه ويبثه الصوت فى سامعيه العرب ، فما الذى دفع قرابة المليون شخص فى مصر وحدها ليخرجوا زاحمين شوارع القاهرة فى مقتبل عام ١٩٧٥ فى مظاهرة حزن جماهيرى عفوية لم يدبرها أحد ما الذى فقده العالم العربى .. واحس بانه لن يعوض .. لانه يعتز به ويكنزه فوق كل ما يزخر به من ثروات ؟

ذلك هو العلم المتوج بالحرير : ام كلثوم .



رسائل مختارة لـ : همنجــواى

● لا تمثل الستمائة ونيف رسالة التى جمعها وحررها البروفيسور « كارلوس بيكر » من بين خطابات همنجواى فى الفترة ١٩١٧ ـ ١٩٦١ سوى نذر يسير من إفرازات نهم الروائى القاص فى حياته العريضة للحياة والكتابة والاتصال والذى كان يعتبر كتابة الخطابات يومياً لمعارفه واصدقائه واقاربه ومنافسيه ، الوسيط الذى يحرره ويسمح له بالتبسط . ولم يكن فى تلك الرسائل ليهتم بشيء .. وكان



نهمه واندفاعه لكتابتها نوعاً من الكبح لنفسه عن مزاولة الكتابة الجادة .. أو ربما كان نوعاً من الهرب من الكتابة الجادة .

ويمكن لقارىء رسائل همنجواى أن يلاحظ انه يتخذ فيها اقنعة مختلفة وفقاً لمن يراسل ، وانه كان يمارس هوسه فى التلاعب بالالفاظ فقط حين يكتب الى رفاقه فى الشراب وصيد الأسماك ، ولكنه يركن الى الرصانة والجدية حين يكتب الى والديه ومن يكبرونه سناً .

وهناك أيضاً عادته فى طمانة من يريد التاثير عليهم ـ بادعائه ان ما كتبه اليهم هو اطول رسالة كتبها لانسان .. والغريب حقاً أن اكثر رسائله رقة ولطفاً هى تلك ـ التى كتبها الى اناس كان قد ـ اغلظ فى الهجوم عليهم .. مثل « إدموند ويلسون » ، و « وليم فوكنر » و « سنكلير لويس » و « جيمس جونز » .. وكلهم من خيرة النقاد والادباء .

اما اشاراته الى المراة فلم تخل من وقاحة .. وكانها ليست سوى نوع مفضل من الحيوانات ! ومع ذلك لا يمكن لقارىء تلك الرسائل أن يتجاهل الحب الذى يسبغه همنجواى فى صراحة وبلا حساب على كل الناس الذين اهتم بهم فى حياته ، رجالا كانوا أم نساء .. وهناك كمثال واحد فقط اعجابه المفرط بالروائى «ف . سكون فتزجيرالد» ، وولاؤه الراسخ لذلك الاحساس .. بالرغم مما كان يكدر صداقتهما .

ويمكن القول بانه بعد تعرفه الى «ماكسويل بيركنز» قد وجد المعلم الذى يخلص له النصيحة .. ولذا كان يكتب اليه الكلمة دون التواء . ورسائله اليه تمثل العمود الفقرى لهذه المجموعة المختارة .

وخلاصة القول ، فان رسائل همنجواى تزخر بالتنوع ، والسفوح ، والقمم ، والترهات واللحظات الجليلة .. تماماً مثل حياته .. وتعتبر ترجمة لحياته تفضل أى كتاب حاول تسجيل تلك الحياة .

ومع ذلك فان الرسائل هذه لا تضيف جديداً لمن يعرف عن همنجواى ، لان جامعها ومحررها «البروفيسور بيكر» كان قد نخلها مستفيداً منها فى كتابة مؤلفه عن حياة همنجواى .

ولكن المجموعة ، رغماً عن قولنا هذا ، اكثر كشفاً من الترجمة الحياتية ، إذ نجد فيها همنجواى المفاخر بنفسه ، والمغتر بشهرته ، والغيور ، والعبيط المغالى الذى يتحدى أسلافه التاريخيين لمنازلته عشر جولات !

صامويل بيكيت فى عيد ميلاده الخامس والسبعين



الوضوح لدى الجمهور لم يكن يوماً شاغله .. فالذى يهمه هو أن يثير عمله أعصاب الجمهور . ومنذ أول عرض لمسرحيته « فى انتظار جودو ببباريس عام ١٩٥٣ أثار ضجة كبرى ، وفتح صفحة جديدة فى تاريخ الدراما الغربية ، ومن سخرية الاقدار أن بيكيت وهو اكثر كتاب المسرح فى القرن العشرين اطلاعا ومعرفة قد قضى بضربة اخيرة على الافكار الجمالية لارسطو ، واكد خروجه على تقليد المسرح الغربى القائم على تلك الافكار بكل عمل قدمه لاحقاً . ويمكن القول دون حرج أن كل الحركات الجديدة فى عالم التجريب والخروج المسرحيين تدين لهذا الكاتب المسرحى الايرلندى الذى احتفل ببلوغه الخامسة والسبعين فى الثالث عشر من أبريل الماضى . ومهما ابتعدت حركات المسرح الجديدة عنه ، فهو الذى فتح بعمله وحياته باب تغيير مفهوم المسرح الغربى تغييراً كبيراً .

ويمكن مقارنة أثر مسرحيته « فى انتظار جودو » بذاك الذى خلقته قصـــيدة ت.س.اليوت «الأرض اليباب» التى عبرت عن معاناة وضياع جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى فى أوروبا . فقد امسكت مسرحية بيكيت على روح عصرها ، عصر الغربة الوجودية والكآبة الميتافيزيقية ، المتمخضة عن الحرب العالمية الثانية ، ويمكن اعتبار هذين العملين معاً تلخيصاً للتجـــربة الانسانية الغربيـــة فى القرن العشرين ، وعلامتى طريق فى التعرف على تلك التجربة وهما حجرا أساس لمعرفة معنى ان يكون المرء حيا فى ايام الفوضى والتمزق الغربى . فلا غرابة اذن فى أن يشير كثير من مؤرخى الثقافة الى الفترة الواقعة بعد الحرب الثانية فى العالم الغربى بانها « عصر جودو .. عصر العبث الكونى » .

وقد نفى بيكيت من المسرح كل ملامحه التقليدية من عقدة وشخصية وحوار .. لان جماليته كجمالية الفنانين التعبيريين لم تقم على الموضوعية او التمثيل . وبالرغم من ان (موضوع) مسرحياته لا يتغير أبداً ، فان مسرحه يلتزم النظر فى المركز الخاوى للوجود الانسانى . وقد صار أسلوبه عبر السنوات محيراً اكثر فاكثر . فهو يجرد المسرح من كل حشو كيما يكتشف الدراما فيما هو غير درامى .. كما يقتصد فى استخدام اللغة ليكتشف الشعر فيما هو نثر .

وربما كانت المسرحية التى تعبر عن جوهر بيكيت هى مسرحية (تنفس) التى لا تدوم سوى ثوان معدودات .. ولا تتكون إلا من أصوات وصرخة يتيمة .. وتنفس . لكنها مبنية بشكل يقدم رمزاً سمعياً عن قصر دورة حياة الانسان .. التى تبدأ بصرخة ، وتنتهى لا بحشرجة الموت ، وإنما باهة ارتياح .

اما مسرحية «لست أنا» فهى فى نظر كثير من النقاد فى الغرب قمة براعته الفنية الفائقة . ولا يرى المشاهد شيئاً سوى فم وشخص مظلل لا يمكن استبانته ، هو أقرب الى الصوت المستقل عن صاحبه ، والذى يرتفع من أعماق الوعى وهو يواجه فراغ العالم المظلم . وبالرغم من أن اللغة تبدو محطمة ، فانها تعطى الفم اتصاله الوحيد بالعالم الخارجى .. وبنفسه . وهنا يقف بيكيت كجسر بين الوجودية والبنيوية ، بين مارتن هايديغر ، الفيلسوف الوجودى الالمانى وفيتقنشتاين ، وهو أيضاً فيلسوف المانى ، بين سارتر وليفى شتراوس . فالفم يبحث عن «أنا» وجودية خالصة ، ومع ذلك فان أى جزء عن «ذاته» يبدو موجوداً إنما هو مسجل فى نظام لغوى .

وقد صرح بيكيت نفسه بان الفم هو «عضو للفظ .. ولا يمكن لشىء ان يسيطر على ما يخرج منه .. لا العقل .. لا القلب .. لا شىء» .

هذا الولع بالاسلوب هو الذى جعله يجرب كل أنواع التعبير الدرامى .. فكتب للاذاعة والتلفزيون والسينما ، مستغلا امكانيات كل وسيط للاتصال اقصى استغلال . فمثلا (كاسكاندو) التى كتبها للاذاعة لا يمكن اداؤها إلا اذاعيا لخلو اللغة فيها من الصور والأخيلة ، اما عمله الجديد الذى كتبه لتلفزيون شتوتجارت والذى قد يبث فى يونيو الحالى ، فانه يخلو من الحوار تماماً . فهو تلاعب درامى باللون والحركة والصوت .

اضــواء

مهرجان الاسكيمو الثقافى !

لمن تقوده الظروف هذه الأيام الى الشمال الغربى من كندا . موعد مع الدهشة الرائعة ، إذ أن منطقة خليج فروبيشر تحيا اللوحات الثلجية الأخيرة لمهرجان الاسكيمو الثقافى والذى بدات كرنفالاته وولائمه ـ فقيرة الحال ـ مع بداية الشتاء القطبى .

والمهرجان عبارة عن مباريات ومنافسات وحفلات ومسيرات وبناء منازل جليدية ، وصيد فى الثلوج ورواية حكايات الاسكيمو الخرافية وأساطيرهم .

وقد نبعت فكرة هذا المهرجان قبل سنوات عندما افاق الاسكيمو الكبار قلقين من جهل شبابهم لثقافتهم . والحياة فى شمال كندا تغيرت كثيرا بعد دخول المصنع وتدفق النفط فى الاسكا . وصار الشباب يعيشون فى منازل حديثة ، ويركبون السيارات وعربات الثلج . ولم يبق منهم من يقدر على الصيد فى الجليد ، كما أن غالبيتهم لم تخرج يوماً الى صيد حيوان المنطقة . وكثير منهم فقد موهبة بناء (الايقلو) بيت الاسكيمو الثلجى الذى ينقذه من الموت تجمداً .

وطيلة أيام الشتاء يولم الاسكيمو ، حيث يقدم لحم عجل البحر ، ولحم ـــه ، والناس تقتعد الأرض الثلجية ، ويفتح الرواة ذاكرة الزمن الاسكيمى العجيب .

وبالطبع لا يمكن لهذا المهرجان أن يجتذب اعدادا هائلة مثل مهرجانات « نيس » أو « كان » أو كرنفال « ريو » ويمكنك دون ضجيج او تدافع أن تسرق الكاميرا زمناً وتصبح نجماً أن نزلت ثلج الاسكيمو .. لان كل وجه غريب يظهر هنا يلقى استقبالا ضخماً من العدد القليل الذى يحتفى بزمن صراع الانسان مع البيئة والطبيعة لاصراره على البقاء .. رغم صحراء الثلج .

ولا يبدأ موسم السياحة إلا فى أواخر شهر يونيو ، حيث تحمل الطائرات فى رحلاتها الجماعية ، الراغبين فى رؤية شمس منتصف الليل والاستحمام تحتها .. فياخذون صورا تذكارية ويشترون أشياء للذكرى ، ويعودون الى مدينة تورينتو ليوم الأحد .

ولا يتوقع المرء أن تكون معرفة أهل كندا وأمريكا الشمالية كبيرة بهذا الكرنفال المنفى. لأن « خليج فروبيشر » لا قدرة له على الاعلان عن نفسه فى شارع ماديسون كى تدرجه العائلات فى قوائم كيفية قضاء العطلات .. ولا يمكن لصيد الأسماك فى الثلج أن يكون هواية رياضية ، جديرة بمشاهدة الجمهور الكبير ، ولا يسمح الصبر والصمت والسكينة الداخلية بوضع المراهنات وتصخابها عليه .

ومع ذلك .. فان المحتفين بهذا الكرنفال والمهرجان يعرفون انهم قد نجحوا .. لأنهم يذكرون انفسهم بأن للاسكيمو الحق فى الفخر بانفسهم .

ممنوع تصوير فانيسيا رد جريف !

● رفضت كلية ناشفيل بولاية تنيسى ، السماح بتصوير الممثلة التليفزيونية والسينمائية « فانيسيا رد جريف » فى حرمها الجامعى . وذلك لمساندتها منظمة التحرير الفلسطينية .

والمعروف أن هذه الكلية الخاصة بها عدد كبير من أبناء اليهود البالغ عددهم ٦٨٠ طالباً . وقد تعلل مديرها المستر « هارفى . د . سبيرلنج » بانه ليس من الحكمة السماح بتصوير أى جزء من الفيلم بالكلية ، لأن ذلك يحدث وقيعة فى صفوف طلابه ومجتمعه .

وقال المسئولون انهم كانوا قد وافقوا على السماح بتصوير المناظر فى الكلية ، لكنهم رفضوا ذلك بعد أن اختيرت « فانيسيا رد جر » للقيام بدور البطولة فى فيلم «موسم الليك» .



تخليدا لذكرى الناشر

● الناقد والشاعر الأمريكى « لينيث بيرك » الذى بلغ الرابعة والثمانين فى الخامس من مايو الماضى .. منح الميدالية القومية للأدب ، فى حفل تقديم جوائز الكتب الأمريكية ، الذى اقيم فى قاعة كارنيجى الشهيرة بنيويورك .

والجائزة البالغة ١٥ الف دولار ، والتى وضعت لتخليد ذكرى هارولد جينزبرج مؤسس دار نشر فايكنج ، تقدم للكتاب الأمريكيين الأحياء تكريماً لجهودهم فى انتاج أعمال بارزة وذات تأثير باق على الأدب فــى أمريكا .

وكان «بيرك» قد ترجم الى الانجليزية أعمال كتاب ألمان من أمثال « أوزفالد اشبنجلـر » و « هوغو فون فمنستال » .. وعمل ناقدا موسيقياً ، ثم بالتدريس



عالم « عزرا باوند »

● لئن كان « رامبو » قد أدرك فى سن العشرين ان الشعر لا يمكن أن يغير العالم ، واستطاع ان يوجه طاقاته الى ضروب من النشاط اكثر عبثية ، فان « عزرا باوند » الذى كان يريد بكل سذاجة الأمريكى ونفاذ صبره ، أن يبنى حضارة قبل موته ، قد وصل الى نفس النتيجة التى الهمها رامبو ، ولكن فى سن الخامسة والسبعين .

وما ذلك إلا لأن « عزرا باوند » كان يفتقر الى التامل ، وخاصة تامل ذاته . وكانت قراءاته ومعرفته بالكتب مليئة بالفجوات الفظيعة . فهو ، مثلا لم يقرأ «فاو بيست» للألمانى النابغة ، جوته . فهل وجد فى اسطورة الشاعر الألمانى ما انذره ؟

لا يحق لامرىء أن ينكر انسانا حقه فى ركوب المخاطرة بحياته فى سبيل توكيد آرائــه ، ولكن « عزرا باوند » قد دفع ثمناً باهظاً لاصراره على اعجابه بموسولينى وهتلر . ويبدو أن الرجل لم يستطع طيلة حياته العملية الفكاك من ربقة آرائه المراهقة

ذاك بعض مما يقدمه « بيتر اكرويد » عن عالم الشاعر الأمريكى « عزرا باوند » فى كتابه الصادر عن دار تيمس وهدسون .

جون ميرو فى الثامنة والثمانين

● بعيداً عن الأضواء ، احتفل الفنان الاسـبانى « جون ميرو » بعيد ميلاده الثامن والثمانين مع زوجته وأبنائه ، وأحفاده ، فى بيت ابنه المطل على البحر الابيض المتوسط فى جزيرة « مايوركا » والتى ظل يعيش بها لأكثر من ٢٥ عاماً .

قال الفنان السيريالي الكبير انه سعيد بالعيش فى هذه الجزيرة ، لهدوئها . وهو لأمانته واستقامته وحبه للعمل ، لا يستطيع إنجاز ما يريد فى مدينة برشلونة ، أو باريس .

د. محمد عمارة

الإسلام والطائفية

إيمان هذه الأمة بالوحدة الوطنية والقومية إيمان راسخ لا شك فيه .. بل لقد رأت ، ببصيرتها النافذة وحسها الفطرى ، أن الشقاق الطائفى كان ، على مر تاريخها ، الثغرة التى يحاول أعداؤها النفاذ منها ، بحثاً عن الركيزة التى تضمن لاستعمارهم واستغلالهم الفعالية والاستمرار ! ..

وأوضح ما كانت وتكون يقظة أمتنا لهذه الحقيقة فى لحظات المحن والمواجهة مع الأعداء ! ..

ففى مصر ، مثلا ، أثناء الثورة العرابية (١٨٨١ ـ ١٨٨٢ م) كانت أوربا الاستعمارية ، وانجلترا بالذات ، تسعى لشق وحدة الصف الوطنى الذى ارتفع متيناً وشامخاً خلف أحمد عرابى (١٢٥٧ ـ ١٣٢٩ هـ ١٨٤١ ـ ١٩١١ م) .. وفى مواجهة هذا المسعى الاستعمارى كانت يقظة الشعب والثورة ، التى تجلت فى وحدة طوائف الأمة ، على نحو لا مثيل له فى غير مجتمعاتنا العربية التى تنعم بسماحة دين الاسلام !..

● فعندما انحاز الخديوى توفيق (١٢٦٩ ـ ١٣٠٩ هـ ١٨٥٢ ـ ١٨٩٢ م) وأعوانه الى الانجليز الغزاة ، رفض الشعب الاستسلام ، وخلع عن سلطة الخديوى شرعيتها ، وتجسدت ارادة الشعب يومئذ فى «برلمانه» الذى سمى بـ «المجلس العرفى» .. وفيه تجسدت وحدة الشعب الوطنية والقومية كأروع ما تكون .. فمع عدد من الأمراء ، ورجال الدولة ، والادارة ، والتجار والأعيان ، كان علماء الاسلام ، بمذاهبه المتعددة ، وكذلك قضاة الشرع ، ونقيب الأشراف .. وأيضاً كان بهذا المجلس العرفى : مرخص الأرمن الكاثوليك ، ووكيل الأقباط الكاثوليك ، وحاخام باشا اليهود ، وبطريرك الأقباط ، ووكيل بطريركية الموارنة ، ووكيل بطريركية الروم الكاثوليك ، ووكيل بطريركية الروم الأرثوذكس ... كان جميع هؤلاء أعضاء فى برلمان عرابى أو ـ «المجلس العرفى» ـ يجسدون وحدة الأمة الوطنية والقومية ، على اختلاف مذاهبها وأديانها وشرائعها ...

فأين .. فى غير اطار أمتنا العربية الاسلامية ، اشتركت الأقليات جميعاً فى صنع مصير الأمة عند الملمات ؟! .. إن تاريخنا لم يعرف «الحروب الدينية» التى لطخت تاريخهم فى أوربا .. بل عرف هذه الوحدة الوطنية والقومية التى تعدت اطار التسامح والاخاء الى دائرة المشاركة فى صنع المستقبل وتقرير المصير ! ..

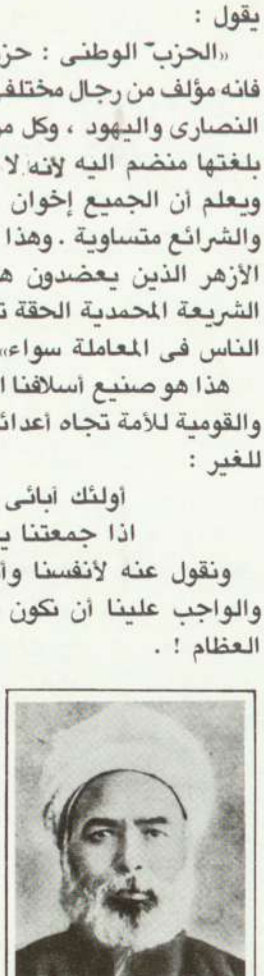
● وفى ذات الأحداث العرابية .. عندما حاول الانجليز تشويه سمعة العرابيين ، دولياً ، بالزعم أن لهم مواقف طائفية معادية لغير المسلمين .. كان رد (الحزب الوطنى الحر) ـ الذى كان يقود مصر ضد العدوان الخارجى ـ هو نشر برنامجه الذى يدحض هذا الافتراء .. ويزيد الأمر أهمية أن هذا البرنامج قد صاغه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) ـ وهو أحد قادة الأمة فى تلك الفترة ـ وفى المادة الخامسة كتب الشيخ فى البرنامج عن الموقف من الوحدة الوطنية والقومية يقول :

«الحزب الوطنى : حزب سياسى ، (غير طائفى) فانه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب ، وجميع النصارى واليهود ، وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم اليه لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ، ويعلم أن الجميع إخوان ، وأن حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية . وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الموقف ، ويعتقدون أن الشريعة المحمدية الحقة تنهى عن البغضاء ، وتعتبر الناس فى المعاملة سواء» .

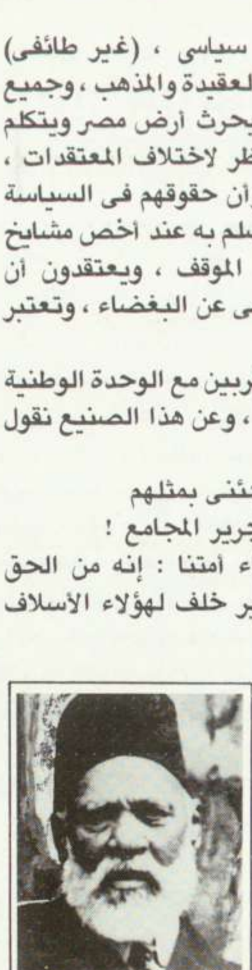
هذا هو صنيع أسلافنا الأقربين مع الوحدة الوطنية والقومية للأمة تجاه أعدائها ، وعن هذا الصنيع نقول للغير :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع !

ونقول عنه لأنفسنا وأبناء أمتنا : إنه من الحق والواجب علينا أن نكون خير خلف لهؤلاء الأسلاف العظام ! .



محمد عبده



احمد عرابى

المرأة

لغويًّا واجتماعيًّا

محمد العدناني

دون جريمة .. وقفت المرأة فى قفص الاتهام على مدى التاريخ ! والقاضى هو الرجل !

فى الجاهلية ، هو الذى حكم عليها بالدفن « روحاً » قادمة لتوها إلى الحياة ! وفى العصور المختلفة ، هو الذى أهدر كل حقوقها بدعوى تفوقه عليها ، والإزراء بها !

ومع أن الاسلام وقف بجانب حقوق المرأة . ومع أن المرأة نفسها كسرت القضبان ، وأدلت بكل طاقتها من أجل أن تحقق إنسانيتها ، ونجحت ، وتفوقت ، وأعطت ، وتجاوزت أقصى معطيات الرجل ..إلا أنها ستظل تحمل بداخلها تلك الندوب السوداء التى وصمتها بها اللغة العربية ، على لسان الرجل ، وقلم الرجل وصحائف الرجل !!

لا يكاد الطفل يرى عند ولادته غير أمه ، التى تعنى به فتغذيه بلبنها الذى هو خلاصة الحياة التى تجرى فى عروقها . وعندما يشب عن الطوق ، لا يرى قلباً يعطف عليه ، ويغمره بحنانه غير قلب المرأة ؛ فأمه تدفعها عاطفة الأمومة الخالدة الى مواصلة رعايته وحمايته ، وشقيقاته الأكبر منه سناً يساعدن أمه فى إغداق المحبة الصادقة عليه ، كما تفعل خالاته وعماته وقريباته أول الأمر ، ثم زوجه وبناته بعد أن يتزوج وتتقدم به السن . وهكذا تواصل المرأة رعايته وحمايته وتمريضه من المهد الى اللحد ، فلا يتدفق عليه الخير إلا من كفيها السخيتين ، ولا يشرب الهناء إلا من كؤوسها المترعة بالسعادة والحب والايثار .

ولاتزال المرأة فى هذا العصر ، الذى نالت فيه قسطاً كبيراً من الانصاف ، وأصبحت فى كثير من بلدان العالم تنافس الرجل فى الاختراع والطب والهندسة والعلوم والآداب والقضاء ، وتمارس حق الانتخاب فى عدد كبير من البلدان ، وتجلس مع الرجل فى بعض المجالس النيابية ، واحدة من الأعضاء ، الذين يمثلون الأمة ، ويبنون مجدها ، ويثبتون قواعد حضارتها ، وتصبح رئيسة للوزراء كما هو الحال الآن مع أنديرا غاندى فى الهند ومرغريت تاتشر فى بريطانيا .

ومع ذلك ، لايزال حق هذه المرأة مغموطاً فى الضاد ، التى تظلمها ظلماً شديداً يجدر بنا أن نعالجه بحكمة وأناة، لنقتلع الكلمات التى تسيء الى حواء فى معاجمنا من جذورها ؛ اعترافاً بفضل من غذتنا بدمها تسعة أشهر كاملة ، بصدر رحب ونفس كريمة ، ومن سهرت علينا صغاراً لننام ، وتعبت لنستريح ، وجاعت لنشبع ، وظمئت لنروى ، وشقيت لنسعد وقلقت لتطمئن قلوبنا ، وتدرعت بالشجاعة والصبر لحمايتنا والدفاع عنا .

هالنى أن أرى اللغة العربية تسيء الى نسائنا الفاضلات ، نصف الأمة العربية ، إساءة لا تغتفر ، بجعلها المرأة ، التى تصيب كبد الحقيقة برأيها الثاقب (مصيبة) ، وعضوة البرلمان (نائبة) ، تاركة الرجل المصيب فى رأيه ، والنائب فى المجلس النيابى يتمتعان بالفخر برجحان الرأى ، ومجد عضوية المجلس النيابى (النائبة تعنى المصيبة) ، فبدأت أدافع عن المرأة بأضعف الايمان ، باللسان ؛ وأناقش من يتحامل عليها بابداء آراء غلام يافع أولا ، ثم حجج شاب لا بأس بها ثانياً ، وأخيرا حجج دامغة لرجل نضجت الفكرة فى رأسه كهلا وشيخاً ، فراح يسجل على جذاذات من الأوراق كل ما يعن له من آراء ، خلال السنوات الستين الأخيرة من عمره ليجمع شتاتها الآن وهو فى الخمس الأول من ربع القرن الأخير فى حياته الطويلة الحلوة ، التى قضاها فى القراءة والكتابة والنظم والتدريس الجامعى

والتفكير العميق .

فى العصر الجاهلى

من يحاول أن يرى كيف كانت المرأة تعامل فى العصر الجاهلى يجد أن بعض القبائل كانت تئد البنات عند ولادتهن ، خوفاً من أن تشذ الواحدة منهن عن سبل الخلق القويم ، وتجلب لقبيلتها العار . قال أحد شعراء الحماسة - وهو جاهلى - :

إن النساء وإن ذكرن بعفة
فيما يظاهر فى الأمور ويكتم
لحم أطاف به سباع جوع
ما لا يذاد فانه يتقسم
اليوم عندك دلها وحديثها
وغداً لغيرك كفها والمعصم
كالخان تسكنه ، وترحل غازياً
ويحل بعدك فيه من لا تعلم

وقال الشاعر الجاهلى التميمى علقمة ابن عبدة الفحل الذى عاصر امرأ القيس وكانت له معه مساجلات :

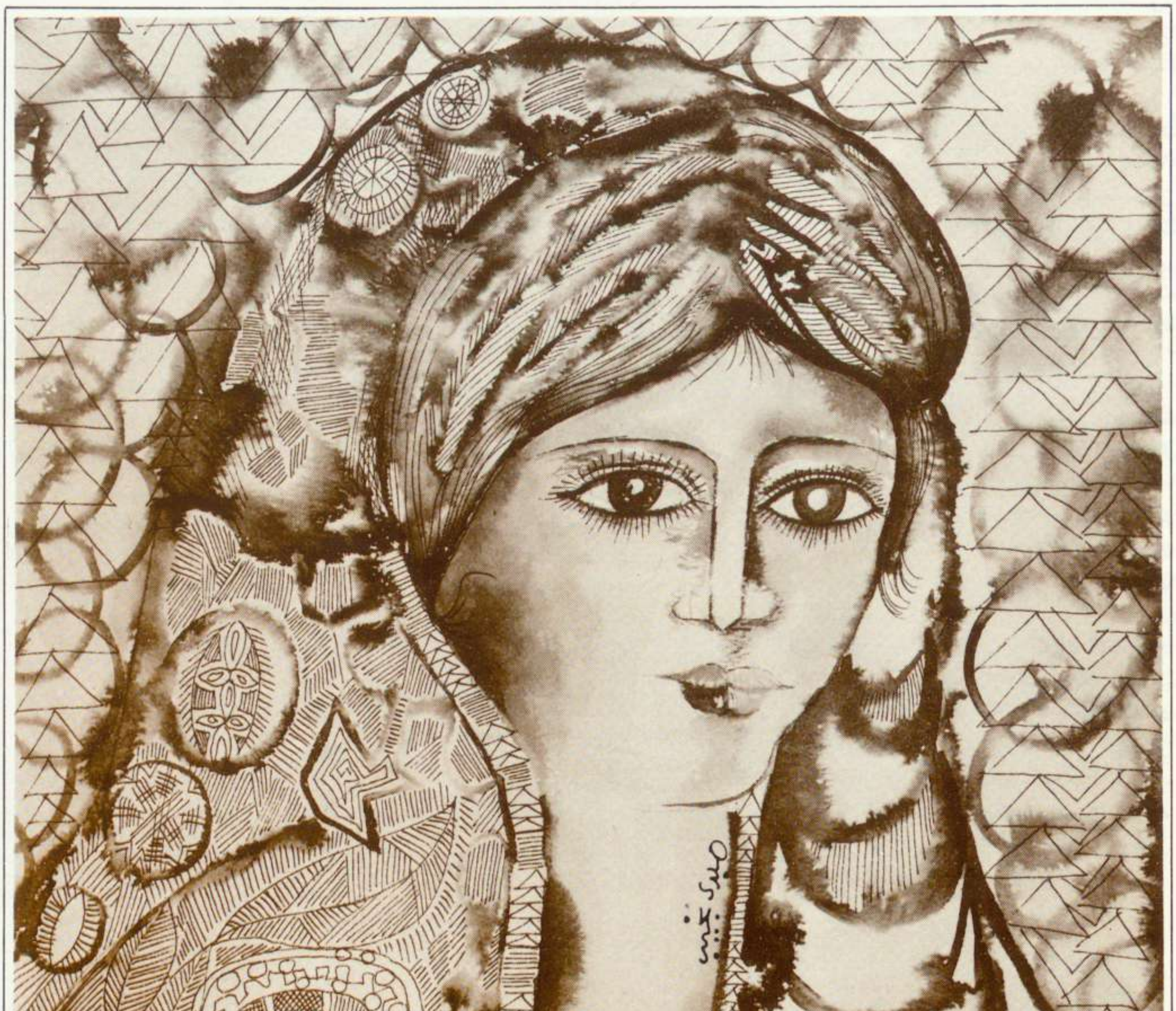
فان تسألونى بالنساء ، فاننى
عليم بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء ، أو قل ماله
فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال ، حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال امرؤ القيس :

أراهن لا يحببن من قل ماله
ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

(قوسا : انحنى ظهره) .

ولست أفهم كيف يطلب هذان الشاعران الأنانيان من المرأة الشابة الحسناء ، التى تفتن أنوثتها وجمالها وخفة دمها الألباب ، أن تحب الرجل الفقير الطاعن فى السن ، المقوس الظهر ، مادامت تستطيع الحصول على زوج



المرأة

لغـــويـــاً واجتـــماعيـــاً

● لم ينفرد بعض شعراء العرب بالحملة على المرأة والحط من قدرها .. بل شاركهم في ذلك عدد من أدباء الغرب وفلاسفتهم

وسيم ؟! فهل يؤثر هذان الشاعران العجوز الشمطاء على الكاعب الحسناء التى يبهر جمالها الأنظار ، أم يقبلان على طبق الحنظل ويهملان طبق الشهد إذا وضعا أمامهما ؟

ولدي عشرات الأمثلة مما قاله الشعراء فى المرأة ظالمين ومنصفين ، ذكرتها فى كتابى المخطوط عن المرأة ، الذى سأخص مجلة الدوحة الغراء ببعض فصوله .

حادثة واحدة

أما وجهاء العرب الذين أنصفوا المرأة التى تنفر من الشيب يلم برؤوس الرجال ، فاننى أكتفى بذكر حادثة واحدة ، رواها كهل من وجهاء العرب ، وخط فوديه الشيب ، قال :

«خرجت الى ناحية الطفاوة ، فاذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها فقلت : أيتها المرأة! إن كان لك زوج فبارك الله له فيك ، وإلا فأعلميني . فقالت : وما تصنع بى وفى شىء لا ترتضيه ؟ قلت : وما هو ؟ قالت : شيب فى رأسى . قال فثنيت عنان جوادى راجعاً . فصاحت بى : على رسلك أخبرك بشىء . فوقفت ، وقلت : وما هو يرحمك الله ؟ قالت : والله ما بلغت العشرين بعد ، وهذا رأسى . وكشفت عن عناقيد كالحمم ، يصدق فيها قول الشاعر دوقلة المنبجى :

فالوجـــه مثـل الصـبح مبيـض ... والشــعر مثل الليـل مســود
ضــدان لمــا استجمعا حســنا ... والضــد يظهر حســـنه الضد

ثم قالت : والله ما رأيت برأسى بياضاً قط ، ولكن أحببت أن تعلم أننا نكره منك



ما تكره منا ، وأنشدت :

أرى شيب الرجـــال من الغوانـــى ... بموقـــع شيبهن من الرجـــــال

قال : فرجعت خجلا كاسف البال ،،

هذا نموذج من الأجوبة المفحمة التى تتفوه بها بناتنا العربيات النابهات .

وفى الغرب أيضاً

ولم ينفرد بعض شعراء العرب بالحملة على المرأة ، والحط من قدرها ، بل شاركهم فى ذلك عدد من أدباء الغرب وفلاسفتهم ، فعالم النفس الأميركى الأستاذ ليرد يؤكد أن المرأة أقسى من الرجل وأشرس منه ، وأن وراء ما ينسدل عليها من أستار الرقة والوداعة كائناً ضارياً مفترساً . ويورد الأستاذ ليرد أمثلة كثيرة تؤيد رأيه ، منها :

(١) ذكر بلوتارك ، المؤرخ الرومانى أن امرأتين دخلتا احدى المعارك الحربية ، وحاربتا حرباً وحشية ضارية ، حتى انهزم عدوهما بعد أن باد جل رجاله . ولما لم تجد المرأتان من تقتلانه ، قتلت إحداهما الأخرى ، ثم شدت القاتلة جديلتيها حول عنقها ، وخنقت نفسها .

(٢) ورد فى تقرير احد معامل تجفيف اللحوم فى شيكاغو أن عدد النساء اللواتى يزرن منبح المعمل ، ليشاهدن ذبح الأبقار والأغنام والطيور أربعة أمثال من يزوره من الرجال ، ويجدن فى هذا تفريجاً عن الغريزة الوحشية المكبوتة فيهن تحت مظاهر الرقة والوداعة .

(٣) كانت الآنسة موبان ، احدى ممثلات الأوبرا بباريس ، تتنكر فى ثياب الرجال وتتحرش بهم فى الطرق والمجتمعات ، حتى إذا استفزت غضب أحدهم ، طلبته الى المبارزة لكى تتمتع باراقة دمه . وقد خاضت غمار ثمانين مبارزة ، قتلت فيها عشرة رجال .

(٤) كانت النساء أيام الثـــورة الفرنسية يذهبن كل يوم الى الميدان الأحمر فى باريس ، ويجلسن على المقاعد المصفوفة فى أرجائه ، ليمتعن أنفسهن بمنظر الرؤوس المتساقطة تحت المقاصل ، وفى الوقت ذاته كن يتسلين بشغل الابرة أو بالحديث مع صاحباتهن .. أما الرجال فكانوا يتفادون المرور بالميدان الأحمر .

بعد الاسلام

أما وأد البنات (دفنهن بعد ولادتهن ، مخافة العار والحاجة) ، فقد مارسته قبيلة كندة فى الجاهلية . وعندما جاء الاسلام منعه ، ونزل قوله تعالى فى الآية

٣١ من سورة الاسراء : «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم» . وقال أيضاً فى الآية ٥٨ من سورة النحل : «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» . وفى الآية ٥٩ من سورة النحل أيضاً : «يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون» .

وافتخر الفرزدق بجده صعصعة بن ناجية ، الملقب بمحيي الموءودات ، فقال :

وجـدى الذى منـع الوائـدات
وأحيـا الوليـد ، فلم يوأد

أما تعدد الزوجات عندما ظهر الاسلام فكان شائعاً بين الاثينيين ، والفرس ، والعبرانيين ، وعرب الجاهلية . يقول سيد أمير علي الهندى ، قاضى الهند ، وعضو مجلس ملك الانكليز الخاص إن هذه العادة كانت شائعة فى العالم المسيحى أيضاً ، على الرغم من نهى جستنيان عنها ، ولم يك شيوعها مقصوراً على الطبقات الارستقراطية من المسيحيين .

ولم يكن هناك حد يقف الرجال عنده ، إذ كان الرجل من العرب يجمع بين عشر نساء ، كغيلان بن سلمة الثقفى ، وكان شاعراً جاهلياً أسلم يوم الطائف ، فأمره النبى بأن يختار أربعاً ، ففعل ، وصارت سنة .

إن استشهاد كثير من الأزواج فى الغزوات الاسلامية ، كان يفرض على الرجال التزوج بأكثر من واحدة ليعولها ويحميها ، ويحول دون انتشار الفجور بين الأرامل . ومع ذلك قيد الاسلام تعدد الزوجات بقيود ثقال ، إذ فرض فيه العدل الشامل ، واجتناب الانسياق مع النفس فى ميلها وهواها ، واتقاء كل ما من شأنه أن يستثير الحقد بين الزوجات . وكم من الناس يستطيع ذلك ؟ وكم منهم يستطيع السيطرة على غريزته وهواه ؟

وقد وضع الاسلام شروطاً شديدة ، عندما أباح تعدد الزوجات ، وهذه الشروط يعدها المنصفون من المفكرين والمؤرخين تحريماً . قال تعالى فى الآية الثالثة من سورة النساء : «أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة» . وقال جل شأنه فى الآية ١٢٩ من سورة النساء أيضاً : «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» . وليس العدل الذى ذكر فى الآيتين الكريمتين هو المساواة فى المسكن والنفقة فحسب ، وإنما هو المساواة التامة فى الحب والميل والاحترام ، مما يخرج عن نطاق استطاعة البشر .

ومن أسباب السماح بتعدد الزوجات هو وجود رجال ، لا تمكنهم طبائعهم وتكوين جسومهم من الاكتفاء بزوج واحدة . ومنها حاجة المسلمين ، الى الاكثار من النسل ، ليستطيعوا السيطرة على جميع الأراضى الواسعة الفسيحة ، التى احتلوها ، ونشروا الاسلام فيها .

ويذكر غوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب» سبباً وجيهاً آخر ، هو أن النظام العضوى للمرأة ، وما يصيبها من الحمل والولادة وما أشبه ذلك ، يضطرها الى اعتزال فراش الزوج أمداً غير محدود ، هذا عدا تأثير الاقليم الحار المثير للغريزة الجنسية ، الذى كان المسلمون يعيشون فيه عندما ظهر الاسلام .

تعدد الزوجات

وقد ذكر سيد أمير علي فى كتابه «روح الاسلام» ما أكتفى بايراد بعضه ، قال ما خلاصته : لقد ذاع تعدد الزوجات والأزواج بين الهنود ، والآشوريين ، والميديين ، والبابليين ، والاسرائيليين قبل عهد موسى ، وفى أيامه ، إذ أقر تلك السنة ، ولم يضع لعدد الزوجات حداً ولا قيداً .

أما عند الفينيقيين فقد فشا تعدد الزوجات بصورة مزرية جداً . وكانت الزوجة عند الاثينيين القدماء سلعة تباع وتشترى . وكان الخطبـاء اليونانيون يفتخرون بأن فى أمتهم ثلاث طبقات من النساء ، طبقتين منها زوجات شرعيات ، والثالثة مؤلفة من زوجات غير شرعيات .

وكان الرجال فى إسبارطة لا يباح لهم الزواج بأكثر من امرأة واحدة ، بينما كان لنسائهم الحق فى أن يتزوجن أكثر من رجل واحد .

والقديس أوغسطين نفسه لم يكن يرى فى تعدد الزوجات شيئاً من الاثم ، أو العيب ، أو مخالفة نواميس الآداب .

والمصلحون الدينيون من الجرمان قرروا فى القرن السادس عشر صحة الزواج بامرأة ثانية أو ثالثة لأسباب كثيرة ، منها العقم ، وقلة النسل .

وقد أصدر الامبراطور فالنتيان الثانى قانوناً ، أباح به لرعاياه الزواج بعدة نساء ، دون أن يعترض أساقفة ذلك العصر ، ورؤوس الكنيسة على ذلك .

وكانت عند عرب الجاهلية واليهود عادة أخرى غير تعدد الزوجات ، هى عادة زواج المتعة .

والفتاة اليهودية كانت فى بيت أبيها فى مكان الخادم ، وكان لأبيها الحق أن يبيعها فى السوق ، إن كانت قاصرة ، ولأبنائه الذكور من بعده أن يتصرفوا فى أمرها كما تشاء أهواؤهم . وكانت الفتاة لا ترث أبويها إلا إذا كانت وحيدة ولا ذكور معها .

هذا غيض من فيض ، والى اللقاء فى كلمة أخرى عن حواء .

محمد العدنانى بيروت

كلمات

● لقد رسم الآخرون ، وعن عمد تفاصيل حياتك ورموزها حتى تؤمن بما يقوله البيض عنك . أرجو أن تتذكر إذن أن ما يعتقدونه ، وما يفعلونه ، وما يسببونه لك من عذاب ، كل هذا لا يدل على أنك أدنى مستوى ، وإنما يدل على أنهم يفتقرون إلى الانسانية ، ويدل على أن الخوف يستبد بهم .

« الكاتب الزنجى جيمس بولدوين »

جمـــال كنـاني

جين أوســتن

الفنانـة التي تجـاهلت نابليـون وأعطت ظهرهـا لأمجـاده!


جين اوستن

● عندما تقرأ روايات الكاتبة الانجليزية « جين أوستن » تشعر بأنها تركض عبر الحقول وتقفز فوق الأسوار .. وذلك رغم اعتقاد الكثيرين بأن هناك ألفة وشبهاً كبيراً بين رواياتها ومسرحيات شكسبير وموليير ! ●

لم يقس النقاد فى حكمهم على «شارلوت برونتى» يوم وجهت اللوم الى أحد أصدقائها ج . هـ . لويس ، لأنه كان قد أبدى اعجابه «بجين أوستن» ، وقالت «برونتى» إن الشخصيات التى ترسمها «جين أوستن» لا تعيش فى هواء طلق ولا تنعم برحابة الريف ولا بزرقة التلال .. فهى لذا تكره أن تعيش أو تعاشر أمثال تلك الشخصيات .

على أن «برونتى» لم تكن حينذاك قد قرأت رائعة أوستن «بين الفخار والتحيز» ، التى كان أول عنوان لها «الانطباعات الأولى» ..

وهذه الرواية بدورها لم تسلم من النقد لأنها لا تعكس صورة المجتمع الذى عاصر صدورها . ففى العقد الذى صدرت فيه ١٨١٠ ــ ١٨٢٠ (صدرت الرواية عام ١٨١٣) كان نابليون يغير وجه أوروبا ، فاذا بالقصة تتجاهل ذلك وتدور أحداثها حول رجل عدل من أخلاقه وفتاة غيرت رأيها .. أما الجنود البواسل فلا تلعب فى الرواية غير أدوار ثانوية ، إذ يعبث الضابط أو ذاك فيغرى فتاة على الهرب ..

والانطباع العام الذى يخرج به القارىء هو أن قسماً صغيراً من المجتمع أغلق نفسه فى حاضر لا ينتمى الى زمن معين ، لا يجوز ــ أو لا يمكن ــ أن يطرأ عليه تغيير . فالناس فى الغالب مسمرون مثبتون يكررون أنفسهم كما يتكرر الروتين وتتكرر الطقوس الاجتماعية التى تتحكم فى حياتهم .. المال قد يجر بعض المشاكل ولكنه لا يكون أبداً مشكلة فى ذاته .. العلاقات البشرية لا تخلو من الدراما والمآسى ولكن كل شىء يتجه نحو تحقيق زيجات مقبولة وبهذا يضمن المجتمع لنفسه الاستمرار ويحد من امكانية أو احتمال حدوث تغيير عنيف .. فى الجزئين الأول والثانى من الكتاب نجد أن «المستر دارسى» ، «اليزابث بنيت» يعتقدان أن لهما نصيباً فى عمل لو أمكن ترجمته الى قصص خيالى لجاز أن نسميه «الوقار والادراك» .. ولكن سرعان ما يدركان أن القصة التى هما جزء منها اسمها «بين الفخار والتحيز» وأنها تعالج فكرة الحكم المسبق وإعادة الحكم وأن دراما اعادة الحكم ، وهى عملية يستطيع العقل بها أن يعيد النظر فى أمر ما وأن يعيد مراجعته وتعديله إذا لزم ذلك ليرى الأمر على حقيقته . فالكتاب إذن ينتمى الى فصيلة الدراما المبنية على اعادة الادراك أو اعادة الحكم التى هى تقليد هام من تقاليد المأساة فى أدب الغرب كما تشهد بذلك «أوديب الملك» و «الملك لير» وغيرهما .

مشكلة المعرفة

رواية «جين أوستن» هذه ، تلمس فى معظم أجزائها ، أو لعلها تمسرح بعض أوجه مشكلة «المعرفة» ... وفلاسفة القرن الثامن عشر وجهوا التفاتهم الى ما أسماه «لوك» ــ ملكات الادراك فى الانسان ــ فلم يقصر بحثه على ما نعرف أو ندرك فحسب بل تعدى ذلك الى الكيفية التى نعرف أو ندرك بها ما نعرف أو ندرك وما تفرضه وسائل الادراك من حدود على هذه المعرفة . ثم قال «ليست مهمتنا هى أن نعرف كل شىء ، بل إن مهمتنا هى أن نعرفَ الأشياء التى تهم سلوكنا» وفى هذا من ناحية ما يلخص تصرف «اليزابث» تجاه «دارسى» ، أول الأمر .

ذكرنا أن أول عنوان اختارته جين أوستن لكتابها «بين الفخار والتحيز» كان «الانطباعات الأولى» .. وفى هذا العنوان الذى عدلت عنه صاحبته ، نجد مفتاح روايتها . ونذكر فى هذا المجال أن كلمة «انطباعات» تحتل أهمية كبيرة فى فلسفة «ديفد هيوم» الذى يعتبر الانطباعات مصدراً هاماً للمعرفة ويقول «إن جميع مدركات الانسان تقسم نفسها الى قسمين متباينين : قسم أسميه «انطباعات» وقسم أسميه «أفكار» . «اليزابث» لها عقل حاد يحبب

«دارسى» فيها ويجذبه اليها ... وانطباعاتها حية نابضة يمكن أن تكون انطباعات وأفكاراً معقدة . ومشكلتها من وجهة النظر «الهيومية» هى أن أفكارها المعقدة لا تتشكل دائماً على أساس انطباعاتها المعقدة التى تحصل عليها مما يواجهها من مشاهد .. وبغير الانطباعات تنعدم التجربة .. ومن هنا كانت أهمية الانطباعات الأولى ، لأنها رغم حاجتها الى التصحيح والتعديل والتهذيب ، تشكل مبادىء التجربة وعلى هذا الأساس بنت «جين أوستن» أهم رواياتها لأنها تؤمن ، كما أمن هيوم ، بأن الانسان يجب أن يكون مجرباً مفكراً ، وأن الفكر والتجربة يعتمدان على الانطباعات وعلى ذلك فان الانطباعات الأولى تصبح هى الخطوة الأولى فى حياة انسانية كاملة .

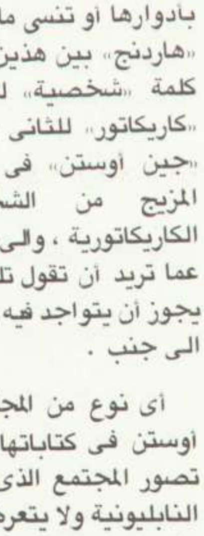
وعلى الرغم من أن الانطباع الأول الذى تركه خطاب «دارسى» فى نفس «اليزابث» كان خاطئاً إلا أنها استطاعت بعد قراءة الرسالة ثانية بشىء من التمعن ، أن تغير رأيها وموقفها تجاه «دارسى» دون أن تدفع ما دفع «لير» من ثمن قبل تغيير رأيه فى بناته .. وكل الذى نالته من عقاب أو ما أنزلته بنفسها ، كان لومها لهذه النفس وتأنيب ضميرها على ما كان قد اعتراها من عمى القلب والتحيز . على أن محنة «اليزابث» هذه كانت من نوع قديم قدم الأزل إذ أنها واجهت للمرة الأولى تناقضاً بين الظواهر والواقع .. وتهتم «جين أوستن» بشرح العناصر التى تكون الأخلاق الحقيقية للانسان كما تنبه الى أنه من الممكن أن نخفى هذه الأخلاق عن الناس ... ولابد للكشف عن الأخلاق الحقيقية من اقامة الدليل .. ولقد أخطأ كل من «لير» و «عطيل» لأن كلا منهما طالب بأدلة من النوع الخاطىء فعرض نفسه لكيد كل من أراد تزييف الأدلة . ولكنا نجد فى مآسى شكسبير كما نجد فى «بين الفخار والتحيز» أن الأحداث تكشف فى نهاية الأمر عن أصحاب الأخلاق الحميدة وأصحاب الأخلاق السيئة .. بين «كورديليا» و «إياجو» .. بين «دارسى» ، و «وكام» .. على أن الثمن الذى يدفع لقاء هذا الكشف يختلف من حالة لأخرى .

الحوار والشخصيات

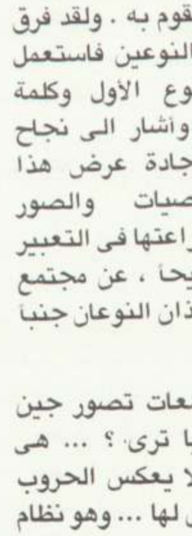
والصفة التى كتبت «لجين أوستن» ذلك الخلود فى الأدب الانجليزى هى براعتها فى صياغة الحوار بين مختلف الشخصيات .. فهناك من هذه الناحية ألفة وشبه كبير بين روايات «جين أوستن» ومسرحيات شكسبير وموليير فالحوار يبلغ درجة عالية من الدرامية إذ يحدد الشخصيات عن طريق اللهجة التى تتكلم بها كل منها .. ثم إن فى بناء رواية جين أوستن من ثلاثة أجزاء ما يوحى للقارىء بأنه يقرأ تمثيلية مثلثة الفصول .. وتقدم «جين أوستن» فى روايتها نوعين من الشخصيات على الأقل ، شخصيات تحددها وتعرفها الأدوار التى تلعبها هذه الشخصيات ، أو تذوب فيها هذه الشخصيات ، وشخصيات تدور حول الأدوار التى تلعبها دون أن تفقد الشعور والوعى بأدوارها أو تنسى ما تقوم به . ولقد فرق «هاردنج» بين هذين النوعين فاستعمل كلمة «شخصية» للنوع الأول وكلمة «كاريكاتور» للثانى ، وأشار الى نجاح «جين أوستن» فى إجادة عرض هذا المزيج من الشخصيات والصور الكاريكاتورية ، والى براعتها فى التعبير عما تريد أن تقول تلميحاً ، عن مجتمع يجوز أن يتواجد فيه هذان النوعان جنباً الى جنب .

أى نوع من المجتمعات تصور جين أوستن فى كتاباتها يا ترى ؟ ... هى تصور المجتمع الذى لا يعكس الحروب النابليونية ولا يتعرض لها ... وهو نظام تؤكد فيه سيادة المجتمع وإيثار هذه السيادة على المتعة الفردية .. سيادة الرسميات على غيرها ، سيادة الأناقة

شكسبير



موليير



على «البهدلة» .. نظم العشيرة وخططها – الأسرة والجماعة والمجتمع – تميل الى التحكم فى أطماع الذات وإخضاع ارادتها . وهنا تؤكد الكاتبة التجربة اللغوية وتهمل أو تكاد تتجاهل التجربة الجسمية .. وقد يجمع الله الشتيتين فى حفل راقص ، ولكن المعاملات الأساسية (ومعظم المعاملات غير الهامة) تتم عن طريق اللغة .. عندما يتقدم «دارسى» باقتراح الزواج للمرة الثانية نقرأ أن «اليزابث» «بدت وكأنها عاجزة عن أن تنظر ، أو تنصت .. وعبر لها عن أحاسيس جعلت عاطفته تزيد قيمة فى كل لحظة» ... ولكن اذا حلت اللحظة الحرجة استحال «الحب» بكامله الى تجربة لغوية .. وهذا وضع معقول مرغوب فيه يعلي شأن الوعى والأخلاق .

وتهبط «جين أوستن» بالاتصال الجسمى والتجربة ، دون انكارها ، الى الحد الأدنى .. يجوز للأيدى أن تلتقى .. لكن الأفضل والأرجح أن يكون اللقاء لقاء العيون عبر الفراغ الاجتماعى .. وقد تدار الوجوه نحو غيرها أو بعيداً عنها .. واليزابث كما نرى فريسة لحمرة الخجل تصبغ خديها (وحمرة الخجل هى لغة الجسم يعبر بها عن أحاسيس معينة) والمحتمل أن نرى من الفساتين فى كتابات جين أوستن أكثر مما نرى من الأجسام ، ونشاهد من التحية العلنية أكثر مما نسمع عن عناق خفى .. وإذا نحن قارنا بين حفل راقص تصوره «جين أوستن» وحفل راقص يرسمه «تولستوى» وجدنا أن الرقص عند «جين أوستن» ، وكانت تحبه وتجيده ، فرصة تكرس بكاملها للحوار بين المتراقصين . والرقص من الطقوس الاجتماعية التى تسمح بحديث خاص يدور فى العلن .. و «اليزابث» تتبادل مع «دارسى» أثناء الرقص حديثاً هاماً .. والخلاصة ان الرقص عند «جين أوستن» يتجرد من كل أثر للناحية «الجسمية» .

فاذا انتقلنا الى رواية «أنا كارينينا» وجدنا فيها كل ما لا يجرى على لسان «جين أوستن» أو يخطه قلمها ..

«كيتى ترى «أنا» ، «فرونسكى» فى اللحظات التى يقوم فيها كيوبيد بغزو قلبيهما يغرز فيهما سهامه .. تراهما وكأنهما يقفان وحدهما منفردين رغم

جين أوستن

ازدحام الصالة .. وتتأثر بما يظهر على وجه «فرونسكى» من حيرة التسليم ، وهو القوى الحازم .. اذا ابتسمت «أنا» بادلها بالابتسامة .. فاذا استغرقت فى التفكير علت وجهه مسحة الجد» .

وتتأكد «كيتى» من أن السهم قد نفذ فى اللحظة الحاسمة التى يتقرر فيها المصير .. وتتلاشى كل اللغات وتتعطل الألسن .. جسم «أنا» وحده هو الذى يناغى «فرونسكى» بلغة تستطيع كيتى أن تقرأها .. ويغرق كل احساس عقلانى فى حدة جسدية خالصة : الحواس تدرك والحواس تجيب وتستجيب .

معنى الحب

لسنا هنا فى موقف المفاضل بين «جين أوستن» و «تولستوى» .. ولكن الشىء بالشىء يذكر .. ونحن مسلمون قد تعجبنا صوفية «جين أوستن» كما تروقنا عبقرية «تولستوى» .

جين أوستن تتشكك كثيراً وبصفة خاصة فى فورية الجاذبية الجنسية ، ويجدر بنا أن نسأل عن معنى «الحب» الذى تقره صاحبتنا وتصوره فى رواياتها .. هى أبداً تعنى وتهتم بالسلوك وقل أن تشير الى التجربة الدينية .. مجتمعها دنيوى مادى .. مجتمع يقدر الأشياء والدعائم التى يقوم بناؤه عليها .. مجتمع يركز اهتمامه على أفضل الوسائل التى تمكن الرجل من أن يعيش الى جانب المرأة فى وئام .. وبهذا كله



تولستوى

تأثرت فكرة «الحب» عند «جين أوستن» وتأثرت فكرة الزواج ... «مسز جاردنر» تشكو «لاليزابث» من عبارة «حب العبادة» .. فهى عبارة معادة مكدودة مشكوك فيها لا يمكن تحديد معناها ، فهى اذن لا تعطى إلا فكرة مهو شة ... فى الصفحات الأولى من الكتاب تبحث «شارلوت» مع «اليزابث» الاستراتيجيةالتى تستخدمها المرأة لتضمن وقوع الرجل فى شباكها .. و «شارلوت» نفسها تعتبر رمزاً لنجاح الخطط المرسومة وتفوقها على العاطفة التلقائية ، عندما تقرر الزواج من «المستر كولنز» وتصرح أنها لا تأبه بالرومانسية ولا تعترف بها ، ... كل ما تريد من دنياها بيتاً للزوجية مريحاً .. وعلى الرغم من أن «المستر كولنز» انسان ممل متعب إلا أن فيه «وقاية ضد الحاجة والعوز» .

والحب الذى تقره «جين أوستن» هو إذن ذلك الشىء الاضافى الخفى الذى يرقص بين حروف كلمات بطلة الرواية حاملا معه طاقة عاطفية ودلالة لفظية ...

هو ذلك الشىء الغامض الذى يتوهج فى عينيها ويدفع الدم الى خديها ، هو ذلك الذى يجعلها تركض عبر الحقول وتقفز فوق الأسوار .....

ربت جين أوستن فى عصر الحركة الرومانسية ورضعت لبن الفكر السائد فى القرن الثامن عشر فكانت تلتزم الحدود والتعاريف والأفكار الواضحة ، فكانت من ناحية على نقيض جماعة المتحررين الذين نشروا مؤلفاتهم فى نفس السنة التى نشرت فيها «جين أوستن» «بين الفخار والتحيز» ومنهم اللورد بايرون ، وكولردج ، وسكوت ، وشيللى ومن بعدهم كيتس .

وتميزت مؤلفات جين أوستن بما فيها من انتقائية صارمة .. كانت تنتقى من ملاحظاتها وخبرتها ومن الأساليب الأدبية ما يعجبها وترفض ما لا يعجبها دون أن تتقيد بتقليد أو تلتزم بمألوف .. ولم يكن «ماكولى» وهو الأديب الفحل عبيطاً أو غفلة لما نسبها الى شكسبير وموليير .

ولدت «جين أوستن» فى اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر ١٧٧٥ وكانت سابع أطفال القس جورج أوستن . وماتت فى شهر مايو ١٨١٧ وهى تسعى وراء دواء تستطب به .. ولسنا نعرف غير «جين أوستن» من بين أدباء العالم من يتعمد اختيار بطلة لاحدى قصصه لا تعجب غيره من الناس .. كما اختارت هى «إما» بطلة لتلك القصة ..

جمال الكنانى .

كلمات

● ليس هناك وجود بدون الاخرين . فان الانسان لا يكف مطلقاً عن الخروج عن ذاته والاتصال بالعالم وبالآخرين . ومثل هذا الاتصال يجعل من علاقته بالعالم والناس مناسبة للشعور بالاهتمام .

« الفيلسوف الفرنسى ميرلو بونتى »

● أحجموا عن عنف اليد واللسان والقلب .

« مارتن لوثر كنج »

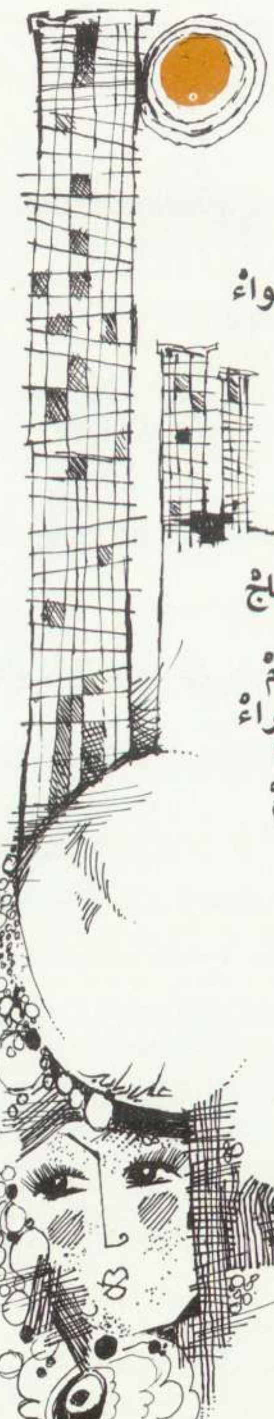
رؤية نيويورك ..

شعر: محمد إبراهيم أبوسنّة

«الى الصديق محمد عبد الله الشفقى والكاتب الرومانى جورج بلابيزا ذكرى لقاء فى مدينة نيويورك» .

ـ شاعرة المدينة ـ

علامةٌ بيضاءْ
تَلوحُ فى سَحَابَةِ السَّمَاءْ
كالنجم بين الأرضِ والسمَاءْ
محرِّكاتُ الطائِرة
توقفتْ وانفتَحَ الفضَاءْ
على جزيرةِ الزجاجِ والصراخِ والأَضْواءْ
مساحة شاسعة الأنحاءْ
من الزمانِ والمكانْ
وهذه نيويورك
تقرأ الطالعَ فى النّجُومْ
وهذه نيويورك
تمتد فى الغيومْ
ماكينة من الحديدِ والأسمنتِ والزجاجْ
تلتهمُ العالمَ القديمْ
وترسمُ الكواكبَ العذْراءَ فى السَّديمْ
تموجُ فى السوائِلِ الحمراءِ والخضراءْ
تراكماً من الأرقامِ فوقَ شاشةٍ زرقاءْ
جزيرة الشجر الاليكترونى والأحلامْ
مدينة الرّصَاصِ والأنغامْ
تهتز فى الدخانِ والبروقْ
رأيتُ عند بَابها الشروقْ
مضرجاً على شواطىء الغروبْ
تشردت عيونىَ الشرقيةُ الأعماقْ
ما بين وجهِ البدرِ والمحَاقْ
سألت هذه النيويوركية البيضاءْ
عن الحدائقِ الخضراءْ
سألتها عن الربيعْ
فى أى شارع يقيمْ
أجابت الحسناءْ
فى فندقِ الشتاءْ
سألتها عن شاعر الجزيرة القديمْ
شاعر مانهاتن والتخومْ
سألتها عن وَالت ويتمان العظيمْ
وابتسمتْ سخريةُ ناطحةُ السحابْ
على يمين الشاعر الذى يموجُ بالأغرابْ



وأخرجت ماكينة عالية الرنينْ
وريقة خضراء
من فئة الدولارْ
وقالت الحسناءْ
تلك هى الأشعارْ
وهذه يا سيدى
شاعرة المدينة

ـ مدينة القيامة ـ

سألت واحداً يسير فى الطريقْ
ما كل هذه الجدرانْ
كأنها الحريقْ
أهذه مدينة القيامة
ـ فقال لي بانها محاولة
لملء ذلك الفراغ بين الأرضِ والسَّمَاءْ
تَمزقَ القناعْ
وانقطعَ الشعاعْ
وقلت إنها القيامهْ
وجاء صوتُ ويتمان العظيمْ
يقول إنها فقط علامة

ـ نصب الحرية ـ

سألتُ هذه المرأة النيويوركية
عن نصب الحرية
رأيته هناك عند نهر هَدْسُنْ الحالم الحزينْ
مستسلماً لهذهِ التساؤلاتْ
تطرحُهَا العيونْ
عيونُ كلّ السائحِين العابِرينْ
سألته هل سَئِمَ العِراكْ
من أجل حَق الآخرينْ
هل بَاتَ رمز اللامبالاةِ هنا
أم بات رمز الحائِرينْ
رأيته يخجلُ من أسئلتى
ودمعة تلوح فى الجفونْ
تركته يرنو بلا مبالاة
الى النهر القديمْ
منطوياً كأنه يتيمْ

د . فـاروق حسـيب

الحصبة الألماني وخطرهـا على المرأة الحامل



الحمل ظاهرة طبيعية فى حياة المرأة .. لكنها قد تتعرض أثناءه لبعض المتاعب التى تعكس أثرها عليها شخصياً .. ومتاعب أخرى تعكس أثرها على الجنين .
من المتاعب الخطرة : الحصبة الألمانى !
فما هى طرق الوقاية منها ؟
وماذا عن العلاج ؟

الحمل والوضع هما وظيفتان اختص الله بهما المرأة دون الرجل لأنها نبع الحنان الذى لا ينضب . ولكن تمر بالحوامل أثناء الحمل حالات خاصة ، وتدور برؤوسهن خواطر معينة تجعلهن متشوقات الى العلم بالتغييرات التى تطرأ على أجسامهن وطريقة نمو الجنين وما ينبغى عمله استعداداً لقدم المولود .

ورغم أن الحمل ظاهرة طبيعية فى حياة المرأة إلا أنها قد تتعرض أثناءه لبعض المتاعب التى يجب التنبيه لها لأن بعضها يعكس أثره على الحامل شخصياً أما البعض الآخر وهو الأخطر فانه يعكس آثاره على الجنين . وعلى رأس المخاطر التى قد تصيب المرأة أثناء الحمل الاصابة بمرض الحصبة الألمانى.

والحصبة الألمانى مرض اكتشفه العالم ماتون عام ١٨١٥ وهو عادة يصيب الأطفال فى أعمار تتراوح ما بين الخامسة والرابع عشرة عن طريق الرذاذ .. وأحياناً يصيب المرأة الحامل من خلال المشيمة .

واصابة المرأة بفيروس الحصبة الألمانى فى الأوقات العادية لا يشكل أية خطورة عليها بعكس تعرضها للاصابة به أثناء الحمل حيث يزيد من احتمال وفاة الجنين أو على الأقل اصابته بتشوهات خلقية . وأول من تنبه لخطورة هذا المرض على الحامل هو طبيب العيون الاسترالى جريج وذلك عام ١٩٤٢ م .

عامل الزمن

واحتمال حدوث تشوهات بالجنين يتوقف على الفترة التى تصاب فيها السيدة الحامل بفيروس الحصبة الألمانى . فاذا حدثت الاصابة فى الشهر الأول للحمل فان نسبة حدوث تشوه بالجنين قد تصل الى أكثر من ٥٠٪ ، أما اذا كانت الاصابة فى الشهر الثانى للحمل فان هذه النسبة تقل الى حوالى ٢٥٪ ثم تنخفض فى الشهر الثالث الى ١٥٪ فقط . وبعد انتهاء الشهر الثالث ، فان اصابة الأم بالحصبة الألمانى فغالباً لا تؤدى الى تشوه الجنين إلا بنسبة ضئيلة جدا لا تتعدى ٤ بالمائة .

من ذلك يتضح أن اصابة الحامل بهذا المرض خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل يستلزم بالضرورة اجراء عملية اجهاض نظرا لتزايد احتمالات حدوث تشوهات خلقية بالجنين . أما بعد ذلك فليس هناك خطورة تذكر على الطفل وعلى الحامل نفسها أن تكمل فترة الحمل .

والتشوهات الخلقية الناتجة عن الحصبة الألمانى متعددة وتؤثر على أجهزة الجسم المختلفة . فقد تصيب العين أو القلب أو الجهاز العصبى ، وقد تؤدى الى فقدان السمع ، كبر أو صغر حجم الرأس ، التخلف العقلى ، تضخم الكبد والطحال ومرض الصفراء اضافة الى بعض التغيرات فى الكروموزمات . وترجع هذه التشوهات أساساً الى انسداد الأوعية الدموية التى تغذى أعضاء الجسم أيضاً نتيجة تحلل الخلايا بواسطة الفيروس نفسه . وقد يحدث فى بعض الأحيان أن يولد الطفل وليس به أية أعراض ظاهرية ولكن التشوهات تظهر بعد عدة سنوات وغالباً فى سن التحاقه بالمدرسة . والجدير بالذكر أن هذا الطفل المولود مشوهاً ، يمكن أن يظل ولعدة شهور (١٢ ــ ١٨ شهر) مصدر عدوى لغيره من الأطفال بل والأشخاص البالغين الذين ليس لديهم مناعة ضد هذا المرض .

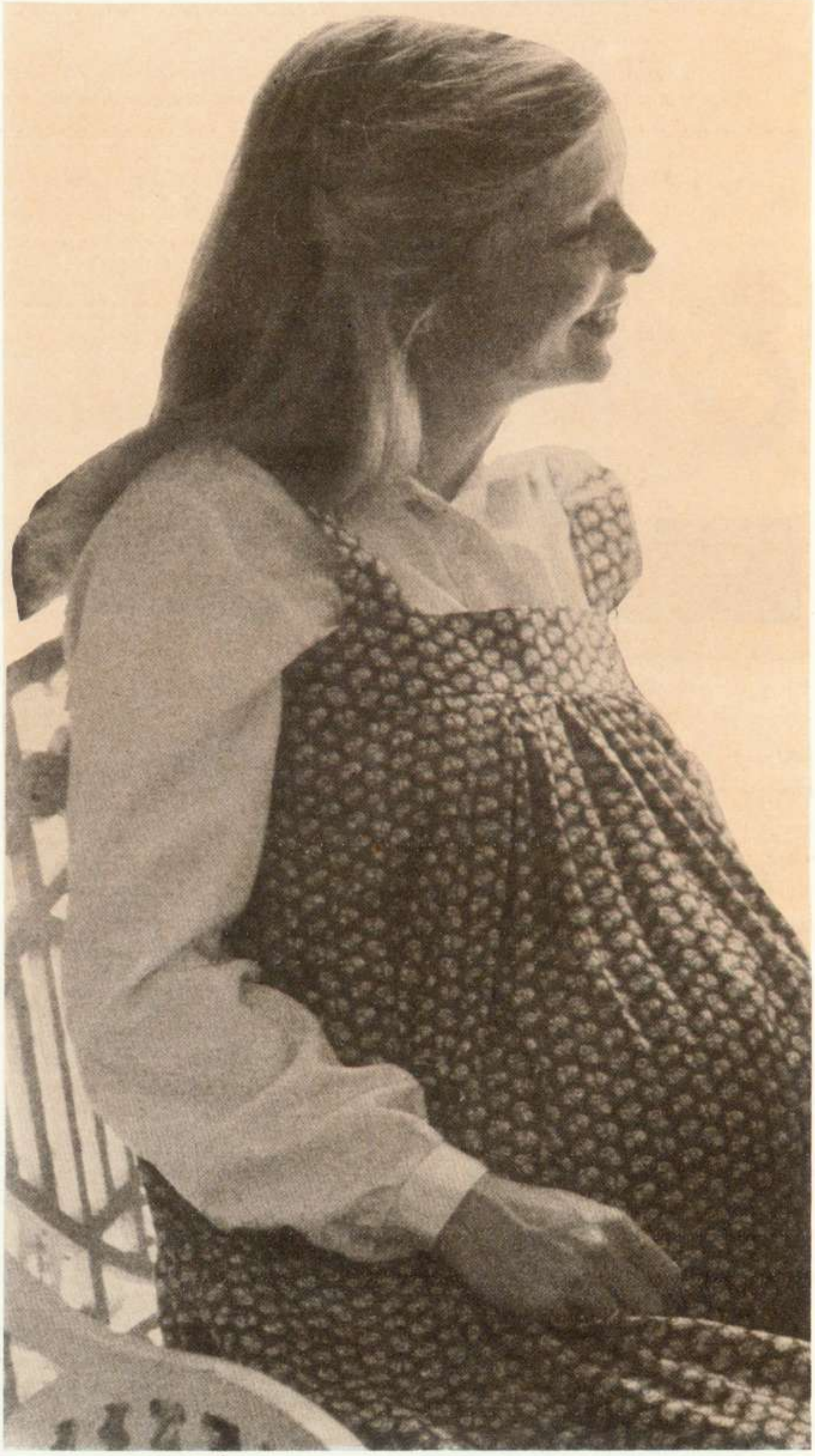
تشخيص المرض

وتشخيص مرض الحصبة الألمانى يعتمد اساساً على الفصل الذى ينتشر به الفيروس أو عن طريق التحاليل المعملية حيث يتم اكتشاف أجسام مضادة لهذا المرض فى دم الأم الحامل .. ووجود هذه الأجسام المضادة يدل بشكل قاطع على أن الأم قد تعرضت فعلا للعدوى حتى ولو كان ذلك فى صغرها أو قبل الحمل .. وعلى ذلك فليست العبرة هى مجرد وجود هذه الأجسام المضادة للحكم بأن الاصابة حديثة إلا لو زادت نسبتها فى دم الحامل وهذا ما يهدد بحدوث تشوهات للجنين . أما لو كانت الاصابة قديمة أى قبل حدوث الحمل فهذا يدل على أن الأم قد اكتسبت مناعة ضد هذا المرض تحصنها من الاصابة به من جديد .

ولقد تزايدت فى السنوات الأخيرة أهمية التطعيم بمصل الحصبة الألمانى لمنع اصابة المرأة الحامل بهذا المرض وبالتالى تفادى وضع جنين مشوه .. والمصل عبارة عن فيروس ضعيف ينتج عن حقنة تكوين الأجسام المضادة التى تمنع حدوث أية عدوى بالمرض مستقبلا ، ولكن المناعة نفسها لا تكتسب إلا بعد شهرين من التطعيم .

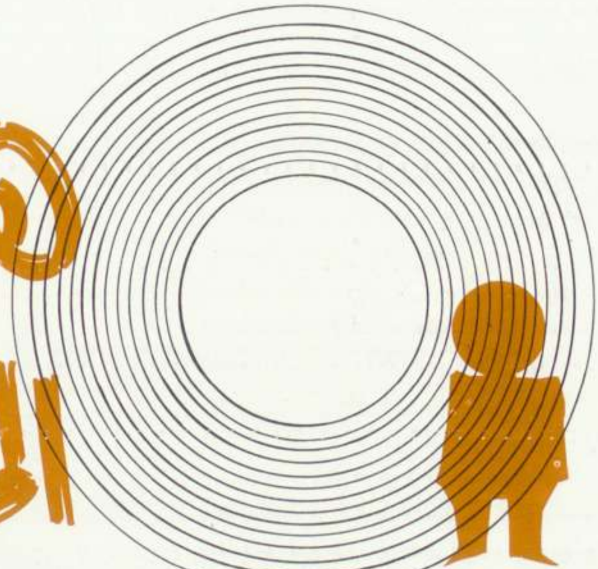
ولقد تنبهت دول كثيرة الى تأثير هذا المرض على الحامل وبالتالى على الأطفال فوضعت كافة الاجراءات الصحية لتفادى الاصابة به .. ففى بلجيكا مثلا يتم تطعيم جميع الفتيات ضد هذا المرض عند سن الثانية عشرة . كما وأن بعض الولايات الأمريكية تمنع الموافقة على عقد الزواج بها إلا اذا كانت العروس قد اكتسبت مناعة ضد هذا المرض وذلك عن طريق تحليل عينة من دمها للتأكد من وجود الأجسام المضادة به أو على الأقل التطعيم بالمصل قبل عقد الزواج . أما فى انجلترا فان جميع السيدات يفحصن مباشرة بعد ولادة أى طفل للتأكد من اكتساب الأم المناعة اللازمة فاذا تبين غير ذلك فانه يتم تطعيمها مباشرة بهدا الولادة . وهذه الطريقة لن تحمى بالتأكيد الطفل الأول ولكنها تحمى الأطفال .

د. فاروق حسيب



وتشخيص الاصابة بالحصبة الألمانى فى المرأة الحامل قد يصعب فى بعض الأحيان حيث تتشابه أعراضها مع أمراض أخرى ، كما وأن بعض الحالات قد لا تكون مصحوبة بأعراض اكلينيكية ظاهرة رغم أن الفيروس موجود بدم الأم ويؤدى الى اصابة الجنين بحيث يفاجأ الطبيب بولادة طفل مشوه رغم عدم شكوى الأم من أية اعراض مرضية طوال فترة الحمل .

هؤلاء المصابون بالصرع



ومشكلتهم مع الخلايا العصبية

د. عبد المنعم عاشور

المشهد مثير للفضول والشفقة !
إنسان ما .. فى الطريق العام .. يقع من طوله فجأة. يرتمى على الأرض .. يتخشب جسده .. يرتعش بلا توقف .. يفقد القدرة على الرؤية ، والتنفس ، والنطق ، واستعادة توازنه . وغالباً ما يعض لسانه حتى يدميه !!
هذه هى نوبة الصرع تفجأ الانسان على الرغم منه ! ماذا يقول العلم فى هذه الحالة ؟
وما هى علاقة الصرع بالخلايا العصبية للانسان ؟
ثم .. ماذا عن العلاج ؟

الجهاز العصبى لأى انسان مكون من بلايين الخلايا العصبية التى تنتظم فيما بينها فى مجموعات ، تعمل بصورة متناسقة ومتناغمة حسب قوانين غاية فى الدقة والتعقيد ..

وهذه المجموعات تؤدى الى قيام الانسان بوظائفه الجسدية والنفسية بكفاءة متناهية ، فاذا خرجت خلية عصبية أو مجموعة من الخلايا عن القانون العام ، فانها تؤدى الى اختلال فى التوازن الوظيفى الدقيق للجهاز العصبى كله !

ويظهر هذا الاختلال فى صورة حركة غير مطلوبة ، أو إحساس بشىء ليس له مصدر ، أو حركة زائدة فى الأحشاء زائدة عن الحاجة تؤدى الى خلل مفاجىء يعرقل الحركة أو الاحساسات الطبيعية ، ثم ينتهى فجأة كما جاء بصورة مباغتة !

والواقع أن الكيان الانسانى كله هو الذى يدفع دائماً ضريبة هذا الخلل ، وكلما اتسع نطاق الاختلالات الصرعية ، كان الاضطراب العام أكثر وضوحاً وبالغ الشدة !

ومن هنا يمكننا أن نقول ان الصرع يشبه الخروج على القانون .. فمثلا من قوانين الجهاز العصبى المعروفة ، أن بعض العضلات تنقبض ، بينما ترتخى عضلات أخرى فى نفس الوقت ، وبذلك يستطيع الانسان أن يحرك مفاصله حركة مفيدة ليقوم بكافة الأعمال كالمشى والأكل وخلافه .. بينما أثناء نوبة الصرع نجد مخالفة واضحة لهذا القانون ، تظهر على صورة انقباض جميع عضلات الجسم فى وقت واحد ، بحيث لا تصبح هناك ولو حركة واحدة نافعة ، ويصبح الجسم فى حالة من «التخشب» المستمر ، ويتوقف التنفس ، وقد يعض المريض لسانه ، وقد يرتمى على الأرض كلوح من الخشب فيصيب نفسه بكثير من الأضرار !

قصة من الواقع

وقد وصف أحد المصابين بالصرع ما يعانيه أثناء نوبة الصرع وبعدها فقال :

«استيقظت من نومى وأنا فى قمة الصحة والعافية ، وركبت سيارتى الى الجامعة ، وكان يوم شتاء خفيف ، وكنت قد اكتفيت فى الافطار بكوب من الشاى والحليب ، ودخلت قاعة الدرس ، وألقيت تحية الصباح ، ولعلي أمضيت نصف ساعة ألقي دروسي كالمعتاد ، وفجأة وبلا مقدمات وجدت نفسى جالساً على سرير بالمستشفى الجامعى ، وحولى وجوه غير مألوفة ، ولكنها بالتأكيد تنطق بالشفقة !

عرفت تماماً أنه قد فاجأنى دور الصرع ، وأستطيع أن أتصور ما حدث بدون أن أسأل ، لابد أننى فقدت الكلام ، وتراقصت المناظر أمامى ، وهويت الى الأرض صارخاً أتخبط ويهتز جسدى بالتشنجات المستمرة ، ولابد أن طلبتى فى القاعة قد تملكهم مزيد من الذعر والشفقة والحيرة أمام ما أصابنى فجأة ، ولابد أنهم رأونى أمر فى لحظات محدودة من الحياة الى الموت ، ثم الى الحياة مرة أخرى !

أعرف أن نظرتهم إلي فى الدرس القادم ستكون مختلفة ، وسيمتنع بعضهم عن حضور دروسى فى المستقبل ، وسيتهامس البعض عن مدى خطورة حالتى ، وسيسأل البعض أنفسهم لماذا أنا مريض وكيف لم أجد العلاج المناسب ؟!

والحقيقة أننى أخطأت فى حق نفسى ، فأنا مصاب بنوبات الصرع منذ عهد بعيد ، وقد خضعت للفحص الطبى ، واستجبت للعلاج شريطة أن يكون مستمراً ومنتظماً !

لم يطلب منى الأطباء سوى أن أتناول بضعة أقراص فى اليوم ، وأن أحترم مواعيد وجبات الطعام ، وأن أبتعد عن الاسراف فى كل شىء !

وتمتعت مع هذا النظام الطبى بحياة سعيدة غنية حتى سولت لي نفسى أن أتمرد على النظام الطبى ، وأمتنع عن بعض الأقراص ، ولم أكن أتصور أن العقاب سيحل بى سريعاً الى هذه الدرجة ، وأنا أسقط صريعاً أمام الطلبة فى المدرج !

وقد أدى هذا الدرس القاسى الى تصميمى على العودة الى النظام ، بعد أن حمدت الله على أننى مازلت قادراً على الحياة الطبيعية فى ظل مرض الصرع ، بتكاليف بسيطة ، وبغير تضحيات !

هل هو روح شريرة ؟

هذه حالة من حالات الصرع كما جاءت على لسان صاحبها المثقف الواعى ، المتمتع برعاية طبية سليمة ووعي صحى كاف ، والغريب أن هذه الحالة تمثل ٨٠ فى المائة من مرضى الصرع فى أى مجتمع متحضر راق !

ويقابل هذه الحالة ، حالة أخرى متناقضة ، رواها أب طيب القلب عن ابنه الذى تعاوده حالة الصرع فقال :

«يعاود الصرع ابنى عدة مرات فى الأسبوع ، وأحياناً يأتيه أكثر من مرة فى اليوم الواحد .. وقد انتظم فى العلاج أياماً ثم أهمله بسبب عدم الاستقرار مع طبيب واحد .. وأنا عن نفسى لا أعتقد أن الصرع مرض ، ولكنه روح شريرة تتقمص جسد ابنى وتجعلنى أهرع به الى الأضرحة أو أضع الأحجبة فوق صدره لعلها تشفيه .. وكثيراً ما استمعت الى بعض النصائح من الأصدقاء والجيران التى كان من بينها : الزار .. وكل ذلك لم ينفع .. وأصبحت مهموماً ليل نهار ، خاصة وأن ابنى ليس مصاباً بالصرع فقط ولكنه مصاب منذ ولادته بشلل فى أطرافه ، وكانت ولادته عسرة ، وتمت بعيداً عن أية مساعدة طبية» !

هذه قصة أب تصور أو اعتقد من خلال أحاديث الجيران أن ابنه مصاب بهذا المرض نتيجة عدم رضاء الأرواح عنه .. وهذا بالطبع كلام مضحك وساذج .. لأن العصر الذى كان فيه الناس يعتقدون فى الأرواح والشياطين ثبت زيفه وكذبه بعد تطور الطب والعلاج والوسائل الحديثة .. وهنا نقول لأمثال هذا الأب لو أنك اتبعت العلاج بانتظام ولم تيأس أمام حالة ابنك وأعطيته الرعاية الطبية اللازمة وأبعدته عن مجالات الخرافات ، لكانت – على الأقل – حالته قد شفيت أو تقدمت تقدماً ملموساً !

الانسان ودائرة الوعى

وقد يتساءل بعضنا : هل صحيح أن الوعى لدى الانسان يتغير فى دورات على مدى اليوم والليلة ؟

ونقول لهم : نعم .. فهذا قانون طبيعى يتغير أثناءه الوعى بين يقظة عالية ونوم عميق .. اليقظة العالية ضرورية لانجاز الأعمال التى تتطلب ذلك مثل الدراسة أو القتال أو قيادة السيارة أو تشغيل الآلة !

وهناك درجة أقل من الوعى هى المناسبة لأعمال من نوعية مختلفة مثل تناول الطعام أو ممارسة الحب أو مشاهدة السينما أو التليفزيون ..

ولا ينخفض الوعى الى أعماق بعيدة ، إلا فى بعض مراحل النوم . يأتى الصرع بمخالفة صارخة لهذا القانون عندما ينخفض الوعى فجأة الى درجة من الغيبوبة العميقة ، تفاجىء المصاب بصرف النظر عن نوع العمل الذى يمارسه المصاب بالمرض !

فمثلا قد تفاجىء غيبوبة الصرع المصاب ، وهو يقود سيارته ، أو يحمل سلاحه فى أثناء نوبته ، أو أثناء طهى الطعام على النار ، أو أى اختلال شديد يصيب الحياة ، عندما ينتقل الوعى فجأة من الصحو المناسب ، الى درجة

● هل صحيح أن الوعي لدى الإنسان يتغير على مدى اليوم والليلة ؟

● غيبوبة الصرع قد تفاجئ المصاب وهو يقود سيارته .. أو يحمل سلاحه في أثناء نوبته أو أثناء طهي الطعام !

هؤلاء المصابون بالصرع

الغيبوبة الرهيبة ، فى ثوان معدودة !

احتضار الخلية

وفى السنوات الأخيرة ، وبفضل التقدم التقنى الذى سمح للانسان العالم أن يسبر أغوار المخ البشرى ، وضع الطب يده على مفتاح لغز الصرع وأنه وراء كل حالة صرع خلية فى المخ تحتضر ، وتخرج عن القانون !

قد تحتضر خلايا المخ بفعل التغذية الناقصة ، أو الهواء الفاسد أو نمو السرطان ، أو الاصابة الميكانيكية !

وبالتشريح يمكن العثور على بؤر من مثل هذه الخلايا فى مخ المصاب بالصرع .. وبرسم المخ الكهربائى ، يمكن أن نرصد النبضات المريضة لهذه الخلايا المحتضرة !

إنها مهمة الطبيب أن يختبر وظائف المخ ، ويحدد وجود هذه الخلايا المحتضرة ، وأسباب احتضارها ، وكيف السبيل الى تخليصها أو الخلاص منها ، وكم من حالة صرع تختفى تماماً اذا نجح الطب فى اعادة الحياة الصحيحة الى الخلايا المحتضرة ، أو نجحت الجراحة فى خلاص الجسم من الخلايا المحتضرة، خلاصاً تاماً !

فمثلا تستعيد بعض الخلايا المحتضرة صحتها التامة ، اذا أطعمت ببعض الفيتامينات المعينة ، وتختفى حالة الصرع بعد ذلك تماماً !

وأيضاً اذا أزيل من المخ ورم حميد ، أو تجمع دموى ، قد يزول الصرع المترتب عليه بزوال السبب !

فقدان السيطرة

وقد يتساءل البعض كيف يسمح الجهاز العصبى الدقيق المنظم لبعض الخلايا المحتضرة أن تخرج عن القانون ، وتزلزل كيان النظام كله ، ألا يوجد فى الجهاز العصبى والجسم كله ، وسيلة لاحتواء الخلايا المريضة ، أو المحتضرة ، أو عزلها ؟

والجواب على هذا التساؤل المنطقى ، توصل اليه الطب الحديث ، وهو أن العيب ، لا يكون دائماً فى وجود خلايا محتضرة ، تخرج عن القانون ، وإنما العيب أن النظام العام قد فقد قدرته على السيطرة ، وفرض القانون العام !

فالمعروف أنه فى الجهاز العصبى السليم ، يوجد فعلا بين الثنايا عشرات من الخلايا المحتضرة، المعزولة تماماً ، عن الفعل بتأثير هرمونات عصبية ، وظيفتها الأساسية هى مساندة التوازن العصبى .. فمثلا .. من المعروف أنه فى أية لحظة يحتوى مخ كل فرد منا على خلايا تحتضر بفعل السن ، وبفعل الاصابات البسيطة التى يتعرض لها الدماغ ، ولكن هذه الخلايا المحتضرة تعجز عن ايجاد حالة صرع فى الجسم ، لأن الهرمونات العصبية المضادة للصرع متوفرة بالكميات المناسبة فى مخ معظمنا !

ولكى تحدث حالة الصرع ، فلابد أن يتوفر النقص ، أو غياب هذه الهرمونات العصبية المضادة للصرع ، الى جوار الخلايا المحتضرة ، ومن هنا يمكن القول ان هذا النقص فى الهرمونات المضادة للصرع ، هو أحد الأسباب الرئيسية لحدوث حالات الصرع عند بعض الأفراد وهذا يشكل مدخلا الى العلاج ، لأن مثل هؤلاء الأشخاص محتاجون الى التناول الدائم المنتظم للأدوية التى تنشط هذه الهرمونات ، أو التى تقوم مقامها !

تجربة تراجيدية

ويتمتع مرضى الصرع أو معظمهم على الأقل بنظرة الاشفاق من الناس ، لأن المرض يثير فى الناس الشفقة ، ويدفعهم الى العناية بالمريض ، ولكن بعض الأمراض تحرم صاحبها من هذه الميزه ، وتدفع الناس الى تجنبه ، والخوف منه ، بدلا من العطف عليه ، فالناس مثلا يخافون من المجذوم والأبرص ، وكذلك مريض الصرع ، وقد احتار المفكرون فى تفسير هذه الظاهرة ، ولا أعتقد أن لها حلا كاملا حتى الآن !

وبالتأكيد ، فان خوف الناس من مريض الصرع ، ليس خوفاً من العدوى



فهو غير معد ، وقد يكون الناس معذورين فى خوفهم ، فهو تجربة تراجيدية مؤلمة لمن يشارك فيها مصاباً أو مشاهداً !

وتتميز تجربة الصرع فى أن الحوار ينقطع تماماً بين الممثل والمشاهد فيجد المشاهد نفسه فى حيرة ، وفزع شديد !

والمرضى بالقلب أو بالصداع أو حتى بالسرطان ، أو بالطاعون ينقلون شكواهم وأحاسيسهم الى المشاهدين ، ويسمح لهم بأن يأخذوا منهم موقفاً محدداً على أساس ما ، فاما أن يساعدوهم بالفعل ، والاسعاف أو يفروا منهم ، أو يكتفون بالدعاء لهم .. ولكن المشاهد لمريض الصرع لا يفهم ماذا يجرى للمريض ، ولا يستطيع المريض أن يعبر للمشاهد عما يحس به أو يحتاج اليه من اسعاف ، فنجد أن المشاهد يقف عاجزاً عن الفهم والتصرف ، ويحس بالعجز التام عن المساعدة أو تقديم العون ، وقد تنتابه مشاعر الذنب ، وفى النهاية يقف مريض الصرع فى هذا العالم وحيداً غير مفهوم .

وينعكس هذا الموقف على حياة مريض الصرع ، فلا أحد يحب أن يعطيه عملا ، ولا امرأة ترغب فى أن تتزوجه ، وتسود حياته معانى الوحدة والرفض ، وليس عذاب مرض الصرع نفسه !

هذا الواقع الاجتماعى ، هو الذى يظلل معظم مرضى الصرع فى بلادنا ، كما كان الحال منذ أجيال طويلة ، ولابد أن يتغير ، والتغيير المطلوب هو أن يفهم الناس مشكلة مريض الصرع ، وأن يتعلم كل طفل كيف يقدم الاسعاف الأولي اللازم لمريض الصرع ، اذا فاجأته النوبة ، وأن يكون لمرضى الصرع جمعيات أصدقاء تقدمهم الى المجتمع وتكسر حاجز العزلة ، وتقدم المجتمع اليهم .

● العيب فى أن النظام العام قد فقد قدرته على السيطرة وفرض القانون العام

ومن التناقض المضحك والمبكى فى آن واحد أن مجتمعاتنا المتخلفة التى تسلب الحقوق الاجتماعية الأساسية من آلاف مرضى الصرع ، فانها تعزل بعض هؤلاء المرضى حتى الآن فى نجوع بعيدة ، ولسبب مرتبط بالتخلف الحضارى ينجح مريض الصرع فى أن ينشر حول نفسه خرافة مؤداها أنه ولي من الأولياء الصالحين ، وبهذا ينهال عليه الاحترام والتبجيل والعطايا ، ويسود قومه روحياً ومادياً !

الخيوط المتشابكة

ولمرض الصرع صلة وثيقة ببعض الأمراض النفسية الأخرى ، فقد يجتمع للمريض الواحد ، الصرع ، والاكتئاب النفسى مثلا ، أو الصرع والفصام ، أو الصرع والتخلف العقلى !

ولايزال الطب يشغل نفسه بدراسة الخيوط المتشابكة بين هذه الأمراض ، وبعضها البعض ، وليست الاجابة حتى الآن شافية كافية !

ومن باب الطرافة نذكر أن بعض مرضى الصرع حينما يفيقون من اغماءاتهم يحسون براحة نفسية شديدة وخلو من التوتر النفسى تجعلهم يشكرون نوبات الصرع على هذه الراحة النفسية .. يقابل هذا أن كثيراً من مرضى الصرع ينتابهم الضيق النفسى المتزايد ، قبيل حدوث نوبات الصرع ، ولا ينتهى هذا الضيق إلا بدخولهم فى نوبة الصرع الفعلية ، ومن هنا نجد صداقة مستترة بين بعض مرضى الصرع ومرضهم ، حتى أن المريض قد يعمد الى استحضار نوبة الصرع ليفرغ ما به من ضيق !

وبعض مرضى الصرع يتعلمون جيداً كيف يستحضرون النوبة عند الطلب .

وقد تكون هذه الظاهرة خلف امتناع بعض المرضى عن تناول علاج الصرع ، لأنه يحرمهم من نوبات الصرع والراحة النفسية القصيرة التى تتلو النوبة !

وكثير من مرضانا قصير النظر ، يفضل الراحة العاجلة على الشفاء البعيد المدى .

وهناك مجال كبير للعمل على اقناع هؤلاء المرضى ، وخطورة هذه السياسة ، فانه من المؤكد أن كل نوبة صرع تترك خلفها خلايا محتضرة جديدة ، تضمن استمرار المرض لفترة أطول .

وقد استفاد الطب من هذه الظاهرة بأن طوعها فى صورة علاج لبعض الأمراض النفسية ، فما العلاج بالصدمات الكهربية سوى تطويع محكوم للنوبات الصرعية ، والدراسات الطبية مستمرة لتطوير هذا النوع من العلاج بحيث يعطى أحسن النتائج بأقل الأضرار فى المريض المناسب وفى الوقت المناسب .

●●●

أما وقد عرفنا من هو الصارع ، ومن هو المصروع ، فلعلنا نتفق أن الصارع مشكلة للطب ، أما المصروع فهى مشكلة المجتمع .

د. عبد المنعم عاشور

كلمات

● الفكرة الوحيدة المصاحبة للفلسفة عند تأمل التاريخ هى الفكرة البسيطة للعقل ، أى أن العقل يحكم العالم ، ومن ثم فان تاريخ العالم هو عملية عقلية .

« هيجل »

● قد يسلم المرء مما قد يحاذره   وقد يساق إلى المكروه بالحذر .

« أبو العتاهية »

دعـــــــاء

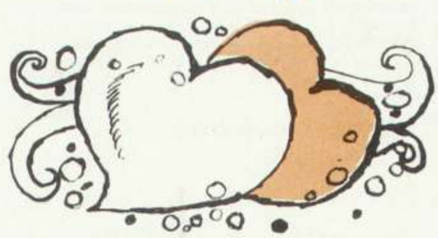


إلهى : كل ما أقوله فأنت فوقه . وكل ما أضمره فأنت أعلى منه . فالقول لا يأتى على حقك فى نعتك . والضمير لا يحيط بكنهك . وكيف نقدر على شيء من ذلك وقد ملكتنا فى الأول حين خلقتنا . وقدرت علينا فى الثانى حين صرفتنا ؟ فالقول وإن كان فيك فهو منك . والخاطر وإن كان من أجلك فهو لك . من الجهل أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك . ومن سوء الأدب أن أعرفك بغير ما عرفتنى به حقيقتك .

أسلمت لك وجهى سائلا رفدك . وأضرعت لك خدى طالباً فضل ما عندك . وهجرت كل من ثنانى إلى غيرك . وكذبت كل من أيأسنى من خيرك . وعاديت فيك كل من أشار إلى سواك .

« أبو حيان التوحيدى »

كرم على درب



● يا للعجيبة ! أزرع قلبى على الورق فينبت فى قلوب الناس .

● عجبت لمن يغسل وجهه مرات فى النهار ولا يغسل قلبه مرة واحدة فى السنة !

● عرفت جهلاء يدعون المعرفة . وحمقى يدعون الحكمة . ووضعاء يدعون الرفعة . وفقراء يدعون الغنى . لكنى ما عرفت بعد انساناً يدعي ولو بعض عظمته كانسان !

● إنكارك ذاتك تثبيت لها .

● من استهان بالغير هان للغير .

● اقتلنى إذا شئت . فلن يأخذ بثأرى منك غيرك .

● ابتعدت عن الناس لأقربهم منى .

«ميخائيل نعيمة»

السكوت والكلام

إن كـان يعجبـك السـكوت فانـه
قـد كـان يعجـب قبـلك الأخيـارا
ولئـن ندمـت علـى سـكوتك مـرة
فلقـد ندمـت على الكلام مـراراً
إن السـكوت سـلامة ولربمـا
زرع الكـلام عـداوة وضـرارا

«ابراهيم بن المهدى»

خير الجلساء



كلما رأيت مكتبة تفلس أو قاعة قراءة تغلق أبوابها .. قلت : إن هذه هزيمة للروح .

«ديهاميل»

إن من يخدم الكتاب يخدم العقـل
ومن يخدم العقل يخـدم العالـم

«إرنست فون فلدنبروخ»

المكتبة هى الذاكرة الوحيدة المستمرة للفكر الانسانى .

«شوبنهور»

أيها الطفل ..
لا تلق بهذا الكتاب هنا وهناك .
امتنع عن ذلك السرور غير المقدس الذى تشعر به .
وأنت تقطع جميع الصور .
احفظه كأنه أعظم كنوزك .

«هيلير بيلوك»

إننا لا نزال أمة أمية ننظر الى الكتاب نظرة المتعظم الخائف المتقنع العازف . ومادمنا لا نرى الكتاب ضرورة للروح ، كما نرى الرغيف ضرورة للبدن .. فنحن مع الخليقة الدنيا على هامش العيش ، أو على سطح الوجود !

«أحمد حسن الزيات
مجلة الرسالة عام ١٩٣٧

كلمـــــات

● إن أكبر جانب من توازننا وسعادتنا موصول بالغفلة واللامبالاة .

● المروءة أن لا تفعل فى السر ما تستحى منه فى العلانية .

● ينظر الناس فلا يبصرون . أما الفنان فقد يبصر دون أن ينظر .

● من دعاء لبعضهم : «أذاقك الله حلاوة السجود للرب .. وبشع اليك الركوع للعبد»

● ما أقرب الناس الى بعضهم بعضاً لولا حجاب الظن والشك ، وتبذل معدن الكلام والرهبة من الألم ، كما لو كان بوسع الحياة أن تعرى من الألم !

● ما أنبل الشعار : أن تجعل من الأمل ديناً ومن الثقة بالنفس ايماناً .

● تباركت الغربة على ما فيها من ضيق وقلق ، وأسى وتمزق . لولاها لما عرفنا بعضاً من حقيقة أنفسنا ، ومكان أوطاننا منا ، ومدى تأصل البشرية فينا .

● ما الحياة ــ بالنظر الى ما فينا من قوى هائلة سجينة وأشواق لاهفة ظمأى ــ إلا فرصة جميلة ضائعة .

«البشير المجذوب»

الحق والعدل والتناسق



● معروف أن للشعراء ، ولكل الفنانين عموماً ، طبعاً سريع الاثارة الا أن سبب هذا المزاج الخاص يبدو مجهولا . إن الفنان ليس فناناً إلا بشعوره المرهف بالجمال الذى يصبح هكذا نبع متع بالنسبة اليه . إلا أن هذا الواقع يستتبع حساً بالبشاعة وانعدام التناسق لا يقل رهافة . لذا فان إساءة أو ظلماً يلحقان بشاعر يثيرانه الى درجة يمكن أن تثير النفوس العادية . أبداً لا يرى الشعراء ظلماً حيث لا يوجد ظلم ، لكنهم يكتشفونه غالباً حيث لا تراه النفوس المبتذلة . إن سرعة غضب الشعراء ليست إذن مزاجاً بالمعنى المبتذل للكلمة ، لكن فقط حدة ذهن رفيعة حيال الشر . ينجم ذلك عن كون الشاعر يحس بقوة بالحق .. والعدل .. والتناسق .

«إدجار ألان بو»

الحرف واللون في تشكيلات بديعة

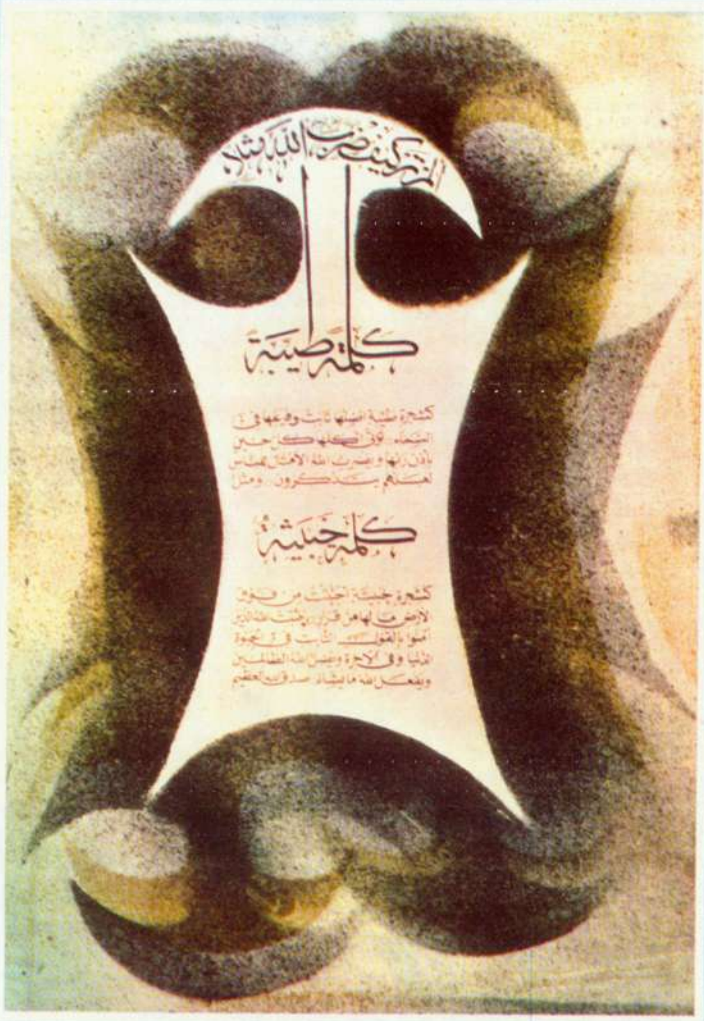
في معرض الخط العربي بالدوحة



« بسملة » بخط الثلث للفنان عثمان حامد

الغمري عقل

- سياحة شاملة بين ألوان وأنواع الخطوط بأساليب مختلفة
- قدرة الخطاطين على استخدام الحرف العربي واللون في تشكيلات بديعة
- جاء المعرض فرصة للهواة من الشباب للإسهام بإنتاجهم .. فظهرت مواهب تبشر بالمستقبل





لوحتان الأولى تشكيل من الآيات القرآنية للفنان الخطاط محمد السباعى .
والثانية « فعال لما يريد » تكوين جميل بخط الثلث للفنان عبد الله الجيلى .

الحرف واللون في تشكيلات بديعة

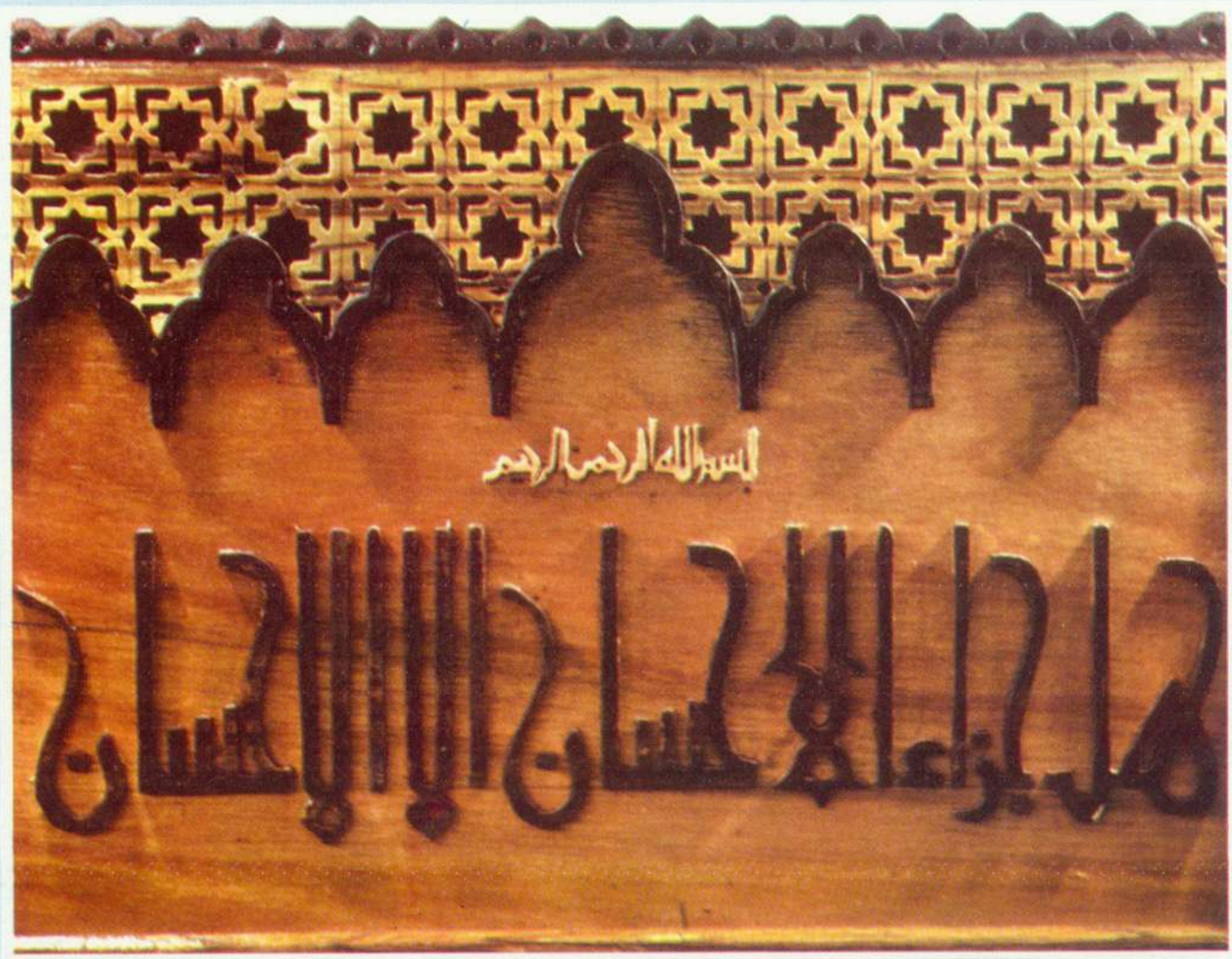
.. وكما هى عادتنا كعرب ومسلمين أن نهمل كل جميل وأصيل فى حياتنا ونطمس كل معالم تفردنا وتميزنا حضاريا وثقافياً ، فقد أهملنا وأسدلنا ستار النسيان على إحدى العلامات البارزة فى حياتنا .. نسينا الخط العربى ذلك الفن العربى الاسلامى الذى يعتبر قمة الابداع الفنى للفنان العربى فى ظل الحضارة الاسلامية .

فبعد أن جاء الاسلام بقوانينه وتعاليمه الجديدة وحرم الرسم التشخيصى وعمل التماثيل وكل مايدور فى هذا المضمار من فنون ، اتجه الفنان المسلم وجهة أخرى وأفرغ طاقته الابداعية فى تجميل الحرف العربي والكلمة والجملة ، وصب ذلك فى اشكال وتركيبات بديعة ، ووصل فى ذلك الى درجة عالية من الكمال والجمال ، وأحاط لوحاته برسوم مجردة عبارة عن تكوينات زخرفية وحداتها الأشكال الهندسية وأوراق الأشجار وفروعها .

وكان التوجه والهدف دينياً خالصاً بلغ حد التصوف ، فقد جعل الفنان المسلم طريقته ووسيلته الى الله عن طريق إجادة الخطوط وتسخيرها لخدمة القرآن الكريم والسنة ، وقد حفظ لنا التاريخ مخطوطات رائعة بالغة الدقة والجمال للمصحف الشريف ، قام بكتابتها وزخرفتها فنانون كبار وهبوا حياتهم وفنهم وجهدهم كله لخدمة الدين فجاء عطاؤهم بلا حدود .

وانك لتقف حائرا أمام الآثار الخطية والزخرفية التى خلفها لنا الفنانون المسلمون الأوائل وتعجب كيف وصلوا الى هذه الدرجة من الاتقان والروعة .. وكيف أننا وبعد مرور سنوات طوال كان المفروض خلالها أن يتطور هذا الفن ، أو على الأقل يبقى على مستواه الرفيع الذى وصل إليه ، كيف أننا تخلفنا فى هذا المضمار وتقهقرنا ووصل بنا الأمر حد الأهمال ؟! .

هذه الخواطر جالت بفكرى وأنا فى طريقى لحضور معرض الخط العربى الأول الذى يقيمه نادى الجسرة الثقافى بالدوحة ، فأن يكون فى الدوحة ناد ثقافى





وأن يهتم الشباب المثقف فى هذا النادى ويفكر فى اقامة معرض للخط العربى ، شىء يدعو الى التفاؤل ويثير كثيرا من الافكار .

التفاؤل بالشباب العربى المثقف الذى يبحث بوعى عن أصوله الحضارية ويسلط ضوءا كاشفاً على ثقافاته وفنونه بالشباب الذى يضيف الى اهتماماته ونشاطاته المعروفة من رياضة وألوان التسلية الأخرى بعداً جديداً هو الاهتمام بما يثقف العقل ويخاطب الوجدان ويرهف الاحساس والشعور .

لوحتان من الخشب المحفور بمنشار « الأركت » للفنان الهاوى المهندس سيد عبد العظيم .
الأولى :«هل جزاء الاحسان إلا الاحسان»
والثانية :جزء من لوحة كبيرة استوعبت أسماء الله الحسنى يتوسطها لفظ الجلالة .

يوم مثير

اليوم الأول للمعرض – يوم الافتتاح– كان يوماً مثيرا ، القاعة غاصة بالحاضرين ، بينهم عدد كبير من المسئولين والمهتمين بالثقافة والفنون بالدوحة ، ومندوبون عن الصحف والمجلات وأجهزة الأعلام الأخرى .

ولكن هل سيشهد المعرض إقبالا جماهيريا فى الأيام التالية ؟ هذا هو الأمل .

المعرض يعتبر ساحة فنية ممتعة ومفيدة بين أنواع وألوان الخطوط المختلفة ، وكل لوحة من اللوحات قطعة فنية مكتملة لها جوانب الجمال الخاصة والمميزة ، وتستحق وقفة تأمل ودراسة لهذه الجوانب ، من اختيار لنوع الخط وتناسق الألوان وانسجامها ، وما يجمع كل ذلك من دقة وبراعة فى التنفيذ .

اشترك بالمعرض عدد من فنانى الخط العربى المحترفين هم :
عثمان حامد ، عبد الله النور الجيلى ، حسنى متولــى ، محمد الأمين محجوب السباعى ، والغمرى عقل .

واشترك بالمعرض أيضاً خطاط هاو يقف بأعماله الى جانب الخطاطين المحترفين هو المهندس سيد عبد العظيم الذى ساهم فى إثراء المعرض بلوحاته الخشبية المحفورة يدوياً بمنشار «الأركت» مستخدما ومستفيدا من ألوان الخشب الطبيعية وبالحرق أحياناً فى الأماكن التى يريد إبرازها بشكل مختلف ولوحاته جميلة تلفت النظر بدقتها والجهد الكبير والزمن الذى تستغرقه كل لوحة حتى تكتمل ، والهواية المتأصلة فى نفس هذا الفنان هى التى تجعله يستمر فى العمل مدة سبعة شهور ليقدم لنا فى

الحرف واللون في تشكيلات بديعة



لوحة بخط الثلث للخطاط الغمرى عقل .



وتشكيل جميل بالألوان لجملة «الله أكبر» للفنان الخطاط حسنى متولى .



لفظ الجلالة للفنانة الهاوية وفاء أحمد الحمد

النهاية لوحته الكبيرة التى استوعبت أسماء الله الحسنى كلها .

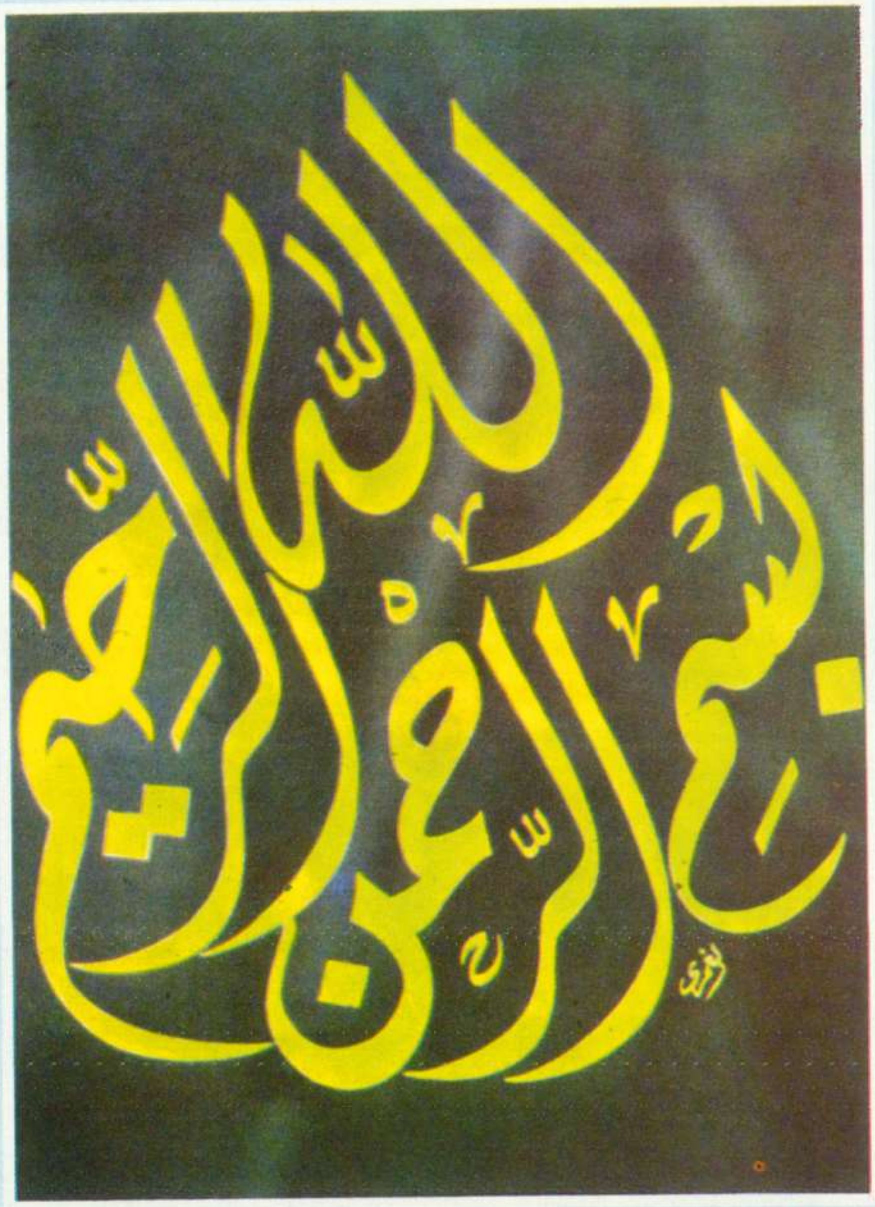
والمعرض فى مجمله تحفة فنية رائعة وكثير من اللوحات بلغ حدا كبيرا من الروعة والجمال ، وتميز كل فنان من العارضين بأسلوبه الخاص فى كتابة الخط وطريقة التنفيذ .

● عثمان حامد .. إلى جانب خطوطه الممتازة تميز بانتاجه الغزير الذى يغطى كل أنواع الخطوط تقريباً من الكوفى القديم ، والكوفى المزخرف ، والثلث ، والديوانى ، والتعليق «الفارسى» ، والرقعة والنسخ ، وقد جال الفنان عثمان حامد بفرشاته وقلمه بأساليب وطرق متعددة ليقدم لنا مجموعة من اللوحات ما بين مخطوط ومطبوع ومنفذ على الزجاج أو الخشب .

● حسنى متولى : استخدم لفظ الجلالة فى تشكيلات بديعة وقدم لوحات من الكوفى المعقود والمتشابك يظهر من خلالها تناسق الشكل مستفيداً من امكانية التشكيل التى يتيحها له الخط الكوفى بواسطة تقابل الحروف المتماثلة وتشابك الألفات واللامات . واشترك الفنان الخطاط حسنى متولى فى عدة معارض سابقة ، واقام معرضاً خاصاً للخط العربى فى باريس كان فرصة لألتقاء الأوروبى بالخط العربى كفن تشكيلى والتعريف بتاريخ هذا الفن الجميل .

● عبد الله النور الجيلى : فنان متمكن أثرى المعرض بلوحاته ذات المستوى الممتاز ، وقدم لوحات خطية جميلة ، وله تجارب تلفت النظر وتثير الاهتمام فى عمل لوحات « الأركت » من الخشب والبلاستيك . وهو بارع فى استخدام بعض الكلمات أو الجمل معكوسة ومتقابلة ، ومن بدايات الحروف ونهاياتها المتشابهة والمتداخلة تتكون أشكال زخرفية جميلة هى فى الاساس خط جميل .

وللجيلى خبرة سابقة فى مجال العرض فقد أقام معرضه الأول للخط العربى بالسودان علم ١٩٧٤م .



بسملة بالخط الديوانى للخطاط الغمرى عقل .

● وفى سلاسة وعذوبة وتناسق وانسجام فى الألوان قدم الفنان الخطاط محمد الأمين السباعى لوحاته الخطية مستخدماً الحروف والكلمات فى عمل تشكيلات غاية فى الجمال .. وما قدمه السباعى للمعرض جهد كبير يستعد به لاقامة معرض مستقل خاص بانتاجه .

● واشترك الغمرى عقل ببعض اللوحات من خط الثلث والديوانى والتعليق « الفارسى » .

● وإلى جانب الهاوى المهندس سيد عبد العظيم الذى بهر الجمهور بأعماله الفنية من لوحات « الأركت » ظهرت موهبتان شابتان تبشران بمستقبل إذا صقلا موهبتهما بالدراسة والتدريب . هاتان الموهبتان هما : الطالبة وفاء أحمد الحمد والطالب سلحح عبد العال .

بقيت هذه الخواطر

وفى النهاية اتوجه بكلمة شكر عميقة الى كل من فكر أو ساهم بجهده فى إخراج هذا المعرض الى النور وإلى رئيس نادى الجسرة الثقافى وأعضائه من الشباب المثقف الذين أتاحوا لنا فرصة هذا اللقاء الفنى الخصب والممتع والمفيد .

بقيت بعض الأفكار التى أثارها هذا المعرض فى ذهنى ، وهى جميعاً تتصل بفن الخط وكيف نحافظ عليه ولا نتركه يضيع ، وكيف نطوره ونوليه من العناية والاهتمام ما يجعله يحتل مكانه بين سائر الفنون ، وفى هذا المجال أقدم بعض المقترحات :

أولا : يجب جمع وتدوين كل تراث الخطاطين الأوائل وطبعه فى كتيبات تكون فى متناول محبي هذا الفن ومتذوقيه ودارسيه ، وبذلك نحفظها من الضياع والاندثار .

ثانيا : إقامة معارض دائمة للخط فى كل وطن عربى باحدى قاعات العرض أو فى مكتبة من المكتبات العامة لتوعية الناس بقيمة هذا الفن العربى الأصيل ، والارتقاء بمستوى تذوقهم الفنى ، فمن الغريب أن العرب عامة والمثقفين خاصة لا يستطيع أحد منهم أن يفرق بين أنواع الخطوط ، أو يميز بين الجيد والردىء منها ، بينما يستطيع نفس الشخص أن يفلسف ويحلل لوحة تشكيلية ويكتب فى تقييمها الصفحات الطوال .

ثالثا : العمل على إنشاء مدارس لتحسين الخطوط أو تخصيص أقسام للخطوط بكليات الفنون الجميلة كما هو متبع فى كلية الفنون الجميلة بالخرطوم وهى الكلية الفنية الوحيدة — فيما أعلم — التى تخصص قسماً بها لدراسة الخط العربى .

رابعا : الاهتمام بتدريس الخط العربى فى المراحل الدراسية الأولى وإعطاؤه نفس الأهمية التى تعطى لباقى المواد ، ولا يخفى ما فى هذا الأمر من فائدة كبيرة — الى جانب الفائدة الفنية — هى تعويد الصغار منذ بداية حياتهم طريقة الكتابة الصحيحة .

خامسا : أن يعود الى حياتنا التقليد الجميل الذى كان يهتم به أجدادنا وتكون اللوحة الخطية جنباً الى جنب مع اللوحة التشكيلية على جدران منازلنا ومكاتبنا ودور الخدمة العامة .

ولعلنا بذلك نكون قد أدينا بعض الواجب علينا نحو فننا العربى الأصيل الجميل ، فن الخط ، وبدأنا بداية صحيحة للاهتمام به والعمل على نشره والارتقاء بمستواه ، واتحنا الفرصة كاملة للفنانين الموهوبين من الخطاطين أن يثروا حياتنا الفنية بما يقدمونه من فن جميـــل .

الغمـرى عقل



كمال سعد

لقاء مع الفنان حلمي التوني

واتجاه أصيل في الرسم للأطفال



الفنان حلمى التونى .. رحلة مع ثقافة الطفل



لأول مرة نرى الفن الاسلامى فى كتب الأطفال

كيف نربط الطفل العربي بتراثه ونحمي عقله من الثقافات الوافدة ؟

من الكلمات التى مازالت عالقة فى ذهنى ، تلك التى قالها الأديب العالمى «دستويفسكى» من واقع خوفه على كل طفل فى العالم : «أحب الأطفال بوجه خاص لأنهم أبرار وبلا خطيئة مثل الملائكة .. إنهم سبب سعادتنا ونقاء قلوبنا .. اللعنة على من تهفو نفسه الى أذى طفل» ..

فمن العبارة نرى أن الأديب العالمى لم يكتف باعلان حبه للاطفال ، بل رنا ببصره نحو السماء لتصب لعنتها على هؤلاء الذين يلوثون روح الطفل وعاطفته وعقله أيضاً !

وهذه العبارة بما فيها من احساس عذب نقى ، تذكرنا بأطفالنا الذين يولدون فى الحياة ولا يجدون من يأخذ بأيديهم سواء فى المدرسة أو الشارع أو البيت أو حتى فى المؤسسات الثقافية التى مازالت ـ رغم جهودها ـ عاجزة عن العثور على الطريق الصحيح لتربية الطفل وتشكيل ثقافته فى عالم اليوم ..

ولأن طفلنا فى هذا العالم الكبير من حوله يواجه قدره ومستقبله ومصيره .. وحيداً .. حائراً .. ضارباً على غير هدى فى كل اتجاه .. كان اهتمامى دائماً بهؤلاء الذين يكتبون ويرسمون للصغار .. وفى مقدمتهم الفنان التشكيلى المعروف حلمى التونى الذى يضع نصب عينيه فى كل أعماله للطفل أن ينمى ميله للقراءة وتذوق الأدب والجمال ، ويعطيه دائماً رصيداً من المعلومات واللغة التشكيلية التى تأخذ بيده فى مرحلة الطفولة وتربطه بتراثه وحضارته العربية

لون وتعلم

هدهد سليمان
عليه السلام





قصص القرآن الكريم للفتيان والفتيات وأسلوب أصيل فى الرسم

لماذا أهملنا الفنون الإسلامية وبالغنا في الاهتمام بفنون الغرب ؟

الأصيلة ، حامية له ولعقله البكر من أية تأثيرات وافدة تحول بينه وبين أن ينهل من نبعه الحقيقى المليء بالفضائل والقيم والمثل والفن الرفيع ..

المنبع : كنز الحضارة

والفنان حلمى التونى بدأ رحلته قبل تخرجه من كلية الفنون الجميلة فى القاهرة عام ١٩٥٨ ، ومارس العمل الفنى فى الصحافة وتولى مسئولية الأشراف الفنى فى مجلة المصور عام ١٩٦٠ ، ثم تولى مسئولية المدير الفنى لمجلات دار الهلال حتى عام ١٩٧٣ ، حيث انتقل الى الاقامة فى بيروت ليساهم فى تصميم واصدار عدة مجلات وصحف جديدة فى مختلف الأقطار العربية ..

وقد عمل فى الرسم لمجلات الأطفال وكتب الأطفال منذ التخرج ، وعمل فى التصميم الفنى لمسرحيات العرائس ، وتخصص لفترة طويلة فى تصميم ورسم أغلفة الكتب ، حيث قام بتصميم ما يزيد على ١٥٠٠ كتاب حتى اليوم ، كما قام بتصميم ورسم عدد من الملصقات لبعض منظمات الأمم المتحدة ، وفاز بعدة جوائز أولى فى مسابقات عربية لتصميم الملصقات ، وهذا بخلاف مشاركته بلوحاته الفنية فى عدد من المعارض العربية والدولية .. وهو بعد ذلك المشوار الطويل المليء بسنوات من الكفاح والعرق ، يتولى بجانب نشاطاته الفنية المتعددة مهام المشرف الفنى لدار الشروق للنشر والخبير الفنى والمستشار لعدة مؤسسات ثقافية ..



لوحات من الفن الاسلامى، ورسم للتلوين ، محاولة لتعريف صغارنا بتراثهم وحضارتهم .





وحلمى التونى فى رحلته الجديدة التى نراها أمامنا ، يركز على أصالة الفن وعلى ضرورة المساهمة فى تقديم الكتب التى تؤكد هوية الطفل العربى ، والتى لا تكتفى بأن تسد الفراغ الفنى الذى يعانى منه الكبار والصغار على حد سواء .. واتجاهه الى الأطفال ينبع من إيمانه بأن كل جهد يوجه نحو عالم الطفولة ، إنما هو استثمار جيد وواجب من أجل ضمان مستقبل أفضل لأبناء هذه الأمة ، فهو يعتبر أن العمل من أجل الطفل عمل استراتيجى ، يجب ألا يقتصر فقط على سد جوع الطفل للمعرفة والثقافة بأى شكل من الأشكال ، وإنما



ملكة سبأ على عرشها .. من قصة هدهد سليمان

يجب أن نملأ عقول الصغار بمعرفة أصيلة وثقافة عربية نابعة من ذلك الكنز الهائل الذى تركته لنا الحضارة الاسلامية والذى مازال مهملا ومجهولا

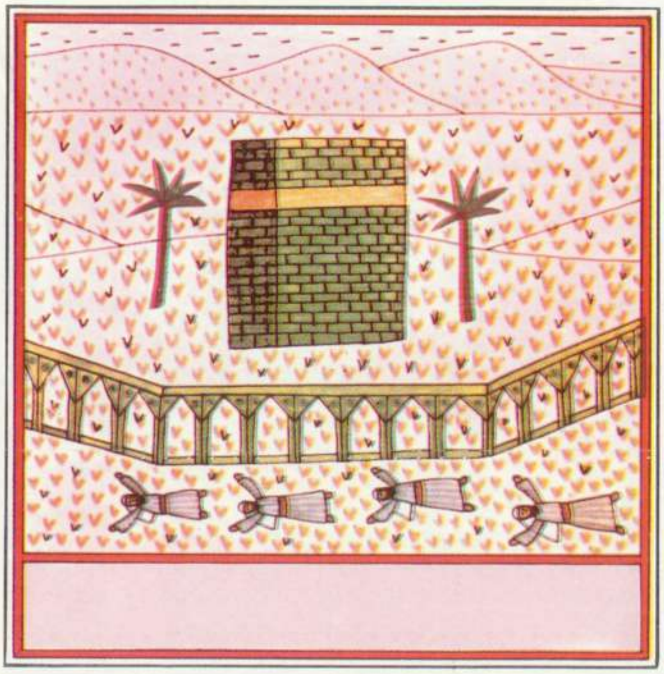
وبداية فان الاتجاه الجديد الذى يقدمه الفنان حلمى التونى للأطفال ، يلخصه فى أن هناك انقطاعاً تاماً بين المواطن فى بلادنا وبين تراثه وحضارته ، فاذا سألت أى مواطن متعلم عندنا عن معرفته بواحد من مشاهير الفن العالميين مثل بيكاسو ، لكانت اجابته فى أغلب الأحوال : نعم .. ولو قلت له هل تعرف رينوار ؟ لأجاب بأنه سمع عنه .. وهل سمعت عن ليوناردو دافنشى ؟ .. طبعاً وأعرف أيضاً لوحته الشهيرة الجيوكندا .. وربما أضاف أيضاً على اجابة السؤال الأخير : ولدي نسخة من هذه اللوحة الشهيرة فى صالة منزلى !

إن نفس ذلك المواطن الذى على دراية بالفن الغربى ومشاهير الفنانين العالميين لو رأى كنزاً من الكنوز الفنية الاسلامية ملقى فى الطريق العام ، فأغلب الظن أنه لن يعيره أى اهتمام ، لأنه لم يره من قبل ، وربما داس عليه بقدميه دون أن يدرك قيمته ودون الشعور بأنه يدوس على ماضيه وأصله وتراثه !

وذلك يحدث فى نفس الوقت الذى نجد فيه أن تصاوير المخطوطات العربية الشهيرة ، والتى تسمى فى عالم الفنون بالمنمنمات لصغر حجمها – وهى الشكل الوحيد تقريباً لفن التصوير الاسلامى – تعتبر اليوم من كنوز الفن فى العالم ، ولا يخلو متحف هام فى أى بلد من بلاد العالم منها أو من قسم خاص لعرض هذه الآثار الفنية الهامة والنفيسة !

ومعنى ذلك باختصار أننا أمام مأساة لم تحدث لأية أمة من أمم العالم كله .. إذن ما الحل ؟





التونى ـ إلا أن نبدأ بالطفل ، فمن المؤكد أن الطفل الايطالى تعطى له الفرصة كاملة لمعرفة آثار عصر النهضة الأوربية وفنون آثار روما القديمة ، وكذلك الطفل اليونانى يعلمونه كيف يميز فنون الحضارة الاغريقية عن غيرها ، ومعظم أطفال العالم على هذا الحال ، بينما يفاجأ أطفالنا بأن كل ما يقدم لهم لا صلة له بماضينا أو حضارتنا ، وهذا هو العجز الذى يجب أن ننتبه الى خطورته!

وأقول للفنان حلمى التونى : إذن كيف نبدأ بداية حقيقية لربط الطفل بتراثه وحضارته الاسلامية ؟

ويقول : الاجابة على هذا السؤال هى التى دفعتنى الى التفكير فى عمل شىء ولو متواضع لمحاولة سد هذا النقص بقدر استطاعتى المحدودة ، وحتى تألف عيون المواطن منذ طفولته فنوننا الاسلامية ، لذلك فكرت فى عمل سلسلة كتب باسم «المنمنمات» وهو اسم غير مألوف ، محاولا الاستفادة من شغف الفتيات والفتيان بالتلوين ، وقدمت لهم نماذج من فن التصوير الاسلامى المعروف بفن المنمنمات بدلا من كتب التلوين الأجنبية التى تقدم أشكالا غريبة عن بيئة الطفل وعالمه الأصيل .. وراعيت أثناء اختيار لوحات كل كتاب أن تكون علي قدر من البساطة وأن تكون مختارة من مختلف الأقطار والبلاد الاسلامية حتى تتمثل فيها مختلف

■ كتاب الطفل سلاح خطير يجب ألا يترك في يد الطامعين !

■ أغلب مشاهير الكتاب العرب يعتبر الكتابة للطفل شيئاً تافهاً لا يليق بمقامهم !

أساليب الفن الاسلامى ، وأن تصور هذه الرسوم مختلف الأنشطة كالحدائق والفروسية والحياة اليومية بما فيها الفلاحة والعلوم .. وكل هذه اللوحات اخترتها من مخطوطات قديمة وشهيرة وذات قيمة نادرة ثم أعدت رسمها بخطوط الأبيض والأسود مع تقديم نموذج للتلوين مع كل صورة ، وحرصت على وضع قدر من المعلومات تحت كل لوحة لأثير فضول الطفل فى معرفة المزيد عن حضارته ..

● ولكن لماذا اخترت أسلوب التلوين بدلا من تقديم الصور الجاهزة ؟

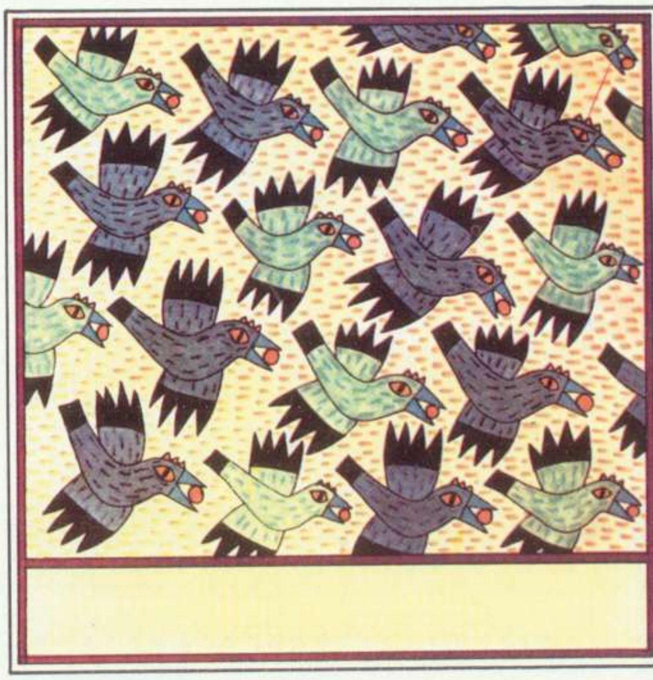
ـ لأن هذا هو الأسلوب الأمثل فى تثقيف الطفل وتعليمه .. إذ أنه من المعروف أن من أهم طرق التعليم هو مشاركة الطفل فى النشاط المطلوب ايصاله أو تعليمه ، فهناك فارق بين سماع الموسيقى ومحاولة عزفها .. العزف مشاركة فى العمل الفنى تسهل وتفتح الأبواب أمام المتلقى لكى يكتشف مواطن الجمال فى الموسيقى بصورة أفضل !

● وهل هذه هى المجموعة الوحيدة التى قدمتها فى المجال الاسلامى ؟

ـ قدمت سلسلة أخرى من الكتب للأطفال وهى أيضاً بعنوان «لون وتعلم» ومن قصص القرآن ، وأخرجت منها حتى الآن «سفينة نوح» . و «هدهد سليمان» و «فيل أبرهة» أى أن السلسلة مختارة من قصص الآيات الكريمة التى تثير خيال الطفل لاحتوائها على حيوانات وطيور .. كما أن هذه القصص مكتوبة بشكل بسيط ومراعى فيها عدم الوقوع فى المحاذير المتعلقة بتصوير الشخصيات الدينية .. وقد راعيت أثناء رسمها عدم اللجوء الى الأساليب الغربية فى الرسم مثل أساليب والت ديزنى وخلافه ، واعتمدت على أسلوب مستوحى من الفنون الاسلامية وأيضاً الفنون الشعبية ، لايمانى بأن هذه الأشكال موجودة ومستقرة فى وجدان المواطن المسلم العربى ، وأنه بتكرارها أمامه نوقظ فيه الوجدان الحقيقى والحس الأصيل ونقيم جسراً من الألفة والتعارف بينه وبين حضارته الاسلامية العظيمة !

أزمة المؤلفين

وتقودنا فكرة الفنان حلمى التونى



الفيل ، والكعبة ، والطير الأبابيل .. ثلاث لوحات من كتاب «فيل ابرهة» فى القران الكريم ، قصص عظيمة ورؤية فنية يجب أن يتعرف عليها فتياننا وفتياتنا

لتقديم فنون الحضارة الاسلامية للطفل ، الى الحديث عن أزمة كتاب الطفل ، خاصة وأنه حتى سنوات قليلة كان هناك اهمال غريب لهذا الجانب الهام ..

ويقول حلمى التونى انه فى كل مناسبة نادى بضرورة انتاج كتب عربية واسلامية أصيلة للطفل ، حتى نشأت دار الفتى العربى وقدمت كتباً عربية أصيلة تقف فى وجه الكتب الأجنبية البعيدة تماماً عن حياة طفلنا ، وكان لنجاح كتب الفتى العربى صدى هام وكبير تنبه له الناشرون ، فأصبح كل واحد منهم يسابق الآخر فى انتاج مثل هذه الكتب ، وبالطبع أدى هذا السباق الى مزالق خطيرة وسلبيات كثيرة بسبب انطلاق معظم دور النشر من منطلقات تجارية بحتة !

وقد حدث ذلك نتيجة لتقصير معظم أجهزة الحكومات التربوية والتثقيفية عن الدخول فى هذا المجال بوعى وبمسئولية ، فكتاب الطفل سلاح خطير لا يجب أن يترك فى يد الطامعين فى الربح السريع !

● اذن فمازالت الأزمة مستمرة ؟

– وستظل مستمرة لفترة طويلة ، نظراً لأن انقطاعنا الطويل وتغيبنا عن انتاج كتب الأطفال جعلنا لا نملك القاعدة المطلوبة من الكتاب المتخصصين ، خاصة وأن أغلب الذين يكتبون للكبار من المشاهير يعتبرون أن الكتابة للطفل شىء صغير وتافه ولا يليق بمقامهم ، مع أن معظم الكتاب العالميين كتبوا للطفل ولم يأنفوا من ذلك ، فمثلا الكاتب المسرحى الشهير «يوجين يونسكو» ألف ثلاثة كتب للأطفال أثارت ضجة عالمية وثار حولها جدل شديد نظراً للتناول الجريء الذى اتبعه فى كتابة هذه الكتب .. وشاعرنا المعروف أحمد شوقى كتب شعراً للأطفال وأغانى للأطفال .. ونصل من ذلك كله الى أن هناك أزمة فى الكتابة للطفل مما يدعو بعض الناشرين المتلهفين الى السير فى الطريق السهل واصدار الكتب الأجنبية المترجمة .. وهذا بالطبع لا ينصب على دور النشر كلها ، لأن هناك دور قليلة مثل دار الشروق ودار الفتى العربى تهتم بتكوين وتأصيل ثقافة الطفل العربى المسلم على أرضية سليمة !

مشاكل فنون الطفل

وتتوالى أسئلتى على الفنان حلمى التونى وكلها تدور حول ثقافة الطفل وتنمية قدراته بصورة لا تعزله عن ماضيه العريق ، ونصل الى هذه الاجابات أثناء الحوار الذى تناول كل شىء :

● على الحكومات أن تشارك فى تقديم ثقافة الطفل وتعتبرها نوعاً من الخدمات العامة لبناء المستقبل ، ويمكنها أن تتعاون فى ذلك مع دور النشر المتخصصة ذات السمعة الطيبة ، تماماً كما تلجأ الى بيوت الخبرة الأجنبية عندما تشرع فى انشاء مشروع هام .

● اشتراك الدولة فى هذا المجال ، بروح بعيدة عن البيروقراطية ، سيؤدى الى تقديم الكتاب الى الطفل بسعر مقبول ويتمشى مع كافة القدرات الاقتصادية ..

● أكدت احصائيات الأمم المتحدة أن نسبة التعداد العام للصغار فى بلادنا أكثر من نسبة الكبار ، ورغم ذلك نجد نقصاً فى مجلات الأطفال ومبالغة فى اصدار مجلات للكبار .. وهذا من ناحية الكم ، أما من ناحية الكيف فالصورة محزنة لأن معظم هذه المجلات منقولة من نصوص أجنبية ، بل وبعضها ينقل بالحرف والنص عن مجلة أجنبية واحدة ويخاطب طفلنا بنفس المقاييس التى وضعها متخصصون لمخاطبة الطفل فى هذه البلاد الأجنبية !

● الانتاج العربى للطفل فى التليفزيون مازال ضعيفاً ، وكل ما يقدم لطفلنا من هذا الجهاز الحساس لا صلة له بواقعنا ، ولن يحل ذلك إلا دخول الحكومات فى الانتاج التليفزيونى واعتباره خدمة من الخدمات الواجبة مثل الرعاية الصحية وتوفير الغذاء !

● مسرح العرائس هو أحد الوسائل الفنية لتقديم ثقافة الطفل والترفيه عنه وتنمية ما يسمى بالتربية الفنية .. ورغم أهميته فانه يعانى اليوم من الانحدار الشديد نظراً لعدم جاذبيته التجارية للمنتج ولحاجته الدائمة لدعم من الدولة ، والملاحظ أن الاهتمام الذى كان قد بدأ لهذا المسرح منذ أكثر من عشر سنوات قد بدأ يفتر ويتقلص ، وهذه ظاهرة تدعونا للأسف والحزن العميق !

● ● ● ● ●

من كل ذلك وغيره ، ندرك أن اللقاء مع الفنان حلمى التونى يجعلنا نتنبه الى حقل هام هو حقل ثقافة الطفل الذى يجب ألا نتركه لتسيطر عليه الثقافة الأجنبية ، فمن العبث أن نتوقع أن يكون مواطن الغد أصيلا ووطنياً ومحباً لبلاده وحضارتها وثقافتها ، ونحن نتركه ونهمله طفلا ، وندعه فريسة لحضارات وثقافات بعيدة عن وجدانه ، تضع حائلا بينه وبين حضارته الاسلامية والعربية بكل ما فيها من كنوز !

كمال سعد

■ قصة قصيرة ■

عبد الله الطوخي

ذو القرنين



وقع « الشيطان » فى حب رسامة جميلة ، فماذا يفعل كي يكسب قلبها ؟ ذهب الى «شيطان الفن» ورجاه باسم الأخوة الشيطانية أن يمنحه موهبة الرسم كي يرسم لها لوحة تدير رأسها ويفتح بها قلبها .. غير أنه فوجىء بشيطان الفن يضحك مقهقهاً ساخراً ويقول : أو تظنني شيطاناً بحق مثلك ؟ لا .. ياذا القرنين .حقاً إن عنصر النار هو الذى يجمع بيننا ، لكنك النار التى تحرق وتدمر . وانا الجذوة التى تضيء وتشع وتلهم . لقد اسمونى شيطاناً من باب التجاوز . من فرط دهشتهم لما أوحى لهم به من روائع . إنما أنا «ملك» (بفتح اللام) ملك عظيم أيها الشيطان .. تذكر هذا ! .

أحنى له الشيطان رأسه خشوعاً وولاء وعاوده رجاءه : اذن فتكرم علي أيها الملك وأعطنى من جذوتك . لسوف تفعل بهذا فعلا عظيماً .. ستقلل من عدد الشياطين شيطانا .. وتزيد من عدد المحبين .. محباً .. عاشقاً ! .

ابتسم الملك وقال له منبهاً : وماذا انت فاعل فى قرنيك ؟ اعلم انك تجيد اخفاءهما ، مثلما انت الآن فاعل . فماذا لو ظهر فجأة فى جبهتك وأنت واقف معها

قال الشيطان وهو يدعك جبهته الناعمة اللامعة بشدة : لا .. لن يظهرا بعد اليوم فقد أجتثثتهما من جذريهما . اطمئن . سوف أبدأ بالحب حياة جديدة . فقط امنحنى هذه الموهبة ! .

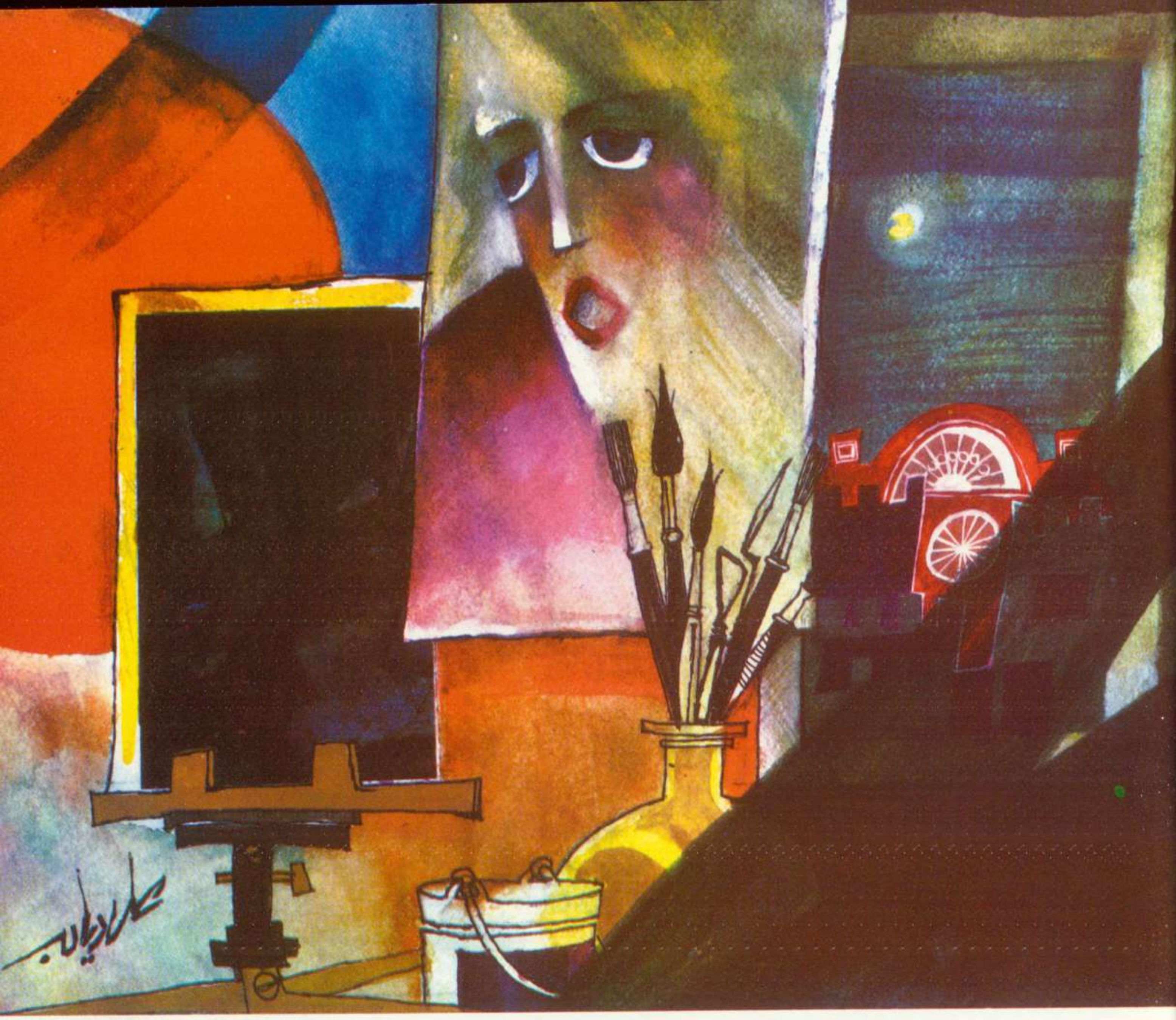
قال الملك : ولكن لماذا موهبة الرسم بالذات ؟ ألأنها رسامة ، تريد أن تكون رساماً مثلها ؟ إن الناس لا يستهويهم إلا الأشياء التى لا يملكونها .

قال الشيطان بحماس وتوتر : هذا صحيح . فلتعطنى.. ماذا تعطنى ؟ .. آه .. اعطنى موهبة الشعر واصبح شاعرا . الشعر ساحر القلوب الأعظم !

ابتسم الملك ابتسامة ذات مغزى وقال له: اذهب .. فأنت شاعر .. ولنرى !

● ●

للحظ كانت الرسامة قد اقامت معرضاً لرسومها فى إحدى صالات العرض المعروفة وسط المدينة ، واليوم يقيمون احتفالا بمناسبة افتتاح معرضها . وعلى الفور رسم خطته وشرع فى تنفيذها : انتظر حتى انتهت كل الكلمات التى قيلت تحية لها ولأعمالها ، ودخل هو مستأذناً .. خجولا .. بقصيدته ، فأحدث جواً رائعاً فى الحفل . ووجدت الرسامة نفسها مندفعة إليه لتشكره ، فقال لها إنه



هو الذى يشكرها .. فهو من زمن كان قد توقف عن قرض الشعر وجف احساسه بالجمال ، واذا بجمال خطوطها وألوانها ، وتعبيراتها ، يفجر فيه النبع الراقد الراكد ، والشعر يخرج منه بلا شعور !

ازداد انفعالها وأمسكت بكفيه متأثرة . حينذاك نظر فى عينيها وقال بصوت مرتعش : إن قصيدة أخرى تولد الآن فى قلبى . فهل تتكرم الملهمة العظيمة بسماعها بعد انتهاء الحفل ؟ .

– ولماذا بعد الحفل ؟ تعال بعيدا عن هذه الضجة وأسمعنى اياها !

وخرجا من صالة العرض !

● ●

لم تمض ايام حتى كانت قصة الحب بين الرسامة المشهورة الجميلة ، وهذا الشاعر الموهوب المجهول ، هى حديث أهل الفن .. فهى لم تنس فقط معرضها ، بل نسيت أيضاً اصدقاءها وصديقاتها ! فرح البعض لها ، لأنها وجدت الحب الذى يروى قلبها ، وحزن البعض الآخر لأن هذا الحب جاء على حساب فنها .. وصداقاتها . لكنها لم تكن تشعر بهؤلاء وهؤلاء . كانت تعيش الحب بكل ما تملك من صدق وحنين واشتياق مع هذا الذى يتفجر شعراً من مجرد لمسة من يدها ، أو من نظرة من عينيها . أبهجها هذا الشعور الذى لم تحس به من زمن طويل .. الشعور بالبهجة وحب الحياة .. وأن ثمة طاقات بداخلها تدعوها للجرى وللرقص والانطلاق ، وكأنها ارتدت الى أيام الطفولة : آه .. كم هى الحياة حلوة وجميلة معك ياشاعرى الحبيب !

أما هو ، فكان يمارس مع نفسه نشوة الشعور بالانتصار . لقد استطاع أن يحتويها الى الحد الذى نسيت معه كل شىء .. حتى فنها .. وراحت تتعبد فيه ! .

قال لها : أنت من زمن لم ترسمى . أوحشنى منظرك وانت ترسمين !

احتضنته بحنان وقالت : سأعود الى الرسم . وسأبدأ بك . سأرسمك .

وبدأت تعد أدواتها بحماس .

بلا وعى ، رفع يده ومر بأصابعه على جبهته ، يطمئن لعدم وجود القرنين ، ثم قال منتشياً سعيدا : هذا مجد عظيم لى .

– أجلس هنا . أمام النافذة . فى الضوء .

ارتعشت اعماقه لكلمة «الضوء» . عاوده الخوف من أن تكشف الأشعة آثارا قديمة خفية لموقع القرنين فقال لها :

– عيناى تتعبان من الضوء .



ذو القرنين

(واستدار بوجهه عن النافذة) ارسميني فى لوحة يكون عنوانها : الرجل فى الظل

قالت وهى تمسك برأسه وتدير وجههنحو النافذة :

ـ لا .. بل سيكون عنوانها « الحب فى الضوء» . ابق هكذا أرجوك .

جلس وكل وجهه مغمور بالنور . غمست ريشتها فى الوان الزيت وبدأت ترسمه . لكنها فوجئت باحساس غريب ينتابها . كانت تحس أن اصابعها تفتقد خفة الحركة وليونتها وانطلاقها . وجدت نفسها ترسم ببطء . ومشاعرها وهى تختار الألوان غير مؤكدة . أحست بالحزن .. أن يحدث لها ذلك مع أول لوحة ترسمها لحبيبها : يبدو انني نسيت الرسم . وألقت بالفرشاة جانباً وبدا عليها الاحباط الشديد !

أحس بانزعاج هائل . واستدار سريعاً بوجهه عن الضوء . تراها أحست بشيء ؟ لقد سمع أحد المحتفلين بها يوم افتتاح معرضها يقول عن فنها : « انها لا ترسم ماترى . انها ترسم ماتحس . انها لا تتوقف بريشتها عند بشرة الانسان ، بل تدخل الى أعماقه وتكاد تحس بشرايين دمائه !»

تراها أحست بالقرنين اللذين أخفاهما فى اعمق أعماقه ؟!

قال لها وقد قرر أن يتخلص من حكاية رسمها له : فلنؤجلها عدة ايام .

قالت بحزن ممزوج بالغضب وبالتحدى : لا .. بل عدة ساعات فقط . هيا نخرج ونقابل بعض الأصدقاء والصديقات . ذلك ماسيحرك الريشة والألوان فى يدى . من يوم أن انقطعت عنهم ، وأنا لم أرسم شيئاً ! .

تجهم : أم من يوم أن أحببتنى ؟

ـ ماهذا الذى تقول ؟ أنت ايضاً منذ ان انقطعت عن اصدقائك الذين لم أرهم حتى الآن ، وقصائدك بدأت تقل . الفن يأخذ لهيبه من الاحتكاك بالآخرين !

ـ بدأت تضجرين منى !

ـ لاتقل هذا أرجوك . ،اياك أن أسمعها منك مرة أخرى . أنا أجدد حبى لك بالخروج الى الحياة . عندى اقتراح .

ـ ماذا ؟

ـ أن نزور بعضاً من اصدقائك أنت .. ليس ضروريا أن نزور اصدقائى . واصدقاؤك سوف يصبحون اصدقاء لي . ما رأيك ؟

أحس بضبابة تملأ رأسه .. قال مسرعاً .. راسماً على شفتيه ابتسامة حماس مفاجئة .

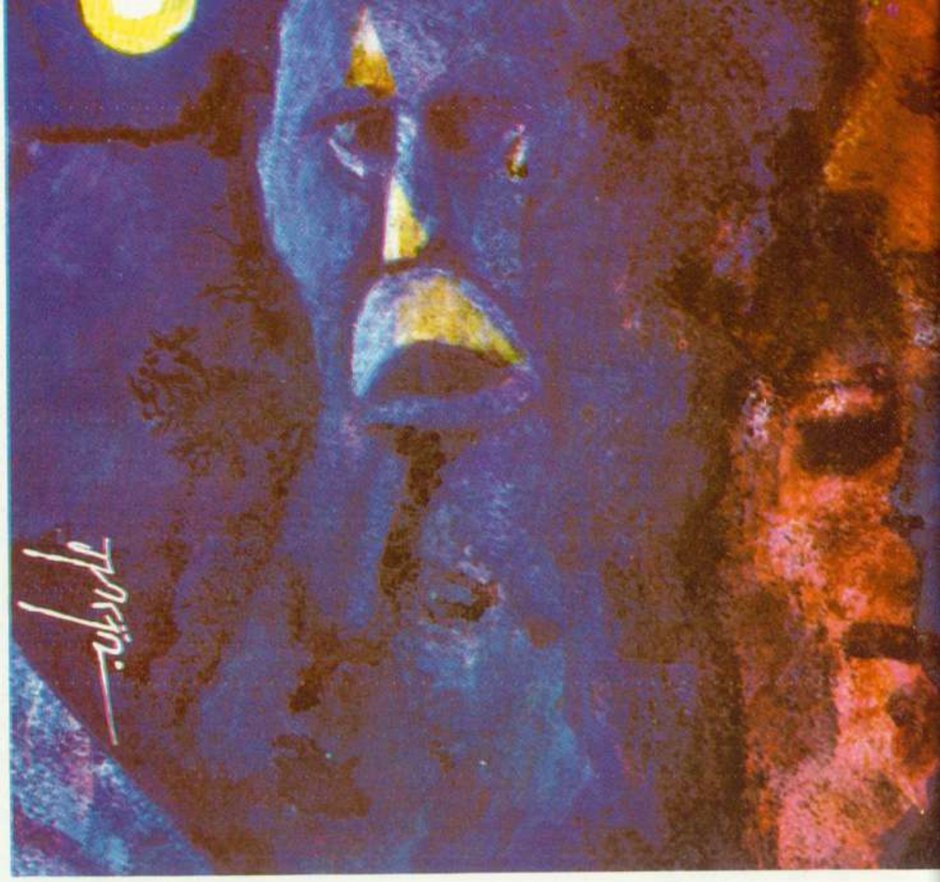
ـ لا أعرف مكاناً الآن لأحد من أصدقائى . فلنزر أصدقاءك أنت !

تهلل وجهها : سنزور استاذى الذى اكتشفنى وقدمنى للحركة الفنية ، لابد أن أعرفك عليه . أنا واثقة أنك ستحبه .

● ●

كان الاستاذ يعيش وحده فى بيته . كتب واوراق ولوحات واضواء هادئة مرسلة من «اباجورات» متناثرة فى الأركان . وحين رآها أول مافتح لهما الباب تندفع فى حضنه وتقبله ، ويقبلها هو ايضاً ، أحس بالغيرة تلسعه ، وبثمة صهد يخرج الى حلقة من جوفه . فرغم أن «الأستاذ» يكبرها بما يقرب من عشرين عاماً إلا أنه بدا له ، بشعره المفضفض الهائش ، وصدره المفتوح ، ووجهه المشع بالثقة والمرح والفرح ، بدا له كثور ضخم

كان يجب أن يعمل حساب وجودى فلا يقبلها أمامي .. حيوان ! .. وتزايد الصهد فى جوفه « هذه العلاقة الحميمة بينهما



يجب أن تنتهي».

وأحس فجاة بالنغز في جبهته . نغزات أوشكت أن تتحول الى دقات ، فامتلأ بالفزع من أن يندفع القرنان ويظهران أمامها وأمام استاذها .. فأسرع بسحق مشاعره . انه يعلم جيدا أن ظهور القرنين مرتبط بتحرك الكراهية بداخله . رسم على شفتيه ابتسامة واسعة وهي تقدمه الى استاذها ، فسلم عليه بحرارة .. وقبله أيضاً .. ثم لم يلبث أن فوجيء بمجموعة من الأصدقاء والصديقات يأتون الى الاستاذ ويملأون البيت ضجيجاً وضحكاً ومرحاً وليس هذا فقط بل رآهم كلهم يأخذونها بالأحضان ويقبلونها وتقبلهم ، وإذا بوجهها يتورد وحركتها تشع بالانطلاق والحيوية ! أحس بالخطر . أن تجد كل هذه السعادة والبهجة مع آخرين غيره . هو يريدها له هو وحده . لسوف يعيدها الى حظيرته من جديد . ولكن بعد أن تنتهي هذه الزيارة : « سوف أبدأ عملي » !

● ●

كان يدرك خطورة المهمة التي هو مقبل عليها . إنها مهمة بذر الكراهية في نفسها نحو استاذها وأصدقائها وحتى ايضاً صديقاتها . كان كل نضاله أن يستثير في نفسها الشعور بالكراهية نحو من تحبهم دون أن يتحرك القرنان في داخله !

وبدا له أنه نجح في ذلك حين وجدها تقول له ذات مساء باكتئاب : لم أعد استريح مع هؤلاء الناس . لم أعد أحس بأنهم يحبونني مثلما أحبهم . خلاص . قررت ألا أرى أحدا منهم . يكفيني من الحياة أنت .. والرسم ، لن يكون لي عمل في الحياة سوى أن احبك .. وأرسم . هيا أرسمك !

رغم أن قلبه زغرد بالفرح لنجاح خطته ، إلا أنه أحس بالخوف وهي تقول له : اجلس كما كنت . في الضوء ، أمام النافذة !

– ليس هذا وقت الرسم ياحبيبتي .

قالت مقاطعة ، وقد تلبستها شهوة عارمة لكي تضرب بفرشاتها وترسم .

– بل هو الوقت .. والضوء في أشد حالات حدته . أريد أن أرى حتى أدق شعيرات انسجتك .كل ما بداخلك أريد أن أحسه . أريد أن اعوض فشلي في رسمك . اجلس (وصاحت فيه الى حد الصراخ) اجلس ارجوك . واترك نفسك على طبيعتك . فقط انظر لي . اريد أن ارسمك وعيناك في عيني ! .

وإذ مضت تضرب بفرشاتها بقوة على اللوحة ، راسمة في البدء محيط الوجه الخارجي ، كانت تنظر في وجهه وقد احتشدت كل طاقاتها الروحية . فجأة ، وهي تنظر في عينيه ، إذا بها تحس بأن اصابعها تتوقفان منها ، واحساس غريب يداهمها . ثمة تموجات غريبة في عينيه . ليس معنى واحدا ثابتاً مؤكدا ، ليس فقط في العينين ، إنما ثمة تقلصات تحدث في الجبهة . كأنما ارتفاعات وانخفاضات .. مرة تظهر ومرة تختفي .. واستنكرت مع نفسها ما ترى : أهي أوهام الفن ؟ .. أم انها فقدت لياقتها الفنية وانتهت كفنانة

وصرخت في أعماقها : لا . لن انتهي كرسامة . الموت افضل لن أفشل أمامه وارتفعت يدها بقوة بالفرشاة وكأنها تشهر سيفاً تقاتل به ضد الفشل

– أرجوك .. اعطني عينيك . خذ راحتك تماماً .

– انا مستريح ! .

وراحت تضرب بألوانها بقوة ..

كان خليطاً هائلا صاخباً من المشاعر . وأخافه منظرها وهي تنظر فيه . لا حب ولا كراهية . بل حالة غريبة . تراه شيطان الفن .. أو «ملكه» قد تلبسها ؟ هذا اللعين سأهزمه .. وأحس بنظراتها تخترق عينيه لترى الأعماق ! وعاودته المقولة «إنها لا ترسم ما ترى ، بل ترسم ما تحس» !

وجز على اسنانه : لا .. القرنان في الداخل . في أعماق الأعماق .استعملهما في الوقت المناسب . لم اجتثهما كما قلت لك أيها الملك اللعين . أنا لا أرمي بسلاحي الوحيد الذي انتصرت به . لقد خلصتها من اصدقائها .. وأحبابها .. واصبحت لي أنا وحدي .. ولسوف انتصر أيضاً هذه المرة ! .

ورسم على شفتيه ابتسامة يداري بها آلاما في داخله .. أما هي .. فقد توقفت عن الرسم وراحت تنظر إليه وهي لا تصدق .. وأسرعت دقات قلبها كانت ترى شيئاً رهيباً يحدث . نتوءان يبرزان بلحظة من جبهته .. وهو لا يحس بشيء . ماهذا ؟ وكتمت شهقة : إنهما يكبران .. يكبران .. أصبحا قرنين ..

امتلأت بالهلع . رمت بالفرشاة وهي تصرخ . وولت هاربة .

« عبد الله الطوخي »

زهرة البرسيم

شعر: علي عبدالله خليفة



أخذتُ هواكِ قنديلاً ، وأوجعني سوادُ
الليل في عينيَّ ، والأبراجُ موصدة منافذها
على قلبي
تشدُّ قوافلُ العشاقِ راحلة ، خيامي السودُ
ما برحتْ ، وجف النبعُ ، والوديان لم تكلأْ
بهذا العام ، والصحراءُ لم تشهدْ لنا عرساً .
يعذبني هديلُ حمائم الأسحارِ ، وجهُ الريحِ مغبرً
يباغتني ، ويخطف صحوةَ التذكارِ ، أحملها
تئن حبيبتي في القلب مجروحةْ ..
وتشكو زهرة البرسيمِ .. لا أحدً
يضمّد خدّها في الحقلِ ، كانتْ أعينُ الرقباءِ
من خلف السياجِ الشوكِ مفتوحةْ ..
ولا أحدً ،
سوى سبعٍ من السنوات مذبوحةْ ..
وضوء جاء من نجمةْ .

● ● ● ● ●

يدايَ تمرُّ فوق الصخر ، يطْلَع من مياهِ البحرِ ،
يعلو ، تشهق الأمواجُ ، يسعل في أعالي
البرجِ ناطورٌ تهدّل يرمق الأطرافَ مرتاحاً ..
لأن البحرَ ليس لديه مفتاحُ التوابيتِ
الحديدية ..
وأن الصخرَ مغروزٌ بقاع البحر ، والفقراءَ
مكدودون في الاغفاءة الأولى ..
تنادي زهرة البرسيمِ ، ترسل عطرها
من داخل الأسوارِ . صقرُ الصيد فكّ
قناعَه الجلديَّ ، روّعَ قلبَ سيّدهِ ،
وحلّقَ يضربُ الأبعادْ ..
تجرّأ في البراري . موسمُ الصّيادِ لم يأتِ
وأعطى البرقَ أشياءً
ونبّه في الحباري غَفْلَةَ الميعادْ .

هـامش :

● البرسيم من اقدم المحاصيل ــ ٢٠٠٠ ق . م . ــ التي تتحمل الأجواء المختلفة ، له زهر جميل ، يعد من أحسن النباتات لنحل العسل ، ويزرع بالأرض لزيادة خصبها وتحسين خواصها .. إضافة إلى أنه محصول علف رئيسي .
استعمل اليونانيون البرسيم في صناعة الأكاليل ، وقدسه الايرلنديون واتخذوا منه شعاراً دينياً .

اعتـذار :

نشرت الدوحـة هذه القصيدة فى العدد الماضى ، وقد وقعت فيها أخطاء مطبـعية غيرت معناها ، لذلك نعيد نشرها فى هذا العدد مع الاعتـذار للشـاعر والقراء عما وقع من أخطاء سابقة ..

قصة قصيرة

القيـــــام

صــــلاح عبد الســـــيد



كنت أنا وأبى فى بطن عربة الموتى، مع الصندوق، وكانت العربة تهتز، تصطك على الطريق، وتكاد تتفتت ..

وكان أبى يتلفع بالحزن الثقيل .. مطبق الفم .. وشفتاه تبرزان للأمام .. كان الليل بارداً .. وحديد العربة بارداً .. والصندوق الذى ... ولامسته – بارداً .. ووجه أبى كان مملوءاً بالتجاعيد والحفر ..

همهم أبى :

– لا إله إلا الله .

أخذت أنظر للصندوق فى أسى .. أمسحه بعينى ..

«كان كأنه يعرف .. قبل أن يسافر .. احتضننى طويلا .. ثم مشى خطوتين واستدار طويلا ..

وظل مستميتاً على جسدى ..

كانت عظام كتفيه تحت يدى .. وسلسلة ظهره ..

كان مهزولا كخرقة .. وكنت أحسه يرتعش على صدرى ..

أوصانى على العيال .. وشدد على الولد الأهبل

– الولد الأهبل خذ بالك منه ..

« الولد الأهبل يجرى عارياً فى البيت .. ويصرخ عليك فى المساء ويكاد يجن ..»

– والعيال خذ بالك منهم .

«والعيال يتخبطون فى الأرجل .. ويبحثون عنك فى كل الوجوه ..»

– إنى ذاهب من أجل العيال والبيت .

وتماوج وجهه الهضيم ليعنى – العيال كثيرون – واهتزت عيناه الحائرتان أمامى

– والبيت بلا سقف – ..

همهم أبى :

– لا إله إلا الله

أخذت أنظر للصندوق فى أسى .. أمسحه بعينى

هل هو حقاً فى هذا الصندوق .. !!!

وكيف ينام فيه .. ؟

هل وجهه الى أعلى ؟

هل وجهه ناحيتى ؟

وسحبت ساقى بعيداً ..

كان وجهه ناحيتى

كان الوجه الهضيم ينظر لي ..

وكانت حدقتاه الصغيرتان حائرتين ..

وجلبابه الرقيق يكشف عظام صدره ..

وأنفه الصغير يخرج زفيراً كالصياح ..

وأجهشت بالبكاء ..

هل أنت حقاً فى هذا الصندوق .. !!؟

هل تنام فيه حقاً .. !!؟

وهل أنت حقاً .....

لا .. لا ..

أنت تتنفس فى صدرى وعينى

لا .. لا ..

واصطكت العربـة حتى كادت أن تتفتت ..

كدت أرجو السائق أن يترفق به قليلا .. فهو مهزول .. وعيناه حائرتان .. وبيته بلا سقف .. وأولاده كثيرون .. لكنى قبل أن افتح فمي توقف السائق بالعربة .. نط منها وتبول .. ثم نط فيها واشعل لنفسه سيجارة .. واحتضن عجلة القيادة وعادت العربة تحجل على الطريق ..

كنت أبيت وحدى مع الصندوق .. حين فكرت أن أقوم وأفتح الصندوق وأخرجه منه .. وأضمه الى صدرى .. وأتحسس عظام كتفيه .. وسلسلة ظهره .. وأنفخ فى فمه .. وأقول له .. قم لا داعي لذلك .. قم .. فالبيت لازال ناقصاً .. والعيال يطلبون معونتك .. والولد الأهبل لم يتكلم .. والريح تهز البوص على الشبابيك .. قم فالريح تشتد .. لا داعي لذلك .. قم .. المطر يتساقط .. والبيت بلا سقف .. قم .. الباب قصير .. والكلاب تمرق من تحته .. وأنا وحدى .. والليل طويل .. وأنا مهزول .. وجهى هضيم .. وعيناى حائرتان .. قم .. هذا ثوبى .. أدخل معى فيه ..

هيا ..

واحسست بالصندوق يتزحزح

هيا ..

وأخذ يقترب منى حتى لاصقنى

واندفع الولد الأهبل الى الحجـرة عارياً ..

نظر لي فخفت من عينيه ..

اقترب منى ..

مد يديه القويتين وحملنى .. رفعنى من جانب الجدار .. وضمنى الى صدره .. وتحسس عظام كتفى .. وسلسلة ظهرى .. ونفخ فى فمى ..

ووجدتنى قائماً ...

وعندما تلفت حولى .. لم أجد الصندوق .. ولم أجد الولد الأهبل .. ،



مسجد القيروان الكبير : الأصل الذى نقلت عنه معظم المساجد فى شمال افريقيا والأندلس فى عهد الاتحاد .

أمجاد الأندلس ..

جمال قطب

منارة الاسلام على بحر الظلمات .. واشراقة النور على جبين التراث الحضارى وبسمة الأمل على شفاه الفكر والابداع .. تلك كانت الأندلس !

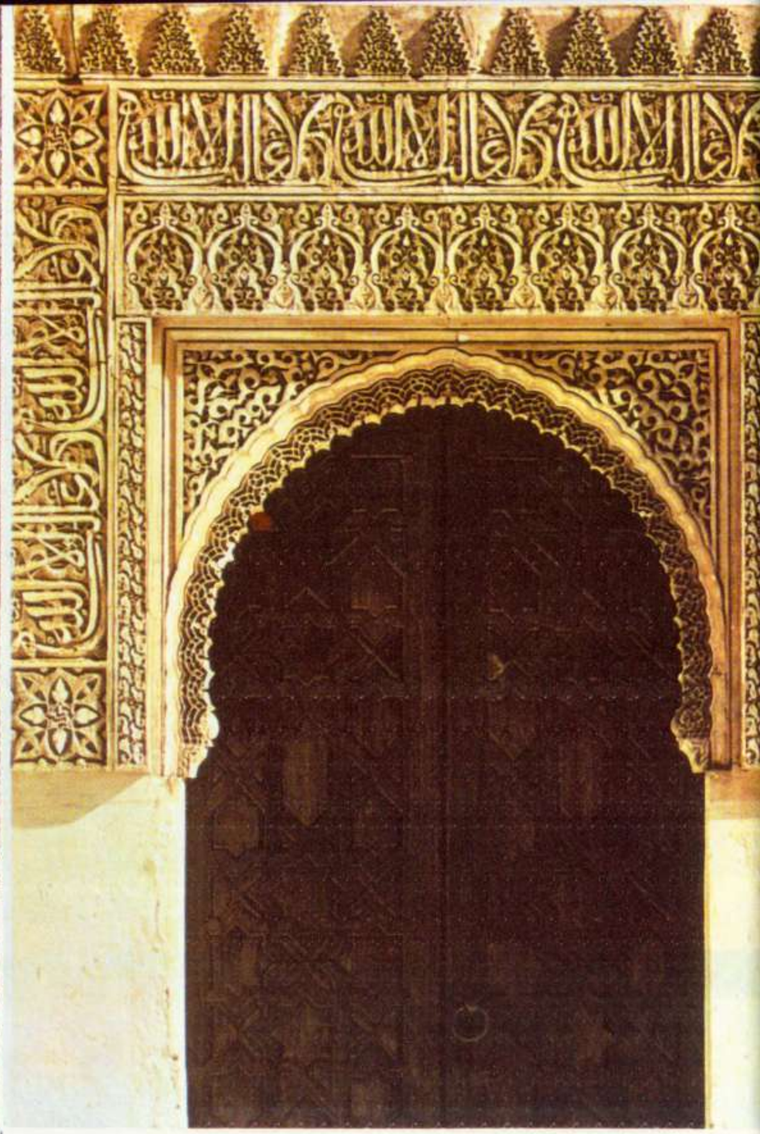
الجامعة العربية .. اتحاد المؤرخين العرب .. المهتمون بالتاريخ والفنون الاسلامية فى العالم العربى .. استيقظت فى وجدانهم ذكرى الأمجاد الغابرة ، وتألقت بصائرهم باشعاعات قرطبة وروائع غرناطة واطلال الحمراء المعجزة ، فبعثوا الروح فى التاريخ البعيد ، وهفت نفوسهم الى أرض الأجداد فى ربوع اسبانيا ، فعقدوا الاجتماعات وأعدوا الأبحاث والبرامج ، أملا فى اقامة مهرجان عالمى لآثار الأندلس على غرار « مهرجان العالم الاسلامى » الذي اقيم في لندن منذ خمس سنوات

لقد كان مؤتمر لندن مهرجاناً عربياً اسلامياً لم يحدث من قبل ، وكان فى روعته وتنظيمه طفرة وصلت الى قمة الاخراج والتخطيط العلمى الواعى .. بما يليق وعظمة المحتفى به من العلم والفن والتراث والتاريخ ! حتى اننا رأينا «قسم النشر» فى هذا المهرجان يخرج للعالم نحو سبعين كتاباً ومجلداً ضخماً عن الفنون العربية والاسلامية عامة ، فى أرقى ثوب من الأناقة والطباعة الفاخرة واللوحات الملونة والأبحاث العميقة المتانية فى كل فرع من العلوم والآداب والفنون .

ونعود لاتحاد المؤرخين العرب لنرى هذه البواعث الخيرة التى حدت بهم للعمل على اقامة «مهرجانات الأندلس» فى غرناطة ، وكان محدداً لها عام ١٩٧٩ ، ثم أجلت الى العام الماضى .. وبعد اجتماعات رئيسية ، واجتماعات فرعية متخصصة ، تفرعت بدورها الى لجان فنية وعلمية .. عقدت هنا على أرض «الدوحة» ، وهناك على الأرض الأوروبية فى اسبانيا ، تأجلت



واجهة محراب الحكم الثانى .



مدخل على ساحة السباع

وأطلال الفردوس المفقود

الى هذا العام ١٩٨١ ، وكان رئيس الجانب العربى أحد شبابنا اللامعين فى ميادين الفكر والفن فى قطر ، وهو ناصر العثمان عضو اللجنة المنظمة للمهرجان ورئيس اللجنة الفنية . كانت النيات خالصة ، والعزيمة صادقة ، وقابل المسئولون الأسبان هذه النزعات الانسانية بحماس مقابل ، وشاركوا فى كل الاجتماعات والندوات ، وبعثوا بعلمائهم يحملون الأفكار ويعرضون المساهمة الى أبعد الحدود : اعداد القاعات ، واختيار المكان والزمان المناسبين ، وعرض النفائس وكنوز الآثار ، والدعاية العالمية اللازمة ، وتقديم الدعوات والمعلومات وأن يفتتح ملك اسبانيا هذا المهرجان .. الى آخر هذه الاستعدادات التى تليق بالحدث الكبير . وأخيراً تأجل الى أواخر هذا العام ، وربما الى العام القادم .. على أمل ألا تتعثر الخطوات فتتشتت الأفكار ويندثر الحماس ويلغى المشروع من أساسه ! ومن عجب أن الفكرة قد تبلورت وقطعت أشواطاً كبيرة وهى معدة تماماً لأن تخرج الى حيز التنفيذ . والعائق الوحيد هو التمويل ! ولنا أن نصدق هذا وإن كان من الغرابة بمكان !

وإن كان ناصر العثمان ـ كمسئول عن الجانب العربى من موقعه كمدير للثقافة والفنون آنذاك ـ قد بذل ورفاقه جهداً خارقاً لاقامة مثل هذا المهرجان .. إلا أن المال ، وهو آخر ما كنا نحتسبه أو نتوقعه ، لابد وأن يتوفر ـ ولو باكتتاب شعبى ـ لنشهد هذا (العيد) الفنى العالمى المجيد على ربى الأندلس !

ونرنو بأبصارنا الى كنوزنا العربية .. هناك فى ربوع اسبانيا ، ونتمثل أجدادنا الأفذاذ وهم يسطرون ملاحم الحضارة المتألقة فى القرون الوسطى ، وشعوب أوروبا من حولهم ترزح تحت أغلال الخشونة والبداوة .. وترتسم فى مخيلتنا تلك الصورة النورانية الرائعة : غرناطة.. مركز الاشعاع الفنى وميدان المبتكرات العلمية والفكرية الرفيعة ، تنهل من معينها ممالك الفرنجة وأمصارها مشوهين لهذه العبقرية العربية الاسلامية الرائدة !

صارت أياماً فى طي التناسي .. وأطلالا لا نملك إلا التباكى عليها !

رحلة الخيال

لكى أكتب بحثاً عن الأندلس والفن الاسلامى عامة بمناسبة الاعداد لهذا المهرجان العالمى ، لم أستطع أن أكبح جماح قلمى من الخوض فى كل شىء : الفن والتاريخ والفكر والحياة ... لأن للاندلس فى وجدانى مكانة ذات شئون وشجون ؛ فمنذ عدة شهور ، كنت مكلفاً من احدى المؤسسات السياحية العالمية بأن أعد نفسى لرحلة أندلسية طويلة الى اسبانيا ، أعيش فيها بين الأطلال ، محلقاً بخيالى بين أطياف القرون الغابرة ، لأتمثل الماضى وأعايشه معايشة كاملة ، ثم أفرز هذا الانفعال والتفاعل على صورة مجموعة من اللوحات الفنية ، يضمها معرض خاص يجوب أرجاء المعمورة باسم هذه المؤسسة السياحية



ساحة السباع الشهيرة .

أمجـــادالأنـــدلـــس..

وفنادقها الشهيرة . واخذت ادرس كل ما اتيح لي من معلومات واطلاعات فى هذا المجال .. وفوجئت بتاجيل المهرجان ولعلنا نفاجأ باقامته فى أواخر العام ! .. وكانت الحصيلة التى خرجت بها هى المتعة الوجدانية التى حظيت بها وانا أستعيد أمجادنا ومآثرنا فى تلك البلاد ! وكانى بى أسير فى ركاب طارق بن زياد وهو يعبر المضيق الفاصل بين أوروبا وأفريقيا فى العام الثانى والتسعين للهجرة .. ثم أعود لأرافق موسى بن نصير وهو يعد العدة فى القيروان ويلحق بمن سبقوه ليتم الفتح وتتركز دعائم الحكم الاسلامى فى الأندلس .

ثم أسرح بخيالى لأرى اجتماعات الفاتحين من المولدين والمستعربين مع الامراء الاسبان يوقعون معاهدات التعايش والسماحة الاسلامية ... وأجوب الأقاليم والمرتفعات والوديان الخضراء ، باعزاز وخيلاء ، وقد فرض المسلمون سيطرتهم على جل المملكة القوطية الجميلة بأنهارها السائغة وخمائلها الفيحاء التى تغنى بها ابن خفاجة :

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا فى دياركم
ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعدها أن تدخلوا سقرا
فليس تدخل بعد الجنة النار

وكان لزاما علي أن اقفل راجعا الى بعيد : الى الشرق العربى فى الجانب الآخر لأشاهد مأساة الأمويين على أيدى العباسيين ، وأن أتسلل مع عبد الرحمن بن معاوية لأكون فى معيته وهو يفر مع زوجته وابنه ، قاصداً مصر ، ثم يتجه غرباً حتى يستقر به المقام فى المغرب .. واسبقه الى الأندلس لأفاجأ بصراعات الاخوة من العرب والبربر .. وتحدث لعبة استقطاب القوى واهدار الطاقات فى التناحر والشقاق .. فيجدها الأمير الأموى عبد الرحمن .. فرصة سانحة ليباغت هذه الجماعات المتخاصمة ، وينقض عليها ، وينفرد بالنفوذ والسلطان ، فيجمع الشتات ويوحد الشمل ، ويسترجع مملكة أجداده . وتدين له ربوع الأندلس ، ويلقب بصقر قريش ، أو بعبد الرحمن الداخل ، لدخوله قرطبة فى العاشر من ذى الحجة عام ١٣٩ هـ ، وتصبح قرطبة عاصمة لملكه .

وتتوالى الأحداث الجسام ، ويسرح بى الخيال فيجسد لي كفاح ابنه (هشام) لاخماد الفتن بعد وفاة أبيه .. وفى عهد خلفه عبد الرحمن الثانى يعود الاستقرار مرة أخرى ، لتتألق الأندلس بعد ذلك فى عهد عبد الرحمن الثالث ، الملقب بالناصر وهو أول من أحيا الخلافة الأموية ، وأصبح الخليفة عبد الرحمن الناصر رمزاً لهيبة البلاط الأموى العريق ، وقد أحاط نفسه بهالة من المجد والعظمة ، وفى حكمه ، عم الخير ، وازدهرت الفنون ، وأصبحت قرطبة مركز الاشعاع فى اسبانيا وأوروبا كلها . ويأتى الحكم بن عبد الرحمن ، ليصل الفنانون فى عهده الى قمة الاجادة وغاية الابتكار ..

صور من هوامش التاريخ

أخذت اقرأ .. واقرأ .. عن الأندلس ، وأعيش فى أطياف القصص الجانبية على هامش التاريخ فهذا ابن أبى عامر المعروف بالمنصور ، رجل بسيط رقيق الحال ، يصل به طموحه وتطلعاته الى كرسى الخلافة بعد وفاة الحكم بن عبد الرحمن ، وما كان إلا تابعاً عهد اليه الخليفة برعاية ابنه هشام الثانى ، ولكنه نجح فى استرضاء (الملكة صبح) التى أخذت تستهويه ، فارتقى من منصب الى اخر حتى أصبح رئيساً للشرطة ، ثم استبد بأمور الدولة ونصب نفسه على حكم الأندلس .. تاريخ يشبه الأساطير ! : فى شبابه ، كان يجلس يوماً فى احدى حدائق قرطبة بين جمع من رفاقه الطلبة ، واذا به يتطلع الى الفضاء .. ثم يفيق لينادى فى أصحابه : أعاهدكم أن يأتى يوم أكون فيه سيد هذا البلد ، وسخر الفتيان منه ، ولكنه أضاف ببرود : كل واحد يقترح الوظيفة التى يرغب فيها ، وسينالها عندما أصبح الخليفة ! وقال أحدهم متهكماً : أوصيك أن تأمر يومها بأن يدهن جسمى عسلا ، ودع البعوض يلسعنى ثم مر بطرحى على بطنى فوق ظهر حمار ، وطف بى فى أزقة قرطبة !

وتمر الأعوام بأحداثها ومفارقاتها ، ولم ينس ابن أبى عامر مطلب صديقه القديم ، فأمر بتنفيذ هذه (الرغبة) الأخوية !

حكايات .. وحكايات ، وقصص زاخرة بالطرائف الشيقة ، انها لوحات حية فى متحف التاريخ !

وأعود الى مسرح الأحداث الجسام فى مسيرة الأندلس : فهذه بوادر الانقسام من جديد بعد



قبة المحراب بناها الحكم الثانى بمسجد قرطبة وتعتبر اعجازا فنياً

عهد المنصور ، تتسع وتتفاقم حتى تنتهى الدولة الأموية بعد مقتل هشام الثالث عام ٤٢٢ هـ .

ولننتقل معاً الى الفترة الثانية من حياة الدولة الأندلسية : فترة الحكم المغربى الاسبانى . وهى التى أعقبت تطورات كثيرة ، ليس هذا مجالا لسرد دقائقها ، فلنعايش حكام الطوائف والمرابطين والموحدين .. ولابد من حركة مكوكية دائبة لنوالى استطلاع الأخبار بين المغرب والأندلس : لقد اختلطت العادات والتقاليد والفكر والثقافة ، فهذه الطرز المغربية فى الفن والعمارة تغزو الأندلس .. ومن اسبانيا تعبر المؤثرات الأندلسية والأوروبية الى شمال افريقيا .. وتزدهر الحياة .. وتنتشر مجالس الشعراء وسهرات الأنس فى ربوع البلاد .. وما أحلى الموشحات الأندلسية الحالمة وايقاعاتها الشجية .. ومن لا يفتتن بشاعرة التحرر والحب والخيلاء «ولادة» ابنة الخليفة المستكفى بالله وهى تشدو :

أنـا واللـه أصلـح للمعالـى
وأمشـى مشيتـى وأتيـه تيهـا
أمكـن عاشقـى من صحـن خـدى
وأعطـى قبلتـى من يشـتهيها !

وهذا ابن زيدون ، سابح فى الترف والنعمة ، منغمس فى اللهو ، متألق فى السهرات الأندلسية العابثة ، وقد هام فى حب «ولادة» ، ولكنهما افترقا بعد مكيدة مدبرة من الوزير ابن عبدوس الذى استأثر بحبها فآثرته على ابن زيدون فنراه يعاتبها فى أسى :

أضحـى التنائـى بديـلا عن تدانينـا
ونـاب عـن طيـب لقيـانا تجافينـا
ألا وقـد حـان صبـح البيـن صبحنا
حينـا ، فقـام بنا للحيـن ناعينـا
كنا نرى اليأس تسـلينا عوارضـه
وقـد يئسـنا فما لليـأس يغرينـا
بنتـم وبنـا فما ابتلـت جوانحنـا
شـوقاً اليكـم ولا جفـت ماقينـا !

القمة والانهيار

ترف وسرف وسمر وسهر وفن وفكر .. وليل طويل هامس ، تتردد فى أصدائه الموشحات الأندلسية الشهيرة ، وفى احداها يقول «ابن اللبانة» :

فى نرجس الأحداق
وسوسن الاجياد
نبت الهوى المغروس
بين القنا الميـاد

وفـى نقـا الكافـور
والمنـدل الرطـب
والهـودج المـوزور
بالوشـى والعصـب
قضـب من البلـلور
حميـن بالقضـب
نـادى بهـا المهجـور
مـن شـدة الحـب
اذابـت الأشـواق
روحـى علـى أجسـاد
أعارهـا الطـاووس
من ريشـة أبـراد

صور رائعة مثيرة ، تنقب فى خيال الفنان لتنتقى من وجدانه درراً مبدعة !

إن مسيرة الأندلس طويلة .. طويلة ، وعثراتها فى عهودها الأخيرة كثيرة .. كثيرة ! فلنستحث الخيال لكى يعبر العوائق والكبوات حتى يستقر المقام فى غرناطة آخر شموع الوجود العربى فى ليل اسبانيا الطويل ..

غرناطة المجد الخالد والفن الرفيع ، واعجاز العبقرية العربية : قصور الحمراء الأسطورية الرائعة .. متحف البذاخة والثراء والرونق والابداع ..

وعلى مدى ثلاثة قرون كانت غرناطة مركز الاشعاع ومنهل العطاء العربى للتاريخ والحضارة .. ومرت أحداث .. وأحداث ..

وأخيراً ، كانت النهاية ، يوم أن خرج أبو عبد الله ، آخر الحكام المسلمين ، متجهاً الى منفاه بجبال البشرة (فى فجر يوم ٢ يناير ١٤٩٢ م) ، ونراه فى انكسار مرير ، يسلم مفاتيح الحمراء الى قائد جيوش فرديناند وايزابيلا ، وقد تـم زواجهمابدوافـع سياسـية للقضـاء معـا علـى دولـة المسلمـين) وقـد وقف الفتى يلقى نظرة حسيرة على درة الأندلس — غرناطة — .. وعلى ثمانية قرون من أيام العرب المجيدة ... وعلى منارة الاسـلام فى بحـر الظلمات !! ففاضت عيناه بالدموع ، وتعنفه أمه الملتاعة وقد تصنعت الصرامة ورباطة الجأش .. وأنشدت فى إباء تقول :

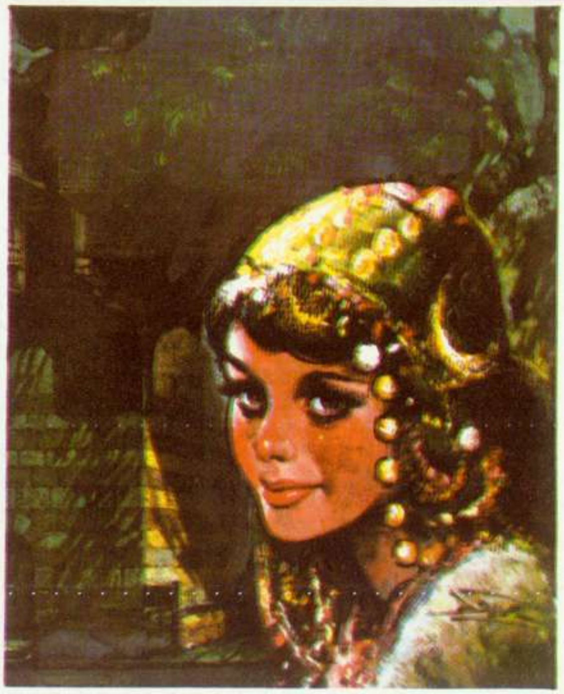
إبـك مثـل النسـاء ملكـاً مضاعـاً
لم تحافـظ عليـه مثـل الرجـال !

وهذا الموقع الذى شهد تلك الزفرة الأليمة ، مازال يسمى : زفرة المغربى .

واذا كانت (الدولة) قد انتهت من الأندلس ، إلا أن المسلمين الذين آثروا البقاء ، ظلوا متمسكين بدينهم ولغتهم برغم الوعد والوعيد ، واستبد الغضب بالأساقفة ، فأمر رئيسهم بجمع الكتب العربية واحراقها فى الساحات العامة ، واشتد الضيق على الأندلسيين ، وأثقلت كواهلهم بالضرائب ، وتمادى الاسبان فى اهانتهم ، حتى اضطر معظم الفنانين والعلماء وكبار العائلات الى الهجرة نحو بلاد المغرب ، حاملين معهم مفاتيح بيوتهم ، وكانت فكرة العودة الى الديار تداعب خيالهم فى كل حين . أما من بقى من المسلمين ، فقد أمر الامبراطور فيليب الثالث عام ١٦٠٩ بطردهم .. وبهذا ، اندثرت البقية الباقية من الحضارة الاسلامية بالأندلس !

الفـن الاسـلامى والحضارة الانسانية

عفواً ، لابد من الاسهاب بعض الشىء فى حكاية الفن الاسلامى .. حتى نستطيع أن نقدر روائع الأندلس حق قدرها . فقد أقر معظم المؤرخين للفن الاسلامى والحضارة الاسلامية بوجه عام ، بأن أبرز سمات هذه الحضارة هو الفن . واستهل (برنارد لويس) رئيس الدراسات العليا بجامعة برنستول الأمريكية ، مؤلفه الضخم عن هذا الموضوع بقوله : «إن أعظم منجزات الحضارة الاسلامية العظيمة هو الفن .. بلا منازع» ! ونرى مثل هذا القول لمفكر شهير معاصر هو عالم الآثار الاسلامية (رتشارد



المرأة فى الأندلس : جمال الأوصاف وخفة الحركات



جزيرة أندلسية فى اسبانيا تشهد بالمجد الغابر

أمجاد الأندلس..

أنتيجهاوزر) ، وغيرهما كثيرون !

ولذلك وجدنا سباقاً غريباً بين العلماء والأثريين – ومعظمهم من المستشرقين – لكى يعملوا قدر طاقتهم عن ارجاع أصول الفن الاسلامى الى غير العرب بل والى غير المسلمين! فامتلأت مؤلفاتهم بكثير من التحريف والتأويل المغرض لترسيخ مفاهيم وايحاءات شتى بأن العرب الأوائل فى صدر الاسلام ومن قبله لم يكونوا مؤهلين لتذوق الفن أو الاهتمام به ، وبالتالى .. على ابتكاره .وقبل نصف قرن .. كان الميدان خالياً لهم لا يسمعون فيه إلا وقع أقدامهم وصدى آرائهم ؛ فرأينا محاولات مستمرة من دول الغرب للوصول الى أعماق حياتنا الفكرية ، ولكنها فى كثير من الأحيان لم تكن خالصة لوجه الله والفن والتراث ، بل تعدته الى أغراض الاستيعاب والسيطرة والنيل من العروبة والاسلام ، كما تسلل فريق منهم الى مناصب فنية على أكبر جانب من الخطورة مثل (كريسويل) الذى كان مديراً لمعهد الآثار الاسلامية فى القاهرة بعد أن كلف بتأسيسه عام ١٩٣٣ ، وتربع على عرش البحث والتأليف فى مجال العمارة والفن الاسلامى ، دون رقيب أو مراجعة ، ودون أن يجد من يقول له فى العالم الاسلامى – والعربى بوجه خاص – : ان هذا افتراء ! وأكد كريسويل هذه الاتهامات وعزف على نفس النغمة التى صاغ أوتارها من سبقوه . ونراه فى مؤلفاته يعمل جاهداً على انكار أى فضل للعرب فى قيام الحضارة أو ابتكار الفنون الاسلامية ، بل ويصفهم بالتخلف والبداوة ، وانهم لم يعرفوا من العمارة سوى سكن فى خيمة سوداء ، ثم مثوى فى قبر تحت رمال الصحراء ! وحتى سكان الحضر ، قال عنهم إنهم لم يعرفوا شيئاً عن فن العمارة ، وكانت بيوتهم من نوع قبيح من اللبن وجذوع النخل لا تزينه آية لمسة فنية ! وإذا تصادف وعثر على أى أثر فنى ، فلابد وأن يكون مستورداً ! وكريسويل ، كان فى الأصل ضابطاً انجليزياً عمل بسلاح المهندسين البريطانى فى الشرق الأوسط .. وعاش فترة فى الأردن .. ثم استقر به المقام فى القاهرة ، ليترأس معهد الآثار الاسلامية .. وكان متأثراً بفكر من سبقوه من هؤلاء المستشرقين ، ومن أهمهم راهب يدعى (لامانس) كانت مؤلفاته تتفجر حقداً على العرب حينما يصف أغنياءهم بقوله الذى قرأه العالم حينذاك وحتى اليوم : «انهم ما كانوا يهتمون إلا بالطعام وسعة القدور ، أما مساكنهم فلم تعرف الفن ، وكانوا يلجأون لى صناع أجانب اذا أرادوا ترميم الكعبة !» ... ومن هذه الأمثلة الظالمة ، نقرأ الكثير .

جذور الفن الاسلامى

أما الأخطر من كل ذلك ، فقد أرجعوا أصول الفن الاسلامى الى الفن الساسانى ، وأكدوا أن الفن الساسانى فن فارسى خالص ! وهذه فرية لها ما يدحضها ؛ فلو أمعن هؤلاء ، بتجرد وموضوعية ، فى دراسة الدولة الساسانية أيام الفتح الاسلامى ، لوجدوا أن الغساسنة ، وغيرهم من المناذرة والجاليات العربية الأخرى فى بلاد ما بين النهرين ، كانت لهم اليد الطولى فى رسم ملامح الفن الساسانى الذى قيل إنه أصل الفن الاسلامى . وكانت (المدائن) عاصمة الدولة الساسانية موجودة على أرض العراق وليست على أرض فارس .ولعل التاريخ قد ساهم من تلقاء نفسه فى تفنيد مزاعم المغرضين : فالحفائر التى كشفت عن الآثار المنحوتة فى الصخر بمنطقة (تبوك) وما فى شمالها حتى (البتراء) فى جنوب الأردن ، قد أثبتت بالدليل القاطع عن وجود فن عربى صرف ، وطراز عربى متطور من العمارة المحلية النابعة من قلب المنطقة العربية ، وأنها لا تمت بصلة مباشرة الى الطرز المعمارية السابقة ، كما أنها تضاهى فى عراقتها وثرائها الجمالى ، الطابع الرومانى الشهير . وفى حفائر (مدائن صالح) ظهرت آثار رائعة ، اجتمعت فيها عدة أساليب فنية منها الفرعونى ، والآشورى ،والرومانى ، والاغريقى .. وغيرها ، ولكنها صيغت كلها فى قالب محلى عربى يرجع الى حضارات عربية أصيلة سابقة لظهور الاسلام .. وهذا بحث له مجالات مستفيضة أخرى ، ولكننا نخلص الى أن العبقرية لها وجود من قديم الزمن ، ولم ينضب معينها فى يوم من الأيام ! وبظهور الرسالة المحمدية ، انصاع الفنان – بايمان راسخ وتجرد – لتعاليم الدين الحنيف ، وابتعد عن التجسيد والصور الآدمية الطبيعية كما فى المدارس الغربية ، واستعاض عنها بالابتكار والتحوير الزخرفى المستمد من أشكال طبيعية ، ولكن بنظرة خاصة وبأسلوب محور ، بل شديد التحوير ، ليبعدها عن المحاكاة المباشرة للأشكال الطبيعية .. وبهذا تكون الفن الاسلامى المعجزة بملامحه المميزة ، وأصبح فناً ذهنياً يحكمه المنطق والمقاييس الروحية والعقائدية ، ولكنه فى نفس الوقت ينطلق الى عوالم ابداعية سامية فى التشكيل والتلوين والدقة والزخارف الهندسية اللامتناهية ، ولعل خير شهادة معاصرة على عبقرية هذا الفن الرفيع ، قد جاءت على لسان الفنان العالمى (ماتيس) الذى يطلق عليه لقب (أحسن الملونين) إذ يقول : «اننى ما كنت أصل الى ما وصلت اليه إلا بعد أن درست الفنون العربية الاسلامية فى معرض الفن الاسلامى الذى أقيم فى برلين عام ١٩٠٥» .

وشهادة أخرى جاءتنا على لسان الكاتبة الأمريكية ، مؤرخة الفن المعاصر الشهيرة (جرترود ستاين) فى معرض حديثها عن بيكاسو: «إن أروع مراحل بيكاسو الفنية هى المرحلة التى تأثر فيها بالفن الاسلامى ، وليس هذا عجيباً ؛ فبيكاسو اسبانى .. ، والاسبان عرب» !!

وكانت الفرصة الذهبية لفنانى الفتح العربى لاسبانيا – بعد أن استقرت الأمور فى الأندلس – لأن يبدعوا هذا التراث الرائع فى متحف العالم الكبير .. هناك على القارة الأوروبية ! وذهل العالم – ومازال – بجامع قرطبة .. وقصور غرناطة : وثمانية قرون من الفكر المتطور



عبد الرحمن الداخل كان يتغنى بالوطن .

والابداع الرائد فى شتى المجالات .

والفن الاندلسى ــ وهو فن عربى خالص ــ كان درة الابداع الاسلامى بكل شموله وتخصصاته التطبيقية والوجدانية .. ولا غرو أن تصبح الأندلس مركز الاشعاع الفكرى فى العالم لقرون طويلة !

وقد حظى فن الأندلس بمذاق وعبق خاص . لأن اسبانيا جعلت من اثارنا الفنية حالياً على أرضها متحفاً كبيراً يقصده الزوار من انحاء المعمورة ، فرسخت فى الأذهان كلمة الحق عن العبقرية الفنية فى الأندليس ، لتظل قبلة التراث وكنز الفنون الرفيعة فى العالم أجمع ! وقد يكون من الاحساس بعقدة الذنب ، لما اقترفه الأسبان منذ نحو اربعة قرون ، من التنكيل باصحاب التراث .

بين عهود الذروة والتدهور

وهناك بعض العهود الزاهرة التى تالق الفن الاسلامى فيها اكثر من غيرها فى الأندلس .

ولم تهنا البلاد وتزدهر الفنون إلا فى عهد عبد الرحمن الثانى ، الذى دعم حكمه فى الأندلس واعتنى بمظاهر الرقى والحضارة ، ليواكب وينافس حضارة بغداد عاصمة العباسيين ، وكانت تعيش عصرها الذهبى آنذاك وتستطع منها اشعاعات الفن على كل البلاد الاسلامية .. ومن بعده .. جاء عبد الرحمن الثالث (الناصر) .. لتبلغ الأندلس فى عصره أوج تالقها .. وقد ذكر المقرى :

«ان ملك الناصر بالأندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشان ، وهادته الملوك ، وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية» !

وبلغ سكان قرطبة فى عهده أكثر من نصف مليون ، وبلغت الفنون الأندلسية غاية رونقها ونافست بغداد والقيروان .

وفى عهد الحكم الثانى ــ وكان مولعاً بالفن ــ عاش الفنان أهنا أيامه ، كما ازدهرت كذلك باقى فروع الفكر والمعرفة . وقد ذكر المقرى أن عدد الفهارس بلغ فى أيام الحكم الثانى اربعة وأربعين فهرساً فى كل فهرس عشرون ورقة ، كما بلغ عدد الكتب اربعمائة ألف كتاب ، ثمن الكتاب الواحد منها ألف دينار من الذهب ، وكان يصدر فى كل سنة ستون ألف مخطوط !

وظهرت بوادر الانهيار بعد أن وصل الفن والفكر الى الذروة .. الى أن خلع هشام الثالث عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م ، وانتهت معه الدولة الأموية فى الأندلس . وتوالى على الحكم ملوك الطوائف (من العرب والبربر) .. وبدأوا فى اقتناء التحف وتشجيع الابتكارات وبناء القصور .. والحياة المترفة اللاهية .. وظهرت الموشحات فى حفلات السمر .. الى غير ذلك من مظاهر الحياة الرغدة .. ونشط الفن فى أيام الطوائف .. حتى قطع دابرهم يوسف بن تاشفين قائد جيوش دولة المرابطين فى المغرب وبسط نفوذه على جميع بلاد الأندلس .. وبهذا بدأحكم المرابطين .. وظل نحو ستين عاماً .. ثم انتقلت السلطة بعد ذلك الى دولة الموحدين وهم سكان جبال الأطلسى .. وخاض الموحدون كثيراً من الحروب ..

وعاصرت الحروب الصليبية فترة من حكم الموحدين ، وظهر القائدان العظيمان : صلاح الدين الأيوبى فى المشرق ، وعبد المؤمن ابن علي بالمغرب ، وهو الذى خف الى الأندلس ليحميها من الهجمة الصليبية الشرسة ، فدانت له بعد حروب بطولية . واقتسم الموحدون فيما بينهم ولاية الأندلس .. وازدهرت الفنون فى عهدهم ازدهاراً ملموساً .

وظهرت ملامح الفن المغربى الاسبانى واضحة بعد تقارب الثقافتين ، بل واندماجهما تقريباً ؛ فبينما كانت الجيوش المغربية تعبر المضيق لنجدة أهل الأندلس من حين لآخر ، نجد أن الفن الأندلسى يغزو بلاد المغرب من أقصاها الى أقصاها ويختلط بالفن المغربى ، ليظهر فى النهاية فن موحد له طابع خاص هو ما يطلق عليه الفن المغربى الاسبانى .. أو المغربى الأندلسى . وكان هذا الفن يتأثر بدون شك ــ كساداً أو ازدهاراً ــ حسب الأوضاع السياسية .. لذلك نجد أن الفن قد عانى من التعثر والكساد بعد هزيمة الموحدين عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م على يد بنى حفص الذين تلقبوا بالخلافة حين ذاك .. ثم قامت عليهم الأندلس فطردوا منها وانتهت دولتهم بسقوط مراكش عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م .. وخلا الميدان تقريباً للمسيحيين المتربصين بالحكم الاسلامى فى الأندلس .. وأخذوا يسجلون النصر تلو النصر .. ولم يبق للمسلمين إلا الرقعة الصغيرة على البحر .. وهى التى تولى الدفاع عنها ملوك غرناطة قرابة قرنين ونصف من الزمان .. فصارت غرناطة فى مهب الريح وشهدت الصراعات والنزعات الدامية .. واندلعت الحرب عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م بين ابن الأحمر وبنى مرين وبسط ابن الأحمر نفوذه على غرناطة ، وجاهر بنو مرين ببسط نفوذهم على جنوب الاندلس .. والأعداء فى كل مكان حولهما يتربصون ويخططون لاقتلاع الحكم الاسلامى من جذوره .. ولكن غرناطة استطاعت أن تهنأ بالاستقرار والازدهار ، وبخاصة أيام حكم يوسف الأول ومحمد الخامس ، وهما من حكام المملكة النصرية .. وفى فترة حكمهما تم بناء قصور الحمراء الرائعة ، وجنة العريف المجاورة لها . ولكن الأمور تردت بعد ذلك تحت وطأة الحرب الأهلية التى كان حكام قشتالة والارغون يغذيانها ويشعلان أوارها كلما هدأت . وتوقفت المساعدات المغربية ، وبسط البرتغاليون نفوذهم على شواطىء المحيط الأطلسى .. ولم يبق أمام أهل الأندلس إلا أن يعتمدوا على أنفسهم . واستعد الاسبان لحرب فاصلة ، وفروا لها الأموال والآلات الحديثة والخطط العسكرية ، فحاصروا المدن وحرقوا الزرع وقطعوا الطرق وعزلوا السكان عزلة تامة .. حتى سقطت البلاد فى أيديهم .. فى فجر يوم ٢ يناير ١٤٩٢ .

الأندلس فى عالم الابداع

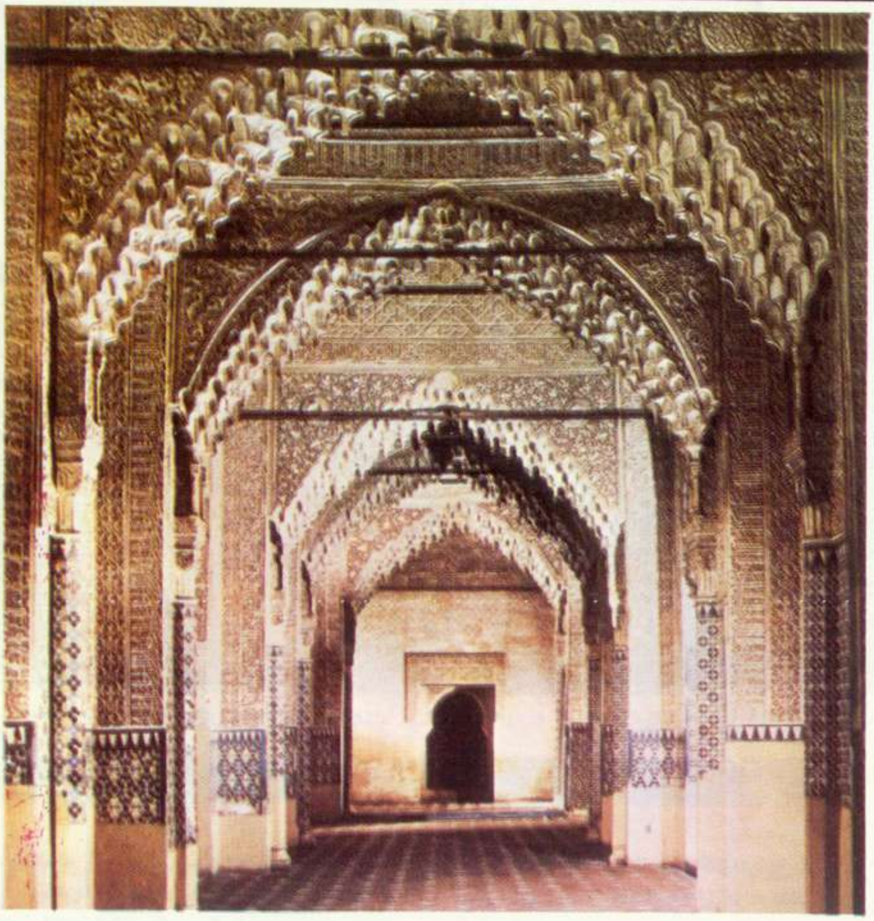
ويعتبر جامع قرطبة الكبير الذى شيده عبد الرحمن الأول من أروع العمائر الاسلامية ، وكان تصميمه مستمداً من المسجد الأموى بدمشق وهذا أمر طبيعى للأمير الأموى عبد الرحمن ، الذى كان يتغنى بالوطن الأصلى ويناجيه فى أشعاره ، وهو على قمة الحكم فى قرطبة

أيها الراكب الميمم أرضى
اقر بعض السلام عنى لبعضى
إن جسمى كما تراه بأرض
وفؤادى ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضى !

نعود للجامع الكبير فى قرطبة فنجده يحظى باهتمام بالغ من الخلفاء بعد ذلك ، فزيدت مساحته عدة مرات فى عهد الحكم الثانى ، كما أضاف عليه عبد الرحمن الثالث مئذنة رائعة عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م . والجامع يعتبر تحفة فنية ،



شمعدان من البرونز من جامع الحمراء بغرناطة



قاعة الملوك (أو المحكمة) .

أمجـــادالأنـدلــس..

وقد استخدم فى عمارته وزخرفته ابتكارات هندسية جديدة فى القبة الموجودة فوق المحراب، حيث قسمت جدرانها الى أشكال ثمانية ورباعية متقاطعة ، ونقشت بالزخارف النباتية والكتابات الكوفية فى توافق رائع .

وشيد الحكام كذلك قصراً للخلافة فى قرطبة ، حشدوا فيه كما هائلا من النقوش والزخارف الملونة البالغة الدقة والاتقان . كما أثثوه بمئات من التحف ذات المستوى الرفيع . ومن أحسن القصور الأموية القصر الضخم الذى شيده الخليفة عبد الرحمن الناصر بمدينة الزهراء قرب قرطبة . ومما يجدر ذكره أن الأساليب العباسية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت فى العالم الاسلامى ، لم تظهر فى فنون الأندلس ، مما يدل على استقلال الشخصية الأندلسية .

التحف العاجية

ومن أحسن ما ابدعته عبقرية الفنان الأندلسى التحف المصنوعة من العاج ، وبخاصة العلب بمختلف أشكالها وأحجامها والتى تزهو باقتنائها متاحف العالم حالياً . وتمتاز بان الزخارف المحفورة بعمق تغطى أسطحها وغطاءها بالكامل وقد استمد الفنان وحداته الزخرفية من مظاهر الحياة الأندلسية ، فنقش موضوعات الطرب والصيد وغيرهما ، وكانت قرطبة هى مركز الانتاج لهذه التحف العاجية . وقد عثر على بعض الأوانى الخزفية فى مدينة الزهراء وبعضها من النوع العللى الشهير والمعروف باسم الخزف ذى البريق المعدنى ، وكانت قرطبة وبلنسية وملقا وغيرها من بلاد الأندلس تتفوق فى انتاج هذا النوع من الخزف . وفى عهد خلفاء قرطبة ازدهرت كذلك فنون النسيج ، وبلغت المنسوجات الحريرية درجة عالية من الاتقان واشتهرت بنقوشها من رسوم الحيوانات والنباتات المحورة . وقد ذكر المؤرخ (الادريسى) أن (المرية) وحدها كان بها ثمانمائة مصنع لنسيج الحرير الفاخر .

الفن المغربى الاسبانى

نفرق دائماً من الناحية التاريخية بين فترة الحكم العربى الأول للأندلس فى عهد الدولة الأموية الغربية ، وبين فترة الحكم الثانى ــ بعد سقوط الخلافة الأموية ــ التى توالى فيها على الأندلس العديد من الحكام من أسر البربر حيث كان مركز حكمهم شمال افريقيا ، وقد أسس هؤلاء الحكام عدة ولايات فى المدن الأندلسية حكمها ملوك الطوائف كما أسلفنا ، وتلاهم حكام المرابطين ، وبذلك انتقلت الزعامة السياسية الى المغرب بعد أن كانت الزعامة للاندلس فى عهد الأمويين . وكانت الأندلس كلها ــ ما عـــدا طليطلة ــ تابعة لدولة المرابطين فى شمال افريقيا . ومن هذا الاتحاد تكون الفن الاسبانى المغربى وهو الفن الأندلسى فى عهد الاتحاد . ومنذ عهد (يوسف بن تاشفين) ملك المرابطين ظل المغرب مركز القيادة السياسية ، ولم يفكر (الموحدون) ــ وهم الذين خلفوا المرابطين فى الحكم ــ فى أن يجعلوا الأندلس قاعدة لحكمهم ، وبذلك ، انتقلت الحضارة الأندلسية الى بلاد المغرب ونتج هذا الفن الرائع الذى يعتبر خلاصة لحضارتين كبيرتين ، وهو الفـــن الاسبانى المغربى . وفى عهد أسرة بنى نصر التى انحصر نفوذها فى مملكة غرناطة بعد تردى الأوضاع وانهيار الممالك الأخرى استطاع بنو نصر أن يصمدوا ويستقروا بثبات فى غرناطة أكثر من مائتين وستين عاماً . وكانت عاصمتهـــم (الحمراء) بقصورها الأسطورة ، متحفاً للفنون الاسلامية المعجزة ! وازدهر الفن فى كثير من المدن الأخرى مثل اشبيلية ، ومراكش ، وفاس ، ولكنه بلغ ذروة تالقه فى غرناطة ، وظل كذلك ، حتى خرج آخر حكام الأندلس محمد أبو عبد الله من غرناطة ليدخلها قائد جيوش فرديناند وايزابيلا عام ٧٩٧ هـ ــ ١٤٩٢ م .

المآثر الفنية الخالدة

كانت فترة الموحدين زاخرة بالأعمال الفنية الكبيرة وخاصة فى التشييد ، سواء فى المساجد أو القصور ذات المستوى المترف الرفيع . وفى عهد المرابطين ، زاد الاهتمام بواجهات المساجد ، فصارت زخارفها أكثر دقة وثراء وفخامة ، وتعددت المساجد فى المدن الأندلسية وقد بنى معظمها على النمط المغربى الشهير بمآذنها المميزة ذات المدرجات المربعة ، ومن أشهرها مسجد طليطلة والمسجد الجامع بالمرية (وهو الذى تحول بعد ذلك الى كنيسة سان جوان ولم يبق منه غير المحراب وجدار القبلة) ، كما نرى عدة مساجد فى بلنسيه ومرسيه وغيرهما من المدن . وفى مجال القصور الفخمة ، فقد أحاط ملوك الطوائف أنفسهم بمظاهر الأبهة والرفاهية وتنافسوا فى تشييد القصور الفخمة فى اشبيلية وطليطلة وسرقسطة .. وزينت معظم جدرانها



ولادة ابنة الخليفة المستكفى بالله

– من فرط البذخ – بألواح المرمر المنقوش بالزخارف المحفورة الرائعة . أما المرابطون ، فكانوا أكثر زهداً وتديناً ، فلم يهتموا ببناء القصور .. وخلفهم حكام الموحدين ، فتفوقوا على ملوك الطوائف فى مظاهر الترف ، وتغالوا فى بناء القصور وتزيينها بأفخر الأثاث والرياش واقتناء التحف الثمينة .

وفى عهد بنى نصر (مملكة غرناطة) تم ابداع الدرة الخالدة ، ووصل التفوق الى ذروته .. فى قصر الحمراء الرائع !

قصر الحمـراء .. ذروة الابداع

انـــا تـــاج كهـــلال
انـــا كـــرسى جمـــال
ينجـلى الابريــــق فيـه
كعـــروس فـــى اختيـــال
جـــود مولانـــا ابن نصـــر
قـــد حبانى بالكمـــال

(من كتاب طيقان الأبواب) للمقرى

اشترك فى تشييد قصر الحمراء ثلاثة حكام هم : أبو الوليد اسماعيل ، وابنه أبو الحجاج يوسف الأول، ثم أضاف خلفه محمـد الخامس توسيعات وإضافات أخرى . ويتكون القصر من ثلاث مجموعات يتوسطه فناء مركزى اشتهر باسم بهو السباع وهو أشهر جزء فى القصر كله حيث تتوسطه نافورة على هيئة حوضين من الرخام الثمين .. اسفلهما يمثل القاعدة والآخر (العلوى) أصغر حجماً ومحمول على اثنى عشر أسدا . وتكسوا الجدران طبقة من الجص مغطاة بالنقوش والزخارف والكتابات العربية . وكان هذا الجزء مخصصاً للحريم .. لا يدخله إلا السلطان واسرته .

ومن أجمل مبانى قصر الحمراء بهو الريحان ، مركز المقر الرسمى ، وأفخم قاعاته قاعة (الأختين) المربعة الملحقة بالحديقة الخاصة .

كما توجد الحمامات الملكية متعددة الأحواض .. كلها تغطى بالنقوش الذى تعتبر قمة فن (الأرابيسك) فى ابداعات الفنان العربى المسلم .

ويقع بالقرب من هذا القصر ، بقايا قصر اخر ، كان يقيم فيه حكام بنى نصر فى فصل الصيف يعرف باسم (جنان العريف) ، وقد بلغ فى زخرفته حد الروعة . وكسيت جدرانه كاملة بالفسيفساء والمرمر والنقوش بماء الذهب والمعادن الثمينة . أما قصر (أشبيلية) المسمى (الكازار) ، والذى بناه الملك (بدرو) فى الفترة ما بين ٧٦٢ – ٧٦٦ هـ ، فقد استعان الملك بالعمال والفنانين والمهندسين من غرناطة فى تشييده ، وأروع ما فيه هى قاعة السفراء التى وجد بها كنوز فنية فريدة من النقوش ، وبخاصة تصوير الأشخاص تصويراً بأزيائهم وأسلحتهم وملامحهم ، مما يعتبر كسباً كبيراً لمؤرخى الطرز الاسلامية فى ذلك العصر المجيد ، ويطلق على قصر أشبيلية (طراز المدجنين) ، وهم الحكام المغاربة الذين استمروا فى الأندلس بعد سقوط الدولة ، وحكموا مدنهم تحت سلطة الحكم المسيحى .

المستحدثات الأندلسية

ومما هو جدير بالذكر أن بناء الحمامات ، لم يكن معروفاً فى اسبانيا قبل الفتح الاسلامى ، ولذلك فالحمامات تعتبر أثراً أندلسياً هاماً ، ناهيك عن تانق زخرفتها بشكل فنى فى غاية الجمال والاتقان . وقد ذكر المؤرخون أن قرطبة وحدها كان بها تسعمائة حمام فى عهد المنصور ابن أبى عامر . وكذلك انتشر بناء الأسواق والوكالات والفنادق ودور الضيافة والحصون ذات الأبراج المربعة (متأثرة بالأسلوب المغربى) كما عم بناء الأسوار حول القصور وفى مداخل المدن ، وكانت تلك الأسوار محصنة بالابراج والأبواب الضخمة . وكانت يد الفنان المبدعة توزع اللمسات الفنية على كل هذه الانشاءات . وبجانب الآثار المعمارية ،ظهر العديد من الفنون المعدنية والخزفية ، وكانت عبارة (لا غالب إلا اللـه) وهى شعار ملوك غرناطة ، تمثل عنصراً تشكيلياً استخدم كزخرف زينت به معظم الوحدات الفنية . كما تألقت غرناطة فى إنتاج نوع ذى مستوى رفيع من الخزف تميز باللونين الأزرق والذهبى ، وهناك نوع أخر من (الخزف ذى البريق المعدنى) اشتهرت به مدينة بلنسية ، وكانت تصدر من هذا النوع كميات هائلة الى معظم البلاد الأوروبية لاقتنائها كتحف فنية اسلامية . وفى عهد بنى نصر ، انتشرت صناعة النسيج الثمين ، وكانت تتميز باطارها الخارجى ذى الزخارف الكتابية بخط الكوفى والأشكال الهندسية التى تتخللها صور آدمية محورة .

واستخدم اللون الأسود فى تحديد تفاصيل وحداتها ، ويعتبر السجاد الأندلسى من أندر الآثار الاسلامية اليوم فى المتاحف العالمية .

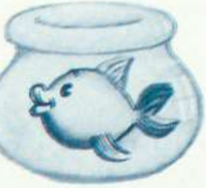
لقد كانت الأندلس ، ومضة مشعة فى دروب المسيرة الانسانية ، أنارت للدنيا كلها آفاق الفكر والمعرفة ، وإن كان العقد قد انفرط وتبعثرت حباته ، إلا أن الدرر الثمينة باقية أبدا .. تتلألأ – أنى كانت – فى وجدان البشرية ! .

جمال قطـب

المراجـــع

- مسجد قرطبة وقصر الحمراء .
للدكتور عبد العزيز الدولاتلي
- فن التصوير عنـد العـرب .
ريتشارد ايتينكهاوزر
- الشوقيـــات (الجزء الثانى)
أحمـــد شوقـــى
- العمارة فى العالم الاسلامى .
د. فريـد شافعـى
- الفن عند الشعوب الاسلامية .
د. حسـن الباشـا
- فنـون الشرق الأوسط .
نعمت اسماعيل علام
- قراءات متفرقـة :

اللوحات المرسومة : بريشة كاتب المقال .



للأطفال
حكاية بالألوان

سر السمكة الذهبية

كانت الفتاة الصغيرة مغرفة بالأشياء الأليفة .. وكانت تريد أن يكون عندها كلب صغير .. أو قطة صغيرة ، ولكن والديها أحضرا لها إناء زجاجياً فيه سمكة ذهبية وقالا لها ..

ـ سوف نرى كيف تعتنين بهذه السمكة ثم نحضر لك بعد ذلك كلباً أو قطة وقالت الفتاة فى تصميم ..

ـ حسناً سوف أريهم كيف اعتنى بهذه السمكة الذهبية ..

الفرشاة وتنظف بها زجاج الاناء من الداخل والخارج حتى تجعله لامعاً تماماً .. ولكنها فى هذا الأسبوع وبينما هى منهمكة فى التنظيف سمعت صوتاً يهتف بها ..

ـ كفي عن هذا أنت تصيبيننى بدوار البحر ..؟

والتفت الفتاة حولها فى دهشة .. لم تجد أحداً .. من أين جاء هذا الصوت وحاولت أن تواصل تنظيف الحوض ولكن الصوت عاد يصيح ..

ـ قلت لك كفي .. لقد جعلتنى مريضة جداً ..

ولدهشة الفتاة الصغيرة اكتشفت ان السمكة هى التى تحدثها .. وابتعدت الفتاة وهى تقول فى اعتذار ..

ـ أنا أسفة يا سمكة ..

ومرة أخرى صرخت السمكة فى حدة ..

ـ ولا تسميني سمكة أيضاً .. اسمى هدى .. أو على الأقل كان هذا اسمى منذ شهرين مضيا قبل أن تسلط الساحرة الشريرة سحرها علي وتحولنى الى سمكة ذهبية .

وقالت الفتاة فى دهشة ..

ـ أتعنين أنك كنت فتاة صغيرة .. مثلي ..

قالت السمكة ..

ـ بل كنت أفضل منك .. كنت أطيع كل الأوامر .. وأكل كل ما يقدم لي من طعام .. ولكن الساحرة الشريرة التى تسكن خارج المدينة لا تحب الفتيات الطيبات ولذلك حولتنى الى سمكة .. ولكن .. أوه .. أريد أن انسى هذه القصة الحزينة .. هل يمكنك أن تقدمى لي المساعدة ..

وقالت الفتاة ..

ـ كيف يمكن أن أساعدك ..؟

قالت السمكة ..

ـ هذا سهل يا أختى .. ولكن لا أستطيع أن أظل أصرخ هكذا .. اقتربى قليلا من فضلك من حافة الحوض الزجاجى حتى أستطيع أن أقول لك كيف تساعديننى .. ولكن قبل ذلك ارفعى هذه الفرشاة المزعجة من حوضى ..

ورفعت الفتاة الفرشاة بسرعة ثم وضعت أذنها قريباً من حافة الحوض .. وقالت السمكة ..

ـ أتعرفين أصناف الخضروات التى تضعها أمك فى الطبق أمامك يوماً بعد يوم

قالت الفتاة ..

ـ أجل .. ماذا فيها ..؟ ..



قالت السمكة ..

ـ كليها .. كليها كلها يا أختى .. لا تعترضى ولا تعلقى .. كليها فقط لمدة أسبوع .. مجرد أسبوع قصير .. سبعة أيام بالضبط .. بلا أى اعتراض وبهذا سوف يذهب الشر عنى ..

وقالت الفتاة معترضة ..

ـ ولكنى أكره طعم الخضروات .. أكرهها بالفعل .. ولكن لا أستطيع أن أترك فتاة فى مثل سنى وهى فى حاجة للعون ..

وأمسكت السمكة أنفاسها وهى تقول ..

ـ اذن .. ؟ ..

قالت الفتاة ..

ـ سوف آكل تلك الخضروات اللعينة .. سوف أفعل ذلك ..

وحركت السمكة ذيلها فى سرور وهى تقول لها ..

ـ نلتقى بعد أسبوع ..

وفى المساء حافظت الفتاة على موعدها .. وملأت الطبق الذى أمامها بالسبانخ وأخذت تأكل فى هدوء .. ودهش الأب والأم ولكنهما ابتسما فى سرور .. وفى الليلة الثانية أكلت الفتاة كمية كبيرة من الجزر .. وفى الثالثة أكلت «البازلاء» وفى الرابعة أكلت طبقاً كبيراً من «الكوسة» وفى الخامسة أكلت بطاطس .. وفى الليلة السادسة .. أكلت المزيج الذى أعدته أمها من كل هذه الخضروات .. وفى الليلة السابعة أكلت كميات مضاعفة من «الخرشوف» الذى أعدته أمها .. وحين قالت لأمها ..

ـ هل يمكن أن آخذ كمية أخرى من الخرشوف .. ؟

قالت الأم فى سرور ..

ـ بالطبع يا عزيزتى .. أنا وأبوك مسروران لأنك أصبحت فتاة لطيفة تحبين طعام الخضروات ..

ولكن الفتاة كانت تقول فى نفسها ..

ـ إنها الليلة الأخيرة على أى حال ..

وبعد أن فرغت من وجبة الطعام لم تستطع الاحتمال فانصرفت مسرعة الى غرفتها لكى تحمل الأنباء الطيبة لسمكتها الذهبية .. ولكنها وجدت الاناء الزجاجى فارغاً ..

وضربت الفتاة الصغيرة الأرض بقدميها وهى تقول ..

ـ ألم تكن تستطيع الانتظار حتى تقول لى الى اللقاء .. يا لها من سمكة أنانية ..

ونظرت الى الاناء الخالى .. وأحست بالوحدة الشديدة ثم قالت ..

ـ ربما كانت سمكة سخيفة أحسن من لا شىء ..

وكان الذى يحيرها حقاً هو كيف تخبر أباها وأمها كيف اختفت السمكة .. وظلت جالسة حزينة .. وسمعت صوت أبيها يقول لها من أسفل السلم ..

ـ عزيزتى هل تسمحين بالنزول قليلا .. ؟ ..

وببطء نزلت الفتاة من على سريرها وهبطت الدرج وهى تفكر فى نفسها .. لا يمكن لشىء بعد ذلك أن يبعث بالسرور فى قلبى .. ولكنها رأت أباها وأمها واقفين وبجانبهما فتاة جميلة فى نفس سنها تقريباً .. وقال الأب ..

ـ أريدك أن تتعرفى على «هدى» .. فهى سوف تقيم معنا هنا لأنها بلا عائلة ..

ووضع ذراعه حول الفتاة وهو يقول ..

ـ انها سوف تقيم معنا لفترة قصيرة .. ولكنها لو أحبت الاقامة فقد تقرر أن تبقى معنا الى الأبد ..

وقالت هدى بنفس الصوت التى تعرفه الفتاة جيداً ..

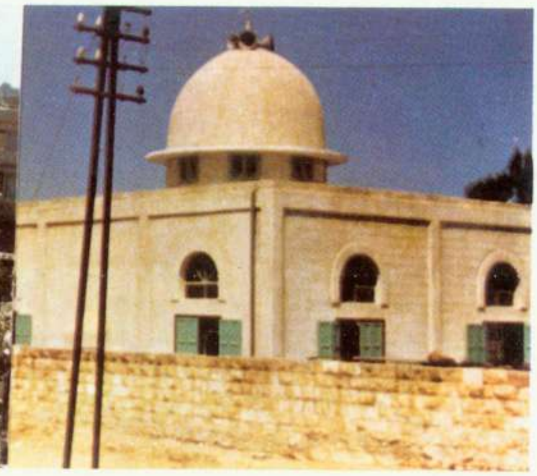
ـ مرحباً بك يا أختى ..

وغمزت لها بعينيها ..

ومنذ ذلك اليوم لم تكف الفتاة الصغيرة عن أكل الخضروات لعل هناك سمكة ذهبية فى مكان ما تنتظر أن يزول عنها سحر الساحرة الشريرة .







خان يونس..
مدينة الشهداء

نبيل خالد الآغا

نهلت منها الحب كله ، وعشقتها كما لم أعشق سواها ، فعلى ثراها كان ميلادى ، وفى حماها نما جسدى ، وتحت سمائها شب عودى ، واشتد زندى .

عندما كنت صغيراً تخيلت أفقها المنحني نهاية العالم ، فتجسدت لي فيها كل آفاق الحب والدفء والحياة ، وعندما صرت رجلا فوجئت بضياعها فى ساعة سوداء خارجة عن إطار الزمن ، فصرت أتجرع كؤوس الحسرة عليها فى كل لحظة تجلد فيها الغربة كبريائى بسياطها اللاهبة ، فأهرع الى مسكنات الصبر .. معتصماً بها راضياً – كل الرضى – بقضاء الله.

اننى ما برحت أذكر لحظة فراقى لخان يونس فى بداية عام ١٩٦٧ م ، فقد كنت متوجهاً يومها لاستكمال السنة النهائية من دراستى الجامعية بالقاهرة ، استيقظت فجراً على دعوات أمى وهى تخترق حجب السكون والقلوب . فكانت دعواتها تهز شغاف قلبى ، وتمنحنى طمأنينة لـم يهبنى إياها كائن بشرى آخر ، فلقد منحتنى تأشيرة الدخول الى رحاب السكينة

ودعت أمى واتجهت صوب الباب ، وفجأة سمعت صوتاً صاخباً خلفى ، وإذ بابريق من الفخار يتهشم مكان خطواتى ، ويصيبنى بعض رذاذ مائه ، فنظرت بدهشة الى أمى فوجدتها ترمقنى بتوسل وحنان قائلة : سامحنى يا بنى ، انه شيء فى نفسى قضيته ، فعسى الله أن يكسر الشر كما انكسر هذا الابريق.

وتشاء ارادة الله أن أعود الى خان يونس ولكن بعد اثنى عشر عاماً ، ولم يكن عوداً أحمد ، فقد كان مشبعاً بهموم الاغتراب ، مترعاً بمآسى الاحتلال.

• •

ها هى ذى السياره قد أوصلتنى الى البيت بعد طول غياب ، ووضعت قدمى على عتبته ، فتذكرت لحظة الفراق البعيدة ، عشرات من الأهل والأقارب والجيران ملتفون حولى يتفرسون صورتى التى غيبها الزمن عن ذاكرتهم ، وأنا أيضاً أتفرس فى وجوههم وأجسامهم ، ولكننى لا أعرف منهم إلا القلة من كبار السن ، رفعت رأسى عالياً ونظرت الى شجرة العنب التى تظللنا وأخذت أحيى «دالية» الخير التى مازالت وفية على عهدها وعطائها ، ولكن ما بالى شردت فى أفكارى ، والأحباب حولى ، هل أقول الحقيقة ؟ أجل سوف أقولها فطالما أرقنى كتمانها : أقسم بالله العلي العظيم أننى فى تلك اللحظات شككت فى حقيقة وجودى بين أهلى ، وظننت – بينى وبين نفسى – أننى أعيش فى حلم ممتع ، وسيطر ذلك الشعور على تفكيرى ، فأردت أن أعرف الحقيقة وأتأكد مما أشك فيه ، فضغطت على أصبعى بشدة ، فشعرت بالألم ، فاستبشرت خيرا ، ثم شربت ماء وتعمدت أن تسقط بعض القطرات الباردة على وجهى وصدرى ، وقد ثبت لدى «بالتجربة والبرهان» أننى موجود بين أهلى فى خان يونس !





وتوجهت برفقة أخى الى «مقبرة الشيخ يوسف» لزيارة ضريح والدى رحمه الله حسب السنة النبوية الشريفة، فسلمت عليه، ووقفت على قبره، وتذكرت فى تلك اللحظات احدى امنياته التى كان يرددها على أسماعنا: اتمنى ان اقتل يهوديا واحدا ثم اموت!

ووجدت من واجبى أن أزور الأضرحة المجاورة فقال أخى عدنان: ان أغلب هذه القبور تخص الشهداء الذين لقوا وجه ربهم فى مجزرة خان يونس إبان العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ م يوم استباح اليهود أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم، فانقضوا على البيوت وأفرزوا الشباب ثم قتلوهم زرافات زرافات على سور القلعة وفى الملاجىء، والساحات العامة، ونظرت على شواهد القبور فاذا بى أقرأ أسماء الأخوين نظمى وفؤاد العالى، والأخوين عطا ومجدى بربخ، والأخوين حسن ونديد البطة، والأخوين فائق ونعيم صوالى، خليل أحمد الآغا، رمضان الخطيب، علم العلمى، محمود شبلاق، الحاج مصطفى الآغا، محمد كامل الشقرة، الحاج محمود الأزعر، محمد أبو الكاس اضافة الى أسماء عديدة أخرى لا يتسع المجال لسردها.

وفى طريقنا الى البيت مررنا بقلعة خان يونس الأثرية الشامخة، ورأيت أن أصحب معى كرام القراء لنقرأ معاً صفحة من حياتها.. وحياة مدينة الشهداء.

نظرة عامة

فى أواخر العهد البريطانى الأسود على فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) كان قضاء غزة يشتمل على ثلاث مدن رئيسية هى: غزة، وخان يونس، والمجدل، اضافة الى اربع وخمسين قرية من أشهرها: رفح، دير البلح، الفالوجة، بنى سهيلة، عبسان، خزاعة، بربرة، بيت دراس، حمامة، اسدود، جباليا، المسمية، القسطينة، السوافير، عراق المنشية.

وقد كان من نتائج حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م ان استولى الصهاينة على جزء كبير من هذا القضاء، بينما احتفظت مصر بالمنطقة المعروفة حالياً باسم قطاع غزة، والذى يشتمل على مدن غزة وخان يونس ورفح. وكانت من نتائج حرب عام ١٩٥٦ أن احتل اليهود هذا القطاع الباسل حوالى أربعة أشهر ثم سحبوا منه (٢٩ نوفمبر ـ ٧ مارس ١٩٥٧ م) وكان أيضاً من نتائج حرب حزيران عام ١٩٦٧ م أن استولى الاسرائيليون مرة أخرى على هذا القطاع.

وبرغم مرور أربعة عشر عاماً على احتلالهم له إلا أنهم قد فشلوا فى ترويضه واستئناسه، وما انفك سكانه ـ الذين يبلغون نصف مليـــون نسمة ـ ينتظرون يوم تحريره وبقية الأراضى المحتلة من جبروت الغاصبين.

أصل التسمية

خان يونس مدينة حديثة الانشاء لا يتجاوز عمرها ستمائة عام واسمها مركب من مقطعين.. «خان» بمعنى فندق أو نزل.. و «يونس» نسبة الى مؤسسها الأمير «يونس النوروزى الداوادار». وقد كان مقرباً لدى السلطان سيف الدين برقوق أول ملوك المماليك الشركسية الذى تولى عرش مصر فى عام ١٣٨٢ م.

وقد حدث أن أحد ولاة حلب قد أعلن العصيان على السلطان برقوق فانتدب له الأمير يونس ليقوم بتأديبه واعادته الى الحظيرة المملوكية.. غير أنه أخفق فى حملته.. وفى طريق عودته الى مصر قتل بصورة غامضة على مشارف دمشق عام ١٣٨٨ م... ولم يعرف له قبر. ويروى عنه انه كان عابداً زاهداً كثير الصوم والصلاة.. يحب الفقراء والمساكين ويكرم الفقهاء والعلماء والاتقياء.

وقد بنى الأمير يونس هذا الخان عام ٧٨٩ هـ ـ ١٣٨٧ م على هيئة قلعة ضخمة حصينة، عالية الجدران حتى تكون مأمناً للتجار والمسافرين الذين كانوا يستريحون وهم فى طريقهم من الشام الى مصر أو العكس.. ومع مرور الزمن وقلة الاهتمام تصدعت كثير من جدران هذه القلعة إلا أن واجهتها الغربية مازالت سليمة، إضافة الى قسم كبير من الحائط الجنوبى.

ويوجد فى أعلى باب القلعة بعض الكتابات التى تشير الى اسم مؤسس الخان «الداوادار يونس» والى تاريخ التأسيس «وتم الخان لتسع سنين مضت بعد ثمانين بعون الجليل وسبع مئة».

ويوجد على مسجد القلعة قطعة رخام نقشت عليها هذه الأسطر:

(بسم الله الرحمن الرحيم «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين»، انشاه الموفق الشريف العالى الملوى الأميرى المشاغرى الشرفى يونس داوادار مولانا السلطان الملك الظاهر نشر الله عدله وبلغه أمله أمين).

والى جانب هذا الكلام تم نقش شعار الأمير يونس وهو عبارة عن كاسين ومحبرة.

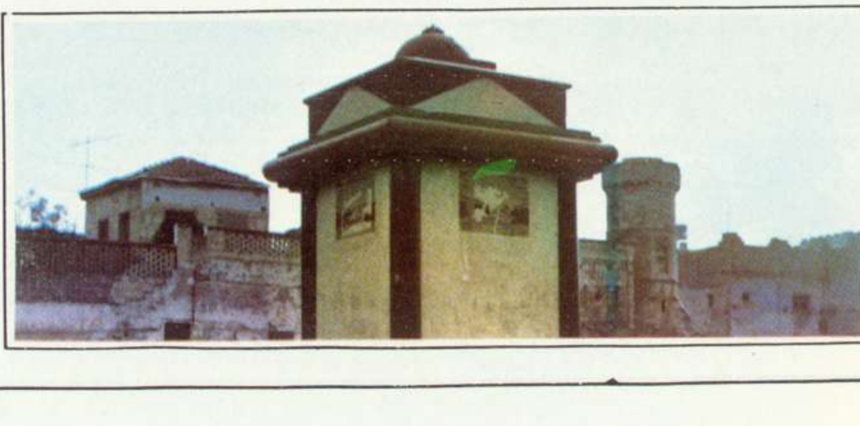
وتطلق العامة حالياً كلمة «قلاعى» على من يسكن مدينة خان يونس من سكانها الأصليين.

أحداث فى تاريخها

لقد شهدت خان يونس بعض الأحداث الكبيرة فى تاريخها، ومن أهمها:

● كانت ملتقى للجيش العثمانى والجيش المصرى، حيث انهزم الأخير وأضحت المدينة تحت سيطرة العثمانيين فى ديسمبر عام

النصب التذكارى لشهداء خان يونس (١٩٥٦)



خان يونس..
مدينة الشهداء

١٥١٧ م .

● بعد أن استولى نابليون على مصر توجه الى سورية عن طريق العريش وغزة عام ١٧٩٩ وبعد أن سقطت العريش فى يده واصل الجيش الفرنسى زحفه وكان (كليبر) فى مقدمة الجيش و (لان) فى المؤخرة .

أما نابليون ذاته فقد تأخر عن الركب لبعض شأنه .. ثم أسرع للالتحاق بجيشه عند رفح . ولم يكن هناك أى دليل يشير على أن كليبر قد سار من تلك الطريق ، وازداد الشك فى احتمال أن يكون الجيش قد ضل الطريق .. وسار نابليون ومن معه بسرعة فائقة الى الأمام نحو خان يونس .. غير أنهم لم يعثروا على الجيش .. ووجدوا أنفسهم وحيدين أمام عرب خان يونس الذين لم يعرفوا هوية القائد الكبير .. وخشى نابليون من جانبه أن يأسره أعداؤه فاضطر الى الفرار بجلده بعيداً عن الأعين ، ولم يلتق بجيشه إلا فى اليوم التالى .

وهكذا ضاعت الفرصة . فلو عرف أهل خان يونس شخصية نابليون لألقوا القبض عليه ولو فعلوا ذلك لتغير مجرى التاريخ .

● تتفق كافة المصادر العربية والاسرائيلية وهيئة الأمم المتحدة على كبر حجم نشاط الفدائيين الفلسطينيين بقطاع غزة فى الفترة ما بين سبتمبر عام ١٩٥٥ حتى نوفمبر عام ١٩٥٦ وقد تميزت عمليات الفدائيين بالقوة وخصوصاً تلك التى كانت تتم مباشرة بعد غارات اسرائيلية على أهداف فلسطينية .. كحادثة قصف مستشفى غزة وقتل وجرح حوالى مائة شخص معظمهم من المرضى فى ٢٨ شباط عام ١٩٥٥م وعلى مدينة خان يونس فى نهاية شهر ايار من نفس العام حيث استشهد أكثر من عشرين شخصاً وجرح أكثر من عشرين آخرين .

وكذلك « غارة المركز » التى حدثت ليلة ٣١ سبتمبر من نفس العام أيضاً حيث هاجمت وحدة اسرائيلية محمولة مركز البوليس فى خان يونس عشاء . وفجرت معظم المبنى على من فيه من عسكريين ومدنيين . وقد قتل فى هذه الغارة ستة وأربعون قتيلا وخمسون جريحاً ، وقد اعلنت اسرائيل « اختيـــار مركز بوليس خان يونس كهدف للهجوم لأن عمليات الفدائيين كانت تقاد منه » .

ولم تكتف اسرائيل بانتهاج سبيل الغارات والاعتداءات انتقاماً من النشاط الفدائى فى القطاع بل عمدت الى أسلوب الاغتيال الفردى بواسطة الطرود المتفجرة ، وقد استشهد من جرائها البطل المصرى المقدم مصطفى حافظ المسئول الأول عن تنظيم نشاط الفدائيين الفلسطينيين يوم ١٣ يوليو عام ١٩٥٦م . فكان استشهاده ضربة قاصمة للنشاط الفدائى بشكل عام حيث (كانت علاقة الفدائيين به أقرب ما تكون الى العلاقة الأبوية ، ولقد تم نسج درجة عالية جدا من الثقة به حيث كان يلم بأدق تفاصيل حياتهم وهمومهم اليومية) .

وفى اليوم التالى انفجر طرد مشابه أودى بحياة المقدم صلاح مصطفى ملحق مصر العسكرى فى العاصمة الأردنية .

خان يونس والعدوان

لقد كانت المقاومة العربية فى قطاع غزة ضارية ضد أطراف العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م ، وكانت المقاومة على جبهة خان يونس أشد عنفاً بالقياس للقتال الذى شهدته مدينة غزة مما أدى الى « تعطيل تقدم القوات الاسرائيلية الى قطاع خان يونس الى حين الاستعانة بالدبابات لتحطيم الحزام الدفاعى ، وقد أطلقت فى هذا الصباح أكثر من ثمانين الف طلقة لتطهير المواقع » كما يقول مجرم الحرب موشى ديان .

وأما المؤرخ العسكرى المعروف ادغار اوبلانس فيقول واصفاً مقاومة خان يونس : « حالما دخلت القوات الاسرائيلية اجبرت على التوقف ، فقد كانت بيد الفلسطينيين بعض المواقع الجيدة حيث كانوا يصبون النار منها على المهاجمين من أسلحة آلية متوسطة ، وعندها قرر قائد الكتيبة التوقف واحضار دباباته لاسناد الهجوم . ولم يبدأ بالتحرك باتجاه الجنوب قبل حوالى منتصف الليل ، وفى هذا الوقت كانت الكتيبة الثانية قد استكملت احتلال غزة .. وتحركت جنوبا باتجاه خان يونس للمساعدة في احتلال المدينة التي استمرت في المقاومة الباسلة ، وجابهت المعتدي بعنف وقاتلته من موقع الى موقع الى درجة ثمة نقطة دفاعية داخل المدينة استمرت في المقاومة الامر الذي اجبر العدو على الاستعانة بالطيران حيث وجهت اليها ضربة جوية ادت الى شل مقاومتها نهائيا » .

ويقول المؤرخ العربي الاستاذ حسين ابو النمل : « لابد من تسجيل الدور القتالي الذي لعبه الفدائيون الفلسطينيون وخصوصا في نقطة تجمعهم الرئيسية في خان يونس ، حيث صمدوا حتى اللحظة الاخيرة ، ومن تبقى منهم بعد سقوط مواقعهم شقوا طريقهم الى داخل الارض المحتلة ، ومن هناك عبروا الى الضفة الغربية للاردن .. هذا .. اضافة الى دورهم في انقاذ عدد كبير من الضباط المصريين ممن لم يتمكنوا من الانسحاب في بدء المعركة ، وذلك من خلال تهريب هؤلاء الضباط الى مصر » .

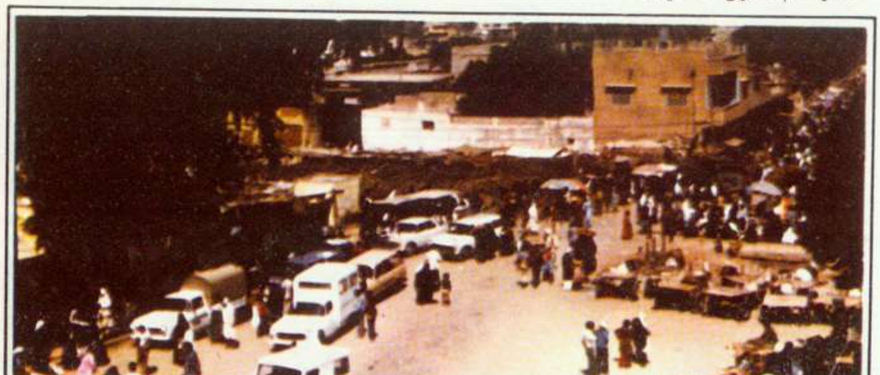
ووقعت خان يونس فى قبضة غريمها وبقدر عنف ضربات الفدائيين المؤثرة فى الكيان الصهيونى كانت درجة الانتقام شديدة من المدنيين الفلسطينيين ...ولقد كررت اسرائيل فى خان يونس الأساليب الارهابية نفسها التى طالما لجأت اليها عبر تاريخ الاجرام اليهودى الطويل ، وبمجرد دخولها القطاع ارتكبت سلسلة من المذابح استهدفت العنصر البشرى الفلسطينى بالذات كما حدث فى غزة ورفح ..

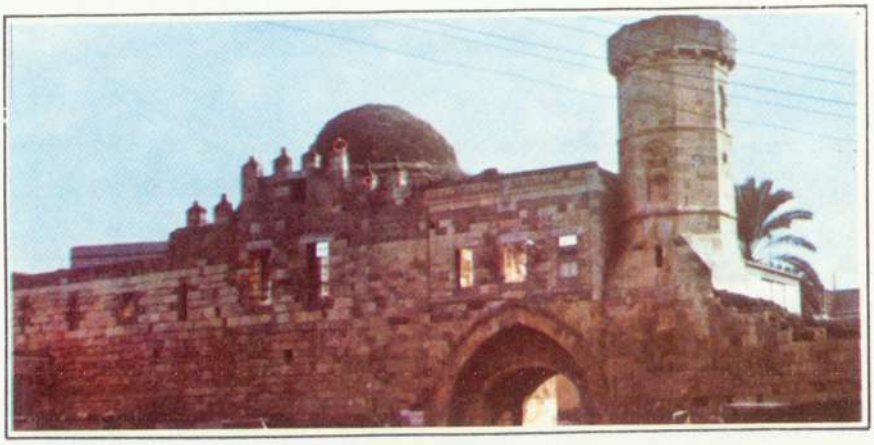
ولا يتسع المجال لسرد نماذج مأساوية عديدة حدثت فى الأيام الثلاثة الأولى التى أعقبت احتلال خان يونس ، وحسب احصاءات الأمم المتحدة فقد فقدت المدينة ٤١٥ شهيدا ، و ٣٨٨ جريحاً ، و ٥٧ مفقودا ..

ولقد استشهد الزعيم العربى الخالد جمال عبد الناصر بكفاح مدينة خان يونس تسع مرات فى مناسبات عديدة ، كقوله فى إحداها : « لقد حارب الشعب الفلسطينى فى غزة وخان يونس ورفح ، وهو يعلم أن الجيش المصرى قد انسحب ولكنهم حاربوا دفاعاً عن شرفهم وكرامتهم ، وفى خان يونس كانت هناك معركة مريرة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين ، واثبت هذا الشعب انه لم تؤثر فيه المحن » .

ولقد انسحب الاسرائيليون من قطاع غزة يوم ٧ من مارس ١٩٥٧م ، ومن المصادفات غير السعيدة أن يعودوا اليه بعد عشر سنوات أى فى السادس من يونيو ١٩٦٧م ، وتتكرر صور شتى للبطولة والفداء ، لكن ليل الهزيمة أرخى سدوله عليها فطمسها ، ونتيجة لكفاح خان يونس فلقد نظر اليها العسكريون اليهود نظرة خاصة وحفاظاً منهم على ارواح مدنييهم الذين تعاقبوا على زيارة « المناطق المحررة » فلقد كتبوا اليهم تحذيرات عديدة فى مدخل المدينة قالوا فيها :

منظر عام لسوق الخميس .





قلعة خان يونس رمز للصلابة والصمود .

احذروا مدينة القتلة ، احذروا مدينة السفلة ! .

ولكن قبيل احتلال المدينة حدثت امور بلغت غاية الدهشة والغرابة ، فقد فوجىء كل السكان في المدينة – وبلا استثناء – بدخـول عربة جيب عسكرية تتقدم رتلا من الدبابات التى ترفع الأعلام الجزائرية والعراقية والفلسطينية ، وتصدر من مكبرات الصوت فيها اعذب الألحان الثورية ، واشجى اغانى الوحدة العربية ، اضافة الى وجود بعض ايات القران الكريم مكتوبة بخط جميل على اجزاء الدبابات .

واستبشر الناس – كل الناس – بقرب تحقيق احلام النصر والعودة والتحرير ، فاخذوا يتهافتون على الدبابات فى حبور وسرور ، ويقدمون لأطقمها البشرية كل مظاهر الترحيب والتاييد والعرفان بالجميل !

وتمركزت تلك القوى فى المراكز الحيوية فى المدينة ، واخذت تقصف مواقعنا ، وجماهيرنا ، وطموحاتنا ، واحلامنا وكان تدمير عربة الجيب وقتل قائد الرتل ثانى اعلان حقيقى عن اكتشاف الخديعة المحكمة التدبير التى لجا اليـــه العـــدو فـــى خـــان يونـــس ، وسيمـــضى وقـــت طويل قبل أن يتحول جليد الهزيمة الى نار موقدة تلتهم الاتكالية والارتجالية والتخاذل ! .

واقع المدينة

تقع خان يونس على الخط الحديدى الرئيسى الذى يمتد من القاهرة الى حيفا ، وقد كانت لهذا الخط اهمية كبيرة إبان الانتداب البريطانى واستخدام القوات البريطانية المتواجدة فى مصر وفلسطين له ، وكثيرا ما كان هذا الخط هدفا لهجمات الثوار الفلسطينيين وبخاصة خلال ثورة عام ١٩٣٦م ، وقد سجل شباب خان يونس فى تلك الفترة كثيرا من الهجمات الناجحة التى استهدفت الخط والقطارات البريطانية.

وتجاور خان يونس اراضي رفح ودير البلح وبنى سهيلة وعبسان وقضاء بئر السبع . وقد دعيت قرية « بنى سهيلة » باسمها الحالى نسبة الى « بنى سهيل » إحدى بطون قبيلة « بنى جذيمة » العربية الأصيلة التى نزلت هذه الديار فى صدر الاسلام ، ومن عائلاتها المشهورة .. ابو دقه ، البريم ، الدقس ، الدغمة ، القرا ، قديح ، ابو فياض ، ابو طعيمة ، ابو لحية ، خاطر . اما قرية « عبسان » فقد عرفت منذ اكثر من الف سنة ، وقد اطلق عليها هذا الاسم لانها كانت تضم مضربين من مضارب بنى عبس ، والعباسنة بطن من بطون قبيلة لخم العربية التى سكنت هذه الديار فى فجر الاسلام ، وينتمى بعضهم الى قبيلة « بنى مسعود » . وتشمل اراضى خان يونس ضاحية « القرارة » ومعناها « الروضة المنخفضة » وبسبب خصوبة هذه المنطقة فقد كانت فى القرن الماضى هدفا لصراع مرير بين قبائل التياهـــا والترابيـــن من جانب وبين السواركة والرميلات من قبائل سيناء فى الجانب الاخر ، وانتهت بعقد صلح القرارة بينهم فى شتاء عام ١٨٥٦م . وتسكن القرارة حاليا عائلة « العبادلة » او « عبد الاله » وهم من اشهر بطون بنى جذيمة ، وهم مشهورون بالتقوى والكرم وحسن الخلق .

ومن ضواحى المدينة ايضا « السطر » قاع القرين ، العلوة ، المعسكر ، السطلان ، سوق الخميس ، ظهرة الشيخ محمد ، جورة اللوت .

ولخان يونس اراض زراعية مهمة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط معروفة باسم **المواصى** « .. وهى عبارة عن مزارع خصبة تحيطها الكثبان الرملية البيضاء اللامعة وتمتد على محاذاة الساحل ، وكثير من هذه **المواصى** لا تبتعد عن الشاطىء اكثر من ثلاثمائة متر تقريبا ، ومما يزيد فى أهميتها عذوبة الماء ووفرته بصورة دائمة وسهلة ، وهى لا تكلف الفلاح اكثر من حفر حفرة لا تزيد عن المتر أو المترين فيتوفر له الماء العذب !

عادات أصيلة

بلغ عدد سكان خان يونس الاصليين عام ١٩٤٦م ما يقرب من ١٣ الف نسمة وفى عام ١٩٦٣م وصل عددهم الىحوالى ٧٠ الف نسمة بما فيهم سكان المخيم الذين وفدوا الى المدينة بعد عام ١٩٤٨م .

ويعود السكان الاصليون بجذورهم الأولى الى مختلف القبائل العربية التى نزلت قديما الى هذه المنطقة . وبينهم جماعات من الاتراك والشراكسة الذين كانت تعهد لهم حراسة القلعـــة ، وبعضهم وفد اليها من مصر .

ويقول استاذنا مصطفى مراد الدباغ عن أهل خان يونس : « عرف أهل خان يونس بتمسكهم بعاداتهم العربية والاسلامية ، فهم كرماء لضيوفهم ، محافظون على تقاليدهم وشعائر دينهم ، ولعائلاتها « دواوين » يجتمعون فيها ، وهم فى عاداتهم اقرب الى القبائل العربية منهم الى أهل المدن» « .

والديوان فى خان يونس عبارة عن مجلس واسع مخصص لقبيلة معينة تفتح أبوابه فى العادة ظهرا ، وتقام فيه جميع الصلوات اذا كانت المساجد بعيدة . ويتحدث فيه افراد العائلة في شئون حياتهم ويناقشون مشاكلهم ويشربون القهوة العربية «السادة» ويستقبلون ضيوفهم ، ويحيون افراحهم ، أو يقيمون ماتمهم ..

اما فى شهر رمضان المبارك فيتحول هذا الديوان الى مضافة عامرة بالضيوف الذين يفدون اليه لتناول طعام الأفطار الذى يتكفل به المختار أو العمدة وبعض اثرياء العائلة طوال الشهر .

واشهر دواوين خان يونس هي التى تخص عائلات : الاغا ، الفرا ، الاسطل ، العبادله ، شراب ، العقاد ، شبير ، المصري .

ومن العائلات المعروفة في البلد : الجبور ، الشاعر ، زعرب ، عاشور ، القدرة شهوان ، اللحام ابو ناهية ، أبو شقرة ، الطويل ، فارس ، البطة ، صادق ، المجايدة ، الغوافير ، وافي .

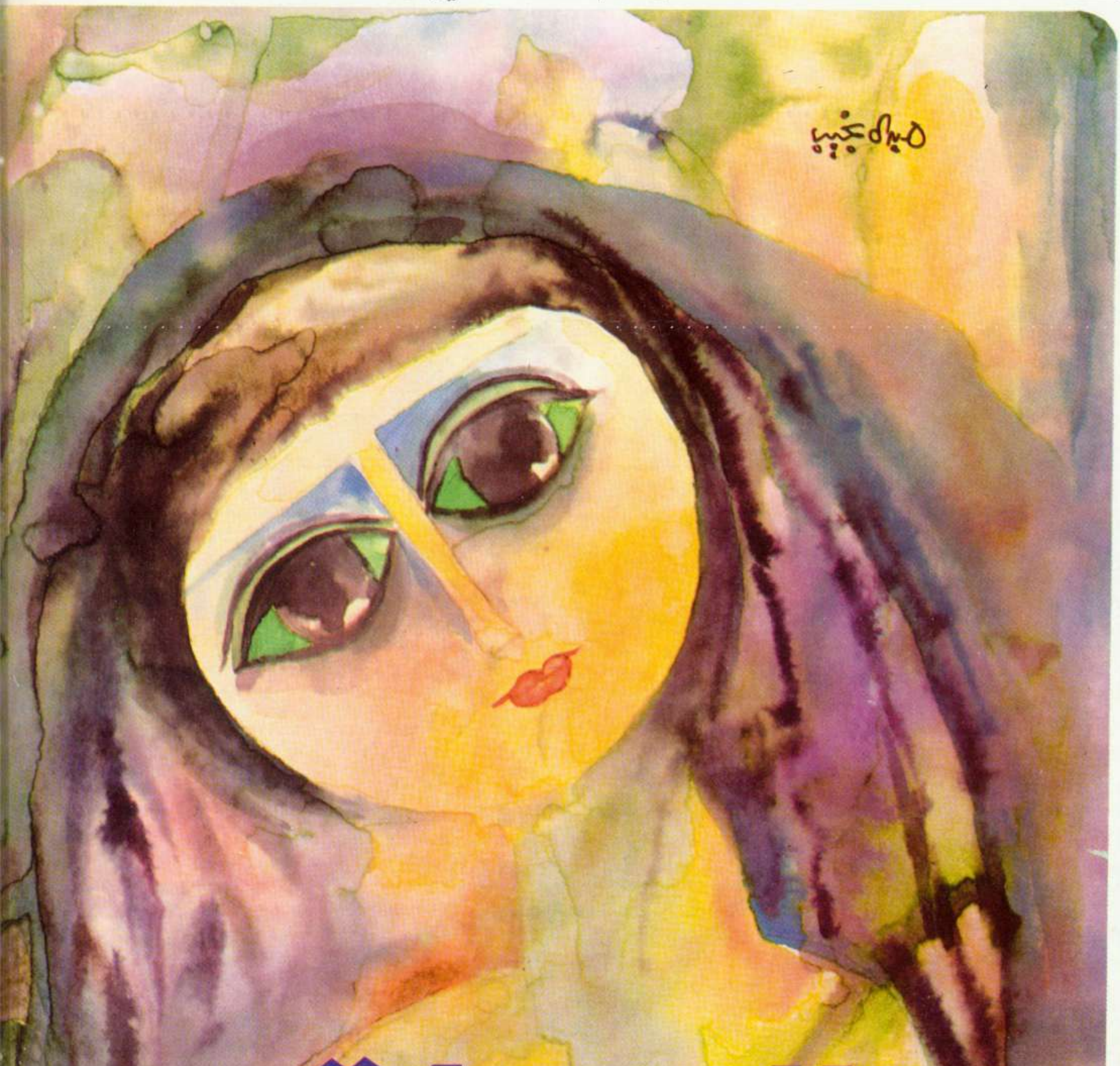
وينسب الى خان يونس عدد من الشعراء المجيدين : احمد فرح عقيلان ، عبد الحميد طقش عبد الشكور الطويل ، عبد الدائم عاشور ، زكريا العقاد ، كما عرفت المدينة رهطا من الشخصيات البارزة التي كان لها اثر محمود في المجالات الوطنية والاجتماعية والعلمية والدينية ، وتركت بعد رحيلها سيرة معطارة من مثل المرحومين الشيخ سعيد حمدان الاغـــا ، الشيخ حافظ البطة ، عبد الرحمن الفرا ، الحاج مصطفى العبادله،الحاج حافظ الاغـــا،الشيخ الشهيد عبد الله ابو سته ، القاضي الشهيد شوقى الفرا المحامى الشهيد احمد الاسطل وغيرهم .

● ● ●

مكثت اسبوعين بين احضان امى ومدينتى ، وازفت ساعة الرحيل بعد ان أوشكت على الانتهاء صلاحية تصريح الزيارة الصهيوني ، وكانت لحظة الفراق شاقةومؤثرة ، فلقد تجمع الكثيرون من الأهل والأحباب والجيران للمشاركة في الوداع كما هى العادة في بلدنا ، وخوفا من تكرار عملية تهشيم الابريق على عتبة البيت فلقد عمدت الى اخفاء كل اباريق الدار بعيدا عن عيني أمي .

وحينما وصلت الى الطرف الشمالى من خان يونس ، تلفت ورائي مودعا قلعتها ، ومآذنها ، واشجار النخيل الباسقة فيها ، والقيت عليها نظراتي الحانية ، وقلبى يلهج بمقولة الحبيب المصطفى وهو يخاطب مكة لحظة وداعه لها : «ما اطيبك من بلد واحبك الى ، ولولا ان قومى اخرجونى منك ما سكنت غيرك» .

نبيل خالد الاغـــا



النملة وقرص الخبز الأسود

أم أكثم

كابوس!!؟

نعم كابوس يفترش عقلي الباطن كعباءة بدوي يبلون الصحراء .. بحاجة لمن يقرص أذني لأفيق .. لابد أنني تأثرت بكثرة الروايات التي قرأتها عن التيه في الصحراء .. ترسبت في قاع بحيرتي الراكد ..صرخت بأعلى صوتي وأنا مغروسة في الرمل كنبتة شوكية .. وعاد الصدى كبوق عتيق يعلن للملأ ضياع شيء مفقود ..الصحراء تابوت للصمت (الصمت تابوت للصحراء) من يقرص أذني .. لا أحد ..حذرت الجميع من محاولة ايقاظي مهما حدث .. لن يجرؤ أحد على انتشالي من هذا التيه ..هل هي دعابة .. ربما ..تركتهم منذ ساعات يخيمون بجوار أحد التلال .. انطلقوا جميعا لممارسة هواية الصيد .. وعدوت أنا لتسلق الكثبان الرملية !!! ألم يفتقدوني بعد هذه الساعات البطيئة المتساقطة من قربه محكمة الاغلاق ! ..يتمدد القلق في نفسي ..أحس بأطرافه المتمددة حية تتحرك في داخلي كجنين ..

أتذكر نملة تمشي على قرص خبز أسمر !! هل أنا نملة ؟!

أتذكر فيلما شهدته (الفتى المفقود) ثم شاهدته ثانية بعنوان آخر (تحت الشمس المحرقة) ولكني أبدا لم أشاهده بعنوانه الحقيقي ..!

هل جننت ؟ النملة !! .. (وتحت الشمس المحرقة)!

خلف أي تل يخيمون .. أجرى فى كل اتجاه ..وحيثما استدرت تلتقي السماء مع الارض ..كلما حاولت الاقتراب من نقطة الالتقاء .. ابتعدت السماء والارض .. الصحراء مساحاتها المنبسطة متشابهة .. لم الخوف ؟ مازال الوقت مبكراً .. ونباتاتها الشوكية متشابهة .. أحدنا سيعثر على الآخر .. وتلالها متشابهة أيضاً ..لم الخوف ؟! الصحراء ذات وجه واحد !!

تسلقت احدى التلال .. تدحرجت عليها .. تدثرت برمالها القمحية .. الصحراء رحم حريتي الحقيقية .. ما اشسعها من أمومة !.. عندما تغرب معالم المدينة يهتف أخي ضاحكا (هالحين على كيفك) .. أسرع بانعتاقي من العباءة .. أفتح النافذة .. اترك صدري مفتوحا للهواء .. ما أن تنغرس قدمي كشتلة طرية في رمال الصحراء حتى انتزعها واعدو دون أن التفت لمن حولي ..أصرخ ..أتشقلب كقردة صغيرة شقية مدربة ..ينحسر ثوبي عن جسدي .. لا يهم ..الصحراء مدينة بلا قيود ..مدينة أصنعها أنا .. القلق يتمدد .. أمشي تجاه نباتات شوكية . واثقة أنني مررت بها أثناء عدوي ..وأيضا خلفي نباتات أخرى مشابهة ! احاول تبديد الخوف من نفسي .. تحتشد اقاصيص التيه خلف سد مشروخ فى محاولة للتجلد .. بطل (النهايات) تابوته كان صحراء شاسعة وكلباً يجثو بجواره .. يحميه من الجوارح الكاسرة ! .

لكنى بلا كلب !! .

أتذكر .. النملة ..وقرص الخبز الأسمر !! آخرون ماتوا فى صهريج وسط الصحراء جرياً وراء الجنة !! .

وأنا لا أحلم بالجنة !!

قرقعة سد يوشك على الانهيار .. ؟! أتذكر حكاية البدوى الذى اختطف فتاة وطلب فدية تبلغ (عشر روبيات) ضحكت يوم حدثتنى بها جدتى واتسعت عيناها هلعاً وأنا أحدثها عن حكايا الاختطاف فى أيامنا هذه .. وعن عصر الألوية الحمراء والخضراء والصفراء !!!

الآن .. أريد بدوياً يختطفنى بعشرة ريالات وأمامها عشرة أصفار إن اراد !!

لا داعى للخوف .. الفصل ربيع .. والناس ينتشرون هذه الأيام فى الصحراء .. الشمس تغسل الصحراء بهدوء .. وأغتسل أنا معها .. ينتفض قلبى فجأة كسمكة أخرجت من الماء .. أتذكر .. ماذا فعلت الشمس بغريب (كامو) الضائع .. قتل آخر .. من اقتل ؟ نفسى ؟! لا أحد غيرى .. التية .. إما أن تكون قاتلا أو مقتولا ..

تزداد القرقعة وضوحاً .. تراها نبوءة سد مأرب ؟! .

أجرى .. وأنا ازعق بكل الأسماء .. الشمس تطاردنى .. عشرات الحكايات تطاردنى .. لكنى لست بطلة فى قصة .. لابد انهم سيأتون .. آه .. الطائر .. سيمشطون الصحراء بحثاً عنى .. على أن أهدأ .. ماذا يفعل التائه .. يجب أن اساعدهم للعثور علي .. يجب أن استعد .. بماذا ألوح لهم .. لا أملك شيئاً .. عدا .. عدا ثوبى .. ثوبى ؟! .. وأبقى شبه عارية .. ماذا سيقولون .. انتزعت ثوبها لتلوح به وتنجو .. أم تراهم يفضلون أن أموت وثوبى يكسونى .. ركعت على الأرض .. لم يواجه أحد هذه المعضلة .. كل أبطال التية كانوا رجالا .. عدا أنا ..

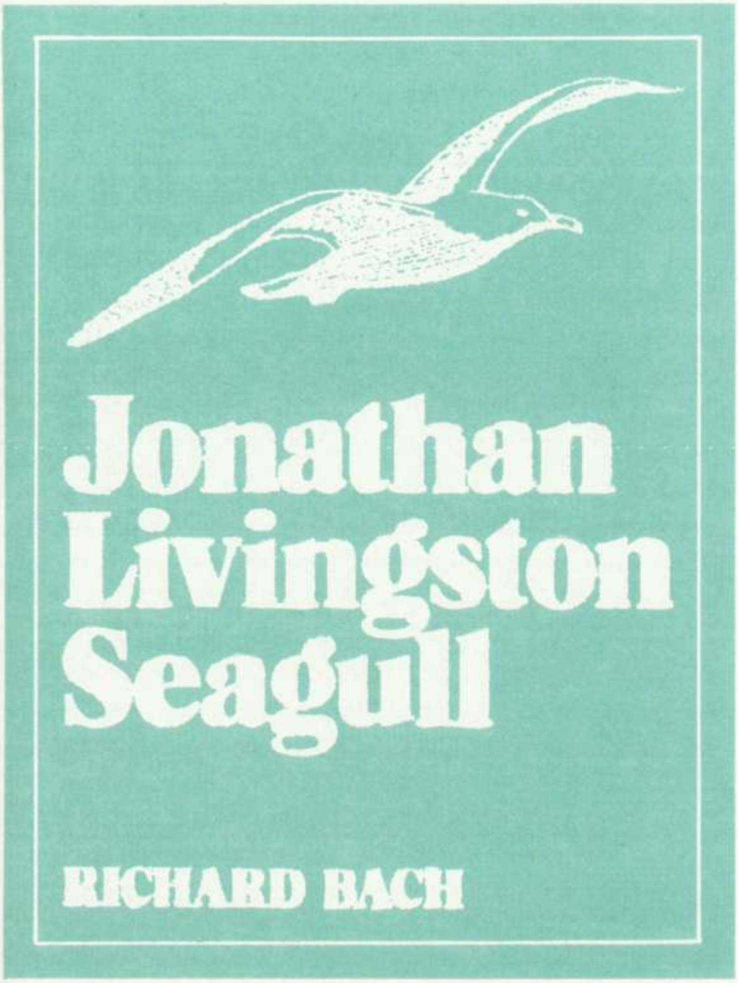
تتسع حدقة الشمس .. وأنا التى يجب أن تقرر .. !

العطش .. قطعة نشاف امتصت كل محاولة منى لترطيب شفتى .. اتلفت وأنا جاثية .. الماء يلوح لي من كل صوب .. لن يخدعنى سراب .. لن أجهد نفسى .. سراب .. أدرك ذلك .. سأبقى .. يروعنى صمت الصحراء .. كان للصمت صوتاً .. كان للصمت لزوجة تمتد تطوق جسدى .. أحتضن صدرى .. أصرخ .. أدفن وجهى فى الرمال ..

ألم يفتقدونى بعد مرور هذه الساعات البطيئة المتساقطة من قربة محكمة الاغلاق ؟!! .

أرفع رأسى .. يجرى جدول صغير صامت من الحزن المقهور يبلل شفتى .. أتطلع فى انكسار .. هل اصدق .. تلوح طيور من بعيد .. هل اصدق .. اتذكر .. الطيور دليل وجود حياة .. طيور !! كانت الصحراء تغتسل بحمرة الأفق القانية .. وكانت الشمس تختفى بحياء متشوق فى خدرها .. طيور !! واستحالت الصحراء الى سبائك من ذهب !! طيور !! كنت انتزع السبائك معي فى عدوى .. طيور !! كانت أصواتها تقترب .. وأنا اقترب .. تزداد القرقعة وضوحاً .. وأنا اقترب .. كانت الطيور تقيم حفل عرس حول حيوان مات للتو .. شهقت .. كان (جثمان) الحيوان حارا .. وكانت نظرته طرية .. انهار السد .. واجتاحتنى لعنة مأرب .

كتاب
الشهر



النورس
يبحث عن الحرية

عرض وتقديم: الفاتح إبراهيم أحمد

المؤلف: ريتشارد باخ .. طيار امريكى الجنسية له عدة مؤلفات نذكر منها الوهم وبلا اجنحة ..

●● «إلى النورس الحقيقى جوناثان الذى يسكن داخلنا جميعا» تلك هى كلمات الأهداء، وهى تقود القارىء بلا عناء وفى لمسة رقيقة بارعة إلى للمعانى البعيدة التى عناها الكاتب.

ويقول الكاتب «ريتشارد باخ» فى نهاية القصة التى اطلق عليها عنوان «النورس جوناثان لفنجستون»: «ينبغى ان تفهموا ان صورة النورس الكامل الأعلى ماهى إلا فكرة مطلقة للحرية».

وبين الاهداء الذى استهل به الكاتب القصة ببراعة اخاذة والكلمات التى جاءت فى الختام تموج الصفحات بالأفكار لسامية والرمز .. متناولة موضوعات التعليم والكشف وريادة المجهول مشيرة إلى الاصرار على النجاح موضحة معاني التفرد وعدم الاستسلام للعقل الجمعى .. إنه فرد فى جماعة تريده أن يستسلم لقانونها العتيق، غير انه يكسر هذه الحلقة ويمضى نحو الهدف فى نشوة وحرية، ثم يأتى راجعاً يحمل الجديد الأفضل لجماعته .. إنه اللاإنتماء إبتداء، ثم الانتماء فى النهاية لمصلحة الجماعة.

إنه لا يكون انانياً فينبذ الجماعة مثلما نبذته وهددته بالقتل، هو يرجع إليها ليعطيها من القبس الذى اصاب منه .. إنه لا يكون انانياً فيكتفى بالذى اصاب ويمكث في برجه العاجى متعالياً على مجتمعه، وإنما كان لسان حاله يقول:

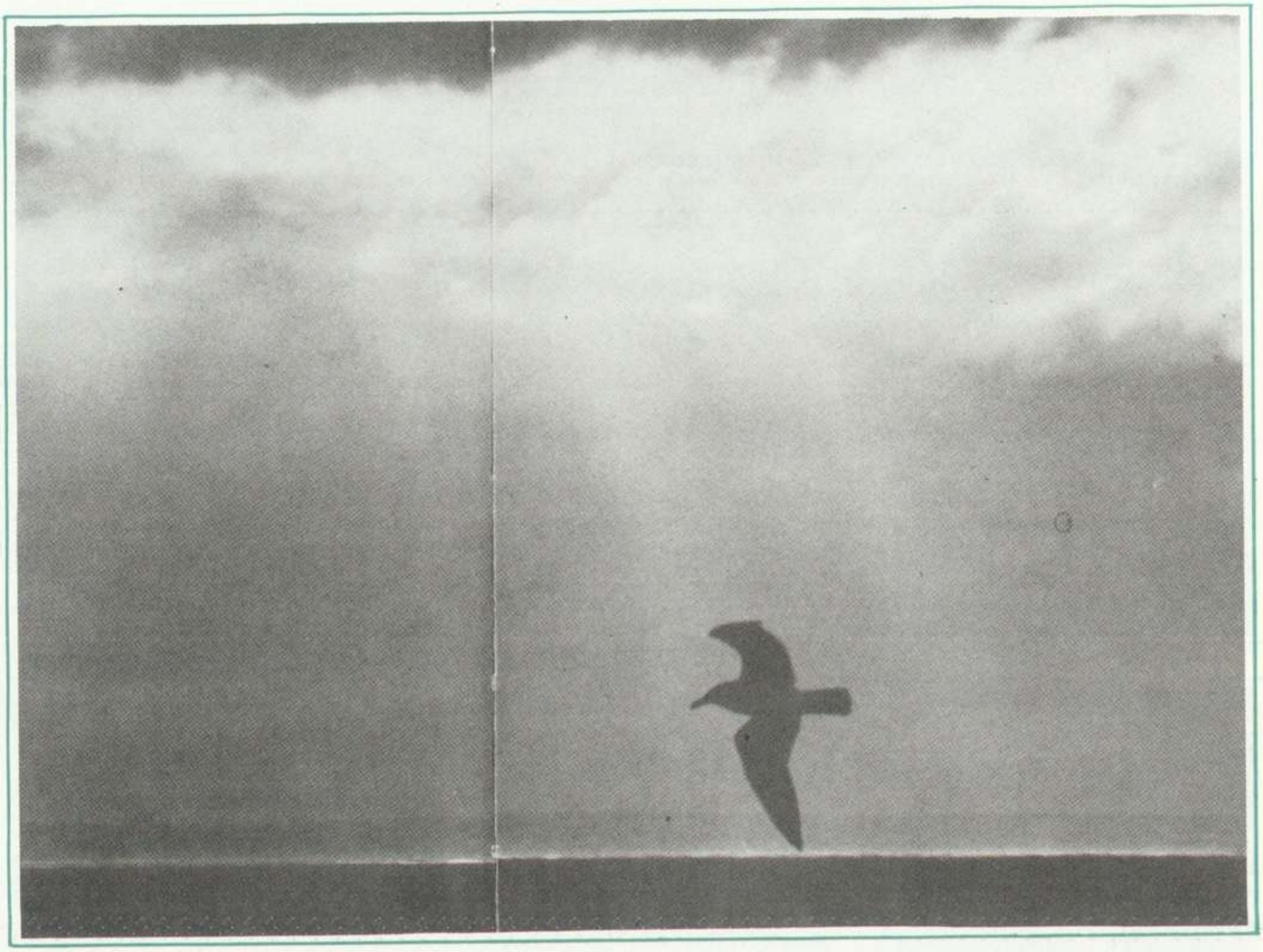
وإنى لو حبيت الخلد وحدى   لما احببت فى الخلد إنفرادا

هذه قطرات مما تخفيه هذه التحفة الرائعة بين حناياها .. وقد اصابت هذه القصة قدراً كبيرا من الشهرة فى اوربا وامريكا .. واحدثت دوائر مازالت تتسع فى بحيرة الأدب الغربى .. ولقد انتجت هذه القصة عملاً سينمائياً مع موسيقى الفنان العبقرى نيل دياموند، وسعدت بمشاهدة هذا الفيلم فى إحدى المدن الأوربية عندما كان صدى القصة مازال يرن قوياً.

لقد لقيت هذه القصة هوى فى قلب الانسان المعاصر ربما بسبب النورس جوناثان الذى يعيش فى داخلنا جميعاً كما تقول كلمات الاهداء ..●●

« أشرق صباح يوم جديد .. والشمس تعكس أشعتها الذهبية على سطح البحر الهادىء ..
إحدى مراكب الصيد تشق المياه برفق .. تجمعت على الرصيف آلاف من طيور النورس تتصارع وتتقاتل على قطع من بقايا الطعام.
إنها بداية يوم جديد مفعم بالنشاط ..

هكذا بدأ «ريتشارد باخ» تحفته الفنية وتمضى القصة .. نتجاوز سرب الطيور المتصارع على الفتات لنلتقى هناك بجوناثان لفنجستون يمارس تمارينه





لاستكشاف طرق جديدة للطيران .. إنه النورس جوناثان .. طائر غير عادى .. إن معظم طيور النورس لا تهتم بأن تتعلم أكثر من الحقائق البسيطة المعروفة للطيران .

إن حاجتها للطيران لا تتجاوز المسافة بين الشاطىء ومكان صيد الطعام ليس أكثر من ذلك .. أما بالنسبة لجوناثان فقضية الطعام لديه ليست مهمة كالطيران .. إن الطيران فقط هو غرامه.

عرف جوناثان أن طريقته فى التفكير هذه لا تجعله يتكيف مع بقية جماعته ، لذا كان يقضى يومه بكامله وحيداً مع تمارينه وتدريباته فى الطيران .

.. وقد شعر والداه بالقلق عليه من مغبة هذه الأفكار الغريبة التى تعتريه من دون أفراد السرب .

لماذا يصعب عليك أن تكون مثل البقية ؟ هكذا سألته أمه ليوقف هذه المحاولات التى هى ضد طبيعته التى خلق عليها .. ولكن جوناثان كان .. يجيبها بأن الشىء الوحيد الذى يهمه هو أن يعرف ما يستطيع وما لا يستطيع فعله فى الهواء.

أما أبوه فقد نصحه إذا كان يريد أن يتعلم شيئاً ينفعه فعليه أن يتعلم طريقة للحصول على طعامه .

وأطاع جوناثان والديه وحاول فى الأيام التى تلت أن يسلك مثل بقية الطيور .. ويتصارع من أجل الطعام على رصيف البحر .. أو يتابع معها قوارب صيد الأسماك .

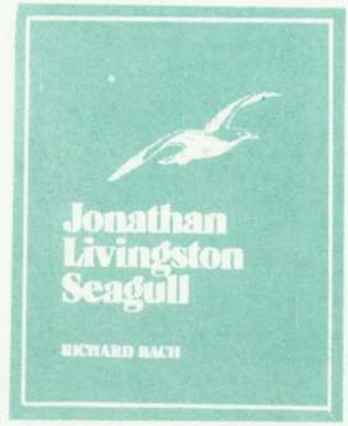
غير أن جوناثان لم يقتنع طويلا بذلك وقذف بقطعة سمك لنورس عجوز كان يلاحقه من أجلها .. وبدأ رحلة الكشف مرة أخرى .

ركز اهتمامه فى دروس السرعة .. وفى خلال اسبوع واحد استطاع أن يعرف الكثير فى هذا المجال ويحطم أكبر رقم فى السرعة بين طيور النورس ..

.. غير أن نجاحه لم يدم طويلا فقد ذاق مرارة الفشل وهوى مصطدماً بمياه المحيط ..

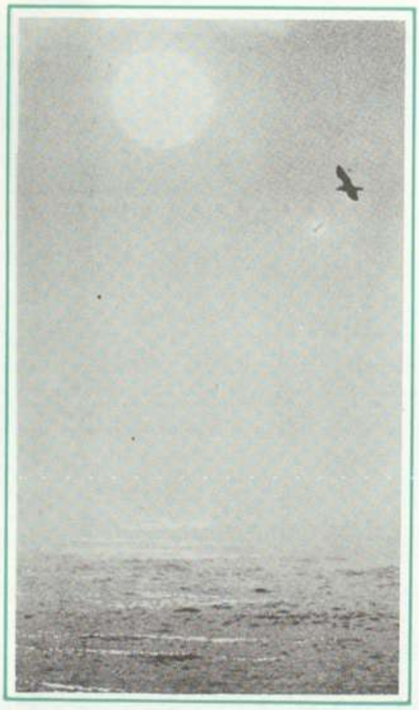
وهنا بدأ يسترجع كلام والديه له بأنه ليس لديه الاستعداد الطبيعى ليفعل أشياء فوق طاقته ، وبدا له أن ذلك صحيح .. فينبغى أن يقتنع ويعيش

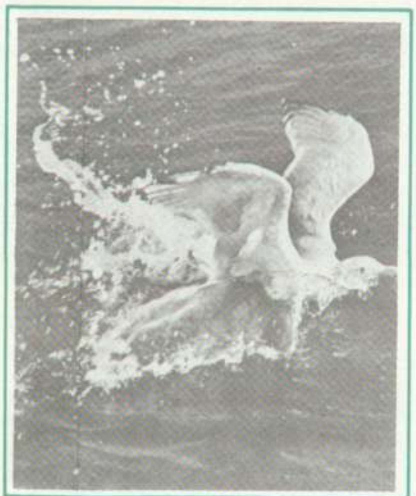
كتاب الشهر



النورس

يبحث عن الحرية





كبقية السرب ويمارس معهم حياتهم العادية .

منذ تلك اللحظة اقسم جوناثان ان يكون نورساً عادياً كبقية السرب وسعد الجميع بعودته إليهم مرة أخرى .. غير انه مازال منشغلا بما حققه من تفوق فى عالم الطيران المنخفض ومازالت الأفكار تتجاذبه ثم يعود مرة أخرى لاقناع نفسه بأنه نورس عادى مثل البقية يطير مثلما يطيرون وكفى .. احس فى تلك اللحظة بسعادة غامرة أولا لعودته الى السرب ، ثانياً لأنه لم تعد تواجهه تلك التحديات التى تصاحب عملية التعليم واحتمالات الفشل والنجاح ..

عند حلول الظلام انبرى الصوت الهامس المقدس يهتف مرة أخرى منبهاً :

إن طيور النورس لا تطير فى الظلام . وإذا كنت تريد ذلك فينبغى أن يكون لديك الاستعداد الطبيعى كذوات الأجنحة القصيرة ..

ولم يستطيع جوناثان مقاومة الأغراء لف جناحيه وعمد الى كمش اطرافها كى تصبح قصيرة ، وقذف بنفسه من علو شاهق دون أن يفكر فى احتمالات الفشل والموت . إلا انه نجح .

ولم يشعر جوناثان بالأثم لعدم الوفاء بقسمه للجماعة ويبرر ذلك بقوله إن مثل هذه الوعود تنسحب على طيور النورس العادية التى تقبل بالمألوف وإن الذى يريد أن يتفوق عن طريق المعرفة والتعليم لا يهتم بمثل تلك العهود ..

وهكذا عاد لتمارينه مرة أخرى ..

وبعد جهود مضنية حقق أرقاماً قياسية فى عالم الطيران واكتشف طرقاً جديدة لم تخطر ببال أحد غيره .

وعندما عاد جوناثان الى السرب كان الظلام قد حل وكان تعباً منهكاً . وظن ساعتها ان الجميع سيكونون سعداء بما حققه من تفوق ونجاح .

إلا أن العكس هو الذى حدث .. ولم يصدق ما سمعه وراه منهم وقال إنهم مخطئون . إنهم لا يفهمون ..

غير أن لقاءه بهم كان عبارة عن محاكمة انعقدت للنظر فى أمر عقوقه وخروجه على الجماعة .

وقررت الجلسة بعد المداولات الحكم على جوناثان بالطرد من المجموعة وأن يعيش وحده منبوذا على صخرة بعيدة . وأشارت المحكمة على جوناثان بانه سوف يعرف ويكتشف يوماً ما أن عدم الشعور بالمسئولية لا يأتى بثمرة طيبة ، أما جوناثان فقد ادهشه أن يوصف بعدم الشعور بالمسئولية وتساءل قائلا :

دلونى على أحد أكثر إحساساً بالمسئولية من هذا الذى يكرس جهده ونفسه للمتابعة والكشف من أجل معنى أكبر للحياة .. لقد بقينا سنوات عديدة نجرى وراء رؤوس الأسماك ولكن الآن نملك سبباً للحياة وللمعرفة والابداع ..

اعطونى فرصة واحدة حتى أريكم ..

دعونى أعرض عليكم ما وجدته واكتشفته .

إلا أن الجماعة كلها أدارت له ظهرها

ومن ذلك الحين أصبح جوناثان وحيدا .. ولم ينزعج بوحدته ، بقدر ما شعر بالأسف على أن بقية زملائه رفضوا تصديق المجد الذى كان ينتظرهم .. واحزنه انهم لم يفتحوا بصيرتهم ليروا ما اكتشفه وعرفه فى عالم الطيران .. واستمر فى التعليم وعرف طرقاً جديدة للغوص وصيد الأسماك النادرة الشهية التى لا توجد إلا فى اعماق بعيدة ..

تعلم أن يجوب مئات الأميال من بزوغ الشمس حتى مغيبها .. يخترق ضباب البحر ويحلق فى أعلى السموات . وهكذا كان جوناثان . أما بقية طيور النورس فقد ظلت قابعة فى مكانها يحجبها الضباب والمطر من الرؤية البعيدة ..

واكتشف جوناثان أن السبب فى قصر أعمار طيور النورس ما هو إلا استسلامها للقلق والخوف والغضب وعندما تخلص

هو من كل ذلك عاش بحق حياة سعيدة وطويلة ..

فى تلك الأماكن التى يرتادها جوناثان منفردا بالمعرفة والكشف التقى مرة باثنين من طيور النورس ..

استطاع هذان الطائران أن يقدما معه بعض المهارات وسألهما عن هويتهما وعرف منهما أنهما من جيل جديد من طيور النورس وأنه قد آن الأوان للمدرسة الجديدة أن تبدأ ..

وجد جوناثان مجتمعاً جديدا يهتم بالكشف والتعليم.

التقى بمن ينفقون الحياة فى نشدان الكمال ..

وعرف من المعلم كيف انه قد مرت آلاف الحيوات حتى استطاعوا أن يتعلموا شيئاً من الكمال .. ثم مرت أزمان اخرى ليتعلموا أن الغرض من الحياة هو نشدان الكمال وممارسته .

وعرف أيضاً أن بلوغ السرعة الكاملة ليس معناه أن يطير ألف ميل فى الساعة أو مليوناً لأن الأرقام حد والكمال لا يعرف الحدود ..

وقد وجد جوناثان أن كبار النوارس فى تلك المجموعة ازدادت قـوة بكبر العمر بدلا من أن يصيبها ذلك بالضعف

وتعلم انه يمكنه أن يبلغ أى زمان أو مكان يريد عندما يفكر فى ذلك بتركيز والطريقة الى ذلك هى ألا يرى نفسه مسجوناً فى جسد محدود ..

وكرس جوناثان نفسه لحفظ التعاليم واحس مع هؤلاء بانه يجتاز عوالم جديدة لم يرها من قبل .

وتعلم من المعلم الأكبر كيف يتدرج حتى يتصف بالكمال ويبلغ الزمان والمكان الذى يريد ، .. وتعلم كيف يخترق حجب الماضى والمستقبل والكشف عن معانى الحق والجمال والحب .

وبمرور الأيام ازدادت المعارف عند جوناثان فى عالم الكمال الذى طالما نشده وأخذ يفكر فى أنه لو طبق اليسير جدا من ذلك فى مجتمعه القديم إذن لصارت الحياة عندهم أكثر معنى ..

آه لو يستطيع النزول من عليائه من السماء ليعلم أفراد مجتمعه كيف يخترقون الحجب ويعبرون نحو الحرية والكشف والابداع ..

وأشار إليه من معه من الصفوة الممتازة بان أهله لن يستطيعوا رؤية السماء وهم قابعون فى الأرض متشبثون بها .

ونصحوه بان يبقى فى مكانه يساعد الجيل الجديد الذى هو فى مستوى كاف من العلو حتى يرى ما تريدهم أنت أن يروه ويتعلموا ماتريد منهم أن يتعلموه .

وبقى جوناثان مع الجيل الجديد ، إلا أن فكرة العودة الى المجتمع القديم للأخذ بيده كثيرا ما تلح عليه ..

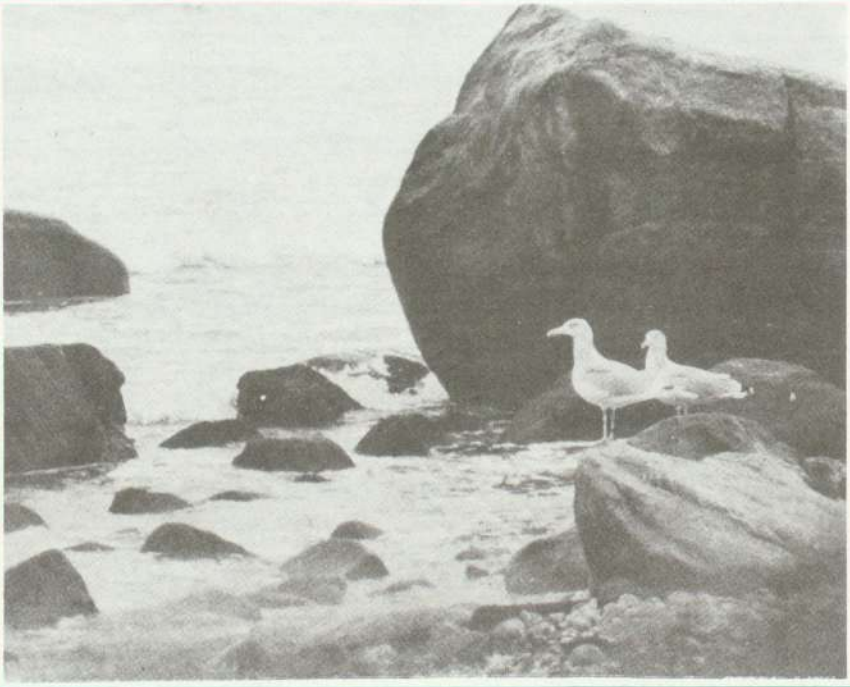
وفعلا عاد لكن من بعيد وليس مباشرة وبدأ فى إعداد مشروع لتعليم جيل جديد من طيور النورس ..

وبعد ثلاثة شهور أصبح لديه ستة من التلاميذ المنبوذين من الجماعة . وكانت تعاليمه لهم هى تكريس الجهد لفكرة النورس الكامل النورس الأعلى . الى الفكرة المطلقة : الحرية . وأن يتحرروا من كل مايقف فى طريقهم لتحقيق ذلك ..

أحب التلاميذ الدرس لما فيه من المتعة واشفاء العطش من أجل المعرفة ..

وهكذا استمرت تعاليم الأستاذ لكسر الحلقة والابحار نحو عالم الكشف الجديد .

وبالرغم من سطوة القانون المتعارف بينهم منذ القدم والذى يمنع عودة النورس المنبوذ الى الجماعة مرة أخرى .. عاد جوناثان ومعه مجموعته الجديدة من المنبوذين .. ووسط دهشة الجميع قام هؤلاء المنبوذون وتحت توجيهات جوناثان المعلم وإرشاداته .. قاموا باستعراض ماعرفوه وتعلموه فى عالم الطيران .. فكان أروع ما رآه الجمع من فنون الطيران .



وفى الظلام تسللت بعض طيور النورس من الجمع ، واتجهت نحو مجموعة جوناثان من باب الفضول لمشاهدة تلك الطيور الفريدة .. وعند طلوع النهار هربت النوارس خوفاً من أن تكشف مجتمعاتها سر هذه الزيارة .

وبعد فترة خرج واحد من طيور الجماعة عليها والتحق بمجموعة جوناثان طلباً للعلم .

ويوماً بعد يوم تتسع الدائرة حول جوناثان ومجموعته .. وتاتى طيور النورس بغرض الاستفهام مرة ، ومرة لابداء الاحتقار ، وثالثة لتقديم آيات التقديس والتبجيل . وهكذا تدريجيا بدأت تعاليم جوناثان فى الانتشار .

اختفى جوناثان فى الفضاء البعيد بعد أن أوصى تلاميذه ألا يحاولـــوا أن يصنعوا منه اسطورة وأكد لهم إنما هو نورس يحب فن الطيران والكشف عن المجهول .

وبعد فترة من الوقت كان التلاميذ الجدد من زمرة جوناثان يتلقون أول درس لهم . يقول لهم المدرس :

« ينبغى أن تفهموا أن صورة النورس الكامل الأعلى ماهى إلا فكرة مطلقة للحرية » .

وهكـذا بدأ جيل المعرفة الجديـد ..

الفاتح ابراهيم أحمد

روايتان

وكاتب له رؤية في الحياة

أبو المعاطي أبو النجا

«العدوى» هى الرواية الأولى للكاتب وليد أبو بكر ، و «الخيوط» هى الرواية الثانية وقد صدرت الروايتان عن دار الأداب فى عامى ٧٨ ، ١٩٨٠ ..

وفى تقديرى أن رواية «العدوى» قد تجاوزت كثيراً ما كان منتظراً منها كتجربة أولى للمؤلف فى مجال الرواية ، وقد بدأ تفوق هذا العمل الفنى فى أكثر من وجه .. فالرواية تقوم على حدث واقعى يبدو غاية فى البساطة ، فالبطل «نبيه» يصاب بمرض الصدر ، ويدخل مصحة للعلاج ويخرج سليماً بعد تجربة علاج ناجح .

ولكن الرؤية الفنية التى قدمها المؤلف لهذا الحدث الخالى من كل تعقيد نجحت فى أن تجعله نموذجاً لكل «عدوى» . ذلك العدو الخفى الذى لا تعرف متى ولا كيف يتسلل اليك ؟ . وحين يصبح جزءاً منك ، يقوم وينام معك ، يتغذى بك أو بطعامك .. فكيف تقاومه دون أن تقاوم نفسك ؟ وعلى من تحرز انتصارك ؟ كيف يجرى الصراع داخل الذات ؟ والى أين تمتد جبهات القتال فى الداخل والخارج ؟ وفى هذا العمل تسقط الحدود الوهمية بين الداخل والخارج ، تتعرى الخيوط الدقيقة المشاركة التى تربط بين العالمين ويصبح الأصدقاء والأطباء والمرضى والممرضات والأهل عبر ظروفهم وعلاقاتهم وأوضاعهم يصبحون جميعاً بمواقفهم السلبية والايجابية رموزاً لتلك المعركة التى تدور فى الأعماق ، يدلون عليها ، بعضهم دعماً للنصر وبعضهم سنداً للهزيمة . أنها اذن ليست معركة الداخل وحده ، وليست معركة الخارج ، ولكنها قصة ذلك الجدل الحى بين الداخل والخارج ، يلعب الطب دوره ، ويلعب العالم الخارجى دوره ولكن الذى يحسم المعركة فى النهاية هو ذلك الصوت الداخلى الخاص الذى يترجمه اختيار البطل ووعيه وارادته حيال كل ما يدور فى الداخل والخارج .

وهذا التأكيد على الوعى الذاتى للبطل ، ودوره فى نجاح مقاومته للمرض سمة أساسية فى شخصية «نبيه» البطل وفى كل الشخصيات الايجابية فى الرواية وقد أدى هذا التأكيد إلى جوار قدرة المؤلف على التوظيف الذكى لبعض عناصر فى الزمان وبعض الشخصيات على أن يجعل هذا الحدث الواقعى البسيط الذى يحترم فيه المؤلف كل شروط وظروف الواقع النفسى



للشخصيات على أن يجعله قادراً على الاشعاع بدلالات رمزية كبيرة تتجاوز كل المعطيات الواقعية المحدودة .. فالرواية تصبح بدون أدنى تكلف أو ادعاء رواية من روايات المقاومة ، وتتحول اضاءات المؤلف عبر شخصيات الرواية ، لمعنى الهزيمة كيف ومن أين تبدأ ؟ كيف تنمو وتتربع على العرش كيف يرتدى منطقها أجمل أثوابه ؟ ولمعنى المقاومة وطريقها الشاق الطويل . تصبح كل هذه الاشارات موجهة لأمته وشعبه عبر وعى البطل لذاته ومشكلته وقدرته على التحدى ومواجهة الصعاب ..

الأصوات المتعددة

وجه آخر من وجوه تفوق هذا العمل ، يتمثل فى الاستخدام الجيد «لشكل» الأصوات المتعددة التى تبدو وكأنها تروى نفس القصة .. وفى الواقع أننا لا نستمع أبداً إلى نفس القصة ، فالقدر المشترك من الحدث الرئيسى بين كل الشخصيات يقدم من زوايا مختلفة ومستويات متعددة بتعدد الشخصيات .. ولا مجال هناك للتكرار أو الثرثرة فكل شخصية تنمى أحداث الرواية وتنمو بها تحركها وتتحرك معها ، كل شخصية كما ترى نفسها وكما يراها الآخرون ، وهكذا لا يكون أمامنا مجموعة رواة كل منهم يحكى جزءاً من القصة ، بل نكون أمام شرائح ونماذج حية من الوجود الانسانى بكل ما فى هذا الوجود من تعقيد وخصوبة ونسبية وحيوية وذلك هو مغزى ذلك الشكل الادبى .

ولا أزعم أن كل شخصيات الرواية فى

كل مواقفها حققت هذا المستوى ، فشخصية «أمل» الممرضة فى بداية الفصل الثالث بدأت تروى قصة حياتها للقارىء بشكل وكأنها تمسك بمكبر صوت للادلاء باعترافاتها ..

من خلال هذا الشكل الادبى بدأ واضحاً رغم تنوع الشخصيات والمواقف أن ثمة قضية محورية يخدمها ويضيئها هذا التنوع .. هذه القضية المحورية هى كيف يولد البطل الفردى أو كيف تنبثق البطولة الفردية عبر المحنة ومن قلب الهزيمة .. ؟

ومن الطبيعى أن نتساءل عن معنى وأبعاد «البطولة» كما تتمثل فى شخصية «نبيه» بطل رواية العدوى وسوف نلاحظ أن بطولة «نبيه» تقترب من معنى النمو الروحى أو النفسى ، تفجر الوعى ونضجه إنها اذن ليست بطولة الفعل العنيف أو الحاد .. وليست بطولة الجرأة أو المغامرة ، (ومن هنا فان هزيمة البطل السابقة تلوح وكأنها شكل من أشكال إعاقة النمو) .. البطولة هنا هى عودة النمو المعوق لمجراه عبر إضاءة الوعى بالادراك لطبيعة المشكلة .. وهى إضاءة أحدثتها الصدمة (صدمة المرض) ، وأشعلت شرارتها القلوب الصديقة والمحبة .. وهكذا لا تصبح البطولة هى الفعل الخارق بل هى إدراك الممكن . بل ادراك الممكنات .. إدراك كم هى متعددة وصعبة فى نفس الوقت .. وأن المعجزة الحقة والبطولة ربما فى إدراك الممكن وصناعته .!

ومن هذا الادراك المصدوم أو المأزوم تولد إرادة جديدة

لا يأخذ الخارج أكثر من حجمه ، وأيضاً لا يتم تجاهله . لقد رأى «نبيه» فى لحظة اكتشافه لمعنى هزيمته أن «العدوى» لم تصل إليه لمجرد ضعف جسده ، بل إن ضعفه الجسدى إنما حدث نتيجة لخلل نفسى ، فلقد وقع منذ طفولته فى لعنة تضخيم الخارج ، ارتهن عالمه الداخلى ، وقدمه رشوة للعالم الخارجى ، كان يفعل أى شىء لا عن رغبة داخلية أو اقتناع بل لمجرد الرغبة فى الحصول على تقدير رموز الخارج – الأب ، المدرسين ، السلطة ، المجتمع ..

وبعد أن تعثرت نفسه سقط جسده فى هوة المرض وهكذا كان عليه أن يبدأ من جديد من حيث سقط أن يرد اعتبار الداخل ، أن يعيد حساباته مع الخارج ، أن يرى فى «الليل والنهار» ألوان الطيف التى تربط الداخل بالخارج ، ويعرف كيف يمسك بها ويتعامل معها ، أن يكتشف المعنى الرائع للصدق وأنه التفاعل النابض بين الحقيقة الداخلية وحقائق الخارج ..

والمعنى الرائع للبطولة وكيف أنها هى انجاز الممكنات .. ولا شىء أكثر أو أخطر .

دور الزمن

ولأن البطولة فى هذه الروايةتقترب من معنى النمو فان البطل فيها يكتشف دور الزمن فى صنع الأحداث والأشياء ، يكتشف ذلك من خلال قوانين المرض والصحة والحب والالم والصداقة .. يكتشف كيف يصبح الانتظار الذكى والشجاع جزءاً من البطولة .

وأن الأشياء الرائعة لابد أن تنمو فى الداخل فى هدوء وأن العامل الحاسم فى تخطى الأزمات ومقاومة الصعاب هو جهد داخلى ،

وحين تكتمل هذه القوى الداخلية وتنضج فانها لا تبقى أبداً مجرد قوة داخلية إنها تخرج . إلى النور ، أو تحمل نورها إلى الخارج ، وهذا ما حدث «لأمل» الممرضة التى كانت مجرد مريضة مهزومة ثم حولت هزيمتها الى انتصار جعلته فى خدمة المنهزمين ، إن القوة الايجابية تعدى بدورها ، العدوى ليست

● وجه من وجوه تفوق العمل يتمثل في الاستخدام الجديد للشكل

دائماً هى عدوى المرض بل ان الصحة هى الأخرى قادرة على العدوى ، وهذا ما اصبح «نبيه» يفعله أيضاً فى المستشفى بعد نجاحه فى العلاج .

ولذلك وجه أخر من وجوه تفوق هذا العمل الأدبى وفى رأيي أن أخطر جوانب التفوق فى هذه الرواية الشديدة البساطة والتى هى بمعنى من المعانى رواية أخلاقية وملتزمة ، وتنطوى على قدر من الانحياز الفكرى للروح العلمية إذا صح التعبير .. أنها نجحت رغم ذلك كله فى الافلات من ثقل الظل ونجحت فى أن تعكس قدراً لا بأس به من حيوية الفن والحياة ، وحسا نقدياً وفكاهيا أحياناً ، وأن تحقق توازنها الخاص بين الجوانب الفكرية والانسانية .

الخيوط

ثم تجيىء رواية «الخيوط» لتؤكد أن فكرة «البطولة» لا تزال هى الشغل الشاغل للمؤلف ، ولكن البطولة هنا تتطور من بطولة فرد يقاوم هزيمته كفرد ، الى بطولة مجموعة من الأفراد

إن عودة «شريف الصالح» إلى الحارة وانضمامه الى جماعة المسحوقين هو الذى يفجر ثورتهم وتمردهم ويطور فى نفس الوقت أحداث هذه الرواية ، فشريف أحد ابناء الحارة الذى سمح له طموح أبيه وكفاحه بأن يتعلم فى المدرسة وأن ترشحه الحارة ليكون فى المستقبل ندا لعائلة الفائز وربما صهراً كذلك .

شريف هذا يعود الى الحـارة بعد إصابة أبيه فى حادث ليعول الأب والأسرة كلها ، ولم يكن أمامه سوى أن يعمل عند أسرة الفايز كمشرف ولا مانع من أن يتاجل اكماله لتعليمه الى أن تتغير الأمور .

وفعلا تبدأ الامور فى التغير ، لكن لا شىء يحدث قفزاً أو فجاة ، جماعة المسحوقين فى الحارة وهم حسن أبو داوود وياسين الحراث وسعيد الشيخ نعمان وآمنة الشيخ نعمان وجميل رزق الله ، فرام الدخان وحمدان الأهبل ... و

روايتان

وكاتب له رؤية في الحياة

... هؤلاء يكتشفون من خلال علاقاتهم بشريف الصالح أنهم جميعاً رغم اختلاف ظروفهم وأوضاعهم فى الحارة ..

لقد عاد شريف الصالح ليجعل هؤلاء الرجال يكتشفون الحدود الواسعة لملكة الممكن بل وليوسعوها كذلك كيف لم يبصروا من قبل حدود هذه المملكة فى داخل نفوسهم وفى الخارج ؟ لعلهم كما قال لهم شريف الصالح بكلماته وأفعاله كانوا يستنيمون للعادة ، كان هو أول من حطم عاداته ، كان تلميذاً وها هو يتعلم من ياسين الحراث كيف تحرث الأرض مع أن هذا لم يكن عمله . ولكن ما هو عمل الانسان ؟ أو ما حدود عمله .. ؟ لعلها نفسها حدود مملكة الممكن انها مملكة جد رحبة ومترامية ولكن تغلق حدودها أحياناً عادات سيئة خلقتها أوضاع أشد سوءا ، ولا سبيل الى تغيير الأوضاع سوى بتغيير العادات ..

كيف .. ؟ القدوة .. أو لنقل العدوى مرة اخرى بمعناها الايجابى . إن احترام شريف الصالح لأمنه الشيخ نعمان واصراره على ذلك يوقظ فيها احتراماً لنفسها طالت رقدته وظنته مات موتاً .. ويفجر قدرتها على أن تقول «لا» لأحمد الفايز التى عاشت منذ تفتحها تلعق قدميه .. ويقطع الطريق المستحيل بينها وبين شقيقها سعيد الشيخ نعمان الذى لا ينطق أبداً من قسوة ما رأت عيناه ..

وتزداد مملكة الممكن اتساعاً واغراء حين تكون بطولة الجماعة هى التى فى الميدان . وهى بطولة تسير فى نفس الاتجاه .. اتجاه النمو الذى يعرف دور الزمن وقيمة الانتظار ، ولا يستجيب للاستفزاز ولا للمعارك الجانبية ، يعرف القيمة العظمى للحياة والعمل ، قيمة أن يستريح انسان بعض الوقت ، ويتزوج آخر ، ويكون له بيت أو ولد .. ويعيش تناقضات الحياة المريرة والصعبة .

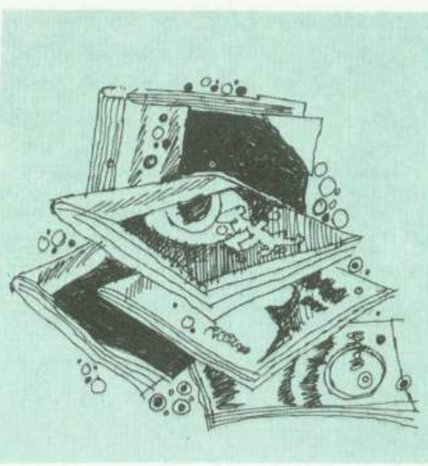
ولقد كان المؤلف موفقاً حين جعل صوت «خالد اليوسف» يتقاطع عرضاً مع جميع أصوات الشخصيات الأخرى فى الرواية ليؤكد أن ذلك خطاً مختلفاً عن جميع الخطوط وليبرز نواحى ذلك الاختلاف بينه وبين أصدقاء خالد اليوسف وحتى بين أعدائه .. كان صوته كما كانت شخصيته كلها أشبه بتعليق حاد ولاذع على بقية شخصيات الرواية ومصائرهم كل شخصية تراه أو تحس به فى لحظة معينة تكتشفها بقدر ما تكشفه هو كذلك .

ولكن بقيت شخصية «خالد اليوسف» شخصية مجردة مثالية تبدو وكأنها صورة معلقة على جدار ، تطل على عالم الممكن ولكنها لا تخوض فيه لانها لا تريد أقل من الكمال .

رواية «الخيوط» كما نرى من هذا العرض رواية طموحه ، ترتبط برواية العدوى من خلال رؤية واحدة لجوانب عديدة فى الحياة ، تتطور وتتطلع الى استجلاء آفاق أوسع فهل نجحت هذه الرواية فى تحقيق أهدافها الطموحة ؟ بنفس الصراحة التى تحدثت بها عن العدوى ، أرى (وتلك مجرد وجهة نظر) أن هذه الرواية لم ترتفع الى مستوى طموحها ..

لقد استخدم المؤلف نفس الشكل الادبى الذى استخدمه فى رواية «العدوى» مع تغيير طفيف هو أنه جعل كل شخصية تعرض الأحداث من وجهة نظرها وكأنها تفكر بصوت عال أو تتحدث الى نفسها ..

وفى رأيي أن هذا الشكل الادبى كان ملائماً تماماً لرواية «العدوى» حيث الاهتمام الأكبر مركز على الداخل ... لأن



المعركة تحسم فى الداخل .. رغم الاهتمام بالخارج .

ولكنه ليس أنسب الاشكال لرواية «الخيوط» . صحيح أن شخصيات «الخيوط» تتغير داخلياً ولكن المشهد الأعظم فى الرواية فى انبثاق البطولة الجماعية من تكامل وتقارب هذه الشخصيات كلها فى حركة جماعية كان يناسبها تماما الرصد الخارجى والداخلى معا الذى يوفره بكفاءة استخدام الضمير الثالث ، ولقد كان من النتائج السلبية لاستخدام أسلوب الأصوات المتعددة أن التجارب الهامة والمحدثة للتغيير فى حياة هذه الجماعة مثل تجارب العمل المشترك المتمثل فى تهريب الدخان لم تحظ بالتصوير المناسب ولا بالحضور الحقيقى ..

كانت الشخصيات تشير ـ اليها اشارات سريعة وموجزة وخالية من النبض والحيوية ، على اننى لا اريد أن أعلق كل المشاكل على استخدام هذا الشكل الادبى فلقد كان من الممكن أن يستخدمه المؤلف وينجو .. ولكن ما حدث هو أنه كتب هذه الرواية التى تنطوى على تجربة هامة بايقاع سريع لاهث ومتعجل (لا أعرف ماذا كان وراءه أهم من فنه) فكانت النتيجة أنك كنت تسمع أحياناً صوت المؤلف من خلال كل الشخصيات .. وبدلا من النمو الهادىء والرؤية النافذة ، والاحساس العميق بتميز الشخصيات كنت تجد أغلب هذه الشخصيات تتحدث أحياناً بلغة الشعارات والتعميمات التى يرفضها الفن ،والتى لم نسمع مثلها فى رواية العدوى .

كنت تسمع عبارات كهذه تتردد على ألسنة عديد من الشخصيات :

ـ رغم جهلى

استطعت أن اعرف أن الخجل عادة نتمسك بها نحن الفقراء ولكنها لا تهم الأغنياء .

ـ من قال ان الأغنياء يمرضون ؟

ـ وهل يملك الفقراء من أمثالنا حق الفرح ؟

● المعنى الرائع للبطولة .. كيف أنها إنجاز الممكنات ولاشيء أكثر !

– المساكين لايخونون .

وبهذه الطريقة التى تشعر فيها بالوجود غير المشروع للمؤلف ، كنت تشعر بنمو الفكرة لا بنمو الاحداث أو الشخصيات أو المواقف .

حلم لا يتحقق !

اغلب الشخصيات تتحدث (عن حلم ناقص لا يتحقق) تتحدث تقريباً بنفس الكلمات .. ثم فى موقف اخر تشعر كلها بكارثة توشك أن تحدث .. تفعل ذلك بطريقة كأنها بديلة للأحداث التى تعجز عن أن تشعرك بقرب مثل هذه الكارثة .

وكان من الممكن أن تحتل هذه الفكرة مكانها فى منظومة القيم التى تعتنقها احدى الشخصيات وتؤثر فى سلوكها وتكون مقبولة فنياً بغض النظر عن كونها خطأ أو صواباً بأى مقياس وبالنسبة لأية ظروف .

ولكن الطريقة التى تتسرب بها هذه المقولة تشى بانها من معتقدات المؤلف نفسه ، ومن هنا فان من حقنا أن نناقش مؤلف العدوى الذى كتب صفحات رائعة فى تحليل طبقات الخوف وأبعاده كيف يقع فى مثل هذه التبسيطات والتعميمات لمشكلات الخوف والشجاعة .. ومهما يكن المستوى الذى يعالجها به . ولم أكن لأشك لحظة فى أن المؤلف يدرك أن الخوف الوجودى الحقيقى هو خوف على الحياة ذاتها ،واذا كان يمتد لدى الأغنياء إلى خوف على وسائل حمايتها فان ذلك نابع من الربط خلال التجربة الانسانية كلها بين الغاية والوسيلة ..

ولكنه لا ينفى شجاعة ولا يثبت جبنا كما أن خوف الفقراء على وجودهم قائم ولو كانوا لا يملكون سوى هذا الوجود .. ما كنت لأناقش المؤلف فى أمور كهذه لولا أن روح العجلة ذاتها ، وسيطرة الشعارات والأفكار الجاهزة جرته الى المزيد من التبسيطات الجائرة والمخلة ،

حقيقة لا أصدق كيف يقع مؤلف «العدوى» فى مثل هذه التعميمات والمبالغات والتسطيحات .

هكذا وبقوة الوعى المفروض وحده يتآخى الرفيقان حمدان وسعيد فى رفض جميلة الفايز بعد أن تآخيا فى حبها .. أو فى الاستسلام لها ...

على كل حال ليست هذه هى المشكلة .. المشكلة الحقة هو أن المؤلف وقد اختار أن يقدم الوجه الرائع لبطولة الجماعة كان عليه أن ينفذ برؤيته الى المشاكل الحقة التى تقف فى سبيل مثل هذا التكامل بين من هم فى أمس الحاجة اليه .

إن روعة تآزر الجماعة لا تنبثق إلا من صعوبة ذلك وهذا هو التحدى الذى كان ينتظر المؤلف ليحققه،ولكنه لم يفعل (لا أعرف ماذا كان وراءه أهم من فئه) . من حق القارىء أن يكون له رأيه ورأيى (من واقع الرواية) ان القضية الأخطر هى كيف حدث تغير الجماعة ؟ وكيف تفجرت وتكاملت إمكاناتها ؟ وكيف اكتشفت ذاتها الجماعية .. النتيجة لا تهم .. فالدرس قائم فى كل الأحوال .

على أن الأمانة تقتضى أن نختم هذا المقال بالاشارة الى عناصر إيجابية فى هذا العمل الروائى .. فقد صور فى لمسات موفقة من خلال بعض الشخصيات تجربة زراعة الدخان .. وجعل من هذا العمل الروتينى ترنيمة تتردد خلال أصوات الشخصيات لتصبح الطبيعة (فى المنطقة التى جرت فيها أحداث الرواية (الضفة الغربية) الشخصية المكملة فى الرواية كلها . وفى أجزاء من الرواية كان قلم المؤلف يبدع فى تصوير المشاهد الطبيعية وفى مزجها بخطوات الفكر والنفس يقول أحمد الفايز :

« المطر حبات صغيرة تبشر بموسم قادم ، الأرض تفتح صدرها لتحتضن المطر ، أنت صاحب الأرض ، المطر لك وحدك وكل الآخرين يبتلون» .

يكفى لهذه الرواية أنها تؤكد أصالة الكاتب ، وأنه صاحب رؤية للحياة تنمو وتتعمق فى مختلف أعماله .. وإذا كان الأداء الجيد يحتاج الى وقت وصبر فاننا نعتقد أنه يملك منهما الكثير . كما أنه يملك الموهبة الكبيرة التى أكدتها رواية العدوى .. وتعلقت بها الخيوط !!

أبو المعاطى أبو النجا

بــــــلاغـــــــة

قال رجل من البخلاء لأولاده : اشتروا لى لحماً ، فاشتروه فأمر بطبخه ، فلما نضج أكله جميعه حتى لم يبق فى يده إلا قطعة من العظم ، وعيون أولاده ترمقه وبطونهم خاوية ، فنظر إليهم وقال : إننى لن اعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فيكون ابلغكم لفظاً ومعنى ، فقال ولده الأكبر « أمشمشها يا أبتى وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا » ، فقال الأب : لست والله بصاحبها . فقال الأوسط « ألوكها يا أبتى والحسها حتى لايدرى أحد ألعام هى أم لعامين » ، فقال الأب : ولا انت ايضاً ، فقال الأصغر : « أما أنا يا أبتى ، فاننى سأمصها ثم ادقها واسفها سفاً » فقال الأب : فانك والله صاحبها .. خذها بارك الله لك فيها وزادك بلاغة وفصاحة .

من التراث الجديد

نابليون وسخرية الأقدار

علي أدهم



فى أوائل هذا العام ـ ١٩٨١ ـ فقدت الحياة الادبية والثقافية فى الوطن العربى كاتباً ومثقفاً كبيراً هو الأستاذ على أدهم ، الذى توفى عن ثلاثة وثمانين عاماً ، وقد عاش على أدهم حياته فى كفاح صادق متصل من أجل الفكر والثقافة فأصدر ما يقرب من ثلاثين كتاباً تعتبر من المراجع الأساسية فى الأدب والتاريخ والسياسة ، وترك وراءه عديداً من الكتب التى لم تنشر حتى الآن ، وقد اهتم على أدهم بالتاريخ العالمى والتاريخ العربى ، وكان له جهد بارز فى الدراسات الأندلسية على وجه الخصوص .. وفى هذه الصفحات نعيش مع على أدهم فى نموذج حى من فكره وثقافته وتأملاته التاريخية ، ولعل حياتنا الثقافية تستيقظ ، بعد وفاة الرجل ، فتعطيه حقه الذى لم يكن يسعى وراءه لشدة زهده وتواضعه وبعده عن الأضواء .

للقاص الروسى البارع اسكندر كوبرن اقصوصة عنوانها « إغراء » ، مضمونها ان مهندسا فى ريعان الشباب قوى البنية ، رضى الاخلاق ، كريم الطباع ، كان عائدا فى قطار الشرق الاقصى قاصدا مدينة بتروغراد بعد ان قضى فى الشرق خمس سنوات ، بعيدا عن أسرته ، جمع فى غضونها ثروة طائلة ، وكان يبدو موفور السعادة طافح البشر ، وكان يستطيل الوقت ويكاد يستحث سرعة القطار ، ولا ينى يتحدث عن شدة شوقه الى رؤية افراد اسرته ، وحرصه على لقائهم ، وكان فى كل محطة يرسل برقية الى اسرته ويتلقى منها برقية ، ولما طوى القطار تلك المسافة الشاسعة وبلغ العاصمة الزاهرة اشتد شوقه ، وعظم تاثره ، وأشرق وجهه ، والفكرة التى حاول توضيحها مؤلف الاقصوصة هى ان الرجل لشدة حرصه ، وفرط حماسته لرؤية اسرته بعد الغياب الطويل والسفر البعيد ، أغرى الاقدار بمعاكسته ، وحرصها على ان تتحداه ، وقد بدأ كوبرن هذه القصة العجيبة المحزنة بهذه المحاورة التى تلائمها فى الغرابة والخفاء

حياة حافلة منوعة

لقد اعتدت ان تردد فى مناسبات كثيرة قولك « انها المصادفة » ولكن الامر الجوهرى الذى اود أن استرعى التفاتك اليه هو ان المسألة اخطر مما تظن واكثر تعقيدا .

واسمح لى ان أقول انى قد وقفت على الستين ، وهى تلك المرحلة من مراحل العمر التى يرى الانسان فيها امامه بعد الاهواء المضلة ، والصراع الطويل ، ثلاث طرق ، وهى طريق الطمع وطريق الطموح وطريق الفلسفة ، ويمكن أن اقول انهما طريقان ، لان الطموح ضرب من الطمع .

المصادفة والقضاء

والان وانا فى أيامى المدبرة ، انا الفقير الاثيم احاول ان افكر فى الحياة . وانا - كما ترانى - شيخ عالى السن ، وحيد من الخلان ، ناء عن الاهل . وانت تعرف طول ليالى العجائز ، ولكن ذاكرتى لا تزال تحتفظ بالاف الذكريات . ومما يروقنى أن أستعيد صور الماضى وسوالف الحوادث .

ولقد طاف بنا الحديث على مسالة « المصادفة » و « القضاء » وانا مستعد أن أسلم معك بان المصادفة حمقاء رعناء ، متقلبة الاطوار عمياء ،

تخبط خبط العشواء . ولكن هناك قانونا صامتا يسيطر على الحياة ، ويقضى بأن كل شئ يولد ويتجدد ، ثم ينمو ويزدهر ، ويوفى على الكمال ويبلغ الذروة ، ثم يتراجع وينكص وتتقلص ظلاله ، وتفوح زهرته ، ثم يصيبه العفاء والدثور ثم يعيد ثانية سيرته ، ويبعث من جديد ، وهكذا دواليك مثل التعرج اللولبى .

وستحاول ان تقول ان مثل هذا القانون لو كان موجودا لكانت الناس قد استكشفته من زمن طويل ، ولاستطاع البشر قراءة المستقبل ، ومطالعة الغيوب ، ولكن الامر ليس كذلك ، **لأننا نحن الأناس مثل النساجين** الذين يجلسون متقاربين ازاء سداة طويلة الامتداد تمر امامهم الألوان المختلفة من اصفر فاقع او أحمر قان ، أو أزرق داكن ولكنهم لايستطيعون تمييز الانموذج لقربه منهم ، والحياة لا تتكشف **أسرارها وتنجلى غوامضها** الا للذين استطاعوا ان يقفوا بعيدا عنها مثل عباقرة العلماء وصفوة الانبياء والشعراء والمتعصبين لأفكارهم . وانى على أتم استعداد لقبول احكام تلك القوانين المسيطرة على كل شئ ولكنى المح قوة اخرى لا أعرف كيف اعبر عنها ولا كيف اسميها ولكنها لو تجسمت فى شخص لظهر الشيطان الى جانبه ساخرا هين الشأن جديراً **بالمرثية له** .

نابليون . . وحياة تشبه الخرافة

مثلا حياة نابليون ، هى حياة تشبه الخرافة ، وشخصية عظيمة مفرطة فى العظمة ، وقوة متمادية ، لا ينضب معينها ، ولا ينقطع مدها ، ولكن انظر الى خاتمة ذلك كله ! جزيرة صخرية صغيرة ، وألم مبرح فى المثانة ، وتذمر كتذمر العجائز . ولاشك عندى فى ان هذه الخاتمة التعسة كانت من سخرية تلك القوة **الغريبة** التى أشرت اليها ، وقد فطن القدماء لهذه القوة



المجهولة ، وكانوا يخشونها ، ويحذرون جانبها ، وكانوا يسمون بسماتها الساخرة " غيرة الأقدار ".

فى ضوء هذه الأفكار التى يختلط فيها الوضوح بالغموض ، ويلتقى فيها الظل والضوء أريد أن أنظر إلى سمة ظاهرة فى حياة نابليون ، وهى تصوره للقضاء فى أواخر أيامه وهو منفى فى جزيرة القديسة هيلانة .

كان نابليون فى صباه ومطالع حياته ، نابليون القائد ونابليون القنصل ، لا يرى فى كلمة « القضاء » معنى غامضا ، ولا لغزا غريبا ، لانه كان عقلى النزعة ، مادى الفلسفة ، وكان فوق ذلك كله واقعيا لا يغره بريق الأحلام ، ولا يجرى وراء الخيال . وكان يحلل كل موقف تحليلا دقيقا ، ويزنه وزنا فاحصا ، وكان يثق بنفسه ، ويعتمد على ارادته القوية ، وعزمه الصارم ، ويعتقد أن الموقف **الفاصل فى حياة الانسان** هو معرفته مدى مواهبه ، وطبيعة ملكاته ، واستثمار تلك المعرفة جهد الطاقة ، ومتى اطمأن إلى ذلك فسرعان ما تتبدد الشكوك ، ويزول التردد ، وينطلق فى طريقه قدما وهو عليم بغايته ، عارف بوسائله ، يحدوه الايمان بنفسه ، والثقة بقدرته .

وكان يعتقد انه يستطيع أن يقدر وجوه المعركة القادمة ، وشتى محتملاتها فى دقة حسابية قل ان يتطرق إليها الخطأ ، وبذلك لا يترك مجالا للمصادفة ولا نصيبا للحظ ، وأصحاب المدارك المتوسطة او العقول العادية هم الذين يعتقدون بالمصادفة ، ويرونها لغزا غريبا ، وسرا غامضا ، اما هو ذو البصر الحديد ، **والرأى الصائب ، واللمحات** الخاطفة فلا غرابة امامه ولا غموض ولا أسرار !

معركة واترلو والنهاية المؤلمة

والحظ والقدر فى رأى نابليون القائد المنتصر **الموفق حقائق ميسور تحديدها ، وعلم النجاح** أساسه أن تزن فى دقة وانتباه محتملات النجاح ومحتملات الفشل فى أية مسألة من المسائل ، ولكن كلما عظمت عبقرية الانسان ، وسمت ملكاته كان الجزء المتروك للحظ فى حياته جد صغير وقد كان نابليون مغامرا جريئا ، وهو لا يخفى ذلك بل يصارحنا به ، ولكنه كان يلعب لعبة علمية فى عناية تامة ، وبراعة تستدعى الاعجاب ، وكان يزيده جراة وثقة بالنفس إلمامه بأصول تلك اللعبة ، وتغلغله الى دقائقها ، وكان يقول عن نفسه : « مقدرتى العظيمة قائمة على انى أعرف أن الخط المستقيم أقرب من الخط المنحنى » وكانت تأهباته مقرونة على الدوام بالروية والتفكير ، وتقليب الأمور على جميع وجوهها ،

نابليون وسخرية الأقدار

وفحص نواحيها فحصا تاما ، ووزنها وزنا دقيقا ، والاحاطة بكل تفاصيلها وصغائرها ، ولاعتقاده أن حظه في يده ، وطوع امره ، كانت ثقته في نتيجة اللعبة لا تتزعزع ، وكان يزيد هذه الثقة قوة وتمكينا غلبة عقله على جسمه ، واستطاعته أن يحتمل العمل المرهق في جلد وصبر دون ان يدركه اعياء او تخذله صحته .

ولكن مر السنين ، وطول التجربة ، وتوالى الحوادث ، جعلته ينحرف عن تفسير المصادفة هذا التفسير الهين ، وعن تعليل القدر تعليلا واضحا بسيطا سطحيا ، وصار القدر في نظره رويدا رويدا شيئا غير ملموس ، وبدأ يأخذ صورة القوى الغامضة الخفية التى يرى نفسه ازاءها مسلوب القوة ، منهوب الارادة ، وصار يدرك انه مدفوع ومجبر ومسوق .

وأخذت نفسه تمتلئ بهذه القدرية اليائسة العميقة ، وتباعدت في تفكيره فكرة القدر عن فكرة النجاح ، وأخذ **يعتقد أن الحظ بدأ يخونه ، وأخذت ثقته بنفسه تضعف ، وصار يعزو ما يلحقه من الفشل الى الظروف والحوادث .**

وكان كلما مرت السنون ، وتكاثرت الأحداث ازداد شعوره بعثار جده ، وأفول نجمه ، حتى جاءت معركة واترلو وقضت على نفوذه ، وكانت من المعارك التى لعب فيه الحظ دورا ملحوظا ، وكان يقول قبلها بقليل « هاتف داخلى ينبئنى أن النتيجة سوف لا تكون سارة ، وإنى أعزو فشلى إلى أفول نجمة حظى » وقد أذعن بعد ذلك للانجليز ، وألقى إليهم مقادته ، وكان في وسعه ان يسلك مسلكا اخر ، ولكنه اثر ذلك نزولا على حكم الحظ ، واستسلاما للأقدار ، ولاعتقاده ان العقبات التى كان في مستهل حياته يزيلها من طريقه في سهولة قد أصبحت في نظره عقبات كاداء لا سبيل الى التغلب عليها ، وعادت الى قاموسه كلمة « مستحيل » بعد طول إهمالها وحذفها !

كان يشعر في ذلك الوقت بانه مقيد في أصفاد الظروف والأحوال ، أسير في سجن الزمن لا يستطيع الخلاص من أسره ، ولا يقوى على صدع قيوده وتفكيك أغلاله ، وكان حينئذ يرى أنه إذا أراد القضاء أمرا فلا مرد لمشيئته ولا معقب لحكمه ، والجهاد ضد الأقدار عبث لأن ما كتب قد كتب ولابد من نفاذه ، وليس في طاقة جهودنا وإرادتنا ان نغير حرفا واحدا من المكتوب في سفر الأقدار !

وكان يرى في وجوده بتلك الجزيرة الصخرية المشؤومة ، وفي الآلام التى يكابدها دلائل واضحة على أن القضاء لا يغالَب ، وكيف لا ؟ ألم يعد القضاء له هذه الخاتمة لأن حياته بدأت لامعة متالقة ؟

نجاح الرجال

ولكنه مع ذلك كان عندما يتناول تاريخ غيره من عظماء الرجال وأبطال التاريخ يعلل فشلهم بما طرأ من التغير على حالتهم النفسية وبواعثهم الدخيلة ، ويأبى أن ينسب فشلهم الى الظروف الخارجية ، فلماذا فشل قيصر وهانيبال والاسكندر ؟ وهل اللوم على الظروف والمصادفة ، او كان حظهم هو سبب ذلك ؟ يجيب نابليون على ذلك بقوله « نجاح الرجال العظماء لا يتوقف على الظروف والمصادفة ، وانما هو نتيجة التفكير والعبقرية » **ورجال القدر فى رأيه قد** سيطروا على الحظ لانهم عظماء ، ولانهم كانوا يحسبون حساب كل خطوة ، ويسيرون على بينة من أمرهم ، وقد اخذ الفشل يلاحقهم لما خانوا نفوسهم ، وفقدت عبقريتهم قوتها ، وضعف نظرهم في عواقب الامور ، واختلت موازينهم ، وكانت هزيمتهم الخارجية في الواقع نتيجة محتومة لانهيار صرح شخصيتهم الداخلية .

كان نابليون يفكر هذا التفكير في مصير غيره من الأبطال ، ويعلل فشلهم هذا التعليل ، ولكن كان يحجم عن تطبيق ذلك على سيرته ، ويابى ان يواجه به نفسه لأنه لا يريد أن يعترف بهزيمته الداخلية ، وخيانته لنفسه ، وكأنما كانت **كبرياؤه الباقية** لا تطاوعه على الافصاح عن ذلك !

وقد كان في صدر حياته يرى ان المصادفة مهيمنة على شئون العالم ، وعلى الانسان ان يخضعها ، ويتخذها وسيلة لتحقيق أغراضه ، وكان عالمه واضحا ميسور الفهم لا يحيط به خفاء ، ولا تكتنفه أسرار ، وكان عقله المادى النزعة يحاول ان يفسر الدنيا في ضوء الحقائق العارية المكشوفة ويخضع مظاهرها للعقل .

فكرة القدر والعناية

ولكن على توالى الأيام أخذ يشعر بوجود قوة غامضة مسيطرة على حياة الناس لا يستطيع ان يدرك كنهها ، ولا ان يسبر غورها لأنها من وراء طاقة العقل ، واخذ يظهر له ان جميع الحوادث مترابطة متصلة الحلقات ، وأنها خاضعة ليد خفية تحركها ، ولذا قال في حديث له مع دوقة ويمار « صدقينى أن هناك عناية ترشدنا ، وما أنا إلا آلة في يدها ! » .

وهكذا أخذ يقرن فكرة « القدر » الى فكرة « العناية » واخذ ينمو في نفسه شعور صوفى بهذه العناية التى بدأ يدرك وجودها ، ويستشف اثرها ، ولذا نشأت في نفسه الى جانب ادراكه المادى للحياة عناية بشؤون الدين ، واحترام للكتب المقدسة ، وكان يقول « إننا مادة ، وليس بعد الموت سوى الموت » ولكن كان في نفس الوقت يدمن

قراءة الانجيل والكتاب المقدس .

وهذا الشعور بالقدرية الذى استولى عليه فى سنواته الاخيرة طبع اقواله وأعماله بطابع خاص . ففى سنة ١٨١٣ كان يردد قوله « إن الحظ يعمل ضدى » وصار يعتقد ان سقوطه ضربة لازم . وكان يرفض أن يعترف بالعوامل المختلفة التى أدت الى فشله وسقوطه .

وقد قنع نابليون فى النهاية بحظه ، وارتضى المنفى فى الجزيرة النائية ، وكان يقول « لقد تركت فى الدنيا دويا كافيا . وقد علت سنى واصبحت اريد الراحة » وكان يؤمل – وقد أضاع كل شئ – أن يجد فى تلك الجزيرة هدوء النفس وراحة الضمير . وكان يرى ذلك ميسورا قريب المنال بعد التبعات الخطيرة التى اضطلع بحملها ، والمطامع المتعبة التى استهوته . ولقد طوى مستقبله السياسى فهو الآن يستطيع أن يستمتع بلذة القراءة وجمال الأحلام !

نابليون أسيرا

ولكن سخرية القدر لا تريد له ذلك ، فهى ترسل إليه فى تلك الجزيرة رجلا عنيدا وطاغية صغير النفس وهو السير هدسن لو . وكان يطيب لهذا الرجل ان يظهر سلطته على نابليون فكان يقول « انا امر القائد بونابرت ! إنه أسيرى » .

فيرد عليه نابليون من عزلته قائلا فى حدة وغضب « كلا . لست أسير احد . إنما أنا ضيف الامة الانجليزية ! » .

فيجيبه الحاكم « هذا هراء ، وسارغمه على طاعتى أو أضعه فى القيود والسلاسل » ويؤيده مساعده قائلا « نعم هو طريد وسجين ، والحاكم محق فى معاملته بهذا الاسلوب ! » .

وكان هدسن لو يفتن فى تضييق الحصار على نابليون ، وتشديد الرقابة عليه . وكان يجتهد فى أن يجعل نابليون شاعرا باثر الرقابة ووقعها حتى قال أحد أصفياء نابليون « إنهم يقتلون بوخز الابر رجلا عجزت عن هزيمته جيوش **أوروبا**» .

وفى اخر مرة التقى فيها هو والحاكم نشب بينهما جدل عنيف قال فيه نابليون لهدسن لو « بعد سنوات قليلة سيجر عليكم النسيان أذياله ، أنت واللورد كاسارى باثرست . وإن جسمى فى قبضة يدك ولكن روحى لا تزال حرة وجريئة كما كانت وأنا **سيد أوروبا وستكون هى الحكم العدل** فى المعاملة التى عوملت بها ، وسيرتد الخجل منها الى الشعب الانجليزى ، وإن عداوة اللورد باثرست هى التى ارسلتك هنا ، وأنت لست قائداً وإنما أنت كاتب أركان حرب ! » .

وحز ذلك فى نفس هدسن لو ، ونال منه، فرد على نابليون قائلا « انت تضحكنى يا سيدى » .

نابليون : ماذا ؟ أنا أضحك .

هدسن لو : « نعم يلسيدى ! وأسفى شديد على خشونة أخلاقك ، واتمنى لك يوماً سعيدا » !



وبعد انصرافه التفت نابليون الى مونتهولن وقال « لقد قلت أكثر مما يجب ! وسامتنع عن لقاء الحاكم مرة ثانية لأنه يغضبنى ويخرجنى عن طورى ! »

وحافظ على وعده ، وظل لا يراه لمدة خمس سنوات ، ولم ير هدسن لو نابليون بعد ذلك إلا وهو ميت مسجى على فراشه .

إكليل من الشوك

وهكذا ظلت الحرب التى ظن انه قد نبذها وباعدها بقبوله المنفى تلاحقه وتابى أن تتركه ، وظلت الحرب ناشبة الى يوم مماته ، **ولكنها** كانت حربا ضد الطغيان الذى حاول أن يفرضه عليه هدسن لو ، كانت حرب صغائر وسفاسف يثيرها مستبد ضئيل الشان على رجل فقد كل شئ ، وعزيز قوم ذل . وصار نابليون يعتقد ان هذه المعركة هى الحلقة الاخيرة من المعارك التى دامت طوال حياته ضد الانجليز ، وكان هدسن لو فى نظره يمثل الانجليز .

قال لليدى مالكولم « لقد لبست تاج فرنسا الامبراطورى وتاج ايطاليا الحديدى وانجلترا الآن تقدم لى تاجا أروع وأعظم وهو «**إكليل الشوك**» **فالاهانة والتحقير والاستبداد** تزيد فى شهرتى ، وانى اعزو الى انجلترا تالق مجدى » وكان يعزى نفسه بقوله « غيرى من الناس يخفضهم فشلهم ، أما أنا فقد رفعنى الفشل الى اسمى المراتب » ولم يستطع ان يواجه حقيقة أن حبسه كان ثمنا تقاضته الأقدار لطموحه المتناهى ومطامعه البعيدة وللحيوات البشرية التى حطمها وأسال دماءها فى حروبه العديدة ، ولكنه كان فى منفاه وقد أثقلته المصائب وآدته الأحزان اشجع منه فى ايام مجده والدنيا عليه مقبلة .

كان عظيما وجلدا صبورا ، كان رجلا ، وقد صبر صبرا جميلا على سخرية الاقدار !



يحيى حقى الكاتب الذى التقت به المستشرقة الانجليزية .

إنجليزية في صعيد مصر

الرّد على مغامرة في

عالم يحيى حقي

مجيد طوبيا

فى عام ١٩٨٠ جاءت الى القاهرة المستشرقة الانجليزية «ميريام كوك» بهدف اساسى هو مقابلة يحيى حقى والتعرف عليه عن قرب، من بعد أن عرفته واعجبت به عن طريق كتاباته .. وبعد أن التقت به شعرت - اثناء حديثها معه - بالأثر العميق الذى تركته فيه مدينة «منفلوط» ، تلك المدينة الصعيدية التى عمل بها معاوناً للادارة فى بداية حياته العملية ، وبالتحديد فى عامى ١٩٢٧/١٩٢٨ ، والتى ظهر اثرها فى كتاب «خليها على الله» وفى «دماء وطين» .. فما كان من المستشرقة إلا أن ركبت قطار الصعيد الى منفلوط .. وبعد أن رجعت الى انجلترا نشرت مقالا طريفاً بالانجليزية بعنوان البحث عن احلام ، وصفت فيه منفلوط كما رأتها بعد خمسين عاماً من رحيل يحيى حقى عنها .. وهو المقال الذى نشرنا ترجمته الكاملة فى العدد الماضى ، والذى نقدم الآن تعليقنا على بعض ماجاء فيه من وقائع بعدت بشكل أو بآخر عن الحقيقة .

عن رحلته فى صدر شبابه الى منفلوط كتب أديبنا الكبير يحيى حقى يقول :

« لم يسبق لي قط أن سافرت الى الصعيد أو خالطت أهله ، صورته المنطبعة فى ذهنى رسمتها لى اقاويل تقارب تهاويل الاشاعات عن جرائم القتل والأخذ بالثأر .... ونساؤها حبيسات فى دورهن ... والليل سجان له يد سوداء تغلق الأبواب عند غروب الشمس على الانسان والحيوان ... »

« ومع ذلك أشعر بسعادة الانطلاق الى عالم غامض أحس بسحره وعطره ... منذ صغرى ألحظ فى زملائى أبناء الصعيد فى المدرسة رجولة ونخوة وشهامة وجلدا ، ثم - وهو الأهم عندى - قدرة أشبه بالغريزة على تناول الحياة حلوها ومرها كما تلقاهم ويلقونها ... يهتز قلبى حين يقال ان الجنازة فى بعض بلاد الصعيد تعبر النيل من الغرب الى الشرق ، أحس اننى اعيش فى عهد الفراعنة ، وأظل اصور لنفسى تأرجح الميت فى القارب فوق المياه ينهى به حياته كما بدأها بتأرجحه فى المهد ....»

كان ذلك فى يناير ١٩٢٧ عندما وقف الموظف الجديد يحيى حقى أمام مدير أسيوط (المحافظ حالياً) الذى اختار له العمل معاوناً للادارة فى مركز منفلوط :

« وجدتنى استبشر بهذا البلد ، وهو فى مقدمة مدن قلائل يجلجل اسمها فى دروب القاهرة إشارة بالاصالة والتفوق عند ذكر طيب المنبت وجودة الثمر وبائع الرمان العجوز يدخل حارتنا وينادى :

- منفلوطى يارمان ..

سأذهب الى موطن هذا الرمان ، جعلت اغانى الصعيد موطنه توأماً لنهود العذارى .. واستبشرت بمنفلوط مرة أخرى لأن واحدا من أبنائها كان من اعز الناس لدى الجيل الذى أنا منه ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، أسال من صخرة الفصحى علينا سلسبيلا كم نهلنا منها وارتوينا ، ان سحره لا يقاوم وفضله علينا عظيم ، ولو أنه رحمه الله أكبر مسئول عن دموع ماقينا وزفرات صدورنا وخفقات قلوبنا ونحن نقرأ له «العبرات» و «مجدولين» أو «تحت ظلال الزيزفون» لم نبال أن نسأل مامعنى الزيزفون ؟ ... مهما يكن معناها يكفى أن لها رنينا جميلا له طعم حلو فى الفم ... »

تلك هى منفلوط عام ١٩٢٧ ويحيى حقى يتهيأ للعمل بها .. مركز كبير مشهور فى مصر كلها ، أى مواطن صعيدى يعرفها ويعرف موقعها تمام المعرفة .. رغم هذا فان المستشرقة ميريام كوك وفى عام ١٩٨٠ تخبرنا بأنها سألت عنها فى قطار الصعيد « ولم يكن لدى معظم من سألتهم أية فكرة عن موقعها » .. جائز جدا .. لكن كون المدينة مجهولة الموضع يضفى بالطبع هالة من المغامرة والاقدام على تجربة الشابة الانجليزية ، وكأنها تقوم برحلة ثامنة للسندباد الشهير ، رحلة لم يقم هو بها ، فهى مغامرة مثله ، هو بسفينته الشراعية وهى بقطار الصعيد ..

لكن دعنا نتجاوز كل هذا ..

لم تر النور

انها تصف المدينة بالمساء قائلة :«ومع حلول الظلام بدت محلات الحرفيين أكثر وضوحاً بفضل مصابيح الغاز » .. وتصف لنا بيت مضيفتها فاذا هو مكون من ثلاثة طوابق ، وستائر ومقاعد ومفارش ومكتبة بها مئات الكتب ، ومع ذلك تحدثنا عن اضاءة بالجاز (الكيروسين) !!

هذا بالطبع يتنافى ووصفها لمنفلوط : فالمدينة بها محكمة مشيدة بنظام الخرسانة وبها محل اقمشة من طابقين ، يعمل فى كل منهما موظفون وموظفات — أى أن المرأة تعمل ، وهذا له دلالته — ومن المعروف أيضاً أن البلدة بها مدارس من مختلف المستويات وللجنسين .. مدينة وحجمها هذا لايمكن أن تعيش على إضاءة مصابيح الغاز والبترول ، وللعلم فان جميع مراكز الصعيد مضاءة بالكهرباء من حوالى النصف قرن ، وأنا شاهد عيان على هذا بحكم كونى صعيدى .. وللعلم ايضاً فانه بعد كهربة السد العالى دخلت الكهرباء قرى الصعيد ، وليس مراكزه فحسب ..

لنقرأ ما ذكره يحيى حقى نفسه عن هذه المدينة وأحوالها منذ أكثر من خمسين عام :

« وجدت منفلوط بلدا خفيف الدم معتدل المناخ ... يتوسط رقعة تفصل بين النيل وترعة الابراهيمية بمحاذاة شريط السكة الحديد ، وغير محروم من الماء والنور » .

الماء المكرر والكهرباء ، ومنذ متى ؟؟ منذ أكثر من نصف قرن وحتى الآن ، وطبعاً اثناء زيارة السيدة ميريام كوك لها فى العام الماضى !! .. فمن نصدق ؟!

الرعب ومزيد منه

لقد قصدت بيت اسرة لا تعرفها ، وليس فيها — من بعد رحيل عائلها المحامى مكسيموس — من هو صديق ليحيى حقى أو على اتصال به .. ومع ذلك فقد استضافوها وأحسنوا معاملتها بدافع الكرم الصعيدى الأصيل ، ومن أجل خاطر أديبنا الكبير ولأنها أجنبية .. وجهزوا لها طعاماً مخصوصاً وذهبت بها سيدة الدار الى المحكمة بحثا عن آثار يحيى حقى والى الشارع الذى سكن فيه والى الخياطة حيث زودتها بثوب فلاحى .. كرم أكيد قوبل من ميريام كوك بوصف خال من الذوق لمنزل هذه الأسرة الكريمة لم تر غير الحشرات والهواء الراكد والاضاءة المقبضة والطلاء الباهت والملل والتوتر !!

وفى مضمار الكرم المصري خاصة مع الاجانب ومقارنته مع شعوب أخرى ذكر لى الاستاذ يحيى حقى أنه كان مع زوجته فى فرنسا ولمدة شهرين من الصيف الماضى ، ومع ذلك لم يدعه أحد الى زيارة بيته ، رغم صداقاته القديمة عندما كان يعمل فى السلك الدبلوماسى !! لكن ما دامت «السندبادة كوك» تحدث مواطنيها بالانجليزية عن مغامرة اكتشاف للمجاهل المصرية ، فان الدار التى استضافها لابد وأن يبدو وكأنه مسكون بالأشباح ، وكأننا فى عالم «إدجار آلن بو» المرعب ، أو فى مسرح جريمة مرتقبة عند «أجاثا كريستى» ، والأدب الانجليزى حافل بالاشباح والارواح والعفاريت وغرائب الجرائم عند شكسبير !!



تصف ليلتها لدى الاسرة المصرية بشكل غامض مثير كما فى روايات الاثارة البوليسية تقول :«ومع خروجنا من غرفة الطعام لاحظت أن السيدة العجوز تستعجل شخصاً ما للخروج من غرفة المعيشة ، احدب متدثر فى سروال يتدحرج فى شكل غريب «!» ما أن أوشك على أن يختفى حتى التفت لوهلة مظهرا تقطيبة مرعبة «!!» من وجه شاحب محاط بخصلات رمادية «!»... »

ولم تعرف عن هذا الشبح سوى أنه «هى» !! .. ناهيك عن وصفها للعيون التى راحت ترقبها طوال الليل : أربعة عيون ترصد كل حركة لها رغم ظلام الغرفة «!!» .. وعيون أخرى متخيلة ترصدها من الغرفة التالية عبر الجدار !! .. ولمزيد من الرعب فقد وجدت السرير مغطى بالبق والحشرات بينما الناموس — دراكولا الصعيد — يترصدها من خارج الناموسية لاعداد وليمة من جسدها !!

أعرف مسبقاً ما سوف يكون عليه دفاعها عن هذه الكتابة ، لقد ذكرت مارأته بشكل موضوعى يقتضيه الأسلوب العلمى فى البحث والتقصى ، ودون عواطف أو مجاملات شرقية .. أعرف هذا مسبقاً ، ولكن من العسير تصديق أنها لم تجد انساناً واحدا فى المحكمة أو فى منفلوط كلها يعرف أى شىء عن أديبنا الأشهر يحيى حقى !! .. وأننى فى هذا أجاريها فى الصراحة وفى البعد عن العواطف والمجاملات الشرقية وأقول لها بأن خيالها شطح اكثر مما يجب ، وانها بهذا تفترى على الموظفين والموظفات والمحامين ومن كان متواجداً بالمحكمة أثناء زيارتها ، قد نسلم بأن بعض الناس لايعرفون يحيى حقى ، ولكن أن يجهله



IN SEARCH OF A DREAM

by Miriam Cooke

TWO YEARS HAD PASSED since I had first read Yahya Haqqi's name, two years since I had first tried to understand his haunting stories, two years since I had first decided that I should concentrate all my efforts on the works of this Egyptian. Weaving my way through the intricacies of the tales I had come to empathise with this kindly old man — and with this empathy had come a desire, a curiosity to meet him. In March I finally realised my long-standing ambition and I flew to Cairo.

صورة من المقال الذى نشرته المستشرقة الانجليزية .





الرّد على مغامرة في عالم يحيى حقي

الجميع فهذا قول غير مستساغ .. على الاقل قرأوا أو سمعوا عنه !!

مدرسة الحمير

لعل أجمل ما كتب يحيى حقى هى تلك الصفحات الممتعة عن الحمير : «وجدت سعادتى مع الحمير» .

«عاشرت الحمار سنتين ... غلبان يبلع الاهانات ، بخس الثمن نادر الامراض ، لاتنفتح بطنه على ندى البرسيم كما يحدث للجاموس ، لايجر صاحبه الى الترعة بل اذا طلب الاستحمام سار وحده يتمرغ بالتراب ... لايعرف الجموح ولايقفز خوفاً من خياله كالحصان الاسترالى الذى عرفته دورية المركز ..»

«للبقرة عين غارقة فى أحلام لذيذة ،، وللجمل عين ترقب الدنيا عن عل بتوجس وغضب مكتوم .. وللحصان عين تنم عن الخيلاء والنبل والذكاء ... أما الحمار فان عينه ذليلة حزينة تكاد تترقرق فيها الدموع ، كعيون الاطفال بعد بكاء ، أهذا هو سر نهيقه ؟! .. إنها صرخة عذاب واستغاثة واشهاد للناس فى نوبة متفجرة من بكاء بلا دموع ، تمزق الهواء ثم تذوب كأن لم تكن ...»

«لم أر كالحمار حيواناً تحس أنه ادرك أنه أسقط فى يده ، أنه لم يقبل قدره عن عمى وغفلة أو تدليس عليه ، بل عن بصيرة وفهم بعد أن وازن بين حيلته وقدرة ظالمه ، وقاده ذكاؤه العملى الى الاقتناع بأن كل أمل قد مات وأن لافائدة ترجى من الثورة أو اللجاجة أو العناء ، فوضع إرادته وغرامه وبهجته ومرحه وحبه للعب والمعابثة فى حرز مكتوم فى قلبه وأحنى رأسه وأذنيه وسبل ظهره واستسلم بلا قيد ولاشرط .. قال لنفسه .

«فلتحسبن أن الذى يعيش فى جلدك هوحمار غيرك ، ولتبق لى روحى لايعلم بسرها الا خالقى»

وقد قال لى يحيى حقى تعقيباً على مقال ميريام كوك ورحلتها الى منفلوط : بأنه كان يتمنى لو كتبت شيئاً عن الحمير ، وماآلت اليه أحوالها ، بالذات عن حمار الأجرة (على نسق سيارة الاجرة أو التاكسى) الذى كان يقف بالمحطة لنقل الافندية بأجر زهيد ، والذى وصفة من قبل بأنه أكثر الحمير مكراً ، فهو ابن سوق محنك بالتجارب» .. قال لى :

كنت أتمنى أن تذكر ميريام إن كان موقف الحمير وكذلك «مدرسة الحمير» مازالت موجودة أم أن التطور قضى عليها

نشكر لها جهدها

وهو ما كنا نتماه مع يحيى حقى ... فذكر الحمير جاء فى سطرين فقط عندما ركبت الحنطور : «جلسنا فى عربة حنطور يجرها حصان ، والحنطور والحصان هما وسيلتا المواصلات الوحيدة فى المدينة»

لكن هذه الملاحظات وغيرها لاتقلل من أهمية الجهد المبذول من المستشرقة الانجليزية الشابة ، فهى فى سبيل لقاء الكاتب الذى أحبته قطعت آلاف الاميال ، ثم زادتها مئات أخرى كى تزور بعضاً من أرض إلهامه .. وهذا نوع من الدراسات الميدانية يقل الاهتمام به لدى نقادنا ودارسينا ربما بسبب ما يتطلبه من نفقات كثيرة وانقطاع عن الحياة وسبل العيش اليومية أياماً أو أسابيع ، ولهذا فمن الواجب أن تدعمه وترعاه الهيئات الثقافية والجامعات ومراكز البحوث خاصة المجلس القومى للثقافة ..

وقد ذكرنى استاذنا يحيى حقى بمستشرق فرنسى هو «أندريه ريمون» ، جاء الى القاهرة يدرس الحالة الاجتماعية بها ، فقرأ جميع حجج الأوقاف وعقود الزواج والطلاق منذ أواخر عصر المماليك .. جهد شاق لكنه مثمر ومفيد ويساعدنا فى فهم مسار التاريخ ودقائقه وفى تفهم التطور الاجتماعى فى مصر ..

وأنا بدورى أذكر يحيى حقى بفرنسى آخر صديق له هو «جاك جوميه» الذى أعد الدراسة الوحيدة عن «المحمل» الذى كان يخرج من القاهرة كل عام متوجهاً الى الكعبة ، تاريخه وظروفه وملابساته وجميع ما يحاط به .. مثل هذه الدراسات قام بها أجانب وكان أولى بها مصريون أو عرب ..

من هذه الارضية فاننا نشكر لميريام كوك جهدها ، خاصة ترجمتها لبعض أعمال يحيى حقى الى الانجليزية ، ونغفر لها بعض هناتها .. ومن الظلم أن نتوقع منها تفهماً أكثر لهذه المدينة وشعبها فى زيارة عابرة .. ولقد كتب يحيى حقى نفسه عن عيوب الأهالى والموظفين هناك الشىء الكثير اللاذع ، لكنها كتابة الفنان الانسان المحب .. ختم كتاباته عن منفلوط (١٩٢٧ ـ ١٩٢٨) قائلا :

أننى أعز منفلوط لأنها أكرمتنى وعاملتنى باحسان وأغمضت عينها عن حماقاتى وعيوبى .

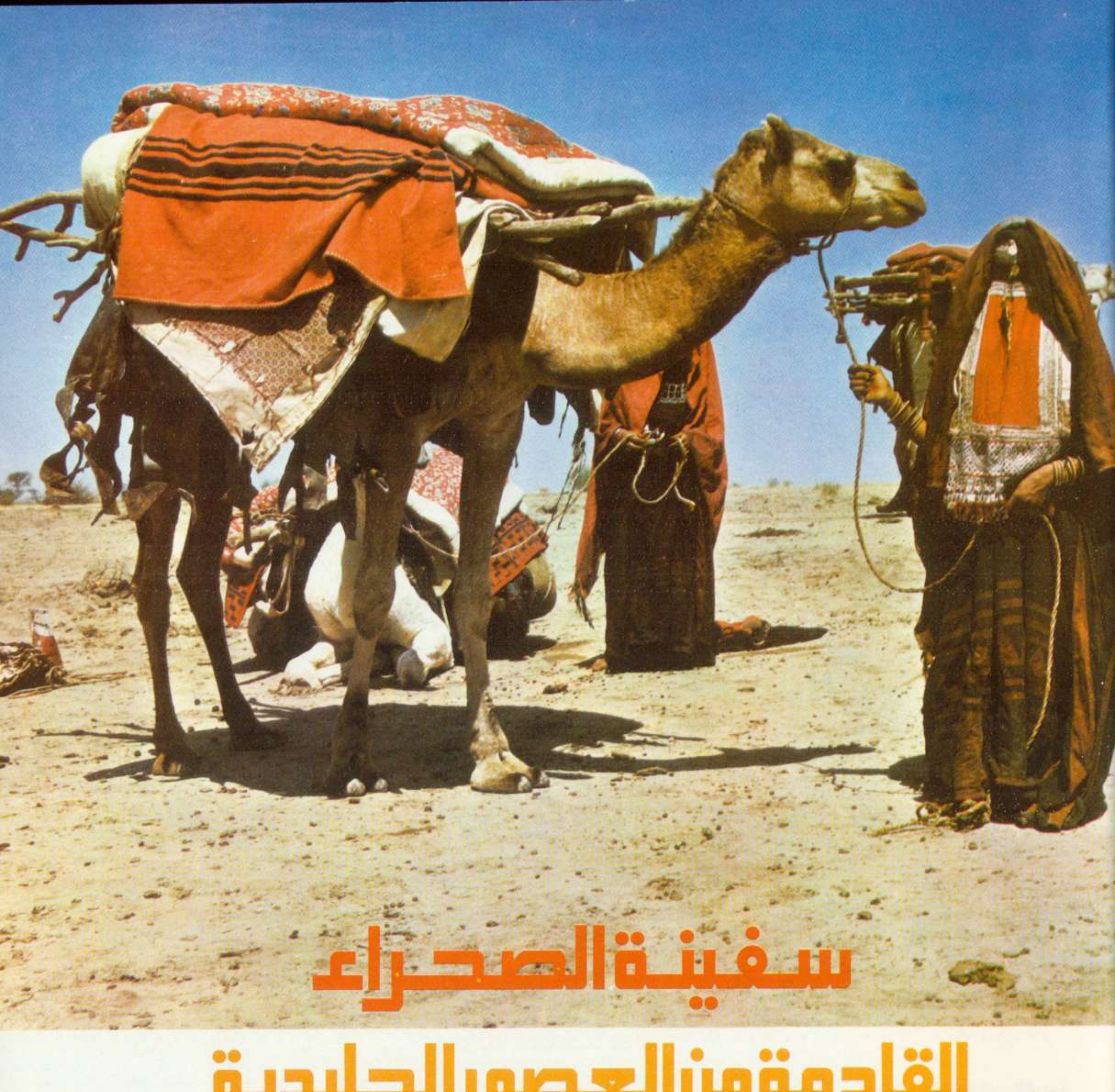
ومسك الختام لسانه

طلب منى أديبنا المبدع وفى الحاح أن أنقل شكره الى منفلوط عام ١٩٨٠ ممثلة فى شخص السيدة الكريمة التى استضافت المستشرقة الانجليزية .. وأملانى السطور التالية :

اندهشت من فرط كرم هذه السيدة وحسن لقائها ومجاملتها لغريبة طرأت عليها ، وأرى من واجبى أن أسعى بنفسى إليها لاشكرها على ذلك ، لا لأن الموضوع يخصنى ، بل لأنه مثل رائع ينبغى أن لايمر بغير تقدير» .

دعونا نأمل عودة ثانية ليحيى حقى الى منفلوط عام ١٩٨١ .

مجيد طوبيا



سفينة الصحراء
القادمة من العصور الجليدية

د. محمد الغباشي ربيع

الأبل من الحيوانات العجيبة وإن كنا قد ألفناها وتعودناها الآن إلا أنها حقاً حيوانات عظيمة الجسد وسخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الانسان منذ القدم .

والجمل حيوان مطيع . سهل الانقياد . يستطيع حمل الاثقال والرحيل بها مسافات طويلة فى الطرقات الممهدة وبين الصحراء .

فالجمل يستطيع حمل مايزيد على ٣٠٠ كجم ليقطع بها مسافة تزيد على الثلاثين ميلا فى اليوم الواحد دون تعب أو ملل ــ لذا سمى سفينة الصحراء ــ والجمل من أقدر الحيوانات صبراعلى الجوع والعطش لفترة زمنية تصل الى عشرة أيام فى المرة الواحدة .

ولقد خلقه الله سبحانه عظيم الجسد طويل الرقبة ، لكى يستطيع النهوض بالأحمال الثقيلة من مباركة . وقد كان الاعتقاد السائد قديماً أن صبر الجمل على العطش يرجع الى تخزينه كمية كبيرة من الماء فى جوفه ، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن خلايا جسمه لها قدرة خاصة على تخزين الماء

سفينة الصحراء
القادمة من العصور الجليدية

بها وليس بكرشه كما كان الاعتقاد . وهو يستطيع الاستعاضة عن الماء بإعادة امتصاصه من هذه الخلايا .

ويتميز الجمل بمعدة كبيرة ذات ثلاثة أجزاء يستطيع تخزين كميات كبيرة من الغذاء بها دون مضغه مضغاً جيداً يعود لاجترارها وإعادة مضغها جيدا ، وبلعها مرة أخرى . وذلك فى اوقات الراحة ـ لذا جعل الله له اسناناً وضروساً قوية التحمل لأنها دائمة المضغ إلا فى أوقات نومه .

والجمل عندما تتوفر له الظروف الطبيعية والغذاء الجيد يعيش الى ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً .

وللأزمات الغذائية التى تجتاح العالم النامى دور كبير فى القضاء على الأعداد الكثيرة من الجمال ومازالت هذه المشكلة تهدد بانقراض هذا النوع من الحيوانات نظرا لذبح أعداد كبيرة منها لسد النقص فى الغذاء القومى فى تلك البلدان الأفريقية والآسيوية .

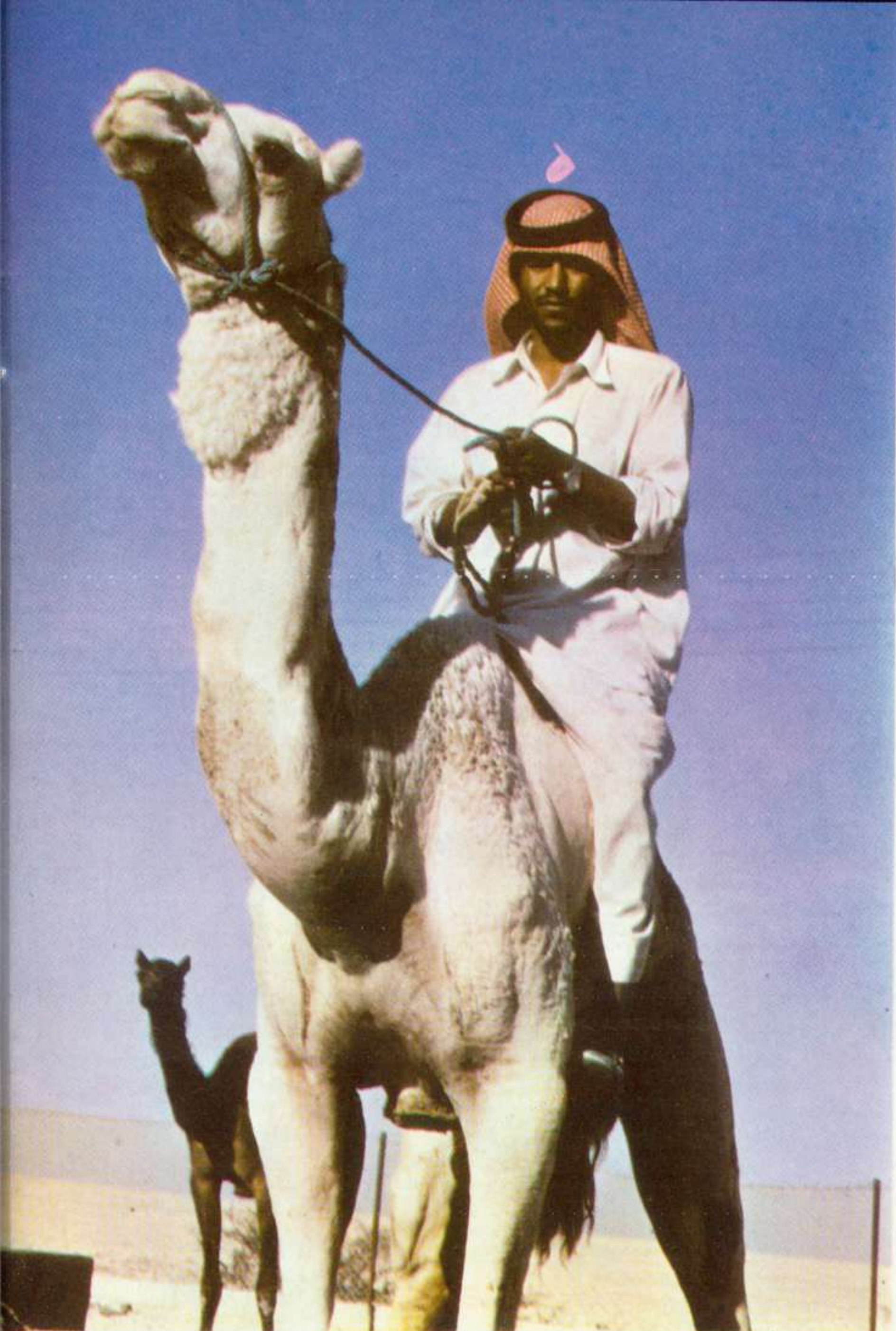
ولقد ثبت أن أصل الجمال الأولى فى العصور الجليدية شبيهة الى حد كبير بالجمل الموجود الآن إلا أنها كانت صغيرة الحجم ولا يوجد لها السنام المعروف .

والجمال منها ما هو بسنام واحد وهو المعروف الآن بمصر والسودان وشبه الجزيرة العربية والصحراء الليبية وبعض دول إفريقيا وآسيا .

وهناك الجمال ذات السنامين وهذا النوع من الجمال يوجد فى المنطقة الواقعة بين بلاد الصين الى تركستان .

والسنام يحتوى على كميات كبيرة من الدهن يستعين بها جسمه فى فترات الجوع التى يتعرض لها خاصة فى الصحراء عندما تقل الأعشاب وتندر المراعى .

ولما كان الجمل من الحيوانات التى تعيش منذ القدم فى الصحراء فقد زودته عظمة الخالق بشعر كثيف حول فتحتى



مجموعة لقطات للجمال فى قطر وفى شرق السودان حيث نرى سفينة الصحراء تقوم بدورها فى العطاء الدائم للانسان .

الأنف والعينين لتقيه شر الذباب والحشرات وعواصف الرمال .

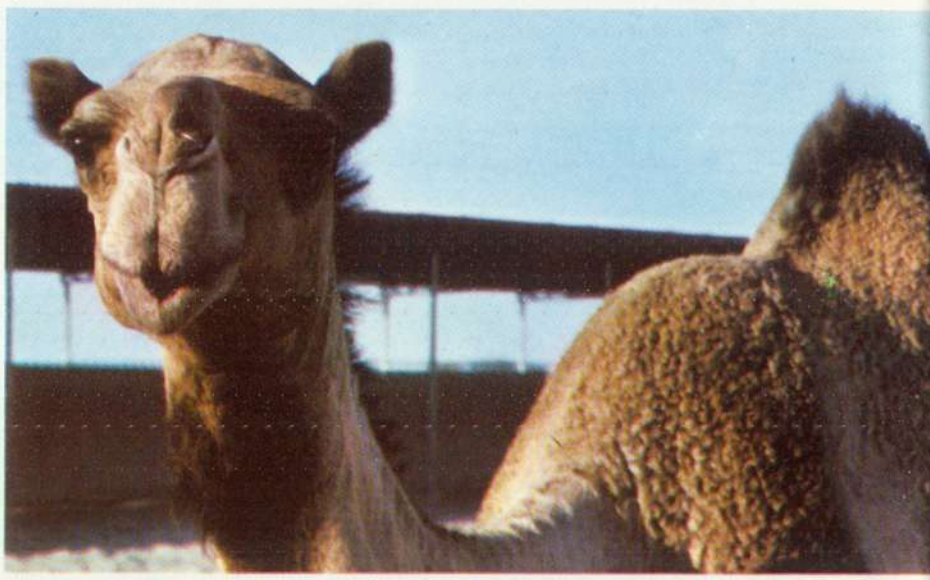
ويتميز خف الجمل أو الفرسن بتكوينه من نسيج اسفنجى مرن قوى مستدير يساعد على السير فوق الرمال وشظايا الصخور الحادة دون أن يعوقه أو تضره .

الجمال العربية

ومن أنواع الجمال المعروفة الجمل العربى ويوجد بمنطقة شبه الجزيرة العربية والجمل المصرى (البلدى) والهندى والبشارى والصومالى والحبشى وجمال الصحراء الغربية (الليبى) .

والجمال العربية موجودة فى منطقة شبه الجزيرة العربية وهى موطنها الأصلي وكانت تنسب قديماً الى الحجاز فكانت تسمى الابل الحجازية وهى تتميز بمواصفات خاصة فهى نحيلة الجسد قوية التحمل سريعة العدو تستطيع تسلق الجبال وقد ساعدها على ذلك نشأتها الطبيعية فى البادية منذ القدم واعتمادها على أنفسها فى طلب الغذاء والتنقل بين الصحراء فى جماعات للبحث عن الطعام والشراب .





● الجمال تحب الصحراء وتعيش فيها جماعات

ولقد استخدم العرب الأجداد الجمال فى اسفارهم وحمل تجارتهم من مكان الى أخر والتنقل بها فى الصحراء بحثاً عن المراعى لأغنامهم وحيواناتهم وكانت تستخدم أيضاً فى إمداد الجيوش بالمؤن والعتاد الحربى قديماً وحتى فى الحروب الحديثة استخدمت الجمال فى حمل الذخيرة والطعام وتوصيلها الى الأماكن المرتفعة ولم تكن هدفاً لقصف الطائرات كما هو الحال فى النقل بالسيارات العسكرية .

وكانت الجمال تعطى فى الديات وتدفع مهورا للعرائس .. وفى الحديث الشريف أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « لا تسبوا الابل فان فيها رقوء الدم ومهر الكريمة » .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر دور الناقة التى حملت الرسول الكريم فى هجرته الى المدينة المنورة وكذا الجمال التى كانت تأتى من كل بلاد المسلمين بالحجاج الى بيت الله الحرام . ومازالت الجمال تستعمل حتى الآن فى بعض الدول فى الأغراض الزراعية .

ويعتبر حليب الابل مصدرا ممتازا وغنيا بالعناصر الغذائية ويقبل عليه مربو الابل خاصة فى منطقة شبه الجزيرة العربية لما أدركوا ما فيه من فوائد لهم ولتعودهم عليه جيلا بعد جيل

ولقد قام بعض الزملاء بالمملكة العربية السعودية بينهم الدكتور أحمد العريان بعمل دراسات على حليب المطايا بالمنطقة واتضح أن تركيبه يختلف من منطقة الى أخرى حسب نوع الغذاء وكميته ووجود المراعى الجيدة وكذلك نوع المطايا نفسها وموسم الادرار . وقد لوحظ أن لون الحليب أبيض طباشيرى وله طعم حلو المذاق بصفة عامة وإن كان هناك بعض النياق التى يتميز حليبها بالطعم المالح لارتفاع نسبة أملاح الكلوريد بها .

وتتراوح الكثافة النوعية لحليب الابل بين ١,٠٢٨ ، ١,٠٣٨ ومتوسط نسبة الماء فيه ٨٥,٦٪ الى ٨٩,٦٪ وتصل أعلى نسبة للدهن فى آخر موسم الحليب الى ٦,٤٪ كما تتراوح نسبة اللاكتوز ما بين ٣ ـ ٥,٦٥٪ ونسبة البروتين تتراوح بين ٢,٥٪ الى ٤٪ تقريباً ويتميز حليب الابل بارتفاع نسبة أملاح الكلوريد بالمقارنة بحليب الحيوانات الأخرى .

ويستمر موسم الحليب فى النياق ما بين ٣٧٥ الى ٤٥٠ يوما وتعطى الناقة الواحدة من ١٩٥٠ كجم الى ٢٧٠٠ كجم من الحليب فى الموسم الواحد .

ويقول القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات فى لبن الابل انه ينفع من السموم جميعها والتمضمض به يقى من تآكل الأسنان .

ومن جلود الابل تصنع بعض المنتوجات الجلدية وكذا وبرها تصنع منه الملابس والأغطية التى تستعمل فى حياة بعض الشعوب ومازالت تصنع منه الخيام والتى يستخدمها العرب الرحل والبدو فى الصحراء .

صفات الجمل

ومن صفات الجمل الجيد أنه طويل العنق كبير الجسم مرتفع القوائم سنامه مكتنز الشحم فوق ظهره. ورأسه صغيرة وأذناه رقيقتان. وعيناه واسعتان ـ قوى البصر أنفه مستطيل المنخرين وفمه واسع

سفينة الصحراء
القادمة من العصور الجليدية

والشفة العليا مشقوقة الى نصفين متساويين — اسنانه قوية — فراسنه مستديرة واسعة مرنة غير صلبة تساعده على السير فى الرمال دون أن تغوص ارجله فيها .

ومن صفات الجمل الجيد ايضا ان يكون الجلد خاليا من الطفيليات الخارجية والأمراض الجلدية كالجرب والقراد والتدرنات الجلدية وان تكون غدده الليمفاوية الظاهرة بحجمها الطبيعى غير متضخمة خالية من مرض السل .

ومن الأشياء التى يتفرد بها الجمل وجود ما يشبه الوسادة المستديرة اسفل منطقة الصدر وتسمى السعدانة تحميه من الارتطام بالأرض اثناء تبريكه بالأحمال الثقيلة او النهوض بها وهى فى الجمل السليم اسفنجية مرنة خالية من الشقوق والجروح .

ومن الأشياء الغريبة ان الابل ليس لها مرارة على كبدها كما هو الحال فى سائر بنى الانسان والحيوان وربما يرجع صبره وقوته على تحمل المشاق الى ذلك ولكن صبر الجمل إذا نفد يسوء خلقه ويشتد هياجه ويظهر زبده ورغاؤه ويقل اكله ويخرج الشقشقة او « القلة » — كما تسمى فى مصر — من فمه متدلية على احد الجوانب وهى عبارة عن غشاء رفيق يشبه البالونة الحمراء الوردية — وهى من الناحية التشريحية عبارة عن جزء رقيق من سقف الحلق العلوى الداخلى .

والجمل عند غضبه يغدو اشد الحيوانات حقدا وتصميما على الانتقام ويحدث ذلك بعد تحمله الأذى لفترات طويلة إلا انه لا يلحق الضرر إلا بمن يؤذيه وربما امتنع عن الطعام والشراب فترة طويلة الى ان تجيء ساعة الانتقام .

والابل يطلق عليها بنات الليل ويقال للذكر والأنثى منها بعير إذا تجاوز الخامسة من العمر — وتسمى الناقة المسنة (المشارف) والابل ذوات السنامين تسمى العوامل ومن القاب الابل ايضا العيس وهى الصافية البياض وتعتبر من كرام الابل

ومن القابها ايضا (الوجناء) وهى شديدة الصلابة و « الشملاء » وهى الخفيفة و « التعملة » وهى التى تعمل و « الناجية والشمليل » وهى السريعة العدو « والعوجاء والحرف » وهى الضامرة و « والشمرلة » وهى الطويلة و « الهجان » وهى الابل الكريمة و« الكوماء» وهى الناقة العظيمة السنام و « القوداء » وهى الطويلة العنق .

ورضيع الناقة يسمى « حوارا » حتى يفطم وإذا فطم سمى « فصيلا » .

«والقعود» من الابل هى التى تخصص لحمل الزاد فى الأسفار و «المطية» هى الناقة التى يمتطى ظهرها للركوب وجمعها مطايا — وقال فيها ابو نواس :

الجمال العربية الأصيلة التى كانت تسمى قديما بالابل الحجازية .



وإذا المطى بنــا بلغــن محمـدا
فظهورهن علـى الرجـال حـرام

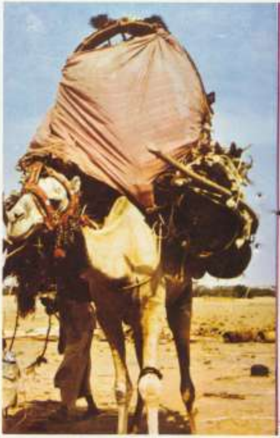
« والهلال » هو الجمل الذى بلغ به الجرب حد الهزال .

وللابل لغة خاصة يتفاهم بعضها البعض وصوت الابل يسمى « رغاء » .

عظمة الخــالق

ورغم ان الجمل يعتبر من الحيوانات القوية إلا انه حيوان رقيق حساس يتحمل أشد الأمراض ويقاومها بكل قوة الى آخر لحظة فى حياته ويأبى أن يتأوه لمرضه او يستكين امامه - والجمل فى الصحراء عندما يمرض لا يستسلم لمرضه بل يتجه الى الطرق الرئيسية الممتدة بالصحراء وكأنه ينشد العلاج عند بنى البشر ، وعندما يشتد به المرض يتمدد باركا على جانبى الطريق مسلما أمره الى الله

ومن الاعشاب والنباتات الصحراوية ما هو فيه الدواء والشفاء للجمل فعند مرضه يبحث عنها ويأكلها فهى تفيد بعض أمراضه ... أليس ذلك من دلائل



● أكثر الحيوانات عطاء للانسان .. حملته على ظهورها وعلّمته الصبر وقوة التحمل

عظمة الخالق سبحانه وتعالى ؟ !

والجمال تحب الصحراء وتعيش فيها جماعات وقد عرف مربو الجمال ذلك فهم يتركونها ترعى فيها إلا الحلوب منها وقد نجد ان كل مجموعة من تلك الجمال تحمل علامات معينة وضعها أصحابها بالكى بالنار ليستطيعوا تمييزها عن غيرها . وقد تتجه بعض الجمال ليلا الى الطرق الرئيسية فى هذه المناطق وتحدث الكارثة عندما يرى الجمل ضوء سيارة مسرعة فيتجه نحوها وكأنه متعمد ليرتطم بها ويكون هو القاتل والمقتول .

وطعام الابل فى الصحراء الحشائش والأعشاب البرية وأوراق الأشجار حتى الأشجار الشائكة للجمل القدرة على أكل أوراقها وأغصانها ويساعده على ذلك ان الشفة العليا مشقوقة كما ذكرنا .

وتعود مربو الابل على اطعامها الجت (البرسيم) والشعير والفول والذرة والنخالة وبقايا المحاصيل - وبعض مربى الابل يهتمون بها غاية الاهتمام وخاصة الهجن منها فيخصص لكل مطية من هذا النوع بقرة حلوب تشرب لبنها مرة على الأقل يوميا كما يعطى لها التمور من الانواع الجيدة .

إلا انه فى بعض الحالات تعود أصحاب الابل على تركها تتناول نفايا الطعام وبقاياه المتعفنة مما يؤدى فى كثير من الأحيان الى اصابة هذه الابل بالتسمم الغذائى نتيجة وجود المواد السامة والتى تفرزها بعض انواع البيكتريا او ان تصاب هذه الابل بالاضطرابات المعوية على اثر تناول هذه الفضلات ويحدث ذلك فى الابل التى توجد قريبة من مشارف المدن والقرى .

الابل فى خطـر

وللابل فى دولة قطر مكانة عظيمة بين ثروتها الحيوانية - اهتمت الدولة بتربيتها وتشجيع المواطنين على اقتناء الأعداد الكبيرة منها وهى موجودة فى تجمعات فى معظم ارجاء البلاد وفى الصحراء وهى تحظى بالتغذية السليمة والعناية الوفيرة وتنفرد وزارة الصناعة والزراعة باعتماد المبالغ الكبيرة للرعاية البيطرية ومقاومة الأمراض والطفيليات الخارجية والتى كانت تفتك بها .

ويقوم المهتمون على تربيتها باقامة السباق للهجن منها كل عام وفى بعض المناسبات لادخال السرور على الناس والتمتع بهذه الرياضة العربية الشيقة .

سباق الهجن

وسباق الهجن من الرياضات الشعبية التى اشتهر بها العرب من زمن طويل خاصة فى الجزيرة العربية وهى رياضة شعبية محببة تقام لها المباريات السنوية وفى المناسبات والأعياد الوطنية والدينية وفيها يتسابق جمال الهجن وعلى ظهورها الفرسان الى مسافات طويلة تبلغ عشرات الكيلومترات بين نقطة البداية والنهاية وفى نقطة النهاية ينتظر الجمع الغفير من هواة هذه الرياضة الشعبية بينهم لجنة من الحكام وتقام للاوائل منها فى السباق الاحتفال وتوزع الجوائز القيمة وينال الجمل الفائز الشهرة له ولصاحبه ويسجل ذلك فى قوائم خاصة وقد يجلب الجمل الفائز الخير على صاحبه .

والجمال التى تستعمل فى سباق الهجن لها مواصفات خاصة اشتهرت بها الجمال السودانية والعمانية لأنها أسرع الجمال عدوا وأخفها جسما وأنحلها عودا وأجملها منظرا وتسمى الهجن ومن هنا جاءت التسمية بسباق الهجن .

● ● ●

هكذا كانت الابل فى العصور الجليدية وهكذا هى الابل الآن فهى من اكبر الحيوانات المستأنسة حجما ومن اغربها شكلا وأكثرها انقيادا وطوعا واقلها طلبا للتكلفة وأكبرها عطاء للانسان - حملته على ظهورها منذ فجر التاريخ وعلمته الصبر وقوة التحمل ومن بين فرثهـا ودمها لبن لذة للشاربين ومن لحومها طعام لمن أراد الطعام ومن جلودها ووبرها غطاء وكساء ومتاع .

والتأمل فى خلقها عقيدة وعبادة وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه العزيز :

« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » .

د. محمد الغباشى ربيع



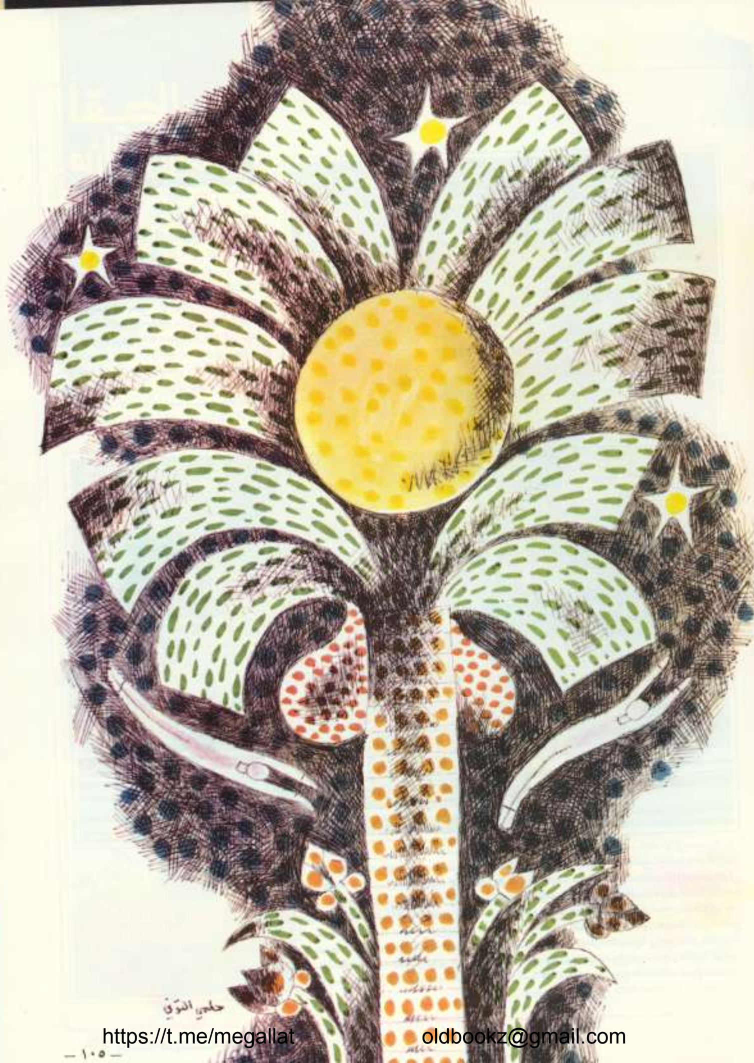
... ونعيش نضحك للقمر

قوم .. يجوبون القمر ..
من اجل .. افاق بعيدة
من اجل .. ايات جديدة
من اجل .. إنجاز أغر
من اجل .. خير بنى البشر
ونعيش .. نضحك للقمر ...
لنصوغ .. أبيات عديدة
ومشاعرا .. جاءت قصيدة
للبدر .. لو يوما حضر
للحسن .. لو فى الحلم مر
والناس تصعد للقمر ...
ونعيش .. فى لجج الهوى
والقلب .. منهوك القوى
يشقى .. على جمر السهر
ويذوب .. فى لحن الوتر
والناس .. تصعد للقمر ...
فاذا أتانا باليقين .. صدى تمخض عن خبر
عن منجزات للآلى .. ذهبوا يجوبون القمر
سنقول .. خاب من افترى .. ولربما قلنا كفر
ونقول .. وهم زائف .. وجريمة لن تغتفر
ونظل نحيا بالتواكل .. رغم آلاف العبر
لنظل فوق شفاهنا .. هذا قضاء أو قدر
نرضى بها ... مر الشقاء .. ونستقر على الأمر
والناس .. تصعد للقمر ..
ونعيش فى عصر الحجر .. ونغوص فى الماء العكر
ويقودنا .. حب الفراغ .. إلى الرحيل إلى السفر
والبحث عن أفيون .. نمسح فيه أقذاء الضجر
لكننا .. نبكى على الحب المبعثر فى الشجر
وعلى قصائد قيس .. نقرؤها .. إذا هطل المطر
والناس .. تصعد للقمر ...
ونعيش فى الماضى البعيد
وعزة الأمس المجيد
بلا طموح .. أو وطر
وكأننا .. لسنا بشر

• • •

ونعيش .. نضحك للقمر

شعر الدكتور:
أسامة عبد الرحمن


حلمي التوني

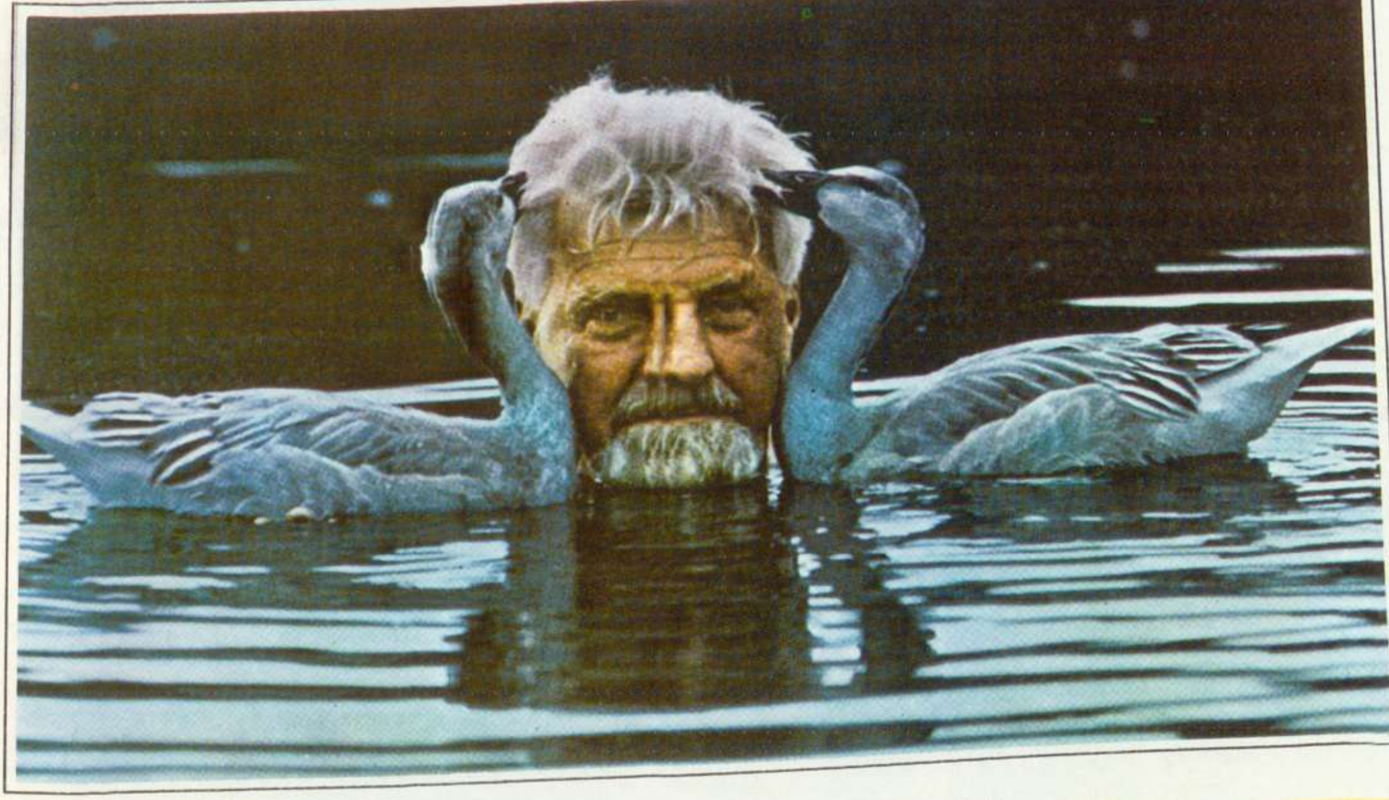
لقطات من الكون المثير



خدعة أم حقيقة ؟!

هل يطير حقا فى الهواء بمثل هذا التشكيل الغريب . ؟ ! .

نعم .. فالصورة حقيقية ، إذ أن هؤلاء الرجال يسبحون فى الهواء كما نسبح نحن مثلا فى الماء ، ولهذا يطلق عليهم غواصو الفضاء أو الهواء . أما لماذا قاموا بهذا التشكيل ، فذلك يرجع الى حقيقة معروفة ، وهى الاقلال من سرعة الهبوط من خلال مقاومة اجسامهم وأرجلهم وأذرعهم المفرودة للهواء ، وهو أمر معروف فى الطيور ولطائرات والبذور ذات الأجنحة وما شابه ذلك ، وطبيعى أن هؤلاء يقومون بتدريب جماعى ، وقد ارتدوا ملابس و « عوامات » هوائية تساعدهم على الهبوط التدريجى دون أن يلحق بهم الأذى عند اصطدامهم بالأرض ، ولكل شىء هنا حساب ومقدار . .



ليست خدعة ..

بل من ورائها حكمة !

أحيانا ما يتصرف بعض العلماء بطريقة قد يظنها عامة الناس أمرا مضحكا ومثيرا للسخرية والتعليقات اللاذعة ومن هؤلاء العلماء من يدرسون مثلا سلوك الحيوان ، فهذه الرأس الطافية فوق سطح الماء ليست إلا رأس العالم النمسوى الشهير كونراد لورينز الذى أثرى المراجع العلمية بحقائق كثيرة عن سلوك الحيوان ، ولقد غاص بجسمه فى الماء ، وأسلم رأسه لهاتين الأوزتين اللتين تدغدغان له شعره ، كأنما هو بمثابة الأم ، فاذا سبح سبحتا وراءه ، وإذا توقف ، توقفتا معه لتدغدغانه بمنقاريهما ، أو تطلقان صيحات وكأنما هما تريدان أن تقولا له شيئا ، ثم إذا خرج من هذه البحيرة الملحقة بمعهد البحوث الذى سمى باسمه ببافاريا ((ألمانيا) خرجتا وسارتا وراءه ، ولقد أوضح لنا لورينز أنه بالامكان تعلم لغة الطير والحيوان ، والسيطرة والنداء عليه وتوجيهه ، والواقع انه ربى هاتين الأوزتين منذ الصغر ، وعاش معهما ، فلم تفارقاه معظم الأوقات ، وكأنما هو بمثابة أمهما التى افتقدتاها ، فعوضهما الله بلورينز خيرا .



لكل عالم ما يناسبه من ابتكارات

فى شموخ واعتداد يقف هذا الكائن وكأنما هو أحد مخلوقات الفضاء التى جاءت الى أرضنا غازية .. مع انه أحد أبناء هذا الكوكب الذى يحتوى من صور الحياة كل ما هو مثير ومرعب وغريب .. فهذا المخلوق يعرف باسم فرس النبى ، أو «حصان ابليس» فى بعض الدول العربية ، وطالما حكيت حوله الأساطير لسلوكه الغريب ، خاصة فى فصل التزاوج ، إذ غالبا ما تأكل الأنثى زوجها أثناء فترة الجماع ، لكن ما علينا من ذلك ، فالذى يجذب النظر هنا هما هذان التصميمان الطويلان اللذان يشبهان ريشتين أو مشطين ذاتا تناسق ودقة وجمال .. انهما قرنان للاستشعار يشبهان الى حد ما «الهوائى» أو الرادار الذى يلتقط الموجات ، لكن قرنى الاستشعار هنا جاءا ليلتقطا الروائح العطرية التى تفرزها الاناث ، وبهذا يستطيع الذكر أن يهتدى الى انثاه ، حتى ولو باعدت بينهما المسافات ، ولكل عالم ما يناسبه .. ألا ترى معنا أن الحياة ذات أفكار خصبة سبقت بها أفكارنا منذ ملايين السنين ؟ ... ولا جديد تحت الشمس ـ كما يقولون .

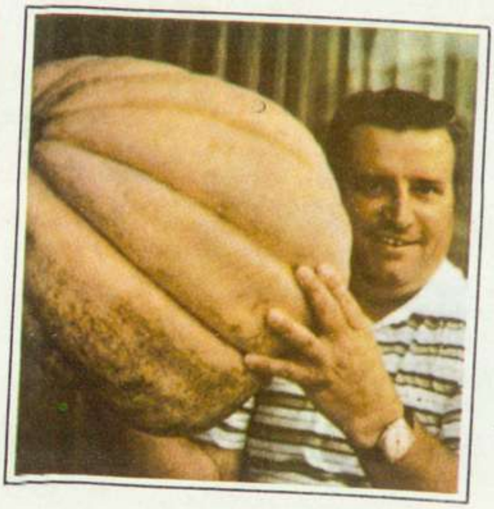
أرقــام قياسيــة

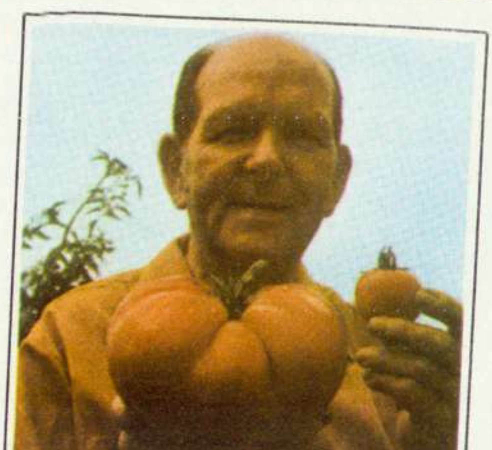
فى كل عام تجرى مسابقات بين محترفى وهواة تربية النباتات ليحققوا أرقاماً قياسية فى وفرة انتاج الثمار من حيث النوع أو الكم ، وأحياناً ما تصل الثمرة الى احجام وأوزان يصعب تصديقها ، لكن الصورة المنشورة هنا تغنى عن الكلام .. إذ يعرض علينا كل متسابق ما حققه فى هذا المجال ، وإليك البيان :

١ ثمرة شمام عملاقة تزن ٨٩٫٣ كيلوجراما نمت فى كارولينا الشمالية .

٢ ـ ثمرة طماطم تزن حوالى كيلوجرامين ...... (بالتحديد ١٫٩٢٥ كيلوجراما) .

وانعم بها من مسابقات ، وانعم بهم من متسابقين يسعون دائما الى تحقيق كل ماهو مفيد فى عالم يحتاج دائماً الى مزيد من الطعام .







تشكيل بديع من جزء من شعاب البحر الأحمر المرجانية ، إذ تبدو هنا وكأنما هى حدائق « بابل» المعلقة .



التناسق والجمال فى أسماك شعاب المرجان يظهر هنا دون ما حاجة الى تعليق .



زينة وأناقة تشهد بابداع « الذى خلق فسوى »

..وللبحار متاحف متحركة وتحف حيّة!

د. عبدالمحسن صالح



ليست فراشات البر أجمل من فراشات البحر .. ولكل عالم ما يناسبه ، فهذه السمكة قد جاءت تحفة فنية حية ، .. فجاء كل جزء من جسمها ، وكانما هو فراشة من فراشات عالمنا .. وكم تضم شعاب المرجان من لوحات تثير فضول هواة الجمال .

نحن ندعوك لرحلة قصيرة نستكشف فيها سوياً بعض الصفات الجمالية التى اتحفت بها الحياة الكثير من مخلوقاتها ، حتى لكأنما هى لوحات من أبدع ما نظرت اليه العين ، وارتاحت له النفس ، وخشع به الوجدان ، فيروح الانسان فى تأملات صامتة عابدة لمبدع هذه الأكوان !

ولتكن وجهتنا هذه المرة الى مياه البحار والمحيطات ، حيث تسكن فيها حياة من صنوف الأشكال ، وجمال الألوان ، ما يأخذ بنواصى العقول والألباب ، وعندئذ سندرك الكثير مما خفى على السمع والحس والبصر والفؤاد!



كأنما هى زهور نباتات ، لكنها نوع من الحيوانات الذى ينتشر على الشعاب المرجانية .

..وللبحار متاحف متحركة وتحف حيّة!

فالذين غاصوا فى أعماق البحار والمحيطات ، وتجشموا المتاعب ، وتعرضوا للأخطار ، قد نسوا كل ما يجول فى خاطرهم من أفكار ، إذ عندما وقعت عيونهم على كنوز من الجمال تهون بجوارها كنوز المال ، عرفوا أنهم أمام لوحات جمالية كثيرة ومتباينة .. بعضها ساكن ، وبعضها متحرك ، ومن امتزاج هذا وذاك ، تتبدل المناظر الممتعة ، وتتباين اللوحات المبدعة ، فتند عن الانسان شهقة لهذه الصور الحية المذهلة ، ويتأكد لديه أن الجمال والمتعة الحقيقية ليس مكانها اليابسة ، بل ان مجالها يكمن فى ثنايا هذه البحار التى انطوت على كل تلك الكنوز من الأسرار !

حسنات العلم

لكننا لن نكلفك مغبة الغوص فى البحار والمحيطات ، فهذا أمر يستدعى كفاءات واستعدادات خاصة ، وكل ذلك قد تحمله علماء البحار نيابة عنا ، وذهب بعضهم ضحايا حب الكشف والمعرفة ، ولقد استنبطوا لكشف المستور وسائل علمية متطورة ، فنقلوا الينا ما عجزنا نحن عن تحقيقه ، أو الاطلاع عليه ، فنراه أحياناً فى هيئة صور متحركة على شاشات السينما والتليفزيون ، وكأنما نحن نغوص مع الغائصين ، وأحياناً أخرى نراه فى صور ولوحات يعجز الفنانون عن محاكاتها ، حتى ولو اجتمعوا لها ، وهذا ينبئك بالخبر اليقين .. خبر أن الله قد تجلى فى مخلوقاته ، فابدع فيها وأتقن وسوى .. «صنع الله الذى أتقن كل شىء» !

وتلك واحدة من حسنات العلم التى لا تكاد تعد ولا تحصى .. فأماطت اللثام عن عيوننا ، وكشفت الحجاب عن مداركنا ، وأوضحت لنا أسراراً هائلة فى الكون والحياة ، ثم علمتنا ما لم نكن نعلم ، وخير الناس هو من بصر الناس بما يدور حولهم من روائع الخلق التى ظلت خافية عن عيون الأجيال السابقة ، فزادت الأجيال الحاضرة معرفة وعلماً وحكمة ، ومع ذلك نرى بعض الناس وقد تهجموا على العلم والعلماء ، واتهموهم بالجمود والمادية وانعدام الصفاء الروحى ، ولاشك أن ذلك محض افتراء ، فالعلماء بشر أولا وأخيراً ، وهم يرون ما لا يرى الناس ، لأنهم يتعمقون فى أسرار الخلق ، فيتضح لهم أن كل شىء قد قام على نظام ، وسار بقانون ، وسرى بناموس ، ومن هنا جاء التفكير العلمى منظماً ومرتباً وصافياً ، لأنه يستمد زاده من الشرائع الطبيعية ، والسنن الكونية التى تحكم كل ما فى الوجود من أمور ظاهرة وخافية ، فلا نكاد نرى فيها عوجاً ولا خللا «سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا» ..

هذا اذن هو الفرق الأساسى بين تفكير الناس ، وتفكير العلماء .. فالعلم ملتزم بشرائع الوجود ، ومن أجل هذا حقق أهدافاً رائعة ، ومنح القوة والسيادة لكل من اتخذه فى الحياة سبيلا ، فى حين لم يحقق الذين يعيشون فى عالم الخيال والقوى الخفية والأرواح والجن والأشباح شيئاً مذكوراً ، لأن أفكارهم غير ملتزمة ولا منظمة ولا منطقية ، كما أنها لا تتمشى مع القوانين الكونية الصامدة الأصيلة ، فمن سار على هديها ، تفتحت له أسرارها ، ومنحته خيراً كثيراً ، ومن حاد عن سبيلها ، اشاحت عنه بوجهها ، وتركته فى غيه وخياله جامداً ، والجمود فى الفكر قتال «لو كنتم تعلمون» !

ثم ان كل شىء حولنا يتطور تطوراً سريعاً ومذهلا ، وما لم نأخذ بأسباب هذا التطور فى حياتنا فلا نلومن إلا أنفسنا .. ولاشك أن خير الناس أنفعهم للناس ، ولقد طور العلم حياة الناس ، وجعلها يسراً من بعد عسر .. فحارب الأمراض ، ويسر سبل المواصلات ، واكتشف منابع الثروات ، وجعل كوكبنا كأنما هو بين أيدينا ، وتحت أقدامنا .. الى آخر هذه الانجازات التى تقع تحت بند الحسنات .. لا السيئات !



تشكيل اخر بديع من تشكيلات الشعاب المرجانية التى لا تتشابه على امتداد آلاف الأميال .

عودة الى عالم الجمال

لقد قدمنا الفقرات السابقة ، ليس من قبيل تحصيل الحاصل ، ولكن الكلام يجر بعضه - كما يقولون - فكل كشف جديد فى أسرار الكون والحياة ، انما هو زاد جميل للعقول الواعية .. لا اللاهية . وهو يقربنا أكثر الى خالق هذه الأكوان ، علنا نقدره حق قدره ، لأن الكشوفات العلمية تفصح عن آيات الخلق البديعة، فتسعد العقول الساعية الى المعرفة فى اية صورة من صورها .. «وفى الأرض آيات ، وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون» ؟

وكما يسعد المؤمن بقراءة أو سماع آيات القرآن الكريم ، كذلك يسعد العلماء بآيات أخرى تتجلى لهم فى الخلـــق - ظاهراً وباطناً - فيرون فيها من دقة النظام ، وعظمة التناسق ، وروعة الاحكام ، ما يجذب ذوى العقول والأفهام وكأنما عقولهم تقول «هل من جديد ؟ .. هل من مزيد» .. ذلك أن العقل لا يشبع أبداً ، لأن زاده يختلف تماماً عن زاد البطون !

وفى البحر آيات .. وفى كائناته علامات دالات على تجليات الذى خلق فأبدع ، وسوى فأتقن ، وصور فأحسن .. وهو فوق كل هذا «جميل يحب الجمال» .. «فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله» .

ومن هذا المنطلق ، دعنا نتوجه الى عالم البحار ، لنلقى نظرة سريعة على الشعاب المرجانية ، أو على ما يحيطها من كائنات بحرية تزيدها جمالا وبهاء ، حتى لكأنما نحن أمام جنات وبساتين من أروع ما وقع عليه البصر ، وتقبله العقل قبولا حسناً .

فالشعاب المرجانية لا توجد إلا فى المناطق الحارة والمعتدلة ، ومع ذلك تكمن بكثرة فى أماكن محددة ، ومن حسن الحظ أن شاطئى البحر الأحمر غنيان بالمرجان ، إذ تمتد عليهما الشعاب المرجانية من خليجى السويس والعقبة شمالا ، حتى جيبوتي وباب المندب جنوباً ويتراوح عرض هذه الشعب ما بين ١٥ ، ٣٠٠ كيلو متراً ، وهذا يعني أنها تحتوى على ثروة هائلة من التكوينات الجميلة ، والألوان البديعة .

والمرجان قسم كبير من الكائنات الحيوانية البسيطة التكوين ، وهو يضم حوالى ٢٥٠٠ نوع ، ويسكن المياه البحرية الضحلة أو العميقة نسبياً ، ورغم أن المرجان ذاته صلب البناء ، إلا أن الذى يكونه كائنات رقيقة الأجسام ، وهى دائبة العمل فى استخلاص أملاح الجير من الماء ، فترسبها وتشكلها وتلونها على هيئات بنائية تختلف باختلاف النوع ، ولاتزال هذه العملية سارية عبر آلاف السنين ، حتى تظهر الشعاب المرجانية المغمورة فوق سطح البحر ، وتتحول الى جزر صغيرة أو كبيرة يمكن التجول عليها دون خوف من البلل ، ولهذا تعرف هذه الكائنات باسم بانيات أو منشئات الجزر المرجانية .. صحيح أن العملية بطيئة ، لكن أعطها عمراً طويلا ، تعطيك تلالا من هياكل يهول العين مرآها .. فلقد تحولت المساحات المغمورة الى يابسة ، وقدتتحول اليابسة بعد زمن طويل الى أرض مغمـورة بالنباتات التى تجذب الحيوانات ، وبهذا تعمر بساكنيها من «أهل» البر ، بعد أن كانت يوماً معمورة «بأهل» البحر .. فلا شىء يدوم إلا وجه ربك الكريم !

هياكل .. وهياكل

ومن المتناقضات الغريبة أن يصبح الهيكل أروع من الحى ، أو العكس أيضاً .. خذ لذلك مثالا بانسان وحيوان حى ، فالذى يبهه جماله هى حياته .. فاذا حل الموت بهذا أو ذاك ، تحلل وترك وراءه هيكلا عظمياً لا يسر الناظرين ، فى حين أن الكائنات المرجانية الحية عكس هذا تماماً ، ذلك أن الكائن الحى منها قد لا يجذب الاهتمام ، ولا هو على شىء من الجمال .. لكن جماله فى هيكله الذى



ثلاثة أسماك من أنواع السمكة العذراء ، تسكن بين أذرع حيوان شقائق النعمان فى الشعاب المرجانية التى تفرز سموماً قاتلة تصيب بها كل من تسول له نفسه لمسها إلا أن السمكة العذراء لا تصاب .

..وللبحـــار متاحف متحركة وتحف حيّة!

سواه وبناه ، فاذا ماتت تلك الكائنات تحللت ، وتركت وراءها هياكلها الجذابة التى كانت ترتكز عليها وتعيش .. وما أعجب المفارقات .. مفارقات الحياة حتى لو كان ذلك على مستوى هياكل تسر ، وأخرى تغم !

والشعاب المرجانة فى البحر ، كالغابات الاستوائية على البر ، وكما تأوى الغابات صنوفاً كثيرة من الطيور والزواحف والحشرات والحيوانات المفترسة والمسالمة ، كذلك كانت الشعاب المرجانية مأوى وملاذاً لصنوف كثيرة من الكائنات المائية ، وهى فى بناياتها تشبه غابة ذات مسالك وطرق ومتاهات ومخابىء وجيوب تلجأ اليها الحيوانات البحرية الرقيقة ، وبها تحتمى من الأفواه الجائعة .. فالصراع الأزلى فى البحر ، أقدم وأشد من صراع البر ، ولا حكم هناك إلا حكم القوى على الضعيف ، ومع ذلك لم يترك الضعيف لضعفه ، بل منحته الحياة سلاحاً أو سماً أو حيلة أو مأوى ، ليقف بها فى وجه ما هو أقوى ، ومن لا يستخدم سلاحه ، فلا يلومن إلا نفسه .. لا فرق هنا بين كائنات برية وبحرية ، بما فى ذلك الانسان ، وطبيعى أن سلاحه يكمن فى فكره وعقله ، ومع ذلك فهو يعيش فى كوكب أشبه بالغابة ، إذ لازالت القوة هى المسيطرة .. ولا حكم فيها إلا حكم القوى ..فأفيقوا يرحمكم الله !

وعندما رأى الانسان الشعاب المرجانية ، ظنها لأول وهلة غابات مائية ، إذ أن بعضها ينمو ويتفرع كما تتفرع النباتات ، أو قد تتخذ شكل الأوراق والزهور ، والمراوح الورقية «والفازات» .. ومن أجل هذا أطلق الناس عليها مسميات اشتقوها من اسماء الكائنات البرية .. منها مثلا الزنابق المائية ، وشقائق النعمان البحرية (وهذه وتلك زهور برية) ، ومنها ما يشبه مخ الانسان فى تعاريجه وشكله وحجمه ، وأحياناً لونه ، ولهذا سميت باسم «مخ نبتون» ، وهو إله البحر عند الرومان !

جمال الساكن مع جمال متجول !

وتعتبر الشعاب المرجانية بتشكيلاتها المتنوعة ، وألوانها الجذابة ، وبناياتها الفارعة التى قد ترتفع لعشرات الأمتار — تعتبر محط أنظار الكائنات البحرية التى تنشد السلامة والأمان .. لكن أهم ما يميز قاطنات الشعاب أنها جاءت هى الأخرى بأشكال وألوان ولمسات جمالية يسيل لها لعاب كل من يهوى الفن ، ويسعى للجمال ، ولا شك أنها كنوز حية من الفنون المتحركة حول



الحياة فى الشعاب المرجانية ليست هينة ، ولكنها خطرة ، ومن اجل ذلك دخل هذا السرطان بجسمه داخل قوقع مناسب ، فاذا أحس بالخطر تراجع وتقوقع داخل القواقع ، وأحيانا يختار السرطان قوقعا يشبه الزهور .

جمال آخر من شعاب ذات رونق وبهاء .. فكأنما الجمال الساكن قد جذب اليه الجمال المتحرك ، ليمتزج هذا بذاك ، ويعطينا لوحات بديعة سبحان من نمقها وأخرجها ، لتصبح آيات فى الخلق بينات ولا يطلع على ذلك ، ولا يعرف مغزاه ، إلا كل من سعى إليه ، ونظر نظرة المتأمل الخاشع القانت ذى الاحساس المرهف ، والنفس الصافية ، فيعبد عبادة صامتة لا ركوع فيها ولا سجود .

هذا إذن متحف الطبيعة الحية بكل لوحاته التى تمتد عبر آلاف الأميال ، لكنها جاءت مغمورة تحت سطح الماء ، وقد يكون الماء ذا ضحالة وصفاء ، وعندئذ يتجلى للعين البشرية هذا المهرجان السابح من كائنات متحركة يذهل جمالها العقول ، وعندئذ تتضاءل أمامها متاحف الانسان ذات اللوحات الصامتة ، أو التماثيل الجامدة ، أو النماذج الساكنة ، ومهما أضفى عليها الانسان من نظام فى العرض ، وتنسيق فى الشكل ، وتوزيع فى الأضواء ، فان هذا وغيره لن يرقى بها الى مصاف «متاحف» الخالق المتقنة والمذهلة .. وشتان ما بين هذا وذاك .. أو بين ما خلق الله فأبدع ، وما قدم الانسان وقلد ! .

لكن .. أنى لنا أن نصف هذا الجمال الذى يتوزع بين آلاف الأنواع من الكائنات التى تقطن الشعاب المرجانية ؟

الحق نقول : ان أحدا ـ مهما بلغ فى دقة الوصف وجنوح الخيال ـ لا يستطيع ذلك ، وما عليك ـ إذن ـ إلا أن تتأمل فى واحدة من الاسماك المتشابكة الألوان ، والمنشورة هنا ، وحاول وصفها لتعطى لمستمعيك صورة دقيقة لما انطبع فى ذاكرتك ، وعندئذ قد لا يسعفك ذلك فى توضيح ما عولت عليه !

فجمال الخلق لا يوصف ، بل الأحرى به أن يرى .. صحيح اننا نرى هنا صوراً ، ويراها غيرنا أصولا حية متحركة .. لكن ليس من رأى الأصول ، كمن رأى الصور ، ومع ذلك فلا مناص من الصور فى هذا المجال ، ثم ان شيئا خير من لا شىء !

وجزى الله علماء الأحياء البحرية خير الجزاء ، فلقد يسروا للناس رؤية هذه العوالم الجميلة فى متاحف الأحياء البحرية ، وقدموها فى أحواض من زجاج شفاف ذات مياه صافية ، وأمدوا كل كائن بحرى بظروف بيئية شبيهة ببيئته الطبيعية ، ولا شك أن وفرة المعروض وتنوعه ، وذوق العرض وتناسقه ، انما هو جزء من حضارة الأمم وسعيها لكل ما هو جميل وجذاب ، ولهذا لا ننتظر من مفلسى الروح والذوق إلا شططاً ! .

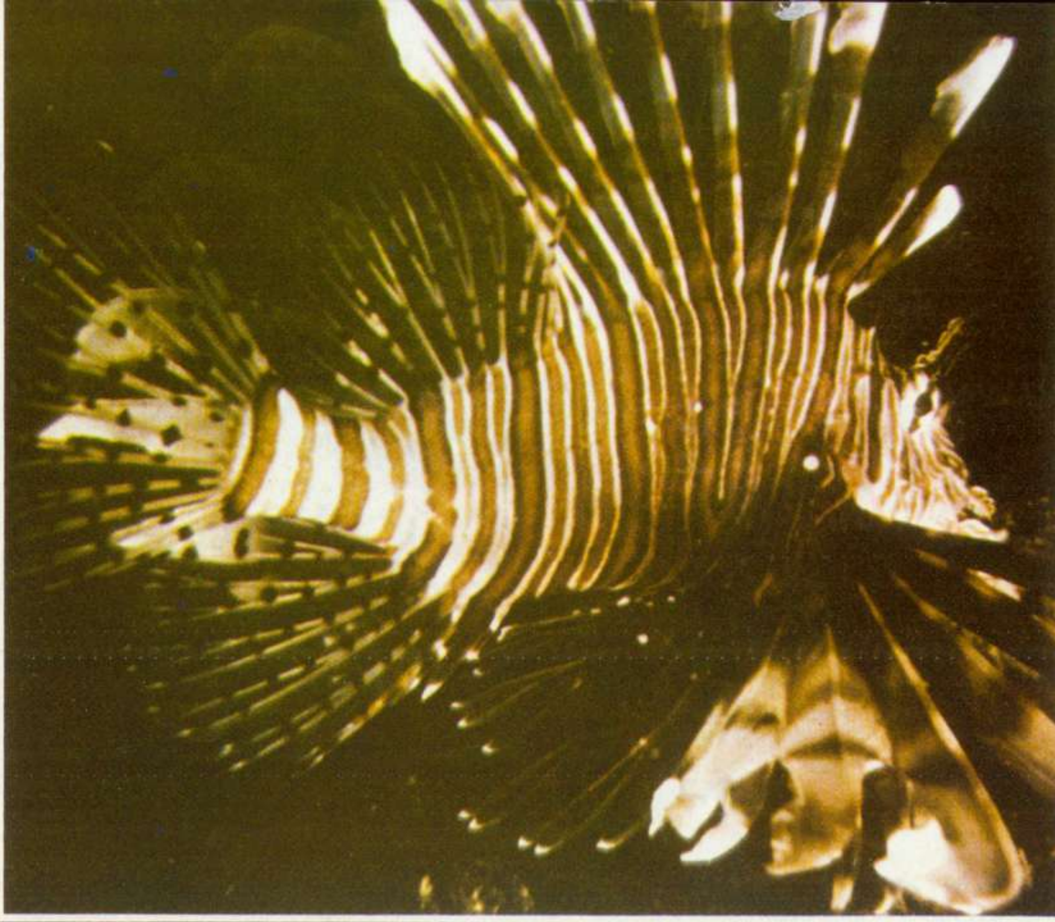
على أن هواة هذا النوع من الجمال قد استضافوا فى بيوتهم اسماكاً جذابة يطلقون عليها أسماك الزينة ، وبعضها باهظ الثمن ، ويتطلب عناية فائقة ، لكن كل هذا يهون عندما نعلم أن التطلع الى هذا المهرجان السابح فى الأحواض يبهج النفس ، ويزيل الملل ، ويريح الأعصاب المتوترة والمكدودة ، وفوق كل ذلك تصبح المتعة لا تمل العين رؤياها ! .

حياة غريبة

وتمتاز الشعاب المرجانية بغناها فى الكائنات البحرية ، فهناك عدة آلاف من الأنواع التى تتبع اجناساً وعائلات ورتبا وقبائل شتى .. فمن كائنات جوفمعوية ، الى ديدان ، الى محاريات وقواقع ، الى سرطانات ، الى جمبريات ، الى نجوم بحر ، الى اسماك صغيرة وكبيرة .. الخ .. الخ ، وطبيعى أن تقديم ذلك يحتاج الى دراسات ودراسات ، لكن يكفى أن نذكر هنا أن هذه المجتمعات تعيش مع بعضها حياة متصارعة فى أغلب الأحيان ، أو قد يحل السلام بين بعضها من خلال معاهدات وأحلاف ومواثيق غير مكتوبة ولا مسجلة .. ومع ذلك فقد استمرت قائمة لملايين السنين دون أن يخل أحد الطرفين بمواثيقه ، والأمثلة هنا كثيرة ، لكن يكفى أن نذكر منها مثالا يوضح لنا معنى ذلك .

فبين الشعاب المرجانية تسكن سمكة رقيقة الحال ، زاهية الألوان ، وهى لا تستطيع لنفسها حماية من أسماك أكبر مفترسة ، ومن أجل هذا لجأت الى أحد شقائق النعمان البحرية لتستجير به ، فأجارها وحماها ، إذ أنه يمتلك ترسانة

..وللبحار
متاحف متحركة
وتحف حيّة!



جميلة كالفراشة .. لكنها سمكة تسكن شعاب المرجان .. ومن أجل هذا يسمونها « السمكة العقرب » .. وهكذا يقترن الجمال بالسموم

هائلة من أسلحة حية دقيقة ، لكنها فعالة ، فاذا اقترب منه كائن ، ودخل مجاله ، اطلق عليه أبرا صغيرة مزودة بخلايا تحتوى على مادة تشل وتسم ، وكأنما هذه الأبر بمثابة السهام التى يستخدمها الانسان ، وطبيعى أن لكل عالم ما يناسبه ! .

لكن الغريب أن السمكة الصغيرة (واسمها « العذراء ») تتجول وتتمسح بين أذرع شقائق النعمان دون أن يصيبها مكروه ، لكن السمكة قد جاءت لتكون حليفته ، وهى التى تسحب الاسماك الصغيرة التى لا تتبع نوعها ، وتغريها فى الدخول معها الى شقائق النعمان ، فلعلها تنعم مثلها بالأمان ، وتجوز عليها المناورة ، فاذا بها تصبح لشقائق النعمان لقمة سائغة .. وخدمة بخدمة .. فهذا يمنحها الأمان ، وتلك تموله بالطعام ، وتستمر الحياة بينهما على ما يرام !

وهناك أيضاً انواع اخرى من الاسماك الصغيرة ، ويطلق عليها اسم اسماك التزيين أو التمريض أو التنظيف ، ومهمتها أن تسعى للأسماك الكبيرة ، فتنظف لها جروحها ، وتخلصها من طفيلياتها ، وقد تتجول فى داخل أفواهها الواسعة ، وتخلصها مما علق بأسنانها الحادة – أى كأنها مسواك أو طبيب اسنان ، ومن الميسور جدا أن تروح فى خبر كان ، لكن السمكة الكبيرة لا تفعل ، إذ أنها تقابل الاحسان بالاحسان ، وبمثل هذه الخدمات البحرية التى تتم بين الشعاب المرجانية ، ضمنت أسماك التنظيف حياة آمنة ، وكأنما الكل يعرفها ويجلها ويحافظ عليها ، وهى – فى الوقت ذاته – تحصل على غذائها من التهام ما تعلق بزبائنها من طفيليات وأنسجة متهتكة .. الخ .

وقد يكون هناك سرطان مائى من ذلك النوع الرقيق الغض ، وهو لا يمتلك غطاء صلباً كأترابه ، ولو تواكل فى حياته ، فان الحياة لا تحب المتواكلون ، وسيكون الموت جزاءه ، ومن أجل هذا يبحث عن قوقع أو محارة ، فيختفى بداخلها ، وكلما سار ، حملها فوق ظهره ، لتصبح له درعاً ، فاذا أحس بالخطر ، انزوى فى داخلها ، وإذا زال ، خرج بأرجله وسار .. أو قد ينتقى محارة نما عليها أحد أنواع شقائق النعمان السام ، فيدافع عن السرطان « بسهامه » ، وعندما يتجول مع السرطان بما حمل هنا وهناك ، يضمن « الكسيح » (أى شقاق النعمان) سفرا مجانيا على ظهر القوقع المسكون بالسرطان ، ولا شك أن هذا نوع من المنفعة المتبادلة .. سفر بالمجان ، مقابل حماية بالسهام !

ومن الحيل المتقنة التى تلعبها الكائنات التى تسكن بين شعاب المرجان ، لعبة التمويه أو الاختفاء أو « الاستغماية » .. وبها تتلون كما تفعل الحرباء ، وتصبح غير مميزة عن البيئة التى تعيش فيها ، وبهذا تهرب من عيون الأعداء ! .

وللكثير من الأسماك الجميلة التى تعيش فى بيئة الشعاب المرجانية أشواك حادة وسامة ، ولهذا تخشى الكائنات الأخرى بأسها ، وتتجنب سمومها .. ومن بين هذه الأسماك سمكة الشيطان ، والسمكة العقرب .. الخ ، وهى أسماء على مسميات !

وصور الحياة بعد ذلك كثيرة ومتصارعة ومثيرة .. وكأنما هى تقوم على مبدأ آكل ومأكول ، وغالب ومغلوب ، وصيد وصياد .. انها حياة تعيش على حياة ، ومن لا يأخذ فيها حذره ، فلا يلومن إلا نفسه .. وفى ذلك الكفاية لقوم يتفقهون .

دكتور عبد المحسن صالح

من أجلك

شعر: جليلة رضا



من أجلِكَ قضَّيتُ حياتي وأنا فى الأسْر
أقتطِع الاحجارَ الصُّلبةَ ، أحملها فوق الظهْر
الموتُ العشرون أتانى .. وأنا حيَّه
أتمشَّى بين الأطلال
أبلع فى نَهَم وشهيَّه ...
العسَلَ المرَّ .. وأرفُلُ فى الأغلالِ
فالقيدُ - بلا كرهٍ - حريَّه
و لأجل أمانيك النفسيَّه
أطبقتُ عيوناً وشفاه
وكتمت الآه ..

* * *

من أجلكَ .. هاجرتُ الى أرض المنفَى والنسيانْ
ورفعتُ العلَمَ الأبيضَ فى الميدانْ
ووقفتُ بآخر صف للشعراءْ
اتجنبُ ضوءَ الأضواءْ
اتجنبُ زهوَ الفنِّ ، غرُورَ الفنّ
وأقيك من الغيرة والظنّ
وتلفعت بشال مغزول من وبر الأغنامْ
وحلبت الأبقار .. وأوقدت الأفرانْ
وبلا إكراهْ ..

* * *

من أجلكَ صاحبتُ الغرباءْ
ولكيلا تطفو فوقَ السطح
ولكيلا أنبش فيك الجرح
ولكى تحيا فى البيت السيد والرُّبَّانْ
.. أخفيتُ عليك شعورَ الأم . مع الأبناءْ
ولبستُ قناعَ الصحة ، وارَيْتُ الداءْ
ومنحتُكَ فى العش الهادىء كلَّ أمانْ
ورضيتُ بما قَسَمَ اللَّهْ ..

فدوى طوقان

وحياتها العاطفية

مناقشة صريحة.. وحقائق غائبة

د. عيسى الناعوري

● قبل خمس سنوات ، فى شهر شباط سنة ١٩٧٦ ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، فى بيروت ، كتاب «صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر» . ويقع الكتاب فى ٣٣٥ صفحة من القطع الكبير . وقد صدره المؤلف بكلمة للدكتور طه حسين ، كأنما شاء أن يدعم بها ما سيضمنه الكتاب من عمل ، فيه خروج على المألوف، وتصريح بأمور تدعو الى التحرج والحذر وعدم الخوض فى شئون الآخرين الحميمة جداً ، أو العاطفية بشكل خاص.

هذه الكلمة يقول فيها طه حسين :

«لا أظننى أعرف أدباً مقيداً ، غالياً فى الاحتياط ، كأدبنا العربى الحديث ، الذى ينشئه أصحابه وهم يفكرون فى الناس أكثر مما يفكرون بأنفسهم ، حتى أطمعوا الناس فيهم ، وأصبحوا عبيداً للجماعة ، وخدماً للقراء . فلنتمرد على الجماعة ، ولنثر بالقراء ، ولننبذ الاحتياط كله ، إلا هذا الذى يثير الشر أو يؤذى الأخلاق ●

وأنا أتساءل عن الفائدة من هذا التصدير ؛ وقد كان المؤلف يستطيع أن يضمن مقدمة كتابه ما شاء من التبرير لما هو مقدم عليه فى كتابه ، دون استعانة برأى طه حسين أو غيره ؛ لأن رأى طه حسين ما كان ليبرر الخطأ - إن كان فى العمل خطأ - ولا كان ليدعم الصواب - إن كان العمل صائباً - .

صفحات مجهولة

يدور الكتاب على حياة الأديب والناقد المصرى المعروف أنور المعداوى وأدبه ، ويتناول على الأخص سبع عشرة رسالة كتبها أنور الى الشاعرة فدوى طوقان ما بين ٢٦/١١/١٩٥١ و ١٣/٩/١٩٥٤. ويحلل المؤلف هذه الرسائل ، ويتحدث حديثاً مستفيضاً عما جاء فيها من أمور تتعلق بحياة المعداوى ، وأدبه ، ومقالاته وعلاقاته بالآخرين ، ووقائع عمله ، وظروفه الحياتية والمعاشية ، وصلاته العاطفية ، ومرضه ، وموته . وهذا كله - من الرسائل الى التحليلات - هو ما يعنيه المؤلف فى عنوان كتابه «صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر» .

الكثير من هذا يرويه مؤلف الكتاب رجاء النقاش فى كتابه هو فعلا من (الصفحات المجهولة) ، ولكن بعضه - مثل مقالات المعداوى وقصائد فدوى - ليس مجهولا لدى من يعرفون فدوى وأنور ، ومن كانوا على اطلاع على الحركة الأدبية فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات . والمجهول وحده منها هو مناسبات قصائد فدوى وموحياتها ، اذا صح ما يسوقه الأستاذ النقاش من تلك المناسبات وهذه الموحيات . ولكنه هو نفسه ليس واثقاً مما يستنتجه من مناسبات هذه القصائد . فهو ، مثلا ، حين يعلق على رسالة المعداوى السادسة ، ويذكر قصيدة فدوى التى عنوانها «فى سفح عيبال» ، - وهى من قصائد ديوانها الأول (وحدى مع الأيام) - يقول فى الصفحة (١٨٨) ما يلى :

«ترى هل يكون فى هذه القصيدة شىء من التلميح بميلاد عاطفة جديدة فى قلب فدوى نحو المعداوى ؟» ثم لا يلبث أن يتراجع عن استفهامه، فيقول بعد ذلك بقليل : «ولكننا لا نستطيع أن نقطع بأن هذه القصيدة كانت هى البداية من جانب فدوى ؛ والمعداوى نفسه لم يلتفت الى شىء من هذا المعنى فى القصيدة ..» ثم يعود فى الصفحة التالية (١٨٩) فيستنتج شيئاً آخر ، فيقول : «قد تكون هذه القصيدة من وحى الشاعر المصرى الذى اشترك فى حرب فلسطين - ويعنى به الشاعر كامل أمين - » ، ثم لا يلبث أن يرجع عن كل

● كل شعرها في ذلك الحين كان شعر العاطفة الذائبة ، وكان فيه تعبير صارخ عن الحرمان والكبت وحياة السجن الكبير التي تعيشها الفتاة العربية

● هي دائماً رقيقة ودود ، تعطي قلبها كله بملء البراءة والثقة لأصدقائها وتتوقع نفس البراءة والثقة منهم



فدوى طوقان



أنور المعداوى

استنتاجاته تلك ، ويقول بعد ذلك مباشرة : «وقد يكون هذا المقطع — ويقصد به قول الشاعرة :

وأرسل (الأوف) غناء حنون
يسيل من روحي وأوصالي
فتنتشي بالأوف حتى السفوح
لحن هوى مرتعش بالحنين
سمعته يوماً (بعيبال)
إذ أنت في السفح غريب الجروح

صادراً عن خيال الشاعرة ، ولا أساس له في الواقع» .

وهكذا يظل الأمر مجرد استنتاجات لا حقيقة مسلمة بها ، ولا يجوز أن نستسلم اليها باعتبارها حقائق أدبية ثابتة .

وقبل الرسائل وتحليلاتها ، يقدم المؤلف مقدمة طويلة ، يحكى فيها قصته مع هذه الرسائل ، وكيف حصل عليها من الشاعرة فدوى نفسها . ويروى قصة الصلة بين المعداوى وفدوى ؛ وهى قصة ظلت تدور فى رسائل يتناقلها البريد بينهما ، ولم تصل قط الى أن يلتقيا فى مكان . وكان من السهل جداً أن يلتقيا لو كان فى الأمر أكثر من صداقة بالمراسلة ، فقد زارت فدوى مصر أكثر من مرة .

لقد كان الأستاذ النقاش يريد أن يكتب كتاباً عن صديقه وأستاذه — كما يقول — أنور المعداوى وعن مأساته ، ومن أجل ذلك طلب الى فدوى أن تعطيه ما لديها من رسائل أنور ، لعلها تكشف له شيئاً يساعده فى هذه الدراسة . كذلك يقول فى مقدمة الكتاب ، مبرراً طلب الرسائل . وقدمتها اليه فدوى وما كانت تتصور أنها ستخلق له قصة حب طويلة عريضة ، تضاف الى حكايات قيس وليلى ، وروميو وجولييت ، ثم تتفرع وتتوزع على قصص أخرى من هذا النوع مع شعراء آخرين من مصر ، وفى الفترة عينها ... حتى قصائد فدوى — وكانت حتى سنة ١٩٦٧ ، وسقوط فلسطين كلها تحت قبضة الاحتلال الاسرائيلى — كلها من النوع العاطفى الرقيق الحنون — أصبحت لدى المؤلف أجزاء من أجوبة فدوى على رسائل المعداوى ، وفسرها تفسيرات تتلاءم مع سياق الرسائل .

ولعل الأخ الأستاذ رجاء النقاش لو اطلع على رسائل فدوى الى جميع أصدقائها ، فى أى بلد عربى ، لرآها تتشابه رقة وانسانية وعاطفة مودة أخوية ؛ ولو اطلع على جميع رسائل أصدقائها اليها لوجدها تشبه رسائل أنور اليها مودة واعزازاً وعاطفة أخوية . وليس فى ذلك شىء من الغرابة ، ففدوى شاعرة رقيقة ، عذبة العبارة ، لطيفة الحس ، تبادل الصداقة بصداقة مثلها ، والمودة بمودة من نوعها .

والأستاذ النقاش يقدم الدليل على ذلك من عنده : ففى الوقت نفسه الذى كانت تدور فيه المراسلات بين فدوى وأنور ، كانت المراسلات تدور كذلك بين فدوى والشاعر المصرى ابراهيم نجا ، وبينها وبين الشاعر المصرى الآخر كامل أمين — وكان كامل أمين رفيقاً لشقيقها الحاج رحمى طوقان فى الجهاد فى معركة الزراعة عام ١٩٤٧ ، وهناك جرح ، ونقله رحمى الى منزل أسرته فى نابلس ، وقامت فدوى وأمها وشقيقاتها على العناية به حتى شفى من جراحه ، وعاد الى مصر سليماً معافى . وكانت بينه وبين فدوى مراسلات ، وكانت بينهما قصائد — أما ابراهيم نجا فان فدوى لم تره يوماً ، ولم تر أنور المعداوى عن قرب .

الفرق بين علاقات فدوى مع أنور المعداوى وعلاقاتها مع زميليه المصريين الآخرين ، هو أن فدوى الشاعرة الرقيقة ، الطيبة القلب ، الودودة بطبيعتها ، قدرت لأنور فضله فى الاهتمام بطبع ديوانها الأول لدى دار النشر للجامعيين ، فى القاهرة ، واشرافه عليه ، والاعلان عنه ، واستكتاب الأدباء عنه ، فقابلته لذلك مودة بمودة ، وطيبة بطيبة . وهل من الممكن أن تقابله بغير ذلك ؟ وكل من يعرف فدوى يعرف فيها كل الرقة واللطف والدماثة .

لقد كان كل شعرها فى ذلك الحين شعر العاطفة الذائبة ، وكان فيه تعبير صارخ حار عن الحرمان والكبت ، وعن حياة السجن الكبير التى تعيشها الفتاة

فدوى طوقان

وحياتها العاطفية

مناقشة صريحة.. وحقائق غائبة



فدوى طوقان



أنور المعداوي

الشرقية . ولذلك كانت تفسر قصائدها تفسيرات شتى . وكانت تكثر فى قصائدها القديمة من النداء «يا شاعرى» ومن هنا تعددت تفسيرات شعرها ، وتعدد الشعراء الذين يدعون أنهم المعنيون بهذا النداء ، وبالخطابات اللهيفة المتناثرة فى قصائدها . أما الحقيقة فى كل ذلك فلا يعرفها غير الشاعرة وحدها . وإلا فليقل لي أخى الأستاذ النقاش كيف يمكن أن تراسل الشاعرة ثلاثة أدباء وشعراء فى مصر ، فى فترة واحدة ، رسائل متشابهة العبارة ويراسلونها هم أيضاً رسائل متشابهة العبارة والعاطفة ، ويدعى كل منهم أنه يحبها وأنها تحبه ؟ ومن يدرى كم من الأدباء الآخرين كانوا يراسلون فدوى وتراسلهم فى الفترة عينها ، وكانوا يدعون أنهم معها وأنها معهم على صلات عاطفية حميمة ؟

للقضية وجه آخر

القضية لها وجه آخر دون ريب . ونحن لم نلمس حتى نهاية الرسالة الخامسة عشرة من رسائل أنور المعداوى اليها ، أية عاطفة خاصة ، غير ما يذكره هو ، ويؤكده مراراً ، من أنه يحبها حب الأخ لأخته . وأما الرسالتان الأخيرتان ففيهما شىء من الحرارة أكثر مما فى الرسائل الخمس عشرة السابقة ؛ ولكن الغريب أنهما متباعدتان : فالأولى تاريخها ١٩٥٤/٥/١٢ ، والثانية ١٩٥٤/٩/١٣ ؛ أى أن بينهما أربعة أشهر . وكان بين الرسالة السادسة عشرة والرسالة التى قبلها أربعة أشهر أخرى . وقبل ذلك انقطعت رسائل أنور اليها سنة كاملة ، ولم تحاول هى من جانبها أن تكتب اليه خلال تلك السنة كلها . وأغرب من ذلك كله أن فدوى لم تهتم بأن ترد على رسالتى أنور الأخيرتين بأية كلمة ...

فى يقينى أن السبب الذى ذكرته فدوى فى رسالتها الى الأستاذ النقاش المرافقة لرسائل أنور ، لم يكن هو السبب الحقيقى . لا أظن أن من الممكن أن يكون هو السبب الحقيقى ، لأن الذى يحب حقاً لا يفتعل مثل هذا السبب .

وماذا كان السبب الذى افتعلته فدوى ؟

تقول الرسالة ، كما هى واردة فى الكتاب : «فى العامين الأخيرين من مراسلاتنا كنت قد ضقت ذرعاً بالتوتر الذى يسببه لي أنور بانقطاعه المفاجىء عنى ، ثم عودته من جديد معتذراً بالمرض وحين تكرر ذلك توهمت أنه كان يحب اللعب بعاطفتى تجاهه . وتسلطت علي تبعاً لذلك الوهم كبرياء غبية حمقاء ، خلقت عندى احساساً خاطئاً بأن قصة مرضه كانت غير حقيقية مئة بالمئة . لذلك لم أرد على رسالتين بعث بهما الي ، وصممت على رفع جدار بينى وبينه . وكانت النهاية عند هذا الجـــدار المصمت» ...

هل من الممكن أن يقوم هذا سبباً حقيقياً لو كان هنالك حب حقيقى ؟

الأمر يحتاج الى علامة استفهام كبيرة جداً . والذى أتصوره أن فدوى كانت تعوض عن شعورها بالسجن الكبير الذى تفرضه البيئة المتحجرة على الفتاة بالرسائل الرقيقة تتبادلها مع الأدباء هنا وهناك ، بكثير من البراءة وسلامة النية . وهذا ما تؤكده رسائلها المتشابهة الى الكثيرين الذين كانت تتبادل معهم الرسائل .

ولأن فدوى كانت تتصور – بشعور باطنى غريب – أن هذه الرسائل يمكن أن تكون يوماً مصدر اساءة اليها ، كانت – كما أعرف أنا شخصياً ، وكما يؤكد الأستاذ النقاش فى كتابه – تطلب ، وتلح فى الطلب ، أن تعاد اليها رسائلها .

يقول الأستاذ النقاش فى الصفحة (٢٠) : «ان فدوى تحرص دائماً على التخلص من رسائلها العاطفية ، باستردادها من أصحابها ، أو بأن تطلب اليهم تمزيقها ، أو بأى وسيلة أخرى» ؛ وأقول ، ورسائل الصداقة العادية ، وكذلك الرسائل الأدبية .

ويذكر الأستاذ النقاش أنها فعلت ذلك مع الشاعر المصرى ابراهيم نجا ، وأن أنور المعداوى اهتم كثيراً بأن يعيد اليها رسائلها من ابراهيم ؛ وقد ورد فى ذلك أكثر من رسالة من رسائله اليها . وأنا أعرف أن فدوى قد فعلت مثل ذلك مع غير ابراهيم نجا كذلك . وأنا نفسى واحد منهم ، وكانت بينها وبينى مراسلات صداقة فى الفترة عينها التى كانت تراسل فيها أنور المعداوى ، وابراهيم نجا ، وكامل أمين ؛ وكنت كثيراً ما أزورها فى منزل أسرتها فى نابلس ، وأسهر معهم وأتناول الطعام مع الأسرة كلها . ولقد أعدت الى فدوى ، بطلب منها – بتاريخ ١٩٥٤/١٠/٦ و ١٩٥٤/١٠/٢٣ – كل ما كان لدي من رسائلها والنسخ الثانية من رسائلى ، وكانت فى مجموعها أكثر من خمسين رسالة . وفدوى ماتزال صديقة عزيزة لي ولأسرتى ؛ فما تجيء مرة الى عمان حتى تتصل بى هاتفياً ، وتزورنى فى أسرتى ، وأسرتى تحبها كواحدة منها ، وهى تحب أسرتى كذلك ، وتشعر بيننا كأنما هى فى أسرتها . وهى دائماً رقيقة ، ودودة ؛ تعطى قلبها كله بملء البراءة والثقة لأصدقائها ، وتتوقع أن تلقى منهم مثل هذه البراءة والثقة الودودة .

والغريب جداً أن آخر مراسلات فدوى لي كانت فى الشهر التاسع من عام ١٩٥٤ أى فى الشهر عينه الذى انتهت فيه المراسلات بين أنور المعداوى وبينها !!! وآخر رسالة وصلت الي منها ، تسلمتها يوم ١٩٥٤/٩/٢٦ ، ولم تكن تحمل تاريخاً ؛ وهى الرسالة التى طلبت الي فيها اعادة رسائلها اليها .

ويذكر الأستاذ النقاش أن المعداوى نفسه فكر كثيراً فى أن يرد الى فدوى رسائلها أو يحرقها ، لئلا تقع فى غير يده . وليس من شك فى أنه فعل شيئاً من هذا ، لأن النقاش لم يستطع الوصول الى شىء من رسائل فدوى الى أنور ، ولا يعرف عنها شيئاً . وهو يقول فى ذلك فى الصفحة (٢٠) والصفحة (٢١) : «وقد حاولت أن أعرف مصير رسائلها الى المعداوى ، وكان قد وضع كل الرسائل التى كانت تصل اليه فى صندوق كبير . ومات المعداوى فجأة ، فبقى هذا الصندوق على ماهو عليه : حتى قام أحد أصدقائه ، وهو الأديب الأستاذ على شلش ، بالبحث فى هذه الرسائل تمهيداً لنشر ما يستحق النشر منها ، ولم يجد فى هذا الصندوق أى شىء من رسائل فدوى طوقان . وقد سألت الفنان الشاب الأستاذ شاكر المعداوى ، ابن شقيق أنور المعداوى ، وهو الذى يحتفظ بأوراق عمه ، عن رسائل فدوى ، فقال لي انه لم يعثر على أية رسالة لفدوى طوقان بين أوراق المعداوى ... وفى اعتقادى أن فدوى قد استردت رسائلها فى حياة المعداوى ، أو طلبت تمزيقها ، وقام المعداوى بتمزيقها بناء على طلبها : أو أن المعداوى نفسه كان يحس بدنو أجله فقام وحده وبدافع ذاتى بتمزيق هذه الرسائل .. المهم أن هذه الرسائل غير موجودة عند المعداوى ، ولا يعرف سرها ومصيرها الآن سوى فدوى نفسها» .

وفى اعتقادى ، مما أعرفه ، أن فدوى نفسها قد تكون طلبت الى المعداوى أن يرد اليها رسائلها ، فلم يستطع أن يرفض طلبها .

ترى ، أكان من الممكن أن تجرى الأمور على هذا الشكل لو كان فى الأمر قصة حب حقيقى متبادل ؟

فدوى عاتبة جداً

هنا أيضاً أرانى أضع علامة استفهام أخرى كبيرة جداً .

لقد كنت أود لو لم يصل الأمر بالأخ الأستاذ النقاش الى الحد الذى وصل اليه من التأكيد الجازم ، والالحاح فى التأكيد الجازم على ما ارتآه من أمر المعداوى والشاعرة فدوى طوقان ، ولم يؤلف كتاباً ضخماً فى هذه الحكاية التى ليس من دليل أكيد على صحتها .

والذى نعرفه حتى الآن أن المرأة مظلومة دائماً فى الشرق العربى : كل كلمة منها ، وكل همسة ، وكل نظرة ، وكل ابتسامة ، تفسرها البيئة الظالمة – حتى الأدباء والنقاد منها – تفسيراً ظالماً قاسياً . وما كان فى الحب ما يعيب ، لو كان فى الأمر حب حقيقى ، أما نشر حكايات الحب غير الأكيدة فهى التى تسىء . والبيئة لا ترحم ، والفتاة هى الضحية دائماً ، ولا يحس الرجل بشىء من ظلمها ومن احتمالها للتضحية .

ولقد دار بيني وبين فدوى ، فى احدى زياراتها لي فى أسرتى ، حديث عن كتاب الأخ الأستاذ النقاش ، وكانت فدوى عاتبة جداً ، لأن الأستاذ النقاش حول كتابه الى هذا الاتجاه ، وما كانت تعرف إلا أنه كان يريد أن يكتب كتاباً عن صديقه وصديقها الراحل أنور المعداوى ، ولم يقل لها انه سيجعل من رسائل المعداوى اليها قصة حب كبير متبادل بهذا الشكل . وأكدت لي فدوى فى حديثها أن الأمر لم يتطور بينها وبين المعداوى الى الحد الذى يلح الأستاذ النقاش على تأكيده ، وكل ما فى الأمر أن المعداوى كان صديقاً لها مثل أصدقاء آخرين كانت تكاتبهم ، ولكن له فضلاً فى أنه اهتم اهتماماً خاصاً باصدار أول ديوان لها (وحدى مع الأيام) ، فكان لابد لها من تقدير تلك البادرة الكريمة بالمودة التى تستحقها .

أذكر أننى حين اعتزمت اصدار مجلتى الأدبية (القلم الجديد) فى شهر أيلول ١٩٥٢ ، أشارت علي فدوى بأن أكتب الى أنور المعداوى – مثلما كتبت الى كثيرين غيره فى جميع أنحاء الوطن العربى وفى المهاجر الأميركية – وأطلب منه أن يكتب للمجلة . وفعلا نزلت على رغبة فدوى ؛ وكان يهمنى أن يكتب أنور فى مجلتى ، فأنا أعرفه بين أكبر كتاب مجلة الرسالة فى أواخر عهدها . ولقد أشار المعداوى الى ذلك فى رسائله الى فدوى ، كما ورد ذكرى وذكر (القلم الجديد) مراراً فى رسائله . وقد أكد المعداوى أنه لم يتسلم رسالتى اليه ، وذلك فى الرسالة التاسعة ، التى يقول فيها : «بقى ان أقول لك اننى لم أتلق كتابىْ الأستاذ الناعورى ولا رسالته . وأرجو أن تنقلى اليه هذه الحقيقة المؤسفة .. فكيف يظن الأستاذ الناعورى أننى أهملت الرد عليه ؟» (ص ٢٣١) ثم يقول فيها كذلك : «أكون شاكراً لو بعثت

● كيف يمكن أن تراسل الشاعرة ثلاثة أدباء وشعراء في مصر في فترة واحدة رسائل متشابهة ؟

● لماذا تعددت تفسيرات شعرها ؟ ولماذا تعدد الشعراء الذين يدّعون أنهم المعنيّون بقصائدها ؟

● في الشرق العربي .. المرأة مظلومة دائما : كل كلمة منها وكل همسة ، وكل نظرة ، وكل ابتسامة .. تفسرها البيئة الظالمة تفسيرًا ظالما قاسيًا . وما كان في الحب ما يعيب لو كان في الأمر حبٌ حقيقي

فدوى طوقان

وحياتها العاطفية

مناقشة صريحة..وحقائق غائبة



فدوى طوقان



أنور المعداوى

الي بعدد من المجلة التى يصدرها الأستاذ الناعورى وهو العدد الذى ظهر فيه مقاله عن ديوانك» (٢٣٢) .

• • •

صور حية

أترك هذا الآن لأقول ان الأستاذ النقاش قد قدم صديقه المعداوى فى كتابه من كل جوانب حياته وأدبه . وقد أحسن كثيراً إذ علق على جميع رسائله بشروح وافية لما ورد فيها من أحداث واشارات ، موضحاً ذلك بالاستشهاد بعدد من مقالات المعداوى ومناسباتها ، ومن مقالات الآخرين وقصائدهم وحكاياتهم التى ورد ذكرها فى رسائل المعداوى . وبهذا استطاع الأستاذ النقاش أن يقدم فعلا (صفحات مجهولة) فى الأدب العربى المعاصر ، وأن يجعل من هذه الصفحات المجهولة صوراً حية تخدم الأدب العربى المعاصر ، وتعطى صورة أصيلة واضحة عن حياة أنور المعداوى وأدبه ، وعن كفاحه الأدبى والشخصى فى الحياة .

وجميلجداً من الأستاذ النقاش أنه ـ وهو الأديب الناقد ـ لم يجعل من المعداوى تمثالا معبوداً ، ولم يقدمه على أنه انسان كامل ، لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من أمامه . لقد قدمه انساناً ككل الناس : فيه عيوب كثيرة الى جانب الفضائل الكثيرة . فمثلا بين كيف أنه كان يجب أن يبين نفسه فى رسائله انساناً أمراً مسموع الكلمة ، فى حين أن هذا كان «كله من أوهام الغرور الأبيض الذى كان فى شخصية المعداوى علامة واضحة ، وهو نوع من الغرور كان يزداد وضوحاً فى شخصيته عندما كان يتحدث الى أحد محبيه ...» (ص ١٩١) .

ولقد كان يخالفه ، فى تعليقه على رسائله ، فى أمور كثيرة ، منها رأيه فى الشعر العربى القديم . حتى فى بيت المتنبى :

أتراهـــا من كثـــرة العشـــاق
تحســب الدمع خلقة فى المآقى

الذى يرى المعداوى أنه نموذج من شعر «الأداء النفسى» ... ولكن الأستاذ النقاش يراه من «شعر المهارة والصنعة والصور الذكية البعيدة كل البعد عن القلب والاحساس» (ص ١٨٣) .

وكذلك يخالفه فى أمور كثيرة أخرى يجدها القارىء فى فصول كتابه . وهذا دليل على أن الأديب الناقد فى رجاء النقاش لم ير أن انصاف المعداوى انما يتم بتغطية عيوبه وبتأييد آرائه ، بل دفعه الى أن يقدم صديقه وأستاذه الغالى الى القراء انساناً يخطىء ويصيب مثل كل انسان آخر . وهذه فضيلة كبيرة تسجل للنقاش الناقد .

وقد أحسن الأستاذ النقاش بتأكيده أن المعداوى كان يهمه كثيراً أن يكون كاتباً عربياً ، لا كاتباً مصرياً فقط . فهو يقول فى الصفحة (٢٠٦) والصفحة (٢٠٧) ما يلى : «من الواضح أن المعداوى كان شديد الحساسية لكل ما يقال عنه ، وخاصة فى الوطن العربى وهذه ميزة هامة فى أنور المعداوى ، فقد كان يعتبر نفسه كاتباً عربياً ، لا مصرياً ... والحق اننى لم أعرف أديباً مصرياً فى جيل المعداوى كان حريصاً على الاتصال بالأدباء العرب خارج مصر ، مثلما كان المعداوى حريصاً على صلته بهؤلاء الأدباء .. كان المعداوى عربى النزعة والميول والثقافة ، وكان من أكثر الكتاب احساساً بعروبة مصر ، وبأن مصر لها مكان الأم فى الوطن العربى كله» .

واذا كنت أعتبر هذا اعترافاً جريئاً من الأستاذ النقاش ، فانا اذن أعتبره ينطبق على النقاش نفسه ـ مادام متحمساً له الى هذا الحد ـ مثلما ينطبق على المعداوى .

وفى كتاب الأستاذ النقاش آراء وتصريحات أخرى جريئة ، وجديرة بأن نقف عندها فى تأمل وتمعن . من ذلك ما أورده فى الصفحة (٣٢٦) ، وهو : «علينا أن نتذكر أن معظم كتاب الجيل الأول ، مثل طه حسين ، والعقاد ، وأحمد أمين ، والمازنى ، وهيكل ، لم يستطيعوا أبداً أن يحتلوا مكانهم فى مجتمعنا عن طريق الأدب ، بل عن طريق أعمال أخرى يعترف بها المجتمع ويحترمها : فبعضهم عمل فى السياسة ، وساعدته السياسة على أن يحتل مكانتهالأدبية ، ومعظمهم عملوا فى الصحافة ، وبعضهم عمل فى الجامعة . وهم جميعاً اهتموا بأن يكتبوا فى قضايا الدين حتى يستطيعوا أن يصلوا الى القارىء العربى العادى . ولو اكتفى هؤلاء بكتاباتهم الأدبية لما استطاعوا أن يحققوا ما حققوه من مكانة ونفوذ معنوى فى المجتمع العربى ... الأدب فى مجتمع مثل مجتمعنا لا يكفى لفتح الطريق أمام صاحبه» .

وهو يعود الى تأكيد ذلك فى الصفحة (٣٢٨) إذ يقول : «ان الثقافة مازالت عنصراً غريباً على مجتمعنا العربى ، ولم تدخل فى البناء الأصلى لهذا المجتمع» .

إلا أننى آخذ على الأخ الأستاذ النقاش كثرة تكراره للرأى الواحد ، وللحادثة الواحدة فى أماكن متعددة من فصول كتابه . لقد أكثر من تكرار الحديث عما دعاه (الغرور الأبيض) لدى المعداوى ، وأكثر من تكرار الحديث عما يراه من أن المعداوى كان مصاباً بالعجز الجنسى ، وأن هذا العجز الجنسى هو الذى كان يفشل كل علاقات الحب لديه ، فلم يكن يستطيع أن يبلغ حد التفكير بالزواج . وكذلك فعل ببعض آرائه الأخرى ، وبتكرار بعض الحوادث والوقائع . وكان حسبه أن يورد الرأى مرة واحدة ، أو مرتين بالأكثر ، دون أن

● موقفان نادران في حياتنا أعتبرهما من المواقف الإنسانية التي يسجلها التاريخ الأدبي العربي

يظل يعاود الرأى نفسه فى فصول متعددة .

موقفان نادران

على أن فى الكتاب فصلين عن المعداوى وحياته ومأساته يستحقان من القارىء أشد الاهتمام ؛ فقد استطاع الأستاذ النقاش أن يدرس كل ذلك فيهما دراسة وافية شاملة ودقيقة ، يعيش معها القارىء فى جو المعداوى ، ويرافقه فى لحظات مجده الأدبى القصير الخاطف ، وكفاحه لأجل العيش ، وعمله فى الوظيفة ، ومأساة مرضه ، وفى علاقات حبه وفشله .

وهنالك موقفان قدمهما الأستاذ النقاش ، يضربان أروع الأمثلة فى النبل النفسى والمشاعر الانسانية . الموقف الأول هو موقف طه حسين من محاولة سيد قطب الاستقالة من وزارة المعارف ، وقد كان على خلاف مع طه حسين :

يقول الأستاذ النقاش فى الصفحة (٢٧) من الكتاب : «روى لي أنور المعداوى أن طه حسين استدعى سيد قطب ، الذى كان قد قدم استقالته الى طه حسين ، وقال طه حسين لسيد : اننى أعرف ظروفك الاقتصادية السيئة ، فلماذا تستقيل ؟ اننى لن أقبل هذه الاستقالة بحال من الأحوال . وأنت وأمثالك من المفكرين والأدباء أمانة فى عنقى ما دمت وزيراً للمعارف . أما ما قد يتبادر الى ذهنك من أننا على خلاف أدبى ، فأرجو أن تمحوه من رأسك ، فنحن عائلة واحدة ، هى عائلة الفكر والأدب ، وأنا أبوكم جميعاً ، ولن أسمح لأحد منكم أن يتألم أو يسيء الى نفسه ... ومزق استقالة سيد قطب» .

والموقف الثانى شبيه بهذا ، وقد وقع لأنور المعداوى من صديق أديب موظف فى وزارة الثقافة ، اسمه محمد شعبان . يقول الأستاذ النقاش فى الصفحة (٥١) ما يلى :

«ولقد جاء الى علمى أن أحد الأدباء ميسور الحال من المشتغلين بشئون الثقافة ، كان يرسل له — للمعداوى — كل شهر من ماله الخاص مرتبه الذى كان يتقاضاه من وزارة الثقافة ، بعد أن قطعت وزارة الثقافة هذا المرتب بسبب انقطاع المعداوى عن العمل .. ليجعله يحس أنه لايزال موظفاً فى الدولة ، وأن الأسباب لم تنقطع بينه وبين الحياة ، وأن مكانه فى المجتمع لايزال محفوظاً له ... وكأنه الآن فى اجازة ، لا أكثر ولا أقل» .

هذان الموقفان نادران جداً فى حياتنا ، ولذلك أعتبرهما من المواقف الانسانية التى تستحق التسجيل ، لتكون منارة وقدوة ، ومثلا يسجله التاريخ الأدبى العربى .

● ● ●

وبعد ،

فان اهتمامى بكتاب الأخ الأستاذ النقاش هو الذى دفعنى الى هذا الحديث الطويل الضافى .ولم أقرأ هذا الكتاب من قبل ، ولكننى علمت بالضجة التى أثارها ظهوره ، حتى تفضل الصديق العراقى الأستاذ صبيح الغافقى فأهداه الي أخيراً ، وله الفضل والشكر .

لقد جاء الأستاذ النقاش فى كتابه باجتهادات كثيرة وجريئة ، وهو جدير بأن يناقش باجتهادات مثل اجتهاداته ، وبجرأة مثل جرأته ، لعلنا نصل من ذلك الى تثبيت الحقيقة ، التى هى رائد الأستاذ النقاش ورائدى .

د. عيسى الناعورى
(عمان — الأردن)

إذا ذهبت فلا تجعل رجوعك من هنا

نزل رجل بصومعة راهب ، فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس ، فلما جاء به وجده قد أكل الخبز ، فذهب وأتى بخبز جديد وعاد فوجده قد شرب العدس ، ففعل معه ذلك عشر مرات ، فلما يئس الراهب سأل ضيفه : أين مقصدك ؟ : الأردن ، فسأله الراهب : وماذا تريد منها ؟ فقال الرجل : بلغنى أن بها طبيباً حاذقاً فقلت أقصده لأسأله عما يصلح معدتى ، فانى قليل الشهوة للطعام .. فقال له الراهب : إن لى عندك رجاء ، قال وما هو ؟ ، قال : إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من هنا !!

طرائف

جر اللحم !!

كان آل « مرو » مشهورين بالبخل ، فكان القوم منهم إذا ترافقوا فى سفر ، يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشبكها فى خيط ويجمعون اللحم كله فى قدر . ويمسك كل واحد منهم بطرف خيطه ، ويظل ممسكاً به حتى ينضج اللحم ، فيجذب كل منهم طرف الخيط فيجر به قطعة اللحم وقد أمن ألا تختلط مع القطع الأخرى ، أما المرق فقد كانوا يختلفون حوله ولا يهدأ لهم بال حتى يتم توزيعه بالقسطاس !!

أحمد شفيق أبو عوف

محمد عثمان عبقري النغم العربي



محمد عثمان .. صوت متميز فى النغم العربى

جلس الفتى اليافع الى جوار أمه المربية الكبيرة يستمع فى خشوع واضح الى فرقة الموسيقى العربية فى احدى عروضها بقاعة سيد درويش الأنيقة بأكاديمية الفنون بمنطقة الهرم . وأسرته الألحان الحالمة التى كانت تؤديها هذه الفرقة الجديدة باتقان شديد لم يألفه الفتى من قبل . وأثناء الاستماع كان يسترق النظر الى وجه أمه الذى ارتسمت عليه سحابة من التأثر الشديد وكأنها تتأهب لبكاء حار نتيجة الانفعالات التى كانت تحس بها أثناء الاستماع . فلما انتهى أداء الفرقة دوت القاعة بتصفيق طويل صادق فيه تحية حب مخلصة وليست مجاملة حضارية زائفة .. وتحمس الفتى وهو يشارك الجميع فى التصفيق .. وسأل أمه بغتة ....

– ما هذا الغناء يا أمى ؟ إننى لم استمع لمثله من قبل – وقد شعرت الآن فقط بذاتى وكأنها تبعث من جديد – شعرت بأيامى الأولى تعود عندما كنت طفلاً صغيراً أنهل من عطفك ومن عطف أبى ، وارتع فى الساحة المباركة بطيبة قلبيكما وحنانكما المفرط .. أشعر وكأننا نجلس كما كان عهدنا الأول حول «الطبلية» لنأكل أشهى الأطعمة البسيطة ، ثم نحمد الله كثيراً ، ويقوم والدى ليتوضأ ، ويؤدى صلاة الظهر ...

أشعر بشارعنا وحارتنا وجلساتنا وضحكاتنا وبكائنا وكل ما كان يجرى حولنا فى الماضى البعيد و ....

وهنا توقف الفتى عن الحديث بايماءة من أمه بعد أن بدأت الفرقة فى تقديم عمل غنائى جديد .

كنت جالساً خلف الفتى وأمه بقاعة سيد درويش أرقب الأداء وأرقب المستمعين وأستمع الى حديثهم الخافت عن أداء الفرقة التى بذلت فى انشائها عناء اسطورياً وابرزتها الى حيز الوجود رغم المعارضة المفرطة والمناوأة الشديدة من كبار المسئولين عن مسار الحركة الثقافية فى مصر فى ذلك الوقت .

بدأت الاستراحة بعد انتهاء الفاصل الأول ، قدمت نفسى للفتى وأمه كمدير لهذه الفرقة ودعوتهما لتناول المرطبات فى فترة الاستراحة .

سألت الفتى بعد أن جلسنا فى ركن قصي من القاعة : –

– هل معك برنامج الحفل ؟ ... وأجاب الفتى بالنفى لأن جميع البرامج نفدت ، ولاحظ أن الجميع يحرص على قراءتها خلال الاستراحة ..

قلت للفتى ....

– الموسيقى لغة كالشعر تماماً لا يمكن أن تتذوقه دون أن تفهمه ، فاحرص دائماً

على اقتناء البرنامج فى حفلات الموسيقى العربية التقليدية .

واستطردت قائلا للفتى وقد بدا عليه الاهتمام ...

ـ إنك استمعت فى الفاصل الأول الى موشح «ملا الكاسات وسقانى» من مقام الراست . ثم الى دور «كادنى الهوى» مقام نهاوند . وكلا العملين الغنائيين من تلحين الموسيقار الخالد محمد عثمان .. قاطعنى الفتى ..

ـ ومن هو محمد عثمان هذا ؟ ..

ضقت بينى وبين نفسى لهذا الفتى الجامعى ـ شأنه فى ذلك شأن جميع أقرانه دون استثناء ـ الذين يجهلون محمد عثمان ، بينما يلقنون فى الجامعة أشعار بايرون وشيللـــى وكيتس وورد ثوورث . واذا عشقوا الموسيقى فانهم يرددون اسماء موزارت وبيتهوفن وفاجنر وتشايكوفسكى ثم يجهلون كل شىء بعد ذلك .

وتذكرت فى الحال ما قاله آرثر ميللر عندما زار القاهرة مؤخراً قال «إن أعمالكم الابداعية والفكرية العظيمة تنقصها الدعاية» .

لاحظت أن الفتى قد استبطأ الرد على سؤاله فقلت له ...

ـ محمد عثمان عبقرى مصرى ولد فى القاهرة فى منتصف القرن التاسع عشر (١) ، وعاش فى بيئة أسرية

صورة نادرة للموسيقار محمد عثمان



متواضعة . إلا أنه لقى رعاية مفرطة من والده الشيخ عثمان حسن الذى كان يؤمن أن بدء تعليم الطفل يكون بحفظ القرآن الكريم . استمر الطفل ثم الصبى محمد عثمان يصحب والده الى جامع السلطان «أبو العلا» حيث كان يدرس بينما يحفظ الصبى آيات الذكر الحكيم . أنس محمد عثمان الى قراءة القرآن وكان يجد متعة طاغية عندما كان يخلو الى نفسه ويقلد تلاوة كبار المقرئين فى ذلك الوقت ، ثم ينتقل لغناء الانشاد الدينى فى مدح الرسول عليه السلام الى أن استطاع فى خلوته خارج المسجد أن يغنى أدوار الشيخ عبد الرحيم المسلوب وفى احدى هذه الخلوات استمع الوالد الى أداء الفتى الصغير فطاب نفساً بما سمعه فأخذه على الفور الى عازف مجيد على آلة العود فى ذلك الوقت هو المرحوم عبد الله منسى (٢) الذى بدأ يعلم الفتى الصغير بحماس بالغ . لم تكن هناك مدرسة واحدة للموسيقى فى ذلك الوقت ـ لا فى مصر ولا فى أى بلد عربى ـ فما ان قنع محمد عثمان بقدر من التعليم على آلة العود ـ حتى بدأ فى صياغة ألحان لنفسه أهلته بعد ذلك للالتحاق بتخت محمد الرشيدى الكبير المكون من أربعة عازفين على العود والقانون والناى والرق . علاوة على اثنين أو ثلاثة من المذهبجية (الكورس) . بدأ محمد عثمان يصعد بتؤدة ورسوخ سلم الشهرة ولحن من الأدوار والموشحات ما أثرى الذخيرة الابداعية التى توارثتها الأجيال التى جاءت بعده ، وها نحن نستمع الى عملين غنائيين مر على تأليفهما أكثر من مائة عام وسوف تعيش هذه الألحان مئات الأعوام لأنها تجمع بين الأصالة والصدق وسلامة البناء وعمق التعبير .

كان الفتى يستمع الي بشغف شديد ، وكانت أمه ترقبه فى سعادة غامرة واستطردت قائلا ...

ـ لم يكن محمد عثمان صاحب صوت ممتاز مثل معاصريه عبده الحامولى ، وسلامة حجازى رائد المسرح الغنائى العربى . كان يلهث وراء الجدة فى الشكل والمضمون ، وهذه بضاعة كل عبقرى ، البحث عن جديد ودائم .. وفى احدى الحفلات أصابه برد شديد ألزمه الفراش فترة طويلة فلما شفى من مرضه عاد الى الغناء ، إلا أنه لاحظ أن صوته قد أصابه ضعف ووهن ، فاستلهم عبقريته وابتكر الترديد الملقب فنياً (بالهتك) حيث جعل المذهبجية (الكورس) يرددون بعض مقاطع الغناء للدور أو الموشح حتى يستريح صوته بعض الشىء من عناء الغناء المتواصل . وأحدث هذا الابتكار دوياً هائلا حتى أصبح تقليداً رسخ حتى الآن فى الغناء لكل الأشكال والقوالب والصيغ الغنائية فى أى بلد عربى .

سألنى الفتى ....

ـ وهل أداء الفرقة الجماعى الآن يشبه غناء محمد عثمان كما كان يؤديه منذ ١٠٠ عام ؟

ابتسمت وقلت له ...

ـ إنه سؤال ذكى ووجيه .. والرد عليه هو الايجاب .. فان أدوار محمد عثمان وموشحاته شأن باقى أعمال أعلام الموسيقى العربية فى الماضى القريب والبعيد تجمع أولا من الحفظة ثم يحقق تحقيقاً علمياً دقيقاً للتأكد من عدم الخروج قيد شعرة عن النص الأصلى ، ثم يدون ، ثم يحفظ حفظاً دقيقاً قبل أن تستمع اليه .. لذا فان عمليات احياء التراث الموسيقى والغنائى شأن عمليات احياء التراث الشعبى كله تحتاج الى دقة شديدة وعمل مجهد متواصل ، وعناء ومثابرة وتصميم للوصول الى الأصالة والصدق لأن التراث الشعبى والتقليدى هو أصدق مرآة تعكس حضارة وثقافة أية جماعة بشرية فى أى عصر من العصور . وكل ما تفعله الآن هو تعميق أدوات التعبير للأصل القديم بزيادة الآلات الحديثة المتطورة واستخدام الأصوات الغنائية المدربة لاحداث التأثير العميق الذى شعرت به أثناء استماعك للفرقة .

تلفت حولى لأجد أننا الوحيدون بقاعة الاستراحة ، فهرولنا جميعا الى مقاعدنا نستمع الى الفصل الثانى من الحفل .

أحمد شفيق أبو عوف

---

(١) اختلف المؤرخون فى تحديد سنة ميلاده : قال بعضهم انه ولد عام ١٨٤٥ م ، وقال البعض الآخر انه ولد عام ١٨٥٥ م .

(٢) عميد عائلة منسي الموسيقية التى منها عازف القانون عبد الفتاح منسي ، وعازفا الكمان جميل منسي ، والمبدع المرحوم أنور منسي .

هل كان شارلي شابلن صهيونيا ؟

سمير فريد



كان هدف الحركة الصهيونية قبل انشاء اسرائيل اثبات أن لليهود حقاً تاريخياً فى فلسطين ، ودعوة يهود العالم للهجرة اليها حتى يستقروا فيها ، ويتم انقاذهم من الشتات . وقد استمر هذا الهدف بعد انشاء اسرائيل ، ولكن التعبير عنه اختلف باختلاف الظروف . فاسرائيل أصبحت موجودة بالفعل ، وعلى اليهودى الحق – أى الصهيونى من وجهة نظر اسرائيل – أن يؤكد وجودها .

وقد يكون لبعض اليهود الحق فى العيش فى فلسطين ، ولكن ليس للصهيونية الحق فى اعتبار فلسطين وطن كل اليهود فى العالم ، وليس لها الحق فى أن تضطهد الشعب العربى الفلسطينى الذى عاش على أرض فلسطين طوال تاريخه ، وقبل أن يتوجه اليها بعض اليهود عبر نهر الأردن : ليس من حق الصهيونية انشاء اسرائيل بدلا من فلسطين .

وتنقسم السينما الصهيونية قبل انشاء اسرائيل الى قسمين الأول الأفلام التى تم انتاجها على أرض فلسطين ، والثانى الأفلام التى تم انتاجها فى الولايات المتحدة وأوربا .

– ١ –

يذكر جورج سادول فى «تاريخ السينما فى العالم» أن أول فيلم روائى طويل صور على أرض فلسطين هو فيلم «حياة اليهود فى أرض الميعاد» اخراج جاكوب بن دوف عام ١٩١٢ – وهو روسى هاجر من روسيا بعد ثورة ١٩٠٥ ، وتذكره المراجع الصهيونية باعتباره «أب السينما الصهيونية» .

وقد أخرج جاكوب بن دوف بعد ذلك فيلماً آخر بعنوان «الفيلق اليهودى» عام ١٩٢٣ . (١) و «الفيلق اليهودى» عبارة تطلق على التشكيلات المكونة من المتطوعين اليهود والذين حاربوا فى صفوف الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الأولى مثل فرقة البغالة الصهيونية والكتائب حملة البنادق الملكية، وقد بدأت فكرة الفيلق اليهودى كاقتراح تقدم به بن جوريون وبن تسفى للقائد التركى فى القدس ليلحق بعض المتطوعين اليهود بالجيش التركى ، ولكن جمال باشا قائد عام الجيش التركى سحب الموافقة ، ورفض تجنيد اليهود ، فتقدم جابوتنسكى بفكرة بديلة هى فكرة فرقة البغالة الصهيونية الملحقة بالجيش الانجليزى . وتأرجح الصهاينة بين قوة امبريالية وأخرى هو قانون أساسى يحكم الحركة الاستيطانية الصهيونية الباحثة عن سيد يحميها على أن تصبح له عميلا أو قاعدة . ولكن هذا لم يكن هدف الفيلم بالطبع .

لقد كان هدف جابوتنسكى أن يحمل اليهودى السلاح ، وكان هدف الفيلم التأكيد على القوة العسكرية اليهودية فى فلسطين .

وفى الثلاثينات أخرج ناثان اكسلرود «اودد» عام ١٩٣٢ الذى تدور أحداثه فى المزارع الجماعية لليهود ، واخراج باروخ اجداتى فيلم «هذه هى أرضك» عام ١٩٣٢ أيضاً ، وكان أول فيلم ينطق بالعبرية ، (٣) كما أخرج المخرج البولندى الكسندر فورد «صابره» عام ١٩٣٣ عن هجرة يهود أوربا الى فلسطين وحقهم فى «العودة الى أرض الميعاد» . وقد هاجر فورد الى اسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وأخرج ثلاثة أفلام اسرائيلية . (٤) وفى عام ١٩٤٧ تم تصوير ثلاثة أفلام صهيونية على أرض فلسطين هى «الأرض» اخراج هملر اداماه عن شاب يهودى أنقذ من معسكرات الاعتقال النازية ، ولا يتمكن من استعادة توازنه إلا فى أرض فلسطين . و «بيت أبى» اخراج هربرت كلين عن صبى أنقذ من معسكرات الاعتقال النازية أيضاً ، ويبحث عن أبيه فى أرض فلسطين ثم «الوعد الكبير» اخراج جوزيف لييتز . (٥)

آل روتشيلد

لعل أهم فيلم صهيونى أنتج فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الثلاثينات هو فيلم «آل روتشيلد» اخراج ألفريد وركر عام ١٩٣٤ ، وتشيل جورج ارليس ولوريتا يونج



شارلى شابلن فى دور الدكتاتور الكبير

وبوريس كارلوف وروبرت يونج .

وعائلة روتشيلد «عائلة من رجال المال ويهود البلاط يعود أصلهـا الى فرانكفورت فى القرن السادس عشر . وقد حققت العائلة شيئاً من الثراء فى القرن الثامن عشر بعد أن حقق ماير روتشيلد (١٧٤٣ ـ ١٨١٢) تاجر العملات القديمة أرباحاً طائلة أثناء حروب الثـورة الفرنسية . وقد تفرق أبناؤه الخمسة وتوطنوا وأسسوا أعمالهم فى خمسة بلاد أوربية مختلفة ، فاستوطن الابن الأول ناثان ماير روتشيلد (١٧٧٧ ـ ١٨٣٦) فى انجلترا ، حيث أصبح شخصية هامة فى عالم المال أثناء الحروب النابليونية بسبب صلاته العائلية فى الخارج . وساهم أكبر أبنائه ليونيل (١٨٠٨ ـ ١٨٧٩) فى تحويل شراء أسهم قناة السويس ، وكان أول عضو يهودى فى البرلمان الانجليزى .

أما الابن الثانى ليونيل والتر (١٨٦٨ ـ ١٩٣٧) فتعود أهميته الى انه كان يمتلك حديقة حيوانات خاصة ، وان وعد بلفور أخذ شكل خطاب موجه اليه .

وبدأ نشاط العائلة فى فرنســا باستيطان ابن ماير روتشيلد المسمى جيمس (١٧٩٢ ـ ١٨٦٨) فيها حيث أصبح شخصية مالية مرموقة احتفظت بنفوذها الواسع فى عالم المال رغم تغير الحكومات . وورثه خمسة أبناء من بينهم البارون ادموند دى روتشيلد الذى تبنى النشاط الصهيونى فى فلسطين» (٦)

السينما اليهودية

ان السينما التى تستطيع أن نطلق عليها أكثر من غيرها ، تعبير السينما اليهودية «هى تلك السينما الناطقة باللغة اليديشية فهى سينما تعبر عن ثقافة الجيتو اليهودى خير تعبير . ولكن لأن هذه السينما أيضاً لا تعبـر عن «اليهودية» كديانة من الديانات ، لذلك فان التسمية الصحيحة لها هى السينما اليديشية .

واليديشية لهجة ألمانية جنوبية يستخدمها يهود شرق أوربا . وقد أشتق اسمها من كلمة «يهودى» وقد ظهرت اليديشية بين عامى ١٠٠٠ و ١٢٥٠ ميلادية ، وهى عبارة عن خليـط من المفردات الألمانية (٨٥٪ من المفردات) دخلت عليها بعض الكلمات السلانية ، ولكن أساسها اللغوى هو ألمانية العصور الوسطى ، وقد نشأت اليديشية فى ألمانيا وحملها اليهود معهم حينما هاجروا فى القرن الخامس عشر الى بولندا وروسيا . واللغة اليديشية كانت هى لغة الجيتو ، وينشأ الأطفال اليهود فلا يتعلمون لغة سواها اللهم إلا اذا كانت العبرية . ومعظم المفكريـن الصهاينة يتحدثون إما اليديشية أو الألمانية» (٧) وقد بدأت السـينما اليديشية فى الولايات المتحدة فى أواخر عصر السينما الصامتة حيث كان الحوار يطبع على الأفلام فى كادرات منفصلة . وكان ذلك فى أفلام مثل «مازل توف» عام ١٩٢٤ ، و «القلوب المحطمة» عام ١٩٢٥ ، و «الجانب الشرقى لمسارى» عام ١٩٢٩ ، وكلها من اخراج سيدنى جولدوين .

ومع بداية نطق الأفلام عام ١٩٣٧ ، بدأ عصر ازدهار السينما اليديشية الذى وصل الى ذروته فى النصف الثانى من الثلاثينات حيث بلغ عدد الأفلام الطويلة

الناطقة بهذه اللغة حوالى مائة فيلم أغلبها أمريكى، وبعضها بولندى أو من بلاد أوربية أخرى. الى جانب حوالى ٣٥ فيلم تسجيلى وقصير.

ومن أهم الأفلام اليديشية الأمريكية «الأب ابراهام صوت اسرائيل» عام ١٩٣١، و «كول نيدر» عام ١٩٣٩، و «يا إلهى يا إلهى» عام ١٩٤٠، و «اللحن اليهودى» عام ١٩٤١ اخراج جوزيف سيدنى. وأفلام «شباب روسيا» عام ١٩٣٤، و «أغنية الأغنيات» عام ١٩٣٥، و «قوة الحياة» عام ١٩٣٨ اخراج هنرى لين. وأفلام «يوسف فى مصر» عام ١٩٣٢، و «اليهودى التائه» عام ١٩٣٣، و «اريد أن أكون أماً» عام ١٩٣٧ اخراج جوزيف رولاند. وأفلام الحقول الخضراء» عام ١٩٣٧، و «المغنى الحداد» عام ١٩٣٨، و «أضواء القمة» عام ١٩٣٩ اخراج ادجار اولمير. أما فى بولندا فقد كان أهم مخرجى الأفلام اليديشية هو جوزيف جرين، ومن أفلامه «بيدل وقيثارته» عام ١٩٣٦، و «مهرج عيد البوريم» عام ١٩٣٧، و «خطاب الى أم» عام ١٩٣٨ (٨). وقد انخفض عدد الأفلام اليديشية فى الاربعينات، ثم كاد يندثر بعد ذلك حيث لا يعرف إلا فيلمين طوال الخمسينات، وهما الاله والانسان والشيطان و «مونتيشيللو: هنا جئنا» اخراج جوزيف سيدنى عام ١٩٥٠، وفيلم واحد طوال الستينات، وهو «الشقيقات الثلاث»، اخراج جوزيف سيدنى أيضاً عام ١٩٦١.

والسينما اليديشية «سينما عنصرية» (٩) وترجع جذور هذه السينما الى المسرح اليديشى حيث التأكيد على «الوحدة العرقية والتقاليد والميعاد والقربان والخلاص». فهى شأنها شأن المسرح اليديشى يرجع معظمها الى التراث اليهودى» (١٠) ورغم أن الحركة الصهيونية سعت الى احياء اللغة العبرية إلا أن أغلب الأفلام اليديشية، خاصة التى تعتمد على التراث اليهودى، هى افلام صهيونية. ولكنها تعبر عن الصهيونية الدينية أكثر مما تعبر عن الصهيونية السيلسة.

ويقول روب ادلمان فى مقالة عن السينما اليديشية «يوجد الآن بعث جديد للاهتمام بالأفلام

هل كان شارلى شابلن صهيونياً؟

اليديشية. ففى مهرجان نيويورك الأول للافلام الناطقة باليديشية، والذى ترعاه ثمانية مؤسسات، تم عرض برنامج من ٩ أفلام عام ١٩٧٨ وتدخل معهد «بيفر» للأبحاث اليهودية لحفظ رباعية جوزيف جرين. كما أهدت الجمعية التاريخية اليهودية الأمريكية ثلاثين فيلماً ناطقاً باليديشية الى معهد الفيلم الأمريكى». (١١)

الحركة النازية

رأينا كيف استخدمت الحركة الصهيونية، ولاتزال، عنصرية الحركة النازية فى المانيا ضد اليهود فى خدمة أهدافها، كما فى فيلم «الأرض» اخراج هلمر آداماه، و «بيت أبى» اخراج هربرت كلين عام ١٩٤٧. حيث يتم التركيز على اليهود كضحايا للنازية، بينما لم يكن اليهود فقط هم ضحايا النازية، ويتم الربط بين اضطهاد اليهود على أيدى النازى، وبين هجرتهم الى فلسطين وكأن الصهيونية، أى انشاء اسرائيل، هى الحل الوحيد المتاح أمام اليهود للتخلص من الاضطهاد.

ولكن هذا لا يعنى ان كل فيلم معاد للنازية هو فيلم صهيونى. وإنما المحك فى ذلك هو مضمون الفيلم ذاته. ومن شأنه تعميم الحكم على الأفلام المعادية للنازية خدمة الصهيونية ذاتها وكأنها حركة معادية للنازية، وكأن العرب هم امتداد للنازى فى اضطهادهم لليهود، كما تصور الدعاية الصهيونية، بينما الواقع أن الصهيونية حركة نازية جديدة فى جوهرها، كما أن التاريخ يثبت أن تعاوناً قد تم بين النازية والصهيونية أثناء الحرب العللية الثانية، وبلغ حد توقيع معاهدة بين الطرفين.

ومن الأفلام المعادية للنازية التى انتجت قبل انشاء اسرائيل واعتبرها بعض النقاد صهيونية، نتيجة تعميم الحكم على الأفلام المعادية للنازية بأنها صهيونية، الفيلم الأمريكى «الديكتاتور الكبير» اخراج شارلى شابلن الذى انتج أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠. صحيح أن شابلن قام فى هذا الفيلم بدور حلاق يهودى يعيش فى الجيتو، ولكن اليهودى هنا ولا يجب أن ننسى تاريخ انتاج الفيلم ١٩٤٠، ليس سوى رمز لضحايا النازية.

إن يهودى شابلن فى «الدكتاتور الكبير» هو «اليهودى الفقير، اليهودى البروليتارى. ومن الطبيعى أنه فى نفس الوقت الفقير والبروليتارى المنتمى لأى عرق وأى بلد، وأى زمن على الاطلاق» (١٢) كما أن قيام شابلن فى نفس الفيلم بدور هتلر، وقد كان باستطاعته طبعاً اسناد الدور لأى ممثل آخر، يعبر عن فكرة أن الجلاد هو ضحية بقدر ما يعتبر الضحية جلاد لنفسه. وحديث اليهودى فى هذا الفيلم عن العالم الجديد الذى يتطلع اليه بعد الحرب ليس اشارة الى أرض الميعاد فى التراث اليهودى كما ذهب بعض النقاد. وإنما اشارة الى العالم الجديد الذى كانت تتطلع اليه كل الانسانية بعد الحرب.

لقد قال شابلن انه صنع فيلم «الدكتاتور الكبير» من أجل يهود العالم (١٣) ولكن تفسير ذلك يجب أن يكون فى اطار موقفه الانسانى الشامل. وهو موقف أبعد ما يكون عن التعصب لليهود، أو الاعتقاد فى الصهيونية كحل للمشكلة اليهودية. وقد حاولت الصهيونية دائماً أن تكسب شابلن باعتبار أصله اليهودى من جهة أمه، ولكن شابلن كان أحد الفنانين القلائل فى العالم الذين أدانوا الصهيونية صراحة، وكان ذلك انسجاماً مع موقفه الانسانى الشامل.

ففى عام ١٩٤٧ قال شابلن: الكثير من الناس يقولون «شابلن يهودى» أنا لم أنكر أصلى، كما أنى لم أتباه به.. أنا رجل لا يختلف عن الآخرين.. هل يقلل أصلى من شأنى، أم يضفى علي أهمية أكبر؟ لا أعتقد أنه ينبغى ارسال اليهود الى فلسطين. معنى هذا أن يتم ارسال الكاثوليك الى روما. يتعين على الأمم المتحدة ألا تعاون أية دولة للاقليات أو المجموعات العنصرية. ولو تقرر هذا فان الأمر يعنى أن الحرب قامت بدون جدوى

... من حق اليهود الذين ولدوا فى دولة ما مثل بولندا أو المانيا أن يعيشوا فى هذه الدولة مثل بقية المواطنين ان مولدهم وحياتهم يكفلان لهم هذا الحق» .

ويستطرد شارلى شابلن فى تصريحه التاريخى «يتحتم عدم تحويل فلسطين الى معسكر اعتقال لليهود ... إن هذا «التصدير لليهود» يؤدى فى الواقع الى انشاء مشكلة يهودية .. وأنا أعرف الكثير من اليهود ، وقعوا ضحية الدعاية .. لقد تلوثوا بدون وعى بالكراهية لليهود ويعيشون فى حالة رعب وخجل من أنفسهم ومن شعبهم ، ولا شك أن هذه أكبر مأساة فى عصرنا .. ان اليهود يسعون بأنفسهم الى الهروب ، والى حفر قبورهم ، بل والى احتقار ذاتهم .. ان تسلل السم الهتلرى فى جسد العالم بلغ درجة جعلت المضطهدين يضطهــدون أنفسهم . لقد تحولوا الى جلادين لأنفسهم » (١٤) وربما يفسر هذا التحليل أيضاً سبب قيام شابلن بدور اليهودى وبدور هتلر فى فيلم «الديكتاتور الكبير» .



ويروى كامل التلمسانى فى كتابه «عزيزى شارلى» عام ١٩٥٧ موقف شابلن من مصر ، بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، فيقول :

«وقف عزيزنا شارلى بجوار جمهوريتنا الشابة ، وشعبها المكافح يوم كانت الجمهورية وشعبها فى حاجة حيوية الى مناصرة الرأى العام العالمــى لقضيتنا العادلة الخاصة بتأميم قناتها ، وحقها المطلــق فى الاحتفاظ بسيادة أراضيهـــا ، وحريتها وسلامها . كان يتابع أحداث بلادنا يوماً بيوم ، ويترجم صديق عربى له اذاعة القاهرة حتى يقف بنفسه على حقيقة أنباء المقاومـــة الشعبية ، وحتى يعرف حقيقة انباء المعتدين على استقلال وحرية هذه الجمهورية الشابة التى وقفت فى جرأة نادرة رائعة تعيد للانسانية ثقتهـــا بنفسها لتقول لطغيان الاستعمار المتجبر لا .

لقد هزت شارلى هذه الجمهـــورية العارفـة لحقوقها ، والتى خرج منها عبد الناصر ، والتى جعلت المعجزات تسير فى ركابه ، حتى أصبحت المعجزات روتيناً فى حياة بلادنا فى أيام رجل المعجزات هذا الذى انبته صعيد مصر» .

أدلى شارلى بحديث صحفى نشرته وترجمته له أكثر من جريدة ومجلة فنية وغير فنية ، ولم يمنعه من تصريحاته المستنكرة للعدوان علينا ان اهــم المعتدين هم رجال حكومة انجلترا . ولقد عادى شابلن ــ المنصف للحق ــ حكومة بلاده هذه من أجل قضية شعب لا تربطه به صلة إلا صلة الحق والعدالة والانسانية ، وقف فى صف بلادنا ضد حكومة بلاده فى وقت هو فى أشد الحاجة فيه الى الاحتفاظ بجنسيته الانجليزية بعد ما كان من موقفه من أمريكا ، وموقف حكومتها منه .

قال شابلن للصحفيين : ــ

ــ إن واجب ادباء العالم وكتابه اليوم هو الكتابة عن الكفاح الشعبى المسلح فى مصر وإن هذه المهمة ليست مهمة أدباء مصر وحدهم ، بل هى أيضاً واجب الأدباء والكتاب الشرفاء فى العالم كله .

وقال :

ــ إن مصير الاستعمار حتما الى زوال . انه لا يبنى سياسته على أسس علمية ولذلك يعتقد المستعمرون اليوم أن هزيمة الشعوب لا تستحيل عليهم . ان قواعد الاستعمار العسكرية كاسرائيل وغيرها ستلغى جميعاً بارادة الشعوب ...

ثم قال عن اسرائيل :

ــ إن الدولة التى يقوم كيانها على دعوة عنصرية دينية لا يمكن لها أن تعيش ، ولا يمكن لها البقاء ... لقد أقام الاستعمار اسرائيل لتصبح قاعدة له فى الشرق الأوسط يضرب منها شعوب هذه المنطقة كلما أرادت الثورة عليه أو الاستقلال عنه ... (١٥) .

سمير فريد

هــــــوامـــــش

١) مصطفى درويش : فلسطين ولغة السينما ــ مجلة «الكاتب» المصرية عدد مايو عام ١٩٧٣ .

٢) د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية القاهرة عام ١٩٧٥ .

٣) مصطفى درويش : المرجع السابق .

٤) سمير فريد : السينما الصهيونية ــ جريدة «الجمهورية» المصرية عدد ٢٠ أغسطس ١٩٧٠ .

٥) مصطفى درويش : المرجع السابق .

٦) ــ ٧ ــ د. عبد الوهاب المسيرى : المرجع السابق .

٨) على أبو شادى : السينما الناطقة باليديشية ــ بحث مقدم الى المهرجان الدولى الرابع لأفلام وبرامج فلسطين فى بغداد عام ١٩٨٠ .

٩) ١٠ ــ ١١ روب انلان : السينما اليديشية ــ مجلة «فيلم إن ريفيو» الأمريكية عدد يونيو ويوليو عام ١٩٧٨ .

١٢) مارسيل مارتان وآخرين : شارلى شابلن ، ــ ترجمة ابراهيم العريس عام ١٩٧٩ .

١٣) باكستر فيليبس : سينما القهر وسينما التحرير ــ نيويورك عام ١٩٧٧ .

١٤) شارلى شابلن :جريدة «فران تيرو» السويسرية فى ٢٨ يناير عام ١٩٤٧ .

١٥) كامل البستانى : عزيزى شارلى ــ القاهرة عام ١٩٥٧ .

نافذة على الثقافة العالمية

محمد العزب موسى

ناسك من الغرب

لم أجد كاتباً غربياً مهتماً بقضية الألوهية والجانب الروحى فى الانسان قدر دكتور بول برنتون الكاتب والمفكر الانجليزى المعاصر ، ومن عجب أن هذا المفكر على فرط شهرته فى الغرب والعالم (وبخاصة فى انجلترا والهند) لا يكاد يكون معروفاً فى شرقنا العربى ، إذ لم أعثر على أية ترجمة الى العربية لواحد من كتبه الكثيرة المثيرة ، ولا أكاد أعثر على مثقف عربى واحد قرأ له أو سمع باسمه (!) ولست هنا بصدد تفسير هذه الظاهرة ولكنى أسجلها فحسب بشىء من الحيرة ، إذ ما كان الأحرى بكتابات دكتور برنتون أن تنتشر فى بلاد الاسلام حيث مناخ الروحية والايمان بالله ، ولاسيما أن هذه الكتابات على استقلالها وحريتها ليس فيها ما يتعارض مع الفكر المستنير .

اكتشفت الكاتب والمفكر الانجليزى دكتور بول برنتون حين قرأت له عرضاً منذ سنوات بعيدة كتاباً بعنوان «البحث عن مصر الخفية» ، كان عبارة عن سياحة روحية تأملية قام بها المؤلف فى مصر خلال الثلاثينات منقباً عن بقايا وآثار المعارف الخفية والأسرار القديمة ، وقام خلال سياحته بتجارب غريبة منها أنه قضى ليلة كاملة داخل الهرم الأكبر ، وكتب فصلا بديعاً عن تلك التجربة المخيفة حيث قبع فى الظلام الدامس داخل غرفة الملك خوفو بعد أن أغلق عليه الحراس أبواب الهرم وانصرفوا ، وحدثت له فى تلك الليلة تجربة «طرح روحى» إذ خيل اليه أن روحه قد هامت خارجة عن جسده حتى نظر تحته فرأى جسده مسجى بلا حراك فوق التابوت ، والتقت روحه بأرواح قديمة تبادلت معها أحاديث مختصرة بالغة العمق والدلالة ، بدون ألفاظ منطوقة ، ثم اصطحبتها هذه الأرواح فى جولة داخل دهاليز سرية بالهرم !

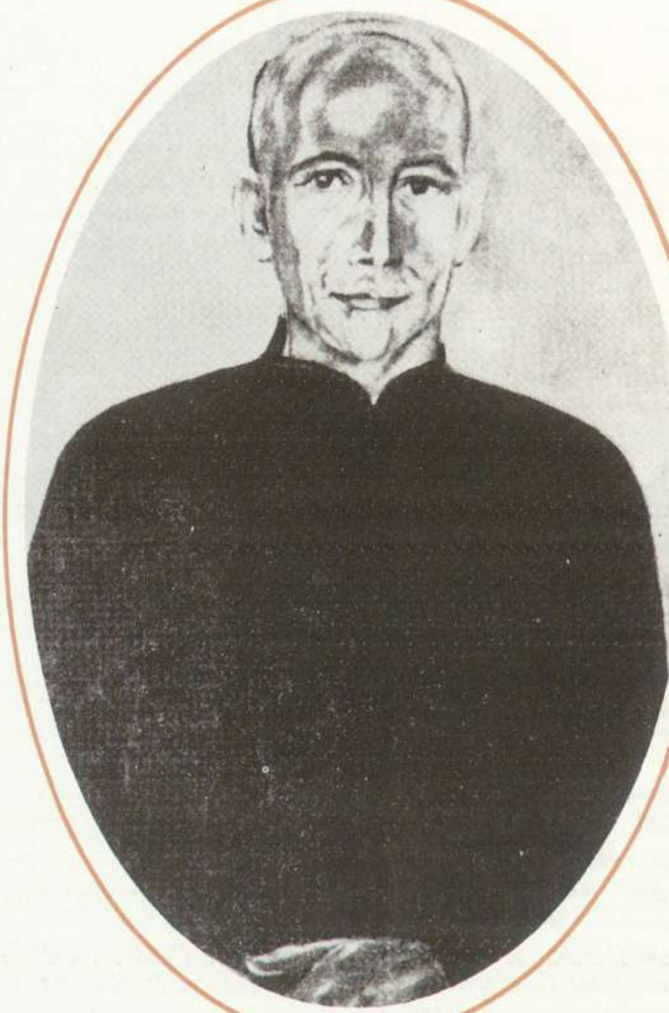
وبالرغم من غرابة هذه التجربة وأشباهها إلا اننى لم أستطع أن أمر بها بخفة وعدم اكتراث كخيال كاتب ذى شطحات ، فالمؤلف كما يبدو من أسلوبه على قدر كبير من الثقافة والوعى والجدية ، وهو قادر على تأصيل أفكاره واقناع القارىء بها ، كما أنه حاصل على أرفع الدرجات العلمية من جامعات الغرب .

وعلمت فيما بعد أن بول برنتون واحد من كبار المهتمين بالأبحاث والتجارب الروحية وظواهر ما وراء المادة والطبيعة ، وقد ولد فى لندن عام ١٨٩٨ ، ودرس فى أرقى المعاهد الانجليزية حتى حصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة النفس ، ثم اشتغل بالصحافة فى بلاده ولمع سريعاً وكاد يصل الى صفوفها الأولى فى سنوات قلائل ، ثم فجأة تغلبت عليه اهتماماته المبكرة فى الفلسفة والتصوف والأديان المقارنة ، فترك مهنته وبلاده ، وقام بسياحات طويلة مضنية فى بلاد الشرق باحثاً عن الصوفيين والزهاد ، والنساك ، والقديسين ، ورجال اليوجا ، والرهبان البوذيين كى يحاورهم ويقتبس منهم ويقف على حقيقة معارفهم ، وعندما عاد الى بلاده بعد أن تجاوز منتصف العمر لزم الريف البريطانى حيث كتب عن رحلاته وتجاربه وتأملاته مجموعة من أروع الكتب وأعمقها .

وقد شوقنى كتاب «البحث عن مصر الخفية» للاطلاع على أعمال أخرى للكاتب وجدت اسماءها مكتوبة على غلاف الكتاب ، غير أنى لم أعثر فى ذلك الحين على أى واحد منها . ومرت السنون الى أن قمت بجولة فى جنوب الهند فى خريف عام ١٩٧٧ وفى محل لبيع الكتب بأحد فنادق مدينة مدراس عثرت — لفرحتى الشديدة — على كل أعمال الدكتور بول برنتون فى طبعات هندية رخيصة الثمن ، فاقتنيتها لاحتفظ بها ككنز فكرى ثمين .

فى خفايا الهند والهيمالايا

من أروع كتب بول برنتون وأكثرها تشويقاً كتابه الأول «البحث عن خفايا الهند» وهو يسجل رحلة «الأوديسية» المهولة فى ربوع الهند بحثاً



المفكر الانجليزى المعاصر دكتور بول برنتون

عن خفاياها الروحية وحكمتها القديمة على النحو الذى رأينا مثيلا له فى كتابه الثانى عن مصر وقد استغرقت رحلة الدكتور برنتون فى ربوع الهند زهاء أربع سنوات قضاها متجولا على قدميه أو مستخدماً أبسط أنواع المواصلات، لا تفت فى عضده المخاطر والمشاق وقلة النقود ، وبدون أن يسعى للاتصال بأصحاب النفوذ من انجليز أو هنود ، فقد أراد أن يعيش فقيراً بين الفقراء وهو يقتحم المدن الهندية المكتظة ، والغابات الموحشة ، والجبال الصامتة ، بحثاً عن حكمة الهند الخفية التى ظلت محجوبة عن الأعين المتلصصة آلاف السنين . فكان يقطع مئات الأميال للقاء ناسك فى قلب غابة ، أو «مهاريشى» فوق قمة جبل ، أو «يوجى» فى معبد ناء ، وهى مهمة عسيرة ليس لأن الهند فحسب بلاد شاسعة وإنما لأنها أيضاً مليئة بنوعيات لا حصر لها من الدجالين ، والمشعوذين ، والحواة والمهرجين ، والبلهاء الكثيرين ممن ينبغى على الباحث عن الحقيقة أن يزيحهم بمرفقيه جانباً وهو يشق طريقه بينهم بصعوبة ، وسود برنتون خلال رحلته آلاف الصفحات أودعها عشرات النماذج التى التقى بها ، ولكنه عند عودته الى انجلترا وعكوفه فى الريف البريطانى على اعداد أوراقه للنشر اختصر حجم الكتاب الى نيف وثلثمائة صفحة من الحجم الكبير اقتصر فيها على عدد محدود من النماذج التى توسم لديها شيئاً حقيقياً .

ومن الهند نصحب الدكتور برنتون فى سياحة روحية أخرى فى كتابه «ناسك فى الهيمالايا» وهو كتاب بديع آخر يصعب تصنيفه تحت أى فرع محدد من فروع التاليف لفرط تنوعه الأدبى والفكرى ، فيه نصحب المؤلف خلال سلسلة جبال الهيمالايا قاصداً جبل «كيلاس» المقدس بالتبت فى رحلة استغرقت شهوراً طويلة وسط ثراء من الجمال الطبيعى والفكرى الذى لا مثيل له ، وحيث أتاحت السكينة النفسية الوارفة للمؤلف القيام بتجارب عميقة من التأمل الروحى ، ونعثر خلال صفحات الكتاب على كنز من الاشارات القيمة عن اليوجا والتجارب الصوفية فى ثنايا خلفية متألقة من المناظر الطبيعية الأخاذة التى يصفها المؤلف بحيوية وعمق ممتزجة بتأملاته فى الشئون العـالمية والدنيوية وذكرياته عن شخصيات بارزة أو مجهولة مرت فى حياته ، كل ذلك مع ملاحظات دقيقة عن الحياة النباتية والحيوانية فى الجبال والسفوح والقمم والوهاد التى يجتازها ، فهو كتاب يحمل القارىء من عتمة المدن المزدحمة وهوائها الخانق الى جو الهيمالايا النظيف الطليق ، وعندما يعود القارىء من هذه الرحلة التى تحمل برنتون مشاقها بدلا عنه ، يجد نفسه أقدر على خوض معمعة الحياة الحديثة .

وقد يرتبط بهذين الكتابين كتاب آخر بعنوان «رسالة من أروناشالا» ، وأروناشالا جبل فى جنوب الهند له مركز سام فى التراث الهندوسى المقدس ، إذ تقول الأساطير التاميلية انه أقدم يابس ظهر فى الأرض وتجلى فى قمته نور الله (من العجيب أن الجيولوجيين المحدثين يعترفون بأن صخوره من أقدم مكونات القشرة الأرضية بالفعل) ومعناه بالسنسكريتية «الجبل الأحمر» أو «جبل النور» وكان يقيم فيه الماهاريشى العظيم الذى حكى عنه برنتون طويلا فى رحلته الهندية وكان لقاؤه به بمثابة الجائزة الروحية الكبرى لتلك الرحلة الشاقة إذ أقام فى كنفه عدة أسابيع يعب من ينبوعه الروحى الصافى . وقد كتب برنتون هذا الكتاب فى شكل تأملات مركزة عميقة أثناء اقامته فى جبل كروناشالا الى جوار الماهاريشى العظيم ، وخصص قسمه الأول لنقد الحضارة الغربية المادية وإظهار افلاسها وزيفها ، وخصص القسم الثانى من الكتاب لبناء فكر جديد يقوم على الروح والرقى النفسى .

الطريق الى الله

وقد كان على دكتور برنتون ، وهو الذى لا يكره شيئاً قدر احتكار المعرفة أو اخفائها ، أن يدل بنى جلدته الغربيين على الطريق العملى الى الجانب الآخر من الحياة .. الجانب الروحى الذى يكتمل به فهم الانسان لذاته .

ولهذا الغرض وضع برنتون كتابين توأمين هما «البحث عن الذات العليا» و «الطريق السرى» .

والكتاب الأول عبارة عن دراسة نظرية وعملية فى فن التأمل ، ذلك الفن الذى نسي تماماً فى زحمة الحياة الحديثة ، وقدم فيه دكتور برنتون منهاجاً متكاملا للتحليل الذاتى الروحى المرتكز على الفلسفات الصوفية الشرقية ، ويستطيع به أى قارىء جاد عادى أن يكتشف ذاته الداخلية عن طريق التركيز الذهنى والقيام ببعض التدريبات البدنية البسيطة التى انتقاها المؤلف من بين أرقى نظم اليوجا الهندية وأكثرها أمناً . وينقسم الكتاب الى قسمين أحدهما تحليلى ويشمل فصولا عن «لغز الانسان» و «تحليل النفس المادية» و «تحليل النفس العاطفية» و «تحليل النفس المفكرة» كما يتحدث عن الأبدية أو ما وراء الزمن ، وعن العبقرية والالهام والوحى والآخر عملى أو تطبيقى ويشمل طرق التحليل الذاتى مع شرح لأسرار النفس ، وأسرار العين ، واسرار القلب .

ناسك
من
الغرب

● إنه واحد من كبار المهتمين بالأبحاث والتجارب الروحية وظواهر ماوراء الطبيعة

● من أروع مؤلفات برنتون وأكثرها تشويقاً .. كتابه : البحث عن خفايا الهند

أما الكتاب الثانى «الطريق السرى» فهو أيضاً مرشد عملى ونظرى الى الذات الكامنة فى أعماق نفوسنا وكيفية الوصول اليها عبر ذلك الطريق السرى الذى أضحى مجهولا لدى الأغلبية الساحقة من بنى البشر ، انه الطريق المؤدى الى «مملكة الله داخل نفوسنا» هناك حيث منبع كل إلهام ، وحيث يتحول الذكاء الى حدس وندخل فى دائرة التنوير التى يحيا فيها الصوفيون العظام . والثمرة التى نجنيها من اقتحام تلك القلعة المنيعة هى ما يعرفه الصوفيون بالتجلى .

فهذا الكتاب مثل سابقه عبارة عن طريقة للتحليل الذاتى وصولا الى مركز الضمير أو المطلق الذى هو الله . فكما يقول الحكيم الألمانى ايكرهارت «الله يوجد فى مركز الانسان» ولا سبيل الى الوصول الى هذا المطلق بغير الحياة داخل الذهن ، فهذه هى وسيلة المعرفة الحقيقية التى لا تغنى عنها آلاف الكتب ، أو كما يقول فولتير «ان أربعة آلاف مجلد فى الميتافيزيقا لا يمكن أن تعلمنا ما هى النفس» ومن يصل الى هذا المركز ينعم بالراحة والسلام والاطمئنان ، إنه موطىء القدم الثابت للانسان بين دوامات العالم التى تمور بجنون من حوله .

وقد أفرد دكتور برنتون كتاباً قائماً بذاته للحديث عن هذه الحقيقة المركزية ، وهو كتاب كبير الحجم دسم المعلومات بعنوان «الحقيقة الداخلية» يمزج خلاله المؤلف فى نسيج واحد بين ثلاثة مصادر هائلة من المعرفة هى : التراث الدينى المقارن من عقائد وأديان ، وتجارب المؤلف الذاتية وتأملاته الروحية والفكرية ، وفلسفة ومكتشفات العلم الحديث .

ومن أروع فصول هذا الكتاب فصل بعنوان « الله » وإذا كان من المتفق عليه أن الله تعالى لا يمكن تصوره أو معرفة كنهه ، أو كما يقول فقهاء المسلمين «كل ما طاف ببالك فهو ليس كذلك» ، إلا أن دكتور برنتون يقترب قدر الامكان من السر المقدس باعتقاده أن الله أقرب ما يكون الى النور ، وفى هذا لا يبتعد عن قول القرآن الكريم «الله نور السماوات والأرض» .

ويلاحظ برنتون أن العلم الحديث أسقط دعاوى الماديين فى أقدمية المادة وجمودها وأثبت إمكان حدوثها بل وضرورة حدوثها ، فقد بين العلم الحديث أن التحول بين المادة والطاقة ممكن ، فالمادة طاقة مكدسة ، والطاقة مادة مشعة والعنصر الأساسى الوحيد وراء هاتين الظاهرتين الطبيعيتين هو الضوء ، وكما ثبت عملياً إمكان تحول المادة الى طاقة وضوء كذلك من الممكن نظرياً أن يتحول الضوء الى مادة ، ولكننا فى هذه الحالة نكون بحاجة الى فوتونات (ضوء) قوتها أكبر من بليون الكترون فولت لكى نخلق نواة ذرة واحدة ، وليست لدينا فى الوقت الحالى — ولا ينتظر أن تكون — أجهزة معملية قادرة على تحقيق ذلك ، بل لا توجد أشعة طبيعية تصل الى أرضنا قادرة على انتاج مثل هذه الفوتونات الخلاقة ، ولكن قد تكون هذه الظاهرة موجودة ضمن الأشعة الكونية فى مكان ما بالكون ، وبذا تكون عملية بناء أكوان جديدة قائمة حالياً بالفعل فى مكان ما بمملكة الله الشاسعة ولكنها ليست تحت قيادتنا أو ملاحظتنا .

وإذا كان كل ما هو مادى فى هذا العالم ، بما فى ذلك جسمك المادى والكرسى الذى تجلس عليه عبارة عن تركيز لطاقة ضوئية مشعة فانك بذلك تجد الله فى كل شىء ، وهو يحيط بك فى كل مكان «فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله» فالعالم المادى كله مبنى من الله ، ومملوء بالله ، وليس هذا خيال شاعر أو صيغة تقريب وإنما حقيقة واقعة لا سبيل الى الهرب منها ، انت أقرب الى الله بأكثر مما تتصور ، وهو أقرب اليك من حبل الوريد .

● الطريق السرّي مرشد عملي ونظري إلى الذات الكامنة في أعماق نفوسنا

● الله يوجد في مركز الإنسان ، ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا المطلق بغير الحياة داخل الذهن

هذه فكرة الله التى يؤمن بها بول برنتون وهى أقرب الى الفكرة الصوفية التقليدية ، وإذا تعمقنا فيها فسوف نجدها فكرة المؤمنين جميعاً ، فالله موجود فى جميع شئون الكون والبشر . على أننا يجب أن نبحث عن الله دائماً فى الداخل أولا قبل أن نبحث فى الخارج ، والطريق الى الدين لا يكون بالفكر وحده فالأفكار تختلف باختلاف أصحابها ، والدين لا يفهم فقط وإنما يذاب فيه .

إن الفكر يمكن أن يضع ستاراً بينك وبين الدين ، وعندما يتمزق هذا الستار ، فانك تخرج الى الدين الممكن لأى انسان أن يجد طريقه اليه لأنه موجود فى داخله فعلا ويقيناً . ابحث أولا فى قلبك ثم انظر الى الخارج تجد القوة العليا مجسدة فى كل شىء .

فالله يجب أن يبحث عنه فى الداخل لا فى الخارج ، والقوة التى يستشعرها الانسان فى الدين إنما تنبع أيضاً من داخله ولا تأتيه من أى مكان بالخارج ، والدين قبل أى شىء آخر هو علاقة شخصية بين الفرد والله كروح خالد وليس علاقة بين الفرد وأية مؤسسة قائمة كمعبد أو كنيسة أو جماعة .

ولن تستطيع أن تسلك هذا الطريق بغير التواضع ، فالتواضع الشديد أو الاحساس بفقر القلب هو أساس العبادة ، وينبغى أن تسمو العبادة عن الرغبة فى «إملاء» شىء على الروح المطلق حتى لو كان طلباً خيراً أو فائدة مادية أو روحية ، فاذا كان الروح المطلق حكيماً وعليماً بلا نهاية فلا أقل من أن تعترف بأنه أعرف منك بحاجتك ، فلست بحاجة كى تطلب منه شيئاً محدداً فى العبادة أو الصلاة ، وكذلك فانه ليس

● كان يقطع مئات الأميال للقاء ناسك في قلب غابة أو مهاريشى فوق قمة جبل ، أو يوجي في معبد ناءٍ وهي مهمة عسيرة وغاية في الصعوبة والمخاطر

● لا تحدوني أية رغبة في إقناع الآخرين أو كسب تلاميذ أو أنصار من بينهم ، إن كل ما أفعله هو أنني أشع حقيقة يخيل إلي أنني اهتديت إليها

بحاجة الى المدائح التى لا تنتهى والصيغ المحفوظة المكررة . المطلوب فحسب لحظة صدق مع اعماق القلب .

لا أحمل رسالة معينة

هذه لمحة عابرة من أفكار هذا الناسك الغربى دكتور بول برنتون ، لمحة أشبه بأصبع صغير يشير الى جبل كبير ، فلا يمكن لأى مقال أن يحيط بكتابات هذا المفكر العظيم ، وإذا كنا قد استعرضنا بعضها فى هذا المقال فتبقى منها دون استعراض مجموعة اخرى من الكتب القيمة ومن أهمها «التعاليم الخفية وراء اليوجا» و «حكمة الذات» و «الأزمة الروحية للانسان» .

والكتاب الأخير بالذات من أهم كتبه على الاطلاق مما يجعله جديراً بدراسة خاصة به ، إذ انه يحوى تحليلا عميقاً شاملا لأزمة الانسان فى العصر الحديث من كل جوانبها السياسية والفكرية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية ومرجع هذه الأزمة جميعا الى افتقار العصر الحديث الى الروحية وافراطه فى المادية ، ولكن برنتون يعتقد جازماً ان المادية الراهنة لن تسيطر على العالم الى الأبد ولديه «دلائل تنبؤية» بتحول قادم فى الفكر البشرى ، غير أن ذلك التحول لن يحدث فى الأزمنة الحاضرة عن طريق المعجزات ، أى بخرق قوانين الطبيعة ، وإنما سوف يحدث نتيجة لفهم المزيد من قوانين الطبيعة ، وعندما تكتشف طلائع العلماء والمفكرين مساحات جديدة غير مستكشفة من أسرار الكون والانسان سوف تتغير نظرة الانسان الى الوجود بما يشبه فعل المعجزات .

وبرنتون فى النهاية لا يدعى لنفسه أى دور مقدس أو رسالة ولا يبحث عن تلاميذ ، نجده يقول فى بعض كتبه :

«لا تحدونى أية رغبة فى اقناع الآخرين ، أو كسب تلاميذ أو انصار من بينهم ، إن كل ما أفعله هو أننى أشع أية حقيقة يخيل لي اننى اهتديت اليها ، وللآخرين أن يلتقطوها أو يتركوها إذا أرادوا ، إن عليهم أن يتقدموا نحوى بكامل ارادتهم الحرة وليس لأنى أريد أن أقوم بينهم بدور المبشر ، فأنا لا أريد أن أحول أحداً عن معتقداته أو أرغمه على معتقداتى ، وبصراحة أقول انى لم أفطن لكونى مكلفاً بأية رسالة الى هذا العالم ، كما اننى مستقل عن كل الولاءات ولا أنتمى الى أية مدرسة دينية أو فلسفية أو عقائدية محددة ، ولكن الشيء الوحيد الذى يعنينى القيام به ، إذا منحنى الله القدرة على ذلك ، أن أجعل الناس أكثر وعياً بقيمة نفوسهم ، وأن أقدم لهم ما أعتقد أنه حقائق قد أخفيت بطريقة أنانية أو اكتشفت فى الماضى ثم شوهت بحماقة مع مرور الزمن .

محمد العزب موسى

الإضراب عن الزواج

إننى احترم المرأة وأقدر دورها فى بناء الأسرة والمجتمع ، وبخاصة المرأة العاملة والمثقفة ، فليس إضرابى عن الزواج ناتجاً عن عدم تقديرى للمرأة أو للدور الذى تقوم به فى حياتنا ، ولكنه يرجع إلى سبب آخر أقوله بمنتهى الصراحة : لقد تعودت أن أعيش شجاعاً ومرفوع الرأس ، والزواج بمسئولياته ومشكلاته قد يرغم إنساناً مثلى على أن يتخلى عن شجاعته وهو يواجه الحياة من أجل مستقبله ومستقبل أولاده . وأنا لا أريد أن أكون هذا الرجل . وقد يرغمه أيضاً — فى سبيل ذلك — على أن يحنى رأسه لمطالب العيش وضغط الحاجة .. ومرة أخرى لا أريد أن أكون هذا الرجل .. وأؤكد لك أننى أتحمل من المسئوليات ما يفوق إنشاء بيت وتكوين أسرة ، فليس موقفى هروباً من المسئولية أو من تحمل التبعات ، ولاتنسى آخر الأمر أننى أشعر بعد أن تجاوزت الأربعين أننى قد تجاوزت مرحلة الشباب المتفتح للحياة .

الناقد المصرى الراحل أنور المعداوى
في حديث له قبل وفاته سنة ١٩٦٥ بعام واحد

ليلة العجب

عباس خضر

قال محمود لزوجته نبيلة بعد أن وضعت سماعة التليفون :

ــ من كنت تكلمين ؟

قالت فى لهجة مستاءة :

ــ سميحة .

ــ وما لك منفعلة هكذا ؟

ــ «قال ايه» .. تريد أن تشترى فستانا ؟

ــ تشترى ، وأنت لماذا غاضبة ؟

ــ ألا تعرف لماذا ؟ لأنها تريد أن أنزل معها الى السوق وأعاونها فى اختيار فستان ..

ــ وماذا فى ذلك ؟ فهى دائماً تستعين بذوقك فى اختيار اللون وبراعتك فى الشراء .

ــ ولكن فى هذه المرة تريد أن تؤجل موعدنا الليلة لزيارة منيرة وزوجها بعد أن خرجا من المستشفى ، وقد ارتبطت مع منيرة على ذلك .

ــ حقاً ، هذه الزيارة مهمة ، يجب أن نطمئن عليهما بعد حادث السيارة الذى وقع لهما .

قالت نبيلة وقد تمكن الغضب منها :

ــ هل تريد (حضرتها) أن ألغى مواعيدى من أجل سواد عينيها .. ؟ لا ، لست تحت أمرها .. يجب أن تفهم ذلك ، لن أمكنها من أن تتعود على ذلك .

ــ ستغضب منك .

ــ فلتغضب ..

ــ ولكنها على كل حال صديقتك ، ثم هى تعتمد عليك .

ــ حتى زوجها يضيق بتسكعها فى المحال التجارية ويتهرب منها .. فلا تجد إلا إياى توافقها على هواها ..

قال محمود وكأنما يبغى تغيير الموضوع الذى أثار انفعال زوجته :

ــ ألا قولى لى يا نبيلة ، هل سميحة متخرجة من الجامعة ؟

ــ نعم ، ولم هذا السؤال ؟

ــ أتذكرين يوم أن كنا عندهم فى ذلك اليوم ــ وأظنه كان يوم جمعة ــ فأردت أن أتمدد بعد الغداء وأتصفح بعض الكتب أو المجلات ، لم أجد عندهم أى كتاب ولا مجلة ولا جريدة اليوم التى قرأتها أنا فى الصباح ، تصورى أنها مدرسة دين وليس فى منزلها مصحف !

ــ إنها لا تعرف فى الدين أكثر مما تتداوله العاميات .. أنا مدرسة علوم وأعرف فى الدين أكثر منها ..

ــ وكيف حصلت إذن هى على «الليسانس» ؟

قالت نبيلة وهى تحس فى أعماقها بانها مثل صاحبتها سميحة فى ذلك ، ومما يضايقها من زوجها محمود انغماسه أحياناً فى قراءة كتاب ــ قالت :

ــ أوه .. ياما ليسانسات !

ــ شىء مؤسف أن تصبح الشهادات العلمية بمثابة بطاقات تموين فقط !

قالت نبيلة وكأنها تدافع عن نفسها :

ــ ألم يتعلم الخريجون والخريجات فى كلياتهم ما فيه الكفاية ؟

ــ كلا ، فالمفروض أن يواصلوا اطلاعهم ، وإلا فكأنهم لم يتعلموا ، حتى ما درسوه وامتحنوا فيه ينسونه .. والنتيجة أن الجامعات أصبحت «معامل تفريخ» للقوى العاملة أو «الضعف غير العامل» المتمثل فى الموظفين والموظفات ! والمصيبة أن المعلمين والمعلمات أقل الناس علماً واطلاعاً !

ــ هل هناك وقت للقراءة والاطلاع ؟

ــ أؤكد لك أن من يريد أن يقرأ لا يعوقه شىء .

كان فكر نبيلة مشغولا بسميحة والخروج معها الى السوق . ساد صمت قطعته بقولها :

أــ لابد أنها الآن تغلى ، هل أنا تحت يدها فبمجرد أن تشير إلى أجرى اليها ؟

● ● ●

كانت سميحة فعلا تغلى من الغيظ ..

ــ لا تريد أن تذهب معى ؟ لا ذهبت .. فلأذهب أنا وأشترى ما أريد . وماذا لو أجلت زيارة منيرة الى الغد ؟ طيب يا نبيلة ..

كانت كأنها تحدث نفسها ، وزوجها يسمع ساكتاً .. واستمرت تقول :

ــ هى تظن نفسها ماذا ؟ أنا أحسن منها وألبس أحسن منها ..

قال حمدى زوجها :

ــ ولكن لا تنسي يا حبيبتى أنها كانت تنتقى لك الملابس .

ــ تنتقى لى ؟ ماذا تعنى ؟ أتقصد أنى لا أعرف كيف أشترى لنفسى ؟

ــ لا يا حبيبتى لا أقصد ذلك . أردت أن أقول انها كانت ترافقك وتعاونك .

ــ سترى كيف أنتقى لنفسى . قم بنا نذهب بسيارتنا .

كان الزوجان قد عملا بضع سنين فى



احدى البلاد العربية البترولية ، وجلبا فيما جلبا معهما سيارة تعلم عليها الزوج القيادة هناك ، أما هى فلم تستطع ، لأن قيادة النساء للسيارات ممنوعة هناك ، أو هى ممنوعة بحكم الأوضـــاع الاجتماعية ، فهى لا تخرج إلا محتجبة تلبس العباءة السابغة ، وليس من المألوف أن تسير المرأة وحدها ، لهذا كان يستريح حمدى الى مرافقة احدى الزميلات لزوجته ، إذ تدلفان الى المحال التجارية ، وهو ينتظر فى السيارة أو يقصد الى قهوة مختفية فى «زقاق» ويطلب «تعميرة» وكوباً من الشاى ، يقضى الوقت فى التدخين ورشف الشاى. والقهوات هناك أماكن جانبية لا يحتل روادها الأرصفة والنواصى كما فى القاهرة مثلا ، يتطلعون الى الغاديات والرائحات ..

وفى القاهرة ،حيث نحن الآن وقعت الموافقة بين نبيلة وسميحة ، وحيث لابأس على النساء فى تجوالهن منفردات جعلت سميحة تنتقل بين المحال التجارية مقارنة بين الأسعار والأنواع ، وهى تشعر أنها تتحدى .. تتحدى من ؟ هى تتحدى والسلام ..

على حين جلس حمدى ينتظرها فى السيارة ، وقد نَدِم على أنه لم يحضر رواية يتسلى بقراءتها ، وهو يزمع ذلك ، وينسى ، ويندم دائماً .

كما ينسى أن يسأل الأستاذ محمود عن الروايات وأيها يصلح للتسلية ؟ فقد حاول – أى حمدى – مرة أن يقرأ رواية فوجد دمها ثقيلا عليه .. لم يكمل تعليمه إذ اقتصر على إتمام المرحلة الثانوية ، وإن كان لا يختلف كثيراً عن زوجته سميحة فى المستوى التعليمى ، ولكنه يختلف عنها فى خبرته الحياتية العميقة الشاملة . وكان أهلها يعارضون فى زواجه بها لأنه لا يحمل مثلها شهادة عالية ، ولكنها تزوجته بارادتها لأنها تحبه .

● ● ●

محمود فى منتهى العجب والاندهاش .. ترامى الى سمعه وهو فى حجرته فرقعة قبلات .. وأصوات نسائية تبين منها :

«أهلا يا سميحة ، أهلا يا حبيبتى ، وحشانى موت ..»

ثم مد بصره الى الصالة فرأى سميحة وزوجته نبيلة فى عناق وتفرقع بينهما القبلات !

يا للعجب ! ولكن لا عجب تحت الشمس .

ثم جلست «الصديقتان» فى حجرة الجلوس ، ووضعت أمام سميحة أطباق الحلوى والفاكهة . وجرت كلمات مثل :

كلى من هذا فهو صنع يدى ، سلمت يداك ، لابد أنه لا يعجبك لأنك لم تأكلى منه كثيراً .. الى آخر العبارات النسائية المألوفة والتى تتضمن افتخار صاحبة البيت بما عندها .

سلم محمود ، ثم انتحى جانباً يريد البعد عن ضجة الأولاد : ولديهما الصغيرين وابنة سميحة الصغيرة «العفريتة» .

ورأى أن يفتح التليفزيون ليجذب انتباه الأطفال ويحد من ضجتهم ، وكان الوقت موعد برنامج الأطفال ، وظهر على الشاشة الصغيرة فيلم كرتون ، فجذب انتباه الأطفال فعلا ، واستغرقوا فى مشاهدته .

ومن العجيب عنده أن يرى الصغار يلتفتون أشد الالتفات الى أفلام الكرتون، كما يشاركهم فى هذا بعض الكبار ، وهو يضيق بها كما يضيق بلعبة الكرة التى تذاع بالتليفزيون فى أحيان كثيرة . وإن التفت الى تلك الأفلام لا يفهمها كما يفهمها الصغار .. وهذا وجه العجب !

وجاء بعد برنامج الأطفال برنامج للكبار ، هو «أحداث الأسبوع». فشغل بمشاهدته ، على حين نام بعض الأولاد ، وانشغل من لم ينم منهم بمشاهدة الصور التى تظهر فى خلال الكلام .

وكان «لقاء الأسبوع» بين زعيمين عرفا بعداء كل منهما للآخر وتبادلهما الشتائم والاتهامات فى الخطب والتصريحات ، وطالما صالت الصحف المنتمية لأحدهما ضد الآخر وجالت فى كيل الشتائم والاتهام بالخيانة القومية .

ورأى على الشاشة الزعيمين يلتقيان فى مكان ما ، ويتعانقان ، ويقبل كل منهما الآخر ..

إنها ليلة العجب ، ولكن لا عجب تحت الشمس ...

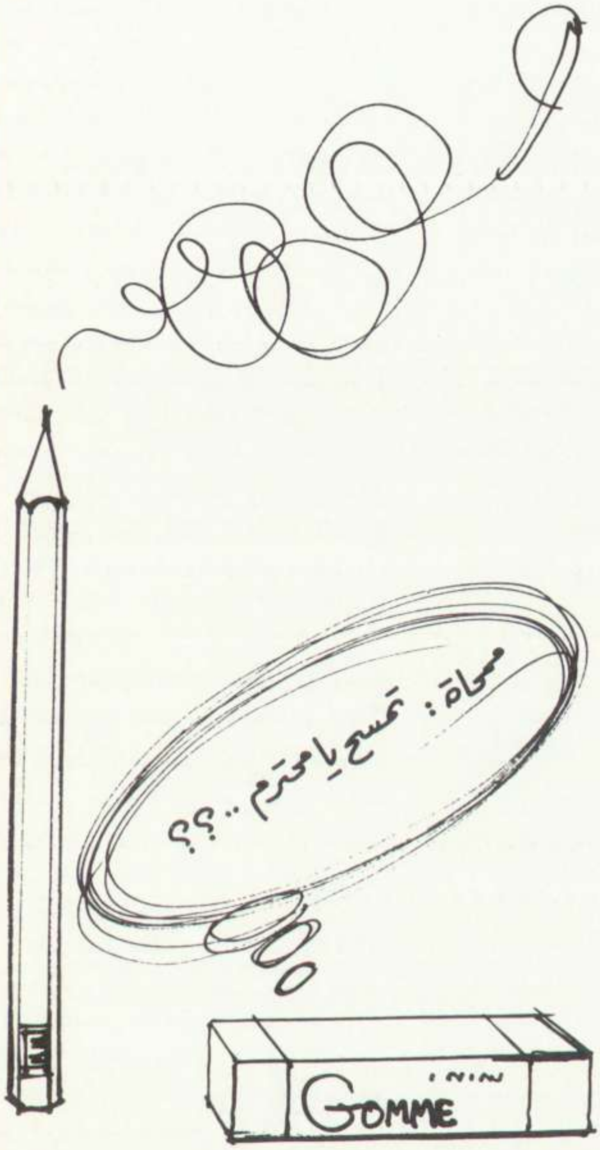
عباس خضر

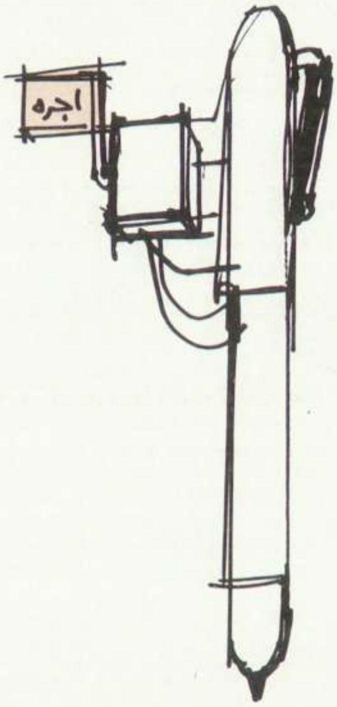


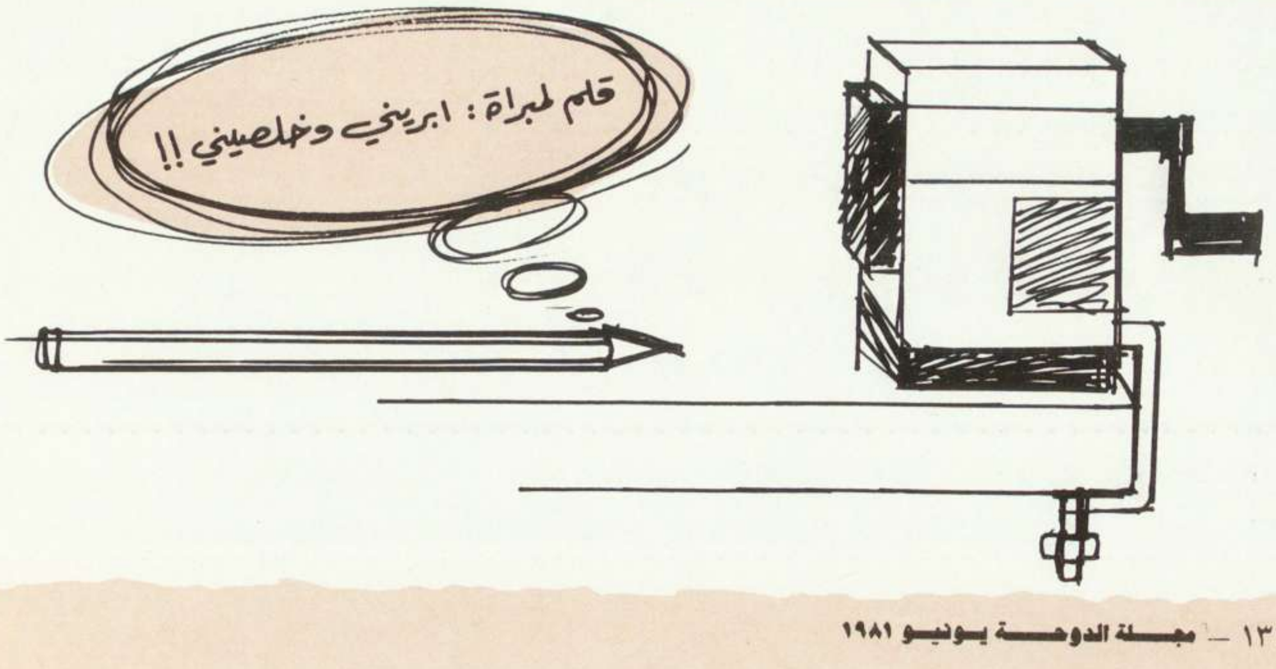
ضحكات الشهر

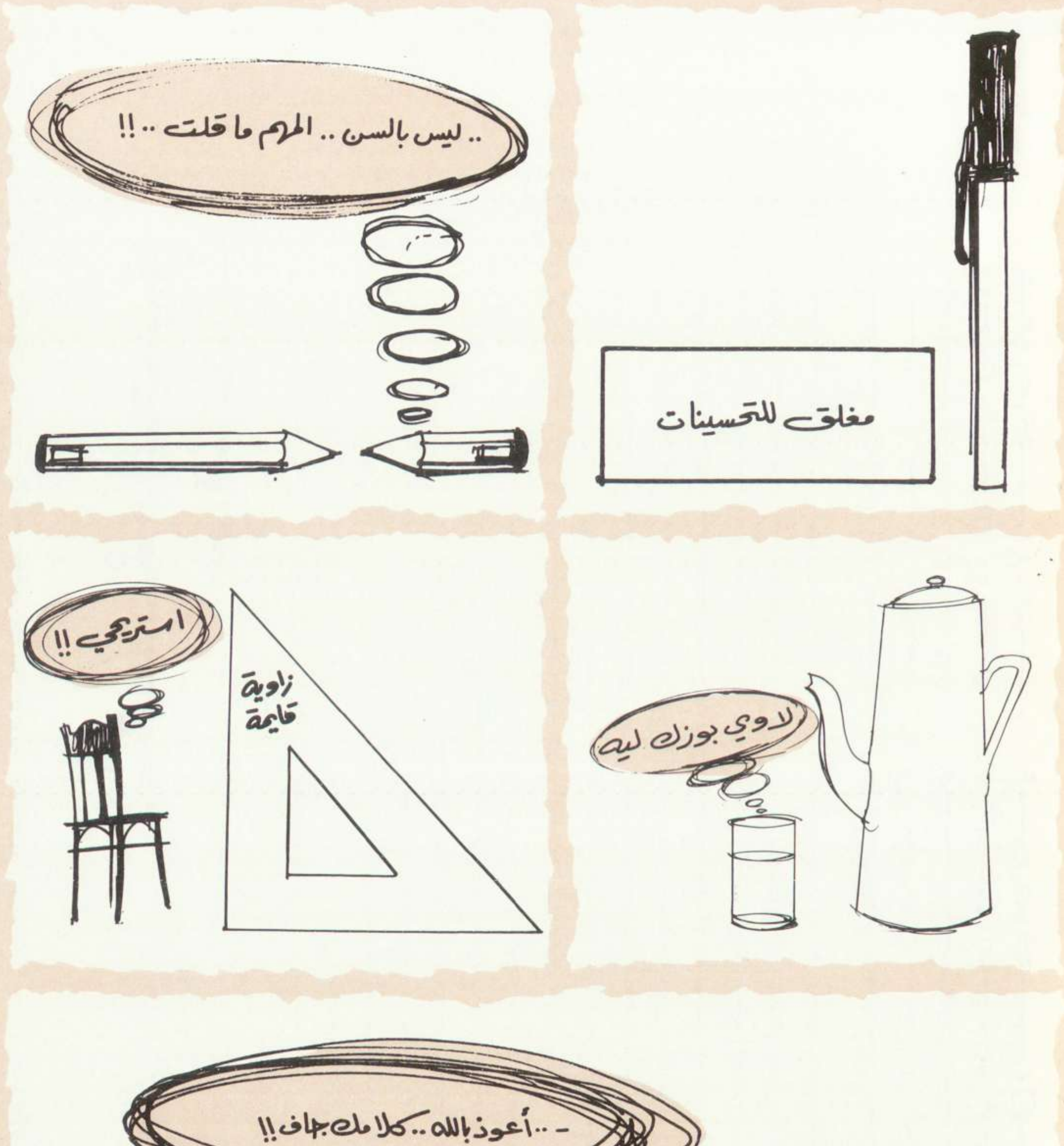


أشياء بتتكلم








مغلق للتحسينات
.. ليس بالسن .. المهم ما قلت .. !!
لاوي بوزك ليه
استريحي !!
زاوية
قايمة
- .. أعوذ بالله .. كلامك جاف !!
قلم جاف

بنفسجةٌ للجحيم

شعر : حسن طلب

الكساد
الوجوهُ الكساد
الجرادُ الوجوهُ الكساد
الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
الجُسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
للجحيم اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
بَنفْسَجَةٌ للجحيمِ اصْطَفَتنى الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
أنْ يا بنفسجةً للجحيم اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
حنانَيْكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيم اصْطَفَتنى الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
الوجومَ حنانيكِ أن يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفْسَجَةً للجحيم اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
الهُجومَ النجاةَ الوُجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيم اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجَةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
المقيمِ النجاةَ الهجومَ النَّجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسَجةً للجحيم اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسَجة للجحيم اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
هـذا السوادِ المقيمِ النَّجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانَيْكِ أنْ يا بنفسَجَةً للجحيم اصْطَفَتني الجُسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
سُوَيْداءُ هـذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانَيْكِ أنْ يا بنفسَجَةً للجحيم اصْطَفَتنى الجُسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد
السَّوادُ سُوَيْداءُ هـذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أن يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكساد

كَسادُ الكَوْنِ يمنعُني رُقادي — ويُشعِلُ لي قناديلَ السُّهادِ
فلَيْلي ، والصَّباحُ وما تلاهُ — سَوادٌ .. في سوادٍ .. في سوادِ
فصِرتُ كأنَّ جنًّا قيَّدَتْني — فلا ساقي تَخِبُّ ولا جَوادي
كأني ، والمكانُ ، ومَنْ عليْهِ — جمادٌ .. في جمادٍ .. في جمادِ
يُلَوِّحُ باثْنَتيْنِ من الأماني — غَدي ، لا باثنتينِ من الأيادي

فأصْرُخُ: وَيْ كأنّي واشْتَتَيْهِ ... فسَادُ.. في فسَادٍ.. في فسَادِ
فلاهَزَجٌ، فيَجْمَحُ بي قصيدي ... ولاخَبَبٌ، فيَجْنَحُ بي فؤادي
فمَتَلْبي، والحَبيبَةُ، والقَوافي ... رمَادُ.. في رمَادٍ.. في رمَادِ
فأيُّ الأشْأمَيْنِ: هَوًى وشِعْرٍ ... أُصَادِقُهُ؟ وأيُّهُمَا أُعَادي؟
وأسْمائي، إلى ألِفِي ويَائِي ... كَسَادُ.. في كَسَادٍ.. في كَسَادِ!

السَّوادُ سُوَيْدَاءُ هَذا السَّوادِ المقيمِ النَّجاةَ الهُجومَ النَّجاةَ الوُجومَ حَنَانَيْكِ أَنْ يَابَنَفْسَجَةً للجَحيمِ اصْطَفَتْنِي الجُسُومُ الفَسادُ الجَرادُ الوُجوهُ الكَسَادْ
السوادُ سويداءُ هذا السّوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطفتني الجُسومُ الفسادُ الجرادُ الوُجوهْ
السوادُ سويداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطفتني الجسومُ الفسادُ الجرادْ
السوادُ سويداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطفتني الجسومُ الفسادْ
السوادُ سويداءُ هذا السّوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطفتني الجُسومْ
السوادُ سويداءُ هذا السّوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطفتني
السوادُ سويْداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا بنفسجةً للجحيمْ
السوادُ سويداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيك أنْ يا بنفسجةْ
السوادُ سويداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يا
السوادُ سويداءُ هذا السّوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ
السوادُ سويداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوُجومَ حنانيكِ
السوادُ سويداءُ هذا السّوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوُجومَ
السوادُ سويداءُ هذا السّوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةْ
السوادُ سويداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومْ
السوادُ سويداءُ هذا السوادِ المقيمِ النجاةْ
السوادُ سويْداءُ هذا السوادِ المقيمْ
السوادُ سويْداءُ هذا السوادْ
السوادُ سويْداءُ هذا
السَّوادُ سُويْداءْ
السَّوادْ

تنشر الدوحة هذه التجربة الشعرية الجديدة للشاعر حسن طلب بهدف أساسى هو «فتح باب الاجتهاد فى الشعر العربى» حتى لا يظل هذا الباب مغلقاً أمام المجتهدين والمجددين من الشعراء ، ونحن نطرح هذه التجربة الشعرية أمام الباحثين والنقاد والقراء ، ليروا فيها رأيهم بالتأييد أو الاعتراض ، وسوف تنشر الدوحة ما تتلقاه من تعليقات حول هذه التجربة الشعرية سواء كانت هذه الآراء بالنقد للتجربة والرفض لها ، أو كانت مساندة ومؤيدة .



عزيزي القارئ

ـ ترى ماذا كان يجرى فى مثل هذه اللحظة منذ قرن كامل ؟ .. كيف كان الناس يعيشون ؟ . ماذا ياكلون ويشربون ؟ .. ماهى همومهم الصغيرة ، وماهى مشاكلهم الكبيرة ؟ . من يسمعون .. ولمن يخضعون وبماذا يحلمون ؟ . ماذا يقرأون ومن من الشعراء يحبون .. وكيف يكون الحال لو أن تاريخ العدد الذى بين يديك من « الدوحة » تغير من يونيه ١٩٨١ الى يونيه ١٨٨١ م ؟!

فى الطريق الى الاجابة ، بدأ الأمر مجرد خيال جموح لا يخلو من عبث جاد ، إلا انه لم يعد كذلك فى حين غرقنا بين مجلدات الدوريات الثقافية التى كانت تصدر منذ مائة سنة . تتخلق امامنا ملامح الماضى ، نشم رائحته ، نتحسس همومه وأحزانه وأحلامه ، نحاول أن نضحك من فكاهاته . مجلدات متواضعة ولكنها انيقة ، ووقور لكنها ليست ثقيلة الظل ، تُصَف حروفها يدوياً لذلك يندر الخطأ فيها . تطبع على مطابع حجرية وعلى ورق نباتى أصفر ذهب الزمن بلمعته . تباع بالقرش أو بالبارة أو بالفرنك وتنشر اسماء المتاجر التى تباع بها .

تصدر فى تونس ، أو القاهرة ، أو طرابلس ، أو الآستانة ، أو بيروت .

وتتلقى رسائل من قرائها فى قرى فلسطين ، وشمال العراق ، ونجوع اليمن ، بل ومن الهند وسان باولو . يحررها فى الغالب محرر واحد أو عدد قليل من المحررين . يكتبونها من الغلاف للغلاف ، ومع ذلك تبهرك اهتماماتها المتنوعة : علم النفس وعلم الجمال والموسيقى وفلسفة التاريخ ، والمتابعة المثابرة لكل جديد فى دنيا العلم والتكنولوجيا ،

مباحث عميقة بلغة رصينة حية مطوعة لشرح أعقد العلوم . من تقاليدها أن يتوسل المحرر للمشتركين مرتين أو ثلاث فى العام ليدفعوا الأقساط حتى تواصل المجلة دورها فى نشر العلم والمدنية فى ربوع البلاد العربية ، وأحيانا يرجوهم أن يعذروه لأنه سيعوضهم عن فترة تعطل صحيفته باهدائهم كتباً ثمينة «لأن رد الاشتراك عن فترة التعطيل محال ، ولا ذنب للمجلة فى عدم صدورها فقد عطلت لتداخلها فى الأمور البوليتيقية» !

وهى مجلات لا تكف عن التدخل فى أمور البوليتيقا جنباً الى جنب مع قصائد الشعراء وأبحاث الزراعة والصناعة وأخبار المكتشفات والاختراعات ، وأبواب النوادر والطرائف ومجادلات النحاة والنقاد ، تتقدم بجسارة لتقود الوطن فى طريق العقلانية والاستنارة وتبشر بحرية الرأى والمعتقد والضمير ، وتحرث الأرض ليقظة عربية بدا مخاضها آنذاك !

مجلات يحررها جيل من العمالقة لم يجد بمثلهم زمن واحد : الطهطاوى ، والأفغانى ، والشدياق ، والنديم ، وآل البستانى ، وآل شميل . نمر وصروف . محررون يقرأون الموسوعات ويؤلفون الكتب ويحققون المخطوطات ، ويكتبون مقالات فى الأدب والطب وعلم الفيزياء وتفسير الأحلام ، فاذا ما انتهوا من كل هذا تفرغوا للرد على رسائل المشتركين ، وساعدوا العمال فى طي النسخ وتغليفها قبل أن يحملها البريد الى قرائها فى أربعة أرجاء المعمورة !

خيالنا الجموح ، قادنا الى متحف الصحف القديمة .. بعد خطوات من البداية غرقنا تماماً فيه ، نسينا حتى السؤال الذى رحلنا نبحث له عن اجابة . بعد كل مقال .. وبعد كل صفحة ، كنا نتذكر هؤلاء الذين تعودوا أن ينظروا بخجل الى كل ماضينا .. كأنه عورتنا التى ينبغى أن نسترها ، وجريمتنا التى يتعين أن ننكرها .. فى أعقاب كل مقال ونحن نتساءل بدهشة عن موطن الجريمة فى هذا الماضى الجليل ، الفوار بالأحلام ، والممتلىء بالطموح النبيل للعدل والحرية والاستقلال !

هذه وبعد عزيزى القارىء .. مقتطفات من المجلة التى كان يقرأها جد أبيك .. وربما جد جدك عليهما رضوان الله ورحمته ..

إذا استطاعت أن تجعلك تنظر الى الماضى دون خجل .. فقد حققت هدفها ، فنحن نؤمن أن من فات قديمه تاه .. وقد تهنا نحن العرب أكثر مما يحتمل .

«صلاح الدين المقريزى»

انظر إلى الماضي دون خجل

مجلة ثقافية
لمنشئها ومحررها صلاح الدين المقريزي
العدد رقم "١" - مايو ١٨٨١



لقطة



الشاعر في بداية القرن التاسع عشر كما رسمه فنان الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ـ ١٨٠١)

تعطيل الجوائب إلى برهة ما

في يوم الجمعة الماضي جاءنا مدير المطبوعات بالأخطار الآتي متضمنا تعطيل الجوائب مدة ما فنشرنا هذه العلاوة إشهاراً بذلك لحضرة المشتركين في الجوائب ، وهذه ترجمة الأخطار المذكور :

« من حيث انه وجد بعض مقالات أدرجت في نسخ الجوائب الأخيرة اشتملت على أفكار سيئة لا يجوز نشرها قد قفلت اعتبارا من هذا اليوم في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٩٨ (١٨٨١/٤/٢٣) . فغاية ما نقوله الآن انه حيث لم يصرح في هذا الأخطار بالمقالات المسيئة التي نشرتها «الجوائب» ليتأتى لنا اجتنابها لا يمكننا الخوض في ذلك فنشرنا الاخطار بدون تعرض للمناقشة فيه .

وحيث ان الباب العالي لم يعين مدة التعطيل يترجح عندنا أنها غير مديدة . ومهما يكن فانا بعد استئناف طبع الجوائب نعلن المشتركين إذا كنا نسقط عنهم مدة التعطيل أو نعطهم في مقابلها بعض كتب من الجاري طبعها مثل احصائيات الممالك وغيرها .

سليم فارس الشدياق

انظر إلى الماضي دون خجل



تأثير الموسيقى

كتب الدكتور جنغس الطبيب الباريسى المشهور رسالة الى احدى جرائد لندن يتكلم فيها على المعالجة بالموسيقى ونفعها فى تسكين الأمراض ومن جملة ماذكره فيها انه لا ريب فى تاثير الموسيقى أو الألحان فى النفوس والاجسام البشرية .

وذهب فيثاغوروس الى أن الألحان علاج ينجح فى امراض مختلفة وذهب مذهبه كثيرون من الأطباء على توالى القرون الى هذه الساعة . وقال اسكيلور أن الألحان تؤثر فى الجسم البشرى باهتزاز اعصاب معينة تاثيرا طبيعيا وتؤثر فى الأخلاق تاثيرا أدبياً وقال غيره من العلماء الأطباء انى عالجت بالحلن الموسيقى كثيرا من الأمراض العقلية فكانت تهدى الأذهان المضطربة والنفوس الهائجة وتسكن الجنون وإن لم تبرى المجنون ولذلك ينبغى استعمالها ولا يجوز اهمالها . واقام بينيل اقطع الحجج على نفع الالحان وتاثيرها فى الأذهان فى خطابه العلمى فى الأمراض العقلية . والآن يعالجون المجانين بالموسيقى فى كل المستشفيات المشهورة فى اوربا ويشهدون بتاثيرها النافع فى العقول والأخلاق واعتقاد نفع الموسيقى فى الطب قديم جدا . حكى بندار قال أن اسكولا بيوش نفسه عالج بالموسيقى كثيرين من المصابين (قلت وللاولين فى تاثير الموسيقى اعظم مما ذكر) قال بعضهم أن الألحان تؤثر فى كل حي وزاد على ذلك احد شعراء سورية المحدثين بأنها تؤثر فى الجماد فقال :

فشدت فاطربت الجماد وهيجت
حتى علمنا كيف يحيى البوق

النشرة الأسبوعية

التقدم



أديب اسحاق

قد سررنا بتحسن التقدم واتساع دائرته بهمة اللبيب البارع اديب افندى اسحق وقد نقلنا عنه ما ياتى من مقاله فى الحقوق والواجبات .

« من عرض نفسه لعاديات الطبيعة من الحر والبرد والجوع بما يوسوس فيه الجهل مختاراً فى ذلك غير مضطر ولا ملتمس منه نفعاً قريباً معلوماً . ومن عدا على البدن بما يؤلمه من ضرب وجلد وتمزيق واهمال بما يزين له الوهم راضياً فى ذلك غير مكره ولا مستفيد منه له شيئاً . ومن شوه الجسم او اسقط منه عضوا لازما مفيدا كائنا ما كان ذاك العضو بما يموه له الطمع او الخيال الفاسد عامدا فى ذلك غير مجبر ولا مفتد سائر البدن بذلك الجزء كمن يقطع اليد المتغنغرة وقاية لبقية الجسم . ومن انتزا على حريته الذاتية بالمحو او الانقاص او الاضعاف بما يبعث عليه الكسل أو الغباوة أو دناءة النفس راغباً فى ذلك غير مقسور عليه . كل هؤلاء مخالفون لاحكام الطبيعة مناقضون للحكمة الالهية الأزلية التى هى عين الجمال ومظهر الكمال ومصدر الوجود وعلة البقاء » .

ترجمة ماريت باشا نقلاً عن المحروسة

ولد أوغست ماريت باشا عام ١٨٢١ فى بولونى سورمير وتلقى العلوم فيها وكان شديد الرغبة فى المطالعة والكتابة فالف كتاباً فى اسماء المدن القديمة والقلبها ثم رغب فى تعلم الهيروكليف فافرغ فيه جهده .

وفى سنة ١٨٤٨ عين كاتباً فى غرفة الآثار المصرية فى قصر اللوفر بباريس وفى سنة ١٨٥٠ ارسلته الحكومة الفرنسوية الى مصر بمأمورية علمية فذهب الى حيث كانت مدينة منف أو ممفيس وشرع يحفر فى تلك الأرض متجولا من منف الى أبيدوس وثيبت وسقاره وكرناك ودندره وجبل برقل وغيرها من الجهات يستطلع خباياها ويستخرج دفائنها وآثارها فاكتشفت تحت رمالها هيكل الاله سيرابيس وقبور ثيران ابيس ومصطبة تي وشيئا كثيرا من الآثار القديمة ولبث فى تلك الفيافى أربع سنين يشق أحياء الأرض فاستكشف السرابيوم فى منف وكشط الرمل عن أبو الهول فتحقق له أن هذا التمثال العظيم منحوت فى صخر كبير وجد فى تلك الأرض التى لايزال عليها وبعد ذلك عاد من مصر وعين حافظاً لغرفة الآثار المصرية فى قصر اللوفر . وفى سنة ١٨٥٥ أرسل الى برلين لتفقد ما فيها من الآثار المصرية ونال مكافاة على اتعابه نيشان النسر الأحمر ثم عاد الى مصر وعين مفتشاً على الآثار ومحافظاً عليها ثم سمى مديراً لدار الآثار فى بولاق ونال رتبة الميرالاى فصار ماريت بك . وفى سنة ١٨٧٤ نال الجزاء الكبير الذى عينته جمعية العلوم بمصر لمن يحرز قصب السبق فى علوم الآثار (ومقدار هذا الجزاء فيما أظن ٢٠ ألف فرنك) وفى سنة ١٨٧٨ عين عضواً لجمعية الآثار والكتابات والرسوم القديمة فى باريس (اكاديمى ديزنسكريبسيون) وكان قبل ذلك مراسلا لها منذ سنة ١٨٦٢ ونال فى سنة ١٨٦١ نيشان اللجيون دونور برتبة اوفيسيه من حكومة فرنسا ثم ترفعت هذه الرتبة

جوائز المؤلفين في بلاد الإنكليز وأرباحهم

قالت الجريدة الانجليزية المسماه جمس غازيت أن اعظم ربح لمؤلف هو ما أعطيه لورد بيكونسفيلد وزير انكلترا الأول السابق على رواية الفها وهى روايته المسماه أنديمون . فانه باعها بعشرة آلاف ليرا انكليزية . وكان ربح واشنتون ارفنغ على كتاب هو أول مؤلفاته فى انكلترا الف ليرا انكليزية وكان ربحه فى كتاب آخر اسمه براسيبردج هال الفى ليرا انكليزية وربح كتاب آخر اسمه (تلس اف اترافلر) أى (قصص المسافر) ثلاثة الاف ليرة انكليزية من المستر مورى . واعطى هذا المستر بيرون (الشاعر الانكليزى المشهور) ١٧ الف ليرا انكليزية على اشعاره المختلفة ورواياته . وكان ربح مور من كتابه ترجمة بيرون ٤ آلاف ليرا انكليزية وكان ربح المؤلفين فى القرن الماضى ليست بكثيرة فكان ربح الدكتور بطرسن من تاريخ كارلوس الخامس اربعة آلاف وخمسمائة ليرا . وربح جنسون من كتابه ترجملت الشعراء مئتى ليرا ومن كتابه المسمى راسيلاس مئة ليرا ومن كتابه فى متن اللغة الف وخمسمائة ليرة وباع الكتاب المعروف بذى ويكار واكفلد لغولد سميث بستين ليرا . وربحت مس برنى من كتابها المسمى افيلينا عشرين ليرا ومن كتابها فى سيسيليا الفى ليرا . ومن كتابها المسمى كاميلا ثلاثة آلاف ليرا .

النشرة الأسبوعية

الآثار القديمة

ذكرت احدى الجرائد أن قد اكتشف أخيرا على مدينة بابلية بالقرب من بغداد موقعها على الترعة القديمة ولقد لقي فيها المكتشف المعلم هورموزد راسام بعض كتابات تدل على عتيق عهدها محررة بخطوط المديانيين والعجميين والمصريين الأقدمين أما المعلم هورموزد فهو الآن يناظر حفراً فى انحاء نينوى وبابل .

(الأهرام)

قاموس الجرائد والبنوك

بعث الينا مستر هبرد من نيوهافن بالولايات المتحدة الاميركانية مثالا لقاموس عام لجرائد الدنيا وبنوكها وكل ما يتعلق بها وهو قاموس كثير الابواب واسع المباحث وقد رأينا فى المثال المرسل لنا أن فى الدنيا نحوا من ثلاثين الف جريدة وأن ٨٢١١ من هذه الجرائد تطبع فى الولايات المتحدة ويصدر منها فى السنة ١٨٢٦٤٧٣٥٩٢ نسخة و٢٩٢٨ فى بريطانيا ويصدر منها فى السنة ١٧٣٤٨٤١٩٥٦ نسخة وانه يطبع فى باريز وحدها نحو ١٢٠٠ جريدة وفى لندن قدر ذلك مع أن سكان لندن ضعفا سكان باريز . وانه يطبع فى الاستانة العلية احدى وأربعون جريدة يصدر منها كل مرة أقل من ٤٥ الف نسخة مع ان جريدة واحدة من جرائد لندن الاسبوعية وهى جريدة لويد يصدر منها كل اسبوع ست مئة الف نسخة وجريدة اخرى يومية وهى الدايلى تلغراف يصدر منها كل يوم مئتان وعشرون الف نسخة . أما جرائد الاستانة فمنها ثمان بالتركية وسبع بالأرمنية وست بالفرنساوية وخمس بالتركية والحروف الأرمنية وثلاث باليونانية وثلاث بالتركية والحروف اليونانية واثنتان بالبلغارية واثنتان بالعبرانية الاسبانيولية وواحدة بالعربية وواحدة بالفارسية وواحدة بالانكليزية وواحدة بالايطالية وواحدة بالانكليزية والفرنساوية .

عام ١٨٦٧ الى درجة كوماندور وترفعت ايضاً رتبته المصرية الى مقام الباشاوية .

توفى هذا الرجل فى ١٩ شهر يناير الماضى (ك٢ سنة ١٨٨١) بالغاً من العمر زهاء ٦٠ سنة فحتق على دار بولاق التى كان مديرها بل هو مبدعها وعلى جمعية العلوم بمصر وهو من أعضائها أن تلبسا السواد حزناً عليه .

وأما تاليف ماريبت باشا فهى عديدة منها :

«آثار شتى فى مصر والنوبة» «خمسة كراريس» سنة ١٨٧٢ «كرناك وآثارها» سنة ١٨٧٥ «دندره وهيكلها الكبير» سنة ١٨٨٠ «كـلام فـى الاستكشافات المصرية من سنة ١٨٥٠ الى ١٨٦٢» «آثار كرناك ونسبتها الى فلسطين وايثيوبيا وبلاد الصومال» سنة ١٨٧٥ «تذكرة فى والدة ابيس» سنة ١٨٥٦ «مختصر تاريخ مصر القديم» سنة ١٨٦٧ «نخب الآثار التى وجدت عند اكتشاف سرابيوم مفيس» سنة ١٨٥٦ «قبور الملوك الأقدمين فى سقاره» سنة ١٨٦٨ «ابيدوس وخباياها» سنة ١٨٨٠ وله غير ما ذكر عدة رسائل فى الآثار المصرية نشرت فى جرائد فرنسا العلمية .

فلهذا الرجل العظيم يحق القول :

إن آثارنا تدل علينـا
فانظروا بعدنا الى الآثار

إعلان

من المقرر المعلوم لدى الخصوص والعموم أن من الأمور اللازمة أن يكون لأهل البلاد العربية وكيل امين وله وقوف على الأحكام القانونية وعالماً باللغتين العربية والتركية ليقوم مقامهم فى مصالحهم المتعلقة فى الدوائر العالية بمحروسة الآستانة العلية. وقديماً وحديثاً مع تعاطى البيع والشراء فى أمور المتجر تعاطيت بعض المصالح فوقعت عند أهلها موقع القبول ، وحباً بابناء الجنس قد تصديت لهذه الوظيفة وان اكن لست لذلك أهلا ولكن لعل النية تكون مساعدة للعمل واعتمدت قبول من يكلفنى وكيلا عنه فى قضاء مصالحة من الأمور الموافقة للشرع وللنظام متوكلا على الملك العليم ومحل اقامتى بمحروسة الآستانة بمحمود باشا فى سلطان أوله لر .

كاتبه

الفقير محيى الدين خير الشامى



دوحة القراء

المسابقة

مَن

رحالة مسلم عبقرى ، استفاد الأوربيون من ترجمةكتبه كل الاستفادة . اسمه من ثمانية أحرف فى كلمتين :

٤ــ٣ــ٦ــ٨ أولاده

٨ــ٢ــ٧ نزل

٥ــ١ــ٤ــ٨ بئر قرب رأس خليج العقبة .

أين

المدينة العربية التى انشىء فيها أول متحف فى العالم بالقرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام . كان بها إحدى عجائب الدنيا السبع . اسمها من عشرة أحرف : ٣ــ٢ــ١ــ٤ــ٥ــ١٠

جزء من أمريكا الشمالية .

٦ــ٧ــ٨ــ٩ نعلم

ما

كان من عجائب الدنيا السبع فى الوطن العربى اسمه من كلمتين فى سبعة أحرف :

١ ـ ٧ ـ ٤ ـ ٧ طائر محبوب .

٦ ـ ٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ هـ اداة حرب

الإجابة الصحيحة

(١) كتاب «تهافت الفلاسفة» من تاليف : أبى حامد الغزالى ـ الشهيد سيد قطب ـ مصطفى صادق الرافعى

(٢) كفى بك داء أن ترى الموت شافياً
أكمل البيت وانسبه الى قائله .

(٣) نفى نابليون الى جزيرة سانت هيلانه ، ونفى سعد زغلول باشا الى جزيرة سيشل ، ونفى محمود باشا سامى البارودى الى جزيرة كانت تسمى سابقاً :
شراعوه ـ الاسحاط ـ سرنديب ـ تيران وصنافر .

(٤) « الزاج الأخضر » اسم اطلقه مؤسس علم الكيمياء جابر بن حيان الأزدى على ملح نعرفه فى الكيمياء المعاصرة باسم :
كبريتات الحديدوز ـ كبريتات الصوديوم ـ كبريتات الخارصين .

(٥) الخام الذى يستخرج منه الألمنيوم يسمى :
البوكسيت ـ الدولومايت ـ الهيماتايت .

(٦) شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم كان الشاعر :
حسان بن ثابت ـ عاصم بن ثابت ـ ثابت بن قرة .

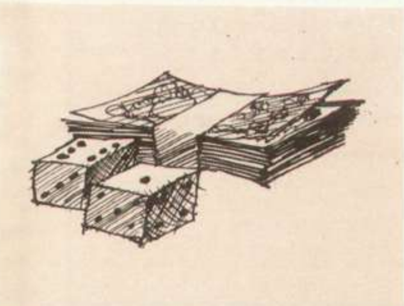
(٧) القائد الصهيونى الذى احتل مضيق نقب ام إتلا فى سيناء فى نكبة يونيو ١٩٦٧ هــو :
موشى ديان ـ ابريل شارون ـ اسرائيل طال .

(٨) الزعيم اليهودى الذى كانت سياسته المعلنة طرد العرب من فلسطين وبلاد الشام كلها الى الصحراء هو :
دافيد بن غوريون ـ جابوتنسكى ـ بلنسكر .

(٩) أول قائد للجيش المصرى فى حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨ كان المرحــوم :
أحمد عبد العزيز ـ أحمد فــؤاد صادق ـ محمد على المواوى .

(١٠) استشهد البطل عبد القادر الحسينى بمعركة حول القدس فى القسطل ـ دير ياسين ـ خان يونس

من أمثال الشعوب



● من السهولة أن تجود بمال غيرك .
« أمريكا »

● المسافة بين كلمة لا . . . وكلمة نعم عند المرأة ، لا تسمح بمرور رأس الابرة .
« اسبانيا »

● ينام عميقاً من لا يملك ما يخاف من فقدانه .
« فرنسا »

● من كد فى عناء ، أكل فى سعادة .
« الصين »

● الوقت والفرصة ليسا خادمين لأحد
« المانيا »

● خسر ومعه من بكى أمام القاضى .
« ايطاليا »

هيثم زرزر سوريا

حل مسابقة العدد ٦٤

مـن : شمشون .
أيـن : كشمير .
مـا : التلمود .

١ ـ ١٩٤٩
٢ ـ ٦ مرات .
٣ ـ الخوارزمى .
٤ ـ غير صحيحة لأن العقارب ليست حشرات ولكنها من عائلة العناكب ثمانية الأرجل والحشرات سداسية الأرجل .
٥ ـ ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
قائله : بشار بن برد .
٦ ـ حاييم وايزمان .
٧ ـ امرؤ القيس .
٨ ـ مروان الحمار .
هارون الرشيد
أحمد بن طولون
صلاح الدين الأيوبى
٩ ـ ١٩٢٥
١٠ ـ الحجر الجيرى .

الفائزون بنتيجة مسابقة العدد ٦٤

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارى: بدر عبد العزيز الخطيب / ١٠ شارع قطب شراره / طره البلد / حلوان / ج ٠ م ٠ ع ٠ .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عبد الجبار نبيه الجندلى / حمص / دار الارشاد للشئون الجامعية طالب حقوق / سوريا .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مناهل عثمان / الشريك / المدرسة الابتدائية / السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ هبه رباح غضبان ـ لبنان
٢ ـ محمود عبد الله علي ـ البحرين
٣ ـ صهيب عبد الله علي ـ أبو ظبى
٤ ـ أسماء أحمد الشريف ـ رأس الخيمة
٥ ـ عماد عبد الحميد نصار ـ الاردن
٦ ـ طايع الطرمان ـ الأردن
٧ ـ محمد باجس علي شحادة ـ الدوحة
٨ ـ عبد الله الانصارى ـ الدوحة
٩ ـ بشار وليد قنباز ـ سوريا
١٠ ـ زوزو السيد بغدادى ـ القاهرة
١١ ـ فخر الدين عليش ـ السودان
١٢ ـ صبرى محمد سالم ـ بورسعيد

يرجى من الأصدقاء القراء ، أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات لهم .

فى دقيقة واحدة



خلال دقيقة واحدة تقطع الأرض مسافة ١٧٥٠ كلم أثناء دورانها حول الشمس ، وتهب ٣٩ عاصفة ، ويهطل ٤٠٠ متر مكعب من المطر فوق سائر القارات ، ويتدفق ٣٥ ألف طن من مياه الأنهار فى بحار العالم .

وخلال دقيقة واحدة يموت ١٠٠ شخص ويرى ١١٤ طفلا نور الحياة ، منهم ١٢ من التوائم . وخلال الدقيقة ذاتها يتم زفاف ٣٤ زوجاً مقابل طلاق ٦ أزواج .

وفى كل دقيقة تجرى ٢٨٠ ألف مكالمة تليفونية ، ويدخن الناس ٦ ملايين سيجارة ، ويشرب سكان العالم ٣٩ ألف هكتولتر من مختلف المشروبات ، ويتناولون ٤ آلاف طن من الأطعمة ، ويستخرجون ٣ أطنان من الفحم ، وينتجون ٧٠٠ طن من الحديد والفولاذ ، و٤٦ ألف زوج من الأحذية .. !

فوزى المصمودى تونس

كلمات لها معنى

● « لو كان غرس الثقة سهلا كاثارة الشك لتغير حال الدنيـا » .

● « من الصعب أن تقرر أى الفريقين أكثر استفزازا لك : الأغبياء الذين لا يتكلمون أم الأذكياء الذين لا ينصتون »

● « بعض الرجال يقدمون مديحهم وكأنهم ينتظرون الحصول على إيصال بـه » .

● « إن أعمال بعض الأطفال تدل على أن آباءهم أبحروا فى محيط الزوجية دون مجداف » .

● « أكثر المدن اليوم تعانى من تصلب فى شرايين مواصلاتها » .

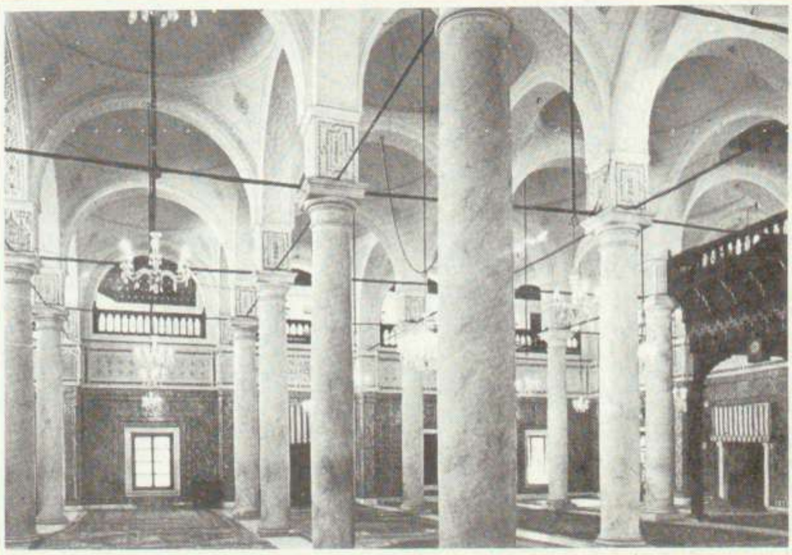
اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى
جمهورية مصر العربية



دوحة القراء

حـــاول أن تعـــرف ...





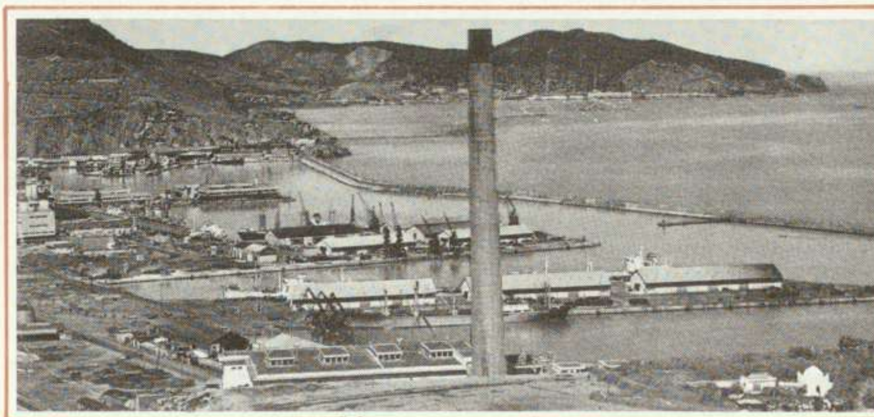
١ ـ مسجد جامع ينسب الى أحد الباشوات ويقع فى عاصمة دولة عربية .

ماأسم المسجد ، وما أسم المدينة التى يقع فيها ؟

٢ـ جزيرة تابعة لاحدى الدول العربية ، تسكن هذه الجزيرة ملايين من طيور الفلامانجو البحرية ، ويقصدها كثير من الناس لقضاء العطلات ماأسم هذه الجزيرة وما أسم الدولة ؟ .

حـــل مســـابقة حـــاول أن تعـــرف العـــدد ٦٤

الصورة لمدينة وهران بالجزائر :



١ـ باسم كمال محمود ـ الدوحـــة

٢ـ محمود حماد سالم الاسماعيلية

٣ـ عجوت عبد الحميد تيزى اوزو

٤ـ كمال كامل سلامة القاهـــرة

في أدب الزائـــر

إذا عزمت على زيارة أحد ، فاجعل ملبسك مهندماً لائقاً به ، ولدى وصولك الى منزله ، نفض حذائيك ، واقرع الباب بلطف ، فان أجبت الى قرعك فأعلن اسمك ، وانتظر الاذن بالدخول ، وإن لم يجب إليه فأعده حتى تظن أنه قد سمع ، وإن لم يفتح لك بعد ، فاعلم أن من تزوره غائب ، أو عنده ما يمنعه من مقابلتك ، وإياك والدخول بدون إذن ، والنظر الى داخل الدور من خصاص الباب ، أو ثقبة المفتاح أو نحوهما ، وإن أخبرك أحد بعدم مقابلة من تقصده ، فلا تبد علامات التكدر من ذلك ، بل انصرف بعد أن تطلب إليه أن يبلغه السلام ، أو تترك له بطاقتك تذكر فيها ما تريده .

أمين رشيد ـ المغرب

كلمات خالدة

● لم تكن جميع المؤلفات التى خطها قلمى ، سوى شذرات من اعترافات بالغة الخطورة .

(جوته)

● القلق مصدر خصب للأدب ، وهو الذى خلق لا مارتين ، وألفريد دى فينى ، والفريد دى موسيه وغيرهم كثير .

(طـه حسين)

● هنا ترقد زوجتى .. دعها ترقد فانها الآن فى راحـة ، .. وأنا أيضا .. !

(دريـدن)

● إذا اصطدمت النار بالجليد ، انتصر الجليد ، كذلك العقل ينهزم أمام القلب .

(سيجمون فرويد)

● الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يخجل .. لأنه الوحيد الذى يفعل ما يثير الخجـل .

(مارك تويـن)

● الضحك هو الشمس التى تزيل الشتاء فى وجه الانسان .

(فيكتور هوجو)

فتحى البوهادي ــ تونس

لقطة الشهر



اللقطة للزميل الفنان فتح الله العازم

من أقوال الحكماء

ــ رسولك ترجمان عقلك ، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك .

«الامام علي»

ــ قياس الحياة ليس فى طول بقائها .. ولكن فى قوة عطائها .

«كنت روث»

ــ بارك الله فى الرجل الذى يشغله عمله عن القلق فى النهار ويشغله النعاس عن القلق فى الليل .

«ليو ايكمان»

ــ أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله .

«الامام علي»

محمد حسن عبيد محمد
العراق

حل كاريكاتير وتعليق العدد ٦٤



● وراء كل رجل « عظيم امرأة ..!

مكرم بنزينة ــ تونس .

● بدى آكل من لحمك .. !

محمد محمود اسماعيل ــ الأردن

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

د. عماد الدين خليل

عندما يغدو التراث مسرحاً يلعب فيه الصغار

هكذا يغدو (التراث) مسرحاً للعب الصغار !!

إنها مودة العقدين الأخيرين وتقليدهما الشائع .. أن يدس كل واحد من المتعلمين الجدد .. أميين ومتعالمين وأنصاف مثقفين .. يدسون أنوفهم فى تراثنا العظيم .. وبعد خبط عشوائى فيه ، يخرجون وهم ينفضون ريشهم عن أوراقه وغباره المتراكم ويقولون معجبين : هذا نريده .. وهذا لا نريده !!

وإذا سألتهم : لماذا ؟

أجابوك ، وهم لا يزالون ينتفضون : هذا يصلح لعصرنا الراهن وهذا لا يصلح وتحسب ما يصلح وما لا يصلح فاذا به لا يعدو أن يكون واحداً بالألف .. وماذا عن القسم الأعظم من التراث .

يجيبوك : نحكم باعدامه !!

وقد يكون مما يصدر الحكم باعدامه تسعين بالمائة من أدبنا لأنه مكتوب على ورق أصفر .. وقد يكون ثمانين بالمائةمن معطياتنا التاريخية لأنها لم تلتزم المنهج الموضوعى (الحديث !!) فى البحث .. وقد يكون — أقسم لك — مائة بالمائة من فقهنا لأنه متحجر لا يصلح للقرن العشرين !!

التقيت فى حياتى الجامعية بعشرات من الطلبة دفعتهم مودة العقدين الأخيرين فيما يسمى بعملية الانتقاء من التراث ، إلى ادخالرؤوسهم فى كتبه وأكداســه ثم إخراجها ، بعد يوم أو يومين ، لا أكثر لكي يقولوا نريد هذا ولا نريد ذاك .. واتذكرهم جيدا .. لا يعرفون التسلسل الزمنى للخلفاء الراشدين .. ولا ما هو العصر المكي والعصر المدنى .. ولا فى أية سنة هاجرَ رسولنا عليه السلام الى المدينة .. ولماذا ؟ ولا يعرفون — كذلك — من هو طـه حسين أو الرافعي أو العقاد .. أما أسماء هيغل ،وتوينبى ، وسارتر ، وتولستوى ، وديكنز وهمنغوائ وبكت ويونسكو فانها ألغاز ومعميات ..

ومع ذلك يجدون انفسهم ، مدفوعين بهوس الموجة الى التراث لكي يقولوا كلمتهم .. هم أيضاً .. فيه .. !!

وويل لأمة يبلغ بها العبث بتاريخها وأمجادها ومآثرها التى انحنى لها الكبار فى الشرق والغرب .. أن تترك (صغارها) يحكمون فى (تراثها) .. اسمعتم عن مأساة تدعى الانتحار الثقافى ؟ إذن .. فهاهي ذى المأساة .

أن يصدر الحكم على أقسام كبيرة من التراث بالاعدام، أو الأشغال الشاقة ، أو الاقامة الجبرية .. أقسام قد تمتلك من الحيوية والفاعلية ما يؤهلها لأن تلعب دورها لا فى قرننا العشرين فحسب بل فى القرن الخامس والعشرين ..

وعلى يد من يكون الحكم ؟

طلبة متعالمون من الصنف الذى مر بنا قبل لحظات .. واساتذة جامعيون لا يعرفون من الثقافة الحقيقية الجادة إلا ألف بائها .. ولكن النظم الاكاديمية العتيقة ، التى هى بأمس الحاجة لاصلاح جذرى ، حملتهم الى سدة الماجستير والدكتوراه !! .

ولكم أن تتأكدوا بفحص عينات ممن تسلق الى هناك .. وما أكثرها .. يمضى على أحدهم عام وعامان وعشرة أعوام .. ولا من بحث يخرج من بين يديه ولا — حتى — من مقال . ويمضى على الآخر العقد والعقدان وهو متجمد على أطروحته .. مصلوب على غلافها الذى حمل شرف اللقب .. ماالذى حدث بعد انجاز الأطروحة إياها ، ماذا صدر من كتب ؟ ماذا شهد العالم من تيارات فى ميادين العلوم الانسانية وحقولها ؟ إنه لا يعرف عنها شيئا .. لأنه لا يريد أن يبرح مكانه ذاك .

واذا كان أصحاب الكهف والرقيم قد استيقظوا يومـاً — بارادة الله — لكى يعاينوا عالماً غير عالمهم .. ودنيا غير دنياهم .. فان هؤلاء ليس فى نيتهم أن يستيقظوا لكى تصدمهم آلاف الأشياء الجديدة والمعطيات التى ما خطرت لهم على بال يوم أنجزوا أطروحاتهم تلك ..

اننى لا أدافع عن التراث هنا أو أدعو للتشنج عليه .. فهو ليس شيئاً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وكثيراً ما قلت بان خلاص المسلم المعاصر هو فى ألا يستعبده التراث .. وأن يفتح عينيه جيداً على التيارات المعاصرة والثقافات المتجددة .. لكى يعرف كيف يسير العالم ، ولماذا يتعذب .. وكيف يكون الخلاص بالعقيدة التى أريد لها أن تكون مرفأ البشرية وصراطها المستقيم ..

ومع ذلك .. يبقى التراث .. ذو الأربعة عشر قرناً من العمر .. أكبر حجماً وأطول قامة .. من جل الذين أرادوا سبر أغواره فى أربعة عشر يوماً ، لكى يقولوا كلمتهم فيه .. ولكى يتقبلوا ويرفضوا بمقاييس صنعت على عجل .. صنعها الظن .. والتحيز .. والاندفاع .. والهوى ..


PEPSI



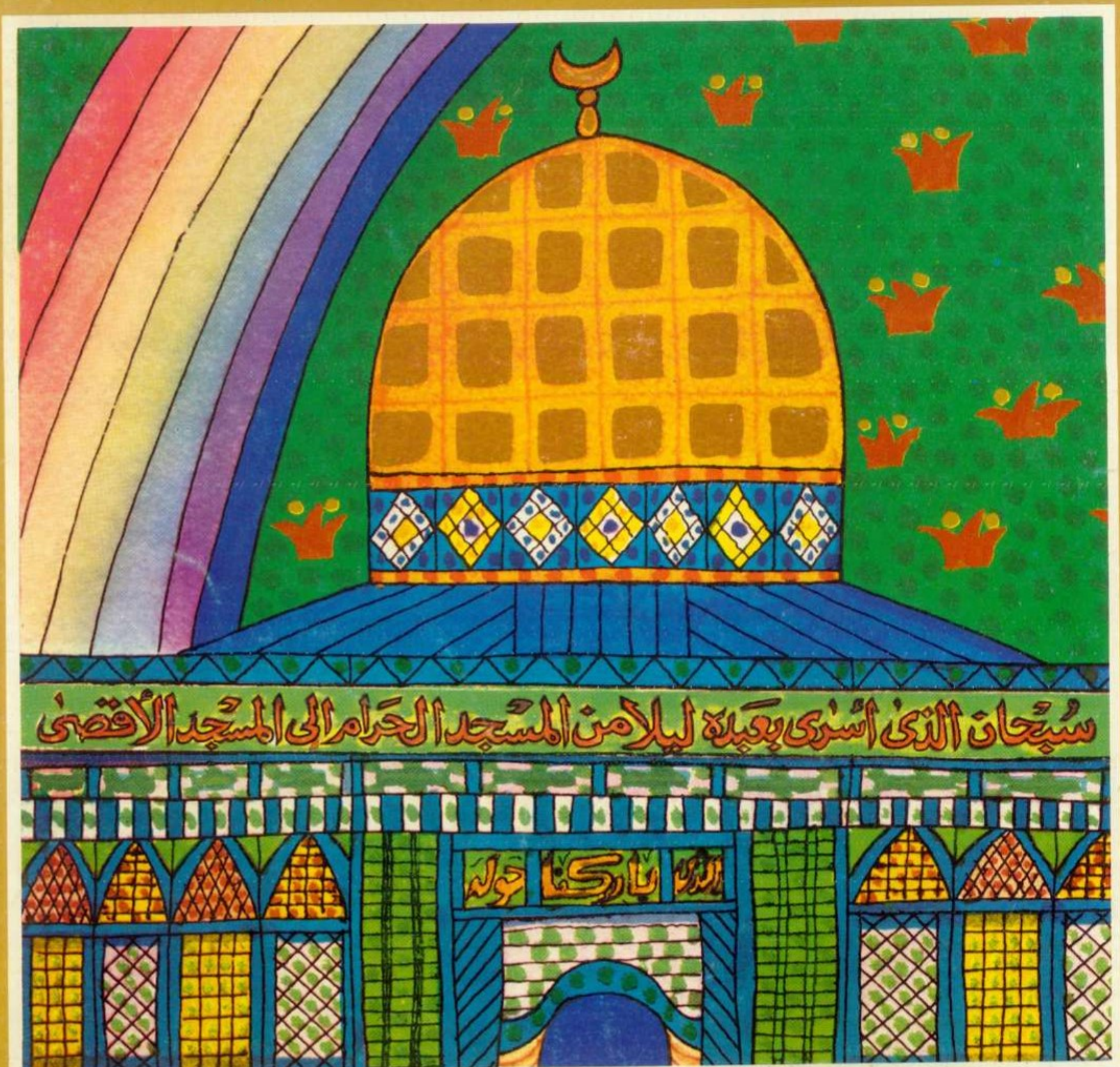
السنة السادسة العدد ٦٧ ـ رمضان ١٤٠١هـ ـ يولية ١٩٨١م .

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- أنصاف الثائرين — قصة جديدة للدكتور يوسف إدريس
- محنة الضمير العلمي في الجامعات العربية

منذ ثلاثة آلاف سنة : القدس هي القضية



مع العدد
هدية : لوحة القدس


MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٧ - رمضان ١٤٠١هـ - يولية ١٩٨١م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة او المجلة

طبعت بمطابع علي بن علي . الدوحة - قطر

في هذا العدد



د. محمد الانصاري



خالد محمد خالد



د. يوسف ادريس



د. عبد السلام العجيلي



عبد الرزاق البصير



محمد فتحي

كلمة

محنة الضمير العلمي في الجامعات العربيـة

تتحدث الأوساط الثقافية العربية همساً عن قضية مثيرة فى احدى الجامعات العربية ، وهذه القضية هى ان استاذاً قد اعتدى اعتداء علمياً صارخاً على «رسالة ماجستير» قدمتها احدى الطالبات فنقل الاستاذ ما جاء فى رسالة الطالبة ونشره على انه من تاليفه ، بعد شىء يسير من التعديل والاضافة ، ورغم التعديل والاضافة بقيت الرسالة الأصلية هى المصدر الأكبر والأوضح لكتاب الأستاذ الجامعى الكبير .

هذه الواقعة العلمية التى تتحدث عنها الأوساط الثقافية فى احدى الجامعات العربية ، لماذا تبقى همساً ولا تخرج الى النور بحقائقها ووثائقها المختلفة ، إن «الامانة العلمية» هى احدى الأسس الحضارية التى تقوم عليها المجتمعات الناهضة تلك المجتمعات التى تريد أن تبنى نفسها ومستقبلها وتخلق اجيالا جديدة قادرة على ان تتحمل مسئولية البناء الاجتماعى الصحيح ، فى كافة المجالات ، وعلى راسها المجال العلمى . وإذا كانت المجتمعات السليمة تتحمل ان يكون هناك تاجراً غير صادق ، او موظفاً غير ملتزم فلن هذه المجتمعات لا تتحمل ان يكون هناك علماء غير امناء وغير صادقين . فالعلماء هم ضمير الامة ، وهم القدوة والمثل الأعلى ، فلذا اهتز الضمير وفسدت القدوة والمثل العليا ، اضطرب كل شىء وساد فساد عظيم .

إذا كان بعض علماء الامة يرتكبون مثل هذه الخطايا الفكرية والاخلاقية ، فيجب ان يجدوا من يقول لهم : لا . ويجب ان يجدوا من يقول لهم إن الأمانة العلمية اساس فى بناء الجامعات والجامعات نفسها اساس صلب فى بناء المجتمعات . لقد كان «الأزهر» وهو اول جامعة كبرى فى العالم كله ، مصدراً للخير والنور والأمانة والصدق على مر العصور ، وكان الحكام ، يذهبون الى علمائه ، يطلبون النصح والمشورة والراى وكان العلماء يعطون للحكام اراءهم بضمير فيه صفاء ، وعقل فيه صدق ، ورأى ملىء بالخبرة والفكر والتجربة . وفى العصر الحديث كثيراً ما اتجه الزعماء السياسيون الى علماء الجامعة يتخذون منهم المستشارين الكبار ، واصحاب الراى فى القضايا الصعبة ، بل إن احد اكبر المناصب فى العالم الحديث وهو مستشار الأمن القومى لأى رئيس امريكى ، إنما يحتله ــ فى اغلب الأحوال ــ اساتذة الجامعات ، وقد اصبحت الجامعات فى كل مكان متحضر فوق هذه الأرض مؤسسات كبرى تواجه بالصدق والأمانة والعلم والعمق اهم مشاكل المجتمع والانسان ، واصبح الأستاذ الجامعى فى صورته السليمة اكبر مرجع واصدق قائل فى شئون الحياة ، يستمع اليه الكبير والصغير ، ويستمدون منه الالهام والفهم الصحيح .

فهل نترك جامعاتنا تتلوث بانعدام الضمير العلمى والأمانة العلمية ، هل نقبل على انفسنا ان تتسلل الى احدى جامعاتنا تلك الجراثيم القاتلة ، وذلك السوس الذى ينخر فى عظام الحضارة فيقضى عليها ؟

إن الأمانة العلمية فى الجامعات العربية يجب ان تكون مقدسة ، ويجب ان تتم مراعاتها بكل الاحترام والتقدير .

ولذلك فاننا سوف نثير على صفحات الدوحة فى العدد القادم ، عندما تتوفر لدينا كل الوثائق ، قضية الأمانة العلمية فى الجامعات العربية ، وسوف نكشف بالأسماء ما حدث فى تلك الجامعة العربية الكبرى ، بعد ان تتوفر لنا كل الأدلة والبراهين ، فالأمانة العلمية الجامعية قضية يجب ان ندافع عنها بكل ما نملك من أساليب .

وليس فى يدنا سوى صفحات مجلة الدوحة .. نرجو لها دائما ان تكون منبراً للحق والحقيقة مهما كثرت أشواك الطريق .

● المفاعل النووى والتحدى الحضارى

لسنا بحاجة الى كثير من الكلام حتى نكتشف حقيقة الصراع العربى الصهيونى . ففى هذا الصراع تعلن الصهيونية اعلاناً صريحاً لن تحيد عنه هو : ان العرب يجب دائماً الا يسبقوا اسرائيل فى اى شىء وبخاصة فى العلم والحضارة والسلاح ·.

والصهيونية تلتزم بما تقول فى هذا المجال ، وضربتها للمفاعل النووى العراقى ليست هى الأولى ولن تكون الأخيرة ، وعلينا ان ندرك ان محاولة العراق لبناء مفاعل نووى عربى على ارضها كانت محاولة رائدة يجب ان تتكرر مهما كانت الظروف ، ولقد كان للمساندة الاجماعية العربية لموقف العراق مغزاها الكبير ، وهذا المغزى هو ان المفاعل النووى على ارض بغداد كان عملا لكل العرب ولم يكن عملا من اجل العراق فقط ، وان ما حدث لهذا المفاعل النووى كان ضربة لكل العرب ولم يكن ضربة للعراق فقط ، وكان هناك مغزى اخر للتاييد الاجماعى العربى للعراق ، حتى من خصومها السياسيين «فالخطر العام» هو الميدان الذى تظهر فيه الروح العربية الواحدة الأصيلة التى ترتفع فوق كل خلاف . ولو لم يكن لضربة المفاعل النووى العراقى من نتيجة إلا هذه النتيجة ، لكان للمفاعل النووى فضله فى هذه الأيام الصعبة ، فقد كشف لنا عن وحدة العرب واستعدادهم لوضع اليد فى اليد ، والقلب على القلب والعين على العين فى ساعة الخطر .

وعلى العرب ان يدركوا ، وقد اجتمعوا فى الضراء ، ان اسرائيل تريد «عرباً» على «مقاسها» هى ، وان العرب لا يمكن لهم ان يستمروا فى الحياة على شواطىء انهارهم وفوق الصحارى والحقول والجبال والوديان من الخليج الى المحيط إلا اذا عرفت اسرائيل ان معادلتها الحضارية لا يمكن ان تستمر او تدوم ، وان ثلاثة ملايين يهودى فى اسرائيل وعشرة ملايين صيهونى فى شتى انحاء العالم لا يمكن ان ينتصروا على مائة وخمسون مليون عربى ، لهم حضارة ورسالة فى هذه الدنيا منذ الف وخمسمائة سنة على التقريب .

إن ضربة المفاعل النووى لن تمنعنا من الف محاولة اخرى حتى نحمى ارضنا ومستقبلنا ، وهذه الضربة اقنعتنا مرة اخرى ان اسرائيل لن تسكت وان لقاء الأيدى العربية ، والقلوب العربية ، والعمل العربى ، هو طريق السلامة .. أما التفرق والخلافات فهى طريق اليأس والندامة .

فليتوحد العرب بالأيدى والأعمال والقلوب ، وليقم المفاعل النووى من جديد تحميه ارادة مائة وخمسين مليون عربى ، لهم ماض ، ويجب ان يكون لهم مستقبل .

رجاء النقاش

رسائل إلى المحرر

● لا .. يا دكتور «القط» ●

قرأت فى جريدة الأخبار المصرية حديثاً مع الدكتور عبد القادر القط ، ومع احترامى للدكتور القط كناقد معروف له مكانته ، إلا أن ذلك لا يمنعنى من القول بأن حديثه ذاك قد ضم بعضاً من النقاط التى لا يمكن لأى أديب أو قارىء للأدب العربى أن يسلم بها .

فيقول الدكتور فى حديثه : «إننا نحب المبالغة بالنسبة للماضى ، فنقول عن طه حسين مثلا انه عميد الأدب العربى .. يعنى إيه عميد .. ويعنى إيه عملاق .. ويعنى إيه شيخ .. ففى رأيى يوجد جيل من الأدباء أفضل من طه حسين والعقاد والمازنى «وأحمد أمين» .

ومن الغريب أن ناقداً أديباً كالدكتور القط ، وإن كان يفترض فيه الموضوعية التامة ، والحيدة الكاملة إلا أنه قد خرج عن هذا فى حديثه وراح يسوى بين هؤلاء الأربعة الكبار وبين كثير ممن ينتسبون للأدب انتساباً .

ولست أدرى لم يشكك الدكتور القط فى أحقية الدكتور طه حسين بعمادة الأدب العربى وتربعه على عرشه ؟، فأحقيته لا ينكرها أحد ، وسر عظمته يبدو فيما خلفه من أعمال أدبية وفكرية كثيرة ، وكذلك العقاد العملاق غنى عن التعريف ، ولا أجد خيراً مما كتبه عنه الأستاذ أنيس منصور «.. كانت حياته رهبانية للفكر .. سلسلة من الشجاعة وتكريم العلم .. ولذلك فأنا لا أصوره ، وإنما فقط أشير اليه كما يشير أصبع صغير الى هرم كبير . !.

وإن هؤلاء العظماء خالدون ، ولن يذكر الأدب العربى الحديث وروائعه إلا ويذكر الأربعة الكبار .. طه حسين والعقاد والمازنى وأحمد أمين ، فاذا كان هؤلاء الشوامخ غير جديرين بصدارة الأدب العربى .. فمن يكون ؟؟ ..

محمد نصر نوفل
كلية الحقوق ـ جامعة الزقازيق

● و «الدوحة» إذ تنشر هذه الرسالة ليسعدها أن تفتح باب النقاش حول هذا الموضوع . أما بخصوص طلب الأخ القارىء من الأعداد السابقة فيؤسفنا عدم استطاعتنا تلبيته .

● الأديبة «مي» والعملاق ●

عقب المسلسل التلفزيونى «العملاق» عن قصة حياة الأديب الكبير عباس محمود العقاد رأينا شخصية الأديبة العربية الكبيرة «مي» قد شغلت حيزاً كبيراً من تفكير المشاهدين حيث بدأت التساؤلات عن حقيقة العلاقة العاطفية بين «العقاد» و «مي» ، وظهرت مقالات كثيرة تتحدث عن غراميات الأديبة الكبيرة وعلاقاتها بعدد من أدباء عصرها . ولم يحاول أحد ممن عاصروها أو درسوا حياتها وأدبها أن يدافع عنها ، حتى ظهر عدد فبراير ٨١ من الدوحة وفيه تعليقكم بعنوان «.. هل كانت مي عاشقة رخيصة ؟» .

وقد أثلج صدورنا ذلك التعليق ، فمجرد تساؤلكم رد للأديبة الكبيرة كرامتها ومكانتها الأدبيتين ، الى جانب توضيح الحقيقة للمشاهد العربى حتى لا يرسب فى ذاكرته تأثير تلك الحملة المغرضة التى وجهت ضدها ، وحتى ينمحى تأثير ذلك العمل الدرامى البعيد عن الواقع .

ناجى عبد اللطيف ابراهيم
عضو جماعة فاروس الأدبية
بالاسكندرية



● «الدوحة» أول مجلة كتبت عن «الفولانى» ●

وردتنا هذه الرسالة ننشرها دون تعليق :

يسعدنا أن نتقدم باسم جميع أبناء الأمة الفولانية بأخلص الشكر لتناولكم موضوع «الفولان» فى مجلتكم بالعدد الثانى والستين ـ فبراير ١٩٨١ ـ والذى كتبه الاستاذ الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر .

فعلى الرغم من دور هذه الأمة فى نشر الدعوة الاسلامية فى ربوع أفريقيا منذ قرون عدة ، إلا انه لم يسبق لأى عالم عربى أو اسلامى أن كتب بمثل هذه الدقة والموضوعية والصدق فى هذا المجال .

ولعل من المؤسف حقاً أن كثيراً من علماء المسلمين قد انساقوا خلف كتابات بعض الأوربيين وجعلوها مرجعهم لدراسة تاريخ الفولان ، وصدقوا ما افتراه بعض الكتاب الغربيين والمستشرقين ليفتتوا وحدة المسلمين من ناحية ، وليفلوا من عضد الامة الفولانية فى القيام برسالتهم لنشر الاسلام . لينفتح المجال أمام بعثاتهم التبشيرية فى القارة الأفريقية ، وقد استطاعوا فعلا الوصول الى هدفهم بعد أن عزلوا الأمة الفولانية عن بقية العالم الاسلامى ، ثم جاء دور الاستعمار العسكرى ، واستعملت القوة الغاشمة فى ضرب أبناء هذه الأمة المجاهدة ، فشتت شملهم على طول خط السافانا جنوب الصحراء الكبرى بعرض القارة ما بين المحيط الأطلسى غرباً الى البحر الأحمر شرقاً .



وإننا نناشد علماء الاسلام والمؤرخين ، إذا ما أرادوا أن يكتبوا عن تاريخ «الفولان» أن يتصلوا برابطة أبناء الأمة الفولانية وعنوانها ص . ب ٥٣ ـ ميدان عبده باشا ـ العباسية ـ القاهرة . للحصول على أية معلومات أو بيانات يريدونها .

وستبقى الأمة الفولانية ـ رغم تشتتها ـ درعاً للدعوة الاسلامية وشوكة فى حلق الاستعمار التبشيرى فى القارة السوداء .

ديكو حمدون وبشير جولد محمد
نيابة عن رابطة أبناء الأمة الفولانية

رأيت

بائعة الكبريت

كان البرد شديداً فى تلك الليلة ، وقد أوى الناس الى بيوتهم إلا عائد من سهرة أو سمر ، أما بائعة الكبريت الصغيرة فجلست على الرصيف ، حاسرة الرأس حافية القدمين ، لا يستر جسمها إلا ثوب ممزق .

لقد أمضت نهارها تجوب الشوارع المزدحمة فلم يلتفت اليها المارة ، إلا الأطفال فكانوا يرمقونها أحياناً بنظرات وادعة مشفقة . ولكن قروشهم لا تستقر إلا فى كف بائع الحلوى ..

وعندما هبط الليل أقعدها الجوع والتعب عن مواصلة السير الى بيتها .

اشتد عليها البرد فتذكرت الكبريت وتناولت عوداً فأشعلته . فأنسها بضوئه وحرارته ، وراحت تحلم بالدفء والحلوى والفاكهة ..

وانطفأ العود فأشعلت آخر لتواصل حلمها السعيد ، حتى اذا أشعلت جميع عيدان العلبة إلا واحداً منها ، تناولت هذا العود الأخير وتأملته طويلا قبل أن تشعله . وكأنها تودع فيه عزيزاً وتحس فيه معنى النهاية .

طلع الصباح فرأى العابرون طفلة ميتة وبضع علب مبعثرة على الرصيف ، ولكن أحداً منهم لم يعرف ما رأته الطفلة البارحة وهى تشعل الثقاب بعد الثقاب ...

عبد السلام محمد موسى
القامشلى ـ سوريا

كتاب أحكمت آياته

الحروف المقطعة فى أوائل السور القرانية كانت ومازالت من ألغاز القرآن المحيرة ولقد أجريت أخيرا محاولة جريئة لاكتشاف المدلول العددى لهذه الحروف . وهى محاولة قام بها الأستاذ الدكتور رشاد خليفة باستخدام العقل الالكترونى وقد توصل هذا الباحث الى نتائج مثيرة للاهتمام ، إذ وجد بالاحصاء ان استهلال سورة بأحرف معينة يقابله دائما تفوق حسابى لمعدل تواردهذه الأحرف وتكرارها فى السورة نفسها .

ففى سورة (ق) مثلا نجد حرف القاف يتكرر فى السورة بمعدل اعلى من باقى الحروف ثم أن معدله فى هذه السورة هو أعلى معدل فى سور القران كلها . وينطبق الشىء عينه على الأحرف : (ا) و (ل) و (م) فى سورة البقرة ولكن المدهش هنا هو أن معدلات هذه الأحرف الثلاثة تأتى فى سلم تنازلى من (ا) الى (ل) الى (م) على النحو التالى :

(ا) وردت ٤٥٩٢ مرة ، (ل) وردت ٣٢٠٤ مرة . (م) وردت ٢١٩٥ مرة .

ونفس هذه الحكاية فى باقى السور التى تستهل بالأحرف (ا) ، (ل) ، (م) .

واكتشف الأستاذ رشاد خليفة أن ثمة دلالة خاصة للعدد ١٩ ، ويرى ان الله تعالى يقيم بهذا العدد حجة على الملحد الذى يقول ان القران من صنع البشر . ويفسر الأستاذ رشاد خليفة فيقول ان اية «بسم الله الرحمن الرحيم» تتكون من ١٩ حرفا ثم ان كل كلمة منها تتكرر فى القران ١٩ مرة او مضاعفات العدد ١٩ .

كلمة «اسم» تتكرر ١٩ مرة – كلمة «الله» تتكرر ١٩ فى ١٤٢ .
كلمة «الرحمن» تتكرر ١٩ فى ٣ – كلمة «الرحيم» تتكرر ١٩ فى ٦ .

ثم ان جميع الحروف المقطعة فى أوائل السور تتكرر الى مضاعفات العدد ١٩ بطول المصحف . فمثلا فى سورة (ق) يتكرر الحرف (ق) ١٩ فى ٣ والحروف كهيعص تتكرر فى السورة – سورة مريم – ١٩ فى ٤٢ والحرف (ن) فى سورة القلم يتكرر ١٩ فى ٧ مرات والحرفان (ي س) فى سورة يس يتكرران ١٩ فى ١٥ مرة والحرفان (ط ، هـ) فى سورة طه يتكرران ١٩ فى ١٨ مرة والحرفان (ح ، م) فى جميع السور المفتتحة بـ «حم» يتكرران ١٩ فى ١١٤ مرة وهكذا .

وتوجد فى القران بالاضافة الى ذلك مقابلات عددية توازى بعض المقابلات اللفظية . فمثلا لفظ الحياة يتكرر فى القران ١٤٥ مرة وبالمثل لفظ الموت ١٤٥ .

وكلمة الدنيا ترد ١١٥ مرة وكلمة الآخرة ترد ١١٥ مرة وكلمة الملائكة يأتى ذكرها ٨٨ مرة والشياطين ٨٨ مرة والحر يذكر ٤ مرات والبرد ٤ مرات .

إنه القران الكريم ... تنزيل من الله العزيز الحكيم ...

رضا ابراهيم محمد سيد
مصر – المنيا

● سؤال عن حيفا ●

لقد اعجبنى الاستطلاع الذى كتبه نبيل خالد الأغا فى العدد ٦٢ من مجلة الدوحة بعنوان : حيفا .. قلادة على صدر الوطن ولقد لفت إنتباهى قوله فى صفحة ٥٤ «... وقد اهتم لويس التاسع ملك فرنسا بتحصين حيفا وقيسارية بوجه خاص ، إلا أن ذلك التحصين لم ينقذها من قبضة الجيش الاسلامى بقيادة البطل الظاهر بيبرس حيث فر الصليبيون . وأتاحوا الفرصة لدخول الأمراء العرب» .

وملاحظتى التى أود طرحها هى اننى قرأت فى جميع كتب التاريخ فوجدت أن الذى طرد الصليبيين هو البطل صلاح الدين الأيوبى فى معركة حطين ، أما البطل الظاهر بيبرس فقد انتصر على المغول فى موقعة عين جالوت .

فأرجو من الأخ الكاتب توضيح هذا الأمـــر .

ياسر السيد الحنفى
كلية التجارة – المنصورة

● لقد بدأت الحروب الصليبية فى أواخر القرن الحادى عشر ، واستولى الصليبيون على بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وعلى بعض مدن الساحل الشامى ومن بينها بيروت وعكا وحيفا ، وهدد الصليبيون دمشق والقاهرة حتى كانت حركة الافاقة الاسلامية على يد عماد الدين زنكى ثم ابنه نور الدين ، وفى هذه الاثناء ظهر البطل صلاح الدين الأيوبى ورفع راية الجهاد ، ووحد مصر ومعظم بلاد الشام ، ثم ضرب ضربته والحق الهزيمة الكبرى بالصليبيين فى حطين عام ١١٨٧م .

أما التتار فكانت هزيمتهم الكبرى عام ١٢٦٠م فى موقعة عين جالوت على يد المماليك بقيادة السلطان سيف الدين قطز وقائده الظاهر بيبرس ، ولم ينته الجهاد ضد التتار عند هذه النقطة بل استمر حتى القرن الرابع عشر الميلادى أيضاً وبعد اندثار الصليبيين .

وحيث اننا لا نستطيع الأسهاب فى شرح هذا الموضوع فيمكنك الرجوع الى المصادر الآتية بغية الحصول على المزيد من التفصيلات :

● الكامل فى التاريخ لابن الأثير – الجزء الحادى عشر
● مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل – الجزء الثانى .
● المختصر فى أخبار البشر – لأبى الفدا – حوادث عام ٦٦٣هـ .
● زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة – مخطوط بيبرس المنصورى – الجزء العاشر .
● العدوان الصليبى على بلاد الشام – د. جوزيف نسيم يوسف صفحة ٢٩٠ .
● الحركة الصليبية – د. سعيد عاشور الجزء الثانى .

نبيل خالد الأغا

هؤلاء تقرأ لهم في العدد القادم والأعداد التالية :

● د. يوسف صايغ
● علي الملك
● محمد المهدي المجذوب
● نعمان عاشور
● الدكتور أحمد عثمان
● الدكتور طه وادي
● الدكتور مصطفى الديواني
● الدكتور يحيى الجمل
● محمد العدناني
● محمود شيت خطاب
● الدكتور محمد علي العويني
● جمال الكناني
● مجيد طوبيا
● د. رمسيس عوض

وفي العدد القادم

المقال الأول للدكتور عبد الله الكبيسي

د. يوسف صايغ يتحدث عن :

الإنماء .. والأمن .. والنفط

في الوطن العربي

المحاضرة الهامة التى ألقاها الدكتور يوسف صايغ ضمن برنامج مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربى بجامعة قطر تحت عنوان (العلاقة المتبادلة بين الانماء والأمن والنفط فى الوطن العربى) .

والدوحة إذ تنشر هذه المحاضرة بماجاء فيها من آراء بالغة القيمة والأهمية إنماتدعو المفكرين والباحثين العرب إلى مناقشة ماجاء فيها وتناوله بالتعليق والتعقيب ..

لا أريد لهذه المحاضرة أن تكون ممارسة فى الندب والرثاء ، لأنى سأتحدث عن « الانماء والأمن » بحالتهما المؤسفة فى الوطن العربى حاليا ولأنى كذلك سأنطلق – فى حديثى – من مساوىء الوطن العربى الراهنة التى هى مساوىء أساسية ، وذات أثر بعيد يصعب التغلب عليها فى فترة قصيرة . وأقصد بها : التخلف ، والانكشاف الأمنى ، والتفتت ، والتبعية ! إننا – فى مواجهة هذه التحديات الأربعة – يليق بنا أن نتوجه بأفكارنا صوب الانماء والحس الأمنى . ولا أقصد بالأمن هنا الأمن البوليسى . إننى أعنى الأمن القومى الذى يراد به الحفاظ على المصير ، ورعاية المستقبل . علينا أن نذكر منذ البداية أنه مما يزيد من صعوبة هذه التحديات : حالة الانبهار النفطى الذى يعانى منه الوطن العربى الآن ، خاصة فى المنطقة النفطية ! مثلما علينا أن نتحدث بصراحة تامة ، لأنه من الضرورى – فى مواجهة تلك التحديات الضخمة – أن نحقق فهما أفضل للانماء والأمن .. طبيعتهما .. وتفاعلهما . وكذلك فهما أفضل للنفط بصفته أداة فى خدمة الانماء والأمن .

النمو المتصل

من الضرورى إذن – والحالة هذه – أن نقوم بتقديم تعريف للتنمية . تعريف ينقل التنمية الى ما هو أبعد من النمو . إن النمو يتحول الى تنمية باستيفاء عدد من الشروط أولهما أن يكون هناك نمو متصل لا يخضع لذبذبات وتموجات خطيرة . وأن يكون نموا ناتجا عن آراء المجتمع والاقتصاد القوميين ، لا عن آراء جزر تكنولوجية غريبة مقيمة في القطر أو الوطن العربى ككل . مثلما ينبغى أن ينطلق هذا الأداء من اقتصاد ذى قاعدة متسعة قدر الامكان . وكلما كثرت القطاعات التى تسهم فى هذا الأداء ، كلما كان الأداء أفضل ، وكانت التنمية أقرب مثالا .

وهنا بالطبع فى منطقة كمنطقة الخليج ، يصعب الحديث عن قاعدة متسعة بسبب محدودية الموارد الزراعية . ومن هنا نتحفظ بعبارة «قدر الامكان» . على أن المجتمع ينبغى أن ينمى جميع الامكانيات التى تتيح لأكبر عدد ممكن من القطاعات أن تزدهر وأن تتقدم باسهاماتها الاقتصادية ، وبالتالى الاجتماعية .

إننا لو نظرنا إلى الوطن العربى ، وجدناه بالرغم من المحاولات الجادة – فى أحيان كثيرة بعد الحرب العالمية الثانية – فى إقامة قاعدة تصنيعية ضخمة ، لم ينجح بما يقترب به من الطموحات . فلا يزال القطاع الصناعى – بمجمله فى الوطن العربى – يسهم بما لا يزيد عن ٧٪ من جملة الناتج المحلى الاجمالى ، ولا تزال قوة العمل بالقطاع الصناعى فى حدود ٧ إلى ٨٪ من إجمالى قوة العمل فى الوطن العربى . أما الزراعة فنصيبها أسوأ . إذ أن القطاع الزراعى فضلا عن كونه يعانى من هبوط فى الناتج القومى فهو قياساً ببقية القطاعات يسجل أدنى معدلات للنمو فى الاقتصاد العربى ككل . ويزيد من خطورة الأمر أن جميع البلدان العربية منكشفة غذائيا . إن كل قطر عربى دون استثناء أصبح مستوردا صافيا للقمح . وإن نسبة الاستيراد تتراوح بين ١٠٪ من الحاجات القطرية و ١٠٠٪ فى بعض البلاد . مثلما بلغت جملة المستوردات الغذائية الصافية – أى بعد خصم المصدرات – فى عام ١٩٧٨ ، استناداً إلى آخر الاحصاءات ، ما يقرب من ٧ مليارات دولار من المستوردات الغذائية . وسوف أعود للحديث عن دلالة هذا الرقم فيما بعد .

القدرة الذاتية

يأتى الشرط الثانى لتحقيق التنمية ، وهو ارتفاع القدرة الذاتية الانتاجية . وذلك من خلال التعليم ، والتربية الملائمة الخلاقة عن طريق التدريب المهنى ، والكفاءات ، والمهارات المهنية والحرفية ، ومن خلال امتلاك القدرة التكنلوجية

وهنا يجدر بنا أن نقف أمام خطأ خطير وشائع هو مفهوم نقل التكنلوجيا . وكأنما التكنلوجيا سلعة ننقلها من يد إلى يد . من بريطانيا إلى الامارات . من فرنسا إلى الكويت . من السويد إلى مصر . ولا زلت أذكر ما صرح به مسئول فى محاضرة عن النفط ، فى سبتمبر الماضى ، حين قال : « نحن ننقل التكنلوجيا نقلا ناجحاً فى بلدنا ، بدليل أننا نستورد معدات وآلات ومصانع بأكملها ، وننقل معها خبراءها وتقنييها ، الذين يشيدونها بحضور رجالنا » .

هذا النقل التكنلوجى الذى يوحى بأنه طريق مختصر لاكتساب القدرة التكنلوجية الذاتية ، ليس فى الواقع إلا الطريق الأطول . أما الطريق الأقصر حقيقة ، فهو الطريق الذى يعززه العلم ، والبحث ، والاختبار ، والتدريب ، والتعليم من خلال التجربة والخطأ .

واليابان مثال صارخ على صحة ما أقول .

الشرط الثالث لتحقيق التنمية هو أن التنمية ينبغى أن يرافقها اتساع فرص العمل المنتج والمجزى ، وتكبير حجم العمالة ، والاستخدام . وأنا أكره الكلمتين « العمالة والاستخدام » فالعمالة لها مدلول سياسى . والاستخدام كلمة بشعة . أقول ينبغى تعظيم حجم العمالة إلى القدر المتاح . ذلك أن تنمية يرافقها بطالة متزايدة لا تكون تنمية نرغبها ولا نسعى إليها .

الفجوة التنموية

حين يراد للتنمية أن تكون حقيقية وعميقة ، ينبغى – وهذا هو الشرط الرابع – تضييق الفجوة التنموية داخل كل قطر وفيما بين الأقطار العربية . والمقصود هنا الفجوة فى القدرة على الانتاج ، والقدرة على الأداء الاقتصادى . وذلك

● ليس ممكنا أن نعتمد على الخبراء الأجانب لكي يحققوا لنا الأمن ، فقد نستيقظ يومًا لنكتشف أنهم هم أنفسهم مهددي الأمن في بلادنا

ليس معقولا أن يعتمد الوطن العربي بأسره اعتمادا شبه كلى في حاجته للقمح على مصادر أجنبية لا تبيع القمح إلا مربوطًا بشروط سياسية

● لا بدّ لنا من قدرة تكنولوجية نكتسبها عن طريق الدموع والعرق والآلام ، وليس عن طريق الاستيراد

● لماذا يبيعون لنا الدواء بأسعار تبلغ أربعة أضعاف السعر الذي يبيعون به للآخرين؟

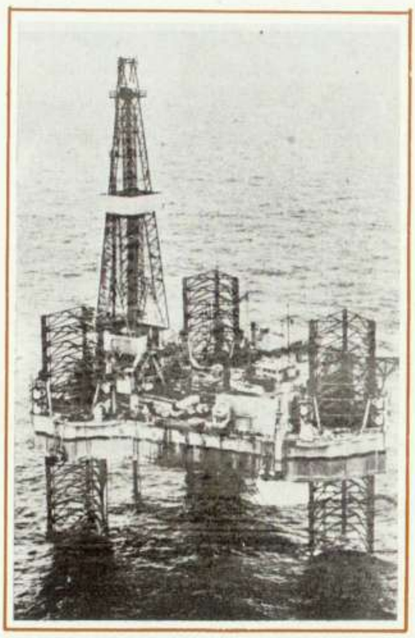
يتم فى المرحلة الأولى برفع أرضية الأداء الاقتصادى بما يرافق ذلك من رفع للدخل والثروة خضوعاً لمنطق الحساب الاقتصادى . أقول اننا سنشهد اتساعاً فى الفجوة كما شهدنا فى الحقبتين الماضيتين . لكننا علينا أن نسعى — دون تباطؤ — إلى تضييق الفجوة الانمائية . أى فجوة القدرة الانتاجية . ومن ثم نسعى إلى تلك الاجراءات الاقتصادية والمالية التى من شأنها تضييق الفجوة الدخلية بالتالى . هذا على الصعيد القطرى . أما على الصعيد القومي فنحن مضطرون — وبحاجة ماسة — للمزيد من التدفقات المالية الاستثمارية او التثميرية من أقطار السعة المالية إلى أقطار الشحة المالية . وهذا وجه من أوجه التدفق . وهناك وجه آخر هو تدفق القوة العاملة من البلدان ذات السعة البشرية والشحة المالية ، إلى البلدان التى لم تتح لها تجربتها التاريخية بعد أن تنمى جميع مواردها البشرية .
وأيضاً ساعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

المواصفات الصحيحة

الشرط الخامس : لكى تتوفر مواصفات صالحة للتنمية ، نحن بحاجة لأن ترتفع قدرة المجتمع على توفير الأفكار والمؤسسات والأطر التنظيمية والفنية اللازمة للتنمية . إن مجتمعا يعتمد فى توفير هذه الشروط على المجتمعات الخارجية ، فيستورد الأفكار والمؤسسات والأطر ، هو مجتمع لا يزال بعيداً عن التنمية . وبالتالى نحن بحاجة إلى توفير هذه المؤسسات والأفكار والأطر والحوافز .

الشرط السادس : وأساسه المشاركة . لابد من توسيع قاعدة المشاركة فى اتخاذ القرار . بالأحرى وضع التصورات ثم صياغة القرار . القرار الاقتصادى والسياسى على السواء . لأنه إذا لم يتح المجال لمشاركة واسعة النطاق ، لما أمكن بلورة التصورات الانمائية بلورة سليمة تستجيب لحاجات ومطالب الجماهير . ومن ثم لن يتوفر الالتزام بالأعباء والجهود التى تتطلبها عملية التنمية .

يبقى الشرط الرابع والأخير ، ومؤداه أنه لا يمكن أن تكون هناك تنمية حقيقية مع وجود وبقاء حالة خطيرة من التبعية للعالم الصناعى المتقدم ، غربية أو شرقية . هذه التبعية تتخذ أشكالا متعددة . فهى تبعية تكنلوجية . وتبعية استيراد وتصدير تجارية ، وتبعية أدائية ، وتبعية فكرية . نحن فى الواقع لا نستورد فقط أنماطا من السلوك ، وانماطا من الاستهلاك . الخطير حقاً أننا أصبحنا نستورد انماط التفكير وفى حين أردنا أن نخطو بالمعاصرة والتحديث



خطوات الى الأمام ، فاننا رمينا بالعناصر الجيدة والخيرة من تراثنا ومن أصالتنا .. من النافذة !!

مفهوم .. ومفهوم

أنتقل الآن الى الامن :

ومن الضرورى أن أبين أن هناك عناصر متعددة مشتركة بين مفهوم الامن ومفهوم الانماء وسوف نكشف عن هذا من خلال عرض لعدد من الشروط الأساسية فى مفهوم الامن القومى .

الشرط الأول لتوفير الأمن القومى هو توفير التدريب والتعليم اللائقين والخلاقين والمبدعين للموارد والقوى البشرية . فان الأمن لا يتحقق مهما كثر عدد الطائرات والدبابات والمدافع ، طالما أن المعطيات البشرية متخلفة . وكذلك لا يمكن أن نشترى الأمن أو نستاجره . وليس ممكنا أيضا أن نعتمد على الخبراء الاجانب بالوفهم العديدة لكى يحققوا لنا الامن ، فقد نستيقظ يوما ما لنكتشف أنهم كانوا هم مهددى الأمن بالذات .

من الضرورى بعد هذا تامين القدرة على التصنيع الأساسى الهندسى . ينبغى أن نبدأ بالصناعات الهندسية ، لأنها العمود الفقرى للتصنيع بشكل عام . وبالتالى ينبغى أن ننمى الصناعات العسكرية لكى يتوفر لنا مقدار ما من الاستقلال .

وعلينا أن نحقق الامن الغذائى أيضا . فليس معقولا أن يعتمد الوطن العربى باسره اعتمادا شبه كلى فى حاجته الأساسية للقمح على مصادر اجنبية ، لا تبيع القمح إلا مربوطا بشروط سياسية .

إن الامن القومى الذى نستهدفه ، ينبغى أن يقوم على قاعدة كبرى ، هى مقدار مقبول من القدرة التكنلوجية الذاتية . يكتسبها عن طريق الدموع والعرق والآلام ، وليس عن طريق الاستيراد . قدرات تكنلوجية تنسجم مع

الإنماء..والأمن..والنفط
في الوطـــن العـــربي



معطياته من حيث المواد والمرافق ، من حيث الحضارة والأصالة . ومن حيث القيم . اى أن نتوصل الى إيجاد مزيج سليم من الحداثة التكنلوجية والأصالة العربية . وهذه مهمة صعبة ومعقدة ينبغى أن تلتقى حولها افكار المثقفين ، والمفكرين ، والصناعيين ، والمزارعين ، وصانعى القرار السياسى فى وقت واحد .

هناك أيضا القدرة على الانتقاء عند قبول القيم والمفاهيم وأنماط السلوك ، وأنماط الاستهلاك ، فلست أستطيع التصور أن القومية بالمعنى الصحيح والسليم فى حالة استيراد لا تميز فيه ولا قدرة على الانتقاء لجملة من المفاهيم .

و .. شرط أخر كمدخل للأمن ، هو القدرة الردعية .

ينبغى أن نحقق قوة ردعية ، هى نتيجة تمازج من التحرك السياسى والدبلوماسى ، والقــدرة الاقتصادية ، والاعلامية ، والعسكرية . فاذا لم تتح لنا القدرة على أخذ المبادرات الأمنية ، فليكن لدينا على الأقل رادع ما نستخدمه . وهنا يأتى دور النفط كرادع لما سوف أشير اليه لاحقاً .

النقطة الأخيرة التى أود التعرض لها ، هى أن من أهم ركائز الأمن القومى وجود استقرار . والمقصود هنا الاستقرار الناتج عما يسمى بالتوافق ، مما يؤدى الى الانسجام الاجتماعى ، أو التماسك الاجتماعى . هذا عنصر هام من عناصر الأمن القومى ، والطريق الى تحقيقه هما — كما قلت من قبل — الحرية والمشاركة .

النفط وثلاثة معايير

والآن ، يأتى الحديث عن النفط .

فى البداية ينبغى أن أشير إلى أن النفط ليس على المستوى ذاته كالانماء والأمن . أى أنه ليس من نفس الفئة كما يقول المناطقة . الأمن والانماء غايتان مجتمعيتان . بالطبع هناك غايات أخرى غاية فى الأهمية . لكن الانماء والأمن غايتان أساسيتان .

أما النفط فهو أداة . إنه وسيلة . وبالتالى ينبغى ألا نضعه فى مصاف الانماء والأمن كغاية نهائية .

ولنتوســع قليلا فى الحـــديث عن النفط ، لكى يســهل فيما بعــد ربط النفط بموضـــوع الانماء والأمن ... لقد بدأ النفط يظهر ويصبح قطاعاً هاماً منذ نصف قرن . والتجربة العربية لحركة قطاع النفط مرت بثلاث مراحل : مرحلة الثلاثينات والأربعينات . ومرحلة الخمسينات والستينات . ثم مرحلة السبعينات .

ونحن إذا جئنا نتفحص مدى النجاح فى اندماج قطاع النفط فى الاقتصادات العربية بالاقتصاد القومى ككل ، احتجنا الى استخدام ثلاثة معايير :

● المعيار الأول : قدرة هذا القطاع على توليد دخول أو إيرادات ذات شأن فى الاقتصاد القومى

● المعيار الثاني : قدرة هذا القطاع على أن يلعب دوراً محركاً فى الانماء .

● المعيار الثالث : قدرة السلطة السياسية على اتخاذ القرار الحاسم بالنسبة لقطاع النفط . أى : أين هو موقع اتخاذ القرار ؟

.. فى قطاع النفط ، وباستعراض سريع نجد أن الثلاثينات والأربعينات لم توفر أياً من هذه المعايير . فلا كان هناك مردود مالى ذو شأن . ولا أسهم النفط مساهمة تذكر فى عملية التنمية . ولا كان القرار بيد السلطة الوطنية ، وإنما كان القرار بيد الشركات ذات الامتياز . والانماء كان إنماء فى العالم الصناعى الذى كان يستورد النفط بأثمان بخسة . وكانت الأموال تتجه الى نفس العالم الصناعى فلما جاءت الخمسينات والستينات باتفاقية المناصفة — مناصفة الأرباح — بدأ المردود المالى يتحسن ، وبدأ شىء من الاستخدام المتزايد للعائدات النفطية فى صنع النمو ، ولا أقول التنمية . ولكن ظل موقع القرار فى شركات الامتياز ،

غير أن الستينات شهدت بوادر صراع ، أخذ يتزايد حتى نهاية الحقبة ، من أجل أن يتحول موقع القدرة على اتخاذ القرار من شركات الامتياز إلى البلدان العربية ذاتها .

ثم جاءت السبعينات فحدث خلالها تبدل أساسى بالنسبة للمعايير الثلاثة ، إذ تزايدت الأحجام المالية تزايداً ضخماً ، واستخدمت مقادير كبيرة من هذه الأموال من أجل التنمية ، «وإن أبدت الكثير من التحفظات على طبيعة وأنماط هذه التنمية كما بينت» . ثم انتقل القرار إلى السلطة الوطنية بالنسبة للتسعير ، وبالنسبة لحجم الانتاج ، وبالنسبة لجهات التصدير « إلى من نصدر وعمن نحجب النفط ؟» خاصة فى حرب أكتوبر المجيدة .

غير أن هذا التحول الكبير بالنسبة للمعايير الثلاثة هو تحول ناقص إلى حـــد كبير . فاذا أمعنا النظر ، وجدنا أن هذا الاندماج ، أو ما يبدو أنه اندماج ، لا يزال يشكو من ثغرات خطيرة وواسعة . خاصة بالنسبة لقيام صناعات كثيرة فى التكرير ، وصناعة البتروكيماويات ، وفى النقل . وسوف أعرض الآن لبعض هذه الثغرات .

إن الأسعار المرتفعة التى أدت إلى مداخيل مرتفعة خلقت شيئاً كبيراً من الانبهار بالعائدات المالية ، وكأنما أصبح العائد المالى غاية فى ذاته والنتيجة أننا وجدنا أنفسنا ننتج أكبر من حاجاتنا القطرية والقومية ، بل وما نعتقد أننا نحتاجه من أجل مسئولياتنا الدولية معاً . وهذا يؤدى إلى فوائض مالية .. فماذا يحدث لهذه الفوائض ؟ إنها تتجه صوب الأسواق المالية الغربية حيث تتآكل قيمتها نتيجة التضخم ، ونتيجة تأرجح قيمة الدولار . وتتآكل قيمتها أيضاً نتيجة السياسة السعرية التمييزية التى تمارسها الدول الصناعية عندما تبيع سلعاً وخدمات للبلدان النفطية العربية . وهذا شىء ثابت . إننى أذكر ثلاثة بيانات من حكومة المملكة العربية السعودية تشكو فيها من هذه الممارسات وفى أحد البيانات مثل محدد ومؤداه كيف أن شركة أدوية كبرى باعت للمملكة أدوية بأسعار تكاد تبلغ أربعة أضعاف ثمن الأدوية ذاتها المباعة للأردن . والسبب لهذا التمييز السعرى هو أن السعودية «قادرة» على الدفع ، بينما الأردن «ليس قادراً» على الدفع !

إننى بكل بساطة أقول :

الانبهار المادى من جهة . ومن جهة أخرى وجود تصور — واسمحوا لى أن أقول — خاطىء لمسئوليتنا الدولية ، يجعلنا نستمر ، ليس فقط ، بانتاج مقادير ضخمة من النفط ، وإنما مقادير أحياناً متزايدة فى بعض البلدان ، بالرغم من أن هذا يؤدى إلى توليد فوائض مالية لا نستفيد منها نحن ، بل تستفيد منها البلدان التى تتجه الأموال إليها . وبالتالى فاننا نعمل بذلك على نفاذ هذا المورد النادر الاستراتيجى قبل أوانه .

ولابد لى أن أبين أن المسئوليــة الدوليــة هى خط سير فى اتجاهين ، حيث لا ينبغى أن أشعر بمسئوليتى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ، أو بريطانيا ، أو رومانيا ، دون أن تشعر واحدة منها بمسئوليتها تجاهنا ، إزاء ثلاثة نواح :

● الأولى : تمكيننا من التكنلوجيا الملائمة .

● الثانية : مساندة قضيتنا العادلة المقدسة .. قضية فلسطين .

● الثالثة : التوافق معنا على إقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ، يكون أكثر عدالة ، وأقل هدرا للموارد .

الأموال العربيــة

ثم ..هناك مشكلة أخرى هى : مشكلة الأموال العربية !

إن هذه الأموال أصبحت جهاز ضغط يمكن أن يستخدم ضدنا. وفوق هذا فالغرب لوح باستخدام آلية الضغط المتصلة بتصدير المواد الغذائية أكثر من مرة. وكذلك فهو يستخدم آلية ضغط أخرى هى التصدير التكنولوجى، التى يتقيها هو بما يتفق مع مصالحه، وتصدير السلاح.

نحن إذن أمام حالة مخيفة!

ففى حين كان بامكاننا عام ١٩٧٣ أن نستخدم النفط جهاز ضغط فعال فى خدمة القضية الفلسطينية، فانه ليس بمقدورنا الآن أن نستخدمه مرة ثانية إلا إذا رضينا أن نتعرض لضغط معاكس، فى حقول تصدير التكنولوجيا .. تصدير الغذاء .. تصدير السلاح .. وتجميد الأموال!

وبالطبع يمكن الرد على هذا الخوف بان نتخذ احتياطات مسبقة كتخزين الغذاء، وتنويع مصادر الأسلحة، وتوزيع مصادر الغذاء نفسه كالأموال .. وضع أموال متزايدة فى العالم الثالث وفى العالم الاسلامى، وفى الوطن العربى. وهذا كله يتطلب إرادة سياسية متجهة لهذا الاتجاه.

إذن: النفط بالنسبة لعلاقته بالانماء والأمن ليس أداة إيجابية مائة بالمائة .. إن له سلبيات خطيرة جداً. بل إنها سلبيات مصيرية. وقد يؤدى تحرك هذه السلبيات إلى إبقائنا منكشفين أمنياً، وإلى إبقاء أمننا متعسراً كما بينت فيما سبق.

بعض السلبيات

سوف أتحدث عن بعض هذه المظاهر السلبية الاقتصادية.

ولناخذ: النفط وأنماط الاستهلاك.

بفضل الموارد النفطية المالية، ليس فقط فى البلدان النفطية، وإنما فى البلدان العربية الأخرى بسبب التدفقات المالية. وبسبب عدوى أنماط الاستهلاك، كان الناتج المحلى الاجمالى العربى – وذلك من واقع التقديرات الرقمية لعام ١٩٧٩ – ثلاثمائة ألف مليون دولار. أى ثلاثمائة مليار دولار. وكان حجم الاستهلاك ١٦٠ مليارا. يعنى ٥٢٪. قسم كبير منه طبعاً فى البلدان النفطية.

هذا فى حد ذاته لا يوضح الخطورة.

وجه الخطورة هو أن العائدات النفطية، أو بالأحرى القيمة السوقية للانتاج ذلك العام، وكان حوالى ٢٣ مليون برميل نفط فى اليوم، بمعدل وسطى للسنة بأكملها ١٩ دولارا. كانت القيمة السوقية للانتاج النفطى ١٦٠ مليار دولار أيضاً. فكأننا أنفقنا القيمة السوقية الكاملة لانتاجنا النفطى. طبعاً هذا لم يتم. بعبارة أخرى: هناك استهلاك المغرب والأردن وبلدان أخرى غير نفطية، ولا يوجد أى بلد نفطى استهلك كل مردوده المالى من النفط.

ولكن إذا التقطنا صورة تجميعية للوطن العربى ككل، وجدنا أن حجم الانفاق الاستهلاكى غير الاستثمارى، كان يعادل القيمة السوقية للانتاج النفطى بأكمله.

● **لا يمكن أن نشتري الأمن أو نستورده**

هناك مؤشر آخر.

فى مطلع السبعينات كان الاستيراد + التصدير يشكل ٦٠٪ من الناتج المحلى الاجمالى فيما أذكر.

لكنه فى عام ١٩٧٩ – وهذا عن ثقة – بلغت المصدرات + المستوردات ٩٢٪ من جملة الناتج المحلى الاجمالى.

هذا الاعتماد الخطير والثقيل على القطاع الخارجى شىء ينبغى أن نتوقف عنده. إن هذا الحجم الكبير ٩٢٪ بالنسبة للمستوردات يعنى أننا نحول نسبة كبيرة جداً من القدرة الشرائية من اقتصاداتنا الوطنية، إلى الاقتصادات الصناعية فى الخارج. إذن فان القطاع النفطى يندمج بشكل متزايد بالاقتصادات الأجنبية، لأننا نغذيها بقدرتنا الشرائية.

هذا فى جانب المستوردات.

أما فى جانب المصدرات فالوضع أشد خطورة

إن المصدرات العربية إذا أخذناها كلها، وجدنا أن النفط يشكل ٩٠٪ منها فى الوطن العربى ككل. ولكن لو أخذنا البلدان النفطية وحدها وجدنا أن النفط يشكل ٩٩٪ من صادراتها



بل ما هو أخطر، أن بلداناً كانت مزدهرة قبل الثورة النفطية، هبط تصديرها لبعض السلع الزراعية الصناعية هبوطاً بالأرقام المطلقة.

وإذا أخذنا النفط على حدة – وهذه فقط رياضة رقمية – إذا خلعناه من حساب الناتج المحلى الاجمالى، وجدنا أن مستورداتنا تزيد بكثير جداً عن صادراتنا، بحيث لا نستطيع أن نمول صادراتنا!

هذه بعض المؤشرات على خطورة الوضع الذى انبهرنا به بسبب المردود المالى الكبير الذى أدت إليه الصادرات النفطية.

نقاط ضعف أساسية

● يبقى أن أبين أن هذا كله ناجم عن ثلاث نقاط ضعف أساسية:

● الأولى: غياب التصور المتكامل للوضع الاقتصادى والمجتمعى فى الوطن العربى الذى ينبغي فى ضوئه أن توضع السياسات الاقتصادية.

● ثانياً: غياب السياسات الشمولية الاقتصادية التى تتحكم فى تصرفاتنا بالنسبة لقطاع النفط، وبالنسبة للتنمية وغيرها من الأمور.

● ثالثاً: حتى عندما يوجد تصور واضح لهذه القضايا. وحتى عندما توجد سياسات اقتصادية تعنى بهذه القضايا .. فليست هناك إرادة العمل من أجل الحرص على المستقبل العربى الاقتصادى والاجتماعى والأمنى.

هذا الوجه للخطورة يصبح أشد، إذا ذكرنا أن تصوراتنا، وسياساتنا وإرادتنا تظل مجزأة ومشتتة، لأنها تصورات وسياسات، وإرادة قطرية وليست قومية، وبالتالى فنحن لا نزال عاجزين عن أن ننهض بمستلزمات التصدى الفعال.

●●

وبعد ..

فان الحالة خطيرة. والاهمال معناه تعريض المصير العربى بأكمله للخطر! لكن يبقى أن بالامكان رفع مستوى القدرة العربية إنمائياً وأمنياً، إذا توفرت الارادة ضمن تصور قومى واضح ومتكامل لما نريد، تكون التصورات القطرية منسجمة معه. وهذا شرط أساسى. وإذا اتبعنا هذه التصورات بأهداف نحددها بدقة. وأتبعنا ذلك برسم استراتيجية تحرك الارادة العربية. ثم أتبعنا ذلك أيضاً بسياسات رشيدة وحكيمة، وبخطط عمل رشيدة وحكيمة .. وانطلقنا.

وعندئذ نستطيع أن نرسي ركائز المجتمع العربى المنشود. مجتمع يحقق التنمية .. والحرية .. والوحدة .. والعدالة ..

د. يوسف صايغ

زاوية الرأي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

.. والعلم ممنوع على العرب !

منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ م والعرب تلح عليهم الأحداث والصدمات لمعرفة المعنى الحقيقي لاسرائيل ، وصانعي اسرائيل ولكن يبدو أنه يتوجب على العرب قبل كل شيء معرفة المعنى الحقيقي لانفسهم . من هم ؟ وماذا يريدون ؟ وإن الذى لا يعرف نفسه على حقيقتها ، لـن يعرف عدوه على حقيقته !!

كتب تيودور هيرتسل مفلسف الفكرة الصهيونية فى أواخر القرن التاسع عشر (علينا أن نكون جزءاً من سور للدفاع عن أوربا فى آسيا ، ومركزاً أمامياً للحضارة ضد البربرية) .

وفى هذا الربع الأخير من القرن العشرين ، أرسل مناحيم بيغن طائراته الأمريكية الصنع لضرب المنشآت العلمية العربية فى العراق تأكيداً لاستمرار دور «المركز الامامى اليهودى للحضارة الغربية والأمريكية فى آسيا» ضد ما اسماه جده تيودور هيرتسل بالبربرية .

وبالطبع فان العالم المتحضر لن يجرؤ على سؤال اسرائيل من هو البربرى ؟ أهو الذى يبنى العلم أم الذى يقصفه بالطائرات ؟!

فالحضارة يريدونها حكراً فى هذه المنطقة على اليهود ، والبربرية كما قدرها هيرتسل ، يجب أن تظل قدر العرب . وإذا ما قرر بعض العرب معاندة هذا القرار والعمل على اكتساب العلم الحقيقى والحضارة الحقيقية فالجواب هو ضربهم بالطائرات الأمريكية اليهودية (المتحضرة) وارجاعهم الى البربرية بالقوة .

هل تحتمل الغارة الاسرائيلية على منشآت العراق النووية أقل من هذا التفسير ؟ وهو أن العلم والحضارة ممنوعان على العرب بقرار صهيونى وبأدوات أمريكية . ذلك واضح كالشمس حتى لأبعد المراقبين الأجانب .

ولكن ماذا نقول لبعض اتجاهات التفكير السياسى العربى التى تحاول بحسن نية تحويل الأفعى الاسرائيلية الى خيط من حرير ، وتحويل النمر الى قط أليف ، فتجعل من نفسها فى النهاية كالنائم فى جحر الأفعى ، وكراكب النمر لا يدرى متى ينقلب عليه !

المشكلة اذن ليست فى ايجاد دولة لليهود فى فلسطين ، ولا فى اعتراف العرب بالكيان الاسرائيلى ضمن حدود آمنة وعلاقات طبيعية على فداحة ذلك ؛ فلو أن المشكلة كانت كذلك لنهجت اسرائيل طريق الحل والتهدئة بين عرب أقدموا على



بلفور



بيجين



هرتزل

الاعتراف بها واقامة العلاقات معها ، وعرب آخرين ينتظرون فقط صيغة أفضل للحل لينهوا المشكلة .

ولكن اسرائيل تابى إلا أن تصرخ فى وجه كل العرب بلا استثناء ، بانها ليست تلك الدولة ذات الحدود الآمنة التى يتصورون ، لأن حدودها الآمنة تقع فى قلب بيروت وفى قمة جبل لبنان وفى عمق المشرق العربى كله وصولا الى صرح المنشات العلمية العربية فى أقصى المشرق بالعراق ، مروراً غداً بابار النفط وأرضه ، رجوعاً بعد غد الى اجهاض أى تقدم يتحقق فى وادى النيل ، لأن اسرائيل ــ كما يؤكد بيجن ــ هى التى تقرر مصادر الخطر عليها بغض النظر عن أية أعراف أو اتفاقات دولية .

إذن فهذه اسرائيل الحقيقية ، كما حددها هيرتسل فى الأصل ، وكما يجسدها بيجن اليوم وغداً وبعد غد ، بلا وهم ولا تزويق : هى تدمير للتعايش العربى الحضارى فى لبنان وغير لبنان ، وهى محاولة لايقاف مسيرة العلم فى العراق ، وهى تسميم للعلاقة العضوية بين العربى وأخيه ، هى كل ذلك قبل أن تكون اخراجاً للفلسطينى من وطنه .

والكبار الذين خلقوا اسرائيل لم يخفوا أغراضهم أيضاً ، ولم يقولوا انها دولة مسالمة لليهود المسالمين ، بل قال بلسانهم (كامبل بانرمان) رئيس الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ وقبل صدور وعد بلفور بسنوات ما يلى بالنص الحرفى : «إن هناك قوماً يسيطرون على أرض واسعة تزخر بالخيرات وتسيطر على ملتقى طرق العالم وتجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة ولغة وتاريخ وآمال واحدة . وليس هناك حاجز طبيعى يعزل القوم عن الاتصال ببعضهم ، ولو حدث واتحدت هذه الأمة فى دولة واحدة فى يوم من الأيام لتحكمت فى مصير العالم ، ولعزلت أوربا عنه . ولذلك يجب زرع جسم غريب فى قلب هذه الأمة ، يكون عازلا من التقاء جناحيها ، ويشتت قواها فى حروب مستمرة ، ورأس جسر ينفذ اليه الغرب لتحقيق مطامعه» .

هذا ما قاله رئيس وزراء بريطانى عام ١٩٠٢ .

وبالأمس بريطانيا : واليوم أمريكا ، ولا جديد فى جعبة الغرب غير تجاهل العرب والدعم غير المحدود لعدوان اسرائيل حيثما وصل .

ومنذ حزيران عام ١٩٦٧ والعرب تلح عليهم الأحداث بل الصدمات لمعرفة المعنى الحقيقى لاسرائيل ، والمعنى الحقيقى لصانعى اسرائيل ، بلا أوهام أو تبسيط أو تقليل ، ولكن يبدو أنه يتوجب عليهم معرفة المعنى الحقيقى لأنفسهم قبل كل شىء ، وتقرير من هم ، وماذا يريدون ، لأن الذى لا يعرف نفسه على حقيقتها لن يعرف عدوه على حقيقته .

والمعرفة المطلوبة ليست بياناً يعلن ، بل هى ارادة تفعل وترد وتتحرك . وربما كان أخطر من اسرائيل على العرب بطء استجابتهم لخطر اسرائيل .

إن بعض استجابة الأمم ضد التحديات هى أخطر من التحديات ذاتها لأن من التحديات ما يوقظ الهمم ويدفع للعمل .

والمطلوب من العرب معالجة ضعف استجابتهم للخطر وتحديد علة ذلك الضعف ، أما الخطر ذاته فهو واضح ويعلن عن نفسه كل يوم بأشد الأسلحة تقدماً وفتكاً ، وبما يتعدى الضفة الغربية وغزة بكثير فى الامتداد وفى العمق !

جناح شجن يحاول أن يرتفع



بقلم : عبد الله جفري

الكاتب السعودى الكبير عبد الله جفرى يلتقى مع قراء الدوحة شهرياً ابتداء من هذا العدد ... والدوحة يسعدها أن تلتقى مع قرائها بالكاتب الكبير وبما عرفناه عنه دائماً من صدق وشفافية وأمانة فى التعبير والتفكير .

ـ «ترى .. أمازلنا نستطيع أن نطير يا صديقى ، أم وحدها الأيام تطير» ؟!

أستأذن صاحب العبارة التى قرأتها من سنوات ، فنسيت من قائلها .. وأستعيرها اليوم ، وأجول بها فى ساحات العمر .. جناح شجن يحاول أن يرتفع فلا يقدر ، وتحاول الجاذبية أن تهوى به الى السقوط فلا تقدر .. فكان شجن الانسان فى لحظات التذكر منديل حائر .. لا يدرى هل يلوح بالوداع .. أم يلوح باللقاء ؟!

التساؤل يتردد : نستطيع أن نطير نحن .. أم الأيام وحدها تطير ؟!

فى الزمن القديم .. كما نبسط الأوراق لنكتب ، فتتحول الحروف الى شموع تذوب وهى تحاول أن تضيء . ويتحول القلم الى صاروخ ينطلق ليزور الصدور فيثير كوامنها ، ويتوقف عند العقول فيستفز تحفزاتها . فلذا الكلمة «دنيا» من الضوء والحياة !!

كان ذلك .. حينما لم تكن الأجوبة أسئلة جديدة حائرة ..

كنا نستطيع أن نطير نحن ، وتبقى الأيام تتجدد ولكنها لا تطير .. تتبلور معانى جديدة .. غنية الحس .. عميقة العطاء .

كنا نطير فى آفاق المعرفة ، ونسافر أبداً الى المعانى الولود !!

كنا نشعر حينذاك أن الكلام حديث ، وأن الحديث تنفيذ الوجود !

كنا نحس كما قال ذلك الكاتب الفنان : «ان ما فى القلب يهجم على الكلمات فتصير كل كلمة جزيرة من شجر الآه ، وتتجمع الجزائر فى خصر واحد يعتصره الحب بجنون لهفته ، وتصبح اللغات كلها هدية فقيرة الى الحبيبة» !!

ذلك كان .. يوم كنا نطير نحن ، والأيام لا تطير وإنما تتجدد .. تتلون .. تفيض بحضارة العشق ، وبمدنية المعانى !!

فلما جاء إعصار الاحتلال لمساحات واسعة من أرضنا .. تكدرت الكلمة ، فنزفت قهر الأرض ، وعذاب الذين سرقت منهم الأرض !!

كانت سنوات يدكها النسيان لتمتلىء به !!

فهل نسينا أرضنا ، وحقولنـــا ، وعشقنا ؟!

إنزرع «شجر الآه» فى صدورنا .. غابات حزن كثيفة .

إمتلأت حدقاتنا بالانتظار لقنديل يضيء العتمة .

فما أوحش الليالى الوحيدة !!

سنوات طويلة بليدة .. تحولنا فيها الى ليالى وحيدة !

الموال مشروخ ..

والكلمة يتيمة .. عارية ..

والنغم حزين .. يخرج من حنجرة مذبوحة !!

أصبحت الأيام تطير ، ونحن مقعدين

فى زوايا الحزن والضجر !!
الزمن يركض .. والعالم يركض ، وهو يصنع المدنية ، ويبتكر المعرفة الجديدة !!
وحينما كان الشباب فى أوربا يرقص «التويست» .. كان جندى الصهاينة يطوح بأصحاب الأرض فوق فلسطين ويدلى أعناقهم !!
وحينما كان «أرمسترونج» يصعد الى سطح القمر .. كان الاستعمار يدفن جثث ضحايا فى أرضهم ، ويغمرها فى البحر !!
وحينما كانت «اليزابيث تايلور» تمثل أفلام الاغراء ، وتتحدث عن الحرية والمدنية فى أفلامها .. كانت تدفع المعونات لليهود ليستوطنوا أرض العرب المسروقة ، ويشردوا أهلها !!
وامتلأت أوراقنا بدمائنا ..
الكلمة التى كنا نكتبها .. نطرحها مذبوحة .. لها معالم من الدم !
وكان ذلك الألم هو وقود ننصهر فى حرارته لنفيق من جديد !
وكانت السماء التى نتوق أن نطير اليها وفى طياتها .. تشهد على جريمة يرتكبها الانسان ضد الانسان !!
كنا نفتش عن منديل نلوح به .. أما أن يعطى معنى الوداع ، فتأفل هذه الأمة ولا تقوم لها قائمة . وإما أن يعطى المنديل بشائر اللقاء .. فتعود هذه الأمة بميلاد جديد يتلفت العالم اليه !
وحينما كان السلاح غائباً .. كانت الكلمة خائرة .. مستضعفة ، وكان الانسان العربى موال ذكرى ، وأغنية فراق !!
كانت سنوات يدكها النسيان .. تمتلىء به !!
أما مشكلة الانسان فكانت تتمثل فى اهانة العشق !!
أهان عشقه للحرية .. ففشل أن يكره أعداءه !!
أهان عشقه للمعانى ، فسقط فى ماديات الحضارة .. حتى علت أمواج الرغائب فأغرقته !
أهان عشقه لدلائل القلب .. فأصبح يتعامل بالغريزة الذاتية المادية !!
غاب اليقين .. فبهتت معالم الحقيقة !!
غاب الايمان .. فازدهرت أنانية النفس ، وانتعش إلحاد العقل !!

كانت سنوات .. تعطلت فيها المعانى عن إضاءة روح وعقل الانسان !
كان زمن غريب .. يزرع الأشجار ويحرقها !!
وضعفت قدرة المنطق فى كثافة المغالطات !!
وانتهى الزمن القديم .. يوم كنا نبسط الأوراق لنكتب ..
فتتحول الحروف الى شموع ، وافترش النفوس زمن غريب .. عاصرنا فيه «حالة» الكاتب الذى يبسط الأوراق ليكتب .. فتتحول الحروق الى حرائق ، ودماء .
وانبجس من وراء الجراح صوت الشاعر الذى طرده اليهود من أرضه .. ففكر أن يقاوم بالقصيدة ، وبالنشيد .. جنباً الى جنب مع الفدائى الذى يقاوم بدمه وحياته بواسطة السلاح المتوفر له !!
وارتفعت أصوات الجراح ..
صارت الجراح تطير ، والأيام تطير ، والانسان واقف يتفرج ، ويئن ، ويتشرد !!
صارت القصيدة .. هدية الى الحبيبة الفقيرة !!
صارت الأغنية .. شجرة آه ضائعة فى غابة العالم !!
صار الانسان مسفوحاً فى العذاب .. منسياً فى منطق القوة !!

• •

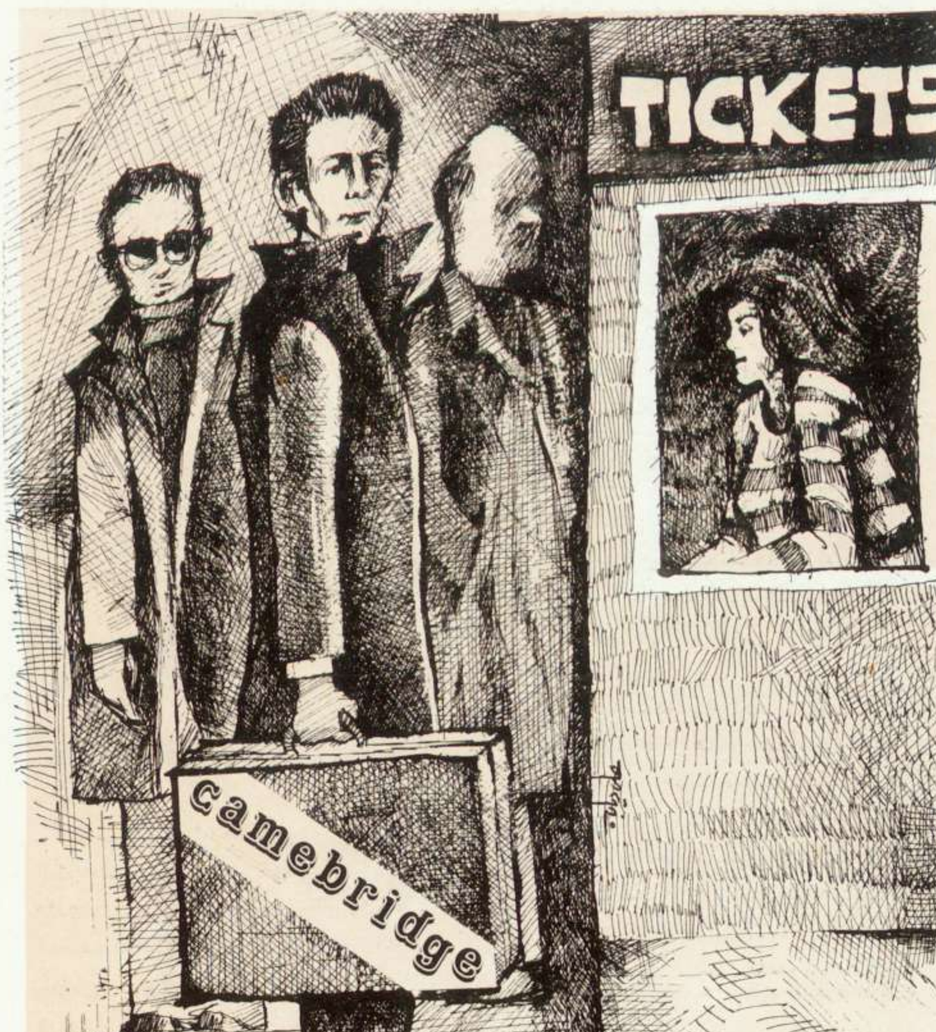
وابتدأ زمن جديد .. فكيف كانت بدايته ؟!
هل البداية .. تنطلق من التأكد بحيازة سلاح ؟!
كان لدينا ـ ذات مرة ـ سلاح ، فتحطم دفعة واحدة .. حينما كان أغلى ما يمكن أن نحافظ عليه مهدراً !
هل البداية .. مسببة بحشد جنودنا وتدريبهم ؟!
كنا ـ ذات مرة ـ قد حشدنا الجنود وأضعناهم فى التيه !!
كانت كل التقارير وحسابات الكومبيوتر تؤكد أن العدو قوى العدة والعتاد ، واننا نواجه معركة مخيفة .. استعداد عدونا ووسائله والعون له من الخارج يفوق استعدادنا ووسائلنا . ورغم ذلك تقدمنا بالخطوة الأولى .. فحققنا دلائل الانتصار !
وتساءل العربى بعد ذلك : كيف انتصرنا ؟!
وأجاب على سؤاله قائلا : بالايمان .. الايمان أساساً . حينما تسلحنا ـ أولا ـ بالايمان تقدمنا .. فكان الايمان هو الخطوة الأولى التى أذهلت العالم ، وأربكت العدو ، وخالفت حسابات الكومبيوتر ، وتفوقت على استعدادات القوة !!
وكان ما حدث .. هو البداية الحقيقية للزمن الجديد !!
كانت مخاض وحدة عميقة التأثير فى النفس والعزيمة والمنطلق . أن نؤمن أولا ثم نعمل بفاعلية ذلك الايمان .
وعندما استعدنا ايماننا .. أصبحت ملامح الزمن الجديد .. تقول : يكفى أن نمسك بالسلاح لنهزم عدونا ، وان نمسك بأيدى بعضنا البعض لتكون كلمتنا سيدة المواقف ، وان نوحد خطوتنا لنصل الى الهدف الذى نرمى اليه !!
وكما قال مبدع حرف : «كان يكفى أن نجلس أمام الورق حتى يمتلىء الورق بالنجوم ، وتصبح الطاولة بساط الريح ، ويكفى أن نمسك القلم حتى يصبح سراجاً يتوهج فوق عمود الليل» !!

• •

ذلك كله .. استرجاع لزمن قديم ، ولزمن غريب ، ولزمن جديد .. جاء ميلاده فى عودة الايمان !!
ذلك كله .. مخاض آلام صهرت الفرد والجموع . حصيلة جراح روت دماؤها أرض الكفاح ، ونتيجة عمل .. ما كان له أن ينطق لولا فاعلية الايمان فيه !!
ومرة ثانية .. أستأذن صاحب تلك العبارة التى قرأتها منذ سنوات ، فنسيت من قائلها .. لأجيب اليوم على تساؤله الضلج والمرهق فى زمن كتابتها .. أستأذنه فأقول :
ـ الآن .. نستطيع أن نطير يا صديقى نحو آفاق جديدة ، وحياة جديدة ، وعمل جديد . وتبقى الأيام تتجدد بمزيد من الانتصارات ، وبمزيد من الرؤية الواضحة العظيمة لمستقبل يلد الأجيال القادمة .. القادرة على صناعة أجوبة لكل الأسئلة الحادة !!
الآن .. يصبح الايمان يقينا .. مادام أنه ركائز أقدارنا !!
الآن .. أصبح جناح شجن يحاول أن يرتفع باصرار لا يتعب !!

كامبردج وكيمبردج وأخلاق الشعوب

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي



الحديث في المقهى ذو شجون . وفي احدى الحلقات انتهى الحديث الى الكلام عن مميزات الشعوب والفوارق الأخلاقية أو السلوكية بينها ، فقال أحد الجلساء :

ـ اذا كنت مسافراً فانك تستطيع أن تعرف من كلمة ، أو تصرف ، أو من حادث واحد ، أبرز مميزات الشعب الذي تحل في بلاده . خذوا على ذلك مثالا مر بي في انجلترا . كنت في لندن وكنت أريد زيارة كمبردج ، فقصدت المحطة وتقدمت الى شباك التذاكر وذكرت للبائعة فيه اسم المدينة الجامعية المشهورة . وأنتم تعرفون أن اللغة الأجنبية التي أتقنها هي الفرنسية ، لذا فقد نطقت الاسم هكذا : كامبردج ، بفتح الكاف . فرفعت بائعة التذاكر رأسها وسألتني : كيمبردج ؟ لافظة الاسم بكسر الكاف . فلم أفطن أنا الى الفرق بين تلفظي لاسم البلدة وتلفظها لها ، وقلت لها مكرراً : نعم ، كامبردج ، بينما أعادت هي السؤال قائلة : كيمبردج ؟ وهكذا كررت أنا طلبي وكررت هي استفهامها . وكان الناس يقفون ورائي صفاً طويلا ينتظرون دورهم لقطع تذاكرهم . إلا أن السيدة كانت مصرة على أن لا تعطيني البطاقة ما لم أطلبها بلفظ انجليزي صحيح . ولولا أن الرجل الذي ورائي حسم هذه المحاورة العقيمة بقوله : نعم يا سيدتي كمبردج ، ان السيد أجنبي على ما يظهر .. لظللت حتى اليوم واقفاً أمامها أقول

كامبردج ، فتسألنى كيمبردج ؟ .. أليس هذا ينطق ببرودة الانكليز ، وبحرصهم على الأصول ، وبعنادهم فى سبيل الوصول الى ما يريدونه من غاية ؟

● الاضراب عن اللطف

قال جليس آخر ..

– هذا يصدق كذلك على الفرنسيين اذا أردت مثالا على أسلوب حياتهم العاطفى المتميز ، وعلى تلطفهم فى الحصول على ما يبغون ، فلن أجد أحسن من هذا الذى رأيته على الحدود الفرنسية البلجيكية فى احدى رحلاتى . كنت أقصد باريس قادماً من بروكسل فى سيارتى . فلما بلغت الحدود الفرنسية أدهشنى أن أجد الطريق مسدوداً أمامى بصف طويل ، طويل جداً ، من السيارات التى لا تكاد تتحرك من مكانها . ولما طال انتظارى واشتد الزحام أمامى وورائى نزلت كما نزل عشرات الناس ، بل مئاتهم ، نتساءل عن سبب هذا الازدحام غير العادى . وهنا قصوا علينا الحكاية المضحكة التالية : لقد كان لموظفى الجمارك الفرنسيين بعض المطالب المعاشية التى طالما تقدموا بها الى رؤسائهم فلم يجدوا منهم أذناً صاغية . فلما أعيتهم الحيل اعتزموا أن يلجأوا الى أسلوب يفرضون به على المسئولين الاصغاء الى مطالبهم ، وقرروا أن يقوموا باضراب من نوع جديد ، اضراب سموه الاضراب عن اللطف . ذلك أنهم قرروا تطبيق القانون بحذافيره على كل سيارة قادمة الى الأرض الفرنسية من بلجيكا ، بايقاف السائق والتطلع الى هويته وورقة الميكانيك لسيارته ، وتفتيش الحقائب حقيبة حقيبة ، ورفع المقاعد للبحث عما تحتها ، الخ ... وبالطبع فان هذه الاجراءات كانت تستدعى وقتاً طويلا ، اذا ضرب بمئات السيارات والافها من التى تجتاز الحدود فى كل يوم عرفنا أى شلل فى حركة السير نجم عنه . وبالطبع فان خط السير الطويل كان يضم سيارات لوزراء وسفراء وقواد جيوش وموفدين خاصين ، ولأناس مرتبطين بمواعيد عاطفية هى أهم عندهم من المواعيد الدولية . فاهتزت لكل هذا أسلاك التليفون والبرق بين الحدود وباريس تستصرخ المراجع الجمركية العليا . ولكن ما الذى تستطيعه مديرية



الجمارك مع موظفيها ؟ لقد كان اقناعهم بمخالفة القانون مستحيلا . ولم تمض ساعات حتى حصل موظفو الجمارك على مطالبهم وأنهوا ذلك الاضراب العجيب . الاضراب عن اللطف ..

● فى سهول الأندلس

قال ثالث من جلساء الحلقة :

– أنا أستطيع أن أؤيد ما تقولونه بقصة من اسبانيا، حكاية جرت لي فى قطار الكوريوس فى الطريق من مدريد الى غرناطة . وقطار الكوريوس ، أو قطار البريد قطار عجيب ، يمشى على مهله مخترقاً سهول قشتالة والأندلس ، باتجاه واحد ، فلا يلاقيه قطار آخر حتى يتم دورته . يقف فى كل قرية ويكاد ينام على الشريط وقت القيلولة ، مثل كل الاسبان . وكنت راكباً فى احدى عرباته المزدحمة ، ولاحظت أن ثمة عربة فى آخره فارغة فنقلت أمتعتى وكتبى اليها ، واضطجعت على أحد دواوينها لوحدى أقرأ على مهلى . ووقف القطار فى احدى المحطات واحدة من وقفاتـــه المعهودة . وبعد دقائق سمعت حركة القطار وصفيره مبتعدين عنى بينما كانت عربتى ثابتة فى مكانها . لقد سار القطار بعد أن فصلت العربة التى كنت فيها عن القافلة . فقفزت راكضاً حتى تعلقت بالعربة الأخيرة ، وكان فيها أحد موظفى القطار فاشرت اليه بيدى نحو العربة الواقفة وأنا أقول : ليبرو ، سومبريرو .. كتبى وقبعتى ! وكان عجيباً أن يفهم منى ، وأعجب منه ما حدث بعد ذلك . فلقد صفر بصفارته وأشار بعلم أحمر فى يده الى سائق القاطرة فى المقدمة ، فوقف القطار وانحدر الموظف الى العربة الواقفة ثم عاد منها يحمل القبعة والكتب . ولما رآنى مطمئناً مد يده بعلمه وصفر بقوة فاستأنف القطار سيره مخترقاً سهول الاندلس الى غرناطة وصحراء أجدادنا الكرام فيها . أتريدون دليلا أوضح على امتزاج الكرم بالفوضى فى طباع الاسبان ؟ لاحظوا انى لا أنقدهم بهذا ، وانى أحب فوضاهم كما أحب كرمهم ...

● وتصريف الأفعال

وكان فى الحلقة أستاذ للغة لم يكتب له أن يخرج مرة عن محيط بلده . كانت رحلاته لا تتعدى كتبه وأمثاله مقتبسة من دروسه . تنحنح ، قبل أن يعقب على حكايات رفاقه ، ثم قال :

– هل تعرفون قصة الانكليزى الذى عبر القنال الى فرنسا فقضى على الشاطىء الفرنسى ساعة ثم عاد الى انجلترا ؟ لقد أمطرت السماء فى تلك الساعة فالتجأ الى حانة تخدم فيها فتاة حمراء الشعر تقدم لزبائنها نبيذ الروم . ولما سأله أهله عن فرنسا كيف وجدها قال : فرنسا ؟ انها بلد لا تنقطع فيه الأمطار ، نساؤها حمر الشعور وهم لا يشربون من المشروبات غير الروم وأنتم كذلك . ان مقاييسكم لمعرفة أخلاق الشعوب خاطئة .

قال واحد من المتحدثين فى ضيق :

– وما مقياسك أنت يا أستاذ لهذه الغاية ؟

– ان اللغة أوسع المقاييس وأكثرها شمولا . خذ منها مثلا تصريف الأفعال : الفرنسى انسان عاطفى ، فان أول فعل يصرفه هو فعل الحب : جيم ، تو ايم ... أنا أحب ، أنت تحب هو يحب . والانكليزى عنده التملك قبل كل شىء ، وأول ما يصرفه فعل التملك : أى هاف ، يو هاف ، أنا أملك أنت تملك ، الخ . أما العربى ... العربى يبدأ بفعل الضرب : ضرب زيد عمروًا ...

فضحك الجلوس وقال أحدهم : يا أستاذ أنت تستحق أن تضرب على هذه الأمثلة التى تسوقها .

قال الأستاذ : اذا فعلتم هذا دللتم على شيئين : على أنى قلت الحقيقة ، وعلى أنكم أصلاء فى نسبكم !

وضحكوا جميعاً ، بينما انصرفوا الى طرف جديد من الحديث .

الغريب

OUTSIDER



شعر : محمد الفهد العيسى



أنـا انسـان يعيش الغربـة
بيـن البشـر ...
مـع كـل الناس ..
هنـا ... وهنـاك
ضلـت عينـاه ..
هـداه بـدربه
....
الغربـة أحيـاها الليـل ..
كـل نهـارى ..
كل نهـاراتي ..
نقشـت فى أجنحـة مـن سربـه
....
لا أعرف كيـف أتيـت ... !؟
كيـف أعيـش ؟؟
برغم حياواتـي
بـين البشـر .. إنسانـاً !!!!
أنـا انسـان ..
علـق انساني فى هدبـه

(٢)

أحـرف كلمـاتي تتكسـر فوق شفاهي ..
علـى مشنقـة لهاتـي تغتـال ..
تنكسـر ... تخنـق !!!!
أنـا الانسـان الضائـع ..
في وجـدان البشـر ..
الانسـان المذبـوح ..
على مائدة الغيلان الموبـوءه
....
الانسـان الوجـدان . !! ؟
بنـات مـن عشـق ..
وئـدت فى « جاهلية » القرن العشريـن .

د. حافظ الجمالي

الليبرالية في الفكر



أدونيس



محمود درويش



قسطنطين زريق

إن الأخذ بكل صور التصنيف ـ عندما يتحدث أبناء الجيل الصاعد عن مذاهب المفكرين ـ يجعلنا ننتهى الى القول : إننا قوم لم نرزق بين مفكرينا لا سلامة الفكر ، ولا حسن النية ، ولا رصانة الثقافة . ومع أن التاريخ كرس من بيننا شعراء مثل أدونيس ، ونزار قبانى ، ومحمود درويش ، فقلما ينعقد الاجماع عليهم ، على الرغم من عشرات الألوف الذين يهرعون ليحضروا أمسية شعرية لواحد منهم !! .

عندما يتحدث أبناء الجيل الصاعد عن مذاهب المفكرين ، الذين سبقوهم بعض الشيء الى الوجود والحياة ، فانهم كثيراً ما يستعملون أداة تصنيف ، ماركسية الأصل ، ليسموا هذا المفكر بأنه اشتراكى ، والآخر بأنه قومى ، شوفينى ، والثالث ، بأنه ليبرالى ، ولو أننى قلما أسمع بأن لهذا المفكر أو ذاك نزعة ستالينية .

وبطبيعة الحال ، فان الأوصاف التى استخدمتها ، ليست كل الأوصاف ، ولا أكثر الأوصاف . إنها جزء «مهذب» من كل ضخم ، قلما تجد فيه إلا الاتهام ، والاشارات السوداء ، ومايقرب من كل شيء إلا من الطهارة والسلامة وحسن النية ، والتوازن العقلى . ولو رحنا نستبعد من قائمة المفكرين كل من يصنف عند أبناء الجيل الصاعد ، فى فئة غير مقبولة ، أو أخرى ، لوجدنا أن من يبقى من مفكرينا قائماً على رجليه ، يتمتع بحق الحياة ، عدد جد ضئيل . ومع ذلك فليس الذى يستبقى حياً فى تصنيف احدى الفئات ، يبقى كذلك فى تصنيف الأخرى ، بل يحيا هناك قوم ، يجب أن يموتوا هنا ، والعكس بالعكس ، مما يجعلنا ننتهى الى القول ، لو أخذنا بكل صور التصنيف : إننا قوم لم نرزق بين مفكرينا لا سلامة الفكر ، ولا حسن النية ، ولا رصانة الثقافة ، ولا هم يحزنون . ومع أنك تجد بين الناس من «كرسهم» التاريخ والتاريخ الثقافى ، على الأقل ، مثل أدونيس ، ونزار قبانى ، ومحمود درويش فانت قلما تجد الاجماع منعقداً عليهم ، على الرغم من أن عشرات الألوف من الناس العاديين والمثقفين معاً ، يهرعون ، بأكبر السرعة ، ليحضروا أمسية شعرية لأى من هؤلاء ، أو أمثالهم ، وأذكر على سبيل المثال أن لأدونيس كتاباً هاماً جداً ، حول الثابت والمتحول ، يقدم فيه أطروحات ضخمة ، مثيرة ، ذكية ، مثيرة للاهتمام قطعاً . ومع ذلك فأكاد على تتبعى الدائم لما يكتب هنا وهناك ، لا أعثر على أية دراسة جدية تناولته بالتحليل والنقد ، حتى لكأن الكتاب لم يكتب قط . وكذلك نشر الدكتور قسطنطين زريق كتاباً عن «المستقبلية والمستقبل العربى» بعنوان : نحن والمستقبل ، وهو كتاب هام جداً ، ولا

الليبرالية في الفكر


شارل العاشر


نابليون


بسمارك

أحسب أن مثقفاً بين أى نوع ، يمكنه أن يستغنى عنه . ومع ذلك فقلما وجد من يتناوله بالتعليق .. ومنذ مدة قليلة قرأت لأحد المفكرين العرب ، ممن طوتهم الأيام على عجل ، جملة يقول فيها إن العقل العربى برميل بلا قعر ، لا يتراكم فيه شيء ، ولا يبقى فيه شيء . وأظن أننى أجد مناسبات كثيرة لتصديق مثل هذا القول

• • •

لكن هذه مقدمة ، أعود منها الى العنوان الذى أنطلق منه أو الموضوع الذى أحب أن أبسط القول فيه . إنه الليبرالية والفكر . وأقول : إن الدرجة (الموضة) الشائعة لدينا ، هى أن نصم مباشرة بأسوأ النعوت كل من نشم مما يكتب صورة ما من صور الليبرالية ، كما لو أن هذه «عار كبير» متى علق بالانسان، فلا طهارة له منه الى أبد الآبدين . وتأمل قليلا : أيمكن أن يوجد بين المفكرين من يمكن أن يكون ليبرالياً ؟ ولقد قرأت للدكتور عصمت سيف الدولة مجموعة كتب ، أبرزها : نظرية الثورة العربية ، والاشتراكية العربية . ولاح لي أن هذا الرجل ، المخلص والرصين ، بالتأكيد ، يعرض حول الجدلية المادية أفكاراً يجب أن تحملنا على الايمان مباشرة بانه ليس للجدلية المادية من قيمة علمية ، بل هى مخالفة للعلم . إلا أن من الطريف أن هذا المفكر يعقد فصلا لنقض الليبرالية «نقضاً حاسماً» لينتهى الى القول : بجدل الانسان ، بدلا من الجدلية المادية . وبمقدار ما أفهم ، فانه يصعب علي أن أجد فرقاً واضحاً بين الليبرالية الفكرية، وبين جدل الانسان ، أو بين الديمقراطية السياسية جملة ، وبين هذا الجدل . وأتساءل : ترى ألم يضع الدكتور سيف الدولة اسم جدل الانسان ، كبديل عن الديمقراطية ، خوفاً من «سوء السمعة» التى أحاطت ، تاريخياً ، بكلمة الليبرالية ؟ أتساءل عن هذا وجلا ... وأقول : مادمت أنظر الى هذا الرجل نظرة ملأى بالاعجاب والتقدير . فهل يمكن أن أتساءل ، بصدده ، مثل هذا السؤال ؟ أو يجوز بل أو يمكن لأمثاله أن يتنكر وراء كلمات معينة ، أو تعابير جديدة يخترعها ليرفع من قدر أفكاره ، أو ليدفع عنها ما قد يحيط بها من اللبس الذى نسجه التاريخ ؟ ومرة أخرى أقول : ما أقل ما كان لهذا الكتاب ، أو لمجموعة كتب سيف الدولة ، وكتب نديم البيطار ، التى يتكرر طبعها ، باستمرار ، من شأن فى الحياة العامة . فكأن هذه أيضاً لم تكتب قط . وسواء أوجد آلاف من الناس يقرأون هذا الكتاب أو ذاك ، أم لم يوجد من يقرأ البتة فان المهم أن ما يقرأ – ولا سيما الهام جداً – يجب أن يحدث أثراً ما فى بلورة الأفكار ، وتعيين الاتجاهات ، وتحديد معالم الطريق ... فاذا لم يحدث هذا الأثر فكأن الذى قيل لم يقل قط .

• • •

● لماذا كانت الليبرالية سيئة السمعة؟

ولكن لماذا كانت الليبرالية «سيئة السمعة» ؟ لا شك أن الليبرالية ترادف الديمقراطية السياسية التى عرفت فى الغرب أيام التوسع الاستعمارى . وبالتالى فقد التصق الاستعمار بالنظام الليبرالى ، وأصبح كل واحد منهما صورة للآخر . ولما كان الاستعمار بغيضاً فقد أصبحت الليبرالية بغيضة أيضاً . ويذكرنى هذا بما كان الغزالى يتحدث عنه فى كتابه المنقذ من الضلال : إن المحجمة التى يوضع فيها العلق المستخدم لامتصاص دم الانسان كدواء لبعض الأمراض ، تثير فى نفوسنا بعض الاشمئزاز ، فلو غسلتها وطهرتها مرات كثيرة ثم ملأتها عسلا صافيا لما استطعت مدافعة القرف القديم الذى ارتبط بتداعى الأفكار ، وهذه تماماً هى حال الليبرالية . وكما ارتبطت المحجمة بمنظر العلق ، فكذلك ارتبطت الليبرالية بالاستعمار ، وأصبح كل من هذين الطرفين يذكر بالآخر ، حكماً . فلابد إذن من الشعور ببعض القرف ، بشكل طبيعى ، ولو أن المنطق الخالص يفصل بينهما فصلا تاماً . فالعسل الذى يوضع فى المحجمة بعد غسلها من آثار العلق ، ليس أقل حلاوة من العسل الذى يوضع فى صحون من الذهب . إلا أن الانسان ليس «عقلا» فقط ، بل هو مجموعة مشاعر أخرى ، لا تمت الى العقل بأدنى صلة . ولابد أن نحسب حساباتنا على أن الانسان ، كحيوان عاقل ، ليس كل الانسان ، بل بعضه فقط ، وأحياناً الحد الأدنى منه ، بالتأكيد .

لكن سبباً آخر ساهم فى اثقال الليبرالية بسوء السمعة ، وهذا السبب هو شيوع النزعات الماركسية وأفكارها . وحقاً فان الليبرالية كانت تعنى دوماً حرية العمل ، وحرية الكسب ، وحرية التجارة والتبادل ... وكانت تعنى هذه كلها بأكثر مما تعنى حرية الرأى ... وكما كان يقول ستالين : من هو الذى يستطيع أن يعبر عن رأيه فى بلاد البورجوازيين ؟ أوليس هذا وقفاً على الأغنياء دون الفقراء ، وعلى من يملك الصحف ، دون من لا يملكها ، وعلى من يستطيع شراء المطابع ، لا على من لا يستطيع شراءها ؟ وإذن ، فلا شك أن الليبرالية تعنى الفروق بين الطبقات ، والقبول المسبق ،

بهذه الفروق ، واعتبارها أشياء طبيعية وأخلاقية معاً . وماذا تريد لمفهوم ، كالليبرالية ، يقترن بالاستعمار من جهة أولى ، ثم بانقسام الناس الى أقلية غنية مستثمرة ، وأكثرية كبيرة فقيرة ، أقول : ماذا تريد لمفهوم أن يكون أكثر من هذا ، حتى يصبح بغيضاً ؟

• • •

ومع ذلك فانى أجد الليبرالية الفكرية ضرورة لا مفر منها فى أى نظام اجتماعى معقول ، أو مقبول ، مهما يكن شأن الليبرالية كمفهوم بغيض أو غير بغيض وألاحظ أن الليبرالية لم ترافق الاستعمار دوما . إذ أن الثورة الفرنسية ، البورجوازية ، ربما أقرت حرية العمل والتجارة ، ولكنها لم تقرر حرية الرأى ... وظلت هذه معرضة للاضطهاد ، كالشعوب المستعمرة تماماً ، منذ بدء الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، حتى عام ١٨٧٠ . وطبيعى أن جو الثورة الفرنسية لم يكن يسمح إلا بحرية الرأى لفريق محدود جداً من الناس . وكذلك لا ينتظر أحد أن تكون هذه مقبولة فى عهد نابليون ، ولا عهد لويس الثامن عشر ، أو شارل العاشر ، ويصح هذا حتى فى عهد ملك الفرنسيين لوي فيليب عام ١٨٣٠ ... وأظن أنه من غير المعقول أن يتوقع أحد أن تكون هنالك حرية رأى فى عهد الامبراطور نابليون الثالث . وبالجملة فان أكثر الاستعمار قد تم عندما لم تكن هناك ليبرالية فكرية .

وليس هذا الأمر بصحيح على فرنسا وحدها ، بل هو صحيح على أكثر الدول الغربية المتقدمة ، كألمانيا بسمارك وغليوم الأول والثانى ، أو كملوك هولندا وبلجيكا وايطاليا ... وأنا لا أشك أن كل الاستعمار إنما تم ، عندما تم ، فى عهود الليبرالية الاقتصادية حقاً ، ولكن لا فى عهود الليبرالية الفكرية .

ومن المفارقات الكبرى أن الليبرالية الفكرية التى يفترض حكماً أنها مرافقة أو قرينة لليبرالية الاقتصادية ، دون أن ترافقها فعلا ، هى التى أتاحت ، لدى قيامها واستقرارها ، ظهور الأحزاب والصحف الداعية الى أكبر عدالة اجتماعية . وحتى أولئك الفقراء الذين لم يكونوا قادرين على التعبير عن آرائهم ، صاروا بعد تجمعهم قادرين على ذلك فعلا ، وأصبحت لهم مكاتب ، ودور نشر ، ومجلات تملأ الساحات الفكرية كلها . فكأن الليبرالية الفكرية عندما وقفت على قدميها ، لم تقف إلا لتندد بالاستعمار والظلم ، والفروق بين الطبقات ، واللامساواة بين الناس ، بل لم يعرف هذه الآثام كلها من يحسن التنديد بها ، إلا فى أيام الليبرالية الفكرية .

وأخيراً أصحيح أن النشر كان موقوفاً دوماً على الأغنياء ؟ إن تراثنا وتراث الأمم الأخرى غنى باسماء العباقرة ، من كل لون . وهؤلاء هم الذين عرفت كتبهم وانتشرت ، قبل المطبعة وبعدها ؟ فهل كان هؤلاء جميعاً أغنياء ؟ ولماذا يعتب مثل أبى العلاء المعرى على أنه أعطي الحكمة دون «الورق» أو المال ؟ إن نشر الأفكار وذيوعها منوط بمستوى العبقرية لا بمستوى الثروة أو الجاه .

• • •

لكن الليبرالية الفكرية تجد ما يدعمها وراء هذا كله ، وحتى بدون هذا كله . فلو لم تكن هنالك سلطة وشعب ، وحاكم ومحكوم ، لما كان هنالك أية مشكلة حول الليبرالية ، التى اسميها بشكل أفضل باسم «الحرية الفكرية» . ولكن وجود الحاكم أو السلطة هو الذى ينشىء هذه المشكلة بطبيعة الحال . إذ أن كل سلطة فى الدنيا تميل الى أن تستقر فى الحكم ، دون أية معارضة . وبالتالى فانها محمولة بصورة طبيعية على كم الأفواه ، وكبت الحريات ، وإبطال النقد .

لكن المشكلة هى أن السلطة شىء حي . وهى مدعوة دوماً لاتخاذ هذا القرار أو ذاك . وقد تكون هذه القرارات صغيرة الشأن ، كتحديد أسعار البضائع المختلفة . ولكنها قد تكون أهم وأعظم ، كاعلان الحرب . وهنالك ما هو وسط بين التافه والمهم . وعلى الدولة أن تتخذ فيه دوماً قراراً أو آخر .

آه ... كم كنت أتمنى أن توجد سلطة معصومة لا ترى إلا الحق ، ولا تقرر إلا الأمثل والأعدل والأنبل ... وعندئذ نستغنى جميعاً عن حرية أفكارنا تجاهها . لكن المشكلة أنه لا يوجد فى الأرض مثل هذه السلطة ... ثم أن قرارات كهذه تهم الشعب بالدرجة الأولى والأخيرة ، ولا تهم السلطة إلا فى الحد الأدنى ... ولقد أصبحنا نستشير الفتاة فى أمر زواجها ، أفلا يجب أن نستشير الشعب فى أخص قضاياه ... أم مازلنا مع هذا الشعب ، كالآباء القدماء فى عصر الحجاب ، يفرضون على بناتهم الزوج دون استشارتهن ؟ وعهدى أن هذا كان مذمة توضع على حساب الرجعية . ومع ذلك فليت الأمر أو الأمور العامة كانت فقط كالزواج القديم ... فتهون المسألة عندئذ ، ونقول : كل زوج يمكن أن يقوم بوظائف الآخر ، أو بوظائفه الأساسية . ولكن ألا نرى أن الأمور العامة أخطر بكثير من قصة الزوج ، وأنه ما كل زوج هنا يقوم بالوظائف نفسها التى يقوم بها الزوج الآخر ؟

وأخيراً فليست السلطة إلا أفراداً قلائل جداً من مجموع الشعب .. ولن تعانى أو لن يعانوا من قراراتهم أو من جرائها إلا الأقل من القليل ، أو لا شىء أبداً ... أما الذى سيعانى ، وسيدفع الثمن ، وتقع على رأسه المغارم ، ويطالب بكل التضحيات ، فهو الشعب كله ، من أطفاله الى رجاله . أفلا نستشير إذن فى قراراتنا هؤلاء الذين سيعانون بالدرجة الأولى من نتائج هذه القرارات؟

إن السلطة ليست معصومة عن الخطأ ، ولا هى مختارة بالضرورة من أرقى العقول وأعظم الكفاءات . أفلا يكون من حق هذه العقول إذن أن يكون لها رأى ما فى صورة الحياة التى يراد لها أن تحياها ؟ أم أنه متى ارتفع الانسان فى السلطة ، فقد ارتفع فى الوقت نفسه ، فى حسن الرأى ؟

د. حافظ الجمالى

نزار قبانى



عبد الكريم بن ثابت

شاعر وجودي من فاس

بقلم : عبد الكريم غلاب

عاش عمراً قصيراً عب فيه من الحياة حلوها ومرها . فلم يكن يحفل بالحياة كثيراً . كان يعنيه فقط أن يرضى نفسه وضميره ، فى النضال .. أو فى الحب . ولم يكن يهمه أن ينجح هذا الحب . يكفيه أنه يفنى فى الجمال . وأنه عاشق للحياة حتى .. الموت !!

عشرون سنة مرت على وفاة الشاعر المغربى عبد الكريم بن ثابت .

وتعود بي الذاكرة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ونحن يومئذ فى القاهرة نفتح أعيننا على عالم جديد ، العالم الذى ستفرزه الحرب : عالم مشرق ؟ أم هو الظلام الذى رمى بالانسانية الى أتون الحرب سيمد جناحيه من جديد على الآفاق التى أظلمت نفوس الانسانية فيها من جراء الظلم والاستعمار والاستغلال ؟

وكان عبد الكريم بن ثابت من الشبان المغاربة الذين تخرجوا من كلية الآداب بالقاهرة ، وهو مثلهم يتطلع الى حرية بلاده ويعمل مع المجموعة ضمن «رابطة الدفاع عن مراكش» ليحقق لبلاده الحرية التى ينشدها شعبها . ولم يكن يقف من الحرية موقف المتردد ، وهو الشاعر الذى يهيم فى شاطىء النيل يناجى القمر المنير فى سماء القاهرة الصافية ، ولم يكن ينسى حرية بلاده وهو العاشق الولهان الذى يترك حبات قلبه عند معبد الحب فى مصر الجديدة أو أثينا القديمة ...

ومن صميم قلبه الشاعر هتف :

أتراه فى يديا أم ترى فى قدميا
ذلك القيد الذى يضحك منى وعليا
ودموعى كلما أرسلتها من مقلتيا
شرب الدمع ولما يروه دمعى ريا
أين ذاك القيد أين ؟



عبد الكريم بن ثابت

أتراه اليوم عين ؟

ونشرت القصيدة «مجلة الكاتب المصرى» التى كان يصدرها العميد طه حسين ، وتلقفتها مجلة أدبية فرنسية تصدر فى باريس وكتبت عن الشاعر الوجودى المغربى ، والوجودية يومئذ المذهب اللامع بين المذاهب الفلسفية ـ الأدبية فى سماء أوربا . وكانت المجلات الفرنسية تتلقف النماذج الأدبية لهذه المذاهب التى أفرزتها الحرب، والتجأ زعماؤها اليها يتلمسون فيها حلا للمشاكل الانسانية والفكرية التى عمقتها الحرب ولم تحلها .

تكامل الصورة

لفت الشاعر اليه أنظار قراء الشعر الجيد فى الوطن العربى ، كما لفتت الحركة السياسية والنضالية فى المغرب أنظار المناضلين الى هذا البلد الذى تمرد من جديد يناضل من أجل الحرية ويسعى للاستقلال .

فى المغرب نضال وطنى قومى سياسى .
فى المغرب شعراء ينشدون الشعر الجيد.

تكاملت الصورة فى جزء من بهائها ، ومن خلال هذه الصورة البهية دخل المغرب نادى الوطن العربى متحدياً الارادة الاستعمارية التى كانت تسعى لأن تظل أبواب هذا النادى مقفلة فى وجهه .

وتتالت قصائد الشاعر فى المجلات المصرية ، وبلاده يومئذ لا تملك مجلة يخاطب من خلالها قراءه ، ولكنه كان معروفاً فى المغرب وهو بعد طالب ينشد شعر الحب والجمال فى طابعه الرومانسى الحبيب الى نفس قراء ذلك الزمان .

وظل عبد الكريم بن ثابت يحن الى هذا الأسلوب الرومانسى وهو ينشد شعراً فكرياً فلسفياً مناضلا . القيد الذى

● لم يكن يقف من الحريـة
موقف المتردد .. وهو الشاعر الذي
يهيم في شاطئ النيل ومناجاة القمر ●

● توالت قصائد الشاعر في المجلات
المصرية . ولم تكن بلاده يومذاك
تملك مجلة يخاطب من خلالها قراءه

تساءل عنه فى مطلع القصيدة :
أتراه فى يديا أم ترى فى قدميا
مايزال يعمق البحث عنه . يجول فى الآفاق ليكتشف مكامنه :

هو فى الفكر وقد ران عليه من زمان
قبل أن يوجد إنسي على الأرض وجان
قبل أن نعرف : ما العز وما ثقل الهوان ؟
قبل أن نعرف : من نحن وفى أى مكان ؟
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

فى هذا المقطع ــ الصورة يتخلص الشاعر من الذات الى الفكر ، الى التاريخ الى ما وراء الانسان .

فى الصورة الأولى يبحث عن آثاره فى يديه ، فى قدميه ، فى سخريته منه ضاحكاً ملتذاً بدموع الشاعر ، بل انه يلتهم دموع الشاعر ولا يرتوى .

الشك هو طابع التعامل مع هذا القيد الذى يملأ الآفاق ، يسلب الحرية من الكون والكائن ، ثم هو لا يبين : هو فى اليدين ؟ فى القدمين ؟ضحكاته الساخرة ترن فى الآفاق ، متعطش لا يرحم حتى دموع الشعراء ، بعيد بمقدار ما هو قريب :

أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

تبدأ الصورة بالتساؤل وتنتهى بالتساؤل .

وتلك مأساة الانسانية .

وتبلغ المأساة عمقها حينما يدرك الشاعر أنه ليس الضحية الأولى : القيد فى الفكر قبل أن يوجد إنسي على الأرض وجان ، قبل أن نفرق بين العز والهوان ، قبل أن نعرف من نحن ؟ وفى أى أرض نعيش ؟ .

ويعمق الشاعر المأساة فيقدم صورة أخرى أكثر روعة :

هو فى الروح التى ما عرفت قط السكينة
هو فيها قبل أن تظهر فى الأرض حزينة
هو فيها قبل أن توضع فى الجسم سجينة
رابض فيها كليث ثائر يحمى عرينه
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

مأساة الحياة وهى تأسر الروح ، فما عرفت بعد ذلك سكينة فى الأرض ، الروح المتمردة فى سجنها الجسمى ، الثائرة ، المرتدة الى حزنها أمام طغيان الحياة التى احتوتها كما لو كانت ليثاً غاضباً ثائراً يحمى هذا السجن الكبير . وهى ــ القيد ــ مع ذلك تدعو الى التساؤل : أين ... أتراه عين ؟ .

وتنتهى الصورة بالاستسلام ، بانهزام الانسان أمام القيد الأبدى : الحياة ، قيد ثقيل لا حيلة للانسان فى الانعتاق منه . ويستسلم بعد أن بح صوته فى التسآل :

آه من سر خفي مبهم مثل الضباب
آه لو يسمعنى اليوم وقد حم المصاب
أنا فى الدمع غريق وهو فى الصمت مذاب
بح صوتى وأنا أسأله بعض الجواب :
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

مجموعة من الصور الفلسفية ، تطبعها شاعرية أصيلة ، يتراوح أسلوبها بين التقرير الذى توحى به الفكرة ، والتصوير الذى يوحى به الفن ، والتساؤل الذى يكشف عن جهل الانسان وعجزه عن أن يكشف أسرار الكون ، والتراوح بين الحديث عن النفس ــ التجربة ــ الذى تبدأ به القصيدة : فى يديا .. فى قدميا .. كنت منذ جئت الى الأرض أغنى للجمال ... وينتهى بنفس التجربة : أنا فى الدمع غريق .. بح صوتى ، وبينهما يهيم الشاعر فى الكون .. فى النور ... مع الحبيبة وهى تروى أقاصيصها .. فى الفكر .. فى الروح ... وينتهى به المطاف الى السر الخفى الغارق فى الضباب : الضباب الذى توحى به هذه اللازمة الآسية المؤنسة التى تنتهى اليها كل صورة فى كل فقرة . لازمة يصطدم بها القارىء اذا كان من الذين يطمعون أن يحل لهم الشاعر أسرار الكون ــ القيد ...

اتجاه وجودى

.. فى القصيدة اتجاه وجودى يبلوره هذا الاحساس الشاعر بالقلق على كل مقومات الانسان : الفكر ، الروح ، العمل ، الغناء للجمال ، القلق من الشعور بالقيد دون أن يعرف الانسان : أين هو ؟ ما مصدره ؟ هل له وجود محسوس تشهده العين ؟ الشاعر يحس بمسئولية أمام الكون ، أمام نفسه ، أمام مشاعره ، أمام فكره . ولكن القلق يغمره على مصير هذه المسئولية ، وينتهى به الى الاستسلام كما استسلم الانسان منذ أدرك وفكر وفلسف الحياة ، والتجأ أخيراً الى الغيب والى التساؤل : أين ؟ والى اللاجدوى من السؤال .

فى هذا الاطار الفلسفى عاش الشاعر نوعاً من التناقض الذى هو الحياة الحقيقية للانسان المفكر منذ كان الفكر . كان عبد الكريم بن ثابت يلهب ظهر الحياة وهو يسعى فى يومه مناضلا مع المناضلين ، ومفكراً فى قضية بلاده ، وعاملا بقدر ما يستطيع ــ مع العاملين ــ ليحققوا لها الحرية فيصطدموا بالقيد . وفى ليله يلجأ الى حياة الشاعر ، يقرأ الشعر فى الوجوه الصباح ، فى النجوم ، فى القمر البهى يتلألأ على صفحات مياه النيل الرقراق ، فى الفلك تسلم عنانها للريح الرخاء ، ووراء مقلاعها صوت حنون يغنى وحيداً مع الليل والنهر والقمر والنجوم والسماء ، جائع ، شبعان . لا يدرى ولا يود أن يدرى . ويعود الشاعر الى بيته وفى قرابه أكثر من قصيدة . فى ليله الحافل بالجمال يعيش مع حبيبته تلك التى تركها فى فاس تفصلهما آلاف الأميال وسنوات الحرب . مع الجميلة التى أطلت عليه فى سماء الكلية بعينيها الخضراوين ، لونها القمحى ، شعرها الأشقر . واختفت فلم يعرفها بعد مدرج ولا فتحت عينيها

عبدالكريم بن ثابت
شاعر وجودي من فاس

الجميلتين على كتاب . مع بنت «الأكربول» الفاتنة ذات العينين الحافلتين بالعمق ، الوجه الشاحب فى بياضه كأنما صبت الحياة فى أجمل تمثال صنعه فنان الشعر السبط الناعم المندفع فى حيويته . ويذكر الليلة الراقصة التى أسفرت عن صباح ... عن الصباح الذى أدرك شهرزاد ... عن الحياة الأسرة . وكان «ليل ... وصباح» عنوان قصيدة أخرى من نفس مستوى «قيد» :

سهرت وكان شعاع القمر
ينام ويحلم فوق الغصون
وبت أشاهد ظل الشجر
كأني أشاهد بعض الظنون
ونام الأنام وحل السهر
لمن أتلفته سبيل الفنون
ومن بات يشكو الأسى والضجر
ومن قاده الحب نحو الفتون
ومن ظل يطلب خير البشر
ومن ألبسوه رداء الجنون
وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف أقضي السنين
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعي وهل تنفع

هكذا يحيي الشاعر حياته بكل أبعادها فى السهر مع شعاع القمر ، مع الآمال والآلام ، مع الحب ، مع الأسى والضجر ، مع العقل والجنون ... ويسأل : لماذا وكيف أقضي السنين ...؟ فلا مجيب إلا الصمت العميق الرهيب .

صور الحياة

ويطوف خيال الشاعر مع صور الحياة فى جمالها وقبحها فى خيرها وشرها ، فى تناقضاتها وعنف جحودها ويصطدم مع هذه الصورة :

هنالك شيخ وقور جليل
لقد مات ـ رباه ـ موت اللئيم
هنالك طفل وديع جميل
يعذب مثل الشقى الأثيم
وحب شريف وقلب يميل
الى الخير يشقى بنار الجحيم
وبغض عنيف وروح ذليل
وضيع يلاقي حظوظ العظيم
حياة قد امتزجت بالعليل
من الحق مثل امتزاج القويم

وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف أقضي السنين ؟
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعي وهل تنفع

دفقات قوية من المشاعر الانسانية تملأ خيال الشاعر وهو يقتبس صور الحياة ومفارقاتها وآفاقها البعيدة والقريبة فى الزمان والمكان ، فى



الشاعر بين الرئيس بورقيبه والطيب سليم ممثل تونس فى الأمم المتحدة

عاش عبد الكريم بن ثابت عمراً قصيراً عب فيه من الحياة حلوها ومرها . ولم يكن يحفل للحياة كثيراً . كان يهمه أن يرضي نفسه وضميره ، فى النضال أو فى الحب ، لا يهمه أن ينجح هذا الحب . فهو عاشق الى الأبد . يغني فى الجمال . تمثل الجمال فى هذا الوجه أو ذاك سيان ، تمثل فى الطبيعة ، فى السماء ، فى القمر ، فى النهر ، فى صوت جميل يغنى ، فى هزار فريد يغرد ، فى كل مكان عاش فيه يبحث عن سر الجمال لا عن متعة الحياة . بحث عن سر الجمال فى فاس (مسقط رأسه حيث عاش طفولته وجزءاً من شبابه) فى ضواحيها الجميلة ، بحث عنه فى القاهرة (ملجأه أثناء دراسته ونضاله) فى ضواحيها وشاطىء نيلها وحدائقها وأسمارها ، بحث عنه فى الرباط (مركز عمله لفترة من حياته) بحث عنه فى تونس (حيث عمل فى سفارة المغرب بها بعد الاستقلال) فى ضاحيتها الجميلة سيدى بوسعيد ، فى سواطئها الفاتنة : سوسة ، الحمامات ، موناستير .

كانت آماله فى الحب والحرية أكبر من دنياه وأطول من عمره . واصطدمت آماله فلم يبق له من دنياه غير ما صوره فى قصيدة آسية :

أملى من رماك من عليباء
بعدما قد ألفت جو السماء
ما دهاني وقد تضاءلت فى عيني
وأصبحت ضيق الأرجاء
ما أرى فيك غير شكل كئيب
مفعم بالشجون والبأساء
وعجوزاً أراك حطمها الدهر
تهادى من ضعفها فى انحناء

الشيء الذى كان يؤرق الشاعر هو هذا السجن الكبير ، هذا الوجود المثقل بالآلام والآثام يأسر الروح ويطغى بظلمه على العدل ، ببغضه على الحب ، بظلامه على النور . وكثيراً ما صور هذا الطغيان فى شعره «بائع الذكريات» احدى روائع ديوانه «ديوان الحرية» يحكى فيها قصة شريد يحاول أن يقايض كل ذكرياته فى الحياة بنهر النسيان . القصة ـ القصيدة تبدأ هكذا :

كان مساء ... وكان برد وهواء
وكان صوت العاصفة يدوى فى الفضاء
وكان صديقى يسير مخيفاً كالشبح

منتصباً كأفكار المتشائمين
والظلمة حوله كثيفة كئيبة
توحي الحزن وتبعث الهلع
قابلته صدفة
قال لي ، والدموع تنهمر من عينيه :

النفس والروح ، في الحياة والجماد ، في الفناء والخلود ، في العقل والجنون ، في الوفاء والجحود ، في الضياء والظلام ، ويسأل أخيراً : لماذا ؟ وكيف أقضي السنين ؟ فلا يجد الرحمة حتى من نفسه بين جنبيه ، تبوء بالصمت العميق الرهيب . ولا يجد بين يديه غير دموع الأسى .. وسرعان ما يسأل : وهل تنفع ؟

ليل داج عاش فيه الشاعر حتى يكاد لا يجد غير اليأس القاتل والدموع التي لا جدوى منها . ولم يكن عبد الكريم بن ثابت من الذين يستسلمون لليأس القاتل فاهتدى . وأنهى القصيدة الرائعة بهذا المقطع :

وبعد زمان ... أطل الصباح
كطفل على مهده يبسم
كعذراء بين مروج البطاح
تتيه وترقص أو تحلم
كثغر الورود كخد الأقاح
على حزن ضاحك ينعم
ونادى المنادى : الكفاح ، الكفاح
وداووا به يأسكم تسلموا
فما من سلام وما من نجاح
بغير الجهاد فلا تسأموا
وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف أقضي السنين ؟
فقالت : لأجل الخلود الحبيب
تعيش وتخلق ما ينفع
ينير دياجي هذا الأجل
جهاد وحب وصدق الأمل

الشاعر الفيلسوف ضاقت به الحياة وهو يتجول في أبعادها .

المناضل الفيلسوف ينتصر في الأخير كما ينتصر الصباح الجميل كطفل ، كوجه عذراء ، كثغر ورود ، كخد أقاح على ظلام ليل عبوس قاتم . ويجد دواء اليأس في الجهاد والنضال والحب والأمل الصادق.

بحث الشاعر طويلا عن سر الحياة في دفقات شعرية قوية فكرية وفلسفية . واكتشف الصباح بعد الليل المدلهم . كان صباحه أقوى من ليل الحياة . وكان الاجابة الواضحة عن القيد الذي ظل

● الشيء الذي كان يؤرق الشاعر هو هذا الوجود المثقل بالآلام والآثام والظلام والبغض !

يسأل عن أسراره فلم تنكشف له ، لأن عيناً لا تراه ولأن أحداً لا يعرف أين ؟

بمثل هذا النغم ظل عبد الكريم بن ثابت يغني نحواً من عشرين سنة في عمره القصير غنى لهن جميعاً ... وغنى للحقيقة ينشدها :

ترى أين ولي ؟ وكيف اختفى
أفي مهمه الغاب والظلمات
ومن ذا يغني وينشد في
سكون عميق جمال الحياة
ومن ذا الذي تحتويه العيـ
ـون وتأسره تلكم النظرات
يعربد في الليل مثل الهزا
ر ليقتل في جوفه السكنات

وغنى لثورة بلاده :

أيها المستبد في عالم غفل
وفي عالم كثير العنا
مر من ها هنا أخوك وقد كان
مخفياً في قوة ودهاء

أغنية للخلود

غنى للخلود في قصة اندماجية رائعة . ظن وصحبه أنهم قد خرجوا من دنيا الناس :

وجهلنا الأرض والناس وما
بات فوق الأرض من ذل ودون
ورياء وهوان وشقاء
وسموم واحتراب وظنون
ها هنا نحن تخطينا الدنا
وتحدينا المآسي والمنون
حسبنا أن ما يأسرنا
من زمان مات في أرض السنين
تلكم الأرض وما أشأمها
نحن فيها في قيود وسجون
كلما طافت بنا صورتها
أرعبتنا وكأنا في جنون
انه سجن كبير قيده
هذه الأعمار بئست والسنون

أتشترى مني ذكرياتي ؟
قلت بكم يا صديقي ؟
قال : بنجمة لامعة وكوب مضيء ينير لي السبيل عَلّي أعثر على نهر النسيان .

التخلص من القيد

تسير القصة ـ القصيدة هذا المسار يبحث فيها «الشريد» عن نهر النسيان يسأل عنه الشيخ العجوز ، والرجل الكالح الوجه ، والجمال الذاوي الذي امتصت السنون بهاءه والصديق رفيق الصبا .. حتى اذا أعياه البحث بدا له بصيص من نور سار في أثره وهو ينشد عند الهداية :

صاح النور : اتبعني أيها المسكين
فسأدلك على نهر النسيان
ومضى النور وصاحبي يسيران
وحدهما في ليلة حافلة بالأحزان
ووسيلتهما ركوب متن الزمان
آه منَ الزمان ...
آه من الزمان ...

القصة بسيطة يؤكد فيها الشاعر مذهبه في التخلص من القيد الذي يتخلص منه رغم طول أناة ، من العالم المليء بالآلام ، من الوجود المثقل بالآثام ، ولكنه لا يفر من القيد إلا إليه ... حتى النسيان لا يجد سبيلا اليه إلا الزمان .

عاش الشاعر حياته كما أرادها شاعراً ينشد قصائده ، يكتبها ويعتز بها ثم لا يلبث أن يهملها في أوراق ممزقة ، في مجلات مبعثرة عاش للشعر قولا وحياة . عاش للحب ، ولم يرس شراع حبه على شاطيء . تخلى عن كل شيء ، عن الأصدقاء كما كان يهمل كل ما حفلت به حياته حتى أشعاره ، تخلى عن كل شيء ودخل مستشفى عمومياً في الرباط اثر نوبة كبد ...

بعد بضعة أيام لم تكتمل أسبوعاً كانت إدارة المستشفى تبحث عن أحد من أصدقائه لتخبره انه مات ... فريداً وحيداً من كل من ربط بهم حياته العملية ، حياته الشعرية ، حياته البوهيمية . وظل شعره ينبض بالحياة . بعد أن ودع الحياة .

رحمه الله .

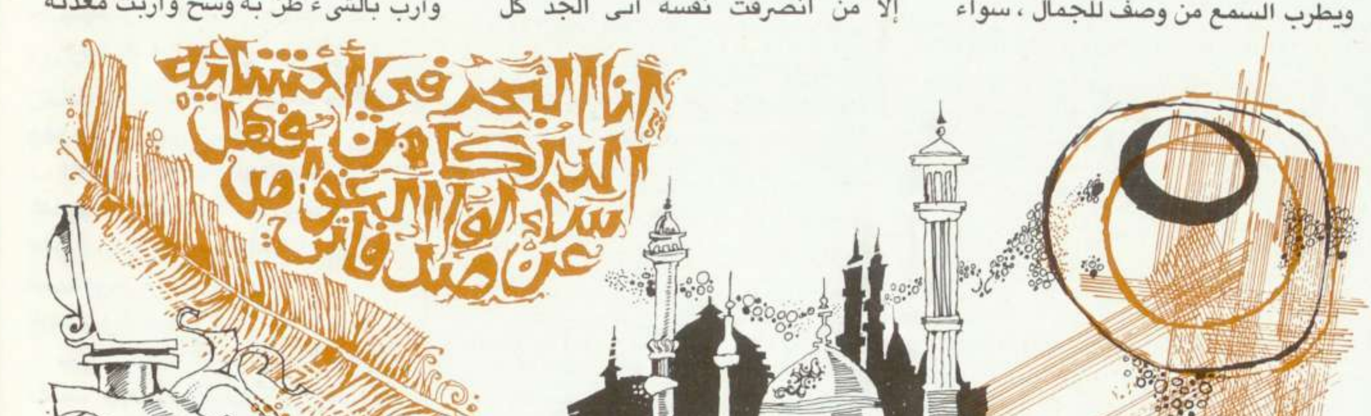
عبد الكريم غلاب

عُلماءُ اللّغة
في رياض الجمال

بقلم : عبد الرزاق البصير

.. ومهما يكن من أمر .. فان الواقع يشهد أن كثيراً من « علماء اللغة » يختلفون مع الرأى القائل إن « علم اللغة » مادة جافة لا يصبر عليها غير أولئك الذين انصرفت نفوسهم إلى الجد كل الانصراف . وإن هؤلاء الكثيرين يملكون حاسة فنية فريدة ، وإحساساً مرهفا بالجمال . ذلك أنهم لم يقفوا عن حدود الغوص ، والبحث ، والتدقيق فى « علم اللغة » . وإنما حلقوا بأجنحة خضراء فى سماوات الشعر . وقالوا أعذب الكلمات .

ربما يتصور الكثيرون أن علماء اللغة أبعد ما يكونون عن الحس الفنى الذى يتصف أصحابه برقة المشاعر ورهافة الأحاسيس ، مما يجعل فى عطائهم رقة وجمالا تستقبلها النفوس كما تستقبل الأسماع أعذب الألحان وأشجى الأنغام كما هو الحال فى عطاء الأدباء والشعراء إذ أنك تجد فى ثمرهم ما يبهج القلب ويطرب السمع من وصف للجمال ، سواء كان ذلك الجمال نابعاً من الطبيعة البشرية أو نابعاً من الطبيعة الجغرافية كتصوير الوجوه الحسان أو رياض الربيع أو تموج البحر ، وما الى ذلك من منابع الجمال . ويعود سبب هذا التصور الخاطىء الى ان اللغــة ـ وهي المادة التى ملأت نفوس علماء اللغة عشقاً لها وكلفاً بها ـ مادة جافة لا يصبر عليها إلا من انصرفت نفسه الى الجد كل الانصراف . فترى علماء اللغة يحدثونك عن اللفظة الثلاثية والرباعية والخماسية وعن المصدر الصناعى ومصدر الهيئة وعن اسم الفاعل وعن الاشتقاق وعن كيفية اختلاف مرامى اللفظة حين تكون لازمة أو متعدية ببعض حروف الجر . وكمثال على ذلك نأخذ لفظة «أرب» فان أصل لفظة أرب بالكسر والسكون هو الدهاء والبصر بالأمور ، واشتق من هذه اللفظة اسم الأريب وهو المتبصر بالأمور . واذا أضيفت هذه اللفظة بهمزة مضمومة الى الكلب صارت قلادته التى يقاد بها . والأربيان بالكسر ، سمك ، عن ابن دريد وهو اسم معروف لدى عرب الخليج أفصح ، وأرب فى الأمر بلغ فيه جهده وطاقته وفطن له وأرب الرجل اذا احتاج الى الشىء وطلبه . فمن ذلك حديث عائشة ، قالت : كان رسول الله أملككم لأربه أى لحاجته ، وأرب الدهر اشتد وأرب بالشىء ظن به وشح وأربت معدته



● كثير من علماء اللغة يملكون حاسة فنية
ونفوساً مقبلة على تصوير الجمال
● لغة القرآن تنمّي في نفوس عاشقيها أنهار الشعر والأدب
● عالم لغوي: قصائده تزيل
الهموم عن القلوب الحزينة

فسدت . فأنت ترى أن اللفظة تتغير معانيها حين تضاف الى بعض الأشياء أو حين تتعدى ببعض الحروف . وقد ذكر علماء اللغة معانى كثيرة لهذه اللفظة نكتفي بما أوردناه لأنه يوضح ما قصدنا اليه من أن العمل باللغة يقتضى الجد والتدقيق وهو أمر لا يصبر عليه الا المتخصصون، مما يجعل دراسة المعاجم ثقيلة على نفس معظم الناس ، فما بالك بمن ينفق عمره فى العمل بها ؟ . وليس من شك أن علماء المعاجم قد قدموا لهذه الأمة أجل الخدمات ،فلولا انصرافهم الى هذا العمل الشاق لما عرف قدر هذه اللغة وقيمتها ومكانتها .

الحاسة الفنية

ومهما يكن من أمر ، فان الواقع يشهد أن كثيراً من علماء اللغة يملكون حاسة فنية ونفوساً مقبلة على الجمال تقدره أعظم التقدير مما أدى بهم الى أن ينطقوا بأرق الشعر وعذبه وذلك يشهد بأن لهم نفوساً شاعرة خضراء فأنت اذا تأملت تاريخ أكثر علماء اللغة ، تجد فيه عذوبة ترتاح اليه نفسك أعظم الارتياح ، وأسطع دليل على ذلك ما نجده فى ترجمة ذلك العالم اللغوى الخليجى محمد بن الحسن المعروف بابن دريد وهو عالم شهد له جميع أصحاب التراجم بانه نادرة من نوادر الدهر ، سرعة فى الحفظ وقوة بالبديهة واثراء للغة . أما ما يدل على قوة ذاكرته فان عمه الحسين ابن دريد رأى مؤدبه يرويه معلقة الحارث ابن حلزة التى أولها (آذنتنا ببينها أسماء) فأراد عمه زيادة تشويقه ليقبل على حفظ هذه القصيدة وذلك بأن يهب له من المال ما يرضيه ، وكان عمه مدعواً على مائدة عند بعض الأعيان ، وأقبل صاحبنا ابن دريد على حفظ الشعر واذا به يحفظ الديوان بأكمله ، وما أن خرج عمه وعلم بذلك حتى امتلأ قلبه سروراً وزاد فى عطيته . وقد بلغ من سعة اطلاعه أنه كان يسابق من يقرأ عليه دواوين شعر العرب وقد بلغ من تفوقه أنه كان يقارن بالخليل بن أحمد الفراهيدى . أما عطاؤه اللغوى والأدبى فقد بلغ عشرين مؤلفاً شهد العلماء بقيمة كل مؤلف من مؤلفاته أشهرها مقصورته التى شرحها كثير من العلماء وعارضها كثير من الشعراء وهى تدل على رسوخ قدمه فى اللغة وملكته للشعر . وأنت اذا أردت أن تستشهد منها بأبيات تأخذك الحيرة لأنها كلها من النظم المختار . خذ منها مثلا قوله :

يا دهر ان لم تك عتبى فاتئد
فان اروادك والعتبى سوا
رفه على طالما أنضيتنى
واستبق بعض ماء غصن ملتحى
لا تحسبن يا دهر أنى جازع
لنكبة تعرقنى عرق المدى
مارست من لوهوت الأفلاك من
جوانب الجو عليه ما اشتكى

وما أعتقد أنى فى حاجة الى توضيح ما فى هذه الأبيات من صور ترسم قوة تعبير هذا العالم الفرد فى اللغة وثقته بنفسه ، فان هذه الأبيات واضحة الدلالة والمقصورة تجرى كلها على هذا النسق الرفيع . ومما يحبب هذا العالم اللغوى الى النفس تقديره للموسيقى ، فقد كان يزين منزله بأدوات الموسيقى غير مبال بما يكلفه هذا السلوك من نقد المتزمتين الذين يرون أن هذا أمر لا يليق بالعلماء .

أشعر العلماء

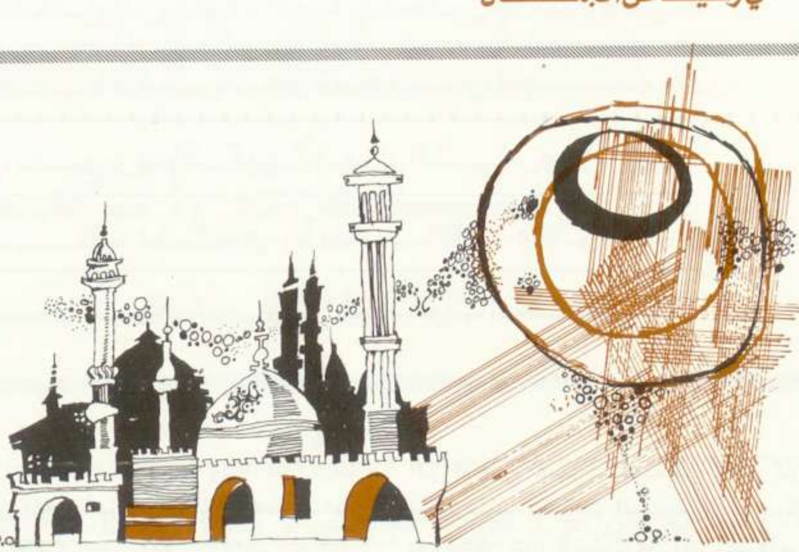
ومما يدل على رقة احساس هذا الأديب الموهوب انفعاله وهو فى طريقه الى عمان بهذا المشهد الشاعرى ، ذلك أنه رأى فاختتين تتناجيان تحت شجرة الحب تظللهما نخلتان ، واذا بأديبنا ينشد :

أقول لو رقاوين فى فرع نخلة
وقد طفل الامساء أو جنح العصر
وقد بسطت هاتا لتلك جناحها
ومر على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة
وما دب فى تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه
على أنه يحكى قساوته الصخر

وهنا ينبغى أن نتذكر بأن أديبنا لم يكن الوحيد الذى شاهد هذا المنظر فقد كان فى قافلة كبيرة قاصدين الى وطنهم العماني ، ولم تتحرك خالجة من نفوس أفراد تلك القافلة ، ولعلهم جميعاً لم يلتفتوا الى هذا المشهد المؤثر لأن نفس الشاعر هى التى تتوقف عند مثل هذه الأمور ، كذلك فلنقرأ قوله :

عانقت منه وقد مال النعاس به
والكأس تقسم لطفاً بين جلاسى
ريحانة ضمخت بالمسك ناضرة
تمج برد الندى فى حر أنفاسي

علماء اللغة
في رياض الجمال



وهذه أبيات تدل على أن هذا العالم الأديب يستحق قول من قال بأنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء .

والحق أنى لو طاوعت نفسى لأصبح هذا المقال كله مقصورا على الحديث عن هذا الأديب الموهوب والعالم المتعمق فى اللغة والأنساب والذى شاء الله له أن يتنقل من بغداد الى البصرة الى عمان والى بعض جزر الخليج وأن يقيم فى كل من هذه الأقطار فترة طويلة ينشر فيها علمه وفضله ويصبح فى كل منها زهرة يتضوع طيبها بين الناس ، غير أنى أريد أن أتنقل مع القراء الى أفنان أخرى نشأت فى نفوس بعض علمائنا اللغويين لأؤكد أن لغة القرآن إذا رسخت فى نفوس العاشقين لها أنمت فيها أنهار الشعر ورياض الأدب فتراهم يعطون العلم حقه والنفس حقها فحياتهم مزاج من العلم والنعيم ، وما ألطف مثل هذه الحياة التى تتكون من هذين المزاجين .

اللغوى الطائر

وحين نصل الى اللغوى المعروف بالجوهرى واسمه اسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، صاحب كتاب مختار الصحاح ، الذى سار ذكره فى جميع الآفاق ، نجده فى سيرة هذا العالم أحداثاً تستوقف النظر ، فان جميع مترجميه يقولون عنه بأنه كان أماماً فى علم اللغة والأدب وأنه كان يؤثر السفر ويفضله على الاقامة فى البلاد .. كل ذلك فى طلب علم اللغة .

اتسع خياله حتى تصور له بأنه قادر على أن يطير ، فصنع جناحين من خشب ، ربطهما بحبل ، وصعد سطح مسجد ، ونادى الناس قائلا ، لقد صنعت مالم اسبق اليه ، وسأطير الساعة ، فازدحم أهل نيسابور ينظرون اليه ، فتأبط الجناحين ، ونهض بهما ، فخانه اختراعه ، فسقط الى الأرض ، فكان ذلك سبب وفاته .

ولسنا نعرف ما إذا كان هذا العالم اللغوى عرف بخبر عباس بن فرناس الذى توفى قبله بمئة وعشرين سنة ، فان ذلك غير مستبعد .

وعلى أى حال ، فان هذين العالمين كانا أول من توصل خيالهما الى علم الطيران، وحاولا أن يحققا ما حلما به ، لكنهما لم يفلحا ، وذلك لا يغض من شأنهما ، فان العلم قد حقق أكثر مما كانا يحلمان به .

وللجوهرى نفثات شعرية مختلفة ، نقتطف منها هذه القطعة الشعرية الجميلة :

يا ضائع العمر بالأمانى
أما ترى رونق الزمان ؟
فقم بنا يا أخا الملاهى
نمضى الى نهر نشتقان
لعلنا نجتنى سروراً
حيث جنى الجنتين دان
كأننا والقصور فيها
بحافتى كوثر الجنان
والطير فوق الغصون تحكى
بحسن اصواتها الأغانى
وأرسل الورق عندليبا
كالزير والبم والمثانى
وبركة حولها أناخت
عشر من الدلب واثنتان
فرصتك اليوم فاغتنمها
فكل وقت سواه فان

موسوعة المفردات العربية

وهناك عالم لغوى آخر تفنن فى قول الشعر حتى أصبحت مقطوعاته تزيل الهموم عن القلوب الحزينة ، وذلك هو محمد بن مكرم المعروف بابن منظور مؤلف كتاب « لسان العرب » الذى اصبح المرجع الوحيد لمن يريد أن يتوسع فى معرفة المفردات العربية طيلة ثلاثة قرون من الزمن ، حتى جاء الزبيدى مؤلف كتاب « تاج العروس » ، فاستطاع أن يجعل الناس مستغنين عنه ، لأنه ألم به وبغيره من كتب اللغة.

ولسنا فى مجال المقارنة بين معاجم اللغة ، لأن لذلك مجالا آخر ، ولكننا أردنا أن نؤكد بأن كثيرا من علماء اللغة يملكون نفوساً متفتحة للجمال . يقول ابن منظور :

الناس قد اثموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا
ما كان ضرك فى تصديق قولهم
بأن نحقق ما فينا يظنونا
حملى وحملك ننبأ واحدا ثقة
بالعفو أجمل من أثم الورى فينا

ومن شعره قوله :

بالله ان جزت بوادى الأراك
وقبلت عيدانه الخضر فاك
ابعث الى المملوك من بعضه
فاننى والله مالي سواك

وفيما أوردناه دلالة ساطعة على أن لغة القرآن تزيد فى جمال النفوس وفى استنارة العقول .

عبد الرزاق البصير

أكثر من نافذة مضاءة

إلى مناضلات الشعب الأريتري

م. كجراي



فى لحظة التوهج النازف عبر ساحة النضال
رأيتها كانت هناك شعلة تضيء فى معارك القتال
أغنية تعشقها الرياح فى السفوح والجبال
أروع مما قيل أو يقال
أبدع من قصائد الشعر ومن تألق الخيال
كانت مهاة حلوة تحلم بالفجر وبالحريه
أجمل من حوريه
يلمع فوق خصرها طوق من الرصاص
وفى الذراع الأسمر الصامد بندقيه
وحينما تدفق الرصاص كان وجهها كالهالة النوريه
يضيء فى تألق الملامح الرائعة الثوريه
ولم تعد بطاقة وردية منسيه
سيدتى البتول
تنمرت كالغضب الساحق حين أمطر الرصاص
انطلق الزناد تحت يدها يفتح درب النور والخلاص
كانت هناك تصنع التاريخ بالفداء والجراح
تقتحم الجحيم فى صلابة الصخور فى جسارة الرياح
يا رفقة السلاح
الفجر فوق صدرها وشاح
وهأنا أفتح باب الشعر لا أملك غير نغم
ينساب فى أمسية الذهول
ماذا بوسع الشعر أن يقول
أدعوك يا أميرة السفوح والسهول
يا وردة تعبق فى رمالنا
بالعطر حين تجدب الرياض والحقول
نامى كطفل رائع يحلم بالخضرة فى حدائق البراءه
للنصر فى ربوعنا أكثر من نافذة مضاءه

د. محمد عمارة

مهام جديدة لاجتهاد جديد

امام الاستعمار الجديد .. وشركاته المتعددة الجنسية .. والنمط الاجتماعى الذى تخلقه حضارته الاستهلاكية .. والكيان العنصرى الاستيطانى الذى يحرس مخططاته ... ماذا نصنع ؟ ... وكيف تكون المواجهة ... وهل لدينا من تراثنا الحضارى ما يحدد ملامح «البديل» ؟! ..

لن تجد اليوم ، من علماء الاسلام ، من لا يتحدث عن أهمية الاجتهاد ، وضرورة فتح بابه الذى أغلقه «علماء» عصر الانحطاط ، عندما عاشت أمتنا تحت سلطان المماليك وتسلط العثمانيين ، فتوقف الخلق والابداع ، وسادت مقولة : « ما ترك الأولون للآخرين شيئاً ؟! » ..

ولن تجد اليوم ، من علماء الاسلام ، من لا يحدثك عن حدود الاجتهاد ، وكيف أنه لا أجتهاد مع وجود « النصوص» ، قطعية الثبوت وقطعية الدلالة .. فمع وجود هذه « النصوص » ـ يقولون ـ : إنه لا أجتهاد ، هكذا باطلاق وتعميم ! ..

ولن تجد من هؤلاء العلماء إلا من يحدثك عن شروط المجتهد ، من مثل : المعرفة بأسرار الكتاب والسنة ، وآيات الأحكام ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ـ فى القرآن الكريم ـ .. الخ .. الخ .. وقبل ذلك : العلم بعلوم العربية ، التى هى الأدوات والسبل لفقه آيات الكتاب وفهم أحاديث الرسول ، عليه الصلاة والسلام ..

كل ذلك معروف .. ومكرر .. ومشهور !. لكن الحق والأهم ـ فى قضية



الاجتهاد ـ هو ماوراء هذا المعروف ، والمكرر ، والمشهور ؟! ..

ففى نطاق « الفكر » الاسلامي نجد لدينا عالمين « متميزين » ، لا ترقى علاقاتهما إلى « الاتحاد » ولا تنزل إلى «الفصل» .. نجد :

ا ـ « الدين » ، بما له من « أصول » ، وما لهذه « الأصول » من « فروع » :

وأصول الدين هذه هى « وضع إلهي » نزل بها الوحي من عند الله ، فلا مجال فيها للرأى ولا مكان فيها للاجتهاد ، لأنها « ثوابت » لا يعتريها التطور أو التغير بمرور الزمن أو اختلاف المكان أو تمايز الحضارات أو تغاير الظروف والملابسات

أما « فروع » هذه الأصول وتفصيلاتها .. فهى التى كانت موضوعاً لاجتهاد المجتهدين منذ عصر النبوة وحتى تبلور المذاهب الفقهية فى عالم الاسلام .. والاجتهاد فى هذا الميدان لم يكن « اختراعاً » ولا « إبداعاً » ولا «إضافة» ، وإنما كان « تفريعاً » ، وفروضاً ، وإلحاقاً للفروع بالأصول ، بواسطة الاستدلال ... ولقد انجز الاجتهاد الاسلامي ، فى القرون الماضية ، أغلب المهام التى تستدعي الاجتهاد فى هذا الميدان .. بل ووضع الفروض والبدائل التى قد يصعب على الكثيرين تخيلها فى الكثير من المسائل والأوقات !

فالاجتهاد فى « أصول » الدين غير وارد ... والاجتهاد فى « فروعه » غير ملح ولا تستدعيه الضرورات ! .. بل ربما كان ذلك هو السبب الحقيقى في أن « إغلاق باب الاجتهاد » لم يحدث أضراراً كبرى بفكرنا « الدينى » ، اللهم إذا نحن استثنينا أضرار تراكم الخرافات والبدع على جوهر قطاع من هذا الفكر « الدينى » هذا عن الدين ، أصولا ، وفروعاً ..

ب ـ وغير « الدين » ـ فى نطاق «الفكر» الاسلامي ـ لدينا شئون « الدنيا » :

وهى تلك التى اكتفى فيها الوحي الالهي ـ لحكمة وبقصد ـ بتحديد «المثل العليا» ، والحديث عن « المقاصد والغايات » ، ورسم « الأطر العامة » فى «كليات» تتسم بالمرونة والعموم ...

● اقتصاد الوحي الإسلامي في الحديث عن الغيب والطبيعة والخلق وأصل الكون جعل بالإمكان أن نكون فلاسفة ومؤمنين في نفس الوقت

ولقد كانت للوحي ـ كما قلنا ـ حكمة فى العدول عن التحديد والتفصيل فى شئون « الدنيا » هذه ، فلم يكمل أمورها كما أكمل أمور « الدين » ، وذلك لأن نظم الحياة الدنيا وتشريعات مجتمعاتها وقوانين معيشتها متطورة دائماً وأبداً مع تعاقب القرون ، متميزة حتماً باختلاف المواطن وتغير الظروف والملابسات ... تلك كانت الحكمة ... ومن ثم كان القصد هو إطلاق العنان للعقل الانسانى المسلم كي يبدع ويخلق ويضيف ويجدد ويغير فى نظمه الدنيوية ، دونما قيد يقيده ، اللهم إلا «مصلحة جمهور الأمة» المسترشدة بالتجربة الانسانية ، و « بالكليات » و «المقاصد» و « المثل العليا »التى جاء بها الوحي « فلسفة » للنظم الدنيوية و «أطراً» لها ، لا « نظماً » و « قوانين » تحدد القوالب وتضع التفصيلات ..

هنا ، فى هذا الميدان .. ميدان « دنيا » المسلمين ـ وليس « دينهم » ـ تلح الضرورات كل الالحاح على أهمية «الاجتهاد» ..

فنحن قد تخلفنا لعوامل ذاتية وأخرى خارجية .. ما هي تلك العوامل ؟ .. لابد ، كي نجيب ، من « الاجتهاد » ! ..

ونحن أمة مستهدفة من أعداء كثيرين وعلى مر العصور ، ولذلك نواجه اليوم بتحديات كثيرة ، عسكرية واقتصادية وفكرية ، وتشرذم اقليمي ، وهى جميعاً تصب في تحد حضارى يهددنا بالسحق القومى وبتحويلنا الى هامش لحضارة الأعداء ... فكيف السبيل لمواجهة هذه التحديات ؟ .. لابد ، كي نجيب ، من «الاجتهاد» ! ..

ونحن أمة ذات تراث حضارى غنى وعريق .. وهذا التراث ، بحكم أنه ابداع تيارات فكرية متعددة ، بل ومتناقضة ، يبعث الحيرة عند قطاع من المعاصرين ، ويصيب الكثيرين بالكثير من التمزق ، وذلك بدلا من أن يوحد جمهور الأمة ويشحن شبابها بالكبرياء المشروع ! فمنا من يرى« سلفه الصالح » فى « علماء » عصر « الحواشى » و «التعليقات» و «الهوامش» و « المحسنات البديعية » وحكاكات الألفاظ ، عندما توقف الخلق والابداع .. بل ويرى فى هذه الآثار الهابطة « ديناً » يتقدس عن « النظر والرأى والاجتهاد » ! ..

ومنا من يرى فى « التعبد بالنصوص» النهج الآمن والمفيد ، فيغض من شأن العقل مكتفياً بالنقل والمأثورات ، حتى عندما تتهافت ، أمام العقل ، مضامين هذه المأثورات ! ..

ومنا من يرى فى شروح فلاسفتنا على الفكر اليوناني وتعليقاتهم على مقولات فلاسفة اليونان الابداع الحقيقى فى تراثنا ، فيدعون إلى مواصلة هذا المسعى وإكمال هذا الطريق ! ..

ومنا من يرى لحضارتنا طابعاً « وسطياً » متميزا ، وازنت به بين الأقطاب ، وألفت فيه بين ما عد فى حضارات أخرى متناقضات لا سبيل إلى الجمع بينها ، فضلا عن التوفيق .. موازنة بين « العقل » وبين « النقل » .. بين « الدين » وبين « الدنيا » .. بين «الدنيا» وبين «الآخرة» .. بين « الحكمة » وبين « الشريعة » .. بين « الفرد » وبين « المجموع » .. حتى لقد تدينت فيها الفلسفة كما تفلسف الدين ؟! .. وعز فيها وجود تيار إلحادى تاريخي ـ كما حدث فى الحضارة اليونانية وامتدادها الأوربي الحديث ـ لا لقصور فى أفق فلاسفتنا ومحدودية فى نطاق حريتهم الفكرية ، وإنما لأن اقتصاد الوحى الاسلامى فى الحديث عن الغيب والطبيعة والخلق وأصل الكون قد جعل بالامكان أن نكون « فلاسفة » و «مؤمنين» فى ذات الوقت .. فرأينا ، في تراثنا ، من

مهام جديدة لاجتهاد جديد



قالوا بقدم العالم والمادة : مؤمنين ، بل ونساكاً زاهدين ، لو أقسموا على الله ، سبحانه ، لأبرلهم الايمان ! ..

فأي صفحات من تراثنا نستلهم ؟ .. وأى تيار من تياراته نتخذه « سلفاً صالحاً » نمد بيننا وبينه الخيوط والأسباب والأنساب ؟! .. هنا موطن ــ بل مواطن ــ « للاجتهاد » ! ..

فالاجتهاد ، إذن ، يجب أن يخرج ، وأن نخرج به من ذلك الاطار الضيق الذى عرفه تراثنا الفقهى ، والذى لا يزال يفكر فيه دارسو الفقه وقلة من الفقهاء وكثرة من أشباه الفقهاء ! .. فهؤلاء ليسوا وحدهم المطالبون بالاجتهاد ، بل إن المطالب به هم علماء الأمة وأهل الخبرة العالية والمكثفة فيها ، ومن كل المجالات والتخصصات ، لأن ميدانه الحقيقى هو أمور الدنيا ونظم معيشتها ونمط حضارة المسلمين ، وليس إلحاق فروع الدين بأصولها ، لأن هذه الأصول قد تمت بتمام الوحي ، وتلك الفروع قد أوسعها الأقدمون بحثاً واجتهاداً ، فلم يبق فى ميدانها للاجتهاد إلا هامش محدد ! ..

• •

والأمر الذى لا شك فيه أن هذه النظرة للاجتهاد تستدعى إعادة النظر حتى فى تعريفه الذى استقر له فى تراثنا الاسلامي.... فلأن أسلافنا قد حصروه فى نطاق « الفقه » ، الذى هو « علم الفروع » ، قالوا فى تعريفه : « إنه استفراغ الفقيه الواسع ليحصل له ظن بحكم شرعي » .. ووفق هذا التعريف كان ولا يزال باستطاعة من يبذل وسعه لاستخراج الفروع الفقهية من أصولها ، أو رد هذه الفروع الى تلك الأصول أن يسمى نفسه مجتهداً ، حتى ولو كان جاهلا وغافلا عن أمهات المعضلات التى تواجه الأمة فى حضارتها وحياتها الدنيوية ! ..

وعلى سبيل المثال .. فان بعض المذاهب الاسلامية ، التى لم تغلق باب الاجتهاد ، زاخرة بأعداد لا بأس بها من « المجتهدين » .. ومع ذلك فلم يحدث أن رأينا واحدا من هؤلاء « المجتهدين » يتخذ موقفاً نقديا من الأساطير التى يتمحور حولها تراث مذهبه الاعتقادى ؟! فأين « الاجتهاد » هنا ؟! .. وماذا على المجتهد أن يصنع إذا هو لم يجدد حياة الأمة منطلقاً من تحرير عقلها وتجديد عقائدها التى طمس تألقها ركام الأساطير ؟! ..

نعم .. قد لا تكون تلك خاصية ينفرد بها هؤلاء « المجتهدون » .. فنحن نشهد فى « العلم الطبيعي » « علماء » أفذاذا فى مجالات تخصصهم ، ومع ذلك نراهم أسرى للخرافات والخزعبلات ! .. وفي الحركة الصهيونية ــ على سبيل المثال ــ نجد « علماء » لامعين ، ومع ذلك يتملك عقلهم الايمان بأساطير العهد القديم ، بل ويسعون إلى تحويلها إلى قومية ودولة وواقع معاش !! .. هنا غاب المنهج العلمي ، وتخلف التكامل الثقافي ، وتراجع التنسيق بين فروع المعرفة ، فكان لدينا ــ فى الحقيقة وواقع الأمر ــ : رجال مهرة ونابغون فى « حرفهم » و «صنائعهم» ،(يعملون ظاهرا من الحياة الدنيا) ، ولكنهم لا يرتقون إلى مرتبة «العلماء» المالكين للمنهج العلمي والتصور المتكامل لفروع الثقافة ومجالات العلوم .. وبالمثل ، فان «المجتهد» الذى يقبع في ميدان الفقه ــ بعد أن انتهت المعارك الحقيقية فى هذا الميدان ــ لا يمكن أن يكون فارس العصر ، فهو ليس « المجتهد » بالمعنى الحقيقى والمعاصر للاجتهاد ؟ ! ..

فليس « الفقه » ــ بالمعنى والحدود التقليدية له ــ هو الميدان الذى يلح علينا كي نفتح الباب للاجتهاد ... وليس طلاب علم الفقه هم أهل الاجتهاد الذين يحتاجهم العصر الذى نعيش فيه .. وليس الفقهاء وأشباه الفقهاء فى بلادنا ــ وحدهم ــ هم فرسان ميدان الاجتهاد !

إن أمتنا تقف ــ حقا لا مبالغة فيه ــ فى مفترق الطرق :

● أمام الاستعمار الجديد ... وشركاته المتعددة الجنسية .. والنمط الاجتماعي الذى تخلقه حضارته الاستهلاكية .. والكيان العنصرى الاستيطاني الذى يحرس مخططاته ... ماذا نصنع ؟ .. وكيف تكون المواجهة ؟ .. وهل لدينا من تراثنا الحضارى ما يحدد ملامح « البديل » ؟! ..

● وأمام التخلف الحضارى ، وخاصة أسبابه الذاتية والداخلية ، ماذا نحن صانعون كي نفلت من قيوده ؟ .. وماهو النموذج الذى علينا أن نبشر به ونسعى لتسويده ؟ .. وأى عصر من عصورنا الحضارية والتاريخية هو بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا نقطة الانطلاق ، وتربة الجذور ، والأوتاد التى نمد إليها الخيوط ؟؟ ..

● وإذا كانت قضيتنا ، فى الجوهر والأساس ، هي « التخلف » .. فهل يحلها أن نسعى للحاق بالغير ، حتى ولو أصبحنا وإياهم أبناء حضارة واحدة ؟!.. أم أن لأمتنا ، حضاريا ، طابعاً متميزاً ، الأمر الذى يفرض علينا أن نحارب « التبعية » حربنا « للتخلف » ، بل ربما أكثر ، إذ بدون « الاستقلال » الحقيقى ، وعلى رأس بنوده « التميز » الحضارى ، لن نتجاوز التخلف ، اللهم إلا إذا فقدنا ماهو أعز من « التقدم » فقدنا الهوية والذات ؟!..

في هذه القضايا ، ومثلها ، يجب الاجتهاد ... وإلى هذه الميادين يجب أن تستنفر الأمة فرسانها المؤهلين للاجتهاد فى هذه الميادين .. فذلك هو الاجتهاد الحق .. وهؤلاء الفرسان هم أولو الأمر ، الذين أوجب الله طاعتهم ، وهم الأئمة الحقيقيون لاجتهاد العصر الذى نعيش فيه .

د. محمد عمارة

بنفسجة الغياب



فوزى العنتيل

شعر : حسن طلب

ارسلت اليه اسأله عن ديوانى «أزل النار فى أبد النور» واحدثه فى شئون الشعر ، ولم اكن اتصور أن خطابه الأخير سيجيء مع نبأ وفاته ، فالى روح الشاعر النبيل فوزى العنتيل ، أهدى هذه القصيدة .

أبكيك ؟
أم أبكى الوطن ؟
أبكيك ؟
أم أدع البكا للنيل ..
حتى يسترد فضلة الحزن القديم ..
ويتزنْ ؟!

أبكيك أم أبكى الوطن ؟
أبكيك .. أم أشكوك ؟
أم آتيك أم أرجوك ؟
إنى اليوم لن أرثيك ..
إلا أن تقر بأن سترثينى غداً !!
فدع القصائد تنتشى بالدمع ..
دع شعرى وشعرك يبكيان دماً ..
ودع شعرى وشعرك يذهبان سدى ..
وضع كل «العَروض» معاً ..
وقل :
لله درك يا بنفسجة الشجن

• • •

وصل الخطاب
ووصلت أنت ..
فيالوقت فر من وقت !!
ويالكما ذهاباً فى إياب !
قل لي بربك :
كيف كنت وقد أتى الآتى اليك ـ عليك ؟
.. كيف نضا الاهاب
عن حُر وجهك ..
دون أن ترمى بسهم الشعر طلعته ؟!
لماذا لم تدع لي فرصة حتى أرد عليك
كيد الشعر ؟
أو أدع الدواة ترى خيالك فى الكتاب ؟!
أولم يكَن ما بيننا يكفى لكى يتقهقر الآتى الغريب
وينتحي ؟
أولم يكن هذا الرسول ليستحى ؟!
أولم يكن هذا العتاب .. ؟!!
إن القصيدة حرضتنى ضد موتك
.. والقصيدة أوغرت صدرى عليك
فلم أجرب فيك ماء الحزن
لا وأبيك لم أبك
القصيدة خاصمتنى فيك ..
ويحك ..
لا تظن بى الظنون ، فما بكيتك .. إنما
وتر الرباب
هو ما يئن الآن تحت مناسبات الدمع
.. أو يتلو عليك بقية الرد الذى لم تنتظره
.. ويقتضيك صدى الجواب
ـ ولا جواب !

• • •

إن القصيدة راودتنى منك عنك
.. فما بكيتك ..
بل ضحكت ضحكت حتى كبلتنى الروح
.. ثم شربت حتى أطلقتنى !
لا تظن بى الظنون
.. فليس ما فى الكأس خمر
إنه شعر مذاب
فاشرب الى أن يستتب لك الزمان
.. ويستضيء بك التراب
وقل : التحية للصدى النائى
الوداعُ لصورة المرئى فى الرائى !
وقل :
لا در درك يا بنفسجة الغياب
لا در درك يا بنفسجة الغياب

د . محمد الدسوقي

معنى إنزال القرآن في رمضان

"وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا"

مما لا مراء فيه ولا خلاف عليه أن القرآن الكريم لم ينزل جملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما نزل منجماً تبعاً للحوادث فى بعض الأحيان، وقد بين الكتاب العزيز سر هذا التنجيم فى آيتين من آياته ، يقول الله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » (٣٢ ـ الفرقان) ، أى أنزلناه مفرقاً ليقوى فؤادك على حفظه وفهمه ، إذ كان النبى أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، ومن العسير على مثله أن يحفظ القرآن جملة واحدة .

ويقول الله تعالى أيضاً « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا » (١٠٦ ـ الاسراء) أى أنزلناه مفرقاً لتقرأه على الناس على مهل وتؤده ، فيكون ذلك أيسر لحفظ الناس إياه وأعون على فهمهم له ، وعلمهم بما فيه .

وإذا كان القرآن قد نزل مفرقاً طوال عصر البعثة وهو نحو ثلاثة وعشرين عاما ، فما معنى إنزال القرآن في رمضـــان ؟ « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٨٥ ـ البقرة) .

لقد اختلف المفسرون والفقهاء فى معنى انزال القرآن فى شهر الصيام ، فمنهم من ذهب الى أن القرآن نزل جملة فى رمضان من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فجعل فى بيت العزة ، ثم أنزل على الرسول مفرقاً بعد ذلك ، ومنهم من يفسر نزول القرآن في رمضان بابتداء نزوله ، ويقبل هذا الرأى كثير من المفسرين قديماً وحديثاً .

ويرى بعض المعاصرين أن ما ذهب إليه الفقهاء والمفسرون من تفسير لمعنى إنزال القرآن فى رمضان غير سديد ، لأنهم قصروا النزول على المعنى المادى من الانتقال والهبوط ، وليس هذا كل معنى الكلمة ، فقد استعملها القرآن في حسيات ليس فيها انتقال ولا هبوط ، كقوله : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » (٢٥ ـ الحديد) ، ولا هبوط فى الحديد ولا انتقال من مكان الى مكان ، وقوله تعالى: «يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » (٢٦ ـ الأعراف) . وليس يعنى الانزال هنا الانحدار من الأعلى إلى الأرض .

إن من معاني الانزال تقريب الشيء والهداية إليه ، وبهذا يمكن تفسير معنى انزال القرآن فى رمضان بتقريبه الى الناس وهدايتهم إليه وإيناسهم به واقبالهم عليه ، وهذا المعنى ـ وإن كان لا يتناقض أو يتعارض مع ما ذهب إليه عامة المفسرين فى الماضى والحاضر ـ يضفى على شهر الصيام معنى روحياً طيباً ، وهو أنه شهر القرآن ومدارسته والانتفاع بهديه ، والاغتراف من ينبوعه الذى لا يفيض .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من تلاوة القرآن فى رمضان وأن جبريل عليه السلام كان يعارضه بما نزل من القرآن فى كل سنة مرة فى رمضان ، وأنه عارضه به مرتين فى العام الذى قبض فيه الرسول .

فرمضان شهر القرآن تنزيلا ومراجعة وترتيلا وتدبراً وهداية ، فهو أعظم الشهور على الله ، ذكر اسمه فى كتابه دون سائر الشهور ، فلم يرد فى القرآن اسم شهر سوى رمضان .

إن إنزال القرآن في رمضان إذن يعنى تقريبه الينا حتى يكون لنا نورا فى حياتنا ، نهتدى بهديه ، ونحكمه فيما شجر بيننا ، أو فيما يجد من أحداث ونواجه من مشكلات لا نحيد عن ذلك ولا نفرط ، وإن نحن فعلنا ما أمرنا الله به كانت لنا العزة فى الدنيا والفوز بدار السلام فى الآخرة .

وحين نصت الآية الكريمة على انزال القرآن فى رمضان ، ذكرت أن هذا القرآن « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » وكان من الممكن استغناء الآية عن هذه العبارة دون أن يتأثر المعنى الذى من أجله نزلت ، وهو بيان ميقات الصوم المفروض على المؤمنين ، ولكن ذكر هذه العبارة ينبه الأذهان إلى أن القرآن لم ينزل لأمة خاصة ، وإن كان بلسان عربي مبين ، فهو هدى للناس ، وكلمة الناس تتسع فى مدلولها لتشمل البشرية كلها منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كذلك ينبه ذكر هذه العبارة إلى المقصد الأول من إنزال القرآن ، فهذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه قد جاء للناس هداية لهم ، جاء للناس ليعملوا به ، وليكون فرقاناً بين الحق والباطل ، فليس المقصد الأول منه تلاوته فى المحافل وعلى المقابر ، أو حمله على الصدور كالتمائم أو وضعه فى حجرات البيت كلوحة جميلة تزين الجدران .

وهذه العبارة تتضمن معنى ثالثاً تشير إليه ولا تتحدث عنه صراحة ، وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى : « وبينات

من الهدى والفرقان » أى أن هذا القرآن الذى هو هداية للناس فيه الدلائل والشواهد التى تفرق بين الحق والباطل، وسبيل الوقوف على هذه الدلائل هو التفكير والنظر العقلى ، فكأن تلك العبارة تبين أن الايمان الراسخ والاعتقاد الصحيح الذى لا تنال منه رياح الشك والظنون هو الذى يقوم على دعائم من التدبر والتفكير فى النفس الانسانية ، وفى خلق السموات والأرض، وما أودع الله فيهما من كائنات « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (٢١ ــ الذاريات) «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » (١٩٠ ــ آل عمران) « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١٠١ ــ يونس)

والآيات القرآنية فى هذا المجال كثيــرة ، وهى تشهد بأن الاسلام دين العقل والتفكير ، وأن على المسلمين أن يتدبروا و يتفكروا ويبحثوا وينظروا ، ليحققوا معنى العبودية الخالصة ، وليحققوا كذلك سيادة كلمة الله فى دنيا الناس بالايمان والعلم والعمل .

إن رمضان فرصة سنوية للطاعات والقربات ، وفرصة أيضاً تذكر المسلمين بأن القرآن الكريم كتاب يهدى للتى أقوم، لعل هذه الذكرى تنفعهم فلا يعتصمون بغير كتاب الله ، ولا يتبعون سبيلا سواه فهو وحده السبيل المستقيم « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٥٣ ــ الأنعام) .

دكتور محمد الدسوقي
جامعة الفاتح

هكذا تكلم جمال الدين الأفغاني

● إن الطبيعة أحكم فيك ، فهي تدبر نفسها ومن يترك شيئا عاش بدونه .

● أحقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا . وأعظمهم من يستميت ليحيى ولو واحد من الناس .

● صاحب القلم لا يحتاج الى عصا ..

● ما مات أحد فى حب أمته ، إلا واحبته .

● لا أمة بدون أخلاق ، ولا أخلاق بغير عقيدة ، ولا عقيدة بغير فهم .

● أحقر صناعة لنحات ، أنفع من تقعر النحاة ..

● من عجز عن اصلاح نفسه ، كيف يكون مصلحاً لغيره .

● من تولى زمام أمور الجمهور ، لا غنى له عن مرآة وكتاب تاريخ صحيح ، فكما أن المرآة تريه شخصه على علاته ، هكذا التاريخ ينقل أعماله فى حياته .

● الأديب فى الشرق يموت حياً ويحيا ميتاً .

● من قال ان الدين يأمر بالعسر دون اليسر وبالضار دون النافع لمجرد التقليد والمألوف فهو كذاب .

● المعوج الظاهر من الناس أقل ضرراً من الملتبس بالاستقامة .

● محدث النعمة بالمال يستعرضه فى كل مكان ومحدث النعمة بالعلم يلقيه على كل انسان .

● من الغرائب فى طبائع الانسان أنه إذا رضي استحسن القبيح واستسهل الصعب ، وإذا غضب عكس الأمر فيستقبح الحسن ويستصعب السهل ، فلو مزج الانسان ساعة رضاه فى ساعة غضبه لوقع على الهيئة المتوسطة وفاز بالفضيلة .

● كل عناصر الوجود فى هذا العالم الفاني خاضعة للعقل المطلق الانساني ، فكل مستحيل اليوم فى الطب والصناعة سوف يكون غداً ممكناً .

● انصرفنا عن الأخذ بروح القرآن والعمل بمعانيه ومضامينه إلى الاشتغال بألفاظه وإعرابه ، فوقفنا عند بابه ولم نتخط إلى محرابه .

● لو يحاسب الانسان نفسه كما يحاسب غيره ، لقل خطؤه وقرب من الكمال .

● الأعمى من يظن جميع الناس بدون أبصار .

● تبلغ المرأة بضعفها ما لا يبلغه الرجل بقوته .

● هل من حاجة للاتيان بالأدلة وضرب الأمثلة على أن أصغر الأمم ناهضت أعظم الدول وظفرت بحاجتها ونالت حريتها واستقلالها .

● إن هذا « الاستعمار » لغة ، واصطلاحاً ، مصدراً واشتقاقاً ، لا أراه إلا من قبيل اسماء الأضداد وهو أقرب الى «الخراب» و « التخريب » وإلى « الاسترقاق » و « الاستعباد » منه الى « العمار والعمران والاستعمار » !

إعلان

دولة قطر
وزارة المالية والبترول

تعلن ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول بدولة قطر عن حاجتها لشغل الوظائف التالية بادارة الطيران المدنى بوزارة المواصلات والنقل وفقا للشروط التالية :

الوظيفة	المؤهل العلمى والخبرة العملية	الدرجة الحلقة	المرتب الشهرى من	المرتب الشهرى الى	الجنسية
١ ـ محاسب	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة مدتها ثلاث سنوات فى مجال المحاسبات الحكومية ولديه المام باللغة الانجليزية .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٢ ـ رئيس شئون الافراد	بكالوريوس تجارة شعبة ادارة أعمال	د٤/ح٢	٣٧٥٠/ـ	٤٥٠٠/ـ ريال	قطرى
٣ ـ باحث قانونى	ليسانس حقوق مع خبرة مدتها سنتين في مجال العمل .	د٤/ح٢	٣٧٥٠/ـ	٤٥٠٠/ـ ريال	قطرى
٤ ـ مسئول متابعة	الشهادة الثانوية العامة أو مايعادلها مع خبرة مدتها ثلاث سنوات فى المجالات الادارية بعد الثانوية التجارية أو خمس بعد الثانوية العامة .	د١/ح٣	٣٢٥٠/ـ	٣٦٥٠/ـ ريال	قطرى
٥ ـ مشرف خدمات	الشهادة الثانوية التجارية مع خبرة مدتها سنتان اذا كان مؤهله الثانوية العامة .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى
٦ ـ سكرتير	الشهادة الثانوية التجارية أو الثانوية العامة مع خبرة لمدة سنتين فى مجال العمل بالنسبة للقطرى واربع سنوات في اعمال السكرتارية بعد الثانوية التجارية بالنسبة لابناء الخليج والدول العربية .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٧ ـ طابع	الشهادة الثانوية التجارية مع خبرة لا تقل مدتها عن أربع سنوات في اعمال السكرتارية والضرب على الالة الكاتبة وان يجيد اللغة الانجليزية .	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ـ	٢٨٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٨ ـ كاتب حسابات	الثانوية العامة أو ما يعادلها ويفضل من لديه خبرة فى مجال الحسابات .	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ـ	٢٨٥٠/ـ ريال	قطرى
٩ ـ مساعد مراقب عمليات جوية	الثانوية العامة أو ما يعادلها بالاضافة الى دورات فى مجال العمليات الخاصة بالطيران مع خبرة عملية لا لا تقل مدتها عن أربع سنوات فى مجال العمل	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
١٠ ـ مشرف محطات ارصاد جوية	شهادة رصد من معهد للارصاد الجوية معترف به أو ما يعادلها مع خبرة لا تقل مدتها عن سبع سنوات فى	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية

الوظيفة	المؤهل العلمى والخبرة العملية	الدرجة الحلقة	المرتب الشهرى من	المرتب الشهرى الى	الجنسية
	مجال الرصد ويفضل من عمل سابقا مشرفا فى احدى محطات الرصد وان يجيد اللغة الانجليزية .				
١١ ـ رصد جوى	شهادة رصد من معهد للارصاد الجوية معترف به أو ما يعادلها مع خبرة لاتقل مدتها عن خمس سنوات في مجال الرصد باحدى محطات الارصاد الجوية أو البحرية.	د٣/ح٣	ـ/٢٤٥٠	ـ/٢٨٥٠ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
١٢ ـ كتب مخازن	الشهادة الاعدادية ويفضل من لديه خبرة فى مجال العمل	د٤/ح٣	ـ/٢٠٥٠	ـ/٢٤٥٠ ريال	قطـــــرى
١٣ ـ عمل هاتف	الشهادة الابتدائية أو دورة تدريبية من احد المعاهد وسبق له أن عمل على التلكس وملما بأعمال البدالة .	د٢/ح٤	ـ/٢٠٥٠	ـ/٢٤٥٠ ريال	قطـــــرى

شـــــــروط عــــــــامـة

يمنح من يقع عليه الاختيار لشغل احدى هذه الوظائف كافة المزايا الملحقة بها كالاجازة الدورية والعلاوة الاجتماعية وعلاوة بدل السكن ومكافاة نهاية الخدمة وذلك كله طبقا للقواعد المقررة بقانون الوظائف العامة المدنيـــــة .

تقدم الطلبات خطيا باسم السيد / مدير ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول (قسم التعيينات) ص.ب ٣٦ ـ الدوحة ـ قطــر خلال ٣٠ يوماً من تاريخ نشر هذا الاعلان ، على ان يتضمن الطلب جميع البيانات الخاصة بالطالب كالسن ـ الحالة الاجتماعية ـ المؤهل العلمى والخبرة العملية ـ العمل الحالى والسابق التفاصيل الكاملة عن جواز السفر اربع صور حديثة وصور عن المؤهل العلمى والخبرة معتمدة من السلطات المختصة . يكتب على الظرف الخارجى طلب وظيفة .

حسّـــان عطـــوان

الاتجاه الواقعي الملتزم في شعر الخليج العربي

فى عـــدد سابق .. نشرت « الدوحة » الجزء الأول من هذه الدراسة تحت عنوان « اتجاهات الشعر الخليجى فى مرحلة ما بعد ظهور النفط » . وهذا هو الجزء الثانى والأخير من الدراسة :

أ ـ التيار السياسى الملتزم:

هذا الاتجاه يضم أعمق نماذج الشعر العربى الخليجى : فيه تحس بتجذر الشعر والشاعر الى حد الفناء بالأرض .. وفى قلب كل شاعر سيف .. وفى عينـه تموج رؤى بلا حدود .. ورغم كل شـىء .. تجد نورا ما بين قلوبهم وعيونهم .. ولا أغالى إذا قلت أن التزام الشعراء الخليجيين بالأرض والانسان : يعتبر نموذجاً فريداً فى النقاء والوعى ..

يا أيهـــا الخليـج

وكيف أنت أزرق على جدار قاعه
السلطان وأخضر على خرائط الغزاة
وكيف أنت أحمر تضج بالأنين »

وأكاد اعتبر الشاعر (البحرينى) (على عبد الله خليفة) أحد أهم الأصوات الشعرية الخليجيةبله العربية .. إنه لا يغادرك قبل أن يودع فى سرك « أمراً » يحلفك أن تأتمنه : إنه الوطن النائم المشرش حتى الكآبة ..

فى هذه المجاهل الموغلة الكآبة
مابين هجعة النخيل فى العراء
وامتداد حزن غابه
سأحضن المعزف بعد غيبة طويلة ..

ولأن (علياً) وعى الجرح والمظاهرات الحاشدة فى مارس ١٩٦٥ .. وسقوط الكادحين برصاص الاستعمار .. يكتب ..

قطرات من دمائك صبغت حائط بيت
فى طريق للمدارس
وصدى طلقة نار
سجل الرابع والعشرين صبح الأربعاء
كان يوماً نابضاً من شهر مارس
يافعاً بين الزحام
عندما اجتاح لظى النيران اشتات المواكب .
واقفاً ظل .. ونادت صرخة المحكوم كلا
أيها الأطفال فى كل زمان
آه ما جدوى حياتى .
أطلع الشمس وإلا .. شمعة أوقد فى قلب الظلام
صامداً ظل .. وطاشت فى وجل وهنـــا ،
قبل الأرض طويلا ..
واشتعل ..

إن نضج الرؤية الشعرية الملتزمة سياسيا لدى « على عبد الله خليفة » و « قاسم حداد » و «علوى الهاشمى» تجعل منهم مدرسة متميزة فى الشعر الواقعى الخليجى الملتزم .. فقد صدروا جميعا عن رصد القضايا الوطنية والقومية .. وحللوها تحليلا موضوعياً .. وليرسموا الطريق الأمثل للانسان بعيداً عن (الترهل) و (الدوغماتية) و (التبسيطية)

يكتب (علوى الهاشمى) .. عن الوطن

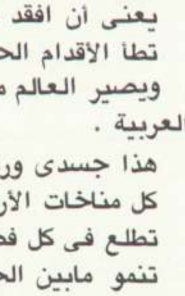
أعرف انك مثلى .. تصنع من حزنك
ارغفة وتطوف بها كل بيوت الفقراء
تكتب فوق الأبواب الموصدة /
بالجوع وبالنسيـــان /
« قمر الحزن رغيف ابيض »
وتسافر كالريح الثلجية
عبر تجاعيد الصحراء
لكنك ياوطنى / تتألق مثل النجمة /
فى خاطرة الظلمة /
والفرس العربى الكابى مازال على
ساحات الموت . رهين الكبوة ..

هنا .. حيث لا مناص من أن يعترف الشاعر (الهاشمى) .. أن الموت يترصد ويتحين الفرصة فى هذا الوطن ولكن لابد من عناق الأرض بالدم .. فلا سبيل الى اليأس .. فيقول :

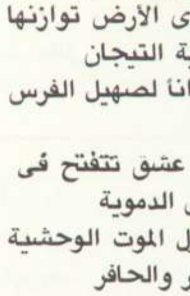
وطنى ان أكتب شعراً فيك
يعنى أن أمشى فوق جسور النار
يعنى أن افقد هذى الأرض توازنها
تطأ الأقدام الحافية التيجان
ويصير العالم ميداناً لصهيل الفرس العربية .
هذا جسدى وردة عشق تتفتح فى
كل مناخات الأرض الدموية
تطلع فى كل فصول الموت الوحشية
تنمو مابين الحافر والحافر
تحت الفرس الكابى .
وتطول على السيف وقامات السيافين

ب ـ التيار الاجتماعى الملتزم :

وشعراء هذا التيارمن شعراء الخليج العربى ؛ يصدرون عن وعي شمولى .. واحساس دافق وحار بمعاناة الانسان الخليجى .. ولا سيما وهو يصارع الطبيعة .. ويكابد أهوال البحر ؛ باحثاً



محمد الفايز



علي عبد الله خليفة

عن لقمة العيش بشرف وكرامة .
ويمثل هذا التيار الاجتماعي الوطني الملتزم ..
(على السبتى) و (محمد الفايز) .

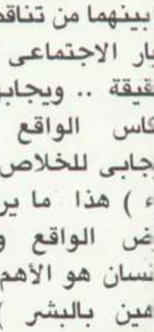
(فعلي السبتى ١٩٣٥ ـ ...) يؤكد على حرية المجتمع وامتلاكه لخيراته وثرواته .. ولكن وعيه يتحدد من خلال رؤية شمولية للغد وما سيلاقيه الانسان إذا لم يتحرر. يقول السبتي :
مدينتى كأنها تمثال
ملون مزركش لكنه تمثال
حتى النساء فى مدينتى بلا آمال ..
يبيع يشترى يستأجر الرجال ..
لكل شىء فى مدينتى له ثمن
للجنس والأطفال والسكن

ود يا مدينتى ان أجمع الحجر
وأمر القدر
ليغسل المدينة التى أحبها من البشر.
مدينتى متى أراك تزدهين بالبشر ..

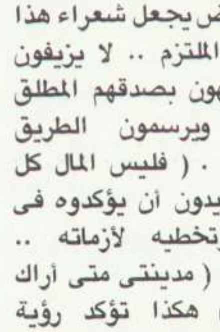
ان وضوح (الأسود) و (الأبيض) وما بينهما من تناقض يجعل شعراء هذا التيار الاجتماعى الملتزم .. لا يزيفون الحقيقة .. ويجابهون بصدقهم المطلق ارتكاس الواقع ويرسمون الطريق الايجابى للخلاص . (فليس المال كل شىء) هذا ما يريدون أن يؤكدوه فى نهوض الواقع وتخطيه لأزماته .. فالانسان هو الأهم (مدينتى متى أراك تزدهين بالبشر) هكذا تؤكد رؤية (السبتى) طريق الخلاص .. ولا ينسى (السبتى) أن يوجه انتقاديته لكل القيم السكونية والتى تاكلت وعفى عليها الزمن .. فهو يريد أن يفك أسر الحياة .. ويحررها .

اما (محمد الفايز ١٩٣٢ ـ ...) فيقف طويلا أمام معاناة انسان الخليج ومظاهر الطبيعة القاسية .. فهو يكابد الغياب فى

علوى الهاشمى



حمدة خميس



المجهول من أجل صدفة ؛ من أجل اللقمة الشريفة . ولا يفتأ أن يعود منتصراً أو لا يعود .. مخلفاً وراءه الذكريات التى لا يمحوها الزمن ولا كر السنين .. يقول على لسان هذا البحار الجواب ..

أركبت مثلى «البوم» و «السنبوك» و «الشوعي» الكبير ؟!
أرفعت أشرعة أملم الريح
فى الليل الضرير ؟
هل ذقت زادى فى المساء على حصير؟
من نخلة ماتت وما مات العذاب
بقلبى الدامى الكسير
أسمعت صوت «دجاجة» الأعماق
تبحث عن غـذاء ؟
هل طاردتك «اللخمة» السوداء
و « الدول » العنيـد ؟
وهل انزويت وراء هاتيك الصخور؟
فى القاع و «الرماى» خلفك كالخفير
يترصد الغواص .. هل ذقت العذاب
مثلى وصارعت العباب .. ؟!!..

هكذا إذ تبدو حياة انسان الخليج فى نظر هذا التيار الشعرى .. إنها محفوفة بالمخاطر يتغشاها الموت فى كل لحظة .. وهو يغوص باحثاً عن الرزق .. ولقد نقول إن هذا المظهر قد تراجع وانحسر الآن بعد الثراء .. ـ وإن ظل ـ موجودا فهو فى اطار محدود جدا .. ونرى لدى الفايز وهو يصور « دراما الخطر » شكلا شعريا يعتمد على (القص الشعرى الدرامى) .. فقصيدة البحار .. خير دليل على ذلك الجنس الأدبي .

الاتجاه الرمزى الميثولوجى

وهو اتجاه شعرى أصيل أيضاً فى أصوات شعراء الخليج .. استمد اصوله من حركة الحداثة الشعرية التى بدأها (السياب) و (البياتى) .. وأكدها (عبد الصبور) بعد ذلك .. فنجد معظم شعراء الحداثة .. يحاولون قراءة التاريخ العربى على ضوء نظرة معاصرة .. وهذا ما نجده فى معظم شعر الموجة الحديثة الجديدة .. وتكاد الشاعرة البحرينية (حمده خميس) ترد مثالا حياً على ذلك .. فهى لا تكتفى برصد الظاهرة العيانية .. بل تمزجها بخلفية ميثولوجية .. لاغناء الحدث الشعرى والرؤية الفكرية فى القصيدة .. ولعل الحديث عن الاتجاه الرمزى الميثولوجى فى شعر الخليج يقودنا آلياً الى الحديث عن مسببات ودواعى الرمز .. ومحاولات استلهام الميثولوجيا ..

وتحديدا يمكن القول : ان هذا الاتجاه لا يرى الصورة العامة صورة مبسطة ولا ساذجة فهي (فعل مركب) .. يتفجر بالدلالات والرؤى اللانهائية .. والرمز أدعى وأدخل فى النفس لأنه يحمل مضامين لا نهائية .. والرمز كأسلوب .. قادر على رصد الواقع والسمو فوقه وتعرية الزيف واماطة القناع عن الخور والجبن والنفاق .. وهذا الشكل الشعرى يحرر الشاعر من وطأة (المباشرة) الفجة الآنية التى تقول على الشىء باسمه ..

تكتب « حمـــدة خميس » عـــن السهروردى يستشرق :
جالس فوق صدرى أراقب حزنى
الذى يشبـه الشمعدان
هاطلا ظله فى ضلوعى /
يدى فوق قــلبى
واسمع فى داخلى موجة الاحتقان
تلوب / كأن الجنون سماء فؤادى /
كأن الندوب التى فى رمادى
صدى جائع : وكأنى/ يدى فوق نبضى .
وأعرف أن السجون ستكسر
وأن الضحايا مرايا بلادى /
وهذى الشظايـا
إذن ايها الرمح جاهر / ولا
توقف القلب عند العذاب
فهذا التراب الصباحى طفل
يزاول لعبته
والغياب البطولى نخل /يوزع
طلع الضحى للتفجر يثمر بحراً وحلماً
فوزع غفاءك فى ساعدى
وخذنى
وخذنى ....

وبعـــد

كانت تلك اطلالة عامة على أبرز الاتجاهات الشعرية الخليجية فى مرحلة (مابعد ظهور النفط) .. حملت كل عمق المعاناة .. وحرارة الواقع .. ونبض الحلم الى غد أفضل .. وعسانى أعود لكل شاعر عربى خليجى .. فى دراسات تفصيلية .. ومتعمقة .. فهم يشأون ظاهرة تستحق التأنى والحوار ..

حسان عطوان

التأثير العربي في الأدب العالمي

حي بن يقظان وروبنسون كروزو

يوسف الشاروني

وصف الكاتب الاسباني « منندث بيلايو » فى كتابه « أصول الرواية » حي بنُ يقظان لابن طفيل بأنها أعظم آثار الأدب العربى اصالة وتفرداً ، ورغم أن الرأى الأكثر اعتدالا أنها «من أعظم» وليست « أعظم » اذا وضعنا فى اعتبارنا عملا فنياً مثل « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعرى وغيرها ، إلا أن هذا القول يدل على مدى ما تحظى به قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل من شهرة عالمية وأثرها فيمن جاءوا بعدها . فلا شك أن التشابه شديد مثلا بينها وبين قصة « روبنسون كروزو » لدانيال ديفو (١٦٦٠ ـ ١٧٣١) حتى أنه كثيراً ما يثار التساؤل عن مدى العلاقة بينهما .



أحد الاسكتشات المرسومة لقصة روبنسون كروزو

إن أقدم ترجمة لحي بن يقظان إلى الانجليزية هى ترجمة « جورج كيث » عام ١٦٧٤ ترجمها عن الترجمة اللاتينية لادوارد بوكوك والتى كانت قد نشرت قبل ذلك بثلاث سنوات (عام ١٦٧١) . كما ترجمها عن الترجمة اللاتينية أيضاً « جورج اشويل » عام ١٨٨٦م ، وظهرت الترجمة الانجليزية الثالثة عام ١٧٠٨م عن المخطوط العربى بالمكتبة البودلية بجامعة أوكسفورد ، قام بها « سيمون اوكلى » أستاذ اللغة العربية بجامعة كمبردج . ومعنى هذا أن «ديفو» كان في الحادية عشرة من عمره عند نشر الترجمة اللاتينية ، وكان فى الرابعة عشرة عندما نشرت الترجمة الانجليزية الأولى ، وكان فى السابعة والعشرين عندما نشرت الترجمة الانجليزية الثانية ، وكان في الثامنة والأربعين عندما نشرت ترجمة أوكلي فى عام ١٧٠٨ علماً بان ديفو نشر روايته عام ١٧١٩م عندما كان فى التاسعة والخمسين من عمره .

دراسة مقارنة

ويعلن الاستاذ حسن محمود فى الجزء الأخير من رسالته (حي بن يقظان وروبنسون كروزو : دراسة مقارنة ، جامعة عين شمس ، مطبوعة على الاستنسل ، ١٩٨٠م) والذى خصصه لبيان أوجه المقارنة بين قصتي حي بن يقظان وروبنسون كروزو أن هذه الترجمات المتوالية لحي بن يقظان الى الانجليزية ـ ومن قبلها الى العبرية واللاتينية ، ومن بعدها الى اللغات الاوربية الأخرى كالألمانية ، والهولندية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والروسية .. الخ ، توضح مدى الاهتمام بالدراسات العربية فى الجامعات الانجليزية فى القرن السابع عشر ، وأن هذا الاهتمام كان له أثره الذى لا ينكر فى ذيوع قصة « حي بن يقظان » بين قراء الانجليزية .

ويعلن صاحب الرسالة فى شجاعة علمية أنه

بالرغم من ان رسالته تفترض صلة تاثير وتاثر بين قصة «حي بن يقظان» لابن طفيل ورواية «روبنسون كروزو» لدانيال ديفو، الا ان هذه الدراسة لا تدعى، ولا ينبغي لها أن تدعى، أن «حي بن يقظان» كانت المثال الوحيد الذى وضعه ديفو نصب عينيه عندما شرع فى كتابة روايته. ثم يستطرد قائلا انه لا يعيب دراسته ان تشير الى مصادر أخرى محتملة ربما كان لها اثر – قل أو كثر – على الفنان ديفو بل ان الامانة العلمية تقتضى مثل هذه الاشارة. (المرجع السابق، ص ٢٨٦).

فمن المصادر المحتملة التى أمدت «ديفو» بما انتفع به سواء فى القالب القصصي أو في الأفكار العامة التى ضمنها روايته، كتب الرحلات التى كانت شائعة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، بل كانت اللون الأدبي المفضل لدى القاريء العادى. ولعل من أهم هذه القصص قصة البحار الأسكتلندى «اليكسندر سيلكيرك» المتوفي عام ١٧٢١م والتى نشرت عام ١٧١٢ اى قبل نشر رواية «روبنسون كروزو» بسبع سنوات. وقصة «سيلكيرك» مدينة فى ذيوعها الى كتاب «رحلة بحرية حول العالم» الذى كتبه القبطان الانجليزى «وودز روجرز» ونشره فى عام ١٧١٢م. وقد كان «سيلكيرك» فى رحلة بحرية مع القبطان «وليام دامبيار» فى ربيع عام ١٧٠٣. وفى سبتمبر من عام ١٧٠٤ وصلت السفينة التى كانت تقل البحارة الى جزيرة «خوان فيرنانديث» وهناك دب خلاف بين «دامبيار» وأحد بحارته كان من نتيجته ابعاد «سيلكيرك» وتركه مهجوراً على أرض تلك الجزيرة بعد أن زوده ببعض المؤن والملابس وكتب العبادة. وقد تعذب «سيلكيرك» فى الأشهر الثمانية الأولى بسبب الوحدة والرعب والحنين. ثم اخذ يتكيف شيئاً فشيئاً، فبنى كوخين احدهما للسكن والآخر لاعداد الطعام، وأخذ يتغذى على لحوم الأغنام وانواع النباتات والفواكه، وتعرض للموت أكثر من مرة. وظل «سيلكيرك» على هذا الحال حتى عام ١٧٠٩م عندما وصلت الى ساحل الجزيرة سفينة تتبع الحملة التى كان يقودها «وليام دامبيار» و«وودز روجرز»، فنقلاه معهما الى البر الانجليزى عام ١٧١١م وروى قصته لوودز روجرز بلغة انجليزية كانت قد صدئت من قلة استعمالها حتى انه لم يفهمه إلا بصعوبة بالغة.

وتلي قصة «سيلكيرك» فى الأهمية قصة القبطان الانجليزى «روبرت فوكس» التى كانت قد نشرت فى كتاب «قصة تاريخية من سيلان» عام ١٦٨١. وكان «ديفو» على علم تام بها لانه أورد ملخصاً لها فى كتابه «الكابتن سنجلتون» الذى صدر عام ١٧٢٠م

كان فوكس ووالده وعدد من الرجال قد نفوا الى جزيرة سيلان، وفى ظروف الأسر هذه مات عدد منهم كان والد «فوكس» منهم. وبعد تسعة عشر عاماً تمكن «فوكس» واحد رفاقه من الهرب فى ظروف محفوفة بالخطر والالتجاء الى أحد المستعمرات الهولندية. ورغم أن «فوكس» لم يكن وحيداً بل معه رفاقه فى بلد ماهول إلا ان هناك أكثر من وجه شبه بينه وبين «روبنسون كروزو»، فقد كان على



دانيال ديفو

«فوكس» أن يحل مشكلتي المأوى والملبس. فقد ابتنى عددا من البيوت كما فعل «كروزو»، واستأنس كثيرا منها، وارتدى ملابس من صنعه هو، وكان ينفق الكثير من وقته فى القراءة والتامل الدينى، وأورد وصفاً للكيفية التى صنع بها أوانى خزفية وسلالا، بل هناك مزيدا من التماثل فى طبيعة السرد القصصى كطريقة التعبير عن مرور الزمن فضلا عن الشبه فى الاسلوب واللغة.

ومن الكتب المهمة الأخرى التى يفترض أنها من مصادر «ديفو» كتاب «رحلة جديدة حول العالم» الذى الفه القبطان الانجليزى المغامر «وليام دامبيار» ونشره عام ١٦٩٧ وظهر الجزءان الأخيران منه عامي ١٧٠٣، ١٧٠٩ على التوالى. ومما يعزز مظنه رجوع «ديفو» إليه انه الف كتاباً هو ايضاً يحمل نفس العنوان «رحلة جديدة حول العالم» نشر عام ١٧٢٤ وضمنه بعض المعلومات التى استقاها من كتاب «دامبيار» وغيره من كتب الأسفار التى كانت تحتويها مكتبته مع ملاحظة أن «ديفو» لم يكن بحاراً ولم تقع عيناه على أى من الجزر أو الشعوب التى أورد وصفاً لها فى كتابه.

ثم ياتى كتاب سيمبليسيزموس للكاتب الألماني «جريجلز هاوزن» الذى نشره فى عام ١٩٦٩م، ويعنينا منه مغامرات البطل الأخيرة عندما تحطمت به سفينته بالقرب من ساحل جزيرة مدغشقر. أن بعض محاولات بطل هذه القصة صنع أوانيه من التراب، وكذلك قياسه الزمن، وتصرفات تشبه مثيلاتها فى المحاولات التى قام بها كروزو.

وهناك عدد آخر من الكتب المشابهة والتى تتباين فى التفصيلات لكنها كلها تروى قصص مجموعات أو افراد وجدوا أنفسهم على جزيرة مهجورة أو مأهولة فعاشوا فيها سنوات حتى تم العثور عليهم أو الهرب منها.

ويقلل البعض مثل «بول هنتر» من تاثير «ديفو» بمثل هذه الأمثلة والتجارب، ويرى أن «ديفو» كان يتصف بصفتين أساسيتين فهو صحفى وكاتب رواية معاً. فهو كصحفى يهتم بالحدث وكروائى يهتم بالجانب الأيدولوجى. وبذلك فهو يعنيه من الأحداث أن يعزز بها ايدولوجيته اى موقفه الفكرى والخلقى والدينى. ويضيف هنتر قائلا: ولكي نعرف الدور الذى قام به «ديفو» ينبغى لنا أن نعرف الى أى من الكتب تنتمى رواية «روبنسون كروزو» وذلك لأن النهج الذى التزمه «ديفو» أملاه عليه الهدف من الكتاب أكثر مما أملته عليه كتب الرحلات التى يزيد تعدادها عن خمسمائة... ولما كانت تلك المعلومات موجودة في الموسوعات والمعاجم فانه يصعب على المرء تحديد أى من هذه المراجع جميعاً كان له الأثر الأكثر وضوحاً. ويقول ان رواية روبنسون كروزو ليست من أدب الرحلات بل أن لها غاية خلقية ودينية، وان ذكر المواضيع والناس ليس هدفاً من أهدافها ولهذا

يستعرض صاحب الرسالة المفكرين الذين مارسوا تاثيراً ما على الأدب الانجليزى فى القرن السابع عشر والذين اهتم كثير منهم بالحياة البدائية والبدائيين وبالطبيعة ويختم صاحب البحث استعراضه لهذه النقطة من البحث – المصادر التى يفترض أن لها تاثيرا فى رواية روبنسون كروزو – إلى أن ما دفعه الى ذلك هو الأخذ «بمبدأ الأمانة العلمية وبسط الحقائق كاملة على الرغم مما يحمله هذا البسط من ايجاد نوع من الاحباط فى نفس من يتتبع هذه الدراسة وكله أمل فى أن يرى تاثير «حي ابن يقظان» واضحاً جلياً لا ينازعه فى هذا التاثير منازع». ثم يستدرك قائلا: «اننا لا ننكر أن يكون من هذه المصادر ما قد أمد «ديفو» ببعض التفاصيل أو الأفكار، ولكن «حي بن يقظان» تبقى العمل الفني الفكري المتكامل الذى يغرى بالتأثر والمحاكاة من دون كل تلك المصادر». (المرجع السابق ص ٣١٦).

الفكر الطوبائي

وقصة «حي بن يقظان» تنتمي الى الفكر الطوبائى أو الى ظاهرة خلق العوالم المتخيلة ومع ذلك تحتفظ بخاصية متميزة وتلك هى الفردية، أى أنها تعرض صورة مؤثرة أخاذة لا لمجتمع أو مدينة مثالية كما ألفنا فى الطوبائيات السابقة، بل لجزيرة طوبائية يعيش فيها الانسان المثالي بعيداً عن المجتمعات البشرية «ويتفق المؤلف مع العقاد» فى رد ظاهرة نشأت الطوبائيات بوجه عام الى ظاهرة القلق والضيق بالدنيا وما فيها بسبب اضطراب الجماعة السياسية وسوء الأوضاع الاقتصادية وانحلال الأخلاق مما يدفع صفوة ممتازة من رجال الفكر لأن تتصور عوالم من صنع الخيال تتحقق فيها ما عجزت عن تحقيقه فى واقعها العملي. أما ميزة الفردية التى تختص بها قصة «حي بن يقظان» فيرجع صاحب الرسالة ردها الى سوء ظن طفيل بالناس أفرادا أو جماعات ويأسه من أن يرى فيهم الخير والصلاح، فهم، كما وصفهم فى قصة «حي» لا ينجح فيهم الوعظ ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة، ولا يزدادون بالجدل إلا اصراراً. وأما الحكمة فلا سبيل إليها، ولا حظ لهم منها، وقد غمرتهم الجهالة.

حي بن يقظان وروبنسون كروزو

ويستدرك الأستاذ حسن محمود حسن فيعلن أن حياة ابن طفيل الشخصية لم يكن فيها إلا اليسر والنعمة ، وليس أدل على ذلك من صحبته لخليفة الموحدين ، فقد كان يقيم في القصر عنده أياماً ليلا ونهارا لا يظهر «كما يقول المراكشي» احد معاصريه لكن ابن طفيل كان مهموماً بهموم الانسانية . إن طوبائية المتوحد التى تمثلها «حي بن يقظان» تمجد الانسان والعقل معاً وهي تعلي من قيمة الفرد إلى الحد الذى يوصله الى الاكتفاء بالذات وتجعله فى غنى عن حياة الجماعة مادام الجهل يحجب عنها نور الحق والحقيقة . لكن هذا الفرد ينبغى أن يتصف بصفات غير عادية من الحيوية والامتياز بحيث يستطيع التوصل الى السعادة التى لم يستطع الوصول اليها فى ظل حياة اجتماعية وهذا ما اتصف به حي وامتاز . (المرجع السابق ص ٣٢٢)

فاذا انتقلنا الى رواية «روبنسون كروزو» وجدنا انها تنتمي الى الأدب الطوبائى ذاته من حيث أنها تقدم عالما من صنع الخيال .. وانها مع ذلك تحتفظ بنفس الخاصية المميزة التى انفردت بها قصة «حي بن يقظان» وهى الفردية . ولكن طوبائية روبنسون كروزو اقتصادية تمجد العمل وترى فيه السبيل الأمثل لبقاء الانسان .

ويرى حسن محمود حسن أن تجربة عزل الانسان عن المجتمع البشرى ، وتركه ليحيا حياة عزلـه تامة يستطيع فى خلالها انجاز ما لا يمكن انجازه ، على المستويين المادى والروحي ، فيما لو ظل فى مكانه ومكانته بين الناس ، لهي تجربة فريدة وغريبة فى آن واحد . ويرى أن «دانيال ديفو» لم يكن فيلسوفاً ولا مفكراً من مفكرى عصره ، فلابد أن يكون قد استلهم قصة «حي بن يقظان» وهو يكتب قصته . ذلك أن تحويل حالة العزلة الى نجاح كان من المتعذر تصوره ، فسيلكيرك نموذج « ديفو » الرئيسى والمنبوذون المشابهون كانوا ينحدرون الى حالة من البدائية التامة فى غضون سنوات قليلة . لقد كانوا يتضاءلون ، بسبب تاثير البيئة والخوف والقلق ، الى مستوى الحيوانات ـ وفى بعض الحالات الموثوق بها كانوا يفقدون القدرة على الكلام ، أو يصابون بالجنون ، أو يموتون جوعاً . لقد وضع «ديفو» بطل روايته فى جزيرة مهجورة لما يزيد عن ثمانية وعشرين عاماً ، ثم أعاده بعد ذلك الى الوطن مكتمل العقل والبدن ، مما يرجح أن تكون قصة «حي بن يقظان» هي المثال الوحيد والنموذج الأمثل الذى حذا حذوه « ديفو » واستلهمه امكانية النجاح .

عزلة البطل

وعزلة البطل مظهر من المظاهر المشتركة بين حي ابن يقظان وروبنسون كروزو . والعزلة ليست مقصودة لذاتها بل لغايات ترجى منها . فابن طفيل كان يحاول اثبات مقولات فكرية عديدة منها : امتياز العقل الانساني .. وقدرة الانسان اللامحدودة أو الفردية التى يؤكدها ابن طفيل بالرمز والتلميح . ان حي بن يقظان فى معنى من معانيها ، احتجاج صامت على أن يظل الفرد مجرد لبنه فى بناء اجتماعى يخضع مقهورا لسلطات عدة كسلطة الحاكم وسلطة المجتمع وما يتوارثه من عادات ودين وقيم ، دون أن يكون له رأي فى أي منها ، وهو الانسان الذى حباه الله بالعقل ، وبالحواس ، وبالقدرة على الانتفاع باعضائه على أحسن وجه .. ولم تكن عزلة روبنسون كروزو كذلك دونما غاية ، فهو عندما حطت به الأمواج على ساحل الجزيرة كان مثقلا بالخطيئة وهى عصيانه والديه ـ لكنه لم يكن على وعي بها ، لذلك كان القصد من عزلته تركيز اهتمامه فى ذاته ، والالتفات الى سيرة حياته بامعان ونظر ، ودفعه الى التساؤل عن السبب فى كل ما حدث ، واظهار الصراع الذى يمر به ، وخصوصاً فى مرحلة التحول والهداية .. لم يفت « ديفو » أن يظهر مستويات مختلفة للعلاقات المضطربة بين كروزو والله ، وبينه وبين الطبيعة العادية ، ثم بينه وبين نفسه . ان نفي كروزو عن عالمه المتحضر الى حيث حطت به الأمواج على شاطىء جزيرة مجهولة ، جعل توبته وعودته الى الله ممكنة .. أما النتائج التى ترتبت على عزلة البطلين فكانت متماثلة تقريبا ، فقد حقق كل منهما نجاحاً عظيماً على المستويين المادى والروحى .

والجزيرة المهجورة مظهر ثالث من المظاهر المشتركة بين كل من العملين . فجزيرة «حي» ترمز لهذا العالم الذى يسعى الى استكشاف كنهه ومعرفة أسراره ، فضلا عما تمثله الجزيرة المهجورة من بساطة وخلو من كل آثار المدنية . وجزيرة «كروزو» تعنى كل ما تعنيه جزيرة حي مع اختلاف يتمثل فى معرفة « كروزو » بالعالم الأوسع ، وبان جزيرته جزء من كل ، ومن ثم ظل كروزو يرنو ببصره الى ذلك العالم ويتوق الى العودة إليه .

ولقد أدرك المؤلفان ضرورة توفير الأمن فى الجزيرة لكي لا تتعذر الحياة على بطليهما ، وهو أمن متعدد الجوانب : فهى أولا خالية من الوحوش الكاسرة التى تهدد البقاء ، وهى ثانيا : خالية من الأوبئة والأمراض المستوطنة ، فلم يتعرض «حي» طيلة حياته الى أمراض وكذلك « كروزو » باستثناء المرض الذى أصابه وأدى به الى التوبة . وثالثاً : فان الجزيرتين عامرتان بالخيرات ، وأرضهما خصبة .

والجزيرة المهجورة تكاد تكون مسرح معظم الحدث ، فان حياة البطلين على أرضها تشغل الحيز الأكبر من القصتين ، حتى أن ما يسبقها من احداث وما يتلوها لا يعدو أن يكون تمهيداً للوصول اليها وتكملة .

ومما يلفت النظر ان مجيء كل من «حي» و «كروزو» الى الجزيرة المهجورة كان قدر كل من البطلين ولم يكن لأى منهما ارادة فيه ، وهو فضلا عن ذلك عقاب على ارتكاب خطيئة . فى حالة «حي» لم يكن هو مرتكب الخطيئة وأن انصب عليه العقاب . فقد وقعت أمه فى حب ابن عمها « يقظان » الذى بادلها الحب ولكن أخاها الملك لم يجد من بين كل من تقدموا بطلب يدها من يستحق الظفر بها ، فاتفقت مع ابن عمها على الزواج سراً ، وكان حي ثمرة هذا الزواج . ولما خشي أبواه افتضاح أمرهما وضعاه فى صندوق القياه فى اليم فحطت به الأمواج على الجزيرة المهجورة . اما فى حالة كروزو فالخطيئة تتمثل فى معصية الابن للأب ، والخروج على ارادته الى أن تحطمت السفينة قرب ساحل الجزيرة المهجورة ، ووجد «كروزو» نفسه ملقى على صخور شاطئها وقد حل به العقاب الصارم .

لكن هذا العقاب الصارم على قسوته ، لم يكن يقصد به هدم الحياة ، بل تصحيح مسارها . وكانت هذه مهمة العناية الالهية التى لعبت دورا ملحوظاً فى كلا القصتين ، فنجاة حي من الغرق عندما القى به أبواه الى اليم ، ورعاية الظبية له فى طفولته ، وخلو الجزيرة من الأخطار التى تتهدد «حي» أو الظبية بالهلاك ، وتدبير سفينة تقل «حي» و «أبسال» الى الجزيرة المأهولة .. كل هذا يدل على مدى دور العناية الالهية فى حياة «حي» . ولم يكن دور تلك العناية فى رواية «روبنسون كروزو» أقل مما هي فى قصة «حي بن يقظان» . وللعناية الالهية أصولها فى كل من الديانتين الاسلامية والمسيحية .

نوعان من المغامرات

وقد كان لحي بن يقظان وروبنسون كروزو نوعـان من المغامرات : نوع كان ذا صلة بالبيئة فى الجزيرة وهما يلتمسان اسباب الحياة ويحاولان التغلب على الطبيعة واستئناس ما يمكن من احيائها والتكيف معها ، ونوع آخر كان ذا صبغة عقلية وروحية فى جانب «حي» ، وروحية دينية فى جانب «كروزو» .

ونجد أن مسيرة «حي» بعد صدمته فى موت الظبية ، تبدأ بدءاً جديدة ، إذ يغلب «حي» الطبيعة بقوتيه العقلية والبدنية ، بحيث يصبح سيد الجزيرة دون غيره من الأحياء ، ثم يجد الى الله سبيلا ، وذلك هو حال « كروزو » بعد المرض الذى اشرف فيه على الموت وقاده الى التوبة ، فبعد هذه التوبة لا يستأنف « كروزو» الحياة بل يبدأها من جديد ، فلم تعد الجزيرة موحشة مقلقة بل صارت جنة خضراء حتى أنه لم تعد به رغبة العودة الى الوطن .. كل هذا وهو يرى في نفسه وكيلا للعناية الالهية .. فتحول بذلك من مجرد منبوذ مهجور الى سيد مهاب له السيطرة على الجزيرة كلها . فالصدمة في القضيتين تتمخض عن ميلاد وبعث جديدين ، يضيفان على البطلين ميزات شخصية ، وخصائص فردية ، لم يكن أي منهما يتصف بمثلها من قبل .

وقد مارس كل من البطلين عمليات البناء والزراعة واستخدام النار والانتفاع بالصيد بدرجات متفاوتة وطرق تختلف بعداً أو قرباً . ولاشك

ان المعلومات التي اوردها كل من ابن طفيل ودانيال «ديفو» عن نشاة الانسان الاولي كاكتشاف النار والانتفاع بها والاهتداء الى الصيد واتخاذه مصدرا من مصادر الغذاء واستئناس الحيوان للاستفادة به والى الاشتغال بالزراعة ، لا شك ان هذه المعلومات قد استقاها المؤلفان من التاريخ القديم ، وهى معلومات عامة متعارف عليها فى كلا المجتمعين العربي والانجليزي .

ففي القصتين معا تتبع للمراحل التي مر بها الانسان الاول ، وهو في حالة من البدائية ، واستقصاء لتاريخه الحضاري ، وتكون النواة الاولى للمجتمع البشري من التقاء اثنين او اكثر من الناس ، تجمعهما اهداف وغايات مشتركة تواضعا عليها ، واقر الضعيف منهما للاقوى بحق القيادة والتوجيه فنشات عن ذلك أولى مظاهر السلطة .

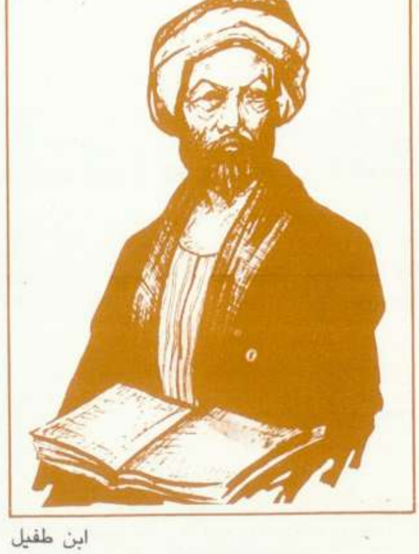
فقد شاهد « حي » فى ذات يوم رجلا يسير على ارض الجزيرة ، فوقف يتعجب منه مليا . ولم يكن الرجل إلا « أبسال » ، الزاهد المتعبد الذى هجر مجتمعه وجاء يطلب العزلة . ومضى بعض الوقت قبل أن يلتقيا فقد كان كل منهما يخشى صاحبه وينكره . فلما هدأت مخاوفهما وتعارفا ، وتعلم حي لغة أبسال ، أفضى اليه بما يمر به من تجارب ومعارف ومشاهدات ، وقص عليه أبسال قصته . عند ذلك تآلف الرجلان ، وأعجب أبسال بحي فالتزم خدمته والاقتداء به .

فاذا عدنا إلى رواية روبنسون كروزو وجدنا البطل فيها يمثل الانسان الاول فى اسلوب معيشته ، ثم تنتهى حياة العزلة وحياة التفرد التى كان يحياها عندما ينقذ « فرايداى » من أيدى قبيلته الذين كانوا قد أتوا الجزيرة ليجعلوا منه طعامهم ، فاصبح تابعه ومؤنس وحدته ، ليتكون من التقائهما نواة مجتمع صغير تكون السيادة فيه للأقوى وهو «كروزو» .

ومما يلفت النظر أن فكرة التعرى ـ وكل منهما فى جزيرة مهجورة ـ قد استوقفت البطلين فاستنكراها . فالتعرى أمر تنكره الأديان السماوية والاعراف الاجتماعية ، لهذا كان منطقياً أن يأبى البطلان الخروج على مالم يشأ المؤلفان الخروج عليه رغم أن كلا منهما كان بعيدا عن المجتمع الانساني .

وإذا كان « روبنسون كروزو » قد استمد فكرة ضرورة تغطية جسده من الحياة الحضارية والاجتماعية التى كان يعيشها قبل مجيئه على جزيرته ، فان حي بن يقظان قد استمد الفكرة مما يحيط به من حيوانات وجدها كلها « كاسية بالأوبار والأشعار والريش .. وكان ايضاً ينظر الى مخارج الفضول من سائر الحيوان فيراها مستورة .. فكان كل ذلك يكربه ويسوءه . فلما طال همه فى ذلك كله ـ وهو قد قارب سبعة أعوام ـ ويئس من أن يكمل ذلك وما قد أضر به نقصه اتخذ من أوراق الشجر العريضة شيئاً جعل بعضه خلفه وبعضه أمامه ... الخ » (أحمد أمين ، حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردى ، مؤسسة الخانجى ، ١٩٥٨ ، ص ٧٣) .

ومما يسترعى الانتباه فى القصتين معاً أن حياة البطلين خالية من الجنس ومن مجرد التفكير فيه . ويحاول الاستاذ حسن محمود حسن أن يعلل ذلك بالغاية التى كان يرجو كل من المؤلفين بلوغها . فابن



ابن طفيل

طفيل كان يرجو لحي بن يقظان أن يبلغ ذرى فى المعرفة العقلية والالهية ، وكذلك كان « ديفو » يرجو لروبنسون كروزو أن يثبت قدرة الانسان على مواجهة الطبيعة ويدنو من الله بعد التوبة . وكانت العزلة ضرورية يقتضيها التفرغ لمثل هذه المهام . والعزلة عن الناس رجالا ونساء ، لذلك كان طبيعياً الا يولي أى من البطلين اهتماماً بالجنس وإلا فقد كان على المؤلفين ادخال عنصر نسائى وفى ذلك اخلال ببيئة كل من القصتين وبعد عن الغاية المرجوه .

ومن أوجه الشبه البارز فى القصتين لقاء كل من حي بن يقظان وأبسال ، وروبنسون كروزو وفرايداى فكلا البطلين لا يلتقى بصاحبه إلا فى أواخر القصة ، حيث يكون المؤلفان قد استنفذا معظم الأغراض التى أبدعا عمليهما الفنيين من اجلهما ، فيأتى اللقاء مكملا ومقررا لبعض الآراء المبثوثة فى ثناياهما . كذلك تجد أن كلا الوافدين الجديدين راودته فكرة الهرب عند التقائه بصاحبه لأول مرة ، فلما لم يتحقق له ذلك استسلم الى الفزع والى الرعب والتردد . وكلا المقيمين ، حي وكروزو ، يجد أن من واجبه طمأنة ضيفه ثم تأتى مرحلة تعلم اللغة ، وهى واحدة فى الحالتين ، ثم تبادل المعلومات ، فالألفة وتعزيز الروابط .

الغاية الدينية

ثم يبحث صاحب الرسالة عن الغاية التى جاء كل من أبسال وفرايداى الى الجزيرتين من أجلها فيرى أن ابن طفيل أراد أن يتيح للقارىء فرصة الاقتناع بجدية ما سمع وقرأ من خبر حي بن يقظان وذلك بأن يمكنه من المقارنة بين الشخصيتين على اختلاف نشاتيهما . شخصية « حي » التجريدية وشخصية « أبسال » الواقعية المنتزعة من بيئة اجتماعية . فاذا ما فرغ من تلك المقارنة ، وادرك وجه الحكمة فى اقتداء أبسال بحي ، عظمت شخصية حي عنده . ولا تختلف أسباب « ديفو » كثيرا عن أسباب ابن طفيل علماً بأن لقاء كروزو بفرايداى لم يتم إلا بعد ثلاثة وعشرين عاما حين كانت تجربة البطل خلالها قد اكتملت وأن لقاء « أبسال » بحي كانت بعد أن بلغ « حي » خمسين عاما عاشها كلها على جزيرته المهجورة . وهكذا اتخذ المؤلفان من قدوم الوافدين الجديدين معياراً للحكم على نجاح تجربة العزلة من خلال ما حققته الشخصيتان الرئيسيتان من تطور ، وعلى ما بلغه كل منهما من منزلة دينية رفيعة فى آن واحد .

وانطلاقاً من الغاية الدينية التى يسعى كل من «حي بن يقظان و « روبنسون كروزو » إلى بلوغها وتأكيدها نرى أن سعادة الوصول والمشاهدة عند «حي» تزهده فيما عداها ، وأن خلاص الروح الذى ظفر به « كروزو » بعد التوبة يجعله يرى السعادة فى العودة الى اللـــه لا فى العودة الى الوطن .

وتلا ذلك أن كلا البطلين قد غادر الجزيرة وعاد الى المجتمع الانساني بعد عزلة طويلة ، لكنهما لم يرغبا فى تلك العودة ولم تطل اقامتها . فحي بن يقظان كان قد ذهب الى الجزيرة المأهولة بصحبة « أبسال » ، وهناك أفضى بسره الى الناس وحدثهم عن مشاهداته ، ودعاهم الى نبذ ما هم فيه من اشتغال بالدنيا وانصراف الى الأهواء والشهوات ، وبعد عن الحكمة ، فلما أعرضوا عنه ودعهم وصاحبه أبسال وانفصلا عنهم ، وتلطفا فى العودة الى جزيرتهما حتى يسر الله عز وجل العبور اليها . أما « كروزو » فكان قد وصل الى الوطن ليجد أن معظم أقاربه ممن يعرفهم ويألفهم قد ماتوا ، فلبث فترة ولم ترق له الاقامة وعاوده الحنين الى الاسفار ، فركب سفينة ابن اخيه وغادر الوطن فى رحلة جديدة وخلالها مر على جزيرته ليتفقدها وليتعرف على أحوال خلفائه فيها .

ورغم أن المقارنة بين العملين من ناحية البناء القصصى لا يبدو متعادلا حيث أن « روبنسون كروزو » كتبت فى فترة كان فيها الفن الروائى قد بلغ مرحلة النضج إذا قورنت بحي بن يقظان التى كتبت فى زمن لم يكن قد عرف فيه الفن القصصى بالمعنى الحديث ـ أى الفن القصصى ابن المطبعة .. إلا انهما يتشابهان فى عدة نقاط منها غرابة موضوع كل منهما وهو تجربة العيش المنفرد بعيداً عن الحياة الاجتماعية ، كما أن كليهما من قصص الشخصيات رغم أن الفكر هو العنصر السائد فى كل منهما . و «حي» و «كروزو» شخصيتان متناميتان يؤثر فيهما عامل الزمن فيتطوران بتقدمه ، وفى شخصية كل من البطلين جوانب من شخصية مؤلفيهما . وللقصتين حبكة تتوالى الاحداث بموجبها وفق نظام دقيق . والأسلوب فى كل من القصتين سهل واضح وان اختلفت أسباب كل من المؤلفين : فابن طفيل يسعى الى تقريب الفلسفة من العامة ولهذا لجأ الى القالب القصصى وجاءت عبارته رشيقة سهلة ، أما ديفو فقد عمد الى البساطة والوضوح متأثراً بلغة الصحافة التى اتقنها . وهكذا كانت بساطة الاسلوب عند الكاتبين سببهما الاتجاه الى مخاطبة الجمهور العريض وليس صفوة المتخصصين .

إن العرب لم يعرفوا القصة الفلسفية فقط ، بل ان أحد فلاسفتهم استطاع أن يرقى بها الى مستوى أدبي رفيع . وكان ذلك حصيلة بيئته الثقافية ـ فلسفية كانت أو أدبية ـ مما حقق لها شهرتها وأثرها العالميين .

يوسف الشاروني

الإذاعات العربية في أزمة حقيقية

محمد فتحي

في بداية الربع الثاني من هذا القرن، ونحن لما نزل صبية حديثى العهد بالمدارس، بدأنا نعي شيئاً اسمه المجتمع. ربما كان أبعد ما تخرجه الذاكرة من ركام المخزون فيها هو موكب الرؤية .. رؤية هلال رمضان، شهر الصوم. مشهد عظيم! تجلجل فى مقدمته الطبول الكبار، محمولة مع ضاربها فوق ظهور الجمال .. طبل الجمال كما كان يسمى .. والنقرزان، وصاجات النحاس الأصفر .. ثم يتبعها نقيب الأشراف، فوق جواده الأبيض .. ثم حاملو البيارق والأعلام الملونة، على الجانبين، من أتباع الطرق الصوفية، البيومية والرفاعية ولا أذكر ماذا .. ومن بعد هؤلاء تتعاقب مشاهد مبهجة .. عروض لأصحاب الحرف والصناعات، تفننوا فى إبراز حرفهم وما يصنعون .. فهؤلاء المراكبية ـ وكانت عاصمة إقليمنا الدلتاوى ميناء نيليا هاماً للغلال والملح والقلل وبلاليص العسل الأسود ـ وضعوا مركبهم الضخم فوق عربة تجرها الخيل .. لم يكن إذ ذاك فى عاصمة الاقليم سيارات! وجسدوا فى مركبهم، ما يمارسون. ومن بعدهم النجارون، ومن ورائهم البناؤون، فالحدادون، فالخياطون، فالشربتلية بقدورهم النحاسية البراقة وصاجاتهم الرنانة (الخروب .. العسل الأبيض!). وهكذا دواليك! وبين كل حرفة وحرفة ينتثر المشاة من حملة القماقم الفضية الرشيقة يرشون على المتفرجين على جانبي الطريق ماء الورد وماء الزهر ..



عبده الحامولى



محمد عبد الوهاب

مشهد انطبع فى الذاكرة، لا يبرحها، رغم بعد السنين!

مشهد آخر

وقد يخرج من الذاكرة بعد ذلك مشهد آخر مهيب .. هو الاحتفال بالمولد النبوى الشريف. كان الاحتفال يجرى فى رحاب المسجد الكبير وسط المدينة، فى ميدانه الضخم. يقيمه على نفقته أحد سراة المدينة، شهبندر التجار فيها. وتتناقل الأفواه على امتداد المدينة، وحتى الريف، الخبر بأن الصييت (نسبة فيما أظن إلى صاحب الصوت الجميل العالـي) الذى سوف يحيي ليلة المولد هو الشيخ على محمود، أو الشيخ أحمد ندا، أو من كان في مقامهما من صييتة ذلك الزمان، طمستهم مع الأسف الذاكرة، والذين بلغت شهرتهم، كصوتهم عنان السماء، لنبوغهم فى تلاوة القرآن وإنشاد المدائح النبوية والقصائد الدينية (كان الشيخ محمد رفعت قارئاً معروفاً فى ذلك الوقت ولكن نظراً للرقة والدقة فى صوته لم يكن يستطيع أن يسمع مثل هذا الجمهور الكبير، ولم يكن هناك ـ بعد ـ ميكروفون ومكبر للصوت!)

ويتقاطر الأفراد والجماعات ـ بلا دعوة ـ إلى الصيوان الكبير للاحتفال بليلة سيد الخلق، والاستمتاع بنفحات الصييت الكبير، وشرب القرفة المسكرة، يقدمها بنفسه للناس شهبندر التجار ومقيم الحفل على نفقته!

مقدم الصييت الى المدينة الاقليمية كان حدثاً يتحدث به الناس، ويتناقلون أخباره، وبدع أدائه، ويعيشون فى نشوة الذكرى حتى العام التالي.

إن كان هذان الحدثان ـ موكب الرؤيا والاحتفال بالمولد ـ من الفن فى شيء، فهذا هو كل ما كان يعرفه المجتمع من الفن. بالطبع كان هناك الطرب. كان هنـاك « مطرب الملـوك والأمـراء » محمد عبد الوهاب. وكانت هنـاك « سلطانة الطرب » منيرة المهدية. ولكن



منيرة المهدية



أم كلثوم

من لعامة الناس بهذه الثريات ؟! كانا بعيدى المنال جداً بالنسبة للجمهور . وكان من سلفاهما أشدبعداً للمتطلع الى منال ! كانت ألمظ وعبده الحامولي شيئاً يخص الخديوى .. ولعلهما كانا بعض حاشيته ! بل لقد ذهب عبده الحامولي إلى ما فوق الخديوى ! لم يعد تطريبه قصراً على أذن الخديوى ، بل تعداها إلى أذن سلطان آل عثمان وخليفة المسلمين ! غنى بين يديه فى « يلدز » على البسفور فى الآستانة !

هكذا كان الفن

هكذا كان الفن .. لا يعرف عشاً غير بلاط الملوك والأمراء ! الموسيقى والرسم والغناء كلها سواء ..والشعر أيضاً ! كان عندنا حتى عهد غير بعيد منصب «شاعر الملك» تقليداً فيما أظن للبلاط الانجليزى، وربما لبلاطات أخرى كانت قائمة .

هكذا كان سبيل الفن فى المجتمع ! ثم جاء عصر العلم ، وتطبيقات العلم أو ما يحلو لنا تسميتها بالتكنولوجيا . انقلبت الصورة رأساً على عقب ! ركب الفقراء السيارة .. سيارة الكل ، نعم ! وركب الفقراء الطائرة .. ليست تلك التى كانوا يركبونها فى تخيلاتهم المحبطة .. بساط سليمان ؟! واخترعت الأذاعة ، ودخلت القرية بعد أن ظل البلاط الملكي فى مصر يقاوم دخولها عشر سنوات كاملة !

وهنا نصل ـ متأخرين قليلا ـ الى العنوان الذى أثبتناه فى صدر هذا المقال بدخول الاذاعة القرى انتهت إلى الأبد ارستقراطية الفن . مطرب الملوك والأمراء راح يغنى لأصحاب الجلاليب الزرقاء (لماذا تخلى الفلاحون عنها ؟!) والسلطانة أصبحت كوكب الشرق لا تغني لقريتها فقط بل لكافة القرى ، وللخلق في الشرق كله ، لكل من له أذن تسمع ! أصبح الفن مشاعاً للجميع .. للبسطاء والفقراء والمحرومين جميعاً ، لا لأبناء القصور وحدهم !

فى مصر العصرية كان الفن معناه الغناء . التمثيل جاء متأخراً ، والرسم والنحت خطوة أخرى بعد التمثيل . فلما دخلت الاذاعة راحت تقدم للناس أعذب الألحان وأشهى الأشعار لتروى عطشهم وطول ظمئهم للفن . ومضت فى ذلك شوطاً بعد شوط . ثم جاء وقت تجاوزت الحدود ؛ وحتى بلغ الأمر اليوم درجة الانفجار ! أهل القرى يسمعون الأغنية الواحدة بانتظام وبلا انقطاع أربعين سنة .. وثلاثين وعشرين ! وليتنا وقفنا عند حد إذاعة الأغانى قائمة بذاتها . بل رحنا بلا داع مشروع فى فن أو غير فن نقحم الغناء فى كل لون من ألوان البرامج ..

عندما نناقش مع الناس فى الشارع قضية ، نلحقها بغناء !

عندما نقدم للناس تمثيلية فيها عظة وعبرة ، نصدرها بغناء !

عندما نشرع فى محو أمية الناس . نعلمهم العلم ، نغنى لهم ..ياأهل بلدى !

عندما نقدم معلومة أو فتفوته من المعرفة ، في الصبح ، نتبعها !

الخدمات الاذاعية العربية لم تفطن بعد الى أن الغناء لم يعد أداة جذب ، يتحدث عنه الناس !

ولعل الخدمات الاذاعية لم تفطن أيضاً الى عامل حاسم فى هذا المجال .. ذلك هو المتغيرات الجارية فى سوق الترفيه اليوم . أقصد بهذه المتغيرات الثورة الطاغية فى تكنولوجيا الاتصال ، الميكانيكي والاليكتروني .. والاسطوانات والأشرطة والمسجلات والكاسيتات والفيديو ومجسمات الصوت .. ومستحدثات أخرى عديدة تتزايد يوماً بعد يوم ، ويَجُبُّ الجديد منها القديم . لست في حاجة الى القول بأنها دخلت حياة الناس اليومية ، بل أصبحت لعبتهم .

هذه المتغيرات وحدها سبب كاف لأن تغير الخدمات الاذاعية نهجها تغييراً جذرياً . تسقط الغناء فى برامجها إلى أدنى حد ، مقتصرة على الجديد النموذجي ، وربما أيضاً على العروض التاريخية البليغة للتراث الفني .

تعدد المجالات

وأحسب أن المخططين لن يجدوا مشقة فى العثور على البدائل ، فمكتبة التاليف الموسيقي الكلاسي والعصرى عامرة ، وقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية لا حصر لها ، وغزوات العلم تلهب الخيال . والمهارات التى يتعين نقلها للناس تيسيراً لشئون معاشهم عديدة ، ومجالات الفكاهة النظيفة المبهجة ما تزال بكراً ، ووقائع المجتمع من شتى الألوان فيض لا ينضب ، ومعالم المجتمع الحضارية والثقافية لم تستوف حقها بعد ، ولم تنم ولم تجد المخطط المدرك ، المهيمن المسك بالخيوط ، المترجم .

سكوت الناس ليس معناه الرضا ! فوظيفة « الأنس » التى تؤديها الاذاعات بشقيها لاخلاط الناس تعميهم ـ الى حين ـ عن التفكر . ومن الحكمة أن نسبقهم ، وإلا فيستكتشفون إن عاجلا وإن آجلا أنهم فى واد ، وخدماتهم الاذاعية في واد آخر .

النـــور عثـــمان أبكـر



وقت للشعر ووقت للنضال

قبيل الثورة البرتغالية ـ ١٩٧٤ ـ حازت ماريا تريزا هورتا شهرة واسعة كواحدة من ثلاث كاتبات برتغاليات اخرجن معاً «كتابات برتغالية جديدة» وهو مجموعة أشعار ومقالات وقصص اعتبرتها السلطات فاضحة وخطرة سياسياً ، وقامت بمصادرة كل نسخ الكتاب باسم قانون الرقابة على المطبوعات والمؤلفين .. وقدمت ماريا ايزابيل بارنيو ـ الروائية ـ وماريا فاتيما دى كوستا ـ كاتبة المقالات الاجتماعية ـ والشاعرة ماريا تريزا هورتا الى المحاكمة . وقد دافعت الحركة النسوية العالمية عنهن ، وأوفدت زعيماتها الى لشبونة أثناء المحاكمة .. فالماريات الثلاث وان كن من العاملات لتحرير المراة قد جمعن مواد الكتاب بدافع سياسى ، هو عزمهن على محاربة الديكتاتورية واجهزة قمعها ، وقيامها بمصادرة الكتب والكتاب .. وخاصة النساء بينهم .

ولكن الثورة تفجرت قبل أن تكتمل محاكمتهن ، فخلي سبيلهن تحت القانون الجديد .. وتفرقن بعد أن كان الهدف السياسى وحده يجمعهن ..

وقد تزعمت ماريا الروائية ، وماريا الكاتبة الاجتماعية تكوين حركة تحرير المراة البرتغالية ، مع عدد من المحاميات والطبيبات ونساء من دروب اخرى فى الحياة العامة ، وكانت القوانين البرتغالية ـ ومازالت ـ تعطى الرجل سيطرة مطلقة على الزوجة والأطفال والممتلكات .. وإذا كانت أوضاع المرأة قد تحسنت بعد الثورة بعد أن منحها الدستور البرتغالى الجديد حقوقاً مساوية للرجل ، فان تطبيق وممارسة تلك الحقوق فى رأى السيدة ماريا هورتا ، سيستغرق جيلين على أقل تقدير ، إذ أن نساء الريف مازلن يرزحن تحت ظروف لا تختلف كثيراً عن ظروف القرون الوسطى ، فالأجر المتساوى للعمل المتساوى ، والحقوق المتساوية بين الجنسين ، كلها أمور لن تخرج من دائرة المدن والمصانع .. الى الريف .

وقد واصلت ماريا هورتا نضالها منطلقة من مجال الأبداع ، فأصدرت أول عمل لها بعد الثورة فى عام ١٩٧٨ .. وهو مجموعة شعرية بعنوان « نساء ابريل » ، قصائد تصور النضال العام للمراة البرتغالية خلال الثورة . وعملت محررة للملحق الثقافي الأدبى لصحيفة بالعاصمة لشبونه ، ثم كلفت بانشاء وتحرير أول مجلة نسوية برتغالية . وتقوم السيدة هورتا حاليا بكتابة سلسلة من التراجم الشخصية القصيرة لعدد من النساء البرتغاليات البارزات ، ونساء من جنسيات أخرى .. اسمتها : « المراة .. اختى » كما انها تخطط لكتابة مؤلف عن العنف ضد المراة فى البرتغال ، ومع ذلك كله « تجد الوقت لكتابة الشعر ، ولدراسة التحليل النفسانى ، والذى ترى انه يمكن أن يساعد المراة فى فهم نفسها وفهمه المجتمع ، والأسباب الدافعة لقهر واضطهاد المراة .. ولكنها ناقمة على التاثير السلبي على المراة فى أعمال فرويد .

●



من التبعية الى الأصالة الأفريقية!

ظل نقد الأدب الافريقي لزمن طويل تحت سيطرة النظرة الانجلو امريكية التى لا ترى فى الأعمال الادبية الافريقية سوى امتداد للأدب الانجليزى ، ومازالت ترفض الاعتراف بكونه ابداعاً منفصلا ومتميزاً عن بقية آداب أهل الأرض .

وفى هذا الكتاب الجديد الصادر فى نيجيريا نهض مؤلفوه شينوايزو ، واونولكشيخوا جيمى ، والحشوكوا ، وكلهم عارف بالبؤرة التى تنطلق منها أساليب النقد الاوروبى فى معالجة الادب الأفريقى ، الى المبادرة بتعرية وكشف النواقص والسلبيات فى هذا المنطلق النقدى .

والهدف الرئيسى من كتابهم هو المساهمة فى مساعدة الثقافة الأفريقية على التحرر من قبضة الغرب ، ولذا وضعوا قائمة بالتهم الاوروبية الموجهة ضد الرواية الافريقية .

فالنقاد الغربيون يزعمون أن الرواية الافريقية تعانى من عدم نضج الوصف فيها ، وبنقص فى رسم الشخصيات ، وبعدم طرح الدوافع ، وبخلوها من التحليل النفسى ، والعمق فى التناول ، وتخمتها بالحوار غير الواقعى ، كما تتهم بعض الروايات بأنها قصيرة جداً أو خالية من العقدة .

ويرى بعض اولئك النقاد الغربيين أن العمل الافريقى المكتوب باللغة الانجليزية يجب أن يعامل بنفس المعايير التى تطبق على المؤلف الانجليزي .. مما يعني ان النقد الاوروبي للرواية الافريقية ينطلق من اتجاهات استعمارية عرقية لا ترى فى الكاتب الافريقى سوى تلميذ ـ خائب ـ للكاتب الأوروبى ، ومثل هذه النظرة تغفل الفرق بين الأدب الافريقى والأدب الانجليزى .

إن بعض الكتاب الأفارقة قد اعتمدوا على التراث الأوروبى .. هذه حقيقة .. ولذا يهتم الكتاب بدراسة استمرار تاثير التراث الأدبى الانجليزى على كتاب نيجيريا اليوم ، ويطالب المؤلفون الثلاثة بتخليص شعبة اللغة الانجليزية بالجامعات من الصورة المؤسسية ، مما يذكرنا بدعوة « جيمس نقوقى » ورفاقه فى كينيا ، واستبدال شعبة اللغة الانجليزية بقسم للغات الافريقية وآدابها ، وقسم للأدب المقارن ، وقسم للغات المستعمر .

وقد استقبل هذا الكتاب بعاصفة من الجدل ، واستغرب الناشرون ان يخرج مثل هذا الصوت الذى يذكر بأشياء ما كانوا يتصورون ان يفكر بها احد ، وهى ان الأعمال الافريقية يجب ان يتم تناولها كشىء منفصل عن تلك التى يؤلفها السادة الانجليز .. وأن القارىء والجمهور الموجهة اليه هما فى افريقيا ، وحيثما كان هناك من هو من أصل افريقى .. وهذا بالضبط ما حاول «جيمس نقوقى» شرحه فى محاضرة القاها فى المركز الأفريقى بلندن .

ويمكن اعتبار (نقوقى) وتشنوا اشيبي محظوظين لانهما وجدا ناشرا يحمل أفكارهما الى

القراء ، لأنه لو كان أوروبى النظرة لفقدت اعمالها البكر مذاقها وتفردها ، والتى يمكن أن تعتبر اليوم اساساً صالحاً لبناء أدب أفريقى .

وهناك كثير من الناشرين الذين يدعون الخبرة والدراية بالأدب الافريقى ، فيقومون بنشر اعمال افريقية بعد أن يشوهوها ويقولبوها فى أشكال مجحفة بأصولها لكى تتفق مع الافكار الخاطئة التى يديرونها عما هو افريقى . ومثل أولئك لا يأبهون كثيراً بأهمية الأسلوب الصافى الواضح للكتابة الأفريقية باللغة الانجليزية ، فيقوم محررو دورهم باعادة صياغة النثر البسيط واحالته الى شىء معقد ، غايته ارضاء السوق الأوروبى الذى يقصدون ترويج الكتاب الافريقى فيه .

والأمل معقود على أن الكاتب الافريقى سيكتشف قريباً أن كل الجمهور القارىء الذى يريده هو موجود بالفعل فى أفريقيا .. وأن القارىء الأوربى يأتى فى المكان الثانى .. كما انه أن للناشر الأوروبى للأعمال الافريقية أن يأخذ فى اعتباره ما يجرى فى أفريقيا .

أوجين يونيسكو



دورينمات



جونتر جراس



فريد ريش دورينمات يسخر من معاصريه

بين لوحاته الرائعة الألوان يحيا ، ويرسم ويكتب مشرفا من بيته على السفح السويسري المغطى بالجليد على مدينة نويشيختل . وهو في الستين ، ضخم البنية ، ذو عينين غريبتين خاليتين من التعبير خلف نظارة سميكة . يتحرك في بطء ، ويفرض حضورا فاترا كالغياب . ومع ذلك فقد حقق الكاتب المسرحي السويسري فريدريش دورينمات آخر نجاح له في يناير الماضى بعمله الأخير «روميلوس العظيم » الذي عرض في مسرح زيورخ ، وصدرت اعماله الكاملة في ثلاثين مجلدا ، ومنحته جامعة نيوشيختل الدكتوراة الفخرية في حفل شرفه الرئيس السويسري .

ولكن بريق نجمه قد خفت شيئا ما بعد سطوع في الخمسينات وأوائل الستينات ، تلك الفترة التي شهدت تألقه عالميا في مسرحيات مثل «الزيارة» و «الفيزيائيون» . ومع ذلك لم يتوقف عن الابداع . فكتب «لوحة كوكب» في عام ١٩٧٠ ، و «رفيق الاسفار» عام ١٩٧٣ ، و «آخر مهلة» ، عام ١٩٧٥/٦ . غير أن واحدا من هذه الاعمال لم يحقق ذلك النوع من النجاح الجارف الذي عرفه في الستينات ، ولعل ذلك – فيما قال صديقه الكاتب هوغو لوتشر في كلمة القاها ليلة إفتتاح مسرحية «روميلوس العظيم» – ليس بسبب الهبوط العام في المسرح والاذاعة في مدينتي زيورخ وبازل ، وانما لأن الكاتب قد دخل منطقة جديدة وصعبة حين رفض أن يكرر نفسه ، ومضى يكتب نوعا من المسرح يتعامل مع الفكر بشكل أوثق .

وفي مقابلة اجراها معه الصحفي النمساوي «أندريه موللر» ، انتقد دورينمات وسخر من عدد كبير من معاصريه من امثال «جونتر جراس» و «هنريش بول» ، و «ماكس فريش» و «صامويل بيكت» «يوجين أونيسكو» وتفجر عن ذلك سيل من التعليقات في الصحافة الالمانية . وقد حاول دورينمات فيما بعد أن يوضح الأمور ..فالمقابلة وما قاله ما كانتا للنشر ، وكانت في مقهى مزدحم ، ولم يكن دورينمات يدري أن الصحفي يحمل معه جهاز تسجيل . ولأن دورينمات لم يناقض ما قاله الصحفي ، فان الأخير قد أصر على ما نشره . وقد يفسر المزاج الحاد الذي انطلقت منه تلك السخرية وذلك النقد بتقلب حالاته المزاجية تبعا لمرض السكر الذي يعاني منه دورينمات .

والرجل في الستين من عمره الآن .. وقد عكف على جمع مادة لكتاب جديد ، جلها عن الحرب العالمية الثالثة – فهو مهووس بقضية العدو .. والتي تغزو كثيرا من أعماله . وهو يحاول أن يجد الاجابة لسؤال كبير : هل يمكن للبشرية ان تحيا دون احساس بوجود عدو يتربص بها ؟ .

وقد أضحى اليوم أقل اهتماماً بالمسرح وصارت مسالة الذهاب الى المسرح نوعا من التعذيب بالنسبة له ، وخاصة اذا كانت لمشاهدة مسرحياته . وهو يكره المسرح الحديث الذي يتجبر فيه المخرجون الذين يتركز همهم بالمواضيع أكثر من اهتمامهم بالمسرحيات . ولذا تحول من كتابة المسرحيات وإخراجها الى النثر .. والذي يرى فيه امتدادا للمسرح بشكل ما . وسيصدر قريبا أول كتابين من أصل مادة جمعها على مدى عشر سنوات ليخرجها في ستة مجلدات ، والكتابان عن العلاقة بين الحياة – التجربة – والخيال ، وأثر الخيال على التجربة .. فالكاتب في نظره شخص يتمرد بابتداع عالم نقيض لهذا العالم .

ولا يبدو أن دورينمات قد تأثر بهبوط شعبيته وما زالت هناك مسارح تعني بمسرحياته ، إذ أن فرقة مسرح برلين ستقدم مسرحية «الفيزيائيون» هذا العام ، كما أن المجر تواصل تقديم اعماله .

«لقد درست الفلسفة» يقول دورينمات ، «ولم اتخل عن الموضوع بعد . ومسرحي متجذر في الفكر .. وذلك ما يجعله مسرحا صعبا . » أن المشكلة التي يحس دورينمات أنه يعانيها هي أنه ليس كاتبا عقائديا مثل «كلوديل» الكاثوليكي أو «بريخت» الماركسي .. فهو معزول – كما يقول – لأن مسرحه يقوم على فكر ذاتي .

وهو يرى أن الكاتب المسرحي يقتات من العطف والتفهم اللذين يسبغهما عليه صغار الممثلين والمخرجين . وقد كان ينعم بذلك فيما مضى في زيورخ ، و ميونخ .. لكنه فقده بعد أن مات معظم أصدقائه في المسرح .. وكما يقول : إنني الآن في الستين من عمري ، وتعني محاولة خلق فرقة جديدة لي عملا متواصلا وثقيلا .. ولذلك اخترت كتابة النثر . انني لا أحاول إيجاد وجه شبه .. ولكننا نعرف أن بيتهوفن قد عبر عن أعمق قدراته الموسيقية لا في السيمفونيات ، وانما في الرباعيات الأخيرة . »

الأدب الجاد

● فى حفل اقيم فى يونيو الماضى بلندن لتوزيع جوائز ومنح لشباب الادباء البريطانيين ، قال السير انقوس ويلسون ، الذى كان ضيف شرف الحفل ، انه لاحظ أن كمية الأدب الجاد وبأقلام بريطانية المعروض للبيع فى المطارات البريطانية آخذة فى الانخفاض والتقلص بشكل خطير .. بالمقارنة الى الحقبة الماضية . واقترح على جمعية المؤلفين وعلى اتحاد الكتاب القومى والأطراف الأخرى المعنية عقد اجتماع لايجاد سبيل لتمكين زوار البلاد الاجانب لدى وصولهم المملكة المتحدة من الحصول على الكتب الانجليزية الجادة التى تمثل افضل الكتاب المعاصرين .



الشاعر الأردى فايز أحمد فايز

منذ النجاح الفورى لأول مجموعة شعرية نشرت له فى عام ١٩٤١ ، والنجاح المستمر لكل عمل جديد منه ، اقترن اسم الشاعر الباكستانى فايز احمد فايز بالشاعر غالب ، أعظم شعراء الأردية ، والشاعر الفيلسوف المجاهد محمد إقبال . فهو يتفرد بمساهمته الكبيرة فى التراث الشعرى الأردى بجمعه بين غنائية «غالب» الصافية والمضمون الاجتماعى والسياسى لاقبال.

وقد اشتهر خارج شبه القارة الهندى بانه شاعر (ملتزم) قضايا العدالة الاجتماعية وجانب الفقراء والمستضعفين فى الأرض .. وقضايا الحرية والسلام العالميين ، وأنه ظل عنيداً فى نضاله فى سبيل هذه القضايا رغم كل ما مرت به شبه القارة ، وما تكبده من الأيام .

وقد اقامت جبهة التحرير الفلسطينية احتفالا فى بيروت بمناسبة بلوغه السبعين ، كما احتفل به أصدقاؤه فى لندن ، واقام الكتاب السوفييت احتفالا رسمياً به فى العاصمة السوفييتية .

ولد فايز بمدينة سيالكوت الصغيرة بالبنجاب عام ١٩١١ .. وقد أنجبت نفس المدينة الشاعر العظيم إقبال .. وقد أثرت على حياته جملة أشياء فرضها الزمن وظروفه أكثر مما أختارها فايز بمحض حريته . ففى عام ١٩٤١ استدعى على عجل الى الخدمة العسكرية فى الجيش البريطانى فى دلهى ، فترك عمله كمحاضر فى لاهور . وكانت المسالة بالنسبة له ضرورة عسكرية أكثر منها ولاء للامبراطورية . وكان يدرك أن تشجيع البريطانيين للشعور القومى الهندى فى الجيش ما كان إلا لخدمة أغراضهم فنظر الى مسالة الولاء على اعتبار عدم جدوى استبدال سيد باخر .. خاصة وهو يرى أن قضية الحرية يمكن خدمتها بشكل أفضل بالدفاع عن الوطن وإن كان مستعمرة بريطانية . وقد لامه كثيرون انذاك على اختياره جانب الحلفاء .. فرد بان خدمة الحرية افضل من اتباع الايدولوجية بشكل أعمى .. إذ الولاء عنده هو التجربة التى يلتزم بها المرء ، وما الايدولوجية سوى جزء وبعض من تلك التجربة .. وأن الحكومات لا يمكن تتطلب الولاء إلا من موظفيها ، والكاتب ليس واحداً منهم ، وإن كان الكاتب منتقد مجتمعه فهو مع ذلك جزء منه ، وعليه نفس المسئوليات كاى مواطن آخر فى أن يسعى للحرية والحقوق الانسانية والعدالة . وذلك لا يعنى الانكباب على تنفيذ برامج أو الانخراط فى الأحزاب أو فى العقائدية . إن الكتابة ، كما يرى فايز يجب أن تتعالى على الحدود الضيقة لكل هذه الأشياء ، وأن تظل أمينة ومخلصة لقيمها الأساسية .. والتى هى بالنسبة لفايز : الانسانية والحرية .

فى عام ١٩٤٧ نالت شبه القارة الهندية حريتها ، والتى جاءت بمشاكل جديدة واخفاقات جديدة ، وخيبت أمالا كثيرة . وعاد فايز الى وطنه الجديد فى دولة الباكستان ، وصار محرراً لصحيفة التايمز بها . ولأن كل أشكال الكتابة هى بالضرورة دعائية ، كما قال ، لم يكن بنفسه صراع بين الشاعر فيه والصحافى . ولكن مشاكله كانت مع السلطة فى بلاده منذ البداية . وقد قضى فترات مختلفة فى السجن بتهم سياسية ، وذلك لانتقاداته المتكررة فى كلمة التحرير للحكومة ، ولمواقفه المشهودة من عدد من القضايا التقدمية .

كانت العشرينات والثلاثينات فى الهند فترات تغييرات سياسية واقتصادية هائلة ، وهى الفترات التى شكلت مستقبل فايز السياسى ، وشهدت بداية الحركة النقابية وحركات المزارعين ، فوجدت كل هذه الأمور مكاناً فى شعره ، بل هى التى أعطت ذلك الشعر تقاسيمه . يقول فايز :

«فى البداية كتبت بدافع رومانتيكى . كان الشعر يتدفق منى . ولم أكن أسعى اليه . وكان الاعتراف الأول بى مخيفاً .. لأننى لم أكن أنوى الاستمرار فى الكتابة . وكانت هناك قضايا سياسية عديدة تفرض نفسها على الكاتب .. ولم تكن تمت الى الشعر بصلة .. ولكن العالم كان دائماً معى ، والأحداث تضغط على عملى .. لذا واصلت الكتابة» .

وأصبحت الأحداث والوقائع جزءاً من شعره . وما كان هذا القران بين الشعر والواقع السياسى ليعنى عنده فقدان السحر الرومانسى . فقد ظل فايز أميناً لنظرته .. رغم كل الاحتجاجات .. بان القصيدة يجب أن تظل حلوة كالأغنية .

ومنذ أوائل الثلاثينات ، وفايز هو الضوء الهادى القيادى فى اتحاد الكتاب التقدميين بالهند . ولكنه على العكس من كل معاصريه من الكتاب لم تكن المواضيع التقدمية تعنى عنده تبنى أسلوب تقدمى قائم على أساليب الشعر الحديث فى الغرب . فهو عنيد فى التزامه بالأشكال والخطوط المتصلة بالأسلوب التقليدى. يقول :

«إن الشكل يجب أن يخدم أغراض ووظيفة الشعر . إننى لم أشعر يوماً بحاجة الى تغيير الشكل لأننى لم أجد منه ما يعوقنى فى قول ما أريد .. وفى نهاية الأمر ، فان المهم هو الاتصال والتوصيل . فالمواضيع التقليدية والأشكال التقليدية كانت هى الأفضل بالنسبة لي للوصول الى جمهور ذهنيته وحساسيته واستجاباته موزونة على موسيقى وتصوير معينين» .

«ولقد لزمت الأساليب القديمة لأنها أعطتنى قدراً أكبر من الحرية . فانت تستطيع أن تستخدم أكثر المواضيع المستهلكة والأساطير والحكايا الشعبية والتاريخ كوسائل ووسائط لتجنب الرقيب ، وذلك بطريقة لا يمكن للأساليب المباشرة والواضحة التى طرحتها الحداثة أن تؤديه» .

إن فايز هو الذى أنقذ الشعر الأردى من الضحالة والتفاهة التى تردى فيها فى بداية هذا القرن . فقد نقل الى مواضيعه الفاترة ، وصوره المكرورة المجترة معان جديدة ، فطور الصورة التقليدية للمحب وشجو الشاعر المتباكى على حظه لتتسع وتشمل الوطن والبلاد والجمهرة الكادحة من بنى وطنه .. والنساء — أولئك المضطهدات فى كل مكان فى العالم . وكانت كل قصيدة غزل تكتب كشكاة باكية .. لكن فايز حول البكائية الى اتهام واحتجاج ، وبذا وفق فى خلق مصالحة بين الرومانتيكى والثورى فى الشعر ..

●

أن ريستون والمعلم زانج



احياء مسرح خيال الظل الصينى .. فى باريس

يعود مسرح خيال الظل الصينى الى عام ١٨١ قبل الميلاد .. ولكنه اختفى فجاة بعد أن داهمه ليل طويل من السياسة المعاصرة التى أهملت ، فى خطوها لخلق التقدم ، روعة الابداع الانسانى عبر مسيرة التاريخ المتصلة .

وقد وجد هذا المسرح دفعاً غير متوقع من فتاة فرنسية فى الرابعة والعشرين من عمرها هى الآنسة آن ريستون ، والتى عرض لها بباريس «مغامرات باي» التى تدوم ٥٥ دقيقة .. فى مسرح «ماريا ستيورات» ، ثم قامت فرقتها بجولة فى الريف الفرنسى . وبعد كل عرض يدعى المشاهدون الى كواليس المسرح ليشرح لهم كيفية عمل مسرح الظل .

وكانت الآنسة «ريستون» قد درست اللغة الصينية فى باريس لمدة أعوام خمسة ، ولم تستطع الذهاب الى الصين لدراسة مسرح الظل كما كانت تريد ، إذ وقفت الثورة الثقافية التى كانت تجتاح الصين .

وقد أعيد مسرح خيال الظل الى الحياة الثقافية منذ عام ، ولكنه فقد خلفيته وتجذره فى الثقافة الشعبية التى هو جزء منها لا يتجزأ ، وصار يقدم كمادة جاذبة للسياحة . أما فى تيوان ، حيث درست الآنسة مسرح الظل مدة عامين ، فان تقاليد هذا المسرح ليست بمثل قدمها وعراقتها فى الصين الأم . ولكنه مازال هناك فى تربة الثقافة الشعبية ، وإن كان آخذاً فى الضمور ، إذ لم تعد هناك سوى ثلاث فرق مسرحية .

وقد وجدت الآنسة ريستون أستاذها عام ١٩٧٨ أثناء جولة لها للحصول على العرائس الصينية اللازمة لهذا النوع من العمل المسرحى . ووفقا لتقاليد تعليم مسرح الظل لم يوافق «زانج مينج شاو» على تدريبها وحدها ، لكنه قطع وعداً بتعليمها ان وجدت تلميذاً اخر . وكان الشباب الصينى نفسه قد انصرف باندفاع الى دراسة الأشكال العصرية للتعبير المسرحى . أما فى فرنسا ، فلم تجد آن ريستون أحداً يفهم ما تقوله .

وأخيراً استطاعت أن تستميل المعلم «زانج» ليقبلها تلميذة وحيدة ، وعاشت فى بيته بقرية للصيادين صغيرة فترة أشهر ثلاثة ، انتقلت بعدها الى مدينة «تايبى» لدراسة تاريخ مسرح الظل ، ثم عادت تعمل مع معلمها حيثما حل لتقديم عروضه .

والعرائس التى تستخدمها الآنسة «ريستون» هى من جنوب الصين ، وهى أصغر حجماً وأكثر حيوية من عرائس شمال الصين ، ومصنوعة من الجلد . وقد صنعت عرائسها من جلد الماشية بعد أن عولج ليكون رقيقاً كالورق . وكل قطعة من هذه العرائس مربوطة بعودين أو ثلاثة أعواد . تحركها هى وشريكها «اميريك مونشنلد» وكان قد درس التجارة والأعمال ، ثم أصبح شاعراً قبل أن يتحول الى مسرح العرائس .

وقد أضافت الآنسة ريستون ألواناً أخرى جعلت عرائسها أكثر اشراقاً ، إذ أن ألوان



احدى شخصيات مسرح خيال الظل الصينى

العرائس التيوانية المستخرجة من الخضروات والنباتات تقتصر على الأحمر والأخضر والأسود . لكنها حافظت على التقليد اللونى الصينى .. فالأحمر عند أهل الصين يعنى السعادة والوحدة ، والأبيض يدل على الخيانة والخونة ، والأزرق هو لون النفاق وأصحابه .

وقد أدخلت كثيراً من التعديلات على مسرح الظل الصينى ليتواءم مع ظروف فرنسا ، مع المحافظة على تقاليده .. وعلى دوره الأساسى فى تعليم المجتمع كما علمها أستاذها «زانج» . وقد وجدت هى وشريكها أن بمقدورهما تطويع مسرح خيال الظل ليقدم أعمالا أوروبية .. ومازالا يعملان على بلوغ مرحلة يتم لهما فيها أن يقدما أعمال شكسبير نفسها .

هل يبادله الوطن الحب

يبدو أن ربيع الانفتاح الصينى الذى دام أكثر من ثلاث سنوات حتى الآن أخذ يحرج جهات عديدة داخل النظام الصينى ، كما تدل الوقائع المتصلة بقضية الكاتب المسرحى والشاعر « باي هوا » .

فقد واجه هذا الشاعر هجوماً حاداً منذ شهر لكتابته سيناريو فيلم « حب من جانب واحد » ، فانحازت الى الدفاع عنه المؤسسة الأدبية الصينية ، ورمت منتقديه بأنهم يحاولون اخافة الكتاب باستخدام أساليب التخويف النفساني .

وكان الشاعر « هوا » واحداً ممن فازوا بالجائزة القومية لأفضل قصائد كتبت فى العامين الماضيين ، فانتهز النقاد تلك المناقشة عندما لاحظوا أن الهجمات الموجهة ضد السيناريو الذى كتبه لم تقلل من شانه ككاتب .

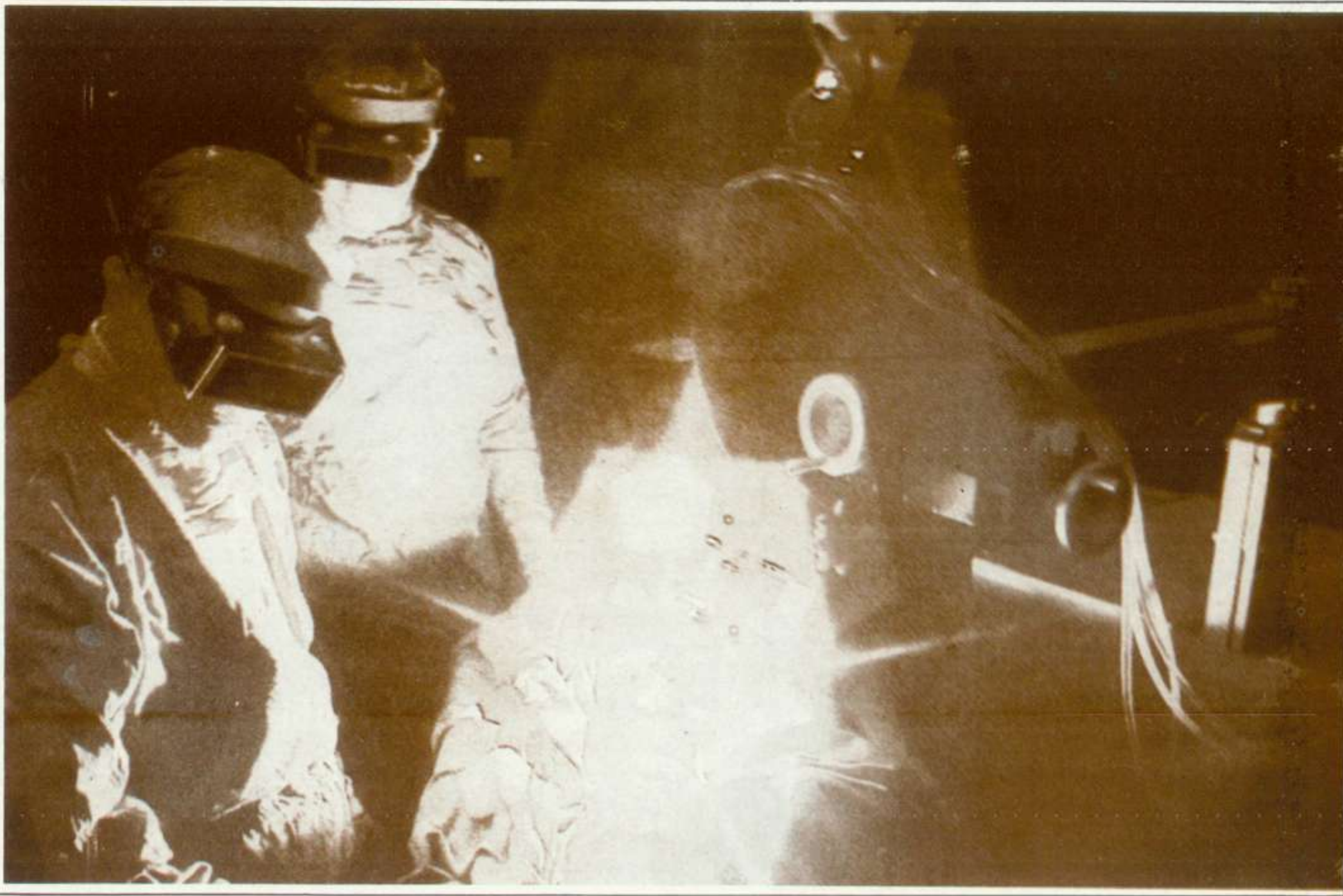
وقد طالبت كبرى المجلات المخصصة للنقد الأدبى والفنى بأن يتم تقويم السيناريو من جهات مختلفة ، مشيرة بذلك الى أن المدافعين عنه كانوا محظورى النشاط بأمر من الرقابة حتى هذا الوقت . واعتماداً على المقالات والرسائل التى وصلت الى اتحاد الكتاب الصينيين واتحاد الدوائر الفنية والأدبية المحتجة على الهجوم الحاد على « باي هوا » ، حذرت المجلة الأدبية من أن ينقلب أي نقد لأى عمل أدبى فنى الى (حركة سياسية) ودعت بشدة إلى فتح الباب للنقاد ضماناً لأستمرار النقاش الحر .

وقد أصاب المثقفين الصينيين القلق من أن يكون الهجوم على « باي هوا » بداية النهاية لفترة الحرية والانفتاح التى دامت ثلاث سنوات إذ مازال كثيرون منهم يذكرون أن مثل هذا النقد هو الذى مهد لتفجير « الثورة الثقافية الصينية » منذ خمسة عشر عاماً .. وخاصة بعد أن احتد النقاش فى الشهر الماضى بين شق من القياديين فى الحزب الشيوعى الصينى ممن يعتقدون أن التحرر الثقافى قد بلغ حداً بعيداً .. ويجب كبح جماحه ، وأولئك المدافعين عنه ، وعن سياسات أخرى لنائب رئيس الحزب .. دنيق . ومن الدفاع الذى قدمفى الاسابيع الماضية يتضح أن انصار دنيق وقد كسبوا الموقف فى قضية التحضير للاجتماع القادم للجنة المركزية ، يساندون المثقفين .

ان السيناريو الذى وصنعه « باي » بعنوان « حب من جانب واحد » وأخرج فيلما تحت اسم « الشمس والانسان » ثم سحب من دور العرض بعد عدد محدد من العروض ، يحكي قصة مثقف صينى فنان يعود من الخارج بدافع من حب الوطن ، ولكنه اتهم وحوكم كبرجوازي وجاسوس محتمل ابان الثورة الثقافية . وتسأله ابنته : « أنت تحب الوطن ، ولكن هل يبادلك الوطن الحب ؟ » وبذا تعطى السيناريو مدلوله ومرماه الحقيقى .

وعلى العكس من الأفلام الأخرى التى تدور حول الثورة الثقافية ، والتى حاز بعضها على جوائز هذا العام ، فان « الشمس والانسان » ينتهى بنبرة متشائمة ، اذ يترك البطل ، وهو على فراش الموت آخر خطواته فى شكل علامة استفهام ، اعترف الكاتب بانه قصد بها طرح التساؤل حول مستقبل بلاده تحت ظل الاشتراكية .

والجدير بالملاحظة أن الكاتب ، رغم ما أثير حول عمله من نقاش وهجوم لم يختف من الدوائر الأدبية ، كما كان الأمر فى أيام الثورة الثقافية .. بل منح جائزة الشعر فى نفس الوقت الذى تم فيه النقد الشرس للسيناريو الذى كتبه .. وهذا مؤشر بأن السياسة الثقافية الجديدة فى الصين آخذة بالفعل فى تطبيق شعار « دع مائة زهرة تتفتح » .. ومائة مدرسة فكرية تعترك » .



وهج ينطلق من أشعة الليزر أثناء استئصال ورم سرطانى من جلد قدم .. ولقد وضع الطبيبان نظارات خاصة واقية من الوهج . ألا ترى معنا أن هـذه الصورة تشبه فى الظاهر صورة لحام للمعادن فى ورشة ؟

أشعة الموت ..

تحولت لأشعة أمل وحياة

د. عبد المحسن صالح

قيل ان العالم الأغريقى القديم أرشميدس كان أول من فكر فى تركيز أشعة الشمس ، ثم توجيهها بمرايا ضخمة عاكسة ، لتحرق سفن الرومان اثناء غزوهم لجزيرة صقلية ، وسواء أكانت هذه القصة حقيقة أم خيالا ، إلا أنها لم تنفذ فى عصره ، ولا بعد عصره .

لكن هذا الهدف قد تحقق فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، ليس هذه المرة من خلال عدسات مجمعة ، ولا مرايا عاكسة ، ولا أشعة الشمس الساطعة ، بل عن طريق ضوء حارق من ابتكار عقول تقف دائما وراء كل انجاز عظيم ، ولقد اصبحت هذه الأشعة بمثابة أدوات جراحية ، تجرى بواسطتها أدق العمليات فى الأجسام ، حتى ولو كانت هذه العملية داخل العين ذاتها ، أو فى عظمة جد صغيره من عظام الأذن الداخلية .

هذه الأشعة « السحرية » الغريبة تعرف باسم أشعة « الليزر » .. وهى تختلف عن كل انواع الأشعة التى نعرفها فى الطبيعة ، ثم انها ليست واردة فيها ، بل جاءت نتيجة لبحوث علماء الفيزياء ، وعندما ظهرت لأول مرة ، عرف العلماء انهم يقفون أمام أكتشاف مثير ورهيب ، وهو لا يختلف – من حيث المبدأ – عن اكتشاف الطاقة النووية التى استخدمت فى التخريب ، ثم روضها العلماء بعد ذلك للتعمير .. وكأنما التاريخ يعيد نفسه ، فعندما ظهرت أشعة الليزر ببأسها الشديد ، قالوا عنها انها ستكون نواة لأشعة الموت ، وبهذا يمكن أن تضاف الى قائمة اسلحة الدمار الرهيبة ، لكن حمدا لله أنها ما كانت ، بل حولها العلماء الى أشعة أمل ورجاء ، وقدموها للأطباء هدية طبية ، لتصبح أشعة استكشـاف وشفاء وللبشرية خيرا وبركة وآمالا عريضة !



صورة توضح تشوها فى بشرة الوجه ، لكن أشعة الليزر انطلقت لتزيل نسبة كبيرة من هذا التشوه .. قارن الصورتين .



● أشعة الليزر تستطيع أن تقوم بإجراء عملية جراحية في شعيرة دموية يصعب رؤيتها

ورشة تقطيع ولحام !

ان أول ما يتبادر الى الذهن ـ وانت ترى الطبيب « المودرن » أو المتطور مع تطورات العلم وأساليبه الحديثة ـ انك أمام ورشة لحام حديثة ومنظمة ونظيفة ، مع الفارق الكبير طبعاً بين ورشة ميكانيكية وعيادة طبية .. فمقومات ورشة التقطيع واللحام والاصلاح تعتمد على استخدام غاز الاسيتيلين المختلط بالأوكسيجين ، أو على الطاقة الكهربية ، فتبتر هذا الجزء من ذاك ، أو تلحم قطعة بقطعة ، وهذه الطريقة أو تلك تطبق على الآلات وأدوات معدنية لتصلح فيها عطباً أو تزيل صدأ ، أو توصل فيها ما انفصل .. أى أن استخدام النار والمطرقة والسندان والمنشار وما شابه ذلك من أدوات تقليدية قديمة ، قد حل محلها غاز شديد الاشتعال ، فيكاد سنا برقة يذهب بالأبصار (شكل ١) .

ان هذه الصورة التقليدية التى طالما رأيناها فى ورشة لحام المعادن ، قد تراها بصورة أخرى مثيرة فى احدى المستشفيات الحديثة ، أو عند طبيب ماهر فى عيادته الخاصة ، وفيها يمسك الجراح شيئاً أشبه بأداة اللحام ، وعندما يدوس على زرار ، تنطلق اشعة غريبة قد تكون مرئية أو غير مرئية للعين البشرية ، وعندما يوجهها الى الجزء المعطوب من جسد الانسان ، فانها تثقب وتقطع وتزيل وتلحم ، وعندئذ قد ترى وهجاً ودخاناً خفيفاً .. وكانما المريض قد تحول الى آلة ، وعليه تتسلط أشعة الليزر ، فتصلح ما عطب من هذه الآلة البشرية الحساسة (شكل٢) .

لكن ليس كل من تناول اشعة الليزر بقادر على أن يمس هذه الآلة البشرية كما يمس الفنى المعادن فى ورشته ، بل ان العمليات الجراحية التى تتم بأشعة الليزر تحتاج الى طبيب ماهر وحساس ومتمرن ، خاصة إذا توجهت هذه الأشعة الحارقة الى العين ، إذ لابد أن يكون توجيهها محسوباً ومقدرا بعناية فائقة ، ولابد كذلك من وضع راس الانسان فى شيء أشبه « بالمنجلة » التى نثبت بين فكيها جزء معدنياً نريد نشره أو قطعه ، لكن « المنجلة » الطبية جاءت بتصميم مناسب ، لتثبت رأس الانسان ، وتمنعه من أية حركة ، مع أخذنا فى الاعتبار راحة المريض ذاته .. لأن رأسه ليست قطعة من معدن ، ولا يجب أن نعاملها مثلا كما نعامل المعدن بين فكى « المنجلة » (شكل ٣) .

مبضع كشعرة الرأس

لكن .. لماذا يتخلى الأطباء المتطورون عن أدواتهم الجراحية التقليدية ، ويلجأون الى استخدام هذه الأشعة الخطرة ؟ .. وهل هى رفاهية أو بدعة يلجأ اليها بعض الأطباء لاكتساب شيء من الشهرة ؟ .. أم أنهم يسيرون على مبدأ « خالف تعرف » ؟ .

ليس ذلك تماماً ، فهناك بعض العَمليات الجراحية الدقيقة التى لا يمكن اجراؤها بأدوات الجراحة المعروفة والتى تختلف كثيرا عن أشعة الليزر ، إذ يمكن لهذه الأشعة أن تنبثق من خيط زجاجي أقل سمكاً من شعرة الرأس ، ليس ذلك فحسب ، بل أن هذا الخيط الدقيق جدا يمكن ادخاله بسهولة تامة من أى جزء فى العين ، ومن الممكن توجيهه حتى الشبكية ، فاذا استقر فى المكان المحدد ، انطلقت منه أشعة الليزر كومضات دقيقة غاية الدقة ، وبحيث يصبح فى الأمكان اجراء عملية فى خلية واحدة لا ترى بالعين ، وهذا ينبئك بحساسية ودقة هذه الأداة العجيبة التى دخلت عالم الطب والجراحة من أوسع ابوابه ، وحققت بذلك أهدافاً رائعة ما كان يمكن التوصل اليها بأدواتنا الجراحية التقليدية .

فى دراسة ممتعة قدمها لنا لورين فرويد مان فى إحدى المجلات العلمية عن دقة هذه الأشعة المثيرة ، يذكر فيها حقائق ما كانت لتطرأ على عقل بشر منذ عشرين عاماً فقط ، ومن هذه الحقائق أنه بالامكان كتابة الحروف بأشعة الليزر على رأس دبوس صغير ، أو على ماهو أصغر من ذلك ، حتى ولو كان ذلك خلية دموية أو نباتية .. وطبيعى أن هذه الخلايا لا ترى إلا بالميكروسكوب ، وهذا يوضح لنا بجلاء أن أشعة الليزر تستطيع أن تقوم باجراء عملية جراحية فى شعيرة دموية يصعب رؤيتها ، أو فى موضع على شبكية العين اصغر من نقطة تراها هنا فوق بعض الحروف أو تحتها ! .

ان واحدة من الصور المنشورة مع هذا المقال (شكل ٤) توضح ذلك أجمل توضيح .. إذ نرى فى خليتين متجاورتين ـ مشارا إليها بسهمين ـ نقطا ضوئية لحرفى M B .. وهما الحرفان الأولان من اسم ميشيل بيرنز من جامعة كاليفورنيا ، ان كل نقطة تمثل ومضة ضوئية خاطفة لأشعة الليزر ، التى تحكم فيها بيرنز بدقة فائقة ، فتركت اثرها كثقب دقيق ، ولو لم نكبر هذه الصورة بميكروسكوب ، لما استطعنا ان نرى خلايا النبات ، وناهيك عن النقط التى هى اصغر بكثير من الخلايا ، وطبيعى أن هذه الصورة لن تقدم فى مجال العلم ولن تؤخر ، لكنها تشهد بطبيعة العصر الذى سندخله مع



طراز آخر من أشعة الليزر المستخدم فى طب الأسنان .. وبواسطته تتم العمليات بكفاءة نادرة ، وقد لا تحققها أدوات الجراحة التقليدية

أشعة الموت..
تحولت لأشعة أمل وحياة

● من أهم مميزات اشعة الليزر أنها تزيل الأنسجة غير المرغوبة عن طريق إحراقها..وهي في نفس الوقت لا تسبب نزيفاً دموياً كالذي تحدثه الآلات الجراحية التقليدية

العلم لنحقق اهدافاً رائعة فى مجالات لا نكاد نحصيها عداً .

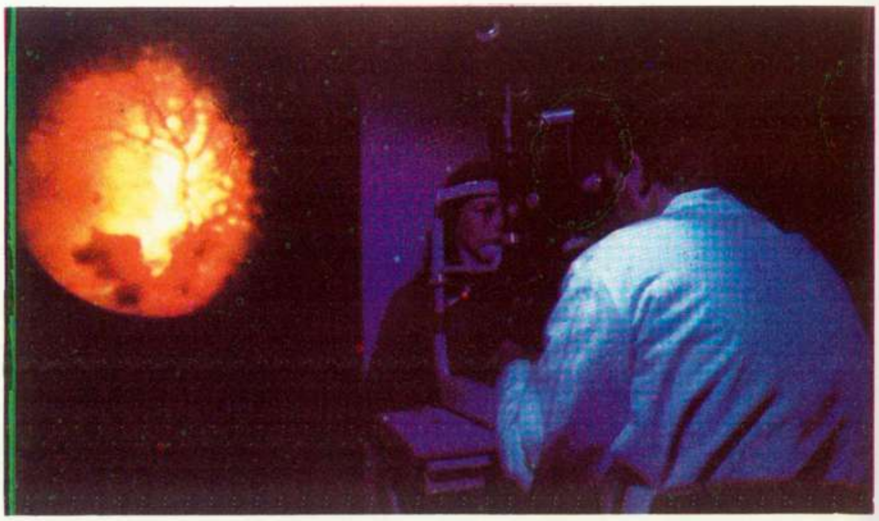
نار الليزر .. نور العين

لو قدر لك مثلا وشاهدت طبيب العيون وهو يجرى عملياته على العين البشرية ، فربما اصابك شيء من الدهشة الممزوجة بالفزع . إذ تراه يمسك بآلة لحام المعادن ، لكنها آلة دقيقة ونظيفة ، وتنتهى بأنبوبة زجاجية تشبه الابرة ، لكنها فى سمك شعرة الرأس ، أو ربما أقل ثم إذ به يدخلها بسهولة تامة فى عمق العين متوجها بها نحو شبكيتها .. أنه يريد القيام بعملية « لحام » فى الانفصال الذى حل بالشبكية ، وطبيعى أنه لا يستطيع أن يرى المنطقة التى حل بها التلف بوضوح تام ، ولابد أن يضيء العين من الداخل .. لكن بأية وسيلة يمكن بلوغ هذا الهدف الذى يقف له شعر الرأس ؟ .

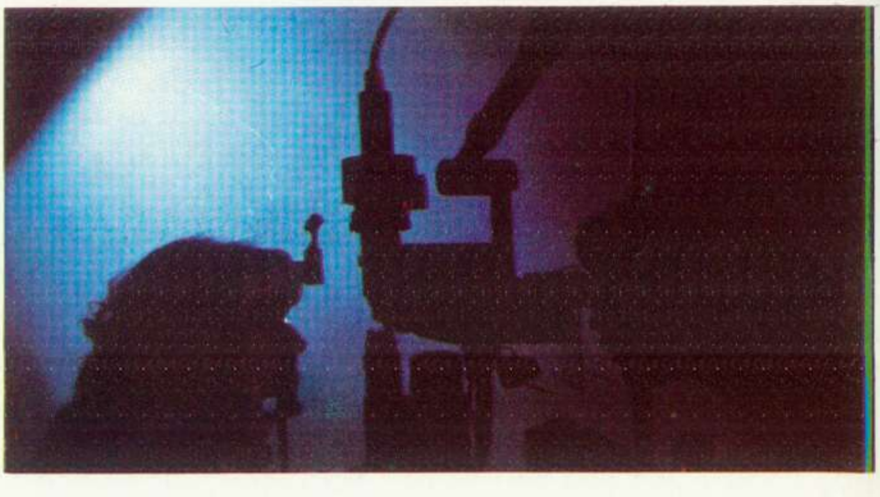
بشعرة زجاجية أخرى رقيقة غاية الرقة ، فبعد أن تدخل العين تنطلق أشعة الليزر بحساب ومقدار ، فتضيء دون أن تحرق المحتويات الداخلية ، وتصبح بمثابة المرشد فى عالم تكتنفه بعض المتاهات ، ولكي يرى أنسجة الشبكية بوضوح ، كان لابد أن يستعين بعين غير عينيه ، وقدم له العلم شيئا اشبه بالميكروسكوب ، ليكبر له العين مرات ، ومن خلاله ينظر ويوجه الشعرة الزجاجية الأخرى التى تنطلق منها اشعة ليزر قوية ـ هى بمثابة مبضع دقيق غاية الدقة ، فيزيل به الأورام ، أو يلحم ما تهتك ، أو يوقف نزيفا .. الخ ،

وكل هذا وغيره لم يكن متاحاً فى السنوات الماضية ، فلا أحد يستطيع أن يستخدم المبضع التقليدى لمثل هذه العمليات الدقيقة الحساسة .. وأين؟ .. فى داخل العين حيث يتم كل شيء بحساسية ودقة وكفاءة بالغة .

ان من أهم مميزات أشعة الليزر انها تزيل الأنسجة غير المرغوبة عن طريق احراقها ، وهى فى الوقت ذاته لا تسبب نزيفاً دموياً كالذى تحدثه الآلات الجراحية التقليدية ،بل تكوى « بنارها » كل شعيرة دموية صغيرة ، وتسد فيها منافذ الدماء فى التو واللحظة ـ أى كأنما هى بمثابة المبضع الذى يقطع ويزيل ، والخيط الجراحى الذى يحيك ، والضمادة التى تمنع النزيف . ومن أجل هذا أصبحت اشعة الليزر أمل المستقبل ،



ليست ورشة .. بل غرفة لعمليات العيون بأشعة الليزر .. لاحظ كيف تضاء العين من الداخل (فوق الى اليسار) لتظهر تفاصيلها الداخلية، وتأمل وضع رأس المريضة فى تصميم آلى يمنعها من الحركة أثناء جراحة ترقيع الشبكية ولاحظ أيضا دقة البقعة الضوئية على العين .



ونور الرجاء الذى ينتظره الآلاف ممن يتعرضون لفقد نعمة البصر فى حالات مدروسة ومعروفة .

هناك مثلا حالة طفلة ــ قدمها لنا فرويدمان ــ كانت مهددة بالعمى نتيجة لنمو غشاء شاذ على سطح العين من الأمام ، ولقد حاول بعض جراحى العيون ازالة هذا الغشاء بالطرق الجراحية التقليدية ، وفى كل مرة من المرات الثلاث التى تمت فيها تلك المحاولات ، كانت تصاب بنزيف ، وأصبح من المستحيل ــ والحال كذلك ــ اتمام العملية ، ليس ذلك فحسب ، بل أن الغشاء الشاذ كان يزداد سمكاً واتساعاً بعد كل محاولة ! .

وفقد الجراحون الأمل ، لكن أشعة الليزر كانت المنى والأمل ، وبها تمت اول محاولة فى عام ٦٨ على عين هذه الطفلة فى كولومبيا الأمريكية ، وكان أول من استخدم الليزر طبيب العيون فرانسيس اسبيرانس ، وانطلقت ومضة ضوئية حارقة من وراء ومضة ، وفى كل ومضة كان الأمل يتجدد ، لأن الومضة كانت تزيل نقطة صغيرة من الغشاء ، وفى الوقت ذاته تكوى الشعيرات الدموية ، وتمنع النزيف ، وتكررت مئات الومضات الحارقة ، وأزيل الغشاء دون مضاعفات ، وبعد عدة أيام ، تحقق الشفاء ، وتم الانقاذ من عمى لا مفر منه ولا مهرب ، ومن يومها بدأ العلماء فى تحسين وتطوير واتقان اجهزة الليزر ، حتى وصلت فى أيامنا الحاضرة الى عشرات الطرازات ، ولكل طراز منها مجال محدد ، وعمل مقنــن ، وبهذا اصبحت اشعة الليزر بمثابة الكاسحة للداء ، والجالبة للشفاء

ان ترقيع شبكة العين بأشعة الليزر ، أو استئصال الأغشية الغير مرغوب فيها ، أو كي الشعيرات الدموية النازفة ، لا تمثل إلا جانباً صغيرا فى مجال انقاذ العيون من العمى ، خاصة عند المتقدمين فى السن ، فمن الممكن مثلا تسليط شعاع من الليزر على العين ، وفيها يحدث ثقباً ضئيلا غاية الضآلة ، وكأنما الشعاع هنا بمثابة مثقاب من نوع خاص ، ومن خلال هذه الثقوب الضئيلة يمكن التخلص من جزء من سائل العين الذى يضغط على جدارها ، ويصيبها بالتصلب الذى قد يؤدى الى العمى ، وومضة أخرى على موضع الثقب ، فاذ به يلتئم فى التو واللحظة ، وكأنما الليزر يفعل المعجزات فى أيدى أطباء العيون المتمرسين على هذا النوع من الجراحة الليزرية !

انجازات أخرى رائعة

بعد هذه الجولة السريعة فى عالم العيون ، كان لابد أن نقدم شيئاً عن الانجازات الجديدة المضيئة فى مجالات أخرى تستحق التقديم .

ولنأخذ حالة مريض استمر فيه نزيف داخلى فى أمعائه من جراء تهتك وانفجار بعض الشعيرات الدموية التى كانت تهدد حياته ، فبدون عملية فتح بطن وأمعاء ، يمكن علاج هذه الحالة ، وما على المريض إلا أن يبلع أنبوبة من المطاط تحت تأثير مخدر خفيف ، وفى داخل الأنبوبة تمتد حزمة من آلاف الانابيب أو الشعيرات الزجاجية التى يطلق عليها الخيوط الضوئية ، ومن هذه الآلاف تنطلق أشعة الليزر لتضيء داخل الجهاز الهضمى ثم تنقل صورة واضحة ومكبرة ، فيرى داخل المعدة أو الأمعاء « ما لا عين رأت » .. أن هذا التصميم نوع متطور من المناظير التى تشتغل بأشعة الليزر ، وكأنما هو بمثابة عين تليفزيونية تشتغل من الداخل ، وتعكس ما رأته الى الخارج ، ليقع على عين الجراح ، أو على شاشة مناسبة ، وكلما تجول الجراح بمنظاره ، ورأى مواقع الشعيرات النازفة ، سلط عليها مبضعه الجراحى ــ أى تلك الشعرة الزجاجية الحاملة لضوء الليزر ، فتحرق وتزيل وتكوى ، أو تؤدى الى تكوين جلطات دقيقة فى الشعيرات الدموية النازفة ، فتمنع بذلك النزيف ، ولا يزال الجراح « الليزرى » ينتقل بمنظاره وشعرته القاطعة الحارقة المضمدة من



الصورة فى ورشة لحام للمعادن بواسطة غاز الاستلين .. لكن الشىء نفسه يحدث الآن فى الأجسام البشرية بواسطة أشعة الليزر .. قارن الصورة بالصورة التى تليها .



مقطع فى خلايا بنائية مكبرة بالميكروسكوب .. لاحظ الحرفين M.B المشار اليهما .. لقد تم حفرهما على الخليتين بأشعة الليزر وكل نقطة تمثل دفقة ضوئية .

أشعة الموت..

تحولت لأشعة أمل وحياة

● ضوء الليزر الذي ينبثق من الشعرة الضوئية الرفيعة يستطيع أن يزيل بعض الأورام الخبيثة، تاركاً وراءه جراحة نظيفة مأمونة العواقب

موقع الى موقع ، حتى تنتهى العملية ، وبها يعود المريض النازف الى حالته الطبيعية .

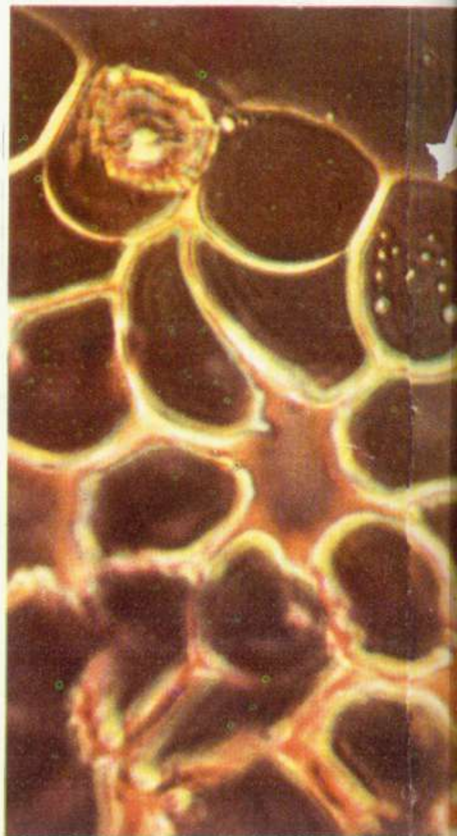
ان مثل هذه العمليات الدقيقة الحساسة لم تكن ممكنة ولا متاحة منذ سنوات قليلة ماضية ، لكنها أصبحت حقيقة واقعة ، وأدت الى نتائج مذهلة ، ودون حدوث مضاعفات خطرة ، وفوق كل هذا تستاصل كل نسيج غير مرغوب فيه ، دون اللجوء الى العمليات الجراحية التى تنزف منها الدماء ، وما يتبع ذلك من فترات نقاهة قد تطول حتى تلتئم الجروح .. كل هذا يحدث وكأنما الجراح يرى كل صغيرة وكبيرة فى الداخل ، رغم انه يعمل من الخارج ، وذلك بفضل التزاوج بين علوم التكنولوجيا الحديثة ، وعلوم الطب ، وما يتمخض عنها من انجازات هائلة .

مبضع دقيق لايجارى

ثم أن معظم العمليات الجراحية التى تجرى الآن لاستئصال الأورام السرطانية انما تتم بواسطة الأدوات الجراحية التقليدية ، وأحيانا ما تكون غير مأمونة العواقب ، لكن ضوء الليزر الذى ينبثق من الشعرة الضوئية الرفيعة كدفقات ضوئية عنيفة ومتقطعة ، يستطيع أن يزيل بعض هذه الأورام الخبيثة ، فبمجرد أن تنطلق الدفقة الضوئية ، وتمس جزءا من الورم . فان الضوء الليزرى يتحول فى التو واللحظة الى وهج وحرارة عالية ، فتقتل جزءا من الخلايا السرطانية ، وبانطلاق مئات أو الاف الدفقات الضوئية واحدة بعد الأخرى ، يتم ازالة الورم شيئاً فشيئاً ، فلا يخلف وراءه إلا انسجة متفحمة ، وشبه أدخنة قليلة متصاعدة ، وتنتهى العملية دون نزيف أو ضمادات ، لأن الليزر قاطع مانع – أى يزيل الورم ، وفى الوقت ذاته يمنع نزيف الشعيرات الدموية ، وبهذا يترك الليزر وراءه جراحة نظيفة ومأمونة العواقب .

لكن ضوء الليزر قد لا ينفع مع ازالة الأورام الكبيرة ، فهذه تلزمها جراحة تقليدية ، ثم يأتى دور الليزر – بعد ذلك – ليقوم بعملية تنظيف والتئام وازالة أى أثر لخلايا سرطانية قد لا ينفع معها مبضع الجراح !

ثم أن أشعة الليزر تستطيع أن تكشف بدايات الأورام السرطانية فى



الجهاز البولى والتناسلي ، وفى الأمخاخ والعيون والجهاز الهضمى والحنجرة والرئتين .. الخ .. الخ ، لأن بعضها يعطى ضوءا لينير الأنسجة الداخلية ، ويوضح لعين الجراح ما خفى فى الباطن ثم ياتى بعد ذلك طراز آخر من هذا الضوء العنيف ، ليزيل بدايات هذه الأورام .. ولنتصور انسانا مسنا ظهر له فى مثانته بداية ورم سرطانى ، وهو لا يتحمل أجراء عملية جراحية لكبر سنه ، وعندئذ يأتيه الليزر بأشعته السحرية ، وحيث تتدفق ومضاته على جدار مثانته ، تبدأ فى ازالة أورامه ، وبعدها يستطيع أن يترك حجرة العمليات الى منزله مباشرة .. فلا جروح ولا نزيف ولأن العملية قد تمت فى الداخل من خلال فتحة مجرى البول ، وبمساعدة منظار ليزرى خاص بالمثانة ، ليضيء لعين الجراح ويوجهه الى حيث يكمن الداء .

أو لنتصور انسانا قد اصيب بورم خبيث فى مخه ، وان هذا الورم قد حل بموقع لا يمكن لمبضع الجراح أن يصل اليه ، عندئذ قد يتأب المريض بهذا الضوء الجديد ، إذ يمكن ثقب عظام الجمجمة بدفقات من أشعة الليزر ، ومن خلال الثقب الدقيق يصبح بالامكان ادخال انبوبة جد دقيقة تتدفق منها نبضات متقطعة من الأشعة التى تقوم مقام المبضع ، حتى إذا وصلت الى هدفها بدأت عملها ، وومضة من وراء ومضة ، فيزول الورم ، ويصبح فى خبر كان !

ان هذه الأشعة السحرية تستخدم الآن فى ثقب العظام بدقة بالغة ، وبحيث تعطينا ثقباً يكفى بالكاد لادخال ابرة دقيقة ، وإذا أردنا بالثقب اتساعاً ، أدت الأشعة هذا العمل بسهولة تامة . وهو أمر يصعب تحقيقه بالأدوات الجراحية التقليدية ، كما أن هذه الأشعة دخلت ميدان علاج الاسنان من أوسع الأبواب .. فهى تكوى اللثة المتآكلة ، وتضع حداً لتسوس الاسنان ، أو تصلح ما فسد منها .. الخ (شكل٥) .

ومن الممكن استخدام هذه الأشعة فى عمليات التجميل ، خاصة حالات الأمراض الجلدية التى قد تظهر على هيئة تشوهات واضحة (ومنها ما يطلق عليه العامة اسم الوحمة ، وهذه تتخذ اشكالا شتى) .. وفى واحدة من هذه العمليات التى أجريت على وجه مشوه (شكل٦) انطلقت ١٨ الف ومضة ضوئية على مدى ساعتين ، فازالت من التشوه بعض معالمه ، وانت تستطيع أن ترى الفرق بنفسك قبل العلاج وبعده .. صحيح أن هناك بعض معالم التشوه ، لكن شيئا افضل من لا شيء ، ثم أننا لازلنا فى بداية الطريق .

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا الكفاية ، ولنقدم الآن شيئاً عن « موديلات » أشعة الليزر

ان أجهزة أشعة الليزر تعتمد اساسا على تصميمات معقدة لا نستطيع أن نتعرض لها هنا ، فليس ذلك مجالها ، لكن يكفى أن نذكر انها تنتج من طاقة كهربائية مختزنة فى جهاز خاص ، وعندما تنطلق ، فانها تخرج كدفقة من ضوء قوى ومدمر ، ولا يستغرق ذلك إلا جزءا واحدا من ألف مليون جزء من الثانية ، ولابد من توجيه هذه الدفقات فى تصميمات خاصة . حتى يمكن الاستفادة بها ، ثم أن لكل طراز من هذا الضوء تصميماً محدداً ، وبحيث يخرج كضوء منظور أو غير منظور للعين البشرية ، واحيانا ما يتخذ الوانا شتى ، ويتوقف ذلك على اطوال موجاته أو شدتها ، فهناك مثلا أشعة الليزر التى تنبثق من خلال غاز ثاني أوكسيد الكربون ، أو غاز الأرجون ، أو العقيق ، أو خلال خليط من المعادن النادرة .. الخ ولهذا تسمى باسم الوسط الذى تمر فيه ، كان يقال مثلا ليزر الأرجون ، أو ليزر ثانى أوكسيد الكربون .

وطبيعى أن هذا الضوء المركز الذى ينبثق كدفقات قوية (كلما ضغط الجراح على زرار) لا يسرى خلال المعادن الموصلة أو الأسلاك كما يسرى التيار الكهربى مثلا ، وكان لابد من استنباط طريقة لنقله وتوجيهه دون تشتت ، فظهرت فى الأفق « أسلاك » زجاجية رفيعة كشعرة الرأس ، وهى مجوفة ومبطنة من الداخل بعشرات المواد الكيمائية المختلفة التى ترسبت طبقات من فوق طبقات ، وهذه بمقدورها أن تنقل ضوء الليزر وتوجهه ، ومن أجل هذا اطلقنا عليه اسم الألياف الضوئية OPTIC FIBERS وهذا ما تعرضنا له في مقالة سابقة على صفحات هذه المجلة تحت عنوان « عصر المعلومات » .

ثم أن هذه الدقة المتناهية فى سمك الألياف الضوئية ، وفى عنف أشعة الليزر ، وفى التصميمات المختلفة ، قد جعلت منها أداة جبارة فى تطبيقات طبية وعلمية كثيرة ومتشعبة ، ولاشك أنها ستتطور ، وسوف تجذب لكفاءتها العالية انظار الأطباء والجراحين ، لأنها أكفأ من الأدوات الجراحية التقليدية ، وطبيعى أن معظم الجراحين لا يقبلون عليها كاقبالهم على أدواتهم الجراحية التى مارسوها جيلا عن جيل ، ثم أن المتاح أفضل ، ولأن الناس أعداء ما جهلوا ، لذا كان الخوف من الاقدام على دخول هذا المجال المثير والمخيف (الآن على الأقل) .. لكن مما لاشك فيه أن هناك روادا يشار إليهم بالبنان ، ولقد حققوا انتصارات مذهلة فى هذا المجال ، وسوف تجذب هذه الانتصارات اهتمام الأجيال القادمة ، ليدخلوا بكل ثقلهم فى هذا الميدان الذى يبشر بآمال عراض .. وبهذا يصبح الليزر نارا ونورا ـ نار على الآلام ونورا لمزيد من الآمال .

دكتور عبد المحسن صالح

● نود أن نشير هنا أن معظم الصور المنشورة مع هذا المقال مأخوذه من مجلة « ساينس دايجست » الأمريكية .



متحف حي لفنون السودان في الدوحة

كمال سعد

الرقص الشعبى هو الفن الذى يمثل حركة الأمة الطبيعية العفوية ، وهو أصدق صورة لحقيقة طبائع وعادات وتقاليد الشعوب ، لأنه أحد الفنون التى لم تطمسها مظاهر المدنية وصورها المصطنعة !

ومن الرقص الشعبى أصبحنا اليوم نستطيع التعرف على حياة أى شعب وحفلات أعراسه وأزيائه وزيناته الموروثة من العصور الغابرة !

وإذا نظرنا الى عروض الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية التى قدمت







الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية أثناء تقديم عروضها فى مدينة الدوحة .

برنامجاً كاملا خلال الأسبوع الثقافى السودانى فى مدينة الدوحة ، لوجدنا أن هذه الفرقة تقف فى مقدمة الفرق العربية بما تعطيه للمتفرج من متعة ذهنية ، وبما تعكسه من ألوان حية من التراث فى البيئة السودانية الزاخرة بكل أنواع العطاء المتمثل فى أعراس القبائل السودانية ذات الأصول العربية وايقاعات الرقص الافريقى المرتبطة بالعمل والميلاد والزواج والموت والطقوس وكافة المناسبات الأخرى التى يحس اثناءها الراقصون بقوة الحدث





رقصة السيوف بما فيها من أداء مرتبط بالتقاليد العربية .. ثم رقصة من الجنوب حيث إيقاع الموسيقى الافريقية .. وبقية اللقطات لمعرض الصور الفوتوغرافية .

متحف حي لفنون السودان في الدوحة

فتتم المشاركة الاجتماعية على إيقاع الطبول وحركات الجسم ذات المدلول والمغزى !

وقد بدأت الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية أول عروضها منذ ٢١ عاماً ، وبالتحديد فى عام ١٩٦٠ ، عندما تم جمع كل الفرق الراقصة للقبائل السودانية أثناء احدى الاحتفالات الوطنية ، ووقتها أحس كل من رأى هذه العروض بالرصيد الفنى الضخم المتمثل أمامهم ، فتكونت أول فرقة للفنون أطلقوا عليها اسم «شعلة افريقيا» ، ظلت تقدم ألوانها بصورة تلقائية ، حتى استعانت الدولة فى عام ١٩٦٧ بخبير فى الرقص الشعبى اسمه «رمازين» وزوجته «لارا» فى تدريب الراقصين على أصول وقواعد فنية ، ليتم تأسيس الفرقة القومية للفنون الشعبية ، ولتقدم أولى عروضها ذات المستوى الفنى الرفيع فى المهرجان الافريقى الأول فى الجزائر عام ١٩٦٨ !

وأصبحت الفرقة بعد تلك السنوات تضم رصيداً كبيراً من الرقصات يتجاوز العشرين رقصة ، وهذه الرقصات تمثل القبائل الكبرى فى السودان حسب توزيعها الجغرافى ، كما أنها قدمت عروضها فى عدة دول من بينها الجزائر ومصر وتونس واثيوبيا والكويت وأبو ظبى والدنمارك والمانيا الغربية والاتحاد السوفيتى ورومانيا وليبيا والمغرب وسوريا وأوغندا والصومال وكينيا ويوغسلافيا وفرنسا واسبانيا ونيجيريا وأخيراً قطر ..

وفى لقاء مع أعضاء الفرقة القومية للفنون السودانية أثناء الأسبوع السودانى الثقافى فى الدوحة قالوا ان أول عروض رقص فيها أبناء القبائل فى السودان أمام الجماهير فى مدينة الخرطوم وصل فيها عدد الراقصين الى حوالى ٤٠٠ راقص ، تناقصوا - بالطبع - مع تنظيم أول فرقة فى تاريخ السودان الى ٦٠ راقصاً وراقصة ، يحافظون على التراث ويستلهمون منه أهم عروضهم !

وقالوا ان هذه الفرقة تعكس عادات وتقاليد قبائل السودان التى يصل تعدادها الى ٥٧٩ قبيلة تتحدث أكثر من مائة لهجة ، يجمع بينها ذلك الايقاع المميز لأغلب فنون هذه القبائل !









وأشاروا الى أهم المشاكل التى تواجههم باستمرار ، ومن بينها ضرورة رجوعهم الى المصادر ـ حتى لو كانت فى مناطق نائية ـ عند تقديم أية رقصة جديدة ، وهذا يكلفهم الكثير من الجهد المادى والمعنوى .. ورغم أن هذه المشكلة أستطاعوا التغلب عليها بحكم العادة وبحكم تكرارها أمامهم عند تقديم كل عمل جديد .. إلا أن هناك مشكلة لم يستطيعوا حلها حتى الآن ، ففى كل فترة يفاجأوا بمجموعة من الراقصات يتركن الفرقة إما بسبب الزواج أو لأسباب عائلية أخرى ، وهذا يؤدى الى طلب راقصات جدد ، ليبدأ جهد التدريب من جديد ، وقد كانت أخر مفاجأة للفرقة هى خروج سبع راقصات مرة واحدة !

إن السودان بما يضم من لوحات وألوان متعددة فى الرقص الشعبى ، أصبح ملهماً لرقصات العالم كله ، فالسمبا والرومبا والمامبو التى غزت أوربا وانتشرت بين ربوع بلادها ما هى، إلا رقصات سودانية .. وكذلك يمكننا أن نجد الروح العالمية فى بقية الرقصات التى يقدمها السودان للجماهير فى كل مكان ، مثل رقصة «المسيرية» القادمة من الغرب والتى تمثل روح الشجاعة والرجولة والقوة ، ورقصة العروس التى تشترك فيها إيقاعات الدفوف والطار والدربكة ، ورقصة الرزيقات القادمة من مديرية دارفور والتى تعتبر من أجمل الرقصات السودانية والتى تعطيها زغاريد الفتيات مزيجاً من المرح والسرور ورقصة الشلك التى يحمل فيها الراقصون الرماح وهم يرتدون جلود النمور ويتحركون أمام الفتيات فى فتوة ورشاقة

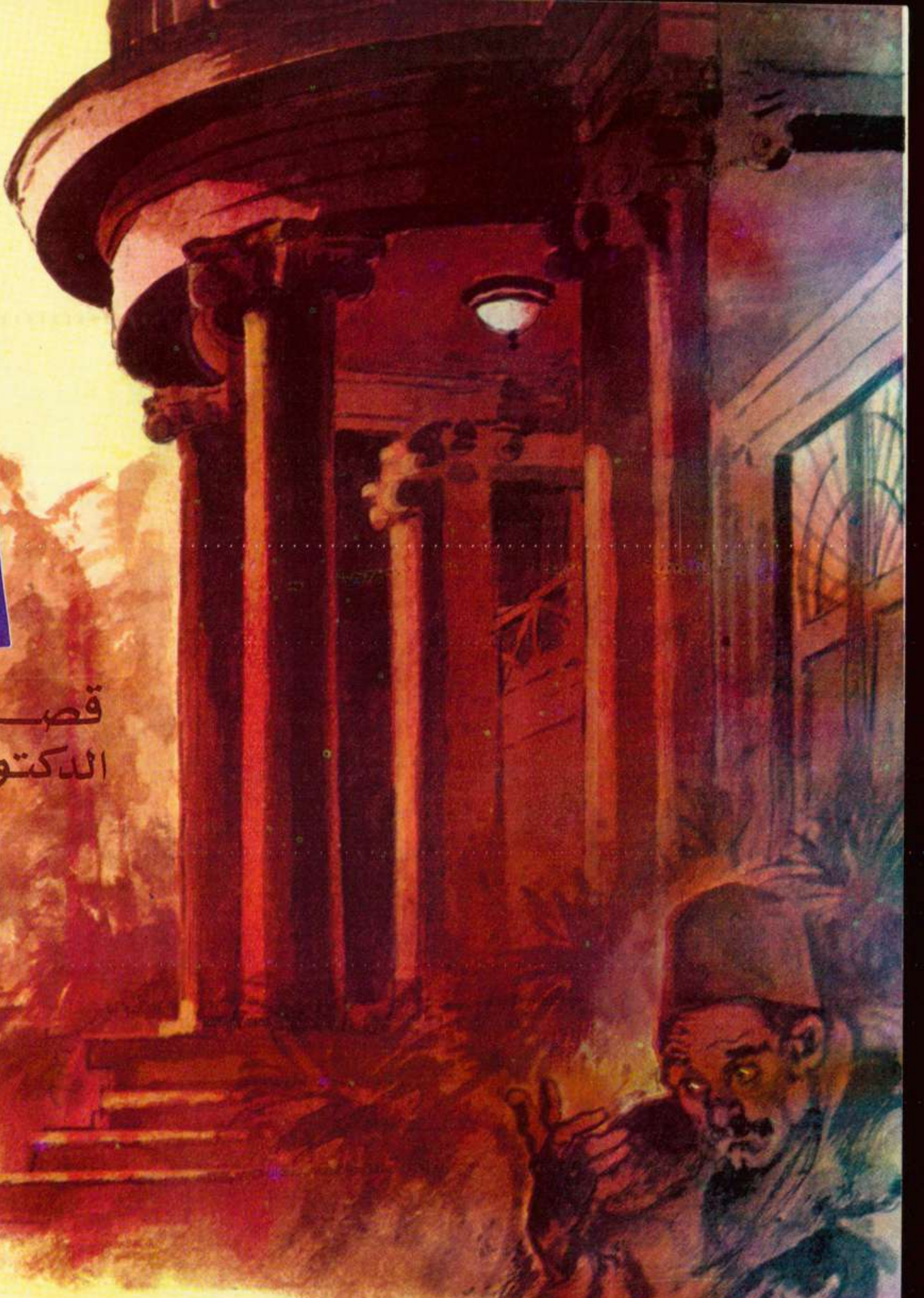
وغير ذلك هناك رقصة الدينكا القادمة من مديرية بحر الغزال والتى ترقصها الفتيات وفوق رؤوسهن الرياش ذات الألوان الزاهية ، ورقصة الكمبلا التى اشتهرت بها جبال النوبة ، ورقصة البجة التى تحمل فيها البنات السيوف وهن يرتدين الأزياء ذات الألوان الجذابة !

وكل تلك الرقصات وغيرها تجعلك تدرك ان فى السودان متحفاً حياً لتاريخ شعبه وصناعاته وفنونه وأدابه وكل ألوان حياته الزاهية ذات الجذور الضاربة فى أعماق الأمة وأحاسيسها ومشاعرها الفياضة !

كمال سعد

أنصاف الثائرين

قصة جديدة بقلم
الدكتور يوسف إدريس



فى الليل لما خلىِ إلا منه ، ولمْ يكن الشاكي ، وليس حتى ذلك الرضا المؤقت عن النفس بعد عمل باهر . تائه . الهدف مهم ، حتى المشاكل حين تقع تصبح هدفاً المهم ماذا بعد . بكلمة انتهى الاشكال . دقائق معدودة حدث فيها كل شيء حين يجيء الليل وأنت لا تعرف لمن وإلى أين تذهب . حين يجيء الليل ويسحب الكائنات كل الى عشه ومستقره ومقامه ، ووحدك تبقى وحدك وحولك لا يوجد سوى الظلام واللاهدف . حينذاك يعود الليل شيئاً آخر . عمى أصاب الشمس أو غولا ابتلع الدنيا والناس ، ولا تتحول أرض النهار كالعادة إلى أرض ليل وقد تغير منها اللون فقط ، تصبح الأرض المستوية بحراً ، ليس مجرد تشبيه ، تتحول حقاً إلى بحر ، الريح أمواجه والظلام آفاته ، الاضاءات البعيدة أو القريبة مراسيه ومنارته .

وفى الليل لما خلي إلا من الشاكي ، صوت عباس يدندن ، يطرد الوحشة ، لكن الدندنة تؤكدها ، يعلو الصوت ، يغني ، يطلب الونس فيتحدث الى الليل المسكون بالظلام الراسخ العميق . فى الليل لما خلي ، الجمال الوحيد فى صوت عباس أنه يجعلك تتذكر عبد الوهاب وهو يغنيها ، وبحنجرته الحلوة يستأنس كون الظلام ، ويضيء على مدى الصوت الصبي أنيق الشموع .

في الليل والعربة تجار ، تصعد ،

تميل ، تتلوى ، صندوقها المغلق الكبير يتأرجح فهى تسلك الطريق الوعر الخالي من أكشاك المرور وعساكر المرور . فقد سحبوا الرخصة منه من زمن لضعف بصره ، وفى الليل يزداد ضعفاً ويزداد تأرجح اللورى فوق جسور المصافي غير الممهدة وغير المعدة لمرور العربات ، أى عربات .

في الليل والعائلة الغريبة منكمشة بجواره ، الزوجة وضعها الرجل لصق الباب غيرة عليها أن تكون محشورة فى الوسط ، والأولاد فى الدواسة وفوق ركب الأب والأم وفى كل مكان . في الليل وقد مضى النهار المزدحم ، ذلك النهار . قصته الكاملة لو كتبت لاستغرقت كتباً .. بل لا أحد بامكانه أن يحيط بها كلها .

عباس السائق جنبته الأغنية وغرق فى دوامتها . الليل صاحبه القديم ، والليل عمره ، بل أصبح قدره ، ولم يعد سواه ملجأ يحميه من النهار ، نهار الناس العاديين والقانون العادى ، نهار البوليس والتفتيش والرخص ، النهار الذى يضبط فيه كل شيء ولا يفر منه أحد ولم يعد لـه سوى الليل

ذلك الليل الذى خلا إلا منه و من محتويات (لوريه) من بشر وأشياء وعزال ، يستجير به معيناً حتى لا يتخلى عنه ، إذ حتى لم يعد يرى أمامه أى مرفأ .

قطع عباس اندماجه وسأل : مربوط ؟ مربوط ؟

حجاج الراكب وصاحب الكومة الأسرة فرح ، فالسائق فى العادة ذلك الذى اعتاد الصمت وقصر حواره دوما مع الموتور ، إذا أجاب مضطرا خرجت الاجابة من أنفه ، تكبرا يقولون ، تكبر السائقين الذين يعرفون أنهم فوق الناس لأنهم يعرفون ما لا يعرفه الناس ، تحت إمرتهم سر الصنعة ، والآلة اللغز ، سلسلة فى يدهم ، الآلة لغز فى عالم يحيا بآلات من الحمير والكارو والجاموس والنهيق . الآلة . أصبع الحضارة البعيدة تخترق الفيافي وتظهر هنا ، معجزة ومرعبة ، وسيدها عباس أو أى عباس ، أو حتى لو كان نظره شيش بيش ليجعل تكبره على الآخرين أقل شموخاً ، ولكنه حتماً يملك ذلك الشموخ .

مربوط ، لماذا مربوط ، وهل يعقل ، وفى هذه الساعة أن يطرح حجاج (أفندى) باب أنيس أفندى ولغرض كهذا الغرض . مربوط مربوط مربوط ، وهذا البغل ذو الكرش المحشو جشعاً ونتانة . مربوط يا إبن بائعة الفجل الذى أصبحت صاحب أرض وبفضلي أنا تحولت من (بقجة) القماش تحملها لتبيعها بالمتر والنصف متر فى الأسواق الى صاحب دفتر شيكات ضخم بقلمك المذهب تستطيع أن تضع أى رقم وتوقع ، ولتوقيعك قيمة وسمعة ، أعظم من سمعة



أنصاف الثائرين

محافظ البنك الأهلي ، وورقة دفتر شيكاتك أضمن من الورقة أم مادنه ، والمميزة بالصورة المحورة لأبي الهول . مربوط مربوط ، ياحسن بن وهيبة بائعة الفجل ، يامن سموك يوم ولادتك حسن الكبش ، لفرط شبهك به ، ثم لما تاجرت وأصبحت صاحب عربة خضار سموك المعلم ، وتلاشى الكبش من اسمك ، وذاكرة الناس للأسماء وللألقاب ضعيفة ، خاصة إذا كان أصحابها يكبرون والناس تصغر وحسن بك أصبحت . مائة فدان تملكها رغم أنف قانون الاصلاح الزراعي وقوانينه الصارمة لمنع التحايل ، ومائة أخرى تستاجرها رغم أنف قوانين الايجار الحاسمة . مائتى فدان . الجناين مائة . والخضار مائة . والسراية اسمها الشاليه . والسور الذى يحيط بالمائتى فدان أسلاكه شائكة ، وفى الليل مكهربة ، وماكينة النور تكفى لاضاءة مدينة ، وحظك نار ، بمائة جنيه لهفتها والأرض فدانها بألف ، وصاحبها الخواجة يبكى ، فالعمر أضاعه ، يصنع من الجنينة جنة ، قنواتها بالأسفلت ، ونقل الفاكهة والخضار يتم بقطار صغير ذى عربات قلابة وأوناش ، وخيم للرش وموتورات ، وببلاش أصبحت (بك) ، ولو كان ممكناً لتخطيت بأرض الخضار ومزرعة الدواجن والبهائم وخلايا النحل وحتى بتقطير زهر الياسمين وحده ، رتبة الباشا .

فلتكن مربوط .

الخواجة كان أحسن . ألف مرة أحسن خواجة على غير الدين والملة ولكنه لا يكذب ولا يغش ولم يذهب ليحج ومعه حقيبة ضخمة فارغة وعاد بملء عربة لورى بضائع للتجارة والاستهلاك .

الخواجة كان أحسن ، وكان فى أيامه وطنى صميم ووفدى قح ، وعباس السائق هذا نفسه كان حين يريد أن يسترضيه يضغط على (سيرينة) العربة النقل لتعزف ذلك الهتاف المموسق : يحيا .. النحاس .. باشا .

خواجه وأحسن وذمته أنضف ولكنه ذهب لأنه كان يمت الى جنس كبير حرفته السرقة المنظمة المقننة والارهاب بالقتل العسكرى المباح والاحتلال طريقته فى السطو المسلح . خواجه واحد نظيف في عصابة قوامها عشرات الملايين من السفلة . وراح .

والجنينة فى الحقيقة لا كانت جنينة الخواجه ، ولا جنينة حسن بك (الكبش) سابقاً حين لهفها لهفاً . الجنينة جنينة حجاج . جاء ها وبها أربع شجرات (كازورينه) عجاف . جاءها وهي بور . حتى الحشائش لا تقوى على النمو فيها . وبيده . بيده وحده أحياناً ، بحذائه ينغرز في الوحل ، بالليالي يسهرها حتى الفجر . لا يزيد الري جرعة ماء أو ينقص . ولا يزيد السماد ملليجرام أو يتغير . بالبهائم رباها وعاماً وراء عام تحيل بقاياها وعلفها الى طبقة أرض نيتروجنية جديدة ، تختلط بالقديمة ، وبالطمي ، آلاف الأطنان من الطمي والرمل ، من شيء كان كالرأس الأصلع الخالي تماماً حتى من الزغب ، شعرة شعرة راح يزرع ، وحوضاً حوضاً راح



يزحف بالخضرة والخصب ، حتى ، بعد سنوات عشر ، أصبحت تلك المعجزة التى تتحدث بأخبارها ألسنة المارين ركوباً فى أوتوبيس أو سيراً على أقدام بجوار الحمير المثقلة .

أصبحت جنة يستضيف الخواجة (شيميز) أصدقاءه ومعارفه ، وكل من يكاد يعرفه أو يلقاه ، ليريه (إيزابيلا) (فارم) ، كمن أكتشف المعجزة ، كمن حقق أكثر المستحيلات استحالة ، فى شرحه وحماسه ، ووجناته المحمرة يندمج ، وتنطلق دفعات الكلام من فمه صادقة أو كالصدق ، كانه هو الذى قام بالعمل وحده ، هو الذى غرس ، هو الذى قام على (المشاية) وسهر ، هو حتى ذلك الذى أقام هذه (الفراندة) الأصيلة التى لا مثيل لها ولا لروعتها . فى وسط «إيزابيلا فارم» تماماً تقوم شجرة كازورينا هائلة الضخامة ، هي مع الكازوارينات الثلاث كل ما وجده فى الأرض حين اشتراها . يندمج تماماً حتى ينسى إسماً أو تاريخاً أو حادثة فيتلفت لحجاج أفندى السائر متواضعاً خلف الجميع ، الصامت تماماً دونا عن الجميع ، الذى اعتاد على اغتصاب الخواجه لمجهوده ودوره ، حتى لم يعد يزعجه الأمر ، فليتكلم ما يحلو له الكلام وليصمت حجاج تماماً ، فثمة ألف شيء تتحدث نيابة عنه . كل شجرة ، كل عرق من شجرة ، كل ثمرة مانجو ، كل عنقود عنب ، كل زهرة ياسمين ، كل نخلة ، كل (قرص) عسل نحل ، كلها دوماً يراها ويسمعها بعين غير عين الجميع ، وأذن غير أذن الجميع ، إذ بأذنه وعينيه وحدهما يسمعها ، تبثه الشكر والحمد ، تغرقه فى اعترافها بالجميل الى درجة أن لو أشار لها بالكف عن النمو لكفت . أن تكف عن انتاج الثمار لكفت . الخواجة له الأرض وله النقود ، وله الشاليه المذهل ، وله ذهول الضيوف ، وآهات انبهارهم ودهشتهم ، ولكنه هو الذى يملك ما هو أعظم من ذلك كله ، يملك أجمل وأروع حديقة حياة أرغمه هذا الفحل الأصلع على أن ينشئها فأنشأها .

وكمن يشير الى برج ايفل ، يشير الخواجة الى شجرة الكازورينة ، لتكون المفاجاة ، اندفع يسرع راكضاً ناحيتها ، والركب والركض يتبعه ، وهناك ، وكأنما يكتشف فى التو معهم ، يتطلع ويتطلعون ، وفى أعلا مكان فى شجرة الكازورنية العالية ، حيث أقيمت ، من نفس الأفرع غير المهذبة (فراندة)



مستديرة مريحة ذات سور تحيط
بالشجرة كلها . ومن نفس الأفرع ، وعلى
نفس حالتها صنع للفراندة مقاعد
ومناضد ، وكالطفل الذى فقد اتزانه ،
يبدأ الخواجة شيميز يتسلق السلم
المصنوع أيضاً من الكازورينة ، وليبدو
وكأنه مجرد فرع شنبت نهاياته قليلا .
السلم والدرابزين ، وخرطوم المياه
الدقيق ، وأسلاك النور التى طليت بنفس
لون الشجرة ، والمصعد ذو البكرات
الذى يتحرك حاملا الطعام أو العجزة
الذين لا يستطيعون الصعود أو أجهزة
الموسيقى أو ما شاءوا من صناديق
الشراب ولأن الأسئلة حينذاك تنهال
بكثرة وبالفرنسية فى الغالب ، ولأن
حجاج أفندى له إلمام بها و (شيميز) يعلم
هذا ، ويعلم أيضاً أنه قد ظل أنانياً الى
درجة لم تعد تحتمل ، يتحرك الضمير .
معترفاً أولا بأن (برج) (الكازورينة) هو
فكرة أراد حجاج أن يفاجئه بها حين
استضاف وزير الزراعة يوماً ، ثم تتوالى
اعترافاته ، وحتى ما لم يعترف به بينه
وبين نفسه يبدأ من تلقاء نفسه يشير الى
صاحب فكرته وخالقها . وحينذاك ،
وحين تبدأ العيون تحاصر حجاجاً، وتبدأ
السيدات تضع النظارات تتفحص هذا
الصامت العبقرى وتتأمل أنه هو الرجل
المقصود ، يصبح ارتباكه أعظم من أن
يحتمل ، ولابد أن يعتذر ، إن لم يبد وجيهاً
أو مقبولا ، فالأمر لا يهم . يختفى حجاج .

وتختفى الخواجات والطبقة . وفى
أسبوع واحد يبدأ شيميز الفرنسى يفكر
فى البيع ، ثم البيع ، ثم تهريب الثمن ،
والأسبوع التالى يجيء عليه وهو فى
مرسيليا وقد عاد الى (الوطن الأم) بينما
كان فى الحقيقة ، وفى نفس هذا الوقت
يبكى وقد أحس لأول مرة أنه فقد الوطن
الأم حقاً ، وقد ينجح شيميز وتكون له
حديقة وضيعة ومزرعة ، ولكنه أبداً لن
يجد فى ذلك الوطن الجديد .. برج
الكازورين ، ولا حجاجاً.

● ●

كما كان يعامل شيميز ظل يعامل حسن
بك . لم يكن هناك ما يدعو لاستمساك
حسن الكبش بالسيد حجاج هذا . إنه من
عائلة قوامها ألف رجل ، كلهم فقراء ،
وأولى من حجاج بالعمل والماهية ، ولكن
أن يقلد الخواجة شيميز الذى اشترى
منه المزرعة بابقاء حجاج (مديراً)
للحديقة والمزرعة ، بنفس راتبه ،
ومسكنه فى الركز الجنوبى للحديقة ،
أبداً ليس هو السبب الذى دفعه
للاستمساك به ، فالبند الذى ورد فى
العقد خاصاً بهذا الموضوع كان فى حد
ذاته نكتة ، بند لا يعنى شيئاً ولا يشترط
للفكاك منه جزاء كل ما فى الأمر أنه يدفع
للعجب . أن يتمسك المالك السابق
بموظف عنده بهذه الطريقة مسألة لابد
فيها سر . سر حاول شيميز أن يشرحه له
أكثر من مرة بقوله ان حدائق كهذه ليست
مجرد عقار أو سلعة ، إنها حيوان
ومجتمعات كالبشر ، ورعايتها تستلزم
كرعاية أى أسرة ، الحب والرعاية
والتفانى والحنان . وحجاج هو ذلك
الراعى والأب . وأيضاً ، ورغم التكرار
والتكرار محسن بك ظل يؤكد لنفسه أن
فى الأمر سرا . وأن الأيام كفيلة باظهاره .
الشيء الآخر أنه بدأ يشرح لحجاج
طريقته ، وأنه ليس خواجة ، وليس
(كروديا) ، وأنه بدأها من عربة اليد ،
ويفهمها وهى طايرة ،ويعرف فى الجناين
وأمورها أكثر من صاحب دكتوراه .
وهكذا عليه ، إذا أراد أن يستمر (ياكل
عيشه) أن يطيع : كذا يعنى كذا ..
مفهوم ؟!

يرمقه حجاج بعيون لاترمش ،ولا تريد أن
يخفى عليها خافية . نظرة تطول ، وتؤوب
الى رأس ينخفض يفكر . من الآن عليه أن
يدرك أن كل شيء قد تغير ، ليس صاحب
العمل فقط ، ولكن عليه هو أيضاً أن
يتغير ، بل ربما على الأرض نفسها
والشجر والزرع أن يتغير .

لقد كان شيميز يشعره أن الأرض وإن
كانت له ، إلا أن كل ما هو أخضر فيها هو
من صنعه ومسئوليته . وهكذا وعمره
الآن تسعة وثلاثون عاماً ، اعتصر نفسه
وشبابه ، وأحالها فاكهة خضراء وثمراً ،
وبينما أعاد للحديقة صباها وشبابها فقد
هو كل صباه ، وأصبح من يراه يظنه فى
الخمسين .

من الآن ، عليه ، كما فعل شيميز أن
يبيع هو الخضرة كما باع الآخر الأرض ،
وأن يشترى صحته وحياته كما اشترى
الآخر عنقه . ومادام حسن بك الكبش
يريد أن يكون الصاحب والآمر والناهى
والرأى رأيه والتصرف تصرفه ، فليكن
الأمر كما يريد ، وليبدأ ومنذ الآن دوره
الجديد ، ومادام (المدير) قد ذهب مع
الخواجة الذى ذهب ، فليكن دوره مع
الصاحب الجديد الآمر ، دور المأمور المنفذ
كذا يعنى كذا . حاضر .

حاضر وهى حاضر . الرى يعرف أن
موعده خطأ ، وطريقته خطأ ، ولكن تأتيه
الكلمة : ارو . حاضر . يروى .

وبدأت المسائل ترتبك . ويستشير
حسن بك الدنيا كلها ، ويعيد ما كان
يفعله بأراضيه الأخرى ، ناسياً أن لكل
أرض معدنها ، وشخصية العنب الذى
ينمو هنا ، غير شخصية بنى جنسه
ونوعه الذى ينمو هناك ، ناسياً أن
القواعد العامة شيء ، والقواعد الخاصة
التى تسنها الخبرة الطويلة شيء آخر .
وكثير جداً من الأشياء تبدأ ترتبك .

وكان حريا بحسن بك (الكبش سابقاً)
أن يعزو الارتباك ، ليس لما يصدره من
أوامر ، إنما يعزوه كالعادة لتنفيذ
الحجاج السيء ، ويجعل من هذا سبباً
وجيهاً لفصله والتخلص منه .

أنصاف الثائرين

وهو بالضبط ما كان يتوقعه حجاج وظل يتوقعه .

ولكنه الشيء الذى لم يحدث .

والذى ظل الحجلج يضرب أخماساً فى أسداس ، متسائلا عن سبب عدم حدوثه . وأنى لحجاج أن يعرف أن العلة فى القلة .

وأنها شربة ماء كانت ، ولكنها هى نفسها الشربة التى لولاها ما كان قد أصبح هكذا تائه الليل ، فى طريقه الى أنيس أفندى عبر قنوات وطرق غير ممهدة الى مريوط ، والليل قد خلى ، وسجى ، ولا ندم ، وكذلك لا فخر . ما حدث حدث ولابد أن يحدث . بل حتى هناك فى هذه الوقفة ما يستحق الفخر رغم أن فيها وسبقها ما يستحق كل خجل .

الثورة محدودة ، وحين ثار . كعادته حين كان يثور أيام الخواجة ، ويتلقى الخواجة الجانب الموضوعى من ثورته ولا تهمه الطريقة ، بل أحياناً كان يستحسنها ، كانت الثورة تأتى بنتيجة وفى الحال .

هذه المرة ثار فقد أمره حسن بك بتقليم العنب ، والتقليم الآن معناه أن يقتله قتلا . ولكنه الأمر ، وقد تعود أن يرضخ . هذه المرة صمم تماماً أن يقول لا ولكنه لسان حسن بك خرج ولم يعد ، خرج طويلا سافلا يلعن آباءه وأجداده . احتج . نصف احتجاج . فبنصف عقله الآخر كان يحسبها . فاذا استمر في الأمر فالفصل مصيره ، والفصل يعنى أن يبحث ليس فقط عن عمل آخر ، وإنما ، وهذا هو الأدهى والأمر عن سكن آخر ، فالسكن تبع العمل ، ويعنى أن يلف البلاد كلها طولا وعرضاً يبحث عن زملائه من نظار الجناين ومأموريها ومديريها عن وظيفة ولو وظيفة خولى . بشرط أن يجد المأوى فى حجرة ، ولو فى حجرة . وهنا سكت نصفه الموافق ، وأوقف نصفه الثائر وقلم العنب . ومات العنب .

ومن بركان سفلى بشع خرج غضب حسن بك . يا حمار . هكذا عينى عينك قالها . لماذا قلمت العنب . ولكن هذه أوامرك . ومن قال لك أن تطيع أوامرى ؟ سعادتك الذى قلت : كذا يعنى كذا . ولماذا لم تعارض الى النهاية . لقد كنت أنا أفكر فى التراجع اذا واصلت أنت المعارضة . ولكنك وافقت .

لماذا يعرف الخطأ ولا يقول لا ويظل يقولها حتى لو قامت القيامة ؟!!



والنتيجة : أنت مرفود . ابحث لك عن عمل .

ولكن أولادى . أنا لا بيت لي . لابد أن أذهب أبحث عن بيت وعمل وأنتقل اليهما .

من الغد عفشك بره ، وأنت مرفود ، واذا بقيت لحظة سأسلخ جلدك . وخذ . ورمى اليه بعشرين جنيهاً قيمة (المكافأة) .

ولم يكن هناك مناص فأرخص وسيلة هي عربة النقل التى يملكها عباس الأعمش والتى لا يقودها إلا فى الليل خوفاً من ضبطه بلا رخصة وقد سقط فى امتحان النظر ثلاث مرات ، والى الطرق الفرعية المنحنية والمنحدرة والصاعدة والهابطة ، ينشال اللورى وينحط ، ويميل ويكاد ينهال فى الترعة والمصرف ، والعائلة مكومة فى الكابينة ، وعباس ، يراه بعينه ، كلما نقل عصا الفيتيس ، يلمس ركبة امرأته ، وحتى ابنته ذات الأربعة عشر عاماً ، متعللا بعصيان العصى ، والليل قد خلى إلا من جئير الموتور المنهك ، جعجعة الدبرياج ولمسات الأعمش .

وأنيس أفندى يخرج من منزله فى مريوط مذعوراً فى منتصف الليل يعتذر . لا يعرف عملا . لا يعرف مكاناً للاقامة . زوجته مريضة وإبنه يعانى الحمى وهو مدثر ببطانية . وأنا آسف يا حجاج . أنا آسف . الظروف قوية ، والعمل صعب ، والمزارع والجناين قلت ، ولماذا لم تبلعها يا أخى ؟

وعباس يقول لنفسه ، ولماذا ، مادام هذا هو المصير كنت لا أخلع الحذاء وأنهال به على الرأس الأصلع للكبش حتى أدميه ، وعلى الأقل أخرج بكرامتى ولكنه لابد مصير انصاف الثوار .

والليل قد خلى مرة أخرى إلا من لورى ذى سائق أعمش وعائلته تبحث عن عمل مأوى أو عن مأوى عمل والموتور يزأر ، وعباس يغنى فى الليل لما خلى إلا من الشاكى ، والروح على النوح .. وينسى بقية الأغنية ليمد يده الى عصا الفيتيس ، والى ما أصبح فوق فوق الركبة ، ثم يتذكر عباس بقية الأغنية ويجأر بصوته : للصبر الشاكى .. والليل يمتد ويستشرى ومن بحر الى محيط يصبح . والعربة بركابها تغرق فيه وتغرق ، ولا حتى من نجمة قطب عند الفجر تشهد .

د. يوسف ادريس

عينان

شعر: فتحي سعيد



عينان
لو كانتا .. لكان
وحشيتان
جميلتان
غريبتان
مجهولة الأبعاد والألوان
لكنها عينان ..

• • •

عينان
لو هانتا .. لهان
بركان
ربما .. لو أنها البركان
بستان
عندما .. تعبق فى البستان
شقائق النعمان
نجمان
كلما .. عانقت ظلمة المكان
يضوآن ظلمة المكان والزمان

• • •

عينان
يمامتان
بريتان
ترفرفان
على روابى السهد .. ،
فى حدائق الأجفان
وتعزفان
للشوق .. أعذب الألحان
وتعشبان

نقش الوهاد الخضر ...
بحة الكمان
فالكون مهرجان
لكنها عينان .!

• • •

عينان
حوريتان
جنيتان
سفينتان
أقلعتا بلا ربان
أبحرتا لغير ما شطئان
كموجة من بحرها فرت الى ظمآن
مسكية الأهداب والدنان
راحان أم ريحان ؟
زفت الى نشوان
فمال بالميزان .. !
لكنها عينان !

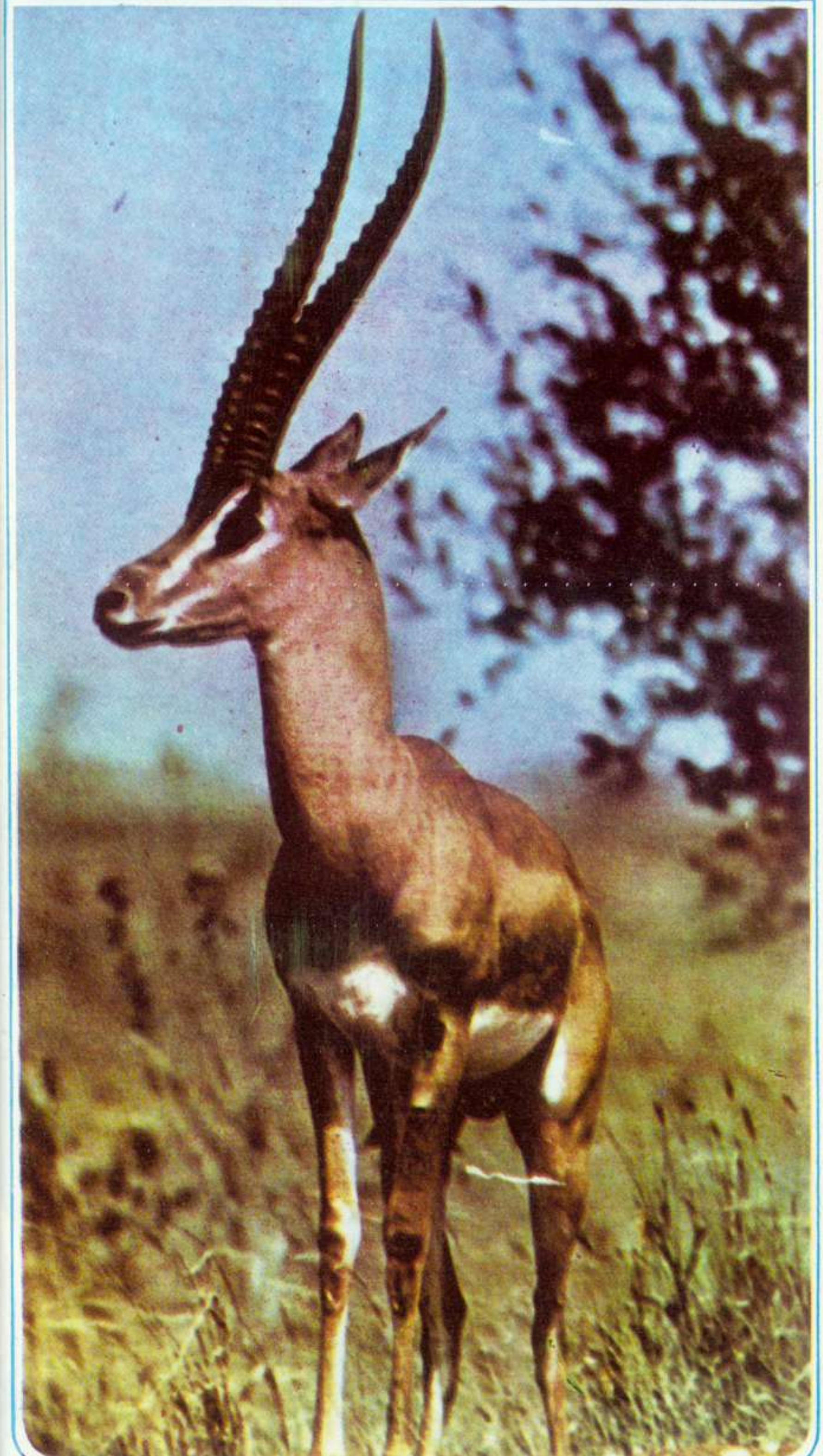
• • •

عينان
يتيمتان
مدهامتان
نضاختان
رفت فماد حولنا الايوان
بلقيس .. والتاجان
كسرى أنوشروان
ماء السماء المنذر النعمان
وشبت النيران ! .

د. محمد الغباشي ربيع

الغزال

أجمل كائنات المملكة الحيوانية



يعتبر الغزال واحداً من أجمل اعضاء المملكة الحيوانية ، وأكثرها وداعة ورقة ورشاقة . ولهذا السبب تسمت بعض النساء باسم « غزالة » و « ظبية » و « ريم » .

وقد استعار كثير من الشعراء العرب صفات الغزال فشبهوا المحبوبة به . وفى ذلك يقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خطوط بان
وفاحت عنبراً ورنت غزالا

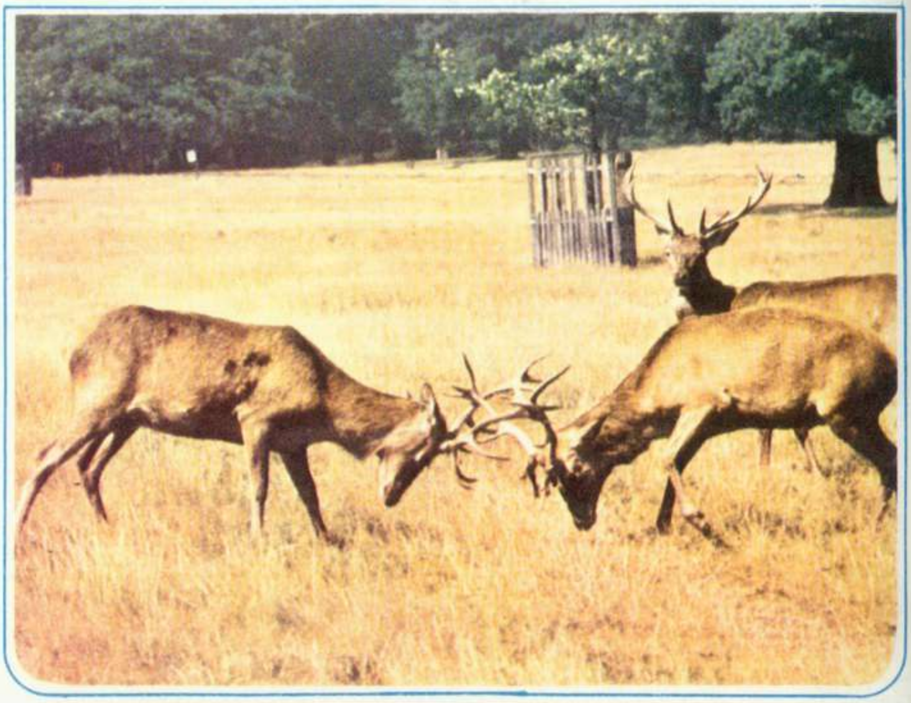
والغزلان أو الظباء حيوانات برية من ذوات الظلف المشقوق والمعدة المركبة وهى من آكلات الأعشاب وتعيش فى الصحراء وبين الغابات بل وعلى قمم الجبال وبين الوديان .

والغزال اسم للصغير من الظباء ذكراً كان أم أنثى ، ثم إذا ظهر قرناه سمي الذكر « ظبي » و الأنثى « ظبية » ـ ويطلق على الذكر الصغير جدي والأنثى عناق .

والغزلان من الحيوانات التى صاحبت الانسان منذ القدم . وتاريخ الغزلان عريق وقديم وخاصة تلك التى كانت ترتبط بالالهة « أرتميس » حامية الحيوانات البرية والتى كانت تقدس كالهة للصيد وتقام لها المهرجانات السنوية فى مناسبات معينة .

حياة وسط المخاطر

والظباء أو الغزلان حيوانات مطاردة فى الطبيعة ، ومنذ أن كتبت لها الحياة وسط أفراد المملكة الحيوانية عاشت





مهددة من الحيوانات المفترسة وشكلت فى معظم الأوقات غذاء شهياً لها ،وربما كان ذلك لجودة لحومها الى جانب أنها حيوانات وديعة وخلوقة تجردت من وسائل الدفاع الطبيعية كالمخالب والأنياب القوية والتى تستطيع بها الحيوانات الأخرى أن تدافع عن نفسها أو تعتمد عليها فى الحصول على الغذاء من لحوم الحيوانات الأخرى كما هو الحال عند الأسود والنمور والقطط البرية .

ولكن توجد للغزلان قرون فى الذكور دون الاناث فى بعضها أو فى الأثنين معاً وربما خلت بعضها من القرون ذكوراً وإناثاً — وحتى معظم تلك القرون ضعيف لا يمكن الاعتماد عليه إلا فى مواجهة عدو ضعيف .

وتحظى الغزلان بسيقان نحيلة قوية وجسم رشيق ممشوط القوام يساعدها على الهرب بسهولة وربما سقطت فريسة لا حول لها ولا قوة .

وبالرغم من هذا وذاك فانها كافحت وجاهدت طويلا لكي تثبت أنها قادرة على الحفاظ على نوعها من الانقراض وسط عالم يتربص بها .

ويلعب الانسان الى جانب الحيوانات المفترسة دوراً كبيراً فى القضاء عليها ، فلقد امتدت يده اليها طمعاً فى لحومها وجلودها وقرونها .

وفى بعض الدول تقوم حملات الصيد المكثفة باستخدام السيارات والأسلحة الحديثة والشباك فى مطاردة تلك الحيوانات فتصاد بكميات هائلة وذلك للاحتفاظ بها فى الحدائق العامة أو لبيعها لدول أخرى خلت من بعض هذه الأنواع النادرة من الغزلان .

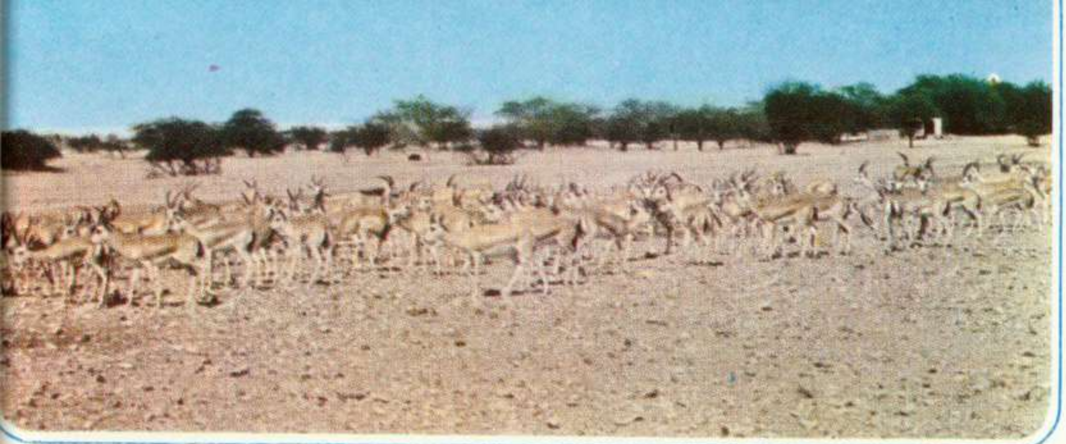
والظباء حيوانات حساسة ورقيقة للغاية فعندما يصرع احد أفرادها أمام بقية القطيع فان بعضها يموت كمداً وحسرة على موت رفاقه ! .

الرشاقة عنوانها !

ومن الصفات العامة للغزلان رشاقتها وسرعتها التى تصل الى سبعين كيلومترا فى الساعة ، والغزلان تتميز «بخرطوستها» الكثيفة الشعر وأسنان غير عريضة ، أما القرون ففى بعض الأنواع تكون مضغوطة ومتشعبة وهى غالباً قرون غير مستديمة تتساقط سنوياً وتعود لتنبت قبل موسم التزاوج . وفى بداية نموها تكون مغطاة بطبقة ناعمة من الأنسجة التى تشبه المخمل فى ملمسها وأحياناً تكون تلك التشعبات بعدد سنوات عمرها ! .

وفى أنواع أخرى تأخذ القرون شكل القيثارة ، وهذه الأنواع غالباً ما تكون القرون فيها مستديمة وقوية إلى حد ما ، كما وأن هناك أنواعاً من الغزلان لا تتواجد القرون فيها إلا فى الذكر ، والبعض الآخر تتواجد القرون فى الجنسين معاً كما هو الحال فى الكاريبو

الغزال







الأمريكى والرنة ، والغزلان العربية وفى أنواع أخرى لا تتواجد القرون بتاتاً ولكن يوجد زوج من الأنياب فى الفك العلوى كما فى غزال المسك .

وتختلف الغزلان اختلافاً كبيراً فى بنيانها فتتدرج من الغزلان الصغيرة التى تكون فى حجم الأرنب الى العلاندات الكبيرة التى تزن مئات الأرطال. إلا أنها جميعاً تتميز بالرشاقة وسرعة العدو والقفز لدرجة أن بعضها يستطيع القفز مسافة ثلاثة أمتار كما هو الحال فى بعض الظباء الأفريقية .

ومعظم الغزلان يغطى جسمها شعر بني اللون وقليل منها منقط أو مرقط ببقع بيضاء اللون قد تغلب على لون الشعر البني .

والغزلان حيوانات اجتماعية بطبعها ترعى فى جماعات وتاخذ لها دليلا ربما كان فى غالب الأمر من الاناث البالغات . فذكر الغزال بالرغم من انه أقوى من الأنثى إلا أنه أودع منها حيث يترك الأمر لها لتتولى قيادة المجموعة .

والظباء من الحيوانات المغلوبة على أمرها وتعتبر من أشدها نفوراً ، وحرصاً على الهرب وإذا شعرت بالخطر فى مكان ما هجرته ولا تحاول الاقتراب منه مرة أخرى حتى ولو كان ظل شجرة فى صحراء قاحلة شديدة الحرارة ، وإذا أرادت الاحتماء فى مكان ما دخلته بظهرها لكي تتأكد من أن أحد لا يتبع خطواتها .

والغزلان التى تعيش فى..السهول تتحرك فى جماعات كبيرة ولكنها تقل في الغابات والأحراش بل ان بعض الجماعات لا تزيد عن ذكر وأنثى فقط .

ويوجد من الغزلان فى الطبيعة

أربعون نوعاً تقريباً تختلف في أحجامها فهي تتدرج من غزلان البورو الشيلي والذى يبلغ عرض كتفيه ٣٢,٥ سم الى غزلان الموظ فى أمريكا الشمالية الذى يبلغ طوله ٢١٠ سم ويزن حوالي ألف رطل .

ولقد نقل الرومان غزلان مروج البحر المتوسط إلى أوربا ثم أدخلت بعد ذلك الى أمريكا الشمالية والجنوبية وجنوب افرقيا واستراليا ونيوزيلاندا .

أما الغزال القطبي أو الكيتال والذى كان فى وقت من الأوقات متوافرا فى الهند وسيلانـ كافقد أصبح الآن نادراً بسبب إزالة الغابات ومنافسة الماشية المستأنسه له فى المراعي .

أما غزال « الأب دافيد » فيكاد أن ينقرض ، ولا توجد منه إلا أعداد قليلة فى بعض حدائق الحيوانات .

الغزال فى قطر

وتعتبر الغزلان العربية من أشهر أنواع الغزلان فى العالم نظراً لجمالها ورشاقتها ، وهي تعيش فى معظم الدول العربية . وأشهر أنواعها ذاك الذى يتواجد فى صحراء مصر وشبه الجزيرة العربية ويسمى فى منطقة شبه الجزيرة العربية (الريم) ، وكان هذا النوع منتشراً بأعداد كبيرة ولكنه تقلص نتيجة لتعمير الصحارى .

إلا أن بعض الدول العربية تعمل الآن جاهدة للمحافظة عليها فمنعت صيدها واحتفظت بأعداد كبيرة منها فى مزارع خاصة ووفرت لها العناية والرعاية لتعطيها الفرصة للتكاثر . وتعتبر دولة قطر من الدول الرائدة فى هذا المجال فهي تمتلك أعدادا وفيرة منها ووفرت لها الظروف المعيشية المناسبة ، وتقوم وزارة الصناعة والزراعة بالاشراف الطبى على تلك المزارع لحمايتها من الأمراض وارشاد المواطنين الى الطرق المثالية فى تربيتها والتى تؤدى الى ارتفاع نسبة الاخصاب بينها .

عظمة الخالق

ومن الغزلان ما يسمى بالغزال النباح وسمي كذلك لما يحدثه من صوت مرتفع حاد يشبه النباح ـ وهذا النوع صغير الحجم ويصل وزن الحيوان البالغ الى أربعين رطلا والذكر له قرون متشعبة ، اضافة الى زوج من الأنياب فى فكه العلوى ويعيش هذا النوع فى الغابات الكثيفة على طول الأنهار والجداول ، ومن صفاته الهجرة الى مسافات طويلة . ومن صفاته الجبن والاستسلام أمام أضعف الأعداء لذا تقتله الكلاب البرية وحتى القطط أيضاً تستطيع التمكن منه وهو متكلف فى مشيته ، فهو يمشى ورأسه مائلة الى أسفل .

ويعيش غزال « مارش » فى جنوب أمريكا حول المستنقعات وفى الغابات وحول الأنهار وهو أكبر الغزلان حجماً فى تلك المناطق ، فيزن الذكر البالغ مائتين وخمسين رطلا ، وشكله يميل الى اللون الأحمر صيفاً ، وإلى اللون البني الداكن شتاء ، وهو يختفي فى الأراضى الرطبة المبللة ذات المراعي التى تشبه جسمه والتى يختفى بينها مما يصعب على الصيادين والحيوانات المفترسة التمكن من صيده ـ ويعتبر من الغزلان الشجاعة فهو كثيرا ما يرعى قريبا من الأبقار والخيول فى تلك المناطق الى درجة الاقتراب كثيرا من المناطق السكنية وهنا تكمن الخطورة على حياته فيدفعها ثمناً لشجاعته .

الغزال .. والمسك

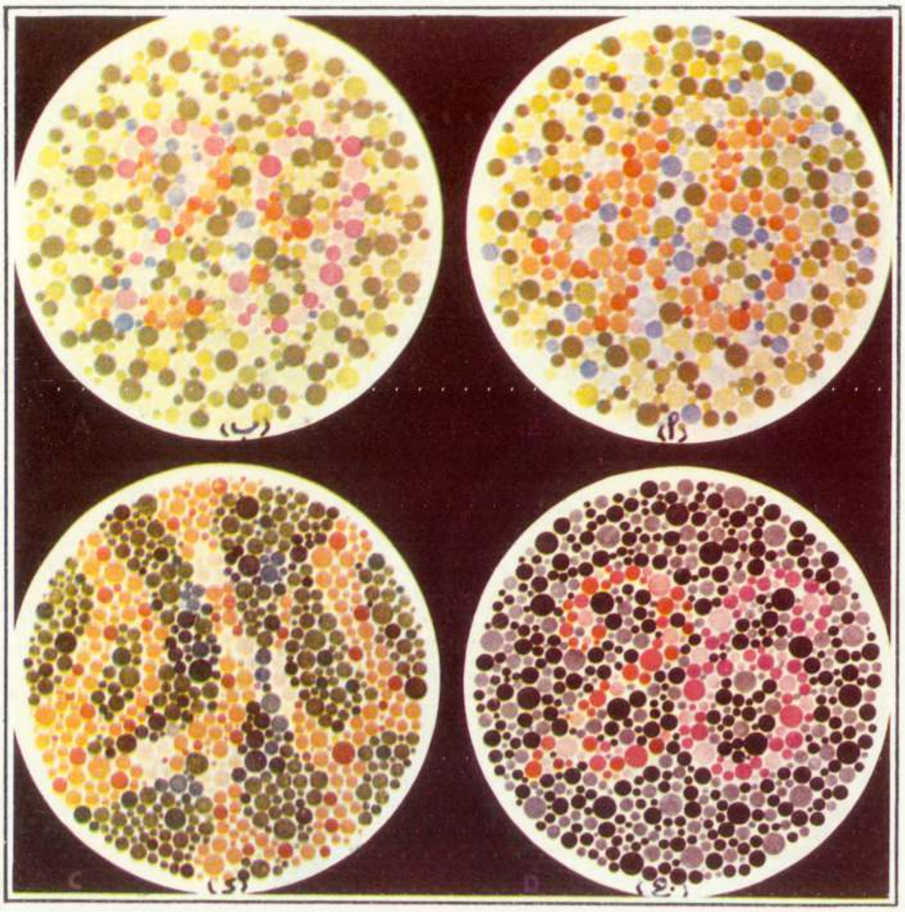
وعند الحديث عن الغزلان أو الظباء يخطر على بالنا المسك وغزال المسك ، فغزال المسك نوع غير عادى من الغزلان وهى تعيش فى الغابات المرتفعة وسط وشرق آسيا والذكر والأنثى فيها مجرد من القرون ، لكن الذكر له زوج من الأنياب البارزة من فمه والمتدلية الى أسفل تبرز من فكه العلوى ، والواحد منها يشبه الخنجر الصغير وهى فقط وسيلة الدفاع عنده ـ والذكور لها غدد خاصة تنفرد بها عن سائر جنس الغزلان ، وهذه الغدة فى حجم البرتقالة وتقع اسفل البطن وتسمى غدد المسك وتقع تحت الجلد مباشرة ، وبعد فترة من الزمن تنضج محتوياتها فيلجأ الغزال الى الصخور ليحك غدته بها فى محاولة للتخلص من مسكه فيترك المسك عليها فيحضر الباحثون لجمعه ، وهو يستعمل كأساس لأجود وأغلى أنواع العطور العالمية ـ أما إذا صيد الغزال قبل أن ينضج مسكه فى غدته فانه لا يحقق الغرض المطلوب منه .

وأخيرا .. فلنراجع أنفسنا ، ولنحترم حياة حيوان وديع يبهرنا بجماله ورشاقته وعطره ، ثم نسعى لقنصه واستئصاله . لنكف كلنا عن هذا العبث ، ولنعفو عن المتهم البرىء لكي لا ينضم الى قافلة الحيوانات المنقرضة .

د. محمد الغباشى ربيع



لقطات من الكون المثير



الكشف هنـــا بالمجان !

تأمل هذه الدوائر الأربع قليلا .. علك تستطيع أن تقرأ ما تحتويها من أرقام .. إن اللوحة التى نقدمها هنا ليست للتسلية أو المزاح ، بل جاءت لتكشف عن عمى الألوان .. وبالمجان !

إذا استطعت أن ترى رقم 45 فى الدائرة (أ) ورقم 29 في الدائرة (ب) ، ورقم 26 فى الدائرة (ج) .. ولا شىء من الأرقام فى الدائرة (د) .. فمبروك لأنك اجتزت بنجاح كشف عمى الألوان..أى انك سليم من هذه الناحية .

والذين لديهم عمى ألوان فى اللونين الاخضر والأحمر ، فسوف يرون الرقم 70 فى الدائرة (ب) ، والرقم 5 فى الدائرة (د) ، ولا يرون شيئا فى الدائرة (أ) ولا الدائرة (ج) .

أما من كانوا مصابين بعمى ألوان كلى ، فانهم لا يستطيعون تمييز الألوان ولا الأرقام فى الدوائر المعروضة .

ان عمى الألوان عموماً ، وعمى اللونين الاخضر والأحمر خصوصاً ، يشكل خطورة فى التعرف على إشارات المرور التى أصبحت جزءاً هاماً من حياتنا العصرية ، فهو لا يعرف إن كانت إشارة المرور للتوقف أو الانطلاق .

أضف إلى ذلك أن عمى الألوان من الأمراض الوراثية التى تنتقل من الآباء إلى الأبناء ، وهى في الذكور أكثر من الاناث . جرب بنفسك .. وأعرف نفسك !

وللكيمياء

أفراحها وجمالها !

يقولون : إن العلماء ماديون ، لأنهم يتعاملون فى بحوثهم مع كل ما هو مادى ، ويتجنبون البحث فى الروحانيات والغيبيات ، ولهذا تجمدت أحاسيسهم عند حدود لا مفر منها ولا مهرب !

وهذا ظن خاطىء ، لأن العلماء أولا وأخيرا بشر ، ولهم أحاسيس أرق وأنبل ممن يتهمونهم بالجمود والمادية ، فهم يرون ما فى الكون من تناسق وجمال وابداع واتقان ، وهذا ما لا يتاتى لكثير من الناس .. صحيح أن العلم الجاد لا يبحث فى الروحانيات ولا الغيبيات ، لأن البحث فيها تضليل وخداع لا يجوز إلا على أصحاب العقول الضعيفة .

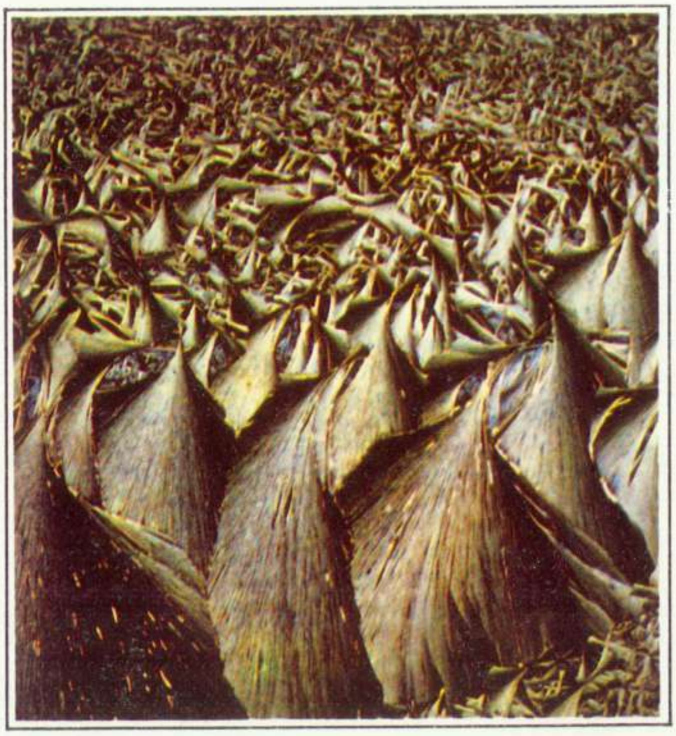
لكن .. مادخل هذا بالصورة المنشورة ؟ .. ثم ماذا تعنى ؟ .

إنها تعنى جانباً من جوانب العلم المضيء الذى ييسر للناس حياتهم ، ويخفف آلامهم ، ويقدم لهم أيضاً ما يسعدهم ويفرحهم .. فالصورة التى نراها هنا تنطوى على فرحة بالمناسبات السعيدة فى حياة الدول .. فهذه النافورات الضوئية ، ذات الأشكال المتباينة ، والألوان الزاهية ، قد نتجت من مركبات كيميائية تنطلق فى صواريخ الى الهواء عندما يحل الظلام .. انها ألعاب نارية نورانية تجذب انتباه كل إنسان ، وتدخل على نفسه الفرحة والغبطة فى عالم مشحون بالقلق والتوتر ! .

حتى الكيمياء تحولت الى أداة فيها اسعاد للبشرية ، ومشاركة فى الأعياد الوطنية .. والخير فى أن تسعد الناس ، ولا تشقيهم ، حتى لو كان ذلك على مستوى مركبات كيميائية .. فمن المادة تنبثق الفرحة والسعادة ، رغم أن السعادة لا تقوم بمعايير المادة .



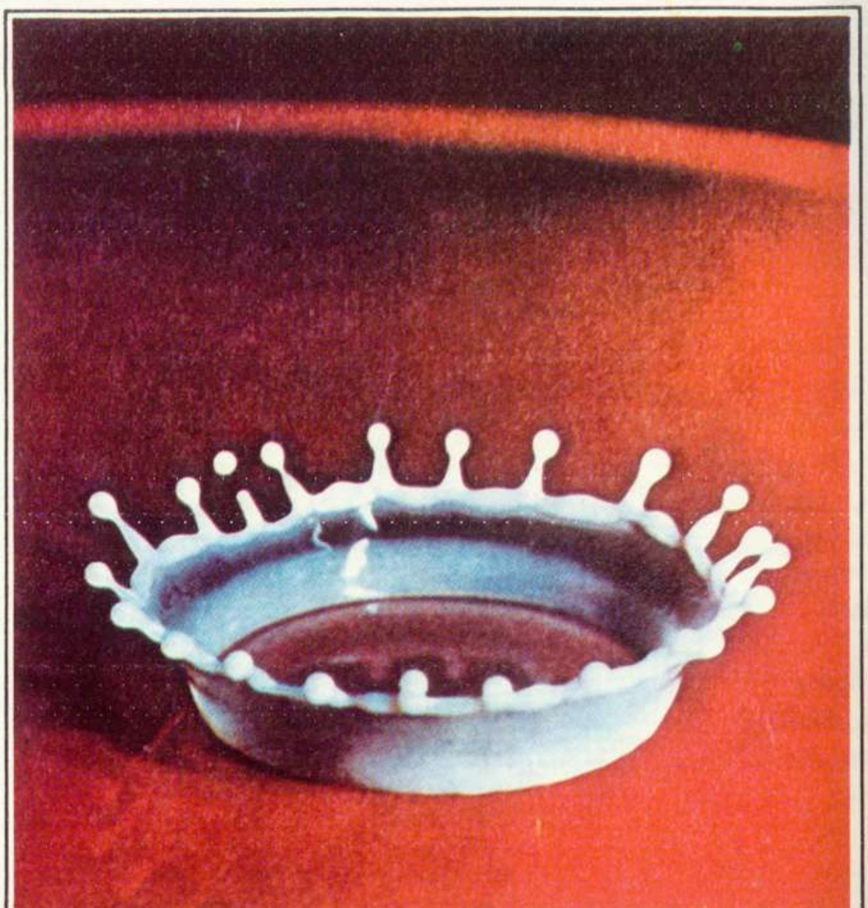
بصمات .. فى عالم البللورات !



من أول وهلة ، قد نحسبها مزرعة .. أو ربما أكداساً من أوراق نباتية متساقطة ، لكن تساقط الأوراق لا يمكن أن يتم على الأرض بمثل هذا النظام .. ومع أن اللون لون أزرق ، والشكل شكلها ، والتعرق تعرقها ، إلا أنها غير ذلك تماماً !

إن الصورة مأخوذة من تحت العدسات التى كبرتها لنا عدة مرات ، وبها نستطيع أن نرى نظاماً غريباً فى عالم البللورات ، وهى لنوع من الأملاح التى كانت ذائبة فى الماء ، وعندما تبخر الماء وتركز الملح ، بدأت جزيئاته تتجمع وتتجمع ، وتكبر وتكبر ، وتسير على مبدأ موحد ، انعكس على هيئة نظام كأنما خطته يد فنان .. لكن الفن الحقيقى ينبع من الطبيعة ذاتها ، لأن التناسق رائدها ، والنظم هدفها ، والقانون الطبيعى شريعتها ، رغم أن البشر غافلون عن كثير من الشرائع الطبيعية ، والسنن الكونية – إلا العلماء الذين يسيرون على هديها ، فحققوا بذلك انجازات لا نكاد نحصيها عداً .. فهم يرون التناسق والدقة والفن والجمال فى كل ما يخطر وما لا يخطر لنا على بال .. حتى ولو كان ذلك جزئيى فى بلورة تشير الينا من طرف خفى أن « الله جميـل يحـب الجمـال » .

بقى أن تعرف أن البللورة لملح مركب باسم سيانيد الاسترنثيوم والبلاتين النشادرى .. ولكل ملح تكوين بللورى يختلف عن أى ملح آخر ، وكأنما هى بصمته التى تحدد لنا شخصيته أو هويته !



نراها دوماً ..
ولا نعرفها يوماً !

كل ما يخطر ببالك .. فالصورة غير ذلك !

فمن خلال لقطة بكاميرا فائقة السرعة ، تأتينا هذه الصورة الفنية التى اتخذت شكلا هندسياً قد نحسبه طبقاً أو سلة أو وعاء أو تاجاً أو أى شىء آخر ، إلا أن يكون لقطرة لبن سقطت على سطح مستو من ارتفاع مناسب ، فأحدثت الصدمة توزيعاً مثيراً للقطرة – وهو الذى تراه فى الصورة التى كبرناها عدة مرات – اننا نرى القطرات تتساقط دوماً ، لكن قوة جاذبية الأرض تسبق عيوننا ، وسرعان ماينهار هذا الشكل المثير ، ويفقد تناسقه ، لكن «عين» الكاميرا كانت أسرع ، فحفظت لنا صورة فنية ما كنا لنراها يوماً ، لأنها تتم فى لحظة خاطفة ، ولأن عيوننا – الى حد ما – قاصرة .. ولهذا يغيب عنها الكثير جدا من اسرار كثيرة ومثيرة .. وما أكثر ما يغيب عن السمع والحس والبصر والفؤاد .

ع . ص



أنقذوا الثقافة العربية في أريتريا

يواجه الجهاز التعليمى الأرتيرى مشاكل عديدة ، معظمها يرجع فى المقام الأول إلى التمويل . إن التعليم فى إرتيريا لا يستند إلى مقومات مادية ثابتة من أية جهة . إنه يعتمد على المساعدات التى تقدم له من تنظيم قوات التحرير الشعبية ، ومن تبرعات الاريتريين العاملين فى الخارج وبعض تبرعات من أفراد فى العالم العربي والاسلامي .

ولهذا فان الدول العربية ، والمنظمات ، والأفراد المقتدرين فى العالم العربي مدعوون للاسهام فى الدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية التى تتعرض لهجمات شرسة من مختلف القوى المعادية للعروبة والاسلام .

بقلم : عثمان صالح سبي



الحالة التعليمية الراهنة فى أرتيريا تعكس حالة الصراع الحضارى والثقافى على مدى التاريخ بين الاسلام وخصومه فى هذه المنطقة . فمنذ أن دخل الاسلام فى القرن الأول الهجرى عن طريق الجاليات العربية النازحة من الجزيرة العربية ، وشكل فى حوالي القرن الثالث الهجرى سبع سلطنات اسلامية عرفت فى التاريخ العربى ببلاد الطراز الاسلامى ، منذ ذلك التاريخ والصراع بين الحضارتين والثقافتين ـ الاسلامية العربية من جهة والحبشية من جهة أخرى ـ لم ينقطع ..

وهذا الصراع الراهن حالياً بين أرتيريا وأثيوبيا هو امتداد لذاك الصراع القديم ، فقد توطدت الحضارة العربية الاسلامية فى أرتيريا حتى غدا هذا الشعب جزءاً لا يتجز من الأمة العربية الاسلامية ، وحتى صارت اللغة العربية لغته الاساسية ، ولهذا فان قرار البرلمان الارترى فى عهد الاتحاد الفيدرالي عام ١٩٥٢م باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للبلاد بموجب المادة ٣٨ من الدستور الأرترى ، كان إنسجاماً مع واقع الشعب الأرترى الثقافى ، على الرغم من المعارضة الشديدة التى اظهرتها الحبشة ضد هذا القرار ، ولكن ما إن تمكنت الحبشة من الغاء القرار الفيدرالى وسيطرت على ارتريا عسكرياً حتى بادرت الى منع استعمال اللغة العربية فى الدواوين الرسمية وفى المدارس ، مما أدى الى ثورة شعبية عارمة فى عام ١٩٥٨م ، وصلت فى النهاية الى إعلان الكفاح المسلح تحت راية جبهة التحرير الأرترية فى عام ١٩٦١م ، وتركز اهتمام الجبهة على مقاومة الغزو الثقافى الحبشى فانشأت المدارس الابتدائية فى الريف المحرر لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى ، كما أرسلت البعثات التعليمية الى الدول العربية ، وبالأخص الى مصر ، حيث بلغ هذا العدد خلال العشرين عاماً الماضية أكثر من عشرة آلاف طالب أرترى بعضهم تخرج من المعاهد والجامعات والبعض الآخر مازال يدرس فى مختلف الأقطار العربية ..

مشاكل التعليم

وفى عام ١٩٧٦ أنشأت قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الأرترية جهازا

أنقذوا الثقافة العربية في أريتريا





للتعليم أطلقت عليه جهاز التعليم الأرترى ، ليقوم بدور وزارة التربية والتعليم ، وعلى الرغم من الصعوبات المادية والمعنوية التى واجهت هذا الجهاز فانه استطاع أن يفتح مدارس ابتدائية ومعاهد دينية وخلاوى قرآنية فى الريف الأرترى ، وكذلك فى معسكرات اللاجئين فى السودان ، حتى زاد عدد الدارسين فيها أكثر من خمسين ألف طفل من بينهم ١٥ ألف طفل فى مدارس اللاجئين بالسودان ..

وأعد هذا الجهاز منهجاً خاصاً للتعليم باشراف اساتذة متخصصين من السودان ، وسيطبع هذا المنهج على نفقة جامعة الملك عبد العزيز بالرياض خلال العام الدراسى الحالى لتوفير الكتب المدرسية المناسبة للطلاب ..

وفى الوقت الحاضر فان هذا الجهاز يعتمد على الكتب الدراسية التى حصل عليها من بعض الدول العربية ، وبالأخص المملكة العربية السعودية التى تبرعت بنحو ربع مليون كتاب دراسى خلال هذا العام ..

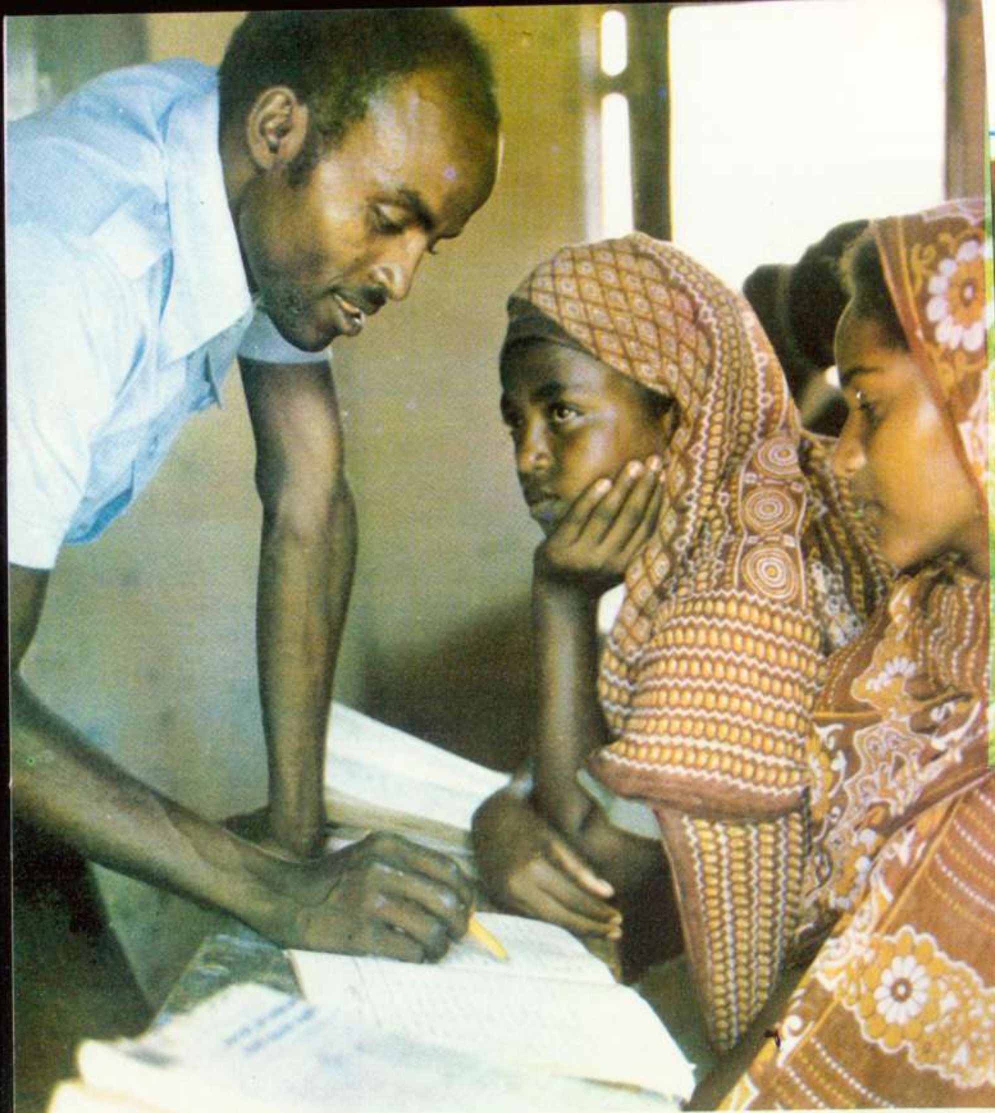
المقومات الثابتة

ويواجه الجهاز التعليمى الأرترى مشاكل عديدة ، معظمها يرجع فى المقام الأول الى التمويل ، فالواقع يدل على أن التعليم فى أرتريا لا يستند الى مقومات مادية ثابتة من أية جهة ولكنه يعتمد على المساعدات التى تقدم له من تنظيم قوات التحرير الشعبية ومن تبرعات الأرتريين العاملين فى الخارج ، وبعض تبرعات من أفراد فى العالم العربى والاسلامى ..

ولهذا فان الدول العربية والمنظمات والأفراد المقتدرين فى العالم العربى مدعوون للاسهام فى الدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية فى هذا القطر المجاهد خاصة وأننا نواجه منافسة من المنظمات التبشيرية والمؤسسات التعليمية الأوربية التى تحاول جذب أبناء اللاجئين بصورة خاصة الى مؤسساتها التعليمية لابعادهم عن ثقافتهم العربية الاسلامية ، وتبذل فى سبيل ذلك شتى أنواع المغريات كتقديم بعض الوجبات الغذائية والملابس مجاناً ، وبناء مدارس مزودة بالوسائل العصرية ، فى حين تقوم مدارسنا بتعليم الأطفال داخل أكواخ طينية وخشبية قابلة للتلف بفعل الأمطار سنوياً ، وبعض هذه المدارس لا توجد به مقاعد للطلبة فيضطرون لتلقى التعليم وهم جالسون على الأرض ، وتراهم مقبلين على اللغة العربية بملابسهم القديمة المرتقة وبطونهم الخاوية ، حتى يضطر الطفل وقت فترة الراحة بين الدروس الى ترك المدرسة والبحث عن الطعام بشتى الطرق فى المدينة أو القرية التى يعيش فيها ، لدرجة أنك تجد أحياناً أن الفصل الدراسى الذى يضم سبعين طفلا ينخفض الى عشرين طفلا فى منتصف اليوم الدراسى ، مما يولد الاضطراب فى نظام التدريس ويحرم عدداً من هؤلاء الطلبة من متابعة الدروس ! .

مشكلة المعلم

هذا الحال المؤلم للتعليم فى أرتريا ، يدفعنا الى أن نناشد ذوى الضمائر الحية من أبناء العروبة والاسلام وأصحاب المروءة والنخوة أن يمدوا يد العون والمساعدة لهذا الجهاز التعليمى





«معهد النهضة الاسلامية للاجئين الاريتريين» .. ومجموعة من طلابه يتدارسون العلوم الاسلامية في «ساحة» المعهد ، وفي الصورة الأخرى احد المعلمين الاريتريين يقوم بالتدريس لبعض الفتيات .

حتى يقوم بدوره الانسانى والثقافى فى الحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية التى تتعرض لهجمات شرسة من مختلف القوى المعادية للعروبة والاسلام .

إن مشكلة التعليم فى أرتريا أصبحت اليوم معقدة غاية التعقيد ، فضعف الامكانيات المادية أدى الى هبوط أجر المعلم ، وهذا بالتالي أدى الى هجرة أغلب المعلمين الى خارج البلاد ، ومع ذلك فأولئك الصامدون منهم يعيشون وسط حياة كلها معاناة حقيقية بمرتب شهرى لا يتجاوز خمسين دولارا فى الشهر ، ومع غلاء الحياة المعيشية فى كل انحاء الدنيا فان هذا الأجر أصبح لا يكفى لايجار البيت ، إلا أن هؤلاء المعلمين المتطوعين يتحملون شظف العيش جهادا فى سبيل لغتهم ودينهم ..

شاهدة على المأساة

وغير ذلك ، هناك مشكلة الأطفال الأرتريين اللاجئين من الأيتام الذين لا عائل لهم فى السودان ، وهؤلاء نجد أن جهاز التعليم يجد نفسه مطالباً بمساعدتهم شهريا بما يحافظ على حياتهم بمبلغ لا يتجاوز ستة دولارات لكل فرد فى الشهر ..

وقد شاهدت محسنة كويتية هى السيدة الفاضلة غنيمة المرزوق صاحبة مجلة اسرتى هذه المأساة أمام عينيها ، وكانت معها السيدة الفاضلة لولوة القطانى ، فتحركت فى قلبيهما الشفقة على الطفل الشريد الجائع الضائع ، فقررتا إقامة مدرسة تضم ألف طفل من أبناء اللاجئين على نفقتهما الخاصة وبالتعاون مع المحسنين من ابناء الكويت ، وأطلق على هذا المشروع بيت الطفل الأرترى ، وهو تحت التشييد ..

وأملنا أن يحذو أبناء الأمة العربية والاسلامية حذو السيدتين الكويتيتين باقامة مشاريع مماثلة لأبناء اللاجئين ، وبالتنسيق والتعاون مع جهاز التعليم الأرترى الذى يقوم ـ بالاضافة الى تعليم أبناء اللاجئين ـ بمجهودات كبيرة للحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية فى الريف الأرترى المحرر ، وبمساعدة المدارس العربية والاسلامية القائمة أصلا فى بعض المدن الأرترية ..

ان صراعنا الثقافى لا يقل أهمية عن صراعنا المسلح من أجل الحرية والاستقلال ، فحالة الحرب المستمرة منذ أكثر من عشرين عاما أدت الى اغلاق معظم المدارس الحكومية والأهلية ، كما أن قلة الامكانيات منعت الغالبية من السفر الى الأقطار العربية لاكمال تعليمهم ، يضاف الى ذلك أن الصراع الأرترى الأثيوبى يعكس فى جوهره صراعاً حضارياً ثقافياً يتمثل فى الرفض العنيد من قبل الأنظمة الأثيوبية المتعاقبة للثقافة العربية الاسلامية ، يقابله تمسك عنيد من قبل الأرتريين بلغتهم العربية وثقافتهم الاسلامية .. وهذه الدوافع هى التى جعلت المناضلين يهتمون بالتعليم بدرجة لا تقل عن اهتمامهم بالقتال من أجل التحرير الوطنى ، ومن هنا فان الامة العربية مدعوة للاسهام فى الحفاظ على ثقافتها ودينها ولغتها فى هذا الجزء من وطنها العزيز ، بصورة عملية وليس بالكلمات أو العواطف أو الوعـود ..

عثمان صالح سبى



بماذا يستطيع أن يحلم؟

"..إلى بدر شاكر السياب"

شعر: محمد علي شمس الدين

(١)

لم يكن نائماً

كان مثل الحصى فى سرير المياه

هادئاً

وعميقاً

قلت قبل الدخول إلى بابه المشرقى

أخوض إليه الوحول القديمة

وقد أزهــرت

أضم الى شفتي زهرة غامضة

وأطرحها عند أقدامه ..



(٢)

هيه ... بدر المغنين
ماذا أسميك ؟
أناديك جوهرة الموت
وأحبس فيك الجبال
وأحبس فيك عروق الذهب
وأعلم أنك حر كطفل
أو النار
بدر المغنين
ما لأحلامنا كالمصابيح يطفئها الحارس البلدى

ويترك ما يترك البحر من وشل الموج
فوق الرمال

علفاً للكلاب الشريدة ؟

(٣)

قلت قبل الدخول الى بابه المشرقى
سأعرف سر الذى قال :
« ... عريت جرحي ... »
وفاجأته :
لم يكن نائماً
كان مستلقياً تحت رمانة
جذعها فى الخليج
وأغصانها فى دمي
لم يكن نائماً
كان مستلقياً تحت أغلاله
ولا يعرف العابرون
سوى أنه
رجل ناحل
فى مهب الجنون .



بقلم الدكتور طـــه وادي

قال الراوى :

ياسادة ياكرام ، صلوا على طـه خير الأنام . الليلـة أروى لكم حكاية ، لو كتبت بالابر على أوراق الزهر لكانت عبرة لمن يعتبر .

بينما الراوى مشغول بقص حكاية سعد اليتيم ، كان الخفير عبد الجابر تائهاً وسط الكتل البشرية التى احتشدت فى فرح كارم مدرس الابتدائى . القرية ليس فيها أية وسيلة للترفيه لذلك حين يوجد فرح أو ماتم تجد الكل موجودين .. الليل طويل .. ليل الغلابة . كان كل واحد من الحاضرين فى عالم خاص . أصدقاء العريس يهنئونه وهو يلبس جلباباً أبيض ، صبغ يده اليسرى بالحناء .. فالليلة لية الدخلة . الولد «يمانى» الحلاق يجلس على يساره ، أمامه صينية من النحاس مليئة بالنقود ... بالنقطة ... ، فكل واحد عليه اليوم أن يرد له ما سبق أن أخذ منه .

– شوبش ياحبايب العريس .. شوبش .

عبد الجبار فى دنيا أخرى . لا هو مع العريس وأصدقائه الذين يقدمون له بين حين وآخر سيجارة محشوة .. ولا مع الراوى الكفيف الذى تعلق الجمهور بين فمه وربابته .. الجمهور يتابع القص فى جوع شديد . عبد الجبار توسط له الشيخ عمران إمام المسجد عند العمدة حتى أدخله سلك الخفر . رجل فقير وعنده عشرة من الأولاد . أحس أنه بالوظيفة الميرى – أربعة جنيهات فى الشهر – ويعمل الأولاد ، سيدبر حاله ويطعم عياله . يتمنى أن يعلم ولداً فى المدارس ، يلبس بدلة ونظارة مثل أولاد الذوات . ياسلام ياعبد الجبار لو يكن لك ولد طبيب أو مهندس .. أو حتى مدرس ابتدائى .. المهم أن يكون موظفاً فى الحكومة .. على رأى المثل إن فاتك الميرى تمرغ فى ترابه .

– اسمع يا عبد الجابر أنت تعمل باليومية نهاراً وفى الليل تسهر فى دارك .

– نعـم .. ياشيـخ الخفر .

– عنـدى لـك شغلة عظيمـة .

– ربنا يعمـر بيتك ويخليك لينا .

– تحرس حديقة برتقال العمدة .

حين استلم عمله فى الحديقة كا[ن] يحس بالزهو ، وهو يسير وحده فيها بدأ يتابع نمو البرتقال فى صمت وصبر زهر البرتقال جميل الرائحة يملأ الدني[ا] عطراً . تحولت الزهرة البيضاء الى ثمر[ة] خضراء مثل الليمونة .. أخذت تكبر . تكبر و لكنها تظل خضراء . يتحول اللو[ن] الأخضر تدريجيا الى صفرة خفيفة ثم ماتلبث أن تصبح صفراء فاقعة . م[ن] العش شرق الحديقة يتأمل البرتقال ينم[و] فى بطء ، والعالم يتحرك فى هدوء . ص[ـ] لا يذهب الى القرية إلا نادرا . امرأت[ه] تحضر له العشاء كل ليلة ، تثرثر مع[ه] حول أخبار الأولاد وأحاديث القرية ..

– ياسلام ياعبد الجبار لو تكون هذ[ه] الحديقة ملكاً لنا .. !!

– أخرسي ياوليه .. لا تفكرى فيما ليس لك .. تتعبين .

– لكن ياعبد الجبار ..

– ماذا . ؟

– اللى يبيع السم لابد أن يذوقه

– قولي بصراحة ماتريدين ؟

– جوال من البرتقال ، نبيعه فى الس[ر]



ولا من شاف .. ولا من دري .
– لن يأكل أولادى من حرام .
–أليس حراماً أيضاً أن يجوع أطفالك والخير يطفح من جيب العمدة ؟
– حد الله بينى وبين الحرام .
حواء أخرجت آدم من الجنة حين طلبت منه تفاحة . اليوم صبرية تطلب من زوجها برتقالة . زجر زوجته بخشونة حين صرحت له بالفكرة . لكن الوسواس الخناس ركبه . ظل يفكر فى الأمر من شمال ويمين .. ومن فوق وتحت . ماذا يحدث .. هل سينهد الكون ؟ إنه مجرد جوال من البرتقال يجمعه فى الليل ويعطيه لأم الخير بائعة الفاكهة ويأخذ .. يأخذ منها جنيها كاملا .. أخضر ، عليه صورة فرعون . الجنيه لن يضلع العمدة ولن يدرى ماحدث .. فهو يبيت كل ليلة فى المنصورة . لكن الجنيه جلباب لصبرية .. رطلان من اللحم للأولاد .. علبة سجائر ماكينة ،سيخرج السيجارة من العلبة فى فرحة وكبرياء ، يشعلها بعود الكبريت ويلعن الجوزة التى قطعت أنفاسه .

أفاق على صوت الراوى يشد أوتار الربابة استعداداً للغناء . أخذ صوته يهدأ .. يهدأ .. وهو يقول :
هذا ماحدث لسعد اليتيم من المصائب والأخطار، والحوادث والأسفار ، وما تحمل فيها من أنواع العذاب وآلام الأغتراب ... وهنا ياسادة ياكرام لابد أن تعلموا أنه لا ينفع حذر من قدر ، وأن المكتوب على الجبين لابد أن تراه العين فلا مفر من القضاء للمحاذير ، وما أحسن قول الشاعر :

مالا يكون فـلا يكـون بحيلـــــة
أبـــداً وماهــو كائـــن سيكـــون
سيكـون ما هــو كائــن فــى وقتــه
وأخــر الجهــالة دائماً مغبـــون

عاد عبد الجبار الى بحر الآلام داخلــه . يحس أنه يحمل جبلاً من الهـم . الأوهام الزرقاء تملأ دماغه . لعنك الله ياصبرية .. أنت السبب . فتش عن المرأة .. المرأة وراء كل مصيبة .. مسكين ياآدم .
– هكذا ياعبد الجبار يكون حاميها حراميهـــا .
– استر علي ياعم مصطفى الله يستر على ولاياك .
نظر اليه فى غيظ وهو يهز كتفه :
– ماذا أقول للعمدة .. أقول له ان الرجل الذى اخترته أنا بنفسى لـك .. لص .. حرامى .
– غلطة لن تتكرر – أراد أن يقبل يده
– توبه والنبى توبة .
– قل هذا غداً للعمدة . من اليوم اترك الجنينة وسلم البندقية فى التليفون . وان شاء الله مرفوت .. مرفوت .. ياكلب .
– أنا صاحب عيال . استر علي من أجلهم ..
– ولم لم تفكر فيهم وانت تفعل فعلتك السودة . ؟
كيف يجلس فى دار الفرح من كان قلبه مليئاً بالهم . أحس أنه غريب . الكل فرحان إلا أنت ياغلبان . خرج دون أن يشعر به أحد . طفل أمام الدار ينفخ فى بالونة زرقاء . كلما نفخ فيها ازدادت امتلاء .. البالونة تكبر وهو لا يكف عن النفخ .

البالونة



ـ ياولد لا تنفخ البالونة كثيرا حتى لا تفرقع .

أدرك أنه لأول مرة يسير ليلا دون أن يحمل البندقية على كتفه . سار وحيدا على شط الترعة . الأشجار أشباح راقصة تريد أن تخنقه . ضاعت الوظيفة الميرى ياعبد الجبار . ياحيرتك ياسكين . لعنة الله عليك ياصبرية . أنت السبب . لكن أنا .. أنا الذى استمعت الى كلامها . ياويلك من العمدة .. ومن شيخ البلد .. شيخ الخفر .. والخفراء . إذا وقعت البهيمة كثرت السكاكين . لا أحد اليوم يقول كلمة طيبة فى حق أى مخلوق ياناس ياشر كفاية قر ، أخذتم تقرون حتى حدثت المصيبة . ترى ماذا سيفعل العمدة ؟ الرفت من الخدمة . لكن هل هذا يشفى غليل العمدة ؟ مستحيل .. ولم يكون مستحيلا وقد رأيته يفعله بعينى هاتين اللتين سوف يأكلهما الدود ؟ العمدة سيعطينى علقة ساخنة بعصاه الخيرزان . كيف تمشى فى القرية بعد ذلك ياعبد الجبار ؟ ماذا سيقول أطفال القرية لأولادك .. ياأبناء الحرامى لا تمشوا معنا فى الطريق ؟ تخيل جنيات تخرج من الترعة الأشجار تعلو .. صارت شياطين لها ألسنة من نار حمراء .. صار يسمع أصواتاً لا يعرف لها لغة ولا يدرى من أين تأتى ؟ الأصوات تمتد والأوهام تكبر . الأشباح تصبح .. تسد الدنيا . صار أسير الوهم . الوهم حين يسيطر على الانسان ياعبد الجبار يسد عليه كل طاقة نور ، نحن أسرى ما نعتقد . خرب الله بيتك ياعم مصطفى كما خربت بيتى

عاد الى البيت خائفاً يترقب . الجميع نائمون حتى زوجته .. سامحك الله ياصبرية ، عملت العملة وخرجت كالشعره من العجين . ترك الترعة هارباً من أشباح الوهم ، وهاهى الآن أمامه فى حجرة الفرن رغم أن الباب مغلق بالترباس . كانت صحته جيده ، لكنه يرتعد خوفاً . كل خلية فيه انفصلت عن الأخرى ، أحست به زوجته قرب الفجر يتقلب مثل الفولة على النار .

ـ مالك ياضنايا ؟

ـ ....

كان جبينه يتفصد عرقاً ، انهارت شجرة الجميز . فى يوم وليلة صار شيئاً آخر . تغير كل مافيه . ترى ماذا يصنع الهم فى البشر .

ـ ولاد الحرام حسدوك . لابد أن أبخرك وأرقيك .

رائحة البخور تملأحجرة الفرن . لكن الأشباح مازالت تتحرك أمام عيني الرجل

ـ اغلقى الباب بالترباس ياامرأة . لا أريد أن يدخل أحد .

كان ضائعاً فى عالم آخر . بدا رأسه المليء بالأوهام والاشباح مثل البالونة . أخذت صبرية ترقيه وهى تلف يدها اليمنى حول رأسه وقد أمسكت كسرة خبز ، سوف ترميها لأحد الكلاب بعد أن تنتهى من الرقية .. أخذت تحرك يدها حول جسده قائلة :

ـ الأوله بسم الله .. والثانية باسم الله .. والثالثة رقوة محمد بن عبد الله ، رقيتك من عين الراجل أحد من البناجل . رقيتك من عين المرة أحد من الشرشرة رقيتك من عين اللى شافوك وحسدوك ولا صلوا على النبى . لا صلى الله عليهم ولا على والديهم وينقلب حسدهم فى عينيهم . روحى ياعين يابصاصه لأرميك فى مية غطاسة وأضرب عليك ميت رصاصة لا تتعبى لى ولد ، ولا تحرقى لى كبد ، ولا تنزلي لى بلد . أعوذ برب الفلق .. أعوذ برب الفلق من شر حاسد إذا حسد ، ومن شر النفاثات فى العقد .

توقف مسار الكون . فقد عبد الجبار القدرة على النوم والحركة . الزمن يمضي .. بط .. يئاً .. بطيئاً . مستحيل أن يكون الزمن متعادلا . هناك أيام تمر كأنها لحظة ، ولحظة تمضي كأنها سنة كاملة . نظرت اليه صبرية فى صمت . لعنت نفسها . تمنت أن يحرق الله البرتقال من الدنيا كلها . يوم واحد يحدث لك فيه كل هذا يا جملي ، يصبح الجبل العالي كومة من الرمال المبعثرة .

حين دخل عبد الجبار المضيفة التى طالما دخلها حاملا البندقية على كتفه ووقف أمام العمدة فى كبرياء . اليوم اهتزت الدنيا فى عينيه . عزيز قوم ذل . العزة ليست فى المال . العزة عزة النفس . شيخ الخفر ينظر اليه متشفياً .

خليل جاء يرجو العمدة ـ أن يسامحه . الشيخ عمران يريد أن يدفع ثمن جوال البرتقال . حتى اسماعيل العامل الزراعي كان واقفاً فى حسرة أمام المضيفة . قال له وان لم يسمع ما يقول :

ـ شد حيلك ياأخى .. شدة وتزول .. ربك كبير .

العمدة ملأ الناس رأسه بالنميمة . أصر على الانتقام . كيف يجرؤ كلب أن يسرق سيده .

دخل وقد ضاع من قدميه الطريق .. لا يرى أحداً .. لا يسمع شيئاً . كانت رأسه تنتفخ ... تنتفخ . أسودت الدنيا فى عينيه . قبل أن يقول له أى واحد كلمة .. أو يقول هو كلمة واحدة .. سقط . سقط عبد الجبار .

عصفورة صغيرة كانت تقف على الشباك طارت بسرعة قبل أن يحس بها أحد .

دكتور طه وادى



بقلم : د . الطاهر أحمد مكي

شاعر ألماني أمام مسجد قرطبة

مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادى ولدت الرومانسية ، أو الابتداعية إذا شئت ، فى أوربا ، حركة أدبية ذات ملامح متميزة ، وجاءت تعبيراً عن أزمة الكلاسية ، أو الاتباعية ، ورد فعل قوى ضد الموجة العسكرية التى حاولت توحيد أوربا عن طريق القوة ، وانتهت بهزيمة نابليون .

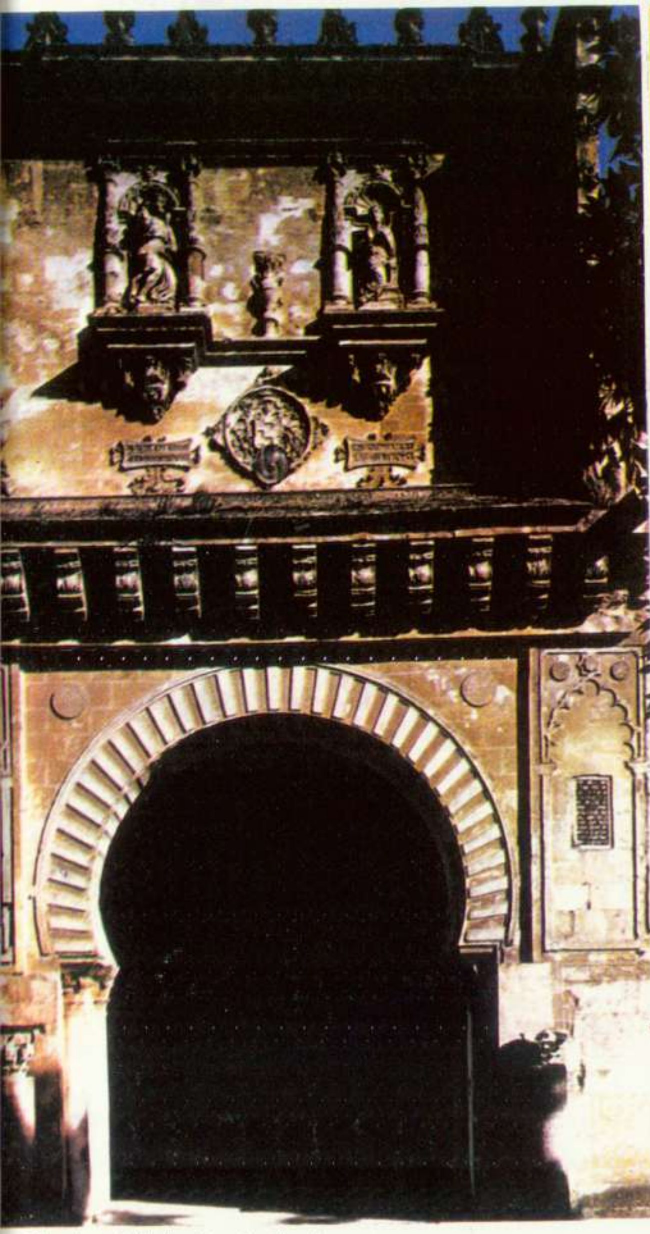
وليس هنا مجال الوقوف عند مظاهرها المختلفة ، وإنما أود ان أشير الى ظاهرة الهروب التى اتسم بها شعراؤها ، يهربون من واقعهم الى الشعور بالغربة والعزلة ، واتخذ هذا الشعور أشكالا متعددة ، أوضحها الارتداد الى الماضى ، أو الاحتماء بفكرة المجتمع المثالى ، والاستغراق فى الحكايات الخرافية ، والخيال والغموض والطبيعة والطفولة ، والأحلام والجنون ، والهجرة زماناً أو مكاناً ، فرحلوا الى العصور الوسطى ، وعبروا حدود أوربا الى الشرق ، رحالة يرون حياته بأعينهم ، أو قراء يجوسون دياره من خلال ما كتبه الآخرون عنه ، وانعكس ذلك فى أدبهم واضحاً جلياً ، فكانت كتاباتهم عن العرب ، وأشعارهم التى تتغنى بسحر الشرق ، والهيام بما اكتشف فى مصر من آثار قديمة ، وكان حظ الأندلس من هذه العبادة وفيراً .

كان الأندلس فى هذه اللحظة مهيأ لاستقبال أولئك الذين يبحثون عن الفروسية العربية ولا يودون أن يغادروا أوربا نفسها ، فقد خفت حدة العداء القاسى لكل ما هو عربى ومسلم ، وألغيت محاكم التفتيش ، وبدأ عامة الناس وسط الشقاء الفادح يطوقهم من كل جانب ، يرون فى الأمس العربى تاريخاً جديراً بالاعجاب والتقدير ، ويرون فى العربى نفسه نموذجاً أعلى للفارس النبيل حين يقاتل ويحارب ، أو حين يسالم ويصادق ، فهو يحترم عدوه ، ويفى بوعده ، يمجد المرأة ويترفع عن الغدر . وبدأ القصص الشعبى الذى صور هؤلاء الأبطال فى أمجادهم ونزواتهم ، فى ثباتهم خلال المعارك ، وفى تذللهم العاطفى حين يرتدون ثياب العاشق ، يأخذ طريقه الى أوربا ، وقرأه الناس ، وتمثله الأدباء والكتاب والشعراء ، وانعكس فى إبداعهم مسرحاً أو روايات أو ملاحم ، أو قصائد ، فأبدع «جيته» «ديوانه الشرقى» ، وكتب شاتو بريان قصته «آخر بنى سراج» ، وحرر فولتير مسرحيته «محمد» ، وبها سبق توفيق الحكيم فى مسرحيته التى تحمل هذا الاسم بأكثر من قرن ونصف من الزمان ، وكتب فيكتور هوجو «قصائد شرقية» ، ومدام لافييت رواية «زايدة» ، ووشنجتون أرفنج «حكايات

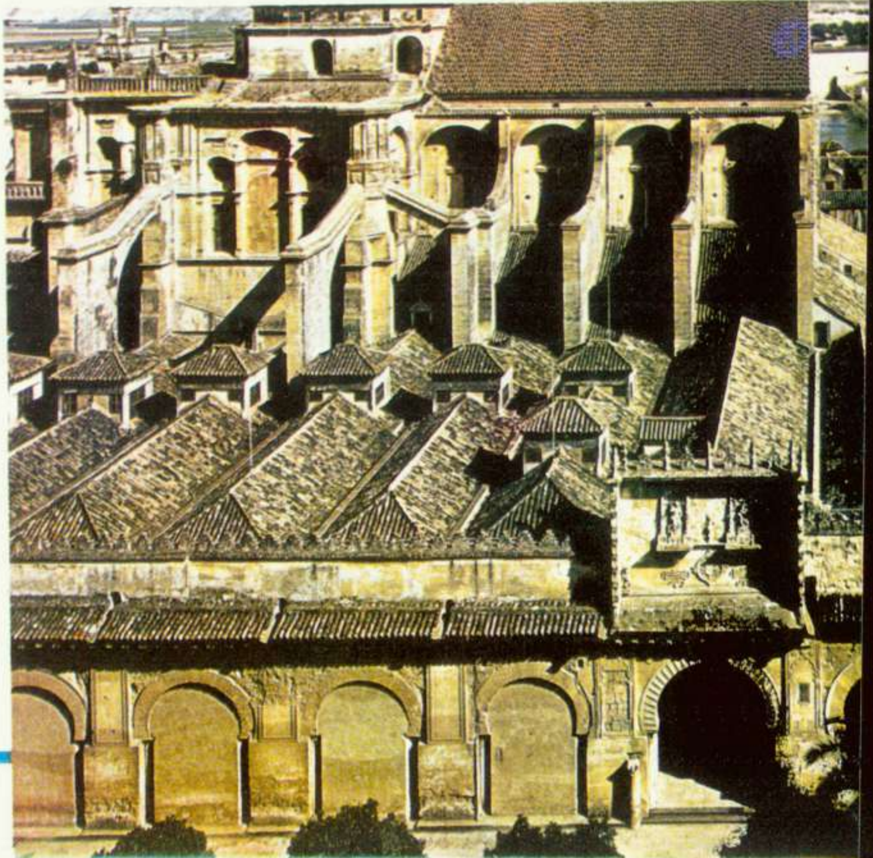


باب سان شيفانو

شاعر ألماني
أمام مسجد قرطبة



باب النخيل ، المدخل الرئيسي للصلاة



مشهد للجامع من جهة المنارة

الحمراء» ، وآخرون كثيرون لا يحصيهم العد .

وكانت وجهة الرحالة المشرق نفسه ، أو البحث عنه فى حياة جارتهم اسبانيا ، وهى على مرمى البصر ، ويشدهم اليها أشياء كثيرة ، أبسطها أن الحكاية فيها لم تكن قد تطورت كثيراً عما كانت عليه أيام العرب ، وإن كانت فى جوانب كثيرة أصابها الخراب والدمار ، فأجدبت الأرض ، وخربت الحدائق ، وسكن «الغجر» قصور الحمراء ، ولكن خيال الفنان قادر دائماً على أن يتجاوز المتغير والطارىء ، وأن يقع على الثابت والأصيل .

اتجهت أغلبية الرحالة من الشعراء والحالمين الى غرناطة وهى شاهد حى على ما تستطيع العبقرية العربية أن تصنعه، فقد أقامت صرحاً شامخاً من جمال رائع فريد ، بمواد أولية بسيطة لا تتجاوز الخضرة ، والماء ، والمصيص ، ولكن قلة منهم لم تنشد الفتنة والجمال فحسب ، وإنما اتجهت حيث الجلال والعظمة ، وخير ما يمثلهما مسجد قرطبة الجامع ، وبقى شامخاً عملاقاً حتى يومنا هذا ، وكل حجر فيه ينادى بأعلى صوته : أنا هنا رغم الزمن !

كان ممن جاءوا الى قرطبة ، وفتن بمسجدها الجامع الشاعر والكاتب الألمانى يوهان فشتنراته (١٨٣٧ ـ ١٩٠٨) ، وقال فيه قصيدة رائعة ، من بين أجمل ما قرأت من شعر قيل

فى هذا المسجد العظيم ، وقبل أن أقدمها مترجمة الى القارىء، أو أن أقف معه على المعالم البارزة لهذا المسجد العظيم ، وقد مضى على انشائه أكثر من ألف ومئتى عام .

مسجد قرطبة الجامع

بدأ المسلمون فى انشاء مسجد قرطبة لحظة الفتح الاسلامى للمدينة ، على يد مغيث الرومي ، عام ٩١هـ (٧١١م) وبداهة جاء فى صورته الأولى بسيطاً كبقية مباني المساجد الأولى فى الاسلام ، فلما بلغ عبد الرحمن الداخل الأندلس هارباً ، واختاره أهلها أميراً ، واستقل بها دولة ، أراد أن يجعل من قرطبة صورة لدمشق ، ونداً لبغداد ، فاخذ فى توسعة المسجد ، وضم إليه ما كان باقياً فى أيدى المسيحيين من كنيسة قديمة ، ودفع لهم كل ما طلبوه من ثمن وتعويض ، وبدأ البناء عام ١٦٨هـ (٧٨٥م) .

وتقول الرواية ان عبد الرحمن الداخل بعد أن وحد الدولة ، وأحكم أمورها ، وأشاع فيها الأمن والطمأنينة ، فجمل مدائن بلاده ، وبنى قنطرة يحمل عليها الماء العذب الى عا صمته ، وبدأ يشيد حولها سوراً يحميها ، أقام لنفسه منية الرصافة فى ضواحيها ، واتخذها سكناً له ، وبينما هو نائم فيها ذات يوم سمع هاتفاً يناديه : يا أمير المؤمنين ، أشكر الله على ما وهبك، فقد أنجاك من بنى العباس ، وعوضك ملكاً ، وآتاك خيراً كثيراً ، أشكره بعمل باق خالص له .

واستيقظ عبد الرحمن الداخل وقرر أن يقيم فى العاصمة مسجداً يكون له ما بعده ، ويبقى ما فيها ما بقيت الدنيا ومن عليها .

قد تكون هذه الرواية صحيحة ، وعلم النفس الحديث يتسع لمثلها ، وقد يكون الأمر تبريراً وتفسيراً لرغبة عبد الرحمن الداخل فى أن يتم بناء المسجد فى أقصر وقت مستطاع ، ويذكر المؤلفون انه ادى فيه الصلاة قبل أن يستكمله ، وأنه فارق الحياة قبل أن يراه تاماً . وقد يكون الأمر نتيجة طبيعية لاستقرار الدولة الجديدة ، وتدفق أعداد كبيرة من المسلمين على العاصمة ، وإقبال سكانها الأصليين على الدين الجديد ، وضيق المسجد القديم بهم ، وهو تفسير يدعمه أن الزيادة والتوسعة فى المسجد لم تتوقف أبداً ، إلا مع سقوط الخلافة ، وانتقال العاصمة من قرطبة ، وانحدار دولة الاسلام نحو المغيب هناك .

والى أبناء عبد الرحمن الداخل ، وأحفاده من بعدهم ، الزيادة فى المسجد ، واستمر ذلك قرابة قرن ونصف من الزمان، حتى صار يضرب به المثل فى الفخامة والروعة والسعة ، واهتم المؤرخون من أندلسيين ومشارقة ، والرحالة الذين وفدوا على الأندلس ، بتقييد تفاصيل بنائه ، ودقائق العمل فيه ، على نحو ما لم يعرف عن مسجد آخر ، وبلغت جملة الأبواب فيه واحداً وعشرين باباً ، وعدد أعمدته ١٤٠٠ عمودة تنهض عليها عقود حدوية أو مزدوجة ويضم منبراً فخيماً آية فى الروعة والاتقان ، بما يحوى من صناعة فنية دقيقة ، وبالخشب النادر الذى صنع منه ، وفيه ٢٨٠ ثريا ، تضم سبعة آلاف قنديل ، وتحمل كبراها ألفاً كاملة ، وكان عدد من يخدم الجامع بعد أن كمل بناؤه ، ويتصرف فيه ، من أئمة ومقرئين ، وأمناء ومؤذنين ، وسدنة وموقدين وغيرهم ، ثلاثمئة عامل .

ولم تكن رسالة المسجد الجامع مقصورة على الصلاة فحسب وإنما ، كأى مسجد آخر ، يجتمع فيه المسلمون للتشاور فى الأمور السياسية ، والقضايا المحلية ذات الأهمية، وتعلن قرارات الدولة ، وتقرأ الرسائل من جبهات القتال فى حالة الحرب ، وهو مكان مفتوح للخدمات العامة ، وأخيراً ، هو موضع الدراسة المفضل ، فى جانب منه يتجمع الأطفال ليحفظوا القرآن الكريم ، وفى الصدارة تقوم حلقات الدرس من العلماء الأجلاء للطلاب المتخصصين .

كان أهل قرطبة مفتونين بجامعهم هذا ، حريصين أشد الحرص على نظافته وروائه ، وبينهم من نذر حياته لخدمته ، ينظفون أرضه ، ويلمعون نحاسه ، ويزودون مصابيحه ، وحين استولى فرنانو الثالث ، أو القديس كما أطلقوا عليه تمجيداً له ، على قرطبة عام ١٢٣٦ م ، عامل المسلمين القرطبيين بكل قسوة ، فلم يعترف لهم بأية حقوق ، ولم يسمح لهم بالبقاء فى المدينة ، ولو أن بعضاً منهم ، لسبب أو لآخر ، لم يخرج من المدينة ، وبقى فيها لأمد طويل .

وفى اللحظة التى دخل فيها الملك الغازى المدينة اتجه الى المسجد الجامع ، وفى صحبته الأساقفة والمطارنة ، وسلم المسجد لهم ، وكانت العادة أن تذهب المساجد فى البلاد التى يستولى عليها المسيحيون ، وما يلحق بها من مال وعقار وأوقاف الى رجال الدين ، فحولوه الى كتدرائية منذ هذه اللحظة ، دون أن يغيروا معالمه الأصلية فى البدء ، إلا ما كان من اقامة الأجراس فى منارته ، ورفع الصليب فى أعلاها .

وفيما بعد ، حاول أسقف المدينة أن يأتى على الجامع هدفاً ليقيم على أنقاضه كنيسة جامعة ، على نحو ما صنعوا فى طليطلة ، واشبيلية ، وبلنسية ، وسرقسطة ، وغيرها من مدن الأندلس ، ولكن القرطبيين ، نصارى أو تنصروا قاوموا هذا الاتجاه بشدة ، وأصدر عمدة المدينة قراراً باعدام كل من يشارك فى عملية الهدم هذه ، فلم يجد الأسقف اليد العاملة التى تعينه على مشروعه ، وفيما بعد ، وفى عام ١٥٢٣ م على التحديد ، انتهز أسقف قرطبة فرصة أن الامبراطور كارلوس الخامس كان متعصباً للكاثوليكية ، ويجهل اسبانيا تماماً ، فهو لم يولد بها ، ولم يكن يقيم فيها ، ولا يعرف شيئاً عن روعة المسجد وجماله ، فطلب منه الاذن باقامة مبنى للموسيقا الكنسية وسط الجامع ، فأذن له بذلك ، فاقيم البناء فعلا ، وجاء رديئاً ، مقحماً على المعمار العربى ، وشوه جمال المبنى بطريقة مؤسفة ، حتى أن الامبراطور حينما زار قرطبة فيما بعد ، لأول مرة ، وشاهد ما أصاب المبنى من تشويه ، أسف لما حدث ، وعلى انه أذن به ، وقال للأسقف : لقد شوهت أثراً وحيداً فى العالم ، ببناء كان يمكن أن يقام فى أى مكان آخر من المدينة . ولكن هذه التشويهات وإن أصابت المبنى فى بعض جوانبه ، لم تذهب إلا بالقليل من جماله ، وكانت ، ولاتزال ، موضع سخط وغضب كل الذين يترددون عليه ، مهما كان حظهم من الثقافة ، وعلى أى دين كانوا يعبدون الله ، وقد يستحق أن نشير أيضاً أن القرطبيين المعاصرين ، مثقفين وادارة ، يعملون جاهدين ، بقدر ما تواتيهم الوسائل المادية ، لكى يعودوا بالمسجد العظيم الى مسيرته الأولى ، بداهة رغم معارضة الكنيسة فى الخفاء .

أمام روعة هذا المسجد ، وقف الشاعر الألمانى فشتنراته ماخوذاً ، ومن وحيه قال فيه قصيدته :

شاعر ألماني : أمام مسجد قرطبة

عبد الرحمن الداخل والملاك

فى منية الرصافة ،
عتبة الجنة على الأرض ،
كان ينام عبد الرحمن العظيم ،
ابن مروان بن معاوية ،
صقر قريش الأبيض ،
هارباً من بنى العباس ،
يبحث عن ملاذ وماوى ،
وبعيداً عن دمشق وجد مملكة وعرشا .

● ●

أونة يمد سلطانه ،
عبر اسبانيا كلها ،
الموتى يرحلون شهداء ،
والأحياء يعيشون مرابطين .
وأونة يتامل نخلاته ،
وحيداً مفكراً ،
وتثير النخلة فى أعماقه
ذكريات غالية وحلوة .

● ●

ومن خلال بريق صاف غريب ،
ظهر له كائن غريب ،
يرتدى الضوء والمجد ،
إنه الملاك إبليس ،
رفض أن يسجد لآدم أب الانبياء ،
شامخ لم يحن راسه ابداً ،
ولهذا طرد من السماء ،
عقاباً له على تكبره .

● ●

عناية الله يا سيدى تتجه اليك ،
والأعين مثبتة فيك ،
سيفك البتار
قلدك إياه النبى ،
الأرض الاندلسية لك ،
يحتضنها البحر واليواقيت
والمرجان الذى تحبه الشمس ،
وهو أسير جمالها .

● ●

وصنعت فى هذه الأرض الجميلة
ملكا قوياً وعملاقاً ،
واقمت مسجداً عظيماً ،
يرضى الله وجدير بك .

وفى داخل محرابه الجميل
يطمئن آمنا مصحف عثمان .

وفيه آلاف الحجاج

يعبدون الله طائعين ،
فى قرطبة وليس فى مكة .
يهديهم نجمك الساطع ،
يجيئون من مصر وفارس ،
تظلهم اشجار الليمون الوارفة ،
وينعمون بمياه النهر والنوافير .

● ●

وفى هدى الرسول الأعظم ،
رمز النصر والانتصار ،
شيدت مسجدك الجامع ،
فوق كنيسة المسيح ،
ثم تراجعت الهيبة الايطالية ،
وتقهقرت أعمدة اليشب ،
والتيجان الكورنثية
.

● ●

ويدخل المؤمنون من احد عشر باباً ،
تنفتح على احد عشر طريقاً ،
تقودهم الى احدى عشر بلاطة ،
ليؤدوا صلواتهم تقاة خاشعين .
وزادت هذه البلاطات فاصبحت
ثلاثاً وثلاثين . وفى متاهة من
الف عمود أو يزيد ،
يضل الفكر ويذهل العقل .

● ●

وتبرق الالف سارية ،
مثل الغوارب الصلبة ،
لألف من الرماح القوية ،
يحملها «الزناتيون» من جندك .
وحدوة البراق ،
الذى حمل الرسول والامبراطورية ،
تربط بين الأعمدة ،
وتمسك البناء وتشد من أزره .

● ●

العقود الهيفاء تشبه
حركة الموج المجعدة ،
حين تدفعها الرياح ،
أو تهز راياتك التى لا تقهر .
وعقد يتصل بآخر ،
تشع منها الألوان الزاهية
والزخارف الثرية ،

كقوس قزح حين تبدعه الشمس ،
وتصنع منه أقواساً عديدة .

لتحذير المؤمنين من هجوم مباغت ،
فان الأسوار ، والشرفات التى عليها ،
تحيط بالمسجد الجامع ،
وتجعل منه حصناً .
وعليها أن تدعو الذين حولك والجنيات ،
كي يساعدنك ، ويقطفن الزهور
من جنانك الالهية ،
التى أعارت القيشاني
والزخارف العربية المتشابكة
والمحراب والقبة الرشيقة
بهاءها ورونقها وبريقها .

● ●

نوافير الصحن الصافية ،
واشجار البرتقال الزاهرة ،
تنادى الطيور المغردة ،
كي تترنم بأغاريدها العذبة ،
وتملأ بفيض من الروعة والبهاء
داخل المسجد الناضح بالأسرار ،
وتملأجوه الطرى
بأريجها الشذى ، وتضفي عليه تناسقا .

● ●

انت ، إذن ، ياعبد الرحمن الشريف
تحقق الروعة المعجزة ،
تسترد قوتك القيمة ،
وتزدهي بحماستك الفتية .
وما توجك الجامع من مجد ،
يبقى خالداً عبر الزمن ،
وثوابك عليه الحوريات العين ،
خالدات : حياة وإشراقاً ،

● ●

هكذا قال . وبلا تردد
انجز عبد الرحمن ما طلب ،
وامتلأت قرطبة كلها
بالنشاط والحركة والضجيج والبهجة
والمهندسون والعمال ،
تجمعوا فى أعداد حافلة ،
وارتفع المسجد عالياً ،
وشق عنان السماء مجيدا خالداً .

● ●

وعندما أتى الموت المحتوم ،
وانهى خيط الحياة فى أعماقه ،
كان المسجد الجامع الرائع
يوشك أن يبلغ من البنيان غايته ،
ومعذرة لابليس ،
وجاء يبحث عن الأمير ،
ومضيا معاً ،
كلاهما عبر عتبة الجنة على الأرض .

د. الطاهر احمد مكي

درويش مصطفى الفار

العروبة.. والفوسفات

لم يتوصل أحد من مؤرخي الاكتشافات العلمية ، بعد ، إلى معرفة الأسباب والدوافع التى حدت بالكيماوى الألماني (هينيج براند) ١٦٦٩م ، الى تقطير الافرازات الآدمية ، من سائل وصلب ، بعد خلطها بمواد ، لا يزال سرها فى طي الكتمان ، والسهر الدءوب المتصل لليالى وأياماً طوالا ، حتى حصل فى النهاية على عنصر شمعي القوام مشوب بصفرة ، يتقد فى الهواء ولو لم تمسسه نار ، ويضيء فى الظلام الدامس كبعض الحشرات أو الحيوانات البحرية ، مما دفعه الى تسميته باسم « الفوسفور » أو حامل الضوء . كذلك لم يتوصل احد بعد ، إلى إثبات أو نفي ما إذا كان أبو موسى جابر بن حيان الأزدى ، الذى اخرج علم الكيمياء من ظلامات الأوهام والخرافات ، قد قام بمثل تلك المحاولة وحصل على عنصر الفوسفور قبل « براند » باكثر من ثمانية قرون إذ أن « جابر » كما نعلم غاص فى بحث أسرار إفرازات النبات والحيوان والانسان ، وصخور قشرة الأرض ولولا أعماله ، لكانت الكيمياء لتصبح علماً يقوم على التجربة ، بعيداً عن الحدس والتخمين والوهم ... كما أن أحداً لا يعلم علم اليقين سلسلة التجارب التى توصل العلماء بها إلى اثبات أن النبات ، لكي يؤتي اكله لابد وأن تتوفر له عناصر غذائية معلومة ، أهمها البوتاسيوم والنتروجين والفوسفور ، وأن الفوسفور على وجه الخصوص فى محاصيل وثمار بعينها هو بيت القصيد ، مما دفع العلماء إلى استقصاء مصادره فى قشرة الأرض وصخورها ، حتى توصلوا إلى اكتشاف طبقات من الصخور والأحجار ، تتميز عن غيرها بوفرة عنصر الفوسفور ذاك ، فاتخذوها مصدراً للأسمدة والمخصبات التى تضاف الى الأرض الزراعية لتوفر الفوسفور للزرع والضرع وصارت صخور الفوسفات شأن غيرها من الخامات المعدنية ، مصادر للأفكار الخفية والمعلنة فى مضمار السياسة الدولية ...

والذى يعنينا فى مقامنا هذا ، بعيداً عن متاهات الأرقام والمعادلات الحسابية المعقدة ، أن يعرف كل انسان عربي يعي حاضر أمته ، أن الوطن العربي فى أفريقيا وحدها (مراكش ، وتونس ، والجزائر ، ومصر ، والصحراء القصوى على شاطىء المحيط) يحتفظ فى طيات صخوره (بنصف) الاحتياطى العالمي من خام الفوسفات ناهيك عما فى الأردن والسعودية وسوريا ولبنان والعراق وما يستخرجه بنو قينقاع من الأرض المقدسة ، فلسطين ... وما يحتمل وجوده فى أقصى المشرق العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية ، من ذلك الخام الذى لا غنى للانسان عنه اطلاقا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .. فهل نستطيع اليوم باعتبارنا (أمة واحدة) نظرياً ، أن نحقق هذه الوحدة التى يتغنى بها الشعراء والخطباء ومؤلفو القصص والروايات بطريقة جديدة قد تبدو غريبة عجيبة .. وذلك بانشاء اتحاد عربي (لسياسة تجارة الفوسفات العربي) واستخدامه مصدراً (للقوة المؤثرة) فى غابة السياسة العالمية بما يلي :

- تقوم الدول العربية البترولية الغنية ، بشراء كل الفوسفات العربي ، وتحتكر تجارته ، وتدفع ثمناً مجزياً للأقطار المنتجة له ...

- تعرضه للبيع فى السوق العالمية ، بطريقة ما ، تجعل الفوسفات الذى يستخرجه اليهود من أرض فلسطين غير ذى سوق وفى هذا ما فيه من الانتصار على الغزاة .

- تتخذ من السبل العلمية والتكنولوجية ما يكفل تصنيع أكبر قدر من الفوسفات العربي قبل تصديره ، بحيث لا يصدر منه خاماً إلا أقل القليل ... ومن ذلك توفير المناخ الصحيح للعلماء العرب لتحويل الخام الفقير الى خام غني في التسميد والتخصيب بمعالجته (على سبيل المثال) بحامض النيتريك ، لنحصل فى مخصب واحد على الفوسفور والنتروجين معاً ؟؟

وقبل أن يتم هذا (الأمل) اعتقد اننا فى حاجة الى الاتفاق على تسمية عربية واحدة لخام الفوسفات ، فبيننا والحمد لله الذى لا يحمد على كريهة سواه ، من الاختلاف حتى فى التسمية ما يحتاج الى توحيد . فمنا من يكتب مثلي (فوسفات) ومنا من يكتبه هناك (فوسفاط) ، ومنا من ينعته بكلمة (فصفاط) ، وأعتقد اننا كعرب فى حاجة الى الاتفاق على أى من هذه الرسوم الثلاثة ، قبل أن يكون الفوسفات سلاحاً فى أيدينا ضد الأعداء ...

في ذكراه الـ ٣١ :

الشيخ محمد رفعت

أعظم صوت رتّل القرآن الكريم في العصر الحديث

بقلم : حسين عثمان

● عندما ذهب الشيخ رفعت الى هيئة كبار العلماء يستفتى أعضاءها عما إذا كانت إذاعة القرآن عن طريق الميكروفون حلالا أم حراما ؟

● كان الشيخ رفعت يخشى أن يقرأ القرآن من الاذاعة .. فيستمع إليه الناس فى الحانات والمقاهي ونوادى القمار

● الضابط الطيار الكندى استمع إلى صوت الشيخ رفعت فجاء إلى القاهرة .. ليراه .. وليعلن إسلامه .

إنه أحلى الأصوات العربية التى سمعناها طوال حياتنا وهو يتلو آيات الذكر الحكيم .. فهو صاحب الحنجرة العربية المتميزة التى تملك مقدرة فائقة على إيصال أعذب الأصوات وأنقاها إلى الناس .. وقد كانت أحب الأنغام إلى قلبه هى موسيقى بتهوفن وموزارت وفاجنر .. وكان يطرب للأوبريتات والسيمفونيات .. إلا أنه رفض فى بداية حياته تسجيل القرآن الكريم على اسطوانات .. وظل يحكى لكل أصدقائه قصة المرأة التى فقد بسببها نعمة الابصار أثناء طفولته !

عندما مات الشيخ محمد رفعت فى عام ١٩٥٠ ، خرجت الصحف والاذاعات العربية تنعاه للعالم العربى والاسلامى بكلمات مؤثرة ، فقد نعاه المذيع عبد الوهاب يوسف - يرحمه الله - إلى المستمعين بقوله : « أيها المسلمون ، فقدنا اليوم علماً من أعلام الاسلام » .. ولم يتمالك نفسه ، ولم يستطع الاستمرار في الكلمات فانهار باكياً ،

وأسرع زميله أنور المشرى ليقف بدلا منه أمام الميكرفون لينقل تفاصيل الخبر إلى الناس وصوته ملىء بالشجن !

وفى دمشق وقف مفتى سوريا أمام ميكرفون الاذاعة ليقول : لقد مات المقرىء الذى وهب صوته للاسلام ..

وفى كل بلد عربى واسلامى كانت الحسرة تملأ القلوب ، فالكل أحب الصوت الذى يتلو آيات الكتاب الحكيم


بتهوفن

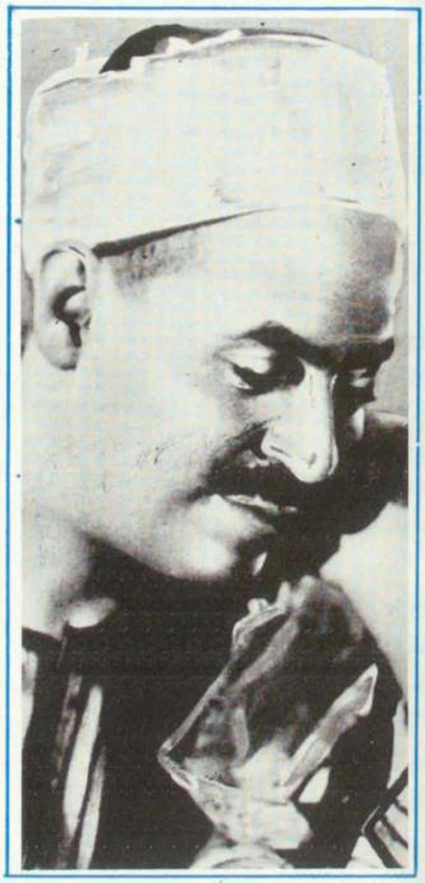

موزار

باستيعاب لمعانى القرآن وحنجرة بارعة فيها أدق الأنغام والأوتار الصوتية المتعددة !

العين التى أصابته

وهكذا نرى مدى ما أصاب الناس عند سماعهم خبر هذا المقرىء الجليل الذى ولد فى القاهرة فى منتصف شهر ابريل عام ١٨٨١ ، وكان جميل الوجه ، يسكن واحدا من أقدم أحياء القاهرة الشعبية وهو حى المغربلين ، وكان والده من ضباط البوليس تدرج فى عمله حتى وصل إلى رتبة ضابط ، وكان الترقى إلى هذه المرتبة من الأمور السهلة ما دام الجندى استطاع أن يحسن القراءة والكتابة !

المهم ما إن يصل والده إلى هذه المرتبة ، حتى يرى ضرورة الانتقال إلى السكن فى منزل آخر فى درب «الأغوات» بشارع محمد على ، وكان الناس ينادون على والده باسمه مشفوعاً بلقب «بك» وكان والده (محمود بك) يحبه إلى درجة



عالية ، حتى أنه كان لا يتركه يمشى على قدميه ، بل يحمله على كتفيه ، وفى أحد الأيام قابلته امرأة من درب الأغوات وسألته : من هذا الطفل الجميل يا محمود بك ؟ .. ورد الأب وهو يبتسم : إنه ابنى !

وصاحت المرأة : ابنك .. مستحيل .. هذا ابن ملوك .. عيناه تقولان ذلك !

وفى اليوم التالى استيقظ الطفل من النوم ليصرخ من الألم وهو يحس بالجحيم فى عينيه !

لقد أصابته عين المرأة !

وظل الشيخ محمد رفعت يروى هذه الحكاية لأصدقائه ومعارفه طوال حياته عندما يحكى لهم كيف فقد نعمة البصر !

إذاعة القرآن الكريم

ومرت الأيام والطفل محمد رفعت لا يرى الا الظلام ، ولا يسمع غير صوت والده وهو يعلمه القرآن الكريم ، الذى تم حفظه وهو فى الخامسة من عمره ، والحقه والده ليجود القرآن الكريم في مكتب فاضل باشا بحى درب الجماميز ، وأصبح يرتل القرآن الكريم كل يوم خميس في المسجد المواجه للمكتب ، وكانت المواصلات تتعطل فى ذلك اليوم ، ويضيق المسجد بالمصلين ، فيفرشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا إلى آيات القرآن الكريم ..

وظل الشيخ محمد رفعت يرتل القرآن فى مسجد فاضل باشا أكثر من ثلاثين عاماً وفاء منه ، وحاولت المحطات الأهلية ــ قبل افتتاح محطة الاذاعة الرسمية فى القاهرة ــ اغراء الشيخ رفعت ، بأن تذيع له بعض آيات القرآن الكريم فرفض وكان يقول لأصحاب هذه المحطات : (إن وقار القرآن لا يتمشى مع الأغانى الخليعة التى تذيعها اذاعتكم) .. !!

وعندما ألغيت المحطات الأهلية ، وانشئت الاذاعة الرسمية أصر الشيخ رفعت على موقفه من عدم اذاعة القرآن عن طريق الميكرفون وكانت فى القاهرة وقتئذ هيئة يطلق عليها اسم (هيئة كبار العلماء) وكان جميع اعضائها من رجال الأزهر ، وقد ذهب الشيخ محمد رفعت إلى هذه الهيئة يستفتى أعضاءها ، وكلهم من علماء الدين ، عما اذا كانت اذاعة القرآن حلالا أم حراماً ، وجاءت فتواهم بأنها حلال ..

فقال الشيخ محمد رفعت أنه يخشى أن يقرأ القرآن الكريم ، ويستمع إليه الناس فى الحانات والمقاهى ونوادى القمار .. ولكن أعضاء الهيئة وعلى رأسهم شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، ما زالوا به حتى أقنعوه بأن لا ضير من تلاوة القرآن فى الاذاعة ، واطمأن ضمير الشيخ رفعت واذاع القرآن بصوته الذى خفقت له الملايين العطشى لحلاوة هذا الصوت ..

ولمع اسم الشيخ رفعت وفى أحد الأيام، وكان قد انتهى من ترتيل بعض الآيات فى محطة الاذاعة ، وبينما هو يتأهب للعودة الى منزله فى حى البغالة بالسيدة زينب ، قابله الأستاذ على خليل المذيع بالاذاعة وقتئذ ، وسمعه يقول : الشيخ رفعت .. ثم سمع الشيخ رفعت صوتاً يتكلم باللغة الانجليزية ، ثم بيد تضغط على يده ، ثم يسمع الأستاذ على خليل يقول : يا شيخ رفعت إن هذا الضابط الطيار سمع صوتك فى كندا ، فجاء الى القاهرة ليراك ..!

وكانت مفاجأة .. وتهدج صوت الشيخ رفعت وهو يقول : ولكن كيف سمعني .. ؟

فأجاب على خليل ــ لقد سمع صوتك فى برنامج الاذاعة الخاص الذى سجلته محطة لندن ..

وعرف بعد ذلك أن هذا الضابط الطيار ، أقام فى مصر فترة من الوقت ، ثم غادرها بعد أن أشهر إسلامه ، وبعد أن تفهم معانى الآيات التى كان يسمعها بصوت الشيخ رفعت ..

اعتذار عن السفر

ولم يكن الشيخ رفعت يعبأ بالمادة ، ولا يسعى وراء الثراء ، وبلغ من احتقاره للمال ، أنه تلقى عرضا عام ١٩٣٥ من (نظام حيدر أباد) للاحتفال بمولده ، ولكن الشيخ رفعت اعتذر ، ولجأ المهراجا نظام حيدر أباد إلى وزارة الخارجية المصرية ، لتتوسط لدى الشيخ رفعت ليسافر الى الهند ، فأصر على الأعتذار وقال أنه مريض لا يتحمل متاعب السفر ، واعتقد مندوب حيدر أباد أن الشيخ رفعت يعتذر بسبب ضآلة الأجر المعروض عليه وهو (١٥ ألف جنيه مصرى) فرفع هذا الأجر الى ضعفيه ، ولكن الشيخ رفعت أصر على الاعتذار ، فرفع المندوب الأجر الى ثلاثة أضعاف ، فاذا بالشيخ رفعت يصيح غاضباً : أنا لا أبحث عن المال أبداً ، فان الدنيا كلها عرض زائل .. ورفض أن يسافر إلى الهند لأنه كان يكره أن يجيئه الثراء عن طريق تلاوة القرآن الكريم .

وكان الشيخ رفعت شديد الحساسية تهزه المواقف الانسانية ، ويبكى لأحزان الآخرين ، وقد حدث أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه فوجده مريضاً فى النزع الأخير وعند إنصرافه ، التفت اليه صديقه وقال له وهو يمسك بيده فيضعها على كتفى ابنته الطفلة الصغيرة : ترى من سيتولى تربية هذه الصغيرة التى ستصبح غداً يتيمة ؟

ولم يتكلم الشيخ رفعت لأن قلبه كان يبكى .. وفى اليوم التالى ، كان يتلو فى احد السرادقات سورة (الضحى) وعندما وصل الى الآية الكريمة التى

الشيخ محمد رفعت
أعظم صوت رتل القرآن الكريم في العصر الحديث

تقول (فأما اليتيم فلا تقهر) توقف عن التلاوة بعد أن ارتفع صوته بالبكاء والنحيب .. ثم كان الشيخ رفعت يجرى على هذه الطفلة مبلغاً من المال كل شهر ، حتى كبرت وتزوجت !

أزمة الصوت الذهبى

وكانت أسعد لحظات الشيخ رفعت عندما يستمع الى تسجيلاته وهو يتلو القرآن ، وكان له صديق اسمه (محمد خميس) وكان على شىء من الثراء ، وقد بلغ عدد الأسطوانات التى سجل عليها بعض آيات القرآن الكريم بصوت الشيخ رفعت (٢٣ أسطوانة) ، وعندما مات محمد خميس كانت هذه الأسطوانات موضع نزاع بين ورثته ، فأصدرت المحكمة حكما بالتحفظ على هذه الأسطوانات الى أن يتم الفصل فى تركة مورثهم محمد خميس ، ولما مات الشيخ رفعت بعد ذلك لم يجدوا بين هذه الأسطوانات غير خمس اسطوانات فقط صالحة للاذاعة ..

وقست الأقدار على الشيخ رفعت ، فأصيب بعدة أمراض كانت تلاحقه ، وترغمه على ملازمة الفراش ، ولكنه كان يستأنف نشاطه بعد الشفاء فى تلاوة القرآن الكريم ، الى أن اصيب بمرض . (الزغطة) الذى منعه من تلاوة القرآن الكريم، ثم منعه من الكلام ، ثم منعه من الحركة بعد أن عجز عن الوقوف والجلوس والمشى . !

لقد ظل الرجل محتفظاً بمجده كصاحب أجمل صوت بين قراء العالم الاسلامى ، الى ان داهمته أمراض غريبة وبدأت صحته تعتل والأطباء فى حيرة .. والذى حدث أنه ذهب الى مبنى الاذاعة كعادته وجلس أمام الميكرفون ليرتل القرآن ، ولكن الشيخ رفعت فى تلك المرة لم يستطع القراءة ، فقد احتبس صوته الذهبى ، على أثر اصابته بتلك الزغطة اللعينة التى كانت تلازمه حتى آخر يوم فى حياته ، وجعلته يفقد حلاوة هذا الصوت الذى طالما سحر به الناس جميعاً .

ومنذ ذلك التاريخ احتجب الشيخ محمد رفعت عن الميكرفون ، وحرم الناس من الاستمتاع الى جمال صوته الفياض بالايمان والخشوع فيما عدا ثلاثة اشرطة ، كانت الاذاعة المصرية قد سجلتها له قبل اشتداد المرض عليه ، وقضى الشيخ رفعت سبع سنوات وهو طريح الفراش ، وقام بفحصه جميع أطباء مصر ، ولكنهم لم يجدوا له الدواء .

وقد زار القاهرة طبيب ايطالى مشهور فى أمراض الحنجرة ، ولما فحص الشيخ رفعت فحصاً دقيقاً قال فى نهاية فحصه أن لا مرض فى الحنجرة تسبب فى هذه الزغطة ، ولكن الشيخ رفعت أصيب بعد ذلك بضغط الدم الذى شفى منه بعد عناء شديد ، وفى فترة النقاهة أصيب بالتهاب رئوى حاد ، فما كاد يشفى منه حتى أصيب به مرة أخرى ، وبينما كان

الشيخ رفعت يتوسط اثنين من أصدقائه الفلسطينيين ووقف خلفه أولاده .





مجموعة اسطوانات لأشهر الأوبرات والسيمفونيات العالمية كان الشيخ رفعت يستمع اليها يومياً .

يقترب من الشفاء ، اشتد عليه مرض « الزغطة » حتى أن أزماتها كانت تستمر بضع ساعات ، وقد ظل يعانى من هذه الأزمات الحادة حتى توفاه الله ..

مع أعلام الموسيقى

والجدير بالذكر أن أصدقاءه ومحبيه وعشاق صوته حاولوا أن يمدوه بالمال ، ويقدموا له المساعدة التى تعينه على مواجهة تكاليف العلاج لكنه كان يرفض أية مساعدة ، وقد باع البيت الذى كان يسكن فيه فى حى البغالة بالسيدة زينب وكذلك قطعة أرض فضاء فى حى المنيرة القريب من حى السيدة زينب ، وانفق على مرضه من حصيلة هذا البيع .. ولو أراد أن يكون من الأغنياء لما تكلف فى سبيل الغنى عناء ، ولكنه ــ كما ذكرنا ــ كان يكره المال ، ويعتبره مذلة للنفس !

وقد حدث قبل أن يصاب بالمرض ويلازم الفراش ، أن عرض عليه المطرب محمد عبد الوهاب ، أن تسجل شركة الاسطوانات التى كان يملكها مع آخرين ، المصحف كاملا على اسطوانات ، مقابل أى أجر يطلبه ، ولكنه اعتذر عن قبول هذا العرض لأنه ــ كما قال لصديقه عبد الوهاب ــ انه يخشى ان يمسك الاسطوانة سكران أو جنب .

والجدير بالذكر أن الشيخ رفعت كانت تربطه صداقة قوية بالمطرب محمد عبد الوهاب الذى كان يحرص على قضاء أغلب سهراته فى بيت الشيخ رفعت بالسيدة زينب ، وكثيراً ما كانت هذه السهرات تضم أعلام الموسيقى وعشاق الأغانى القديمة ، وكان الشيخ رفعت يغنى لهؤلاء الأصدقاء قصائد كثيرة ومنها قصيدة ــ (أراك عصى الدمع) و (بحقك انت المنى والطلب) وكان عبد الوهاب يجلس على الأرض تحت قدمى الشيخ رفعت وهو يستمع اليه فى خشوع والدموع تنهمر من عينيه . !!

مخلفات الشيخ رفعت

ولما مات الشيخ رفعت وجدوا بين مخلفاته مجموعة كبيرة من الأسطوانات المسجل عليها الاوبرات والسيمفونيات العالمية . وكان يستمع الى هذه الأسطوانات فى « فونوغراف » قديم اشتراه فى أوائل الثلاثينات قبل انتشار الاذاعة ، وكان يطيب للشيخ أن يسمع بتهوفن وموزارت وشوبرت وفاجنر ، وكانت تدور بينه وبين عبد الوهاب مناقشات كثيرة حول أسرار هؤلاء الاعلام كذلك كان يقتنى مجموعات من اسطوانات الموسيقى التركية واغانى أم كلثوم ومنيرة المهديه وخدلك صديقه عبد الوهاب !

كان الشيخ رفعت لا يقنع بالصوت الموهوب ولا بعلوم التفسير والتجويد والقراءات ،بل كانت أذنه لا تمل الطواف فى أنحاء العالم ، ولا يشق عليها أن تضرب فى اعماق التاريخ لتسمع وتطرب وتفهم وتعرف ..!!

ومن مخلفاته أيضاً (عصا) كان يستعملها المرحوم يحيى ابراهيم باشا أحد رؤساء الوزارة فى مصر فى اوائل العشرينات ، وكان الشيخ رفعت يقدر هذا الرجل ويحترمه للغاية ، فلما مات ذهب الى قصره ، وسهر طول الليل يقرأ على جثمانه قبل أن تشيع جنازته ، وقد اهدت السيدة حرم يحيى ابراهيم باشا « عصاه » الى الشيخ رفعت تقديراً لوفائه وكانت رأس هذه العصا مصنوعة من الذهب الخالص !

أم كلثوم تبكى

وعندما اشتد المرض على الشيخ رفعت لجا اولاده الى كل الوسائل ، لعلهم يجدون العلاج الذى عجز عنه الأطباء .. وقد أنفق أولاده على الوصفات الشعبية أكثر مما انفقوا على الاطباء ولكن بغير جدوى .. فقد مات الشيخ رفعت ليترك فراغاً كبيراً ، بين قراء القرآن الكريم ، ويوم مات فوجئت أسرته بوجود ام كلثوم بينهم ، تصرخ من أعماقها وهى تودع جثمانه مع سيدات الأسرة ، وكان معروفاً أن ام كلثوم قد غضبت على الشيخ رفعت وقاطعته رغم انها كانت تزوره فى مناسبات كثيرة ، كما كانت تقضى سهرات متعددة فى بيت أمين المهدى الذى كان يعقد ندوات فنية يحضرها الشيخ رفعت وام كلثوم ايضاً ، ويرجع سبب غضب ام كلثوم على الشيخ رفعت الى وشاية من احد موظفى الاذاعة ، فقد اختلف الشيخ رفعت مع الاذاعة وانقطع عن التلاوة أمام الميكروفون ولما سألت ام كلثوم عن سر انقطاعه قال لها هذا الموظف ان الشيخ يطالب بأجر يساوى ثلاثة أضعاف أجرها ، وأنه يحتج على أنها تتقاضى هذا الأجر الكبير ، وصدقت أم كلثوم هذه الوشاية ، وقطعت صلتها بالشيخ رفعت ولكنها عرفت الحقيقة بعد ذلك ، فقررت أن تزوره فى بيته ، وقبل أن تحدد موعد الزيارة ، جاءها خبر وفاته ، فبكته من أعماقها ، وزارت مقبرته أكثر من مرة لتترحم عليه ..

حسين عثمان

كتاب و قضية

الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق و خالد محمد خالد
لماذا يعدل المفكرون العرب عن آرائهم القديمة ؟

بقلم : صلاح عيسى

الذين لهم إلمام ـ ولو بسيط ـ بتاريخ الفكر العربي الحديث منذ بداية النهضة إلى الآن .. يلحظون أن المفكرين العرب يدخلون في منحنيات فكرية شديدة التناقض . فمسيرتهم مليئة بالأقدام والتراجع . وعلى عكس ما قد توحي به لهجتهم العنيفة في المناظرات الفكرية ، فان الجسور بين المحافظين منهم والمجددين مفتوحة ، بينما الطريق بينهما مزدوجة الاتجاه . لذلك لا يصاب أحد بالدهشة لأن مفكراً قد عدل عن فكرة أقامت الدنيا وأقعدتها . بل إن الأمر لا يلفت اهتمام المهتمين بالظواهر الفكرية والمتابعين لها !! .

بعد ثلاثين عاماً من الضجة التى أحدثها كتابه الأول «من هنا نبدأ» (١٩٥٠) اعترف المفكر الاسلامى المعروف «خالد محمد خالد» فى كتابه الثامن والعشرين «الدولة فى الاسلام» (١٩٨١) بانه كان مخطئاً ومتجنياً ومجافياً لكل صواب حيث ذهب الى القول بان الاسلامدين لادولة ،وانه بلاغ لا قيادة ، وأعلن اقتناعه بانه «دين ودولة وحق وقوة وثقافة وحضارة .. وعبادة وسياسة» ..

وبنفس الجسارة التى ساق بها «خالد محمد خالد» أفكاره القديمة ، يقدم للحديث عن آرائه بنقد للذات ، مطالباً الكتاب والمفكرين بأن «يعيشوا بفكر مفتوح بعيداً عن ظلام التعصب وغواشى الفناء ، آنذاك يهتدون للصواب ويقتربون من الحقيقة» وهو يلح عليهم «أن يفكروا دائماً وأن يراجعوا أفكارهم وينكروا ذواتهم ويتخلوا عن كبريائهم أمام الحقائق الوافدة» !

والهوامش التى تحيط بمتن خبر عدول «خالد محمد خالد» عن رأيه الأول لا تقل أهمية عن الواقعة ذاتها . فالرجل ظاهرة تستحق التأمل ، فهو كاتب اسلامى يتميز بمجموعة من الرؤى المتسقة والمتكاملة ، يصنفه بسببها معظم النقاد فى خانة «المجددين» ، وهو صاحب مواقف وكتابات مشهودة ـ أو شاهدة ـ على اخلاصه فيما يدعو له ، وهو مفكر ذو نفوذ عند الكثرة القارئة ، اكتسبه بجدارة لاهتمامه بتناول مشكلات العصر برؤى تجديدية ، وباسلوب لا يستعصى على فهم عامة القراء ، والرأى الذى عدل عنه ، جلب عليه متاعب وحمله أكداراً ، لكنه يقدم للقارىء اعتذاره ويقدم له مبررات عدوله عن رأيه !



خالد محمد خالد

وليس من بين هذه المبررات أن عدول الكتاب العرب عن آرائهم القديمة يكاد يكون ظاهرة من ظواهر فكرنا العربى ، وهى ظاهرة تنشد تفسيراً فى ذاتها بصرف النظر عن مدى الخطأ والصواب فيما يتنقلون بينه من مدارس وأفكار واتجاهات ..

سيقول البعض إنها مظهر حيوية عقل لا يتكلس عند مواقف ولا يتشرنق فى أفكار ، وهى دليل أننا تطوريون لا جامدون ، ومستقبليون لا محافظون ، وسيعضدهم آخرون لأسباب ليست أسبابهم ـ بأن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو على كل شىء قدير ..

على أن آخرين ممن لا ينكرون قول هؤلاء ولا تعضيد أولئك ، يسألون :

● ألا يدل ذلك ـ بين ما يدل ـ على أننا نحن العرب ، لا نؤصل أفكارنا ، لذلك ننتقل من النقيض الى النقيض وتلك ملامح مراهقة فكرية وعنوان عدم نضج ! ..

● وكيف نطمئن الى آراء التجديديين اذا كانت تصاغ فى عجلة وتلقى فى استهانة ولا تصمد لطارق الزمن ؟

تاريخ حياة ظاهرة

ما يدعو للدهشة حقاً أن أحداً لا يشغل نفسه بالسؤال عن السوابق التى أباحت لنا اصدار حكم بان عدول المفكرين العرب عن آرائهم قد أصبح ظاهرة ، فكل من له إلمام بسيط بتاريخ الفكر العربى الحديث منذ بداية النهضة الى الآن ، يلحظ أن المفكرين العرب يدخلون ـ فى العادة ـ منحنيات فكرية شديدة التناقض .. فمسيرتهم مليئة بالاقدام والتراجع ، وعلى عكس ما قد توحى به لهجتهم العنيفة فى المناظرات الفكرية ، فان الجسور بين المحافظين منهم والمجددين مفتوحة والطريق بينهما مزدوجة الاتجاه .. لذلك لا يدهش أحد لأن مفكراً قد عدل عن فكرة أقامت الدنيا وأقعدتها .. بل إن الأمر لا يلفت اهتمام المهتمين بالظواهر الفكرية والمتابعين لها ؟

سوابق من هذا النوع تجدها عند الكثيرين لم يكن أولهم «علي مبارك» ، ولن يكون آخرهم «خالد محمد خالد» . وفى القائمة أسماء : طه حسين وهيكل والعقاد وعلي عبد الرازق .

واقعة الأخير منهم تشبه أكثر من غيرها واقعة

«خالد محمد خالد» : فالبطل فى كل منهما رجل دين جهر برأى خالف به السائد من افكار جيله ، وأثار ضجة وضجيجاً ، ثم عاد بعد سنوات تطول أو تقصر ليعدل عن ذلك الذى أثار به ما أثار ! والفصل المعنون «قومية الحكم» فى كتاب «خالد محمد خالد» الأول «من هنا نبدأ» يتناول العلاقة بين «الدين والدولة» وهو ما تناوله كتاب علي عبد الرازق « الاسلام وأصول الحكم » . ومع خلاف فى المقدمات فان الاثنين انتهيا الى نفس النتيجة وهى أن الاسلام دين لا دولة ، وبلاغ لا قيادة . أعلن الأول منهما رأيه فى عام ١٩٢٥ وعدل عنه بعد ٢٢ عاماً ، حين قبل العفو الصادر بحقه وعين وزيراً للأوقاف فى عام ١٩٤٧ . وبعدها بسنوات ثلاث تبنى «خالد محمد خالد» الرأى الذى عدل عنه «علي عبد الرازق» ليثير بتبنيه له ضجة وضجيجاً ثم يعود ليعدل عنه بعد ثلاثين عاماً فى كتابه «الدولة فى الاسلام» (١٩٨١)

ثم إن كلا الرجلين قد حصل على درجة العالمية من الأزهر الشريف . حصل الأول عليها عام ١٩١١ وعمل بعدها قاضياً شرعياً ، وحصل عليها «خالد محمد خالد» عام ١٩٤٧ ليعمل بعدها مدرساً فى نفس المعهد الذى تخرج منه . وكان علي عبد الرازق سليل أسرة من أكبر أسر المنيا بصعيد مصر ، تمتلك عشرات الآلاف من الأفدنة ونفوذاً سياسياً واسعاً منذ أوائل القرن ، فهى ركن من أركان «حزب الأمة» قبل الحرب العظمى الكونية ، وبعض أعمدة حزب «الأحرار الدستوريين» بعدها . تمول هذا الحزب كما كانت تتفضل على سلفه . والده «حسن باشا عبد الرازق» : ثانى اثنين عرضت عليهما سلطة الاحتلال الإنجليزى تولى عرش مصر عقب خلع الخديو عباس حلمى الثانى عام ١٩١٤ . لكن عميد آل عبد الرازق رفض أن يجلس على العرش لأن السلطة التى قدمت له العرض غير شرعية وليس من حقها أن تقدم عرضاً كهذا .

ويكاد تاريخ عائلة «خالد محمد خالد» يخلو من أية وقائع دراماتيكية من هذا النوع الذى يرويه مؤرخو آل عبد الرازق . وقد ولد عام ١٩٢٠ ليكون أول من تذكره حروف المطبعة من عائلته . وهو يعتز كثيراً بأبيه الذى كان مزارعاً فى احدى قرى محافظة الشرقية . ولابد أنه ينتمى لتلك القبائل العربية التى سكنت صحراء مصر الشرقية منذ الفتح الاسلامى ، ثم اجتذبهم الشاطىء الشرقى لدلتا النيل فاغراهم بالاستقرار .

ويدين «خالد محمد خالد» لشخصية أبيه بطاقة التحدى التى دفعته لمصادمة الكثير من الآراء المستقرة ، كما يدين له بذلك الاحترام لحرية الانسان وكرامته وحقه فى التعبير عن رأيه والاجتهاد فى شئون وطنه ودينه . ومع أن أحداً لم يعرض العرش على الرجل إلا أن هناك من الشواهد مايدل على أنه كان سيرفضه ربما لذات المبررات . إذ كان يمارس الاحساس بكرامته بدرجة فيها كثير من الاعتزاز بالذات .

ويقول «خالد محمد خالد» :

نشأت فى بلاد كانت تسمى «الشفالك» أى الدوائر الزراعية الكبيرة التى يملك كل منها مالك واحد . كانت قريتنا وثلاث من القرى المحيطة بها تتبع تفتيشاً للأمير «محمد عبد الحليم» . وكان هذا التفتيش يكاد يعبد من دون الله . وكان له رهبوت فظيع فى نفوس الفلاحين وكان مفتش التفتيش يكاد يقول للناس : اعبدونى . كان الفلاح يؤجر فى اليوم بخمس قروش ، وحماره يؤجر بعشرة ، كان الحمار المصرى أغلى من الانسان المصرى ، فاذا جنى الفلاح محصولا حمله خفراء التفتيش إلى مخازن التفتيش ، ويتركونك تضرب الأرض بكفيك فلا تنال شيئاً إلا إذا دفعت الايجار .. أما أبى فقد شببت لأراه الرجل الوحيد الذى يتحدى التفتيش فى شخص مفتشه ، وأنا أعتقد أننى رضعت هذه المعارضة .. إننى فى الواقع أقرب الى مقولة مكسيم جوركى : «جئت العالم لأعترض» .

«وأنا طفل ــ والحديث لخالد محمد خالد ــ رأيت المحضر يدخل بيتنا أكثر من مرة ويحجز على الماشية ويحرمنى أنا وأخوتى من اللبن ، لا لأننا كنا نماطل الدوائر والتفاتيش ولكن لأن أبى كان يقاوم هذه الدوائر وهذه التفاتيش . رأيتها تنتزع أبى فى منتصف الليل وهو بملابس النوم لأنه اتهم بتحريض الفلاحين على اشعال النار فى أقطان التفتيش ...»

المؤكد أن فلاح الشرقية المشاغب قد لعب دوراً هاماً فى تكوين ابنه . فهو لم يضرب أمامه فحسب أمثلة للاستقلال فى الرأى وللشجاعة فى ابدائه ، والصمود فى مواجهة نتائجه ، ولكنه أتاح له أن يعيش قضية العدل الاجتماعى ويعانيها عن قرب ، فتميز بين المفكرين الاسلاميين بنظرته العطوف على فقراء المسلمين ، وبأنه من المبشرين باسلام العدالة الاجتماعية ..

طائر واحد يستطيع التحليق

ولم يكن علي عبد الرازق مهموماً بقضية العدل الاجتماعى ، فهو مفكر من ذوى الأيدى الناعمة ، وهو لم يعش على خبز الجراية كما كان يعيش طلاب الأزهر ، بل من المرفهين من أبناء الأسر الذين حدثنا عنهم طه حسين فى «الأيام» ، لكنه مع هذا التقى ــ فى الأزهر ــ بالامام «محمد عبده» ، فتأثر بآرائه . والأرجح أنه تناول الغذاء مرات عديدة فى مطاعم جامعة اكسفورد حيث قضى خمس سنوات يدرس الاجتماع والتاريخ والسياسة ، قبل أن تقطع الحرب الكونية الأولى دراسته فيعود ليعمل بالقضاء الشرعى . ولولا دراسته فى اكسفورد ما أتيح له أن يقرأ ما كتبه أرثر كينون وتوماس أرنولد والمفكر الهندى محمد بركت الله فى الفلسفة الاسلامية وقضية الخلافة .

ولأنه مفكر من ذوى الأيدى الناعمة فقد كانت قضيته فى جوهرها صراعاً مع الجالس على عرش مصر : نفس العرش الذى رفض عميد آل عبد الرازق أن يجلس عليه عام ١٩١٤ فجلس عليه السلطان حسين كامل ، وبعد عامين غادره الى دار البقاء ليخلفه عليه السلطان ــ الملك فيما بعد ــ أحمد فؤاد الأول ..

ولم يكن آل عبد الرازق يملكون نفوذ الجاه والمناصب والمال فحسب ، بل كانوا على صلة ود بالسلطة الفعلية فى مصر آنذاك وهى دار المندوب السامى البريطانى . ولأن ظهورهم تستند الى القوة الحقيقية فى السياسة المصرية فقد تعاملوا مع الملك أحمد فؤاد تعامل الأنداد . حتى أنهم رفضوا أن يبيعوه بيتهم الذى يقع خلف سراى عابدين ليوسع به اصطبلات خيوله . وكان هذا بداية احتكاك بين الأسرتين ، تصاعد حين رد عليه الملك فؤاد بتخطى رجال «آل عبد الرازق» فى التعيينات للمناصب الادارية الكبرى فى الدولة .



ولا أحد يدرى على وجه الدقة العوامل التى دفعت «الشيخ علي عبد الرازق» قاضى محكمة المنصورة الشرعية لكى يمسك ورقة فيخط عليها السطر الأول فى كتاب «الاسلام وأصول الحكم» . ومعرفة هذه العوامل ضرورية لفهم العملية العقلية والنفسية التى تتكون خلالها فكرة ستولد بعد ٢٢ عاماً أو بعد ٣٠ عاماً . أهى منذ البداية فكرة غير مكتملة النمو ، غير ناضجة لا تستحق تسطيراً على قرطاس ، لولا اندفاع الشباب وفورته ؟ وحين أدركها نضج الشيخوخة بدت فجة وطائشة وطالبت بالاعتذار عنها ؟

الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد

لكن «علي عبد الرازق» كان على مشارف الكهولة حين أصدر ـ عام ١٩٢٥ ـ كتابه، إذ كان في السابعة والثلاثين، درس في الأزهر واكسفورد وعمل بالقضاء وليس من طبيعة الأمور أن يكون القضاة شباناً طائشين يلقون بالكلام على عواهنه. وكان «خالد محمد خالد» حين أصدر كتابه ـ ١٩٥١ ـ في الثلاثين من عمره، وهي سن استواء ونضوج وليست عمر طيش واندفاع ..

وصحيح أن كلا الرجلين قد عدل عن رأيه القديم الى رأي جديد وهو في الستين من عمره، إلا أن نظرية شيخوخة الأفكار ليست من الطيور التي تصلح للتحليق، فهناك مفكرون كبار وفنانون عظام وأصحاب رسالات كبرى غيرت التاريخ بدأوا اقتحام العالم وهم في الأربعين وأحياناً وهم في الستين.

الجانب الوحيد الصحيح في هذه النظرية الخاطئة هو أن المجتمعات تعيش شباباً دائماً: صرح علي عبد الرازق برأيه عام ١٩٢٥ وعدل عنه عام ١٩٤٧، لكن الرأي وجد شاباً آخر تقدم لتبنيه والدفاع عنه عام ١٩٥٠، وفي عام ١٩٨١ عدل خالد محمد خالد عن رأيه .. وربما اليوم أو غداً سيخرج شاب ثالث يهاجمهما معاً ويكرر حماقة شبابهما، فالتطور هو قانون المجتمعات، ولولا دفع الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض والأفكار!

متصوف سني .. وعلماني

وإذا كان الرجلان قد اختلفا في المنشأ الاجتماعي، فقد تعرضا لمناخ فكري متقارب. ولعل هذا ما يجمع بينهما. انهما في الحقيقة أب وابن ينتميان للحلقة التاريخية نفسها: قبل الحربين الكونيتين وبينهما. أيامها كان العرب يتمردون ويتخبطون كالطائر الدائخ بين شباك الأوروبيين وشباك العثمانيين. عنوان الطموح: الاستقلال عن هؤلاء وأولئك. والأسلوب نزوع لتأكيد الذات. لم تكن المشاعر تجاه العثمانيين ودية، فما أكثر المظالم التي يحفل بها سجلهم القديم والجديد

وحين طرحت قضية الشعوب غير التركية في الامبراطورية العثمانية نفسها على الاتحاديين، كشفوا عن تعصب لطورانيتهم أكد للعرب المبشرين بامبراطورية اسلامية متعددة القوميات، انه لا أمل هناك. وأن الاتراك عثمانيين وطورانيين يستخدمون الرابطة الدينية لاخفاء تعاليهم على الأجناس الاسلامية غير التركية وقهرهم لها. وهكذا تضاءلت الفرص أمام الجامعة العثمانية كتيار فكري .. خاصة والنموذج العثماني لا يغرى بالتكرار.

تجاه الأوروبيين، كانت المشاعر أكثر تعقيداً، لا جدال في أن العداوة كانت جزءاً من تلك المشاعر. لكن المؤكد أن العرب قد انبهروا بالأوروبيين بقدر ما غضبوا منهم ونقموا عليهم. ومن دلائل هذا الانبهار أن يعود بعض الشبان الذين تعلموا في أوروبا ليصدموا مجتمعهم فيما يعتقد أو يرى. فتثور الزوابع وترعد الرعود وتقوم الدنيا وتقعد، لكن علينا الا ندهش اذا ما عدل هذا الشاب عن رأيه بعد سنوات، إذ الواقع أننا أمام مفكر جاء ليقول لنا انه كان في أوروبا، ولذلك فهو حر التفكير قادر على التصريح بما يرتعد الآخرون من مجرد سماعه، ولكنه ليس واثقاً تماماً من صحة ما انتهى اليه!

وحين يتوقع الانسان أن يكون «علي عبد الرازق» و «خالد محمد خالد» في صف الخلافة، فانه يستقرىء واقع الرجلين بشكل صحيح تماماً، فذاك هو المعسكر الطبيعي لطلاب الأزهر ومشايخه وكل من تلقى ثقافة دينية جادة، أو هذا هو الفهم السائد للموضوع أيامها. لكن النوافذ فتحت على أوروبا فلم يعد شرطاً أن يذهب خالد محمد خالد الى أوروبا كي يتأثر بها كما كان الحال أيام علي عبد الرازق. لم يتسكع الرجل في أبهاء اكسفورد، ولم يقرأ آرثر

جمال الدين الأفغاني



محمد حسين هيكل



كينون، ولا توماس ارنولد بل انه حتى لم يقرأ كتاب «الاسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق.

على أن ذلك كله لم يكن شرطاً لكي يجابه قومه برأي شبيه بما فعل علي عبد الرازق قبله بربع قرن. واقع الأمر أنه كان قد عاش ضمن الأبنية الأوروبية التي جاءت تصوغ الوطن بعد ١٩١٩: البرلمان والانتخابات وحرية الصحافة والمواطنة والدستور .. وتعرض لنفس التأثيرات.

وهو يقول:

«غادرت قريتي الى القاهرة وكنت طالباً في المرحلة الابتدائية. كان لدى حنين الى السياسة، وكان أول كتاب غير مدرسي اشتريته للتثقيف العام كان «مذكرات لورد جراي» ـ وزير الخارجية البريطاني إبان الحرب العالمية الأولى ـ وكنت أيامها في الرابعة الابتدائية، وإني الى الآن أعجب لماذا اخترت هذا الكتاب من بين ما كانت المكتبة تزدحم به».

«ظللت مع الوفد بعواطفي، أتتبع خطب مصطفى النحاس ومكرم عبيد، وعندما انفصل النقراشي وأحمد ماهر عن الوفد وقفت معهما، وتركت الوفد لأصبح من شباب الهيئة السعدية، وبدأت آنذاك أمارس الخطابة السياسية. وكنت احتفظ بمحطة استقبال جيدة تحتفظ بالأحداث وتعمل على تحليلها والربط بينها والاستنتاج منها كانت المرحلة مرحلة نضال ديمقراطي مجيد، وكنت أشهد النحاس وهو رئيس وزراء يترك المظاهرات تهتف بسقوطه، والصحف تتهمه في نزاهته دون أن يضار هؤلاء. شهدنا حرية الصحافة، وحرية معارضة برلمانية».

● .... ؟

ـ ... بدأت أقرأ لويلز في معالم تاريخ الانسانية .. ولبيوري في حرية الفكر، ولول ديورانت في «قصة الحضارة»، بدأت أقرأ كتباً كثيرة عن التاريخ الأوروبي فكراً وسياسة، فقرات عن بسمارك، وفولتير، قراءات متنوعة، وكنت في هذه الأثناء أحس أن عبارة الديمقراطية تصب في ضميري .. وفي قلبي صباً .. الى أن جاءت سنة ١٩٤٩ فكتبت كتاب «من هنا نبدأ».

قبل هذا الكتاب لم يكن «خالد محمد خالد» قد نشر شيئاً سوى مقال سياسي واحد أرسله للاهرام، لكنه كان قد شغل بالتصوف فترة طويلة من حياته، وكتب أثناءها مقالات دينية كثيرة.

كان مركز الجذب الديني لأفكاره سلفياً نقياً، والسبب كما يذكره:

ـ انتميت في فترة مبكرة من عمري للجمعية الشرعية، وقد أنشأها من عهد بعيد شيخ من كبار أولياء الله وعلماء الاسلام هو الشيخ «محمود خطاب السبكي» ثم قادها بعده ابنه الشيخ أمين السبكي رحمهما الله .. وهي جمعية نشاطها ديني بحت، وتتبع سنة الرسول وتقتدي به في كل شيء».

نحن اذن أمام طبعة نادرة لمفكر ديني يجمع بين التصوف والسنية المتشددة وأفكار عصرية تستشهد بويلز، وفولتير، وأفلاطون.

كما استشهد علي عبد الرازق بأقوال توماس ارنولد، وآرثر كينون. فاذا عرفنا أن رائد مدرسة التجديد الديني الامام محمد عبده بدأ حياته صوفياً، وحين أصبح مفكراً متمرداً وسياسياً

متمرداً تعلم من إمامه «الأفغاني» قوله :
ـ لا أفهم معنى قولهم ـ الصوفية ـ الفناء في الله .. إنما الفناء يكون في خلق الله بتعليمهم وتثقيفهم والحدب عليهم .

ومنذ اختار الامام محمد عبده الفاعلية في العالم اعتزل التصوف ، وهذا هو المنطقي مع شخصية رجل يشتغل بالمسائل العامة ، معرفتنا لما سبق تؤكد لنا مدى الندرة في شخصية «خالد محمد خالد» ، فهو متصوف مشغول بالفناء في ذكر الله والتوق الى طلعة الذات الالهية . وسنى مهموم بتتبع الصراط المستقيم الذي هدى الله اليه سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وهي سنة لا تعرف بدعة ، ولا تقر بضلال . وهو مع هذا عصري علماني يكتب بكل جسارة كتابه الأول ليكون من بين دعاواه أن الاسلام دين لا دولة وبلاغ لا حكومة !

الفخ الذى وقعنا فيه

فى تلك السنوات ، كان العقل العربى مايزال يبحث عن إجابة لعلامة الاستفهام المطروحة منذ عهد الصحوة الحديثة ، كيف نبنى نموذجنا القومى ؟ . أنعود للماضى أم نطرحه ظهراً وننهل من الرؤى الأوروبية التى تفوقت علينا وحكمتنا وأذلتنا ؟! .

وكان «علي عبد الرازق» قد تقدم عام ١٩٢٥ ليجيب على السؤال فجاءت اجابته ماكرة ، فقد صارع الماضى بالماضى ، وتحدى المتحمسين لعودة الخلافة الاسلامية أن يأتوه بنص من القرآن أو السنة يدل على أن الخلافة من أصول الاعتقاد الاسلامى ، مؤكداً «أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة ، وانه لم يقم بتأسيس مملكة وما كان إلا رسولا . وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ولا داعياً الى ملك» فنحن لم نسمع «أن النبى عليه الصلاة والسلام عزل والياً ولا عين قاضياً ولا نظم فى الأمم عسساً ، ولا وضع قواعد لتجاراتهم أو لزراعاتهم ولا لصناعاتهم» .

خلاصة القول عند «علي عبد الرازق» أن «وظائف الحكم ومراكز الدولة ، كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الأمم والقواعد السياسية» .

وكان محتماً أن يقع «علي عبد الرازق» فى الفخ السياسى ، لأنه ـ منذ البداية ـ تقدم كمصارع سياسى لا كمجتهد دينى ، لذلك جاءت وجهة نظره مليئة بالثغرات ، واكتشف النقاد الأقدمون والمحدثون انه انطلق من فكرة يريد أن يثبتها ولو طوع النصوص أو اقتطعها أو أساء تفسيرها . كان فى الواقع يقف فى مكتبة اكسفورد ، يعظ أمته التى تعيش فى الخيام فيطالبها أن تدير ظهرها لماض لم ير فيه سوى خلافة السلطان عبد الحميد الثانى وتنهل من الرؤى الأوروبية ..

والفخ الذى وقع فيه ، وقعنا جميعاً فيه . فعلاقة الاسلام بأصول الحكم لم تكن الموضوع الذى شغل علي عبد الرازق . ولكنه طموح الملك فؤاد أن يلى الخلافة ، وأثر ذلك على النظام الدستورى البرلمانى

● خالد محمد خالد يعدل
عن رأيه في الدولة الإسلامية
بعد ثلاثين عاماً

● قضية الدولة الإسلامية طرحت
نفسها على الفكر العربي مراراً ..
لكن أحداً لم يجتهد فيها بعد

العلمانى الذى كانت مصر واقطار عربية أخرى قد بدأت تنقله من أوربا بعد الحرب الأولى .

ورد الملك فؤاد على مشاغبة علي عبد الرازق بمثلها ، فاذا بهيئة كبار العلماء تستدعيه للمحاكمة وتوجه اليه سبع تهم تدور كلها حول إنكاره أن هناك صلة بين الدين والدولة وبين الشريعة والسياسة ، وتنتهى بعد استعراض الأسباب الى الحكم «باخراج الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب «الاسلام وأصول الحكم» من زمرة العلماء» ..

ولم ينتبه احد ممن أصدروا الحكم لأن النظام السياسى الذى يعملون فى إطاره ويقبلون ضغوطاً منه لاخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء هو نظام دنيوى محض ينكر أى صلة بين الدين والدولة وبين الشريعة والحكومة .. وانه أقرب ـ من حيث الواقع ـ الى آراء علي عبد الرازق لا الى ارائهم ، وتحمل علي عبد الرازق الحكم كعقوبة سياسية لا كعقوبة نزلت بمجتهد ان اخطأ فله اجر وان أصاب فاجران . ذلك انه فى الواقع لم يجتهد ولكنه شاغب سياسياً فحسب ..

وحين جاء الظرف السياسى الذى يفرض اصلاح الموقف ، تمت تسويته على أسس سياسية محضة ، فقد كان الأحرار الدستوريون عام ١٩٤٧ شركاء فى حكم ائتلافى مع السعديين ، ومات الشيخ مصطفى عبد الرازق ، شيخ الأزهر وشقيق علي عبد الرازق ، وأصر د. محمد حسين هيكل رئيس حزب الاحرار على تعيين شقيقه علي وزيراً للأوقاف ، فوقف حكم هيئة كبار العلماء بطرده من زمرة العلماء دون ذلك ، وكان الملك فؤاد قد مات وخلفه ابنه فاروق ، وهكذا تغير الظرف السياسى ، وسقط مع تغيره الحكم باخراج علي عبد الرازق من زمرة العلماء ، أسقطه نفس الذين أصدروه ، باتفاق غير مكتوب بنده الأول الا يكرر علي عبد الرازق شغبه ، وألا يظل حكم تجريده قائماً أما القضية الأصلية فقد تاهت فى الزحام ووأدت مناقشة هامة وضرورية تتعلق بهمنا الرئيسى : كيف نبنى نموذجنا القومى؟

حين فلتت القضية

لذلك لم يكن غريباً أن انتهت الحرب الكونية الثانية ونحن مازلنا حيث كنا فى نهاية الحرب الكونية الأولى ، ضميرنا القومى حائر بين ما ورثنا وما تثبت وقائع العصر انه الأقوى والأنفع . ولما كانت الخلافة العثمانية قد أصبحت تراثاً تاريخياً ، فلتتقدم الصيغة الجديدة : الدعوة لتطبيق الشريعة الاسلامية وانشاء دولة دينية . وسرعان ما تصبح مدرسة لها أفكار ودعاة ..

ولابد انك ستلاحظ أن خالد محمد خالد كان بعيداً عن هذه الحركة ، برغم انغماسه فى الجمعية الشرعية واهتمامه بالشئون العامة ، وتسأله كما سألته :

● ألم تكن ترى فى ذلك الوقت أن هناك ضرورة لحركة اسلامية أصلا ؟!

سيقول لك :
ـ نعم ، كنت أميل أن يظل الاسلام ديناً يتعبد الناس به ربهم ، وألا يقحم فى السياسة ، وناديت بما اسميته يومئذ قومية الحكم ، وناقشت ذلك فى الفصل الثالث من كتابى «من هنا نبدأ» ؟

فى ذلك الفصل ـ بتلخيص المؤلف نفسه ـ ذهب يقرر أن الاسلام دين لا دولة ، وانه ليس فى حاجة إلى أن يكون دولة .. وأن الدين علامات تضيء لنا الطريق الى الله ، وليس قوة سياسية تتحكم فى الناس وتأخذهم بالقوة الى سواء السبيل ، ما على الدين إلا البلاغ وليس من حقه أن يقود بالعصا من يريد لهم الهدى وحسن الثواب .

فالدين حين يتحول الى حكومة ـ كما قال خالد محمد خالد ـ فان هذه الحكومة الدينية تتحول الى عبء لا يطاق ، وذهب يعدد يومئذ ما أسماه «غرائز الحكومة الدينية» باعتبارها من المؤسسات التاريخية التى استنفدت أغراضها ولم يعد لها فى التاريخ الحديث دور تؤديه ، فكان من بين تلك الغرائز الغموض المطلق والغرور ووحدانية السلطة والجمود والقسوة !

وكان منطقياً مع الأعراف العربية المقننة أن يحاكم خالد محمد خالد على أفكار كتلك ، وصادرت النيابة الكتاب بناء على تحليل للجنة الفتوى يتحصل فى أن الكتاب يسلب الدين أخص وظائفه وهى الهيمنة على شئون الحياة وتدبيرها واقامة أمور الناس فيها على أسس العدل والاستقامة ، وسياستهم بكل ما فيه اصلاح حالهم فى الدنيا وتوفير أسباب سعادتهم فى الآخرة ، تارة بالنصح والارشاد والوعظ والهداية وأخرى بالقضاء العادل والحكم الرشيد وتأمين الناس على أنفسهم وأموالهم وسائر حقوقهم وانصاف المظلومين والضرب على أيدى المعتدين الظالمين ، وإن كتاب الله وسنة نبيه كلاهما مليء بالتصريح الفقهى الواضح البين فى الحكم والقضاء وما اليهما من مظاهر الهيمنة الفعلية على جميع نواحى الحياة الاجتماعية مالية وجنائية فردية واجتماعية ودولية» .

وفى رأى لجنة الفتوى محاولة لاجتناب التناقض الذى وقع فيه اتهام هيئة كبار العلماء لعلي عبد الرازق . لذلك لم تجابه المؤلف صراحة بأن

الاسلام دين ودولة ، وان اقامة الامامة جزء من الاعتقاد ، رداً على مماراته فى ذلك ، إذ كانت تدرك ــ ولا جدال ــ أن حكماً كهذا بحق خالد محمد خالد سيبدو غير منسجم مع تتويجه باسم ملك يحكم بدستور مستلهم من أب بلجيكى ..

وهكذا ، للمرة الثانية ، وربما الثالثة أو الرابعة ، تفلت القضية من بين أيدينا ، ونحرم من فهمها على وجهها الصحيح ، لأننا لا نجتهد ، بل نصارع سياسياً ، وهذا ما يعترف به خالد محمد خالد :

ــ .. كنت أخشى على الاسلام من الحركات الاسلامية التى انتشرت فى بلاده وخاصة بعد أن اتجهت أقسام منهم الى الاغتيال السياسى ، وكنت أيضاً قد قرأت كثيراً عن الحكومة الدينية المسيحية فعكست هذا الوضع على الاسلام وتصورت أن الحكومة الدينية الاسلامية يمكن أن تقع فى ذات الخطأ . من هنا كان رفضى لقيام حكومة اسلامية ..

فى كلا الخطأين ــ كما يقول خالد محمد خالد ــ كان هناك خطأ فى المنهج ذاته فقد جعلت ما تأثرت به من قراءاتى عن الحكومة الدينية فى المسيحية وما تأثرت به من تحول بعض الشباب المسلم من نساك الى قتله .. جعلت هذا وذاك «مصدر» تفكيرى لا «موضع» تفكيرى !! تجعله موضع تفكيرك . عندما يكون مصدر تفكيرك فانه يقودك فى طريقه هو لا فى طريق الحقيقة . أما حين يكون الشيء موضع تفكيرك فانه يمد تفكيرك المحايد والمستقل بكل اعتبارات القضية المدروسة دون أن يلزمك بحكم مسبق ليتحرك الفكر داخل اطاره الحديدى الصارم» !

وذلك هو الفخ نفسه الذى وقع فيه علي عبد الرازق ..

الجديد الذى نسخ القديم

حول الكتاب الجديد الذى نسخ القديم كان حوارنا . سألته :

● ترى ، هل كانت الدعوة للعودة للأصالة وراء نسخك لرأيك القديم .. وماذا ترى فى حركة التجديد الاسلامى اليوم ؟

تجاهل الشطر الأول من السؤال .. مباشرة قال :

ــ أعتقد أننا نعيش عصر بعث للاسلام كدين وكدولة ومجتمع . أما تجديد الفكر الدينى ، فتلك مسالة رهينة بظروفها ، فالتجديد بهذا المعنى يعتمد على علماء مبرزين أحرار يستطيعون أن يتبوأوا مكانة الاجتهاد فى الاسلام .. ويستطيعون بشجاعة أن يعيدوا فتح باب الاجتهاد !

● ألا ترى أننا نسير نعرج ، إذ كيف تتقدم حركة بعث الاسلام كدولة ، حركة التجديد الدينى ، أليس المنطق أن تسبقها تمهد لها أو تواكبها لتشد الناس اليها بما تطرح من رؤى اسلامية لمشكلات العصر ؟!

ــ أنا معك فى هذا لأن الفكر دائماً يسبق العمل .. وهناك محاولات لتجديد الفكر الاسلامى ، ولكن هذه المحاولات ليست بالطاقة أو بالشمول الذى تسير به حركة بعث الاسلام كدين وكمجتمع .

● البعض يقارنون بين أولى حلقات التجديد الاسلامى عند الأفغانى وآخر حلقاته فى عصرنا فيتزعجون ، إذ يبدو لهم أننا نتراجع عن نقطة البدء فالمجددون المعاصرون أكثر تشدد أو محافظة مما كان عليه الأفغانى ومن تتلمذوا عليه وخلفوه ؟ فما رأيك ؟!

الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد

ــ الواقع أن جمال الدين الأفغانى كان زعيماً أو ملهماً سياسياً أكثر منه مفكراً دينياً ، وهو لم يترك لنا ثروة فكرية يمكن أن نشير اليها ونقول هذا تجديد فكرى . الأفغانى جعل شغله الشاغل تحرير الأمم الاسلامية سياسياً وكان محرضاً على التمرد . والشيخ محمد عبده كان الى حد غير بعيد يحمل بذور أفكار دينية جديدة .. لكن السياسة شغلته هو الآخر عن اتمام دوره كما ينبغى . أما حسن البنا فقد ركز على بعث روح اسلامى كما كان يصنع الأفغانى ، ولم يشغل نفسه بمشاكل فكرية أو فقهيــــة فى الاسلام .

● عند من من المجددين الاسلاميين تقف ؟

ــ أنا أقف عند اقبال ، ومولاى محمد علي ، وأبو الكلام ازاد ، وهم هنود هم الثلاثة ، وأنا أقف عند روح التجديد ، إذ كان ثلاثتهم مستعدين لتحمل الهتاف بآراء جديدة فى تفسير بعض النصوص الاسلامية . فالامام عمر بن الخطاب مثلا ألغى حق المؤلفة قلوبهم فى الزكاة ، مع أن هذا الحق ثابت لهم بنص القرآن ، وقال ان الله قد أعز الاسلام ، فهو ليس فى حاجة الى تأليف قلوب أحد وكان يجتهد فى أحكام شرعية كثيرة ، ويعطى رأياً شجاعاً يخالف النص ، فالاسلام بطبيعته لا يتأبى ولا يرفض محاولات التجديد فيه .. نحن الآن أمام قضايا معاصرة مجيدة الى ودائع البنوك ، وهى قضايا لا معاصرة مجيدة وصغيرة ولكنها تشغل المسلم بدءاً من شهادات الاستثمار الى ودائع البنوك ، وهى قضايا لا تجد فيها رأياً شجاعاً أو اجتهاداً خلاقاً . فالبنك يعطيك ربحاً على ودائعك ولا يعود عليك بخسارة ، وهذه صورة من صور الربا ، لكن منطق البنك يؤكد أنه لا يخسر وأن أنواعه لا تخسر إلا اذا سرق صاحب البنك ودائعه ، ومنطق البنك يتطلب اجتهاداً .

بعد لحظة تأمل أضاف :

ــ هناك قضايا معاصرة كثيرة جدا لاتزال معلقة بين الصواب والخطأ وبين الحل والحرمة ، ولا تجد المجتهد الجسور الذى يدرس القضية دراسة وافية جداً ، ويتقدم بالرأى ولا تجد حتى مجمعاً للبحوث الاسلامية فى مستوى مسئولياته يتقدم للناس برأيه وباجتهاده .

● هل كان اقبال فى رأيك هو ذلك المجتهد الجسـور ؟

ــ إن اقبال مثلا يذهب إلى أن الاسلام كان خاتم الديانات ورسوله كان خاتم المرسلين وهذا إيذان بأن « العقل قد ورث الوحي » وتولى المهمة بدلا منه . وهذه مقولة جريئة لأنها تحل لنا مشاكل عديدة .. المسالة تتطلب مجتهداً جسوراً ..

قلت معلقاً على شكل سؤال :

● أهي مشكلة جسارة فحسب .. أم مشكلة مناخ وظروف ؟

ــ مشكلة فقدان جسارة ونقص معرفة . لابد أن يصل المجتهد إلى مستوى رفيع من العلم والمعرفة قبل أن يكون مؤهلا للاجتهاد ، ليس العلم بالاسلام فقط بل وبالواقع المعاصر أيضاً ثم بعد هذا الوعي الذاتي ، لابد أن يكون المجتهد جسوراً لكي يواجه الرأى العام المسلم باجتهاده ..

كان الاجتهاد قائماً يوم لم نكن فى حاجة إليه ، ونحن اليوم فى حاجة شديدة إليه ، ولدينا مجمعات بحوث وروابط ومؤتمرات وعدة تشكيلات ومع ذلك فهى جميعاً عاجزة عن أن تأخذ دور المجتهد وتربط قضايانا المعاصرة بمبادىء الاسلام .

● ألا ترى أن الفعل النشط فى حركة البعث الاسلامي اليوم ، مع العجز عن الاجتهاد يمكن أن يكون ذا أثر سلبي .. كثيرون يقولون بأن معظم الحركات الاسلامية ليس لديها برنامج واضح للدولة الاسلامية التى تبشر بها ؟

قال خالد محمد خالد :

ــ ان البعث الاسلامي فى شموله يجذب إليه محاولات التجديد الفكرى فى الاسلام وهو وان يكن يتقدم بتجديد التفكير فان هذا التجديد يسير بقوة هذا البعث وبحرارته ، وان لم يكن بالصورة المرجوه . فلا خطورة هناك ، فاذا حقق البعث الاسلامي هدفه ، ستجد مشاكل تفرض نفسها على الدولة ، وهذه المشاكل لا تفرض نفسها علينا اليوم ، لكن الضرورة ستعلن عن نفسها فى ظل الدولة الاسلامية فيفتح باب الاجتهاد ليواجه تلك المشاكل ..

بدا لي فيما بعد أن السؤال التالي قد نقل المناقشة الى محور مختلف . قلت :

● فى مؤلفاتك بشكل عام خطان واضحان تماماً ، هما اسلام الديمقراطية واسلام العدل الاجتماعي ، فاذا وقفنا عند الجانب الأول .. كيف تراه اليوم بعد أن انضممت لصفوف المطالبين بدولة اسلامية ، ؟

ــ لو حكمت بشخصى دولة اسلامية فسأطبق الديمقراطية النيابية التى تقوم صورتها الآن فى بريطانيا ، فالدولة الاسلامية التى أدعو إليها دولة تقوم على تعدد الاتجاهات وبالتالي تعدد الأحزاب وتقوم على معارضة لها مكانتها وحريتها ، وهذه هى الشورى كما قال بها الاسلام . الحاكم يمثل الأمة ويوكل عنها ، ولا يجوز لحاكم أن يقول لنا انه يحكم باسم الله ، لأنه يحكم بحكم الله ، لكنه فى الوقت نفسه وكيل عن الأمة التى انتخبته واختارته ! ،

● كأنك بهذا تقول أن الشورى ملزمة للحاكم المسلم ، أظن أن هناك خلافاً بين الفقهاء حول إلزامها ؟!

ـ هو صحيح . ولعل الذين قالوا بعدم الزامها كانوا واقعين تحت ضغط الخوف من حكامهم . لكن الحقيقة التى أراها أن الشورى ملزمة، إذ لو لم تكن كذلك فلا مبرر لها . وقد أمر الله رسوله « وشاورهم فى الأمر » ، وصدر أمره جل جلاله للنبى بعد أن شاور الرسول صحابته فى غزوة «أحد» وأخذ برأيهم فادى ذلك لهزيمة استشهد فيها سبعون صحابياً بينهم عم الرسول حمزة ، فكان الآية نزلت تأمر الرسول بالشورى بصرف النظر عن النتائج .

● يذهب البعض الى أن الحاكم المسلم يستشير أهل الخبرة الذين يصطلح على تسميتهم بأهل الحل والعقد ؟

ـ أهل الحل والعقد في رأيي هم النواب الذين يختارهم الشعب بمحض حريته ، وهذا أيضاً اجتهاد جديد منى ، لأن العادة مضت فى الفقه الاسلامي على أن أهل الحل والعقد هم أهل الخبرة . وهؤلاء يمكن الاستعانة بهم فى مجالس متخصصة تقوم على الاختيار .. أما أهل الحل والعقد الذين يفصلون في مصائر الأمة السياسية ، لا يمكن إلا أن يكونوا نواب هذه الأمة التى اختارتهم بملء ارادتها دون أدنى تزييف لاقتناعها .

عن الشطر الثاني تساءلت :

● وماذا تقدم الدولة الاسلامية على صعيد العدل الاجتماعي ، ؟

يقول خالد محمد خالد :

ـ مررنا بتطبيق يبعث فى نفوسنا كثيراً من التفاؤل بمستقبل الكرامة الانسانية والعدل الاجتماعي فى ظل الاسلام ، فقد استوصى الى ابعد الحدود بالعدالة الاجتماعية ، وإذا كان الاسلام أعتمد على الزكاة كضريبة أساسية يحقق بها العدل الاجتماعي فانه لم يخلق الباب أمام ضرائب أخرى تصطنعها الدولة كما تشاء تغطية لمتطلبات العدل الاجتماعي . الاسلام فى مبادئه يرى أن الناس سواسية كأسنان المشط وأن حقهم جميعا فى الحياة المعيشية متكافيء ، وكان بيت مال المسلمين يرتب العطايا الشهرية أو السنوية على فقراء المسلمين بحيث يغطى حاجة كل مسلم . وكان الرسول يقول : « إن الأشعريين كانوا إذا أرملوا فى غزو أو قل عندهم الطعام جمعوا ما عندهم جميعاً فى ثوب واحد ثم اقتسموه بالسوية ـ وضع كلمة السوية بين قوسين ـ فهم مني وأنا منهم . لا يوجد أبداً مباركة للعدل الاجتماعي بافضل مما فعل الرسول ، فهو يقول :« الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والنار والكلأ » أى فى كل ما ينتج عن استغلال هذه الأشياء الثلاثة ، فالماء يروى الزرع والنار تدير المصانع ، والناس جميعاً شركاء فيهما أيضاً ..

ويصف الاسلام المؤمنين بالذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، وأفتى علماء الاسلام بانه إذا مات فى قرية أو بلد أحد من الجوع ، فان القصاص والدية تقع على جميع أهل هذه القرية . والرسول يخبرنا بأن من بات شبعاناً وجاره الى جواره طاو ـ من الجوع ـ فقد خان الله ورسوله ، أى خان الاسلام .

من حيث المبدأ نجد أن الاسلام قد وضع أسس العدل الاجتماعي ، ومن حيث التطبيق فقد طبق

● الإسلام بطبيعته لا يرفض محاولات التجديد فيه . وقد ألغى الخليفة عمر بن الخطاب حق المؤلفة قلوبهم في الزكاة

السلطان حسين كامل



مصطفى النحاس



أحمد ماهر



هذا العدل الاجتماعي أيام أبى بكر وعمر على شكل يبهر الألباب ، وحدث على عهد علي ، ثم حدث على عهد عمر بن عبد العزيز ، وهو نسيج وحده فى هذا المجال وميزته كعادل اجتماعي أنه خرج من مستنقع الدولة الأموية ولم يكن من الرجال الذين عاشوا مع الرسول أو صاحبوه ، ومع ذلك طبق مبادىء الاسلام فبلغ من العدالة مبلغاً يكاد يكون منقطع النظير ، فاذا سألنى سائل أى نموذج تراه صالحاً كمثال للدولة الاسلامية قلت دولة عمر بن عبد العزيز ، ولذلك اخترته كنموذج لما أدعو إليه فى كتاب « الدولة فى الاسلام » . إن ظروف عمر بن عبد العزيز وبيئته لم تكن توحي أبداً بان فى استطاعتها أن تخرج لنا هذا الحاكم القديس المطلق فى عدله وهو نفسه يقول : والله لولا الاسلام لكنت كغيري من الناس . هو فى رأيي معجزة الاسلام .

● هل أخذ هذا الجانب من التفكير الاسلامي حقه من السلف أم انه ـ في رأيك ـ مايزال يحتاج الى مزيد من الاجتهاد ؟

ـ كل ما يمت للفقراء كان موضع عناية الاسلام وعلمائه وحكامه فى كل عصر رغم الترف الذى كان يميز بعض الحكومات الاسلامية . حتى فى تلك الفترات كان الناس جميعاً يحسون بضرورة وحتمية وجود العدل الاجتماعي كشيء من أهم الأشياء فى الاسلام .

● ألا ترى معي أن هناك صياغة معاصرة لهذه القضية تكون قريبة من مشاكل عصرنا المليء بالتيارات والأفكار وأيضاً بالفقر ؟

ـ .. ربما .. فى عهد عمر بن عبد العزيز كانت الدولة الاسلامية تلتزم بتوفير مسكن ودابة وخادم ومورد للمعيشة لكل مواطن ، وتتكفل بذلك للمسلمين ولغير المسلمين . وربما تطلب العصر الحديث بعض الاجتهاد فى التنظيم والاسلام لا يأبى قط أى اجراء جديد ينأى عن الظلم ، فمن حق الحاكم المسلم أن يفرض ما يشاء من الضرائب لتغطية حاجات المجتمع ، شريطة ألا يفتئت بهذه الضرائب على حقوق ثابتة . فالتأميم الشامل غير اسلامي . والضرورة الاجتماعية مقدمة فى إطار مراعاة قواعد العدل الاسلامي العام .

● وأين تقع الفكرة القومية من هذه المطالبة بدولة اسلامية ؟

ـ العرب لم يعرفوا إلا بالاسلام ، واللغة العربية لم يصنها سوى القرآن ، فاذا كان هناك عروبة فمن أجل أن هناك إسلاماً ، فلا يمكن أن يقع تناقض جنسى أو عنصرى بين المواطنين فى دولة اسلامية ، لكن احتمال هذا التناقض وارد إذا وضعنا فى اعتبارنا أن هناك أقليات فى الوطن الاسلامي ، ومشكلة الاقليات تأتي من صميم واجبات الدولة الاسلامية ، فالاسلام لا يغفر قط أى ظلم يقع على الأقليات الاسلامية ، والرسول وضع قواعد راسخة للايصاء بأهل الذمة ، وسموا أهل الذمة بما لهم من حقوق فى ذمة المجتمع المسلم والدولة المسلمة ، والرسول يقول من آذى ذمياً أو معاهداً فقد خان الله ورسوله ، وسيدنا عمر عندما رأى يهوديا يسأل الناس أخذ بيده وسأله عن شأنه وأخذه الى بيت المال وجعل له مرتباً وهو يقول : ما أنصفناك

الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد

● كان الاجتهاد قائماً يوم لم نكن في حاجة إليه . ولكن كل مؤسساتنا تعجز الآن عنه بالرغم من شدة حاجتنا إليه

محمد عبده



محمد اقبال



فولتير



ياذمي ، اخذنا منك الجزية صغيراً وضيعناك كبيراً ، وارسل الى ولاته على الاقاليم الا يظلموا ذميا او يكلوه إلى عالته ، والجزية كالزكاة ضريبة لا وسيلة قهر او إعنات ، بل عدل كامل .

● وكيف تنظر الى مسالة المراة فى الدولة الاسلامية ؟

ــ انظر اليها نظرة الفاهم لدينه ، فليس ثمة دين ولا نظام بما فى ذلك حضارتنا الراهنة احترم المراة وكفل حقوقها كما فعل الاسلام فالاسلام أعطاها حقوقها كانسان ، تعبد الله كما تشاء ، تتاجر كما تشاء ، تملك كما تشاء ، كل هذه الحقوق التى لم تعرفها اوربا إلى الأمس القريب وبعض دولها إلى الآن لم تعترف بهذا.. وهذه الحقوق اعطاها الاسلام للمراة كما اعطاها للرجل تماماً ، أما ما يكون موضعاً للخلاف فهو حق العمل ، وقد كفله الاسلام للمراة فى قول الله تعالى « لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض » . كانت المراة تتاجر وتمارس التجارة والفتيا ــ وهو نوع من القضاء ــ فليس هناك نص يمنع المراة من مزاولة الأعمال اللائقة بها . والآية الكريمة « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » لا تحرم عمل المراة ولا تقيد ذلك بدليل إنهن كن يخرجن ، إلى الجهاد وإلى الصلاة وإلى اعمالهن ، فالآية دعوة للفضيلة .

● والحقوق السياسية للمراة ؟

ــ انا رايي أن المراة من حقها أن تنتخب وان تنتخب وهذا راي فقهاء كثيرين وعلى راسهم الامام الأعظم ابو حنيفة ، إذ يرون أن للمراة أن تكون وكيلة فى الخصومة ، أى وكيلة نيابة ، كذلك من حقها أن تكون قاضية ، واشترط « ابو حنيفة » أن يكون قضاء المراة فى غير الحدود ، وقال ابو حماد شيخ « ابي حنيفة » بل من حقها أن تكون قاضية فى الحدود أيضا . فاذا وصل الاسلام بالمراة ان تكون قاضية فباى حق واستنادا لأى نص تحرم حقها فى ان تنتخب و تنتخب ، وتكون نائبة عن الأمة .. كل ما هنالك الا تبتذل المراة فى زيها وفى سلوكها .

● اين يقع رايك الأول بان الاسلام دين لا دولة من كتاب الشيخ على عبد الرازق الاسلام واصول الحكم ؟

ــ انا لم اقرا الكتاب ولكنى سمعت عنه ، وهذا خطا ولا شك ، ولكننى عندما كتبت فصل « قومية الحكم » كنت بعيداً تماماً عن مسالة الخلافة ، إذ كنت اناقش قضية الحكومة الدينية . ولا اظن أن الشيخ علي عبد الرازق كان ضد الحكومة الدينية ولكنه كان يناقش فى مسالة الخلافة من وجهة نظر تضع فى اعتبارها الشخصية المرشحة لشغل هذا المنصب آنذاك وهي الملك فؤاد .

ونحن ارتكبنا وزراً كبيراً وركبتنا المؤامرة الغربية . ولاسيما مؤامرة انجلترا ضد الخلافة الاسلامية . واستطاعوا ان يسلبونا عقولنا وان يحرضونا عليها ، وان نكون احد المعاول التى هدمت بنيانها . خسارة كبرى لم نصب بمثلها ..

● سؤال اخير .. ماذا تستطيع الدولة الاسلامية أن تقدم للمواطن المسلم وللجماعة الاسلامية وللعالم الذى نعيش فيه ؟

● قال خالد محمد خالد :

ــ الدولة المسلمة تستطيع ان تقدم لنا اليوم ما قدمته فى تاريخها الأول ، فهي تقدم للفرد المسلم العون الكافي لكي ياخذ طريقه الى الله فى ظل القيم الاسلامية والفضائل التى زكاها القران ودعا إليها وأمر بها ، وهى تضمن لهذا الفرد قدراً معينا من الكفاية التى تمنحه معيشة رخية وسهلة ، وهى تضمن له اقرار النظم السياسية والادارية التى تحفظ له كرامته ، وتحفظ فيه انسانية الانسان وتلبي كل احتياجاته العقلية والروحية والمادية .

وما توفره للفرد كفرد سيتوفر تلقائيا للمجتمع كمجموعة افراد ، أما ما توفره للعالم فانها ستقدم له الاسلام تقديما يسوى الكثير من المشاكل والمظالم التى تثيرها الحضارة المعاصرة ، فعالم اليوم غابة ، يفترس القوى فيها الضعيف ، وهو عالم لا يفكر إلا تفكيرا شهوانيا انانيا ، والمجتمعات المعاصرة تزكي جميعها الصراع على المال والنفوذ ، والحضارة الغربية القائمة الآن هى الابنة الشرعية لحضارة الاسلام ، فقد اخذت معظم عناصرها واعتمدت فى نجاحها على حضارة الاسلام فى الأندلس وقرطبة ودمشق .

الحضارة الاسلامية كائن تاريخي لا تستطيع أن تغمض عينيك عنه . سيقدم الاسلام للحضارة المادية حضارة الروح . مجتمع اليوم خال من كل ما هو روحاني ، وهذا احتياج انساني ، والاسلام هو الذى جمع فى التجربة التاريخية بين حضارة الروح وحضارة المادة ، وهذا أمر يحتاجه عالمنا بشدة ...

. . . .

هل انتهت الضجة التى بدات قبل ثلاثين عاما .. ام تجددت ؟ لا ادرى !

«صلاح عيسى»

في العدد القادم

الإنسان بين الجبر والاختيار

بقلم الكاتب الإسلامي الكبير
خالد محمد خالد

دولـــة قطـــر
وزارة الـكـهـربـــاء والمـــاء
إدارة الـكـهـربـاء
الـدوحـــة

STATE OF QATAR
MINISTRY OF ELECTRICITY AND WATER
ELECTRICITY DEPARTMENT
DOHA

منشـــور عـــام رقـــم "٤٤"

صـــادر بتـاريـخ ٩/٧/١٤٠١هـ "١٣/٥/١٩٨١م"

تمشيا مع قرار سعادة وزير الكهرباء والماء رقم ٢ لسنة ١٤٠٠هـ بتاريخ ١٣ / ٦ / ١٤٠٠ هـ والمتضمن في مادته الأولى انشاء لجنة فنية تسمى لجنة تصنيف رخص المقاولين الكهربائيين والكهربائيين الأفراد .

فان ادارة الكهرباء ممثلة في هذه اللجنة تنبه على جميع مقاولي أعمال التبريد وتكييف الهواء بالتقدم لاستيفاء واستكمال البيانات والمعلومات المطلوبة منهم والكشوف من قسم التبريد وتكييف الهواء بالادارة خلال ساعات الدوام الرسمي والتوقيع عليها بالاستلام .

وهذه البيانات والمعلومات المطلوب تقديمها يجب أن تكون مصدقة ومعتمدة من الجهات الرسمية المختصة ، وسوف لن يعتد بالبيانات والمعلومات المقدمة للجنة مالم تكن مصدقة ومعتمدة ويتم تقديم هذه البيانات والمعلومات في خلال مدة أقصاها « شهرين » من تاريخ نشر هذا الاعلان لمقاولي التبريد وتكييف الهواء الموجودين حالياً وسوف لن ينظر فى الطلبات التى ترد بعد انقضاء هذه المدة . أما بالنسبة للمقاولين الذين ينوون التقدم للتسجيل لأول مرة فان الباب مفتوح لهم للتقدم بذلك .

ادارة الكهربـــاء



فيلم ابواب الجنة وهو الفيلم الذى تسبب فى افلاس الشركة المنتجة

رسالة مهرجان كان السينمائي

من : رؤوف توفيق

مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

بالتأكد .. لم يكن مهرجان « كان » السينمائى في عامه الرابع والثلاثين .. في أحسن أحواله بالنسبة لنوعية الأفلام التى قدمها على مدى أسبوعين من ١٣ ـ ٢٧ مايو ..

الافلام كثيرة نعم .. متنوعة ، نعم من مختلف انحاء العالم ، نعم .. لكن هناك شىء مفقود ، وغائب .. هذا الاحساس بالامتلاء والشبع ، والمتعة ، والتلذذ بسحر فن السينما ، وما يضيفه كل يوم هؤلاء الفنانون المفكرون العباقرة ..

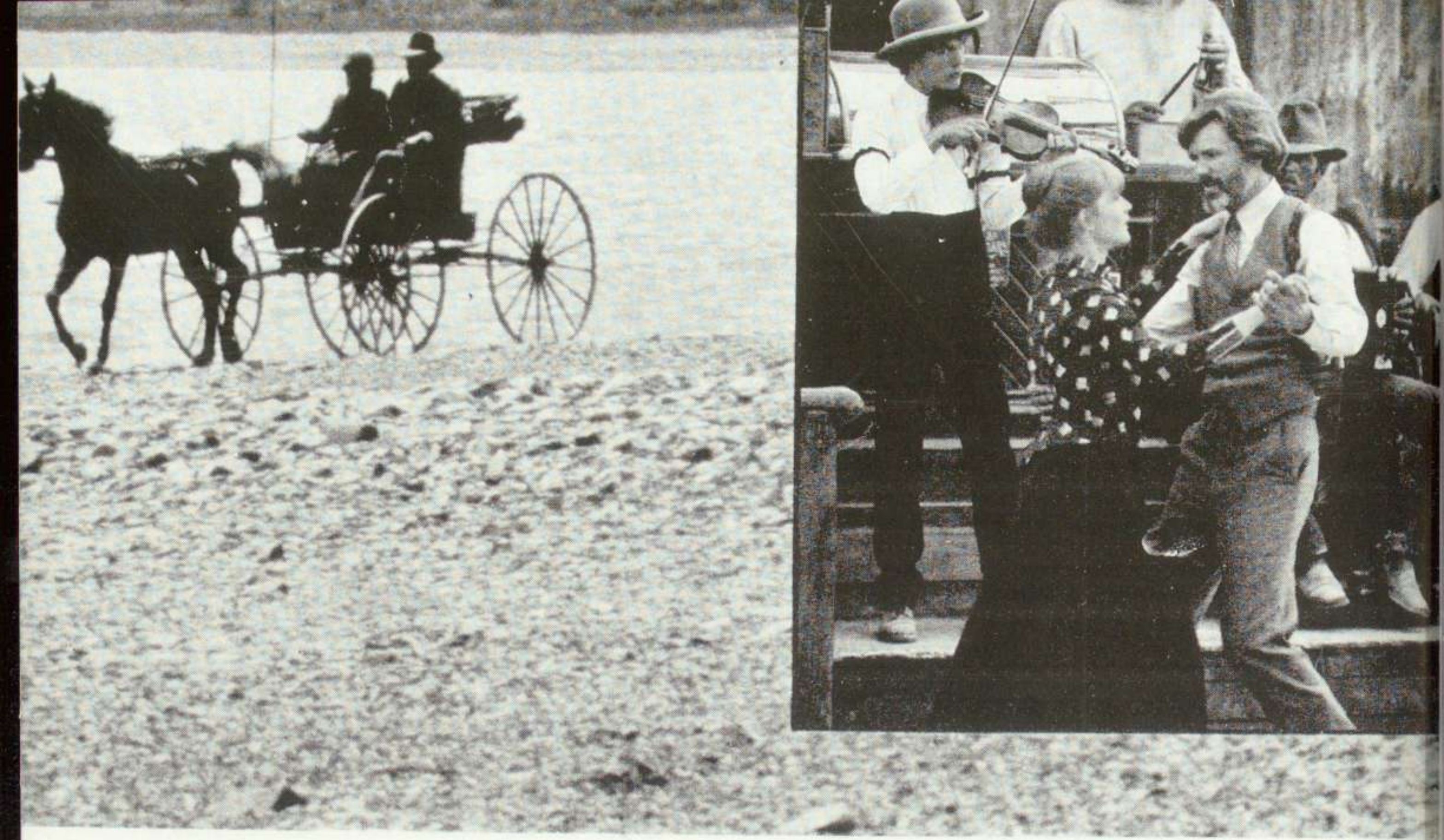
مضت الأيام .. وكل يوم تولد معه هذه الرغبة فى أن ينكسر هذا الاحساس بخيبة الأمل .. وينتهى اليوم على أمل أن ياتى الغد بالشىء المفقود .. وهكذا استمر الحال .. يوم بعد آخر .. وعندما جاء موعد الرحيل .. فتشنا فى أوراقنا ، وما تبقى فى الوجدان .. فلم نجد سوى القليل من الفن ، ومتعة العقل .. والكثير جداً من العبث والألاعيب التكنيكية التى تغطى هزال الفكر ، والتردى فى الموضوعات التقليدية أو الشاذة !

ما الذى جرى ؟!

لاشك أن مهرجان «كان» السينمائى ، من أرسخ المهرجانات السينمائية ، وأكثرها عراقة وقوة وشهرة .. ولكن مهرجان «كان» ـ وأى مهرجان سينمائى آخر ـ لا يصنع الأفلام .. ولكن يختار ما هو أفضل من انتاج السينما العالمية !

بل هناك اضافة التزم بها مهرجان «كان» .. أن يرسل مندوبيه الى مختلف دول العالم ، يفتشون ويشاهدون كل جديد فى السينما ، ويدقون أبواب المخرجين الكبار ليتفقوا معهم على تقديم أفلامهم فى هذا المهرجان .. سواء داخل المسابقة الرسمية أو خارجها ..

ولكن .. كما يقول المثل الشعبى .. أن ما فى الاناء تخرجه المغرفة !



الحشود الكبيرة التى قدمها فيلم أبواب الجنة

وما فى إناء السينما العالمية ، هذا العام .. الكثير من الارتباك والقلق والغموض .. وربما كان هذا انعكاساً حقيقياً لما يشهده العالم من اضطراب وتغييرات وضغوط اقتصادية عديدة . وربما كان هذا أيضاً نتيجة الهجوم العنيف للتليفزيون وشرائط الفيديو ، الأمر الذى جعل صناع السينما فى حيرة من المستقبل ، وارتباك فى تقدير نوعية الأفلام ، وميزانياتها ، وحجم التوقع من ايراداتها !

والأمثلة من خلال ما عرض فى مهرجان «كان» هذا العام .. كثيرة ومتنوعة .

ولكن أكثر الأمثلة .. قسوة .. ودلالة .. هذا الفيلم القادم من أمريكا ، والذى اشتركت به رسمياً فى مسابقة المهرجان .

أبواب الجنة وافلاس الشركة

سبب قسوة التجربة .. أن نتيجتها افلاس الشركة المنتجة ــ وهى من أكبر الشركات السينمائية الأمريكية ــ مما اضطرها الى عرض أسهمها للبيع بسعر بخس .. وقد اشتراها مليونير أمريكى لا علاقة له بفن السينما .. وإنما أراد أن يستثمر أمواله ، وان يضيف الى ممتلكاته شركة سينمائية لها اسم وتاريخ كما فعل من قبل عندما اشترى أسهم شركة «مترو جولدن ماير» .. وهكذا انضمت شركة «يونيتد أرتست» الى شركة «مترو» فى قبضة هذا المليونير الأمريكى .

وسبب هذه الكارثة التى لحقت بشركة «يونيتد» .. فيلم «أبواب الجنة» للمخرج الأمريكى الشاب «مايكل شيمنو» الذى لم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين عاماً .. والذى لعب بطولته عدد من النجوم منهم الممثلة الفرنسية «ايزابيل هوبير» .. والممثلون الأمريكيون «كريس كريستوفر فرسون» ــ «كريستوفر والكن» ــ «نات شامبيون» ــ «جوزيف كوتون» وغيرهم .

الميزانية تقفز الى الضعف

كانت الميزانية المحددة لانتاج هذا الفيلم ، لا تتجاوز ١٥ مليون دولار .. واذا بها تقفز أثناء العمل التنفيذى للفيلم الى ٣٥ مليون دولار !! .. أى أكثر من ضعف المبلغ المحدد ! .. ولم تستطع الشركة المنتجة ايقاف تنفيذ الفيلم ، خوفاً من ضياع المبالغ المنصرفة ، وعلى أمل أن يحقق الفيلم نجاحاً تجارياً يعوض ما أنفق عليه .. خصوصاً وان مخرجه «مايكل شيمنو» قد سجل بفيلمه السابق «صائد الغزلان» عدة جوائز أوسكار ، منها جائزة أحسن مخرج .. ثم ما أحيط بذلك الفيلم من ضجة بسبب مناقشته لحرب فيتنام من وجهة نظر تدين الفيتناميين فى معاملتهم القاسية للأسرى الأمريكيين .. وقد كاد ذلك الفيلم «صائد الغزلان» ان يتسبب فى انهيار مهرجان برلين السينمائى عام ٧٩ .. عندما تقدمت أمريكا للاشتراك به .. فتجمعت كل دول الكتلة الاشتراكية وأعلنت انسحابها من المهرجان .. وكان رد الفعل مفاجئاً مما وضع مهرجان برلين فى مأزق حرج ، لم تستطع الخروج منه .. وعرض فيلم «صائد الغزلان» وسط ضجة عنيفة !

وقد استفادت الشركة المنتجة من هذه الضجة .. واستفاد المخرج .. وهكذا دخل التجربة التالية ، فيلم «أبواب الجنة» ، باحساس المنتصر الذى يملى شروطه كما يريد .. واستسلمت الشركة المنتجة لكل طلباته .. حتى وقعت الكارثة .

سقط الفيلم سقوطاً بشعاً فى عرضه الأول بأمريكا .. وهاجمه النقاد بشدة .. واضطرت الشركة المنتجة الى سحب الفيلم من السوق على أمل أن يعيد المخرج النظر فى الفيلم ، وتكثيف

مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

احداثه ، وضغط مدته (فقد وصل طول الفيلم فى نسخته الأولى التى عرضت بأمريكا الى ما يزيد عن ثلاث ساعات) .

وبدأ المخرج «مايكل شيمنو» فى إعادة مونتاج الفيلم .. واستمر العمل من جديد لمدة ستة أشهر .. ولم تنقطع حملة النقد القاسية التى وجهت الى الفيلم .. وبدأت الشركة المنتجة تشعر بالانهيار المؤكد .. فاعلنت عن تصفية أعمالها وبيع أسهمها ..

وظهرت النسخة المعدلة من الفيلم ، بعد أن تم حذف حوالى الساعة من مدته .. واختير أن يكون مكان العرض الجديد فى ولايات جنوب أمريكا .. وكانت النتيجة .. نفس الفشل .. ونفس الهجوم القاسى من النقاد .. حتى أن مجلة تايم الأمريكية علقت بأن المخرج فى إعادة مونتاج الفيلم ، حذف كل المشاهد الجيدة والمثيرة !!

وكتب أشهر ناقد كندى معلقاً على الفيلم .. بانه حاول أن يكون حنوناً .. ولكن ما رآه على الشاشة .. كان مجرد «دخان بنادق» ولا شيء أكثر من هذا .. وتساءل فى مرارة : هل يستحق هذا الدخان أن يصرف عليه كل هذه الملايين ؟!

وفى آخر محاولة لانقاذ الفيلم .. تقرر اشتراكه فى مهرجان «كان» السينمائى كتأشيرة دخول الى منطقة أوربا .. وعلى أمل أن ينال حظاً أفضل من النقاد والجمهور الأوربى ..

وقد شاهدت الفيلم فى عرضه الوحيد الذى تم داخل إطار المسابقة الرسمية للمهرجان .. وسط مظاهر الاهتمام والترقب من الجميع لرؤية هذا الفيلم «المشكلة» !! .. ومع كل دقيقة من تتابع مشاهد الفيلم الذى يصل طوله الى ساعتين و ٣٥ دقيقة .. كنت أحاول أن أعثر على مبرر واحد يدعو لانفاق هذه الملايين فى هذا الفيلم ؟!

مشاهد جميلة بلا فائدة

إن أى فيلم .. أو آية وسيلة فنية .. لابد وأن تخدم فكرة واضحة يراد



المشاهد التى انفقوا عليها عدة ملايين

ايصالها للجمهور .. ومعنى كلمة «تخدم» أنها توظف كل الامكانات الفنية لتأكيد الفكرة دون بهرجة أو تخمة .. وأيضاً دون ضعف أو عجز ..

ولكن ما حدث فى فيلم «أبواب الجنة» .. اننا نفاجأ بمشاهد طويلة قدمت بأبرع وأمهر الفنيين .. وأنفق عليها عدة ملايين من الدولارات .. دون أن تضيف هذه المشاهد أية اضافة حقيقية لمضمون الفيلم .. إنه نوع من السفه ، الذى قد يجد له البعض تعبيراً مهذباً «كاستعراض المهارات الفنية» .. أو «ابهار المتفرجين» ! .. مع أن المفروض أن تستغل كل هذه المهارات ووسائل الابهار داخل نطاق الموضوع .

مثلا .. يفتتح الفيلم باحتفالات التخرج من جامعة «هارفارد» آلاف الكومبارس والنجوم .. رقص وموسيقى وغناء .. مشاهد باذخة التكاليف لاعادة إحياء زمن هذه الاحتفالات عام ١٨٧٠ .. بكل ما يستدعى العودة الى نهاية القرن التاسع عشر من ملابس وديكورات واكسسوارات .. مشاهد استغرق عرضها على الشاشة حوالى العشر دقائق .. وتكلفت ما يقرب من ثلاثة ملايين .. وفى النهاية لا تقول شيئاً أكثر من معلومة صغيرة مؤداها أن اثنين من هؤلاء الخريجين تقابلا من جديد وبعد أن وصل عمرها الى مشارف الأربعين .. ليواجها الموقف الرئيسى الذى قام من أجله الفيلم ! .

كيف يمكن تبرير هذه الافتتاحية المنفصلة عن الفيلم .. صحيح كانت مشاهد رائعة ، مليئة بالحيوية والجمال .. (تصوير المصور السينمائى العالمى فيلموس زيجموند) .. ولكن مع تتابع الأحداث الرئيسية للفيلم .. نشعر أن ما قد رأيناه فى البداية شيء منفصل .. قد يبقى فى الذاكرة كلوحة جميلة ولكن خارج الموضوع ! .

موضوع الفيلم

وموضوع الفيلم يتناول الحرب التى قامت فى مقاطعة جونسون عام ١٩٨٠ .. حينما قام أحد كبار الملاك بحملة لابادة المهاجرين والمتسللين الى هذه المقاطعة والذين جاءوا بحثاً عن وسيلة للحياة .. وخطة الابادة تبدأ باختيار ١٢٥ مهاجراً وإعدامهم بتهمة السرقة والانحراف وإثارة الشغب .. ويقف خريج جامعة «هارفاد» مع المهاجرين فى معركتهم ضد



المواقف العاطفية فى الفيلم



ايزابيل هوبير



الممثل أفريل



نات شمبيون



جورج إجلستون

اتحاد كبار الملاك والذى يتزعمه الخريج الآخر من جامعة هارفارد ..

أى أن الاثنين تخرجا من نفس الجامعة .. ودرسا نفس المواد .. ولهما بالطبع نفس الجذور الطبقية والتى سمحت لهما ـ على الأقل ـ بالالتحاق بهذه الجامعة .. فيقفان فى النهاية ضد بعضهما .. أحدهما يمثل مصالح الأغنياء .. والآخر يمثل مصالح الفقراء

وحتى هذه النقطة الأساسية التى قام عليها بناء الفيلم .. لم يحاول السيناريو أن يوضح لنا .. لماذا انحاز احدهما ضد طبقته .. ولماذا حارب مع الفقراء .. وماهى العوامل والمؤثرات التى شكلت تفكيره .. وحسمت موقفه ؟!

كل ما أوضحه الفيلم .. وأكد عليه فى مشاهد عديدة .. هو العلاقة بين هذا «المناضل» مع الفقراء ، و « غانية » من بينهم ، أحبها وارتبط بها .. وينتهى الفيلم بعد معارك طويلة وجثث كثيرة .. وهذا «المناضل» يحمل عشيقته «الغانية» وقد تحول جسدها الى جثة ملطخة بالدماء وممزقة بالرصاص ، يحملها ويبكي بكاء مرأ .. بينما كل ما حوله يفوح بالخراب والدمار !! .

ما الذى توحي به هذه النهاية ؟ .

من الصعب ، وغير المنطقي ، تحميل العلاقات أكثر مما تحتمل .. فكل الأفكار ضبابية !

وحتى هؤلاء المهاجرين الى هذه الارض .. والذي قيل في بعض جمل الحوار إنهم قادمون من أوربا الشرقية .. حتى هذا الوضع لا يمنح الفيلم شرف اعتباره فيلما ضد العنصرية ..وضد الأقليات ..

المهاجرون على أسطح القطارات فى فيلم «أبواب الجنة»





التزحلق على الجليد على إيقاع الموسيقى

مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

وهذه المرأة الغانية التي تدير بيتها للدعارة .. لا يمكن تحميلها شرف انها رمز المهاجرين ومعاناتهم .! .. فهي كما ظهرت في الفيلم ليست إلاجسد أجميلا .. ولاشيء غير هذا !

وهكذا يجد المشاهد نفسه في دوامة من التساؤلات .. ما هي الرسالة التى يريد الفيلم إبلاغها لنا ..؟

وعندما يصل المشاهد الى هذه النتيجة من الحيرة .. والتخبط .. فمعنى هذا أن الرسالة غير واضحة .. وأن البناء الذي قام عليه الفيلم لم يكن سليما .!

وقد قام بكتابة سيناريو الفيلم ، نفس المخرج «مايكل شيمنو» الذي أوضح لنا في المؤتمر الصحفي الذي عقد بعد انتهاء الفيلم مباشرة في مهرجان «كان» ..انه أخذ مادة الفيلم من واقعة حقيقية حدثت في التاريخ الأمريكي .. وانه التزم بكل ما ارتبط بهذه الفترة من اشخاص وملابس وديكورات وأدوات قتال .. من خلال أرشيف الصور الفوتغرافية في متحف تلك الولاية الامريكية التي وقعت فيها هذه المعركة بين المهاجرين والملاك!

مؤتمر صحفى أم جلسة تأبين ؟!

وقد كانت وقائع هذا المؤتمر الصحفي للمخرج وبعض ممثلي الفيلم وأحد مسئولى شركة الانتاج التي مولت الفيلم ..أشبه ما تكون بجلسات التأبين

حالة وفاة .. وبعض التبريرات .. وتقرير بالغ القسوة وبلهجة ادانة ، لا تخفيها عبارات المجاملة ، قدمه مسئول شركة الانتاج .. وهو يقول «لقد وضعنا كل الامكانات أمام المخرج .. ولم نبخل بشيء .. واعتقد انه يعترف امامكم بهذا .. وكان كل أملنا أن ينجح الفيلم في أمريكا .. حتى ترتفع قيمة أسهم الشركة قبل بيعها»

وتكلم المخرج بكلمات متقطعة ..محملة بالحزن والمرارة .. وبصوت خافت ، كانه يخرج من جسد أرهقه قسوة ردود الفعل .. قال مجيبا على سؤال «انه استمر يعمل في اعادة مونتاج الفيلم لمدة ستة أشهر .. ولم يستطع خلالها ان يقرأ كل ما كتب عن الفيلم .. فقد كان من المستحيل ان يعيد صياغة الفيلم وان يقرأ ما كتب عنه في نفس الوقت » !



المخرج مايكل شيمنو

هزة فى صناعة السينما الأمريكية

إنها تجربة قاسية بالفعل..

أشبه ما تكون بالمذبحة .. ولا أخفي مشاعري .. فقد أشفقت على هذا المخرج الشاب ، وأنا أراه أمامي يتمزق في مواجهة مئات من الصحفيين والنقاد من جميع انحاء العالم ..وكأنه يتسول كلمة طيبة يحاول بها انقاذ الفيلم أثناء عرضه في دول أوربا .

ولكن ما يهمنا في هذه التجربة ــ بغض النظر عن العواطف ــ هو الاجابة على سؤال : هل تستطيع ملايين الدولارات وحدها أن تصنع فيلما جيداً ؟

إن هذا السؤال مطروح الآن فى شركات الانتاج السينمائي بأمريكا .. فقد أيقظ تفكيرهم ، حادث سقوط هذا الفيلم ، وجعلهم يعيدون خططهم ومشروعاتهم ..

وتوالت الانباء عن التفكير الجديد الذي بدأ يسود شركات الانتاج .. بالغاء مشاريع الافلام ذات الميزانيات الضخمة .. وتفتيت الاموال في عدة افلام .. حتى يمكن تجنب أو احتمال الخسائر !

ومن المصادفات الغريبة .. أن يعرض مهرجان «كان» في أحد الايام التالية بعد عرض فيلم «أبواب الجنة» .. برنامجا خاصا للاحتفال بالمخرج الفرنسى «لوي بونويل» وفي هذا البرنامج ، تم عرض فيلم يتضمن آخر لقاء أجراه «لوي بونويل» أثناء اقامته في المكسيك .. كان اللقاء حول بدايته الفنية واسلوبه السينمائي .. وأفكاره .. ومن ضمن ما قاله ..انه عندما التقى بصديقه المخرج الامريكي الراحل «نيكولاس واى» سأله بونويل عن الميزانيات الضخمة في الأفلام الامريكية .. ولماذا لا يقدمون أفلاما بميزانيات قليلة .. وضرب مثلا بعدد من الأفلام أنتجت بميزانية لا تتجاوز ٢٠٠ الف دولار .. أجاب «نيكولاس» : إنه كلما زادت ميزانية الفيلم ، كلما زادت قيمة المخرج .. ولهذا ظهرت الافلام التي تتكلف الملايين .. وعلق المخرج الفرنسى الشهير « بونويل» على هذا الوضع بقوله : «انها كارثة حقيقية» !

فعلا .. إنها كارثة .. فالفن الحقيقي لا تصنعه كمية النقود .

وشكرا لفيلم «ابواب الجنة» فقد أنهى أسطورة الأفلام ذات الميزانيات الضخمة .. وأنهى بالتالي السباق المجنون الذي أفسد صناعة السينما !

رءوف توفيق

الناس والحياة

● محنة الانسان وعظمته أنه خلق ناقصاً .
ليس الانسان إلا «مشروعاً» .. مجرد صورة تدور حول ذاتها وتبحث دوماً عن معناها .. صورة مفتوحة على الغيب من جميع نواحيها .
أما الحيوان فكائن سوى تام قد بلغ بدءاً غايته ومنتهاه .

● الأخلاق نتاج المجتمع . اجل ! ولكن لامعنى لها اذا هى لم تتجاوزه تسامياً به أو تحدياً له .

● قد ينسى الانسان أحب الناس إليه ولكنه لن يسلو أبداً موطنه إذا اغترب عنه ، لأن الوطن هو المبدأ والغاية .. هو القبلة والمنطلق .
هو الذات الكبرى منها يستمد لب كيانه وجوهر حقيقته .

● إذا انفصل الحق عن الجمال اصبحت الحياة قشراً لايغنى من جوع .. مسرحاً بهرجاً تغدو عليه الاشباح وتروح بئس البديل الأدب الذى يذهلنا ويسلينا بالهذر البيزنطى ، والغزل ، والمجون ، عن حياة يزدرى فيها الانسان فيطعن فى الصميم من حرمته وحريته ، ويضطر الى أحد اثنين .. إما الفناء أو العيش فى البؤس والهوان .

● فى الانسان الواحد الفرد من طاقة الرغبة والشوق والأمل ما يستطيع به أن يعمر الأرض كلها ويغزو الكون كله لولا خذلان المكان والزمان له .

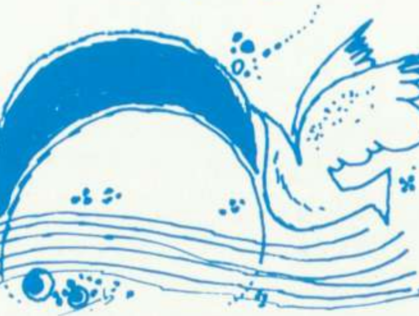
● كيف تطمئن منك النفس ويرتاح الضمير ، ولايزال بوجه أرضك سيماء الفقر والجوع ، والآف العيون من أخوانك هنا وهناك تنعى عليك اليسر والرفاة .!؟
إن لم تحمل في قلبك الوطن كله ، على ثقله وأساه ، فعبثاً تتغنى بالمحبة ، وتدعى الوفاء والاخلاص .

● أنظر الى الحياة فى شغف ولا مبالاة .. فى سخرية وحنين .. فاذا هى طوع يدك ، تدر باطايبها عليك . وكذا بعض الزهد غنم .

● الوحدة ـ إن كانت عن سلامة ـ مقياس ثراء الشخصية .
فالكيس اللبيب لاينى يستمد من ذاته قوتاً لذاته ومسرة .

«البشير المجذوب»

الارادة والقدرة



● لا يتحدد مكان الانسان فى الحياة بما يعرفه هذا الانسان . بل بما يريده ، وبما يقدر عليه .

«جوستاف لوبون»

أخطاؤنا نحن

● فى لحظات معينة يكون الناس هم الذين يقررون مصائرهم . لذا إذا كانت أوضاعنا متدنية ، فليس الخطأ خطأ النجوم والأبراج .. إنه خطانا نحن .

«شكسبير»

الكاتب .. والقلم



● أنا لم أفقد شجاعتى . إن الحياة فى كل مكان .. فى داخلنا .. وليست فى العالم الخارجى . فالشمس ترى دائماً .
هل من الممكن ألا أمسك بالقلم بعد الآن أبداً ؟ نعم .. إن لم اكتب سأهلك . إننى أفضل خمسة عشر عاماً من السجن ، شريطة أن يكون القلم فى يدى .

«دوستويفسكى»

أن تكون أنت

● أن تكون نفسك الحقة فى فعلك .. مثلما تكون الأم فى طفلها : هذا هو مبدأ فضيلتك .

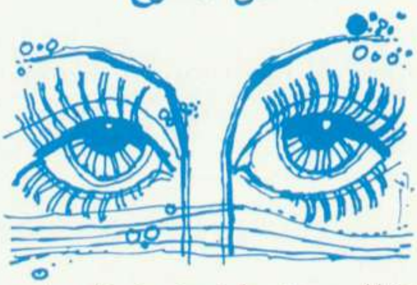
«نيتشة»

الحرب دائماً

● نهار وليل . شتاء وصيف ، حرب وسلام . شبع وجوع . وتعم الحرب ، وينشب الصراع بين جميع الأشياء . وينشأ كل ما فى الوجود بمقتضى الصراع والتنازع . فالحرب هى أم الأشياء وملكتها جميعاً . تجعل البعض أساطير وأبطالا . وتجعل البعض الآخر بشراً . وتحيل البعض عبيداً . كما تجعل غيرهم أحراراً .

«هيراقليطس»

عن المسرح



● المسرح مدرسة دموع وضحك ومنبر حر يستطيع الناس فيه أن يفضحوا الأخلاق البالية أو ذات الوجهين ، وأن يقدموا بالأمثلة الحية نماذج خالدة للقلب الانسانى والشعور الانسانى .

● المسرح واحدة من أقوى الأدوات وأكثرها نفعاً فى تربية الأمة . وهو البارومتر الذى يدل على عظمتها أو انحطاطها . إن مسرحاً حساساً موجهاً توجيهاً حسناً فى أقسامه كلها من التراجيديا الى الفوبفيل ، يستطيع أن يغير وعى الشعب فى بضع سنوات . مثلما يستطيع مسرح مزعزع تحل الحوافر فيه محل الأجنحة أن يحط ويخدر أمة بأسرها .

● أيها الأصدقاء : إننى أسمع كل يوم نقاشاً عن أزمة المسرح . وإننى لأفكر دائماً بأن المشكلة إنما هى مرض مستعص . فمادام الممثلون والمؤلفون فى أيدى مؤسسات تجارية بحتة ، لا حدود لها ولا قيود . ولا تخضع لأية رقابة أدبية وفنية . مؤسسات تجهل أى معيار وليس فيها ضمان من أى نوع . فان الممثلين والمؤلفين والمسرح كله سوف ينحدرون يوماً إثر يوم دون أى أمل فى الخلاص .

«جارسيا لوركا»
مدريد عام ١٩٣٥

د . حسن عيسى عبد الظاهر



خريطتان فى الأولى موقع نهر النيجر .. وفى الأخرى نرى البلاد التى يمر بها النهر

نهر النيجر
شريان حضارة الإنسان بين الصحراء والغابة !

للأنهار أثرها البشرى والحضارى فى توجيه الشعوب وتوحيدها وحركاتها وحضارتها . أما فى النهر كله ، أو فى الجزء الأعظم من مجراه ، فاننا نجد ذلك واضحاً عند ثنية « النيجر » أو منحناه الكبير . إذ قامت على شواطئه الوسطى أمم ودول وممالك ومدن اسلامية ، أضاء منها نور الاسلام على ظلام القارة الأفريقية .

هذه صفحة من قصة الحضارة فى غرب افريقيا ، ترتكز على نهر ومدينة ..

أما النهر فهو (نهر النيجر) ، وللأنهار كلها أو جزؤها قصتها الحضارية ، وأثرها القوى فى الانسان ، وتوحيد قوى الشعب وتوجيهها فى حركتها ، وحياتها ، قديماً وحديثاً يحكى قصة الماضى ويوضح حقيقة الواقع فى أكثر من دولة تشغل التاريخ الحديث وترسم خطوط المستقبل .

وأما المدينة : فهى مدينة (تنبكتو) بين الصحراء والغابة على رأس نهر النيجر عند ثنيته الكبرى ؛ (ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء العابدين ، ومألف الأولياء والزاهدين ، وملتقى الفلك والسيار) أقامها الاسلام منارة فكانت ملتقى حضارى وثقافى واقتصادى هناك ..

من الرحلات الاسلامية

وعبر ثلاثة قرون من الزمان (الثامن والتاسع والعاشر) هـ — (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر) م عاش كل من النهر والمدينة تحت ظل نفوذ اسلامى مثلته سلسلة من الدول والممالك الاسلامية أبرزها (مملكة مالى الاسلامية ..

ومع صحبة رحالتين افريقيين مسلمين من رواد الرحالين العالميين مبكراً وهما :

● الرحالة : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى البربرى المعروف بابن بطوطة الذى طاف بمعظم أرجاء العالم الاسلامى — ومنها حوض منحنى النيجر — ودون رحلاته تلك التى استغرقت ما يقرب من عشرين عاماً فى كتابه المسمى (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ..

● والرحالة الثانى هو : الحسن بن محمد الوزان الذى ولد فى أسرة عربية فى مدينة (غرناطة) حوالى سنة

١٤٩٤ م ، ونشأ وتربى فى (فاس) ، ثم وقع أسيراً فى أيدى القراصنة الأوربيين سنة ١٥١٨ م وقدم هدية للبابا (ليو العاشر) الذى لمح فيه المقدرة والكفاءة فضمه للمجلس البابوى ، ثم قام برحلات واسعة فى افريقية ، وعاش الحسن بقية عمره فى (تونس) أحسن ما يكون اسلاماً ..

رحلة ابن بطوطة

ومن خلال رؤية هذين الرحالتين سوف نطل على بعض جوانب فى تلك الحقبة على ضفاف النيجر ومدينة (تنبكتو) ..

أما (ابن بطوطة) فقد بدأ رحلة شاقة الى بلاد السودان الغربى وحتى منحنى نهر النيجر وما بعده ..

بدأها فى غرة المحرم سنة ٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م من (سجلماسة) أول عمالة السودان الغربى فى مرحلة أولى استغرقت خمسة وعشرين يوماً حتى (تغازى) ، ودون لنا من عجائب (تغازى) كيف أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة وسقفها من جلود الجمال ... وبالملح يتصارف كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ، ويتبايعون به ، وقد أقام بها عشرة أيام فى جهد .... ثم وصل الى (تاسر هلا) وهى إحساء ماء تنزل القوافل عليها ويقيمون ثلاثة أيام ... ومن هناك يبعث (لتكشيف) - أى كشاف للطريق والقوافل.

وصل الى مدينة (إيوالاتن) فى غرة شهر ربيع الأول - أى بعد شهرين كاملين من خروجه من سجلماسة - وأقام بها خمسين يوماً نادماً على قدومه اليها ناعياً عليهم لسوء أدبهم ، واحتقارهم للأبيض كما يقول ؛ ويذكر أنها شديدة الحر ... وثياب أهلها حسان مصرية ، وشأن هؤلاء القوم عجيب ، وأمرهم غريب ، ولا ينتسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب الى خاله ..

ولما عزم على السفر الى (مالى) - وبينها وبين إيوالاتن مسيرة أربعة وعشرين يوماً - اكترى دليلا وقطع المسافة عبر طريق كثيرة الأشجار وأشجارها ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة الواحدة منها ، وبعضها قد أستأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذى فيها ، ...

والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ، ولا إداماً ، ولا ديناراً ، ولا درهماً ، وإنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج ..

صورة من الواقع

وبعد أن سار ابن بطوطة عشرة أيام من (إيوالاتن) وصل الى قرية (زاغرى) وهى قرية كبيرة يسكنها تجار السودان الغربى ويسمون (ونجراته) ، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب (الاباضية) من الخوارج ويسمون (صغنغو) ؛ والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم (تورى) ،،..... ثم سار من (زاغرى) .... (فوصلنا الى النهر الأعظم) وهو النيل وعليه بلدة (كارسخو) ... والنيل ينحدر منها الى (كابرة) ثم الى (زاغة) ، ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك (مالى) ؛ وأهل (زاغة) قدماء فى الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ؛....

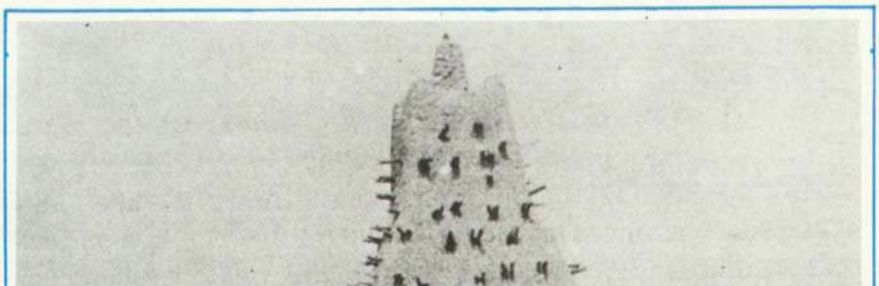
ثم ينحدر (النيل) من (زاغة) الى (تنبكتو) ، ثم الى (كوكو) ثم الى بلدة (مولى) من بلاد الليميين وهى آخر عمالة (مالى) ، ثم الى (يوفى) وهى من أكبر بلاد السودان - الغربى - وسلطانها من أعظم سلاطينهم ،ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول اليها .

ثم ينحدر (النيل) الى بلاد النوبة .. ثم الى (دنقلة) وسلطانها يدعى بابن كنز الدين أسلم على أيام الملك الناصر .. ثم ينحدر الى جنادل وهى آخر عمالة السودان ، وأول عمالة (أسوان) من صعيد مصر ، !!!! كذا ...

ورأيت التمساح بهذا الموضع من النيل (اى عند كارسخو) بالقرب من الساحل كأنه قارب صغير ، ولقد نزلت يوماً الى النيل لقضاء حاجة فاذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بينى وبين النهر تعجبت من سوء أدبه ، وقلة حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس ، فقال : إنما فعل ذلك خوفاً عليك من التمساح فحال بينك وبينه ؛ ... ثم سرنا من (كارسخو) . فوصلنا الى نهر (صنصرة) وهو على نحو عشرة أميال من (مالى) . وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا باذن ... فلما وصلت الى النهر المذكور جزت فى (المعدية) ، ولم يمنعنى أحد ، فوصلت الى مدينة (مالى) حضرة ملك السودان - الغربى - ...

وكان دخولى اليها فى الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ٧٥٣ هـ ، وخروجى عنها فى الثانى والعشرين من المحرم سنة ٧٥٤ هـ ...

وقصدنا طريق (ميمة) فوصلنا الى



صورة لجامع سانكورى فى تمبكتو فى القرن الخامس عشر .

نهـر النيجـر
شريان حضارة الإنسـان بين الصحـراء والغابـة

خليج كبير يخرج من (النيل) لا يجاز إلا فى المراكب ، وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر احد به إلا بالليل ؛ ووصلنا الخليج ثلث الليل ، والليل مقمر ؛ ولما وصلناه رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة فعجبت منها ، وظننتها فيلة لكثرتها هنالك ، ثم إنى رأيتها دخلت فى النهر فقلت لرفيقى (أبى بكر بن يعقوب) ما هذه الدواب ؟ فقال : هى خيل البحر خرجت ترعى فى البر وهى أغلظ من الخيل ولها أعراف وأذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل وأرجلها كأرجل الفيلة ، ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا (النيل) من (تنبكتو) الى (كوكو) وهى تعوم فى الماء ، وترفع رأسها ، وتنفخ ، وخاف منها أهل المركب فقربوا من البر لئلا تغرقهم ، ولهم حيلة فى صيدها حسنة وذلك أن لهم رماحاً مثقوبة قد جعل فى ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس بها فان صادفت الضربة رجله أو عنقه أنفذته وجنبوه بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه ، ويأكلون لحمه ، ومن عظامها بالساحل كثير ..

وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى : (فربا مغا) وهو ممن حج مع السلطان (منسى موسى) ... ويحكى (فربا مغا) أنه لما وصل السلطان الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يعرف بالدكالى ـ وحدث منه ما دعا السلطان الى أن نفاه الى بلاد الكفار الذين يأكلون لحم بنى آدم فاقام عندهم أربع سنين ، ثم رده الى بلده ، وإنما لم يأكله الكفار لبياضته لأنهم يقولون إن أكل البيض مضر لأنه لم ينضج ، والأسود هو النضيج ..

ثم رحل ابن بطوطة من هذه القرية التى عند الخليج فوصل الى بلدة (قرى منسى) ... ثم سافر منها الى مدينة (تنبكتو) وبينها وبين النيـل أربعة أميال ...

(ومن تنبكتو) ركبت النيل فى مركب صغير منحوت من خشبة واحدة ، وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشترى ما نحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح.

ثم سرت الى مدينة (كوكو) وهى موينة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها .. ثم سافرت منها برسم (تكدا) فى البر مع قافلة كبيرة ... ثم وصلنا الى بلاد (بردامة) وهى قبيلة من البربر ...

الزحام فى المساجد

ولم يفت ابن بطوطة أن يسجل كثيراً من ملاحظاته ومشاهداته عن المجتمع هناك عند ثنية النيجر ... فيقول عن الشعراء هناك :

(وإذا كان يوم عيد جاء الشعراء ـ حيث تقام الاحتفالات أمام السلطان ـ ويسمون الجلا واحدهم (جالى) وقد دخل كل واحد منهم فى جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق ، وجعل لها رأس من الخشب لها منقار أحمر كأنه الشقشاق ويقفون بين يدى السلطان بتلك الهيئة المضحكة فينشدون أشعارهم ، وذكر لي أن شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان إن هذا البنبى الذى عليه جلس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن أفعاله كذا ، وفلان وكان من أفعاله كذا ، فافعل أنت من الخير ما يذكر بعدك ، ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبى ، ويضع رأسه فى حجر السلطان ثم يصعد الى أعلى البنبى فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ثم على كتفه الأيسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل ، وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديماً عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه) ....

ومن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم (الحاج) لا يسامح أحداً فى شىء منه ....

ومنها : شمول الأمن فى بلادهم ـ الاسلامية ـ فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ، ولا غاصب ...

ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة وإنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه ...

ومنها مواظبتهم على الصلوات والتزامهم لها فى الجماعات ... وضربهم أولادهم على تركها ..

وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلى لكثرة الزحام ... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة .. ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ...

ومنها : عنايتهم بحفظ القرآن العظيم ويجعلون لأولادهم القيود فى أقدامهم إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ...

● اعتقد ابن بطوطة أنه نهر النيل ولكن "مانجو بارك" أثبت أنه نهر النيجر



الحصاد على شاطىء النهر فى نيجيريا



الموسيقى والألحان على طول النهر

النهر العظيم

وهكذا كان (ابن بطوطة) أول رحالة جاب الصحراء الافريقية الكبرى ووصف مشاهداته فيها ، وزار (مملكة مالى) على نهر النيجر والتى خلفت (مملكة غانة) والتى امتدت حدودها عليه حتى مدينة (جاؤ) .

أما النهر الذى تحدث عنه ابن بطوطة فهو (نهر النيجر) وقد حسبه أنه (نهر النيل) وقد ظل كل الرحالة من بعده يعتقدون ذلك حتى أثبت (مانجو بارك) سنة ١٧٩٥ م أن لاصلة بين نهر النيجر ، ونهر النيل ...

وحديثه عن الخيل التى تكون فى (النيل) – يعنى النيجر – إنما يعنى بها (أفراس النهر) .. وركوبه هذا النهر فى بعض انتقالاته يعطينا فكرة عن النقل النهرى آنذاك ، كما وصف المراكب التى كانت مستعملة آنذاك .. تلك صفحة الماضى أما حاضره فيشغل واقع أكثر من خمس دول افريقية منها سيراليون وغينيا ومالى والنيجر ونيجيريا . تصنع الآن حضارة الانسان فى غرب افريقية أما ما هى حقيقة هذا النهر وحقيقة معالمه على ضوء ما تم اكتشافه منه بعد ذاك فذاك يستدعى رحلة جادة نتابعه فيها من منابعه الى مصبه فى غرب افريقية من بين جبال متناثرة الى رمال وصحارى مترامية الى مستنقعات آسنة الى محيط كان يسمى يوماً ما (بحر الظلمات) ..

يبدأ نهر النيجر رحلته من منابعه من هضبة (فوتا جالون) ؛ وهذه المنطقة تمتد من جهات غينيا الداخلية فى الشمال عبر سيرالون وليبيريا الى قرب حدود ساحل العاج الساحلية . وهى منطقة مدارية جوها حار مشبع بالرطوبة ، ونباتاتها أكثر غزارة وضخامة ، وحيواناتها مدارية كذلك ...

ومن هذه الهضبة ينبع نهر السنغال رابع أنهار افريقية الكبرى و (نهر النيجر) يتجه الى الشمال ثم الى الشرق ، ثم الى الجنوب محفوفاً بروافد فى أكثر من جهة طوال رحلة طويلة تبلغ (٢٦٠٠) ميل .

ونهر النيجر من أوضح معالم غربى افريقية ، وثالث أنهار القارة بعد نهر النيل ، ونهر الكونغو ،

وقد عرف قديماً وحديثاً ، وفى المراجع العربية والافريقية والافرنجية التاريخية منها والجغرافية بأكثر من اسم ..

ففى المراجع العربية عرف باسم (النيل) كما ذكره ابن بطوطة وغيره ..

وعرف بنيل السود .

وله اسماء محلية أكثرها شيوعاً اسم (جوليبا) بلغة الماندنجو ، ومعناها (النهر العظيم) ..

ويسميه الطوارق (نجير نجيرو) أى نهر الأنهار ..

رحلة النهر

والجغرافيون وهم يقسمون مجرى النهر الواحد الى ثلاثة أقسام أعلى وأوسط وأدنى يجعلون لكل منها خصائصه ...

ويمكن ملاحظة ذلك ومتابعته فى (نهر النيجر) من منابعه الى مصبه على الصورة التالية :

١ – نهر النيجر الأعلى : وينبع متدفقاً من مرتفعات (فوتا جالون) على حدود سيراليون وغينيا من منطقة تبعد حوالى (١٥٠) ميل عن المحيط الأطلسى . ويسير من الجنوب الغربى حتى الشمال الشرقى على مقربة من الموقع الحالى لمدينة (تنبكتو) على المنحنى الكبير (ثنية النيجر) ..

٢ – نهر النيجر الأوسط : – ويعرف محلياً باسم (كوارا) ..

وهو امتداد للنيجر الأعلى من عند أقصى امتداده شمالا عند تنبكتو حيث يأخذ فى انحناء كبير نحو الشرق تماماً حتى (جاؤ) ، وهناك تحده الصحراء الكبرى من الشمال ، وأحيانـاً من الجانبين !!.

ثم عند (توسايى) ينحنى نحو الجنوب الشرقى داخلا فى بلاد الهوسا ، وفيها وعند انتهاء المنطقة الصحراوية يتصل به أول رافد له وهو نهر صكتو ثم نهر زاكفارا ، ثم نهر كادونا ...

٣ – نهر النيجر الأدنى : – ويبدأ عندما ينحرف (النهر) الى الجنوب حيث يلتقى بأهم رافد له وهو نهر (بينوى) القادم من الشرق من شمال (الكمرون) ،

هذا وكما ذكرنا أن للأنهار أثرها البشرى والحضارى القوى فى توجيه الشعوب وتوحيدها وحركاتها وحضارتها أما فى النهر كله أو فى الجزء الأعظم من مجراه فاننا نجد ذلك واضحاً عند (ثنية النيجر) المنحنى الكبير إذ قامت على شواطئه الوسطى منذ أزمنة أمم ودول وممالك ومدن اسلامية أضاء منها نور الاسلام على ظلام القارة

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

نَصّ المحاضرة التي ألقاها الشاعر البحريني الكبير
الأستاذ إبراهيم العريّض في جامعة قطر الشهر الماضي

لماذا هذه الصعوبة في فهم الشعر الحديث؟

موضوع محاضرتى اليوم هو الشعر الحديث ، لماذا هذه الصعوبة فى فهمه ؟ وبمجرد أن نجعل العنوان للمحاضرة بهذه الصيغة تظهر أمامنا قضايا يثيرها العنوان ، ولذلك قبل أن أبدأ فى المحاضرة أعرض عليكم هذه الفرضيات التى سأتناولها وسأبنى عليها النتائج .

ما الفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث ؟ لقد لاحظت أن الذين يولعون بالشعر القديم بمجرد أن يسمعوا اسم الشعر الحديث يقولون : لا .

الفرضية الثانية هى دلالة الشعر عندما ينشد انشاداً ، وعندما يقرأ قراءة ، وعندما يقرأ صمتاً ، فهل هذه الأساليب فى إلقاء الشعر وفهمه خاصة بالعرب كامة أم هى عامة بالنسبة الى الأمم الأخرى ؟

وعندما يلتقى الشاعر بالجمهور .. هل لخلفية الشاعر أثر إزاء خلفية المستمع ؟ .
الفرق بين لغة النثر ولغة الشعر .. إختلاف عبقرية كل لغة فى التعبير ؟

آداب ما قبل الحرب الثانية

الى الحرب العالمية الثانية كانت الأمم مستقلة كل منها بتراثها : فالعربى له تراثه ، والصينى له تراثه ، والیابانی له تراثه ، وكل منهم مكتف بهذا التراث يتذوقه على أصوله ، ولأن عبقرية اللغات تختلف ، فقد اكتسب التراث فى كل لغة من عبقرية تلك اللغة ، ما يقتضيه من المحسنات التى تجعل التعبير أدبياً فنياً ، فالعربى لكون لغته غنية بالأوزان « اسم فاعل ، اسم مفعول ، الفعل الرباعى ، والثلاثى » ، فالشاعر إذا كتب قصيدة وأدخل فيها من القافية أكثر من مائة بيت ، فأنا لا أعتقد أن له فضلا فى هذا لأن اللغة هى التى تمده بهذه القوافى بينما فى اللغة الصينية ، لأنها تكتب بالصور ، واللغات الصينية شمالا أو جنوباً أو شرقاً أو غرباً تختلف عن بعضها ، فالذى يقرأ هذه الصور يقرؤها كما يتكلم فى لغته ، فالصينيان الشمالى والجنوبي عندما يقرآن العبارة وإن كانت بتلك الصور ، كل يستعمل الكلمة الخاصة بلغته ولذلك لا يجوز عند الصينى أن يعول على قافية لأن ما يصح أن يكون قافية عند متكلم ، لا يمكن أن يكون كذلك عند المتكلم الآخر . فى اللغة الانجليزية مثلا لو أراد الشاعر أن يتزود بالقافية فاستكثر منها من اثنين الى ثلاثة الى أربعة ، أصبح متكلفاً لأنه يأتى الى كلمة ويقحمها لتأدية معنى معين ، ويجد أن هذا المعنى لا يتأتى بصورة فنية باستعمال تلك القافية . من هنا كل أبناء اللغات اتخذوا معنى للغاتهم من عبقريات وأدخلوا التحسينات فى اللغة .

الانفتاح على العالم

هذا ما كان عليه الحال الى الحرب العالمية الثانية . جاءت الحرب هذه فجمعت الناس فى مأساة واحدة ، وأصبح الذى فى الشرق الأوسط يشعر بالمأساة فى الغرب أو الشرق الأقصى ، ووجد الناس أن الشعر الذى يكتب باللغات المختلفة يترجم فى المجلات ، وبمجرد أن يترجم نأتى الى هذه الترجمة فنحس أثناء فهمنا من تراث تلك اللغة أشياء كثيرة كنا نجهلها ، وبغض النظر عما يعتبره التراث من حسنات اللغة بالرغم من كل ذلك فان المأساة التى تجلت فيما ينظمه الشعراء فى ظروفهم أصبحت عامة بالنسبة للبشرية ، وإذا كان الشاب - إن كان الفيتنامى ، أو الصينى ، أو الانجليزى ، أو الفرنسى ، قد استطاع أن يوصل صوته إلينا ، فما الذى يمنع من أن يوصل أيضاً صوتنا اليهم ؟ والوسيلة الوحيدة الآن لايصال هذا الصوت .. لايصال ما يعانيه الشاعر فى أية لغة من اللغات هى : الترجمة ، ولأن الشعر الذى وصلنا وفهمناه فى صحفنا ومجلاتنا من تلك المواد مترجماً ، فقد قررنا أيضاً - سواء وعياً أو بدون وعى - أن نتخذ أسلوباً فى الشعر يمكن بالترجمة أن يصل الى أسماع من هم من غير العرب .

ضرورة الترجمة

هذه الحقيقة أدركتها أنا عندما دعينا الى مؤتمر الأدباء العرب فى القاهرة فى عام ١٩٥٦ ، فألقيت محاضرة استشهدت بالشعر الذى آنذاك كان قد عرض فى الصحف . وقد تعجبون ان الذى استشهدت به قد مضى عليه أكثر من ربع قرن . وكان صديقى «نزار قبانى» قد كتب فى ذلك الوقت قصيدة عنوانها «من شاعر سورى الى مواطن أمريكى» ، فهل يتخيل أحدكم أن هذا الشاعر عندما كتب هذه القصيدة ، كان يريدها مقصورة على الا



ابراهيم العريض

يفهمها غير العرب بمحسناتها وبديعها وبيانها ؟ العنوان يدل على أنه يريد أن تصل هذه الكلمة التى كتبها بلسان العرب الى أسماع الأمريكى ، وكيف تصل ؟ لو كانت منظومة على الطريقة الكلاسيكية لعجز المترجمون عن ترجمتها ، واستنكف الأمريكى أن يلقى نظرة عليها . كانت القصيدة – والآن سأتلوها عليكم – قد قسمت الى مقطوعات . المقطوعة الأولى يصف فيها بلاده . المقطوعة الثانية يبين سبب كتابته هذه القصيدة الى هذا المواطن الأمريكى . المقطوعة الثالثة يوجه النداء أو الخطاب الى صاحب الأسطول السادس . وفى الفقرة الرابعة يبين الموفود الذى جاء وماذا يريد ، ثم يختم القصيدة . هى ليست قصيدة كلاسيكية ، ولا ننتظر منها ما ننتظر من شعر «المتنبـــى» و «أبي تمام» ، و «البحترى» .

يقول نزار :

من بلد فى الشرق الأوسط أسكنه يدعى سورية .
يتسلق خارطة الدنيا .
كالنحلة فى العش الأخضر .
كرسالة حب مطوية .
من وطنى مخزن نجمات .
يتزحلق فوق الأبعاد .
حلوا كنشيد الانشاد .
كهدايا عيد الميلاد .
من أرض تحت حجارتها .
ولدت كلمات التوراة .
ولدت أفكارى ونواتى .
آتيك اليوم وفوق يدى عصفور وكتاب صلاة .
وبصدرى بعض الكلمات .
من هذى الأرض أناديك .
وأنادى فيك الانسان .
فأنا لا أكره إنساناً .
لكن رئيسك يحسبنى .
هندياً من أوكلاهاما .
مازال يحاول تصويرى للدنيا باللون الأحمر .
إنى عربى لا أكثر ! .
يكره فلسفة الألوان .
يا رب الأسطول الأسود .
دعنى يا رب الرادار .
دعنى لحقولى ولدارى .
لأربى فى السلم صغارى .
من تستعمل فى غزوى .
أسلوب الأزمنة الوسطى .
أسلوب رعاة الأبقار .
بالأمس أتانا موفود .
برداء فقير هندى .

يخفى فى جعبته حية .
يخفى مدية .
بالأمس أتى هذا الخائب .
ليزور تقريراً كاذب .
يا من أوفد إنى لا أؤمن .
لا أؤمن أبداً .
بعطاء المستورد .
فى هذه الأرض أنا السيد .
لن تأخذ شبراً من أرضى .
لن تأخذ شبراً من بيتى .
فالزيت لأصحاب الزيت .
يا من أوفد .
ما عاد الشرق كما تقرأ .
رقصاً وحريماً ونهوداً .
تبغاً وبساطاً ممدوداً .
أنا لن أخدع
لن أخدع بمبادىء عالمنا الحر .
لا تقلق للشرق الأوسط .
فالشرق الأوسط فى خير .
لو ظلك من صدرى يرفع .

قرأتها عليكم طويلة حتى أعطيكم نكهة ما يقصده الشعراء عندما يقولون هذا الشعر الحديث الذى لاتجدون فيه القوافى ولا تجدون فيه أوزاناً كما وضح . وإذا عرف السبب بطل العجب .

مثال آخر

كنت أحضرت مثالاً آخر لشاعرة عربية ذهبت الى انجلترا أو سكنت فى انجلترا ، وركبت فى القطار ، وصادف أنها أصبحت وحدها فى القطار .. جلس بقربها انجليزى يسافر معها فى القطار . وعندما يجتمع

نزار قباني



المتنبى



أبو تمام العباسى





ابراهيم العريض

لماذا هذه الصعوبة في فهم الشعر الحديث؟

الاثنان ويطول بهما السفر، يلتفت أحدهما للثانى حتى يفتح مجال الحوار .

كانت هذه الشاعرة العربية هى فدوى طوقان الأردنية الفلسطينية . فلما صورت هذه التجربة فى قصيدة ، هل عبرت عنها بالأسلوب الكلاسيكى؟ إنها لو فعلت لكانت قصرت كثيراً فى الوصول الى ما تريد التعبير عنه .

قالت فدوى فى قصيدتها تلك :

طقس كئيب .
طقس كئيب . وسماؤنا أبداً ضبابية .
من أين ؟ .. أسبانية ؟
كلا ! .. أنا من الأردن .
عفواً – من الأردن ؟ .. لا أفهم .
أنا من روابى القدس .
وطنى السنا والشمس .
(هى قالت .. وهو فهم ، ولكن ماذا فهم ؟)
يا .. يا .. عرفت .. إذن يهودية !
يا طعنة أهوت على كبدى .
صماء وحشية .
انى من القوم الذين
من الجذور مبعثرين .
ها هنا ، وها هنا
لا ينتمون الى وطن .
حقيقة فيها نغالط النفوس .
ندعى أنا كباقى الآخرين .
قوم لنا وطن .
هيهات ! كيف تعلم .
هنا الضباب والدخان فى بلادكم .
يلفلف الأشياء .
يطمس الضياء .
فلا ترى العيون غير ما يراد للعيون أن تراه .

هل كان ممكناً لشاعرتنا أن تؤدى هذا المعنى لو أرادت أن تنظمه بالأسلوب الكلاسيكى ؟

رسالة صغيرة

وهنا رسالة صغيرة أرجو أن أستشهد بها من شاعر فى الأراضى المحتلة .

أخوه فى بيروت وهو فى الأرض المحتلة كتب له رسالة . وهو يريد لهذه الرسالة أن تفهم من قبل الدول ، من قبل الشعوب والأمم جميعاً لا من قبل العرب وحدهم ، لأن العرب كانوا ينظمون الشعر فى فلسطين ، ومضى عليهم أكثر من نصف قرن وهم قد بدأوا بما نظموه ولم ينتهوا منه . الرسالة . هذه المرة هى رسالة :

أخى الغالى :
اليك هناك فى بيـروت .
«العجيب أنها كتبت قبل ربع قرن ، وأنا عندما أقرؤها أحس أنها كتبت أمس» .
اليك هناك حيث تموت .
كزنبقة بلا جذور
كنهر ضيع المنبع
كأغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عصف
اليك هناك حيث تموت
كالشمس الخريفية .
اليك هناك ، يا جرحى
ويا عارى وساكباً ماء الوجه فى نارى
اليك .. اليك من قلبى المكاظم
جائعاً عارى
تحياتى وأشواقى ولعنة بيتك الباقى .

أنا لا أعتقد أن إنساناً فى الخليج يقرأ هذه القصيدة دون أن يحس بالمرارة التى يحسها الفلسطينى سواء كان فى بيروت أو فى غيرها أو الأمم الأخرى الذين عانوا فراق الأرض .

كانت الفقرة الأولى فى المحاضرة هى : ما الفرق بين الشعر الحديث والشعر القديم ، وأرجو أن يتضح لكم ما هو الفرق ؟

دلالة الشعر

نأتى الى الفقرة الثانية : دلالة الشعر عندما ينشد إنشاداً ، عندما يقرأ قراءة ، عندما يقرأ صمتاً .

فيما يتعلق بالشعر الشعبى ، وأنا أعتقد أن هذا الأسلوب أستطيع أن أسميه الأسلوب الافضائى ، لأنه يمكن أن تنشده وتقرأه على الجماهير ، ولذلك فهو بسيط جداً فى الأسلوب الذى ينشد الشعر إنشاداً والانشاد يتصوره بعض الناس خاصاً بالعرب . ولكن الانشاد غير خاص بالعرب ، الشعر يتلوه الانجليزى بطريقة خاصة ، ويتلوه الهندى بطريقة خاصة ، ويتلوه الفرنسى بطريقة خاصة ، وكان شعراؤنا أيضاً فى الماضى ينشدونه انشاداً ، لا أدرى ان كنتم تريدون أن أعطيكم بعض الأمثلة عن كيف ينشد الشعر فى اللغات الأخرى .

إذن ، الانشاد له دلالة ، عندما ينشد الشعر يبعث فى النفس نوعاً من الاطمئنان ، نوعاً من الانسجام مع الطبيعة يجعل الانسان يشعر أن الحياة هادئة حوله ، ولكن اذا أحس الشاعر أن الحياة غير هادئة حوله ، وأنها مبعث قلق ، وأنه يعانى من هذا القلق ، فلابد له من نقل جو القلق الذى يعيش فيه فى شعره ، وعند ذلك يذهب الانشاد وتذهب حتى القراءة الناطقة ، ويقتصر الشعر على القراءة الصامتة لأن التشكيلة التى يقوم عليها الشعر ستكون مبنية على دلالتها ، على القلق ، فيأتى عندئذ الشعر غير موجه الى الجمهور وإنما موجه الى الذات .

الناس يتصورون أن الشعر الحديث يحمل طابعاً واحداً ، أنا أريتكم ما يحمل طابع البساطة ، ما يحمل صفة كونه قابلا للترجمة . وهناك فى الشعر الحديث اللون الثانى الذى لا تستطيع أن تنشـــده ولا تستطيع أن تقرأه على الناس ، ولا تستطيع إلا أن تقرأه صامتاً بينك وبين نفسك . من هذا النوع آتيكم بشاهدين كلاهما الشاعر فى حالة واحدة ، هو يتحدث عن محبوبة كان يحبها . لكن هذه المحبوبة بعد أن اعتمدت عليه لكى يرتفع شأنها فى بادىء الأمر ركبت رأسها فيما بعد .

والقطعة الثانية يتكلم فيها عن زوجته باعتباره انساناً محترماً ، عندما يتقدمه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، يراه الناس زوجاً مثالياً ولكنه فى قصيدته التى كتبها يبين أن وراءه ما وراءه . هذا الأديب وهذه القطعة مضى عليها أكثر من ٣٠ سنة .

يلتفت فى القطعة الأولى الى هذه التى



فدوى طوقان



ابراهيم طوقان

كانت معشوقته ، ثم أخذت تتصرف تصرفاً غير الذى كان ينتظره منها :

حقيرة أنت - خلعت عليك المجد فكنت .
وأشع الغرور من مقلتيك ومن كل عبق فاح منك .
أيها الصنم الذى خلقت .
خسئت الرفعة فلست منها .
من بقايا الشجون وثمالة الكأس وأطراح دمى .
جبلت الوهم ظمآنا ، وقلت له كن .. فكنت
ما أنت ؟ . من أنت بربك ؟ من أنت ؟ ..
وقف الصدى عن ترجيع صلاتى .. فكنت ! .

وأما القطعة الثانية بالنسبة الى زوجته ، فعنوانها (وفاء) وتأكدوا أن هذه القطعة لا يمكن أن تنشد شعراً جمهورياً ، لأن القصد هو شعر إيحائى ذاتى :

لم أحببك يوماً .. بل أحببت فيك نفسى .
وانعكاسات رؤاى الحالمة .
وأعرف اننى فى خاطرك لم أك غير انتقام لحب أضعته .
وعشنا معاً فتألفت منا أسطورة .
غصت بها روحانا المأ
وعرفتنا الدنيا أنشودة خالدة
فيا لهوان الهوى
لست لي
ولم أكن لك
سأذهب وتذهبين غريبين عاشا معاً

وأبقيا من بعدهما أكذوبة .

توافق الشاعر والجمهور

المشكلة عندما يتحدث أحدنا عن الشعر .. هو يعنى أن الشاعر الذى يفضى ويتلو وينشد قصيدة له خلفية ، وفى الوقت نفسه الجمهور الذى يتلقى ويستمع اليه له خلفية أيضاً . فاذا كانت الخلفيتان متساويتين استراحت .

وإذا اختلفت خلفية جانب عن خلفية الجانب الثانى حصلت المأساة ، فانئذ لا الشاعر يستطيع أن يخلق اتصالا بالجمهور ، ولا الجمهور يستطيع أن يفهم ماذا يريد الشاعر .

فى ظهيرة اليوم كنا نحن الأخوين مجتمعين ، وجاء الكلام على شعر المناسبات . يتصور بعض الناس أن شعر المناسبة هو شىء يزرى ، أو أنه شىء يؤخذ على الشاعر ، لا ! .. أنا أعتقد أن كل شعر هو شعر مناسبة ، لكن يختلف ماذا تقصد المناسبة ، اذا كان هذا الشاعر يتصور أنه إذا تأتت المناسبة فعليه أن يقدم للجمهور ما يريده هو ، ما يتوقعه الجمهور فى مثل هذه المناسبة حسب خلفيته المحدودة . هذا خطأ . المناسبة تقتضى أن يقول هو مايتوقع منه ، لا مايتوقع منه الجمهور ، لأن الجمهور عنده فكرة أن الشعر هو للطرب ، أو أن الشعر هو للحماس ، أو أن الشعر هو للتصفيق .. هكذا يفهم الجمهور اذا كانت خلفيته محدودة ، أما اذا كانت المناسبة والشاعر واع ، فيجب أن يقدم للجمهور ما يتوقعه هو وفى حدود معرفته ، وفهمه . أيها الشاعر قدم له ما يتوقع منك أنت كانسان واع .

هنا شاعر فى مناسبة قدم أبياتاً وهى أبيات نظمها فى المناسبة ، وستتعجبون اذا قلت لكم انها أبيات مضى عليها نصف قرن ، واذا سمعتموها ربما تتصورون أنها كتبت أمس .

عنوان القصيدة هو : الى الزعماء
والشاعر هو : ابراهيم طوقان رحمه الله .
اخترت منها أبيات موجهة الى الزعماء :

أنتم المخلصون للوطنية
أنتم الحاملون عبء القضية
أنتم العاملون من غير قول
بارك الله فى الزنود القوية
وبيان منكم يعادل جيشاً
بمعدات زحفه الحربية
اجتماع منكم يرد علينا
غابر المجد فى فتوح أمية
ما جحدنا أفضالكم غير أنا
لم تزل فى نفوسنا أمنية
فى يديكم بقية من بلاد
فاستريحوا كيلا تطير البقية

لاحظتم فى الشعر الحديث الأسلوب الافضائى والأسلوب الايحائى والأسلوب الايحائى يقوم على الرموز ، واذا فهمت دافع الشاعر وحالته وظروفه فهمت الشعر . والثانى هو الشعر البسيط الذى يفترض فيه إذا كان يقصد منه أن يكون شعراً حديثاً قابلا للترجمة ، أما اذا أدخلت فيه عنصر الغموض أدبرت الغرض منه .

أعتقد أن هذا يكفى . ولكن قبل أن أختم كلمتى أريد أن أقول جواباً على السؤال فى عنوان المحاضرة «لماذا هذه الصعوبة فى فهم الشعر الحديث ؟» أعتقد أن الجواب هو أن كثيراً من الناس ممن يتصورون أن الشعر صنعة ، عندما يأتون الى الشعر الحديث يرون أن مستلزمات الصنعة قد أزيلت من طريقه ، وسهل وعبد لهم ، هم لا يذكرون الهدف القائم وراء هذا الشعر الحديث سواء فى أسلوبه الافضائى ، أو فى أسلوبه الايحائى ، وإنما يتصورون أن هذا الشعر الحديث هو شىء يكتب لا يتطلب وزناً ، ولا يتطلب قافية ، فلماذا لا أحاول ؟ .. هذه واحدة .

والأسلوب الايحائى لأن هناك ومضات رمزية تدل على العاطفة من ورائها ، وقلق الذات من ورائها ، فهم يتصورون أنه اذا أتوا بالتركيبات الغامضة قربوا من الشعر الحديث ، وفى ذلك الجواب على السؤال «لماذا هذه الصعوبة فى فهم الشعر الحديث» ، هو لماذا هذه السهولة فى تناول الشعر الحديث ؟!

ابراهيم العريض

الموهوبـون فقط كانوا أصحاب الحق في الالتحاق بها دون شرط آخر
ومن هـؤلاء فنـانون تـدوي أسماؤهـم في العـالم التشكيـلي الآن

جمـال قطـب

قصة أول مدرسة للفنون الجميلة في الوطن العربي

هذه قصة أول مدرسة للفنون الجميلة فى العالم العربى . وقد تم إنشاؤها منذ ٧٣ عاماً ، حيث لم يكن فى العالم العربى كله أى اعتراف بالفنون التشكيلية أو بصلاحيتها لأن تكون موضوعاً للدراسة مثل سائر الموضوعات الأخرى .

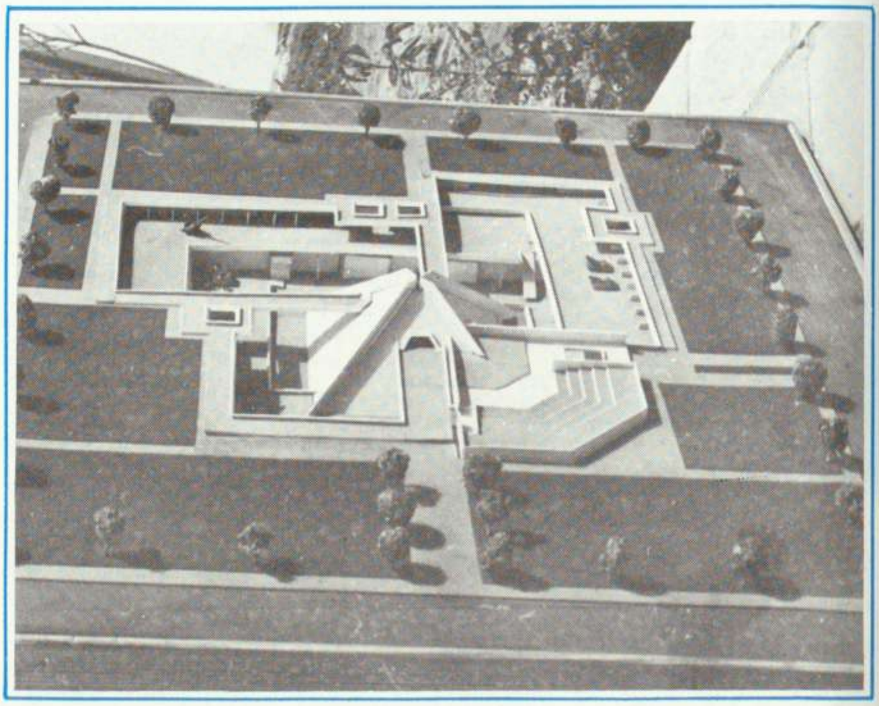
وقد أثارت هذه المدرسة منذ إنشائها مشكلة دقيقة هى : هل يخضع طالب الفنون الجميلة لما يخضع له طالب الكيمياء والهندسة والطب من درجات وقيود ؟ وكان الرأى الغالب أن الفن فوق القيود . وأن دراسة الفن لا يجوز أن تخضع لضرورات المجموع ولوائح الروتين الجامعى والجرى وراء الدرجات العلمية المستحدثة التى تبدو غريبة المذاق على الفن والفنانين . ولا نتصور أن الدكتور « بيكاسو » أو الدكتور « سلفادور دالى » أو الدكتور « محمود مختار » كانوا سيقبلون بهذا التعريف عوضاً عن اللقب الخالد وهو : الفنان !

لقد مر الفن بمراحل تاريخية متعاقبة ، كانت له أهداف تحكمها الظروف البيئية والاجتماعية ؛ ففى العصور البدائية ، عبر الانسان الفنان – وفى داخل كل إنسان فنان كما يقول علماء النفس – عن معاناته وصراعاته اليومية مع الوحوش الضارية وقسوة الطبيعة ، بما يشبه الطقوس والسحر لأغراض اتقاء ودرء الأخطار المحيقة به ، ولذلك كان الفن فى تلك العهود السحيقة تفاعلا وانفعالا وتعبيراً عن غايات ومتطلبات ملحة لاستمرار الحياة .

وكنتيجة للتطور الطبيعي ، تكونت المجتمعات فى الوديان حول مصادر المياه وعلى ضفاف الأنهار ،وسيطرت النزعات الروحية متجسدة فى ديانات ومقدسات شتى ، وصار للفنان الدور الأساسى فى تجسيد وتخليد هذه المعتقدات كما رأينا فى الحضارة الفرعونية ، وأصبح إبداعه وقفاً – تقريباً – على خدمة هذه الأغراض السامية ، ثم تشعبت الاهتمامات بعد ذلك فى القرون الوسطى تبعاً لتطور المجتمعات وتعدد احتياجاتها ، وظهرت الفنون التطبيقية لأغراض الحياة ، وصار الفن مواكباً للحياة العامة وخدمة المجتمع . وكانت الفنون الاسلامية أبرز سمات هذه النهضة الابداعية في الاستخدامات النافعة ، حيث ركزت على الجوانب الذهنية أكثر من تركيزها على الجانب الوجداني ، وأصبحت الفنون التطبيقية الاسلامية هى الرائدة فى العالم المتحضر آنذاك ممثلة في العمارة ، والصناعات المعدنية والخشبية ، والخزف والنسيج والزجاج والمخطوطات وغيرها من متطلبات الحياة اليومية ، ولذلك ، كان الرأى القائل « بأن أبرز سمات الحضارة الاسلامية هو الفن » حقيقة لاجدال فيها ، لأن لمسات الفنان الواعية ، قد أضفت على كل مرافق الحياة ثوباً رائعاً من الذوق الرفيع .

عصور الانحدار

وبانتهاء الدولة العثمانية التركية منذ نحو مائتين وخمسين عاماً ، انفرط عقد الابداع العربي الاسلامي كمدرسة فنية منظمة لها أصولها وجذورها ، ووقعت الأقاليم العربية فريسة لأطماع المستعمرين ، وخضعت للتاثيرات الفنية الوافدة ، وبذلك تفتت الاصالة والطابع المميز . وفى الحقيقة ،فان هذا التفتت قد حدث من قبل ، وبالتحديد منذ عام ٩٢٢هـ – ١٥١٦م ، عندما انتزع سليم



مشروع متحف الحرب والسلام



صلاح نايل



محمود مختار



جمال السجينى

الأول مصر وسوريا من المماليك ، واتسعت الامبراطورية العثمانية فى أواسط القرن السادس عشر الميلادى فشملت جنوب شرق أوربا بالاضافة الى العراق والشام ومصر ، وكان (محمد الفاتح) قد استولى فى عام ١٤٥٣م على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ومركز الآثار البيزنطية (الرومانية الشرقية) ، فتأثرت الفنون الاسلامية بهذه الآثار ، وظهر على يد الأتراك طراز فني هو ملتقى تيارات مختلفة : تيار بيزنطى ظهر فى فن العمارة ، وآخر إيرانى كان له أثره فى الخزف والنسيج والتصوير ، وثالث أوربي كالأعصار العنيف . غزا الأمبراطورية العثمانية فى القرن السابع عشر ، عندما توثق اتصال الحكام العثمانيين بالبلاد الأوربية ، وقد امتدت تأثيرات هذه الأساليب ـ وبخاصة الأوربية منها ـ الى جميع مراكز العالم الاسلامي التابعة للدولة العثمانية مثل القاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وتونس ، والجزائر .

وبانتهاء الدولة العثمانية فى عام ١١٣٤هـ ـ ١٧٣٠م ووقوع بلادنا العربية فى مناطق النفوذ الغربي تحت سيطرة الاستعمارين البريطاني والفرنسى بصفة خاصة ، لم تستطع الحركة الفنية العربية أن تنهض وتشق طريقها لتنافس المدارس الغربية التى تألقت فى أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. وأصبحنا ندور فى فراغ ! .

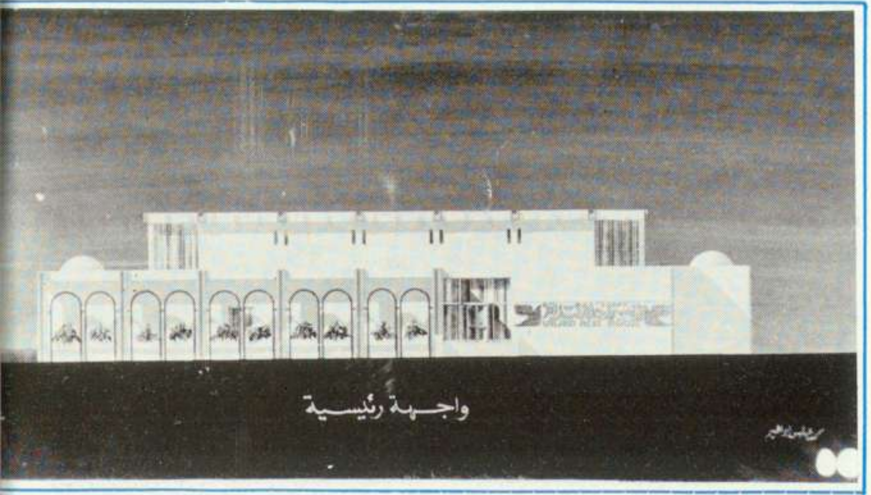
وكانت مصر طوال تاريخها العربي الاسلامي ، ومنذ أيام الفتح الأولى ، مصدر اشعاع فكرى فى المنطقة العربية والاسلامية بوجه عام ، وشهدت عصوراً ذهبية رائعة فى مجال الفن فى العهدين الفاطمي والمملوكى وغيرهما ، حتى أقدم السلطان سليم الأول على تلك الهجمة الشرسة اللاأخلاقية ، حيث أفرغ البلاد المصرية من الفنانين والصناع المهرة وأرسل بهم الى الآستانة ، وباندحار الامبراطورية العثمانية التركية ، توالت النكسات على الوطن العربي ، وتعثرت الحركة الفنية المصرية ، وظلت تبحث عن هوية قومية دون جدوى .. حتى كان مطلع هذا القرن .

أول مدرسة للفنون الجميلة

كانت المراسم الخاصة التى كونها الفنانون الأجانب والمستشرقون المقيمون فى القاهرة والأسكندرية ، منتشرة على نطاق واسع فى أواخر القرن الماضى ومطلع هذا القرن ، وكانت هذه المراسم كخلايا فكرية تمثل ظاهرة حضارية فى المجتمع المصرى المتطلع إلى آفاق التذوق والمعرفة .. حتى كان الحدث الكبير عام ١٩٠٨م ، عندما أنشأ أحد أمراء الأسرة المالكة المصرية ويدعى الأمير يوسف كمال أول مدرسة للفنون الجميلة فى العالم العربي باسم : مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة . واتخذ من أحد قصوره مقراً لها بحي درب الجماميز بالقاهرة . وعلى مدى السبعين عاماً الماضية ، شهد هذا الصرح الفنى العديد من التطورات والتحولات ، حتى أصبحت كلية الفنون الجميلة ـ حالياً ـ بحي الزمالك تضم عدة مبان فسيحة وحديقة رائعة تزينها التماثيل والأشجار والخمائل ، كما تحتل فى العالم العربي كله منزلة رفيعة فى عالم التألق والابداع الراقى ، وتشمل الكلية العريقة ستة اقسام رئيسية هي : العمارة ـ الديكور ـ التصوير ـ الحفر (الجرافيك) ـ النحت ، والعلوم الانشائية .

كما أن مجلس جامعة حلوان (وهي الجامعة التى تتبع لها الكليات الفنية فى مصر) يمنح ـ بناء على طلب مجلس الكلية ـ الدرجات العلمية والدبلومات المختلفة مثل البكالوريوس ، ودبلوم الدراسات العليا فى الفنون الجميلة ، ودرجة الماجستير ، وكذلك درجة الدكتوراه فى الفلسفة والفنون الجميلة ، وقد يكون لنا بعض التحفظات فى مبدأ انخراط الكلية تحت نظم ولوائح

قصة أول مدرسة للفنون الجميلة في الوطن العربي



واجـهة رئيسية

الجامعة وقيود الدرجات العلمية ! ويراها البعض بمثابة قيد لا يتفق مع تحرر الفن وانطلاقة الفنان . ورحم الله محمود مختار – فنان مصر الخالد – عندما قاوم انتماء مدرسة الفنون هذه إلى مؤسسة حكومية ، بل لقد عمل على أن تكون لها استقلاليتها الكاملة بعيداً عن أى قيد أو روتين إلا قيد الهواية والموهبة ! .

استقلالية الفـن ورعاية الموهبة

كان ذلك فى العشرينات ، عندما أصبحت المدرسة تلقى باشعاعاتها على المنطقة كلها ، فارادت الحكومة أن تضمها إلى رعايتها المباشرة أسوة بباقي المؤسسات الثقافية الأهلية الأخرى . وبالفعل ، فقد أصبحت الجامعة المصرية – آنذاك – مؤسسة حكومية . وعمل مختار على أن يقتصر الالتحاق بمدرسة الفنون على أصحاب الميول الفنية والموهبة الحقيقية ، وقاوم فكرة الحصول على شهادة الثانوية العامة كشرط أساسى لدخول المدرسة ، وطالب بأن يكون أساس تعليم الفنون الجميلة هو احتضان المواهب المتفتحة ورعايتها وتدريبها فى مدرسة تحضيرية تسبق الدراسات الأكاديمية المتخصصة . وتم لمحمود مختار ما أراد ! وبهذا سبق عصره وخرجت مدرسة الفنون فى الثلاثينات فنانين من الأفذاذ من أمثال جمال السجينى ، وكامل مصطفى ، وحسنى البناني وعشرات غيرهم . وهذا ما ننادى به اليوم ، وبعد نحو ستين عاماً من نجاح التجربة الرائدة ، أو على اقل تقدير يجب ألا تخضع دراسة الفن لقيود المجموع ولوائح الروتين الجامعي والجرى وراء الدرجات العلمية المستحدثة التى تبدو غريبة المذاق على الفن والفنانين . ولنعلم أن تمثالا أو لوحة ملهمة تبدعها أنامل فنان موهوب ، تتالق فى وجداننا وتتسامى فوق الماجستير والدكتوراه وكل الدرجات الاخرى ! ولا اتصور أن (الدكتور) بيكاسو ، أو (الدكتور) سلفادور دالي ، أو (الدكتور محمود مختار) ، كانوا سيقبلون بهذا التعريف عوضاً عن اللقب الخالد وهو : الفنان ! .

الظاهرة الرائدة

نعود الى هذه المؤسسة الفنية العريقة : كلية الفنون الجميلة بالقاهرة والدور الحضارى لرسالة الفن بصفة عامة فى عصر التطور والتفاعل الاجتماعى فى عالمنا العربي المعاصر . غالباً ما تتردد أصداء الصيحات الشاكية الأبدية للفنان المصرى – والعربي عموماً – من انفصال حركة الابداع عن القاعدة العريضة للجماهير . ولهذه الشكوى ما يبررها ، وقد تناولت المشكلة من جانبى وعالجتها فى خمس مقالات متتالية على هذه الصفحات فى الشهور الماضية ، مبتدئاً من إعداد النشء فى مراحل تعليمه الأولي لتدريب بصيرته على التذوق الفنى بمعناه الشامل ، ومستعرضاً العقبات والمشاكل التى تواجه كلا من الفنان والجمهور ومسئولية كل فريق منهما إزاء الآخر ، ومنتهياً بظاهـــرة عـــدم الاهتمام بالمتاحف وقاعات العرض والتية فى خضم المستوردات وفرض الأذواق الوافدة والبعد عن الاصالة والجهل بالتراث وإهمال الجانب الثقافي للفنان ، مما زاد من عزلة الفنان عن مجتمعه وقصوره عن القيام بدوره القيادى فى أوطاننا العربية !

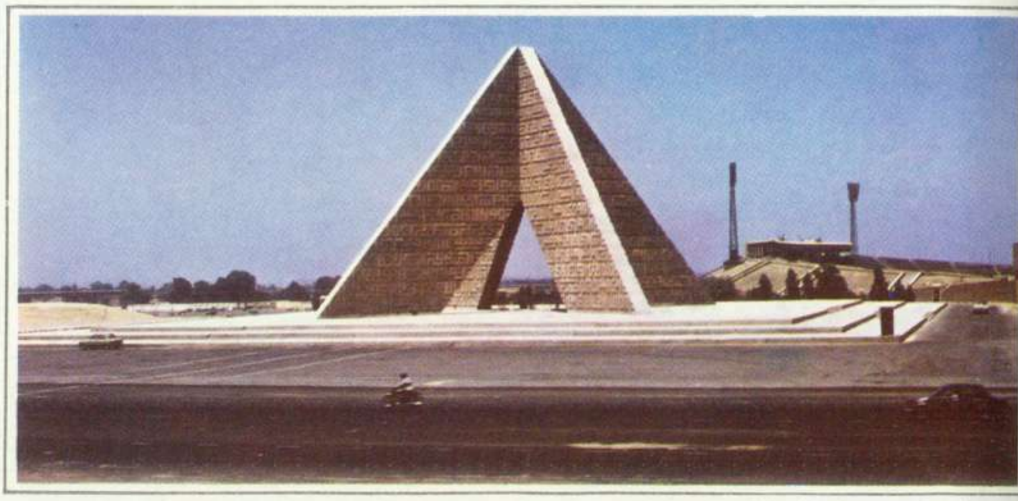
وكانت من المظاهر الملفتة للنظر ، عدم المشاركة الفعلية من الفنان في بناء وطنه والمساهمة فى مشاريعه الكبرى . وأذكر أن هذه القضية بعينها كانت موضوع محاضرة أعدت لها إدارة الثقافة والفنون القطرية ، ركزت فيها على أن مشاركة الفنان فى اقامة مثل هذه المشاريع ، هي عامل نفسى قبل كل شيء يعيد الثقة للفنان ويرفع من معنوياته ، فيشعر بوجوده وأهميته وتاثيره على مواطنيه كاحد القادة الرواد . وهذا التعريف هو ما وضعه (رايلي فور) عندما وصف الفنان فى مجتمعه ولقبه (بالفنان البطل) ! فليس من المعقول أن تظل دور العلم والمؤسسات الثقافية بمعزل عن نبض الجماهير ، غارقة فى دراسات أكاديمية بعيدة عن متطلبات الحياة اليومية !

وأخيراً ، أصبحت كلية الفنون الجميلة ، بكل عراقتها وتاريخها الطويل رائدة في مجال المشاركة العملية وحل المشاكل القومية .

وانه لشيء رائع أن نرى هذه الخلايا الابداعية بكل تخصصاتها الستة تعايش الخطط الانشائية والفنية معايشة كاملة ، وأصبحت مشاريع التخرج لشهادة البكالوريوس تعد



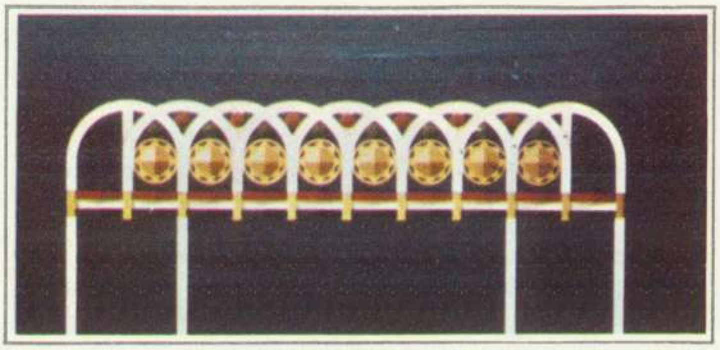
الفنان سامي رافع وخلفه نصب الشهداء



نصب الشهداء فى صورته النهائية



شموخ .. للفنان ناصر المنسى



قوس نصر للفنان سيد سليمان



الباحث سيد سليمان

خصيصاً لكي تنفذ الأعمال الممتازة منها بالاتفاق بين الجهات المسئولة ومجلس الكلية . ومن الأمور الطبيعية أن نرى الفنانين من الطلبة واساتذتهم يجوبون الصحارى والمدن والقرى ، ينقبون عن عناصر ملهمة لتتحول فى تصميماتهم الى انشاءات تنفذ على أرض الواقع .

كما أن هناك جسوراً ممتدة بصفة منتظمة بين مجالس المحافظات المختلفة وأقسام العمارة والفنون بالكلية ، للاضطلاع بالمشاريع العمرانية ومتطلباتها الفنية أولا بأول . ومن المألوف كذلك أن تأخذ المعارض طابعاً خاصاً ؛ فالأعمال الفنية فى معظمها تخدم أهداف التنمية فى شتى صورها ، كما أن أقسام الكلية تقوم بدراسات مستمرة للمنشآت الحكومية والقوات المسلحة ومداخل المدن الجديدة والنصب التذكارية وديكورات الفنادق والبنوك والمعارض والمكاتب السياحية والمحال التجارية ، فضلا عن تصميم العملات والطوابع وترميم القصور والمباني الأثرية .. إلى غير ذلك من الأعمال الفنية الرفيعة !

أمثلة مشرفة

ومن الأمثلة الرائدة لتعاون الكفاءات العالية بين أسرة كلية الفنون الجميلة بالقاهـرة والمشاريع الفنية الكبرى ، إقامة النصب التذكارى للجندى المجهول فى أعقاب حرب رمضان المجيدة ، حيث فاز بالجائزة الأولي من بين خمسة وسبعين فناناً ، أحد الفنانين البارزين من اساتذة الكلية ، هو سامي رافع ، وقد تعدت شهرته حدود الوطن العربي وانطلقت الى العالمية . وجاء تصميمه مزجاً من الأصالة والمعاصرة على شكل هرم من أربعة حوائط قطرية وليست محيطية ، مفرغ من وسطه ليعطى رؤية متعددة الأشكال بفعل التلاحم بين هذا الفراغ والظلال المتساقطة من القوائم ، ويرتفع النصب الى ٣١,٦٤ متراً ، ويبلغ سمك حوائطه نحو مترين ، وقد غطت حوائطه أسماء الشهداء الرمزية بطريقة النحت البارز ، وكأنها معزوفة من زخارف (الأرابيسك) تضفى على هذا النصب روعة ورهبة وإجلالا .

ومثل آخر ، هو بحث علمي فني مقدم من الفنان محمد سيد سليمان كرسالة للحصول على درجة الماجستير فى الديكور ، وكان موضوعها : أهمية الديكور فى المهرجانات القومية والاحتفالات العامة ، وفيها عرض شيق مدعم بالتصميمات واللوحات والاحصاءات الدقيقة المصورة عن أحدث الاتجاهات العالمية فى هذا المجال ، ولكنه أضفى على تصميماته طابعاً عربياً خالصاً معالجاً بنظرة حديثة متطورة ..

وأخيراً ، إذا كان إيماننا راسخاً بأن الفن يجب أن يواكب الأحداث ، وأن يلبى متطلباتها ، وأن يقود الفنان جموع المواطنين إلى عالم التذوق الفني الرفيع، وجب علينا فى نفس الوقت ، أن نسلح الفنانين بثقافة تراثية واعية تمتد جذورها إلى منابع الحضارة العربية الاسلامية الرائدة ، لنسبغ الأصالة على عطائهم الابداعي ، وليكونوا أهلا لهذه القيادة فى وطننا العربي الكبير .

جمال قطـب



منذ ثلاثة آلاف سنة

القدس

هي القضيّة

عصام شريح

وصف المؤرخ البريطانى الراحل «أرنولد توينبى» قيام «اسرائيل» على أرض فلسطين المغتصبة ، بأنه «أزمة» ، وقال : «ان الأزمة التى خلقتها الحرب الصليبية للعرب والمسلمين ، شبيهة بالأزمة التى خلقها ظهور اسرائيل ، وقد نجح العرب فى الحرب الصليبية الأولى فى توحيد صفوفهم توحيداً وثيقاً ، وعلى نطاق واسع ، فأنقذوا أنفسهم من الخطر الذى تعرضوا له» . وأضاف «توينبى» : «وما كان ليتأتى قيام «الوطن القومى اليهودى» ، إلا باستخدام القوة الغاشمة ضد سكان فلسطين ، الذين كانوا فى بلادهم قبل مجيء اليهود بزمن طويل ... فكان أن ضُحي بشعب بريء فى سبيل تحقيق أطماع طائفة تتعلق بأهداب فكرة رجعية تتنافى مع واقع التطور البشرى ، وتجافى المثل الانسانية العليا» .

لقد استشهدنا بقول «توينبى» هذا ـ وهو أشهر مؤرخ عرفه القرن العشرون ولأنه صاحب نظرية فلسفية فى التاريخ ـ لنؤكد حقيقة ، طالما تجاهلها مؤرخو الغرب المتحيزون ضد العرب ، وهى أن اليهود كانوا فى العصور القديمة من التاريخ كما فى العصر الحالى ، مجرد قوم طارئين على فلسطين ولم تقم لهم دولة حقيقية عاصمتها القدس ، إلا فى عهد الملكين داوود وسليمان ، ولفترة من الزمن لم تتعد ٦٩ عاماً ، وحتى فى عهد هذين الملكين اليهوديين لم يستطع «العبرانيون» السيطرة على فلسطين كلها ، وخلال حكم سليمان بن داوود ، كان الكنعانيون (العرب) يشكلون الأغلبية من سكان فلسطين ، ولم يغادروها بشكل جماعى









لقطات من المدينة ذات الأبعاد التاريخية والحضارية والسياسية والدينية

لأن القدس اختصاراً هى « القضية » ، ولأن الصراع على القدس هو الصراع العربي ـ الصهيوني بكل معانيه وأبعاده التاريخية والحضارية والسياسية والدينية ، ولأن فى الحديث عن القدس عودة الى جذور هذا الصراع ... ولكي لا ننسى فى زحمة المتاهات اليومية ، القضية الأساسية ، عدنا الى طرح قضية القدس ـ أى القضية العربية ـ للتذكير بها ، لأن .. الذكرى تنفع المؤمنين .

ـ وإن كانت جماعات منهم قد نزحت الى أطراف بلاد الشام الأخرى مع فلسطين (وهى ما تعرف اليوم بسوريا ولبنان والأردن) ـ وما أشبه اليوم بالبارحة ! ولعل خير دليل على أصالة الشعب الفلسطينى فى وطنه ، وكون اليهود مجرد جماعات غازية طارئة فى فلسطين أن اليهود لم يتركوا أية آثار فيها ، وتذكر «فرانسيس نيوتن» ـ البريطانية ـ فى كتابها «الانتداب على فلسطين» ما يلى : «لا يوجد فى فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب الى المملكة العبرية ..

ولقد فشلت اليهودية فى تقديم أى أثر لداوود وسليمان ، أو أى نقش أو أثر أو حجر أو حتى نصب تذكارى ، ولهذا فان قضيتهم تفتقر الى دليل مسجل على غرار الأدلة للوجود التاريخى لشعوب غرب آسيا ، كما أن المؤرخين الأغريق لم يذكروا شيئاً عن اليهود فى تاريخ فلسطين المبكر ، ومما لا شك فيه أنه كان من شأن الاغريق الاتصال باليهود ، لو كانت فلسطين حقاً وطنهم القومى .

عروبة القدس

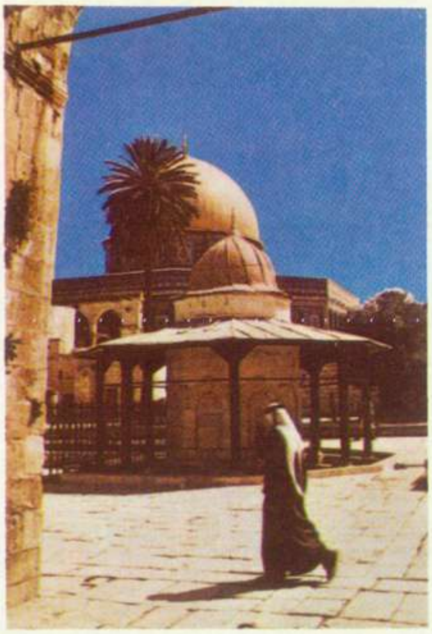
كان أول اسم عرفت به القدس «أور سلام» و «أور» لفظة آرامية قديمة تعنى المدينة أو الساحة ، و «سلام» تعنى التحية والأمان والصلح والحكمة ، فيكون معنى «أور سلام» اذن ، «مدينة السلام» أو «دار السلام» ، لكن من المؤسف أن دار السلام هذه لم تعرف السلام الدائم فى تاريخها ، بل ان المعتدين ارتكبوا من المجازر فيها ما يندى له جبين الانسانية خجلا ، فالصليبيون على سبيل المثال قتلوا من أهل القدس العرب لدى دخولهم اليها (٧٠) ألف شخص ، ولا يقل مجموع الضحايا من

القدس

هي القضيّة



بوابة وقلعة



داخل المسجد



مسجد قبة الصخرة

عرب القدس منذ قيام الكيان الصهيونى، وحتى اليوم عن هذا الرقم، وهو رقم مرعب لو كنا نذكر ذلك.

وكانت «أور سلام» مدينة مقدسة لدى اليبوسيين - الذين هم فرع من الكنعانيين العرب - لأنهم كانوا يعتبرونها مدينة إلههم «إيل عليون» - أى الاله العلي.

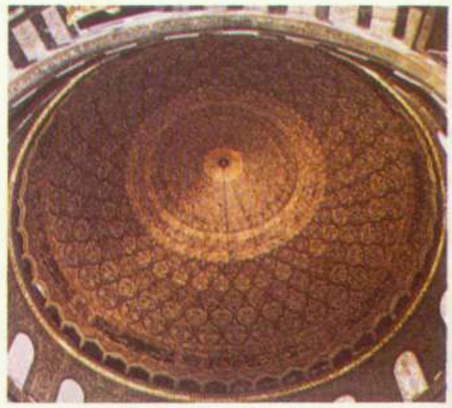
أما اليهود الغزاة، فقد انتحلوا الاسم الكنعانى للقدس، وأطلقوا عليها اسم «أور شلام» أو «أور شالم»، وأصبحت هذه اللفظة مع تقادم الزمن «أور شليم» التى يتمسك بها الاسرائيليون اليوم. ومن أسماء القدس القديمة كذلك «يبوس» نسبة الى «شعبها» اليبوسى الذى جاء ذكره فى التاريخ أنه استوطن فلسطين قبل ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وكان أول ملوكهم «ملكى صادق» الذى استضاف ابراهيم الخليل.

وقد عرف «ملكى صادق» بحبه للسلام حتى أطلق عليه اسم «ملك السلام».

وهكذا يكون اليهود قد اقتبسوا اسم «أور شليم» وانتحلوا صفتها كمدينة مقدسة عن الفلسطينيين الأوائل، ناهيك باقتباسهم من حضارة الكنعانيين الشيء الكثير.

أما سيطرة اليهود على القدس، فقد جاءت متأخرة نسبياً عن فترة خروجهم من مصر، وغزوهم لفلسطين بخمسين سنة على الأقل، حيث احتلها ملك اليهود «داوود» فى أوائل الألف الأول قبل الميلاد وبعد وفاة داوود قام ابنه «الملك سليمان» ببناء هيكل جعله لعبادة «يهوه». أما بعد وفاة سليمان فى ٩٣٥ ق.م، فقد تولى شئون المملكة اليهودية ابنه «رحبعام» الذى جمع رؤساء «اسباط - عشائر» اليهود، وهددهم قائلا: «أبى أدبكم بالسوط .. أما أنا فسأدبكم بالعقارب». لكن تهديده هذا لم يمنع انقسام المملكة الى مملكتين، حيث ملك «رحبعام» على سبطى «يهوذا وبنيامين»، وجعل «أور شليم» عاصمة لمملكته التى أطلق عليها اسم «مملكة يهوذا»، فيما ملك «يربعام» على الأسباط العشرة الباقية، واتخذ من «السامرة» (منطقة نابلس)، عاصمة لمملكته التى أسماها «مملكة اسرائيل». وقد منع «يربعام» يهود «اسرائيل» من زيارة القدس، كما تفرض عليهم الشريعة اليهودية، ليمنع حصول اختلاط بين المملكتين اليهوديتين وبنى «مذبحاً» فى قرية «بيت إيل» الكنعانية التى احتلها، وتقع بالقرب من مدينة «رام الله»، ووضع على المذبح عجلا ذهبياً، وأمر الأسباط العشرة بعبادته.

وفيما بعد أدت الخلافات الى تداعى الدولتين، حتى قضى «سرجون الثانى» ملك الكلدانيين على «مملكة اسرائيل» فى عام ٧٢١ ق.م، وأزالها من الوجود، وسبا ألوفاً من اليهود الى عاصمته «بابل»، وعاد الكنعانيون الى أراضيهم ووطنهم، أما مملكة يهوذا فقد عمرت أكثر من مملكة اسرائيل، الى أن زحف عليها سنحاريب ملك الآشوريين وخربها واحتل القدس فى عام ٧٠١ ق.م، إلا أن من بقى منهم فى فلسطين استغل الصراع على النفوذ الذى كان قائماً بين الآشوريين والفراعنة وحاولوا استعادة كيانهم المنهار، فزحف عليهم ملك الكلدانيين «نبوخذ نصر الثانى» وفى عام ٥٨٦ ق.م تمكن من السيطرة على القدس بشكل نهائى، وقتل آخر ملوك يهوذا المدعو «صدقيا»، وأحرق الهيكل وقصر الملك وهدم أسوار المدينة وأسر معظم سكانها من اليهود، وقام نبوخذ نصر كذلك بتدمير سائر المدن والقرى «اليهودية» فى فلسطين، فكانت بذلك نهاية اسرائيل ككيان سياسى فى



جمال الهندسة الاسلامية بقبة الصخرة



حائط المبكى



مسجد عمر



المدينة القديمة

فلسطين .

غزوات أخرى

فى الواقع كانت الغزوة اليهودية لفلسطين واحتلالهم للقدس ، أقصر الغزوات والاحتلالات عمراً فى التاريخ ، ولم يكن اليهود هم الوحيدون الذين دخلوا فلسطين بشكل طارىء ودون أن يتمكنوا من التجذر فى الأرض ، إذ جاء الفرس بعد ذلك واحتلوا بلاد الشام ومنها فلسطين ، واخذوا يتهيأون لاجتياح مصر والسيطرة عليها ، فاستغل يهود السبي فى بابل (العراق) هذه الفرصة ، وسعوا لدى الملك الفارسى «قورش» من أجل السماح لهم بالعودة الى فلسطين ، فأتاح لهم «قورش» ذلك واستعان بهم للتعرف الى مسالك البلدان وطرقها ، وساروا أمام جيوش الفرس الغازية ، وفى عهد الملك «دارا» سمحوا لهم باعادة بناء سور القدس وهيكل سليمان .

ثم جاءت بعد ذلك الغزوة اليونانية بقيادة الاسكندر المقدونى (٣٣٢ ق.م) ، فلم يغير فى وضع اليهود شيئاً ، وكذلك فعل خلفاؤه البطالسة .

وعندما احتل الرومان بلاد الشرق ، ودخل «بومبى» فلسطين هدم سور «أور شليم» ، لكن اليهود لجأوا الى أعمال الشغب ضد الحكام الجدد ، فقام الامبراطور «هدريانوس» بتدمير أورشليم وحرث أرضها بالمحاريث ، وهدم الهيكل للمرة الثانية — والأخيرة — واليهود اليوم يحاولون بناء الهيكل (الثالث) مكان المسجد الأقصى المبارك .

وعلى أنقاض المدينة القديمة التى زالت عنها الصبغة اليهودية ، شيد الرومان مدينة جديدة أطلقوا عليها اسم «إيليا» أو «إيلياء» وذلك نسبة الى الامبراطور «إيليوس هدريانوس» (إيليوس هو إلياس) ، وعندما جاء الامبراطور قسطنطين على عرش الامبراطورية الرومانية ، وغدا مؤسس الدولة البيزنطية التى اتخذ القسطنطينية عاصمة لها ، أصبحت «إيليا» مدينة بيزنطية ، وشيدت أمه «هيلانة» كنيسة القيامة فيها .

وخلال هذه الحقب التاريخية جميعها لم يظهر لليهود فى فلسطين أى كيان سياسى ، فى حين استمر الشعب العربى الفلسطينى فى حياته العادية فى وطنه وبلاده .

الفتح الاسلامى

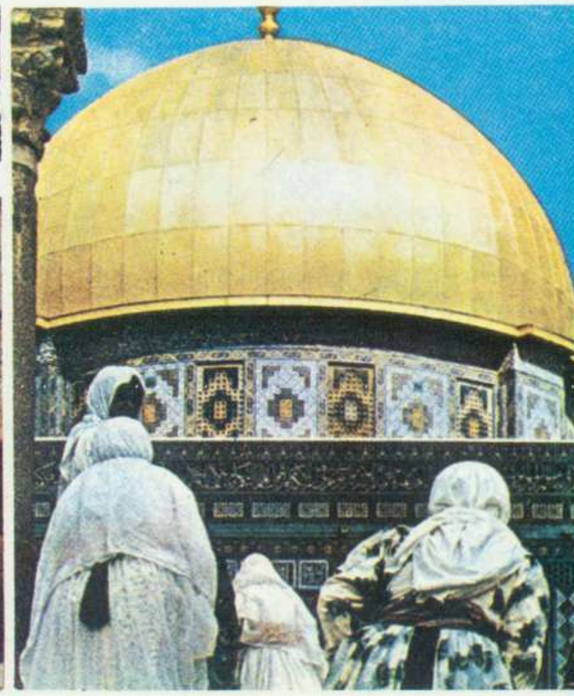
فى القرن السابع للميلاد عزم العرب المسلمون على فتح القدس لأسباب دينية واستراتيجية واقتصادية ، وبعد انتصارهم فى معركة اليرموك ، وتولى «أبو عبيدة الجراح» قيادة الجيوش الاسلامية فى بلاد الشام بدلا من خالد بن الوليد ، زحف أبو عبيدة على القدس وضرب الحصار عليها ، فطلب أهلها «المسيحيون» الصلح على غرار ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج وحرية الاختيار بين الدين الاسلامى ودينهم السابق . فكتب أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب بذلك ، وعندما وصلته الرسالة ، توجه عمر بنفسه الى بلاد الشام ونزل «الجابية» بدمشق ، ثم سار الى القدس وقام أبو عبيدة بابلاغ بطريرك النصارى فى المدينة بمقدم الخليفة عمر ، فخرج هذا اليه حاملا الصليب على صدره ، فما كان من عمر العظيم ، إلا أن قابله بالتكريم والاكبار ، وكتب له «وثيقة الأمان» الشهيرة ، التى عاهد فيها عمر أهل إيلياء على الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وشعائرهم ، وفيما يلى نص تلك الوثيقة المعروفة «بالعهدة العمرية»:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر أهل

القدس

هي القضيّة







إيليا من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، مقيمها وبريها ، وسائر ملتها ، انها لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقص منها ، ولا من حدها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية ، كما يعطى أهل المدائن ، وعلى أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعتهم وصليبهم ، فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كانوا فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن شاء سارع مع الروم ، ومن شاء رجع الى أرضه ، فانه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب ، عهد الله ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد بذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان» .

ولعل من أهم الملاحظات حول «العهدة العمرية» ، الى جانب كونها تفيض تسامحاً وترفعاً عن الصغائر ، واحترام انسانية الانسان حتى فى ظل الحروب وعنفها وصفاتها المفجعة ، أن أهل القدس من الفلسطينيين (المسيحيين) أعربوا للخليفة العظيم عمر بن الخطاب عن رغبتهم فى عدم السماح لليهود بسكنى القدس ، فكان أن استجاب عمر لهذه الرغبة ، وهذا يثبت أن القدس لم تكن يهودية عندما دخلها المسلمون ، وأن تاريخهم المزعوم فى فلسطين ليس إلا تاريخ غزاة طارئين .

ومن الملاحظ هنا ، أن اسم «أورشليم» قد تغير فى ظل الحكم الاسلامى ، فقد أصبح اسمها بعد أن دخلها عمر ، القدس أو بيت المقدس ، أى **البيت المطهر** ، الذى يتطهر فيه المسلمون من ذنوبهم .

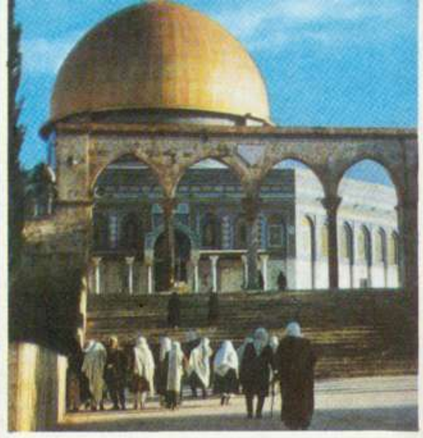
وقد تعاقبت على المدينة كما على فلسطين ، كما على بلاد الشام ، عهود الخلفاء الراشدين ، فالأمويين فالعباسيين ، ثم عهد الأتراك العثمانيين وتوالى عليها حكام وولاة من أجناس مختلفة وانتماءات متباينة (فاطميين وإخشيديين وطولونيين .. الخ) ، لكن القدس ، بقيت مدينة عربية صافية ، تهفو اليها نفوس المسلمين وعقولهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، لأنها مع دخول الاسلام اليها ، وتشييد المسجد الأقصى فيها ، أصبحت أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

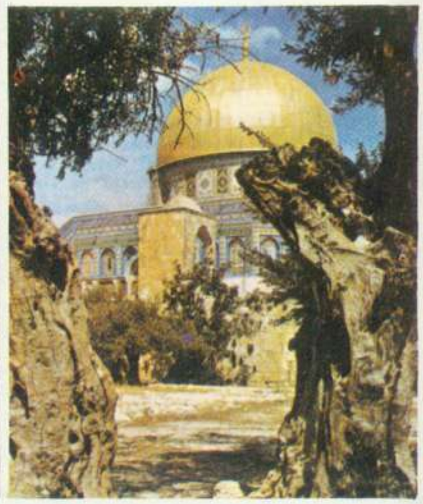
وحتى فى ظل الحكم الصليبى الأجنبى الذى عمر أكثر مما عمرت دويلة اليهود القديمة (حكم الصليبيون حوالى ٢٠٠ سنة) ، فقد استمرت القدس مدينة عربية ، وظل أهلها العرب ، يمارسون حياتهم الاجتماعية فى معزل عن طابع النظام الاقطاعى الذى كان سمة الدولة الصليبية ، وقد عادت القدس الى أصحابها العرب على يد البطل صلاح الدين الأيوبى ، وخرج الصليبيون الغزاة الطارئون من القدس وفلسطين وبلاد الشام فى نهاية الصراع .

موقع القدس

تقع القدس على سلسلة جبال ضمن هضبة تعلو عن سطح البحر نحواً من ثمانمائة متر ، وتحيط بالمدينة عدة جبال أشهرها جبل سكوبس أو جبل المشارف من الشمال ، وجبل المكبر من الجنوب ،







وجبل الطور أو جبل الزيتون من الشرق، وجبل صهيون من الغرب . وتقع القدس القديمة (التاريخية) ضمن سور يحيط بها من جميع الجهات ويبلغ طوله نحواً من أربعة كيلو مترات ، وارتفاعه نحواً من اثنى عشر متراً ، وللسور سبعة أبواب كبيرة مفتوحة ، يدخل الناس منها الى المدينة من نواحيها المختلفة ، ومن أشهر هذه الأبواب ، باب العمود من الشمال ، وباب المغاربة من الجنوب ، وباب سان ستيفان من الشرق ، وباب الخليل من الغرب ، وللسور باب ثامن هو الباب الذهبى الذى يقع فى الجهة الشرقية ، إلا أنه غير مستخدم منذ فترة بعيدة .

ومعظم أجزاء السور الحالى للقدس، من بناء السلطان العثمانى سليمان القانونى ، وقد دامت أعمال البناء فى السور مدة خمس سنوات وقد بلغت مساحة الأرض التى تحتلها القدس حتى عام ١٩٤٨ أى قبيل قيام الكيان الصهيونى ، ما يزيد قليلا على ٣١ كيلو متراً مربعاً ، وتبلغ مساحة «القدس القديمة» ٩٢٧ دونماً (أو كيلو متراً مربعاً) أما بالنسبة لتملك اليهود فى المدينة المقدسة ، فحتى عام ١٩٤٨ ، لم يكن اليهود قد تملكوا بفعل سياسة الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، أكثر من خمسة آلاف دونم من أصل ثلاثين ألف دونم ، أى ١٧ بالمائة من مساحة المدينة . وبمعنى آخر فان ٢٥ ألف دونم من أرض القدس ، أى ما يوازى ٨٣ بالمائة من مساحتها ، كان أملاكاً عربية ، إلا أن سياسة مصادرة الأراضى التى درجت عليها حكومات العدو الصهيونى المتعاقبة ، قلصت هذه المساحة الى درجة لا يستهان بها ، وسياسة مصادرة الأراضى العربية مستمرة كل يوم كما تحمل لنا الأنباء وتقارير الأخبار .

وقد تمكن اليهود بمساعدة البريطانيين من الاستيلاء على حوالى عشرين ألف دونم من أراضى العرب فيما يسمى بالقدس الحديثة ، أما ما تملكوه فى القدس القديمة فلم يزد على أربعين دونماً ، أى ٤ بالمائة من مساحتها ، وتقع هذه ضمن «الحى اليهودى» فى الجهة الجنوبية ، وبعض الأحياء الأخرى ، ولا يملك اليهود من أراضى «الحى اليهودى» نفسه ومن مبانيه سوى جزء صغير لا يتجاوز ما نسبته ١٥ بالمائة ، إذ أن ٨٥ بالمائة من تلك الحى هى أملاك تابعة للوقف الاسلامى .

ويمكن تحديد ملكية اليهود فى القدس حتى عام ١٩٤٨ على الشكل التالى :

- القدس الحديثة : ١٧ بالمائة من مساحة مقدارها ٣٠ ألف دونم .
- القدس القديمة : ٤ بالمائة من مساحة مقدارها ٩٢٧ دونماً .
- فى الحى اليهودى : ١٥ بالمائة من مساحة مقدارها ٣٠ دونماً .

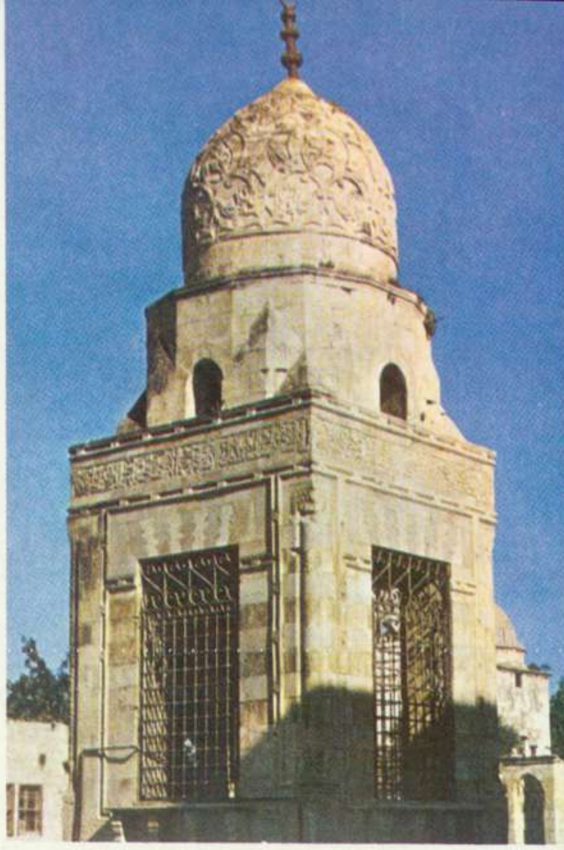
وقد جاءت شهرة القدس من أماكنها المقدسة ، وفى مقدمتها الحرم الشريف الذى يضم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وهو يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة ، وفى القدس مساجد اسلامية أخرى يبلغ تعدادها ٣٥ مسجداً ، كما أن فيها مقابر اثرية مهمة ، وزوايا ، وفيها ركن البراق الشريف وغير ذلك كثير .

هذا بالنسبة للمقدسات الاسلامية ، أما بالنسبة للمسيحيين ففى القدس من مقدساتهم كنيسة القيامة التى تقع وسط المدينة والتى تشمل على درب (أو طريق) الآلام ، وكنيسة الجسمانية ، وكنائس وأديرة ومقابر أخرى عديدة تملكها الطوائف المسيحية المختلفة .

وأما اليهود ، الذين يزعمون اليوم أن



المسجد الأقصى وسط مباني المدينة



العمارة الاسلامية فى عهد المماليك



القدس تغطيها الثلوج .. لقطة من فوق جبل الزيتون

القدس
هي القضيّة

القدس مدينتهم المقدسة ، فانهم لا يملكون أية آثار دينية أو غيرها فى المدينة كما قدمنا ، وكل ما ينسبونه الى أنفسهم فيها ، هو الحائط الغربى للحرم الشريف الذى هو ملك اسلامى ، ويزعمون انه أحد جدران هيكل سليمان ، وقد عطف المسلمون عليهم لما بكوا وندبوا طويلا زاعمين أن الحائط لهم ، فسمحوا لهم بزيارة ذلك الحائط والبكاء عند القسم الجنوبى منه .

أما الحقيقة التاريخية البارزة ، فهى أن الحائط الغربى للمسجد الأقصى لا يمت بأية صلة لهيكل سليمان ، لأن ذلك الهيكل تعرض للهدم مرتين ولم يبق منه أى أثر ، والدليل على ذلك أن الاسرائيليين أخفقوا برغم جميع الحفريات التى أجروها فى القدس وتحت الحائط الغربى للمسجد الأقصى وجنبات أخرى من المسجد ، فى العثور على أى أثر لهيكل سليمان هذا ، وكل ما كان لليهود فى القدس قبل رحيل الانكليز عن فلسطين يتركز فيما يسمى بالحى اليهودى . وهو عبارة عن بعض كنس وبيوت دينية ، وجميعها حديثة العهد وغير أثرية ، وأكثرها يقتصر على غرف فى منازل عربية مؤجرة لهم ، كما لليهود بعض المقابر فى «القدس القديمة» ، ومنها ما يقع على أرض اسلامية مؤجرة لهم بعقود إيجار رسمية ، وهذه أيضاً اشارة الى تسامح المسلمين مع اليهود فى العصور الغابرة ، وقبل اغتصابهم فلسطين . ويبقى أن نشير الى عدد سكان المدينة المقدسة ، حسب احصاءات عام ١٩٤٨ ، حيث كان سكان القدس قد بلغوا ١٦٠ ألفاً ، نصفهم من اليهود ، وقد تنامى عدد اليهود فى القدس نتيجة للهجرة اليهودية من الغرب بصورة خاصة الى فلسطين المحتلة ، وخاصة بعد صدور وعد بلفور ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى فى عام ١٩١٨ .

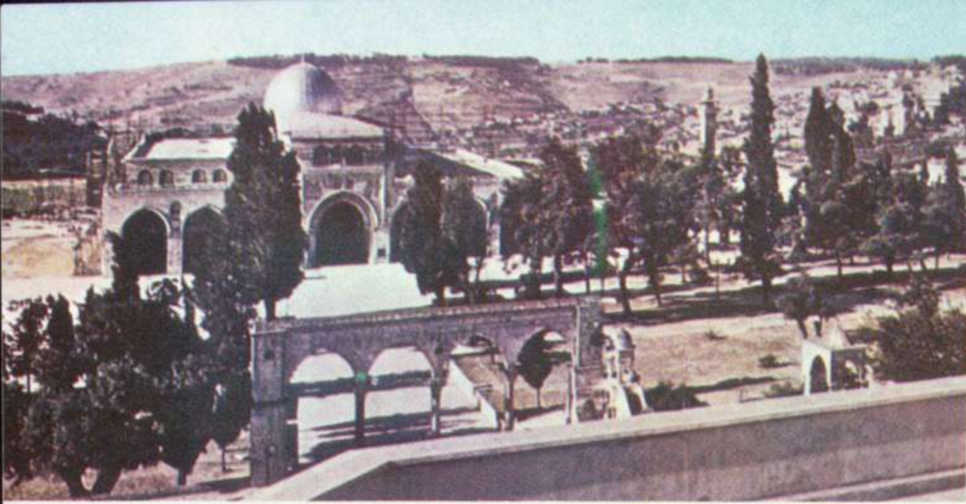
أما قبل ذلك ، وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر على وجه التحديد فلم يكن عدد اليهود فى مدينة القدس اكثر من ١٥٠ شخصاً وفى أوائل القرن الثانى عشر (١١٧٠ ميلادية) لم يكن فى المدينة المقدسة غير يهودى واحد .

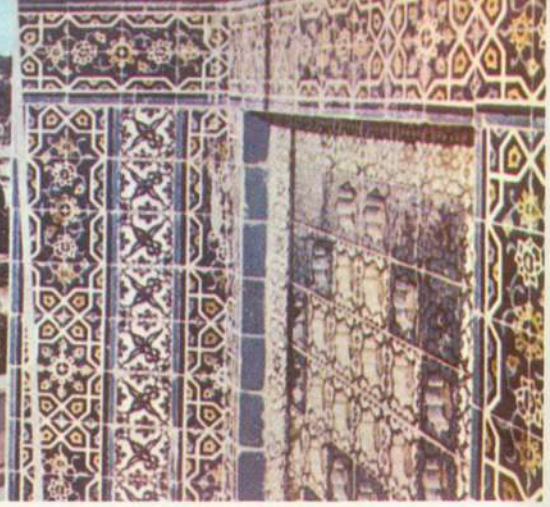
تهويد القدس

وآخر الفصول اليهودية فى القدس ، كان اقدام حكومة مناحيم بيغن على اعلان قرار بضم القدس الى الكيان الصهيونى ، وجعلها عاصمة «رسمية وأبدية لاسرائيل» ، وقد صادق الكنيست (البرلمان) الصهيونى على هذا القرار يوم الاربعاء الموافق ٣٠ تمور (يوليو) من العام الماضى ١٩٨٠ .

وقد نص «قانون» ضم القدس الذى أطلق عليه الصهاينة اسم «قانون القدس» على ما يلى :

١ ـ ان القدس الموحدة هى عاصمة





النقوش والزخرفة والخطوط العربية فى آثار المدينة



مباني المدينة العربية



الصخرة المشرفة

اسرائيل .

٢ ــ ان القدس هى مقر رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا .

٣ ــ ان الأماكن المقدسة سيجرى حمايتها من التدنيس والضرر ، أو أى شىء يمكن أن يؤثر على الوصول الحر لأتباع كافة الديانات الى الأماكن المقدسة ، أو على مشاعرهم تجاه هذه الأماكن .

٤ ــ ان الحكومة (الاسرائيلية) ستشرف على تطوير وتنمية القدس وازدهار سكانها (!!) بتخصيص أموال خاصة لذلك بما فيها منحة سنوية خاصة لبلديتها بموافقة اللجنة المالية فى الكنيست .

إن هذا القرار الصهيونى ، يعنى ببساطة تهويد القدس وجعلها عاصمة للكيان الصهيونى ، ويعنى فيما يعنى أن القدس سوف تفرغ من سكانها العرب الذين مايزالون فيها (حوالى ٨٠ ألف حالياً) ، وان الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ستهدم وتصبح أثراً بعد عين ، وان هيكل سليمان (الهيكل الثالث) سيبنى مكان المسجد الأقصى وعلى انقاضه .

أما ما جاء فى قرار التهويد من حديث عن احترام أماكن العبادة لأتباع كافة الديانات ، فهو مجرد لغو لا ينطوى على أى معنى فعلى أو حقيقى ، لأن الأساس فى «قانون القدس» وفى الصهيونية ، هو اقامة دولة يهودية خالصة فى فلسطين المحتلة ، واعتبار القدس عاصمة لهذا الكيان ، ومن هنا يمكن أن نفهم قول «بن غوريـــون» أول رئيس وزراء صهيونى : «انه لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل» . فالغاية اذن هى القدس أولا وقبل كل شىء ، والهيكل بعد ذلك ، ومادام اليهود لم يبنوا الهيكل ، فان يهوديتهم لا تكتمل و «دولتهم» لا تعتبر قائمة من الوجهة النظرية والعقائدية ، ولذلك ، فان «فصل» ضم القدس ، لن يكون الفصل الأخير فى المدينة ، فهناك فصلان آخران هما : طرد جميع العرب من القدس ، وهذا ما يجرى حالياً عن طريق مصادرة أراضيهم ودفعهم الى الهجرة ، ثم هدم الأماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة وقيام هيكل سليمان من جديد مكان المسجد الأقصى .

ولأن القدس اختصاراً هى «القضية» ، ولأن الصراع على القدس هو الصراع العربى ــ الصهيونى بكل معانيه وأبعاده التاريخية والحضارية والسياسية والدينية ، ولأن فى الحديث عن القدس عودة الى جذور هذا الصراع ... ولكى لا ننسى فى زحمة المتاهات اليومية ، القضية الأساسية ، عدنا الى طرح قضية القدس ــ أى القضية العربية ــ للتذكير بها ، لأن «الذكرى تنفع المؤمنين» .

عصام شريح

العَمّ زيدان

محمد البساطي

عاد العم زيدان .

وقف أمام البيت المهدم ، وأنزل الخرج عن ظهر الحمارة . كان بيتاً بلا صاحب يبدو كالخرابة ، بلا سقف أو أبواب .

قالت أمي : «هو .. هو عمك . له الآن ذقن طويلة وعباءة» .

قلت : ولم لا يأتي ليقيم عندنا .

كانت تجلس أمام الموقد تنفخ فى النار وعيناها تدمعان من الدخان .

قالت انه رحل عندما كنت أحبو . أخذ الفلوس من جدى وسافر ليأتي بالشعير ولم يعد .

انهم أيضاً فى البيت لم يتحدثوا عنه طوال هذه السنوات . كان جدى ـ حين يأتى ما يذكرهم به ـ يتجهم فجأة وينتابه السعال .

وقفت أمام البيت المهدم . كان هو فى الداخل يزيح الأحجار المتساقطة جانباً بإحدى الحجرات ، والتفت ورآنى ، وأشار لي أن أدخل ، وجريت عائداً الى البيت . ورأيته مرة أخرى وكان خارجاً ، وأراد أن يعبر القناة الجافة أمام البيت وانحنى ونقل ساقى الحمارة الأماميتين الى الشاطىء الآخر ، وقفزت الحمارة . كنت فوق سطح بيتنا ، وهبطت مسرعاً ، وجريت وراءه . كانت الحمارة تجنح الى الطريق وتحتك بالأشجار . وقلت :

ـ أهى عمياء ؟

ـ أومأ صامتاً . وكان يحدق فى وجهى وسألنى :

ـ أتعرفنى ؟

ـ أنت العم زيدان .

ـ ومن قال لك . أهو جدك ؟

ـ جدى لا يقول ، رآك أبى وأنت قادم . ولماذا اشتريتها ؟

ـ أهو الذى يناديك ؟

والتفت . ورأيت أبى أمام بيتنا يلوح لي . وعدت جرياً .

طوح بى أبى فى عنف ، وسقطت بين أرجل البهائم . ورأيته وأنا أزحف مبتعداً ينحنى على الأرض ، وسمعت صياح جدى :

ـ اضربه ..

ثم رأيت أبى قادماً وبيده فرع شجرة ، وقفزت الى جدار الحوش ، وتسلقت عريشة البهائم ، وصاحت أمى وجرت نحونا وجذبت أبى بعيداً . وزمجر أبى :

ـ لو رأيتك تحدث هذا الرجل مرة أخرى !!

جففت أمى الجرح فى رأسى بتراب الفرن ، وسحبتنى من يدى الى الحجرة .

• • •

كنت أنام وجدى فى حجرة واحدة . وكانت نوبات السعال تنتابه أثناء الليل . ووضعت أمى بجوارى «قلة» ماء . وحين



تزداد حدة النوبة ويصبح عاجزاً عن مناداتى .. كنت أنتبه فجأة من النعاس . وبعد جرعة الماء كان يهدأ وأعود لنومى .

وفى الصباح الباكر يحمله أبى فى عباءته الصوفية ويخرج به الى الحوش حيث أعد له فراشاً من القش . وحين يكون الجو دافئاً يخرج به الى المصطبة . كان يبدو صغيراً على كتف أبى ، وقد تعرت ساقاه الضعيفتان وبدتا شديدتى النحول . كانت أمى أيضاً تحمله فى سهولة . ترفعه من تحت أبطيه وتجذبه بعيداً عن القش الذى بلله أثناء جلوسه فى الحوش وتنزع اللفافة المبتلة حول فخذيه ، وتضع اخرى جافة . ويدس جدى وجهه فى الجدار . كان يحس بى حين أقترب ، ويهمس لأمى دون أن التفت : «الولد» ..

وتستدير أمى وتنهرنى لأبتعد .

كف جدى عن الخروج الى المصطبة منذ جاء العم زيدان . كان يجلس فى ركن الحوش وبجواره وعاء النار ، وعصا طويلة يطرد بها الفراخ والبط التى تقترب منه ، والكلاب التى تتسلل أحياناً من الخارج حين يكون فى غفوة وتشمه وتلعق وجهه .

كان ينتبه على خطوات أمى ، ويسألها عن الذين مروا بالبيت وسمع أصواتهم منذ قليل وحين يرانى أمامه كان يقول :

ـ انظر .. أهو فلان الذى مر الآن ؟

وأقول انه هو ..

ويغمض عينيه ، ويحكم العباءة حول جسده ، ويعود الى غفوته .

● ● ●

كان أبى يحمله فى الليل بعد العشاء الى المصطبة . ويبدو جدى لحظتها مبتهجاً . كانت امى تجلس على عتبة الباب ، وأتمدد بجوارها . ويشير جدى الى الحقول الممتدة ويقول :

ـ كلها كانت بور .

ويقول أبى : آه .. بور

ويقول جدى : لو كنت أعرف لاشتريت يومها مائة فدان .. وكان معى النقود .. كنا عائدين من السودان ومعنا النقود .. واشترى عباس عشرين فداناً وجابر أيضاً .. آه .. كان الفدان بملاليم .. خمسون قرشاً .. ولا قطرة ماء . من كان يعرف أنهم سيحفرون الترعة بعدها .. قلت لهم ومن أين تنفقون عليها .. يكفى خمسة ..

ويقول أبى : خير وبركة ..

ويقول جدى : الحمد لله .

ويصمتان . ثم أسمع شخير جدى الهادىء . ويحمله أبى الى الداخل .

● ● ●

كانت المرة الأولى التى يتحدثان فيها عن العم زيدان ، وكان قد مر أسبوع على مجيئه ، وكنا نتناول العشاء فى الحوش .

قال جدى : أمازال هنا ؟

وقال أبى : آه هنا .

ـ وماذا جاء به ؟

ـ العلم عند الله .

ـ ألم تلتق به ؟

ـ التقيت . من يومين . كان واقفاً عند بقالة عبد الصمد .

كان صوتهما خافتاً ، وعيونهما فى الطعام . وقال جدى :

ـ وفيم تحدثتما ؟

ـ لم نتحدث . اشتريت الدخان ومضيت .



العم زيدان

— ولماذا دكان عبد الصمد ؟
— لم أره إلا وأنا فى الدكان .
— ولم يقل شيئة ؟
— أبداً . ظل ينظر إلي حتى خرجت .

● ● ●

لم يتحمل جدى أن يبتعد طويلا عن المصطبة . وأعد له أبى «فرشة» بجوار باب الحوش الخارجى . كان يوارب الباب قليلا ، وتبدو عيناه وهو ينظر الى الحقول وكأنه يوشك على النعاس . وحين يكتشف أن خللا ما قد تسرب الى المنظر العريض الممتد أمامه كان يلاحق أبى وأمى بالسؤال ويتصيد المارة ويسألهم . وقد ظل أياماً — قبل عودة العم زيدان — يشير الى القناة العريضة بجوار حوض الذرة قائلا :

— لم يطلقوا المياه حتى الآن .. ماذا يفعل الدغيدى ؟

لم يهتم أبى وأمى بما يقول . وكان يحدق فى وجهيهما متسائلا . كانت أرض الدغيدى تبعد مسافة ثلاثة أحواض . وكانت تسحب مياهها من القناة .

وقال له أبى يوماً .. انه سأل الدغيدى والرجل يبحث عن أنفار .

وغضب جدى : «وهل ضرورى أن تكون الأنفار من البلدة ؟ لو أنفق قليلا وجاء بهم من بلدة أخرى ؟»

حملت أمى الشاى اليه بجوار الباب . كان مبتهجاً — وقد اكتشف أنهم فى فترة غيابه عن المصطبة — قطعوا شجرة التوت . كانت شجرة ضخمة كثيفة الأغصان بين حوضين فى مواجهتنا كان جدى يقول انها غريبة فى المكان وأن جذورها تمتد فى الحوض وتضعف الزرع . بدت رأسه من فتحة العباءة ملساء وكان يشير بيده قائلا لأمى :

— قطعوها أخيراً . انظرى .. كانوا يقولون انه لا يوجد ظل آخر بين الأحواض .

فى هذا اليوم بدا وكأنما نسي عودة العم زيدان . كان يضحك . وداعبنى بالعصا ، وحكى لنا وقت العشاء عن الأشجار الضخمة التى رآها فى السودان وكيف كانوا ينامون بين فروعها .

اكتشف جدى مكانى فوق السطح — وكنت أتمدد فى الصباح بين أكوام القش محدقاً الى البيت المهدم حيث يقيم العم زيدان ، وأراه هناك وسط الأحجار المتساقطة يجمع اشياءه فى ركن الحجرة قبل خروجه — رمقنى جدى طويلا حين هبطت من فوق السطح ، وأحسست بعينيه تتبعانى وأنا أعبر الحوش ، وزمجر عندما اقتربت منه وتناول العصا من جواره .

قال لأبى : خذ الولد معك .. لا تتركه هنا ..

● ● ●

كان وهج النار يضيء مدخل البيت المهدم . وقفت لحظة متردداً ثم دخلت . كان العم زيدان راقداً ووجهه قرب النار . وأشار الى حجر مسطح بجواره . وجلست . قال :

— أنت ابراهيم ؟

كان يشبه جدى كثيراً . نفس الأنف المدبب ، والعينان الصغيرتان الدامعتان والحاجبان الكثيفا الشعر ، وقال فى صوت هادىء :

— أيضربونك حين تأتى ؟

وضع قطع الخشب الصغيرة فى النار وكان الدخان ينساب خفيفاً على وجهه :

— لك يدا أبيك الطويلتان .. وفمه الواسع .. أما يزال ينام والأرز فى فمه ؟

وصمت . كان يحدق فى وجهى وقال :

— ورأيت صندوق جدك ؟

وصمت مرة أخرى . ثم قال :

— الصندوق الأسود الكبير فى ركن المندرة . والقفل الأسود . ثلاث سنوات وهو يحمله على ظهره فى الأراضى البعيدة . ألم يحك لك ؟ أرأيت ما فى الصندوق ؟ الأزرار الصفراء بلون الذهب هل قال لك انها من الذهب ؟ وفوارغ الرصاص وشظايا القنابل . والنيشان البرونزى فى علبته السوداء . ألم يخبرك كيف منحوه النيشان ؟ كان الجندى السودانى مختبئاً فوق الشجرة ، وقفز يريد قتل القائد الانجليزى ، فضربه جدك بالسونكى .

كان يحرك النار بطرف اصبعه ، وقلت اننى رأيت الصندوق .

— والنيشان ؟
— والنيشان .



— والأزرار ؟
— والأزرار .
— وفوارغ الرصاص ؟
— وفوارغ الرصاص .

ابتسم : والجندى الأسود فوق الشجرة ..

وضحك . واندفعت خارجاً .

● ● ●

قال جدى انه هناك .

وأمسك بذراع أبى مشيراً الى شجرة الجميز على النهر .

قال أبى .. انه رآه أيضاً .

ونظر من خلال الباب الموارب ، ثم استدار الى جدى . ونظر جدى اليه بعينين مرتعشتين وهمس :

— أمس كان هناك أيضاً .. وعاد من وسط الحقول فى مواجهتنا وعيناه طوال الوقت على البيت . ومر أمام الباب ، وكان موارباً ، وحدق فى وجهى ..

قال أبى : أتريد ان أنقلك بعيداً عن الباب ؟



ـ آه .

نقل أبى «الفرشة» الى ركن الحوش . وحمل جدى على كتفه . وقال جدى :

ـ سيقتلنى .. جاء ليقتلنى .

وضعه أبى على الفرشة ، ولفه بالعباءة . وقال جدى :

ـ اترك الولد . لا تأخذه معك .

• • •

قال أبى : انه ـ «العم زيدان» ـ أرسل من ثلاث سنوات رجالا الى جدى ، قابلوه فى الجامع ورفض جدى أن يتحدث معهم وتركهم ومضى .

قالت أمى : لم تخبرنى من قبل ؟

قال أبى : انه أيضاً لم يعرف إلا اليوم .. حين قال له جدى .

قالت أمى : وماذا كانوا يريدون ؟

قال أبى : ان جدى لم يخبره .

كانا يتحدثان فى همس على المصطبة . وكان جدى نائماً فى الحجرة .

• • •

فى الليل يتدفق وهج النار أمام البيت المهدم ، ويمتد الضوء الى منتصف الحوض المواجه .. انه العم زيدان قد عاد الى البيت . ويصمت جدى فجأة ، وينظر من فوق كتف أبى الى الضوء .

وتخف حدة العتمة فوق الحقول .. حتى تلك الأشجار على النهر كنت ألمح ظلها المعتم . وتهمس أمى فى صوت خافت :

ـ ويشعلها طوال الليل ..

لا أحد يسمعها غيرى . كنت راقداً ورأسى فوق ساقها .

• • •

فى الصباح الباكر كنت أرى العم زيدان من فوق السطح يمضى بحمارته الى شجرة الجميز ، ويخلع ملابسه منزوياً خلف الشجرة ، وينحنى ساحباً الحمارة الى المياه . ويتطاير الرذاذ متألقاً . كان يعبر النهر بقدميه سابحاً مع التيار . وفى عودته كان يأتى مخترقاً الحقول ورأسه عارية والشال مهدل على كتفه ، والحمارة تتعثر وراءه على حافة الحوض الرفيعة . ويرمقنى فى مكانى فوق السطح بنظرة ، ويبدو وهو يتقدم وكأنما سيقتحم البيت ، وأرى جدى فى ركن الحوش ينتبه فجأة من غفوته ـ وكأنما ميز زفرات الحمارة . ويحدق نحو باب الحوش مترقباً . ويمر العم زيدان بالبيت ، ويبتعد .

• • •

قال جدى : انه يسمعه فى الليل حين يمر خلف البيت الى الحقول . وسأل أبى عما يفعله هناك .

كان أبى يدفىء يديه فوق وهج النار . وظل صامتاً .

وقال جدى : انه يسمعه أيضاً حين يعود . ونظر الى وجه أبى متسائلا .

كان الجو بارداً . ووضعت أمى لفة الردة الساخنة حول وسطه . وحمله أبى الى الحجرة . وفى الصباح ظل جدى فى الحجرة . وحملت أمى وعاء النار اليه .

• • •

صحوت فى الليل على صوت سعاله الحاد . ورأيته جالساً فى الفراش وقد سقطت العباءة عن جسده ، وبدا كتفه عارياً من فتحة الجلباب .

سألته ان كان يريد أن يشرب .

أشار لي أن أصمت . كان يلهث وقد رفع رأسه مترقباً . وسمعت صوتاً فى الخارج أشبه بالرياح تلمس أطراف الزرع ، ثم بدا لي أنه صوت تنفس يلتصق بالنافذة . كنت أحدق الى جدى ثم غفوت .

وعندما دخل أبى الحجرة فى الصباح وجده ميتاً .

• • •

جمع العم زيدان أشياءه ووضعها فى فتحتى الخرج . وكنت ممدداً فوق السطح وكان الحوش مزدحماً بالنساء والرجال يعدون للجنازة .

حمل العم زيدان الخرج . ووقف لحظة ساكناً مطرقاً ، ثم استدار الى الخارج وسحب الحمارة وذهب .

محمد البساطى ـ القاهرة

ملامح من حياة الفنان الأسبانى

جويا



ثمن الحرية .. كما عبر عنه الفنان الذى يحتل مكانة كبيرة فى تاريخ الفن

الفنان والاختيار

د. زينب عبد العزيز

تعتبر حياة الفنان الأسبانى فرانشسكو جويا من أخصب السير التى يتناولها النقاد ، ويرجع ذلك الى ما يحتله جويا من مكانة فى تاريخ الفن ، وإلى ما حققه من اضافات ، وخاصة الى الجراة والوضوح اللذين راح يعبر بهما عن ارائه .

لقد عرف جويا بالقلق والمعاناة من كثرة ما تحتوى عليه حياته من عواصف درامية صاخبة ، وما اعتراها من متغيرات. فقلما جمع فنان من قبله بين عالم الخيال ، وجوانبه الشاعرية أو الخرافية ، وعالم التناقض والمحن ، بأبعاده الانسانية المتضاربه . إلا أن اهم ما يتضح من تلك السيرة الجامحة هى مواقف جويا الواضحة

التى كان يختارها بصرامة قاطعة .. مواقفه من نفسه ومن المجتمع ، وتحديد اهدافه بحسم ووضوح . ومهما تنوعت أو تناقضت هذه المواقف وتغيرت ، إلا أنه ظل دائماً مرتبطاً بأرض اسبانيا التى اختلطت دماؤه بنبضاتها وعنف احداثها ..

عصره وتفرده

امتدت حياة جويا من عام ١٧٤٦ حتى عام ١٨٢٨ ، أى أنه عاصر فترة تاريخية طاحنة ومميزة من تاريخ اسبانيا وحروبها ، الى جانب ما كانت تقاسيه من بطش محاكم التفتيش وشعوذة السحرة واتاوات تفرضها العصابات .. وخلال هذه الأعوام وخضم احداثها ، صور جويا حوالى خمسمائة لوحة ، ومائتين وثمانين قطعة حفر ، وما يقرب من الألف رسم .. ولعل أول ما يلفت النظر فى هذه الأعمال التشكيلية هو التناقض العنيف : سواء فى اختيار الموضوع أو فى الاسلوب . فما أشد الفرق شكلا وموضوعا ومعالجة بين لوحة « العائلة المالكة » وإحدى لوحات «الرسوم السوداء» أو لوحة «بائعة اللبن فى بوردو» .. إذ أن هذه الأعمال تبدو فى الوهلة الأولى ، وكأنها لثلاثة فنانين ينتمون الى ثلاث مدارس فنيه مختلفة . فلوحة «العائلة المالكة» تمثل مرحلة التفاصيل الشديدة والثياب الفاخرة التى تغلف أناس يقفون كالدمى ،

ولوحات « الرسوم السوداء» تعكس الهلع النفسى الذى كان يعيشه الشعب الاسبانى انذاك ولوحة «بائعة اللبن فى بوردو» تمثل بساطة وحزنا فى التعبير لا يمت الى المرحلتين السابقتين بصلة . غير أن هذا الاختلاف الواضح لم يكن عفويا أو مرتجلا ، وإنما نتيجة لتحديد موقف جويا من نفسه ومن قضايا



الفنان الأسباني جويا



الأسباني فى وقت راحته

● لم يكن المرض وحده هو الدافع الحقيقي لتغيير موقف جويا

المجتمع الذى يعيش فيه .

الحلم الكبير

كان فرانشسكو جويا ، الفلاح المنبت ، يتطلع الى اضواء البلاط ويود الوصول الى لقب «فنان البلاط الملكى» . بل لقد كان فى الواقع يحلم بأن يرقى الى لقب «رسام الملك» . ومن خلال هذا التحديد الواضح ، كرس جويا كل امكانياته ليصل الى تحقيق هدفه ـ حتى وإن لجا الى المكر والدهاء ...

ولم يكن جويا قد اجتاز السابعة عشرة من عمره عندما اتخذ هذا القرار . فترك قريته ليذهب الى مدريد سيرا على الأقدام .. وذلك ليشترك فى المسابقة التى اعلنت عنها اكاديمية سان فرناندو ويفشل جويا . إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستقرار فى العاصمة ليواصل محاولة تحقيق حلمه الكبير وفى خضم احداث العاصمة وتياراتها المتصارعة ، تعرف جويا الى الفنان بايو ، وكان فى بداية مجده انذاك . وسرعان ما تالف الفنانان رغم فارق السن بينهما بل ورغم فارق المكانة الاجتماعية . ولعل أكثر ما جمع بينهما هو ذات الهدف إذ كان بايو ايضاً يصوب نظراته نحو البلاط .

ثم سافر جويا الى ايطاليا ليشترك فى مسابقة أكاديمية الفنون الجميلة فى مدينة بارم . وكانت هذه الجائزة بمثابة جواز مرور للفنان ينفذ بفضله الى الطبقات العليا . وللمرة الثانية يلاحقه الفشل . فعاد الى وطنه ليجد استاذه وصديقه بايو قد اصبح من رسامي البلاط الملكى فنشط تفكير جويا ... وما هى إلا فترة وجيزة حتى كان قد تزوج من شقيقة زميله ، الآنسة جوزيفا بايو ..

فنان البلاط

وبهذه الزيجة تم لجويا تدعيم مكانته الفنية والاجتماعية ، كما ضمن لنفسه منفذا الى البلاط وما كاد يصل الى الثلاثين من عمره حتى بدأ الحظ يبتسم له بمعاونة شقيق زوجته . فقد اسند إليه بايو مهمة القيام بعمل مجموعة من تصميمات اللوحات الخاصة بالسجاد للمشاغل الملكية . وفرح جويا بهذه المهمة التى رأى فيها البداية الأكيدة لما يرمى إليه ..

وحتى ذلك الحين ، كانت الموضوعات الفرنسية والاسطورية التقليدية هى السائدة فى صناعة السجاد الملكى . إلا أن الملك شارل الثالث كان قد قرر عام ١٧٧٣ تغيير هذا النمط الغريب عن الحياة الاسبانية ، وطالب الفنانين بتنفيذ موضوعات تعبر عن الحياة فى اسبانيا ، ولأول مرة بدأ إيقاع الحياة اليومية يتدفق على فن السجاد بملامحه البراقة الزاهية . وراح جويا يعبر عن مظاهر المرح والطرب فى حياة اهل بلده فتوالت رسومه التى تعبر عن الاعياد والاوبرات الخفيفة والحفلات ومصارعة الثيران .

وطوال سبعة عشر عاماً ، صور جويا ما يقرب من الستين لوحة مستوحاة من ذلك الجانب الشعبى البهيج . وساعدت هذه الفترة على ذيوع صيته فى الأوساط الارستقراطية وانهالت عليه الطلبات لعمل بورتريهات لأفراد الطبقة الارستقراطية .

نجاح مبكر ووافر

وتدفق الذهب بين تلك الاصابع الخشنة المنبت ، وانعكست ملامح الثراء على مظهره وعلى ايقاع معيشته . فاشترى جويا فيلا محاطة بحديقة شاسعة ، وعربة تجرها الجياد ، وانغمس فى حياة البذخ والتظاهر ، بينما كانت فرشاته تواصل انغماسها فى خدمة الطبقة الحاكمة والبلاط وفقا لما رسمه لنفسه من خطط واهداف ..

وماهى إلا سنوات حتى تم انتخابه بالاجماع عضوا فى الاكاديمية الاسبانية . ثم عين مديرا لها . وماكاد يبلغ الاربعين من عمره حتى حصل على لقب «رسام الملك» وبحصوله على هذا اللقب اصبح مسموحاً له بأن يخط ملامح صاحب الجلالة بفرشاته ! ومع تحقيق ذلك الحلم الذى راوده منذ بداية حياته ، بدأ جويا يتساءل عن جدوى ذلك الحلم وعما حققه له من اهداف

الكشف والادانة

فلقد اتاحت الظروف لجويا ، بتداخله فى البلاط ، أن يطلع على ما يدور فيه من خبايا .. فخلف تلك المظاهر البراقة ، كانت النفوس تتآكل وتتطاحن فى عنف لا هوادة ولا رحمة فيه ، بينما المؤامرات تحاك خلسة فى سكون وثبات .. وامتدت اسبانيا بأحشائها الدامية امام عينيه .. امتدت بكل ماتحمله من مكائد وشعوذة وغموض وبكل ما تحويه فى جوفها من مؤامرات وخدع بينما الشعب غارق فى ظلمات بعض رجال الدين ورعب محاكم التفتيش وسيطرة السحره . وقد وصل عدد رجال الدين هؤلاء فى تلك الفترة الى أكثر من مائة ألف شخص ، أكتظت بهم جدران أكثر من ثلاثمائه دير اسبانى . وبخلاف تداخلهم فى المجالات السياسية وتياراتها ، كان الانحلال والجهل والاستبداد متفشياً بينهم لدرجة أنه اصبح منبعاً لحركة أدبية بأسرها ، تقوم اساساً ضد شعوذة تلك الوجوه وغموض اقنعتها الزائفة ..

آفاق جديدة

واصيب جويا بالمرض .. أصيب بشلل نصفى فى الجانب الأيمن ارقده طوال عام ١٧٩٣ يصارع الموت يائساً ، ويعانى من ذلك المرض الذى ادى الى فقدانه حاسة السمع تماماً . واضطره الصمم الى الاتصال بالآخرين عن طريق الكتابة أو الأشارة . إلا أن ذلك الصمت الرهيب الذى احتواه قد فتح له عالم الاصداء .. أصداء أليمة تتردد فى اغواره وتفصل مابين العالم الخارجى وبين دنياه . ويقول كلود روا ، أحد النقاد الفرنسيين ، عن هذه الفترة من حياة جويا : « إن ذلك المرض ، والشعور الجسمانى بالموت ، قد فتحا افاقاً جديدة أمام جويا ، الرسام الملكى والشاب الوصولى الجسور .. افاق كان يرفض النظر إليها حتى ذلك الحين » ..

وقد ازدادت هذه الآفاق عمقا بعد كل التساؤلات التى راح يطرحها على نفسه وهو يواجه الموت .. ذلك الموت الذى يترقبه وهو يختم بنهايته كل المخلوقات .. فما الذى يبقى بعد الموت سوى حقيقة ما انجزه الانسان ؟

آلام الشعب

لم يكن المرض وحده هو الدافع الحقيقى لتغيير موقف جويا ، وإنما تداخل الاحداث التى عاشها بكل ما اعتمل فى اعماق نفس لا تهدأ ولا تكف عن التساؤل .. وقرر جويا النزول الى جحيم الشعب الاسبانى .. النزول الى ظلمات شعب يعانى ولا يعرف الخلاص ، وانطلق الى الطريق

جويا

ملامح من حياة الفنان الأسبانى

.. انطلق ليدور فى الأزقة القائمة حيث شاهد السحرة وهم يمارسون طقوسهم ، والمساجين أو المعتقلين السياسيين وهم يعذبون ، والمحكوم عليهم وهم يعدمون علانية وسط احتفالات صاخبة .. وعايش اليأس والصرخات البريئة والتهديدات ، وامتزج بكل ما يمكن للأزقة المظلمة المتداخلة أن تحويه من مآس ..

ما أشد الفرق بين الواقع الشعبى البراق الذى صوره فى النسجيات ، والواقع الشعبى الداكن السواد الذى يراه ملطخاً بالدماء .. كم عبر فى لوحاته السابقة عن البسطاء وعن حياتهم اليومية وكم زخرفها فى رسوم السجاد .. لكنه لم ير آنذاك سوى الجانب البهيج الذى يليق بجدران البلاط. اما وقد اختلط بالمحن عن قرب وارتفعت الصرخات فى جوفه ، فكيف لا يدافع عن الحرية ضد القهر ؟ وكيف لا يدين كل ما يدور حوله من استعباد. ؟ كيف لا يدافع عن النور ويحاول بثه ليبدد الجهل والظلمات ؟!

واتسمت رسومه ولوحاته بشحنات جديدة الاسلوب .. اصبحت تحمل طابع الكشف والادانة الى جانب عنصر التوعية . فبعد أن كانت اعماله تبدو كرسوم تسجيلية ، تعبر عن الشخصيات من خارجها المنمق ، وفقاً لطلباتها ،



رحلة جويا فى مدريد .. من أهم لوحاته الزيتية



جزء من إحدى لوحاته التى اتسمت بشحنات جديدة الأسلوب

راح يصور ما يراه وما يعايشه من معاناة ، عبر انفعالات تهز اعماقه الهائمة .

تنوع الأساليب

وبسبب تغيير مواقفه واهدافه ، يعد جويا من "الفنانين الذين لجأوا إلى مجالات واساليب مختلفة للتعبير عن افكارهم ومشاعرهم . فقد اختار جويا التصوير الزيتى ، وهو يمثل الجانب الأكبر من اعماله ، كما استخدم الحفر والرسم بخلاف الفرسك (الرسم على الحائط) . وتنوع هذه المجالات مرتبط عنده بالغايات التى كان يحددها لنفسه . وعندما اختار التعبير عن تناقضات المجتمع الاسباني ومعاناته ، لجأ جويا فى بادىء الأمر الى اسلوب الكاريكاتير كسلاح ساخر ، يكشف به من خلال الضحكة عما يعيشه الناس من زيف . وهنا تكمن القيمة الحقيقية لرسوم جويا المحفورة ، التى لجأت الى السخرية عبر الآلام للكشف والتعرية أو للأدانة والاتهام . إذ أن قيمة فن الكاريكاتير ، مثله مثل بقية الفنون التشكيلية ، تكمن أساساً فيما يحمله من معان فكرية وانسانية تدفع الى التأمل . .

مجموعة «النزوات»

وأول مجموعة من الحفر رسمها جويا فيما بين ١٧٩٦و١٧٩٩ ، بعنوان «النزوات» ، وعددها اثنان وثمانون لوحة ، اصابت الجمهور بالفجيعة والاعجاب فى آن واحد ، فجعته بكل ما تتضمنه من موضوعات تكشف عن خبايا الاحداث والحكام بجرأة فريدة ، كما اثارت الاعجاب بما تتضمنه من شحنة فنيه من حيث الاسلوب والمعالجة ، فلم يكن من الحفر ، حتى ذلك الحين يستخدم إلا فى طباعة رسوم فرنسية الطابع ، تفيض بالشاعرية أو بالرومانسية الحالمة . فكانت اول مجموعة حفر تتعرض للمتناقضات الاجتماعية بخطوط مبسطة، سريعة الشحنات . ولأول مرة عرف فن الحفر الاسبانى عالم القبح والبشاعة .

وتنقسم هذه المجموعة الى نوعين : احدهما يتعلق بالجانب الاخلاقى ، والآخر بالباب الخيالي ، فمن جهة راح جويا يعبر عن الحياة الأسرية وعما هو سائد فيها آنذاك من غش وخداع ، ومن جهة أخرى تعرض لأضغاث احلام بكل ما تحويه من رموز ، الى جانب تعرضه الى عالم السحر والشعوذة . ولا يربط بين النوعين سوى كره جويا للاستبداد الاجتماعى والسياسى والدينى وبغضه للتقليديات الزائفة .

وسرعان ما خشى جويا أن يتعرض لبطش محاكم التفتيش فسحب ما تبقى من بيعها بعد صدورها بيومين . إلا أن طبقات هذه المجموعة توالت فيما بعد واصبحت بمثابة الغذاء الفنى والاجتماعى والفلسفى لكثير من فنانى القرن التاسع عشر . وبعد مجموعة «النزوات» هذه ، اصدر مجموعات أخرى منها «ويلات الحرب» و «مجزرة الثيران» ثم «متفرقات» . ولعل نجاح هذه الرسوم يرجع الى ما فيهم من اضافة فى مجال الحفر وهى : عنصر الخيال . إذ أن جويا يربط فيها بين ماضى اسبانيا الضاحك وبين قسوة الحاضر بمآسيه وبين اشخاص ادت بهم الظروف الاجتماعية والسياسية الى أسوأ مراتب الحيوانية .. وإن كان لهذه الضحكات والمواقف التى تثيرها هذه الرسوم رنين قوى يهز الاعماق ويفوق البكاء ، فذلك يرجع إلى أنها تعبر عن رجفات المواجهة .. فقد اختار جويا التعبير عن أمراض بلده وامراض عصره من الداخل مما أضفى على رؤاه قتامة ومرارة ..

ويلات الحرب

ولعل اعنف واعمق التجارب التى عايشها جويا واختار التعبير عنها هى حرب التحرير ضد نابليون فقد هبت رياح الحرب والثورة على اسبانيا واجتاحت مدنها بكل ما تحويه من تخلف ففى الثانى من شهر مايو ١٨٠٨ ثارت مدريد بأسرها وتبعتها اسبانيا بارجائها .. واندلعت ويلات الحرب والقهر طوال ستة اعوام دامية . وعلى الرغم من أن جويا كان – فى بادىء الأمر – يصور بعض كبار شخصيات قوات الاحتلال ، غير عابىء بحقيقة تواجدها على أرضه ، إلا انه سرعان ما اتخذ نفس القرار الذى سبق أن اتخذه من البلاط عندما اطلع على خباياه ، .. واتجه الى التعبير عن الجحيم الذى يعيشه الشعب الاسبانى .

وبدأ جويا الغاضب الحزين يخلد ذكرى الثانى والثالث من مايو ، ذكرى تلك الليلة الرهيبة التى تم خلالها اعدام ثلاثة وأربعين من الثوار الوطنيين .. وانطلق بكل امكانياته الفنية والفكرية والانسانية ليعبر عن ويلات الحرب وما تخلفه من أشلاء وسط صرخات الموت والعدم ..

الرسوم السوداء

وتلاحمت المآسى فى حياة جويا ومن حوله .. فبينما أهوال الحرب مازالت تتردد فى الأذهان بأصدائها الحزينة ، توفيت زوجته وكان فى السبعين من عمره ، فتجرد من كل شىء يمتلكه ، وكأنه يحيط نفسه بعزلة ارادية . فابتعد عن كل المحيطين به لينزوى وحيدا فى فيلا اشتراها بعيدا عن المدينة ، عرفت بأسم « لا كونيتا دل سوردو » (فيلا الأصم) . وبين هذه الجدران الصماء راح جويا يطلق العنان لتفجرات اختزنها وتراكمت فى اعماقه ..

وكانت ثمرة هذه العزلة الارادية أربعة عشر رسماً حائطياً ضخماً ، ستة منها فى غرفة الطعام بالدور الأرضى ، وثمانية بقاعة الجلوس بالطابق العلوى وعرفت هذه الأعمال باسم «الرسوم السوداء» ، لما تعكسه من هلع ورهبة تحيط بوجوه متشحه بالسواد .. والسواد هنا بكل ابعاده ، فهو ينعكس من واقع الشخصيات ومما تعبر عنه ، مثلما ينعكس من اعماقها حتى وان ضحكت وهى ملطخة بالدماء ..

وانتكست الثورة الأسبانية ، وزهد جويا من الحياة فى بلده . فاهدى مسكنه الى حفيده وطلب من السلطات السماح له بالسفر الى فرنسا واستقر فترة فى مدينة بوردو ، ثم انتقل الى باريس حيث عاش باعوامه الثمانين فى شبه عزله ، لا يقابل سوى بعض الأسبان المقيمين بها ، مكرساً كل وقته للرسم والتصوير .

.. الثورة الرومانسية

وكم كانت سعادته وهو يعايش احداث الثورة الرومانسية عن قرب ، ويرى انطلاقتها عام ١٨٢٤ ، وتحرير الفن التشكيلي من القيود الاكاديمية الثابته . وتضيف هذه الثورة الفنية بصيصاً من النور فى ظلمات حياة من كان سباقاً عليها بحوالى خمس وعشرين عاماً ، عندما قام بتصوير الرسوم الحائطية للكنيسة ، بنفس ذلك الأسلوب المتحرر من القواعد الجامدة الذى استخدمه ديلاكروا ابتداء من لوحة «دانتى وفرجيل فى الجحيم » . لقد حقق جويا بعمله المتواصل وفى الظروف التى عاش تحت وطأتها أوسع تطور استطاع فنان أن يقوم به فى عصره .

فقد انغمس جويا فى الحياة وارتشف من اعماقها بنهم وصدق . وارتشف من كل ما فيها من متناقضات بلا خوف وبلا تردد ليخلق عالماً فنيا يحمل بصماته .. عالم هو فى الواقع خلاصة زمنه المعاصر له ، من خلال رؤيته الذاتية ومواقفه المحددة . ويبدو موته فى فرنسا وكأنه يرمز الى أن جويا قد اسلم المشعل لمن يستكمل الطريق من بعده .. فماهى إلا بضعة اعوام حتى كان التأثيريون يعتبرونه استاذا لهم ، بفضل كل ما اضافه فى مجالى الاسلوب والمضمون . ففى مجال الاسلوب ، تبدو اعماله كعرض لتطور فن التصوير . فمن الكلاسيكية المنمقة ، المتزنة ، المرادفة لهيكل البلاط ، وصل جويا بانطلاقته وتحرره الى فتح أفق من آفاق المذهب الرومانسى بل لقد لامس مذهب التأثيرية حينما تجرأ على استخدام اللون الأسود ، الذى كانت تحرمه الاكاديميات من قبل ، واصبحت اعماله المسماة بالرسوم السوداء تمثل إحدى مراحل تطور الفن التشكيلى . أما فى عالم المضمون فقد أدخل جويا قطاعاً من المجتمع بكل ما يحمله من تناقضات وصراع .. بل لقد ادخل كل ما بهذا القطاع الهائل من احلام وآمال وخرافات ، مازجاً عالم الواقع بالخيال ، أو مخترقاً حدود ذلك الواقع ليصل الى مابعد الرؤية الملموسة والتعبير عن عالم المجهول .

ومهما اختلفت هذه الاعمال وتنوعت ، فان الرابط الاساسى بينها ، عبر اختيار جويا لمواقفه يظل دائماً الانسان .. الانسان الاسبانى بكل ما يعتمل فيه من سعادة وآلام .

د. زينب عبد العزيز

ضحكات الشهر



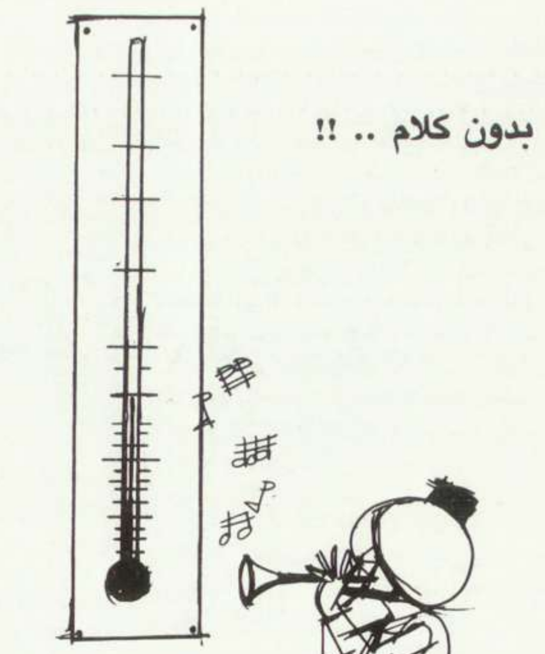
الحر







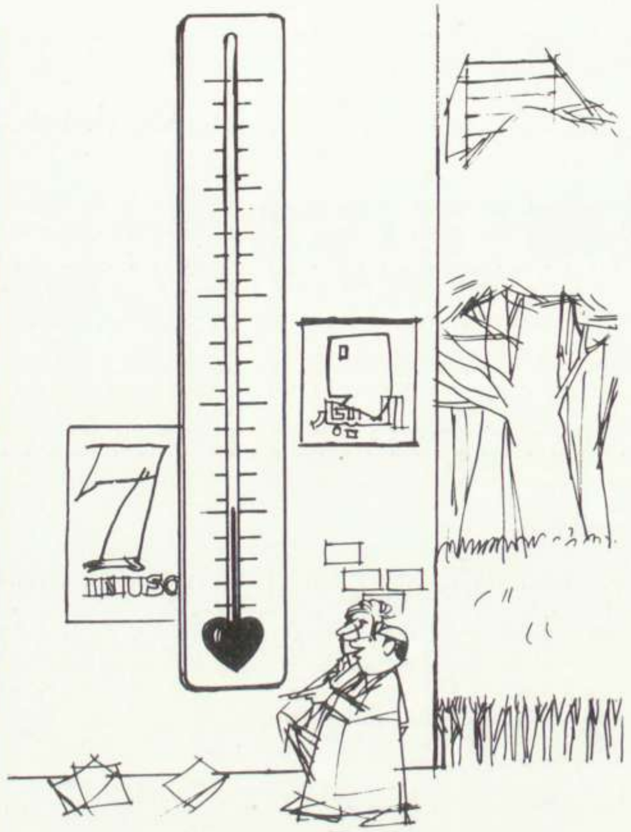
بدون كلام .. !!



بدون كلام .. !!



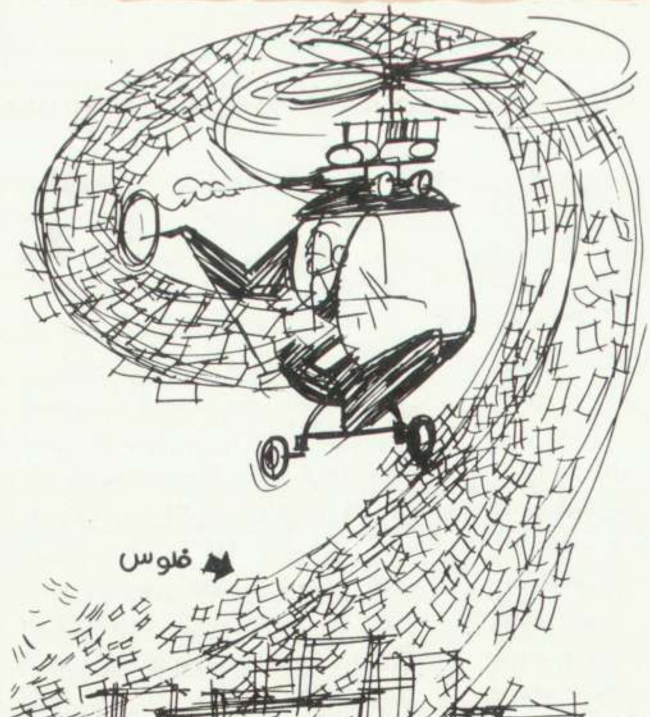
– .. دير بالك على السيارات السريعة
وابعد عن خط الاستواء .. !!



– .. لقياس درجة حرارة الحب .. !!



بدون كلام .. !!



– .. مبيد نقدى .. !!

محاكمة أدبية

جبران خليل جبران

لماذا بدأ ثائرًا.. وانتهى مهادنًا للاستعمار؟

بقلم: حارث طه الراوي

بعد نصف قرن مضى على رحيل «جبران» من عالمنا .. تطرح بعض التساؤلات نفسها :

لماذا لم يندد بوعد بلفور عام ١٩١٧ ؟

ولماذا لم يندد بالاستعمار البريطانى يوم قامت الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار الغاشم ؟

لماذا تجنب التنديد بالاستعمار الفرنسى الغادر يوم انقض الفرنسيون على دمشق عام ١٩٢٠ ؟

ولماذا أيضاً تجنب التنديد بهذا الاستعمار اثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ؟

استطاع «جبران خليل جبران» اكثر من سواه من ادبائنا فى الثلث الأول من القرن العشرين أن يهز بعنف مشاعر الشبيبة العربية المتطلعة الى غد افضل فى شتى مجالات الحياة ..

ولانه كان ظاهرة متفردة باسلوبه الشعرى ونزوعه الرمزى الخيالى ، فقد سحر الكثيرين من الأدباء والمتادبين ، فترسم بعضهم خطاه ، وحاولوا النسج على منواله ، ولكن أين المقلد من المبدع ؟ وأين السراب من الماء ؟!

لم تكن فى صيدلية جبران جميع الأدوية التى كان يحتاجها الانسان العربى فى تلك الفترة المكفهرة من تاريخ امتنا ، ولكن الناس تلاقفوا بعض الأدوية الجبرانية المنبهة والمنشطة بعد أن سئموا الحبوب المنومة التى توارثوها منذ قرون ، فلجوا بالثناء على هذا النطاسى البارع الشجاع الذى زودهم بالأدوية الشافية الممنوعة !..

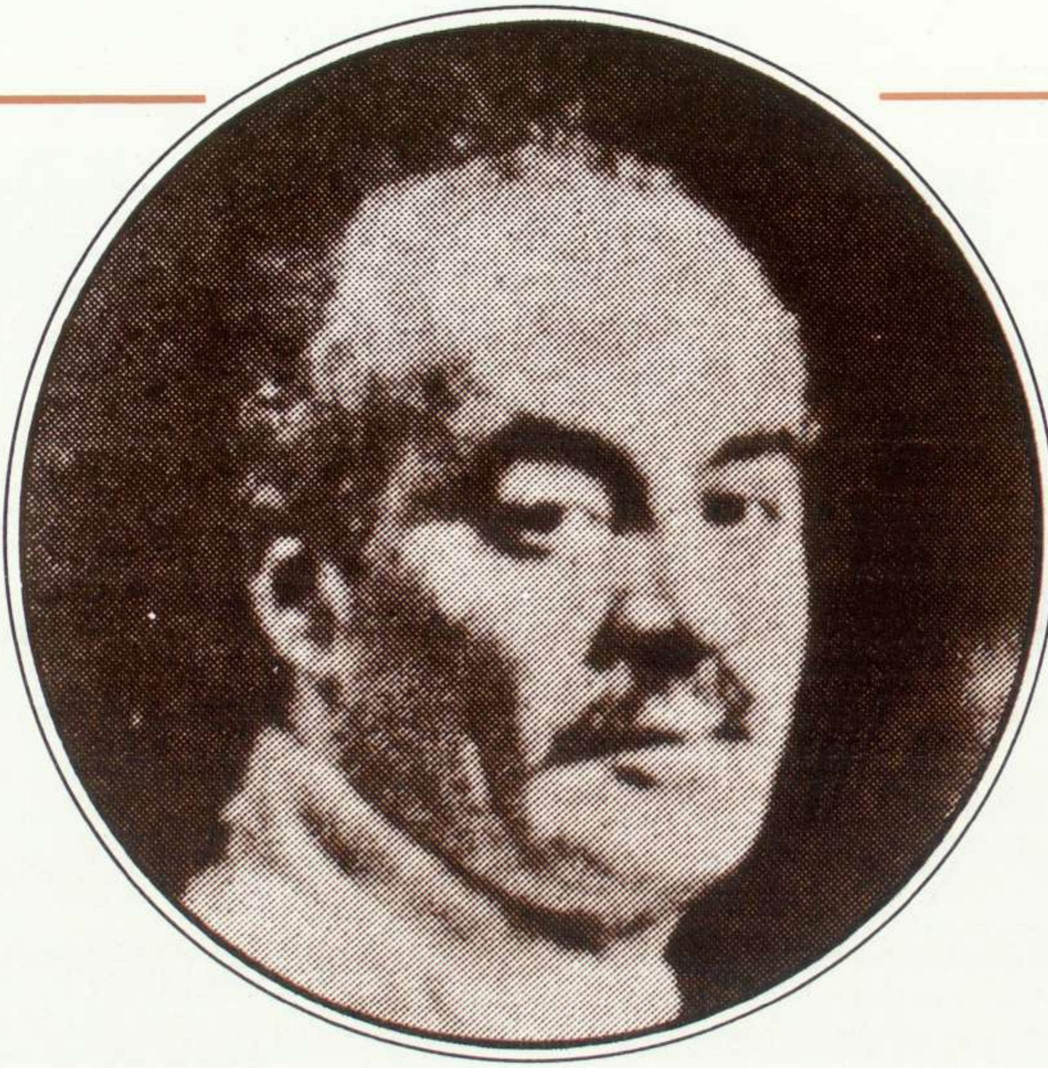
لقد كانت رسالة جبران فى عهده الأول محاربة المسيطرة والتعصب والاستبداد والاستغلال ، وقد خاض بشجاعة حرباً ضارية على هذه الجبهات المزودة بالأسلحة الجهنمية الفتاكة ، فحقق نصراً مشهوداً بفضل كتبه الثائرة «الأرواح المتمردة» و «الأجنحة المتكسرة» و «عرائس المروج» و «العواصف» .

ومهما قيل فى كتبه الأولى من انها لا تمثل نضوجه كما مثله كتابه «النبى» فيما بعد وانه حذا فى بعضها حذو «نيتشه» كما فعل فى «العواصف» فان كتب جبران المشار اليها أدت دوراً ايجابياً فى ايقاظ العالم العربى من سباته . فقد كان العالم العربى بحاجة ماسة لمن يهزه ، وكلنا يعلم ما فعلته صيحات الرصافى الذى هالته الهوة بين ماضى أمته وحاضرها فصرخ :

فدعنى والفخار بمجد قوم
اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

لقد أجمع المنصفون على أن نجاح جبران فى مؤلفاته التى كتبها بالانكليزية كان اعظم من نجاحه فى مؤلفاته التى كتبها بالعربية لأن جبران كان قابضاً على زمام اللغة الانكليزية كاديب من ادبائها ولكنه لم يكن بالقابض على زمام اللغة العربية ، ملماً بقواعدها وأسرار بلاغتها كما ينبغى أن يلم أديب كبير من أمثاله . وربما لا يعلم الكثيرون أن الأديب الراحل ولي الدين يكن كان أول من نبه جبران الى وجوب العناية ببيانه العربى وذلك سنة ١٩١٢ عندما أهدى جبران اليه نسخة من كتابه «الأجنحة المتكسرة» الصادر فى تلك السنة . ومما قاله ولي الدين بهذا الخصوص :

«.. ولقد تخون الكاتب بديهته فيطلب كلمات لتؤدى مراده حق أدائه ثم لا يظفر بها فيقنع بكلمات تشير الى ذلك المراد وتقوم فى مواضعها غير ثابتة . وإنما استطاع التغلب على هذه الصعاب



بكثرة التعاطى لمختار الكلام حتى تنشا فى النفس ملكة البيان . ولو كانت معانى هذا الكتاب فى أسلوب أقرب الى مناهج العرب لجاوزت غاية الاطراب» .

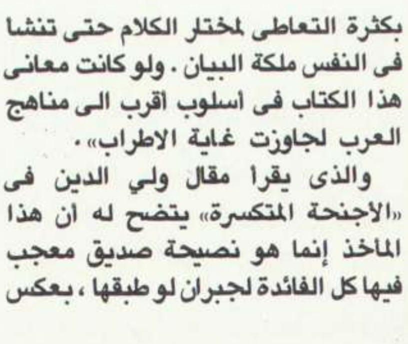
والذى يقرأ مقال ولي الدين فى «الأجنحة المتكسرة» يتضح له أن هذا المأخذ إنما هو نصيحة صديق معجب فيها كل الفائدة لجبران لو طبقها ، بعكس التبريرات العاطفية غير المنطقية التى دافع بها عن «جبران» الاديب المهجرى الراحل «حبيب مسعود» كقوله :

«.. أما الذين عابوا جبران فى لغته وفى بعض تعابيره التى خرجت على النمط العربى فقد كان اكثرهم متعسفاً لا يرى فى أدب جبران وحلاوة تعابيره وعذوبة بيانه وطرافة تشابيهه ونبضة الحياة فى الفاظه ، غير تلك الهفوات التى لم يسلم منها احد من أدباء هذه اللغة التى تعجز اى بشرى عن الاحاطة بها لكثرة سماعها وغرائب قواعدها وتعدد وجوه الاجتهاد فيها» .

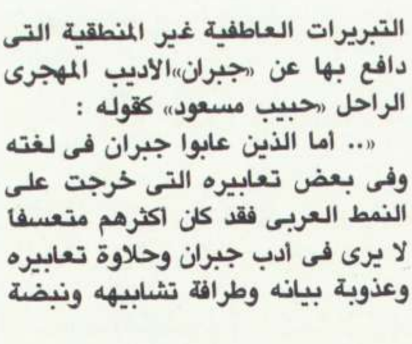
ويقتضينا الانصاف أن نقول : ان هفوات «جبران» اللغوية وركاكته البيانية قد سلم منها الكثيرون من أدبائنا الذين هم من عيار جبران أو دون عياره. واذا كانت هذه اللغة «تعجز اى بشرى عن الاحاطة بها ، لكثرة سماعها وغرائب قواعدها وتعدد وجوه الاجتهاد والتخريج فيها» كما يقول «حبيب مسعود» فما علاقة ذلك ـ إن صح هذا الزعم ـ بالعثرات اللغوية والنحوية عند «جبران» وهى عثرات لا يكثر فيها السماع ولا تتعدد فيها وجوه التخريج والاجتهاد ..

لقد ارتفع «جبران» ببعض افكاره ومعانيه الى قمم الابداع الشاهقة فكان

معروف الرصافي



نيتشه





جبران خليل جبران

لماذا بدأ ثائراً.. وانتهى مهادناً للاستعمار؟



طاغور



برنارد شو



سومسرت موم



برتراند راسل

يجمل به ألا يضيع أسلوبه العربى فى غير مستوى القمم ، ولا يكفى أن يقول الأديب العربى لاخوانه أدباء العربية : «لكم لغتكم ولي لغتي» كما قال جبران لكى يكون معصوماً من الهفوات ، بعيداً عن المآخذ . فجبران قال ذلك باللغة العربية لا بلغة ابتدع حروفها وألفاظها وقواعدها من مخيلته !...

•••

وادب جبران بسيط من حيث شكله وموضوعه ، لا تعقيد فى ألفاظه ولا التواء فى أفكاره وهذا لا يعنى أن الرجل كان واضحاً فى كل آثار قلمه وريشته ، فالمعروف عنه ـ فى عهده الثانى ـ أنه كان يسرف أحياناً فى الرمزية اسرافاً يخرجه عن نطاق الأدب الواضح المفهوم الى حيث الكلمات والأفكار الضبابية التى لا رصيد لها فى الوضوح لاسيما فى السنين الأخيرة من حياته عندما ألف كتابه الضبابى «آلهة الأرض» ..

ولم يبلغ جبران فى «آلهة الأرض» ذروة الانجذاب الماورائى وقمة التفكير الميتافيزيقى ، فقد سبق له أن بلغ هذه الذروة وتلك القمة فى كتابه «النبى» الذى نشرة سنة ١٩٢٣ ـ هذا الكتاب الذى يمثل جبران فى عهده الثانى مسالماً ومهادناً وثائراً على ثورته فى عهده الأول ويمثل أيضاً طموحه نحو الارتفاع على البشر وكانه كائن أعلى من كل انسان.

ومهما قيل فى هذا الطموح الجبرانى غير المشروع ، فانه على كل حال أضعف رسالته كاديب من البشر يكتب لصالح البشر وحصر قراءه فى طبقة معتنقى مذهب التناسخ ووحدة الوجود والمفتونين باى اتجاه روحى غريب من الأميركيين الذين يحيون حياة متناقضة لهذا الاتجاه . أما السواد الأعظم الذين عشقوا جبران الثائر فى «الأرواح المتمردة» و «عرائس المروج» و «الأجنحة المتكسرة» و «العواصف» وحتى الذين عشقوا جبران الرومانسى فى «دمعة وابتسامة» فقد أصيبوا بخيبة أمل كبرى تجاه هذا الاتجاه الجبرانى ..

ما هى الدوافع التى جعلت جبران ينتقل من مناخ الثورة الى مناخ السلام والمهادنة ؟ هل انتهت المشكلات التى ثار جبران من اجلها ؟ لم أن ادراكه ازداد اتساعاً ؟ أم أن هذا الاتجاه الروحى المسالم أضمن للربح المالى ؟

لا نعرف بالضبط الدوافع لهذا التحول ولكننا نعرف جيداً أن جبران العربى اللبنانى المتأمرك هو ابن بيئته الجديدة ، بحيث لا يمكنه أن يتنصل مما تفرضه عليه هذه البيئة الجهنمية من مفاهيم واتجاهات اذا أراد أن يعيش فى بحبوحة ..

فهل من مصلحة القوى المؤثرة فى البيئة الأميركية فى زمن جبران وحتى الوقت الحاضر ، وهى قوى رأسمالية استعمارية وصهيونية جشعة ان يظهر كاتب عربى مغترب يتجاوب مع آمال وآلام أمته العربية المتطلعة نحو الحرية والتقدم ؟ بالطبع لا . ولهذا شجعت جبران على اتجاهه الجديد الذى لا يهدد مصالح المستعمرين فى البلاد العربية ولا يعصف بالبنية الاجتماعية العربية الموغلة ، آنذاك ، بالرجعية والجمود والتخلف ..

ولهذا وجدنا جبران خليل جبران يتجنب التنديد بوعد بلفور سنة ١٩١٧ وبالاستعمار البريطانى يوم قامت الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار الغاشم مثلما تجنب التنديد بالاستعمار الفرنسى الغادر يوم انقض الفرنسيون على دمشق سنة ١٩٢٠ وحملوا جثث شهدائنا الأبطال على الجمال إمعاناً فى التشفى والارهاب ، وتجنب التنديد بهذا الاستعمار أيضاً أثناء الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ ..

وإذا قيل ان جبران كان بعيداً عن السياسة فما شأنه بتاييد هذه الثورة أو تلك والتنديد بهذا الاستعمار أو ذاك ، فهذا القول مردود لأن جبران كان يمارس نشاطاً سياسياً ضد العهد العثمانى وكان من ألد أعداء العثمانيين كما تشهد رسائله الموجهة الى مارى هاسكل الأميركية التى انفقت على جبران ورعته فى مستهل حياته الفنية والأدبية .

لقد أراد جبران أن يكتب للانسانية فى عهد «طاغور» و «برناردشو» و «ويلز» و«رسل» و«سومسرت موم» و«دانونزيون» و «جورج سانتيانا» وغيرهم من أعلام الكتاب والمفكرين العالميين ، فلم تكن الانسانية بحاجة الى قلمه فى ذلك العهد الذهبى فى الأدب والفلسفة ، بل كان وطنه العربى بأمس الحاجة الى قلمه السيال ، وكان بما يتمتع به من أسلوب خاص وطاقة روحية هائلة يستطيع أن يلعب دور غاندى فى محاربة مستعبدى وطنه الأصغر لبنان والأكبر العالم العربى بأسره ، ولكنه ـ واأسفاه ـ لم يفعل . ولو فعل لكان أكبر حجماً من حجمه الحاضر الذى يحاول البعض أن يضخمه على حساب الحجم الحقيقى .

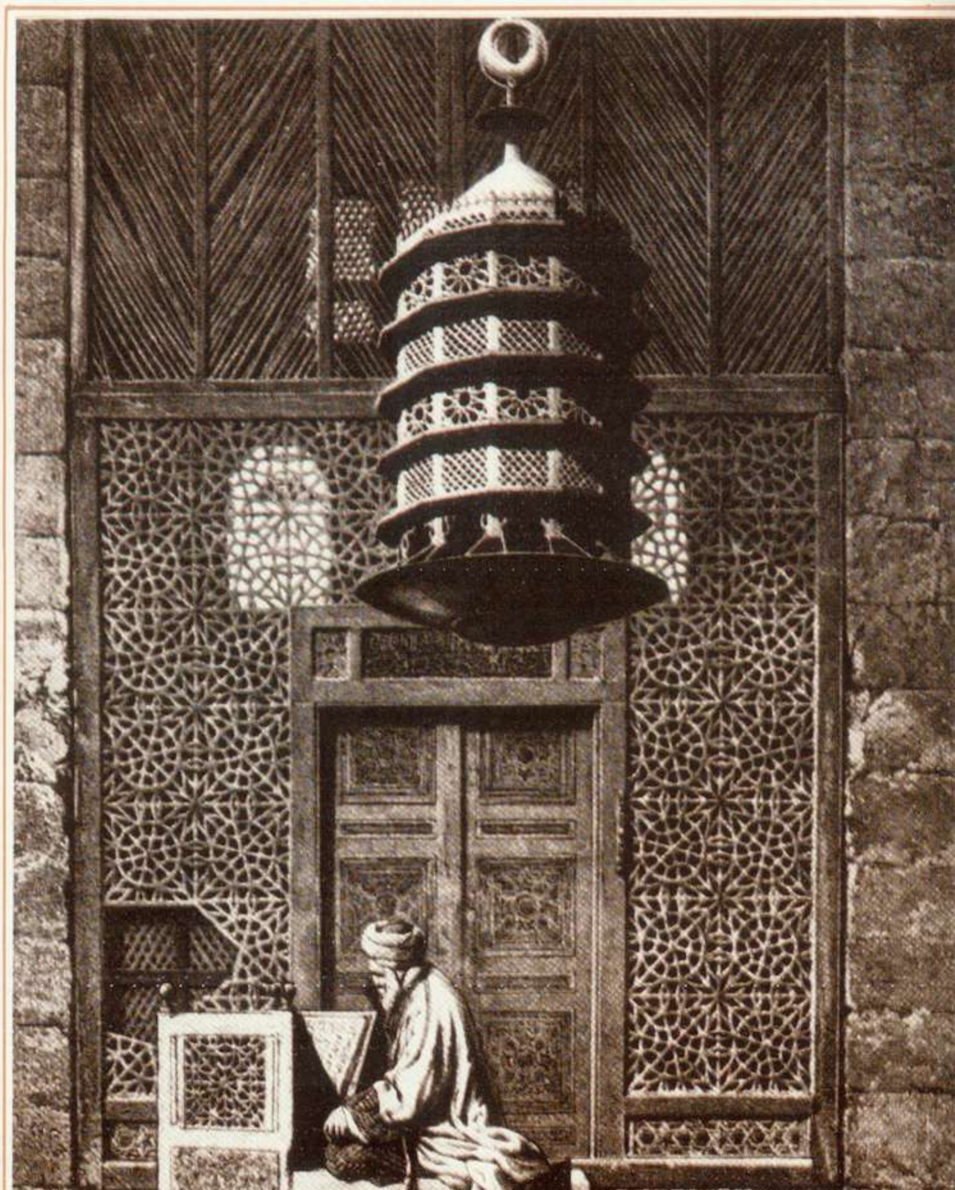
حارث طه الراوى

انظر إلى الماضي دون خجل



مجلة علمية أدبية صناعية زراعية
تصدر مرة في الشهر
العدد الثاني - يوليو "تموز" ١٨٨١
لمنشئها ومحررها: صلاح الدين المقريزي

من مواد هذا العدد



قارىء القرآن فى أحد المساجد العربية فى القرن الماضى



عزيزي القارئ

اتهام لا نستحقه PLEASE

عزيزى القارىء :

فى يونيو الماضى ، كنا فى الشارقة ، وتلقينا دعوة عشاء على مائدة كاتب لبنانى يعمل هناك .. وما أن اكتمل المدعوون عدداً حتى اكتشفنا انهم - بالصدفة التى ليست محضة - يشكلون جامعة شعوب عربية ، فقد كان من بينهم صحفيون وكتاب وادباء ورجال أعمال ومهنيون ينتمون الى معظم اقطار الوطن العربى .. من مشرقه الى مغربه .. ومن خليجه الى محيطه ..

وكان طبيعياً أن يتحول العشاء الى سوق عكاظ تزدحم بالهموم العربية التى اخذت تنافس دخان اللفائف فضاء الحجرة الواسعة ، ويحجب ايقاعها هدير امواج الخليج .

وحين اثار احد الحضور تعليقا على العدد الماضى من هذه المجلة ، قضية «التاصيل» ، اندمجنا جميعا فى المناقشة بحماس ادهشنى انه خلا من اللجاج ، واتفقنا رأيا على أن العودة للاصالة هى خط الدفاع الرئيسى لنا فى مواجهة هؤلاء الذين يريدون اقتلاع شخصيتنا وطمس هويتنا العربية ، وافقادنا الثقة فيما صنعنا فى الماضى ، لنفقد الثقة بالتبعية فى أن نفعل شيئا اخر اليوم او غداً .. وتلك هى الكارثة التى تهددنا ..

من العموميات انتقل الحديث الى التفاصيل : انذاك لم يبد الموضوع بسيطا كما تخيلنا فى البداية ، فالعودة الى «التاصيل» تتسع لمختلف عوامل الشد والجذب وسوء الفهم وسوء القصد . قال البعض لا تنسوا أن فى أمتنا كثيرين يزدرون كل تقدم ، ويؤكدون ان العرب كانوا اسعد حالا واهنأ بالا حين كانوا يرعون الابل ويتبلغون بضع ثمرات .

وقال الآخرون : ولا تنسوا أن فى أمتنا كثيرين يزدرون كل ما هو عربى ، ويعرفون عن شكسبير وكانت ، وكيتس ، وشيلى ، وبايرون ، اكثر مما يعرفون عن الجاحظ ، والمعرى ، وابن رشد ،

فضت ربة المنزل الاشتباك بين الفريقين حين قطعت المناقشة ، فنادت مدبرة منزلها قائلة : سناء .. من فضلك «وقالتها بالانجليزية» احضرى كوب ماء !

ودخلت سناء الغرفة .

جزمت لأول نظرة الى ملامح وتعبيرات وجهها ، ان خطا ما قد حدث ، وإلا فكيف تاتى لهذه المراة الريفية ان تفهم كلمة «من فضلك» التى القتها مضيفتنا بكل ما فى الطباع الانجلوسكسونية من وقار ؟ وكيف لم نلتفت نحن العرب الى ذلك الفصام الذى نعيشه . فنحن نتحدث عن الاصالة فنحسن الحديث ، ونطالب بالعودة اليها فتتحمس للدعوة ، ونتنبا بالكارثة التى ستحيق بنا ما لم نواجه الاعصار القادم يتلمظ لنفطنا ويتنمر لموقعنا الحيوى ، ويحاربنا على جبهة انتمائنا للوطن ، باضرى مما يحاربنا على جبهات القتال او على موائد المفاوضات ، فتؤكد حوادث كل يوم نبوءتنا .

لكننا مع هذا نتصرف ونعيش ، وفى أعماقنا - ربما دون أن ندرى - احساس بالضعف تجاه كل ما هو اوربى ، فنحن نبالغ كثيراً فى تقدير رأى الأوروبيين فى شئوننا ، ونسر اكثر من اللازم إذا مدحوا عملا مما نعمل ، وكان مدحهم هو الشهادة التى لا نستحق بغيرها الحياة . ونحن نتصرف غالبا وكان كل ما هو جميل اوربى ، سواء كان امراة أم زجاجة مياه غازية . ونحن ذوى قابلية عالية للاستهواء إذا ما كانت الفكرة او السلوك أو التقاليد أوروبية .

وحتى هؤلاء الذين يملأون أسماعنا هجوما على كل ما هو اوروبى ، فيطالبون بمقاطعته ، ينطلقون من نفس الموقع ، فهم ينظرون الى الحضارة الأوروبية كانها انجاز أوروبى ، فيروجون بذلك لفكرة أوروبية بالأساس ، بينما الواقع يؤكد أن ما يسمى الآن بالحضارة الأوربية هو محصلة مسيرة انسانية طويلة شارك فيها العرب ، حين ازدهرت حضارتهم . رعاة ابل وأكلة تمر ، يتنازلون - دون تفويض - عن امجاد ليست ملكهم وبين ايدينا اعمال البيرونى وابن رشد وابن خلدون وابن سينا إذا أرادوا الاحتكام الى محكمة التاريخ !

وفى السنوات الأخيرة ، تصاعدت أعداد الشبان العرب الذين يرحلون الى أوروبة للدراسة ، وهى ظاهرة طيبة ، فالعلم ضالة طالبه ، وهو ميراث الانسان مذ كان على الأرض انسان ، ولأن هذا الجيل من المتخصصين العرب - فى كافة فروع المعرفة النظرية والتطبيقية - هم بناة المستقبل وصناع وطن الغد ، فلابد أن تقلق لذلك الاعوجاج فى السنتهم ، تتلكأ المفردات العربية على أطرافها . ويعجزون عن صياغة جملة عربية كاملة ، ولا يتجاوزون مازقا فى التعبير إلا اذا استخدموا كلمات لاتينية .

الأرجح أن هؤلاء ذهبوا الى أوروبة بعقلية ترى أنهم عيالا على حضارتها وعلمها وتقدمها ، فلم يستطيعوا الصمود أمام الاستهواء ، فعادوا وعلى رءوسهم قبعة «وبابيه» .

ولأن تلك - فى رأينا - هى الكارثة ، فقد اخترنا أن تكون افتتاحية هذا العدد مقالة بعنوان «اضاعة اللغة .. اضاعة للذات» .

وصاحب المقال هو المفكر العربى «عبد الله نديم» (.... - ١٨٩٦) . وهو صعلوك سكندرى ، ولد فى ميناء يقع على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط ، وحملته البواخر - منفياً مطارداً - الى معظم موانيه فنزل فى يافا وطرابلس واللاذقية ، ورحل شمالا الى البوسفور والدردنيل ، وعاش يخطب ويكتب الشعر وينشىء الصحف والجمعيات ، ويحاور الساسة والصعاليك ، وهو فى كل ذلك أسير فكرة واحدة : إن وعى الأمة بذاتها هو خط دفاعها الرئيسى ضد الانسحاق .

والمجلة التى نشرت هذا المقال ، منذ مائة عام كاملة ، هى مجلة «التنكيت والتبكيت» ، وهى لا تقل غرابة عن شخصية صاحبها عبد الله نديم واسمها ذاته كاف لوصفها ، فقد صدرت لتخدش لا لتجرح ، فاذا طعنت ففى غير مقتل

كانت بوقا كبيراً زلزل سكون الليل العربى منذ قرن كامل . ينبه النيام ويقيم الراكعين ويشجع الخائفين والمترددين . ويطالب ببناء صناعة وطنية ، وانشاء مدارس تعلم النشء مبادىء الانتماء للأمة ، وتغرس فى نفوسهم مشاعر الاعتزاز بادبها ولغتها وتاريخها . ويلح على العرب أن ينتقلوا من الانتماء للنفس أو للعائلة والعشيرة ، للانتماء لجامعة الوطنية ، بالعمل المشترك من اجل تقدم الوطن ورقيه ..

واظنك توافقنى - عزيزى القارىء - على أن كاتبا تظل كلماته صالحة للنشر بعد مائة عام ، لابد وانه جزء من ماض لا يدعو للخجل بل للفخر ، ولعلك توافق على أن أبناء يعجزون عن تنفيذ وصية آبائهم طوال قرن كامل ، هم الذين يبعثون على الخجل !

صلاح الدين المقريزى

التنكيت والتبكيت
لصاحبها ومحررها
عبد الله النديم

إضاعة اللغة تسليم للذات

عبد الله النديم

أيها الناطق بالضاد :

بم تستبدل لغتك وما لها من مثيل والى من تتركها وانت لها كفيل ، وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها ، واى شىء طلبته فيها ولم تجد له إسماً . ترى انك فى عصر تمدن يقضى عليك باستعمال ارق اللغات ، لسهولة التركيب وعذوبة اللفظ ورقة المعنى .

ناشدتك الله هل وجدت فى اللغات الحديثة العهد ما اشتملت عليه لغتك القديمة ، أم رايت حسناً فى اللغات التى تنقح كل يوم بقلم المتمدنين لم تره فى لغتك الفطرية الخلق ، المجموعة فى زمن الهمجية كما يزعم الجاهلون . اترى إذا عبرت عن شىء بلفظ فى غير لغتك واردت تتصرف فيه بعبارة اخرى هل تجد له مرادفاً واحداً كما تجد فى لغتك للفظ جملة مترادفات ، أم انت الجاهل بقدر لغتك ، الغافل عن عظم قدرك فى تاريخ العالم قديماً وحديثاً.

اظنك فى احتياج لفهم سر اللغة ومعرفة ما يترتب على ضياعها ، ولا تترتب عليك فى أمر لم يبحث فيه إلا بعد الغور فى حساب العواقب ، شديد الحرص على بناء وحدة الهيئة الاجتماعية .

لبيك أيها الأخ الشقيق وإن لم نحمل فى بطن واحد . اللغة سر الحياة والحد الفارق بين الانسان والبهيم . بها يترجم اللسان خواطر القلب ويجلو بنات الأفكار ، وبها يعشق المرء وإن كان دميم المنظر . إن رقت استعطفت القلوب القاسية وإن غلظت اخضعت النفوس العاتية ، وإن فحشت حركت الطباع . وإن لطفت رفعت الأوضاع وإن حسنت الفت القلوب وإن سهلت أظهرت الغيوب .

وهى التى بها جذبت قلب أمك واستعطفت جانب أبيك وتملكت فكر اخيك واستملت صاحبك والفت جارك وتعارفت مع مواطنك وقابلت بها نزيلك . فهى أنت إن كنت لا تدرى من انت . وهى وطنك إن لم تعرف ما الوطن ، أما كونها انت فقد قدمت لك من عرفتهم بها وانت اذا فقدتهم صرت وحيداً غريباً فى الوجود لا ترى من يقول لك من انت . وأما كونها وطنك إنما يعمر ويسمى وطناً برجال يتعاونون على احيائه وإظهاره فى الوجود محلا للسكنى ودارا للاقامة . وقد علمت انك بمفردك لا تهتدى لشىء ولا تقوى على اى أمر كان ، ومن فقد المواطن فقد الوطن .

اسمعك تقول إذا فقدت لغتى اعتضت عنها باخرى . اجل انك اعتضت عنها ولكن بما اضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينية ، فانك لا تخاطب إلا اجنبياً من البلاد مغايراً فى الجنسية ، وانت تعلم أن لمعانى الألفاظ تصوراً لا يقوم به مقابلها فى غيرها فانك لو سمعت قولى :

ومن غرر الاخلاق ان تهدر الدما
لتحفظ اعراض تكفلها المجد

وأردت أن تلقيه بلغة أخرى لفقد قوة الحماسة ووقع الألفاظ ، وربما عبرت عنه بما لا يؤدى معنى .

ولو سمعت قولى :

اجل صفات المرء فضل ومنطق
وبعدهما كل الصفات غرور

لسردت عبارة يضيق صدر السامع بها ، ولا يصل لفهم المقصود . وهبك توسعت فى غير لغتك وتفننت فيها ، اتناجى ربك فى أوقات عبادتك بها أم تقرأ بها كتابك المعجز بحسن نسقه ، أم تخاطب بها باعة الفجل عندما تشتريه ، أم تستعطف بها قلب امك وقتما تغضب عليك ، أم تعاشر بها عامة قومك وهم أهل



البلاد .

أراك استهجلتنى وقلت إن الرجل لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها . مهلا أيها المدل بنفسه ، فان فى قولى (لمعانى الألفاظ تصور لا يقوم به مقابلها فى غيرها) حكماً يقضى بها على كل ذى لغة على عدم قيام غيرها بما تقوم به ، فربما كانت حماسة هذا اللفظ فى لغتك تخنثا فى غيرها وبالعكس ، وهذا ما ياخذه الذوق من غير بحث فى اللغات ، وأراك تعدنى من الجاهلين بضروريات الاختلاط من معرفة لغة النازلين بوطنك .

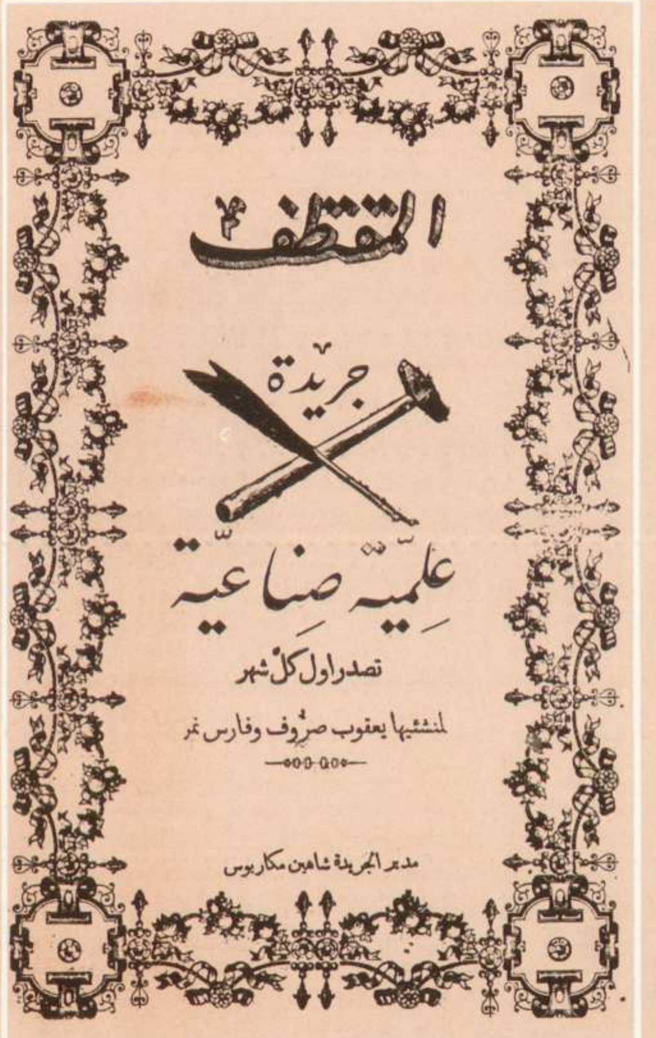
رويداً فقد قدتك الى الحق ورميتنى بالضلال ، فانى لم أحرم عليك غير لغتك لضرورة تقضيها ونازلة تدفعها ، ومشكل تحله ، وإنما أردت تذكيرك بان لغتك كان منطوقاً بها من غير تعلم محفوظة فى غير كتاب وبمغالطة الدخيل فسد بعضها وخيف عليها الضياع ، فدونت فى بطون الأوراق وبقيت قوتها فى اللفظ والكتابة ، ثم كثر فيها الدخيل حتى انتخب لها كتاب ومنشئون ، ثم تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لا قاعدة تمشى عليها ولا كتاب يحفظها ولا ضابط يجمعها ولا حروف تؤلف منها ، وإذا أردت معرفة لغة آبائك أفنيت الكثير من السنين فى طلبها ، وهيهات إن أدركتها وقد عظمت المصيبة فقد الكتاب والمنشئين ثم تم التغيير بتكلم العامى بعبارة طويلة ثلثاها اجنبى عن لغته الأصلية والاصطلاحية .

الا تعلم أن اللغة تقضى على المتكلم باتباع ما تقتضيه عبارتها فتراك تهتز فى عبارة اجنبية يلزمك الثبات بها فى لغتك ، وتستحسن امراً عنون بغير لغتك وهو مستقبح فى عادة بلادك ومعتقد أهلك . ولاشك أن هذا يسير بك فى طريق الاستحسان حتى تستقبح لغتك وعادة بلادك فتبيت وانت وطنى مر وتصبح وانت فى يد اجنبى يصرفك كيف يشاء .

وناهيك بالأندلس الذى كان روضة الآداب وبستان المعارف العربية وبترك لغته واستعمال الدخيل فقدها فقد محو وجهل ... جهل طفولته ، فمن يجتمع معك فى جدك السابع أو الثامن من أهله أصبح يعبر عنك الآن بلفظ (أرابو) أى عربى وساءت تلك المبادىء وبئس هذا المنقلب .

هون عليك فالأمر سهل ، فاننا لا نحتاج لحفظ لغتنا اكثر من إحداث درس فى جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية ، لا يصعب الأخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها مع اجتماع الأمة على تكثير المدارس بالجمعيات ، وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الأخلاق وحفظه من معلم اجنبى يغرس فى طبيعته الساذجة حب بلاده ، ويحسن لأفكاره الخالية طباع أهل جلدته ، وإذا تمت هذه المبادىء رأيت لبلاده نشأة جديدة ، وخلقاً بديعاً ، وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية . إن إضاعة اللغة تسليم للذات .





المقتطف

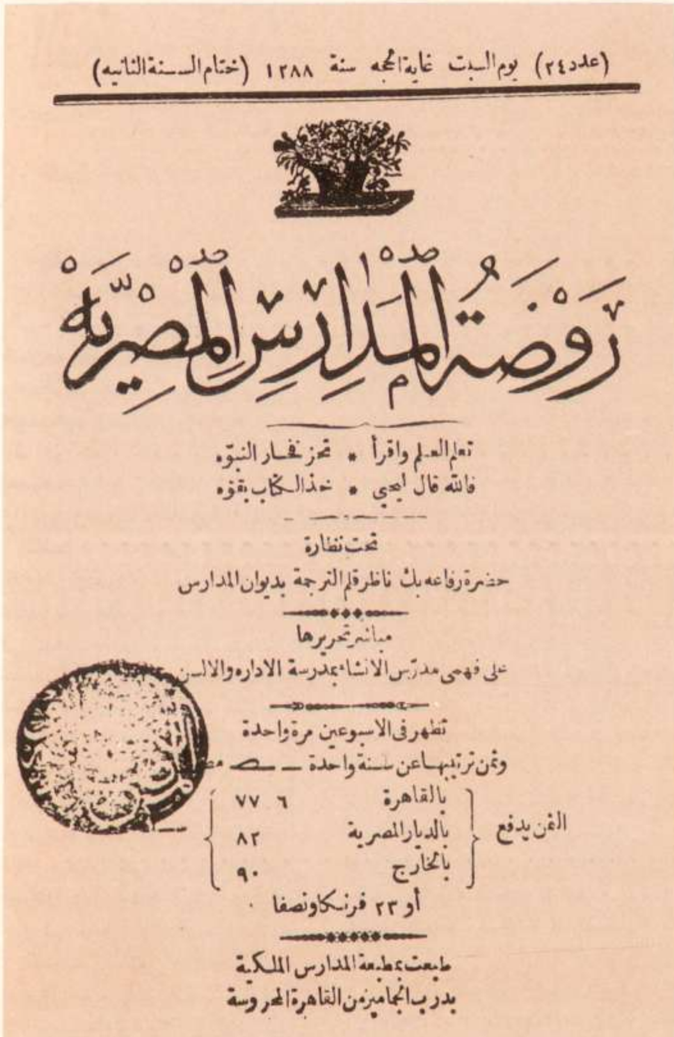
جريدة

علمية صناعية

تصدر اول كل شهر

لمنشئيها يعقوب صروف وفارس نمر

مدير الجريدة شاهين مكاريوس



(عدد٢٤) يوم السبت غاية الحجه سنة ١٢٨٨ (ختام السنة الثانيه)

روضة المدارس المصرية

تعلم العلم واقرأ • تحز فخار النبوه
فالله قال ليحيى • خذ الكتاب بقوه

تحت نظارة
حضرة رفاعه بك ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس

مباشر تحريرها
على فهمى مدرس الانشا بمدرسة الاداره والالسن

تظهر فى الاسبوعين مرة واحدة
وثمن ترتيبها عن سنة واحدة ــ ص

الثمن يدفع		
بالقاهرة	٦	٧٧
بالديار المصرية		٨٢
بالخارج		٩٠

أو ٢٣ فرنكا ونصفا .

طبعت بمطبعة المدارس الملكية
بدرب الجماميز من القاهرة المحروسة

المقتطف وترغيب القراء في العلوم

صدرت صحيفة المقتطف فى عام ١٨٨٥ ميلادية ، واخذت كلمة مقتطف من معنى اقتطاف ما فيه نفع الناس من العلوم ، وقد أرادت المجلة أن توضح الهدف من اصدارها فقالت : «إن كل من يتدبر احوال المجلات العلمية يحكم بأن أتعابها تزيد على أرباحها ، والذين ينشئونها فى الشرق يخطئون أكبر خطأ اذا اتخذوها وسيلة لاكتساب المال ، فالمقصد الأول من المقتطف ترغيب القراء فى العلوم وتربية ذوقهم عليها .

وكانت مجلة المقتطف تخصص مقالاتها الافتتاحية لشارلس داروين ونظريته فى الارتقاء ، وتضمنت أيضاً فى أعدادها الأولى سلسلة من المقالات عن عمر الأرض ومواليدها وتعاقب الحيوان والنبات ثم الانسان على الأرض ..

وأدت تلك المقالات وغيرها الى أن قرظتها الجمعية البريطانية الفلسفية (مجمع فيكتوريا) ، غير أن المجلة بصورتها التى قدمها أصحابها (صروف ـ نمر ـ مكاريوس) وجدت معارضة من مئات مثقفة كثيرة فى ذلك الوقت ، واعتبروها مجلة تلجأ الى كل بدعة على وجه الأرض تضليلا للبسطاء

روضة المدارس وأبرز مثقفي العصر

عندما عهد «ديوان المدارس» وناظره علي مبارك برئاسة تحرير المجلة الفكرية التى قرر اصدارها الى رفاعة الطهطاوى ، جاء فى قراره : «إن المشار اليه من بين أرباب المعارف ومعترف بدرجة فضله الرفيعة على كل انسان» ..

وقد كانت مجلة «روضة المدارس» التى رأس تحريرها عام ١٨٧٠ ميلادية عبارة عن مجمع علمى وأدبى وفنى .. وكانت الأولى من نوعها فى مصر ..

وضمت نخبة من الكتاب المثقفين وأبرز علماء العصر ومفكريه ومترجميه .. وكانت هذه المجلة تنشر ملاحق لأعدادها بأقلام متخصصين أمثال عبد الله فكرى وعلي مبارك والدكتور محمد بدر ، ونشرت للطهطاوى نفسه عدة مقالات بالاضافة الى كتابه «نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز» ..

وظل الطهطاوى رئيساً لتحريرها حتى توفى فى اليوم التالى لصدور عددها السادس من العام الرابع فى ٢٦ مايو ١٨٧٣ ميلادية فرأس تحريرها ابنه علي فهمي رفاعة الذى واصل على نهجه

شذرات في تربية الأولاد

قال بعضهم . تهذيب الولد يبتدىء قبل تعليمه فى المدرسة يبتدىء بنظرة امه والتفات أبيه وتبسم أخته واجتهاد اخيه .

وقال احد الأطباء . أن ما يسمعه الطفل ويراه فى السنتين الأولين من عمره ينطبع فى ذهنه انطباعاً لا يمحى ويؤثر فيه مادام حياً . فيجب الانتباه التام الى كل كلمة يسمعها وكل عمل يراه لكي لا يسمع إلا الكلام الصادق المهذب ولا يرى إلا الأعمال الحسنة المفيدة .

وقال غيره . الصدق أمس ما يجب اتباعه فى تربية الأولاد وتهذيبهم والسلوك معهم فمن كذب على ولده أو تلميذه ولو مرة واحدة علمه الكذب ونزع هيبته من عينيه

الأدب في العالم:

لا يعرف الفضل إلا ذووه ..!

تمثال لفيكتور هوكو!



لم يفت هذا الشاعر المفلق والرجل العظيم شيء من مظاهر الاكرام والاجلال التى يمكن أن ينالها الانسان فى أدوار حياته ، وقد كنا نحسب أنه بلغ من التكريم مقاماً امتنعت الزيادة عليه لأنه حصل من الشهرة فى جميع أقطار المسكونة وعند جميع الأمم مرتبة لا يتصور الانسان أرفع منها ، وأقرت له أوروبا بالسبق فى حلبة الشعراء والخطباء حتى أظهرت له الشعوب على اختلاف اجناسهم ولغاتهم أنه منتهى آمالهم ومفتدى آدابهم ، وأنه هو رب الشعر وأبو الفضل ، وأنهم لو كانوا فى امكانهم لجعلوا له فى قبة الزرقاء عباءه ، ولرفعوه فوق القمرين إجلالا وعقدوا له فى العلياء عروشاً ، ولا غرو فان هذا النابغة قد بلغ فى مراتب العلا السدرة الكبرى فلا يأخذ بعد ذلك على قومه ما خصوه به من الاكرام والتعظيم ، فانه جدير به وهم قوم يقدرون الأشياء اقدارها ، ولا يغفلون عن مقدار ذرة من فضل علمائهم الأعلام ولكنهم علموا من أنفسهم أنهم مع كل ما أبدوه لشاعرهم من الاجلال والاكرام لم يوفوه حقه ، فلم يعدموا إلى ذلك وسيلة ولم يروا شيئاً أظهر لفضل شاعرهم المفلق وخطيبهم المصقع من إقامة تمثال له فى حياته فعقدوا فى أواخر الشهر الماضى فى باريس جلسة حافلة حضرها جمهور غفير من أهل الأدب ومحررى الجرائد ، فشكلوا لجنة مؤقتة مؤلفة من ١٣ شهماً برئاسة لويس بلان أحد زعماء الحرية ، ولتهتم باقامة تمثال لشاعرهم فى إحدى ساحات باريس تدعى « أفنوديلو » وجعلوا أسمها بلاس هوكو (ساحة هوكو) وقد اقيم له قبل الآن تمثال فى التياتروفرانسه كما اقيم لفولتير من قبله والآن عادلوا بينهما باقامة تمثال لهوكو فى ساحة عمومية ، ولسوف ترى هذه الساحة تمثال أعظم شعراء العصر وما أجدر هذا التمثال بان يكتب عليه بماء الذهب « من أدباء الأمة الفرنسوية إلى فيكتور هوكو خطيب الحرية وشاعر الانسانية .

(العصر الجديد)

فلتسمع نساؤنا .. بل فليسمع رجالنا

النساء وحقوق الانتخابات

تقرر عند أهل كرواتيا وهم نحو مليون نفس أن النساء قد خصتهن الطبيعة بمزايا وصفات يعز وجودها عند الرجال ، وأنهن شريكات الرجال بالمعنى الحقيقى الباعث على الوجود الانسانى . فعدوا من الواجب مشاركة النساء للرجال بما تقدم به المدنية ويستقيم أمر التمدن وتتشيد مبانى التهذيب ولاسيما أن على النساء تربية الأطفال وتهذيب أعضاء العائلة وتثقيف عقول الأولاد ليرضعوا لبان المعارف منذ نعومة الأظفار .

ومعروف أن النساء والرجال من جهة الجبلة سواء لا فرق بين الفريقين بظاهر التركيب بل ذهب الكرواتيون إلى أن الرجال والنساء من جهة الحقوق المدنية سواء وهو مذهب بعض أهل أمريكا ، فاقاموا المرأة بمنزلة الرجل وخولوها الحق فى انتخاب أعضاء المجلس والحكام حتى لهن فى الانتخاب أصوات وآراء كالرجال ، وقد دعا أهل كرواتيا النساء الى مشاركة الرجال فى انتخاب أعضاء المجالس البلدية فى جميع الولاية ، فظهر من القوائم الواردة الى إغرام – وهي مركز كرواتيا – أن عدد المنتخبين ٣٢٠٠ نفس منهم ٨٠٥ نساء . فلتسمع نساؤنا .. بل فليسمع رجالنا .

سليم النقـاش

العصر الجديد

إعـلان

من إدارة المحروسة والعصر الجديد بالإسكندرية

بعد الاتكال على الله تعالى عزمنا على طبع كتاب (علم الدين) تأليف سعادة على باشا مبارك ناظر الاشغال العمومية على أجزاء لا تنقص عن الأربعة كل جزء منها خمسون ملزمة أو ٤٠٠ صفحة وقد جعلنا شروط الاشتراك كما يلي :

(١) ثمن الجزء الواحد منه للمشتركين ١٠ فرنكات فقط .

(٢) باب الاشتراك مفتوح لغاية شهر سبتمبر (أيلول) وحينئذ يصير ثمن الجزء ١٥ فرنكاً .

(٣) الدفع يكون سلفاً عن كل جزء بمعنى أن المشترك يؤدى سلفاً ثمن الجزء الأول ١٠ فرنكات وعند استلامه الجزء الأول يؤدى ثمن الجزء الثانى وهكذا عند استلام الثانى يؤدى عن الثالث ومثل ذلك سلفاً للرابع .

(٤) تتعهد ادارة جرائدنا بطبع الأجزاء الأربعة فى ستة شهور أو ثمانية .

فمن أراد الاشتراك فى هذا الكتاب الجليل فليخابر جناب سليم أفندى النقاش مدير ومحرر المحروسة والعصر الجديد وصاحب المطبعة .



دوحة القراء

المسابقة

مَن

شخصية أسطورية فكاهية اسمها من ثلاثة حروف :

١ ـ ٣ تعبير رياضى فى حساب الزوايا .

٢ ـ ١ فريضة للمستطيع .

أين

البلدة السليبة التى حوصر فيها المرحوم اللواء السيد طه الملقب بالضبع الأسود . اسمها من ثمانية احرف :

٤ ـ ٢ ـ ١ ـ ٣ ـ ٥ ـ ١ ـ ٧ قنوات للماء فى عمـــان ومسقـــط .

٨ ـ ٦ ضمير للمذكـــر .

ما

علم ينسب إلى عالم عربي مسلم ندرس به تفاعلات المادة ، ويقال أن اصل كلمته مصرية قديمة . اسمه من ثمانية احرف :

٧ ـ ٢ ـ ١ ـ ٨ نعـم اللـــه .

٥ ـ ٤ ـ ٣ ـ ١ ـ ٨ ـ ٦ ـ ٢ ملك ذكر فى القـــرآن الكريم .

الاجـــابـــة الصحيحـــة





١ ـ مؤلف كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) هو العالم المسلم الشهير :
القزوينى ـ المسعودى ـ الخوارزمى

٢ ـ ريم على القاع بين البان والعلم.. اكمل البيت وانسبه الى قائلة . ولماذا سميت القصيدة التى هذا مطلعها باسمها المشهورة به .

٣ ـ اكتب فعل الامر من المضارع يرى

٤ ـ اذا اضفنا ماء البحر الى احد المحاليل التالية يتكون راسب أبيض:
نترات الكالسيوم ـ نترات الصوديوم ـ نترات الفضـــة .

٥ ـ يستخرج عطر الزباد من :
شجرة الكاكاو ـ سمكة القرش ـ قط شرق افريقى .

٦ ـ « فقال لهم يا أولاد الافاعى . بيتى بيت الصلاة كان يدعى وقد جعلتموه مغارة للصوص » فى اى الكتب المقدسة وردت هذه العبارة ، ومن هم أولاد الأفاعي ؟؟

٧ ـ وقعت معركة رفح بين السلوقيين والمصريين فى سنة :
٢١٧ ق.م ـ ٢١٧م ـ ١٢١٧هـ

٨ ـ قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني فى العراق ضد الاحتلال البريطاني فى سنة :
١٩٤٠م ـ ١٩٤٥م ـ ١٩٥٢م

٩ ـ (يزرع المرجان صيفاً فى المناطق الاستوائيـــة) .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

١٠ ـ وقعت احداث قصة حصان طروادة المشهورة فى بلاد :
البرازيل ـ نيوزيلندا ـ اليونان

هـــل تعـــلم ؟

● ان جسم الانسان يطلق فى كل ساع
حرارة تكفى لغلي لتر من الماء .

● ان شعر الناس ينمو بمعدل ١٥ سم كل
عام تقريباً .

● ان أول امرأة طارت فى مدار حول العالم
هى « فالنتينا تريشكوفا» فى ١٤ يونيو
١٩٦٣م

● ان أصغر عصفور فى العالم هو الطائر
الطنان وهو يعيش فى كوبا وطوله أقل من ٥
سنتمترات .

● ان أعلى سكة حديد فى العالم توجد فى
بيرو بين مدينتى كالاو ولدويا .

● ان الببغاء يعيش ٧٥ سنة وأحيانا ١٠٠
سنة .

● ان السلحفاة هى أطول الحيوانات عمراً

● أن أكبر شلال في العالم شلال نهر
(اكوازو) فى البرازيل ارتفاعه ٧٠ متر
وعرضه ٤٣٥٠ متر .

● أن أطول نفق للسيارات فى العالم هو
نفق الجبل الأبيض فى جبال الألب بين
فرنسا وايطاليا .

منال احمد خليل المنصو
مدينة عيسى ـ البحرين

حل مسابقة العدد ٦٥

مــن : هارون الرشيـد
أيــن : الاسكندريــة
مــا : برج بابــل

١ ـ غير صحيحة علمياً لأن الطولوين يستخرج من الفحم الحجرى .
٢ ـ سنة ١٦ هـ .
٣ ـ قدامة بـن جعفـر
٤ ـ الجنوب الغربـي
٥ ـ كربونات الكالسيوم .
٦ ـ فلا يظن جهول انهم فسدوا
قائله : ابو العلاء المعرى
٧ ـ الصوديوم ـ المغنسيوم ـ النحاس ـ القصدير ـ الذهب الزئبق .
٨ ـ بساتين ـ عمر عثمان
٩ ـ الشهيد سيد قطب
١٠ـ لندنــــبرج

الفائـــزون بـنتـيجة مســابقــة العــــدد ٦٥

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :
القارىء : نبيل عبد الرحمن عبد الوهاب المجلس الأعلى لرعاية الشباب ـ طريق سلطانة ـ المدينة المنورة / السعودية .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : محمد الهادى الزوارى ـ المدرسة الثانوية ـ شارع بورقيبة ـ صفاقس / تونــس .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى و اشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : بسام سليم عـدى ـ ص.ب ٢٨٧١ / أبو ظبي

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ ابراهيم محمود بهى الدين القاهرة
٢ ـ جواد عبد الجبـار علـي العراق
٣ ـ سيف الدين عابدين محمد السودان
٤ ـ معتز بالله اسماعيل مصطفى القاهرة
٥ ـ السليمـاني فتيحة محمد المغرب
٦ ـ بثينة عبد العزيز السعدنى الزقازيق
٧ ـ محمد بابكـر محمد صالح السودان
٨ ـ جليلة احمد التيتـون البحريـن
٩ ـ السيد احمد السوهاجي سوهاج
١٠ ـ عائشــة عيسى المغــرب
١١ ـ دلال جميـل مـراد سوريـا
١٢ ـ سـلوى محمـد علـى السودان

يرجى من الأصدقاء القراء ، أن يكتبوا اسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات لهم .

سمعت

ما وزن الدمـاغ البشـري ؟



ذكر عالم فرنسى فى كتاب صدر مؤخراً فى باريس يحمل عنوان «البحث عن الذاكرة» انه لو اراد العلماء أن يصنعوا عقلا اليكترونيا شبيها بالدماغ البشرى من حيث الحافظة والمقدرة على مقارنة المعارف بعضها ببعض ، لبلغ وزن هذا العقل الاليكترونى عشرة آلاف طن .. ! ويستهلك من الطاقة الكهربائية ما يعادل مجموع استهلاك مصانع شركة رينو للسيارات بفرنسا .. !

ووصف المؤلف فى كتابه اسلوب عمل المخ البشرى فى تسجيل المعارف الواردة اليه من الخارج وتصنيفها فى الخلايا العصبية بانه على طريقة الشفرة .. ، وقال ان المعارف المحفوظة فى مخ الانسان لوقت الحاجة ، لو كان ينبغى إفراد مكتبة لها لكان حجم هذه المكتبة يعادل المكان اللازم لأكثر من عشرين الف كتاب .

اما عدد خلايا الدماغ البشرى فانه عند الولادة يجاوز احد عشر مليار خلية (المليار يساوى مليون مليون) تربطها فيما بينها شبكات اقرب شيء الى شبكات الاسلاك الكهربائية .

ويعترف المؤلف ان العلم الحاضر لم يكتشف حتى الآن سر الحافظة او الذاكرة وكل ما يعرفه هو أن الذاكرة مظهر بيولوجى ، وان تفاوت قوة الذاكرة بين انسان وآخر مرهون بعدد «الوصلات» بين مختلف خلايا الدماغ ، وعددها يتراوح بين عشرين وخمسين مليار وصلة .. !

«شملان حسين محمد»
الناظور ـ المغرب

الصــبر والحـلم

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :
الصبر صبران .. فأعلاهما أن تصبر على ما لا ترجو فيه الغنم في العاقبة .
والحلم حلمان فأشرفهما حلمك عمن هو دونك .
والصدق صدقان .. فأعظمهما فيما يضرك .
والوفاء وفاءان .. أفضلهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه

لحدان جاسم الكوارى
الدوحة ـ قطر

من حكـم الأولـين

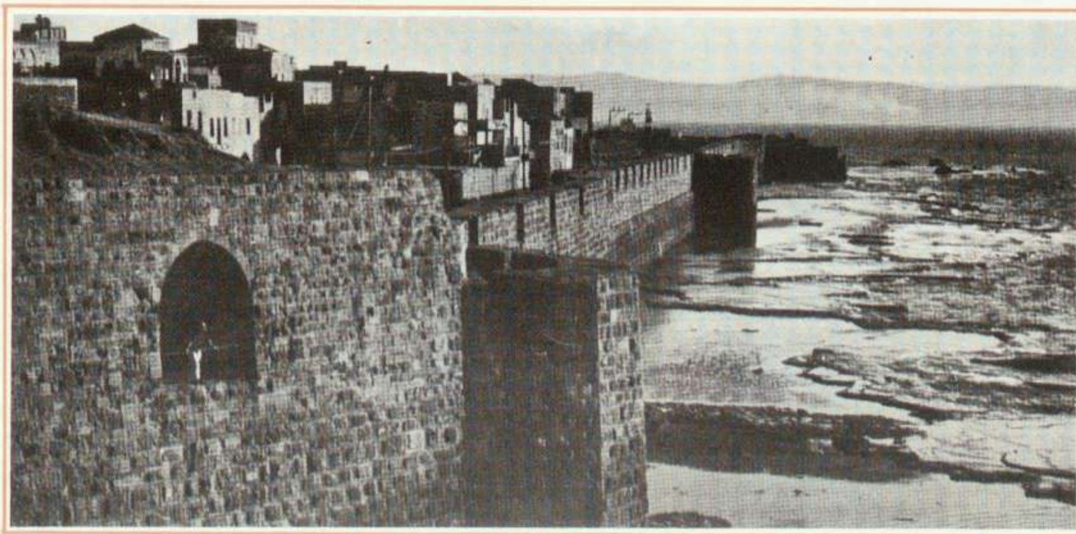
● يصير السيد عبداً خلال العمل .. ويغدو العبد سيداً خلال العمل .
● كلما ارتقى الوعى لدى الشعوب أصبحت بحاجة الى الفنون بكل أنواعها .
● العقل رائد الروح .. والعلم رائد العقل .. والبيان ترجمان العلم .

سوسن حمص ـ سوريـا

دوحة القراء



حاول أن تعرف ...

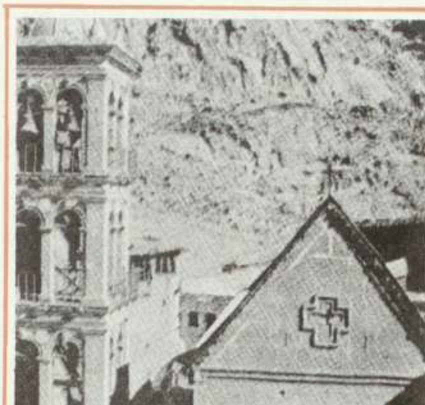


سور عكا العظيم . بناه والى المدينة فى عهد العثمانيين واستطاع صد الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت التى كانت امتداداً للحروب الصليبية . امتد حكم هذا الوالي حوالي ثلاثين عاماً .

ما اسم هذا الوالى ؟ وفى أى سنة توفى ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٦٥

الصورة الأولى :
شبه جزيرة سيناء ـ دير سانت كاترين .



١ ـ عماد عبد العزيز الحاج ـ **دبي**
٢ ـ أحمد السعيد علي ـ مطاى ـ مصر

الصورة الثانية :
البرازيل وعاصمتها برازيليا .



١ ـ صائب جمال سليم ـ **الأردن**
٢ محمد مصطفى السمرى ـ الاسكندرية

أخلاق المؤمن

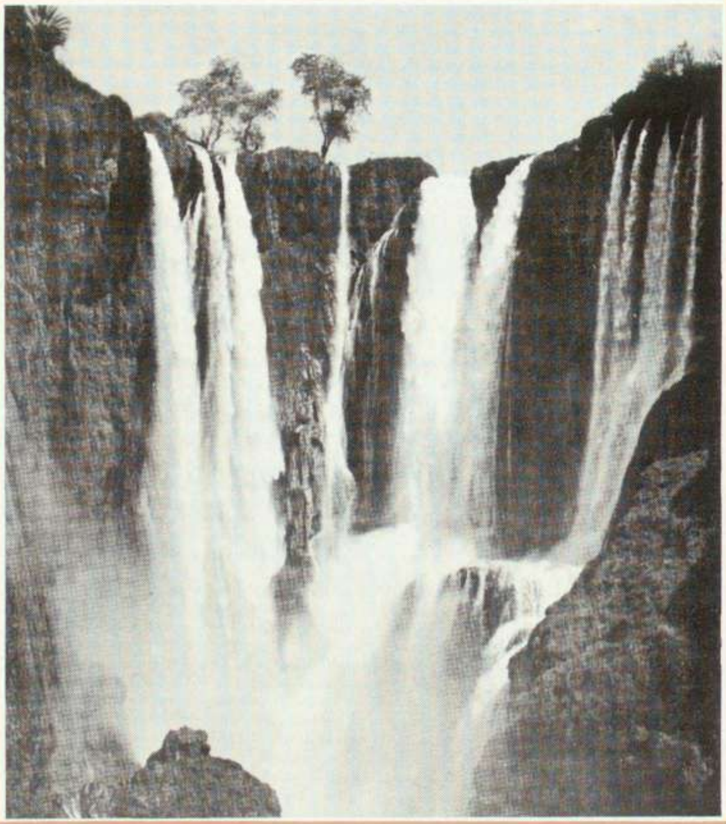
قال الحسن البصرى : من أخلاق المؤمن ، قوة فى دين ، وحزم فى لين ، وحرص على العلم ، وقناعة فى فقر ، واعطاء فى حق ، وبر فى استقامة ، وفقه فى يقين ، وكسب فى حلال .

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك :

خير الأخوان أقلهم مصانعة فى النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبة ، وخير الثناء ماكان على أفواه الأخيار ، وأشرف السلطان مالم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الأخوان من لم يخاصم ، وخير الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر ذل الرجال عند الفاقة والحاجة .

محمد عبيد محمد محمود
ج ٠ م ٠ ع ـ قنا

لقطة الشهر



شلالات « أوذود » بمدينة بنى علال فى المغرب

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : المكانى عبد الرزاق ــ المغرب .

كلمات لها معنى

● أجمل مافى الصبر أنه يسبب ضيقاً وألماً للمرء الذى لا يكف عن مضايقتك .
(فرانكلين روزفلت)

● الفتاة السعيدة هى التى تحتفظ بعقلها حينما تفقد قلبها .
(بول جلبرت)

● لاتوجد فى العالم وسادة أنعم من حضن الأم ولا وردة أجمل من ثغرها .
(وليم شكسبير)

● العظمة الحقيقية هى أن يكون المرء سيد نفسه .
(دانيال ديفو)

● اغفر دائماً لأعدائك فلا شيء يضايقهم أكثر من ذلك .
(أوسكار وايلد)

● الحياة جميلة ولكن معنى الحياة أن نعمل شيئاً . لا أن نجلس ونرى غيرنا يعمل .
(لوى باستور)

محمد عبد الغفار محمد السيد
القاهــرة

حل كاريكاتير وتعليق العدد ٦٥



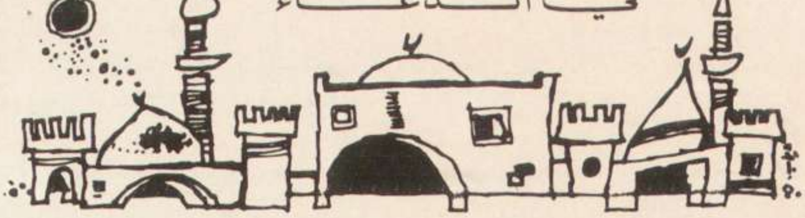
● كل الأحبة اثنين اثنين .. وانت ياكلبى حبيبك فين (مع الاعتذار للأغنية) .

هانى وديع صادق ــ القاهرة

● كل اللى فى قلبه شقى اللى له .

راشد على ــ الدوحة

فى الدعاء



قال تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان » صدق الله العظيم .

وقال الرسول الكريم : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا اعطاه اللــه ثلاثــا :
إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له ثوابها وإما أن يكف عنه السوء بمثلهــا » صدق الرسول الكريم .

قال الشاعر عمــر الخيــام :
إن لم أكن أخلصت فى طاعتك ...
فاننى أطمــع فى رحمــتك
وإنما يشفع لــى اننى ..
قد عشــت لا أشرك فى وحدتك .

وقال سفيان الثورى : سمعت أعرابياً يقول « اللهم إن كان رزقى فى السماء فأنزله وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان بعيدا فقربه وإن كان قريباً فيسره وإن كان قليلا فكثره وإن كان كثيرا فبارك فيــه .

عادل حافظ
أسيوط



عبد المنان زعـــرور

بـــودليـــر والروائح

لعل من أهم الشعراء الذين اهتموا بالروائح الشاعر الفرنسي شارل بودلير(١٨٢١ ـ ١٨١٧) ففى ديوانه « أزهار الشر » الذى خصصه لرسم تاريخ الاضطرابات النفسية للشباب الحديث ، تنتشر الروائح فى كل قصائده ، وصار لها طريقة خاصة فى العرض فى الذاكرة كما فى الحقيقة . إن ربات الجمال لا تبقى ساكنة لديه تحت القمر ولا تنام في سريرها الوثير ، انها تنشر في الهواء رائحة شعرها وجسدها وثيابها المخملية ، إنه الشاعر اليائس يسخر من الريحان العفن الذى حضره الموت ، ويدخل في ليال غريبة ، يحلم فيها ، مشبعة بالروائح المجهولة المخباة كالتمائم ، أو الروائح الظاهرة المنتشرة والمحبوبة : الروائح التى تفوح من الجمال والأناقة . هناك إذا صح التعبير نظرية للروائح : انها غضة وطرية ، خضراء أو فاسدة ، غنية ومنتصرة ، انها المرايا الثابتة التى إذا ذكر اسمها أو ناديناها تعكس الزمن الضائع باشكاله الحقيقية : « الأبهة والطمانينة والمتعة » .

إن الروائح تبدو متدرجة كسلم للقيم :

هناك روائح غضة كبشرة الأطفال
ناعمة كالمزامير ، خضراء كالمروج .
واخرى فاسدة ، غنية ومنتصرة
لها انتشار لا متنـاه
مثل العنبر والمسك والتبغ والبخور
إنها تغنى انفعالات الفكر والأحاسيس .

إن العنبر والمسك والعطر والبخور والتبغ والصبر هى الروائح التى تجعل ربات الشعر تغنى في « أزهار الشر » وربما أن هناك روائح اقوى يمتدح الشاعر خصائصها فى النفاذ عبر المادة ، هذه الروائح تنفذ إلى الذاكرة وتبعث الحياة المنطفئة فى فكر الانسان :

هناك روائح تنفذ في كل شيء ،
انها تجتاز الزجاج ، وتفتح الصناديق القادمة من الشرق .
أو فى منزل خال هناك بعض الخزائن المغلقة من زمن بعيد
تفتحها وتفجر فيها الحيـــاة .

ويمكننا أن نتبين عناصر خارطة الروائح فى كل نغم لدى «بودلير» ، في الطبيعة هناك زجاجة مفتوحة أو امراة تذكرنا بالمسك والعنبر .

إنها مقدسة غريبة ، سمراء كالليل
ذات رائحة من المسك والعنبر .

أو أنها الريحان والبخور أو المسك :
إن المرأة ذات الشفاه القرمزية
تجرى من فمها كلمات مليئة بالمسك

أو أنهاالبخور : أهات القلوب المتعبدة .
تجرى كالبخور فى حديقة الأزهار .
أو أنها التبغ :
من أعلاها إلى اسفلها
كان جسمها الناعم تفوح منه رائحة الزيت المعطر والتبغ .

وإنه يعود دائماً الى شعر حبيبته ، الى رائحته القوية والمتوحشة إلى رائحة زيت جوز الهند والمسك الذى اشبع هذا الشعر برائحته :

ايتها النشوة : لكي أملأ المخدع الغامض .
بالذكريات النائمة فى هذا الشعر
أريد أن أهزه فى الهواء كالمنديل

ومن الرائحة المجردة المثقلة بالكسل واليد القلقة ، تظهر صفات الروائح وترتسم الحركة أمام اعيننا :

أيها الشعر الأزرق ، ياموئل الظلمات الممددة

إنك تعيد لي لون السماء الواسع والمدور .
على أطراف جدائلك المفقودة
إننى أسكر من رائحته الممتزجة .
بزيت جوز الهند والمسك والعنبر
إن يدى تزرع إلي الأبد فى غرتك
الياقوت والجواهر واللؤلؤ
ولئلا تكوني غريبة عن رغبتى
الست الواحة التى أحلم بها
والزجاجة التى أعب منها شهد الذكريات ؟

إن الروائح تثير الذكريات ولكن الجواب واضح .
سحر عميق ، وفتنة تعيد لنا فى الحاضر الماضى المتجدد .
واخيراً فهناك رائحة الجحيم التى يحبها بودلير
وأما الرائحة الوحيدة التى يأسف عليها فهى الفردوس الأخضر فى الحب الطفولي :
كم أنت بعيدة يافردوس العطر .



بيبسى

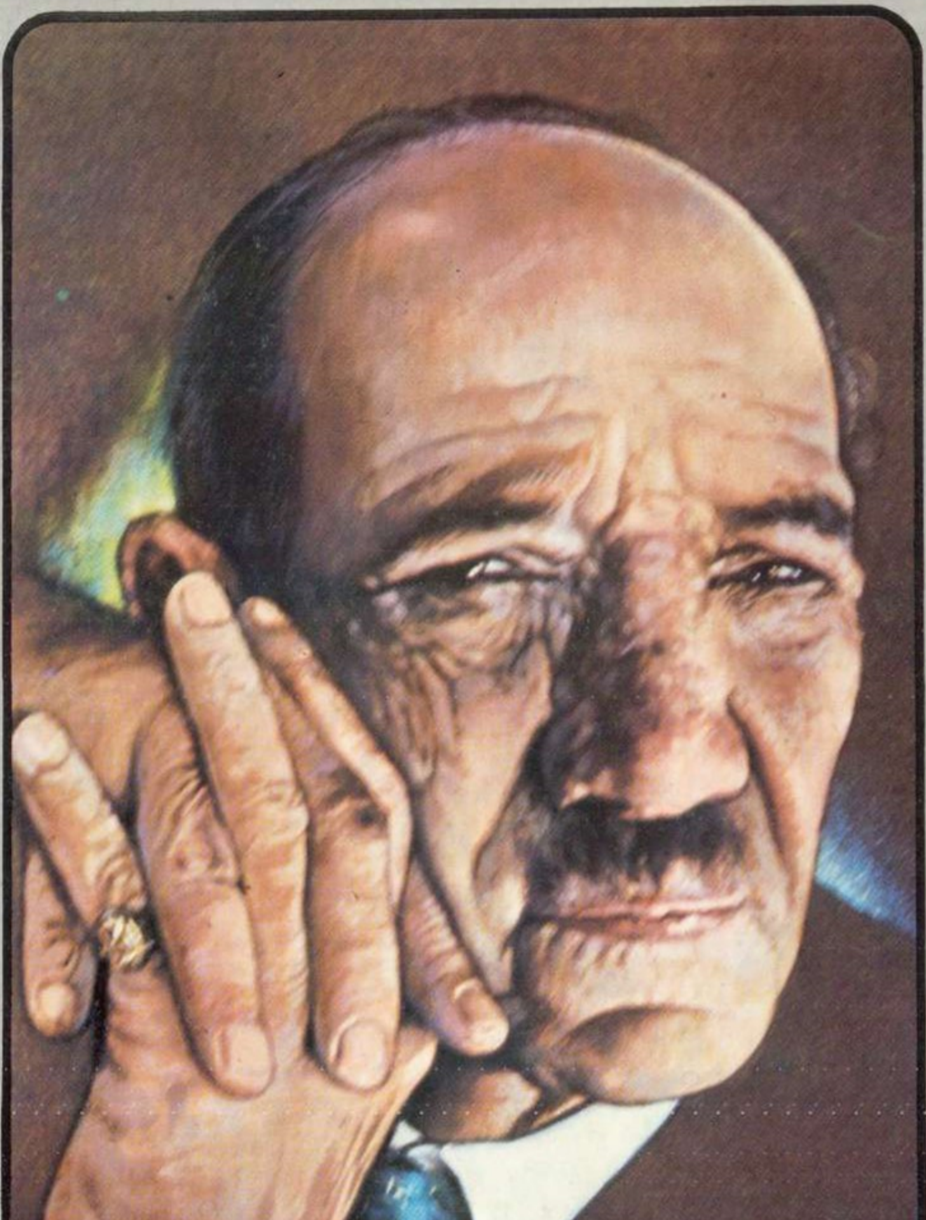
مشروب الجيل الصاعد



السنة السادسة – العدد ٦٨ – شوال ١٤٠١هـ – اغسطس ١٩٨١م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



الإنسان بين الجبر والاختيار

بقلم: خالد محمد خالد

الأمة العربية في صورة التاريخ

حافظ الجمالي

العجوز والحرية

كان للعرب وزراء للنفط منذ ألف سنة

رامي كان شاعر الشباب .. في التسعين


MIRINDA
ميرندا
بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٨ - أغسطس/آب ١٩٨١

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلساً
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلساً
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلساً
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلساً
العراق ٢٥٠ فلساً
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليماً
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

فى هذا العدد

عبد الله جفرى . | خالد محمد خالد






د. عبد السلام العجيلى | د. عبد المحسن صالح

كلمة

بشائر اتحاد أدبي جديد

تابعت بفرح واهتمام ما تناقلته الصحف المحلية حول جهود أدباء الامارات فى تاسيس اتحاد يرعى نتاجهم وينظم جهودهم الثقافية ويرفد صوتهم الجماعي بحركة الأدب فى الوطن العربي . ولقد تركزت الأحاديث حول أهلية أعضاء هذا الاتحاد ، ودار حول ذلك بعض الجدل . فتذكرت فترة الحماس وزخم العمل التى عايشتها فى البحرين أواخر الستينات عند تاسيس (أسرة الأدباء والكتاب) وما أثاره جو الحيرة المؤرق الذى يصاحب مثل هذه الفترة وبالذات فى تحديد هوية الأعضاء ومقياس قبول أو رفض المتقدمين للمشاركة ، خصوصاً وأننا ـ نحن المؤسسين ـ من الأدباء الشباب الذين ينظر اليهم شيوخ الأدب ساعتها نظرة من لم يبلغ (سن الرشد الأدبي) ولم تتحدد أو تثبت جدارته الفنية . وعلى الرغم من اختلاط الأمور وعدم وضوح الرؤية نتيجة للعمل العفوى المشوب بالحماس والاندفاع الا انه كانت أمامنا ثلاث حقائق ثابتة وواضحة . الأولى ، اننا بصدد تاسيس اتحاد قطري لأدباء البحرين . والثانية ، أن كل الأدباء الساعين للتاسيس من الشباب الذين بدأوا فى نشر نتاج أدبي متميز فى اتجاه مغاير لما كان سائداً ويرغبون فى أن يكون اتحادهم معبراً عن توجههم هذا. والثالثة ، بما أن الأسرة فى مرحلة البداية فسيكون من الصعب بالنسبة للمشاركين الجدد الجزم باهلية هذه الموهبة للعضوية وعدم أهلية تلك ، فالحاجة ماسة لأن يبرز كل صوت محلي الى الساحة ويثبت جدارته بالمحاولة والتفاعل مع الأصوات الأخرى حتى يصل مرحلة العطاء . وللحقيقة ، فان النقطة الثالثة كانت مثار جدل وتندر ، خصوصاً وأن دستور أسرة أدباء البحرين ـ عند التاسيس ـ ينص على أن العضوية تمنح للأدباء ، وللمهتمين بالأدب كذلك ، وهو الوسط الذى تخرج من بينه عادة المواهب الأصيلة المبدعة. وقد وقعنا بالفعل فى مشكلة ، فالمهتمون بالأدب لا حصر لهم ، ومن الاعتباط القبول باى كان عضوا في تجمع أدبي وللخروج من هذا المازق وبعد أن تورطنا ببعض الناس توصلنا الى حل معقول اخذ يثبت جدواه وفاعليته يوماً بعد يوم ومازال متبعاً حتى الآن ، وهو أن قبول أو رفض أى طلب اشتراك لا يتم بقرار ادارى بحت أو بأسلوب مدرسي يمارسه أي كان من موقع فوقي ، فمن ياترى يتحمل مسئولية الجزم بالرفض او بالقبول ؟ لقد كنا نطلب ممن يتقدم للاشتراك بان يتفضل اولا بحضور الندوات العامة والخاصة والمشاركة في النقاش والمحاورة وقراءة ما عنده من نتاج والمساهمة فى ابداء الراى حول نتاج الآخرين. وبهذا يمكن كسب عناصر جديدة والتعرف اليها عن قرب .

إن أي تجمع أدبي او فني لا يمكنه بداهة ان يصنع اديباً أو فناناً في أي لون ، لكن من أوجب مهماته أن يخلق الجو الثقافي النشط الذى تتنفس فيه المواهب بحرية وتنمو ويشتد عودها وتساعدها عوامل قوته ومرونته على النضج والبروز والاحتكاك بالغير . هذا الجو هو المقياس الذى يفرز ويبرز ويؤكد هوية المبدعين ، وهو جو تنافسى ابرز لنا مواهب ادبية جيدة صلبة العود مازال عطاؤها مستمراً حتى اليوم .

لا أعتقد بأن أدباء الامارات الشباب فى حاجة الى وصاية أو نصيحة من احد بقدر حاجتهم الى مزيد من التحرر فيما بينهم للتاكيد على حقائق أولية في مجال الفن والأدب اهمها فتح مجال الحوار بين جميع الآراء والأفكار بمرونة وود وبقدر كاف من الوقت ، وبان المواهب الحقيقية لا يحتاج إثبات ابداعها الى قرار من اتحاد أو رعاية فوقية من استاذ بقدر حاجتها الى متنفس صحي تجالد فيه ظروفها المحلية وتغالب صعاب طريقها لتحفر فى مسارها أثراً يذكر . تحية لهذه الخطوة الحضارية التى نامل أن يجعلها أدباء الامارات بمستوى الطموح والتطلع ، لنعيد شيئاً من التوازن لبقية الخطوات فى مجتمعاتنا النفطية .

على عبدالله خليفة

الحرب العلمية
بين مداد العلماء ودماء الشهداء

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

ربما تأخر ردنا العسكرى على العدو لأسباب عديدة ، ولكن الرد الفورى الذى هو فى الوقت ذاته الرد الحضارى البعيد الأمد ، وهو فى مقدورنا جميعاً ، فيتمثل فى قرار كل مواطن عربي ، وكل شاب عربي ، وكل معهد عربي ، وكل حكومة عربية ، بالاقبال المتواصل المنتظم على علوم التقنية «التكنولوجيا» المتقدمة ، وخاصة فرعها النووي ، كل حسب موقعه ، واختصاصه ومجاله بحيث تصبح الأمة العربية كلها مدرسة استيعاب حاشد لعلوم العصر وعلى رأسها المعرفة النووية نظرية وتطبيقاً .

قد يسجل التاريخ يوماً ما ان اسرائيل قد خدمت الحركة العلمية العربية من حيث لا تريد ، بل بعكس ما كانت تريد .. فبضرب اسرائيل للمفاعل النووى العراقي ، أصبحت الحركة العلمية فى الوطن العربي ، وتيارها ودعاتها ورجالها العاملون بمثابة جبهة أمامية رئيسية فى صراع البقاء المفروض على هذه الأمة ..

اصبح المخترع والعالم والباحث العربي فدائياً معرضاً لكل ما يتعرض له الفدائي من مخاطر ..

واصبح البحث العلمي فى تكنولوجية العصر وعلمه النووى ، عملية فدائية ، وجهاداً واستشهاداً فى مستوى الحرب القتالية .. واستحق العلماء العرب لأول مرة منذ زمان بعيد المأثور النبوى الكريم فى مقارنة مداد العلماء بدماء الشهداء .. وهذا مؤشر تاريخي ، عميق الدلالة ، نرجو ألا يخفى مغزاه بالنسبة لجميع أهل العلم فى الوطن العربى وهم الذين ينتظرون منذ زمن الفرصة التاريخية السانحة لاقتحام امتهم مسيرة العلم فى هذا العصر .

فلربما تأخر ردنا العسكرى على العدو لأسباب عديدة ؛ ولكن الرد الفورى ، الذى هو فى الوقت ذاته الرد الحضارى البعيد الأمد ، وهو فى مقدورنا جميعاً ، يتمثل فى قرار كل مواطن عربي ، وكل شاب عربي ، وكل معهد عربي ، وكل حكومة عربية ، بالاقبال المتواصل المنتظم على علوم التقنية «التكنولوجيا» المتقدمة ، وخاصة فرعها النووى ، كل حسب موقعه واختصاصه ومجاله ، بحيث تصبح الأمة العربية كلها مدرسة استيعاب حاشد لعلوم العصر وعلى رأسها المعرفة النووية نظرية وتطبيقاً .

هل ذلك صعب أو مستحيل ؟ .

إن البحر العميق يتكون من قطرات صغيرة . وعلينا أن نتعلم كيف نجمع القطرات الصغيرة لنخلق منها بحراً ، وكيف نجمع الروافد الجانبية لنصبها فى نهر دافق ..

واسرائيل تستطيع أن تنفرد بمفاعل عربى نووى واحد أو اثنين ، وتستطيع أن تعرقل اتفاقية نووية معينة بين قطر عربي ودولة أجنبية متقدمة . ولكن ماذا تستطيع أن تفعل لو أصبح عدد المفاعلات النووية فى العالم العربى مقارباً لعدد ما فيه من دور للتسلية .. أو لعدد ما فيه من محلات لتفصيل الأزياء أو لبيع اشرطة الفيديو ؟!

يبدو ذلك أقرب الى الحلم ؟

نعم .. إذا استمر المسلك العربي العام على ماهو عليه .. ولكن إذا أضاف الاعتداء الاسرائيلي الجديد ألماً جديداً مصحوباً بالوعي الى آلامنا القديمة وأحياها واستثارها .. فقد يكون بامكاننا أن نجعل ما هو « أقرب الى الحلم » .. « أقرب الى الحقيقة » .

لنتأمل فى امكانية « التحولات » التالية فى حياتنا وتفكيرنا

١ – أن يتحول القراء العرب من التركيز على قراءة القصص والشعر الى التركيز على قراءة العلم والتكنولوجيا والذرة .

٢ – أن يتحول الطلبة الجامعيون العرب من التخصصات النظرية والأدبية الى التخصصات التقنية الأساسية .

٣ – أن يتحول الباحثون العرب من كتابة الأدبيات الجمالية المجردة ، والموضوعات البعيدة عن ضرورات المرحلة وواقع الأمة ، الى البحث فيما له صلة حميمة بصراعنا الحضارى وأهمية العلم التقنى فى حياتنا وكيفية استيعابه .

٤ – أن يكون فى مجلاتنا الثقافية وجرائدنا اليومية باب ، بل أبواب ثابتة عن العلم والذرة وتطبيقاتها بدل أبواب التسلية المبتذلة ..

٥ – أن تتحول برامج التليفزيون والاذاعة من مسلسلات الأوهام والأحلام الى مسلسلات من نوع جديد عن فعل العلم فى حياة الشعوب وكيفية معايشته ومعاناته ..

٦ – أن تقلل مجلات الأطفال عندنا – وهذه قبل غيرها – من الاحتفال بشخصيات جحا والسوبرمان والكاوبوى ، وان تتجه لتقديم شخصيات روائية علمية محترمة أمام الطفل العربي لينشأ وفى طموحه أن يصبح عالماً فى مختبر ، لا مغامراً فى الأدغـــال ..

٧ – ثم يبقى على الجامعات العربية ، المتزايدة عدداً فى الوطن العربي ، أن تتحول بعض الشيء من الاهتمام بالأقسام النظرية والأدبية والكلامية ، لتضيف قسماً إجبارياً يكون هو محور الاهتمام ويختص بالبحث العلمي التطبيقي المتقدم من أولياته الى مستوياته العليا .

... مثل هذه الخطوات والمقترحات هل نعجز أيضاً عن الأخذ بها ؟ وهل فى تنفيذها استحالة لو توفر العزم والوعي ؟

إن الانتصارات الكبرى والتحولات العظيمة فى حياة الأمم لا تاتي بقرارات فجائية ، مهما كانت جريئة وحازمة .. ان الانتصارات والتحولات تاتي تعبيراً عن تراكم تاريخي طويل لعمل الأمة فى كافة مجالات الحياة الصغيرة والمتواضعة – أو التى تبدو كذلك – وما ينقصنا نحن العرب دائماً هو هذا النوع من العمل اليومي المنظم ، الطويل الأمد ، الذى يمكن ان يتراكم فى وقته الصحيح ليأتي بانتصار كبير ..

المهم أن يصبح هذا العمل تقليداً فى حياة الأمة ، وتياراً مستمراً متنامياً فى تطورها .. لا مجرد فورة عابرة كفوراتنا العربية الأخرى ..

الذين تألموا للعمل الاسرائيلي ، وتألموا أكثر لعدم ردنا الفورى عليه ، أدعوهم للتفكير فى مثل هذه الخطوات فى حياتنا اليومية . وهي خطوات تبدو متواضعة ووئيدة ، وتحتاج كي تثمر الى وقت طويل ؛ ولكنا لو اقدمنا عليها وحولناها الى تيار فاعل مثمر فى حياتنا ، لاقترب موعد ردنا العسكرى الحاسم على ضرب المفاعل ، بل على اغتصاب فلسطين .

غير أنه يتحتم علينا أن ندرك جيداً بأنه لا مجال للرد المباشر على العدو ، بدون هذه المسيرة العلمية الطويلة .. أولا فهذا هو قانون الحضارة وحتمية التاريخ ولابد مما ليس منه بد .

بعد ذلك نستطيع أن نزرع فى الوطن العربى ، بارادتنا نحن وبقدرتنا نحن ، آلاف المفاعلات النووية من الموصل فى الشمال الى الخرطوم فى الجنوب ، ومن الدار البيضاء فى الغرب الى الدوحة فى الشرق .. ولو تحول جميع الاسرائيليين الى طيارين حربيين لما استطاعوا قصفها كلها ولهلكوا قبل بلوغها مجتمعة .

هذه هي الصورة الشمولية للتحدى وللصراع ..

والعرب يرون ذلك جيداً .. ولكنهم – للأسف – لا يسيرون فى طريق الفعل الواجب ، المحتم الطويل الصعب .. ويتلهون بالحلول السهلة العاجلة التى لا توصل إلا الى كوارث جديدة .. وهذا هو موضع المنـا الاكبر .. أكثر من اى عدوان اسرائيلي .

ولقد قلت فى البداية ان التاريخ قد يسجل بأن اسرائيل خدمت الحركة العلمية العربية من حيث لا تريد .. ولكن أخشى ما أخشاه أن يضيف التاريخ أيضاً بأن العرب ضيعوا مرة أخرى على انفسهم فرصة الرد وفرصة الاستفادة من التحدى ..

ما أصعب التفاؤل .. وما أحوجنا إليـــه !

● ● ●

هامش ..
من صميم الموضوع

مشكلة أفغانستان عمرها أقل من سنتين .. ومشكلة فلسطين عمرها أكثر من ثلاثين سنة .. ورغم ذلك ، فان أوربا سارعت بتقديم مبادرة سياسية شاملة لحل الأزمة الأفغانية ، وسارع اللورد كارينجتون الرئيس الحالي للمجموعة الأوربية بالذهاب الى موسكو لبحث الموضوع مع القيادة السوفياتية وكسب موافقتها رغم انتقادها للمبادرة !

هذا بينما تتعثر المبادرة الأوربية بشأن القضية الفلسطينية رغم الالحاح العربي على دول أوربا ، ورغم المصالح الكبيرة التى تجنيها أوربا من تعاملها مع العرب ..

فلماذا مبادرة أوربية عاجلة هناك لم يطلبها أحد .. ومبادرة أوربية .. مسترخية .. متباطئة هنا رغم الحاح الطلب ؟؟

السبب الحقيقي الذى يجب أن ندركه .. وننفذ الى صميمه هو أن أزمة أفغانستان تقف وراءها القوة السوفياتية الضاربة والمهددة بشكل حقيقي لمصالح الغرب .. بينما قضية فلسطين وأزمة الشرق الأوسط تفتقد دفع القوة العربية الضاربة والمهددة .. لذلك فهي تنتظر منذ ثلاثين عاماً .. وقد تنتظر ثلاثين عاماً أخرى .

والباقي تفاصيل .. وهو هامش اقتضاه الموضوع . ولن نخلص من هذه الهوامش المحدقة بقضيتنا إذا لم ننفذ الى موضوعها الصميم .. أعني موضوع بناء القوة الذاتية العربية فى شتى مجالات الفاعلية الحضارية ، قبل كل شيء .

الوحدة الثنائية ... دون أقفال

بقلم : عبد الله جفري

وحدى .. اجرب مفاتيح مسرة فى اقفال ملل ، وفراغ ، وفرقة !

ترتمى وحدتى على أيام تبدو كطبلة جوفاء .. قدرتها فى الرجع فقط !

وحدى مع الأيام .. انادى بدوافع «فدوى طوقان» ــ يا رعاها الله ــ وانسى باصرار ماذا فعلت «فدوى» بعد شكوتها هذه .. هل أحالت وحدتها الى مغنم غذى الاحساس الفنى فى فكرها ، ووجدانها .. أم أن وحدتها أثرت فى انطباعها ، ولونت شعورها بظلال قاتمة كزوايا لوحات «فان جوخ» ؟!

أن يعانى الانسان ــ الوحدة ــ كمعاش يجذب ثوانيه ، فهذا تصوير أليم لحياة فارغة رحلت عنها البهجة ، فبقى هذا الانسان يجتر فى وحدته الماضى ، ولوحات الحياة الغنية بالمعانى والصور !

أن يرتضى الانسان ــ الوحدة ــ كمستقر ، و «قفلة» لرحلة طويلة أتعبت النفس ، والتنفس .. فهذا قد امتلأ بالانهزام ، والخمول واللااهتمام بحوافز الحياة من حوله ، حتى لو انحصرت الحوافز فى انشداه «رمش» !؟

لكن .. هناك «وحدة» تذيب العزلة ، وتفتت السأم ، وتغطى على تثاؤبات تاتى عفوية أحياناً لمجرد رغبة من الانسان أن يفتح فمه .. تلك هى «الوحدة الثنائية» .

هذه الوحدة الثنائية تطلبها وحققها



فدوى طوقان



ديستوفسكي

المرحوم عباس محمود العقاد على صورتين ، وبمعنيين .. فكانت الصورة الأولى تبرز حياة «العقاد» القارىء الذى يتلمس مفاتيح الذهن من خلال سطور ما يقرأ ويتأمل .. إنه ينفرد ــ بوحدة ــ لا أحد يشاركه فضاء الغرفة .. ينهل من الكتب ، ويعرف جديداً ، ويتوصل الى أفكار وخواطر يكتبها .. لتصبح اليوم مراجع فى الجامعات وفى المكتبات ، وغذاء فكر لكل متلهف على معرفة . كانت .. «وحدة» تطلبها بدون قسر ، وإنما برغبة والتصاق . وكانت الصورة الثانية تبرز أحاسيس «العقاد» الفنان . الشاعر المتأمل .. الذى عاش حياته ــ من انطباع الناس ــ وحيداً .. رفض رفقة الأنثى ، ومشاركتها له داخل بيت واحد ! .

وهذا انطباع خاطىء .. لأن «العقاد» الفحل كان يحيا مع الأنثى بوجدانه كله .. لم يكرهها كما تخيل البعض حينما استمدوا برهانهم من لوحة «الحشرة» التى كان يثبتها فوق سريره فقالوا انه أراد بها الأنثى !.

لم يحب الأنثى أحد كالعقاد .. حتى وقد قاربت حياته على الانطفاء . لقد أحب «سارة» بجنون ، وأحب «هند» ــ وهو اسم مستعار لمى زيادة ــ بحرص ، وأرغمته هى أن يحبها بعقل ، فضاعت منه هند .. ليضيع منها مستغرقاً مع «سارة» التى كانت تعمل لقلبه كل يوم حمام شمس ، وحينما اختفت «سارة» بانجذاب «العقاد» الى وحدته الثنائية الأولى ــ وحدته مع عقله وأفكاره ــ ماتت «هند» واستغرق «العقاد» فى صورته الأولى ، وبقيت الأنثى فى تضاعيفه هى الوجه الآخر فى وحدته . أما احساسه فكان هو الوجه الأول ! ...



عباس محمود العقاد



مي زيادة

ومات «العقاد» بوحدته الثنائية .. دون عزلة دون أقفال ملل !

••

إن الثقافة ومواصلة التعلم لا يجعلانك تعيش وحدك انت تعيش مع الأفكار الجديدة .. مع الصور الحية ، وتسمع ما تحب من برامج فى الاذاعة .. لأنك فى وحدة ثنائية مع هذه المعطيات ، وهذا لا يجعلك وحدك .. إنه مفتاح أبواب الثقافة ، وقد قال كاتب عربى عبارة من زمن ليس بالطويل : «ان قمة المجتمع الروحية هى الثقافة .. لأن الفكر انعكاس طبيعى للوضع الاجتماعى .. لكنه ليس انعكاساً منعزلا عن قاعدته المادية ، وإنما هناك تفاعل تأثيرى متبادل» .. هنا يتضح التفاعل فى الوحدة الثنائية : انت مع عقلك ، وخواطرك . أنت مع أحاسيسك ودواعى انجذاب الخفق بين أضلعك نحو من تعشق ، لا تود له أن يرحل عنك ، أو تتركه !

وأقسى وحدة بحق .. هى تلك التى يعانيها الأديب ، أو المفكر ، أو الرسام ، أو الموسيقي ، أى الفنان ، وذلك عندما يفقد الرغبة فى فتح كتاب ليقرأ ، أو فى لمس أوتار عوده ، أو آلته الموسيقية الخاصة به .. يصبح فعلا من الذين يقاسون الوحدة التى يطل منها شبح العزلة والملل والفراغ ، وقد كان الأديب النمساوى «سالنجر» يشعر بالملل .. يبصر نفسه وحيداً حقاً هو ، وكتابه ، أو هو وقرطاسه .. لأنه لم ير حبيبته أياماً .. يختفى عنها ليضع فصلا فى كتابه الجديد ، ثم يأخذ كتابه ، وقرطاسه ، ويسعى اليها .. يقرأ على مسامعها ما كتب ، وما قرأ ، فيستعذبه ، ويتأوه بعد ذلك ، وهى تقول له :

– ها .. الآن لسنا وحدنا !

– ويجيب قائلا : أبداً .. الآن نحن وحدنا ، والدنيا تزفنا !!

لهذا اختلفت مع «أنيس منصور» عندما قرأت له مرة رأياً فى «وحدة» الانسان .. وهو يتحدث عن «سالنجر» بالذات .. فقد قال أنيس :

– «إن سالنجر فقد لذة العزلة ، ومتعة الكوخ .. لأن الانسان وحده يموت» !

هذا صحيح .. الانسان وحده يموت . لكن من قال ان فى العزلة لذة .. اذا كان المقصود «بالعزلة» هو الحصر ؟! .. أما «سالنجر» فقد كان يذهب الى الكوخ ومعه الكتاب ، أو القرطاس .. إنه فى وحدة ثنائية ، وهو عندما يختفى هناك .. يكون معه أيضاً طيف الانسانة التى لا تفارقه ، وإلا لمات فعلا ! ... إنه مع مرآته الذاتية والفكرية . مع من يحب .. تتواجد المتعة فى فكره ، وتتدفق فى نفسه .. لهذا فقد أبدع حين كتب ، وحلق حين صور خلجاته ! .

ثم يتعاقب رأي قرأته لنفس الكاتب العربى المتحدث عن قمة المجتمع الروحية ، وفى هذا الرأى ما جعلنى أحملق مذهولا ، وانا أقرأ النص :

– «شخصية الأديب سيكولوجيا .. هى شخصية سيكوباتية – أى أنه والمجرم سواء !! – والفرق بينهما أن المجرم ينحرف الى أسفل .. بينما الأديب ينحرف الى أعلى» !

وبعد التأمل .. توصلت الى أن المجرم يبقى وحده عندما يتغلغل الشر فيه .. بمعنى انه يقاسى العزلة ، والطرد من المجتمع ، والامتهان لمكانته .. فهو يعيش عزلة قاتلة خانقة .. أما الأديب فهو لا يستطيع العيشْ وحده .. إنه ينزع الى مخالطة الناس ليستقي صوره ، وخواطره ، أو هو يركن الى «احد» الناس .. وفيه يتمثل حياته ، وسيرته ، وفرحه وارهاصاته .. بعكس المجرم الذى يبقى منفرداً .. تخونه حتى نفسه احياناً .. ليس معه إلا تسلط الشر فيه ، ونزعاته ، ورغباته ، وهذه أشياء تدفع الى مزيد من العزلة ، وتنفر المجتمع ، والناس من معاشرته ، والاقتراب منه !! ..

كازانوفا – مثلا – كان استعداده للجريمة والشر يتفوق عنده على نزعة الطيبة ، والخير ، والحب .. حتى حكايات حبه الطويلة ، والمتسلسلة كان الدافع فيها رغبته فى التسلط ، والامتلاك ، وعنعنات «المادة» فيه كرجل قوى بذكائه الخارق ، وخبثه ، وحينما شعر انه وحده فكر فى أسلوب ماكر شرير .. كان المجتمع يهابه .. لا يقدره ، وهذا وحده كفيل بقذفه الى عزلة مضنية ، وقال كازانوفا عن نفسه فى كتاب اسمه «قصة حياتى» :

– « كنت غبياً حتى الثامنة عشرة ، ثم اسلمتنى جدتى لسيدة تعمل ساحرة» .. وتعاقبت حياته بعد ذلك ، وأصل التنشئة قام على بنيان منهزم ، ودجلي ، وخرافي قام على عزلة .. أسلمته لوحدة

الوحدة الثنائية .. دون اقفال


احمد رامي

فحاول أن يتخلص منها بمغامراته مع النساء ، والمرأة هى العامل الوحيد الذى ينقذك من الوحدة ، وهى السبب المباشر — أحياناً — الذى يسلمك الى وحدة لا تشفى بعدها أبداً !

● ●

وفى الحب .. تقتل «الوحدة» حينما تنوء الشطوط ، وتقلع الأشرعة وتجف الخلجان .. تبقى لحظتها كأنك تمتلك جزيرة نائية فى وسط بحر متلاطم .. عنيف الأمواج ! ..

ما أقساها هذه الوحدة ، بينك وبين غواليك مسافات مائية .. تحجب عنك الرؤية ، ولكى لا تموت بذلك .. فانت تتملى الرؤى ... تستعذب الرجع .. تنبض بالأمل ، لكنك أحياناً تبدو مثل «الفتى اليوشا» بطل رواية — الاخوة كرامازوف — لديستويفسكى .. عندما جلس وحيداً بعد رحيل حبه : «كان يفكر فى قصيدة يقولها .. يرسلها الى الراحل ، لكنه لا يعرف مضمونها» ! .. السبب أن شجنه ، وألم النوى وشدة الصدى للايام الحلوة الغائبة .. كل ذلك جعله — غير وحيد — بل مذهول .. مزدحم الضلوع .. بين جوانحه خفق متواصل عنيف كذلك الذى اعترى «أحمد رامى» لحظة سماعه كلمات شعره .. بصوت «أم كلثوم» بالذات ، لأول مرة ، وهى تصدح كأنها تخاطبه :


أم كلثوم

كان فجـراً باسـماً فى مقلتيـا
يوم أشرقت مـن الغيـب عليـا
أنسـت روحـى الى طلعتـه
واجتلـت زهـر الهـوى غضاً نديا

كانت وحدة اليمة أحس بها رامى أنذاك .. لكن الذى أبقاه حياً بعد ذلك أن «أم كلثوم» لم تنسه ، وكانت تناديه دائماً : يا ... رامى بمعنى : يا أيها الذى رميت !! ...

إننا — أحياناً — نرمى شعورنا ، ووجدنا ، وفرقتنا داخل «وحدة» يخيل الينا أنها أقفال ضاعت مفاتيحها ، لكن ... نحن عندما نقرأ ، ونتعلم نحس أن حياتنا ترتبط بهذا العالم المتحرك وأن أيامنا لم تنفصم ، وتنأى عن الجديد فى حياة الناس !

ونحن حينما نحب ، ونخلص فى المنح .. نطل على فسحة عريضة .. نرى فى وسطها كل الوجوه سحنة واحدة .. هى ملامح من أحببنا . بسمته . إيماءته .. اخضلال النظرة ! .. فسحة عريضة .. سهول مترامية لا تضم سوى اثنين .. مزروعة بالكلمات .. بالهمسات .. بالنظرات ، وهذه الاطلالة هى التى تذيب شعور الوحدة . تجعلك ممتلئاً .. ثراً .. تتوق دائماً ولا تصاب بالملل !!

● ●

بعد هذا ...

يعود الصدى متعاطفاً مع نداء «فدوى طوقان» : وحدى مع الأيام ! ..

لأن فدوى شاعرة .. فوحدتها هذه وحدة ثنائية .. هى ومحسوساتها ، لهذا عاشت — بالاستمرار — شاعرة ، واختارت البقاء فوق أرضها بين أحقاد اليهود ، وقالت نداء لديوان شعرها : اعطنا حباً !!

ولأن فدوى ضاع منها « المنادى » — بفتح الدال — .. بقيت شاعرة أيضاً .. تصدح وتتألم ، لكنها ليست فى وحدة ! ..أنها اصدرت ديوانها « الباب المغلق » .. غير أن الشاعر الفنان عامة محال أن يكون وراء باب مغلق .. وراء الوحدة المنفردة ، وفدوى لم تمت حساً .. انها تحيا بالألم ، وفى هذا شحذ ، ومعاناة ، واصرار على الحياة !

لأن «فدوى» شاعرة .. فهذا اقتناع عندى أن أقفال الملل التى أجرب عليها مفاتيح مسرة .. هى أقفال مؤقتة .. أقفال بعاد ستنتصر عليها اطلالة الفسحة العريضة !!

ومن كان منكم بلا «وحدة ثنائية» فهو لا يحيا !!

عبد الله جفرى

عَالَمٌ يبحث عن قدوة

إبراهيم السمان

الحياة فى معظم مراحلها بحث عن (القدوة) .

والقدوة تفرزها التربية فى الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع .. ولما كانت التربية هي بناء الضمير ، فان القدوة يمكن أن تصبح ضمير المجتمع الذى يقيس به الانسان رؤاه ومثله ومفاهيمه عن الحق ..

ولعل من أكبر مشاكل الشباب وأحد أهم أسباب ضياعهم غياب القدوة الصالحة القريبة منهم فهم يسيرون فى طريق مهزوز المعالم تفتقر للقدوة التى تتمثل فيها الصورة الصالحة فكراً وعملا ..

والانسان يبدأ تعامله مع القدوة منذ الصغر على طريقين : الطريق النظرى في عالم الكتب والتربية والتعليم ، والطريق العملي في عالم الحياة والممارسات الفعلية . وهما ، مع الأسف ، طريقان مختلفان متناقضان ، فى الوقت الذى يجب أن يتم فيه الواحد منهما الآخر . لأن ممارسات الانسان الحياتية هي الترجمة العملية للأفكار والمبادىء النظرية التى تلقاها على مقاعد الدرس .. ولكن الحقيقة ليست كذلك . فأول ما يصدم الانسان تلك المواجهة بين الواقع الاجتماعي وواقعه الفكرى المثالي . فهو يخرج الى الحياة بهوية واحدة أبرز معالمها الصدق والأمانة والنزاهة والعدالة فاذا به يفاجأ بانتهاء تلك الهوية المدرسية أو الجامعية التى لم تعد تصلح حتى لدخول دور السينما بأسعار مخفضة . لذلك يسارع باستبدالها بعشرات الهويات والبطاقات لمواجهة الأفكار ، والأمزجة والأساليب المعمول بها فى عالم الواقع ، والتى تسير بمقاييس تختلف عن تلك التى عرفها وعاشها مع الفلاسفة والعلماء والمفكرين فى كتبهم المحفوظة (فقط للاستذكار) فى المكتبات ، بغية الحصول على الشهادات والدرجات العلمية .

ولقد لعبت الثقافات والسياسات في ربع القرن الماضى دورا خطيرا فى سوء تربية الضمير عندما استسلمت الثقافة فى كثير من الأحيان للسياسة ففجع الناس فى أمانيهم .. ومثلهم وهم يسيرون خلف ما تمثل لهم من قدوات !!

ففى الخمسينات وأوائل الستينات انتشرت فى بعض المجتمعات (موضة) الأفكار والمبادىء . وكان على الواحد أن ينتقي (المبدأ) الذى يريده كما ينتقى ربطة العنق والبدلة .. والسيارة وإلا ضاعت مغانمه : مادياً ومعنوياً وفاته القطار ! .

ومازلت أذكر ذلك الرجل البسيط الذى جاء يستشيرني حينئذ بقوله « والآن .. بعد أن استقرت أوضاعي المادية فاشتريت بيتاً .. وسيارة .. وثلاجة .. وهاتفاً فى المنزل .. أريدك أن تدلني على (مبدأ) مناسب انتسب إليه ؟؟ » . وكان طبيعياً أن تصبح التجارة بالشعارات قدوة الكثيرين .. وكانت ومازالت ، عند البعض تجارة رائجة رابحة ، وقد بنى أصحابها أمجاداً مادية تحولت مع الأيام الى أمجاد معنوية ، ومعظم الناس يقدر الشخص بما يملك ! لأن المال يغطي على كل ما يعتبره المجتمع عورات ومثالب !

ولقد شاركت فى ضياع القدوة فئة كبيرة من الناس هي الأكثرية الصامتة من المثقفين ، الذين كان التزامهم بأفكارهم وثقافتهم التزاماً سلبياً صامتاً .

وطلعت على العالم ثورة الاعلام حينئذ ، وهو وجه الفكر السياسي المعلن ، باصلاحات وتعابير قلبت المفاهيم ، وهي بدع تقسيم الكلام وتصنيفه : فئة الكلام المعد للاستهلاك الداخلي .. والكلام المعد للتصدير الخارجي .. فأصبح المنطق رداء ذا وجهين !! .

وكان من نتائج ذلك كله انحسار مد الثقافة والفكر الحقيقي المنفتح ، فلم تفرز لنا تلك الحقبة الحاسمة الدقيقة مفكراً أو كاتباً أو شاعراً أو فيلسوفاً يكون امتدادا للذين سبقوه من قمم وقدوات الفكر والثقافة العربية الشامخة ..

ولم تقف الأمور عند هذا الحد ، فقد انقطعت صلاتنا بتاريخنا وتراثنا ، وانحصر دورنا فى الاستيراد والتقليد الفكرى والثقافي ، فاذا بنا مجتمعات نامية غير منتمية تحاول البحث عن هويتها فى المجتمعات التى اعتبرتها متقدمة ، دون أن تعلم أن هذه المجتمعات تبحث هي عن قدوة وإلا فكيف يمكن تفسير ظواهر الانحلال والفساد التى أخذت تغزوها بالرغم مما تحيط به نفسها من أقنعة الحضارة التكنولوجية !

عالم اليوم يعيش بلا قدوة ! فهل ترك الناس قدواتهم مع هوياتهم الحقيقية على مقاعد الدرس وفى سير الخلفاء والعلماء والفلاسفة والحكماء الذين جعلوا من الحياة فى خيال الشباب مثلا وقيماً عليا فصدمهم الواقع .. واقع الحياة والناس ؟

ابراهيم السمان
عمـان – الأردن

الانسان

بين الجبر والاختيار

بقلم : خالد محمد خالد

صاحبكم الذى يتحدث اليكم من وراء هذه السطور ، واحد من الذين يربطهم بالانسان ولاء غير مجذوذ ولا محدود .
وكل ما في الناس من ضعف وجور وضياع لا يصرفني عن رؤية « الانسان » الكامن داخل ذواتهم وصفوفهم ، والكادح الى الكمال كدحاً فملاقيه ..
صحيح اننى احياناً اضيق ذرعاً بنقائصنا ومروقنا ، ويتراءى لي مشهد الفيلسوف الاغريقى «ديوجينز» حين صاح من فوق هضبة عالية «أيها الناس» فلما سارعوا اليه وأقبلوا عليه هز رأسه أسفاً وقال : «لم أنادكم .. إنما أنادى الناس» .. !! بيد أنى سرعان ما ألمح «الانسان» متربعاً فوق عرشه العظيم ، حاملا مشعله المضيء وسط الظلام ؛ فتذهب من فورها تلك الحسرات اليائسة، وتتطاير غواشى اليأس أمام عظمته السابقة ..

الانسان ـ ذلك الكائن السلس المعقد .. البسيط المركب .. الضئيل الجبار .. صانع الحركة الداهمة لكل عقبة .. جاعل المستحيل ممكناً .. !!
هذا الانسان ـ الذى هو خليفة الله فى الأرض ـ .. القابض بيديه الماهرتين على شئون عالمه .. المتفوق الجسور .. بطل المازق دوماً .. المتسلى بالأهوال أبداً .. الذى يبصر النظام الكامن فى الفوضى الماثلة .. والذى يقود مصايره الى مشارفها الواعدة ..
هذا «الجوهر» الكامن في بلايين البشر ، والموزع بينهم برشده وخصائصه ورؤاه .. هؤلاء البشر الذين بدورهم ظهر فيهم ، وانبثق منهم الأنبياء والمرسلون الذين قلبوا وجوههم فى السماء فالهمتهم الهدى والفرقان .. والفلاسفة الذين يتساءلون فى جراة وبسالة : كيف ؟ ولماذا ؟ .. والفنانون الذين ترسم أناملهم الملهمة سر الوجود وذكاءه .. والعلماء الذين يخرجون خبء المجهول ، وييسر اليهم الكون بقوانينه .
هذا الانسان قضى حياته من العصر الحجرى حتى يومه هذا مسلحاً بالتجربة والاختيار . ولم تظهر إلا أخيراً تلك التساؤلات الفلسفية : هل هو مجبر أم مختار !!
أما هو قبل ظهور تلك الفلسفات وخلال مسيرها ، فقد كان يعيش حياته وفق تجربته . وكان يرى الحياة أمامه ملآى بالبدائل التى تفرض عليه أن يحدق فيها ويفاضل بينها ويختار منها .

إن الدين نفسه ، وهو أعمق الضرورات الاجتماعية فى حياة الانسان شاء الله له أن يكون فى بعض مراحله ثمرة تجربة الانسان وثمرة اختياره ..
وهذا تماماً هو الذى حدث مع أبى الأنبياء «ابراهيم» عليه السلام فيما أنبأنا به القرآن الكريم .
وسيدنا «ابراهيم» كما نعلم ، هو الأب الروحى للديانات الكبرى الثلاث : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . لقد رأى كوكباً يتلألأ فى السماء ، فقال : «هذا ربى» فلما أفل ، قال لا أحب الآفلين ..
وفى محاولة أخرى رأى القمر بازغاً ، فقال : «هذا ربى» فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين .. فلما رأى الشمس بازغة ، قال : «هذا ربى هذا أكبر» فلما أفلت ، قال يا قوم انى برىء مما تشركون .
ومضى «ابراهيم» خليل الرحمن يبحث عن دينه . بل يبحث عن الاله الحق .
وإنه ليتصور الاله كمالا مطلقاً . ولقد ابتغى الكمال فى أقرب مظانه ، وهو القمر المضيء .. ثم فى الشمس المشرقة باعثة الدفء والطاقة والحياة . حتى اذا اكتشف ما يعتور النجم والقمر والشمس من نقص ولى وجهه شطر بحث جديد !! لم يكف عن بحثه واستشراقه ؛ لأن حاجة فى أعماق نفسه تلح عليه وتناديه .
وابراهيم فى عصره ، كان يمثل أعلى مناسيب الذكاء الانسانى . انظروا طريقته فى البحث عن ربه ..
انه مع كونه مخبتاً عابداً أواباً ، فهو



الفيلسوف الأغريقي ديوجينز



الفيلسوف الصيني كونفوشيوس

يبحث بحث فيلسوف حر . يسائل الأنهار والبحار والزرع وقوى الخصب والنماء . حتى اذا لم يجد فى الأرض ما يمثل صورة الكمال الالهى يتجه الى السماء مركزاً بصره على نجومها وقمرها وشمسها ، حتى اذا لم يتحقق فيها مثله الأعلى وتصوره المتسامى عن الله ينفض عقله وقلبه من المجسمات جميعاً ، واستشرق السر الأكبر الكامن فى الحياة وفى الكون ، وراح يهتف وقد وجد يقينه : «إني وجهت وجهى للذي فطر السملوات والأرض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين»

من هذا الذى فطر السماوات والأرض ؟؟

ما صورته ؟ ما هويته ؟ أين مكانه ؟

كل ذلك لا يشغله الآن ، إنما يعنيه أنه وجد الرب القدير الكامل الذى يملأ فراغ نفسه الطُلَعَة ، والذى يفسر وجوده ما فى هذا الكون العجيب من آيات باهرات !!

ألم تكن هذه تجربة تركه الله يعانيها وحده قبل أن يواليه بعدئذ بوحيه ؟؟

وأليس هذا اختياراً توصل اليه الخليل بجهده ؟؟ أجل .. ان ابراهيم عليه السلام يخوض تجربة البحث عن الله بملء عقله وفؤاده . ثم يختار ما هداه اليه اقتناعه الرشيد .

هذا مثل ياخذ مكانه فى ذرى الأمثال التى يبرهن بها على هذه القضية .

وإن الذين ينتزعون الانسان من تجربته ويسلبونه حقه فى أن يختار ويرفض ، إنما يجردونه من كيانه كله ، ويحكمون عليه بالاعدام .. انهم يسلبونه أعظم خصائصه ومزاياه ، بل ويدمرون مراقى معراجه العقلى والروحى .

ذلك ان الاختيار هو الذى يجعل الانسان انساناً ، وهو الذى يجعله ينهض أمام التحديات التى تستهدف كيانه .

والاختيار ليس العوبة يتلهى بها الانسان ، بل هو جوهر المعاناة التى يعانيها لكى يؤكد وجوده . بل لكى يبرر وجوده .. !!

وتحضرنى هنا قصة طريفة . ربما تكون قد وقعت . وربما لا تكون، بيد أن مضمونها يتكرر فى صور لا تحصى ، ويمثل مأزق البشرية كلها .

تقول القصة : إن رجلا استأجر آخر لقطع بعض الأشجار . وعند الغروب دهش إذ وجده قد أنجز فى يوم واحد ما كان يتطلب خمسة أيام .

وفى اليوم التالى كلفه أن يصف الأخشاب ويرصها ، فأنجز الرجل عمله هذا فى وقت جد وجيز ..

وفى اليوم الثالث عهد اليه بأكوام من البطاطس وكلفه أن يفرزها وقال له : أما الفاسدة فانبذها . ثم ضع الجيدة هنا ، والأقل جودة هناك .

وكانت دهشة الرجل كبيرة حين جاء آخر النهار فلم يجد الأجير قد أنجز من العمل إلا أقله ..

وساله ماذا دهاك ، وأين القوة والسرعة التى قطعت بهما الأشجار والأخشاب ؟

فأجابه : «إن الصعوبة التى أجدها فى الاختيار بين الفاسد والجيد والأجود تكاد تقتلنى» !!

ويقول «سانتايانا» الفيلسوف : «ليست الصعوبة الكبرى فى الحياة أن نختار بين الخير والشر ، بل بين الخير والخير» ... !! فالاختيار وحق الانسان فيه ، هما أصدق ما يميز الانسان عن غيره من كافة المخلوقات .

والله سبحانه حين يقول : «من اهتدى ، فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل ، فانما يضل عليها» ..

وحين يقول : «فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر» ..

وحين يقول لنبيه : «لست عليهم بمسيطر» ..

الانســـــان
بيـن الجبـر والاختيـار

حين يقرر الله فى قرآنه هذه المبادىء، فهو يؤكد حق الانسان في أن يختار ؛ لأنه مسئول . ولا مسئولية بغير اختيار .

أما الآيات الأخرى التى قد تفيد الجبر مثل قوله تعالى : «من يهد الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له» ..

ومثل قوله تعالى : «وما تشاءون إلا أن يشاء الله» .. فمعناها كما يقول المعتزلة أننا نعمل بقدرة من الله ، لا باكراه منه .. أى أن الله سبحانه قد وفر وسخر لنا كل طاقات العمل ووسائله . ومن ثم فنحن نتصرف بقدرته . بيد أنه فى نفس الوقت جعلنا مسئولين وحدنا عن أعمالنا ، الأمر الذى يتطلب بداهة أن نملك اختيارنا.

إن الانسان لم يستحق أن يكون خليفـــة الله ، ولم يستحق أن يكون سيد عالمه إلا بشىء واحد ، هو قدرته على أن يفكر ويقتنع ويختار !! أما حين يتحول الى «قشة» فى مهب الرياح فانه يفقد من فوره كل قيمته .

ولكم كان «كونفشيوس» صادقاً وهو يقول : «إذا لم يستطع الانسان أن يقول هذا رأيى ؛ فانى لا أستطيع أن أسدي اليه نفعاً ، وإنى لا افتح باب الحق لمن لا يحرص على معرفته ، ولا أقدم العون لهذا الذى يعجز عن الافصاح عما فى نفسه» .. !!

فالذى لا يستطيع أن يقول : هذا رأيى .. انسان تخلى عن انسانيته وعطل مواهب الله عنده .

وليس بدعاً أن نرى نظرية «الجبر» تسود فى العهود والمجتمعات التى كانت تحكم حكماً مطلقاً مستبداً سواء فى المسيحية والاسلام لأن هذا الطراز من الحكم الغاشم لا يطيق أن ينهض بجواره ومن حواليه عمالقة يفكرون ويختارون ويريدون .. إنما يألف الأقزام ويجعل منهم سدنته وبطانته !!

ومبارك هذا الخطأ الذى يصاحب الاختيار .. فليس المهم أن يختار الانسان الصواب دوماً .. إنما المهم أن يتشبث بحقه فى الاختيار أبداً ..

إن مسئوليته عن أن يختار بنفسه ولنفسه هى التى هيأت له زاداً هائلا من الثقافة والمعرفة والتقدم .

فهو لكى يختار لابد أن يعرف ، وأن يعرف كثيراً ، ويكتشف كافة البدائل التى تمكنه من الاختيار السديد .. وحين يخطىء فى اختياره فان تجربته تثرى حياته باحتمالات الصواب .

إن الكمال المطلق فى حياة البشر لا وجود له .. أما الموجود فعلا فهو الكمال الميسور .

والذين يريدون «معرفة» بغير خطأ .. و «عدلا» بغير ميل .. و «حرية» بغير اساءة .. و «فضيلة» بغير نزوة جد خاطئين !!

وكما أن احتمال الخطأ لا يبرر عدم الفعل ، فاحتماله أيضاً لا يبرر سلب الحق . ومن حقوق الانسان المقدسة أن يرفض وأن يختار .. صحيح أن «الاختيار» محفوف بالمصاعب وبالمعاناة ، وهو يلقى على كاهل الانسان مسئولية اختياره ، وهى مسئولية فادحة لاريب .. ولكن ، كان ذلك كذلك ؛ ليعلم الانسان أن الحياة جد لا هزل ، وانها ليست منتدى يحتسى اللهو سماره .. بل هى عمل دائب لا يقر قراره .

ولقد يشقى الانسان باختياره ويتمنى لو أن هناك من يختار له ويعفيه من هذه المخاطرة البالغة الجسارة . بيد أن هذا هو قدره الهائل الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله :

«إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الانسان» !!

وصدق الشاعر العربى حين يقول :

ذو العقـــل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالــــة فى الجهالة ينعـــم

ولقد كوفىء الانسان على حمله الأمانة والمسئولية بأن جعل سيد مصيره وسيد كوكبه وعالمه ، وسيد نفسه ، وصانع رشدها وهداها .

ويمارس الانسان اختياره على المستوى الفردى والجماعى .. فالانسان كفرد متروك لاختياره . ليس هناك قوة تقسره على الضلال وهو يريد الهدى ، أو تحابيه بالهدى وهو يريد الضلال .. !!

والانسان كجماعة يختار لمصير البشرية التى ينتمى اليها ، بل تنتمى اليه .. وحين نطالع ثورات العلم ضد الجمود والعجز ، وثورات الأحرار ضد المستبدين والطغاة نبصر الانسان خلال ذلك وهو يمارس اختياره ، ونلمح البشرية وهى تصنع مستقبلها .

إن حق الرفض ، وحق الاختيار يشكلان حقاً واحداً مقدساً يمارس الانسان به كل مقدرات حياته وشئون عالمه وهو ماثل فى اختياره السياسى مثوله فى اختياره الأخلاقى .. وصحيح أن الانسان يجابه بظروف صعبة تنازعه حقه فى الاختيار ، ويمرق من صفوف البشرية أناس اختاروا الاستبداد منهجاً ويحاولون تطويعه لهذا المنهج الزائغ الضال .

بيد أن الانسان فى تاريخه المشرق كان – ولا يزال – يدفع قوى الشر أمامه كالكرة .. وتثبت كتله البشرية أنها على حد تعبير جيفرسون «لم تولد بسروج على ظهورها» .. !!!

• •

إننا فى هذه الكلمات العاجلة لا نطرح قضية الاختيار بوصفها مشكلة فلسفية أو دينية .

إنما نطرحها باعتبارها ضرورة انسانية عليها أن تحقق نفسها فى العالم الخارجى على أوسع نطاق . وباعتبارها حقيقة تاريخية تميز مسيرة الانسان وتؤكد حقه الكامل وربما المطلق فى الرفض وفى الاختيار .

وإن قصة الحياة الانسانية والتقدم الانسانى ، ستظل دائماً قصة الاختيار الانسانى فى حريته الخالقة .

خالد محمد خالد

المتنبي والاعتزاز بالنفس

د. علي حسن تقي
البحرين

يبدأ جان جاك روسو اعترافاته بالكلمات التالية :
انى أقوم بعمل لم يكن له مثيل أبداً . وتحقيقه لن يجد شبيها . سأرى العالم رجلا بحقيقته الطبيعية وهذا الرجل هو انا .

اننى لم اخلق كأى من الناس الذين رأيتهم .. وإذا لم أكن أفضل منهم فبالأقل انا أختلف عنهم .

فلتقم القيامة متى تشاء ، سوف آتي وهذا الكتاب فى يدى امام الله . سأقول بصوت مرتفع : انظر الى ما فعلته وما فكرت فيه وما كنت عليه . لقد قلت الحسن والسيء بنفس الصراحة الخ ....

عندما قرأت هذه الاعترافات لأول مرة تذكرت أبا الطيب المتنبى . ألم يقل هو أيضاً فى بادىء حياته الشعرية :

أى محل ارتقى
أى عظيم اتقى
وكل ما قد خلق الله
وما لم يخلق
محتقر فى همتي
كشعرة فى مفرقي

أو فى مناسبة أخرى :

ما مقامي بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

لماذا هذا الاعتداد بالنفس وبالتميز عند بعض الشعراء والكتاب .

إن توماس مان في كتابه « غوته وتولستوى » يورد نفس الشعور عند هذين الكاتبين العظيمين . فتولستوى يقول انه وهو يافع كان يحس بالحاجة لأن يكون معروفاً ومحبوباً — بالحاجة لأن ينطق باسمه وأن يرى الناس جميعاً يتأثرون بهذا القول وأنهم يتجمعون حوله ويشكرونه على شيء ما .

إننا نعتقد أن الشعور بالعظمة عند الكتاب الفحول هو شيء أصيل ومبرر . فالكاتب الجيد يعرف نفسه تمام المعرفة . لقد قلنا فى التفريق بين الشعراء الجيدين والشعراء السيئين أن الشاعر الجيد هو الشاعر الذى يعرف أنه شاعر جيد والشاعر السيىء هو الشاعر الذى لا يعرف أنه شاعر سيىء

إن الاعتداد بالنفس لا يعنى الغرور أبداً . فهما خصلتان متضادان . الغرور مبني على فراغ أما الاعتداد بالنفس فمبنى على قاعدة صلبة . المعتز بنفسه قد يكون أكثر الناس تواضعاً فهو إذ يعتز فانما يترفع عن الصغائر وعن الأخلاق الدونية العامة . لذلك فان تواضعه كاعتداده مبني على قاعدة متينة .

إن الشعراء الجيدين يتميزون بفردية خاصة وبحب للذات مثمرة لا حب الذات والفردية الوضيعة . تلك الذاتية انتبه اليها « نيتشة » عند تحدثه عن الارستقراطية . هذه الفردية هى الدافع الأساسى الذى يدعو بعض الكتاب الى كتابة مذكراتهم (أوتوبيوغرافي) . لذلك نجد أن كثيراً من الأدباء الفحول قد كتبوا مذكراتهم عندما أصبحت كتابة المذكرات نمطاً من انماط الأدب بعد اعترافات جان جاك روسو .

أما الشعراء فان شعرهم هو مذكراتهم . ولو رجعنا الى المتنبي نجد أن شعره صورة صادقة لحياته . هذه الحياة التى ارادها عظيمة كنفسه وكريمة كاعتزازه وحكيمة كحكمته. لنقرأ شعر المتنبى من أوله الى آخره أنه كله نتاج حياة مليئة بالتجارب وخلاصة لمواقف نفسية من كل ما يدور فى الحياة والمجتمع .

لقد طمح المتنبي ان يكون رجلا مميزا ذا منصب محترم فى مجتمعه لأنه أولا اهل لذلك ولأنه ثانياً أفضل بكثير من الآخرين الذين تولوا قيادة الحكم والسلطة . لقد ظل طوال حياته يحدوه هذا الأمل وتدفعه هذه الرغبة وحتى نهايته حتمتها رفعته وكبرياؤه وكرامته .

إننا نجد هذا الطموح عند كثير من الشعراء الحديثين فى أوروبا . فغوته كان صديقاً لنابليون ولو أراد لأصبح كما قال « توماس مان » أميراً فى بلاط نابليون . ولامارتين قد جرب الحياة الراقية وتقلد المناصب العالية . أما تولستوى فان كونه من النبلاء قد وفر عليه هذا الصراع ولكنه طمح الى خلق ايديولوجية جديدة ونمط اجتماعي جديد .

لقد مات المتنبى بسبب نفسه الكريمة العزيزة ، تلك النفس التى قال عنها انها تتعب الأجسام . لقد ذهب الجسم ضحية للنفس . لقد مات المتنبى جسداً ولكنه لم يمت نفساً . على العكس ظلت هذه النفس حية وشامخة بعد أن سجلها فى مذكراته الشعرية الجميلة .

إن مصير المتنبي هذا يذكرنا أيضاً بشاعر وأديب هو لرمنتوف الذى قضي عليه فى مبارزة وكان سبب موته أيضاً أدبه الرفيع وشموخ نفسه الأبيــة .

ولاختتام هذا المقال ليس لنا إلا أن نردد ما قاله أبو الطيب :

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرامها الأجســام .

مأساة قلبين

بقلم : د. عبد السلام العجيلي

في إحدى ليالي كانون الثاني من عام ١٩٦٤ رقد في غرفتين متقاربتين من احد مستشفيات مدينة جاكسون ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، مريضان كلاهما في حالة سيئة ، كانا يسيران الى الموت بسرعة حثيثة . وحول هذين المريضين كانت مجموعة من الأطباء الجراحين تترقب منتظرة ان تبلغ حالتهما من السوء درجة ينقطع فيها الأمل من حياتهما ، حتى يستطيع أعضاء هذه المجموعة أن يجروا عليهما أول عملية من نوعها في تاريخ الطب . تلك العملية هي عملية نقل القلب من انسان الى انسان ، بغية انقاذ حياة واحد من هذين الانسانين .

المريض الأول شيخ في الثامنة والستين من عمره مصاب بارتفاع الضغط وبانسدادات متعددة في الشرايين ، وبغنغرينا في الساق اليسرى تستوجب بتر هذه الساق . قلب هذا المريض من الوهن بحيث تبين من الفحوص الدقيقة المجراة له انه لن يعيش أكثر من ساعات قليلة .. « إلا » إذا أمكن استبدال قلبه بقلب آخر ، فتي وقوي !

المريض الثاني شاب فتي في سبيله الى الموت الأكيد لأنه مصاب بعلة دماغية لا أمل في الشفاء منها . لا يوجد ما يحول بينه وبين مصيره المحتم المقبل بسرعة حتى «إلا» هذه التي وجدت في حالة المريض الأول . وقد قبل أهل هذا المريض أن يتنازلوا عن قلب ولدهم ، في اللحظة التي يتبين فيها أن موت الولد قد اصبح محققاً ومشهوداً .. لينزع ذلك القلب من جسد صاحبه ويزرع في صدر المريض الأول .

ولكن كيف يمكن نقل القلب من جسد انسان وزرعه في جسد انسان آخر ؟

كانت مجموعة الأطباء الجراحين التي التفت حول سريري المريضين الداخلين في النزع قد قامت ، منذ عام ١٩٥٦ ، بدراسات وتجارب وعمليات متعددة في نقل القلوب من حيوانات الى مثيلاتها . أجرت عمليات نقل القلب على الكلاب أولا ثم على العجول التي تبين أن قلوبها اقرب ما تكون شبهاً بالقلوب الانسانية . حتى إذا وجدت أنها أحاطت بكل المشاكل التكنيكية في هذه الجراحة الدقيقة ، وأنها اكتسبت القدرة على اجرائها بكل نجاح ، وذلك في خلال أعوام ثمانية من الجهد والتجربة ، رات بأن الوقت قد حان لتتعرض الى تطبيق هذه العملية على أسمى المخلوقات في السلم الحيواني .. على الانسان .

ولكن نقل القلب البشرى ليس مجرد عملية ، ومشاكله ليست مشاكل التكنيك الجراحي التي تعرض عند نقل القلوب الحيوانية ، فحسب . قلب الانسان له مكانته التي لا تعلوها مكانة في التكوين الجسدي ، مثلما له قيمته السامية في الاعتبار المعنوي . لذا فان التدخل على هذا العضو النفيس معناه الخوض في اعتبارات متعددة على الصعيد الاخلاقي والفلسفي الى جانب معاناة المشاكل الجراحية الصرفة ، بل وحتى قبل معاناة هذه المشاكل .

الموت الذي لا يأتي

من الاعتبارات التي كان الأطباء والجراحون المتهيئون لعملية نقل القلب شديدي الاحساس بها في تلك الليلة ، انتظارهم بصبر فارغ أن يعجل الموت الى المريض الثاني ، المريض المعطى ، الذي طال أمد نزعه أكثر مما كانوا يأملون . لقد ضايقهم أن تطول حياة مريضهم هذا وهم كأطباء مفروض فيهم أن يتضايقوا إذا عجل الموت الى مرضاهم ...

المريض الأول ، وهو المريض « الآخذ »

فى العملية المنتظرة ، كان قد دخل فى مرحلة النزع الحقيقي التى لا يمكن الانتظار بعدها ، فنقل عندها الى قاعة العمليات . شق صدره بسرعة عن قلبه المهترىء ، قلب دقاته معجلة ، مضطربة ، فى المرحلة الأخيرة قبل لحظة التوقف النهائى . وأدخل فى هذا القلب المائت انبوبـان من المطاط : واحد لتلقى الدم القادم الى القلب من الجسم ، والثاني لتلقى الدم المندفع الى الجسم من القلب. ثم ربط هذان الأنبوبـان الى قلب ميكانيكي ، وهو مضخة ماصة دافعة تؤمن ورود الدم من الجسد ثم عودته اليه

حينئذ توقف قلب المريض الأول تماماً ، وإن ظل جسمه حياً . فقد كان دمه جائلا فى جسمه كما كانت كافة اعضائه ، باستثناء القلب ، تعمل عمل الأعضاء الحية . إلا أن هذا الوضـع ما كان ممكنا أن يدوم ، فالجسم الانساني لابد له من قلب انساني ، لا قلب ميكانيكي صناعي ، لكي تستمر حياته . وهذا القلب الانساني هو ما كان الجراحون يتهيأون لنقله من صدر المريض الثاني ، المعطى ، الذى كان راقدا فى الغرفة المجاورة ينتظر الموت وينتظره معه الجراحون ...

غير أن هذا المريض الأخير ظل حياً ... لم يكن يريد أن يموت ، كأنه لا يريد أن يهب قلبه لجاره . انه ينازع ، ولكنه حي .

وهنا وجد الأطباء انفسهم أمام مشكلة جديدة تمثل فى اختيار دقيق وحرج عليهم أن يقوموا به . كان عليهم اما أن يوقفوا دورة القلب الصناعي التى لا يمكن أن تستمر أبداً فيموت مريضهم الأول ، نافضين أيديهم من الأمر ، وإما أن يجربوا تجربة جديدة أكثر جراة من تلك التى تهيأوا لها ولكنها أكبر مسؤولية وأدق عواقب ، من وجهات النظر الانسانية والفلسفية والاخلاقية . تلك التجربة هى استبدال قلب المريض الأول، لا بقلب بشرى ، بل بقلب حيوان !

اقتراع سري

وفى الواقع كان هناك ، تحت تصرف الجراحين ، قردان من القرود الشمبانزى صالحان لمحاولة هذه التجربة ، وقد أعدا للاحتمال الذى قد يطرأ فى مثل هذه الظروف . فهل تجرى هذه المحاولة ؟ وإذا أجريت وتمت بنجاح ، فاية قضية مشكلة ستنفتح بها لأول مرة في التاريخ البشرى : انسان يعيش بقلب شمبانزى؟

فى الدقائق الحرجة التى فى اثنائها كان جسم المريض الأول يحيا بدم تسيره مضخة ميكانيكية ، دار نقاش مثير بين الأعضاء الرئيسيين فى مجموعة الأطباء المشرفين على العملية ، عرض فيه كل منهم وجهة نظره فى الأمر . ثم جرى التصويت بالاقتراع السرى ، فكان هناك أربعة أصوات فى جانب اجراء العملية بقلب شمبانزى . أمام صوت واحد ضدها

وهكذا شرع الجراحون فى عملية نقل قلب الشمبانزى الى صدر الانسان .

وليس هنا مكان وصف عملية ذلك النقل التى تمت بنجاح . فبعد أن ظل جسد المريض الآخذ يعمل ساعة من الزمن بقلب ميكانيكي ، عاد دمه فجرى فى القلب الشمبانزى بعد أن تم وضع هذا القلب فى الصدر الانساني . واخذ القلب ينبض نبضان قلب طبيعي سليم ، متلقياً الدم من أوردة المريض الأول مرسلا إياه فى شرايين هذا المريض .

خلع الجراحون قفازاتهم المطاطية والقوا أرديتهم المعقمة واخذوا يتطلعون بعين الرضا الى نتيجة عمليتهم الخطيرة التى نجحت نجاحاً تاماً من الناحية التكنيكية . شيء واحد كان يعوق نجاح هذه العملية من كل الوجوه . ذلك أن قلب الشمبانزى كان صغيرا بالنسبة للقلب البشرى ولحاجة جسم الرجل الذى أصبح قلباً له من الدوران الدموى . زاد الأطباء ، بالتنبيه الكهربائي ، سرعة القلب حتى تعيض سرعة الدوران عن نقص حجم الدم الذى يضخه القلب الصغير . ولكن هذا أيضاً أمر لا يمكن أن يستمر أبداً .

لو كان القلب المنقول هو قلب المريض الثاني ، الذى كان لا يزال حياً فى الغرفة المجاورة ، لما كان لهذا العائق وجود ! وكان لابد أن يقتنع الجميع بأن القلب الجديد ، على الرغم من النجاح فى نقله وتثبيته ، عاجز عن أن يكون قلباً صالحاً للانسان الذى نقل اليه .

وتوقف قلب الشمبانزى عن النبضان فمات المريض الأول .

وفى اليوم التالي ، حين فارقت الحياة تماماً هذا المريض ، وحين لم تعد تجدى أية محاولة لزرع قلب انسانى فى جسده مات المريض الثاني !



الأمة العربية في صورة التاريخ

بقلم : د . حافظ الجمالي

● إن القلق الذي يعانيه المواطن العربي أينما كان يعني شيئاً شديد الأهمية

● هل كان العربي سعيداً على المستوى الشخصي بائساً على المستوى القومي ؟

يعيش عرب هذه الأيام ، فى أرضهم التاريخية ، المعروفة لهم وبهم منذ عهد الفتوحات الأموية والسابقة للأموية، وإذا استثنينا بلاد فارس ، فان الرقعة الجغرافية لامتنا ظلت على مدى قرون طويلة ، هي ، هي ، تقريباً . ولئن جلونا عن الأندلس وصقلية ، وجنوبى ايطاليا ، وكريت ، وبعض الجزر الأخرى ، بعد احتلال طويل او قصير ، فلاريب ، مع ذلك أن اكثر اراضينا ظلت كما كانت فى الماضى ، عربية الحسب والنسب .

وأينما كان العربى على هذه الأرض الفسيحة جداً ، ذات السبعة آلاف كم طولا ، والأربعة آلاف عرضاً فانه يعيش حياته التى تصبح ، بمقدار ما تنقضى ، تاريخاً عاماً بمقدار ما هو شخصى .. إلا انه يضم بطبيعة الحال ، ذلك الجزء الآخر من التاريخ الذى عاشه اجداده من قبل ، ولم يعشه هو ، وتتكون له فى نفسه

صورة ملونة جداً ، بالتاكيد ، إلا انها
ألوان تتكرر باستمرار على طول هذا
التاريخ . وعندئذ يتساءل العربى : احقا
يصور التاريخ حقيقة الأمة ، أية امة لا
على التعيين ، لا الأمة العربية وحدها ؟
واذا لم تصور الأمة نفسها فى تاريخها ،
كما يصور الانسان نفسه فى سلوكه ،
ففيم تصور نفسها اذن ؟

اقول هذا وفى ذهنى هذه الصورة
التى تتجلى فيها الآن ، امتنا العربية ،
والتى يعرف الصادى والغادى أن دولها
اكثر من حاجتها ، وانها اشد انقساما
على نفسها ، حتى ليتمنى لها اعداؤها
انفسهم ، الانقسام الأقل ، والوحدة
الاكبر ، وأن بعض ردود افعالها
– ولاسيما فى المواقف الحرجة جداً –
لا تخلو من الغرابة ، وانها تجابه اخطار
يكاد تاريخ العالم كله ، يتساءل عما اذ
كانت قد وجدت فيه امة غيرها ، جابهت
مثل اخطارها ، فى الماضى ، او فى
الحاضر . ترى ايمكن لهذا الواقع
التاريخى المهلهل ، الممتد عبر مئات
السنين ، أن يعتبر صورة حقيقية لهذه
الأمة ، لا صورة مضافة ، او مزيفة ، او
خارجية قسرية ؟ فاذا اعتبر هذا الواقع
التاريخى صورة حقيقية ، لا مزيفة
فماذا يبقى للعربى غير أن ييأس من
حياته ووجوده ، ويفارق كل طموح
ويغرق نفسه فى استسلام كامل لقدره
ويعزف عن كل مطالبة بالأفضل
والأحسن ؟

غير أن القلق الذى يعانيه المواطن
العربى ، حيثما كان ، يعنى شيئاً هاماً
هو انه لا يرضى عن واقعه ، وانه يرى فى
امته القدرة على تغيير هذا الواقع
ولولا ذلك لما كان لقلقه معنى : إن الطالب
البليد فى المدرسة ، لا يملك الطموح الى
الذكاء ولا الى التفوق . ولكن الأذكياء
وحدهم هم الذين يشعرون بهذا القلق
ويظلون باستمرار قليلى الرضى عما
يحققونه لأنفسهم من ارتقاء ، طامحين
الى الأفضل والأجمل . ذلك أن طموحهم

مدعوم بمادة عقلية ، فيها ما يجعل هذا الطموح مشروعاً .

إلا أن العربى ـ الذكى حقاً ـ يفاجأ دوماً بما حوله : يفاجأ بغريب يحتل بعض أرضه ، ويستوطنها لحسابه ، ويهجر أهلها الأولين ، ويفاجأ بأنه يملك أسلحة كثيرة للقضاء عليه ، ولكنها لا تستخدم . أوليس عجيباً ، على سبيل المثال ، أن يكون فى يدى هذا السلاح أو ذاك ، ثم لا أشهره دفاعاً عن وجودى ، عندما أفاجأ بخطر القضاء عليه ، حتى ولو كنت أعرف سلفاً أنه لا يجبّ عنى الخطر ؟ بل اليس الأعجب من هذا الا يخطر فى بالى إلا عدم اشهار هذا السلاح أبداً ؟ أوليس الأعجب والأعجب أيضاً ، أن يكون فى وسع هذا السلاح أن يقتل عدوى ، قبل أن يقتلنى ، أو يقتله وحده دون أن يقتلنى ، ثم لا أفكر مطلقاً فى استخدامه . ومرة أخرى ، هل هذا كله فعلا ، هو حقيقة الأمة العربية . ولئن كانت هذه الحقيقة ، فلم لا تزيد هذه الأمة إلا تململا وقلقاً وطموحاً الى وجود آخر غير هذا الوجود المتواضع جداً ؟ ولم قامت الثورة الوهابية فى منتصف القرن الثامن عشر ، لتتلوها ثورة محمد علي باشا فى مصر ، ثم ثورة المهدى فى السودان (بين عامى ١٨٨٠ ـ ١٨٨٥) ثم الثورة العربية عام ١٩١٦ .. بل لم تلاحقت هذه الثورات ، وتزامنت أو تتابعت على طول الأرض العربية ، منذ أن ضعفت الخلافة العثمانية عن تمثيل أمجاد الأمة العربية ، نيابة عنها ؟

لئن كان ما يقع منذ استقلال الدول العربية ، من أحداث ، فيها الانجازات الرائعة أحياناً ، إلا أن فيها البائس ، والمشؤوم ، والمحزن ، هو الذى يصور حقيقة هذه الأمة ، فلابد من الاعتقاد إذن أن حظنا سيء جداً ، وأن ثرواتنا العقلية ليست كما نتمنى . ذلك أن المحزن من وقائع حياتنا ، أكبر بكثير من المفرح . ولكن المشكلة الأكبر هي أن



خريطة الوطن العربي

أحزان أيامنا هذه جزء من سلسلة طويلة من الأحزان ، يكاد من يقرأ التاريخ العربي ، لا يقع إلا على مثلها ، منذ أكثر من ألف سنة . وأكاد أتحدى كتب التاريخ جميعاً ـ ما ألف منها قديماً ، وما ألف نقلا عنها ، ليقال أنه حديث ـ إن كانت تخلو صفحة من صفحاتها ، من هذا الذى تحزن له القلوب ، وتغص به الحلوق ، باستثناء فترة صغيرة لا تكاد تمتد الى أكثر من قرن واحد ، وبعد انتشار الدين الاسلامي . وحتى هذه الفترة الأولى نفسها ، لم تكن تخلو من المنغصات ، ولو أن مسراتها كانت تغلب على أحزانها . فهل يصح القول إذن : إن الأمة العربيةلا تصور خلال ألف سنة من تاريخها ، إلا شيئاً آخر ، غريباً عنها مستورداً من الخارج ، مفروضاً ، غصباً، فلا علاقة له بها ، ولا علاقة لها به ؟ .

مع البديرى الحلاق

وبين أيدينا ، منذ سنوات غير قليلة، كتاب البديرى الحلاق الذى نشر بعنوان (حوادث دمشق اليومية بين عامي ١٧٤١ ـ ١٧٦٢) . وكما هو واضح ، فان الرجل بسيط ساذج ، نسبياً ، بل وعامي أيضاً . وقد كتب مذكراته هذه بلغة ملأى بالأخطاء ، فلم يجد الناشر بدا من إصلاحها (وليته لم يفعل) ، أو هكذا حسب . ومع ذلك فان أهمية هذا الكتاب عظيمة : رجل حلاق ، كمهنة ، عادى جداً ، يعيش فى دمشق ، ويسمع أخبار ما يجرى فيها ، فيسجله كما تناقله الناس ، أو كما شهده هو بنفسه أحياناً . والأخبار فيه مختلفة : أمطار السماء ، برد الشتاء أو اعتداله ، أسعار الحاجات ، الغلاء أو الرخص ، ندرة المواد أو كثرتها ، خلافات الوالي مع الدفتردار ، فرق الجند مع بعضها ، أو الولاة بين بعضهم ، وما يصاب الناس خلال ذلك من أذى . لكن من يقرأ هذا الكتاب لا يسعه إلا الرثاء لمن عاشوا فى تلك الأيام . مساكين هم حقاً . أفبمثل هذا البؤس كانوا يعيشون ؟ وحتى الحج الى بيت الله ... لا ريب أنه كان مغامرة كبيرة ، ملأى بالمهالك ، والنجاة وحدها ، فيه ، سعادة كبيرة . والآن هل عاش شعبنا ، فى أيام البديرى وحدها ، في مثل هذه التعاسة ؟ أولا يكشف لنا التاريخ ، متى قرأناه ، ومن المشرق الى المغرب ، عن أن أكثر أيامنا كانت

الأمة العربية
في صورة التاريخ

بديرية . ؟ لاشك أن البديرى كتب مذكراته بمحض المصادفة ، خلال السنوات ١٧٤١ ـ ١٧٦٢ . ولكن من يخطر فى باله لحظة ان الشقاء لم يبدأ إلا عام ١٧٤١ ، ثم انتهى عام ١٧٦٢ ، فسكت البديرى ، وتوقفت مذكراته ، لأنه مغرم بالحديث عن الشقاء ، فلما عم الهناء الدنيا ، وملأ قلوب الناس ، واصبح المجد لله فى العلى ، والمسرة فى الأرض ، لم يعد هنالك مجال لمثل احاديثه ؟

وها نحن نعيش الآن ، ويعيش معنا الكثيرون ، ونسافر بحكم الروابط الاخوية ، التى تشد الأقطار العربية بعضها الى بعض ، أو بحكم تبادل الخبرات ، أو ضرورة المشاركة فى المؤتمرات . وتطلعنا الأسفار على أحوال كل بلد عربي آخر ، مما أصبح متاحاً للكثيرين فى هذه الأيام . وكثيرا ما سألت الناس فى بلدى عن افراحهم القومية ، أى الأفراح التى يسعد بها الناس جميعاً ، وفى وقت واحد ، وبالدرجة نفسها ، مثل الفرح بتاميم قناة السويس عام ١٩٥٦م ، أو الفرح بالوحدة السورية ـ المصرية عام ١٩٥٨م ، أو الفرح باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢م . أما الجواب من الكبار ، فلا يكاد يتجاوز هذه الأفراح التى ضربتها على سبيل المثال . وأما الشباب حتى العشرين من العمر ، فانهم لم يعثروا فى ذاكرتهم ، على أية فرحة قومية . أما عن الأحزان فحدث ولا حرج. فكل يوم نستفيق فى صباحه ، واسرائيل موجودة ، هو حزن قومي ، لا لمجرد وجودها ، بل لأنه يذكرنا بضعفنا أو عجزنا « غير المعقول » عن مقاومتها.

إن اسرائيل ليست موجودة لأنها قوية جداً ، بل لأننا لا نريد أن نستخدم أسلحتنا المشروعة فى مقاومتها . ومن يدرى ، فقد يوجد من يهددنا بالقضاء علينا قضاء تاماً ، إذا نحن استخدمناها. وهكذا تعيش اسرائيل دوماً بحماية خارجية ، وتقلم أظافرنا دوماً ، على يد الامبرياليات الكبرى والصغرى ، وهنا أيضاً أتساءل : لئن كانت الأجيال التى تعيش الآن غارقة فى مثل هذا البؤس النفسي ، فلا تذكر أنها فرحت أية فرحة قومية حقيقية ، خلال حياتها ، أفلا يمكن التعميم على الموتى ، والقول : إنهم ، هم أيضاً لو سئلوا هذا السؤال ، وهم أحياء فى أيامهم ، لما وجدوا جواباً آخر؟ أو لم يجب البديرى عنهم ، وبلسانهم جميعاً . وهو يكتب أحداث دمشق فى أيامه . سواء أكانوا يعيشون فى دمشق، أو فى القاهرة ، أو القيروان ، أو قرطبة أو غرناطة ؟ المشكلة إذن ليست إن جزءاً من الشعب العربي ، فى الشرق ، أو فى الغرب ، لم يعان إلا الآلام القومية فى حياته ، بل المشكلة ، هي أن كل الشعب العربي ، وخلال القسم الاكبر من تاريخه ، لم يعان إلا من النكسات القومية والوطنية ، بسبب من العدوانات الخارجية ، كما لم يعان ، عند انقطاع هذه ، إلا من ظلم نفسه لنفسه .

البؤس القومى والشخصى

والآن هل يمكن القول : إن العربى كان فرحاً على المستوى الشخصى ، وبائساً على المستوى القومى ، أو انه كان يعانى البؤس فى الحالين ، ولا يذوق طعم الفرح فى أى منهما ؟ وهل كان من الممكن أن يكون فرحاً شخصياً ، دون يطل فرحه الشخصى ، على الفرح القومى . ؟ أوليس العكس صحيحاً أيضاً ؟ لاشك أنه لا ينبغى الذهاب بعيداً ، فى هذه المعادلة ، والاخذ بمبدأ توازى الفرحين : الشخصى والقومى . إذ أن الفئات المدعوة للدفاع عن الوطن فى كل المعارك ، هى أكثرية الشعب ، الفقيرة دوماً ، أو المسحوقة ، أو البروليتاريا الداخلية ، بلغة توينبى . وما أكثر ما تبرهن هذه على استعدادها للتضحية فى سبيل الوطن الذى لا يملك فيه إلا القليل جداً . إلا أنها تشعر على كل حال أنها لوطنها ، ووطنها لها ، لا يحكمه أجنبى ، ولا غريب ، ولا مماليك . أما الوطن العربى ، فقلما عرف حكماً آخر ، منذ عهد المعتصم ، غير حكم المماليك ، الغرباء أصلا ، وعرقاً ، ولغة ، وثقافة ، عن جملة الأمة . وطبيعى أن يستبد هؤلاء بالسلطة كلها وأن يقفوا من الشعب ، ما يشبه وقفة مسرور من جعفر البرمكى . وهكذا تفيض حيوية الشعب ، ويتضاءل انتاجه ، ويزداد فقره ، وتقل حماسته فى الدفاع عن الأرض . بل لابد أن تفيض . وبالتالى لابد من هنا أن يتوازى البؤس الشخصى ، مع البؤس القومى .

● ● ●

ومنذ عدة سنوات ، جاءنى أستاذ سابق لى ، أو لعلنى أنا الذى زرته فى بيته . وهو الدكتور جميل صليبا ، الذى احتل مناصب جد رفيعة فى وزارة التربية السورية ، وجامعة دمشق ، والأونسكو . وحدثنى فيما حدثنى أنه عثر على صحيفة كان له فيها مقال ، وجد الى جانبه مقالا لي ، فى نفس الصفحة ، بدا له ، للمرة الثانية ، غريب العنوان بعض الشىء ، إذ هو بعنوان «العفو عن الشعب» . وخلاصته أن ما قاساه فى الماضى من انقسامات مذهبية فى الشكل ، سياسية فى الحقيقة ، ومن هجمات صليبية ، ومغولية ورومية بيزنطية ، وحروب داخلية بين ولاة أو ملوك الدويلات التى

تجزأت فيها الدولة العباسية فى المشرق أو فى المغرب ، وما نقاسيه من هجمات صهيونية ، واستعمارية ، وصراعات حادة بين دويلاتنا الكثيرة ، وما يتبعها من هموم ، قد تكون كبيرة حقاً ، داخل كل دولة ... كل ذلك جدير بان يوحى الينا بأننا ارتكبنا الف جريمة سيزيفية وأن زوس ، كبير آلهة اليونان ، حكم علينا كما حكم عليه ، بان نحمل ابد الدهر صخرة ضخمة من أدنى الوادى أو صخوراً لا حصر لها ، تعود فتتدحرج الى الوادى من جديد ، متى وصلنا بها الى القمة المعينة لها . وحقاً فان من الصعب أن نجد شعباً غربياً أو شرقياً ، لم نتعرض لأذاه العنيف جداً ، ولانزال.

التاريخ وصورة الأمة

غير أنى أعود الى السؤال الأساسى ، وأقول : هل يجوز أن يعتبر التاريخ صورة للأمة التى يصنعها (أو تصنعه) ؟ فاذا كان الأمر كذلك ، فلماذا اختلفت هذه الصورة يوماً ما ، لدى ظهور الرسالة الاسلامية ، وبعدها بزمن غير قليل ، وكانت رائعة زاهية ، يومئذ ،

لتعود بعد ذلك فتصبح حزينة ، جريحة ؟ أويمكن للكفاءات الواحدة ، أن تنتج أكبر الخير لمدة قصيرة ، وأكبر الشر ، لمدة طويلة ؟

الحقيقة أن تاريخ الأمة ، اى أمة ، يصور عوامل مختلفة ، فيها السكان (كماً ونوعاً) ، وفيها الأرض ودرجة خصوبتها ، وفيها مستوى العقلانية فى سلوك قياداتها ... وكذلك فان فيها اثر التحديات الخارجية ، وما يمكن ان تحدثه من الانعكاسات الايجابية أو السلبية ، أو الخليط الممكن منهما . فاذا سلمنا أن أرضنا العربية فقيرة (إذ ان ما فيها من مساحة زراعية متوفرة الآن ، لا يعدو الخمسين مليون هكتار ، مما يقل كماً ونوعاً عن المساحة الزراعية فى فرنسا ، رغماً عن أن هذه أصغر منا أرضاً بست وعشرين مرة) ، وأن السكان ظلوا قلائل لهذا السبب (فمن يصدق مثلا أن مصر التى هاجمها نابليون كانت دون المليونين سكاناً ، وأن سكان لبنان العثمانى عام ١٩٤٤ ، كانوا ٢٠٠ الف نسمة ، وأن كل العراق لم يكن فيه اكثر

● هل يجوز اعتبار التاريخ صورة للأمّة التي يصنعها أو تصنعه؟.. ولماذا اختلفت هذه الصورة يوماً ما؟

● تاريخ الأمّة.. أيّ أمّة.. يصوّر عوامل مختلفة.. فيها السكان وفيها الأرض، وفيها مستوى العقلانية في سلوك قياداتها

من مليونين ، وأن كل سكان سورية كانوا فى حدود المليون ونصف المليون نسمة) ، وأن المؤثرات الدولية كثيراً ما كان لها أسوأ الآثار فى حياتنا ، فان الذى يبقى بعد كل حساب ، هو القادة ، لا القادة وحدهم ، بل ما فى وسعهم أن يقدموه للشعب ، أمناً وطمانينة ، وهدوء بال ، وحرية . ولكن اى شعب فى العالم أصدر فيه سلطانه خطأ همايونياً اسمه خط كولخانة (عام ١٨٣٩) ، يبدأ ببراعة استهلال رائعة ، خلاصتها أنه يضمن لرعاياه حياتهم وأعراضهم وأموالهم ، دون أن يستتبع هذا الخط أى تغير على الصعيد العملى ، كما لو أن المرسوم لم يصدر قط ، بل كانه لن يصدرأبداً . وهل كنا نستمتع «بالخيرات» الهائلة التى ساق لنا الحديث عنها ، صاحبنا البديرى ، وكل تاريخنا عهد العثمانيين ، لولا أن «عقلانية» السلاطين لم تكن فى المستوى اللائق بها ؟

ويسألون بعد ذلك : لم انتم متخلفون ؟ ترى اليست هذه مناسبة للتساؤل مع أبى نواس فى قوله : تسألين عن سقمي صحتي هي العجب ؟ إن آخر ما يمكن قوله : إن تاريخنا هو صورة سليمة لكفاءات أمتنا . وما أظن أن الصورة البائسة التى رسمها التاريخ لنا ، هى صورتنا الحقيقية ، ولو تكررت آلاف السنين ، لا الفاً واحدة . ولئن كانت أرضنا كبيرة الصحراء ، قليلة الماء ، فان ارض اليابان ليست باغنى ، ولا اكثر خيراً . ومع ذلك فان أرضنا تعوضنا الآن بخيرات ، إن لم تكن أبدية ، فان عطاءها يكفى ويزيد عن حاجتنا الى انجاز صعودنا الحضارى . ولئن حال فقر الأرض دون الارتقاء بثقافة الناس فى الماضى الى المستوى الذى يستطيعون الارتقاء اليه ، فاظن أن مثقفينا اليوم أكبر عدداً ، فى كل مرحلة تعليمية ، مما كانت عليه حال بريطانيا أو فرنسا حتى عام ١٨٧٥ على الأقل . ويذكر ألفرد سوفى فى كتابه (الاشتراكية فى الحرية) أن نسبة الطلاب التى كانت تنتقل من التعليم الابتدائى ، الى الثانوى أو التقنى ، عام ١٩٣٩ لم تكن تزيد عن ١٠٪ ، وأصبحت الآن اى عام ١٩٧٠ ، (لدى ظهور الكتاب) حوالى الـ ٧٠٪ ، اما الطلاب الوافدين الى التعليم العالى ، فانه تضاعف تسع مرات ، مقابل زيادة نسبية فى عددهم لا تتجاوز الـ ٣٠٪ ، على حين أن سورية تعرف نسبة بين هذين التعليمين (الابتدائى بالنسبة الى الثانوى) تساوى ٤٠٪ عام ١٩٧٩ ، كما لو اننا الآن ارقى من فرنسا عام ٣٩، بأربع مرات . ولئن كانت التحديات الخارجية كبيرة دوماً ، كما هى حالها الآن ، فلاريب أن الغرب عرف حروباً ذهبت بثروات ، وأودت بأرواح ، وقضت على مدن ، لم نشهد نحن ما يشبهها فى الظرف المعاصر ، عنفاً فى التخريب ، وازهاقاً للأرواح .

ضعف القيادات

لم يبق إذن إلا عامل واحد ، لا مجال للذهول عنه . وهذا العامل هو ضعف القيادات المملوكية والعثمانية عن مجابهة مسئولياتها . وزاد الطين بلة اسرافها فى الاساءة للمواطنين ، وافقادهم الطمانينة والحرية ، وشعورها بالغربة عن الشعب الذى كانت تحكمه مأكان يفقدها القدرة على تمثيل مطامحهم .

الأمــة العربيـة

في صـورة التاريـخ

لا مجال إذن ، مع هذا كله للقول : إن الشعب كان يعمل ويجهد ويكد ، فى ظروف طبيعية ، ثم لم يرسم إلا هذه الصورة البائسة لكفاءاته ، ودرجة عبقريته ، بل العكس هو الصحيح حقاً. ولقد كان شعبنا ، دوماً ، هو الغائب الوحيد عن مسرح الأحداث . فاذا هو حضر ، فبدون أية مشاركة فى التعبير عن مطامحه وآماله .

لم يكن عجيباً إذن ألا يرسم شعبنا خلال تاريخه ، صورته الحقيقية فى تلك الظروف البائسة . فارض الشر لا تنبت الخير ، مهما بذل فيها من جهد . ولكن متى أصبح الشعب ولي أمره ، وعادت اليه سيادته ، وكانت قيادته منه واليه ، ولعب دوره الطبيعى المعقول ، فيقيناً لن يكون له إلا نفس التاريخ الذى عرفه لنفسه بعد ظهور الرسالة الاسلامية .

وهنا تبدو المسئولية كبيرة جداً ، بالنسبة للقادة الذين يتولون أمر هذا الشعب ، فى قطر أو آخر من بلاده . فاذا رأوا أن شعبنا ضئيل الهمة ، قليل الانتصارات ، بطيء التقدم ، وأن تخلفه يستمر ، وتاريخه لا يسجل إلا مثل الصفحات المملوكية ، فى عهد الانحطاط فلابد أن يفهموا إذن أن صورة قيادتهم تحتفظ أو ماتزال تحتفظ بالخصائص المملوكية ، ولم ترد للشعب كرامته ، وأمنه ، ولم توضع نواظم للعلاقة بين الحكام والمحكومين ، يعرف كل منهم ، فيها ، حده ، فلا يتخطاه ، ولا يعدو عليه . أما استمرار فقدان هذه الحدود ، وميل الرغبة الى أن تكون قانوناً ، والقانون الى أن يكون رغبة ، والذهول عن حاجات المستقبل ، والوقوف فى النظر على الحاضر الشخصى وحده ، والطمع بتأييده اذا أمكن تأييده ، فاظن أنه سيكون عجيباً ألا يتتابع البديريون ،

● كان شعبنا دوماً هو الغائب الوحيد عن مسرح الأحداث

● ترى .. كيف ننشىء لهذه الأمة تاريخاً يصورها كما هي بخيرها وشرها ؟

ليكتبوا ، من جديد ، مذكرات ، تشبه فى كل شيء ، مذكرات البديرى القديمة .

الخلاصة

لنخلص إذن الى القول : إن تاريخ الأمة ، أية أمة ، ليس بالضرورة صورة سليمة لها ، لأنه قد يصور عيوبها ونقاط ضعفها ، أكثر مما يصور فضائلها ومزاياها . وعندما يتولى الأمر فيها الغرباء عنها ، لا بالدم أو العرق وحدهما بل بالخلق والفضيلة أيضاً ، أو بالمتوسط العام لهذا الخلق وهذه الفضيلة ، فيقيناً سيصور التاريخ العيوب والثغرات ونقاط الضعف ، أكثر مما يصور الفضائل والخصال والمزايا ، أو قل إنه يصور النواحى السلبية وحدها ، دون الايجابية . ولاشك عندى أن تاريخ أمتنا الفعلى ، لم يزد على هذا شيئاً ، إذ لقد نمى العيوب ، وقلص الفضائل ، لشدة ما أكرم هذه وأساء إلى تلك . وعلى كل حال فان الصورة التاريخية الواقعية ، ليست دوماً بالصورة الحقيقية . ذلك أن الانسان خليط من الخير والشر ، من الملاك والشيطان ، من السماء والأرض ، ولن نوفيه حقه إن نحن قصرنا الحديث فيه على المثالب وحدها ، لاسيما إذا نحن غذينا هذه ، أكبر التغذية ، وأجعنا تلك أكبر الجوع .

● ● ●

لكن المشكلة تبقى الآن قائمة : ترى كيف ننشىء لهذه الأمة ، تاريخاً يصورها كما هى ، فى خيرها وشرها معاً لا فى هذا بمفرده ، ولا فى ذاك وحده ؟ أما عندى فان القناعة كاملة ! إن الصورة المشوهة للتاريخ العربى التى نقرؤها الآن ، هى صورة التحكم والاستبداد ، وتجريد الشعب من حقه فى تقرير مصيره بنفسه .. فان لم يكن صحيحاً مئة بالمئة ، فلاشك أن خط التخلف العربى ، وخط الاستبداد واللاحرية ، كانا متوازيين .. ولا مجال للقول إن هذا التوازى لم يكن إلا مجرد التجاوز العرضى ، الذى لا ينطوى على أية علاقة سببية ، بل لا مجال للقول ، حتى بغض النظر عن الواقع كله .

إن انتاجية الحرية ، على كل صعيد يمكن أن تشبه ، فى القليل أو فى الكثير انتاجية العبودية . فان تساوت الانتاجيتان ، فلابد أن نكفر عندئذ بعالم القيم كله ، وأن نقول : إن فطرة الانسان التى جبلت على حب الحرية ، فطرة مريضة لا سليمة ، وشاذة لا طبيعية . فان كان الأمر كذلك ، فلماذا لا يكون الجوع والظمأ وكل الغرائز الأخرى ، أخطاء خلقية ، هى أيضاً ؟ وإذا كانت غرائزنا الأخرى سليمة ، فلماذا لم تخطىء الطبيعة إلا فى ناحية واحدة فريدة ، هى حب الحرية ، وكره العبودية ، ثم لماذا يفعل المستبدون كل شيء ليصادروا حرية كل الناس ، ولا يبقوا إلا على حريتهم وحدهم ؟ ولئن كان حب الحرية خطأ عندنا ، نحن الناس العاديين ، فلماذا كان شيئاً سليماً لديهم ؟ ولماذا لايزال الانسان يفضل حريته على كل مصلحة مادية أخرى ، ويؤثر الجوع خارج السجن ، على الشبع داخله ؟ وأخيراً لماذا تهوى الحيوانات الحرية وتحرص عليها ، ثم يجب ألا تكون ضرورية لحياتها ، ومن باب أولى ، لحياة الانسان نفسها ؟

حافظ الجمالى
دمشق

درويش مصطفى الفار

خرائط.. الوطن العربي

من حقائق التاريخ أن أول « خريطة » يعرفها الوسط العلمي ، هي خريطة مصرية قديمة ترجع للقرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وهى خريطة (جيولوجية) ملونة ، مرسومة على ورقة بردى ، محفوظة الآن فى متحف (تورينو) بايطاليا ، وكان قد اكتشفها احد الباحثين فى أطلال مدينة « طيبة » أو الأقصر عام ١٨٤٥م وتبلغ مساحتها ما مقداره (٥٣,٣ × ٤٥,٧ سنتيمترا مربعاً) ... وقد حار العلماء فى تفسيرها ، ومعرفة المكان الذى تمثله من الصحراء المصرية بين النيل والبحر الأحمر ، فمن قائل بانها لمنطقة (العلاقي) شرق أسوان ، الى قائل بانها لمنطقة (البرامية) شرق إدفو ، حتى اثبت نفر منهم فى عام ١٩٤٩م أنها تمثل (منجم الفواخير) فيما بين قنا وسفاجة ، وهو منجم للذهب ، بجانبه محجر لصخر أسود صلب كان الفراعنة يتخذون منه أصناماً آلهة ، فى ذلك الزمان البعيد ، وكانوا يسمونه حجر (البخيني) ونحن نسميه اليوم بلغة العلوم المعاصرة باسم (الجريواك) ... وتوالت القرون بعد عهد الملك « سيتي الأول » من الأسرة التاسعة عشرة ، حتى القرن الأول الميلادى، إلى أن اشتهرت اول خريطة تشمل ما كان معروفاً من سطح الأرض حينذاك وتنسب الى بطليموس الاسكندرى ، ولم تشتهر بعد ذلك إلا خريطة صنعها العلامة الشريف الادريسي فى القرن الثاني عشر الميلادى بناء على طلب من ملك صقلية النورمندى الذى اشتهر باسم « الملك روجار » ... ثم انتزع الأوربيون قصب السبق فى مضمار عمل الخرائط ورسمها ، وتهذيب آلات المساحة و التى نقلوها عن العرب والمسلمين ، من كل مكان ، حتى أصبحت الخرائط اليوم من علامات الحضارة المعاصرة ، التى لا غنى عنها فى حرب أو سلم ، وتعددت أنواعها واغراضها حتى كادت أن تصبح علماً قائماً بذاته ، ودخلت سفن الفضاء والأقمار الصناعية فى مضمار صناعة الخرائط من الصور الجوية والفضائية ، بحيث أصبح كل شبر على سطح الأرض تحت بصر العلماء ، ورهن تفسيراتهم لكل الأغراض والمآرب والمتطلبات ، وانتقلت تقنية (التخريط) من اليابسة بمرتفعاتها ومنخفضاتها ، الى الرصف القارية وأعماق المحيطات حيث تبين للانسان المعاصر أن قاع المحيط عالم جديد كثير الأسرار عجيب (الطبوغرافية) مما أدى الى بزوغ فجر جديد فى نظريات تركيب قشرة الأرض الصخرية ، ولعل أجدر تلك النظريات بالاهتمام والتأثير فى الفلسفة والتطبيق هي نظرية (الدروع المتحركة) التى يقسم العلماء اليوم قشرة الأرض بمقتضاها الى عدة دروع فى حركة دائبة دائمة ، إما متباعدة كجانبي البحر الأحمر ، أو وسط المحيط الأطلسي ، وإما متقاربة كجزيرة العرب وبلاد فارس ، وهذا موضوع يحتاج الى تفصيل لا يتسع مجالنا هذا له .... إذ أن موضوعنا الذى نحن بصدده ، كشاننا فى هذا المقام ، هو أن المطلع على ما يتيسر له من خرائط الأقطار العربية يلمس تكرارا ، أما متطابقاً تماماً أو محرفاً بعض التحريف ، لأسماء كثير من الجبال والوديان والنجود والوهاد والمرتفعات والمنخفضات ... تكرار يدعو الى التامل ، ثم الى طرح فكرة قد يتاتى من ورائها (عمل علمي) يشترك فيه أكبر عدد ممكن من العلماء العرب ، بين المحيط والخليج ، لأننا رغم كل السحب والزوابع والعواصف الغبراء ، لن نبرح مؤمنين باننا (أمة واحدة) ولو كره الشامتون ... تلك الفكرة هى أن ينصرف نفر من المختصين فى علوم التخريط ، تحت سمع وبصر جامعة أو أكثر من كل قطر عربي ، لتحقيق الأسماء ، فى الصحارى التابعة لذلك القطر ، ورصدها أبجدياً فى ثبت واضح ، وذلك تمهيداً لاستخراج ما تشابه من الأسماء على سعة الوطن العربي (بين المحيط والخليج) لمحاولة الوصول ، اكاديمياً الى تفسير لذلك التشابه ، باعتبار شبه الجزيرة العربية هى الموطن الأول لتلك التسميات ، والمنبع الذى صدرت عنه الأسماء ، بترحال القبائل من شبه الجزيرة الأم ، عبرالقرون وخاصة بعد الاسلام ... ثم يلي ذلك رسم عدة خرائط فى اطلس موحد للوطن العربي ، على كل خريطة على حدة اسماء الاماكن المكررة والمتشابهة فيما بين سلطنة عمان شرقاً وموريتانيا غرباً .. وبافتراض أننا نعرف مواطن القبائل الأصلية فى شبه الجزيرة العربية ، فلعله يكون من الممكن أن نضيف توضيحات جديدة لتاريخ الهجرات العربية ، إذ قد تكون كل قبيلة بعد نزوحها من موطنها الأصلي لتستقر حيث شاء لها القدر ، نقلت معها بعض الأسماء للأمكنة التى نشات بين ظهرانيها ، لمشابهتها فعلا أو عاطفة لبعض مواقع مستقراتها الجديدة ...وقد لا يبدو فى هذه الدعوة بصيص نور يضيء بعض غياهب التيه الذى تعانية أمة العرب اليوم ، ولكنه فى اعتقادى نوع من المقاومة ، لدحض ورفض بعض مما يروج له الشامتون (داخلياً وخارجياً) من أن هذه ليست أمة واحدة وان ما بينها ، فى اقطارها ، من حدود مصطنعة ، هو واقع (طبيعي) لا مندوحة عنه ، ولا فكاك منه ، أم أننا مجرد (عش) من النمل فى ركن من سفينة ، يوجهها ربابنة لا سلطان لنا عليهم ولا تاثيـــر ؟؟؟

اليهودي "شلومو أهرونسون" يهدد العرب ب:

"هولوكست" أو إبادة نووية جماعية

عصام شريح

حفلت الغارة الاسرائيلية ضد المفاعل النووى العراقى ، بكثير من الدروس والعبر ، لكن أبلغ هذه الدروس والعبر هو أن العملية الاسرائيلية ادخلت العالم العربى من المحيط الى الخليج فى قلب العصر النووى وتحدياته الخطيرة ، بحيث أصبح السؤال المطروح الآن ، هو : نكون .. أو لا نكون .. وبمعنى آخر فنحن الآن أمام خطر «هولوكوست عربى» بالمعنى الحرفى للكلمة .. وفى مواجهة عملية «الهولوكوست» أو الابادة الجماعية هذه ، لا يبدو أمامنا من خيار لكى «نكون» ، سوى امتلاك الطاقة النووية ، القادرة فعلا على تحقيق «توازن استراتيجى» مع العدو الصهيونى على الأقل ، إن لم يكن تحقيق «تفوق استراتيجى» عليه ... إذ بات معروفاً بشكل جيد أن عدونا يمتلك عدداً من القنابل الذرية يتراوح ما بين ١٣ ــ ٢٠ قنبلة ، وقد هدد فى حرب عام ١٩٧٣ ــ عندما فوجىء بالضربة العربية ونتائجها ــ باطلاق هذه القنابل على بعض العواصم العربية بواسطة صواريخ «لانس» الأميركية ..

والآن وقد أصبح يمتلك وسيلة أميركية أخرى (طائرات اف ــ ١٦) القادرة على الوصول الى أقصى العالم العربى شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ، والتى قطعت ٩٦٠ كيلو متراً حتى وصلت الى «محطة تموز النووية العراقية» جنوب بغداد ، فان عدونا الصهيونى وضعنا أمام معادلة خطيرة فى صراعنا التاريخى معه .. بحيث أصبح أى تهاون فى اللحاق به فى الميدان النووى ــ وبأقصى سرعة ــ الانتحار بعينه .

شلومو أهرونسون

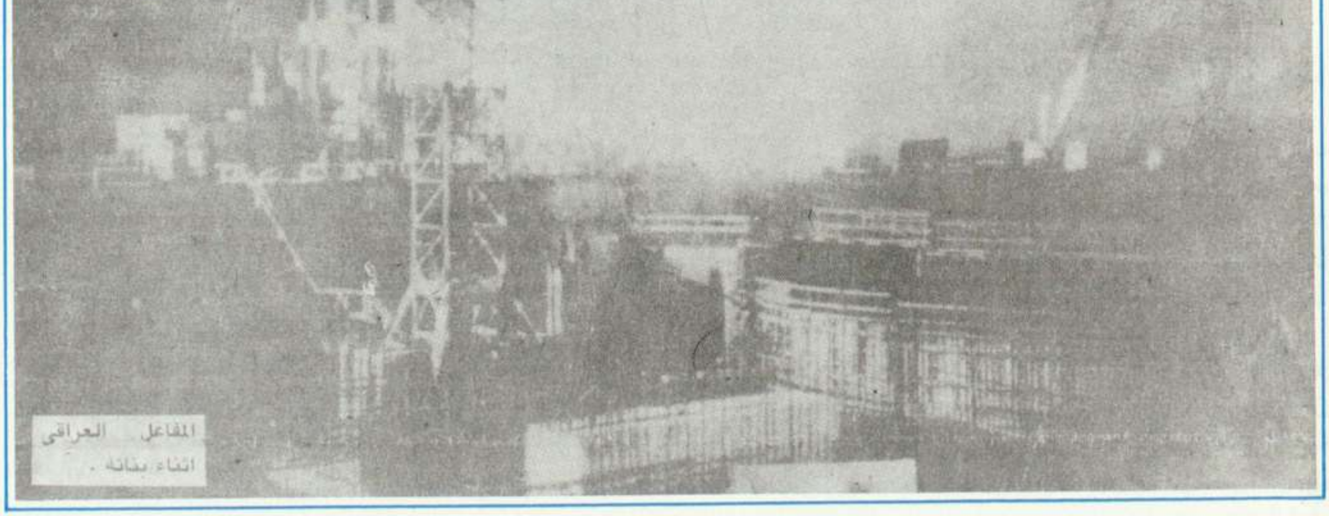
لكن .. يبقى أن نطرح السؤال التالى : هل الغارة الاسرائيلية ضد المفاعل النووى العراقى هى وحدها الحافز لنا لكى «نركض» بأقصى سرعة فى الميدان النووى ؟؟

فى الواقع يقدم لنا البروفسور «شلومو أهرونسون» الاسرائيلى ، حافزاً آخر ، وربما أكبر من حافز الغارة على «محطة تموز النووية» .. فالبروفسور أهرونسون (الأستاذ فى الجامعة العبرية ومدير مركز الدراسات الأوربية فيها) ، يهددنا بكل صراحة بحرب ابادة شاملة كاملة ، ما لم نستسلم لاسرائيل ، أو اذا فكرنا بامتلاك سلاح نووى لاستخدامه ضد اسرائيل فى أى وقت .

بالرغم من كون شلومو أهرونسون شخصية صهيونية غير بارزة على المسرح السياسى ، إذ لا نعرف عنه أكثر من كونه استاذاً فى الجامعة العبرية بالقدس المحتلة ، ومديراً لمركز الدراسات الأوروبية فى نفس الجامعة ، وباحثاً سابقاً فى معهد «بروكنغز» الأميركى ، ومعلقاً فى صحيفة «هآرتس» الصهيونية ، بالرغم من هذه المعلومات المحدودة عن شخصية الرجل ، إلا أن الأفكار التى طرحها فى صحيفة «هآرتس» فى تشرين الثانى (نوفمبر) من العام الماضى (١٩٨٠) ، ثم دأب على طرحها بعد ذلك عبر الصحف الاسرائيلية ، لا تترك مجالا للشك فى كون شلومو أهرونسون أحد المخططين الأساسيين للاستراتيجية النووية فى الكيان الصهيونى ، وهى استراتيجية تبدو مرعبة للوهلة الأولى ، كما نراها بوضوح فى «السيناريو» الذى وضعه أهرونسون لها من خلال سبع مقالات كتبها فى «هآرتس» فى (١٤ ــ ١٦ ــ ١٨ ــ ١٩ ــ ٢٣ ــ ٢٥ ــ ١٩٨٠/١١/٢٨) ، لكنها بعد تأمل قصير ، تبدو فى صورة تحد مصيرى للعرب جميعاً

والآن ما هى طروحات أهرونسون

يقول مهدداً : «إن السلاح الذرى ــ ولا نقصد بذلك القنابل الذرية فقط ــ هو وحده القادر على محو العرب جميعاً بمن فيهم الفلسطينيون والنفط العربى من على وجه الأرض» . ويضيف :



المفاعل العراقى اثناء بنائه .

«وينبغى ألا تتورط اسرائيل فى أية حرب قد تخسرها ، حيث أن أية هزيمة فى حرب تقليدية ، معناها بالنسبة لها نهاية وجودها ، وبالتالى فان لدى اسرائيل حافزاً لأن تجبر العرب على دفع ثمن باهظ ، إذا ما حشرت فى وضع لا تجد منه مخرجاً آخر ، ولديها أيضاً الحافز للاقدام على ذلك فى بداية الحرب – لا فى نهايتها – ويمكن جباية مثل هذا الثمن المرتفع من العرب بواسطة السلاح الذرى ، وعن طريق ايجاد تهديد ذى مصداقية بأنه سيستخدم منذ البداية ، وبالنسبة لاسرائيل ، فان تغلب العرب عليها بسلاح تقليدى أو غيره سيان ، وبالتالى فان من مصلحتها أن تجعل النصر العربى مكلفاً منذ البداية ، بحيث لا يعود بالامكان لأى تهديد عربى بالسلاح الذرى أن يعفى العرب من النتائج المروعة لحرب إبادة اسرائيل» .

أهرونسون .. والعراق

إن أشد ما يخيف أهرونسون هو المفاعل النووى العراقى ، الذى ضربته طائرات اسرائيلية فى السابع من الشهر الماضى (حزيران – يونيو) لأن العراق كان يخطو حثيثاً نحو امتلاك الطاقة النووية وأسرارها ، وهو ما ترتجف أمامه اسرائيل فعلا ، خاصة وأن «محطة تموز النووية» كانت ستؤهل أكثر من خمسمائة مهندس وتقنى عربى فى العلم النووى ، وهو ما سعت اسرائيل الى منعه عن طريق ضربها للمحطة .

لذلك نرى أهرونسون يركز فى مقالاته المذكورة على المفاعل النووى العراقى ، ويدعو صراحة الى تدميره ، بل ويدعو الى تدمير العراق ومحوه من الوجود فى حال التأكد من امتلاكه أسلحة نووية .

يقول أهرونسون : «لقد أثارت جهود العراق النووية الواسعة قلقاً شديداً وواضحاً فى اسرائيل ، ويتعلق الأمر هنا ببناء فرنين : إيزيس وأوزيريس ، أحدهما صغير ، وقد بدأ العمل به على ما يبدو ، والثانى كبير جداً ، وذكر أنه تضرر من انفجار غامض (!!) قبل ارساله الى العراق ، وقد غير المنتج (فرنسا) اسمه ليصبح أوزيراك بدلا من أوزيريس ، تكريماً للزبون صاحب الطلب (العراق) (ويذكر أن عملاء الاستخبارات الاسرائيلية فجروا جزءاً من المفاعل قبل تسليمه للعراق) .

ومضى أهرونسون قائلا : «وكان العراق حتى الحرب الحالية ضد ايران ، يعد نفسه كقوة غامضة تنمو وتكبر فى الشرق الأوسط ، وقد تحدث الخبراء الأميركيون عن نجاح النظام فى التطوير المدنى ، وفى توسيع أطر الجيش الى عشر فرق ، العديد منها مدرعة ، وعن طموح صدام حسين الذى يتحدث عن العراق كما لو أنها بابل عربية حديثة ، وعن نفسه كما لو انه نبوخذ نصر فاتح القدس ، وتجربة التحديث هذه تتم بفضل أموال النفط الضخمة ...» .

ثم يشير أهرونسون الى أن العراق بدأ يظهر فى منطقة الخليج ، وفى منطقة الهلال الخصيب (الجبهة الشرقية) كقوة عظمى ، وكعدو خطر على اسرائيل ، ولا يخفي أهرونسون أن الورقة النووية العراقية ستزيد من قوة العرب جميعاً ، وتعطى بغداد موقعاً رئيسياً فى الصراع ضد اسرائيل ، إلا انه لا يستبعد أن يكون هدف الرئيس صدام حسين من امتلاك القنبلة الذرية ، هو تحييد الخيار النووى الاسرائيلى ، الى حد يمكن معه شن حرب استنزاف طويلة وربما دائمة ، ضد اسرائيل ، وتوفير ضمانات لاستمرار هجمات الفدائيين الفلسطينيين ضد اسرائيل «من دون التورط فى كارثة ذرية» .

ويعلن أهرونسون تخوفه من أن تكون استراتيجية العراق ، قائمة على توجيه سلسلة لا تنتهى من مثل هذه الطعنات «الفدائية» من الخلف لاسرائيل ، كما أوصى بذلك منذ زمن غير بعيد المعلق

اليـهـودي "شـلـومـو أهـرونـسـون" يـهـدد العـرب بـ:

"هولوكست"

أو إبادة نووية جماعية

العسكرى (الفلسطينى) «الهيثم الأيوبى» ، إذ من شأن هذه الاستراتيجية كما يقول «الأيوبى» أن تؤدى فى النهاية ، الى سقوط الكيان الصهيونى «من دون معركة حسم نهائية» .

دعوة لضرب المفاعل العراقى

ويدعو أهرونسون بكل وضوح الى ضرب محطة تموز النووية العراقية دون تلكؤ (كان ذلك قبل حوالى سبعة أشهر من الغارة الاسرائيلية) ، ويقول أهرونسون بهذا الصدد : «من غير الواضح حتى الآن ما اذا كان تخريب فرن «أويزيراك» (عملية التخريب فى فرنسا قبل تسليم المفاعل العراقى) ، والغارة الجوية على فرن «إيزيس» (فى أيلول سبتمبر الماضى بعد أيام قليلة من نشوب الحرب العراقية ـ الايرانية) ، قد أديا الى تأجيل ملحوظ فى خطط بغداد النووية ، إذ من المعروف أن فرنسا أرسلت الى هناك ١٣ كيلو غراماً من اليورانيوم المشبع (من أصـــل ٧٢ كيلو غراماً ، كانت فرنسا قد وعدت العراق بها) ، تكفى للمضى فى انتاج قنبلة ذرية واحدة بمساعدة جهاز خاص أوصى عليه العراق ، ضمن أمور أخرى من ايطاليا ، ولكن من غير المعروف ما اذا كان الجهاز الايطالى قد وصل ، كما ذكر (الكلام مايزال لأهرونسون) ، بأن الخبراء الفرنسيين الذين عملوا فى دمج المفاعلين إيزيس وأوزيريس ، قد رحلوا فى هذه الأثناء ، وبالتالى وفى حين أن العراقيين أحرار بعمل ما يريدون باليورانيوم الذى تسلموه ، يبدو أنه من المحتمل ألا يكون لديهم ما يكفى من الخبراء للقيـــام بـذلك (هآرتس ٢٨ ـ ١١ ـ ١٩٨٠) .

ومع أن أهرونسون يتكهن بأنه قد حصل فعلا ، تأجيل فى الخطة النووية العراقية نتيجة للحرب العراقية ـ الايرانية «بيد أن هذه الخطة بحد ذاتها تبرر أى عمل من جانب اسرائيل لعرقلتها وتأجيلها قدر الامكان» .

ويضيف أن على اسرائيل أن تستمر فى الاستنجاد بالولايات المتحدة وأوروبا بكل قوتها «الأمر الذى يتطلب احياناً وبالذات التستر على خيارنا الذرى» .

ويتوقف أهرونسون هنا أمام ظاهرتين الأولى هى الحرب العراقية ـ الايرانية ، التى قال انها تقدم نموذجاً لحرب استنزاف لا تنتهى من قبل المقاومة الفلسطينية ضد اسرائيل ، والثانية هى خوض سباق تسلح بالأسلحة التقليدية (دبابات وطائرات .. الخ) ، وهو سباق ستغرق فيه اسرائيل حتى أذنيها اذا ما قبلت الخوض فيه دون حساب ، ويطالب أهرونسون قادة اسرائيل بتفحص هذا الوضع مجدداً ، حيث أن سباق التسلح من وجهة نظره (الشبيهة بوجهة نظر موشي دايان) «مدمر للاقتصاد وللمجتمع الاسرائيليين ، وتتطلب قيمته العسكرية فحصاً مجدداً» فى ما يسميه أهرونسون «بفترة انهيار الجبهة الشرقية» ، وبروز الخيار العراقى ... وايضاً فى فترة شهدت ولادة «الارتباط السورى ـ الليبى» ، وازاء ذلك يطالب بالتشديد أكثر على الخيار النووى ، والتشديد بشكل أقل على الدبابات ، وربما أيضاً على «المناطق» (اذا كان بالامكان اجراء مفاوضات بشأن المناطق المحتلة ـ الضفة الغربية وقطاع غزة ـ مع الأردن) «حيث أن ردعاً نووياً كما يقول أهرونسون ـ ردعاً مكثفاً ـ هو وحده الذى يمكن أن يكون **ملحوظاً**» ويضيف «ان الخيار النووى الاسرائيلى سوف يفرض على ١٢٠ مليون عربى لا حدود لمواردهم المالية وللدعم الدولى لهم !! ، الرضوخ لاملاءات علم الطبيعة النووية القادرة على ابادة ١٢٠ مليون عربى ، وتحويل ثروتهم الجديدة الى ركام من رماد» !! .

التهديد بالهولوكوست

وتتكرر نغمة الهولوكوست ـ وهى عقدة صهيونية فى الأصل ـ تتكرر على لسان أهرونسون ، فنراه يهدد ابادة هذا الشعب العربى أو ذاك ، وازالته من الوجود نهائياً ، فبالنسبة للفلسطينيين يقول : ان الفدائيين الفلسطينيين ، اتضح أن لا حيلة لهم فى مواجهة الخيار النووى الاسرائيلى ، ولكنه يحذر من أنهم قد يحاولون الحصول على قنبلة ذرية ، وفى هذه الحال ، فان على اسرائيل أن يتوفر لديها رد مكثف على هذا الخطر أى أن يتوفر لها سلاح ذرى ، لا يسمح لفلسطينى واحد بأن يبقى على قيد الحياة للاحتفال بتوجيه ضربة نووية واحدة ضد اسرائيل» .

وفى مكان آخر ، يهدد أهرونسون بتدمير المدن العربية ، بل والبلاد العربية ، فبالنسبة للعراق يقول ما يلى :

«إن العراق الواقع بين النهرين (دجلة والفرات) ، وبكثافته السكانية على ضفافها ، وبغداد العاصمة ، ومنطقة النفط الحيوية فى الشمال ، يعتبر هدفاً ملائماً للسلاح النووى ، ويمكن لقنبلة هيدروجينية ، أن تضع نهاية له (للعراق) بكل بساطة ، ومن هنا فان السلاح النووى يمكن أن يدمر ليس فقط اسرائيل ، بل وأن يجلب الدمار أيضاً على العراق نفسه ، وعلى دول عربية أخرى ، اذا امتلكت اسرائيل حقاً مبدأ نووياً مناسباً ، واستراتيجية نووية موثوقة ، بامكانهما أن يمنعا الدمار المتبادل مسبقاً» !!

وأما بالنسبة الى مصر ، فيقول أهرونسون : «انها فعلا هدف أكثر حساسية للسلاح الذرى ، بسبب احتشاد سكانها فى شريطين ضيقين على امتداد النيل ، فى القاهرة والدلتا ، وإن سد أسوان الذى يمكن تدميره بقنبلة ذرية واحدة فقط ، ليس مفتاحاً لاقتصاد مصر فحسب ، بل هو ايضاً مفتاح لبقاء

السكان باكملهم ، حيث سيتعرض بقاؤهم على قيد الحياة للخطر اذا ما تلوثت مياه نهر النيل بالاشعاعات الذرية .

وبالطبع فان سوريا تحتل كذلك احدى الأولويات فى تصور أهرونسون لاستراتيجية الهولوكوست ، أو حتى استراتيجية الردع الصهيونية النووية فى أقل تقدير ، ففى حوار بين أهرونسون ورئيس أركان الجيش الاسرائيلى السابق «مردخاى غور» ، نشرته صحيفة دافار فى ١٠ ـ ٤ ـ ١٩٨١ ، طرح أهرونسون امكانية اسقاط قنبلة ذرية على «قطنا» (القريبة من دمشق) باعتبارها المركز الادارى للجيش السورى ومقراً لرئاسة الأركان .

تهديد باكستان

منذ عدة سنوات والاسرائيليون يركزون انظارهم على باكستان ، بعد العراق ، ويدعون ان امتلاكها قنبلة نووية يعتبر تهديداً لهم ، لأنها قد تقوم بتسليم قنبلة نووية أو ربما عدة قنابل للفلسطينيين أو غيرهم من العرب ، لكى يقذفوا بها اسرائيل ، أو لتحقيق توازن فى القوة النووية بين العرب والاسرائيليين . مما سيفقد الكيان الصهيونى صفة التفوق

وقد عبر أهرونسون عن قلق اسرائيل من امكان انتاج باكستان قنبلة نووية «اسلامية» ، فروى فى مقالاته السبع المنشورة فى صحيفة «هآرتس» ، أن ليبيا قامت بتمويل برامج التطوير الذرية فى باكستان ، ويقول : «لا نعرف الكثير عن البرامج الباكستانية بالذات ، فلقد نشر فى ذلك الحين أن فرنسا التزمت بتزويدها بمفاعل ذرى وباليورانيوم ، وقد ابتاع عملاء باكستانيون من دول أوروبية مختلفة ، مواد لاشباع اليورانيوم أو البلوتونيوم الذى سيستخرج من المفاعل الفرنسى ، من أجل تحويل هذه المواد الى قنابل ذرية ، ويعتقد بعض الباحثين ، أن الباكستانيين لديهم طموحات كبيرة ، وان مشاريعهم كانت تهدف منذ البداية ، الى انتاج قنابل هيدروجينية ، وليس مجرد قنابل ذرية ، تحول باكستان بضربة واحدة الى دولة اسلامية عظمى» ... ولكن أهرونسون ما يلبث أن يتخلى عن هذا الجانب من هدف باكستان لصنع قنبلة نووية ، ويعود الى ابداء «قلقه» من أن يكون الهدف ، هو مساعدة الدول العربية فى صراعها مع اسرائيل ، ويقول ان لدى باكستان النية لكى تتحول الى الدولة الاسلامية الذرية العظمى الأولى» والى «الأم الحامية للدول الاسلامية ـ العربية» وإذن فاسرائيل تفترض ـ كما يقول أهرونسون ـ ان باكستان تقوم بصنع قنبلة نووية ليس لحماية نفسها ضد الهند ، أو لتحقيق توازن نووى معها فحسب ، وإنما لمساعدة العرب فى صراعهم مع اسرائيل إما عن طريق إلغاء العامل الذرى الاسرائيلى لفرض تفوق على العرب ، وبالتالى املاء الشروط عليهم ، وإما لاستخدام القنابل النووية التى تنتجها ضد اسرائيل فى هجوم مفاجىء يلغى اسرائيل من الوجود .

يتضح مما تقدم أن اسرائيل جادة فى منع العرب او اية دولة أخرى صديقة لهم «كباكستان» من حيازة أى سلاح نووى أو امتلاك الطاقة النووية حتى لو كانت للأغراض السلمية ، واحتكار السلاح النووى وقنابل الابادة الجماعية فى يد اسرائيل وحدها .

بل ان شلومو أهرونسون يروي ان اسرائيل كانت فى الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة ، على وشك استخدام سلاحها النووى ضد المدن العربية ، وقد ركبت ثلاثة عشر راساً نووياً على صواريخ «لانس» الأميركية ، تمهيداً لهجوم نووى شامل ، لولا أن الأميركيين قاموا بتحذير اسرائيل من ان السوفييت قد أرسلوا سفينة تحمل أسلحة نووية الى مصر ، وأن رؤوساً نووية قد ركبت على صواريخ «سكود» السوفييتية لضرب اسرائيل فى حال وقوع هجوم نووى اسرائيلى ضد سوريا ، وقد كان التهديد السوفييتى كافياً لوقف المغامرة الاسرائيلية المحتملة .

وعلى أية حال .. فان الأخطر من الغارة الاسرائيلية ضد محطة تموز النووية العراقية فى ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨١ ـ فى رأينا ـ هو الأفكار المرعبة التى قدمها شلومو أهرونسون ، الذى نعتقد أنه أحد أهم المنظرين للاستراتيجية النووية الاسرائيلية ، والذى ينعي (كما موشي دايان) سباق التسلح بالأسلحة التقليدية ، ويركز على الاحتفاظ بالتفوق النووى لاسرائيل على العرب ، وشن حرب ابادة شاملة ضد البلاد العربية أو بعضها على الأقل فى حال حيازة العرب أسلحة نووية .

ومن هنا ، فان «السيناريو» النووى الاسرائيلى فى الاستراتيجية العامة التى يتصورها أهرونسون ، تعتبر جرس إنذار للعرب جميعاً ، من أن اسرائيل باتت على وشك التحكم برقابنا جميعاً ، وان جميع المظاهر الحضارية ، أو «شبه الحضارية» ، لن تفيد الأمة العربية ، مادامت مكشوفة نووياً أمام عدوها الصهيونى .

ولا أتصور أن هناك خطراً داهماً على مصيرنا جميعاً ، مجتمعات ودول وأفراد ، أكبر من الخطر الماثل أمامنا الآن ، والذى أوضحه لنا أحد الصهاينة ـ شلومو أهرونسون ـ فنحن اليوم أمام خطر الابادة الجماعية فعلا ، والمعادلة الجديدة كما ترتسم أمامنا حالياً هى : من يمتلك السلاح النووى ؟ ومن يضرب أولا ؟ .. ومن يسمح للآخر بابادته من على وجه هذه البسيطة ؟؟

ولا أعتقد انه يتوجب علينا أن نكون عقلاء بعد اليوم ، أمام هول هذه المعادلة وفى مواجهة عدو مجنون .. بل ليس لجنونه أى حد .

عصام شريح



الطائرة الأمريكية إف ـ ١٦

محمد علي شمس الدين

الشاعر: كائناً ملعوناً
الشاعر: كائناً فريداً


محمود درويش


محمد الفيتوري


هنري ميللر

(١)

قديماً ، اقترن الفن بالسحر ، كما اقترن بالأسطورة .

وجاء القرآن الكريم لينفى عن الرسول صفة السحر ، كما ينفي عنه تهمة الشعر . ولعل الأبلغ فى التعبير ، هو تنسيب الشعراء الى بيت الجنون ، إلى بيت عبقر . وعبقر ، هى فى الأسطورة العربية ، وادى الجن ، أو مجمع الجن ، فكان الشاعر ، فى النظرة هذه هو مخلوق (آخر) ، .. مخلوق ينتصب نقيضاً للواقع ، ونقيضاً للعقل التاريخي أيضاً . ونقيضاً لما تعارف عليه المجتمع ، فى سلامه القديم ، وفى ثوازناته القديمة أيضاً .

قد يصبح الشاعر ، فى مثل هذه النظرة (كائناً ملعوناً) ، ولكنه ، قد يصبح فى الوجه الآخر لهذه النظرة (كائناً فريداً أو مقدساً) ...

من هنا ، هذه المفارقة ، مثلا ، بين أن يعتبر (أفلاطون) الشعراء فئة عقيمة فى جمهوريته ، أو مدينته الفاضلة ، فلا يعطيهم دوراً جدياً أو حقيقياً ، فى تصوره ، إنه يطردهم من المدينة .. وبين أن يعتبر واحداً من كبار السياسيين ، فى عصرنا الحاضر ، الشاعر العظيم ، كالمخترع العظيم ، كائناً نادر الوجود .

ورغم تطور النظرة الفكرية والفلسفية الى الأشياء ، والمعالم ، والعلاقات ، ورغم اتجاه النظر الفكرى والفلسفي الى مزيد من الموضوعية ، وعقلنة الأشياء والمفاهيم ، إن لم نقل (علميتها) ، بحيث يعتبر ، مثلا ، مصدر الفكر والشعر والفن ، هو « الواقع الموضوعي » لا الوحي والالهام وعبقر ، أو أية قوة خفية مقترنة بالاله أو بالشيطان ... نقول ، رغم هذا التطور ، تبقى في شخصية الشاعر سمة خاصة ، رغم أنها لا تستعصى على التحليل ، ولا تكسر أنابيب المحللين ومساطرهم ونظرياتهم ، ولكنها تستلزم (وقفة خاصة) ، وربما أدوات خاصة فى النظر والتامل .

كائن آخر

إحساس الفنان بانه (كائن آخر) والنظر إليه أحياناً بانه (كائن آخر) مصدره عدم رضى الفنان عما هو سائد ومألوف وراهن . وبالتالي رفضه لهذا السائد والمألوف ، ومقابلة المجتمع هذه النظرة إليه ، بنظرة مماثلة .

يقول الشاعر محمد الفيتورى فى سقوط دبشليم :

« وسر انواع السقوط مرضا
هو السقوط فى الرضى .. »

وهو بهذا المقطع ، يعبر عن الفكرة

التى نقصد اليها .

فالشاعر (كائن رفضى) .. وهذا الرفض يجعله فى غربته عما حوله ، من كائنات .. ربما هذا هو المعنى الذى أراده أبو العلاء المعرى بقوله :

« أنا انسي المنشا وحشي الطبع » .

فهذه الوحشة في الطبع ، أو الوحشية فى الطبع ، هى قرينة محبسه ، وقرينة غربته وهى التى تدفع شاعراً كالمتنبى ، خاض العالم والناس ، وقتل المجتمع والحياة تجريباً وابتلاء ، تدفعه الى أن يقول :

وصرت أشــك فى مــن أصطفيــه
لعلمــى انه بعض الأنــــــــام

وربما الى تعبير اكثرمرارة ووحشة ، وازدراء ، للانس ، حين يستعمل اسم الاشارة (هذا) فى تعبيره عن مجمل الناس. والتعبير هنا ذو دلالة لغوية واجتماعية ونفسية معبرة :

«غيرى باكثر (هــذا) النــاس ينخدع ...»

ولا تعوزنا شواهد عصرية على مثل هذه الوحشة والنفرة .

يصرخ محمود درويش : (اه يا وحدى ...)

لكن المثال الأكبر (الأنموذج) لو صح التعبير ، على وحشة الفنان وغربته ورفضه ، وقلقه ، ورغبته فى التدمير ، ورغبته فى التغيير ، على كل العصور ، هو مثال الشاعر الفرنسى (أرثور رامبو) الذى عاش سبعة وثلاثين عاماً ، وأعطى فى التاسعة عشرة من عمره القصير ، واحدة من أروع وأجمل الكتابات الشعرية المعاصرة . أعنى كتاب «فصل فى الجحيم» ، ومن ثم كتاب «اشراقات» .. وسكت بعد ذلك حتى الموت .

ضد كل شىء !

إن (رامبو) ، فى تصورى ، عبر سيرته ، وكتابته ، هو المختصر الكثيف لوحشة الفنان ، وغربته . وهى المختصر المكثف لتفرده .

إن (رامبو) هو الشاهد الدرامى العميق فى الفن .

أرثر رامبو



يقول (رامبو) فى رسالته المعروفة باسم «رسالة الرائى» :

«يجب أن اكون رائياً . كن رائياً» .

ويقول فى موضع آخر : (انا آخر) .

ذلك أن احساساً بالغربة ، مقترناً باحساس بالرؤيا ، كان يلازمه دائماً .

ذلك ما ذكره (هنرى ميللر) فى كتابه : (رامبو وزمن القتلة) حين قال : «فى اللغة الرمزية للروح ، وصف رامبو كل ما يحدث الآن . وفى رأيى أنه ليس ثمة تنافر بين رؤيا رامبو للعالم ، وللحياة الأبدية ، وبين رؤى مجددى الدين العظام» . «إننا مدفوعون ، المرة تلو المرة ، الى أن نخلق رؤيا جديدة للسماء والأرض ...» .

ثمة أكثر من شاهد على غربة رامبو ووحشته . تحس كأنه من العالم ولكنه ليس فيه . إنه ضد كل شىء :

أولا : إنه ضد أمه وأبيه . إنه يصرخ فى «ليلة فى الجحيم» : « ياوالدى .. لقد دبرتما تعاستى وتعاستكما» .

كم نجد هنا تشابهاً بينه وبين أبى العلاء ، فى صرخته المعروفة : «هذا جناه أبى علي وما جنيت على احد» .

وهو ضد الأعمال والأشياء والحرف والمهن . وهو ضد الدول والحكومات .. وهو ضد الأعداء والأصدقاء على السواء .

الأصدقاء ؟

لم يكن ، حسب ما يقول ، له أصدقاء. ولم يكن له وطن .

ها هو ، كما يقول عنه هنرى ميللر ، فى كتابه ، يقطع أوروبا ، ويعيد قطعها، مشياً على قدميه ، ياخذ سفينة بعد سفينة ، الى موانىء أجنبية ، يعود مريضاً مفلساً المرة تلو المرة ، يشتغل فى الف عمل وعمل . يتعلم اثنتى عشرة لغة أو أكثر ، وبدل التعامل بالكلمات ، يتعامل بالقهوة ، والتوابل ، والعاج ، والجلود ، والذهب ، والبنادق ، والرقيق و .. ها هو ياتى الى افريقيا ويعيش على الشاطىء الصومالى ، عدة سنوات

الشاعر: كائناً ملعوناً
الشاعر: كائناً فريداً

فى عدن ، فى جحيم حقيقى .

إنه يقول ، فى احدى رسائله الى أمه : «لا تستطيعين أن تتخيلى المكان : فلا شجرة ، حتى ولو كانت ذاوية ، ولا تربة .. إن عدن فوهة بركان خامد ، مليئة برمل البحر . إنك لا ترين إلا الحمم والرمل فى كل مكان . هذه التى لا تنبت أضأل نبت . وهى محاطة برمال الصحراء . وإننا لنشوى كما لو كنا فى فرن جيرى ..» .

وغالباً ما كتب رامبو الى أهله : «ليس لي أصدقاء ....» .

ولم يكن يعتبر أن له أصدقاء فى وطنه أيضاً فهو غريب عن العالم كله ، وهو شديد الغربة الى درجة مريعة .. الى درجة اعتبار نفسه «شخصاً مستهدفاً» .. و «هم» وراءه .

من وراءه ؟

إنهم (هم) .

كل شىء .

ذلك دفعه الى أن يوقع كتاباته ورسائله أحياناً بهذا التوقيع : «رجل بلا قلب» .

وذلك ما دفعه الى أن يصرخ : «كل ما علمناه زائف» .

وذلك ما دفعه الى الاحساس بحاجته الى «التدمير» .. تدمير كل شىء ، والى البداية من (الصفر) .

وذلك ما دفعه الى الكتابة ذات مرة : «ثمة خراب ضرورى» .

إنه أشبه ما يكون بجيش محاصر ، يحاول الخلاص من القبضة المحكمة عليه كاللعنة .

احساس دائم بالغربة

نستطيع أن نلمح روح «رامبو» فى كل التيارات العدمية والتدميرية التى اتت بعده ، وسادت فى أوروبا (فرنسا خاصة) وفى أميركا ، وتسلل بعضها الى الشرق بعد ذلك ،،،

ذلك أن هذه الحساسية الشديدة الى حد المرض ، هذه البذرة السرطانية للشك والرفض والتدمير ، تستطيع أن تنهش أرواح كثير من الفنانين ، مادام فى مجتمعاتهم هذا العدد الهائل من التافهين والحمقى والضباع والفارغين على كل مستوى ، ومادامت سلطاتهم السائدة وحكوماتهم تنتمى الى الجشع، أكثر من انتمائها الى الرحمة ، وتنتمى الى التعدى والظلم أكثر من انتمائها الى العدالة والرضى ...

إن «الذاتى» فى مثل هذه الحالات ، واضح ، ومن البداهة ، بحيث أنه يفرض نفسه علينا . لكن لا سبيل الى إهمال (الموضوعى) فيها .

أليس لنا ، مثلا ، حين نتحدث فى (حالة رامبو) ، وفى حالة معلمه (بودلير) صاحب «أزهار الشر» ... أليس لنا أن نتحدث عن جشع البورجوازية الأوروبية الهائلة ، وتحويلها للكائن البشرى الى آلة أو حشرة ؟ .

● إنه ضد كل شيء.. ضد أمه وأبيه اللذين دبَّرا تعاسته

● لم يكن - على حدّ قوله - له أصدقاء .. ولم يكن له وطن

فى مقالة عن «سياسة بودلير» ، نشرتها مجلة «بوزار» فى ٢٥ كانون الثانى ١٩٥٥ كتب موريس نادو ما ياتى : «فى قلبى العارى احساس دائم بالغربة عن العالم وطقوسه . إنه عالم البورجوازية حيث أخلاقية الصراف المرعبة ، عالم الغيلان الجائع الى الماديات ، المفتون بنفسه ، غير المدرك أنه داخل الانهيار . العالم الذى نعرف بنبوءة منفردة ، أنه سائر نحو التآمرك ، منذور للحيوانية» .

وكم يبدو أليفاً ، هذا المقطع من رسالة من رامبو مؤرخة فى كانون الثانى ١٨٨٨ من عدن :

«كل الحكومات جاءت لتبتلع الملايين وحتى المليارات ، على هذه السواحل اللعينة الحزينة ، حيث يظل أهل البلاد شهوراً بلا غذاء ولا ماء ، تحت أقسى مناخ فى الأرض وكل هذه الملايين الملقاة فى أحشاء البدو ، لم تحمل إلا الحروب والكوارث من كل نوع» .

إن الشاعر يجلس مبسوط الذراعين وهو ينظر الى الدول الكبرى تفسد حديقته ، كما يقول عنه هنرى ميللر .

يبقى أن هذا الخراب الضرورى الذى يراه «رامبو» ، والذى رآه قبله كل فنان حقيقى ، تلتمع فيه اضاءة ضرورية أيضاً ، هى اضاءة عالم جديد ، ربما بقى فى خيال الشاعر :

حيث ، كما يقول رامبو أيضاً ، ستكون :

«شمس وجسد . وفى الفجر يغنى الديك الذهبى» .

محمد علي شمس الدين
بيروت



بخلاء الجاحظ

عبـــاس خضـــر

فى تراثنا العربي كنوز منوعة من الآداب والفنون لم نستفد منها كما ينبغي ، بعضها كشف عنه الغطاء ودرس ، وبعضها لا يزال مطموراً .

وقيل لنا عن فنون من القول انها مستحدثة وعن خصائص جدت فى العصر الحديث ـ كما زعموا ـ لم تكن قبل ذلك .

وجرينا وراء ما قيل ، وأخذناه كله مسلماً به ـ من ذلك ما زعموه من أن الأدب بوجه عام لم يتناول الأفراد العاديين ولم ينزل الى جموعهم إلا فى العصر الحديث على يد «إميل زولا» عندما نزل الى العمال فى المناجم وفى الأكواخ وتناولهم بالعرض والتحليل فى قصصه ، وكان الأدب قبل ذلك مقصوراً على تناول الملوك والأمراء .

وذلك حق بالنظر الى العالم الأوربي الذى قيل فيه ذلك ، ولكنا لو أنعمنا النظر فى تراثنا الأدبى وجدنا فيه قديماً مثلما جد عندهم حديثاً .

هذا الجاحظ فى كتاب « البخلاء » مثلا ـ سبق أولئك الغربيين بقرون من الزمان فى الاهتمام بالناس العاديين الذين نشأ فيهم ونبت فى أرضهم ولم يتنكر لهم ، بل شغل قلمه بتدوين أخبارهم وتحليل ميولهم ومشاعرهم .

نشأ هو فقيراً مكافحاً ، يبيع السمك والخبز فى البصرة ، فاختلط بعامة الناس ، ولاحظ أحوالهم وتصرفاتهم ، وتأمل طبائعهم ومشاعرهم ، واختزن من ذلك الكثير ، ثم صوره في كتاباته بعد ذلك مخروجاً بأفكاره وتجاربه فى معترك الحياة .

له ـ كما تعلم ـ مؤلفات كثيرة فى مختلف أنواع المعرفة ، ولعل كتاب «البخلاء» كان أيسرها جهداً ، فقد كتبه بتلقائية وعفوية ، واستقاه ممن عاشرهم ومن الحياة حوله فى البصرة التى نشأ فيها صغيراً وبغداد التى انتقل اليها كبيراً . لم يرجع فيه الى أى شيء من الكتب وبطون التاريخ ، ولهذا جاء صورة حية لحياة أولئك الذين تناولهم ووصفهم فى جدهم وهزلهم ، مستخدماً



بخلاء الجاحظ

فى ذلك خصائص قصصية كانت إذ ذاك جديدة فى الادب العربي .

والجاحظ من أوائل الكتاب العرب الذين وهبوا القدرة على التغلغل في النفس الانسانية والغوص فى أعماقها ، وليس أدل على هذا من انه ألف كتاباً كاملا فى حالة واحدة من حالات النفس وهي حالة البخل ، فجال فى نواحيها المختلفة من قصص البخلاء ونوادرهم وما احتجوا واستدلوا به على مذهبهم فى جمع المال واستغلاله ، ثم الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم ببراهين عقلية واستشهادات نقلية تعلى من شان الجود وبذل المال فى وجوه الخير .

وقد وصف الدكتور طه حسين كتاب البخلاء بقوله :

« هو من أجود الكتب ويحق للغة العربية أن تفاخر به . هذا الكتاب جمع فيه الجاحظ اخباراً تتصل بالبخلاء فى عصره ، تناول فيه المتكلمين والمعتزلة ، وقص من اخبارهم فى البخل اشياء كثيرة . وقيمة هذا الكتاب لا أدرى أهي فى الجمال اللفظى واستقامة المعنى ؟ أم فى خصب المعاني ؟ أم في هذا التصوير الدقيق الذى لا يقاس اليه تصوير ، تصوير حياة البصرة وبغداد فى عصر الجاحظ » .

والواقع ان كلمة « جمع اخبارا » ليست دقيقة فى وصف عمل الجاحظ ، فهو ليس جمعاً لأخبار ، وإنما هو خلق ادبي على نحو ادبي على نحو ما يفعل الكاتب القصصى فى عصرنا هذا .

ويبين الجاحظ نفسه في كتابه فيقول « ولك فى هذا الكتاب ثلاثة اشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة .. وانت في ضحك منه إذا شئت ، وفى لهو إذا مللت الجد » .

الجد والهزل

والى جانب القدرة على التحليل والتصوير نراه يمزج الجد بالهزل ، كي يصل من الهزل الى الجد ، كما يقول فى المقدمة :

« ومتى اريد بالمزح النفع ، وبالضحك الذى له جعل الضحك ، صار المزح جدا والضحك وقاراً »

وهو يدعو الى الضحك ، ويعزز دعوته بالأدلة العقلية والنقلية ، فيقول « لو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك لما قيل للزهرة والحبرة (ثوب كانت تلبسه النساء) والحلى والقصر المبنى : كانه يضحك ضحكاً . وقد قال الله عز وجل ذكره «وانه هو اضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيا » فوضع الضحك بازاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت » الى أن يقول : « ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى أولادها بالضحاك وبسام وبطلق وطليق ، وقد ضحك النبى صلى الله عليه وسلم وفرح ، وضحك الصالحون وفرحوا . وإذا مدحوا قالوا : هو ضحوك السن وبسام العشيات (اى بسام فى العشيات) وهش الى الضيـف .. الخ » .

وفيما يلي بعض أمثلة من حكايات البخلاء وأدلتهم التى احتجوا بها للبخل ، كما وردت فى كتاب « البخلاء » مع بعض التصرف :

خص الجاحظ أهل خراسان بفصل من الكتاب لاشتهارهم بالبخل ، وخاصة أهل « مرو » قال:

يقول المروزى (نسبة الى مرو) للزائر إذا أتاه وللجليس إذا طال جلوسه : تغديت اليوم ؟ فان قال نعم قال : لولا انك تغديت لغديتك بغداء طيب . وإن قال لا ، قال : لو كنت تغديت لسقيتك خمسة اقداح ! فلا يصير فى يده (يد الضيف) على الوجهين قليل ولا كثير » .

ويشبه هذا ما يحكى الآن فى مجالسنا عن عمدة بخيل ، يقول للضيوف : تحبون أن تتعشوا أو تنامون خفافاً ؟ فان قالوا : تعشينا والحمد للـه ، قال : تنامون هنا أو تستريحون فى الفندق ؟

ويقول الجاحظ : « كنت في منزل ابن ابى كريمة ـ وأصله من مرو ـ فرآني أتوضأ من كوز خزف ، فقال : سبحان الله ! تتوضأ بالعذب والبئر لك معرضة (ظاهرة) قلت : ليس بعذب انما هو من ماء البئر ، قال : فتفسد علينا كوزنا بالملوحة! فلم أدر كيف اتخلص منه »

اللحم والخيط

ويحكي لنا عن جماعة من البخلاء اشتركوا فى مسكن ، فكانوا إذا أرادوا الطبخ اشتروا اللحم وقسموه قبل الطبخ ، وأخذ كل واحد منهم نصيبه فشكه بخيط ، ثم وضعه فى القدر مع



اميل زولا

الخل والتوابل « فاذا طبخوه تناول كل إنسان خيطه وقد علمه بعلامة ، ثم اقتسموا المرق ، ثم لا يزال احدهم يسل من الخيط القطعة بعد القطعة حتى يبقى الحبل ولا شيء فيه ، ثم يجمعون خيوطهم ، فان أعادوا الملازقة (المشاركة فى الطبخ) أعادوا تلك الخيوط لأنها قد تشربت الدسم ورويت .. وبهذا يخففون عن انفسهم مؤونة الحطب والتوابل ، وقدر واحدة تكفى الجميع بدلا من ان يستقل كل منهم بقدر .. »

ويحكى عن احد الحكام من اهل خراسان انه كان قويم الخلق بعيداً عن الفساد ، لا يحكم بالهوى ولا يقبل الرشوة ، وكان دقيقاً فى عمله وفى بخله .. كان فى غداة كل جمعة يحمل طعامه المكون من رغيفين وقطع من لحم مبرد وبعض الجبن والزيتون ، ويمضى وحده حتى يدخل بعض البساتين ، ويجلس تحت شجرة وسط خضرة الى جانب ماء جار ، ويبسط المنديل بين يديه ويأكل .

فاذا وجد البستاني رمى اليه بدرهم وقال له :

– اعطنى بهذا رطباً او عنباً ، إياك إياك أن تحابيني ، ولكن تختار لي الجيد ، فانك إن فعلت لم آكله ، ولم أعد اليك ، واحذر الخداع . فان اتاه به أكل كل شيء منه وكل شيء أتى به البستاني ، ثم يقوم فيمشي نحو مائة خطوة ، ثم يضع جنبه فينام الى وقت الجمعة ، ثم ينتبه فيتوضأ ويمضى الى المسجد .

وذات يوم من تلك الأيام مر به رجل فسلم عليه ، فرد السلام ثم قال : هلم عافاك اللـــه ، فلما نظر الى الرجل وراه يدنو قال له :

– تريد ماذا ؟

– أريد أن أتغدى .

– ولم ذلك ؟ وكيف طمعت في هذا ؟ ومن أباح لك مالي ؟

– أوليس قد دعوتني ؟

– ويلك .. لو ظننت أنك هكذا احمق ما رددت عليك السلام .. المعتاد فى مثل هذه الحالة أن تبدأ بالسلام فاجيبك : وعليك السلام ، هلم .. فتجيب : هنيئاً . فيكون كلام بكلام . فاما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الانصاف ..

ولما علم ذلك بين الناس قيل له :

– قد أعفيناك من السلام وتكلف الرد

– مالى حاجة الى ذلك ، انما هو أن أعفى أنا نفسى من الدعوة بقولي : هلم .. وبهذا يستقيم الأمـــر .

الكذب بالكذب

ومثل ذلك ما حدث به عن وال بفارس قال :

بينما هو يوماً فى مجلس ، وهو مشغول بحسابه وأمره ، إذ دخل عليه شاعر وانشده شعراً مدحه فيه ومجده ، فلما فرغ قال له :

– قـد أحسنـت .

ثم التفت الى كاتبه وقال له :

– اعطه عشرة آلاف درهم .

وكاد الشاعر أن يطير من الفرح ، فقال :

– لكي يتضاعف فرحك نعطيك أربعين ألفاً !

فدعـا الشاعـــر له ، وخرج من مجلسه فى انتظار العطيـة .

قال الكاتب للوالي :

– سبحان اللـه ! هذا كان يرضى منك بأربعين درهما ، فتامر له باربعين الف درهم ؟

– ويحك ! اتريد أن تعطيه شيئاً ؟

– فمـاذا إذن ؟

– يا أحمق .. انما هذا الرجل سرنا بكلام ، وسررناه بكلام ! هو زعم انى احسن من القمر ، وأشد من الأسد ، وأن لساني اقطع من السيف ، وأن أمرى أنفذ من السنان ، فهل جعل فى يدى من هذا شيئاً ؟ ألسنا نعلم انه قد كذب ، ولكنه سرنا حين كذب علينا ، فنحن أيضاً نسره بالقول ، ونامر له بالجوائز ، وإن كان كذباً ، فيكون كذباً بكذب .. وقولا بقول ، فاما أن يكون كذباً بصدق وقول بفعل فهذا هو الخسران المبين !

● ●

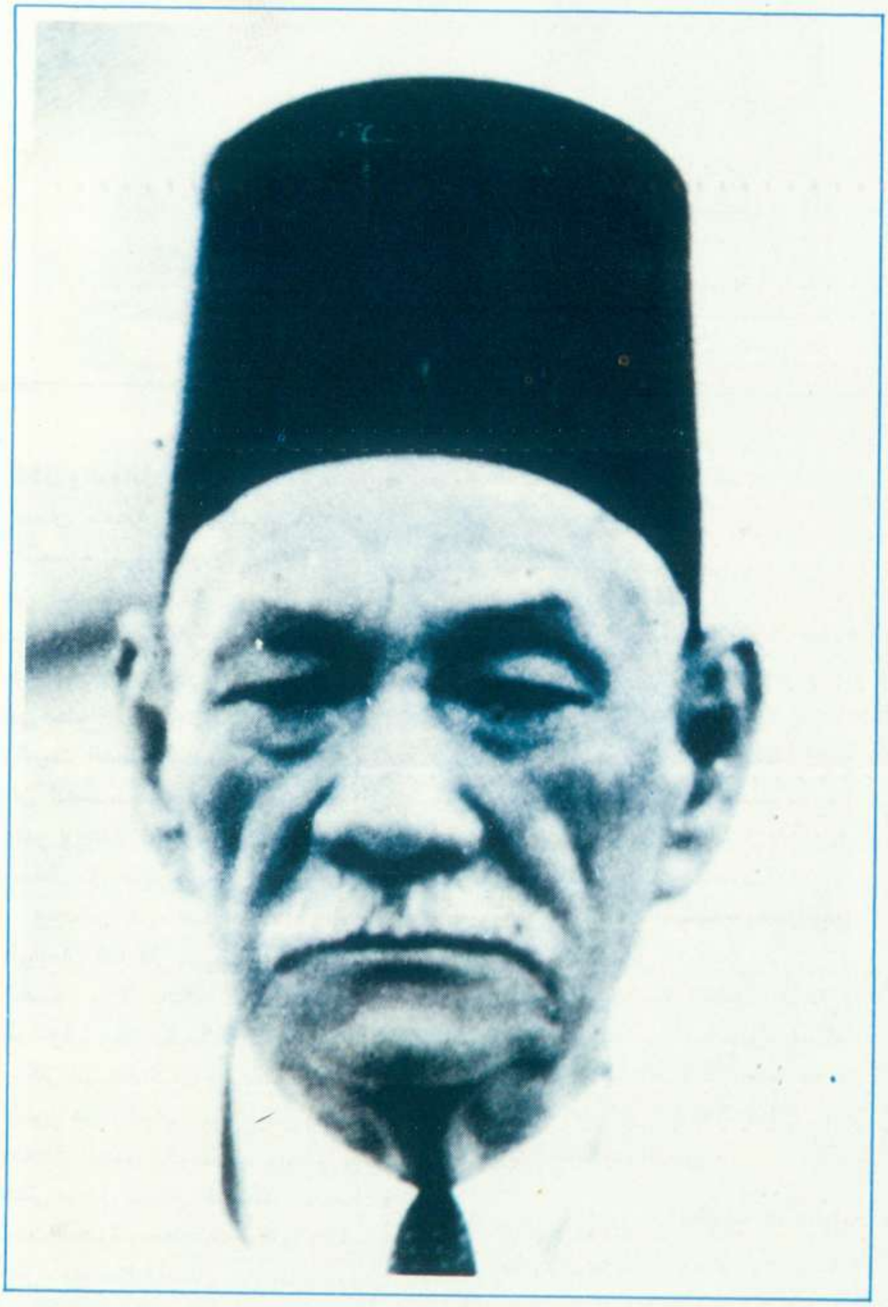
كتب الجاحظ تلك القصص فى القرن الثالث الهجرى الموافق تقريباً للقرن التاسع الميلادى ، اى قبل كتاب اوربا الذين نحوا هذا النحو ، وسلكوا طريقه فى تصوير الواقع ، بعد نحو تسعة قرون من الزمان ، فى القرن الثامن عشر.

ويظن قارىء كتاب « البخلاء » أن الجاحظ ألفه فى شبابه ، لما يشتمل عليه من مرح وسخرية وفكاهة ، مما يكون عادة فى الشباب ، ولكن بعض النصوص الواردة فيه تدل على أنه ألفه وهو طاعن فى السن ، وقد عاش أكثر من مائة عام ، إذ ولد فى سنة ١٥٠هـ وتوفى سنة ٢٥٥هـ .

وليس ذلك فقط ، بل كتب هذا الكتاب وهو يعاني من أمراض فاتكة ، والغريب أن فترة الشيخوخة المتقدمة الحافلة بالأمراض كانت اخصب فترة فى حياته من حيث الكتابة والتاليف ..

ويذكرون فى سبب وفاته أنه كان يكترى حوانيت الوراقين (باعة الورق والكتب) ويبيت فيها يقرأ ، حتى حدث أن وقعت عليه مجلدات الكتب وهو فى تلك الشيخوخة فقضت عليه .

عباس خضر


سعد زغلول

حكايات عربية

بقلم : صلاح عيسى

العجوز والحرية

أنا انتهيت .. ولكن!

● في التاسعة والنصف عادة الأطباء للمرة الثانية وخرجوا من غرفته واليأس يُطِلّ من عيونهم الحزينة

● للوهلة الأولى لم يصدّق الرجال آذانهم . بدا الصوت غريبًا كأنه يأتي من أعماق بئر عميقة



أم المصريين صفية زغلول

قبل العاشرة بدقائق مات سعد زغلول ..

حدث هذا ذات ليلة صيفية حارة من شهر اغسطس ـ أب ـ ١٩٢٧ .

كان الصباح حاراً وقائظاً حين قدم الأطباء لعيادته ، تقدمتهم زوجته صفية زغلول الى الطابق الثانى من «بيت الأمة» ، وهى تروى لهم ما حدث فى فجر ذات اليوم ، فقد استيقظ وهو يعانى ألماً فى المعدة ، واشتدت آلامه ، وارتفعت الحرارة حتى بلغت اربعين درجة قبل وصولهم بقليل .

ودخل الأطباء غرفته ، وجدوه راقداً نصف رقدة على فراشه ، وقد اسند راسه الى عدد من الوسائد مختلفة الأحجام ، يرتدى بيجامة بيضاء بخطوط بنفسجية ، وعلى رأسه طاقية من نفس قماشها ، ومن خلفه القرآن فوق الفراش فى غلاف وردى من الحرير ..

رد تحيتهم بصوت واهن ، وسالته زوجته وهى تعيد تنظيم الوسائد حوله :

ـ كيف حالك الآن ؟

نظر اليها بهدوء وتسليم ، وتمتم قائلا :

ـ أنا انتهيت !

وكانت تلك آخر كلماته ، فعلى امتداد اليوم ضعف ، واستمرت الحرارة فى الارتفاع ، ثم دخل فى غيبوبة كاملة لم يفق منها ..

فى التسعة والنصف من مساء اليوم نفسه ، عاده الأطباء للمرة الثانية ، وخرجوا من غرفته والياس يطل من عيونهم الحزينة ، وحين نزلوا الى الدور الأرضى ، تقدمهم فتح الله بركات باشا ـ ابن شقيقة سعد ـ الى غرفة المكتب ، وقبل أن يخطوا حرفاً واحداً فى تقريرهم الطبى ، دعى فتح الله بركات الى غرفة خاله ، فصعد مسرعاً ..

حط الصمت على رءوس الرجال الذين

العجوز والحرية





سعد زغلول



صفية زغلول

الامام محمد عبده

ازدحموا فى صالات المنزل وغرفه وشرفاته ، لم يفتح احد منهم فمه بكلمة ، او ينطق حرفاً ، تعلقت عيونهم بالسلم الذى صعده فتح الله بركات ، وظلت شاخصة اليه ، بينما كان الذين تجمعوا فى الشرفات ، يتاملون الشوارع الخالية المظلمة التى تحيط بالمنزل ، صامتة كالصحراء فى ليالى المحاق ، وكان المصريون قد قراوا فى الصحف ، ان الضجة ترهق الزعيم الذى احبوه كما لم يحبوا انساناً فى عصره ، فكانوا يمرون حول المنزل صامتين ، تتعلق عيونهم بجدرانه وشرفاته ، وقد كتموا انفاسهم .

ظلت عيون الرجال شاخصة الى حيث صعد فتح الله بركات ، حتى ظهر الرجل من جديد ، ينزل السلم ، مرتبك الخطوات ، شاحب الوجه ، مذهول النظرات ، فارتمى على أول مقعد صادفه دون ان يفتح فمه بكلمة ، ووقفت علامات الاستفهام الحزينة فى حناجر الرجال : خشي الجميع ان يسالوا عن شىء فيسمعوا النبا الحزين !

خدش الصمت فجاة نهنهات امراة تبكى ، وللوهلة الأولى لم يصدق الرجال آذانهم ، بدا الصوت غريبا كانه ياتى من اعماق بئر بعيدة عند حد الأفق ، وحين عجزت المراة عن مغالبة احزانها ، اكتشفوا ان الصوت ياتى من شرفة قريبة ، ووضح البكاء شيئاً فشيئاً ، ليدرك الرجال انها أم المصريين ، صفية زغلول زوجة سعد ، التى اصبحت ارملته ، تستقبل بالدمع زمن الفراق الذى اخذ منها رجلا صاحبته أربعين عاماً طويلة .

وكان دموع أم المصريين كانت اشارة البدء ..

الحزن فى الشوارع

أدرك الجميع ان سعداً قد مات ، وان الصمت الذى يلتزمونه خشية ازعاجه ، قد اصبح بلا معنى . آن الأوان كى يفكوا أسر الدموع ، ويطلقوا الأحزان من قمقم القلب الملتاع ، فانفجر الجميع يبكون فى وقت واحد .. واختلطت أصوات الرجال المخشوشنة بعويل النساء المنهار .

وحتى هؤلاء الرجال ذوى القلوب التى لا تسمح لنفسها بان تحزن : الثوار الذين لم ترهبهم البنادق ، ولم تخفهم الزنازين ، ولم تطفر دمعة واحدة من عيونهم وحبال المشانق تقترب من اعناقهم ، حتى هؤلاء ، سالت مدامعهم رغماً عنهم .. وكلما حاول احدهم أن يمنع نفسه عن البكاء ، غلبته احزانه ، فازداد بكاء ربما لعجزه عن أن يقهر احزانه كما قهر يوماً خوفه ..

وتمدد الحزن قاطعاً صمت الشوارع والأزقة والحوارى ، دخل من النوافذ والشرفات ، ومن تحت ابواب الدور المغلقة ، اقتحم على النائمين احلامهم ، وطاف بنوار الحقول ، وبأزهار الحدائق ، وجرى مع ماء النهر فلامس اغصان الصفصاف ، فارتوت منه ..

عرفت مصر كلها النبا فى الليلة نفسها (الاربعاء ٢٣ اغسطس ـ آب ـ ١٩٢٧) ولم تكن فيها طائرة تطير ، او اذاعة تذيع ، لكن خبراً مثل هذا كان ينتقل بالقلوب ..

وحين صدر ملحق خاص لجريدة «المقطم» فى منتصف الليل ، اصبح النبا حقيقة ، وفقد الذين كانوا يعللون انفسهم بالامانى آخر خيوط الأمل ..

صدم النبا الناس كانه صاعقة لا يملكون منها فراراً ، وبرغم أن الرجل كان قد شارف على السبعين من عمره ، وكان مريضاً منذ شهر سابق ، فقد ذهل الناس عن انفسهم حين قرأوا النبا فى ملحق «المقطم» ، واخذوا يسيرون فى شوارع المدينة ، لا يعرفون ماذا يفعلون ، أيبكون ؟ أم يصرخون ؟ أم يمزقون شعورهم ؟!

واحد من هؤلاء ، قرا النبا فاذهله حتى اخذ يلف فى شوارع المدينة النائمة لا يعرف ماذا يفعل ، يتامل فى البيوت ، ويخوض فى الحوارى والأزقة ، فاذا لمح ضوءاً وقف تحته ، وأعاد قراءة النبا فى ملحق «المقطم» واذا مر به



جمال الدين الأفغاني



احمد عرابي

بائع صحف ، اشترى نسخة اخرى لعل نسخته كاذبة ، أو لعل تطوراً حدث فى الأمور ، فاكتشف الأطباء أن سعداً لم يمت !

وفى حيرته وذهوله قادته قدماه الى «شارع عماد الدين» حيث تنتشر المسارح والملاهى وفرق الغناء والرقص والحانات ، ولا احد يدرى ـ حتى هو نفسه ـ ما الذى دفعه لكى يقتحم واحدة منها ، ليجد نفسه أمام منصة تزدحم بالراقصات والمغنين والمغنيات ، وقد تحلق حولها طالبو المتعة والترفيه ، ومن غاب وعيهم ..

وقف الرجل وتحت ابطه ما اشترى من صحف ، ثم تقدم بخطى مذهولة الى منصة الغناء ، فاعتلاها ، وقال بصوت مختنق بالبكاء :

ـ أيها الاخوان .. البقية فى حياتكم .. الباشا مات !

صمت كل شىء : آلات الغناء .. وشدو المطربات ..

ظل كل انسان على الوضع الذى كان عليه ، كانهم أصبحوا احجاراً لا حياة فيها .. وبعد ثوان انهاروا جميعاً يبكون .

واذن فقد مات سعد : الثورة والمنفى واحلام التحرر ومظاهرات الشوارع ومعارك القرى ، واجراس الكنائس ونداءات المآذن ، «نموت ويحيا الوطن» .. و «الاستقلال التام او الموت الزؤام» ، و «يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وأن يقوم الحب بين الناس مقام القانون» ..

مات سعد ..

انتهت الرحلة الطويلة التى استمرت ثمانية وستين عاماً كاملة ..

بدأت فى «إبيانة» : قرية صغيرة من آلاف القرى المتناثرة على ضفاف دلتا النيل . وانتهت فى غرفة واسعة بالطابق الثانى من بيت الأمة بحي الانشاء بالقاهرة ..

وبين البداية والنهاية ، وقائع لا يعيها عقل ، ولا تحفظها ذاكرة ..

هذا الرجل الغريب ، الذى كان مقدراً له ان يقضي حياته كما قضاها معظم زملائه : فلاحاً يتيم الأب والأم ، من اسرة متوسطة ، يربيه خاله واخوه ، ويرحل الى القاهرة ليطلب العلم فى الأزهر الشريف ، اذا نجح وحصل على العالمية ، فسوف يجلس بجوار احد اعمدة الجامع العريق ، يلقن طلابه ما تلقنه من اساتذته ، واذا اسعده الحظ ، ربما حصل على احد مناصب القضاء الشرعى ، وأما اذا فشل ، ففى «إبيانة» متسع لقارىء آخر من قراء القرآن الكريم فى بيوت الاغنياء وعلى قبور الموتى .

بعد أعوام قليلة من وصوله الى القاهرة ، أصبح سعد شيئاً آخر غير ما كان مقدراً له ان يكون ، هجر الدراسة فى الأزهر ليشتغل بالصحافة مع أستاذه الشيخ محمد عبده ، وتجول معه بين الحلقات التى كانت تعقد آنذاك فى صالونات الكبار ، او فى المقاهى ، حيث يتحدث الناس فيها عن الاموال الضخمة التى اقترضها «الخديوى اسماعيل» من بنوك أوروبا ، وبددها على الاصلاح القليل الذى قام به ، والسفه الكثير الذى كان يميزه وفى وسطهم دائماً ذلك الشيخ الأفغانى ، السيد جمال الدين الذى كان يجلس فى مقهى «متاتيا» ـ بميدان العتبة بوسط القاهرة ـ يوزع السعوط بيمناه والأفكار عن الحرية بيسراه .

ويأتى الفصل الأول السعيد ..

تثور مصر ، ويقود «عرابى» الجيش ، ويقف به فى ميدان عابدين ليطالب الخديوى توفيق ـ الذى خلف اباه اسماعيل ـ بحق الشعب فى ان يحكم نفسه بنفسه ، وتتفجر مصر بالتمرد والأمل فى أيام لا طغيان فيها ولا استعمار ولا جوع ، ويتابع سعد زغلول ذلك كله ، ويشارك فيه ..

وتنتهى الثورة ، تتكتل ضدها دول أوروبا ، ويتآمر عليها الخونة ، ويغيب ابطالها فى المنافى البعيدة ، ويسود وجه الحياة فى مصر ،

العجوز والحرية



سعد زغلول



صفية زغلول

● ثلاثون عاماً تاهها سعد زغلول لا يعرف هل يثور من أجل الوطن أو يهتم بنفسه ويبني مجده الشخصي؟

● شهد ثورة عرابي وعاصر انتكاستها.. وظل يتذكر سنوات المقاومة التي انتهت كالحلم الخاطف

وينتفض سعد زغلول بالرغبة فى الانتقام ممن «والسوا» على عرابى ، وخانوه ، ويؤلف جمعية سرية للانتقام منهم ، سرعان ما يكتشف امرها ، ويسجن بعض الوقت .. وينتهى الفصل الاول السعيد ..

اكثر من ثلاثين عاماً عاشها سعد زغلول بعد ذلك التاريخ ، يبنى نفسه . أصبح واحداً من ذلك الجيل الذى شهد ثورة عرابى ، وعاصر انتكاستها ، وظل يلعق جراح الخيانة ، ويتذكر سنوات المقاومة التى انتهت كالحلم الخاطف ..

وحين يعود استاذه الشيخ محمد عبده من المنفى يسرع ليلتقى به ، فاذا بالشيخ الجليل قد عاد بافكار غريبة ، هزته الهزيمة المريرة ، فعاد ليتنكر للماضى الجميل ، فيرى الثورة حماقة ، والتمرد طيشاً والسياسة مصيبة ، ويعلن بان التربية والتعليم والتهذيب والأخلاق الحميدة ، واصلاح المرافق هى كل ما يريد . أما الثورة والاستقلال والديمقراطية فهى سياسة ، وهو يستعيذ بالله من لفظ «السياسة» ومن فعل السياسة ، ومن «ساس» و «يسوس» ، و «سائس» ، و «مسوس» .

ثلاثون عاماً تاهها سعد زغلول ، لا يعرف ماذا يفعل ، أيثور من اجل الوطن الذى كان المستعمرون يذلون كرامته كل صباح ، وياكلون خيره ، ويحتكرون وظائفه ، ويمتهنون كل ابنائه ؟ أم يهتم بنفسه ، فيتعلم ويتثقف ويشق طريقه الخاص ، يبنى مجداً ويحقق شهرة ويزداد ثروة ونفوذاً ؟!

وبعدها بقليل ، طلبت شركة قناة السويس الى الحكومة المصرية ان تمد لها امتيازها اربعين سنة بعد المدة التى حددت في العقد الذى وقعته الحكومة المصرية عند حفر القناة وهى ٩٩ سنة ، مقابل اربعة ملايين من الجنيهات ، وعارض الوطنيون المشروع وقالوا بان قناة السويس ملك للشعب المصري ، حفرت بدماء ابنائه ، وباموالهم ، وهو يتوق لليوم الذى يسترد فيه سيادته عليها ، ويستفيد وحده من عوائدها النقدية ، وان على الحكومة ان تتفاوض مع الشركة لتقليل مدة الامتياز فى العقد الأصلي ، لا أن تسعى لمدة أربعين سنة اخرى ..

وكان سعد زغلول أيامها وزيراً للحقانية — العدل — فى وزارة بطرس غالى ، وخشيت الحكومة ان يؤثر هجوم الصحف الوطنية على اعضاء الجمعية العمومية — وكانت اشبه بمجلس للشعب او مجلس للنواب ، فيرفضوا المشروع فانتدبت سعد زغلول ليدافع عنه امام النواب ، فدافع بحرارة وحماس واثبت انه محام مفوه ، ذرب اللسان ، بصرف النظر عن عدالة القضية التى يدافع عنها ! .

وعندما انتهت الحرب العالمية الاولى ، كان سعد زغلول قد اشرف على الستين ووصل الى ارفع المناصب التى يشغلها امثاله ، اصبح ابن « إبيانه » وزيراً وصهراً لرئيس وزراء ، سنوات العمر قد ولت ، وفى الستين ، لا يفكر الرجال عادة إلا فى قضاء ما بقى من اعمارهم فى تذكر ما مضى ، لا الحلم بما سياتي ..

وعلى غير انتظار جاء الفصل السعيد الثاني ..

عاد فلاح « إبيانه » وهو فى الستين ، كما كان وهو فى العشرين ، استرد الشيخ العجوز شبابه وهو يسمع من جديد هتافات الشباب ، ومواكب الشهداء ، وفى زحام الناس .. قاد سعد الجماهير بدلا من أن يبنى مقبرة .. لم يكن احد — حتى هو نفسه — يصدق ان ذلك يمكن أن يحدث ..

وحين جاءت القوات البريطانية لتعتقله ، وتنفيه الى جزر « سيشل » ظن الجميع ان كل شيء قد انتهى ، وتذكروا المصير المفجع لقادة الثورة العرابية ، هؤلاء الذين حملتهم السفينة « مريوتس » ذات غروب من ميناء السويس الى المنفى ، فماتوا هناك فى الجزر البعيدة الموحشة ، فلم تر عيونهم مرة ثانية الوطن الذى ثاروا من اجله ، ولم يعطر ثراه رفاتهم .

لم يكن سعد زغلول وحيداً فى حيرته ، ذلك ان هزيمة الثورة العرابية كانت قد اثخنت «الجيل العرابى» بالجراح .. فقد شهدوا بانفسهم «الولس» وهو يجتاح كل احلامهم ، بل ويملأ كل شبر فى أرض مصر بجنود الاحتلال الانجليزى ..

ووسط تلك الجراح تاه «سعد زغلول» ، عرف طريقه الى قصر الأميرة «نازلى فاضل» ، وفى صالونها ، التقى بالفئات العليا من المجتمع ، عرف الفلاح الأزهرى الأمراء وأشباه الأمراء ، عرف كيف ينطق اسماءهم التركية ، ويتخاطب بلغتهم الرقيقة ، ولم يكن بينهم امراة اسمها «ستهم» أو «فرحانة» أو رجل اسمه «الشناوى» كما كان اخوته يسمون ..

لم يكن بينهم رجال تتشقق اكفهم من العمل الطويل فى الحقول ، أو تلتهم البلهارسيا اعمارهم فيشيخون وهم فى شرخ الشباب ، ولم الوزارة المصرية ثلاثة عشر عاماً متوالية ، وكان اطوع رؤساء الوزارات للمندوب السامى البريطانى ..

.. وتمر السنوات ..

يرتقى سعد — بمجهوده ودأبه — من أزهرى تكن بينهن نساء تفقدن نضارة الصبا وهن اطفال . كان عالما مريحاً وهادئاً وسعيداً .

وهكذا تزوج الفلاح الأزهرى ، ابن «إبيانة» ، من «صفية» ابنة مصطفى فهمى باشا ، الرجل الذى كان محسوباً على الاحتلال ، والذى رأس لم يكمل دراسته ، وصحفى مطرود من وظيفته ، الى محام بلا مؤهل ، ثم الى قاض يدرس وهو فى الأربعين اللغة الفرنسية ، ويحصل على

نفسه وحيداً فى صالونات الفئات العليا من المجتمع ، خفت هتافات الفلاحين بحياة عرابى الذى عمر الطوابى ، لتعلو أصوات تتحدث بالتركية والانجليزية ، لا تعرف الكثير عما فعله المستعمرون فى مصر ، ولا تهمها رقاب الفلاحين التى تارجحت فى حبال مشانق دنشواى ، لا تفكر كثيراً فى أبواب الأمل التى سدت أمام الموظفين المصريين وهم يرون وظائف حكومتهم تسند للصعاليك البريطانيين ممن لا يحملون مؤهلات ، بينما تتفشى البطالة بين المتعلمين منهم .

يوماً بعد اخر كانت رحابة الحياة تضيق امام سعد ، ودفعه الملل الى قطع وقت الفراغ الطويل بلعب القمار فى ليالى الحرب المظلمة الطويلة ، فى صالونات الأمراء ، وقصور السادة والمترفين .

وفى وحدته عن الناس ، وبعده عن هتافات الشوارع ، وعن عذاب الذين يئنون من مهانة الاحتلال ، ضاع الثائر القديم ، فقد القدرة على التفرقة بين الصديق والعدو .. حتى انه ساعد المحتلين على تحقيق بعض أهدافهم ..

فعندما ارادت سلطات الاحتلال البريطانى أن تكمم الصحافة الوطنية ، ضغطت على مجلس النظار المصرى لاصدار قانون جديد للمطبوعات يتيح لها مصادرة واغلاق الصحف الوطنية ، وكان سعد أيامها وزيراً للمعارف ، فايد القانون ووقف فى صفه ودافع عنه .

وهو على ظهر السفينة ، كان سعد يسترجع رحلة العمر التى بدأت فى إبيانه : سنوات الدراسة فى الأزهر ، الأفغاني ، ومحمد عبده ، وعرابي ، والبارودى ، الأميرة نازلي وصفية زغلول ، والوزارة ، والجمعية التشريعية ، الشهور الستة التى انقضت منذ قابل هو وزميلاه على شعراوى وعبد العزيز فهمي المندوب السامي البريطاني ، ليطلبوا السفر الى لندن للدفاع عن حق مصر فى الاستقلال ، ستة شهور كاملة وهو يخطب ويحاضر ، ويصدر البيانات ، ويرسل البرقيات ، ويطبع المذكرات ، انتهت بمقعد على ظهر سفينة تقوده الى « مالطة » كما اقتادوا عرابى قبل ذلك الى جزيرة سيلان قبل ست وثلاثين سنة .



نازلي الأم

شهادة ــ لم يطلبها منه احد ــ فى القانون ، وتتميز احكامه بالدقة والمنطق ، ويعين وزيراً للمعارف ثم وزيراً للحقانية ..

فى تلك الأيام .. لم يكن قد بقى من الثائر العرابى السابق سوى اعتداده بكرامته ، وحرصه عليها ، وتمسكه بالحق فيما يقول أو يفعل ، وبرغم كل شىء ، نجح فى أن يوقف نفوذ المستشار الانجليزى لوزارة المعارف عند حده ، فاصلح بعض شئون التعليم وأصلح بعض شئون القضاء ..

فى تلك السنوات كان سعد قد أصبح وحيداً على القمة التى اخذ يصعد الدرج اليها لاهثاً .. خبت ذكريات الثورة العرابية التى لمعت كالشهاب ، ووجد الفلاح الأزهرى ابن «إبيانة»

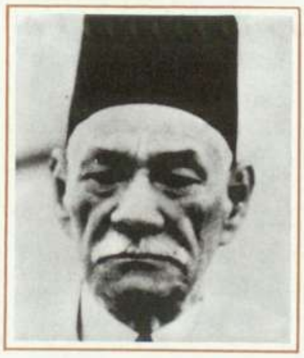
لابد من قارعة

نعم لابد من قارعة ..

ذلك ما كان سعد يقوله ويحلم به ، فالشعوب لا تستقل بالبرقيات ، ولا تتحرر بالخطب والمقالات ، لكنها بالقارعة تملك مصيرها .

وليس هنالك من يستطيع أن يصنع القارعة سوى الشعب ، ذلك الزحام الكثيف من البشر ، العمائم والطرابيش واللبد والطواقى ، الأفندية

العجوز والحرية



سعد زغلول



صفية زغلول

● كيف يقتحم جيش الاحتلال بيت رجل كبير جليل ويخطفونه من زوجته إلى حيث لا يعود

● توحدت الأرض فى الناس وتوحد الوطن فيهم وأصبحت تلك الغابة من البشر كلاً لا يقبل التجزئة

● انتهت سنوات الحيرة .. وآن للفصل الأخير من العمر أن يكون سعيداً كالفصل الأول منه.

والطلاب وعمال الورش ، وصبيان الحوارى ، قراء القرآن ومرتلو الانجيل ، وفلاحو التفاتيش ، وعمال التراحيل ، الأيدى الخشنة التى يشققها العرق ، والاقدام العارية المغروسة فى الطين كل صباح ..

– لابد من قارعة ..

ذلك ما كان سعد يقوله ، إذ لو لم يحدث ، فسوف تنتهى رحلته التى بدأت فى « إبيانه » ، بقبر فى مالطة ، لا يجد من يزوره ليضع عليه باقة ورد ..

وعلى غير ما كان الجميع يتوقعون .. حدثت القارعة ..

فى صباح اليوم التالي لاعتقاله ، علم طلاب مدرسة الحقوق بما حدث ، فتملكهم الغضب : كيف يقتحم جيش الاحتلال بيت رجل كبير وجليل ، ويفتشونه ، ويخطفونه من زوجته الى حيث لا يعود ، لمجرد انه طالب باستقلال مصر .

تجمع الطلاب فى فناء مدرستهم يناقشون الأمر ، فانقسموا الى فريقين ، بعضهم يطالب بالخروج فى مظاهرة تحتج على اعتقال سعد ورفيقيه ، والآخرون يفضلون ان يسألوا من بقى من رفاق سعد ، خشية ان تفسد المظاهر عليهم أمراً يريدون تدبيره ..

وحلا للمشكلة ، ارسل الطلاب وفداً منهم الى بيت الأمة ، ليسأل :

– هل من المناسب أن نخرج فى مظاهرة نحتج فيها على اعتقال الزعماء؟ .

وقابلهم « عبد العزيز فهمي باشا » ، زميل سعد ، وثالث الثلاثة الذين قابلوا معه المندوب السامي البريطاني ، فمنعهم وثار فى وجوههم وصرخ فيهم :

– إن المسالة ليست لعب اطفال .. دعونا نعمل فى هدوء ، ولا تزيدوا نار الغضب عند القوم اشتعالا .

لكن صراخه لم يصل الى طلاب الحقوق ؛ كانوا قد قلقوا لتأخر الوفد الذى أرسلوه الى بيت الأمة ، فخرجوا بالفعل متظاهرين ، رفض الأطفال حكمة الشيوخ فليغضب القوم ما شاء لهم الغضب ، فهى بلادنا نحن المصريين لا بلادهم ، نحن زرعنا زرعها وحصدنا قمحها ، ودافعنا عن حدودها ، نحن شربنا ماءها بما فيه من طين ومن بلهارسيا ، ونحن بنينا الطرق ، اطلقنا دخان المصانع ، وزينا واجهات البيوت عندما يعود الحجاج ، نحن سهرنا فى ليالي الحصاد نغني ، وانحنينا نجمع لطع دودة القطن ونهز الشجيرات فى ضوء القمر ، نحن غنينا للبرتقال ، وزرعنا الصفصاف على شواطىء الترع ، وجعنا فى سنوات الحرب ، وخطفوا ابناءنا من القرى ، أرسلوهم ليحاربوا معهم ولحسابهم ، ليموتوا هناك فى البرد والصقيع ، وتطمر جثثهم ثلوج الصحارى .. ونحن الأطفال نحلم بيوم يصبح كل هذا ملكنا ، لأنه عرقنا ، لا عرق احد آخر .

وقد كان ..

لعبة غريبة

خرج « الأطفال » الى الطريق يلعبون مع انجلترا – اعظم قوة فى العالم ما بعد الحرب العالمية الأولى – لعبة غريبة ، لعبة مواجهة الرصاص والبارود باللحم والدم ، والانتصار على انجلترا التى اذلت الهيبة الألمانية فى الحرب ، بذلك الاستعداد للموت فى كل لحظة ، نسي كل فرد ذاته ، لم تعد له حياة خاصة ، لا احد يهتم للأب او للأم او للزوجة أو للأطفال ، ولا احد يحسب ما يكسب وما يخسر ، وما يملك وما لا يملك ، اصبح « الواحد » جمعاً كثيفاً من البشر ، توحدت الأرض فى الناس ، وتوحد الوطن فيهم ، اصبحت تلك الغابة الكثيفة من البشر كلا لا يقبل التجزئة ، تلامذة المدارس ، وباعة الحليب ، وعمال الكومبانية ، والصنايعية الصغار ، صعاليك المدن والفتوات ، ربات البيوت المحجبات (ربات العفاف والصون اللواتى لم يكن احد ايامها يرى وجوههن ابداً) ، طالبات « السنية » ، كالزهور التى لم تتفتح عنها أكمامها عرفن كيف يهتفن بالدستور والاستقلال والحرية.

– نمـوت ويحيـا الوطـن .

نموت حقاً لا كلاماً ، نموت فعلا لا قولا ، يسيل الدم ، وتاتى سيارات الاسعاف ، تحمل الجرحى ، الرصاص فى صدورهم ، والدم يروى أرض السيارة ، يسيل منها إلى الطريق ، وليس فيهم قوة حتى لكي يتاوهوا من الألم ، لكن آذانهم المرهفة – رغم الجراح – تسمع اصوات المظاهرات فى الطرق التى تمر بها السيارة ، فاذا ما اقتربت منها ، فتحوا الستائر ، وتساندوا وهتفوا مع الهاتفين ! .

ووسط الغضب والثورة والدم والرصاص ، هتف شخص مجهول ..

– الاستقلال التـام أو الموت الـزؤام ..

لعله طالب أزهرى فقير ، ممن يعيشون على «جراية» [illegible] الأزهر الشريف ، أو امام تقي يؤم المصلين فى مسجد ، أو قسيس يترنم بآيات الانجيل ، وربما كان مدرس لغة عربية ، أو محامياً شاباً ممن كانوا يقودون المظاهرات ، لا احد يعرف من هو ، لكن الهتاف منذ اللحظة الأولى لانطلاقه،

أصبح ملكاً للناس ، رددوه بسرعة مذهلة ، انتقل كالنار من العاصمة الى اقصى جنوب الوادى .

لم يقف احد لحظة ليسال نفسه : ما معنى كلمة الزؤام هذه ؟

رددها عمال وصنايعية وحرفيون وفلاحون وفتوات ، كلهم لايستطيعون التفرقة بين «الالف» و «المئذنة» ، لم يقراوا يوماً او يكتبوا ، لكنهم شعروا بان «الزؤام» كصفة للموت الذى يفضلونه على البقاء فى وطن محتل ، تعنى اصرارهم على ما يريدون ..

وقد فعلوها .. ماتوا موتاً «زؤاماً» حتى قبل ان ياتى الاستقلال التام ..

ماتوا لكي لايسقط علم مصر فى التراب قطعة قماش طولها ضعف عرضها ، خضراء اللون يتوسطهـا هلال ونجمة ، هكذا كان علم مصر ايامها ، قطعة قماش لا قيمة لها ، لكن شباناً فى عمر الزهور ماتوا كي لا تسقط على الأرض ..

حدث هذا فعلا ولم يتخيله او يؤلفه احد ، تقدمت مظاهرة الأزهـر الكـبرى ، وفى صفها الأول حامل العـلم ، واخذت تقترب خطوة بعد خطوة من مواقع جنود الاحتلال الذين كلفوا بمنع المظاهرة ايا كان الثمن ، وجوههم حمراء وعددهم كبير ، وبنادقهم سريعة الطلقات .

ـ «نموت وتحيـا مصـر»

الجنود يضغطون على مفتاح الأمان فى بنادقهم

ـ «نموت وتحيـا مصـر»

سحب الجنود «ازندة» البنادق ..

ـ «نموت وتحيـا مصـر»

أعادوا الزناد الى موضعه .

ـ «الاستقلال التام أو الموت الزؤام»

فعلوها . فتحوا النيران ..

ـ «نموت وتحيـا مصـر»

ماتوا فعلاً ، تهاوى عدد منهم على الأرض . لم تتوقف المظاهرة ؛

ـ عاشـت مصـر حـرة .

أصابت رصاصة حامل العلم ، ظل متماسكاً رغم الجراح ، رفع العلم بساريته إلى أعلى يحميه من الطلقات السريعة التى انهالت عمياء لا تعرف لها هدفاً . ارتبكت خطواته ، تدفق الدم من فمه .

ـ نموت وتحيـا مصـر .

فى اللحظة الاخيرة ، وقبل ان يسقط متهاوياً على الأرض ، امتدت يد من الصف الذى يليه مباشرة ، فحملت العلم وهى تهتف .

ـ نموت وتحيـا مصـر .

رصاصة . يد اخرى تتقدم لكي تحمل العلم نموت وتحيـا مصـر ، رصاصة ، يد ثالثة . نموت وتحيـا مصـر . رصاصة يد رابعة ، ورصاصة رابعة . وخامسة وسادسة .. و .. و ..

ثلاثة عشر شاباً فى عمر الزهور ، لم يكملوا تعليمهم ، ولم يتزوجوا ولم ينجبوا ، ولم يعيشوا بعد ، ماتوا واحداً بعد الآخر ، كي لايسقط العلم على الارض .

ذلك حدث ...

لم يؤلفه احـد .. ولم يتخيله احد .. !

قبل شهور من وفاته

في المنفى قرا سعد انباء هذا كلـه ، وقـال :

ـ إنها قارعة شديدة فوق ما كان يقدر المقدرون ..

قارعة صنعت من سعد رجلا آخر غير ما كان ، وسياسياً آخر غير ما كان ..

عندما ذهب سعد وزميلاه لمقابلة المندوب السامي البريطاني فى ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩١٨م ، كان كل ما طلبوه لمصر ضئيلا متواضعاً للغايـة ، فقد حاول الزعماء الثلاثة ان يتخلصوا من تبعة المعارضة العنيفة للاستعمار ، التى كان يحمل لواءها قبل الحرب الزعيم محمد فريد ، فقال عبد العزيز فهمي :

ـ إن طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطني ربما كان فيها ما يؤخـذ علينا ، وذلك راجع لطبيعة الشبان فى كل جهة .

ووافق الباشوات الثلاثة على التسليم بحق بريطانيا فى أن تكون لها قواعد عسـكرية فى مصر ، وهو ما اعلنه سعد بنفسه فى لقائهم بالمندوب السامي ، ووافق علي شعراوى على بقاء المستشار البريطاني فى وزارة المالية .

ولكن عندما وقعت القارعة تغير كل شيء ، اصبحت المسالة هى مسالة «الاستقلال التام او الموت الزؤام» ..

لم تكن مجرد قارعة ، لكنها كانت معجزة ، فقد صنع الشعب من سعد زغلول بطلا ، وهب له حبه ، وكم هو دافيء . وقلبه ، وكم هو مخلص فاحال شيخوخته صبا ، وضعفه قوة ، وبفيضان الحب حتى الموت ، تحمل الشيخ الواهن العظم عذاب المنفى فى الجزر الموحشة ، وقسوة الغربة إذ العمر فى خريفه ، فتشدد ولم يساوم ، وقاتل ، وكان الظن ان يموت باحد امراض الشيخوخة ..



الخديوى توفيق باشا

انتهت سنوات الحيرة ، وأن ان يكون الفصل الأخير من العمر سعيداً كالفصل الأول منه . فكيف يهرب من هذا الحب الذى يقيده كالأسير ، وكيف يخيب آمال الناس فيه ، هم الذين انشدوا فيه الأغاني ، وترنموا باسمه ، وتعلم فلاحون أميون ان يتكلموا الانجليزية من فرط حبهم له ، والفوا عنه أساطير جميلة برغم سذاجتها ، فقالوا ان نوار حقول الفول كتب اسمه .

وهو بين الناس ، فى زحام الشعب ، كان سعد يتوهج بالحماس ، ويشتعل بالثورة ، ويطرح عنه كل امراض الشيخوخة ..

فى آخر احتفال بعيد الجهاد الوطنى ، قبل شهور من وفاته ، كان مريضاً ، وأمره الأطباء بالا يغادر فراشه ، ولكنه اصر على حضور الاحتفال ، ووافق الأطباء بعد مجهود شديد ، واشترطوا عليه أن يبقى خمس دقائق يعود بعدها الى فراشه ، وقال احدهم لزوجته صفية زغلول :

ـ اننى لا اوافق ان يخرج اليوم .. لو خرج فقد يموت فى الطريق .

وخرج سعد ، لفوه بدثار ثقيل ، وارتدى معطفاً ضخماً ، وامسك عصاه يتوكا عليها ، وسار وئيداً من بيت الأمة الى سرادق الاحتفال على بعد عشر خطوات ، قطعها الشيخ الواهن فى عشر دقائق ..

ودخل سعد الى السرادق ، وجلس يستمع الى الخطباء ، وإذا باصوات هتافات الشعب تعلو مطالبة بالاستماع الى سعد زغلول ، فاذا به يقف بقامته الطويلة ، ويترك العصا التى جاء متوكئاً عليها ، ويمشي الى منبر الخطابة بخطوات شاب قوى ، ويصعد درجاته كما لو كان فى العشرين من عمره ، ويخطب فى الناس بصوت بدأ مجهداً وخافتاً ، ثم بدأ يرتفع تدريجياً حتى اصبح كزئير الأسود ، وبدلا من ان يبقى فى السرادق خمس دقائـق ، ظل يخطب ثلاث ساعات .

وتلك معجزة الشعب ، الذى جعل سعد زغلول ـ وهو فى الستين ـ يقود ثورة بدلا من ان يبنى مقبرة .

••

وهو على فراش مرضه الأخير .. سالته زوجته صفيـة :

ـ كيف حالك الآن ياسعـد ؟

قال بتسليم :

ـ أنا انتهيت ..

نعم .. انتهى سعد .. ولكن الشعب كله كان يستعد لقارعة اخـرى .

صلاح عيسى

يوميات في المنفى

بقلم : أم أكثم

١٧/٢/١٩٧٩م :

هسهسة الخشب في المدفاة .. الغمام يبكي بطفولة هادئة .. سريري الشاسع كالسهل .. والسفوح المعشبة الممتدة أمامي ترشف بشغف دفقات المطر .. الغرفة منقوشة على الطراز الفكتوري .. هذا المبنى العتيق على هذه الربوة الساحرة .. وصدى أقدام (بيرون) المتسلقة هذا التل منذ قرنين من الزمان تقترب .. تقترب .. حتى أحسها تحت نافذتي .. أطل برأسى .. ألمح آثار أقدامي على الطريق ذاتها وعتمة الحيرة نفسها .. تتعثر تحت قدمه العرجاء .. ألتصق بزجاج النافذة البارد .. نظراتي تحاول اختراق سياق الأشجار العملاقة .. يتراءى لي من بعيد .. خط أزرق .. ساكناً متعرجاً .. ساكن حتى التجمد .. تراه نهراً يصب خلف هذه التلال أم عساه ما يكون ؟ .

و .. عينا « بروست » العميقتان الملتهبتان حزناً ووجعاً مصلوبتان على جدار غرفتي وهما تحاولان العثور على الزمن الضائع .. أسدل الستارة .. والصداع يزحف بلزوجة وصمت كبقعة الزيت حتى يغشى عيني .. يتصلب عنقي .. أتهاوى على المقعد الوثير جوار المدفاة .. وعلى الحائط تجثم مادبة لعشاء لم يتم .. أتلقى رأسى المتعب براحة يدى .. وعذابات (فان كوخ) تطل من اطار اللوحة المذهب .. تنزف على الحائط دماً .. بضعة سطور تأتيني مصلوبة من وراء البحار .. وهج النار يلفح وجهي .. أغمض عيني .. إذن هذه الغرفة العتيقة المسكونة بأشباح الماضي وأوجاعهم .. منفاى الأخير !!؟

٥/٧/١٩٧٢م :

منذ يوم وليلة .. كان معنا .. فى العاشرة من عمره .. أشقر .. عيناه أرض معشبة .. طيب حنون .. أراه دائماً يلعب الكرة فى الشارع أمام منزلنا .. صباح اليوم جاءنا نبأ مصرعه .. مذهلا مدمراً كغضبة الزلزال .. (كان يطل من نافذة « الباص » عندما انحصر عنقه بين حد النافذة وحد باب المدرسة الحديدى .. انفصل رأسه عن جسده!!) مقصلة . !! احترقت أرضه المعشبة .. احرقتنى دموعي .. كان الرأس الأشقر كتلة لهب تتدحرج خلفى .. وأنا أعدو لاهثة ..

قالوا : « هذا انتقام الهي .. منذ سنوات قتلت أمه فتى يافعا .. لم تثبت التهمة عليها .. فانفصل رأس وحيدها ».

قلت لجدى وهو يتوضا : قالوا انتقام الهي !!؟

قال جدى إن الله يمهل ولا يهمل .

قلت لجدى وهو يفرش سجادة الصلاة : ويبقى عنق الخاطئة مسلولا كسيف !!؟

قال جدى : استغفرى اللـــه .

استغفرت اللــه كثيراً .. وظل الرأس الأشقر كتلة لهب تتدحرج خلفى .. كان الشرخ يتسع .. ورأسي يتصدع .

١/١/١٩٧٩ :

هذه ليست غرفة للايجار .. !

وأيضاً ليست غرفة فى فندق .. !

و .. أيضاً ليست غرفة فى مستشفى ..!

إذن .. ما عساه يكون منفاى هذا ..؟!

كان سؤالي معلقاً بوجه الطبيب العجوز .. كان طيبا .. يحب الحلوى .. تفرحه خصلة شعره المتهدلة على جبينه المتغضن .. يعبث بأرنبة أنفه كلما استعد للحديث ويزم فمه قليلا .. نهض من على المقعد الوثير .. تطلع الى الستارة المسدله .. استدار نحوى ..

ـ الأم كاترين أخبرتنى أنك طلبت منهم أن تظل الستارة مسدلة دائماً .. لماذا ؟

ـ لأن ضوء النهار يضاعف من مشكلة الصداع التى أعاني منها .

« بانتصار جذل اقترب مني وهو يشير بسبابته» ..

ـ هه .. أخبريني لماذا .. ؟

ـ لا أدرى .. ولكن هل اخبرتنى عما يكون منفاى هذا ؟

ـ لنقل إنه مكان هادىء وجميل .. تتوفر فيه كل الشروط اللازمة لاراحة الأعصاب المتعبة .

ـ الأعصاب المتعبة ؟!

ـ نعم (ابتسم نصف ابتسامة)

ـ هل تظنني فى طريقي الى الجنون ؟! .

« انتفض بشدة .. ادخل يده فى جيب البنطال »

ـ أبلغت الأم كاترين بأن تأخذك الى المرسم فى الطابق الأول عندما ترغبين .. للترويح عن نفسك ..

ـ لا أرغب فى ذلك .

«ارتعشت عيناه الملونتان .. وأصابعه تعبث بزرار الصدار ذى اللون الرمادى »

ـ وأريد أن أتناول طعامي هنا فى غرفتي .

ـ لكن هذا يضاعف من وحدتك .!

ـ و .. لا أرغب فى استقبال أية محادثة هاتفية .. أو زائر

« اقترب من باب الغرفة مسرعاً » .

سنتحدث فى ذلك فيما بعد .. أراك غـداً .

٣/١٢/١٩٧٠م :

فى طريق العودة من المدرسة الى المنزل .. فى السيارة الفارهة .. كانت ضحكاتنا المترفه ـ صديقتى وأنا ـ تمتزج بأحاديثنا الملونة عن ليلة هذا المساء .. عقدان من اللؤلؤ .. مادبة

فاخرة .. ساعة مطعمة بالجواهر تضاف لمقتنياتي الثمينة .. وشحوب وجه صديقتى المهاجرة .. « هـل انت مريضــة » « لا اننى اصغى فقط » . « لا عليك ساعيرك ثوباً وقلادة » تمتزج ضحكتها الشاحبة باشعة الشمس المحرقة .. توقفت العربة لحادث فى الطريق .. عربة الاسعاف من بعيد تزعق .. تمزق الصمت عن صدر النهار .. عيون زائغة .. مرعوبة .. تتجمهر حول المصاب .. في الثلاثين من عمره .. نحيل .. أشعث .. تبرز من عنقه وذراعيه وساقيه العجفاوين عروق خضراء تتفرع كقنوات آسنة .. فم جاف .. وجسد يطفو فوق مستنقع من الدم والأسفلت وحرارة الشمس والوجوه البلهاء .. يتمتم بكلمات مبهمة .. اقترب منه شرطي وبعض المارة .. صرخ أحدهم .. « اجمعوا الخبز وحزمة الفجل والتفاحات الاربع .. انها لأطفاله » الخبز .. حزمة الفجل .. التفاحات اليتيمة .. آخر ما كان يشغل بال الرجل المحتضر .. الخبز !!؟

كانت رائحة خبز يحترق يتصاعد من أنفاسي ..

كان الشرخ يتسع .. ورأسي يتصدع .

١٠/٨/١٩٧٩م :

« ان الأحزان والهموم خدم مجهولون مكروهون .. لا نفتأ نحاربهم ونقع تحت سيطرتهم يوما أكثر من يوم .. خدم شرسون لا يمكن استبدالهم .. ويقودوننا بطرق خفية الى الحقيقة والى الموت ، فسعداء هم الذين يلتقون بالأولى قبل الثاني .. وتدق لهم ساعة الحقيقة قبل ساعة الموت مهما كان قرب احداهما من الأخرى » .

أغلق الكتاب .. اتناول الحبوب المهدئة .. اتجرع الماء .. اغمض عيني .. أحاول أن لا انصت لأصوات المعاول فى رأسي .. افشل .

٤/٧/١٩٧٩م :

الستارة مسدلة .. الضوء شاحب .. أحاول أن أعطي انتباهي لحديث الطبيب .

– اختارى النقطة التى يهمك أن تبدأى بها الحديث .

– هناك نقاط ارتكاز كثيرة فى حياتي

– ما يتداعى الى ذهنك الآن .

– صور كثيرة تتداعى .

– الأكثر وضوحاً

– لا أدرى أيها أكثر وضوحاً .. لكني الآن أرى عينيها الرماديتين .

– من هـي ؟

– فتاة كانت معنا فى المدرسة .. جميلة .. مريضة بالقلب .. وايضاً كانت فقيرة .. تطوعنا لجمع المبلغ المطلوب لاجراء عملية جراحية لها فى الخارج .. حدثت أبي .. أعطاني مبلغاً كبيراً .. عندما حضرت لأضعه فى الصندوق المخصص لذلك .. حدث أمر غريب !

« اعتدل فى جلسته .. أخرج قطعة من حلوى النعناع وضعها فى فمه » .



ـ هـه .. ماذا حدث ؟!

ـ وضعت فقط نصفَ المبلغ .. واحتفظت بالنصف الباقي .

ـ هل كنت بحاجة اليه ؟

ـ لا .. لم أكن بحاجة اليه .. فما أطلبه أحصل عليه مضاعفاً من والدى .

ـ إذن .. ؟

ـ .... « كان الشرخ يتسع .. ورأسي يتصدع »

« ينهض .. يجلس على حافة الفراش .. يحتفظ بيدى فى يده بأبوة حانية .»

ـ أكملي .

ـ ماتت الفتاة أثناء اجراء العملية .. وظلت عيناها الرماديتان تلهبان حياتي بالحزن .. وظلت الأشياء التى اشتريتها بذلك المبلغ كطائر الرخ تفصل بينى وبين كل ضوء مبهج فى الحياة .

ـ ما هي تلك الأشياء ؟

« ويداه تحاولان عبثاً بعث الدفء فى يدى المحتضرة »

ـ أذكر منها .. صقراً محنطاً .. نعم صقر محنط !!

« عندما يهبط الليل .. يحط الصقر على صدرى .. يغرز مخالبه .. وعيناه الوحشيتين تخترقان جسدى .. عبثاً أحاول الصراخ .. أستيقظ من نومي وجلة .. فأجده مازال فى مكانه على رف المكتبة .. لكنه لم يحلق بعد .. ولم يحط على صدرى بعد . »

١٩٧٩/٦/٤م :

يتراءى لي من بعيد .. خط أزرق .. ساكناً متعرجاً .. ساكن حتى التجمد .. تراه نهراً يصب خلف هذه التلال ؟ أم عساه ما يكون ؟!

١٩٧٤/١١/٩م :

عندما قتل « خادمنا » الصغير فى حادث عربـــة ..

ظل صوته الذى لم أميزه أبداً .. يخرج لى من كل الحناجر ..

عندما قتل « خادمنا » الصغير الذى يستيقظ فى الفجر البارد لينظف العربة .. وفى جوف الصيف الكاوى يمسح فناء الدار وعمره الطفل ينزف ضعفاً وعرقاً .. يومها فقط .. تذكرت أنه كان مهاجراً .. صغيراً .

تذكرت أنه كان وحيداً وصامتاً كالظل .

عندما قتل « خادمنا » الصغير .. استمال صوته الذى لم أميزه أبداً الى رصاصة هشمت كل المرايا .. فلم أعد أرى وجهي ..

عندما قتل .. يومها فقط افتقدت نفسي .

١٩٧٩/٥/٣م :

(أنا الانسان الغريب الذى ينتظر أن يحرره الموت .. أعيش والنوافذ مغلقة .. لا أعرف شيئاً عن العالم .. وأظل بلا حراك كالبومة .. ومثلها لا أرى بوضوح قليلا إلا فى الظلام)

انتزعت الأم كاترين الكتاب بهدوء من يدى .. ابتسمت .. تأخر الوقت .. أطفأت القنديل أغلقت الباب فى صمت.

١٩٧٨/٧/١م :

الساعة الثانية ظهراً .. صيف الدوحـــة اللاهب .. توجع شجرة السدر العجوز .. عواء العواصف الرملية .. وصراخ أمرأة تحترق .. كان جسدها يتساقط كالخرق البالية وهي تعدو .. عشرات الأيدى تمتد لانقاذها .. كان رأسها كرة سوداء متفحمة .. ونقطتان بيضاوان ما زالتا تتوهجان بالحياة فيه

قالت أمي : كانت المرأة تطلب ماء وكان جسدها يتساقط .

قالت أمي : كانت المرأة تطلب شراء علبة ألوان مائية لابنتها !!

قالوا : طمع الزوج فى مرتبها .. أختلفا .. اشعل النار فيها .. قيدت الحادثة قضاء وقدر !!

قالت أمي : كانت المرأة تحاول أن تقول شيئاً .

قالت أمي : لكنها ماتت فى الطريق .

و .. النقطتان البيضاوان المتوهجتان فى الرأس المتفحم .. ضوء فنار يتوهج على شاطىء وسفينة تائهة تغرق ..

١٩٧٩/٢/٣م :

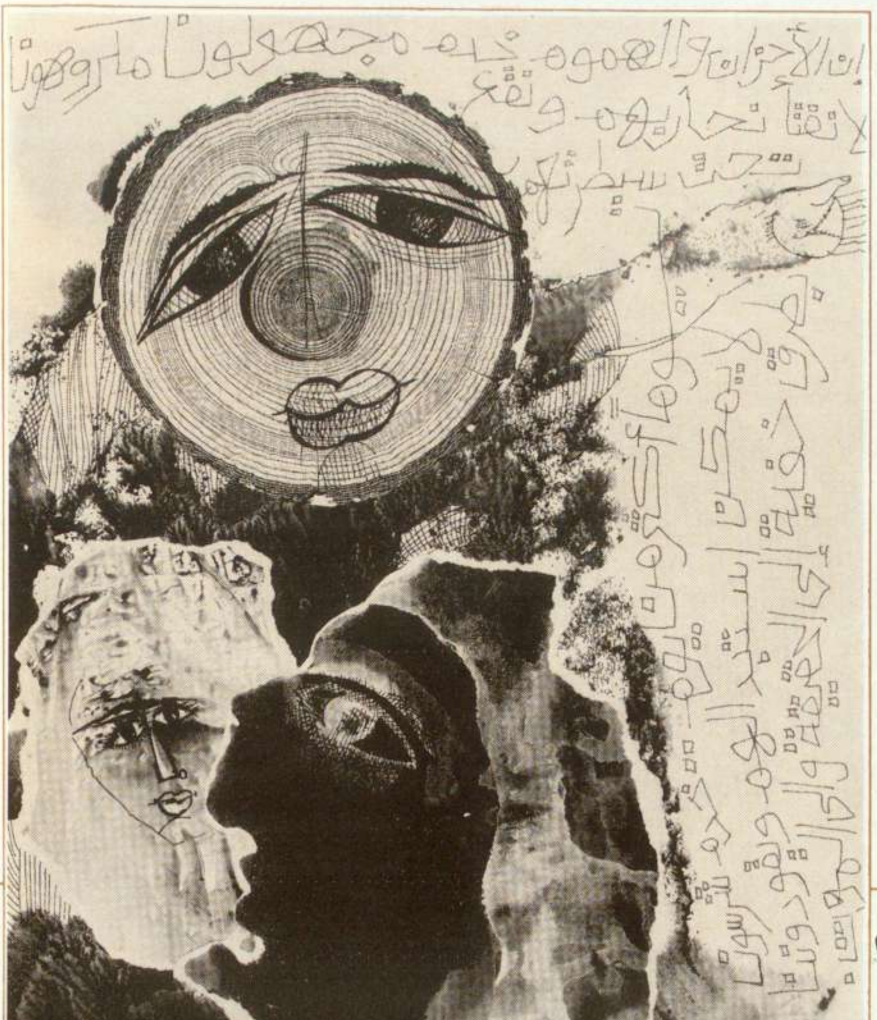
ـ استلمت اليوم تقريرا من طبيبك الذى اشرف على علاجك فى مدينتك .

.. « يرقبنى فى صمت »

ـ هل يزعجك ذلك ؟

ـ لا ..

ـ فى اعتقادى الخاص أنك لأسباب



مجهولة تخافين الحياة أو ترفضينها ودليله على ذلك محاولتان للانتحار . « يتابــع اختــلاج انفاسي » .

– واطلعت أيضاً على تقرير طبي يؤكد أنك خالية من أى مرض عضوى !. لذلك يجب عليك أن تساعدينى للاهتداء الى أسباب هذا الصداع المزمن الذى دمر صحتك وأسلمك لحالات من القلق والكآبة أو ربما العكس .. واخشى عليك من ذلك .. « أزاح النظارة من عينيه » هل انا صريح أكثر مما يجب ؟

« كانت رائحة خبز يحترق تتصاعد من انفاسي »

– أفضل أن أعرف ما يدور فى خاطرك

– وانا كذلك .. على أن أعترف اننى أمام فتاة حادة الذكاء .. لذلك فانا أواجهك بما افكر به .. وارجو أن نتعامل كصديقين .

« مد يده نحوى مصافحاً .. أسلمت يدى »

– اتفقنــا ؟

– نعم (كان الرأس الأشقر كتلة لهب تتدحرج خلفي .. وانا ..)

لمــاذا أنت ساهمة ؟

– أخشى أن لا أحافظ على اتفاقنا «أحاول أن لا أنصت لاصوات المعاول في رأسي .. أفشل » « اقترب مني .. بيديه الاثنتين جمع خصلات شعرى المتهدلة .. رفع وجهي نحــوه »

– لمــاذا .. ؟ ؟

« صوته .. كان أبي .. حنانه .. »

« أقاوم البكاء .. أقاوم البكاء .. يتدفق حزني غزيراً .. ويريحني على كتفه .. ودموعي ترتعش »

– لا تخجلي من دموعك أمامي .. أنها ضمن اتفاقنا « يبتسم » .

آه يا وجــه أبي البعيد .

٤/٥/١٩٨٠م :

انطوت شهور مريرة فى الغرفة العتيقة .

اليوم .. الطمانينة تمــلأ نفسى اليوم .. اتنسم رائحة العشب .. الخضرة الممتدة .. البحيرة .. والوجوه الطيبة .. القرميد الأحمر المبلل .. المقاعد الحجرية .. وعرس الألوان فى الزهور .. كل شيء له عطره .. حتى السماء .. وجه (ليز) الطيب ..

– يجب أن نحتفل بهذا اليوم .. من كان يصدق أنك ستخرجين من ذلك القبو .. ياله من طبيب بارع !!

... « لأصوات الطيور أيضاً رائحة تعبق كالعطر فى الهواء الندى » .

– سأذهب لأحضر لك شاياً وكعكة .. سأطلعك على سر كان يجب أن لا أخبرك به سنحتفل بعيد ميلادك العشرين بعد أيام « تضحك بسعادة وهى تضع أصبعها على فمها » .

لاتخبرى أحدا بذلك .. إنه سر .. هذا قرار الأم كاترين .

« تعدو كطفلة .. اتمدد على المقعد الحجرى .. أواجه السماء .. والطمانينة فى نفسى فيض من نور يغمر كل ما حولي » .

– مرحبــاً .

« فى الأربعين من عمره .. طويل .. عريض المنكبين .. يميل الى الامتلاء .. له وجه طفل .. وشعره من الفضة »

– أدعى (هاريس) « بارتباك » لم أشاهدك من قبل .. أنا هنا منذ عام تقريبا .. محام .. نعم « يزداد اضطرابه » لا يدهشك ذلك .. أنا محام .. لكننى فى أجازة منذ عام .. متعب قليلا « يصمت » هم يقولون ذلك .. « يمتلىء صوته حناناً » هل أزعجتك ؟

اطلاقاً .. سعيدة بمعرفتك .. أنا هنا منذ شهور .. كما ترى لقد خرجت اليوم فقط للحديقة .. انها جميلة ..

– أنت أجمل .. (يبدو شارداً) أنصحك يجب أن لا تبقى هنا .. الحياة قصيرة .. الأيام تعدو « يفرقع اصابعه بعصبية » تمتعي بشبابك .

– شكراً لنصيحتك .. ثق اننى سأعمل بها .

– هذه ليست نصيحة « مازال واقفاً » بل حقيقة « يصمت » هل استطيع أن «يزداد اضطرابه » أدعوك لتناول الشاى معي هنا فى الحديقة غــداً ؟

– نعم .. بكل سرور .

من مبنى منعزل .. علقت عليه لوحة نحاسية كتب عليها « الادارة » خرجت سيدة صارمة الوجه برفقة بعض الرجال .. كانوا يتجادلون بعصبية .. ما ان توجه نظر السيدة نحونا حتى شحب وجهها .. بدأت تصرخ بعصبية تنادى «ليز» وأسماء اخرى .. فجأة .. كان الجميع يعدون تجاهنا .. وصراخ السيدة شظايا تفجر المكان .

– كيف تتركونه طليقاً .. أين الممرض المسئول عن مراقبة « هاريس » سأفصله من العمل .. سأعاقبه .. كيف تتركونه يتجول وحيداً .. يا إلهي .. ماذا كان سيحدث لو لم أخرج فى الوقت المناسب « كان الرجل ذو الأربعين عاماً يتضاءل .. يرتعش » يا إلهى .. حتماً كان سيقتل هذه المسكينة .

« وهو يتشبث بجذع الشجرة هجم عليه اثنان لاقتياده .. استدار بوجهه الفزع نحوى ..»

– لا لا تصدقيهم .. لم أكن أنوى الاساءة اليك « ينفجر ببكاء حار » أرجوك .. صدقيني يرتمى على الأرض .. وهما يقتادانه عنوة .. يتشبث بالعشب الطرى .. يتلوث وجهه الطفل بالطين .. يرتفع صوت بكائه .. تغسل الدموع وجهه وصدره .. يجرانه بقسوة على طول الممر المعشب الرجل العريض المنكبين .. ذو الشعر الفضى والصوت الطيب يغيب فى دهليز مظلم .. ويداه تطبقان على العشب الطرى .. يبتعد صدى نحيبه الممزق .. يغيب وجهه الطفل .. « أرجوك لا تصدقيهم » كنت ملوثة بالطين وأنا أحفر فى جدول شقة جسده على الأرض المعشبة وهو يقاوم صالبية .. كنت أحفر بجنون ودموعى تسقي جفاف الجدول .. وصراخ الطبيب المذهول وهو يحاول انتشالي بكل قوته من جدول الطين «أيها البلهاء .. ماذا صنعتم بها .. أيها الحمقى .. »

كان يحاول انتشالي .. يضمني بشدة .. وكنت أغوص بجسدى المنهك .. اننى انتظره هنا ؛«الموت الذى ياتي لمساعدة المصائر التى تجد مشقة فى الاكتمال » .

أم أكثم

تاريخ الشرق الأوسط الحديث

معبد جانوس

تأليف : دزموند ستيورت - دار النهار للنشر ١٩٨١

عرض ومراجعة : د. عبد القادر ياسين

بادىء ذى بدء لابد من توجيه الشكر لدار النهار لنشرها هذا الكتاب القيم الذى يكتسب أهميته من عاملين اثنين ، أولهما الموضوع والثانى المؤلف . فالكتاب يتناول تاريخ الشرق الأوسط فى حوالى قرن من الزمان ، منذ ما بعد منتصف القرن التاسع عشر بقليل حتى الستينات من القرن الحاضر : من اسماعيل الكبير مروراً باحتلال مصر وثورة مصطفي كمال أتاتورك ، وقيام الكيان الصهيونى فى فلسطين حتى جمال عبد الناصر . أما المؤلف ، دزموند ستيورت ، فهو مؤرخ بريطانى مشهور عايش بعض حقبات هذا التاريخ . فقد جاء الى هذه المنطقة فى الثلاثينات ومازال يتردد عليها بانتظام مما أتاح له جمع المعلومات من مصادرها الأولية ، اعتمد على مصادر عديدة محفوظة فى ارشيفات بعض الدول التى كان لها دورها فى احداث المنطقة خلال المئة عام الأخيرة .

وكان الكتاب قد صدر فى عام ١٩٧١ وصدرت الطبعة الثانية باللغة العربية فى مطلع العام الحالى . ويتضمن الكتاب تسعة أبواب بأربعين فصلا استغرقت ٣٦٥ صفحة من القطع المتوسط .

يستعرض دزموند ستيورت فى خمسة فصول من كتابه سيرة تيودور هيرتسل ، مؤسس الحركة الصهيونية . وعلى الرغم من أن الكتاب لا يؤرخ للحركة الصهيونية بصورة شاملة إلا أنه يميط اللثام عن الدور الذى لعبه تيودور هيرتسل فى اقامة الكيان الصهيونى فى فلسطين .

ولد تيودور هيرتسل فى الثانى من أيار عام ١٨٦٠ فى مدينة بودابست عاصمة هنغاريا لأبوين يهوديين . وكان اليهود قد وجدوا الثقافة الألمانية أسهل منالا لأن لهجتهم اليديشية قريبة من اللغة الألمانية وأقوى جاذباً ، لأن المفكرين اليهود كتبوا بالألمانية .

نشأ هيرتسل بين بحرين غير متكافئين : بين التقاليد الدينية اليهودية وبين الثقافة الألمانية العصرية الأقوى أثراً .

فى عام ١٨٩١ ذهب هيرتسل الى باريس مراسلا لصحيفة (الصحافة الحرة الجديدة) وهى صحيفة تعمل فى اظهار النمسا للعالم وتنشر ما ساهم به اليهود فى الثقافة الألمانية . وكانت باريس قد أصبحت مسرحاً جديداً للحركة اللاسامية .

أظهرت حوادث السنوات القليلة التى أمضاها هيرتسل فى باريس أن التحرر لن يحل مشكلات اليهود الأوروبين . فحمله نلك على التفكير فى حل للقضية اليهودية . كان هيرتسل يرى أن اليهود كانوا اقلية مضطهدة بسبب دينها . وبدلا من أن يحض اليهود على التمسك بدينهم نصحهم

● ماذا عن الدور الذي لعبه تيودور هيرتسل في إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ؟

● السنوات القليلة التي أمضاها هيرتسل في باريس كشفت له أن التحرر لن يحل مشكلات اليهود الأوروبيين مما دعاه إلى التفكير في حل القضية



بلفور



هيرتزل



روتشيلد

بأن يعتنقوا المسيحية .

فعل هيرتسل ذلك بطريقتين : أولا اقترح أن الحل الأفضل هو اندماج اليهود التام فى العلم غير اليهودى ، واعتناق المسيحية وذلك بتعميد أطفالهم وتحويلهم الى الدين المسيحى «قبل أن يعزى تحولهم الى الجبن أو الى المصلحة» . وقد رفض اليهود من ناحيتهم اقتراحه . والكنيسة الكاثوليكية كانت من ناحيتها غير مستعدة للترحيب بمهتدين غير مقتنعين بالعقائد اللاهوتية التى حالت ١٨ قرناً دون اعتناق اليهود الدين المسيحى .

وما لبث هيرتسل نفسه أن أهمل هذا الحل وأخذ يفكر فى حل آخر . اقترح مرة أخرى أن يصبح اليهود «شعباً» كالشعوب الأخرى . أى أن يكون لهم «دولتهم الوطنية» . وقد جاء اقتراحه هذا بعد عامين من محاكمة «الفرد دريفوس» ، الضابط اليهودى فى الجيش الفرنسى ، وتجريده من رتبته العسكرية وسجنه فى الخامس من كانون الثانى ١٨٨٥ .

لم يذكر هيرتسل فى صحيفته شيئاً عن اللاسامية لأن «دريفوس» أدين على أساس أنه خائن لا لأنه يهودى .

بدلاً من أن يحضّ اليهود على التمسك بدينهم .. نصحهم بأن يعتنقوا المسيحية

المشكلة اليهودية : عنوان مفكرة سرّية استمر فى كتابتها حتى وفاته

عندما اقترح هيرتسل أن يصبح اليهود شعباً كالشعوب الأخرى

ولكن القضية تطورت حين أخذت الصحف المعادية للسامية تهاجم «دريفوس» كيهودى . فاثر ذلك فى نفس «هيرتسل» وأصبح «دريفوس» فى نظره «رمزاً لليهودى الذى يحاكم فى مجتمع مسيحى» .

وفى شهر أيار من السنة نفسها اتصل «هيرتسل» بالمليونير اليهودى البارون «موريتز دى هيرش» . وكان البارون قبل أربعة أعوام قد أسس «جمعية الاستعمار اليهودى» برأسمال قدره مليونا جنيه استرلينى لتوطين اليهود الروس فى الأرجنتين . ولكن المشروع فشل . حاول هيرتسل أن يقنع «دى هيرش» بأن هنالك حاجة الى حركة سياسية لا جمعية خيرية ، «تشجع جماهير اليهود على الرحيل الى أرض الميعاد الجديدة على أن تثار فيهم روح الاستعمار ، ويقووا كأنهم يراد إرسالهم الى ساحة القتال ، ويحبب اليهم العمل» وقال أنه سيقابل قيصر المانيا ويطلب اليه السماح لليهود بالهجرة . فاقتنع « دى هيرش » بالفكرة ووافق على الحاجة الى الهجرة .

فى مساء ذلك اليوم وضع «هيرتسل» أفكاره على الورق . وبدأ مفكرة سرية عنوانها «المشكلة اليهودية» ، استمر فى كتابتها حتى وفاته . ودون فيها يوميات تكونت منها مسودة كتاب «دولة اليهود» وكان عبارة عن رسائل وجهها «هيرتسل» الى مجلس عائلة روتشيلد اليهودية المعروفة .

قوبلت فكرة هيرتسل بعدم الاكتراث أو العداء أو السخرية .

أهمل بسمارك منكرته لأنه «لا يرى فائدة فى رجل لا جند عنده ولا مال» كما أهمل البارون روتشيلد رسائله . وشدد بعض اليهود على الخطر الذى تنطوى

تاريخ الشرق الأوسط الحديث

معبد جانوس

كانت إنجلترا هي الدولة الغربية الوحيدة التي وجد فيها هيرتسل تأييدًا فوريًّا

لعب بلفور دورًا بارزًا في البرلمان الإنجليزي في مقاومة هجرة اليهود إلى إنجلترا

عليه فكرة المطالبة بقومية يهودية دنيوية قائمة على مبدأ العرق . وسخر آخرون منه لأنهم لم يصدقوا «امكان زرع ولاية مسكونة من الامبراطورية العثمانية وملئها بمستوطنين تنقصهم الخبرة الزراعية أو العسكرية» . فأغاظ «هيرتسل» عدم الاستجابة لفكرته حتى أصبح حقوداً الى درجة انه هدد بشن حملة صحفية على البارون «هيرش» اذا سخر هو الآخر منه وذلك بنشر ثلاث رسائل كان قد بعث بها اليه .

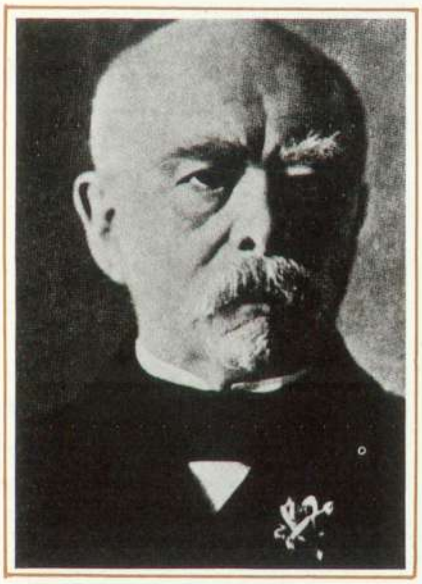
ان الدولة الغربية الوحيدة التى وجد فيها «هيرتسل» تأييداً فورياً هى انجلترا التى كان رئيس وزرائها فى ذلك الوقت دزرائيلى . ذهب «هيرتسل» الى انجلترا . بيد أنه وجد بين اليهود المقيمين فى انجلترا من لا يعتبرها وطناً له . زار «هيرتسل» أولا «اسرائيل زانجويل» واضع شعار «بلد بلا شعب لشعب بلا بلد» .

فى انجلترا قابل « هيرتسل » السير صمويل مونتاج (الذى اصبح فيما بعد اللورد سويثلينج) . كان « مونتاج » أقرب الجميع الى فكرة « هيرتسل » . دعاه « مونتاج » الى الغداء فى منزله . وبعد الغداء أخذا يتداولان الحديث « فشرح له « هيرتسل » مهمته حتى اثاره » فأسر له « مونتاج » أنه يشعر فى قرارة نفسه بأنه « اسرائيلي أكثر منه انجليزى » . اتفق « هيرتسل » ومنتاج على أمرين : أولهما أن مشروع الدولة اليهودية سيظل حلماً الى أن ترعاه دولة كبرى ، وثانيهما تعيين البلد الذى ستقام فيه هذه الدولة . لم يحدد «هيرتسل» بلداً معيناً . فالمهم لديه انما كان وجود الدولة لا موقعها الجغرافي ولكن مونتاج أصر على فلسطين .

كان « آرثر بلفور » الذى ينتمى الى الطبقة التى اسست الامبراطورية وجمعت الثروة ، متحرراً فكرياً ولكنه غير معجب باليهود . لعب « بلفور » دوراً بارزاً فى البرلمان الانجليزى فى مقاومة هجرة اليهود الى انجلترا . وحاول أن يشرح لمجلس العموم لماذا يرى ضرورة وقف تدفق اليهود (الهاربين من المذابح القيصرية) بقوله : « يمكننا أن نتصور بسهولة وضعاً لا يفيد هذا البلد أن يكون فيه عدد كبير من الأشخاص الذين ، مهما كانت وطنيتهم وقدرتهم واجتهادهم ، يظلون شعباً منعزلا ، ولا يختلف دينهم عن



عبد الناصر



بسمارك

دين أكثرية مواطنيهم فحسب بل لا يتزاوجون إلا فيما بينهم فقط » .

كان الاختيار الأول لهيرتسل هو السلطان العثماني الذى كان يسيطر على البلد الذى أراد ه الصهاينة . عرض « هيرتسل » ما أعتبره صفقة ملائمة وهى « أن اليهود سيصبحون ، مقابل فلسطين ، حلفاءه وكحلفائه سيقدمون له العون » . في عام ١٨٨١ بلغت ديون الامبراطورية العثمانية حوالي ١٠٦ ملايين جنيه . واليهود هم الوحيدون القادرون على تحرير السلطان من هذا الوضع المهين . ثم أن الصحافة اليهودية ستحسن سمعة العثمانيين التى شوهتها المذابح التى قاموا بها ضد الأرمن . وإذا استقر المستوطنون اليهود الموالون للسلطان فى فلسطين امكنهم أن يساعدوه فى حل الخلاف المحتمل مع العرب .

سارت الأمور فى القسطنطينية على عكس ما يتمنى « هيرتسل » . فقد رد السلطان عبد الحميد على مشروعه قائلا : « اننى لا استطيع أن أبيع قدماً واحدة من البلد لأنه ليس ملكي بل ملك شعبي . لقد ربح هذه الامبراطوريةوغذاها بدمه . وسنغطيها مرة أخرى بدمائنا قبل أن نسمح بتمزيقها ، يستطيع اليهود أن يوفروا ملايينهم . حين تقسم الامبراطورية قد يأخذون فلسطين مقابل لا شيء » .

استطاعت الصهيونية أن تقلب الحقائق وأن تقدمها للعالم بالقالب الذي تراه مناسباً لتحقيق أغراضها

أصبحت الصهيونية قوة بعد نشر كتاب « دولة اليهود » وفى عام ١٨٩٧ عقد في «بازل» أول مؤتمر صهيوني نظم الحركة . ثم عقد المؤتمر الثانى عام ١٨٩٨ فأسس مصرفاً (صندوق الاستعمار اليهودى) لشراء الأراضى فى فلسطين . بيد أن القضية كلها متوقفة على إيجاد جبهة تتبنى المشروع .

اتصل « هيرتسل » بالسلطات الألمانية . ونشرت فى الصحف مقالات تدعو الى اقامة مستعمرة يهودية فى الشرق الأوسط تحت الرعاية الألمانية . وارسلت نسخ من هذه المقالات الى الحكومة الألمانية وإلى القيصر .

ساعد هيرتسل اثنان من الحلفاء الألمان ، أولهما دوق بادن الكبير . قال له هيرتسل: «نحتاج الى حام ، والحماية الألمانية يرحب بها اكثر من غيرها » . والثاني هو السفير «يولنبيرغ» . قال له: « إن حركتنا موجودة واننى اتوقع أن تؤيدها احدى الدول الكبرى . فكرت أولا فى انجلترا ، وذلك أمر طبيعي ، ولكننى أكون مسروراً لو كانت ألمانيا »

كان القيصر حذراً ، فقد كان جزءاً من خطته الخاصة العظيمة أن يجعل الامبراطورية العثمانية لألمانيا ما يعادل الهند لبريطانيا » . فقد زاد عدد سكان المانيا ثمانية عشر مليوناً منذ الحرب مع فرنسا ، وآلاتها الصناعية التى تنمو بسرعة بحاجة الى المواد الخام .ولا شك فى أن المانيا ستحصل على فوائد أخرى كصديقة للسلطان لا كعدوة له .

كانت بريطانيا اكثر من يربح من جنازة الامبراطورية العثمانية « أن فلسطين تحمي الناحية الشرقية من القناة التى عارضها « بالمرستون » ثم اصبحت شريان الامبراطورية (قناة السويس) لذلك فان فلسطين يهودية معتمدة على بريطانيا تكون قوة موازية لاطماع فرنسا وروسيا فى شرقي المتوسط » .

لقد استطاعت الصهيونية من خلال التصريح والتصميم أن تقلب الحقائق وتقدمها للعالم بالقالب الذى تراه مناسباً . وكان يمكن لقيمة الكتاب أن تغنى لو أن المؤلف القى مزيداً من الضوء وقدم تحليلا للعقلية التى يمثلها « هيرتسل » واتباعه .

لقد وقف « هيرتسل » ضد الديمقراطية وقوفه ضد الاشتراكية ، فهى ، كالاشتراكية نقيض النظام الارستقراطي الذى يدعو اليه . فى العشرين من حزيران ١٨٩٥ كتب فى مذكراته : « أن الديمقراطية لا تعدو كونها هراء سياسياً يصل اليه ويقرره غوغاء الناس فى حماة الثورة » . كما لم يشر المؤلف الى الدور الذى لعبته القوى الامبريالية فى اقامة الكيان الصهيوني .

ليس ثمة شك فى أن كتاب « تاريخ الشرق الأوسط الحديث : معبد جانوس» من أكثر الكتب الجادة التى صدرت فى الغرب خلال السنوات العشر الماضية والتى تتسم بالصدق والأمانة العلمية . لذا وجب تقديم الشكر للمؤلف (بزموند ستيورت) والناشر (دار النهار) والمترجم (زهدى جار الله) الذى بذل جهداً رائعاً فى نقله الى لغة عربية سلسة أنيقة ومعبرة .

الأسلحة الجرثومية والعدو الصهيوني

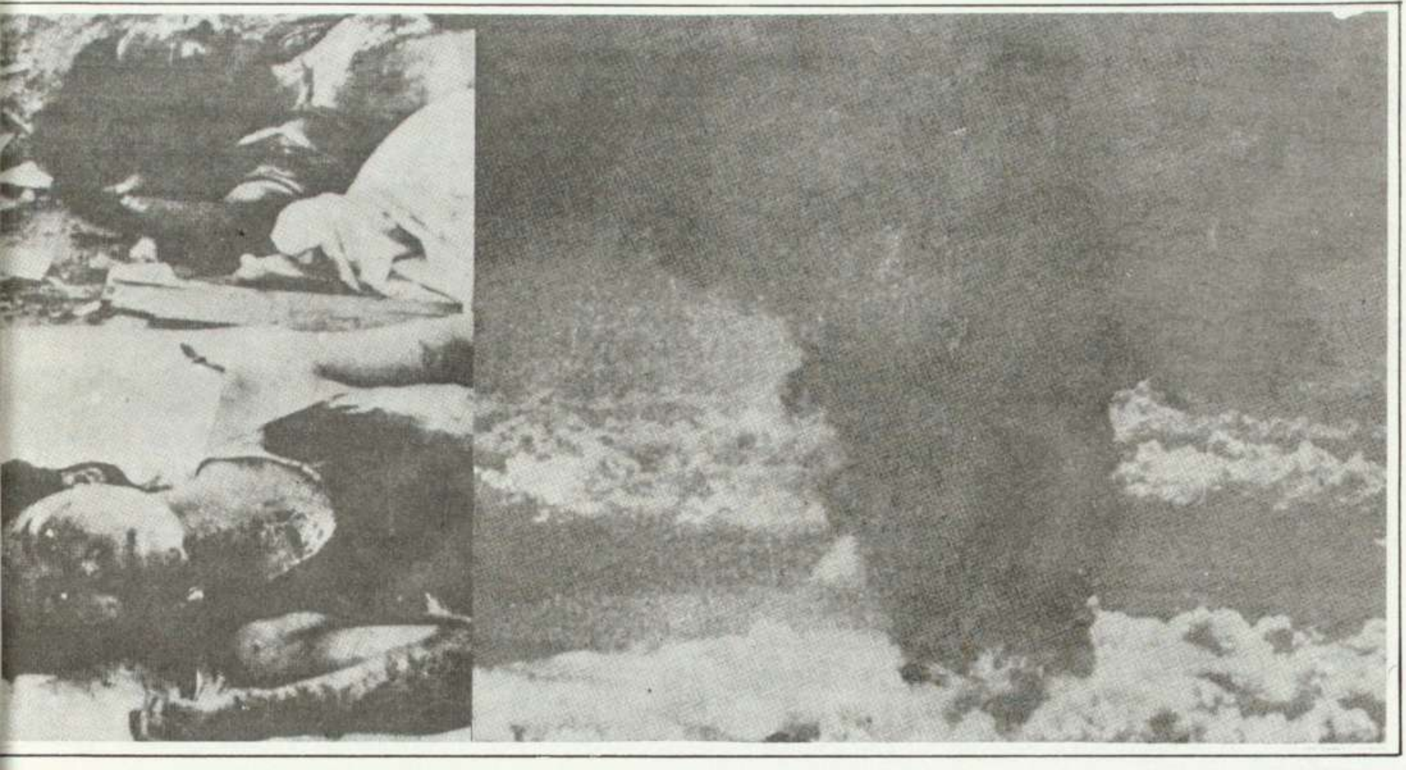
محمود شيت خطاب

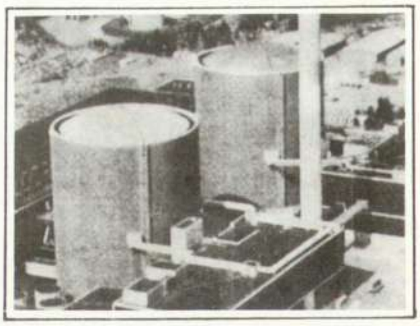
بالرغم من أن السلاح الجرثومى لم يجرب بعد فى الحرب . وتأثيره لايزال موضع حدس وتخمين .. فان خير ضمان لمواجهة احتمال استخدام العدو له ، هو الاستعداد له استعداداً تاماً. هذا الاستعداد لا يحبط تأثيره المتوقع من العدو فقط . وإنما سوف يحمله على صرف النظر عن استخدامه فى الحرب نهائياً .

نقصد بالأسلحة الجرثومية ، بعض الكائنات الحية أو سمومها التى تستخدم لأشاعة المرض أو الموت فى القوى البشرية للعدو ، بحيث يصاب بالشلل فى طاقاته وإرادته على القتال ، فيتوقف عن الحرب ويتجه نحو الاستسلام .

أو تستخدم تلك الكائنات الحية أو سمومها لأتلاف حيوانات العدو ومحاصيله الزراعية ،وهى التى يستفيد منها فى تموين قواته المحاربة وغير المحاربة بالطعام ، فلا يقوى على الاستمرار فى الحرب ، وتنهار معنوياته ، لأن الجائع لا يصبر على القتال .

وتلك الكائنات الحية قد تكون جراثيم مختلفة الأنواع ، أو حشرات وطفيليات ، وكل هذه موجودة فى محيطنا فى كل ناحية من انحاء العالم بكثرة هائلة ، ولكن محاولة الاستفادة منها فى أنواعها





الضارة أو سمومها ، لأحداث المرض أو الموت ، أو لأتلاف موارد العيش للأنسان يجعل منها سلاحاً فتاكاً لأحداث المرض والموت تحقيقاً لأغراض عسكرية عند الحاجة .

من التاريخ

لقد استعان الانسان بالأسلحة الوبائية فى الحروب على النطاقين الفردى والجماعى ، وهذه الحرب تحتل مكاناً فى تاريخ البشر العسكرى .

وبالأمكان ذكر أمثلة لا تعد ولا تحصى ، ولكن ذلك يخرجنا عن موضوعنا الأصلى ، ويكفى أن نذكر أن وباء الطاعون الذى اجتاح أوروبا فى العصور الوسطى وقضى على خمسة وعشرين مليوناً من البشر خلال سنتى ١٣٤٨م — ١٣٥٠م ، وهو ما يكون نصف تعداد العالم حينذاك ، نتج عن القاء جثث المرضى من فوق حوائط سوق الجنويين فى (كفا) التى تسمى اليوم (فيودوزى) على البحر الأسود فى اثناء محاصرة المغول لها . وعند عودة الجنويين الى اوروبا وصل الطاعون معهم فى تشرين الأول من سنة ١٣٤٧م .

وفى النطاق الفردى ، فالتاريخ حافل باستخدام السم بأنواعه للقضاء على الأعداء غدراً وكان سم الزرنيخ هو الشائع . واستخدمته تلك اليهودية فى تسميم شاه قدمت فى وليمة لهدف تسميم النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضي الله عنه وأحد الصحابة ، وبالفعل مات الصحابى الجليل مسموماً ، كما تتحدث عن ذلك كتب السيرة النبوية المطهرة والمصادر التاريخية المعتمدة .

وقد تعهد الموقعون على اتفاقية جنيف سنة ١٩٢٥م ، بعدم استعمال السلاح الجرثومى فى الحرب ، وهو لم يستعمل فى أية حرب حتى الآن بصورة مكشوفة .

غير أن تاريخ الحروب يعلمنا أن الأعداء فى الحرب قد يلجأون الى استخدام أى سلاح ، وإن كان محرماً ، إذا وجدوا فيه فائدة لهم فى تحقيق اهدافهم ، لا سيما إذا علموا أن خصومهم ليسوا على استعداد لمواجهة هذا السلاح والرد عليه بالمثل .

والعدو الصهيونى بما عرف عنه من خداع وعدم التزام بالعهود والمواثيق وبمقررات الهيئات الدولية واتخاذ كل وسيلة تؤدى به الى النصر بأى واسطة وشكل وأسلوب ، لا يتورع عن استخدام السلاح الجرثومى ، إذا اعتقد أنه سيساعده فى معركة الحياة أو الموت التى يخوضها فى صراعه المرير على الأمة العربية .

وقد ترددت انباء كثيرة عن استعانة هذا العدو منذ أكثر من ثلاثين سنة بالعلماء الألمان والفرنسيين والبريطانيين والأمريكان وغيرهم ، فى نشاطه المتصاعد العلمى الخاص بالحرب الجرثومية ، وهذا دليل على أن هذا العدو يعمل فى مجال الحرب الجرثومية استعدادا لاستعمالها على العرب فى المستقبل إذا احتاج الأمر .

ورغم أن السلاح الجرثومى لم يجرب فى الحرب بعد ، وتاثيره لا يزال موضع حدس وتخمين ، فان خير ضمان لمواجهة احتمال استخدام العدو له ، هو الاستعداد له استعدادا تاماً .

إن هذا الاستعداد لا يساعد العرب على مواجهة سلاح العدو الصهيونى الجرثومى فحسب ، واحباط تأثيره المتوقع ، بل يحمله على صرف النظر عن استخدامه فى الحرب نهائياً .

ان السلاح الجرثومى هو سلاح هجومى كما هو معروف ، وهو أحد اسلحة التدمير الشامل الأربعة المعروفة فى الوقت الحاضر : الأسلحة النووية ، والأسلحة الاشعاعية ، والأسلحة الكيمياوية ، والأسلحة الجرثومية .

ونعود الى تفصيل هذه الاسلحة ، بعد أن فصلنا الأسلحة النووية ، فى مجال التوعية العسكرية ، بعد التركيز على العدو الصهيونى بالذات .

وإذا تدارسنا طبيعة السلاح الجرثومى وخواصه ، لوجدنا أنه يستخدم على المدنيين فى المدن والمناطق المأهولة ، أكثر من استخدامه على القوات المسلحة فى الميدان .

إن الجراثيم كائنات صغيرة وضعيفة تتعرض بسهولة الى الموت بالضوء والحرارة والرياح ، فاذا استخدمت على القوات المسلحة فى الميدان ، فان حرارة الجو وأشعة الشمس (وخاصة البنفسجية منها) تقضى على كثير منها . كما أن الرياح تعمل على تشتيت الغيوم الجرثومية ، وقد تحملها بعيداً عن منطقة الهدف .

وإذا علمنا أيضاً ، أن انفجار القنابل الحاوية على الجراثيم ، تقضى على قسم كبير منها ، أدركنا أن ما تبقى منها لا يؤثر فى القوات المحاربة تاثيراً كبيراً ، خاصة وان هذه القوات تكون منتشرة فى مناطق واسعة وليست محتشدة فى مكان ضيق ، ويزود افرادها عادة بأقنعة الوقاية التى تحول دون دخول الجراثيم الى داخل الجسم عن طريق الفم أو الأنف . وينبغى ألا ننسى أيضاً ، أن القوة البدنية والصحة العامة لأفراد القوات المسلحة هى نسبياً أفضل من سائر افراد الشعب ، ونتيجة لذلك تكون مناعتهم من الأمراض التى تسببها الاسلحة الجرثومية أكثر من مناعة غيرهم من أفراد الشعب .

هذه الحقائق تقودنا الى أن نستنتج أن العدو الصهيونى إذا استخدم السلاح الجرثومى ضد العرب ، فانه سيهاجم بها المدن العربية والمناطق الآهلة بالسكان ، ليلوث بالجراثيم المناطق العربية المزدحمة بالسكان المدنيين ، بالاضافة الى انتقال العدوى لهؤلاء عن طريق الجنود المصابين .

ومن البديهى أن العدو الصهيونى يستخدم السلاح الجرثومى ضمن خطة سوقية (استرتيجية) عامة ، تنطوى على استخدام اسلحته كافة ذات التدمير الشامل مع قواته البرية والبحرية والجوية . ومن المحتمل جداً أن يستخدم سلاحه الجرثومى فى الهجوم على احدى الأقطار المجاورة له ، ولا يستخدمه ضد سكان المناطق التى يستهدف احتلالها .

الأسلحة الجرثومية والعدو الصهيوني

أغراض العدو الصهيونى

يتضح مما تقدم ، أن الأغراض التى يسعى العدو الصهيونى الى تحقيقها من استخدام السلاح الجرثومى ، هى أغراض (سوقية) وليست أغراضاً (تعبوية) .

وتلخص اغراضه ، بتدمير القوى البشرية العربية وراء خطوط القتال ، لجعلها عاجزة عن العمل ، الأمر الذى يساعده فى القضاء على التفوق العددى العربى بصورة غير مباشرة .

ومن أغراضه ، اشغال الحكومات العربية بالمشاكل الناجمة عن كثرة المرضى بين أفراد الشعب ، وبالتدابير المقتضى اتخاذها لمعالجتهم ، ولمكافحة الأمراض والأوبئة ليس فى صفوف أفراد الشعب وحسب ، بل وفى الحيوانات والمزروعات أيضاً .

ومن أغراضه ، اضعاف معنويات الشعوب العربية ، وتقليل مقاومتها للعدوان الصهيونى ، وحمل الحكومات نتيجة لذلك على الاستسلام والخضوع لمشيئة العدو.

وسيسعى العدو الصهيونى طبعاً ، الى تحقيق هذه الأهداف فى البلاد المجاورة لها ، غير أنه لا يستبعد أن يهاجم بسلاحه الجرثومى بعض الدول العربية غير المجاورة له أيضاً .

نوع السلاح الجرثومى الممكن استخدامه

يمكن أن يستخدم العدو الصهيونى نوعين من الأسلحة الجرثومية .

أما النوع الأول ، فهو قليل العدد للغاية ، وكله من الجراثيم التى لها قابلية على الراحة والسبات مدة من الزمن ، ثم الرجوع بعدئذ الى حالة النمو الطبيعية عندما تسمح له الظروف بذلك ومن أمثلة هذا النوع ، الجراثيم التى تسبب أمراض الجمرة والكزاز .

والنوع الثانى ، عبارة عن انواع الجراثيم الأخرى ، التى تموت بسرعة فى الظروف غير الملائمة لها ، كالضوء والحرارة والجفاف ... الخ ...

ومن هذا النوع ، الجراثيم التى تسبب الهيضة والطاعون والخناق والتهاب الأمعاء ، ومنها أيضاً الجراثيم التى تسبب أمراض داء الكلب والحمى الصفراء والزكام الوبائى بأنواعه وأشكاله المختلفة .

ويطلق على النوع الأول : العوامل الثابتة ، وعلى النوع الثانى : العوامل غير الثابتة ومن المحتمل أن يستخدم العدو الصهيونى كلا النوعين عند الحاجة ، ولكن الأرجح أن يستخدم النوع الأول صيفاً ، وفى الأيام والمناطق التى لا تصلح لاستخدام العوامل غير الثابتة . وفى وسعه طبعاً أن يستخدم الحشرات وما يشابهها كناقلات للمرض ، وذلك لمهاجمة الأغذية والنباتات بصورة مباشرة ، أو لمهاجمة الانسان بصورة غير مباشرة ، مثال ذلك القمل الذى ينقل كثيرا من الأمراض والبعوض الناقل للحمى .

غير أن استخدام الحشرات ، يقتصر على العمليات التخريبية التى تجرى بنطاق محدود ، فهى لذلك لا تشكل خطرا كبيرا على البلاد العربية .

ومن الواضح أن أكثر الأسلحة الجرثومية تأثيرا من الوجهة العسكرية ، هى تلك التى تحدث الموت أو العجز بوقت قصير .

على أن الجيوش تميل من جهة أخرى الى استخدام الأسلحة الجرثومية التى تحدث وفيات قليلة ، لكنها تسبب المرض والتعب والعجز مدة طويلة ، وهذه الجراثيم يمكن الشفاء منها شفاء تاماً فى أغلب الأحيان ، إلا أن ذلك لا يتم إلا بعد مرور وقت طويل ، حيث يتسنى للعدو خلاله أن يحقق هدفه العسكرى الذى استخدم السلاح الجرثومى من أجله .

تلك هى أهم انواع الأسلحة الجرثومية ، وأهم عواقبها المرتقبة .

وسائط نقل الأسلحة الجرثومية الى أهدافها

يمكن ايصال الأسلحة الجرثومية الى أهدافها بثلاث طرق رئيسية : بقنابل تفجر فى الجو أولا ، وبنشرها من الطائرات كسائل ثانياً ، أو بالتخريب ثالثاً .

ومن المحتمل أن يستخدم العدو الصهيونى الطريقة الأولى ، إذا هوجمت البلاد العربية بالأسلحة الجرثومية ، فهى أفضل الوسائل وأسهلها لمهاجمة السكان المدنيين .

أما طريقة النشر من الجو ، فيمكن أن يستعين بها العدو الصهيونى فى الهجوم على المدن العربية القريبة من حدوده ، وذلك بارسال طائرة منفردة ليلا أو نهاراً إن أمكن ، تطير بارتفاع واطىء . وتنشر الجراثيم بعلب تحتوى على سائلها ، تفتح بمجرد وصولها الى الأرض .

أما أسلوب التخريب ، فانه يستعمل لنشر الجراثيم بشكل محدود ، وعلى أهداف معينة ، فقد يستفيد العدو الصهيونى من وكلائه لتلويث مياه الشرب ، أو المواد الغذائية ، أو المحاصيل الزراعية ، أو الحيوانات الأليفة .

ولا شك فى أن تلويث مياه الشرب هو أخطر عمليات التخريب الجرثومى ، إذ أن انتشار المرض بهذه الطريقة ، يكون بصورة أوسع من انتشاره بالطرق الأخرى . ولكن عملية تخريب كهذه ، ليست من السهولة كما تبدو للبعض ، فان محاولة تلويث خزانات المياه بالجراثيم من الصعوبة بمكان فى الحرب فهذه الخزانات توضع تحت حراسة مشددة عادة ، وترسل نماذج من مياهها الى المختبرات يومياً لغرض فحصها .

وإذا اكتشفت فيها الجراثيم أمكن ابادتها بزيادة مقدار المواد المعقمة كالكلور الذى يستعمل عادة لتعقيم المياه فى الخزانات ثم أن نقل الأسلحة الجرثومية من العدو

الصهيونى الى بلد عربى ، أمر على غاية الصعوبة والخطورة ، ومع هذا يجب وضعه فى الحسبان .

الجدرى كسلاح جرثومى

أعلنت منظمة الصحة العالمية عن اجتثاث مرض الجدرى واختفاء جرثومته فى العالم فى شهر ايار من سنة ١٩٨٠م .

ولكن اختفاء هذا المرض من العالم ، يطرح قضية خطيرة أخرى ، هى امكانية امتلاكه وتخزينه ، إذ يمكن انتاجه بسهولة وبكميات وافرة ، بأنشاء مزارع فى المختبرات بأى مكان وبكلفة ضئيلة ، فالتجهيزات اللازمة بسيطة ورخيصة وسهلة الاعداد ، كما أن نقله سهل للغاية

لهذا فمن الحكمة اعتبار الجدرى السلاح الجرثومى المحتمل ، لأن تحضيره يسير ، واخفاءه مضمون ، والاصابة به يمكن أن تتم عن طريق نشره من الجو اثناء عملية حربية ، كما يمكن نشره بالاحتكاك المباشر مع أدوات ملوثة.

أما تحصين الأشخاص المكلفين بنقله الى أهدافه ، فهو سهل ميسور جداً ، ويتجاوز معدل الوفيات به هى ٢٥٪ ، وتدوم العدوى عن طريق المرضى حتى موتهم ، وتستمر بعد الموت عن طريق الثياب واسرة النوم وغيرها .

والحماية الوحيدة منه تتم عن طريق التحصين المسبق الذى يعتبر الوسيلة الوحيدة ذات الفعالية فى الحرب الجرثومية .

وبما أن الجدرى يصبح عديم التأثير فى حالة الحصانة ضد المرض ، فانه يصبح بدون نقاش السلاح المفضل عند اهمال التحصين وزوال مناعته .

وحتى لا يلدغ العرب من هذه الجحر مرتين ، عليهم الانتباه الى ذلك والحذر واليقظة .

الدفاع ضد الأسلحة الجرثومية

أصعب مشكلة فى الدفاع ضد الاسلحة الجرثومية ، هى الكشف عنها فى حينه وبسرعة ودون تأخير .

فالجراثيم الدقيقة لا يمكن اكتشافها بالحواس البشرية المجردة ، فلا يمكن رؤيتها ولا شمها ولا تذوقها ، كما أنها لا تتفاعل مع أى من المواد أو العوامل الكيمياوية .

وما من طريقة لاكتشاف هجوم العدو بالسلاح الجرثومى ، إلا بفحص نموذج من الهواء أو الماء أو المادة التى يشتبه بوجود الجراثيم فيها بالمجهر ، وهذه العملية تتطلب محللا جرثومياً مدرباً ، وتستغرق بضعة أيام ، وذلك لأن الجراثيم الموجودة فى النموذج ، يجب أن تنمو فى ظروف مناسبة ، لكى يصبح بالأمكان تشخيصها .

ومما يساعد على كشف الجراثيم بسرعة وسهولة ، اخبار الأهلين عن أى مرض مفاجىء وغريب يظهر بينهم . أو عن أية طائرة منفردة يرونها تنشر مادة غريبة ، أو سقوط قنبلة منفردة ، أو عن أى مرض غير اعتيادى يظهر بين الحيوانات والمواشى .

● فى وسع المسئولين عن مراقبة الأسلحة الجرثومية أن يميزوا غيومها ذات الرذاذ

وفى وسع المسئولين عن مراقبة الأسلحة الجرثومية ، أن يميزوا غيومها التى تشبه الضباب أو الرذاذ ، ولكن هذه قد تكون غازاً كيمياوياً أو جرثومياً ، فاذا وجدوا بعد الاختبارات الكيمياوية أن محتوياتها ليست كيمياوياً ، فحث أن يفترضوا أنها جرثومية .

أما وسائل الدفاع ضد الأسلحة الجرثومية فى الحرب ، فهى ليست سراً من الأسرار ، بل هى معروفة فى جميع انحاء العالم منذ أن أكتشفت الجراثيم وهى نفس التدابير التى نتخذها عادة فى زمن السلم للوقاية من الأمراض ولمعالجتها ، ولمكافحة الجراثيم والحشرات الضارة بالانسان والحيوان والنبات .

غير أن التدابير التى تتخذ ضد السلاح الجرثومى فى الحرب ، قد تكون على نطاق أوسع كثيراً من التدابير التى تتخذ ضد الأمراض فى السلم ، كما يقتضى اتخاذها فى وقت عصيب ، تكون فيه الخدمات الطبية للدولة مرهقة بالعمل ، وقد استنزفت قواها الخسائر التى يحتمل حدوثها فى القوات المسلحة والمدنيين من جراء اسلحة العدو الأخرى

وهنا ينبغى أن نشدد على واجب الحكومات العربية فى التدابير الدفاعية ضد الأسلحة الجرثومية .

أولا ـ توعية افراد الشعب حول الحرب الجرثومية ، التى قد يلجأ اليها العدو الصهيونى فى الحرب ، وتدريبهم على وسائل الرقابة الفردية ضد الأسلحة الجرثومية ، وعلى واجباتهم ومسئولياتهم بشأن وسائل الرقابة الجماعية ، وتهيئة كل ما يحتاج اليه المواطنون من وسائل الرقابة الفردية كالأقنعة والحبوب ومواد التطهير ... الخ

ثانيا ـ اعداد الخدمات الطبية وتدريبها على وسائل الوقاية الجماعية من الاسلحة الجرثومية التى يمكن أن تستخدم فى الحرب ، وعلى طرق معالجة الأمراض التى تسببها ، واعداد كل ما تحتاج اليه هذه الخدمات من وسائل الكشف على الاسلحة الجرثومية ووسائل الرقابة والمعالجة منها ، كالمصول الواقية والمضادة ، والمواد المبيدة للجراثيم والحشرات ... الخ .

ثالثا ـ اعداد منظمة الدفاع المدنى لواجب الدفاع ضد الأسلحة الجرثومية فى الحرب ، وتيسير كل ما تحتاج اليه من الوسائل والمعدات والتجهيزات والمواد اللازمة لأغراض الدفاع ، ولأغراض التطهير والتعقيم .

رابعاً ـ اعداد الخدمات البيطرية والزراعية المدربة على وسائل وقاية الحيوانات والنباتات ، من الأسلحة الجرثومية التى قد يستخدمها العدو ضدها .

انه ليس بعيداً على العدو الصهيونى أن يستعمل أى سلاح يؤثر فى مقاومة العرب ومعنوياتهم .

ولا يجدى العرب غير الحذر واليقظة، واتخاذ لكل أمر عدته قبل وقت مبكر من وقوعه ، فذلك وحده يصونهم من الأخطار

وصدق الله العظيم (وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) .

محمود شيت خطاب ـ بغداد .

وليد عياد

الطاقة الذرّية والذهب الأخضر

كتب «جون فورسيت» قصة خيالية اسمها «معادلة الشيطان» تحكي كيف تقوم روسيا بشن حرب ذرية على العالم الغربي لانه منع عنها تصدير الحبوب . وهذه القصة تكاد تكون واقعية لاهمية هذه المادة في أيامنا هذه والايام المقبلة ، وقد أثبتت الاحصائيات والدراسات العلمية أن الحبوب هي من احدى القوى التى تحكم وستحكم العالم في السنوات المقبلة .

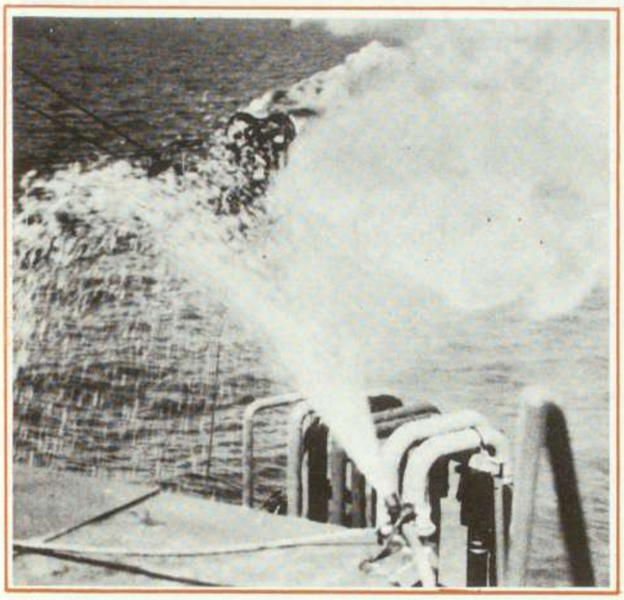
في ايامنا هذه تعتبر الطاقة الذرية اكبر قوة جبارة في بناء العالم أو تدميره والذهب الاسود هو القوة الثانية ، وأما الذهب الاخضر «القمح» ، «الذرة وفول الصويا» فهو القوة الثالثة التي ستحكم العالم في السنوات المقبلة .

لقد بدأت زراعة القمح والصويا منذ آلاف السنين في اسيا ، بلاد ما بين النهرين وسهول حوران ومرج ابن عامر في فلسطين المحتلة منذ بدء معرفة الانسان بالزراعة وانتقلت الى العالم الجديد منذ ما يقارب الاربعة قرون واصبحت الولايات المتحدة تتصدر دول العالم في تجارة الذهب الاخضر فهي تنتج ثلثي قمح العالم ونصف انتاج العالم من الذرة و ٩٥٪ من الصويا أي ما يعادل ٨٠٪ من انتاج العالم الكلي لهذه المواد الغذائية . وفي مناسبة زيارة وزير الزراعة الامريكي لرومانيا قال له الوزير الروماني «ان الولايات المتحدة تملك طاقة اكثر فعالية وأهمية من الطاقة الذرية »

فنظر اليه الوزير الامريكي مستغربا وسأله «وما هي ؟» فأجابه الوزير الروماني «انها زيت الصويا» وقد حاولت روسيا أن تدخل السباق في زراعة الذهب الاخضر ولكن تصلب سياسة الحزب الاوحد ورفضه تفهم نفسية الانسان الانانية اجبرتهم على البقاء في المؤخرة حيث حاول شاب روسي يدعى «ايفان خودنكو» ان يطبق نظريته البسيطة الا وهي ان تعود ارباح المزارعين الى المزارعين انفسهم وطلب أيامها من «خرتشوف» مجموعة من المزارعين بارض في «كازستان» وتراكتورات ووافق خرتشوف . ومع مرور عام نجحت النظرية وكانت ـ النتيجة أن هذه



القمح أكثر فعالية وأهمية من الطاقة الذرية



الغاز والنفط في حالة الاحتراق الى أن تزول جميع الشوائب ويصبح البئر منتجاً وبصورة متعادلة

المجموعة من المزارعين أنتجت ٤٠٠ ٪ أكثر من مجموعة أخري مكونة من نفس العدد ونفس التركتورات وقطعة أرض مشابهة أي أن «٧» ملايين مزارع روسي يقومون بنفس عمل «٣٥» مليون مزارع ولذا سيكون هناك «٢٨» مليون مزارع عاطل عن العمل وهو عدد هائل من العاطلين .. ولذا رفضت النظريـة ، واحتج «ايفان» وكان السجن نتيجة احتجاجه وتوفي في السجن سنة ١٩٧٤ ولايزال حتي اليوم انتاج المزارع الروسي يكفي لأشباع خمسة أشخاص بينما انتاج مزارع امريكي يكفي لأشباع خمسين شخصاً . وأما الصين وقد أعطت الموضوع أهمية أولية فقد قامت بتجنيد ٧٦ ٪ من طاقتها البشرية للزراعة والمتتبع لاخبار الصحف يري كيف أن أمريكا تهدد بسلاح الذهب الأخضر وتمنع التصدير عن أية دولة تخرج من دائرة نفوذها أو تقوم بعمل يغضب الحكومة الأمريكية كما حدث مع روسيا وكوبا وايران .حيث أن روسيا تستورد ما يقارب «٣٠» مليون طناً من الحبوب سنوياً . وبارتفاع سعر الذهب الأسود يرتفع معه سعر الذهب الأخضر كبقية المواد الأخرى ففى سنة ١٩٧٨ ارتفع سعر الذهب الأخضر بمقدار «١٨٦» دولار للطن الواحد أى بزيادة قدرها ٣٥ دولاراً وقد حدث ذلك فى غضون أيام

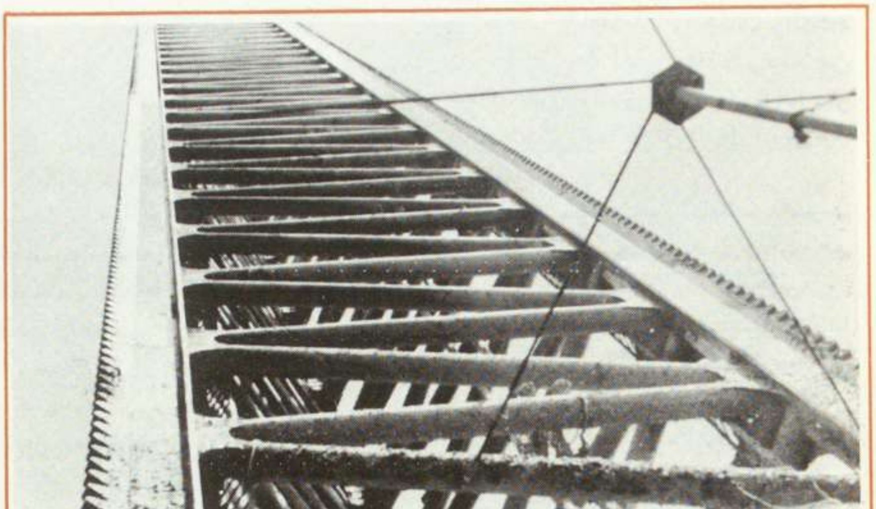
وكادت تلك الزيادة الهائلة والمفاجئة لهذه المادة الأساسية أن تحدث كارثة دولية ومجاعات فى أجزاء كثيرة من العالم الثالث والعالمين الرابع والخامس .. وما أجدر بدولنا العربية أن تنتبه لهذه المادة الأساسية حيث أن سياسة بسيطة فى عمل السدود ودراسات جيولوجية وعلمية للاتربة والأسمدة واستصلاح الصحارى التى تمثل القاسم المشترك الأعظم لخارطة أمتنا العربية تمكننا من امتلاك الطاقة الثالثة وهذا إذا قمنا باستغلال عائدات الذهب الأسود وعلى الوجه السليم لزراعة الذهب الأخضر لأن دول العالم المتقدمة علمياً تقوم الآن بدراسة جدية كبديل للنفط ألا وهو الـ «ايثانول» وهو كحول الذهب الأخضر «سائل يستخرج من الذرة والصويا» وذلك فى حالة ارتفاع سعر الذهب الأسود الى ٥٠ دولاراً للبرميل فعندها ستكون معادلة استخراج وتصنيع الـ «ايثانول» موازية ومساوية اقتصادياً لمعادلة استخراج وتصنيع النفط.عندها يأخذ الذهب الأخضر مكانة الذهب الأسود ومباشرة بعد الطاقة الذرية .

فضلا عن التنظيم

واذا ألقينا نظرة الى خارطة العالم البشرية الاستهلاكية وجدنا أن الفلاح الهندى يستهلك ٤٠٠ مرة أقل من نظيره الفلاح الأمريكى . أى أن متطلبات مولود واحد أمريكى أكثر خطراً على التوازن الاقتصادى من متطلبات ٤٠٠ مولود هندى أو باكستانى ، الموجودين فى الجزء الجنوبى من الكرة الأرضية حيث يعيش هناك ٥ آلاف مليون فى فقر مدقع بينما يعيش فى النصف الشمالى ٥٠٠ مليون برفاهية ونعيم . علماً بأن انتاج الجزء الشمالى يعادل ٧٥٪ من اجمالى انتاج العالم .

انتاج الحبوب يعتمد «بالاضافة الى التنظيم» على حالة الطقس فاذا هطلت أمطار غزيرة فى موعدها أو فى غير موعدها على منطقة مزروعة بالذهب الأخضر أو اذا انخفضت درجة الحرارة الى ما تحت الصفر أو عدم هبوط المطر أو العواصف الثلجية كل هذه عوامل تؤدى الى حدوث كوارث على بني الانسان . فان معدل الوفيات هو ١٠,٠٠٠ انسان يومياً فى العالم من الجوع وجميعهم فى الجزء الجنوبى من الكرة الأرضية علماً بأن ٥٠٪ من سكان الأرض يعتمدون على الحبوب كغذاء رئيسي .

ومع كل ذلك نرى أن العالم أنفق فى عام ١٩٨٠ ما يقارب «٥٠٠» ألف مليون دولار على التسليح لذا وبعملية حسابية بسيطة نجد أن نصيب كل انسان على وجه الأرض «٥٠» طناً من المتفجرات الفتاكة تقف منتظرة فوق رأسه لاشارة أو ضغط زر من أحد رؤساء الدول الكبرى أو أى عامل فنى يعمل فى قاعدات الصواريخ النووية الموجهة والمنتشرة فى آلاف القواعد العسكرية فى أنحاء الكرة الأرضية . وما أجدر بعالمنا العربى أن يدرك مدى أهمية الذهب الأخضر فيقوم من يحمل زمام المبادرة فيه بوضع خارطة زراعية صناعية «والصناعية هى المكملة للزراعة من تركتورات وجرافات وماكينات حصاد» الخ ..... ويقومون بتنفيذ هذه الخارطة الزراعية الصناعية ومباشرتها كي يأخذ عالمنا العربي مكانته بين الأمم ، هذه المكانة التى يستحقها وبكل جدارة لأنه قام يوماً ما «منذ قرون لا يتعدى عددها أصابع اليد الواحدة» قام بحمل الشعلة كأقوى قوة اقتصادية وعسكرية وثقافية وعلمية على وجه الأرض .



جزء من جهاز حفر (دانا) فى الخليج العربي .

د. محمد على العوينى

الإعلام الإسلامى في مواجهة الإعلام الدولى

● هناك نقص فى معرفة الشعوب الاسلامية ببعضها البعض .. وهناك أيضاً حصار إعلامى تفرضه الوسائل والأجهزة التابعة للغرب على العالم الاسلامى بالتجاهل أو بالتشويه .. من اجل هذا كانت هذه الدعوة من أجل إعلام اسلامى قوى ●

● يتسم الاعلام الدولى بسوء توزيع مصادر الأنباء فى العالم ، إذ انه بفضل الامكانيات الاقتصادية والتقدم التكنولوجى ، والسياسات الخارجية الأكثر نضجاً من غيرها ، والهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فقد تمكنت الدول المتقدمة من التحكم فى وسائل الاعلام الدولى ، ومنها انشاء الوكالات الدولية للأنباء ، بالاضافة الى الاذاعات الدولية ، والصحف والمجلات المنتشرة على نطاق عالمى ، كما انه باستخدام الأقمار الصناعية امكن ارسال المعلومات فى أن واحد مسافات بعيدة ، وبالتالى اصبحت وسائل الاعلام سلاحاً خطيراً فى ايدى القوى الكبرى .

اى ان وسائل الاعلام مركزة فى الدول المتقدمة ، وأغلبية سكان العالم ومنهم سكان العالم الاسلامى لديهم أقل من الحد الأدنى لامكانية الحصول على المعلومات الاساسية .

جانب غير إسلامى

وإذا كانت هناك دول متقدمة وأخرى متخلفة ، فان الدول المتقدمة تعد فى هذا الصدد المتبوعة اعلامياً ، أما الدول المتخلفة ومنها الدول الاسلامية فهى دول تابعة اعلامياً .

وتقوم وسائل الاعلام الدولى وهى وسائل تسيطر عليها دول غير اسلامية تقوم بدور الوسيط بين الدول الاسلامية وبالتالى فهى تخدم فى المقام الأول سياسات الدول غير الاسلامية ولا تخدم سياسات الدول الاسلامية .

وبالتالى فهذه الوسائل تغطى قضايا العالم الاسلامى بشكل معين يشوه هذه الدول ، فهى تركز على الانقلابات والأمراض والمجاعات والجفاف والقحط وانماط الزعامة المميزة فتسخر مثلا من عيدى أمين الرئيس السابق لأوغندا ، أو وجود بعض العرب من الدول البترولية فى أوربا .

وهكذا يتم التدفق الاعلامى الدولى من جانب واحد غير اسلامى ويخدم فى المقام الأول سياسات هذا الجانب .

واذا كانت الدول المتقدمة تتوفر فيها الكتب والدوريات والأفلام وأوراق الطباعة وأجهزة التصوير والورق ، وأجهزة الراديو والتليفزيون ، وأجهزة الارسال والاستقبال وأجهزة الطباعة ، وأجهزة تسجيل الصوت ، والأدوات العلمية والخرائط واللوحات ووسائل التعليم الأخرى ، فان الدول الاسلامية تعتمد أساساً على الاستيراد بالنسبة



لهذه المواد ، أى انها دول تابعة اعلامياً بكافة الأشكال المختلفة .

نقص معرفة الشعوب الاسلامية

وهذا ساهم **ايضاً** بالاضافة لعوامل أخرى فى نقص معرفة الشعوب الاسلامية بعضها البعض ، بل ان بعضها يعرف احوال الشعوب غير الاسلامية اكثر من معرفته للشعوب الاسلامية ، بل ان اصطلاحات العالم الاسلامى والأمة الاسلامية وما يتعلق بها اصبحت غير واردة فى وعى الكثير من المسلمين .

وقد انعكست قضية تدفق الاعلام الدولى ، على مناقشات ومداولات المنظمات الدولية ، وذلك بالدعوة الى التدفق الحر للاعلام ، وقد ثبت أن هذه القرارات فضلا عن انها لاتجد القوة الالزامية لتنفيذها فهى تعنى ان الحرية المتعلقة بالتدفق تؤدى الى زيادة تسلط القوى على حساب الضعيف فى الاعلام .

ودعت الدول النامية بعد ذلك الى ما يسمى بالتدفق الحر والمتوازن للاعلام ، بمعنى ان التوازن الحر لا يخل بالتوازن بين الدول الأقوى اعلامياً والدول الضعيفة اعلامياً اى انه حر ومتوازن .

ايا كان الأمر فان هذه القرارات لازالت تمتلك القوة المعنوية ، ولازالت تنقصها القوة الالزامية الفعلية .

وقد سعت الدول الاسلامية مع غيرها من الدول النامية لمواجهة الهوة بينها وبين الدول المتقدمة ، وبالسعى الى ما يسمى النظام الاعلامى الجديد ، وقد بحثت هذه القضية من قبل الدول غير المنحازة ، وكان لتونس دور بارز فيها .

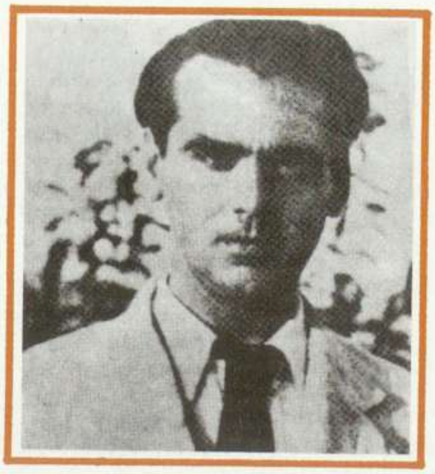
ويلاحظ ان الدول النامية ومنها الدول الاسلامية تحاول بالأمانى والتجمعات أن تقنع الدول المتقدمة بايجاد نظام دولى جديد للاعلام ، يحقق التدفق الحر والمتوازن للاعلام بين الدول ، ويعكس قضايا الدول النامية ، ولا يركز على الجوانب السلبية الخاصة بها ، ولكن استجابة الدول المتقدمة لازالت استجابة غير ايجابية .

تركيز الاعلام الاسلامى

والخلاصة ان التدفق الاعلامى الدولى يعد مظهراً من مظاهر القوة والضعف فى السياسة الدولية ، ويعكس معادلات القوى العالمية بمكوناتها المختلفة ، وبالتالى فاذا ارادت الدول الاسلامية ان تغير من النظام الدولى للاعلام ، فعليها أولا ان تركز على قواها ، وتعيد النظر فيها ، وبالتالى فان اى تغيير فى هذه القوى سينعكس على النظام الاعلامى الدولى ، أما الأمانى والنداءات وابداء النوايا الحسنة فلن تؤدى الى تحقيق مطالب الدول الاسلامية والنامية وهذا هو التحدى العملى الذى يواجه هذه الدول .

أما الصرخات والنداءات وطلب الرحمة وتحقيق التوازن وعقد الاجتماعات لما يسمى بالخبراء فى الدول النامية ، وغالباً ما يتم اختيـــارهم لاعتبارات أخرى ، لتحقيق الخرافة الجديدة التى تسمى «بالنظام الاعلامى الدولى الجديد» ، فلن تنطلى الا على اصحاب النوايا الطيبة ، أو السذج ، فالمطالب لا تنال بالتمنى أو النداءات الطيبة أو المخدوعة ، وانما بمواجهة معادلات القوى بما يتمشى معها .. ولكن هل سيعى اصحاب دعوة النظام الاعلامى الدولى الجديد ذلك ؟

د. محمد علي العوينى
أستاذ مساعد ـ كلية العلوم الادارية والسياسية
جامعة الامارات



لوركا... قيثارة أسبانيا

بقلم الدكتور : كمال نشأت

كان مولد فيدريكو لوركا فى قرية تقع قريباً من غرناطة ، أكمل تعليمه فى جامعة مدريد عام ١٩٢٠ ، فأجيز فى الفلسفة والأدب ، وجمع إلى دراسته وقراءاته الأدبية ولعاً بالموسيقى ، فكان عازفاً بارعاً على «البيان» ، كما كان رساماً . كان لوركا صاحب مرح ، يقلد بعض أصدقائه ومعارفه ، فاذا فعل ذلك أشاع جوا من الفكاهة والمرح وكثيرا ما أثار إعجاب هؤلاء الأصدقاء والمعارف حينما كان يغني ويعزف على « البيان » .

تعرف لوركا الى نخبة طيبة من الفنانين الذين كان لهم أثر كبير فى تطوره الشعرى ، منهم الرسام (سلفادور دالى) والأستاذ الجامعى والموسيقى (فرناندو دى لوس ريوس) والمخرج (لويس بو نيوبل) .

ونشر عام ١٩٢١ ديوانه (ديوان شعر) ثم ديوان (ماريانا بينيدا) ، وفى عام ١٩٢٨ أصدر ديوانه المعروف (أغانى الغجر) . وفى عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ سافر الى الولايات المتحدة ، وكوبا . وفى علم ١٩٣١ أعلنت الجمهورية فتحول الى المسرح بعد عودته الى اسبانيا ، وكون فرقة مسرحية قدمت عروضها فى أمريكا الجنوبية . يصفه شوينرج بقوله (كان فيد ريكو قبيحاً قبحاً أجمل بكثير من الجمال المبتذل ، كان مظهره مظهر فلاح أندلسى ، معتدل القامة ، ضخماً ، فارهاً ، ذا عينين سوداوين يشعان ذكاء سريعاً ، مشرقاً .. كانت تقاطيع وجهه شاحبة ، وتعابيره متغيرة . الشعر فاحم أسود ، والجبين مثقل ، يشع تعاطفاً ومرحاً ..) .

فى عام ١٩٣٦ ترك لوركا مدريد الى غرناطة ، وكانت الأحوال السياسية مضطربة ، وفى ١٨ أغسطس من نفس السنة ألقى القبض عليه بعض أتباع الجنرال فرانكو (الحرس المدنى) وأعدموه بالرصاص ودفنوه فى قبر مجهول . وأحدث مقتله موجة من السخط فقد أحبه الناس وعرف قدره الشعرى المثقفون والأدباء .

روح اسبانيا

إن قيمة شعر لوركا يمكن أن تلخص فى الجملة التالية : (إنه كان الشاعر الذى عبر فى اقتدار عن روح اسبانيا) ... اسبانيا الجمال ، والغجر ، والعنف ، والدم ، والحسية . من هنا كانت هذه القسوة فى صوره الشعرية ، وهى صور تنبع من اللاشعور متخذة طابعاً اسبانياً ومن هنا أيضاً كانت الخناجر والدم والموت والشهوة المحاور التى دار عليها شعره ، حتى نثره نرى فيه ذلك . يقول (اننى الآن بصدد خلق شعر يسيل كالدم وانت تقطع رسغك ، شعر يكون قد ودع الواقع ، وكتب باحساس يعكس كل حبى للأشياء ، واستمتاعى بها ، حب الموت ،

والمزاح مع الموت ..) .

إن فكرة الموت نسغ من الكآبة الكامنة فى الطبيعة الاسبانية ، ولعل الموت يقف وراء الاهتمام بمشاهدة المصارع والثور حيث يحوم فوق حلبة المصارعة ، وحيث الدم .. دم الثور أو دم المصارع .. من هنا كانت صوره التى تلعب فيها لفظة الدم المحور الرئيسى .. وكذلك الخناجر التى يتمنطق بها الغجر وبها يتقاتلون . يقول لوى بارو (إن الخنجر ليحترق فى يد كل غجرى أصيل ، ويلعب دوراً عظيماً فى أغانى لوركا ومسرحه) ، وهو كما يقول لوركا نفسه (الخنجر يضيء الأعماق المروعة) . ويقول (إن لك تلك العاطفة التى تهبها سماء اسبانيا ، عاطفة الخنجر ، والأذن المصغية واللحن الآسي) .

إن إراقة الدم هي جوهر الموت ، وهو جوهر الحياة ، ولوركا (يقيم عمارة غنائية متينة حول رمز الدم ، يستعمل فيها هذا العنصر لا من حيث خصائصه الحياتية فحسب ، بل من حيث خصائصه الجمالية والميتافيزيقية أيضاً وأحياناً يكون لاستعمال رمز الدم علاقة بلونه لاضفاء صبغة انطباعية على الصورة ..) .

يقول لوركا فى بعض شـــعره (السكاكين يزينها دم الخصم) و (الدم اللزج ينوح بأغنية الأفعى بصمت ..) . على أن هذا العنف ليس بعيداً عن الروح الغجرية الاسبانية انك تراه حتى فى أغانى الأطفال ، وهو ظاهرة موجودة فيها مطردة باستمرار .

تقول احدى هذه الأغانى :

ها هــى الشمعة تضيء طريقك
الى السرير
وها هو حامل الساطور
جاء ليقطع رأسك

وهذه أغنية أخرى تغنيها الأم لطفلها

الخطر يتهدد ..
علينا أن نكون أصغر وأصغر ..
فجدران الكوخ تلامسنا ..
إنهم يراقبوننا فى الخارج ..
علينا إن استطعنا أن نعيش فى برتقالة أنت وأنا ..

بل الأفضل فى حبة عنب ..
وعندئذ يأتى النوم ..

●●●

إن العنف والشبق يتعانقان فى شعر لوركا خاصة فى ديوانه (أغانى الغجر) الذى ترجم فيه ــ خلال صور منحوتة ــ عن باطن هؤلاء الناس ، إن الرجل من قبائل (الكامبوريو) الغجرية لا يكون رجلا إلا بخنجره الذى يدافع له عن كرامته وحريته ، ولذلك اعتبر عدم مقاومة «انطونيتو» الكامبوريو رجال الحرس المدنى وخنجره فى يده خيانة لرجولته كغجرى . إن الوثنية البدائية ، والماضى الأسطورى يكشفان عن الدوافع الغريزية بحيث تضعنا أمام الرعب الذى عبر عن نفسه من خلال صور لوركا .. إنها كلها ترجمة عن الأصول الفطرية فى حياة الغجر الذين عاشرهم لوركا ، وتشرب فلسفتهم فى الحياة . من هنا كان اندمج الخرافة والفولكلور فى ديوان (أغانى الغجر) فى وحدة سحرية متخذة طابعاً سريالياً ، وكان الشاعر (دى لاسيرنا) والشاعر (هيراردو دييكو) قد نحتا صوراً عجيبة ، وخاصة هيراردو مثل قوله «ولدت النوارس من المناديل الملوحة بالتوديع فى الموانىء» و «الشوارع فى الليل أطول منها فى النهار» و «من هذه النجمة كما من نافذة مضاءة ، تأتى أنغام كمان» و «إنهم يلبسون السجناء أردية مخططة بأمل أنهم لن يفروا وهم يرتدون القضبان» ..

أما لوركا فكان يقول : «إن حبى أشبه بروجي حذاء عتيق» . ولما ضحك أصدقاؤه من هذا التعبير قال : إنها محاولة للجمع بين شيئين كانا ينتميان فى نظر الناس الى عالمين مختلفين .

الحياة أو الموت فى رياضة مصارعة الثيران .. !!



لوركا... قيثارة أسبانيا







رقصة الفلامنكو

عرس الدم

إن الشهوة والمصير المأساوى الذى يتشكل فى الموت الدامى ، هى المواضيع التى تفرض نفسها على لوركا .. فى شعره الغنائى وفى مسرحه على السواء .. انه يقول فى مسرحية (عرس الدم) :

ليس الاثم علي أنا
إنه على الأرض
وعلى هذا العطر المتضوع
من نهديك ويديك

وفى نفس المسرحية يدور هذا الحوار:

الحطاب الأول :
كان بعض الناس يخدم بعضا
وأخيراً كان الدم أقوى منهما كليهما
الحطاب الثالث :
الدم
الحطاب الأول :
علينا أن نتبع سبيل الدم ..

لقد تشرب لوركا سحر الأندلس .. حياة الغجر والغموض والعنف واللون ، وهو فى أغلب صوره يعتمد على الألوان خاصة الأحمر ، والأخضر «وما أنت إلا قرنفلة حمراء ممتلئة بالدم» و «ففى كل حبة نجمة مضاءة ، وفى كل غشاء أحمر يموت غروب» و «ما طعم فمك هذا الأحمر العطشان» و «نور حاد من الورق ينفذ الى ملامح الفرسان الخضر القاسية» و «دفقة من عروق خضر تنط من حلقها» الخ ..

ربما كان اهتمامه بالرسم وراء الالتفات الى الألوان ويؤكد هذا الاهتمام ألوان الجنوب التى تعيش بذاكرته . وحينما يموت صديقه مصارع الثيران المشهور «سانشيت مينجياس» بطعنات قرنى ثور ، كتب فى رثائه قصيدة من أروع الشعر ، استخدم فيها أدواته القصصية ، واستعمل ايقاع الندبة عند الغجر ، وفى نهاية كل مقطع يردد «فى الخامسة بعد الظهر» وهو ميعاد مصارعة الثيران فى اسبانيا ، واذا بهذه الجملة تتردد بعد كل مقطع من القصيدة أشبه «بنا قوس حزين يقرع وفق ترنيمة رتيبة لقسيس» .

●●●

ومن أبيات القصيدة :

أكناثيو يرتقى النجوم
يحمل الموت على كتفيه
بحث عن الفجر
فوجده قد رحل
إنه يبحث عن صورته الحادة
فيحول الحلم دونه
بحث عن جسده الجميل
فوجد دمه مفتوحاً على سعته
دع القمر يأتى
لأنى لا أريد أن أرى دم أكناثيو
على الرمل ..
سيطول الانتظار قبل أن ينجب الزمن
ـ أن أنجب ـ أندلسياً بمثل التماعه
وامتلائه بالجرأة ...
إننى أتغنى بكلمات حداد ..
وأتذكر نسمة حزينة سرت
خلال أشجار الزيتون ..

●●●

ونحن نقول : سيطول الزمن حتى يظهر شاعر مثل لوركا ، أجاد عرض روح قومه الظاهرة الخافية ، مستنبطاً ملامحها وتقاليدها وتاريخها المتميز .

د. كمال نشأت ـ بغداد

الاحتراق في موسم الرياح

شعر: م. كجراي



أقول لشلة الأحباب لا تأسو
إذا مارن صوت الحزن يقطر من كتاباتي
فان الحزن يوقظني
يلاحقنى يلون دغل مأساتي
أنا من أمة سكرى بخمر الصبر ،
تخرس صوت آهاتي
وتخنق لي عباراتي
يمر العام تلو العام لا الأحلام تصدق ،
لا ركام الهم يسقط من حساباتي
ويخجلني امتداد الصمت ،
لون الصمت ،
عري الصمت في جدب المسافات
تسائلنى عصابات من الشعراء والفقراء ،
عن نار تمد لسانها المسعور فى ساحات لوحاتي
وعن عبق من الكافور
عن قبس على الديجور
كان يضيء فى كل المساحات
وماذا يارفاق الدرب مادامت
تزلزلنا رياح القهر والأحباط فى عقم البدايات
وهأنذا كمجذوب يسير على هواه
يجد يظهر فى جموع السفر فى كل القطارات
فياشمسا تغيب هناك بين البرزخ
الممتد فى أقصى المدارات
أتوه أظل أبحث عنك
بين مواكب الدهماء ،
خلف مرافيء الظلماء ،
فوق مجرة الأسماء
لا ألقى سوى صمت يغربل لي عذاباتي
رأيت الليل مسعورا يمزق لي شعاراتي
يقود مظلة الأعصار ، يسخر من معاناتي
وإما لذت بالأحياء يلقينى على أبواب أمواتي
رفعت على ركام الغيب فوق مدارج المجهول راياتي
وهأنذا أنوء بصخرتى الصماء
يا « سيزيف » أهدر فى دروب الليل طاقاتي
فيا وطن الضياع المر يا نصلا
يمزقنى ويكثر من جراحاتى
متى ينسل موج الضوء يغسل رمل واحاتي ؟؟

أن يكون الحمار دكتورًا .. مشكلة !

حكاية رمزية بقلم : د . الطاهر أحمد مكي

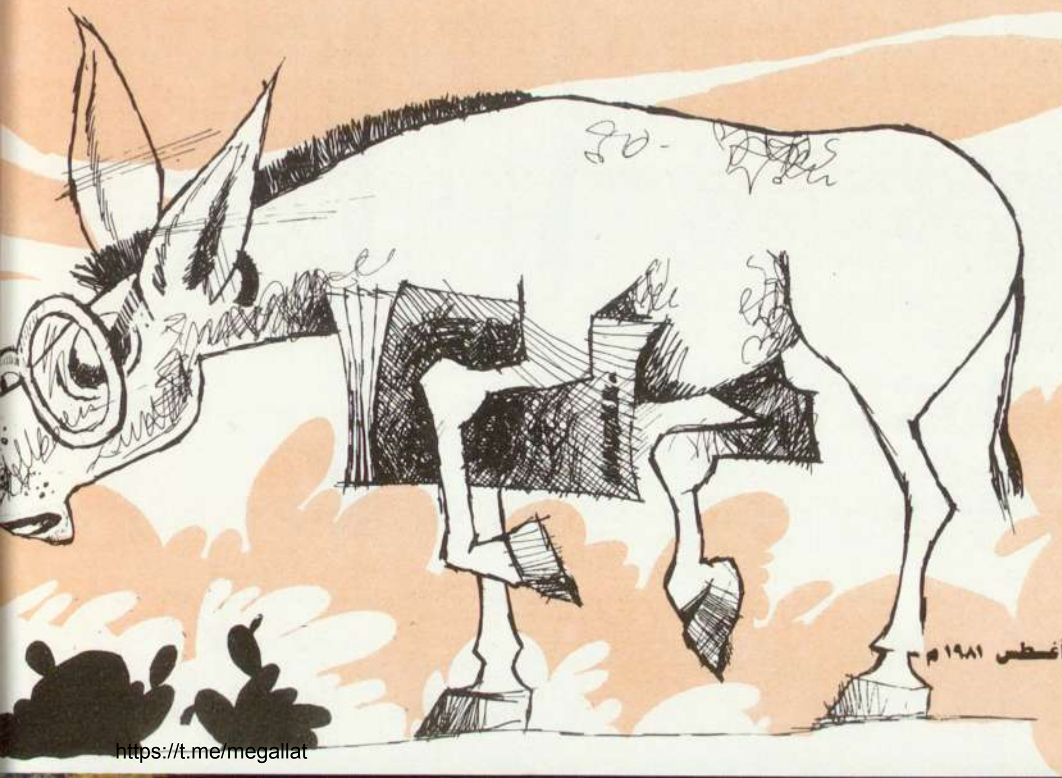
يحكى أن سبعاً عجوزاً أقعده « الروماتيزم » كان يعيش وحيداً ، معتزلا بقية الحيوانات ، فى عمق كهف غائر ، تحيط به طرفه وكتبه ، يقضى وقته متأملا : كيف تمضى الحياة ، وكيف يجيء الموت ، هادئ البال ، ولا شيء يزعجه رغم أنه مقعد .

لقد فارق الجانب الأكبر من أصدقائه هذا العالم ، ولا تكاد الأجيال الجديدة تعرف عنه شيئاً ، وتمضى الأيام أسبوعاً وراء أسبوع دون أن يتلقى زائراً ، والرفيق الوحيد الذى آثر أن يبقى معه ، وأن يؤنسه فى وحدته ، ضبع عجوز ، تخدمه ، وتساعده ، تطبخ له ، وتقوم على شئونه ، وتقول عنه : إنه عاد خرفاً لا يعي ما يقول .

والحق أن الرعية فى الغابة ملته ، وسئمت أحاديثه ، فلم يبق فيها نمر أرقط ، ولا ثعبان زاحف ، ولا جرو أسد ، ولا ثعلب محتال ، ولا حتى ابن آوى ، فى كل المنطقة التى تحيطبه ، إلا وسمع منه للمرة العشرين بعد الألف ، تاريخه فى الصيد والقنص ، والاعداد للحرب ، والانتصار على العدو ، ومع ذلك فالذين حوله لا يسره رأيهم فيه ، رغم موافقتهم له ، وبشاشتهم فى مواجهته ، فهم يرونه أخبث سبع عرفته المنطقة ، يراوغ ولا يواجه ، ويتسرب إلى أهدافه خفية كالميكروب ، ويكذب على الجميع وهو يدعو إلى الصدق ، ويعيش فى الوحل ويبشر بالطهر ، ويتظاهر بالعفة ويلتهم فى السر غذاء الأرامل والأيامى والضعفاء ، يرتدى مسوح الزاهد ثم يكنز الذهب والفضة ، يبشر بالقناعة ولا يتوقف عن التهام المزيد من الثروات ، وحوله يلتقى المنافقون والانتهازيون والسماسرة ...

ولكن السبع لم يكن خرفاً ولا هتاراً كما تقول عنه الضبع ، وإنما أصيب بما يصاب به الكهول عادة ، حين يعجزون عن الفعل ، وتخلو أيديهم من القوة ، فلا يبقى فيهم نشطا غير اللسان ، فيكثرون من التشدق بأنعمهم على قومهم في كل مناسبة ، وحتى دون مناسبة ، والتذكير بمآثرهم وبطولاتهم فى سالف الزمان ، وفائت العصر والأوان ، وأدرك الأسد واعياً أن رعيته ملت قوله هذا ودعاواه ، فهو يريحها من حين لآخر ، يتخلى عنها ، ويذهب الى خلوته ، يقرأ المؤلفين الكبار ، ويستمتع بالأعمال الفكرية الخالدة ، فاذا شرده فكره ، وذهل عما حوله ، استسلم لخياله ، وأمضى لحظاته وحيداً يتفلسف .

وفى لحظة وجد سمع طرقاً بالباب ، فامتلأ فضولا ، وفاض به الأمل ، وأخذ طريقه الى الباب مبتهجاً ، فمنذ أيام طويلة لم يزره أحد ، وأسرع يتوكأ على عصاه ، يحاول أن يخفى ضعفه ، وأن يكتم عرجه ، فلما فتح الباب وجد الحمار واقفاً فى مواجهته ، فأخفى جاهداً مظاهر الخيبة والألم ، تصور الزائر شخصية مهمة فوجده حمارا ، ولاذ بالصبر على كره منه ، فعندما يصبح المرء كهلا ، يثقل حديثه ، ويمل الآخرون مجلسه ، وتمسك المخلوقات عن زيارته ، ولا يبقى له منها إلا القليل ، وعليه ألا يبالغ فيما يتمنى ويطلب . وأخيرا هو حمار ، مثل أى حمار آخر ، له أذنان كبيران قادران على السماع طويلا ، وصوت أجش قادر على



الاسماع بعيداً ، فهو يجمع أبرز خصائص السمير ، وقد رحب به السبع ، ورجاه بأدب أن يتفضل ، وقاده الى قاعة مزينة برءوس الغزلان المختلفة ، وقرون الجواميس المثبته على قواعد متينة ، فى براويز مزخرفة .

وقال الحمار فى عذوبة وهو يبتسم :

- سيدى ، جئت طائعاً موالياً ، لا متمردا ولا معادياً ، على الرغم من شيخوختكم وضعفكم ، وتقدمكم فى العمر ، وقد جذبنى إليكم حسن سيرتكم ، وطهار ذمتكم ، وشدني الى مجلسكم هيافة قوامكم ، وأناقة مظهركم ، ومنذ كنت جحشاً صغيرا وأنا أسمع الكثير عن مقامكم ومواقفكم ، و بطولاتكم ، وانجازاتكم في عالمي الحرب والسلام ، فأعجبت بكم ، وأحببتكم . هل أستطيع أن أصبح تلميذا لكم ، ان أكون منكم ما كانه أفلاطون من سقراط ، أنتم تتكلمون وانا أسمع وأدون ، والحق أن في نيتي أن أهدي اليكم رسالتي للدكتوراة ، وسوف تكون عن شخصكم ، وجهودكم ، وما أضفتم الى التاريخ .

وأثار التصريح الحماسة والاعجاب في نفس السبع ، فبدا له في الحال أن الحمار جميل الوجه ، عذب التقاسيم ، لماح المحيا ، متدفق الذكاء ، عالما موهوبا ، يرجى على يديه الخير الكثير ، رغم ابتسامته البلهاء ، التي تكشف عن أسنان ضخمة طويلة ، صفراء فاقع لونها ، تبدو وكأنها معزف بيانو غرس في لثة وردية اللون .

في هذه اللحظة نشأت صداقة فريدة لا يعرف لها التاريخ مثيلا ، بين حيوانين مزاجهما مختلف ، وطبيعتهما متناقضة ، وغرائز كل واحد منهما تمضي في اتجاه ، وازدادت صلتهما وثوقا مع الزمن ، ونما بينهما حنان ودود ، وأصدر السبع أمره الى الضبع بأن تعد حجرة الضيوف الفاخرة لكي يقيم فيها الحمار ، فقبلت على مضض ، لأنها - وهي كهلة في مثل سن سيدها قليلة اللباقة ، لا تعرف كيف تداري ، وحظها من المجاملات الاجتماعية محدود ، ولم تتعود منذ زمن طويل على الضيوف المقيمين ، فالكثيرون يأتون الى سيدها ، يحادثونه ، أو يهادنونه ، أو يسمرون معه ، أو يسهرون الى جانبه طرفا من الليل ثم يمضون ، أما الاقامة الدائمة ، حتي ولو حمار واحد ، فهي عبء ثقيل ، يكلفها مسئوليات متواصلة ، ولم تستطع أن تخفي نظراتها الحانقة ، تعكس نواياها السيئة ، وهى تصحب الحمار الى مخدعه ، أو حين تتردد عليه في النهار تحمل له الطعام .

ولم يهتم الحمار بها انصرف الى عمله جادا ، يمضي أغلب وقته الى جوار السبع يحادثه ويحاوره ، ساعات وساعات ، تشغل احيانا جل الليل وأطرافا من النهار ولا ينفصل عنه الا حين يتناول طعامه أو يأوي الى فراشه. وخلال ذلك كله لا يتوقف السبع عن الكلام ، والحمار يسمع قصصا لا تنتهي عن حملات السبع الحربية ، ومغامراته العاطفية ، وعما يحب ويكره في أنثاه ، انه يفضل منهن ذوات العيون الأسرة الجميلة ، والقوام الأهيف الممشوق ، والشقية المرحة الفاتنة ، وذات الدل الناعمة المثيرة ، وحدثه كيف أحب وأخفق ، وعاش جريح القلب ، يكتم آلامه كبرياء ، ويخفي احزانه تظاهرا ، وقص عليه أخبار رحلاته العديدة في أرض الله ، وما رأى من أقوام وشاهد من خلق ، وعرض لفلسفته في الحياة تفصيلا ، وأبان له عن آرائه في الأخلاق والحيوان والانسان .

وسعل السبع وتنهد ، ثم اعتدل واستوى ، واستراح على مؤخرته واستجمع قواه ، كمن يتهيأ لأمر جلل ، وأخذته الجلالة فأخذ يقص له آخر لقاء له مع «الثعلوان» : جاءني مزهوا ، عريض القفا ، متورد الخد ، بليد الروح ، في حاشية ، من صبيانه ، يسمعني آخر أشعاره . هو ينشد ، وهم يتمايلون طربا ، ولم أجد لما قال صدى في نفسي ، ومع اني



أن يكون الحمار دكتورًا .. مشكلة !

لا أعالج الشعر لكي استمعت الى كثيرين هنا ينشدونه بين يدي ، وأزعم لنفسي ، دون مبالغة ، أني قادر على ادراك طيبه من غثه ، وتمييز جيده من ساقطه ، والتفرقة بين رائعه ومرذوله ، وأشهد أن كل ما قاله لاصلة له بهذا الفن الجميل .

قلت للثعلوان رأيي بصراحة ، وهل ينافق مثلي ؟! : ما تقوله يمكن أن نسميه أي شيء الا أن يكون شعرا ، لا شعر بلا موسيقى، إنك تغالط نفسك ، والذين حولك ينافقونك ، وقبل أن تهرم وتشيب رأسك سوف تنساك الدنيا ، وتنسى كل ما قلت من أشعار ، وأنت تعرف أن التاريخ لا يداجي ولا يجامل ، ولا تخدعه مظاهر الاعلان ، ولا تجوز عليه أكاذيب الاعلام .

وكتم صاحبنا غيظه وانصرف ، واول أمس جاءتني الضبع تقول : ان أصحاب «الثعلوان» يتجمعون في طرف الوادي وسوف يبايعونه اميرا للشعراء ، وضحكت ، ولو رأيته لاقترحت عليه أن يبايع نفسه أميرا على الخنافس ، انها أخفض جناحا ، وأسهل قيادة ، وأشد اصرارا على العمل ، ويرجى من ورائها خير كثير . وقالت الضبع في نبرة لا تخلو من خبث : الفرق بين الخنافس واصحابه بسيط .

كان الحمار يستمع الى السبع ثملا بما يسمع ، ونشوان اعجابا ، يسجل ملاحظاته ، ويدون رأيه ، وملأ بها صحائف وصحائف ، وبدا له انه تعمق في الفلسفة السبعية ، وألم بأسرارها ، وعايش صاحبها ، وانه معها يمكن أن يتحول سبعاً ، في المستقبل البعيد على الأقل .

وتعود السبع أن يقول له :

يا حميري ! أنك أحب مخلوق الي في هذا العالم ،إني أحمل لك حنانا عارما وودا متصلا ، كما لو كنت ابني ، لم يستطع أحد أن يفهمني بأفضل مما فهمتني أنت ، ولقد بلغ بي الكبر عتيا ، ولن يبعد بي الزمن طويلا ، وسوف القي نهايتي قريبا ، وعندما أرحل عن هذه الدنيا فكل ما أملك لك : الكتب ، والمذكرات ، والأثاث والبيت الذي يحتويها ، كلها تصبح ملكا لك ! .

وشكره الحمار متأثرا ومقدرا ، واجرت هذه الكلمات الحنون السخية دمعه غزيرا ، وملأت بها عينيه الواسعتين الجامدتين . ولكن وضاعة الأصل التى تجري فى دمه ، وتترك أثرها في سلوكه ، رغم تظاهره بالسبعية ، وحرصه على مراسم السادة ، جعلت منه في اللحظة المناسبة مخلوقا جباناً ، فلم يجرؤ على أن يوعز ، أو حتى يومىء ، لصديقه العجوز بأن يوثق وصيته هذه ، وان يشهد عليها في الشهر العقاري .

وشهدت الضبع الخادمة ما حدث ، وكانت تكره الحمار من أعماقها ، فانتهزت فرصة خروجها في حاجة من شئون سيدها ، وذهبت لزيارة أسرته ، من أحفاده الذين يعيشون بعيدا عنه ، وقصت لهم ما حدث ، روته لهم بطريقة مثيرة ، وحفزتهم للانتقام من هذا الحمار الدساس المكار الحقير ، الذي تسرب الى عرين جدهم وسيد الجميع ، وغايته أن يستولى على ثروة السبع ، وأن يحرم منها الورثة الحقيقيين .

ولفظ السبع العجوز أنفاسه الأخيرة بين يدي الحمار ، فاعتنى به فى مثالية نادرة ، وإنكار فريد للذات ، وتغشاه ألم عميق ، فأخذ يردد حزيناً : « لقد فقدت فيه أستاذا ، وأباً ، وصديقاً .. بالشقوتي وبؤسي بعد ذهابه ! » .



أما أحفاد السبع الذين تخلوا عنه منذ أربع سنوات ، أو تزيد ، ولم يجيئوا لزيارة جدهم ولا مرة واحدة ، فقد استجابوا لدسيسة الضبع ، وظهروا فى الدار بعد ربع ساعة من موته ، وكان أول ما صنعوه أنهم ألقوا بالحمار إلى عرض الطريق ، بعد أن أخذ حظه كاملا من الركل واللطم والشتم والتهديد .

– وتضرع إليهم الحمار راجياً :

– اسمحوا لي أن آخذ هذه المدية تذكارا ..

وصرخ فيه أحد الأحفاد :

– يالك من صفيق ! ، أحمد الله على أن تركناك تذهب فى أمان .

– لي رجاء ... على الأقل دعونى أجمع أوراقى وأرتبها .

وسأل الحفيد :

– أية أوراق ؟

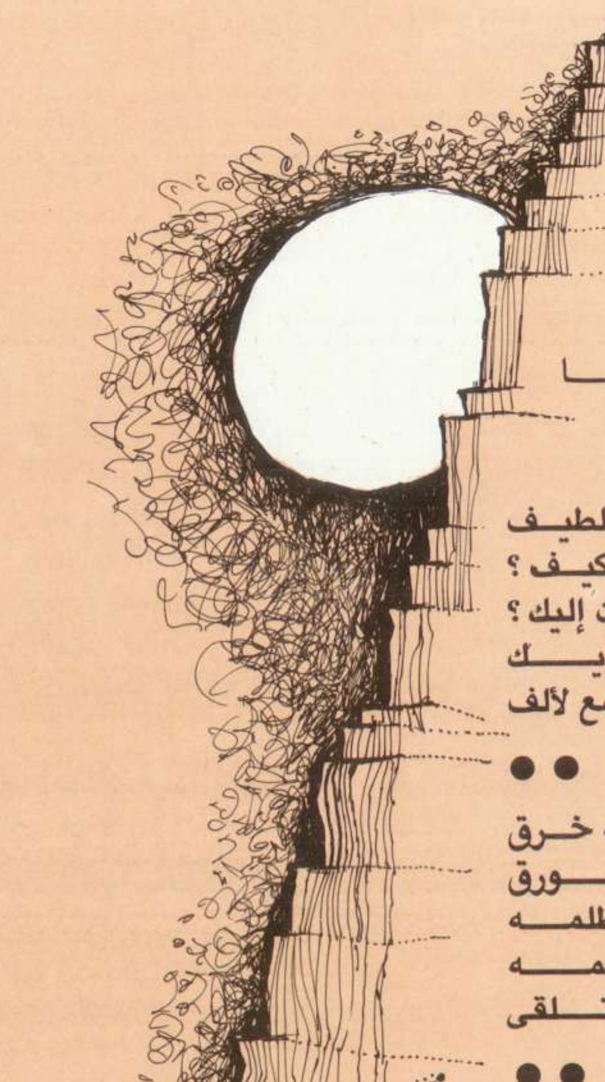
وعاد الحمار يتوسل ويرجو :

– أوراق رسالتى للدكتوراة ، إنها تمثل عامين من الجهد المضنى والمتواصل ، اعملوا في معروفا ، هذا المعروف فحسب ، إكراماً لذكرى جدكم الغالى .

– بعدك ! ... لن تخرج بشيء من هنا ، وعلى أية حال فنحن عازمون على إحراق كل الأوراق التى تركها جدنا ، ونحن على ثقة أننا بهذه الطريقة نعبر عن أسمى رغائبه ، وأغلى غاياته ، وحيثما كان ، أو أستقر ، فسيبارك عملنا .

وفى نشاط جم ، غير متوانين ولا كسالى ، انطلقوا من القول إلى العمل ، وانطوى الحمار على نفسه كسيرا ، يتنهد حزينا ، ويسائل نفسه فى خيبة أمل طافحة : « كيف جرى على أن أكون ساذجاً وبسيطاً على هذا النحو ، فنحن الحمير لم نخلق قطعاً لنكتب رسائل دكتوراة عن السباع ، إن علينا أن نقف بجهدنا عند كتابة الرسائل عن الحمير الأخرى فحسب ، لقد أجهدت نفسى ، وأردت أن أحقق جديداً فى مجال الدراسات السباعية ، وأن آتي بأفكار أصيلة فى عالم البحث الجامعي ، وكان حظى أن عدت بخفي حنين : الاهانة والضياع ! » .

د. الطاهر أحمد مكي



زيارة

شعر: جليلة رضا

.. وتساءل: من يهبط نحوى ؟ فأجاب الضيف : أنا الطيف
صاح المتسائل مذهولا : أتركت الأحياء ؟ وكيف ؟
رد الزائر فيم الدهشة ؟ اشتقت اليك ! اشتقت إليك ؟
وأتيتك في ثوبي الأبيض أتسلل لأنام لديك
افسح لي ركناً من فضلك .. فالحجرة تتسع لألف

● ●

عبر الزائر باب الحجرة .. حتى وافى كومة خرق
وتساقط ريش جناحيه في صوت كحفيف الورق
فأحس بخفة ساقيه واقتحم المسكن فى الظلمه
لكن القمة صدته .. فتحاشى ضربات القمه
وأندس بجانب كومته .. وتوسد صدر المستلقى

● ●

وتكلم،استوحى الذكرى واسترسل فى الشرح وأسهب
وتكلم .. قال لصاحبه كلمات أبداً .. لن تكتب
والنائم لا ينطق حرفاً .. مفترشاً فى صمت أرضه
وأنتبه الضيف على وخز فى طرف الاصبع كالعضه
وأحس الكومة فارغة .. لا صدر هنالك أو منكب !

● ●

وانتفض الزائر مذعوراً واستند الى السقف الخائر
مفتقداً أدراج السلم ليعود الى البيت الآخر
وتعثر في جسم صُلب فاذا على الأرض حصاة
قلّبها فى الكف برفق وعلى خديه العبرات ..
وتساءل وهو يناجيها .. واهاً .. أتكون هى الشاعر !؟

درس حضاري في التعامل مع التراث

بقلم الدكتور: أحمد عثمان

● أثيرت فى الآونة الأخيرة مسألة التعامل مع التراث القديم . واكتسبت نفس المسألة أهمية خاصة بمناسبة دخولنا القرن الخامس عشر الهجرى . وأرى أنه فى ظل الحماس القائم هذه الأيام لمبدأ إحياء تراثنا العربى الاسلامى القديم أن ننظر حولنا ونتأمل ما فعله الآخرون ممن سبقونا فى هذا المضمار بعدة قرون . ولقد وقع اختيارنا على شخصية واحدة من عصر النهضة الأوروبية إذ رأينا فيها مثلا بارزاً يجسد فكرة الاحياء كما كان لهذه الشخصية الفضل الأكبر فى إرساء دعائم الدراسات الانسانية ●

وإذا كان الأديب الفيلسوف الفرنسى فولتير (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨) يتميز بأنه لمس بنفسه تأثر كتاباته على جيله ــ وكان تأثيراً عميقاً وواسعاً ــ فان ارازموس ينازع فولتير فى ذلك فهو مثله يمثل ثورة فكرية متكاملة ، يزيد عن ذلك أن إرازموس هو الاسبق زمنياً ، كما أن تاريخ الأدب والفكر فى أوربا القرن السادس عشر والقرن الذى يليه هو الى حد بعيد سجل للتأثيرات التى أحدثتها جهود أرازموس لاحياء التراث الكلاسيكى والاسترشاد به لتقويم ما أعوج من المعتقدات الدينية المسيحية ، ومن سخرية الاقدار أن اللغة اللاتينية التى استخدمها ارازموس فى كل كتاباته والتى جعلت منه كاتباً أوربياً ــ لا ألمانيا فقط ــ هى التى وقفت عقبة كأداء أمام انتشار شهرة ارزموس لدى الاجيال التالية . والسبب فى ذلك أن اللغة اللاتينية نفسها تنازلت رويداً رويداً عن المساحات الشاسعة التى كانت تحتلها فى عالم الأدب لصالح اللغات الأوربية الحديثة الناشئة ، كان ارازموس مشهورا بين أبناء جيله أكثر من شهرته فى الاجيال التالية ، لأنه من محاسن الصدف أن يجيء مولده مع اختراع فن الطباعة . مما جعله أول كاتب فى العالم يتمتع بوسيلة نشر جماهيرية فاستغلها أحسن أستغلال يضاف الى ذلك أن لارازموس علاقة مباشرة وتجربة شخصية مع هذا الاختراع الوليد ذلك أنه اشتغل عاملا بأحد محلات الطباعة لفترة من الزمن .

مجموعة مؤلفاته

ولد ديزيديريوس ارازموس عام ١٤٦٦ بمدينة روتردام . تلقى تربية دينية ثم أصبح راهباً فى دير يتبع التعاليم الأوغسطينية وسمح له فيما بعد أن يترك حياة الرهبنة وأن يرتحل فى أنحاء أوربا الواسعة فزار بلداناً كثيرة منها انجلترا التى رحبت به أحسن ترحيب

وتمتد فترة نشاطه الأدبى الى ستة وثلاثين عاماً تقريباً تبدأ ببداية القرن السادس عشر نفسه ، واستطاع ارازموس فى هذه الفترة أن ينشر طبعات لكتابات آباء الكنيسة الأوائل . أما أعمال ارازموس الرئيسية فهى كما يلى : «الوسيلة الجديدة» وهى عبارة عن طبعة للعهد الجديد مع تعليق شارح ونشرعام ١٥١٦ . يلى ذلك فى الأهمية كتاب بعنوان «مديح الحماقة» ونشر عام ١٥٠٩ وتم تاليفه بناء على اقتراح من السير توماس مور ومن الملاحظ أن العنوان اللاتينى فيه اشارة الى اسم مور نفسه وهى اشارة قصد بها المداعبة لأن كلمة « موريا » باللغة اللاتينية تعنى «الحماقة» وبعد ذلك يأتى بترتيب الأهمية كتاب «سلاح الجندى المسيحى» ونشر عام ١٥٠٣ ولقد ترجم هذا الكتاب الى لغات أوربية عديدة . ولارازموس مؤلف باسم «تعليم الأمير المسيحى» وآخر بعنوان «المحاورات» . وجمع الأمثال والحكم الكلاسيكية فى مؤلف سماه «الأقوال المأثورة» . وله مؤلفات أخرى كثيرة كما ترك العديد من الرسائل الشخصية وغير الشخصية شرح فيها مبادئه الفلسفية وآراءه فى الدين والأخلاق . وسنتناول بالحديث بعض هذه الأعمال ولاسيما التى لها دلالة خاصة بالنسبة لعصر النهضة وحركة إحياء التراث الكلاسيكى القديم .

خلاصة الثقافة الكلاسيكية

كانت الطبعة الأولى من كتاب

«الأقوال المأثورة» صغيرة جداً وقليلة التكاليف الى اقصى حد فلم تتعد الثمانمائة قول مأثور انتخبها ارازموس من نصوص الأدب الاغريقى واللاتينى . لكن ما ان ذهب ارازموس الى البندقية فى استضافة صاحب مطبعة مشهور هو ألدوس مانوتيوس (١٤٤٩ ـ ١٥١٥) حتى نشر طبعة جديدة تبلغ أربعة أضعاف الطبعة الأصلية وسماها «آلاف الأقوال المأثورة» ضمت على وجه التحديد ٣٢٦٠ قولا مأثوراً . ولم يتوقف أرازموس عند هذا الحد فظل يتوسع فى جمع هذه الأمثال طيلة حياته فنشر فى بازل عام ١٥١٥ طبعة جديده تعرف باسم فروين وضمت ١٥٠ قولا مأثوراً إضافياً . وأخذت الطبعات من هذا الكتاب تتوالى وفى كل طبعة تتزايد الأقوال المأثورة التى يجمعها ارازموس حتى جاءت الطبعة الأخيرة والتى نشرت عام وفاته ١٥٣٦ فضمت ٤١٥١ قولا مأثوراً .

الملاحظات الشخصية

ويبدو من العنوان الذى اختاره ارازموس لكتابه أن الهدف الأصلى من وضعه هو أن يكون كتيباً صغيراً فى متناول اليد يضم الأمثال الكلاسيكية مع شرح وتعليق عليها ومقارنتها بغيرها من الحكم والأمثال المأثورة فى شىء من الايجاز . ولكن ارازموس لم يستطع أن يتحكم فى نفسه طويلا فبدأ يسهب ويطنب فى الشرح والتعليق واستمر فى اضافة المزيد من الأمثال كما حدث فى طبعة البندقية عام ١٥٠٨ وما تلاها من طبعات . والجدير بالذكر أنه فى ترجمة انجليزية حديثة لهذا الكتاب نجد مثلين شيقين فقط يغطيان حوالى عشرين صفحة وأحد هذين المثلين قول مشهور له دلالة كبيرة وفيه حكمة بليغة عن التأنى ويقع فى كلمتين اثنتين «اسرع ببطء» ومن الأمثال اللاتينية ذائعة الصيت ما جاء فى كتاب ارازموس أيضاً ذلك الذى يقول «الحرب لذيذة لمن لم يذقها» ولقد غطى هذا المثل وحده خمساً وأربعين صفحة لأنه يأخذ شكل مقال فى الحرب والسلام .

والجدير بالذكر أن هذا المثل الطريف قد مارس تأثيراً كبيراً فى الفكر الأوربى وطبع بمفرده أكثر من مرة . ويمكن أن نتلمس تأثير هذه الحكمة فى كتابات مونتانى (١٥٣٣ ـ ١٥٩٢) . وهكذا لم يقتصر عمل ارازموس على جمع الطرائف الكلاسيكية بل امتد ليشمل الملاحظات والآراء الشخصية . ومن الملاحظ أيضاً فى هذا الكتاب أن تمكن ارازموس من اللغة الاغريقية كان ينمو ويتزايد يوماً بعد يوم . كما أن الاشارات الى الانجيل كانت فى الطبعات الأولى قليلة فزادت فى الطبعات التالية . فما أن تأتى طبعة عام ١٥١٥ وكان وضع ارازموس الكنسى قد استقر حتى نجد أربعة عشر اشارة الى العهد القديم وتسعاً وخمسين اشارة الى العهد الجديد .

عقلية الباحث

ويكمن سر النجاح المذهل والانتشار الفورى لطبعات كتاب ارازموس «الأقوال المأثورة» فى الخلفية الثقافية العامة لعصر المؤلف إذ كان الناس آنذاك يتلهفون على الآداب الكلاسيكية ويلهثون جرياً وراء الحصول على مفتاح سحرى ميسر للتراث الاغريقى الرومانى . وبعبارة أخرى فاننا نريد القول بان ارازموس كان يتمتع بعقلية الباحث النابه وحاسة المؤلف المبدع الذى يسبق عصره بطموحاته وتأملاته ويلبى احتياجاته بكتاباته وأفكاره . وبالرغم من أن كتاباً آخرين ولا سيما فى ايطاليا كانوا قد مهدوا الطريق ـ بفضل مطابع ألدوس وفروين ـ إلا أن انتشار كتاب ارازموس بهذه الصورة التى لم يسبق لها مثيل يعود فى الأساس الى أن اسلوبه اللاتينى كان أرقى وأفضل من أسلوب أى مؤلف معاصر له . نعم فلم يتمكن أحد من هذه اللغة مثلما تمكن ارازموس ولم ينازعه منازع فى حسن



التعبير بواسطتها فى سلاسة ويسر . أضف الى ذلك تعليقاته الشيقة على موضوعات هامة مثل الحروب العدوانية والنزعات الطغيانية ومحاولات التعتيم الفكرى فى المؤسسات العلمية وهجومه على النفاق الدينى والرياء الاجتماعى . وكل ذلك يأتى داخل اطار الأسلوب السلس الذى يناسب سرد الطرائف والقصص وشرح الأمثال والحكم .

وللتدليل على ثقافة أرازموس الشاسعة فى الأدب الاغريقى اللاتينى نشير الى أن السيدة «مارجريت مان فيليس» وهى واحدة من أشهر دارسى ارازموس ومؤلفاته عكفت على اعداد قائمة بالمقتطفات الكلاسيكية الواردة فى كل طبعات «الأقوال المأثورة» ومن هذه القائمة تبين أن شيشرون (١٠٦ ـ ٤٣ ق.م) خطيب روما المفوه قد احتل المكانة الأولى فى عدد المقتطفات فله ٩٠٠ مقتطف ويأتى بعده هوميروس أول الشعراء الاغريق وأعظمهم (القرن التاسع أو الثامن ق.م) وله ٦٦٦ مقتطف ثم بلوتارخوس (٤٦ ـ ١٢٠ م) كاتب السير والأخلاقيات المشهور وله ٦١٨ فاريستوفانيس (٤٤٨ ـ ٣٨١ ق.م) الشاعر الكوميدى الاثينى وله ٥٩٦ . وتساوى عدد مقتطفات كل من بلاوتوس (٢٥٤ ـ ١٨٤ ق.م) شاعر الكوميديا الرومانى وهوراتيوس (٦٥ ـ ٨ ق.م) الشاعر الغنائى فلكل منهما ٤٧٥ مقتطف . أما أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٨ ق.م) فله ٤٢٨ مقتطف . ولا يعنى هذا أن ارازموس لم يعرف غير هؤلاء المؤلفين ولكنهم فقط كانوا أهم من أعجب بهم فى التراث الكلاسيكى .

ووضع ارازموس كتاب «سلاح الجندى المسيحى» عام ١٥٠١ ونشره عام ١٥٠٣ فنال شهرة تضارع شهرة الكتاب السابق وإن اختلفت الأسباب فحتى عام ١٥١٥ كان ارازموس حريصاً على أن يفصل بين ثقافته الكلاسيكية وديانته المسيحية وظهر ذلك جلياً فى «الأقوال المأثورة» . ولكنه لم يستطع الاستمرار طويلا لأن الكتيب الذى نتحدث عنه الآن بصفحاته المائة والخمسين قد صار أفضل مرجع لما سمي فيما بعد «فلسفة المسيح» ولا أدل على ذلك من أنه طبع ثلاثين مرة فى غضون عشرين سنة فقط وكان أسلوبه المختصر

درس حضاري في التعامل مع التراث

وتعبيره الساحر وراء هذا الانتشار الواسع حتى أنه صار كتاب الآلاف من الناس . واذا كان الاهتمام بالأخلاقيات إبان العصور الوسطى يدخل ضمن الحديث الدينى ، فان ارازموس قد نحى نحواً جديداً عندما استنبط المبادىء الأخلاقية من كتابات المفكرين الوثنيين أى الاغريق والرومان . ولقد مكنه ذلك من معالجة موضوع الأخلاقيات معالجة طريفة وشيقة بل وشاملة أيضاً . فجاء كتابه «السلاح» أو «فلسفة المسيح» جامعاً بين الثقافة الكلاسيكية الواسعة والنظرة الانسانية الأخلاقية . واستطاع ارازموس فى هذا الكتاب أن يرسم صورة لحياة الرسول المعلم أو المعلم ذى الرسالة وقدمها فى إطار آدمى بحت أى بعيداً عن التزمت الدينى المغلق والترديد الأجوف للمقولات المسيحية . وهكذا جاء كتابه دعوة هادئة للديانة المسيحية السليمة أو قل هى دعوة دينية وارشاد بلا انفعال .

والجدير بالذكر أن عنوان الكتاب هو لفظة اغريقية لها معنيان الأول هو «الكتيب الصغير فى متناول اليد» والمعنى الثانى هو «سلاح يدوى صغير» أى «الخنجر» . ولعل المؤلف اختار هذا العنوان ليشير الى المعنيين السابقين لأنه فى الجزء الثالث يتناول الأسلحة الخاصة بالسيد المسيح ويركز الحديث على سلاحين رئيسيين هما الصلاة والمعرفة والصلاة هى بالطبع السلاح الأقوى ولكن المعرفة لا تقل أهمية عنها . وفى نفس هذا الجزء من الكتاب يحث ارازموس الناس على الاهتمام بالأدب والفلسفة الوثنية ويعتبرهما المدخل الرئيسى والتمهيد الأساسى والضرورى لدراسة الكتاب المقدس . حقاً انه يحذر من الاكتفاء بقراءة ودراسة الوثنيات ولكنه فى نفس الوقت يعقد مقارنة ذات دلالة بين قوم يقعون فجأة على كتب اللاهوت وآخرين قبل ذلك يستعدون ويتزودون بالثقافة الانسانية غائرة الجذور فى التاريخ . ومن البديهى أن ارازموس لا يعتمد على نفسه فقط فى ارساء معالم هذه الدعوة الفكرية الجديدة ولكنه ليدعمها يسترشد ويستشهد بكتابات آباء الكنيسة الأوائل ولاسيما القديس جيروم فهو أفضلهم جميعاً بالنسبة له . ففى هذه الكتابات القديمة ظهرت أول بوادر التزاوج الحضارى بين الديانة المسيحية الناشئة والتراث الكلاسيكى القديم .

واذا تأملنا تعاليم ارازموس الأخلاقية وجدناها افلاطونية أو رواقية فى طابعها . وقد وضع حوالى اثنتين وعشرين قاعدة أخلاقية للسلوك ومنها يتضح أن الفضائل التى ينصح باتباعها هى فضائل مسيحية أصيلة لا ريب فى ذلك ولكن الثقافة الكلاسيكية هى التى أبعدته عن الحماس العاطفى وجنبته الاندفاع والانفعال .

حركة الاصلاح

أما كتاب «مديح الحماقة» المنشور عام ١٥٠٩ فهو الوحيد من بين كتب ارازموس الذى لايزال محتفظاً بشهرته الجماهيرية الى يومنا هذا فهو من ناحية القيمة الأدبية أروع وأبدع أعمال ارازموس جميعاً وهو كتيب صغير فى حجم الكتاب السابق تقريباً شرع ارازموس فى تأليفه من باب التسلية ـ أو «تضييع الوقت» إن صحت العبارة ـ أثناء رحلة العودة من ايطاليا فى طريقه لزيارة صديقه السير توماس مور بلندن حيث أنهاه هناك . ومما سبق يتضح اننا بين يدى كتاب تم تأليفه تقريباً بعيداً عن المجلدات والمراجع التى تملأ رفوف ارازموس وفى ظروف رحلة هى بالنسبة لرجل مثله بمثابة وقت فراغ اجبارى . ولعل هذه الظروف نفسها هى التى جعلت هذا الكتاب يخرج قطعة ادبية أصيلة وانتاجاً ابداعياً رائعاً تظله الثقافة الواسعة بظلها الظليل دون أن تثقل عليه باشاراتها التوثيقية المملة أو حواشيها التفصيلية ذات الطابع البحثى الأكاديمى .

ومن الناحية الشكلية يعد هذا الكتاب تمريناً ممتازاً فى فن الخطابة بأسلوب لوكيانوس (١١٥ ـ ٢٠٠ م) وفيه تلقى ربة الحماقة بنفسها الوعظ من فوق منبرها . أما جمهورها ـ وهم من عبادها المخلصين ـ فنجده يبالغ فى تركيز الانتباه والحرص على التقاط كل ما تقول وبالطبع فان كل ما تقوله الحماقة مرفوض شكلا ومضموناً وكل ما تثنى عليه ينبغى على العقلاء أن يدحضوه ويدينوه بكل وسيلة ممكنة . ولكن ارازموس وكأنه يسخر من قرائه ينسى أو يتناسى أحياناً ويخالف هذا النسق المتسق ويهاجم على لسان الحماقة ما قد يدينه هو شخصياً ويريد من قرائه أن يرفضوه . إذ كان المتوقع فى هذه الحالة أن يجعل الحماقة كالعادة تمدحه بصوت عال . وفى بداية الكتاب لا تبدو أية مفاجأة ذات قيمة فى حديث الحماقة فهى فقط تتعرض بالسخرية والتهكم للفلسفة ونظام الزواج والشباب والشيخوخة والسلام وما الى ذلك . ولكنها فى منتصف الطريق تقريباً تشرع فى الضرب على نغمة أكثر حدة وعنفاً وذلك عندما تتناول السذج من الناس والمؤمنين بالمعجزات والواثقين ثقة عمياء فى حماية القديسين لهم .

ومع أنه لا يمكن التحدث عن البروتستانتية قبل ثمان سنوات من ظهور مارتن لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) ومع أنه توجد فوارق عميقة بين عقائد كل من الرجلين . إلا أنه لا يمكن القول بان ارازموس ولو بطريقة سلبية قد مهد الطريق أمام حركة الاصلاح الدينى اللوثرية وذلك من خلال هجومه الهجائى الساخر وتأثيره التدميرى على العقيدة



الدينية التقليدية مما أدى فى النهاية الى حدوث الانشقاق . أكثر من ذلك أن ارازموس قد جمع فى شخصه بين متطلبات العلوم الأكاديمية الجديدة ومتطلبات الاصلاح الدينى . وجاءت الطبعة التى أصدرها للعهد الجديد عام ١٥١٦ لتظهر كيف أن الدراسات الكلاسيكية التى يقوم عليها العلم الجديد فيلولوجيا يمكن أن يضع الأسس السليمة للنهضة الأوربية الشاملة .

محاورات الفلاسفة

وقد ظهر كتاب «المحاورات» عام ١٥١٦ ولكن ارازموس توسع فيه بعد ذلك كما فعل فى الكثير من كتبه . وكان الهدف الأصلى من وضع هذا الكتاب هو أن يكون مرشداً فى تعليم اللغة اللاتينية ولكنه – ككل كتابات ارازموس – انطلق الى ما وراء الهدف الأصلى المحدود وتطور الى أن أصبح مقالات ممتازة عن موضوعات متباينة فى شكل حوار . ومع أن ارازموس يوحى لنا بأن آراء المتحاورين فى كتابه ليست بالضرورة آراءه الشخصية إلا أنه يحق لنا أن نتساءل عن ذلك الايحاء ونشكك فيه . على أية حال فان محاورات ارازموس تتناول موضوعات كثيرة مثل الألعاب الرياضية وصلات القربى والحياة الاجتماعية والشئون الدينية ومشاكل التعليم ووسائل التربية . وفى محاورة بعنوان «تدين الطفل» أو «الورع الصبيانى» يضع ارازموس أساساً متيناً من أسس العقيدة المسيحية السليمة عندما يقول «أؤمن بما أقرأ فى الكتاب المقدس وفى أعمال الرسل ولا أذهب الى ما وراء ذلك فاترك للاهوتيين أمر الجدل وتعريف بقية الأمور إن هم أرادوا» .

وتأتى أشهر عبارة قالها ارازموس فى كل أعماله فى محاورة «المأدبة الالهية» فلقد قاده الحوار الى التحدث عن النبل الذى يظهره الوثنيون ولاسيما رجال مثل شيشرون وكاتو الاوتيكى (٩٥ – ٤٦ ق.م) وسقراط (٤٦٩ – ٣٩٩ ق.م) فيوافق الحاضرون من الضيوف على حقيقة أن المسيحيين لا يمكن أن يتفوقوا على فضائل هؤلاء الرجال ويقول أحدهم مشيراً الى حديث سقراط وهو على وشك أن يشرب السم انصياعاً لقوانين المدينة – الدولة وتنفيذاً لأحكامها رغم احساسه



بالظلم «أى سقراط المقدس صل من أجلنا» ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه العبارة وحدها تكثف كل معانى عصر النهضة الأوربية ففيها تتبلور روح ذلك العصر لأنها تضع أهله عند مفترق الطرق بين الفضيلة الوثنية والفضيلة المسيحية . وتبشر هذه العبارة بالجدل الطويل الذى استمر قرنين من الزمان .

وفى محاورة بعنوان «تأليه رويشلين» يثير ارازموس مسألة القديسين وذلك عن طريق معالجة موضوع محلى صرف . فقد كان رويشلين عالماً بارزاً فى الدراسات العبرية ظلمه أعداؤه الغيورون – ولا سيما الدومينيكان فى كولونيا فتبنى قضيته كل علماء الدراسات الانسانية وتحمسوا له تحمساً شديداً . ومات رويشلين عام ١٥٢٢ فكتب ارازموس هذه المحاورة التى تحكى كيف أن احد الفرنسيسكان رأى فى المنام حلماً يصور رويشلين صاعداً ظافراً الى السماء ويختتم الحوار بابراز الفجوة العميقة بين فكرة القدسية الحقيقية والمعتقد السائد عنها بعد أن دخلته الكثير من الخزعبلات .

الريادة الفكرية

وهناك محاورة لارازموس بعنوان «حطام السفينة» وهى التى أوحت الى رابليه بفكرة العاصفة فى كتابه الرابع . وتصف هذه المحاورة رد فعل الناس عندما تتحطم بهم سفينة قرب ساحل القنال الانجليزى فنجد بعضهم يحيطون بالقساوسة فى هلع وفزع معترفين بكل خطاياهم وباذلين كل الوعود والنذور للقديسين وهم بالطبع سينسون أو يتناسون هذه النذور لو تحققت لهم النجاة . على أية حال فهم لا يفعلون شيئاً الآن سوى ترديد الصلوات والتضرعات . وهناك آخرون بين ركاب السفينة يعترفون بذنوبهم فى هدوء وسكينة لربهم مباشرة ثم يسلمون أنفسهم لرحمته ويسبحون ويصلون بالفعل الى بر النجاة بفضل ايمانهم السليم وعقيدتهم الصحيحة . ومثل الحياة الدنيا كمثل تلك السفينة إذ تضم كل تلك الأنماط من البشر .

وعندما توفى ارازموس عام ١٥٣٦ كان قد رفض تواً القبعة الكاردينالية وكان قد اكتسب احترام الباباوات والأباطرة والملوك لأنه كان قد تربع على عرش الأدب وانتصر على غرمائه المنافسين . وبلغ من علو شأنه فى أوربا كلها أن مدناً كثيرة مثل لوفان وفرايبورج وبازل وغيرها قد تنافست فيما بينها على نيل شرف مجرد أن يقيم بها ارازموس بعض الوقت . لقد شعرت الأوساط الأوربية المثقفة كلها بالحزن البالغ والخسارة الجسيمة لفقدان ارازموس .

واذا كانت الدراسات الكلاسيكية قد خسرت بوفاته أكثر المدافعين عنها قوة وتأثيراً فانها أيضاً تدين له بالكثير كباحث وعلامة خلف دراسات أكاديمية دفعت بالكلاسيكيات دفعة قوية الى الأمام . ولاتزال مترجماته ومؤلفاته فى هذا المضمار مناراً هادياً ومرشداً وافياً لدارسى التراث الاغريقى الرومانى . ولكننا ينبغى أن لاندهش عندما نعلم أن بعض الأوربيين قد شعر بشىء من الارتياح لموت ارازموس . حقاً انه رجل فكر وانسانية لا يميل بطبعه الى العنف ولكنه بطريقة غير مباشرة احدث ثورة فكرية بفضل لغته القوية وتهجمه الساخر على كل النقائض الاجتماعية والثقافية بل والدينية .

لقد ولد ارازموس بذلك موجة من العنف اجتاحت المانيا وكل أوربا وكان هدفها الطغيان السياسى والفكرى والخزعبلات الدينية والجهل والاسراف والنفاق وكلها أمراض اجتماعية .

وبغض النظر عن الشخصيات الكبرى فى النهضة الايطالية لا توجد شخصية واحدة يمكن أن تنازع ارازموس حقه فى التربع على عرش القيادة ومركز الريادة للنهضة الأوربية فى شمال القارة .

د. أحمد عثمان



في كتابه « قصص سباستوبول » قال تولستوي :

« بطلي الوحيد الذي أحببته دائماً بكل روحي ، والذي حاولت تصويره بكل ماله من جمال وروعة .. هو الحــق . »

كان الحق الدنيوي والحق الأدبي هو ما يسعى تولستوي وراءه ، وهذا هو الذي يضفي على واقعية تولستوي تلك الخاصية الفريدة التي تميزه عن غيره من كبار الكتاب الواقعيين في عصره .

تولستوي

دون كيشوت في زي فلاح

جــمال كــنانى

لم تبخل الأقدار على تولستوى بأى شيء مما قد يشتهيه أى انسان عاقل فقد عمر طويلا ونعم بصحة جسمية متينة ، وشهية قوية للتمتع بالحياة اليومية ، وعقل جبار مبتكر ، وأحاسيس وعواطف عميقة مرهفة ، وفهم غريزى للطبيعة البشرية وسيكولوجيتها وكان فى ثرائه ومركزه الاجتماعى ، ما مكنه من أن يمارس هواياته وينفذ رغباته ... تزوج عن حب ورزق بأسرة كبيرة كثيرة العيال، ونال فى حياته شهرة أدبية واسعة ، وأثر على الناحية الأخلاقية فى العالم أثراً لا يمحى .

على أن تولستوى لم يقف من الحياة موقف الحكيم المشاهد من عزلته ، بل إنه

كان يعب الحياة عبأ .. ذاق حلوها ومرها ولمس ما فيها من خيبة أمل وكفاح وفشل وهو يسعى وراء حل نهائى لمشكلات الوجود ... قال تولستوى فى كتابه «قصص سباستوبول» «بطلى الوحيد ، الذى أحببته دائماً بكل روحى ، والذى حاولت تصويره بكل ما له من جمال وروعة ، فهو الذى كان ومازال وسيظل أبداً أجمل ما هناك ـ هو الحق» ... كان الحق الدنيوى والحق الأدبى هو ما يسعى تولستوى وراءه فلم يتردد فى تثوير الشرائع الاجتماعية والأخلاقية والدينية فى عصره ، ومعها حياته الشخصية ... وهذا هو الذى يضفى على واقعية تولستوى تلك الخاصية الفريدة التى تميزه عن غيره من كبار الكتاب الواقعيين فى عصره .

ولد ليو نكولايفتش تولستوى فى يوم ٢٨ أغسطس (حسب النظام القديم) عام ١٨٢٨ ، على ضيعة ياسنايا بوليانا فى أواسط روسيا وفيها قضى معظم أيام حياته ... كان ليو هو الولد الرابع لأسرة قديمة أرستقراطية ، أحاطته بالمعلمين الأجانب ... وقضى ـ على حد قوله ـ «طفولة رقيقة وادعة شاعرية غامضة مليئة بالحب» ، أحب لعبة الى قلبه فيها هى البحث عن «الصولجان السحرى الأخضر» الذى يحمل نقوشاً فيها سر السعادة الكونية ... عاش قريباً من الطبيعة والغابات والقرية الروسية ، فتاصل فى أعماق نفسه فهم كامل وحب للفلاح يكاد يكون أبوياً .

من القانون الى الأدب

التحق تولستوى ، فى الوقت المناسب بجامعة كازان ليدرس اللغات الشرقية ، ولكن سرعان ما استعاض عنها بدراسة القانون ، ثم هجر القانون ليقرأ كتب الأدب .. قرأ فى نهم كتب جان جاك روسو كلها فأحبه وحمل صورته فى سلسلة حول عنقه «بدلا من الصليب» كما قال . وتاه تولستوى طويلا فى أحلام يقظته إلا أن هذه الأحلام أخذت تتبلور حول تحقيق ثقافة ذاتية والوصول بذاته الى الكمال والعمل على اسعاد الفلاحين على نحو ما فعل بطل قصته «صباح صاحب أرض» ... على أنه لم يكن حالماً طول وقته بل كان يزور العاصمة ـ موسكو ـ ليندمج فى مباهج حياتها الاجتماعية ... حتى أنه أشار الى تلك الأعوام ١٨٤٨ ـ ١٨٥١ بأنها «الأعوام التى ضاعت دون هدف» ...

فى عام ١٨٥١ التحق ليو تولستوى بسلاح المدفعية كتلميذ ضابط ، وخدم فى القوقاز ، ثم رقى الى رتبة ضابط أثناء حرب القرم ، إذ أثبت ذكاء وشجاعة .. ثم بدأ الكتابة ....

اعترف النقاد بتولستوى أديباً بعد نشر كتابه «طفولة» ، وهو شبه سيرة ذاتية ، في شهر سبتمبر ١٨٥٢ . ثم رسخت أقدامه فى عالم الأدب بعد نشر كتابه «قصص سباستوبول» الذى مازه وصف بالغ الوضوح ، لأهوال الحرب وما فيها من وحشية . ولم يغير تولستوى نمط حياته بعدما أصاب من نجاح بل واصل العيش ، بعد أن تقاعد من الجندية فى عام ١٨٥٦ ، كسيد وقور يرعى شئون أرضه وعماله . وفى السنة التالية قام بجولة فى بلاد غرب أوروبا التى زارها بعد ذلك مرة ثانية فى عام ١٨٦١ ، حين قضى فى لندن ستة أسابيع وكان معلموه قد أحسنوا تلقينه اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية التى كان يجيدها جميعاً اجادة تامة ويتكلمها بطلاقة ... على أن بلاد غرب أوروبا لم تترك فى نفس تولستوى انطباعاً طيباً .

فى عام ١٨٥٩ فتح تولستوى مدرسة فى قريته يعلم فيها أولاد الفلاحين واتجه كذلك الى تحرير عمال السخرة ..


روسو

وظهر كتابه «القوزاق» فى عام ١٨٦٣ رغم أنه كان قد فرغ من كتابة مسودته قبل ذلك بعشر سنوات .. وهو فى هذه القصة يعالج حكاية «رجل متمدين» فشل فى محاولة العودة الى الحياة الطبيعية البدائية ، وانتهى تولستوى فى قصته هذه الى أن «السعادة لا تزيد عن ذلك ... لا تزيد عن أن يعيش الانسان لغيره» ...

قضى تولستوى الفترة بين عام ١٨٦٤ ـ ١٨٦٩ ، يعمل فى كتابه «الحرب والسلم» وهى رواية تعتبر إلياذة الأدب الروسى وأوديسيته ... ولا غرابة أنها أكسبته شهرة عالمية ووضعته فى الطليعة ... ويذكر صاحب القصة أن زوجته نسخت سبع مسودات مختلفة لهذه الرائعة قبل أن يرضى تولستوى عن محاولته الأخيرة التى صور فيها حياته المنزلية السعيدة ولتخذها مثلا أعلى «لحياة الأسرة» .

ورواية «الحرب والسلم» أشبه ما تكون بلوحة جدارية هائلة رسم فيها تولستوى المجتمع الروسى أثناء فترة الحرب النابليونية من ١٨٠٥ ـ ١٨١٥ .. أو لعلها خشبة لمسرح ضخم يظهر عليها العديد من الأباطرة ووزرائهم وقادة جيوشهم ... وتتغير مناظرها من موسكو الى الريف الروسى ، ثم يصل المخرج ـ وهو تولستوى نفسه ـ بين كل هذه المناظر بواسطة هدف مسيطر ويضفى عليها التجانس دون أن يفقد أى منظر ما فيه من جمال وحيوية نابضة .

وعلى الرغم من تعدد الشخصيات وكثرتها ، نجد أن البطل الحقيقى «للحرب والسلم» هو روسيا نفسها أثناء كفاحها المرير ضد الأجنبى ، وتحتل الشخصيات الحقيقية مثل الاسكندر ونابليون مثل ما للشخصيات المبتكرة من مكانة . أما أهم شخصيتين يبرزهما تولستوى فى هذه الرواية فهما ماريا بولكنسكى شقيقة «أندرو» ، وهى الفتاة المتدينة التى تكرس نفسها لتجعل آخر أيام أبيها سعيدة ، وتختلف عن هذه تماماً شخصية نتاشا روستو وهى صبية تفيض حيوية وجاذبية وسحراً وتتحرك فى طول القصة وعرضها مخلفة وراءها خطاً متصلا من عبير الحب ... يصورها تولستوى فتاة طيبة مستقيمة صارمة ولكنها تعيش أسيرة لرقة شعورها .. فعلى الرغم من أنها مخطوبة للأمير

تولستوي

دون كيشوت في زي فلاح



نابليون



تمثال تولستوى فى روسيا

اندرو ، وهو الرجل الوحيد الذى تعشقه حقاً ، تقع نتاشا فريسة لعاطفة قاتلة تشدها نحو مخلوق تافه هو كوراجوين .. فاذا ما تبينت خطأها وجدت نفسها أمام اندرو وهو يحتضر بسبب جراح أصابته .. وهنا يبدع تولستوى إذ يعرض علينا دراسة ملهمة ، لما تفيض به الحياة من مآس ومصائب .

أجواء مختلفة

ويلذ لتولستوى أن يحيط شخصياته ، الواحدة تلو الأخرى ، باجواء مختلفة ، فنرى الرجل فى الجيش تارة وفى الريف تارة ، ثم ينتقل من أعماق الريف الى رقائق المجتمع الراقى ومباهجه وبذا يعرض الشخصية لتبادل النواحى الاخلاقية وتوافيقها .. خذ مثلا نكولا روستوف عند عودته من الجيش الى ملاذ بيت ابيه ، وانظر اليه عند انضمامه الى فرقة من فرق الجيش ، تجد أنه شخص متغير ، له وجود خاص بكل مناسبة .

إن تولستوى يحلل النظرة المتبادلة بين شخصيتين يتحاوران ، فيرى فيها صداقة أو خوفاً ، أو شعوراً باستعلاء ينتحله احدهما لنفسه ... ويرى كل أطياف العلاقة بين هذين الشخصين دون أن يستسلم هو للعاطفة ... تولستوى يعمل عمل الطبيب ، يقيس نبض كل مريض وحرارته ، ويسجل حالة صحته الأخلاقية ... وقلما يقول تولستوى لقارئه هذا رجل طموح أو أنه رجل مقامر ... ولكنه يرسم الشخصية ويوحى اليها بأن تتصرف بطريقة توحى الى القارىء بحقيقة أمرها .

فى عام ١٨٧٣ بدأ تولستوى فى كتابة «أنا كارينينا» بعد أن فشل فى كتابة قصة تاريخية عن الامبراطور بطرس الأكبر ... فاتم كتابة «أنا» فى عام ١٨٧٧ وكانت آخر ما كتب من الأدب القصصى قبل أن يمر بما أسماه «الأزمة الروحية» التى وصفها فى كتابه «اعترافات» ١٨٧٩ ــ ١٨٨١ ... ولم تكن تلك الأزمة طارئة غير متوقعة فتولستوى كان يحس من أواخر أربعينات القرن ١٩ بالفارق الكبير بين تفكير ونمط حياة الطبقة الارستقراطية ، وتفكير ونمط حياة الطبقة الفقيرة ... وملكت فكرة العودة الى الحياة البسيطة على تولستوى عقله فى خمسينات القرن ١٩ ــ ونلاحظ هنا أثر روسو عليه ــ وظهرت هذه النزعة جلية واضحة فى «الحرب والسلم» حيث صور تولستوى الفلاح بلاتون كاراتاييف رمزاً للحكمة المغروزة فى طبائع الناس ، وعبر عنها بطريقة أخرى فى «أنا كارينينا» إذ وصف ما بين لفين وعمال أرضه من علاقات . وقام تولستوى فى نفس الوقت باعادة فحص الأسس الأخلاقية التى تقوم عليها حياته هو ، ويقوم عليها المجتمع فشجب حياة المدن والأحزاب السياسية والدولة والكنيسة .. وفنه هو كذلك . وطالب باعادة النظر فى التقاليد الدينية مع التأكيد على ناحية الأخلاق وحب الجار الذى تنادى به المسيحية ، وفكرة عدم مقاومة الشر بالقوة .

ووجد تولستوى نفسه فريسة للهجوم من كل صوب .. هاجمته الدولة ، وهاجمته الكنيسة الأرثوذكسية التى حرمته عضويتها فى عام ١٩٠١ .

وهاجمه الاشتراكيون والليبراليون .. ولكنه فى الوقت نفسه جمع عدداً من الاتباع والمريدين ممن حاولوا وضع نظرياته وآرائه موضع التنفيذ .. أما هو فقد واصل الكتابة وألف العديد من الكتب ، نذكر منها «قوى الظلام» ... وكانت قصصه الفولكلورية التى ألفها فى هذه الفترة من حياته ، رائعة الأسلوب شديدة الوضوح .. كتب بين ١٨٩٨ ــ ١٨٩٩ رواية طويلة قوية أسماها «البعث» عمد فيها الى اتخاذ نزعة معينة وكتب «الحاج مراد» بين ١٨٩٦ ــ ١٩٠٤ فكانت أعظم أعماله الفنية وأروعها .. فهى تقوم شاهداً على حيوية تولستوى العنيدة واحترامه الشديد للقوة الجسمية المجردة ولقوة الطبيعة كذلك .

كان للتطور العاطفى الحاد الذى اعتور معتقدات تولستوى نتائج مؤلمة بالنسبة للرجل نفسه إذ أنه كان يتعذب لما فى طبيعته من ميل الى عدم الحسم .. وكانت زوجته تدافع فى هذه الفترة عن مصالح أولادها لما أخذت تقاوم رغبة زوجها فى التنازل عن حقوق تأليف كتبه .. كما أنها أخذت تقاوم نزعة التقشف التى هددت صحته وحياته ... ونزل الستار على هذه الدراما العائلية لما هجر تولستوى بيته سراً فى صحبة صديق له ، وكان عمره إذ ذاك ٨٢ سنة ... ودهمه مرض قاتل وهو فى القطار فمات فى بيت ناظر محطة السكة الحديدية فى ٧ نوفمبر ١٩١٠ .

متناقضات متطرفة

كان تولستوى مزيجاً عجيباً من متناقضات متناهية فى التطرف .. كان يجمع مثلا بين العقلانية والعاطفية ، بشر بالمساواة وعاش أرستقراطياً يضيق

صدراً بل ويستحقر كل الطبقات إلا الطبقة التى ينتمى اليها وطبقة الفلاحين .. كان عقلانياً يحب ممارسة الحرف اليدوية ، ويحب الألعاب الرياضية ويجيد الرماية ويحسن الحصاد بالمنجل ويتذوق الموسيقى ويطرب للشعر الغنائى .. كان فى مكتبته الخاصة أكثر من ٢٠٠٠٠ كتاب بعشرين لغة مختلفة . كانت له عبقرية عنيدة تنفذ الى قرار ما فى البشر من غرور وله مع ذلك قلب وديع ... وهو الذى وصفه برناردشو بانه «دون كيشوط فى زى فلاح» .

ومهما بلغت آراء تولستوى الجدلية من طرافة وصواب ، فان عظمته لاشك ترتكز على عبقريته كمؤلف .. يضيء شخصياته من الداخل بتقديم شرح تدريجى مفصل لنفسية كل منها وأعماله .. لا يصف فى المرة الواحدة إلا ناحية مفردة من اخلاق هذه الشخصية أو تلك فلا تكتمل معالم الشخصية فى ذهن القارىء إلا بعد عدة فصول من الكتاب .. شخصية «أنا كارينينا» نفسها لا تتضح لنا إلا بعد حين ، فندرك أولا أن لها عينين رماديتين ، وحاجبين كثيفين ، وشفتين ورديتين ، وشعراً أسود فيه حلقات طبيعية تنساب وتتهدل الى ظهرها على مسار عنقها وفوق صدغها ..

ثم نرى بعد حين كتفيها الممتلئتين وصدرها الناهد كأنما قده مثال من رخام أو مرمر ... نراها جميلة .. فى جاذبيتها شىء قاس مخيف»

ويدفعنا السياق الى ذكران «أنا كارينينا» ظهرت فى أول محاولة لتولستوى امرأة سمينة مجردة من السحر والجمال . ولم يصل تولستوى «بانا» الى ما وصلت اليه حتى وقع بصره على ماريا هارتنج ، بنت بوشكن الشاعر ، فكانت القالب الذى صب فيه شخصية «أنا» .

وتتميز رواية «أنا كارينينا» بتوازن بنائها وفى ذلك قال تولستوى «كل عقد فيها مبنى بحيث لا يرى مرتكزه ، وهذا ما أردت تحقيقه ، فالبناء كله لا يرتكز على عقدة الرواية أو فكرتها ، ولا على ما بين شخصياتها من علاقات ولكن على ما فيها من تناسق داخلى» .

وتساءل الناس عن الفكرة أو المدرك الأساسى الذى يوفر لرواية تولستوى هذه ، ما فيها من وحدة داخلية ... وذهب النقاد مذاهب أربعة ... البعض يقول إنها رواية عائلية فتولستوى يرى أن الأسرة هى أساس المجتمع فيرسم عالماً فيه جميع العائلات السعيدة ، وتشقى العائلات الشقية كل بطريقتها الخاصة .

ويرى فريق آخر أن تولستوى ، الذى يكره الرياء ويفضحه ويشهر به ، أراد أن ينقض الوضع الاجتماعى الذى حطم «أنا» التى تحدث بشجاعتها مجتمع سانت بيترز برج .

بطرس الأكبر



أما المدرسة الثالثة فتذهب الى أن لب فكرة الرواية هو التناقض بين حياة المدن ـ وهى حياة خمول ـ وحياة الريف وهى قريبة من الطبيعة ...

وتؤكد الفئة الرابعة أن المشكلة تقوم على مستوى مختلف وهو معتقدات تولستوى الأخلاقية والدينية .. فالرواية كتبت وتولستوى على عتبة الأزمة الروحانية التى مر بها .

عايش تولستوى هذه الأزمة حتى بلغت أشدها فى عام ١٨٧٩ حين فكر فى الانتحار ... كان يفكر فى الغرض من الحياة وقاسى طويلا وهو يبحث عن جواب لهذا السؤال ، واقتنع أخيراً بأن فى تعاليم السيد المسيح كما وردت فى العقد الجديد جواباً على سؤاله عن معنى الحياة والغرض منها .

عاش تولستوى وهو يعلم أن نقاد الأدب فى العالم يجمعون على أنه أعظم كتاب الأدب الروائى بغير منازع ... وعرف كذلك أنهم اختلفوا على مكانته كمفكر ... ومهما يكن من أمر هؤلاء فان تولستوى قضى عمره فى بحث متواصل عن المطلقات فى عالم تنقصه المعرفة وبين ناس يعوزهم الكمال ... وكان هناك ثمة علاقة بين افكاره والأفكار الليبرالية التى سادت فى القرن التاسع عشر ... كان من رايه أن نجاح الحركة التقدمية نحو عالم خال من الطبقات والدول ، يتوقف على نمو الكمال الأخلاقى لكل فرد يراعى القانون الأعلى للحب ويشجب كل ألوان العنف .. وهو فى ذلك يناقض الماركسية التى تعتمد على الجبر الاقتصادى والكفاح العنيف بين الطبقات .

جمال الكنانى ـ لندن

سقراط .. يتحدى

أيها الأثينيون : إنى أمجدكم وأحبكم ولكن لأنى أطيع الله أكثر مما أطيعكم ، فلن أدع الفلسفة مادمت حياً . سأواصل أداء رسالتى . سأدنو من كل من يصادفنى فى الطريق وأهيب به قائلا : ألا تخجل يا صاح من انكبابك على طلب الجاه والثروة ، وانصرافك عن الحق والحكمة ، وعن كل ما يسمو بروحك . إن من يحارب مخلصاً فى سبيل الحق ، لن يمتد به الأجل إلى حين ، ومن أجل هذا ، فانا لا أخاف الموت : أجل إنى لا أخافه ، ولا أعرف طعمه ، ولعله شىء جميل . غير أنى على يقين من أن هجران واجبى شىء قبيح .. ولذا ، فحين أخير بين الموت الذى يحتمل أن يكون جميلا ، وترك الواجب الذى هو من غير شك قبيح ، فانى لا أتردد فى اختيار الأول فوراً .

شاهدت مصر احداثاً انتقالية هامة عام ١٨٤١ وذلك عندما وقعت الدول الأوربية بالاشتراك مع السلطان عبد الحميد اتفاقاً فى « لندرة » يقضى بتثبيت محمد على باشا والياً على مصر مدة حياته وعلى الأصقاع السودانية التى فتحها ، وتوليه « سواكن » و « مصوع » لقاء جزية يؤديها عنهما للدولة . ونص ذلك الفرمان أيضاً على الا يتجاوز عدد الجيش المصرى ١٨ر٠٠٠ جندى وان يدفع محمد على ربع ايرادات الجمارك والضرائب لخمس سنوات جزية للدولة ، وان يضرب النقود باسم السلطان

فى ذلك العام الهام فى تاريخ مصر ، ولد عبده الحامولى فى مدينة طنطا ، وتنشأ فى أسرة تمتعت بقدر من الثراء حيث كان ابوه تاجراً .

أحمد شفيق أبوعوف

عبده الحامولي

رائد الغناء العربي

١٨٤١ - ١٩٠١

لقب بالحامولى نسبة الى بلده «حامول» من أعمال مركز تلا مديرية المنوفية . ودرس فى الكتاب شأن معظم أبناء الريف إلا أنه لم يصب قدراً من النجاح فى دراسته حيث بدأت موهبته الموسيقية تدفعه الى قضاء معظم ساعات النهار والليل فى الاستماع الى المنشدين فى حلقات الذكر والمقرئين المجيدين فى المساجد . لاحظ الوالد انصراف ابنه الى الموسيقى والغناء فاغلظ له القول عساه يعود الى حظيرة الهداية بحفظ القرآن وترتيله . إلا أن موهبة الطفل كانت أقوى من قسوة الأب . واستمر الحال على هذا المنوال ، حتى اضطر الصبى الصغير الى الهرب من بيت أبيه مصاحباً أخاه الأكبر وسارا على الأقدام على غير هدى الى أن ألقت بهما المقادير عند رجل اسمه شعبان الذى أوى الهاربين تلبية واستجابة لنداء القدر الذى أملى أن يهيء رجلا ليضع أصول الغناء العربى فى مصر . كان شعبان هذا يشتغل بالغناء ويجيد العزف على آلة العود . وخلال الأيام الأولى من اقامة الأخوين الحامولى فى

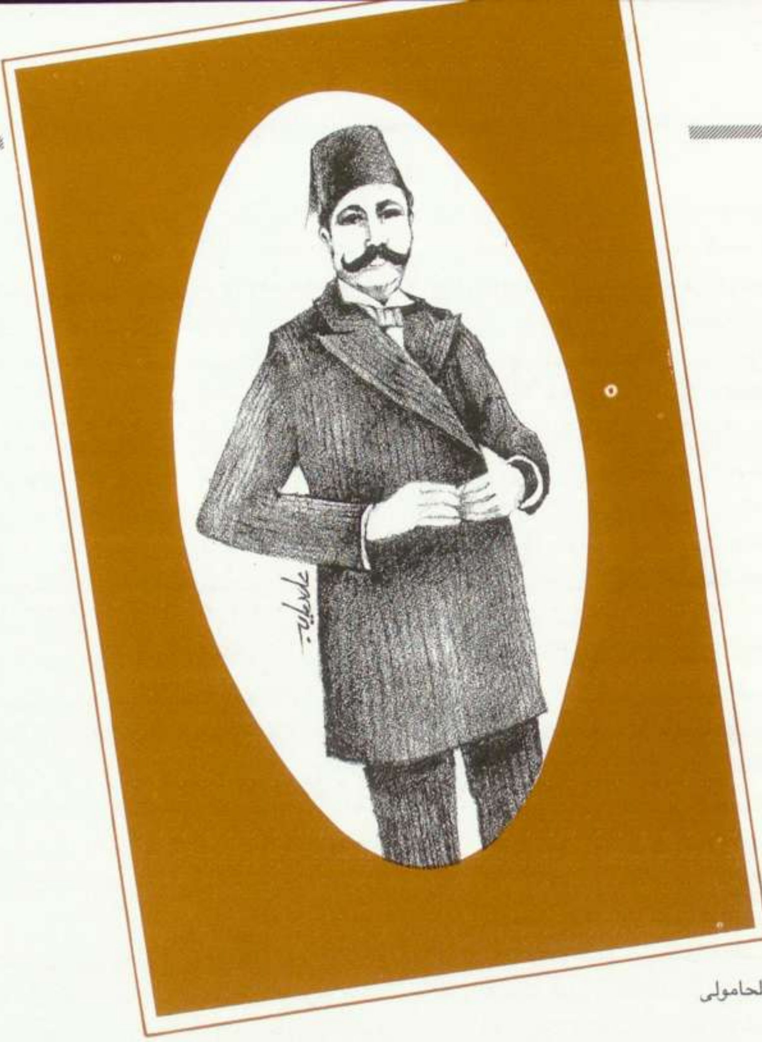


الخديوى اسماعيل



محمد عثمان

منزله ، استطاع أن يكتشف أن الأخ الصغير صاحب صوت جميل واذن مرهفة حساسة . أخذ «المعلم» شعبان يعطى دروساً فى الغناء للصبي الصغير عبده الحامولي وقدمه فى بعض الحفلات فى مدينة طنطا فاصاب قدراً من النجاح ، الأمر الذى شجع المعلم والصبى أن يرحلا الى القاهرة بحثاً عن فرصة أكثر رحابة للعمل والفن والشهرة. بدأ الحامولى يغنى فى قهوة عثمان اغا التى كانت تتوسط حديقة الأزبكية ونجح فى أول حياته الفنية فى جذب المستمع المصرى الذواق . سعى «المعلم» شعبان الى أن يوثق صلته بهذا النجم الصاعد ، فزوجه ابنته طامعاً فى أن تتوطد الصلات الفنية بينهما . كان محمد المقدم مغنياً يمارس صناعة الغناء قبل حضور عبده الحامولى الى القاهرة ، ولما شعر بالمغنى الشاب يحقق النجاح تلو النجاح أغراه لأن يلتحق بالتخت الذى يعمل معه ، ونجحت مساعيه خصوصاً عندما طلق الحامولى ابنة المعلم شعبان ليلتحق بعد ذلك بتخت محمد المقدم . وحانت له الفرصة بعد ذلك ليغنى فى



عبده الحامولى

سرادقات الأفراح والاحتفالات الخاصة والرسمية . وهكذا انصرف الناس عن قدامى المغنين الذين سبقوا أو عاصروا الحامولى أمثال محمد المقدم ومحمد سالم وعبد الحى حلمى وغيرهم . وما ان اطمأن صاحبنا على امتلاكه لناصية الغناء العربى بعد أن بدأ حياته الموسيقية مقلداً ثم تطور وأصبح مبتكراً مجدداً ، حتى انصرف بعد ذلك الى أن يغنى من أعماله بحذق ونبوغ ومهارة فائقة ، فأجاد وامتاز أكثر مما كان يغنى أعمال الآخرين أمثال محمد عثمان وغيره من الملحنين .

رسخت فى موهبة الحامولى عقيدة التجديد فى كل ما يبتكر من جمل موسيقية رائعة وخالدة خصوصاً فى أدواره الغنائية . وفى هذا الخصوص كتب المؤرخ الموسيقى المصرى قسطندى رزق منذ أكثر من ستين عاماً فى كتابه ... «الموسيقى الشرقية والغناء العربى» يقول : «أخذ المرحوم عبده الحامولى بما حباه الله من مواهب فذة فى صقلها وتهذيبها مضيفاً اليها ما عن من النغمات تمشياً مع نواميس الرقى والاصلاح ونغمها بروح مصرية وكساها بجلباب عربى ووسمها بطابع بهيج وذوق سليم فرماه لذلك المحترفون الرجعيون بالزندقة وقاطعوه بشدة لشروده عن الليالى من غنائهم وتبديل نبرة الحلبى بالأنغام المصرية فأفرغها فى قالب على أسلوب رشيق ضارباً عرض الحائط بكل الأغانى التى تعتورها الركاكة ويتجاذبها التنافر مما تنقبض له الصدور وتسأمه النفوس ، فانتهى به الأمر أن انتصر عليهم جميعاً واضطروا الى الجرى على منهاجه بعد أن باءوا بالذل والخسران» .

الله يصون دولة حسنك

عاش الحامولي فى عصر رأى فيه الخديو اسماعيل يجعل من مصر قطعة من أوربا . وعندما اطمأن الى هذه الرغبة تطلع الى الآستانة حيث كانت الخلافة الاسلامية معقودة بها ، فسافر الى هناك فى معية الخديوى اسماعيل ، وأغرق نفسه فى لُجج الموسيقى التركية قديمها وحديثها وتخير منها ما يوائم المزاج المصرى . فلما حضر الى مصر استخدم مقامات موسيقية لم يكن للمصريين سابقة عهد بها مثل مقام «الحجاز كار» الذى لحن منه أدواره الخالدة « كنت فين والحب فين » « مليك الحسن فى دولة جماله » « و الله يصون دولة حسنك » وهو الدور الغنائى الذى قدمته الفرقة الاستعراضية الغنائية فى الكوميديا الموسيقية الخالدة « الليلة العظيمة » واستمر يؤدى على المسرح لمدة عامين متتالين لما فيه من قيم جمالية أسرة أخذت بألباب المصريين والعرب على حد سواء .

تربع الحامولى على عرش الغناء فى مصر بعد أن توفرت لديه عبقرية الخلق واعجاز الاداء ولم تجتمع هاتان النعمتان لرجل واحد فى مصر الا وبلغ أوج الشهرة وأوج الثراء وأول هؤلاء عبده الحامولى وآخرهم محمد عبد الوهاب . وقد استطاع الأول - وهو لاريب رائد الغناء العربى - أن يجند الفن ويسخر العلم ليضع قالباً موسيقياً جديداً هو الدور الغنائى المصرى الذى جعل له تقليدا فى التلحين والاداء لازال متبعاً حتى اليوم ، ليس فى مصر فحسب وإنما فى البلاد العربية جمعاء . ولاقى هذا القالب قبولا لدى كل مستمع عربى ذواق حيث استهله بالمذهب ليستعرض المقام الموسيقى للدور ثم الجزء الرئيسى (وهو جسم الدور) الذى أبرز مقدرته فى أن يصول ويجول بين المقامات الموسيقية القريبة التى تنتمى الى أسرة المقام الأصلى . ثم يتصيد جملة موسيقية مواتية لتقديم الحوار الغنائى بين المغنى الأصلى ومجموعة الكورس ، هذه الفرصة التى انتهزها معاصره محمد عثمان لتقديم الترديد الجماعى الذى أطلق عليه كلمة «الهتك» . وهكذا استطاع عبده الحامولى بالمامه بالروح المصرية من ناحية ثم درايته العريضة بأصول استخدام المقامات المصرية والعربية ، استطاع بكل ذلك أن يوفر الرصانة والوقار والشمول والتنوع والسمو والتأثر الروحى العميق للدور الغنائى المصرى ، علاوة على تفرده

عبده الحامولي

رائد الغناء العربي

١٨٤١ - ١٩٠١

ونبوغه فى الخلق للجملة الموسيقية تنضح بالمصرية وتتضوع بأريج العروبة . لذا كتب لأعماله الخلود ، وأصبح فى عصره نجماً ساطعاً تزدان بصوته السماوى الساحر مجالس الملوك والأمراء والأثرياء وعلية القوم علاوة على عامة الشعب الذى خص لهم جانباً من غنائه دون مقابل لاسعادهم .

الأدوار الغنائية

وإذا فحصنا انتاج عبده الحامولى نجد أنه اقتصر على تلحين الأدوار الغنائية التى وضع أصولها استجابة للذوق المصرى العام الذى جس نبضه فعرف قصده وأدرك مكامن مزاجه وأحاسيسه .

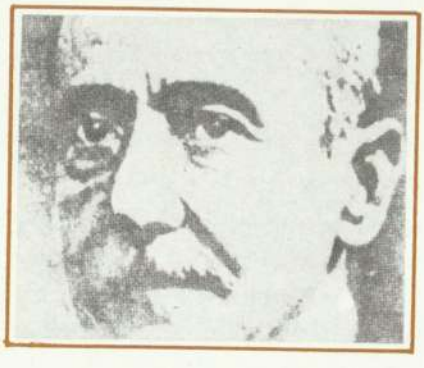
ومن أدوار الحامولى المفعمة بالنبض الجمالى دور «فؤادى جد به حالات» مقام راست ومن كلمات الشيخ الدرويش . ودور «مالك الجمال لك السعادة» مقام سوزناك ومن كلمات الشيخ علي الليثى .



اسماعيل صبرى باشا

ودور «يا منية الأرواح جد لي بوصلك يوم» مقام نهاوند . ثم دور «أنا من هجرك أحكى خصرك» مقام عشاق . ثم دور «كان مالى فى حبك كان مالي» مقام صبا . ثم دور «ياللى خليت م الحب» كلمات الشيخ محمد الدرويش ومقام عراق . ثم دور «قلبى فى حبك» مقام راست . ثم دور «عشق الجمال لى جميل» مقام عراق . ثم دور «يحاول عزولى سلو الجمال» مقام نهاوند . ثم دور «مليك الحسن فى دولة جماله» كلمات الشيخ محمد الدرويش ، مقام حجاز كار . ثم دور «فؤادى أسألك قول لى» من كلمات الشيخ علي أبو النصر مقام عراق . ثم دور «أنت فريد فى الحسن» كلمات اسماعيل باشا صبرى مقام حجاز . ثم دور «كنت فين والحب فين» كلمات الشيخ محمد الدرويش مقام حجاز كار . ثم دور «الصبر محمود لمثلى» كلمات مصطفى نجيب . ثم دور «شربت الصبر من بعد التصافى» كلمات الشيخ علي الليثى مقام عشاق . ثم دور «الحلو لما انعطف» كلمات اسماعيل صبرى باشا مقام بياتى . وأخيراً دور «سبانى سهام العين» مقام عراق .

وهكذا وضع عبده الحامولى ستة عشر دوراً غنائياً تعد كلها ذخيرة لحنية كتب لها الخلود من جهة وأصبحت بعد ذلك نبعاً فياضاً يستقى من ورده كافة المتعطشين الى صياغة الألحان العربية الشيقة والمثيرة والمعبرة عن كافة خلجات النفس المصرية والعربية . لذا فان الدارس لألحان عبده الحامولى بعد الاستماع اليها سوف يلحظ أنها تحمل بين طياتها كل ملمح من ملامح الحياة المصرية بما فيها من نشاط واسترخاء وحلاوة ومرارة وحياء وجراة وفقر وثراء . فى ألحان الحامولى نلمس طيبة قلوبنا ، وتواكلنا وسرعة فرحنا وافراط حزننا وكل نوازع الخير . فى ألحانه تزاحمت عاداتنا خيرها وشرها . وتقاليدنا بسموها وضحالتها . وهكذا فان الحامولى استطاع أن يعكس الروح المصرية فى كل ألحانه دون استثناء ومن ثم توفرت أصالتها وكتب لها الخلود .



احمد شوقى

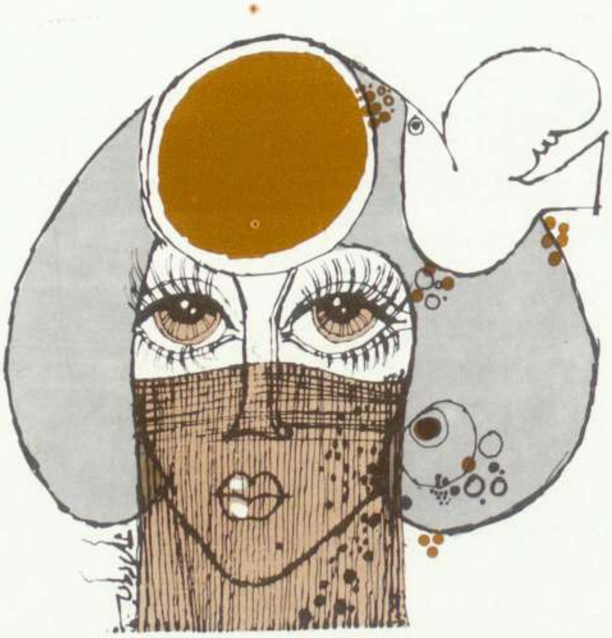
وعندما توفي الحامولى أنشد أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة عصماء فى رثائه جاء فيها :

ساجع الشرق طار عن أوكاره
وتولى فن على آثاره
غاله نافذ الجناحين ماض
لا تفر النسور من أظفاره
سلب الفن ألحن الطير فيه
والمتين المكين من أوتاره
كان مزماره فأصبح داود ...
كئيباً يبكى على مزماره
(عبده) بيد أن كل مغنى
عبده فى افتنانه وابتكاره
يخرج المالكين من حشمه الملك
وينسي الوقور ذكر وقاره
بصبا يذكر الرياض صباه
وحجاز أرق من أسحاره
وأنين لو أنه من مشوق
عرف السامعون موضع ناره
زفرات كأنها بث قيس
فى معانى الهوى وفى أخباره
يسمع الليل منه فى الفجر يا ليل
فيصغى مستمهلا فى فراره
يحبس اللحن عن غنى مدل
ويذيق الفقير من مختاره
يا مغيثاً بصوته فى الرزايا
ومعيناً بماله فى المكاره
ومجل الفقير بين ذويه
ومعز اليتيم بين صغاره
وعماد الصديق ان مال دهر
وشفاء المحزون من أكداره

••

رحم الله الحامولى الذى ازدانت بعبقريته وفنه السماء المصرية والعربية على حد سواء فكتب له الخلود .

أحمد شفيق أبو عوف



البحث

شعر: شهاب غانم
دولة الإمارات العربية

ومازلتُ أبحثُ دون انقطاعْ
ومازال يغمرُ دربى الضياعْ
أطوف فى كل صقع وأرضٍ
فحيناً باقصى المشارق أطوى الشراعْ
وحيناً لأقصى المغارب أمضى
وحيناً أُولّي جنوباً فالقى الرحالْ
وتحتَ أسنةِ شمسِ الزوالْ
تموتُ حِيالي الرمالْ
وحيناً على العشب تحت اشعةِ شمسِ الشمالْ
وحيناً بغابِ الصنوبرِ أسرحُ فوق التلالْ
أعب الهواءَ العليلْ
وأسند ظهرى لبعض الجذوعْ
وأفرح بالشمس تلقى الدنانيرَ بين الظلالْ
وترسم لوحاتِ زيتٍ
حَوَتْ الفَ لونٍ ولونٍ من الاخضرارْ
فأذكرُ ما فيكِ من بهجة واشتعالْ ..
وحيناً بشط البحيرات أجثو ،
وألقى على صفحة الماء بعضَ الحصى
وأمضى أناجى الدوائرَ تنداحُ لا تلتقى
كذلك نكبرُ ..
والعمرُ يمضى ولا نلتقى
ويوماً فيوماً سنكبر حتى التلاشى
فيا حلوةَ الروحِ ..
يا عالماً فى فؤادى رقيقَ الحواشى
ويا وردةً فى بهاءٍ وعطرٍ
ويا سرَّ أروع ما قال شعرى
وما لم يقلْه ..
وما لا يقالْ
ويا منبعاً لمعانى الجمالْ
ويا قدحاً بابليَّ الرحيقْ
ويا نجمةً فذةً فى البريقِ وراء غيومِ الدُّجَى تختفى
حنانيك .. رحماكِ .. لا تسرفى
متى ينتهى البحثُ ؟ .. إنى سئمتُ الطريقْ
تعبت .. فمالك لم تتعبى
متى يا حياتى ؟
.... وأنى يكون الوصالْ ؟

● ●

قعدت بظل الخميلةِ بالأمسِ وحدى
أفكر فيكِ
وأرخى عنان الخيالْ
فيطرق ، يطرق فكرى السؤالْ
أفكر فيكِ .. فأجزم أنكِ أنتِ مدى أمنياتى
وأنك أنت القريبُ البعيدْ
ولكنى إذ أطلت التأملَ
.. حين توغلتُ فى عمقِ أعماق ذاتى ،
هنالك أدركتُ أنى أردتُ المحالْ
ومنك طلبت الذى لا ينالْ
لأنك وهمٌ عديمُ الوجودْ !!
.. شظايا مثالْ

كان للعرب

وزراء للنفط منذ القرن الثالث الهجري

بقلم: عبد التواب يوسف

يتصور البعض أن علاقة العرب بالبترول بدأت مع الثلث الثاني من القرن العشرين وانهم لم يتعرفوا على النفط الا قبيل الحرب العالمية الثانية باكتشافه في اراضيهم .. لكن كتب التراث العربي تقول بغير هذا .. ان هذه الكتب الصفراء ـ بلون الذهب وقيمته ـ فيها الكثير عن الذهب الاسود، وتحفل صفحات هذه الكتب الثمينة ـ التى حاول البعض جاهدين أن يزهدونا فيها ويكرهوننا على اهمالها ـ بسطور تاريخية عن «النفط» ، يحلو لنا أن نستخرجها من بطون هذه الكتب : ذهبا فكريا ، بعد أن طالت حفاوة أوربا بما يتضمنه تراثنا ، اذ خرجت منه بروائع اسهمت اسهاما خطيرا في حضارتها الحديثة .. وغفلنا نحن عما احتوته هذه الكتب من ثروات تضاهي النفط ، وقد تتفوق عليه .

تعالوا نبحث عما قالته هذه الكتب عن النفط

ابن نفطويه

فى القرن الثاني للهجرة ـ ونحن قد خطونا الى القرن الخامس عشر ـ اشتهر بين العرب شاعران كبيران ، تناقل الناس قصائدهما ، وحفظوها عن ظهر قلب ، ورددوها فى البوادى والحضر .. أحدهما هو : ابن دريد ، وكان لغوياً مرموقاً معروفاً فى عصره ، أما الثاني فكان عالم نحو ، واسمه « ابن نفطويه » .. وقد قامت بين الشاعرين مساجلات طويلة وهجا كل منهما الآخر بمرارة ، وتتبع الناس « المعركة » الدائرة بينهما فى اهتمام وشغف ، وصار لكل منهما مريدون ، مرددون لما يقوله كل منهما في الآخر ، يذيعونه ويشيعونه بين الناس ..

وقد استطاع ابن دريد أن يقذف زميله ببيتين من الشعر ، آثارا في ذلك الحين عاصفة من الضحك والمرح ، وحفظهما لنا التاريخ ، كي يؤكد أن العرب قد عرفوا النفط معرفة جيدة ، حتى لقد تسلل الى قصائدهم .. قال ابن دريد :

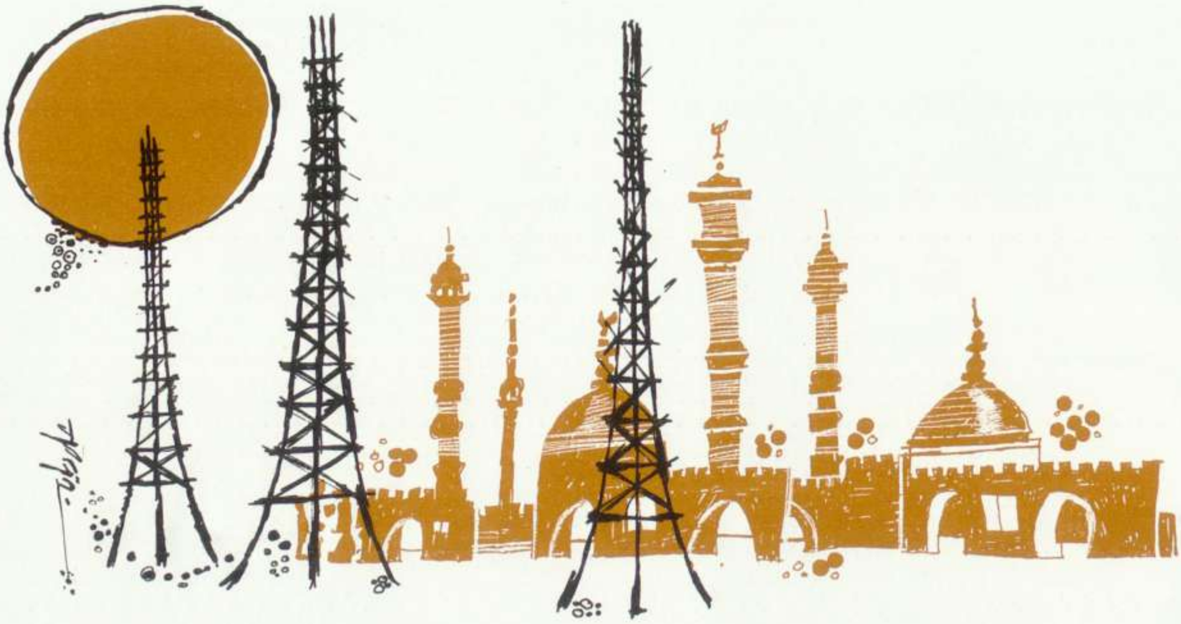
أف لـذا النحـو وأصحابـه
قد صار من أصحابه « نفطويه »
أحرقـه اللـه بنصـف اسمـه
وصـير البـاقي صراخـا عليـه!!

لقد تلاعب ابن دريد باسم « نفطويه » قائلا : أحرقه الله بنصف اسمه ، أى بالحروف الثلاثة الأولى ، وهى « نفط » ، أما نصف اسمه الباقي ، وهو « ويه » فهو صراخ المرأة عند الفاجعة ..

إذن ، فقد عرف العرب « النفط » قبل مايزيد على ألف عام ، وعرفوا أنه يحرق ، وأنه مادة مشتعلة .

بيان بن سمعان

وفي عهد هشام بن عبد الملك ـ



الخليفة الأموى ـ اشتهر رجل اسمه «بيان بن سمعان» وفوجىء به الناس يدعي الألوهية ، وأعلن لاصحابه أنه يستحق منهم العبادة .. فما كان من الخليفة إلا أن أمر رجاله أن يأتوا إليه بهذا «المدعي» ، وحاكمه محاكمة علنية ، وكان واضحاً أن الرجل ـ كما قال عنه قضاته ـ «ملتاث» عقلياً ، ومع ذلك فقد أصدروا الحكم عليه بالاعدام حرقاً !

وكان يوماً مشهوداً ذلك اليوم الذى تجمع فيه الناس فى دمشق وقدموا اليها من كل صوب وحدب ، واحتشدوا فى الساحة الكبيرة يرقبون ذلك الحدث الكبير حرق «بيان بن سمعان» . أوثق الرجل بالحبال ، وامسك الناس انفاسهم وهم يرون الجند يحملون مادة سوداء غريبة ، لا يعرفونها ، وتساءل الناس عنها وهي تسكب فوق رأس «الرجل» ، وما كان الكثيرون فى تلك الحين على علم بها أو باستخدامها وعرفوا ساعتئذ أنها «النفط» . وأوقدت النار فى هذه المادة فاذا بها تندلع عالية اللهب متوهجة ـ وذكرت الناس بتلك النار التى أوقدت لسيدنا ابراهيم عليه السلام ، لكن نار هشام بن عبد الملك لم تكن برداً وسلاما على «بيان بن سمعان» ، بل امتدت ألسنتها عالية ، محرقة ، مهلكة ، حتى أتت على هذا «المدعي» فى لحظات قصيرة ، وصيرت هذا الاله المزعوم رماداً .. وتناقل الناس الحديث طويلا عن «النفط» كأعجوبة .

القزويني

وقد جاء ذكر النفط فى كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني .. وهذا كتاب يجب أن نتوقف عنده طويلا ، فهو واحد من الكتب التراثية الرائعة ، بل لقد اعتبر الاتحاد السوفييتى «عجائب المخلوقات» من تراثه ، لأن مؤلفه ولد عند بحر قزوين، لذلك ترجم الكتاب الى عشرين لغة من لغات جمهورياته ، وطبع منه ما يزيد على خمسين مليون نسخة ! .. والكتاب يعرض لكل المخلوقات الانسان والحيوان والنبات ، البر والبحر والفضاء ، وهو يطوف بقارئه فى سياحة حول هذا كله ويكشف عن كل غريب وعجيب فى مخلوقات الله .. وقد أخذ البترول أو النفط الكثير من اهتمام القزويني ، باعتبار النفط من «مخلوقات» الله عز وجل .. وتحدث الرجل طويلا عن معرفة العرب للنفط ، وقال إنه كان لديهم للنفط وزراء وولاة يتصرفون فى أمره منذ القرن الثالث الهجرى .. الأمر الذى قد يدهش البعض ، لأنهم يتصورون أن منصب «وزير النفط» قد استحدث فى بلدان الوطن العربي كثمرة للاكتشافات الأخيرة .

وتحدث القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات» عن النفط ، مؤكداً أنه علاج ناجح ، ودواء يشفي الكثير من الأمراض وعلى رأسها ألم المفاصل ، والأمراض الجلدية كالجرب ..

حرب البترول

وتناقلت كتب التاريخ أحاديث مطولة حول استخدام العرب للنفط كسلاح يحاربون به ويقاتلون الأعداء ، وتحفل صفحات عدة بالكلام عن المعارك العسكرية التى استخدم فيها العرب «كرات النار» ، وقذفوا بها أعداءهم ..

كانت تلك الكرات عبارة عن خرق من القماش ،يكورونها ، ثم يغمسونها فى النفط ، ويشعلون فيها النار قبل انطلاقها من المنجنيق لتسقط وسط معسكرات الأعداء ، فتحرق خيامهم وتفزع خيلهم وترعب جنودهم .. ان كرات النار هذه كانت واحدة من وسائل النصر والفتوحات والغزوات التى قاموا بها شرقاً حتى وصلوا الصين ، وغرباً حتى الأندلس .. وعلى ذلك فليس غريباً ولا عجيباً ـ وقد عرف العرب النفط منذ أكثر من ألف عام ـ أن يكتشف ، أو يعاد اكتشافه فى أرضنا ، الزاخرة به منذ فجر التاريخ ..



تنويعات على اللون الأسود

بقلم: مصطفى أبو النصر

حاولت ـ عدت مرات ـ أن أدقق النظر لاكتشف كل صغيرة ، ولكنى ـ فى النهاية ـ اقتنعت بفشلي . قلت : لابد أن أبدأ من جديد ، وقلت : قد يكون السبب هو اننى لست شديد الملاحظة ، أو اننى لم انظر بالانتباه اللازم ، وقلت أخيرا : ربما يكون بصرى قد اضمحل . ولم يكن فى وسعى ـ فى هذه اللحظة ـ أن أجزم بأى من هذه الأسباب هو الحقيقى .

سأبدأ من جديد .

الخلفية سوداء تماماً . لاشيء يشوب هذا الامتداد الأسود . لا توجد نقطة واحدة بيضاء . هذا لا يكفى . لابد أن أتأكد . من الأفضل أن أقترب ، وأتأمل الخلفية جزءاً جزءاً ، وبدقة . ربما توجد نقطة صغيرة ، بالغة فى الصغر ، لايمكن للعين المجردة أن تكتشفها . إذن ، من الضرورى أن يكون لدى عدسة مكبرة . ليس لدى عدسة مكبرة . كيف أحصل الآن على عدسة مكبرة ؟ من الواضح أننى اختلق العقبات . إذا كانت العدسة

غير موجودة الآن ، فمعنى ذلك اننى يجب أن أتوقف ، وأترك العمل ، وأرتدى ملابسى ، وأغادر البيت ، وأذهب لشراء عدسة مكبرة .

اننى أحاول أن أعوق كل شيء . أحاول أن أجعل من شيء صغير تافه ، ضرورة ملحة يتوقف عليها تقدم العمل كله . إننى أضع نفسى عقبة كأداة ، لا سبيل للتغلب عليها إلا بالتوقف - نهائياً - عن العمل . هل أتوقف وألقى بالريشة ، واترك اللوحة ؟

إن الشك الذى بدأ يسيطر علي - الآن - هو من قبيل الوهم . من الذى أوحى الي بأن نظرى قد بدأ يضمحل ؟ اننى لا أشكو من مرض فى عينى ، ولم يحدث أن أحتجت - فى يوم ما - الى نظارة طبية أو شمسية ، فضوء الشمس لا يؤذى عينى حتى فى أيام الصيف القائظ والشمس فى السمت تقذف لهباً حارقاً . هذه هى الحقيقة المجردة . إذن ، لا ضرورة اطلاقا للتوقف ، أو للشك فى أن الخلفية السوداء القاتمة ، ربما تكون فيها نقطة صغيرة بيضاء .

اننى أدقق النظر من جديد . لم لا أقترب وأعيد النظر ؟ إن ذلك أدعى للتأكد فضلا عن الاطمئنان ومواصلة العمل فى ثقة .

آه .. من الأفضل أن أوجه ضوء المصباح على الخلفية السوداء . سيكون الضوء مضاعفاً ، ولا مجال - بعد ذلك - للشك . لقد استحالت الخلفية السوداء ، الى بقعة منيرة من الضوء الأسود . إننى الآن أنظر ، أتملى ، أحملق . هذا الجانب أسود فعلا ، ولكن ماذا ؟ يبدو أشد سواداً من الجانب الآخر . سأبتعد قليلا وانظر . المساحة كلها سوداء . مامعنى هذا ؟ اقترب من الجانب الآخر . ماذا ؟ إنه سواد مشوب . ماالذى جعل هذا الجانب أقل عمقاً فى سواده من الجانب الآخر ؟ قد يكون السبب هو الزاوية التى وجهت منها ضوء المصباح على الخلفية السوداء . علي إذن أن أغير من وضع المصباح : أن أجعله مباشراً ، حتى يكون الضوء المسلط على سطحها بلا ظل . إن وجود الظل يضاعف من عمق السواد وحدته ، فتزداد قتامته . بالتأكيد هذا هو السبب .

أمسكت بالمصباح . بدأت أوجه ضوءه والبقعة السوداء تتضح تماماً . مجرد بقعة سوداء ، ولكن ما بالها لا تقول معنى معيناً ؟ لابد للون أن يقول معنى ما . لا يكفى أن تكون الخلفية سوداء ، ليعتقد المرء أنها سوداء ، إن ذلك لا يعنى شيئاً . إن اللون الأسود هو فى واقع الأمر أسود لا يمكن ، ولا أظن أن انساناً يجرؤ على القول بأن اللون الأسود هو من وجهة نظر معينة أحمر أو أخضر أو أصفر . ربما أمكن تحليل اللون الى عناصره التى يتركب منها ، غير أن هذا شيء آخر .

حينما نعلم الطفل ، نأتى له بلوحة عليها دوائر ملونة : هذه دائرة حمراء ، هذه دائرة خضراء ، هذه دائرة صفراء ، هذه دائرة زرقاء ، أما هذه فدائرة بيضاء . انظر ، وهذه - بالطبع - دائرة سوداء . بهذه الطريقة يعرف الطفل الألوان . ولكن هذا - بطبيعة الحال - لاشيء . مجرد ألوان لا معنى لها ، اللون فيها محايد لا يقول شيئاً ، ولا يستطيع النطق لون أخرس . على أننا نقبل هذه الألوان الخرساء ، حينما نكون أطفالا ، وبشرط ألا تخرج عن الدوائر ، فان هى خرجت عن محيطها ، لتلون الأشياء ، فلابد أن ينطق اللون .

أذهب مع أبى الى بائع الدراجات ليشترى لي واحدة . أقف وأتأمل ، عيناى تدوران . احتفال رائع من الألوان . هذه دراجة حمراء ، وهذه صفراء ، وتلك خضراء ، أما هذه فزرقاء . يطلب ابى منى أن أختار . أنا فى حيرة . أريد كل الألوان فى دراجة واحدة . الحمراء ظريفة ، الصفراء مدهشة ، الخضراء رقيقة . سأختار . أشير الى الزرقاء . يسحب البائع الزرقاء ، لا .. لا .. أريد الحمراء . انها تنظر الي ، تطلب منى أن آخذها ، إنها الوحيدة التى تكلمنى . ولكن الخضراء لون الجنة ، الجنة خضراء .. والنار حمراء . لا .. لا .. أريد الخضراء . يترك البائع الزرقاء ، ويمسك بالخضراء فيسحبها ، يخرجها من بين الدراجات . تقف وحيدة بعيدة عن زميلاتها . مجرد دراجة خضراء ، تبدو لى منكسة الرأس ، ثم ان لونها ، ماذا ؟ يتحول بصرى بسرعة فلا يقع إلا على الحمراء . الحمراء تنادينى ، انها شجاعة ، تفرض نفسها علي ، تقول لي : أنا الحمراء ، الدراجة الحمراء ، ألا ترى أن دراجة صاحبك «عادل» زرقاء ، ولكن أنا حمراء . أتعجبك حقاً الخضراء ؟ يسحب البائع الدراجة الخضراء الى باب الدكان . صارت دراجتى هى الخضراء . أبى فى الداخل . الدراجة الخضراء تنتظرنى عند الباب . ولكن .. التفت ورائى ، يقع بصرى على الحمراء . إنها تضحك وتسألنى : أتعجبك الخضراء حقاً ؟ إننى حمراء ، سيرانى « عادل » وسيقول : اركب انت الزرقاء مرة ، وأركب أنا الحمراء مرة . «بابا .. بابا .. أريد الحمراء . » أبى يبتسم . البائع يبتسم ويسحب الخضراء ويعود بها ليضعها بين الدراجات ، ويأتى بالحمراء . الدراجة الحمراء تقترب منى . دراجتى إذن حمراء ، ودراجة عادل زرقاء . دراجتى أنا هى الحمراء .. الحمراء .. الحمراء .

ماذا تعنى إذن هذه الخلفية السوداء ؟ ولكن هل هى حقاً سوداء ؟ أريد أن اسمع صوتها وهى تقول لي : إننى خلفية سوداء تماماً . ولكن ماذا تعنى بأنها سوداء ؟ يجب أن اسمعها وهى تشرح لي سبب كونها سوداء . هل هى سوداء لمجرد انها سوداء ؟ إن هذا لا يختلف كثيرا لو أنها كانت بيضاء أو رمادية أو زرقاء . هل هي سوداء لمجرد أنها مظلمة ؟ أم أنها حزينة ؟ أم لأنها لا تريد أن تكشف عن نفسها ؟ أم لأنها تتظاهر بالوقار والقتامة والجدية ؟ ولكن، لم لا يكون سوادها هذا دليل انغلاقها وانطوائها وكآبتها ؟ لم لا تكون كتوماً قليلة الكلام لا تقول اكثر من أنها خلفية سوداء ؟ من الضرورى أن يكون سوادها ناطقاً ، لا يعنينى ماالذى يقوله ، ولكن لابد أن ينطق ويقول شيئاً .

حينما ترتدى امرأة ثوباً أسود ، فان ذلك يعنى أشياء كثيرة : ربما كانت حزينة . سيقول لي اللون ذلك . لون أسود قاتم ، خال من أى شيء . مجرد ثوب أسود ترتديه امرأة . هناك عوامل مساعدة ، كأن يكون الوجه عاطلا من المساحيق ، وشعرها ممشط فى بساطة وعفوية وربما فى اهمال أيضاً : فرق فى الوسط ، والشعر مرسل على الجانبين . الحذاء أسود ، والجورب - إن كان الوقت شتاء - أسود أيضاً . عندما أرى هذه المرأة سأقول : « هذه المرأة حزينة ، لأنها ترتدى ثياب الحداد . » هنا يقول اللون الأسود انه لون حزين باك ، لون تقطر منه دموع الأسى والفراق . ومع ذلك فان اللون الأسود نفسه ، يستطيع أن يقول شيئاً

تنويعات على اللون الأسود

آخـر .

(حفل مسائى . الحفل مقام فى فندق كبير . القاعة الكبرى تتلألأ بالأنوار . الموسيقى الحالمة تنبعث من فوق منصة فى ركن من الأركان . الموائد مصفوفة على شكل دائرى ، يجلس حولها المدعوون . اللون الغالب هو اللون الأسود . الرجال يرتدون ملابس السهرة السوداء : الصدر أبيض ، ربطة العنق ، فراشة سوداء . ثمة امرأة ممشوقة القوام ، بيضاء ، جيدها أتلع ، تجلس كملكة ، ترتدى ثوباً أسود سابغا ، يلمع لمعة خفيفة ، تضع ساقاً على ساق فيبدو طرف حذائها اللامع . فى الصدر ، وفى المنتصف تمامـاً ، هلال من الماس ، يتلألأ ، يشع ألواناً بنفسجية وزرقاء . تعتمد المرأة بمرفقها على سطح المائدة المستديرة التى تجلس بجانبها ، فيظهر سواد من الماس حول معصمها . شعرها أسود صفف بطريقة جعلت منه تاجاً فوق رأسها . حاجباها : قوسان رقيقان سوداوان ، سواد قاتم محدد ، غير أنه يلقى بظل واهن — لا يكاد يرى — على الجفنين ، فيضفى على العينين نعاساً يحيلهما الى حلم . هنا نطق اللون الأسود . قال انه لون الليالى الرائعة ، لون الاستعلاء ، لون الظهور ، لون يفرض نفسه ، يحدد قيمة لابسه فيضعه فى مكانه الصحيح) .

يجب أن يصرح لى هذا المسطح الأسود بما فى داخله . لا يكفينى طمس اللوحة به بحيث لا يبدو فيها رأس دبوس أبيض . شتان بين أسود وأسود .

سيقول رجل عابر ، وبطريقة مبتذلة ، كأنها بديهية لا تحتاج الى اثبات : ماذا؟! إن هذه الخلفية سوداء ، ألا ترى ؟! إنها سوداء ، هذا كل مافى الأمر . لن يحاول بعد ذلك أن يقف أمامها ليتأملها جيداً ، وليتحقق — فعلا — من كونها سوداء ، أو لماذا هى سوداء ؟

ابتعدت الى الخلف قليلا . إننى أقف الآن بعيداً نوعاً ما . لماذا لا أجعلها رمادية ؟ إن اللون الرمادى لون متغير كثير الدرجات . كلها رمادية ، ولكن حينما أجعلها رمادية بدرجة معينة ، فان ذلك سيدعو — حتما — المشاهد الى التفكير . لماذا لم تكن رمادية داكنة ؟ لماذا لم تكن رمادية مشوبة ببياض خفيف ؟ أو لماذا لم تكن رمادية مشوبة بسواد ؟ أو لماذا هى رمادية أصلا ؟ كان الأحرى أن يجعلها سوداء . تلك هى المشكلة التى يجب أن أتوقف عندها . أن اللون الأسود لون صامت ، لون قليل الكلام ، لون كتوم متحفظ ، أنه — هنا — أسود فقط . الألوان الأخرى ألوان متكلمة ، ثرثارة ، تتحدث الى من ينظر اليها فتكشف عن نفسها . ولكن ألا يكون ذلك اهداراً للون حقيقى ، وتجاهلا لتلك القدرة الخارقة التى يستطيع اللون الأسود أن يمنحها ؟ .

(هذه امرأة ترتدى السواد . المرأة تجلس فى الاتوبيس متشحة بطرحة سوداء . المرأة جاوزت الستين . على جانبها إمرأة فى حوالى الثلاثين ، ترتدى ثوباً زاهى اللون . المرأتان تتحدثان . أم وابنتها . الحديث باسم ، لا هموم ، لا أشجان . لا استطيع أن أقول ان هذه المرأة حزينة ، ولكن يمكننى أن أقول : إنها كانت حزينة ذات يوم . ربما كان ذلك منذ عشرة أو عشرين أو خمسة وعشرين عاماً ، حينما مات زوجها ، كانت المرأة حزينة حزناً صادقاً ، عميقاً ، غير أنها تماسكت ، واستطاعت أن تعيش وتربى أبناءها . صار الحزن بعيداً . والذكرى شاحبة ، وفى لحظات ربما تتخايل أمامها ملامح زوجها ، ولكن ما بال الصورة غير واضحة ، والملامح حائلة ! لقد أتى الزمن على الصورة كلها ، ومع ذلك فهى لا ترتدى إلا الملابس السوداء . صار اللون الأسود لوناً مألوفاً كبقية الألوان ولم يعد يعنى شيئاً بالنسبة لها . ربما فكرت ذات يوم فى أن تستبدله حينما ألح عليها أبناؤها أن ترتدى ولو ثوباً كحلياً أو بنياً ، إلا أنها رفضت . لم تقل انها مازالت حزينة ، لم تقل ان ارتداءها السواد مازال حزناً على ابيهم ، لم تقل شيئاً من هذا ، انما قالت : « لا يليق وأنا فى هذه السن. » فاللون الأسود هنا ليس علماً على الحـزن ، وليس احتراماً لذكرى رجل مضى ، ولكنه — فقط — لا يليق بامرأة فى سنها أن تخلعه ، وقد ارتدته فى شبابها)



لقد بدأت أمل النظر الى الخلفية السوداء . بدأت أشعر بشيء ما ، داكن كئيب يتسلل الى نفسى . هل هذا من فعل إطالة النظر الى اللون الأسود ؟ أم لأن الغرفة مغلقة وقد عبق هواؤها برائحة الدخان ؟ .

سأفتح النافذة ، ليتجدد هواء الغرفة واستنشق هواء نقياً .

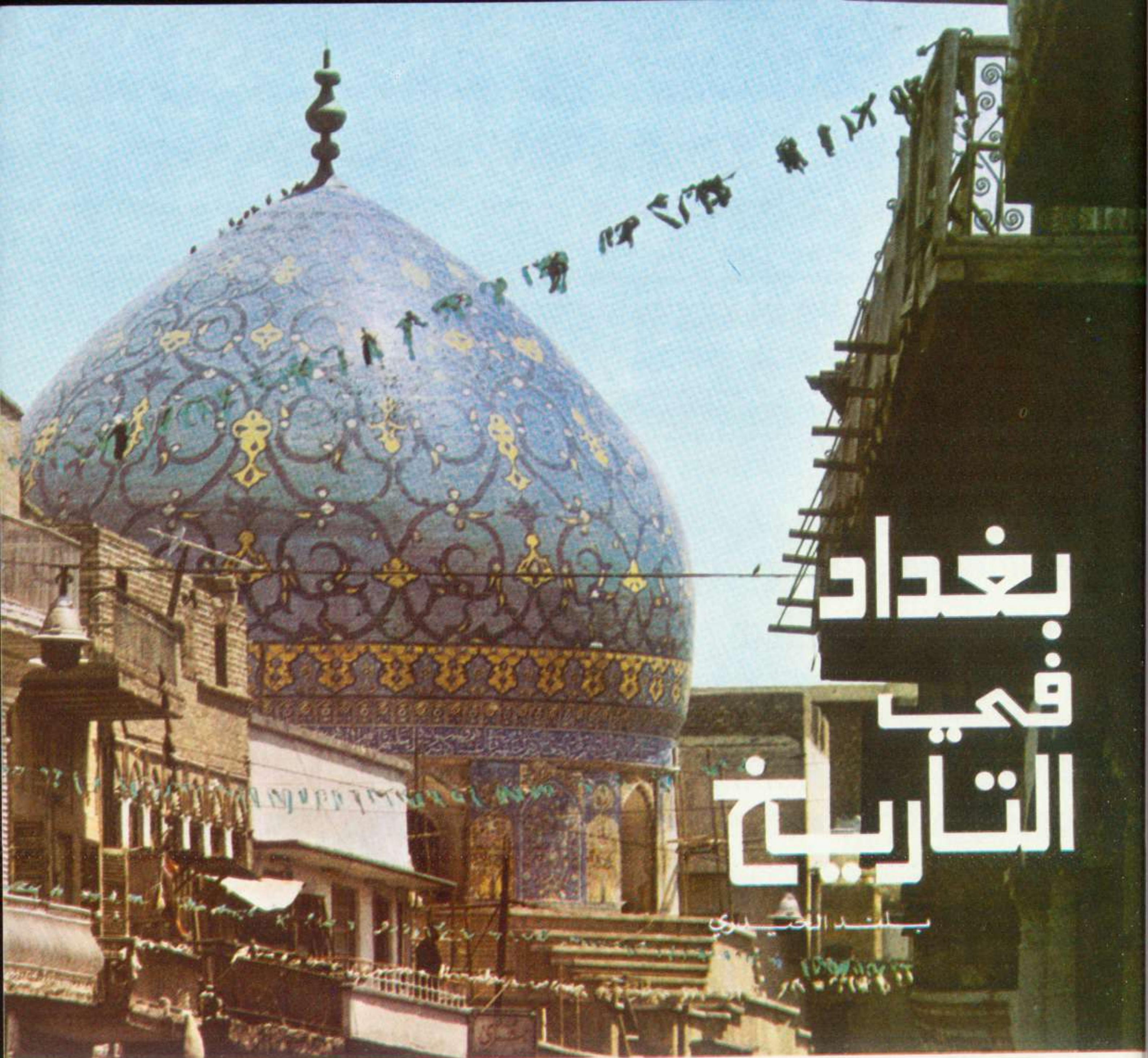
هبط الليل ، ولكن الشارع منير بتلك الأنوار الشمسية التى تقتحم العين وتفرض الرؤية . هأنذا اعتمد بذراعى على قاعدة النافذة . الشارع تحتى منبسط . السيارات تندفع . إذا نظرت الى شمالي عشيت عيناى من أضواء السيارات القادمة ، فأحولها بسرعة الى اليمين لأعجب بتلك الأضواء الحمراء المتناثرة كحبات الرمان . اننى اتنسم هواء بارداً ، هواءً خريفياً يبشر بقدوم الشتاء . أرفع بصرى الى السماء . المنظر متكرر . رقعة سوداء قاتمة . نجوم متناثرة تومض من بعيد . النظر الى السماء لا يقبض النفس ولا يثير الكدر . ربما تكون النجوم هى السبب ، ولكن لو كانت السماء بغير نجوم ، بل انها كثيراً ما تكون خالية من النجوم ، ومع ذلك فان سوادها لا يوحي بكآبة ، كما أنه ليس سواداً أخرس لا ينطق . إن سوادها يناجينى ، يقول لي أشياء كثيرة ، أنه سواد يحجب ما وراءه من أسرار وأسرار

دخلت وأغلقت النافذة . عدت أتأمل الخلفية السوداء . ماالذى تحجبه ؟ أريد أن أعرف السر . سرها . اقترب من اللوحة ، ابتعد عنها ، أعود فاقترب منها ، لا ألبث وأبتعد .

(رجل أعمى دخل غرفة مظلمة ، للبحث عن قطة سوداء ، لا وجود لها)

غدا ، سأغير لون الخلفية

مصطفى أبو النصر



بغداد في التاريخ

بلند الحيدري

لا أعتقد أن ثمة مدينة فى التاريخ نال من اسمها التحريف والتحوير واختلاف اللغات التى جاءت على ذكرها ، مانال من اسم «بغداد» حتى كاد أن يكون لها ما ينيف على عشرين اسماً . فهى بغداد وبغذاذ ، وبغذاذ ، وبغدان ، وبغدين ، ومغذان ، ومغدان ، وبغدام ، ومغدام ، وبهداد ، والزوراء ، ومدينة السلام ، ودار السلام ، وقبة الاسلام ، وحاضرة العباسيين ، ودار الخلافة ، ودار الامارة ، وأم العراق الى غير ذلك من التسميات ، إلا أن ما صح لها واشتهرت به هو ما أجازه أبو الحسن الكسائي ـ توفى عام ٨٠٥م ـ لها بتسميتها « بغداد » على الأصل ، فاحكم بناء لفظها بدالين مهملتين .

وتبعاً لذلك اتسعت لها مظان فى كتب التاريخ والسير والجغرافية ، تذهب مذاهب شتى فى تعليل اسم « بغداد » واستصدار الروايات والأباطيل عنها وافتعال أحداث لتبريره ، انطلاقاً من استقراءات لغوية ساذجة تقوم غالبيتها على الرأى القائل بانها مركبة من جزئين ، ولكل جزء منها معنى فى هذا التفسير أو ذاك كالقول بانها مركبة من كلمتين « باغ » و « داد » اللتين تشيران الى بستان « لدادويه » ، وهى عند اخر « بغ داد » وتعنى عطية الصنم ، وهي لدى اخرين « بغ داذ » اى هدية الشيطان ، ويحملها غير هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء ، بعيداً إلى أن تكون مشتقة عن اللغة الصينية ، حيث كانت بغداد فى تلك الأيام مشهورة بكونها سوقاً يؤمه



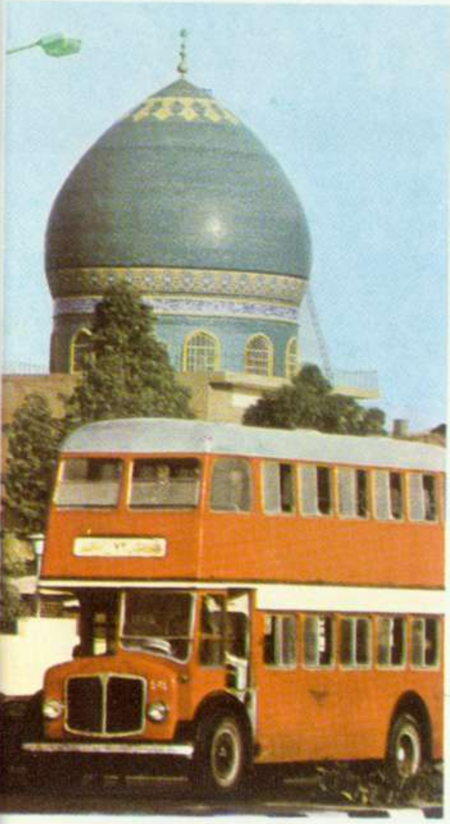
منظر لبغداد فى الليل والأضواء تتلألأ على ضفتي دجلة

الكثيرون من تجار الصين ، وكان اسم ملك الصين يومذاك « بغ » ، فاذا ما انتهوا من بيع تجارتهم ، وقفلوا عائدين الى بلادهم قالوا : بغ داد ، اشارة الى ما حققوا من أرباح وأموال فى رحلتهم هذه وأنها من فضل الملك « بغ » .

ويرى المسكين جرجس ، الملقب بابن العميد ـ ١٢٠٥ ، ١٢٧٣ ـ ان اسم بغداد مشتق من اسم كاهن معروف كان يقطن في ذات المنطقة ، وأنه المسؤول عن ادارة شؤون الكنيسة القائمة هناك ... وهي « الزوراء » لأنها شيدت عند منعطف من منعطفات نهر دجلة ، بينما لا يرى آخرون هذا الرأى ، فالتسمية عندهم وردت بأثر من إزورار القبلة فى جامع المنصور ، الذى قام بتشييد المدينة التى توسطها جامعه وقصره .. وهي مدينة السلام لأنها اقيمت على نهر دجلة الذى كان يكنى بوادى السلام .

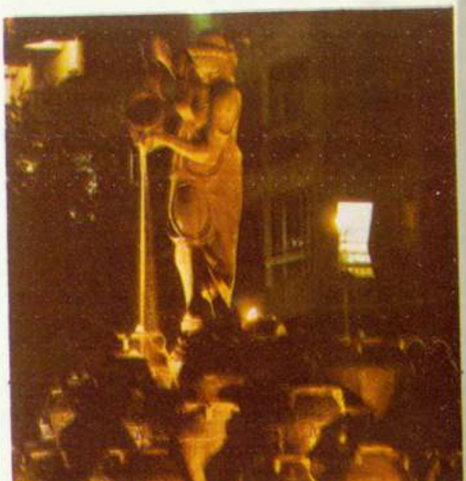
وتكاد الحجة أن تنهض برأي لنخبة من الباحثين العراقيين كالمطران إغناطيوس فى كتابه « رحلة الى الهند » ومثله المؤرخ يعقوب سركيس ومثله يوسف غنيمة الذين أجمعوا على القول الذى حمله عنهما يوسف غنيمة ، ومفاده « أن اسم بغداد أرمي ، مبنى ومعنى وهو مؤلف من كلمتين ب ، المقتضبة من كلمة بيت عندهم ، وكثيراً ما تقع في أوائل أسماء المدن مثل بعقوبه وباطنايا وباعشيقا وباغدرا وباجرمي وغيرها ، واللفظة الثانية هى لدادا بمعنى غنم أو ضأن » .

أقول : تكاد ، لكثرة ما نجد من التصاق حرف « الباء » بعدد من أسماء المدن فى غير قطر من الأقطار العربية ، لولا ما وقع الينا من التنقيبات الأثرية التى قام السير هنري روبنسون فى منتصف القرن التاسع عشر ، وتأكيده من خلال عدد من الرقم ، على وجود مدينة غائرة فى القدم ، مشيدة باجر بابلي ، وفى ذات الموضع الذى شيدت فيه بغداد الخليفة ، المنصور وأن







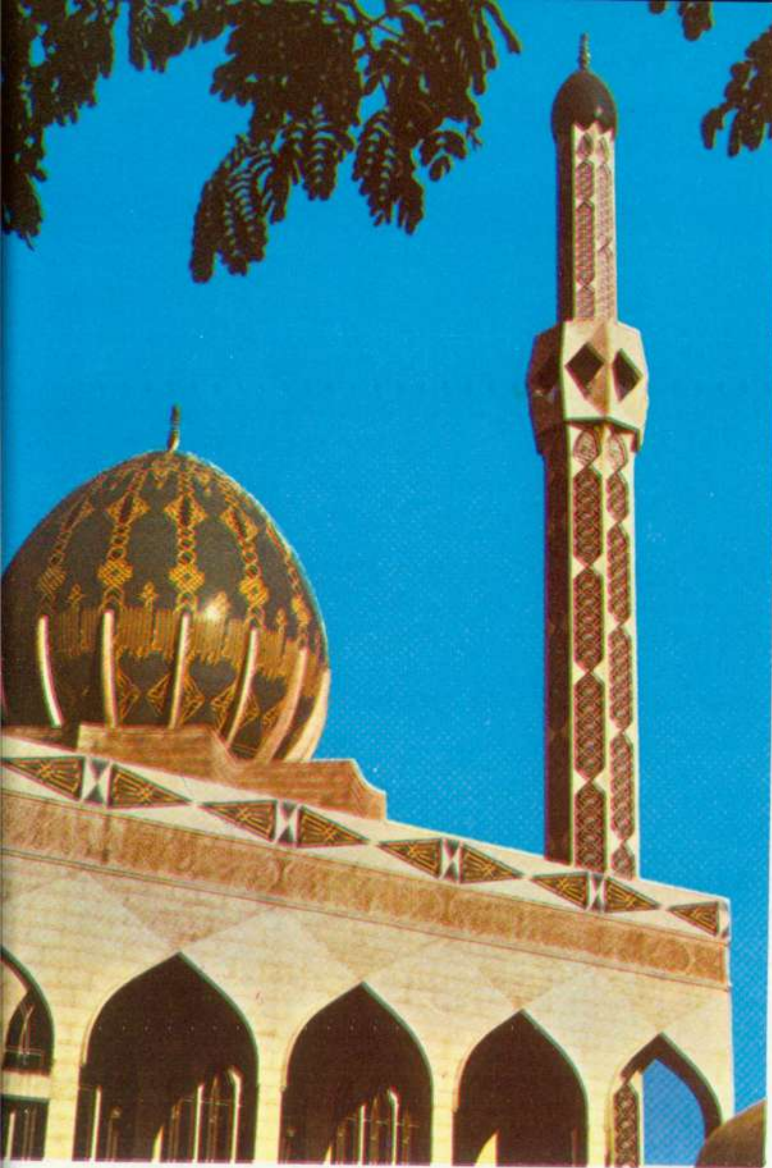


اسمها قريب من اسم بغداد ، وأن قطع الآجر التى عثر عليها فيها كانت مختومة باسم « نبو خذ نصر » وببعض القابه ، وهو ما يؤكده البحاثة رزوق عيسى فى مقال نشرته له مجلة «لسان العرب» للأب أنستاس الكرملي ـ ١٨٦٦ ـ ١٩٤٧ ـ يقول فى الصفحة ٣٨٧ من تجميعها الجديد : « ان اسم بغداد قديم إذ ورد فى تاريخ الآشوريين قبل المسيح بألف وتسعين سنة ، فقد جاء فى التواريخ المسمارية الخط ، المكتوبة على الآجر : أن الملك اشور بلكلا رتق ما فتقه أبوه ، فأخذ بغداد واكتسح بابل واضطر الملك مردوك الى أن يطلب الصلح ، وقد وجد العلماء فى نفس مدينة بغداد آجراً كثيراً ، مكتوباً عليه بغداد وبعض الوقائع التى جرت فيها ، وعليه فان القول إن اللفظة فارسية أو آرمية أو غير نلك هو من باب التكلم على اساس غير ثابت واما معناها فى اللغة الآشورية فلم يهتد اليه العلماء » .

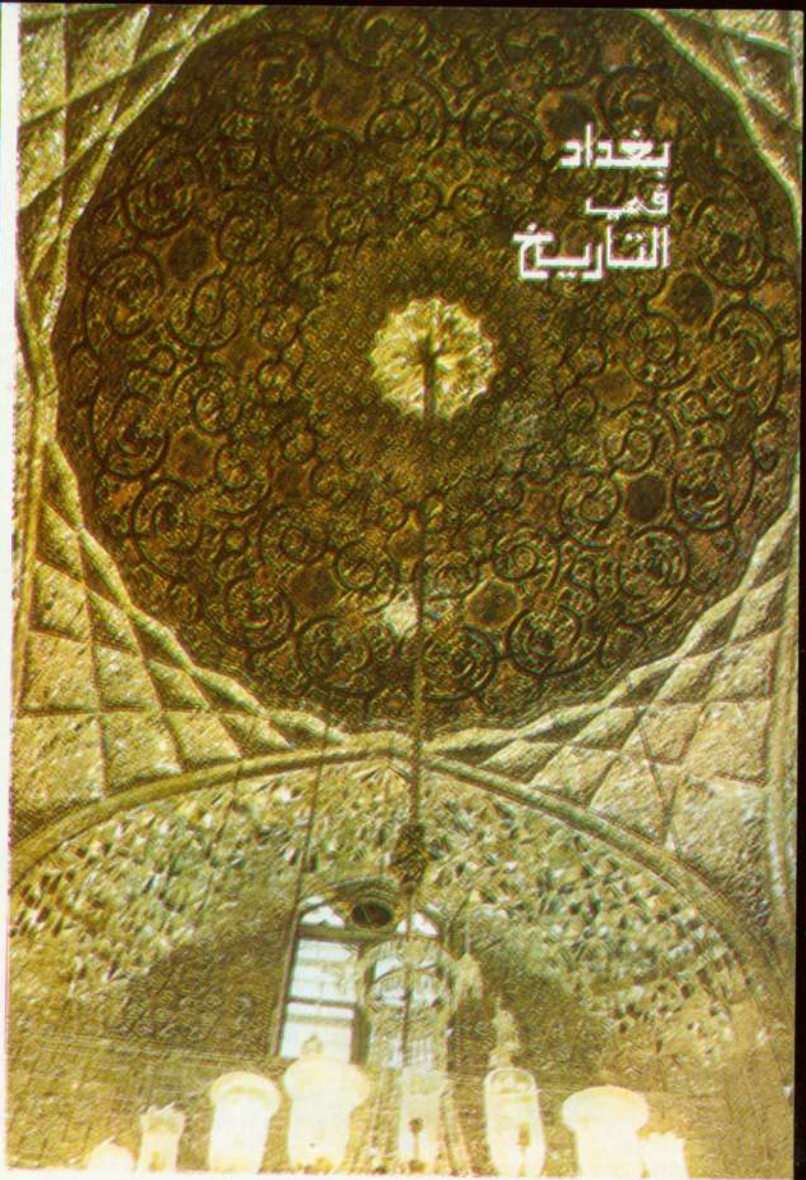
البحر والبر والجبل

وما كانت بغداد الخليفة أبي جعفر ، عبد الله بن محمد المنصور ـ الخليفة العباسى الثاني ولد عام ٧١٤ وتوفى عام ٧٧٥، وحكم مابين ٧٥٤ و ٧٧٥م وإليه ينسب بناء بغداد ـ بمنجاة من مثل تلك التأويلات والشائعات التى تعاورتها العامة ، والتى وصلت ظنتها الساذجة حتى الى الطبرى ـ محمد بن جرير توفى فى بغداد عام ١٩٠٣م ـ إذ زعم أن تشييد المنصور لمدينة بغداد قد جاء تلبية لنبوءة شاعت وذاعت عن بعض كتب الرهبان القديمة تتحدث فيها عن قيام مدينة عظيمة فى يوم ما على نهر الصراة ودجلة ويقوم بانشائها رجل يدعى «مقلاص» ، وأن الخليفة أبا جعفر المنصور ماكاد يسمع بتلك النبوءة حتى عقد العزم على تشييدها لأن « أمى كانت تلقبنى فى صغرى مقلاصاً » نسبة الى اسم لص اشتهر بسرقاته

تشتهر بغداد الحديثة بتماثيل الميادين العامة .
والصورة لتمثال على بابا والأربعين حرامي .



مسجد بن نبيه وهو أحد المساجد الحديثة فى بغداد



بغداد في التاريخ

ألوان من الزخرفة الاسلامية التى تنتشر فى مساجد بغداد ومبانيها الثرية .

وغزواته ، وأنه – أى المنصور – يوم ان كان صبياً سولت له نفسه أن يسرق غزلا باعه لتسديد تكاليف وليمة أعدها لبعض معارفه وأصدقائه .

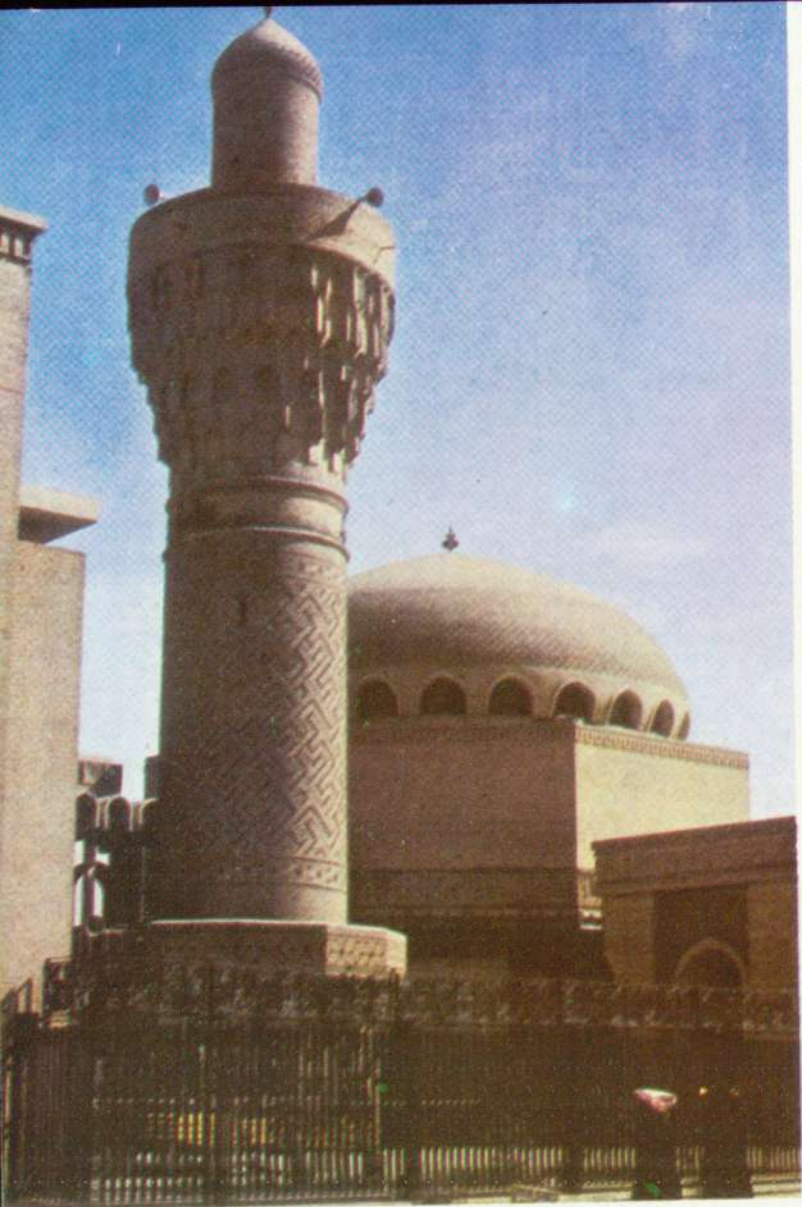
ويتراخى الزمن ، وهمسة المؤرخين كثيراً ، فلم يختلف الينا إلا النزر اليسير عن أخبار بغداد ما بين توغل خالد بن الوليد فيها عام ٦٣٤م (١٣هـ) ، وبين قيام ابى جعفر المنصور بتشييدها عام ٧٦٢م ، وأن تلك النتف من الأخبار المتفرقة تشير الى أنها كانت موقعاً لبعض الأديرة التى اقامها رهبان نساطرة ، وأن الملمين بشؤون تلك المنطقة هم الذين أشاروا على المنصور باقامة مدينته فيها ، على ما يروى الجغرافى العربي شمس الدين المقدسي – توفي عام ٩٩٠م – ، وأنهم برروا ذلك له بقولهم : انك إذ « تنزل فى بغداد تصير بين أربعة طساسيج ، – جمع طسوج ، أى ناحية – طسوجان فى الجانب الغربي وطسوجان فى الجانب الشرقي ، فاللذان فى الغربي قطربل و بادوريا ، واللذان فى الشرقي نهر بوق وكلواذى ، فانت تكون بين نخل وقرب ماء ، فان اجدب طسوج وتاخرت عمارته كان الآخر عامراً ، وانت يا أمير المؤمنين على الصراة ، تجيئك الميرة من الغرب وفى الفرات تجيئك طرائف الشام ومصـــــر وتلك البلدان ، وتجيئك الميرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها حتى تصل الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وامد والجزيرة والموصل فى دجلة ، وانت بين الأنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لم يصل عدوك ، وانت بين دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق والمغرب إلا واحتاج الى العبور ، وانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وانت قريب من البحر والبر والجبل » .

وما أن اقتنع بما أشاروا به عليه حتى انتبذ لمدينته بقعة من الأرض تمتد ما بين الكاظمية والكرخ – منطقتان من مناطق بغداد المتجاورة – على مساحة أختلف فى تحديدها بدقة ، فان نحن اعتمدنا الأرقام والقياسات التى أوردها بعضهم لطولها وعرضها وقعنا الى شكل محرف للدائرة ، وإن نحن أخذنا انفسنا بمقاسات غير هؤلاء لمدينة بغداد وقعنا الى خارطة لها ، كاملة الاستدارة ولكن بنسب دون ما يفترض أن تكون عليها ، وتتناقض مع التقديرات المسافية التى أوردت لجدران الاسوار الثلاثة وعرض الشوارع الداخلية والخارجية حيث أمر المنصور « .. بأن يكون عرض الشارع خمسين ذراعاً ، والدرب ستة عشر ذراعاً ، ولكل سكة ودرب اسم لقائد مشهور يسكن فيه ، أو رجل نبيه ، أو أهل البلد الذى ينزلونه » كما يقول الدكتور عبد الجبار الجورد فى كتابه « المنصور : داهية العرب » ... ولو اضفنا الى ذلك المسافات ما بين الأسوار الثلاثة ، وما بين الأبواب ، ثم سماكة السور الكبير وعلوه وحجم الآجرات المستخدمة للبناء لقطعنا جازمين بأن المدينة كانت أكبر مما زعموا وأوردوا من تقديرات .

ولعلنا إن اعتمدنا ما نصت عليه غالبية المصادر التاريخية عن أن أبا جعفر المنصور قد اثر أن يتلمس عياناً سعة المساحة لمدينته وهى مثبتة بوضوح على الأرض فامر بتحديدها بخط دائرى من الرماد ، وأن ينثر عليه حب القطن المبلل بالنفط وتوقد فيه النار ليكون له أن يتبين







الى اعلى المدرسة المستنصريه التى انشئت فى العصر العباسى ، وكانت من أهم جامعات العالم . وإلى اليسار مسجد الخلف ـ من أهم المساجد التاريخية .

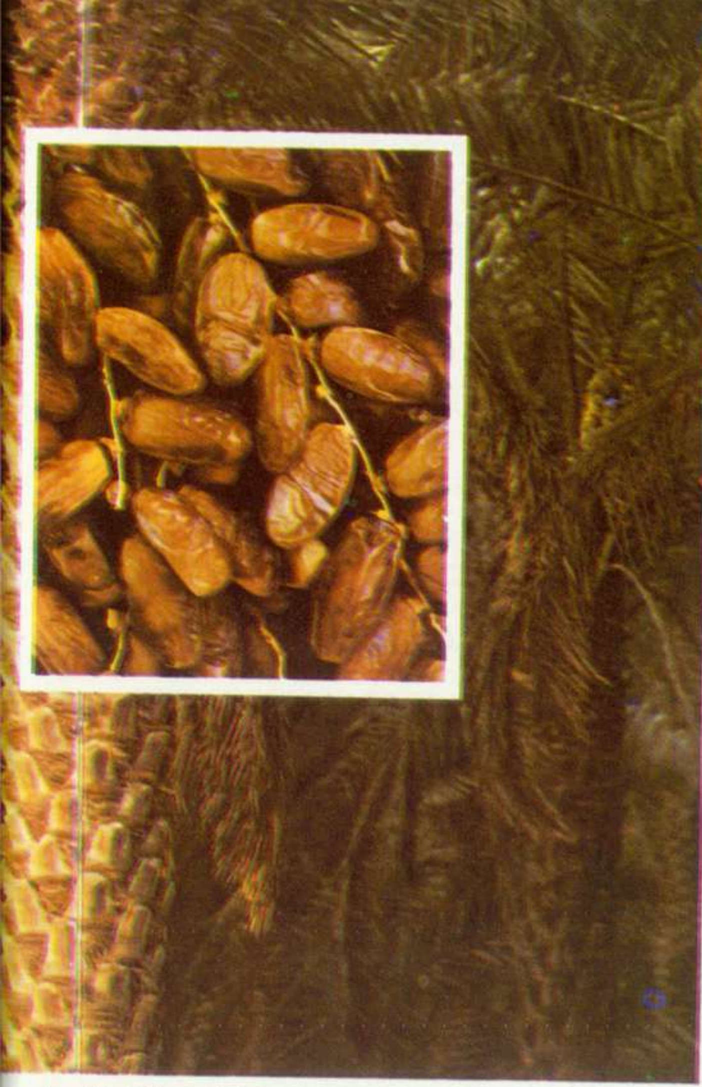
من فوق هضبة يرتقيها ، حدود مدينته ، ولعلنا لو قدرنا قدرة العين المجردة على الاحاطة بالمنظر ، وارتفاع الهضبة ولابد أن يكون قليلا نسبة لطبيعة المنطقة ، مضافا الى ذلك المدة التى تم تشييد المدينة فيها وهى اربع سنوات ونيف ، وعدد الصناع الذين انتدبوا للقيام بالعمل وهم قرابة الف عامل وصانع ، ثم نوعية المواد المستخدمة للبناء . لكان لنا ان نفترض ان ما جاء في كتاب « جي . لسترانج » من استقصاءات وتقديرات للمسافات أقرب للدقة بعد أن ناقش ما أورده الآخرون فى كتابه «بغداد فى عهد الخلافة العباسية » حيث يقول: « فتبين لنا من ذلك أن مقدار طول قطر الدائرة الخارجية حول الخندق ، من باب الى باب ، نحو ثلاثة الاف ومائتى ياردة ، وكانت فى وسط المدينة رحبة مدورة واسعة لم يشيد فى بعض جنباتها ، بادى ذى بدء غير القصور والجامع ، إلا انها على توالى الأيام اخذت تزدحم بالأبنية نظير بقية اقسام بغداد ، فكانت مساحتها نحو الفي ياردة طولا فى مثلها عرضاً » .

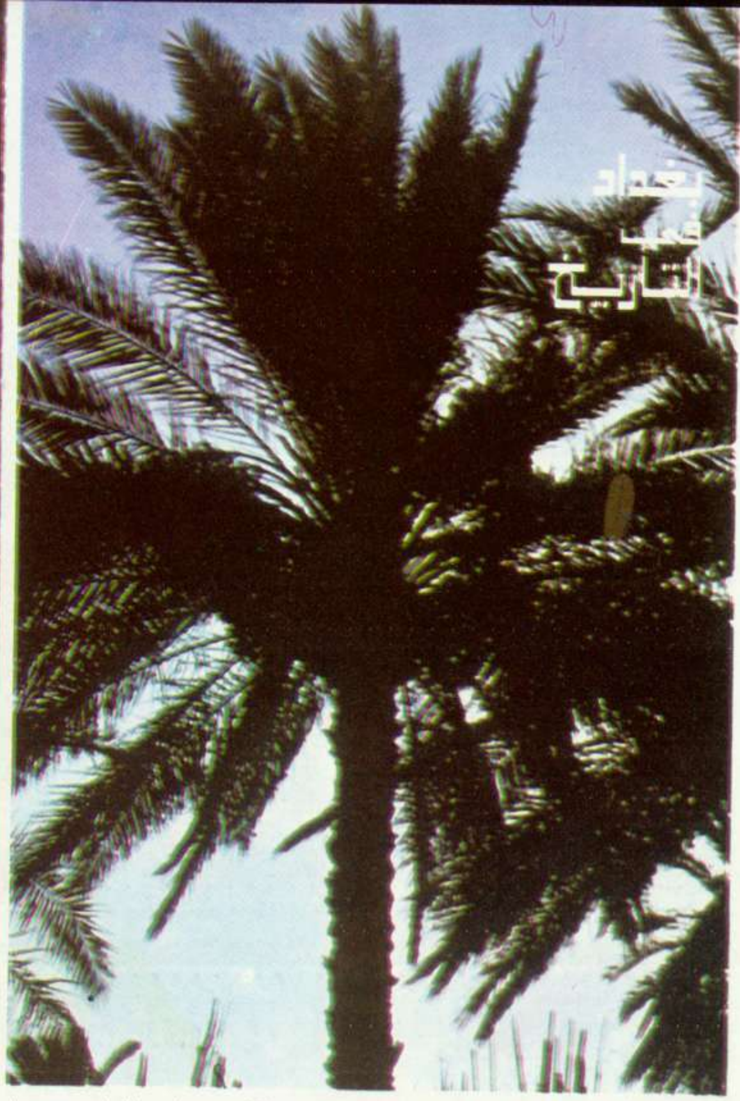
وقد قام بوضع اللبنة الأولى ، الخليفة المنصور بيده وهو يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ، والارض للـه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ثم أردف : «ابنوا على بركة الله » ، واقر لها اسماً تعرف به وهو « مدينة السلام » الذى اعتمد رسمياً فى المراسلات الحكومية ، كما سكت به النقود ، غير أن اسم بغداد بقى هو الاسم الشائع على الألسنة .

وقد اقيم للمدينة فى أول الأمر سوران هما السور الخارجي والسور الكبير ، ثم الحق بهما سور ثالث يقوم حاجزاً للقصر والجامع اللذين توسطا المدينة ، فتالفت من مجموع تلك الأسوار الثلاثة دوائر تحيط بمركز المدينة حيث الجامع والقصر الذى عرف باسم قصر باب الذهب لأن بابه بالفعل كان مرصعـاً بالذهـب ، وقد اقيمت فى السور الكبير اربعة أبواب ترتفع على كل منها قبة عالية وبين الواحدة والاخرى من تلك القباب ، ثمانية وعشرون برجاً ، بينما اعتلت القصر قبة فى غاية الفخامة هى القبة الخضراء التى انتصب على ذروتها تمثال من البرونز الأصفر لفارس بكامل عدته ، يدور على نفسه باثر من مجرى الرياح وقد امسك برمحه الذى يشير به الى اتجاهاتها .

تخطيط المدينة

ويستخلص « جي لسترانج » في كتابه الآنف الذكر ، فى اراء من أرخوا لمدينة بغداد فى هذه الفترة بان الخليفة « المنصور أول من ابتكر فى تخطيط المدينة الاسلامية هذا النوع من الأسوار المحيطة بالرحبة المركزية ، وكان من رايه أن المدور من حيث قسم كان مستوياً ، لا يزيد على هذا ولا هذا على هذا ، فيكون السلطان على بعد واحد من الجميع » وذلك رغبة فى ابراز وتاكيد روح العدل والمساواة بين الرعية كما توحي بها خطوط الدائرة واستداراتها وحسب خصوصية كل فئة من الفئات التى يتعامل معها .. ولعله بسبب من ذلك ، انتدب ، أو أجبر الامام ابا حنيفة النعمان ابن ثابت على أن يكون واحداً من أربعة مراقبين آخرين عهدت اليهم مهمة مراقبة سير العمل فى انشاء مدينة بغداد والتكفل بشؤون وامور البنائين والمساحين والحرفيين الذين استقدموا من كل حدب وصوب ليتفاضلوا بابراز مهاراتهم





● يعتبر النخيل من اكبر ثروات العراق حيث يوجد بالملايين فى أرض الفراتين ، ويحيط بالعاصمة بغداد وإن كانت كثافته تتركز فى البصرة وشط العرب والمنطقة الوسطى .

فى هذه المدينة المتميزة بكونها أحد الانجازات الرائعة فى تاريخ المعمار الاسلامي ، رغم قصر الفترة الزمنية التى شيدت بها ، ورغم انه كان بالامكان أن ينجز العمل فيها باقل من تلك لو لم تشغل الخليفة ابا جعفر المشاكل الجانبية والفتن الداخلية التى اضطرته الى أن يرجىء بسببها مواصلة العمل فى بنائها غير مرة .

ويوم أن استوت على قدميها ، أمر بشق قناتين لها تتكفلان ، بايصال المياه اليها ، عبر مجار من الخشب الساج ، يرفد الأولى منهما نهر دجلة ويرفد الثانية نهر الفرات وكان أن أوصل بين القناتين عدداً من القنوات المعقودة بالآجر تقوم بتوزيع الماء على جهات المدينة المختلفة .

اما أبواب الأسوار فقد تم اعدادها واقامتها بحيث يكون لاحداها أن تنفتح على مثيلتها فى السور المقابل لتؤدى بالتالى الى شبكة من الطرق الرئيسية ، توصل ما بين مركز المدينة والخارج ، وقد اطلق على كل باب من تلك الأبواب اسم يعرف به ويحدد توجهه والسبل المؤدية اليها ، وهي :

أولا : باب البصرة

ويقع فى القسم الجنوبي الشرقى ، ومرماه الى حيث الأرباض المنتشرة على شاطىء دجلة ومصب فروع نهر عيسى .

ثانيا : باب الكوفة

وموقعه فى الجهة الجنوبية الغربية ، ويسير بنا الطريق المتصل به جنوباً نحو الحج ، وان كلا من بابى البصرة والكوفة يشرفان على نهر دجلة ويتصلان بالجسر الكبير ، ومنه الى حيث هاتان المدينتان اللتان طالما تقاسمتا أبرز النشاطات الحضارية العربية .

ثالثا : باب الشام

ويقع فى الشمال الغربي ومنه يتفرع فرعان ، يتجه احدهما يساراً فى الطريق الى الأنبار والثاني يتجه يميناً الى حيث المدن القائمة على ضفة دجلة الغربية شمال مدينة بغداد .

رابعاً : باب خراسان

ويدعي المؤرخ المشهور علي بن الحسين المسعودى ـ توفى عام ٩٥٦ م ـ بانه كان يطلق عليه قديماً ، أى يوم تشييده ، اسم «باب الدولة» أو «باب الاقبال» وانه يؤدى الى نهر دجلة ، ولعل سبب تسميته بباب الدولة أو باب الاقبال يعود الى أن الخليفة المنصور كان يقضى فى الغرفة المقامه عليه أكثر ساعات نهاره ، مترصداً المقبلين عليه والوافدين لعرض شؤونهم وشتى قضاياهم وشكاواهم .

ويصنف المؤرخون مصادر تلك الأبواب التى اقيمت فى الأسوار بمصدرين رئيسيين ، فمنها ما أمر بصنعها الخليفة نفسه طبقاً لما تستوجبه طبيعة الأسوار ، ومنها ما يعود بها الزمن الى أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٧٠٣ م ، وأنها كانت من بعض أبواب مدينة واسط ، وهى تتمايز بشدة ضخامتها وثقل أوزانها بحيث لا يمكن أن تفتح أو تغلق إلا بتعاون رهط من الرجال الأشداء ، وأن الواحد منها ، كما يصفه احمد بن واضح اليعقوبى ـ توفى عام ٨٩٧ م ـ يتسع لدخول فارس منه وقد رفع رايته عالياً ، أو رامح وقد شهر رمحه الطويل ، دون أن يكون أى منهما بحاجة الى امالة علمه أو احناء رمحه ، وهو قول يتجانس ويناسب ما وصل الينا من علم بمتانة الأسوار ، التى يقف بينها السور الكبير كالمتراس ، مزهواً بشموخه الذى يبلغ تسعين قدماً ، وأن سماكة عرضه فى القسم العلوى منه تحد الى مسافة اثنتى عشرة ياردة ونصف الياردة ، وأن تلك الأسوار كانت تحيط برحاب المدينة من كل جوانبها ، وبطرقها الجانبية والفرعية ، التى أظلتها من الشمس ، صفوف من الطوق ذات الأشكال المتناظرة ، تتوزع بينها أسواق المدينة



ويوجد بها ٣٣ مليون نخلة .

التى سرعان ما أمر الخليفة باجلائها عن مكانها داخل الأسوار وإقامتها فى بعض مناطق الكرخ حفظاً على نظافة المدينة ودفعاً لضوضاء الأسواق .

وقد أسهبت كتب التاريخ لتلك الفترة فى وصف قصر الخليفة ، وجامعه ، باعتبارهما أبرز معالم مدينة بغداد المنصور ، من حيث جمالها وضخامتها وما أفرد لها من فسحة تحيط بهما وقد أخليت من الأبنية باستثناء مركزين للحرس والشرطة ، ثم يليها وتدور معها كما يقول اليعقوبي « منازل أولاد المنصور الأصاغر ، ومن يقرب من خدمته من عبيده ، وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل ، وديوان الخراج وديوان الخاتم ، وديوان الجند ، وديوان الحوائج ، وديوان الاحشام ومطبخ العامة وديوان النفقات » ، وكان المسجد الذى شيد على يد القاضى الحجاج بن أورطه ـ توفى عام ٧٦٢م ـ ملاصقاً للقصر ، ويرى بعض الدارسين بأن سبب انحراف المسجد عن القبلة قد جاء نتيجة لهذا الالتصاق بالقصر وتمشياً مع تشييده على موازاته .

وتقدر مساحة المسجد بما يساوى ربع مساحة القصر ، ثم ازدادت اتساعاً تبعاً لتزايد عدد المصلين فيه ، وقد جدد بشكل جذرى على عهد الخليفة المعتضد ـ ولد عام ٨٥٧م وتوفى عام ٩٠٢م ـ وزين سقفه بالأهلة المذهبة وتوزعت جدرانه طاقات مرصعة بقطع الفسيفساء الخضر المحاطة بالواح من الخشب الساج ، ويقدر الطبرى فى كتابه « تاريخ الامم والملوك » ما أنفق « .. على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفصلان والخنادق وقبابها وأبوابها » بحوالي ثمانية عشر مليون دينار من الذهب اى ما يعادل تسعة ملايين دينار من العملة العراقية الحالية .

وعلى مستوى ما كان لحكم الخليفة المنصور أن يستتب ويتوطد كانت مدينة بغداد تتسع خارج أسوارها الثلاثة ، فتعمر الأرباض الرحبة المصاقبة لها بالابنية والأسواق ، وكان الربض العظيم الممتد من باب الكوفة الذى يعرف باسم «الكرخ» حيث خص له بأن يكون ملتقى للتجار يتبادلون فيه بضائعهم ويتجرون ويساومون عليها بعد أن أصدر الخليفة المنصور أوامره بمنع البيع والشراء داخل أسوار المدينة ، ويزعم بعض الدارسين بأن اسم «الكرخ» قد اخذ من اسم احدى القرى التى كانت مقامة فى ذات الموقع قبل الاسلام .

وقام غرب المدينة ربض «باب المحول» ، وكان فى شمال باب محلة الحربية ، وان اسم هذه المحلة ينتسب الى اسم قائد من قواد أبى جعفر المنصور ، عرف باسم «حرب» ، كانت قواته تعسكر فى تلك المنطقة .. وتقع خلفها مقابر قريش من الجهة الشمالية ، وعلى مقربة منها محلة «باب التبن» وفيها يقوم مشهد الامام موسى بن جعفر الذى أحاطت به مدينة الكاظمية الشاخصة الى يومنا هذا .

ويروي اليعقوبى فى كتاب البلدان ، ما صار لمدينة بغداد من مكانة مرموقة وجمال أخاذ قائلا : «إن أبا جعفر وزع عند الانتهاء من بناء المدينة القطائع خارج أسوارها ، وفى الجانب الشرقى من نهر دجلة ، على خاصته ورجال دولته وكبار القادة ، فعمرت بالأشجار والبساتين واجريت المياه فيها ، وبنيت القصور ثم أصبحت فيما بعد رقعة خضراء ذات جمال وبهاء واخذت المبانى تنتثر فيها حتى بدت بقصورها وضواحيها من أعظم مدن العالم فى ذلك العهد» .

وقد امتدت حركة العمران والبناء الى الجانب الشرقي فعرف بعسكر المهدى نسبة الى الخليفة المهدى بن منصور ٧٤٤ ـ ٧٨٥م الذى شيد فيه قصره وانشا على مقربة منه المسجد الجامع .

ثم كان أن اتسع أكثر فأكثر الجانب الشرقى من بغداد حيث قامت فيه ثلاثة محلات هى :

● محلة الرصافة المطلة على نهر دجلة ، وفيها مشهد الامام أبى حنيفة «٦٩٩ ـ ٧٦٧ م» الذى أحاطت به منطقة الأعظمية العامرة الى يومنا هذا .

● محلة الشماسية وتقع فوق محلة الرصافة على نهر دجلة .

● محلة المحزم وتقع تحت محلة الرصافة .

ويحيط بمجموع تلك المحلات سور نصف دائرى ، مبتدئا من الجهة الشمالية لمحلة الشماسية ، ومنتهيا بالجهة السفلى من محلة المحزم وعلى محاذاة للنهر ، ولم يبق فى هذا السور ما يدل عليه عياناً ، ففى الفترة الزمنية التى امتدت طوال خمسة قرون للخلافة العباسية ، شهدت بغداد تغيرات كثيرة أصابت خططها وارباضها بسبب من اتساعها من ناحية وبسبب ما أصاب بعض اقسامها الأخرى من خراب نتيجة الحروب الداخلية التى اتقدت أثر وفاة الخليفة هارون الرشيد من ناحية ثانية ، ومن ناحية ثالثة ما كان من أثر عليها بسبب انتقال مركز خلافة المعتصم «٧٩٥ ـ ٨٤٢ م» من بغداد الى سامراء ، ودفعها الى المركز الثانى .

إلا أن عودة مركز الخلافة اليها ثانية بعد قرابة خمسين عاماً أعاد اليها الشيء الكثير من رونقها السابق

بلند الحيدرى

الموضـوع القـادم :

دمشـق

مدينة السحر والجمال



الحاكم المتوج تحوط به الحاشية .

ماجد يوسف

عبقرية الإبداع الإسلامي بين مقامات الحريري....

● يكاد يجزم المؤرخون للفن بان فن الرسوم المصاحبة للكتب الأدبية هو فن عربي اسلامي خالص ، وبرغم انه لم يصل الينا شيء من هذا الفن قبل هذا التاريخ - ربما من القرن التاسع الميلادى على الأقل - ما يشير الى معرفة العرب لهذا الفن ، وإن كان ما وصلنا منه فعلا يعود الى القرن الثالث عشر الميلادى .. ولعل أشهر هذا الذى وصلنا أن يكون المخطوطات العديدة لمقامات الحريرى المصورة ، واقدمها والمحفوظة بمكتبة باريس الأهلية .



مأتم

....ومنمنمات الواسطى

والجدير بالملاحظة أن هذه المخطوطة هى أول عمل فى التصوير الاسلامي يعرف منشؤه على وجه التحديد .. كما وأنها تعد من أهم المخطوطات افصاحاً عن الخصائص الفنية لمدرسة بغداد فى التصوير الاسلامي .. ولعل وجود هذه المخطوطة قد دحض بما لا يدع مجالا للشك تلك المقولة الخاطئة والشائعة حول الفن الاسلامي وكيف أنه غير انساني ولا يفصح عن شخصية مبدعه .. فنحن مع مخطوطة الواسطى بازاء شخصية فنية متبلورة ، ولها سماتها

عبقرية الإبداع الإسلامي
بين مقامات الحريري..



● رسم لفيلسوف اثناء عملـه .

المتميزة ورؤيتها الواضحة والحاصه لواقع مجتمعها وعصرها .

ومع أن الواسطي جمع فى منمنماته بين التأثيرات المسيحية الشرقية والتأثيرات الايرانية ، إلا أنه خلق من كل ذلك اسلوباً اسلامياً خاصاً به من ناحية ، وخاصاً بالتصوير الاسلامي من ناحية ثانية ، فلقد تجلت فى هذه الأعمال خصائص مدرسة متقدمة وأصيلة من مدارس التصوير الاسلامي هي « مدرسة بغداد » حتى اعتبرت مخطوطة الواسطى ـ بحق ـ أكمل مثال لهذه المدرسة فى التصوير ، وأوضح نموذج وصل الينا لمنهجها فى الرؤية والأداء ، ولقد كان لتنوع موضوعاتها ما بين مشاهد الطبيعة والحياة اليومية والدينية والقضائية وما عبرت عنه من اشكال العمارة والبناء .. أثره فى كونها أضحت خير شاهد على هذه الفترة الهامة من تاريخ الحضارة الاسلامية .

منمنمات الواسطي

وكما كانت المقامات نفسها مرآة صادقة لمشاكل العصر وصراعاته وطبيعة علاقاته وتركيباته الاجتماعية .. كانت منمنمات الواسطي تنويعة تشكيلية وبصرية على اللحن الاجتماعي الناقد الذى عزفه الحريرى بمقاماته ، وإن لم تكن بحال مجرد تابع للعمل الأدبي .. وإنما تحدد فضل العمل الأدبي فى أنه كان مصدر وحي والهام فجرا الطاقة الابداعية لدى الفنان الكبير ، فكانت المقامات المكتوبة بالنسبة لموهبته محض متكأمبدئى انطلق منه الفنان ليحلق فى آفاق عالية ولذلك كان من الطبيعي أن يتجاوز الواسطي عن الكثير من أحداث المقامات المكتوبة ويقف عند بعضها فحسب ، وهذا البعض الذى كان قادراً أن يعطي الفنان اقصى قدراته على التصوير والتعبير .

والجدير بالملاحظة أن تلك المشاهد التى استوقفت الفنان فى المقامات الحريرية كانت هي المشاهد المفعمة بامكانات هائلة على تصوير أعرض القطاعات فى المجتمع العربي الاسلامي وأبرز اللمحات فيه وتلك القادرة بذاتها أن تشكل أكثف اللحظات المعطاءة من ناحية التشكيل ، أو بصيغة أخرى ، لقد نجح الواسطى فى استخلاص كل الممكن التصويرى من المقامات الأدبية ، ولذلك فليس غريباً أن نعرف من قراءتنا لتاريخ الأدب والفن أن هذه المقامات قد التف حولها المصورون فى مختلف العصور يستلهمونها في منمنماتهم ، حتى وصل التصوير الاسلامي الى القمة من خلال محاولاته العديدة والمتصلة لتصوير المقامات .. وبرغم السمة الزخرفية الواضحة التى تغلب على منمنمات الواسطى لمقامات الحريرى فى معالجاته للموضوعات المختلفة ، إلا اننا لا نبالغ إذا قلنا ان

..ومنمنمات الواسطى

أداءه اتسم بقدر كبير من الواقعية بمنظور عصره ، ونكاد نصل من خلال اعماله على بانوراما كاملة وعريضة لهذا العصر .. بملابسه وأسواقه ومتاجره ومساجده ومكتباته وسفنه وعماراته وملاعبه وعاداته وتقاليده . وكل ما يخطر على البال من التفاصيل الدقيقة للحياة بكل جوانبها ومناشطها .

السمات الفنية

وإذا انتقلنا الى السمات الفنية الخاصة بفن الواسطى فسيلفت انظارنا للوهلة الأولى مفهومه الخاص والمتميز للمنظور ، وهو هنا مفهوم لا يمت الى مفهوم « الرينيسانس » التقليدى ، بل أن الفنان المسلم يبتكر منحاه الخاص فى التعبير عن البعد الثالث دون التزام بقواعد المنظور الهندسية .. وإنما يكاد منظوره هنا أن يكون منظوراً معنوياً يتاتى عن طريق تسليط الضوء على بعض عناصر اللوحة دون سواها ، أو باسباغ الأهمية على أجزاء فى العمل عن طريق المساحة واللون والكثافة والنغمة تجعلها أول شيء تراه عين الرائى ، والواسطى بهذا المنهج يؤدى بطريقة تشعر المشاهد بوجود الأبعاد الثلاثة دون الارتباط بقواعد المنظور .. ويقتصر الواسطي فى منمنماته على استخدام عدد محدود من الألوان .. ويكتسب اللون المفرد فى أعماله أهمية فكرية وشعورية وحسية بقدر علاقته بالألوان المحيطة وتتميز الشخوص فى رسومه برؤوس كبيرة الحجم ، وبرغم لا لواقعية النسب لدى شخوصه إلا أنهم يفيضون بالحياة والحيوية ، والوجه فى أعماله ليس وجهاً نمطياً - وإن كان محايداً فى تعبيره - وإنما نكاد نلمح ملامح خاصة وشخصية لكل بطل من ابطال منمنماته ، كما لا يغيب عن المشاهد محاولاته للتعبير عن مضمون الشخصية المرسومة من خلال حركات الأيدى والأجسام .



● تحضير الدواء - من منمنمات الواسطي .



● أبو زيد أمام حاكم (رحبة) فى إحدى المقامات التى تصور النفاق والشر .

الواسطي ومدرسة بغداد

وإذا انتقلنا من هذه الخصائص الخاصة بالفنان الواسطي لنرصد تلك السمات المشتركة بينه وبين مدرسة بغداد .. فسنجد أنها تتلخص وبشكل رئيسي فى التناول الزخرفي للعالم .. فالطبيعة تنعكس فى اعمالهم انعكاساً زخرفياً .. فمثلا .. حينما يصور الواسطى قصراً أو بناية لا يهتم بالحقيقة البصرية الواقعية للقصر أو البناء ، وإنما يحوره تحويراً زخرفياً يشير إشارة رامزة - وإن كانت معبرة - لهذا القصر أو تلك البناية .. أو حينما يستدعى خلفية من الطبيعة لشخوص منمنماته نراه يكتفي بشجرة أو شجرتين لا أكثر ليوحي لنا بالطبيعة

فالتمثيل الطبيعي هنا ليس همه الأساسي وإنما التمثيل الدلالي أو الاشارى .. والواسطي شأنه شأن مدرسة بغداد فى التصوير الاسلامي لا يلقى بالاً لتفاصيل أجزاء الجسم أو التشريح بالمعنى الحديث ، ولا يلتزم النسب بين الأعضاء .. وقد يجمع بين مشهدين فى صورة واحدة .. وبرغم ما تبدو عليه الوجوه من حيادية التعبير وكأنها أقنعة إلا أن مسحتها العربية لا تغيب عن المشاهد .. الى غير ذلك من الملامح والسمات .

ويبقى من المؤكد أن مخطوطة الواسطي لمقامات الحريرى واحدة من روائع التصوير الاسلامي ومدرسة بغداد وأن الفنان العربي يحيي بن محمود الواسطى كان فناناً واقعياً مسلماً عاش فى العصور الوسطى .

ماجد يوسف

المثال جمال السجيني

أعلن الحرب على أتباع المدارس الأوربية في فن النحت

صبحي الشاروني



مصر التى أنجبت المثال «محمود مختار» ، أنجبت أيضاً «جمال السجينى» .. كان الأول ريفياً عاش طفولته بين الحقول ، وكان الثانى قاهرياً تفتحت عيناه على حارات أحياء الجمالية وباب الشعرية بجوار دكان نجار حيث كانت النجارة هى حرفة أسرته ..

ولد السجينى فى ٧ يناير عام ١٩١٧ .. وما إن تخطى المراهقة حتى بدأت أسرته الرقيقة الحال فى البحث عن عمل حرفى لينخرط فيه ويترك التعليم نهائيا . اقترح الفنان الرائد يوسف كامل على أسرة الفتى أن يطرقوا أبواب الدراسة فى «الفنون الجميلة» ، واجتاز جمال السجينى اختبار القبول بتفوق ، وتعرف على أسرار الابداع الفنى ، وأساليب اقامة التماثيل مضيفاً خبراته البصرية وما اختزنه من أشكال خلال حياته ...

ظهر نبوغه مبكرا ، ففى ١٩٣٧ فاز «بجائزة مختار للنحت» وهو لم يزل طالباً يدرس الفن .. وعندما تخرج ١٩٣٨ حصل على دبلوم فن النحت بدرجة ممتاز .

كانت دراسته على يدي الفنان الفرنسى «كلوزيل» وهو من اتباع الفنان الرومانتيكى «رودان» الذى اهتم بالتعبير عن العواطف المتأججة والمواقف الحالمة فى فن النحت ، بالاضافة الى لمسة «تأثيرية» فى طريقة الصياغة تجعل ملامح التمثال تبرز بغير تحديد وكأنها لم يتم نحتها أو كأنها تعرضت لعوامل التعرية بعد أن كانت مكتملة الدقة .

تمثال العروسة
متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية



"شراع" تصوير زيتي من اعمال الفنان ١٩٧٣

● ظهر نبوغه مبكرًا ففي عام ١٩٢٧ فاز بجائزة مختار للنحت وهو لم يزل طالبًا يدرس الفن

● بدأ السجيني مراحله الفنية بالاتجاه الرومانتيكي.. بينما وصف البعض هذه المرحلة بأنها واقعية اجتماعية

● كانت حالات البؤس والمآسي هي التي تشغله. وكان يعتقد أن مهمة الفنان هي تصوير مشاكل الناس

● قامت الحرب العالمية الثانية فقطع دراسته في باريس وسافر إلى إيطاليا لنفس الهدف. لكن الحرب أعادته للقاهرة

المثال جمال السجينى

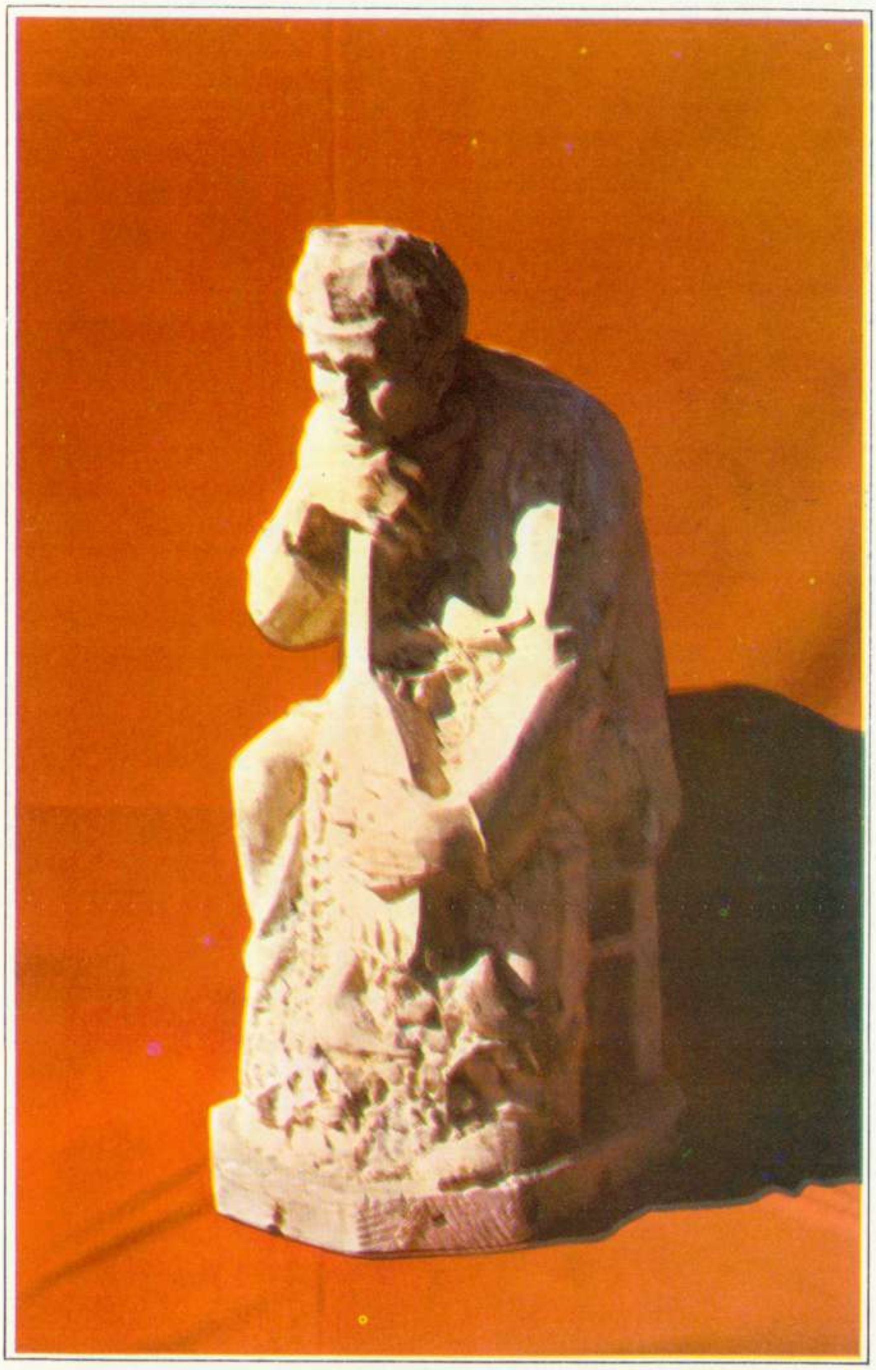
هكذا بدأ السجينى مراحله الفنية بالاتجاه الرومانتيكى .. بينما وصف البعض هذه المرحلة بأنها «واقعية اجتماعية» تميزت بالثورية والاحتجاج . لكن الحقيقة هى أن الجانب الثورى فى أعمال السجينى الأولى كان يتعلق بالموضوعات التى تناولها فقط ، أما الاسلوب فكان استمراراً لأسلوب الفنان الرائد محمود مختار الذى توفى عام ١٩٣٤ بالاضافة الى التعاليم الأوربية التى سار عليها المثالون المصريون حتى منتصف الأربعينات .

وصف السجينى أعمالــــه فى هذه المرحلة بقوله : «كانت حالات البؤس والمآسى هى التى تشغلنى ، وكنت أعتقد أن مهمة الفنان هى التعبير عن مشاكل الناس التى كنت أراها من زاوية عاطفية ، لهذا كان اسلوبى رومانتيكياً لأننى اعتقدت انه افضل الأساليب الفنية التى تتلاءم مع هذه الموضوعات ، كان ذلك عام ١٩٣٨ عند بدء حياتى الفنية ، ولكننى انتقلت بعد ذلك الى مراحل ثورية فى الأسلوب وفى الموضوع» .

كما ذكر فى حديث اخر حول مكونات فنه فيما يشبه الاعترافات : «حقيقة انى تأثرت فى بداية حياتى الفنية منذ كنت طالباً بمدرسة الفنون الجميلة بمأساة التعبير والتشكيل عند المثال الفرنسى «رودان» إذ وجدت فى ثنايا «تشنجاته» التشكيلية ترديداً عجيباً للنغمة الحزينة التى كنت أعيشها وتعيشها معى بيئتى المصرية . ثم سافرت الى فرنسا عام ١٩٣٨ عقب تخرجى مباشرة وعشت فعلا مع «رودان» فى أعماله الموجودة بباريس . طوال هذه المدة كنت أعيش درامية التعبير» .

كان سفره عقب تخرجه لاستكمال دراسته يشبه نوعاً من معاندة القدر .. فقد واجهته الظروف العالمية وكأنها تتكاتف على احباطه .. لقد عمل معيداً بكلية الفنون الجميلة وحصل على البعثة ليستكمل كفاءته فى تدريس الفن لكن الحرب العالمية الثانية اندلعت فقطعت بعثته واضطر للانتقال الى ايطاليا ليكمل دراسته هناك . ومرة ثانية قطع بعثته عندما دخلت ايطاليا الحرب ضمن دول المحور ضد الحلفاء وعاد الى القاهرة دون أن يبلغ هدفه ولينتظر سنوات طويلة مملة متضرعاً الى الله أن تضع الحرب أوزارها ويعم السلام ليستكمل فرصته التى أخفق فى تحقيقها من قبل .

بدأ مشاركته الايجابية فى المعارض العامة ابتداء من ١٩٤٢ بتماثيله العاطفية الرومانتيكية الاتجاه .

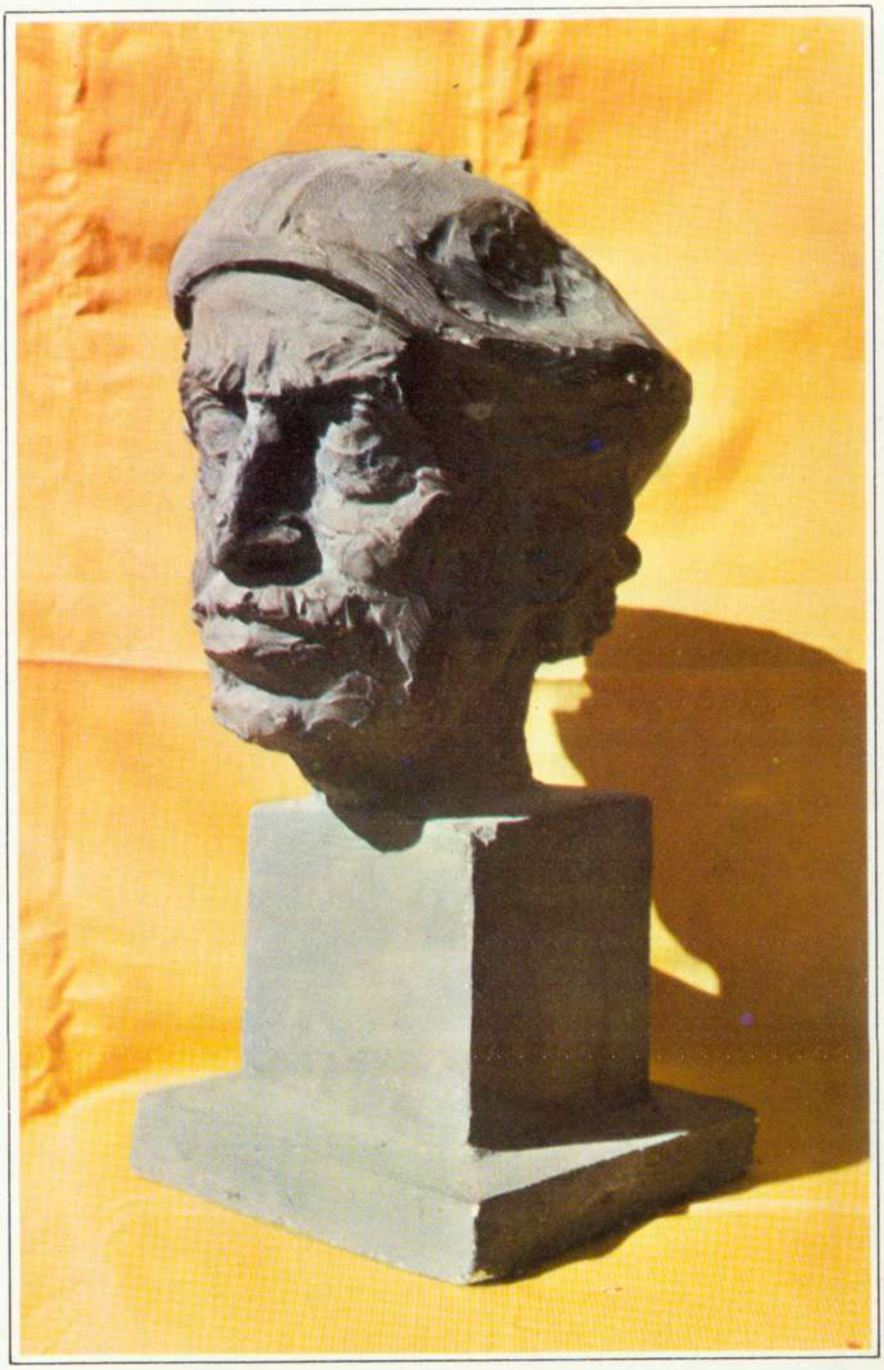


سيد درويش — جبس

صوت الفنان

تعتبر اعوام الحرب العالمية الثانية بمثابة الفترة التى دخل فيها الفن الحديث مصر ، وقد بدأ الأسلوب الحديث ظهوره فى فن الرسم والشعر قبل الحرب العالمية من خلال جماعات «الدعاية الفنية» ، و «الفن الحر» ، و «المحاولون» و «الفنانون الشرقيون الجدد» . وفى خلال الحرب تكونت جماعة «الفن والحرية» و «الفن المعاصر» و «جانح الرمال» و «الفن المصرى الحديث» وغيرها .. ويلاحظ أن كل هذه الجماعات كانت تضم رسامين وأدباء ولا تضم أى مثال .. فقام جمال السجينى مع مجموعة من زملائه الرسامين والنحاتين الشباب فى ذلك الوقت بتكوين جماعة «صوت الفنان» ، التى مارست نشاطها لمدة عامين ونصف عام . وقد ضمت هذه الجماعة عدداً من المجددين فى الفن .

وهكذا بدأ ميلاد العلامة الثانية فى تاريخ النحت المصرى الحديث بعد «محمود مختار» الذى وضع العلامة الأولى .. وذلك لأن اتباع محمود مختار ومقلديه ظلوا طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٣٤ حتى انشاء جماعة صوت الفنان لا يجرؤون على مناقشة المقاييس الجمالية التى اتبعها مختار أو تلك التى تعلموها من الفن



توفيق الحكيم ـ جبس

الأوربى التقليدى .. حتى جاء السجينى وأعلن الثورة من خلال جماعته ، على أسلوب محمود مختار فى النحت وعلى تقاليده الفنية .

كان السجينى ابن مرحلة الاضطراب والتململ التى شهدتها مصر طوال الأربعينات ، وقد تطور ونضج خلال هذه السنوات التى تعتبر سنوات التكوين بالنسبة له .

بدأ يتبع الأسلوب الرمزى فى صياغة تماثيله بعد أن كانت أعماله تعتبر امتداداً لأسلوب الفنان «رودان» الرومانتيكى . إن الأسلوب الرمزى يزدهر خلال فترات الكبت وتقييد الحريات كأداة لمقاومة هذه الظروف .. والفنان الرمزى يكثف الفكرة المعنوية ويركزها فى رموز قليلة تعبر عنها ، فيعبر عن الفجر بالديك الذى يصيح وفى نفس الوقت يرمز به الى الثورة المنتظرة ، وعندما يصور الفلاح أو العامل يبالغ فى حجم قدميه وكفيه للتعبير عن استخدامهما فى الانتاج ، ولتمجيد العمل اليدوى فى نفس الوقت .. وهكذا التزم السجينى بالتعبير عن المشاكل الاجتماعية والظروف السياسية فى معظم أعماله طوال تلك المرحلة .

كان المثالون الأكبر سناً من السجينى لا يوقعون على تماثيلهم .. لم يكن هذا التقليد متبعاً فى فن النحت ، الرسامون فقط هم الذين كانوا يوقعون على لوحاتهم .. بل ونادرا ما قام نحات باثبات توقيعه على لوحة من النحت البارز قام بصياغتها .

ابتدع جمال السجينى فكرة التوقيع على التماثيل فحفر الحروف الأولى من اسمه متداخلة ليصنع منها شكلا غريباً مميزا ، لكنه جميل فى استدارته حيث يتحقق لأسنان السين ايقاع موسيقى داخل استدارة الجيم .. وهكذا اتبع المثالون الأصغر سناً وكلهم من تلامذته تقليد التوقيع باسمائهم على تماثيلهم من بعده .

الى باريس

الفنان الرائد «يوسف كامل» أستاذ الرسامين التاثريين المصريين جميعاً ، هو صاحب الفضل فى اقتراح التحاق جمال السجينى بالفنون الجميلة .. وقد ظل الفنان الشاب وفياً لأستاذه .. ورأى السجينى الآنسة هدى ابنة أستاذه فتعلق بها ..

فى ذلك الزمان لم يكن هناك مجال لقصص الحب ومغامراته ، ولكن الزواج اعقبته سنة كاملة من الكفاح .. فقد سكن العروسان حجرة فى سطح عمارة عقب زواجهما عام ١٩٤٤ ، وادخرا كل قرش بل كل مليم لكى يحققا ما بدأه جمال قبل الحرب وعانده القدر فلم يستكمله .. وما ان انتهت الحرب حتى باعا الأثاث والحلى وكل ما يملكان فى مصر وسافرا الى باريس ليتم دراسته الفنية على نفقتهما الخاصة . ولم ينضم الى البعثة التعليمية المصرية فى روما إلا عام ١٩٤٧ فحصل على دبلوم فن النحت ودبلوم فنون الميدالية وسك النقود عام ١٩٥٠ .

وانجبا ابنهما الوحيد : مجد .

إن اضافة عضو جديد للأسرة الصغيرة له مباهجه التى انعكست على فنون الأب ، فرسم الفنان لوحة بمناسبة تحقيق هذا «المجد» .. فيها صور جميع أفراد أسرته وأسرة زوجته وهم يتجمعون للتهنئة بهذا الميلاد ، وكأنهم أبطال أحد لوحات المعابد الفرعونية : يتقدمون حاملين القرابين والهدايا . ضمت : الجد يوسف كامل رائد فن التصوير التأثرى ، وزوج خالة الطفل «كامل مصطفى» عميد كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية فيما بعد ، وزوج الخالة الثانية حسنى البنانى رئيس قسم التصوير الزيتى بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة حتى احالته للتقاعد . وزينب السجينى ابنة العم الأستاذة حالياً بكلية التربية الفنية .. ثم بقية أفراد الأسرتين .

اختار الابن بعد أن كبر نفس طريق الفن الذى سار فيه والده ومعظم أفراد أسرته ، لكنه تخصص فى فنون التصوير الزيتى وتخرج من كلية الفنون الجميلة حيث عمل بها قبيل وفاة والده معيداً ومحققاً ما كان ينتظره من مجد .

عمل السجينى بعد عودته عام ١٩٥١ مدرساً لفن النحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة وتدرج فى مراتب التدريس حتى وصل الى وظيفة أستاذ .

ومن الطريف أنه كان يفضل الدراجة كوسيلة مواصلات ولم يرض عنها بديلا طوال حياته .



« ياليـــــل »
نحاس مطروق
١٩٦٨

المثــــال جـــمـــال الســجينى

إن مبنى مسكنه ومحترفه قائم عند الطرف الشمالى لجزيرة الزمالك المطل على منطقة يتسع فيها مجرى النيل حتى يبلغ الكيلو متر عرضا .. من هذا المسكن الهادىء كان الفنان يتطلع الى صفحة النهر التى تسبح فوقها ببطء المراكب الشراعية يحملها التيار شمالا أو يدفعها الهواء جنوباً عندما تنتفخ أشرعتها بالهواء .. والفنان يرسم العديد من اللوحات لهذه المراكب بل ويحاول اقامة تماثيل تشبهها .

أما كلية الفنون الجميلة فهى تقع بمنتصف جزيرة الزمالك على بعد نحو كيلو مترين من منزل السجينى ، الشوارع الهادئة بين المنزل والعمل تغرى بركوب الدراجة وتجعلها وسيلة مواصلات مناسبة تماماً ، وقد شجعه على استخدامها دون بقية وسائل المواصلات الأكثر تطوراً أستاذه الفنان «بيبى مارتان» الذى كان يسكن فى بيت الفنانين بالقلعة ولا يقبل أية وسيلة مواصلات أخرى غير الدراجة ليقطع المسافة بين مسكنه بحى القلعة وعمله بجزيرة الزمالك .

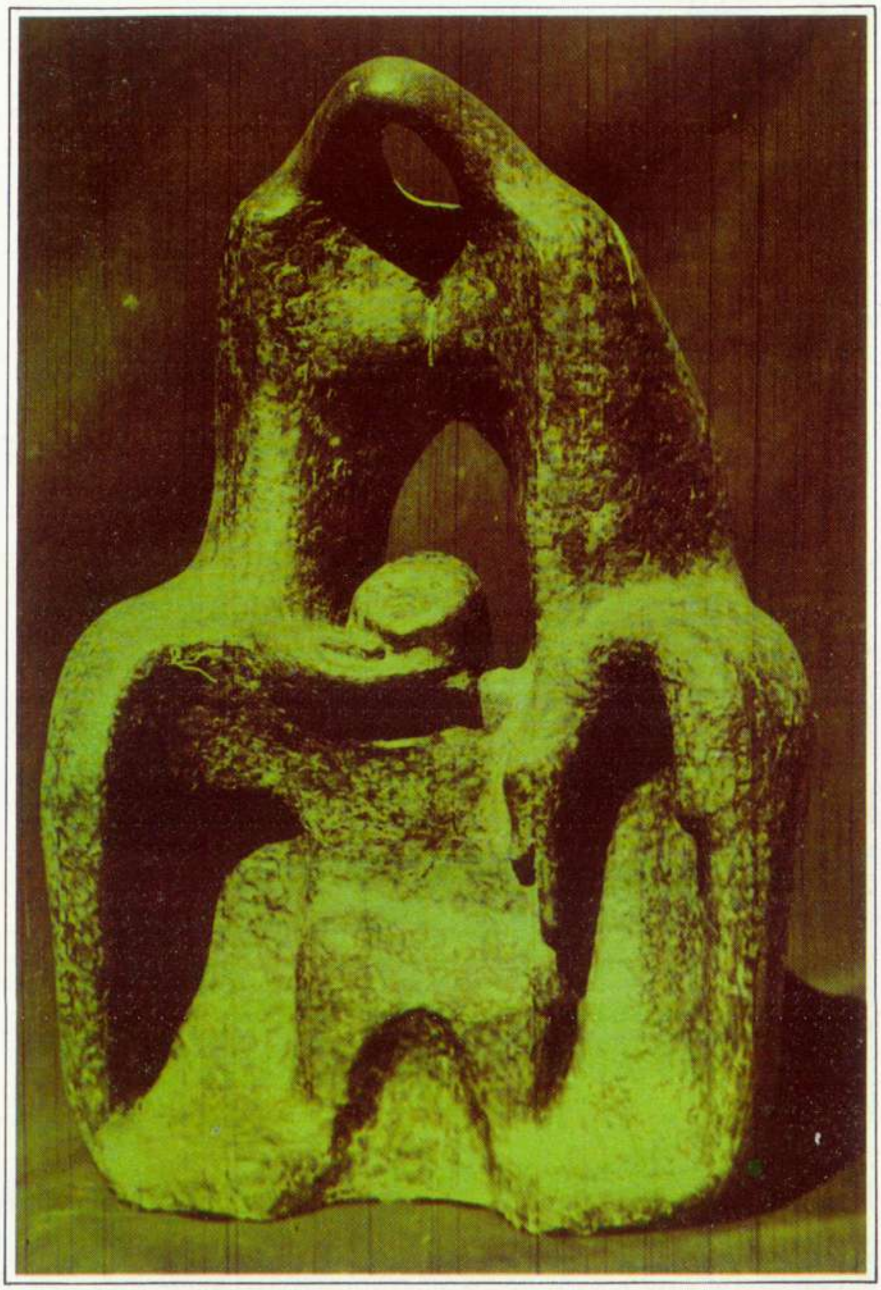
يتطور أسلوب الفنان فى النحت متاثراً بأعمال الفنان البريطانى «هنرى مور» الذى ذاع اسمه بعد الحرب العالمية الثانية ، واستفاد السجينى من طريقته فى تبسيط الملابس والسطوح ، بينما التفت الى النحت المصرى القديم يستلهم منه حلوله الموفقة فى اقامة تماثيل ذات كتلة متماسكة وأسطح عريضة صريحة .

الهجوم على الفن المحافظ

بهذه الأدوات أعلن السجينى الحرب على أتباع المدارس الأوربية العتيقة فى فن النحت وعلى مقلدى فن محمود مختار ، ولم يكن يمتدح من بينهم إلا الفنان محيى الدين طاهر الذى حافظ فى أعماله النحتية على الجوانب الحية والأصيلة فى فن الرائد الأول لفن النحت المصرى الحديث . أما السجينى فكان ينشد التجديد وإدخال الأساليب المعاصرة فى فن النحت ، وقد ساعده على استخدام هذه الأساليب ميله من البداية الى التعبير العنيف والمسرحى عن القضايا الاجتماعيةوالسياسية .

واكتملت أدوات التعبير عند السجينى بعد ثورة ١٩٥٢ .. وأصبح اسمه ملء الأسماع وسيرته وفنه على كل لسان متزعماً حملة الهجوم على الفن المحافظ واصحاب الأساليب الأكاديمية .. وهدفاً لهجوم هؤلاء الذين التزموا الأساليب الطبيعية والتسجيلية فى الفن .

تميز بغزارة الانتاج ، وبأن أعماله الفنية تثير الكثير من الجدل والمناقشات ، وهى ظاهرة تصاحب كل اتجاه جديد فى الفن ، وإن يختلف حوله الناس ما بين مؤيد ومعارض ، البعض يعجب به والبعض يرفضه .. وقد تطور فن السجينى ماراً بعدة مراحل ، هذا بالاضافة الى تنوع الخامات التى عالجها من نحت مجسم بطريقة البناء الى تماثيل خزفية الى لوحات النحت البارز ، ثم تشكيل المعادن عن طريق لحام الأوكسجين ، الى تصميم وتنفيذ الميداليات ، بالاضافة الى لوحات النحاس المطروق الرائعة الجمال والمتقنة الصياغة ، مع كم كبير من



تمثال الامومة ــ بمطار القاهرة الدولى

اللوحات الزيتية التى عالج فى معظمها موضوعين رئيسيين «المراكب الشراعية فى النيل» و «عروسة المولد» .

وعندما أنشأت الاسكندرية «المعرض الدورى الدولى لدول حوض البحر الأبيض المتوسط» المعروف باسم «بينالى الاسكندرية» ، فاز السجينى بجائزة النحت على القسم المصرى فى أولى دوراته عام ١٩٥٥ .

وفى العام التالى فاز بجائزة الانتاج الفنى فى مصر فى فرع النحت .

ثم شارك باسم مصر فى معرض موسكو الدولى عام ١٩٥٧ وحصل على الميدالية الذهبية لهذا المعرض ضمن ١٢ فناناً من مختلف دول العالم فازوا بهذه الميدالية .

فاز بالجائزة الأولى عام ١٩٥٨ فى المسابقة التى أجراها «المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب» لتصميم تمثال أمير الشعراء «أحمد شوقى» ، الذى نفذه بعد ذلك فى خامة البرونز وأقيم فى حدائق «بورجيزى» بمدينة روما . ومن عجب أن يوسف كامل كان يجلس أمامه كموديل ليعكس له من خلال جلسته .. تشريح الجسد !

شارك فى معرض بروكسل الدولى عام ١٩٥٨ وفاز بميدالية المعرض الذهبية .

فى عام ١٩٥٨ كان ضمن أربعة فنانين من مصر اختيرت رسومهم لتحفر على الكرستال الذى ينتج يدوياً بمصنع «ستبوين» بولاية نيويورك الأمريكية ، وعرضت أعماله فى عدد كبير من عواصم العالم ضمن «معرض رسوم الفنانين الأسيويين على الزجاج» .

كان ضمن ثلاثة فنانين اختيروا فى أول تجربة للتفرغ للانتاج الفنى بمصر لمدة عام واحد سنة ١٩٥٨ ، ولكنه تخلى عن التفرغ قبل اتمام السنة .

عند انشاء كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ١٩٥٨ انتقل السجينى اليها ليتولى رئاسة قسم النحت بها .

المرحلة المعمارية

فى أواخر الخمسينات أضاف السجينى عنصراً جديداً الى أسلوبه فى النحت عندما اتجه الى العمارة الريفية والاسلامية يستلهمها فى تماثيل ذات طابع بنائى . وقد عبر عن السبب فى هذا الاتجاه عندما قال : انه شعر بالاغتراب يسيطر على وجوده نتيجة حركة البناء الواسعة فى القاهرة وانشغال الأراضى الخلاء بعمارات خانقة لا قرابة بينها وبيننا ، واحساسه بانعكاس هذه البيئة على أخلاق الناس حتى هددت بتحطيم انسانيتهم ، فاختفت المحبة وسيطر الاحساس بانك تعيش معركة يومية تبدأ بالخروج من منزلك حتى تعود اليه .

كان هذا هو الدافع الذى جعل السجينى يلتمس «العمارة الحضارية» ليلتقط عناصر المستوى الرفيع فى البناء حيث الفنان المعمارى يعرف رسالة العمارة ويحافظ على اتصال علاقتها بالانسان والحياة .

وأصبحت تماثيله أقل اهتماماً بالموضوعات الاجتماعية والسياسية بينما زاد اهتمامه بالعناصر الشكلية الخالصة ، وانتج فى تلك المرحلة تماثيل تشبه الى حد بعيد النماذج المصغرة للمشروعات المعمارية ، فيها القباب والأسطح والمآذن والأبراج وغيرها من العناصر التى تستخدمها العمارة الريفية والاسلامية .

انعكس هذا الاتجاه على تماثيله الموضوعية ، فانصرف عن قاعدة الكتلة المتماسكة فى النحت ، وهى القاعدة التى تميز بها الفن المصرى القديم . واتجه الى تجويف كتلة التمثال ليتخللها الضوء والهواء والفراغ ، ومن هذه الأعمال تمثاله عن الأمومة الموضوع فى مطار القاهرة الدولى ، وكذلك تمثاله للموسيقار سيد درويش .

أوضح الفنان فى احاديثه السبب فى اتجاهه الى التماثيل المعمارية ، انه الحنين الى الماضى ، وعندما عاش طفولته فى حى سيدنا الحسين حيث كانت المشربيات والقباب والحجرات الفسيحة تميز هذه الطفولة ، ثم حرمته من عطر هذا المكان المكعبات الشبيهة بعلب الكبريت الميتة التى تبنى بها المنشآت السكنية حالياً إذ أن العمارة الحديثة فى مصر هى صورة مشوهة للعمارة الموجودة فى أوربا وفى الغرب عموماً .. لهذا أحس الفنان بالحنين الى رؤية سليمة الى الوجود العمرانى الحضارى ، مع الحنين الى الحياة فى أبنية تتجاوب مع البيئة والتراث الذى نشأ فيه ، بطابعه الشرقى والعربى الصميم ولكى يحقق لروح الفنان الذى يعيش فى القرن العشرين جواً أصيلا بدأ يحلم بعمارات جميلة وعملية وحضارية ، فتولدت فكرة استلهام الطرز

المثال جمال السجينى

المعمارية الريفية والقبطية والاسلامية فى خلق علاقات تشكيلية تتجاوب جماليا وروحيا مع العصر الحاضر وتقدم فى نفس الوقت اشعاعا تجريديا له أثر موضوعى عميق على المشاهدين .

فى ١٩٦٢ تقرر منحه «جائزة الدولة التشجيعية فى فن النحت لعام ١٩٦١» عن تمثاله «يقظة افريقيا» ، ولكنه رفض الجائزة على أساس أنها جاءت متأخرة بعد أن تخطى مرحلة التشجيع .

لكنه عندما نال وسام العلوم والفنون الذى يعطى عادة للحاصلين على جائزة الدولة التشجيعية قبله دون الجائزة باعتباره تكريما من الدولة لا يرتبط بالتشجيع . كما حصل أيضا على وسام الشرف من الحكومة الايطالية بدرجة «فارس» .

وفى عام ١٩٦٢ أيضا سافر فى جولة فنية حيث عرض أعماله فى اسبانيا وبلجيكا .

عام ١٩٦٤ عاد من كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية الى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ليعمل أستاذا ورئيسا لقسم النحت بها حتى احالته الى التقاعد .

عقب انتقاله الى القاهرة نال منحة التفرغ للانتاج الفنى للمرة الثانية ابتداء من مارس ١٩٦٤ ، لكنه لم يستمر متفرغا سوى أربعة أشهر عاد بعدها الى عمله كرئيس لقسم النحت بكلية الفنون الجميلة ، وأعلن أنه أحس بالعزلة التى قد تضر بانتاجه ، وان عمله فى الكلية لا يعوقه عن مواصلة الانتاج الى الحد الذى يجعل التفرغ ضروريا بالنسبة له .

فاز أيضا عام ١٩٦٤ بالجائزة الأولى فى مسابقة لتصميم لوحات «النحت الغائر» على قاعدة نصب شهداء بورسعيد . ويبلغ امتداد هذا النحت على واجهات القاعدة الأربع ٢٠٠ متر طولا . أما قيمة الجائزة فكانت ٢٠٠٠ جنيه . لكن التصميم الذى رأى الفنان ضرورة تنفيذه فى احجار الجرانيت لم ينفذ حتى الآن .

وعين السجينى عام ١٩٦٥ عضوا بلجنة الفنون التشكيلية فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .



شجرة الصبر ــ نحاس مطروق ١٩٦٢

بعث فن النحاس المطروق

كان الميدان الذى أجمع كل متابعى فن جمال السجينى على أنه فارسه الأول بغير منازع هو ميدان صياغة لوحات النحاس المطروق .. لقد اختلف الناس حول تقدير تماثيله ، وحول أسلوبه فى النحت المجسم .. ولكنهم جميعا عبروا عن اعجابهم باعماله فى النحاس المطروق فهى تمثل قمة شامخة فى الأداء والتعبير .

إذ تخصص فى دراسة فن «الميداليات» وبرع وتفوق فى هذا التخصص ، ولهذا انتقل الى احياء فن النحاس المطروق الذى بلغ ذروته فى الفن الاسلامى القديم .

توصل الفنان الى اكتشاف الامكانيـــات الجمالية لهذا الفن الذى اقتصر انتاجه لزمن طويل على أعمال الحرفيين فى حى خان الخليلى بالقاهرة . وهو الانتاج الذى يقبل على شرائه السياح وأثرياء الريف .. ولقد حول السجينى رقائق النحاس الى خامة للتعبير الشكلى مستخدما أسلوب الطرق ليخرج لوحات مشغولة كالدانتيلا ، وقد يحسبها المشاهد قطعة حلى خرجت من يد صائغ بارع ، وفى نفس الوقت نجح فى استخلاص واستخراج أقصى طاقة تعبيرية لهذه الخامة النبيلة .. لقد حقق السجينى فى معالجته لهذه الخامة طابعا عربيا مميزا مع شخصية فنية متفردة حظيت باعجاب الجميع فى مصر والخارج .

إن المضمون الذى يعبر عنه السجينى فى

لوحاته من النحاس المطروق ، والموضوعات التى يتناولها هى التى اتاحت له أن يستمر فى استخدام الأسلوب الرمزى فى التعبير فهو يحشد فى القطعة الواحدة كل ما يجول بخاطره عن الفكرة التى يتناولها ، فيلجأ الى تحويل المعانى المجردة وما يكتنفها من اشكال الى رموز تعبر عنها .

وقد انطبعت هذه اللوحات بمميزات الفن الاسلامى الرئيسية ككراهية الفراغ والميل الى الزخرفة ، واستخدام حروف اللغة العربية وكلماتها كعناصر تجميلية قد لا تكون مقروءة وإن كان من الواضح انها حروف وكلمات .

كان الفنان يتجه الى زخرفة الأسطح وشغلها . لأن الزخارف وانكسارات السطح تضيف الى استمتاع المشاهد بالعمل الكلى متعة أخرى عند تتبع التفاصيل .. وفى بعض لوحاته النحاسية اتجه الى تسجيل أجزاء من قصائد الشعراء فحولها بذلك الى عنصر تشكيلى زخرفى يشغل به فراغ اللوحة ويستهوى المتفرج الى فك رموزها والتعرف على وسيلة لقراءتها فيجبره بذلك على الوقوف طويلا أمام لوحاته فى وقت لا تحظى فيه الأعمال الفنية فى المعارض والمتاحف بأكثر من دقيقة واحدة لكل عمل — على الأكثر — من المشاهد .

وقد ركز حسين بيكار فى كتاباته على استخدام السجينى المتميز لحروف اللغة العربية : فهو لم ينس مصريته فى يوم من الأيام ، لاحظ أجداده الفراعنة يقرنون الكتابة الهيروغليفية بمنحوتاتهم . فأخذ عنهم هذا الأسلوب وأدخل الكتابة فى تماثيله . ولكن عربية .. «سجينيه» فقد ابتكر نوعاً من الحروف المتقطعة لم يسبقه اليها أحد . وجعلها جزءاً من التشكيل الذى كان مزيجاً من العمارة والموسيقى والشعر والمعانى الانسانية .. وأخيراً النحت .

برع جمال السجينى فى فن «الميدالية» ونفذ الكثير من الميداليات التى تخلد أحداثاً هامة مثل «عيد الأم» ، وميدالية جائزة الدولة التقديرية ، وجائزة السينما ، والمهرجان الآسيوى الأفريقى ، وميدالية السد العالى ، وافتتاح مطار القاهرة الدولى ، وجميع ميداليات معرض «بينالى الاسكندرية» فى دوراته الاثنتى عشر التى أقيمت خلال حياته .

مارس الفنان بالاضافة الى فن النحت والميدالية والنحاس المطروق .. فنون الرسم والتصوير الزيتى والخزف .. وتنتشر أعماله فى عديد من المتاحف والمجموعات الخاصة مثل : المكتبة الأهلية بنيويورك ومتحف بوشكين فى موسكو — متحف الفنون فى بكين — متحف الفن الحديث بالقاهرة — متحف كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية — مصنع «استيوبن جلاس» بأمريكا — متحف بورسعيد القومى — متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية — والمجموعات الخاصة فى رومانيا والمجر وايطاليا وامريكا وفرنسا ومصر .

ورغم كل هذا فكان السجينى يعلن فى كل مناسبة أن أعماله يجب أن يضمها متحف خاص ، وأن المكان الطبيعى لفن النحت هو الساحات والميادين ..

يلقى بتماثيله فى النيل

ولكى تصل دعوته الى الآذان قام عام ١٩٦٩ بحركة احتجاج على تجاهل مطالبه فى شكل القاء عدد من تماثيله فى النيل عندما زاحمته فى مسكنه ولم يجد مكاناً لتماثيله الجديدة التى يواصل انتاجها باستمرار . ورغم هذا لم يبدأ العمل الجاد من أجل اقامة متحف لأعماله إلا بعد وفاته وتحت إلحاح زوجته هدى التى قامت بجمع تماثيله ولوحاته المتناثرة ، وحولت المصنوعة من الجبس الى خامة البرونز ورتبتها فى تتابعها الزمنى تمهيداً لوضعها فى متحف خاص بها يجمعها ويوضح للأجيال دلالتها كشاهد ومعبر عن عصر بأكمله .

وفى عام ١٩٧٠ أقام المثال التمثال النصفى للزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، ونفذه فى خامة البرونز بايطاليا من عدة نسخ تنتشر فى السفارات المصرية ومداخل الهيئات العامة .

كما أقام عام ١٩٧٥ تمثالا صرحياً يعبر عن «العبور» من خامة الحجر الصناعى أقيم فى مدخل مدينة بنى سويف .

كما وضع تصميم تمثال «نصر أكتوبر» ونفذ نموذجه المصغر ليقام فى مدخل قناة السويس بارتفاع ٣٥ متراً مكان تمثال ديليسبس ، وذلك ضمن المجموعة الصرحية التى شارك معه فى





وجهان لميداليتي
معرض بينالي الاسكندرية العاشر

تصميمها الفنانان منصور فرج وصلاح عبد الكريم .

بالاضافة الى المعارض العامة العديدة التى شارك فيها فى مصر والخارج أقام السجينى عشرة معارض خاصة لأعماله بمصر ، كان آخرها عام ١٩٦٩ بالمركز الثقافى التشيكوسلوفاكى بالقاهرة .

أحيل الى التقاعد فى يناير ١٩٧٧ لبلوغه سن الستين .

بعد تقاعده عن العمل بكلية الفنون الجميلة اهتم بفن «البورتريه» (التماثيل الشخصية) حتى سافر فى أول أكتوبر عام ١٩٧٧ الى اسبانيا على نفقة هيئة الاستعلامات حيث أقام معرضه الشامل الحادى عشر فى مركز دراسات البحر الأبيض المتوسط وليقضى هناك ثلاثة أشهر هو وزوجته .. لكنه توفى يوم ٢٢ نوفمبر أثناء وجوده فى اسبانيا وعاد جثمانه الى القاهرة حيث شيعته الحركة الفنية الى مثواه الأخير وأدرك الجميع فداحة الخسارة فى فقده .. لكن أعماله ستبقى لتحكى

ستبقى لتحكى للأجيال المقبلة عن كفاحه وخياله وعبقريته .

التماثيل الشخصية

فى الشهور التسعة الأخيرة من حياته بعد إحالته الى التقاعد انهمك جمال السجينى فى اقامة مجموعة من الدراسات للوجوه الشخصية لعدد من معاصريه الفنانين والكتاب وهى تتميز بأنها دراسات راسخة تحمل طابع الشغف بالفن «الصرحى» أى تجعل من يراها يتمنى لو نفذت بحجم كبير لتقام فى كل مكان .

كان السجينى يتمتع بقدرة هائلة على التركيز على الفكرة التى يعبر عنها وكانت أنامله مدربة على معالجة الطين والصلصال الذى يبنى منهما تماثيله .. وكان قد وضع يده على الأسس الأصيلة للثقافة المصرية فاستلهم التراث الفرعونى والاسلامى لمصر مع تفتح على فنون النحت المعاصر . وهكذا تميزت هذه الوجوه باحساس معمارى بنائى وبساطة لا يستطيع تقديمها إلا فنان متمكن ، وفى نفس الوقت تضمنت الى جانب التعبير عن وجوه أصحابها ابراز ملامح شخصياتهم من وجهة نظر الفنان ، حتى نستطيع أن نقول انه جعل من كل تمثال شخصى موضوعاً متكاملا عندما تناوله فى القالب الشكلى الذى يلائمه .

إنه لم يكن من هؤلاء الفنانين الذين يضعون جميع الموضوعات داخل اطار الأسلوب الذى أجادوه ونجحوا فيه .. ولهذا تميزت أعمال السجينى بارتباطها بأرض الواقع فى مصر .. أما عن ارتباطه بالجماهير وتعبيره عنها فكما قال :

«.. هذه المعاناة التى أعيشها خلقت فناً لا أزعم أنه مرتبط بالجماهير تماماً ، بل أقول الصدق اننى اجتهدت دائماً أن أعبر عن الجماهير» .

صبحى الشارونى

د. عبد المحسن صالح

حول قضية الخلاف على تحديد الأعياد

الكون ساعة مضبوطة فلماذا لا ننضبط معها؟



عندما تدور الأرض على محورها ، فإن المرصد الفلكي يلتقط مسارات النجوم فتظهر وكأنما هي في مدارات . وفي مركز الصورة يوجد النجم القطبي . ترى ماذا كنا نعرف ؟!



بعد ايام ، ينتهى شهر الصيام فتتكرر قصة كل عام ، ويهرع شهود بزوغ الهلال من ائمة المسلمين او شيوخهم ، ليشخصوا بابصارهم الى الفضاء ، علهم يرون مولد الهلال ، وعند ذلك تختلف الآراء ، فمنهم من يقول انه راه ، ومنهم من يفتى انه لم يظهر ، ويقع المسلمون نتيجة لذلك في متاهات ، فمن يصدق من ؟ .

لازلت اذكر منذ صباى وشبابى المبكر – ولعلكم لازلتم تذكرون ذلك معى – كيف كان غرة شهر رمضان ، وحلول المواسم والأعياد محددة من البداية تحديداً لا تلاعب فيه ولا اهواء ، وكانت الدول العربية وقتها لازالت تجمعها رابطة من التآلف والاخوة والمحبة ، لكن يبدو أن الخلاف فى الآراء السياسية ، أو الزعامات العربية ، قد انعكس ايضا على خلاف فى امر من امور الدين ، او بالتحديد فى الاتفاق على توقيت مضبوط يهيىء لهم من امرهم رشدا !

ان هذا الخلاف قد يعرض المسلمين الى التهكم والقيل والقال من غير المسلمين ، فكل الاديان تحدد تاريخ اعيادها ، وتعرف مقدما مواقيت صيامها ، ولا تختلف فى ذلك ، لكن الحال غير ذلك مع الأمم الاسلامية ، حتى أن شامتا قد سخر يوما من الارتباك الذى يتعرض له المسلمون فقال متهكما : لقد اختلفتم فى كل شيء .. حتى فى تحديد مواقيت صيامكم واعيادكم !

ونحن لا نلومه فالعيب فينا ، وليس العيب فى الدين ، حتى لكاننا ينطبق علينا قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

وقد نختلف فى ارائنا السياسية ، ونظم حياتنا الاجتماعية ، او غير ذلك من أمور تخضع لمبدا الاجتهاد ، لكن ان ياتى بيننا فى امر من امور الدين ، او فى سنة من سنن الكون ، فهذا ما لا يرضاه مؤمن ، ولا يقره عاقل ، وعندئذ ، فسوف نتخبط فى تحديد ايام اعيادنا وصيامنا ، مادام بعض ائمة الاسلام او شيوخه يصرون على تحديدها برؤية الهلال ، ولا يريدون أن يتطوروا ، او ياخذوا باسباب العصر الذى نعيش فيه .. فكل شيء فى هذا العصر واضح ومقدر ومحسوب حساباً دقيقا .. «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» !

بالرؤية .. أم بالحساب ؟

إن اول اعتراض قد يقابلنا فى هذا المجال ، هو ما يستند اليه ائمة الاسلام فى الحديث الشريف الذى يقول «صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم ، فاكملوا العدة ثلاثين يوما» .. وواضح من الجزء الثانى من الحديث أن الأمر فى رؤية الهلال قد يحتمل فيه الغمة ، اى عدم الوضوح لأسباب يطول شرحها .

هذه واحدة .. أما الثانية ، فان الرسول نفسه ، أو غيره ممن عاشوا فى عصره ، او بعده بمئات السنين لم تكن لديهم وسائل علمية لكى يقدروا بها التوقيت المضبوط ، ولو كان ، لاخذ بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكلف قومه مشقة التطلع الى الهلال ، مع ما فى ذلك من غمة قد تكمن فى الافق أو الأبصار .



احد المناظير الفلكية العملاقة (التليسكوب) المقام فى المرصد الفلكي ، وتراه هنا وهو يتوجه صوب السموات فيكتشف من أنبائها كل ما هو مثير وغريب ، وبهذا تطورت معلوماتنا عن الكون بدرجة هائلة !

الكون ساعة مضبوطة فلماذا لا ننضبط معها؟

والثالثة : أن القرآن الكريم لم يشترط فى هذا الأمر شرطاً تعسفياً ، حتى ييسر ولا يعسر ، وذلك بدليل قوله تعالى «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه» .. والواقع أن لكل حرف ولكل كلمة فى القرآن معنى يعرفه أهل النحو والبلاغة ، ولذلك

ــ وعلى قدر اجتهادنا ــ فان الجزء الأخير من الآية قد حدد الأمر تحديداً لا لبس فيه ولا غموض .. فلم يقل مثلا ، فمن شهد منكم الشهر فلتصوموه ، بل ان الذى يشهد يصوم ... والذى لا يشهد لا يصوم، حتى يشهد ، فان غم الأمر علينا ، فلنكمل الشهر ثلاثين يوماً .

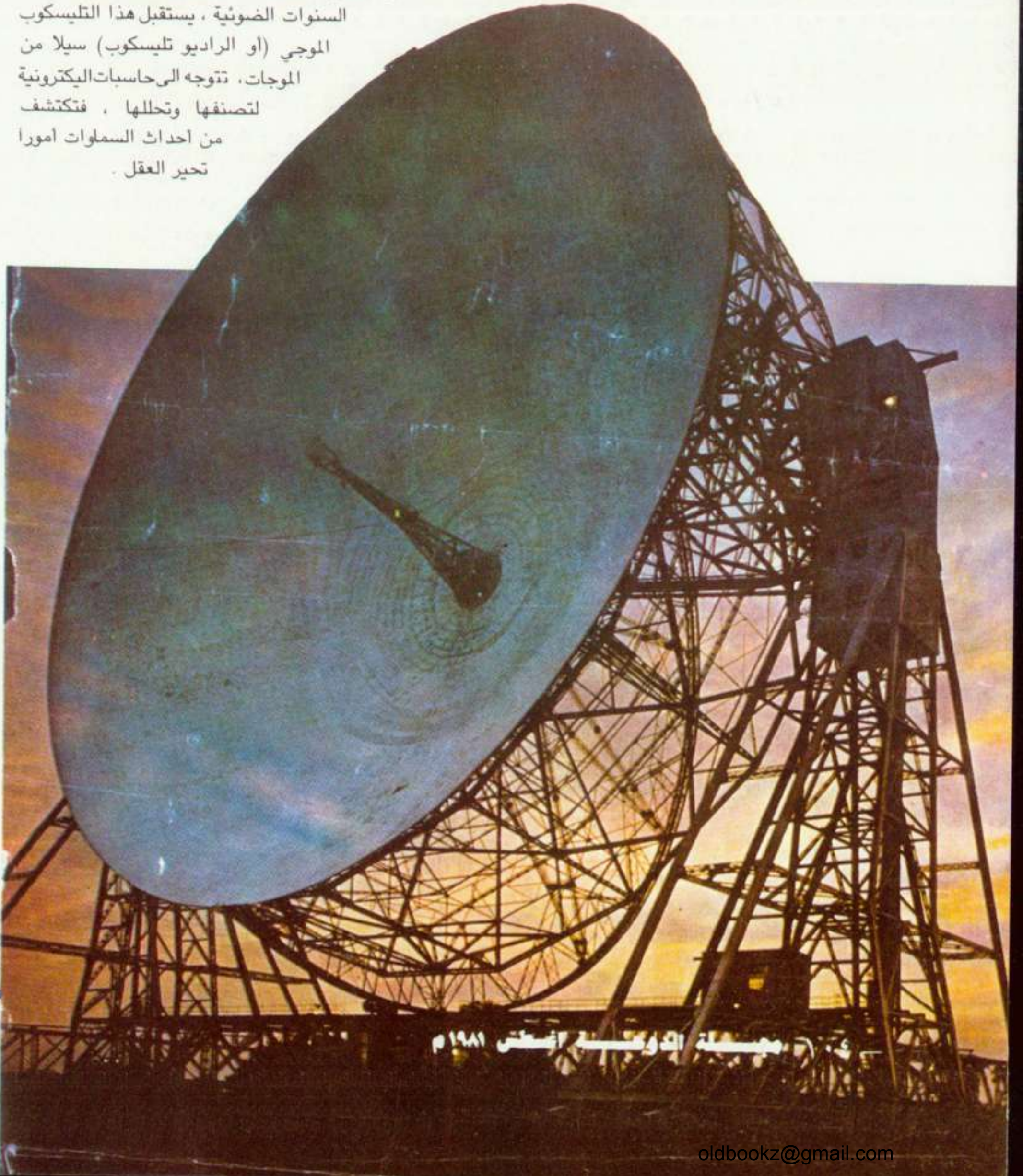
والرابعة : ان بعض أئمة المسلمين المرموقين يميلون الى الأخذ بالحساب الفلكى ، ونذكر هنا رأياً للدكتـــور عبد المنعم النمر «من الضرورى للفقيه أن يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشر بالاعتماد على الرؤية وحدها فى قوله «صوموا لرؤيته» ، إلا لأنها كانت الوسيلة الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها فى ذلك الوقت ، وان هذا التوجيه لازم لكل قوم لا يحسنون الحساب الفلكى ولا يتيسر لهم ، وذلك من باب التيسير على الناس وتوجيههم للاعتماد على ما يستطيعونه ، ويمكن أن ندرك هذا ادراكاً واضحاً من تعليل الرسول للاعتماد على الرؤية حين قال «أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» .. أى الحساب الفلكى الذى يمكن الاعتماد عليه» !

والخامسة : اننا اذا اختلفنا على شىء ، فلنرده أولا الى أحكام القرآن الكريم ، فان لم نجد له حلا ، فلنرده الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكنه أحياناً كان يترك للناس التصرف فى أمور دنياهم ، لأنهم أعلم بها ، وهناك أحاديث تؤيد ذلك ، ومنها ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ان الرسول صلى الله عليه وسلم مر على قوم يؤبرون النخيل ، فاقترح عليهم عدم تأبيره (أى اخصابه بالطلع) ، فلم يأبروا ، وعندئذ لم تنتج ثمراً ، فلما حدثوه فى ذلك ، قال لهم «سبحان الله ، انما أنا عبد الله ورسوله ، أنتم أدرى بشئون دنياكم» .. وفى غزوة بدر اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منزلا بعيداً عن الماء ، فسأله الحباب بن المنذر : أهذا منزلا أنزلكه الله يا رسول الله ؟ .. أم هو الـرأى والحـــرب والمكيدة ؟.. فقال صلى الله عليه وسلم «بل هو الرأى والحرب والمكيدة» .. فقال الحباب : ليس هذا منزلا ، إنما المنزل أن ننزل على الماء ، ونصطنع عليه سوراً ، فنشرب نحن ، ولا يشرب المشركون .. ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأى الحباب بن المنذر ، فكان ذلك من أسباب نصر الله للمسلمين فى غزوة بدر .. ومن هذا وغيره يتضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن متعصباً لرأى رآه ، ثم ثبت بعد ذلك عدم جدواه ، خاصة فيما يتعلق بشئون الدنيا .. لا الدين !

الحساب بنص القرآن

ومن هذا المنطلق ، وتأسيساً على ما قدمنا فأوجزنا ، فان الأمر متعلق بعد ذلك على أخذنا أو عدم أخذنا بأسباب العصر الذى نعيش فيه ، فلا أحد يستطيع أن يجادل أو ينكر أن مفهوم الكون والحياة يختلف اختلافاً واضحاً عندنا الآن عن هذا المفهوم فى العصور السابقة ، فكل شىء يتطور بسرعة مذهلة ، وما لم نأخذ فى حياتنا بهذا التطور ، فان الزمن

من أعماق الفضاء ، التى تقدر بآلاف الملايين من السنوات الضوئية ، يستقبل هذا التليسكوب الموجي (أو الراديو تليسكوب) سيلا من الموجات ، تتوجه الى حاسبات اليكترونية لتصنفها وتحللها ، فتكتشف من احداث السموات أمورا تحير العقل .



لا يرحم المتخلفين ، فالمعروف علمياً – أو حتى عقلياً – أن الزمن والتطور سمتان متلازمتان ، أو أن أحدهما يعبر عن الآخر ، فعدم التطور مع الزمن ، يؤدىالى ركود ، والركود جمود ، والجمود قتال «لو كنتم تعلمون» !

فالذين لا يثقون فى الحسابات الفلكية أو المناهج العلمية ، إنما هم قوم متخلفون ، لأن الحسابات الفلكية لا تنشأ من فراغ ، ولا هى من عمل الشيطان بل جاءت أساساً من التأمل العميق فى حركة الكون ذاته ، لأن الحركة والزمن صنوان .. فالحركة زمن ، والزمن حركة ، أو أن أحدهما ينبع من الآخر !

ولكى نوضح ، كان لابد أن نشير الى أن تعاقب الليل والنهار ، إنما ينبع من حركة الأرض أو دورانها حول نفسها ، ولولا هذه الحركة لعشنا فى ليل سرمدى، أو نهار سرمدى ، وعندئذ لن نعرف شيئاً اسمه زمن .. ثم أن هذه الحركة المتقنة قد أودعناها فى تروس وعقارب ، لتدق دقات ايقاعية منظمة ، تفصلها فترات زمنية محددة ، وبها نحدد الزمن بالثوانى والدقائق والساعات ، وعليه نرتب مواعيد صلاتنا وصيامنا ، وكل مقومات حياتنا ، ولا يهم بعد ذلك أن نتطلع الى شروق الشمس وغروبها ، مادامت آلاتنا الزمنية متزامنة تماماً مع حركة الأرض حول محورها .

وكالأرض تكون الشمس أو القمر أو الكواكب أو النجوم ، أو أى جرم سماوى صغر شأنه أو كبر ، ذلك أن الكون كله ، فى حركة متقنة ودائبة ، وهو بمثابة آلة زمن دقيقة غاية الدقة ، متقنة أعظم الاتقان ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة ، إلا كل من درس فحصل فجمع فأوعى !

والغريب حقاً أن الذين يعترضون على الأخذ بالحساب الفلكى ، أو ينكرونه انما هم – فى الواقع – ينكرون المعنى العميق الذى انطوت عليه بعض آيات القرآن الكريم ، فلقد اشارت الى هذا المعنى تلميحاً لا تصريحاً ، وايجازا لا اسهاباً ، فلم تكن العقول مهياة فى زمن الرسول (ص) ، ولا بعده ، لكي تخوض فى معمعة علمية كالتى نعرفها فى زماننا هذا ، ثم أن القرآن الكريم هو فى الأصل كتاب هداية وتشريع وعقيدة ، وليس هو بالكتاب الذى تناقش فيه الأصول العلمية ، ولا الحسابات الكونية ، ومع ذلك فقد تعرض لأساسياتها فى آيات واضحة تماماً .

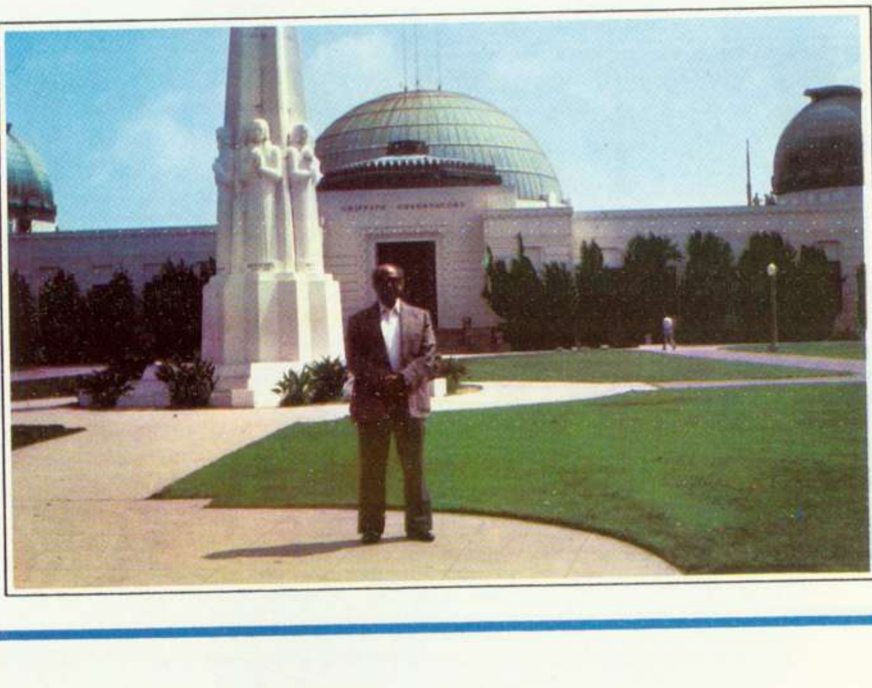
وإلى الذين غم عليهم الأمر ، وجادلوا فى أمور لا تقبل الجدل .. الى هؤلاء نسوق بعض الآيات القرآنية ، لعلهم يرشدون .. « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » (يس آية ٣٨/٤٠) .. « فالق الاصباح ، وجعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حسباناً ، ذلك تقدير العزيز العليم » (الأنعام آية ٩٦) .. ثم يجيء فصل الخطاب فى آيتين « هو الذى جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » (يونس آية ٥) .. « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا » (الأسراء – آية ١٢) .

كل هذه الآيات وغيرها تشير بوضوح الى أن الزمن الفلكي أو الكوني أو الأرضى أو القمرى أو الشمسى .. الخ ، انما هو انعكاس حقيقي لحركة الكون وما حوى ، والفضاء وما طوى ، وطبيعي أن رجل الدين لا يستطيع أن يرى الاتقان فى التقدير ، والدقة فى التسخير ، والابداع في التسيير ، والانضباط فى الأفلاك ، إلا إذا درس القوانين الصامدة ، والشرائع الراسخة ، والمعادلات الأصيلة التى تحكم هذه الاجرام العظيمة ، وعندئذ قد تريه ، ما لا يستطيع هو الاجتهاد فيه ، أو الاعتراض على ما تطويه ، إذ كيف يعترض على « صنع الله الذى اتقن كل شيء » وهو الذى « خلق كل شيء فقدره تقديراً » !

حسابات فلكية مذهلة !

ومما يدعو الى الدهشة والأسى ، أننا لا نتعلم ولا نستفيد مما يجرى حولنا ، ولكم كان وقع الأسى على نفسى شديداً ، عندما عدت من الولايات المتحدة ، لتقع عينى على خبر منشور في صحيفة مصرية يومية يشير الى نفس القصة المكررة كل عام ، أى استطلاع هلال شعبان ، ومن بعده – بطبيعة الحال – هلال رمضان ، ثم هلال شوال .. الى آخر هذه الاستطلاعات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، هذا فى الوقت الذى شاهدت فيه على الطبيعة هناك التقدم العلمي فى كل المجالات ، وبالأخص علوم الكون

أحد المراصد الفلكية التى رآها كاتب هذا المقال فى ولاية كاليفورنيا ، وأمام المرصد نصب تذكارى لعلماء الفلك الذين طوروا مفاهيمنا عن الكون وما حوى ، والفضاء وما طوى ، وفى داخل هذا المرصد يستطيع الانسان أن يرى «ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، مالا يخطر على بال أحد



الكون ساعة مضبوطة فلماذا لا ننضبط معها ؟

والحياة .. وسر هذا التقدم لا يخفى على لبيب ، لأنه يبحث أساساً فى شرائع الله فى كونه العظيم ، ولقد زرت مرصداً فلكياً على قمة جبل فى ولاية كاليفورنيا ، فرأيت « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .. فلم يعد الانسان يعتمد فى كشف ألغاز الكون على عينيه ولا أذنيه ولا أية حاسة من الحواس الأخرى ، لأن هذه الحواس قاصرة عن أن ترينا الأسرار الضخمة التى ينطوى عليها الكون العظيم

ولهذا استعاض العلماء عن عيونهم بعيون علمية جبارة ، ممثلة فى التليسكوبات الضخمة ، وعن آذانهم باذان جد حساسة . لتلتقط الموجات غير المنظورة ، وهذه ممثلة فى التليسكوبات الموجية (الراديو تليسكوب) ، وعن عقولهم البطيئة ، «بعقول» اليكترونية تستقبل سيلا جارفاً من المعلومات ليل نهار ، ثم تقوم بتصنيفها وتحليلها وتسجل احداثها على هيئة نتائج يهول العين مرآها ، وعندما يرى الانسان الأجهزة العلمية الكثيرة التى تعمل فى تآلف وتناسق مذهل ، فلابد أن يخشع ويسلم بأن اسرار الكون أعظم وأضخم وأروع من كل ما عرفه الأقدمون والمحدثون !

لقد تمنيت وقتها ـ ولازلت اتمنى ـ لو أن بعض أئمة المسلمين ، وشيوخ الاسلام ممن لا يعرفون عن المنهج العلمى فى كشف اسرار الكون شيئاً ، تمنيت لو أنهم رأوا ما رأيت ، عندئذ فربما يهيىء الله لهم من أمرهم رشداً ، ويعودون الى الاعتراف بما يمليه عليه عصرهم من انجازات هائلة لا نستطيع لها هنا حصراً ، ومن أهمها أن الكون نفسه بمثابة ساعة دقيقة غاية الدقة .. تروسها أقمار وكواكب ونجوم ومجرات ، وعقاربها حركات ودورات ، وزمنها محكوم بقوانين ومعادلات ، ومنها تنشأ الأرقام والحسابات ، وهو ما أشرنا اليه فيما سبق من آيات محكمات ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة إلا كل من كانت له مع اسرار الكون صولات وجولات ، ثم يأتي ـ بعد كل هذا ـ من ينكر المنهج العلمى الأصيل

ويعتمد على عينه القاصرة ، وأفكاره غير المتطورة ، ونظرته الجامدة ، فيضع المسلمين فى حيص بيص ، وكأنما هو ـ فى هذه الحالة ـ يسير على مبدأ « خالف تعرف » ، حتى ولو كان ذلك على حساب آيات القرآن الكريم التى اشارت الى امكان حساب الزمن من حركة الأجرام !

ولا شك أن علماء الفلك يستطيعون الآن أن يحسبوا الزمن لجزء من ألف جزء من الثانية ، أو ربما أقل من ذلك أيضاً ، لأن حركة الأرض والقمر والشمس وغير ذلك من أجرام سماوية ، تسير فى أفلاك أو مدارات غاية فى الدقة والانضباط ، وهذا من شأنه أن يتمخض عن زمن أضبط وأتقن من زمننا الذى نقيسه بآلات قياس الزمن التقليدية ، إذ لولا هذا الانضباط الكوني الدقيق جداً فى حركته وزمنه ، لاختلت السماوات بعد عشرات أو مئات الألوف من السنين ، لكنها ـ فى الواقع ـ ظلت صامدة لبلايين السنين ، وسوف تظل كذلك لبلايين أخرى ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ! .

ثم أن الحسابات الفلكية تستطيع أن تقدر بدقة بالغة عدد مرات الكسوف التى تحدث للشمس ، أو الخسوف الذى سيحل بالقمر ، .. ليس فقط لعام واحد قادم ، ولا لعشرة أعوام ، بل لمئات السنوات القادمة .. ليس هذا فحسب ، بل تحدد أيضاً مكانه على سطح الكرة الأرضية ، وزمانه فى السنة والشهر واليوم ، وبالساعة والدقيقة والثانية ، وطول فترة الكسوف والخسوف .. ان العام القادم مثلا ـ عام ١٩٨٢م ـ سوف يشهد أكبر عدد من مرات الكسوف والخسوف ، إذ ستنكسف الشمس فيه أربع مرات ، وسينخسف القمر ثلاثا ، وعلى الذين يرتابون فى ذلك أن ينتظروا ما سوف تتمخض عنه الأحداث فى العام القادم ، ليعرفوا الخبر اليقين ، وعندئذ يحق القول الكريم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ! .

أضف الى ذلك أن الحسابات الفلكية تشير الى أحداث بعيدة المدى نسبياً ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، سوف تنكسف الشمس فى موقع محدد بجنوب المحيط الأطلنطى لمدة سبع دقائق ، و٢٨ ثانية فى يوم ١٦ يوليو عام ٢١٨٦ ، أى بعد مرور ٢٠٥ عاماً من الآن .. أطال الله فى أعماركم ! .

لقد ولى الزمن الذى يعتمد فيه الانسان على الرصد بعينيه القاصرتين ، وحلت محلهما أجهزة الرصد تستقبل وتحلل وتقدر وتحسب ، والصورة توضح جانبا من هذه الأجهزة المعقدة والحساسة ، ثم انها لا تعرف الكذب والخداع .. فما بالنا نتخلف عن منجزات العصر الذى فيه نعيش ؟.



أمور متناقضة

والغريب بعد ذلك أن جماهير المسلمين تثق ثقة عمياء فى التوقيت الزمنى المثبت فى نتائج الحائط أو الجيب أو ما شابه ذلك ، فتفطر أو تمسك عن الطعام على مواقيتها ، أو تصلى الفرائض على زمنها ، دون أن ترجع فى ذلك الى الوسائل القديمة .. أى استطلاع الخيط الأبيض من الأسود عند الفجر ، أو رصد شروق الشمس وغروبها ، ثم مواضعها فى السماء بعد ذلك ، فكل هذا قد يسره العلم على الناس ، وهو أيضاً نتيجة حتمية للحسابات الفلكية التى تحدد المواقيت بدقة تامة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلى اية بقعة فيها ، ليس فقط من أجل تحديد مواقيت العبادات ، بل هى لازمة هامة جداً فى حياتنا العصرية ، وانشطتنا العلمية ، فاطلاق أقمار صناعية لتكتشف اسرار الكون عامة ، والمجموعة الشمسية خاصة ، أو الهبوط على القمر ، أو أى كوكب من الكواكب ، لا يتم هكذا اعتباطاً .. بل أن كل شيء محسوب مقدماً بدقة فائقة .. حركة الأرض وزمنها ، وحركة الصارو أو القمر الصناعى وزمنه ، وحركة القمر والكواكب وزمنها .. ذلك أن كل ما في الكون يتحرك ، ولكل فلكه الذى يسبح فيه ، ولكل زمنه ومكانه بالنسبة للآخر ، وأى خلل فى الحسابات ــ حتى ولو كان طفيفاً ــ سوف يؤدى الى ما لا تحمد عقباه ، وطبيعي أن الحسابات دقيقة وعويصة ومتداخلة وكثيرة ، وتحتاج فى اجرائها الى عقول تقوم بانجازها بالآلاف فى كل ثانية ، وهذا ما تعجز عنه العقول البشرية ، ومن أجل هذا استعان الانسان عليها « بالعقول » أو الحاسبات الاليكترونية ، التى تنجز فى ثوان ، ما ينجزه الانسان فى سنوات !

ان الانجازات العلمية الهائلة تشهد باصالة العلم ، وتاتي تلك الاصالة من دراسة الانسان لشرائع الكون ، وسنن الوجود ، ثم ربطها فى نسيج من المعادلات والقوانين ، وهذه تعنى أن الكون منظم أعظم تنظيم ، ومنضبط كأدق ما يكون الانضباط ، ثم إذ بنا نشذ عن هذا الانضباط ، ونركب رؤوسنا ، وكأننا نحن نريد أن نخضع الكون لعقولنا ، ونرقبه بعيوننا ، ونسيره بأهوائنا ، وكان الاحرى بنا أن نخضع العقول ذاتها للكون ونواميسه ، حتى ندرك اسراره ، ونعلم انضباطه : حركة وزمنا ونظاماً وضخامة واتساعاً ، ربما أيضا مصداقاً للآية « الذى خلق سبع سماوات طباقاً ، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر ، هل ترى من فطور ، ثم أرجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » (الملك ــ آية ٣ ــ ٤) .. والأمر ذاته ينطبق على عيون العلم الحديث (أى التليسكوبات) ، فرغم أن بعضها أقوى من العين البشرية بمليون مرة ، إلا أنها مع ذلك لم تكشف منه إلا نزرا يسيرا ، رغم أنها ترى فى أعماقه لمسافات تقدر بعدة بلايين من السنوات الضوئية ! .

إذاً .. لماذا نأخذ حيناً بأساليب العلم، ثم ننكص على اعقابنا فجأة حيناً آخر ، كلما أقبلت مناسبة دينية لها علاقة بالزمن ؟ .. أو ليس هذا بأمر يحمل بذور التناقض ؟

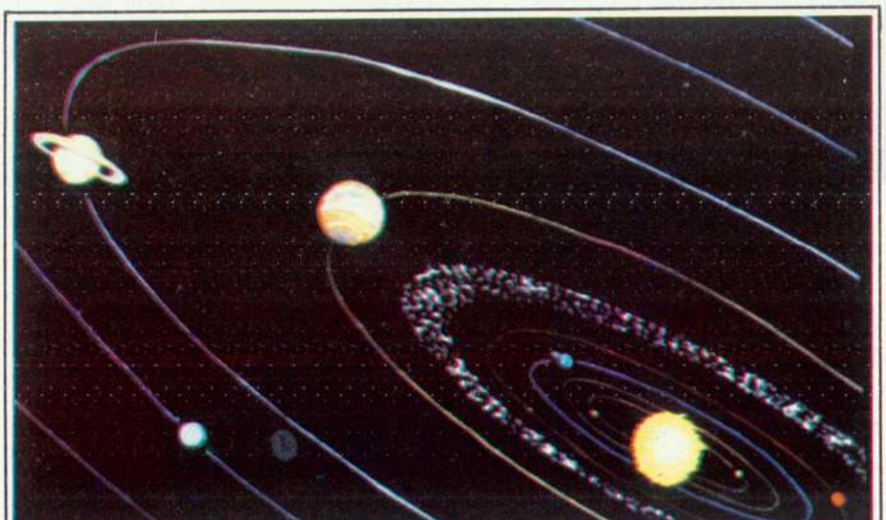
لا شك فى ذلك .. لكن التناقض ينبع أساساً من عقول البعض الذين يريدون جرنا الى متاهات ، قد لا يسعدون هم بها، وفى الوقت ذاته يجلبون البلبلة والشقاء والاضطراب كلما أقبل رمضان أو حل عيد من الأعياد .. هذا رغم أن التوقيت القمرى محسوب مقدماً ، وبدقة تامة ، ولكل بقعة من بقاع العالم ، وعلماء الفلك يستطيعون تحديد بزوغ القمر وأفوله بالدقيقة والثانية ، خاصة وأن غزو هذا الجرم السماوى بالأقمار الصناعية يستلزم هذا التوقيت الدقيق .. ولا أحد يستطيع أن يتفلسف ويتعالى على مثل هذه الحسابات .. فلقد أشارت اليها آيات القرآن الكريم أولا ، ثم طبقها العلم ثانياً ، لأن العلم بدوره منهج تطبيقي ، وله انجازات لا تنكر ، وأهداف لا تجحد ، واسألوا أهل العلم ، إن كنتم غير مصدقين . !

إن علماء الفلك الذين قابلتهم وتحدثت معهم فى هذا الشأن ، وبعضهم عرب ومسلمون ، يؤكدون أن الأخذ بالحساب الفلكي أمر لا غبار عليه ، وأن بزوغ الهلال فى أى قطر من الأقطار الاسلامية يمكن حسابه مقدماً .. لا لعام واحد ، بل لأعوام أخرى مقبلة ، ولعل ذلك يجد هوى فى نفوس من يناقضون شرائع الله فى كونه ، وبهذا يستريحون ويريحون ! .

يا قوم .. إن كل شيء يتطور ، والعلم يتقدم ، ونحن أعلم بأمور علمنا ودنيانا ، فأفيقوا يرحمكم اللــــه .

د. عبد المحسن صالح

الشمس وحولها كواكبها التسعة ، ولبعض هذه الكواكب أقمار ، ولكل منها مداره ومساره الذى قدر تقديراً متقناً ثم إن لكل حركة هنا زمنها ، وهى محسوبة حساباً دقيقاً ، فلماذا إذن نأخذ ببعض هذا الحساب ، ولا نأخذ بالبعض الآخر ، كما هو حالنا فى التقويم النمرى ؟





هل تنبأت.. السينما البولندية بما حدث ؟

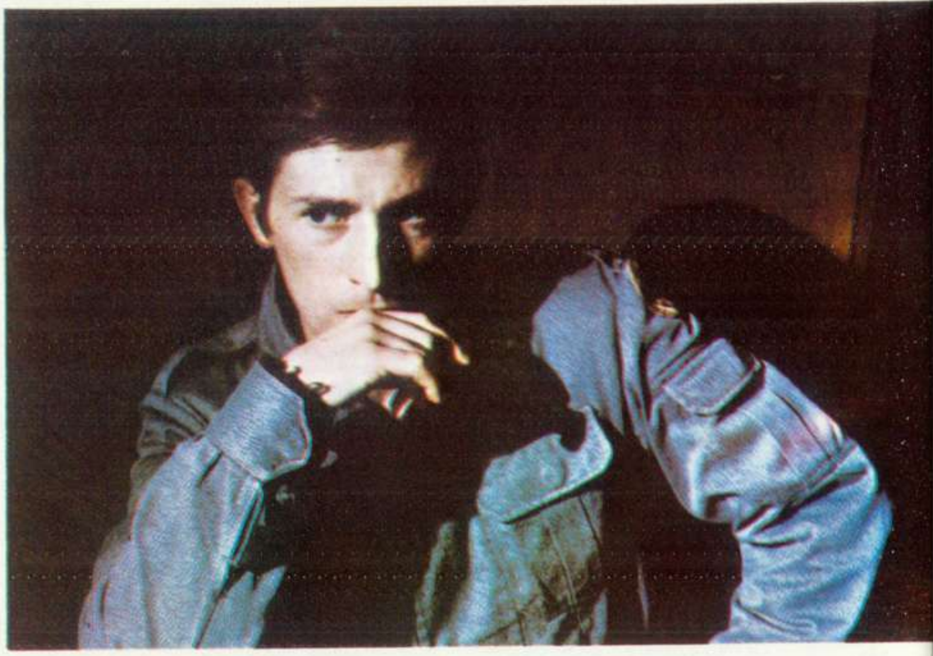
رؤوف توفيق

من يتأمل انتاج السينما البولندية ، فى السنوات الأخيرة ، يتأكد له تماما أن عددا كبيرا من الأفلام التى ظهرت ، عالجت بشكل أو بآخر ، هموم ومشاكل المجتمع البولندى .. الى الحد المسموح به رقابيا .. ولكن الى الدرجة التى تصل الى حد النبوءة لما وقع بالفعل فى بولندا أخيرا !!

ومازال هذا الفيلم «ثوابت» الذى أخرجه المخرج البولندى الشهير «زانوسى» يشكل بالنسبة لى مفاجأة فنية جريئة ، وأيضا وثيقة اجتماعية وسياسية خطيرة ، لكل ما يحدث تحت السطح فى بولندا !

وبالرغم من أن هذا الفيلم «ثوابت» قد بدأ عرضه عالميا فى مايو الماضى - ١٩٨٠ - من خلال مهرجان كان السينمائى .. إلا أن شحنة النقد





الشاب بطل فيلم «ثوابت» ولقطات من الفيلم

المخرج كريستوف زانوس



الاجتماعى المعبأة داخل أحداث الفيلم .. كانت توحى ، أحياناً بطريقة مباشرة ، وأحياناً فى رموز مكثفة .. بأن شيئاً ما سيحدث فى بولندا .

وبالفعل .. لم يأت شهر أغسطس .. إلا وهو يحمل معه اضرابات العمال التى تصاعدت وشكلت فيما بعد قوة ضاربة تفرض رأيها ومطالبها .. ولتتحول المواجهة بعد ذلك الى محاسبة شاملة وصريحة لكل أخطاء السلطة الحاكمة وانعكاس هذا على المجتمع .

● نكتة .. وتعليق

ويمكن القول بان السينما البولندية ، كانت أحد العيون الكاشفة والمخلصة والأمينة على قضايا المجتمع .. وأيضاً المحذرة بشتى الأساليب الفنية لخطورة الاستمرار فى هذه المشاكل التى تؤرق حياة أفراد المجتمع .

حتى أنه قيل ـ فيما يشبه النكتة الساخرة ـ انه كلما قدم المخرج البولندى الكبير «فايدا» فيلماً .. كلما كانت النتيجة سقوط الوزير المسئول .. وقد حدث هذا بالفعل مع فيلميه : «رجل من رخام» عام ٧٧ ـ و «بدون تخدير» عام ٧٨ ـ .. وقد علق الناقد الفرنسى الشهير «مارسيل مارتان» على هذه النكتة بمزيد من السخرية اللاذعة ، فى بحث له نشر عام ٧٩ عن السينما البولندية .. فقال : «انها حقاً لدولة محظوظة التى يسقط فيها الوزراء نتيجة أفلام .. فالوضع فى



الصحفى فى معركة بالايدى مع منافسه الشاب الانتهازى . من فيلم « بدون تخدير »

فرنسا مختلف .. الوزراء يبقون فى مناصبهم .. أما المخرجون فهم الذين يسقطون أحياناً» !

وفى هذا البحث ، يستطرد الناقد «مارسيل مارتان» فى رؤيته للسينما البولندية فيقول : «ان الخلاف الأساسى بين المخرجين والسلطة فى بولندا .. يرجع الى موضوعات الأفلام التى يتقدم بها المخرجون للحصول على موافقة العمل بها .. والمعروف أن المخرج «فايدا» اضطر الى الانتظار ١٥ عاماً حتى سمحوا له باخراج فيلم «رجل من رخام» .. وبالرغم من ذلك .. لا يمكن أن ننكر دهشتنا للشجاعة النقدية لبعض الأفلام .. ونعترف بأنه لابد وأن يتسم مخرجوها بالكثير من الشجاعة لكتابتها وفرضها .. إلا أن أحد الأصدقاء البولنديين ، علق موضحاً ، بأن الذى يتسم بالشجاعة هو المسئول الادارى والسياسى الذى يقبل مثل تلك الأفلام .. حيث أنه يخاطر بوظيفته !

«ولكن يبقى بالنسبة للمشاهد الأجنبى الذى يرى تلك الأفلام ، دون أن يعرف بالضرورة ظروف انتاجها .. انها بمثابة شهادة على الواقع الوطنى .. وأيضاً على الوعي النقدى والموهبة الفنية .. وكما هو الحال بالنسبة للانتاج السينمائى المجرى ، فان الانتاج البولندى .. يشرف جميع أولئك الذين يجعلونه ممكناً ويبثون فيه الحياة مهما كانت الظروف» .

ويستطرد الناقد الفرنسى «مارسيل مارتان» فى بحثه ، مشيراً الى الكلمة التى قالها فى المهرجان القومى لمدينة «جدانسك» البولندية :

«إن الفيلم الجيد هو دائماً دعاية جيدة .. وعلى هذا ينبغى ألا يخشى المسئولون السياسيون فى عرض أكثر الأفلام النقدية خارج بلادهم .. حتى ولو

المخرج اندريه فايدا



المخرجة اجينسكا هولندا





الصحفى بطل فيلم «بدون تخدير»



دكتورة الاسنان ـ لقطة من فيلم بدون تخدير

البحث عن البراءة والإخلاص والود والتعاطف

خاطروا بتقديم فرص تستغلها الأصوات المضادة التى ستجد دائماً مادة لها سواء فى الأفلام الجيدة أو الرديئة» .

● الصدق .. فى الفن

وقد انتابتنى هذه المشاعر من الدهشة والاعجاب بعد مشاهدتى لفيلم «ثوابت» .. وعندما عدت الى القاهرة كتبت بحماس وفرح عن هذا الفيلم البولندى الجريء الذى يتعرض لأول مرة وبشكل مباشر وصريح ، لبعض الانحرافات فى مجتمع اشتراكى .. وقلت «إن محاولات التعمية ، وفرض الصمت والسرية ، والتكتم .. هى فى النهاية محاولات محكوم عليها بالفشل . بل تؤدى الى نتائج عكسية وأكثر ضررا ، فهى تفتح منافذ للتشكك والشائعات . وفى نفس الوقت تضخم الأخطاء والمشاكل التى حاول النظام الحاكم أن يتستر عليها بالصمت .. وهكذا يزداد الأمر سوءاً ! .

«وإذا كان الصدق .. هو الأسلوب الأمثل للمواجهة مع هذه الأخطاء والمشاكل .. فان الصدق فى الفن .. هو روح العمل ، ونبض بقائه وازدهاره .. وعالميته أيضاً» !

● الأمانة .. النجاح .. الحقيقة

وقصة فيلم «ثوابت» كما كتبه وأخرجه «كريستوف زانوسى» يتناول مظاهر الفساد التى سيطرت على العلاقات الاجتماعية فى بولندا .. نتيجة انتشار الرشوة والوسايط وحمى المصالح الخاصة وما استتبع ذلك وكما يقول المخرج «زانوسى» فى توضيح فلسفته من هذا الفيلم «لقد أردت اعادة الحياة الى كلمات اختفت من قاموس حياتنا المعاصرة .. الكلمات هى : الأمانة .. النجاح .. الحقيقة ..

إننى أشعر .. أننا محتاجون أكثر من أى وقت مضى .. لتأمل هذه الكلمات بمعناها الحقيقى .. فقد أدركنا التعب والألم من فساد العلاقات ، وانهيار الأخلاقيات .. ومن واجبنا أن نبحث أكثر عن البراءة والاخلاص والود والتعاطف .. ان معانى تلك الكلمات .. من الممكن أن نضيف اليها .. ونثريها بطريقة مختلفة .

وهذا الفيلم مثل أغلب أفلامى ، توليفة من الأحداث والملاحظات جمعتها من واقع الحياة ، حيث نعيش محاطين بتجارب تفتقد عنصر الأمانة .. وفى رأيى أننا لو انتصرنا فى هذه التجارب .. سننجح فى الحصول على الحقيقة .. الحقيقة التى نحتاجها ـ الآن ـ لاثبات وجودنا وكياننا» !

وعلى هذا الأساس يقدم المخرج «زانوسى» قصة شاب كان فى دراسته «نوعا مختلفا» .. جاء من مدينة صغيرة

سينما

هل تنبأت .. السينما البولندية بما حدث ؟

فى بولندا .. ومن عائلة مستقرة .. كان والده بطلا من أبطال تسلق الجبال ، ولكنه مات فى حادثة أثناء احدى محاولاته لتسلق قمة جبل .. وقد تركت هذه الحادثة فى أعماق الشاب ، احساسا متزايدا بعظمة الأب وبطولته واصراره على المغامرة .. وفى نفس الوقت أصبحت هذه الجبال المكسوة بالثلج ، تمثل له سحرا غامضا ، وتحديا مستمرا يحلم أن يحققه .

أما الأم .. فهى نموذج للطيبة والحنان والحكمة .. تعمل فى احدى صيدليات المدينة .. وليس لها فى الحياة من هدف سوى رعاية ابنها واحاطته دائما بجو من الحنان والنقاء والشرف والأخلاق ..

ونشأ الشاب انسانا مثاليا .. لا يعرف الكذب أو الالتواء .. عذبا .. رقيقا .. وجادا .. الى أن بدأت رحلته الصعبة فى الحياة العملية .. فقد تخرج من المدرسة الثانوية للاليكترونيات ، والتحق بالجيش لتأدية الواجب العسكرى .. ولكنه لظروف مادية قاسية .. وجد نفسه غير قادر على مواصلة دراسته .. وأصبح عليه أن يبحث عن وظيفة .. ليصطدم بأول مشكلة .. ان الوظيفة تحتاج الى «واسطة» ويتدخل أصدقاء والده ليقوموا بهذه «الوساطة» .. ويحصل على الوظيفة فى احدى مؤسسات المعارض التى تقيم معارضها فى الخارج .. ولكنه لا يشعر أبدا أنه وجد الوظيفة المناسبة .. فقد حصل عليها بطريق غير شرعى .. ثم يكتشف أثناء العمل ما هو أدهى وأمر .. فرئيسه فى العمل يقوم بعمليات غير قانونية ، وغير أخلاقية .. والمصيبة أن كل زملائه فى العمل – وهم شباب فى مثل عمره ودراسته – يعرفون هذه الحقيقة .. ولا يعترضون .. بل ويشاركون فيها .. وكلهم يستفيدون بشكل أو باخر ..

ولأنه نشأ على الأمانة والصدق .. فهو يرفض أن يدخل فى هذه الدائرة الملعونة .. ويصمم على كشفها .. وفى نفس الوقت يواجه بمرض أمه وضرورة نقلها الى احدى المستشفيات فى المدينة .. ليفاجأ بما هو أبشع .. ان دخول المستشفى يحتاج الى «وساطة» .. وتحرك الطبيب للعلاج يحتاج الى «رشوة» .. وتقرر الأم المريضة أن تموت فى بيتها وعلى سريرها .. فهذا أفضل وأرحم !!

وتموت الأم .. وتنتاب الابن حالة من الحزن والأسى المفجع .. وعندما يعود الى عمله .. يجد أن الحالة تزداد سوءا .. فرئيسه فى العمل يدخل فى عمليات جديدة من النصب والسرقة .. ويقرر أن يواجهه بكل الجرأة والصراحة .. معتقدا أن زملاءه سيقفون معه ضد هذا الفساد .. ولكنهم ينظرون اليه فى دهشة .. ويسخرون منه .. يقول أحدهم «لا تحاول اصلاح الكون .. خذ الدنيا كما هى» .. ويصرخ هو فيهم محاولا ايقاظ ضمائرهم: «لماذا تتركونى وحدى .. لماذا لا تقفون معى .. لماذا ؟ اننى فى مثل عمركم .. ودرست معكم فى نفس الدراسة .. وأقرأ معكم كل يوم نفس الجرائد .. لماذا أنا مختلف عنكم» ؟!

ويأتيه الرد بضحكات السخرية .. والتخلى ..

ويقرر هو الاستمرار فى المعركة بمفرده .. وتكون النتيجة .. فصله من العمل .. ومنعه من السفر للخارج وسحب جواز سفره .. والصاق تهمة تهريب النقود به .. وهكذا خسر كل شىء .. ويلتحق بأحد الأعمال الصغيرة .. كعامل نظافة .. ثم كعامل هدم للمبانى القديمة .

وفى أثناء عمله الأخير .. نجده مربوطا بالحبال على جدار مبنى قديم يحاول أن يحطم أحجاره .. وتتساقط أحجار المبنى .. لتصيب طفلا صغيرا كان يجرى بالصدفة تحت هذا المبنى .. ويصاب الشاب بالهلع .. وتتمثل أمامه حادثة سقوط والده من فوق قمم جبال الثلج .. ويمتزج الحادثان .. لينتهى الفيلم على صوت صرخة حادة مدوية !

.. وفى هذا الفيلم يضع اثنين من العلماء فى مواجهة بعضهما .. أحدهما استقر فى مدينة صغيرة فى بولندا ، ووهب حياته للعمل الروتينى ، واقامة علاقات انسانية صحيحة مع زوجته ، ومع جيرانه .. وانغمس فى القراءة والمعرفة الخاصة .. أما العالم الآخر الذى يعود الى هذه المدينة بعد غياب طويل ، قضاه فى عمل ناجح بالخارج ، فهو يرفض هذا السكون والتعود ويؤمن بالحركة والكفاح المستمر .. وبين هذين العالمين يتحدد الصراع وكل منهما يحاول البرهنة على صحة اختياره وموقفه .

أقدر الناس شوقاً للحقيقة

وهذه النهاية الفاجعة ، المحملة بمعانى المأساة والانهيارات .. يؤكدها عنوان الفيلم الذى اختاره المخرج من وحى المعادلات الرياضية عن القوانين الثابتة غير المتحركة .. فكان «ثوابت» هى الحقيقة المؤكدة والوحيدة بكل هذه الأخطاء والمشاكل واهتزاز القيم .. ونتيجة المعادلة .. المأساة .. والانهيار !

واذا كان هذا الفيلم ، هو آخر ما قدمه

تلك النهاية الفاجعة المحمّلة بمعاني المأساة والانهيارات

لقطة من فيلم «ممثلون ريفيون»



المخرج زانوسى ـ المولود عام ١٩٣٨ ـ قبل اندلاع الأزمة البولندية .. فان أعماله السابقة كانت تشير الى نفس القضية ، حيث يواجه الانسان المثالى بضغوط وصراعات مدمرة ، وعليه أن يختار بين التخلى عن مبادئه الأخلاقية .. أو احتمال كل هذه الضغوط .. وغالباً ما كانت تنتهى موضوعات أفلام «زانوسى» بعزلة واغتراب هذا الانسان المثالى .. إما بسبب عدم قدرته على المواصلة .. وإما بسبب إحساسه أنه مجرد فرد واحد ، ولا يستطيع أن يحقق حلمه «باصلاح الكون» ولهذا يقرر أن يغلق الباب على نفسه .. ويعتزل المجتمع !

وأغلب أبطال أفلام «زانوسى» من فئة العلماء الذين يتعاملون مع العلم فى أدق تفاصيله ، ولكن اهتماماتهم أعم وأشمل .. وتساؤلاتهم دائماً انسانية وأخلاقية .

ويفسر المخرج «زانوسى» هذا المنهج فى اختيار نوعية أبطاله فيقول : «حيث اننى أكتب جميع سيناريوهاتى ، فانى أميل للاستفادة من تجربتى الحقيقية والبيئة العلمية التى نشأت ودرست فيها (درس الفلسفة والطبيعة فى جامعة وارسو) .. وفى اعتقادى أن تلك البيئة مهمة نسبياً خاصة فى ثقافتنا وفى بلدنا .. حيث يكون العلماء ، أشخاصاً أكثر انفتاحاً ، ولهم حرية فكر أكبر ويتحملون مسئوليات أكبر من الآخرين .. وتلك مسألة معروفة فى بولندا ، وتعود جذورها الى عصر النهضة ، حيث كان من يهتم بالعلم مضطراً للاهتمام بالكون كله .. لأن العلم هو دائماً البحث عن الحقيقة .. ومن يبحثون عن الحقيقة ، هم أشخاص عليهم أن يتحملوا مسئولياتهم وأن تكون آفاقهم أوسع» !

● الحلول الوسط .. لا تفيد !

وبهذا المنهج الفكرى .. قدم المخرج «زانوسى» فيلم «بناء الكريستال» عام ٦٩

وفى فيلم «تمويه» ـ عام ٧٦ ـ يقدم المخرج نوعاً من الصراع العلمى داخل نطاق الجامعة من خلال شخصية شاب جامعى يحاول أن يدخل بحب واخلاص الى دائرة الأصدقاء من أساتذة الجامعة والطلبة .. ولكنه يفجع فى نائب الجامعة الذى ارتقى منصبه على حساب بحث سرقه من زميل شاب .. وهذا الزميل الشاب ارتضى هذا الوضع مادام سيستفيد هو شخصياً .. وتأتيه الفجيعة الأخرى فى صديقته وعلاقتها العاطفية المرتبكة .. وهكذا تهتز كل القيم والمبادىء فى نظر هذا الشاب ، بالاضافة الى تركيبته الشخصية ، من أنه شخص لا يملك النفس الطويل فى المواجهة .. فيسقط فى براثن الحلول الوسطى ! .



لقطة من فيلم «ممثلون ريفيون»

ويدين المخرج «زانوسى» هذا الموقف بقوله «لا يمكن أن يعيش المرء بدون مبادىء واضحة جدا .. أى أن الحلول الوسط لا تساعد .. بل تؤدى الى التدمير الذاتى .. وكذلك قبول الشر الذى يختاره البطل الآخر فى الفيلم ...»!

وبين فيلم «بناء الكريستال» وفيلم «تمويه» .. قدم المخرج فيلم «حياة عائلية» عام ٧٠ ـ «خلف الحائط» عام ٧١ ـ «التنوير» عام ٧٣ ـ «التوازن» عام ٧٤ .

وقد وضع المخرج فى هذه الأفلام .. أفكاره الخاصة عن الأخلاق ومعنى الحرية والتناقض بين المادة والروح .

وفازت أغلب أفلام «زانوسى» بجوائز عالمية .. ومن داخل بولندا نفسها .. وانطلق اسمه شامخاً كأحد أعلام السينما البولندية المعاصرة ..

● «فايدا» .. وفيلمه الأخير

يأتى اسم المخرج «اندريه فايدا» كقطعة الماس الأصلية المتوهجة التى تتلألأ فى السينما البولندية .. مفكراً .. ومبتكراً .. وأستاذاً لأجيال متلاحقة من السينمائيين الشبان .. حتى استحق أن يكون رئيساً لاتحاد السينمائيين فى بولندا .

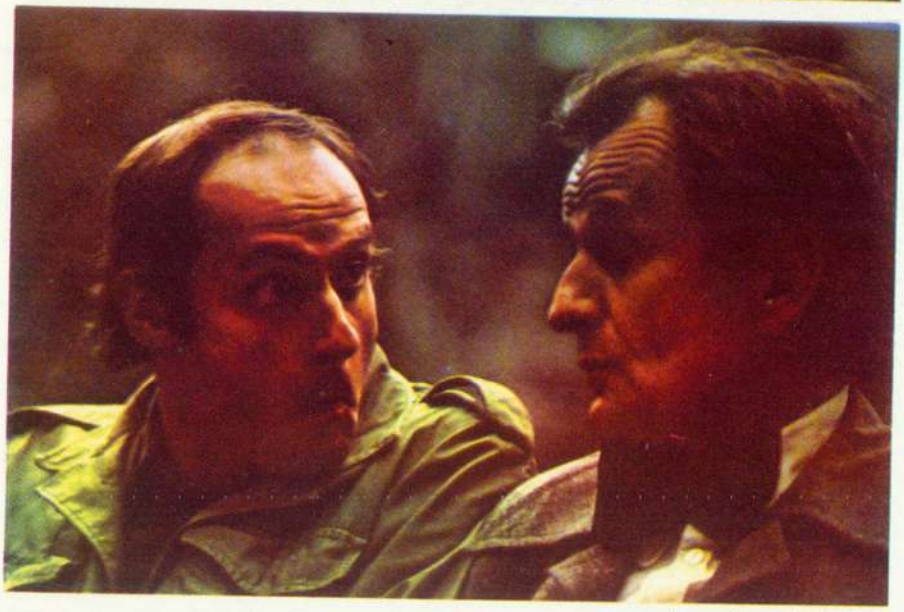
ومن المثير أن نتأمل آخر فيلم أخرجه «فايدا» وكان بعنوان «بدون تخدير» وقد عرض عام ٧٩ .. ففى هذا الفيلم قرر المخرج «فايدا» أن يعدل من أسلوبه السينمائى ، وأن يقدم فيلماً بسيطاً ، بأقل قدر من الرموز والايحاءات ، ولكن فى نفس الوقت فيلماً جريئاً وشجاعاً يناقش فيه قضية فقدان الثقة بين الأجيال .. والتى تصل الى حد المعركة السافرة والتى تستخدم فيها كل وسائل التشهير والكذب والخداع !

حيث نجد هذا الصحفى المتخصص فى فرع السياسة الدولية ، والأستاذ الجامعى الذى يلتف حوله الطلبة فى شوق واحترام .. فى مأزق مفاجىء بعد رحلة عمل فى الخارج .. انه يعود ليجد زوجته التى قضى معها ١٥ عاماً من الحياة المشتركة ، تفاجئه بقرارها بالانفصال عنه .. ويكتشف الزوج المذهول أن زوجته اختارت لها عشيقاً شاباً من بين زملائه فى الجريدة .. ويكتشف أيضاً أنه أصبح غير مرغوب فيه للعمل .. لآراء سياسية كان قد أعلنها .. وعلى هذا سحبوا منه كل امتيازاته ابتداء من المكتب الذى يجلس عليه .. الى مجموعة الجرائد التى كانت تصله .. وهكذا يواجه هذا الصحفى بجو مريب وفاسد فى عمله ، وكذلك فى حياته الشخصية .. ولا يدرك سر هذه العاصفة المسمومة التى أحكمت عليه كل منفذ .. ولكنه مازال يأمل أن يعيد زوجته اليه ، فهو لا يتصور كيف تتركه فى هذه الظروف .. ويحاول اللقاء بها .. ولكنها تسرع الى المحكمة وتستجلب شهود الزور .. وليواجه هو بكمية هائلة من التهم الكاذبة .. يمزقونه بكلمات قاسية ، كاذبة ، وشديدة البشاعة .. وبصفاقة لا حدود لها .. ويلوذ هو بالصمت .. وكأنما بشاعة ما يراه وما يسمعه قد أصابته بالذهول ..

ويبرع المخرج «فايدا» فى تصعيد المأساة اللاأخلاقية ، ليقدم فى مشهد سينمائى فريد .. حادث موت ذلك الصحفى .. إننا لا نعرف كيف حدث الموت .. ولكننا نرى زحاماً .. وسيارة اسعاف .. والبيت الذى كان يسكنه .. وزوجته تجرى ملهوفة وكأنما أدركت بشاعة ما تمادت فيه .. ثم بعض المارة يعلقون أن انفجار غاز قد حدث فى بيت ذلك الصحفى !

هل كان قضاء وقدراً .. أم أنه حالة





هل تنبأت السينما البولندية بما حدث ؟

انتحار ؟! .. لا اجابة محددة .. ولكن النتيجة نهاية انسان ! .

انها حالة انتزاع من الحياة .. بكل آلام الانتزاع .. وبدون تخدير !!

وهكذا ربط المخرج «فايدا» بين فساد العلاقة الزوجية ، وفساد العلاقة بالمجتمع ككل .. حيث جاء الانفصال منهما معاً ! .

وقد لقى هذا الفيلم نجاحاً هائلا ومدوياً فى بولندا .. وأثار ردود فعل عنيفة .. وأمام زحف الجماهير البولندية على دور العرض التى تعرض هذا الفيلم .. قال المخرج «فايدا» تعليقاً على هذه الظاهرة «إننى ولأول مرة منذ ثلاثة وعشرين عاماً (هى عمرى فى حقل الاخراج السينمائى) أتجه الى مثل هذه النوعية من الموضوعات .. وأعترف أننى اكتشفت مدى أهميتها ومدى اقترابها من المتفرجين .. ربما لأنهم يعانون من نفس المشكلة فى حياتهم الخاصة أو فى عملهم .. ويريدون أن يشاهدوا أنفسهم على الشاشة !!» .

● نهاية التستر

وهذه الكلمات للمخرج «فايدا» توحى بتلك الفترة من عمر السينما البولندية ، حينما كانت تلجأ الى المواضيع التاريخية والأحداث القديمة ، تلافياً للصدام مع السلطة ، وهرباً من مشاكل الرقابة .. اذا ما تعرضت الأفلام لمشاكل وقضايا معاصرة ..

ولكن مرحلة المواربة انتهت ، وأصبح الموضوع حياً ، والنقد شجاعاً وجريئاً ..

وربما كان المخرج «فايدا» من أكثر المخرجين الذين تحملوا مضايقات الرقابة فى بولندا .. وهو أيضاً من أكثر المخرجين شجاعة ووعياً واصراراً على التمسك بموقعه فى السينما البولندية .. رغم كل الاغراءات الخرافية التى قدمت له للهجرة الى أمريكا ..

ولم يفعل مثل ما فعل المخرج البولندى الأصل «رومان بولانسكى» الذى هاجر الى أمريكا .. ثم اتهم فى قضية أخلاقية .. واضطر بعدها الى الهجرة الى فرنسا وحمل الجنسية الفرنسية .. ومازال حتى الآن رغم نجاحه الفنى والتجارى لفيلمه الأخير «تيس» فى موقف لا يحسد عليه .

لقطة من فيلم «ممثلون ريفيون»

● جيل جديد

وتشهد السينما البولندية الآن .. حركة شابة .. قوامها عدد كبير من المخرجين الشبان .. رجال ونساء .. يواصلون العمل بايمان خاص كى يعيدوا الثقة الى سينما أوربا الشرقية .. وأن يكون لهم دور فى حركة الاصلاح داخل بولندا ..

من هؤلاء المخرجين : كريستوف كيسلوفسكى الذى أخرج فيلم «الهاوى» والكاتبة والمخرجة اجينسكا هولندا التى أخرجت فيلم «ممثلون ريفيون» والمخرج جانوز كيبوفسكى الذى أخرج فيلم «كونج فو» .

ومن الجميل أن يقف جيل «فايدا» وجيل «زانوسى» فى خدمة هؤلاء المخرجين الشبان الذين لا تتجاوز أعمارهم حدود الثلاثين .. ولكنهم ممتلئون بالموهبة والحماس والنظرة الاجتماعية المخلصة ..

● وفى النهاية ..

ربما كانت كل هذه السطور عن السينما البولندية .. مثالا واقعياً لما يجب أن تكون عليه السينما التى تحاول قياس نبض الجماهير .. وتقديم ما يساعدهم على التامل والتفكير الهادئ ،

وإذا قيل – فى يوم من الأيام – ان السينما البولندية ساهمت بشكل أو باخر فى حركة اصلاح المجتمع .. فان هذا سيكون تأكيداً جديداً للمعنى الحقيقى للسينما ودورها الانسانى العظيم .. وهو المعنى الذى يضيع كثيراً فى طوفان أصحاب المصالح الخاصة من تجار الفن .. فى كل زمان .. ومكان ! .

رءوف توفيق



لماذا اختفى؟

الفيلم الإسلامي

عبدالله السعدي

قال المخرج العالمي « بازولينى » يجب أن يعرف العالم كله أن الفيلم الديني أصبح من أهم ضروريات العصر ، فهو أخطر الوسائل الفكرية والاعلامية والثقافية والتربوية ، فالجماهير الآن أصبحت ظامئة ومتعطشة الى معرفة الحقائق الروحية النابعة من ظروف العصر ، لذلك لابد أن يرتبط الفيلم الديني بالناس لكي يوضح لهم هذه الحقائق الهامة وسط طوفان الأيدولوجيات المتعددة .





مجموعة لقطات من الأفلام الاسلامية . الى أعلى لقطة من فيلم الرسالة ، والى اليسار لقطة من فيلم القادسية .. هل يمكن أن يصبح لدى السينما العربية أكثر من مائة فيلم اسلامي فى خلال عشر سنوات .



الفيلم الاسلامي

ولكن وللأسف الشديد ، السينما العربية أصبحت بلا استثناء غارقة فى الأفلام العاطفية التى تبعد الانسان عن الواقع العربي الاسلامى ، وإذا خرجت هذه الأفلام من الاطار العاطفي ، فهى ترتمي فى أحضان رموز غريبة ، بحجة تقليد وملاحقة فنون السينما الغربية ، التى تجعلها بعيدة تماماً عن قيم وحياة الانسان المتطلع الى حياة أفضل ..

والغريب فى الأمر ، أن أغلب الدول العربية والاسلامية ومنذ عشرة أعوام لم تقم باخراج فيلم عربي اسلامي واحد باستثناء فيلمي الرسالة للمخرج « مصطفى العقاد » وفيلم القادسية ، اخراج المخرج « صلاح أبو سيف » ، وهذا ليس بالمعقول ، فنحن في أشد الحاجة الى أفلام تستجيب الى رغبات الجمهور وتوضح لهم تراثنا وتاريخنا وفكرنا العربي الاسلامي ، لكي نستخلص القيم النبيلة التى تخلق المواطن القادر على مواجهة كل الظروف الصعبة التى يعيشها عالمنا الحاضر !

وهنا أتساءل : أين الفيلم الديني الذى يشرح للشباب والشيوخ والأطفال والمرأة المسلمة تقاليد وعادات وأفكار وبطولات الانسان العربي ؟!

وفي كل مرة خلال شهر رمضان المبارك أو أية مناسبة دينية ، أجد نفس الأفلام تتردد دون تقديم أى جديد : صلاح الدين الأيوبي ، ظهور الاسلام ، وا أسلاماه ، خالد بن الوليد ، الشيماء ، بلال مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فجر الاسلام ، السيد البدوى ، هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الله أكبر ....

ورغم أن هذه الأفلام بعضها توفرت له كل السبل الفنية ، إلا أن بعضها الآخر يعتبر فنياً غير صالح لمخاطبة الجماهير ومحشو باخطاء فنية عديدة وأخطاء تاريخية تشوه كل ما عرفناه من حقائق عن العروبة والاسلام ..

وأرجو أن لا يوحي للمتفرجين أن الحرب والقتال عمود فقرى للفيلم الاسلامي ، فنحن نستطيع فى مثل هذا الفيلم أن نقدم حياة صحابي جليل ، له باع كبير في الفقه والحديث ويتنقل من بلد الى آخر لطلب العلم والفقه ..

ويمكن أن نرى من خلال الفيلم بعض التعاليم الاسلامية ولكن بصورة غير مباشرة ، وخير مثل فى ذلك ما حدث فى الحقبة الأولى من التاريخ الاسلامي حين اختلف الحسن والحسين ابنا علي ابن أبى طالب «رضى الله عنهم » على كيفية الوضوء « لأنهما رأيا رجلا مسناً يتوضأ خطأ » ويتوضآن أمام الرجل الذى ظل يراقبهما كيف يتوضآن ، ويقول لهما أحسنتما .. الخ ولأن



النصيحة عندما تكون غير مباشرة تكون أبلغ فى النفس وأعمق أثراً .

وبامكاننا أيضاً أن نتناول ترجمة حياة أحد الخلفاء الأمويين أو العباسيين ونتحدث عن سيرة حياته وما حدث من وقائع أثناء حكمه .. وكذلك نستطيع أن نقدم فلاسفة الاسلام والعلماء العرب لتدرك الدنيا كلها الأيادى البيضاء للعرب فى مجال العلوم وقت أن كانت الجهالة تسيطر على عقل وفكر الانسان الأوربي !

الموضوعات كثيرة ، والتعاليم عديدة والمهم ايجاد الدولة المنتجة للأفلام الاسلامية أو المنتج الذى ينتج الأفلام التى تجمع بين الموضوعات والتعاليم ، والقلب والقالب ، بحيث تقدم فى النهاية شيئاً جيداً يناسب روح العقيدة السمحة ولا يخرج عن أهدافها وما تقدمه للبشرية كلها من قيم مبادىء

فرغم أن الأفلام الدينية التى انتجتها السينما العربية تكاد تعد على أصابع اليد ، إلا انها كثيراً ما أحدثت هزات عنيفة في قلب وعقل المسلم المؤمن الخالص لوجه اللـــه ، وقد حكى لي أحد الأصدقاء من الدبلوماسيين القطريين وكان فى زيارة للفيلبين وأندونيسيا أنه حضر عرضاً سينمائياً لفيلم «وإسلاماه» وسط الف متفرج تقريباً من المسلمين ، وقال لي أنه فى كل المشاهد التى كان يحقق فيها المسلمون الانتصارات اثناء عرض الفيلم ، كان يسمـــع هدير المتفرجيـــن وهتافـاتهم الصادرة من القلب .. وقال لي أنه بكى من روعة ما رأى أثناء عرض الفيلم ، وعندما انتهى العرض خرج المتفرجون الى الشوارع فى جماعات وهم يرددون الله أكــبر فى صوت مؤثر وعميق !

وصديق آخر من السفارة القطرية فى السودان انتقل وتجول في معظم القارة الأفريقية ولاحظ ندرة وقلة الفيلم الاسلامي فى دول غرب افريقيا وشرقها ، وسط مئات بل آلاف البعثات التبشيرية التى لديها أحدث أجهزة العصر ، ابتداء من الطائرات الخاصة الى الكتب والمطابع ، والهدايا ، والأفلام ، والأموال والقدرة على ارسال المئات للتعليم فى جامعاتهم فى أوربا وغيرها .

إننى بعد انتهاء كل مؤتمر اسلامي عالمي أتوقع دائماً أن يصدر ضمن توصياته وقراراته توصية بانتاج ملحمة اسلامية خالدة فى السينما ، ولكن للأسف لا أجد ضمن هذه التوصيات ولو اشارة واحدة الى أهمية هذا العمل الاعلامي الكبير ..

إن مسؤولية الأفلام الاسلامية تقع بالدرجة الأولى على الحكومات العربية والاسلامية وليس على الأفراد ، لأن نوعية هذه الأفلام تحتاج الى ملايين من الريالات والدولارات ، وتحتاج الى جهد فى المتابعة والتنفيذ والرؤى وتحتاج أيضاً الى أناس علي درجة من الكفاءة الفنية العالية .

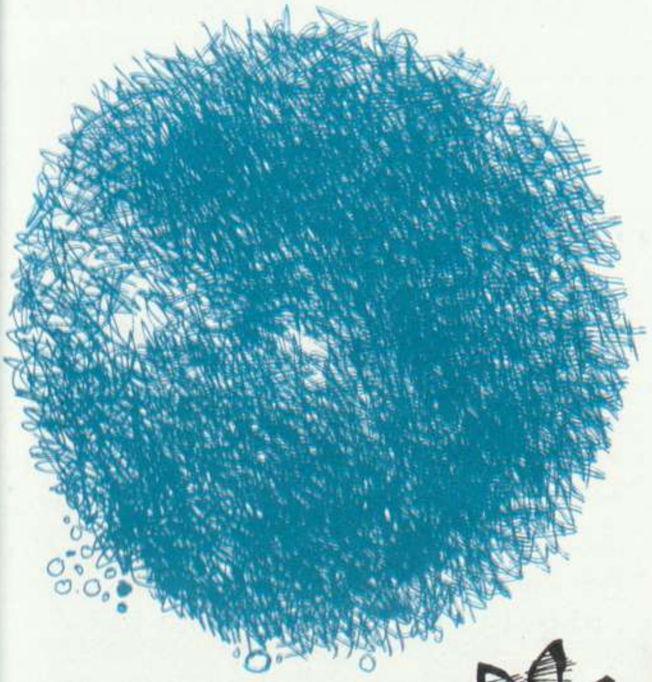
ويكفى القول أن هناك عشرات من الأفلام تعرض في القارة الأوربية وبعض بلدان أمريكا ، أو تعرض فى مناطق أخرى محاطة بالأسوار العالية ، لتمجيد الأديان الأخرى على حساب الدين الاسلامى العظيم ، الذى يملك الامكانـات الهائلة الكفيلة بانتـاج أضخم وأعرق وأرقى الأفلام العالمية .

وفي النهاية أتمنى أن يكون فيلم (القادسية) الذى أخرجه المخرج صلاح أبو سيف ، وانتجته الجمهورية العراقية ، هو بداية لمساهمة الدولة فى هذا المجال الحيوى الهام ، فلو قامت كل دولة عربية واسلامية بانتاج فيلم واحد كل عام أو على الأقل كل عامين لأصبح رصيد السينما العربية والاسلامية فى عشر سنوات أكثر من مائة فيلم اسلامي

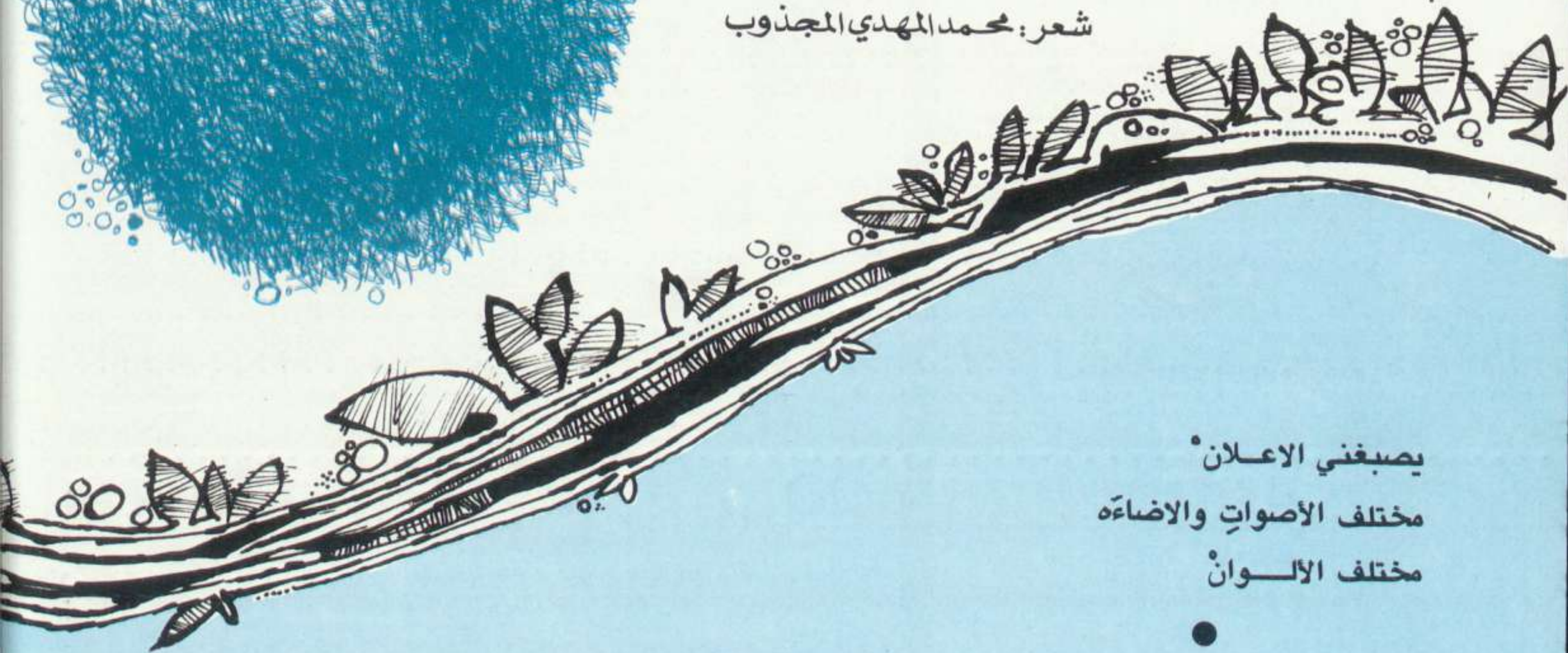
ولما أصبح هناك مبرر للسؤال القائل : أين الفيلم الاسلامي ، ولماذا اختفى من الحياة الفنيـــة ؟

عبد اللـــه السعدى

الأشباح الملونات



شعر: محمد المهدي المجذوب



يصبغني الاعـلان°

مختلف الأصواتِ والاضاءَه

مختلف الألـــوانْ

●

وجهي مرآة معلقــه

ليس لها رأي تقوله تحدثت مصدقه

من يا ترى قلَّبَ سطحَها تجُولُ فى أبعادِه المدينةُ المؤنَّقَه

فراغهـا المشع والفتـون

تنكفيء السماء فوقها ناثرة نجومها المؤرَّقـه

ضوَّأها الليلُ سَجَا ولم يضيء نفوسىَ المفرَّقـه

أَسَألُ طيفى من أنـا ؟

تذكـر تلك الرؤيـة القصيـَّـه ؟

صاحـوا غــلام صالح زكــيْ

ميـلادُهُ فى مولـد النبـىْ

يعيشُ عَيْشَ المؤمنِ الرَّضيْ

وبَشَّروا الخلْوَةَ بالمهدىْ

وكتبوا ميلادَهُ مؤرَّخاً فى المصحفِ الوضيْ

ورجع الطيف الى زمانه الخفـي

ولدت أم تدفقت نفسىَ بين يدىْ قابلتى

خطاى فى خُطَى غيرى

تحملُنى الى مراقِصِ الشموعِ أَزْهَرَتْ مصنوعةَ الينوعْ

أسألها عن الربيعْ

تُسْكِتُ أدمعى تنظمها قلادةً من زيفها البديعْ

تختصمُ الحروفُ والقراءه

فى ذاتــى المعـدَّده

وانهارت السطور عُمُداً مُمَدَّدَه

من الهياكلِ المشَيَّده

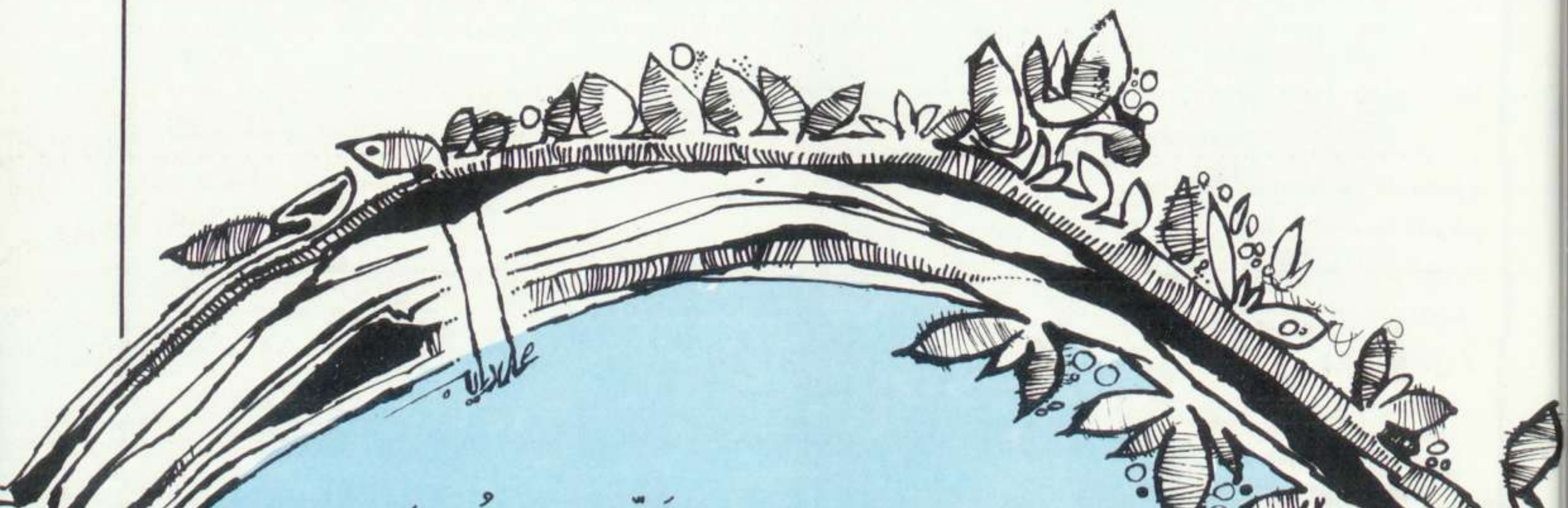
●

ما أصدقَ الكوفىَّ صَاحَ فى عذابه الأشَمْ

أُفْسِدَت الأقوالُ حتى أُحْمِدَ الصَّمَمْ

العيدُ لا جديد فيه

بين الذى كان وما أريد أن أكون



مسافةٌ ضوئيــهْ
تَبلَّجَتْ فى موتها القاصى
يُقبِلُ من اداهرٍ على اداهرٍ مقبلةٍ من غَيْبِها الكَنينْ
لا تَلُم المجنونَ قد رأى
فى حانةِ الجنونِ ما رأى
يجتاز أمسَه وغدَه الى حقيقةٍ سخيّةٍ مجردَه
لِمُنيَ وحدى ما رأيت سارياً مفرّقاً بين حواجب المدينةِ الممرَّدَه ..
تغمز للأشباح فى ظلالهــا المشرَّدَه
وغابةُ الضوء توتَّرت حيَّاتُها المسدَّدَه

●

الضوءُ وشمٌ ينسخ العُقُولَ صار عاده
وامَّحت الإرادَه
فى قَمَرَ الاعْــلاَنْ
الناسِ أذن واحدةٌ على محيًّا قبلةٍ صمَّاءْ

تَنِقّ فيها النشرةُ المعادَه
لكل نفسٍ وحدها عباده
تنتظر الاقبالَ والسعاده
جُنَّت بها وانتظرت دواءها المجهولَ فى العياده
تسمع وعداً دار حول محورٍ لا شىء حوله يدورْ
غير طيورِ الأعين السجينه

●

هــذى حيــاة النــاس
غُثَاؤُها ينتظر الكنَّاس

●

من يا ترى يُخرجنى من مسرح المرآة
والوشائج العابرة المردده
من صور العدوان فى المصالحــه
والكَذِبِ المفترسِ العريان
ويسدل الستارْ
يُعيدنى الى حقيقتى الموحَّده
القى نفوس الناس حرةً فى بلدى
يا بلـدى يا بلـدى !
أمـا رأيتِ كمــدى ؟

هكذا تكلم أمين الريحاني

تحرر

● إن الذين يتاجرون بحريتهم كما لو كانت ثوباً من الخام .. إن هم إلا قبور متحركة .

● حريتي من الله . فاذا فقدتها فانني المسئول عنها .

● تتأوه الروح فى قيود السلطة .. كما تتأوه فى قيود العبودية .

● علينا ألا نكون عبيداً لمن فوقنا . ولا نستعبد من هم دوننا .



أدب وعلم

● إذا كنت كاتباً .. لا تحرك قلمك لتعزيز الباطل على الحق .

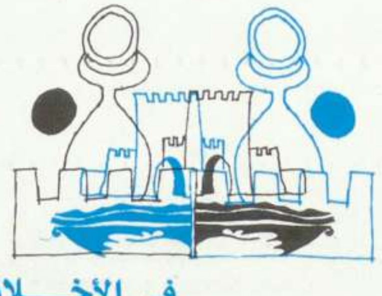
● الجمود فى اللغة كالجمود فى الشرايين .. يورث الشلل .

● خير الكتب : كتاب لا يتركنى بعد مطالعته فى الحال التى ألفتها . كتاب يحرك في عاطفة شريفة أو فكرا سامياً . يزحزحني من مكاني أو يدفعنى لأزحزح من هم حولي . كتاب يوقظنى من سباتي العميق .

● المستقبل للعلم الذى فيه خير الناس أجمعين .

● من كتب المستقبل لا يجازى فى الحاضر . ومن كتب للحاضر نسيه المستقبل .

● موت الجاهل هو المحطة الأخيرة فى رحلة الحياة ، وموت العالم هو المحطة الأولى فى رحلة الفكر .



فى الأخلاق

● إن الذين يضحون من مالهم ويومهم ووجاهتهم فى سبيل الناس .. هم صفوة الناس .

● الانتصار للحق أجمل مظاهر الورع والتقوى .

● أود أن أحيا دون أن أبغض أحداً وأحب دون أن أغار من أحد . وأرتفع دون أن أترفع على احد . وأتقدم دون أن أدوس من هم دوني ، أو أحسد من هم فوقي .

● حاولت مرة أن أكره رجلا يحبه قلبي ، فركبت اليه مركب الغش والخداع . وكنت أظنني أبغضه وظللت كذلك إلى أن ثارت علي نفسي فانبتني وطلبت الي أن أكفر عن ذنبي . ولما جئته مستغفراً وجدته جثة باردة .

● الحكيم هو من يترفع عن الضغائن والأحقاد .

● من الناس من لا يرى غير الطيب فى أعمال الغير .. فهذا كريم فأكرموه . ومنهم من لا يرى غير الخبث .. فهذا زنيم فانبذوه .
ومنهم من يرى الطيب والخبيث معاً .. وهذا حكيم فاتبعوه .

● النفوس أتربة ، منها البيضاء .. ومنها السوداء . ومنها ما لا لون له وهذه أخبثها .

الحق والحقيقة

● أن نعرف الله .. أن نتأمله ونستشعر به فى سلوكنا الانساني : هي الحقيقة الكبرى فى كل الأديان .

● الحقيقة قد تتجلى للأمي .. كما تتجلى للعالم .

● الحقيقة متعددة موزعة مبعثرة نثرها الله فى العالم فاثمر منها حتى فى قلب نيرون ، وفى صدر أبي لهب .

● ليس الجمال فى الحقيقة دائماً .

● من كان خصماً للحق فالحق لا يغتفر له .



فى التفاؤل

● محنة مضحكة خير من نعمة تبكيك .

● مد يدك الى السماء .. تدن من نجومها .

● النبت الذى تلويه الرياح أشد عوداً من نبت ينمو فى بيوت من زجاج .

● إن فى المصائب ينبوعاً للقوة ومصدراً للوحي . ولولا ذلك لما كان المصلحون والأنبياء .

● وراء كل معركة ميدان لمعركة ثانية

● يقول المتشائمون : إن النفس أمارة بالسوء .
ومن الحق أن نقول : وبالخير كذلك .

الفاتح إبراهيم أحمد





معاوية وبليك

العبقري والشهرة

.. هل الشهرة ضرورية للعبقرى ؟
يجيب الشاعر الانجليزى وليم بليك على هذا السؤال قائلا :

« إن الشهرة ليست ضرورية لصاحب العبقرية لأن الانسان يعيش وحيداً ويموت وحيداً فلا ينبغى أن ينسى وحدته الأساسية ويعيش فى وهم علاقاته الاجتماعية » ..

واجابة بليك تنبع من سيرته الذاتية وحياته الشخصية وتعكس الظروف التى واجهها فى موطنه .. فبالرغم من أن بليك من أكبر شعراء الانجليز ، فانه عاش مغموراً ولم يعترف له بالنبوغ حتى من بعض أصدقائه .. بل اعتبره البعض مجنوناً ، ولم يكترث بليك وواصل انتاجه الشعرى وقال فى إحدى قصائده إنه يمتلك كل ما يحتاج اليه فى حياته .. عدد بليك مايملكه وهو الغبطة العقلية والصحة العقلية وأصدقاء العقل وزوجة تحبه ويحبها ..

قال إنه بذلك يملك كل ما يريد فى الحياة بالرغم من انه لا يملك شيئاً من ثروات الجسد .

ولا ينبغى أن يؤخذ ما حدث لوليم بليك برمته حتى يطبق على غيره من الأدباء لأن بليك كان محظوظاً بوقوف زوجته الى جانبه تلك الفتاة التى عرفت برزانتها ونبلها غمرته بحنانها ولم تكف عن تشجيعه والاعتراف له بالنبوغ ، فقد كان دورها رائعاً بحق فى حفظ التوازن النفسى لهذا الشاعر الذى صار من أكبر شعراء الانجليز . فالعبقرى يحتاج الى من يقف بجانبه ، يدعمه ويشجعه ، وإلا فان التجاهل وعدم الاعتراف له بالنبوغ يصيبه بالعقم والانزواء والجنون وهذا بعض ما حدث للأديب السوداني معاوية محمد نور الذى عاش مغموراً ومات مغموراً ، ومايزال حتى الآن مجهولا من القراء ، بالرغم من كتاباته المتنوعة الجريئة فى الصحف المصرية فى الثلاثينات ..

والكتابة عن هذا الأديب العبقرى تعيقها ندرة المعلومات عن سيرة حياته الغامضة .. ..

تخرج معاوية نور من كلية غردون بالخرطوم ثم ذهب الى مصر ليكمل تعليمه فلم يستطع، غير أنه أكمله فى جامعة بيروت الأمريكية عن طريق بعثة دراسية على نفقة الأمير عمر طوسون .. وبعد فترة قضاها فى مصر رجع الى السودان وأثر فى نفسه ما لقيه من ظروف صعبة بسبب مواقفه الوطنية إبان الاستعمار الانجليزى ..

معاوية وبليك

العبقري والشهرة



معاوية محمد نور



سلامة موسى

كان على الطريق الصحيح لإرساء نهضة أدبية متكاملة

لاحت العبقرية فى شخصية معاوية فى وقت مبكر جداً من عمره ، وخلال الفترة التى قضاها فى مصر .. بعد عودته من بيروت اتصل بالأوساط الأدبية فى مصر وغمر الصحف المصرية بكتاباته فى السياسة الأسبوعية (١٩٢٧ـ١٩٣٣) . وفى المقتطف والبلاغ وفى جريدة الجهاد (١٩٣٤ـ١٩٣٧) .. كما عمل محرراً فى جريدة « الاجيبشيان غازيت » التى تصدر باللغة الانجليزية . وتناول معاوية فى كتاباته نقد الشعر ، والقصة والنثر .

وكانت لمعاوية صلة صداقة قوية بالعقاد الذى رثاه بقصيدة نشرت فيما بعد فى ديوان العقاد « أعاصير مغـرب » ، وقد ارسلها لتلقى فى تأبينه بالخرطوم ، يقول فيها :

اجل هذه ذكـرى الشهيد معاويه
فيالك مـن ذكـرى على النفس باقيه
بكائى عليـه من فـؤاد مفجـع
ومن مقلة ما شوهدت قـط باكيـه
تبينـت فيـه الخلد يـوم رأيتـه
وما بان لـي أن المنيـة آتيـه
وما بان لي أنى اطالـع سيـرة
خواتيمها مـن بدئها جـد دانيـه

نهضة أدبية

وإذا تتبعنا نماذج من مقالات معاوية النقدية نجد انه تلمس الطريق الصحيح لارساء نهضة ادبية متكاملة فى تلك الأيام الباكرة من تاريخنا الأدبى الحديث وذلك بالرغم من قصر حياته والاضطراب الذى عاش فيه .. يقول فى إحدى مقالاته عام ١٩٢٩م :

ليس الأدب هو الشعر فحسب.. إنه فرع من فروع الأدب

« ليس الادب هو الشعر فحسب ، وما اظن كائناً من كان يقول بذلك .. وإنما الشعر فرع من فروع الأدب ، فهناك الرواية ، وهناك القصة القصيرة ، والدراما .. وهناك البحوث الفكرية والأدبية ذات الصبغة الاجتماعية والفلسفية التقدمية » ..

.. وقد وجه معاوية ثورة عنيفة على مسالة حصر الأدب فى نطاق ضيق من الانتاج الأدبي وعول على ضرورة التنويع وولوج كل جوانب الانتاج الأدبي كالرواية والقصة والمسرح ..

ونعى معاوية فى مقالاته على زعماء النهضة فى ذلك الوقت حصر انتاجهم فى المقالات الأدبية فقط . يقول :

« ويحزننى أن أقول أن زعماء نهضتنا الى الآن لم يحاولوا الرواية ولم ينتجوا فيها شيئاً يذكر . ويتلخص عمل كتابنا الناثرين فى عدة مقالات نقدية وصفية تنشر بالصحف السيارة ثم تجمع فى كتاب وتقدم للجمهور . واعجب من هذا • إذا اردت أن تعرف شيئاً عن فلسفتهم الأدبية أو الفكرية الأساسية كما هو الحال عند كبار الكتاب !!

ومن ليس له فكرة أساسية يصدر عنها قمين به الا يعد من زعماء النهضة

ويمضى معاوية نور يوضح مفاهيمه حول أسس النهضة المطلوبة :

« نحن نطلب منهم مقاييس ادبية مبتكرة ونظرة خاصة للحياة والآداب . والآن انظر معي الى مؤلفات الأستاذ «سلامة موسى» والدكتور « هيكل » والدكتور « طـه حسين » واحزابهـم . فهل ترى فى جميع كتاباتهم شيئاً مثل هذه الفكرة الأساسية.؟ ف « أوقات الفراغ » للأستاذ هيكل ما هو إلا مجموعة مقالات وليس فيه اى فكرة أساسية ..

ويتساءل معاوية فى مقاله : ماالذى عمله الدكتور طـه حسين الى الآن ؟ أعترف بأنه حينما يحلل القصص الفرنسية وينقدها يلذ للقارىء كثيراً ، أو يدل على قوة نقدية رائعة ، ولكن هل هذا كل ما نطلبه من زعيم نهضة ؟ وقد يقول قائل ان الدكتور طه حسين مؤرخ آداب وناقد وليس بأديب فمالك تطلب منه ذلك ؟ فاقول : أين هى مقاييسه المبتكرة فى نقد الآداب وكتابة تاريخها ؟ فاننا نعلم إن كبار مؤرخي الأدب لهم فلسفة خاصة بهم أمثال « تين » و



محمد حسين هيكل



د. طـه حسين



عباس محمود العقاد

«سانت بيف» و « هالام » ، فاين الدكتور طه من هؤلاء ، واين هى تاليفه . ؟ « حديث الأربعاء » وما هو إلا حديث عن الشعراء ليس فيه فكرة أساسية ..

« الشعر الجاهلي » نعم فيه فكرة أساسية ولكنها منقولة من المستشرقين امثال « نواكره » الألماني و « نيكسون الانجليزى . « فلسفة ابن خلدون » هو الآخر ليس فيه فكرة أساسية وانما تحليل فقط وتطبيق لنظرية « تين » فى دراسة الرجال فهل مثل هذا الاحتكار لآراء علماء الغرب يجدر بزعماء النهضة . ؟

وكتاب سلامة موسى « حرية الفكر وأبطالها فى التاريخ » الذى كتب عنه بعض النقاد فاسماه كتاب السنة وما إلى ذلك من مثل هذا الهراء المحصن ، مأخوذ من كتاب تحرير الانسانية للأستاذ « فان لون » وتاريخ الحركة الفكرية لمؤلفه « ج . ب . برى » فاى فضل له سوى فضل الترجمة والنشر ؟!

هذا نموذج من مقالات معاوية النقدية التى أوردها هنا للدلالة على ثقافته الواسعة وثقته فى نفسه المتطلعة لمكان لها فى الأوساط الأدبية فى ذلك الزمان ويظهر ذلك جلياً فى تصديه لقضايا أساسية فى الأدب ونقده حتى لكبار الكتاب والأدباء والشعراء .

ذكي جداً .. لا يصلح

وقد كتب معاوية أيضاً سلسلة مقالات فى أوائل الثلاثينات فى مجلة «الرسالة» بعنوان « اصدقائى الشعراء هذا لا يؤدى » نقد فيها ابراهيم ناجي ، وعلى محمود طه المهندس .. كما نقد ابو شادى فى ديوان « الشفق الباكي » فى « السياسة الأسبوعية » عام ١٩٣٠ قال فيه :

« لايمكننا أن نعرض له فى شىء من الجد إلا حينما يكون للشاعر شعر وموضوعات شعرية » ..

وقد حفلت مقالات معاوية بمختلف المواضيع ، إذ كتب فى الاجتماع ، والسياسة كما كتب فى الثقافة العامة ، وكتب سلسلة مقالات كانت عبارة عن خواطر يومية ، وكتب مجموعة من الأقاصيص المليئة بالصور السودانية ..

وقد لاقى معاوية من الصعاب وضنك العيش من خلال حياته القصيرة بسبب موقفه الوطنى ونبوغه الذى ضاقت به البيئة السودانية فى ذلك الوقت .

يقول الاستاذ مختار عجوبة فى كتابه « القصة القصيرة فى السودان » : ومعاوية الذى طارده الانجليز وحرموه الاستقرار فى السودان وخذله ابناء وطنه ولم يتيحوا له فرصة النمو فى داخل بلاده ، بل إنهم كانوا يتجاهلون أدبه وصدقه . لقد كانوا دونه طرا فحسدوه فعاش غريباً كطائر يغرد يحمل وطنه بين جناحيه ومع نبضات قلبه باحثاً « عن سودانه » .. وما ذنب معاوية إذا كان ذكياً حتى يكتب عنه احد الحكام الانجليز بانه « ذكي جدا لا يصلح » ..

وقد كان معاوية فى ذلك الوقت يكتب مقالات مسلسلة بعنوان « سوداني يبحث عن سودانه » . كما كتب فى السياسة الأسبوعية مقالا تحت عنوان « احاسيس الحياة فى الخرطوم .. خواطر وذكريات محزونة » . وتعكس هذه المقالات مدى ارتباطه الوجداني بالوطن وهو مازال طالباً فى جامعة بيروت فى ذلك الوقت .

لقد تركت الظروف الصعبة المريرة التى واجهها آثارها على صحته النفسية والجسدية خاصة بعد موت أبيه فقد واجه اليتم والفقر وأسلم الروح وهو فى ريعان شبابه فى حوالي الثلاثين من عمره . مات معاوية قبل أن يكمل مشوار العبقرية الذى بداه بكل هذا التوهج والجراة .

وهكذا قضى ذلك الأديب . حاربه الاستعمار وصرعه الفقر واليتم والمرض ، ولم يجد ما وجده « بليك » شاعر الانجليز لينقذه من الجنون ويعيد إليه التوازن النفسي .

الفاتح ابراهيم احمـد

رامي

كان شاعر الشباب في التسعين

بقلم : محمد فتحي

القيمة الكبرى لاحمد رامي هي انه بلا مبالغة ، صاحب الحق الأول فى رفع الاغنية العربية من وهدة ازقة « العوالم » إلى اسمى مكان فى العقول والأذهان .

ولقد كان رامي « الشاعر » عزوفا عن مجال الجدل . احتدم النقاش واستشرى فى دنيا الشعر بين القدامى والمحدثين . لكنه بالرغم من إيمانه بالتجديد ظل صاحباً من اصحاب شوقي وحافظ والمدرسة الكلاسيكية التى نشا في احضانها .

لم يكن عبثاً أن أسموه شاعر الشباب منذ أن عرفه مجتمع الأدب والشعر فى مطلع العشرينات ، عندما نشر أولى قصائده التى غنتها له أم كلثوم :

الصـب تفضحـه عيونـه
وتنم عـن وجـد شجونه

حتى آخر نبضة غنائية فى حياته غنتها له أيضاً أم كلثوم ، وشعره لم يعرف الوهن أو البهوت أو دبيب الشيخوخة .. بل ظل متألقاً يقطر عذوبة وسلاسة ورقة وجدان .

قالوا انه جاوز فى صياغته المدى ، وحمل قاموس الحب فوق ما يحتمل ، وحمل العاطفة ذاتها ما لا تحتمل ، وذهب بها مذاهب لا يسيغها المزاج الأصيل ..

بيد أن دوره هنا كان دور الصانع الماهر . الخبير بتقنيات فنه الجميل ، الذواقة المتفنن الذى يستقى من معين الجمال العريق .. ذلك الذى يطلق عليه الأفرنجة الفير توورزو ، ومثله لا يخدش الذوق الشعرى ، ولا يزرى بشموخ العاطفة العارمة المتفانية ، وشعر رامي الوجداني كله نابع من حب الشغف وهو أعلى درجات الحب — إذا اخذنا بنظرية ابن حزم الأندلسى فى الحب .

اساءة المقلدين

مقلدوه هم الذين اساءوا فى فترة من الفترات الى الأغنية .. الى قوامها ومضمونها وعاطفتها . ذلك أن رامي منذ اللحظة الأولى اقتاد فن الأغنية . رسم طريقها ، وشكلها وأعطاها الحياة . ورفعها من وهدتها الموروثة من عصور الاضمحلال ، عهد الجوارى والحريم الى ذروة الشعر المرموق الذى يدرج فى عداد النتاج الأدبي . سرعان ما جب عشرات المؤلفين للأغاني من زجالين وغير زجالين ، مشوا وراء الرائد ، وتملكوا قاموسه وراحوا يرددون عباراته وألفاظه فى غير حس أو نبض ، حتى انفلت العيار ، ومج الناس القاموس الغنائى كله الذى أصبح نوعاً من الاصطلاح الفني مجرداً من أية مزيـة من مزايا الشعر .

ربما كان ذلك خيراً للأغنية ومسارها. فرد الفعل الطبيعي أن الأغنية راحت تتلمس اشكالا ومضامين جديـدة ، نهجاً جديداً غير النهج الراموى . ظهر بيرم التونسى ووجدت الأغنية فى تصاويره الساخرة اللاذعة ، اجتماعية كانت أو عاطفية ،متعة شعرية بليغة . وظهر أيضاً احمد شوقي ، كان شوقي بالطبع ظاهرة ملء الأسماع والأبصار . لكن الذى أعنيه أن الأغنية راحت تنهل من غزلياته العذبة ، ودينياته ، التى تحرك أعماق المشاعر ، ووصفياته ، وتاريخياته ، ووطنياته ، وسياسياته ، كلهاتقطر بالجمال الشعرى الذى يحلق فى أعلا سماء .

ومع بيرم وشوقي راحت الأغنية عن طريق « مختارات الاذاعة » تنقب فى ديوان الشعر كله منذ الجاهلية حتى العصر الحديث . وفى هذه الفترة تغنى أهل المغنى بسبحات أحمد فتحي وعلى محمود طه و محمود حسن اسماعيل ومحمود أبو الوفا ، وإيليا أبو ماضى ، وذلك الطابور الطويل الوضاء من شعراء العربية .

أم كلثوم وصحبة العمر

كل ذلك لم يخفت صوت رامي . وكيف يخفت صوته وكوكب الشرق أم كلثوم تشدو وتملأ الدنيا بأهازيجه ووجدانياته السائغة. ؟! لقاؤه بأم كلثوم وصحبة دامت طوال العمر ، كان ضربة من ضربات الحظ السعيد ، له ولها ولدولة الغناء .

كان رامي عائداً لتوه من بعثة فى باريس يدرس فيها اللغات الشرقية وهى التى فتحت له الباب الى الشعر الفارسى ، الى الشيرازى وإلى عمر الخيام . وكان بحكم طبيعته الشاعرية قد قرأ والتهم شعر الرومانسيين الفرنسيين ، لامارتين ، ودى موسيه ودى فيني و الرومانسيين الانجليز بيرن ووردسورث وكيتس وشيلي وبليك . فعندما عاد وصدره يموج بكل هذا الزخر المتألق المتدافع ، والتقى بصاحبة العقال التى تغنى وسط بطانة معممة من الدراويش المنشدين ، فاضت نفسه أنهاراً من العذوبية والصفاء والحب



المجنح ، الذى قدر له أن يظل مدى العمر طائراً لا يحط !

ولا أخفت صوت رامي فى الغناء المدرسة الحديثة التى جاءت من بعد شوقي وحافظ وشعراء ابوللو ، وهى مدرسة الفولكلوريين ، التى يتزعمها عبد الرحمن الأبنودى وصلاح جاهين ، والذين يستقون كما استقى المعلم التونسى من الموال ومعين الحكمة والجمال الشعبى ..

بل ظل رامي مسيطراً على سوق الأغنية عن طريق أم كلثوم والاذاعة والسينما وشركات التسجيل .. الى ان وافته نائبة الاكتئاب ، قبل رحيله عن الدنيا التى احبها واحتسى لذائذها وشرب كل كئوسها حتى الثمالة .

صاحب الحق الأول

القيمة الكبرى لاحمد رامي هي انه بلا مبالغة ، وبلا تزويق ، صاحب الحق الأول فى رفع الأغنية العربية من وهدة أزقة العوالم فى شارع محمد علي الى أسمى مكان فى العقول والأذهان . حين كان الأدباء والأجداد تشنف آذانهم فى مجالس الأنس .

ارخى الستارة اللى فى ريحنــا
هات الأزازة واقعــد لاعبــنى ،
لا حبكها واشبكها بمتين دبوس
وأعض وأبوس ..

أصبحنا مع أحمد رامي نستمع الى أم كلثوم تغني ..

والموجــة تجرى ورا الموجة
عايزة تطولهــا ..

هذا المقطع بالذات ولد فى خياله وردده على شفتيه ذات مساء ونحن نتجول ، انا وهو فى صيف بعيد على شاطىء البحر عند راس البر ..

كنا نخرج معاً فى المساء يلتقط الأصداف وخياله المتحرك يلتقط الصور والمعاني ويقنصها قنصاً ..

وكان رامي نعم الأنيس ونعم الرفيق ، خفيف الظل ، رشيق الدعابة . دعابته تصويرة حلوة . وفى مجالس الصفاء مع اخوان الصفاء يرق ويرق ، كالنسيم ينثر نسماته الرطيبة فى ذوق عال وأناقة ..

قليلون يعرفون أن رامي ساهم مساهمات جليلة فى الدراما والمسرح فقد ترجم لفرقة فاطمة رشدى مسرحية النسر الصغير عن الفرنسية وترجم لشكسبير . وكتب شعراً « غرام الشعراء » وهى مشاهد درامية تسيل رقة وعذوبة عن حب ابن زيدون لولاده .

رامي .. والأغنية

وكان رامي الشاعر عزوفاً عن مجال الجدل . واحتدم النقاش واستشرى فى دنيا الشعر بين القدامى والمحدثين ودب فيه كل دباب .. إلا رامي ! فقد ظل رغم إيمانه بالتجديد صاحباً من أصحاب شوقي وحافظ والمدرسة الكلاسيكية التى نشأ فى احضانها . وصادق رجالاتها .. عبد العزيز البشرى واسماعيل صبرى والمويلحي وخليل مطران .

اجل سيظل تاريخ الغناء العربي يذكر احمد رامي كباعث النهضة فيه ، وواضع الأغنية على خريطة الفن الرفيع السائغ .

أضـــــواء
النــورعثــمان أبكــر



ونستون نتشونا وجون كانيا

« بانتظار جودو » فى ظل التفرقة العنصرية

مسرحية « بانتظار جودو » لصامويل بيكيت عمل مسرحى فذ وعامر بامكانيات تفسيره وقد عادت الى انجلترا بعد ما يقرب من عقدين بفضل تفسير جديد لها قدمه ونستون نتشونا وجون كاني من جنوب افريقيا ، حيث نقلا الخلفية التى تجرى فيها احداث المسرحية من الصحراء السيريالية المجردة التى أرادها بيكيت الى الواقع الوثيق لحقيقة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا .

إن الفكرة الأساسية فى المسرحية هى العبث وانعدام المعنى ؛ والشخصيات الرئيسية بها هى « ديدى » و « فوفو » اللذان يجلسان تحت شجرة فى طريق مهجور وكئيب بانتظار جودو الغامض الذى لا يجيء .. وينضم اليهما متشردان آخران ، « لاكى » و « بوزو » ، يقومان « بتمثيل صامت » يمثل علاقة السيد والعبد . وبهذا الشكل تعالج المسرحية مسالة العبث . ولكن ماهو الأكثر عبثاً من الحياة فى جنوب افريقيا حيث يتفوق السود على البيض عدداً ، وبصورة لا مجال فيها للمقارنة ..

ومع ذلك يقاسون من المهد الى اللحد تحت ظل التفرقة العنصرية .. ويقبرون فى مدافن محكومة بقانون التفرقة العنصرية ايضاً . فالأسود بهذا الشكل هو الوجودى الحقيقى لأنه هو وحده الذى فرض عليه أن يخلق المعنى فى عالم يحاول فى تامر ابيض متصل ان يجعله يرضى بعدم وجوده ، ويلغى وجوده بقوة القانون والنار إن هو رفض مطاوعته فى تقبل عدم وجوده .

وقد استقبلت المسرحية عندما قدمتها هذه الفرقة فى جنوب افريقيا بعداء سافر . فالمسرحية لم تكتب لممثلين سود — هكذا ترى العنصرية — ولكن كاتبها ايرلندى أدرك معنى الاستعمار على حقيقته ، ومازال شعبه ينافح عن حقه .. وبالتاكيد لم يجد « جون كانيا » و « ونستون نتشونا » اية صعوبة فى التعامل مع شخصيات عليها ان تمثل بلا امل ومع ذلك تحرص على الحب بالرغم من أنها لا تجد سوى الأقل كل يوم . وبذلك استطاعا ان يشحنا الأدوار بالوضوح الدافيء والشعور .. ولكن المخرج « دونالد هوارث » كان غير واضح فى تحديد توجه ورسالة المسرحية اجتماعيا أو سياسياً ، فاختار موقفاً نتج عنه بعض الغموض في احايين ، لأنه لا يريد من المشاهد ان ينظر الى الممثلين باعتبارهم سوداً .. وربما كانت تلك تقيته تحت ظروف جنوب افريقيا والتى ما كانت لتسمح لكانيا ونتشونا أن يعرضا مسرحية من ابداع كاتب أسود .. ولكن المشكلة هى أن جنوب افريقيا لم تعد مجرد موقع جغـرافي . إنها حالة ذهنية .. ولذلك فهي افضل موقع وخلفية لاعطاء « بانتظار جودو » معناها الأعمق ..

ولكن .. إلى متى تظل جنوب افريقيا بانتظار جودو ؟ .

المخرج الايطالي فرانسيسكو روزى

يقول المخرج الايطالي فرنسيسكو روزي : (كل افلامي تنتهي بعلامة استفهام .. كالحياة والهدف من افلامي هو المساهمة في نقاش حقيقي وجاد لقضايا وطني .. » .

وهو نقاش مستمر ، لا يقدم اجابات ناجزة لأن صاحبه يحتفظ بشكه ، ولا يحجم عن الافصاح عنه واظهاره ، ويامل أن يقف الجمهور على هذه الثنائية فيه .

إن بحثه المستمر والسخي هو قوته ، كما تقول الناقدة بولين كيل . إنه يطرح مشاعر لا يستطيع الفريق المؤدي للفيلم ولا النقاد أن يتفهموها بشكل كامل .. ومع ذلك فانها تجتذب اليها المشاهدين ، وتوقظهم عليها ، وتبقى معهم .. لأن اسلوب تقديمها يعبر عن رؤية للحياة اكبر وارحب من شخصياتها .

لكن فريقا آخر من النقاد لا يرى في اعمال روزي اكثر من افلام تسجيلية وثائقية ، لأن معظمها يعالج مشاكل الحياة الايطالية المعاصرة ، ويدور حول اناس حقيقيين مثل رجل العصابات الصقلي سلفاتور جويليانو ، وإمبراطور النفط الايطالي إنريكو ماتيا ، وسيد المافيا ليوشيانو المحظوظ .. ويرد روزي « إنني احاول أن افهم .. وان انبيء .. أن انبيء . في بعض الحالات قمت بتحريات لأقف على بعض الحقيقة .. لا بفرضية أن أعرف ما هي الحقيقة . فأفلامي كلها تنتهي بعلامة استفهام .. كالحياة .. وآخر افلامه ، وهو فيلمه الثاني عشر ، «الأخوة الثلاثة » . وهو خليط رائع بين ما هو خاص وما هو عام .. إذ يحكى قصة عائلة فى ايطاليا اليوم . فيلم مؤثر للغاية ، ومعاصر . وهو أول فيلم ايطالى يعالج مشكلة الارهاب بشكل مباشر . ومثل كل افلام روزى فهو عن الموت والحياة ..

وقصته مستقاة من قصة روسية قصيرة تعود الى عام ١٩٣٦ .. وهى عن ستة اخوة ، واخت صغيرة ، يعودون الى قريتهم لدى موت أمهم . وقد جعلهم روزى ومعاونه فى كتابة الفيلم ، طونيو قويرا ، ثلاثة اخوان ، وجعل مسرح القصة قرية فقيرة من قرى جنوب ايطاليا والتى يضطر شبابها الى البحث عن عمل فى مكان ما .. بعيد .

احد الاخوة قاض فى الخمسين من عمره ، يعيش فى روما تطارده تهديدات الارهابيين . وآخر مدرس فى الأربعين ، يعمل في اصلاحية نابولي ، والثالث عامل بمصنع فى تورين ، فى الثلاثين من عمره — كلهم إذن بعيدون عن مسقط راسهم . ولا ينتمون ، بالرغم من ان المهنة تضع كل منهم فى تماس مع اكثر القضايا الحاحاً فى

ايطاليا اليوم : العدالة الشباب ، والعمل . ولمدة أربع وعشرين ساعة يجمعهم موت الأم .. فتساءل كل منهم عن ماضيه وحاضره ومستقبله . ويبكى كل واحد منهم حين يخلو لنفسه ، فعندما يتعلق الأمر بموت الأم ، يبكى كل امرىء وحيداً .. لنفسه ، كما يقول روزى .. لأن موت الأم ليس هو المناسبة التى تجمع وتوحد ، بل هو مناسبة تتخ وتغم ، وتفيض .

والأخوة مذعورون ، غير مستقرين على أمر ، ودوافعهم ، مثل معظم الناس ، مضطربة ، غير صافية . ووالدهم ، الذى يقوم بدوره الممثل الفرنسى شارلز فانيل ، عظيم فى حزنه الصامت الموحش . وقد اراد روزى أن يقول من خلاله « لا تنسوا جذوركم » فالأب يمثل قيم ثقافات فلاحية قديمة .

وجذور روزى نفسه تشمل جدا كان غنياً ثم افلس ، وأصبح موظفاً فى ناد للقمار فى نابولي ، وعماً كان قائداً للمطبلين فى دار أوبرا نابولي .

وأباً كان مصوراً فوتغرافياً فاز بجائزة تصوير كان ابنه هو الموديل فيها . وقد درس روزى الطب الشرعى لفترة قصيرة . وهو مثل المخرج فيللينى موهوب فى رسم الصور المتحركة .. ويقول إنه تعلم بلاده عن طريق الأفلام التى اخرجها .

ويتمتع روزى بحاسة دقيقة للتفاصيل .. والايماءات البسيطة .. لأن هذه المظاهر البسيطة تؤطر بالنسبة له قاموساً لقراءة الشخصية وجذورها .. وهو يرى أن الحقيقة فى أى فيلم هى محصلة تجميع عدد معين من العناصر ، ولا يستطيع مشاهد أن يتنبأ بان منظراً ما سيختلج بالحقيقة .. ويكفى أن يبدو الموقف المعين وكأنه محتمل الحقيقة ليجعله المرء يبدو ــ فيما بعد ــ كحقيقة .

لقد فازت أفلام روزى بجوائز كبرى فى عدد من المهرجانات الأوروبية ، ولكنها لم تحظ بعد بالحفاوة فى أمريكا .. فهى تعرض فى عدد من الأندية والجامعات . ولئن كان سعيداً بوقوف المثقفين معه ، فهو حزين .. لأن الأفلام انما تنتج للجمهور .. كما يقول .

ومع أن أفلامه لا تظهر ميلا أو انحيازاً سياسياً فالناس تحاول أن تعثر فيها على نظرة وخط حزبيين . ويقول : «تجتاحنى رغبة جامحة لأكون موجوداً وحاضراً فى حياة بلادى ...»

ولذا فهو يدعو الجمهور ، عبر أعماله ، الى المشاركة فى معالجة وحل بعض القضايا والمشاكل المتصلة بالحقيقة اليومية .. ويرفع الستار كما لو كان يدعو الناس الى حلقة نقاش .

وفى (الأخوة الثلاثة) فان البطل ، كما يقول روزى ، هو الزمن . فالفيلم قد قصد به أن يكون فعلا يجسم الثقة والأمل من اجل الحياة ، وفى وجه الموت . وقد يبدو ذلك للمتعمق كنوع من التبسيط الخارق ، ولكن روزى يحتج بأن من يحيا فى مجتمع يسيطر عليه الارهاب والعنف يعى ذلك ، وقد حاول أن يقوله فى كلمات بسيطة واذا ما فكر المرء بالعنف الذى أصبح متفشياً فى العالم ، ومكثفاً فى ايطاليا ، فان القضية لن تدار حول البساطة أو التبسيط .. فالأمر حقيقة وحسب .

وفى الفيلم يقول الأخ القاضى :

«علينا أن نقاتل من أجل التغيير .. ولكن تلك المعارك يجب ألا تهدد الديمقراطية .. ويجب أن نختار الديمقراطية . ولكن علينا أن نتذكر أن هناك آخرين يختارون الموت» .



موسيقى النيل فى واشنطن

تحت رعاية المؤسسة الثقافية العربية الأمريكية ، قدم الموسيقار النوبي السوداني حمزة الدين وعالم الموسيقى المصرى حليم الضبع فى « ورشة عمل » وندوة بواشنطون اعمالا موسيقية تفصح عن اصالة الموسيقى النيلية وذلك أمام جمهور كبير وعارف بالموسيقى .. وبذا اتاحا للمشتغلين بالموسيقى فرصة نادرة وتجربة حية فى التعرف المباشر على الآلات الموسيقية وأساليب التراث الموسيقى العربى الأفريقي الأصيلة .

وحمزة الدين مشهور فى الولايات المتحدة كعازف عود مبدع ، وعارف بموسيقى موطنه (نوبيا) شمال السودان وجنوب مصر التى غمرت مياه السد العالى جل اراضيها ، وقد كتب موسيقى فيلم « الجواد الأسود » الذى اخرجه فرانسيس فوركوبولا عام ١٩٧٩ ، ولاقى نجاحا جماهيريا كبيرا . ومنذ حلوله الولايات المتحدة عام ١٩٦٣ ظل حمزة الدين يعرف الجمهور الأمريكي بتراثه من الموسيقى العربية الأفريقية ، وذلك عن طريق التسجيلات العديدة التى قام بها ، والرحلات العديدة فى البلاد . وقام بتدريس التذوق الموسيقي ونظرية الموسيقى وأساليبها فى كل المراحل التعليمية من رياض الأطفال الى الجامعات .

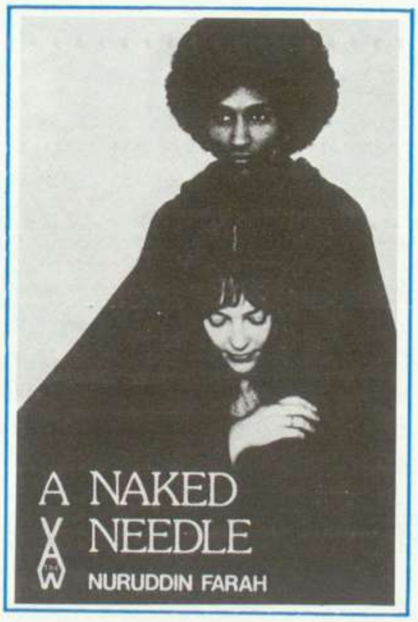
وفى مزاوجة بين اساليب الغناء النوبي التقليدى ، والطبل والعود ، فجر حمزة الدين ايقاع دورات الحياة فى تراث الأرض النوبية فقدم « اغنية عمل » و « الساقية » و « اغنية حب » باللغة النوبية ، وانشودة دينية يؤديها عادة الرجال مصفقين فى توافق حميم مع ضربات (الطار) .. وقد ركز على النماذج الايقاعية وابراز امكانيات الصوت . وقد استحث الحضور فشاركوه فى اداء مقطوعة تعتمد على التصفيق بالاكف ، وبها ٤٨ تصفيقة ، وكانت تؤدى تقليديا فى بلده من أول الليل الى الفجر بمصاحبة ايقاع أرجل الراقصين ورنين حلى النساء .

اما حليم الضبع ، المصرى المقيم كمؤلف فى جامعة ولاية كنت الأمريكية ، حيث يعمل كاستاذ لموسيقى الشعوب ، فقد شرح للحضور الآلات التقليدية المستخدمة فى أرض النيل ، من آلات نقر ، وطبول . وآلات بوص ، والدف والدربكة وآلة (السلامية)

وكان الضبع قد كتب دراما راقصة لهذا الحدث الثقافي هي « الاغتراف من الأزل » وهى دراما للأصوات بمصاحبة آلات النفخ وآلات النقر والقرع الأفريقى العربي . وموضوعها كما فسره المؤلف الموسيقى بمشاركة اربع مغنيات امريكيات من أصل افريقي يقيم رابطة بين مصر القديمة وامريكا المعاصرة ، وتذكر الصور التى استخدمها بالاحتفالات الفرعونية .

وقد نجحت المؤسسة الثقافية العربية الأمريكية التى رعت هذا الحدث الثقافي في حشد اكبر عدد ممكن من طلاب كليات الموسيقى وعلماء الموسيقى ، ورؤساء شعب الموسيقى بالجامعات الأمريكية ، وممثلين عن الدوائر الثقافية بواشنطون ..

وقد انشئت هذه المؤسسة فى أواخر عام ١٩٨٠م للعمل على عرض أوجه من الثقافة العربية بامريكا تساهم فى خلق تفهم افضل للعالم العربي ، كما قال رئيسها الدكتور هشام شرابي ، الاستاذ بجامعة جورج تاون ، والذى يرى فى هذين الفنانين افضل من يمثل هذا النوع من الموسيقى ، لا لقدرتهما على ابراز النماذج والصور التقليدية فحسب وإنما بجدة الابداع الفني لديهما .. فهما اكثر من مجرد عازفين .



روائى من الصومال

يعتبر نور الدين فرح نفسه بدويا وانسان مدينة فى أن واحد ، ولا يرى تناقضا فى ذلك لأن البدوى الحقيقي يحمل عالمه معه اينما حل .

« لماذا افكر بالأشياء التى تتداعى ؟ اتراها ابدا كانت كاملة ؟ » .. قضية شغلت جيلا كاملا من كتاب افريقيـا ، ولكن نور الدين القادم من ركن بافريقيا ينظر الى كثير من الامور بطريقة مختلفة لتشربه عالم الاسلام والعربية ، استطاع ان يحرر نفسه من اسار هذا الهوس بالماضى الذى يتداعى قطعاً صغيرة .. فالماضى لم يكن يوماً كاملا .. وستظل مسالة البحث الدائم عن الكمال واحدة من مهام الكتابة والانسانية .. انطلاقاً من الحاضر ، كما يرى نور الدين :

«ماالماضى على اية حال ؟ إن ماضيك هو حاضر لآخر . فاذا كان غير ملم بمجريات الأمور بشكل كامل ، إذا كان لا يدرى ما يجرى فى ايران مثلا وهو يعيش فى الصومال ، فكيف له ان يخبرك عن الماضى ؟ فالمرء لا يستطيع أن يفهم الماضى دون أن يعي الحاضر »

وهكذا يعبر نور الدين فرح عن تأملاته وافكاره فى قصصه ورواياته المليئة بالحوار المديد والمناقشات التى تشرح وتوضح . وكما فى ايام البداوة ، حين يجد المرء وقتا للراحة ، فانه يحكي قصصاً تهم الحاضر وتثير التامل ..

ومنها روايته الأولى « من ضلع معوج » التى نشرت عام ١٩٧٠ ضمن سلسلة الكتاب الأفارقة (هاينمان) فبهرت النقاد بسحر اسلوبها الروائى المشرق وتعمق كاتبها العاطفي فى عالم تعصف به رياح التغيير ، ووصفت بانها من قلائل الأعمال الروائية فى الأدب الأفريقى الحديث التى تتعامل مع بطلة امراة وتهتم بعقلها وكرامتها ..

وما ذلك إلا لأن نور الدين يؤمن بان المراة فى افريقيا المعاصرة وصراعاتها الجمة هى المفتاح الى المستقبل .. وإن من لا يقدر كرامة المراة لا قدرة به على تقدير كرامة الرجل ، وان تحرير المراة هو ركيزة تحرير أفريقيا والعالم .

فى روايته الثانية « الابرة العارية » (١٩٧٦) يكتب نور الدين عن شاب أفريقي درس فى بلد اوروبي وعاد الى وطنه تصحبه زوجة بيضاء . وهو موضوع حي بالنسبة للمجتمعات الأفريقية فــى زمن التحول .. كان فى بلدها يــرى العالم بعينيها .. ويريدها فى بلده ان تشق طريقها في عالمه الغريب بالنسبة اليها بعينيها ايضا .. ولكن الكاتب لا يحاول ابراز اى صراع ، بل يدع القصة ـ الغرابة ـ التمزق بين عالمين تتفتح .. وتعينه الفكاهة والبساطة فى كسب القارىء .

اما روايته الأخيرة « ملكية عامة » فهى خليط من قصيدة النثر والرواية السيكولوجية والاثارة السياسية . فالقصة حول توامين ـ سويان ولويان ـ يموت الأول إثر علة غامضة ، لاعنا السلطة فتحتفل السلطة به ، بين استغراب عائلته واصدقائه ، كبطل قومي وشهيد ثورى . ويصف الجزء الباقي من الرواية محاولات توامه « لويان » لاكتشاف حقيقة اخيه ، فيعيد بناء حياته ليستعيد النصف الآخر من نفسه والذى فقده بموت توامه .



وتتداخل مواضيع الفرد والهوية السياسية والعائلية والدولة بطريقة توحي بامكانيات لم تتم الاستفادة منها . ويضطر « لويان » الى اتخاذ موقف سياسى ليحل سر موت اخيه بعد أن كان يتعامل معه من منطلق شخصى بحت .

وربما كان اجمل ما في هذه الرواية هو قدرة الكاتب فى خلق توتر بين ما يتوقعه القارىءوما يسجله الكاتب بالفعل .. وفى لغته الشاعرية .

وقد ترجمت هذه الرواية من الانجليزية الى عدة لغات ، منها اللغة الألمانية ، كما أن مجموعة قصص « السردين » تم نشرها بالألمانية .

والكاتب مقيم بايطاليا .. لا يشغله غير الكتابة شاغل .

●

شللي طليقاً

اثار احد خمسة كتب جديدة عن الشاعر الانجليزى شللى نقاشاً مفيداً وحيوياً حول ثورية صاحب « بروميثيوس طليقا » ذاك هو مؤلف بول فوت الصادر عن دار نشر سيدويك وجاكسون بعنوان « شللى الأحمر » ، والذى يبدأ من فرضية نظرية بان شللي كان ضحية مؤامرة أهملت أفضل أعماله او قدمتها بصورة مشوهة ، لأنها فى حقيقتها أعمال ثورية هدامة .

فالمختار من قصيده لمقررات الدراسة لا يشتمل على قصائده السياسية ، والتركيز ينصب على خصائصه اللغوية والغنائية بدلا من افكاره .. والنقاد يوجهون هجومهم على غموضه ، وإن كان غرضهم ، كما يرى بول فوت، هو الاعتراض على الوضوح الخطير الذى يتحدى وضعهم الصفوى الذى يدر عليهم كل امتيازاتهم . وبما انه ما من شاعر يمكن أن يكون « موضوعياً » من ناحية سياسية ، يقول فوت ، فانه مامن ناقد يمكن أن يكون « موضوعياً » .

ويطرح المؤلف في البداية الخلفية السياسية التى تؤطر زمان فعالية شللى الشاعرية ، حيث كانت الحكومة البريطانية بقيادة كاسترلي تشن

حرباً شعواء ضد الشعب العامل فى بريطانيا . ثم يحاول في فصول لاحقة ان يصب اعمال شللي فى مواقف نضالية ثورية .. ويكاد ان يجعل منه اشتراكياً لولا انه لم يقل بملكية الدولة للصناعة . ومع ذلك نجد الكاتب يتساءل عما إذا كان شللي ثورياً او مجرد صاحب دعوة للاصلاح .. خاصة وقد كان العنف السياسي يرعبه ، وكان معارضاً لمبدأ حق الاقتراع للجميع ، ولئن كان شيللى فى قصيدته « الملكة ماب » يقف ضد مؤسسة الزواج ، ويدعو فى قصيدة « ثورة الاسلام » الى منح المرأة حق المبادرة السياسية ، فهو لم يثبت على ولائه لحركة تحرر المرأة . ويمكن اتهام سلوكه تجاهها خاصة وقد هجر زوجته حبلى ليفر مع معشوقة له ، مما اصاب الأولى بانهيار انجرفت معه الى اخذ حياتها بيدها .

وفى نهاية كتابه يحمل السيد فوت على الناقد ف . ر . لويس لأنه فضل ت . س . اليوت على شللي .. دون أن يقر بان موقفه هذا يقوم اساساً على انحيازه الى محافظة اليوت الجافة فى وجه راديكالية شللي الشجية .

والكتاب فى معظمه مثير .. ويفتح باب الجدل المطول حول قدرة الشعر على تغيير افكار الناس . ولكن واحدة من النتائج التى يصر عليها كاتبه لا يمكن انكارها .

إن النظر الى شللي كمحرض سياسى ومفكر شق طريقه الى الاحتجاج باعماله ، يلقى ضوءاً جديداً على استخدام الشاعر للغة ، ويظهره بانه كان استخداماً قوياً ومبيناً .. ومتجدداً .

شيللى





إليوت

وربما كان كتاب دوسن عن « شللي والسياسة » أقل اثارة ، ولكنه بحث جاد ويقدم تفسيراً جديداً لقصائد شللي الشهيرة مثل « بروميثيوس طليقاً » و « ادونيس » و « انتصار الحياة » . ويرى الكاتب ان استخدام شللي للغة بشكل يحمل اكثر من معنى كان نوعاً من التكتيك من جانبه .. فهو كان يتمسح بالاعتدال كيما يحمل القوى الحاكمة وقتها على التخلى عن سلطانها على مراحل .. وما كان من الممكن دون التعاون مع تلك القوى ان تتم اجازة «قانون الاصلاح » ـ الذى تنبأ شللي بانه بداية لسلسلة من الاجراءات التى بلغت بالمطالبين بالاصلاح شط مرادهم فى عام ١٩٢١ .. ولكن « بينما كان المتظاهرون يذبحـون فى شوارع مانشستر ، كان شللي نفسه ينام آمناً فى ايطاليا .. ، كما اعترف هو نفسه فى « قناع الفوضى » » ، تلك القصيدة التى يحض فيها الشعب على ان ينتفض مزمجراً كالليوث .. والقصيدة نفسها تعترف بان ابن الطبقة العليا المتمرد لا ينتمى الى عامة الشعب . وهذه الملاحظة من كتاب ريتشارد كرونين « أفكار شللي الشاعرية » الذى يركز على استعمال شللي للغة والاشكال الشعرية ، ويبرز فيه ذكاء شللي حين اصر على ان الحديث عن عالم جديد باستخدام المفردات القديمة لن يكون سهلاً، إذ يجب ان تقلب الايحاءات والمعاني المحافظة فى اللغة التقليدية ، ولكن بشكل لا يشعر القارىء بالغربة بسبب القفزة المفاجئة الى استخدام اللغة الجديدة .

أما الكتابان الآخران فهما عن سيرة حياة شللي ، احدهما بعنوان « شللي وعالمه » ويحفل بصور وتصاوير عن شخصيات واماكن من زمان شللي ، والآخر بعنوان « شللي .. قصيدة رومانسية » .

بعد مرور ٨٠ عاما : رد الاعتبار لرواية أمريكية

● تعتبر قصة « الأخت مارى » لتيودور درايسر واحدا من المعالم الادبية المهمة فى تاريخ الرواية الأمريكية فى القرن العشرين . وحين صدرت قبل ثمانين عاما كان قد حذف منها ما يقرب من ٣٦ ألف كلمة .. لأنها حسب المعايير الأخلاقية فى بداية القرن العشرين كانت تعتبر صارخة جنسياً وسوداوية مشحونة بالاظلام والياس ، وغليظة فى لغتها .

وقد اعيد نشرها الآن كاملة لأول مرة من دار نشر جامعة بنسلفانيا بعد أن وجد العلماء الذين قاموا بدراساتها ان شخصياتها لا تبرز بشكل واضح ومتكامل دون نشر الرواية كاملة ، وان لهجتها ، كاملة ، تصبح أكثر واقعية ، وان خاتمتها التى كانت قاتمة تفصح عن شىء من الاشراق .

والقصة تحكى عن فتاة ريفية من الغرب الأوسط بريئة الى حد ما ، وعن رجال فى حياتها ، فى خلفية من القسوة الاقتصادية الحادة فى مدينتى شيكاغو ونيويورك آنذاك

وقد اتضح للناشر الجامعى أن التغييرات الأساسية التى تمت فى الرواية قد قامت بها زوجة المؤلف ، وصديق له أقنعه بأن يستبعد فصولا كاملة لما تحويه من (تفلسف) ! كما أن الناشر آنذاك قد أجرى تعديلات كثيرة فى بناء الشخصيات ، وحاول قتل الرواية عن طريق حجبها فى التوزيع ، إذ ان العدد الذى بيع منها لم يتجاوز الخمسمائة نسخة . ولم يحصل كاتبها إلا على ٦٨٠ دولارا فقط .. مما سبب له انهيارا عصبياً دام عامين !

●

جائزة « الحياة والحركة »

● فاز الكاتب الارجنتينى جورج لويس بوجيس ـ ٨١ عامـا ـ بجـائزة الابداع التي خصصتها الحكومة المكسيكية لأفضل الأعمال المكتوبة باللغة الاسبانية ، وقدرها ٧٥٠٠ دولار امريكياً . وقد انشئت هذه الجائزة للمرة الأولى منذ عام ، وكانت من نصيب الشاعر المكسيكى اوكتافيو باز ، واسمها الأصلى ماخوذ من لغة الهنود وهو « أولين يوليتزلى » أى الحياة والحركة ..

وسيقدم الرئيس المكسيكى الجائزة الى بوجيس فى حفل تكريم خاص يقام فى وقت لاحق هذا العام .

أربعون عاماً على رحيل عزيز عيد



● رائد المسرح الذي ارتضى الجوع والتشرد من أجل مبادئه الفنية

● أول من نادى بتربية التذوق الفني للمسرح منذ مراحل الطفولة

● تنكر له تلاميذه وعطفت عليه راقصة!

● بسبب "الغيرة" اشتغل "عمر يحيى" في السينما !

حسين عثمان

فى شهر أغسطس القادم تمر أربعون عاماً على وفاة الفنان العظيم عزيز عيد، الذى يعتبر أستاذ جيل كامل من رواد النهضة المسرحية ، فهو استاذ نجيب الريحانى ويوسف وهبى وزكى طليمات وحسين رياض وأحمد علام وفاطمة رشدى وعزيزة أمير ، وغيرهم من اعلام المسرح الذين قامت على أكتافهم نهضة المسرح فى العشرينات من هذا القرن ..

وكان عزيز عيد أكبر مشجع للشباب من هواة التمثيل على احتراف الفن فى مستهل هذا القرن ، وهو الذى شجع نجيب الريحانى أن يستقيل من وظيفته فى بنك التسليف الزراعى ليتفرغ للعمل الفنى ، وهو الذى جمع حوله الشبان المثقفين وكون منهم فرقة تمثيلية عمل بها على مسرح خشبى فى حي «الفجالة» بالقاهرة ، ولم يكن هذا المسرح تتوفر فيه شروط العرض المسرحى السليمة بل كان - كما يقول الرواة الذين عاصروه - عبارة عن قطعة أرض واسعة بها مجموعة من الكراسى الخشبية الكبيرة (الدكك) وكانت أشبه بمقهى ، يجلس عليها بعض هواة

المشروبات «والمكيفات» ، فجاء عزيز عيد وغطى هذا المكان بقماش ، وأعد سرادقاً مزوداً ببعض الموائد التى جعل منها مسرحاً ، وقدم فوق هذا المسرح ، بعض المسرحيات الكوميدية ، وقام ببطولتها نجيب الريحانى ومختار عثمان وروز اليوسف ويوسف وهبى وغيرهم من أعلام الفن ، وصادف اقبالا كبيراً

اصرار على العمل

ولكن شاء حظ عزيز عيد ، أن تسود القاهرة وقتئذ موجة برد شديدة جعلت المتفرجين ينصرفون عن هذا المسرح ، الذى كانت الأمطار تهطل عليه بشدة ، فيغرق الجمهور من ماء المطر ، ورغم ذلك فقد ظل عزيز عيد وأعضاء الفرقة يمثلون كل ليلة حتى وصل عدد المتفرجين الى أقل من أصابع اليدين ، وكان أعضاء الفرقة لا يتقاضون أجوراً ، بل كان ايراد الفرقة يوزع عليهم بطريقة الأسهم ، وكان نصيب الممثلة العظيمة روز اليوسف يصل فى بعض الأيام الى ثلاثة قروش بينما كان نصيب نجيب الريحانى يزيد بضع مليمات على نصيب روز اليوسف .. ومع ذلك فقد أصر عزيز على استمرار الفرقة فى عملها بالرغم من أنه لم يكن يتقاضى مليماً واحداً !! ..

كان عزيز عيد مثالا للفنان الذى استغرقه الفن الى حد الفناء فيه ، فهو قد عاش للمسرح وبالمسرح ومن أجل المسرح ، الذى كان بنياه ، ولم تكن له غاية فى الحياة سواه ، ولقد تعذب فى سبيله حتى عرف المجد والشهرة ، ولكنه لم يعرف الثراء قط .. كان يلاحقه



عزيز عيد كان من عشاق لعبة الشطرنج

سوء الحظ دائماً .. فاذا عرف اليسر حيناً ، عاوده العسر واستبد به الفقر فى أغلب الأحيان ، حتى تبلغ الحال به أن تراه قابعاً فى مقهى ، أو ماشياً فى الطريق ، وقد رثت ثيابه الأنيقة ، وظهرت الفتوق فى رباط عنقه ، واسودت أطراف طربوشه الأحمر الطويل ، وانتشر الاصفرار فى وجهه ، ونطقت عيونه الغائرة ، وملامحه الذابلة بأن الجوع عضه بنابه ، ولكنك لا تتحدث اليه ، حتى تجده على حالة من الايمان بنفسه ، والايمان بفنه والايمان ... بالجمهور ! .

ولعل عزيز عيد هو الفنان الوحيد الذى صادف من مناوأة الحظ له ، ما لم يصادفه فنان أخر من جيل الرواد وعمالقة المسرح ، وليت الحظ اكتفى بما كان يوجهه اليه فى حياته من سهام وضربات بل تعقبه حتى بعد مماته ، وحاول أن يهيل على أثره البالغ فى نهضة المسرح العربى غبار النسيان ..

أين من يتذكر عزيز عيد من الذين احترموا نبوغه وصفقوا لفنه من تلاميذه وجمهوره ، لقد تناسوه جميعاً وهم فى قمة الشهرة التى يدينون بها لفضل عزيز عيد الذى علمهم ودربهم ، ونفض الغبار عن مواهبهم ، وأضاء بفنه السامى أرواحهم ، وذللت لهم تعاليمه وتوجيهاته طريق الشهرة والمجد .. لقد نسوه أو تعمدوا نسيانه وجاءت أجيال الشباب بعدهم ، وليس من بينهم من يعرف عزيزاً اللهم إلا قلة منهم عرفوا عنه بعض المعلومات السطحية التى جاءتهم عن طريق الصدفة وحدها .. !

أصالة الفنان

كان المرحوم عزيز عيد فناناً تتوفر فيه كل الخصائص التى يمتاز بها الفنان الأصيل ، من وفرة الاحساس وقوة التخيل ودقة الابراز وسعة الأفق وتعدد جوانب الذهن وكان ممثلا عظيماً بقدر ما كان مخرجاً عظيماً ، ولم تقف براعته فى التمثيل عند نوع معين ، بل كان يؤدى مختلف الشخصيات فى مختلف أنواع التمثيل ، بنفس البراعة والتفوق ، فلا تقل براعته فى تمثيل شخصيته «الكابورال سيمون» أو «الملك لير» أو «ياجو» فى رواية عطيل ، عنها فى تمثيل شخصية (حسن الشحاذ) فى رواية (ألف ليلة وليلة) أو (الباشا) فى رواية (لوكاندة الأنس) بل كان يسمو فى تمثيل أدواره فى المسرحيات الكوميدية والفودفيل الى حد الاعجاز والعبقرية التى لا تجارى ...

وقد أخرج عزيز عيد للمسرح أروع ما ظهر عليه من روائع المسرح الأوربى ، وعشرات المسرحيات المؤلفة ، وأخرج كافة أنواع المسرحيات من التراجيدى الى الكوميدى الى الدراما الأخلاقية الى الفودفيل ، ويضيق المقام عن حصرها ولكننا نذكر منها على سبيل المثال روايات (الممثل كين) و (تيمورلنك) و (الشعلة) و (النسر الصغير) ، و (كرسى الاعتراف) و (مجنون ليلى) و (مصرع كليوباترا) و (الفاكهة المحرمة) و (شهرزاد) من ألحان سيد درويش ، وكذلك أوبريت (العشرة الطيبة) لسيد درويش أيضاً ! ..

أربعون عاماً على رحيل

عزيز عيد



عزيز عيد فى مناقشة حول مسرحية الملك لير التى أخرجها للمسرح القومي فى الثلاثينات

وكان أسلوبه فى الاخراج أسلوب الفنان المتمكن من فنه ، والمستوعب لكل دقائقه ، وكانت هوايته للتصوير ، ودراسته للألوان ونوقه السليم تعينه فى الاختيار والمشاركة فى عمل المناظر الملائمة للجو النفسى للمسرحية التى يخرجها وعصرها التاريخى .. وكانت طريقته فى توجيه الممثلين هى شرح الشخصيات من الناحية السيكولوجية ثم ايجاد التناسق والمواءمة بين الحركة والاشارة والقول حتى تبدو المسرحية وحدة كاملة ، وكلا منسجماً كالسيمفونية الرائعة التى تغزو القلوب وتستولى على المشاعر والاحساسات .

الفن للفن

وكان كذلك من عشاق المثل الأعلى وطلاب الكمال ، يتعشق الفن للفن ، ولم يتخذه أبداً سبيلا للاثراء ، وكان هذا سبباً فيما يقع بينه وبين تنفيذ ما يراه ، فاذا وجد صاحب الفرقة يضن عليه بما يبرز عمله الفنى فى الاطار اللائق به فسرعان ما يضيق نرعاً ، ويفضل أن يضحى بنفسه ولا يضحى بفنه ، فيترك العمل ، ويفضل شقاء التعطل وآلامه على النعيم الذى لا يحقق فيه مثله العليا فى الفن ! ..

ويعتبر عزيز عيد أول فنان عربى سافر الى أوربا لاستكمال دراسته الفنية فى أكبر معاهدها ، على حسابه الخاص بعد البعثة التى سافر فيها جورج أبيض موفداً من الخديو عباس الثانى لدراسة الفن على حساب هذا الخديوى. وعندما وصل الى باريس أرسل لصديقه يوسف وهبى ومختار عثمان يدعوهما للحاق به لنفس الغرض ، وكان الثلاثة طوال مدة اقامتهم فى فرنسا وايطاليا لدراسة الفن لا يملكون ثمن رغيف عيش ، وكانوا فى بعض الأحيان يزاولون أعمالا بسيطة للحصول على أجر اللوكاندة ، التى يقيمون فيها ، وشراء الكتب التى تزيد من ثقافتهم

المسرحية . وهكذا عاشوا قرابة أربع سنوات بتشجيع من عزيز عيد حتى صقلت مواهبهم ، ثم شاءت الظروف أن يموت والد يوسف وهبى ، فاستدعته اسرته ليتسلم ميراثه ، وبهذا الميراث قام يوسف وهبى بتكوين فرقة رمسيس التى كانت بداية نهضة مسرحية حقيقية ، فقد انطلق عزيز عيد ليحقق أفكاره عن المسرح ، وتصبح فرقة رمسيس شيئاً خالداً فى تاريخ المسرح العربى !! ..

مع أعظم ممثلة عربية

وفى هذه الأثناء التقى عزيز عيد بفاطمة رشدى .. وكانت يومئذ فتاة يافعة تلقى المنولوجات فى الملاهي الشعبية بروض الفرج ، ولكن عزيز عيد لمس فيها باحساس الفنان موهبة عريضة ، فقرر أن يتبنى مواهبها ، ووقع فى غرامها وتزوجها ، وكان لهذا الزواج أثره فى اتجاهاته الفنية بعد أن خضعت كل تصرفاته ومشروعاته الفنية لعواطفه الشخصية ... واستطاع عزيز عيد أن يجعل من فاطمة رشدى أعظم ممثلة وقفت على خشبة المسرح العربي، فى سبيل هذا عرف الحرمان والجوع ، ولما بلغت فاطمة رشدى أقصى ما تتمناه ممثلة لنفسها ، طلبت من عزيز عيد الطلاق ، وانطلقت هى فى الحياة الفنية تتنقل بين أضواء المجد والشهرة ، بينما كان هو يمضغ الجوع والفقر والحاجة ! فلما انشئت الفرقة القومية سنة ١٩٣٥م (المسرح القومي الآن) كان عزيز عيد من أوائل الفنانين الذين انضموا إلى هذه الفرقة ، وتقرر له مرتب قدره (٣٥جنيهاً) شهرياً ، وكان من الممكن أن يكون عمله فى هذه الفرقة ، بداية استقراره المادى وفرصة لتحقيق افكاره الفنية ، ولكن تمسك عزيز بوجهات نظره الفنية ، وآرائه خلقت بينه وبين المسئولين عن الفرقة صدامات متكررة انتهت باقالته من الفرقة ، وقد فصل من هذه الفرقة

● بسبب "الغيرة" اشتغل "عمر يحيى" في السينما !

عدة مرات ، حتى استغنت عن جهوده الفنية عام ١٩٤١ ، بعد أن أصر على أن يسند دور البطولة فى احدى المسرحيات لتلميذته الممثلة القديمة «زيزى عثمان»، ولم تكن مواهب هذه الممثلة تؤهلها لبطولة هذه المسرحية ، فعارضته اللجنة المسئولة فى هذا الترشيح ، ولكنه أصر على رأيه ، وكانت النتيجة أن خرج من الفرقة ليستأنف حياة التشرد من جديد ، وقد ظل قرابة عامين يعانى من الجوع والحرمان حتى اضطر الى أن يعمل «كومبارس» فى الأفلام ، وقد ظهر فى دور (عربجى) فى فيلم قضية اليوم الذى أخرجه المخرج كمال سليم !! .

وقيل يومها أن كمال سليم أراد أن يسخر من عزيز عيد (الفنان) بسبب «الغيرة» فقد كان كمال سليم قد تزوج من فاطمة رشدى ، وضاق ذرعاً من أحاديثها عن عزيز عيد الفنان والزوج ، فأصيب بعقدة نفسية منه ، فأراد أن يحطم أسطورة عزيز عيد فى نظر فاطمة رشدى ، التى كان كمال سليم يحبها من أعماقه ، فأسند الى عزيز عيد دور (كومبارس) فى هذا الفيلم ، ووافق عزيز على تمثيل هذا الدور لأنه كان فى حاجة الى ما يسد به رمقه !! ..

وحدث بعد ذلك أن التقت به المرحومة ببا عز الدين التى كانت تملك ملهى ليلياً فى شارع عماد الدين ، وعز عليها أن ترى عزيز عيد الفنان العظيم على هذه الصورة من الفقر والحاجة ، وكانت فى بداية حياتها الفنية قد حاولت الاشتغال بالتمثيل فى احدى الفرق المسرحية التى كان عزيز عيد يديرها من الناحية الفنية ، وقارنت بين زمان واليوم ، فتأثرت غاية التأثر ، وفى نفس الوقت تذكرت أنها أمام منافسة شديدة من بديعة مصابنى ، وانه يمكن لعزيز عيد المخرج المسرحى الكبير أن يعمل مخرجاً للاستعراضات التى تواجه بها منافسة بديعة مصابنى ، فعرضت عليه أن يعمل مخرجاً فى صالة الرقص التى تملكها باضعاف المرتب الذى كان يتقاضاه من مسرح الدولة ، وقبل عزيز على الفور ، وأخرج عدة استعراضات ناجحة ، ولما بدأت ظروفه المادية تستقر نوعاً ما أصابته الذبحة الصدرية ومات بعد أن عمل بضعة شهور فى صالة ببا عز الدين .

الجيل الجديد .. وحب المسرح

وكان عزيز عيد ينادى طوال حياته بوجوب تنشئة حب المسرح للجيل الجديد ، منذ المراحل الأولى فى المدارس ، وكان عندما يتولى تدريب احدى الفرق التمثيلية بالمدارس ، يشجع العناصر الموهوبة على صقل مواهبها ، والعمل بالمسرح . كذلك كان عزيز عيد أول من أظهر المرأة المصرية ثم المرأة العربية بعد ذلك على المسرح كممثلة ، فقبل ذلك كانت الأدوار النسائية يقوم بها رجال جميلى الصورة أو ممثلات من اليهوديات ، وكان عزيز عيد يحاول أن يضرب عرض الحائط بالتقاليد التى تحرم المرأة العربية من الاشتغال بالفن ، فوجد فى منيرة المهدية ضالته المنشودة ، فعلمها الالقاء والتمثيل ، وقدمها فى احدى المسرحيات .. وقامت يومها ضجة كبرى ضد منيرة المهدية وعزيز عيد ، ولكنه مضى فى طريقه ، ونجح بعد ذلك فى أن يغذى المسرح بعشرات من تلميذاته أمثال دولت أبيض وفردوس حسن وعلوية جميل وغيرهن ممن كن رائدات النهضة النسائية فى المسرح العربى ! .

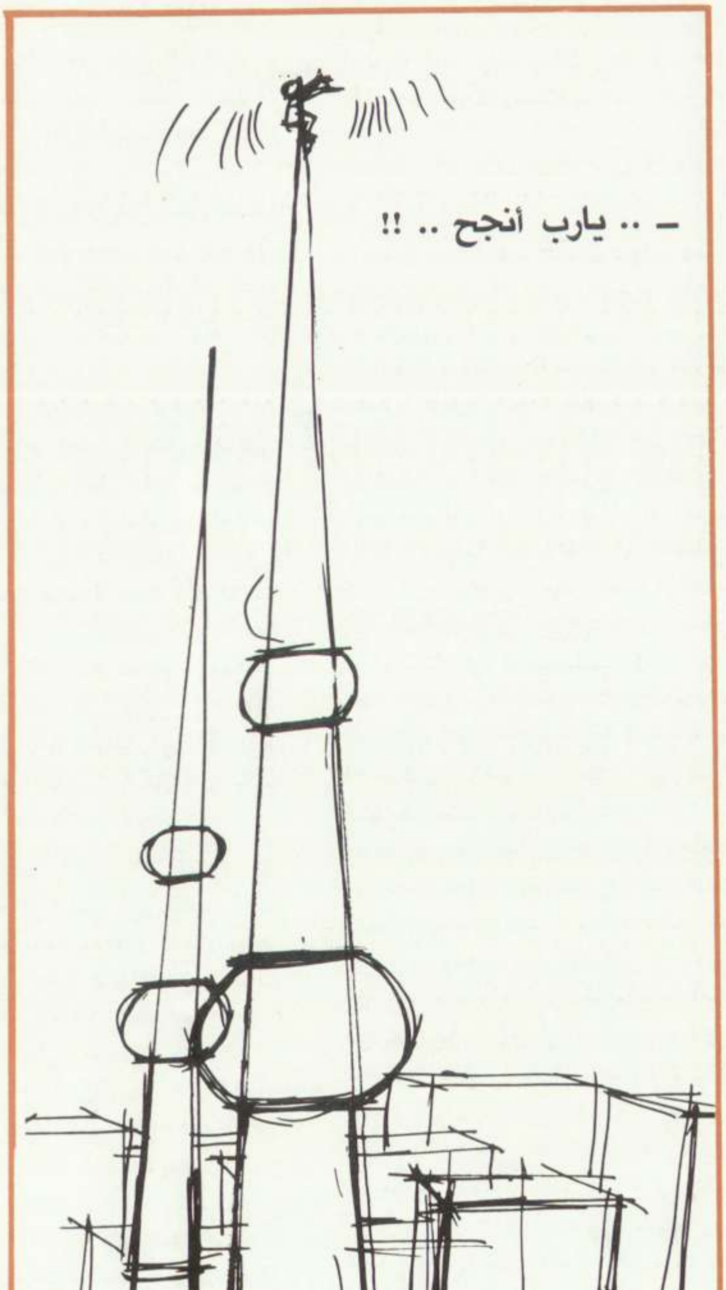
رحم الله عزيز عيد الذى كانت حياته ألواناً من الكفاح الفنى من أجل نهضة المسرح ، تخللتها صور قاسية من الجوع والحرمان ، وقد تعرض لهما لأنه كان فناناً صادقاً عاشقاً للمسرح .. عاش له ومن أجله .. يرحمه الله .

حسين عثمان

ضحكات الشهر







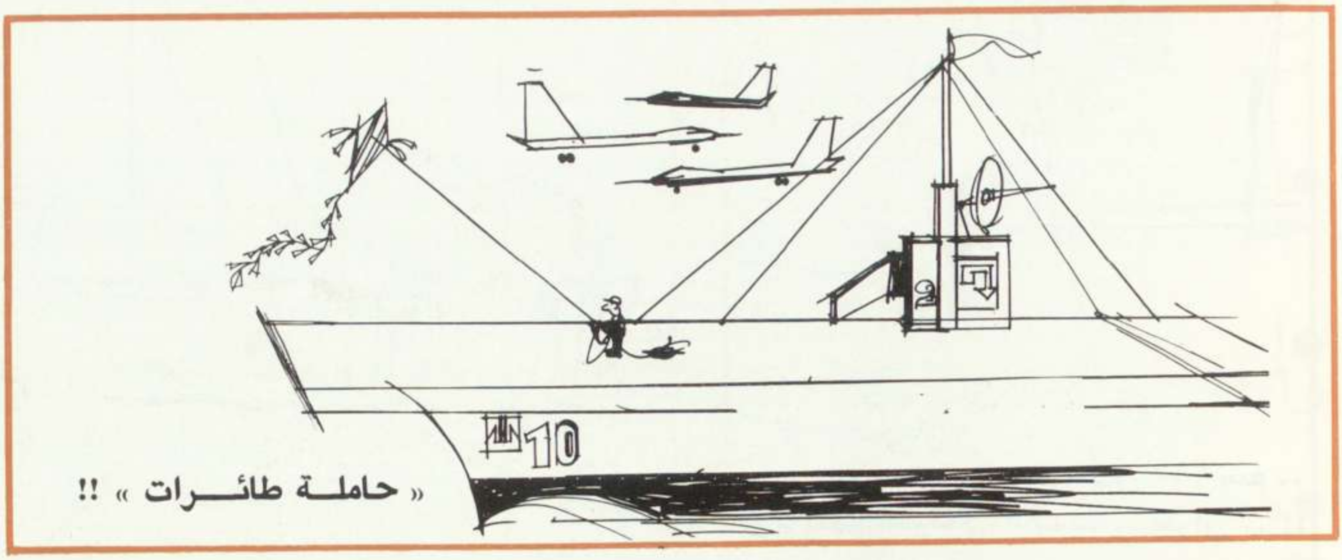





بـدون كـلام .. !!


ـ .. كلما أخرجت يدى
لأحس الجو الخارجي ..
الناس يتصورونى متسول .. !!


بـدون كـلام .. !!


« حاملـة طائـرات » !!

ضحكات الشهر


ـ .. سواح جايين ..
البس الجزمة بسرعـة ..!!


بـدون كـلام .. !!


ـ .. ديجول الله يرحمه كان ١٩٥ سم ..
والرئيس الفرنسي الجديد .. متران .. !!

انظر إلى الماضي دون خجل

مجلة علمية أدبية صناعية زراعية
تصدر مرة في الشهر
العدد الثالث - أغسطس آب ١٨٨١
لمنشئها ومحررها: صلاح الدين المقريزي





شاعر الربابة ـ قارىء الملاحم العربية فى القرن الماضى .



عزيزي القارئ ..

ذلك النوع الذي يبصم .. ولا يوقع

من كفر الشيخ عاصمة البرارى بدلتا النيل كتب الكاتب اللبناني « امين شميل » يعارض مقال عبد الله النديم « اضاعة اللغة إضاعة للذات » ، فعنده ان اللغة مجرد واسطة لنقل نبض المجتمع فاذا ضعفت الأمة ضعفت لغتها والعكس صحيح

ومن هنا بدات مناقشة علمية رصينة بين الرجلين .

النديم يقول إن إضاعة اللغة إضاعة للذات . وشميل يقول إن إضاعة الذات إضاعة للغة ، ويشكو من ان التخلف الاجتماعي العام جعل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن كثير من علوم العصر وفنونه وفلسفاته ، وهى مناقشة قديمة جديدة تعكس نوعاً من الهموم الراقية التى كانت تشغل جيل الآباء .

ومن « الاقطار السودانية » أرسل « مير قناوى عمورى » إعلاناً بانه فقد ختمه وليس مديناً لاحد . وإلى عهد قريب كانت زاوية إعلانات « فقد الاختام » أطول الزوايا الاخبارية فى الصحف العربية ، والدلالة الوحيدة لاتساع نطاقها هو أن الأمية قد اصبحت وباء عربياً حتى اصبحت الأختام لا التوقيعات وسيلة التعامل والاعلان المدوى بان الاغلبية العظمى من العرب يبصمون ويختمون ولا يكتبون او يوقعون .

وهكذا بينما كان « النديم » يدافع عن اللغة العربية ، و «شميل» يدافع عن اللغات الأوربية باعتبارها من وسائط التقدم كان « عمورى » الذى لا يعرف عربية ولا افرنجية يرثى ختمه الضائع ويندب حظه الذى حرمه من القراءة والكتابة .

وبعد مائة عام من هذا وذاك مازال المثقفون العرب يختلفون حول اهلية لغتهم للتعبير ، وينسون تلك الكتل البشرية العريضة ، صلب الوطن وترابه وزرعه ، التى اصبحت تتستر الآن من نشر إعلانات بفقد اختامها ، حتى لا يخجل ابناؤهم الذين تعلموا فى « السربون » أو فى « الحي اللاتينى » ، حين يعرف الناس أن اباءهم من النوع الذى « يبصم » ولا يوقع .

وقبل سنوات قليلة صرخ الكاتب الكبير « يوسف إدريس » بان نسبة الأمية فى الوطن العربي اكثر من تسعين بالمائة ، ولأن أعظم الكتاب العرب لا يطبع من كتبه أكثر من ثلاثة آلاف او خمسة آلاف نسخة باللغة العربية التى ينطق بها اكثر من مائة وعشرين مليوناً ولا يقرأ او يكتب بها منهم سوى نسبة تدعو للياس من كل كتابة ، إذ الواقع أننا نحن المثقفين نكلم انفسنا ، حين نكتب فلا يقرؤنا إلا نحن وهذا هو السبب فى ذلك السعي الحثيث الذى يقوم به بعض الكتاب لترجمة اعمالهم الى اللغات اللاتينية وأحياناً الى العبرية ، كان من يقراون بتلك اللغات بشر والعرب ليسوا كذلك .

إن بقاء زاوية إعلانات « فقد الأختام » مائة عام أمر يدعو للخجل . خجلنا نحن لا خجل آبائنا .. فمتى نمحو الأمية العربية .. بعد قرن آخر ؟

« صلاح الدين المقريزى »

إعلان

ليلة تاريخه حصل فقد الختم تعلقي المبصوم عليه اسمي الواضح إمضائي على هذا ، وحيث أني ماحضرت من جهة الأقطار السودانية إلى مصر المحروسة إلا من عهد قريب ، فقد التزمت بتحرير هذا ليكن في علم الجميع حتى إذا وجد فيما بعد كمبيالات أو سندات أو خلافه ممهورة بالختم المفقود فلا يعمل بها .

مير قناوي عموري
١٥ شوال سنة ٩٨



التنكيت والتبكيت

لصاحبها ومحررها

عبد الله النديم



أمين شميل يرد على عبد الله النديم :

كلمة غيور على لغته

رسالة لحضرة الأديب المتفنن أمين افندى شميل نثبتها ليتذكر من يتذكر إذ جاءه النذير قال اعزه اللـــه .

لا اظنك صاحبي تابى نشر هذه الكلمات ولو كانت اعتراضا على قولك اضاعة اللغة تسليم للذات لأن الحقائق انما تنجلي بالبحث ولا باس به .

اللغة عبارة عن آلة مادية تقوم بها مبادلة الأفكار بالمعاني بين افراد الانسان عموماً وخصوصاً وهى من جهة كونها بين افراده عموماً لا وجود لها إلا بالقوة . أما وجودها بالفعل فهو بطريق التخصص كاللغات المتفرقة في امم العالم التى تبلغ ما بين حية وميتة نحو خمسة الاف ثم من كون اللغة آلة فقط فهي لا فضل لها في ذاتها فعزتها وانحطاط مقامها انما يكون نتيجة صفات قومها من قوة وضعف وعلو فكر وسقوط همة وما هم عليه من استقلال وحرية واستبداد وعبودية وتقدم وتاخر ونحو ذلك فهي مراة تتكسر فيها صور شعوبها ومن ثم كانت تتاثر تاثراً فعلياً من الطوارىء التى تطرأ عليهم كما نرى في اليونانية واللاتينية والسريانية والكلدانية والعبرية والقبطية والهندية والايرانية والعربية ايضاً ونحوها فان كلامن هذه المركبات الهجائية اذا فحصت علم ما كان لشعوبها من القوة والتقدم فى العلوم والصنائع والتمدن على درجات متفاوتة الى ان حلت علل الانحلال فادى الأمر الى ما هي عليه الآن وإذا ثبت ذلك علمت الاسباب التى لاجلها تموت اللغات وتحيي مما لا علاج له وباختصار فان في ضعف كل امة فقدان لغتها مهما كانت تامة الالفاظ واسعة المعاني والمباني إذ اكل شيء دور ولا فرق فيه بين جامد ومتحرك .

يموت راعى الضان فى جهله

ميتة جالينوس فى طبه

على أن بعض اللغات قد يكون لها وسائط طول البقاء لما فيها من التاليف الجليلة وافتقار العالم الديني والدنيوى اليها فهى اشبه بحي فى صورة ميت فاذا ايها الأخ المتعصب للضاد ليس لك أن تلومنى اذا تركت لغتي الى غيرها وانت تعلم ان الانسان مفطور على طلب التقدم

ومن لم يكن ذا همة عاش خاسراً

وكان له ان يلزم الجهل ماربا

واى فتى يبقى عظامى فخره

عليه عصامياً فقد ذل مطلبا

فباى شيء ترغب الى الالتصاق الى لغتى دون غيرها بحسن كلام لم بلطافة لفظ ام بكثرة مواد لغوية وفصاحة عبارة اليس ذلك كله كثيراً فى لغات القوم السابق ذكرهم ومثل العربية مثل اللغات اللاتينية واليونانية والهندية فى اختصار التعبيرات والقوانين الراسخة لنسج كلمات جديدة فى كل شيء وعلم حديث فى عالم الوجود ومع هذا فلم يق هذه اللغات من موتها شيء . لعلك تحسبنى لاكون خيرا من اصحاب هذه اللغات فى احياء ما قضت الحوادث بموته فهل ظننتنى غير انسان من صفاته العجز فمن يقدر على ذلك وخلفه مهلم هذه الحياة فى طلب الرزق حفظاً له وذويه ولا طاقة له على الأمرين فى وقت واحد فيلتزم بالأهم اولا ثم بتحسين حاله إذا امكن . لعلك تعدنا انا نجد خبزاً فى عملنا هذا فنحصل على الأمرين معاً فلا اظنك باصلح تجهل الواقع ولا اريد ان تذهب بعيداً لتعلمه . اذهب الى دوائر احكامنا ومراكز تجارتنا وانظر بكم يؤجر الكاتب الضادى والكاتب الدالي ثم الف لك كتبا واجعله كله ضاداً واصرف فيه عمرك واعرضه على قومك فترى ما لبضاعتك من رواج او انك تومِلنى باللذة العقلية التى احصلها من درس لغتى العربية تماما لافهم كتب علمائها الجليلة واكلا صدرى من فرائد اقوالهم البديعة . فانك تعلم اولا ان كل لذات علوم الدنيا لا تملأ بطن جائع ولا لذة عقلية لمن لا يحسن غذاء جسده وقد نسيت ثانيا ان مؤلفاتنا التى نفتخر بها قد نهبت لفظاً ومعنى الى مراكز الأمم النامية فزادوا عليها اموراً كثيرة فهى حية فى تلك الأمم ميتة عندك لأسباب منها عدم صحة النسخ فكتبنا كلها اغلاط ومنها عدم وجود من يفهمها الآن وقد مات من كان يعرف معانيها . ومنها ان كثيراً قد نسخ بما اظهرته التجارب وقام غيره مقامه . ومنها الزيادات الجوهرية التى حدثت بعدهم ويجب معرفتها مما لا وجود له فى هذه الكتب ومنها عدم وجودها كلها إذ لم يبق منها إلا الطفيف .

لقد هزلت حتى بدا من هزالهـا

كلاها وحـتى سامها كل مفلس

وهذا الهزال الباقى إذا كنت سعيداً وعثرت عليه تلتزم بدفع اثمانه مالا جزيلاومن اين لك المال ياخى وانت تتجر ببضائع اكلها العث وبدلتها المودة او « الزى الحاضر » اما هو اجدر بك ان تترك هذه اللغة وشانها التى لا تفيدك سوى حطة الشان بعد تعب ونصب وجوع لا



أمين شميل يردّ على عبد الله النديم :

مزيد عليه وتختار لنفسك غيرها وإن كتبت بها راجت كتابتك وإن طلبت تحصيل علم فيها وجدت لك كتباً لا تحصي فى غاية الضبط والكمال امتلات منها خزانتك منها من اقوال اجدادك ومنها ممن تصفحها ونقحها وعلمها وشرحها وزاد فيها من اضدادك بثمن « أرخص من الفجل » فاذا اشتبه عليك معناها وجدت الوفا يكشفون لك غوامضها ويحلون لك عقدها ، نعم أن فى لغة الطفولية لذة ووطنية إلا ان الوطنية الحقة « دعنا من الكلام الفارغ » قائمة فى المعاني لا فى الألفاظ . اعنى فى صيانة حقوق الأفراد واحكام العدل والتسوية والالتفات الى الأمة ولغتها وعدم اعطاء خبز البنين لغيرهم فاذا فعلت هيئتنا ذلك هان علينا كل شيء وإلا فانت تضرب فى حديد بارد وكانت الوطنية قولهم ضرب زيداً عمراً اشتعل الراس شيباً وما أشبه .

فانت تدعونا عن غير قصد منك الى البقاء فى الجهل الى القناعة بفتات الخبز الذى يسقط من مائدة الغني الى مبالة الهمم بالبلادة وترك الهمم الى اضاعة الحس الانساني والموت بغدة بعير فى بيت سلولية وهذا لا يرضى به ابن الحرة فاقلع جزاك الله فان الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث وجدها فان اهملنا فكتنا عليه حين نكون ممن ابتدا بهم فخرهم لا ممن انتهى فخرهم بهم واعذر كاتباً عرف الحياة واختبر فرحم الله من فهم وعرف والسلام .

عن كفر الشيخ ـ عاصمة البرارى
فى ٢٤ يونيو سنة ٨١ بحروفها (انتهى)

أخبار آخر ساعة

من التغالى فى التمدن ان احد الأوروباويين وقف بالمنشية امام أوتيل دوروب فى الساعة الثالثة ليلا والموسيقى تصدح والناس مزدحمةثم حل زرار البنطلون ووقف يبول والسجارة فى حنكه فلم ندر أيعتقد أن الشرقيين بهائم لا يحتشم منهم أم هو البهيم لا يعقل ما يصدر منه . وقد سرى هذا الطبع فى بعض شبابنا فهم يبولون من قيام ولكنهم يلتصقون بالحائط ويرفعون إحدى رجليهم لئلا يتلوث البنطلون لا لئلا يتنجس استغفر اللــه .

اعتراض على التبكيت

ضرب الامثال بنا ونشر عيوبنا لا يليق لئلا تقف الأفرنج على احولنا .

الجواب

الافرنج تعرف من أمرك ما لم تهتد اليه ولها مؤلفات فى سيرنا اشتملت على مخباءات يظن صاحبها انه لايعلمها إلا هو والقصد تقبيح حال الجهلة وابطال دعاوى المخرفين وتحريك طباع الكسالى لتطهر العقول من دنس الجهالة حتى لا نرى احداً من المغفلين ولا المضلين أو الضالين امين .

• •

من وكيلنا فى بغداد

غب الخ .... الطاعون لا أثر له عندنا والحمد لله وكما انكم تسمعون عنا وعن غيرنا نحن نسمع عن نجف وكربلاء والمشهد وكذا نسمع عن البصـرة وليـس لـه فـى البصـرة أثـراً قطعـاً وأهـل البصرة يسمعـون انـه فـى بغداد . ومن العجيب انه كل سنة فى مثل هذه الأيام يحدث فى بغداد ما يقلق الافكار كمرض العيون والحمى ولكن لم يحدث شيء من ذلك هذه السنة والحمد لله ، دجلة فاض هذه السنة فيضاناً جيداً فسقى الأهالي الأراضى كلها حتى المعروفة عندهم بالديمية اى التى تشرب من ديم السماء لا غير . وكان الطقس كثير التقلب كل هذه المدة وليلة تاريخه وقع شيء من المطر وبرد الطقس قليلا .

• •

نلتمس من النبهاء كتبة الرسائل الأدبية وغيرها عذراً فاننا سننشرها على التتابع ولا يعجل كاتب بالغضب إذا تصور انه لم يكتب غيره فقد ورد لنا من الرسائل البديعة ما يملأ عشرة اعداد من جريدتنا فنحن نلحق محرراتنا فى كل عدد برسالة او رسالتين قياماً بخدمة الأدب والوطن وابنائه حفظهم الله .

وردت لنا رسائل شتى تتضمن حل المسالة الحسابية المندرجة بالعدد الثالث من صحيفتنا وسندرج منها طرق الحل فانها تزيد عن أربعين رسالة ويتعذر نشرها بجملتها .

• •

جناب منشئي المقتطف المحترمين .

ذكرتم فى جوابكم على عدد الجرائد العربية وجه ٣١٠ من السنة الخامسة أن عدد ما تعلمون به ثمان وعشرون جريدة . وعلى ماأظن انه يوجد عشر جرائد اخرى لم تذكر وهى جريدة رسمية للحقانية في الاسكندرية . والصدى والاتحاد وابو نقارة وابو الهول فى باريز والخلافة فى لندن . ومفرح القلوب في الهند . وصنعاء فى اليمن . والمبشر فى الجزائر والاستقبال (عربية تركية) فى ايطاليا

محمد البحيرى
منوف (مصر)



أسئلة وأجوبة

(١) من بيروت . يقال ان كثيراً من الاكتشافات العظيمة كشف اتفاقاً لا قصداً فهل لكم ان تعدوا لنا بعض هذه الاكتشافات ، ؟

الجواب . قيل ان كيماوياً كان يركب بعض الاتربة ليصنع منها بوالق جيدة فاكتشف عمل الخزف الصيني بتركيبها وقيل ان أولاد زجاج كانوا ينظرون الى برج امام دكان ابيهم من عدسيات يضعونها امام عيونهم . فاتفق ان ولداً منهم وضع عدسية تجاه اخرى فراى البرج قريباً جداً فاخبر والده بذلك ففطن والده الى ما ينجم عن صفة التكبير هذه واكتشف النظارة لكشف ما فى السماء من فوق وما فى الارض من اسفل . وقيل ان زجاجاً اخر من نورمبرج نقطت عويناته اتفاقاً بنقط من الحامض الهيدروفلوريك فاكلت . ففطن من ذلك الى الحفر على الزجاج . وان الحفر على النحاس لتقليد التصوير بالحبر الهندى اكتشف من اكتساء حديد البنادق بصدأ الندى .

(٢) من المدرسة الكلية . ذكرتم وجه ٣٣٣ من السنة الخامسة ان الزواج (الشرعي) يطيل العمر . فما تعليل ذلك؟

الجواب . زعم الدكتور ستارك ان العزوبة في حد ذاتها تضر اكثر من اشد الصنائع ضرراً بالصحة وتميت اكثر مما تميت الاماكن الفاسدة الهواء التى لم يلتفت الى نظافتها البته وان الزواج يقلل عدد الموتى بما يستلزم من العيشة المرتبة والعوائد الحسنة . على انه يقر بان اكثر الذين يعيشون بالطيش والبطر ممن يغلب عليه الموت باكراً لا يتزوجون فلا يكون موتهم من عدم الزواج . وكذلك الذين اختل عقلهم وانهكت عافيتهم يابون الزواج وإن راموه لم يجدوا من يقبلهم . وذهب الدكتور فر ووافقه العلامة دارون ان سبب طول العمر في المتزوجين هو كون اكثرهم ينتفى انتفاء من جيل الى جيل فيكون اكثر الأصحاء بينهم واكثر الاعلاء خارجاً عنهم ولذلك يزيد الموت بين العزاب . وقال دارون اما الصحيحو البنية الحميدو السيرة الذين يمتنعون عن الزواج مدة لداع حميد فلا يكثر الموت فيهم .

مطبوعات جديدة

(١) تاريخ بابل وأشور
للفتى الأديب النبيل
جميل افندى نخلة المدور

وهو سفر صغير الحجم كبير النفع ضمنه زبدة تاريخ بابل وأشور مقتطف من تواريخ الأقدمين وتحقيقات المتاخرين يتقدمهـا خلاصة شافية من جغرافية المملكتين المذكورتين . ونحن لا نكاد نحتاج ان نزيد على ذكر هذا التاليف شيئا لانه قد شاع فى البلاد العربية قبل أن يجمع كتاباً وانتشر فى جميع الأقطار بجريدة المقتطف الغراء فقراه الجمهور وراوا فيه من آثار التحقيق والتدقيق ما يشهد لمؤلفه الذكي بدقة النظر وحسن التحقيق والتدقيق . ويباع هذا الكتاب فى مطبعة الأمريكان ببيروت بنصف ريال مجيدى .

(٢) كتاب علم الدين
لصاحب السعادة على
باشا مبارك ناظر
الأشغـــال

كتاب جمع كتب بل حكاية شملت حكايات ، جعلت فى صورة سياحة عالم مصرى وولده فى البلاد الأوروبية بصحبة عالم انكليزى والغرض منه تربية الفتيان وتهذيب اخلاقهم وتوسيع نطاق مداركهم واستمالتهم الى الاطلاع على غوامض هذا الكون العجيب والخلق البديع للاستدلال على قدرة الخالق وعجائب مخلوقاته وان يعلم الانسان قدر نفسه وانه مهما بلغ من العلم وعاش من السنين عاملا على الاكتشاف مجتهداً فى استيضاح مستويات الطبيعة ومكوناتها ، لا يصل الى امر ما وضع الخالق سبحانه من الأسرار فى اقل جزء من اى شيء فى عالم الوجود . ومهما تعلم واكتسب لا يتجاوز حد علمه انه جاهل . قصير النظر والادراك .

وابدع ما فى هذا الكتاب وضعه على شكل حكاية تستوقف النظر وتجذب الفكر وتميل بالانسان الى استقرائها تفكهاً بحوادثها وتنقلاتها فذلك على نحو ما حيلة لطيفة تستدرج القارىء الى المثابرة على المطالعة من غير ما ملل أو ضجر ، كما لو طالع في كتاب مقصود على غير علم أو فن يدور فى دائرته ولا يخرج منه .

فلله در واضعه صاحب التاليف العديدة والتصانيف المفيدة ، حضرة صاحب السعادة علي باشا مبارك ناظر الأشغال العمومية ، فانه وضعه على اسلوب لم ينسج على منواله وأودعه كل ما رق وراق من نوادر اخبار ومن أعظم فوائد هذا الكتاب ، حسن عبارته وسلاستها وسهولتها ورقة انسجامها ، وقد حصل ذلك بعناية حضرة ذى الفكرة الرائقة والمعرفة الفائقة سعادة عبد الله فكرى باشا فى تنقيح عبارته وسبك اساليبه مما أوجب شكر المؤلف وثناءه عليه .

(العصر الجديد)

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

حاكم عربي اشتهر بالجبروت وقول الرجز للارهاب . اسمه من ستة أحرف

٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٦ فريضة
٤ ـ ١ جيب الزاوية .

أين ؟

قطر افريقي به مسلمون قامت بينهم فتنة لا تزال ذيولها جرارة . اسمه من أربعة حروف :

٢ ـ ٤ جر أو جذب
١ ـ ٣ ـ م كامل

ما ؟

ثمار لابد للعرب من الاهتمام بانتاجها فى أراضى السودان وفيما بين سوريا والعراق وإلا قتلتهم المجاعة ، وتحكم الأسواق الخارجية فيهم . اسمها من ستة أحرف :

٤ ـ ٥ ـ ١ ـ ٦ حارس مدخل
٣ ـ ٢ ليس حرماً

الإجابة الصحيحة

١ ـ تم حفر قناة السويس فى عهد حاكم مصر :

عبد الله بن ابى سرح ـ أحمد بن طولون ـ الخديو اسماعيل باشا .

٢ ـ تقع جزر الكنارى في :

البحر الأحمر ـ المحيط الأطلنطى ـ بحر الخزر (قزوين)

٣ ـ تعشق الألقاب فى غير العلا .. أكمل البيت وانسبه الى قائله .

٤ ـ اثنان مما يلى من المعادن من خامات الرصاص :

السيروسايت ـ الجالينا ـ المسكوفايت ـ الشيلايت .

٥ ـ نقول زئير الأسد ، ونقيق الضفدع وخوار :

الثعلب ـ الثور ـ النمر .

٦ ـ النجف فى العراق والأزهر فى مصر وتاج محل فى الهند والزيتونة فى :

مالطة ـ تونس ـ مالى .

٧ ـ يصنع (المش) فى الريف المصرى من :

البرسيم ـ البطيخ ـ اللبن ـ القرع

٨ ـ واحد من الأدباء العرب الآتية اسماؤهم حضر افتتاح الجامعة العبرية فى القدس الشريف عام ١٩٢٥م هو :

طه حسين ـ توفيق الحكيم ـ أحمد لطفى السيد ـ ابراهيم الورداني

٩ ـ (تتحول الفضة الى رصاص تحت الضغط الشديد والحرارة العالية) هل هذه العبارة صحيحة علمية ؟

١٠ـ كانت الدويلات التى تمزقت اليها الدولة العربية فى الأندلس قبل سقوطها يحكمها حكام يسمون :

الولاة ـ ملوك الطوائف ـ الانكشارية .

حل مسابقة العدد ٦٦

من ـ ابن بطوطة
أين ـ الأسكندرية
مـا : برج بابل .

١ ـ أبى حامد العزالي
٢ ـ وحسب المنايا أن يكن امانيا
المتنبى
٤ ـ كبريتات الحديدوز
٥ ـ البوكسيت
٦ ـ حسان بن ثابت
٧ ـ ايريل شارون
٨ ـ جابوتنسكي
٩ ـ محمد على المواوى .
١٠ـ القسطل .

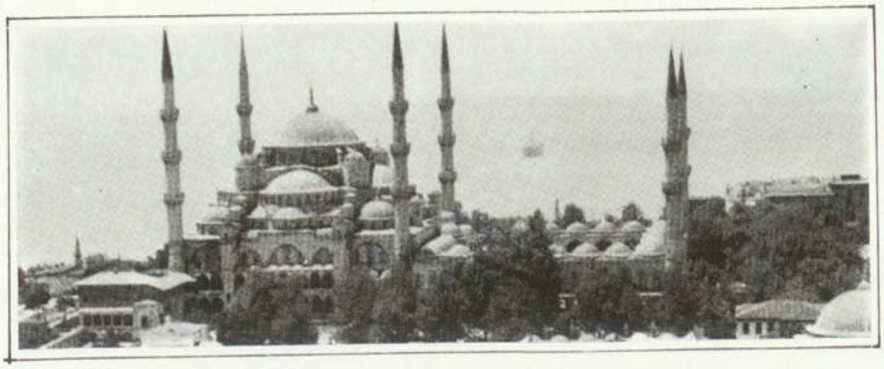
مشكلة عويصة

سأل أحدهم أمريكيا لماذا لا تنتخبون فى أمريكا سيدة لمنصب الرئاسة ؟

فأجابه : لأن القانون يحتم أن يكون عمر الرئيس فوق الأربعين ولا يوجد سيدة واحدة فى أمريكا ترضى بأن يقال عنها بأن عمرها أكثر من أربعين !

رامى رفيق عديرة
درعا ـ سوريا

حـــاول أن تعـــرف •••



● مسجد مقام بإحدى الدول الاسلامية . بدأ بناؤه عام ١٦٠٩ م واستغرق حوالى سبع سنوات وانتهى عام ١٦١٦م به ٢٦٠ نافذة ذات زجاج أزرق ولذلك يطلق عليه أيضا اسم المسجد الأزرق .

ما اسم هذا المسجد ؟ وفى أى مدينة يقع ؟



● مهندس ومخترع انجليزى شهير . كان له الفضل فى اختراع آلة غيرت معالم الحضارة . بدأ حياته كمساعد لصانع آلات ثم انقطع بعدها عن هذا العمل لحالته الصحية ، وأسند اليه بعد ذلك تنظيف وصيانة أجهزة فلكية فى جامعة جلاسجو ، وهناك استطاع أن يتعلم أشياء جديدة أدت به الى اختراعه العظيم . ولد عام ١٧٣٦ م وتوفى عام ١٨١٩ م .

من هو هذا العالم ؟ وما هى الآلة التى اخترعها ؟

حـــل مســابقــة حـاول أن تعـرف

الصورة الأولى :

جزيرة شراعوه التابعة لدولة قطـــر



١ - محمد عبد الرحمن السعيد - الدوحة - قطر

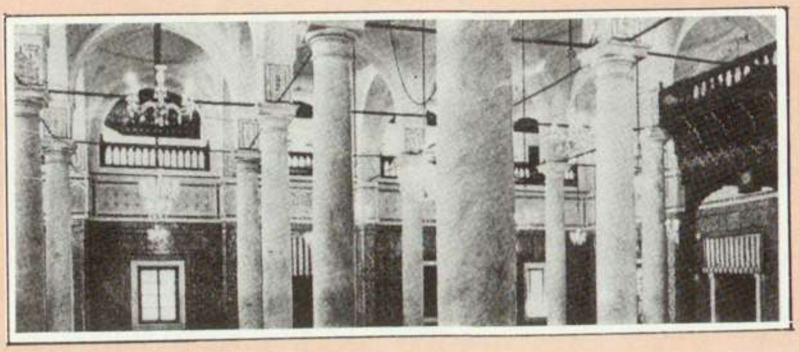
٢ - ياسر عوض حامد - الدوحة - قطـر

الصورة الثانية :

مسجد أحمد باشا القرمانلي بطرابلس ليبيـــا .

١ - وهابي مصطفى - وجدة - المغرب

٢ - محمد سعيد الصغير - ليبيـا



اســمـاء الفـائـزيــن

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة: القارئة : أمينة عدلي علي - ص . ب ٣١٣٢ - الدوحة / قطـــر .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة: القارىء : عبد الحميد مصطفى - ص . ب ١١٦١٧ - الزرقاء / الأردن

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة : القارىء : مصدق محمــد حي المحطة - برج نوعريريج - ولاية سطيف / الجزائر .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ - محمد عباس جواد البحريـن
٢ - العجورى عبد السلام المغرب
٣ - محمود الخطيب الكويــت
٤ - عباس كاظم نور الديـن لبنان
٥ - لمرابط ابن عبد الرحمن موريتانيا
٦ - زكية فرحات تونــس
٧ - خولة على محاسنه السعودية
٨ - أحمد بشار بركات أبو ظبي
٩ - ريم كمال عبد الكريم الدوحة
١٠ - مجدى عباس ريـاض القاهرة
١١ - حمود حاج أحمد الحمود سوريا
١٢ - عبد الله محمد حمد خير السودان

خداع الشيطان

يغريك الشيطان بمصاحبة الاشرار عن طريق الامل فى هدايتهم .

ويغريك بترك الجهاد عن طريق حاجة الناس اليك .

ويغريك بترك العلم عن طريق الانشغال بالعبادة .

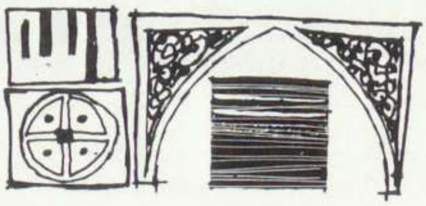
ويغريك بترك العمل عن طريق القضاء والقدر .

ليث رافع سليم
بغداد - العراق

دوحة القراء

سمعت

مكة المكرمة مركز العالم



مكة المكرمة .. أم القرى .. وقلب الأرض .. البلد الذى شهد مولد أعظم رسالة سماوية غيرت معالم التاريخ وقفزت بالانسانية الى أبعد الآفاق .

من يقيم فيها يملؤه شعور بأن السماء هناك أقرب الى الأرض أو أن الأرض ارتقت فقربت من السماء ، وليس ذلك غريباً ، فهى البلد الذى اختاره الله تعالى لبيته الحرام «إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ..»

ومكة أيضا هى مركز الأرض والمحور الذى يدور حوله العالم ، وهذا ما أثبتته الحقائق العلمية اليوم .

فقد أثبت العلماء مؤخرا بعد استخدامهم الأقمار الصناعية والعقول الالكترونية أن مكة هى «مركز ثقل» بالنسبة للأرض ، وتوصلوا الى نظرية جغرافية تقول بأن مكة هى مركز دائرة تمر بأطراف جميع القارات الست

وقد رسم العلماء خريطة للأرض بحساب كل الأماكن على جميع القارات وموضعها من مكة ثم قاموا بوصل خطوط الطول المتساوية لمعرفة مسقط خطوط الطول والعرض واستعانوا فى ذلك بمعلومات الأقمار الصناعية والعقول الالكترونية فتبين لهم أن مكة المكرمة هى مركز تلاقى هذه الخطوط جميعها .

فليس غريباً إذن أن يكون اسم مكة المكرمة «أم القرى» فهى كالقلب بمثابة أم لكل بلاد الأرض ، وليس غريباً أن يشعر الانسان فيها بقربه من السماء ، وأن يشعر فيها بالاطمئنان يملأ قلبه .

محمود زيدان سفارينى
الزرقاء ــ الأردن

ومضات



● « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فان القلوب إذا كلت عميت »
(حديث شريف)

● « من كانت فيه دعابة ، فقد برىء من الكبر .
(على بن أبى طالب)

● « الدعابة والتظرف نوع من المحبــة »
(الغــزالى)

● « سئل جحا ذات يوم : أيهما أنفع للناس ، الشمس أم القمر ؟ . فلم يتمهل وأجاب : القمــر ولا مراء ! . فسألوه : ولـماذا ؟ . قال لأن الشمس تطلع بالنهار حين يستغنى عنها الناس ، أما القمر فيطلع فى الظلام حين الحاجة إليه .

ابرينى محمــد
المغــرب

المـــال والـديـــن



● المال خير .. وشر .. فهو خير إذا كان وسيلة لأن يستغنى به الانسان عن السؤال والحاجة ، وشر إذا سبب البغضاء بين الناس .

● والقرض مقراض المحبة .. فان الدين هم بالليل وذل بالنهار ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله فيقول «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال »

أظهر حسين بابى
ديوباند ــ الهند

حل كاريكاتير وتعليق العــدد ٦٦

● **الطبيب للمريضة : « هذه نتيجة دس انفك فيما لا يعنيك »**
هشام المرسى على ــ الأسكندرية

● **الطبيب لزميله : «سنعطيه الدواء رغم انفه »**
نزار رفيق معروف ــ الدوحة / قطر

أحبّ الناس إلى الله

أحب الناس الى الله عز وجل ، من سأله واستغنى به عن غيره ، وأبغض الناس اليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره . وأحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض النلس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم .

محمد على عجيل صالح
السودان

● ● ●

ثلاث × ثلاث

● الرجل كالصلصال : فى الطفولة تشكله اسرته ، وفى شبابه يشكله المجتمع ، وفى الزواج تشكله زوجته ، وفى شيخوخته يشكله المرض !

● الصراحة والاخلاص والاحترام ثلاثى يعطى أدق تعبير عن الصداقة الحقة ، وإن خلت الصداقة من الاحترام فهو دليل عقمها الدامغ ، وخلوها من الاخلاص دليل على دخول النفاق اليها ، أما خلوها من الصراحة فهو دليل البوار .

عمر عبد الجليل الحضيرى
بنغازى ـ ليبيا

لمـــاذا تزوجتك ؟



تزوجتك سليماً او مريضاً ، غنياً او فقيراً تملأ فراشك بالدفء أو تتكوم فى جانب منه .. شجرة يانعة الفروع أو شجرة بلا فروع ولا ورق .. تزوجتك لأنك ابى واخى وابنى وقلبى وعقلى وخبزى وكبريائى .

نجوى محمد راضى تفاحة
المانيا الغربية

لقطة الشهر



فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : اعكيرى عبد اللطيف بلكور الجزائر

مدخل مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة . بنى عام ١٦١٣م وجدد بناؤه وتمت توسعته عام ١٩٣٠م . فى نفس العام وضع عليه الكونت دى بور (ممثل الاحتلال الفرنسي) صليبا فى نفس اللحظة التى رفع فيها العلم الفرنسي على دار الحكومة بالجزائر .

وفى الاحتفال بالذكرى الثامنة للثورة الجزائرية عام ١٩٧٣م أعيد الى أصله وأزيل الصليب من فوق المدخل ، وكان أول من أم صلاة الجمعة فيه البشير الابراهيمي .

كلمات لها أظافر



بقلم : عبد الله الشيتى

● قرات ذات مرة ، أن بعض الناس فقراء لأنهم طيبون وبعضهم الآخر طيبون لأنهم فقراء . وفى ذلك أقول : أن بعض اصدقائك ومعارفك ، تتمنى لهم الفقر الدائم حتى لا تفقدهم .

● ●

● من المفرح ، فى تصورى ، أن تجيد السباحة ! ولكن من المحزن أن تغرق في الديون . والطريف أن من الناس من يعاند ولا يبالى أو يحجم عن الغوص فى مستنقع الاستدانة ، ولسان حاله : أنا الغريق فما خوفى من البلل ... ؟

● ●

● متادب مغمور ومغرور – على وزن جار ومجرور – زارنى يسالنى :

– أريد أن أطبع كتاباً ، فبم تنصحني .. ؟

قلت : وهل يعرفك احد حتى تخرج على الناس بكتاب من تاليفك .. ؟

اجاب من فوق أنفه : لا يهم . يكفى أننى أعرف نفسى ..

قلت من فورى : مادام الأمر كذلك ، أنصحك أن تطبع نسخة واحدة .. !

● ●

● تابع لما قبله : فى يقينى أن الغرور هبة من الله ، ولكن لذوى النفوس الصغيرة . وتصور معى ذلك الديك الذى يعتقد أن الشمس لا تشرق ، إلا لكي تسمع صياحه . وما أوجعها من حقيقة ، حين تكون مقابر الأدب والفن ملآى بالمغرورين ولو مازالوا أحياء يرزقون ، أو يلزقون بالأدب والفن والثقافة ، زاعماً واحدهم أنه فى الميدان « حديدان » وأنه وحده « ابن جلا وطلاع الثنايا » !

● و .. سئلت مرة : كيف نستطيع ان نعرف المغرور ؟

قلت : حين يتظاهر بانه لا يعرفك .. !

● ●

● سمعت زوجة تهمس في اذن زوجها وهما يرقصان فى حفل « مخملي » ، وفى مكان عام : ابتسم قليلا ياعزيزى ، حتى لا يظلنونا .. متزوجين .

وتذكرت من فورى مقولة ساخرة موجعة لبرناردشو فى اطار الملل الزوجي أو (الرتابة السعيدة) إن شئت ، : يقول الزوج لزوجته قبل الزواج ، اني على استعداد أن اطرح قلبى عند قدميك ، لكنه بعد الزواج يصعب عليه أن يطرح الجريدة جانباً ليكملها ... !

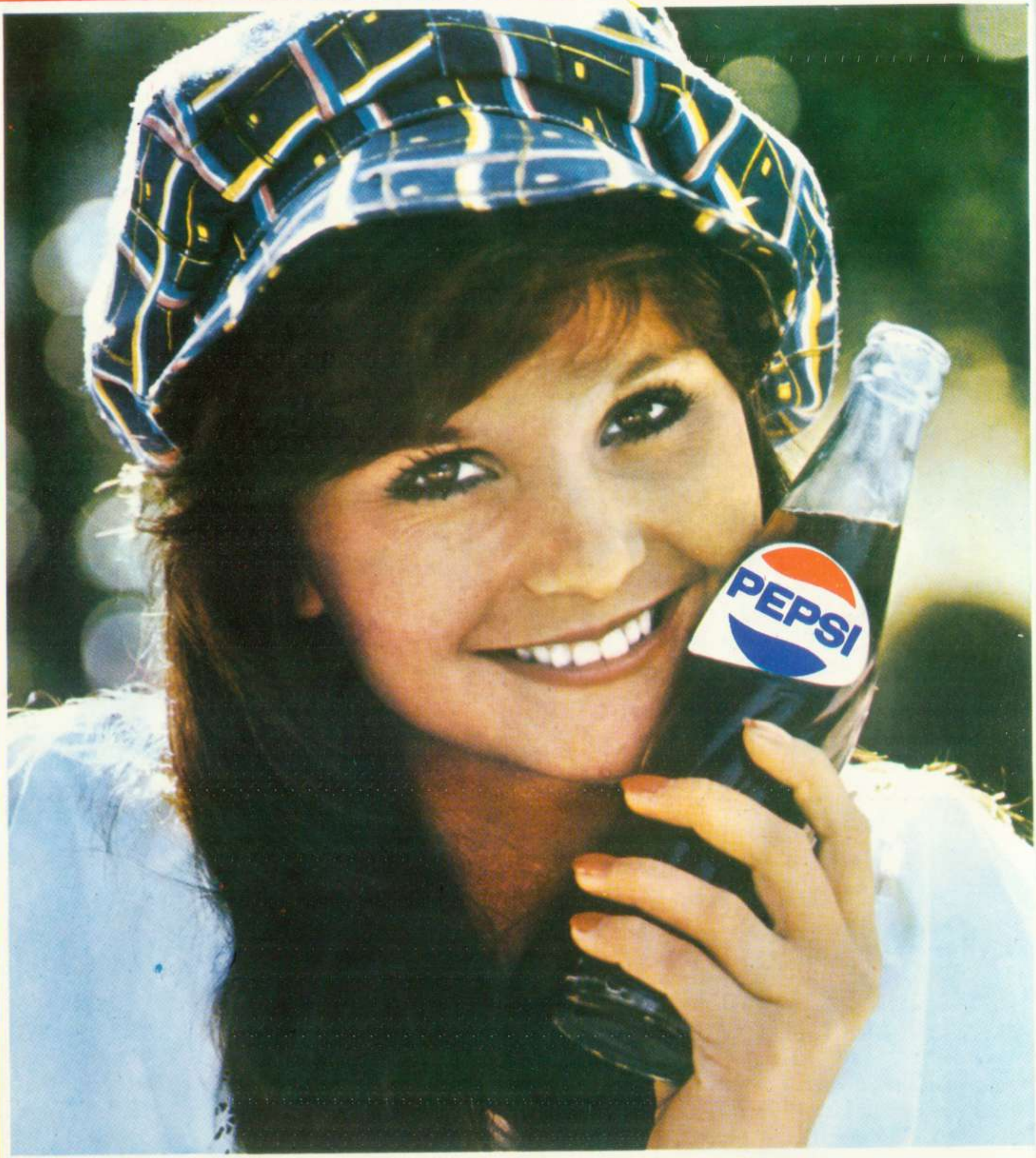
ومع ذلك ، لا « احد مرتاح » ، لا العازب ولا المتزوج ، من الجنسين طبعاً إذا كنا حريصين على مبدأ المساواة ، حتى فى سوء الطالع ...

هل تريدون أن تبتسموا وسط عبوس آخذ بخناقنا فى أيامنا السود هذه .. لقد اكتشف العريس فى ليلة الدخلة أو ليلة (الحنة) كما يسميها البعض ، أن العروس التى انتقاها أهله له قبل أن يراها ، « جيكرة » بمعنى أنها من القبح بمكان ، وسألته فى اليوم التالي : يازوجي ، على من أظهر من أهلك وممن أختبىء ؟ فأجابها على الفور :

– أظهرى على كل الناس واختبي منى ...

● ●

● سئلت فى مقابلة صحافية : قبلة الرجل على جبين المرأة التى يحبها ، ماذا تعنى ... قلت : « شيك بدون رصيد ...


PEPSI
بيبسي
مشروب الجيل الصاعد



السنة السادسة العدد ٦٩ ـ ذو القعدة ١٤٠١ هـ ـ سبتمبر ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- حقيقة السلاح النووي في إسرائيل
- اطلب مع العدد هدية: خريطة استقلال الوطن العربي

استقلال ١٩٧١ و ١٩٨١




بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٩ - سبتمبر/ أيلول ١٩٨١

المراسلات:

التحرير والادارة:
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي:
المجلة ـ الدوحة
تلكس:
4521 MAGDO DH

تليفونات:
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير: ٢١١٢١
التحرير: ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري: ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات:
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلساً
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلساً
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلساً
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلساً
العراق ٢٥٠ فلساً
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليماً
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم:
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات:

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات:

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها
نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر في المجلة لا يعبر
بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

في هذا العدد



عبد الله جفري



د محمد الأنصاري



د. يوسف ادريس



لوحة الغلاف الأول
لوحة الغلاف الأخير
اعداد هدية العدد
للفنان حلمي التوني

كلمة

من أسطول محمد علي إلى المفاعل الذري

منذ الحروب الصليبية الى اليوم لم تتوقف هجمات الغرب على الأمة العربية ، وقد كان موضع الهجوم الأساسي باستمرار هو « الموقع الدفاعي » ، فكل سلاح حمله العرب من اجل الدفاع عن انفسهم فى الحرب أو فى السلم ، عمل الغرب على تدميره والقضاء عليه . ومنذ أن قامت مصر المستقلة فى عهد محمد علي ببناء جيش كبير واسطول قوي ، الى أن قامت العراق ببناء مفاعلها الذري ، والموقف واحد لا يتغير ، فقد تجمعت الدول الغربية بقيادة انجلترا لتدمير الاسطول المصري ، الذى انشاه محمد علي وبناه على احدث اساليب العصر العلمية فى ذلك الحين ، وقد جعل هذا الاسطول مصر والعالم العربي كله فى وضع قادر على الاستقلال عن الامبراطورية العثمانية ، وقادر على الاندفاع الى التطور والنهوض ، وهنا وقف الغرب وقفته المعروفة فيما سمي بعد ذلك بمعاهدة لندن سنة ١٨٢٧ ،حيث اتفقت انجلترا وروسيا وفرنسا على تدمير الأسطول المصري ، واشتركت ١٢ سفينة انجليزية و ٧ سفن فرنسية و ٨ سفن روسية ، فى تدمير الأسطول المصري في معركة « نافارين » الشهيرة على شواطىء اليونان ، والهدف من وراء ذلك كله واضح ومحدد وهو هدف لم يتغير منذ الحروب الصليبية الى الأن ... فالغرب لا يريد للعرب أن يحملوا سلاحاً يحميهم ضد أعدائهم ، فالسلاح القوي معناه الحرية ، والحرية معناها التقدم والنهوض ، وإذا كان العرب قد استطاعوا فى فجر الاسلام أن ينطلقوا الى العالم برسالتهم وحضارتهم ، بقوة الايمان وارادة التقدم والحضارة ، ودون أن تكون لديهم امكانيات مادية ذات خطر ... إذا كان ذلك قد تحقق للعرب منذ اجيال بعيدة ، فانهم يستطيعون في العصر الحديث بعد أن اصبحت لديهم ثروة غير عادية ، هي ثروة البترول ، وهي اعظم ثروة عرفها الانسان في كل مراحل التاريخ ... يستطيع العرب الأن بما يملكون من رسالة وتراث وثروة ، أن يلعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ الحضارة المعاصرة ، ويستطيعون أن يطردوا من فوق ترابهم هؤلاء الذين يسيطرون على هذا التراب بقوة السلاح .

ولن يتم شيء من ذلك إلا إذا تمكن العرب من الحصول على القوة التى تضمن لهم الدفاع عن أنفسهم ، وتضمن لهم بناء حضارتهم من جديد ، بعد أن تخلفوا طويلا عن التقدم الانساني بسبب ما تعرضت له بلادهم ــ ومازالت تتعرض له ــ من استعمار فرض عليهم الجهل والتمزق وسرق الكثير من ثرواتهم الطبيعية ، ثم استقر في أخر الامر فوق أرض فلسطين ، ليكون « رقيباً » على العرب ، فيمنعهم من اية حركة الى الأمام ، ومن أى تقدم يساعدهم على بناء قوتهم من جديد ، وأصبح ممنوعاً على العرب أن يقيموا مشروعاً واحداً لا يرتضيه الاستعمار ، وما كان المفاعل الذري العراقي إلا رمزاً لنهضة العرب وقوتهم ورغبتهم فى اللحاق بالتقدم العلمي فى العصر الحديث ، بدلا من أن يظل العرب فى وضعهم الراهن الذى يمثل خطراً على حاضرهم ومستقبلهم ، ورغم أن العراق أعلنت على لسان قادتها أكثر من مرة أن المفاعل الذرى العراقي ، انما اقيم لخدمة الاغراض السلمية فى المجتمع العربي ، وليس لأهداف حربية عدوانية ، رغم هذا كله فقد قامت الصهيونية بمساندة القوى الاستعمارية بضرب المفاعل الذري العراقي ، وكانها تقول للعرب : غير مسموح لكم بالتقدم ، وغير مسموح لكم بالحرية ، وغير مسموح لكم بان تتخلصوا من قبضة الاستعمار وارادته .

والحقيقة التى تكشفها لنا صفحات التاريخ المختلفة ، هي أن معركتنا مع الاستعمار مستمرة منذ الحروب الصليبية ، وأن النهضة العربية لن تتحقق ابداً بارادة الاستعمار أو بموافقته ، وان تحرير الأرض العربية والانسان العربي ، لن يتم أبداً إلا بقوة العرب انفسهم ، كما تم تحرير القدس فى عصر صلاح الدين بالقوة العربية التى ارغمت الصليبيين على التسليم بان للعرب حقوقاً يجب أن ترعى وتصان .

ولكن الاستعمار لم يهدأ بعد الحروب الصليبية فكرر محاولاته ومازال يكررها حتى اليوم ، وجوهر المحاولات الاستعمارية جميعها واحد ، فالاستعمار لا يريد أن يكون للعرب قوة تحمي حريتهم في الحركة والتقدم والبناء والنهوض ، سواء كانت هذه القوة التى يملكها العرب هي اسطول محمد على الذى تقرر تدميره سنة ١٨٢٧ أو جيش عرابي الذى تقرر تدميره سنة ١٨٨٢ ، أو المفاعل الذري العراقي الذى تقرر تدميره سنة ١٩٨١

وعلى العرب جميعاً أن يدركوا جوهر الصراع بينهم وبين الاستعمار ، وعليهم أن يقفوا لبناء المفاعل الذري الذى تحطم في بغداد ، بل وبناء عشرات المفاعلات الذرية الأخرى ، وعليهم أن يخرجوا من التمزق الى الوحدة ، ومن الانقسام الى التضامن ومن اضاعة الوقت الى الاستفادة من كل لحظة فى حياتهم لبناء قوتهم التى تحميهم وتحررهم وتفتح امامهم طريق النهوض والتقدم .

« الدوحــــة »

"أنا أفكِّر..."

كان الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » يقول : « أنا أفكر .. إذن أنا موجود » وهو يعني أن الفكر الذى توصل اليه عن طريق الشك هو الحقيقة الكبرى فى وجوده ، بل البرهان الأمثل على وجوده »

وأريد فى هذا الحديث أن أقتبس من ديكارت ، فاقول : « أنا أفكر .. إذن ، فانا مسلم » ..

ذلك بانه إذا كان الدين ضرورة ، وانه لكذلك . فليس ثمة دين مثل الاسلام رعى حرية التفكير ، وحرية التعبير .

والفكر فى الاسلام محترم ومقدر حتى بمعناه الفلسفي .. فاذا كان « ديكارت » قد قال أيضاً : « شك لتعرف » ، فقد سبقه رسول الاسلام الى هذه الحقيقة بعدة قرون . وذلك عندما ذهب اليه ــ عليه الصلاة والسلام ــ نفر من أصحابه مفزعين ، وقالوا : يارسول الله . إنا لنجد فى أنفسنا ، مالأن نحترق حتى نصير حمماً أهون علينا من أن نتلفظ به ــ يعنون بهذا الشك فى الله سبحانه .. فابتسم الرسول في وجوههم ابتسامة ذكية ، وقال لهم : هل وجدتموه ؟ ــ يعني الشك ــ قالوا : نعم .. قال : الحمد لله . هذا محض الايمان .. !!!

وبذلك سرّى عن أنفسهم ، وربط على قلوبهم ..

وهكذا يصير الشك فى الاسلام ليس طريقاً الى تمحيص الفكر وحده . بل والى تمحيص العقيدة أيضاً .. وهذه مكانة لم يتبوأها الفكر فى دين ولا فى فلسفة مثلما تبوأها فى الاسلام .. !!

لقد وردت كلمة « الفكر » ومشتقاتها فى القرآن تسع عشرة مرة . وجاءت المرادفات لها عشرات المرات من كلمات الفقه ، والعلم ، والعقل .. وفى كل مرة كان القرآن العظيم يجعل من عملية التفكير هدفا علياً ، يتوسل الناس اليه حتى بالعبادة نفسها .

يقول القرآن الكريم : « قل إنما أعظكم بواحدة ــ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا » .. فهنا يجعل القيام لله سبحانه وسيلة لتحقيق مستوى من الفكر رشيد .

ويقول : « كذلك يبين الله لكم الآيات ، لعلكم تتفكرون » .. أى أن الله سبحانه وتعالى يرسل رسله ، ويوقد مشاعله ، ويصرف أياته بين الناس ، ويبينها لهم ؛ لكي يصلوا أيضاً الى مستوى من الفكر رشيد ..

وحين يشد القرآن انتباه الناس الى مافى ملك الله وملكوته من عجائب زاخرة وآيات باهرة .. يدعوهم لأن يكون استشرافهم لهذه الآيات وسيلة لتحقيق

بقلم
خالد محمد خالد

إذن أنا مُسلم !! »

مستوى من الفكر رشيد ..

وحين يقص قصص الأنبياء السابقين ، وانباء الأمم السالفة التى أرحضتها غواشي الفتن والضلال ، ثم حين يأمر رسول الله عليه السلام أن يقص تلك الأنباء على المسلمين وغير المسلمين يقول سبحانه : « فاقصص القصص ؛ لعلهم يتفكرون » ..

وحين يضرب الله الأمثال لعباده ؛ فانما يقدم لهم بها مادة للتفكير .. يقول سبحانه :« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » ..

ويجمل الله دعوته للتفكير ، وايثاره الفكر فى هذه الآية الكريمة : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » .. فتبيان الرسول لما أنزل الله .. صنو وقرين لعمل الفكر فى هذا الذى أنزله الله .. بل أن الفكر فى هذه الآية يكاد يبدو متمما لعمل الرسول» ولا نعرف تقديراً للفكر يفوق هذا التقديـر !!

اجل .. انا افكر ، إذن أنـا مسلم .. انها كما رأيتم حقيقة لا يغشاها ارتياب .

والاسلام فى توقيره الفكر إنما يساير فطرة الله . فالفكر أسمى عطايا الله للانسان . ولقد أعلن الله رشد الانسان حين بزغ عقله ووعيه .. وحين نما وساد فكره .. إذ بالفكر ساد الانسان عالمه وحول أحاسيسه الغامضة ، ومبهماته الباطلة الى وعي ، وحركة ، ومستقبل .. وبالفكر استطاع أن يحول غرائزه الحيوانية الى حاجات انسانية ، ويحول أسرار الطبيعة المضمرة الى عالم جديد ومشيد ، واستطاع أن يمتلك ـ على حد تعبير هيجل ـ غريزة خلق ذاته .. !!

والعلم ، والفلسفة ، والفن ، والأدب .. تعبيرات وقوى اهتدى اليها الفكر الانساني ؛ ليطور بها وجوده .. ويثري بها حياته .. ويبلغ بها غايته .. وهي جميعاً مجلى الفكر الثاقب والنامي .

وكلمة « فكر » تبدو وفيها من السيادة ما يجعل كلمة « حر » الى جوارها فضولا ولغوا !! ، فليس للفكر سوى حالة واحدة يتأكد منها وجوده ـ تلك هي حالة التحرر المطلق من كل القيود .. أى أنه ليس ثمة فكر حر ، وفكر غير حر .. بل هناك فكر ، أو لا فكر على الاطلاق !!

والمفكر الرشيد حقاً ، ليس هو الذى يقول : « هذا ، ولا شيء معه » بل الذى

"أنا أفكر... إذن أنا مسلم !!"

يقول : « هذا ، حتى يظهر أصدق منه » ..
ولا ينبغى بحال أن يحجر على الفكر باسم الدين . والذين يفعلون هذا أو يحاولونه . هم قوم شردتهم الجهالة ، وألقت بهم بعيداً بعيداً عن الفكر والدين.

وكذلك الذين يحاذرون على الفكر وعلى التقدم الانساني من الدين ، انهم بعيدون جداً مما عليه يخافون ويحذرون!
فالفكر قد بث نفسه فى كل مجالات العقيدة والمعرفة . والعلم بشتى فروعه . والفلسفة بكل آفاقها ــ هما مجلى ظهور الفكر ، ومجال حركته ، وثمرة محاولاته وكدحه .. بل أن الفكر كذلك ثاو فى قلب الدين .. والتطور الملحوظ فى التفكير الديني وفى تجديد مفاهيمه دليل على عمل الفكر فى الدين .. وفى هذا ما يجعلنا أقرب رحماً الى الفكر ، واكثر توقيراً له ، ومعرفة بدوره ..

قلنا : إن للفكر مكانه السامق والشامخ فى الاسلام .. ولم يعرف الفكر الاسلامي ، كما لم يعترف بأى حجر على حريته . وليس معنى ذلك أنه نجا من محاولات قهره واضطهاده من بعض الحاكمين وبعض الغوغاء .. بيد أنه تفوق على كل قهر وكل اضطهاد .. وهذه عظمته ، وعظمة الدين الذى استظل برايته .

لقد سار الفكر الاسلامي فى الدروب غير المطروقة ، ورحل عبر المجهول ، ومضى يضرب فى نجود الحقيقة وسهولها ، ويحلق فى آفاقها وسمائها ..
وآخى بين الأفذاذ من المفكرين المسلمين .. فالفارابي التركي ، والغزالي الفارسي ، والمعرى العربي ، وابن باجه الفرنجي .. وغيرهم ممن اقتحموا المعاقل وتسوروا الحصون ، وأدى الفكر من خلال أفكارهم رسالته الجليلة والنبيلة .

ولقد كانوا أساتذة ، لا للمسلمين وحدهم ، بل ولنفر كثير من علماء أوربا ومفكريها . فالفارابي وابن سينا هما اللذان نقلا الى المسلمين ، وبالتالي الى أوربا فكر أفلاطون وأرسطو ..

ويقول ج . بيوري فى كتابه حرية الفكر : « إن أول موجة من النور أهلت على أوربا ، كانت مؤلفات ابن رشد » ..

ويقول الدكتور عمر فروخ فى كتابه تاريخ الفكر العربي : « إن ابن حزم مس نظرية المعرفة مساً صحيحاً قبل عمانوئيل كانت الذى جاء بعد ابن حزم بثمانية قرون .. وكذلك بسط ابن خلدون العربي الأفريقي فلسفة الاجتماع قبل مونتسكيو ، وتارد ، ودركهايم الفرنسيين الأوربيين بخمسة قرون .. وإن البراهين التى جاء بها الغزالي المسلم الآسيوى للدفاع عن الايمان قد تبناها القديس توما المسيحي الأوربي .. إن البراهين التى اعطت الغزالي لقب حجة الاسلام ، هي التى أعطت توما الأكوينى لقب قديس .

وكما قلنا من قبل ، فان الفكر الاسلامي لم يعرف فى مساره حدوداً ولا سدوداً .. بحث فى كل شيء ، وتكلم عن كل شيء ــ حتى الذات الالاهية ، واجه الفكر الاسلامي كل قضايا الألوهية بجسارة عجيبة !!

فهناك المفكرون الذين تساءلوا : هل ذات الله غير صفاته ؟ أم ذاته وصفاته شيء واحد ؟ وهناك المفكرون الذين قالوا : إن الله لم يتصف منذ الأزل بصفات يتصف بها عباده مثل ــ حي ، وعالم ، ومريد ــ ولا ينبغى أن نثبت لله إلا الصفات التى تكون له وحده مثل ــ خالق ومحيي ومميت ــ .. هناك من ناقشوا علم الله ، وهل هو متعلق بالكليات والجزئيات ؟ أم أن علمه سبحانه قاصر على الكليات ؟ وهل الله يرى فى الدنيا ؟ أم يرى فى الآخرة ؟ أم لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة .. ؟ وهل الجنة والنار خالدتان أم فانيتان ؟

واقتحم الفكر فى الاسلام قضايا الغيب جميعاً ، حتى اصطنع علماً خاصاً ومتكاملا ، سمي « علم الكلام » ..
.. وحتى الروح التى اغلق القرآن باب النقاش فيها حين يقول : « ويسئلونك عن الروح . قل الروح من أمر ربي » ..
أخضعها الفكر الاسلامي لتطلعاته وفحوصه . ورفع علامات الاستفهام الكثيرة الموضحة أمامها . وراح يقنص ويتفلسف ويجيب !!! .

وفى الاسلام ينداح طريق الفكر ، وتتسع مذاهبه .. ويظهر الخوارج ، والشيعة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والقدرية .

ثم ظهرت المذاهب الفقهية . وهي آية على ما بلغه الفكر فى الاسلام من حرية وشموخ .

ففي الفقه الاسلامي خضعت أصول الاسلام من قرآن وسنة لتفسيرات فكرية متباينة . مما نشأ عنه اختلاف وجهات النظر . تبعاً لحرية التفكير . فظهرت المذاهب الأربعة ــ وزعماؤها أبو حنيفة النعمان ، والشافعي ، ومالك ، واحمد بن حنبل .. كما ظهر الى جوارها مذاهب أخرى كثيرة لم يكتب لها أن تظل فى مكان الصدارة طويلا .

ونهض فى مواجهة أهل الحديث ، أهل الرأي .. يقول الامام أبو حنيفة : « فقهنا هذا رأي ــ فمن جاءنا بخير منه قبلناه » ..

إن الحرية التى ظفر بها الفكر الاسلامي تبعث على الدهش والعجب .. فبينما حرمت الكنيسة فى عصورها القديمة « تعاطي » الفلسفة ، نجد الفكر الاسلامي بدءاً من عصر المنصور العباسي ، يتابع العلم والفلسفة عند اليونان ، ثم لا يكتفى بقراءتهما بل يقوم بنقلهما الى اللسان العربي حتى يجيء عصر المأمون ، فتتسع حركة النقل والترجمة وتتراحب أبعادها .

ويظهر النظّام ، والعلاف ،والجبائي ، والجاحظ ، والأشعري .. ثم يأتي « رتل » من الشامخين ــ أمثال أبى بكر الرازي ، وابن الهيثم ، والكندي ، والتباني ، والفارابي ، وابن مسكويه ، وأبي الوفاء البوزجاني ، وابن يونس المنجم ، وابن سينا ، وابن النفيس ، والبيروني ، وابن خلدون .. ويعزف الفكر « سيمفونيات » ليس لها نظير .. أليست حقاً ، هذه المقولة : « أنا أفكر .. إذن أنا مسلم » ..؟!
وهل أتاكم نبأ جولة الفكر مع « إخوان الصفا » .. ؟!

إنهـــا لعجيبـــة ..

فمـع اولئـــك الأخـــوان لم يصــرف الفكـــر عـــن حريتـــه رغبـــة ولا رهبـــة ... فلقـد كانـوا يقولـــــون « إن النجاة لا تكون بالعبادة والأخلاق فقط ، بل بالاحاطة بالعلوم وبالمعـــارف » .. !!

وسنختلف مع « إخوان الصفا كثيراً .. لكن سيظل المغزى العظيم ماثلا فيما كان للفكر من حرية فريدة فى ظل الاسلام » !! لقد تركوا اثنتين وخمسين رسالة لم تترك باباً من المعرفة ، والفلسفة إلا طرقته ، ولقد شهد القرن الرابع الهجري من نشاطهم الفكري الشيء الكثير .

لقد لخصوا منهجهم الفكري والعلمي فى وجوب معرفة كل شيء عن كل شيء ..

فعن حقيقة الشيء ، يسألون : ماهو ؟ وعن مقداره ، يسألون : أى شيء هو ؟ وعن مكانه أو درجته ، يسألون : أين هو ؟ وعن زمانه:يسألون : متى هو ؟ وعن علته وعن مقداره ، يسألون : كم هو ؟ وعن صفتـــه يسألـون : كيف هو ؟ وعـــن نسبتـــه يسألـــون : أى شيء هـــو ؟ وعن زمانه يسألون: متى هو؟ وعن علتـــه يسألون : لم هو ؟ وعن تعريفه يسألون : من هـــو ؟ .

لقد شهد الفكر معهم ملحمة من اكبر ملاحمه واكثرها تنوعاً ، وصلابة .

وإن الفكر الاسلامي ، رغم أنه فكر ملتزم ، رأى من حقه أن يفحص كل شيء ، ويدلي بدلوه في كل ماء .. وحتى حين ألقى بأفكار أرسطو ، وأفلاطون ، والرواقيين والأبيقوريين رفض الانبهار بهم ، واحتفظ باستقلاله العظيم وعبر عنه ابن سينا بكلماته القوية هذه : «حسناً ما كتب من شروح لمذاهب القدماء وقد آن أن تكون لنا فلسفتنا ورأينا » ..

وبعـــد ، فان الفكر الاسلامي يرى أن الحقيقة لم تخسر ولن تخسر يوماً قضيتها فى صراع حر مكشوف ، وهو لهذا يرفض كل صورة من صور الاستبداد بعقول الناس وضمائرهم .. ويعتقد هذا الفكر العظيم اننا نجعل من عقل الانسان شيئاً خسيساً وجباناً إذا لم نسمح له بحرية الرأي والابتكار .

وإن الفكر الاسلامي عبر تاريخه الطويل ليتمتع بذلك الطموح النبيل لمعرفة كل شيء ؛ لأنه يعلم أنه هنا على وجه التحديد يكمن الفارق بين الفكر والغريزة .. وبين الانسان والحيوان ..!!

خالد محمد خالد

عندما تقتل الشمس الأسئلة !

ماهذا ؟؟

أول عبارة مفيدة يتعلمها الانسان طفلا فى فترة محاولة النطق ..

يوجهها — كحركة أولى — بنظراته ، وهو يتطلع الى كل شيء !

يضعها بين شفتيه لتكون دلالة على المقدرة بالكلام !

السؤال .. مفتاح يدخله الانسان فى ثقوب أبواب موصدة أمامه ، ويعند إلحاحه ، وترتعش حيرته ، ويكتشف — فجأة — أنه الواقف الوحيد أمام أبواب مقفلة ، وأن كل الناس قد دخلوا ، وهذا ضجيجهم من وراء الأبواب !!

السؤال .. بداية الكلام ، والكلام منتهى صبر الانسان ، وبداية عذابه !

السؤال ... عنوان نظرة ضائعة أو محاصرة ...

السؤال .. « نيون » شفة ... حينما تنفرج، ففى حركتها بحث عن اجابة .. عن كلام .. عن شيء يضع نهاية لصبر الانسان !

إن أول استنطاق لأشياء الحياة يأتي من سؤال ، والأذكياء جداً هم الذين يحسنون وضع السؤال !!

فالحياة فى معايشتها تخلو من أية إجابة ، متلاحقة من الأسئلة المتوالدة !

الاجابة ليست مقياس ذكاء الانسان ، فالذى وضع لك السؤال هو الذى جعلك تفكر ، وتجيب ، وتبحث ، وتتروى ، وترفض أحياناً ، وتصمت ، وتثرثر ، وتغمض عينيك .. وهذا لا يكون مقياس ذكاء ، وإنما هو المعرفة والتجربة والتدبر

الأسئلة السخيفة تسقط دائماً من محيط أسرتها .. إنها تبدو أجوبة فى نهاية علامة استفهام !

اغمض عينيك — إذن — واسترجع ساعات يومك ..

فى امكانك أن تحصى عدد الأسئلة التى طرحتها ، والتى تلقيتها من الآخرين وحاول أن تفرق بين السؤال المباشر والمذهل والذى يضطرك أن تفكر ، وأن تستيقظ ذهنياً ، وأن تنتعش نفسياً، وبين السؤال الاجابة .. الذى تقذفه فى وجه غيرك ، ولا تعطيه فرصة المعرفة ، والتفكير ، والتعب لكي يفهمك !

ما قيمتك كانسان إذا تداعيت ، وعرفت — بتشديد الراء — نفسك للآخرين .. دون أن تضطرهم ليعرفوك من خلال اسئلتك ..؟!

ما قيمة السؤال المطروح عليك إذا جاءك من واحد استطاع أن يفهمك بأسئلته .. لا بأسئلتك ؟! .

فى محيط المرء داخل يومه أسئلة معتادة . مكرورة ، متوقعة ، ومع ذلك فلا مفر من التورط فيها ، والانسياق اليها !!

وأول ما يلتقى بك أى آدمي .. يسألك : كيف الحال ؟!

سؤال تقليدى ، فربما استفسر منك عن الحال وهو يبصرك مريضاً ، متهالكاً ، أو كئيباً ، تزفر ، ومتجهم الجبهة .. لكن التقليد — كما قيل — هو غباء ، والتعود هو انسياق منجرف .. وكان من الممكن أن يبلور السؤال .. ليقول : هل تشعر بتحسن ، هل تؤلمك الكآبة الى هذه الدرجة ؟!

● وأول ما تبدأ عملك اليومي .. تسأل « بماذا أبدأ ؟! »

ربما كنت تعلم بماذا تبدأ ، أو أنك قد تعودت كل يوم على سحب مجموعة أوراق على مكتبك لتقرأها ، وتشرح عليها أو انك التزمت بعمل يدوي .. لكن «الوقفة» للسؤال تلوح أحياناً وكأنها مفتاح الزمبلك الذى يطلق اللعبة لتجرى وتدور .. ثم تنسى بعد دقائق أنك قادر على وقفة السؤال .. فالسخافة سريعة الاندلاق !

● وأول ما تفعله زوجتك فى البيت أنها تسأل : ماذا نأكل اليوم ؟!

هذا لا يكون هو السؤال الصميمي .. ولكنه « اشتغال » بسؤال .. بحث عن شجاعة تعطى المرونة لتقبل روتين البيت الذى تعودت عليه سيدته ؟

بقلم
عبد الله جفري

● وأول ما تفتح كتاباً لتقرأ .. تسأل :
ـ ماذا كتب المؤلف ؟! ..
السؤال هنا .. حرص على أن تعلم وتفهم ، وجهل باشياء كثيرة لم تعرفها بعد ، وتحاول أن تطاول المؤلف ليحاذى كتفك كتفه ، وتمارس معه نظرية الخط المستقيم ! كل واحد وضع سؤالا ، وحاول أن يجيب عليه ..
وكل واحد وضع سؤالا .. ولم يقدر أن يجيب ، وهذه أسباب الحيرة فى العالم كله !
سبب الخير فى أعماق الأنسان .. سؤال يقول :
ـ من أنا وسط الناس ؟؟ .
وسبب الشر فى نفسية الانسان .. سؤال يقول :
ـ لماذا أنا هكذا بين الناس ؟؟
ولا مفر من السؤال فى ذات الانسان .. موجها الى واقعه ، الى ظروفه ، الى ملابسات يومه ، الى سلوكه مع الناس .. والمطلوب ـ هنا ـ هو وعي الانسان ، وادراكه ، وإلمامه ! ..
إن كل أشيائنا فى الحياة ترصدها «أشارة» حتمية تعبر عنها بانتصاب السبابة ، فنشير دائماً قائلين : هـذا !!
و « هذا » .. شيء يجذب أبصارنا ، أو أسماعنا ، أو رغباتنا ، أو حتى حاستنا السادسة المعروفة بـ « التلباثية » ، .. لتتحول كلمة « هذا » الى « لماذا » ... وينتصب سؤال هرقلي مرهق ، مفحم ! .
قد تكون الأشياء خاضعة كلها للعقل أو كما أسموه : للمنطق .. بمعنى أن «الارتكاز» المبدئى ، والأساسى هو عامل مادي فى حياة الأنسان ، لتنمو بعد ذلك العاطفة والأحاسيس ، فتتولد الأسئلة !
الطفل .. يقال عنه فى بداية حياته .. عقله صغير .. بمعنى أنه لا يعي ، لا يميز وهذا خطأ ، فأول سؤال طرحناه .. كنا أطفالا .. ميزتنا عن المخلوقات الأخرى هو العقل .. غير أن العقل ينمو مع مقدرة الانسان ككيان ، وكبنيان ، وكمعرفة ، وكتجربة .. هنا عقل .. وسؤال !
ويقول الفيلسوف الألماني « هيجل » :
ـ إننا نجعل فى الواقع الانسان الواعي بذاته نقطة بدايتنا .
هذه نقطة البداية إذن ؟!! .
ويفسر مستطرداً فيقول :
ـ « إنه ـ أى الانسان ـ هذا .. الذى علينا أن نفسره الى لماذا » !
إننا نبحث عن تجربتنا ، والتجربة تبدأ دائماً بسؤال ، وهذا السؤال يهتم به الفيلسوف الألماني فيقول :
ـ « تفكيرنا لا يخلق الأشياء ، وانما يجد نفسه فى الأشياء ، والأشياء تنتمي الى تجربتنا » !!
فمن الذى خاض إحدى تجاربه فى الحياة ، بدون أن تكون بدايتها سؤال ؟!

● ● ●

معظم الأسئلة المطروحة ليست هي حقيقة الانسان .. لسبب واحد فقط ، وهو أن الانسان لا يودع صدقه فى الاسئلة التى يضعها !! .
إن الواحد تصل به كابته أحياناً الى درجة كبيرة من الفقد لصفائه الذهني ووداعته النفسية .. ويفاجأ بمن يقول له على حين غرة :
ـ ما بالك مكتئبـاً ؟!
ولا يبحث عن فرصة للاجابة الرائعة ولكنه يصبح أسير ارتباكه ، فيجيب بسؤال آخـر ، أو يلقى سؤالا .. هو اجابة مرمدة .. ينعدم فيها ذكاء السؤال ، فيقول
ـ من قال لك إننى مكتئب ؟!
إن التلقى ، والتسديد فى آن واحد .. مقدرة صعبة لا يجيدها كل واحد يحب أن يجيب بسؤال ..
إن شيئاً نادراً اسمه : الشمس القاتلة للأسئلة .. يتلخص فى بحث الانسان عن وعيه ، وتحوير كلمة « هذا » الى كلمة مغايرة مربكة هي : « لماذا » ، واختلاط الكلمتين معاً فى جملة طويلـة تعطى معنى يحرك الأكف لتدوى ، أو يخرس الألسن لتقعى فى جوف الفم !
ذلك الشيء النادر ورد فى هذه الحكاية التى رويت عن السياسي الشهير « تشرشل » :
● « تشرشل .. عرف عنه أنه لا يجيب اجابة مباشرة على أي سؤال يوجه اليه ، وتراهن أحد الساسة ذات مرة مع بعض أصدقائه على مبلغ كبير إذا هو استطاع أن يحصل على اجابة مباشرة منه ، فسألـه عقب فراغـه من عمله :
كم الساعة الآن يامستر تشرشل ؟! ...
فأخرج السياسي العجوز ساعته من جيبه ، وتطلع اليها ثم قال : وما هو


هيجل


تشرشل


لينكولن

عندما تقتل الشمس الأسئلة!

الوقت الذى تشير اليه ساعتك أنت ؟!

شيء اسمه « التلقى والتسديد » فى فن السؤال ، والاجابة عليه ، وهذا ليس ملك العظماء ، والدهاة فقط !!.

لقد استطاع مجنون « مزمن » فى مصحة بأمريكا أن يضع إجابة عاقلة وذكية فى سؤال :

● دخل عليه مدير المصح ، وهو رجل وخط الشيب فوديه ، وجلله الوقار ، وتماسك بالصرامة ، وأراد أن يخضعه لامتحان حتى يقرر إخراجه من المصح وسأله المدير قائلا :

ـ قل لي ... من الذى قتل جون كيندي ؟؟

ـ فقال المجنون : من الذى قتل «لنكولن» أولا ياسيدى ؟!

أعثر على أشعة شمس ـ هنا ـ فى اجابة المجنون .. قتلت كل الأسئلة التى كان قد اعدها مدير المصح !!

وهذا يعني أنه علينا قبل طرح أى سؤال .. أن نتذكر اسئلة كثيرة من الممكن أن تأتي بأسلوب التلقى والتسديد !!

● ● ●

وتأتي ـ بعد هذا ـ أسئلة لم توضع للسامع أو للقاريء وإنما وضعها قائلها مفتاحاً يعطيه فرصة ذاتية من داخله .. يشرع بها كل الأبواب الموصدة ، ليجيب على اسئلة تراكمت فى اعماقه .. أثقلته بديمومتها ، وقدمها ، والصبر على كتمانها .. فقذفها . أباحها ، ليصمت السامع لها .. يتلقاها سؤالا إثر سؤال ، وينتظر الاجابة عليها !!

ونحن لا نجرؤ دائماً أن نبوح بمكنونات الصدر ، وشجن النفس .. فتتعتق الأحزان بين الأضلع ، ويعلو الشجي ، ويفيض صبر النفس .. وبداية الكلام سؤال :

ـ لماذا حزين أنت ؟!

ويستطرد سؤال : ما بال نبضك منفعل .. لمن صمتك ؟!

وبداية الكلام سؤال .. والكلام منتهى صبر الانسان ، وبداية عذابه ! .. ويتكلم المقذوف بالسؤال .. يسأل من جديد ، كما سؤال تاه به « سليمان العيسي » فى إحدى مؤتمرات الأدباء العرب فقال :

ـ أليس لها يادار فى كل خطوة ..
خيال تساوى عنده البعد والقرب؟
هنا وقفت يوما ، هناك تحدثت .
هناك ابتسمت لما التقى الدرب والدروب
ألم صدى صوتي ويورق فى دمي
جدار على همسي وهمستها رطب .
وأمضي غريباً فى الممر ، وانحني .
على ألف طيف من ضفائرها يحبو
ممر .. تركناه فى حناياه جمرة .
دعى رمقاً من حرها .. إنه عذب !

إن « سليمان العيسى » لم يجب على سؤاله .. إنه لم يزل مصدوع الفؤاد .. مشروخ الأيام . طرح السؤال فى لحظة الفقد ، وطمره الذهول بعد ذلك ، فما زال يلتمس بطريقة الكفيف . مازالت العبارات التى استطرد بها تفسيراً ، وليست اجابة !!

لكن هذا الشاعر قد سأل .. فهو خطا الى بداية الكلام ، وهو قد انتهى صبره وطفح عذابه ، إنه يسأل ولا يرنو الى إجابة .

كل الاجابات التي تمنح له ، وتعطى على سؤاله لا تعني عنده أن يجد نفسه فى الأشياء . فكل هذه الأشياء لا تنتمي الى تجربته .. مطلوب من تجربته نفسها أن تجيب ، وإجابة التجربة أن يكون هو فى مستوى ذلك الاستعداد الذى أهله لخوض التجربة .. أن يعمد شاخصا بسؤال .. فالتفكير لم يكن تجربة ، وإنما أداة من أدواتها ، والسؤال لا يعتسفه الشاعر ليطفىء به قلقه ، وخوفه ، وحيرته .. وإنما يحوره من أداة اشارة تقول : « هذا » الى كلمة « لماذا » ، فيعطى للسؤال قيمة البحث عن أشياء قد تكون « كيفاً » أكثر مما هي « كم » !!

أفليس « هذا » و « لماذا » هما أهم عذاباتنا فى عالمنا العربي اليوم : سياسة ، وثقافة ، وحتى وجداناً ؟!

● ● ●

السؤال كان :

● لماذا يلتزم الكاتب بسطور يعود عليها نظرات القراء أسبوعياً ؟!

السؤال كان :

● لماذا نعطى « السهر » أكثر شيء حساس ، ورهيف فينا: عيوننا ، ثم نغمضها على لا شيء ؟!

السؤال كان :

● هل يملك الليل وحده حق مخاض «السؤال» فى وجدان ، وذهن الانسان ، وتأتي الشمس لتقتل الوليد ؟!

السؤال كان :

●هل الحقيقة تأتي بلا سؤال ؟ .. وقد شبهوا الحقيقة بالشمس .. والسؤال مفتاح حقيقة ، فكيف تقتل الشمس مفتاح الحقيقة ؟!

السؤال كان :

● الوفاء .. صمود زمني ، أم أن الصمود ذكرى ؟!

فى بداية الكلام ، وهذه السطور كلام الالتزام ، أردت أن أناقش سؤالا احتمى بذهولي ذات لحظة ، واقتحم عقلي ، وشعرت برغبة فى الاجابة ، أو فى مجابهة السؤال الحتمي .. المقتحم بسؤال آخر ، فاذا أنا أتكلم ..

وكان سؤال .. كان بداية كلام .. والكلام منتهى صبر الانسان وبداية عذابه ..

ولقد تكلمت .. لكني ـ حتى نهاية هذه السطور ـ لم أضع اجابة على السؤال ، فقد ذاب الليل ، واشرقت الشمس، وتجندل السؤال قليلا !! .

عبد الله جفرى

انعطاف خطير في الفكر الصهيوني

غولدمان يعترف بانحلال إسرائيل ويطالب بتغيير أُسسها



ناحوم جولدمان

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

فى الوقت الذى كانت فيه اسرائيل تمارس أقوى مالديها من قوة مادية عسكرية فاتكة ومدمرة فى الأسابيع الأخيرة ، كان الفكر الصهيوني الذى تستند اليه فى تبرير وجودها وتوسعها ، يصل الى أقصى ما وصل إليه حتى الآن من تراجع ومرارة واحساس فاجع بالاخفاق التاريخي ، وتخوف من المستقبل يصل الى حد الانذار باقتراب الكارثة للكيان الاسرائيلي .

وعلينا كعرب أن نتابع ونرصد «الظاهرتين» معاً لرؤية الحقيقة ، حقيقة عدونا ، على وجهيها ، كي لا ناخذ وجهاً واحداً فقط فنخطىء التقييم .

إن « تقدم » اسرائيل العسكري ، يقابله « تراجع » فى الفكر الصهيوني ... وهو تراجع يصل الى حد « الانعطاف » النوعي فى توجهات هذا الفكر . والمدهش أن ذلك التراجع يتزايد ويصبح أكثر حدة كلما تمادت اسرائيل فى استخدام قوتها الباطشة .. وكأن « انتصارات » اسرائيل العسكرية هي فى الواقع « هزائم » لفكرها وجوهر كيانها ، ليس فى نظر العالم الخارجي فحسب ، وإنما في نظر نخبة من قادتها الفكريين انفسهم ، على ما هو معروف عن اليهود من حذر شديد فى الكشف عن نقاط ضعفهم .

ففى الوقت الذى كان فيه الطيران الاسرائيلي ، يقتل مئات المدنيين فى بيروت ، مؤكداً استمرار « ذراع اسرائيل الطويلة » فى الوصول الى حيث شاءت ، كان المفكر والسياسي الصهيوني ناحوم غولدمان ، وهو أبرز شخصية صهيونية على المستوى الدولى ، ينشر مقالة مطولة فى الصحف الأوربية – من ألمانية وفرنسية – يمكن اعتبارها « مرثية » لمستقبل اسرائيل من أكبر دعاتها الأحياء أنها « صرخة الانذار لاسرائيل من ناحوم غولدمان » .. هكذا سمتها صحيفة «نوفيل اوبزيرفاتور» اليسارية الفرنسية المتعاطفة مع اليهود ، والمقربة اليوم من الحزب الاشتراكي الحاكم في فرنسا .

وقد نشرتها كوثيقة العدد فى صدر صفحاتها الأولى وقالت عنها انها أقسى ما قيل لاسرائيل ، وقيل عن اسرائيل ، من

أعنف ما قيل لإسرائيل، وقيل عن إسرائيل

احد ابنائها المؤسسين .

إن ناحوم غولدمان فى هذه المقالة مايزال ينطلق من مقولة شعب الله المختار الذى نشر فكرة « التوحيد » فى العالم ، وعاش في المنفى أكثر من الفي سنة محافظاً على شخصيته ، مصراً على العودة الى « أرضه » ... الى آخر هذه المقولة الصهيونية المعروفة .

ولكن غولدمان يضيف الآن الى القول ـ على ضوء ما يراه ويعترف به من انحلال ويأس روحي فى اسرائيل ـ بأن «ظاهرة شعب الله المختار» ثبت انه من الخطأ حلها ، كمشكلة متميزة شديدة الخصوصية ، باقامة دولة عادية بين الدول ذات جيش وادارة ودبلوماسية . وهو يعود الى تاريخ بني اسرائيل ليقول أن أنبياءهم دخلوا التاريخ كدعاة لتعاليم معينة وليس كحكام دولة أو كرجال سلطة . وإن ملوك بني اسرائيل قد أهملهم تاريخ اليهود أنفسهم الذين حافظوا على شخصيتهم فى الشتات بزعامة رجالهم الدينيين لا زعمائهم السياسيين . ومعنى هذا الكلام من ناحوم غولدمان ، عملياً وواقعياً ، إنه لم يعد يؤمن بأن اقامة دولة اسرائيل ككيان سياسي هي الحل الأمثل للمشكلة اليهودية ، وإن كان يمسك حتى الآن عن المطالبة بتصفية هذا الكيان ، مع اظهار قناعته المتزايدة باقتراب انحلاله وسقوطه من الوجهة التاريخية الموضوعية . وهو يصف الثلاثين سنة من عمر اسرائيل بأنها ثلاثة فصول : فصل التأسيس . فصل الازدهار . و .. فصل الانحلال ! (راجع : صحيفة نوفيل اوبزرفتور ، عدد ٨٧٢ ص ١٦ ـ ١٩) .

ويقول بأن اسرائيل الآن هى فى الفصل الآخير ، حيث تعيش فى عزلة دولية ، وأزمة داخلية ، وهجرة مضادة ، وانحلال روحي ، ولا يتعامل معها إلا أكثر الدول رجعية كدولة جنوب افريقيا ، بعد أن أحرقت بسرعة كل الرصيد الهائل الذى كانت تتمتع به فى البداية . ويوجه غولدمان لاذع النقد الى زعماء اسرائيل الحاليين ـ سواء من هم فى السلطة أو فى المعارضة ـ وينفي عنهم صفة « رجال الدولة » ويقول انهم فى مستوى عمد الأحياء ومختاري القرى وانهم لا يستحقون أن يقودوا دولة يعيش فيها عدة ملايين ، وتقع فى أكثر مناطق العالم أهمية وحساسية .

ويعترف أن أقرب اصدقائه المحبين لليهود واسرائيل قد صاروا يصارحونه بهذه الحقائق والانطباعات من جانبهم ، حتى أن زعيماً عالمياً قد قال له أنه يخشى أن يخرج عما قريب مؤرخ جديد ليكتب كتاباً بعنوان « انحلال وسقوط امبراطورية اسرائيل » مثلما كتب المؤرخ جيبون عن انحلال وسقوط دولة روما فى مؤلفه المشهور .

ويرى غولدمان أن غالبية شعب اسرائيل تسير فى هذا النفق المظلم ، والخطأ ليس خطأ الزعماء فحسب ، وإنما خطأ التصور الصهيوني الأساسي للكيان الاسرائيلي ككيان لا يثق بأحد ، ويتحدى الجميع ، وينظر الى العالم بمنظار أسود ، ويبقى اليهود فى حالة قلق دائم فى داخله ، وحالة صدام دائم مع مجتمعاتهم الأخرى ، فى خارجه .

وكي لا تصل اسرائيل الى كارثة جديدة مماثلة لكارثة اليهود فى المانيا النازية ، يجب احداث تغيير جوهري فى هويتها كدولة حربية توسعية ، وعلى القوى الكبرى التى ساعدت على تأسيسها أن تدفعها الآن نحو هذا التغيير ليس لتجنب الصراع المأسوي مع العرب فحسب ، وإنما لصالح اليهود أنفسهم أيضاً .

هذا التغيير يتمثل فى نظر ناحوم غولدمان فى الأسس الجديدة التالية :

١ ـ أن تبقى اسرائيل كدولة مستقلة ولكن عليها أن تتخلى عن طابعها العسكري التوسعي وتعيد الأراضي العربية المحتلة .

٢ ـ فك الارتباط العضوي بين اسرائيل وأمريكا لأنه ارتباط لن يضمن مستقبل اسرائيل على المدى البعيد مهما كان قوياً فى الوقت الراهن .

٣ ـ تعلن اسرائيل حيادها التام على الطريقة النمساوية بضمانة القوى الكبرى باعتبار النموذج النمساوي هو الحل الأمثل لخصوصية المشكلة اليهودية .

٤ ـ تتخلى اسرائيل عن محاولة سيطرتها على الجاليات اليهودية فى الخارج ، وتتخلى عن منعهم من الاندماج فى مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، ليتحرروا من عقدة الولاء المزدوج وحالة الصدام المستمر مع الأوضاع الانسانية الأخرى .

٥ ـ تصبح اسرائيل فى النهاية بمثابة مركز روحي لليهود لا أكثر .. (وكأن غولدمان هنا يقترب من فكرة تحويل اسرائيل الى « فاتيكان » يهودى) .

والأهمية البالغة لهذه الأفكار أنها

من أحد أبنائها المؤسسين

"صحيفة فرنسية مؤيدة لإسرائيل"



ناحوم جولدمان

تأتي من صهيوني عريق ومتمرس فى العمل من أجل دولة اسرائيل عبر مراحل تاريخية عديدة ... وهذه الأفكار تعتبر «كفراً صريحاً » بالنسبة لمناحم بيغن وبالنسبة لحزب العمل الاسرائيلي على حد سواء ، فهي تفرغ الكيان الصهيوني من محتواه العسكرى التوسعي وتبعده عن حليفه الأمريكي ، وإذا كانت تبقى على اسرائيل كدولة محايدة ذات صفة «روحية» ، فانها تلغى كل التوجهات الحالية للسياسة الاسرائيلية وتسير فى اتجاه مناقض لها تماماً . بل أن غولدمان يبدو أكثر « اعتدالا » من السياسة الأمريكية الموالية لاسرائيل ، وأقل تطرفاً من الزعامات الأمريكية فيما تقدمه من تأييد مطلق لسياسة التوسع الاسرائيلية .

هل يحاول ناحوم غولدمان بهذه الأفكار امتصاص النقمة المتزايدة فى الغرب ضد اسرائيل ، بالمسارعة الى نقدها قبل أن يهاجمها الآخرون ؟

.. أى أن الصهيونية تنقد نفسها بنفسها لتتجنب ادانة العالم ؟!

يجب أن لا نستبعد أى احتمال ، والعقلية اليهودية مستعدة لفعل أى شيء ، ولكنا مع هذا نعتقد أن ساعة الحقيقة قد دقت بالنسبة للفكر الصهيوني والوقائع التى يستند اليها غولدمان فى نقد اسرائيل هي حقائق لا مفر منها ، كما أن النتائج التى يصل اليها لا تبرر أعمال اسرائيل بقدر ما تدينها والمقترحات التى يطرحها بالنسبة لمستقبلها من شأنها أن تضيف بلبلة الى حالة القلق التى تعاني منها أساساً ، وإن كان يقصد منها توفير رؤية المستقبل أكثر أماناً لها ولليهود بصفة عامة .

وإيا كان هدف غولدمان من طرحه الجديد لمحتوى وشكل الكيان الاسرائيلي فان العامل الأساسي فى حدوث مثل هذه التراجعات فى الفكر الصهيوني هو صلابة الموقف العربي فى وجه اسرائيل . فلو قبل العرب باسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وتصالحوا معها عندئذ لتوطدت دعائمها فى المنطقة العربية بسهولة ولما تنبه العالم الى عمق المأساة ولما شعر اليهود باستحالة مشروعهم الدموى .

واليوم عندما نشير الى مثل هذه التراجعات فى الفكر الصهيوني لا نقصد بذلك التخفيف من عبء الضربات التى توجهها اسرائيل فى الواقع الى العرب ، ولكن رؤية تلك التراجعات فى خفايا العقل الصهيوني ، من شأنها أن تعمق نظرتنا الى المسلك الاسرائيلي الدموي تجاهنا ، فندرك أن وحشية اسرائيل هي دليل ضعف معنوي وأساسي ، رغم القوة المادية ، وأن علينا ألا نخضع لجانب القوة المؤقتة ، وأن نصمد حتى تأتي ساعة انكشاف جانب الضعف الصهيوني المتأصل . وأنا أدرك تماماً أن مثل هذا القول قد يبدو بمثابة موعظة مثالية بالنسبة لمن يموتون تحت القنابل الاسرائيلية . ويواجهون التحدى الاسرائيلي فى كل أرض عربية وكل جبهة عربية ولكن لابد من قول هذه الحقيقة ، وإدراكها ، والعمل بمقتضاها ؛ وهي أن العدو ، رغم بطشه وجبروته ، على وشك أن ينهار من الداخل ، فلا داعي ليأسنا واستسلامنا ، ومهما طالت سنوات الشدة ، فهي قليلة ، بالنسبة لمسيرة التاريخ الطويلة .. والمهم هو قدرتنا نحن على أن ننبعث كامة حية ، لأنه حتى انهيار اسرائيل لن يخلصنا من مآسينا ، إذا لم نثبت القدرة على النهوض والانبعاث ، وسياتينا أعداء طامعون آخرون لاستغلال ضعفنا وتشتتنا لأن قوة اسرائيل أصلا من ضعفنا نحن وليس من قوتها هي .

وأخيراً فاذا كان ناحوم غولدمان يطرح فكرة اسرائيل المحايدة على الطريقة النمساوية ، فان جواب الفكر العربي عليه يجب أن يكون المزيد من الاصرار على فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية العادلة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود على حد سواء . فهذا الحل أكثر انسانية وانفتاحاً ، وأجدى لتخليص اليهود – نهائياً – من عقدة العزلة والتعالى والتميز عن شعوب الانسانية .

... هذا هو الرد الكريم ، والرد المشرف من جانب الفكر العربي ، وليس السعي من بعض الأدباء والمفكرين الناطقين بلغتنا للحوار مع ثقافة الفكر الصهيوني التوسعي الذى يشهد انحلاله بشهادة أكبر دعاته .. فكيف يتطوع بعضنا بعد هذه التضحيات العربية الطويلة ، باعطائه « قبلة الحياة » ومبرر الاستمرار ؟

ونحن لا نريد أن نفرض وجهة نظرنا هذه على ذلك البعض .. وإنما نريد منهم أن يقرأوا معنا بتأن هادىء مقالة ناحوم غولدمان ، ما هو فى السطور وما هو وراء السطور ، حتى يدركوا أين يقف غولدمان وأين يقفون هم !!

د. محمد جابر الأنصاري

شهريات

يوسف إدريس

أيّها العرب ... "تَمَجْوَشُوا"

فالأمر جدّ خطير

قرات مرة سؤالا لقارىء ثائر على اتجاه البحث العلمي ، قائلا في غضب : وهل انتهينا من فحص الأرض ومكوناتها ومشاكلها حتى نتجه الى الفضاء وننفق فيه مليارات المليارات من الدولارات فى الهواء ؟ (أو بالأصح فى الفراغ) .

والقارىء عنده حق مافي ذلك شك ، والذى لاشك فيه أيضاً أن الدول القائمة على هذه الأبحاث لا تنفق أموالها فوق موائد بلياردو علمية ، انها تحسب الشيء وتعيد حسابه والفائدة الناتجة منه حتى تضمن ليس مجرد تضمن ، بل مائة فى المائة تضمن أنها هي الرابحة من انفاق هذه المليارات فى الأثير .

والاجابة بسيطة ، ذلك أن الانسان له ملايين السنين يحفر وينقر فى الأرض ومع هذا فهو لم يتجاوز فى أبحاثه القشرة الأرضية الصلبة التى لا تتعدى فى معظمها بضعة عشرات من الكيلومترات ، بينما هو استطاع أن يصل وفي سنوات قليلة الى ملايين الملايين من الأميال بعداً عن أرضنا وحتى عن المجموعة الشمسية كلها ، ولم يفعل هذا ليعرف الفراغ وانما فعله أيضاً ليعرف هذه الكرة الصماء الصلدة التى لم يستطع بكل أظافره الميكانيكية وحتى البشرية أن يصل فيها الى هذا العمق اليسير .

ذلك انه إذا كان جاليليو قد اكتشف ان الأرض تدور حول الشمس ليقطع الطريق تماماً على من كانوا قبله يقولون أن الشمس هي التى تدور حول الأرض . فالعلماء الذين جاءوا بعده اثبتوا اكثر من هذا ، اثبتوا أن الأرض نفسها (قطعة) من الشمس ، وكذلك بقية الكواكب الدائرة حول الشمس ، وأن الشمس وكواكبها هي (جزء) من الكون الذى يشكل جزءاً من المجرة التى تتبع لها ، تلك التى تشكل جزءاً أو جناحاً كالمنجل من أحد أجنحة الكون الأكبر الذى نحن منه ، وأن الكون الواحد الهائل هذا ليس إلا جزءاً من كل من أكوان تشكل الكون الأعظم الكبير الذى لا يزال الناس يختلفون حول كنهه وشكله ومسافاته ونجومه ومجراته .

ولهذا ترسل الدول سفنها الفضائية الى الفراغ الخارجي لتخرج عن دائرة نفوذ الأرض لكي نعرف عن الأرض معلومات أكثر ، بل عن أعمق دواخلها ، إذ هذا شيء لا نستطيع أن نعرفه بالحفر إلا بتكاليف خرافية تعتبر تكاليف ارسال سفينة فضاء ملاليم بالنسبة لها .
(واسألوا من يحفرون على البترول وعلى عمق لا يتجاوز جزءاً من السطح الخارجي جداً للأرض) .

ما علاقة هذا بحكاية تمجوشوا أيها العرب ؟

ولن أبادر وأحل اللغز وأقول لكم معنى تمجوشوا ، فنحن العرب في كوننا هذا الذى نحيا فيه نشبه الانسان البدائي الذى فوجىء مرة واحدة بالحضارة البابلية أو الرومانية أو المصريــة منتصبه أمامه هكذا بكل ما وصلت اليه من أكتشافات فى الحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والمنطق وحتى القانون . وإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر قد نقلت علماء الأزهر فجاة من حيث الجبرتي يقول : فلما سقط عليهم القنبر وكانوا لم يعرفوه وطول عمرهم ما شاهدوه قالوا ياخفى الالطاف نجنا مما نخاف ، نقلت الحملة الفرنسية الأزهر الى قلب الحركة السياسية والعلمية الصناعية التى كانت تستعد لاجتياح أوروبا فى ذلك الوقت .

وكان أمام محمد على التركي الآمن الطموح الذى عشق مصر الى درجة حكمها ، كان أمامه وأمام علماء الأزهر شيء من اثنين : إما أن يرفضوا تلك الحضارة بقضها وقضيضها ويعودون الى المحسنات البديعية وبديع زمانهم الهمذاني ، واما أن يقتحموها اقتحاماً وينقضوا عليها انقضاضاً ويفتشوا

بسرعة عن سرها ويستوعبوه وإلى امتهم يعلموها فالدين قد أمرنا أن نطلب العلم ولو فى الصين ، والقنبر لم تعد اسيافنا تصلح لصده وأكسيد النحاس مع كبريتات الحديدوز لم تعد تنتج الذهب الذى نحلم به منذ العصور الوسطى بابن سيناه وابن هيثمه ، ولكنها تنتج مركباً سماه (لافوازييه) مؤسس علم الكيمياء الحديثة أكسيد الحديدوز لونه أحمر كالسلقون يذهل من يرى السائلين أن يتكون من خرجهما ذلك اللون الأحمر القاني الذى لم يكن موجوداً ...

وهكذا كانت فكرة نشأة الدولة الحديثة فى مشرقنا العربي : البعثات وعلى رأسها أمامها كي لا تنسى دينها ، وتشاء الصدف أن يكون أمامها رفاعة الطهطاوي هو أول من يلتقط روح النهضة الأوربيةويخلص الابريز فى تلخيص باريز ويعود ليحدث حركة (فكرية) أحدثت بدورها حركة طبية بانشاء مدرسة الطب ، وثورة تكنولوجية بانشاء المهندسخانة ، وحركةبلاغية كان كوبريها البارودى ولكنها أزهرت شوقي والزهاوي ومن بعدهم مطران وجبران .

نحن اذن قد ركبنا مركبة الى (فضاء) اوربا لنعرف أكثر ليس فقط عن أنفسنا ولكن أيضاً عن العالم بل وعن الكون كله من حولنا ، وعادت النقود التى انفقناها على البعثة اضعافاً مضاعفة لا تقدر بمال !

••

وأقول هذا لأننا (غرقى) عالمنا العربي نحاول أن نحفر كرته الأرضية لنعرفه ونعرفها ، في حين أن أعداءنا على العكس ما تركوا مركبة فضاء الى بلد من بلاد العالم إلا وركبوها وعاشوها فعاشوا تجربة البشرية كلهاوبقوا أيضاً يهودا وهذا هو سر تفوقهم علينا .

فى حين كان رد فعلنا نحن ازدياد استمساكنا بمكاننا وكأنه سيهرب أو سيسرقوه وهم فرحون لتحجرنا فى أماكننا لأننا تركنا بقية العالم لهم يحقنونها بما شاءوا من خرافات وأباطيل

انها لعبة صدقناها نحن ورحنا نجادلهم ، وراحوا هم يجادلوننا باللسان وفى السر يستعملون القتل والحيل والسرقة للحصول على اليورانيوم لصناعة القنابل الذرية انهم أدرى الناس تماماً بأن قضيتهم قضية تهويشية شكلية ، فلو طالب كل شعب بما كان له لكان على الكرة الأرضية أن تقلب سكانها فى الفضاء وتعيد توزيعها نفراً نفراً على سطح الأرض .

تمجوشوا أيها العـــرب .

وتمجوشوا من مجاويش ، وهي قرية سياحية أقامتها شركة مصر للسياحة هي ونادى البحر الأبيض على البحر الأحمر ، وهي أيضاً النعمة ، فلقد قضيت فيها ثلاثة أيام لم أقرأ فيها جريدة ولا سمعت راديو ولم أر تليفزيون ، وإن ضحكت واستحممت وغصت وتفرجت على المرجان وأسماك البحر ذات الألوان المذهلة .

وفى اليوم الرابع كنت فى القاهرة ، اقرأ الجرائد واسمع الأخبار ، والتهم كل شيء ، وفى ثانية واحدة أدرك معنى كل شيء فعقلى قد صفا تماماً خلال هذا (الويك إند) ورأيت المسالة واضحة وضوح الشمس . أن ضرب الجيش المصري سنة ٦٧ وضرب المفاعل العراقي عام ١٩٨١م يضعان أصبعك وسبابتك على موطن الداء. فالهدف هو اعدام قوتك تماماً واقامة قوة لهم لا قبل لك بها . فالهدف هو اعدام قوتك تماماً واقامة قوة لهم لا قبل لك بها .

أما اعدام قوتك فانت تتولاها بهذه الحروب الضروس القائمة بين الدول العربية .

اني اقترح عليكم أيها العرب الأعزاء أن تصنعوا الآتي :

أولا : كفوا فوراً عما تفعلون الآن .

ثانياً : ليأخذ كل منكم اجازة أقصاها ثلاثة أيام يذهب فيها بعيداً فى فضاء الكرة الأرضية ويفرغ عقله من كل ما فكر و يفكر فيه .

ثالثاً : فى هذه الأيام الثلاثة لا يفكر فى السياسة .

رابعاً : فى اليوم الرابع يعود وقد قرر شيئاً من اثنين : إما أن يستسلم لهذه الغزوة الغاشمة ويرضخ ويعيش هو واسرته أذلاء الى يوم يبعثون . وإما أن يقوم بعمل الرجل إذا هاجم بيته وحرمته مجرم . وإما أن تغلقوا جرائدكم السفساطة وتأكلوا العيش بالجبن وتناموا ملء الجفون والسلام عليكم ورحمة اللـه وبركاتـه .

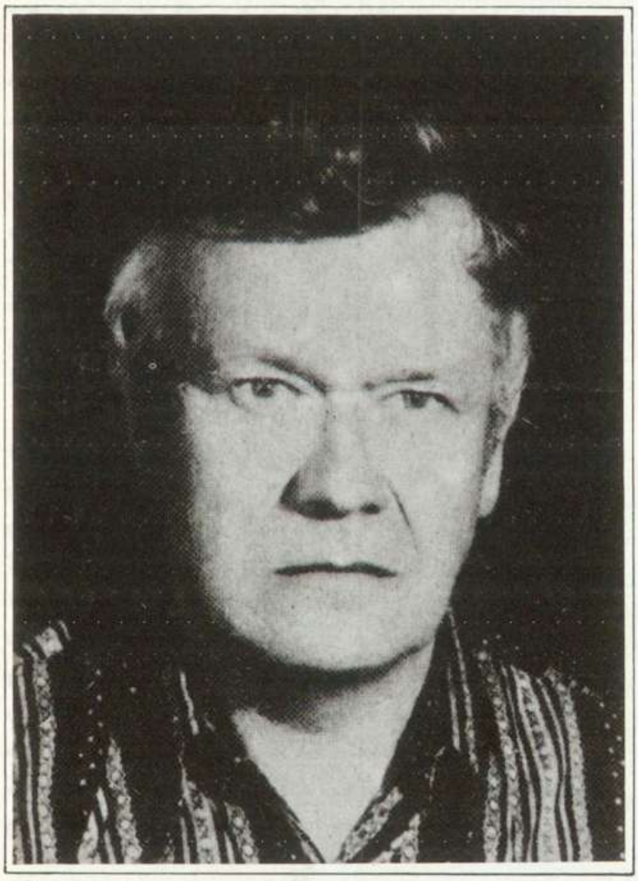
د. يوسف ادريس

ديزموند ستيوارت

المستشرق الذي كان يعشق العرب والعروبة

كان المؤرخ والكاتب الانجليزى ديزموند ستيوارت يرى أن التعايش مع الصهيونية مثل التعايش بين البيض والسود فى جنوب أفريقيا أمر مستحيل ... وكان يقول دائماً أن فضيلة الصبر العربية تجعله يرى بالفعل على المدى الطويل أرضاً مقدسة هي فلسطين ... وفى كل كتاباته عن الشرق الأوسط والعالم العربي كان يبدو فى موقف الدارس المتخصص الذى قضى سنوات طويلة من عمره فى قلب المنطقة يدقق ويقلب المجلات والجرائد والأوراق باحثاً عن كل ما هو متعلق بالوطن العربي وأحداثه الجسام

وهذا المقال كتبه لمجلة الدوحة – خصيصاً – الكاتب الانجليزى « دينيس جونسون ديفيز » بعد أن توفى أخيراً «ديزموند ستيوارت» الذى ظل طوال حياته عاشقاً للعرب والعروبة ، محاولا إنصاف الانسان العربي وابراز دوره التاريخي والحضارى .



ديزموند ستيوارت

لم يعط ديزموند ستيوارت لأى من أصدقائه العديدين بالقاهـرة اية اشارة تدل على انه سوف لا يظهر فجاة بعد ذلك ليشاركهم نقاشاتهم الحامية فى السياسة أو الادب على الرغم من انه كان جياشاً لا يهدأ له روع فى فكره أو بدنه ، وكان دائم التطلع للمشاركة فى التعليقات الأدبية ، فقد مات ديزموند ستيوارت فجاة فى لندن عن عمر يناهز السابعة والخمسين فى الثاني عشر من يوليو عام ١٩٨١م إثر مرض قصير الأمد لم يمهله على الرغم من العناية الشديدة بعلاجه فى المستشفى الأنجلو أمريكي بالقاهـرة .

وقد حظى ديزموند ، لانتمائه الى الميسورين من الطبقة المتوسطة ، حيث كان أبوه من الأطباء النفسانيين الاسكتلنديين المشهورين ، بتعليم ممتاز بالنسبة لأيام نشاته فبعد المدارس العامة التحق بكلية ترينتي (التلثيث) بجامعة أوكسفورد ، حيث حصل على شهادة فى الأدب الانجليزى تحت اشراف « موريس بورا » ، والتحق بسلك التدريس بجامعة بغداد عام ١٩٤٨م . وهنالك ، فى العراق ، بدات اهتماماته بالسياسة والأدب العربي ، وصادق الكثيرين ، من أمثال الروائي جبرا ابراهيم جبرا وغيره من المفكرين

بقــلم
د.ينيس جونسون ديفيز

الفلسطينيين والعراقيين .. وبعد أن قضى فترة بسلك التدريس فى لبنان قرر فى أواخر الخمسينات أن يقف نفسه على الكتابة وحدها .

وكانت أولى رواياته « فهد فى الحشائش » تشير الى الشرق الأوسط ونشرها عام ١٩٥١م . ومنذ ذلك الحين أخذ ينشر روايات على فترات منتظمة .. وروايته الأخرى ذات السحنة المطبوعة بروح الشرق الأوسط كانت « رجال الجمعة » ونشرها عام ١٩٦١ .. وفيما بين عام ١٩٦٥ ، ١٩٦٨ أنتج أهم مؤلفاته القصصية والروائية وهي الثلاثية المعنونة باسم « تعاقب الأدوار » ، أو تعاقب الوظائف ، وهي تتناول البحث عن اضمحلال الامبراطورية البريطانية خلال ثلاثة أجيال من خلال تعاقب إحدى العائلات .وهذه الرواية انجاز أدبي مرموق ، بيد أنها لم تحظ إلا بالقليل من اهتمام النقاد والقراء . وقد قبل ديزموند على أى حال القناعة بان الشهرة والثروة للروائي ، أمور تخضع للحظ ، والنمط السائر أو المنزلة الاجتماعية !

وقد كسب ديزموند ستيوارت شهرته أيضاً فى مجال الكتب الاعلامية والتاريخات الحياتية عن الشرق الأوسط ، وهذا ، ربما كان أكبر ما اشتهر به .

ولقد كانت قصة « حياة هيرتزل » برهاناً على دأبه فى البحث وقدرته على التدقيق . بينما تبين لنا قصة « حياة لورانس العرب » قدرة ديزموند ستيوارت على القاء أضواء جديدة على موضوع كان يظن أنه قتل بحثاً ..

وكتابه الصغير عن القاهــرة فى مختلف عصورها التاريخية يشمل وصفاً ساراً بهيجاً لتلك المدينة العظيمة التى القى فيها مؤقتاً عصى الترحال .

وقد درس ديزموند اللغة العربية منذ أن حل فى بغداد ، حيث استطاع بعد ذلك أن يصبح واحداً من المستعربين القلائل الذين اشتغلوا بالكتابة فى الأدب العربي الحديث والتراث ، وقد نشر كثيرا فى الدوريات مثل (انكونتر) ، وترجم لكثير من الكتاب .

ولكون ديزموند ستيوارت كان يتمتع (بمركب) من معرفة باللغة العربية وخلفياتها الثقافية ، ومن احساس رجل كانت الكلمات بضاعته المدخرة ، استطاع أن يكتب ترجمات هي في حد ذاتها اعمال أدبية . ويرى ذلك جلياً فى ترجمته لرواية الكاتب المصرى فتحي غانم « الرجل الذى فقد ظله» ولقد أعجب ديزموند على وجه الخصوص ، بالوظيفية أو الحرفية التى تتمتع بها كتابات فتحي غانم وبما تلقيه رواياته من أضواء على المشاكل الاجتماعية والسياسية المعاصرة .

وقبل ذلك ترجم ديزموند رواية عبد الرحمن الشرقاوي وجعل لها عنواناً ، «التربة المصريــة» . وبالاضافة الى ذلك فقد كان ديزموند ستيوارت من القلائل الذين حاولوا بنجاح نقل الشعر العربى المعاصر الى اللغة الانجليزية ، وخاصة شعر العراقيين ، عبد الوهاب البياتي ، وبلند الحيدري . ولقد كانت أعوامه الأخيرة ، أكثر أيام ديزموند انتاجاً . وكان يعد أخيراً كتاباً عن مكة المكرمة .. وقد انجز مؤخراً كتاباً عن المسيح محققاً بذلك طموحاً عظيماً له ، وتبين فيه الى جانب مزايا أخرى أنه يتمتع بعقلية باحث فى اللغة الأغريقية .. وكان يرى أن حاجة الانسان الى الروحانيات حاجة ثابتة وماسة ، وبأية طريقة ، ومن هنا فان أناساً كثيرين ممن استمعوا اليه يحاضر عن لفائف أو سجلات البحر الميت وعن الحركات الدينية قبل المسيحية ، كانوا ينتظرون كتابه ذاك بفارغ الصبر .

واشتغل ديزموند كصحافي ، وسافر كثيراً ، لحساب الأسبوعية اللندنية العربية ، المجلة . وقد بلغ به التأثر حداً كبيرا لعناية ادارة تلك المجلة به أثناء مرضه فى القاهــرة . وقد ترك ديزموند قبل موته كتاباً لم يتمه عن عرب الضفة الغربية ، إذ كان هذا الموضوع عزيزاً على نفسه . وبحكم معرفته وخبرته بالسياسة عامة ، وبالشرق الأوسط خاصة ، فقد كان العامل الفعال الدائم فى نظرته السياسية رفضه العنيف لطرد الفلسطينيين من وطنهم ، وحول هذا الموضوع كتب وحاضر بمنتهى الحماس والقوة .

وعلى الرغم من أن ديزموند ستيوارت قد اختار لنفسه أكثر الاتجاهات عزلة ، فانه لم يك فى تيه الرهبانية ، فقد حظى بصحبة الناس وكان من المحبوبين لدى معارفه .

وكان ديزموند يتسلى ويسلي غيره بكشف زيف المغرورين والأدعياء وعديمي الكفاءة والمبتذلين من الكتاب . وكان ديزموند بطبيعته رومانطيقيا عالمياً ولذلك لم يعتنق افكاراً مصبوبة تجاه الناس والأدب .

وكان ما يوصف به الشرق فى العادة من غموض ، عديم المعنى بالنسبة له ، فالناس فى نظره هم الناس ، اينما كانوا ... بعضهم سار وبعضهم اقل درجة ، وليس هنالك جنس من بني آدم يمكن القول بانه يحتكر الحسنات والفضائل وآخر السيئات والرذائل .

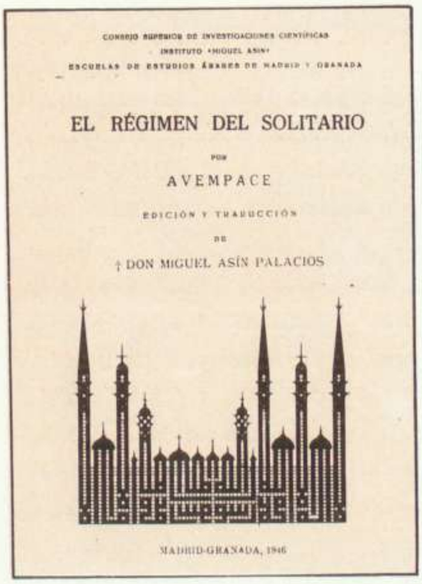
وقد كان أصدقاؤه من العرب يتقبلون افكاره ، ونقده كما لو كان واحداً من الذين نذروا أنفسهم للقضية العربية وكان يسوءه كثيراً الانقسام الحالي بين العرب .

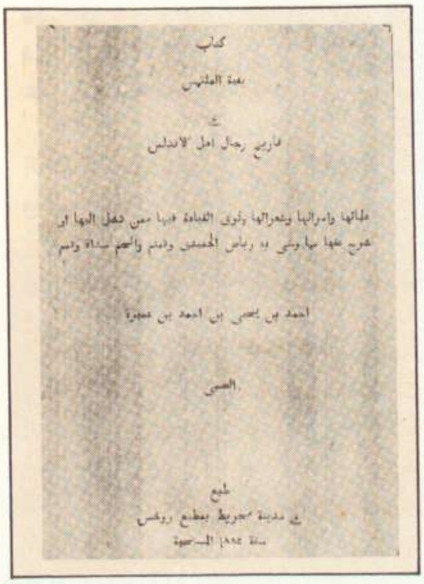
وكان ديزموند ستيوارت ، بحكم نظرته العميقة لا يعتقد فى التقــدم المدني المعاصر المبني على الآلية ، ويرى أنه مجرد صورة خادعة ، وأن الحقيقة هي أن الأنسان المعاصر بما يسميه التقدم ، إنما يخلخل بنيان البيئة البشرية ويسير ببطء نحو التدني الأكيد لنوعية الحياة .

وكان ديزموند ستيوارت ، يعيش الحياة بجميع ابعادها ، ويشهد كل من عاشروه أنه كان يحسن استغلال أيامــه.

المعلقـــــــــــــــــات







يعد الأستشراق الأسباني اقدم استشراق فى أوربا على الاطلاق ، فقد صحب قيام الدويلات التى قامت فى شمال الأندلس خلال القرن الحادي عشر الميلادي وما تلاه ، والتى اندمجت مع الزمن لتتكون منها اسبانيا الحديثة ، وكان يهدف حينئذ الى الافادة مما عند المسلمين فى الجنوب ، وهم أرقى حضارة ، وأوضح تقدماً ، ومع سقوط دولة الاسلام اخذ شكلا جديداً غايته انماء القدرة على التبشير بالكاثوليكية بين المسلمين التعساء الذين خضعوا لمحاكم التفتيش ، وبالتالي كان وقفاً على رجال الدين .

وحين اخلد كل شيء فى اسبانيا الى ليل طويل ، العلم و التقدم والحياة ، والفكر والثقافة والفن ، نام الاستشراق معها ، فلم يعد هناك من يهتم بالعرب والعربية ، كانها لم تكن لغة القوم على امتداد تسعة قرون . وحين استيقظت الدولة من غفلتها وادركت البون الشاسع الذى يفصل بينها وبين بقية دول أوربا ، عملت جاهدة على اللحاق بها فى المجالات المختلفة ، وكان مجال الاستشراق من بينها .

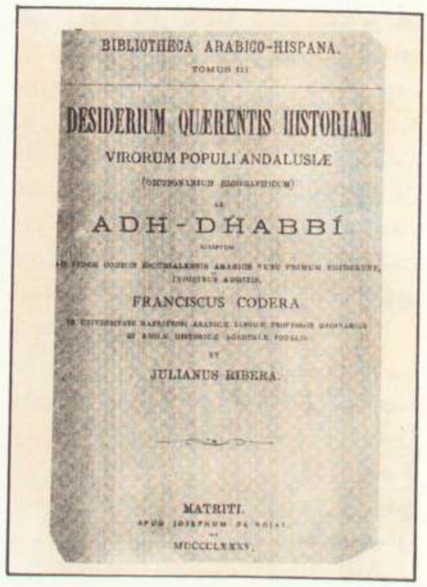
وقد تميز الاستشراق الأسباني الحديث عن بقية الاستشراق الأوربي ، فلم يكن يستهدف دراسة تراث العرب لسبر اغوارهم ، والوقوف على جوانب الضعف فى حياتهم واخلاقهم ، لاحتلال بلادهم ، وسرقة ثرواتهم ، أو إثارة روح البغضاء بينهم ، أو إضلالهم فى معتقداتهم ، وإنما كان يسعى فى جملته الى غاية حقه : أن يدرس التراث العربي الاسلامي الذى ازدهر فى اسبانيا فترة عمرت طويلا ، وكان وطنهم المنارة الهادية لكل من حولهم من امم الشمال ، إليهم يجيء المرضى يطلبون العلاج ، والاذكياء من الشباب يلتمسون العلم ، وحتى الباحثون عن البهجة والمتعة يتعاقدون مع الموسيقيين والمطربين والراقصات ، ومن هنا اتسمت دراستهم له ، فى جملتهم ، بالموضوعية إذا لم نقل بالتعاطف الشديد ، واقتصروا على التراث الأندلسي وحده ، لا يكادون يتجاوزونه الى غيره من تراث الامة العربية ، إلا فى حالات قليلة حين تجيء عنايتهم بالتراث المشرقي ضرورية لفهم اصول ما بين ايديهم ، وبيان تطوره ، وتفسير ظواهره .

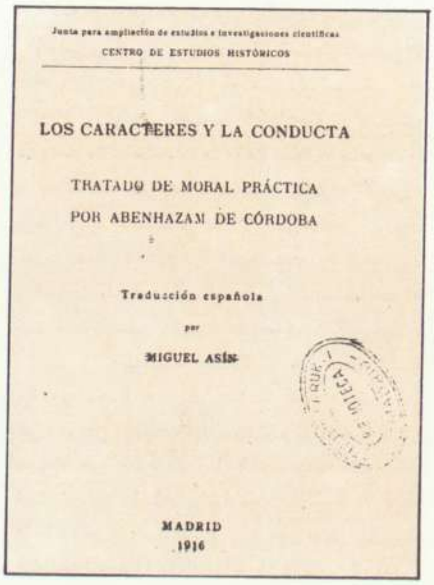
وإذا كنا نطلق على هؤلاء الأسبان اسم مستشرقين (اورينتلست) فان الأمر يجيء تجوزاً ، والأدق منه مصطلح مستعربين لأنهم يعنون ، عادة ، بالعربية وحدها دون غيرها من اللغات الشرقية ، إلا ان هذا المصطلح يختلط مع الكلمة نفسها حين تطلق على المستعربين (موزاربيــه) ، واشتهرت فى الأندلس ، وشاعت خارجه ، وتطلق على المسيحيين الذين كانوا يقيمون فى الدولة الاسلامية فى اسبانيا ، واحتفظوا بدينهم ، ولكنهم تعربوا فى لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومن هنا نؤثر ان نطلق على من يدرسون التراث العربي فى أسبانيا المعاصرة لقب مستشرقين تجوزاً ، شانهم فى ذلك شان غيرهم من الباحثين الأوربيين ، ممن يهتمون بالمشرق جملة فى لغاته وأهله وتاريخه ، وإن تخصص نفر من بينهم فى الدراسات العربية ، وآثر ان يتعمق فيها .

روائع التراث الأندلسي

كان دور المستشرقين الاسبان فى الكشف عن روائع التراث الأندلسي جيداً ، تدارسوا قضاياه ومشاكله ، وترجموا روائعه ، ونشروا عدداً من مخطوطاته ، وتميز اعلام منهم فى المحافل الدولية ، مثل أسين بلاثيوس صاحب نظرية الأصول الاسلامية للكوميديا الالهية لدانتى ، وقاتل دونها فى غير هوادة ، واثبتت الوثائق

الأسبانيّة


BIBLIOTHECA ARABICO-HISPANA.
TOMUS III
DESIDERIUM QUÆRENTIS HISTORIAM
VIRORUM POPULI ANDALUSIÆ
ADH-DHABBÍ
FRANCISCUS CODERA
JULIANUS RIBERA.
MATRITI.
MDCCCLXXXV.


Junta para ampliación de estudios e investigaciones científicas
CENTRO DE ESTUDIOS HISTÓRICOS
LOS CARACTERES Y LA CONDUCTA
TRATADO DE MORAL PRÁCTICA
POR ABENHAZAM DE CÓRDOBA
Traducción española
por
MIGUEL ASÍN
MADRID
1916

بقلم الدكتور
الطاهر أحمد مكى

الأغلفــــة المنشــــورة

- غلاف ترجمة المعلقات الى اللغة الأسبانية – مدريد ١٩٧٤ .
- غلاف كتاب (تدبير المتوحد) للفيلسوف الأندلسي ابن باجة ونشر نصه العربي ، مع ترجمة أسبانية قام بها أسين بلاثيوس فى مدريد ١٩٤٦ .
- غلاف كتاب (بغية الملتمس) للضبي ، ونشر نصه العربي فى مدريد عام ١٨٨٥م
- غلاف كتاب (بغية الملتمس) باللغة اللاتينية .
- الصفحة الأولى من ترجمة كتاب الأخلاق والسير لابن حزم ، وقام بها أسين بلاثيوس ونشرت فى مدريد عام ١٩١٦ .

التى اكتشفت بعد وفاته صدق نظريته ، ودراساته فى الفلسفة الاسلامية وعن ابن حزم لا يعلى عليها ، وغرسية غومث ، وخوليان ريبيرا ، وفرانسيسكو قديرة ، وجمهرة من الشبان يعملون فى هدوء وصمت ، واخلاص واصرار ، وهم جميعاً لم يخرجوا عن الاطار الاندلسي باستثناء دراسة قيمة عن المتنبي قام بها غرسيه غومث وترجمتها الى العربية مع دراسات اخرى له ، فى كتابي « مع شعراء الأندلس والمتنبي » ، وبعض التراجم لأدبنا الحديث ، وهي ترجمات تحمل طابع المجاملة ، ولا تتجاوز عتبة المعهد الاسباني العربى فى مدريد .

وتجيء ترجمة المعلقات ودراستها التى نعرض لها الآن استثناء فى هذا الاتجاه .

ترجمة المعلقات

عرفت أوربا الأدب الجاهلي فى زمن مبكر نسبياً ، لما أومانا اليه قبل من أهداف وغايات ، وفي احايين كثيرة لأن دراسته لغة ونحوا وأسلوبا وتراكيب ، تسهم فى القاء مزيد من الضوء على الكتاب المقدس فى لغته الأولى ، وفى اشاراته التاريخية ، وفى الصلات التى كانت تربط بين السلالات السامية المختلفة ، واوضح هذه الدراسات ، واقدمها فيما أعلم ، تلك التى قام بها المستشرق الفرنسي دى ساسي ونشرها فى باريس عام ١٨٠٨م بعنوان : «دراسة فى أصل الأدب الجاهلي عند العرب وآثاره القديمة» . وبعده طبعت حماسة أبي تمام فى جزئين فى مدينة بون عام ١٨٢٨م ، ثم المعلقات السبع فى ليبزج عام ١٨٥٠م ، ونشر الورد الألماني دواوين الشعراء الجاهليين الستة ، وهم النابغة ، وعنترة ، وطرفه ، وزهير، وامرؤ القيس ، وعلقمة بن عبدة ، من جمع الأصمعي ، وبرواية الأعلم الشنتمري الأندلسي ، فى لندن عام ١٨٧٠م ، وقبلها نشرت فى المدينة نفسها اشعار الهزليين عام ١٨٥٤م ، وترجمت الى الألمانية عام ١٨٧٩ .

وفيما يتصل بالمعلقات كانت معلقة امريء القيس اسعد حظا بين المعلقات كلها ، فترجمها دى ساسي الى اللغة الفرنسية ، ودرسه شاعراً ملكا المستشرق الألماني فريدرش ركت ، وترجم المعلقة الى اللغة الألمانية عام ١٨٤٣م ، وفيما بعد ترجم معلقتي طرفة وعمرو بن كلثوم ، وترجم فاندنهوف معلقة طرفة الى اللغة اللاتينية ، برلين عام ١٨٩٥ ، وبعد ذلك بسنوات خمس ترجم نولدكه خمس معلقات الى اللغة الألمانية ، وتوقف عن ترجمة السادسة ، وهي معلقة طرفة ، لأنه وجدها بالغة الصعوبة فيما يتصل بوصف الناقة ، رغم انه بذل جهداً مضنياً فى دراسة اعضائها وتشريحها فى مختلف كتب الحيوان ، ولكنه اعترف اخيراً بانه لا يستطيع أن يقدم تصوير طرفة لها بطريقة امينة ودقيقة ومفهومة .

وفى مطلع هذا القرن ، ترجمت الليدي آن بلنت المعلقات السبع الى اللغة الانجليزية نظماً فى الشعر الانجليزى ، ونشرتها فى لندن عام ١٩٠٣ . واكتفي بهذه الاشارات وبها أردت المثل لا الاستقصاء .

ورغم اننا ندين بدواوين الشعر الجاهلي التى بين ايدينا لرواة أندلسيين من كبار العلماء كالأعلم الشنتمرى ، وابن السيد البطليوسي ، وأن مكتبة الأسكوريال الشهيرة تضم بين مخطوطاتها عدداً كبيراً لكل المعلقات، ولدواوين الشعر الجاهلي ، فان احداً من المستشرقين الأسبان لم يتجه الى هذا الجانب من التراث العربي .

اخيراً جداً قام بترجمة المعلقات الى اللغة الأسبانية مستشرق اسباني عظيم ، الدكتور فيدركو كورينتى قرطبة ، استاذ اللغة العربية فى كلية الآداب فى جامعة سرقسطة ، ولا نعرف عنه فى العالم العربي شيئاً أو نعرف عن شخصه شيئاً قليلا للغاية ، ربما لأنه مقبل على دراساته فى صوفية نادرة ، عاكف على العلم فى تقوى خاشعة ، يلتهم كل وقته ، أو لأنه بعيد عن الأضواء زاهد فيها ، وربما لأن هناك فى وطنه من لا يريد أن يقدمه الينا ، فهو لا يكتفي بحب الثقافة العربية ، وإنما يحب أهلها ايضاً حباً

المعلقـــــــات الأســــــــــــبانيّة

خالصا ، نابعا من القلب ، بريئا من النفاق ، ومن المصلحة الذاتية العاجلة ، وهو يجاهر بحبه ولا يكتمه ، وينعكس فيما يكتب او يتخذ من مواقف ، واخيراً لاننا نحن العرب نزهد فى أصدقائنا ، وتجوز علينا الخدعة فيمن يتظاهرون بحبنا ، وهي عادة اتمنى لها ان تتلاشى من حياتنا العامة والسياسية بخاصة .

لست أعرف بين رجال الاستشراق فى القديم والحديث من تهيا لمهمته واخذ لها بالأسباب المعنية ، مثل فيدريكو كورينتى ، فهو يقرا العربية ويفهمها ، ويتكلمها ويكتب بها ، وينظم الشعر فيها ، ويلتقطها فى دقة حين يسمعها ، ويعبر بها في وضوح حين يتحدثها ، وتاخذ حروفها مكانها الطبيعي من فمه وقعا وموسيقا وتجىء جمله عربية فى تراكيبها ، وهو الى جانب ذلك يعرف شيئا عن اخواتها من اللغات السامية الأخرى قواعد وتاريخا ، متمكنا من عدد من اللغات الاوربية ، يجيد اللغة الانجليزية ، وعمل استاذا لفترة طويلة فى الجامعات الأمريكية ، والالمانية والفرنسية ، الى جانب الأسبانية لغته الام .

وعاش سنوات فى القاهـرة ، واكسبته نضجا ، وصقلته مستشرقا ، واعدته لما يتهيا له رغم انه جاءها في سنوات عجاف ، كانت تعاني خلالها من الحصار السياسي والاقتصادى ، وتحاول فى شجاعة باسلة ان تدفع عن نفسها هجمات ضارية متوالية على كل الجبهات ، وغادرها يحمل زاداً مفيداً ، وذكريات عديدة ، خليطاً من الحلاوة والمرارة ، ومن الحب والاشفاق .

وقدم وحده ، وفى صمـت ، اول معجمين فى عصرنا الحديث ، الأول من الاسبانية الى العربية ، والثاني نقيضـه من العربيـة الى الأسبانية ، وهما من ادق المعاجم التى بين أيدينا . ونشر دراسة قيمة عن « جمـوع التكسير فى اللغات السامية » ، وترجم عدداً من المسرحيات ، وبعض الروايات والقصص ، العربية الحديثة ، ويعكف الآن على دراسة عروض « ابن قزمان » ، الزجال الأندلسي الشهير فى ديوان أزجاله ، ووصلنا فى مخطوطة وحيدة فريدة تستقر الآن فى مكتبة لينينجراد ، واخيراً ترجمته الدقيقة للمعلقات .

يعترف الدكتور فيدريكو بانه بدا ترجمته للمعلقات منذ زمن غير قصير ، وانه عايش

الشعر الجاهلي زمناً طويلا وفتن بما فيه ، من صور شعرية دقيقة ، ومن موسيقـا رقيقة ، ومن واقعية تاخذ بالألباب ، وانه انتهى من مسودة الترجمة الاولى فى القاهرة عام ٦٥ ، ومنذ ذلك التاريخ لم يتوقف عن العودة اليها مهذبا ، ومدققا ، فى ضوء نضجه وتجاربه ، وتطور دراساته ، واتساع معارفه اللغوية فى المجالين العربي والاسباني ، ولم تاخذ شكلها النهائي إلا بعد ذلك باعوام ستة ، او على التحديد فى عام ١٩٧١م ، ليقوم المعهد العـربـــي الاسباني فى مدريد بطبعها بعد ذلك بثلاث سنوات .

تضمنت الترجمة معلقات : امرىء القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن ابى سلمى ، ولبيد ابن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة العبسي ، والحارث بن حلزة اليشكري ، وهم شعراء المعلقات السبع الذين تتفق عليهم كل الروايات.

وسبق الترجمة مقدمة ، ودراسة ادبية واخرى تاريخية ، ففى المقدمة ابان بايجاز عن تاريخ اهتمامه بالمعلقات ودوافعه ، وعن منهجه فى الترجمة وطريقته ، وانه حاول ان يجمع بين الدقة والوضوح ، ليرجع اليها المتخصص والدارس ، ويتذوق فنها القارىء العادى المثقف ، والفضولي الذى يريد ان يدس عقله بين العديد من الثقافات .

وتلا هذه المقدمة دراسة الجانب الادبي في المعلقات ، وأرتاى ان الاهمية الاولى لدراسة هذه القصائد تكمن بدءاً فى انها صورة صادقة لقيم عصرها وحقائقه ، وما لدينا عنها يسمح لنا بالوصول الى نتائج طيبة عن أسلوبها وجمالها ، وانتهى الدكتور فيدريكو الى ان البدوى العربي توصل بطريقة عفوية ، تدعمها الدراسات الجمالية الحديثة ، الى حل قضية الشكل والمضمون ، لان كلمة « شعر » تعني المعرفة والشعور ، او إن شئت المعنى والاحساس به ، وقد أوجز عربي هذه الفكرة حين سئل : ماالشعر ؟ ، فقال : « شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا » .

وهذا المفهوم الدقيق لطبيعة الشعر ما لبث ان انتشر وتعمق ، واخذ شكلا علميا متميزاً ، واحتل مكانة مهمة ، وتحول الى قواعد طاغية ، وفرض نفسه على كل مظاهر الابداع الشعري ، الادبي والشعبي منه ، وهى سيطرة جعلت ابن خلدون يعرف الشعر بعد ذلك بعدة قرون ، على نحو ما فعل ارسطو بين الاغريق ايضا ، وقبل ذلك بقرون ، وفي عبقرية ليست دونه ، بانه : « كلام مفصل قطعا قطعا ، متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير من كل قطعة من هذه القطعات ، ويسمى عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الاخير الذى تتفق فيه رؤيا وقافية ، ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلمة ، وينفرد كل بيت منه بافادته فى تراكيبه حتى كانه كلام وحده ، مستقل عما قبله وما بعده ، وإذا افرد كان تاماً فى بابه .. » ، وهو تعريف ابقى من الشعر قليلا ، أو لم يبق شيئا ، كتعبير عن المشاعر ، مستقل عن الشكل الخارجي ، ودفاعاً عن ابن خلدون ، يمكن ان اقول (والضمير يعود على فيدريكو) انه لم يكن أول من اعلن هذا المبدأ ، وإنما كان يسجل رايا شائعا ، وإحساساً عاماً ، كان قد اتى على الجانب الأكبر من الأصالة فى الشعر ، وعلى نضارته وخصوبته ، قبل ذلك بزمن طويل ، حين حاصره هذا الشكل الطاغى المسيطر ، وذهب بروعته التقليد الأعمى ، وغياب التجديد كلية .

وبين اقدم قصائد نعرفها للشعر الجاهلى ، وتعود الى أواخر القرن الخامس الميلادى ، وبين احتضار الشعر العربي واخذ شكلا متميزاً مع نهاية الدولة العباسية ، عرفت القصيدة العربية فترة عريضة من الازدهار والتوهج والتطور ، بلغت القمة ، بعدها اخذت طريقها الى الانحدار ، لتصبح فى مرحلة الاحتضار مجرد لهو وتسلية وتلاعب بالألفاظ .

السجع بداية الشعر

ويرى صديقنا الاسباني ان السجع كان بداية الشعر ، ومن ثم فهو يرى ، على غير الشائع ، ان النثر الفنى سابق فى الوجود على الشعر ، وانه اخذ مع الممارسة يخضع للون من القواعد العروضية بلغت مع الزمن النهاية فى الدقة ، ولكن الفترة التى شغلتها هذه المرحلة لم يصلنا منها اى انتاج ، ولذلك يميل اليها ظناً راجحاً ، واستنتاجاً تدعمه الشواهد فى لغات اخرى ، دون ان يملك على ذلك اى دليل مادى ، وفقدان الشواهد يمتد ايضاً الى المرحلة التى قطعها الشعر العربي طفلا ينمو ، قبل أن يصل الينا في صورته الدقيقة فنا محكم القواعد ، وهذا الشعر الراقي اتى على ماسبقه من شعر غير محكم ومحاه من ذواكر الناس .

وغياب الصلة المؤكدة بين السجع الذى يستخدمه الكهان فى الطقوس الدينية ، والشعر الموزون المقفي يعبر به القائل عن مشاعره ، اتعب الباحثين والعلماء ، واوجد هوة عميقة حاولوا ان يملؤوها بالفروض : رأى بعضهم ان هناك صلة نسب بين العروض الاغريقي اللاتيني وبين العروض العربي ، عن طريق الأدب السرياني ، أو حتى عن طريق الأدب السنسكريتي ، اعتماداً على الصلات القديمة بين الهند وأنحاء من الجزيرة العربية ، وهى

ثابتة تاريخياً ، ولكن التحليل المقارن للعروضين لا يسمح بمثل هذه النظرية ، ولا تساعد الظروف التاريخية على هذا الافتراض الأدبي . وفى غيبة حل افضل ، واكثر اقناعاً ، لا مناص من التسليم باننا امام عروض عربي حقاً ، اصيل وضعه العرب انفسهم .

ويعرض المترجم لنشاة هذا العروض ، ويرتضي النظرية العربية القائلة بان النثر اصبح سجعاً وان السجع اصبح رجزاً ، وان الشعر انتقل « من المعابد الى الصحراء ، ومن الدعاء الى الحداء ، فاجتمع الوزن والقافية ، ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان .

لماذا سميت بالمعلقات ؟

لماذا سميت هذه القصائد بالمعلقات ؟ .. يرى الدكتور فيدريكو ان هذه مشكلة ليست بذات اهمية ، وقد شك بعض النقاد العرب فى الرواية التى تقول إنها علقت فى الكعبة إجلالا ، ويقول ابى جعفر النحاس ، وهو احد شراحها ، « فاما قول من قال انها علقت فى الكعبة فلا يعرفه احد من الرواة » . وهو راي ياخذ به المستشرقون جميعاً ، رغم تسليمهم بان هذه القصائد من الروعة بمكان لغياب الشواهد التاريخية ، ولان الرواية تعود الى العصور الاسلامية المتاخرة ، ويدعمون رايهم بان دراسة الخط العربي وتطوره ، وما اكتشف من صوره فى عصر المعلقات يجعل من الصعب كتابة او نحت مثل هذه القصائد الطوال على الجدران ، وفى وقت لم يستطع فيه ملك مثل أمريء القيس بن عمرو أن يخص نفسه فى نقش النمـارة الذى وصلنا باكثر من خمسة سطور يفخر فيها بامجاده ، ويسجل انتصاراته ، ويضيف المترجم الى هذه الأسباب أن الصراع كان قائماً وقوياً فى الجاهلية بين الشعراء والكهان ، مما يجعل من الصعب أن يسمح هؤلاء ، وهم سدنة الكعبة ، بان تعلق فيها قصائد لا تشيد بالهتهم ولا يرضون عنها .

ولا يقف الباحث الاسباني عند النفي وحده وإنما يعطي التسمية مدلولا آخر ، اوافقه فيه ، وسبق ان قلت به قبل عشر سنوات خلت ، فى دراستي لأمريء القيس : حياته وشعره ، وهو أن لفظ « المعلقات » ماخوذ من « التعليق » بمعنى التفسير ، لأن هذه القصائد ذاعت وشاعت واضحت موضع تعليق وتفسير كثيرين

ويعرض لتوثيق هذا الشعر وصحته ، ويرى فى ضوء تحليل المعلقات معنى ولغة وأسلوباً انها جاهلية تماما ، ولا سبيل الى الشك فى صحتها ، وأن نكرانها كان هواية بعض صغار المستشرقين فى نهاية القرن الماضي ، ومطلع هذا القرن ، وأن الدكتور طه حسين سار على دربهم دون أن يتبين طريقه ، فلم يدرك انهم واهمون .

وتناول اجزاء المعلقة ، وانها تبدا بالنسيب ، وما اوثر أن اسميه انا المقدمة الطللية ، ثم الرحلة ، وياتي الغرض اخيراً ، وهو المديح غالباً ، مدح رئيس القوم ، او القبيلة ، او الفخر ، ويختمها الشاعر بشيء من تجاربه تاخذ طابع الحكمة ، وكان عمرو بن كلثوم وحده الذى بدا معلقته بالخمر ، ومباكرة شربها فى الصباح ، ووصف ما تفعل بشاربيها إذا كانوا كراماً ، او شحاحاً ، بما تبعث فيهم من الارتياح الى البذل والسخاء .

ويغلب الوصف فى المعلقات ، ونلتقى به فى كل اجزاء المعلقة ، وفي هذا يختلف الشعر العربي عن الذوق الغربي ، الذى يرى فى الشعر تعبيراً عن المشاعر فحسب ، ولكن العربي قريب من الطبيعة دائماً ، ومتجاوب معها ، فهو يشعر حتى حين يصفها ، وهى بتقلباتها تخلق منه شاعراً وتدفعه الى القول . ويصف الشاعر كل ما يقع عليه بصره ، الحبيبة ، والصحراء ، والراحلة ، والبرق والرعد والمطر ، ويأتي الوصف فى أحايين كثيرة دقيقاً ومفصلا ، مما يعنى أن الشاعر عايش ما يصف عن قرب ، والم بكل دقائقه .

وتمتزج المعلقات بالحكم ، تجيء متناثرة خلال الأبيات أو يختم بها الشاعر القصيدة ، والحكمة امر شائع فى الأدب العربي ، وتجيء كثيراً على لسان لقمان ، وربما كان هذا ترجمة عربية لايسوب اليوناني عبر السريانية ، غير ان الحكمة التى يعرفها الشعر العربي تجيء مستقلة عن كليهما ، عن السريانية واليونانية على السواء ، وإنما تستمد عناصرها من النصائح الخلقية التى يرسلها شيخ الجماعة او القبيلة ، ومن تجارب كبار السن ، ولا عجب إذن أن يكون الشيوخ موضع التقدير والاحترام من الجميع .

الأفكار والأسلوب فى المعلقات

والمح الباحث الى موضوع اسر النساء فى الحرب ، وقدمه لنا عنترة ، واستشهد له بابيات من معلقة امريء القيس ، واصاب فى اشارته لمعلقة عنترة ، وخانه التوفيق فيما يتصل بامريء القيس ، لأن هذا لم يكن يتحدث عن غارة او اسر ، وإنما يعرض لاحدى مغامراته عاشقاً ، مع امراة فى حي آخر ، ذهب اليها متلصصاً ، وخرج من عندها متخفياً ، وهو تصوير فني رائع ودقيق ، وليس صدى لواقع حدث فعلا بالضرورة ، وارجح انه كان الى حي حيث القيان والبغايا ، ولامريء القيس حديث معهن لما يلتفت الى النقاد ، ومهما يكن فنحن نفهم من معلقة الحارث بن حلزة أن النساء كن يحضرن المعارك ، ويعاون الرجال ، ويثرن فيهم الحماسة والحمية .

ويعرض لخصائص المعلقات الأسلوبية ، فيراها غنائية واضحة ، ذات نسيج شاعرى عميق ، وقيمة جمالية عالية ، ويلحظ ان اصحاب المعلقات يختلفون فى طريقة انتقالهم من موضوع لآخر ، فامرؤ القيس يتميز بمهارته الرائعة فى الانتقال التدريجي ، عبر ابيات عديدة ، يمضي معها شيئاً فشيئاً ليدخل فى الموضوع الجديد ، اما زهير مثلا فيغير الموضوع فجاءة ، فينتقل مثلا من النسيب الى المديح .

وبعض كلمات المعلقات صعبة بالنسبة للعربي المعاصر ، الذى يعيش بعيداً عن اجواء المعلقات ، ويستخدم معجماً مختلفاً ، يحكمه الواقع المعاصر ، ولكن ذلك لا يعني ابداً أن هذه الألفاظ كانت صعبة أو غريبة فى اللحظة التى قيلت فيها ، مع تسليمنا بداهة بان الشاعر كان يختار معجمه ، وينتقى الفاظه ، وبعض الأفكار تتكرر عند كل الشعراء ، واحياناً نلتقي في صورتها نفسها ، وقد يكون مرد الأمر وهماً من الراوى .

واعقب الدراسة الأدبية فصل درس فيه المعلقات بوصفها وثيقة تاريخية واجتماعية بالغة الأهمية ، عظيمة القيمة ، غنية بالاشارات والأفكار ، وتناول فيها ظهور الجزيرة العربية الى الحياة ، والفارق بين البادية والحاضرة ، وحياة البدوي ومثله العليا فى ضوء نظرية ابن خلدون ، وخصائص الحياة فى الشمال والجنوب ، والم سريعاً بالتاثيرات الخارجية ، ورآها واهية أو معدومة ، وكنت اود له فى هذا أن يعود الى كتابين عظيمين وهما : تاريخ العرب للدكتور جواد علي ، وفجر الاسلام للاستاذ احمد امين ، فسيجد أن الأمر على غير ما ارتاى ، وقد تكون الفرصة مواتية الآن لأشير إلى أن كتب جورجي زيدان ، فيما يتصل بتاريخ الأدب العربي ، وتاريخ العرب والاسلام ، يجب أن تؤخذ بحذر فيما يتجاوز التاريخ للأشخاص والأحداث ، لأن الزمن تجاوزها فقد ظهرت بعدها مخطوطات ، ونشرت وثائق ، وجدت مناهج ،

المعلقـــــات الأســـــبانيّة

وتغير كثير مما كان على أيامه .

الاقتصاد والعلوم في المعلقات

ودرس التجارة في المعلقات ، وانها كانت ناقصة ، وبخاصة تجارة النسيج ، وازدهرت في اليمن ، وتجارة الخمور ، وتجيء هذه من سورية ، تركز على الطريقة الاغريقية ليسهل نقلها ثم يضاف اليها الماء عند شربها ، ونجد ذلك واضحاً في معلقات طرفة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة .

وترتبط البحارة بالتجارة ، وكانت متقدمة في نهري دجلة والفرات والخليج ، وهو ما ينفي الفكرة الشائعة بان العرب رجال ارض ويخافون البحار ، وكان فن البحارة عند العرب متقدماً ، ويمكن القول أن مجال نشاطهم امتد الى المحيط الهندي .

ويمكن أن نستنتج أن اقتصاد الجزيرة العربية في الفترة التي قيلت فيها المعلقات كان راسخ الدعائم ، وتجاوز مرحلة البداوة وان جانباً من السكان كان يعيش في مستوى عال ، وأن نمو التجارة بعامة ، والدور الذي لعبته الجزيرة في مجالها وسيطاً بين الشرق والغرب أدى الى الازدهار ، ومزيد من الترف بين طبقة معينة من الشعب على الأقل ، وأن العملات المالية ، من أصول مختلفة ، دخلت دائرة التعامل ، ولو أن المقايضة بالمواد المتنوعة ظلت قائمة أيضاً ، وبداهة كان التقدم والترف في المدن أكثر شيوعاً ووضوحاً عما كان عليه في البادية .

وتعكس المعلقات معرفة علمية الى حد ما ، ذات طابع عملي ، بفن المعمار ، وإذا كان البدو يفضلون أن يتخذوا الخيام بيوتاً ، مترفه أو متواضعة بحسب مكانة صاحبها ، فسكان المدن شيدوا بيوتاً ذات طابع معماري راق ، ربما كان مستورداً ، وبعضها شيد من حجارة ، واخذ شكل حصون يحتمي بها أصحابها ، لم يستطع المطر العنيف في معلقة أمرىء القيس أن يأتي عليها ، رغم أنه اقتلع النخيل ، واغرق الوحش ، أو قنطرة الرومي التي شيدت بقرمد في معلقة طرفة . وكان فن الزخرفة بالوانه المختلفة ، وتقنياته المتعددة شائعاً بين البدو ، ويشبه زهير الصوف المصبوغ زينت به ابل راحلة ، وقد تناثر فتاته في كل موقف أبطأت به، بحب الفنا لم يحطم ، وحب الفنا أحمر اللون ، وفيه نقط سوداء ، ويصف الماء المتجمع كثر قدره ، وعمق حجمه ، وصفا لونه ، بانه أزرق .

وكانت الكتابة معروفة عند البدو ، على الاقل جنساً إن لم تكن ممارسة ، ولكن القراءة قليلة الشيوع ، ومرد ذلك ان العرب كانوا يستخدمون في البدء الابجـدية الجنوبية ثم تركوها واستخدموا النبطية لأسباب سياسية ، تتصـــل بالسيطرة على الطرق التجارية ، وبين نهاية مرحلة سقطت ونسي الناس ابجديتها ، واخرى بدأت ولما تزدهر ، عرفت الجزيرة مرحلة من الأمية الواسعة .

وأدى التعايش مع الطبيعة الى نمو المعرفة بالفلك وتلمح فيها آثاراً أكادية ، وكان الفلك عند هؤلاء علماً متقدماً ، ويملك البدوي تجربة وممارسة ومعرفة واسعة بجسم الحيوان ، ويتجلى ذلك واضحاً في وصفه ، وحديث طرفة عن الناقة شاهد مؤكد ، وإلماماً واسعاً بجغرافية الجزيرة ، مطراً وعواصف ورعوداً ، وأسماء أمكنتها وعيونها ، وخصائص كل جانب منها .

تقاليد العرب وعاداتهم

وأما تقاليد العرب التي تعكسها المعلقات فيمكن للمرء أن يكتب فيها كتاباً ، فالتعصب للقبيلة واضح ، والثأر واجب مقدس ، ويحس البدوي بانه اسمى من الآخرين ، ويرتبط نقاء الدم بالأبوة وحدها ، ولكن الأمومة لا تقل احتراماً ، ولا المرأة تقديراً عن الرجل ، وآية ذلك أن اللغات السامية وحدها تملك لفظاً مستقلا يومىء الى صلة الأم ، وهو الخئولة ، وآخر يشير الى صلة الأب ، وهو العمومة ، وانهما بمنزلة واحدة ، على حين لا تملك اللغات الأخرى لكلا الصلتين غير لفظ واحد .

ويأبى العربي الضيم ، ويحمي اللاجىء ، ويزهو بنسبه ، ويساعد المحتاج ، ويثبت عند اللقاء ، ويناضل دون عقيدته ، وهناك الصعلوك، رفض المجتمع ، وانعزل عن القبيلة ، وأعلن نفسه عالماً مستقلا ، ووهب نفسه لاقامة العدل الاجتماعي ، يغير على الأغنياء لصالح الفقراء ويقف الى جانب المستضعفين ، وكان عدد الصعاليك في المجتمع الجاهلي كبيراً ، وبلغ بعضهم شهرة غامرة كشعراء ، ولكن ليس بين أصحاب المعلقات من ينتمي الى هذه الطبقة ، وهي ظاهرة جديرة بالتسجيل .

وتقدم لنا المعلقات ألواناً من الملابس التي تستخدمها النساء ، ونلحظ أنها تختلف طبقاً لواقع المرأة ، فتاة أو متزوجة ، ولتقاليد القوم في تناول الطعام ، واتخاذ التمائم ، والحزن الصاخب على الموتى ، وما يصحبه من البكاء والعويل وشق الجيوب ، وأن النساء كن يستخدمن الوشم في سواعدهن للزينة ، والواناً من الرياضة تجيء الفروسية في مقدمتها ، ومن اللعب وأهمه الميسر ، ولم تنس الاطفال ، فنعرف من خلالها انهم ، حتى سن معينة ، كانوا يحملون في رقابهم تمائم تحميهم من العين والأذى ، وانهم كانوا يتزينون بالعقـود .

وفي مجال الصلات بين الرجل والمرأة يرى الباحث ، معتمداً على المعلقات ، انها كانت متفاوتة ، تختلف من مكان الى اخر ، دون أن تبلغ حد التطرف الذي يجعل من المرأة مخلوقاً نجساً ، أو يجعل منها متعة متاحة بلا ضوابط ، وعرف العربي في عصر المعلقات الحب بمفهوم متميز ، ليس رومانسياً ، ولا أفلاطونياً ، ولا عذرياً ، ولا مادياً خالصاً ، ولكنه حب الفارس ، يرغب في المرأة ، ولكنه يجلها ويحترمها ، ويعمل على ارضائها ، وعلى حين يرى عنترة أن الحب يقاوم البعد ، ويتغلب عليه ، فان لبيداً يجعل الحب معه مستحيلا .

تلك هي الخطوط لدراسة فـذة هي الأولى في اللغة الأسبانية التي تدرس شعرنا الجاهلي ، والمعلقات من بينه بخاصة ، وهي شاهد على أن الفن السامي وحده يستطيع أن يأخذ طريقه الى كل اللغات وكل الأذواق ، مهما حمل من صفات المحلية في تراكيبه وفي عناصره .

وتلي هذه الدراسة ترجمة المعلقات نفسها ، ولست أزعم لنفسي انني مهيأ للحكم عليها من حيث ايقاعها الاسباني شعراً ، بلى ، ولكني اقرر صادقاً وعلى وعي ، أنها من أدق التراجم التي نقل اليها شعرنا في اللغات الاجنبية ، وقد سبق كل ترجمة تعريف موجز بصاحبها ، والحق بكل بيت تتطلب طبيعته هامشاً يفسر ما قد يضم من اشارات جغرافية ، أو طبيعية ، أو تومىء الى شيء من عادات القوم وطباعهم ، مما يضيف الى متعة القراءة متعة الفهم والفائدة .

وكأي بحث علمي يحترم صاحبه القارىء ويحاول أن يكسب ثقته ، فقد ألحق به قائمة وافية بالمصادر التي عاد اليها عربية وأوربية ، قديمة وحديثة ، ولي عليها ملاحظة ، وهي أن حظ الدراسات العربية الحديثة منها قليل ، ولو عاد اليها الدكتور فيدريكو لربما أضاف جديداً ، وأكيداً كانت ستهديه الى خير كثير .

د. الطاهر أحمد مكي

أزمة العلم في العصر الحديث

بقلم
فؤاد كامل

نشأت العلوم جميعاً فى حضن الفلسفة .. وكلما شب عن الطوق علم ، انفصل عن صدر الأم ، واستقل بحياته ، واتخذ له منهاجاً وطريقاً .

وكان علم الطبيعة (الفزياء) أسرعها إلى الاستقلال ، وأسبقها إلى الانفصال ، بدأ ذلك منذ أربعة قرون أو يزيد قليلا بفضل كوبرنيكس وتيكوبراهي وكيلر وجاليليو وفرنسيس بيكون . واعتمد نيوتن هذا الانفصال نهائياً بكتابه فى الميكانيكا الذى أطلق عليه اسم «المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية» (١٦٨٧) ، والعجيب أن هذا الكتاب الذى يؤرخ لانفصال علم الطبيعة عن الفلسفة ظل محتفظاً باسم الفلسفة وكأنما يريد أن يحتفظ باثارة من وفاء وبقية من العرفان بصلة الرحم .

وتوالى بعد ذلك انفصال العلوم التجريبية عن الفلسفة ، فانفصل علم الكيمياء على يد لافوازييه ، وعلم الحياة على يد كلود برنار . وفى مطلع القرن العشرين انفصل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا .. الخ .

ولم يكتف الأبناء بهذا الاستقلال والانفصال عن أمهم الفلسفة ، بل راحوا يحاولون إخضاع الفلسفة لمنهجهم العلمى فى البحث والتفكير ، فأصبحنا إزاء تيارات فلسفية تهدف إلى انشاء فلسفة علمية ، وهى التيارات المعروفة فى الفكر الغربى الحديث باسم «النزعة العلمية فى الفلسفة» ، ومن أهم دعاتها هانز ريشنباخ .

ومع اختلاف العلوم التى انفصلت عن الفلسفة من حيث الموضوع ، فقد كانت تشترك فى سمات واحدة بعينها أهمها : الحتمية والسببية والتعميم والتحديد والموضوعية ، ونقول «كانت» لأن هذه الدعاوى العريضة أخذت

أزمة العلم في العصر الحديث

تتهاوى واحدة إثر الأخرى حتى لم يبق للعلم منها شيء إلا الذكرى والتاريخ .

أما الصياغة الشهيرة للدعوى الأولى وأعنى بها الحتمية فهى الصياغة التى وضعها «لابلاس» وهى : أنه إذا كانت لدينا معرفة بحالة الكون فى وقت معين ، ففى إمكاننا من حيث المبدأ أن نتنبأ بكل ما يتلو ذلك الوقت من تاريخ الكون . وهذه دعوى لا نستطيع أن نثبت صحتها أو ندحضها من الناحية المنطقية النظرية البحتة : لا نستطيع أن نثبتها لأن إثباتها يقتضى أن نقدم تفسيراً حتمياً لكل الأحداث ، كما لا نستطيع أن ندحضها ، لأنه إذا حدث وأخفقنا فى أن نجد تفسيراً حتمياً لحادثة ما ، فمن الممكن أن يعد هذا الاخفاق — ومن المألوف أن يعد — ثغرة مؤقتة فى المعرفة العلمية .

وترتبط دعوى الحتمية بالصورة التى رسمتها قوانين نيوتن للطبيعة وللكون ابتداء من أواخر القرن السابع عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر . وهى صورة أشبه بالساعة الدقيقة المنتظمة التى لا يعتريها خلل أو انحراف . هذه الصورة قد تحطمت إلى غير رجعة وحلت محلها صورة أخرى رسمتها نظرية النسبية من جهة ، ونظريات هيزنبرج فى اللاتحدد وماكس بلانك فى الكم (الكوانتم) ، ودى بروى فى الضوء والمادة من جهة أخرى .

ففى أوائل القرن التاسع عشر أخذ البناء العلمى الذى شيده نيوتن فى التصدع ، ذلك أن القوانين التى وضعها نيوتن وقفت عند ظواهر محدودة الحركة هى التى يمكن أن تنطبق عليها تلك القوانين لتحديد مواضعها وسرعاتها الأصلية كشرط للتنبؤ باتجاهاتها المستقبلة . ثم برزت إلى الوجود ظواهر جديدة لم يكن فى الامكان أن تنتظم فى نطاق التفسير الآلى . ومن هذه الظواهر التجربة التى أجراها «رولند» وانتهى منها إلى أن القوة تعتمد فى شدة تأثيرها على السرعة وليس على المسافة فقط .

وهذه النتيجة تتأبى على أساس هام فى الصورة الآلية . وجاءت النظرية النسبية التى وضعها أينشتين لتقرر أن ميكانيكا نيوتن مشروعة فى نطاق التجارب العادية ، أى فى الكميات المحددة والسرعات البطيئة كسرعة السيارات والعربات ، ولكنها ليست مشروعة فى غير هذا النطاق . ومن أجل هذا كانت الفيزياء النسبية ذات قوانين تنطبق على الصعيد الأعلى من العالم هناك حيث تتحرك الأجسام بسرعة الضوء أو ما يزيد . اضف إلى ذلك مفهوم «المجال الجاذبى» الذى أحله أينشتين محل قانون نيوتن للجاذبية ، وهو المفهوم الذى أحدث ثورة فى علم الفيزياء ، وخلاصته أن وجود مادة فى الفضاء ذات كتلة معينة من شأنه أن ينشر فى هذا الفضاء انحناء معيناً يجعل الأجسام الأخرى تنزلق وتنحرف تبعاً له . وكانت تجربة بيكلسون ومورلى متممة لهذه الثورة إذ برهنت على أن الأثير لا وجود له ، وأنه مجرد مسلمة أدخلها فى نطاق العلم علماء الفيزياء الذين سلموا بأن كل شيء لابد أن يفسر تفسيراً آلياً .

وتدعو نظرية الكم (الكوانتم) ونظريات الانفصال فى الفيزياء الحديثة إلى «اللاحتمية» ، وتنكر الصورة الحتمية التى رسمتها القوانين الطبيعية حتى بداية القرن التاسع عشر . فاليوم تلعب «المصادفة» دوراً عظيم الأهمية ، ولا تستطيع المصادفة بطبيعة الحال أن تتلاءم مع أية نتيجة محددة ، فهى أقرب إلى الحرية بصورة لا متناهية من القوانين الطبيعية .

كيف تسللت المصادفة إلى مجال العلم الحديث وانهارت الأسس التي تقوم عليها الصورة القديمة ؟

وبعد أن كان منطق العلم لا يحتوى إلا على قيمتين فحسب هما : الصدق أو الكذب بمعنى أن تكون القضايا إما صادقة أو كاذبة ، أصبح من الممكن الآن تكوين منطق ثلاثى القيمة ، فيه قيمة متوسطة هى «اللاتحدد» ، وفى هذا المنطق تكون القضايا إما صادقة ، وإما كاذبة ، وإما لا محددة . ويبدو أن مثل هذا المنطق هو الصورة النهائية لفيزياء الكوانتم حتى هذه اللحظة .

وهكذا تسللت «اللاحتمية» و «المصادفة» و «الاحتمالية» و «الاحصائية» إلى مجال العلم الحديث . وبعد أن كان العلم يلجأ إلى التفسير الاحصائى لقوانين الطبيعة ليطامن من كبريائه فى الأخذ بمبدأ التعميم أو التفسير الكلى المطلق ، أصبحت الطبيعة نفسها إحصائية واحتمالية بطبيعتها إن صح هذا التعبير . ومعنى هذا أننا لم نعد مختارين فى وصف حوادث الطبيعة على أساس إحصائى ، بل إن هذه «الاحصائية» أصبحت من طبيعة هذه الحوادث نفسها . وفضلا عن ذلك برهنت أبحاث ميكانيكا الكم الحديثة على أن الحوادث الذرية المنفردة لم تعد تقبل تفسيراً سببياً ، بل تحكمها قوانين الاحتمال فحسب . وقد صيغت هذه النتيجة فى مبدأ «اللاتعين» المشهور عند هيزنبرج ، ولم يعد هناك مفر عن التخلى عن فكرة السببية الدقيقة ، واستبدالها بقوانين الاحتمال والاحصاء التى تصاغ على هذا النحو : «إذا حدث كذا .. حدث كذا فى نسبة مئوية معينة» .

وهكذا انهارت الأسس التى تقوم عليها الصورة القديمة للعالم وهى :



جاليليو



فرانسيس بيكون

الحتمية والسببية والتعميم والتحديد .. ولم تبق إلا «الموضوعية» . فما هو تعريف «الموضوعية» فى العلم ؟ وما معنى أن يعنى العلم بما هو موضوعى فقط دون ما هو ذاتى خاص ؟

الموضوعية هى العلاقات القائمة بين أجزاء الأشياء المدركة بحيث يستطيع الناس جميعاً أن يدركوا هذه العلاقات .. لو تهيأ لهم الموقف الصحيح لادراكها . وتعريف الموضوعى إذن هو «ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين» . وقد كانت هذه «الموضوعية» هى أساس انفصال العلوم عن الفلسفة كما أشرنا إلى ذلك فى مستهل هذا المقال . فالفلسفة ذاتية لأنها ترتبط بشخصية الفيلسوف الذى ابتدعها ، أما العلم فموضوعي لأنه مشترك بين الناس كافة .

وكما كانت الرياضة مثلا أعلى للعلوم الطبيعية من حيث الدقة واليقين ، فقد كانت أيضاً المثل الأعلى من حيث الموضوعية ، إذ لا مجال فيها للفردية أو الشخصية أو الذاتية . بيد أن هذا المثل الأعلى قد تحطم فى عصرنا الراهن كما تحطمت غيره من المثل العليا ، وأصبحت الرياضة مجالا للابداع الفردى لا يقل عن مجال الفنون .. ووجدت «هندسات» — لا هندسة واحدة ، تنسب إلى أصحابها المبتدعين : فهذه هندسة «ريمان» ، وتلك هندسة «لوبا تشفسكى» ، وهناك هندسة «جاوس» ، كل هذا بالاضافة إلى هندسة إقليدس القديمة التى تتخذ من المكان المسطح أساساً تبنى عليه نظرياتها ، على حين تتخذ كل من تلك الهندسات اللاإقليدية مكاناً مختلفاً لبناء نظرياتها ، فاحداها تتخذ المكان على شكل أسطوانة والأخرى تتخذه على شكل كرة .. وهلم جرا .

وما دامت «الذاتية» و «الابداع الفردى» و «الشخصية» قد تسربت إلى المثل الأعلى للعلوم الطبيعية ، ألا يكون من الممكن أن تغزو هذه العلوم نفسها ؟ وهذا هو ما حدث بالضبط للعلوم فى العصر الحديث .

• • •

كان العلم الطبيعى يتمتع بأعلى درجات الموضوعية فى نظر الفزيائى القديم ، فهذا العلم منفصل عن وجود الانسان الوثيق ، ولا صلة له بالذات الانسانية من قريب أو بعيد . وجاءت نظرية أينشتين النسبية فجعلت المقاييس التى نتخذها فى قياس المدد والأطوال تتوقف فى نهاية الأمر على وجهة نظر الراصد وإطار الاشارة الذى يوجد فيه ، مما يضفى على مقاييسنا طابعاً «ذاتياً» .

كانت هذه أولى الضربات التى تلقتها «الموضوعية» فى العلم الحديث . وهى ضربة ليست هينة ، لأنها أصابت معقلا ومقتلا . وهى من القوة بحيث أن العلماء المكتشفين الذين وجهوها كانوا أول من أصابتهم المفاجأة بالذهول ، ذلك أنها قلبت مفاهيمهم التقليدية عن الطبيعة رأساً على عقب ، وصار الكون الذى كانت صورته واضحة فى الأذهان حتى ديسمبر سنة ١٩٠٠ عندما اكتشف بلانك نظريته الكوانتم — لغزا محيراً ، وأصبحت الطبيعة التى تسير وفقاً للأسباب والمسببات تقفز فى طفرات ، وتنتقل فى حزم . ولم يعد من الممكن بعد الثورة التى أحدثها بلانك وأينشتين ومدام كورى وزوجها ونيلز بور ، ودى بروى وشرودنجر وهيزنبرج — لم يعد من الممكن أن تحتفظ الفزياء بموضوعيتها ، بعد أن أصبح الفصل بين الملاحظ وموضوع الملاحظة أمراً مستحيلا . وبذلك تغيرت الأسس نفسها التى يقوم عليها العلم ، وكأنما ترفض الطبيعة الجهود التى تبذل لفض مكنوناتها وأسرارها وذلك على نحويـن لا تنقصهما الفعالية : الأول لأنه باعتماد الملاحظة لا على الموضوع الملاحظ فحسب ، بل على الشخص الملاحظ أيضاً ، لم يعد الانسان يرى الطبيعة فى ذاتها ، بل الطبيعة الملحوظة ، وهكذا لا يكشف العلم الحديث للانسان الماهية الموضوعية

أزمة العلم
في العصر الحديث

للطبيعة ، وانما وجها واحدا من وجوهها والنحو الثانى الذى تفلت به الطبيعة من الشباك العقلية التى يحاول بها الانسان اقتناصها ــ هو قانون «اللاتعين» الذى وضعه هيزنبرج . إذ يحدد لنا هذا القانون المكان الذى ينبغى أن نقف عنده ولا نتعداه . ولم يعد ثمة مجال للشك فى الحدود الفاصلة بين الشك واليقين أو بعبارة أخرى أصبحنا على يقين من عدم اليقين .. وأصبحنا على يقين لا يعتريه الشك وهو أن الكون الذى نعيش فيه أوسع كثيراً مما يستطيع العلم أو الحس أن يكتشفه .

والشىء المأساوى حقاً هو أن الفزياء التى كانت علماً دقيقاً مضبوطاً حتى نهاية القرن التاسع عشر ، قد أصبحت اليوم معرضاً لتضارب الآراء ، ومجالا للمذاهب المتناحرة ، فلم يعد اينشتين يخفى استنكاره لأفكار نيلز بور ، كما كان هو نفسه هدفاً لانتقادات قاسية . ومن نقاده الألداء هنرى برجسون وجاك ماريتان .

وكان هذا «المناخ» العلمى الجديد الذى ساد القرن الحالى ، والحيرة التى صاحبته دافعاً لانعقاد مؤتمر من علماء الفزياء فى كوبنهاجن سنة ١٩٢٦ . وفى هذا المؤتمر دارت مناقشات حامية بين نيلز بور الدنماركى وفرنر هيزنبرج وشرودنجر الألمانيين . ولم يكن الاجماع من نصيب أى توضيح من التوضيحات المقدمة للمؤتمر . ومعنى ذلك أن المجال أصبح متسعاً للآراء المختلفة فى علم كان يظن أنه مضبوطاً .

ولنا أن نتساءل : ما هى الآفاق المفتوحة أمام هذا العلم الجديد ؟ إنه كلما تقدم فى مسيرته ، ازدادت رؤيته تعقيداً ، وقل فيها الوضوح ، وهذا ما يمكن أن ننتهى إليه من الكشف عن جزئيات جديدة جعلت من الذرة عالماً حقيقياً من الحوادث ، وعالماً تولد فيه شرارات الطاقة أو المادة ثم تموت بعد حياة قد تستغرق أحقاباً أو قروناً أو أعواماً أو أياماً أو ساعات أو دقائق أو ثوان ، أو أجزاء على ألف من الثانية ، عالماً مبهماً إلى أقصى درجة ، لم تكن فيه من قبل غير شمس واحدة غاية فى الصغر تدور حولها كواكب أصغر منها آلاف المرات . وليت الأمر يقتصر على الابهام والغموض والتعقيد ، بل إنه شىء لا سبيل إلى تفسيره ، وقد علقت عليه لافتة ضخمة كتبت عليها هذه العبارة : «اللاتحديد» .

وقد آن لنا أن نتعرض بشىء من التفصيل لفكرة «اللاتحديد» هذه . ونبدأ قصتها والقرن التاسع عشر يقترب من نهايته . كانت الفكرة السائدة عن المادة انها مركبة من ذرات وعن الضوء انه مؤلف من موجات . ومن المعروف أن الضوء والمادة هما أعظم مظهرين للواقع الفزيائى . وكان تفسير الظواهر الطبيعية على هذين الأساسين يبدو ناجحاً منذ ان تمكن دالتون من قياس نسب الأوزان التى تدخل بها العناصر الكيميائية فى مركبات ، واكتشف أن هذه النسب ثابتة تعبر عنها أعداد صحيحة بسيطة. أما عن الضوء ، فقد تم أخيراً الربط بين النظرية التموجية فى الضوء التى ابتدعها كريستيان هويجنز وبين النظرية الكهربائية فى أعمال جيمس ماكسويل ، وكان ذلك على يد هينريشن هوتس الذى قدم الدليل التجريبى على وجود موجات كهربائية .

وفى ختام القرن الماضى طرأت تحولات جذرية على فهمنا للواقع الفزيائى ، وذلك باستحداث بلانك لنظرية الكم (الكوانتم) . وقد وضعت هذه النظرية أساساً لتفسير صدور الاشعاع عن الأجسام الساخنة . وتقول هذه النظرية إن الاشعاعات الضوئية وغيرها عبارة عن ذرات من الطاقة ، وهذه الطاقة مؤلفة من وحدات أولية هى ما أطلق عليه بلانك اسم «الكمات» وتنتقل هذه الوحدات تبعاً لأعداد صحيحة ، فلا يوجد أبداً جزء أو كسر من الكوانتم . وحجم الذرة ، أى كمية وحدة الطاقة ، تتوقف على طول موجة الاشعاع الذى ينقل به الكوانتم ، فكلما كان طول الموجة أقصر ، كان الكوانتم أكبر .

لماذا عادت الفيزياء إلى التفكير الفلسفي بعد انقطاع ثلاثة قرون ؟

وتوالت بعد ذلك تطبيقات نظرية الكوانتم فى مجالى الذرة والأشعاع وبخاصة على يد نيلز بور الذى وحد بين اتجاهى التطور فى كلا المجالين فاستغل الكشف الذى توصل إليه مندلييف الروسى من أن للذرة تركيباً داخلياً ، وأنه إذا رتبت ذرات العناصر الكيميائية حسب الوزن ، فان خواصها الكيميائية تتخذ ترتيباً دائرياً . كما استغل النموذج الكوكبى للذرة الذى وضعه رذرفورد الانجليزى حين ربط بين هذه الكشوف الكيميائية وبين كشف الالكترون . وفى عام ١٩١٣ وضع نيلز بور نظريته التى وحد بها بين نموذج الذرة عند رذر فورد وفكرة «كم الطاقة» عند بلاك .

غير أن نظرية بور وضعت الفزياء فى مأزق حرج ، فقد كان بعض الظواهر يقتضى تفسيراً جسيمياً للضوء ، وبعضها الآخر يقتضى تفسيراً تموجياً .

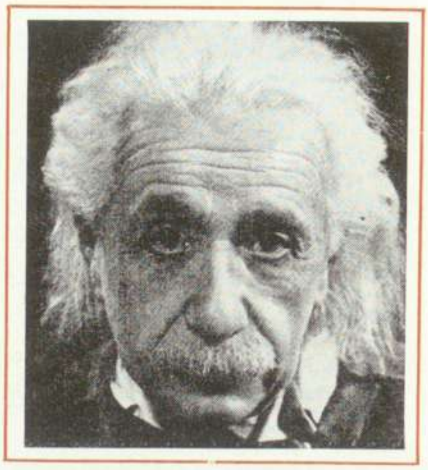
ومن هذا المأزق خرج لون دى بروى الفرنسى بفكرته التى أعلنها بأن الضوء مؤلف من جزئيات ومن موجات معاً . ونقل هذه الفكرة إلى ذرات المادة ، فقال إن كل جزء صغير من المادة مقترن بموجة ، وأن الموجات تسير مع الجزىء

وتتحكم فى حركته . فجاء شرودنجر وقال إنه يستطيع الاستغناء عن الجزئيات ، وأنه لا توجد إلا موجات تتجمع فى بقاع صغيرة معينة ، فينتج عنها شىء يشبه الجزىء ، ووضع معادلة تفاضلية هى الأساس الرياضى للنظرية الحديثة فى الكم ، ويطلق عليها عادة اسم ميكانيكا الكوانتم .

ولما استحال الجمع بين الرأيين اقترح ماكس بورن الفكرة القائلة بان الموجات ليست شيئاً مادياً على الاطلاق ، وإنما احتمالات ، حقيقتها رياضية فحسب . وسار هينزنبرج فى هذا الطريق ، فبين أن هناك قدراً محدداً من «اللاتحدد» فيما يتعلق بالتنبؤ بمسار الجزىء ، مما يجعل من المستحيل التنبؤ بهذا المسار بدقة . وأخيراً جمع بور بين نتائج هيزنبرج فوضع مبدأ التكامل القائل بأن تفسير بورن لا يقدم إلينا الا وجهاً واحداً للمشكلة ، فمن الممكن أن ننظر إلى الموجات على أنها ذات حقيقة فزيائية فلا يكون للجزئيات حينئذ أى وجود . ومعنى هذا أن الواقع الفزيائى يقبل تفسيرين ممكنين ، كل منهما يماثل الآخر فى صحته ، وإن يكن من غير الممكن الجمع بين الأثنين فى صورة واحدة ، لأن قانون اللاتحدد يجعل من المستحيل القيام بأية تجربة فاصلة تحدد أى التفسيرين هو الصحيح وأيهما الباطل .

وهكذا فان سؤالنا : ما المادة ؟ لا يمكن الاجابة عنه بالتجارب الفزيائية وحدها ، وإنما يحتاج إلى تحليل فلسفى للفزياء .

وبعد أن كانت الفزياء قد انفصلت عن التفكير الفلسفى خلال القرون الثلاثة الماضية ، فانها تعود اليوم إلى البحث الفلسفى مرة أخرى بعد أن وصل البحث إلى مرحلة من التعقيد تقتضى هذه العودة . وعلينا الآن أن نصغى الى الفلاسفة بعد أن كنا نصغى إلى العلماء



اينشتاين

ويقول هؤلاء الفلاسفة إن علينا أن نضع نسقين مختلفين للقوانين الفزيائية ، أحدهما للموضوعات الملاحظة والآخر للموضوعات غير الملاحظة . والطبيعة لا تملى علينا وضعاً واحداً بعينه ، والحقيقة لا تقتصر على لغة واحدة ، وفى استطاعتنا أن نصف العالم الفزيائى بهندسة إقليدية أو بهندسة لا إقليدية . فهناك طرق كثيرة لقول الصدق وكلها متكافئة بالمعنى المنطقى . والواقع الفزيائى يقبل فئة من الأوصاف المتكافئة ونحن نختار أحدهما على سبيل التيسير على أنفسنا ، وهذا الاختيار لا يرتكز إلا على عرف أو اصطلاح ، أى على قرار إرادى . فها نحن نعود مرة أخرى إلى «الذاتية» .

وهناك فى عالم الذرة أشياء يمكن أن نلاحظها وأشياء لا يمكن أن نلاحظها . فما يمكن ملاحظته هو الصدمات بين جزئين ، أو بين جزىء وشعاع ضوئى . أما ما لا يمكن ملاحظته فهو ما يحدث خلال الفترة الواقعة بين صدمتين ، أو فى الطريق مذ مصدر الاشعاع إلى الصدمة . ولكن ، ما السبب الذى يجعل هذه الملاحظة مستحيلة ؟ المشكلة هى أنه من الضرورى لكي نرى جزيئاً أن نضيئه واضاءة جزيء شيء يختلف كل الاختلاف عن إضاءة بيت . ذلك لأن الشعاع الضوئي عندما يقع على جزىء يخرج به عن طريقه . ولكى يكون وصفنا لمسار الجزىء كاملا فينبغى أن نحدد مكانه وسرعته معاً . بيد أن التغيير الذى يحدثه الملاحظ ـ بفعل الاضاءة ـ يجعل من المستحيل قياس القيمتين معاً فى نفس الوقت . ففى استطاعتنا أن نقيس موقع الجزىء «أو» سرعته ، ولكنا لا نستطيع قياسهما معاً . هذا هو معنى مبدأ اللاتحدد الذى وضعه هيزنبرج .

والمهم فى هذا كله هو أن الصورة التى نرسمها للكون قد أصبحت اختيارية ، أى ذاتية ، وأن ظواهر الطبيعة نفسها أصبحت لا حتمية بمعنى اننا لو وضعنا نرتين من الراديوم جنباً إلى جنب ، وكانت إحداهما تنفجر فى وقت محدد ، فانه من الممكن ألا يبدو على الذرة الأخرى أية علامة تشير إلى أنها ستفعل نفس الشىء . فكيف يمكن أن تتصرف الأشياء المتطابقة فى الظروف الواحدة تصرفاً مختلفاً؟ وإذا كنا نستطيع أن نقول بثقة أن نصف أى عدد كبير من نرات الراديوم سينفجر فى الـ ١٦٠٠ سنة القادمة . فاننا لا نستطيع مطلقاً أن نحدد أى الذرات ستنفجر بعد ذلك ، أو متى ، بل يبدو إن الطبيعة نفسها لا «تعلم» شيئاً هى أيضاً . فقوانين النشاط الاشعاعى إحصائية بحيث تختلف تمام الاختلاف عن قوانين نيوتن الحتمية للحركة .

لقد اصبح العنصر الذاتى مغروساً فى تصورنا للطبيعة . ويتوقف الأمر فى هذا التصور على الكيفية التى ننظر بها إلى الكون ، أى على وجهة النظر الذاتية فلا يمكن أن يرسم صورة متسقة للطبيعة إلا مصور فردى ، أيا كانت كمية المعلومات التى استمدها من الآخرين . ذلك أن هذه الصورة لا تكشف عما نعرفه أو عما نظن أننا نعرفه ، بل عن «فهمنا» لما نعرفه . هذا الفهم هو من «إبداعنا» الخاص ، إنه تفسير تخيلناه للمعرفة نحاول أن نمزج فيه كل شذرات الحقائق

أزمة العلم
في العصر الحديث

المنفصلة فى صورة واحدة منسجمة . وكثيرون هم العلماء الذين مهدوا لظهور أينشتين ، ولكن لا يوجد غير أينشتين واحد .

وهنا نصل إلى مأزق آخر يقف إزاءه العلم حائراً . فان محدودية العقل البشرى من ناحية ، وتكدس المعلومات والحقائق العلمية من ناحية أخرى قد جعل من العمل الجماعى التعاونى ضرورة لا محيد عنها فى مجال البحث العلمى ، فى الوقت الذى لا يمكن فيه للكشف العلمى الا أن يكون فردياً . وهذه هى المعادلة الصعبة : فرد واحد لا يستطيع أن يستوعب نتائج العلوم لكثرتها وتشعبها ، وفرد واحد هو الذى ينبغى أن يتوصل إلى كشف علمى أو نظرية واحدة – كنظرية النسبية – لتفسير النتائج التى توصلت إليها العلوم المختلفة .

وما يزيد من حدة هذه الأزمة هو أن معظم العلماء على درجة كبيرة من الفردية بحيث تراهم لا ياخذون مبدأ البحث الجماعى التعاونى مأخذ الجد . ويقال إن أينشتين أعلن ذات مرة أنه لا يستطيع أن يتخيل كيف كان من الممكن أن تتصور نظرية النسبية جماعة من العلماء .

أضف إلى هذا أن التحليل الدقيق الذى قام به بوانكاريه لطبيعة الكشف الرياضى أثبت أن وعينا الحدسى بالحقائق يختلف كل الاختلاف عن تفكيرنا الذى يتم فوق سطح الوعى ، فهو لا يتم فى كلمات ، وإنما يحدث فى مكان ما من اللاشعور بحيث لا يدرك المفكر عادة ما يدور داخل نفسه . ودور التفكير اللاواعى مهم أيضاً فى العلوم الأخرى ، بل قد يكون حاسماً فى حل بعض التفاصيل الفنية التى قد تبدو تافهة .

والأمل معقود فى حل هذه الأزمة المستحكمة على ايجاد طريقة أعمق فى الاتصال الحميم بين العلماء .. نوع من التواصل الوثيق ، ووسيلة مبتكرة لنقل الأفكار إذا كان لابد للبحث الجماعى أن يكون فعالا . ولهذا كله نحتاج إلى فهم أعمق كثيراً مما نعرفه الآن للطريقة التى يعمل بها العقل البشرى . وليس هذا أمراً مستحيلا على كل حال .

وعلينا فى البحث الجماعى أن نتجنب كبت التفكير اللاواعى للفرد ، وأن نقدم له كل ما يتطلبه من معلومات ، بل وكذلك الأفكار التى لم تكتمل بعد عند زملائه المتعاونين معه بصورة أو بأخرى

والمخرج الثانى من هذه الأزمة هو أن يلجأ العلم إلى الفلسفة ، وبذلك يدور الزمن دورة كاملة ، ويعود الابناء إلى حضن أمهم الدافىء الحنون . ولا يتوهمن القارىء اننا ندعو إلى وضع فلسفة علمية فهذا النوع من الفلسفة – كما يقول برديائف – من اختراع مفكرين محرومين من أية موهبة فلسفية صادقة ، أو الشعور بأن لهم رسالة معينة ، إنهم هؤلاء الذين لا يضيفون شيئاً إلى الفلسفة . والنزعة العلمية ليست فى مركز يسمح لها بتقدير دلالة العلم نفسه وتقدير امكانيات الانسان العقلية ، إذ أن وضع المشكلة نفسه يتعالى على حدود العلم ، والنزعة العلمية تعالج كل شيء من حيث هو موضوع ولا تعفى من ذلك الذات نفسها .

وليست مهمة الفلسفة أن تستريب بالعقل ، وإنما أن تميط اللثام عن متناقضاته ، وأن توضح له حدوده . وعلينا ألا نلتمس معيار الحقيقة فى العقل أو الذهن ، وإنما علينا أن نلتمسه فى الروح المتكامل .

ومن التحيز البين الاعتقاد بان المعرفة عقلية دائماً ، وأنه لا وجود مطلقاً لمعرفة لا عقلية . ذلك أننا نفهم عن طريق الوجدان أكثر مما نفهم عن طريق العقل .

ومن الخطأ الجسيم أن نعتقد أن العاطفة لا يمكن الا أن تكون ذاتية وحسب ، بينما الفكر هو وحده الذى يتسم بالموضوعية ، وأن الذات العارفة لا تستطيع أن تدرك الوجود الا عن طريق العقل ، بينما تقتصر العاطفة على العالم الذاتى وحده .. والواقع أن عكس ذلك هو الصحيح ، فالعاطفة الانسانية ليست ذاتية اللهم إلا فى فضلة فردية ضئيلة ، وهى فى شطرها الأعظم قد أحالها المجتمع إلى شكل موضوعى . وعلى العكس من ذلك يمكن أن يكون العقل ذاتياً إلى حد كبير ، بل هو فى أغلب الأحيان أكثر فردياً من العاطفة ، وأقل خضوعاً للاحالة الموضوعية التى يقوم بها المجتمع .

والمعنى نفسه الذى يفهم من كلمة «ذاتى» و «موضوعى» فى حاجة إلى مراجعة بالغة الدقة ، فان مسألة تحديد هل ادراك الحقيقة ذاتى أو موضوعى على جانب كبير من الخطورة . وأيا كان الحل ، فاننا على يقين من أمر واحد ، وهو أن الادارك الفلسفى فعل روحى لا يقوم به العقل وحده ، وإنما تتركز فيه مجموع القوى الروحية للانسان ، سواء ما ينتمى منها إلى وجوده الارادى ، أو إلى وجوده الشعورى .

وما أبلغ قول الشاعر المعاصر إزرا باوند : «الفنون ، والأدب ، والشعر ، علم تماماً مثلما أن الكيمياء علم . إن موضوعها جميعاً واحد ، هو الانسان ، والجنس البشرى ، والفرد» .

وليس غريباً أن يتجه العلماء أنفسهم – وقد أعوزهم اليقين فى العلم ، واقتنعوا بقصوره عن إشباع شوق الانسان الفطرى إلى المطلق – ليس غريباً أن يتجهوا إلى الفن والأدب فى فهم «الانسان» فها هو واحد من العلماء الأفذاذ فى عصرنا الحاضر هو ألان كوتريل يهتف بتلك العبارة التى أوردناها للشاعر إزرا باوند فى ختام كتابه «صورة الطبيعة» بعد أن يقول : «.. ولمزيد من الفهم فى هذا المجال (مجال الانسان) علينا أن نتجه إلى الفنون والآداب ، إلى الروائيين العظام ببصيرتهم النافذة إلى الطبيعة الانسانية .. إلى رمبرانت وميكلآنجلو ، وإلى الموسيقيين الذين عبروا عن المشاعر الانسانية تعبيراً مباشراً . ومع أن هذا النوع من الفهم لا يصاغ فى مصطلحات علمية ، إلا أنه إدراكى مكثف ومضبوط ، كما نعلم ذلك جميعاً من خبرتنا الشخصية بآثاره» .

ولا نجد لختام هذا المقال كلاماً أبلغ من هذا الكلام ..

فؤاد كامل



الشيخ محمد رشيد رضا

١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣١ م

بقلم
الدكتور محمد عمارة

هو «السيد» محمد رشيد بن على رضا ابن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة .. القلمونى، نسبة إلى بلدته «القلمون»، إحدى قرى نواحى «طرابلس» الشام .. ولقد نزحت أسرته إلى «القلمون» من بغداد، فهو بغدادى الأصل .. ويلقب «بالسيد» لأن أسرته «شريفة»، يرتفع نسبها إلى الامام الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنهما .

ولد بقريته «القلمون» ــ والمشرق العربى خاضع للدولة العثمانية وجزء من امبراطوريتها ــ وكان مولده فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ ١٨ أكتوبر ١٨٦٥ م ..

وفى المحيط المتدين للأسرة بدأ رشيد رضا يتلقى دروس تعليمه الأولى بقريته على عادة عصره، فحفظ القرآن، وأخذ بأسباب التعليم التى تؤهله كى يكون عالماً من علماء الاسلام .. وفى «طرابلس» التحق بالمدرسة الوطنية الاسلامية .. كما درس فى بيروت .. وانتهى به المطاف بعد أن درس علوم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، واللغة، والفقه، إلى نيل شهادة (العالمية) من طرابلس، بعد أن حصل ما يشابه علوم الأزهر الشريف فى مصر .. ولقد تتلمذ فى تعليمه هذا على نفر من علماء سوريا وأدبائها البارزين، مثل الشيخ حسين الجسر (١٨٤٥ ــ ١٩٠٩ م) والشيخ عبد الغنى الرافعى (١٨٢١ ــ ١٨٩١ م) ..

كان تحصيله ثمرة لمنهج دراسته، يغلب عليه الطابع السلفى، الذى يهتم أكثر ما يهتم «بالمنقول» وينحو نحو اعلاء شأن النصوص والمأثورات، مع فضيلة التدقيق فى أسانيد هذه النصوص، دينية كانت أو تاريخية ..

ومن الكتب التى طبعت فكره وسلوكه بطابع متميز فى المرحلة الأولى من حياته كتاب (احياء علوم الدين) للامام الغزالى (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ــ ١١١١ م) فلقد مال به إلى الزهد، وسلكه فى سلك الصوفية، فأصبح واحداً من المريدين فى «الطريقة النقشبندية»، واشتغل بالوعظ والارشاد فى قريته والقرى المجاورة لها، حتى لقد كانت نزهاته التى يروح بها عن نفسه فى القرى المجاورة مجالا لعظات يلقيها، مستعيناً بكتب المواعظ السلفية من أمثال كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) (١) ! .

ولقد تهيأ له فى هذه الفترة أن يتدرب على الخطابة الدينية فأجادها .. كما طمح إلى الكتابة، فألف كتاباً عن (الحكمة الشرعية)، ونشر فى احدى الصحف مقالا طويلا عن الأخلاق، وكيف أنها هى والوجدان مصدر عمل الانسان .. كذلك صاغ بعض أفكاره شعراً منظوماً .

ولقد تصادف ان ولت الدولة العثمانية على طرابلس «متصرفاً» كان من أنصار الحرية، هو حسن باشا سامى وفى أحد الاجتماعات التى حضرها خطب الشيخ رشيد خطابا تحدث فيه عن طبقات الأمة، حاكمين ومحكومين، وحبذ أن يكون العمل هو معيار التمايز بين الطبقات .. وهو فكر استاء منه البعض، وخشى عليه أصدقاؤه مغبته .. لكن «المتصرف» التركى أعجب به، فعينه عقب ذلك عضواً فى «شعبة المعارف» (٢) ! .

وفى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ ــ ١٨٩٣م) ــ وكان فى الثامنة والعشرين من عمره ــ حدث لفكره وسلوكه تحول عظيم .. فبينما هو يقلب الأوراق فى محفوظات والده، إذ به يعثر على بعض من اعداد مجلة (العروة الوثقى) التى أصدرها فيلسوف الاسلام وموقظ الشرق جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ ــ ١٣١٤ ــ ١٨٣٨ ــ ١٨٩٧م) وتلميذه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ــ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٨ ــ ١٩٠٥ م) من باريس سنة

الشيخ محمد رشيد رضا

١٨٨٤ م ، والتى توقفت بعد ثمانية عشر عدداً .. فقرأ هذه الأعداد التى أحدثت مقالاتها فى عقله ووجدانه انقلاباً شاملا .. فاخذ يبحث عن بقية أعداد المجلة ، فوجدها كاملة فى مكتبة شيخه حسين الجسر ، فنسخها واكب على مطالعتها وفقهها مرات ومرات ، فتغيرت صورة الاسلام فى فكرة ، ومن ثم تغيرت صورة المسلم النموذجى ، فلم يعد الاسلام هو زهد (احياء علوم الدين) المغرق فى ادارة الظهر للدنيا ، ولم يعد المسلم هو السلفى العاكف على اصلاح العقائد وحدها .. وإنما تبدى له الاسلام الذى يوازن بين الدين والدنيا ، والحضارةوالشعائر ، والتمدن وتطهير القلوب ، الاسلام المجاهد فى سبيل اصلاح دنيا المسلمين ، التى هى السبيل لاصلاح أخراهم ! .

ويتحدث الشيخ رشيد عن هذا الانقلاب الذى أصاب حياته ، وهو لما يزل طالباً للعلم فى طرابلس ، فيقول : «.. ثم إنى رأيت فى محفوظات والدى بعض نسخ (العروة الوثقى) فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء ، اتصل بى فأحدث فى نفسى من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بى من طور إلى طور ومن حال إلى حال .. كان الأثر الأعظم لتلك المقالات الاصلاحية الاسلامية ، ويليه تأثير المقالات السياسية فى المسألة المصرية . والذى علمته من نفسى ومن غيرى وفن التاريخ أنه لم يوجد لكلام عربى فى هذا العصر ولا فى قرون قبله بعض ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب ، والاقناع من العقل . ولا حد للبلاغة إلا هذا؟!» (٣) .

لقد تعلم من (العروة الوثقى) «ان الاسلام ليس روحانيا أخرويا فقط ، بل هو دين روحانى جسمانى أخروى دنيوى من مقاصده هداية الانسان إلى السيادة فى الأرض بالحق ، ليكون خليفة الله فى تقرير المحبة والعدل !» .

وهو يمضى مصوراً معالم ذلك الانقلاب الذى حدث له ، فيقول : ولقد «احدث لى هذا الفهم الجديد فى الاسلام رأيا فوق الذى كنت أراه فى ارشاد المسلمين ، فقد كان همى قبل ذلك محصوراً فى تصحيح عقائد المسلمين ، ونهيهم عن المحرمات ، وحثهم على الطاعات ، وتزهيدهم فى الدنيا .. فتعلقت نفسى بعد ذلك بوجوب ارشاد المسلمين عامة إلى المدنية ، والمحافظة على ملكهم ، ومباراة الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات ، وجميع مقومات الحياة . فطفقت أستعد لذلك استعداداً ..» (٤) .

ومنذ ذلك التاريخ تاقت نفسه لاقامة الصلة بينه وبين جمال الدين الأفغانى ـ الذى كان يعيش فى الآستانه ـ والامام محمد عبده ـ الذى كان قد عاد إلى مصر ـ فكتب للأفغانى كتاباً بليغاً ، امتلأت عباراته بشحنات الاكبار والاعجاب والتمجيد(٥) .. ثم سنحت له الفرصة فلقى الشيخ محمد عبده مرتين ، لقاء عابراً ، أولاهما عندما ذهب الامام لزيارة «المدرسة الخاتونية» بطرابلس .. والثانية عند زيارته لطرابلس ، مصطافاً وبصحبته القانونى المصرى البارز احمد فتحى باشا زغلول ، وفى هذين اللقائين عبر الشيخ رشيد للأستاذ الامام عن اعجابه به وبالأفغانى ، وعن تأثير (العروة الوثقى) فى التحول الذى حدث له، وكيف انتقلت به من طور إلى طور ، فاخرجته من قوقعة «التنسك الصوفى» إلى رحاب «الاسلام المصلح» (٦) ، على نحو ما صنع الأفغانى بالشيخ محمد عبده عندما تقابلا ، بمصر ، فى مطلع سبعينات القرن التاسع عشر ؟! ..

ولم يفكر رشيد رضا فى السفر إلى «الآستانة» ليتتلمذ على الأفغانى ، فلقد كان يعلم أن المناخ هناك قاتل للابداع والطموح .. فلما توفى الأفغانى سنة ١٣١٤ هـ سنة ١٨٩٧ م نشأت لديه فكرة الهجرة إلى مصر ، كى يتخذ من الشيخ محمد عبده أستاذاً ، وليكون موقعه منه كموقع محمد عبده من جمال الدين ! .. فأخــذ يعد عدته للسفر ، فادخر من تحرير «الحجج» و «العقود» نفقات رحلته ـ كما يقول ـ ثم تسلل إلى احدى السفن الذاهبة إلى الاسكندرية فوصلها مساء الجمعة ٨ رجب سنة ١٣١٥ هـ أول ديسمبر سنة ١٨٩٧ م .. ومنها قام برحلة إلى «طنطا» «فالمنصورة» «فدمياط» «فطنطا» ـ ثانية ـ ثم وصل القاهرة يوم السبت ٢٣ رجب سنة ١٣١٥ هـ ـ ١٥ يناير سنة ١٨٩٨ م .. وفى اليوم التالى ذهب لزيارة الأستاذ الامام (٧) ..

وفى القاهرة وضع الشيخ رشيد قدمه على طريق تحقيق ما بنفسه من طموحات وآمال .. وكما يقول : «فلقد كنت أعتقد أن استعدادى كله يبقى ضائعاً إذا بقيت فى سوريا ، وأنه لا يمكن أن يظهر هذا الاستعداد بالعمل إلا فى مصر لما فيها من الحرية المفقودة فى البلاد العثمانية (٨)» ..

وفى طموحات الشيخ رشيد ومشروعاته الاصلاحية كان الحدث الذى هز كيانه وحول اتجاهه وهيأ له الاكتشاف الصادق لحقيقة الاسلام ـ حدث (العروة الوثقى) ـ ماثلا فى ذهنه .. فهذه المجلة ، التى أحدثت فى المسلمين أثرا غير مسبوق فى زمنها وما تقدمه من قرون ، قد جاءت ثمرة لصحبة محمد عبده للأفغانى ، وتتلمذه عليه وزمالته له .. فلتكن (المنار) ـ وهى المجلة التى يطمح فى إصدارها ـ هى (العروة الوثقى) الجديدة ، وليكن هو «ترجمان افكار» الأستاذ الامام .. فلابد للاصلاح الاسلامى من زعيم تثق به الأمة ، وهو الآن محمد عبده ، ولابد لهذا الاصلاح من ترجمان ، فليكن هو هذا الترجمان ، ولتكن (المنار) هى الامتداد الجديد ، والمعدل ، (للعروة الوثقى) ! ..

وفى لقائه بالأستاذ الامام ـ فى ٦ شعبان سنة ١٣١٥ هـ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٧ م ـ عرض عليه مشروعه ، فباركه ، بعد أن استوثق أن المجلة «ستبحث فى موضوع مرض الأمة وضعفها ، وفى معالجتها بالتربية والتعليم ونشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والأفكار الفاسدة التى فشت ، كالجبر والخرافات» .. وان لدى صاحب المشروع القدرة المالية على الانفاق عليه عاماً أو عامين حتى يستقر ويجلب الأرباح التى تضمن له الاستمرار .. لقد قال له الأستاذ الامام

ـ إن كان هكذا فهو حسن . وهذا أشرف الأعمال وأفضلها . وأنا إذا كنت

على ثقة من مشرب هذه الجريدة فانى ساعدها بكل جهدى .

فاجابه الشيخ رشيد :

ـ إنى أعاهدكم على أن أكون معكم كالمريد مع أستاذه ـ على نحو ما يقول الصوفية ـ ولكنى أحفظ لنفسى شيئاً واحداً أخالفهم فيه ، وهو : أن أسأل عن حكمة ما لا أعقله ، ولا أقبل إلا ما أفهمه ، ولا أفعل إلا ما أعتقد فائدته .

فقال له الامام :

ـ هذا ضرورى لابد منه ! » ..

وفى لقاء تال ـ فى ٦ شعبان سنة ١٣١٥ هـ ٦ يناير سنة ١٨٩٨ م ـ طلب الامام من الشيخ رشيد :

(١) أن لا تتحيز الجريدة لحزب من الأحزاب .

(٢) ولا تهتم بالرد على ذام أو منتقد

(٣) ولا تخدم أحداً ممن يسميهم الناس «كبراء» .. تستخدمهم ، نعم .. لكنها لا تكون فى خدمتهم ! ..

ووافق الشيخ رشيد .. وصدر (المنار) فى ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ هـ ١٧ مارس سنة ١٨٩٨ م .. ليواصل رسالة (العروة الوثقى) .. مع مراعاة الزمان والمكان والظروف والملابسات .. وليركز على الاصلاح الدينى ، وربط الشريعة بالواقع المتطور ، وتطهير العقيدة من الخرافة ، وتحرير العقل من جمود التقليد ، وعقد المصالحة والاخاء بين الدين والعلم ، والعقل والنقل ، والاسلام والتمدن .. الخ .. الخ .. وبلغ فى ذلك ، على امتداد عمره الذى امتد حتى سنة ١٣٥٤ هـ سنة ١٩٣٥ م ، ما لم يبلغه منبر اسلامى شهدته الأمة فى ذلك التاريخ .. لقد كان ، بحق ، «ترجمان أفكار» الأستاذ الامام ، أى المنار لأعظم تيارات التجديد الاسلامى فى العصر الحديث ، وكان «المشكاة» الذى أضاءت من خلالها أنوار العبقرية التجديدية للشيخ محمد عبده ، ولولاه لخبت فى عقل الرجل نيرانه وأنواره على حد سواء ! .. ففضل الشيخ رشيد يتعدى حدود التعبير عن حركة التجديد التى مثلها الامام محمد عبده ، ويتمثل ، أيضاً ، فى قدح زناد هذا الفكر المجدد للامام ، وتفجير ينابيعه ، وتهيئة السبل والمناسبات وخلق الدواعى لاستمرار تدفقه .. هذا إلى الاسهام الجاد والخلاق فى هذا التجديد ..

ولقد كان طبيعياً ان يحارب (المنار) معارك الأستاذ الامام ضد خصومه .. وأن تصيب صاحبه السهام المصوبة للاستاذ .. فحاولوا التفريق بينه وبين الامام ، فلما فشلوا هموا باخراجه من مصر ، حتى لقد أوعزوا إلى الدولة العثمانية أن تستدعيه بحجة أنه متخلف عن تادية الخدمة العسكرية ؟! .. وكادوا ينجحون لولا أن أثبت الرجل بالوثائق أنه قد تمتع بالاعفاء لطلبه العلم أولا ، ثم لبلوغه مرتبة العلماء المشتغلين بتدريس العلم بعد ذلك ! ..

وعندما حانت منية الأستاذ الامام سنة ١٣٢٣ هـ سنة ١٩٠٥ م كانت قد رسخت فى الأذهان حقيقة سلم بها الجميع ، وهى : أن مكانة الشيخ رشيد من الأستاذ الامام هى مكانة الامام من أستاذه الأفغانى ، وأنه هو رأس حركة الاصلاح الدينى من بعده ، وأبرز تلاميذه العاملين فى هذا الميدان .. بل لقد عبر الأستاذ الامام ، تلميحاً ، عن هذه الحقيقة فى الأبيات التى نظمها وهو على فراش الموت ، عندما صور رسالته الاصلاحية ومكان الشيخ رشيد ، باعتباره «مرشداً رشيداً» يأمل الامام أن يواصل السير بعده على طريق الاصلاح الدينى .. فقال :

ولست أبالى أن يقال محمد بل أو اكتظت عليه المآتم
ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضى عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها إذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب إن قدرت رجعى قريبة إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضىء النهج والليل قاتم
يماثلنى نطقاً وعلماً وحكمة ويشبه منى السيف ، والسيف صارم(٩)

مضى الشيخ رشيد ، بعد وفاة الأستاذ الامام ، ناهضاً بالريادة فى ميدان الاصلاح الدينى .. وكانت علاقاته قد توثقت بتلاميذ الامام محمد عبده من أقطاب الفكر والصحافة والسياسة بمصر .. وأيضاً بكوكبه من أبرز الزعماء والمفكرين العرب والمسلمين الذين اتخذوا مصر موطناً لنضالهم بعد أن لجأوا إلى الهجرة فراراً من اضطهاد آل عثمان ، بالمشرق ، والاستعمار الفرنسى ، بالمغرب .. وواصل (المنار) دوره كساحة للفكر التجديدى الاسلامى .. لكن انفراد الشيخ رشيد بالعمل فى الحقل الاسلامى بعد وفاة أستاذه ، قد طبع فكره وممارسته بسمتين لم تكونا ملحوظتين عندما كان يعمل فى ظل شخصية الشيخ محمد عبده وفكره ..

● فالتكوين السلفى النصوصى المبكر للشيخ رشيد ، والذى يهتم أصحابه «بالمنقول» أكثر مما يهتمون «بالمعقول» ـ وهو الذى تربى عليه الشيخ رشيد مبكراً ـ والذى كان قد توارى ، مفسحاً المجال للموقف المتوازن الذى يوازن بين «المنقول» و «المعقول» والذى يجعل العقل حكماً وحاكماً فى فقه المأثورات والفصل فى تناقضاتها ـ هذا التكوين السلفى النصوصى القديم عاد فبرز فى فكر الشيخ رشيد عندما تحررت أفكاره من تأثير الأستاذ الامام ! .. وبرز ذلك فى الأجزاء التى فسرها من القرآن الكريم بعد وفاة الأستاذ الامام .. فالذين يقارنون ، فى (تفسير المنار) بين ما للامام محمد عبده وما للشيخ رشيد يرون الفرق واضحاً وجلياً بين التفسير «بالمعقول» و «الدراية» ، عند الامام ، وبين التفسير «بالمنقول» و «الرواية» ، عند الشيخ رشيد .. ! ..

وكذلك الحال فى المعارك الفكرية التى خاضها صاحب (المنار) .. لقد تحول يميناً ـ إذا جاز التعبير ـ بعد وفاة أستاذه .. ويكفى أن نتذكر أنه ـ فى حياة الامام ـ وقف مع دعوة قاسم أمين (١٨٦٥ ـ ١٩٠٨) لتحرير المراة .. على حين اتخذ من كتاب الشيخ على عبد الرازق (١٨٨٨ ـ ١٩٦٦ م) عن الاسلام وأصول الحكم) موقفاً حاداً وشديد العداء ! ..

● والسمة الثانية التى تميز بها

الشيخ محمد رشيد رضا

فكرة وطبعت ممارساته ، بعد وفاة أستاذه ، هى الميل الملحوظ للانغماس فى العمل السياسى .. فلقد أفاض فى معالجة قضايا «الخلافة» ، و «علاقة العرب بالأتراك» و «المسألة الشرقية» ، و «التدخل الاستعمارى الغربى فى الشرق العربى والاسلامى» ، كما كان له موقف بصير من الخطر الصهيونى» على فلسطين والوطن العربى ..

وفى الممارسة السياسية وجدناه قطباً من أقطاب (حزب اللامركزية) الذى تألف من مجاهدى المشرق العربى لابراز الكيان العربى فى الاطار العثمانى ، وهو الحزب الذى تألف بالقاهرة أواخر سنة ١٩١٢ م .. ووجدنا العلاقات الوثيقة بينه وبين حركة الشريف حسين بن على (١٨٥٦ ـ ١٩٣١ م) لتأسيس دولة عربية مستقلة عن العثمانيين .. حتى لقد ذهب الى سوريا عندما أعلن أهلها استقلالها تحت حكم الملك فيصل بن الحسين (١٨٨٣ ـ ١٩٣٣ م) وانتخب رئيساً للمؤتمر السورى فيها ، ولم يغادرها إلا عندما أجهض الاحتلال الفرنسى هذا الكيان العربى سنة ١٩٢٠ م .

ووجدناه ، كذلك ، داعية من دعاة الاصلاح الدستورى للدولة العثمانية ، يزور الشام ، ويخطب للاصلاح من فوق منبر الجامع الأموى بدمشق عقب أعلان الدستور العثمانى سنة ١٣٢٦ هـ سنة ١٩٠٨ م ، حتى لقد فجرت خطبة الصراع بين أعداء الاصلاح وأنصاره ، الأمر الذى اضطره للعودة إلى مصر ! ..

كما رأينا رحلاته إلى الحجاز ، والعراق ، والهند وثيقة الصلة بالاصلاح السياسى ممزوجاً بالاصلاح الدينى .. وذلك غير رحلته التى حج فيها إلى بيت الله الحرام سنة ١٣٣٤ هـ سنة ١٩١٦ م .. ناهيك بعلاقاته الوثيقة بالحركة الوهابية وزعيمها الملك عبد العزيز بن سعود (١٨٨٠ ـ ١٩٥٣ م) وكتابه عن (الوهابيون والحجاز) شهير ! .

لقد برز الطابع السياسى فى دعوته الاصلاحية ، وأخذت السياسة الدولية ، بصراعاتها وتوازنات قواها ، تجد لها مكاناً بارزاً على صفحات (المنار) .. من الثورة البلشفية ، إلى المسألة الليبية ! .. مروراً بالهند ومراكش والحجاز .. الخ .. الخ .. وهو طابع لم يكن بهذا الوضوح على عهد صحبته للأستاذ الامام .. بل إن الشيخ رشيد يكتب عن هذا التحول فى افتتاحية المجلد الثانى عشر من المنار سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٩ م ، اى بعد أربع سنوات من وفاة الأستاذ الامام ، فيقول : «سالمنا السياسة فساورت وواثبت ! وأسلسنا لها فجمحت وتقحمت ! وكنانهم بها فى بعض الأحيان فيصدف بها عنا الأستاذ الامام ؟! ولم ننل منها نهواه ، إلا بعد أن اصطفاه الله !!» (١٠) ..

فكما كان (المنار) أوسع ميادين الاصلاح الاسلامى ، دينياً وسياسياً ، فى عصره .. كذلك كان صاحبه علماً بارزاً فى هذا الميدان ، لفكره الأنصار ، وأيضاً الخصوم ، فى طول البلاد العربية الاسلامية وعرضها ..

لكن جهود الرجل الفكرية لم تقف عند هذا الانجاز العملاق ـ (المنار) ـ إذ قدم للمكتبة العربية الاسلامية العديد من الكتب ، تأليفاً ، وتحقيقاً وتصحيحاً وطبعاً ، فمن مؤلفاته :

(تفسير المنار) ـ فى اثنى عشر مجلداً فسر فيها اثنى عشر جزءاً من أجزاء القرآن .. وضمنه تفسير ما فسر الامام محمد عبده من القرآن الكريم ـ و (تاريخ الاستاذ الامام) ـ فى ثلاث مجلدات ـ و (الوحى المحمدى) . و (شبهات النصارى وحجج الاسلام) . و (عقيدة الصلب والفدا) . و (المسلمون والقبط والمؤتمر المصرى) . و (محاورات المصلح والمقلد) . و (الوهابيون والحجاز) . و (ذكرى المولد النبوى) . و (الخلافة ، أو الامامة العظمى) . و (نداء للجنس اللطيف) . و (يسر الاسلام وأصول التشريع) ..

كما أشرف على طبع الآثار الفكرية للأستاذ الامام ، وأعاد ، فى (المنار) ، نشر أغلب مقالات (العروة الوثقى) .. وكذلك أشرف على تحقيق وطبع العديد من الكتب التراثية ، من مثل :

(تفسير ابن كثير) ، و (تفسير البغوى) ، و (العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ) للمقبلى ، و (شرح عقيدة السفارينى) لابن قدامة ، و (المغنى فى شرح مختصر الحزقى) ، و (دلائل الاعجاز) للجرجانى ، (انجيل برنابا) .. الخ .. الخ ..

لقد امتدت الحياة بهذا المصلح الكبير ثلاثة وثمانين عاماً .. منها خمسون عاماً امتلأت بالفكر والممارسة على طريق الاصلاح ، منذ أن جاء إلى مصر وصحب أستاذه الامام محمد عبده .. حتى إذا حان الأجل لبت نفسه الزكية نداء بارئها فى حادث سيارة ، كانت عائدة به إلى القاهرة من مدينة السويس ، ففاضت روحه فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥هـ ٢٥ ابرايل سنة ١٩٣٥ م ، وذلك بعد ان أدت حق الله ورسوله فى تجديد الدين وطلب القوة والمنعة والسعادة للاسلام والمسلمين ، وذلك حتى تتحقق «للانسان السيادة فى الأرض بالحق ، ليكون خليفة الله فى تقرير المحبة والعدل .. وينهض المسلمون ليحافظوا على ملكهم ، متسلحين بالمدنية ، مسابقين الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة » ..

فذلك هو الاسلام ، كما كشفت (العروة الوثقى) عن وجهة المشرق للشيخ رشيد .. عليه رحمة الله ! ..

دكتور محمد عمارة

هوامش

(١) رشيد رضا (تاريخ الأستاذ الامام) جـ ١ ص ٨٤ ، ٨٥ ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٣١ م .
(٢) المصدر السابق . جـ ١ ص ١٠٠١ .
(٣) المسدر السابق . جـ ١ ص ٩٩٦ ، ٣٠٣ .
(٤) المدر السابق . جـ ١ ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٥) المصدر السابق . جـ ١ ص ٨٥ ـ ٨٧ .
(٦) المصدر السابق . جـ ١ ص ٣٩٠ .
(٧) المصدر السابق . جـ ١ ص ٩٩٨ .
(٨) المصدر السابق . جـ ١ ص ١٠٠١ .
(٩) المدر السابق . جـ ١ ص ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ .
(١٠) المصدر السابق . جـ ١ ص ١٠٢٣ .

فصول أبي البهاء



يكتبها

د. عبد السلام العجيلي

قال لي أبو البهاء ونحن نجلس فى المقهى المطل على الشارع العام :

ـ لا تلمني على ما تسميه فضولي . ماذا أصنع إذا كان الناس هكذا ، يدفعهم الطمع الكاذب ، وأحياناً الفضول الذى لا طائل وراءه ، الى الانخداع ؟! تعال لأريك بعينك .

وجرني من يدى ، فطاوعته وأنا أضحك ، حتى أخرجنى من المقهى ووقف معى على الرصيف أمام مدخله . وأبو البهاء رفيق ظريف ، يناديه بعضهم بالدكتور لسابق عمله فى وزارة الصحة ، وينعته بعضهم بالسلطان لنسبته الى سلطان قديم مشهور كان حظه البئيس لا يتناسب مع همته العالية . ويلحق آخرون باسمه لقب البكوية إشارة الى اقطاعية اسرته . وكانت شهرته الحقيقية بالفصول المضحكة التى يدبرها لبعض من يلقيهم سوء الطالع بين يديه . وكنت ألومه على مقلب دبره لأحد اقربائي حين اعتذر لي بكلامه ذاك . قلت له حين وقف بي في العراء على الرصيف :

ـ ماذا تقصد من ايقافنا فى حر الشمس هكذا ؟ .

قـال : اصبر علي قليلا وافعل مثلما أفعل . أرفع رأسك الى السماء مثلي وتطلع .

ورفعت رأسي الى السماء الصاحية فى ضحى ذلك النهار القائظ ، وتطلعت . لم أر شيئاً . كانت صفحة السماء أقرب الى البياض المتوهج منها الى الزرقة ، ليس عليها ذرة تعكر صفاءها . وفجأة رفع أبو البهاء ذراعه فوق رأسه مشيراً الى أعلى وهتف قائلا :

ـ تأمل ... انها هناك ! .

كان يشير بيده الى نقطة معينة فى الجو فوقنا ، فحدقت في حيث اتجهت أصبعه فلم أتبين شيئا . فتحت فمي لأقول له هذا إلا أنه لكزني بمرفقه وقال بصوت خفيض :

ـ قلت لك قلدني فيما أفعل ، ولا تتكلم .

وسكت وقلدته بأن رفعت ذراعي مشيراً الى حيث كان يشير . ولاحظت أن بعض المارة الذين سمعوه يهتف ورأوه يبسط ذراعه الى أعلى ، قد وقفوا وراءنا ورفعوا رؤوسهم متطلعين فى الاتجاه الذى امتدت إليه يدانا . وقف في الأول رجلان ، وتبعهما صبي . وحين أخذ أبو البهاء يحرك يده راسماً فى السماء أقواساً لدوائر وهمية ، وصائحا بكلمات متقطعة موحية بأنه يتابع بأصبعه حركة جسم ما فى الجو البعيد توقف آخرون أمامنا ثم احاطوا بنا من كل جانب . كان بعضهم يثبت نظره فى السماء مظللا عينيه بكفه ليميز فى وهج الضحى ما لم يكن موجوداً ، بينما كان آخرون ينقلون أبصارهم بين السماء وبين شفتي أبى البهاء اللتين كانتا تطلقان بتعابير مثيرة فى وصف ما كان يزعم أنه يراه . كتمت ضحكة كاد ينفجر بها حلقى لئلا أفضح اللعبة ، بل وجدتنى أندمج فيها مقلداً بذراعي حركة ذراع صاحبى ، متمتماً بكلمات غير مفهومة ولكنها موهمة بأني أرى مايراه واتابع ما يتابعه .

وكانت فى الواقع لعبة مضحكة. فقد تكاثر الجمع حولنا حتى امتلأ الرصيف بالواقفين وتعرقل السير عليه . كان قليل من المارة يتلبثون بقربنا فترة ، فيرفعون رؤوسهم الى الأعلى ، حتى إذا لم تتبين أبصارهم شيئاً تباعدوا لا مبالين . ولكن كثيرين ، ومن بينهم نساء عجائز وصبايا ، ظلوا متحلقين حولنا ، أنا وأبو البهاء ، يدققون النظر الى حيث نشير دون أن يخطر لواحد منهم أن يستفسر منا عن ماهية ما نشير إليه . وسمعت واحداً يهتف بأنه يرى ذلك الشيء ، وأنه يتابع حركته . وأخذ بعض المتجمهرين يتناقشون فى طبيعة ذلك المرئي وفى لونه وحجمه . وحين اشتدت الزحمة وعلا النقاش فيها أخذ ابو البهاء بيدى وجرى متسللا بخفة الى وراء حتى خرجنا من جمهرة الواقفين ، وسرنا مبتعدين إلى أن بلغنا ناصية الشارع . هناك أشار الى الجمع المتكاثر أمام مدخل المقهى ، الذى علت ضجته وارتفعت فيه الرؤوس الى أعلى وتقاطعت فيه الأيدى بالاشارات المتباينة ، وقال :



– ماذا تريدني أن أصنع إذا كان الناس هكذا يا صحبي ؟ لا تلمني على فضولي إذن ...

•••

وكان ما لمت أبا البهاء عليه فدفعه الى أن يقوم أمامي بتطبيق عملي لنظريته فى الناس وسهولة انخداعهم ، هو فصل من فصوله مثله على قريب لي فى النهار الفائت وكاد يبلغ به التهلكة . جاءني علي ، وهو ذلك القريب ، فى الصباح وكشف لي ساقيه وذراعيه عن آثار خدوش وسحجات فيها وقال :

– أنظر الى ما فعله بي صاحبك الذى أسمه أبو البهاء .. كاد يقتلني ضحى أمس .

قلت له : ماذا ؟ وهل وقعت فى حبائله مثل الآخرين ؟ كأنك لا تعرفه .

فهز علي رأسه وأجابني : أول مرة لقيته فيها كانت أمس . أنه شيطان رجيم ، وأي الناس يسلم من حبائل الشيطان ؟

قلت لـــه : خبرني أولا بالحكاية .

قال : تعرف أني جئت من ضيعتنا الى هذه المدينة منذ ما يقرب من أسبوع زارني منذ ثلاثة أيام ، في فندقي ، ابن عمتي الاستاذ عبد الفتاح ، وهو يعمل هنا معلماً فى إحدى المدارس . وحدث أن كان فى الفندق بائع يانصيب ، فعرض علي عبد الفتاح أن اشاركه في شراء ورقة من ذلك البائع ، فلعل سعد أحدنا يغلب نحس الآخر فنربح إحدى جوائز اليانصيب . قبلت العرض وأنا أضحك ، واشترينا ورقة أكتفيت بأن اسجل رقمها فى دفتري ، تاركا إياها عند ابن عمتى لأن السحب سيكون أمس ، يوم الخميس ، وقد لا أبقى فى المدينة الى ذلك اليوم ...

قاطعت محدثي وأنا ابتسم وقلت :

هذه حكاية طويلة ياعلي . ما دخل أبي البهاء بكل ما تتكلم به ؟

قال ، وبعصبية : ألا تتركني أكمل ؟ قلت لك أن سحب اليانصيب الذى تعرف فيه الأرقام الرابحة مفروض أن يجرى الخميس ، أعنى البارحة . وفى صباح أمس كنت أستقل أحد اتوبيسات النقل الداخلي الى حي الخانات فى هذه المدينة لأصفي حساباً بينى وبين أحد عملائي قبل العودة الى الضيعة . لم يكن فى سيارة الاتوبيس ركاب كثيرون . كان أمامي رجـل منهمك في قراءة جريدة كانت فى يده . فجأة رأيت الرجل يلتفت الى مجاوره فى المقعد وسمعته يقول بصوت عال : « تأمل أي حظ هذا ! معلم مدرسة ، لا يتجاوز راتبه خمسمائة ليرة فى الشهر ، تسقط عليه من السماء صرة فيها مائة وخمسون ألف ليرة بالتمام والكمال » . فتحت أذني مصغياً بفضول الى كلام الرجل . لم اسمع تعليق جليسه ، أما هو فقد استأنف الحديث قائلا: «الصحيح أن الخمسين والمائة ألف ليرة لم تسقط عليه سقوطاً ، فانا أقول هذا مجازاً ، لقد جاءته في ورقة يانصيب . هذا هو الخبر فى الجريدة وهذه صورة المعلم وهو يقبض الجائزة . أعرف هذا المعلم جيداً ، فهو زميلي فى المدرسة التى أعمل فيها وصديق لي » . ورأيت الرجل يطوى الجريدة التى كان يقرأ فيها ويضعها فى جيبه وهو يضيف وكأنه يحدث نفسه بصوت مسموع : «هنيئاً يا أبا صطيف ... مائة وخمسون ألف ليرة دفعة واحدة ! اسمه الحقيقي عبد الفتاح مصطفى ، ولكننا لا نسميه فى المدرسة إلا أبو صطيف ... » .

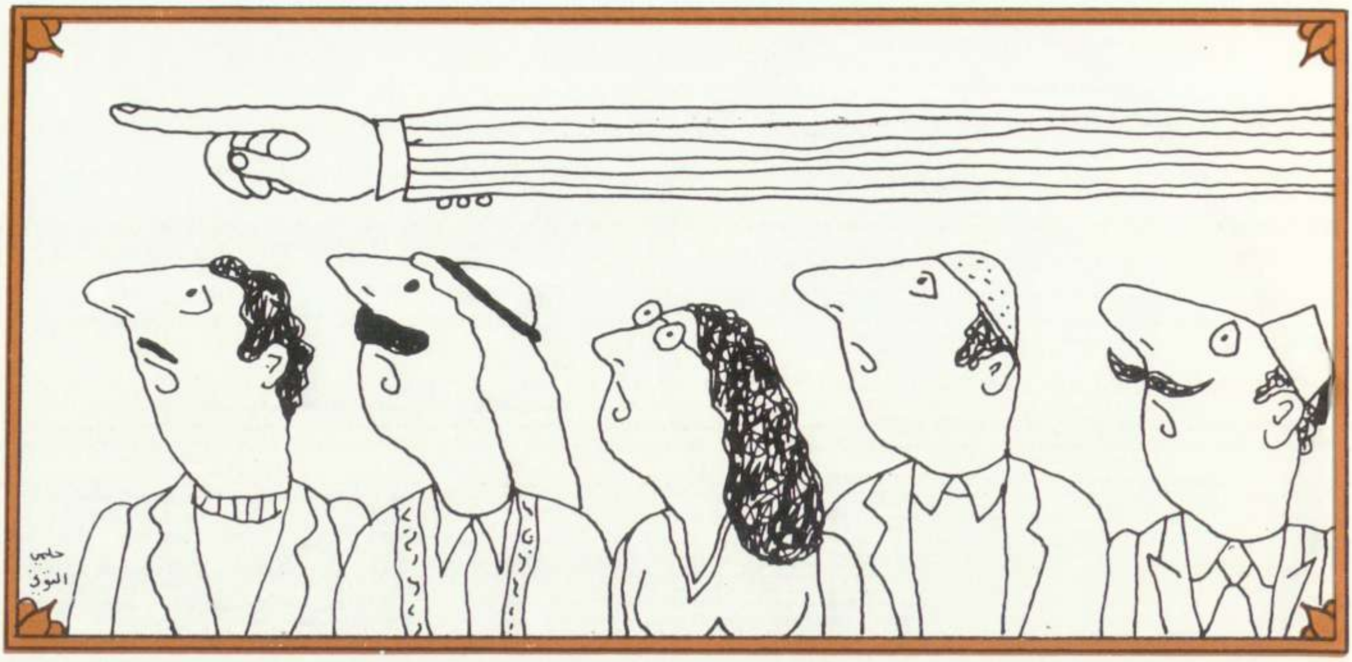
وهنا جاء دوري أنا في الدهشة ، فصحت بعلي مقاطعاً : ماذا هل ربحت ورقتكما ؟!

فهز علي رأسه ببطء قبل أن يقول : دعني اتكلم ، يرض الله عليك ! لك أن تتصور ما حل بي وأنا أسمع ماسمعته . الاستاذ عبد الفتاح مصطفى ، أبو صطيف ، هو ابن عمتي بذاته ، والخمسون والمائة ألف ليرة هي الجائزة الأولى فى سحب اليانصيب الذى اشتريناورقته شريكين أنا وابن عمتي منذ ثلاثة أيام ! ... ثرت من مقعدى صائحاً بسائق الاوتوبيس أن يوقف العربة لأنزل منها . لكن السائق لم يستجب لي ، بل أنه لم يدر الى رأسه . لعله شاهد صورتى فى المرآة أمامه ظنني مجنوناً لرؤيته حركاتي العصبية وسماعه صراخي ، فزاد فى سرعة السيارة بدلا من أن يهدئها . حينئذ لم أملك نفسي ، فتحت باب السيارة الخلفي وألقيت بنفسي منه الى الأرض وهي منطلقة بسرعة . كانت النتيجة هي هذه ...

مرة أخرى كشف لي عن السحجات والخدوش التى بدت على ذراعيه وعلى ساقيه دون الركبتين . ومرة أخرى سألته ، وقد ازداد بي الفضول ، قائلا :

– وما دخل أبي البهاء في كل هذا ؟

أجابني بقوله : اسمع للنهاية . عدت مسرعاً الى الفندق ، وكنت اتوقع أن أجد فيه عبد الفتاح الذى سيأتيني ببعض الحوائج لأنقلها الى أمه ، عمتي . وحقاً كان ينتظرني في البهو ، فصحت به منذ وقعت عيني عليه : عبد الفتاح ... هات ! ظنني اسأله عن تلك الحوائج فقال : انها بعض ثياب وضعتها فى صرة فى غرفتك . قلت له : أية ثياب ؟ أين المائة والخمسون ألف ليرة ؟ ... لي منها خمسة وسبعون ألفاً ... هاتها الآن . قال : هل تمزح ، أم أنك ترى حلماً ؟ وما هذه الخمسة وسبعون ألفاً التى تطالب بها ؟ قلت له : ماذا يا ابن عمتي ؟ كأنك تنوى أن تنكر حصتي فى الورقة ... الخبر فى الجريدة ، وفيها اسمك وصورتك وأنت تقبض الجائزة بيدك . قال : تعال اجلس



وأعلمني ، أى مبلغ وأية جريدة ؟ . قلت : المبلغ هو جائزة اليانصيب ، والجريدة هى التى رأيتها بعيني وكانت في يد ذلك الرجل فى سيارة الاوتوبيس ... فسكت عبد الفتاح قليلا قبل أن يقول : أنت تهذى بلا شك ... من هو ذلك الرجل ؟ كيف كان شكله ؟ قلت : فى الأربعين من عمره ، طويل القامة ونحيل الجسم ، أشقر ... له شارب خفيف ويلبس بدلة صيفية ، رمادية مخططة ...

وهنا ، عندما سمعت هذا الوصف ، صحت أنا : هذا أبو البهاء !

قال علي فى استكانة : ومثلك صاح عبد الفتاح قائلا أنه ابو البهاء . وبدلا من أن يعترف لي بحقي فى نصف الجائزة راح يضحك ملء فمه . أقول لك الصحيح تملكني الغيظ منه فى الأول . إلا أن غيظي تحول بعد ذلك الى نفسي حين رأيت عبد الفتاح يخرج من محفظته ورقة اليانصيب التى اشتريناها معاً ، وسمعته يقول لي : ياقليل العقل ، هذه ورقة اليانصيب ، وكان عليك أن تتذكر أن السحب لم يتم بعد ... صحيح أنه مقرر اليوم ، ولكنه يجرى في المساء لا في الصباح . فضربت لسماع هذه الكلمات كفاً بكف وسألته : وذلك الرجل ؟!

اجابني : ذلك الرجل هو أبو البهاء ... صديق ظريف دأبه الضحك على ذقون السذج من أمثالك ... كاد يقتلك حين أثار جشعك فألقيت نفسك من السيارة وهي مسرعة . رآك أمس معي فأخبرته أنك ابن خالي وأنا اشترينا معاً ورقة يانصيب سيجرى عليها السحب يوم الخميس ... وإذ لمحك فى الاتوبيس مثل عليك أحد فصوله . هذا ما يفعله الطمع والخفة ، إذا اجتمعا معاً ، بصاحبهما ...

● ● ●

قلت لأبي البهاء ونحن فى زاوية الشارع ننظر من بعيد الى الذين جمعهم أمام مدخل المقهى على وهم لا واقع له ثم أخذوا يتفرقون :

ـ كانت مهزلة مضحكة ، ولم يتضرر منها أحد ، ولكنك في حكاية قريبي علي كدت تقتل الرجل ، وأنت الذى تزعم أنك لا تؤذى أحداً بفصولك .

قال : لا ذنب لي . إذا كانت خفة عقول الناس تفوق تفكيرهم وقدرتهم على التميز ، اني اضحككم أنتم أصحابي بهذه الفصول ولا أنال لنفسي منها أية فائدة .

قلت : وحين دخلت وصاحبك ، وانتما مفلسان ، الى ذلك الملهى فى بيروت فأكلتما وشربتما وتمتعتما بسهرته الممتازة ، ثم خرجتما دون أن تدفعا قرشاً واحداً ... ألم يكن ذلك فصلا ذا فائدة ؟

قال : أى فصل تعني ؟ آه ... تذكرت ! لم أفعل ما فعلته آنذاك بدافع الافلاس .

أردت أن انتقم من أصحاب ذلك الملهى حين رأيت كيف يبتزون روادهم الغفل ...

قلت : أرو لي تلك الحكاية . دريت بها من غيرك ، وأحب أن اسمعها منك شخصياً .

قال : على العين والرأس . ولكن في مناسبة أخرى . إذا كانت فصولي تعجب قراءك فسأزودك بهذه الحكاية وغيرها ... الى اللقاء إذن ...

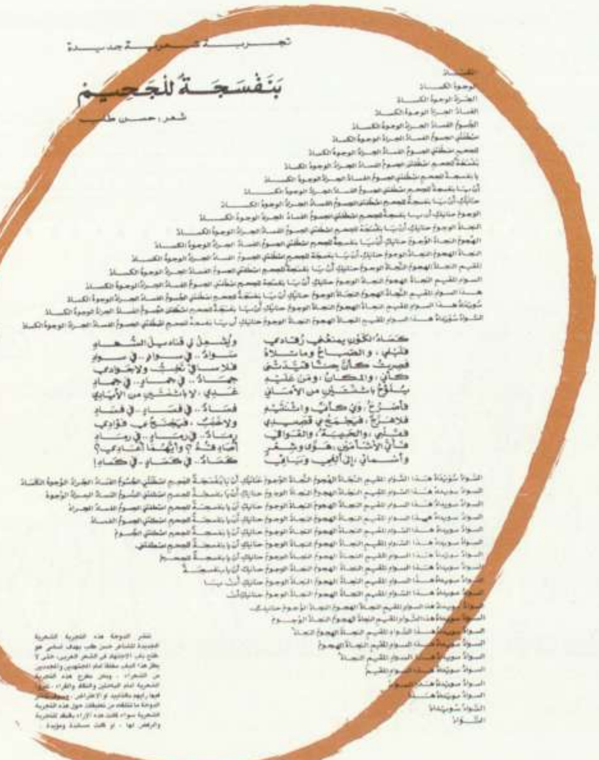
وشد على يدى مودعاً وابتعد عني ، بينما ظللت في موقفي اتبعه نظرى وأنا ابتسم ، متسائلا عن ضحيته المقبلة فى فصله المضحك القادم .

د. عبد السلام العجيلي

آراء أخرى

«إنها بدعة لا تجديد»

عبد المنعم عواد يوسف



الاستاذ حسن طلب شاعر متمكن ما فى ذلك شك ، وتفرده فى شعره بأسلوب متميز أمر لا ينكره أحد ، بيد أننا لا نوافقه على بدعته الفنية التى طلع بها علينا فى عدد الدوحة الأخير ، والتى أطلق عليها « بنفسجة للجحيم »

والسؤال الذى نطرحه :

ما الدافع الى التجديد فى الفن ؟ هل التجديد مجرد مغامرة شكلية ؟ أم أنه تلبية لحاجات نفسية وتعبيرية جديدة انسياقاً وراء هموم عصرية متطورة ؟

لو أن الأمر مجرد مغامرات سعياً وراء استنباط أشكال جديدة ، لانفسح المجال أمام كل دعي للخروج علينا كل يوم بمئات من أمثال هذه « التقليعات » ، وفى وسط هذا الهرج الفني ستضيع المعالم ، ويصعب التفرقة بين أصحاب النوايا الطيبة وبين العابثين تحت ستار التجديد .

والمسألة فى نظري ليست اجتهاداً ، فالاجتهاد مجاله قضايا الفكر .. تشريعاً ، اقتصاداً الخ .. أما فى مجال الفن والأدب .. فكل تغيير لابد أن يكون وراءه رغبة فى تلبية احتياجات نفسية وتعبيرية جديدة تفجرها همومنا العصرية المتطورة ، ولا يكون ذلك إلا حين ندرك إدراكاً حقيقياً أن الأشكال القديمة قد أصبحت قاصرة عن احتواء تجاربنا المعاشة بكل نبضها وحيويتها .

وقد كان هذا كله وراء خروجنا فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات على الشكل التقليدي للقصيدة العربية ، استنباطاً لهذا اللون الشعري الجديد الذي يعتمد التفعيلة أساساً له ، والذى اصطلح على تسميته بالشعر الحر .

وإن بقاء هذا اللون التعبيري الجديد واستمراريته ، بل وغلبته على الشكل التقليدى ، لدليل أكيد على أنه لم يكن مجرد بدعة فنية ، وإنما جاء كحتمية لما تتطلبه تجاربنا وهمومنا المعاصرة من استنباط اشكال تعبيرية جديدة قادرة على احتواء هذه التجارب وهذه الهمـوم ..

إن محاولة الأستاذ حسن طلب الأخيرة ـ مع احترامي وتقديري له ـ ليست سوى بدعة من هذه البدع التى يطلع بها علينا المتفننون من حين الى آخر ، وسرعان ما تموت .

●

«بنفسجة للجحيم»

مهندس : أحمد فؤاد عبد الرحمن

النظرة الأولى : هندسية رياضية :

مادام الاستاذ الشاعر حسن طلب قد اختار هذا النظم الهندسي فان عليه أن يقبل تبعة هذا الاختيار .. لأن مثل هذا الشكل الهندسي يخضع لتحليلات رياضية وكمية يمكنها أن تكتشف عن طريق المعادلات الحسابية مدى توفيق الشاعر أو عدم توفيقه فى ثراء لغته وبلاغتها وإيجازها أو افراطها فى تكرار الألفاظ .

(١) المثلث القصيدي الأول : أبج (أنظر الشكل المرفق) .

ـ ارتفاع المثلث أب وعدد كلماته ٢٠ وإذا قرأت تصاعدياً فى اتجاه ب أ ستقرأ بيت الشعر البالغ الطول كاملا .

ـ نفس الشيء فى قاعدة المثلث بج حيث ستقرأ نفس البيت من الاتجاه بج .

ـ أجمالى عدد كلمات المثلث القصيدي ½ × اب × بج = ½ × ٢٠ × ٢٠ = ٢٠٠ كلمة .

فاذا كان عدد الألفاظ ٢٠ كلمة .

ـ اذن نسبة تكرار الألفاظ (لا المعاني) هي نسبة ٢٠٠ على ٢٠ أى ١٠ الى ١ بمعنى أن لكل لفظ كرره الشاعر (عشرة مرات) .

(٢) المثلث القصيدي الثاني أَبَجَ

ـ لا يختلف في كم الكلمات ونسبة

التكرار عن المثلث الأول ..

ـ لكننا بجمع المثلثين المتشابهين تتضاعف نسبة التكرار للألفاظ الى (عشرين) .

ـ نلاحظ أننا هنا نقرأ بيت الشعر الأخير على القاعدة بَ جَ مثل قاعدة المثلث الأول تماماً بينما نقرأ نفس البيت فى اتجاه وتر المثلث جـ أ .

ـ وبينما ينتهي كل بيت بلفظة التكرار الواحدة« الكساد » على وتر المثلث أ جـ نجد أن بداية كل بيت بلفظة التكرار الواحدة « السواد » على ارتفاع المثلث بَ جَ

ومن هذا التحليل الرياضي نخرج بالحقائق التالية :

(١) أن الشاعر كتب بيتاً طويلا واحداً من الشعر قوامه ٢٠ كلمة عن طريق متوالية عددية متزايدة اساسها لفظة الكساد . بلغت عدد الفاظها ٢٠٠ كلمة كرر منها ١٨٠ كلمة .

(٢) أن الشاعر أخذ (يسحب) بيته الشعري حتى تناقص الى بيت من لفظة واحدة هي السداد عن طريق متوالية عددية متناقصة أساسها لفظة السواد .

(٣) اننا يمكننا قراءة البيت العشريني الواحد فى اتجاهين .. من السواد الى الكساد ومن الكساد الى السواد .

(٤) أن الأبيات العمودية العشرة توحي بهذين المعنيين .. بل أن أول بيت عمودي يبدأ (بالكساد) .

النظرة الثانية : بنائية

تخفق النظرة الرياضية فى استخراج المضمون البنائي والنفسي للقصيدة .. وندرك من ذلك أن التركيب المثلثي للقصيدة انما تشكل كعرض جانبي بغير أي دلالات معددة .. وأنه يكتشف على الأكثر الاسراف فى تكرار الألفاظ .. وإن كانت هذه الحجة ذاتها ستسقط .

ـ على عكس كل الأبنية فان حسن طلب يبني هيكله القصيدي من أعلى .. حتى إذا وصل الى القاعدة استوت له المعاني وخضعت الألفاظ .. فيأخذ منها فى تشييد قصيدته العمودية التقليدية .. وهو إذ ينتهي الى الشعور بالعدم وان كل طموحاته انما هي رماد فى رماد فى رماد .. يعود الى قاعدته التى كابد في بنائها فيأخذ فى تحطيمها قالباً قالباً حتى تنتهي الفاظ القصيدة المائتين الى لفظة (السواد) أي العدم ..

ـ رغم تكرار الألفاظ فان كل بيت يشكل وحدة مستقلة حتى ولو كان البيت من كلمة واحدة .. ليس هذا فحسب بل أن اللفظة الواحدة لاتتكرر دائماً بنفس المعاني .. فالكساد فى البيت الأول ليس هو الوجوه (الكساد) فى البيت الثاني .

النظرة الثالثة : نفسية

إذا قبلنا بالنظرة البنائية ، فانما هي تصوير لحركة الشاعر من الخارج فحسب .. أو قل أن هذا الشكل البنائي انما هو بمثابة الاطار الخارجي للنفس ..



فهو تعبير عن الحركة النفسية الداخلية للشاعر وهو يصارع المعاني .. ويكابد الآلام في المطابقة بين دلالات المعاني وما يعتمل فى مشاعره .. كما نلاحظ أن اللفظة الأولى هي مفتاح القصيدة كلها . وانها هي التى تفرض الطابع القاتم والعدمي على كلا مثلثي القصيدة ان الشاعر يعاني من الداخل المظلم .. ليس فى داخله سوى الكساد .. فاذا تطلع الى خارجه اكتشف أن الوجود كاسدة هذه الوجوه مثل الجراد .. نهمة بشعة تنشر الفساد .. وهكذا يتوالى توليد المعاني من نفس الوحدة الأولى والثانية والثالثة .. الخ باضافة لفظ واحد شديد الايحاء والتطابق مع الحالة النفسية للشاعر فيخرج ببيت جديد مع كل لفظ .. وكل بيت يسهم فى تجسيم التشاؤم والعبثية .. حتى الأمل الذى يلوح للشاعر فى « البنفسجية » .. يخبو فالبنفسجية جحيمية .. وهو يشتعل فى اتحاده بالبنفسجية سواء كانت الحبيبة أو الحقيقة أو الشعر فيتحول كل شيء الى رماد فى رماد فى رماد ..

النظرة الرابعة : تاريخية

حتى لو كانت هذه التجربة هي الأولى .. فان أصلها التاريخي لابد أن يرتد الى عصر أبي العلاء المعرى وما قبله .. فالألفاظ والمعاني يفوح منها عبق معتق .. وتخلو من أى ايحاءات معاصرة ..

النظرة الخامسة : سياسية

تؤكد لنا القصيدة أن شاعرنـا حسن طلب بمعزل كامل عن عصرنا .. إذ لو كان يعايش صراع الأمة العربية والاسلامية ويعي مدى التحديات الرهيبة التى تواجهها لأخرج لنا قصيدة تبدأ بالمعاناة .. فالغضب فالجهاد .. فالشهادة .. بدلا من الكساد والسواد والفساد والرمـاد .

مهندس أحمد فؤاد عبد الرحمن
مصر الجديدة ـ القاهرة

المــــرأة.. ظلـمـوهـا

من يدقق فى المعجمات العربية يعثر ، بين الحين والآخر ، على الظلم الفادح الذى تلحقه الضاد بحواء ، وقد سجلت حتى الآن الأمثلة الآتية :

إذا أصبح الرجل يقضى بين الناس فى المحكمة ، سمى قاضياً يحترمه القاصى والدانى ، ويجلون العمل الذى يقوم به . أما المرأة فعندما تقضى بين الناس ، كما هى الحال الآن فى كثير من البلاد المتمدنة ، فيسمونها قاضية ، ومعنى (القاضية) فى المعجم : القاتلة . جاء فى الآية ٢٧ من سورة الحاقة : (يا ليتها كانت قاضية) ، أى الموتة التى لا أمل لمن يموت فى أن يبعث بعدها .

وإذا نزل الرجل من مكان عال إلى مكان منخفض فهو نازل . أما المرأة فتسمى نازلة إذا فعلت مثله . ومعنى (النازلة) الشديدة من شدائد الدهر ، وهى اصطلاح مجازى كما يقول معجم متن اللغة . وتجمع على : نوازل . ويقول المعجم الوسيط إنها المصيبة الشديدة ، ويجمعها على نوازل ونازلات .

وإذا وقع الرجل على الأرض أو غيرها ، فهو واقع ، أما المرأة فهى واقعة . و (الوقعة) هى : (أ) القيامة ، وسميت كذلك لأنها تقع بالخلق فتغشاهم .

وجاء فى الآية (ب) من سورة الواقعة : (إذا وقعت الواقعة) ، ومعناها إذا قامت القيامة التى لاشك فيها . وذكرت «الواقعة» مرة ثانية فى الآية ١٥ من سورة الحاقة : (فيومئذ وقعت الواقعة) . ومعناها ايضاً : القيامة ، كما جاء فى تفسير الجلالين ووجدى .

أما إذا قلنا : هذا رجل واقعة ، فمعناه شجاع :

والملم هو الزائر .

وغلام ملم : قارب البلوغ .

أما الملمة فهى احدى نكبات الدنيا .

وإذا أصاب الرجل فى رأى ابداه فهو : مصيب . أما إذا اصابت المرأة الذكية النابهة فى قولها الناضج ، فالمسكينة مصيبة والعياذ بالله .

وإذا ضرب رجل آخر بالسوط ، قلنا : غشية به ، فهو غاش . أما المرأة فهى غاشية . ومن معانى الغاشية :

(أ) نار جهنم .

(ب) الداهية .

(ج) داء الجوف ، أبعد الله عنا شرها جميعها .

(د) القيامة .

(هـ) النازلة من خير أو شر أو مكروه .

(و) العقوبة المجللة .

وإذا نجح الرجل فى الانتخابات ، واصبح عضواً فى المجلس النيابى (البرلمان) ، قلنا : أصبح نائباً . أما إذا نجحت المرأة ، وتفوقت على منافسيها من الرجال ، واصبحت كالرجل عضواً فى المجلس النيابى ، كان جزاء شخصيتها الفذة ، وذكائها الوقاد الذى رفعها الى القمة ، أن نطلق عليها اسم : نائبة . والنائبة هى ماينزل بالانسان من الكوارث الحوادث المؤلمة ، التى تحطمه .

وإذا كانت الحياة لاتزال تدب فى الرجل فهو حى . أما المرأة التى تنكرت لها الضاد فهى حية ، نجانا الله من لدغها ومن سمومها ، وغفر للغتنا زلتها ، وفى المثل : أظلم من حية ، لأنها تدخل جحر الضب فتاكل حسله وتسكن بيته . وفى دعائهم : سقاه دم الحيات ، أى أهلكه (مجاز) .

وإذا قرع الرجل باباً ليفتح له فهو القارع ، أما المرأة فهى القارعة وما أدراك ما القارعة ؟ وهل هى إلا (أ) القيامة . قال تعالى فى الآية الرابعة من سورة الحاقة : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) ، جاء فى تفسير الجلالين : القارعة هى القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها .

(ب) والمصيبة التى تحل بالمرء فتحطمه .

وإذا كان للرجل حظ كبير من جودة الرأى ، فهو اداة يستنير الناس برأيه كلما احلولكت حولهم الخطوب ، أو حزبهم أمر ، أو عضهم مكروه . أما المرأة التى وهب لها الله بعد النظر ، وسدد الرأى فهى داهية . وما الداهية إلا :

(أ) الأمر المنكر العظيم .

(ب) دواهى الدهر : ما يصيب الناس من عظيم نكباته .

وإذا سقط الانسان من علو إلى سفل ، فهو الهاوى . أما حواء فهى الهاوية وهى جهنم التى يهوئ فيها كل من أدخلها ، أى : يهلك .

وإذا صنع الذكر الجبن الذى ناكله فهو جبّان . أما إذا صنعته الأنثى فهى : جبّانة ، وهى المقبرة كما تقول المعاجم والعامة . وقد ذكر المعجم الوسيط أن كلمة الجبّان تعنى المقبرة ايضاً .

والكبير من أسماء الله تعالى . والرجل الكبير هو العظيم والجسيم . أما المرأة التى تكون عظيمة وجسيمة ، فاننا نقول انها كبيرة . والكبيرة هى الاثم الكبير المنهى عنه شرعاً ، كقتل النفس . قال تعالى فى الآية ٣٧ من سورة الشورى : (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) . وقال ايضاً فى الآية ٣١ من سورة النساء : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .

وإذا كان الرجل على مذهب الامام ابى حنيفة ، فهو حنفى . أما المرأة المسكينة فهى حنفية ، والحنفية هى الصنبور الذى يسيل منه الماء ، وما اقبح المرأة حين تمشى وهى تصب السائل كما تصب الحنفية الماء : (يقول المعجم الوسيط ان الحنفية هى الصنبور ، ويقول معجم متن اللغة إنها كلمة مولدة ، وإن مجمع مصر اقرها فى الجدول رقم ٣٣) .

وإذا أحب الرجل شيئاً ومال إليه فهو ميال . أما المرأة فهى مياله ، والمياله هى ما تسمى به العامة الجديدة ، التى نضعها فى أسفل النعل ، كى لا تميل القدم عند المشى .

وإذا خلط الرجل شيئاً باخر ، قلنا : شابه به ، فهو شائب . وإذا فعلت حواء

في المعاجم العربية

بقلم : محمد العدناني

مثله ، فهى شائبة . ومن معانى الشائبة : القذر : والدنس ، وجمعها : شوائب . ويقال : فلان برىء من الشوائب ، أى : ليس فيه ما يعيبه .

والرأس الذى فيه آلة التفكير فى الانسان (الدماغ) ، والعيون التى نرى بها ، والآذان التى نسمع بها ، والأنوف التى نشم بها بها ، والألسنة التى نذوق بها مالذ وطاب من الأطعمة والفواكه . هذا الرأس مذكر ، ولكن اللغة العربية تؤنثه بعد وفاة الانسان ، وتطلق عليه اسم : جمجمة .

وعندما نقول : هذا رجل حاقة ، نعنى انه كامل الرجولة ، وهو شجاع حاقة الشجاع ، نعنى أنه شجاع جداً . ومن معانى هذه الكلمة المؤنثة (الحاقة) فى المعاجم :

(أ) النازلة والداهية .

(ب) يوم القيامة . جاء فى تفسير الجلالين : سميت القيامة الحاقة ، لأنها يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء . وهو تفسير للآيات الثلاث الأولى من سورة الحاقة : (الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة) .

وحينما يكون الرجل صادقاً فى معاملاته مع الناس ، وفى جميع تصرفاته ، نقول انه رجل مستقيم . أما المرأة فانها حين تتحلى بهذه الصفات نقول : انها مستقيمة . والمستقيمة (عند العامة) تعنى المرأة الحامل ، وياويلها إذا كانت لما تتزوج بعد .

وإذا قام الرجل عن الكرسى الذى كان جالساً عليه ، فهو قائم . أما حواء فهى قائمة . والقائمة هى :

(أ) واحدة قوائم الدابة .

(ب) وهى كلمة مولدة ، تعنى الورقة التى تقيد بها الأسماء والأشياء فى صف قائم . وياويلنا إذا أرسل إلينا التاجر الذى ندفع له قيمة قائمة الحساب ، الذى له بذمتنا نهاية الشهر ، أى قبل أن نقبض رواتبنا .



ويجمعون الابن من غير العاقل جمع مؤنث سالماً (بالألف والتاء) ، فيجمعون ابن آوى على بنات آوى ، وابن عرس على بنات عرس . فلماذا ؟ لماذا ؟ وانفرد النحوى الأخفش وحده بجمع (ابن عرس) على : بنات عرس وأبناء عرس .

وأنا أؤيده ، وأدعوا إلى الاكتفاء بجمع (ابن عرس) على : أبناء عرس . فما هو رأى مجامعنا اللغوية الأربعة ؟

والقمران هما الشمس والقمر . وقد غلب القمر — حفيد الشمس — ، على صغره ، على الشمس ذات الحجم العظيم جداً بالنسبة إلى حجم القمر ، لأن القمر فى اللغة العربية مذكر ، والشمس مؤنثة . فيا للظلم الفادح ! ولم أعثر على معجم واحد أطلق كلمة (الشمس) على الشمس والقمر .

أما قول المتنبي :

فليت طالعة الشمسين غائبة
وليت غائبة الشمسين لم تغب

فقد عنى المتنبى بكلمة (الشمسين) الشمسين الحقيقية وخولة أخت سيف الدولة الحمدنى ، المتوفاة سنة ٣٥٢ هـ ، والتى رثاها ببائيته الخالدة التى مطلعها :

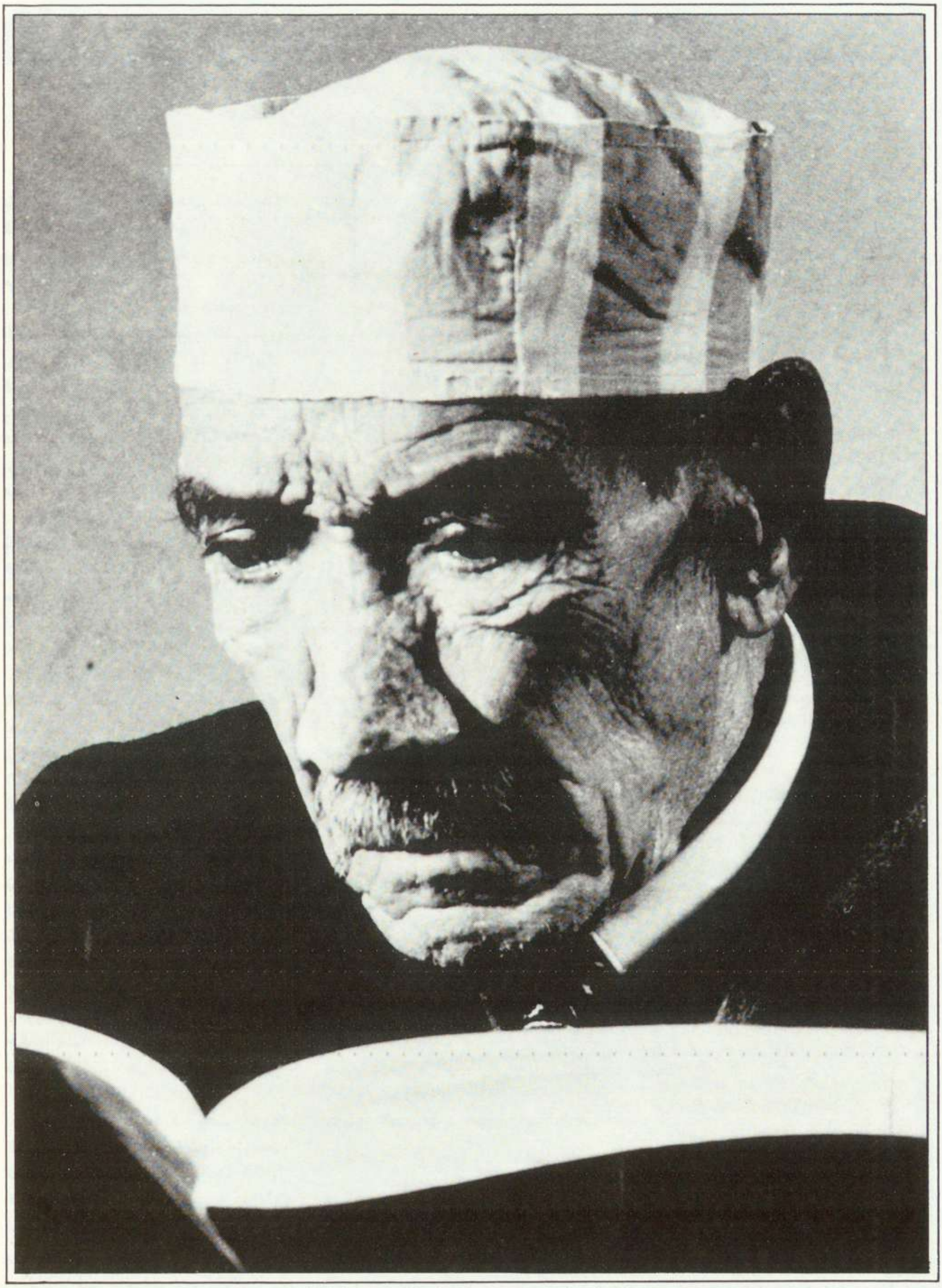
يا أخت خير اخ ، يابنت خير أب
كناية بهما عن أشرف النسب

حين يريد العرب جمع النهرين دجلة والفرت ، يقولون : الفرتان ، ولا يقولون : الدجلتان ، لأن السيد الفرت مذكر ، وهذا رغم غزارة مياه الآنسة دجلة وكثرة عرضها . ولم أعثر على معجم واحد أطلق كلمة (الدجلتين) على دجلة والفرت .

وكلمة الهدى معناها : الأسير . وقد روى لسان العرب عن ابن برى قوله : «وأظن المرأة إنما سميت هديا ، لأنها كالأسير عند زوجها» . خيب الله ظنك يا ابن برى ، وبعض الظن إثم .

وجاء فى المصباح المنير : «بانت المرأة بالطلاق فهى بائن بغير هاء . وأنا لا أدرى لماذا حرموا هذه المسكينة تاء الخاصة بها ، وهى فى أسوأ ظروفها النفسية ، ظرف الانفصال عن زوجها .

عسى أن تجيز مجامعنا اللغوية الأربعة إضافة تاء التأنيث إلى هذه الكلمة البغيضة جدا إلى النفوس (طالق) ، قبل أن يصبح أمر الطلاق فى أيدى النساء ، فيستوى عند ذلك الرجل والمرأة . والعدل سيد الأحكام .



لقطة لشاعر الشباب أحمد رامي أثناء اللقاء وقبل وداعنا بأيام

آخر لقاء مع شاعر الشباب أحمد رامي

بقلم : محمد تبارك

أنا ابن الحزن بكيت في طفولتي وشبابي وشيخوختي

■ لم أكن أتصور على الإطلاق أن ترحل أم كلثوم قبل رحيلي !

■ لماذا لم أتزوج كوكب الشرق .. ولماذا لم أستمر في الكتابة لعبد الوهاب ؟

من المؤكد أن التاريخ سيقف طويلا أمام اسم شاعر الشباب أحمد رامي .. لا لمجرد تقييم أعماله الأدبية .. إنما لأنه كان متميزاً بسمات .. من الصعب أو من النادر وجودها في شاعر آخر .!

سألته وأنا أجلس معه في صالون شقته :

● الانسان يقف حائراً أمام نفسه وهو يحاول معرفة كل أبعاد شخصيته . فهل تواجهك نفس الحيرة ؟

قال أحمد رامي :

ـ مثل هذه الحيرة لم تواجهني على الاطلاق .. أنا أعرف نفسي جيداً ، وحتى لا أطيل عليك .. فانني ألخص لك حقيقة نفسي في جملة واحدة وهي .. رامي في كل مراحل حياته .. هو ابن الحزن ولو لم يكن هذا الاحساس في مشاعري ودمي .. ما كتبت شيئاً على الاطلاق ..

● والذين عرفوا شاعر الشباب احمد رامي عن قرب .. وعاشوا معه سنوات طويلة .. لا يتذكرون على وجه التحديد أنهم قد التقوا برامي ذات يوم ولم يكن الشجن يملأ أحاسيسه ، ووجدانه .. والحزن يغطي ملامح وجهه .. حتى في أسعد اللحظات التي كان يضحك فيها من قلبه .. فدائماً كانت ضحكاته تتحول في النهاية الى دموع ، تلحقها دموع من حوله بسهولة . !

● سألت رامي عن دموعه .. فقال وهو يبتسم :

ـ أنها الشيء الوحيد الذي يلازمني طوال حياتي .. بكيت طويلا في طفولتي .. وبكيت أكثر في شبابي .. وأنا الآن لابد أن أبكي بعد رحيلها عن عالمنا .. فلم أكن أتصور على الاطلاق أن ترحل أم كلثوم قبل رحيلي . !

كلمات الحزن

كان أحمد رامي طوال هذه الفترة من عمره .. يعاني من الاكتئاب الذي لازمه منذ رحيل أم كلثوم حتى وفاته ، بعد أن فشلت في علاجه مئات الأدوية والعقاقير التي وصفها الأطباء له .. وقد شاءت الظروف أن التقي بأحمد رامي بصفة مستمرة لفترة طويلة .. كان يسجل للتليفزيون لقطات من حياته .. وكنت أعدها له على الشاشة الصغيرة .. وخلال هذه الفترة سألته كثيراً .. عن حياته وعواطفه .. وفي كل مرة كنت أقف صامتاً أمام كلمة .. الحزن ..

قال أحمد رامي وهو يروي لي بداية حياته ضاحكاً :

ـ توفي والدي وأنا ما أزال صغيراً .. فكان لابد أن أبكيه .. وتوفي شقيقي الذي

دفن في السودان .. وعشت فى القاهرة لأبكيه ... ثم أحببت ولا زلت أبكي .. أحببت والدتي ، التى كانت فى مرحلة من عمرى هى كل عالمي .. فرحلت ذات مساء دون أن تقول لي وداعاً .. باختصار أحزان لا نهاية لها ، ولا أذكر على وجه التحديد بدايتها ..

قلت لشاعر الشباب أحمد رامي :

● لابد وأن في حياتك ما يثير الضحك ؟

قــال :

ـ حدث .. ولكنك قد تضطر فى النهاية الى البكاء !

وعدت أقول له :

● لا اتصور أن يحدث ذلك بهذه الصورة ؟

قال رامي وهو يشعل سيجارة مخالفاً بذلك تعليمات الأطباء له :

ـ عندما تخرجت من مدرسة المعلمين العليا تصورت أن الوظيفة تنتظرني .. ولكننى فوجئت بزميلي وصديقي الأديب الراحل فريد أبو حديد وهو يزورني فى منزلي ليقول لي أن الحكومة قد أوقفت التعيين تماماً خلال هذه الفترة .. وأنه شخصياً قد اتفق مع صاحب احدى المدارس الخاصة للعمل عنده حتى يجيء موعد التعيين فى الوظيفة الميري .. وقلت لفريد أبو حديد يومها .. انه قد نجح فى حل مشكلته ، وبقيت مشكلتي .. ولكن فريد أبو حديد قال أن صاحب المدرسة ينتظرني أنا الآخر .. فمدرسته فى حاجة الى عدة مدرسين .

وذهبت معه فى اليوم التالي الى المدرسة .. والتقينا بصاحبها ، الذى كان يعمل ناظراً لها فى نفس الوقت .. واعترف أن استقباله لنا كان حاراً .. وهو يقول لنا .. أنه سيعتبرنا شركاء معه فى المدرسة وسيوزع علينا فى نهاية العام الدراسي حصتنا فى الأرباح .. وبعد عام دراسي كامل فوجئت بصاحب المدرسة يقدم لنا ما يثبت بأن المدرسة لم تكسب ، وبالتالي لا حق لنا فى أرباح أو فى أجر !

والتفت رامي ناحيتي وهو يقول :

ـ شيء يثير الضحك .. أليس كذلك ؟

قلت :

■ حياتي أحزان لا نهاية لها ولا أذكر على وجه التحديد بدايتها !

■ ذهبت مع فريد أبو حديد للمدرسة الخاصة لأعمل لمدة عام بدون أجر !

■ في أول لقاء مع أم كلثوم صعدت إليها على المسرح وطلبت منها أن تغني قصيدتي للجمهور!

● ربما يثير البكاء أيضاً ..

قــال :

ـ أنا شخصياً بكيت يومها !

فى رحاب عمر الخيام

وعاد رامي لمواصلة حديثه قائلا :

ـ سافرت بعد ذلك الى باريس فى بعثة دراسية .. حقيقة انني درست هناك فن المكتبات .. ولكننى خلال هذه الفترة اعجبت بالشاعر والفيلسوف الكبير عمر الخيام .. فدفعت حوالى عشرة أعوام من عمرى من أجل دراسة اللغة الفارسية التى كتب بها عمر الخيام ، رباعياته الشهيرة .. وعدت لاشغل وظيفة فى دار الكتب على مدى نصف قرن ، وكنت الوحيد بين كل زملائي .. الذى لم يحصل على حقه فى الترقية الى درجة مدير عام .. تسألني لماذا ؟ .. أنا شخصياً لا أعرف اجابة على هذا السؤال ..

قلت لرامي :

● من المؤكد انك سعيد الحظ فى عواطفك .. فمن يمتلك مثل موهبتك فى الشعر والأدب .. لابد وأن يكون فارساً فى دنيا العواطف ؟

قــال رامي :

ـ لا تحاسبنى عن الأعوام التى عشتها فى باريس ، حيث كان عمر الخيام بأفكاره ورباعياته هو كل ما يملأ فكرى ووجداني . ولقد سمعت عن الفنانة العظيمة أم كلثوم قبل أن التقى بها .. كنت لاأزال فى باريس عندما تلقيت خطابا من أحد الأصدقاء يقول فيه أن مطربة ناشئة جاءت من الريف لتغنى فى القاهرة ، وأن هذه المطربة الصغيرة تمتلك موهبة ضخمة ، وأن من بين ما تغنيه قصيدة من أشعارى ..

و تعجبت .. كيف تصلها أشعاري ، وأنا لم أطبعها بعد فى كتاب .

وعدت من بعثتي ليستقبلنى هذا الصديق ويسألني عما إذا كنت أريد الاستماع الى قصيدتي التى تغنيها المطربة الناشئة .

قلت له : لا بأس .

وفى الموعد المحدد .. ذهبت معه الى حديقة الأزبكية ، حيث كانت تغني هناك

.. ولمحت على المسرح المتواضع فتاة تضع العقال فوق رأسها وقال صديقي انها أم كلثوم ، وطلب منى أن اتقدم اليها وأطلب منها غناء قصيدتي .

وذهبت اليها قائلا :

ـ مساء الخير .

قالـت :

ـ مساء النور

قلت :

ـ غريب لسنوات طويلة .. جاء الى بلاده أخيراً ، ويريد الاستماع الى قصيدته .

وفى الحال أدركت أم كلثوم من أكون .. فقالت :

ـ أهلا .. سي رامي ..

وغنت أم كلثوم قصيدتى في هذه الليلة ، والتى تقول فى بدايتها :

الصب تفضحه عيونه
وتنم عن وجده شئونـه
إنا تكتمنا الهوى
والداء أكثره دفين .

ومنذ هذه الليلة بدأت رحلتى مع أم كلثوم . حقيقة انها سافرت فى اليوم التالى لهذا اللقاء الى مصيف رأس البر .. إلا أننى زرتها بعد ذلك فى فندق جوردون .. حيث كانت تقيم مع اسرتها .. ثم زرتها بعد ذلك فى أول منزل استاجرته مع عائلتها فى حي عابدين .

لمـــاذا لم يتزوجها ؟

قلت لرامي :

● أغفر لي فضولي ..

قال رامي :

ـ ماذا تريد أن تعرف ؟

قلت

● أحببت أم كلثوم ؟

قال :

ـ كان بينى وبينها أكثر من الحب ، وأعظم من العواطف ..

قلت :

● ولماذا لم تتزوجها ؟

قـال :

ـ أحببت أم كلثوم الانسانة والفنانة .. وهي أحبت رامي الشاعر ولو كنت قد تزوجتها لخسرت أم كلثوم رامي الشاعر ،



عندما عاد الى الوراء ليروي ذكرياته مع أول أغنية

وربما كسبته كزوج فقط .

قلت :

●وهل علمت أم كلثوم بوجهة نظرك هذه ؟

قال رامي :

ـ نقلتها اليها بكل دقة وأمانة .

قلت :

● وماذا كان تعليقها ؟

قال :

ـ استمعت فقط .

قلت :

● وتزوجت انت بعد ذلك

قال :

ـ وتزوجت هي أيضاً .. وكانت هي أول من هنانى بالزواج ؟ وكنت أنا أيضاً أول من هنأها بالزواج ..

قلت :

● وصداقتكما .؟

قال :

ـ لم تهتز لحظة واحدة على مدى ٥٠ عاماً .. إن لم يكن أكثر ، يكفي انها لم تغن كلمة واحدة .. إلا بعد أن قراتها وأبديت وجهة نظرى فيها .. وكثيراً ما كانت تطلب مني مراجعة اشعار غيري لابدل لها كلمة أو لفظ .

قلت :

● اتصور أنه لابد وقد حدث خلاف بينكما .. أو مجرد اختلاف فى وجهتى النظر على الأقل ؟

قال رامي :

ـ لم يحدث أن اختلفنا على الاطلاق ،، إلا بالنسبة لاشعار عمر الخيام .. كانت تعتبره مبالغاً الى حد كبير فى فلسفته وفهمه للحياة ، ربما الى حد الالحاد .. وكنت أدافع عن فكره مؤكداً لها أن بعض هذه الأفكار قد دست تماماً على اشعاره ..

قلت :

● ومن انتصر فى النهاية ؟

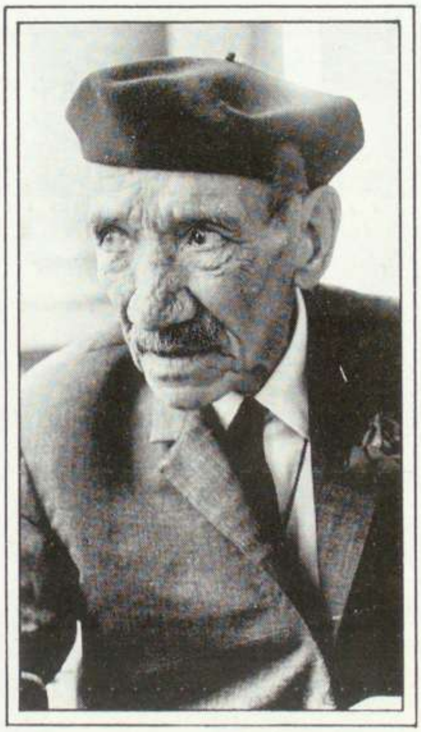
قال رامي :

ـ بعد أكثر من ثلاثين عاماً .. اقنعتها بالغناء لعمر الخيام وكان شرطها أن أغير من بعض كلمات الرباعية .. وحدث

قلت ،

● وفيما عدا ذلك ؟

قال :



رامي بعد رحيل أم كلثوم

ـ لم نختلف على الاطلاق !

قلت لشاعر الشباب أحمد رامي :

● منذ رحيل أم كلثوم وأنت تعاني من حالة الاكتئاب .. لماذا لاتحاول التغلب على هذه الأزمة ؟

قال رامي :

ـ ولماذا أتغلب عليها ؟

قلت :

● من أجل صحتك على الأقل ؟

قال :

ـ صحتى سليمة .. أما الاكتئاب .. فهو احساس وشعور ، ومن الصعب جداً التغلب عليه .

قلت :

● ربما لأنك حزين بطبيعتك .

قال

ـ وهذا أيضاً رأي الأطباء .. فاذا حدث وتعاطيت دواء ، أو عقاراً أبعدنى عن مثل هذا الاحساس .. لا اشعر على الاطلاق بالراحة التى اشعر بها وأنا اعانى من الاكتئاب !

قلت :

● شاعر الشباب أحمد رامي .. متى يكتب اشعاره ؟

قال :

ـ الاحساس بالكتابة ليست له مواعيد .. أحياناً يأتى بلا استئذان ، وأحياناً انتظره شهور طويلة دون أن يجيء ولكننى ألاحظ أن أنسب الاوقات التى استطيع الكتابة فيها هى الفترة التى أعيشها عقب الابلال من المرض .

قلت :

● وعندما يصل الوحي :

قال :

ـ أنا لا أكتب بطريقة عادية .. أحياناً « اتمرمغ » على السجاد وأنا أكتب .. وأحياناً أبكي .. وأنا أيضاً لا أكتب فى البداية .. ولكننى أظل أردد الأشعار التى فى خاطرى ، وبعد الانتهاء تماماً من العمل الفني أبدأ فى كتابته .. وأنا لا استخدم فى هذه الحالة القلم الحبر .. ولكننى أفضل الكتابة بالقلم الرصاص .. وربما أكتب على قطعة ورق متواضعة جداً .!

أم كلثوم تعترض

قلت :

● وكيف تصل اشعارك الى الملحنين؟

قال :

ـ عن طريق الصداقة ليس إلا .. الأصدقاء من المطربين والملحنين .. لهم الأولوية فى اعمالي دائماً .. وأحياناً أكتب أغنية ، أو قصيدة ويختارها ملحن فأقدمها له عن طيب خاطر ، وتمضي سنوات طويلة ، دون أن يظهر هذا العمل الى الوجود .

قلت :

● هل تغضب فى مثل هذه الحالة ؟

قال :

ـ حدث منذ سنوات أن كتبت أغنية جديدة ، وتصادف أن زارنى محمد عبد الوهاب فشاهد الأغنية وأعجب بها فقدمتها له عن طيب خاطر .. ومرت الأعوام دون أن يبدأ عبد الوهاب فى تلحينها ، وعن طريق المصادفة جاء ذكر

هذه الأغنية ، وانا اتحدث مع أم كلثوم .. فطلبت منى الاستماع الى كلماتها . وما كادت تستمع الى نهايتها حتى قررت أن تغنيها ..

قلت :

● وهل وافقت ؟

قال :

ـ فى البداية حاولت الاعتراض ولكن أم كلثوم أكدت لي أن عبد الوهاب لن يلحنها مادام قد تسلمها منذ فترة طويلة ولم يلحنها حتى الآن .

قلت :

● كيف تقبل محمد عبد الوهاب الأمر ؟

قال :

ـ ماكادت أم كلثوم تغني « عودت عينى على رؤياك » لأول مرة .. حتى سارع بالاتصال تليفونياً بالكاتب الراحل محمد التابعي شاكياً له ما حدث .. ولم يهدأ إلا عندما وعده التابعى بالاتصال بأم كلثوم لمعرفة وجهة نظرها فيما حدث وعندما اتصل محمد التابعى بأم كلثوم طلبت منه أن يسأل عبد الوهاب .. متى تسلم كلمات الأغنية من رامي ؟

وما كاد عبد الوهاب يستمع الى محمد التابعي وهو يوجه اليه هذا السؤال .. حتى صمت تماماً ولم يرد !

لماذا تركت عبد الوهاب ؟

قلت لرامي :

● متى تعرفت بمحمد عبد الوهاب ؟

قال :

ـ تعرفت بمحمد عبد الوهاب لأول مرة قبل أن اسمع عن أم كلثوم . التقيت بعبد الوهاب فى عام ١٩١٥ بينما التقيت بأم كلثوم لأول مرة فى عام ١٩٢٤.

حدث أن دعاني المرحوم مصطفى «بك» رضا رئيس معهد الموسيقى الشرقية فى ذلك الوقت لسماع مطرب صغير ناشيء . وأعجبنى صوته ومنذ هذه الليلة بدأت بيننا صداقة وتعاون فني .. فأنا الذى كتبت لـه معظم أغانيه التى قدمها فى الأفلام السينمائية التى قام ببطولتها .



احمد رامي يستمع بكل مشاعره الفياضة لشدو كوكب الشرق بكلماته النابعة من القلب

قلت :

● ولكنك تفرغت تماماً لأعوام طويلة لم تكتب خلالها إلا لأم كلثوم !

قال رامي :

ـ حدث .. لأن عبد الوهاب خلال هذه الفترة كان يغنى لأمير الشعراء أحمد شوقي نظراً لصداقتهما الطويلة .

قلت :

● بمناسبة أمير الشعراء أحمد شوقى . لماذا لم تغن أم كلثوم أشعاره إلا أخيراً ؟

قال رامي :

ـ تعمدت أم كلثوم تماماً هذا الموقف من أجلي .

قلت :

● كيف ؟

قال :

ـ كانت « ثومة » تدرك تماماً أن غناءها لأحمد شوقي .. قد يؤثر على مستقبلي كشاعر ما يزال فى بداية حياته الأدبية .. لهذا فان أم كلثوم لم تغن من اشعار أحمد شوقى إلا بعد رحيله .

قلت :

● وعلاقتك أنت شخصياً بأمير الشعراء أحمد شوقي ؟

قال رامي

ـ كنت صديقاً له .. طلب منى أن أقدم له ديوانى الثانى قبل تسليمه الى المطبعة .. فأعاده لى بعد أن كتب له مقدمة .. وكثيراً ما كنت التقى به فى فيلته « كرمة بن هانيء » .. وأذكر أنه دعاني مع محمد عبد الوهاب لتناول طعام الغداء معه .. وما كدنا نجلس حتى انسحب أحمد شوقى من أمامنا .. وبعد أن أنتهينا من تناول الطعام وشرب القهوة .. فوجئنا بأمير الشعراء أحمد شوقي يعود الينا وفى يده قصيدة جديدة كتبها وهو يلف حول كرمة بن هانيء اثناء تناولنا للطعام .

ونظر الينا أحمد شوقى قائلا :

الطعام يمكن أن ينتظر .. أما الشعر فلا مواعيد له على الأطلاق .. ولابد أن أرحب به فى اللحظة التى يصل فيها .

أفكار لم تتحقق

وقلت لرامي :

● وآخر حديث بينك وبين أم كلثوم ؟

قال :

ـ دعتنى كعادتها لتناول الطعام معها فى كل يوم ثلاثاء .. وفى هذا اليوم بالذات تمسكت بضرورة توصيلي بسيارتها الى منزلى فى حدائق القبة وركبت الى جواري وهي تتحدث معي عن مشروعات وأفكار فنية جديدة تريد تحقيقها للأغنية العربية ، ولكن القدر لم يسعفها لتحقق كل ما كانت تريد تحقيقه مرضت بعد هذا اللقاء بأيام قليلة . ثم جاءت النهاية ..

● ● ●

ويتوقف شاعر الشباب أحمد رامي عن الحديث لأقول لك أن رامي ظل منذ رحيلها يعاني من الاكتئاب ، والوحدة والفراغ .. حتى لحق بها ، دون أن يكتب كلمة واحدة إلا قصيدته التى القاها فى ذكرى رحيلها .

وهكذا انطوت حياة شاعر .. عاش للحب ، ومات من الحب .

محمد تبارك

دفاع عن اللغة العربية

بقلم : حامد بدر

كثر ما نسمع وما نقرأ من كلام حول هبوط مستوى اللغة العربية ، ولم أسمع ولم أقرأ حلا مقترحاً حاسماً لتلك المشكلة ، كأنها مرض عضال ، تعذر علاجه ، واستحال شفاؤه ، فلا طبيب يكشف الغطاء عن العلة المزمنة ، ويصف الدواء الناجح ، ولا انقطاع لهذا الكلام الذى نسمعه ونقرؤه عن المريض والمرض

والصورة أمامي مقلقة مؤسفة ، فهي فى تصورى صورة مريض كثر عائدوه من الأقارب والأباعد كثرة لا تنفعه ، بل تقض عليه مضجعه وتزعجه ، وتزيد علته تفاقماً وخطورة !

كثر عائدو المريض تلك الكثرة الضارة المزعجة ، وقل اطباؤه ودواؤه ، وهددته قلة الأطباء والدواء بما هو أكثر من المرض !

مشكلة تبدو كأنها معضلة ، وأن الحل ليس مستحيلا ، بل هو موجود وسهل . ولكي نحكم بوجود الحل وسهولته ، علينا أن نعرف سبب المشكلة ، ومدى امكان استئصال هذا السبب من جذوره .

أهم أسباب تلك المشكلة هو أن النظم التعليمية ، وأساليب الامتحانات العامة أتاحت للطالب النجاح فى اللغة العربية ولو لم يحط بشيء من علم النحو ، وهو العلم الأساسي الأول من علوم تلك اللغة فلا ينبغ الطالب فى البلاغة مثلا وهو يجهل ضبط أواخر الكلمات .

والسؤال الذى يوجه الينا الآن هو : كيف يتاح للطالب النجاح فى اللغة العربية ولو لم يحط بشيء من علم النحو ؟

والجواب هو أن الطلاب عندما يجدون فى علم النحو صعوبة لا يجدونها فى حفظ نص ، أو قراءة قصة ، فانهم ينصرفون عن النحو الى غيره من علوم اللغة العربية وهم مطمئنون كل الاطمئنان الى امكان الوصول ولو الى الحد الأدنى لدرجات النجاح فيما عدا النحو ، لأن درجات اللغة العربية موزعة على علومها المتعددة بدون اشتراط أو تحديد درجات نجاح لكل منها على حدة .

وإذا كانت النظم ذاتها تتيح للطالب النجاح فى اللغة العربية ولو لم يحط بشيء من قواعدها ، وتعفيه من اتعاب نفسه فى تفهم علم النحو ، ذلك العلم الدقيق الذى يلزمه بضبط كل كلمة ، فهل يأبى هو أن يعفى نفسه من هذا القيد إذا وجد فكاكاً أو مهرباً ؟

وإذا كان نجاح الطالب فى اللغة العربية ممكناً مع الجهل بالقواعد الأساسية لتلك اللغة ، فان النتيجة هي أن يظل الطالب ضعيفاً فى علم النحو فى جميع مراحل التعليم حتى يتخرج من الجامعة محروماً من الاحاطة بهذا العلم الأساسي . ولا عجب بعد ذلك إذا عمل فى جهاز إعلامي ليسمع العالم أخطاءه فى اللغة العربية ، ولا يستطيع أن ينفي عن نفسه تهمة الجهل بها ، وقد يكون خطؤه فيما يتلقاه تلميذ المرحلة الاعدادية أو الابتدائية !

ولا يحق لنا أن نلومه على خطئه لأن النظم التعليمية هى التى هونت عليه الاستغناء عن علم النحو الذى لم يقف الجهل به عقبة فى طريق نجاحه ، واغتباطه بشهادة يعمل بها مدرساً أو صحفياً أو مذيعاً !

تلك هي مشكلة هبوط مستوى اللغة العربية التى طال عليها الأمد ، وكثر الكلام حولها ، ولا جدوى من كلام يطول ، واقتراحات تعتمد على الترغيب بالحوافز المادية ، والدعوة الخطابية الى الاهتمام بتلك اللغة .

والحل هو أن يكون النحو علماً أساسياً مستقلا يترتب على الرسوب فيه الرسوب العام فى امتحان نهاية العام ، وبذلك لا تضيع قيمة هذا العلم بجوار غيره من علوم يعتبر النحو أصلها وهي الفروع .

يجب أن يعطى النحو العناية التى يستحقها ، فيدرس على أنه أساس علوم اللغة العربية ، لا على أنه نافلة أو كم زائد يمكن حذفه والاستغناء عنه .

ولعلي بهذا الرأى أكون قد أوضحت أن أهم سبب للمشكلة ليس أصعبها حلا بل أن استئصال جذوره سهل كنزع الشعرة من العجين كما يقال . فما على المسئولين سوى أن يقرروا اعتبار علم النحو علماً أساسياً ذا شخصية مستقلة عند وضعه فى ميزان التقدير ، فلا تشفع له درجات غيره من مواد اللغة العربية



عندما تكون درجته صفراً، ولا يعتبر الطالب ناجحاً فى اللغة العربية وهو فى قواعدها لاشيء !

لابد أن يشعر الطالب بأن هناك حافزاً قوياً يغريه بالاقبال على علم النحو ، ذلك الحافز هو النجاح فى اللغة العربية الذى لا يتحقق بغير النجاح فى علم النحو .

وعلم النحو فى الأزهر علم أساسي مستقل ، فلا ينقل الطالب من صف الى صف أعلى إلا بنجاحه فى ذلك العلم . وكذلك سائر علوم اللغة العربية ، لكل منها تقدير خاص به ، وهذا التقدير يعد عاملا من أهم عوامل ارتفاع مستوى اللغة العربية فى التعليم بالأزهر ، بالاضافة الى عوامل أخرى فى مقدمتها تمكن العلماء الذين يقومون بتدريس اللغة العربية فى الأزهر ومعاهده . وإن كنت أشعر بشيء من الاشفاق من أن يتعرض ذلك المستوى فى الأزهر للضعف الذى تعرض له طلاب المعاهد الأخرى إن لم يتغير الأسلوب الذى عرضت له ، وذلك بسبب قبول كليات الأزهر لطلاب لم يتلقوا اللغة العربية فى معاهده ، واتاحة الفرصة للمجاميع الصغيرة .

هذا فى الأزهر ، وفى غير الأزهر ينبغى أن لا نتجاهل ما سوف يؤثر تأثيراً سيئاً على كفاية مدرس اللغة العربية المتخرج من كليتي الآداب ودار العلوم ، نتيجة لأن هاتين الكليتين تقبلان طلاباً ذوي مجاميع أقل من المجاميع التى تشترطها كليات أخرى للقبول فيها ، مما يؤدى الى ضعف مستوى مدرس اللغة العربية ، لا فى اللغة العربية فقط ، بل وفي المواد الأخرى ، لأن الطالب الذى يقبل فى كلية مهمتها تخريج مدرسي اللغة العربية لا يحتاج الى مجموع مرتفع للقبول فى تلك الكلية ، فهو لذلك أضعف مستوى فى ثقافته العامة . وبسبب الجفوة بين الطلاب وبين اللغة العربية نرى كثيراً منهم لا يرغبون في الالتحاق بالكليات التى تخرج مدرسيها ، ولا يدخلونها إلا مضطرين لعدم سماح مجموع درجاتهم بقبولهم فى الكليات التى يرغبون فى الالتحاق بها ، وهم لهذا السبب أيضاً لا يقبلون على اللغة العربية اقبال حب واقتنـاع .

حامد بدر

رسـائل غيرعادية

إلى ريتشارد فولك أستاذ القانون الدولي بجامعة برنستون

بقلم : معروف رفيق

قرأت ياعزيزى مانشرته فى الصحف .. محذرا ومنبهاً الى احتمال فقدان الانسان لسيطرته وتحكمه فى كثير من الأشياء ، نتيجة اكثاره من تطبيقات العلم والاكتشافات الحديثة .

وقد أعجبنى تحليلك وشرحك ، فيما يتعلق بطبقة الأوزون الواقية ، تلك الطبقة ، التى تنتشر فى طبقات الجو ، على بعد يتراوح بين عشرين وخمسين كيلو من سطح الأرض ..

وقد فهمت أن تلك الطبقة ، تشبه المظلة الكبيرة ، التى تقى الانسان من الشمس . مظلة صنعتها يد الواحد الأحد ، لكي تمتص كل أشعة الشمس الضارة بالانسان ...

ولقد علمت أيضاً .. أن تلك المظلة الواقـية ، التى خلقها الله لتحافظ على حياة الانسان .. قد بدأ الانسان يهاجمها بعلمه ، بل يهاجمها بجهله .. وما أعجب العلم عندما يصبح مع الجهل فى مستوى واحد .. تطبيقا للقول المأثور : الانسان عدو نفسه ..

لكن كيف يهاجم الانسان ، تلك المظلة الواقية ؟ بالغازات السامة والطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ...

ويبدو لي ياسيدى من كلامك ، أن هذه الغازات وتلك الطائرات ، أشبه بطلقات نارية توجه الى مظلة المظلى ، فلا تعود ممتلئة بالهواء ، فتنفجر ... ويسقط صاحبها من عل ، أو كما قال أمرؤ القيس : (كجلمود صخر حطه السيل من عل) .

وأعجبنى ياسيدى نداؤك الحار ... بأن نعيد النظر ، فى عملية التعليم ، لكي يستند الى أساس أخلاقي وانساني ... ولعمر الحق ياسيدي ، أن التعليم لابد أن يكون كذلك ، لأنه إن لم يكن من أجل الانسان وتقدمه ... فهو شر من الشرور ، وعمل من أعمال الشيطان والعياذ باللــــه .

وإننى ياسيدى ، أطاطىء الرأس احتراماً للعلماء ... ذلك أن مدادهم ، فى رأي معلمنا محمد عليه السلام ، يوزن بدماء الشهداء ... بل لقد أمر ذلك المعلم الكبير ، أول ما أمر أن يقرأ باسم ربه ... قال له الوحي : « اقرأ باسم ربك الذى خلق .. »

والقراءة هى أول العلم ... والعلم فى تلك الآية ، مقرون باسم الله ... إذن فهو مبنى على أسس من الأخلاق والتقوى ومحبة الانسان لأخيه الانسان .

ولعل العلماء ياسيدى ، لو علموا وتعلموا هذه الآية ، لكان كل اختراع يخترعونه رهناً بفائدة البشرية .. فهل تستشهد ياسيدى بتلك الآيات الكريمة ... وأنت تدعو الى تأسيس التعليم ، على قواعد الأخلاق ، والقيم الانسانية ... أرجو ذلك

ولك فى الختام ، كبير تقديري واحترامي ...

قالوا هذا الشهر

● الوضع فى منطقة الشرق الأوسط متوتر وخطير والحل هو موقف عربي موحد قادر على التصدي والمواجهة

صباح الأحمد

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي

● لا اعتقد أن شعبا جاد بالأرواح وبذل من صنوف التضحيات أكثر مما بذل الشعب الفلسطيني .

أكرم زعيتر

● أحسن كتاب قرأته وتأثرت به هو « عودة الروح » للكاتب العربي توفيق الحكيم .

رسول حمزاتوف
شاعر روسي مسلم

● الحرب عمل سياسي والاستشهاد عمل سياسي والفداء عمل سياسي وإذا لم نفهم هذا فستضيع كل التضحيات هباء .

أحمد بهاء الدين

● العالم عالمان ، عالم مترف وعالم مدقع بالفقر ، ولو كان فى العالم عقل عالمي النظرة ، لما سمح بهذا ، بل لوجد فيه خطراً على الجميع أكبر من خطر القنبلة الذرية .

أحمد بهاء الدين

● كنت معجباً جداً بزوجتى بربارا ، ولكننى اضطررت الى طلاقها بسبب إدمانها للتدخين .. لقد كانت تدخن بشراهة . وكانت تدخن أسوأ نوع من السجائر فى العالم . فسجائرها المختارة ذات رائحة تخنق وتثير النفور .

الممثل كاري جرانت فى مذكراته

● نريد تمثالا جديداً للحرية غير ذلك التمثال القائم فى نيويورك ، وقد استطعنا أن نجمع حتى الآن ١٥ مليون دولار لاقامة تمثال جديد للحرية فى سان فرانسيسكو ... بعيداً ... بعيداً عن نيويورك وتمثالها القديم .

لجنة اقامة
تمثال الحرية الجديد فى أمريكا

● هناك ١٥ الف طبيب هندى يعملون في أوربا وأمريكا وتمثل هذه النسبة ١٤٤ مليون دولار تضيع على الهند سنوياً بسبب هذا العدد الكبير من الأطباء المهاجرين .

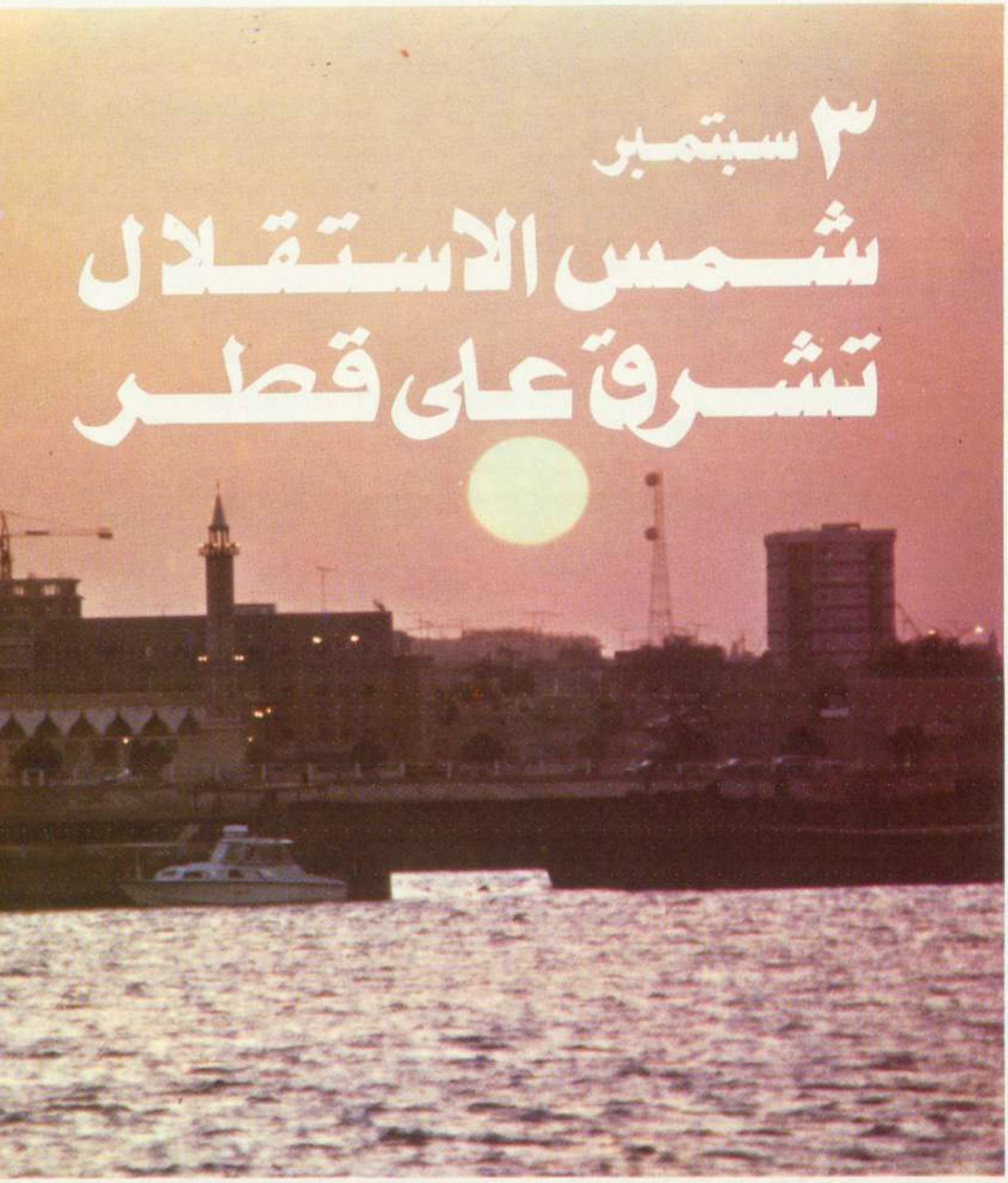
من تقرير لمنظمة الصحة العالمية

● انخفض السياح فى بريطانيا هذا العام من ٤٠ مليون الى ٢٠ مليون وهذه الأزمة لن تستمر طويلا ، والأمر مرهون بقليل من الصبر والشمس والأيام المشرقة !!

المجلس السياحي
البريطاني

● أكلت ابني الصغير لأني كنت عاطلا وجائعاً حتى الموت . وقد أقنعني أحد المشعوذين بأني سوف أجد عملا لو أكلت لحم الطفل ... وبعد أن فعلت ذلك ... مازلت عاطلا . وعندما بدأت فى أكل ابنى لم أكن أشعر اننى كنت آكل لحماً آدمياً بل كنت اعتقد أننى آكل لحماً عادياً !!

عامل آسيوي
عاطل يبلغ من العمر ٢١ سنة


٣ سبتمبر
شمس الاستقلال
تشرق على قطر







شمس الاستقلال
تشرق على قطر

استقلال قطر

ثمرة لكفاح شعبها وقائدها وليست هدية من أحد

عندما تحتفل دولة قطر بالذكرى العاشرة لاستقلالها ، فان هذه الذكرى العزيزة تضع أمام العيون عدداً من الحقائق الهامة .

وأول هذه الحقائق وأكبرها : ان « الاستقلال » الذى حققته قطر والذى أعلن ميلاده فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٧١ حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، لم يكن « استقلالا » سهلا حققته قطر دون جهد وجهاد ولم يكن هذا الاستقلال بحال من الأحوال هدية منحتها انجلترا لقطر ، بل لقد كان استقلال البلاد ثمرة لكفاح طويل قام به الشعب القطري جيلا بعد جيل ، فقد بذل شعب قطر من عرقه ودمائه ثمنا كبيراً حتى يحقق هدفه العزيز وهو الاستقلال والحرية .

ومن المهم الى أبعد حد أن تكون هذه الحقيقة واضحة فى الأذهان ، وأن تكون ظاهرة فى سطور التاريخ وصفحاته المختلفة ، فالاستقلال لم يكن هدفاً ميسوراً على الاطلاق ، وما كانت قطر لتستطيع تحقيق الاستقلال لو لم يكن فى شعبها وقادتها من القوة والاصالة والعزم والاستعداد لبذل الجهد الكبير فى سبيل الوصول الى مصاف الشعوب التى تستحق الحرية والاستقلال .

إن قطر تحتل موقعاً بالغ الدقة والحساسية فى قلب الخليج العربي ، وهي تحتل موقعاً بالغ الدقة والحساسية أيضاً على خريطة البترول العربي والبترول العالمي ، وما كان الغرب بقواته المتقدمه و خططه المختلفة ليتنازل عن قطرة من البترول القطري أو شبر من الأرض القطرية لولا أنه وجد فى شعب قطر إصراراً وحماساً تاريخياً لنيل حريته والسيطرة على ثروته ... ولو تم ذلك ببذل الدماء وتقديم الشهداء .

وقد يقول البعض ، وماذا كان يمكن أن تفعل قطر وهي دولة صغيرة على خريطة العالم؟، في مواجهة قوة دولية عظمى استطاعت أن تفرض نفوذها وسلطانها لمدة قرون متواصلة على مساحات واسعة من الأرض ، وشعوب كبيرة ضخمة مثل الهند والصين وأفريقيا كلها بغير استثناء .. ماذا كان يمكن أن تفعل قطر ، لتفرض استقلالها وتحققه بارادتها وجهدها وكفاح أبنائها ؟

الحقيقة أن قطر فعلت الكثير ، وكان فى امكانها منذ البداية أن تفعل الكثير .

لقد أدركت بقيادتها وشعبها إدراكاً عميقاً أنها « قطعة » عزيزة من أمة كبيرة هي الأمة العربية ، التى هي نفسها جزء من الأمة الاسلامية ذات القدرة والتأثير الواسع فى العالم كله ... وقد أدركت قطر فى نهضتها الحديثة معنى هذا الانتماء الأصيل للأمة العربية والأمة الاسلامية ، ولذلك اندفعت فى طريقها نحو الحرية والاستقلال تحت قيادة أميرها المفدى وهي تدرك هذا الانتماء العميق ، ومن هنا كانت قطر تحس بقوتها وقدرتها على الحركة ، وكانت تشعر أنها قادرة على التصدى للاستعمار والتحرر منه. وقد التزمت قطر على الدوام بهذا الانتماء ، وأخلصت له فأضاف لها انتماؤها العربي والاسلامي ، قوة الى قوتها الذاتية ،وفتح أمامها المجال لتلعب دورها وتشق طريقها فى عالم الاستقلال والحرية .

وقد كان استقلال قطر سنة ١٩٧١ جزءاً من المد الوطني والعربي فى الخمسينات والستينات ، حيث

استطاعت حركة المد الوطني العربي فى هذه الفترة أن تحقق انجازات كبيرة ، منها استقلال الجزائر بعد أكثر من مائة وثلاثين سنة ، وجلاء الانجليز نهائياً عن مصر بعد أكثر من سبعين سنة من الاحتلال ، كما تحقق استقلال السودان وتونس والمغرب والكويت وسائر بلاد الخليج وكان استقلال قطر ، حلقة رابعة فى هذه السلسلة المجيدة التى تتكون منها الحركة الوطنية العربية .

وتلك هي قوة قطر ... أنها أرض عربية اسلامية تقف مرفوعة الرأس ، عميقة الجذور على أرض الخليج ، ويسكنها شعب له تاريخه وتراثه فى الكفاح ، منذ أن كان هدف هذا الكفاح هو الغوص فى أعماق البحار من أجل توفير مصدر للحياة والرزق ، ومواجهة كل ألوان التعب والمشقة لصيانة الكرامة والحرية عند ظهور البترول ، حيث كانت الشجاعة والشهامة وصيانة الكرامة جزءاً لا يتجزأ من حياة العربي القطري فوق صحرائه وعلى شواطئه وفى خيامه وبيوته المتواضعة ، ثم تفجرت بعد ذلك فى هذه الأرض الطيبة ثروة البترول التى هي أعظم ثروة فى التاريخ ، وكان من الممكن أن تكون هذه الثروة ـ لولا صلابة شعب قطر وقيادته ـ أداة للرخاوة واللامبالاة وعدم تحمل المسئولية ، والرضا بسيادة الأجنبي ، مادامت ينابيع الثروة تتفجر فى البلاد ، ولكن شعب قطر تحت قيادة أميرها المفدى ، عمل وجاهد واستخدم الثروة التى منحها له الله فى باطن الأرض وظلت مخبوءة منذ آلاف السنين ، لتظهر فى هذا الجيل ... استطاع شعب قطر بقيادة أميره المفدى أن يجعل من هذه الثروة أداة فى يده ، وأن يجعل منها وسيلة من وسائل تطوره ونهضته ، وماكان بالامكان أن تتطور قطر أو تنهض بدون الحصول على الاستقلال والحرية ، وبدون التحديد الكامل لشخصيتها السياسية والوطنية . على أن الحصول على الاستقلال وحده لم يكن أمراً كافياً لتحقيق النهوض ، فالسؤال الدائم الذى يطرح نفسه على أى شعب مستقل هو ماذا يفعل هذا الشعب بالاستقلال ، وكيف يتصرف فيه ، وهنا يبرز دور القيادة القطرية ، التى آمنت منذ البداية بأن الاستقلال مسئولية كبرى ، وأن مرحلة ما بعد الاستقلال هي مرحلة «الجهاد الأكبر » التى تقتضي عملا كبيراً لصيانة هذا الاستقلال ، واستثماره لصالح الوطن . وهذا ما فعله أمير قطر المفدى فى مرحلة « ما بعد الاستقلال » فقد تحولت قطر بقيادته وجهود أبناء الشعب الى دولة حديثة ، في وقت قياسي ، فعشر سنوات من الاستقلال ليست بالزمن الطويل والذى تحقق فوق أرض قطر خلال السنوات العشر يعتبر « انجازاً تاريخياً » بالغ الأهمية ، فقد قامت المؤسسات العلمية والصناعية على أحدث النظم والأساليب ، وأمتدت يد العمران لتقيم فوق رمال الصحراء مدناً عصرية حديثة ، وأينما تحرك الانسان فوق أرض قطر من عاصمتها الدوحة ، الى أم سعيد ، ودخان وغيرها من المدن والمناطق ، وجد أمامه حركة عمرانية مزدهرة تتقدم وتزداد روعة يوماً بعد يوم ، حتى أصبحت قطر ، مجتمعاً حديثاً ، في أقصر وقت .. فيه المدرسة والجامعة والمصنع جنبا الى جنب ، وخلال سنوات الاستقلال العشر تحقق لقطر ما كان يحتاج الى عشرات السنين من العمل .

على أن استقلال قطر لم يحقق الازدهار الصناعي والعمراني والثقافي فقط ، بل اتجهت قوة الاستقلال الى السيطرة على الثروة الأساسية فى البلاد وهي البترول ، واستخدامها لمصلحة الشعب ، فانفتح الباب واسعاً أمام الأجيال القطرية الجديدة لكي تتعلم ولكي تتولى المسئوليات الكبيرة فى كافة المجالات ، وأصبحت عوائد البترول فى قطر سنداً لكل الخدمات التى تقوم فى البلاد على أساس من العدالة والحرص على تأمين مستقبل الأجيال القادمة ، فثروة البلاد هي أساس التعليم المجاني و العلاج المجاني ، وكافة فرص الحياة التى تتاح لأبناء قطر ولأبناء العرب العاملين فى قطر ، وهم نسبة كبيرة تعيش فى قطر ، كأنها تعيش فى بلادها ، التى عليها ولدت ، و تجد الفرص الكريمة للانتاج والحياة وخدمة قطر والوطن العربي كله .

وقد كان لاستقلال قطر صوت مسموع في القضايا العربية ، وعلى رأسها قضية فلسطين ، وفى كافة القضايا الدولية الكبرى ، فما من موقف للتأييد المادى والأدبي للقضايا العربية ترددت فيه قطر المستقلة ، وما من موقف عالمي عادل فى الأمم المتحدة أو بين دول عدم الانحياز ، أو فى منظمة « الأوبيك » إلا وأيدته قطر وناصرته والتزمت برأي تخدم فيه الأمة العربية ، والمصالح الانسانية المختلفة .

تلك بعض لمحات من كتاب الاستقلال القطرى فى عشر سنوات مضيئة . وقد تمت هذه الخطوات الواسعة بجهود أبناء شعب قطر تحت قيادة أميرها المفدى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، .. فهنيئاً للأمة العربية والاسلامية بقطر المستقلة الناهضة وهنيئاً لشعب قطر وأميره المفدى وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني .

وإلى الأمام مع مسيرة الاستقلال لتحقيق كل الآمال المعقودة على قطر بامكانياتها الكبيرة واصالتها وصدق انتمائها للعروبة والاسلام وحرص شعبها وقائدها على النهضة والمشاركة في كل ما يحقق طموح العرب والمسلمين جميعاً فى الخير والتقدم والسلام .

« الدوحة »

شمس الاستقلال
تشرق على قطر

كلمات على طريق الاستقلال

● تنفيذا لقرار إعلان استقلال بلدنا ، قررنا إنهاء العلاقات التعاقدية الخاصة وجميع الاتفاقيات والالتزامات والتنظيمات المرتبة عليها المبرمة مع الحكومة البريطانية . وبذلك تصبح دولة قطر دولة مستقلة استقلالا تاماً وذات سيادة كاملة ، تمارس كل مسئولياتها الدولية بنفسها ، وتتولى وحدها سلطانها الكامل فى الخارج والداخل على السواء ، وسنبدأ فوراً باتخاذ الاجراءات اللازمة لانضمام دولتنا العربية الفتية الى جامعة الدول العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة .
(من بيان اعلان الاستقلال ١٩٧١م)

● إن المبادىء الرئيسية التى تؤمن بها دولتنا الفتية أن الوطن مسئوليتنا جميعا وحقنا جميعاً . بيد أن تجارب الأمم فى الماضى والحاضر تعلمنا أن السبيل القويم لتنظيم المسئوليات والحقوق العامة هو التدرج المناسب ، عملا بسنة التطور المتأني الذى يكفل السلامة ويقى من مغبة الطفرة ونتائجها الضارة بمصالح الدولة العليا . كما تعلمنا أن النظام السياسي الصالح فى أية دولة ليس هو ذلك الذى يتميز نظرياً بمظهر المحاسن والمناقب ، ولكنه ذلك الذى تتطلبه الحاجة وتهضمه الطاقة ، وتتوطد أركانه بالممارسة والاختبار ويتحقق معه الاستقرار والازدهار (١٩٧٥) .

● لقد كان التطلع الى حق التمتع بالمساواة والحرية والعدالة عنصراً رئيسياً من عناصر حياة الانسان والشعوب في كل زمان ومكان ، ومن ثم كان الحرمان من هذا الحق أهم الدوافع الى الحركات الوطنية التحررية التى عرفها العالم عبر التاريخ . ومازال هذا الحرمان ذاته هو مصدر الكفاح الوطني التحررى في بقاع مختلفة من عالمنا الحاضر كجنوب أفريقيا حيث يمارس النظام الفاشي العنصرى الحاكم ، لقهر أهله ، أقسى اساليب الاذلال والبطش ، وفلسطين والأراضي العربية الأخرى التى يجثم على انفاس أصحابها الشرعيين الاحتلال الصهيوني العنصرى الغاشم مرتكباً ، فى اضطهادهم ، اشد الآثام ظلماً وبغياً (١٩٧٦) .

● إذا أردنا حقاً أن تعود أمتنا الاسلامية سيرتها المجيدة الأولى ، فسبيلنا الى ذلك هو أن نعتصم بمبادىء وقيم ديننا ، وأن نتخذ منها رائداً لهدايتنا الى أفضل الوسائل الكفيلة بمعاونتنا على توحيد كلمتنا وتكريس جهودنا المتضافرة المخلصة من أجل تنسيق مصادر قوتنا وتكامل عناصر طاقتنا تحقيقاً لما نصبو اليه من خير لأنفسنا والأسهام بأوفر نصيب ممكن فى تحقيق ما ننشده من خير للمجتمع الانساني كله (١٩٨٠) .

● ... أما عن واجباتنا فى اطار علاقتنا الاقليمية بأشقائنا الدول الخليجية العربية ، فاننا نؤمن بأن لمجموعة هذه الدول قضية واحدة مترابطة العناصر متكاملة الأجزاء ، وهي قضية تقدمها واستقرارها وأمنها واستقلالها ، كما أننا نؤمن بانه لا يمكن تناول هذه القضية بما يحقق الخير الذى ترجوه كل من هذه الدول لنفسها وللمنطقة بأسرها إلا على أساس جهد جماعي متآزر ، تشارك جميعها فيه ، وتحمل كل منها مسئوليتها التضامنية في المضي به الى هدفه ، كل بالقدر الذى تستطيع . (١٩٨٠)

● اننا نؤمن أن الدولة تستمد سلامة بنائها من سلامة تنشئة المواطنين ، وبأن خير أداة لتقدم الدول وازدهارها هي عقول أبنائها وبناتها ، ولذلك كانت تنمية الانسان القطرى ، فى الماضي وستظل دائماً في المستقبل ، شغلنا الشاغل وركيزة أساسية من ركائز سياستنا الوطنية وبدافع من هذا الايمان ، كان اهتمامنا باقامة جامعة قطر ، ورعايتنا للجهود التى تشق بها هذه الجامعة طريقها الى تحقيق رسالتها النبيلة : رسالة تكوين أنفع ما نملك من ثروات ، وأعني بذلك شبابنا الجامعي عدة حاضرنا وذخر مستقبلنا (١٩٨١).

كلمات من خطب وبيانات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر



شمس الاستقلال
تشرق على قطر

جيل الاستقلال أهم الثروات

يحتل بناء الانسان القطري المكانة الأولى فى مسيرة الدولة لتحقيق أهدافها نحو البناء والتطور ، فالشباب هم أعظم ثروات البلاد وأبقى وأقدر امكاناتها وقدراتها ، والتنمية الحقيقية التى تعتز بها البلاد هى التنمية البشرية ، لأن الانسان القطري هو الذى سيشارك فى صنع حضارة البلاد معتمداً على ما اكتسبه من علم ووعي ومباديء وقيم سامية ..

ومن حصيلة الانجازات الهامة المدعمة لمسيرة الشباب انشاء سمو أمير البلاد المفدى للمجلس الأعلى لرعاية الشباب ليقوم بدوره البناء فى ارساء أسس التخطيط اللازم لمتابعة رعاية الشباب فى مختلف مراحل النمو ، ولارشاده الى ما ينهض بمستواه المادي والفكري والمعنوي ولينمي فى وجدانه حب الوطن والقومية ، وليرسخ ايمانه بدينه ويثبت اعتداده بعقيدته ، حتى يصبح بفضل هذا الزاد الضروري ، مواطناً صالحاً ، يحتل بجدارة موقعه على درب العمل الجماعي المشترك ، فى سبيل تحقيق النهضة الشاملة وبلوغ الأهداف التى تتطلع اليها البلاد ..

وقد عبر سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب عن الآمال المعقودة على الشباب بقوله :

« إن المرحلة التى نعيشها هي مرحلة بناء صرح الدولة العصرية ، وتامين الهناء والارتقاء للشعب الطموح .. وأنه ليس من سبيل لادراك هذا الهدف إلا برعاية الشباب رعاية توفر له افضل تكوين روحي وعقلي وأخلاقي وبدني ، باعتباره محط الآمال فى تقدم الوطن واستقراره ، ومركز الأماني فى اضطراد الرخاء والأزدهار » ..

ومن هذا المنطلق أصدر سمو ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، تعليماته بتكوين اتحاد أندية العلوم بالدولة الذى يضم كل أندية العلوم فى الحاضر والمستقبل ، حتى تقوم بدورها فى تنمية المواهب العلمية واتاحة الفرص لخلق الجيل المسلح بالعلم والمتعلق بحب البحث والاكتشاف ، وحتى تقدم لنا الشباب القادر على تحمل أعباء الدور الريادي فى معركة البناء بخطوات راسخة تدعمها الروح العلمية والثقافة البارزة ..

ولا يقتصر الاهتمام بالشباب على تنمية حب العلم والمعرفة فقط ، ولكنه يتعداه الى هدف تربوى هام ، هو نشر الوعي الرياضي بانشاء النوادى الرياضية والثقافية الجديدة فى كل أنحاء البلاد ، وتكوين الاتحادات الرياضية ، واللجنة الأولمبية ، وتنظيم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب عن طريق لائحة داخلية ، وهذا بخلاف مد الخدمات المكتبية الى كل المدن حتى يتوفر أمام كل قطري من أن يتابع الاطلاع على انتاج العلماء والمفكرين والمثقفين فى أحدث ما قدموه من فكر إنساني ..

ومن كل ذلك نرى أن اعداد هذا الجيل من الشباب يستمد مصادره من عدة روافد : التراث الأصيل بكل قيمه ومثله العليا ، ومعطيات العصر وتوقعات الانطلاق الحضاري فى مجالات العلم والثقافة والمعرفة بكل ما فيها من رؤية مستقبلية وما تحقق من انجازات وانتصارات علمية ، وأيضاً تنمية قدرات الشباب ومواهبه ونشر الوعي الرياضي بين صفوفه لأن التربية الحديثة اليوم تؤمن بأن العقل السليم فى الجسم السليم .

إن جيل الاستقلال فى قطر هو أهم ثروة فى البلاد .. هذا ما تؤمن به قطر فى مسيرتها نحو النهضة منذ ٣ سبتمبر ١٩٧١ الى اليوم ..



سـمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

شمس الاستقلال
تشرق على قطر





مصنع الحديد والصلب

البترول

قطر دولة الاستقلال

فى الثالث من أيلول (سبتمبر) ، قبل عشرة سنوات ، أعلن سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، قرار استقلال الدولة ، بعد فك علاقاتها التعاقدية مع بريطانيا ، وقد جاء فى الاعلان ما يلي :

«تنفيذاً لقرار استقلال بلدنا ، قررنا إنهاء العلاقات التعاقدية الخاصة ، وجميع الاتفاقيات والالتزامات والتنظيمات المترتبة عليها ، والمبرمة مع الحكومة البريطانية ...»

وأضاف سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني قائلا : «... وبذلك تصبح دولة قطر ، دولة مستقلة استقلالا تاماً ، وذات سيادة كاملة ، تمارس جميع مسئولياتها الدولية بنفسها ، وتتولى وحدها سلطاتها الكاملة فى الخارج والداخل على السواء ...» وختم سموه قائلا فى وثيقة اعلان الاستقلال : «.. وسنبدأ فوراً باتخاذ الاجراءات اللازمة لانضمام دولتنا العربية الفتية الى جامعة الدول العربية ، والى هيئة الأمم المتحدة» .

إن تحليل العبارات الواردة فى وثيقة استقلال دولة قطر تقودنا الى تسجيل الملاحظات التالية :

أولا : إن قرار الاستقلال جاء قاطعاً لجهة انهاء العلاقات التعاقدية مع بريطانيا ، والعودة الى وصل شرايين هذا الوطن الصغير بالوطن العربى الكبير الذى هو الوطن الأم ، وبمعنى آخر ، فان قرار الاستقلال جاء لينقل قطر من حركتها غير الطبيعية ، وبمعنى أدق من حركتها المصطنعة ، حيث كانت مساراتها الحياتية والسياسية تدور حول محور خارجي فرضته القوة الخارجية للاستعمار ضمن ظروف قاهرة مر بها الوطن العربى كله تقريباً ، وفى حالات



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أثناء افتتاح مجمع البتروكيماويات

بعد عشر سنوات

متشابهة أحياناً ومتطابقة أحياناً أخرى، لكنها كلها كانت تصب فى طاحونة المستعمرين والأجانب، وقد جاء قرار الاستقلال لينقل حركة المسارات الحياتية والسياسية الى المحور الطبيعى والحقيقى الذى يؤمن المصالح الموحدة، والمصير المشترك.

فالاستقلال .. والحال كذلك .. كان فى الواقع عملية انعطاف حاسمة بالنسبة لدولة قطر.

ثانياً: إن ملاحظتنا الثانية هى النتيجة المنطقية لما أسلفناه فى الملاحظة الأولى حيث أن الانتقال من الدوران حول محور اصطناعى الى الدوران حول المحور الطبيعى، يؤدى بصورة تلقائية الى امتلاك العنصر الوطنى لمقدرات البلاد ومقاليد السلطة فيها. وهذه النتيجة المنطقية هى عملياً المؤشر الحقيقى الأكثر وضوحاً على مباشرة الاستقلال، والشروع فى بناء الشخصية المادية والمعنوية للدولة.

ثالثاً: إن دولة قطر، دخلت مع اعلان وثيقة الاستقلال، مرحلة بناء دولة الاستقلال، أى أن قطر ودعت المرحلة السابقة — اذا صح التعبير — التى تميزت بالسعى والعمل الجاد من أجل نيل الاستقلال، لتبدأ مرحلة جديدة تماماً، هى مرحلة بناء الذات، وتشييد بنيان الدولة على أسس نظرية وعملية مكينة وقوية، وهذه هى المرحلة الايجابية — اذا صح التعبير أيضاً — لأنها تكتسى بمعانى وصفات العقلانية والدراسة والاستنباط، ثم بالجهد والتصميم ومواجهة المصاعب وتذليل العقبات.

مهمة تاريخية

وفى يقينى أن مرحلة دولة الاستقلال — أى بناء الدولة — هى مرحلة خطيرة

شمس الاستقلال تشرق على قطر

قطر

دولة الاستقلال بعد عشر سنوات

جداً فى عمر الشعوب والأمم ، فاذا لم يتوفر القائد الحكيم البعيد النظر والثاقب البصيرة فى هذه المرحلة ، فان العمل الوطنى لبناء دولة الاستقلال ، سيصاب بانتكاسات خطيرة ، ليس أقلها الفوضى العامة ، واختلاط المفاهيم والمقاييس ناهيك عما يصيب السلطة فى الدولة من تشوش وضعف نتيجة انقسامها أو اقتطاعها بين الأشخاص والفئات . ومن هنا كانت أهمية القائد ، الذى يستطيع أن يضع قواعد قوية للدولة فى مرحلة التاسيس والاستقلال ، تستطيع بها أن تصمد فى وجه الهزات والأعاصير العاتية ، وأن تحقق بنياناً سامق المكانة ، ثابت الأركان ، لا تؤثر فيه الأمواج الصاخبة والأنواء المتلاطمة ، مهما قوى اندفاعها ، أو علا هديرها .

ولقد كان من حسن حظ قطر ، أن هيأت لها العناية الالهية قائداً من هذا الطراز من الرجال ، هو سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، الذى تصدى لمرحلة الاستقلال ، بشخصية القائد المستوعب لأمانى شعبه وتطلعات أمته الكبيرة ، والمستشرف للمستقبل ومتطلباته ، فأقدم على حمل المسئولية وتحمل أعباء الحكم يحدوه أمل متنام فى بناء دولة الاستقلال على أسس راسخة ، بحيث تغدو بنياناً شامخاً ، وطوداً سامقاً .

وانطلاقاً من هذه الرؤية المستقبلية الثاقبة ، والعزيمة الصادقة التى لا تعرف التراجع أمام المصاعب والعقبات أدرك سمو الشيخ خليفة أن دولة المؤسسات ، التى تنتظم فيها الحياة العامة للشعب بشكل متوازن ومتناغم الحركة ، توفر للشعب الأطر التنظيمية ، والهياكل القانونية والمؤسساتية ، التى تكفل تحقيق العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص لأفراد الشعب قاطبة ، وتكفل بالتالى تحقيق التنمية بمعانيها المختلفة . والحقيقة التى لا جدال فيها هنا ، والتى أقرتها العلوم الانسانية ، والتجربة البشرية ، هى أن الدولة التى تبنى مؤسساتها على أساس من التنظيم ، وعلى منهج يكفل استمرار المؤسسات وتطويرها بشكل يتلاءم مع المراحل الزمنية ، والصيغ التنظيمية المتجددة ، هى الدولة التى تستطيع الصمود فى وجه التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتستطيع بالتالى أن تكون دولة عصرية، تنتقل من الحسن الى الأحسن ، ومن الأفضل الى الأكمل ...

وفى يقيننا أن سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، تمكن بما يملك من صفات القيادة الحقة ، أن يبنى دولة الاستقلال على الأسس المتقدمة ، بحيث لا يملك المراقب أو المدقق فى بواطن الأمور ، إلا أن ينحنى اعجاباً ، لما حققته دولة قطر بقيادة أميرها ، من انجازات ملموسة على كل صعيد ، حيث تحولت مدينة «أم سعيد» الى مدينة صناعية تضم «مصنع الحديد والصلب» ثم «مصنع الأسمدة الكيماوية وانشئت جامعة قطر وعشرات المدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية ، ومحطتا الاذاعة والتليفزيون ، ثم الزراعة التى تقوم على الآبار الارتوازية ، ثم الحركة العمرانية النشطة ، ناهيك بصناعة البترول ، التى تمثل القاعدة الأساسية لاقتصاد قطر .

وقد كان ما جاء على لسان أمير دولة قطر فى وثيقة الاستقلال بخصوص قيام دولة المؤسسات ، واضحاً تمام الوضوح ، حيث قال فى تلك الوثيقة : «لقد سعينا جاهدين سوياً قبل استقلالنا لتحقيق نهضة شاملة فى بلدنا العزيز ، وخطونا فى هذا السبيل خطوات واسعة ، كان لها أثرها الملموس فى الارتقاء بمستوى



الأرض الخضراء



الخريجون يتسلمون شهاداتهم من سمو أمير البلاد المفدى فى احتفالات جامعة قطر بيوم الخريجين .

مجتمعنا فى كل النواحى»

ومضى قائلا : «.. ولقد كان النظام الأساسى المؤقت للحكم عندنا ، والذى أصدرناه فى الثانى من نيسان (ابريل) من عام ألف وتسعمائة وسبعين ، بين أهم الخطوات التى قمنا بها ،حيث أرسى القواعد الرئيسية لنظام الحكم فى دولتنا خلال فترة الانتقال ، فنظم السلطات العامة فيها ، واختصاصات هذه السلطات ، وعلاقات بعضها بالبعض الآخر ، وحقوق المواطنين وواجباتهم إزاء السلطات كما أنه رسم المبادىء الجوهرية الموجهة لسياستنا الداخلية فى كل النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وكلها مبادىء تهدف الى تطوير مجتمعنا تطويراً يكفل له اطراد الازدهار والرفاهية فى مختلف المجالات» .

وقد أدرك سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أن المؤسسات ودولة المؤسسات ـ إن لم تكن ترتكز على قيم الدين والعلم والأخلاق والعمل المثابر البناء ، فانها تبقى مجرد هياكل تنظيمية فارغة من مضمون يصون الحقوق ويرعى الواجبات ، فالقيم هى الأساس فى نهضات الشعوب والأمم ، وبدون القيم والمثل العليا ، يتهاوى البناء ويصبح أى عمل يبذل ، مجرد سباحة فى المجهول .

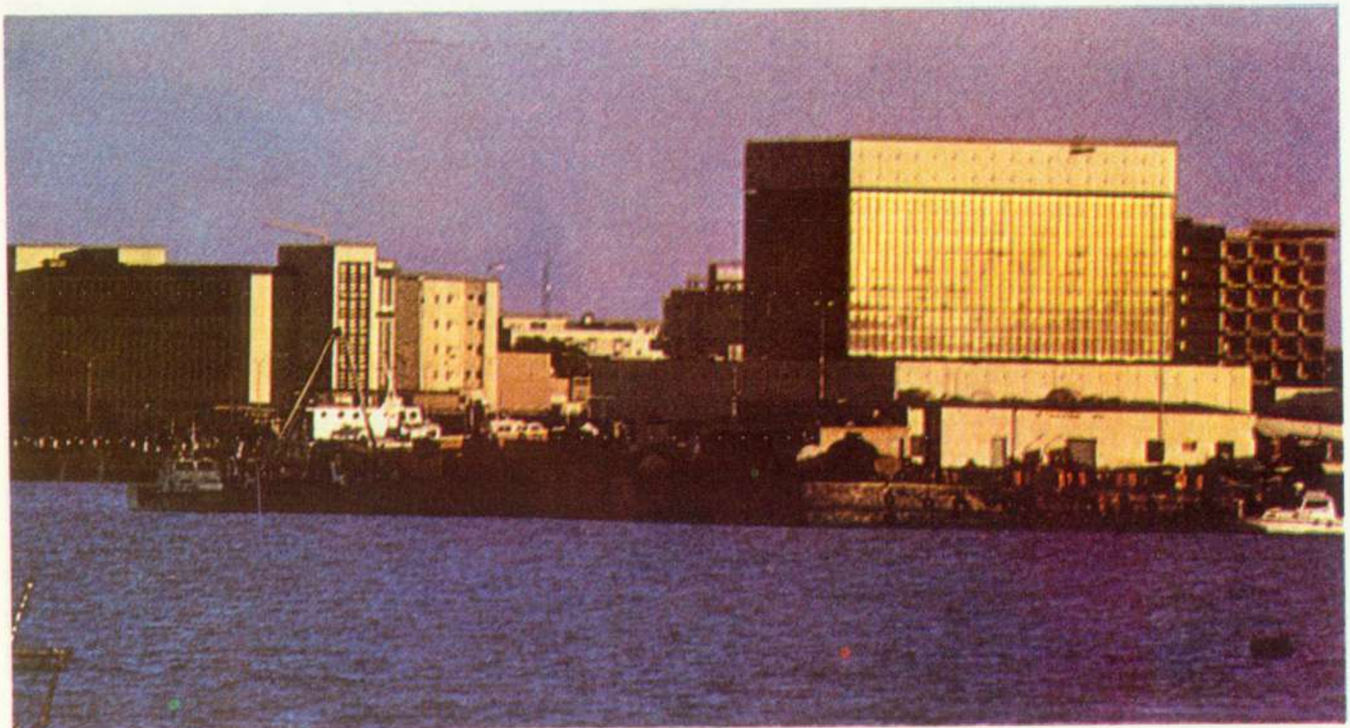
ومن هنا جاء قول أمير دولة قطر فى خطابه بمناسبة توليه مقاليد الحكم بتاريخ ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٧٣ : «لقد توليت منذ عام مضى ـ بتوفيق الله ـ واستناداً الى ثقتكم الغالية ، مسئولية الحكم ، وحملت أمانة تبعاته الجسام .. ولقد كان منهاجى منذ اللحظة الأولى ، يقوم على ما عاهدت الله عليه ، أن أبدأ معكم عهداً نواصل فيه بكل ما نملك من قوة ، وبكل ما نستطيع من جهد ، مسيرتنا المشتركة ، نحو هدفنا السامى الذى طالما تطلعنا اليه ، وعملنا معاً على تحقيقه ، ألا وهو بناء دولة مزدهرة مستقرة ، قوامها الدين والأخلاق ، وعمادها العلم والعمل ، وأساس حكمها العدل والنظام ..» .

وأضاف قائلا فى ذلك الخطاب الذى توجه فيه الى شعب قطر :

«.. ولقد كنا نشعر جميعاً فى ذلك اليوم أن الواجب يقتضينا أن نسارع الى إدراك ما فاتنا ، والتوفر على تجميع وتنظيم طاقاتنا لمتابعة التقدم بخطى مدروسة نحو الموقع الرفيع الذى نرجوه لبلدنا بين بلاد العالم المتحضرة ، لاسيما بعد أن تحققت لنا أمنيتنا العظمى ، وهى استكمال استقلالنا وسيادتنا ، واسترداد السيطرة التامة على مقدراتنا» .

لقد مرت عشر سنوات فقط على استقلال دولة قطر ، هى فى عمر الزمن مجرد ومضة أو لمحة لا أكثر ، لكن ما تحقق خلالها كان يتجاوز كل طموح وأى

شمس الاستقلال تشرق على قطر



مباني حديثة فى قطر

قطر
دولة الاستقلال بعد عشر سنوات

تصور ، ويعود الفضل فى ذلك بالدرجة الأولى الى توفر قيادة حكيمة ذات رؤية مستقبلية واضحة .

لقد أدركت دولة قطر بقيادة قائدها ورائد نهضتها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أن المنجزات التى تحققت على مدى السنوات العشر الماضية ، إنما كانت القواعد والركائز الأساسية التى قام عليها الاستقلال ، لكنها أدركت من ناحية ثانية ، أن معركتها الرئيسية ، إنما هى معركة التنمية ، والتنمية البشرية هنا ، هى القاعدة الراسخة للتنمية فى الحقلين الاقتصادى والاجتماعى ، ومن المعطيات الأولية للتنمية ، أنها تستهدف الانسان غاية ، لتثرى عقله وقدراته ، وتضعها بالتالى على محك الابداع ، وفى صلب عملية الانتاج الشامل الذى يصنع حضارة شعب من الشعوب .

والتنمية فى عاقبة الأمر هى السعى لاحداث تغيير فى علاقات الانسان بالطبيعة ، وتغيير علاقات الانسان بالانسان بما يحقق واقعاً أفضل فى إطار أهداف اجتماعية وحضارية محددة . وما من شك فى أن عملية الانماء العلمى والثقافى فى قطر ، كما فى كل العالم العربى وبلدان العالم الثالث ، هى أساساً عصب الانماء المرتجى مستقبلا ، لمواجهة التحديات ، ومواكبة التقدم الانسانى ، ومن هنا جاء تركيز دولة قطر بجميع أجهزتها على ضرورة تحقيق فكرة الأمن العلمى والثقافى ، باعتبار أن هذه المقولة تشكل الضمانة الأساسية أمام الأخطار والمصاعب التى يمكن أن تواجه البلاد .

الخط السياسى

كان الخط السياسى لدولة قطر منذ فجر الاستقلال قبل عشر سنوات ، المرآة الصادقة لتوجهات القيادة السياسية فيها ، وقد تمكن أمير البلاد ، أن يجعل من دولة قطر نموذجاً للدولة التى يتجاوز تأثيرها فى علاقاتها العربية والاسلامية والدولية ، حدودها ومساحتها الصغيرة.



ميناء الدوحة

وإذا كان نجاح أى دولة يعود لجملة من العوامل ، فانه بالنسبة لدولة قطر ، إنما يعود بالدرجة الأولى الى وضوح الرؤية لدى أميرها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، الذى جعل من سياسة حكومته مثالا للالتزام القومي ، ونموذجا للرصانة السياسية فى القضايا الدولية أو الاسلامية .

وفى خطابه الأول الذى توجه به الى شعبه فى ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، حدد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر الأسس التالية ، كخطوط عريضة لسياسة بلاده :

أولا : بالنسبة لسياسة قطر العربية ، قال ان دولة قطر هى دولة عربية مسلمة وشعبها جزء من الأمة العربية ، وهذا القول يوضح الادراك بأن الحدود الحالية للدولة ليست أزلية ، بل هى قابلة للتغيير أو الاختفاء ذات يوم ، عندما تتوافر شروط الوحدة العربية الشاملة ، أو أية وحدة عربية اقليمية كوحدة دول الخليج العربية ، ذلك المشروع الذى كانت قطر سباقة فى تبنيه وطرحه على الشقيقات الخليجيات .

ثانياً : وضعت قطر نصب عينيها بذل جميع جهودها والعمل بكل طاقاتها من أجل تقوية الروابط بينها وبين جاراتها الشقيقة والصديقة ، والتعاون مع هذه الدول من أجل المحافظة على السلام واستتباب الاستقرار فى منطقة الخليج .

ثالثاً : أعلنت قطر على لسان أميرها أنها ستبقى تسعى جاهدة لتوثيق عرى التآزر والترابط مع جميع الدول العربية الشقيقة ، وأنها لن توفر جهداً أو تضحية ضمن الجهود المشتركة ، لتحقيق الوحدة العربية ، والكفاح فى سبيل انتصار القضايا العربية وفى مقدمتها القضية الفلسطينية .

رابعاً : أعلنت الدولة التزامها وتأييدها للنضال الفلسطينى والعربى لاستعادة الأراضى العربية المحتلة ، وانتزاع الحقوق الفلسطينية وفى طليعتها حق الشعب الفلسطينى فى استعادة وطنه .

خامساً : وبالنسبة للمنظمات الاقليمية أو الدولية ، أعلنت التزامها بمواثيقها التى ترمى الى نيل الشعوب حقها فى تقرير المصير واشاعة السلام والأمن فى أرجاء العالم ، واقامة العلاقات الدولية على أسس العدالة والمساواة فى ظل أحكام القانون الدولى .

إن هذه المنطلقات الأساسية فى سياسة قطر ، تحدد فى الواقع الاطار العملى لسياسة الدولة ، التى اكتسبت احتراماً فائقاً فى مجال العلاقات العربية والاسلامية والدولية .

ولابد من كلمة هنا حول سياسة قطر على الصعيد العربى ، فالمدقق فى هذه السياسة على صعيد الممارسة خلال السنوات العشر المنقضية ، يلمس صدق الالتزام بالقضايا العربية ، وبذل التضحيات المادية وغير المادية فى سبيلها ، وهو التزام نابع أصلا من صدق المشاعر القومية لدى الشعب القطرى وقائده سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، الذى لا يرى فى الدولة كياناً يعزل الشعب القطرى عن بقية الشعوب العربية ، بل يرى فيها وفى الاستقلال الذى ظفرت به ، معقلا للتحفز نحو الوحدة العربية الشاملة ، متى نضجت مقوماتها ، وتهيأت لها الظروف الموضوعية .

وأخيراً .. لا آخراً .. فان عشر سنوات مرت على استقلال دولة قطر ، بكل ما حفلت به من منجزات ، وبكل ما اشتملت عليه من تحديات ، كانت كافية لبناء دولة الاستقلال ، وبرهاناً ساطعاً على قدرة الدولة على شق طريقها نحو مزيد من التقدم والرخاء والازدهار .

عصام شريح



عملات اسلامية نادرة

قطر على درب الاستقلال

الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي

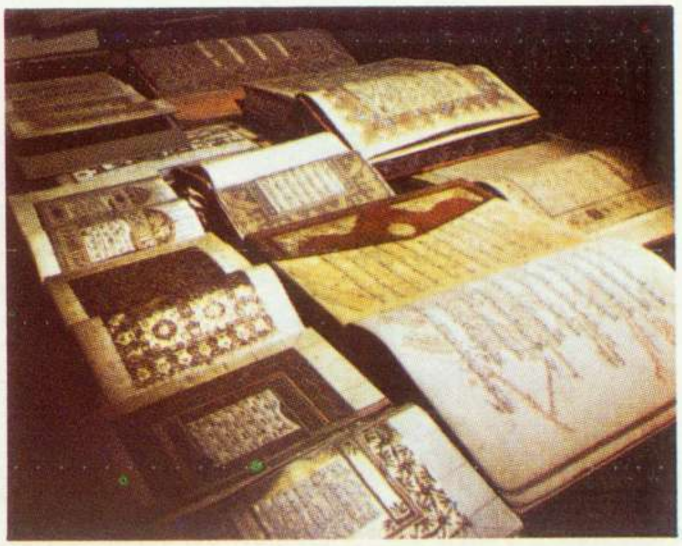
- من يحترم تراثه يرى طريق مستقبله
- معهد فريد في الدوحة لدراسة المسكوكات الإسلامية



دراهم فضية مختلفة من العصور الاسلامية

تحرص القيادة السياسية ، فى شخص سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، حرصاً واعياً ، على ألا يصل الأمر بالأجيال القادمة القطرية والخليجية ، تحت وطأة المتغيرات المستمرة فى أساليب حياة الناس وطرائق معيشتهم بفعل ما أفاءه الله على المنطقة من نعمة البترول ، الى الحد الذى يتصور فيه الانسان العربي الخليجي ، أن أمته العربية مدينة بوجودها كله ، لاكتشاف البترول بفضل العلم والتكنولوجيا الأجنبية ، وأننا معشر العرب قد عشنا ونعيش حياتنا ، عالة على الأسرة البشرية ، كأصفار (على الشمال) فى مضمار التقدم الانساني الحضاري خلال التاريخ ... واستلزم تجسيد ذلك الحرص ، عناية تامة ناضجة بتحقيق مفهوم الشعار القائل : « من يحترم تراثه ، يرى طريق مستقبله » .

شمس الاستقلال تشرق على قطر



مخطوطات تاريخية نادرة للمصحف الشريف



عملات اثرية

قطر
على درب الاستقلال

ومن علامات تلك العناية ، انشاء متحف قطر الوطني عام ١٩٧٥م بمدينة الدوحة عاصمة دولة قطر ، ليكون مرآة صدق علمية ، تقول للزائر ، العربي قبل الأجنبي ، رويدك قف ، إن قطر جزء من أمة عربية اسلامية ، لها ماضيها المضيء خلال التاريخ ، منذ كان الانسان يصنع أدوات معيشته من الحجر والفخار ، وأن الحضارة العربية الاسلامية ، هي الأساس التاريخي الذى تنتسب اليه ، لدى كل منصف ، جميع منجزات العلم والتكنولوجيا المعاصرة ، وانه لولا العرب بعد الاسلام ، لضاع كل تراث الأمم السابقة ، ولعاد الناس لكي يسكنوا الكهوف ، وأن هذا الانسان العربي البسيط ، قد حمل الأمانة بحقها ورغم وطأة قسوة البيئة الصحراوية ، وشظف معايشة حياة البحر ، فى قطر وغيرها من السواحل العربية الشرقية ، قد واصل العيش والحياة باصرار وشجاعة ، عبر القرون ، وحمل بعد الاسلام لواء العلم والمعرفة الى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلم الناس من الحضارة ، ومكارم الأخلاق ، مالم يكونوا يعلمون قبل ... وأن ما يبدو قرضاً لنا من مصارف العلوم والتكنولوجيا الأجنبية اليوم ، ما هو إلا (سداد) لبعض الدين الذى طوق به أجدادنا اعناق أجداد كل أجنبي ، منذ قرون ليست بعيدة ، وأن واجبنا المقدس، تجاه أنفسنا ، وتجاه كل بني البشر أن نستميت لكي نستعيد اشراقة ذلك الماضي التليد ، بالعمل الجاد والجهد والمثابرة والاصرار ... ومن خلال رسالة المتحف هذه ، تخطط دولة قطر لأنشاء فروع له حيثما وجد فى أرجاء شبه الجزيرة القطرية أيّ بناء له تاريخ ولا تفتأ تنفق بسخاء على البعثات الأثرية التى تنقب عن التراث وخاصة الآثار الاسلامية ، وتصدر القوانين والتشريعات وتنفذ المشروعات للمحافظة على الأبنية ذات الطابع الوطني ، وهو طابع عربي اسلامي جملة وتفصيلا ، وترميم المتصدع منها ، كي لا يندثر جانب هام من تاريخنا تحت وطأة المستورد من انماط الأبنية والمنشآت ، وذلك جنبا الى جنب مع مواكبة المسيرة الحضارية العالمية ، بانشاء المصانع والمدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحوث والمصحات والمستشفيات ، وتعبيد الطرق وتوطين البدو واستنباط الماء للشرب والري ، وتنظيم صيد البحر ، واستغلال كل ما تثبت الدراسة العلمية منفعته من الصخر والحجر ، واشاعة الثقافة ، بانشاء دور الكتب وتشجيع انشاء المطابع والمكتبات ، والصحف والمجلات والاذاعات المسموعة والمرئية والعناية بالشباب والرياضة ، والانتماء العالمي للأسرة الانسانية .....

● إحياء الكتب التراثية :

ومن اهتمامات الدولة في قطر بتحقيق ذلك الشعار الذى اسلفناه ، تقديم المعونات السخية للناشرين فى أرجاء الوطن العربي وانحاء العالم الاسلامي والاجنبي ، ممن يضطلعون باحياء مخطوطات وكتب التراث العربي الاسلامي فى الفقه والحديث والتفسير والأدب والفن والعلوم المختلفة ، ويلمس ذلك الجهد جلياً ، فيما تقوم به مختلف

مرافق الدولة ، كدار الكتب ، وادارة المطبوعات والنشر ، ورئاسة المحاكم الشرعية ووزارة التربية والتعليم ممثلة فى ادارة الشئون الدينية فيها ، إذ أن كل هذه المرافق تنفق على توزيع الكتب والمعاجم والمراجع التراثية باللغة العربية وغيرها من اللغات ، ويمكن لكل انسان مهتم يعيش فى قطر أن يعمر مكتبته الخاصة بأنواعها ، سواء أكان قطري المولد أم غير قطري .

● المسكوكات الاسلامية

ولعل أحدث مشروع تهتم به الدولة اليوم فى قطر ، فى مجال حفظ التراث باعتبار قطر جزءاً لا ينفصل عن الأمة العربية والوطن الاسلامي والأسرة الانسانية ، هو مشروع انشاء :

(معهد دراسة المسكوكات الاسلامية) كجزء متكامل مع متحف قطر الوطني ، يكون محطاً لرواد دراسة علم المسكوكات عامة ، والاسلامية منها خاصة ، من جميع انحاء العالم ... حيث ثبت أن دراسة المسكوكات ، نهج علمي ، يصحح فى كثير من الأحوال معلوماتنا فى التاريخ ، ويلقى أضواء كثيرة على جوانب من ذلك التاريخ العربي الاسلامي بالذات ، لم تك واضحة فى ما تركه لنا المؤرخون من كتب وأسفار ... ويقتنى متحف قطر الوطني اليوم مجموعة نادرة من المسكوكات الاسلامية ، بينها قطع فريدة لا يوجد لها مثيل فيما هو معروف فى متاحف العالم ، ويعود الفضل فى اقتناء هذه المجموعة ، والبحث عن مجموعات أخرى فى انحاء العالم ، الى التوجيه المباشر من سمو أمير دولة قطر ، الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني شخصياً ... ويجرى اليوم تخطيط متكامل لانشاء ذلك المعهد بحيث تتوفر فيه الشروط التالية :

● أن يحتويه بناء على الطراز الاسلامي الأصيل ، يراعى فيه كل شرط



دينار من العصر الأموي

من مواصفات انماط البناء فى منطقة الخليج بالذات .

● أن يزود من داخله بكل ما وصل اليه العلم وهندسة البناء فيما يوفر كل مواصفات الأمن والأمان ، والاضاءة ، ومتعة الزائر المهتم بالتعرف على تاريخ المسكوكات الاسلامية وتطور صناعتها خلال أربعة عشر قرناً ، هو مجمل تاريخ الأمة الاسلامية ، بما فيها قطر ، حتى يومنا هذا .

● أن توفر له كل الأجهزة العلمية الحديثة فى مختبرات الدراسة من المجهر الاليكتروني ، وجهاز أشعة موسباور ، وأشعة النيترون والأشعة السينية وفوق البنفسجية وتحت الحمراء ، وذلك للتعرف على التركيب الكيماوى التام لسبائك المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية والفلزات الأخرى ، ولعل ذلك يلقى ضوءاً على جوانب لم يتناولها علماء المسكوكات بعد مما سوف يفيد فى التعرف على المناجم التى استخرجت منها خامات تلك الفلزات ، وهذا فى حد ذاته قد يلقى أضواء على جغرافية تجارة الفلزات خلال التاريخ فضلا عن التعرف الصحيح على الطرائق الميتاليرجية التى اتبعها أجدادنا فى مضمار صناعتهم للسبائك الفلزية ، ومدى قدراتهم الكيمائية .

● وذلك الى جانب الأجهزة الأخرى لقياسات الصلابة والكثافة النوعية والحجم والوزن والسمك لتلك المسكوكات والأجهزة التى تساعد على قراءة أوجه المسكوكة ومعرفة نوع الخط الذى كتبت به ، وغير ذلك من الصفات العلمية للمسكوكات .

● ولسوف يزود ذلك المركز العلمي ، بمكتبة تحتوى على كل ما يمكن الحصول عليه من الكتب والمراجع العلمية فى مضمار المسكوكات من جميع النواحي والآفاق ، سواء الحديثة أو المخطوطة وبأية لغة من اللغات ...

● كما وأن ذلك المركز سوف يحتوى الى جانب المسكوكات على كل ما يمكن الحصول عليه من أدوات سك النقود التراثية وموازينها وعلى خرائط ورسومات تبين مواقع دور السك الشهيرة فى التاريخ الاسلامي على مدى العصور ، وسوف يزود بالأفلام والصور التى تعطى الزائر لمحات متكاملة عن تاريخ النقود والمسكوكات منذ بدأ الانسان يستخدمها الى اليوم ، وعلى بيانات عن انواع العملات العالمية ومنشأ كل عملة وتطورها ...

● وسوف يكون المركز بعد تمامه ، إن شاء الله ، عامراً بالحلقات الدراسية والندوات العلمية والمؤتمرات البحثية فى مجال المسكوكات على وجه الخصوص .

تلك مجرد لمحة سريعة عن بعض اهتمامات دولة قطر فى مسيرتها على درب الاستقلال ، **فى مضمار الحفاظ على الجوانب النيرة المضيئة من تراثنا العربى الاسلامي .**

درويش مصطفى الفار

شمس الاستقلال
تشرق على قطر



التعليم تحت راية الاستقلال

بقلم: الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

يطيب لي ، بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال بلادنا الحبيبة ، أن أشير الى بعض الحقائق التى تحكم مسيرة التعليم فى ظل الاستقلال ، وكيف أن الدولة وفرت كل الظروف اللازمة لدفع هذه المسيرة كي تمضي قدماً طوال السنوات العشر المنصرمة ، حتى بلغت شأواً بعيداً فى أمد قريب ، وحققت انجازاً قياسياً فى الكم والكيف جميعاً .

التعليم فى سياق الحضارة

والحق أن التعليم ، كان وما يزال وسيلة الأمم نحو النهوض وتحقيق الغايات المنشودة ، كما أن التعليم فى نفس الوقت ، كان ولا يزال هو غاية الانسان الطامح الى تبديد ظلمات الجهل والأمية والتخلف ، ومن خلال هذا الجدل الحي بين الوسائل والغايات ، أو بين التعليم باعتباره وسيلة وغاية معاً ، نقول أن مقياس تقدم الامم والشعوب ، يعود بالدرجة الأولى الى مدى انتشار نسبة التعليم ومستويات ذلك التعليم ، بين أفراد هذه الشعوب .

ولا يعنى ذلك ، أن نغض عن قيمة مظاهر الحضارة الاخرى ، سواء المظاهر المادية كالتصنيع والتقنية والعمران ، أو المظاهر المعنوية والثقافية ، كالفن والفكر وانما نود أن نشير فحسب ، الى أن هذه المظاهر الحضارية تتوقف أساساً على حركة التعليم ومدى استيعابها للقوى والطاقات البشرية فى المجتمع ، استيعاباً يشمل جميع الاستعدادات والمواهب ، ويفي بكل الحاجات التى تتطلبها المرحلة فى مجتمع يشق طريقه حثيثاً في موكب المدنية المعاصرة . وأنه ليحق لنا من هذا المنطلق ـ إذا ما أردنا للمجتمع أن يتبوأ مكانته اللائقة بين الشعوب المتحضرة ، وتكتمل له مظاهر المدنية التى تتناسب مع تقاليدنا الاسلامية والعربية ، فيزدهر العمران وتنمو الصناعة وتروج الفنون والآداب ، وتنشط حركة الفكر ـ أن نشير الى التربية والتعليم ونقول انه لا يمكن لمثل هذه المظاهر الحضارية أن تنشأ وتقوم لها قائمة بدون التعليم ، أى بدون العلم والمعرفة اللازمين لكل نهضة وحضارة .

حدود الرؤية التربوية

ولئن كانت هذه هي المنزلة التى يحتلها التعليم بصفة عامة ، وباختلاف الزمان والمكان ، فان طبيعة هذه المنزلة وحدود الدور الذى تلعبه التربية ويلعبه التعليم ، لتختلف وفقاً لظروف كل مجتمع وطبيعة كل بيئة ، ومن هنا فان الأنظمة التعليمية والتربوية تختلف في هذا المجتمع عنه فى ذاك ، فلكل مجتمع تقاليده وأهدافه التى يصبو الى تحقيقها ، وشخصيته التى ينبغي أن يحافظ عليها ، بحيث تجىء الأنظمة



احتفالات يوم العلم

التعليمية والتربوية متوائمة معها ، دافعة لها نحو المزيد من الصقل والجلاء.

وإننا – فى مجتمعنا القطرى – إذ ندرك هذه الحقيقة ، فانما ندرك معها أن استراتيجية التعليم في قطر ، لابد أن تكون محكومة برؤية كلية شاملة ، تحقق أول ما تحقق ، الانسجام الضرورى بين نظم التعليم ومناهجه ، وبين طبيعة المجتمع القطرى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فلابد أن تحقق التلبية العاجلة – بقدر الامكان – لحاجات المجتمع ، حسب مقتضيات الظروف والمرحلة الراهنة .

وإن كان لنا أن نلقى بعض الضوء على هذه الرؤية الشاملة أو هذا الاطار الاستراتيجي الخاص بالتربية والتعليم فى قطر ، فاننا نوجز ذلك في :

١ – نحن مجتمع اسلامي ، والاسلام الحنيف يحضنا على طلب العلم (ولو فى الصين) ، ويأمرنا أن نقاوم الجهل ونتسلح بالعلم في هذه الدنيا ، والآيات القرآنية الكريمة ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التى تحث على الجد فى طلب العلم والتسلح به ، بل وتجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، لهي آيات وأحاديث معروفة ، أفاض فى تفسيرها المفسرون ، ومن هنا ، فاننا نعتبر مقاومة الجهل فريضة اسلامية ، وننظر الى التعليم على أنه واجب اسلامي لا ينبغى أن يقعد أى مسلم دون النهوض به ، ولا ينبغى على الحكومات أن تقصر فى سبيل توفر سبله وامكاناته.

٢ – وكما أننا مجتمع اسلامي ، فنحن أيضاً ، وبنفس القدر ، مجتمع عربي ، نشترك مع أمتنا العربية الكبرى من خليجها الى محيطها فى تراث واحد ، وتاريخ واحد ، وثقافة واحدة ، ويعنى هذا أول ما يعني ، أن تكون نظم التعليم ومناهجه متسقة مع هذا التراث المشترك العريق ، لا بمعنى المطابقة والاحتذاء ، بل بمعنى تحقيق الاصالة ونشدان الهوية والمحافظة على الشخصية العربية الاسلامية الأصيلة . إن ثقتنا فى العمل العربي المشترك في حقل التربية والتعليم ، تجعلنا نأمل – فى ظل التعاون والتنسيق المتكامل من خلال الأجهزة العلمية والتربوية العربية ، وعلى رأسها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – في أن ينطلق التكامل العربي الى أقصى مدى ممكن فى هذا المضمار ، بحيث تكون مناهجنا التعليمية والتربوية ، مبنية على أساس مكين من ديننا الحنيف ، ودعامة وطيدة من تراثنا العربي الأصيل ، وشخصيتنا العربية المتميزة .

٣ – والمجتمع القطري جزء لا يتجزأ من المجتمع الخليجي ، والدول الخليجية ترتبط معاً ، الى جانب انتمائها العربي العام – بظروف خاصة الى حد ما ، ولا يعنى ذلك أن مثل هذه الظروف تستدعي مناهج ورؤى تعليمية وتربوية مختلفة عن مثيلاتها فى الدول العربية ، بل يعنى

التعليم تحت راية الاستقلال



الجيل الجديد أثناء تنمية الهوايات التربوية

أن يتم تكييف هذه المناهج الموحدة ، بحيث تلائم البيئة الخليجية وتلبي حاجاتها الحاضرة ، التى تمليها طبيعة الوضع السكاني والاقتصادى فى المنطقة

الأصالة لا تلغى المعاصرة

إن حديثنا عن ضرورة انسجام النظم والمناهج التعليمية ـ التربوية مع روح تراثنا العربي الاسلامي ، لا يتعارض مع ما ينبغي أن تكون عليه هذه النظم والمناهج ، من مرونة وقدرة على استيعاب روح العصر فى مجالات العلم والثقافة ، ولئن كان هذا العصر يتميز أكثر ما يتميز ، بأنه عصر العلم والتكنولوجيا ، وعصر النظريات المتعددة والأفكار الخصبة فى شتى ميادين الأدب والفن والفلسفة والتربية وغيرها من فروع الانسانيات ، فاننا واجدون في ديننا الحنيف ما يدفعنا الى الاستفادة بالصالح من هذه العلوم والنظريات دون الطالح منها ، الذى لا يتلاءم مع عقيدتنا ومثلنا العليا . وقد وضع لنا ديننا الاسلامي ، القواعد والأسس العامة ، التى يمكن أن نستنبط منها المعايير التى نميز على أساسها بين الغث والسمين .. المناسب وغير المناسب من المناهج والنظريات المختلفة ، ومن هذا المنطلق ، استطاعت وزارة التربية والتعليم فى بلدنا الحبيب ، أن تدعم نفسها بالنظريات التربوية السليمة والممكنة التطبيق فى بيئتنا العربية الاسلامية ، كما أنها عملت أيضاً ، في ضوء الاستفادة بمنجزات العصر التى هي ملك للانسانية جمعاء ، على أن تستفيد بالتطور العلمي والتكنولوجي فى تحسين وسائل التعليم بما يحقق الفائدة المرجوه للطالب ، والتى تتوخاها الوزارة دائماً فى خططها ومشروعاتها التربوية .

حصاد السنوات العشر

لقد حققت وزارة التربية والتعليم وتحت راية الاستقلال الذى ظفرت به بلادنا الحبيبة منذ سنوات عشر ، انجازات هائلة فى مدة وجيزة ، سواء من جهة الكم أو من جهة الكيف ، وعلى كافة الأصعدة والجوانب المتعلقة بعملية التعليم ، مثل ازدياد العدد الاجمالي للطلاب والطالبات ، ولأعضاء الهيئة التدريسية ، وارتفاع نسبة التقطير فى الوظائف التربوية والقيادية ، وكذلك ازدياد عدد الخريجين فى كل المراحل التعليمية وأيضاً ازدياد عدد المباني المدرسية ، الى غير ذلك من الدعائم التربوية والتعليمية الهامة .

ولعل الأرقام أن تكون خير معبر عن مثل هذه الانجازات التى تحققت خلال السنوات العشر الماضية ، ويكفي لكي نتلمس حجم هذه الانجازات ، أن نقارن بلغة الأرقام ، بين ما كان عليه الوضع فى بعض المجالات التعليمية قبل الاستقلال (٣ سبتمبر ١٩٧١) وبين ما أصبح عليه الوضع الآن فى نفس هذه المجالات .

فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أن مجموع عدد الطلاب والطالبات كان ١٨٥٣١ طالباً سنة ١٩٧١ ، فأصبح الآن ٣٩٩٩٢ طبقاً لاحصائيات العام الدراسي المنصرم ٨٠ ـ ٨١ .

وقد كان عدد أعضاء الهيئة التدريسية فى نفس العام : ١٠٧٣ عضواً فارتفع هذا العدد طبقاً لاحصائية العام الدراسي ٨٠ ـ ٨١ الى ٣٤٤١ عضواً . أما فيما يختص بالمباني المدرسية فقد كان عددها فى عام ١٩٧١ ، قد وصل الى ٨٦ مدرسة من بينها ٤٧ مدرسة للبنين و ٣٩ مدرسة للبنات ، وقد ارتفع هذا العدد فى العام الدراسي ٨٠ ـ ٨١م ، الى ١٤٣ مدرسة ، منها ٧٢ مدرسة للبنين و٧١ مدرسة للبنات ، ولعل هذه الزيادة لاتعبر فقط عن معدل عال للزيادة فى عدد المدارس ، بل انها لتعبر أيضاً عن زيادة حصة الطالبات من هذه المدارس ، زيادة تكاد تجعلها تتساوى مع حصة الطلبة ، ولعل هذا أن ينسجم فيما نؤمن به ويأمرنا به ديننا الحنيف ، من أن التعليم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وبطبيعة الحال فان حجم هذه الزيادة فى هذه المجالات وفى بقية المجالات الأخرى لم يكن ليتم إلا بزيادة ميزانية الوزارة بحيث تنهض بكل هذه الانجازات ، وقد كانت ميزانية العام الماضي ٨٠ ـ ٨١ ، أكثر من ألف مليون ريال قطرى . وإذا قارناها بميزانية عام ١٩٧١ ، نجد أنها تضاعفت ٢٠ مرة تقريباً فى غضون هذه الفترة الزمنية المحدودة ، فقد كانت ميزانية عام ١٩٧١ حوالى ٥١ مليون ريال قطري فقط . إن هذه الزيادة وهذا التقدم الكبير فى النهضة التعليمية لم يكن ليتم لولا دعم ومباركة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني . وقد اتبعت الوزارة سياسة تقطير الوظائف الادارية حتى تتيح المجال للشباب القطري المتعلم ، أن يلعب دوره فى دفع حركة التعليم ويضطلع بمسئوليته كاملة . فقد بلغ مجموع عدد الموظفين والموظفات فى قطر ٢٠٧ موظفاً وموظفة عام ١٩٧١ ، من بينهم ١٥٩ موظفاً ، و٤٨ موظفة ، وقد ارتفع هذا العدد فى العام الماضي الى ٩٣٩ موظفاً وموظفة ، وقد أدت هذه الزيادة الى ارتفاع معدل الموظفين القطريين والموظفات القطريات بين مجموع الموظفين والموظفات ، فقد بلغت نسبة الموظفين القطريين الى مجموع الموظفين نسبة ٣٣,١٪ ، بينما بلغت نفس النسبة فيما يختص بالموظفات ٥٠,٢٪ . وهناك مجالات أخرى كثيرة تحققت فيها معدلات كبيرة فى النمو والزيادة ، فقد وصل عدد الدارسين والدارسات فى محو الأمية الى ٧٥٤٨ دارساً ودارسة فى العام الماضي .

أما جامعة قطر ، فمنذ انشائها فى عام ١٩٧٤ تحت ظل الاستقلال ، وهى تطرد فى النمو وتقترب أكثر من أداء رسالتها على النحو المراد ، وعلى الرغم من أن هذه الجامعة جامعة وليدة حديثة العهد بالانشاء ، إلا أن عدد الطلاب والطالبات فيها طبقاً لآخر احصائية أصبح ٢٦٤٢ طالباً وطالبة . والتعليم العالي لا يقتصر على جامعة قطر ، فهناك البعثات التى تتوسع فيها الوزارة عاماً بعد عام فى التخصصات غير المتوفرة فى جامعة قطر ، وقد بلغ اجمالي عدد المبعوثين والمبعوثات فى العام الماضي ١٢٥٧ طالباً وطالبة .

وفي جميع المجالات الأخرى نستطيع أن نلمس هذا النمو ، بل أن الوزارة عمدت مؤخراً الى البدء فى تنفيذ مشروع تكييف المباني المدرسية ، حتى يتهيأ المناخ المريح للطالب والمدرس على السواء .

ولعل النمو أو التحسن فى الكيف لم يكن دون المعدل المستمر للنمو في الكم ، وفى هذا الصدد فان الوزارة قامت بالكثير من الخطوات التى من شانها أن تدفع العملية التعليمية وترقى بها ، منها ما حدث من تعزيز قسم الوسائل التعليمية بحيث يتمكن من انتاج الوسائل التعليمية محلياً بدلا من استيرادها من الخارج ، وقد توصلت الى انتاج أكثر من ٧٠٪ من هذه الوسائل محلياً .

وفى الخلاصة نقول أن تقدم التعليم فى قطر ، يقترن بشكل مباشر ، بالاستقلال الذى تمتعت به البلاد على مدى السنوات العشر الماضية ، وقاد مسيرته حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وولي عهده الأمين ، الى حيث يتحقق خير المواطن القطرى وينعم بأكبر قدر متاح من الرفاهية والرخاء .

والله من وراء القصـد .

محمد بن حمد آل ثاني

شمس الاستقلال
تشرق على قطر



العمل الإجتماعي في ظل الاستقلال

بقلم: علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

لعل الخطوة الأولى الهامة التى خطتها الدولة في ميدان العمل الاجتماعي في ظل الاستقلال تمثلت فيما تضمنه النظام الأساسي المؤقت المعدل للحكم فى قطر الذى صدر بتاريخ ١٩ ابريل عام ١٩٧٢م فقد حدد هذا النظام عدداً من المبادىء والأهداف والمفاهيم الاجتماعية مثلت بحق المنطلق الأساسي للعمل الاجتماعى خلال السنوات الماضية. فقد جاء فى النظام ما يلي:

- الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن وينظم القانون الوسائل الكفيلة بحمايتها من عوامل الضعف وتدعيم كيانها وتقوية أواصرها والحفاظ على الأمومة والطفولة فى ظلها.
- تعمل الدولة على تأهيل المبادىء الاسلامية القويمة فى المجتمع وعلى تطهيره من كافة صور الانحلال الخلقى.
- ترعى الدولة النشء وتصونه من أسباب الفساد وتحميه من الاستغلال وتقيه شر الاهمال الجسماني والروحاني
- تسعى الدولة جاهدة لتوفير تكافؤ الفرص للمواطنين ولتمكينهم من ممارسة حق العمل فى ظل قوانين تحقق لهم العدالة الاجتماعية.
- تعمل الدولة بكل امكانياتها لتجنيب المواطنين أسباب المرض والجهل والحاجة.
- تضع الدولة نظاماً للضمان الاجتماعي يكفل المعونة للمواطنين فى حالات الشيخوخة والمرض والكوارث وغيرها من الحالات المسببة للعجز.

التغيرات الاجتماعية

والعمل الاجتماعي بمفهومه التنموي الشامل يتخطى فى نطاقه مجال العمل الذى تقوم به وزارات الشئون الاجتماعية. فالتعليم والثقافة والصحة ووسائل الاتصال وارتفاع مستوى الدخل تؤثر فى حياة الأفراد وتولد انماطاً جديدة من السلوك والعلاقات.

ونظرة اجمالية الى الحياة العامة فى البلاد خلال السنوات التى اعقبت الاستقلال تظهر فى صورة جلية مدى التغير النوعي فى الحياة الاجتماعية والوعي الاجتماعي لدى المواطنين. ويكفى أن نشير على سبيل المثال الى التقدم الكبير فى مجال تعليم المرأة القطرية وما يحمل ذلك من آثار فى التنشئة الاجتماعية والحياة الاسرية.

الا أننا إذا أردنا حصر الحديث عن العمل الاجتماعي فى اطار ما تقوم به وزارة العمل والشئون الاجتماعية وفقاً لاختصاصاتها فلابد أن ننظر الى الموضوع من خلال بعديه: الامكانات



المشروعات العديدة التى تقدمها الدولة لتوفير الخدمات للمواطنين

البشرية والمهمـات التنفيذية . ذلك أن تقديم الخدمات وانشاء المشروعات وممارسة النشاطات المختلفة انما يتوقف الى حد بعيد على توفر الامكانات البشرية القادرة على الاضطلاع بهذه المهمات . وهكذا كان لابد للوزارة أن تعطى عناية كبيرة لتطوير الجهاز الوظيفي المنوط به أمر الشئون الاجتماعية .

لقد كان هذا الجهاز عبارة عن قسم صغير فى الوزارة يتولى صرف المساعدات الاجتماعية للفئات المحتاجة التى يحق لها الانتفاع بقانون الضمان الاجتماعي . أما الآن فقد تحول القسم الى ادارة تشمل العديد من الاقسام مثل : الضمان الاجتماعي ، والمساعدات الاجتماعية ، ورواتب التقاعد ، والتحقيقات والأبحاث الاجتماعية ، والجمعيات الخيرية ، ومركز التدريب والتأهيل الاجتماعي .

وتقوم الوزارة الآن بافتتاح مكاتب فرعية للشئون الاجتماعية فى المناطق من أجل تقديم الخدمات للمواطنين فى أماكن اقامتهم .

وعلى صعيد آخر صدر فى عام ١٩٧٣م القانون الخاص بانشاء الجمعيات التعاونية وفى عام ١٩٧٤م صدر القانون الخاص بانشاء الجمعيات الخيرية .

وقد قطعت الحركة التعاونية فى البلاد شوطاً لا بأس وحققت الجمعيتان التعاونيتان فى مدينة خليفة والمنتزة منافع وفوائد للمواطنين تلمس نتائجها بوضوح سواء فيما يتعلق بتوفير السلع قريباً من مسكن المواطن أو فى الأسعار المناسبة .

تشجيع العمل التطوعي

أما بالنسبة للجمعيات الخيرية فتجدر الاشارة الى أن الوزارة عملت على تشجيع العمل الأهلي التطوعي تأكيداً لدور الفرد فى خدمة المجتمع وتجسيداً لروح التكافل الاجتماعي وتعميقاً للوعي الاجتماعي .

وقد استطاعت الوزارة بالتعاون مع عدد من العناصر الخيرة أن تنشىء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين فى عام ١٩٧٦م وللجمعية فى الوقت الحاضر هيئة ادارية ومبنى . وقامت حتى الآن بعدد من الخطوات الهامة فى سبيل رعاية المعوقين فأجرت مسحاً شاملا لحالات الاعاقة فى البلاد وتصنيفها تصنيفاً علمياً بالتعاون مع الوزارات والأجهزة الحكومية المختصة .

ونأمل أن تحقق الجمعية خطوات أخرى فى المستقبل القريب فى مجال رعاية المعوقين وتأهيلهم .

كذلك افتتح مركز التدريب والتأهيل الاجتماعي فى عام ١٩٧٧م وقد صدر مؤخراً مرسوم أميرى يتناول أهداف المركز وتنظيمه ومهماته ، وهو يتبع ادارة الشئون الاجتماعية بالوزارة . وسوف يكون له مجلس ادارة ومديره لتسيير شؤونه . ويقوم بتدريب الفتيات والنساء القطريات على الصناعات والمهارات المنزلية كالحياكة والتطريز وأشغال الأبرة وأشغال الصوف وكذلك الاقتصاد المنزلي والرعاية الصحية .

إن للمركز دوراً هاماً ولاشك على صعيد التنمية الاجتماعية . فهو يهدف الى رفع كفاية المرأة القطرية وتأهيلها وتدريبها واعدادها لمهن تتناسب مع استعدادها وقدراتها ويجعلها تعتمد على نفسها ويسهم فى زيادة دخل الاسرة وتحسين مستواها الصحي والاجتماعي ، وبالتالي ينمي دور المرأة فى تطوير بلدها وتقدمه .

التنمية الاجتماعية

لقد أصبح العمل الاجتماعي يحتل مكاناً بارزاً فى مخططات التنمية فى مختلف الدول . فالتنمية الاجتماعية هي بكل المفاهيم الوجه الآخر للتنمية الاقتصادية بل وتمثل المقياس الأدق للتنمية العامة بمضامينها الانسانية الشاملة .

وإذا كانت التنمية الاجتماعية قد ظلت بالفعل متخلفة عن التنمية الاقتصادية فى البلدان المختلفة فان ذلك يعود لأسباب عديدة تتعلق بالمفاهيم والمعايير الفردية التى سادت فى الماضي للتنمية ، وباتجاهات أصحاب القرار وذوى الامكانيات فى المجتمعات .

ولا شك أن أحد الأسباب هذه يعود الى كون العمل الاجتماعي والمشروعات

العمل الاجتماعي في ظل الاستقلال

الاجتماعية لا تعطى مردوداً مادياً يذكر قياساً الى ما تعطيه المشروعات الاقتصادية من مردود مادى سريع وملموس . وبالتالي فان المشروعات الاجتماعية تتطلب امكانيات مادية واستثمارات لا تظهر نتائجها إلا على المدى البعيد .

المسكن كموطن حياة

ولقد اتاح الاستقلال لدولة قطر وامتلاك مصادر الثروة أن تولي العناية اللازمة للتنمية الاجتماعية وتوفر لها الامكانات المادية المطلوبة . وهكذا باشرت بالتوسع فى المنشآت الاجتماعية مثل المرافق الصحية والتعليمية . وكما حرصت على توفير المساعدات الاجتماعية التى تؤمن دخلا مناسباً لمن هم بدون دخل عملت على تامين المسكن الصحي الملائم لجميع المواطنين كذلك . فقدمت المساكن المجانية للمواطنين العجزة والمساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود والمساكن الفاخرة لكبار موظفي الدولة بتسهيلات يمكن القول أنها تعتبر نموذجية .

إن توفير المسكن يشكل عاملا أساسياً فى تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي للمواطن وفى اطمئنانه وسعادته . والمسكن بنظرنا ليس مجرد مأوى وانما هو موطن حياة ، ولذا فلابد أن يكون في تصميمه ومساحته ومرافقه منسجماً مع هذا المفهوم فيضفي على الحياة فيه نوعاً من الراحة والبهجة ويستجيب للعادات والتقاليد الاجتماعية فى بلدنا وتتراوح مساحة الأرض المخصصة للبناء بين ٦٤٠٠ – ١٠,٠٠٠ متراً مربعاً والمسكن الشعبى عبارة عن فيلا تتألف من أربع غرف نوم وصالة وغرفة طعام ومخزن والمنافع الصحية . ويكفى أن نشير الى تطوير الميزانية المخصصة للمساكن الشعبية خلال السنوات العشر الماضية فنرى مدى الاهتمام الذى توليه الدولة لهذه القضية . فقد كانت هذه المخصصات فى حدود ستة ملايين ريال عام ١٩٧٠م أما فى العام الحالي ، ١٩٨١ ، فقد رصد للمساكن الشعبية مبلغ تسعين مليون ريال .

السلع الاستهلاكية بأقل الاسعار

وتشكل الجمعيات التعاونية إحدى المهام الاجتماعية المنوطة بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية . ان الجمعيات التعاونية تحقق للمواطن فوائد مادية ملموسة تتمثل فى توفير السلع الاستهلاكية قريباً من سكنه ، وبأسعار أقل من الأسعار السائدة فى السوق .

إلا أن للحركة التعاونية أبعاداً تتخطى المنافع المادية لتحقق جواً من الحياة الاجتماعية القائمة على التعاون والتفاهم بين المواطنين وتنمية وعيهم الاجتماعي ومساهمتهم فى التعرف على مشكلاتهم وحلها .

ولكي توفر الدولة لهذه الحركة عناصر نجاحها فانها تقدم لكل جمعية جديدة دعماً مادياً يبلغ ٨٠٠,٠٠٠ ريال كرأسمال تشغيلي كما تقدم لها العون الفني والادارى وتقوم بالاشراف والمراقبة حتى تقوى هذه الجمعيات وتحافظ على الغرض الذى اقيمت من أجله .

وإذا كان لدينا الآن جمعيتين عاملتين



الجمعيات التعاونية الاستهلاكية التى توفر السلع بأسعار اقل من السوق

في البلاد فان المستقبل القريب جداً سيشهد العديد من الجمعيات المنتشرة فى مختلف انحاء البلاد خاصة وقد اثبتت التجربة نجاحها . ونحن على وشك افتتاح بعض الجمعيات فى الريان والخور والشمال والجميلية .

دور المرأة فى المجتمع

إن الحديث عن التنمية الاجتماعية لا يكتمل بدون الحديث عن المرأة ودورها ، ولن ندخل في نقاش نظرى حول هذا الموضوع ، فالمهم هو الواقع والممارسة العملية . لقد قطعت المرأة القطرية شوطاً بعيداً في مجال التعليم خاصة فى السنوات القليلة التى أعقبت الاستقلال فقد جرى التوسع فى اقامة المدارس وأقيمت كلية التربية للبنات وانشئت الجامعة .

والمرأة عندما تعمل فى مجالات التعليم والصحة والاعلام والشئون الاجتماعية . ففى مجال الشئون الاجتماعية تقوم المرأة بدور هام إذ تعمل كباحثة اجتماعية ومرشدة اجتماعية ومحققة اجتماعية .

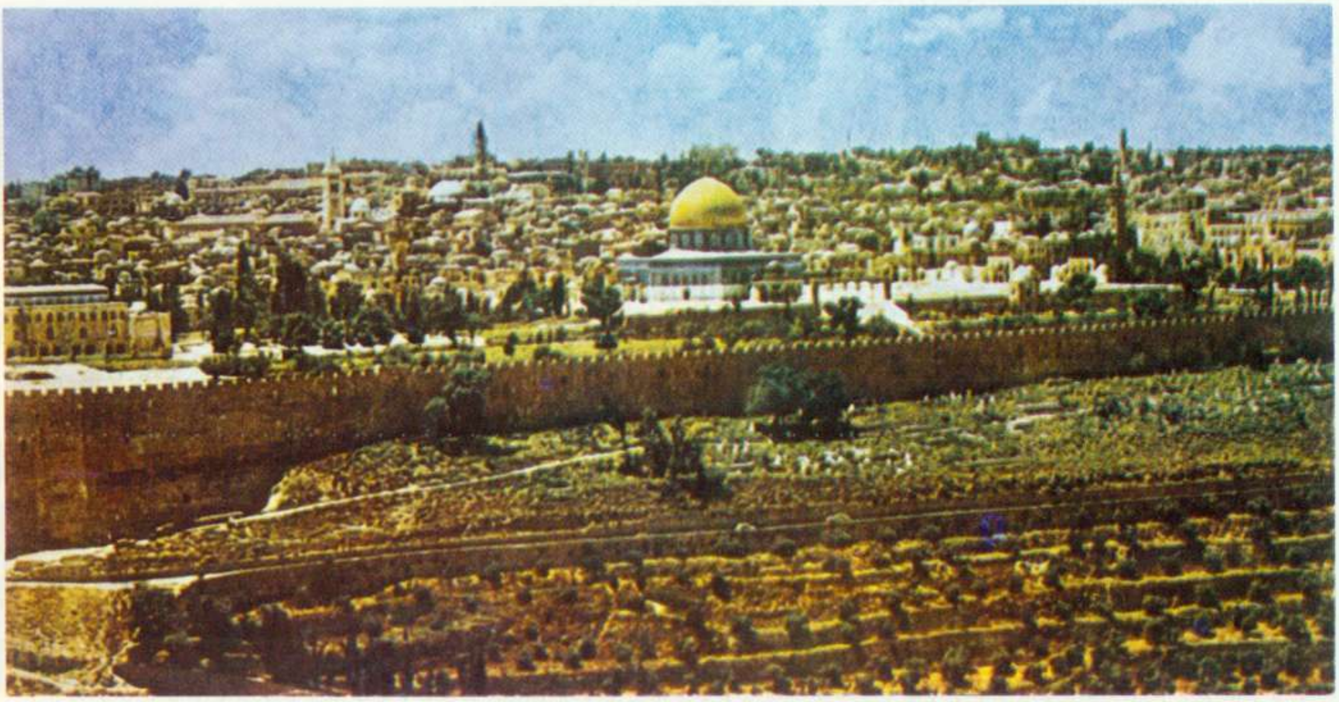
وكان انشاء مركز التدريب والتأهيل الاجتماعي خطوة هامة على هذا الطريق وسوف يتبعه مراكز أخرى بعون الله . ولقد كنا متهيبين صراحة فى بداية الأمر إلا أن اقبال الفتاة والمرأة القطرية على المركز كان كبيراً ومشجعاً لنا للمضي فى التوسع فى هذا الاتجاه .

إن المركز يحقق للمتدربة بعض الفوائد المادية عن طريق تعلم مهنة معينة وتسويق الانتاج والتوفير فى الاستهلاك المنزلي . لكنه كذلك يعطي مردوداته الاجتماعية ، كما أشرنا ، والمتعلقة فى عملية التنشئة الاجتماعية الناجمة عن تحسن مستوى المرأة الثقافي والصحي والاجتماعي وينعكس فى تصرفات الأم وقدرتها على التصرف وإدخال اللمسات السعيدة على جو الاسرة .

لقد قطع العمل الاجتماعي فى عهد الاستقلال خطوات واسعة فى كافة مجالاته . ويسير الاهتمام بالتنمية الاجتماعية جنباً الى جنب مع الاهتمام بالتنمية الاقتصادية فمع التوجه الصائب والحازم لامتلاك مصادر الثروة المادية وتنويعها واستغلالها جرى العمل بجدية واندفاع لتنمية الطاقات البشرية وتنويع معارفها ومهاراتها .

ونستطيع القول بحق أننا خلال هذه السنوات القليلة وبفضل القيادة الحكيمة الرشيدة لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المعظم قد اجتزنا عتبة التخلف ونحن فى هذا العقد عقد الثمانينات نتابع السير بخطوات ثابته نحو آفاق جديدة فى التنمية والتقدم

علي بن أحمد الأنصارى



القدس زهرة المدائن .

قطر والقضية الفلسطينية



بقلم :
يسن الشريف
ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قطر

إن قضية فلسطين تمثل ناقوس خطر يدق منذ عام ١٨٩٧ عندما اتخذ المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا أهم قراراته فيما يتعلق بانشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين .

وربما يرد على الخاطر قول .. باننا فى كل مناسبة وغير مناسبة نردد .. المؤتمر الصهيونى .. هرتزل .. وعد بلفور .. الانتداب واعلان دولة اسرائيل .. الخ .

والحقيقة يجب ترديد هذه الأسماء والمناسبات والأحداث ليس مرة فى موعدها الحولى بل نجعل منها اناشيد وملصقات تطالعنا كل يوم . لاننا كأمة عربية لم نـع بعد من هذه الأحداث والأخطار الا حفظ موعدها الزمنى .. نحتفل بها كل عام .. ونطفىء حولها الشموع السوداء .

وقد يستغرب أو لا يستغرب القارىء الكريم بأنه قبل اسابيع التقيت بمواطن عربى من جيل الآباء فى جلسة لدى أحد الأصدقاء المسؤولين وكان الحديث بالطبع عن فلسطين والعدوان الوحشى



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني في إحدى لقاءاته مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

الاسرائيلى على المدن والمخيمات اللبنانية والفلسطينية وقتل المئات من النساء والأطفال بقنابل الطائرات الأمريكية الفتاكة .

وإذا بالمواطن الأب ، يتساءل بكل ما تحمله الصحراء العربية من بساطة وصدق ونقاء وهل هناك علينا فى منطقة الخليج العربى خطر من اسرائيل ؟ لأنه اذا كان كذلك فلابد وأن نركب لنحاربها ! . هذا الفارس العربى .. لا زال يعتقد بأن مفهوم الخطر وحدوده هما وثبة فرسه وطعنة سيفه .. رغم مرور سنوات تزيد على الثلاثين على قيام دولة اسرائيل فى قلب الأمة العربية .. ورغم عدة حروب بين العرب والعدو الاسرائيلى .. ورغم احتلال اسرائيل لأراض عربية ورغم امتداد قبضتها الارهابية بكل صلف وحقد ووحشية الى حدود الوطن .. تدمر واحدا من أهم انجازاته الحضارية ، مؤكدة للعرب جميعاً بأن حدود اسرائيل تمتد الى آخر مدى تصل اليه قنابل طائراتها عسكرياً .. واحلام قادتها سياسياً .. وقد تحقق لها الكثير من ذلك .

أول اتصـــــال

وهنا ننتقل الى جانب مهم فى موضوعنا ، وهو هذه المنطقة التى نعيش عليها .. الخليج العربى والذى اصبح بكافة المعايير يحتل موقعاً بالغ الأهمية فى التوازنات الدولية ، وربما يظن البعض هذه المنطقة العزيزة حديثة عهد فى علاقاتها بفلسطين قضية وشعباً ، وللحقيقة فان هذه المنطقة العربية لم تغب تاريخياً عن المشاركة والتأثر بما جرى فى فلسطين اذ أن المشكلة الفلسطينية كانت أهم العوامل الرئيسية فى التطور السياسى الداخلى فى المنطقة عندما كانت ترزح تحت السيطرة البريطانية .

ولعل أول اتصال بدأ بين الفلسطينيين واخوانهم فى المنطقة كان ابان الاضراب الكبير فى فلسطين عام ١٩٣٦ م ، وهو اطول اضراب فى التاريخ حيث شكل هذا الاضراب بداية الاهتمام العربى الملحوظ بمصير فلسطين وشعب فلسطين وقد تم أول اتصال سياسى بين الفلسطينيين والاقطار الخليجية فى شهر يونية ١٩٣٦ م ، عن طريق المكاتبات المباشرة من الهيئة العربية العليا التى لم يمض على تشكيلها اكثر من شهرين حين تلقى بعض حكام المنطقة رسائل بطلب العون المادى لمواجهة الخطر الصهيونى فى فلسطين وبالطبع كان التجاوب سلبياً بسبب سياسة بريطانيا ، غير أن الوطنيين من ابناء البلاد كانوا يشكلون الجمعيات الخاصة لجمع التبرعات التى لم تتجاوز العشرات من الدراهم .. لكنها كانت تقلق الانجليز وتشغل بالهم لانهم كانوا يعتقدون بأنها ستخلق تياراً وطنياً ضدهم فى المنطقة ، وستعمل على تشكيل الحركات المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا او التى ستنتقد السياسة البريطانية فى فلسطين .

شمس الاستقلال تشرق على قطر

قطر والقضية الفلسطينية

وللحقيقة ايضاً يمكننا الاشارة الى دور قطر فى تلك المرحلة .. فى بدايات الايرادات النفطية التى لاتقاس بالوضع الحالى وكان للمرحوم الشيخ عبد الله آل ثاني موقف لا تنساه صفحات التاريخ عندما قام برهن منزله عام ١٩٣٤ م ، ليساهم بمبلغ ١٧ الف روبية لصندوق فلسطين ، وتلاه ابنه الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني ليتوج حياته وهو على فراش المرض بدفع ٣٠ ألف روبية لصندوق فلسطين وهو مبلغ كبير . إذا ما قيس بايرادات البلاد الضعيفة فى ذلك الحين .

وهذا إن دل على شىء فانما يدل على مواقف التعاطف والتلاحم الوثيقة بين قطر وفلسطين حيث امتدت هذه الروح الوطنية الرائدة بصدقها ووفائها الى بداية اعلان قيام الكيان الفلسطيني وتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية فى اواخر عام ١٩٦٤ م ، بعد المؤتمر الفلسطيني الأول الذى عقد فى القدس عاصمة فلسطين وسيظل شعبنا الفلسطيني بلا شك على مدى اجياله يحمل فى قلبه الوفاء العميق لهذا البلد العربى الشقيق حكومة وشعباً وارضاً عندما رفرف العلم الفلسطيني لأول مرة على مقر مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بشارع الخليج فى ١/٢/١٩٦٥ م ، وهو تاريخ افتتاح أول مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى دول المنطقة ويجب أن نسجل هذا الموقف الوطنى لدولة قطر اذ كانت فى ذلك التاريخ لا تزال ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تمنع على المسؤولين القيام بأى عمل سياسى يتعارض ونصوص المعاهدةولقد حاول المعتمد البريطانى عرقلة افتتاح المكتب وعدم السماح للبعثة الفلسطينية بدخول البلاد . لكن الانتماء العروبى والموقف المبدئى الذى اتخذته قطر من القضية الفلسطينية أفشل محاولات المعتمد البريطانى اليائسة فى هذا المجال .

مواقف مشرفة

ولقد شملت الاسهامات القطرية جوانب عديدة من الدعم والتاييد غير المحدود للثورة الفلسطينية يتصدرها جميعاً الموقف المشرف لسمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد الثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفه الثانى بارساء قواعد التعامل والمواقف المبدئية من الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطينى سياسياً ومادياً وثقافياً .

فعلى الصعيد الرسمى والسياسى تتبنى دولة قطر فى كل بياناتها الرسمية سواء ما يصدر منها فى المناسبات الوطنية الرسمية او ضمن البيانات المشتركة مع الدول الأخرى أو الاجتماعات والمؤتمرات الدولية موقفاً مؤيداً بلا تحفظ للحق الفلسطينى خاصة فيما يتعلق باجتماعات الأمم المتحدة ومؤتمرات القمة العربية والاسلامية وغيرها اذ لا يخلو اى مؤتمر من هذه المؤتمرات وجميعها له شأن وتأثير على مسار العمل الفلسطينى من تأييد دولة قطر ومؤازرتها للمطالب الفسطينية ودعمها للقرار الفلسطينى واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ما يطرأ على مواقف الدول من تغير تحكمه المصالح احياناً والمواقف السياسية الواقعية تحت التأثير الدولى احياناً اخرى ، فاننا وخلال سنوات وجودنا كممثلين للثورة الفلسطينية فى هذا البلد الشقيق لمدة تزيد على السنوات العشر لمسنا كل تفهم صادق وواع لطبيعة العلاقة التى تربط قطر بفلسطين بعيداً عن روح المجاملات والمزايدات والمهاترات مما خلق جوا من الاخاء الحقيقى بين سمو الأمير المفدى وولى عهده الأمين والمسؤولين وبين اخوانهم فى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبين الشعبين القطرى والفلسطينى ووثق بينهما بروابط وثيقة تجعل من هذا البلد بشعبه الوفي رافداً قوياً للنضال الفلسطيني .

وعلى الصعيد الاعلامى فقد كان لدولة قطر الشقيقة مبادرة كريمة تفضل بها سمو الأمير المفدى بأن تتحمل دولة قطر نفقات الاعلام الخارجى للثورة الفلسطينية على الساحة العالمية ولقد لعب هذا الجانب من النشاط الاعلامى الخارجى دوراً كبيراً فى ابراز حقائق كانت غير متوفرة عن القضية الفلسطينية لدى المواطن الاجنبى الذى لم تكن تصله فى السابق الا الاباطيل الصهيونية والدعايات الصهيونية المضللة والكاذبة والتى طمست الحقيقة عن طبيعة المشكلة الفلسطينية .

وفى الأجهزة الاعلامية الرسمية للدولة وكذلك غير الرسمية فان الموقف القطرى يتميز بالتاييد والمناصرة للقضية الفلسطينية من خلال المعالجة الواعية والمسؤولة فى نقل الاخبار او تحليل المواقف .

وعلى الصعيد المالى فان دولة قطر وبناء على توجيهات سمو الأمير المفدى قد اوفت بجميع التزاماتها المالية المقررة بناء على قرارات القمة العربية وليس سراً اذا ما اعلنا ان التقارير المالية السنوية للصندوق القومى الفلسطيني تشير إلى ان دولة قطر فى مقدمة الدول التى تسدد الالتزامات المالية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية اضافة الى ما تساهم به الدولة من تبرعات طارئة فى كل الازمات التى تواجهها الثورة الفلسطينية .

وعلى الصعيد الثقافى فان لدولة قطر مواقف مشرفة تجاه ابناء الشعب الفلسطيني اذ تخصص الدولة منحاً دراسية فى جامعة قطر تبلغ ٥٠ منحة سنوياً وعشرين منحة فى مركز التدريب والتطوير المهنى وعشرين منحة فى المدارس الثانوية والاعدادية والصناعية والمعاهد الدينية والتجارية للطلاب الفلسطينيين . كما ان وزارة التربية والتعليم تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية تعاملها مع الدول العربية الأخرى اذ تخصص بعثة تدريسية للعمل فى وزارة التربية والتعليم حسب ما تقرره احتياجات الوزارة فى كل عام . وهذا العمل اذا ما قيس بما تقدمه بعض الدول العربية الأخرى لمنظمة التحرير الفلسطينية يعتبر متقدماً بصورة ملحوظة ويساهم بدوره فى حل الكثير من المشاكل وتخفيف العديد من المسؤوليات التى تواجه المسؤولين فى منظمة التحرير الفلسطينية لا سيما فى مجال التعليم الجامعى بالقياس الى اعداد الطلاب الفلسطينيين الذين يتخرجون كل عام من المدارس الثانوية . الى جانب مساهمة مالية لدعم جامعات الوطن المحتل تقوم الدولة بتامينها عن طريق جامعة قطر .

الوقفة الصادقة

وهناك جوانب أخرى تتصل بعلاقة قطر بالقضية الفلسطينية وهى الضيافة الكريمة لابناء الجالية الفلسطينية الذين يعملون فى هذه البلاد الطيبة منذ سنوات تمتد الى الثلاثين عاماً حينما بدأت اعداد من الفلسطينيين تدخل البلاد بحثا عن لقمة العيش الشريف وامتد بها المقام هذه السنوات فى كنف الدولة التى تعاملهم معاملة كريمة وتسهل لهم امور الحياة التى ينشدونها حيث ساهموا مساهمة فعالة بالنهوض بالبلاد فى مجالات تقدمها المختلفة من زراعية وعمرانية وتعليمية وصناعية ولا زالت الاجراءات الرسمية تجاه الفلسطينيين فى نواحى الاقامة والعمل تعتبر من افضل النظم والاجراءات .. ولا شك أن مثل هذه الروابط انما رسختها ورعتها وعملت على تنميتها وتعميقها السياسة العامة للدولة فى ظل قيادة سمو الأمير المفدى الرشيدة وسمو ولى عهده الأمين فى ان تظل قطر حكومة وشعباً فى طليعة الدول والشعوب التى تؤيد الفلسطينيين وتدعم نضالهم بكل الوسائل والامكانات مما حدا بالفلسطينيين العاملين فى قطر ان يكونوا فى مستوى كرم الوفادة مقدرين المسؤولية الملقاة عليهم بوعى ومبدئية بعيدة عن روح النفعية او نكران الجميل .

وهناك كلمة أخيرة اود ان اقولها بأن فلسطين وان كانت قضية فلسطينية بالدرجة الأولى فهى ايضاً قضية عربية وهى قضية مركزية تحتاج من العرب وقفة صادقة .. وقفة رجولة وشرف وقفة تعيد الكرامة لهذه الأمة .. وتحيي فيها روح البطولات والأمجاد عندما كانت لا تبيت على الضيم ولا تقبل الظلم ولا ترضى بالخنوع والاستسلام .. لقد طال عمر الهزائم واشتدت بنا النوازل .. ولن يمحو الكرب غير الحرب .. اما أن للفارس العربى ان يعتلى صهوة جواده .. وللسيف ان يستل من الغمد .. اما أن ان تصحو فينا روح خالد بن الوليد وتتردد فى اسماعنا صيحات القعقاع .. الله اكبر حى على الجهاد .

ولا يسعنى فى هذه المناسبة العزيزة على نفوسنا وهى ذكرى استقلال قطر الشقيقة الا ان ارفع باسمى واخوانى الفلسطينيين لهذا البلد العزيز اميراً وحكومة وشعباً صادق التهانى والدعوات بأن يتحقق لهذا البلد كل رفعة وتقدم وازدهار نشاركهم فرحة العزة والكرامة ليشاركونا بعون الله افراح النصر والعودة .

يس الشريف
ممثل منظمة التحرير الفلسطينية
فى قطر



أبناء الشعب الفلسطيني .. كلهم اصرار على تحقيق النصر والعودة .

شمس الاستقلال
تشرق على قطر



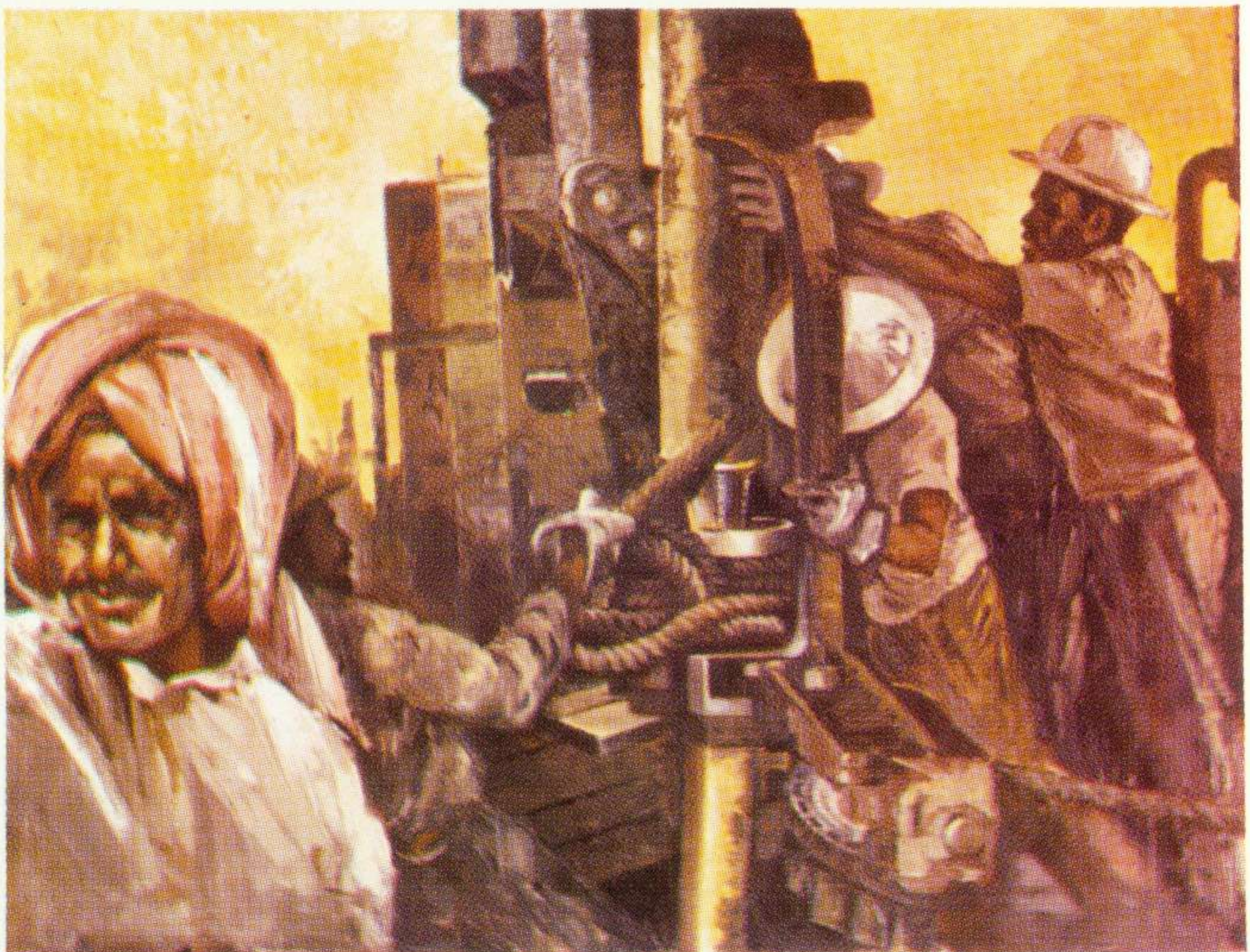
صانع شباك الصيد

لوحات فنيّة
من وحي الإنسان والتراث

حول الناس والعادات والطبيعة ومكامن الجمال على الأرض القطرية .. حاول الفنان جمال قطب ان يسجل بريشته ملامح الأصالة وبصمات التراث بكل عراقته الضاربة فى أعماق التاريخ ..

وهو هنا يقدم لنا بعض اعماله التى تسجل اشراقة المستقبل الزاهر ومنابع التراث وقصة البترول في قطر بما تمثله من ملحمة رائعة على درب الكفاح والعطاء ..

وهذه بعض اللوحات التى رسمها جمال قطب خلال اقامته فى قطر ، حيث يشرف على المرسم الحر فى ادارة الثقافة والفنون منذ عام ١٩٧٩ حتى الآن .



قصة البترول وملحمة على درب الكفاح والعطاء



ايام زمان



اشراقة المستقبل الزاهر

أبطال

شمس الاستقلال تشرق على قطر

قاسم بن محمد بن ثاني

قبل ان يتعرض الوطن العربي للغزو الأوربي المعاصر ، لم تك هنالك فيما بين المحيط والخليج ، حدود سياسية تقتضي جوازات سفر او تاشيرات دخول او سمات اقامة او تصنيف جنسية ، فاستطاع المعاضيد من بني تميم ان يرتحلوا بكل حرية من مشارف واحة (جبرين) فى نجد ، الى شبه جزيرة قطر ، فى تاريخ لا نستطيع تحديده مؤكداً ، رغم ما ذكره (مورهيد) من انه كان فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى . وكان من ابرز هؤلاء المعاضيد ، الشيخ ثاني بن محمد ، الذى وجد فى المشارف الشمالية لشبه الجزيرة منتجعاً طيباً ، حيث تقع مظان (اللؤلـؤ) الذى كان فى تلك الأيام عصب الاقتصاد بالساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب كله ، وكان الهيكل الذى يحكم المعاملات بين الأفراد والقبائل والجماعات ، ويوجه تطلعات الدولتين الكبيرتين حينذاك ، دولة الخلافة العثمانية ، وبريطانيا (العظمى) وكل العلاقات العسكرية والسياسية بالمنطقة وهنالك ، فى قرية فويرط ، على أرجح الروايات ، ولد لثاني ابنه محمد ، الذى عاش مع ابيه فترة من الزمان كانت تحتاج الى الحكمة وبعد النظر والقدرة على تالف القلوب . وكان للشيخ ثاني من الصفات ، التى تؤهل الفرد العربي فى ذلك الوقت لاستلام صولجان القيادة ، ماجعل الناس ، في قطر ، يجمعون بمحض اختيارهم على توليته امر المشيخة والامارة ، فسار بالقافلة وسط الأشواك والألغام مسيرة الرشد والتعقل والحكمة ، حتى سلم القيادة الى ابنه قاسم ، هذا الذى نحن بصدده ، عام ١٨٧٩م ... وتابع الشيخ قاسم المسيرة ، واستطاع فى فترة قصيرة ان يكون البطل الذى أسس الأصول الأولى التى قامت عليها دولة قطـر ، بحدودها المعروفة وخاض فى سبيل ذلك معارك دبلوماسية وحربية ، ليس هنا مجالها ، واستمر فى حكمها حتى لقى ربه عام ١٩١٣م

والجانب الذى نتناوله من الشيخ قاسم بن محمـد بن ثاني ، من بين صفات بطولية كثيرة له ، هو انه كان اديباً شاعراً . وفى شعره تتبين لنا كثير من تلك الصفات التى اهلته للقيادة . كان الشيخ قاسم يتخذ من الاشراف على تجارة اللؤلؤ ، وسيلة لاقامة (بيت المال) للدولة للصرف منه على المرافق العامة ، واشاعة العدل والانصاف ، ومد يد المعونة لأفراد الشعب واقالة عثار الكرام والمكلومين ، وكان (عمرياً) فى سلوكه كرجل دولة ، إذ كان شديد الخشية للـه إذ يقول فى إحدى قصائده :

فويل لقاضي الأرض من قاضي السما
لا عاد ميزانه عـن الحـق مايـل

وكان شديد الانتصار لكرامته بالحق ، لا يقـر اعطاء الدنية من أمره ولا يخون عهداً ولا ميثاقاً ، وكان شديد الحرص على ابراز صفات الوفاء العربي ، ولا يتورع عن بذل ماله فى سبيل ذلك ، ولعل من أشهر قصصه فى ذلك انه بذل الفاً من الابل وتسعين من عتاق الخيل ليشفع فى



المغفور له
الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني .

فك إسار أمير عربي اعتقله الانجليز فى عدن !! وكان من أشد العاملين على انهاء الروح الجاهلية بالغزو والنهب والتى سادت ردحاً من الزمن فى ارجاء المشرق العربي مؤكداً ان ذلك ليس من تعاليم الاسلام ولا من صفات العرب المسلمين إذ يقول :

فلا عالـم انكـر ولا حاكـم فكـر
يعـدون شعـار المشركيـن صـواب
يوالونهـم بالحب رغبـة ورهبـة
على شان طـرد إخوانهـم لقـراب
كـذا بدأ الاسـلام فى حالة غربـة
ويرجـع غريـب وحنـا بـه اغراب
وخـرجت من بين السلاطيـن كانني
حـر تعلـق فـوق روس اهضـاب
لـك الحمـد يا مـن بتقواه عـزنا
وجعل لنـا الديـن القويم حجـاب

ومن شعاراتـه التى كان يوصى بهـا من بعـده قولـه :

تمسـك بتقوى الله واخلص له العمل
بعلم عـلى حـق صـواب وصايـب
تـرى من أطـاع الله طاعـت له الملا
وذلت لـه ارقـاب الملـوك الصعايب
فانا اقـول ذا وأرجو من الله عفـوه
والأقـوال فيهـا مخطيـات وصايـب

ولا شك أن فلسفة الشيخ قاسم بن

من قطر



المغفور له الشيخ حمد بن عبد الله ال ثاني (عام ١٩٤٦)

محمد المبنية على حبه لعقيدته كمسلم متمسك شديد الولع بفضائل الخلق الاسلامي ، كان لها أثر كبير فى مسلك ابنه الذى خلفه فى الامارة .

عبد الله بن قاسم

تولى امارة قطر بعد موت ابيه الشيخ قاسم بن محمد ١٩١٣م ، وظل فى الحكم حتى ١٩٤٩م ، حيث أصبحت صحته لا تتحمل الأعباء فاعتزل حتى توفى عام ١٩٥٦م ، بعد ان اطمان على أن قبوله بعقد اتفاقات مع الشركات للبحث عن البترول فى الاراضي القطرية ، حث اتت اكلها باذن الله ، وأشرق على البلاد فجر جديد من الرخاء . كان الشيخ عبد الله بن قاسم رجلا شديد المراس ، عادل الحكم ، محبوباً من الناس لتقواه وخشيته لله فى السر والعلن ، وعدم ميله للاسراف والبذخ وطراوة العيش . كان رجلا شديد الذكاء حاد الفراسة وقال من عرفوه وعايشوه انه كان حسن البنية حاد النظر وانه كان حتى آخر ايام حياته يرى النجوم فى رابعة النهار وكان من فراسته انه يقرا افكار من يكلمه ، ويجيبه على اسئلة لم يطرحها عليه بعد ، مما كان ياسر الباب الناس ويذكرهم بصفات الملوك والحكام العرب الأقدمين والسلاطين والخلفاء الذين اشتهروا فى تاريخ هذه الأمة بالذكاء والفراسة .

وقال معاصروه ان من حكمته انه كان يعبر عن عدم الرضا ، بابتسامة عريضة يقول بها لمحدثه ما معناه انه لا يقبل !! وبلغ من شدة خشيته لله ، انه فى الأحوال التى كان يضطر فيها مرغماً للتحرك للقتال لسبب أو لغيره ، كان يسبغ الوضوء ويصلي ركعتين ويرفع صوته بالدعاء لله ان يجنبه اراقة دماء المسلمين وان ينهي النزاع بدون قتال ، وان الله كان يكرمه بالاستجابة .

وكان الشيخ عبد الله بن قاسم رجلا مصلحاً يعرف مسئوليته كحاكم ، فبنى فى مطلع القرن الميلادى الحالي قصراً بهندسة بسيطة متواضعة عربية اسلامية ، وهو البناء الذى يتخذ الآن نواة لمتحف قطر الوطني بالدوحة .وكان من فراسة الشيخ عبد الله بن قاسم وبعد نظره أن اختار لولاية عهده ابنه الذكي الحصيف ، الذى وافته المنية قبل ابيه ، فحزن عليه حزناً شديداً ، ذلكم هو الشيخ :

حمد بن عبد الله

يقول شهود العيان الذين عايشوا الشيخ حمد بن عبد الله ، انه كان آية فى الذكاء والفراسة ، حتى انه كان يميز الابل والغنم بحيث ينسب كل صغير منها الى أمه ، ولو بلغ تعدادها مئات وآلاف .

وكان رحمه الله شديد الأمل في ان يصبح البترول ، الذى بدأت بشائره تظهر فى قطر قبيل وفاته بقليل ، وسيلة لرفع مستوى الناس فى قطر فى التعليم والصحة والعمران والعيش ، وان يعوضهم عن الحرمان الذى عايشه هو بنفسه من جراء الحربين العالميتين حيث عانى الناس فى قطر وغيرها من بلاد الخليج ما لا يوصف من الحرمان والشظف ، ومن جراء كساد تجارة اللؤلؤ بعد أن غزا اليابانيون أسواق المجوهرات باختراعهم العلمي العجيب فى مضمار زراعة اللؤلؤ وانتاجه صناعيا ، مما أصبح معه العناء الرهيب فى عمليات الغوص بحثاً عن اللؤلؤ فى الخليج لا ياتي من ورائه أى كسب يقيم أود الناس ويسند مطالبهم الحياتية .

وقد لمس الشيخ حمد بن عبد الله بنفسه هذه المعاناة ، فكان يحدث عارفيه عن برامجه للاصلاح والتوسيع على عباد الله ، وتوجيه اموال البترول للبناء والاستثمار وتغيير معالم الحياة نحو الأفضل . ولكن القضاء وافاه قبل أن يتحقق له ذلك . وكان الشيخ حمد بن عبد الله رحمه الله يشتغل بتجارة اللؤلؤ، واتخذ له قارباً اشتهر باسم « فتح الخير » يحتفظ به اليوم القسم البحري من متحف قطر الوطني ، ويروى عنه انه كان دقيقاً فى الحساب سريع الحصول على نتيجة اية حسبة دون الرجوع الى الورقة والقلم

تلك نبذة عابرة عن بعض ابطال من قطر.

درويش مصطفى الفار

الإعلام

شمس الاستقلال تشرق على قطر



بقلم: محمد عبدالرحمن الخليفي
وكيل وزارة الإعلام

إن العبرة ليست بالكلمات ولكن بمضمونها ، وتاريخ الشعوب والأمم ليس مجموعة من الأرقام والأيام ، ولكنه مجموعة من الأحداث التى تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل ، والثالث من سبتمبر عام ١٩٧١ يوم اعلان استقلال دولة قطر هو من تلك الأحداث التى سجلت انتهاء مرحلة وبداية مرحلة فتحت أمام هذا البلد ابواب انطلاقه الى آفاق مستقبل جديد .. شهد تحقيق أمنيات كانت تراود النفس وتداعب الخيالات كرؤيا بعيدة فى مرآة التاريخ .

وقد حل استقلال دولة قطر مع حلول استقلال بقية دول الخليج الشقيقة بعد اعلان بريطانيا انسحابها من المنطقة الى غير رجعة ، وكانت القوى الاستعمارية تروج للأطروحة القائلة بأن انسحاب بريطانيا من المنطقة سينشأ عنه فراغ سياسي وعسكرى كبير ، وأنه لن يكون بمقدور ابناء المنطقة ملء هذا الفراغ والنهوض ببلادهم الى مرتبة الدول والمجتمعات الحديثة ، ولكن هذه الأطروحة سرعان ما سقطت جملة وتفصيلا ، حين بدأت السواعد السمر تشق طريقها لبناء مستقبل أفضل ، وحين انصبت جميع المجهودات تلتقى حول شعار بناء الوطن وترسيخ قيم الاستقلال وترجمتها الى حقائق وانجازات ، انسحبت آثارها وطنياً وعربياً ودولياً .. فالى جانب تكثيف الجهود لبناء الوطن فى الداخل توجهت تطلعاتنا الى ترسيخ علاقاتنا باخواننا العرب وبالمجتمع الدولي حيث حقق انضمامنا الى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة مساهمات فعالة وملموسة فى إرساء قواعد متكافئة ومتوازنة بين الدول ، فوقفنا فى جميع الهيئات والمنظمات العربية والدولية مع قضايا التحرر والعدالة والاستقلال السياسي والاقتصادى ..

وفى الداخل تبلورت مسيرة التقدم والبناء ، وأخذت سفينة الوطن الحبيب تشق طريقها نحو مستقبل مشرق يلفه شراع العزة والكرامة ..

وكان للاعلام فى هذه المسيرة دور رائد وجولات مشرفة ، حيث استطاعت أجهزة الاعلام فى دولة قطر أن تتفاعل مع انطلاقة الاستقلال والبناء ، وارتفع صوت قطر ، وانتشرت صورتها الى كافة أرجاء الوطن العربي ..

وعبر حقبة السنين العشر الأخيرة ، مرت على أمتنا أحداث وتطورات جسيمة ، فعشنا الحروب وخضنا المعارك فى سبيل الدفاع عن الاستقلال وسقط منا الشهداء ولازالوا يسقطون فى سبيل تحرير كامل الأرض العربية ..

وقد عملت أجهزة الاعلام الصهيونية ولازالت تعمل على تشويه صورة نضالنا ومسيرة تقدمنا ، وهي تعتمد في ذلك على ما ورثته من رصيد عهود الاستعمار ، وما أضافته على هذا الارث من تزييفات وادعاءات تتماشى مع متطلبات الهجمة الاستعمارية الجديدة على ثروات ومقدرات الدول والشعوب العربية ..

ويقف الاعلام القطرى الى جانب الاعلام العربي للتصدى للحملات المعادية واضعاً جميع امكانياته البشرية والفنية والمادية من أجل بلورة سياسة اعلامية عربية موحدة تتحول من خلالها عملية التصدى الى عملية مواجهة حضارية شاملة تتغلب فيها ارادة الحق على ارادة القوة .

هذه هي المعاني وهذا هو مضمون المشاعر والانطباعات الذى تحمله ذكرى الثالث من سبتمبر ١٩٧١ عبر عشر أعوام واكب فيها الاعلام القطري كل خطوة وكل حدث في مسيرة البناء والتقدم القطرية ، وأضفى عليها اضاءات ولمسات جعلتها تعيش وتحيا فى كل بيت راسخ وفى كل قلب نابض على أرضنا الحبيبة .

وقد قام الاعلام القطرى بدوره خلال سنوات الاستقلال على أسس واضحة محددة بفضل توجيه أمير البلاد المفدى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وكان أول هذه الأسس هو العمل على دعم الاعلام بكل الأجهزة العصرية التى انجزها التقدم العالمي ، بحيث لا تكون الاجهزة الاعلامية من الناحية المادية عاجزة أو ضعيفة أو متخلفة عن أرقى ما وصلت اليـه الحضارة الحديثة . وقد كان هذا الحرص على متابعة التقدم هو (الفرصة) المادية التى وضعها قائد البلاد ، أميرنا المفدى فى يد رجال الاعلام ، ولكن الفرصة المادية وحدها لا تصنع إعلاماً جيداً ، فلابد من الانسان أولا وقبل كل شيء ، وقد أشار أمير البلاد فى خطبه المختلفة إلى أن الاهتمام الأساسى فى بناء النهضة القطرية انما ينصب على الانسان ودوره أساساً ، ومن هنا كان لابد من خلق جيل من رجال الاعلام القطريين .. جيل مسلح بالخبرة والقدرة والكفاءة والفهم الصحيح والاستعداد للقيادة ، وقد تحقق الكثير فى هذا المجال ، ففى خلال سنوات الاستقلال العشر أصبحت كل أجهزة الاعلام تحت قيادة شباب قطرى قادر على التوجيه ، ومدرك كل الادراك لدوره ومسئوليته ورسالته ، فالاذاعة

القطري نهضته ورسالته

والتليفزيون ووكالة الأنباء والصحافة أصبحت كلها تعمل بقيادة أبناء قطر الذين تعلموا ودرسوا ، وكانوا ثمرة طيبة مباركة من ثمرات الاستقلال ،

على أن الاعلام القطرى قد أدرك منذ بداية الاستقلال عمق الارتباط بينه وبين سائر أجهزة الاعلام الخليجية ، فقطر هي عضو نشط فى الأسرة الخليجية ولذلك فالاعلام القطري يعمل على التعاون العميق والتبادل الواسع للخبرة على نطاق الخليج كله ، وإذا كان الاعلام القطرى يعمل على خدمة المواطن فى قطر ، فهو يعمل أيضاً على خدمة أشقائهم فى سائر مناطق الخليج وينظر الاعلام القطرى الى دوره فى هذا المجال على أنه دور اساسي فالاعلام القطرى ، يعمل على أن يعكس كل ألوان النشاط السياسي والثقافي والفني فى الخليج ذلك لأن دعم شخصية الخليج يساهم فى رد كيد الذين يطمعون في هذه المنطقة الحساسة ، ويحاولون شن حرب إعلامية واسعة علينا وتشويه صورتنا أمام الرأي العام العالمي .

والاعلام القطري لا ينسى أبداً دوره العربي والاسلامي . ويعمل بقوة على تدعيم القضايا العربية والاسلامية وعلى رأس هذه القضايا جميعاً قضية فلسطين التى يتابعها الاعلام فى قطر بالخبر والتحليل والتأييد والمتابعة الدقيقة لكل تطوراتها فى أى ميدان من الميادين سواء كان ذلك على الساحة الدولية أو على ساحة الحرب والقتال الدائر بين أبناء الأرض المحتلة وبين العدو الصهيوني ، بالاضافة الى ما يحرص عليه الاعلام القطري من تقديم برامج ومسلسلات تكشف تاريخ نضال شعب فلسطين وتلقى الضوء على أبطال القضية الفلسطينية ، لا في هذا الجيل فقط ، ولكن فى الأجيال السابقة ، حتى قبل أن تقوم دولة العدو على أرض العرب .

وقد التزم الاعلام القطرى فى مسيرته منذ الاستقلال بمبدأ آخر هو الموضوعية الدقيقة ، ومن هنا كانت صورة الاعلام القطرى ، هي الصورة الجديدة التى نريدها للاعلام العربي كله فى الداخل والخارج ، فلم ينعدفع الاعلام القطري أبداً الى الاثارة أو المعارك الجانبية التى يمكن أن تحرف مسيرتنا العربية الى مشاكل لا معنى لها ولا ضرورة ، وكان الاعلام القطرى دائماً داعية وحدة وتوفيق وتوثيق للعروة بين العرب جميعاً .

لقد واكب الاعلام القطرى السنوات الغالية من حياتنا ، التى تميزت بالتعمير والانشاء والتطور الانسانى فى شتى الميادين . وأبرز طوال السنوات الماضية منجزات الدولة وعملها المستمر لتحقيق الاستقرار الاقتصادى والاجتماعي وتوجيه كافة الطاقات المادية والبشرية لتحقيق القوة الذاتية للبـــلاد .

وشرح كل أهداف الخطة الطموحة المرتكزة على تنويع مصادر الدخل وتنمية الامكانات الصناعية واستحداث القوانين المشجعة على الاستثمار وبناء الانسان القطري ليصبح دعامة لكل تطور ونمو .

فقد وضع الاعلام القطرى كل أجهزته فى خدمة الأهداف الكبرى للبلاد وفى مقدمتها ما تحقق من انجازات لاعداد الكفاءات البشرية المختلفة التى يقع عليها عبء النهوض بالمجتمع القطرى اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً ، وما رأيناه من توظيف للثروات الطبيعية بما يحقق أحلامنا فى التطور والارتقاء ، وهذا بخلاف مسيرة التصنيع واقامة القاعدة الاقتصادية الصلبة فى البلاد وزيادة الرقعة الزراعية ، وتنشيط الحركة التجارية برسم الخطط والبرامج واعداد المشروعات الكفيلة بدعم الاقتصاد الوطنى وتوفير كافة الخدمات بداية من الرعاية الطبية الى المسكن الصحى ..كل ذلك وغيره من انجازات سواء فى مجال الانتاج أو الخدمات كان للاعلام القطرى دوره الايجابى فى ابراز وايضاح الخطوات الحضارية التى تقوم بها الدولة على طريق الاستقلال حتى تلحق بركب التقدم العالمى ابتغاء توفير ما ننشده جميعاً لمجتمعنا من رفاهية ورخاء ..

وهكذا نرى أن الاعلام القطرى منذ استقلال البلاد فى ٣ سبتمبر ١٩٧١ ، يتابع المسيرة التاريخية ، ويبرز منجزاتها الحضارية ، مرتكزاً على القيم والمبادىء الاسلامية ، ومدعماً بكل ما نملك من تقاليد وتراث ، شارحاً على الساحة الدولية خطواتنا الحضارية وانجازات وطموحات الانسان العربى فى الخليج ودوره البناء فى صنع حضارة انسانية عظيمة .. ومشاركاً فى معظم الاتحادات والاجتماعات والمؤتمرات الاعلامية .. وساعياً الى تحقيق التنسيق الاعلامى بين كل الدول العربية بعقد الاتفاقيات الاعلامية التى تعمل على توحيد الرافد الثقافى فى كل أنحاء العالم العربى وتوطيد أواصر الصلة الفكرية فى وطننا الكبير ..

كما أن الاعلام القطرى لم ينس منذ الاستقلال حتى الآن دوراً ايجابياً وأساسياً آخر هو خلق جيل من المثقفين والفنانين يستطيعون التعبير عن شخصية بلادهم وما لها من جذور عربية واسلامية عميقة .

على أن نظرة الاعلام القطرى الى المستقبل لا تتوقف عند الحدود التى حققها حتى الآن ، فان هناك تطلعاً دائماً الى التقدم والنهوض وعملا مستمراً من أجل التطور الاعلامى فى قطر ، من حيث التقدم العلمى ، وتوسيع دائرة التأثير ، وخلق أجيال جديدة واعية من الفنيين والخبراء ، والوصول الى أرقى وأحدث الأساليب الاعلامية الناجحة ، كل ذلك فى ظل التوجيه والرعاية من قائد نهضتنا ومؤسسها ومعلن استقلالنا سمو أمير بلادنا المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

محمد عبد الرحمن الخليفى

من معالم

شمس الاستقلال تشرق على قطر

حين تحلق بك الطائرة فى سماء قطر ، أول ما يشد انتباهك تلك المآذن المشرعة فى السماء باسقات فى تنظيم ، وتنسيق ، وكثرة رائعة ، وناهيك بها فى الليل أعمدة من نور من حبات منضودة تصل الأرض بالسماء وتبدد ظلام الحياة من حولها ، وما ان تقترب من الأرض حتى تجد البحر والصحراء متعانقين فى ألفة يبدد كل منهما من وحشة الآخر ، وحين تدب على أرضها أول ما يخالطك من احساس انك فى مناخ اسلامى تزداد انطباعاته من نفسك مع الغدو والعشى من ممارسة الحياة ، والناس بها ، هدوء فى الطبع ، ويسر فى المعاملة ، من أناة يشوبها الحلم وسماحة في اللقاء تطرد عن النفس كل احساس بالغربة ، أو الوحشة ، ذلك هو الطابع العام (لقطر) ذلك البلد الطيب الرابض فى شرق الجزيرة العربية على حواف الخليج يحكى من التاريخ أمجاد حضارات عربية قبل الاسلام ، وفى الاسلام تفتتح فيه صفحات الفتح الاسلامى للمشرق ، وتقرأ فيها قمماً من الأحداث والرجال ، الذين صنعوها ، على توالى الأيام والقرون .

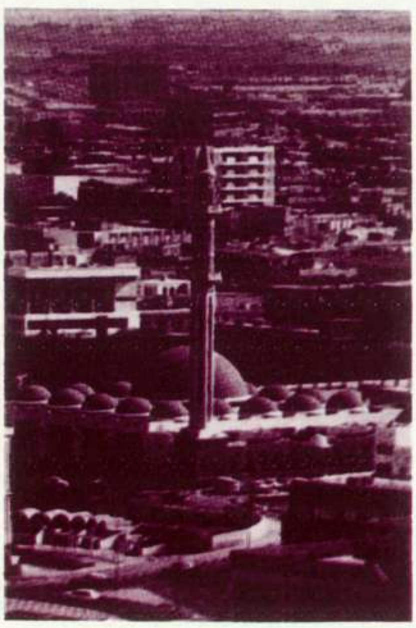
من هنا من هذا الوجه الشرقى للجزيرة العربية ، وفي مطالع الهجرة الى المدينة المنورة ، وقبل فتح مكة وفى يوم مشرق بالنور ، والرسول صلى الله عليه وسلم جالس بين أصحابه يحدثهم التفت قائلا : سيطلع عليكم من هذا الوجه – أى من هذه الجهة – ركب هم خير أهل المشرق ، وأشار الى هذه الجهة من شرق الجزيرة العربية ، وبعد أن انتهى المجلس قام عمر ، واذا به يلقى ثلاثة عشر راكباً قادمين من شرق حيث أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا طلائع الاسلام من هذه المنطقة من شرق الجزيرة ومن الطرف الغربى لقطر حيث منطقة (هجر) وحيث كانوا وكانت أول منطقة فى العالم بأسره جمعت فيها أول (جمعة) من خارج (المدينة المنورة) وذلك فى مسجد قبيلة (عبد القديس) من ربيعة فى قرية يقال لها : (جواثا) .

وفد يقطع الفيافى والقفار يسعى بنور الايمان الى (المدينة) مبكراً ، وأول جمعة تجمع – بعد اقامتها بالمدينة – ومسجد من أول ما أسس فى الاسلام بعد مسجد المدينة ينبعث منه صوت الايمان مترامياً عبر الصحراء والبحر حتى يبلغ مداه ما بلغ الليل والنهار ، فى شرق وغرب . تلك كانت البداية ؛

وامتداداً من (جواثا) حيث موطن أول (جمعة) وأول مسجد بعد المدينة فى جهة الغرب من (قطر) وحتى شطئانها على الخليج وعبر أرضها ، وبدوها وحضرها ، تنبث المساجد ، آية من الجمال ، والبساطة والروعة الخاشعة ، عامرة بأهل الايمان مع كل وقت وأذان ، ناطقة بالطهر ، مشرقة بالنور وتلك سيما ميزة فى (قطر) لا تخطئها عينك فى طريق مشرع ، أو ميدان فسيح ، أو حلة ، أو سوق ، أو دار للعلم ، أو ديوان للعمل تتقاسم أوقات الناس ، وأعمالهم فى دورة تدريبية يومية مع مشرق نور الفجر وحتى ذهاب الشفق عامرة البنيان ، وعامرة الأركان ، واهتمام لقطر ، شعباً وحكومة ، فرداً ، ودولة ، بالمساجد وعمارتها ، مظهراً ومميزاً يبلغ مدى يطبع الحياة فيها بطابع اسلامى أصيل تلمسه وتعيشه أنى تقلبت فى وجوه الحياة ومرافقها ، طابع هو فى الأعم الأغلب يصل الى مدى لا يصله فى كثير من البلاد الاسلامية ، كثرة فى الكم والكيف ، وعمارة بالبنيان والرجال ، مع كل فريضة فى ظاهرة واضحة ملموسة إذ تجد بين كل مجموعة من المساجد الصغيرة – مساجد الفريضة – مسجداً جامعاً كبيراً – هو مسجد الجمعة ؛

وفى الغالب لا يتخلف انسان عن الجماعة – راعياً ورعية – إلا لعذر فالبلد يغلب عليه مذهب الامام (أحمد) وهو ممن يذهب الى (أن صلاة الجماعة فرض عين ، وشرط فى صحة الصلاة) ، ولهذا القول فى المذهب الحنبلى أثره البارز فى حرص الأمة على الصلاة فى المسجد جماعة ؛ وليس اهتمام (قطر) بالمساجد قاصراً عليها داخل حدودها بل امتد هذا الاهتمام الى عمارة كثيرة من المساجد فى البلدان الاسلامية النائية تأسيساً وتعميراً ونشراً ، ومن الجهود فى هذا المضمار ما تم افتتاحه وعمارته من مساجد خلال هذا العام ومن أبرزها المسجد الجامع الكبير وملحقاته من مدارس ودور للخير بضواحى كراتشى وقد بناه أمير البلاد ، وتم افتتاحه مع مطلع رمضان هذا العام (١٤٠١ هـ) وتجرى بناء مؤسسة اسلامية كبرى فى (كراتشى) الآن ؛ وهناك الكثير فى أوربا وأمريكا تمتد اليها المعونات الحكومية والشعبية ، ومن المألوف أن تجد الوفود الاسلامية التى لا ينقطع ترددها وزيارتها لقطر ، والمعونات التى تبذل لها جمعاً من المساجد وغيرها فى صورة كريمة يتسابق اليها المصلون لأدنى بادرة توجه

الجامع الكبير



النهضة الإسلامية في قطر

اليهم-ومن المؤسسات الحكومية حيث ترصد ميزانية لهذا الغرض وغيره من وجوه الخير مثل (لجنة المعونات) المخصصة لأعمال البر والمؤسسات الشعبية التابعة لأفراد أو هيئات ، فى مناخ من التنافس على البر والخير ، فى سماحة وندى .

مركز بحوث السنة والسيرة النبوية

ومع الجهد الجامعى لكلية الشريعة تقوم فى رحاب (جامعة قطر) مؤسسة اسلامية علمية هى (مركز بحوث السنة والسيرة النبوية) الذى انبثق باكورة طيبة عن (المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبوية والسنة المطهرة) ، الذى انعقد فى الدوحة أوائل المحرم سنة ١٤٠٠ هـ طليعة لاحتفالات العالم الاسلامى بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى ، وقد جاء هذا المركز مجسداً لاهتمام الأمة الاسلامية بسيرة نبيها الكريم وسنته المطهرة المصدر الثانى بعد كتاب الله للتشريع والهداية والتوجيه للحياة الاسلامية ، وقد كانت (دولة قطر) مناط رجاء المؤتمر وأمله فى أن تتبنى هذا المركز المنشود انشاء ، ودعماً ، وعملا ، كما كانت عند حسن الظن بها من سرعة الاستجابة لهذا الرجاء ، وصدر القرار الأخير بانشائه تحقيقاً لآمال المسلمين فى العالم فى تجلية سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته والدفاع عنها ، واخراجهما للناس فى صورة تليق بالاسلام وبرسوله الأمين مستعيناً فى ذلك بمعارف السلف وعلوم العصر وامكانيات الأمة المسلمة

كان هذا المركز من أبرز ما أثمره المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى انعقد فى دولة قطر فى مطلع عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ م على مستوى العالم الاسلامى كله اذ ندب له أعلام الفكر والجهاد الاسلامى المعاصر نظراً لأهميته كمفتتح وطليعة لاحتفالات العالم الاسلامى بل والانسانى بمرور أربعة عشر قرناً واستقبال القرن الخامس عشر الهجرى .

كلية الشريعة

من أولى الكليات بالجامعة وقد أسست على أصول اسلامية وتربوية من حيث المنهج والأستاذ والطالب والكتاب بما يكفل لها أداء رسالتها على الوجه الأمثل، لا فى داخل قطر وحدها بل بما يهيىء لها القيام بدورها المنشود فى مصاف الكليات الاسلامية فى العالم على حداثة عهدها وضخامة رسالتها ، ووضوح أهدافها تنمية للوعى الاسلامى والدعوة الى الله تعالى على هدى وبصيرة ، والعمل على إثراء الفكر بثراء الاسلام العظيم فى نواحى العقيدة ، والتشريع ، والاجتماع ، والاقتصاد ؛ ذلك الثراء الخالد الذى أضاء للبشرية طريقها فى ماضيها ، والذى هو أملها فى حاضرها ومستقبلها

مؤتمر مكة

ومن المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية كانت خطوات (قطر) الثابتة على طريق العمل الاسلامى المعاصر الى مؤتمر القمة الاسلامى الثالث (بمكة المكرمة) والذى انعقد فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى الجديد وأصغى العالم الاسلامى بيقظة وانتباه الى الصوت المنبعث من حول قبلته يجهد ويجاهد فى التعبير عن رؤية واضحة لقضايا الأمة والعصر وما تستلزمه من نظر ومنهج ،عمل ، وقد مثل فيه عن العالم الاسلامى وشعوبه اكثر من ثمان وثلاثين دولة اسلامية يمثلون خمس سكان العالم ويسكنون أهم وأخطر بقاع المعمورة وقد كانت (قطر) من أولى الدول هناك ممثلة من وفد كبير على رأسه أمير البلاد المفدى ،

وليس فى مؤتمر مكة فحسب ، فلها دورها الأصيل فى المؤتمر الاسلامى ومنظماته كما أن لها نشاطها الفعال ومشاركتها المثمرة فى رابطة العالم الاسلامى وأجهزتها ومؤتمراتها الدائبة شتى أرجاء العالم الاسلامى ولدولة (قص) اسهامها الفكرى والمادى من كل أنشطة المراكز والمؤسسات والهيئات الاسلامية الحكومية منها والشعبية فى أمريكا وأوروبا وآسيا وافريقيا .

بل وتجد فى كل بقعة بها مسلمون أثراً بارزاً لدولة (قطر) من الدعم والعون المادى والثقافي لانشاء مراكز اسلامية ومساجد ومدارس ومنح دراسية ومكتبات عامرة بأمهات الكتب الاسلامية

ويأتي شهر رمضان تتويجاً لهذا النشاط العام إذ يبدو فيه الطابع الاسلامي أبرز ما يكون

وتقوم دولة قطر باستيفاد وايفاد عشرات العلماء والقراء اليها ومنها ، الى كثير من البلدان والأقليات الاسلامية الناشئة في افريقيا وآسيا

ولهذا النشاط كله أثره الطيب فى تنمية الوعى والسلوك الاسلامى وتدعيم روابط الأخوة والوحدة الاسلامية ، فضلا عن النشاط المستمر فى القيام على شئون القرآن الكريم من حلقات للتحفيظ ومسابقات عامة فى الحفظ ورصد الجوائز السخية للحافظين والحافظات وطبع المصاحف والتسجيلات الصوتية وتوزيعها فى أنحاء العالم الاسلامى وان تعجب لشىء وانت تتابع هذه المسابقات وما فيها من جمال الطفولة ورونق الفتوة والشباب

انها معالم أصيلة على طريق النهضة الاسلامية المعاصرة انساناً ، ومكاناً ، وأحداثاً وحياة .

وصدق الله العظيم (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) .

د. حسن عيسى عبد الظاهر



شمس الاستقلال
تشرق على قطر

عائدات النفط في خدمة النمو الاقتصادي

مع بداية كل عام هجرى يصدر مرسوم أميرى بالموافقة على الموازنة العامة للدولة .. وفى بداية هذا العام (١٤٠١) أصدر سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول بياناً شرح فيه ما تترجمه موازنة العام الجديد من معان توضح اتجاه الدولة نحو التنمية الشاملة بحيث تغطى كافة النشاطات الاقتصادية والاجتماعية بطريقة منسقة لا تعارض بينها .. والعمل على الرخاء بتحقيق الاستقرار الاقتصادى والاجتماعي من خلال تنفيذ السياسة المالية للدولة بالاسلوب العلمي المبنى على المؤشرات الاقتصادية والمالية التى تتفق مع الواقع .. وهذا بالاضافة الى توجيه الطاقات المادية والبشرية لتحقيق أكبر قدر ممكن من القوة الذاتية للدولة ..

والواضح أن موازنة العام الجديد عبرت عن الرغبة فى تحقيق هذه الأهداف ، حيث تبرز أهمية نفقات المشروعات على وجه الخصوص ، نظراً لتاثيرها وارتباطها بمستوى النمو الاقتصادى والاجتماعي الذى تهدف اليه الدولة ، لذلك فقد كان لميزانية المشروعات الرئيسية العامة النصيب الأوفر من اجمالي اعتمادات الميزانية للعام المالي الجديد ، حيث خصص لها مبلغ ٥,٩١٧ مليون ريال قطرى بزيادة قدرها ٩٨٩ مليون ريال عن العام السابق ، أي بنسبة زيادة قدرها ٢٠ فى المائة ، يضاف الى ذلك ما خصص لتمويل احتياجات المشروعات الصناعية ومشروعات تطوير وتنمية الثروة البترولية في البلاد ، وكذلك قروض البناء للموظفين والتى بلغت في مجموعها ٣٠٣٨ مليون ريال ، وبذلك تصل جملة الاعتمادات المخصصة لعام ١٤٠١هـ الى ٨٩٥٥ مليون ريال قطري مقابل ٧٣٦٤ مليون ريال للعام السابق ١٤٠٠هـ .

وقد دلت الملامح الرئيسية لهذه الموازنة على استمرار الخط الذى انتهجته الدولة منذ أن تولى صاحب السمو أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم متجهاً بمسيرة البلاد نحو التقدم والرفعة والرفاهية لكل المواطنين ..

ومن أرقام هذه الموازنة يتضح أهتمام دولة قطر بالثروات الطبيعية وتوظيفها بالصورة المثلى حيث بدأت مرحلة التصنيع كأهم دعامة لتنويع مصادر الدخل ، وأخذت الدولة تستخدم عائدات النفط وثروة الغاز الطبيعي فى بناء الصناعات الثقيلة والخفيفة وفق برنامج علمي شامل ومدروس ..

ومنذ بدايات اكتشاف النفط والبدء فى انتاجه عام ١٩٤٩م وهو يحظى بأهمية خاصة ، إلى أن أصدر سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني قراراً تاريخياً يقضي بالسيطرة الوطنية الكاملة على الثروتين الطبيعيتين فى البلاد وهما : البترول والغاز .

وعقب تحقيق السيطرة الكاملة على الثروات الطبيعية بدأت عمليات تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على البترول والغاز .. واصبحت السياسة النفطية فى قطر فى السنوات الأخيرة تستهدف الحفاظ على معدل الانتاج الذى بلغ عام ١٩٨٠م حوالي ١٧٣ مليون برميل سنوياً من الزيت الخام من الحقول البرية والبحرية ، بمعدل انتاج يومي مقداره حوالي نصف مليون برميل لا يدخل فى نطاقها انتاج الغاز ..

حماية الحقوق المشروعة

وتقوم سياسة دولة قطر فى مجالات النفط بدور بارز فى مجالات الصناعات البترولية داخل منظمة الدول المصدره للبترول (أوبيك) إيماناً منها بضرورة توفير حياة أفضل لشعوب الدول المصدرة للنفط وشعوب الدول النامية ، ومن أجل العمل على الاستقرار



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول

الاقتصادى العالمي عن طريق الاستقرار فى امدادات الطاقة بأسعار معقولة ..

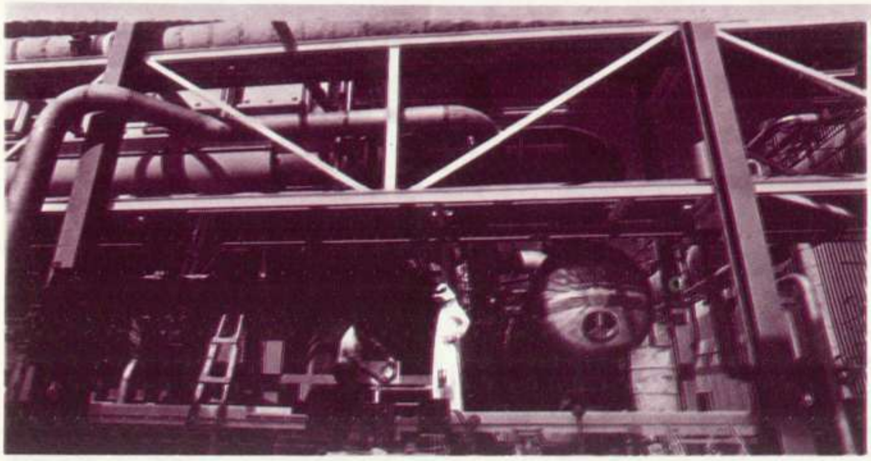
وتعمل الدولة على زيادة قوة هذه المنظمة وتعزيز قدراتها فى التفاوض على المستوى الدولي دفاعاً عن الحقوق المشروعة لشعوبها وشعوب الدول النامية وشعوب المجتمع الدولي كافة .. وترى فى قرارات المنظمة ترشيداً للسوق وللقضاء على السوق الفورية التى كانت مدخلا للشركات الاحتكارية التى تجنى الأرباح الطائلة ، وتدعيماً لاقتصاد الدول النامية ومساعدتها فى التغلب على مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية .

وفى هذا العام أقيمت فى الدوحة الندوة الفنية الخامسة لصناعة البترول من أجل تبادل المعلومات والخبرات فى المجالات الفنية وبحث مجموعة من الابحاث المتعلقة بهذه الصناعة الحيوية وقد شاركت فى هذه الندوة لأول مرة أربع دول خليجية هي المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة والبحرين والكويت ، بالاضافة الى منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابيك) والأعضاء المشاركين من العاملين فى الشركات التى لها علاقة بصناعة البترول فى قطر ..

ومن كل ذلك وغيره نرى أن عصر البترول الذى يفرض نفسه على الحياة فى الوقت الحاضر يندفع بكل طاقته ليجعل من الانتاج الصناعي هدفاً جديداً للبلاد ، ومن أجل أن يساهم بدوره فى رفاهية شعبه ورفاهية كافة شعوب العالم .

شمس الاستقلال
تشرق على قطر

توجيه الطاقات المادية والبشرية نحو الصناعة والزراعة



الصناعات التى تحقق اهدافها فى دعم الاقتصاد القطري



بقلم: المهندس أحمد عبد الرحمن المانع
وكيل وزارة الصناعة والزراعة

نظراً لكون الاقتصاد القطري يعتمد اعتماداً أساسياً على النفط وعائداته ، فان الدولة بقيادة باني نهضتها ومحقق استقلالها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين على إلمام كامل بهذه الحقيقة ، فكان لابد أن نخرج من نطاق الاعتماد اعتماداً كلياً على مصدر واحد للدخل الوطني ، ولذلك تبنت الدولة ومنذ فجر الاستقلال سياسة التنمية الشاملة حتى تحقق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي المنشود وحتى توجه الطاقات المادية والبشرية لبناء قوتها الذاتية ..

واعتمدت الدول فى بناء اقتصادها على خطة طموحة ترتكز على تنويع مصادر الدخل وتنمية الامكانات الصناعية وبناء الانسان القطرى الذى هو دعامة كل تطور ..

تشجيع الاستثمار

وقد قامت الدولة بوضع الحوافز المناسبة لتشجيع الاستثمار فى مجالات الصناعة ، ومن هذه الحوافز على سبيل المثال :

- منح الأراضي اللازمة للمشروعات الصناعية بايجارات رمزية ..
- انشاء الطرق اللازمة الى الموقع الصناعي المختار لربطه بشبكة الطرق الرئيسية فى البلاد ..
- اعفاء عائدات المشروع الصناعي من ضريبة الدخل لمدد مناسبة إذا استلزم المشروع ذلك ..
- اعفاء جميع المعدات المستوردة والمصدرة من الرسوم الجمركية ..
- توفير الغاز والكهرباء والماء للمشروعات الصناعية بأسعار التكلفة الفعلية ..
- منح القروض الصناعية بفوائد لا تزيد عن ثلاثة فى المائة .
- اعطاء الضمانات اللازمة للقروض الأجنبية اللازمة للمشروعات الصناعية الكبرى ..
- توفير خدمات الشحن والتفريغ وذلك باقامة الموانىء التى تسمح باستقبال

الناقلات الكبيرة ..

● الاسهام فى حل مشاكل الاسكان للعاملين فى المشروعات الصناعية ..

● الاهتمام بتنمية المواهب والخبرات البشرية القطرية وذلك عن طريق تخطيط التعليم على مختلف مستوياته الفنية والادارية بما يخدم احتياجات الصناعة

بناء القاعدة الصناعية

ومن هذا المنطلق شهدت البلاد خلال السنوات العشر الماضية نهضة صناعية تمثلت فى إقامة العديد من الصناعات الأساسية التى تحقق أهدافها فى دعم الاقتصاد وتنويع مصادر الدخل الوطني فى البلاد .. فاقيم مصنع الحديد والصلب فى منطقة أم سعيد الصناعية وهو أول مصنع متكامل من الناحية التكنولوجية فى منطقة الخليج والشرق الأوسط ويقارب الانتاج السنوى اليوم ٤٠٠ ألف طن من قضبان التسليح .. واقيم مصنع الأسمدة الكيماوية الذى وصل انتاجه عام ١٩٨٠ من الأمونيا ٥٠٧ آلاف و ٩٠٦ أطنان ووصل انتاجه من اليوريا الى ٦٢٧ ألفاً و ٦٣٠ طناً .. واقيم مصنع الأسمنت حيث بدأت هذه الصناعة بتشغيل فرن واحد لانتاج الأسمنت وتطورت بعد ذلك الى ثلاثة أفران ، الأسمنت العادي والمقاوم للأملاح تلبية لاحتياجات النهضة القطرية ، وتبلغ الطاقة الانتاجية حوالي ألف طن يومي ، وتجرى الدراسات لزيادة الطاقة لكي تصل لثلاثة آلاف طن بحيث يكون هناك فائض للتصدير .. وقد اقيم بجوار مصانع الأسمنت ، مصنع لانتاج الجير الحي بطاقة مائة ألف طن سنوياً تلبية لاحتياجات صناعة الحديد والصلب التى هي علامة من علامات التنمية الصناعية فى بلدنا الحبيب ..

وفى فبراير الماضى افتتح سمو أمير البلاد المفدى مشروع مجمع البتروكيماويات الذى تبلغ طاقته التصميمية ٢٨٠ ألف طن سنوياً من مادة الأثيلين و ١٤٠ ألف طن سنوياً من مادة



ثمرة الأرض الطيبة

البولي إثيلين منخفض الكثافة و ٤٦ ألف طن سنوياً من مادة الكبريت و ٥ آلاف طن سنوياً من مادة البروبلين ..

وفى نفس اليوم الذى افتتح فيه مجمع البتروكيماويات ، افتتح سمو أمير البلاد المفدى مشروع سوائل الغاز الطبيعي الذى يقدر انتاجه اليومي بأكثر من ١٢٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز غير المصاحب ، إضافة الى الغاز المصاحب للزيت الخام والذى يقدر بألف قدم مكعب لكل برميل منتج ..

والى جوار ذلك توجد صناعة استخراج النفط وتكريره ، وفى عام ١٩٨٣ يبدأ تشغيل مصفاة تكرير البترول الثالثة ليغطي الانتاج عقب ذلك كل زيادة متوقعة فى الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية حتى عام ١٩٩٥ ..

وهذا - بالطبع - بخلاف قيام عدة صناعات خفيفة ومتوسطة فى البلاد ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر صناعة البلاستيك وصناعة البيوت مسبقة الصنع وصناعة انتاج الغازات الصناعية .. وهناك صناعات أخرى فى مجال تنمية الصناعات الخفيفة والمتوسطة جاري دراستها وتقييمها ..

أما فى مجال تشجيع التوسع الزراعي فقد قامت الدولة بوضع الحوافز المناسبة التى أدت الى تطور الزراعة فى السنوات العشر الماضية وتضاعف المساحات المزروعة عدة مرات ، وأذكر من هذه الحوافز على سبيل المثال :

● إنشاء مزرعة التجارب الحكومية لاجراء التجارب على أنواع البذور والأشتال التى تتناسب مع البيئة والمناخ

● أجراء البحوث والدراسات على المياه والتربة لمعرفة مدى صلاحيتها للزراعة .

● تقديم آلات ضخ المياه للمزارعين ورش المبيدات الحشرية والفطرية مجاناً

● تقديم مستلزمات الانتاج من بذور وأشتال وأسمدة ومبيدات للمزارعين بالمجان ..

● تقديم الخدمات الآلية من حراثة وتسوية للمزارع بالمجان .

● تقديم الهبات المالية للمزارعين لتعويضهم عما يحدث لهم من ضرر نتيجة الأمطار الغزيرة أو الرياح الساخنة الشديدة ..

● تقديم الخدمات الارشادية للمزارعين بدون مقابل .

أحلام التطور

وقد أدت الدراسات الشاملة لتنمية الثروة الحيوانية وزيادة انتاجها الى تنفيذ مشروع تربية الأغنام فى أبو سمرا بهدف توزيع الأغنام على المربين بأسعار تشجيعية لتنمية الثروات الحيوانية فى البلاد .. كما أقامت الدولة المستشفيات والعيادات البيطرية لخدمة الثروة الحيوانية والحفاظ عليها .. وأقامت مشروع انتاج الدواجن والبيض .. وعملت على تنمية الانتاج السمكي الذى أصبح - حسب احصائيات عام ١٩٧٩ - تمثل ٩٢,١ فى المائة من الاحتياجات القطرية ..

ومن ذلك نرى أن اهتمام الدولة بالصناعة والزراعة يعطي حصانة وقوة لها ويحقق كل احلامها في التطور والارتقاء .

أحمد عبد الرحمن المانع



شمس الاستقلال
تشرق على قطر

القطريون في موقع المسئولية

أية مقارنة للهيكل التنظيمي لادارة شئون الموظفين فى وضعه الحالي مع ما كان عليه عند فجر الاستقلال ، تجعلنا نرى بوضوح مظاهر التطور فى العنصر البشرى ، حيث كان سلم الوظائف الهامة يخلو تماماً من القطريين ، وكانت كافة المناصب لا يمثل العنصر القطري فيها إلا نسبة محدودة وفي الوظائف الدنيا فقط .

وقد أخذ هذا الوضع يتغير بالتدريج مع تطور أعداد القطريين المؤهلين علمياً والمدربين عملياً على شغل الوظائف ، الى أن أصبحت الادارة الآن وبعد مرور عشر سنوات على استقلال البلاد ، يشغل فيها القطريون جميع المناصب الادارية الرئيسية ..

والواقع أن مسئولية ادارة شئون الموظفين عن تقطير الوظائف لا تقتصر فقط على نطاقها الخاص ، بل يشمل بحكم اختصاصها القانوني سائر الوزارات والادارات والأجهزة الحكومية

وقد كان لمعاونة إخواننا القطريين من مديري الادارات وكبار المسئولين بالجهاز الحكومي ، وتطلعاتهم نحو تحقيق أهدافنا القومية السامية ، أثر طيب فى تطبيق سياسة التقطير فى القطاع الحكومي ...

جيل من الشباب المدرب

ولا يقف دور ادارتنا فى تقطير الوظائف عند حد المناصب الرئيسية فحسب ، بل تعداه الى ما هو أبعد من ذلك ، إذ تقوم الادارات بالتخطيط لاعداد جيل من الشباب القطري وتأهيله لشغل الوظائف الادارية الوسطى والدنيا ، ليكون التدرج فى سلم الجهاز الاداري من القاعدة الى القمة ، مما يكسب الموظف خبرة وحنكة بخلفيات المنصب الاداري الذى يشغله ، وحتى يستطيع خدمة وطنه فى مجال تخصصه بالأسلوب الأمثل الذى يحقق أقصى طاقة ممكنة من الانتاج والتقدم المستمر ..

زيادة الأجور

وبالنسبة لتطوير القوانين واللوائح والنظم التى تتعلق بتنظيم الخدمة المدنية فى القطاع الحكومي والذى تتولى ادارة شئون الموظفين مسئولية الاشراف والرقابة عليها ومتابعة تطبيقها ، فقد شهدت ادارة شئون الموظفين تطوراً كبيراً أدخل على نظم الخدمة المدنية ، كان من نتيجته زيادة الدخول الاجمالية للموظفين بصفة عامة ، واستحداث العديد من النظم الوظيفية ، وتعديل بعض النظم القائمة بما يتفق والتطور الذى طرأ على الحالة الاقتصادية العامة ، وكان له أثره فى رفع مستوى الأسعار والخدمات ..

وقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى رعايته بالموظفين والعاملين بصفة عامة ، وذلك بزيادة المرتبات بين الحين والحين ، حتى تجاوز الكادر المالي العام للموظفين والعاملين ضعف ما كانت عليه المرتبات الأساسية فى عام ١٩٧١ ، وقد شمل التطور المزايا المادية الأضافية الملحقة بالمرتبات الأساسية ومن أهمها :

● زيادة مقدار العلاوة الاجتماعية للقطريين بكلتا فئتيها (متزوجين وعزاب) بموجب قرار مجلس الوزراء رقم

٥ لسنة ١٩٧٦ بشأن العلاوة الاجتماعيه وبدل السكن .

● تقرير علاوة اجتماعية لفئة اعزب للموظفة القطرية المتزوجة من موظف قطري مع احتفاظ زوجها بالعلاوة الاجتماعية لفئة متزوج بذات مقدارها .

● قرار مجلس الوزراء رقم ١١ لسنة ١٩٨٠ بتعديل بعض أحكام قرار مجلس الوزراء رقم ٥ لسنة ١٩٧٦م فى شأن العلاوة الاجتماعية وبدل السكن .

● تقرير مكافأة تشجيعية للقطريين من أعضاء الهيئة التدريسية العاملين فى المدارس والمعاهد بوزارة التربية والتعليم بواقع ٢٠٪ فى عام ١٩٧٦ زيدت الى ٤٠٪ من المرتب الأساسي فى عام ١٩٨٠ .

● تقرير بدل طبيعة عمل للحاصلين على مؤهلات علمية بواقع ٢٠٪ من المرتب الأساسي .

(قرار مجلس الوزراء رقم ٣ لسنة ١٩٧٥ بتقرير بدل طبيعة عمل لبعض الوظائف) .

● صرف قروض لمواجهة متطلبات الزواج والديون الشخصية (مرسوم رقم ٢٠ لسنة ١٩٨٠ بشأن تنظيم القروض التى تمنح للموظفين بضمان المرتب ، ومكافأة نهاية الخدمة) ويشمل غير القطريين فيما يتعلق بالقروض بضمان مكافأة نهاية الخدمة .

● تقرير علاوة تشجيعية للقطريين الحاصلين على دبلوم معهد اللغات التابع لوزارة التربية والتعليم قرار مجلس الوزراء رقم ٢ لسنة ١٩٧٨ بشأن تقرير حافز مادي للقطريين من خريجي وخريجات معهد اللغات .

● منح علاوتين دوريتين للموظفين الحاصلين على دبلوم معهد الادارة أو تعديل أوضاعهم بترقيتهم الى درجة أعلى (الثانية أو الأولى من الحلقة الثالثة) .



بقلم : خطّاب عمر الدفع

مدير إدارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول

● تقرير علاوة محو الأمية بواقع ١٥٠ ريالا شهريا للعامل القطري الذى يحصل على شهادة محو الأمية .

● زيادة مقدار بدل التمثيل فى المهام الرسمية وصرف بدل تمثيل كامل عن مدة شهر ونصف بدل تمثيل عن ستة شهور عند الايفاد فى دورة تدريبية . مع تعديل تخصصات البعثات الدراسية الى ما يعادل ضعف ما كانت عليه عام ١٩٧٢ .

● إلغاء نظام العلاوة المحلية ، وتقرير علاوة بدل سكن بواقع ٥٠٪ من المرتب الأساسي للمتزوج ، ٢٥٪ للأعزب للموظفين المعينين محلياً _ وكذا الغاء كافة القيود الخاصة بمنح علاوة بدل السكن بالنسبة لجميع الموظفين غير القطريين (قرار مجلس الوزراء رقم ٥ لسنة ١٩٧٦ فى شأن العلاوة الاجتماعية وبدل السكن) .

● زيادة مقدار بدل السيارة (بدل التنقل) وزيادة القرض المخصص لشراء سيارة خاصة .

● تقرير منح لأبناء بعض الموظفين من غير القطريين للدراسة فى الجامعات والمعاهد العليا الأجنبية (قرار مجلس الوزراء رقم ٣ لسنة ١٩٧٨) .

الأهداف والغايات

هذا وقد شمل التطور التشريعي للنظام الوظيفي في الدولة انشاء العديد من المناصب الادارية الجديدة ، من أهمها انشاء نظام وكلاء الوزارات ..

وهكذا نرى أنه من واقع مسئوليات وأعباء ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول ، كان لزاماً عليها ملاحقة ركب التطور الكبير المتلاحق الذى شمل كافة أجهزة الدولة ومرافقها العامة ، والذى قاد دفته حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد الأمين ..

والمعروف أنه منذ تولي سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول الاشراف الأعلى لادارة شئون الموظفين ، باعتبارها إحدى الادارات التابعة لوزارته ، وبفضل توجيهات سعادته وتأييده للعناصر القطرية الشابة ، أمكن لهذه الادارة أن تشق طريقها نحو تحقيق أهدافها ، فاستطاعت خلال عشر سنوات من الاستقلال أن تقطع شوطاً لا بأس به فى سبيل التقدم والنمو الاداري ، خاصة وأنها الجهاز المركزي للخدمة المدنية فى القطاع الحكومي .. وقد أناط بها قرار تنظيمها ، العديد من المسئوليات والأعباء ذات الطابع الرقابي والاشرافي بالنسبة للجوانب الادارية فى كافة الوزارات وأجهزة الحكومة المختلفة التى تتدرج ميزانيات موظفيها ضمن الباب الأول فى الموازنة العامة للدولة .

ولن تقف جهود الادارة _ باذن الله _ عند هذا الحد ، فهي تتطلع الى مزيد من التقدم والنمو والازدهار ، بفضل الثقة الغالية التى أولاها قائد المسيرة وباني نهضة البلاد .

شمس الاستقلال
تشرق على قطر

مستقبل

إن الحديث عن الثقافة يرتبط في غاياته البعيدة بالحديث عن الحضارة ، وإذا كانت الحضارة تشير الى المظاهر المادية للنهضة القائمة فى أى بلد من البلاد ، مثل الصناعة والزراعة وسائر مظاهر العمران ، فان الحديث عن الثقافة يكمل الصورة العامة لهذه النهضة ، بأن يلمس الجوانب المعنوية الأخرى مثل الفكر والأدب والفنون بشتى أصنافها .

ومن هذا المنطلق ، فقد عملت حكومة قطر تحت قيادة سمو الأمير المفدى وسمو ولي عهده الأمين ، على بذل كل غال فى سبيل تهيئة المناخ الثقافي اللازم لبناء الانسان القطري وتزويده بكل ما يحتاج اليه عقله ووجدانه من فكر وفن ، حتى تتوازى مظاهر التقدم العمرانية والمادية مع مثيلاتها الثقافية ، وحتى تكون النهضة مبنية على أسس سليمة وعلمية

وقد كانت « ادارة الثقافة والفنون » أحد هذه الأجهزة التى تسهم فى تنشيط الحركة الثقافية فى البلاد ، بل إنها الادارة الرئيسية المختصة بهذا المجال اختصاصاً مباشراً ، وسأحاول أن أستعرض بايجاز ، دور هذه الادارة ونشاطاتها في تهيئة المناخ الثقافي الملائم ، بعد أن تشرفت بحمل عبء ومسؤولية ادارتها خلفاً لأخ فاضل هو الأستاذ ناصر العثمان ، الذى أسس هذه الادارة ووضع القواعد السليمة لهذا البناء .

وقد كان – ولا يزال – للادارة ، انجازاتها الكبيرة فى مجال الفنون الشعبية والمسرح والفنون التشكيلية ، وأعتقد أن دورى فى الادارة فى هذه المرحلة ، هو تعميق وترسيخ الثقافة بمفهومها العام ، والعمل على فتح المجالات أمام المواهب الشابة فى الشعر والقصة والمسرح والبحوث الأدبية ، وكافة مجالات الابداع الأخرى ، مع المضى فى تدعيم النشاط الثقافي والفني بكافة الوسائل الممكنة .

وبطبيعة الحال ، فنحن لن نستطيع هنا ، سوى الاشارة العجلى ، لأهم المجالات التى تحاول ادارة الثقافة والفنون أن تدعمها وتطورها وتنهض بها ، وقبل أن نعرض لهذه المجالات والخطط المعدة لها ، نود أن نشير الى أن « إدارة الثقافة والفنون » ، أولت الناحية الادارية اهتماماً خاصاً حتى تكون قادرة على العمل بكل طاقاتها وبدون معوقات ، فعملت على إعادة تشكيل الهيكل الادارى ليتمشي مع الخطط والأهداف المراد تحقيقها . كما اهتمت الادارة بتنسيق التعاون بينها وبين وزارة التربية والتعليم والمجلس الأعلى لرعاية الشباب فى المجالات الثقافية والفنية ، كما نظمت عملية تبادل الكفاءات والخبرات والامكانيات ، بينها وبين هذه الجهات .

فى مجال النشر

لاشك أن نشر الكتب والمؤلفات الأدبية والفنية الابداعية مثل الشعر والقصة وغيرها من الفنون ، بجانب البحوث والدراسات النقدية ، أمر يحتاج الى دعم من الدولة ورعاية لمثل هذه المواهب الأدبية ، ولذا ، فان « ادارة الثقافة والفنون » أعدت خطة لنشر العديد من الكتب والدراسات فى كافة المجالات ، من شعر وقصة وأدب أطفال وبحوث ودراسات . ولا تقتصر هذه الخطة على المؤلفين المحليين ، بل إنها تتضمن إعادة نشر أهم الكتب والدراسات العربية ، وكذلك إعادة طباعة بعض المجلات والدوريات الأدبية التى توقفت عن الصدور ، والتى كان لها دورها الكبير فى الحركة الثقافية والأدبية على مستوى الوطن العربي .

ومن المعروف أن المسرح قاعدة ثقافية أساسية فى ثقافة العصر الحاضر ، ولذا فان الدولة نظرت الى النشاط المسرحي بعين الاهتمام البالغ ، فقامت ببناء مسرح يتسع لخمسائة متفرج ، وقد الحق هذا المسرح بمبنى وزارة الاعلام الجديد ، الذى سيفتتح بمشيئة الله في احتفالات ٢٢ فبراير القادم ، وقد بني هذا المسرح على أحدث الطرز المعمارية وأكثرها مواءمة للبيئة القطرية وزود بأحدث أجهزة الاضاءة والصوت والحركة ، ويشتمل بجانب كل ذلك على مسرح دائري ، وفرت له أعلى الكفاءات العالمية اللازمة ، وقد خططت وزارة الاعلام لبناء مسرح آخر سعته ٣٥٠ كرسياً ، وسيلحق به مقر الفرقة القطرية القومية للفنون الشعبية ، وسيكون مزوداً بقاعات للتدريب على الرقص والموسيقى .

ولا شك أن هذين المسرحين ، سيساعدان على دعم النشاط المسرحي والفنى فى البلاد ، وعلى نشر الثقافة والفن بين أوساط قطاعات عريضة من الشعب القطري . وسوف تعمل « ادارة الثقافة والفنون » على إحضار خبير مسرحى عربي من المتضلعين فى هذا المجال ، ليساعد على تكوين الفريق القومي للتمثيل ، الذى سيكون بمثابة مدرسة لفنون المسرح المختلفة ، من تمثيل وإخراج وديكور .

وسوف تمضي الادارة فى سياسة الدعم المادى والمعنوى للفرق الأهلية المسرحية وفرق الفنون الشعبية ، والادارة لن تتوانى عن رفع مثل هذا الدعم بما يمكن هذه الفرق من الارتفاع بمستوى الأداء . وسوف تتوسع الادارة أيضا فى الخدمات والتسهيلات التى ينبغي أن تكون متوفرة لمثل هذه الفرق ، والدولة تعمل الآن على توفير أراض خالية تصلح لأن تبنى عليها مقار الفرق المسرحية وفرق الفنون الشعبية .

التراث الشعبي

أشرنا منذ قليل الى مشروعات الادارة خاصة والدولة عامة من اجل دعم وتطوير فرق الفنون الشعبية واتاحة التسهيلات المادية اللازمة لها ، واضافة

الثقافة في قطر

لذلك ، فان « ادارة الثقافة والفنون » ، ستكثف جهودها فى سبيل رصد وتوثيق التراث الشعبي بكافة فروعه : الشعر والقصة والحكم والأمثال والموسيقى والغناء والرقص ، وذلك بكل وسائل التسجيل المتاحة والممكنة ، حتى تتكون فى النهاية مكتبة متخصصة فى هذه المجالات جميعاً ، تكون مرجعاً للدارسين والباحثين فى هذا المضمار ، ومعيناً يستلهم منه الفنانون ابداعاتهم ، فضلا عن أن ذلك المشروع سيحفظ التراث الشعبي من الضياع تحت الحاح التطور المعاصر الذى تشهده البلاد .

الفنون التشكيلية

وفيما يختص بهذا المجال ، فان الادارة تخطط للتوسع فى اقامة المعارض المحلية لجميع الهواة ومن كافة الجنسيات التى يقيم أصحابها فى البلاد كما سيشمل هذا التوسع المعارض المنفردة للفنانين ، فاذا أضفنا الى ذلك كله ، المعرض السنوي الرسمى ، وجدنا أن هناك فرصاً طيبة للفنانين التشكيليين لعرض انتاجهم . فضلا عن الادارة لن تقتصر على هذا النشاط المحلي ، بل إنها تخطط لارسال معارض قطرية الى الخارج ، حتى يكون في ذلك فرصة طيبة للاحتكاك بفنون البيئات الأخرى ، وفرصة للافادة والاستفادة .

والادارة تبحث الآن عن أحد البيوت القطرية القديمة ليعاد ترميمه ويكون صالحاً كمقر للمرسم الحر ، وسوف يتم تشكيل هيئة استشارية تضم نفراً من المختصين والخبراء في هذا المجال ، تكون مهمتها الاشراف على برامج وخطط المرسم ، حتى يصبح مصدر اشعاع حقيقي للفن التشكيلي فى البلاد .

وتخطط الادارة أيضاً ، لاستقدام خبرات فنية عربية متميزة ، من أجل عقد دورات مكثفة فى فروع الفنون التشكيلية المختلفة ، مثل النحت والتصوير والزخرفة والحفر .. وهلم جرا . وطبقاً



بقلم : موسى زينل

مدير إدارة الثقافة والفنون

للخطة الموضوعة ، فان استقدام هؤلاء الخبراء والفنانين سيتم تباعاً ولفترة محددة لكل منهم ، حتى يمكننا الاستفادة ، بأكبر قدر ممكن من الخبرات المتنوعة فى هذا المجال .

وتتنوع أساليب النشاط الثقافي تنوعاً خصباً ، فلا تقف عند حد الانشاءات والمباني ووسائل الدعم المادي .. بل إن « الادارة » دأبت فى كل عام على اعداد برنامج سنوي للموسم الثقافي ، وبالنسبة للموسم الثقافي القادم ، فان «الادارة» خططت له بحيث يشتمل على مجموعة من المحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية والأمسيات الخاصة بالأغنية الخليجية ، كما يشتمل أيضاً على البحوث المتعلقة بالثقافة العربية والتاريخ العربي وغير ذلك من قضايا العصر التى تهم العرب والحضارة العربية .

وغير اسلوب الندوات والأمسيات ، هناك أسلوب آخر يتمثل فى اقامة الأسابيع الثقافية خارج البلاد ، وفى نفس الوقت استقبال الأسابيع الثقافية التى ترغب الدول العربية والصديقة فى اقامتها بالبلاد .

وبهذه المناسبة ، فان « إدارة الثقافة والفنون » ، خططت لاقامة أسابيع قطرية فى الخارج ، بالاضافة الى المشاركة فى الأسابيع الثقافية الخليجيةالمشتركة ،

وبجانب الأسابيع الثقافية والندوات هناك مجال البعثات ، و « إدارة الثقافة والفنون » ، تشارك من ناحيتها فى رسم سياسة البعثات الدراسية فى المجالات الفنية والأدبية المتعلقة بأعمالنا ، حتى نتمكن من الاستفادة من طاقات المبعوثين عند عودتهم بمزيد من الخبرة توفر لنا الكوادر القطرية التى تنقصنا .

والتوسع الأفقي أيضاً

وفى الختام فاننا نود أن نشير الى أن التوسع الثقافي الذى تشهده البلاد الآن، لا يتم على المستوى الرأسي فحسب ، من حيث تعميق وتكثيف مظاهر ومجالات الأنشطة الثقافية ، بل يتم أيضاً وفى نفس الوقت على المستوى الأفقي ، فمن الناحية الجغرافية ، لا تستأثر العاصمة « الدوحة » بكل المزايا ، بل أن المدن الأخرى فى أنحاء البلاد لها نصيبها من التنمية الثقافية ، ويجرى الآن اقامة مركز ثقافي فى مدينة « الخور » هذا العام ، ومازال هناك فى اقامة مركز آخر فى منطقة « دخان » ، وهذه المراكز تتيح للشباب فرصة ممارسة هواياتهم الأدبية والفنية وتنمية مواهبهم .

إن النشاط الثقافي في البلاد ، يمضي بخطى واثقة ، ويحقق التقدم كماً وكيفاً ، وفى احتفالات هذا العام بمرور عشر سنوات على الاستقلال ، ستقدم الفرقة القومية القطريـة للفنون الشعبية برنامجها الأول ، الذى يشتمل على حوالي عشر لوحات وصور شعبية . وسنرى إبداعات الفنان القطري فى كل مجال ، مشيرة الى ذلك البنيان الذى ارتفع وسيرتفع يوماً بعد يوم فى ظل القيادة الحكيمة للبلاد .



تجريد اسلامي .. للفنان يوسف احمد



تكوين شعبي .. للفنان جاسم زيني

ملامح الحركة التشكيلية في قطر

إن التشكيل القطري هو النمط الأصلي المحلي للفن فى قطر ، وهذا جزء لا يتجزأ من الفن فى حوض الخليج العربي ، أما الحركة الحديثة فهي الحركة التى بدأت مع النظام التعليمي فى قطر مع بداية الخمسينات في القرن العشرين ، وهي لا تنتمي الى المنطقة وذلك لأن المبدأ المتبع هو الفن من أجل الفن ، وهذا ما لم نعرفه من خلال التراث الاسلامي ، فالفنان المسلم كان حريصاً كل الحرص على أن يؤدى عمله وفى المقام الأول وظيفته على أكمل وجه ، ومن ثم كان يركز على الغرض الجمالي ليؤدى أغراضاً أبعد ، قد تكون فلسفية أو دينية أو وظيفية .

والحركة التشكيلية ــ ليست فى قطر ــ بل فى الوطن العربي أيضاً ظلت تتبع المذاهب الأوربية المستوردة ، حيث لا تتعدى أن تكون اللوحة مجرد قطعة تزين حائطاً فى فندق أو في بيوت بعض المتذوقين .

بداية الحركة التشكيلية

ولكن مع بداية تخرج الفوج الأول من الفنانين الأكاديميين أمثال (جاسم زيني ، يوسف أحمد ، حسن الملا) بدأت الحركة التشكيلية في قطر تأخذ شكلا آخر فى تحركها ، قبل هذه الفترة كانت مشاركة قطر فى المعارض العربية والدولية ، نادرة (مثل السبعينات) كما أنه لم يكن هناك أي تجمع للفنانين التشكيليين القطريين قبل هذا الوقت

أيضاً ، ولذا فبداية السبعينات هي البداية لمسيرة الحركة التشكيلية فى قطر ، وبدايتها الحقيقية كانت مع التجمع الأول الذى برز من خلال المعرض الدائم الذى أقامه نادى الجسرة الثقافي فى بداية عام ١٩٧١ ، وكان هذا المعرض أول أنشطة الفنان جاسم زيني بعد التخرج من أكاديمية الفنون الجميلة (بغداد) بالاشتراك مع الفنان يوسف أحمد ، وعبد الرحمن بادار ، وشارك فى هذا المعرض أكثر من عشرة فنانين قطريين ، وكان الفنانون يمدون هذا المعرض باللوحات الفنية ، حتى يظل المعرض محتفظاً بأعمال حديثة فى كل شهر تقريباً ، ومن خلال هذه القاعة تم الالتقاء بين الفنانين القطريين والاطلاع

على تجارب بعضهم وإنماء الحركة التشكيلية الحديثة فى قطر .

ومن خلال هذا اللقاء تولدت فكرة الجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، وشاركت قطر في كثير من المعارض الدولية أيضاً .



القرية .. للفنان محمد على عبد الله

وقد ظلت الجمعية القطرية للفنون التشكيلية صورية بين الفنانين القطريين ، حتى بدأ الفنانون بالتفكير في إعطاء الجمعية الصفة الرسمية حتى تتاح لهم فرصة المشاركة فى اتحاد الفنانين التشكيليين العرب ، وذلك لربطهم بأخوتهم التشكيليين العرب ، والمشاركة قضايا الانسان العربي من خلال إبداعهم الفني .. تم الاتفاق على القانون الأساسي للجمعية ، والموافقة من قبل الدولة على هذا التجمع ايماناً منها بأهمية مثل هذه التجمعات الثقافية لدفع الحركة الحضارية فى البلاد ، وبذلك تم اشهار الجمعية فى فبراير عام ١٩٨٠ .

إن الحركة الشكيلية في قطـر لها طابعها الخاص ومشاكلها الخاصة ، وهذه المشاكل بعضها موجود في معظم الدول العربية .. ومن أهم هذه المشاكل نشر التذوق الفني بين الجمهور ، وعزوف هذا الجمهور عن الحضور لمشاهدة تجاربه ومعاناته . وقد أخذت محاولة حل هذه المشكلة عند الفنان القطري شكلا عملياً فعالا بدأ يجنى ثماره ، ففى بداية عام ١٩٧٧ كان هنالك تجمعاً صغيرا يجمع ثلاثة فنانين تشكيليين (حسن الملا ، يوسف أحمد ، محمد علي) وأطلقوا على تجمعهم (الأصدقاء الثلاثة) ، ومن خلال هذا التجمع الثلاثي ، حاول الأصدقاء الثلاثة ، وضع حل عملي لمشكلة هروب الجمهور ، وعدم مبالاته لحضور المعارض ، وهذا الحل كان عبارة عن فكرة جريئة احتاجت منهم كثير من الجهد والتضحية ، فقد قرروا نقل المعرض الى الجمهور فى الشوارع ، والأسواق ، وأماكن التجمع ، بدلا من حضور الجمهور الى المعرض ، وفعلا ، وبعد فترة من القلق والتردد ، أقام الأصدقاء الثلاثة معرضهم الأول ، وكان نجاح المعرض فوق تصورهم ، مما شجعهم على اقامة المعرض لثلاثة سنوات متوالية كان أخرها فى رمضان ١٩٨٠م .

البحث عن هوية

وهناك قضية البحث عن الهوية وهي القضية التى تشغل فنانو الوطن العربي من أقصاها الى أقصاها . فمن بين الفنانين الذين وصفوا هذه الخيارات هو الفنان يوسف أحمد ، فقد انتمى الى مدرسة الخط العربي ، وله فيها بحوث جادة من خلال (طباعة الحرير ، الليثوغراف ، والأكرلك) . وهو الآن يدرس فى الولايات المتحدة الأمريكية يحضر لرسالة الماجستير فى الخط العربي .

ومن بين الفنانين القطريين الذين أثروا البحث عن هوية للتشكيل العربي ، هو الفنان جاسم زيني ، فقد كانت له أعمالا جادة وراقية فى أولى سنوات تخرجه من الأكاديمية سنة ١٩٦٨ ، وهو يمارس التصوير الزيتي ، واللوحات التى انتجت فى السنوات ما بين ١٩٦٨ — ١٩٧٥ تعتبر الأعمال الناضجة للفنان ، وكان يرتقى فى خط بياني حاد الى أعلى ، ومعظم مواضيع الفنان فى هذه الفترة الانسان القطرى وتتبع أدق أمور حياته

وهنالك فنانون آخرون أثروا حركة البحث ، وحركة التذوق الفني عند الجمهور فى قطـر ، وهم الفنانون : حسن الملا ، على شريف ، يوسف الشريف ، فرج أدهام، محمد علي ، سلمان المالكي ، محمد الكواري ، سيف الكواري . ماجد المسلماني ، عيسي الغانم ، سلطان الغانم ، وفيقه سلطان ، بدرية درويش ، محمد الجيدة .. ومازال الفن فى حاجة الى أسماء جديدة من أبناء هذا الجيل ..

محمد على عبد الله





تهنئة عطرة

لحضرة صاحب السمو

الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

أمير البلاد المفدى

ولحضرة صاحب السمو

الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

ولي العهد

وإلى أبناء الشعب القطري الكريم

بمناسبة يوم الاستقلال

بنك قطر الوطني

تليفون ٣٢١٠٥٥ ص.ب ١٠٠٠ - الدوحة - قطر

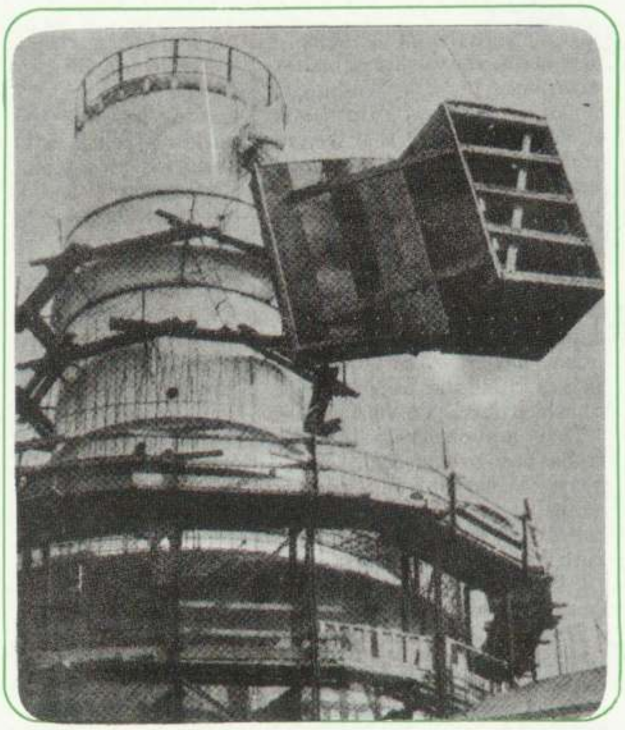
حقيقة السلاح النووي في إسرائيل

بقلم: محمود شيت خطاب

بدأ العدو الصهيونى نشاطه العلمى فى المجال النووى منذ ولد كيانه فى الأرض العربية المحتلة «فلسطين» فى أواسط سنة ١٩٤٨ ، وكثف هذا النشاط بالتدريج ، ولم يفرط بلحظة من وقته دون أن يستغلها فى هذا المجال .

وكان طموحه لانتاج السلاح النووى مكتوماً لا يعرفه أحد غير العاملين فى مجاله من الصهاينة ومن وراءهم من العلماء الموثوق بهم .

وقد كتم طموحه متظاهراً بالفقر تارة ، وبالدعوة الى السلام تارة أخرى ، ومن المعروف أن العدو الصهيونى لا يؤمن بالسلام ولا يريده ، وإذا هو أراد الحرب تظاهر بالسلام .



مفاعل نووى اسرائيلى قرب تل أبيب

ولأول مرة انكشفت نيات العدو الصهيونى فى الحصول على السلاح النووى ، كان بعد الاعتداء الثلاثى على الشقيقة مصر سنة ١٩٥٦ ، إذ ظهر أن من جملة شروط التعاون الفرنسى الصهيونى فى مهاجمة الشقيقة مصر ، هو إمداد فرنسا للعدو الصهيونى بأسرار السلاح النووى ومواده الأولية المتيسرة لدى فرنسا .

وفجرت فرنسا قنبلتها النووية الأولى فى شباط (فبراير) من سنة ١٩٦٠ فى صحراء الجزائر التى لم تكن قد استقلت بعد ، فاستغل العدو الصهيونى حقد فرنسا على العرب حينذاك من جراء حرب التحرير الجزائرية ، وزار بن غوريون فرنسا فى حزيران (يونيه) من سنة ١٩٦٠ ، كما زارها شمعون بيريس وكيل وزارة الدفاع حينذاك ، وكان للزيارتين علاقة وثيقة بمحاولات العدو الصهيونى الحصول على أسرار السلاح النووى .

وقد أكدت الأنباء ، ومنها ما نشرته جريدة (الديلى ميل) البريطانية بتاريخ ٢١ كانون الأول (ديسمبر) من سنة ١٩٦٠ ، ان فرنسا زودت العدو الصهيونى بمقدار من (البلوتونيوم) وبالأسرار الفنية اللازمة لانتاج القنبلة النووية ، وبخبراء لاقامة الفرن النووى الصهيونى ، وقد ثبت أن هذا الفرن كان يشرف عليه علماء فرنسيون .

وتطور نشاط العدو الصهيونى فى مجال الدراسات النووية وتطبيقاتها العملية . كما تطور نشاطه فى مجال العلوم التطبيقية الأخرى ، وكان قد أنشأ مؤسسة الطاقة النووية سنة ١٩٤٨ ، وأقام معهد وايزمان فى (رحبوت) سنة ١٩٥٥ ، تطبيقاً للنظرية الصهيونية فى التفوق فى مجال التسليح على الدول العربية المتفوقة عليه بتعداد نفوسها ، وهذه النظرية ملخصها : « مزيد من السلاح لقليل من النفوس ، لاكتساح التفوق العددى العربى فى ميزان القوى العسكرية » .

ولكن هذا التفوق فى التسليح قد لا يدوم طويلا ، إذا انتج العرب أسلحتهم محلياً ، وكثفوا تسليحهم ، لذلك دأب العدو الصهيونى على إحراز التفوق على العرب فى مجال العلوم التطبيقية ، لانتاج السلاح النووى الذى يعوض على العدو الصهيونى قلة تعداد سكانه ، ويحرم العرب من جهة أخرى فى تفوقهم

حقيقة السلاح النووي في إسرائيل

السكانى الساحق على العدو الصهيونى .

والى جانب محاولة العدو الصهيونى انتاج السلاح النووى بالاستفادة من تفوقه فى العلوم التطبيقية ، فان له نشاطاً فى انتاج الأسلحة الجرثومية والأسلحة الكيماوية ونشاطاً فى انتاج الأسلحة السرية الأخرى ، تحقيقاً لهدفه: اكتساح التفوق العددى للعرب ، والتوسع على حساب البلاد العربية لتكوين : اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

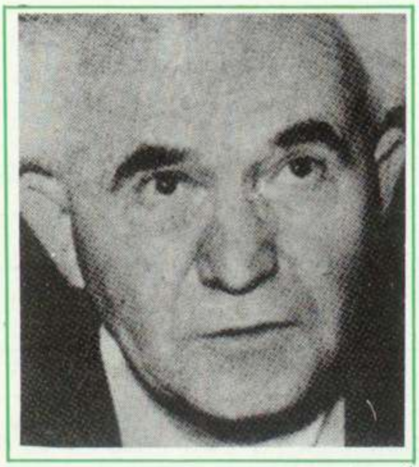
وفى هذه الدراسة ، سأقتصر على نشاط العدو الصهيونى فى مجال انشاء معاهد ومؤسسات الطاقة النووية وانشاء مفاعلاته ومسرعاته النووية .

معاهد ومؤسسات الطاقة النووية الصهيونية

١ ــ مؤسسة الطاقة النووية الصهيونية

لم يمض على قيام الكيان الصهيونى فى الأرض العربية فلسطين سنة ١٩٤٨ ثلاثة أشهر ، حتى أصبحت : (مؤسسة الطاقة النووية الصهيونية) حقيقة راهنة ، ففى شهر آب (أغسطس) من سنة ١٩٤٨ بدأت هذه المؤسسة نشاطها باشراف وزارة الدفاع للصهاينة ، ثم استقلت بعد ذلك وأقامت منشآتها ومختبراتها فى مدينة (ناحالسوريك)٦.

وفى ١٢ نيسان (ابريل) من سنة ١٩٤٩ ، أرسل العدو الصهيونى علماءه الى كل من بريطانيا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ، للتخصص فى الكيمياء الاشعاعية وكيمياء التفاعلات النووية والتحليل النيوترونى والاشعاعات النووية وتطبيقات النظائر المشعة ، فعادوا سنة



دافيد بن جوريون



شيمون بيريز

١٩٥٤ الى الأرض العربية المحتلة فلسطين يحملون شهادة الدكتوراه ــ كل واحد منهم حسب اختصاصه .

وفى ١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٥٤ ، أعلن الرئيس الأمريكى ايزنهاور عن برنامج : (الذرة من أجل السلام) .

وفى ٢ كانون الأول (ديسمبر) من سنة ١٩٥٤ ،أعلنت الأمم المتحدة عن انشاء : (الوكالة الدولية للطاقة النووية) .

واستفاد العدو الصهيونى من هاتين المؤسستين الأمريكية والدولية كثيراً ، وتلقى منهما كثيراً من المساعدات العلمية والفنية ، وحظى بحصة الأسد من النظائر المشعة واليورانيوم الطبيعى المقوى والذى كانت تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية بموجب برنامج : الذرة من أجل السلام .

والمعروف أن لمؤسسة الطاقة النووية نشاطاً ملموساً فى جميع الجامعات ومعاهد العلوم التطبيقية فى داخل الكيان الصهيونى ، وفى كثير من الجامعات والمؤسسات والمعاهد والمنظمات العلمية فى خارج الكيان الصهيونى .

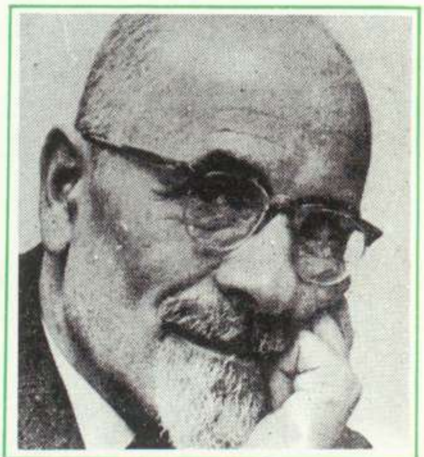
وتوجه هذه المؤسسات حالياً اهتماماً لدراسة المسائل المتعلقة بالمفاعلات النووية وإنتاج الماء الثقيل والأسلحة النووية .

وتعتبر منشآت هذه المؤسسة ومختبراتها من أهم المراكز النووية الصهيونية وأخطرها ، إذ أنها تشرف على جميع الأبحاث النووية فى الجامعات والمعاهد ، كما أنها تشرف على ادارة جميع المفاعلات والمشروعات النووية ، وتمتلك مختبرات مهمة جداً فى (ناحال سوريك) وغيرها من المدن الصهيونية ، بعضها تستقر على عمق مناسب تحت الأرض لحمايتها ، وهذه المختبرات مجهزة بأحدث الأجهزة العلمية والمعدات ، بالأضافة الى المفاعل النووى الموجود هناك .

٢ ــ معهد وايزمان فى رحبوت

صدر مرسوم صهيونى بتاريخ ٩ تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٥٥ ، يقضى بانشاء قسم للفيزياء النووية فى معهد وايزمان فى رحبوت ، فتولى العلماء الصهاينة العائدون من الخارج مهمة الاشراف على الأبحاث التى تجرى فيه .

وفى ١٢ تشرين الثانى (نوفمبر) من سنة ١٩٥٥ ، حصل العدو الصهيونى على هدية مؤلفة من خمسة عشر ألف كتاب وتقرير ونشرة من الولايات المتحدة



حاييم وايزمان



ايزنهاور

الأمريكية ، تدور كلها حول العلوم النووية .

وقد قامت دائرة النظائر المشعة فى معهد وايزمان ، بتوجيه واشرف مؤسسة الطاقة النووية الصهيونية عليها ، بانتاج الأوكسجين المقوى المعروف بالماء الثقيل ، وتشير الاحصاءات العلمية الى أن العدو الصهيونى يؤمن ٩٥ بالمئة من طلبات العالم من هذه المادة ، والمعروف أن قيمة الغرام الواحد من الماء المقوى تبلغ ألف دولار أمريكى .

والواقع هو أن انتاج الماء الثقيل والخفيف بأيدى شركة (يدا) الصهيونية للبحث والتطوير التى أسسها معهد وايزمان فى سنة ١٩٥٩ لتطوير البحوث ذات القيمة الصناعية والتجارية ، وتخضع هذه الشركة بدورها لاشراف مؤسسة الطاقة النووية الصهيونية وتوجيهها .

والمهم أنه لم يمض سوى ست سنوات على افتتاح قسم الفيزياء النووية الأول ، حتى ارتفع عدد الباحثين فيه من ستة الى ستين عالماً وباحثاً ، ثم أصبح اليوم اضعافاً مضاعفة لهذا العدد

٣ ـ مجلس البحوث الصهيونى الوطنى

وهو عبارة عن مجلس تنسيقى للبحوث النووية التى تجرى فى المعاهد العلمية الصهيونية كلها .

وقد عين لهذا المجلس العالم الصهيونى (دوسترفوسكى) سنة ١٩٦٠ وهو الذى كان يشغل منصب رئيس قسم النظائر المشعة فى معهد وايزمان فى رحبوت .

ويستقطب هذا المجلس كبار العلماء الصهاينة فى الخارج والداخل ، ويدعو اليه علماء زائرين من دول الغرب وبخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية .

٤ ـ معهد التكنيون فى حيفا

ويجرى تدريب الخبراء فى هذا المعهد ويهتم بانتاج الصواريخ وتطويرها واستخدامها ، بالاضافة الى اهتمامه بالأسلحة النووية .

وكان يضم سنة ١٩٦٥ خمسة وعشرين مشروعاً ، منها ثمانية مشاريع على الأقل ذات فوائد عسكرية فى مجالى الصواريخ والسلاح النووى .

أما اليوم فقد تضخمت مشاريعه تضخماً كبيراً ، وأكثر تلك المشاريع للأغراض العسكرية .

هذا بالاضافة الى التدريس فيه وتخريج العلماء الصهاينة ومن الدول الأخرى الموالية للصهاينة وبخاصة الدول الأفريقية التى لها علاقات سياسية مع العدو الصهيونى ومع بعض دول أمريكا اللاتينية .

٥ ـ مديرية العلوم فى وزارة الدفاع

تشرف هذه المديرية على جميع القضايا العلمية للقوات المسلحة الصهيونية وبخاصة تطوير الأسلحة وانتاج السلاح النووى .

وتستعين هذه المديرية بالخبرات العالية من العلماء الصهاينة ، لمعاونتها فى النهوض بواجباتها فى القضايا العلمية التى هى بحاجة الى العلماء من ذوى الاختصاص العالى .

وقد اختارت وزارة الدفاع الصهيونية جماعة من الضباط اللامعين الذين لهم ميول علمية ، فأدخلتهم الجامعات والمعاهد العلمية الصهيونية ، فلما تخرجوا فى تلك الجامعات والمعاهد ، أوفدتهم الى الجامعات والمعاهد الأجنبية فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، فعادوا الى الأرض العربية المحتلة يحملون أعلى الشهادات العلمية .

وبذلك أصبح للعدو الصهيونى ضباط مختصون بالعلوم التطبيقية ، ومنها العلوم النووية والصواريخ والهندسة والكهرباء وانتاج الأسلحة التقليدية والمتطورة للاكتفاء الذاتى بالانتاج الصهيونى .

ولا تضم هذه المديرية العلماء من الضباط فقط ، بل تستعين أيضاً بالعلماء المدنيين الصهاينة .

محمود شيت خطاب

حمى الدريس

قصة علي المك



تأمل كيف أذعن النيل الأزرق للأبيض أخيه فيما أسموه المقرن ؟ وباعوا لكما، ولكل من لهم آذان وعيون، أسمعوهم بالراديو وأروهم بالتليفزيون، وزينوا لهم أن أعذب الشعر ـ الذى هو دونما ريب أكذبه ـ ما كان نظم لحظات زمان، والآن ينظم، وسينظم فيما يأتى من الزمان فى صفة هذا المكان : المقرن، هذا الذى أفقد النيل الأزرق لونه وروحه، وعليه هزم. صه ! أنت مسرف فى حب هذا النهر .. وتلك هى (وفاء) تقول لها :

ـ من الذى اخترع اللبن الزبادى ؟

ـ أهل منغوليـا .. قالوا .. بل قرأت مرة ..

ـ كذباً كاذب ..

ـ من إذن ؟ .

تنظر اليها تفحص وجهها، تحس أنها تترقب اجابة ترد على سؤال اللبن الزبادى :

ـ أهل منغوليا ؟ لا .. بائع لبن حليب كسدت بضاعته !

تضحك هي. وأنت تضحك.

فى الطريق الى بقعتكما المفضلة، فى فجوات الفراغ الصامت التى يثقب الهواء فراغها الصامت، حين يمر داخل السيارة .. الفجوات القصيرات بمقدار الزمان الذى يمضى، الفجوات اللائى لا يحشوهن الكلام الثرثار .. فيهن تنشغل مرات بتأمل يزيدهن فراغاً على فراغ، الثرثار الكلام، ذاك فراغ على فراغ .. أنظر على الجسر تمر شاحنات وسيارات وحافلات، ومساكين .. وما حكاية أهل القماير ؟ شاحنة تصر أن تتجاوزك، جهاز التنبيه فيه ضعيف الصوت، كأنه كان، ثم وهن .. مثل رجل بدين جداً، سماعك صوته الخافت، دون رؤيته لا ينبىء عن ضخامة جسده. لحظة فيك فارغة تضحك ها. ها. تمر الشاحنة تتجاوز سيارتك تحمل ورق طباعة .. ثقيل حملها ربما كان ثقل ما تحمله تنوء به، سبب العجز فى صوت جهاز التنبيه .. الليلة يزف الورق الأبيض للآلات، تزول صفته البياض بحبر أسود وحروف، بكل ما فيهـا ـ الحروف ـ من أخطاء الطابع والمحررين، وأخطاء أخرى لا يمكن أن تنسب لمصحح أو محرر، ورق يزف الى الآلات الهدارات كما تساق الخراف الى المذابح، كأنك ترى الغد ماثلا لعينيك، يوم تبصر بالورق الأبيض تفرش عليه كلمات صاحبنا الدكتور نصر الدين، موضوعها واحد كشخص ما يوماً يلبس جلابية، وتارة قفطاناً، وطورا بنطلوناً وقميصاً، والروح هى ذاتها، هى اياها، هي هي .. ياحفيظ .. السأمة، السأمة، السأمة.

هذا صاحبكم المرح يقول فى النادى :

ـ أدعو أى فرد منكم للعشاء لو أنه أكمل قراءة مقالة للدكتور نصر .. ها ..

ضحكتم كنتم جماعة، منكم الفاسق بالتصريح، والذى يريد أن يكون لصاً ويشيد بيتاً من سبعة طوابق، ليكون مقر سفارة أو سفير لدولة ذات منعة ومال ،ومال لا تأكله النيران .. فأى حلم ؟ وفينا من يحرص على الخمس الصلوات ويعتدل للبيرة المثلجة بعد العشاء يقول يحارب بها الصيف الحار. وذاك الذى امتص دمه حب يائس، وثلاثة منا جربوا أقلامهم على رءوس اليتامى كاتبين فى الصحف باختصار ! كنا بضعة عشر .. قال أحد الكاتبين، كانوا ثلاثة :

ـ اقبل التحدى وأمرى الى الله .. عشاء بالمجان ؟ أمر يطمح اليه كل انسان فى هذا الزمان الصعب.

قال صاحب الاقتراح :

لنتقى فيما أقول، عشاء وزجاجة بيرة طمع صاحبنا الكاتب فى الزيادة قال :

ـ عرض سخى .. قل زجاجتين .. ردد البعض :

ـ الطمع ودر ما جمع .. الطمع ودر ..

قال صاحب الاقتراح :

ـ ماشى، دكتور نصر الدين ممل .. ممل .. وسأكسب أنا الرهان !

هذا الذى يجول فى ذهنك يأخذ من عمر الزمان طرفاً جد يسير، ولكنه يزحف على الرأس فيغطيه، هو ما تسميه حشو الدماغ حين يكف الكلام الثرثار. ولتعلم أن أهل السيارات والشاحنات والحافلات ادمغة وفيها فراغ وكلام ثرثار فيها، هم أنت، صه ! انشغلوا عنك، ما همهم من الأمر شيء سوى هذه التحفة الجميلة (وفاء) يقولون عنها، بعضهم على الأقل، ما تقول أنت ربما عن ورق الطباعة والخراف، ولكن أيكما الذبيح ؟ وأين السلخانة. الرهان ؟ وما شأنك بالقماير ؟ وهل أكملت قراءة أى مقالة للدكتور نصر الدين ؟ .

صير كتاب الحكايات ـ كل العصور ـ المصادفة قاعدة .. أما الاستثناء ؟ يقولون انه بينما كان يعبر الطريق بصر بها، نظر اليها، اليه نظرت حين نظرت الى عيني وفاء أول مرة كانت حمى الدريس، كما تعرفها أنت عن نفسك، تفور فى وجهها، ما وصف احد عيونا تغشاها حمرة، هي حمرة الدماء .. كان كتاب الحكايات، يتحدثون عن المصادفة، كما اعتاد الشعراء نبش العصافير فى قبورها .. كل عصفور وصفوا عصفور ميت .. هل رأيت الاحمرار فى عينيها، اذاك شيء جميل ؟ فيوصف، اصمت، صه .. تذكر صديقاً .. اذن دعني اقص عليك هذه .. نعم .. ذاك الصديق كان قد عشق .. أمرأة يغشاها (دم التاير) كثيرا فى الصيف، تحك جسدها، يكاد يدمي .. قال أن مرضها ينبىء .. يتلمظ .. يقول ما يعنى أن ذاك الهياج انما هو اعلان عن رغبتها فيه، قلتم له : مسكين .. مريض أنت، لا هي ..

تعود الى أمر المصادفة عند كتاب الحكايات، صدق أولئك، كذبت أنت .. عيادة طبيب، أيام كانت أدواء الحساسية تأخذك كل جانب، العام جله، تاره كله .. حكة تبدأ على الأذن اليسرى، تقول تعالجها بظفر اذ يبلغ مقامها ناب تستكين وتغفو، تظن أنك قضيت على ثورتها، احتويت حدتها، هذه لغة السياسة كما تعلم .. يقولون الاحتواء ..

واء .. واء .. واء .. انصرف عن هذا العبث الساذج .. قل كلامك .. «حاضر طبيب» .. قلنا تهبط الثورة من الأذن اليسرى، الى الساق اليمنى، طريق معقد كما تراه، ولها معبد اذ هى تسلكه غير هيابة سبيلها مجرى الدم، فى لمحة أو بعض لمحة، تنحدر يدك تتبعها بظفر، وقد تبلغ مكانها بناب، لو أنت أعسر تكون اليد اليسرى، أو ايمن فباليمنى .. بديهى ايها الثرثار .. تقول حين تبلغ ساقك اليمنى بظفر من أصبع في اليد اليسرى، أم هى اليمنى ؟ أنت معقد .. لاريب .. لأنك أعسر، تسمع كثيرا من يذكر الشيطان فى اليد اليسرى، والاعسر يخالطه الشيطان. صه. يصعد الدم الفوار الى الكتفين والى الظفر نفسه الذى به تستعين. هذا يدعو أن تعض مكانه باسنانك كلها، ثم تصير أوان يزهر النيم الى احمرار في العينين

حمى الدريس

يفيض ، وفيض من العطس . أنت تعلم اصرارها ..

ذكر أن الدكتور سعيد ، طبه ناجع ، يده لاحقة باختصار رجل مبروك ومختص في مثل ما كنت منه تشكو وتتعذب ، ولتضف لهذا ذاك الصوت الصفيرى ، يجعل الصدر جحيماً ، قبل الربو ذاك . وجمعوا هذا كله فأسموها الحساسية ...

شجرة النيم التى فى البيت غرست يوم مولدك ، ان اجتثت تموت أنت ، وان جفت عروقها قضيت أيضاً ، ولله العجب ! فلها أنوثة طاغية تزهر قبل الاوان ، وتؤذيك .. وما الصوت الصفيرى؟ وما حكاية الناس في القمائر ؟ والنزلات المعوية ؟

حسناً سافر الى بلاد ليس بها نيم ، كثيرة بلاد الله التى لم يدخل اليها اللورد كتشنر شجرته الأثيرة .. ذكروا هذا . وصدقنا ، فى عيادة الدكتور سعيد تليفزيون ملون ، ومصلي .. والناس ، المرضى مؤمن وغير مؤمن . جلس الى جانبها في العيادة – مصادفة اتفاقاً – كان صوته الصفيرى يسمع ، وسعاله متصل ، يلتفت اليك المرضى ، من الناس من يعرف بصوت سعاله ، سيقولون : هو ذاك ، هو ذاك ، وليس لديك نظارة فتخفى وراءها العينين الحمراوين ، كل أولئك قد لحظوا أمر عينيك ، تكون كارثة لو تبع هذا أولئك ما أولئك سوى حك الأذن اليسرى ، فالساق اليمني وبعد ذلك الانف ، والسرة وهلم جرا .

أول ما نزلت أرض مصر رآك أحد معارفك من الطلاب السودانيين تحك كل مكان ، تارة تحك فيما يشبه العنف اللذيذ ، كالمحموم يلذ له الجلوس أو الوقوف تحت الشمس والشمس تصليه .. كنته أنت .. قال صديقك الطالب في مصر «تغيير فى الهوا» ، كان المفروض أن تأكل بصلة ساعة وصولك اليها!» مسكين طالب وبائس ما عرف من خيرات أم الدنيا شيئاً سوى بصلها .

المصادفة ، الاستثناء وصار قاعدة تلتقيان بعدها .. قبلها قلت لك ان ذلك كله من بعض مايسمى أمراض الحساسية منها حمى الدريس (هيى فيفر) . نطقتها نطقا سليماً ، آه يا زمان فوريه ، تظنين أن لغة أهله الفرنسية هينة ناعمة ، موسيقى ولحون ، الا انه كان يلتزم خشونة فى الصوت حين يتكلم الانكليزية . لات ساعة مندم ، آه ولى عهد فوريه ، وما بقى منه الا الأطياف والا الصور .. وقال قدم الى لورنس كانساس يزور أخته أولا ويعالج لغته الانكليزية من بعد ، ويتحرى أصول البلوز .. لحظت أنك اندهشت .. قالت :

نطقى فى الانكليزية لابأس به أليس كذلك لاتظن أننى مثل بعض مذيعى راديو أمدرمان ، لايعرفون الفرق بين أمريكا وأمريكا !!

ضحكتما .. انقضى أوان حمى الدريس وشهور حمى الدريس انقضين وسفر الصيف ، تأخذكما النشوة ، أو مثلها ، لتلك البقعة كانما هى من صنع افكارك ، لاأرض فيها ، لاحقيقة لا سماء تظلها ، كالتى تحلم أن تشيد فترى .. بقعة على النيل الأزرق قبل اتحاده مع الابيض ، بالمناسبة لماذا لاتؤيد هذا الاتحاد ؟ أمر بسيط ، حد الازرق من اندفاعه فيما يسمي المقرن ، واستسلم للأبيض ، ذكر الشعراء أن النهرين تعانقا هراء ما ذاك عناق ، أذعن الازرق للأبيض ..

لايملك هذه البقعة فيما يبدو أحد ، المهم ليس عليها قصر ولا زرع ، يريد صاحبها أن يجعل منها شيئاً هو نفسه لايعلم ما هو .. شيئاً ما .. اقام عليها خفيراً عم حسين عجوز .. ومن غير العجائز يرضى بواد غير ذى زرع ؟ يغمض عنكما جفنه ، يحب السجائر أشد حب ، علبة ربما علبتين يقنع بهما ليغمض الجفن عنكما ، (أنا مكلف باللصوص فقط) يقول هو وتقول أنت : وما يسرق اللصوص ؟ هذا الفضاء ؟ أم ماذا ؟

ويستطرد عم حسين «كلاب الحراسة نفسها لاتقاوم الرشوة ، تصور ، قطعة لحم ، أحياناً أنثى ها .. ها .. كل شىء وله نظام» ! ثم يتسلم السجائر في نشوة يقول ضاحكاً «ليس عند من هم مثلى أسنان .. ها ها ها ..» .

لم يكن زوج وفاء ثرياً ، ليس مهماً ، كان وظيفة سمينة فى ميزانية الجامعة ، غسل الأمل عقلها بل محاه محوا حين تقدم لها نظرت لكل شىء بعينى أمها ، تراجع نفسها الآن ، بل هى تسترجع طرفاً من أطراف ، «قدرت فيه العلم ساعتها» تقول . آه إنك تتحدثين كأنك دولة .. تسرف فى الحديث عن تكريم العلم والعلماء ، والمبدعين .. تقول لها :

هناك علم فوق الثرى .. ودنيا أرحب تحته . ليس هناك فائدة طالما أن المتنبىء وأنيشتاين ولوركا وكرومة تحت الثرى ..

عرفت الآن أبطالك الاثيرين !

كان معيدا فى الكلية ، رجل معمل ، أنابيب اختبار مساحيق ، في الوطن كما فى الغربة ، ألفته المناضد والمكتبات عذب الورق عذاباً أليماً .. سمكة في بحر الجامعة الاجاج .. تصور كل هذه المنعة فى الماء ، حتى اذا خرج الى اليابسة مات اختنق ومات ، اختنق ومات ، اختنق ومات ، اختنق .. (ألست بعض اليابسة ؟ .. بل أنت كلها) ، ومنك السؤال والاجابة . تقول لها :

أسميك اذن أنبوبة الاختبار ..

ماشى .. تعرف عصمت رجل منظم جدا حتى الان يحلق رأسه عند خلاق واحد اعتاد عليه منذ كان تلميذا صغيرا .. أمس كان يحدثنى عن المرايا حين كانت تجلب من أوروبا . قال عند هذا الحلاق كانت المرايا بلجيكية .. ولكنها استبدلت الآن ، ربما تهشمت .

ربما قصد تشيكوسلوفاكيا ..

قال بلجيكا .. لأنه لايحب كان وأخواتها ..

ومن هن ؟

تشيكوسلوفاكيا وأخواتها .. أهلات الشرق ..

اذن فالجهات الأصلية عنده ثلاث ضحكت وهى ترد :

والفرعية أيضاً !

غرب وغرب وغرب ، وغرب غرب وهلم جرا !

نعود للمرايا ، قال انه على أيام المرايا البلجيكية كان شعر الرأس يظهر عليها شعر رأس .. والأنف الافطس تظهره أنفاً أفطس .. والفك فكا .. والشارب شارباً و ..

يعنى تقول المرايا – أيام صباه – للأعور : أنت أعور .

طبعاً كأى شىء زمان ! ألا ترى

اليوم أن العيـــون في المدينـــــة، أسمال عيون ! قال أيضاً يصنعون المرايا اليوم في المنطقة الصناعية فى الخرطوم بحرى ..

نقطة نظام ابن عمتى عنده مصنع فى أمدرمان وصار ثرياً بما غنم من بيع المرايا .

طبيعي كل انسان يريد أن يرى نفسه هذه الايام كما يريد أن يرى نفسه ، والمرايا تحقق له هذا ! المهم قال ان مرايا اليوم تظهر الانف الأفطس أنفاً غير أفطس ! والفك فكين ، والشارب ثلاثة شوارب وعسل العيون يظهر على المرآة كزيت البذرة !

هذا نادر .. ألم أقل انه عالم بدون شك .. ومحدث لبق ..ثم تعود له سخرية حارقة كلما تطرقا لموضوع زوجها يقول :

أليسوا هم أهل الاختراع ؟

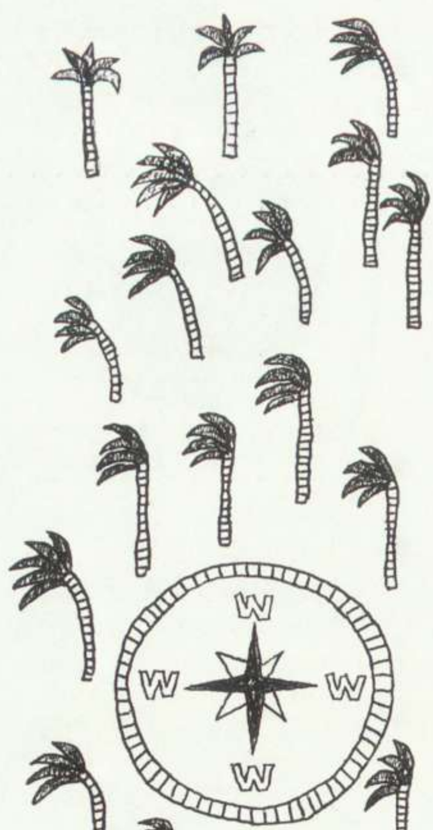
أنت غبى .. هم الذين أوجدوا الحاجة !

ينذره تعليقهايستدرك قائلا :

ابدا سمعت أن عبقرياً لم يدخل الجامعة قط اصطنع جنسا من النمل الالكترونى .. نمل أبو ريش ، ولكن ليس له ريش ! ولدغته لاتؤلم غير انها تصيب الرجال بالعجز ، تقعدهم عن الجنس ، وتدفعهم لطلب المعالجة واللهث الحثيث ، وتمنح النساء خصوبة مطلقة ، انى أرشحة لجائزة نوبل ...

نوبل لاينالها الا من أسعفه الحظ فطرد من بلاده ليصل الى امريكا بتذكرة سياحية ! ومثل عصمت لايطرد من أى بلد لانه لايرى ما يراه الناس .. والحاكم عنده دائماً صالح ، انى أعرف هذا النوع تماماً .

اسلم النيل الازرق روحه حين صالح الابيض صلحاً أفقده لونه وعنفوانه ، لهذا كانت تلك البقعة على النيل الازرق المستقل مكاناً فريد الحسن اذ هى تقع قريبا من مكان خسر النهر حريته . فيه تحس أن الحياة في الجروف تماثل الحياة فيما يعلو الجروف شيئاً ، الصغير يأكل الكبير ، من المنتصر من الخاسر ؟ علاقة غريقة بين الشط والنهر يظن الاهلون أن الشط يمنع عنهم غضبة النهر ، وواقع الامر أن هذه الامور وضعت باتفاق أزلى ،والاهلون لايعلمون فالنهر يعلو بقدر ما تحتاج الشواطىء من خصوبة وحياة ، وهو دائماً يخشى أن تنساب مياهه على الصحارى فتعود تلك تبادله غزوة بغزوة ، فهو حين يضمن للشطآن مايكفى حياتها الخضراء يكون ضمن حياته أيضاً ، اذ أن خضرتها دفاع مستميت عن وجوده العذب ، وقد تفقد الشطئان طرفــاً مـن أرضهـا تقدمـه كعـذارى وفــاء للنيــل ، هــذا بعض ضريبة البقاء ،بل هو بعض ادخار ، اذ حين ينحسر يعيد للشط ماكان شطاً ليكون شطاً ، وعليه طمى وملح وشباب يتجدد هنا وهناك ، أخذ وعطاء .. الصحراء فكلا ، ألف كلا لها الريح والشمس والقمر .. تمنحها الشمس والقمر الضوء والنظر الممل والحريق ، وتنشر الريح رسالتها الرملية ذرات . أخذ وعطاء .. هل أنت سعيد ؟ وهل أعطيت لتأخذ ، أم هل أخذت لتعطى ؟ وهل تفعل ما تفعل لانك تجد راحة لاتجدها فى بيتك ؟ أفضل ألا تتحدث عن بيتك ! وأنت حين زوجت رجلا ما كان حين تقدم اليك في نظر أمك الا وظيفة سمينة «وأنت بحمد الله فى سن الزواج»



كان عمرك ساعتئذ ثلاثاً وعشرين سنة .. حديثة التخرج في الجامعة «معليش لانريد أن تذوق من رزقك الآن ، بحمد الله أبوك يعمل والحال ميسور» ، تريد أن تزوجك سريعاً سريعاً ، «وهو شاب مركزه ممتاز ، أستاذ .. الجامعة ..» النحلة الطنانة صوت أمك ، «من أسرة .. يعنى .. عريقة ..» . أى مذهب للعراقة يعتنق أهل المدينة اليوم ؟ زمان كانوا أدق اختيارا ، يتبعون أصول الاسر الى العباس عم النبى ، كل عائلة ويتصل نسبها بالعباس أو تنحدر من الشريف فلان والسيد علان تتذكرين ، وكان بالمدينة سادة ونقيض هؤلاء ، النقيض هذا من بعض ما رأيت أنت من أهل ذلك الحى ، فى أمدرمان ولو فحصت أرجاء المدينة جلها . سوادها ، لوجدت فيها من ذلك الحى مشابها ، وبعض هذه الانحاء صارت تقنع بفقرها ، لاتريد أن تتمرد عليه ، كالنيل الأزرق ، ذاك الجميل الذى اذعن .. قنعت تلك الاحياء بتاريخها ، كقول سراة القوم «يا سلام أمدرمان القديمة» ، و هل أتى اعجابهم هذا باللبن للاطفال ؟ وهل اكل أهلوها السمك والفراخ ؟ أو كقول بعض الخواجات «آه أنا نحب أمدرمان جدا ، لأنها أصيلة .. أما الخرطوم فانها مثل أى مدينة أخرى ، بالمناسبة هل تعرف بيتاً للايجار هناك يعنى فى الملازمين مثلا أو علي الشاطىء !» ، وهل تسر المدينة لمثل هذا الكلام ؟ أم هل أمكن للرجال التعساء أن يفدوا أولادهم بذبائح في العيد الكبير ؟ صه ! .

رحلة وطويلة قطعتها بالمثابرة والشوك والعذاب . وغير هذا ، زمان وانقضى ، تذكر ذلك التحول المذهل فى حياتك يا ابن المأمور .. تذكر كيف جاءك يوم لبست فيه عيونك عدسات الحقيقة ، لم تعد تفهم بعده ـ كأبناء الأفندية ـ ذاك الهيكل الوظيفى الذى تسير عليه البيوت ، رب البيت ، ربة الدار ، الأبناء ، والخادم خادم ، يأتى للبيت أوان الفجر ، يكدح ، يمسح ينظف لحين أن يهبط المساء يعود أدراجه لكن الى أين ؟ من أولئك من كان يطمح للتعليم ، يدرس فى المساء ، مثل هذا ترغبون عنه لأنه ينصرف للدرس قبل حلول المساء ، إما المدرسة وإما العمل ، من يريد عملا فعليه أن يقنع بجهالته ، مرة ما جاء الخادم فى الموعد المعلوم ، اذهب فتش عنه ، اعمل حسابك أنه يسكن حياً

حمدى الدريس

ليس كحيكم ... اليوم يوم الغسيل والبيت مترب يحتاج نظافة ، والبيت كله اشتعل غباراً ، وناس سالم أفندى معزومين عشا عندنا .. ذهبت غير مقتنع ، سألت سألت فأرشدت .. ها هى أمامك أشباه بيوت ، أقزام بيوت ، ليس فيها من مقام فتسميه بيتاً ، نصف سقف هنا ، وههنا طرف جدار ، معزات هزيلات ، دجاج نحيل ، أطفال يمشون يا الله الله .. مثلما هم نيام .. وهزال ، وسألت ، سألت ، فأرشدت . لقيته : خادمكم مريض ، وقد كان نشاطه فى العمل ينبىء أنه سيظل على حاله ذاك الى ما شاء الله . واليوم ليس كما عهدت ، هذا نوع من البشر ان طرح جسده على مرقد فارقته العافية . ما كان اسمه ؟ لا تذكر .. الزمن طال .. لكنه لم يعد الى بيتكم أبداً .. ربما مات أو تمرد أو التحق بمدرسة ليلية .. ربما .. ربما .

تسألها :

– أى السحاب الممطر ؟

ترد :

– الذى يحمل فى طياته الماء !!

هذه هى اللعبة التى ترتاح اليها ، تسألها فتجيب أسئلة تتسم بالغرابة والفجاءة .

– من هو طاغيتك الأثير ؟

– جنكيز خان ..

– عصره بعيد هذا أعنى طاغية مودرن !

– مسلم أم نصرانى ؟

– ليس مهماً كل طاغية كافر إذ كل دين هو الانسان .

تفكر قليلا ترد :

– فاجأتنى تماماً ، على كل أنتخب شاه ايران وسوموزا

– فيك الخير ..

– كفى الليل لا يحتمل أكثر من اثنين !!

– فيك الخير ؟ .

– إذن الثالث النيل الأبيض لأنه ابتلع الأزرق أخاه !

– شاه ايران وسوموزا ؟

– الشاه وتعرف أمره أما سوموزا فلأنه ثقيل !!

زوجك طاغية العصر ، لأن حزبه واحد هو نفسه ، وهو الصمت والاستغراق فيما لا ينفعك أنت ، جمع حوله قداسة العلم ، إن شئت الصراحة الدقيقة عزلة العلم ، الوحشة ، عبقرى قالوا ، تذكره أنت أيضاً كان يسبقك بسنين فى الجامعة ، تذكر صورته ، من ذلك النوع الذى تتحمس الجامعة لتبتلعه فى جوفها البارد ، صيد تؤهله الطبيعة لها ، مثلما الغزلان فى الغاب تعد لأجواف الأسود وأقوياء الحيوان .. فصيلة هو منها ترى أن الحياة خارج الجامعة ضرب من الموت ، الجامعة ماء بحر أو نهر ، وهو من صنوف أسماكها ، فيها صغير وكبير ، بلطى وخريش وكبروس ، وفيها القرش الكاسر ، ونظام بديع ، بديع حقاً لأننا نقبله .

كنت تحلم أن تلقى وفاء فى موعد ليس يقاس بزمان ، فى مكان ليس يتسم إلا بأنه لا تبصر به فى خارطة ، لا يوجد فى القارات الخمس اللائى جعلن للجغرافيا أساتذة زائرين .. وقاعات درس !

– وماذا لو عثروا على السادسة الضائعة .. أم هى الغارقة فى ماء الزمان ؟

– ليس مهماً سيكون فيها عين ما فى الأخريات ! نساء حائرات وسلطان جائر !

تقول لها ، وترسم صور لما تريد ، إذ صارت وفاء قسماً من متعة اليوم وعذابه معاً .. اليك تعود أفكار الخيال اليائس الرهيف .. ينتقل اليها مثلما هى تقرأ ما أنت فيه تقول باسمة وقد قرأت أفكارك :

– هل أنت على وعدك فى انشاء دولة الملح ؟

تقفز من التأمل تصيح :

– قطعاً ، لن يدخلها مرضى ضغط الدم العالى ..

ضحكت واستأنست بلهو الحوار ترد :

– وأنا أنشىء دولة السكر ..

تقول :

– ونجتمع أنت وانا بحق الجوار ،



ونجرى مباحثات ونصدر بياناً ختامياً ..
يهتف يختطف الكلام :

ـ ونقول فى البيان انها ننظر بعين القلق لما يحدث فى الشرق الأوسط ، وان الحل هو الالتزام بالقرار رقم ٢٤٢ .

ـ آه قيل ان الانكليزى اللورد رفع عن اقتراحه الحماية ، لحسه لحساً .

ـ هل لقيه مر المذاق ؟

ـ كلا بل سذاجة الركون اليه هى المذاق المر .

الصمت الفجاءة ..

تعودين بعد الضحك والاستئناس بلهو الحديث أم لغوه ، الى حجرات عالمك فى أيام دراسته بأمريكا كان يهرع الى مكتبة الجامعة يوارى صمت نفسه فى صمت الكتب . وله غرفة صغيرة فى مركز الأبحاث . أوان الصيف فى الغرب الأمريكى ، فى ولايات السهول ، هواء رخاء صاف ، كأنه مصنوع ، كل نسمة مقدار أخرى ، فى ثناياه رائحة اللانهائية ، والبرارى ورقصات السنابل حين يهب عليها ..

تخرجين أحياناً فى المدينة الجامعية الصغيرة تتفحصين الناس وواجهات الحوانيت .. ومحلات الاسطوانات .. ثم تقفلين عائدة اليه :

ـ هل استمعت الى نات كول أبداً ..

ـ نات كول ؟! زمان .. زمان .. ألم يمت بسرطان الرئة ؟؟

ـ ليس مهماً لقد مات على كل حال .

غاص فى صمته ، والى صمتك تعودين نات كول ثم موريس فوريه الذى كان يبصر أمريكا بصوت نات كول ، وكانت بشرته كالحليب وشفتاه مثل الكرز ، جاء يزور أخته وزوجها من أهالى لورنس / كانساس ويعمل فى الجامعة زميلا لعصمت مصادفة ، إما بيع الاسطوانات تجمع كل الآذان عاشقة اللحون ، شفتاه كرزتان فوريه ، ما الذى يدفع امرأة لتشتغل بالنسيب هكذا ، كتاب الحكايات صدقوا . هذه صدفة أخرى ، فرنسى فى كانساس ؟

ـ ما الذى أقدمك الى كانساس ؟

ـ وما الذى أتى بك أنت ؟ .

ـ آه جئت لأرى شمس أفريقيا فى غلالة السهول الأمريكية .. أليس هذا هو أصل البلوز ؟

ـ صه !!

وليل لورنس ما كان بليل ، أدنى من ثلاثين ألفاً سكانها :

ـ هل تريدين الذهاب الى دودج سيتى تقولين بقلبك :

ـ امضى الى الصين إن تريد أنت ..

ـ كل شىء معد ، فيرجسون سيتحدث الى عصمت ، فرصة لمشاهدة الكاونتى فير وبقايا الغرب الأمريكى .. هل سمعت عن بيلى ذا كيد ؟ طبعاً ، قيل قتله بوب فورد !

لم يكن لشفتيه مرأى الكرز وحسب بل مذاقه ، يا هذه سبقت كل قومك ، انظرى .. ألف الناس يرون الرجال السمر يغنمون بيض النساء ، أولئك الذين يتزوجون وهم فى بعثات دراستهم . وغير هؤلاء أما فتاة سمراء تعشق رجلا أبيض فمحال ، أنت لا تخونين زوجك وحسب أنت خائنة لقومك . ولكن لكل شىء بداية لقد بدأت هذا . يحس فوريه ما يجول بذهنك .. مرهف الحس فوريه يقول مازحاً :

ـ أنا أعلم قد لا تقبل أخلاق قومك ما انت فيه ، ولكن لكل أمر بداية ، سيقدر الموقف يوماً ما ! بعد مائة عام أو مائتى عام كل عظيم عبقريته بعد مرور زمان ، يبدأ أمره عذاباً ، وأمثاله يستعذبون ذاك العذاب ، وينتهى شيئاً غيره مثل كلود ديبوسى أنت ، يعنى قيل انه مجنون والآن توج عبقرياً ! هذا حال الريادة فى كل شىء لاسيما الابداع ! ها .. ها .. ألا ترين أن فوريه يذهب فى تفسير الأمور مذاهب شتى ، بعضها جد بعيد .. عشية العزم على رحلة (دودج سيتى) جاء عصمت مهرولا صاح فرحاً :

ـ وفاء .. وفاء .. قولى مبروك سينشر بحثى فى المجلة العلمية فى عدد ديسمبر ..

ثم يصمت قليلا ، يجمع أنفاسه المبهورة يستطرد :

ـ بروفسور وايزمان اقترح بعض التعديل عليه .. هذا أعظم عالم فى هذا المجال فى كل الدنيا .. لذا سأبقى عطلة نهاية الأسبوع كلها أراجع ..

نظرت اليه ببرود مثلما هى تفحص عالمه بعناية ، حقاً لم يكن ذاك بورداً إنما كان هناك شىء ينشىء فى روحك فكرة ، قرار ، شىء يقول كونى طرفاً من اطار عالمه ، يصير هو حول اطار عالمك ، ان الغيرة لا تاتيه من أى مكان ، إلا اذا تفوق عليه فى العلم انسان :

ـ مبروك يا عصمت مبروك ..

ها هو يلقى بجسده على السرير ، يهز السرير مثلما هو طفل يلعب ، لنفسه يبتسم كأنه يرى المجلة العلمية ، ويقلب صفحاتها منتصراً .. ثم يقول وهو منصرف الى اهتزاز السرير :ـ

ـ فيرجسون قال انهم سيذهبون الى الكاونتى فير .. اعتذرت أنا لهم ، على كل حال يمكن أن تذهبى .. سأكون مشغولا طيلة العطلة ، طبعاً يجب أن أراجع المقالة .

كان يمعن الى السقف نظراً ، على كل هذه فرصتك فاغتنمى .. فى الكاونتى فير مساء السبت جنة أضواء مسرفة الضوء ، مطاعم ، ومراقص ، وقبلات وعناق عاشقين ، مما لا يشعر المرء أن عيناً فى مكان ما ، ترقب ، ترصد وتعاقب ... مازلت تحلقين بروحك فى كانساس ، سنوات طويلات قد خلون ، رقصتما ، صعدتما الى المراجيح ، ذقت خوف اللهو الكهربائى ، صرخت فزعاً ، احتضنك فوريه .. لبدت على صدره مثل طفلة تمسح دموعها بكيس حلوى ..

تعودين الى بقعتكما حيث أنت الساعة ، اللحظة ، الآن ، المجلة العلمية وحوت لعصمت مقالات ومقالات أخر .. وهذا هو الحال ، وحمى الدريس . وأنت تعود للبقعة بعد سياحة رأيت فيها دنيا ورأيت الناس فى القماير ، رحلة وطويلة لاشك ..

فى الليل الأرض تبدو سوداء ، على أديمها قطع من الضوء ، والمكان صامت لا يوحى بشىء سوى أن الرحلة كلها قد انقضت .

ها هو الجسر ، خلفكما شاحنة فارغة لعلها تلك التى أخذت ورق الطباعة للطباعة ، تعود الشاحنة خفيفة أصابت راحتها بعد جهد ثقيل ، هذا أوان الاياب ، قريب موعد يغفو الجسر بعين ويتقى بأضوائه المنايا .. لماذا كان فرنسياً فى ذاك البحر الأمريكى المتلاطم ؟ أهى القاعدة أم الاستثناء ؟ أم هى المصادفة ؟ نفسك أفضت الى نفسك ، ونفس وفاء باحت لنفس وفاء ، واتصل بين نفسيكما الظاهرتين حديث ، والأوراق البيضاء يقتلها حبر الكلمات فى عصر السأمة ، المجلة العلمية ، الكاونتى فير ، القماير ، عصمت ، القماير ، فوريه ، مقالات الأستاذ ، بيلى ذا كيد ، الجسر أوان غفوته أمامكما ، خلفكما ، شمالا ، يميناً ، ليس هناك إلا الصمت الفجاءة ، والفراغ السحيق .

النـــورعثـــمان أبـكـر



يوميات بوبي ساندز

«إنني واقف على عتبة عالم آخر مرتجف ، فليشملني الله برحمته» .

كانت هذه هي الكلمات الأولى التي افتتح بها بوبي ساندز يومياته في السجن في السبعة عشر يوماً الأولى من اضرابه عن الطعام والذي دام ٦٦ يوماً .. وقد قام بنشرها في شكل منشور الجناح السياسي للجيش الايرلندي السري . وفيما يلي بعض المقتطفات نترجمها عن (الغارديان البريطانية) :

● اليوم الأول :

الأحد أول مارس ١٩٨١ ..

« كان القداس جليلا ، والأولاد كعهدهم متوقدين . ليلة أمس أكلت قطعة الفاكهة المقررة لي أسبوعياً .. كما شاء لي القدر . وكانت برتقالة بالسخرية ! إنها مرة . مازالوا يتركون طعامي أمام الباب ، وحصتي ، كما يتوقع ، اكبر كثيراً عن المألوف . «وصلتني عدة رسائل من أسرتي واصدقائي ، قرأت منها ما خطته أمي . كان ذلك ما احتاجه . لقد استردت روحها القتالية . انني الآن سعيد» .

● اليوم الثالث :

«دخل على الأب تونر (وهو قسيس يبدو أن بوبي ساندز يتهمه بأنه ساهم في نسف الأضراب السابق) .. وأشعر انه يزنني سيكولوجياً لميعاد آخر لا حق .. فان كنت مخطئاً فاني أعتذر . ولكنني اظنه يحاول ذلك . ولذا جهدت للتخلص من أية فكرة عن تلك الليلة واعتقد أنه فهم الموقف» .

● اليوم الخامس :

«استدعاني مكتب الخدمات الاجتماعية (بالسجن) وابلغت بمرض والدي ودخوله المستشفى . كانوا يحاولون أن يروني أتوسل اليهم ليسمحوا لي بزيارة خاصة له .. مع أسرتي كنت مهموماً بمرض والدي ، ولكنني ارتحت بالا حين علمت أنه خرج من المستشفى . يجب أن أواصل ، مهما كانت الأمور .

«قرأت ما قاله «اتكينز» وزير الدولة لايرلندا الشمالية) أمام مجلس النواب . ولم يقلقني ما ردده عن موقف الحكومة في شيء ، لأن ذهني كان معداً لمثل هذه الأشياء .. واعرف انني سأسمع المزيد منها .. الى النهاية المرة» .

«إنني أتلو صلواتي .. وربما قال أحدهم انني نهضت اليها في آخر لحظة .. ولكنني أؤمن بالله .. بل يمكنني أن أتطاول وأقول ان علاقتنا الآن على ما يرام .

«استطيع أن أتجاهل حضور الطعام الذي يحدق مباشرة في وجهي طيلة الوقت . ولكن بي رغبة في خبز أسمر غير مقشور وزبدة وجبنة هولندية وعسل .

«ها .. إنه (الاضراب عن الطعام) لا يحطمني ، لأنني اعتقد أن الطعام الذي يأكله البشر لا يمكن مطلقاً أن يبقى المرء حياً الى الأبد وأعزي نفسي بأنني سأنال الوجبة الكبرى هناك .. في الآخرة .. ان كان بي فضل لاستحقها . ولكن تخالجني فكرة مفجعة ، وهي أنهم لا يأكلون هناك ..

«لقد اشتد غضب رياح مارس هذه الليلة» مما يذكرني بأنني سأبلغ السابعة والعشرين في يوم الاثنين» .

● اليوم السادس :

«ظللت أفكر بأن بعض الناس ، وربما أناس كثيرون ، يلومونني على هذا الاضراب عن الطعام ولكن .. لقد حاولت كل طريق ممكن للحيلولة دونه .. ولم يبق مما قعدت عن محاولته سوى الاستسلام» .

«بمقدوري أن أسمع أسراب طائر الكروان وهي تعبر .. فوقي . انها زنزانة موحشة ، ونضال موحش .. ولكن هذا الطريق يا اصدقائي سلكه كثيرون قبلنا .

● اليوم السابع :

«السماء ممطرة . ولا أحس برداً . ومعنوياتي طيبة . ومازلت أدخن في أحايين ـ انحلال ؟ ليس كاملا . ولكن من منا كامل ؟

● اليوم التاسع :

« إنه عيد ميلادي . والرفاق يغنون لي . طوبى لسماحة قلوبهم . وقد تشجعت حتى بلغت الباب لأن رفاقي طلبوا مني ذلك .. لألقي كلمة» .

● اليوم العاشر :

مما قرأته في الصحف ، أصبحت قلقاً بشكل متزايد وحذراً جداً .. لأنه قد تتم محاولة في وقت لاحق لسحب البساط من تحت اقدامنا ، وتقويض موقفنا ، ان لم يكن نسف هذا الأضراب عن الطعام ..

ذلك لن يحل أية مشكلة . ولكن انفجاراً هائلا مقترنا بصوت الجهات الكاثوليكية العليا يمكن ان يضر بموقفنا . ومن رأيي أنهم لا يريدون تحت أية ظروف أن يروا السجناء يكسبون وضعاً سياسياً أو وسائل مساعدة تشبه أو يمكن أن تمكننا من الحصول على ما يتضمن الوضع السياسي والاعتبار السياسي .

«زنزانتي أبعد من أن تكون نظيفة .. ولكن يمكن احتمالها . والماء بارد دائماً ، ولا استطيع المجازفة بالاصابة بنزلة برد أو انفلونزا .

● اليوم السادس عشر :

تركوا عشائي داخل الزنزانة هذه الليلة عندما كان الأب «مورفي» معي .

● اليوم السابع عشر :

«هذا يوم ذكرى القديس باتريك . كنت في القداس وقد قص شعري قصيراً وكان افضل مظهراً . لم أعرف الأب الذي قام بالقداس . وكان الحجاب يوزعون الطعام على كل العائدين من القداس . وقد حاولوا أن يعطوني طبقاً .. ووضع الطعام أمام وجهي . ولكنني واصلت طريقي وكان شيئاً لم يكن .

اليوم كنت افكر في هذا الأضراب . ان الناس يقولون الكثير عن الجسد ، ولكنهم لا يثقون به . وفي رأيي أن هناك نوعاً من القتال .. حقيقة فالجسد في البداية لا يقبل عدم وجود الطعام ويقاسي من اغراء الطعام والمظاهر الأخرى التي تدغدغه بشكل دائم . ويقاوم الجسد . ولكن كل شيء يعود في النهاية الى الأعتبار الأولى .. الى العقل .. فالعقل هو الأكثر اهمية .

انهم لن يحطموني .. لأن الرغبة في الحرية وحرية الشعب الايرلندي في قلبي» .

وقد مات بوبي ساندز في الخامس من مايو الماضي بعد ٦٦ يوماً من الأمساك عن الطعام .



شاعر جنوب افريقيا : ميثى مابونيا

الارض الجائعـــة

على شرف الذكرى الخامسة لانتفاضة «سويتو» قامت فرقة (باهو موتسي) من جنوب افريقيا بجولة فى بريطانيا لعرض مسرحية «الأرض الجائعة» . وفى فترة لا تتجاوز الثلاثة أشهر ، انتهاء باغسطس ١٩٨١ ، قدمت الفرقة المكونة من ثلاثة اشخاص بقيادة الشاعر «مينثى مابونيا» اكثر من خمسين عرضاً فى مدن مختلفة ببريطانيا .

والمسرحية التى لن يقدر للجمهور فى جنوب افريقيا أن يراها تحت ظل نظام بريتوريا تصور بقوة جذور التفرقة العنصرية وآثارها على السود فى جنوب افريقيا ، كما تعكس الثقة المتنامية فى أدب جنوب افريقيا باقلام افريقية ، والذى لم يعد فريسة للارهاب الثقافى الاوربى بعد أن وجد منطلقه وارتكازه افريقياً وبشكل فذ .

وتستكشف المسرحية التفرقة العنصرية من خلال نظرة مجموعة الفرقة التى تتبادل الأدوار والعلاقات اثناء اطـراد نمو المسرحية متتبعة ذل واقع العمال المهاجرين من ثكنة العمال الى المزرعة بالقطر ، والى المناجم ــ وهى التي يشير اليها عنوان المسرحية .

فى هذا العمل المسرحى الفذ تجتمع النظرة الأفريقية للتاريخ مع الاحداث المعاصرة لتبلغ قمتها فى المنظر الذى يصور بداية فرص قانون «هوية المرور» ، وتذبيح المتظاهرين فى شاربفيل وذلك فى خلفية من الصرخات الهستيرية الصادرة من النسوة اللائى مات ازواجهن اثناء الحفر اللانهائى فى مناجم الذهب ، عصب وجود النظام العنصرى فى بريتوريا .

يعترف «ميثى مابونيا» ــ ٣٠ سنة ــ بانه مدين للمسرحى الالمانى بيرتولد بريخت ، ولكنه يؤكد أن مسرحيته هذه افريقية ، وعن افريقيا ، وقد طورها باسلوب يجعلها افريقية لحماً ودماً . إن النقطة المركزية فى هذا العمل هى استخدام اللغة بشكل مثير من قبل الفرقة التى ترسم المواقف فى مزيج من اللغة الانجليزية ولغة الافريكان ولغة الزولو والسوتو ، ولكن ما يعطى العمل اصالته وتجذره فى تراث المسرح الأفريقى الأخلاقى هو استخدام التعليقات الايقاعية الكورالية :

«إننا نستخدم اللغات الافريقية» كما يقول مابونيا «لأنها أغنى واقوى من اللغة الانجليزية فى إثارتها الدرامية ..

ولأن اللغات الأفريقية كلها صادرة عن نبع واحد .. لأن الناس كانوا يتحدثون لغة واحدة ذات يوم .. ونحن نريد أن نجعل تلك الروابط اقوى» .

ولكنه يعى بشكل فريد ضرورة عدم الكتابة بلغته الأم وحدها ، لأنه ان فعل سيكون متواطئاً بالمساهمة فى تطبيق نظرية التنمية المنفصلة التى تديرها بريتوريا . ويعتقد (مابونيا) ان الحاجة الملحة لاكتشاف ثقافة جنوب افرقياً من جديد يمكن أن تشكل احبولة وفخاً للغافل من الكتاب .. وفى ذلك يقول :

«هناك مسارح كثيرة فى جنوب افريقيا تتعامل مع الشباب القادمين الى المدن من الريف ، والذين يواجهون شتى المشاكل ، ثم يعودون الى اهليهم .. وهى ما يطلق عليها مسارح «جيم يذهب الى جوهانسبيرج» . وتجد هذه المسارح سنداً كبيراً من سلطات بريتوريا لأنه كلما زاد عدد السود الذين يتقبلون لنظام المناطق والاقاليم ، ازدادت السلطات البيضاء اطمئناناً بنظام التنمية المنفصلة» .

ولذا تحاول فرقته ، فرقة (باهو موتسى) والتى يعنى أسمها «خفف الهم عنا» ، أن تطور مسرحاً ملتزماً . وهذا هو المسرح الحي ، كما يقول (مابونيا) ، لأنه من السود انفسهم ، ويجتذب جمهوره منهم لأنه مرآة وصوت المستلبين . ولكنه محفوف بالمخاطر ، من ناحية مالية ومن ناحية السلامة الجسدية الشخصية للعاملين به .

وكان (مابونيا) قد كون فرقته عام ١٩٧٦ بعد أشهر قلائل من انفجار الموقف فى سويتو وقد الهمته مسرحية كتبها القس «ماكسينيا» بعنوان «هبنا هذا اليوم» ، وحرم عرضها أخيراً فى عام ١٩٧٥ ، وهى عن صرخات وشكوى شعب جنوب افريقيا الأسود .. وكانت مثل صلاة .. وقد اقنعت (مابونيا) بأن ما يحتاجونه هو «مسرح يقوم على سند من الناس ، وبدوره يقوم بمساندة الناس فى نضالهم» . وكانت مسرحيته الأولى «الصرخة» سياسية واضحة ، عرضت مرتين فقط ثم اوقفت السلطات عرضها .. واصبحت محظورة .

فى عام ١٩٧٨ قدمت لمابونيا منحة دراسية من اتحاد المسرح البريطانى لدراسة الدراما بكلية سنت مارى بشلتنهام . وقد اقتنع بعد ستة أشهر من الاقامة والعيش فى حرية وسط عالم محافظ .. أن قضية (سويتو) لابد من النظر إليها فى اطار عالمى .

وفى مسرحيته الثانية (السلام والغفران) استخدم قصة تقليدية حول الصراع بين القبائل فى افريقيا ، وذلك كرمز للصراع بين السود والبيض اليوم . وقد عرضت أمام جمهور من جنسيات مختلفة ، فى جوهانسبيرج و (سويتو) . ولكن مسرحية (الأرض الجائعة) لم تعرض على الرقيب ، وبذا لم تمثل فى جنوب افريقيا الا أمام نخبة من المشاهدين فى (سويتو) .

ورغم حرمان الفرقة من المساعدات المالية فى جنوب افريقيا ، وتقييد العروض التى تقدمها بقانون «هوية المرور» ، فان اعضاء الفرقة يواصلون نضالهم وجهادهم .. فهم يعملون فى وظائف تستغرق جل يومهم لكى يستطيعوا مواصلة تقديم عروضهم :

«لست رجلا يؤمن بالعنف .. ولكن علي ان افعل شيئاً لتغيير الأحوال الى احسن» يقول (مابونيا) ، الذى انبثقت رؤيته من مزيج من الحب والحقد ..

وربما أخيراً
عندما يهبط الستار على الفصل الأخير
من الدمار الذى سببوه
ربما استطاعوا أن يدركوا
عمق حبنا لهذه الأرض
ومدى عنايتنا بكل من عليها
بيضاً كانوا أم سودا
احراراً وغير أحرار .

شاعرة أم تحفة من الغرابة ؟

علق الناقد ف . ر . ليفيز ذات مرة بأن آل سيتويل ينتمون الى تاريخ الدعاية أكثر من انتمائهم الى تاريخ الشعر ، وكان يمكن للصورة أن تكتمل ان أضاف انهم يتعالون بانفسهم فى



الشاعرة البريطانية إديث سيتويل

نوع من الدراما الشخصية الى حالة من الفن ، وذلك ما قامت به إديث سيتويل حين قالت عن نفسها واخويها الاصغرين : (إن لنا جميعا ما يظهرنا كاسطورة) .

وترى الناقدة فكتوريا جلديندج فى كتابها الصادر حديثاً عن دار نشر كنوبف ان أروع قصيدة ألهمتها الشاعرة الانجليزية هى اديث ستويل نفسها ، إذ تقول :

إنها أروع قصيدة ألهمتها . وكانت قد وصفت نفسها ذات مرة فى دفق من الأخيلة الرقراقة قائلة إن جزراً ومداً يجريان فى دمى ، وطبيعتى عاصفة ومتغيرة كما المياه» . وتبدو فى ردائها الأسود وجسمها النحيل ولحظات صمتها المباغتة كما لو كانت واحدة من تلك الظلال السوداء الحزينة التى تحوم كالاشباح فى بيتهم .. وكواحد من نذر الشؤم والهلاك .

وسرها هو حضورها الجسدى الخارق .. فهى بقامتها الفارعة وأنفها الطويل كمنقار الصقر ، كانت ستبدو شخصاً شاذاً أن حاولت ان تشبه الناس العاديين . وعوضاً عن ذلك حولت نفسها الى شىء رائع كما لو كانت لوحة قوطية .. فكانت تغطى رأسها بما يشبه القلنسوة ، وترتدى ثياباً مقصبة وخواتم ضخمة بارزة من العاج ، وتنظر للعالم من عل بعيون بيزنطية .

وقد وصفها المصور سيسل بيتون الذى تبدو وكأنها خلقت من اجل آلة تصويره بانها كانت طويلة ورشيقة كالفزاعة .. ولها يدا قديس من القرون الوسطى .. وتبدو وكأنها قد مرقت كاملة الخلقة من فتحات حصن وبرج قاعة رينيئهول كشكل من النسيج المزدان بالصور .

كانت أديث ستويل تبصر نفسها كمنافحة عن الفنون فى وجه حشود همجية . وكانت بها قدرة خارقة كالعبقرية فى إجتذاب الشخصيات المهمة لمؤازرتها فى حربها المقدسة . وفى ثمانية عشر عاماً قضتها فى «بايرز ووتر» فى لندن بعيداً عن العائلة ، كانت حفلات الشاى التى لا تقدم فيها سوى كعك يابس وفسحة لوضع قدم محط تدافع فنانين وكتاب من امثال ت . س . إليوت و اى م فورستر ووليم بتلر ييتس وفيرجينيا وولف .. وحين يكون المرء تحت رعايتها . مثلما حدث للشاعر الشاب ديلان طوماس أو الرسام الروسى المغترب باقيل شلتيشيف الذى أحبته أديث طوال ثلاثين عاماً بكل قلبها العذرى ـ كان يعنى ان يكون المرء موضوع اخلاص وولاء رهيب وخانق واقطاعى فى بعض الاحيان فى صرامته . أما ان يكون المرء عدواً لها ، فذاك يعنى أن يوضع فى قائمة سوداء ، وربما قدم لمحاكمة ولكن المؤكد انه يسب ويلعن دون مواربة .

«لقد تعاظمت الصغائر فى عالم الأدب ، وارتفعت كدودة لتهينني» كما قالت مرة مغضبة .

وكانت غارقة فى الديون .

وعند نشوب الحرب الكونية الثانية كانت اديث ترتق الجوارب بينما تنصت لموسيقى (دبوسى) وتجترع الجن فى شراهة .وكانت أسطورة آل ستويل التى حوفظ عليها منذ الحرب الأولى جاهزة للتقاعد .. مثل الأمبراطورية البريطانية .. فنزحت أديث بسمعتها الخرافية الى الولايات المتحدة .. حيث وجدت استعداداً لدى الامريكيين لدفع ٣٥ دولاراً ثمن تذكرة الدخول لسماعها تلقى الشعر بمصاحبة موسيقى وليم دالتون . وصار كل فعل يصدر منها خبراً . وتحولت الى الكاثوليكية فى سن الثامنة والستين ، وزارت هوليود بصحبة مارلين مونرو ، التى وصفتها بانها (شبح ربيعى صغير وجنية بريئة للخصوبة وروح نباتى لما كانته أوفيليا) .

وفى شيخوختها أمست عرضة للسقوط وهى مرتدية أثوابها واغطية رأسها الضخمة .. وكأنها طائر ضخم جريح . وما كادت تفرغ من كتابة سيرتها الذاتية حتى قضت نحبها فى عام ١٩٦٤ فى سن السابعة والسبعين ، مخلفة سؤالا ما زال ينتظر الاجابة (هل كانت شاعرة من الطراز الأول أم مجرد تحفة من الغرابة والطرافة الانجليزية .

مؤلفة هذا الكتاب الجديد ترى أنها كانت الأثنين معاً ، وهى تسبغ الأطراء على نظرتها الى العالم كحديقة رمزية . وهى بالتأكيد فى قصائدها عن العصر الذرى رائية حديثة ومفسرة لآلام البشرية . وما كانت خرافة أسرتها لتحيا لو لم تهتم أديث بالشعر . وهذا انجاز كبير بحد ذاته فى عصر النثر .

استعادة الكنوز الفنية لدول العالم الثالث



كشفت ندوة عقدت مؤخراً في لندن حول «التراث المفقود» عن مدى وحجم الدمار الذى سببته القوى الاستعمارية حين قامت بنقل الكنوز الثقافية من المستعمرات الى بلادها الأوروبية ، وشجعت عبر التهريب والاتجار غير المشروع استمرار تلك العملية .

وبالرغم من أن الاحصائيات مازالت مفتقرة الى الدقة ، فان مدير الآثار النيجيرى يقدر أن نيجيريا وحدها قد فقدت اكثر من نصف ممتلكاتها الثقافية بدخول الحكومات الغربية والأديان الغربية إلى أراضيها . اما دول جنوب المحيط الهادى فيمكن الجزم بانها فقدت كل شىء

ومما يزيد الشعور بالمرارة والظلم لدى دول العالم الثالث أن الغرب ظل ينظر الى الأعمال الفنية التى تزين متاحفه ومجموعات المقتنيات الخاصة فيه باعتبارها مجرد تحف وزينة فنية وزخرف . وحتى بيكاسو الذى وجد فى الفن

الافريـقي كشفـاً ووحيـاً ورأى فى المنحوتات الغربيـة علـى عينيه وعيون زملائه ما ينطق بلسان عالمي بدائي ، لم يستطع ان يدرك ان الفن الأفريقي حتى فى ذلك الوقت كان فناً وظيفياً اكثر منه فناً تعبيرياً ، وفناً مباشراً يتمتع لدى متلقيه الأصليين بقيمة ثقافية وروحية رفيعة « فالبنسبة لنا » كما يقول الامين العام لمنظمة المتاحف والآثار والمواقع الاثرية بافريقيا « فان نحت (بنين) أو الذهب المشغول فى الأشانتي هو اكثر من مجرد قطع فنيه .. فاهمية هذه الأعمال لنا فكرية بقدر ما هي عاطفية »

ومما يذكر أن الرئيس الكنغولي موبوتو كان قد شجب سرقة الآثار التى تسلب بلاده من أعمالها الفنية ، كما أن معهد الثقافة ، الأفريقية بالسنغال يعمل باصرار على ترسيخ مبدأ عام بقبول اعادة الآثار والأعمال الفنية الأفريقية الى أهلها . ويقوم اليونيسكو بمحاولات دبلوماسية هادئة مناصرة لقضية إعادة الآثار والأعمال الفنية المسلوبة الى بلادها . وتمت تحت رعايته مفاوضات ثنائية لاعادة اعمال بعينها . ولا يأمل اليونيسكو بالطبع فى إعادة كل ما اخذ ، ولكنه يسعى لاعادة تلك الأعمال التى تمثل قيماً اساسية بالنسبة للتراث الثقافى للبلد المعني .

ولا يجد طلب اعادة الممتلكات الثقافية سوى سند ضئيل من القانون الدولي ، كما أن الدول الغربية تتلكأ فى رد الآثار التى استحوذت عليها من العالم الثالث لخوفها من الاعتراف الضمنى بأن تلك المقتنيات قد تم الاستيلاء عليها بصورة غير شرعية . ومع ذلك فقد اعترف مدير المتحف البريطاني فى الندوة بان القطع موضع النزاع قد نقلت الى الغرب بطرق مهما





بدت غير اخلاقية او غير سليمة بمقاييس عصرنا إلا انها كانت قانونية ومشروعة ضمن ذاك الزمن الاستعمارى .

وقد اقترح في الندوة انشاء صندوق لتمكين العالم الثالث من استرجاع آثاره الثقافية عن طريق شراء القطع التى تعرض فى السوق ، وشرعت نيجيريا بالفعل فى شراء بعض القطع بسعر السوق ، ولكن ذلك غير متيسر بالنسبة لمعظم دول العالم الثالث الفقيرة . فقد عرضت — مثلا — قطعة نادرة تعود الى القرن السادس عشر ، وهى عبارة عن مخطوط مصور من بنغلاديش ، للبيع فى بريطانيا . وكان صاحبها قد عرضها على متحف بنغلاديش القومي بسعر مخفض . ومع ذلك كان السعر اكبر من جملة ميزانية المتحف البنغالي لثلاث سنوات .

والعائق الأساسى المبدئى هو أن الدول التى بحوزتها الآثار الثقافية المتنازع عليها هي التى يتوقع منها ان توفر الجزء الأكبر من مال الصندوق المزمع اقامته لاخراج تلك الممتلكات منها .

الشعر فى ظل الرعب النووى

ما قيمة الشعر فى عالم مهدد بالكارثة ؟ لمعالجة هذه القضية أجتمع حشد من الشعراء فى ندوة عقدت فى يونيه الماضى بجامعة كمبردج . وقد عبر الناقد «جورج شتاينر» عن عدم الارتياح والرضا بهذا الطرح قائلا ان الشعراء لا يستطيعون وضع مانيفستو عن الاحتياجات بنفس القدر الذى لا يمكنهم برمجة ما هو ضرورى .

وشهدت الندوة نقاشاً حول التهديد النووى لمستقبل البشرية ، اضاعته قصيدة بعنوان «ساحل كمبردج الرملى» للشاعر «ادريان ميتشيل» ، صور فيها الصحراء الغارقة فى الاشعاع الذرى التى ستبقى بعد انفجار نووى مأوى للخارجين من احد المخابىء بعد الحرب العالمية الثالثة ، ولكن شتاينر انتقدها واصفا اياها بانها نوع من «بروباجندا» الأثارة .

أما مايكل روان روبنسون ، وهو شاعر وفلكى ، فقد حاول ان يصور الكارثة المحيقة بالبشرية على ضوء رؤية فلكية كونية قائمة على أن الشمس ستضحى عملاقا أحمر يبتلع الأرض . ومع ذلك كان من رأيه أن للشعر قيمة وامكانيات اخلاقية وسياسية هائلة ، احترقت روما أم لم تحترق ، وحتى اذا كانت السفينة غارقة لا محالة ، فلابد أن تستمر الاوركسترا فى العزف .. تخفيفاً لثقل الكارثة ، وضبطا للنفس .

وكان من رأي انطونى رودولف — وهو شاعر ومحرر — ان يعطى اهتماماً أكبر للمسائل والقضايا العامة ، فمن لا يفعل شيئاً أو يظل صامتاً انما هو فى واقع الأمر متواطىء مع القوى التى تعد العدة للرعب النووى .. وان اشتغال الشعراء والمثقفين عامة بالقضايا المتخصصة وحدها فى ظل الرعب النووى هو انتصار لتلك القوى المدمرة .. فاذا ما قامت الحرب الثالثة لن يستطيع شتاينر الذى يدرس الأدب المقارن بجامعة جنيف بسويسرا المحايدة لن يستطيع أن يستمتع بالموسيقى الجيدة أو بقراءة الشعر أو كتابة النقد .. لأنه لن يكون ثمة معنى لأي نشاط إنسانى .. والعالم قد مات . ولكن شتاينر رد بان الشاعر اذا ما سأل نفسه عن قيمة وفائدة قصيدة له ، فانها ستكون بهذا المنظور قصيدة من الدرجة الثانية . فالشاعر الحق يمثل فعلا خلاقاً ينبع من الضرورة المطلقة . فاذا لم يكن ضرورياً يمكننا الاستغناء عنه . والقصيدة ، كما يرى ، هى اكثر حـدث مهم فى وجـه لغة الدولة التى تعيش خارج اطار المجتمعات متعـددة الوظائف .. وشبه مثل تلك القصيدة بالاوكسجين فى حجرة مغلقة . كما أصر على انه ما من قصيدة يمكن أن تهز حكومة غربية تماماً مثلما لا يمكن لكتاب ما أن يغير حساسية أو وعي السياسة الغربية .

ويبدو أن الشعراء قد اجمعوا على انهم لا يمكن أن ينخرطوا فى دور .. وفى النهاية قدم اقتراح أجيز بالاغلبية يدعو الى توجيه خطاب الى رئيسة وزراء بريطانيا يطلب اليها إزالة كل الصواريخ النووية والقواعد من أرض بريطانيا .

الإبداع فى الشعر

بقلم الشاعر الإنجليزي : ستيفن سبندر
ترجمها بتصرف : شاكر عبد الحميد سليمان

فى البداية يجب أن أعترف أن لكل شاعر طريقته الخاصة فى الكتابة وفي التفكير وفي النظر الى الأشياء والشعور بها ، لكن في كل الحالات فان نشاط كتابة الشعر يحتاج الى قدر كبير من الانتباه كما ينبغي أن تتوفر له كفاءات خاصة فى عمليات الابصار والسمع والخيال والذاكرة وغيرها ، والشاعر يجب أن يكون قادراً على التفكير من خلال الصور كما يجب أن يتمكن من لغته ويسيطر عليها ، فاللغة بالنسبة للشاعر كالألوان بالنسبة للمصور ، وكل ما سبق يعني أنه فى المجتمعات الانسانية يجب أن يكيف الشاعر نفسه – سواء من خلال الكثير أو القليل من الوعي – مع متطلبات وضروريات عمله ، ومن ثم فان خصوصية الشاعر والشروط الغريبة المرتبطة بالالهام تعد من وجهة نظرى ضرباً من الجنون !

إن الشاعر يجب أن يكيف شخصيته لمتطلبات فنه وهذا قد يساعد فى فهمنا للشعراء الآخرين وأيضاً فى فهم بعض اشعارهم . واليوم نحن نفتقد دون شك وجود نظرة كلية شمولية للشعر كما أننا نركز على جوانب معينة من الشعر ونهمل الجوانب الأخرى ، فحركات الشعر الحر والسريالية والتعبيرية والخيالية ، والشعر الذاتي وغيرها تجعل بعض الأفراد يظنون أن الشعر هو مجرد نشاط يتعلق بالكتابة الايقاعية أو هو قيام بانتاج تداعيات وارتباطات طليقة وغير مقيدة بين الأشياء ، أو هو التفكير من خلال الصور فقط والرسم بالكلمات بما يقترب من حافة الجنون (السيريالية) وان ذلك يتم من خلال الربط البعيد أو غير المباشر بين بعض الكلمات مثل : ليل ، ظلام ، نجوم ، أزرق ، سحب ، صحراء ، نار ، قمر ، وغيرها . فهل هذا هو الشعر ؟ إن الأمر أكبر من ذلك وأعظم عمقاً بكثير ، ولعل في محاولتي لتوضيح كيف يؤدى الشاعر عمله ومن خلال خبرتي الشخصية ما قد يؤدى الى بعض الوضوح فى هذه الصورة غير الدقيقة عن الشعر وعن الشاعر .

التركيز

إن جوهر الكتابة الابداعية يتعلق أساساً بعملية التركيز ، ومن ثم قد يقوم بعض الشعراء باكتساب بعض العادات أو الطقوس التى تسهل عملية التركيز بالنسبة لهم والتركيز بالنسبة للشعر



موزار



بيتهوفن



الشاعر بول فاليرى مع عائلته

يختلف دون شك عن حالته بالنسبة لحل مشكلة أو مسألة حسابية ، إنه تركيز للانتباه بطريقة خاصة ، وفيه يكون الشاعر واعياً بكل الدلالات وإمكانيات التطور والارتقاء الخاصة بأفكاره ، إنه تركيز يتجه ناحية الضوء والدفء ومن خلاله تتفجر ينابيع الابداع ، إن القهوة هي وسيلتي المفضلة فى اجتلاب التركيز ، أما « أودن » فقد كان يشرب عدداً كبيراً من أكواب الشاى ، وقد لاحظت أنه مع تزايد التركيز فانني أنسى مذاق السجائر في فمي ومن ثم فانني أميل الى تدخين سيجارتين أو ثلاث فى

دانتى



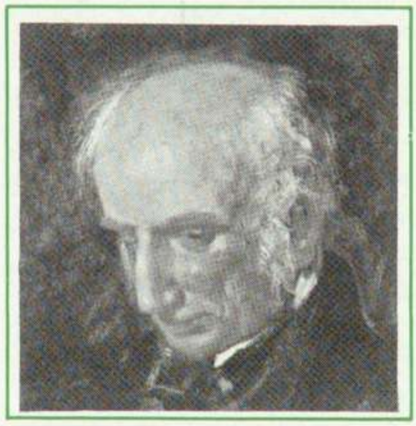
نفس الوقت ، إن هذا يكون من أجل إيجاد احساس خارجي يخترق جدار التركيز الذى ضربته حول نفسي ، وقد أخبرني الشاعر « دى لامير » ذات مرة أنه يعتقد أن الرغبة فى التدخين أثناء كتابة الشعر تنبعث من خلال الرغبة الداخلية العميقة في ذلك ، أكثر من كونها مجرد مثير خارجي ينبه المرء ، فهي تجعله قادراً على التغلب على عوامل التشتت وعوائق التركيز التى تأتي من البيئة في كل لحظة ، بل والتى تأتي أيضاً من داخل الجسم نتيجة لحاجاته البيولوجية الملحة .

إن الشعراء يتحدثون عن الضرورة الشديدة والملحة التى يشعرون بها لكتابة الشعر أكثر من حديثهم عن حبهم لهذا النشاط ، فالكتابة عملية شاقة تماماً إنها إجبار واضطرار نفسي وضغوط من العقل كي يصل المرء الى اعلى مستويات الفن ، ومن ثم فهي ليست بالعملية المبهجة أو السارة تماماً ، ومن وجهة نظرى فانه من الضرورى التميز بين نوعين من التركيز : فبعض الشعراء يكتبون أعمالهم بطريقة مباشرة ، وعندما تكتب فانها نادراً ما تحتاج الى المراجعة ، أما البعض الآخر فيكتبون عدة نسخ من القصيدة ، وعلى مراحل بحيث أنهم عندما يصلون الى النهاية تكون علاقة النسخة الأولى بالنسخة الأخيرة علاقة طفيفة ، ويمكن أن نجد هذا واضحاً حتى فى مجال الموسيقى فنجد أن « موزارت » كان يكتب الحانه بسرعة وبطريقة مباشرة ، وأثناء رحلاته ، وخلال تعامله مع عديد من المشكلات والمواقف الحياتية يكتبها كاملة غير منقوصة ، أما « بيتهوفن » فقد كان يكتب شذرات متفرقة من الموضوعات ويحتفظ بها بجانبه ويكملها عبر السنين ، وغالباً ماكانت أفكاره الأولى غير بارعة ، ولكنه كان قادراً على أن يصنع منها أشياء عظيمة بعد ذلك ، والفرق بين الاسلوبين أن الأول يكون قادراً على أن يسبر الأعماق بطريقة خاطفة وبمجهود خارق ، سريع ومتواصل ، أما الثاني فهو يحفر طبقة وراء طبقة ، أعمق فأعمق والمسئول الأول عن أي من الحالتين هو الرؤية الفنية للمبدع التى ترى وتكشف وتواصل حتى توصله للهدف ، وهذا هو منطق العمل الفني ، والشاعر قد يوهب عقلا رائعاً وقوياً و موجهاً ، وقد يكون بطيئاً أو متهوراً .. هذا لا يهم .. المهم هو أن يحدث تكامل بين الهدف والقدرة ، للوصول الى الهدف دون أن يفقد المرء ذاته ، وبالنسبة لي فانني أقوم خلال كتابة الشعر بعمليات تركيز مباشرة ، لكنني أخاف كثيراً من عدم تمكني من إكمال القصيدة ، فلدى قصائد كثيرة غير مكتملة ، ومن ثم فان الاسلوب الذى أتبعه هو أن أكتب كل الأفكار الممكنة فى كراسة خاصة بالشعر ، ولدى حوالي عشرين كراسة ممتلئة بقصائد مكتملة وغير مكتملة ، وهذه القصائد أهتم ببعضها وأهمل بعضها الآخر ، إن الشاعر يجب أن يميز جيداً فى عقله بين ما يجب قوله وما لا يجب قوله ، وهو يستطيع أن يقول الكثير من خلال موسيقى الشعر ودلالات الألفاظ .

إننى اتفق تماماً مع « بول فاليرى » في قوله « ان الله أو الطبيعة قد ينعمان علينا بمطلع القصيدة لكن اكمالها هو اكتشافنا الخاص » ، إن خبرتي عن الالهام تتلخص في أنه قد تأتي لي كلمة أو عبارة أو اشارة أو فكرة غامضة

الإبداع فى الشعر

● الذاكرة هى الجهاز الحساس الذي يتميز به كل الشعراء المبدعين الذين امتدوا إلى ما وراء السطح الظاهر للزمان والمكان!



ورد زورث



وليم شكسبير

كالسحابة البعيدة التى أشعر بضرورة تكثيفها فى شلال من الكلمات ، إن هذا يعني أن أهمية الالهام – إن وجد – هي أهمية قليلة بجانب ما يستطيع الشاعر نفسه أن يعطيه ، إنه بالنسبة لي يشبه ضوءاً خافتاً يساعدني فى الاستبصار بما حولي ومن ثم فانه يصعب علي أن أتصور وجود شيء يفوق في أهميته وعي الشاعر بفنه وبالعالم الذى يعيش فيه .

الذاكرة

يتميز كل الشعراء المبدعين بوجود جهاز حساس ومتطور هو الذاكرة ، فهي تجعلهم يعودون ويتذكرون كل الخبرات المبكرة ولا ينسون الانطباعات الحسية الهامة التى تأتي اليهم فى لحظات هامة من حياتهم ، فمقابلة « دانتي » الأولى مع حبيبته « بياتريس » عندما كان عمره تسع سنوات فقط هي الخبرة التى اعتمد عليها فى تكوين وبلورة « الكوميديا الالهية » والطبيعة الجميلة والصاخبة المنتشرة فى قصائد «وردزورث» هي نتاج خبرات متراكمة مر بها عندما كان طفلا صغيراً ، ورغم انني لا أمتلك ذاكرة جيدة لأرقام التليفونات وللاعداد الحسابية والعناوين والوجوه البشرية ، إلا أنني أمتلك ذاكرة جيدة بل ومتفوقه بالنسبة للاحساسات الخاصة ببعض الخبرات التى مررت بها والتى تبلورت داخل نفسي وكونت دلالات معينة ، وقد تثار في نفسى بعض الهواجس فجأة وتعود بي وتردني مباشرة الى فترات مبكرة من طفولتي فأتذكرها وأعيش فيها لحظات أنسي خلالها حاضري ومكاني .

●●●

وربما كان من الحقيقي أن نقول إن الذاكرة هي ملكة الشعر حيث أن الخيال نفسه هو بعض التدريبات التى تقوم بها الذاكرة ، إن قدرتنا على التخيل ترتبط الى حد كبير بقدرتنا على التذكر لما مررنا به من خبرات ومحاولة تصوره فى مواقف جديدة ومختلفة ، وهكذا فان أعظم الشعراء هم من استطاعوا أن يمتدوا بذاكرتهم الى ما وراء السطح الظاهر للزمان وللمكان .. الى كل ما يستطيع الخيال أن يصل إليه ومع اقل قدر ممكن من التمركز حول الذات ، بل من خلال الامتداد والشمول لكل ما تشمله الطبيعة من كائنات وأشياء .

الصدق

إن حياة العديد من الشعراء أمثال شكسبير ووردزورث وغيرهما تبرز أهمية ودور الصدق مهما اختلفت شدته ومداه فى الابداع الشعرى ، إن الشعر بالنسبة لي عمل مقدس ، إن خبرات الشعراء الخصبة وإدراكاتهم النهائية ومشاعرهم العميقة وإحساساتهم الحادة بالصدق والحقيقة هي أمور جوهرية بالنسبة لطبيعة الشعر ، وهي ما ينبغي أن يكرس له الشعراء كل جهودهم .

الموسيقى

وفى النهاية ينبغى أن أشير الى أهمية الموسيقى فى الشعر فأحياناً ما أكون فى حالة بين النوم واليقظة فيمر عبر ذهني تيار من الكلمات قد لا تكون لها معان محددة ولكن لابد وأن تصاحبها أصوات ذات طبيعة خاصة ، أصوات انفعالية وعاطفية ، أصوات تذكرني بالشعر الذى أعرفه ، وأثناء الكتابة فان الموسيقى الخاصة بالكلمات التى أحاول تشكيلها غالباً ما تأخذني بعيداً الى ماوراء مدى ونطاق هذه الكلمات حيث أجد عالماً من الموسيقى والايقاع والرقص والبهجة .

• قصـــة قصـــيرة •

أنا الرجل

بقلم: عباس خضر

أنا الرجل .. أنا سيد البيت وصاحب الكلمة فيه .. لا ينبغي أن يعلو صوت فوق صوتي ، زوجتي موظفة ، نعم ولها راتب شهرى ، لا أنكر أن له أثراً فى حياتنا المادية ، ولكن أنا الرجل ... قلت لها مراراً أن تترك الوظيفة وتقعد في البيت ، فلم تسمع ، الحقيقة اني لا أغضب من رفضها ترك الوظيفة وإن كنت أتظاهر بالغضب كي أحافظ على المظهر الذى يجب أن يكون فى البيت .. فراتبي وحده لا يكفي وخاصة بعد أن انجبنا وتفتحت وجوه الانفاق وصار كل وجه منها يطلب ويلح ، ويقول : أنا ضرورى .. كل من فى البيت يقول : أنـــا !

الزوجة تقول : أنا أكد وأكدح في البيت وفي العمل « ومش عاجب ! » زوجي (سعادة البيه) يريد أن أخدمه خدمة العبد للسيد .. ما علينا ، فأنا أقوم بهذه الخدمة شعوراً مني بالواجب ، بل بأكثر من الواجب .. أصحو من النوم قبله بمدة كافية لأن أحضر له الفطور والشاى ، حتى الغداء أقوم باعداده حين أعود من عملي - كما يعود - لا من العمل وحده ، بل كذلك من المواصلات . أسخن ما أخرجه من الثلاجة وما سبق أن أعددته وتعبت فيه ، وإذا ندت مني شكوى قال متغطرســاً :

- اتركي العمل ، هل ينقصك شيء ؟ أنا كفيل بكل شيء !

واسكت على مضض ، فلا أقول له :

- وهل يكفي المبلغ الذى تعطيه لي أول الشهر وحده ؟

فأنا أضيف الى ذلك المبلغ أكثر منه ، وتبتلع الحاجات كل شيء وخاصة فى هذا الغلاء الذى أذرى بقيمة النقود ..

على أني حين أخرج فى الصباح الى عملي أشعر كأني استنشق نسيم الحرية واتحدث مع زميلاتي ، فأتنفس الصعداء .. وقد تفضي كل منا بما عندها وتختم كلامها في تعجب : « ومش عاجب ! »

• • •

قالت له مرة فى حالة غضب :

- على م هذه النفخـــة الكاذبـــة ؟

قال في غطرسته المعهـــودة :

- أنا الرجل .. وكلمتي هي المسموعة !

وأدار « الاسطوانة » الى آخـــرها !

ذهب ذهنها فى رحلة قصيرة الى الشقة المجاورة حيث يسكن الاستاذ كامل وزوجته التى لا تعمل ، فهي « ست بيت » أنه لا يقول لها مثل ما يقول زوجها : أنا الرجـــل .. الخ ، بل يقول لها دائماً : انت ست البيت .. وبالاضافة الى ذلك يساعدها فى أعمال البيت .

ثم تتذكر أحاديث زميلاتها فى العمل عن أزواجهن ، إن معظمهم مثل زوجها فى النفخة الكاذبة ، والأولى بهم أن يحمدوا الله ويسكتوا .

قالت إحدى الزميلات أن زوجها اشركها معه فى مشروع مالي تشترك فيه بجزء من راتبها كل شهر ، ولكنه كتبه باسمه دون اسمها كشريكة ، ولما سألته فى ذلك أجاب : عيب أن أذكر اسم المرأة فى مثل ذلك !

وأفضت زميلة أخرى بأنها تخفي من راتبها جزءا تعين به أمها المحتاجة ، تخفيه عن زوجها حتى لا يعلم به وتكون مصيبة !

وقالت إحداهن انها إن قالت الشرق قال زوجها الغـــرب ..

قالت هي : تماماً مثل الذى لا يسمى .. (زوجي) ، فى الصيف الماضي أردنا أن نقضي جزءا من الاجازة في أحد المصايف ، فأسرعت بالاشارة الى الأسكندرية ، فقال فى حسم : لا ، رأس البر ..

وذهبنا الى رأس البر ، ليس إلا لأني



أنا الرجل

قلت الاسكندرية !

وهناك أشياء تافهة ، ولكنها ذات دلالة .. كان الولدان عند خالتهما ، فذهب لاحضارهما ، فقالت له أختي :

ــ هل أرسلتك زوجتك لأخذهما ؟

فقال لهـــا :

ــ لو قالت لي ما جئت !

• • •

غاب « الرجل » عن بيته عدة أيام بعد شجار و «نقار» بينه وبين زوجته ، ثم ترامى اليها أنه تزوج امرأة أخرى .. توقعت أن تكون الزوجة الجديدة غير عاملة ، ولكنها فوجئت بأنها موظفة ، فهل ياترى يكون معها سيد البيت ؟ فليكن من يكون ، لا يهم ، وليذهب الى الجحيم .. رمت طوبته .. وتسلت بولديها منه ، وعكفت على تربيتهما ، لم تطالبه بنفقة ، ولم يسأل هو ، وشعر الصغيران أن أباهما رماهما ، والتصقا بالأم مكتفيين بحنانها .

قال الولد الأكبر ــ وقد كبر ــ لجدته :

ــ أتعرفين يا جدتى ؟ فى المدرسة أحياناً أشتبك مع أحد الأولاد فيشتمنى ويقول لي : يا ابن الكلب أو ملعون أبوك ، فلا أغضب !

قالت الجدة الطيبة التى تساعد ابنتها فى العناية بولديها :

ــ ولكنه أبوك على كل حال يا حبيبى .

ــ أنا لا أعرفه ..

ويقول الولد لنفسه كلاماً كثيراً جداً لا ينطق به ، بخلاف ما كان أبوه يهذر ، لم يرثه فى هذه الناحية ، وهل يرث الابن أباه البعيد فى الصفات المكتسبة ؟

والناس تقول .. تقول للزوجة :

ــ لماذا تتركينه ؟ ارفعى عليه قضية .

ويتبرع أحدهم قائلا :

ــ أنا أعرف لك محامياً بارعاً تخصص فى قضايا الأحوال الشخصية .

وتجزع الزوجة من ذكر القضايا والمحاكم ، وتتخيل الحكم بحرمانها من حضانة الطفلين ، فتقول :

ــ لا .. منه لله ..

• • •

الواقع أنها تستريح الى هذا الوضع .. لا تريد منه شيئاً . تفضل أن تكد وتكدح وتربى طفليها ، وتحب أن يكبرا بعيداً عن أبيهما ، قد وضعت كل آمالها فيهما .. يسرها دوام إهماله ، تريد أن تشهد الدنيا على ادانته ، إن لم يكن فى الزواج بأخرى ففى إهماله ولديه .

ويوماً يجيء منه خطاب يقول فيه انه اشتاق الى الولدين ويريد أن يراهما ! سكنت رعشة يديها وهى تفتح الخطاب ، وقالت ساخرة :

ــ الآن اشتاق ! مجاناً !

ولم يكن بد من اللقاء .. بين الأب وولديه . أعد لهما هدايا ولعباً . نظر الولدان الى الهدايا واللعب شذراً .. وقال الأكبر :

ــ عندنا مثلها ، اشترتها لنا أمى ..

وقال الأب :



– قولا لي ماذا تريدان وأنا أحضر لكما ما تريدان .
– لا نريد شيئاً .

وكأنهما يقولان له : دعنا فى حالنا واذهب لا نحتاج الى شىء منك .. وكان الأصغر ساكتاً مأخوذاً بغرابة الموقف ، قال له الأب وهو يحاول أن يخرجه عن صمته بالمداعبة :

– وأنت يا حبيبى .. ماذا تحب ؟
– من أنت ؟!
– أنا أبوك يا حبيبى .
– لا أعرفك ! أنا أحب ماما .

كان الولد الأكبر يريد أن يقول مثل ذلك ، ولكنه خجل ولاذ بالصمت ، وقال صمته ما هو أبلغ من الكلام .. نظر اليه كشىء غير مرغوب فى بقائه .. ود لو يمضى ويقصر فترة الحرج ..

ماذا يريد منا هذا الرجل ؟ لقد رآنا كما أراد ، فليذهب .. ليته لا يعود ! أنا وأخى سعيدان مع أمنا ، لسنا فى حاجة الى هذا الرجل ، ما أثقل يده وهو يربت بها علي ! فليذهب .. فليذهب .

ذلك شىء مما دار بنفسه ، أما الأب فقد غرق فى حيرته .. لم يكن يتوقع هذا ، كان يتوقع أن يرتمى الولدان على صدره ويقولان : بابا .. بابا .. ولكنه لم يظفر من أحدهما بهذه الكلمة ، لقد فقد هذه الكلمة ، وما أعظم الفقد !

زوجته الجديدة عاقر ، لم تأت له بمن يقول له : بابا .. ولكنها «تعسل» له الكلام وتخفض صوتها فى حديثها اليه كأنها تقول له : أنت السيد .. أنت الرجل .. أنت رب البيت . وهذا ما كان يفتقده فى الزوجة القديمة ، فكان يضطر الى أن يقوله ..

ولكن يا للعجب .. الجديدة تلين وتظهر الخضوع ، ولكنها فى النهاية تفعل ما تريد ، والقديمة كانت تعارضه بالكلام ، بالكلام فقط .. ولسان حالها يقول : ها أنا ذى شريكة مساوية ، وعليك أن تدع هذه الغطرسة الكاذبة !

يا إلهى .. فليكن أى شىء ، لأكن رجل البيت أو لا أكون ، ولكننى لا أريد أن أفقد الصغيرين ، لا أريد أن أفقد وجهيهما مدبرين وأنا مقبل مشتاق !

• • •

– لا ، لست الآن ولداً .. أنا أبوك وأنت ولدى ، وعلى هذا أسألك ..

– قلت لك أنا حر فيما أفعل ، وليس لك ولا لغيرك أن يتدخل فى حياتى وشئونى الخاصة .

– شئونك الخاصة ! أليس بيتك وأولادك من شئونك الخاصة ؟ لماذا خلفتمونا إذن .. ؟ أوليست مسئوليتك عن هذا البيت ومن فيه من الشئون الخاصة ؟

شاهد الولد تلك المسرحية فى المنزل مع أمه وأخيه الصغير ، وكم سروا بها ، لأنها «جاءت على الجرح» وخطر له أن يقوم بدور ذلك الشاب مع أبيه ان عاد .. ولكنه – لما كان أمامه – لم يجرؤ ، لأنه لايزال صغيراً ولم يكبر بعد ويستطيع أن يتجرأ مثل ذلك الشاب ، وشعر بالتعاسة إذ تذكر قسوة أبيه الشديدة فى معاملته وهو طفل .

تذكر الابن الأكبر شيئاً كان قد عزم على أن يقوله لأبيه إن عاد ، تذكر ما شاهده فى مسرحية عرضت على شاشة التليفزيون ، فيها الأب يتصل بفتاة ويتفق معها على الزواج والسفر الى جهة ما ، حيث يبعد عن بيته وزوجته وأولاده ويتخلى عنهم . ويعلم الأولاد بذلك . وعلى حين يستعد الأب للسفر وقد أوهمهم أنه مسافر فى عمل وعائد قريباً – وقف الابن الأكبر الشاب فى وجهه وقال له :

– الى أين .. ؟ لماذا تريد أن تترك البيت وأولادك وزوجتك التى عاشت مخلصة خادمة لك كل هذه السنين ؟ لماذا ؟
– من أين عرفت هذا ؟
– لا يهم من أين عرفته ، المهم أنه حقيقة ، أليس كذلك ؟
– أنا حر فى حياتى الشخصية ..
– اسمع يا أبى ، طالما وقفت منك موقف الابن أمام أبيه ، والآن حان الوقت لأن نتبادل الوضع ..
– ماذا تعنى يا ولد ؟

ثم ماذا يفيد الآن أن يقول لأبيه شيئاً .. ؟ لقد تنبه ذلك الأب (فى المسرحية) الى حقيقة موقفه والخطأ الذى يوشك أن يقع فيه ، فعدل عما كان يزمع . أما هذا فقد فعلها وانتهى الأمر ، فماذا يفيد الكلام ؟

عباس خضر

هكذا تكلم



جبران خليل جبران

● وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لاتدرى به البشر !

● باطلة هى الاعتقادات والتعاليم التى تجعل الانسان تعساً في حياته ، وكذا هي العواطف التى تقود الى اليأس والحزن والشقاء لأن واجب الانسان أن يكون سعيداً على الأرض ، وأن يعلم سبل السعادة ويكرز باسمها اينما كان .

● لا يستطيع صوت الحياة الذى في أن يصل الى أذن الحياة التى فيك ، ولكن فلنتكلم على كل لئلا نشعر بوحشة الأنفراد !

● نفوسكم تتلوى جوعاً وخبز المعرفة أوفر من حجارة الأودية ولكنكم لا تأكلون .. وقلوبكم تختلج عطشاً ومناهل الحياة كالسواقى حول منازلكم ... فلماذا لا تشربون ؟!

● للرجل العظيم قلبان ، قلب يدمى ، وقلب يتجلد .

● إن الأمة المستعبدة بروحها وعقليتها لا تستطيع أن تكون حرة بملابسها وعاداتها ..

● كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم ارتكبها قط كي لا أظهر أرفع ممن يجالسني من المجرمين .

● يارب : اجعل قوة اعدائي مضارعة لقوتى كي لا تكون الغلبة إلا للحق ! .

● بعض الناس يسمعون بآذانهم والبعض ببطونهم والبعض بجيوبهم والبعض لا يسمع أبداً .

● ما أشبه أرواح بعض الناس بالأسفنج ، فانك لا تستقطر منها إلا ما امتصته منك .

● أبعد الناس عن قلبي راغب يمثل دور مرغوب .

● لو وجد رجلان متشابهان لما وسعتهما الدنيا .

من هو ؟

● جبران خليل جبران (١٨٨٣م - ١٩٣١م) ، كاتب وشاعر ومصور ومفكر ، وتعلم فى مدرسة الحكمة ببيروت .

● هو الأدب والرسم معاً ، ودرس الفن بباريس حيث تعرف بالمثال العالمي رودان (١٨٤٠م - ١٩١٧م) .

● هاجر الى الولايات المتحدة مع بعض أقاربه وهو صبي ، ثم عاد اليها شاباً ، وهناك مارس الرسم وانتج معظم شعره ونثره ، وفى عام ١٩٢٠م انتخب رئيساً للرابطة القلمية التى ضمت الأدباء المهجريين دعاة التجديد فى الأدب العربي .

● عكست كتاباته الأولى دعوة عنيفة للتمرد وشوق محرق للعدل ، ثم اتجه الى الفلسفة الروحانية الشرقية ذات الطابع الصوفي .

● يجمع فى اسلوبه بين الحرارة الوجدانية والتأثير الخطابي .

● كتب بالعربية : الموسيقى - دمعة وابتسامة - عرائس المروج - الأرواح المتمردة - الأجنحة المتكسرة - المواكب - العواصف - البدائع والطرائف .

● وكتب بالانجليزية : المجنون - السابق - النبى - رمل وزبد - يسوع بن الانسان - آلهة الأرض - التائه - حديقة النبي .

● توفى فى أمريكا ، ونقل جثمانه الى قريته « بشرى » حيث اقيم متحف ضم رسومه وكتاباته .

● عندما تبلغ قلب الحياة تجد أنك لست أرفع من المجرمين ولا أدنى من الأنبياء .

● أكثر ذوي العواطف الرقيقة يتسرعون بمس عواطفك خوفاً من أن تسبقهم وتمس عواطفهم .

● عندما يلمس الرجل بيده ، يد امرأة ، يلمس كلاهما أذيال ثوب الأبدية .

● ما أكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل ، وما أقل اللواتي يمتلكنه .

● لو لم تكف المجرة فى داخلي لما عرفت بوجودها .

● انما الحياة موكب يسير أبداً الى الأمام .. فالفيلسوف يستطيع أن يوقفها دقيقة بفكرة مبتكرة ، أو بتعليم جديد ، ولكنه لا يقدر أن يصدها عن متابعة السير الى حيث لا تدري !

ماذا نستطيع أن نفعل ؟

« .. لو كنت جائعاً بين أهلي الجائعين ، مضطهداً بين قومي المضطهدين ، لكانت الأيام أخف وطأة على صدرى ، والليالي أقل سواداً أمام عيني ، لأن من يشارك أهله بالأسى والشدة ، يشعر بتلك التعزية العلوية التى يولدها الاستشهاد ، بل يفتخر بنفسه لأنه يموت بريئاً مع الأبرياء .. »

« ليت شعرى ، ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه ، لو كنت سنبلة من القمح فى تربة بلادى ، لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بحياتي يد الموت عن نفسه .. لو كنت ثمرة يانعة فى بساتين بلادى ، لكانت المرأة الجائعة تتناولني وتقضمنى طعاماً ، ولكن واحر قلبـاه ، لست سنبلة من القمح فى سهول سوريا ، ولا بثمرة يانعة فى أودية لبنان وهذه هى نكبتي ، هذه هي المأساة الموجعة التى تعقد لساني ، وتكبل يدى ، ثم توقفنى بلا عزم ، ولا ارادة ولا عمل ..

« يقولون لي وما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم .. نعم ولكن نكبة بلادى نكبة خرساء ، نكبة بلادى جريمة حبلت بها رؤوس الأفاعى والثعابين .. نكبة بلادى مأساة بغير أناشيد ولا مشاهد ..»

مات أهلي الى الصليب : ماتوا وأكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب ، وعيونهم محدقة بسواد الفضاء ، ماتوا صامتين لأن آذان البشرية قد أغلقت دون صراخهم ، ماتوا لأنهم لم يحبوا أعداءهم كالجبناء ، ولم يكرهوا محبيهم ، ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين ، ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين ، ماتوا جوعاً فى الأرض التى تدر عسلا .. ماتوا لأن الأفاعي أولاد الأفاعي قد تنفسوا السموم فى الفضاء الذى تملؤه أنفاس الأرز وعطور الورد والياسمين .

مات أهلي وأهلكم أيها اللبنانيون .. فماذا نستطيع أن نفعل لمن لم يمت منهـم ؟ .



جبران خليل جبران مع ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة

لبنانكم .. ولبناني !

لكم لبنانكم ، ولي لبناني .. لكم لبنانكم ومعضلاته ، ولي لبناني وجماله ، لكم لبنانكم بكل ما فيه من الأغراض والمنازع ، ولي لبناني بما فيه من الأحلام والأماني . لبنانكم رجلان ، رجل يؤدى المكوس ورجل يقبضها .. أما لبناني فرجل فرد متكىء على ساعده فى ظلال الأرز وهو منصرف عن كل شيء سوى الله ونور الشمس .

سينما

رسالة مهرجان "كان" السينمائي

اليهود

فى ثلاثة أفلام

من انجلترا. فرنسا. إسرائيل ... والغريب أن تأتي المفاجأة من شاب إسرائيلي

رءوف توفيق

تشهد هذه الصفحات من «الدوحة» ، اننى كتبت كثيراً عن اليهود ، وكيف يلجأون الى سلاح الفن عموماً .. والسينما بالذات .. لكى يذكروا العالم بوجودهم وقضيتهم .. وكيف انهم لا يكفون عن تأنيب العالم على تشريدهم وتعذيبهم أيام النازية ، ولا يكفون أيضاً عن طلب التكفير عن هذا الذنب القديم ، أو أى ذنب جديد قد يتورط فيه أحد ضدهم !!

وكتبت كثيراً عن الأفلام التى ينتجونها بأموالهم ، داخل اسرائيل أو خارجها .. بمساعدة حلفائهم فى الشبكة الصهيونية !



للممثلة «جيرالدين شابلن» من أبطال فيلم المخرج «ليلوش»

العازف الالمانى وهو يعزف للمقاعد الخالية ..لقطة من فيلم « هؤلاء والآخرون»





لقطة من أجمل مشاهد الرقص فى فيلم «هؤلاء الآخرون»

وكتبت ايضاً كثيراً .. بمرارة غالباً .. وبحماس دائماً .. أستنجد بالاموال العربية لكى تتجه الى سلاح الفن ، والسينما بالذات ، لكى تواجه هذا العدوان على الفكر العالمى .. واثبات الوجود العربى ، والحق العربى .. وانعاش ذاكرة من يحاول أن ينسى أو يتناسى جوهر القضية العربية ، وحضارة الانسان العربى .

ولكن لم أتصور أبداً ان أجد نفسى امام هذه المفاجأة المذهلة ، المؤلمة .

أحد العرب يضع امواله وخبرته واتصالاته ، فى خدمة فيلم انجليزى الجنسية يقوم أساساً على تمجيد اليهود والاشـــادة بكفاحهـم وأصرارهـم وبطولاتهم !!

والفيلم لا يقدم هذه التحية الحافلة والحارة ، على استحياء ، أو بصورة رمزية ، أو من خلال جملة حوار ، أو لقطة مدسوسة بذكاء .. أو عن طريق شخصية ثانوية .

أبداً .. الفيلم يعلنها صريحة واضحة .. وفى كل ثانية من مدة عرضه (ساعتان وأربع دقائق) يؤكد انه مع هذا البطل اليهودى الذى يريد ان يحقق النصر دفاعاً عن وجوده وكيانه !!

● الفيلم اسمه « عربات النـــار »

وقد اشتركت به انجلترا فى المسابقة الرسمية لمهرجان « كان » السينمائى لهذا العام ، وسط حملة دعاية مكثفة .. وفى اليوم التالى لعرضه فى المهرجان بدأ عرضه فى العواصم الأوربية .

وعندما شاهدت هذا الفيلم داخل المهرجان .. لم أتمالك نفسى من شدة الصدمة .. ما الذى جعل هذا الشاب العربى يمول ـ أو يشترك فى تمويل ـ هذا الفيلم ؟!

فالفيلم يبدأ بأبيات من قصيدة «القدس» للشاعر «ويليام بليك» .. تقول :

.. احضرى لى قوسى من الذهب المحترق

.. احضرى لى سهامى من الرغبة

.. احضرى لى رمحى

.. يا أيتها السحب المنتشرة

.. احضرى لى عربات من النار ..

وعندما ندخل الى صلب موضوع الفيلم .. ندرك ان هذه الابيات ، قد

رسالة مهرجان "كان" السينمائي

اليهود

في ثلاثة أفلام

اختيرت للتعبير عن اصرار هذا الشاب اليهودى «هارولد أبرهامز» الذى التحق بجامعة كمبريدج فى عام ١٩١٩ .

فى ذلك الوقت كانت بريطانيا تحاول استرداد انفاسها من الحرب العالمية الأولى .. وجامعة كمبريدج ، قلعة حصينة بتقاليدها العريقة ، وشرف الالتحاق بها مرهون بمن يحافظ على اسمها وسمعتها .. وهذا أمر ميسور لابناء الطبقة الغنية الأصيلة .. ولكن بالنسبة للآخرين .. فالمسالة تحتاج الى مزيد من ضبط النفس والقدرة على الاحتمال ، والمواصلة واثبات النجاح .

وقد كان هذا الشاب «هارولد» واحداً من بين هؤلاء «الآخرين» .. فهو ابن ذلك الرجل اليهودى الذى كان يعمل فى المراهنات والربا .. وهو لا يستطيع ان يباهى بشىء سوى براعته فى مسابقات العدو .. فمنذ اليوم الأول لالتحاقه بالجامعة .. وفى احتفالات قبول الدفعة الجديدة من الطلبة .. يقدمه الفيلم بأنه الشاب المعجزة الذى يبهر أنظار اساتذة الجامعة بمهارته فى سباق العدو .. وبدماثته ، ورجولته .. ويوالى الفيلم تدعيم قصة هذا الشاب ، من خلال احراز بطولات جديدة فى سباق العدو .. وأيضاً التقدم المذهل فى الدراسة .. فهو يرهن نفسه لقضية اثبات وجوده !

شعب الله المختار !!

وكما يقول لصديقته التى تحاول ان تفهم سر أصراره المستميت للفوز : «اننى ادافع عن نفسى لكونى يهودياً» !! .. ثم يسألها «إنك غير يهودية .. أليس كذلك ؟» .. وتهز رأسها بالنفى .. فيتمتم هو بصلابة وعناد : «انى وضعى مختلف .. اننى احمل المستقبل معى» !!

فتنظر له باعجاب شديد .. وتردد فى ابتهال : «انت رجل عظيم .. انت رجل الله .. ستهزمهم .. انت قادر على ان تنتصر» !!

ويدق الفيلم على هذا الوتر بايقاعات عالية ومنتظمة ، طوال الفيلم .

فهناك ايضاً احد اساتذة كمبريدج الذى يؤكد «ان اليهود هم شعب الله المختار» !

● إنها معركة حقيقية .. ولابد من الفــوز

وعلى الجانب الآخر .. يقدم الفيلم قصة طالب (أريك ليدل) .. وهو ايضاً احد ابطال العدو فى الجامعة ، والذى يعتبر العدو وسيلة للاقتراب اكثر من الله !! فقد وهب نفسه لخدمته .. وهو يتصرف ويتكلم ويعظ كانه احد رجال الدين .. وله جمهوره ومستمعوه .

وتقرر انجلترا الاشتراك فى أوليمبياد عام ١٩٢٤ الذى يقام فى باريس .. وتختار ثلاثة من طلبتها لتمثيلها فى بطولة العدو .. وتسلط الاضواء عليهم اكثر .. وتجند الصحافة نفسها لتتبع أخبارهم !

ويشعر الطالب اليهودى «هارولد» ان هذه الفرصة قد جاءت له لاعلان هويته للعالم أجمع .. فيجند نفسه لتدريب شاق ومستمر .. ويختار مدرباً محترفاً لتدريبه .. رغم اعتراض الجامعة على هذا المدرب .. الا انه يتمسك به .. فالقضية قضيته الخاصة .. (ملحوظة .. فاز الممثل يان هولم الذى ادى دور المدرب بجائزة أحسن ممثل مساعد) .



المخرج الاسرائيلى «ياكى يوشا» فضح أسرار صناعة الموت فى اسرائيل

ويأتى موعد الدورة الاوليمبية .. وعندما تلمس قدماه أرض الملاعب فى باريس .. وينظر حوله ليجد منافسيه من جميع انحاء العالم يتدربون قبل موعد المباريات .. تتأكد لديه الرغبة فى الفوز .

انها معركة حقيقية وعليه ان ينتصر .

بينما يثير زميله المتدين (أريك) مشكلة ان المباراة التى سيشترك فيها ستقام يوم الأحد ، وهو اليوم الذى يحرم فيه على نفسه اى نشاط جسمانى !! .. وتكاد تحدث أزمة ، لولا تدخل زميلهما الانجليزى الثالث ، الذى يعلن عن استعداده لأن يتبادل مع «أريك» يوم المباراة وبالتالى نوع السباق .. فأريك كان قد جهز نفسه لبطولة المائة متر .. ولكنه فى مقابل التبادل مع زميله .. عليه ان يخوض سباق الاربعمائة متر !

انها مجموعة من التحديات .. وكل منهما له قضية يدافع عنها ..

ويأتى يوم المباراة .. وسط جو مشحون بالتوتر .. يسجل الاثنان فوزهما الساحق .. ويكتب اسمهما فى تاريخ الرياضة !!

● المهم .. تحقيق الهدف !

وهكذا ينتهى الفيلم .. ليقول لنا المخرج «هيو هدسون» من خلال حديث صحفى معه : «ان هذين الشابين كانا يبحثان عن أسلوب للسيطرة على نفسيهما .. برفض أية عوامل جانبية تؤثر على الأهداف التى يسعيان إليها ، والقيم التى يؤمنان بها .. وفى الحقيقة ليس مهما ان يكون الموضوع عن رياضة العدو .. ولكنه ببساطة طريق لتوضيح تصميمهما لاثبات وجودهما الانسانى .. بالرغم من كل الصعاب .. ودون ان يفقدا ذاتيهما بالرضوخ للظروف !

« لقد كان النصر مهما بالطبع .. ولكن الأهم منه انهما أصبحا رجلين بالصورة التى أراداها

ما الذى يمكن ان يقال اكثر من هذا .. وبهذا الوضوح .. لاعلان مضمون الفيلم وهدفه ؟!

صحيح .. انه فيلم جيد من الناحية الحرفية .. وبالذات فى التصوير والمونتاج والموسيقى .. بالرغم من انه العمل الأول للمخرج «هدسون» الذى جاء



فيلم «عربات النار» .. الشاب اليهودى وهو يحدث صديقته بصورة مزيفة عن التحدى الذى يواجهه

للسينما الروائية ، عن طريق افلام الاعلانات وبعض الأفلام التسجيلية .

ولكن مهما كانت براعة بعض العناصر الفنية .. الا ان الموضوع نفسه هو الأساس .. وهو الذى يبقى فى وجدان المتفرج .. وقد كان هذا الموضوع عن اصرار اليهود ، موضوعاً سخيفاً ومكرراً ، بالنسبة للمتفرج العالمى ، الذى أصابه الملل من هذه النغمة العنصرية ! .. فما بالك نحن .. ؟!

● فرنسا .. وفيلم « هؤلاء والآخرون»

وهو ما حدث ايضاً بالنسبة لفيلم «هؤلاء والآخرون» للمخرج الفرنسى ، اليهودى الأصل «كلود ليلوش » !

فبالرغم من كل البذخ والجهد الفنى الواضح فى ذلك الفيلم ، والذى أشتركت به فرنسا داخل المسابقة الرسمية لمهرجان «كان» هذا العام .. الا ان الفيلم ستقبل بفتور شديد .. ولم يفز الفيلم بأية جائزة .. أو كلمة تقدير من ناقد .. رغم توقعات «كلود ليلوش» الشخصية

وقد كان المؤتمر الصحفى الذى عقده بعد العرض الأول لفيلمه داخل المهرجان .. نموذجاً صارخاً لهذا التجاهل .. فقد جلس «ليلوش» ومعه عدد كبير من ممثلى فيلمه ، فى انتظار أى سؤال من ناقد أو صحفى .. ومضت الدقائق الطويلة ، ولم يتقدم أحد بسؤال .. فانفعل فى مرارة وهو ينظر حوله فى دهشة : «ألا يريد أحد منكم أن يسألنى عن شئ » ؟!!

وخطأ المخرج «ليلوش» فى فيلمه «هؤلاء والآخرون» الذى كتب له السيناريو .. انه اختار موضوعاً قديماً .. وحاول ان يبتكر شكلا جديداً لعرضه .

ولم تستطيع كل الألاعيب والحيل الفنية ان تغطى فقر الموضوع !!

● اضطهاد اليهود مرة أخرى

فقد أراد ان يقدم أربع عائلات من باريس وموسكو وبرلين ونيويورك فى زمن الثلاثينات .. ثم ما حل بهم من أهوال فى الحرب العالمية الثانية .. ثم ما جرى لأولادهم ومن بعدهم أحفادهم حتى عام ٨٠ .

واختار ان يكون أسلوب الربط بين هذه العائلات على مر السنين هو الموسيقى .. فهم إما عازفون .. أو راقصون .. أو مغنون !

والفكرة طموحة جداً .. ولكن هذا التعدد فى الشخصيات ، والانتقال من جيل الى جيل (باستخدام نفس الممثلين تقريباً مع تغيير الماكياج) .. ثم الدخول فى تفصيلات وأحداث فرعية .. أفقد الفكرة اتساقها .. مما جعلها تبدو وكأنها أربعة افلام مبتورة أعيد تجميعها فى شريط واحد !

ولا ينسى المخرج «ليلوش» أصله اليهودى .. فيعيد إلينا تقديم نفس الحدوتة القديمة عن تعذيب اليهود أيام النازى ..

فالأسرة الفرنسية .. التى قدمها .. تتكون من اثنين من عازفى الاوركسترا فى احد الملاهى الليلية .. أحبا بعضهما .. وتزوجا .. وأنجبا طفلا .. ولأنهما من اليهود .. فقد كان عليهما ان يدفعا الثمن (!!) .. ونشاهد بالتفصيل عملية اقتيادهما عن طريق جنود النازى ..

محطة سكة حديد باريس .. وطوابير اليهود تملأ الأرضية والكبارى العلوية .. لتنحشر داخل عربات قطار كئيبة ومغلقة تماماً .. وسط حراسة مشددة من النازى ، والذين يدفعون الامهات واطفالهم الرضع بقسوة داخل العربات الخالية من اى مقعد أو نافذة !!

ومع هذه العائلة .. الزوج والزوجة والطفل .. يجسد المخرج إحساسهم بالمأساة .. وبأنه لا أمل على الاطلاق فى النجاة .. فيسرع الزوج بانتزاع الطفل من بين احضان امه .. ويلقى به جانباً على شريط القطار .. على أمل ان يلتقطه أحد المارة ويرعاه .. ويدوى صراخ الأم الفاجع ، وهى تفقد طفلها أمام عينيها ، لتعيش أياماً عصيبة داخل المعتقل .. بينما يموت الأب .. وتنتهى الحرب .. وتخرج هى من المعتقل لتعود إلى نفس المكان الذى ألقى فيه الطفل ، لقد مرت سنوات .. وتغيرت اشياء كثيرة .. وتبحث فى مل مكان عن طفلها ولا تجده . !

بينما الطفل قد كبر .. وأصبح محامياً مشهوراً له مؤلفات ويظهر على شاشة التليفزيون .. ويأتيه من يبلغه بأن أمه مازالت على قيد الحياة .. ويحاول أن يعثر عليها .. ليجدها قد فقدت ذاكرتها .. ولم تعد تدرك شيئاً .. وعندما تلتقى بابنها بعد انقطاع سنوات طويلة .. تنظر له بعيون مذهولة .. ولا تستطيع ان تتكلم . !!

انها مأساة اليهود مرة أخرى !!

ولا ينسى المخرج «كلود ليلوش» ان يؤكد — فى نفس الفيلم — على قوة اليهود وقدرتهم على الانتقام .. وذلك من خلال قصة العائلة الالمانية .. حيث نرى هذا ◄

اليهود
في ثلاثة أفلام



المخرج «كلود ليلوش» اثناء تصوير مشاهد ترحيل اليهود من محطة باريس

العازف الشاب الذى يعزف فى حفل يحضره هتلر ، ثم يقود فرقة موسيقية تابعة للجيش اثناء الحرب .. بينما الحرب تحصد زوجه وطفله .. وتمضى السنون .. ويصبح هذا العازف قائدا لاكبر اوركسترا موسيقية تقوم برحلات فى عواصم العالم .. وعندما يصل الى نيويورك يفاجأ بأن أحدا لم يحضر حفلته الموسيقية ، رغم ان كل التذاكر مباعة !! .. انه امام الكراسى الخالية .. يسأل فى غضب شديد عما حدث .. ويأتيه الرد ان اليهود اشتروا كل التذاكر حتى يعاقبوه على جريمته السابقة بالعزف امام هتلر ومع جيشه النازى !

ان اليهود قادرون على الرد !

وهكذا يسقط الفيلم فى براثن الدعاية الصهيونية .. مزوقا بعناية شديدة ببعض الحلى من جمال الموسيقى ، وبراعة الراقصين ، وشدو المغنيين !!

الغريب تماما .. ان يأتى هذا المخرج الاسرائيلى الشاب «ياكى يوشا» ليقلب المائدة .. ويقدم فيلما مفاجأة يفضح فيه أسرار صناعة الموت فى اسرائيل !

الفيلم اسمه «النسر» .. وقد عرض فى مهرجان « كان » داخل قسم نصف شهر المخرجين .. وجاء المخرج مع فيلمه ليحكى المشاكل التى صادفته من الرقابة فى اسرائيل ، بعد عرض الفيلم .

قال المخرج بالنص : «فى البداية قامت الرقابة بمشاهدة الفيلم مرتين .. ثم قررت عرضه كاملا .. وفى اليوم الاول لعرضه الجماهيرى .. جاء صحفى من الذين يستفيدون من الموت .. وكتب مقالا يهاجم فيه الفيلم ، وقد توقعت ان يكون سبب الهجوم هذا الجزء من الفيلم الذى ينتقد هؤلاء الناس الذين يصنعون الأموال من اقامة النصب التذكارية للجنود القتلى .. ولكن نتيجة ما كتبه هذا الصحفى ، غيرت الموقف تماما .. وزارة الدفاع طلبت من الرقابة اعادة النظر فى الفيلم .. وكل المنظمات التى تمثل ضحايا الحرب اعلنت انها لن تقف مع الفيلم .. وقامت الرقابة بدعوة كل هؤلاء الذين ضد الفيلم ليدلوا بارائهم .. وقد طلبت من الرقابة ان تأخذ رأى اباء الجنود المفقودين والذى قام الفيلم من أجلهم .. ولكن الرقابة رفضت طلبى .. وفى النهاية حذفوا أربعة مشاهد من الفيلم .. والآن استطيع ان اقول ان هذا الموقف غير صحى .. فاسرائيل تسعى لان تكون دولة ديمقراطية .. ولكن ما حدث لفيلمى لا يدل ابدا على اى ديمقراطية» !

وقد جاء المخرج «يوشا» مع النسخة الكاملة من فيلمه ، ليعرضه فى مهرجان « كان » .. وشاهدت الفيلم كاملا ..

● ماذا فعل ذلك «النسر» ؟!

يبدا الفيلم بالهجوم المصرى والسورى على اسرائيل يوم ٦ اكتوبر ٧٣ .. مع توالى نشرات الأخبار بالعبرية عن سير العمليات .. بينما نرى فى ساحة القتال مدى الذعر والارتباك على الجنود الاسرائيليين الذين فوجئوا بالهجوم .. فتساقط منهم القتلى .. ومن عاش منهم بدا ينهب جثث الجنود المصريين .. ويعود هذا الجندى الاسرائيلى الى تل ابيب ، وهو يرتدى فى معصمه ساعة سرقها من احدى الجثث .. ويجلس فى احد المقاهى ، ليفاجأ بوالد زميله فى جبهة القتال .. ويحاول ان يتجاهله ، ويهرب منه .. ولكن الأب يتعقبه وينتظره بالساعات امام بيته .. ليسأله كيف كان



الزوجان اليهوديان فى فيلم «هؤلاء والاخرون»

ابنه قبل الموت .. هل كان شجاعا ؟!
ويحاول الجندى ان يهون على الأب ، فيحكى له قصصا اختلقها عن بطولات ابنه .. ويساله الاب .. الم يكتب لى شيئة ؟!
ويستمر الجندى فى قصصه الوهمية ليحكى ان الابن قبل وفاته كتب لابيه قصيدة شعر !
ويتشبث الأب بطلب قراءة هذه القصيدة التى كتبها ابنه .
ويعده الجندى باحضارها له فى اليوم التالى .. بينما لا يدرى كيف يخرج من هذه الورطة .. واخيرا يهتدى الى حيلة .. ان ينقل قصيدة شعر من كتاب قديم ويحاول ان يكون خطه شبيها بخط زميله القتيل .. وبعد ان ينتهى من نقل القصيدة فى دقائق .. يجرح اصبعه ليسقط بعض قطرات من الدم على الورقة .. ويكور الورقة فى يده .ويغمسها فى التراب لتبدو وكانها خارجة من سترة الجندى القتيل !!
ويذهب بها الى الأب .. الذى يفرح لها بشدة ، ويفتح بيته لهذا الجندى .. ويقدم له زوجته وخطيبة ابنه الذى مات .. ثم يدس فى يده بعض النقود مساهمة فى نفقة المعيشة .. ويطلب منه الاب ان يساعده اكثر فى تجميع كل صور ابنه وخطاباته القديمة التى ارسلها الى زملائه ، ليصيغ من كل هذه الاشياء البوما خاصا من ذكريات ابنه !
وينهمك الجندى فى البحث عن الخطابات والصور القديمة .. وفى نفس الوقت يقيم علاقة مع خطيبة زميله القتيل .. ويلجا اليه بعض اباء الجنود القتلى ،لكى يصنع لهم البومات مماثلة عن ابنائهم !!
وهكذا لا يعيش حياته .. وانما يعيش حياة الآخرين ، ويستفيد من موتهم .. لقد اصبح مثل ذلك «النسر» الجارح الذى ينهش الجثث ويتغذى بها !!
وتعجبه هذه اللعبة التى تورط فيها .. ويجد كل شىء ميسرا له .. المال والعلاقات العاطفية .. وينصح احد زملائه العاطلين بأن يدخل فى «لعبة» تصميم النصب التذكارية للجنود القتلى .. فهناك حمى فى كل قرية ومدينة لاقامة هذه النصب التذكارية !!
وهكذا يستفيد الجميع من الموت !
وينتهى الفيلم ، وهذا الجندى مكلف بتدريب فرقة من المتطوعين الشبان .. يقف بينهم وهو يتكلم بمرارة وكانه يهذى : «لا تصدقوهم ان الحرب بطولة .. الحرب موت» ! ثم يطلب من جنوده فى سخرية : «امام كل واحد منكم خمس دقائق ليكتب قصيدة شعر بخط يده ثم يسلمها لى » .
انه يعرف ان مصيرهم للموت .. اما هو فعليه ان يواصل حياته بالاستفادة من تجارة الموت !!
وتتردد اغنية المشهد الاخير ، تقول بعض كلماتها «لقد اوهموهم ان الحرب جميلة .. لقد ضحكوا عليهم .. انهم ذاهبون للموت .. وستشرق الشمس على قبورهم .. فمن يقول لهم اتركوا الحرب واتجهوا للسلام» !
هذا هو الفيلم الاسرائيلى الذى استطاع ان يقول بعض الأشياء عن الوهم والحقيقة فى المجتمع الاسرائيلى
ولا يمكن الا ان نحترم شجاعة هذا المخرج الشاب الذى لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وهو يقدم فيلمه فى كتاب المهرجان قائلا !
«هذا الفيلم يفضح «صناعة الموت» التى تقف خلف الحروب الاسرائيلية .. فاسرائيل هى الدولة التى تعتبر الحرب هى القاعدة وليس الاستثناء .. وربما كانت اسرائيل هى المكان الوحيد فى العالم الذى يصبح فيه الموت اكثر سهولة من البقاء على قيد الحياة» !

● ●

ما الذى يمكن ان يقال بعد هذا .
امامكم فيلمان من انجلترا وفرنسا ، كنموذج من بين سيل الافلام التى تحاول بها الصهيونية العالمية ، ان تبرىء اليهود ، وان تضعهم فى مصاف الابطال القادرين على كل التحديات .
وامامكم هذا الفيلم من داخل اسرائيل ذاتها .. يفضح كل شىء .. وينعى الحياة والكرامة والشرف ..
من نصدق ؟!
ومرة اخرى .. ماذا نحن فاعلون ؟!
والسؤال مازال موجها للذين يملكون الأموال .. ويريدون ان يساهموا بدور فى ساحة الفن .. للكشف عن الوجه الحقيقى والانسانى للقضية العربية .. !!

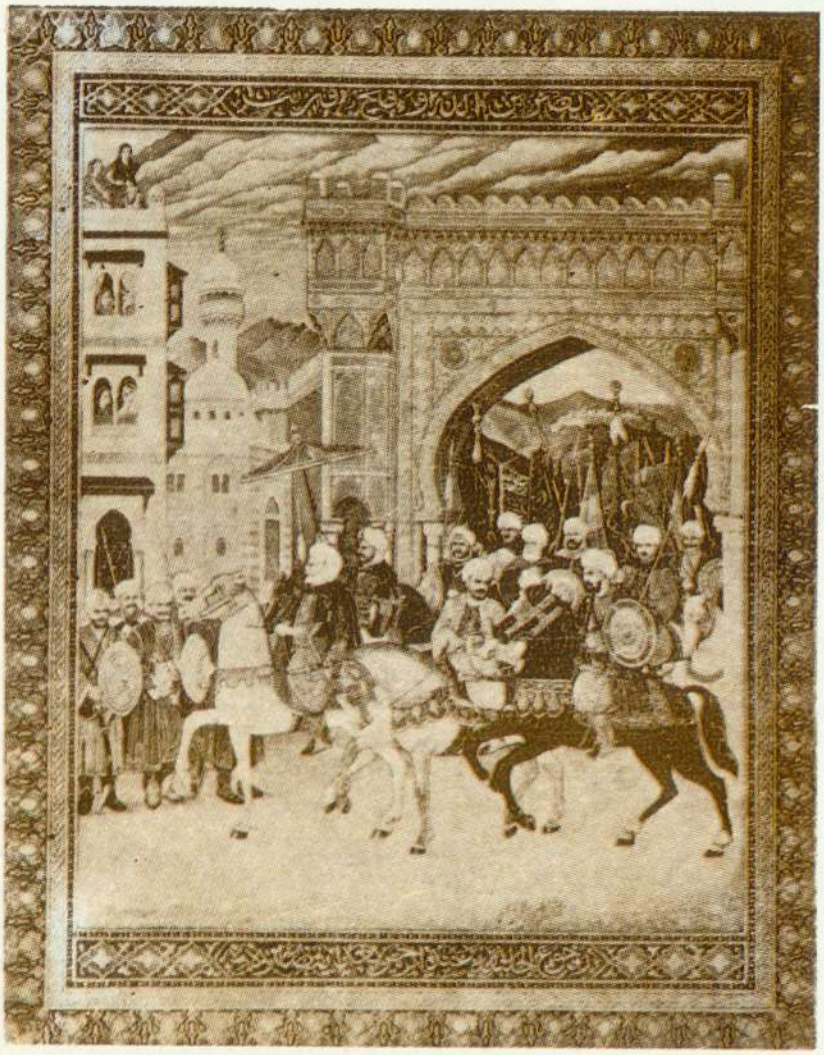
«رءوف توفيق»

هذه مقالة عن ابن خلدون للمستشرق الفرنسي « ديمير سمان » ، وهي تكشف عن نظرة العقل الفرنسي الى العبقرية العربية التى كان لها أثرها العميق في الفكر العالمي والتى يجسدهـا ابن خلدون فى مقدمته التى فتحت لعلم الاجتماع أول باب من نوعه فى تاريخ الثقافة الانسانية .

ابن خلدون

من وجهة نظر فرنسية

ترجمة: عبد المنان زعرور
حمص



عام ١٤٠١ تمت المقابلة الشهيرة فى دمشق بين ابن خلدون وتيمور لنك

جوال لا يتعب ، لديه دقة ملاحظة شديدة لأصغر الأشياء ، موظف حكومى توصل الى شغل المناصب الأكثر سموا والأكثر تنوعاً ، ذو ميل فطري أصيل لا يرتوي من الثقافة ، عالم دينى منفتح على تطور المذاهب ، تلك هي خصائص شخصية ابن خلدون التى ينبغي أن تسترعي انتباهنا .

ولد في تونس فى السابع والعشرين من آيار عام ١٣٣٢ وتوفى فى القاهرة فى السابع عشر من آذار عام ١٤٠٦ فى الرابعة والسبعين من عمره ، وقد كانت له معرفة فريدة من نوعها بالعالم الاسلامي فى عصره من نواح عديدة . وإن مجرد تعداد الوظائف المتنوعة التى شغلها هذا الرحالة العظيم تجعلنا نحس ببعض اللهاث فكيف إذا أردنا أن نحكم عليها !

كان كاتباً للسلطان الحفصى أبو اسحاق الثانى فى العشرين من عمره وارتبط بادارة السلطان الميريني أبي عنان ، ثم أرسل بسفارة الى أشبيلية من قبل ابن الأحمر ملك غرناطة وخدم فى الحكومة الميرينيـة ثم عين ثلاث مرات قاضياً للقضاء المالكي فى القاهرة .

هذه التذكرة البسيطة تبرز بشكل واضح تنوع معارفه وتجعلنا نعرف : أى الآفاق الواسعة كانت آفاقه !

فحسب عادات عصره ، كان تكوينه القرآني متطوراً جداً ، فلم يحفظ القرآن



ابن خلدون : ميل فطرى متعطش للثقافة بشكل دائم ، هكذا تخيله احد الفنانين العرب القدامى !

فقط بل أعاد دراسته إحدى وعشرين مرة، واضافة لذلك فقد تلقى ككل أديب طامح تأسيساً قوياً فى النحو وفقه اللغة والقضاء .. ولكن البذرة التى وضعت فيه بهذه المعارف الأولى تفجرت فيما بعد ،

فنحن نعرف من سيرته الذاتية أنه كان مطلعاً على كل المذاهب كما كان يأكل من جميع الثمار ، واعترف بطموحه منذ صباه الى تحصيل المعارف كما كان متحمسا للتردد على المدارس والدروس .

وتذكر سيرته الذاتية باعتزاز علاقاته مع عدد كبير من العلماء الشهيرين فى عصره .

وفى عام ١٣٥٤ كان كاتباً لدى السلطان أبي عنان ولكنه لم يترك العلم (إننى اتابع مع ذلك ، كما قال ، الانقطاع للدراسة واتلقى دروساً من كثير من الشيوخ المغاربة والشيوخ الاندلسيين الذين يقدمون الى فاس) .

وفي عام ١٣٦٨ كان لدى السلطان أبي حمو ولكنه أرسل بمهمة الى بسكره ورفض أن يلبي نداء السلطان وحلم بمتابعة فطرته العلمية في الجزائر .

٢ وبين شهري تشرين الثاني وكانون الأول ، تمت رحلته الى تونس بسبب ضرورات الدقة العلمية ، وهناك كانت شهرته العلمية راسخة جداً إذ أن تلاميذ عديدين من بينهم تلاميذ ابن عرفه مفتى البلاد وإمام الجامع الكبير تزاحموا لطلب الدروس منه ، مثيرين بذلك حسد هذا العالم الذى كان يمقت قلبياً ابن خلدون منذ صباه .

في عام ١٣٨٣م أعطى دروساً فى القاهرة في الجامع الأزهر وصار استاذاً فى كلية القمحية ، ويخبرنا بأنه من عام ١٣٨١ الى عام ١٣٩٤ انقطع الى عزلة كاملة ملؤها الدراسة والتعليم .

وفى عام ١٤٠١ تمت المقابلة الشهيرة فى دمشق مع تيمورلنك حيث أن سعة اطلاع ابن خلدون وسهولة تكيفه أعطيا الفائدة المرجوة . فاذا صدقنا ابن عرب شاه . فان شيوخ المدينة رأسوه تلقائياً للقاء المخيف ، سعداء لاحتمائهم خلف هذا الرجل العالم والمتميز ، فانطلق معهم لابساً عمامة خفيفة وثياباً تدل على ذوق رفيع وبرنصاً ناعماً مثل تفكيره ، يشبه بلونه القاتم خيوط الظلام الأولى .

ويروى التاريخ أنه أبهر تيمورلنك الى درجة أنه عرض عليه أن يصحبه معه ولكن اجابة ابن خلدون كانت جديرة بمثقف من طبقته فقد طلب منه أن يمكنه من اللحاق بكتبه فى القاهـــرة :

(لا شيء يحزنني غير ابتعادى عن كتبي التى قضيت حياتي فى تأليفها وأنا أعمل ليل نهار ، انها تضم زبدة دراستي وتاريخ العالم منذ بدء الخليقة وتاريخ ملوك الشرق والغرب) .

هذا اللقاء الشهير ذو السحر الأسطوري يفتح آفاقاً لما لدى ابن خلدون من اصالة ولباقة وتمدن عميق ويبرز بشكل واضح سعة اطلاعه بين الأدباء الشرقيين .



القصيدة البنفسجية

شعر: حسن طلب

هـذه قصيدةُ القصائدْ
ومحملُ الطيوفِ في الحروفِ
تلكَ أوّلُ القطوفِ
واستسلامةُ الخالدِ للبائدْ

أسلمَني الطيفُ إلى الحرفِ .. فلُذتُ بآلاءِ الياءْ
كانتْ تتبرّجُ في مستوياتِ الضوءِ الحيِّ
وتأخذُ زينتَها من أبّهةِ الماءْ
قلتُ : فمَنْ تنتظرينَ ؟ أشارتْ نحوَ المرجِ وقالتْ :
إن شئتَ قصصتُ عليكَ تباريحَ الوردةِ
.. أو أنبأتكَ عن ورعِ الحِنطةِ
قلتُ : أشاءْ
فانضبطتْ فوقَ العُشبِ
وما إنْ أدري إلّا أنْ قد تركتْ دائرةً زرقاءَ
على مرمى البصرِ
وخلّفتِ المرجَ يتيماً
قلتُ : فيا للبُرحاءْ !
وهتفتُ : خذيني أنْ يا طارئةً أطلقتِ الدهشةَ في أوردتي
أيْ أسرتِني
قالتْ : فاصبرْ حتّى تنتصفَ الوحشةُ .. واعبُرْ
مِن نسقِ الأسماءِ إلى فوضى الأشياءْ
وانفلتتْ
ما إنْ أدري : هل سكتَتْ أمْ هل همسَتْ :
سيكونُ لقاءْ

فتعلّلتُ وقلتُ ألا :
ما كلُّ حبيبٍ أمسكَ بعدَ استرسالٍ
سالٍ
وتساءلتُ : لِمَنْ أشكو في حِلّي أو ترحالي
حالي ؟
وقلتُ : هذهِ فريدةُ الفرائدْ
وسُؤددُ العروجِ للبروجِ
تلكَ عسجدُ المروجِ
واستلهامةُ الغائبِ للشاهدْ

وتحصّنْتُ بإقليمِ الجيمْ
وتزيّنتُ بمحضٍ مِنْ أزلِ النارِ
ووَمْضٍ مِنْ أبدِ النورِ
توطّنتُ فلستُ أنامُ ولستُ أُنيمْ
وتمكّنتُ حَننتُ ، وكنتُ ظننتُ حَنيني سيُواتيني
كانتْ تسطعُ في تيهِ ظنوني
تسمعُ رجْعَ أنيني .. وتناديني
فيجيءُ إليَّ الصوتُ
ترانيمَ .. ترانيمْ
فبكيتُ وكنتُ أتيتُ :
دليلي الصمتُ وحاديَّ الصوتُ
صمتُّ وكنتُ تكلّمتُ
فمالتْ عبرَ الزرقةِ والوقتِ وقالتْ :
يا أنتَ : بكيتَ فأبكيتَ فمَنْ أنتَ ؟ أجبتُ :
وسيمٌ في سمتِ دميمْ !
فاتّشحتْ بالدّيْنونةِ .. واتّضحتْ
بينَ اللونِ وبينَ الكينونةِ .. قالتْ :
لكأنّكَ قدْ يا هذا جرّدتَ البهجةَ عنّي
لكأنّي بكَ قدْ أفسدتَ المهجةَ أو كدتَ فزدْ في
قلتُ : محبٌّ أتلفَ بالعشقِ النفسَ

وَصَبٌّ كَلَّفَ بالشَّوْقِ الحِسِّ
فباحَتْ بالمَكْنُونِ وصاحَتْ :
يالنَعِيم قَدْ قَدُّ على قَدٍّ جَحِيمْ
واتَّحَدَتْ بتواريخ الحُبِّ .. وقالَتْ : إنِّي أُشْهِدُتُكَ :
مَنْ خَيَّبَ صَبًّا خابَ ومَنْ لامَ مُحِبًّا لِيمْ
وَأَضافَتْ :
إنِّي بَوَّأتُكَ مالَمْ يُتَبَوَّأْ .. فتهيَّأْ وَخُذِ الوَرْدَةَ
قلتُ الوردَة حادِثَة"
قالتْ لكنَّ العِطْرَ قديمْ
قلتُ صدقتِ .. فيالخَرابكِ ياذاتي
.. قدْ أفسَدَتِ الأرْضُ أداتي
غُفْرانَكَ أنْ يامَرْئيّ
وعَفولَكَ أنْ يامَسْمُوعْ
وصَفحَكَ أنْ يامَشْمُومْ
وتساءلتُ : ألا يا أنْتِ أُمِتِّ وأحييْتِ فمَنْ أنْتِ؟
أجابتْ : أنامَنْ كُنْتُ أتيتُكَ عِنْدَ المَرْجِ ..
وخلّفتكَ والمَرْجَ يَتِيمًا اليَتِيمْ
قلْتُ الآنَ ذكَرْتُكِ :
كُنْتِ تجلّلْتِ بزُخْرُفِ هذا الكَوْنِ
وَصَلْتِ عُيُوني ببدايةِ أحْرُفِ هذا اللّوْنِ
فقالتْ : أوَ للّوْنِ بداياتٌ؟
قُلْتُ : أجَلْ وَخَواتِيمْ
وهتفْتُ : تعالَيْ .. إنَّ الحَيَّ الأيْلُولَةَ
بَلْ وَلَعَلَّكِ كُنْتِ المجْعُولَةَ لي
فأقيمي عُرْسَ الحِسِّ
أدِيمي مَسَّ الأُنْسِ
أجابَتْ :
أَنْ رُبَّ أُدِيمْ
فتَهَيَّأتُ .. وصِرْتُ تنبّأتُ
بأنَّ الحُزْنَ زَوالًا سيزولُ وَأَنِّي سَأَؤُولُ
إلى فَرَحٍ مَعْلومٍ
في صُبحٍ معلومٍ
من يومٍ معلومٍ
منْ أسبوعٍ معلومٍ
من شهرٍ معلومٍ
من عامٍ لامعلومْ
وهتَفْتُ : ألَا
ياراحِلَةً والحُزْنُ مُقِيمْ

وتَهَلَّلْتُ .. فيالي مِنْ غِرٍّ صَدَّقْتُ خَيالي
يالي
وتعَلَّلْتُ .. وقلتُ ألَا :
ماكُلُّ حبيبٍ قصَّرَ عَنْ رَدِّ مَقالٍ
قالٍ
وقلتُ هذه وَحِيدَةُ الوَحائِدْ
وَوَمْضَةُ الصّفاتِ في الذواتِ
تلكَ فِضّةُ اللغاتِ
واسْتِعْجامَةُ الكَثْرَةِ في الواحِدْ

وتوَسّلْتُ بزيتونِ النُّونْ
وتأمّلْتُ : رَأيتُ العالَمَ لَوْنًا
واللوْنَ دمًا
والدّمَ بُسْتانًا
كانَ البُسْتانُ يُخانُ .. وكانَ الزَّيْتُونُ يَخُونْ
فتلذّذْتُ برائحةِ الزُّرْقةِ

ثُمَّ تَعَوَّذْتُ بآيةِ أَنْ : ياوَسْنانَةُ هُبِّي
أَحِيْ أنْ يافتّانةُ صُبِّي
خَمْرَ الفِتْنَةِ للمَفْتُونْ
فأتاحَتْ مَنْدُوحَةَ حُسْنٍ للعَيْنِ ولاحَتْ بينَ اللونِ وبَيْنَ اللّوْنِ ،
وصاحَتْ أنْ دُونَكَ والغابَةِ
إنِّي خيّرْتُكَ فاخْتَرْ .. بَيْنَ الحَقْلِ وبَيْنَ الغابَةِ
قلتُ السُّنْبُلَةَ اسْتِثْناءٌ والوَرْدَةُ قانُونْ
فتَنَهَّدَتِ .. انْتَشَتِ انضبطتْ بينَ الماءِ وبينَ الضّوْءِ وقالَتْ :
قَدْ واللهِ فضَحْتَ السِّرَّ وأفشَيْتَ المَكْنُونْ
وَأَضافَتْ أَنْ وَيْحَكَ .. ألْزِمْ فيثارَتَكَ الصَّمْتَ ..
ولا تَبُحِ الآنَ لِجَمْهَرَةِ الطَّيْرِ بشَكْلِ الياءِ ومَضْمُونِ النُّونْ
قلتُ : دَعِيني
إنْ أنا إلّا نَغَمٌ مُتَفانٍ
يَصْدرُ عن طَيْرٍ فانٍ
يخطُرُ في أفْنانٍ
فبكَتْ بحَمِيمِ الدَّمْعِ الحَيِّ .. وَقالَتْ:
ستسَبّحُ باسمِكَ زَنْبَقَةُ الماءِ
وتبكيكَ بَنَفْسَجَةُ الأرْضِ
ويذكُرُكَ الليمُونْ
قلتُ فَزِيدِيني .. قالَتْ :
ويُخَلّدُكَ البَشَرُ الفانُونْ
قلتُ تعالَيْ فَلأنّكِ أنْتِ الخُلْدُ
وأنتِ الزَّمَنُ الفَرْدُ .. تعَالَيْ
قَدْ آنَ أوانِي لكِ لي آنَ أوانُكِ ، قالتْ:
بَلْ سَيؤُونْ
عندَ القَمْحِ لقَدْ كُنْتُ أتيتُكَ أمْسِ
وتحتَ الدَّوْحِ أكونُ سآتيكَ غدًا
قلتُ ألَا : ما أنضَبَ ماءَكَ يا قدْ كانَ
وما أشْحَبَ ضَوْءَكَ يا أنْ سَيَكونْ !!
وتماثلتُ وقلْتُ : ألَا
كُلُّ بعيدٍ ينعَكِسُ على مِرْآةِ
آتٍ
وتفاءلتُ وقلتُ : سأغْرِقُ في نهرِ مَلَذّاتي
ذاتي

وقلتُ هَذهِ خَرِيدَةُ الخرائِدْ
وغايةُ الكلامِ في الغرامِ
تلكَ آيةُ الختامِ
واسْتِعْصامَةُ الذاهِبِ بالعائِدْ

وتوغَّلْتُ .. فأرْجَعَني الحَرْفُ إلى الطَّيْفِ
فعُدْتُ لِآلاءِ الياءْ
كانَتْ تتَبَتَّلُ في مِحْرابِ الحاءِ .. رَأتْني :
نَهَضَتْ فنَهَضْتُ
وكانَتْ تَنْتَظِرُ البَرْقَ فأوْمَضْتُ
رَأتني أكْثَرَ فانتَفَضَتْ
ما قالَتْ شَيْئًا بَلْ رَكَضَتْ .. فرَكَضْتُ
وأغمَضَتِ العَيْنَيْنِ .. فأغْمَضْتُ
كأنْ صِرْنا مِنْ حُلْمٍ في حُلْمْ
وكأنْ من مُطْلَقِ ذا الكوْنِ اسْتصْفَيْنا رَوْنَقَ ذا اللّوْنِ
وَذُبْنا في مائيّةِ هذا الماءْ

القَمْحُ العُشْبُ الدَّوْحُ المَرْجُ الزَّيْتُونُ الماءْ
وَيْ إلكأنَّ الكَوْنَ - اللونَ تبَرَّجْ
فاتحَدَ الأزرَقُ بالأحمرِ .. ثُمَّ توَهَّجْ
صارَ بَنَفْسَجْ

من خبايا النفوس

بقلم : د . يحيى الجمل

(١)

سيـدى

صدقنى إذا قلت لك اننى لم أكن اتصور أن النفس البشرية يمكن أن تصل فى تناقضها الى هذا المدى قبل أن أعرفك على حقيقتك .

لقد كنت بالنسبة لي فى وقت من الأوقات مثلا من الأمثلة النادرة فى هذه الدنيا : رجاحة عقل ورهافة مشاعر وصفاء قلب . وكنت لا أجد راحة بقدر ما كنت أجدها معك . وكنت لا أفزع لأحد إذا حزبنى أمرأوكربنى كرب إلا اليك . وأظن انني كنت لك كما كنت لي وما أكثر ما مر عليك من أيام سود وأزمات طاحنة أوشكت أن تهدك هدا وكانت كبرياؤك تأبى عليك أن تظهر ما أنت فيه لأحد إلا لي .

كنت تقول لي لا أحب أن يطلع أحد على ضعف نفسي سواك . وكنت ألقاك حفياً بك حريصا عليك محاولا جهدى كله أن أخفف عنك ما يصيبك من عنت فى هذه الدنيا وما أكثر ما أصابك فيها من عنت وجور ونكران .

وأصابك الى جوار ذلك خير كثير وأشهد أنك لم تتغير ولم تتبدل ولم تتلون وانما كنت نفسك كما عهدناك : لين جانب وبشاشة وجه ورغبة صادقة فى الخير ما استطاعت الى ذلك من سبيل .

ولم تجامل فى حق ولم تظلم أحيانا لكي يقال عنك عادل وما أكثر الذين يظلمون طلباً لشهرة العدل وهم بعيدون عن جوهره .

ماذا أقـــول عنـــــك ؟

أشهد اننى وقد ذهبت الى شرق وذهبت الى غرب وعاشرت اخلاطاً من الناس عديدين أشهد اننى لم أعرف أحداً فى مثل صلابتك ولم ألق أحداً فى مثل وضوح رأيك ولم أصادف من هو أكثر منك صفاء قلب ودقة احساس .

أتذكر كيف كان الصحاب ينظرون الينا ؟

كان بعضهم يغبطنا على تلك العلاقة النادرة فى قوتها وعمقها . وكان بعضهم يحسدنا أشد الحسد ويتمنى لو يحدث فى علاقتنا صدع ، وكنا واعين لذلك فلم نمكن أحداً أن يسعى بيننا بسوء ..

وكانوا جميعاً - الغابطين والحاسدين - لايروننا إلا رأيا واحدا وموقفا واحدا فيما كان يعرض من أمور يؤخذ فيها الرأي أو تحتاج الى قرار .

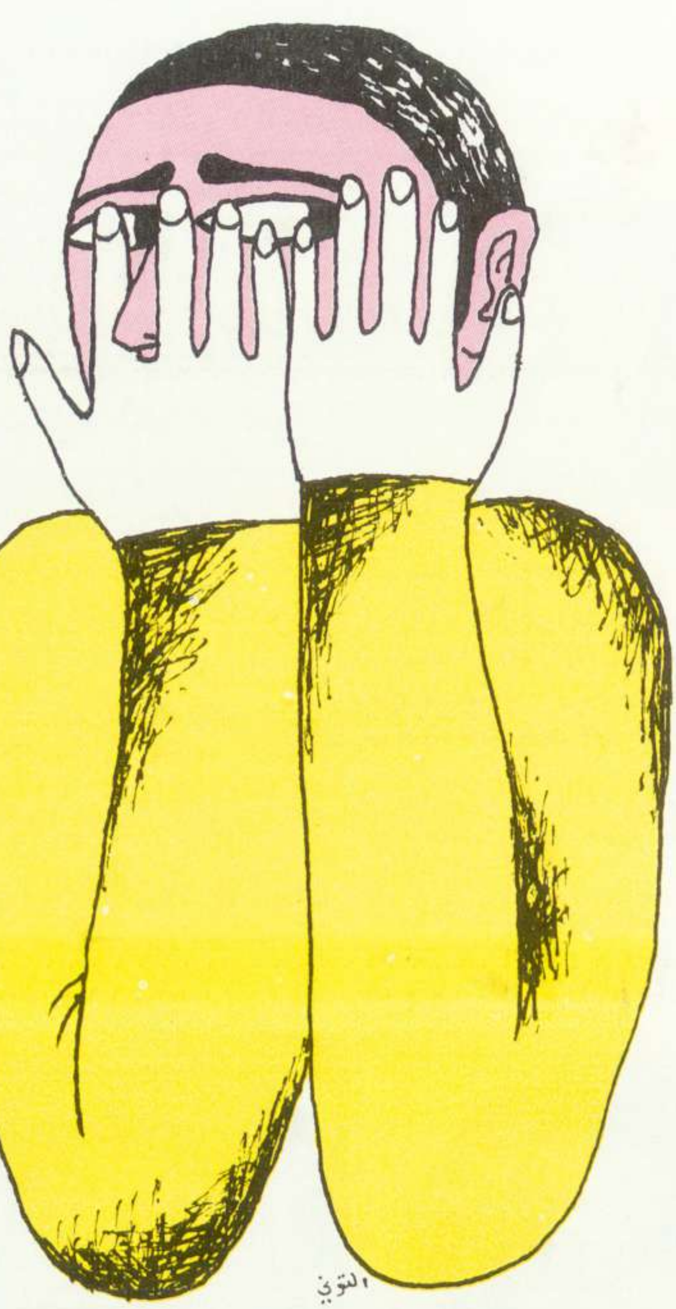
ألم يكن ذلك كله صحيحاً . ألم يشهد بذلك كله كل من كان له بنا صلة من قريب أو بعيد ؟ .

وهبت على حياتك عاصفة هوجاء أصابتك باضطراب ليس بعده اضطراب وأعمل الناس ألسنتهم الحداد ينهشونك فى غير رحمة . ولم تجد لك ملاذا سواى . وبلغت من الضعف النفسي أقصى مداه ووقفت الى جوارك أحاول قدر طاقتى أن أعينك على استعادة نفسك ورتق جرحك والخروج من أزمتك وأظن اننى بلغت من ذلك كله بعض ما كنت أريد .

وكأن القدر أراد لنا ـ حتى ذلك الحين ـ أن نبتلى بأزمات متشابهة فما كدت أنت تبرأ بعض البرء مما أصابك حتى دارت الدائرة علي . فاذا بي يصيبني شيء غير بعيد مما أصابك ، وإذا بحياتي الخاصة تضطرب اضطراباً شديداً ، وإذا بما كان خافياً من أمرها على مدى سنوات طوال يتفجر تفجراً واضحاً ، وإذا بي أجد نفسي فى أوضاع بالغة القسوة والصعوبة . وأشهد أنك أشرت علي بأمور أخذت ببعضها ورفضت بعضها . وأشهد أن ما أخذت به من مشورتك كان خيراً محضاً مازلت أسعد بآثاره ونتائجه .. لست من الجحود بحيث أنسى ذلك كله وسط غمرة الحزن الواصب والهم المقيم الذى أصابني نتيجة ما أقدمت عليه من تصرفات بعد ذلك .

●●●

وزين لك الشيطان أموراً وأغراك الضعف النفسي ، فاذا بك تنزلق الى مستنقع آسن ليس له من قرار . ولم أكن أصدق فى البداية . فما كنت أتصور أن هذا الذى يتهامس به الناس يمكن أن يصدر عنك . فقد كنت ماتزال كبيراً فى



مخيلتي .. ومع ذلك فاني لم أملك نفسي أن أراقب من بعيد ، فقد بلغ اضطرابك وغرابة اطوارك مبلغاً ملفتاً للنظر الى المدى الذى جعلني وقد كنت بالنسبة لي ما كنت ــ أراجع نفسي فى أمرك ، ولا ألقى بكل ما كان يصلني من همس بعيد الى حيث يلقى الناس بما لا قيمة له ولا فائدة فيه . وإذا بالأمور كلها تتكشف وإذا بك غارق فى الحمأة وإذا بى أواجهك فلا تملك إلا البكاء .

صدقني لقد كانت فجيعتي فيك بغير حدود .

وزلزلت الأرض زالزالها ، وانهارت الجبال كلها فى لحظة وأسدل بيننا ستار صفيق .

● ● ●

وحاولت أن تدافع عن نفسك عن طريق بعض الصحاب . فما كنت أطيق أن أراك . وما كنت تجرؤ أن تلقاني ، وكان دفاعك ــ لأول مرة فى قضية من قضاياك ـ دفاعاً ضعيفاً ركيكاً لا يستقيم أوله مع آخره ، ولا يجوز على أحد .

● ● ●

ومضت شهور وأعقبتها شهور .. وانى لاتساءل أين أنا وأين أنت الآن ؟

أما أنا فصدقنى إذ قلت لك اننى قد برئت منك ومن كل ما كان ، وان حياتي قد استقامت على نوع من الرتابة التى ارتضيتها لنفسي . وان الله قد عوضنى عن كثير مما فقدت فى غير قليل من جوانب الحياة .

أما أنت ، فلعلنى الوحيد الذى يعلم حقيقة ما أنت فيه .

أنا أعلم أنك تصبح وتمسي ، يحاصرك شعور رهيب من الاحساس بالذنب ليس إلى فكاك منه من سبيل .

وأعلم أنك تصبح وتمسي فى هم ونكد وخلف .

ولست أكتمك اني أحس أحياناً براحة عندما تتنامى الي أخبار ما أنت فيه من شقاء ، فنحن من بني البشر ، ولست أحس بالرضا عندما أرى أمامي القدر وهو يقتص لي منك .

ومع ذلك فصدقنى إذا قلت لك ، إننى احياناً أحس بما أنت فيه ، وأصدق ما قلته مرة لأحد الصحاب من أنك ضحية ، وانك مجنى عليك أكثر منك جان ، وأحاول قدر طاقتى أن أغفر لك.

أحاول ذلك كله أحياناً ، ولكنى لا أكتمك انى لا أقدر عليه فى أغلب الأحيان

أتريد ياسيدى أن أقول لك فى نهاية هذه الرسالة التى أعلم أنها ستقع على نفسك وقعاً أليماً ، وانها ستنكأ الجراح التى يحاول الزمن أن يعمل فيها عمله : لا شيء ياسيدى فى هذه الدنيا يمكن أن يحقق التوازن ويبعد الاضطراب عن الحياة قدر ذلك الذى يقال له «الاستقامة»

والله يتولاك ويتولانا جميعاً برحمته .

الجماهير
والمسرح الهزلي والميلودراما في السينما

بقلم : حافظ أحمد أمين

احصائيات تبدو ـ للوهلة الاولى ـ غريبة متناقضة ، **فهي تشير الى ان اكثر اقبال الجماهير في المسرح على المسرحيات الهزلية ، ولكنها تشير ايضا الى ان انجح الافلام السينمائية ـ من حيث اقبال الجمهور ـ هي** الافلام الميلودرامية .

ماذا يريد الجمهور العريض اذن؟ الضحك والفكاهة ؟ أم البكاء والمواعظ ؟

ان نجوم شباك المسرح المصري ـ مثلا ـ هم عادل امام وفؤاد المهندس وعبد المنعم مدبولي ، ونجوم شباك السينما المصرية هم فريد شوقي ومحمود المليجي وفاتن حمامة ... الاولون كوميديون والاخرون أقرب الى الميلودراما .

وقد عمل كل من يوسف وهبي **ونجيب الريحاني ـ لفترة طويلة ـ في المسرح والسينما ، فكان نجاح** الاول في السينما اكبر من نجاحه في **المسرح ، ونجاح الثاني في المسرح** اكبر من نجاحه في السينما ، والاول **ميلودرامي والثاني كوميدي .**

هنا نطرح سؤالين :

الاول : هل يجذب الفن المسرحي ـ في الاغلب ـ أفرادا يميلون بطبيعتهم الى **الضحك، بينما يجذب الفن السينمائي** أفرادا اخرين يميلون بطبيعتهم الى **البكاء ؟**

الثاني : هل يدخل معظم الناس المسرح طلبا للبهجة والسرور ، فاذا ما قصدوا ـ هم انفسهم ـ السينما، تطلعوا الى فن حزين ملىء بالمواعظ؟

تفسير الظاهرة

كان لابد اذن من استكمال الاحصاءات ، بغرض الحصول على تفسير للظاهرة . طرحنا سؤالين بسيطين لتصنيف جمهور المسرح وجمهور السينما والجمهور المشترك ، ولمعرفة ما يطلبه كل جمهور عند ما يقصد **الى مكان العرض الذي يفضله :**

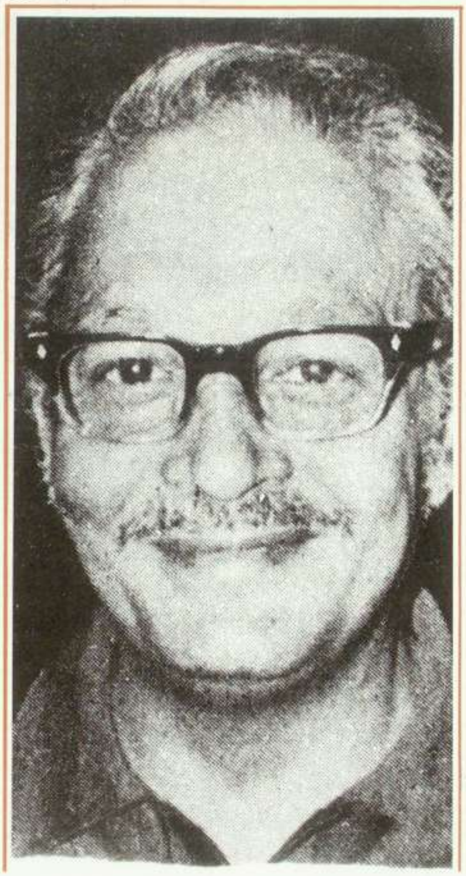
هل تفضل الذهاب الى المسرح أم السينما ؟ ... ولماذا ؟

قال معظم من فضل الذهاب الى السينما ان المسرح **الان اصبح معظمه هزلا لا جد فيه ، وأنه يجد في السينما موضوعات تؤثر في نفسه تاثيرا عميقا .**

أما من فضل الذهاب الى المسرح فانه يسعى وراء سهرة ممتعة ، يضحك فيها ويبتهج .

وكان هناك فريق ثالث ، يذهب أحيانا الى المسرح ، وأحيانا الى السينما ، أما الاختيار فيتوقف على

عبد المنعم مدبولي



عادل امام





فريد شوقى



فاتن حمامة



يوسف وهبى

حالته النفسية ، وعلى الصحبة التي يخرج معها ·

من هذا يتبين ان متفرج المسرح يختلف عن متفرج السينما – حتى ولو كان المتفرج شخصا واحدا – وهذا في رأينا – راجع الى اختلاف طبيعة الفن المسرحي عن طبيعة الفن السينمائي ، ولعل اهم اختلاف يتركز في اعتماد السينما على الصورة ، واعتماد المسرح على الكلمات ، في التأثير على المتفرج ·

استسلام المتفرج

ولكن ما علاقة الصورة بالرغبة في البكاء ، والكلمات بالرغبة في الضحك ؟

اذا كان الحوار أساس المسرح ، فالصورة اساس السينما ··· جمال البطلة وقوة البطل يظهران في السينما عنطريق تركيز الكاميرا على مفاتن جسم البطلة ، وما يفعله البطل من حركات وافعال تشير الى القوة، بينما لا يستطيع المسرح أن يصف هذه القوة وذلك الجمال الا عنطريق الكلمات والمنطق والحوار ·

وتختلف الصورة في السينما عن الصورة في الصحف والمجلات في ان الاولى متحركة والثانية ثابتة ·

ان عرض الفيلم السينمائي يعني تتابع عدد من الصور في كل ثانية أمام عين المتفرج ، وعدد مانعرض على المتفرج عددا ثابتا من الصور في مقدار ثابت من الزمن ، فاننـا نضعه في حالة من الحيرة ، كتلك التي تنتاب راكب القطار ، عندما يستمع الى صوت احتكاك العجلات بالقضبان – صوت واحد لا يتغير ، يتكرر كل وحدة زمنية معينه – وكلنا يعلم ان هذا الصوت يثير عند الراكب الرغبة في النوم ، ثم يستيقظ اذا أبطأ القطار أو اسرع، أي اذا تغير معدل تكرار الصوت ·

ان هذا التتابع في الصور أمام المتفرج ، يضعه في حالة من الاستسلام، يسهل معها التأثير عليه، يوهمه بأن ما يجرى على البطل انما يجرى عليه ، فالمتفرج الذى يتابع أفلام فريد شوقي – مثلا هو الذي يضحي بنفسه من اجل نجاح أولاده، والمتفرجة التي تتابعأفلام فاتن حمامة تضع نفسها مكان البطلة الفاضلة التي تضحي بحبها من اجل حبيبها ··· وهكذا ·

الاحساس بالمجتمع

متفرج السينما يدخلها – غالبا – ليرى نفسه ، وهو يريد ان يرى هذه النفس فاضلة ومظلومة ، وهذا يثير الحزن والبكاء كما يثير الاعجاب بالمواعظ والحكم ، أما متفرج المسرح فيدخله – في الاغلب – ليشاهد صراع البطل مع خصمه وعدوه ، وهو يريد أن يرىهذا الخصم – رئيسه أو حماته – في صورة قبيحة مزرية ، وهذا يثير البهجة والضحك ·

واذا كان متفرج السينما انسانا مستسلما مخدرا ، فمتفرج المسرح يقظ منتبه ، ذلك ان الكلمات من طبيعتها مخاطبة العقل ·

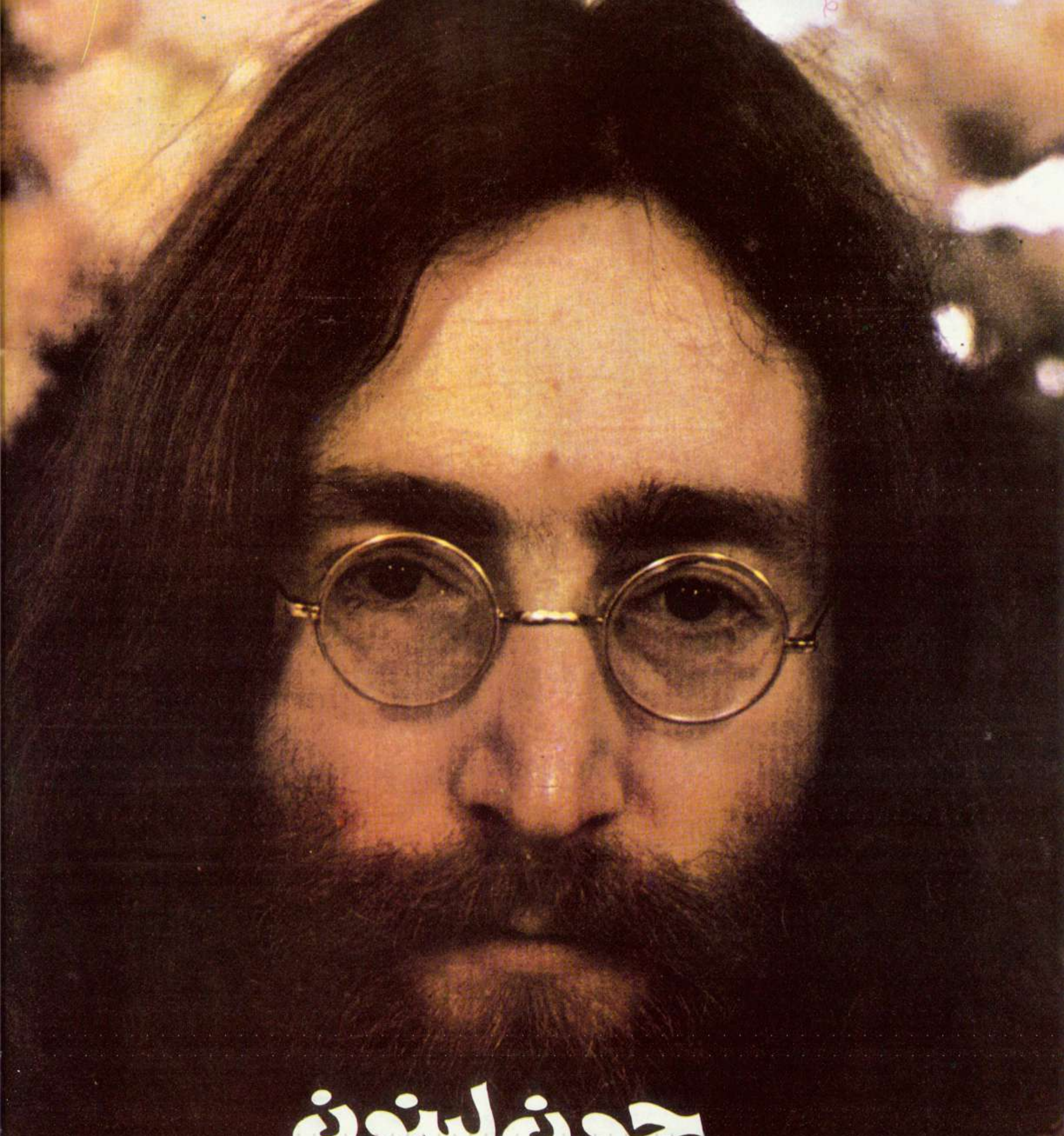
واذا كان متفرج السينما وحيدا – حتىبين اصحابه – فمتفرجالمسرح انسانا اجتماعيا – حتى لو دخل المسرح وحده ، فمتفرج المسرح يشعر بأنه أحد العناصر الهامة فيالعرض وانه يساهم – مع من بجواره – في انجاح المسرحية ، وفي انضاجها ليلة بعد ليلة، وان مشاعره محسوس بها عند الممثلين وعند باقيالجمهور·

ومما يؤكد ظاهرة يقظة متفرج المسرح ، وحالة التخدير التي تنتاب متفرج السينما ، الاحساس غير السار الذي يشعر به متفرج السينما اذا فوجىء باستراحة قبل نهاية الفيلم فالاستراحة تعني انقطاع حالة الاستسلام المريح في السينما ، هذا بينما يسعد متفرجالمسرحبالاستراحة اذ تساعده على تجديد نشاطه ، واستعادة ما سمع ، ومناقشة الموضوع مع اصحابه ·

واذا ما اجتمع الاحساس بالمجتمع معحالة التخدير والاستسلام للصورة صار من السهل التأثير على متفرج السينما ، واظهار كل ما كان يبطنه من الام وأحزان ، وهذا هو سر نجاح الافلام الميلودرامية في اجتذاب الجمهور الكبير ·

واذا ما اجتمع الاحساس بالمجتمع مع حالة اليقظة والانتباه للحوار ، صار من السهل التأثير على متفرج المسرح ، واظهار كل ما كان يبطنه من رغبة في اصلاح الفساد من حوله وهذا هو سر نجاح المسرحيات الهزلية في اجتذاب الجمهور الكبير ·

حافظ احمد امين



جون لينون
ومقتل أسطورة شعبية

رسالة لندن من
مجدي نصيف



فرقة البيتلز : جون وبول ورينجو وجورج

كلنا نظر الى فرقة «البيتلز» على أنها «تقليعة» فى عالم الموسيقى والغناء . وكان شباب الستينات وأوائل السبعينات يقلدونهم فى كل شىء ، حتى أنه عندما كنا نشاهد شاباً قد أطال شعره كنا نقول عنه انه «خنفس» . وفى ظل هذا «التسطيح» ضاعت حقيقة فرقة البيتلز وموسيقاهم وأغانيهم وأفلامهم .

وبعد مقتل جون لينون ظهر فى بريطانيا خلال هذه الفترة القصيرة التى لا تزيد عن ستة أشهر أكثر من ست كتب عن لينون ، بعضها قديم وأعيد نشره . وهذه فرصة لأن نعيد تقييم موسيقاه وأغانيه ، وبشكل أشمل موسيقى وأغانى «البيتلز» . انها نظرة جديدة الى كل هذا دون أن تعمينا مظاهر الشعر الطويل وجنون البيتلز .

وقد اعتمدت فى هذا على الكتب المتاحة وكذلك على مقال الناقد الفنى سيمون آرت .



جون لينون
ومقتل أسطورة شعبية

جون لينون يعزف ويغنى



«موت بطل !»

كان هذا هو العنوان الذى نشر فى صدر الصفحة الأولى لصحيفة «الديلى ميرور» البريطانية ، والذى أعلن مقتل الموسيقار والمغنى جون لينون ، بيد أحد معجبيه . واذا لم يكن القارىء على علم بتفاصيل الحادث التي انتشرت قبلها بسرعة البرق ، عن طريق الاذاعة المسموعة والمرئية ، لاعتقد ـ على عادة الصحف الشعبية فى بريطانيا ـ أن الذى قتل هو أحد جنود الجيش البريطانى الذى يحتل ايرلندا الشمالية .

كان رد فعل وسائل الاعلام لموت جون لينون ، أحد أفراد «فرقة الخنافس» ساحقاً وشاملا ، فيما بدا وكأنه سلسلة من الأحزان الخاصة ، تحول بفضل الصحف الشعبية ـ التابلويد ـ وتجار الاسطوانات الى «كارثة قومية» . كان من الصعب أن يتبين الانسان معنى كل هذا الحزن والرثاء . بدت وسائل الاعلام أقل حذقاً ومهارة ، عما اعتادت أن تكون عليهما ، بدت هذه الوسائل غير متقنة التكنيك فى محاولاتها الاستجابة لصدمة شعبية أصيلة وحقيقية .

إن ما وصل عبر قنوات وسائل الاعلام لم يكن مجرد حنين جارف لـ «فرقة الخنافس» التى توقفت عن العمل ، لكنه كان حزناً محدد المعالم ، على فقدان خصائص «فرقة الخنافس» التى راحت مع موت جون لينون . المدهش فى أمر وسائل الاعلام ان تلك الخصائص لم تكن تتوافق بسهولة مع ايديولوجية «فليت ستريت» اللندنى ، أى شارع الصحافة البريطانية .

قال جون لينون ذات مرة لمحرر مجلة الشامة الحمراء اليسارية ملخصاً ما يؤمن به ، وما تمثله «فرقة الخنافس» : «الفكرة ليست أن تريح الناس ، ولا أن تجعلهم يشعرون بتحسن ، لكن أن تجعلهم يشعرون أنهم .. أسوأ» .

إن صحيفة «الميرور» التى ازداد حسها الشعبى مؤخراً بسبب سياسة السيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء فرنسا المعادية للنقابات والطبقات الشعبية ، هذه الصحيفة قد أدركت المزاج الحقيقى الذى ساء الناس لموت جون لينون . من المؤكد أن جون لينون كان أقرب ما يكون الى «بطل» قومى بالفعل . ومن عاش فى بريطانيا يدرك هذا . اننى أعرفه بلغة المعجبين الذين يجنون باسطواناته فيقبلون على شرائها واقتنائها ساعة صدورها ، والذين يرغبون فى صداقته الخاصة ومودته ، أو كما قالت احدى المعجبات وهى تبكى بعد أن سمعت النبأ : لن أقابله أبداً .. بعد الآن» .

ورغم أننى أعيش فى بريطانيا الآن لما يزيد عن ثلاث سنوات ، عاشرت فيها البريطانيين خلال عملى ككاتب وصحفى من كافة المهن والفئات والطبقات ، إلا أننى لم أدرك فور سماعى للنبأ ورد الفعل مغزاه العميق فى قلوب البريطانيين . لقد تعلمت هنا كيف استمتع بموسيقى وغناء جون لينون ، ولكنى مع ذلك لم أدرك العلاقة بين المتعة التى كنت أحصل عليها من الاستماع لأغانيه وموسيقاه ، وبين «البطولة» . بدأت أدير محطات التليفزيون الثلاث وأتابع الأخبار . حاولت أن أجد تفسيراً منطقياً لحزنى الذى كان حقيقياً . لم تكن المسألة بالنسبة لي مجرد تتبع الأخبار كما هو الحال دائماً بالنسبة لي ، لماذا أشعر بهذا الشعور تجاه نجم من نجوم الغناء «الغربى» ؟ لماذا ؟



مع زوجته اليابانية



شوبارت



هارولد ويلسون

لماذا ؟

بدأت الاجابة العقلانية تتشكل شيئاً فشيئاً . كانت المعلومات موجودة بالفعل . لكن أهم ما ساعدنى فى الاجابة على هذا السؤال هو رصيد أغانى وموسيقى جون لينون ، ذلك الرصيد الذى تعرفت عليه واستمتعت به خلال السنوات الأخيرة فقط .

كان جون لينون بطلا ، بما يرمز له ، لأنه خاض المعارك العنيفة ضد المفهوم العادى «لنجومية» موسيقى البوب ، وقاوم المناورات ، ومحاولات الدفع نحو «التجارية» ، ووقف ولم ينزلق متحولا الى سلعة تجارية من سلع الغرب . بل لقد استمرت هذه المعارك بعد موته ، من خلال افتتاحيات الصحف والمقابلات الاذاعية التى اعيدت بصوته والملاحق التى صدرت خصيصاً وبسرعة مزدانة الصورة كان الجميع ، ومن كافة الاتجاهات ، وخاصة تجار الاسطوانات والأغانى ومتخصصى تشويه الثقافة الحقيقية ، كانوا يدعون بأن لينون كان صديقهم ، وانه كان رمزاً لثقافتهم و «بضاعتهم» !

وكتب بريان ماك اليستر فى صحيفة الجارديان البريطانية معلقاً على هذا كله:

— «اذا نظرت الى هؤلاء الذين يقولون انهم أصدقاء جون لينون ، لفهمت لماذا قرر المسكين أن يذهب ليعيش فى أمريكا» .

وفى عام ١٩٧١ قال لينون :

— يجب أن يشعر المرء بكم كبير من احتقار الذات ليكون على ما كان عليه «الخنافس» وهذا ما أرفضه . اننى لم أدرك هذا وقتها ، لم أعرفه ولم أتنبأ به . لقد حدث الأمر شيئاً فشيئاً وبهدوء ، حتى وجدت هذا المجنون يحاصرنى . لقد وجدت نفسى أمارس بالضبط ما أردت تجنب ممارسته مع أناس تمقتهم ، انهم نفس الناس الذين كرهتهم عندما كنت فى العاشرة

وكان أكثر أصدقاء جون لينون اثارة للاشئزاز (اذ قال انه يعرفه تمام المعرفة !) هو رئيس الوزراء البريطانى السابق هارولد ويلسون ، الذى شرح لبرنامج «العالم فى الساعة الواحدة» كيف رشح لينون والخنافس للحصول على «وسام الامبراطورية» لأن لينون — كما قال — كان سبباً فى ابعاد الشباب عن الشوارع ! وعندما سأله مقدم البرنامج روبين داى الشهير «ألم يضرب لينون قدوة سيئة للشباب بتشجيعه تعاطى المخدرات ؟»

أجاب هارولد ويلسون : «آه .. نعم .. لقد أخطأ فيما بعد» . أخطأ لينون .وبدا آنذاك ، وهو ما يبدو لي الآن ، أن خطأ أحد «الخنافس» يعتبر حدثاً سياسياً هاماً . لقد أدرك لينون أى نوع من «الأبطال» يريده ويلسون . كان ويلسون يريده «بطلا» كبطل كلمات أغنية لينون الشهيرة «بطل الطبقة العاملة» :

ابقوا مخدرين بالجنس والصحف والتليفزيون ، وتصدقون أنكم ماهرون وفى مجتمع بلا طبقات وأحرار ، لكنكم مازلتم فلاحين قذرين كما أرى ، ... بطل الطبقة العاملة هو أمل الجميع .

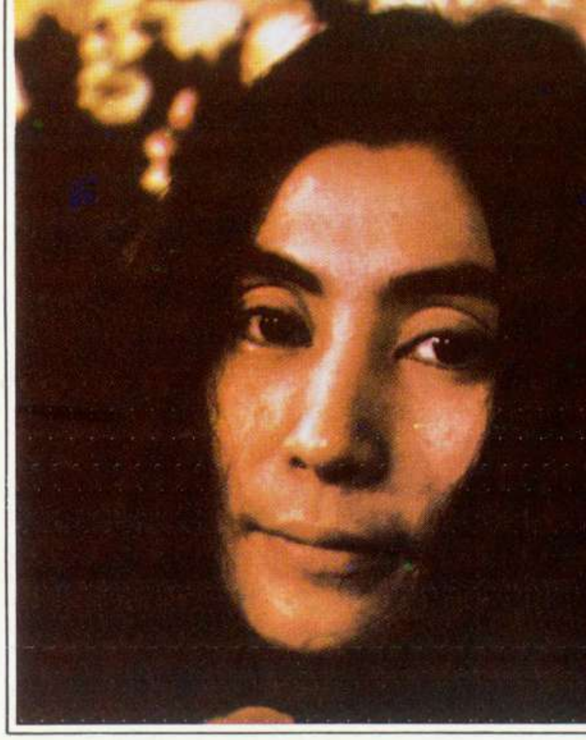
مازال هناك مكان لك فى القمة ، يقولون لكم ، ولكن أولا تعلم كيف تبتسم وأنت تقتل ، هذا اذا أردت أن تكون مثل هؤلاء الذين فى القمة ، ... نعم . بطل الطبقة العاملة هو أمل الجميع . اذا أردت أن تكون بطلا .. فاتبعنى ، اذا أردت أن تكون بطلا ، فما عليك إلا أن تتبعنى .

أنت تعرف أن المسألة صعبة .. !

كان جون لينون مراهقاً من الخمسينات وليس من الستينات . بدأ عزف موسيقى الروك — آند — رول عام ١٩٥٦ ، عام حرب السويس ، والعدوان الثلاثى على مصر ومحاولات الاستعمار التمسك بمعاقله فى بلادنا العربية . كانت موسيقاه آنذاك تغذى مشاعره بفساد عالم الكبار ، لكن بطريقته الشخصية .

كانت موسيقى الروك — آند — رول هى أصوات منتظمة تصاحب «النضالات» فى المدرسة والبيت ، ضد عملية «غسيل المخ» لجذب الشباب الى «مهنة ناجحة» والحصول على درجات متفوقة فى الدراسة ، وعلى «الاحترام» فى المجتمع الاستهلاكى الغربى الذى يحاول من خلال نظم التعليم السائدة أن يصب قوالباً يتصرف الناس على أساسها ، يضع من خلالها القيم والتقاليد التى «يجب» أن تسود .

برز «البيتلز» عام ١٩٦٠ كأربعة من الشباب يعزفون موسيقى الروك — آند —



كانت زوجته اليابانية تشترك معه فى العزف



فى منزله بعيداً عن زحمة الجمهور

رول .كانت الستينات فترة خصبة عظيمة بالنسبة للشباب الغربى على وجه الخصوص . انه العقد الذى شهد استقلال معظم الدول الافريقية والمد الهائل لحركة التحرر الوطني والكفاح ضد الامبريالية ، وشهد أيضاً حركات الشباب التى أخذت تبحث عن أنماط ثقافية خاصة ، بعد أن رفضوا الأنماط القديمة «المقولبة» ، كان الخنافس يمثلون نمطاً جديداً يقدمونه لشباب العالم ، فشقوا طريقهم بسرعة هائلة نحو القمة . الى درجة أن علماء المجتمع والأخلاق البريطانيين قالوا ان «البيتلز قد أصبحوا ظاهرة ثقافية اجتماعية معاصرة ، زرعوا نمطهم فى أرض التمرد الجديد ، الى درجة أن تلاميذ المدارس رفضوا دراسة الموسيقى الكلاسيكية والفولكلور البريطانى ، وطالبوا بدراسة كلمات أغانى وموسيقى «فرقة البيتلز» .

وشهدت بداية الستينات حركة تمرد هائلة فى أوساط الشباب ، اتخذت أشكالا مختلفة منها الايجابى ومنها السلبى ، وتركزت الحركات السلبية فى مودة «الهيبيز» الذين فضلوا الانعزال عن المجتمع الاستهلاكى بقيمه الكاذبة المتدهورة ، وفضلوا أن يأكلوا من صناديق القمامة على الاشتراك فى عملية الانتاج فى مجتمع يسخرهم ويسخر انتاجه للحروب والاعتداء على الشعوب . أما الاتجاهات الايجابية فتمثلت في حركة الاحتجاج الواسعة التى عمت جميع أنحاء الولايات المتحدة – بل وأوربا وبقية أنحاء العالم – ضد حرب أمريكا فى فيتنام ، فرفض الشبان أداء الخدمة العسكرية وقاموا بمظاهرات الاحتجاج .

وفى هذا الاطار لعبت الفرق الموسيقية التى شكلها الشباب دوراً هائلا .. لقد رفضوا الموسيقى الموجودة من الفيس بريسلي وجيله ، وأخذوا يبحثون عن الجديد ، فوجدوا فى « فرقة البيتلز » ضالتهم المنشودة .

فى عام ١٩٦٢ غنت أغنية « أحبنى .. أحبنى » ثم أغنية « اسعدنى من فضلك » وأغنية « طعم العسل » وقفزوا الى القمة . وقال عنهم ليونارد بيرنشن الموسيقار الألمانى : « لا أحد يستطيع أن يصم أذنيه عن ايقاع موسيقاهم ، انه

قبل الحادث بأيام



يسري مع حركة عضلات الجسم ، ويبلغ لعبهم بالألفاظ والحروف الساكنة والمتحركة فى الكلمات حد الكمال .. أما أوزان الشعر نفسها فقد اختاروها مليئة بالحيوية والعنفوان ، لذا فان انسياب الموسيقى الذى يشبه عزف شوبرت ، مع جمال الأداء الغنائى ، كل هذا جعلهم موسيقى الافتتاح لسيمفونية المستقبل »

كان الأربعة الذين يشكلون فرقة البيتلز : جورج هاريسون ، وبول مكارتين ، ورينجو ستار ، وجون لينون من نفس أعمار الشباب الذين يستمعون اليهم . يضاف الى ذلك انهم جاءوا من قاع المجتمع البريطانى ، من ميناء ليفربول ، لتعبر موسيقاهم وأغانيهم عن أحاسيس القطاع العريض من الجماهير العاملة ، ليس فى بريطانيا وحدها ولكن فى العالم الغربى كله ، وفى العالم الثالث . لقد عبروا بصدق وبدون ادعاء بلغة فهمها الجميع عن الأحلام العريضة فى الحب والسلام والحرية والعدالة ، وهى أحلام عجز المجتمع الاستهلاكى فى الدول الصناعية المتقدمة عن تحقيقها للطبقات الشعبية العريضة .

وقد اشتهر جون لينون على وجه الخصوص من بين «البيتلز» الأربعة ، بوعيه السياسى المرتفع . كان هو العقل المفكر والشخصية القيادية التى لعبت دورها فى تطور الفرقة . وأصبح لينون من الشخصيات التى يمكن تشبيهها بلعبة من اللعب يحتضنها الصغار ، وصار جزءاً من تيار المعارضة الجارف ضد الانصياع



حديث تليفونى قبل مقتله

للمؤسسة والتقاليد السائدة .

لم يكن جون لينون وحيداً فى ذلك ، إنما كان مثله مثل العديد من فتيان الخمسينات . لكن الفارق الأساسى أن لينون استمر يمثل هذا النبض ، بينما فقد باقى الفتية حدة ما يؤمنون به ، لقد أصابتهم نعومة ما يلازم «صناعة الترفيه» والعروض وفرق الموسيقى والغناء والشهرة . كان «الأولاد اللعبة» محكومون بدائرة المراهقين من المعجبين الذين يحيطون بهم ، فلا تجعلهم يرون ما بعد ذلك . كانوا يغنون أغنية جيدة واحدة فقط ، من طراز الروك ـ أند أ رول ، وبعدها يجدون أنفسهم أبطالا للعروض الموسيقية التافهة وحفلات الترفيه عن جمهرة المصطافين على الشواطىء ، تماماً كما قضت كباريهات شارع الهرم على كثير من المواهب الفنية بين الشباب العربى .

لم تكن طفولة جون لينون سعيدة . أولى الأسباب انه عاشها فى ميناء ليفربول البريطانى الذى يوفر مزايا «موسيقية» عريضة لأنه ميناء دولى . وكان بالمدينة العديد من النوادى الليلية التى توظف فرق الروك ـ أند ـ رول ، لتعزف الموسيقى للكبار . ويقول آلان ويليامز أول مدير لفرقة البيتلز : «إن موسيقى ليفربول يمكن أن تفهم اذا ما عرفنا «عصابات» الشباب والاقتتال الذى يدور بينهم . لقد تعلم البيتلز كيف يعزفون موسيقاهم فى جو يختلف تماماً عن جو لندن» .

وهكذا ، فأينما عزفوا : سواء فى ليفربول أم بعد ذلك فى أوربا ، كانت موسيقاهم عالية وخشنة . وتكونت أغنياتهم حول دقات الطبول والباس والجيتار (وهو دور لينون الهام) ، والتى تتناسب مع صوت جون لينون وصوت بول ماك كارتنى . كانت ضوضاء ليفربول تتسم بالخشونة والقسوة ، انها نتاج اجهاد ليالى طويلة متعبة .

وهذا هو أحد الأسباب فى استمرار فرقة «البيتلز» وأشخاصها بعد أن وضعوا أقدامهم على طريق «صناعة الغناء» وعلى سلم المجد و «النجومية» ، فى الوقت الذى دخل الاخرون من شباب الفرق الأخرى ، من أمثال تومى ستيل ومكيف ريتشارد فى عداد «المرفهين عن العائلات» ، لقد تعلم الخنافس أسلوب «البقاء للأصلح» فى الشوارع .

وكما أن مقتل جون لينون أدى الى أن يتذكر الناس ، الموسيقيين من بحارة ليفربول ، فان الشىء الجديد الملهم أيام كان البيتلز مازالوا فى أيامهم الأولى ، هو الثقة التى جعلتهم يتمثلون الموسيقى وينسبونها لأنفسهم ، وكان صوت جون لينون هو أكثر أوجه هذه المسألة تأثيراً . فقد غنى كلمات الأغانى الأمريكية بلهجة أهل ليفربول ، كانوا يلفظون الكلمات والجمل الأنجليزية من الأنف مثل العمال الانجليز ، بدلا من خروجها من الحنجرة مثل الأمريكيين .

عبقرية لينون

يشير كل من يتحدث عن موهبة لينون الى عبقريته فى كتابة الأغانى على وجه الخصوص . والى جانب ذلك ، كان صوته أيضاً ملفتاً للأنظار . تمكن لينون من ايصال ألفة مباشرة تحكم فيها ببراعة ، فى الأيام الأولى كان يصحبها غضب مكتوم ، وفى أيام ما بعد «البيتلز» ـ منفرداً ـ كان يصحبها تعبير الندم والتفاؤل باحكام متساو . وأشارت معظم كتابات الرثاء بعد مقتله ، الى انه كان المغنى الوحيد الذى تمكن من أداء صيغة «الجماعة» باقناع . والمؤكد أن «البيتلز» كانوا مختلفين تماماً عن بقية الفرق الموسيقية والغنائية ونجوم الغناء ، عندما حققوا قصة نجاحهم الخرافية غير العادية التى لم يحدث لها مثيل فى عالم الفن . والأغرب من ذلك ، أن مؤهلات نجاحهم لم تكن هى تلك المعترف بها فى عالم صناعة النجوم و «النجومية» . لقد استقبلهم معجبوهم ومستمعوهم : ساخرين متغطرسين ، قلقين .

جاء «البيتلز» بشىء جديد : جاءوا ليقدموا «موقفاً» محدداً من المؤسسة والسلطات والحروب والمجتمع الاستهلاكى ، الى جانب «حمى المعجبين» المعتادة فى أمثالها من الفرق الأخرى ، ان لم تزد عليها فى هذا المجال . وبدأ «البيتلز فى الاستحواذ على اعجاب جمهرة من المستمعين كان من الصعب ايجاد علاقة بينها وبين موسيقيي الروك أند ـ رول فى الماضى ، تلامذة الصف السادس ،

كان «البيتلز» أول فرقة غنائية انجليزية لا توجه الاهانات الى «ذكاء» المستمعين وحواسهم ومعرفتهم . لقد انتجوا موسيقى هى صوت «المقهورين» مقتبسة من أصول ومصادر الزنوج الأمريكيين مع احتفاظها بالخشونة . يقول عنها مدير احدى شركات الاسطوانات : «انها شىء خارق لا يمكن ابتلاعه بسهولة فى عالم الموسيقى التجارى» .

كان جون لينون فى هذا السياق ، هو أكثر الخنافس حزماً وذكاء . كان ، كما يقول الانجليز ـ هو « الحافة الحادة فى السلاح » . كان متفهماً للشارع بحدة من منطلق الاختيار وليس من منطلق الحاجة أو الجرى وراء الربح والشهرة . « كان كتلميذ فى مدرسة ، ورغم كل تمرده اعتمد على الغطرسة الثقافية لتلميذ فى



جون لينون ومقتل أسطورة شعبية

جون لينون وهو يعزف وسط جماهيره

المدرسة » ، لكنه كان بوهيمياً تعلم أن يسخر من « اللامنتمين » .

كان لينون هو أسرع من قفز من «البيتلز» نحو الامكانيات المتفتحة أمام موسيقى الروك – أند – رول ، وثقافة شباب الستينات . وكانت أهمية «البيتلز» البالغة بين عامي ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ، انهم لم يقودوا حركة الشباب آنذاك ، وإنما إنضموا اليها . ورغم ألقاب النجوم الراسخة التى كانوا يتمتعون بها آنذاك ، فانهم أصبحوا – وخاصة لينون – رفاقاً فى حركة تحرير الفن والثقافة فى منتصف الستينات . أثبت لينون ما آمن به ، وهو استحالة التفرقة بين مظاهر « الهيبيز » وبين البيئة التى ترعرع فيها شباب الستينات : المخدرات والنظرة الجديدة للجنس ، والتى جاءت كلها فى إطار المسيرة السياسية التى غذت الحركة الطلابية ، والحركة المعادية للحرب ، وأحداث مايو ١٩٦٨ ، والحركة النسائية .

وكان لانخراط جون لينون فى هذا والتزامه بما تمثله حركة الهيبيز الحقيقية ، أيضاً استجاباته لأفكار يوكو أونو – التى تزوجها فيما بعد – المعادية لـ « البوب » ، كان لهذا كله الفضل في تفادى السقوط بعد تجربة البيتلز ، بل وأدى الى تطوره بعد ذلك ، مما جعله ينتج أفضل موسيقاه السياسية فى نهاية الستينات .

كل ما أريده هو الحقيقة

فى الأسبوع الذى قتل فيه جون لينون صدرت ثلاث اسطوانات بعنوان «الساندينيستا» لفرقة « الصدام »

وموسيقى هذه الاسطوانات العنيفة استفزازية مثيرة ماسة للمشاعر : بنادق وحركة تحرير ، صور من النضال والشك . لقد كانت خير رثاء لتأثير موسيقى لينون ، انها موسيقى يستحيل على الانسان أن يتخيلها دون أن يفكر فى جون لينون .

كان جون لينون يعتقد أكثر من أى فنان موسيقار آخر ، أن موسيقى الروك – آند – رول – هي وسيلة من وسائل التعبير التى يمكن استخدامها لايصال أى شيء ؛ وآمن فى الوقت نفسه بأن موسيقى الروك – آند – رول هي وسيلة التعبير الوحيدة التى يمكن من خلالها التعبير عن أشياء كثيرة تتعلق بالعمال ومشاكلهم ؛ خاصة فى بلد به طبقة عاملة نامية مثل بريطانيا أو أية دولة فى أوربا الغربية أو الولايات المتحدة . كانت موسيقى لينون (مثلها فى ذلك مثل موسيقى فرقة « الصدام ») ، تتضمن رغبة حادة وملحة لأن تسمع ، حتى أنها كانت تـطـغي أحياناً على الكلمات .

وعندما كان جون لينون فى السادسة عشرة من عمره استمع في الروك – أند – رول الى صوت يرتفع ضد المؤسسة الحاكمة ، فى الوقت الذى كان كل شيء فيه صامتاً وساكناً . وما زال هذا الصوت – الشاب بالضرورة – يسمع في موسيقى الروك . فأين تجد إلا فى موسيقى الروك ، خبرة ومشاكل الشباب (الأوربي والأمريكي) فى البطالة ؟ إن الفرق المحلية لمناطق الطبقة العاملة وأحيائها هي التى تتعامل مع هذه الموسيقى .

لقد كان القسم الأكبر من حياة جون لينون الموسيقية ، من أجل أن يظل هذا الصوت مسموعاً ، وأن تبقى « الحافة الحادة » لتقطع خلال موسيقى « البوب » ومحاولة الاستغلال التجارى لفرقة «البيتلز» ، اللافتات التى لا تنتهي والتى يتخفى وراءها المستغلون .

لقد واجه جون لينون ، العديد من المشاكل ، أثناء تعامله مع ألاعيب وحيل وسطاء تجار الموسيقى والاسطوانات ، واستخدمتها فرق الـ « بنك » بعد ذلك موضوعاً لأغانيهم .

ولقد التزم لينون بموسيقى « البوب » ، بجوهرها ، وتقبل مسئوليته تجاه جمهوره . ولقد كان واضحاً ليس فقط فى أغانيه الجماعية مثل « أعطوا السلام فرصة » ، ولكن أيضاً فى محاولات لينون المستمرة منذ بداية السبعينات ، لتوظيف موهبته فى كتابة الأغاني لالقاء الضوء على ما يحدث حوله فى العالم .

لقد فهم جون لينون تناقضات تاليف موسيقى وأغان شعبية تنادى بالحب والسلام والتقدم فى مجتمع ، تمتلك الشركات فيه كل شيء بما في ذلك وسائل الاعلام ... لكنه لم يحل هذه التناقضات . أنه لم ينف أبداً أنه جمع ثروة رغم أنه كان يغني .. « أحلم بعالم بلا ملكية » . كان لدى جون ويوكو أيضاً إحساس ذكي وملح بالسوق الجماهيرى وكيفية عمله .

ثم تأتي قمة المأساة فى حياة جون لينون . أن يقتل بيد أحد معجبيه المجنونين به . أو كما قال أحد النقاد : « معجب دفع بهلوسة أحلام اليقظة الى مرحلة اعتقد فيها أن (نجومية معبوده المغني) قد صممت كي تستحضر فى حماقة الجنون المروعة » .

وتكمن المأساة فى أن الأسى الذى شعر به معجبو البيتلز قد أدى الى تخيلات وهلوسات مشابهة ، وأما السخرية المرة هنا ، فهي أن جون لينون الذى تلخصت بطولته فى نضاله ضد أن يصبح سلعة تجارية ، والذى نجح فى التعبير عن الأصول الانسانية لأفكار موسيقى « البوب » (الشعبية) وجد نفسه فى النهاية فريسة ، لكابوس لا انساني يائس ، لمعجب مجنون تركزت هلوسته فى أن يصبح هو نفسه نجماً .

مجدى نصيف



دمشق مدينة السحر والجمال

بقلم: نبيل خالد الأغا

اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ بنائها ، فبعضهم يقول أنها بنيت عام ١١٩ م قبل الميلاد ، وبعضهم يقول انها تأسست عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وهناك من يقول بأن سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قد ولد بعد بنائها بخمس سنوات كما ورد فى معجم البلدان ، ويعود الفضل فى بنائها الى «جيروذ ابن سعد بن عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام كما يرى بعض المؤرخين . بينما عزا البعض الى اليونانيين فضل بنائها بسبب معرفتهم لحركات الكواكب وحسن اختيارهم لموقعها فقالوا بأنهم «وضعوا الأرصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها وبنوا «دمشق» فى طالع سعيد واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين » .

دمشق مدينة السحر والجمال



فى غوطة دمشق للفنان سعيد تحسين



قصر العظم للفنان عبد الكريم الأصفر

وهناك رأي يقول بأن القدس أقدم من دمشق فى البناء ، بينما ذهب آخرون بأن مدينة أريحا هي أقدم مدن العالم على الاطلاق .

وقد وصف أحد الأدباء دمشق القديمة بقوله : «لقد انتزع الله من الصحراء رقعة فدحى سطحها ، وكثر انهارها ، ونوع أشجارها ، وفصل أزهارها ، وأخصب تربتها ، وميز ربوتها ، فكان من ذلك دمشق وغوطتها ، واهتدى الانسان اليها أول ما أهتدى الى قرار وماء معين ، فتسلق التل حيث أقام معبدا يذكر فيه ربه بكرة وأصيلا ، وبنى مساكنه واسواقه وأدار بها سوراً فضمن ماله وأرزاقه ، وتبدل الانسان وتغيرت الأديان ، وتقلبت صروف الزمان . وظلت دمشق دمشق ترفع رأسها شكراً لله ، وتجيل ناظريها فيما حباها الله ، وتستمتع بنعمته ، وترجو ابتعاد نقمته »

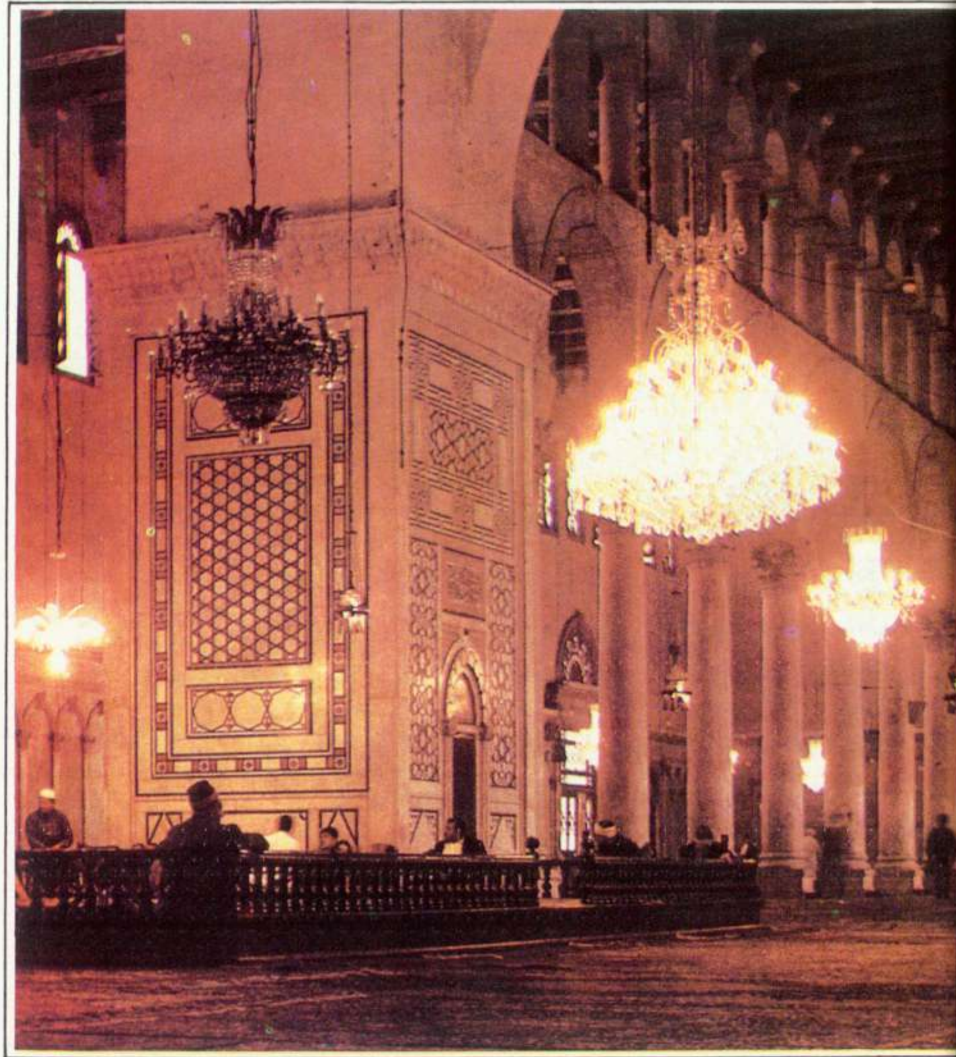
دمشق في رحاب الاسلام

ذكر ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » بأن دمشق قد سميت بهذا الاسم لأن الناس « دمشقوا » فى بنائها ، أي اسرعوا وتعجلوا ، ويقال (ظبية دمشق) بمعنى ظبية سريعة .

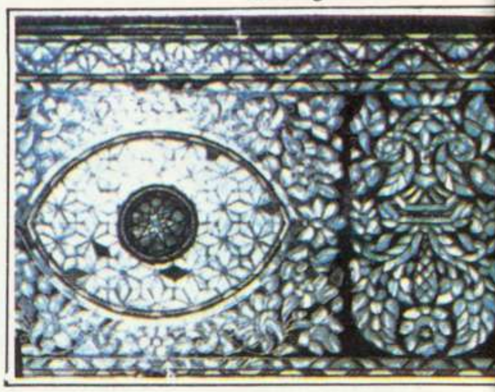
أما الأراميون الذين سكنوها فقد اسموها « دار ميسق » بمعنى الدار المسقية أو المروية ، وعندما احتلها اليونانيون والرومانيون أسموها « داماسكس » وهو الاسم الذى يطلقه عليها الأوربيون اليوم . كما أنها تدعى « جلق »

وعلى امتداد تاريخها الممتد فى أغوار الماضي تعاقبت على دمشق دول وعهود وأزمان ، فقد حكمها الآشوريون ، والفرس واليونانيون ، والرومان قبل الفتح يفتحها الانباط العرب وتدخل في حظيرة الاسلام وتظفر بمكانة سامقة فى ظل الحكم الاسلامي العربي .

ويحدثنا التاريخ بأن الجيش الاسلامي قد ضرب على دمشق حصاراً منيعاً استمر حوالى أربعة أشهر ، وكان نفر من قادتنا الأبطال قد رابطوا على أبوابها، فعلى الباب الشرقي نزل خالد بن الوليد ، وعلى باب « توما » نزل عمرو بن العاص ، وعلى باب « الجابية » نزل أبو عبيدة بن الجراح ، واستطاع بعض جنود المسلمين أن يخترقوا جانباً من السور ، وأن يدخلوا المدينة من بابها الشرقي ، ولما وجدت القيادة الرومية أن كفة المعركة لم تعد فى صالحها طلبت الصلح ، وهكذا استسلم الروم ، وأعطاهم المسلمون أماناً على دمائهم وأموالهم وكنائسهم وعموم عبادتهم ، ودخل المسلمون فى يوم الأحد ١٥ من رجب عام ١٤ للهجرة ، الموافق ٣ من سبتمبر (أيلول) عام ٦٣٥ للميلاد . ومنذ عام ٤١هـ أخذت دمشق تتحول بجهود معاوية بن أبى سفيان من مجرد مركز ولاية الى عاصمة للدولة العربية الاسلامية التى امتدت من مشارف الصين الى جنوبي فرنسا ، وتتحول من ناحية أخرى الى مدينة عربية اسلامية



داخل الجامع الأموى



زخرف اسلامى



الصناعات ذات الزخارف الزاهية الألوان

عاش فيها الفاتحون مع أهلها جنباً الى جنب ، وعلى نحو عز نظيره من التفاهم والتسامح كما يقول استاذنا فاضل السباعي .

ومنذ ذلك الوقت أخذ الحلفاء والأمراء والأثرياء فى ابتناء الدور والقصور فكانت بداية لنهضة عمرانية شاملة ، ويعتبر الجامع الأموى اعظم المفاخر المعمارية التى شيدها الأمويون فى دمشق ، لذلك فلا عجب أن نرى كثيرا من علماء الآثار ، والمهندسون ، والفنانون يترددون عليه للدراسة والتمعن والاستمتاع .

الجامع الأموي

عندما فتح المسلمون دمشق اتفقوا مع بعض رجال الدين المسيحي على اقتسام كنيسة يوحنا المعمدان بينهم ، فأخذوا يؤدون الصلاة متجاورين ، ولكن عندما اتسعت دمشق ودخل الكثيرون من سكانها فى دين الله أفواجاً ضاق المكان الصغير على استيعاب المصلين ، فاتفق الخليفة الوليد بن عبد الملك مع أحبار المسيحيين على ضم بقايا الكنيسة بهدف بناء جامع كبير .

ولقد أراد الوليد لهذا الجامع أن يكون آية ساطعة من الفن والجمال ، فاستدعى لبنائه مشاهير البنائين العرب والبيزنطيين ، وجلب لاتمامه أكثر من ١٢ ألف عامل ، فاكتمل بناؤه بعد عشر سنوات وبلغ ما تم انفاقه عليه أحد عشر مليوناً من الدنانير .

هذا وتبلغ مساحة الجامع ١٥,٧٠٠ مترا مربعاً ، ومساحة الحرم ذاته ٥٠٣٢ مترا ، وقد تم اسناد سقف الحرم على صفين من الأعمدة المرتفعة ، وتتوسطه قبة « النسر » العظيمة . وصنعت السقوف من الخشب المنقوش بالذهب ، وظهر المحراب والمنبر فى صورة هندسية بديعة . أما الثريات والقناديل فجميعها علقت بسلاسل متينة من الذهب النقي .

أما الباحة الرئيسية فأحيطت من جوانبها الثلاثة بأروقة جميلة مزركشة بالفسيفساء .

ولقد تعرض الجامع الأموى لبعض الحرائق الجزئية والزلازل الخفية ، وكان أهم حادث تعرض له هو حريق «تيمور لنك» ابان هجومه على دمشق عام ٧٤٠هـ . أما آخر حريق تعرض له فقد حدث في نهاية القرن الماضي وبالتحديد فى عام ١٨٩٣م ، ولكن الجهود الاسلامية المتآزرة استطاعت أن تعيد له رونقه وبهاءه دون أن يؤثر ذلك على جوهر البناء ذاته .

ضريح صلاح الدين

توجد في دمشق كثير من قبور الصحابة رضوان الله عليهم ، ففيها قبر يقال أنه لأم عاتكة أخت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وبها قبر بلال بن رباح ، وكعب الأحبار ، وثلاث من أزواج النبي عليه الصلاة والسلام ، وقبر فضة جارية السيدة فاطمة رضي الله عنها .

وفى الناحية الشمالية من المسجد الأموي يوجد مدفن القائد الاسلامي البطل صلاح الدين الأيوبي بناه ابنه الملك العزيز عثمان ، وهو بناء متواضع تعلوه قبة متوسطة الارتفاع ، وزينت جميع جدرانه الداخلية ببعض الألواح

دمشق مدينة السحر والجمال

القيشانية التى صفت فى العهد التركي .

والضريح الذى نراه الآن تم بناؤه عام ١٨٧٨م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، أما الضريح القديم فهو مصنوع من الخشب ومزين بزخارف هندسية اضافة الى آية الكرسي .

هذا وتوجد في دمشق كثير من الآثار المهمة مثل : قلعة دمشق ، البيمارستان النوري ، المدرسة العادلية ، جامع التوبة ، المدرسة الظاهرية ، المدرسة الجقمقية ، مئذنة جامع هشام ، قصر العظم ، المتحف الوطني . ويجب أن لا تفوت الزائر فرصة زيارة متحف دمشق الحربي فى الجناح الشرقي من تكية السلطان سليمان ، وبه عدة قاعات تحتوى على نماذج من الأسلحة المختلفة ومن ضمنها غدارتان كانتا تخصان الأمير العربي المجاهد عبد القادر الجزائري ، وهو البطل الذى ناضل من أجل وطنه الجزائري مدة طويلة ثم استسلم فى النهاية واختار دمشق موطناً ثانياً له ، وعاش فى حماها معززاً مكرماً حتى توفاه الله فى عام ١٨٨٢م . وتحمل قاعات المتحف اسماء بعض الشهداء الأبطال مثل : برهان الأمير حسن ، فتحي الاتاسي ، مأمون البيطار ، عدنان المالكي وغيرهم .

غوطة دمشق

اسمها مشتق من الغائط ، والغائط يعنى الأرض المستوية وجمعه أغواط وغيطان ، وذكر ابن الاعرابي أن الغوطة هى مجمع النبات .

« ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات ، ومما اصطلح عليه القوم أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكل من الأرض المطمئنة التى تروى من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة » .

قال ابن حمدان :

سقى الله أرض (الغوطتين) وأهلها
فلي بجنوب (الغوطتين) شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفني
الى (بردي) و (النيربين) حنين



الجامع الأموى بمنارته الخالدة



واجهة قصر الحيرة الغربى

هذا ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلومتراً وعرضها ما بين ١٠ ـ ١٥ كم ، وهى تعلو نحوا من سبعمائة متر فوق سطح البحر ، ومعدل الحرارة السنوية فيها ١٦ درجة مئوية .

وقد أهتم بنو أمية بالغوطة اهتماماً ملحوظاً عندما أصبحت دمشق عاصمة لملكهم . فنزلها بعض رجالهم وبنوا فيها القصور والحدائق ، ويقال بأن معاوية بن أبى سفيان كان ينصب خيامه فيها صيفاً .

ويروى أنه عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام ورأى الغوطة أعجب بها ثم تلا قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين » .

ويتمتع أهل الغوطة بصفات كريمة كالتقوى والصلاح والكرم ، وهم يحرصون فى كلامهم على استعمال أكبر عدد من فصيح الكلم » .

ومن الذين أطروا على الغوطة وجمالها (أبو بكر الخوارزمي) حين قال : « إن غوطة دمشق كأنها الجنة ، وقد زخرفت وصورت على وجه الأرض » .

وقال شيخ الربوة : « لولا الغوطة ما كانت دمشق من أجمل مدن العالم » .

دمشق ... قديما

على امتداد تاريخها الطويل العريض كانت دمشق يوماً مقصداً للتجار والمسافرين والزائرين الذين يفدون اليها من مختلف المناطق البعيدة منها والقريبة ، إذ كانت قبل الاسلام مستودعاً لتجارة الشرق فى فجر التاريخ ، فكان قدماء العرب يفدون اليها بتجارتهم فتأخذ بألبابهم وتسحرهم بجمالها واشجارها وزروعها ومياهها الدافقة ، فأسموها (الفيحاء) .

وتحدثنا كتب التاريخ بأن الرحالة الشهير « ابن جبير » قد وصل الى دمشق فى أواخر القرن الثاني عشر الميلادى ، فلم يكد يدخلها حتى هتف قائلا : « دمشق جنة المشرق ، ومطلع حصنه المؤنق المشرق ، وهى خاتمة بلاد الاسلام التى استقريناها وعروس المدن التى أجتليناها ، قد حلت من موضوع الحسن بالمكان المكين ، وتزينت فى منعتها أجمل تزيين ، وتشرفت بأن أوى الله تعالى المسيح وأمه عليهما السلام منها ربوة ذات قرار مكين ومعين ، ظل ظليل ، وماء سلسبيل تنساب مذانبه أنسياب الأراقم بكل سبيل ، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل ، قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظمأ فتكاد تناديك بها الصم الصلاب .

أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد احدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر ، واكتنفها اكتناف الكمامة بالزهر ، وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء أمتداد البصر ، ولله در القائلين عنها : «إن كانت الجنة فى الأرض فدمشق لا شك فيها ، وإن كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها » .

وهذا حسان بن ثابت يشير الى كرم أولاد جفنة الغساسنة فيقول فيهم :

لله در عصابة نادمتهم

يوماً « بجلق » فى الزمـــان الأول
أولاد جفنــة حــول قبــر ابيهــم
قبر ابــن ماريــة الكريــم المفضــل
يغشون حــتى مــا تهــر كلابهــم
لا يسألــون عــن الســواد المقبــل

... ولم تكن طلعة دمشق البهية لتغيب عن الانظار مهما ادلهم الظلام عليها ، وحتى عندما ابتعدت الخلافة عنها زمن ثورة بني العباس لم تنكمش ولم تغب عن الانظار « فقد كان لها دوماً من عزيمتها باعث ومن همة أهلها دافع »..

وهذا هو « المقدسي » يقول عنها فى القرن الرابع الهجرى : « دمشق هي مصر الشــام ، ودار الملك أيام بني أمية ، حيث قصورهم وآثارهم ، وهو بلد قد خرقته الأنهار ، وأحدقت به الأشجار ، وكثر بها التجار مع رخص الأسعار ، لا ترى أحسن من حماماتها ولا أحزم من أهلها » .

وهذا الشريف الادريسي يصفها فى «نزهة المشتاق» بقوله : « ... ولمدينة دمشق بصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات ، وأنواع من الثياب الحرير كالخز والديباج النفيس الثمين ، العجيب الصنعة العديم المثال الذى يحمل منها الى كل بلد ، ومصانعها فى كل ذلك عجيبة يضاهى ديباجها بديع ديباج الروم ، وينافس اعمال اصفهان . وقد احتوت طرزها على أفانين من الثياب النفيسة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال » .

وعندما زارها « المقرى » فى القرن السابع عشر الميلادى قال فيها وفي أهلها : « فلما حللت بدارهم رأيت ما أذهلني من سبقهم للفضل وبدارهم ، وقابلوني بالاحتفال والاحتفاء فقلت فيهم

ومازال بي احسانهم وجميلهــم
وبرهــم حــتى حسبتهــم أهــلي

وقال أيضاً :

إن تكــن جنــة الخلود بــأرض
فدمشــق ولا يكــون سواهـــا
أو تكــن في السمــاء فهــي عليها
قد أمــدت هواءهــا وهواهـــا

وحسبنا أن ننهي رحلتنا التاريخية السريعة مع عشاق دمشق قديماً ببعض أبيات للعالم العارف عبد الغنى النابلسي يقول فيها :

إن ساقك الخطب المهــول فاقلقـــا
فانــزل بأرض الشام واسكن «جلقا»
تجــد المرام بها وكل هنـــاك بـــل
وتـــرى بهـــا عــزاً وتفصــح منطقا
إن تعشقوا وطنــاً فذي أولـــى لكم
دون البـــلاد بأن تحــب وتعسقـــا

دمشق الحديثة

أما دمشق الحديثة فان أحسن وصف لها هو ما ينطبع في فؤاد المرء وما يراه بأم عينيه حين يتوجب عليه زيارة منجع الغساسنة ، ومقر الأمويين ، ومركز الايوبيين ، ومرجع المماليك ، ومنتجع العثمانيين ، وموئل العديد من العلماء والفقهاء والمجتهدين والمبرزين في شتى مناحي الحياة .

وبالاضافة الى ما سبق ذكره من أماكن أثرية وسياحية مهمة فباستطاعة المرء أن يزين خاطره برؤية دمشق فى احدى ليالى الصيف حين تتحول العاصمة السورية العريقة الى « سبيكة » ذهبية متوهجة الأنوار وهي تنعكس على ضفاف بردى فى انسيابه الوئيد وسط المدينة مما يضفى عليها منظراً نورانياً فريداً.

وعلى الزائر أن يضع فى حسبانه



شارع من دمشق القديمة

زيارة « سوق الحميدية » الذى يعتبر من أشهر الأسواق التقليدية فى المنطقة العربية لما يحويه من شتى أنواع البضائع والمأكولات .

وسيلفت انتباه الزائر وجود بعض الصناعات التى اشتهر بها الدمشقيون منذ القدم مثل صناعات الخشب المصدف والفواكه المجففة ، والصابون ، والزجاج والأقمشة الحريرية المطعمة بالذهب والفضة ، والتمباك ، والأحذية ، والعباءات ، والكوفيات والأعقلة وخلاف ذلك .

وتظهر لك مهارة التجار الدمشقيين حينما تدخل سوق الحميدية لتشتري شيئاً معيناً فلا تخرج منه إلا محملا بأشياء غير معينة ، ذلك أنهم يفرشون أمامك كل أكلمة الاغراءات فلا تملك فى النهاية إلا أن تفرغ جيبك بسعادة ورضى

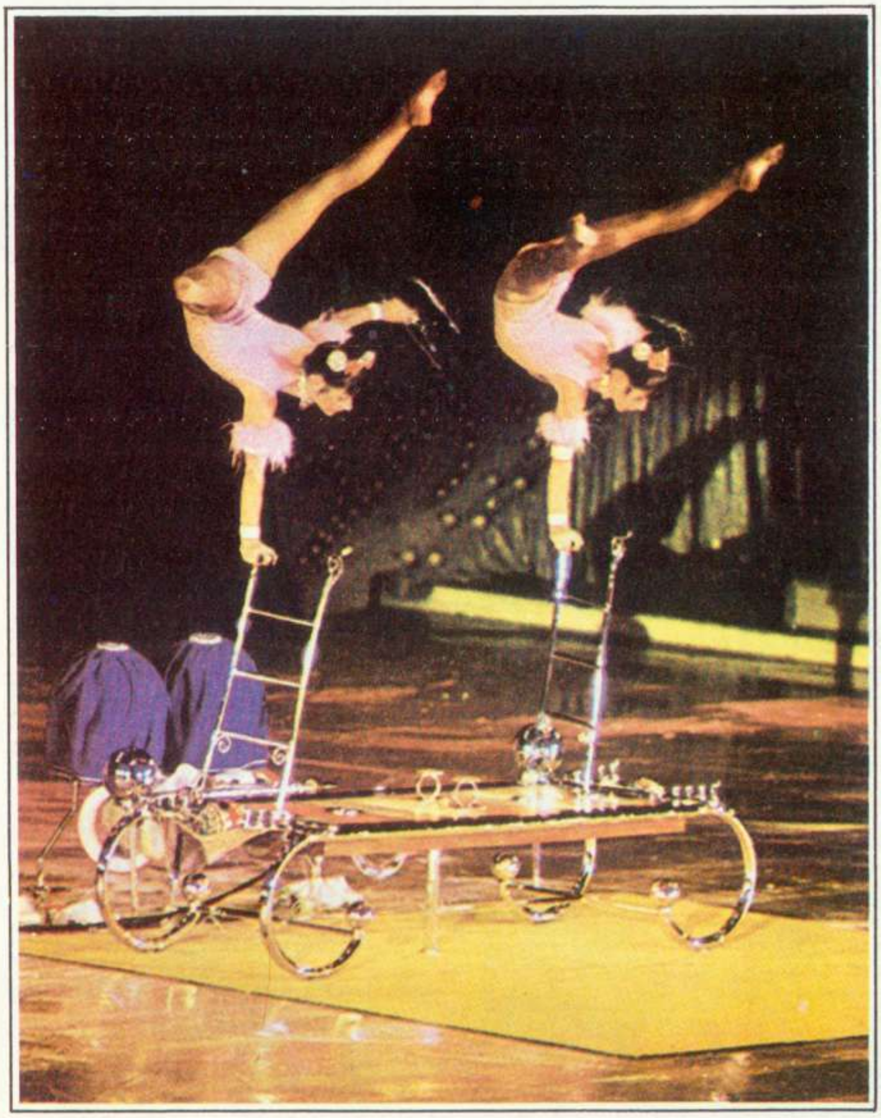
والزائر لدمشق سيمر حتماً بساحة الشهداء التى ترتبط فى ذاكرة أهل الشام بالمجزرة البشرية التى ارتكبها السفاح التركي جمال باشا إبان الحرب العالمية الأولى وأعدم فيها مجموعة من احرار العرب عندما ضاق من مناوآتهم وذلك فى اليوم السادس من شهر آذار عام ١٩١٦م ومنهم : الشهابي ، وسلوم ، والمؤيد والزهراوي والعسلي والبساط ، والعريس ، والمحمصانيان وغيرهم .

وفى وسط ساحة الشهداء ينتصب عمود برونزى يعود الى العصر العثماني وإذا كان وقت الزيارة صيفاً فلابد أن يعرج المرء على معرض دمشق الدولي الذى يقام سنوياً ، وتشارك فيه عشرات الدول لتعرض فيها مختلف منتجاتها الزراعية والصناعية .

وإذا كان الوقت عصراً ففى امكان الزائر أن يقضى وقتاً ممتعاً في أحد أحياء دمشق المشهورة مثل : حي المهاجرين ، أبو رمانة ، الصالحية ، القصور ، المزة ، وغيرها ، وكلها تزخر بالشوارع الجميلة ، والعمائر الحديثة ، والحدائق الغناء .

وأخيراً .. فان هذه الصفحات العابرة لا توفي دمشق حقها ، ولنا الى مدينة السحر والجمال عودة بمشيئة الله .

نبيل خالد الأغا



محور الارتكاز .. فى العاب البهلوان !

غالبا ما تجذب الالعاب البهلوانية انتباهنا ، وتثير اعجابنا ، وتدعو لتصفيقنا ، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى مرونة اجسامنا ، وتناسق عضلاتنا مع عظامنا ، وكيفية تراكيبها وانتظامها ، بحيث يؤدى ذلك إلى الاتيان بحركات «اكروباتية» قد نراها نحن فى حكم المستقبل ، لكن كل شىء قد يأتى بالتدريب الطويل ، ولقد وردت هذه الصورة فى احد المراجع العلمية (كتاب دائرة العلم) ، وهى لم تأت بغرض التسلية أو الاستعراض ، بل جاءت لتوضيح مبدأ علمى يختص بالحركة والتوازن ومركز الجاذبية ، فلكى تقوم الفتاتان بهذه الحركة الصعبة ، وترتكز كل منهما بذراع واحدة على طرف واحد من سلم صغير ، يرتكز بدوره على منضدة ، ترتكز على الأرض ، كان لابد من عملية توازن دقيقة للجسم المرتكز على القائم بحيث يتمشى تماما ، وبحساسية بالغة مع مركز الجاذبية .. بقى أن نعرف أن الذى يتحكم فى ذلك أيضا حاسة للتوازن موجودة فى الأذن الداخلية وهى التى تسيطر على اتزاننا فى حركاتنا ، وأحيانا ما يحدث بها مرض ، فيفقد المريض اتزانه .. إنها على اية حال مبادىء علمية ، حتى ولو جاءت فى حركات بهلوانية !



تناسق فى الخلق له مغزاه

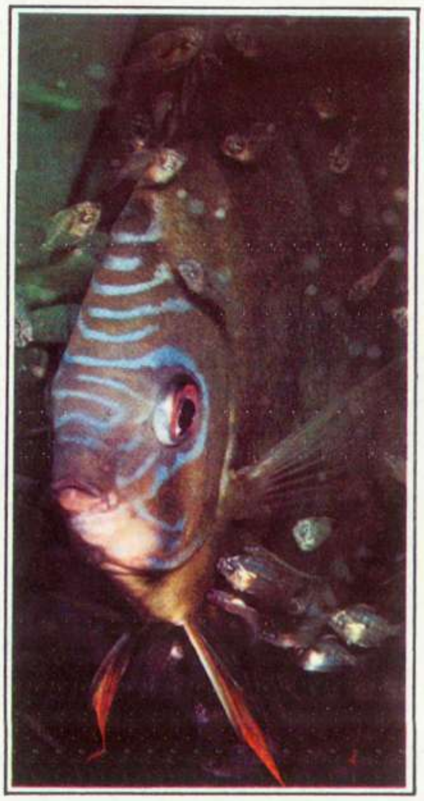
احيوان هذا ام نبات ؟ .. الواقع انه جزء من قمة نبات ، ورغم أن هذه الصورة قد لا تثير انتباه معظم الناس ، إلا أنها قد جاءت ناطقة بالتناسق البديع الذى يراه العلماء ومحبو الجمال فى الخلق الذى يمتد حولنا بغير حدود ، لأن التناسق صفة أزلية فى الكون والحياة .. فاجسامنا على سبيل المثال متناسقة .. يمينها يماثل يسارها ، وكذلك الحال فى القوانين والمعادلات والأرض والسماوات .. حتى ذلك النبات .. فنظرة تمعن وتامل فى اجزائه المتراكمة توضح ان الله « الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى » قد أحسن كل شىء صنعا .. ثم إن ما نراه فى قمة هذا الفرع هو برعم من مئات البراعم التى تتوزع فى فم اغصان الأشجار ، وتسيطر على نموها وانتشارها بالطول وبالعرض ، ولقد جاءت هنا بمثل هذا الوضوح ، لأنها مكبرة حوالى سبع مرات ، وإلى محبى الفن والجمال ، نقدم هذه الصوره ، وكأنما لسان حالها يقول « كن جميلا ترى والوجود جميلا » .

الأمان فى الأحضان !



يقولون أن اقرب الحيوانات شبها بالانسان هى عائلة القردة العليا التى تضم الشمبانزى وإنسان الغاب والغوريلا فى رتبة واحدة ، وهذا صحيح إلى حد ما ، رغم الهوة الكبيرة التى تفصلنا عنهم ، ومع ذلك فان هذه الصورة تعطينا بعض الانطباع الذى يجعلنا نعتقد ذلك ، خاصة فى وجه الشمبانزى الصغير المعبر عن اهتمام كبير بعدسة المصور الذى التقط له تلك الصورة وهو فى جلسته المريحة على فخذ امه ، وكانما هى اقرب إلى السلوك الانسانى منها إلى السلوك الحيوانى .. ترى ، ما الذى شغل الأم إلى حين عن وليدها الذى يرى الأمان فى الأحضان ؟ .. ربما هى تفحص سبب سقوط الشعر من هذا الجزء مذ ذراعها ، أو ربما هى تبحث عن امكان وجود طفيليات او حشرات سببت ذلك ، فهى على اية حال طبيبة نفسها ؟

رضعة غريبة



أن ترضع الام صغارها ، فليس فى ذلك خروج عن المألوف ، لكن الأمر قد يكون شاذاً لو أن الأطفال قد سعوا إلى أبيهم ليرضعهم من جسمه رضعتهم المحببة .. فما تراه فى تلك الصورة ليس إلا ذكر سمك محاط من كل جانب باطفاله ، وبعضهم قد التصق بفمه على جسم أبيه ، ولقد تحير العلماء فى سر هذا السلوك الغريب ، لكن حيرتهم لم تدم طويلا ، إذ اكتشفوا حقيقة مثيرة .. فالسمك الصغير يرضع من جسم أبيه ، كما يرضع أيضاً من جسم أمه ، ولو باعدنا بين الصغار وبين أبويهم ، فانهم يضعفون ويموتون ، فلهم مع والديهم طريقة حياة تختلف عن الأسماك الأخرى ، إذ من المعروف أن هذا النوع من السمك الأمريكى الجنوبى يفرز من جلده سائلا مغذياً قريباً من اللبن فى عناصره الغذائية ، وعليه يعيش الصغار ما بين اسابيع ثلاثة وأربعة ، وبعدها يتوقف افراز «اللبن» ، ويعتمد الصغار على انفسهم بعد ذلك فى الحصول على الطعام من الكائنات المائية الصغيرة .. كم فى جعبة الحياة من افكار غريبة

ع . ص .

غريبان ....

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

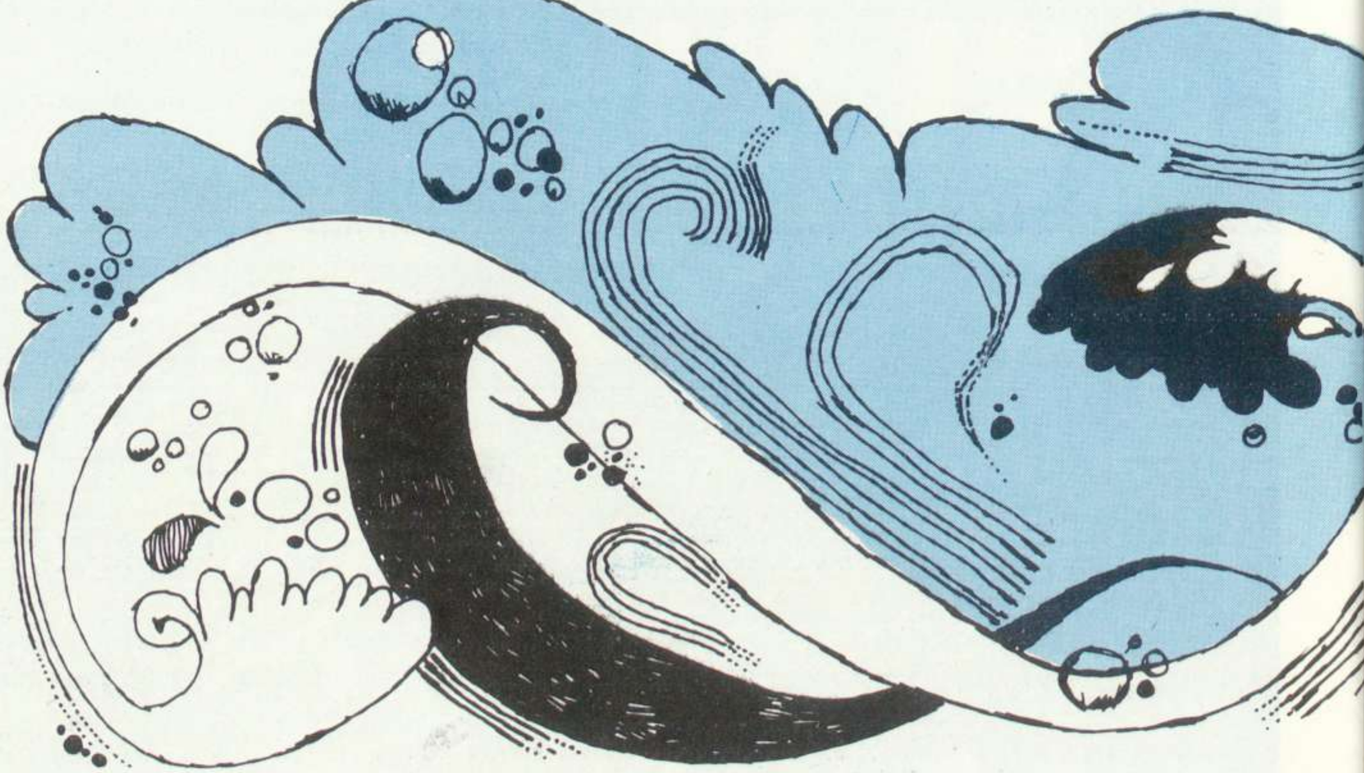


سماء مرصعة بالدموع
وشمس تسافر عبر المرايا
وقلبي يسائلني عن رياح الربيع
غريبان قلبي وهذى البلاد
على ساحل البحر وسط الصقيع
نواجه ليلا من الغرب ...
.. حزناً من الشرق ...
.. صمتاً مريباً يسد علينا الفجاج
وشعب من النور والحزن ..
.. يغرق بين لفائف ليل من العنكبوت
ملاك يحاول ألا يموت
وكف تضيء على قبر جدى فتيلا
فتطفئه الريح ـ قلبي يغني قصائده
ثم يبكي طويلا
فأزجر قلبي . وماذا يفيد البكاء
على أمة لا تجيد سوى الفخر والكبرياء
ونصف قصائدها فى الرثاء

وهذى بلاد من الرمل والزهر ..
.. شعب من الأغنيات
يقيم من الحلم عاصمة للزمان
فتنحل قبراً من الذكريات

غريبان : قلبي وهذى البلاد
وحيدين نذرع أرض المكيدة
ويغتال أقدامنا شوك هذا الطريق
فهذا صديق بثوب العدو
وهذا عدو بثوب الصديق
وذاكرتي لا تضم سوى قبر جدى
وبعض الحروف التي قد تبقت لنا
من جحيم الحصار
وبعض سنابك خيل التتار
بقايا سيوف ، وآنية من جماجم ...
بعض النياشين . دق عليه الكثير
من التعاويذ ذكرى انتصار

قلبي وهذى البلاد



وهاأنذا الآن أركع ياقبر جدى
سؤال من النار يحرق جلدى
ترى هل أفك الحصار ؟
أعود من النفي ؟ ...
.. يطلع فوق التلال النهار
سؤال من النار يحرق جلدى
فأنبش في الرمل .. أنبش فى الصخر ...
... أنبش هذى الغصون ؟
.. أفتش هذا المطر
الى أن تلوح العلامة
فأعرف سر الطريق وسر القيامة
ويأتي من الغيب سيف النبوءة
فتمشى القناديل عبر كتاب الزمان
وتجرى الدماء القديمة
بهذى العروق الجديدة
ويمطر قلب العصور
سحاباً من الذكريات السعيدة

فتورق بين الضلوع فصول الندم
وتصحو النجوم

وتدخل قلبي رياح الربيع
فمن ذا يدل العيون التى سال فيها الحنين

الى شجر كان أخضر منذ سنين
وهل ستلوح العلامة

فتفتح هذى البلاد التى لا تجيد القراءة
كتاب البراءة

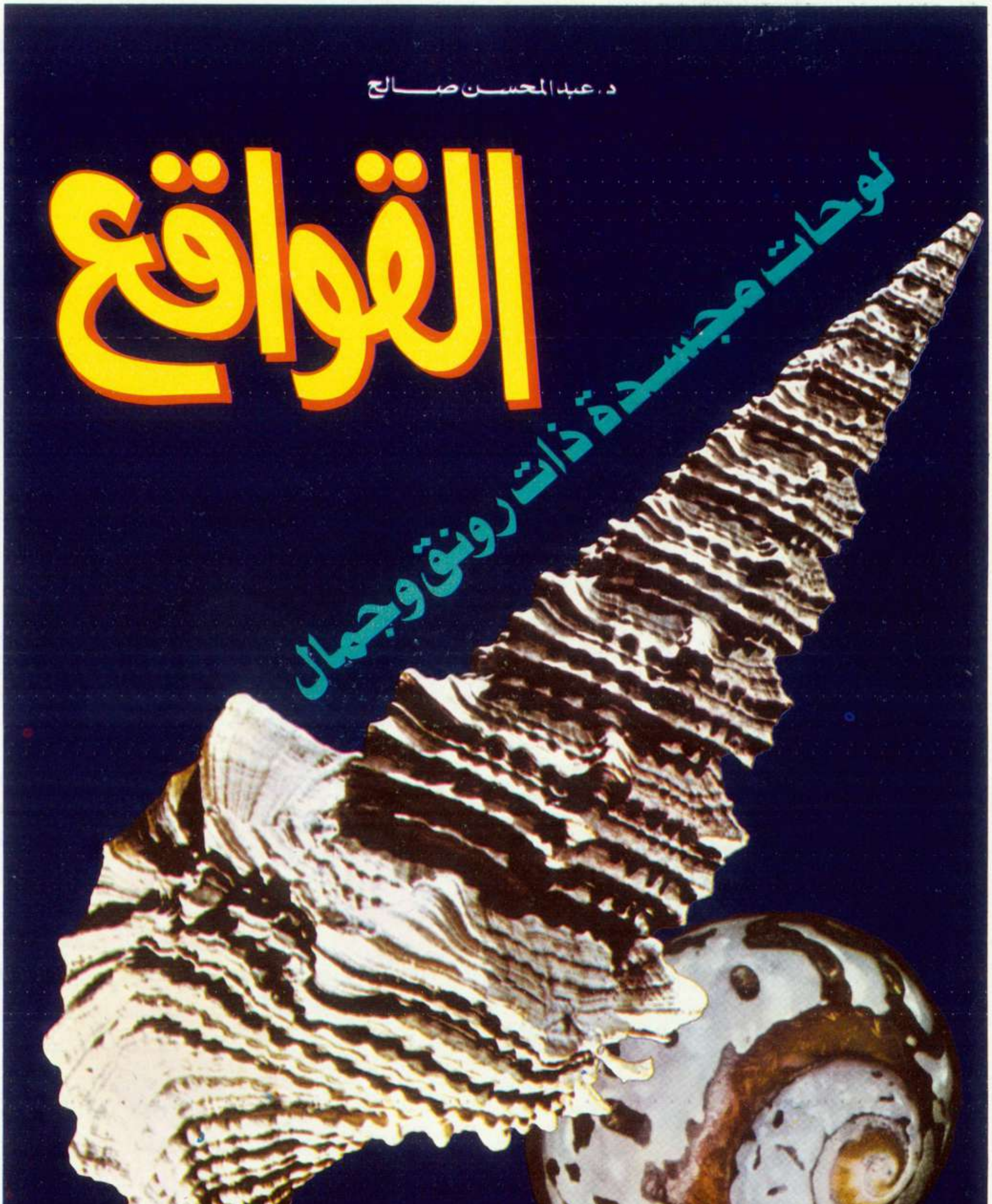
وتولد زهرة هذا الشروق من العنكبوت
ويرجع قلبي وهذى البلاد من النفي ..
.. ينجو ملاك يحاول ألا يموت
ترى هل تلوح العلامة ؟
فأسمع رعد القيامة .

محمد ابراهيم أبو سنة

د. عبد المحسن صالح

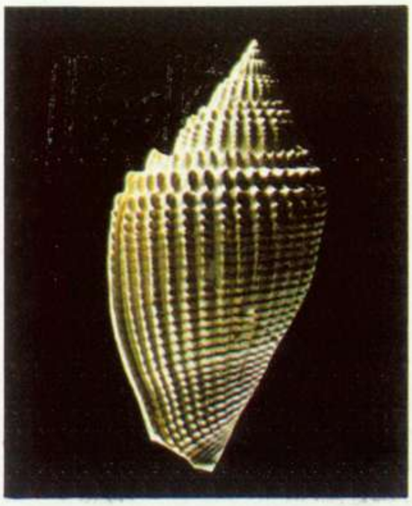
القواقع

لوحات مجسدة ذات رونق وجمال





أطلال (أحياء) ذهبوا وبقيت آثارهم تدل عليهم ، فهذه التشكيلة الجذابة من القواقع والودع هي الهياكل الخارجية لاحياء طواهم الموت .. لكنها أروع هياكل جذبت انتباه الانسان . الى اليسار قوقعان احدهما عاش منذ حوالي ١٥ مليون عام والآخر عاش منذ ٥٠ مليون عام .





الطبيعة نبع الجمال ، وواهبة الالهام ، وهى أيضاً مانحة الابداع لكل فنان ، حتى لكأنما هى بمثابة لوحة فنية ضخمة تتجلى لذوى النفوس الصافية فى كل زمان ومكان ، فيرون فيها تناسق الأشكال ، وتوزيع الألوان ، وتنويع اللمسات الفنية بشكل يدعو الى العجب والانبهار ، فيهتف العقل ، ويردد الوجدان بأن «الله جميل يحب الجمال» !

ولاشك أن الناس مختلفون فى أحاسيسهم الجمالية ، فذوو الاحساس المرهف ، والذوق الرفيع ، والتأمل العميق هم أكثر الناس شعوراً ، وأعظمهم تألفاً ، وأسماهم تفهماً وادراكاً لما تزخر به الطبيعة من تناسق وابداع وفن وجمال ، حتى لكأنما ينطبق عليهم قول الشاعر «كن جميلا ترى الوجود جميلاً» !

ولطالما عرض الانسان فنونه ، واستوحى لوحاته ، ومزج فيها ألوانه ، وأبدع فى تشكيلاته ، وتباهى بتكويناته ، لكن هذا كله ليس إلا تقليداً لأفكار سابقة ظهرت على هذا الكوكب قبل أن يظهر الانسان عليه بمئات الملايين من السنين ... ورغم ذلك ترانا نهجر الأصل ، ونتباهى بالتقليد ، ولهذا كان لزاماً علينا أن نعطى «ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر» ـ على حسب القول المأثور !

الجمال فى التنوع

وللجمال فى الطبيعة ظاهر وباطن .. فأما الظاهر فهو ما عاينته الحواس المرهفة عند الانسان المتفتح على كل ما هو حسن ورائعٌ وجميل ، وأما الباطن فمتروك للعلماء الذين ينقبون عن أسرار هذا الجمال ، فيدركون منه ما لا يدركه الناس !

وللطبيعة لوحات حية لا تعد ولا تحصى ، وهى بلاشك تختلف عن لوحات الانسان الجامدة المعلقة فى معرض أو متحف .. وفرق كبير جداً بين لوحة حية ، وأخرى جامدة .. تماماً كالفرق بين حى وميت ، أو بين نابض بالحركة والانتشار والجمال ، وجامد فى مكانه ، فلا تلحظ فيه إلا ما خطته يد الانسان ، وبه قلدت صوراً حية من صور الجمال ، وكلما كان التقليد أتقن ، كانت اللوحات أروع ، حتى لترى من يصفها بقوله «انها لتكاد تنطق» ، وما هى بناطقة أو متحركة !

ومعارض الطبيعة تنتشر فى كل مكان .. فى الماء والهواء وعلى اليابسة أو تحت الثرى .. وأحياناً ما تكون هذه اللوحات الحية غير منظورة للعين البشرية .. لا لأنها مدفونة ، بل لكونها ضئيلة لا ترى ، ومن أجل هذا رآها الانسان بعين غير عينيه التقليديتين ، فجاء الميكروسكوب ليرينا «ما لا عين رأت

القواقع

ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» !

تأمل مثلا زهرة مع النسمات متماوجة أو فراشة فى الهواء محلقة ، أو سمكة من أسماك الزينة فى الماء سابحة ، أو عصفوراً توزعت على ريشه ألوان متناسقة ، أو قوقعاً أو محارة تداعبها على الشط أمواج متتابعة .. الى آخر هذه القائمة من الكائنات التى تعد أنواعها بالملايين ، ثم توزعت عليها لمسات جمالية تختلف باختلاف النوع ، وأيضاً باختلاف نظرة كل منا الى هذا الجمال ، فما قد نراه نحن بديعــاً ومتناسقاً ومتناغماً ، قد لا يراه غيرنا كذلك ، وكان لابد من الاختلاف ، فعلى هذا الأساس تنوعت الأذواق ، وتباينت الكائنات ، والشيء لا يعرف إلا بنقيضه ، أو كما قال الشاعر : وبضدها تتميز الأشياء ، ولهذا جاء الجميل والقبيح ، والمتناسق والفوضوى ، والجذاب والمنفر .. الى آخر هذه الأمور التى نعرفها فى حياتنا حق المعرفة ، لأن عقولنا قد جاءت أيضاً على هذا الأساس ، وهى الوحيدة القادرة على التمييز بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والموجب والسالب .. الى غير ذلك من المعانى المجردة التى لا يدركها بهيم أو خنزير أو قرد أو حمار !

لكن .. لا يكفى أن تتأمل ثم تنصرف الى حال سبيلك ، بل لابد أن يتبع ذلك مرحلة من مراحل التساؤل : كيف توزعت هذه الألوان ؟ .. وبأية وسيلة نشأ هذا التناسق والابداع ؟ .. ومن أين نشأ .. ولماذا ؟ .. الخ ، وهذا هو طريق العلم الذى يهدينا الى الحكمة والمعرفة .

وعلى هذه الصفحات نرى قواقع وأصدافاً تميزت بروعة التنميق ، وانسياب الألوان ، وتناسق الأشكال ، ولقد جاءت على هيئة أقرب باللوحات الدقيقة التى يرسمها الفنان .. لكن ، أين الرسام الذى أظهر كل هذا الابداع ؟

الواقع اننا نعيد ذلك الى خالق هذه الأكوان ، لكنه لا يتناول القلم ولا الفرشاة



ومن أحسن من الله صنعاً ؟!!

ولا الورقة ولا الألوان ، ليفعل كما يفعل الانسان ، بل هناك فكرة رائعة فى الخلق ، ولقد توزعت فى كل الكائنات بدون استثناء ، لتعطيها صفاتها التى جاءت بها الى الحياة ، ثم تتوارثها جيلا عن جيل ، كما توارثتها قبل ذلك بملايين السنين ، فلا نكاد نرى فيها شذوذاً ولا حيوداً عن المألوف !

لكل أمر بروجرام مقدر

والى هنا يأتى دور العلم والعلماء .. صحيح أنهم يرون الظاهر كما نراه ، لكنهم تسلحوا بنظرة أعمق ، وبحثوا بمنطق أقوم ، وغاصوا الى لب الخلق وجوهره ، علهم يكشفون عن الباطن الذى انعكس على الظاهر ، فأعطاه كل هذا الرونق والجمال .

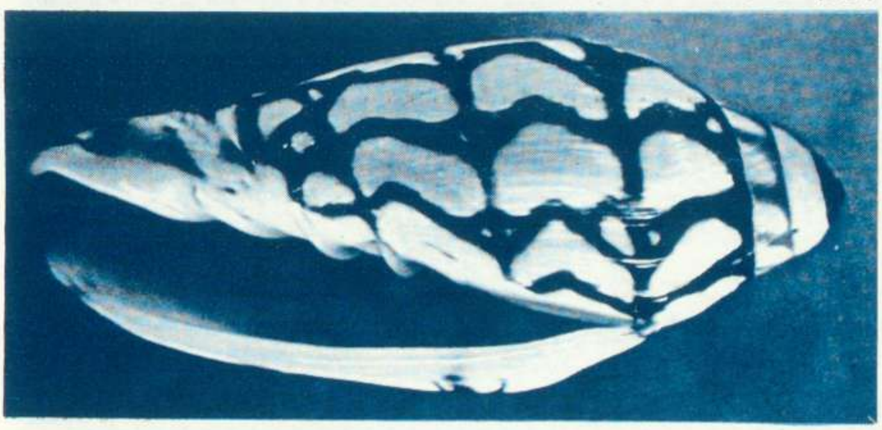
وفى باطن الخلق توصلوا الى الفكرة المتقنة التى غابت أصولها عن كل الأجيال السابقة ، ولقد ظنت هذه الأجيال أن الله يشكل مخلوقاته ، وينمق كائناته ، إما بيديه ــ وهذا أضعف الايمان الذى يساور العقول الساذجة ، وإما بقدرته الخافية عن عيوننا ومداركنا وهذا أيضاً ايمان يقوم على الفطرة وهو لن يروى العقول المفكرة والمتعطشة الى المعرفة ، إذ لو استطعنا أن نقترب من الحقيقة ، وننظر اليها نظرة فيها أصالة وتعمق ، لتكشفت القدرة عن أسرار يخضع لها العقل ، وتخشع لها النفس ، وعندئذ ندرك عظمة «الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى» .

ولقد توصلنا الى أسرار ، وخفيت عنا أخرى ، وكلما اكتشفنا أكثر ، تجلت لنا القدرة أعظم ، وهنا يحق القول الكريم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» ؟!

ولقد أوضحت لنا هذه الأسرار أن الخلق كله ، من أوله الى آخره ، ومن أصغره حتى أعظمه ، يقوم على أساس فكرة موحدة ، جاءت على هيئة «بروجرام» وراثى ، و «مكتوب» بشفرات كيميائية محددة ومقدرة ، وعندما يتم ترجمة هذه الشفرات فى داخل الخلية الحية ، يتمخض عنها صفات الكائنات التى نراها ظاهراً ، ولا نطلع عليها باطناً ، اللهم إلا اذا استعنا على ذلك بعيون غير عيوننا ــ وهى عيون العلم الذى تسلح بها ، لتكشف عن المستور ، وتوضح له المحجوب .

فلا أحد يستطيع أن ينكر أن بداية كل كائن حي كانت خلية ، وفى الخلية وضع البروجرام العظيم ، فيعطى انساناً أو

(ديكور) من ديكورات الحياة التى لا ينضب معينها من الفنون الجميلة التى تحير الانسان



ثوراً أو طائراً أو باذنجاناً أو رماناً أو قوقعاً أو ميكروباً .. الى آخر هذه الملايين من الأنواع التى ظهرت على هذا الكوكب .. كل ذلك يتوقف على تنظيم الشفرات التى كتب بها البروجرام فى الانسان والحيوان والنبات .. فبداية الانسان خلية ملقحة ، وكذلك الحال مع القرد والكلب والسبانخ والطماطم .. الخ .. الخ وكان من نتيجة ذلك أن جاء كل نوع بصفات أسلافه ، فلا نرى خلطاً فى الخلق ، ولا حيوداً عن البروجرام الذى وضعت أصوله فى بداية كل نوع من الأنواع ، فيلد البشر بشراً ، والقرود قروداً ، والحمير حميراً .. الخ .

الفكرة لاشك مذهلة وبديعة وعظيمة ، وهى تدل على عظمة من أرسى قواعدها فى الكائنات الحية ، فسارت بها كطوفان دافق من الحياة ، وهى أروع ما وقع عليه العلماء من أسرار الخلق فى هذا الركن من الكون العظيم .

التناسق والجمال ببروجرام

وطبيعى أننا لا نستطيع أن نتعرض هنا لأسرار شفرة الوراثة التى قامت على أساسها صفات الكائنات .. أنواعها وأشكالها وتناسقها وألوانها وكل صغيرة وكبيرة فيها ، فهذا يحتاج الى دراسات ودراسات ، لكن يكفى أن نذكر أن كل لون جاء على هذه الكائنات الحية إنما يرجع الى صبغة خاصة ، وكل صبغ يظهر من خلال جينة أو مورثة أو جزء من البروجرام الذى يحوى عشرات ومئات الألوف من المورثات .. ثم ان وضع اللون فى مكانه يسرى أيضاً من خلال بروجرام آخر مختلف .. أى أن الأمور لا تسرى هكذا اعتباطاً ، ولو كانت ، لجاءت الألوان بغير تناسق ولا نظام ، وهذا ما لا نلحظه فى الخلق ، إذ نرى دائماً أن الكائنات قد جاءت على شاكلة أسلافها ، ومن هنا كان التميز بين نوع ونوع .

واللوحات الحية التى تنتشر فى الطبيعة تعد بعشرات الألوف ، وكل لوحة منها تنطق بالجلال والفن والابداع ومن هنا كان الاختيار صعباً ، فأيها نترك وأيها نختار فى مثل هذا المجال الضيق ؟

اننا لانشك فى أن هذه المجلة سوف تفسح صدرها لتقديم هذا النوع من فنون الحياة ، ولهذا دعنا نبدأ هذه الدراسات بدراسة عن المحاريات أو القواقع أو الأصداف ، ورغم أن هذه تحتاج لمجلد كامل ، إلا اننا سنقتصر فى تقديمنا على عدة أنواع ، اخترناها من بين مائة ألف نوع يضمها قسم من المملكة الحيوانية يعرف باسم الرخويات MOLLUSCA وهى — وكما يدل عليها اسمها — كائنات ذات جسم رخو ، ومن أجل هذا تفرز حول جسمها الضعيف — غالباً — صدفة جيرية مطعمة بمواد كيميائية أخرى لتعطيها صلابتها ، وبهذا تصبح للجسم الرخو بيتاً آمناً فيه تعيش ، وفيه تموت ، وكأنما هو سكنها وقبرها !

أشكال وألوان بغير حساب

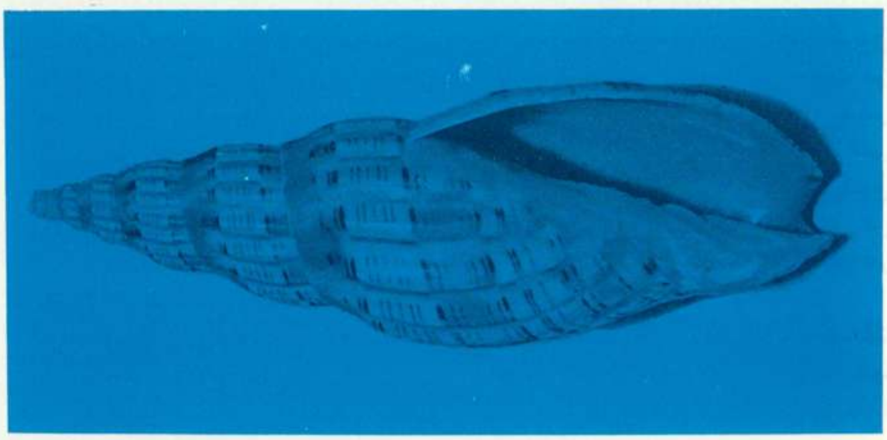
ولقد أثارت المحاريات والقواقع فضول الناس من قديم الزمن ، فهى فى الشكل والتكوين والأداء تختلف عن الكائنات الأخرى اختلافاً جوهرياً .. ثم ان منها الصغير جداً ، ومنها الكبير جداً .. فأصغر نوع اكتشفه العلماء لا يزيد طوله عن ١,٢ ملليمتراً لا غير ، وهو من المحاريات ذات الصدفتين ، فى حين أن أكبر الأنواع (من ذات الصدفتين أيضاً) قد اكتشف بين الشعب المرجانية فى المحيطين الهندى والباسيفيكى ، إذ بلغ طول أحد هذه المحارات متراً وتسعة سنتيمترات ، وسمكها ٧٣,٦ سنتيمتراً (أى حوالى ثلاثة أرباع المتر) ، فى حين أن وزنها قد وصل الى أكثر من ربع الطن (أو بالتحديد ٢٦٢,٩ كيلو جراماً) ، .. أى أنها تستطيع أن تحتوى فى جوفها رجلين ، ووزن الرجلين متروك لتقديرك !

وأشكال المحارات أو الأصداف يختلف من نوع لآخر ، فمنها الحلزونى الذى يدور تكوينه فى اتجاه عقرب الساعة ، ومنها ما يدور فى عكس الاتجاه ولقد اتخذ العلماء هذه الحقيقة هادياً ومرشداً فى تقسيم وتصنيف هذه الأنواع ، ومنها ذوات الأصداف ، ومنها ما يتخذ شكل الهرم المدرج .. الخ ، والصور المعروضة هنا تغنى عن كل شرح فى هذا المجال .

وكما يهوى الناس جمع طوابع البريد والعملات ، كذلك يهوى البعض جمع المحارات .. فمنها الشائع ، ومنها النادر ، وللنادر ثمن باهظ ، إذ دفع هاو من اليابان فى عام ١٩٧٥ سبعة آلاف دولار ثمناً لواحدة تتميز بجمال أخاذ ، وللناس فيما يعشقون مذاهب .. محارات كان ذلك أو لوحات أو طوابع أو نقوداً !

لكن أكثر ما يجذب الناس فى المحاريات هو تناسق أشكالها ، وتوزيع ألوانها ، وهندسة بنائها ونعومة ملمسها وهذا يتضح أكثر فى الصدفيات المعروفة بين العامة باسم «الودع» .. ولقد استخدمته ضاربات الودع فى التنبؤ بمستقبل الانسان ، والغريب أن هذا الظن الخاطىء لايزال سارياً فى بعض البلاد العربية حتى يومنا هذا ، إذ تفترش ضاربة الودع الأرض ، وتفرد منديلا عليه رمل ، وعلى الرمل تنتشر بضع ودعات ، ولكى يعرف الانسان حظه فعليه أن يهمس برغباته لودعة معينة ، وبعدها تلقى ضاربة الودع ودعاتها على الرمل حيثما اتفق ، فتتخذ عليه أوضاعاً

تأمل قليلا فى دقة التنسيق والتكوين .. فالتأمل هو الطريق الى الحكمة والمعرفة



القواقع





تشكيلات من القواقع والودع وضع الله أصولها فى برنامج وراثي والى اليسار قوقع عاش منذ ٣٥ مليون عام .

واتجاهات شتى ، ومنها تقرأ الحظ والمستقبل ، لكن هذا دجل لا يجوز إلا على أصحاب العقول الضعيفة !

الودع والمحاريات فى الأساطير

ومما لاشك فيه أن ضرب الودع يستند الى أساطير قديمة آلفها الانسان عندما أعيته الحيلة فى ادراك أسرار المخلوقات وطبيعى أن شكل الأصداف ، وغرابة الكائنات التى تسكنها ، قد آثارت فضول الانسان ، فدفعه ذلك الى اختراع حكايات ليعلل بها ما غم على تفكيره ، ورغم أن هذه الظنون قد مر عليها آلاف السنين ، إلا أن بعضها لازال سارياً حتى اليوم فى المجتمعات البدائية ، فالطفل الذى يخشى عليه أهله من الحسد أو المرض أو الأرواح الشريرة ، يلبسونه عقداً من الودع ، ظناً منهم أنه خير حافظ من الشرور والأمراض !

كما أن السحرة فى القبائل البدائية يلفون أجسامهم بعقود من الودع ، اعتقاداً منهم أن للودع قوى خفية كامنة فيه ، وعندما تنساب هذه القوى أثناء ممارستهم للشعوذة ، يكون لها فى السحر مفعول أكيد – على حد ظنهم – ، والغريب أن بعض «الدراويش» عندنا قد اعتقدوا فى «البركات» التى يمكن أن يمنحها لهم التمنطق بعقود الودع ، وكلما كان الودع كثيراً ، زادهم ذلك خيراً وبركة !

ومن الناس من يعتقد أن الودع خاصة ، والأصداف عامة ، تجلب الخصوبة للاناث والذكور ، أو تشفى من العقم ، أو تيسر عملية الوضع ، أو تجذب الذكر للأنثى ، أو العكس .. الى آخر هذه الخرافات التى لازالت آثارها سارية نتيجة لارث من التفكير البدائى القديم والعقيم .. ويقال انه نشأ أساساً حول حوض البحر الأبيض وشواطىء البحر الأحمر ، حيث توجد هذه الأصداف بغزارة وتنوع كبيرين ، وقد ترجع هذه الأفكار الى شكل الودعة التى تشبه فى أحد جوانبها جزءاً من الجهاز التناسلى الأنثوى ، وترجع أيضاً الى سلوك الكائن الحى الكامن فى داخل الودعة ، إذ عندما يبرز من داخلها ، ليبحث عن طعامه ، فان بروزه يشبه بروز الوليد من رحم أمه عند عملية الوضع ، وكأنما المحارة – فى عرفهم – تمثل لنا ظاهرة بعث الحياة من داخل «كهف» الودعة أو المحارة ، وطبيعى أنهم على قدر ما عرفوا وأدركوا ، أفتوا وفسروا .. وكل سعيد ومقتنع بما عرف فعلل !

والأساطير التى حيكت حول الأصداف كثيرة ومثيرة ، لكن أغربها على الاطلاق قد جاء عن تصور الاغريق القدامى من أن آلهتهم التى نشأت فى البحار ، قد تربت وخرجت من بعض أنواع المحار ، وهى نفس المحارة التى تستخدمها بعض القبائل البدائية كبوق يخرج منه صفير يشبه النواح فى مناسبات الأحزان ، أو الألحان فى مناسبات الأفراح .

والغريب أن بعض المجتمعات القديمة كانت تدفن أمواتها ، وتحيطها بما تيسر من هذه الأصداف ، وأحياناً ما

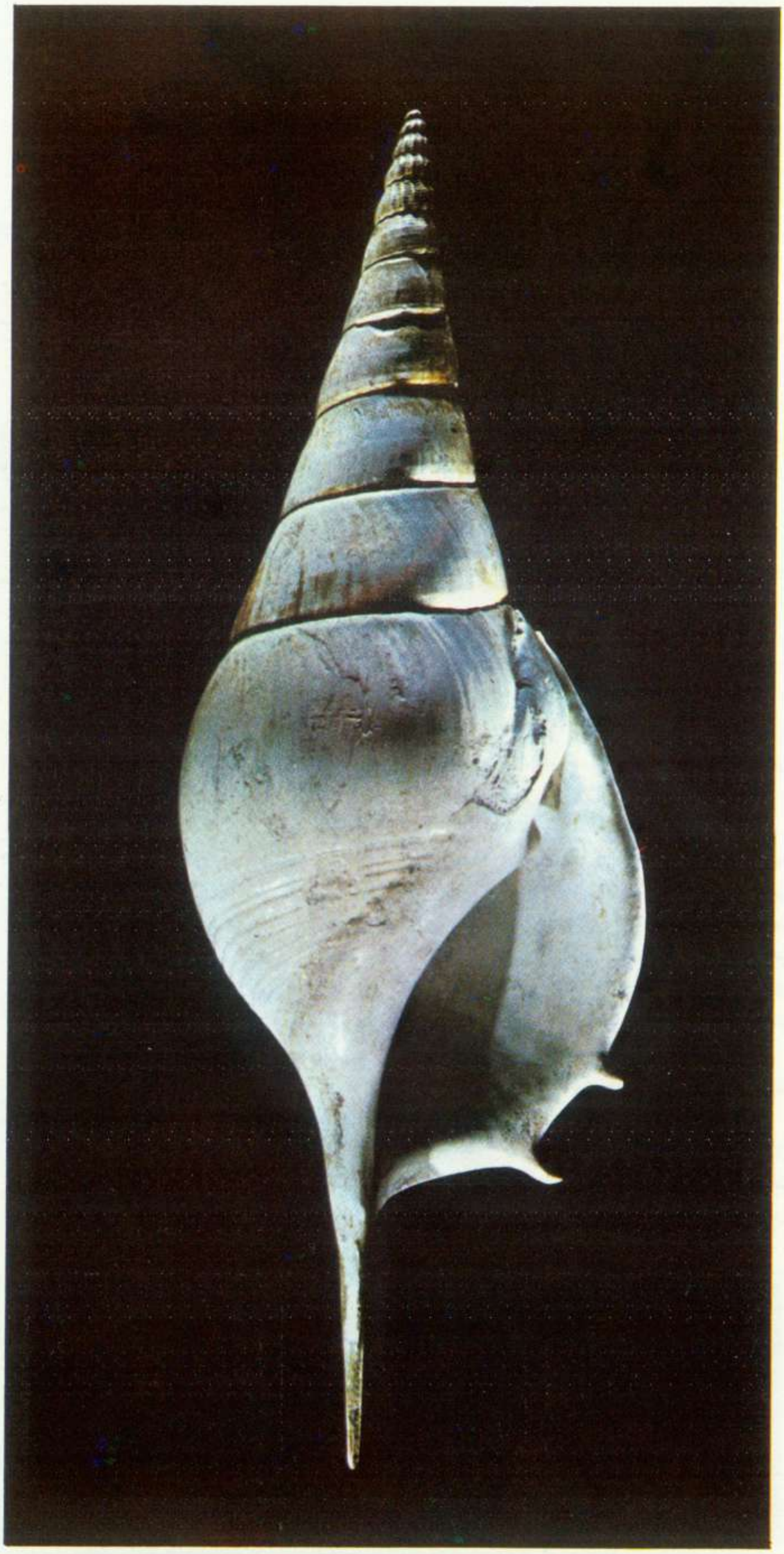
تضع فى عينى الميت صدفتين ، وعلى فمه صدفة أو أكثر .. فمن المخطوطات القديمة التى ظهرت فى الصين ، تبين أن نصيب الامبراطور الميت تسع ودعات توضع فى فمه ، ونصيب الأمير سبع ، وخمس فى فم الوزير ، وثلاث لموظف البلاط ، ولا شىء لعامة الناس ، بل كان نصيبهم حبات من الأرز بدلا من الودع ، وهذا يعنى أن الأصداف كانت بالنسبة لهم شيئاً مقدساً ، تماماً كما كانت الجعارين المقدسة عند الفراعنة تحتل فكرة وفلسفة خاصة .

تاريخ طويل

والذين نقبوا عن أصول الحياة القديمة ، واكتشفوها على هيئة حفريات كانت حصيلتهم من القواقع والأصداف أكبر من أية حفريات أخرى ، ومغزى هذا لا يخفى على لبيب ، ذلك أن القواقع صلبة البناء ، وهى لا تتحلل كما تتحلل أنسجة الكائنات سريعة البلى ، ولهذا وصلت الينا القواقع التى عاشت منذ زمن طويل بحالة سليمة ، وكأنما بعضها قد ظهر بالأمس فقط ، رغم أنه قد مر على دفنها فى باطن الأرض ملايين وعشرات الملايين من السنين .

ولقد ظهرت بشائر القواقع أول ما ظهرت منذ حوالى ٥٠٠ مليون عام ، أو أكثر قليلا ، وكانت نشأتها الأولى فى الماء ثم تنوعت وتأقلمت وتكيفت ببيئات أخرى جديدة ، فمنها ما يعيش فى البحار ومنها ما يسكن فى الأنهار ، ومنها ما هاجر الى الشواطىء ، ومنها ما زحف على اليابسة ليعيش فى الصحارى أو على المزارع أو فى الغابات .. ثم ان منها ما استساغه الانسان كطعام ، ومنها الطيب والسام .. ومن بعضها تستخرج اللالىء ذات الأشكال والألوان ، ومنها ما استخدمه الانسان فى السحر ، ومنها ما اختارته بعض المجتمعات والقبائل القديمة كعملة متداولة قبل أن تظهر العملة المعدنية .. وكل هذه مواضيع شائقة ومثيرة ، وقد نفرد لها دراسة أخرى مستقلة ، لنعلم ما لم نكن نعلم من أسرار هذا الكوكب المثير الزاخر بكل ما هو عجيب وغريب .

دكتور عبد المحسن صالح ـ الاسكندرية



تأملات إعلامية

المرأة .. إلى أين ؟

بقلم : محمد فتحي

قسمة بديعة تلك التى قسمها الخلاق بين رفيقي العمر .. الرجل والمرأة . وضع الحسن والحنان والرقة والوداعة فى جانب ، وفى الجانب المقابل وضع القوة والصلابة والقدرة على الحمل الثقيل وعلى التحمل . عليه الصيد والقنص والقتال ، وعليها السكن . فهي الملاذ ، منها السكينة ، وهي الحضن الدافىء ، والأنامل الناعمة التى تمسح العبرات . عليه سياسة الأمور والنطق باسم الزيجة ، ولها النصح والمشورة .

لاندرى أى أحداث مرت على مدى عشرات الآلاف من السنين ، من عمر الانسان على الأرض ، قلقلت هذا الوضع ، فجعلت فيه أعالي وأسافل ، رفعت هذا مرة ، وخفضته مرة أخرى . ثم حدث التنابذ ، وأعقبه تمرد .. لكن بغير تنافر أو قطيعة .. خفة ظل متناهية مذهلة ! لم ينقطع قط حبل المودة ! لم تتفكك عرى الألفة ! هي تريده وهو يريدها ، يلاحقها وتلاحقه ، يرغب فيها وترغب فيه .. لكن هذه نقرة وتلك نقرة أخرى .. هنا حب وهناك حقوق .

الذى تكشف عنه آثار الحضارات القديمة ، التى دون لها التاريخ أن المجتمع الانساني كان مجتمع رجال . الملوك رجال ، والمؤمرون على الجيوش رجال ، والكهان رجال ، والسحرة فى القبيلة رجال ، والمحاربون رجال ، ومنبع الحكمة رجال ، والزراع العزاق للارض رجال ، والكتاب رجال .

في حضارة مصر القديمة ، ربما دون غيرها من الحضارات ، فلتات تبرز فيها المرأة بروزاً وضاء . نرى امرأة ترتقي عرش الآلهة أسمها حتشبسوت . وتبهر عيوننا ــ نحن المحدثين ــ كما لا شك بهرت عيون الأقدمين أبهى تحفة متحفية عرفها التاريخ أسمها نفرتيتي . وفى الأسطورة الخالدة اوزيريس وإيزيس تتالق ايزيس رمزاً للسند والوفاء والبقاء على العهد .

فى العصور الحديثة دخل الانسان أتون الانصهار . حدثت القلقلة والاضطرابات والتفاعلات .. نشبت الحروب وانفجرت الثورات ، صناعية واجتماعية وسياسية ؛ وأدلت المرأة بدلوها ، شأنها شأن ضحايا الاقطاع والاستغلال ، والبرجوازية والعمال .. ولم لا ؟! تمردت ، ونادت بالتحرر من النير الغليظ ، نير الرجل ، وقادت المظاهرات وتصدت للسلطان المفروض وجاءت ثورة الاتصال من مطبعة ، وراديو فيما بعد ، ثم ثورة الانتقال ، فزادت النار اشتعالا . انتشرت العدوى ، وعمت الدعوة كل الامصار ، شرقيها وغربيها . وفازت المرأة فى نهاية الأمر بكل الحقوق التى تسوي بينها وبين السيد (الذى كان !) . حيث كان مجال عملها قاصراً على أبواب محددة .. وهي التعليم ، كمعلمات في رياض الأطفال ، والتمريض كممرضات ، وخدمة البيت كمربيات وطاهيات ومدبرات ، والسكرتارية كسكرتيرات انفتحت الآن الأبواب على مصراعيها أمام صاحبات

هدى شعراوى



صفية زغلول



نابليون بونابرت





لطفي السيد



طه حسين



قاسم أمين

العصمة ! الوزارة والنيابة والسفارة .. فاصبحن وزيرات ونائبات وسفيرات . وأصبحن مديرات وصاحبات أعمال أو نساء أعمال مثلهن مثل رجال الأعمال . وأصبحن كاهنات قسيسات . خمس عشرة منهن نصبن قسيسات فى الكنيسة البروتستانتية الانجليكية فى الولايات المتحدة منذ بضع سنوات ولعل عددهن الآن قد زاد . كندا هى الأخرى عينت نساء قساوسة . وفى المانيا تملك سيدة مصنعاً عملاقاً للصلب تبلغ مبيعاته السنوية ٢٥٠ مليون مارك وتدير موظفيها البالغ عددهم ١٢٠٠ . وتحكي احصاءات المانيا أيضاً أن امرأة أخرى تكاد تحتكر صناعة أجهزة الانذار ضد اللصوص . ومن الطريف أن المعلومة تضيف أن أكبر عملائها هو البابا ! وتحكي أن أين بوردا صاحبة مجلة البوردا الشهيرة والمترجمة الى كافة اللغات وصاحبة دار النشر الكبيرة تنشر سنوياً ٧٥ كتاباً فى الحياكة ونماذج التفصيل يبلغ عدد ما توزعه منها ٥٠ مليون نسخة تدر عليها ربحاً سنوياً قدره ١٥٠ مليون مارك .

ومع ذلك .. مع هذا الانجاز كله ، هل قنعت المرأة .. هل هي راضية عن وضعها تقول وزيرة فرنسية فى جمهورية فاليرى جيسكار ديستـــان : مكانة المرأة فى فرنسا كبيرة .. لكن في الأسرة والعلائق الشخصية . وفى الفنون كالرسم والكتابة . لكن قانون نابليون متحيز ضد المرأة إذ يعتبرهن ملكية الرجل . والدساتير سنت للرجال ، لا للنساء ، ومازال هذا التراث قائماً لم يمح بعد .

وتقول الوزيرة إن أعظم دافع لحقوق المرأة والذى أحدث ثورة نفسانية عميقة بين النساء فى العالم المتقدم هو البرشامة .. برشامة منع الحمل . لأول مرة فى التاريخ تسيطر المرأة ــ لا الرجل ــ وتتحكم فى ظاهرة الحمل . المرأة اليوم تستطيع أن تقول لا بالنسبة لموضوع الحمل . لم تعد أداة تفريخ يقتنيها الرجل لتنجب له الخلفاء والوراث وأولياء العهد ! .

وتقول أن معدل المواليد فى العالم الصناعي ينخفض عاماً بعد عام . وسبب ذلك ليس عدد النساء العاملات فعددهن النسبي فى فرنسا لم يزد فى هذا القرن عن قرن مضى .. إنما السبب فى ذلك هو البرشامة ! فعندما كن في الماضي يعملن فى الحقل والبيت أصبحن اليوم يعملن بنسبة كبيرة جدا فى المستويات العليا فى الصناعة والمهن .

وتستطرد الوزيرة الفرنسية فى جهدها النسوى فتقول :

إن خطى كبيرة قد تمت فى الولايات المتحدة وفرنسا والسويد لتحقيق المساواة ولكن الكثير مايزال عند التطبيق غير محقق . الطريق الى المساواة الحقة سياسيا واقتصادياً ونفسانياً ما يزال بعيداً .

عندنا ، فى بلادنا ، انطلقت أول دعوة لتحرير المرأة من فؤاد الرجل . نادى بها قاسم أمين . ولقى من أجلها ، من مجتمع الرجال ، وربما من نساء عصره أيضاً ، العنت والعسف والأذى . وتتابعت أصوات الرجال والنساء . هدى شعراوى وصفية زغلول ولطفي السيد وطه حسين وعلي ابراهيم . هؤلاء الرجال منحوها حق التعليم الجامعي بعد أن حققت نصيبها فى التعليم العام . حققوه فى وجه رجعية ضارية طويلة الأنياب والمخالب !

وفى مرحلتنا الحاضرة حققت المرأة ما لا مطمع فيه لمستزيد . قانون الأحوال الشخصية فى شئون الزواج والطلاق عدل لصالحها . حق التعليم العام والتعليم الجامعي بالمجان مقرر لها بالفرصة المتكافئة مع الرجل . الحقوق السياسية جميعها منحتها بغير جهاد .. فى النيابة والانتخاب والترشيح والتصويت . بل أنها فى ذلك ميزت عن الرجل فخصصت لها مقاعد فى المجالس التشريعية ، لا ينافسها فيها الرجال بينما تنافس هي الرجال فى كل المقاعد .

حق العمل مقرر لها هي والرجال سواء بسواء . منهن الوزيرة والسفيرة والمديرة ــ لم تتول القضاء بعد ــ ولكنها أيضاً لم تتول أعمال النجارة والحدادة والسباكة وميكانيكا السيارات لأنها هي لا تحب مثل هذه الأعمال اليدوية . منهن سائقات تاكسي ومنهن بائعات متجولات ، لشتى السلع .

فى الاسبوع الماضى كنت احاضر جمعاً من كبار الاذاعيين (راديو وتليفزيون) فى مبناهم . كان مجموعهم عشرة ومائة . المائة كن من النساء وعشرة هم الرجال . ورئيسة الاذاعة سيدة ورئيسة التليفزيون سيدة وعدد كبير من رؤساء القنوات المختلفة سيدات وسيدة ترأس دارا من دور النشر والصحف . فهل بعد ذلك مطمع لمستزيد ؟!

أحسب أن الآية الآن قد انقلبت ! لم يعد الشاكي من هضم الحقوق هو المرأة .. بل الرجل ! قدمت في انجلترا قضايا من رجال أمام المحاكم يشكو فيها رافعوها من تمييز ضدهم ؛ في حقهم في العمل في مؤسسات التمريض . الممرضة مطلوبة والممرض مرفوض ! ويشكو آخرون من حق يمنح لزميلات في العمل وهو امتياز أجازة الحمل والوضع . ماشأن الحمل والوضع بواجبات العمل حتى يميز النساء بمنح الاجازة الاضافية ؟! هكذا تقول دعواهم !

في مصـــر تمنح الزوجة العاملة حق مرافقة زوجها المعار للعمل فى الخارج وتحتسب لها علاواتها وترقياتها حتى تعود لمباشرة عملها .

هل انقلبت فعلا الآية ، وانعكس اتجاه الشكوى فلم نعد نسمع غير شكاوى الرجال ضد تميز المرأة على حسابهم وحساب مبدأ الفرصة المتكافئـــة ؟! .

محمـد فتحي

بالألوان

حكاية للأطفال

يمكن أن يقرأها الكبار

سجين الكوخ

بقلم : صلاح عبد السيد

كان يسكن على شاطىء البحر ، فى كوخ صغير من فروع الأشجار ، شيخ عجوز ، يدعى صابر .. وكان الشيخ صابر هذا ، يعيش مع زوجته صابرين ، وحدهما ، فى هذا الكوخ الصغير ..

كان الشيخ صابر .. يمتلك قطعة صغيرة من الأرض .. يزرعها بكافة الخضروات طول العام . وكانت زوجته صابرين ، تساعده فى عمله ، فتجمع معه الخضروات ، وتحملها الى سوق المدينة .. لتبيعها هناك ..

وكان الشيخ صابر .. بعد أن يفرغ من عمله فى زراعة الأرض ، يذهب الى البحر حاملا شبكته ، فيلقى بها فى الماء ، ثم يجذبها ، لتخرج من البحر ، محملة بالرزق الوفير من السمك .. فيأكل منه الشيخ صابر هو وزوجته ويحمدان الله على عطائه الوفير ..

كان الشيخ صابر .. يعيش مع زوجته صابرين .. عيشة هانئة سعيدة .. ولم يكن يقلقه .. غير أن زوجته صابرين .. لم تنجب له طفلا كما كان يتمنى ..

كان الشيخ صابر .. يدعو الله فى سره أن يرزقه طفلا يحفظ له ذكراه ويساعده فى شيخوخته ..

واستجاب الله لدعاء الشيخ صابر .. فحملت زوجته بعد أن ظلت سنين طويلة لا تنجب .. ورزقه الله بطفل جميل .. حسن المنظر .. أسماه حسن ..

أحس الشيخ صابر بسعادة بالغة هو وزوجته صابرين وأخذا يشكران الله ويحمدانه ليل نهار لأنه عوضهما جزاء صبرهما خيراً ..

كانت فرحتهما بطفلهما حسن .. فرحة كبيرة لا توصف ..

ولم يعد الشيخ صابر ، يخرج من كوخه كعادته كل صباح ليذهب الى حقله .. أو ليصيد السمك من البحر .. فى أوقات فراغه .. بل أصبح يقضى ساعات النهار والليل .. الى جوار طفله الصغير حسن .. ينظر اليه ويتأمل وجهه .. كأنه لا يصدق أن هذا الطفل قد جاء اليه .. وأصبح طفله .. بعد هذا العمر الطويل

اذا بكى حسن .. أسرع اليه الشيخ صابر والدموع فى عينيه

اذا ضحك حسن .. ضحك الشيخ صابر .. وضحكت الدنيا له .

اذا مرض حسن .. مرض الشيخ صابر .. ونام الى جواره .

كان الشيخ صابر .. يخاف على حسن خوفاً شديداً .. فهو طفله الوحيد .. الذى رزقه الله به .. بعد عمر طويل .

وكانت زوجة الشيخ صابر تفعل مثل زوجها تماماً ..

كان الشيخ صابر وزوجته صابرين على استعداد لتلبية كل ما يطلبه طفلهما حسن إلا شيئاً واحداً .. وهو خروجه من الكوخ ..

لقد قررا ألا يخرج حسن من الكوخ على الاطلاق ..

كان حسن ينظر من شباك الكوخ فيرى الأطفال الصغار يلعبون ويمرحون فى



الخارج .. بينما هو محبوس داخل الكوخ .. فيسأل والده : لماذا لا تتركنى أخرج وألعب مثل بقية الأولاد يا والدى ؟

وكان والده يجيبه قائلا : لأننى أحبك يا حسن .

فيعود حسن يسأل والده : وهل الذى يحب طفله يحبسه فى الكوخ يا والدى ؟

وكان والده يجيبه : إننى أخاف عليك يا حسن من حرارة الشمس .. ومن برودة الجو .. ومن الحشرات .. ومن الحيوانات .. ومن البحر ..

فيعود حسن يسأل والده : وهؤلاء الأطفال الذين يلعبون يا والدى .. لماذا لا يخاف عليهم أحد من حرارة الشمس ومن برودة الجو ومن الحشرات ومن الحيوانات ومن البحر ؟

ولم يكن الشيخ صابر يستطيع الاجابة على طفله حسن ..

كان يكتفى بأن يقول له : يا حسن .. اطلب منى كل ما تريد .. وأنا أحضره لك هنا .. إلا أن تخرج من هذا الكوخ ..

وذات يوم ، قال حسن لوالده : لا أريد أن ألعب مثل بقية الأطفال يا والدى .

قال له والده : سأحضر لك حسان .. ابن جارنا .. ليلعب معك هنا فى هذا الكوخ ..

وذهب الشيخ صابر الى جاره .. فأحضر طفله الصغير حسان ليلعب مع طفله حسن فى الكوخ ..

وقف حسان الى جوار حسن فى الكوخ .. ينظر اليه فى حيرة .. لا يعرف ماذا يلعب ..

سأله حسن قائلا : لماذا لا تلعب معى يا حسان ؟

قال حسان : وماذا نلعب يا حسن ؟

قال حسن : تلعب معى كما تلعب مع الأطفال فى الخارج .

قال حسان : ولكننا فى الخارج نجرى ونسابق بعضنا بعضاً ..

قال حسن : إذن هيا نجرى فى الكوخ ونتسابق سوياً .

قال حسان : الكوخ صغير وضيق يا حسن ولا نستطيع أن نجرى فيه ونتسابق .

قال حسن : وماذا تلعبون أيضاً غير لعبة الجرى والتسابق ؟

قال حسان : نتسلق أشجار التوت ونأكل من ثمارها .

قال حسن : لكن ليس هنا فى الكوخ أشجار توت .. فماذا تلعبون غير لعبة تسلق أشجار التوت ؟

قال حسان : نصيد السمك بالسنارة من البحر .

قال حسن : لكن ليس هنا فى الكوخ بحر .. حتى نصيد السمك منه .. فماذا تلعبون غير لعبة صيد السمك من البحر ؟

قال حسان : نجرى وراء الفراشات الملونة .. محاولين الامساك بها ..

قال حسن : لكن ليس هنا فى الكوخ فراشات ملونة لنجرى وراءها .. فماذا تلعبون غير لعبة الجرى وراء الفراشات الملونة ؟

قال حسان : لا شىء .. لقد ذكرت لك كل الألعاب التى نلعبها .

قال حسن : وماذا سنلعب إذن يا حسان ؟

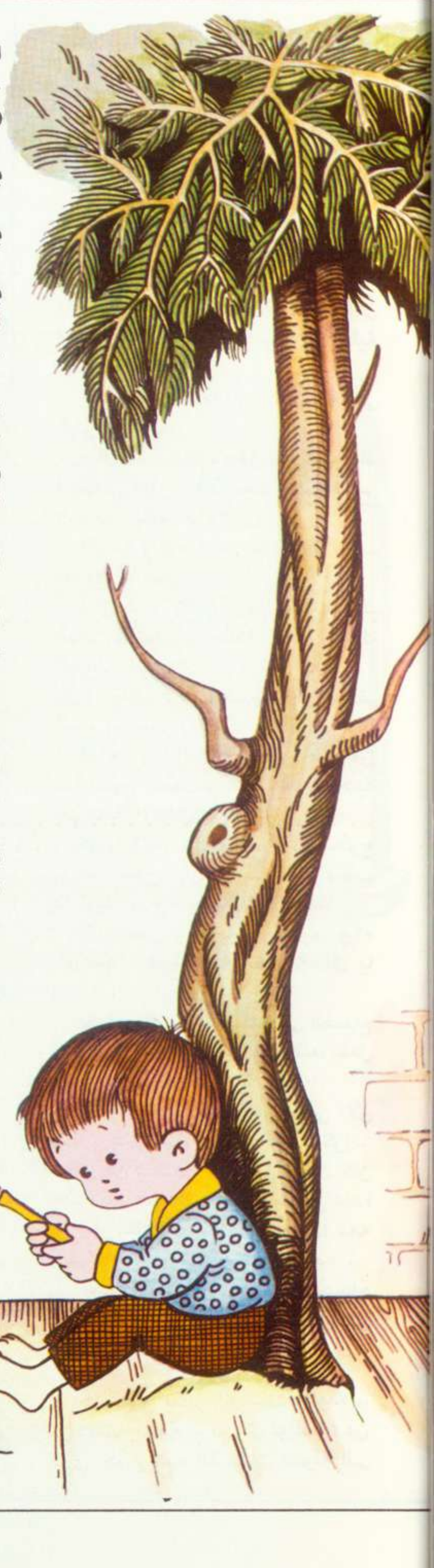
قال حسان : هيا نخرج من هذا الكوخ لنلعب مثل بقية الأطفال فى الخارج ..

وأشار حسان بيده من شباك الكوخ .. على الأطفال الصغار .. الذين يتسلقون أشجار التوت ..

قال حسن : ان والدى يرفض أن أخرج من هذا الكوخ .

قال حسان : وأنا لا أستطيع أن ألعب هذا الكوخ .

وأسرع حسان خارجاً .. تاركاً حسن ه فى الكوخ ..



جلس حسن حزيناً .. ينظر من شباك الكوخ للأطفال الصغار وهم يتسلقون أشجار التوت ويأكلون من ثمارها ..

سأله والده : لماذا تبدو حزينـــاً يا حسن ؟

قال حسن : لقد تركنى حسان يا والدى وذهب يلعب مع الأطفال فى الخارج ..

سأله والده : وماذا يلعب حسان مع الأطفال فى الخارج ؟

قال حسن : انهم يتسلقون أشجار التوت ويأكلون من ثمارها يا والدى ..

قال له والده : سأجعلك فى الصباح تتسلق أشجار التوت مثلهم يا حسن ..

لم يصدق حسن ما سمعه من والده فأخذ يسأله : هل ستتركنى أتسلق أشجار التوت حقاً مثل الأطفال يا والدى؟

قال له والده مؤكداً : نعم يا حسن .. ستتسلق أشجار التوت فى الصباح .. وعليك الآن أن تذهب الى فراشك لتنام .. حتى تصحو مبكراً ..

فرح حسن فرحاً شديداً .. وأسرع الى فراشه .. واستغرق فى نوم سعيد ..

أثناء نوم حسن .. أسرع والده الى حقله .. فاقتلع شجرة توت من هناك .. وحملها معه الى الكوخ .. وحفر حفرة لها فى منتصف الكوخ .. ووضع الشجرة فى الحفرة ..

استيقظ حسن من نومه فى الصباح الباكر .. فوجد شجرة توت فى منتصف الكوخ ..

أخذ حسن ينظر الى شجرة التوت .. فى دهشة بالغة .. وقال لوالده : من الذى جاء بهذه الشجرة الى الكوخ يا والدى ؟

قال له والده : لقد سمعتك شجرة التوت وأنت تطلب أن تتسلقها وتأكل من ثمارها فجاءت اليك من تلقاء نفسها ..

أسرع حسن يتسلق شجرة التوت فرحاً .. ضاحكاً .. وأخذ يأكل من ثمارها .. وهو يقول لوالده : إن طعم التوت حلو يا والدى .. إننى لن أنزل من فوق هذه الشجرة إلا بعد أن أشبع تماماً ..

كان الشيخ صابر ينظر لحسن وهو فوق شجرة التوت ، فى سعادة وهو يقول لنفسه : «لقد استطعت أن أجعله يتسلق شجرة التوت ويأكل من ثمارها مثل بقية الأطفال» .

بعد يومين أخذت شجرة التوت فى الذبول .. فاصفرت أوراقها .. وتساقطت ثمارها ..



سأل حسن والده وهو ينظر لشجرة التوت فى حزن : لماذا ذبلت شجرة التوت يا والدى وتساقطت ثمارها ؟

قال له والده : لقد ذبلت شجرة التوت وتساقطت ثمارها بلا سبب معروف يا حسن ..

قال حسن : وهل ذبلت أشجار التوت وتساقطت ثمارها فى الخارج يا والدى ؟

قال له والده : لا يا حسن .. لم تذبل أشجار التوت فى الخارج .. ولم يتساقط ثمارها ..

قال حسن : إذن .. أريد أن أخرج من هذا الكوخ .. لأتسلق أشجار التوت فى الخارج ..

قال له والده : لا يا حسن .. لن تخرج من هذا الكوخ .. ان باستطاعتك أن تطلب ما تريد .. وأنا أحضره لك هنا ..

قال حسن : أريد أن أصيد السمك بالسنارة مثل الأطفال يا والدى .

قال له والده : سأجعلك فى الصباح تصيد السمك بالسنارة يا حسن ..

قال حسن فى فرحة : سأذهب الى فراشى الآن لأنام .. حتى أصحو مبكراً ..

أثناء نوم حسن .. أسرع والده .. فبنى حوضاً كبيراً فى وسط الكوخ .. وملأه بماء البحر حتى آخره .. ثم ذهب الى البحر حاملا شبكته .. فاصطاد بعض الأسماك بها .. وعاد بهذه الأسماك الى الكوخ .. فوضعها فى الحوض الكبير ..

استيقظ حسن من نومه فى الصباح الباكر .. فوجد أسماكاً تعوم فى الحوض الكبير ..

أخذ حسن .. ينظر للأسماك وهى تعوم فى الحوض الكبير .. فى دهشة بالغة .. ثم قال لوالده : من الذى أحضر هذه الأسماك ووضعها فى هذا الحوض يا والدى ؟

قال له والده : لقد سمعك البحر وأنت تطلب أن تصيد السمك منه .. فأرسل اليك هذا السمك فى هذا الحوض .. لتصيده بالسنارة مثل بقية الأطفال ..

أسرع حسن يمد سنارته الى الحوض الكبير .. ليصيد السمك منه ..فى فرحة بالغة .. بينما صابر ينظر له فى سعادة وهو يقول لنفسه «لقد استطعت أن أجعله يصيد السمك بالسنارة مثل بقية الأطفال» .

بعد يومين .. ماتت كل الأسماك فى الحوض الكبير ..

سأل حسن والده وهو ينظر للأسماك الميتة فى حزن : لماذا ماتت الأسماك فى الحوض الكبير يا والدى ؟

قال له والده : لقد ماتت بلا سبب معروف يا حسن .

سأل حسن والده : وهل ماتت أسماك البحر يا والدى مثلما ماتت أسماك الحوض الكبير؟

قال له والده : لا يا حسن .. ان أسماك البحر لم تمت .. ..

قال حسن : إذن .. أريد أن أخرج من هذا الكوخ لأصيد من البحر أسماكاً حية مثل بقية الأطفال ..

قال له والده : لا يا حسن .. لن تخرج من هذا الكوخ .. ان باستطاعتك أن تطلب ما تريد .. وأنا أحضره لك هنا ..

قال حسن : أريد أن أجرى وراء الفراشات الملونة كما يفعل الأطفال يا وألدى .

قال له والده : سأجعلك فى الصباح تجرى وراء الفراشات الملونة مثلما يفعل الأطفال يا حسن ..

قال حسن : سأذهب الى فراشى الآن لأنام .. حتى أستطيع أن أصحو مبكراً ..

قبل أن يستيقظ حسن من نومه .. كان والده قد ذهب الى حقله .. فجمع عدداً من الفراشات الملونة .. وأحضرها معه الى الكوخ .. وتركها تطيـــر فيه ..

استيقظ حسن من نومه .. فى الصباح فوجد الفراشات الملونة تطير أمامه فى الكوخ ..

أخذ حسن ينظر للفراشات الملونة .. فى دهشة بالغة .. ثم قال لوالده : من الذى أحضر هذه الفراشات الملونة الى

الكوخ يا والدى ؟

قال له والده : لقد سمعتك الفراشات وأنت تطلب أن تجرى وراءها مثل بقية الأطفال فجاءت اليك من تلقاء نفسها ..

أسرع حسن يجرى وراء الفراشات الملونة فى سعادة .. محاولا الامساك بها وهو يقول لوالده : اننى سأظل ألعب مع الفراشات الملونة طول الليل والنهار يا والدى .



كان الشيخ صابر ينظر لحسن .. وهو يجرى وراء الفراشات الملونة .. فى سعادة .. وهو يقول لنفسه «لقد استطعت أن أجعله يجرى وراء الفراشات الملونة مثل بقية الأطفال» .

بعد يومين .. كفت الفراشات عن الطيران .. وتوقفت عن اللعب مع حسن

قال حسن لوالده وهو ينظر الى الفراشات الملونة فى حزن : لماذا توقفت الفراشات الملونة عن الطيران واللعب يا والدى ؟

قال له والده : لقد توقفت الفراشات الملونة عن الطيران واللعب بلا سبب معروف يا حسن ..

قال حسن : وهل الفراشات الملونة فى الخارج توقفت عن الطيران واللعب هى الأخرى يا والدى ؟

قال له والده : لا يا حسن .. ان الفراشات الملونة فى الخارج لم تتوقف عن الطيران واللعب ..

قال حسن : إذن .. أريد أن أخرج من هذا الكوخ لألعب مع الفراشات الملونة فى الخارج .

قال له والده : لا يا حسن .. لن تخرج من هذا الكوخ .. ان باستطاعتك أن تطلب ما تريد .. وأنا أحضره لك هنا ..

قال حسن فى حزن : لم أعد أريد شيئاً يا والدى ..

قال له والده : ولماذا لا تريد شيئاً يا حسن ؟

قال حسن : لأن كل الأشياء التى جاءت الى هذا الكوخ ذبلت بلا سبب معروف .. وأخاف أن أطلب شيئاً آخر .. فيذبل يا والدى ..

قال له والده : بل أطلب ما تريد .. ولا تخشى شيئاً ..

قال حسن : أريد أن أسألك سؤالا واحداً يا والدى ..

قال له والده : اسأل يا حسن .. فانا أستمع اليك ..

قال حسن : لماذا تذبل الأشياء فى الكوخ .. ولا تذبل فى الخارج يا والدى ؟

قال له والده : انها تذبل بلا سبب معروف يا حسن ..

قال حسن فى حزن : اننى أخشى أن أذبل أنا الآخر بلا سبب معروف يا والدى ..

فى اليوم التالى .. لم يستيقظ حسن مبكراً كعادته .. بل ظل ممداً فى فراشه .. لا يرغب فى مغادرته ..

سأله والده : لماذا لم تستيقظ مبكراً كعادتك يا حسن ؟

قال حسن : ليست عندى رغبة للاستيقاظ مبكراً يا والدى .

قال والده فى خوف : ما بك يا حسن .. هل تحس ألماً ؟

قال حسن : لا يا والدى .. اننى لا أحس بأى ألم ..

وظل حسن نائماً .. لا يغادر فراشه .. حتى هزل جسده .. واصفر وجهه .. وذبلت ضحكته .. ولم يعد يقدر على الكلام ..

احتار الشيخ صابر فى أمر حسن .. وكذلك احتارت زوجته .. وأصيبا بحزن شديد .. وهما يريان طفلهما الوحيد حسن مريضاً .. هزيلا .. شاحباً .. لا يقوى على الكلام ..

جلست والدة حسن الى جوار سرير طفلها .. تنظر اليه والدموع تسيل على خديها .. وهى تسأل نفسها «إن حسن يأكل أفضل الطعام .. ويشرب أجود

الشراب .. ويلبس أجمل الثياب .. فما الذى يجعله يبدو حزيناً .. ولماذا أصبح هكذا .. هزيلا شاحباً .. لماذا يذبل على هذه الصورة ؟»

جلس الشيخ صابر فى حقله .. حزيناً .. باكياً .. وقد أسند ظهره الى شجرة توت .. وهو يسأل نفسه .. «إن حسن يعيش مرتاحاً .. منعماً .. لا يتعب نفسه مثل بقية الأطفال فى عمل شىء .. وكل مطالبه مجابة .. فما الذى يجعله يبدو حزيناً .. ولماذا أصبح هكذا .. لماذا يذبل على هذه الصورة ؟»

هزت شجرة التوت أوراقها ومالت بأغصانها حتى لامست رأس الشيخ صابر ثم قالت له : ان ابنك مثل الشجرة تماماً أيها الشيخ .. هل تتذكر شجرة التوت التى اقتلعتها من مكانها وزرعتها داخل الكوخ .. لكي يتسلقها طفلك حسن .. هل تعرف لماذا اصفرت أوراقها .. وتساقطت ثمارها .. ؟!؟

لقد اصفرت أوراقها .. وتساقطت ثمارها لأنها زرعت فى غير مكانها .. وكذلك طفلك .. اصفر وذبل .. لأنه وضع فى غير مكانه .

قال الشيخ صابر : ولكننى أوفر لطفلى أفضل الطعام وأجود الشراب ..

قالت شجرة التوت : ان طفلك يحتاج بجانب الغذاء .. الى الشمس والهواء .. واللعب .. فلا تزرع ابنك داخل الكوخ .. وإلا ذبل مثل شجرة التوت ..

وسكتت شجرة التوت ورفعت أغصانها عن رأس الشيخ صابر ..

أخذ الشيخ صابر يفكر فيما قالته شجرة التوت .. ويتدبر فى معناه .. وأثناء ذلك وقفت على كتفه .. فراشة ملونة ..

رفرفت الفراشة الملونة بجناحيها .. واقتربت من أذن الشيخ صابر .. ثم همست له : كيف حال طفلك حسن ؟

التفت الشيخ صابر فى دهشة .. ناحية الفراشة الملونة ثم قال لها : هل تعرفين طفلى حسن أيتها الفراشة الملونة ؟

قالت الفراشة الملونة : نعم أعرفه .. لقد أخذتنى ذات يوم .. مع عدد من الفراشات الملونة الى كوخك .. وحبستنا فيه .. ليجرى وراءنا طفلك حسن ..

قال الشيخ صابر فى حزن : ان حسن مريض .. ذابل .. لم يعد يستطيع مغادرة الفراش ..

قالت الفراشة الملونة : وهكذا كنا .. حين حبستنا فى الكوخ .. ان طفلك الصغير مثل الفراشة الملونة تماماً أيها الشيخ .. فدع طفلك الصغير يطير خارجاً من هذا الكوخ حتى لا يذبل ..

ثم تركته الفراشة الملونة وطارت ..

أسرع الشيخ صابر ذاهباً الى كوخه .. فوجد طفله حسن .. نائماً فى فراشه .. فاقترب منه .. وربت عليه .. قائلا له : هيا يا حسن .. قم من فراشك .. لتخرج من هذا الكوخ ..

قال حسن بصوت ضعيف : الى أين يا والدى ؟

قال له والده : لقد سألت عليك شجرة التوت .. والفراشة ..

وأمسك الشيخ صابر يد طفله الصغير حسن .. وأسرع خارجاً من الكوخ ..

مر حسن على شجرة التوت .. وأخذ ينظر لها فى فرحة .. وهو يقول لوالده : ما أجمل شجرة التوت يا والدى .. اننى احب ثمار التوت كثيراً يا والدى ..

سمعت شجرة التوت كلام حسن .. وتأثرت به .. فأحبته هى الأخرى .. ومالت ناحيته بفروعها .. لكى يأكل من ثمار التوت ..

مر حسن على الفراشات الملونة .. فأخذ ينظر لها فى فرحة .. وهو يقول لوالده : ما أجمل هذه الفراشات الملونة يا والدى .. اننى أحب هذه الفراشات الملونة كثيراً يا والدى ..

سمعت الفراشات الملونة كلام حسن .. وتأثرت به .. فأحبته هى الأخرى .. وأخذت تطير حواليه .. وتقف على كتفيه .. وتقبل وجنتيه ..

أحس حسن بالدماء تسرى فى عروقه .. وبالصحة تعود اليه .. فأخذ يجرى وسط الزهور .. ويسابق الفراشات الملونة

وأحس حسن أنه يريد أن يغنى .. ويزقزق مثل العصافير .. فرفع صوته بالغناء والزقزقة ..

سمع الأطفال الصغار غناء حسن .. فأسرعوا اليه .. مرحبين .. فرحين لمقدمه .. وأخذوا يغنون معه .. ويزقزقون مثله .

قال حسن للأطفال الصغار : هيا بنا نجرى ونسابق بعضنا .. بعضاً ..

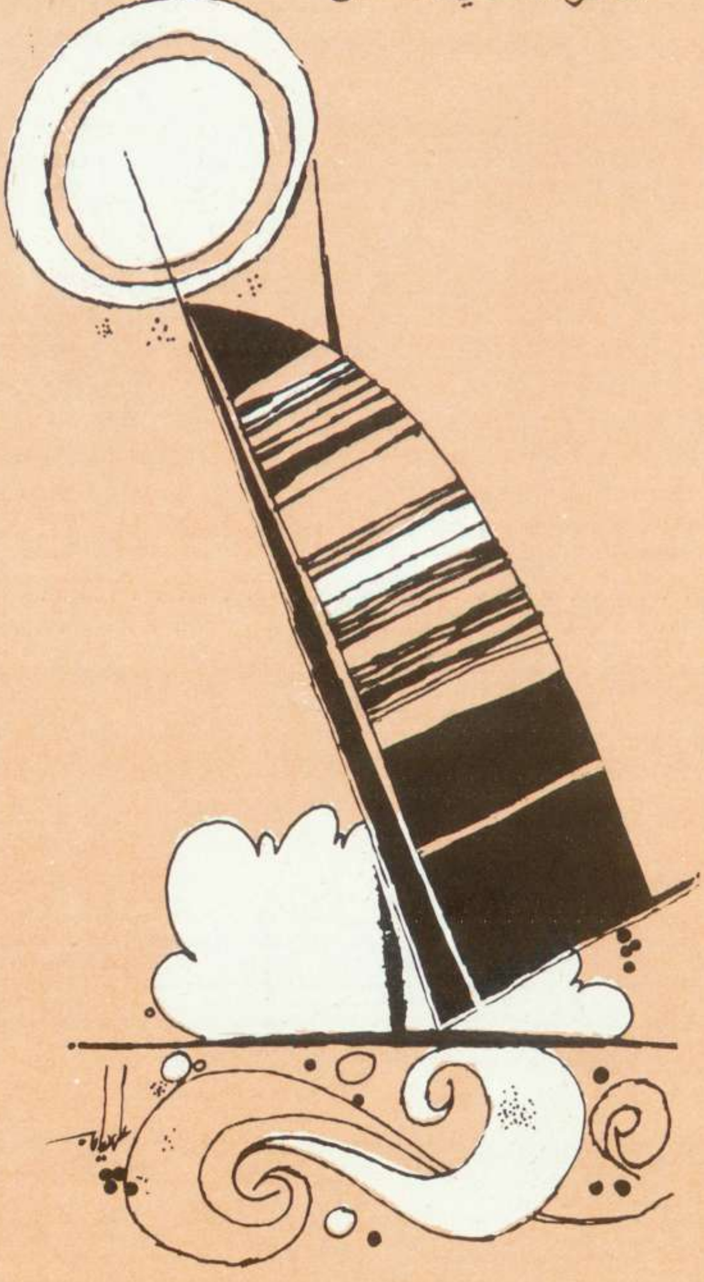
وأسرع الأطفال الصغار .. ومعهم حسن .. يجرون .. ويتسابقون .. والفراشات الملونة ترفرف حواليهم .. والعصافير تزقزق على رؤوسهم .. والضحكات السعيدة تسبقهم .. وتملأ المكان بالبهجة والفرحة .. ،



صلاح عبد السيد

شاطئ الأحلام

شعر: علي الفقي



أين يا شاطئ أيام كأحلام العذارى
وليال كم قضيناها طوالا وقصارا
ومجال كل ما فيها من الأنس توارى
حلم رفرف حولينا زماناً ثم طارا
فافتقدناه ولم نبرح مع الدمع حيارى

●●●

أين ياشاطئ احلام تراءت لعيوني
وليال جمعت فى حسنها شتى الفنون
ومجال لم تزل أطيافها ملء جفوني
وخيالات إذا ما سرت ما تنفك دوني
كلما مرت هفا روحي ولم تهدأ شجوني

●●●

كم لنا جلسة فوقك والأمواج تجرى
وشراع الحب والأحلام خلف الموج يسري
منظر بالحسن والسحر وبالفتنة يغرى
سكنت من حولنا الدنيا فان بحنا بسر
ضمه الليل كما ضم جراح الحب صدري

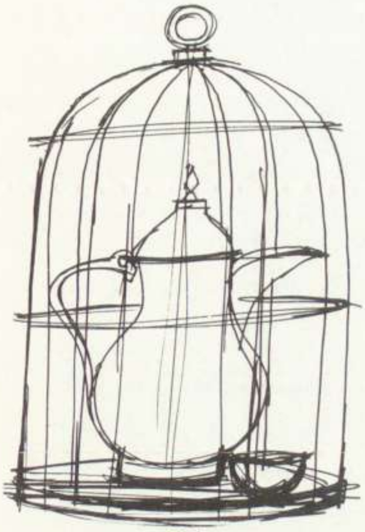
●●●

وسما الحب بروحينا الى دنيا الخيال
عند واد عبقري الحسن مرموق الجمال
فاض بالروعة والنور وبالسحر الحلال
فاذا نحن تربعنا على عرش الكمال !
وإذا الدنيا كما ننشد والدهر موال
وانتبهنا بعد ما أسرى بنا الحب وطارا
فى سماء ضل فى أبراجها قلبي وحارا
غشيتها أنفس ظمآى وارواح سكارى
فاذا الفجر بدا للعين والليل توارى
وإذا نحن على الشاطيء كالأمس حيارى

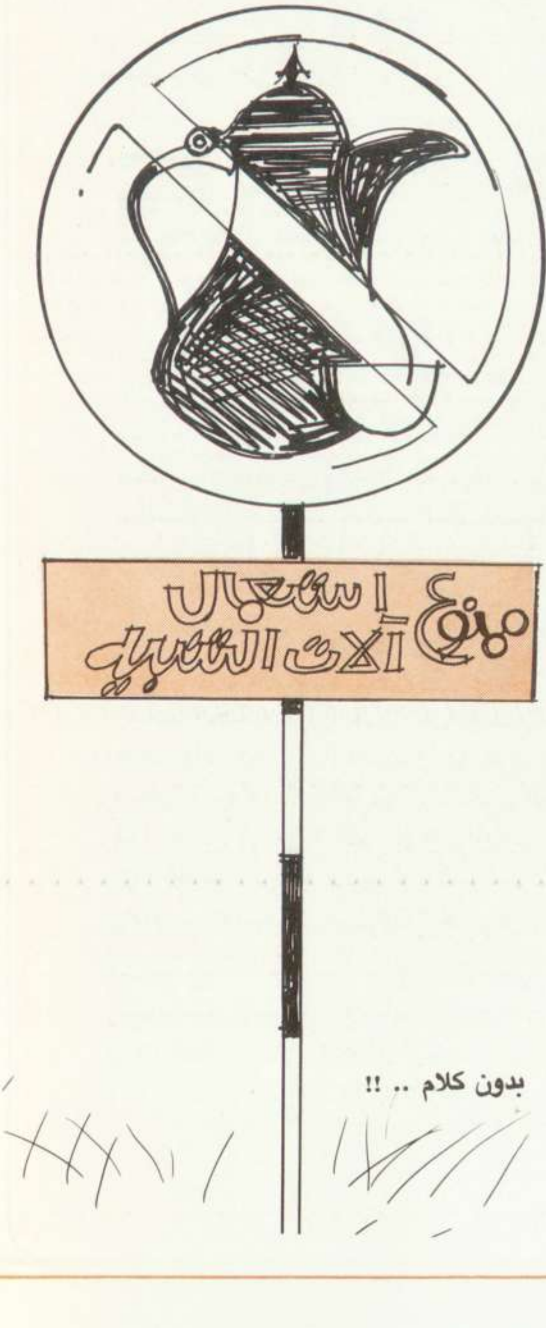
ضحكات الشهر



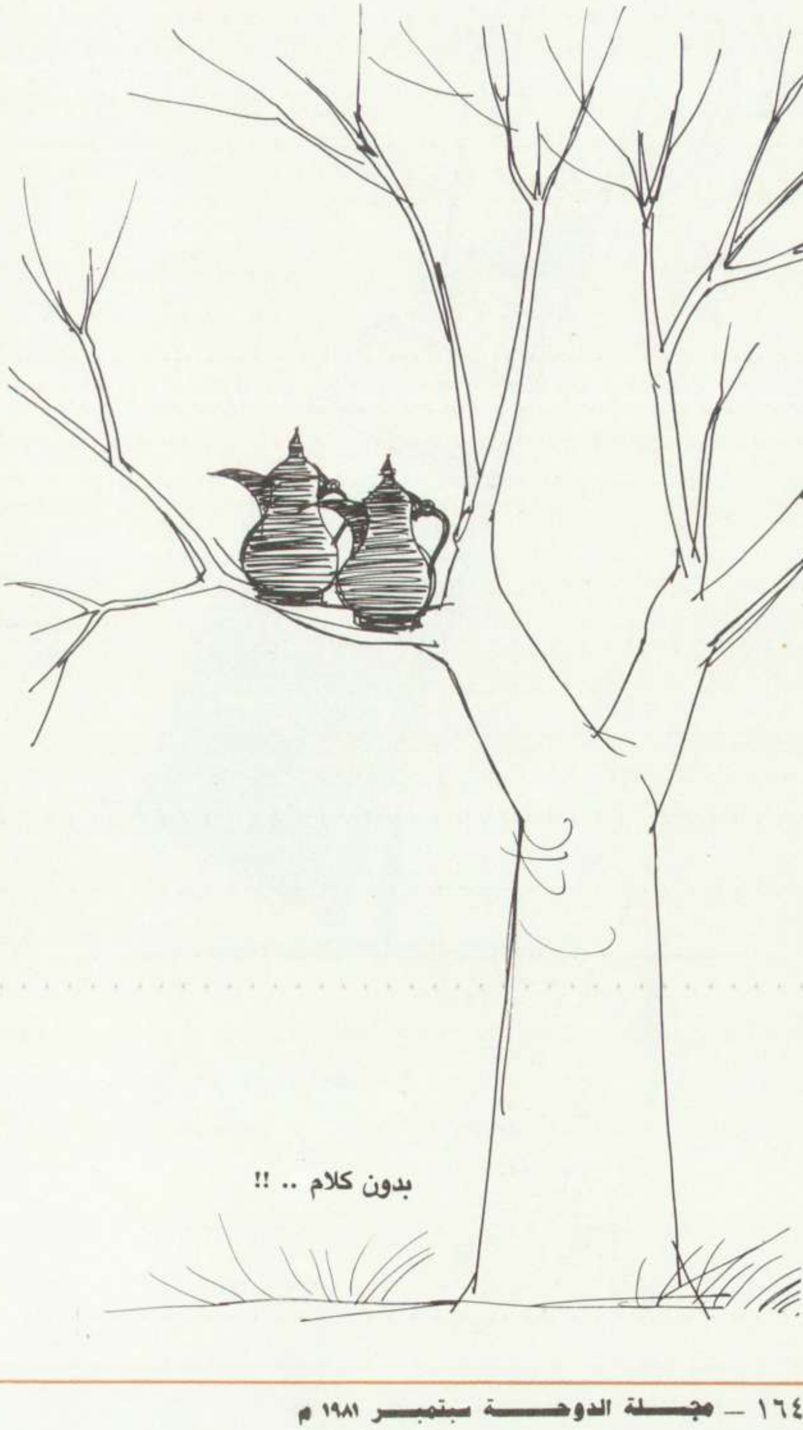
القهوة ...



بدون كلام .. !!



بدون كلام .. !!



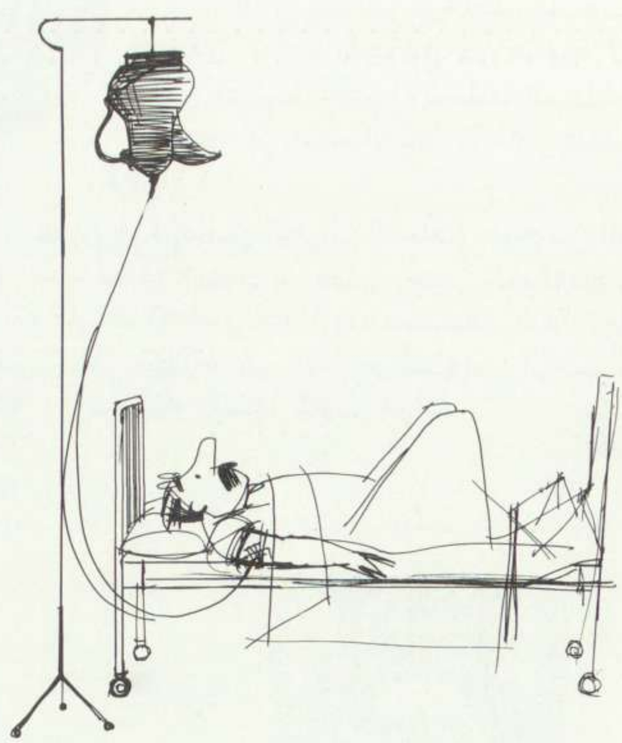
بدون كلام .. !!



بدون كلام .. !!



بدون كلام .. !!



نقل قهوة !!

نجيب الريحاني

أكبر فنان ضاحك في المسرح العربي

بقلم: حسين عثمان



نجيب الريحاني هو ذلك الفنان العربي صاحب الموهبة الرائعة التى طالما أضحكتنا وأبكتنا فى نفس الوقت .. فهو يملك قدرة مدهشة على الجمع بين بواعث الضحك والبكاء، فمسرحياته ليست ضحكاً خالصاً ولكنها ضحك تتخلله لحظات من الحزن الرقيق الشفاف الذى يكشف كل السلبيات ويسخر من عيوب المجتمع فى صورة لاذعة تذكرنا بالقيم الانسانية النبيلة التى يجب أن نتمسك بها أثناء رحلتنا فى الحياة !

● إن هذا الفنان العربي الساحر خرج من الدنيا فيما يشبه المفاجأة، فمات بحمى التيفوئيد رغم أنه كان قد تحصن منها. ولم يمت بالذبحة الصدرية التى كانت تهدده فى الخمس سنوات الأخيرة من حياته، وفاجأته أزمتها ثلاث مرات .

كان شارلى شابلن ممثله المفضل



الفنان العربى
صاحب الموهبة الرائعة :
نجيب الريحانى

وقد مات بعد أن ابتسمت له الدنيا ، وبدأ يحلم بالتمتع بمناعم العيش الرغيد في (القصر) الذى كاد أن ينتهي من بنائه ، وقد تحول الآن الى قصر من قصور الثقافة .. وهكذا مضى الممثل الساخر الى العالم الآخر ، وهو على أتم ما يكون ارتباطا بالدنيا أملا وعملا إيجابياً ، وكأن الدنيا قد حلا لها أن تثأر منه ، وهو الذى عاش حياته يسخر منها سواء فى حياته الخاصة أو العامة ... !

ألوان مسرحية جديدة

لقد عاش الريحاني بالمفاجأة .. وعلى المفاجأة ..

فاجأ اسرته يوم ترك وظيفته الكتابية في شركة السكر ذات المرتب المضمون ، والمستقبل الباسم ، ليحترف التمثيل استجابة لهوايته الفنية التى لا تضمن له ما يكفيه ليوم واحد من ضرورات الحياة .. ثم فاجأ الناس بنوع جديد من المسرحيات والأداء التمثيلي المرتجل ، وأطلق عليه « الفرانكو آراب » وقد ترك هذا النوع من التمثيل فى نفوس الجمهور على غير انتظار ، فأقبل على مسرحه اقبالا لا مثيل له وتدفق على أثره المال على جيوبه بغير حساب ولا عد ، ولكن شاءت الظروف أن يتوقف هذا اللون من التمثيل ، ولكن الريحاني ظل على ما كان عليه ينفق بسخاء ، ويشبع من ملذات الدنيا ، حتى أتى على كل ما كان يملك من المال ، وعاد الى أيام الفقر والضيق والبحث عما يسد رمقه .. ثم خرج بعد ذلك على الناس بهذا اللون الجديد من المسرحيات التى تدور موضوعاتها كلها حول شخصية واحدة منتزعة من صميم المجتمع المصري ، وهي شخصية « العمدة » الذى يهبط القاهرة من الريف بحثاً عن المتعة وحياة الترف بعد أن بهرته أضواء المدينة الحديثة ... إنه « كشكش بك » عمدة كفر البلاص وهو يتبختر في لباسه الاقليمي الزاهي وبلحيته وعمامته ... ثم تجرى على لسانه ألذع النكات ، وهو يتناول أهم ما يشغل الشعب فى الحياة الخاصة والعامة .. وكان هذا اللون مفاجآته الكبرى التى جاءت نتيجة احساسه بتعطش الجمهور الى مطالعة كل ما هو مصري فوق المسرح ، بعد أن مل ما كان ينقل إليه ، من الروايات المترجمة أو المقتبسة ، وكان الشعب المصري يميل فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩م ، إلى أن يسمع أصداء نفسه ، في كل ما يقع عليه حسه !

الفنان نجيب الريحانى مع حسين رياض وروحية خالد فى فيلم سلامة فى خير



الحزن في حياته

ورغم أن نجيب الريحاني كان ممثلا كوميدياً ناجحاً ، إن لم يكن أنجح ممثل كوميدى ، إلا أنه كان يحب الدراما ، وكان يتمنى أن يمثل أدوار التراجيدى فى المسرحيات الجادة .

وكان على قدر مرحه وفكاهاته يعاوده الحزن في فترات متقطعة بسبب مأساة أصغر أخوته واسمه (جورج الريحاني) الذى اختفى سنوات طويلة دون أن يعرف أحد عنه خبراً أو ذكرا ، وقد ظل سبب اختفائه حتى مات نجيب الريحاني – ولا يزال أيضاً – لغزاً غامضاً ، تكتنفه الاشاعات ، فمن قائل أنه أسلم وانضم الى إحدى الجماعات الصوفية ، ومن قائل أنه ترهب واعتكف فى أحد الأديرة .

ويفسر المقربون من نجيب الريحاني سر ميله الى الدراما وحبه الى التمثيل المأسوي الى حزنه على شقيقه الذى اختفى !

وقد حاول الريحاني في فترات مختلفة من بداية حياته أن يمثل فى المسرحيات الدرامية ولكنه كان لا يلقى تجاوباً من الجمهور ، وكان اتجاهه الى الدراما يكلفه نفقات باهظة ، فكان يستدين من أجل تكوين فرقة يمثل فيها المسرحيات الدرامية ، وكلما ظهر على المسرح رأى الدائنين ينتظرون الحصول على أموالهم فكان هذا المشهد يسبب له ارتباكات متوالية ، هذا الى جانب تهكم النقاد وسخرية الصحافة منه كممثل دراما ، وكان الريحاني يعتقد أن زميله يوسف وهبى وراء هذه الحملات الصحفية !

وقد أجبره الجمهور على ترك الدراما ، فقد كان الجمهور يراه ممثلا كوميدياً بالسليقة ، والحق أنه حتى فى تعبيراته وإيماءاته وحركاته كان فكهاً غير متكلف كانت الفكاهة في دمه ، وكان الممثل المفضل عنده هو شارلي شابلن الذى كان يعتبره فيلسوف الفن ، والواقع أن كلاهما كانا فيلسوفين .. وكانت فلسفة الضحك عندهما تهدف الى علاج العيوب بابرازها فى شكل يجعل المتفرج يضحك منها ويسخر ، ومع ذلك فقد كان لا يفتأ يعاوده الحنين الى الدراما كلما تذكر شقيقه الغائب ، فلما كتب عليه أن لا يمارس هذا اللون من التمثيل ، كان



الريحاني أثناء « بروفات » مسرحية (ما حدش واخد منها حاجة) وإلى جواره ماري منيب وعبد الفتاح القصري وبعض أفراد الفرقة

يرضي ميله هذا بتغذية مسرحياته الفكاهية بالكثير من المواقف المأساوية التى كانت تهز مشاعر الناس هزة عنيفة!!

السخرية والأصدقاء

وقد عالج نجيب الريحاني مشاكل السياسة بالفكاهة والسخرية .

وكان الريحاني صديقاً وفياً لأصدقائه وأبناء مهنته ، وكان يكره الحفلات العامة ولكنه لا يتردد فى حضور حفل يقيمه أصدقاؤه ، وكثيرا ما كان يقيم لهم الحفلات في بيته ، وكان مبالغة فى التكريم يطهو لهم لوناً من ألوان الطعام ، وإن لم يتسع الوقت كان يصنع «السلطات» ، وكان عنده خادم يعمل في خدمته ، وكان الريحاني يعطف عليه عطفاً شديداً ، وكان هذا الخادم مشهوراً في الوسط الفني باسم (حسن كش كش) وسر عطف الريحاني على هذا الخادم ، أنه كان يتفاءل به ويعتبره (قدم السعد) إذ اقترن عصره الذهبي على المسرح بالتحاق حسن بخدمته .. كذلك كان يتفاءل بصديقته (لوسي دى فرناى) التى صادقته فترة طويلة من حياته .. وكان الريحاني يؤمن بالحظ والفال والأحلام .

والطريف أنه كثيراً ما كانت تقع خلافات بينهما ، فكانت « لوسي » تهجر بيته وتهدد بالعودة الى بلادها .. وبمجرد خروجها من البيت ، كانت النكبات تنهال عليه ، فكان يسرع إليها حيث تقيم ليسترضيها ويعود بها الى منزله !

رأي الكاتب الفرنسي

وكان الريحاني شديد الاحترام لفنه حتى أنه لفرط اندماجه فى الشخصية التى يمثلها ، كان يخرج من الكواليس كالجثة الهامدة ، فاذا عاد الى خشبة المسرح ، اندمج في الشخصية التى يؤديها حتى يغيب عما حوله تماماً ، وقد تمضي بضع دقائق قبل أن يعود الى شخصيته الحقيقية !

وكان المرحوم الدكتور طه حسين «زبوناً» دائماً لمسرح الريحاني ، وصديقاً حميماً له ، ومعجباً من المتشيعين المتحمسين له أيضاً ، حتى لقد كان ينتهز كل فرصة عندما يزوره أشهر الفنانين العالميين ويدعوهم الى مشاهدة مسرح نجيب الريحاني ، وقد حدث أن زار القاهرة الكاتب الفرنسي المشهور « أندريه جيد » بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، فدعاه الدكتور طه حسين لمشاهدة الريحاني ، وبعد انتهاء التمثيل قام بمهمة التعارف بين الريحاني والأديب الفرنسي ، وقد قال أندريه جيد للريحاني أنه لم يفته معنى من معاني الحوار الذى لا يفهم لغته العربية ، وذلك بفضل تمثيل الريحاني الذى خلا من حركات التهريج التى اعتاد أن يشهدها من بعض ممثلي فرنسا أنفسهم ..!!

من أجل المسرحية

وكانت حياة الريحاني الخاصة حافلة بكثير من الطرائف ومنها أنه كان يكره ركوب السيارات ، وكان مغرماً بركوب «عربات الحنطور» التى كان يفضلها على كل أنواع المواصلات ، حتى أنه كان يملك في أواخر أيامه سيارة فاخرة ، ومع ذلك فقد كان يتركها ليركب عربة حنطور .!

ومن هذه الطرائف أيضا أنه حدث أن زارت القاهرة إحدى الفرق الفرنسية لاحياء بعض حفلاتها التمثيلية ، وكان الريحاني فى ذلك الوقت مفلساً وعاطلا عن العمل ، وأراد مشاهدة الفرقة وليس فى جيبه سوى بضعة قروش ، وكان عليه أن يستعين بها فى تناول طعامه .. وفكر فى أن يستغل صفة الزمالة فى طلب تذكرتين من ادارة الفرقة كدعوة مجانية ، ولكنه عاد فوجد أن كرامته لا تسمح بذلك ولم يجد في النهاية بدا من دفع ثمن التذكرتين له ولصديقته ، وكان ثمن التذكرتين عشرة قروش فتبقى معه قرشان فقط ..

وفى داخل المسرح طلب نجيب من الجرسون فنجانين من الشاى فلما أحضرهما الجرسون ، أخفى الريحاني قطع السكر فى حقيبة صديقته ، وشرب الشاى بغير سكر ، فلما عادا الى البيت بعد انتهاء التمثيل ، أخرج الريحاني السكر من الحقيبة وطلب من صديقته أن تصنع شاياً للعشاء ، وكان الريحاني قد أخذ السكر لأن بيته كان خالياً منه وتعشى هو وصديقته شاياً فقط ، بعد أن استنفدت تذاكر الفرقة التمثيلية كل نقوده !

وهكذا نرى أن الفنان الراحل نجيب الريحاني عاش طوال حياته يسخر من عيوب المجتمع ويضحك على قسوة المفاجآة فى حياته !

حسين عثمان

انظر إلى الماضي دون خجل

مجلة علمية أدبية صناعية زراعية
تصدر مرة في الشهر
العدد الرابع - سبتمبر أيلول ١٨٨١م
لمنشئيها ومحررها: صلاح الدين المقريزي





عالم الفلك

في هذا العدد:

- زاوية عنوانها أسئلة القراء
- المقتطف لمنشئيها يعقوب صروف وفارس نمر
- الرجل والمرأة



زاوية عنوانها أسئلة القراء؟

قبل ربع قرن ، كان الكاتب الكبير يحيي حقي يبحث عن كتاب في مكتبته ، فعثر ــ اثناء البحث ــ بمجلد من مجلدات « المقتطف » اشهر الدوريات الثقافية العربية في عصرها ، واكثرها نفوذاً واطولها عمراً .. وماكاد الكاتب الكبير ، يقلب بضعة صفحات من المجلد ، لارضاء فضوله ، حتى غرق فيه تماماً ، ونسي الكتاب الذى كان يبحث عنه ، ذلك انه يصعب على معظم الناس ان يقاوموا الرغبة في قراءة الصحف القديمة .

ومع تعدد اهتمامات « المقتطف » وتنوع أبوابه من أدب الى فن ومن علم الى فلسفة ، ومن شئون المنزل إلى اخبار الاختراع ، فقد وقف الكاتب الكبير امام زاوية « أسئلة القراء » فوجد مبررات كثيرة ليطيل الوقوف ويطيل التعليق ، وبدلا من العثور على الكتاب الذى كان يبحث عنه ، كتب مقالا بعنوان « أبواب أسئلة القراء » ونشره فى مجلة « المجلة » القاهـرية عام ١٩٥٧م.

وهذا المقال هو المسئول عن شغفي الى اليوم بقراءة أبواب أسئلة القراء فى الدوريات الثقافية القديمة ، إذ أن هذا النوع من الابواب قد انقرض اليوم من الصحافة : يومية واسبوعية وشهرية ، لتحل محله مقتطفات مما يكتبه القراء ، وتضيق به الصفحات .

« أسئلة القراء » زاوية ثابتة في تبويب معظم الدوريات الثقافية العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . وهى زاوية يخصصها المحرر للرد على مايحير القراء من أمور العلم والفن ومسائل التاريخ والجغرافيا وقضايا الفلسفة والفكر وعجائب الاكتشاف والاختراع .. وهي كائن حي كالصحف والمجلات والمجتمعات ، يصيبها الخمول وتلحقها التفاهة احياناً ، وتتوشح بالجدية والعمق فى احيان اخر . وفي كل الاحوال فهي مراة شديدة الصقل ، تعكس حيرة المثقفين وهمومهم العقلية ، وتقدم صورة واقعية لتفاعلهم مع ما يقرأون من كتب وصحف ودوريات !

وهي في مرحلة الشيخوخة ، تحولت زوايا اسئلة القراء ، الى وسيلة يتسول بها بعض القراء كتـب المحرر هدايا غير مدفوعة الثمن ، فاذا عزت عليهم ، شحذوا صورته وكانه نجم عتيد من نجوم الشاشة الكبيرة أو الصغيرة !

أما أيام فتوتها فكانت تلك الأبواب قبلة الذين يريدون مزيداً من فهم العالم ويبحثون عن حل للمعميات الأوربية التى طرقت ابواب العقل العربي منذ منتصف القرن الماضي ، بالحاح لا يعرف التردد ! ما السيكولوجيا وما السيسيولوجيا ؟ ما الدروينية وما اليوجينية ؟ . ومن أى كلية تخرج أديسون ، وهل يطيل الزواج الشرعي العمر ؟

اسئلة متنوعة ومتناقضة ، لاحد لما تطرح من قضايا ، لأنه لاحد للمعرفة الانسانية . والغريب أن المحرر كان يتولى الاجابة عن كل الأسئلة ، ماكان منها فى الطب وماكان فى علم البيداجوجيا ، فقد كان آباؤنا من محررى الدوريات الثقافية فى القرن الماضى من الموسوعيين الذين يقرأون ويكتبون فى أفرع عديدة من العلم لا رابط بينها ، فاذا كان سؤال القارىء معقداً عاد المحرر الى دوائر المعارف والموسوعات يبحث له عن اجابة ، فاذا لم يجدها إعتذر ــ فى تواضع العلماء ــ بان فوق كل ذى علم عليم ! .



ولم يكن القراء جميعاً فى نفس المستوى .. فهناك القارىء الذى تتواضع اهتماماته عند تاليف لغز رياضي أو مسالة حسابية ، تنشرها المجلة ليتبارى فى حلها القراء .. وهناك من تشغلهم مشاكل الدنيا ويبحثون عن حل علمي لها ، فيسالون عن وصفة كيماوية لتبخير شجر البرتقال ، أو عن وسيلة ناجحة لحماية الدواجن من الأوبئة ، بينما يشغل آخرون بالنحو والاعراب والبلاغة ، ويسعى غيرهم للبحث عن تاريخ اطلال اثرية تقع فى مواطنهم ، ويشكو كثيرون من عادات خلقية أو انماط سلوكية يسعون للتطهر منها فتعجزهم الوسائل .

وربما لهذا السبب ، فان أبواب « اسئلة القراء » فى الدوريات الثقافية ، هي العينة الصالحة لدراسة هموم المثقفين ومشاكلهم وقياس مدى وعيهم بما يحيط بهم وبوطنهم من مشاكل !

ومما يزيد من قيمة « أبواب اسئلة القراء » كعينة للاستدلال منها ، أن الحق فى توجيهها لم يكن مطلقاً لجميع القراء ، فهي زاوية ترحب باسئلة المشتركين فى المجلة فقط .. اما غير المشتركين فلا حق لهم فى توجيه الأسئلة ، ولا يزعج المحرر نفسه بالاجابة على تساؤلاتهم ، وهذا يعنى أن السؤال يصدر ــ فى اغلب الأعم ــ عن قارىء يملك حداً معقولا من الثقافة ، بحكم انتظامه فى قراءة مجلة ثقافية ، ومتابعته لما ينشر فيها ..

ولا احد يدرى لماذا كانت الدوريات الثقافية فى القرن الماضى تصر على هذا الشرط الغريب .. فتوصد أبواب أسئلة القراء فى وجه غير المشتركين .. ربما كانت تنظر إليه كحافز ينشط عدد المشتركين فيها ، وربما كان المحرر يضن بمجهوده على القارىء العابر ويحتفظ به للقارىء المثابر الدءوب .. ولعله ــ وهو الأرجـح ــ كان ينظر الى المجلة والقراء باعتبارهما أسرة واحدة تتبادل السعي من اجل الثقافة والوعي !

وأيا ما كان السبب .. فهو يدعوك ــ عزيزى القارىء ــ لكي تنظر الى الماضى دون خجل !

« صلاح الدين المقريزى »





المقتطف
لمنشئها يعقوب
صروف وفارس نمر

المناظرة والمراسلة

حضرة منشئي المقتطف المحترمين

قد أرسل اليكم بعض الخلان بطلب أن تتكرموا بايضاح وجوه الفرق بين الرجل والمرأة وتبينوا رأيكم فى المسألة التى ناظر أحدكم فيها وهي هل تبلغ المرأة مبلغ الرجل إذا تساوت وسائطهما . ثم ثني الطلب خل آخر بعد أن يئسنا من أن نرى شيئاً من ذلك في جريدة التقدم الغراء التى كانت قد اقترحت الخوض فيه على قرائها غير مرة . وقد رأيتم انكم فتحتم فى المقتطف الكبير باباً للمناظرة وهو غاية مني كثيرين فارجوكم أن لا تبخلوا بالجواب هذه المرة .

ديمترى السيوفي

المقتطف : هاكم وجوه الاختلاف فى ما يلي واما الحكم فى المسألة فنتركه للذين يحبون أن يتناظروا فيها ..

الرجل والمرأة

نبذة أولى فى مقابلة أوصافهما الجسدية

(١) معظم الفرق بين المرأة والرجل فى فرق معلوم . وأخص الفرق بينهما فى ما بقي من الأوصاف الجسدية.

(٢) الرجل أطول من المرأة قامة وقد كان نقاشو اليونان ينقشون تمثال أبوللو اطول من تمثال الزهرة بنصف علو رأس الانسان . ولا يخفى أن تماثيل القدماء مشهود لها من الخاص والعالم باستيفاء كمالات البنية الانسانية .

(٣) الرجل أثقل من المرأة وأعرض وكتفاه أعظم من كتفيها تربيعاً ولذلك تراه يستدق من كتفيه فنازلا الى قدميه وأما المرأة فاعرضها عند وركيها ومن ثم تستدق صاعداً ونازلا ويشاهد ذلك جلياً فى التماثيل التى نقشها القدماء .

(٤) الرجل أضخم من المرأة عظماً وأشد منها قوة وعضله أكثر من عضلها ظهوراً وبروزاً .

(٥) الرجل أوسع وابرز من المرأة حنجرة وأغلظ وأوطأ منها صوتاً .

(٦) الرجل أثقل من المرأة دماغاً وأكبر ولم يتحقق حتى الآن على ما نعلم إن كان نسبة كبر دماغه الى جسده تزيد عن نسبة كبر دماغها الى جسدها .

(٧) الرجل أشد من المرأة بطشاً وميلا للقتال وأعلى منها همة وامضى عزيمة وأجود قريحة للاختراع والاستنباط وربما كان ادراج ذلك في أوصافهما العقلية أولى من إدراجه هنا .

(٨) المرأة أكثر من الرجل نسيجاً خلوياً ولذلك تجد اعضاءها مستديرة ممتلئة مختلطة عضلاتها وأعضاء الرجل مميزة عضلاتها . وهذا يزيدها عنه جمالا وغضاضة .

(٩) المرأة أوسع من الرجل حوضاً وعظم فخذها أكثر من عظم فخذه انحرافاً الى الأنسية وصدرها أكثر من صدوره استدارة .

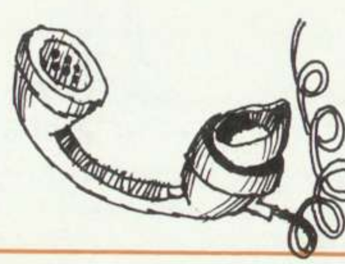
(١٠) المرأة تراهق قبل الرجل ويتوقف نموها قبله . وهي أطول منه عمراً كما ثبت بالاستقراء ولكن يولد من الذكور أكثر مما يولد من الاناث . وإن صدقنا بعضهم فمن كل ٣٣ ولد يولد ١٧ صبياً و ١٦ بنتاً .

(١١) المرأة أبهى من الرجل لوناً فى بعض القبائل وأقل منه شعراً . فقد قال شفينفرت ان نساء زنوج المنبطو اخف سواداً من رجالهم . وقال دارون أن نساء أوربا أشرق لوناً من رجالها. والرجل يمتاز عن المرأة بالشعر ولا سيما بشعر الوجه إلا أن بعض الأمم لا يزيد شعر رجالها على شعر نسائها .

(١٢) المرأة مستديرة الوجه أكثر من الرجل وفكاها وقاعدة جمجمتها أصغر من فكيه وقاعدة جمجمته .

التليفون

قالت جريدة اللوميار الكرتريك ان التليفون (هو الآلة التى يسمع بها الحديث عن بعد) في الولايات المتحدة قد أصبح من الآلات التى تستخدمها العدلية لاستماع الحديث الذى يجرى بين المتهمين وهم في السجن . فالمكرفون آلة يمكن استماع الصوت بها بالتليفون دون وضع الفم على فم الآلة . وخطر ببال القوم في نيويورك من أمركا بأن يضعوا مكرفوناً فى حائط حجرة من حجر السجن مع تغطية فم هذه الآلة بورق رقيق لونه كلون الحائط فيه ثقوب صغيرة جداً لا ترى إلا بالتمعن فادخلت الضابطة الى هذه الحجرة المتهم ثم والديه وتركوهم وحدهم فيها . ووضع أحد المامورين أذنه على التليفون المتصل بالمكريفون . ونجحت الحكومة كل النجاح بهذا الأمر فان المتهم لم يخطر بباله أن فى تلك الحجرة آلة تنقل حديثه الى الخارج أى أنه لم يعلم أن في الحائط آذاناً فعندما رأى نفسه وحده مع والديه أخذ يتكلم عن الجناية المتهم بها . فسمع المامور أخباراً مهمة آلت الى اكتشافات ذات نفع عظيم .





مؤلف وطابع



أقيمت دعوى مستظرفة فى لوندرا بين مؤلف وطابع والسبب فيها أن المؤلف سلم الطابع كتاباً مخطوطاً بيده كبير الحجم متسع المادة بغية أن يقراه ويعيده بعد ذلك إليه وكان الامر فى لوندرا .

فاستلم الطابع الكتاب واستبقاه عنده شهرين كاملين حال كون العهد أن يبقيه أياماً معلومة لا يتجاوزها . فاخذ المؤلف يطالبه به وهو يحاذف ويماطل من وقت الى أخر إلى أن نفذ الصبر وأمسى صاحب التاليف على احر من الجمر فلم ير بدأ أن يستحصل حقه بيده عنوة ولهذا سار الى بيت الطابع مصحوباً برفيقين قـويي البدن شديدى العصب ولدى دخولهم المنزل انقضوا بجملتهم على ذلك البليد المسكين فاوثقوه بالكتاف ثم القوا عليه ايديهم الثقيلة يطالبونه بحقهم ومستحقهم فصرخ هو صرخة الأواه وكادت روحه تزهق لو لم يكن لها ثقل الرصاص ولطاقة الحديد بما يقعدها عن الخروج من حلقومه . وقال لخصومه دعوني وشاني لا كتاب لكم عندى ولا علاقة لكم بي اما هم فاصروا على مطلبهم حتى سمع الجيران الضوضاء فتداعوا الى الدار يتساءلون ماذا عسى أن يكون ومازالوا إلى أن وقفوا على جلية الأمر فاشاروا على الكاتفين باللين وعلى المكتوف بالتساهل ولكنه أبى إلا الانكار والمكابرة ثم اتصل الخبر بالبوليس فاتى وفرق الحشد ورفع صورة الحادث لمرجعه . ولم يصبح صباح اليوم التالي حتى رفع صاحبنا الطابع الدعوى على أخصامه للحكومة من انهم اعتدوا عليه وخرقوا حرمة المنزل المقدسة وطلب الاستعاضة والجزاء النقدى لا عاشت البلادة ولا حبيت الاكاذيب والمماطلة .

إعلان
من إدارة الكوكب المصري



بحول الله وقوته قد شرعت المطبعة العامرة بالمحروسة المحمية ذات الأدوات المستوفية البهية الحائزة من جمال الحروف ووضوحها وبهجتها وحسن الصنعة وكمال الصحة ودقتها مع بديع أدواتها وأشكالها فى طبع حاشية العلامة والحبر البحر الفهامة من ليس له فى الفضائل مساوي الشيخ عبد الله الشرقاوى على شرح التحرير وبهامشها تقرير العلامة الذهبى التحرير وكذا طبع قاموس اللغة العربية للفيروز ابادى المحيط ومقامات البلاغة للعلامة ذى العرفان والبراعة أبى القاسم الحريرى فى اللغة العربية والفنون الأدبية وفتاوى الحامدية للعلامة ابن عابدين خاتمة محققى الحنفية حيث انها كافية لكل مفتي وطالب لاشتمالها على غرر المسائل وجليل المطالب وقد جعل لمبيع تلك الكتب المذكورة التى هى بكل فضل مشهورة ميعادان تباع فى أولهما بقليل الأثمان مع كونها جليلة القدر والشان فاول ميعاد من خمسة عشر شعبان لغاية شوال سنة ١٩٢٨ والميعاد الثانى من ابتداء ذى القعدة من هذا العام الى أن ينتهى شهر القعدة بالتمام والميعاد الثالث من بعد ذلك الى ما شاء مولانا مالك الممالك ولمن يدفع ثمن عشر نسخ نقدية من الصحافيين والكتبية فى كل مائة قرش خمسة قروش كاملة رفقاً بهم فى تسهيل المعاملة ودفع الثمن يكون باحد محلين إما بالمطبعة أو بمحل انجله نسيم كاستلى على يسار الذاهب الى الامام الحسين وهاك بيان الأثمان على حسب تفاصيل مواعيد الاعلان جميعه بالعملة للصاغ الميرية .

المناظرة والمراسلة

نبذة ثانية
فى مقابلة أوصافهما العقلية

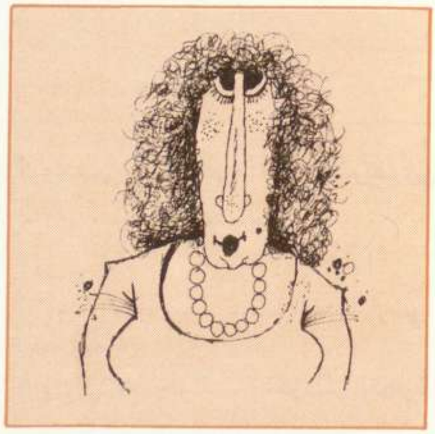
الأوصاف العقلية تشمل هنا أوصاف القوى العاقلة والحاسة معاً فالبعض ينكرون وجود الفرق الغريزى بين الرجل والمراة فى ذلك والبعض يدعون انه موجود واخصه .

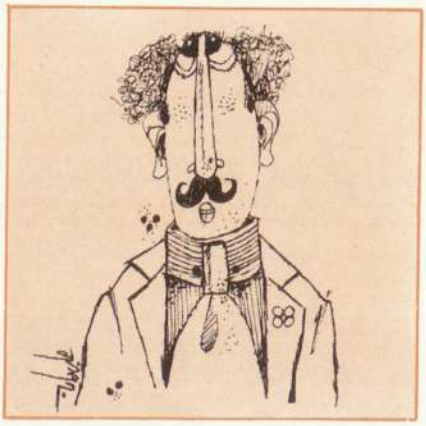
(١) ان المراة احن من الرجل واقل منه حباً لنفسها متوحشة كانت أو متمدنة . وهى تظهر هاتين الصفتين لأولادها بما عندها من العواطف الشديدة الوالدية أكثر كثيراً مما يظهرهما الرجل ولذلك يسهل عليها أن تتوسع فى اظهارهما حتى تشمل بهما بقية أبناء جنسها بخلاف الرجل فانه لما كان يميل من طبعه الى الخصام والبطش والصراع والمباراة مع اقرانه كان سريع التهور الى الطمع . واذا تهور الى الطمع لم يبق منه بينه وبين حبه لنفسه وتخصيص الصالح به وحرمان النعم لغيره إلا خطوة لا يعجز عنها أحد .

(٢) ان الفريقين يسلمان بكون المراة تفوق الرجل

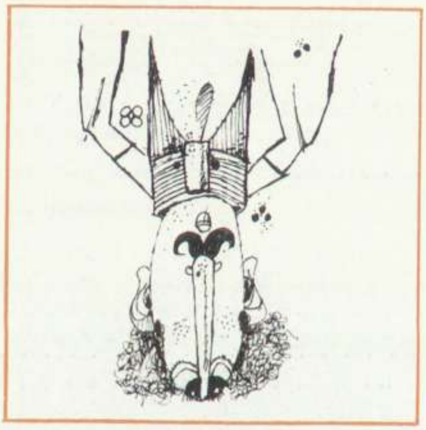
انظر إلى الماضي دون خجل











فى البداهة وسرعة الملاحظة وربما فاقته فى التمثل بغيرها أيضاً . ولكن بعض ذلك خاص الآن بالأدنياء من الناس ولا يصدق على المرتقين فى التمدن .

(٣) الرجل أسمى من المراة عقلا . ليس أن كل رجل أسمى عقلا من كل امراة كما ربما توهمه البعض بل ان الرجل بوجه العموم أعقل وبعبارة النحاة حقيقة الرجل أعقل من حقيقة المراة .

ودليل ذلك أنه اذا دونت اسماء الرجال والنساء الذين اشتهروا فى الشعر والتصوير والنقش والموسيقى والعلم والتاريخ والفلسفة واشغال الحواس وصناعة اليد وقوبل بينهما كان الفرق بين الرجال والنساء عظيماً جداً فى البراعة وطول الباع كما ثبت بالاستقراء .

(٤) اذا تسابق الرجل والمراة على أمر من الأمور وكانا متساويين فى القوى العقلية تمام التساوى فالأمر واضح أن أعلاهما همة وأكثرهما مواظبة واقداماً يحوز قصب السبق على رفيقه . وقد قال الفيلسوف ستورت مل ان الأمور التى يفوق الرجل المراة فيها بالأكثر هى التى تقتضى زيادة كد واجتهاد وتنقير وتنقيب فى فكر واحد . وقد تقدم أن الرجل يفوق المراة همة واقداماً فهو يفوقها ولو ساوته عقلا .

فهذا اخص ما يمتاز به الرجل عن المراة على ما يلوح لنا وهو يثبت أعظم الأوصاف له ويميزه عليها وعندنا أن ذلك مقطوع به فى الأحوال الحاضرة إلا أنه لا يوجه وجهاً من وجهي المسالة التى وقعت فيها المناظرة وهى (هل تبلغ المراة مبلغ الرجل اذا تساوت وسائطهما) . ولا يحكم لوجه من الوجهين ما لم يثبت ان وجوه الاختلاف التى تتعلق بالمسالة لم تحصل من تفاوت الوسائط أو أن تساوى الوسائط لا يزيلها . أو يثبت انها حصلت من تفاوت الوسائط وانه اذا تساوت الوسائط بلغت المراة مبلغ الرجل . والظاهر ان هذا ما اقترحه بعضهم على قراء التقدم الأغر عن لسان صديقنا الدكتور شبلى شميل . وعليه لم تزل المسالة فى معرض المناظرة .

«يعقوب صروف»

إعلان
إلى أبناء وطننا
ومحبى التقدم والعمران

عزمنا والعون على الله تعالى على تمثيل رواية الوطن وطالع التوفيق بتياترو زيزينيا مساء يوم الخميس ١٧ شعبان سنة ٩٨ مع ليلة الجمعة وهى الرواية التى جعلتها تذكاراً لجلوس مولانا الخديوى حفظه الله فانى صورت فيها حالتنا وما كنا فيه من الذل والاهانة وما تحملناه من المظالم والمغارم ثم تخلصت بجلوس مولانا الخديوى ومساعدة وزرائه الكرام على أفكاره الحسنة ومقاصده الخيرة وما تعانيه رجاله من الاشتغال بحفظ الأمة وصيانة الوطن وما تنورت به الافكار حتى اهتدت لفتح الجمعيات التى بها تكثر المعارف وتعود ثروة البلاد وهى تشخص بتلامذة المدرسة ليرى الناظر ما وصل اليه ابناؤنا من القوة التى بها يقفون فى المحافل العظيمة يشخصون ما لا يقوم به إلا العظيم من الرجال وقد قدرت قيم الأوراق كما تراه وقد تعودنا من أهلينا أن يتناهبوا الورق قبل الاعلان عن بيعه ولا نعدم منهم تلك المساعدة فقد اشتدت رغبتهم فى المعارف وغيرتهم على ما يقدم الوطن من التحسينات وناهيك بمن يتفرج على حال بلاده فيبكى عند الذل ويضحك عند الهزء ويسر عند الاصلاح .

فرنك	
٤٠	لوج درجة أولى
٣٠	لوج درجة ثانية
٢٠	لوج درجة ثالثة
٠٥	كراسى منمرة .
٠٢	دخول عمومى .
٠١	باعلى التياترو .

وما ذلك على محب الخير بكثير فانى ما اتحمل هذه الأتعاب وأصرف أفكارى إلا فيما يعود على البلاد بالنفع وعلى ابنائنا بالثمرة .

أصدرنا هذا العدد أربعاً وعشرين صفحة اكراماً لشان الجمعية الخيرية الدمنهورية وإنى وإن تكلفت زيادة مصروف فى الورق والمطبعة والبوستة ولكن خدمتى للجمعيات وشغفى بها يحسن لي هذا المصرف لا اقول يسهله فما فى طريق الجمعيات صعب وسنعود لاصداره على الحالة الأولى من العدد السادس .

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

عدو للاسلام معاصر عنيد لا يخفى أضغانه وهو تعبير واضح عن حقيقة جماعته وأهدافها فى الوطن العربي والأمة الاسلامية . اسمه من كلمتين وتسعة أحرف :

٥ ـ ٢ ـ ٨ ـ ١ موطن للخامات
٩ ـ ٦ ـ ٣ ـ ٤ صوت حيوان
٧ ـ ٢ عملة معاصرة

أين ؟

قرية عربية تجلى فيها بوضوح مبدأ العدو المذكور أعلاه . اسمها من ثمانية أحرف :

٧ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٨ ـ ٤ يجعلنى أنظر
٥ ـ ٦ ـ ١ ملك لا يتكلم

ما ؟

الاسلوب الذى يؤمن به العدو المذكور من سبعة أحرف :

٧ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٤ نرجع الى
٦ ـ ٢ ـ ١ للاستثناء

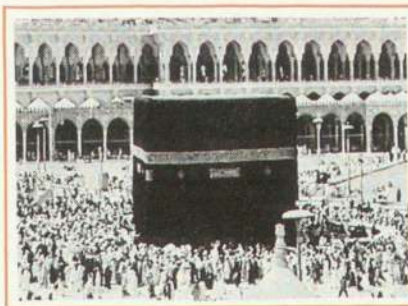
الإجابة الصحيحة

(١) « تزن بيضة الزرافة كيلوجراماً واحداً قبل أن تفقس بأسبوع »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

(٢) « إنما هذه المذاهب أسباب ... لجذب الدنيا الى الرؤساء
من قائل هذا البيت؟ وفى أي دواوينه ؟

(٣) كان (زيجموند فرويد) يهودياً من :
روسيا ـ بولندا ـ النمسا

(٤) من أسماء مكة المكرمة :
أم القرى ـ العروض ـ المنيرة ـ الهادية ـ الوضحاء



(٥) تولى محمد على باشا حكم مصر نزولا على رغبة علماء الأزهر الشريف فى سنة :
١٧٠٥م ـ ١٨٠٥م ـ ١٩٠٥م

(٦) ولد الامام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه فى :
القيروان ـ بغداد ـ تعز ـ القاهرة

(٧) ذكر الضأن الخروف وذكر الماعز التيس وذكر النعام :
الرتبال ـ الظليم ـ الخشف ـ الوبر

(٨) يتكون سكر القصب من الهيدروجين والأوكسجين وعنصر آخر هو :
النتروجين ـ الكربون ـ الفلورين

(٩) أيهما أطول ، قطر الأرض بين القطبين أم قطبها عند خط الاستواء ؟؟

(١٠) مؤلف كتاب (صفة الصفوة) فى السيرة العطرة للرسول الأعظم والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم هو :
جمال الدين الأفغاني ـ جمال الدين بن الجوزى ـ جمال الدين السنهورى

أسماء الفائزين

الفائز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ٦ أشهر :
السيد/ حسن عبد النعيم ـ المعادى ـ مصر

الفائز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال واشتراك لمدة ٦ أشهر :
الأخت : رقيه محمد عبد الله ـ البحرين

الفائز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ٦ أشهر :
السيد/ عبد الله جبر أبو خميس ـ مؤسسة رعاية أسر الشهداء الفلسطينيين مقابل جامعة بيروت بواسطة الأخ شريف قباني .

حل مسابقة العدد ٦٧

من ـ جحا ـ
اين ـ الفالوجا .
ما ـ الكيمياء .

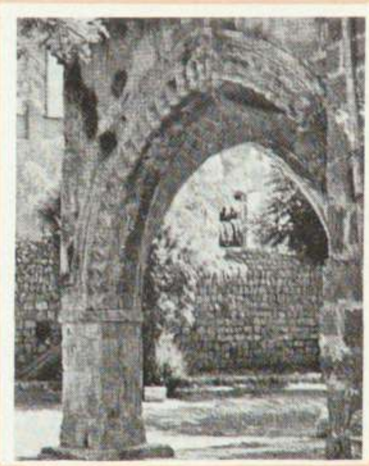
●●

١ ـ المسعودى .
٢ ـ أحل سفك دمى فى الاشهر الحرم .
من قصيدة نهج البردة لأمير الشعراء المرحوم احمد شوقى .
٣ ـ ر ه .
٤ ـ نترات الفضة .
٥ ـ قط شرق افريقى . شرق
٦ ـ فى الانجيل ـ اليهود .
٧ ـ ٢١٧ ق . م
٨ ـ ١٩٤٠ .
٩ ـ ليست صحيحة لأن المرجان بحرى
١٠ ـ اليونان .

حاول أن تعرف •••



● جامعة كمبردج التى تبعد عن لندن حوالى ٧٠ كيلومترا وهى من أشهر جامعات العالم بدأت الدراسة فيها فى عدة مبان خاصة ومتفرقة ثم تم بناء أول كلية فيها عام ١٢٨٤ . وقد تم بعد ذلك بناء سبع كليات أخرى خلال سبعين عاماً .
فى أى عام بدأت الدراسة فى جامعة كامبردج ؟



● بقايا مسجد فى احدى مدن دولة عربية بنى فى القرن الثامن الميلادى . ينسب الى اسم هذه المدينة الاسم اللاتينى للتوراة .
ما اسم هذه المدينة ؟



حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٦٧

اسم الوالي : أحمد باشا الجزار . وقد توفى عام ١٨٠٤م .

الفائزون :

١ ـ أحمد فخري عبد السلام ـ الأردن

٢ ـ محمد مصطفى السمري ـ أجا ـ ج . م . ع

٣ ـ محمد مصطفى حمدي ـ الدوحة ـ قطر

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ طارق فائز الملاح ـ ص . ب : ٧٦٢٤ ـ جدة ـ السعودية ـ بواسطة والده فائز الملاح .

٢ ـ غصان فخرى عبد السلام عثمان ـ الأردن ـ صويلح ـ ص . ب . ٢١

٣ ـ موسي شعبان مفلح ـ سوريا ـ درعا ـ قرية كحيل ـ مدرسة كحيل الابتدائية للبنين .

٤ ـ أروى عبد الغني محمود ـ عمان ص . ب : ٨٥٤٥ ـ الأردن .

٥ ـ فاطمة يوسف الشبعان ـ المحرق ص . ب : ٢٢١١٤ ـ البحرين بواسطة يوسف الشعبان .

٦ ـ يوسف راشد محمد ـ منزل ٥٠٢ ممر ٨١٤ ـ المحرق ٢٠٨ ـ البحرين .

٧ ـ عبد الحميد محمد عبد الحميد العراقي ـ ادارة المحاكم الشرعية ـ ص . ب ١٠٧ الخرطوم

٨ ـ اسامة أحمد عبد الخالق ـ دسوق ١٠٤ شارع الثورة ـ ج . م . ع

٩ ـ ايزيس عاطف المعايعة ـ ص . ب ٢٠٥ مادبا الاردن .

١٠ـ مدحت حافظ ابراهيم ـ ادارة قضايا الحكومة فرع بورسعيد ـ بورفؤاد ـ ج . م . ع

١١ـ خالد بن فهد الرومي ـ الرياض ـ السعودية ـ ص . ب : ١٥١٧٦

١٢ـ حسن محمد ابو نعسة ـ بعلبك ـ محل السيد/ أمين مرتضى ـ لبنان .

(عن المرأة قالوا)

● المرأة الفاضلة هى التى تهب حياتها لتحقيق الخير والتى ترى أن الفضيلة هى الطريق الأوحد لتحقيق السعادة .

«جان جاك روسو»

● تحب المرأة فى الرجل أن يكون فى حاجة الى أم ترعاه .

«إتيل باديمود»

● أحلى ما فى المرأة حديثها ، وأعظم ما فى الرجل أن يعرف كيف يلتقط هذا الحديث ويميزه ؟ .

«تولستوى»

شوكت محمد على ـ القاهرة

دوحة القراء

رأيت

أطول نفق في العالم

أطول نفق برى فى العالم لمرور السيارات بمختلف انواعها والذى تم افتتاحه فى سويسرا مؤخرا لربط بلاد شمال اوروبا بسواحل البحر الابيض المتوسط . هذا النفق يشق قلب جبل «جوتهارد» ويبلغ طولـــه ١٦,٣ كيلومتر . وقد استغرقت أعمال حفره وانشائه حوالى عشر سنوات . تكاليف هذا النفق وصلت الى حوالى ٤١٥ مليون دولار .

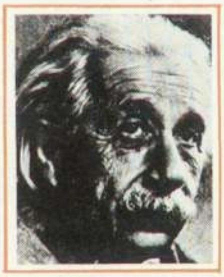
يستخدم هذا النفق للسيارات على مدار العام وبالتالى يوفر على السائقين ساعتين من القيادة فوق مرتفعات سويسرا والالب التى تصل الى ٦٢٤٥ قدما .

من المعروف أن أطول نفق قبل هذا هو الموجود فى فرنسا والذى يقع فى قلب جبل «مون بلان» ويربط بين كل من فرنسا وايطاليا وطوله ١١,٦ كيلومتر .

دكتور / أحمد أحمد خليفة الديك
مصر ـ الاسكندرية



الجبال فى سويسرا



اينشتاين

قرأت

ماهو مستقبل النظرية النسبية؟

نصت النظرية النسبية ان سرعة الضوء ثابتة (مطلقة) فى الفراغ ، هى اقصى السرعات الكونية على الاطلاق ، باعتبار ان سرعة الضوء البالغة حوالى ٣٠٠,٠٠٠ كم / ثا ، هى السرعة العظمى فى الكون .

كانت تلك وجهات نظر علماء الفيزياء ـ استنادا الى معادلات انشتاين .

وفى الوقت الحاضر ، ظهرت وجهات نظر علمية ودعوات جديدة لدراسة النظرية النسبية والغازها ، بسبب ظهور فرضيات تذهب الى انه توجد سرعات كونية تفوق سرعة الضوء ، وتجارب الفزيائيين جارية فى اتجاهين : الاتجاه الذرى ، والاتجاه الكونى .

ففى (الاتجاه) الكونى ، اكتشف علماء الفضاء سرعات كونية تقرب من سرعة الضوء وبفارق نسبة ضئيلة جدا . هذه السرعات متمثلة فى حركة السدائم والمجرات بل حسب النظرية الفيزيائية الناصة : ان تزداد سرعة المجرات كلما ازدادت مسافة البعد بينها .

اما فى المجال الذرى فتمكن العلماء من تعجيل سرعة نيوكلونات الذرة (النيوترونات والبروتونات) الى سرعة الضوء . وتجرى فى الوقت نفسه محاولات لتقريب سرعة الأجسام الدقيقة او ما تسمى بـ (الأجسام الاولية) الى مقدار يقابل مقدار سرعة الضوء . ومعروف علميا ان فرضية سرعة الضوء تمثل المرحلة العليا من تطور الفكر الرياضى . والنسبية بقوانينها اعتمدت اساسا على الفرضية العلمية المذكورة . وان تم التوصل الى (سرعة) أكبر من سرعة الضوء فى الطبيعتين ، الذرية والفضائية ، فسيحدث تغيير جذرى فى علوم الفيزياء ، وتتغير مفاهيم الكون . ولكن ماذا سيحدث للنظرية النسبية ؟ ..

بيرونيف بخيف فكر
العراق / معهد التكنولوجيا

حكم مأثورة

● تكون سعيداً إذا عثرت على صديق تثق به ، وتكون أسعد اذا عثرت على صديق يثق بك . «حكيم»

● أصلح نفسك يصلح كل الناس ، وإذا فاتك خير فادركه ،وإذا أدركك شر فاسبقه
«أبو بكر الصديق»

● من لا يتنازل عن رأيه لا يصحح أخطاءه ، وهو حري أن يفقد الحكمة فى يده كما فقدها فى نومه .
جو ناثان ادواردز

أحمد توفيق
حلب ـ سوريا

هجاء هوميروس

قال أحدهم لهوميروس : أهجنى لافتخر بهجائك اذا لم أكن أهلا لمديحك .

فقال له : لست فاعلا .

قال : اذن سأمضى الى رؤساء اليونان فأشعرهم بنكوصك .

فقال هوميروس : بلغنا أن كلباً حاول قتال أسد بجزيرة قبرص ، فامتنع عليه الأسد أنفة منه . فقال الكلب سأمضى فاشعر السباع بضعفك . فقال له الأسد : لأن تعيرنى السباع بالنكوص عن مبارزتك أحب إلي من أن ألوث شاربى بدمك .

حسين عبد الله صيام
جامعة الخرطوم

من الشرق والغرب...

● الضربات القوية تهشم الزجاج ، لكنها تصقل الحديد .

(بوشكين)

● أعمق الحزن ، حزن الحقيقة .

(محمد الفيتورى)

● من الممكن تدمير الانسان ، ولكن ليس من الممكن قهره .

(أرنست همنغواى)

الوطنية تعمل ولا تتكلم .

(قاسم أمين)

جمعها: عماد سلمان كاظم
بغداد ـ العراق

سمعت

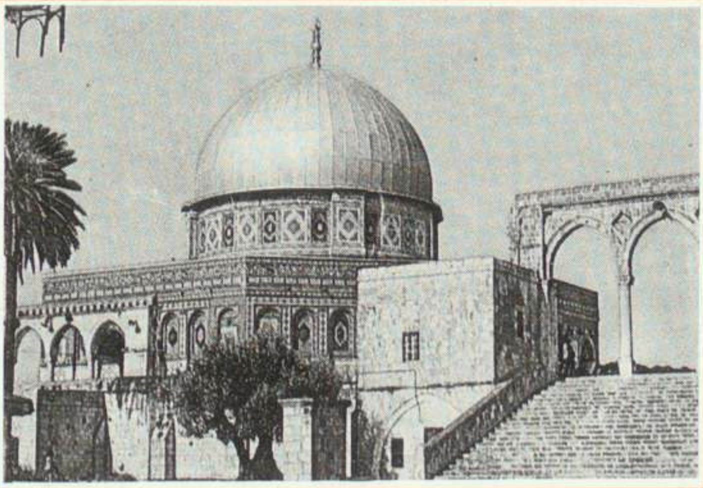
(... وافق شن طبقة ...)

يضرب هذا المثل لشيئين يتفقان .
وأصله أن رجلا من دهاة العرب ، يقال له (شن) كان قد الزم نفسه ألا يتزوج إلا امرأة تلائمه . فكان يجوب البلاد فى ارتياد طلبته ، فصاحبه رجل فى بعض أسفاره ، فلما تمادى عليهم المسير ، قال شن للرجل : أتحملنى أم أحملك ؟ فقال له : ياجاهل أيحمل الراكب الراكب ؟ فأمسك حتى مرا على زرع قد استحصد . فقال له شن : ياشيخ هل أكل هذا الزرع أم لا ؟ . فقال له ياجاهل ! أما تراه في سنبله ؟
فأمسك حتى لقيتهما جنازة ، فقال له شن : أحي صاحب هذه الجنازة أم ميت ؟
فضجر منه الرجل ، وقال له : ما رأيت أجهل منك ، أتراهم يحملون إلى القبر حياً ؟
فأمسك حتى وصلا الى قرية الرجل ، فسار به الى منزله ، وكانت له بنت اسمها طبقة ، فأخذ يطرفها بحديث رفيقه متعجباً من جهله ، فقالت : ما أراه إلا قد تكلم بالصواب ، وسأل عما يسأل عن مثله . أما قوله (اتحملنى أم أحملك) فانه أراد : اتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع طريقنا بالحديث ، فلا نبالي بالمشقة ، فكأن أحدنا حمل صاحبه .
وأما سؤاله عن الزرع ، فمراده : هل بيع فأكل ثمنه ؟ .
وأما سؤاله عن صاحب الجنازة ، فمراده : أخلف عقباً يحيا به ذكره أم لا ؟
فلما خرج الى شن ، قال له : اتحب أن أفسر ما سألتنى عنه ؟ فقال له : نعم ! ففسره . فقال له ماهذا من كلامك ، فأخبرنى عن صاحبه ! فأخبره . فخطب الفتاة وتزوجها .
فلما رأى قومه ما فيها من الدهاء ، قالوا (وافق شن طبقه) . فذهب قولهم مثلا .

محمد ياسر منصور
حلب ـ سوريا



لقطة الشهر



قبة الصخرة المشرفة
وحيدة .. أسيرة .. تنعي وتستصرخ

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطري القاريء :
محمد زهدي أبو خليل ـ الدوحة

الميتـــة المبـــكرة !

ذهب أحد الأدباء الناشئين إلى الكاتب المشهور أوسكار وايلد ، وعرض عليه رواية من تأليفه طالباً منه أن يبدى رأيه فيها . ولما طلب منه أوسكار أن يتركها لديه عدة أيام ليقرأها ، أصر الناشيء على أن يقرأها له بنفسه ، وكان ردىء القراءة مزعج الصوت . فلما انتهى من قراءة الفصلين الأول والثاني قال للأديب الكبير : إن نهاية الفصل الثالث مازالت مستعصية علي ، فانني أريد أن تكون ميتة البطل مبكرة .
فأجابه أوسكار وايلد على الفور : هذا أمر سهل ، فما عليك إلا أن تقرأ له الفصلين الأول والثاني من هذه الرواية بصوتك !

سعاد سعيد بلقاسم
ولاية تيارت ـ الجزائر

أوسكار وايلد



علي عبد الله خليفة

جاسم العمران والموسيقى في الخليج

● فى عصر ثورة المعلومات و تكنولوجيا توثيقها وحفظها واستظهارها يخالجنا الشعور بالخيبة لأننا لا نملك من كل ذلك إلا ما هو عام ومتيسر لبنوك المعلومات فى العالم، وإذا أجدنا استخدامها ففي مجال الأرقام ، وسعر العملة ، وقيمة الذهب .

وفى الوقت الذى تقدم فيه الموسوعات الأجنبية معلومات جديدة عن أعلام الدنيا في كل المجالات جنباً الى جنب مع أسماء أدباء وفنانين ناشئين فاننا فى الخليج نحتار فى التعرف بحياة وأعمال رواد أجلاء عبروا عالمنا المليء بالضجيج والزيف بهدوء وبتواضع العلماء ، حفروا صخر واقعنا بأظافرهم ، صنعوا ما أمكنهم وتركوه علامة للمبصرين ، تجنبوا الاعلان وضجيج الاعلام ، ضمدوا جرح حياتهم وبعزة وكبرياء مضوا فى صمت وهدوء .

فى أوائل شهر يوليو الماضى رحل الفنان جاسم محمد العمران أحد رواد الموسيقى فى الخليج بعد حوالي ستين عاماً عاشها مع النغم يجالد فى خلق جيل من العازفين المبدعين ، والتفتت الصحافة الخليجية ذات اليمين وذات الشمال تبحث عن معلومة صغيرة عن حياة وأعمال الفنان الراحل لتضمينها خبر النعي السريع فلم تجد إلا أسطراً قليلة انتزعتها انتزاعاً عن صورة من جواز سفره ومن شهادة تخرجه بملف خدمته باحدى الوزارات ، فهو اسم جديد على صحافة اليوم . والتفتنا كلنا لمعرفة المزيد فلم نجد . ترى مسئولية من هذا التقصير المعيب ؟

كان الرجل متواضعاً ، صموتاً ، دؤوب العمل ، من ذلك الجيل الذى ولد فى المحرق بالبحرين مع تأسيس أول مدرسة أهلية عام ١٩١٩م ، فاذا كان التعليم فى المدارس ذلك الوقت قد قاومه المتزمتين ووضعوا فى طريقه الصعاب والعقبات فما بالك بالمتاعب التى يلقاها شاب مولع بالموسيقى وهو يتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة الهداية بالمحرق ، ثم يصر رغم ظروفه الاجتماعية الصعبة على دراسة الموسيقى ، فيلتحق بمعهد الموسيقى العربية فى بغداد ، ويظهر نبوغاً فى دراسته ويبدع في العزف على آلة الكمان التى كان لها دور جديد فى الأغنية الخليجية من خلال مصاحبة آلة العود وايقاع المراويس فى فن الصوت . ثم يعود الى البحرين يحاول أن يدرس الموسيقى فتضيق به سبل العيش فيرحل الى الكويت ليسهم فى الحركة الفنية ، وليعمل موظفاً فى الصباح ويقوم بتدريس الموسيقى فى الفترات المسائية ، حيث تتلمذ على يديه عدد من رواد الأغنية فى الكويت الآن.

وفى أوائل السبعينات يعود الى بلده بحلم جديد : تأسيس أول معهد عال للموسيقى ، ويجهد نفسه ويصرف من جيبه الى أن يتأسس المعهد وينتظم به الدارسون ، ويعد لتخريج الدفعة الأولى بعد أن اجتهد فى اقناع الدولة . بتبنى ابتعاثهم لمواصلة الدراسة فى المعاهد العليا ، ويتولى بنفسه كل صغيرة وكبيرة تخصهم .

ويظل فى موقعه سنوات الى أن يجد بأن متطلبات تدريس الموسيقى أكثر من طاقته على الاستمرار ، يسلم الراية لآخرين ، ويرحل الى دولة الامارات للعمل كمستشار فنى للموسيقى بوزارة الاعلام والثقافة فيسهم في وضع البذور الأولى للحركة الفنية ويعمل من خلال موقعه على تبني المواهب الجديدة ورعايتها ووضع اقدامها على اول الطريق .. الى أن يتوفاه الله فى دمشق وهو يقضي أجازة صيف هذا العام .

وفى أغسطس من العام الماضي كنت في أبو ظبي فى جولة عمل ميداني لتسجيل افادات الدارسين والفنانين حول الأغنية الشعبية فى الخليج ، وكان العمران معي مجتهداً في تسهيل المهمة والدخول في تفاصيلها ورشح لي اسماء فنانين من أجيال مختلفة يجيدون تقديم معلومات تفيد موضوع البحث ، مؤجلا اللقاء به لحين الانتهاء من تسجيل افادات كل الفنانين . وعندما جاء دوره ، وكانت الكاميرات معدة والأضواء فى انتظاره ، ابتسم لي قائلا : ولكنني لا أجيد تنميق الحديث وليس لدى أكثر مما قدمه الأخوة ، وأمام الحاحي لم أحصل منه إلا على وعد بزيارة الدوحة لأسجل له افادات فنية فى متسع أكبر من الوقت .

ان أهم ما قدمه العمران الى الموسيقى فى الخليج هو التأكيد على أن الموسيقى فن وعلم في وقت كانت فيه الموسيقى رجس من عمل الشيطان ، ويظل يؤكد ذلك بالعمل الدؤوب فى دراسة الموسيقى ومن ثم رعاية المواهب الموسيقية بجهده الفردى المتواضع حتى برز على يديه تلامذة نجباء من مختلف الاعمار فى أغلب بلدان الخليج يقرون بفضله ويعترفون باستاذيته .

● هل كانت لدى جاسم العمران أعمال موسيقية ؟

● هل دون ملاحظات وآراء حول فنون الغناء الخليجي من واقع خبرته وممارسته الطويلة ؟

● هل بين أوراقه ما يمكن أن ينشر فيستفاد عنه ؟

الله اعلم .



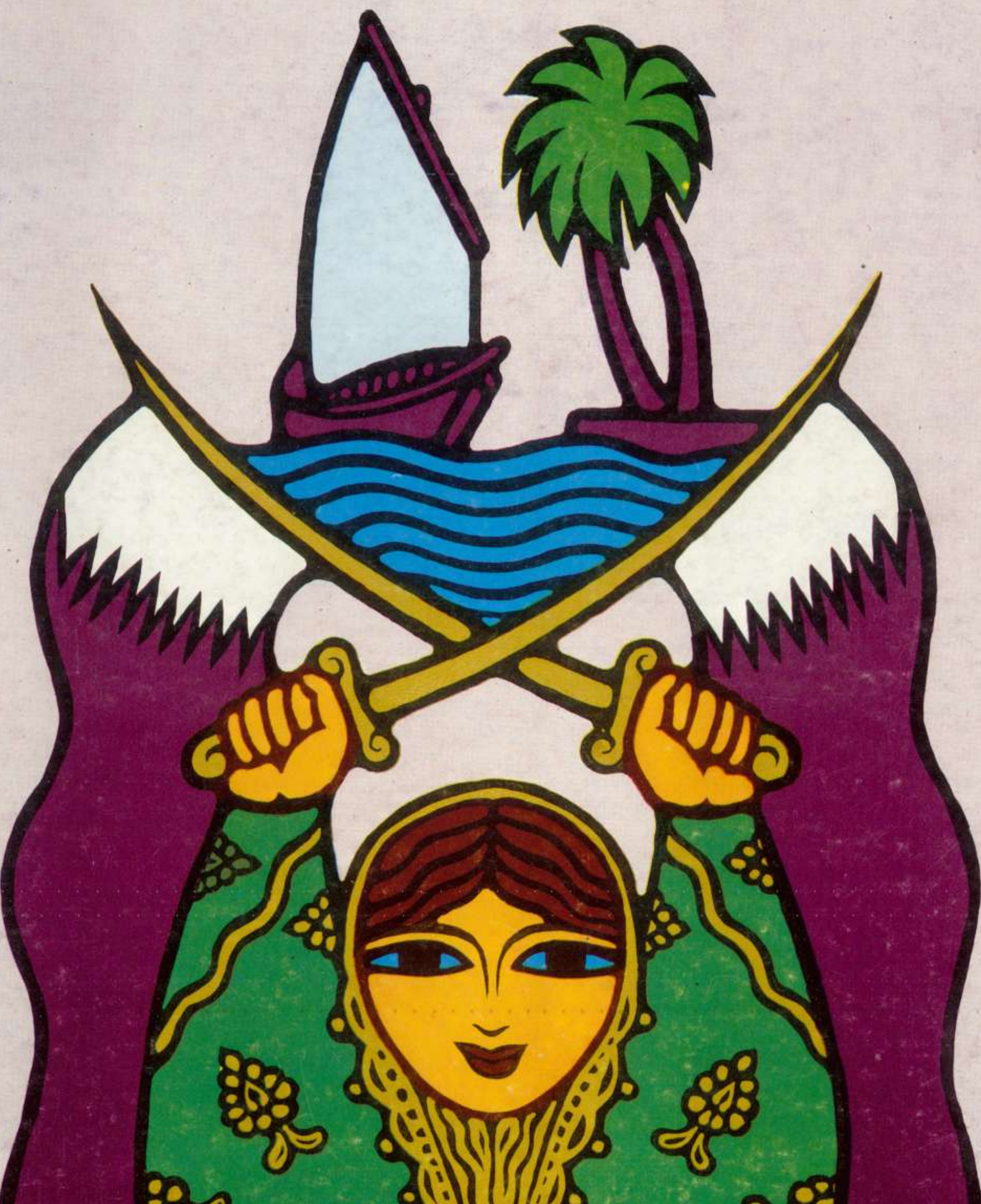
تيم

تيم

إلى الأمام .. رعاك الله يا "قطر"   قد كان للشعب باستقلالك الظفرُ

ثمار تلك السنين العشر قد ينعت   فلتهنأي أنت .. وليهنأ بك الثمرُ

وليستمر بك العمران يا وطني   ويزدهي في ربوع "الدوحة" الشجرُ



السنة السادسة العدد ٧٠ – ذو الحجة ١٤٠١هـ – اكتوبر ١٩٨١م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- الدوحة تنفرد بنشر
  آخر مقال لصلاح عبد الصبور وآخر حوار معه

- **مختارات من رباعيات الخيام** ترجمة الشاعر الكبير إبراهيم العريّض

- **معركة حول جبران**




MIRINDA

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٠ - أكتوبر/تشرين أول ١٩٨١م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٣٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة او المجلة

فى هذا العدد



خالد محمد خالد



د.محمد الأنصاري



جمال قطب



عبد الله جفري

كلمة

رسالة من القارىء العربي ... ورسالة إليه

تواصل مجلة « الدوحة » مسيرتها فى الحياة الثقافية ، بجهود من العاملين بها وبرعاية كاملة من دولة قطر ، ووزارة الاعلام فيها ، فهناك إيمان كامل بالرسالة الثقافية العربية التى تنطلق من هنا .. من شاطىء الخليج إلى سائر انحاء الوطن العربي ، حيث تلعب قطر دورها الايجابي الفعال المستمر الهادىء على الساحة العربية فى كافة الميادين وعلى رأسها الميدان الثقافي ، ومجلة «الدوحة» نموذج من النماذج الحية للمساهمة القطرية فى العمل الثقافي العربى الشامل وقد دخلت المجلة مع عام ١٩٨١ فى مرحلة جديدة من التطور ، حيث تنطلق هذه المرحلة من النجاح السابق للمجلة ، وتعمل على الاضافة الى هذا النجاح وتعميقه وتوسيع مجاله وتاكيد الجوانب الايجابية فيه ، وقد استطاعت «الدوحة» فى مرحلتها الجديدة أن تحظى بمزيد من الثقة بينها وبين القارىء العربي ، واستطاعت أن تحقق التجاوب المنشود بين العمل الثقافى وجمهوره .

وقد جاءتنا تقارير التوزيع من شتى انحاء العالم العربى فاذا بهذه التقارير تمثل لنا رسالة أمينة طيبة من القارىء العربى الى مجلة الدوحة ، وتؤكد أن الجهد المبذول فى قطر ، يلقى صداه على المدى العربى الواسع فى كل مكان ، فقد حقق توزيع المجلة زيادة ملموسة فى كل أرض فيها للكلمة العربية وجود ، فزاد التوزيع فى مصر حتى منتصف عام ١٩٨١ «فى شهر مايو» بنسبة ٤٣٪ ثم قفز التوزيع فى الشهور التالية ، بعد النصف الأول من عام ١٩٨١ الى نسبة ٧٠٪ ، وزاد التوزيع فى السعودية والعراق والسودان واليمن وسائر بلاد المغرب العربي وبلاد الخليج المختلفة بنسب تتراوح بين ٥٠٪ و ٣٠٪ ، وهذه الزيادة المضطردة فى التوزيع هي شهادة من القاريء العربي نعتز بها ونثق بصدقها ، ومن ناحية اخرى فاننا نعتبر هذه الشهادة «مسئولية» كبرى علينا أن نتحملها ، ونترجمها الى مزيد من الجهد والاخلاص للقاريء العربي ، وللدور الثقافي القطري فى الوطن العربى ذلك لأن النجاح الحقيقى ليس بابا ينفتح أمام الناجحين للراحة والاسترخاء ، بل هو باب ينفتح لتدخل منه الأعباء الجديدة وأداء الواجب بمزيد من الصدق والصبر ، والمسئولية والوعي والأمانة والحرص الكامل على كل قاريء جديد ، وكل كلمة مكتوبة ، وكل فكرة تثار ، وكل رأي يتردد ، وكل قضية لها فى القلب العربى والضمير العربى مكان عزيز .

ولا شك أن النجاح المضطرد الذى تحققه مجلة الدوحة له معان أخرى مختلفة غير معانيه السابقة ، وأهم هذه المعاني الأخرى أن ما يمكن أن نسميه بازمة « القراءة » فى الوطن العربى ليس أمراً صحيحاً ، فالقاريء العربى يثبت استعداده للاقبال المتحمس على كل ما فيه جهد وجودة من انتاج العقل والشعور ، وإذا كان القاريء العربى قد انصرف عن القراءة يوماً فمعنى ذلك أن ما كان يراه معروضاً امامه لم يكن يعبر عن هذا القاريء أو يستجيب لاحتياجاته الصحيحة ، فاذا وجد القاريء العربي ما يعبر عنه ، وما يحتاج اليه ، اقبل عليه بلا تردد ، بل كان إقباله مليئاً بالحماس والرغبة فى التجاوب مع كل ما هو أفضل واعمق وأجمل .

والمعنى الآخر ، الذى يعبر عنه نجاح « الدوحة » ، هو معنى متصل بأصحاب الأقلام التى تكتب وتبدع ، فهناك رأي يقول ان الأقلام المشهورة واللامعة ، أو القابلة للشهرة والتالق ، قد انتهت من ساحة الثقافة العربية ، وهذا رأي غير صحيح تثبت التجربة العملية بطلانه وخطاه ، وهاهي الدوحة تقدم فى كل عدد من اعدادها أسماء جديدة من الباحثين والنقاد والشعراء والمترجمين والمبدعين فى كل مجالات الفكر والفن والثقافة ، من منطقة الخليج والجزيرة الى كل مناطق الوطن العربي المختلفة ، فاذا بهذه الأقلام الجديدة التى تقدمها «الدوحة» تحتل مكانها بسرعة فى دائرة الحوار الثقافى العربى فى كل مكان ، وتعتز الدوحة بان كثيراً مما نشرته فى المرحلة الجديدة شعراً ونثراً وفكراً وإبداعاً وترجمة ، كان موضع المناقشة والأخذ والرد فى الساحة الثقافية العربية فى كل مكان ، وهذا دليل صادق على أن النبع العربي للالهام الفكري والوجداني لم يجف أبداً بانتهاء الجيل الأول من الأدباء والمفكرين ، وأن الأمة العربية مازالت تقدم كل يوم مبدعين أصلاء .. المهم أن تتاح لهم الفرصة للتعبير والانتاج ، وقد كانت الدوحة إحدى هذه الفرص المتاحة التى فتحتها وزارة الاعلام فى قطر على أساس من الدراسة والجدية والأمانة والاحساس بالمسئولية الوطنية الأصيلة ، فلمع على صفحاتها الكثيرون ممن يستطيعون أن يملأوا المسرح الثقافى العربى بالحيوية ، ويستطيعون مواصلة رسالة الثقافة العربية بغير توقف أو تقصير أو عجز .

تلك كلها بعض المعاني التى تكشفها لنا الزيادة الواسعة والمستمرة فى توزيع مجلة الدوحة ... وستمضى المجلة على الطريق فى اداء رسالتها ، وفى إدراك تام لعمق هذه الرسالة ، وما يفرضه النجاح فى ادائها من مسئوليات كبيرة .

« الدوحـــة »

التطور التربوي في قطر خلال عشر سنوات

بقلم :
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم



قبل أن اتناول التطور التربوى في دولة قطر وما حققه ببعديه الكمى والنوعى ، أرجو أن أؤكد على أهمية التربية في حياة الأمم ، فالتربية كانت — منذ كان الانسان — الوسيلة المثلى لاجراء حركة تغيير جذرى وتحول حضارى مبنى على أسس سليمة ، ومعطيات موضوعية قويمة ، في أى مجتمع من المجتمعات البشرية ، ذلك لأن حركة التغيير نحو الأفضل فالامثل ، لابد وأن تتم بجهد مدروس منظم لتؤتى ثمارها في المستقبل القريب أو البعيد ، والمستقبل إنما هو رهن بما نقدمه للحاضر من جهود مخلصة مثمرة بناءة ، وأقدر الناس على القيام بهذه الجهود شباب مخلص واع ، مؤمن متحمس ، صقل الايمان ضمائرهم ، وشحذ القلم مواهبهم ، وحفزت المعرفة عزائمهم ، فسمت اهدافهم ، وتطلعت الى المجد نفوسهم .

ومثل هذا الشباب لايمكن أن يتاتى لأى شعب من الشعوب ، أو أى أمة من الأمم ، بالمنى والأماني ، وانما لابد لاعداده من تربية شمولية ، رصينة السياسة والأهداف ، حكيمة الاستراتيجية والتخطيط ، تتميز مناهجها بعمق المحتوى ، وسلامة الوسيلة ، ويتميز القائمون عليها بالايمان والاخلاص من ناحية وبالعلم والمعرفة والوعي من ناحية ثانية .

من هنا تستقطب التربية اهتمام كل مواطن واع ، وكل عالم مخلص ، وكل مصلح غيور ، وتوليها الأمم كل اهتمامها وجل جهودها ، لأنه بتقدمها وتجددها وتطورها ، تزداد فاعليتها ويزداد عطاؤها ومردودها وتاثيرها على الأجيال الذين هم الامتداد الحي في شعاب المستقبل ، وهم الذين ستغدو بأيديهم مقاليد الأمور — كل الأمور — في المستقبل القريب ، وهم إنما يصدرون عن مبادىء وقيم ومفاهيم تلقوها في تربيتهم الأساسية في المدرسة ، عبر المعلم والمنهج والكتاب والوسيلة والفعاليات التعليمية لذلك بقدر ما تكون

صورة التربية مشرقة ، بقدر ما تشرق صورة المستقبل .

وانطلاقا من هذا المفهوم الواضح لأهمية التربية والتعليم في حياة الأمم والشعوب ، كان أهتمام دولة قطر بالتربية والتعليم ، ومن هنا كانت أول وزارة أنشئت في البلاد على الاطلاق هى وزارة التربية والتعليم ، ولايزال هذا الاهتمام يزداد رسوخاً على مدى الاعوام ويأخذ أبعادا واعماقا جديدة مع الأيام

بين الأصالة والتجديد

كثيرا ما تواجه المجتمعات النامية ما يسمي بالاختيار الصعب بين الأصالة والتجديد ، وفي كثير من الاحيان تفقد أصالتها وانتماءها الى تراثها في غمرة البحث عن التجديد ، أما نحن فلم نواجه ذلك فمنذ البداية حرصنا على أن لايؤدى التزايد المعرفى ، والتفجر العلمي ، والتسارع الحضارى في العصر الذى نعيش فيه ، الى الاخلال بالتوازن الذى نستهدفه بين الأصالة والتجديد .

إننا أمة لها عقيدتها السامية التى تستمد عظمتها من عظمة مشرعها سبحانةوتعالى ، وتستقى فهمها من سنة وسيرة مبلغها صلى الله عليه وسلم ، وهذه العقيدة تستوعب اخلاقا وقيما ومثلا لاتفنى ، ونظما وتعاليم ومفاهيم لاتبلى ، وقد أنتجت حضارة نبيلة حققت للانسانية السعادة الحقيقية التى لم تعرفها في تاريخها الطويل ، والتى افتقدتها بعدها . وان تاريخ أمتنا العلمى ليحتل أنصع صفحات سفر البشرية مذ كانت البشرية . ولذلك فاننا حريصون على التمسك الكامل بهذا التراث النبيل بكل ما فيه من قيم ومثل وعمق وأصالة . كما أننا لاننسى اطلاقاً اننا نعيش في عصر يتميز بسرعة الانجاز العلمى ، وأصبح يعرف بعصر الذرة وغزو الفضاء ، وقد تمكن الانسان فيه من استثمار خيرات الأرض ، وتسخير قوى الطبيعة ، وانطلق الى الفضاء يبحث عن

● حرصنا منذ البداية على ألا نفقد تراثنا في غمرة البحث عن التجديد

● كان لابدّ أن نأخذ الطوفان العلمي الهادر بعين الاعتبار ونحن نخطط لمستقبلنا

المزيد ، وكل يوم يحمل جديدا الى الحضارة الانسانية ، ويثرى التقدم العلمى والتكنولوجي . ونحن لانعيش بمعزل عن هذا العالم ، وانما نحن منه ، نتاثر به ، ونؤثر فيه ، ونتفاعل معه ، لذلك كان لابد من أن ناخذ الطوفان العلمى الهادر بعين الاعتبار ونحن نخطط لتطورنا التربوى ، وبهذا جاءت مناهجنا مرنة متحركة ، قادرة على المحافظة على تراثها ، والافادة من معطيات العصر في مجالات العلم والثقافة المتعددة ، وقادرة كذلك على أن تهضم النظريات والافكار الخصبة التى تجود بها وتطوعها لمفاهيمها ونظرتها الاسلامية للكون والانسان والحياة، بحيث يتواءم العلم والايمان ، ويحتفظ ناشئتنا بشخصياتهم المستقلة المتميزة كأفراد مسلمين في مجتمع قطرى خليجى ينتمى الى المجتمع العربي الكبير .

البعد الكمى للتطور التربوى

كان لابد وأن يتطور التعليم تطورا ملحوظاً في كمه ونوعه ومردوده وانتاجيته ، وتوضح المقارنة التالية نسب التطور التي حدثت في مدى الاعوام العشرة السابقة ما بين عامى ٧١ / ١٩٧٢م و ٨٠ / ١٩٨١م في التعليم :

	١٩٧٢/٧١	١٩٨١/٨٠
اعداد الطلاب	٢٠٩٧٩	٣٩٩٤٤
اعداد المدارس	٨٩	١٤١
اعداد المعلمين	١١٦٥	٣٤٨٨
اعداد المعلمين القطريين	٢٩٤	١٢١٩
الموازنة	٥١,٠٨٠,٦٢٨	٨٠٨,٥٥٧,٠٠٠

ومن هذه الأرقام يتضح أن نسبة التزايد فى عدد الطلاب خلال عشر سنوات بلغت ٩٠,٤٪ وفي اعداد المدارس ٥٨,٤٪ وفى اعداد المعلمين ١٩٩,٤٪ وفى إعداد المعلمين القطريين ٣١٤,٦٪ . كما بلغت نسبة التزايد فى الموازنة ١٤٨٢,٩٪ .

هذا وقد بلغت نسبة الطالبات الى الطلاب في العام الدراسى الحالى ٤٨٫٥٪ وهي من أعلى النسب العالمية لتعليم البنات ، يضاف الى ذلك أنه جرى في هذه السنوات العشر تقطير الوظائف الادارية الرئيسية في التربية والتعليم في قطاعي تعليم البنين وتعليم البنات سواء أكان ذلك على مستوى الادارة المركزية «الوزارة» أو على مستوى الادارات المدرسية ، ليتولى ابناء البلاد قيادة المسيرة التربوية الهامة وذات الابعاد المتعددة والتأثير المباشر على مستقبل شعبهم ووطنهم .

البعد النوعى لتطور التربية

على أن التطور الأهم تركز على نوع التعليم ، حيث جرى تطوير لكل مدخلات العملية التعليمية ، من سياسة واستراتيجية ومناهج وكتب ووسائل ، ومن اعداد للمعلمين والادارة التربوية ، والبيئة المدرسية ونظم التعليم وغيرها ، ويتضح ذلك فيما يلى :

●من حيث السياسة والاستراتيجية : فقد تم وضع سياسة تربوية مكتوبة

التطور التربوي في قطر خلال عشر سنوات

لدولة قطر وهى الان أمام مجلس الوزراء الموقر لدراستها بهدف اقرارها ، كما قامت لجنة مختصة بجمع التشريعات التربوية القطرية ، وقمنا باعادة صياغة أهداف التعليم العامة والخاصة . وهناك لجنة من وزارات الدولة المعنية بالاضافة الى وزارة التربية وجامعة قطر تقوم بوضع استراتيجية تطوير التربية في الدولة ، وقد انتهت من أعمالها وفي انتظار اقرار السياسة التربوية حتى توائم بينها وبين الاستراتيجية ، وننتظر أن يخرج هذا الجهد الكبير الى الوجود في غضون العام الدراسى الحالى .

● من حيث المناهج والكتب والوسائل : لقد تم خلال العقدين السابقين وضع مناهج قطرية لجميع مواد التعليم في جميع المراحل مستلهمة مناهج الوحدة الثقافية العربية ، وتم تاليف أو تنقيح الكتب المدرسية القطرية لتتلاءم معها ، واعتبرت هذه الخطوة نقطة البداية حيث شكلت لجان دائمة وأخرى شبه دائمة لتتناول بالتطوير المستمر مناهجنا القطرية لتساير أحدث ما توصل اليه الفكر الانسانى في الموضوعات المختلفة ومن هذه اللجان : لجنة الرياضيات ، لجنة العلوم ، لجنة المواد الاجتماعية ، لجنة اللغة الانجليزية ، لجنة العلوم المنزلية ، لجنة اللغة العربية ، لجنة الرصيد اللغوى للطفل القطرى ، لجنة تنميط الأسماء الجغرافية لدولة قطر ، لجنة التقنيات التربوية ، ولجنة التلفزيون التربوى ، بالاضافة الى عدد من اللجان الفرعية ، وقد كان من نتاج عمل هذه اللجان ما يلي :

ـ تعميم تجربة الرياضيات الحديثة في المرحلتين الاعدادية والثانوية وتدرس اللجنة الان مد التجربة الى المرحلة الابتدائية .

ـ تعميم تجربة العلوم المتكاملة في المراحل الابتدائية ، والاعدادية ، والثانوية حتى الثاني الثانوى وتدرس اللجنة استكمال المرحلة الثانوية حالياً .

ـ تعميم تجربة المواد الاجتماعية المتكاملة في المرحلة الابتدائية والمطورة في المرحلة الاعدادية وتدرس اللجنة الان استكمال المرحلة الثانوية .

ـ تعميم تجربة اللغة الانجليزية المطورة في المراحل التعليمية الثلاث ، العامة والتخصصية .

ـ انجاز تنميط الاسماء الجغرافية في دولة قطر تبعا للأسس التى وضعها المختصون في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ـ إعداد عدد من المجلدات فى ألفاظ الطفل القطرى لضمها الى مثيلاتها فى الاقطار العربية الأخرى بقصد وضع قاموس الطفل القطرى العربى للافادة منه في التأليف للأطفال بلغتهم لا بلغة البالغين .

ـ الاتجاه الى انجاز معظم الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية البسيطة محليا بدلا من استيرادها من الخارج .

ـ قيام كل من مشروعى التلفزيون التربوى والاذاعة التربوية بالتعاون مع وزارة الاعلام وقد انجزت لجنة التلفزيون التربوى عددا من الافلام التعليمية التجريبية يجرى تقويمها ليبدأ البث في ٢٢ فبراير القادم بعون الله ، كما قامت لجنة الاذاعة التربوية بجهود مماثلة .

وهذه لمحة سريعة للغاية لما حظيت به المناهج من تغيير وتطوير يجرى تقديمه موضوعيا ، وباستمرار بقصد تلافي اى قصور ، وتنمية المميزات التى تبرز من خلال التطبيق الميداني .

● وضع قاموس للطفل القطري حتى نؤلف للأطفال بلغتهم لا بلغة البالغين

● معلم السبعينات غير معلم الثمانينات من حيث إعداده وتدريبه واستيعابه للمناهج

اعداد العاملين في التعليم

وهناك تطور لايقل في جدواه عن تطور السياسة والاستراتيجية والمناهج حدث في حقل اعداد العاملين في التعليم وتدريبهم ، فمعلم السبعينات غير معلم الثمانينات من حيث اعداده وتدريبة وحفزه ، وكذلك الحال بالنسبة للادارى ، لقد كنا نعين خريج الثانوية العامة القطرية ليكون معلما في المرحلة الابتدائية وكذلك الخريجات مع تدريب بسيط لهم ، أما الآن فقد استقر اعداد المعلمين لكل المراحل عبر الجامعة حيث انشأنا بالاتفاق مع جامعة قطر نظام بكالوريوس التربية للمرحلة الابتدائية بالاضافة الى برامج كلية التربية العامة لاعداد معلمى المرحلتين الاعدادية والثانوية ، كما انشأنا نظاماً فريدا قوامه أن نعين خريجات الثانوية كمعلمات وفى نفس الوقت لانقيمهن بالعمل وانما نبتعثهن الى كلية التربية للحصول على الشهادة المرحلية الأولى من بكالوريوس الابتدائي «٧٢ ساعة معتمدة» . وبعد حصولهن على الشهادة يعدن للعمل ثم يكملن دراسة البكالوريوس ضمن البرنامج المسائى . ونتيجة لهذه الجهود وعديد غيرها ارتفعت نسبة المؤهلين تربويا في مدارسنا من ١٢٪ سنة ١٩٧١ الى ٤٢٪ سنة ١٩٨١ يضاف الى ذلك حرص الوزارة على تدريب المعلمين في اثناء الخدمة حيث يتولى قسم التدريب

اعداد ما يقارب العشرين دورة تدريبية سنوياً ينتفع بها بين ٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ معلم ومعلمة سنويا في مختلف التخصصات ومختلف المراحل .

أما من حيث الادارة التربوية فقد تبنت الوزارة تدريب الاداريين بأحدث الاساليب بدءا من العام الدراسى ١٩٧٤ ١٩٧٥ وذلك عبر البحث الميدانى الاجرائي بالتعاون مع مكتب اليونسكو في بيروت ثم مع اساتذة جامعة قطر ، وقد تحقق كثير من الفوائد للعملية التربوية بهذا الاسلوب ، ويتولى المديرون الآن معالجة ست قضايا تربوية ميدانية في بحوث اجرائية هى : الكتاب المدرسى ، التربية الدينية والخلقية ، التقويم التربوى ، العمل المنتج ، التعليم الذاتى ، نظم المعلومات ، وبهذا أخذت المعالجات التربوية الادارية بعداً تربويا ذا تفكير واقعى موضوعى ينطلق من الميدان .

البيئة المدرسية

يضاف الى ذلك تحسين مماثل فى البيئة المدرسية ، فمدارس اليوم غيرها قبل عشر سنوات من حيث التصميم والتسهيلات التربوية المختلفة وفعالية مرونة المبنى الى غير ذلك من الأمور ، وقد استقدمت الوزارة خبيراً من اليونسكو فى المباني المدرسية قبل خمس سنوات ولا يزال يعمل مع المسؤولين عن المبنى المدرسي لدينا لاعداد أفضل نوعيات المباني لكل مرحلة من المراحل ولكل بيئة فى القرية أو المدينة أخذاً بعين الاعتبار ظروف المناخ فى دولة قطر ، وقد وضعت الوزارة خطة عشرية للمباني المدرسية ، وتفضل مجلس الوزراء بتشكيل لجنة من وزارات التربية والتعليم والأشغال العامة ، والكهرباء والماء ، والشؤون البلدية ، وادارة الأراضي لوضع هذه الخطة موضع التنفيذ . كما شكلت لجنة أخرى لتكييف المدارس القائمة على أن المدارس الجديدة كلها تطرح بالتكييف وبهذا سنتمكن من مد العام الدراسي الى أطول مدى ممكن .

● كيف يعالج رجال التربية القضايا التربوية من خلال البحوث الميدانية ؟

● دور الجامعة في دعم الاستقلال الفكري والثقافي للوطن وتطوير العملية التربوية والتعليمية

من حيث النظم

فقد جرى تطوير جذري لكل نظم التعليم من حيث نظم تدفق المعلومات بين الأجهزة ، ونظم التسجيل وتقويم المعلمين والاداريين ، ومن حيث نظم الامتحانات وتقويم الطلاب ، ونظم حفز المعلمين والطلاب وغيرها ، ولا يتسع المجال لاستقصاء كل ما حدث من تغيير فى هذا المجال .

جامعة قطر

ومن نتاج السنوات العشر الماضية ما حظيت به التربية والتعليم من دفعة قوية للأمام بانشاء جامعة قطر التى بدأت بانشاء كليتي التربية للمعلمين والمعلمات سنة ١٩٧٣ ثم اتسعت لتشمل خمس كليات هي : كلية التربية ، وكلية العلوم الانسانية ، وكلية العلوم ، وكلية الشريعة ، وكلية الهندسة . والجامعة صرح علمي وتربوى يدعم الاستقلال الفكري والثقافي للوطن ، وله دوره فى تطوير العملية التربوية والتعليمية بما يتاح للجامعة من اساتذة هم قمة الخبرات العلمية والتربوية والثقافية والفكرية ، وقد أصبحت اعداد الطلاب والطالبات فى الكليات الخمس فى الجامعة كما يلي :

الكليات	بنين	بنات	المجموع
التربية	٥٧١	١٢٦١	١٨٣٢
الانسانيات	١٨٢	٢١٠	٣٩٢
العلوم	١٠٢	١٨٥	٢٨٧
الشريعة	٣٨	٧٩	١١٧
الهندسة	٤٥	—	٤٥
المجموع	٩٣٨	١٧٣٥	٢٦٧٣

هذا غيض من فيض ما حظي به التعليم من تطور خلال السنوات العشر الماضية ، ولا يمكن استقصاء كل ما تم فى هذه العجالة . وإننى أؤكد أن هذه الانجازات الضخمة ما كانت لتتم لولا توفيق الله سبحانه وتعالى أولا ، ثم الدعم والتأييد المتواصلين من لدن صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وكذلك الجهود الكبيرة والمتواصلة لسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد .

والله تعالى نسأل أن يوفق بهذه الجهود أبناءنا لبناء مستقبلهم على أسس قوية قويمة متينة تستعصى على كل اعوجاج أو التواء ، ليحققوا لوطنهم رجاءه ولشعبهم آماله ولأمتهم طموحاتها

محمد بن حمد آل ثاني

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

أزمة الثقافة العربية أمامها حل واحد

هناك أزمة فى الثقافة العربية ... نعم والحل الوحيد لهذه الأزمة هو الخروج من ثقافة الموجات العابرة والعودة الى ثقافة الأصول الفاعلة .

إذا أردنا أن ندخل ، بأمتنا ، عصر « تنوير » حقيقي ، يختلف عن المراحل المبتسرة والمجهضة التى تتالت منذ مطلع النهضة ، فعلينا أن نميز بين « ثقافة الأصول » و « ثقافة الموجات المؤقتة » .

فبين مرحلة وأخرى من مراحل تاريخنا الفكري والأدبي الحديث كانت تطلع علينا «موجات» مؤقته متتالية متباينة ومتناقضة من المدارس والاتجاهات ..

فى فترة موجة « الواقعية الاجتماعية » ..
فى فترة تالية : موجة «الوجودية» ..
فى فترة أخرى : موجة « السريالية »

وهكذا حسبما تفيض به الثقافة الغربية من موجات نابعة من تياراتها وحاجاتها الذاتية ..

وخلال صعود كل من هذه الموجات تشهد الساحة العربية فيضاً زاخراً من الترجمات والدراسات والكتابات الفنية تصب كلها فى بوتقة تلك المدرسة - الموجة ولا تتعداها ..

ولعل جيلنا يتذكر كيف كان اسم مكسيم غوركي ذات يوم كلمة السر فى أوساط الأدب « التقدمي » .. ثم جاء اسم سارتر والبير كامو فى مرحلة أخرى ثم أسم « رامبو » فى مرحلة سريالية تالية .. وهكذا ..

وليس لدينا اعتراض على متابعة أوساطنا الأدبية لآخر تطورات الثقافة العالمية . ولكن ما يحدث عندنا هو أن ناشئتنا - لضحالة خلفيتهم الجامعية - ينكبون فى كل مرحلة من هذه المراحل على ما تنتجه المطابع العربية من كتب حول هذه الموجة الثقافية أو تلك .. فيخرج لنا جيل كل حصيلته مبادىء الفكرة الوجودية وأدبها ، وجيل أخر كل محصوله بعض نتاج المدرسة السيريالية ؛ ولا علاقة له بالمعرفة الانسانية وواقع العالم إلا من خلال المنظار الوجودي أو المنظار السريالي وهلم جرا .. فان واجهته مرحلة جديدة مختلفة أصيب بالحيرة

والعجز واليأس .

ولأن المطبعة العربية ، بحكم مراعاتها لمستوى الجمهور العربي ، تقدم من كل مدرسة وموجة الأسهل فالأسهل ؛ فان حصيلة أجيالنا ، حتى من الوجودية أو السريالية ، ليس الفكر الفلسفي العميق ، بل النتاج العربي المبسط المبتسر . ومن قرأ لسارتر من الشباب العرب فقد قرأ له رواياته وبعض مسرحياته ، ولكن لم يقرأ له فى الأغلب كتابه الفلسفي « الوجود والعدم » على سبيل المثال .. والأمثلة على ذلك كثيرة .

... وبعد كل هذه « الموجات » التى مرت علينا وانشغلنا بها ، من حقنا أن نسأل : ماذا أفدنا منها فى تطورنا الفكري الحضاري العام .. وماذا بقى منها وترسخ وتأصل فى أدبنا وفكرنا العربي وأصبح جزءاً منا ومن ابداعنا العربى المعاصر الذى طال انتظاره ، ولم تهل علينا أنواره ... بعد !

والبديل عن هذه الموجات المؤقتة المتتابعة العابرة ؟؟

البديل : عصر تنوير حقيقي .

وأول مستلزمات عصور التنوير الرجوع الى « الأصول » . اصول الثقافة الانسانيـــة والحضـــارات العالميـــة التـــي لا تفقـــد قيمتهـــا مـــع ذهاب هذه الموجة أو تلك ، والتى لا يستغنى عنها فى بلورة أية رؤية حضارية جديدة ، جادة ورصينة ثابتة وباقية لا تتعرض للاهتزاز والسقوط مع النكسات والنكبات .

والأصول هي الأصول رغم تقادم الزمن وتجدد المراحل ، هي أبداً ، هناك ، حية متجددة ، متحدية ، شائقة ، رغم ايغالها فى القدم ..

الأصول هي سقراط وأفلاطون وأرسطو ..

والأصول هي الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون .

والأصول هي ديكارت وكانت وهيغل ونيتشه .

والأصول هي المتنبى والمعري وشكسبير وطاغور ..

هذه هي أصول الأدب والفلسفة والفكر على سبيل المثال لا الحصر .

ومن أراد أن يفهم وجودية سارتر على حقيقتها فان جذورها وأصولها ترقى الى معاناة نيتشه ..

ومن أراد أن يفهم الصراع الاجتماعى لدى مكسيم غوركي فان أصله هناك .. فى النبع .. فى ديالكتيك هيغل .. هذا هو الفرق بين ثقافة «الموجات»وثقافة « الأصول » . والمسألة ليست مجرد مسألة « تعمق » فى البحث «وتبحر» فى الخلفيات الفكرية لجذور الأشياء .. كلا .. أنها ليست ترفاً أكاديمياً .. انها أكثر من ضرورة ، هذه العودة التى نطالب بها الى «ثقافة الاصول» فى وجه «ثقافة الموجات» العابرة المسطحة التى لاتترك غير ركام من الكتب الميتة على الرفوف المغبرة العقيمة للمكتبة العربية ، ولا تفيد غير دور النشر التجارى !

والأصول لا تكون العودة اليها ، ومعرفتها معرفة حميمة ، من أجل ذاتها وإنما من أجل هضمها وغربلتها واستخراج شيء جديد منها ، أصيل كأصالتها ، راسخ كرسوخها ، فاعل كفاعليتها ، وليس عابراً مسطحاً نافلا كالموج المترجرج .

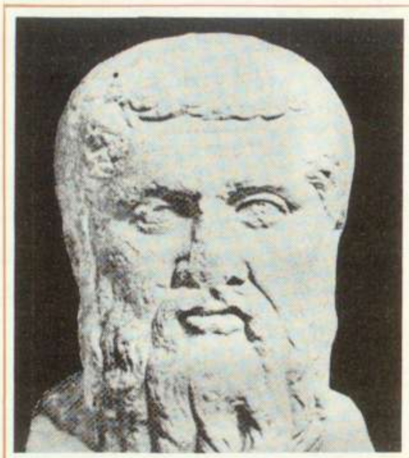
عندما ترجم العرب أفلاطون وأرسطو خرج من بينهم الفارابى وابن سينا وابن خلدون .

وعندما ترجم الأوربيون ، فى مطلع نهضتهم الحديثة ، ابن سينا ومعه أرسطو خرج من بينهم ديكارت وكانت وأمثالهما من القمم الفكرية ..

وعندما ترجم العرب ، فى مطلع عصرهم الحديث ، ديكارت وشيئاً من كانت وهيغل وعادوا الى ابن سينا وابن خلدون خرج من بينهم محمد عبده وشبلي شميل ولطفى السيد وطه حسين وميخائيل نعيمة ..

.. ولكن عندما ترجموا عن الوجودية

افلاطون



أرسطو



أزمــــة الثقافة العربية
أمامها حــل واحــد

والسريالية وغيرهما من الموجات ، واكتفوا بهـا كموجات دون البحث عن أصولها ، وانقطعت متابعتهم الأصولية التى بدأها جيل محمد عبده ، وطورها جيل طـه حسين ، فان الحصيلة من تلك الموجات لم تكن شيئاً يذكر لا فى الأفكار ولا فى الرجال . وهذا لا ينطبق على المثقفين العرب الذين يتابعون الثقافة الغربية ..

إن التراثيين العرب يكتفون أيضاً بالفروع والهوامش والذيول من الثقافة العربية الكلاسيكية ولا يعودون الى الأصول والى الشواهق .. وما أكثر كتب التراث التى يعاد طبعها هذه الأيام ولكن ما أبعدها عن تلك المنابع الأصيلة الحية التى تمثل ذروة الفكر الكلاسيكي العربي من المعتزلة الى ابن خلدون ..

فالحالة ـإذنـ واحدة ، والتقصير واحد .. المثقفون «العصريون» منحصرون فى الفروع العابرة لتيار الثقافة الغربية .. من ساغان الى ماركوز ..

والمثقفون « التراثيون » غارقون فى الهوامش والذيول .. و«الشرح» على الشرح لديوان المتنبي و «التعقيب» على «تلخيص» ألفية ابن مالك .

والهوة بينهما تتسع لتمزق ضمير الأمة وتخلق معسكرين متباعدين فى حياتها الثقافية .. بينما لو تلاقى الجميع على مائدة الغزالى وديكارت ، وابن سينا وأفلاطون ، وابن خلدون وتوينبي ، لوجدوا الغذاء الحيوي منسجماً ومستساغاً لأنه مستمد من شجرة الحضارة الانسانية الواحدة فى أصولها المشتركة قبل أن يصيبها التفريع والتعقيد والتشرذم البعيد عن حيوية المنابع الأساسية .

وتصبح العودة الى الأصول أكثر من ملحة على ضوء الأزمة الحياتية والحضارية الخانقة التى تعانيها أمتنا اليوم . لابد من الخروج من متاهه المذهبيات الأدبية والفكرية التجزيئية الضيقة الى رحابة الأصول والثقافات الانسانية التى أسست النهضات وأقامت الحضارات ..

كيف فكر الأغريق وعملوا فى فجر حضارتهم ؟

كيف كان العرب عندما مسهم ذلك اللهب المقدس فى فجر الاسلام ؟

كيف خرج الأوربيون من جمود عصورهم الوسيطة الى اشراقات عصر النهضة فى الكشوف والابداعات ؟

هذه الأسئلة الجذورية لا تجيب عنها ثقافة الموجات والتقليعات العابرة التى تركز اهتمامها على تفصيلات وتفريعات قد تهم حضارة متخمة مكتهلة فى الغرب ولكنها لا تجدى قطعاً لاطلاق حضارة جديدة منتظرة فى الشرق .

لن تفيدنا اليوم المفاضلة بين سارتر وهربرت ماركوز ولا بين غوركي وكافكا فالمشكلة أعمق وأكبر وأوسع مدى ..

الأسئلة المطلوبة أكبر من الرمزية والسريالية وأبسط من تعقيداتهما ..

ـ من نحــن ؟

ـ مــاذا نريــد ؟

ـ ما معنى الكون والتاريخ والحضارة ؟

ـ ما معنى الانسان ؟

ـ كيف تكون النهضات الحقيقية ؟

ـ كيف تبقى الأمم حية ولا تندثر ؟

ـ ماهي مقومات بقاء الأمة ضد عوامل الهدم والتصفية ؟

ماهو أقل من هذه الاسئلة اليوم هروب وعجز وتأخر قاتل ، حتى لو تزيـا مثقفونا بآخر أزياء «الدادية» وتجملوا بآخر مساحيق «البنيوية» .. أو ولوا وجوههم تجاه أجود الشروح الكلامية وأدق الملخصات النحوية والبديعية .

إن أى عصر تنوير حقيقي لابد وأن يبدأ بطرح تلك الاسئلة الكبيرة والبسيطة .

ومسئولية المجلات الثقافية كبيرة فى هذا المجال فهى بتواجدها وتتابعها المستمر بين أيدى القراء تستطيع أن تخلق مناخ التغيير المطلوب أكثر مما يستطيعه الكتاب .. وذلك بعودتها الى دراسة الأصول وعرضها بصورة خلاقة جديدة وتركيزها على أسس الثقافة الانسانية الثابتة بدل جريها وراء الصراعات الأدبية والفنية الطارئة فى الغرب الثقافي ..

ويتطلب الأمر أيضاً ترشيد حركة الطبع والنشر . فبدل الاهتمام بنشر آلاف الكتب الفرعية والجزئية ذات الآفاق المحدودة ، يستلزم الأمر قبل كل شيء الاهتمام الشديد بنشر كتب الأصول .. أعنى الكتب الكبرى التى غيرت مجرى التاريخ الانسانى فى مختلف الحضارات وفى مختلف العصور ..

ثم تبقى المسئولية الكبرى على عاتق المثقف العربى نفسه . هل يمد يده الى أقرب كتاب على الرف من هذه الكتب الشائعة التى تمس جلد الثقافة مساً رقيقاً فى فرع من فروعها أو حاشية من حواشيها ، أم يجهد النفس بالذهاب الى مكتبة الحضارة الانسانية ليقرأ قبل كل شيء «جمهورية أفلاطون» و «منقذ» الغزالى و «مقدمة ابن خلدون» و «منهج» ديكارت وديالكتيك هيغل و «دراسة» توينبى فى التاريخ ؟ ... المثقفون والقراء العرب يشكون هذه الأيام من حالة انحطاط أدبى وفكرى ؟ لماذا لا يجربون هذا التغيير فى أنماط القراءة وفى نوعية ما يقرؤون ؟

ولكل فجر حضارى لابد من عودة الى الأصول والى المنابع الحية الكبرى .

د. محمد جابر الانصارى
باريس

الضمير الإنساني

في رحلته الخالدة

بقلم
خالد محمد خالد

يحاول هذا المقال أن يمثل أو يتمثل « رؤية تاريخية » لموكب الضمير الانساني فى رحلته عبر القرون والأزمنة رؤية نحاول بها استشراف مسار هذا الضمير ، واستشراف المستقبل الواعد من خلال تجربته الحية مع بني الانسان

وهى محاولة تجعل من هذا المقال مجرد «ايماءة» الى الموضوع ، وليست عرضاً له ولا دراسة ..

ولعلنا نعنى بالضمير تلك البصيرة التى منحها الله الجنس البشرى ، والتى وصفها الرسول الكريم بقوله «ذلك واعظ الله فى قلب كل مؤمن» ..

ونعنى به ارادة التفوق التى تقود بالحاحاتها النبيلة ، وحدسها القويم جميع العائلة البشرية لتعانق مصيرها الخيِّر العظيم .. وبتعبير اصطلاحى ، نعنى بالضمير تلك الوظيفة النفسية التى ترى الانسان طريق الخير وتوصيه به ، وطريق الشر وتزجره عنه ..

•••

عندما اكتشف الانسان وجوده الحى فى هذه الدنيا ، ألفى نفسه جزءاً من حياة فذة تعمل داخل كون لا تنتهى عجائبه .. وراح يرقب المشاهد فى دهش .. فالماء يجرى ، وتجرى الحياة فى أثره .. والأرض تهتز بالزرع الطالع تحمله فى عناء ، ثم تلده فى حنان .. ثم ترعى مع الشمس شبابه .. حتى اذا جاء ميقاته المعلوم أسلمته قرباناً للانسان وتلقفته مناجل الحصاد .. !!

وتعود الأرض ، فتتلقى من جديد البذار والغراس ، وتعاود كرتها ، فتحمل وتلد وتعطى القرابين ..

ورأى الانسان نفسه كهاتيك الزروع .. تلده الحياة ، وتدفعه الأرحام الى أبهاء الوجود ، ثم تلقفه مناجل الموت حين يجيىء ميقاته ، بينما الحياة فى

الضمير الإنساني في رحلته الخالدة

نشاطها الخالد لا تنى .. مواليد فى اثر مواليد .. !!

وهناك فى الأعالى البعيدة عند ذلك السقف المرفوع يرى نفس المشهد .. الشمس تشرق كل صباح من المشرق ، عابرة الآفاق فى رحلتها الجليلة ، وموكبها الأبدى ، حيث تاوى آخر النهار لمستقرها ، فتهبط الى مخدعها ، ويموت يوم .. !! وفى الصباح تعود ويولد يوم جديد .

والقمر يطلع على استحياء خيطاً من الضياء رقيقاً ، وَهْناناً ، مقوساً . ثم ينمو ويكتمل بهاؤه .. ثم ينسحب رويداً رويداً حتى يختفى ويختفى معه ضياؤه ..

والرياح تجرى مرسلة وعاصفة .. والرعود والبروق تدوى مذكرة ومنذرة !!

والضمير الانسانى يرصد كل هذا ويتفحصه ، ويحاول أن يتعرف الى هذه القوى والكائنات ، وأن يعرض عليها صداقته واخاءه ..

إن هذه العائلة الكونية التى تذهله لابد وأن يكون لها عائل كبير . فاذا أراد أن يتعرف عليها فليبدأ بعائلها .. ترى ماذا يكون ؟ رباً .. أم ملكاً .. أم أباً .. ؟ فليكن أى شىء من هذا .. المهم أن يقرع بابه ويقول له : إنى أعرض عليك وعلى كونك صداقتى ، وصداقة الجنس البشرى الذى أمثله .

إن لكل نبتة خضراء زارع يزرعها ويرعاها .. ولكل كوخ بان بناه .. ولكل محراث صانعه ، ولكل حديقة بستانيها ، ولكل عائلة من بنى الانسان أبوها ..

فهذا الماء الذى يجرى ، والقمر الذى يبزغ ، وصاحبة الجلالة «الشمس» التى يتحرك موكبها المهيب كل يوم وكأنها تستعرض رعاياها .. وهذه الرياح التى تسبح وتمرح حين ترضى ، وتزمجر وتدمر حين تغضب .. أليس لها أب أنجبها ؟ أم تراها ولدت نفسها .. ؟!

• • •

لكن الضمير يعجز «مؤقتاً» عن رؤية هذا الأب والخالق ، فيقترب من قوى الكون التى يشاهدها ويصادقها الى حد التقديس والعبادة .. فالهواء إله اسمه «شو» والأرض إله اسمه «غب» والسماء إله اسمه «نوت» والشمس إله اسمه «رع» .. !!

ولكنه وقد خلع صفة الألوهة على هذه القوى ، فقد خلعها على الانسان أيضاً وراح يرى أن الناس صور الاله انطلقت من جسده حسب التعبير المصرى القديم .. ثم راح يبحث عن القوى المركزة التى يستطيع أن يرى فيها الاله الحق الواحد ، فيبدأ بالثالوث لينتهى الى الوحدانية ..

ها هو ذا ــ فى مصر القديمة ــ يقول: «كل الآلهة ثلاثة آمون ، ورع ، وبتاح ، ولا ثانى لهم» ..

إن عبارة ولا ثانى لهم تعنى أن الضمير هنا يجعل الثلاثة واحداً .. وفى النص التالى نجد هذا المعنى فى وضوح أكثر : «هو الواحد : آمون ، ورع ، وبتاح ــ ثلاثتهم معاً» .

وهكذا تركزت الألوهة فى ثلاثة ــ آمون ، ورع ، وبتاح . شريطة أن يكونوا معاً إلاهاً واحداً .. ولكن كيف يكون الثلاثة واحداً .. ؟

إن كل شىء ممكن فى سبيل الوصول الى الواحد .. ولهذا يمضى النص فيقول : «هو الواحد ــ آمون ورع وبتاح. ثلاثتهم معاً .. آمون هو الاله ، ورأسه رع ، وجسمه بتاح» .. هنا نلتقى بسذاجة التعبير عن فكرة تناهت فى الصدق والسمو ، وهى فكرة التوحيد ..

وتجيىء الخطوة التالية فى التوحيد الحاسم حين يجيىء أخناتون ..

إن «أخناتون» واحد من الأفذاذ الذى يختارهم الضمير الانسانى لكى يقوموا بعمل جيل أو أجيال .. فيوم ذاك وقبل الميلاد بسبعين وثلاثمائة وألف عام يوجه الضمير عن طريق أخناتون ضربة للتعداد الذى رآه شركاً ، ويعلن أن «أخناتون» هو الاله الواحد . وليس هناك إله آخر سواه .. ولكن لابد لهذا الواحد من رمز ، فليكن رمزه الشمس .. ويعرفنا الضمير الانسانى بهذا الاله الواحد «آتون» من خلال الابتهالات والأناشيد التى وضعت يومئذ لمناجاته ودعائه .

وها هى ذى : «أنت تبزغ بجمالك فى أفق السماء .. أنت يا آتون الحى الذى كنت فى أزلية الحياة .. أنت جميل ، وعظيم ، ومتلألىء ومشرق فوق كل أرض .. وأشعتك تحيط بالأرضين حتى نهاية جميع مخلوقاتك .. أنت خالق الجرثومة فى المرأة والذى برأ من البذرة بشراً ، وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه .. يا أيها الاله الواحد الذى لا يوجد الى جانبه إله آخر» ..

وهنا وقد تجلت الألوهية بكل سلطانها فى إله واحد ، يظل الانسان آخذاً من الألوهة قبساً . فهو موضع رعاية الاله ، بل هو ابن الاله .. تقول الأنشودة الدينية : «إن جميع الناس سويت وجوههم ، لكن لا ترى نفسك بعد وحيداً .. إن ابنك أخناتون يعرفك ؛ فقد جعلته عليماً بمقاصدك وقوتك» ..

وفى أنشودة أخرى يبتهل بها أخناتون الى إلهه الأحد يقول : «أنت تشرق بجمالك يا آتون الحى يا رب الأبدية . انك ساطع وقوى وجميل وحبك عظيم وكبير ... كل ما خلقته يطرب

أمامك ، ويفرح ابنك الجليل وقلبه فى حبور» ..

ولا تقتصر البنوة المقدسة على أخناتون وحده ، ففى الأنشودة السالفة نلتقى بهذه الفقرة : «إيه أيها الاله الذى سوى نفسه بنفسه ، خالق كل أرض وبارىء من عليها .. أنت الأب والأم لكل من خلقت» ..

ولكن القوة تشتعل فتخلع اخناتون وتلغى نظامه التوحيدى .. لكن الضمير يمضى فى تنمية رصيده ، ويربط جميع المخلوقات بالاهها أياً ما يكن هذا الاله . فالذين يبتهلون الى الاله «رع» تقول أنشودتهم : «القردة تعبده .. والحيوانات كلها تقول بصوت واحد الحمد لك» !! وكل رؤى الضمير عن الألوهة كانت تتعانق من آفاق شتى . من أشور ، وبابل ، والهند ، والصين ، وأثينا ، وفارس ، ومصر القديمة وكان دائب السعى على اكتشاف العلاقات التى يفرضها الايمان بالله .. فيكتشف القيم والأخلاقيات التى ستبث التماسك وارداة الصعود فى الصفوف البشرية .. وفى مبتكر الأمر تمثلت للضمير مسئوليات الانسان ، وكيف يعيش «مواطناً صالحاً» فى كون الله ؟! ويدرك الضمير انه اذا كان هناك وحدة كونية تربط الكائنات جميعها بعضها ببعض ، فلابد أن تكون هناك وحدة انسانية تجعل الانسان للانسان صديقاً وأخاً ، ولابد من تقديس «الرحم الانسانى» الذى يضع التعاضد مكان التخاذل .. والحب مكان الكراهية .. والاقناع مكان الخنجر ..

ولكن كيف تحيا هذه الرحم ؟ . كيف يجد الانسان أخاه بدل أن يفقده ؟ . وكيف تهزم القرابة القطيعة ؟ . إن الضمير يعرف ، ولسوف يجيب .. وخلال اجابته سيكشف لنا عن العدل ، والحب ، والصدق ، والتضحية ، والشجاعة ، والأمانة ، والحرية ، والكرامة ، وسواها من أخلاقيات التقدم الانسانى وضروراته .. وسينيطها بقوتين قادرتين تراقب تصرفات الانسان وسلوكه . أما القوة الأولى فهى الاله الذى يسمع كل شىء ويرى .. وأما الثانية فهى الـ «كا» وهذا الـ «كا» يحصى على الانسان ـ كل انسان ـ أعماله ، ويسمع هواجس نفسه ، ويبصر خائنة عينه .. وكل انسان مسئول أمام الله ، وأمام الـ «كا» الذى هو الضمير ..

وحين نطالع الفكر المصرى القديم ، والفكر الأشوري والبابلي والهندى وغيرها فى تلك الأزمان السحيقة نسمع صوت الأخلاقيات العالية والقيم السامية يصدح ويجلجل بمكارم الأخلاق .

لنطالع بعض وصايا الضمير فى تلك الحقب الممعنة فى البعد :

« إن فضيلة الرجل المستقيم ، أحب الى الله من ثور الرجل الظالم ، يعني قربانه » ـ « إن العدالة خالدة الذكرى ، فهي تنزل مع من يقيمها الى القبر ، واسمه لا يمحى من الأرض » ـ «أحذر أن تسلب فقيراً بائساً ، وأحذر أن تكون شجاعاً أمام رجل مهيض ، ولا تجعلن نفسك رسولا فى مهمة ضارة » ـ «إن المكيال الواحد الذى يعطيكه الله خير من خمسة آلاف تكسبها بالبغى .

وأرغفة تكسبها بقلب فرح . خير لك من ثروة مع شقاء » ـ « إذا أصبحت عظيماً بعد أن كنت صغير المكانة .. وصاحب ثروة بعد أن كنت محتاجاً ؛ فلا تنسَيَنَّ كيف كان حالك في الزمن الماضي ، ولا تبغين بثروتك التى أتتك منحة من الاله ؛ فانك لست باحسن من اقرانك الذين حل بهم الفقر » ـ « أحذر الشراهة فانها مرض عضال . والصداقة معها مستحيلة » ـ « لا تأكل الخبز أمام من لا يجده دون أن تمد اليه يدك بالخبز » ـ «إن كنت زعيماً فى يدك تصريف الأمور فاغتنم كل فرصة كريمة لتجعل تصرفك خالياً من كل خطل ، فللعدالة فائدتها . والقصاص فى انتظار كل من لا يأخذ بقوانينها » ـ

ويقدم لنا الضمير صورة مثلى من السلوك المتسامى الذى كان يغذيه ويربيه وهذه الصورة مماثلة فى نقوش وجدت محفورة على مقبرة أمينى أحد الأمراء المصريين حوالى «٣٠٠٠» قبل الميلاد يتحدث فيها عن نفسه قائلا : «لا توجد بنت مواطن قد أسأت اليها ، ولا أرملة عذبتها ، ولا فلاح طردته ولا راع أقصيته ،ولم يوجد بائس من عشيرتى .

ولا جائع فى زمني .. وعندما كانت تحل بالبلاد سنون مجدبة ، كنت أحرث كل حقول المقاطعة محافظاً بذلك على حياة أهلها ، ومقدماً لهم الطعام حتى لا يبقى فيهم جائع .. وقد أعطيت الأرملة قبل ذات البَعْل ، ولم أميز الرجل العظيم عن الرجل الفقير فى أى شىء أعطيت . وحين أقبل الفيضان العظيم بالغلال والخيرات لم أجمع المتأخر من الضرائب » .

● ● ●

ويرسل حكيم مصـري قديم إحدى صيحات الضمير فيقول : « أقم العدل ؟ لتوطد مكانك فوق الأرض . وواس الحزين ، ولا تعذبن الأرملة » ..

ثم يعبر عن قانون القصاص تعبيراً تناهى فى الروعة والفطنة فيقول : « إن الروح تذهب الى المكان الذى تعرفه ، ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها»!

الضمير الإنساني في رحلته الخالدة

أجل ليس للروح طريق إلا الطريق الذى مهده لها صاحبها فى الدنيا . والروح فى مسيرها لا تحيد عن طريق أمسها . فهي تمشى فى ضياء عملها الطيب ، أو فى ظلمة عملها الخبيث ..!!

ويقربنا الكثير المبارك من صيحات الضمير فى فجر ميلاده وضحاه بتتبع بعض هاتيكم الهتافات : « إن الصدق جميل وقيمته خالدة » ـ « لا تتكلمن مع إنسان كذباً ، فذلك ما يمقته الله ـ ولا تفصلن قلبك عن لسانك حتى تكون كل طرقك ناجحة » ـ «من يفعل فاحشة فان المرفأ يفلت منه ، وأرضه المبللة تحمله بعيدا » ـ « ول ظهرك لتلك الكلمات الكثيرة التى ينبو عنها السمع ؛ فأن العصا المعوجة الملقاة فى الحقل يجعل منها الصانع سوطاً للحاكم . أما قطعة الخشب المستقيمة فيصنع منها لوحاً للكتابة » ـ لا تلعن أكبر منك سناً ؛ فانه شاهد الله قبلك » ـ « لا ترقد فى الليل متخوفاً من الغد إذ لا يعلم الانسان ما سيكون عليه الغد .. فالله دائماً فى تدبيره ، والانسان فى ظنونه . فكن حازماً فى قلبك ، وثابتاً فى عقلك » .

• • •

وفى الهند قبل الميلاد بألفى عام كان الضمير يتابع مهامه فيقول : « إن من صدر عنه هذا الخلق العظيم ، سواء خلقه بأرادته ، أم صدر عنه وهوساكن ، لهو ربنا الأعلى فى السموات العلى » ..

ويقف كالمايسترو أمام حكماء الهند وهم يغنون لحرية الضمير ، وللآخاء وللمحبة وكذلكم حكماء الصين . ويغنون للمعرفة أيضاً .. انظروا .. «يحب الناس كلهم بعضهم بعضاً . فلا يفترس أقوياؤهم ضعفاءهم ، ولا يزدري أغنياؤهم فقراءهم ، ولا يسفه كبارهم صغارهم ، ولا يخدع الماكرون منهم السذج .. إن العالم في حرب وفوضى لأن القوى الكبرى التى تحكمه فاسدة ، والنظام الاجتماعى فاسد .. والفرد مضمحل .. والفرد كذلك ، لأنه عبد أطماعه وهواه ، ولأنه لا يعرف الحقيقة ، وهو لا يعرف الحقيقة لأنه غير مخلص فى تفكيره . فالأمانة فى التفكير والاخلاص فى نشدان الحق هما بداية الطريق .

• • •

وفى «أثينا» يركز الضمير على فضيلة المعرفة أكثر وأكثر .. ويتقدم فيمنح حكمته «سقراط» ويعلمنا سقراط كيف نستعمل عقولنا ، وكيف نستخدم الكلمات التى نتعلم منها وبها « .. لأن الكلمات الكاذبة ليست متنافرة فى ذاتها فحسب يا إقريطون ، إنما هى أيضاً تبعث الشر فى نفوسنا » .. ويهتف الضمير على لسان سقراط : (اعرف نفسك) إن الطبيب يعرف ما ينفع العين ، ومدرب الخيل يعرف ما ينفع الجياد . ولكن من منا يعرف ما ينفع الروح . هذا هو السؤال الحق » ..

« لو قلتم لي أيها الأثينيون اننا سنطلق سراحك فى هذه المرة ياسقراط شريطة أن تكف عن البحث والتفكير ، لأجبتكم قائلا : أيها الأثينيون . إنى احبكم وأمجدكم ، ولكنى أطيع الأله أكثر مما أطيعكم .. من أجل هذا لن أمسك عن البحث والتفكير مادمت حياً ،

وسأظل اسائل كل من ألقاه : مالي أراك ياصاحبي تعني بجمع المال واحراز الجاه والشهرة . ولا تنشد من الحكمة والحق وتهذيب النفس إلا أقلها . ألا يخجلك هـذا .. ؟! » .

• • •

وخلال هذه الرحلة الطويلة ، كان الضمير الانساني يتلقى بين الحين والحين ذلك البث العلوي المتمثل فى كلمات الوحى وأنوار النبوة .. بيد أن هذا البث كان عرضة لموجات عاتية من التشويش ، والتشويه ، ورغم ذلك كان الضمير بارعاً فى التقاط حكمة الأنبياء ، وبارعاً فى رؤية صراطهم المستقيم .

ففى صحبة النبوة نما رشده ، واستوثق صوابه ، فأسفرت قضية التوحيد اسفاراً مبيناً .. « ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » هكذا نادى نوح وابراهيم وعيسى ومحمد وجميع المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه .

وأكتسبت الأخلاقيات كثيرا من القداسة بعد أن صدرت عن الله على لسان أنبيائه ورسله .

وكما رفع الضمير صوته ضد التفريط رفعه كذلك ضد الأفراط .. وكما رفعه ضد الانكار ، رفعه ضد الغرور ..

وهو الآن ، كما كان ، وكما سيظل يغني للحرية والعدل والمحبة والسلام ..وحين نتمعنه فى رحلته الطويلة ، ونستشرق المستقبل الذى يعمل لبلوغه نخرج بيقين لا ريب فيه ، أن الأرض لن يرثها دعاة الفتك والجور .. ولا أولياء البلادة والتخلف .. ولا حملة الحقد والكراهية .. بل سيرثها عباد الله الودعاء ـ بناة الحق والحب .. صانعو السلام والرحمة .. أولياء الأيمان والعقل .. أصدقاء الانسان والحياة .

خالد محمد خالد

ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في التعليم

بقلم
الدكتور عبد الله الطيب

(١) كان تعليم اللغة العربية ودرسها فى صدر الاسلام وسيلة الى درس القرآن وعلوم الدين ، وَجَدَّ القومُ فى ذلك جَداً منقطع النظير فأحكموا علوم اللسان وتفوقوا فى الحساب والجبر والفلك والموسيقى والطب وتقويم البلدان وغير ذلك من ضروب المعارف والعلوم . وصارت العربية لغة الحضارة العالمية تحت راية الاسلام وفى ظل دولته . وقصدت الأمم من الملل الأخرى عواصم المسلمين للدرس كما يقصد شبابنا الآن عواصم أوربا بل قصداً أشد لأن السفر من بلادهم الى بلاد المسلمين كان عظيم المشقة كثير الأخطار .

كانت من المسلمين أمم كثيرة لغتها غير العربية . ولم تكن العربية الفصيحة لغة الكثرة الغالبة من العرب والمستعربين . ولكن العربية الفصيحة كانت هى لغة المثقفين فى دار الاسلام جميعهم عربهم وعجمهم ، وكانت أيضاً لغة المثقفين من أهل الذمة من النصارى واليهود والصابئة والمجوس . وربما استشعر بعض اليهود عصبية لاسرائيليتهم فكتبوا العربية بالحرف العبرانى وحرفهم العبرانى نفسه كانوا يحاكون به الحرف العربى الكوفى .

بعد خراب بغداد على يدى هولاكو غلب لسان العجم على بعض بلاد الاسلام بالمشرق فى الشئون اليومية وفى مجال الأدب والغناء ، وغلب اللسان العربى على العراق والجزيرة والشام ومصر والمغرب . على أن اللغة الفصيحة كانت تدرس ويؤلف بها فى الفقه والأدب الدينى الرفيع وكان العمل بها أكثر من الفارسية فى بلاد القوقاز وبعض بلاد ما وراء النهر . وظلت هى لغة التأليف والأدب المثقف ولاسيما الديـني منه،الرفيع فى بلاد العرب وفى كثير من البلاد التى انتشر فيها الاسلام بعد القرن السابع الهجرى .

كانت اللغة العربية الفصيحة هى فى الحقيقة لغة المسلمين الأولى . وكانت سائر اللغات الأخرى عجمية ودارجة عربية جميعهن فى المرتبة الثانية . وكان فى الدارجات العربية فى المشرق والمغرب تآليف يراد به تثقيف العامة وتهذيبها بعضه دينى وبعضه أدبى محض كقصة أبى زيد الهلالى مثلا

(٢) كان أسلوب تعليم القرآن وتعليم اللغة العربية فى بلاد الاسلام جميعها متشابهاً . وقد تحامل ابن خلدون على طريقة المغاربة فى التحفيظ وحاول أن يفضل عليها أساليب توهمها لغيرهم ، ولكنه فى نفس الفصل الذى عقده لهذا البحث لم يلبث أن رجع عما بدأ به فأثبت مثلا أن المشارقة مقاربون للمغاربة فى أمر التحفيظ ، ولم يصح عنده شىء مختلف إلا ما زعم أنه أخذه من ابن العربى من أن أهل الأندلس

ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في التعليم

كانوا يبتدئون بالقرآن ثم ينتقلون منه الى درس الأشعار والنحو ولم يبين ابن خلدون المرحلة التى كان الأندلسيون ينتقلون فيها من درس القرآن الى الشعر والنحو ، وواضح من سياق كلامه أن الطريقة كانت واحدة . وخلاصة ما عابه ابن خلدون على المغاربة اهتمامهم بالفقه ، وهذا أمر لم يكن المغاربة قد انفردوا به إذ كل المسلمين كانوا يقدمون درس الفقه على غيره بعد حفظ القرآن . وقد كان ابن خلدون أديباً يحفظ المختار وينظم الشعر ويرى أنه فيه محسن ويستشعر نوع تعزز بأصله الأندلسى ، فلعل هذا كان سبب تحامله . ولابن خلدون زلات ومنذا الذى يسلم من الزلل إلا من عصم المولى سبحانه وتعالى . وأحمد لابن خلدون بعد في فصله هذا تنبيهه الى ضرورة البدء بالقرآن وأن ذلك فيه بركة وأنه مما يعين على تحصين الناشىء من الشيطان .

(٣) هذا وقد منيت بلاد الشام وبليت فى المائة الرابعة عشرة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بغزوة الافرنج التى لاتزال كأنها مهيمنة بآثارها والمزعوم لتفوق حضارتها علينا الى اليوم . وقد أطلق على هذه الغزوة والبلاء اسم الاستعمار ، فأُفسِدَ بهذا الاستعمال ، يا للأسف ، معنى كلمة الاستعمار الجميل . قال صاحب القاموس «وأعمره المكان واستعمره فيه جعله يعمره» . وهذا هو المعنى القرآنى فى قوله تعالى «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه» .

كانت «للاستعمار» على اختلاف ضروبه سياسة واحدة فى «الاستعمار» ، ألا وهى محاربة الاسلام ، والعربية لسان الاسلام وبمعرفتها تعرف معجزة القرآن وبمعرفتها يعرف طريق الايمان واعتناق الاسلام ، فكانت محاربتها جزءاً من محاربته بل أهم جزء من محاربته ، لتظاهر الاستعمار بالتسامح الدينى فأخفى فى هذا الدسم السياسى سمه الذى هو محاربة لغة معجزة القرآن وحضارته .

كانت السياسة الاستعمارية فى بلادنا مثلا ترتب الحكم على ثلاث مراتب أولا حكم العامة بطريق غير مباشر وهو الادارة الأهلية وكانت اللغة الدارجة تكفى فى هذا المجال . ثانياً ، حكم الطبقات الوسطى من أهل المدن وكان فيه مع اللغة الدارجة يستعان باللغة الفصيحة إذ كانت العرائض الرسمية تكتب بنوع ينظر اليها . ثالثاً ، السياسة العالية والادارة العالية وكانت لغتها الانجليزية وما يكتب من عرائض وما اليها باللغة العربية الفصيحة يترجم الى الانجليزية ليطلع عليها القائمون بالأمر .

وأنشئت كلية غوردن لتنشىء جيلا من المواطنين يتعلمون الانجليزية ويقومون بالترجمة ومعاونة القائمين بالأمر من المستعمرين فى أعبائهم الادارية والسياسية .

وكانت لكلية غوردن مشابه مما أنشأ المستعمرون فى غير بلدنا من بلاد الاسلام . هذه الكليات الجديدة أقبل عليها الناس بعد أن تهيبوها أول الأمر لما رأوا أنها وسيلة الى الجاه والمال وخفض العيش وعلو المنزلة . وما هو إلا قليل حتى نشأ فى دار الاسلام أسلوب جديد من التعليم ليس هدفه أن يتوصل به الى معرفة كتاب الله وتحصيل علوم الدين ، ولكن هدفه أن يوصل بوسائله الى المكانة والجاه عند دنيا المستعمر وتحصيل ما يمكن تحصيله من معارفه العصرية .

كان الجيل الأول ممن تلقوا التعليم الاستعمارى الجديد قد سبق لهم درس القرآن وتحصيل حسن من العربية ووقع عندهم الاعجاب بأساليب الافرنج واعتقاد تفوقها ، ومع ذلك كانوا ذوى شعور قوى بالانتماء الى الحضارة التى هم بنوها ، ورجاء عظيم أن ينهضوا بها من طريق إدخال بعض الأساليب العصرية فيها . فاستخدموا أساليب جديدة فى درس الأدب مدارها على درس تأريخ الأدب وانتقاد مشاهير الأدباء على طريقة الافرنج فى نقد أدبائهم ودرسهم . واستحدثوا أساليب جديدة فى درس النحو مدارها على التبسيط . وصح عندهم الظن بأن السليقة فى جملتها وأن القراءة تكفى لاستيعاب النحو الضرورى بطريقة ضمنية . ونفرت أنفسهم من التحفيظ . وبدا لهم أن فيه نوعاً من قتل مواهب التأمل والنقد والتفكير المستقل . ومن اتفق له اطلاع على ابن خلدون منهم فى مقدمته تم عنده الاعتقاد بأن الحفظ (يعنون به حفظ القرآن ومتون العربية والدين) شر مستطير فى مجال التعليم للناشئة .

هذا ومع الالحاح على هذه الأساليب المستحدثة واعتقاد تفوقها وجدواها اتفق بروز نهضة فى الآداب كان لا يخطر على بال أنها حقاً من نتيجة التعليم القديم ، مثلا كان لا يخطر ببال أن تفوق البارودى وحافظ وشوقى وطه حسين والبكرى والمنفلوطى ومن أشبههم من قادة الفكر فى مصر وغيرها مع ما خصهم به الله سبحانه وتعالى من ملكاتهم ، كان سببه اتصال أسباب تعليمهم الأول بأسباب التعليم القديم ونيلهم قسطاً مفيداً وافياً منه ، وكان أغلب الظن أنهم إنما استفادوا ما استفادوه من تفوق فى التحصيل وتبريز فى التأليف من أجل عصريتهم . والمتأمل بعين النقد الفاحص لانتاج هؤلاء الجيل الرائد ربما

تبين له أن أجود ما لديهم أصله القديم وأضعف ما لديهم أصله طلب «العصرية» والتماس مسايرتها أو التأثر بها .

وقد تصرم عهد هذا الجيل الأول وتصرمت معه النهضة التى نهضها ، وكانت ثمرة تبسيط النحو ضياعه ، وثمرة ترك الحفظ للشعر وللقرآن من قبل ودرس تاريخ الأدب ، أن صار العلم بالأدب علماً بنتف وهذه النتف تحفظ عن ظهر قلب من أجل الاختبارات المدرسية ، وليس فيها من كبير فائدة لا من حيث التذوق الأدبى ولا من حيث زيادة المعرفة باللغة وآدابها .

وقد فسدت الألسن ودعا قوم الى اللغات الدارجة أن تحل محل الفصيحة ، وما منع الدعوة أن تنجح فى كل بلد عربى إلا أمر الدعاية الاذاعية والصحفية للغة تكون مشتركة بين العرب .

هذه اللغة المشتركة بين العرب ظاهرها أنها الفصيحة وحقيقتها أنها شىء مهجن مأخوذ أخذ تقليد ونقل من عبارات الصحف الأوربية والأمريكية ومن لكنات مختلفة أخر . وقد ذهبت الرصانة وبطل الاقتداء بها ، وعطلت أوزان الشعر وكانت آخر ما بقى من صلة صحيحة باللسان العربى الفصيح وغلب على أساليب الشعر الحديث الاقتداء بترجمات كتاب أهل الكتاب المقدس فى عهديه القديم والجديد وأنسي جيل محدثي الأدباء بلاغة القرآن واعجازها إلا قليلا .

صار حفظ القرآن تخصصاً لفئة صغيرة تتغنى به لبقية بقيت من عقيدة الناس وحبهم الاسلام ، وضاعت أسانيد الحديث بله غيره من العلوم . وصار خريجو المدارس الدينية الكبيرة لا يطلب منهم حفظ الكتاب العزيز كله ولا يؤخذون بتحصيل سند فى الحديث .

وفتن بعض الناس بأساليب الاحصاء الحديثة والحاسبات الكهربائية فاستعملها بعض المجتهدين اجتهاداً خاطئاً لعد ألفاظ القرآن وهو أمر قد فرغ منه شيوخ شيوخ جيل البخارى من رجال القرن الأول كأبى الأسود ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وزائدة بن قدامة والحسن البصرى وكبار القراة الأولين . ومع هذه الفتنة قل من يصيب نطق الثاء صحيحة أو الذال ، ودع الضاد والطاء والظاء والجيم وما كان قديماً موضع درس واختلاف فى اللهجات .

(٤) ـ : نحن الآن فى هوة المحنة من حيث تعليم اللغة العربية وتحصيلها ومعرفتها ومن الواجب أن نتنبه لما نحن فيه من محنة وأن نحاول الاصلاح ما استطعنا .

لقد تبين لي بياناً لا أشك فيه منذ زمان بعيد أن طريقة تعليم الكتابة والقراءة فى المدارس فيها تكلف ، وأنها دون الطريقة القرآنية القديمة فى الجودة . واتفق لي من بعد أن زرت باكستان وافريقية الغربية فى بلاد هوسا . وكلا البلدين ليس لسانه العربية . ولكنهم كانوا يعلمون القرآن ويتعلمونه منذ الصغر . ويتناولون فى طرق تعليمهم معالجة ما يتوقعون عُسره فى النطق على ناشئتهم مثل العين والحاء والخاء والنون الثقيلة فى أمثال «لتبلَوُنَّ وتَرَيِنَّ» وطريقتهم فى جملتها فرع من الطريقة التى تستعمل فى «خلاوى» القرآن . وقد رأيتهم يبلغون من تحصيل نطق العربية بهذه الطريقة مالا نبلغه فى مدارسنا العصرية بطريقتنا التحليلية الحديثة ، وحسبك شاهداً ما قدمته لك من فساد النطق بالثاء والذال مثلا .

كان درس اللغة العربية كما ذكرنا إنما هو وسيلة يتوصل بها الى معرفة معجزة القرآن وعلوم القرآن من طريق درس القرآن الذى هى مفتاحه وبها لأمر قضته حكمة البارىء جل شأنه نزل . وقد كادت اللغة العربية نفسها تذهب الآن .

وهذه الأشياء التى يزعم لها أنها لغة عربية فصيحة إنما هى أمشاج مختلقة لا تمت إليها بصلة واشجة وثيقة ولا تصلح وسيلة لدرس ميراثنا من الحضارة الاسلامية العظيم ولا تصلح وسيلة لدرس القرآن ومعرفة معجزته وعلومه والانتفاع بموعظته وهداه والشفاء الذى فيه ولدرس السنة وما معها من أصول وفقه وتوحيد وبركة ونور .

هل ندع هذا الميراث الضخم وهذه الحضارة والهداية كلها تضيع ؟

هل يغنينا هذا الافك الذى يزعم له أنه لسان عصرى متطور بسنة التطور ؟

جَلِىٌّ أنه يلزمنا استدراك ما فاتنا من معرفة القرآن والحديث وعلوم الاسلام وحضارته . ولكن ليس بأيدينا الآن من وسيلة لهذا الاستدراك من نحو وصرف وبلاغة ومختارات رسائل ومنظوم ومنثور رصين الأساليب ، .. أمر واحد باق بأيدينا من العلم والعربية والأسلوب الرصين تكفل بحفظه الحفيظ العليم لما أضعنا أو كدنا نضيع كل ميراث العربية النفيس ؛ .. ذلك هو القرآن . كان هو الغاية المقصودة بالدرس فى الصدر الأول والعصور التى تلته ومن أجل بلوغ المعرفة بدقائقه وتحصيل الشريعة والحقيقة المتضمنة فيه وتذوق معجزة بيانه اتقن أبو الأسود وأبو عمرو والخليل وسيبويه وشيوخهم وتلاميذهم علوم اللسان وأتقن سواهم من الأئمة والعلماء علوم الدين والنظر .

الآن القرآن هو الوسيلة الوحيدة الصحيحة الباقية . إذ هو وحده النص الباقى فى أيدينا سليم الضبط متقن الخط سليم النطق من أفواه القراء ، وكل ما عداه مما لاشك فى صحة نصه ورصانته يقع فيه الخطأ واللحن فى

ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في التعليم

الكتابة والنطق .

أسلوب تعليم القرآن القديم يجمع بين الطريقتين التحليلية والكلية وقراءة السر والجهر والجماعة معاً حين يرتلون وبذلك يصحح نطق الحروف ويتعلم الوقف والابتداء ويؤخذ بأسباب سبل الفهم لمعانى القرآن من بعد من طريق النحو والعربية والتفسير .

ثم فى البداية بالقرآن ما ذكره ابن خلدون من أمر البركة وهو أجود ما جاء فى الفصل الذى أشرنا اليه من مقدمته . ذلك بأن الطفل حين يرسل الى المدرسة الآن لا يجد فيها لغة المنزل ولا يعلم فى نفسه لماذا أرسله والداه الى المدرسة ليسمع فيها هذا الكلام الجديد ... الذى ليس له فى أصوله جذور نحو : —

— كتب الولد الدرس .

— ركب الرجل الفرس .

— ضرب السائق رقبة الحيوان المسكين .

— خرج الأسد من الحديقة .

— الانسان حيوان ناطق .

وما أشبه مما نجد مثله أو نحوه أو مقارباً له فى بدايات كتب الأطفال على اختلاف ما تفتن به .. الكتاب الذى بدأنا به فى طفولتنا أول درس فيه :

أين الفيل يا خليل ؟

وكأن السؤال تقدم به ولد لصاحبه فى حديقة الحيوانات فى القاهرة أو غيرها من العواصم ، وقد قرأناه فى بلدة ليس فيها حديقة حيوان ولا فيها فيل ولا صورة فيل إلا فى الكتاب الذى أعطيناه .

فى مناطق من بلدنا الواسع توجد الأسود . وفى أحد كتب المطالعة : «لمس الولد الأسد» ... وهذا مستحيل يعلمه أطفال ذلك الاقليم بالضرورة إن لم يعلمه سواهم .

لغة الطفل فى بيته هى اللغة الدارجة . ودعوى المدرسة هى أن لغة الطفل هى الفصيحة : فأول ما يواجهه فى المدرسة هو هذا الفرض غير الصحيح . ولا يصل بين مجتمعه الحقيقى فى المدرسة وما بين ما يدرسه من اللغة التى يزعم لها أنها لغته ولغة مجتمعه شىء غير أن أطفالا مثله كثيرين يدرسون معه .

من لدن يجد الطفل نفسه أمام تناقض لا يصح لديه منه شىء إلا انتماؤه الى قطيع أطفال يساقون الى هذا الدرس غير المفهوم الصلة بين نفسه وبينه ، يصير هذا الانتماء الى القطيع هو قاعدة نفسانية أساسية بالنسبة اليه . وهذا الاطمئنان والانقياد الى القطيع لا يلبث أن يتغلب على نفوذ الأسرة والأبوين ولا يخفى ما فى ذلك من عواقب وخيمة على المجتمع .

لأمر ما من حكمة الحكيم المتعال فرضت القراءة الجهرية مع السرية فى الصلاة . ولأمر ما من حكمة المولى سبحانه وتعالى آثر الاسلام الأذان على أجراس النصارى وأبواق اليهود .

منذ نعومة طفولته الأولى يحس الطفل بالأذان ويسمع قراءة القرآن ويلبس ثياب العيد قبل أن يؤخذ بالتعليم فى المدرسة ، وهو منذ ذلك الحين يعلم أن الدين من حياة الأسرة وأن كبار أسرته يعلمون من أمره أكثر مما يعلم هو وسيكبر هو ويعلم من أمره كما يعلمون .

حين يرسل الطفل الى الخلوة ليتعلم القرآن يشعر أنه قد بدأ يخطو نحو الكبر ويتصل بأمر الدين ليعلم منه ما يعلم أبواه وكبار أسرته . ولا يشعر الطفل بغرابة حين يؤخذ بتعلم لغة القرآن لأنها لغة الدين الذى هو دين أبويه وأسرته ومجتمعه . ليست ههنا من غرابة بسبب شىء طارىء جديد لم تكن له به سابقة معرفة وانتماء .

هذا الشعور بالانتماء هو سر معدن البركة . الاطمئنان الذى يجده الطفل فى الشعور بالانتماء الى مجتمع مترابط متكامل ، ذلك مما يبعد عنه حظ الشيطان .

(٥) إن اللغة العربية هى أداة التحصيل الكبرى . ولا يمكن أن يتيسر التعريب من دون علم بالعربية مع علم بالعلوم التى يراد تعريبها . ومن طريق التعريب يمكن إن شاء الله تعالى تيسير التعليم كله وتقريب عويصات العلوم من عقول الناشئة فى البلاد العربية .

ولا توجد العربية التى يمكن بها التعريب النافع والبيان الناصع الآن فى شىء يصح أن يعود نموذجاً بلاغياً إلا فى القرآن . ذلك بأن لغة الصحف ترجمة ومسخ من لغة الصحافة الافرنجية ، وتتناول كليات ليست بقوية العلوق بالعقول ، ولا فيها بواضحة المدلول . ولغات القصص العصرى تترامى بين الغموض واللامعقول ودعاوى الرمزية والمذاهب المعاصرة ولا تصلح نموذجاً للبيان المشرق الذى يصح به التعليم والتعلم . والشعر الحديث أضغاث هوس من التخبط غير الموزون .

كما تقدم لم يبق من العربية يعتمد حقاً على صحته نصاً مقروءاً مكتوباً غير القرآن ؛ لازلنا نسمع لفظه صحيحاً من المذياع ونجد رسمه صحيحاً فى المصاحف مشكولا مبينة فيه المواقف والفواصل والآيات والسور ، وكتاب النشر فى القراءات العشر مطبوع بسند أخذ مباشر متصل ؛ قال تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» .

لذلك فالرجعة الى القرآن ضرورية . ويرجع اليه هذه المرة ليكون وسيلة لتعلم العربية وتعليمها إذ لا نستطيع أن

نجعله غاية تطلب من وراء تعلم العربية واستقراء أسرارها كما كان يفعل الأولون لأننا لا نعلم من العربية كما كانوا يعلمون وقد ران على أكثرنا إلا من رحم الله سبحانه وتعالى الشعور بالهزيمة ، فلم تصر لدى هؤلاء ثقة بالعربية وبأنفسهم وبالله جل شأنه كما كان للأوائل .

هذا ، ولكن كيف السبيل الى جعل القرآن وسيلة للتعلم ؟ وقد سبق ما بيناه من أن فى البداية به بركة وابعاداً لحظ الشيطان وداخل فى هذا المعنى ربط المنزل والمجتمع بساحة الدرس ومناهجه ؟ هل تمكن الآن الرجعة الى الأسلوب القديم ونحن نشاهد استحكام النفور منه فى الأنفس ، حتى أن بعض المسلمين صاروا لا يبالون بل جعلوا يؤثرون أن يرسلوا أطفالهم الى منشئات التبشير ومدارس الكنائس ليتلقوا فيها مبادىء التعليم وهم يحسبون أنهم بذلك ييسرون لصغارهم منالة أجود تلك المبادىء وأصفاها مع أن الحقيقة هى أنهم إنما يصنعون بصنيعهم هذا جيلا مولداً بين ذكرى من الأصول الاسلامية المتقهقرة وحقيقة حاضرة من الكفر ومعتقداته وأساليبه ، وهذا التوليد ينشأ من جيل قطيعيٍّ فاقد للأصالة .

الرجعة ، ككل رجعة بعد انصرام أوانها ذات عسر واضح . وعندى أن سبيل الاصلاح مما يمكن طلبه والتماسه من ثلاثة أوجه :

أولا : المحافظة على الموجود الذى لم يندرس من الأساليب القديمة فى شتى مستوياتها . وهى يحف بها خطر الزوال لأن من طبيعة الناس طلب المصلحة لأنفسهم ، وقد صارت المصلحة سبيلها الشهادات المدرسية العصرية من ابتدائية الى بكالورية الى بكالوريوس وهلم جرا . فرب حافظ للقرآن والألفية والمتون الجياد لا يجد سبيلا الى ما يرى أنه له أهل من منزلة إلا باحدى هذه الشهادات . فان كان صغير السن جعل يتخلى عما كسب لينال حظاً من هذا «السراب» المفيد فى زعم العصر ، وإن كان قد تقدمت به السن فانه يجتهد ألا يغبن حظ بنيه كما قد غبن حظه هو من قبل .

ولعل من أمثل الوجوه للمحافظة على الموجود من الأساليب القديمة أن تتاح الفرص لطلبتها لينالوا نفس مستوى الاعتراف الذى يناله طلبة الأساليب الحديثة مع ما يلزم من بعض الاستدراك لما عسى أن يكون قد فات بعضهم من هذا الذى يظن أنه من معارف العصر كالعلوم الحديثة فى بعض مبادئها المدرسية والجغرافيا والرياضيات مثلا .

ومع المحافظة ينبغى أن تتاح لخريجى مدارس «الأسلوب القديم» فرص أن ينتفع منهم وبهم فى تعليم القرآن فى المدارس وعلوم النحو واللسان .

ثانياً : إدخال منهج قرآنى فى التعليم الجامعى بقصد اقامة الألسن وتعريفها بالعربية . ويستحسن أن يبدأ فى هذا الباب بأقسام اللغة العربية التى فى الجامعات فيكلف الطلبة حفظ السبع الأخير من مرحلة الاجازة الأولى (البكالوريوس أو الليسانس) وحفظ الربع الأخير فى الدراسة العالية وحفظ الربع الأول فى الدكتوراه مع معرفة مسائل النحو واللغة والقراءة المتصلة بهذه الأرباع .

ثالثاً : إدخال عناصر جديدة من التحصيل «السلفى» فى الدراسة العالية كاعطاء الدكتوراه مثلا لحفظ القرآن وتجويده على الأصول الصحيحة ولحفظ سند الحديث من حافظ ذى اتقان من البقية القليلة الباقية من الحفاظ .

وههنا ينبغى التنبيه على ضرورة استدراك ما فاتنا فى الجيلين المتقدمين من اتباع طريقة الأوائل فى تحصيل الأسانيد ، ذلك بأن ملة الاسلام أمر حضارتها وفقها وكتابها كل ذلك لازال متصلا بالمنبع الأول من طريق التواتر والسند ومتى انقطع ذلك خفنا أن تبطل السنة لأن السنة لا يمكن احياؤها حقاً من الصحف التى لا يؤمن عليها من التحريف إلا فى حرز الدرس المتصل والسند غير المنفصل .

(٦) لقد كان التعليم القرآنى القديم يربط مجتمع الطفل الصغير بمجتمع الوالدين والأسرة الكبير . والتعليم العصرى يفرق بين جيل وجيل تفريقاً فيه من الخطر ما لا يخفى على الأخلاق والدين وكيان المجتمع نفسه . فعسى هنا مع ما تقدم أن يكون مما يحث على الرجعة اليه .

(٧) هذا ، واذا تمكنا من ناصية اللغة العربية مرة أخرى ، فانه سيمكننا مرة أخرى ، باذن الله سبحانه وتعالى وتوفيقه وعونه ، أن نتخذ من درسها وسيلة الى الغاية التى أرادها الله عز وجل لها حين حملها معجزة القرآن وذلك أن نتوسل بها مرة أخرى الى فهم القرآن ودرسه وتذوقه كما صنع السلف الصالح الأول ، وعسى أن يفيض الله علينا من بركة القرآن كما قد أفاض عليهم أنه الواسع الحكيم العليم الخبير الرحيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د. عبد الله الطيب

الخيال مات .. تخيل !

بقلم
عبد الله جفري

إختفت نقطة الضوء .

ليس هنا مساحة . التحديد غير مرغوب فى عالم الرغبة اللامحدودة !!

هنا زمن ، وصدى ، وإرهاف .. فى انتظار اكتشاف مأخوذ من الغياب !

إختلطت الأشياء ياسمع « سارية » .. ياحدقة زرقاء اليمامة ..

الرؤية ، والاصغاء ، والصوت .. أشياء تشابكت .. اضطربت .

الصوت واحد .. الصوت اثنان !!

الرؤية خلفية .. ظهور الناس هي التى ترى بوضوح ! ..

الشفاه القاحلة تشرب العتمة .. فالجداول ضاعت مع نقطة الضوء ، والنبع مفقود في اللامساحة .

الهدوء نسبي .. العالم يبحث عن الهدوء ، والضجيج زمن مختلط منفلش !

أين ذهبت نقطة الضوء ؟؟

الصدور ضيقة .. بلا مساحة ، والانسان يبحث عن مساحة من الراحة يلتقط فيها أنفاسه اللاهثة !

لا ضرورة للتوقف .. أعطني مساحة فقط لأحركها معي .لأجعلها رغبة محدودة ، واتخلص من انتظار الاكتشاف المأخوذ من الغياب !

لكن هذا يحتاج الى عودة ..

الناس لا يعودون . الأشياء أيضاً لا تعود .. غير أنها تتعدد ! .. الأيام ليست رغبة عودة ، والأذهان ناضجة ومشغولة بأفكار مستطردة ، والصدور موجوعة بالعتمة التى أضاعت معنى الشجن ، وحقيقة الروح فى أعماق الانسان !!

المشكلة ليست فى ما لا يعود وإنما فى التعدد !!

ماذا حدث إذن ؟ !

ماذا أريد أن أطرحه هنا قولا ، وحواراً ؟!

الذى حدث « الخيال مات ، فتخيل » !

لا يبدو هذا كارثة ، أو حمقاً زمنياً . بل شيء يفوق . « التجربة تشير الى أنه من الممكن أن يصل الصعود والهبوط عند أية نقطة الى لحظة توقف » !!

أطرح هنا حواراً جديداً .. مهدت له بتخاطب اختلطت فيه الصور والآراء والشعور فبدت كلاماً من « اللامعقول » .. واللامعقول لا يعنى أنه لا مفهوم ! .. ذلك أن فيه إنعكاساً لصورة المجتمع الانساني اليوم .. بكل أبعادها ، وزواياها وظلالها ، وألوانها . المجتمع الانساني يعاني من السقوط .. يصارع الانحدار .

الفكر وحده يعالج الرغبة . والرفض يعالج الضياع والخسارة فى الاحساس .. يعالج المكونات المجلودة بالأشياء التى تعددت ولم تعد .. التى كست قشرة النفس الانسانية ، وأثرت فى تجربة المجتمعات المذهولة بمد حضاري تناسي – كلياً – وجدان المرء ، ونبضاته !!

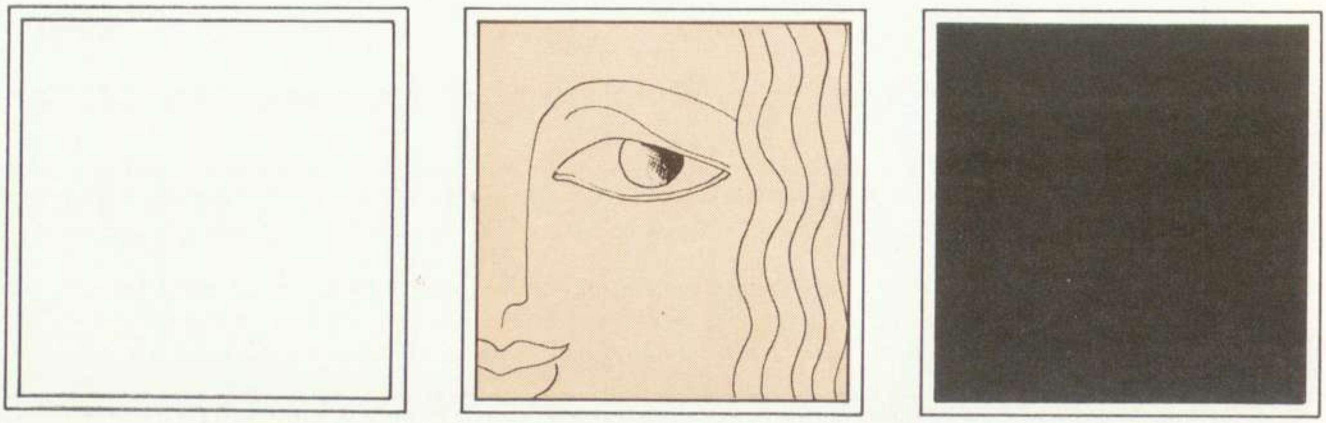
البحث الآن ينحصر فى العلامات والمثلثات ، وقياس المساحات الوهمية ،

والكلام عن المنطق بكلام يقابله المجرد من المنطق !

والفكر – لكي يستلب بعضاً من رؤية هذا الضجيج – اكتسب من ركض الزمن والصوت ، والصدى .. من سرعة الارهاف ، وأراد أن يخاطب التجرد من المنطق بأسلوب جديد ، ولا مبال ، وحاد الغموض لتشابك صوره ، وجمله ، وعباراته ، .. فكان إسم هذا الأسلوب ذات يوم أو ذات فترة هو : أدب العبث !

وجاء « التقدير » العالمي ليعترف .. فمنح رائد العبث « صوميل بيكيت » جائزة نوبل ، ويأتي يوم ١٠ ديسمبر – فى ذكرى وفاة نوبل – فيستقبل ملك السويد جوستاف الكاتب الايرلندي بيكيت ، ويقدم له ثلاثين ألف جنيه استرليني قيمة الجائزة العالمية «الانسانية» الكبيرة .. فكان هذا الموقف .. هو ذكرى فى ذات يوم ، ولكن ... هل أثر الفكر – إذن – فى واقع المجتمع الانساني ؟ !

لقد كتب « بيكيت » مسرحيته الشهيرة – فى انتظار جودو – فوصفها النقاد أنها ذات تأثير مباشر وصميمي على أدب العصر ، واهتم بها الجمهور .. فارتاد المسارح التى تعرض هذه المسرحية ليشاهدها ، وليصغى الى



«التخاطب» الذى أعده بيكيت للمجتمع الانساني الغارق هناك فى عبث الرغبة ، وفى سقوط مهين أطلق عليه الكاتب صفة « الخواء الانساني » !!

ومن الخطأ ، والقصور الذهنى أن توصف أعمال « بيكيت » بأنها غامضة وقزحية ، وكلمات متقاطعة ، وأنها عبارات وهمية المعاني !.. فالذى يجذب الجماهير من عدوهم المتلاحق ، ورغباتهم المجنونة والعاصفة .. ليجلس هذا الجمهور ثلاث ساعات من الليل الملىء برغباتهم .. هو كاتب درس حقيقة الأشياء المختلطة ، واستطاع أن يوحده في زمن أسمه الليل ، وأن يخاطبها بعد هذا .. ويؤكد ذلك في عبارته هذه :

● إننا – إذن – فى عالم مأخوذ بالغياب فى العدم التام ، وأعيد اكتشافه .. فمن الذى أعاد أكتشافه ، أو ما هي الأسباب التى أدت الى ذلك ؟!

لا يلوح هدوء مؤقت فى ضمير العالم اليوم .. هنا ظلام أسود ، وبياض عظيم تصاحبه حرارة . والأسباب أنه ليست هناك وجهة نظر أخرى .. هنا حصر – قدر الامكان – للمساحة الذهنية .. فلتكن فائدة هذه المساحة من مناقشة وجهة النظر المتفردة .. المطروحة فى الوسط بين الظلام الأسود ، والبياض العظيم ..

إن البحث يستهدف نقطة الضوء المختفية .. أين ذهبت ؟

فى أحد أعمال الكاتب العبثي بيكيت .. كان يناقش ذلك الاختفاء .. فى قصة جعل عنوانها : (الخيال مات .. تخيل)!..

ونقاشه كان يستقطب « التضاد » بين الثبات المطلق ، والفجائية المذهلة المربكة . بهذا التضاد .. إما أن يسود ظلام دامس تام يطغى حتى على البياض بالحرارة ، وأما أن تكتشف نقطة الضوء !!

إن الرؤية كتعامل بين الناس خلفية ، ظهورهم هي التى ترى . لكن ذلك يخضع لعشر ثوان « قياساً على السطح المرئي ، فالنظرتان لا تجيئان فى نفس الوقت » ! .. فأين نقطة الضوء ؟ !

يضرب مثلا ، ويستطرد تفصيلا فيقول :

● (إن الوجهين اللذين يبدوان وكأنهما وجهان لشيء واحد لا ينقصهما شيء أساسي .. التضاد بين ثباتهما المطلق والضوء المذهول المنفعل يبدو فى البداية مدهشاً لمن لم ينس بعد دهشته عندما شاهد العكس .. ومن الواضح أنهما ليسا قائمين ، وذلك من ألف علامة صغيرة قد تستغرب طويلا لتخيلها) !

هذه مشكلة الانسان .. يضيع فى مساحة محددة ، ويريد أن يتواجد فى مساحة غير محددة ، يبحث فجأة

ويؤخذ فجاة . وتحكمه الدهشة .. فالعصر اندهاشي انفعالي .. يتوتر بالثانية ، ويحاول الثبات فى الآن نفسه!!

والتخاطب يؤلم الانسان . فعل هذا (بيكيت) فقال عنه النقاد يومها أنه أحدث تغييرا فى الأشكال الفنية للقصة، والمسرحية . هذا من الجانب الادبي ، أو الفكري .. غير أن بيكيت كانسان ومفكر وباحث ، وفاقد لنقطة الضوء فى ظلام أسود ، وبياض عظيم بالحرارة .. يقف فى وسط الزمن ، والصدى ، والصوت ، والارهاف .. ويصمت ثم يعود ليخاطب .. فيقول :

● (توقف فى أية مرحلة انتقالية – أيا كان مستواها ومدتها – عندئذ يتذبذب كل شيء : الأرضية . الجدار . القبة . الأجساد .. أجساد من رصاص أو رماد ، أو بين الاثنين ، ولكن التجربة تشير الى أن هذا الانتقال غير الثابت غالباً لا يتكرر) !!

توقف إذن ، فالعالم فى مرحلة انتقال إن كل شيء يتذبذب .. كل شيء يهتز ، فهو عالم معبوث به ..

التجربة – التجربة فقط – أن تعثر على نقطة الضوء .

بقلم : علي عبد الله خليفة



ديوان الشاعر لحدان الكبيسي

إضافة جديدة لجهود تجويد الشعر النبطي

دول الخليج العربي الحالية كانت لما قبل فترة وجيزة من الزمان عبارة عن مرافيء ومحطات تزود بالمؤن لسفن أبناء المنطقة على امتداد مغاصات اللؤلؤ المتقاربة والمنتشرة فى كل الخليج العربي وميدان عمل مشاع لكل الأهالي . لم تكن هناك جوازات سفر ولا مكاتب هجرة وجمارك ، وكان الانتقال فى كل المنطقة كالانتقال بين مدينة وأخرى يسيراً متى ما توفرت وسيلة نقل وجو ملائم ، لذلك توزعت القبائل والأسر وزرعت لها بذرة على كل ضفاف بحيث أصبح أغلب المواطنين ابناء عمومة وخئولة .

وأوضح تجسيد لهذه الظاهرة حياة أغلب أدباء المنطقة وبالأخص شعراء النبط المشهورين الذين توزعت اقامتهم جميع تلك المرافيء وتركوا على جدار كل مدينة خليجية أثراً لعشقهم واصالة ابداعهم ، فالشاعر النجدى الأصل محمد بن لعبون عشق وعاش في الزبير بجنوب العراق ثم أقام فى البحرين وتركها الى الكويت حيث أقام وتوفى ودفن فيها . والشاعر محمد الفيحاني ولد في قطر . ويقول الرواة الثقاة بانه درس وعاش فى الكويت وأقام في البحرين حيث توفى ودفن فيها والأمثلة كثيرة ومتنوعة . ومنها شاعرنا لحدان بن صباح الكبيسي الذى ولد وتربى وعاش فى قطر ثم رحل الى البحرين واستطاب الاقامة بها الى أن وافاه الأجل .

ولحدان من كبار شعراء النبط القطريين ، ولد فى الجميل بشمال قطر عام ١٨٨٩م وتوفى فى ٩ أكتوبر عام ١٩٥٥م فى البحرين بعد أن ترك له صيتاً شعرياً كبيراً فى كل المنطقة . فهو من شعراء النبط القلائل ، خلال الفترة المتأخرة ، الذين ينتمون بقوة ابداعهم وحرارة تعبيرهم وسرعة بديهتهم الى جيل شعراء النبط الكبار فى أوج أزدهار هذا الفن ، الذين تميزوا ببساطة وقوة اسلوبهم الشعري وقدرتهم العفوية على رصد مظاهر البيئة الصحراوية من حولهم وتوظيف دلالاتها البكر لاغناء معاني قولهم بلغة القصيدة النبطية الجزلة ذات الرصانة والتطلع الى توسل مفردات الفصحى فى أوزان طويلة وبنفس شعري فيه من امتداد الأفق وغزارة مكنون القلب وسعة الصدر وتوفر الوقت الشيء الكثير .

وعندما يذكر اسم لحدان الشاعر ، أمام من يعرف عنه شيئاً ، فان ابتسامة ذات معنى لابد وأن تفتر عنها شفتاه فهو شاعر هجاء ، سليط اللسان لا يقترن اسمه إلا بمواقف الهجاء المقذع العنيف ولا أعتقد أن أحداً فى قطر من جيل ما قبل النفط أو ما بعده بقليل لا يذكر هجائيته المشهورة المسماه « اللايطه » التى هجا بها مجموعة كبيرة من الشعراء الذين استثاروه من بعيد أو من قريب . بمعنى «اللايطة» ، العامة ، الشاملة التى لا تبقى ولا تذر .

وبعدما قال لحدان هذه القصيدة هاجياً ما يقرب من خمسة عشر شاعراً من ذوي المكانة الشعرية والاجتماعية من زملائه وأصدقاء طفولته ، تناقلتها الألسن واشتهرت كعمل شعري يمتاز بالقوة والطرافة ، ويتصف بالعنف والتحدى ، واصبحت معانيها موضوعاً للتندر فى المجالس والديوانيات ، وأطرف ما يروى عن هذا الشاعر وقصيدته « اللايطه » أنه بعد أن أقام في البحرين فترة من الزمن أخذه الحنين

الى مرابع الطفولة فى قطر ، ويقال بانه وقع فى بعض الحرج ، فمجيئه الى قطر يعني مواجهته الشخصية لأغلب الشعراء الذين تناولتهم قصيدته وحملوا فى أنفسهم عليه . وقد يحدث منهم أو منه عند المواجهة ما يسيء ويزيد فى تعقيد الحرب الشعرية . فوجد أن أسلم طريق هو أن ينسى تلك القصيدة وأن يتوجه الى مجلس الحاكم أول ما تطأ قدماه أرض قطر . وعندما أقبل على مجلس الحاكم من بعيد لمحته أبصار كثيرة وأسرت للشيخ بقدومه ، وعندما وصل الى وسط المجلس وألقى بالتحية على الجميع قاصداً تقبيل الحاكم استوقفه الشيخ باسماً وهو يقول : أهذا أنت يالحدان .. والله لن نقبل منك السلام إلا بعد أن تنشد لنا قصيدة «اللايطه» ، وأسقط فى يد الشاعر فمجلس الشيخ غاص بالحضور وأغلب من تناولهم فى تلك القصيدة موجود بين الحضور ، فحاول أن يعتذر إلا أن الحاكم سد عليه جميع المنافذ باصراره فما كان منه إلا أن أنشدها . ويقول الرواة بأن الشعراء من حضور المجلس أخذوا ينسحبون بالتتالي قبل أن يصلهم دور الهجاء فى القصيدة ، وبعد أن فرغ «لحدان» من قصيدته ، سلم ، واعتذر ، وانسحب محرجاً ، وبعدها طويت خصومة الشعراء حول هذه القصيدة .

فى الشهر الماضي ، صدر فى البحرين الجزء الأول من ديوان الشاعر « لحدان ابن صبلح الكبيسي » من جمع وتقديم السيد «مبارك عمرو العماري» أحد الشباب المهتمين بجمع وتدوين جوانب من الشعر النبطى والعمل على نشرها . وهي مهمة شاقة تحتاج الى جهد وجلد وقدر كبير من التضحية . ان التصدى لجمع أشعار شاعر كبير مثل «لحدان الكبيسي» ، غزيرة الانتاج تتوزعه منطقتان تتناثر فيهما القصاصات والروايات لعمل يستحق التقدير والاشادة والاهتمام ، فقد جاء الجزء الأول فى حوالى ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير حاوياً ما يقرب من مائة قصيدة ومقطوعة مشروحة ومحققة النص ، لأن أغلبها مستنسخ عن نصوص أصلية بخط الشاعر لدى قلة من المهتمين فى البحرين وقطر ودولة الامارات ، ويغلب على قصائد الجزء الأول طابع المدح ووصف رحلات الصيد وهو جانب واحد فقط من جوانب أشعار لحدان المتعددة الجوانب . وربما طبيعة المادة الشعرية المتوفرة بين يدي الجامع هي التى حددت ذلك مع أن السيد «مبارك العماري» قد قام بزيارة قطر والامارات لجمع قصائد أخرى يضيفها الى النصوص المتوفرة لديه ، وكنت اتمنى لو أن الجامع لم يستعجل النشر وبذل جهداً أكبر فى تقصي ومتابعة نصوص أخرى ، حتى تكتمل لديه مجموعة أكبر وأشمل من قصائد الشاعر ، فتتضح أمامه رؤية أفضل فى السيطرة على المادة المجموعة وتبويبها وتقسيمها الى أجزاء وبالتالى تتيح له فسحة من الوقت فى تقصي وضبط شروح المفردات التى جاءت فى بعض المواضع مقتضبة ، وغير دقيقة أو غير صحيحة لغوياً فى مواضع أخرى . خصوصاً وأن الهدف من جمع وتدوين وطبع الشعر النبطى هو تقريبه الى القاريء الحديث ليستفاد منه بعدة أوجه دراسية وحياتية معاصرة .

ومن أمثلة عدم الدقة فى تحديد معنى المفردة ما ذكره الشارح فى الصفحة ٢٨ لشرح مفردة (أغورا) من البيت رقم ٤٧ بمعنى هجم فيقول (غار) وهذا غير صحيح حيث أن (غار) الشيء فى الأرض معناه ذهب فيها ، وهو من الغور : الدخول أو الذهاب فى الشيء ، والمعنى الصحيح هو أغار ، بمعنى هجم وهو من الاغارة .



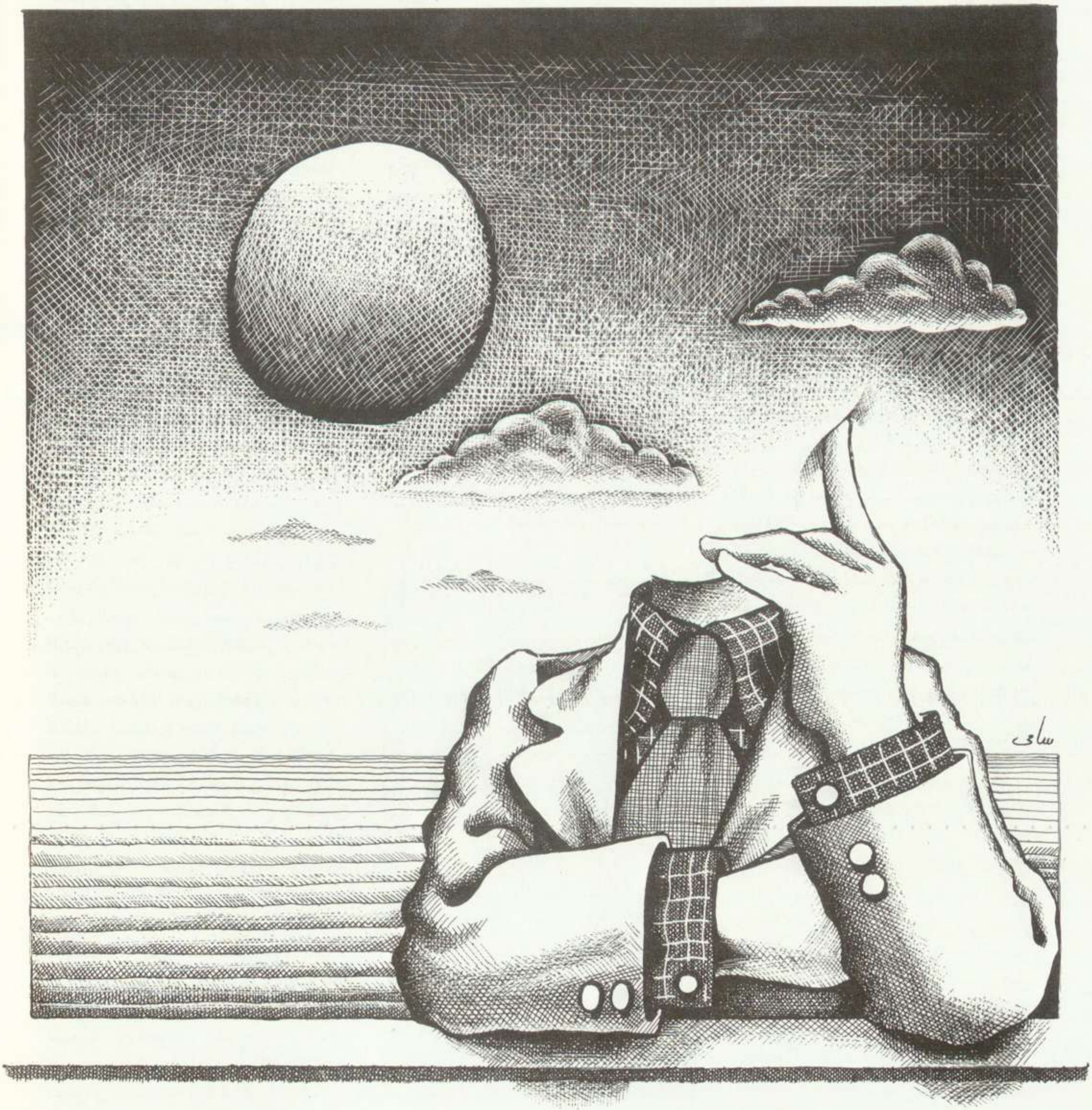
ومن أمثلة الاقتضاب في شرح المفردة ما ذكره الشارح فى صفحة ١٠٧ لشرح مفردة (هو ذال) من البيت رقم ١٦ ، فقد اكتفى بأن الهوذال : ضرب من السير ، وأرى أن ذلك لا يكفي فالهوذال ليس ضرباً من أى سير وإنما هو ضرب من سير الابل . ومن المتعارف عليه عند تفسير معنى مفردة هو أن تجرد هذه المفردة من حروف الجر والعطف وغيرها مما هو ليس فى أصلها حتى لا يشكل على القاريء معناها ، يورد الشارح فى الصفحة ١٠٧ لشرح مفردة من البيت ١٩ بأن (فخل) معناها (فدع) فقد يتبادر الى ذهن القاريء بأن فخل كلمة ثلاثية الحروف الأصل بمعنى تفخل أى تزيا واظهر الوقار ، وكذلك تفسيرها بكلمة (فدع) على اعتبارها كلمة ثلاثية فى الأصل من الفدع وهو الاعوجاج الحاصل فى المفاصل وما شابه ، وهذا مالم يقصده الشاعر ولم يذهب اليه شارح المعنى ، فتجريد الكلمة عند الشرح من الحروف التى ليست بها أصلا مهم جداً لمنع الالتباس ولو أن الشارح قام بحذف حرف الفاء وأبقى الكلمة الأصلية (خل) لما احتاج الى اضافة فاء أخرى عند الشرح ولجاء التفسير كما يجب أن يكون : خل بمعنى دع .

وللحقيقة فان مثل هذه الهنات ليست بكثير ولا تقلل بأى حال من الجهد المبذول فى الشرح . ولست هنا بصدد التدقيق فى معنى الشروح أو تحديد مواطن الخلل فيها فالعمل لحد الآن لم يكتمل وما هذا إلا الجزء الأول منه ونحن فى انتظار البقية . فتحية لباكورة انتاج الجامع «مبارك العماري» الذى نرجو له التوفيق فى أداء هذه المهمة الجليلة ، وحيا الله ذكر الشاعر لحدان بن صبلح الكبيسي .

على عبد الله خليفة

نعمة النسيان

بقلم
الدكتور عبد السلام العجيلى



قلت للصديقة التى كنت فى زيارتها :
– دعينا الآن من السياسة ، ولننس حديثها . لقد التقيت اليوم بزوجة أخيك فى الطريق مصادفة ، فعرفتنى بنفسها حالما رأتنى وانقذتنى بهذا من واحد من مواقفى المحرجة . أنا شاكر لها لطفها هذا فكأنها تعلم انى جدير بأن أنسى من هى بعد ما مر عامان على لقائى بها ...
قالت : وهل من عادتك أن تنسى الوجوه الجميلة هكذا ، وبسرعة ؟
قلت : وهل شيء ينسى مثل الوجوه الجميلة فى هذه الأيام ، مع ألوان الماكياج والأصباغ التى تتغير كل يوم فتغير المعالم والملامح الشخصية ؟ لو رويت لك كل ما فعل بى نسيان الوجوه لضحكت ...

لقاء فى روما

قلت : مثلا أروى لك احدى ذكرياتى الباريسية . كنت فى أحد مطاعم الحى اللاتينى فى باريس أتناول الغداء على مائدة جلس معى عليها زبائن آخرون ، كما هى العادة فى مطاعم ذلك الحى . وانتهيت من الغداء فدفعت الحساب وخرجت من المطعم وسلكت شارع راسين فى طريقى الى الفندق الذى أنزل فيه . وفى الطريق لاحظت أن فتاة كانت تسير الى جانبى وتتطلع الي ، فأثار ذلك فضولى ودعانى الى أن أبحث عن حجة أبدأ بها معها الحديث فسألتها :
– ألم يسبق لنا أن التقينا قبل الآن يا آنسة ؟
فابتسمت وأجابت بفرنسية أمريكية اللكنة :
– بلى على ما أعتقد ، فأين تظن ذلك ؟
ولم أكن فى الحقيقة أذكر أنى رأيت هذه الفتاة اطلاقا . ولكنى كنت قد وصلت فى اليوم الفائت الى باريس قادماً اليها من روما ، حيث حضرت تمثيل اوبرا عايدة التى كانت تقدم فى الهواء الطلق فى مسرح حمامات كاراكالا ، فتظاهرت انى أجهد نفسى بالتذكر وقلت :
– لابد من أننا التقينا فى مدرج حمامات كراكالا فى روما ، منذ أيام قليلة . ورأيت الفتاة ، ولابد من أن أقول لك انها كانت سمراء ذات عينين واسعتين غريبتين فى سوادهما وذات شعر بلون النحاس المحروق ، رأيت الفتاة تقف مستندة الى الجدار بجانبها وتضحك وهى تقول :
– يا لك من قوى الذاكرة ... لقد كنت جالسة أمامك على الطاولة التى كنت تتناول عليها الطعام منذ لحظات . أصحيح أنك نسيت بهذه السرعة ؟
ويبدو حقاً أنها كانت جالسة قبالتى فى المطعم ، ولكننى كنت مشغولا عنها بأفكارى أو بجريدة كنت أقرأها ، لا أذكر على التأكيد . وكانت تلك غفلة تقارب الغباء ، وجديرة بأن تجعل الفتاة تنصرف عنى مخلفة إياى على قارعة الطريق . إلا أنها كانت ألطف من أن تعاملنى هكذا . واكتشفت أن سمرة وجهها وملامحها الغريبة ترجع الى كون جويس ، وكان هذا اسمها ، هندية حمراء فى أصلها ، من قبيلة التشيبوا التى كانت لها مع المستعمرين الامريكيين الأول معارك ضارية فى الأرض التى أصبح اسمها اليوم الولايات المتحدة الامريكية . لقد جمعتنا النقمة المشتركة على أمريكا وعلى استعمارها القديم والحديث فغفرت لي عيبى الكبير هذا ... عيب النسيان !

ترى ما هذا ؟

قالت صديقتى : اذن فقد كان نعمة عليك هذا النسيان . لا تنكر . وكذلك كان الحديث فى السياسة الذى تتهرب منه الآن . ولكن اسمح لي أن أقول لك ان المرأة لا تغفر لرجل ان ينساها بكل هذه السهولة .
قلت : ماذا أصنع ؟ هكذا خلقنى الله . أحياناً أجد لصديقى «فلان» كل الحق حين يقول انه كي يتأكد من هوية امرأة يحدق فى ساقها أكثر من تحديقه بوجهها . أى امرأة تحتفظ بوجه واحد فى يومين متعاقبين ؟ أما الساق فلا تتغير حتى بالشيخوخة . هل تعرفين الكلمة الفرنسية التى تقول إن ساق المرأة لا تشيخ ؟ اسمعى ماذا جرى لي مرة أخرى فى باريس .
قالت : مع وجه جميل أو قبيح ؟
قلت : ذلك يعود الى تقديرك ، وستحكمين عليه بعدما تسمعين . والحكاية انى احتجت مرة أن أذهب الى القنصلية السورية هناك لبعض شأنى . وكانت القنصلية آنذاك فى حى الأوبرا فى شارع دولابيه ، وفى الطابق الثانى أو الثالث من احدى عماراته . وكان الداخل الى القنصلية ، بعد أن يرتقى الدرج ، يسير فى ممر طويل ومعتم . فحين رقيت الى هذا الممر رأيت شاباً مقبلا من نهايته متجهاً نحوى . قلت لنفسى ان ملامح هذا الفتى معروفة لدي ، فلابد من انى لقيته فى ذات يوم ، فمن هو يا ترى ؟ واعملت فكرى بسرعة لأذكر اسمه قبل أن يكتشف أنى نسيته ، فلم أفلح . تقدمت فتقدم الشاب ، وابتسمت له فابتسم لي ، ومددت يدى لأحييه فمد يده . وفجأة شعرت بصدمة ارتج لها جبينى . فقد كان فى آخر الممـــر مــرآة تملأ جداره ، فاصطدمت انا بذلك الجدار . أما الفتى القادم ، الذى كنت اذكر ملامحه ولا اتذكر اسمه ، فقد كان أنا ... أعنى صورتى المنعكسة فى تلك المرآة !

نسيان دزرائيلى

ضحكت صديقتى من كل قلبها وقالت : هذا لا يصدق . اذا كنت حتى نفسك تنساها هكذا فلك العذر فى نسيان الآخرين . ولكن اصدقنى : أيمكنك أن تنسانى يوماً ما ؟
قلت : يا سيدتى ، لا أستطيع أن استبعد ذلك عن نفسى ولكنى إن فعلت فسأعتذر اليك اعتذار دزرائيلى لسيدة جميلة لقيته مرة ولم يعرفها فاحرجته بقولها : ميلورد ، هل نسيتنى ؟ فكان جوابه : سيدتى الجميلة .. لقد انفقت عمرى كله فى محاولة نسيانك !
ابتسمت الصديقة وقالت : ما أجمله من تخلص . لقد كان سياسياً بارعاً ...
قلت : دزرائيلى ؟ نعم ... وكان يهودياً تنصر فحكم انكلترا . وهو الذى اشترى لبريطانيا أسهم قناة السويس من فرنسا المشرفة على الافلاس . فى حكمه توجت فكتوريا امبراطورة على الهند ، وهو الذى سير انكلترا فى سياستها الاستعمارية التوسعية التى قاسى العالم منها ويقاسي اليوم ما يقاسي ...
قالت : رجعت الى السياسة .. ألا تحاول أن تنساها ؟
قلت : بلى والله وان نسيانها ، لو أمكن ، نعمة وأية نعمة !

د. عبد السلام العجيلى

حكاية شعبية من المغرب:

المحمدون الثلاثة

أحب المغرب وأهله !

في المغرب طبيعة جميلة متنوعة : جبال سامقة مثلجة ، ووديان مخضرة منبسطة ، وأمطار وأنهار ، وبحر ومحيط يطوقانه من الشرق والجنوب والشمال ، وخير وفير فى الخضار والثمار والفواكه والحيوان ، وما شئت مما يطعم ويبهج ، ومما تشتهيه النفس وتسعد به العين .

ولكن الطبيعة مهما حوت من جمال ومفاتن فطرية ومصنوعة ، ليست بشيء إذا لم يكن الانسان نفسه جميلا ، ولقد أكتشفت ذات يوم ، منذ ربع قرن مضى ، تحاصرني الوحدة ، وسوء الذين حولي ، أن الانسان أجمل ما فى الوجود ، حين تعايش المرء الجميل تستحيل معه أتعس الأمكنة الى جنان ، وحين تفتقده تصبح مباهج الدنيا كلها شيئاً كريها موحشاً .

والانسان المغربي من أجمل ما رأيت ، فكراً وخلقاً وعشرة ، إنه خلاصة حضارات عديدة مضت ، ودود فى اللقاء ، ومهذب فى المعاملة ، كريم جواد ، خير بطبعه ، يشعرك حين تهبط أرضه ، أنك فى بيتك ، وبين صحبك ، حللت أهلا ، ونزلت سهلا ، كما يقولون .

عمق هذا الحب عندى دراسة واسعة لتاريخ المغرب ، وإدراك واع لدوره فى حياتنا المعاصرة ، فيه قامت امبراطورية المرابطين ، وثأرت فى نصر حاسم لهزيمتنا فى طليطلة وخلفهم الموحدون فأقاموا دولة عظيمة ، وقفت فى وجه المطامع الأوربية ، وحققت وحدة المغرب العربي بأجمعه ، ابتداء من حدود مصر ، وانتهاء بموريتانيا ، وجاء بعدهم المرينيون ، فعملوا ما استطاعوا ليدفعوا عن الأندلس غائلة السقوط ، أمدوه بالرجال والسلاح والأموال ، لكن خور القيادة ، وخيانة السلطان ، واختلاف الكلمة ، ذهب بذلك كله ، فكان المصير المشئوم .

وأعرف دور المغاربة فى نشر الاسلام والعربية فى مجاهل أفريقية ، غربها وجنوبها ، فى السنغال وغينيا ، ومالي ونيجيريا ، ومناطق أخرى عديدة ، أمدوها بالكتب والعلماء ، وفتحوا أبواب معاهدهم لشبابها ، وهم اليوم يقفون حراساً على حدود العروبة والاسلام فى أقصى الغرب ، ومن أسف أننا نجهل فى المشرق طبيعة دورهم ، وما يقع على عاتقهم من تبعات .

بودي لو أعطينا تاريخ المغرب مزيداً من العناية فى جامعاتنا ومعاهدنا ، ووطدنا صلتنا به على نحو أقوى ، وأقوى مما عليه الآن ، أنهم مادة طيبة ، عروبة ، واسلاماً ، ويرجى من ورائهم خير كثير .

وطنجة بين مدن المغرب أحبها الى قلبى . تقع على قمة جبل ، عند التقاء الأطلنطي بالبحر الأبيض ، ووراءها تاريخ حافل ، يعود بنشاتها الى أيام الرومان .

عرفتها ذات يوم من عام ١٩٥٨ ، كنت طالباً فى جامعة مدريد ، واسبانيا يومها دولة فقيرة ، كل شيء فيها شحيح ، فدرجنا على أن نرحل بالقطار الى طنجة نبيع عملتنا بسعر أغلى ، ونشترى حاجياتنا بثمن أرخص ، وكان الاسبان رغم فقرهم يومها شرفاء وأوفياء ، يدركون أننا طلاب لا نتاجر ولا نضارب ، فهم يغمضون أعينهم عما نقوم به ، مادام نشاطنا لا يتجاوز حاجياتنا .

يومها كانت طنجة مدينة دولية ، تديرها نيابة عن المجتمع الدولي أربع دول : هولندة ، وإنجلترا ، وفرنسا ، واسبانيا . وجعل منها موقعها مدينة فريدة ، بها يلوذ الهاربون من الضرائب أو العدالة ، من أصحاب الأموال ، والمضاربون ، والمجرمون ، وأصحاب البنوك ، والمهربون ، والجواسيس ، وتجار الرقيق الأبيض ، وكل الرذائل التى على ظهر الدنيا .

وفي مثل هذا المناخ ازدهر اقتصاد المدينة ازدهاراً عجيباً ، فعرفت أجمل المطاعم ، وأرقى الحانات وأكبر المقاهي وأغنى المتاجر ، وكهوف الليل والمراقص والملاهي ، وصفقات تتم من كل لون ، طوال النهار وأطراف الليل . ويتحدث الشارع فيها عديداً من اللغات : العربية ، والأسبانية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والألمانية ، والهولندية ، ويزدحم بكل الجنسيات الأوربية ، والهنود ، والأفارقة ، الى جانب المغاربة طبعاً .

وقد أدركت منذ الوهلة أن المدينة ، شأنها شأن كل البلاد المستعمرة ، تنقسم الى حيين : حي أوربي ، لا يختلف عن أية مدينة أوربية حديثة ، وحي عربي فيه كل سمات الشرق وروائحه ، ويسكنه أهل المدينة من المغاربة ، وأخترت أن أقيم بينهم كلما نزلت المدينة ، أتعرف اليهم ، وأكتشف نواحي الخير فيهم ، وأقوى صلتي بهم ما استطعت .

فى الحي العربي التقيت بالرحالة ابن بطوطة مقاماً يزار ، لقد اختار هذا المغربي اللطيف ، جواب العالم من هذه المدينة العالمية مقراً لجدثه ، وكان يطيب لي أن أقف بقبره ، أتأمل الحياة والموت ، ونهاية كل كائن ، وأقرئه السلام ، وأقرأ

د. الطاهر أحمد مكي



على روحه الفاتحة ، وأكبر فيه باصرار على رؤية العالم ، فى زمن مواصلاته عسيرة ، وسبله غير آمنة .

وأدركت في جلاء أن المغاربة لا يريدون أن يذوبوا فى هذا المجتمع الوافد الدخيل ، الغاصب لمدينتهم ، فاداروا ظهرهم له ، وتمسكوا بتقاليدهم يرعونها، ويحافظون عليها ، ملابس وحياة ومعاملة ولغة ، في انتظار يوم يرحلون فيه ، وتكون المدينة لهم وحدهم ، وحتى الاذاعة لم تكن موجهة لهم ، ولا تعنى بهم ، وهم بدورهم قل أن يهتموا بها أو يعيروها سمعاً .

وإزاء بطش الاستعمار الفرنسي فى جنوب المغرب ، والأسباني في شماله ، كانت طنجة بوصفها مدينة دولية ، النافذة التى يطل منها أولئك وهؤلاء على ثقافة المشرق العربية ، فكانت مكتبات الحي العربي تبيع كتب المشرق ومجلاته ، وفيها أشتريت كتباً قديمة كانت طبعاتها قد نفدت فى القاهرة ، وكانت دور السينما فى الحي العربي تعرض أفلاماً مصرية ، وللممثلين والفنانين المصريين شهرة عريضة بين عامة الناس ، وهم بازائهم طوائف وشيع ، فهناك من يتعصبون لأم كلثوم ، أو محمد عبد الوهاب ، أو فريد الأطرش ، أو يوسف وهبي ، أو أنور وجدى وآخرين .

وكانت ثقافة الناس العربية لا بأس بها ، ونطقهم لها صحيح ، إذا تجاوزنا بعض الخصائص المحلية المتمثلة في تطور دلالة بعض الكلمات ، أو استخدام ألفاظ عفا عليها الزمن فى مشرقنا .

كان مكاني المختار لحظة الفراغ المقهى الكبير الذى يتوسط شارع القصبة ، فالسوق على مقربة منه ، وحوله تنهض المتاجر الكبيرة والمخازن ،

المحمدون الثلاثة

ويتجمع الناس على ألوان من الفن الشعبي : الموسيقيون ، وضاربو الطار ، والعازفون على الناي أو المزمار ، والذين يلاعبون الأفاعي والحيات ، أو يرقصون الماعز ، والذين يغنون الملاحم أو يقصون السير والحكايات ، وكان المقهى يغص بالقادمين من البادية للبيع أو الشراء ، أو التعامل مع الادارة ، يأتون اليه ليستريحوا ، أو ليتلاقوا ، أو لكي يرحلوا الى قراهم جماعات .

فى هذا المقهى تعرفت ذات مساء لسيدى الحاج عبد القادر ، شيخ نافذ البصر والبصيرة ، مهيب الطلعة ، كث اللحية ، جهير الصوت ، حسن الهندام ، يقص علينا حكاياته ، والناس يصغون اليه معجبين ، وكنت أصغى معهم ، فاذا عدت الى الفندق . جلست أسجل ما سمعت ، وكان منه هذه الحكاية التى أرويها لكم :

كان لرجل ثلاثة أولاد ، سمى كل واحد منهم محمداً ، ولما حضرته الوفاة شك فى أن أحدهم ابنه من صلبه ، وحينئذ استدعاهم ، وقال لهم :

ــ محمد يرث ، ومحمد يرث ، ومحمد لا يرث ! .

ثم لفظ أنفاسه .

وجهز الأبناء الثلاثة والدهم ، وشيعوه الى مثواه الأخير ، وجلسوا يستقبلون الناس مواسين ومعزين ، ومرت الأيام ، وحانت اللحظة التى اراد كل واحد منهم أن يعرف نصيبه مما خلف والده ، فاجتمعوا ، وتناقشوا ، واختلفوا ، لأن أحدهم طبقاً لتصريح والدهم ليس له الحق فى الميراث ، فذهبوا الى قاضي القريـة ، وعرضوا عليه ما قال والدهم وهو فى آخر لحظاته على الدنيا ، وأول خطاه الى الآخرة ، وتأمل القاضي الأمر طويلا ، وفكر ملياً ، وحار فيه ، ولم يهتد الى حل ، فقال لهم :

ــ القاضي حجى وحده يستطيع أن يفصل فى مثل هذه القضية المعضلة .

وسلم الأخوة أمرهم للـه ، وقرروا الرحيل الى حيث يوجد القاضي حجي ، وفى الطريق اليه استراحوا قليلا بعد رحلة مضنية ، وهم فى هجعتهم هذه رأوا خطى جمل فى الطريق ، فنظر أحد الثلاثة اليها وقال :

ــ الجمل الذى مر من هنا أبتر !

ونظر الثاني بدوره وقال :

ــ وهو أعـــور ! .

وتأمل الثالث قليلا ثم قال :

ــ وكانت حمولته نصفها حلو ، ونصفها حامض ! .

وحين استردوا قواهم عاودوا الرحلة من جديد ، وفى الطريق التقى بهم رجل يبحث عن جمله الضائع ، فسألهم عما إذا كانوا قد رأوا فى طريقهم جملا شارداً فنظر اليه أحد الأخوة وقال :

ــ جملك مقطوع الذيل ؟

فرد الرجل مؤكدا : بلى !

وقال الثاني :

ــ وهو أعـــور !

فأجاب الرجل : نعم .



وسأل الأخ الثالث بدوره :

ــ ونصف حمولته حلو ، ونصفها الآخر حامض !

فتهلل الرجل بشراً ، وقال : هو كذلك أكيد ! .

حينئذ رد عليه الثلاثة فى صوت واحد : صدقنا ياشيخ ، نحن لم نر جملك، ولا وقعت عيوننا عليه .

ــ كيف لقد رأيتموه ، ولاشك فى هذا ، لقد أعطيتموني أوصافه دقيقة ، أين رأيتموه ؟ ، أعينوني بارك الله فيكم !

ومن جديد أكدوا له : لم نر جملك ، ولا مر في طريقنا .

ولم يفارقهم الرجل ، ولا أخلى سبيلهم وأصر على أن يدلوه على جمله ، وأصروا على الأنكار .

إزاء اصراره اقترحوا عليه أن يمضي معهم الى القاضي حجي ، فهم ذاهبون اليه ليعرضوا عليه بعض مشاكلهم ، ولتكن مشكلته معهم قضية أخرى .

وقف الأربعة أمام القاضي : الأخوة الثلاثة ، وصاحب الجمل الشارد .

قال الرجل :

هؤلاء الأخوة الثلاثة استولوا على جملي ، وأنهم يعرفون مكانه وأخفوه عني .

وقال القاضي :

ردوا اليه جمله !

ورد الثلاثة :

ــ الله يحكم بيننا وبينه ، إننا لم نلق جمله ، ولم نخف عنه شيئاً ! .

وأصر صاحب الجمل على طلبه : لقد وصفوه بدقة ، شكله ، وحمولته ، ولا يستطيع ذلك إلا من رآه رأي العين ،

قالوا : أنه أبتر ، وهو كذلك فعلا ، وأنه أعور ، ولم يتجاوزوا الصواب ، وزادوا فوصفوا حمولته ، وأن نصفها حلو ، والنصف الآخر حامض ، وهي كذلك حقاً .. فكيف أصدق ، ياسيدى القاضي ، أنهم لم يروه .

وفكر القاضي ملياً ، ثم سأل الأخوة الثلاثة :

ــ كيف عرفتم أنه أبتر ؟

فرد أحدهم :

– عندما يبعر الجمل ، فان ذيله يفرق البعر شتى ، فلا يسقط مجتمعاً ، ولا في مكان واحد ، ونلتقى بعرة هنا وهنـاك أما حين يكون أبتر فان بعره .. يسقط على الأرض جملة ، ممسكاً بعضه برقاب بعض ، فلما رأيت بعر الجمل على هذا النحو أدركت فى الحال أنه أبتر ، ولا ذيل له .

وكيف عرفتم أنه أعـور ؟

فأجاب الثاني :

– استرعى انتباهي أن الجمل حين يرعى الحشائش لا يمضي معها فى خط مستقيم ، وإنما ينحرف فياخذ شكلا ملتوياً ، لأنه يلتهم ما تقع عليه عينه السليمة ، ويدور معها ، على حين أن الحشائش التى على مرمى عينه العوراء ، التى لا يبصر بها ، ظلت قائمة لم تمس .

وتوجه القاضي الى الثالث وسأله :

– وأنت ، كيف عرفت أن جانباً من حمولته حلو ، وأن الجانب الآخر حامض ؟

فرد قائلا :

– لأن حمولة الجمل من السوائل لم تكن أوانيهـا محكمة ، فأخذت تنقط فى الطريق ، ورأيت الذباب يحوم على جانب منها دون أن يقع عليها ، على حين أخذ يتدافع على الجانب الآخر ويتزاحم ، يسقط عليه ولا يدعه ، فعرفت أن الأول حامض يهرب منه الذباب حين يشم رائحته ، وأن الثاني حلو يقبل عليه ، وأن حمولة الجمل كانت من هذا وذاك .

وسأل القاضي صاحب الجمل :

– وأنت كيف جملك ؟

– هو كما وصفوه : أبتر ، أعور ، نصف حمولته خل ، والنصف الآخر من العسل.

وأصدر القاضي حكمه :

– ابحث عن جملك حيث يمكن أن تجده ، فهؤلاء الرجال أذكياء ، استطاعوا أن يتعرفوا اليه عن طريق العيافة والقيافة ، وقص الأثر ، ولم يروه شكلا وواقعاً .

ثم اتجه الى الأخوة الثلاثة يسألهم :

– وأنتم ما قضيتكم ؟

فأجابوه :

– سيدى القاضي ، عندما انتقل والدنا الى الرفيق الأعلى ، قال وهو يحتضر : محمد يرث ، ومحمد يرث ، ومحمد لا يرث ، ولا نعرف أينا المحروم من الميراث ، فكلنا يسمى محمد ، ونريد اليوم أن نقسم التركة التى خلفها لنا ، ليأخذ كل واحد منا حقه .

فقال القاضي :

– أنتم تقضون الليلة فى بيتي ضيوفاً علي ، وفى الصباح أقضي بينكم إن شاء الله تعالى .

واستضـــاف القــاضى الأخـــوة المتخاصمين ، وأنزلهم الطابق الأعلى من بيته ومقر عمله ، ثم استدعى خادمه ، وطلب منه أن يذهب الى السوق ، وأن يشترى لهم خروفاً ، وأن يمضي به الى البيت لكي يعد لهم عشاء .

وذهب الخادم الى السوق ، واشترى الخروف ونزع أحشاءه وفضلاته ، وحمله الى البيت لحماً خالصاً ومعداً وبعد طبخه حمله عشاء الى ضيوف القاضي الثلاثة ، ثم دعاهم الى تناول الطعام وتركهم ، على حين وقف القاضي وراء الباب يستمع الى ما يقولون .

قال واحد منهم :

– هذا لحم كلب !

وقال الثالث :

– هذا القاضي ابن زنـــا !

ورد الثاني :

– لا ياأخي ، لاتقل مثل هذا الكلام على القاضي ، من أين عرفت أنه ابن زنـا ؟ .

– من يستضيف آخرين ، ويدعوهم الى تناول الطعام ، ولا يأكل معهم ، ابن زنـا أكيـداً !

استمع القاضي الى حوارهم ، فلما انتهى حديثهم تركهم الى جناحه ، ثم استدعى خادمه ، وقال لـه :

– لماذا وضعتنى فى هذا الموقف الصعب ؟ كيف تذبح لضيوفي كلباً وأمرتك أن تعد لهم خروفاً ؟!

وأجاب الخادم :

– وحياتك ياسيدى القاضي انى ذبحت لهم خروفاً ، ولكن النعجة التى ولدته نفقت بعد أن وضعته فأرضعوه لبن كلبة ليعيش .

ودخل القاضي الى بيته حيث زوجته وأمه وخدمه ، وسأل عن التى طهت الطعام للضيوف ، وتقدمت احدى الخدم وقالت :

أنـا ياسيـدى !

وسأل عن أمه فقيل له : إنها فى غرفتها . وتوجه القاضي الى أمه ، وحين لقيها أمسك بخناقها ، وألقاها أرضاً ، وأخرج سكيناً وقال لها :

إذا لم تصدقينى القول عن أبى الحقيقي فسوف أذبحك !

وامتلأت السيدة رعباً ، وبدأت تفصح له عن مكنون سرها :

جئت ثمرة نزوة عابرة ، فى ساعة ضعف من رجل غير زوجي !

فى الصباح استدعى القاضي الأخوة الثلاثة ليقضي بينهم ، فوقفوا أمامه ، وسأل أولهم :

– كيف عرفت أن اللحم الذى تناولته فى العشاء كان لحم كلب ؟

فأجاب :

– لأن لحم الخروف ليس فيه ألياف ، أمالحم الكلب فنعم .

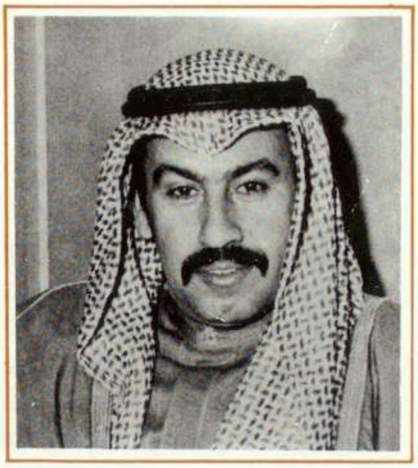
ولم يسأل الثاني شيئاً ، ولكنه أصدر حكمه :

محمد الأكبر يرث ، ومحمد الأوسط يرث ، ومحمد الأصغر لا يرث !

واحتج الأصغر ، وسأل القاضي عن السبب فأجابه :

– إبن الزنـا وحـده ، هو الذى يستطيـع أن يميز شخصاً آخـر ابن زنـا مثلـه ! .

د. الطاهر أحمد مكي



حوار مع وزير الإعلام

● الثقافة هي المواجهة الحضارية التي يقاس بها تقدم الأمم

● ما نحرص عليه ونطلبه في العمل الثقافي والفني هو الجمع بين التراث والروح العصرية

● الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ظهرت بمستوى فني رفيع

كان من الانجازات الثقافية الكبيرة التي ظهرت فى احتفالات الذكرى العاشرة لاستقلال قطر : ميلاد الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، وحول هذا الانجاز الثقافي الكبير تقدم « الدوحة » تحقيقاً صحفياً ملوناً على صفحة « ٦٢ » من هذا العدد ، وحول هذا الانجاز الثقافي والفني الكبير أيضاً دار هذا الحوار بين مجلة الدوحة والأستاذ/ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام ، والرجل الذى بجهده وحماسه ووعيه وراء النجاح الذى تحققه هذه الانجازات الثقافية والاعلامية فى دولة قطر ، فى عصر نهضتها وتقدمها فى ظل الرعاية الدائمة والتوجيه الكامل والقيادة المخلصة لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى .

وهذا هو نص الحوار الذى دار بين مجلة الدوحة ووزير الاعلام الاستاذ/ عيسى غانم الكواري .

● كان لسعادتكم المبادرة الأولى نحو تكوين هذه الفرقة ، ولقد ثابرت الفرقة على مدى أربع سنوات فى تدريباتها على أسس علمية وتقنية ، والآن بعد أن شاهدتم الثمرة الأولى لهذا الصرح الفني والثقافي الذى يشمل حضارة قطر وفنونها ، ماهو تقييمكم وشعوركم بما شاهدتم ؟ .

– كلنا يعلم أن الثقافة هي الواجهة الحضارية لأية أمة والتى يقاس بها مدى تقدم هذه الأمة ... ومن هذا المنطلق فان مظاهر الفنون الشعبية المختلفة هى الواجهة الحقيقية الصادقة والمرآة الواضحة التى تعكس تاريخ وتقدم شعوب هذه الأمم لأنها نابعة من مجتمعاتها .

وإيماناً منا بالدور الذى يمكن أن يؤديه هذا الفن للمجتمع القطري من الناحية الثقافية والاعلامية داخلياً وخارجياً .... فكرنا في انشاء الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية بالمستوى الفني العالي الذى يعتمد على الأصول العلمية والأكاديمية فى الاعداد والتكوين .... وأحضرنا لها خبراء متخصصين فى هذا المجال وأمددناهم بكل الامكانيات اللازمة لأنشاء الفرقة .

وكان أملي كبيراً فى أن أرى هذه الفرقة تقدم عروضها الفنية التى تعبر عن الانسان القطري بكل مقومات حياته من خلال مظاهر حياته اليومية والتى تتمثل في مظاهر الفنون الشعبية المختلفة من عادات وتقاليد وأغاني وموسيقى ورقصات شعبية وعمارة وأزياء ، وأدوات وحتى ألعاب شعبية وحكايات وأساطير .

واستمرت الفرقة فى عملها وتدريباتها بحيث قامت باعداد فنانين على مستوى عال من الأداء الفني وتبعها بعد ذلك فقرات البرنامج الأول للفرقة .... ولا أخفى عليك بأنني كنت قلقاً في باديء الأمر وكأي مسؤول كنت أود أن تقدم الفرقة عروضها وتظهر الى الجمهور بأسرع ما يمكن والذى كان يطمئنني أننى كنت أتابع عمل الفرقة بشكل مستمر .

وقد قدمت الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية لوحتين من برنامجها فى ٢٢ فبراير الماضى أثناء الاحتفالات التى أقيمت بتولى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم .

والآن وبعد أن قدمت الفرقة أولى عروضها بشكل كامل يوم ١٩٨١/٩/٥ بمناسبة السنة العاشرة للاستقلال وبعد هذا النجاح الكبير الذى حققته الفرقة من خلال عروضها التى شهد بها الجميع ... فاننا نهنىء أنفسنا بمولد هذه الفرقة والتى تعتبر حدثاً فنياً عظيماً كما أنه الأول من نوعه فى منطقة الخليج . وبرنامج الفرقة يعبر بصدق عن فنوننا الشعبية الأصيلة وضعت على المسرح بشكل فني رائع ولم تخرج عن أصالتها المتوارثة فى بيئتها الأصلية .

أما تقييمي لما شاهدته فهو تقييم ربما ينظر اليه بانه متحيز نوعاً ما لأنني فى هذا الوضع كمن يقيم ابنه فلابد أن تسيطر العاطفة على العقل ويصبح من الصعب التزام الحياد .

ومع ذلك فقد شاهدت فى – الحقيقة – عرضاً شبه متكامل من جميع النواحي يستحق الثناء والتقدير وقد أثلج صدري التحديث الذى حصل على تقديم واخراج هذه الفنون مع المحافظة فى نفس الوقت على أصالتها وروحها الشعبية .

طبعاً يجب علينا أن لا نكون مثاليين فى تقييمنا لهذه الأمور التى تتعلق بتدريب الانسان والتى يلعب فيها عامل الزمن دوراً كبيراً . نحن لا ندعي الكمال في أعمالنا والكمال لله وحده سبحانه وتعالى ، وهناك بعض المثالب برزت وسنعمل على تلافيها وفى نفس الوقت تحسين مستوى الأداء والتنويع فى العروض القادمة إن شاء الله .

● إذن .. ماذا لديكم لمستقبل هذه الفرقة ؟ .

– بالنسبة لمستقبل الفرقة فاننا سنقوم بدعم فنانيها وتشجيعهم حتى نضمن لهم حياة مستقرة يمارسون خلالها فنوننا الشعبية بالمزيد من الابداع والعطاء ... كما أننا سنقوم باستخدام الفرقة من الناحية الاعلامية ونشارك بها فى المهرجانات الدولية المختلفة ونقوم بتنظيم جولات فنية لتقديم عروضها فى منطقة الخليج ثم بقية أنحاء العالم .

وكذا سوف نقوم بتصوير فقرات برنامج الفرقة سينمائياً وتليفزيونياً ونقوم بتوزيعها على جميع السفارات القطرية فى العالم والتى يمكن عرضها فى احتفالاتنا القومية والمناسبات المختلفة وكذا توزيع هذه الأفلام على العديد من محطات التليفزيون الصديقة وهذا بهدف تعريف الشعوب الأخرى بالمجتمع القطري وتاريخه وحضارته ومدى ما وصل اليه من تقدم .

فى النهاية أبعث تحية مني وتقديراً كبيراً لجميع أعضاء الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ولكل من كانت له يد فى إخراجها الى حيز الوجود .

قضيّة الشهر

المحاكمة التي هزّت فرنسا

عالم فرنسي كبير يكشف أكاذيب الصهيونية

● لم يتعرض اليهود لمذبحة في الحرب العالمية الثانية

● غرف الغاز أكذوبة تاريخية لا أساس لها من الصحة

البروفسور الفرنسي روبير فوريسون الذى ينفى وجود غرف الغاز فى المعتقلات النازية ، ولا يصدق ما وصل إلينا حول اعدامات اليهود فى المانيا الهتلرية ، عاد ليستأثر باهتمام الصحافة الفرنسية .
محاكمته الأخيرة أتت لتمزق آخر ستار حاول الاعلام الفرنسي أن يسدله عليها والتعتيم الذى فرض على أبحاث فوريسون قد خرق نهائياً ، بشكل قد يجعل عدد المشككين بصحة اعدامات اليهود فى المانيا النازية يفوق كل تصور . فالقضية تجاوزت حدود فرنسا ومن جملة ردود الفعل فى الخارج ندوة أقيمت فى ٢٨ تموز فى (النادى الثقافى العربي) في بيروت ، عرضت خلالها قضية فوريسون وبعض نتائج ابحاثه . وكان للندوة أصداء مترددة فى الصحافة اللبنانية .

بقلم : عبود عطية

بداية المحاكمة

المحاكمة ، التى اعادت روبير فوريسون الى الأضواء فى باريس ، جاءت نتيجة عبارة قالها فى ١٧ كانون الأول ١٩٨٠ عبر راديو (اوربا) وهي :

« إن غرف الغاز المزعومة ، والمذبحة الهتلرية المزعومة يشكلان كذبة تاريخية واحدة ، سمحت بعملية احتيال سياسية ـ اقتصادية عملاقة . اكبر المستفيدين منها هما دولة اسرائيل والصهيونية العالمية . وابرز ضحاياها هما الشعب الألماني ـ وليس حكامه ـ والشعب الفلسطيني بأسره . » المحاكمة جاءت نتيجة ثلاث شكاوي تقدمت بها ثلاث منظمات وهي :

● « مراب » الحركة المضادة للعنصرية من اجل الصداقة بين الشعوب .

● « عصبة المعتقلين القدامى فى أوشفيتز ومعتقلات سيليزيا العليا » .

● «ليكرا» العصبة الدولية المضادة للعنصرية واللاسامية .

وقد حكمت المحكمة على فوريسون بغرامات مالية بلغ مجموعها ٢٣ الف فرنك فرنسي بسبب عبارة «احتيال» ، بالاضافة الى الفي فرانك كتعويض للمؤرخ اليهودى «ليون بولياكوف » ، لأن «فوريسون» وصف هذا الأخير بانه «كذاب»، والمدهش فى الأمر تبرئة «فوريسون» فيما يتعلق بالقسم الآخر من المحاكمة ، اى البت بصحة المعلومات التى أوردها . إذ لم يستطع اى مؤرخ آخر الاثبات « أن فوريسون » قد ارتكب خطأ واحداً .

الذين أعادوا النظر

وإذا كنا قد توقفنا حتى الآن عن الحديث عن روبير فوريسون وقضيته ، فهذا لا يعنى انه يقف وحيداً . من بين الكتاب والمؤرخين من «معيدى النظر» يمكننا أن نذكر :

ـ بول راسينيه : صاحب كتاب «كذبة أوليس» .

ـ ستاغليس فيلهالم : مؤلف كتاب «اسطورة أوشفيتز» .

ـ ريتشارد هاروود : صاحب البيان «حقيقة تاريخية رقم ١» .

ـ ارثور ر. بونز : مؤلف كتاب «خدعة القرن العشرين» .

ـ مجموعة من الباحثين السويديين يرأسهم ديتليب فيلدبرر ، الذى يحضر كتاباً بعنوان «الخروج من أوشفيتز» .

إلا أن أبحاث فوريسون شكلت قفزة كبيرة الى الامام بالنسبة لهذه الجماعة من الباحثين .

السؤال المطروح الآن : كيف يعمل فوريسون؟ وعلى ماذا يعتمد لاطلاق هذه الأحكام التى تفند أكبر اسطورة فى القرن العشرين ؟ والتى لم يستطع احد أن يثبت بطلان أى حكم من هذه الأحكام التى نادى بها فوريسون ؟!

أبحاث «فوريسون» تدخل فى مدرسة «معيدى النظر » وهذا النوع من البحث يسير فى خطين متوازيين :

١ ـ عدم الاعتراف باى حدث تاريخى (خاصة اذا كان معاصراً) من دون وجود أية وثائق أصلية تؤكد حدوثه .

٢ ـ التدقيق فى صحة الوثائق الأصلية التى وصلت الينا حول هذا الحدث .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، واعلام الحلفاء والاعلام الصهيونى يرددان بان هتلر أباد ستة ملايين يهودى . وأن مكان الابادة هو المعتقلات الجماعية النازية . وأن أربعة ملايين من هؤلاء الملايين الستة اعدموا فى غرف الغاز فى المخيم الجماعى «أوشفيتز ـ بيركينو» . وان وسيلة الاعدام كانت «غاز الزيكلون ب» .

من بين النقاط المتعلقة بالبحث عن الوثائق الأصلية التى تؤكد وجود غرف الغاز يمكننا ان نذكر بعض الثغرات الضخمة ، والتى تدعم مواقف «فوريسون» :

● لا «فوريسون» ولا غيره استطاع العثور على أية صورة فوتوغرافية للموتى فى غرف الغاز فى المخيمات الجماعية النازية .

● لا يوجد فى العالم أية صورة فوتوغرافية لغرف الاعدام التقطت خلال الحرب العالمية الثانية ، وتظهر داخل هذه الغرف .

● المعروف عند الجميع أن المخيمات الجماعية النازية كانت عبارة عن مخيمات صناعية ضخمة يعمل فيها المعتقلون اليهود والشيوعيون والغجر والمنحرفون من وجهة نظر النظام الألمانى الى جانب المدنيين الألمان والبولونيين وليس هناك أية وثيقة تعود الى ما قبل ١٩٤٥ تشير الى أن هناك غرف اعدامات بالغاز داخل أى من هذه المخيمات .

● الصليب الأحمر الدولى بدأ فى أيلول سنة ١٩٤٤ تحقيقاً دقيقاً مع الأسرى من كل الفئات ، كانت خلاصته أن غرف الاعدامات بالغاز لم تكن يوماً موجودة فى «أوشفيتز ـ بيركينو» ، لا فى الماضى ولا فى الحاضر .

● بالرغم من كثرة جمعيات المعتقلين القدامى اليوم ، لا يوجد أى شخص من المعتقلين القدامى فى أى من المخيمات الجماعية النازية يستطيع أن يؤكد بانه رأى مرة واحدة غرفة اعدام بالغاز .

● من بين المحاكمات المتعلقة بغرف الغاز ، نذكر أن أهمها كانت محاكمة المهندسين «والتر ديجاكو» و «فريتز ايرتل» فر. فيينا سنة ١٩٧٢ . هذه المحاكمة التى قامت على اتهام من جانب «سيمون فيزنتال» ، وقد انتهت المحاكمة بسرعة الى فشل الاتهام . المهندسان المذكوران استطاعا أن يثبتا انهما ، وان كانا قد بنيا فى «أوشفيتز» أفرانا لحرق الجثث ، فانهما لم يقوما قط ببناء أية «غرفة غاز» ، فاخلي سبيلهما وسط تجاهل اعلامى تام .

● الكولونيل البريطانى «نيف» الذى كلف بوضع ملخص لمجمل محاكمات نورمبرغ ، يؤكد أن الـ ٢٦٦٧٤ مسئول المانى قديم ، ممن تم استجوابهم ، أكدوا انهم سمعوا ، وللمرة الأولى بابادة اليهود فى مخيمات تدعى «مخيمات ابادة» بعد الاستسلام الألمانى ، أى بعد أيار «مايو» ١٩٤٥ .

● روبرت سيرفاتيوس ، محامى الدفاع فى محاكمات نورمبرغ الكبرى (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦) والمدافع عن ايخمان فى محاكمة القدس (١٩٦١) أشار فى رسالة بعث بها الى «فوريسون» أن «أدولف ايخمان» أكد فى محكمة القدس انه لم يسمع بغرف الغاز ، ولا باعدامات اليهود ، وان كل ما يعرفه عنها هو ما ورد فى اعترافات «رودولف هس» ، التى قرأها عندما كان فى السجن . أرشيف مركز الوثائق اليهودية فى باريس يؤكد ذلك .

الأدلة الباطلة

إذن ، على أى شيء تعتمد اخبار «غرف الغاز» ، والشائعات القائلة بان هتلر قد أعدم ستة ملايين يهودى فيها ؟ بالاضافة الى مزاعم الأسرى ، هناك بين أيدى الاعلام الصهيونى واعلام الحلفاء سلاحان لا ثالث لهما :

أ ـ اعترافات المسئولين الألمان ، بعد الحرب .

ب ـ الغرف المبعثرة فى بعض المعتقلات والتى تظهر اليوم للسياح على انها غرف اعدام بالغاز .

المحاكمة التي

فيما يتعلق بالنقطة الأولى ، يؤكد «فوريسون» أن قسماً كبيرا من هذه الاعترافات التى أدلى بها الضباط الألمان ، تم انتزاعها تحت التعذيب .

و «فوريسون» ليس الوحيد الذى تحدث عن تعذيب الأسرى الألمان على أيدى الحلفاء . بعض الحلفاء أنفسهم اعترفوا بذلك . اللجنة الأميركية «سيمبسون / فان رودن / لورنزن» رفعت فى تقريرها ما يلى : «... من أصل ١٣٩ حالة تدخل فى تحقيقنا ، (وفى مسالة مالميدى وحدها) هناك ١٣٧ عسكرياً ألمانياً تلقوا رفسات أقدام على أماكن حساسة من أجسامهم تركت جراحاً لم يمكن شفاؤها . هذه كانت الوسيلة المتبعة عند الفريق الأمريكى للتحقيق فى جرائم الحرب» . ويضيف القاضى فان رودن «... ان هناك رجالا اقوياء (ألمان) تحولوا الى مجرد أشلاء بشرية مستعدة للتمتمة باى اعتراف تطلبه السلطة العامة» .

ولناخذ على سبيل المثال «رودلف هس» الحاكم الأول «لمخيم اوشفيتز» . «هوس» خضع لعمليات تعذيب رهيبة على أيدى البريطانيين تتراوح بين الجلد بالسياط وصب الكحول على جراحه . البولونيون انفسهم سمحوا له بان يقول ذلك فيما بعد ، كى يبرروا اعترافاته العشوائية التى أدلى بها للبريطانيين ، حيث ذهب «هوس» الى حد الحديث عن مخيم للابادة يدعى «فولزيك ، قرب لوبلين» فى حين انه لا يوجد اى مكان يدعى «فولزيك» ، لا قرب «لوبلين» ، ولا فى اى مكان آخر من بولندا . (فوريسون) يؤكد أن الفريق الذى حقق مع «هس» فى بولندا كان مؤلفاً من اليهود فقط ، ولم يضم اى كاثوليكى أو بروتيستانتى .

إلا أن قمة هذه الأخطاء أو الفضائح التى أدلى بها المسئولون الالمان تحت ضغط التعذيب موجودة فى مخيم ستراتوف (قرب ستراسبورغ) فى هذا المخيم توجد «غرفة اعدام» بين الأبنية الأثرية لأنها ماتزال فى حالتها الأصلية (٠) . وعلى جدار الغرفة دونت اعترافات «جوزف كرامر» حاكم المخيم القديم . كرامر يقول انه كان يرمى عبر ثقب ، «كمية معينة من أملاح السيانيدريك» ثم «كمية معينة من الماء» ، المزيج كان يعطى غازاً (!!!) يقتل فى دقيقة واحدة . لأول مرة فى تاريخ الكيمياء نسمع ان ملحاً وماء يعطى غازاً ...

من هو فوريسون ؟ ما هي قضيته ؟ وماهي نتائج ابحاثه ؟

ابتدأت القضية سنة ١٩٧٤م عندما وجه فوريسون عدة رسائل مماثلة الى عدة شخصيات يهودية او ذات صلة بالمعتقلات النازية ، وفيها يطلب بعض الايضاحات قائلا : « ... إنى لم اكتشف حتى الآن اية صورة فوتوغرافية لغرف الاعدامات النازية يمكن التاكد انها اصلية ، لا فى مركز الوثائق اليهودية فى باريس ، ولا فى مؤسسة زايتغيشيشتى فى ميونيخ ... » واحدة من هذه الرسائل كانت موجهة الى الدكتور «كوبوفي» رئيس مركز الوثائق اليهودية فى تل ابيب ، واخرى موجهة الى السيدة «شارلوت ديلبو» . الرسالة الأولى وصلت الى صحيفة «يديعوت احرونوت» بسبب وفاة الدكتور «كوبوفي» خلال هذا الوقت ، فنشرتها فى عددها الصادر فى ٢٦ آيار ١٩٧٤ ، ثم نقلتها عنها «تريبون جويف ايبرو» ، ثم اعادتها صحيفة «لوكانار انشينة » حيث نشرت نفس الرسالة فى عددها الصادر فى ١٤ تموز ١٩٧٤ . وإذا لم تستطع « لوكانار انشينة » اثارة اى رد فعل «ضد فوريسون» ، فالأمر يختلف بالنسبة للرسالة الثانية إذ حملت السيدة «ديلبو» رسالة « فوريسون» ، وردها عليه الى صحيفة «لوموند» التى نشرت الرد دون أن تذكر اسم «فوريسون» فى ١١ ــ ١٢ آب «أغسطس» ١٩٧٤ ، وفيها تقول : « ... لا ياسيدى ، إن المداخن الكبيرة التى كان يخرج منها ، ليلا ونهاراً ، دخان أسود كثيف ، ليست من اختراع الناجين بالطبع الصورة الفوتوغرافية لا تظهر أى فرق بين قوة المداخن ومداخن المصانع الكبيرة ... ولكن الرائحة ، رائحة اللحم المحترق ، هذه الرائحة لا يمكن التقاطها بالصورة . »

على هذا الرد ، اجاب «فوريسون» قائلا : «.... انها تخلط بين افران حرق الجثث وغرف الغاز (حيث يدعي اليهود أن عدد ضحاياها وصل حتى ١٠ آلاف شخص كل يوم) ... ومن المذهل أن يؤكد بعض المعتقلين الذين أمضوا أكثر من ثلاث سنوات فى « أوشفيتز ــ بيركينو » أنهم لم يروا مرة واحدة اية غرفة غاز ، كما هي حال «بنديكت كاوتسكي» وهى معتقلة يهودية وزعيمة الحزب الاشتراكي الديمقراطي النمساوي ... »

إلا أن صحيفة « لوموند » رفضت نشر هذا الرد لأن اسم « فوريسون » لم يرد فى مقال السيدة «ديلبو» وبالتالى فانه لا يملك حق الرد عليها . وعندما بدأت الضغوط تتوالى على فوريسون ، وكان آنذاك أستاذاً فى الأدب الفرنسى الحديث وتحليل الوثائق فى جامعة السوربون ، فطرد من السوربون ، وانتقل الى التدريس فى جامعة «ليون» .

بعد ذلك ، وخلال أربع سنوات ، انصرف فوريسون الى متابعة أبحاثه ، فى جو هادىء نسبياً . وكان عليه الانتظار حتى عام ١٩٧٨ كى يفجر القضية من جديد .

انفجار القضية

فى ١٦ حزيران «يونيو» ١٩٧٨ ، أصدر روبير فوريسون ، بياناً اتبعه بملحق صغير يقول فيه: «خلاصة ثلاثين سنة من الأبحاث قام بها كاتب من «معيدى النظر» :

١ ــ غرف الغاز الهتلرية لم تكن يوماً حقيقة .

٢ ــ ابادة (أو محاولة ابادة) اليهود لم تكن يوماً حقيقة ؛ وبوضوح أكثر ، هتلر لم يامر قط (ولم يقبل) أن يقتل أحداً بسبب انتمائه العنصرى أو الدينى .

٣ ــ غرف الغاز المزعومة ، والفناء المزعوم ، يشكلان كذبة واحدة .

٤ ــ هذه الكذبة وأصلها بشكل رئيسى صهيونى سمحت بعملية احتيال سياسية ــ اقتصادية عملاقة ، دولة اسرائيل هى أكبر مستفيد منها .

٥ ــ أبرز ضحايا هذه الكذبة وهذا الاحتيال هما الشعب الألمانى والشعب الفلسطينى .

٦ ــ القوة الكبيرة التى تتمتع بها وسائل الاعلام الرسمية ضمنت نجاح هذه الكذبة ، وكبتت حرية التعبير عند الذين ينفونها .

٧ ــ مؤيدو هذه الكذبة يعرفون أن كذبتهم تعيش اليوم ساعاتها الأخيرة . انهم يشوهون معنى الأبحاث التى يقوم بها «معيدو النظر» . إنهم يسمون بـ «بعث النازية» أو «تزوير التاريخ» ما

هزّت فرنسا

هو مجرد عودة الى الاهتمام بالحقيقة التاريخية» .

انى أتحدى

ثم بدأت الأمور تتسارع . فى تموز «يوليو» ١٩٧٨ صدر بيان فى فرنسا ، مترجم عن الانكليزية ، وصاحبه «ريتشارد هاروود» يؤكد انه ليس هناك أى يهودي ذهب ضحية رغبة في ابادته بسبب انتمائه العنصرى او الدينى . وفى أول تشرين الثانى بعث فوريسون بعدة رسائل الى عدة صحف ، ووصل به الأمر الى درجة التحدى قائلا : «انى مستعد لأى نقاش حول مسالة غرف الغاز ، وحول الفناء ، ولاية مجابهة ولاية مقابلة صحفية تسجل حرفيا» .

المقابلة الوحيدة التى حدثت بعد هذا التحدى ، كانت ما نشر فى صحيفة «لوماتان» بشكل مقابلة ، وما هى فى الواقع إلا حديث شخصى بين «فوريسون» و «كلود ريجان» مراسل هذه الصحيفة فى «ليون» . هذا الحديث الذى نشر فى ١٦ تشرين الثانى «نوفمبر» ، كان له اكبر الأثر على «فوريسون» . ففى اليوم التالى قامت بعض العناصر المؤيدة للصهيونية بالدخول الى مكتبه فى الجامعة ومطاردته عبر ممراتها . واصدر السيد «برناديه» رئيس جامعة «ليون» قراراً بمنع «فوريسون» من ممارسة مهنته ولمدة شهر ابتداء من ٢٠ تشرين الثانى «نوفمبر» وهكذا اضطرت الصحف الى خرق التعتيم ومراقبة النفس التى حاولت ان تفرضها على ذاتها لعدم مناقشة موضوع «غرف الغاز» .

فى أواخر ١٩٧٨ ، وصلت القضية الى استراليا . «جون بينيت» ، المحامى ، ورئيس «المجلس الفيكتورى للحريات المدنية» ، قام بتوزيع كتاب «ارثور بوتز» «خدعة القرن العشرين» على بعض الجامعيين والصحفيين ، مع ملخص صغير من ١٣ نقطة (نشر فيما بعد فى الناشيونال تايمز فى ١٠ شباط فبراير ١٩٧٩) نذكر من هذه النقاط اهمها :

١ ـ لم يتم ابدأ اتهام اى شخص كان بقتل اى شخص كان ، من المليونين او الاربعة ملايين ، او الستة ملايين (؟) المخنوقين بالغاز . اى لم يتهم اى شخص بفتح علب «الزيكلوناب» .

٢ ـ الفاتيكان والصليب الاحمر الدولى ، والاستخبارات الانكليزية والالمانية ، يجهلون ولا يصدقون اشاعات الاعدام بالغاز .

٣ ـ الصور التى استعملها الحلفاء لاثبات الاعدامات بالغاز ، ثبت نهائيا انها صور لموتى بمرض التيفوئيد او سوء التغذية فى «داشو» و «بلزن» .

٤ ـ سخيم «أوشفيتز» نجا من قصف الحلفاء لان هؤلاء كانوا يعلمون انه ليس «معتقل ابادة» الحلفاء راقبوا عن كثب هذا المجمع الصناعى لانه كان مركزاً متقدماً اكثر من غيره لتقنيات صناعة الكاوتشوك الاصطناعى ، والولايات المتحدة كانت بحاجة للكاوتشوك الاصطناعى منذ بيرل هاربور .

شهادات واقعية

فى ٢٩ ديسمبر ١٩٧٨ ، نشرت «لوموند» «نصاً» كان قد بعث به «فوريسون» حول استحالة وجود غرف الغاز ، مع رد من اختصاصى يدعى «جورج ويلرز» ، وفى اليوم التالى توالت الردود ، ومن بينها واحد يحمل توقيع السيدة «أولغاورمر ـ ميغو» يعرض الخطوط الرئيسية للنظرية التقليدية . وواحد يحمل توقيع «برناديه» رئيس جامعة ليون ، وشهادة من الدكتور «كريشان» حول مخيم ستروتوف .

بعد عدة ردود فردية ، لخص «فوريسون» قضيته فى رسالة نشرت فى «لوموند» فى ١٦ كانون الثانى يناير ١٩٧٩ ، وفيها يقول : «حتى سنة ١٩٦٠ ، كنت اعتقد بحقيقة هذه المذابح العملاقة فى غرف الغاز . ثم عند قراءتى لكتاب «كذبة أوليس» لبول راسينييه ، وهو احد المعتقلين القدامى ، بدأت تنمو عندى الشكوك . بعد أربعة عشر عاماً من التامل ، ثم أربعة أعوام من البحث المستمر ، أصبحت متأكداً ، مثل عشرين كاتباً غيرى من معيدى النظر ، اننى امام كذبة تاريخية . لقد زرت ، واعدت زيارة «أوشفيتز» و «بيركينو» ، حيث يعرضون علينا غرفة غاز «أعيد بناؤها» ، وخرائب يقال انها أفران لحرق الجثث مع غرف غاز فى «ستروتهوف» (الالزاس) و «مادجانيك» (بولندة) ، فحصت غرف الغاز المعروضة على انها فى حالتها الأصلية . لقد حللت الاف الوثائق ، وبشكل خاص فى مركز الوثائق اليهودية فى باريس : ارشيف ، ستينوغرافى ، صور فوتوغرافية ، وشهادات مكتوبة . كما لاحقت باسئلتى المختصين والمؤرخين . لقد بحثت عبثاً عن معتقل قديم واحد قادر على أن يؤكد انه رأى بعينيه «غرفة غاز» واحدة . انى لم اكن اريد سيلا عارماً من الاثباتات الوهمية ؛ كان بامكانى الاكتفاء باثبات ، ولو واحد فقط .

هذا الاثبات لم القه ابداً ، ما لقيته ، بالمقابل ، اثباتات خاطئة كثيرة تليق بمحاكمات السحرة ، ومهينة للقضاة الذين تعودوا عليها . ثم لقيت الصمت ، الازعاج ، العداء ، وفى النهاية الشتائم ، الاهانات ، والضرب» .

من جهة اخرى ، كانت الضغوط التى يتعرض لها «فوريسون» تكبر تدريجيا ، لتصل الى حد المطاردة فى شوارع باريس ، ومنع طلابه من دخول الجامعة لسماع محاضراته .

بعد ذلك بقليل ، فى ٣١ اكتوبر ١٩٧٩ ، سلمت للمحكمة فى فرنسا عريضة احتجاج كانت قد سرت فى الأوساط الجامعية فى اميركا ، وعليها ٥٠٠ توقيع يستنكر أصحابها الضغوط التى يتعرض لها «فوريسون» ، والتى وصلت الى حد منعه من دخول المكتبات العامة . ويطالبون بحقه فى متابعة الأبحاث التى يقوم بها . ومن بين أوائل الذين وقعوا على هذه العريضة ناوم «شومسكى» و «الفريد ليلينتال» .

براهين لا تقبل الشك

فيما يتعلق بالمركز الرئيسى للاعدامات المزعومة ، «مخيم اوشفيتز ـ بيركينو» ، المكان الذى يدعى اعلام الحلفاء والاعلام الصهيونى ان عشرة آلاف يهودى كانوا يعدمون فيه يوميا . وان كل دفعة من المساجين كانت مؤلفة من ٢٠٠٠ شخص يزج بهم فى غرفة مساحتها ٢١٠ امتار مربعة (!!!) ثم يصب (؟) فوقهم مبيد الحشرات المدعو «زيكلون ب» لابادتهم ...

المحاكمة التي هزت فرنسا

« هس » يصف عملية الاعدام بالشكل التالى :

«بعد نصف ساعة من فتح علب الزيلكون ب كان الحراس يدخلون الى الغرفة لاستخراج الجثث ونقلها فوراً الى افران الحرق» . ثم يضيف«إن أعضاء فريق العمل كانوا يقومون بذلك وهم ياكلون ويدخنون» اى بدون اى اقنعة . هنا تجدر الاشارة الى عدة نقاط :

١ ـ غاز «الزيكلون ب» وهو غاز سام جداً ويلتصق بالجدران والأرض وتتشربه الجثث ، ولا تنفع معه التهوية السريعة . بل يجب الانتظار اكثر من ٢٤ ساعة من التهوية الهادئة قبل أن يتمكن اى انسان كان من الدخول الى غرفة ملوثة بهذا الغاز . إذن الحديث عن آلة التهوية بات مجرد كذب محض .

٢ ـ لو دخل اى شخص كان غرفة ملوثة «بالزيلكون ب» بدون قناع واق ، للقي حتفه خلال ثوان معدودات .

٣ ـ التهوية الباردة تعتبر عملية خطرة جداً حتى على المسئولين انفسهم وعلى كل من يقف حتى على بعد مئات الأمتار من الغرفة الملوثة . حاكم سجن «كارسورا سيتى» فى الولايات المتحدة يؤكد ان تحضير غرفة غاز لاعدام شخص واحد يتطلب أكثر من ١٦ ساعة من العمل . وتهوية الغرفة يحتاج الى وقت اطول ، ويجب أن يرافق التهوية اخلاء باحات السجن ، وابعاد كل انسان عنها الى مسافة تتجاوز بضعة مئات من الأمتار .. « هس » يقول انه كان يراقب عمليات الاعدام عبر ثقب من قفـــل الباب .

بالاضافة الى ذلك يمكننا أن نذكر ما يلى :

● غرفة الغاز المزعومة فى أوشفيتز (ذات المساحة التى تبلغ ٢١٠ امتار مربعة والتى هى اليوم فى حالة خراب تام) كانت مخزناً للطعام ، وهناك وثيقة فى متحف «أوزفياسيم» تثبت ذلك . ولكن هذه الوثيقة لم تنشر .

● غرفة الغاز التى «أعيد بناؤها» فى أوشفيتز ، لا يمكنها أن تكون غرفة غاز ، لأنها غير محصنة ضد التسرب ولها منافذ عديدة . وفى حال افلات «الزيكلون ب» من داخلها ، فان خطر الموت سيصيب الأسرى والحرس والمسئولين على حد سواء .

● فوريسون استطاع الحصول على مخططات لغرف الاعدام المشهورة «كريما» فى بيركينو . هذه الغرف كانت مزودة بنوافذ زجاجية ، وابوابها تقفل من الداخل . أى لو استعملت للاعدام ، لكان على الحراس الألمان أن يزجوا باليهود فى داخلها . ثم يطلبوا اليهم اغلاق الباب بعد خروجهم كى يموتوا ببطء دون أن يحطموا النوافذ ...

هذه هى الحقيقة

فى حديث لمجلة «ستوريا اوليستراتا» نشر فى آب ١٩٧٩ ، قال «روبير فوريسون» : «تقديرى هو التالى :

أولا ـ عدد اليهود الذين ابيدوا على أيدى النازيين (أو ضحايا الغاز) هو ، لحسن الحظ ، صفر .

ثانياً ـ عدد الأوربيين الذين قتلوا نتيجة الحرب وتوابعها مثل الأمراض ، المجاعة ، الغارات وغيرها ، هو حوالى ٤٠ مليون نسمة . من بينهم ، قد يبلغ عدد اليهود حوالى المليون ، وعلى الأرجح بضع مئات الآلاف فقط اذا استثنينا اليهود الذين قاتلوا بالثياب العسكرية فى صفوف الحلفاء . انى أشدد على انها تقديرات أولية ، ليس لها أية صفة علمية دقيقة .

ولكن ، عندى اثباتات عديدة تؤكد على أن عدد القتلى فى اوشفيتز (من اليهود وغير اليهود) هو حوالى ٥٠ ألف تقريباً ، وليس اربعة ملايين كما أشيع خلال وقت طويل ، وقبل أن يكتفى العالم برقم المليون الواحد ، وهو الرقم الذى تتبناه مؤسسة التاريخ الحديث فى ميونيخ . فيما يتعلق بعدد الموتى فى كل المخيمات الجماعية بين ٣٣ ـ ١٩٣٤ و ١٩٤٥ ، اعتقد انه يتراوح بين ٢٠٠ الف و ٣٦٠ الف على ابعد تقدير ... واليوم لو استعملنا الكومبيوتر لامكننا بسرعة معرفة عدد الأموات الحقيقى . فكل المعتقلين كانوا مسجلين وتركوا آثاراً عديدة» .

وآخر اثبات ياتى لدعم احكام فوريسون ، صدر عن «ريتشارد هاروود» الذى يؤكد فى «حقيقة تاريخية رقم ١» انه فى سنة ١٩٣٣ ، كان عدد اليهود فى ألمانيا ، وفى كل الدول الأوربية التى احتلتها المانيا فيما بعد حوالى ٦,٥٠٠,٠٠٠ نسمة . «ستة ملايين ونصف المليون» هذا العدد انخفض سنة ١٩٤١ الى ثلاثة أو أربعة ملايين بسبب هجرات اليهود الى الغرب والجنوب ، وبشكل خاص الى أعماق الاتحاد السوفياتى . وبالتالى من المستحيل اعدام ٦ ملايين يهودى فى منطقة لا يتجاوز عدد اليهود فيها ٣ أو ٤ ملايين بقى معظمهم على قيد الحياة فيما بعد» .

أربعون عاماً من الكذب

واخيراً ، كيف يمكن الحكم على كل هذا ؟ لاشك فى أن روبير فوريسون صادق فيما يقول ، أو على الأقل لم يستطع احد اثبات خطا واحد فيما يقوله ، حتى باعتراف المحاكم الفرنسية نفسها . لاشك أن الصدمة هى ردة فعل مشروعة فالبشرية عاشت ، ومنذ انتهاء الحرب الثانية ، فى ظل ما كاد يتحول الى واحدة من مسلمات التاريخ ، ألا وهى ابادة اليهود فى المانيا النازية ولكن اليوم ، والنازية ماتت بموت هتلر ، تبقى الحقيقة التاريخية وحدها مدعاة للاهتمام .

وقليل من التامل يظهر أن نتائج ابحاث «فوريسون» يجب أن تكون خبراً ساراً يستحق اعلانه على العالم باسره ، بدلا من التعتيم عليها ، وابقائها سراً لتبرير انشاء دولة لفئة من الناس لم يضطهدهم احد فى الماضى ، ومحافظة هذه الدولة على استجداء عطف العالم خوفاً من تكرار مجزرة لم تقع .

ولكن يبقى السؤال : «هل تملك الانسانية اليوم الشجاعة الكافية للاعتراف بانها عاشت اكثر من أربعين عاماً فى ظل أكبر كذبة فى التاريخ ؟!» .

عبود عطية

باريس

قالوا هذا الشهر...

● إننى لا أتوقع أية مبادرة معينة من جانب فرنسا أو أوروبا ، ولكننى أتوقع كما يتوقع الكثيرون غيرى فى منطقتنا ، أن تواصل فرنسا وأوروبا مساهمتها من أجل التوصل الى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

الملك حسين

● إن الوحدة العربية لاتزال ممكنة وضرورية إذا أردنا ألا نكون قبائل متفرقة .

أحمد بن بيلا

● العرب لن يبقوا على وضعهم المتردى الراهن والولايات المتحدة قد تتخلى ذات يوم عن اسرائيل .

● معظم الذين أقاموا اسرائيل كانوا من الملحدين .

ناحوم جولدمان

● يجب على كل زوجين فى الصين أن يتقدما بطلب للسلطات المحلية قبل إنجاب الطفل الثانى ، ويتم اعطاؤهما الاذن فقط عندما يكون هناك مكان فى خطة الانجاب فى المقاطعة .

صحيفة صينية رسمية

● الفيلم المصرى يخاطب الغرائز ويلغى عقل المتفرج ويشل قدرته على التفكير !!

الممثل كمال الشناوى

● كل التقارير الطبية تؤكد أن حالات الانهيار واليأس وما الى ذلك من الأمراض النفسية قليلة فى لبنان على الرغم من استمرار الحرب الأهلية ، ويفسر ذلك احد الأطباء اللبنانيين بقوله : عندما تكون حياتك معرضة للخطر ، فلا وقت لديك لكى تمرض نفسياً .

جريدة الشرق الأوسط

● إن حوادث اختفاء الشخصيات العامة فى العالم المعاصر لا تتعلق بالزعماء السياسيين فحسب وإنما تتعلق أيضاً بأسر بأكملها ورجال دين ونقابيين وتجار ، وقد تم العثور على جثث العديد من الأشخاص الذين اختفوا وقد بترت أعضاء منها وشوهتها الحروق والجروح التى نجمت عن عمليات التعذيب .

منظمة العفو الدولية

● الجنس والجريمة ومسلسلات الاجرام الأمريكية فى التلفزيون الألمانى ، المخدرات وثقافة الكولا والسندوتش ، الكوميديا كغذاء روحى للشباب ، السوبر ماركت ورعب المستهلك ... كل ذلك وأكثر ، يظهر أن الولايات المتحدة فقيرة فى القيم الانسانية الحقيقية .

من رسائل القراء الى مجلة دير شبيجل

● الاذاعة والتلفزيون نكبة حقيقية على الثقافة لأنهما يقدمان ما يسلي ولكنه لا يفيد .

الدكتور زكى نجيب محمود

● إننا أحوج ما نكون الى وحدة الصف وتجميع القوى ، لتتوجه البنادق كلها ، نحو الذين يدبرون لنا المكائد ، ويخلقون لنا المتاعب .

رشيد كرامي ..
رئيس وزراء لبنان ..
الأسبق

● استقرار الخليج وصل مرحلة لا يمكن فصلها عن حل القضية الفلسطينية سواء أردنا ذلك أم أبينا .

عبد الله بشارة ..
الأمين العام لمجلس ..
التعاون الخليجى

"الدوحة" تنفرد بنشر

آخر مقال لصلاح عبد الصبور وآخر حوار معه

يسألونك عن :

بقرة الهنود

التقي أحيانا بمن يعرف أنني امضيت ثلاثين شهرا من أيامي في بلاد الهند ، فيبادرني بالسؤال عن « بقرة » الهنود ..

يسألني السائل : أهم يعبدون البقرة .. أم يقدسونها فحسب ، وقد يضيف : أهي كل بقرة ، أم بقرة منتقاة ذات سمات وشيات معروفة ؟

وكثيرا ما يسأل السائل الذى يريد أن يكون عصريا ، فيأبى عقله أن يتصور البقرة معبودا أو مقدسا :

أما زالوا كذلك رغم العلم والمدنية والالتقاء بالحضارة الغربية ؟ وكأن هذا السائل ينسى أن الهنود قد التقوا من قبل بالحضارة الاسلامية ، وهى قمة التوحيد ، والنقيض الواضح لديانات التجسيد والتشبيه وعبادات الطبيعة والحيوان ، فلم تصرفهم عن شيء مما ألفوه .

وكأنه يتصور أن العلم والمدنية يستطيعان أن يدخلا المناطق النفسية التى لا يدخلها الا الدين وحده .

وكأنه نسى قولة أبى العلاء منذ قديم الزمان :

عاشوا كما عاش آباء لهم سلفوا
وأورثوا الدين تقليدا كما وجدوا
وأهل كل جدال يمسكون به
اذا رأوا نور حق ظاهر جحدوا

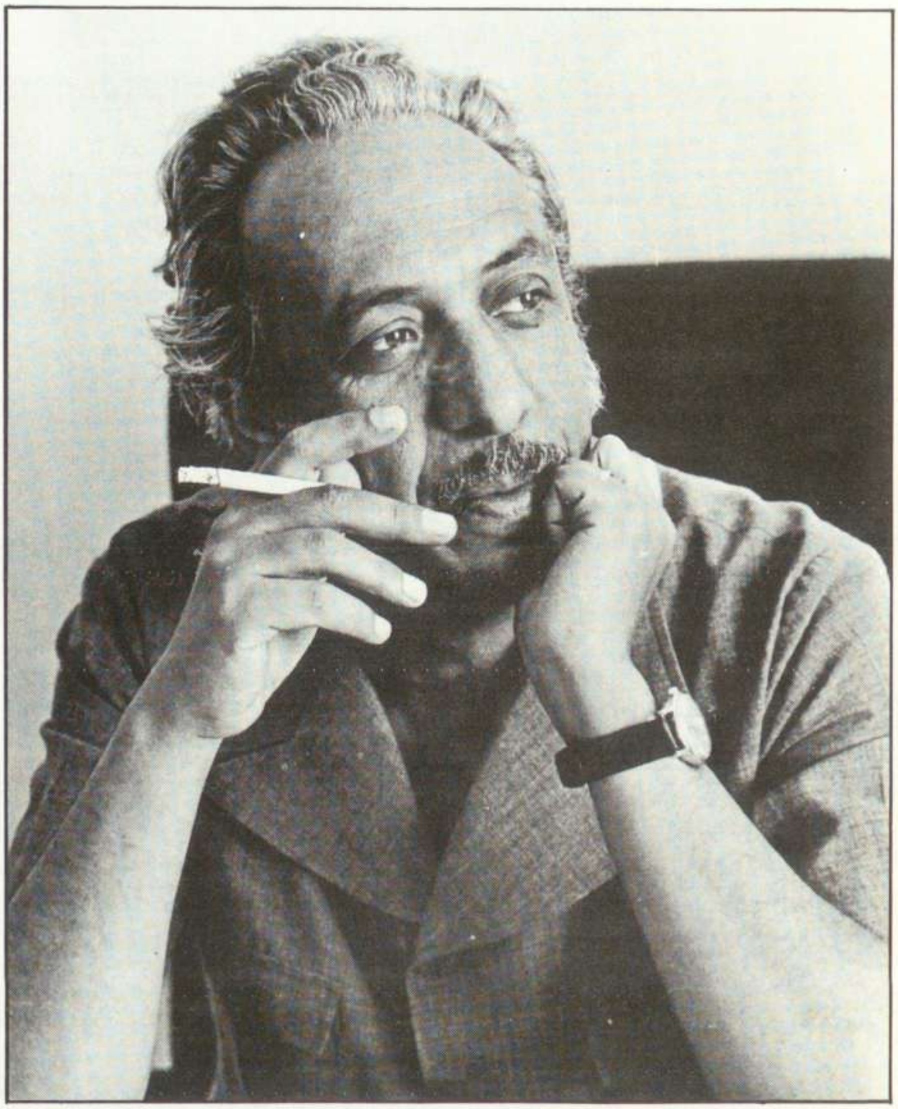
فى الهند ـ حسب الاحصاء ـ بضع وثلاثون مليونا من البقر الاناث ، وهى ـ شأن الناس ـ لا تقنع بالحياة فى أرباض الريف ، بل تطمح الى الهجرة الى المدينة ، فأنت تجدها فى أكثر الطرق ازدحاما وعصرية فى المدن الكبرى ، تخطو خطوها البطيء حرة مطلقة ، أو تتوقف فى عرض الطريق لكى تجتر غذاءها على مهل ، أو تجتاز اشارة المرور الحمراء متهادية ذاهلة العينين .

وفى الريف يعامل الفلاحون البقرة كأنها فرد من أفراد الاسرة ، فيحلونها بعقود الزهر ، ويصلون من أجلها اذا مرضت ، ويدعون جيرانهم وكاهنهم ليحتفلوا بمولد بقرة جديدة . وكثيرا ما تجد على حوائط البيوت تقويما عليه صورة امرأة صبيحة الوجه ، ولكن لها جسم بقرة سمينة ، وضرعى بقرة يتدفق منها اللبن .

وتقول الديانة الهندوكية أن هذه البقرة هى التى أرضعت الاله كريشنا عند مولده ، ولذلك فهى « أم الحياة » لأن الاله كريشنا ـ فى أساطيرهم الدينية ـ هو رأس الثالوث الاكبر من آلهتهم التى تجاوز الالف عددا ، فاذا كانت وظائف الاله ثلاثا ، فهو خالق من العدم ، وراع فى الحياة ، ثم مدمر لها بالموت والاعاصير والطوفانات ، فان « كريشنا » عندهم هو الاله الراعى الحافظ ..

ولكن هل البقرة الهندية سمينة مترعة باللحم ، عامر ثدياها بالحليب كما تبدو فى هذه الصور المعلقة على الحوائط ، أم هى ذابلة جافة الثديين الا من النزر اليسير ؟

بقلم :
صلاح عبد الصبور



انها بقرة فقيرة فى واقع الامر قضت هى وأسلافها حياتها فى مجتمع فقير ، ويكفى أن نعلم أن البقرة الهندية تدر من اللبن خمسمائة رطل سنويا ، بينما تدر البقرة الامريكية خمسة آلاف رطل ..

وهنا يثور سؤال ..

اذا كان هذا المجتمع مجتمعا فقيرا ، طالما عانى قبل الاستقلال من المجاعات وأوبئة الفقر وقلة الغذاء ، فلماذا لم يأكلوا البقرة كما أكل العربى الجاهلى صنمه حين استبد به الجوع ؟ وكان من اليسير عندئذ أن يتغير السلوك الدينى دون أن يتغير المفهوم ، فتظل البقرة مقدسة ومأكولة لكى تحفظ لأبنائها الحياة بلحمها كما حفظت لكريشنا حياته بلبنها .

كان عكس هذا هو ما حدث ، فقد ازدادت البقرة قداسة ، وازداد لحمها أو ذبحها تحريما وتجريما ، حتى أن معظم الفتن التى ثارت بين المسلمين

والهندوس قبل الاستقلال كانت من جراء اكل المسلمين للحم البقر . ومن اشهرها فتنة ولاية « بيهار » عام ١٩١٧ ، وقد مات منها ثلاثون ، ونهبت فيها سبعون ومائة قرية مسلمة .

كان غاندى حين ثارت هذه الفتنه مناضلا من اجل استقلال الهند الموحدة ، وقد ندد بالنهب والسلب تنديدا واضحا ، ولكنه ندد ايضا بذبح البقرة . وحين أعلن استقلال الهند الحقت به « وثيقة لحقوق البقرة » على غرار وثيقة حقوق الانسان .

ويقال فى بعض السمر الليلى بالهند ان « نهرو » كان آكل لحم بقر ، وان لم يستملحه . وقد كان « نهرو » علمانى التفكير الى حد بعيد . ورغم ذلك فلم يجرؤ على الوقوف فى وجه تيار مقدسى البقرة وعابديها . أما السيدة « أنديرا غاندى » ابنته فهى وريثة فكره فى المجال الدينى ، ولذلك فقد كان من أسلحة المعارضة ضدها أن تنشر الشائعات حول مسلكها نحو البقرة ، ومنها شائعة عاصرتها اذ انتشر أن مصنعا للحوم المحفوظة قد أنشىء فى بومباى لتصدير لحم البقر الى بلدان أوروبا ، وكان أساس الشائعة أنها أوعزت الى الشرطة باعادة البقر المهاجر من الريف الى المدينة ، لكى تخلو منه الطرقات المزدحمة ، وينعم بالحياة بين الخضرة والمياه .

يقول بعض الدارسين ان الهنود شعب مشغول بالدين ، ميال الى الزهد ، أو هو - بمعنى أوضح - شعب روحى النزعة .

وأنا وقد عشت فى الهند فترة ملائمة لتكوين فكرة واضحة ، أجد الشعب الهندى شعبا مشغولا بالتجارة والربح ، ميالا الى الاخذ من متع الحياة اذا تيسرت ، بارع التدبير فى أمور المال .

وقد يشاركنى هذا الرأى بعض المنصفين من الهنود أنفسهم .

وقد يقال ان فى تاريخ الهند كثيرا من الزهاد والمترهبين ، وان فى تراثها الدينى كثيرا من الاساطير والطقوس . ولكن هل قام هذا دليلا فى أى مجال . وهل كان وجود أفراد معدودين ممن يتمتعون بحس دينى مرهف دليلا على تدين شعب بأسره ، أو كان كثرة الاوامر والنواهى والطقوس فى عبادة ما دليلا على روحانية الشعب الذى يخضع لها .

يسألونك عن :

بقرة الهنود

لقد كانت الحياة فى الهند عادة أقسى من أن يكون من يعانيها مشغولا بأمور الروح . فهناك المطر الموسمى الطوفانى والاعاصير الدوارة المجتثه للشجر الناقضة للحجر ، والحرارة الرطبة المفتتة للجسم والعزم ، والخير القليل والتبشير الكثير .

فلماذا اذن لم يأكل الهنود البقرة ؟..

لقد كانت النظرة النفعية هى سبب تقديس البقرة ، لا النظرة الروحية.

● ● ●

وأرادت النزعة النفعية أن تعمق وجودها فى النفس الهندية فاستعارت قناعا دينيا ، وخلقت أسطورة متواترة .

فالهند فى عهودها المتوالية مجتمع زراعى ، يعتمد فى سقى زرعه على الامطار الموسمية التى تهطل فى فصل بعينه من فصول السنة ، وشأن مجتمع كذلك المجتمع أن يكون السقى كله فى أوان واحد ، وكذلك الحراثة التى تعتمد على الحيوان . ولقد كانت حاجة المجتمع عندئذ الى الثيران ، ولا يستطيع الفلاح عندئذ أن يعير ثوره لأحد من جيرانه أو أهل قريته .

والبقرة هى أم الثور ، واختصار حياتها اختصار لعطائها . كما أن الثور أيضا هو أداة حمل المحاصيل

فى هذه البلاد الشاسعة الارجاء . فضلا عن أن فضلات البقرة هى المصدر الاساسى للسماد . وقد قرأت ذات مرة أن فضلات أبقار الهند تبلغ حوالى سبعين مليون طن من المخصبات .

ولا حاجة للقول ان ما يفيض عن حاجة الارض من فضلات البقرة يستعمل كوقود أيضا ، كما كنا نرى فى ريفنا العربى منذ سنوات قلائل

وتقول نفس الاحصائية التى اعتمدت عليها فيما قبل ان هذه الفضلات توازى فى قيمتها الحرارية سبعة وعشرين مليون طن من الكيروسين ، أو خمسة وثلاثين مليون طن من الفحم أو ثمانية وستين مليون طن من الخشب .

ولعلنا نتذكر ايضا أن فى ريف وطننا العربى يستعمل — أو كان يستعمل الى عهد قريب بعض هذه الفضلات حين تتعرض للشمس مدة طويلة كأرضية صلبة لبيوت الطمى .

ان البقرة اذن بديل للبتروكيماويات وللبلاط مما . وهى بديل طويل الاجل متوافر الانتاج ، ولكنها على كل حال عرضة للموت ، وهنا يحصل المجتمع على ما يفيده منها دون مراعاة للقداسة أو سواها من النوازع ، فهى تسلخ لتصنع من جلدها الاحذية ومن قرونها الفراء ، ويسمح بأكل لحمها للمنبوذين ، الذين يعتقد المجتمع الهندى أنهم هوام لا روح لهم ، وأن وجودهم أهون من وجود الحيوان .

● ● ●

ذات مرة أكلت احدى ولايات الهند

بعض أبقارها ثم ندمت على ذلك أشد الندم .

ففى عام ١٩٤٤ حدثت مجاعة كبرى فى ولاية البنغال ، نتيجة للقحط اذ أخلفت الامطار موعدها السنوى ، وحال الاحتلال اليابانى لبورما دون أن يرد بعض الغذاء من جيران الهند ، وبخاصة الارز الذى هو عماد الوجبة الهندية .

وكانت نتيجة هذه الاكلة الواحدة التى لم تكد تشبع البطن أن عانت ولاية البنغال فى سنواتها التالية فى

حراثة الزرع وطهو الطعام وتبليط الاكواخ ، وافتقرت الى قطرات من اللبن تبلل صدى أطفالها وتطفىء جوعهم .

وكان ذلك درسا تلقنته هذه الولاية الشاسعة الارجاء التى يكون جزء منها الآن دولة بنجلاديش ويبقى الجزء الآخر هنديا تحت اسم ولاية البنغال الغربية .

وقد رأينا كثيرا فى الهند بعض ما نراه فى ريفنا العربى اذ يخدع الفلاح بقرته بأن يقرب منها عجلا صغيرا من الخشب المغطى بالخرق الممزقة حتى تتصوره وليدها ، فتدر عندئذ لبنها ، حتى اذا بدأ الادرار أبعد العجل المزيف ، ومد الوعاء تحت الضرع الندى .

وهكذا لاتسلم البقرة المقدسة من الخداع ابتغاء النفع .

● ● ●

والآن .. هل يأكل الهنود البقرة ، وتزول قداستها يوما ما ؟ لا شك أن ذلك اليوم آت ، اذا انتشر الجرار والمحراث الآلى والسيارة فى الاسرة الريفية .

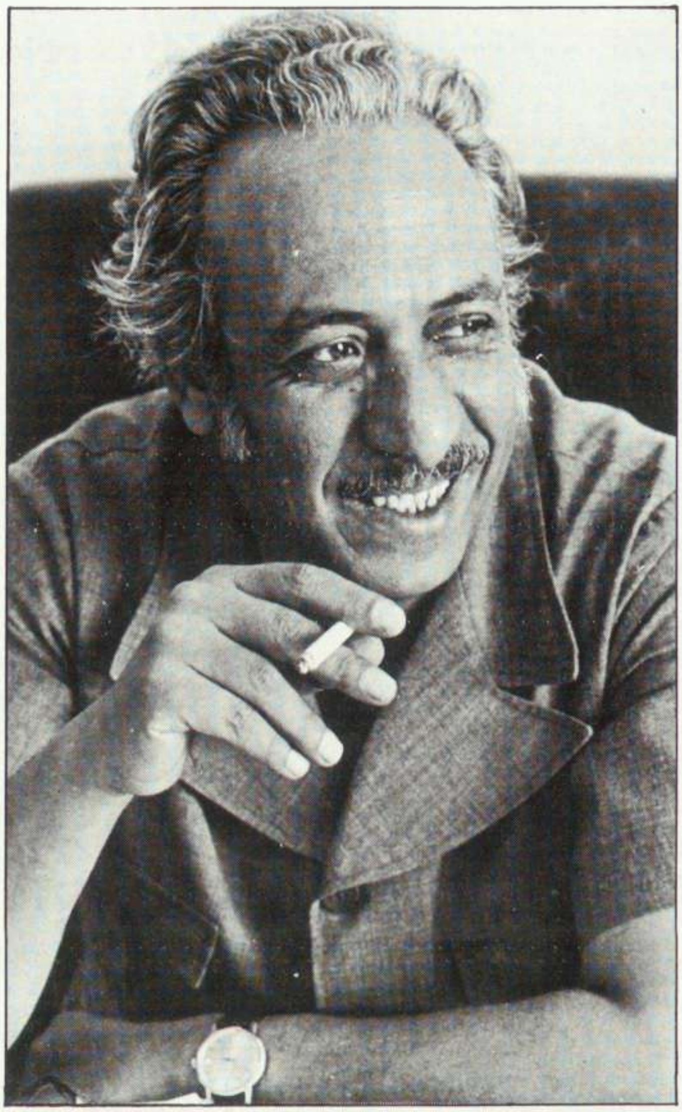
واذا استطاعت الهند أن تنتج من البترول ما يكفى مائة مليون فرن ريفى تصنع كل يوم عشاءها على الوقود الحيوانى .

واذا لم يصبح اللبن وحده ، مع قليل من الارز هو الوجبة الرئيسية لمائة وخمسين مليون طفل .

عندئذ سيذبح الهنود البقرة ، فاذا لم يستسيغوا لحمها فلا شك أنهم سيعلبونها ، وسيصدرونها الى مختلف بلاد العالم .

فالهندى — بحق — هو أذكى تاجر فى آسيا وأفريقيا .

● صلاح عبد الصبور



آخر حوار

مع : صلاح عبد الصبور

أجرى الحوار : حسان عطوان

فى الرابع عشر من شهر آب / أغسطس .. المصادف يوم الجمعة عام ١٩٨١ .. سرت رعشة الموت .. الى جسد الشاعر العربى الكبير «صلاح عبد الصبور» فغاب .. مخلفاً حزنه .. واعترافاته لنا ويمم وجهه عبر البرزخ الممتد بين الأزل والأبد ...

• • •

منذ شهور ، التقيته فى الدوحة .. على مدى يومين ، بعد أن غنانا .. اعترافاته الشعرية .. وكم كان حزيناً .. ومتألقاً .. وحين حددنا موعداً لهذا الحوار .. فى اليوم التالي ؛ استقبلنى بضحكته المشمسة .. معتذراً ..

ـ ما رأيك أن نؤجل الحوار .. الى الغد ؛ فأنا مدعو لمنزل «رجاء النقاش» .. وبى شوق أن أجلس اليه ؛ .. فمنذ مدة لم أره ..

لم أكن أرغب فى الالحاح عليه ؛ .. إذ كان منتشياً وسعيداً أن يلتقى أحبابه القدامى .. لاسيما أبناء الأرياف المصرية .. البعيدة ؛ .. وكان يتقطر عذوبة ؛ وهو يعتذر ..

«معليش عشانى هالمرة .. هات آلة التسجيل أحملها عنك ..»

وضحكنا ..

لصلاح عبد الصبور .. ضحكة تنقل اليك عدوى الضحك .. لأنه يضحك من القلب .. بصفاء وعذوبة وعمق ..

فى اليوم التالى ؛.. قال لي : هذا اليوم يومك ... وجلسنا نتحاور .. على مدى ثلاث ساعات فكانت هذه الاعترافات ..



● يقول صلاح: «الشعر عندي اعتراف .. لأن الشعر هو فن الاعتراف .. أما المسرح فهو فن الحكاية»

● لقد قلّدت «عمرو بن كلثوم» و«المتنبي» و«المعرّي» حتى وجدت صوتي الخاص

من أنـــا..؟

● صلاح عبد الصبور ؛ من أنت ؟

● لعلي اذكر هنا قولي فى ماساة الحلاج وهو يتحدث فى المرافعة ..

انـا رجـل مـن غمـار المـوالــى
فقيـر الأرومـة والمنبـت
فلا حسبـى ينتمـى للسمـاء
ولا رفعتنـى لهـا ثروتـى
ولـدت كالاف مـن يولـدون
بالاف ايـام هـذا الوجـود
لان فقيـراً بـذات مسـاء
سعـى نحـو حضـن فقيـرة
واطفا فيـه مـرارة ايامـه القاسيـة ..

وهكذا يمضى الحلاج عن سعيه وراء المعرفة ما اذكره الآن من طفولتى .. ربما كان .. اننى كنت طفلا ثقيل الحركة ــ انا كنت طفلا لا يغرينى اللعب ، ولكنى كنت مهتماً اكثر بان التقط أى ورقة ، واحاول ان اقرا ما فيها .. ولعل هذا الكسل البدنى ، هو ما جعلنى قارئا ؛ فكنت ابحث ببعض الكتب ووجدت ــ بالمصادفة ــ فى بيتنا أعداداً قديمة من مجلة ، كانت تصدر فى أواخر العشرينات ، من هذا القرن ، فى مصر .. هى مجلة ــ السياسة ــ الأسبوعية ؛ وكان من كتابها (طه حسين) و (محمد حسين هيكل) وغيرهم من كتاب ذلك الزمان ..

ثم وجدت ايضاً نسخاً من كتب (المنفلوطى) ــ العبرات ــ والنظرات ــ وروايات ؛ أو معربات «المنفلوطى» «كالشاعر» سيرانو دو برجراك «ماجدولين» .. واعجبت بهذه الروايات اعجاباً فائقا .. بحيث اننى كنت اقرا ــ احيانا ــ مشاهد فى رواية الشاعر ، ودموعى تسيل على عيني ــ خاصة لما يلقاه هذا الشاعر وهو «سريانو دوبرجراك» من عذاب ، يكون من دوره فى التضحية ليلقن الرجل الذى يطارح حبيبته الغرام بكلماته هو ، تضحية منه ، إذ ان المقياس فى صدق العاطفة فى ذلك العصر ــ الرومانتيكى ــ كان هو التضحية .. ثم بعد ذلك مضت الأيام ...

وقرات «جبران خليل جبران» .. ولعلى فتنت به ، فتنة لا حد لها .. لأن «جبران» كان يمثل هذه الموسيقية العذبة ؛ وتلك الروح السارية فيه هى أيضا روح ــ الرومانتيكية ــ المتمثلة فى «الألفاظ المجنحة» مع «المعانى» الوثابة .. مع هذه الصور الجميلة ؛ خاصة الصور التى كان يعرضها لتوالى الفصول ــ صور الصيف ؛ والشتاء ؛ وميلاد الربيع ؛ وميلاد الأزهار فى الربيع وهى ــ فيما أظن ــ .. مستقاة من بيئته اللبنانية الأولى .. ومن مشاهد جبال لبنان .. وأذكر باننى عرفت بعد ذلك أن قرية «بشرى» التى منها جبران فى لبنان ــ هى من أعلى بقاع لبنان ..

ثم احاول «الشعر» تقليداً لما اقرا فى كتاب المطالعة ؛ وكثيراً ما كنت اقرا القصيدة ، ثم احاول ان اضع كل قوافيها فى «سطر» او «صفحة» من كراس .. لان القافية كانت تعضلنى فى كتابة القصيدة .. كان هذا فى سن الثانية عشر والثالثة عشر عاماً من عمرى ؛

واكتب قصيدة على غرار ما قرات ..

اذكر انه فى ذلك الزمان انه كان من النصوص المقررة علينا فى المدرسة .. قصيدة «عمرو بن كلثوم» الشهيرة التى يقول فيها ..

الا هبـى بصحنـك فاصبحينـا
ولا تبقـى خمـور الأندرينـا

وهى قصيدة شهيرة جداً .. يفتخر بها اهل قبيلة «تغلب» ويتحدث فيها «عمرو بن كلثوم» عن قوة هذه القبيلة ، وبطشها .. كذلك كتبت قصيدة على غرارها فى الفخر ؛ ولم يكن لدي ما افخر به .. ولكننى تصورت نفسى فاتحاً او غازياً .. لأن الانسان فى هذه السن يكون مقلداً لما يقرا .. واذكر من قصائد او من شعر هذا الزمان القديم .. اننى كتبت قصيدة ــ لا اذكر الآن عنوانها ولكن اقول فى آخر ابياتها :

ويقسـو الزمـان علـى العبقـرى
اهـذا جـزاء اديـب شـعـر
وشـعـرى يقـل وعمـرى يضيـع
وعمـرى الثـلاث وزدن العشـر

(.. ويضحك صلاح ..) ..

وطبعاً اقصد «بالعبقرى» هو انا .. واتصور نفسى فى ذلك العمر المبكر .. اننى هرم وشيخ إلا انها على اى حال .. كانت تلك ذكريات عن تلك المرحلة ..

ومضت الامور بى قارئا .. ومحاولا الكتابة ؛ ومقلداً لما اقرا من شعر الاعلام .. فاذا قرات «شوقى» فنيت فيه حتى حاولت تقليده ، او أصبح الشعر الذى اكتبه كله عليه هذه المسحة الشوقية .. فاذا قرات المتنبى ــ بعد ذلك ــ ملكنى وأسر لبي بحيث اننى أصبحت مقلداً تماماً للمتنبى .. فاذا قرات ــ «أبا العلاء» بعد ذلك أعجبتنى أفكاره .. هذه الأفكار المتشائمة .. كما اعجبتنى صياغة الفاظه ؛ التى يتخيرها لنا من غريب اللغة ــ فى كثير من الأحيان ــ ويحاول ان ينسج بناء فنياً بالغ التعقيد فى استعماله للجناس والمطابقة ، وغيرهما من الوان التفنن فى الشعر العربى .. فاكتب ايضاً كابى العلاء .. بل اننى ادخل فى عالمه ، واصبح مثله متشائماً كارهاً للدنيا .. وهكذا .. الى ان يخرج الانسان من هذا كله .. ليجد نفسه فى نهاية الأمر ــ لنقل ــ ثمرة لهذا كله .. وهذا يذكرنى من أن «ابا نواس» لما اراد

أن يصبح شاعراً .. ذهب الى خلف الأحمر .. وساله ؛ فقال له «خلف الأحمر» :

« احفظ عشرة آلاف بيت من الشعر العربي ثم انسها » ..

وأنا أتصور أن الشاعر يتكون فى الشعر .. الشاعر يتخرج فى الشعر ذاته ؛ وما يصنعه هو ما يقرأه من شعر .. وهذا الأمر ينسحب على جميع الفنون .. إذ يبدأ الفن بالتقليد .. حتى بالنسبة للفنون التشكيلية ؛ الرسام حين يبدأ الرسم .. لا يرسم من الطبيعة ؛ ولكنه يرسم مستوحيا لوحة جميلة قد رآها فهو لا يقف أمام الطبيعة ليرسمها او يرسم شجرة الطبيعة ولكنه يرسم الشجرة التى رآها فى لوحة جميلة ؛ حتى تتكون لديه حاسته الفنية . فيستطيع بعد ذلك أن يواجه الطبيعة وحده .

البداية مع الشعر والمدينة

● لو سمح لنا صلاح عبد الصبور أن نتوقف عند « مرحلة تشكلك الشعري » ومعروف لنا جميعاً أن تلك المرحلة كانت شديدة الخصوبة سياسياً واجتماعياً وفكرياً ... كانت ماتزال أصداء ثورة ١٩١٩ فى الساحة المصرية والعربية وانتفاضات الجماهير المتتالية ضد الاستعمار وتوكيد هذا الخط الجماهيرى الثورى ضد المستعمرين الانجليز والمظاهرات الطلابية والعمالية الحاشدة التى ساعدت فى تهيئة الأجواء لقيام ثورة ٢٣ يوليو .. فيما بعد ومنعكسات هذا الصعود القومي على الثقافة والفكر العربيين وهل كان لهذه الأجواء آثارها على حركة الشعر الحديث ؟

— عندما جئت الى القاهرة ، جئت لأدخل الجامعة .. وكنت قد أتممت تعليمى الابتدائى والثانوى فى المدينة الصغيرة «الزقازيق» ثم جئت الى الجامعة فى القاهرة .. وحيداً دون أسرتى .. وهذا ما جعلنى — الى حد ما — أستوعب هذه المدينة الكبيرة او أن احسها .. فعندما يكون الانسان وحده يستطيع أن ينطلق فى يسر وسهولة ، عبر أرجاء هذه المدينة الكبيرة ؛ محاولا استيعابها وفهمها .. وكانت المدينة فى ذلك الوقت — تموج بشتى التيارات — وكانت الجامعة — بحد ذاتها — جامعة خصبة (أساتذة أجلاء) (مكتبة متجددة) (طلاب جميعهم يراهنون على المستقبل) .. أو يريدون أن يكونوا فى المستقبل — أدباء الجيل — أو كتاباً .. فاختاروا هذه الدراسة بمحض ارادتهم .. لأنها كانت هى حلمهم ؛ (مناقشات عميقة وممتعة ومتجددة) .. وفى آخر الأمر (اتصال فى الحياة العامة بمصر) .. كانت الحياة الثقافية ؛ والعامة .. متركزة فى القاهرة ..

كنا جماعة متطلعة الى المعرفة .. ولا نخشى الاقتراب من الافكار .. ولا ممن يحملون هذه الأفكار بل ونحاول أن ندخل الى قلب الفكرة .. والى قلب الرأى والعمل الأدبى .. واستطعت فى هذه الفترة .. أن أقرأ التراث العربى ؛ قراءة جيدة .. لأن هذا — كان هو مجال دراستى — واستطعت فى ذات الوقت أن أتصل بالثقافة الأوربية ؛ — لا أقول إنه كان اتصالا مستحكماً — أو اتصالا ناضجاً ؛ ولكن بكل ما يتاح لنا من هذه الثقافة ..

وكنا جميعاً ؛ نتبادل الرأى فيما نقراه .. وفاجاتنا صورة الادب ؛ الذى يختلف عن تصورنا له .. أو صورة الشعر الذى يختلف عن تصورنا للشعر ؛ كان تصورنا للشعر الكلاسيكى .. حين ندرسه فى البلاغة العربية أن الشعر — كما يقول أحد النقاد العرب — أو احد البلاغيين ..

«إن الشعر هو صنعة من لا صنعة له ؛ وذريعة من القول يستدر بها المعروف وتقضى بها الحوائج»

وكنا ندرس فى الكتب ان البحترى حين نبغ فى الشعر ، قصد الى «أبى تمام» وهو أستاذه ؛ وقرا عليه شعره .. فقال له «أبو تمام» :

«إن شعرك جيد .. وسارسل معك رسالة الى أهل مدينة .. (كذا) فامدحهم لتنال بعضاً من عطائهم ..»

كانت هذه هى صورة الشاعر فى التراث العربى ؛ هذه الصورة قد اختلفت تماماً فى العصر الحديث وقد عايشنا اختلافها .. بتأثير الجيل الاول من الشعراء .. الذين نسميهم (بجيل الرومانتيكية العربية) .. فيما بين «الثلاثينات» و «الأربعينات» .

واصبح هؤلاء الشعراء يريدون أن يعبروا عن ذوات انفسهم ؛ ويتحدثوا عن مواجدهم الشخصية .. ولكن هناك صورة اخرى للشعر ؛ الشعر الذى فيه بعض من «العمق» أو الشعر الذى يستطيع أن يمزج بين «الاحساس» وبين «الفكر» ..

بطاقة شخصية للشاعر



صلاح عبد الصبور

● الاسم : محمد صلاح عبد الصبور

● المواليد : ٣ أيار — مايو ١٩٣١

● المهنة : شاعر — ورئيس مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب

● توفى : فى الساعة الثانية والربع من بعد فجر يوم الجمعة ١٤ آب أغسطس ١٩٨١

إثر نوبة قلبية ..

ما الشعر؟

● صلاح عبد الصبور .. ماهو الشعر ؟

كل شعر اعتراف .. ولكن ليس الشعر اعترافاً مباشراً ؛ ليس هو الاعتراف الذى يلقيه الانسان أمام قضاته .. أو ليس كالاعتراف الذى يبثه الانسان الى صديقه ؛ .. لكن الشعر .. هو اعتراف بمعنى مكثف ؛ لأن تجربة الشاعر تجربة متعددة الجوانب .. ولدى كل شاعر ما نسميه بمخزن ؛ هذا المخزن هو ما نسميه — ذكرياته ، وقراءاته .. وأفكاره ؛ وما عاينه ؛ وكل ما مر به فى حياته .. وهذا المخزن .. غير مرتب ..

ولكن ؛ ما يكاد الشاعر يلتقط مطلع القصيدة .. ويبدأ فى نظم قصيدته ؛ حتى تتكون حول هذا المطلع عشرات الأفكار والصور ..

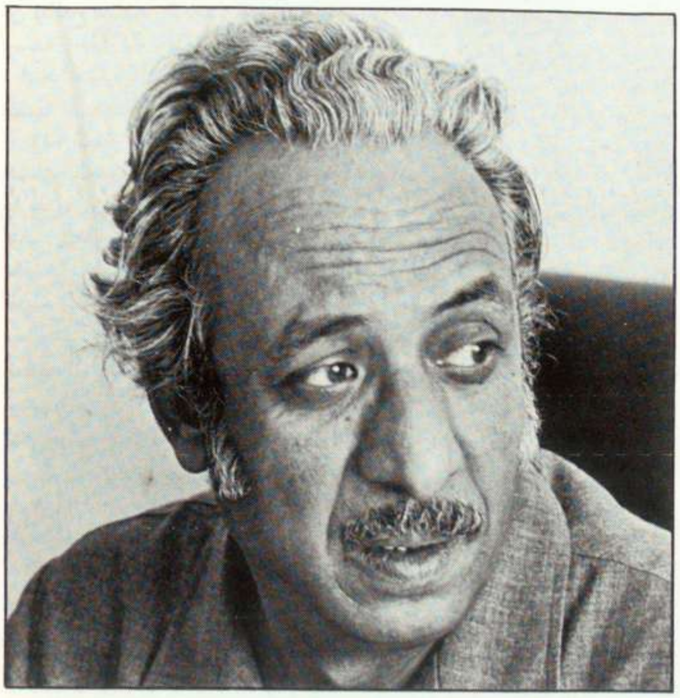
انبعثت من أين ؟!! لا يدرى .. ولكنها من داخل هذا المخزن .. كأن هناك إناء ؛ فيه مادة مشبعة — أو فوق مشبعة — مذابة فى ماء .. فكأنك ألقيت فى وسط هذا الاناء حبلا .. تتجمع حوله كل هذه البلورات .. متخذة أشكالا غريبة؛ لامعة .. هذا هو ما يحدث .. من أين ياتى كل هذا ؟!! ياتى من غنى هذا الشاعر الداخلى .. غناه بالثقافة وبالتجربة وبالاحساس .. وباللغة ... كان طموحنا أن يكون هذا الشاعر الكامل — الشاعر كما نتصوره — وأظن أن ذلك مازال هو طموحى .

مع الرواد ..

● صلاح عبد الصبور .. يقال انكم من رواد القصيدة الحديثة .. الى أى مدى يصح هذا القول ؟

— كانت — هناك — فيما سبقنا ، محاولات لتغيير شكل القصيدة العربية .. وأنا أذكر أن معظم شعر الاربعينات من هذا القرن يتخلى عن القصيدة الموحدة القافية .. لو فتحنا ديوان «علي محمود طه» مثلا أو «ابراهيم ناجى» لوجدنا أن معظمه ثنائيات أو رباعيات .. أو خماسيات .. وقلما تجد قصيدة موحدة القافية .. إلا اذا كانت فى غرض خطابى .. ستلقى فى محفل .. أو ما الى ذلك .. لكن قصائد التأملات الشخصية .. أو ما الى ذلك .. فدائماً تلجا الى «الأبحر» الشديدة الموسيقية .. أو القصيرة .. «مجزوء الأبحر» — الرمل ، أو البسيط ؛ فلا تلجا الى الطويل مثلا أو الكامل .. إلا نادراً .. أو اذا كانت ستلقى فى محفل .. ولا تعتمد على القافية الواحدة ..

هذا المناخ .. كان دافعاً .. لنا ، مع قراءتنا للشعر المترجم ..



● كنا نتطلع إلى المعرفة .ولا نخشى الاقتراب من الأفكار ولا ممن يحملونها فقرأت التراث العربي واتصلت بالثقافة الأوربيّة

● أنا أدهش لما يسمى بقصيدة النثر .. فقد عرفنا هذا اللون من الكتابة منذ ألف وخمسمائة عام .. ولم يسموه شعرًا

● أنا أسمي موجة الشعر الغامض الحديث .. بموجة الشعوذة .. والمدهش أن هذه الشعوذة تتم تحت شعار الحداثة

لكن ليس هذا هو المنهج دائما .. لانه فى كل قصيدة .. يجب ان يكون هناك شىء ما .. «سورياليا» مفاجئا او مدهشا ؛ اووارداً من داخل الشاعر .. لكن «رواد السريالية» امثال «اندريه بريتون» و «بول ايلوار» و «اراغون» .. تحولوا عن السريالية ؛ واعتبروها جزءاً من ماساتهم .. او جزءاً من تفننهم ثم تحولوا عنها الى مذاهب اكثر وضوحا ..

● تحولوا لينسجم شعرهم .. مع مواقفهم الفكرية والسياسية ؛ كما فعل «اراغون» .. ولكن اظن ان فى الشعر العربى الحديث .. شعراء اصلاء .. ورؤيتهم وتجاربهم للشعر ناضجة .

● فى الواقع ما يخشى على تجربة الشعر الحديث .. يخشى عليها من انصارها .. ومن احبابها .. لا من مخالفيها .. لان موجة الشعر الحديث استطاعت فى الخمسينات والستينات ان تكسب لها جمهوراً واسعا .. فى الواقع كنا نفاجا بالاستقبال او الصدى الجميل .. وربما كان من مهمات الحركة انها اعادت القارىء العربى الى قراءة الشعر .. الآن القارىء العربى جدير بان ينفصل عن الشعر .. حقيقة !! لان هذا الجمهور يجد وكانه يراد إغاظته بهذه القصائد .. او النكاية به عن طريق الالغاز الشعرية والمعميات ..

● ماذا تقول فى سرك ، حين تقرا قصيدة غامضة ..، ؟!

ـ انا اقول .. عن نفسى .. انا ـ وقد انفقت معظم سنوات عمرى وشبابى قارئا للشعر .. بغض النظر عن اننى اكتب الشعر .. ودرسته دراسة منهجية .. واخذت به درجة علمية .. ثم اننى لا استطيع ان امضى يوماً واحداً من غير ان اقرا شعراً .. فاذا كنت انا لا استطيع ان افهم فماذا يفعل القارىء المحب .. هو مجرد قارىء محب .. ويريد ان يدخل هذا العالم .. فماذا يصنع . لا أدرى !

لكن هناك جو ما من الشعوذة .. واطلاق ضباب الكلمات مثل «كيمياء الالفاظ» «تجاوز الواقع باللغة» هذه الكلمات كانها ستار من الضباب يحجب ما وراءها ؛ هذا العبث ..

● لكنها محاولات تجريبية ؛ لكن لماذا الاغراق فى الغموض !!

ـ لان فى نفس كل انسان ولعا بالجديد ؛ وهناك موجات .. فنحن نتلقى عن اوربا الموجات .. موجة موجة ثم ما تلبث هذه الموجة لونا من المظهرية ، او التشدق بالمعاصرة .. لاشك .. بالنسبة «للوجودية» الوجودية فلسفة ممتدة .. ولكن كثيراً ممن كانوا يتحدثون عن الوجودية فى بلادنا ربما لم يقراوا عنها إلا بعض النكات او بعض الفكاهات التى تنتسب اليها .. هم يعرفونها على غرار «وجودية الصعاليك» ولكنها ليست الوجودية الفلسفية ..

الآن مثلا الحديث عن «البنيوية» ـ البنيوية ؛ لتكن فلسفة جديدة تقدم الى العالم ؛ ولكن ليست الامور بهذه البساطة .. إذ يظل الشعر فناً جديراً بان يقترب منه الانسان باحترام ..

الشعر صوت الإنسان يتحدث

● إنهم يريدون ان يركزوا على مفهوم « الكشف » و « الادهاش » فى الشعر الحديث . بعد ان اصطدم الشعر الكلاسيكي «بنمطية» الشكل والمضمون .

● ليست مهمة الشعر ـ الوحيدة ـ الادهاش .. وليست مهمته الوحيدة إقلاق سكينة القارىء بل إن له مهمات اخرى .. وإذا لم يعبر الشعر «والشعر فن تعبير » و « الشعر فن حسن استعمال اللغة » و « فن تقديم الصياغات الجديدة .. ولنقل ايضا « إنه فن إضاءة الحياة» و «لنقل إنه فن الفنون » ولكن فى داخل طبيعته الخاصة ـ كفن من فنون التعبير ـ .. فهو الانسان ليتحدث .. والشعر صوت الانسان يتحدث .. فاذا تحدث الانسان بغمغمة .. فماذا قد نفهم منه ..

يفتشنكو إنسان مجامل

● ومع ذلك ـ استاذ صلاح ـ فقد اشاد بعض نقاد العالم وشعرائه .. بالمنحى الشعرى الذى يرسمه «أودنيس» وقد قرات مؤخراً لشاعر كبير مثل ـ يفتشنكو ـ رايا له يقول « إننى على قلة قراءتي للشعراء العرب المعاصرين إلا ان «ادونيس» يدهشني .. واستطيع أن افهمه .. » هذا الاعتراف العالمي ، جعل الكثيرين ـ من كتاب وشعراء موجة الشعر الحديث ـ الذين يكتبون على غرار «ادونيس» .. يكرسون مقولاتهم فى الشعر .. ذلك انهم يريدون ان يقفزوا من المحلية الى العالمية ..

مباشرة .. يقول ادونيس « يجب ان نتجاوز الشعر بالشعر .. و«الواقع بالشعر» .. ثم « نحن نكتب للمستقبل» وكان هذا مثار جدال كبير بين «ادونيس» و« نزار قباني »

ما رايك بدعاوي « المستقبلية فى الشعر » مادام الحاضر « متخلفا » .. فليس من وظيفة الشاعر ان يتملق «جهل» الجمهور او «اميته» الفنية والشعرية .. ويرى الشاعر الحديث ان على الجمهور ان يصعد هو .. ويبذل مجهودات لتعلم ابجديات «الفن بشكل عام» والشعر بوجه خاص ...

● في الجزء الأول من سؤالك « عن راي يفتشنكو ..

انا استطيع ان احصل لك على عشرة اراء .. لشعراء عالميين .. تؤكد ان من تشاء من البشر انه من احسن من قراوا له فى الشعر .. ومنهم – يفتشنكو – .. و يفتشنكو .. إنسان مجامل كما اعرفه ؛ وقال لي – وكان لابد ان اسجل ما قاله لي – .. قال لي كلاما اخجل من قوله ؛ لانه ماذا يعنيه .. هو يقول كلاما فى المجاملة .. لان القضية فى اخر الامر لا تعنيه ؛ ..

اما مسالة ان نتجاوز (ماذا بماذا) .. فهذا كله – كلام فى النهاية – نوع من العبث اللفظي .. الذى يخيل لقارئه ان وراءه مفهوما ما .. كبيرا ؛ وفى اخر الامر يتبين انه فارغ من اي شيء ..

انا اقرا مقالات نقدية .. فى الحديث عن هذا الاتجاه .. – اقسم بالله ما افهم عاوز ايه الناقد – !! حسنا .. هذا نقد ؛ فلماذا الالغاز فى النقد ؛ .. «ده نقش مش شعر» .. «الناقد عاوز يقول ايه» !! «ما افهمش الناقد نفسه» ..

فاللغة تغري بالعبث .. لانني استطيع ان اقول لك بيتا من الشعر .. جميلا ، ايقاعا ؛ ولكن ليس له معنى .. «اللغة تغري بالعبث » – عند من يستطيع العبث بها – ..

«الداديزم» مثلا .. الدادية –التى اطلقوها– هي نوع من العبث اللغوي .. ماذا كانت الدادية تريد قوله ؟!!

كانت الدادية تتصور ؛ ان الفاظ اللغة موضوعة فى «قبعة» – كما كانوا يقولون – .. فى اوربا .. الالفاظ مكتوبة على ورق .. وما عليك إلا ان تاخذ الالفاظ وتضعها بجانب بعضها .. ودعها تكون ما تكون من علامات .. هذا عبث لغوى !! .. فى اخر الامر قد يشكل هذا العبث اللغوي « شيئا » له معنى ؛ او له «ظلال» من المعنى .. ولكنه فى الواقع نتيجة عبث لغوى .. كما نضرب لذلك مثلا .. حين تجلس انسانا وراء «تايبرايتر» – آلة كاتبة – ويجلس يدق عشرات السنين ؛ ربما في يوم ما .. وبالمصادفة .. «سينسج» قصيدة او سوناتا .. من سونيتات «شكسبير» هكذا .. بالمصادفة ؛ .

فاللغة مغرية بالعبث ؛ حسنا «عبث شعري لا باس» «لكن يصل الامر الى – عبث نقدي –!!» انا لا افهم حتى الكلام النقدي الذى يكتبونه هذه الايام .. وافترض اننى قرات النقد العربي .. قرات (الآمدي) و(الجرجاني) وقرات النقد الاوربي .. على الاقل فى تيار هام من تياراته قرات من اول ارسطو حتى «ريتشاردز» وقرات «ديفيز» .. الخ .. واعرف كيف يتحدث النقاد .. فاذا كنت اقرا هؤلاء النقاد وافهم .. فلماذا لا افهم نقاد الموجة الحديثة ؟ !! ..

اعود فاقول : كل هذا يخشى منه .. ان يقطع الصلة – حقيقة – بين القاريء الذى استطعنا ان ننميه ؛ خلال عشرين سنة من عمر هذه التجربة .. او ثلاثين سنة ؛ وبين الشعر ...

حرفيات لا داعي لاستعمالها

● هكذا إذا تقرر ان الشعر ليس فى حالة انحسار .. بل هناك نوع من «العبث الشعري» و «النقدي» هو المسؤول عن ابعاد الجمهور عن قراءة الشعر ؛ ولكننا نلاحظ انتشار «جنس الرواية» اليوم .. كبديل عن الشعر .. وربما كانت «القصة القصيرة» قد اخذت القاريء الى جانبها .. وسحبت البساط من تحت اقدام «الشعر» .. في حين كان «الشعر» يفرض وجوده فى الخمسينات والستينات من القرن العشرين .. فلماذا هذا التحول برايك ؟

هل تابع ذلك – للجو السياسي العام – .. وظروف المرحلة التاريخية .. التى تمر بها الامة العربية .. والتحولات الاجتماعية . والاقتصادية .. والنفسية ؛ وما إلى ذلك ؟ !!

● ربما كان القراء .. يجدون فى القصة الآن ما يفتقدونه من التعبير عن المجتمع .. ومن القدرة على الاتصال .. لان القصة ؛ هي بدورها مرت بمرحلة «تعيسة» ايضا .. واذكر فى هذه الفترة اننى كنت اقرا بعض القصص القصيرة .. وخاصة – بعض الاقصوصات – .. فاجد هذا الاعنات الشديد ايضـا ؛ الذى يعنت به كاتب القصة .. قصته ..

مثلا – قصة مكتوبة بطريقة تيار «الوعي» .. وهو تيار يبرز ما فى داخل النفس الانسانية ؛ فاسال نفسي .. لماذا استعمل الكاتب هذه الحرفية .. فى كتابة قصته .

فاذا كانت القصة قصة بسيطة .. وهى قصة افعال .. ولا تريد ان تكشف عنها .. ولا تريد ان تقول افكار شخوصها .. ولا تريد ان تكشف عن احداثها او بواطن ابطالها .. فلماذا استعمل الكاتب القاص هذه الحرفية بالذات ؟

فئة «تيار الوعي» – ونحن نعرف تاريخها من اوائل كتابات «جيمس جويس» فى «يوليسيز» .. جيمس جويس .. عندما كتب روايته هذه ، كتب قصة ٢٤ ساعة من حياة ثلاثة افراد فى مدينة «دبلن» .. هذه الساعات الاربع والعشرين .. كتبها فى الف صفحة ، ومليئة بالتداعيات التى يريد فيها ان يترجم او يكشف بها نفسيات ابطاله ، .. ولكل بطل طريقته الخاصة فى التداعي .. لان لكل بطل عالمه .. ولكن عندما يكون اسلوب التداعي واحدا بالنسبة لجميع الابطال .. لنفرض ان كاتبا يكتب قصة عن «موظف» استلم مرتبه فى اول الشهر .. ثم ركب الاتوبيس .. سرق منه «المرتب» وعاد الى بيته حزينا .. فالداعي لاستعمال هذه الحرفية ؟!! رغم اننا التقطنا لحظة ما .. قصة مليئة بالاحداث والافعال .. ولا مبرر للحرفيات الجديدة ..

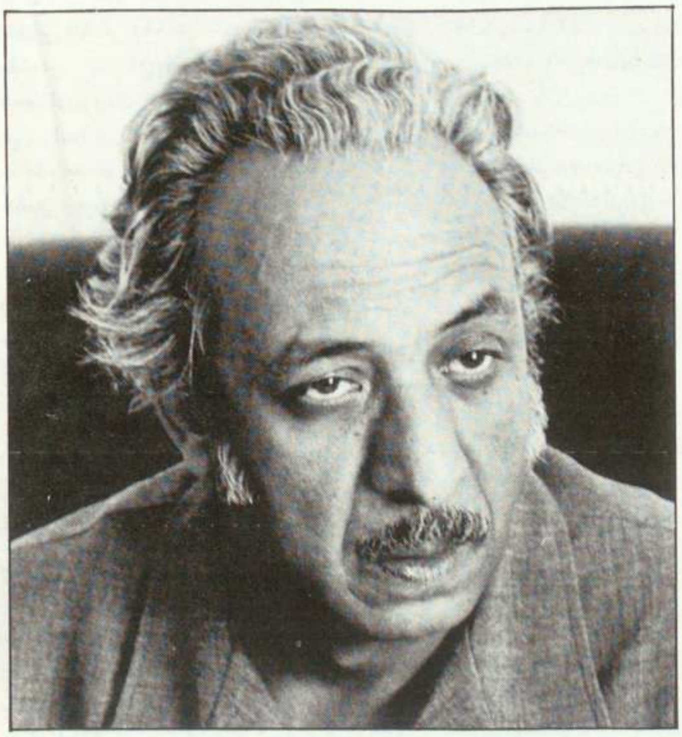
يحاولون تهشيم اللغة

● ربما كانت هذه الحرفيات والمحاولات الجديدة .. مخرجا للافراط – البلاغي اللغوي – ودوران القصيدة العربية حول «لغة انشائية استعراضية» دون توليد مناخات ودلالات لغوية جديدة .. هي محاولات تريد القول : إن المفردات اللغوية .. لا تحمل قيما جمالية مطلقة .. ولا يجوز تجاوزها ..

● لا بل هى محاولة تهشيم اللغة .. مع ان كل الادب (قصة ورواية وشعرا) فن لغوى .. وإذا لم تحتفظ اللغة بسلامتها وصحتها فسيفقد الادب جزءا هاما من كيانه ومقوماته .. موجة «الاغراب ..» هي الاخرى دخلت موجة القصة . ودخلت فى المسرح .. ولكن هذه الظاهرة ما لبثت ان انحسرت عن هذين الفنين .. بسرعة .. نظرا لان هذه الفنون .. فنون مكاشفة ، ويجب بالضرورة أن تنبىء القارىء بشيء ..

من مسرحياته

- ● ماساة الحلاج ١٩٦٥
- ● مسافر ليل ١٩٦٧
- ● الاميرة تنتظر ١٩٦٩.
- ● ليلى والمجنون ١٩٧٠
- ● بعد أن يموت الملك ١٩٧٣



● ما يخشى على تجربة الشعر الحديث من أنصارها وأحبابها لا من معارضيها

● القارئ العربي اليوم جدير أن ينفصل عن الشعر .. لأنه يجد وكأنه يُراد إغاظته بهذا الشعر الغامض .. أو النكاية به

● ليس من مهمة الشعر .. الإدهاش أو إقلاق سكينة القارئ .. فالشعر فن إضاءة الحياة

● إذاً .. ثمة سابقون لكم .. جربوا اشكالا شعرية حديثة .. وإن لم تاخذ إطاراً محدداً وواضحاً ؛ غير انى الحّ من خلال حديثك .. انك تشير الى – الشعر الغربى المترجم – .. ومعروف لنا جميعاً انه منذ مطالع القرن العشرين ، وحتى الحرب العالمية الثانية ؛ شهدت اوربا مدارس شعرية .. احدثت تحولات جذرية في المفاهيم الجمالية والقيم النقدية .. وأساليب التجريب – على صعيد الابداع ؛

اولا .. كنا نسمع عن المدارس الأدبية مثل السريالية ؛ والدادية ؛ والرمزية .. وغيرها وخاصة السريالية .. والرمزية ؛ فنقرا بعض قصائد هذه المدارس ؛ ربما فهمنا بعضها .. وربما لم نفهم البعض الآخر .. وخاصة فى اللغات الأجنبية .. لكن الشاعر الذى كان يتمدد فى جسم الحياة الأدبية .. فى ذلك الوقت ؛ وينشر ظله فى كل مكان .. كان هو الشاعر الناقد الانجليزى «ت . س . اليوت» ..

وكما وفد اليوت .. – وربما كان فى ذلك الوقت نوعاً من الموضة – الى مختلف بلاد العالم .. وفد الى مصر .. وأذكر اننى سمعت باسم اليوت أول مرة .. من بعض الأصدقاء .. ثم جلسنا بعد ذلك لقراءة قصيدته المشهورة «اليباب – أو الأرض الخراب» لكنه قادنا هو الى قراءة بعض الشعراء الآخرين ..

وطبعاً هناك شعراء .. جاؤوا بعد اليوت .. أخذوا منه وتجاوزوه ؛ أو انقلبوا عليه .. مثلا تخرج من تحت عباءة اليوت الشاعر «ستيفن سبندر» و «أودن» وغيرهم من شعراء هذا العصر .. ولكن كان لهم موقف سياسى مخالف لموقف اليوت .. ولو انهم بعد ذلك عدلوا مواقفهم السياسية ..

● اسمح لي أن أقول : « ربما تأثر جيل رواد القصيدة الحديثة .. بهذه المدارس الشعرية الغربية » هل توافقني ؟

– كان هناك شيء ما .. يدهشنا باستمرار .. قد تكون قدرتنا على أن ندهش لما نقرا أو أن نحاول أن نتمثل لما نقرا .. ولا نقنع بما عرفناه .. قد يكون هذا هو الملمح الاساسى الذى جعل هذا الجيل .. يحاول ؛ ..

واتصور أن الجيل الذى انتمى اليه .. هو الذى أخرج كتاب «المسرح المصرى» واخرج كتاب «القصة» القصيرة .. وكتاب الرواية .. هو جيل واحد ؛ كان يمتلك القدرة على الدهشة على تلمس الجديد ؛ ومحاولة تمثله .. ومحاولة استنباته الى حد ما ..

المهم ماذا يقول الشعر

● ارجو ان نقف قليلا عند موجة الشعر الحديث .. والتجارب الابداعية العربية الأولى .. فى هذا المجال .. إذ تثار احيانا مسالة « من سبق من » من الشعراء فى كتابة القصيدة الحديثة .. وانت احد الشهود ، فماذا ترى ؟!

– أقول : إحقاقا للحق .. اننى قرات عام ١٩٤٩ .. فى مكتبة الجامعة «ديوان نازك الملائكة» «شظايا ورماد» .. فى أول هذا الديوان .. تكتب نازك مقدمة لهذا الديوان .. تشير فيها الى تصورها للعروض الجديد .. لهذا الشعر الذى تقترحه ؛ وهناك قصائد اخرى اعجبت بها .. فى الديوان .. وأوشك ان اقول لك .. إننى حفظت بعضها .. لأن الذاكرة كانت فى ذلك الوقت حادة وتستطيع أن تحفظ ما تقرا .. وكان هذا الشكل الذى اقترحته نازك هو بداية انتباهى الى الشكل الجديد .. ولذلك عندما نشب خلاف بين نازك والسياب .. من منهما كان اول الكاتبين .. انا لا ادرى أى منهما كان أول الكاتبين .. ولكن بالنسبة لي انا شخصيا ، عرفت هذا الشكل من خلال ديوان نازك الملائكة شظايا ورماد .. ربما اذكر هنا ؛ أن لي قصيدة منشورة فى «الناس فى بلادى» بها نوع من التجربة الشكلية .. لكن ليست هذا الشكل .. وبعد أن قرات ديوان نازك ؛ كتبت بعض القصائد فى هذا الشكل الجديد .. لم انشرها .. ولكننى قراتها لبعض زملائى واساتذتى فى كلية الآداب .. قراتها للدكتور «عبد الحميد يونس» وكان استاذاً وصديقاً .. وللمرحوم استاذى – أمين الخولى – وبعض الزملاء .. «فاروق خورشيد» و «عز الدين اسماعيل» وكنا زملاء فى ذلك الوقت بالجامعة «وعبد الغفار مكاوى» ..

ثم مضيت بعد ذلك للكتابة بهذا الشكل .. ولكن فيما أتصور – ليس الامر .. من كتب أولا .. الأمر .. هو فى داخل هذا الشكل – ماذا وضع به – ..

● مادام المعيار كذلك .. فأرجو أن ترتب الشعراء الحديثين الرواد .. وفق معيارك النقدى .. ؟

– أنا أتصور ان ما جعل «لنازك» و «للسياب» هذه القيمة هى أن كلا الشاعرين .. لديه ما يقوله ؛ لو تتبعنا تاريخيا ؛ – وأنا اذكر اننى

قرات كتاباً – بالانجليزية .. كتبه احد النقاد عن تاريخ الشعر العربى .. من (١٨٧٠ – ١٩٥٠) .. ومقدم فى جامعة لندن .. يؤكد فيه (بالنماذج) أن هذا الشكل الجديد .. يعود عمره الى أواخر القرن التاسع عشر .. فى مجلات لا نعرفها مجلة اسمها «البيرق» .. مجلة اسمها «الضياء» كانت تصدر فى مصر والشام .. فى تلك الفترة .. وان «صديق شيبوب» له كتابات بهذا الشكل ..

ونحن نعرف كتابات «باكثير» .. لكن المشكلة .. ما وضع فى هذا الشكل فى ذلك الوقت .. لم يتح لهذا الشكل أن يسيطر .. فعندما رزق هذا الشكل بمجموعة من الشعراء .. من مختلف الاتجاهات .. يعنى .. نازك تختلف عن السياب .. السياب يختلف عن البياتى .. البياتى يختلف عن نزار .. نزار يختلف عنى .. انا أختلف عن «حجازى» .. كل منا يختلف عن الآخر .. عن أدونيس أو عن خليل حاوى .. فهى مجموعة متعددة .. فكل منهم وضع داخل هذا الشكل قاموسه ورؤيته .

الحداثة وشعر التفعيلة

● الشاعر صلاح عبد الصبور .. يلاحظ الآن ظاهرة انحسار « حركة الشعر الحديث » رغم ما نجده من كم هائل من الكتابات الشعرية لكنها ليست بالعمق والأصالة التى بدات بها مجموعة الرواد .. فهل بدأ عصر انحسار الشعر ، ؟!!

● موجة الشعر الحديث – أو ما يسمى بالحديث – وافضل أن يسمى – بشعر التفعيلة – لأن الحداثة نسبية . لانه إذا كان حديثا فى زماننا ، فسيصبح فى زمن بعد زماننا قديماً .. ونرجو أن يصبح قديماً وجزءاً من التراث العربى .. لأن أقصى ما نطمح اليه .. هو أن يكون شعرنا ورقة اعتمادنا لدى التراث العربى .. انا فى الواقع لا اخشى على الشعر الحديث .. أو شعر التفعيلة ، ممن لا يحبونه أو يعارضونه .. بل إننى اخشى عليه من محبيه ؛ نقاداً وكتاباً .. انا عندما اجد ما يسمونه قصيدة النثر .. وادهش .. لاننى اجد مجلات رصينة تتبنى ما تسميه «قصيدة النثر» !! وادهش بالغ الدهشة .. لاننا عرفنا قصيدة النثر أو هذا الشكل من الكتابة منذ الف وخمسمائة سنة .. وكنا نسميه الشعر المنثور .. نعرفه فى سجع الكهان فى الجاهلية .. وفى الخطب – الجاهلية – أو – صدر الاسلام – البليغة .. ونعرفه فى كتابات الكتاب المسلمين .. والعرب – فيما يسمونه ، بالرسائل الاخوانية أو الاخوانيات .. ونعرفه فى تاملات «أبى حيان التوحيدى» .. فى كتابه «الاشارات الالهية» .. وفى كتابات «القاضى الفاضل» و «ابن العميد» وفى كتابات «جبران خليل جبران» .. وبعض كتابات «المنفلوطى» وفى مصر – كتابات «حسين عفيفى» .. وفى لبنان ؛ هناك تيار ضخم من هذه الكتابة ..

وكان ينشر مثل هذا الشعر فى مجلة «الأديب» بعنوان «من الشعر المنثور» .. ونجد هذه التأملات أو الخواطر .. التى بها قدر من الفنية .. والصور الشعرية .. ولكنها ليست داخل اطار «العروض العربى» ...

الآن يريد بعض الناس أن «يدلس» ويدخل فى داخل تراث المدرسة الشعرية الحديثة .. هذا الشعر المنثور .. والواقع أن من المدهش .. أن كثيراً من أقطاب المدرسة الحديثة نفسها يحاولون أن يدخلوا هذا النوع من الكتابة ..

هذا يفسد الصلة .. بين القارىء .. وبين ما نسميه بالشعر الحديث ..

العيب فى الشعر لا فى القارئ

● يحاول الشعراء الحديثون .. لاسيما شعراء موجة السبعينات .. الى ابتداع مناخات شعرية جديدة .. وهم يجربون فى سبيل ذلك ، على صعيد اللغة ، والمضامين .. وقد يكون لهم العذر فى زمن تتلاحق فيه الخيبات والانتكاسات ، ولكن فى واقع الأمر اختلط الأمر .. بحيث ما عدنا نفرق بين « الابداع » التجريبي الأصيل .. وبين « الهذيان اللغوي » .. لدقة وصعوبة التفريق بينهما ، بحيث أن الأمر اصبح يحتاج الى قاريء خبير لاسيما بعد انتشار موجة « الغموض » و «التغريب» ....

– هذه الموجة الغريبة من «الاغراب» .. انا فى الواقع اقف حائراً فى بعض ما اقرا احاول عادة – حين اقرا القصيدة – بان اجيل عينى .. فاقرا القصيدة للمرة الأولى محاولا أن اتلمس مدخلا للقصيدة .. فاذا لم اجد مدخلا للقصيدة .. أعيد القراءة للمرة الثانية .. – وانا اتصور القصيدة كأنها بناء – وانها بناء يفصلك عن العالم .. فعندما تدخله ، تدخل عالماً جديداً .. ولكن يجب أن يكون لهذا البناء مدخل ومخرج .. وان تتحول فى غرفه كما تشاء .. فتسلمك غرفة الى غرفة .. وصورة الى صورة .. أو حالة انفعالية الى حالة انفعالية ؛ حتى تجد نفسك فى آخر الامر .. قد خرجت من القصيدة ولكن ذكرى حلاوة هذه الزيارة .. مازالت تخايلك من وقت الى آخر .. فاذا لم أجد مدخلا مع القراءة الثانية ، فانصرف تماماً عن القصيدة .. موقنا انه لا يمكن أن يكون العيب في ، فلابد أن العيب فى القصيدة .. هذا التكثف والغموض .. يفسد ما بين القصيدة الحديثة .. وما بين قارئها ...

من أعمال صلاح عبد الصبور الشعرية

- ● الناس فى بلادى ١٩٥٧
- ● اقول لكم ١٩٦١
- ● أحلام الفارس القديم ١٩٦٤.
- ● شجر الليل ١٩٧٠
- ● تأملات فى زمن جريح ١٩٧٠
- ● الابحار فى الذاكرة ١٩٧٩ .

ماهذه الشعوذة ؟

● ولكن هل تدعو الى التبسيطية أو المباشرة فى الشعر ؟!

– انا لا أدعو الى الشعر المباشر .. الواضح .. ولكننى ادعو الى القصيدة التى تشكل بناء واضحا وتدخل قارئها فى حالة جديدة .. فلابد أن تكون القصيدة قد نضجت فى نفس الشاعر حتى تصل الى القارىء .. لكن بعض الزملاء – من الشعراء الشباب – يرددون بعض الالفاظ الغريبة – فيما اعتقد – .. كان يقول مثلا «إن الشاعر يخلق لغته» .. كل ما يستطيع أن يصنعه الشاعر – فى بعض الأحيان – أن يعطى لكلمة ما .. معنى جديداً .. ولكن من خلال تركيب لغوى واضح .. لكن – هذه الشعوذة – انا اسميها شعوذة – فى كثير من الاحيان – والمدهش أن هذه الشعوذة .. تتم تحت شعار الحداثة .. وتستعين بشذرات من النقد (المشعوذ) .. الذى ينشر أيضا فى «فرنسا» مثلا ..

● ارجو من الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور .. أن يتسع صدره .. لوضع هذه التجارب الشعرية الحديثة فى اطارها الموضوعى .. وقد لا يخفى عليك أن «الفنون العامة ...» تشكيلية وموسيقية وقولية .. بدأت تتداخل وتؤثر فيما بينها بشكل واضح .. حتى أن الشعراء الجدد .. يقولون : لماذا هو مسموح للفن التشكيلى – مثلا – أن يجدد الى حد السريالية ، وليس مسموحاً للقصيدة أن تكون «سريالية» .. اظن أن المسألة .. تتعلق بفلسفة وايقاع العصر ..؟

– تجربة السريالية فى فرنسا .. لنتحدث عن تجربة «السريالية» .. لقد دخلت فى طريق مسدود ربما كانت قد اضافت شيئاً ما .. الى الشعر .. مثلا ؛ رواد السريالية الأول تحولوا عنها .. اخذوا منها شيئاً .. وهو (الصورة) أو محاولة تركيب الصورة الضبابية ، أو الانتقال الى المفاجىء .. مفاجاة الانتقال من كلمة الى كلمة .. أو من مشهد الى مشهد .. لكى تحدث هذه المفاجاة قدراً من الادهاش ..



الشاعر الراحل صلاح عبدالصبور أثناء الأمسية الشعرية فى مدينة الدوحة التى حضرها كل عشاق شعره .

من أقوال صلاح عبد الصبور

« حقيقة أصبحت ذاكرتي جرداء ومصلب الآن بنسيان الاشياء الهامة ذاكرة الانسان مثل اي إناء يظل يمتلىء حتى لا يستطيع ان يستخرج شيئا .. وهذا هو حالي الآن »

« الانسان يعرف كيف بدأ .. ولكنه لا يعرف أبداً كيف ينتهي » .

« انا لم استفد تجربة ؛ وكل ما عشته وتحملته غير حقيقي – فى هذه الحياة – .. لم اعش بهجة حقيقية .. ولا حزنا حقيقيا بالمعنى .. ولهجة الأيام الماضية لن تعود .. كل هذا لا استطيع قوله إلا شعراً » .

القصة والمسرحية .. يجب ان تنبئا القارىء بشيء .. انت تحكي له حكاية او تجسد له مشهداً من مشاهد الحياة .. الآن ربما وجد القارىء السبيل الى دخول «الرواية» او «القصة» اقرب واحب الى نفسه من الدخول فى عالم الشعر ..

● محمود درويش.. عُدْ إلى صوتك

● استاذ صلاح .. دعنا نقف عند ظاهرة «الغموض فى الشعر الحديث» و «التوجه به غربا» لدى كثير من شعرائنا العرب ، الذين نالوا اعجابا جماهيريا ساحقا «كمحمود درويش مثلا» .. محمود درويش – كما نعلم – اكد صوته الرومانسي ، المناضل .. منذ ان سمعنا وقرانا اشعاره وهو داخل الارض المحتلة «فلسطين» .. وعزز هذا الصوت .. حين انتقل الى «القاهرة» .. ثم مالبث ان انتقل الى «بيروت» .. وبدا يشاكل صوته الشعرى غموض .. وتغريب .. ورمز، .. وتخلى عن تلك الرومانسية المناضلة – إذا صح التعبير – والتى عززت مكانته كشاعر .. فلماذا برايك تخلى محمود درويش .. عن صوته القديم .. ليدخل الرمز الى قصائده والغموض احيانا – .. ولا اعتقد انه فعل كذلك .. لعجز شعري منه ، أو لعدم نضوج تجربته .. او لضحالة رؤيته .. لماذا ؟

● انا اعتقد ان «محمود درويش» فى شعره الذى نشره فى الأرض المحتلة .. وفى شعره الذى نشره فى مصر – بالقاهرة – وكان به صعود نجم محمود درويش .. لأن محمود درويش كان يمثل حقيقة شيئا بديعا وهو المقدرة في ان يكون شاعراً وخطيبا فى ذات الوقت ، لأن الخطيب يفسد الشاعر عادة ، والشاعر لا يستطيع ان يرفع صوته بهذه النبرة .. الجهيرة .. لأن الشاعر هامس والخطيب ذو صوت جهير .. لكن «محمود» استطاع بنوع من التوفيق .. ربما لأن بداياته الشعرية وجلساته فى محافل الشعراء العرب ومجالسهم .. ان يوفق بين هذين الاتجاهين .. فيمتلىء شعره .. بالصور الشعرية ، ومع ذلك تظل له جهارته وقدرته على التاثير ..

« محمود » بعد ذلك كنت اقرا شعره – ولم القه – منذ ترك القاهرة .. كنت اقرا شعره فى بعض المجلات .. واقرا مجموعاته الشعرية ، فاجد ان شعره قد اصطبغ «بالغموض» فى كثير من الأحيان .. واصبح شديد الاقتراب من موجة «التغريب» و «الغموض» .. وربما ضاع صوته فى جوار هذه الأصوات ..

ارجو من «محمود» – بما بيننا من إعزاز قديم – ان يحاول استرداد صوته ، صوته الجميل . النقي . الجهير .. وفى نفس الوقت «الهامس» مجموعة «محمود درويش» تستطيع ان تسمعها منه .. وتستطيع ايضا ان تقراها فيما بينك .. وبين نفسك ..

● قرات مؤخراً .. رايا لمحمود درويش .. منشوراً فى كتاب اسئلة الشعر «لمنير العكش» يقول فيه : إنه يريد أن يتحرر من الظرف التاريخي الذى صنع منه شاعراً كبيراً .. إذ يريد ان يتجاوزه بقوة .. لأنه على حد تعبيره – اول المتضررين به – إذ يحاول اكتشاف قوته الشعرية الذاتية فيقول : لقد حاولوا ان يقيدوني بمسببات شهرتي كشاعر .. لذا فانا اريد ان اتمرد .. وخاصة – على اشكالى الشعرية القديمة .. بمحاولة التجديد المستمر للذات .. «وبتعبير وجودي المتاكل .. انا احاول أن احرر قصيدتي من تدفقها البدائي العشوائى» .. على اي حال – استاذ صلاح – نلاحظ اليوم طغيان موجة الشاعر «البوق» او الشاعر «الاعلان» فى كثير من مجتمعاتنا العربية .. فلم نر حتى اليوم «الشاعر الشهيد» .. بشكل ما .. انتم واكبتم موجة الصعود القومي العربي . فى الخمسينات والستينات .. الآن لا نجد إلا «الشعراء الأبواق» لماذا ؟

الشاعر ليس صحفيًا

● والله ... انا اعتقد ان شيئاً ما فى حياتنا ، يجعل الناس اميل الى اتخاذ هذه المواقف .. انا لا اريد ان اتحدث بالتعميم .. لكننى اريد ان اقول : إن ميلا ما – فى التراث العربى – وكثير من الناس لم يستطيعوا الفصل بين دور الشاعر ودور الصحفى .. اليوم ..

الشاعر القديم : كان هو صحفى القبيلة .. وهو خطيبها.. وهو المتحدث باسمها .. والمفروض ان يغير صوته بين حين واخر .. لكى

ينسجم .. مع الصوت العام ..

كثير من الشعراء المحدثين .. مازالوا يقومون بهذا الدور .. فهو صحفى للدولة او المؤسسة الاجتماعية الآن .. أو الحزب ؛ وصوته يتغير بين حين وآخر ..

الشاعر العربى .. لم يستطع ان يحتفظ باستقلاله عن الأبنية السياسية .. ربما كان هذا خضوعاً للتقليد الممتد منذ القديم .. نحن نسمع شعراء «النقائض» فى العصر الأموى . «جرير» . والفرزدق . والأخطل» هم يمثلون تكتلات .. وقبائل .. وربما مثلوا احزاباً سياسية ؛ وكانوا يتحدثون ويتراشقون بالاتهامات ــ كما تتراشق الصحافة الاتهام اليوم ــ .

إذاً هم يقومون بدور الصحفى .. إذا تصور الشاعر الحديث .. بان هذا الدور مازال قائماً .. إذ نرى كثيراً من شعراء اليوم .. غيروا مواقفهم .. كل ٤ ــ ٥ سنوات ..وله قصيدة فى كل محفل يتحدث فيها ــ عما يتحدث به الناس ــ .. ويتبنى وجهة نظر الناس ؛ ثم يترجمها لهم شعراً .. هذا ليس دور الشاعر .. هذا دور الصحفى ..

قد يكون الشاعر صحفياً ــ ولاباس فى هذا ــ .. ولكنه يجب ان لا يخلط بين الجانب «الشعرى» و «الجانب الصحفى» العمل الشعرى له طبيعة اخرى .. تماماً ؛ وانا ادهش ــ احياناً لتطوع بعض الشعراء احياناً ــ لمخالفتهم الدور الرئيسى لهم .. ويقومون بدور ليس دورهم ..

وذهب بريق القاهرة

● هناك مسالة ــ خطيرة وهامة ــ أود من الشاعر صلاح عبد الصبور أن يقومها .. ويضعها فى اطرها الاجتماعية . والاقتصادية . والسياسية .. واقصد بهذه المسالة ــ الظاهرة .. انتقال الثقل النوعى للثقافة العربية ــ والصحافة العربية وتاثيرهما من «مصر» ــ القاهرة ــ بكل وزنها التاريخى . والبشرى . والنوعى ؛ الى بعض العواصم العربية . «كبيروت» قبل الحرب .. و «الكويت ــ وبعض اقطار الخليج العربى اليوم» .. ومن ثم بعض «العواصم الأوربية» كلندن وباريس» إذ تصدر هناك صحف ومجلات رصينية ونافذة التاثير .. حتى ليخيل لنا ان ذلك الاشعاع الذى تالق زمناً طويلا من القاهرة بدا يخبو .. او على الاقل ما عادت القاهرة تشع بمستوى البريق والالق الذى كانت تحظى به فى الوطن العربى ؛ والعالم ؛ لماذا ؟

ــ طبعاً .. الصحافة ، لو كان لي الخيار والأمر ، لمنعت الصحافة من الخوض فى الأدب .. لان الأدب حين تتناوله الصحافة ، وبعض المعلقين الأدبيين فى الصحف ، يسيئون الى قضية الأدب وانا لا اعتبره نقداً بل تعليقا أدبيا وهو لون من الترويج للكتاب المنشور .. انا اتحدث عن الصحافة الأدبية .. الصحافة الأدبية .. وهناك الكثير من الصحف الأدبية ــ فى كثير من الدول العربية ــ .. وهذه ظاهرة مبشرة بالخير .. بمعنى .. انه منذ ٤٠ ــ ٥٠ سنة ، كان الكاتب العربى .. اياً كان مكانه .. «لا يدشن» او «تؤصل مكانته» إلا إذا نشر فى رسالة «الزيات» .. ولكن بعد ان كان هناك ــ عاصمة وحيدة ــ للعالم العربى ، اصبحت هناك عواصم كثيرة .. نظراً لأن الرقعة .. اتسعت .. مثل ذلك كمثل الجامعات ..

انا ــ حين كنت ادرس فى جامعة القاهرة ــ كان معى مجموعة من الطلاب ، من مختلف البلاد العربية .. من «سورية» من «المغرب» من «لبنان» من «السعودية» .. الآن ــ تقريباً ــ فى كل قطر عربى جامعة .. وبالتالى ، لابد ان تكون فى كل قطر عربى مجموعة او اكثر من المثقفين .. وبالتالى لابد ان توجد «مجلة» ثقافية أو «اكثر» فى هذه الأقطار العربية ..

حدث فى مصر .. انكماش ؛ نتيجة لظروف «اقتصادية» و «مالية» .. انا فى وقت من الأوقات كنت مشرفاً على المجلات الثقافية فى مصر .. ومازلنا حتى الآن نعانى من هذه الضائقة .. بشكل ما .. بالنسبة للمجلات الأدبية ..

ولكن بالنسبة «للكتب» مازالت ــ القاهرة ــ تنشر ثلاثة اضعاف ما ينشر فى مختلف بلاد العالم العربى ــ احصائياً ــ ينشر فى القاهرة . كل عام حوالى (١٠٠٠ ــ ١١٠٠ عنوان) .. اعتقد ان ما ينشر فى عواصم العالم العربى لا يزيد عن «٣٠٠ ــ ٤٠٠» عنوان ــ باحصاء اليونسكو ؛ الهياكل قائمة فى القاهرة ... «هيكل المسرح» «هيكل المجلة» «هيكل دار النشر» «هيكل الجامعات» .. ولكن حقيقة هذه الهياكل .. تحتاج الى قدر كبير من الفاعلية .. كما كانت فى يوم ما فعالة .. انا فيما اتصور ؛ سبب عدم القدرة على الفاعلية .. لعدة أسباب .. مثلا .. ربما مازالت المسارح فى مصر .. ولكن الجيل الأول من الكتاب المسرحيين .. مثل «نعمان عاشور» «سعد الدين وهبة» «علي سالم» «محمود دياب» «الفريد فرج» «أنا» .. عطاؤهم قليل .. لماذا ؟

ربما وثبت اسماء جديدة .. لكنها لا تتمتع بنفس القدرة ــ معظمهم مقتبس .. أو .. او .. الخ ؛ . ربما جعلها لا تتمتع بنفس الحيوية او القدرة على العطاء .. ربما كان السبب ان الموجة الأولى اصابها قدر كبير من التعب .. او قدر كبير من الارهاق .. فهى تعطى بشكل ما ــ على مهل ــ ولم تولد الموجة الثانية ...

انا اعتقد ان الموجة الثانية من الكتاب تولد الآن .. مثلا فى وقت ما ــ بالنسبة للشعر ــ كان التصور ــ وانا اعتقد ان من الأصوات الشعرية الآن فى مصر ــ «أمل دنقل» «محمد ابراهيم ابو سنة» وهذا جيل قد اتى بعدنا .. ويجوز ان هناك فى الحياة المسرحية أصواتاً مازالت تولد .. ومازالت فى مخاض الولادة ..

فى الرواية : عندنا جيل ــ اعتقد انه من احسن الكتاب فى الرواية ــ «الغيطانى» «محمد يوسف القعيد» وكثيرون .. وروائى مصرى .. قراته منذ زمن بعيد .. اسمه «عبد الحليم قاسم» .. يعيش الآن مهاجراً فى المانيا .. هذه أصوات .. ربما كان عطاؤها ليس بمستوى العطاء الواسع الممتد .. كعطاء (نجيب محفوظ) .. لكن ربما لو اتيح لها سنوات نجيب محفوظ الطويلة .. سيكون لها عطاء مماثل او ربما تجاوزه احدهم أو جميعهم ..

وربما خرج الشاعر الذى يستطيع ان «يتجاوزنى» ويتجاوز «احمد حجازى» .. ففيما اتصور ان الحياة الأدبية .. تتقدم بطريقة الموجات .. موجة تتلوها اخرى .. ربما كان بين الموجتين فراغ ما .. او صمت ما ..

أزمة النقد الحديث

● الشاعر صلاح عبد الصبور .. لقد قرانا لنقاد عرب .. أصلوا للنقد الحديث . فى الأربعينات والخمسينات «طه حسين» «العقاد» «وجماعة الديوان» «واحمد أمين» و «محمد مندور» وتلاهم بعض النقاد العرب . الآن يبدو ــ النقد العربى ــ فى أزمة لماذا ؟!!

ــ النقد العربى فى أزمة فعلا .. دعنى اقل لك .. ان الناقد الصحفى .. أو المعلق الصحفى .. لابد أن يسبقه نوعان من النقاد .. الأول الناقد الذى يدرس النظرية النقدية .. بمعنى أن تاريخ النقد

من دراساته

● أصوات العصر ١٩٦٠
● ماذا يبقى منهم للتاريخ ١٩٦١
● حتى نقهر الموت ١٩٦٣
● قراءة جديدة لشعرنا القديم ١٩٦٨
● حياتي فى الشعر ١٩٦٩
● وتبقى الكلمة ١٩٦٩
● على محمود طه ودراسات مختارة ١٩٦٩ .. وغيرها .

مليء بالنظريات النقدية .. مثلا – إذا استطعنا بشكل ما .. ان نلخص هذه النظريات . ولنقل ان هناك مدرسة اجتماعية فى النقد تعنى بالبيئة والمجتمع .. وتتصور الأديب ثمرة لمجتمعه فهى تدرس المجتمع وتدرس احوال المجتمع الاقتصادية والسياسية . الخ .. ثم ترى مدى تعبير الأديب عن هذا المجتمع .. وهناك مثلا المدرسة النفسية التى تنظر الى الادباء كافراد وتحاول أن تتغلغل فى نفوسهم .. وتتبين نوازعهم النفسية وترد انتاجهم الادبى الى هذه النوازع .. وربما غلت هذه المدرسة فزعمت الأدباء جميعهم مرضى .. وعصابيين بشكل ما وانهم يعبرون عن ذلك ..

وهناك المدرسة التحليلية بمختلف اتجاهاتها والتى تتوقف عند اللغة .. والأبنية اللغوية .. وعند الأبنية الصورية .. وتعنى بتحليل النص – بغض النظر عن قائله ؛ . ولكل من هذه المدارس تفريعات واضافات .. وهذه المدارس تستقبل كل يوم .. نقاداً جدداً يراجعون مقولات هذه المدرسة ويضيفون اليها . او يستبعدون منها .. وهكذا .. تاريخ المدرسة الاجتماعية مليء بالنقاد .. عندنا «لوكاتش» واخرون كثير .. النفسيون ، أول ما تحدث «فرويد» و «يونج» .. واتجاهات واسعة .. هل هذه الاتجاهات ممثلة فى بيئاتنا النقدية ؛ . لا .. بل انا ازعم انه حتى المدرسة البلاغية العربية .. وروادها .. ابن سلام» و «الآمدى» و «الجرجانى» و «الباقلانى» وغيرهم .. ليست مستوعبة فى العقلية النقدية العربية .. فنحن نريد ان نقفز من الأصول .. الى الفروع – متمثلا بالنقد الصحفى ؛ . مؤرخ الأدب الناقد الذى يدرس تاريخ فترة .. أو يدرس مدرسة او اتجاها .. كان يصنع كما درس العقاد ابن الرومى .. أو طه حسين – حين كتب حديث الأربعاء .. أو الشعر الجاهلى .. نحن نقفز من كل هذا الى النقد الصحفى ؛ الناقد الصحفى .. يكتب مرة عن التلفزيون . ومرة عن الكرة . ومرة عن السينما .. ثم يتلقى كتاباً ويحاول ان يدلى برايه ؛ انا اعتقد انه لابد ان نطالب – الأكاديميين – بان يؤصلوا الدراسات النقدية ؛ وان ينقلوها نقلا طيبا للقارىء العربى .. من خلال هؤلاء الأكاديميين .. سيولد جيل جديد من النقاد الصحفيين ..

● ولكن لابد من استمرار النقد الصحفى .. لتعريف الجمهور بما يصدر .. واظن أن هناك وظائف ومهمات متعددة للنقد .. يجملها «مندور» بثلاث نقاط .. او انواع .. «الشرح ؛ والتقويم ؛ والتفسير» .. فالنقد الصحفى – كما اظن – يقع فى مجال «الشرح» أو «التفسير» .. اما مجال «التقويم» فمتروك للاكاديميين ...

— — — — — — — —

– أنا لست ضد المعلقين الصحفيين ؛ بالعكس .. هناك كثير من نقاد العالم الحديث .. كالناقد الأمريكى المشهور «ادموند ويلسون» .. كل كتاباته النقدية مراجعات للكتب .. ونشرها فى مجلات ومن خلال هذه المراجعات تتكون ثقافته النقدية .. وإطاره كناقد كبير ..

ولكن سبق تصديه لدور المراجعات للكتب ، الملم واسع جداً بتاريخ النقد والنقد ذاته . وسبق هذا تبنيه لرؤية معينة بالنسبة للنقد ؛

فنحن نحتاج الى التاصيل ؛ والمدهش اننا خلال هذه السنوات الطويلة ، لم تحدث لدينا عملية التاصيل .. لأن هناك كسلا اكاديمياً .. ولعل هذا الكسل يتبدى بالنسبة للبلاغة العربية نفسها ؛ نحن تعلمنا فى المدارس «ان المحسنات اللفظية» عملية هابطة فى العمل الابداعى .. واقع الأمر انها ليست كذلك .. ولكنها لو استعملت استعمالا جيداً ستكون جيدة .. ولو استعملت بشكل متكلف ستكون هابطة ..

والواقع ان المحسنات هذه .. تدخل فى احدث نظريات النقد الأدبى الحديث . ولاسيما فى تحليل اللغة .. لأن الجناس اذا استعمل بشكل جيد ، يبقى من القيم الهامة .. ويكون فى قصيدة او فى بيت «لشكسبير» أو «لميلتن» او «لديلان تومس» الخ .. من محاسن الشعر ان بها جناساً . فلماذا نحن ثابتون عند هذه الافكار – غير العلمية – ولم نحاول ان نستكشف .. هل البلاغة العربية يمكن ان يستنفذ منها شيء .. حيث يكون نظرية نقدية ام لا ..

● أم ان الأمر .. يتعلق بان «محمد مندور» و «لويس عوض» .. وجيلهما .. لم يستطيعا ان يقيما حركة نقدية تتابع جهودهما النقدية الاصيلة باستثناء ناقد أو ناقدين ؟

— — — — — — — —

– اقول لك شيئاً .. «مندور» و «لويس عوض» وغيرهما .. هؤلاء تربوا فى الجامعات .. وهم خرجوا الى الصحافة الأدبية بعد ان انفقوا عمراً بالدراسة الأكاديمية .. «يعنى» مندور – الله يرحمه – ظل تسع سنوات فى فرنسا .. وتحدثنا كثيراً انا والدكتور مندور ... حتى ان مندور رجع من فرنسا دون ان يحصل على درجة الدكتوراه .. ولكنه درس أشياء هامة جداً .. كنا نجلس للحديث عن هذه الفترة .. فحين درس تاريخ العمارة .. واخذ بها «الدبلوم» درس «النحت» ودرس «المسرح اليونانى» .. وجمع مجموعة من الدراسات .. حين عاد الى مصر .. قيل له فى الجامعة .. «بانه لا يحمل الدكتوراه» فقال له المرحوم – احمد امين – اجلس واكتب الدكتوراه .. ونعطيك سنتين لتكتب الدكتوراه .. فقال له مندور ؛ لا .. بل ساكتب الدكتوراه بـ (٨) أشهر .. وفعلا كتب رسالة الدكتوراه «النقد المنهجى عند العرب» – وهى كتاب من أبدع الكتب – فى بضعة شهور .. وحصل بها على الدكتوراه من القاهرة .. وليس من باريس..

ولكن فترة التحصيل الطويلة هذه .. هى التى جعلت منه ناقداً .. بعد ذلك انتقل للكتابة فى الصحف .. وظل يكتب مقالا فى صفحة ؛ ولكن وراء هذا المقال الذى كتب فى صفحة ، حصيلة عمر واسع من القراءة والكتابة ؛ .

وكذلك «لويس عوض» .. إنما ان يثب الى الصحيفة . ناقد غير مستكمل الأدوات النقدية – فهذا غير صحيح .. انا لا اتصور كيف يتصدى لنقد الشعر .. كاتب لا يعرف كيف يقرا البيت جيداً .. فاذا لم يكن يعرف اللغة العربية . وأسرارها .. ولا يعرف العروض ؛ فكيف ينقد الشعر العربى .. وهو لا يعرف تاريخ الشعر العربى .. من أيام «المهلهل بن ربيعة» – الذى يقال .. انه اول من «هلهل الشعر» .. لاشك أن بين صلاح عبد الصبور .. ومهلهل بن ربيعة عرق ممتد .. واطلاق وجهات نظر على هذا الشاعر او ذاك بشكل منفرد عن تيار الشعر فاذا لم يعرف هذا الكاتب هذا التاريخ الشعرى فكيف يسمح لنفسه للتصدى لقراءة هذا الشعر ..

أجيال بلانقاد

● ومع ذلك . نحن نعانى من فقر شديد فى النقاد .. لقد اتيح «للسياب» و «البياتى» و «نازك» و «صلاح عبد الصبور» .. نقاد ودارسون وشراح ..

الآن هناك جيل من الشعراء والأدباء بلا نقاد !! وكان الأمر لا يعنى احداً ...

— — — — — — — —

● نعم .. كثيراً ما اسمع الأدباء الشباب ، يقولون «نحن جيل بلا نقاد» .. لا نجد من يقدمنا للجمهور .. وانا اقول لهم : «والله إن هذا الوضع افضل لكم» .. لأن النقاد سيضيعونكم .. لان الاديب ينمو على مهل .. على نار هادئة .. انا لو كنت شاعراً جديداً .. واريد النظر فى شعرى اعرضه على شعر اسلافى من الشعراء الكبار .. وارى ماذا ينقصه ، واحاول ان اكتسب من فنية وحرفية وشفافية ورؤية هؤلاء الكبار .. ثم اضيف الى الشعر .. وهذا هو النقد الحقيقى .. الأديب هو ناقد نفسه ...

● ولكن الا ترى ان هذا بؤسا فى الثقافة العربية .. ان لا يوجد نقاد لأجيال من الأدباء الطالعين ؟

— — — — — — — —

– الى حد ما .. لكن لكى نتغلب على هذا الواقع .. لابد ان نبدأ من البداية .. وهو ان يكون لدينا الناقد الأصيل .. فالنقد ليس ترفاً .. كان النقاد يستعلون على الأدباء .. انا احيانا امارس النقد .. واقول : إن اقصى ما استطيع ان افعله

ماذا؟!! فى الف باء أبْصَرَ القاريء .. بالاديب .. فكاني اروج له ، فيقرا شيئاً يحبه .
جديدة لشعرنا القديم .. اريد ان اقول للقارىء منذ المقدمة .. اننى اريد ان امهد له طريقاً للدخول الى ما احبه فى الشعر القديم ..

عندما كتبت عن بعض المجموعات القصصية لبعض الشبان .. لم يكن همى ان اقول للأديب الشاب انت فعلت كذا .. إنما همى كان ينصب على ان يقرا القارىء المقال ؛ فيحب ان يتحدث عنه ؛ لاننى القيت بعض الأنوار عليه ؛ واضات للقارىء طريقاً الى هذا الكتاب .. فيحب هذا الكتاب ويبحث عنه ويقراه .. هذا هو الدور المتواضع لي كمتذوق ..

إنما يزعم الناقد انه يصوب الأديب .. طيب ؛ تصوب الأديب كيف ؟!! وانت لا تعرف الأدوات التى استعملها ..

اريد أن اقول لك بصراحة .. اننى كثيراً ما اتصفح مقالات مكتوبة عن بعض كتب او دواوين لي ولا انظر فى المقالة إلا فى (فقرة) او (فقرتين) .. ثم اقول : «اما» .. هذه المقالة ترضينى او هذه المقالة لا ترضينى .. ربما اذا وجدت بعض التقريض ؛ فانى اسعد قليلا .. لكنى لا اكمل المقال .. واذا كان بها نوع من النقد أو الاستدراك او تحرى العيوب ؛ فاقول : إن هذه المقالة تاخذ وجهة نظر لا احبها .. وطبعاً لا اقرا المقال ..

بمعنى «اننى قلما اقرا مقالا — وهذا اعتراف — يتناول كتاباً من كتبى ؛ إلا لناقد اعرفه .. ناقد استفدت منه ؛ وقرات له عن قضايا نقدية .. هذا يعطينى معلومات ..» فهل هناك ناقد عربى يحمل القدر من المعلومات الكافية ؛ ليفيد منه الأديب ؟!! نعم هناك كثير ولكن الغالب على الكتابات الصحفية .. لا يوجد مثل ذلك الناقد المتخصص .. ربما اكون دائم المطالبة لما اسميه «العودة الى المنابع» «انا لا استطيع ان اتحدث عن ارسطو .. دون ان اقرا «ارسطو» إذا لم اقرا ارسطو ؛ فلا يحق لي على الاطلاق ان اتحدث عن ارسطو سماعاً ..

اذكر مرة .. ان صديقاً صحفياً جاء يسالنى «ما رايك فى موجة الرواية الجديدة ..» قلت له «لا اعرف عنها شيئاً .. لاننى لم اقراها جيداً» .. وقتها كانت «ناتالى ساروت» و «آلن روب جرييه» رائجين .. وهما من اعمدة الرواية الجديدة .. فقلت له : «انا لم اقرا عنها شيئاً .. فقال لي : «قل اى كلام .. !!»

المدهش اننىبعد ثلاثة ايام اتصفح الجريدة .. فاجد ان مجموعة من الاخوة يبدون اراءهم بما يسمى «بالرواية الجديدة» .. رغم اننى اعرف ان نافذة قراءتهم لا تتسع للغة الفرنسية وكذلك وقتهم لا يتسع لقراءة .. «آلن روب غرييه» و «ناتالى ساروت» وغيرهم .. لكننا يبدو اننا اعتدنا على الترخص فى القول ؛ بشكل ما .

من اشعار صلاح عبد الصبور

(أحبك)

كم مرة جاشت بى الكلمه
وبدت لعيني وهي تستاني
فوق الشفاه رقيقة تحني ؛ جيداً .. وتستدني
خدين مضمومين فى بسمة
وتكاد تغلبني على قصدي
لاقول ما اعني
....
واعود اذكر مرة سلفت
عامين من باسائها اغترفت
روحي الكتوم لانها اعترفت
وسقطت تحت سنابك الكلمه ..
....

(أغنية للشتاء)

ينبئني شتاء هذا العام انني اموت وحدى
ذات شتاء مثله .. ذات شتاء
ينبئني هذا المساء ، اننى اموت وحدى
ذات مساء مثله ، ذات مساء
وان اعوامي التى مضت كانت هباء
واننى اقيم فى الصحراء ..
ينبئني شتاء هذا العام ان داخلي
مرتجف برداً
وان قلبي ميت منذ الخريف ..
فقد ذوي حين ذوت
اول اوراق الشجر ..
ثم هوى .. حين هوت
اول قطرة من المطر ..
وان كل ليلة باردة تزيده بعداً
فى باطن الحجر
وان دفء الصيف إن اتى ليوقظه
فلن يمد من خلال الثلج اذرعه
حاملة ورداً
ينبئني شتاء هذا العام ان هيكلي مريض
وان انفاسي شوك
وان كل خطوة فى وسطها مغامره .
وقد اموت قبل ان تلحق رجل رجلا
فى زحمة المدينة المنهمره ..
اموت لا يعرفني احد ..
اموت لا يبكي احد ..
وقد يقال ، بين صحبي ، فى مجامع المسامره
مجلسه كان هنا ، وقد عبر
فيمن عبر ..
يرحمه الله ..
ينبئني شتاء هذا العام ان ما ظننته
شفاي كان سمي ..
وان هذا الشعر .. حين هزني اسقطني
لست ادري منذ كم من السنين قد جرحت
لكنني من يومها ينزف راسي
الشعر زلتى التى هدمت ما بنيت ..
من اجلها خرجت
من اجلها صليت .
وحينما علقت كان البرد والظلمة والرعد ..
ترجيني خوفاً
وحينما ناديته ، لم يستجب
عرفت انني ضيعت ما أضعت
ينبئني شتاء هذا العام اننا لكي نعيش فى الشتاء
لابد ان نخزن من حرارة الصيف وذكرياته دفئاً
لكنني بعثرت كالسفية فى مطالع الخريف ..
كل غلالي ، كل حنطتي وحبي ..
كان جزائي ان يقول لي الشتاء اننى
اموت وحدي ..
ذات شتاء مثله ، اموت وحدى .

المسرح الشعري

● صلاح عبد الصبور ؛ انت احد اهم اعمدة المسرح الشعرى فى الوطن العربى ؛ لماذا انحسار موجة «المسرح الشعرى» .. ؟

— — — — — — — — — —

● كان من المفروض ان تتوالى المسرحيات الشعرية من بعض الاخوة الشعراء .. ولكن فى الواقع ؛ المسرح الشعرى فن صعب ؛ وصعوبته ان كاتبه يجب ان يكون مسرحياً وشاعراً ؛ والشاعر بطبيعته مغن ؛ والشعر بطبيعته فن اعتراف ؛ والمسرحى حكاء .. ومن يريد ان يحاول فى المسرح الشعرى ان يوفق بين طبيعة الاعتراف وطبيعة الحكاية ربما هذا يحتاج الى شيء من التاصيل فى ثقافتنا العربية لان ثقافتنا العربية معظمها غنائي .. والحس الدرامي ربما كان من الأمور الوافدة علينا .. بالنسبة لي ..
ربما كنت فى هذه الفترة مرهقاً باعباء كثيرة .. لأن المسرحية تحتاج الى البقاء فى حالة عقلية ونفسية واحدة لفترة طويلة ؛ المسرحية عادة تكتب فى بضعة شهور .. وتحتاج الى ان يظل كاتبها شهوراً على حال نفسية وذهنية واحدة .. واعتقد ان هذا لم يتح لي فى السنوات الاخيرة .. فلدى بعض الأعمال .. غير اننى مشتت فى اعباء جانبية .. ولكننى ارجو ان يتاح لي الوقت .. فانا الآن اشرع فعلا — فى كتابة مسرحية شعرية — وارجو ان اتمها فى الشهور القادمة ..

حسان عطوان

إلى صلاح عبد الصبور..

روحا حزينا كالناس في بلادي

شعر: مجاهد عبد المنعم مجاهد

عبثاً تنتظرين على الناصية ، فجسمى حتى لو كان هنا فى القاهرة أنا روحى
ليست فى أوردتى فانا روحى تركب متن الريح
أتمنى لو يحملنى رخ الحريه .. أرضى أن يخطفنى يبعدنى عن هذى
الأرض الطينيه .. يرمينى فى بحر الأبديه .. ويوسع
آفاقى ويطيرنى فى الأبعاد بغير تصاريح
أعرف أن الليلة ليلة ميلادى لكن أحزانى اشتعلت
فى أعوادى أبقتنى ناراً تتقد ولكن من تحت رمادى
حتى لو كان الجسم صحيح
أعرف أنك جئت حملت السعد لونت بسمتك الحلوة
منك الخد وحملت اليَّ الورد .. مع أنى أحتاج
الوردَ لأنى قبل الموت أقيم لروحى ألف ضريحْ
محشور فى الدنيا والطرقاتُ احتشدتْ بالناس فأين
سأزرعك أيا عود النرجس والآس ؟ وكيف
سأسترجع أنفاسي ؟ ولهذا أتنهد بالحزن
ويملأنى الحزن تباريحُ !
نحن تداخلنا وتدافعنا وتقدمنا وتراجعنا ألقتنا الدنيا صرعى
وتحجرت الأعين فينا ما عادت تمطرنا دمعاً وتشققَتِ
الأرضُ ولكن لم تُخرج زرعاً واكتست الأرضُ
بقصدير وصفيح
ولهذا أبدو كالظل المائل أنكمش وأصبح فى الداخل
لا أدخل فى أى حوار حتى مع صمتى القاتل ..
ولهذا أجري أجري كالمجنون أصيح
الآن أنا ألمح أخدودى مسلوبٌ من جلد وجودى
ضاعت نارى من عنقودى والعصر شحيح
إنى مسلوبٌ ، وبلا ذنبٍ مسلوب فُقدت روحى قلبى



معطوب ولهذا أهرب للريح عليه أريح الصدر أريحْ
كيف أواجه هذى الدنيا وهى كما الحاوى ؟ ما عدت أنا
أملك عمرى الذاوى لن يُجدى إن جئتِ بأى
بخور أو «جاوى» .. لن يجدى أىُّ بَخور أو شيحْ
وحدى أحتفل بعيد الميلاد ولا يصحبنى حتى نجم فى
الأبعاد أتمدد فى فرشى أتمنى لو حان الآن
رقادى .. روحى للحزن وللذبح أبيحْ
مع أنى كنت أنا أتمنى أن نجلس هذى الليلة فى
ركن ناء .. أفرش لكِ منديلى وأمدُّ سمائى
أفتح فى عينيكِ شبابيكَ هنائى
لكنى مضغوط فى السيارات ومأخوذ أبحث عن مأكولاتى
مطرود لا أعرف لي سكناً لحياتى مع أن الكونَ فسيحْ
معتذر جداً عن نكران جميلِكِ .. لا تعطينى حتى عِطرًافى
منديلِك .. لا تبدى اشفاقاً لقتيلك ..
إنى أهرب مبتعداً عنك أشيحْ
هذى الحالة ليس لأنى أوشكت على الخمسين فحزنى
أستشعره وأنا ابن العشرين فكيف أشيلُكِ أحمل
همَّكِ والدنيا ترمينا معذرةً إن كنت صريحْ
وجه الأرض قبيح ... والأحزان مصابيح .. والناس
مجاريح ..
هذا ما قالته الريح : «وجه الأرض قبيح .. والأحزان
مصابيح .. والناس مجاريح»
هذا ما قالته الريح .. هذا ما قالته الريح .. هذا ما قالته
الريح .. هذا ما قالته الريح



لقطة من فيلم لقاءات قريبة مع الجنس الثالث الذى يعيش فى الكواكب الأخرى

رسالة مهرجان "كان" السينمائي

بقلم : رءوف توفيق

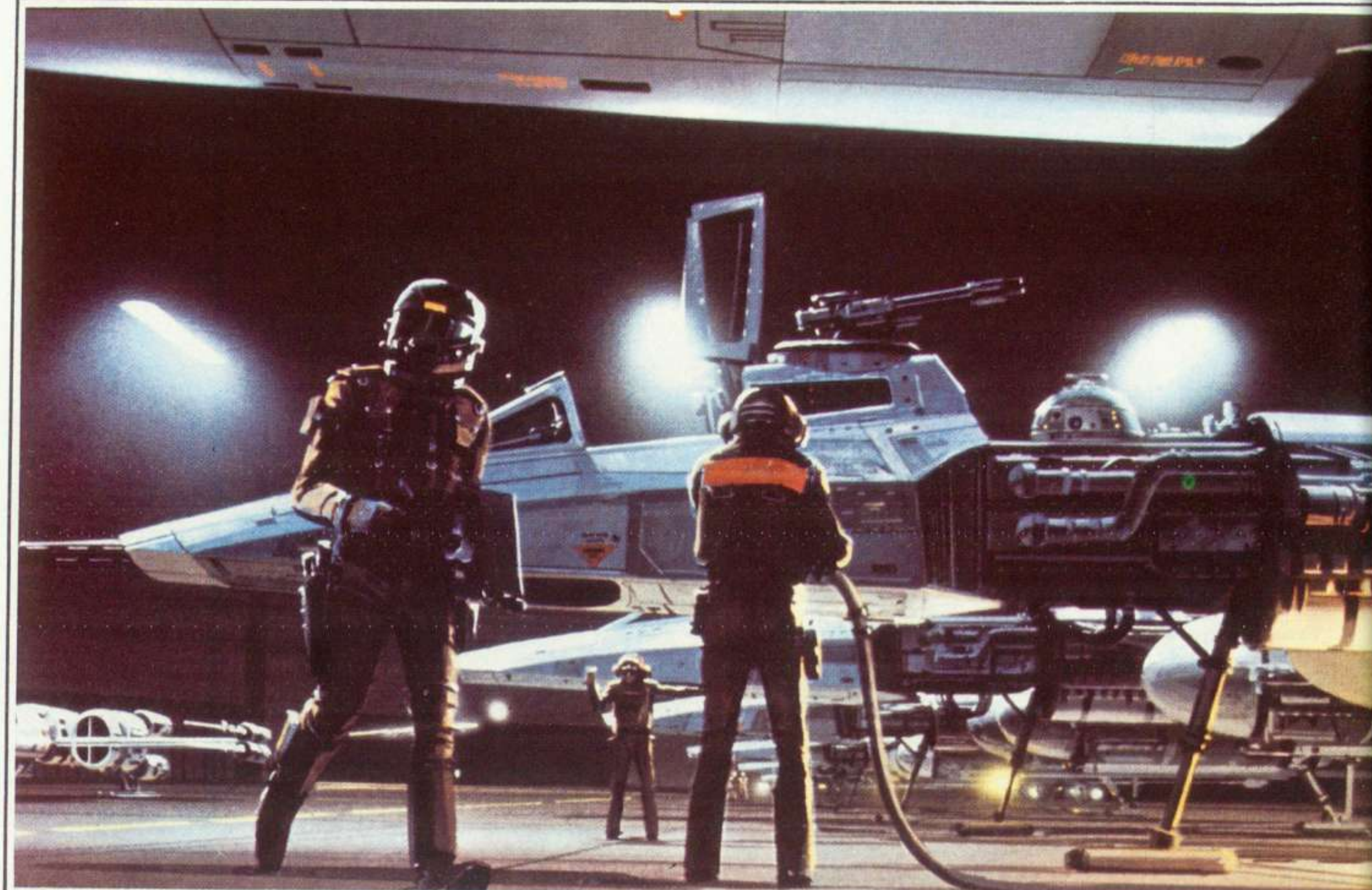
سينما

الأسطورة والخيال في السينما

« أحك لنا حكاية ياماما » .. عبارة قلناها كثيراً ، عندما كنا صغاراً ، نتدلل على أمهاتنا .. لنستمتع بالدفء والحنان والحب .. ولنغرق في النوم اللذيذ مع صوت الأم وهي تروي لنا الأساطير والحكايات .

ولأننا كبرنا .. وخبرنا الدنيا .. وتعبنا .. ومللنا .. وفقدنا الدفء والحنان .. فقد رأى بعض فناني السينما أن يعيدونا الى فترة الطفولة .. وأن يقوموا هم برواية الأساطير لنا .. ربما استعدنا هذه المتعة القديمة !

وأشهر من قدم الأساطير على الشاشة .. هو الفنان «والت ديزني» .. ومع تطور العصر .. تحولت الأساطير الى الفضاء والكواكب .. وبدأت موجة من الأفلام التى تعتمد على الخيال العلمى .. وربما أشهر هذه الأفلام ، وأكثرها نجاحاً : فيلم «حرب الكواكب» الذى حطم الأرقام القياسية فى الايرادات فى تاريخ السينما !!



فيلم حرب الكواكب

ومع نجاح «حرب الكواكب» .. عادت افلام فانتازيا الخيال ..

ويعترف المخرج الايرلندى « جون بورمان » .. أن نجاح « حرب الكواكب » دفعه الى تحقيق حلمه القديم ، الذى ظل يحلم به لأكثر من عشرين عاماً ، لاخراج فيلم عن اسطورة الملك آرثر .. وكاميلوت .. وفرسان المائدة المستديرة .. والساحر « ميرلين » !

وظهر الفيلم أخيراً بعنوان « السيف السحري » .. وعرض لأول مرة داخل المسابقة الرسمية لمهرجان كان لهذا العام .. وحقق تقديراً كبيراً بين نقاد العالم .. وفاز بجائزة استحدثتها لجنة التحكيم .. هي جائزة « أحسن اسهام فني فى المهرجان » .. وفى بيان للجنة التحكيم بررت هذه الجائزة بقولها « للقيمة الشاعرية والبصرية والتكنيكية التى يمتاز بها الفيلم » .

ولا جدال .. أن الفيلم متعة حقيقية للعين .. فهو يأخذنا الى زمن ساحق ..



الملك أرثر فى فيلم السيف السحري

ليجسد لنا شخصيات الأسطورة ، وسط طبيعة بدائية فيها التوحش .. وفيها الجمال .. !

ويسحبنا الفيلم تدريجياً لنعيش الحدوتة .. وقد نرفض فى البداية أن يعاملنا الفيلم وكأننا أطفال .. ونقاوم الفكرة .. ولكن بعد قليل .. تسقط المقاومة .. ونستمتع تماماً بحكاية الساحر والملك والمرأة الشريرة والسيف السحري .. وقد برع الممثلون في تأدية أدوارهم .. وأضاف عليهم مصممو الأزياء والأقنعة، جواً من الغموض والخيال .. فبدا كل شيء عملا فنياً شديد الاتقان لا تملك إلا أن تعجب به .

وهكذا أعادنا الفيلم الى زمن البراءة .. براءتنا نحن .. عندما كنا نتعامل مع الأشخاص والأشياء .. ببساطة ووضوح وصدق !

وهذه نقطة الخلاف الجوهرية بين



هذا الفيلم «السيف السحرى» وبين فيلم « حرب الكواكب » .. فبالرغم من أن كليهما يعتمد على الخيال .. إلا أن الخيال فى فيلم السيف السحري .. يقوم على اسطورة قديمة ومتداولة ومحاولة اعادة روايتها بأسلوب مختلف .. أما فيلم « حرب الكواكب » يستخدم كل وسائل الابهار الفني ، وألاعيب التكنولوجيا فى السينما .. ليلوي أعناقنا مع حدوته الخير والشر ـ نفس الحدوتة الأزلية ـ ولكن فى هذه المرة بين سكان الكواكب والمجرات الفضائية .. وسط حشد هائل ومخيف من الماكينات والأزرار والأشعة والأضواء الباهرة .. !

ولا أنكر ـ شخصياً ـ عدم ارتياحي لفيلم « حرب الكواكب » الذى أخرجه «جورج لوكاس» .. فهو فيلم أشبه بلعب الأطفال التى تحدث فرقعة وضجيجاً.

ولا تدري ما المقصود منها ، ولا المتعة التى يحدثها .. ورغم كل النجاح التجارى الذى حققه هذا الفيلم ، إلا أنه فى النهاية شهادة للصناعة السينمائية لا أكثر ولا أقل .. فهو فيلم الحيل والخدع والمؤثرات الصوتية والضوئية !

ولم ينج من سلسلة أفلام الفضاء ـ التى تلت هذا الفيلم ـ سوى رائعة المخرج «ستيفن سبيلبرج» والتى ظهرت عام ١٩٧٨ بعنوان « لقاءات قريبة مع الجنس الثالث » حيث قدم مزجاً ما بين الواقع والخيال فى ظاهرة الأطباق الطائرة .

وتحقق افلام الفضاء ـ حتى الآن ـ اقبالا شديداً من جمهور المراهقين والشباب فى أمريكا وأوربا .. وسط موجة هائلة من الاهتمام المبكر عند هذه الأجيال الشابة .، لكل الظواهر العلمية المترتبة على اكتشافات الفضاء ..

والملاحظ أن الكتب والروايات الأدبية المعتمدة على الخيال العلمي .. تحقق أرقاماً قياسية فى التوزيع .. وقد استثمرت صناعة السينما الأمريكية هذه الظاهرة ، للاستفادة منها تجارياً ..

والسؤال الآن .. هل سيؤدى النجاح الفني لهذا الفيلم ـ بين النقاد ـ إلى خلق موجة من الاهتمام الجماهيرى .. وبالتالي إحداث خلخلة فى ظاهرة الاكتسلح التجارى لأفلام الخيال العلمي فى الفضاء ؟!

أم أن الأمر سيكون فقط مجرد اعادة توازن .. ما بين الأساطير القديمة .. وشطحات الخيال المستقبلي .. ؟

لا أجابة محددة الآن .. وربما تكفلت الأيام القادمة بتوضيح الاجابة !



نموذج للملابس والدروع
فى فيلم السيف السحري



احتفالات الفرسان مع الملك أرثر

ماذا تقول الأسطورة ؟

واسطورة الملك أرثر .. والسيف السحرى .. يبدأها الفيلم من بعد نهاية حرب دامية طويلة ، فى هذه الغابات الكثيفة الغامضة والتى تحيط بقلعة «تينتاجـل» حيث يموت الملك ويغمد سيفه السحري (أكسكاليبور) فى قلب حجر من الجرانيت الصلب . ويصبح حكم البلاد مرهوناً بمن يستطيع أن يستل السيف من مكانه .. ويتبارى نبلاء تلك المملكة وفرسانها فى الحصول على السيف دون جدوى .. فكأنه أصبح جزءاً من الحجر .. الى أن يأتي هذا الشاب الصغير الذى ما أن يقبض على السيف ..حتى يلين له .. فينتزعه بسهولة وكأنه يجذب شعرة من عجين .. ويضيء السيف السحري .. ويهلل الجميع فرحاً وسط ذهول الشاب وعدم تصديقه .. ويتم تنصيبه ملكاً .. وهكذا يصبح «أرثر» ملكاً ويتولى الساحر «ميرليـن» الوقوف جانبه بالنصح والارشاد والسحر أيضاً .. فهو الساحر الذى لا تنضب ألعابه .. وتتعاقب الأفراح والانتصارات فى المملكة .. بعد أن ينجح الملك أرثر فى جمع شملها .. وتنهض كاميلوت كبرج من الفضة يعكس أشعة الشمس .. ويلتقى فرسان المائدة المستديرة . وتتجسد آراؤهم فى الحق والقوة من خلال الفارس « لانسلوت » .

ويسعى الملك أرثر للزواج من « جنيفر » فى عرس يضيء الغابة كلها ..

ولكن هذا العصر الذهبي لا يستمر طويلا .. ففرسان المائدة المستديرة سرعان ما يدب بينهم الخلاف .. ويحاول أحدهم أن يستولى على (جنيفر) زوجة الملك أرثر .. فينبري له الفارس (لانسلوت) ويقاتله فى معركة شرسة .. يصاب فيها بجروح .. وعندما تذهب اليه (جنيفر) لتضمد جراحه وترعاه .. تنقلب الرعاية الى حب وشهوة .. وتتحول المفاجاة الى كارثة شديدة الوطأة !!

ويعجز الساحر (ميرلين) عن المساعدة .. ويفقد السيف السحري مفعوله .. ويضطر الساحر الى أن يذهب الى الساحرة الشريرة (مرجانة) فى هذا الكهف الذى تتكون جدرانه من سلاسل التنين .. وهناك يتحداها الساحر (ميرلين) أن تحدق فى عين التنين وتختفى .. ولكن الساحرة مرجانة كانت قد فهمت واستوعبت اسرار السحر عند (ميرلين) .. فتستخدمه ضده .. ويفقد (ميرلين) كل قوته ويستسلم .. ويتحول الى جزء معتم متجمد ..!



الملك آرثر وزوجته «جنيفر» .. والفارس «لانسلوت»

وهكذا ينتصر الشر .. وتصبح الساحرة (مرجانة) حرة .. تحول سحر (ميرلين) لصالحها .. وتتجسد فى هيئة (جنيفر) لتغوي آرثر .. وتنجب منه ابناً « موردرد » الذى يولد من أجل شيء واحد .. أن يغتال والده .. ويطالب بالعرش !!

وهكذا تولد الخيانة والتآمر .. لتفسد كل شيء !

وكما تنبأ الساحر (ميرلين) فان نفسية الملك أرثر المنهارة .. انعكست على البلاد .. ولم يبق غير شيء واحد يمكن أن ينقذ كاميلوت ويعيدها للمجد .. أن يقوم فرسان المائدة المستديرة فى البحث عن الخلاص .. ولكن الساحرة (مرجانة) تراقب كل شيء وتنتظر ، وتبنى لابنها الحصون المسحورة .. !

ويخوض الفرسان معاركهم المريرة ، عبر سنوات طويلة .. ولكن يسقطون الواحد تلو الآخر .. مخدوعين بأعمال السحر .. ويذبحون في نهايات وحشية .. إلى أن يظهر بينهم (سير بريسكيفال) الذى يحل اللغز ..

ويستجمع الملك آرثر قواته .. ويستعد لمعركة يواجه فيها ابنه الضال الشرير .. ويظهر من جديد الساحر (ميرلين) ليستخدم سحره لمرة واحدة وأخيرة ويستل الملك سيفه السحري .. ولكن الابن يصيبه فى مقتل .. وينتهي الملك .. ويبقى سيفه فى انتظار انتقام الملك القادم !

أين الحقيقة فى هذه الاسطورة ؟

ما هي الحقيقة فى هذه القصة ؟ وماهو الخيال ..؟ .. لا أحد يعرف بالضبط ..

وكما يقول المؤرخون والباحثون .. ان الملك آرثر حكم فى وقت ما خلال القرن الخامس الميلادى فى غرب انجلترا .. وبعد سبعة قرون انتشرت اسطورته .. وفى نهاية القرن الثاني عشر .. دخل الأدب من خلال كتاب «تاريخ ملوك بريطانيا » .

وتناقل الأسطورة جيل بعد جيل .. وأعاد روايتها مؤلفون وشعراء وفنانون .

وللتحقق من الاسطورة ظل المخرج «جون بورمان» يبحث عن أصولها وتفسيراتها .. وقرأ كل ما كتب عنها .. ولجأ الى كتاب الشاعر « ت.س.اليوت» الذى روى الاسطورة بشكل مختلف تماماً .. ويقول المخرج : (عندما أدركت اننى لا أفهم شيئاً .. اتضح لي ما قاله اليوت فى كلمة من أن هذه القصيدة يجب أن تحس قبل أن تفهم .. لحظتها بدأت الاسطورة تتحقق أمامي) !

وتابع المخرج قراءاته .. حتى ما كتبه فرويد تحليلا لشخصية الساحر «ميرلين» ..

من هو الساحر «ميرلين» ؟

والساحر «ميرلين» .. هو أول من جذب المخرج « بورمان » للدخول الى عالم الأسطورة .. يقول بورمان : (لقد كنت مفتوناً بشخصية ميرلين .. مأخوذاً بنزواته ، وتركيبته الذهنية ، وقوته الجسدية ، وباختصار شعرت بأنه رجل حديدي) .

وفى «فيلم السيف السحري» ركز المخرج على شخصية الساحر «ميرلين» الشجاع المقاتل .. الموجود دائماً بابتسامته المميزة فى جميع أنحاء مملكة آرثر .. وهو قادر على مواجهة جميع المواقف ببطولة أسطورية .. فهو يظهر كانسان مليء بالمشاعر الانسانية فى المواقف التى تستدعي ذلك .. وكمقاتل

يسفك الدماء فى مواقف الغدر والخيانة .. وهو يلجأ للسحر أحياناً .. وللفن الخالص أحياناً .. وقد استخدم السحر الحقيقي والسحر المزيف من أجل أن يصل الى المكنون الحقيقي للرجال ، ليسرد من خلالهم أحداث الأسطورة .

وسيناريو الفيلم الذى شارك فى كتابته المخرج بورمان مع الكاتب « روسبو بلنبرج » صاحب الرواية الأصلية المأخوذ عنها الفيلم .. اهتم بشخصية الساحر وأضاف اليها أبعاداً رمزية .. فهو الرجل القادم من أعماق التاريخ .. من زمن اتحد فيه المألوف مع الخارق .. الى عصرنا الحالى الذى يعتمد على العقلانية المفرطة ليحدثنا عن الخيانة .. والشر .. والحب .. والقوة .. والخير .

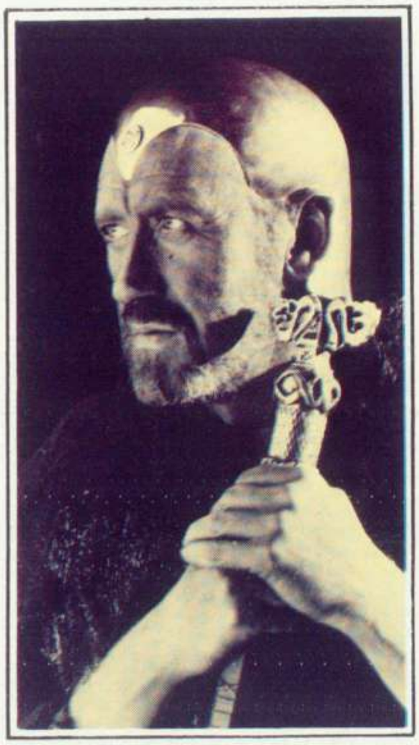
وجسد شخصية الساحر .. الممثل الاسكتلندى البارع « نيكول ويليامسون » الذى استفاد من خبرته كممثل مسرحي فى اسلوب النطق ، والتعبير الصامت الموحي بأعمق الدلالات .. فهو أحد نجوم مسرح شكسبير الملكي .. وهو أيضاً الممثل السينمائي الذى تنقل بين السينما الانجليزية والامريكية .

لماذا أيرلندا ؟

والمخرج « جون بورمان » ـ عمره ٤٧ عاماً ـ من أبرز مخرجي السينما الانجليزية .. وقد عمل فى بداية حياته الفنية ناقداً .. ثم تحول الى التليفزيون .. وعمل في الأفلام التسجيلية لمدة عامين .. وأخرج أول أفلامه الطويلة عام ٦٥ .. ثم انتقل الى الولايات المتحدة الأمريكية ليخرج فيلمين هناك .. ويعود الى انجلترا ليقدم عام ٧٠ فيلم « ليو الأخير » الذى فاز عنه بجائزة أحسن مخرج فى مهرجان كان ٧٠ .. وبعده بعامين قدم «انقاذ» الذى رشح لجائزة اوسكار أحسن فيلم وأحسن اخراج .. ثم قدم «زاردوز» الذى يتعرض لتاثير السحر على العلم فى المستقبل .. و ذلك بفيلم « طارد الأرواح الشريرة ـ الجزء الثاني » وهو أيضاً يتعرض للسحر !

ويستكمل المخرج « بورمان» رغبته فى الخوض فى عالم السحر والخيال .. ليقدم فيلم «السيف السحري» الذى يعتبر أفضل أفلامه حتى الآن ..

وقد تعمد المخرج «بورمان» فى اختياره لمجموع ممثليه .. أن يكونوا كلهم من بريطانيا و أيرلندا .. وأن يتم



السـاحر « ميرلين » .. إنه ممثل بارع !

تصوير الفيلم كله فى ايرلندا .. رغم أن الفيلم من انتاج وتوزيع شركات أمريكية

وسر اختيار ايرلندا .. هو ولاء المخرج لبلده ، ورغبته الخاصة فى أن ينهض بصناعة السينما فيها .. فهو يتقلد منصب رئيس استوديوهات الفيلم القومى فى ايرلندا .

وقد كان واضحاً أن صنع الفيلم فى ايرلندا .. ميزة اقتصادية ودعائية هائلة للحكومة ولاستوديو السينما الأيرلندى .. فقد بلغت ميزانية الفيلم احد عشر ونصف مليون دولار !

وهذه الأموال انفقت داخل ايرلندا .. وتم تشغيل الفنيين الشبان .. بالاضافة الى أكثر من أربعمائة كومبارس تم توظيفهم بالأجر .. وقد استغرق تصوير الفيلم ثمانية عشر اسبوعاً متصلاً دون توقف حتى فى أيام الاجازات !

فلسفة اللـــون

ويضيف المخرج سبباً آخراً لاختياره أيرلندا لتصوير فيلمه .. فيقول : « إن غابات ايرلندا .. تبدو وكأن الزمن توقف فيها عن الاستمرار .. فهي مازالت تحتفظ بكل بدائيتها وغرابتها وسحرها الأول .. ثم أن الضوء هناك له خاصية معينة »

ويتوقف المخرج عند نقطة «الضوء» ليستطرد شارحاً وجهة نظره الفنية : «استخدام اللون اساسي جداً .. لأننا نتعامل مع أشياء بدائية .. والألوان مهمة جداً بالنسبة لي .. لأن كمية اللون التى يمكن للعين أن تستوعبها محدودة جداً .. وفى فيلم كهذا أردت أن أجعله سريع الايقاع .. كان مهماً بالنسبة لي أن أحدد الألوان .. واحدد كميتها التى تنتقل من مشهد الى اخر .. وفى نفس الوقت أحدد وظيفة اللون وتاثيره على المتفرج .

● الملابس .. والأقنعة

من أكثر العناصر المميزة فى هذا الفيلم .. الملابس والأقنعة .. فهي تبدو غريبة .. وغنية فى نفس الوقت بخاماتها والوانها ..

ويعترف المخرج «بورمان» : (انه كان من الصعب تحديد الملابس تاريخياً .. لأنه لا يوجد هناك تاريخ فعلا .. وحتى لو أرجعنا الأسطورة الى القرن الخامس الميلادى .. فان ما تبقى من هذا القرن ، قليل جداً .. ولا يصلح لأن تنهض عليه دراسات مفصلة فى بعض النواحي الفنية .. ولهذا اضطررنا الى استخدام خيالنا) !

وقد تم تصميم الأقنعة والدروع على هيئة حيوانات .. ويبرر المخرج هذا التصرف بقوله : (كانت فكرتنا أن المتفرج عندما ينظر لأول مرة لهؤلاء المتحاربين باقنعتهم .. يظن أنهم حيوانات ما قبل التاريخ تتصارع وتتحارب بطريقة بدائية .. ولكن تدريجيا تظهر هيئتهم الآدمية) .

وقد نجح المخرج فى توصيل هذا الايهام الى المتفرج .

● ●

ومن الواضح تماماً .. أن المخرج درس تماماً كل تفاصيل الفيلم قبل أن يشرع فى التنفيذ .. فهو لم يترك شيئاً للصدفة .. وكما يقول :

(لقد حاولنا أن نخلق عالماً من الخيال .. عالماً غريباً يشبه عالمنا .. وفى نفس الوقت لا يشبهه) !

وهكذا اكتسب هذا الفيلم قيمته .. وجماله !

رءوف توفيق



أول مدرسة عالمية في الفن الإسلامي

جمال قطب



لقطتان : الأولى تمثل أتبك بدر الدين لؤلؤ (من كتاب الأغاني للأصفهاني) وهي صورة الغلاف للمخطوط (٦١٥هـ) وقد صور فى العراق وحالياً بالمكتبة الأهلية فى اسطنبول ..
واللقطة الثانية لعازف على العود أمام سيدات المجتمع ، وهي من مخطوطات القرن السابع الهجري (حالياً بمكتبة الفاتيكان بروما) .

إذا كان التراث العربى الاسلامى فى فن التصوير قد اختفى منه الكثير ، فان المراجع التاريخية والأدبية تؤكد مواكبة فن التصوير عامة ، والمنمنمات بخاصة ، للفكر الاسلامي منذ عهوده الأولى . وقد تألقت «مدرسة بغداد» وحظيت بشهرة واسعة ، وتناولها المؤرخون المعاصرون بالبحث والتحليل ... ووصفوها بانها مدرسة تغلب عليها الرسوم الآدمية بما فيها من حياة وقوة ، لا تابه كثيراً بتفاصيل اجزاء الجسم ولا بالتشريح والتزام النسب بين الأعضاء ، كما أن الفنانين لم يهتموا كثيراً بمظاهر العواطف والانفعالات ، كما هي الحال فى التصوير (القوطى ــ البيزنطى) ، ولذلك نرى الوجوه الآدمية بملامح ساكنة ساهمة خالية من التعبير وكانها اقنعة ، فيؤدى المصور دور لاعب «مسرح العرائس» فى تحريكها وكان لزاماً عليه أن يفسر ادوار شخوصه فيما يسرد من احداث . ولذلك ، ربط كثير من المؤرخين بين تصوير الأشخاص فى « مدرسة بغداد » وظهور موجة الفنون الدرامية الشعبية التى اشارت اليها المصادر الأدبية من مسرحيات الآلام الشعبية ومسرح العرائس وخيال الظل ، وكان هذا الفن الآخير اكثرها اهمية بالنسبة لموضوع تصوير الآدميين فى المنمنمات ؛ فقد كان مسرح خيال الظل قريب الشبه بعالم المنمنمات بقوافله فى الصحراء وسفنه التى تمخر عباب الماء ، ومعاركه البرية التى يشتبك فيها المشاه والفرسان ، ومهاجمة القلاع ، ومناظر الصيادين ناشرى الشباك ، والمتعقبين للطيور بالنبال .. إلى اخر هذه المظاهر التى تعبر عن مشاهد بسيطة تدور بين عدد كبير من الشخصيات . ولا شك أن هاتين الوسيلتين كانتا اكثر وسائل التعبير وضوحاً فى ذلك العصر الاسلامي المزدهر .

الازدهار الفني

وقد يكون من العسير الكشف عن الدوافع الحقيقية التى حدت بالمصورين المسلمين العرب الى الاهتمام بتصوير الكائنات الحية بصفة عامة فى العصر العباسي ، ولا سيما وقد وجدنا ان الفن فى العصر الأموى وحتى أوائل العصر العباسي ، كان يدور فى فلك الزخارف النباتية المحورة وبعض الوحدات الهندسية الغارقة فى التكرار والرتابة ولم يجرؤ الفنانون ــ إلا نادراً ــ أن يخوضوا تجارب رسم الأحياء والصور الآدمية ..

ويرجع بعض الباحثين سبب هذا الازدهار الفني الى استقرار الحكم لمدة طويلة فى ايدى حكام اقوياء من أمثال الخليفة العباسي الناصر (١١٨٠ ــ ١٢٢٥ م) وبدر الدين لؤلؤ ملك الموصل (١٢١٨ ــ ١٢٥٩م) وغيرهما ، وهم الذين عاونوا الفنانين وشجعوهم على الاتقان والابتكار ، وكان طبيعياً أن يدفع هذا الاستقرار الى الثراء وظهور طبقة موسرة تتنافس على الاقتناء الفني والاهتمام بالجمال والأخذ باسباب التذوق والرفاهية ، وشارك الجميع فى ظهور نهضة ادبية فى مجال التاليف والترجمة ، توجت بطفرة فنية رائعة لتزيين تلك المخطوطات بالمنمنمات والصور والزخارف والخطوط وما تفرضه من قواعد الاخراج والتذهيب والتلوين .. وكانت مدرسة بغداد فى فن التصوير العربى الاسلامي رائدة فى هذا المضمار .. ، وقد شغلت اذهان المفكرين والباحثين والمؤرخين فى العصر الحديث ، وافردوا لها المؤلفات التى تتناولها بالتحليل والتمجيد والشروح المسهبة . ونجد انها قد تكونت فى نهاية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، ومن المرجح انها انشئت بادىء الأمر فى شمال العراق وتخصصت فى تزيين المترجمات للمؤلفات اليونانية عن علوم الطب والطبيعة والنبات والحيوان ، وكانت تتمركز غالباً في « الموصل » ، ثم تكونت بعد ذلك فى القرن السابع الهجري مدرسة اخرى لفنون التصوير فى بغداد ، كما انشئت فى نفس الوقت عدة مدارس فى « ديار بكر » و «ماردين» ، مراكز حكم بني أرتق .. ويمكننا أن نميز أسلوب مدرسة بغداد بملامح محددة يبدو فيها الطابع



▲ صفحة مصورة من مقامات الحريري .. من أعمال فنان مدرسة بغداد الأشهر يحيى الواسطي .. ثم صفحة مصورة من كتاب «الدرياق» أو «الترياق» .



والسمات العربية بشكل واضح ، ولو ان البعض النادر منها يبدو عليه الاسلوب البيزنطى (مثل كتاب البيطرة الموجود بالقاهرة) كما نلاحظ فى بعضها الأسلوب السلجوقى الملكي فى المخطوطات المبكرة من انتاج المدرسة العراقية مثل كتاب (الترياق) المؤرخ عام ٥٩٥هـ والمحفوظ حاليا بالمتحف الأهلى بباريس ؛ ولكن ، سرعان ما يتغلب الاسلوب العربي فى صور نفس المخطوط فتكتسب ملامح الأشخاص السحنة العربية . ونلاحظ شيئاً ملفتا للنظر فى الصور بوجه عام هو تلك الهالات الدائرية التى تحيط برءوس الأشخاص بل ورءوس الحيوانات أيضا ، وقد استمدها الفنان العربي من الفن البيزنطى . وهذه الهالة التى احتار المؤرخون فى تفسيرها ترجع الى أصلين قديمين : أولهما بيزنطي ، كان الفنانون يكللون بها رءوس الأباطرة والأبطال ومن اليهم ، وقد شاعت بعد ان اعتنقت بيزنطة الدين المسيحي ، ولم تكن تلك الهالة علامة تقديس كما يظن البعض ، لاننا نراها فى المخطوطات القديمة وقد كللت رءوس اشخاص كانوا أعداء للمسيحية ، ومن المؤكد ان تلك الهالة قد فقدت مغزاها فى التصوير الاسلامي .. ولكننا وجدنا انها بمثابة عنصر زخرفي لتمييز الوجوه وإبرازها فحسب . أما الأصل الثانى للهالة ، فقد شهدناها فى فنون الصين وآسيا الوسطى ، وكانت ترسم حول رءوس الأشخاص بشكل بيضاوي غير منتظم الخطوط ، مما جعلها اقرب الى الشعلة النارية . ولكن الفنان العربي تأثر بالهالة البيزنطية بشكل عام كما نرى ذلك جلياً فى مخطوطات مدرسة بغداد .

كذلك نجح الفنانون العرب نجاحاً باهراً فى رسم مجموعات الحيوان من خيل وإبل وكافة الحيوانات المستأنسة مما كان يشاهده الفنان فى البادية العراقية ، والصور الشهيرة للقوافل المتراصة المتتابعة تظهر مدى ما ابدعته هذه المدرسة فى رسم الجموع الحيوانية من حيث التشكيل والتكوين .

وقد استخدم المصورون الألوان البراقة الخاطفة ، ولعلهم كانوا يقصدون من وراء هذا الى جذب الأنظار ، ثم التعويض عما فاتهم من قصور فى التجسيم والمساحة والمسافة ؛ إذ من المعلوم أن مدرسة بغداد ــ بطابعها الاسلامى المميز ــ قد جنحت الى الأسلوب الخطى المسطح الذى يعتمد أساساً على تحديد الأشكال بالخطوط دون استخدام التجسيد أو الظلال ..

وبذلك اغفلوا البعد الثالث (العمق) واكتفوا ببعدين فقط ، وهذا مايميز الفنون الاسلامية عامة فى رسم الأشكال .

وإذا أردنا أن نصدر حكماً عاماً على التصوير فى تلك الحقبة الزاهرة من الفن العربى الاسلامى وجدناه يميل الى الاسلوب الزخرفى المسطح و التجريد المحور من الطبيعة ، واللجوء الى التلخيص فى خطوط منحنية (قوقعية) نراها بوضوح فى رسم مشاهد أمواج البحر وسيقان الأشجار وثنيات الملابس المزركشة .

انطلاقة المدرسة الابداعية

وهكذا كانت أولى المدارس الفنية فى التصوير العربى الاسلامي فى أوائل عهدها مزجاً بين الطابع العربي الخالص وبعض المؤثرات الفارسية والبيزنطية : فكانت عربية فى ملامح الأشخاص والبيئة والعادات والتقاليد ، وفارسية فى بعض الملابس ونقوشها ، وبيزنطية فى استخدام الألوان الذهبية البراقة والهالة حول الرءوس . وكان ذلك أمراً طبيعياً لأول مدرسة تحاول ايجاد أسلوب عربي متكامل من بين الشتات من الفنون المزدهرة لحضارات عريقة سابقة . وهذا يفسر لماذا أطلق المؤرخون على فترة الحكم الأموي قبل ذلك « فترة الانتقال من فنون ما قبل الاسلام الى الفن الاسلامي المميز » فجاءت مدرسة بغداد رائدة فى إيجاد هذا الطابع الخاص الذى رسخت قواعده فى الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) ، ورأينا ذلك الفيض من المخطوطات ، كان من أهمها : «مقامات الحريرى» ، هذا الكتاب الذى يحكي فيه الراوى (وقد اسماه الحريرى : الحارث بن همام) مغامرات أبي زيد السروجي ، ولقد صورت عدة نسخ من هذه المخطوطة ، اشهرها النسخة المحفوظة فى متحف لينينجراد ويرجع تاريخها الى ٦٢٢ ـ ٦٣٢هـ ، والنسخة الموجودة فى المكتبة الأهلية بباريس وقد كتبت وصورت عام ٦٣٤هـ . وتصور هذه المخطوطات عرب القرن السابع الهجرى بوجوههم السامية فى حياتهم اليومية تصويراً واقعياً صادقاً ، إلا أن الأسلوب العربي يظهر أكثر وضوحاً فى نسخة باريس والتى رسمها فنان مدرسة بغداد الأشهر يحيى الواسطى (يحيى بن محمود وقد اشتهر بلقب الواسطى نسبة الى واسط التى كانت موطنه فى جنوب العراق) ، ويكاد يكون الواسطي هو الفنان الأوحد الذى انتهى الينا اسمه مكللا عملا متكاملا من بين المخطوطات المصورة العديدة لمدرسة بغداد .

ولاشك أن هناك «مقامات» اخرى لمؤلفين آخرين من ذلك العصر ، وقد بقيت لنا منها عشر مخطوطات زاخرة بالصور والزخارف : إحداها بدار الكتب بلينينجراد ، وثانية باسطنبول ، وثالثة بدار الكتب القومية بفيينا ، وثلاثة منها بدار الكتب القومية بباريس ، وثلاثة اخرى بالمتحف البريطانى ، والعاشرة بالمكتبة البودلية فى اكسفورد . ونستطيع أن نتبين من صورها ومنمنماتها نماذج مختلفة من احاسيس الفنانين من اقطاب مدرسة بغداد ، كما نرى مناهجهم وخيالاتهم التى تشارك الأدب فى تصوير الواقع والتاثر به ، كما أنها تسجيل وجداني ومادي لما كان يجري فى العالم العربي كافة والبيئة العراقية خاصة : الولاة وجلسات الحكم وحفلات العرس والأسواق وأحوال الناس فى حروبهم ورحلاتهم .. وما الى ذلك .

ومن المخطوطات التى كتبت للحكام الاتابكة كتاب (معرفة الحيل الميكانيكية) وقد كتبه الجزري بتكليف من نور الدين محمد الأرتقى سلطان ديار بكر فى عام ١١٨١م .

صمود مدرسة بغداد

وتتضاءل معرفتنا باسلوب مدرسة تصوير المخطوطات فى العراق بعد منتصف القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر السابع الهجرى) ، لأنها أخذت تتأثر باساليب اخرى بعد ذلك كما نرى فى مخطوطة (رسائل اخوان الصفا) التى صورت فى بغداد عام ٦٨٦ هـ والمحفوظة حالياً باسطنبول ، أن تلك المدرسة الفنية قد صمدت وتمكنت من الاحتفاظ باسلوبها العربى المميز حتى أواخر القرن السابع الهجرى ، بالرغم من بدء ظهور مدرسة التصوير المغولية فى شمال ايران .. حيث بدأ كاسلوب جديد فى التصوير الاسلامى يختلف اختلافاً كبيراً عن مدرسة بغداد هو اسلوب المدرسة المغولية . أما الأسلوب العراقى فقد امتزج شيئاً فشيئاً ببعض التأثيرات الفنية الأخرى ، وظهرت أساليب اسلامية مستحدثة تواكب العصور والأحداث المتوالية ، كما تتشكل بيئياً مع اقاليم الدولة الاسلامية .

وفى العصر الحديث ، زخرت المكتبات بالعديد من الأبحاث والموسوعات الرائعة عن مدرسة بغداد فى التصوير العربى الاسلامى ، منها كتاب (أرنولد) ، وكتاب المستشرق الألمانى (كوهنل) ، كما رأينا مؤلفات (سير بازل جراى) والدكتور (بشر فارس) . الباحث والمؤرخ الشهير (ريتشارد انتجهاوزن) ـ وهو من المتخصصين المعاصرين ويعمل رئيساً للقسم الاسلامى بمتحف مترو بوليتان بنيويورك فقد استطاع فى مؤلفه الحافل عن «فن التصوير عند العرب» أن يستقصى فن التصوير العربى الاسلامى وأن يقدم تفسيرات مقنعة لأمور كانت محل خلاف بين الباحثين ، كما أورد الخفايا الفنية المثيرة فى مدرسة بغداد وقيمتها التشكيلية الرفيعة ، وركز انتيجهاوزن) على فن يحيى الواسطى وقدرته الخارقة على التعبير عن الدراما ، والتقاط ملامح الأشخاص وتعبيراتهم والجنوح الى التكبير والتصغير خروجاً على المألوف وقواعد المنظور والبعد الثالث ، وذلك لتوضيح الحدث بواقعية تشكيلية مجردة .

وحري بنا اليوم أن تتولى أبحاث الفن العربى الاسلامى وكشف كنوزه ومناهله ، اقلام عربية متخصصة ، وأن تعاد صياغة تاريخ الفن بنظرة أكثر وعياً وثقافة وفهماً . ولعلنا بذلك ندفع غبناً ونكشف زيفاً لبعض التفسيرات الأجنبية التى دسها بعض المستشرقين الذين كانت مؤلفاتهم ليست خالصة لوجه الله والعلم، وظلوا متربعين على عرش البحث ـ دون تدخل منا نحن أصحاب التراث ـ قروناً طويلة !

جمـــال قطـــب

قطيع الابل .. من مقامات الحريري .. وهذا المقطع اتخذ شعاراً لمهرجان الواسطي فى بغداد عام ١٩٧٢





لوحة جميلة من اللوحات الفنية التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية

مع الفرقة القطرية للفنون الشعبية

البساطة والأنغام الصافية .. وسوالف الأجداد !

بشرى ناصر

المكان : صالة سينما الخليج ..
الزمان : مساء يوم الخامس من سبتمبر ١٩٨١ ، حيث خصص هذا اليوم كافتتاح رسمي لفرقة تعني بالفن الشعبي ..

فى التاسعة والنصف رفع الستار لتنطلق كوادر هائلة من الراقصين والراقصات والعازفين على الآلات الموسيقية الشعبية اضافة لفرقة موسيقية اخرى مصاحبة ...

وأطلت علينا وجوه تتدفق بالأمل والثقة بالنفس ، صبيان وفتيات .. بعضهم لم يتجاوز مرحلة الطفولة ..

وبالثياب الموشاة بالنقوش والألوان المتالقة راح الجميع يؤدون حركاتهم بطريقة عذبة تتوافق والتوزيع الموسيقى .. وبشكل أذهل الحضور الذين اكتظت بهم الصالة والذين دعاهم الحماس الى التصفيق طوال الحفل .

وقد اشتمل البرنامج على لوحات وفواصل ، اضافة الى صوت أداه الجمع بمصاحبة



تشكيل جذاب جمع بين الألوان الزاهية وتناسـق الحركـات ودقـــة الأداء

شخصية أذهلت المتواجدين بحضورها وابداعها .. فربما سمعنا عن سعد عواد ، ذلك الرجل الذى يتجاوز الخمسين والذى قطع خشبة المسرح ذهاباً واياباً مع ايقاعات طبلته المعلقة على كتفه وهو يصدر صيحات الطرب والانتشاء مع كل ضربة قوية ..

رقصات الفروسية والشجاعة

جاء فى كتيب الحفل تعريفات مختصرة لما قدمته الفرقة من عرضة وليدة وسامري .. الخ ..

أما المراداة فقد اقتصرت على ادائها مجموعة منفردة من الفتيات ، يحملن باقات الزهور فى كل يد ويتمايلن كما كانت الفتيات قديماً يؤدينها أيام العيد بعيداً عن اعين الرجال ، وهى إحدى الرقصات القديمة المتوارثة والتى تعتز بها النساء العجائز .

أما العرضة والتى بدأ بها الحفل بعد المقدمة الموسيقية فكانت تجسيداً حياً لرقصة الرزيف التقليدية المنتشرة فى قطر ومنطقة الخليج والتي تعبر عن حالات الانتصار أو بعد الحروب أو الاستعداد للقتال ، كما تؤدى فى المناسبات القومية والأفراح لما تعنيه لدى الشعب من قوة وفروسية وشجاعة .. وقد قدمت تماماً بصورتها المألوفة (على ايقاعات الطبول والطارات والشيلات) .

كنت اشاهد سامي يونس على البعد يتنقل بنشاط وحبور فى الصالة استعداداً للحفل وبثقة غير عادية ، وتساءلت عن خبرة ذلك الانسان وثقافته التى أثرته بكل ما يتعلق بنا من تراث وموسيقى ودراية تامة بفنون البحر ، والفجري والصوت وغيرهـا .

قررت أن اتحدث معه وأعرف الكثير عن تلك الفرقة التى ظل متواصلا معها بالألفة والاستمرار فى التدريبات لمدة تزيد عن الأربع سنوات حتى خرجت لنا بشكلها الحالي ، إلا اننى اجلت موضوع فضولي الى ما بعد الحفل ، فالصور المتتابعة على الخشبة لا تدفعك إلا للانشاد معها والتجاوب لحظة بلحظة .. فهي من الصور التى نقلت الينا والتى كدنا ان ننساها بعد أن فعلت المدنية فيها فعلتها ودفعتنا للاستعاضة عن أدواتنا البسيطة بأدوات غاية فى التعقيد .. مثلا (الرحى) وهى عبارة عن حجرين ضخمين وجدت فيهما فجوة لوضع الحب بعد تنقيته بينما يرتبط الحجران بمقبض خشبي يدار .. هذه الوسيلة البدائية كانت وسيلة للتجمع والتحابب بين النساء استعداداً لمقدم شهر رمضان ..

وقد يعرف الكثير منا فن الفجري المتسم بخاصية الفنون الأصيلة فى منطقة الخليج والذى يؤدى فى حلقات السمر بعد عناء البحث عن اللؤلؤ ـ الرزق .. انها صورة اخرى عشت معها بكل جوارحي .





أجمل الأنغام على الآلات القديمة التى تمس أوتار القلب وتعيد لنا سوالف الأجداد

وكانت لوحة الطنبورة آخر مادة تقديم ، ربما لأنها من الفنون النازحة التى جاءتنا من أفريقيا بايقاعها وآلاتها المتكونة من آلة الطنبورة نفسها ، وقد علقت تلك الآلة فى مدخل الباب المؤدى للصالة من ضمن ما عرض كثياب النشل المزركشة والبشوت وغيرها من الأدوات الممثلة لفولكلورنا .

وآلة الطنبورة تشبه الى حد كبير القيثارة القديمة التى عرفت فى بابل ، وقد لمست أوتارها فتبينت انها قد صنعت من أمعاء الحيوانات ، وتبلغ فى حجمها تقريباً ما يزيد عن المترين طولا وارتفاعاً .. وتتدلى منها الخيوط الملونة ..

تلك اللوحة قدمت بامتزاج الفتيات والشباب كعناصر ، وايقاعات الطبول والمنجور بمصاحبة الطنبورة التى تحدثنا عنها .

وتظل الليوة بحاجة للحديث وقد أوردتها لأنها – أيضاً – من الفنون النازحة التى تفاعلت مع بيئتنا وصار لها شكلها المميز رغم تعدد أشكال أدائها الحركي .. ولكن تبقى آلة الصرناى والطبول المتنوعة هي الغالبة كآلات موسيقية ..

اختتم الحفل بتحية جميلة للفتيات وبخروج زهرة منهن تحمل ما يسمى بالمنسف بنقوشه الرائعة والمليء بأوراق الريحان (المشموم) حيث قامت بنثره على الجمهور .

كيف ولدت الفرقة ؟

ترى ما هي الجهود التى كانت وراء هذا الانجاز الرائع .. ؟

يقول السيد محمد سامي يونس مدير الفرقة القومية بمصر سابقاً ورئيس الفرقة القومية القطرية ، أن أول عامل لوجود فرقة كهذه هو أعضاء متحمسين لممارسة هذا الفن ، ثم يتاتى اختيارهم بعد ذلك طبقاً لمواصفات معينة تتمثل فى مرونة العضلات والرشاقة وتكامل الشخصية فى الأداء ، والقدرة على التعبير .. ثم وجود قاعة مناسبة للتدريبات الحركية ووجود موسيقيين مصاحبين للفرقة ، ثم الفترة الزمنية الكافية لظهور هذا الكادر الفني ، كل ذلك أدى الى طول الفترة الزمنية ..

يكمل الاستاذ يونس « بدأنا بتعليم الأعضاء الحركة البسيطة ثم الحركة المركبة والجملة الحركية المركبة .. والتدريب لابد أن يتم بتسلسل مدروس يعمل على البناء العضلي وتكوين ممرات عصبية داخل الجسم بحيث تعطى المرونة المطلوبة ..

وقال سامي يونس عن اعداد الفرقة ومسرحة مظاهر الفنون الشعبية بعد مسحها وتسجيلها : .. لم يكن تعاملي مع الفرقة هو الأول ، بل قمت مع الأخ عبد العزيز ناصر فى اعداد فقرات استعراضية للتليفزيون . ومن ضمن ما قدمت سابقاً لوحة أم الحنايا .. ومعايشتي للفرق الشعبية المنتشرة فى قطر دفعنى لأن استسقى منها أصالة فنهم وصدقهم وتلقائيتهم المخزونة بالأحاسيس المتوارثة ..



روعة العرض جذبت اهتمام المتفرجين طوال فترة العرض

أما عن انطباعه عن فناني الفرقة من الراقصين فقال :

الفنان التقليدى الذى استوحيت منه هذه اللوحات كان الأصالة و الجيل المتعلم والواعي القادر على ترجمة الأصل بشكل متقن وجيد .

بقى أن نعرف ماذا يحمل سامي يونس للمستقبل .. فيقول : ستواصل الفرقة تدريباتها .. سنعمل جولات فنية للخارج لتقديم عروضنا .. سنعمل مسح شامل لمظاهر الفنون الشعبية بقطر .. ثم نبحث عن صف ثان من الأعضاء الجدد ياخذ فرصته من التدريب العلمي » ..

ويبقى التفكير فى اقامة مهرجان للفنون الشعبية حتى يجعل من مدينتنا ملتقى لهذا الحدث الهام ومقراً يقام كل سنتين .

هذا العطاء الزاخر

اتجهت الى يوسف احمد مشرف الفرقة .. وقال لي ان عملية التقييم لا تخصنى وحدى .. ولكنى كمشرف حريص على متابعة هذا العمل بصدق واظهاره بمضمونه الواقعى سواء كان كلمة أو حركة أو ايقاع .

وقلت له : ترى ما هى مراحل تكوين الفرقة ؟

ـ كانت البداية عام ١٩٧٧ حيث تم احضار طاقم تدريب على درجة كبيرة من الكفاءة ، وتم وضع الأسس والمنهج الذى يقبل به الأعضاء على أساس أكاديمى متفق عليه عالمياً ومستمد من علم وظائف الأعضاء والحركة .

ـ ..... ؟

ـ العقبات الحالية تتلخص فى نقص العنصر النسائى نتيجة لتخوف البعض من الانضمام للفرقة لعدم فهم مهمة الراقص فهماً صحيحاً ، وامتناع العضو أحياناً تبعاً لظروفه.

ـ ... ؟

ـ الاعداد للبرنامج يتطلب وقتاً لما نحتاج من دراسة خاصة بالموضوع المراد تقديمه وتشمل جمع وتدوين وتحقيق ثم الاكسسوارات والملابس .. والديكورات .. واعداد الكلمات وأخيراً التدريب الكافى على فقرات البرنامج .

يظل موضوعنا قاصراً ما لم نتحدث عن الأم التى أوجدت ذلك المولود وتعهدته .. ادارة الثقافة والفنون تحت رعاية سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام الذى اجاب بسعادة لا تخلو من تواضع عن سؤالى له فيما يحمل من مشاعر تجاه ما شاهد من عروض ..

ـ «لا يستطيع الفرد أن يكيل المديح لأبنائه .. ولكنهم قدموا عطاءً زاخراً بالجودة ... ولنا منه الأمل الكبير ...» .

لملمت أوراقى واتجهت فى طريقى للخروج بعد أن طافت بمسامعى عشرات العبارات الصادقة التى تمثل ردود فعل الجمهور ..

ويظل الفنان الحقيقى يتطلع دوماً الى كلمة مديح واحدة تصدر من انسان بسيط ...

وختمت لقائي بتطلع الجميع أن نعمل على ابراز تراثنا للعالم وماضينا المليء بالتجربة .. عسى أن تتوقف النظرة الينا على أننا براميل نفط متحركة .

بشرى ناصر


قليلٌ هم أولئك القرطبيون
الذين لم يأخذوا مني أكثر
مما أخذوا من آبائهم
لأن المرء يفكر جيداً، ويعمل أفضل
حين يتنفس الهواء الذي ولد فيه
لأي نشاط إنساني
فقد صرن يشبهن
النبات

من روائع الأدب الأسباني

مناظر وشخصيات

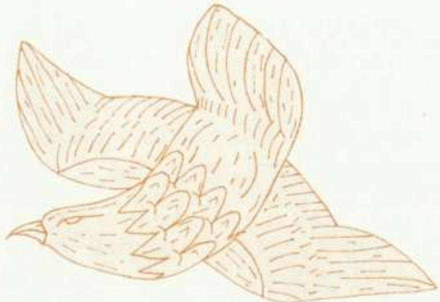
ابن رشد

بقلم : أنطونيو جالا

ترجمة :
عبد اللطيف عبد الحليم
مدريد

● (قرطبة من عل ؛ المدينة ، الشرقية ، المنازل البيضاء ، الأسقف الملكية ، الخ ، عند النزول نرى ابن رشد ، وهو فى السابعة والستين من عمره يعبر من عدة أماكن مختلفة وهامة مع أناس عاديين من العصر الحاضر ، ومنذ اللحظة الأولى نستمع اليه .)

ابن رشد : يقولون عنكِ أنك لست سوى نفاية منك أنت ، يقولون عنك إنك لست سوى ظل لما كنته بالأمس . يقولون عنك ياقرطبة ، أنك عندما كنت عاصمة العالم وصلت الى درجة بالغة من الجمال ، ما أعسر أن يعتقد المرء ذلك حين لا توجد اليوم ــ وأنت محافظة لأحد الأقاليم ــ أية مدينة تتفوق عليك ، فيك راق الجمال ، وفيك بلغ الناس ــ فى سخاء ــ غاية جهدهم ، فماء نهرك متسرباً بين شعاب الجبل والقرى عكس بالأمس مدى ثرائك ، ويعكس اليوم مدى سكونك ، إن طقسك ومناظرك يكادان يماثلان طقس اليونان ومناظرها أكثر مما يماثلان بابل ، وهما اشبيليه وفيك ياقرطبة.من الذى يتجاسر على نشدان لبن العصفور ؟ حسب المرء أن يتنفسك شاعراً بيدك المعطرة على خده ، وبأنفاسك الدافئة على جيده ، كتب الشقندى إن أهل اشبيلية قوم ذوو خفة وظرف ، ولوذعية وسرعة بديهة ، ويضيفُ أن الأشبيليين على ضفاف نهر الوادى الكبير يعزفون على الربابة والقانون ، والقيثارة ، والناى ، والبوق ، بينما يمزحون ، ويتماجنون ، أشبيلية اليوم هي عاصمة الأندلس ، إننى أحبها لأنني أحبك أنت ، فانها بمثابة أختك ، ومع ذلك لا أدري لماذا . أنه حين يموت عالم فى أشبيليه يحملون مكتبته لبيعها فى قرطبة ، وحين يموت مغن أو موسيقى فى قرطبة فانهم يحملون آلاته لبيعها فى اشبيليه (أمام أحد الأعمدة فى بهو البرتقال) مستنداً الى هذا العامود طالما ألقيت دروسي ، قليل هم أولئك الفتية القرطبيون الذين لم يأخذوا منى أكثر مما أخذوا من آبائهم . أفضل هذا السكون ، يجعلان رجالك هادئين وأذكياء ، وقد لاحظت كذلك أن صوف الغنم الأندلسي أرق بكثير مما هو في بلد آخر ، كذلك بنية رجالك أكثر توازناً كما يشهد بهذا لون سحنتهم ، وصفة شعرهم . لون الرجال الأندلسيين ليس فى سمرة أهل الجزيرة العربية ، ولا شعرهم له جعودة شعر الأفريقيين ولا سبط كشعر أمم الشمال بل هو متموج حريري ، إنــني أحــب كــل الأندلس من خلال اسمك ياقرطبة ، عندما اكون بعيداً عنك كل شيء يبدو لي غريباً حتى أنا نفسي أبدو غريباً ، لقد صنتك دائماً فى سويداء قلبي كلؤلؤ مكنون فيك أود أن ألفظ آخر أنفاسي ، وأن يتحلل جسدى ويشكل جزءاً من ثراك (يعبر باباً صغيراً) لأني هنا ــ خلال سنوات كثيرة ــ خرجت من الشرقية لأعود مرضاى ، فان القرطبيين من الأمير الى الخفير أودعوا صحتهم فى يدى ، يقولون إن المرء إذا نشد لبن العصفور يجده في أفضل هاته النظرات ، أفضل أن تبقى الأشياء فى مكانها هادئة حيث أقامتها القرون . يقولون عني إننى رجل اتجاوز الحدود فى صرامتي ، لأنني لم أصنع شيئاً غير المدارسة فى الواقع أذكر اننى نسيت الكتب ليلتين فقط : أولاهما ليلة موت أبي ، وثانيتهما ليلة عرسي ، يقولون عنى اننى رجل صارم ، اننى لا أراني هكذا اعتقد أننى فى آن واحد رجل صارم ومرح ، مثل الخشب الذى فى وسعك أن تصنع منه قوساً للحرب ، وأن تصنع منه عوداً ، انك هكذا أيضاً ياقرطبة . لذا عندما ذهبت الى ماوريتانيا أو الى اشبيليه كنت اشتاق اليك كثيراً لأن المرء يفكر جيداً ، ويعمل أفضل حين يتنفس الهواء الذى ولد فيه ، اننى اشفق على الأندلسيين المنفيين ، ربما لا يذبل رجل آخر مثلما يذبل الأندلسى حين يقصى عن سمائه ،عن كسله ، عن عطره ، عن طربه ، عن شعوره الصحيح بالحياة والموت .



(أمام باب المسجد) لقد مررت بهذا القوس مرات لا تحصى لأؤم المسلمين فى صلاة الجمعة باعتبارى قاضى القضاة (نرى ضوءاً بين غابة الأعمدة الداخلية) وهنا فى طريقي اليوم ليحكم علي أنا الذى مارست القضاء أكثر من ربع قرن ، وفصلت فى كل أمور هذه المدينة مدينتى ، وحتى الآن كانت أحكام قضاة قرطبة الآخرين فى قبضتى : محتسب السوق ، وكيل المواريث ، والقائم بأمور المعايير والأثمان صاحب المدينة ، صاحب ديوان المظالم ، هنالك جالساً فوق حشيتى أفصل بالعدل والقسطاس المستقيم ، فليجعل الله المقياس الذى يحكم علي به اليوم من نفس المقياس الذى كنت أحكم به ، وان كان يبدو لي أنه مجلس أكثر من العدد اللازم ، لم تتعود العدالة أن تبنى عشها وسط الزحام .

(ضجة أصوات ، تهتف كلها تقريباً بلا نظام «النظام ، النظام» يختفى ابن رشد فى ظلال الأعمدة) .

صوت ١ : القضية الأولى هى عدم نقاء دم ابن رشد ، فهل لنا أن نعرف الى أى قبيلة يعزى ؟ من الذى يؤكد لنا أنه ليس من أصل يهودى ؟ (همس دائم ، وجلبة مستمرة) .

الأصولى : منذ تسعين سنة كان ابن رشد ــ جد هذا ــ قاضياً لقرطبة ، ومنذ ستين سنة كان أب هذا قاضياً كذلك ، من نحن حتى نحكم على سلالة قضاة ؟

صوت ٢ : (فى هياج) ها هنا نحن قادة العسكر فى قرطبة .

صوت ٣ : وفقهاء قرطبة .

صوت ٤ : وقضاة قرطبة .

صوت ٣ : لقد اجتمعنا هنا بأمر الأمير لنفحص مؤلفاته ، ونقرر الأمر.

الأصولى : وعن صحة عقيدته لا ؟

صوت ٥ : حذار يا ابراهيم الأصولى ، لا تهو معه بسبب دفاعك عنه .

صوت ١ : اننى أتساءل لماذا يسميه النصارى ابن رويث «أليس رويث» هذا لقباً نصرانياً ؟

الأصولى : وليس نصرانياً لقب مردنيش ؟ والملك لب المرسى لب بن مردنيش ، ألم يكن لوبى بن مردنيش ؟

صوت ٤ : لقد كان الملك لب أشد الخصوم عناداً لملوكنا الموحدين .

الأصولى : بيد أن ملوكنا أبا يعقوب وأبا يوسف تزوجا ابنتيه برغم ذلك فلا نخلط اذن بين صحة العقيدة وبين البيولوجيا،ولا بين الشفقة وبين نقاء الدم ، إننا هنا فى قرطبة حيث تربع التسامح قروناً طويلة ، فلا نهدمه اليوم .

(وجه ابن رشد بين صخب المجلس) .

صوت ابن رشد : التسامح .. ألم يبدأ اليوم فى التخلى عن عرشه (على أبواب الكنيس) كان ميمون صبياً ــ تقريباً ــ عندما قابلته ذلك الصباح ، ومع ذلك لم يكن صباحاً جلياً ، ولدى أبواب الكنيس، كان الدمع يجول فى عينيه أوماً إلي أن أدخل .

صوت ميمون : أستاذ ابن رشد ...

ابن رشد : (وهو فى الخامسة والعشرين) لا تنادنى بلقب أستاذ .

صوت ميمون : كانت آخر مرة وطأت فيها أرض الكنيس يا ابن رشد . لقد أجبرنا الموحدون على التزام عقائدهم وتحول المرء عن عقيدته بسبب الخوف من الموت،لن يكون على الاطلاق تحولا صحيحاً ، وقد أعلنوا كراهيتنا ومنعوكم ــ أنتم المسلمين ــ من خدمتنا والتعامل معنا ، وحرمونا من التجارة معكم ، وذبح الحيوانات من أجلكم ، فلا يؤذن لنا بارتداء زى شريف ، ولا يدعونكم تلقون بالسلام الينا ، وحظروا علينا شراء الكتب العلمية ، حتى ممارسة الطب المفيدة ، وبعد قليل يا ابن رشد سيحرمون علينا التفكير ، ويمنعوننا أن نكون رجالا يا ابن رشد ، سأمضى عن قرطبة .

ابن رشد : صبراً يا ميمون ، انك مازلت فتى ، والأمور تتبدل .

صوت ميمون : نعم ، تتبدل الى أسوأ سأمضى عن قرطبة ، ليس لي إلا حياة واحدة ، كنت أود أن أودعك ، وأوصيك باحترام الرأى الآخر ، والمعاشرة السلمية ، وتبادل الحوار ، والتفريق بين العدو وبين المخالف فى الرأى ، لأن هنالك تكمن أصالة أى علم وأى دين مهما كان ، وداعاً يا ابن رشد ، حافظ على قرطبة !! واحترس من قرطبة !! (مازال أثر الضجة فى المسجد على وجه ابن رشد) .

صوت ٦ : لماذا لم تشرح لنا يا أصولى صداقته الحميمة بالأمير أبى يحيى شقيق السلطان ؟ ألم تكن تلك الصداقة مؤامرة ؟

الأصولى : ألم يكن ابن رشد أيضاً صديقاً حميماً لأبى يعقوب ؟ أليس اليوم صديقاً حميماً أيضاً لابنه ؟ ألا يدعوه أبو يوسف ــ حفظه الله ــ أخاه ؟ .

صوت ٦ : ان التقرب من أصحاب الجاه ذو عاقبة وخيمة دائماً ، والخيانة تتسلق أهواءهم كما يتسلق اللبلاب بجذع الشجرة .

صوت ٥ : إن سوء استعمال الثقة يستلزم ثقة سابقة .

صوت ابن رشد : (يسلط ضوء على وجهه) كنت قد أتممت أربعين سنة حين عين أبو يعقوب إبن طفيل طبيبه الخاص، وعينه وزيراً ، وكان يعيش فى قصره ، وقد واعدنى ذات أصيل هناك وقدمنى للسلطان ، وكنت شديد الارتباك ...

(قاعة القصر ، وابن رشد فى الأربعين من عمره) .

صوت السلطان : حدثنى ابن طفيل

عنك بدون كلل ، ملحاً علي أن لديك نظريات عجيبة ، ولا تتسق دائماً والسنن المرعية ، ماذا ترى مثلا فى خلق العالم ؟ أهو قديم أو محدث ؟ (تبدو حيرة على ابن رشد) ان ابن سينا يعتبر مسألة الوجود بمثابة عرض للجوهر (يتحدث عن خلق واجب لكائنات عرضية) وفلاسفة الاغريق لا يرونه هكذا : لأن العرضية تنافى الوجوب .

ابن رشد : (متحمساً) وانا أيضاً لا أرى هذا يا سيدى . فان الله خلق العالم منذ الأزل ، لأن الارادة الالهية لا يمكن أن تحركها علة خارجة عن الذات .

صوت السلطان : ان أرسطو غامض . ليتك تشرح كتبه وتعلق عليها لتنجلى لنا .

صوت ابن طفيل : سيدى ، ليس ثمة رجل أكثر استعداداً لهذا من ابن رشد ولهذا أصررت على احضاره اليك .

صوت السلطان : لو صنعته يا ابن رشد فسوف تذكر لك البشرية جمعاء هذه اليد ، اننى اليوم أكتفى برجائك اياه

ابن رشد : لست كفؤاً لهذا يا سيدى ، ولست أعرف اليونانية ، ومؤلفات أرسطو كثيرة جداً ، وجهودى ضئيلة جداً .

صوت السلطان : حاول هذا يا ابن رشد . (بينما ابن رشد يقبل الأرض بين يديه) حاوله يا ابن رشد .

(فى المسجد مرة أخرى) .

صوت ٤ : فى رسالة وجهها الى أمير المسلمين لقبه «بأمير البربر» دون أن يستخدم أى لقب من ألقاب التوقير .

الأصولى : (ثائراً) ، هذا شىء قد مضى وقد اتضح الأمر ، قد اتضح ، وفهم أبو يوسف شرحه ، كان خطأ من الناسخ ، الذى التبست عليه علامات الترقيم ، كتب ابن رشد «ملك البرين» أيتخذ الأمير طبيبه الخاص رجلا لا يوقره ؟

صوت ٨ : ولماذا أمر اذن أن نحاكمه ؟

الأصولى : ليست محاكمته التى علينا أن نقوم بها ، بل أن نرى رأياً ، وبدون صخب .

صوت ٣ : فى احدى رسائله اعتبر النجوم آلهة ، وذكر اسم الالهة فينوس .

الأصولى : كان اقتباساً يونانياً ، لقد سرق بعضهم من مكتبته ورقة مفردة ، وعرضها على السلطان ، كفى ! كفى ! انكم تتبرعون باتهامات كاذبة ، ومنسية ، ودسائس ندامى سفيهة ، وبأحقاد وخلافات ابن رشد فوق كل هذه الترهات ، (ضجة ضخمة ، يتقدم ابن رشد الى وسط الضجة) .

ابن رشد : اهدأوا ، شكراً لك أيها القاضى ابراهيم الأصولى ، شكراً يا صديقى ، بيد أنى أرجوك ألا تؤد شهادة طيبة فى حقى أكثر مما صنعت ، حسبك أن يتهم أحدنا (يتوجه الى من حوله) حضرات العلماء ، والقادة ، والفقهاء ، انكم مجتمعون فى هذا المجلس لتقييم مؤلفاتى ، وانها لمعقدة ، وغزيرة حتى اننى لا أذكرها ، لقد كتبت حول كل شىء تقريباً ، تحدثت عن ما هو انسانى ، وعن ما هو الهى ، وبدون ريب وقعت فى أخطاء علمية ، بيد أنى أؤكد لكم أن نيتى كانت دائماً أن أعول على ما جاء فى القرآن الكريم ، وما جاء فى تفسيراته الدقيقة ، انكم أنتم أهلى ، كنت طبيبكم وطبيب أولادكم ونسائكم ، لقد حيا بعضنا بعضاً فى شوارع قرطبة ، وتعارفنا ، وصلينا معاً ، وتسامرنا معاً أحياناً فى هدوء فى منازلكم أو فى منزلى حول آلاف الأمور الهامة ، وتبادلنا الآراء والنظرات ، وكنت قاضى قضاتكم ، ودافعت عنكم فى المجلس الملكى ، مهتماً بأمور طلاقكم ، وشهاداتكم ، ومواريثكم ، وتكفلت بأموال الغائبين ، واليتامى ، والقاصرين ، وطلبت منكم أحياناً مشورة فى مجالسى ، وكنتم شهوداً على أحكامى وعلى نزاهتى ، وبجانبى هنا توجد وثائق أحكامى ، لم أصنع فى حياتى أكثر من المدارسة ، والتأمل ، ومساعدة الذين حولى . لهذا أقف بينكم هنا بلا خشية ، اننى أحب الانسان ، وأثق فيكم ، لأنكم تعرفوننى . انكم فقهاء وطنى ، وقضاته ، وقادته .

صوت ٣ : (بعد لحظة صمت خفيفة) انك تحدثت عن القرآن وتفسيراته ، وتؤكد أن الدين له نواح مختلفة حسب الرجال واستعداداتهم ، وضح ذلك .

ابن رشد : أفهم أن ثمة ثلاث طبقات من الرجال ، كل طبقة يناسبها ضرب من الأدلة . فالعامى يركن الى ايمان بدون أدلة ، أو بأدلة خطابية ، والفقهاء أهل اقتناع يستخدمون الفكر والحوار ، وحججا احتمالية ، والفلاسفة أصحاب براهين ، مثلهم الأعلى هو العلم ، يشترطون أدلة لازمة الى أقصى حد .

صوت ٣ : انظروا ، انه يضع الفلاسفة فوقنا ، نحن الفقهاء ! زندقة !

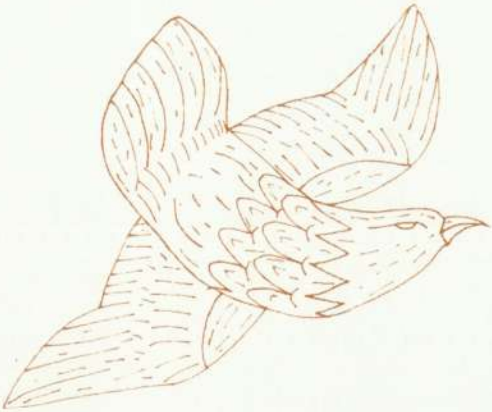
صوت ٩ : فى احدى المناسبات التقيت بالصوفى ابن عربى ، وقد اعترف لك بأن «الحب هو دينى» ، وأنت أجبته : بأن «العلم هو خير الأديان» .

ابن رشد : فى ذلك اليوم شكرت الله كثيراً ، لأننى وقد انكببت على التأمل والمراجعة ، والمباحث العقلية تفردت برؤية رجل — بعينى هاتين — دون دراسة ومطالعة وبدون تدريب — ولج جاهلا الى عزلته الروحية ، وخرج منها وقد أصابه الهوى الالهي

صوت ٧ : هذا تعبير زندقة .

ابن رشد : أتخلى عن هذا التعبير : انه مجرد استعارة .

صوت ١٠ : ألا تؤمن بالوحى ؟



ابن رشد : أؤمن بأن الله يعلم البشر عن طريق الوحى ، ما لا يستطيع العقل أن يصل اليه ، بيد أن هذه الحقائق العليا التى يحتاج اليها المرء ليعيش نوعان : حقائق مجهولة على الاطلاق أى أن ادراكها ليس فى طبيعة العقل ، وحقائق مجهولة لطائفة من الناس ليس لديها استعداد كبير ، وفى رأيى أنه يجب على الانسان أن يحاول – فى اصرار – أن يفهم أسرار الدين .

أصوات متعددة : زندقة، فسوق !!

صوت ٦ : كيف يكلم الله البشر ؟

ابن رشد : بثلاث طرق كما جاء فى القرآن ، بالوحى ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، وفضلا عن هذا الوحى الذى لا يدرك بالعقل ، فثمة طريقة أخرى للحقائق الطبيعية فى قدرة الجهد الانسانى المثقف أن يحصلها ، وليس ثمة ما يدعو الى تعارض العقل والنقل .

أصوات متعددة : زندقة ، زندقة !!

ابن رشد : (يجهر بصوته كى يسمع) ان المؤمن له الحق – بل انه واجب عليه – أن يتفكر فى دينه .

أصوات متعددة : فسوق !!

ابن رشد : ان الفكر الفلسفى لا يقودنا الى نتائج تعارض النقل لأن الحقيقة لا تناقض الحقيقة إلا اذا تدخلت عوامل منحرفة مثل التعليم الغلط ، والجهل ، والهوى ، والتحيز ...

أصوات متعددة : انه يهيننا ، انه يحمل علينا !!

صوت ١٠ : (محاولا أن يكظم سخطه) وماذا عن أفكارك المتمردة فيما يتعلق بالنساء ؟

ابن رشد : ليست متمردة . لقد كتبت فحسب عن مساواة الرجل بالمرأة فى بساطة وأكدت أننا نجهل مهارات المرأة ، لأنها لم تستخدم إلا فى الانجاب ، وبسبب اننا لا نعدهن لأى نشاط انسانى فقد صرن يشبهن البنات ، وأحد أسباب فقر بلادنا هو عدم أهلية وكسل النساء اللائى أراد لهن الرجال هذا ، فاذا كن ضعفنا فى العدد كيف لا نعتنى بهن ؟ كيف ندعهن ، ولا نسمح لهن فى ظروف نادرة بسوى الغزل والنسيج ؟ اننى أعجب بالمرأة وأحترمها .

صوت ٥ : ويقول ان أفكاره ليست متمردة !

صوت ٩ : قد قررت أنه لا يوجد طغيان أشد من طغيان العلماء أو الفقهاء .

صوت ٢ : وأن الجيش هو حارس الشعب وليس صاحبه .

ابن رشد :إن هذه الجمل تفهم فى سياقها الذى وردت فيه ، اننى فيلسوف يخيل لي ان التزمت فى الدين خطأ ، وأنا رجل أندلسى ...

صوت ٢ : (مقاطعاً) انه يجاهر بالقومية الأندلسية ازاء دولة الموحدين .

ابن رشد : اننى لا أجاهر بشىء أقول فقط ان للاندلس تقاليد راسخة من الحضارة والمعرفة ، ليس من الممكن أن تحكم كما تحكم أقاليم أخرى لا تضاهيها فى شخصيتها ، ان الأندلس دائماً احتلت محتليها .

أصوات متعددة : ماذا تريدون أن تسمعوا أكثر من هذا ، هيا بنا الى السلطان .

صوت ٦ : المثقفون فرديون ، ومناهضون للحكومة .

ابن رشد : ليس الأمر هكذا ، أظن فقط أن السلوك الاجتماعى للانسان لابد أن يخالف سلوكه الفردى ، ففى الوسط الجماعى ماتزال ممارسة الفضائل أكثر حدة ودقة منهج ، بالطبع ليست الدولة فـي حـد ذاتها إلا جهازاً تربوياً من الضرورى أن يكون له هدف لجعل الانسان أفضل عندما كنت قاضياً فى ماوريتانيا أغرقتها بالمدارس ، وما كان للدولة هدف إلا هدف أفرادها ، هكذا يكون الخير العام : تحقيق السعادة للمواطنين من خلال رعاية القانون . والخلاف بين المثقفين والحكام يكمن فى أن الفريق الأول يتأملون الفضائل المجردة ، وأن الفريق الثانى عملى يحاولون تطبيقها ، ان السياسى يحقق معجزة حقيقية : اذا حصل على أن يؤدى الناس – وهم أحرار – ما ينبغى عليهم أداؤه داخل النظام العالمى . يتطلع الفيلسوف الى هذا الصراع من بعيد ، لأن ثمة أيضاً فى هذا الصدد ثلاثة أصناف من الناس : الماديون الذين يبحثون عن اللذة والمتعة ، والشجعان الذين يسعون الى المجد والشهرة ، والعلماء الذين ينشدون العلم ، والصنف الأخير فحسب هو المؤهل حقيقة لقيادة الآخرين . (ضجة بالغة)

صوت ١٠ : فأمراؤنا اذن غير شرعيين .

ابن رشد : أتقول انهم غير علماء .

صوت ٧ : ما الذى يحقق شرعية السلطة ؟

ابن رشد : العفة ، والعلم ، والحكمة .

صوت ٧ : على هذا الأساس ينبغى أن يخلع مواطن مسلم سلطاناً غير كفء ، فاسقاً ، أو فاجراً .

ابن رشد : الذى يقرر هذا هو أنت . حسب ما أرى فان السمة الظاهرة لشرعية حاكم هى علمه ، وينبغى أن يصاقبها فضائل أخرى مثل المجد ، والثروة ، والتوفيق ، والقوة .

صوت ٢ : الى هذا كنت أريد أن أصل. هذا يتعارض مع الجهاد ، فى هذا الوقت الذى نود فيه أن نسترجع الأرض التى تركها المرابطون قبلنا مسلوبة بسبب

ضعفهم ، فى هذا الوقت الذى يطمح فيه شعبنا ببصره الى وحدة العالم الدينية ، فى هذا الوقت الذى تنهض فيه دولة الموحدين لتبسط سلطانها ، يرفض فيه ابن رشد فرض العين على كل مسلم الذى نشأنا عليه نحن ، ونشأ عليه آباؤنا من قبلنا والذى خول لنا العظمة والسلطان ، والذى قدم بنا الى هنا ، الجهاد .

ابن رشد : لم أنكر هذا الفرض . أنا رجل مسالم ، لكنى لست مستسلماً ، ما أقرره هو أنه ربما يتعلق هذا الواجب بأشخاص أهل لتحقيقه .

صوت ٢ : أتعتبر فلسفتك أرفع منه ؟

ابن رشد : أدافع بما فى وسعى عن حرية العمل بالنسبة للعلماء ، العمل الصامت ، الشاق ، المليء بالزهد ، وانكار الذات ، المكرس تماماً لخدمة الجماعة ، افهمونى ، افهمونى ، (تبلغ الضجة ذروتها . حتى على وجه ابن رشد) .

صوت ابن رشد : كانت ساعة القيلولة وكان الحمام يسجع ، وتفوح رائحة الياسمين ، حينما كنت أترجم أرسطو ، فسمعت فى الشارع صوت الشاعر الصعلوك هذا المجنون ابن قزمان ، وكان يتسلل صوته فى شيء من الوضوح من خلال النافذة المفتوحة بين عبق الياسمين الفاغم والورود ، ماذا كان يغنى ؟

صوت ابن قزمان : فمثلك أعطى ، ونشط للمديح (وأثار الكراهية والحقد) ومثلى أخذ ، وشكر ، وانصرف . (قهقهة) .

واذا مت مذهبـــى فى الدفـــن
أن نرقـــد فى كرمـة بين الجفـــن
وتضمـــوا الورق علـي كفـــن
وفى رأسى عمامـــة من زرجـــون

ابن رشد : (فى حزن) فى ذلك الوقت لم أدرك ما كان يبغى الشاعر فى زجله أن يبلغه الي .

كل الأصوات : ملعون ، ملعون (مرة ، مرة ، وفى جماعات) .

صوت ١ : باعتبار أن نظريات ابن رشد مؤذية ، فاننا ـ نحن العلماء والفقهاء فى قرطبة نناشد أمير المسلمين ـ حفظه الله ـ أن يعلن هذا الخطر شعبياً ، كما يبتر العضو الأشل من جسد الجماعة الأهلية ، ونتيجة لهذا نلتمس من أمير المسلمين أن يجرد ابن رشد من كل مناصبه ، ومن كل رتبه ، ومن كل ثرواته . وأن تحرق مؤلفاته ، تعليماً للناس ، وتنكيلا بمن يمكن أن يكون من اتباعه والمارقين ، وأن ينفى عن مدينة قرطبة .

(من عدة أماكن هامة فى قرطبة ، يقرأ الحكم فقرة فقرة ، أحياناً جملة جملة ، وأحياناً أخرى كلمات فقط بين همس مستغرب من الناس) .

صوت ابن رشد : (يغطى على تلاوة الحكم) لا تخدعوا هذا الشعب الرائع ، لا تهيجوه بالباطل ، لا تخدعوه أبداً ، انكم تهزونه دائماً بين موافقته مثل الطفل كيلا يزعجكم ، أو بين معاقبته فى فظاظة مثل الطفل دون أن توضحوا له السبب ، تتنقلون من الديماجوجية الى الاستبداد ، احترموا شعب قرطبة هذا ، واحذروه فانه مثل السكين إن لم تحسنوا استخدامه فانه يقطع أيديكم .

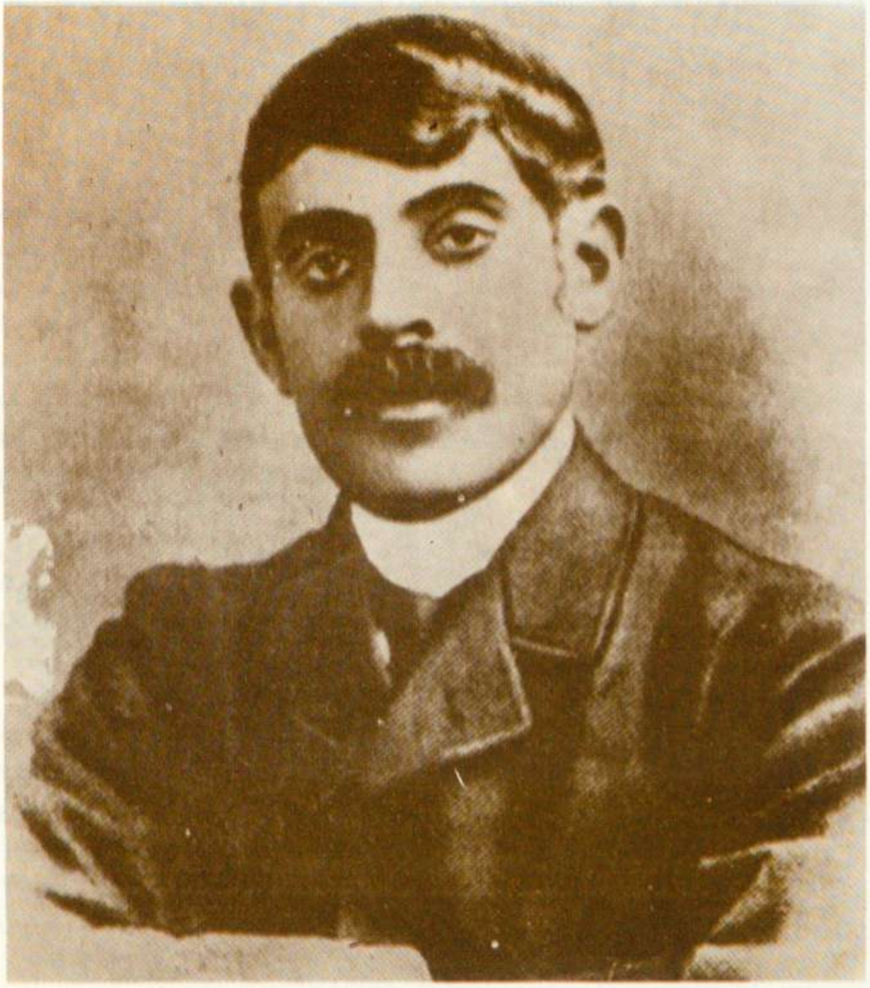
(فى ميدان منزو ، وفى الطريق الذى ينادى فيه بالحكم شرعوا فى احراق كتب ابن رشد)

ابن رشد : كل انسان حين تجرحه التعاسة فانها تجرحه فى أعمق أعماقه . وداعاً يا أبنائى ! يا أبناء لحمى ، وأيضاً أبناء نفسى أعي أنه فى يوم ما ستنتهى حمى الاتهام هذه ، وافناء عمل الغير العسير ، وستزول هذه البلادة ، وذلك الحزن ، وسوف تستمرون من بعدى تحكمون ، وتعملون فى قرطبة ، اننى أدرى ذلك ! هذه مدينة هادئة ، لكنها لا تنسى، وسيزول هذا الحقد ، سينتهى هذا الهوى غير المسوغ للحرب التى تدمر قبل كل شيء أكثر الناس منها قرباً .

وسوف يزول العامل الهدام بالنسبة لأولئك الذين يمارسون السلام والعلم والحوار ، لكنى لن أحيا حتى أرى هذا ، لن أرى قرطبة بعد ذلك ، حبيبتى ولن أرى نجومها الكثيرة السهاد والتى طالما كنت أرعاها ، ولا هواءها الذى خبرته فى تأن ، ولا هزات أرضها التى استطعت أن أعلنها قبل حدوثها ، لن أرى بعد ذلك هذه الأرض ، ولا هاته المناظر ، ولا تلك الأم التى كانت مهيئة لاستقبالى ، يا أسفا على قرطبة ، التى تنفى علماءها ، وأبناءها البررة ، وتطفىء أنوار الذكاء ، وتشعل الجذوة المعادية ، وتنفى شعراءها

واأسفا عليك يا قرطبة . انك هجرت الشروع فى الفهم ، وكذلك واأسفا علي فاننى أفقدك ، واأسفاه علي حين أكون على عتبة الموت يقصوننى عنك ، حين احتجت الى جوك يهجر الزرزور شجر الزيتون ، ((يأخذ الصوت فى التلاشى) وداعاً قرطباً ، وداعاً ، سأسقى أرضاً أخرى بدموعى ، ستوارى أرض أخرى هذا الجثمان الذى منحتنى اياه ، وداعاً ، وداعاً .

ترجمة : عبد اللطيف عبد الحليم



هكذا تكلم قاسم أمين

من هو قاسم أمين ؟
١٨٦٥ - ١٩٠٨

● كاتب عربي ، من أصل كردى ، ولد بمصر وتعلم بالاسكندرية وبالأزهر .
● توثقت صلته بالامام محمد عبده وبسعد زغلول

ودرس القانون بجامعة مونبيليه بفرنسا وعمل بالنيابة والقضاء .
● كان كتابه « تحرير المرأة » (١٨٩٩) أجرأ صيحة

أطلقت في نهاية القرن الماضي لتحرير المرأة العربية وقد دعا الى سفورها وتعلمها ومشاركتها للرجل في الحياة العامة ، وقد أثار معارضة عنيفة رد عليها بكتابه الثاني (المرأة الجديدة) - ١٩٠٦ -
● له أربعة كتب صغيرة غير كتابيه الرئيسيين هي : « كلمات » و « أسباب ونتائج » و « أخلاق ومواعظ » و كتاب « المصريون - رد على دوق داركور » .

رأي في اللغة

يظهر أن باب الاجتهاد اغلق في اللغة كما أغلق في التشريع ، فقد صار من المقرر بيننا الآن أن اللغة العربية وسعت وتسع كل شيء !

لكي يكون هذا الاعتقاد صحيحاً ، يجب أن نفرض أن هذه اللغة نتيجة معجزة ، فظهرت كاملة من يوم وجودها في العالم ، وهذا يناقضه قيام الدليل على أن جميع اللغات خاضعة لقوانين التحول والرقي العام ، وتابعه في أطوارها لسير الانسانية ، فهي إذن مظهر من مظاهر غريزتها الطبيعية التي لا تزال تنتج وتبدع كما فعلت في الماضي ، ولا أدري لماذا يريد قومنا أن يستبعدوا من اللغة العربية الكلمات الفصيحة وطرق التعبير الجميلة التي نسمعها أحياناً في لغة العامة بحجة أنها لم ترد على لسان العرب ..

نحن خلفاء العرب في لغتهم ، فكل ما تخترعه ملكاتنا في اللغة يعد عربياً بالطبع !

● الحرية الحقيقية تحتمل إبداء كل رأي ونشر كل مذهب ، وترويج كل فكر .

● كلما أردت أن أتخيل السعادة تمثلت أمامي صورة إمرأة حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل .

● بعد سن الأربعين يبتدىء العاقل يرى أن المطلق ليس له وجود ذاتي ، وأن الثروات الجميلة التي نحبها ونقدمها كالخير والحق والعدل لايمكن أن توجد في الخارج إلا مختلطة بنقيضاتها .

● لا تصحبوا الأشرار ، فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم ..

● بعد سن الأربعين كل زلة خطرة !

لا تكمل أخلاق المرء إلا إذا أستوى عنده مدح الناس وذمهم إياه .

● كل مباحثة مفيدة إذا كان الغرض منها إظهار الحقيقة ، ولكنك لا تجد إلا شخصاً يريد أن يعلمك ما ليس له به من علم ، ولا يصغى إلى شيء مما تقول لأنه ليس مشتغلا إلا بما يقوله .

● أقل مراتب العلم ما تعلمه الانسان من الكتب والاساتذة وأعظمها ما تعلمه بتجاربه الشخصية في الأشياء والناس

● إن كان في الوجود انسان يستحق أن يحسد على نعمته فهو العاشق .

● لابد أن تكون الغاية النهائية للتربية الأدبية هي العفو عن الخطيئة ، العفو عن أكبر خطيئة ، العفو عن كل خطيئة .

● لا يطلب الكمال من المرء ، وإنما يطلب منه أن يكون في كل يوم أحسن منه في اليوم الذى مضى .

● يوجد اناس متى رأيتهم أو سمعتهم تشعر بنقص في خلقهم كانهم صنعوا بغاية السرعة فلم ينالوا حظهم من الاتقان المعهود .

● اللذة التي تجعل للحياة قيمة ، ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ولا علو المنصب ولا شيء من الأشياء التي يجرى وراءها الناس عادة ، وإنما هي أن يكون الانسان قوة عاملة ذات أثر خالد في العالم .

● سئل ح . بك : ما رأيك في كتاب تحرير المرأة ؟ . فأجاب : ردىء . فهل قرأته ؟ . لا . أما يجب أن تطلع عليه قبل الحكم برداءته؟ قال : ما قرأت ولا أقرأ كتاباً يخالف رأيي .

● أعرف قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل !

● أتعس البرية انسان ضاع ايمانه يدس الموت بسمة في حياته فيفسد عليه لذتها وينغص عليه شهوتها .

● العقل والجنون شيئان متضادان ، ولكن حدودهما متجاورة مختلطة ، وفي الحقيقة لا يعرف احد أين ينتهي العقل وأنى يبتدىء الجنون . إن كان التوازن بين قوى النفس هو علامة العقل ، فالنبوغ في المدارك بالخيال يكون غالباً نتيجة اختلال في هذا التوازن .

● معاقبة الشر بالشر ، اضافة شر الى شر !

● كل مذهب جديد يكره من اجل الحقيقة التي يحتوي عليها ، ومع ذلك فانه لا يعيش إلا بهذه الحقيقة !

● أول الحب هزل في الغالب ، وآخره جد ! .

● قلما توجد حقيقة لا يختلط بها بعض الخطأ ، وقلما يوجد خطأ لا يختلط به بعض الحقيقة ، لذلك يجمل بنا أن نسمع كل قول ..

● في الأمة الضعيفة المستعبدة ، حرف النفي " لا " قليل الاستعمال .

المـرأة العربيـة والنحـاة

بقلم: محمد العدناني

● لابد لي هنا من أن أذكر أن جل النحاة القدماء ، البصريين والكوفيين منهم على السواء ، تعمدوا تعقيد النحو وقواعده ، وأحاطوا كثيراً من أبوابه بضباب كثيف من الغموض ؛ لكي تتاح لهم الفرصة لجلاء ما قصرت أذهان طلابهم عن إدراك كنهه ، وكشف المعمى فيه ، ولفرض جُعْلٍ خاص لهم يتقاضونه من التلاميذ ، يمكنهم مع اسرهم من العيش مطمئنين الى أن حصولهم على لقمة العيش أصبح ، نوعاً ما ، مضموناً ؛ لأن الدولة لم تكن ملزمة ، فى ذلك العهد بدفع رواتب أسبوعية أو شهرية يستطيعون الاعتماد عليها ، شأن اساتذة اللغة العربية فى هذه الأيام .

ولم تنج المرأة من بعض الهضم لحقوقها نحوياً ، وتحمل أعباء بعض القلم والقيود التى قيدها بها معظم أجدادنا من النحاة .

فمن الظلم الذى تلحقه الفصحى بالمرأة ، أنها تحرمها تاء التانيث ، التى تتحلى بها في آخر الكلمة ، عندما يكون الفعل خاصاً بالاناث دون الذكور ، فيقولون : هذه مُرضِعٌ ، وتلك حائض بدلا من مرضِعة وحائِضة . ولست أرى مسوغاً لغوياً لذلك .

وتجيز الضاد أن يقال للأم : هذه والدٌ (دون تاء مربوطة) على خلاف الأصل ، وهذه والدة (بتاء التانيث المربوطة) على الأصل .

فلماذا تجيز الفصحى حرمان الأم تاء تانيثها ، التى تعتز بها ، والتى لها معنى كبير لدى الأبناء ، ولدى الجنس الخشن .

ولما كان النحاة يجيزون لنا أن نقول : هي الوالدة أو الوالد ، فانني أرى أن نُخَطِّىءَ من يقول : هي الوالد ؛ لأنني أكره الشذوذ فى اللغة ، ولأن كثرة الشذوذ فى نحو اللغة العربية ، التى وَرَّثَنَا إياها نحاتنا القدماء ، هي التى افسحت المجال لأعداء العروبة للحملة على الضاد ، وتنفير الناس منها ، والدعوة الى استعمال اللغة العامية ، والسعي الحثيث لطمس معالم الفصحى ، ومحاولة إحلال اللغة العامية مكانها بمرور السنين . ألا بئس ما يحاولون .

ومعظم النحاة حين ينسبون الى أخت وبنت ، يقولون : أَخَوِيّ وَبَنَوِيّ ، بدلا من أُخْتَيّ وبِنْتَيّ . وقولنا أخويّ وبنويّ يوقِع فى لبس شديد ، مما دفع بعض النحاة الى أن يقولوا فى النسبة إليهما : أُخْتِيّ وبنتِيّ ، خوفاً من الوقوع فى اللبس ، لا دفاعاً عن حواء المظلومة.

وتظلم الضاد الفتاة عندما تصبح يافعة ، فتنسبها الى الصبي ، وتقول : هذه صَبِيَّة . لماذا لا نقول هذه بِنْتِيَّة ، مادامت وحدها هنا ، دون أن يشاركها في النسبة صبي ، يجعل النحاة يجدون لهم مخرجاً ، ويقولون : تَغَلَّبَ الذَّكَر (الصبي) على الأنثى (البنت) ، فكانت النسبة اليه لا إليها .

وإذا كان للعدد المركب تمييزان ، أحدهما مذكر عاقل ، والآخر مؤنث حقيقي ، كان الاعتبار للمذكر ، ووجب تانيث صدر العدد المركب ؛ مراعاة للتمييز المذكر ، ولو جاء متاخراً ، على أن يكون من العقلاء ، نحو : نجح أربعة عشر طالباً وطالبة ، أو : نجح أربعة عشر طالبة وطالباً .

فان لم يكن تمييز العدد المركب من العقلاء ، روعى السابق منهما ، نحو : فى الحديقة أربعة عشر بلبلا وعصفورة أو أربع عشرة عصفورة وبلبلا .

فيا للفصحى الظالمة ! التى تفضل أبناء آدم الخشنين على بنات حواء الرقيقات الفاتنات ، بينما تساوى إناث الحيوانات بذكورها .

ويخطئون من يجمع (باسِل) على (بُسَلاء) ؛ لأن كلمة (بواسل) هي جمع (باسِلة) ، ويَدَّعون أن العرب لم تجمع من صفات المذكر العاقل على (فواعل) سوى ثلاث كلمات ، هي : هالك ، وفارس وناكس (الرجل المطاطىء رأسه) .

ولكن النحاة لم ينسوا هنا إلحاق



الظلم بحواء ، إذ أنهم بعد ماقالوا : كل مؤنث عاقل على وزن (فاعلة) يُجمع على (فواعل) » . أجازوا أن يُجمع على (فواعل) كل وصف لمذكر غير عاقل ، على وزن (فاعل) ، مثل : صاهل وصواهل (مساوين المرأة بالرجل) ، وشاهق وشواهق .

والنحاة عثروا هنا ، إذ اهتدى بعض الباحثين المعاصرين ، فى الكلام الفصيح ، الى جموع كثيرة جاوزت الثلاثين ، وكل واحد منها وصف لمذكر عاقل . ومن هذه الجموع : سابق وسوابق ، وسابح وسوابح ، وحاسر وحواسر ، وقارىء وقوارىء ، وكاهن وكواهن ، وعاجز وعواجز ، وحاج وحواج ، ورافد وروافد ، وغائب وغوائب .

وقبل ذلك وقف العلامة عبد القادر البغدادى ، صاحب خزانة الأدب (فى الجزء الأول ، صفحة ١٩٠ ، طبع المطبعة السلفية) عند كلامه على بيت الفرزدق :

وإذا الرجال رَأَوْا يزيدَ ، رأيتَهُم
خُضُعَ الرقابِ ، نَوَاكِسَ الأبصار

وما تَضَمَّنه من جمع التكسير (نواكس) ، فعرض أمثلة من هذا الجمع ، جاوزت العشرة ، ثم وصلت بعده الى ما يُربى على الثلاثين .

وذكر الفيومي ، فى مادة (فرس) من المصباح المنير ، بعضاً من تلك الجموع التى ذكرت آنفاً ، وبعضاً يغايرها ، مثل : صاحب وصواحب ، وناكص (راجع الى الوراء) ، ونواكص ، وخوالف (جمع خالف وخالفه ، وهو القاعد المتخلف) .

وقال الزبيدى فى معجمه (تاج العروس) ، فى مادة قرأن ، عند الكلام على قوارىء ، ما نصه : (قوارىء) كدنانير — وفى نسختنا (قوارىء) كفواعل ، وجعله شيخنا من التحريف . قلت : إذا كان الجمع جمع (قارىء) فلا مخالفة للسماع ولا للقياس ، فان فاعلا يجمع على : فواعل . »

لذا ، لا يخطىء من يجمع كل صفة لمذكر عاقل على وزن (فاعل) على (فواعل) ، ولكن الأفضل أن لا نجمع على (فواعل) إلا الكلمات التى نجدها فى المعاجم .

وقد قطع مجمع اللغة العربية بالقاهرة قول كل خطيب ، إذ وافق ، فى دورة عام ١٩٧٣ ، على اقتراح لجنة الأصول ، الذى يرى أن :

« لا مانع من جمع فاعل ، وصفاً لمذكر عاقل ، على فواعل ، نحو : باسل وبواسل ، وذلك لما ورد من أمثلته الكثيرة فى فصيح الكلام . »

ويقولون إن اطلاق الجمع (فوارس) ، المخصص للاناث على وزن (فاعلة) ، إذا أطلقناه على الرجال ، وقلنا : فارس فوارس ، ولا يمكن أن يوجد فى ذلك لبس : لأن الرجال وحدهم هم الفوارس . فما قولهم فى البطلة المغوارة خولة بنت الأزور ، التى أدهشت بشجاعتها وبطولتها فارس العرب وبطلهم العظيم

المرأة العربية والنحاة

خالد بن الوليد؟ ألا يحق لنا أن نقول إن المرأة العربية ـ حين تشاء ـ هى شجاعة كالرجل؟.

لذلك أقترح على مجامعنا الأربعة الخالدة، أن يقتصر جمع (فارس) على (فرسان)، وأن نقول: خولة (فارسة)، رغم أن ابن سيدَه يقول إنه لم يسمع من يقول: امرأة فارسة، ولو ولد علي بن سيدَه قبل أربعة قرون من مولده (ولد علي بن سيده الأندلسي سنة ٣٩٨هـ. وتوفى سنة ٤٥٨هـ. وكان ضريراً، ومن أشهر مؤلفي المعاجم: المحكم والمخصَّص)، وسمع الناس آنذاك يصفون كيف تصول الشاعرة الفارسة البطلة خولة، وتجول فى ميادين القتال، لغير رأيه اللغوى، وقال: بارك الله بالفارسة العربية المغوارة خولة بنت الأزور.

وروى اللسان عن ابن السِّكِّيتِ أنه قال: «تقول: هو ثالثُ ثلاثةٍ، وهي ثالثةُ ثلاثٍ. فاذا كانت فيه مذكر، قلت: هي ثالثٌ ثلاثةٍ، فيغلب المذكر المؤنث.

وإذا جاء طفل واحد مع مليون امرأة، قلنا: جاءوا، ولم نقل: جئن، فيا للظلم الفادحِ الحالِّ بأمهاتنا، وأخواتنا، وبناتنا، وحفيداتنا!

أين الديمقراطية أيتها الضاد الدكتاتورية؟

ويصفون المؤنث بنعتٍ مذكر، عندما لا يلتبس الأمر عليهم، فيقولون: دجاجة بائضٌ؛ لأن الديك لا يبيض، كأن في ذلك شرفاً للدجاجة المسكينة التى تزود الناس بأحسن غذاء عرفناه.

ويقولون أيضاً: باضت الطائرة، فهي بائضٌ وليست بائضةً. مسكينة أنت ياأنثى البشر، وياأنثى الطير!

وضمير الرفع المنفصل (أَنْتُنَّ) قد نقرأه (أَنْتَنَ)، إذا لم يكن مضبوطاً بالشكل كجل المطبوعات العربية، بينما الضمير (أنتم) لا يمكن أن نخطىء فى قراءته، ولا تصبح رائحته كريهة نتنة، سواء أضبطناه بالشكل أم لم نضبطه.

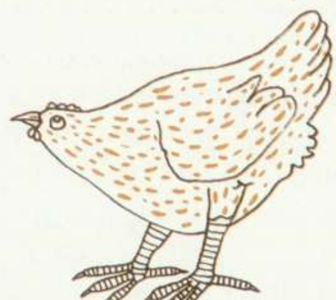
وعندما نقول فى رسائلنا: «سلموا على الأسرة فرداً فرداً». هل يجوز أن نقول فردة فردة؟

الفصحى تجيز ذلك، ولكن هل تسمح لنا النساء بذلك، أم يلحقننا وفي أيديهن فردات نعالهن؟

ولست أدرى لماذا نقول: «رأت فيه رجل أحلامها»، ولا نقول: «رأى فيها امرأة أحلامه؟» إن غريزة الجنس والأحلام غير مقصورة على النساء دون الرجال، منذ بدء سن المراهقة، حتى انطفاء ذبالة الحياة.

محمد العدناني
عضو شرف فى مجمع اللغة العربية الأردني





ثلج.. ولهب

شعر: محمد خليفة

حلوتي.. ياشوكة في هدبي
ودبيباً موجعاً في عصبي
آن... أن تقتسمي الكأس معي
وتحسي بدمي الملتهب
آن... أن تغتسلي فى النار.. أن
تستحمي بدموع اللهب
لن تكوني امرأة.. إلا إذا
احترقت فيك بقايا الحطب
أنت كالتمثال.. عاج أبكم
وجمال أخرس كالذهب
دمية.. أنت بلا عافية
صنم من حجر أو خشب
فابحثي عن جاهلي أحمق
يعبد الأصنام والحسن الغبي
ثغرك الثلج.. وثغرى لهب
فاطفئيني
أو فذوقي
لهبي

أكثر من قصيدة

شعر: م. كجراي

ريــــاح

أخبروني أي جدوى لاخضرار الكلماتْ
فى دجى ينضحُ بالرعب كثيفَ الظلماتْ
لم تزل تعبث فى الافق الرياحْ
تتوارى نضرة الحقل لتمتد مساحات رمال الفلواتْ
شاحب وجهُكِ ياصحراء ،
تاريخك فى كلَ المزامير فجيعه
فمتى أشهد ضوء الفجر استقبل رايات الشريعه
ومتى تورق فى وجهك أوراق الطبيعه

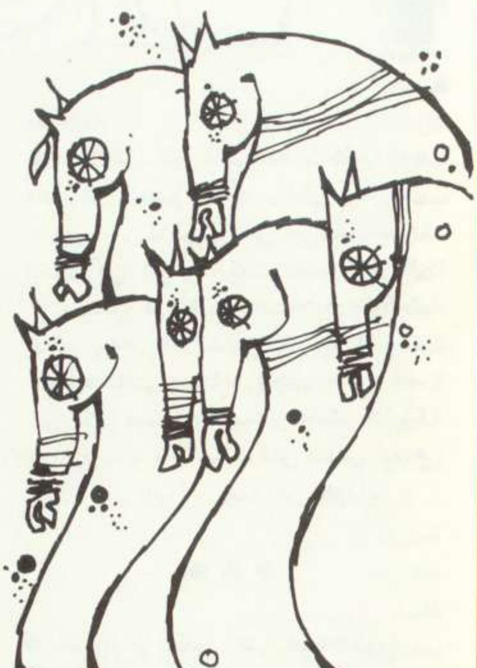


مرثيـة

وطن النسيان لا يثمر غير الحنظل الأصفر حقداً ومراره
يعرف الربح عقوداً
ونقوداً
ويرى فى مقطع الشعر الخساره
حينما يمتد فى وجه المصابيح المضيئه
ظل سد من تراب ، أو حديد أو حجاره
آه لا يبقى سوى أن ينزف الشعر دماً
مرثية للفكر فى عصر الحضاره
فامض ياقلبي فما نبضك إلا
مقطع للحزن خانته العباره

زمن السيف

فجوات دائريه
ورؤى ألمح فى أغوارها كل العيون السامريه
هأنا أبصر فى دائرة الحلم تقاطيع الوجوه البربريه
يتوارى القمر الذاهل خلف الغيم مسحوقاً
تموت الكلمات الشاعريه
ليس هذا زمن الحرف ،
فهذا زمن السيف وحمى الغضب الصارخ
من جذر الأصول
جسدي يهتز من قرع الطبول
فى دمائي تركض الليلةَ آلاف الخيول
وأرى تاريخيَ النازفَ فرعاً دائم الخضره
لا يعرف ألوان الذبول
فأنا الجرح الذى ينزف من كل ترانيم الفصول
لم يعد لي غيرَ أن أمتشقَ السيف
على كل شناعات المغول



والدعوة عامة

قصة بقلم : أبو المعاطي أبو النجا



● معذرة يا دكتور اذا كنت قد فاجأتك بهذه الزيارة فى مثل هذا الوقت ، قدماى حملانى اليك ، فحين يواجه المرء موقفاً يشل قدرته على التفكير ، يتولى جسده الأمر كله ، وجدتنى أمشى على غير هدى هكذا كنت أظن حتى وقفت أمام عيادتك فأدركت أننى كنت أبحث عنك .

• • •

● لا تقلق يا دكتور ، سوف أحدثك عن كل شىء ، وان كنت لا أدرى من أين أبدأ ؟ أتتذكر آخر مرة زرتك فيها ؟؟ لازلت أذكر كلماتك مع أنه قد مر على ذلك عدة سنوات ... يومها قلت لي :

ـ «زوجتك الآن فى أحسن حالاتها ، والباقى فى يدك أنت ، أنت الأرجح عقلا وبصيرة ، ما أطلبه منك يفوق ما أطلبه منها ، واذا كنت تريد حقاً أن تنقذ مشروعك الفكرى فلابد أن تدفع الثمن عن طيب خاطر ، لابد أن تحرمها من كل فرص الشجار أو المرض ولا مانع من أن تقبل أحياناً بما لا تقتنع به من سلوكها حتى توفر لنفسك أثمن ما تحتاجه ، الهدوء والوقت وحين تنجح فى تحقيق انجازك ، فقد تكون زوجتك أول من يتأثر بذلك بشكل ايجابى ، وقد يؤدى اعتراف الآخرين بعملك الى اعترافها هى أيضاً بما تحتاجه من هدوء وسلام فتمنحه لك عن طيب خاطر ...»

كأنك كنت تقرأ المستقبل فى كتاب مفتوح يا دكتور . لقد حدث الكثير جداً مما توقعت ، لكن هل كان فى قدرتك أن تتوقع النهاية التى تطورت اليها الأمور ؟ والتى حملتنى اليك فى هذه الزيارة المفاجئة ؟

● أعرف يا دكتور أننى تأخرت كثيراً هذه المرة فى اللجوء اليك ، لكن ربما كان عذرى أننى تأخرت كثيراً فى اكتشاف ما يجرى من حولى ، كنت أتصور أن كل شىء يسير فى طريقه الصحيح ، وكنت أدخر زيارتى لك لتكون تتويجاً لما كنت أظنه نجاحى ونجاح زوجتى معاً ، فقد كان كلانا فيما أرى يسعى بخطى حثيثة وواثقة نحو نجاحه .. لكن دعنى أرجع قليلا الى الوراء لأبدأ من البداية .

• • •

● أشكرك يا دكتور على هذه القهوة ، التى كنت فى أمس الحاجة اليها ، البداية أنت تعرفها يا دكتور . لن أحدثك

طويلا عن مشروعى الفكرى فانت تذكر بلاشك تلك الحوارات الطويلة التى كانت تدور بيننا عن امكانية تحقيق العدالة .

نسيت فى خروجى الذاهل علبة سجائرى ، لابأس فكلانا يدخن نفس النوع ، كنا نتفق فى أشياء كثيرة وكنا نختلف أيضاً . حتى بالنسبة لمشروعى .

كنت أقول لك دائماً : ان التناقض بين العدالة والحرية ليس أزلياً بقدر جهلنا بقدرات الانسان وحاجاته وجهلنا أكثر بهذه العلاقة المراوغة بين القدرة والحاجة أشعر أننى أعود الآن معك الى هذه الأيام الخوالى ، كنا نتفق فى سخريتنا من المقولة الشهيرة «من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته» ، اذ من الذى يحدد القدرة والحاجة ، دون أن يقتل الحرية ، ومهما يكن حسن النية أو التقدير .. ولكنا كنا نختلف فيما بعد ذلك ، فقد كنت أنت ترضى بقدر من العدالة وقدر من الحرية فى حدود ما نعرف عن قدرة الانسان وعن حاجاته . وهى الحدود التى يشير اليها عمل كل فرد ، وتتيحها امكانات كل المجتمع .

بينما كنت أقول لك : ان العدالة الحقيقية سوف تكون فى متناول اليد لو أمكننا وضع تلك الاختبارات التى تكون نتائجها فى قياس قدرات الانسان من الدقة بحيث لا يشعر من يخضع لها بأننا نتدخل فى حريته حين نحدد له مدى قدرته ؟ .

وقتها كنت تقول لي ساخراً : قد تصبح الرغبة فى تحقيق الكمال حين تعوقنا عن العمل المتواضع البسيط أشد أقنعة الهروب خبثاً ثم تضيف مخففاً من سخريتك : وعلى كل حال لن أثبط من همتك فقد تنجح فى تحسين بعض الاختبارات الموجودة بالفعل وهذه خطوة جيدة ، وإن كنت سأبقى على قناعتى بأن فى شخصية الانسان قوى لا يمكن قياسها بمثل هذه الاختبارات التى أخشى أن تضيع حياتك فى الجرى وراءها ...

قوى لا تفصح عنها سوى مواقف الحياة ذاتها .. كنت تشعر وقتها يا دكتور بما يمكن أن تتطور اليه الأمور أم أنها كانت مجرد مخاوف ؟؟ وفى الحقيقة بمقدورى الآن أن أعترف لك بأن سخريتك من طموحى كانت من أهم الأسباب فى وصولى اليك متأخراً هذه المرة .



كنت أريد أن أتحدى زوجتى وأتحدى سخريتك معاً ولم تكن المشكلة فى تقديرى هى الشك فى قيمة الاختبارات بمقدار ما هى فى وجود الفرصة للبدء فى مثل هذا المشروع الذى يحتاج ما لا أملك من الفراغ والمال .

• • •

● تقول أن لديك موعداً هاماً فى الساعة الخامسة ؟ . أنا أيضاً لدى موعد مصيرى فى نفس الوقت ، يا لها من مصادفة ! أعتقد أنه لايزال أمامنا من الوقت ما يكفى لنفكر معاً فيما ينبغى بالنسبة الى موعدى المصيرى والذى جاء بى اليك فى مثل هذا الوقت ، سوف أكف عن كل المقدمات .. فالبداية الحقيقية حدثت يوم عرفت الدكتور «ناجى السلامونى» .. يومها كنت .. ماذا حدث يا دكتور ؟؟ هل قلت شيئاً غير عادى ؟

– .....

– تغيرت ملامحك حين نطقت باسم الرجل .

– .....

– أردت فقط أن أدخل فى الموضوع مباشرة ، والرجل معروف لكل الناس ، فهو رجل الأعمال الشهير ، وحين زارنى فى مكتبى بالوزارة لانجاز بعض معاملاته كان لطيفاً الى الحد الذى وجدت نفسى فيه دون أن أدرى أحدثه عن مشروعى الخاص بالاختبارات أدهشنى اهتمامه بمثل هذا الموضوع وحسن استماعه الى الحد الذى ظننت فيه أنه نسى موضوعه الذى جاء من أجله فرجوته أن يأذن لي بدقائق لانجاز موضوعه .

قال لي وهو يتسلم أوراقه :

– سوف أعقد معك صفقة محددة ثم أوضح بلهجة عملية :

لا تهمنى دوافعك للمشروع ولا ما تسعى اليه ، كل ما يعنينى هو اختيار الموظفين الأكفاء لشركاتى ، دائماً كنت أعتمد على التجربة للحكم على كفاءتهم ثم منحهم الثقة والمسئولية ، وطبعاً لهذه الطريقة ثمنها الباهظ من الوقت والنقود ، ومن بين العشرات قد أجد شخصاً واحداً مناسباً ، ولو أمكنك أن تضع لي اختبارات تجعلنى نتائجها أثق بمشروعك فسوف توفر لي الكثير من وقت التجربة وتكاليفها ، وآنذاك سوف أمنحك تفرغاً كاملا لمواصلة بحوثك فى هذا المجال سآخذ منك فقط ما يلائم حاجتى وسأتركك لآخر عمرك تبحث عن حل سعيد كما تسميه لمشكلة العدالة والحرية على مستوى الدولة أو على مستوى الانسانية أما أنا فلا يهمنى سوى شركاتى ، وحتى أكون واضحاً معك من البداية فلن أنقلك الى العمل معى إلا بعد أن أجرب بعض اختباراتك ..

• • •

● هل تريد أن تقول شيئاً يا دكتور ؟

– ...

– أعتقد أن حديثى عن «الدكتور ناجى السلامونى» سوف يجيب على كل تساؤلاتك ... لم أتردد فى ترك عملى بالحكومة حين أخبرنى بأن نتائج

والدعوة عامة



الاختبارات التى استخدمها جيدة ودقيقة ، وحين قدم عرضا لم أكن أحلم به لم يكن ما جذبنى الى العمل معه مجرد اغراء الفرصة أو النقود ، بل كان شيئاً غامضاً فى شخصية الدكتور ناجى نفسه ، أحسست به منذ أول لقاء معه ، وبدأ هذا الشىء ينمو ويتبلور بعد العمل معه ... كنت أفكر منذ الأيام الأولى من العمل معه فى هذا السؤال : هل يمكن أن ينجح أى اختبار أضعه فى قياس قدرات الدكتور ناجى الفائقة وبخاصة قدرته على الاقناع والنفاذ فى الناس بل ومقاومتهم حين يحتاج الأمــــر الى المقاومة ؟؟

ثم غرقت فى العمل ، وحين كنت أحتاج الى السفر أو عمل بعض الدراسات الميدانية كنت أجد كل شىء تحت يدى ، التذاكر والحجز فى الفنادق والطباعين والأوراق والكتب ، أصبحت لدي مكتبة كاملة وسكرتارية وحريتى ووقتى ، ورجال الدكتور فى كل مكان ، كأنه دولة صغيرة محكمة ، كل شىء فيها مختار بعناية ، أما زوجتى فقد انتهت مشكلاتى معها تماماً ، كنت غارقاً فى عملى ، وكانت هى غارقة فى تأثيث شقتنا الجديدة ، ثم فى الحفلات التى كان يحضرها الدكتور ناجى أحياناً ، وحين كنت أراها فى هذه الحفلات وهى تستقبل الزوار وتحادثهم بلباقة وذكاء فى كل الموضوعات ، لم أكن أصدق أن هذه هى زوجتى حقاً التى كنت تقول عنها انها الأقل ذكاء وحكمة ، والتى طالما حملتها مسئولية عجزى عن انجاز مشروعى .. كيف لم أبصر فيها من قبل كل هذه الجاذبية التى تنطق بها عيون من حولها ؟

لم أكن أستطيع أن أمنع نفسى مع شعورى بالدهشة من الشعور بالزهو لأن هذه السيدة الجميلة الذكية هى زوجتى لعلنى قدمت الآن الاجابة على سؤال لم تسأله أنت مع أنه ربما يدور فى خاطرك : كيف نسيت أنا أو زوجتى أن نوجه لك الدعوة مرة واحدة مع أنك صديقنا القديم ، ربما كنت أشاركها الشعور بأنها لا تحب أن ترى شخصاً يذكرها بلحظات ضعفها وبأنها كانت يوماً الأقل ذكاء وحكمة ، الذى كان يبدو أنه يعرف قيمة زوجتى حقاً هو الدكتور ناجى السلامونى لم يكن يتردد فى أن يقول لها أمامى وأمام كل المدعوين :

ـ حقاً وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة وفاتنة ..

لم أكن أهتم كثيراً بمثل هذه المجاملات ، فقد كنت أشعر أن الرجل يغازل الدنيا كلها ، وأنه لا يمكن لأية امرأة أن تكون محور اهتمامه الحقيقى .

ولكن هل كانت زوجتى تفهم الدكتور كما أفهمه أو لعلك أن تقول الآن فى نفسك وهل كنت أنت تفهمه ؟ على كل حال أنا هنا الآن لأعترف لك بما كان وبما يكون لنواجه معاً ما سيكون ولست أريد أن ألقى عليك ألغازاً ... المسألة أن مثل هذه المواقف لم تدفعنى يوماً الى أن أهتم بملاحظة علاقة زوجتى بالدكتور ناجى أو حتى بغيره كنت سعيداً بانطلاقتى فى عملى ، وبانطلاقها الى دنيا لا وقت فيها للشجار أو المرض ..

● ● ●

● مع أننى لم أكن أعمل فى فراغ فان الطريقة التى يستفيد بها الدكتور ناجى من مشروعى كانت أحياناً تحيرنى ، فالرجل لم يكن يعتد بكل نتائـــج اختباراتى ، وأحياناً كان يعين أشخاصاً يفشلون فى حل هذه الاختبارات ، ولكنه لم يهمل يوماً هذه الاختبارات كلية ، ولم يتدخل يوماً فى شئونى ، كانت بينى وبين الرجل منذ البداية شروط واضحة محددة ، فلماذا أختلق مسائل الخلاف معه ، كانت عنايته بالمشروع تبدو واضحة حين يستخدم شبكة علاقاته المذهلة فى توفير كل ما يلزم ولتذليل أية عقبة فى طريق المشروع ، وحين كان يتحدث الى خاصة أصدقائه وزواره أمامى عن المشروع كان يتحدث باعتباره واحداً من أخطر انجازات مؤسسته وبما يوحى بأن هناك فريقاً من المختصين يعمل تحت اشرافه المباشر ، وان هذه القضية ، قضية قياس القدرات كانت احدى همومه الفكرية المبكرة ، ومرة أخرى كنت أبتلع هذه المواقف متصوراً أنها جزء من ميوله الاستعراضية ، ومن رغبته فى اضفاء الأهمية القصوى على كل عمل يقوم به أكان من الممكن أن أتوقف أمام هذه الظواهر وأعرض مشروعى كله للتوقف ؟؟

كنت قد حققت بعض التقدم فى قياس القدرات العقلية ، وكنت أتمنى أن

انقل محاولاتى الى مجال القياس النفسى فى محاولة لتفهم الكائن البشرى فى شتى جوانبه فهل اترك هذا الهدف الكبير من أجل تفهم أهداف «الدكتور ناجى السلامونى» من مثل هذه الممارسات التى قد تكون مجرد أغراض لتضخم ذاتيته .

• • •

● لا أريد منك تعليقاً الآن يا دكتور ، وليس هذا هو الوقت المناسب للحديث عما قمت به فى مجال قياس الحاجات النفسية فالدكتور ناجى لم يكن يترك لي فرصة العمل فى هدوء طول الوقت فقد كانت قدرته على اثارة القلق لا تقل لحظة عن قدرته على اثارة الاعجاب ، ما تنشره الصحف عنه هو لا شيء بجانب حقيقته ، أحياناً كان يقربنى منه جداً ، يصحبنى فى رحلاته وزياراته لمواقع العمل ولا أكتمك أننى تمنيت يوماً أن أؤلف كتاباً عنه عن شخصيته الفذة ، أقصد عن شخصياته المثيرة للاعجاب والقلق ، حين كان يتحدث مع العمال كنت لا تفرق بينه وبينهم ، يتحدث بلغتهم ، يرتدى مثل ثيابهم ، يروى الحكايات والنكات التى تبادلونها فى جلساتهم الخاصة ، ويستشهد بأمثال جدته ونوادرها ، واذا جاء وقت الصلاة وهو معهم تقدمهم للصلاة .

أما مع كبار المسئولين فى مؤسسته فقد كان يبدو أحياناً وكأنه أكثر إلماماً بالأمور التى تخصص فيها كل واحد منهم طوال عمره ، يشير الى المراجع والكتب والصحف التى لا تعرف متى يجد الوقت لقراءتها كأنه يعمل أمين مكتبة لا غير ، له قدرة مذهلة على التذكر واستدعاء الوقائع ، طلب يوماً مذكرة من أحد كبار مسئوليه وحين طال بحثه عنها شرح له بالتليفون مكانها الذى رآه وهو يضعها فيه حين كان معه بالحجرة أثناء مناقشتهما لتلك المذكرة ، فعل ذلك وهو يضحك . ورغبته فى استعراض قدرته أقوى من رغبته فى تأنيب مرؤوسه ، أما فى حفلات «الكوكتيل» التى يقيمها للخبراء الأجانب ولرجال الأعمال ولخاصة أصدقائه من كبار رجال الدولة فقد كان يبدو وكأنه أحد نجوم السينما أو الدبلوماسيين الذين يمكنهم أن يتحدثوا فى كل شيء دون أن تنقصهم الجاذبية أو المعرفة المناسبة .

هذه الشخصيات المتعددة تصبح فى الموقف الواحد شخصية واحدة منسجمة مع الموقف، الشخصيات الأخرى تختفى كلها كأنما باشارة ساحرة وتصبح عوناً للشخصية الراهنة التى يحتاجها الموقف ودون أن تكون عبئاً عليها يحدث ذلك دائماً بلا أدنى قلق أو تردد ..

لقد كنت شديد الافتتان بهذه الشخصية ولكننى لم أكن أبداً مستريحاً لها ، كان فيها شيء غامض يثير قلقى ومخاوفى مثلما تثير اعجابى ، وكنت أشعر أن هذا الشيء يثير شكوكى فى معنى نجاح مؤسسته الكبيرة ، ولقد كنت أتمنى لو كانت لدى الفرصة لأبحث أكثر عن هذا الشيء فى نفوس العاملين معه القدامى والجدد ؟؟

وأفصح هذا الشيء أكثر عن بعض ملامحه فى ذلك اليوم الذى كنت فيه أغادر مكتبه ـ بعد أن قدمت مذكرة ببعض متطلبات المشروع وافق عليها بعد نظرة خاطفة ـ لحقتنى ضحكته الساخرة المفاجئة قبيل الباب التفت نحوه قال لي بلهجة بين الجد والسخرية :

ـ اختبارك الأخير يا أستاذ عن القيادة الديمقراطية ؟ .

وتحول وجهى كله الى علامة استفهام فأردف :

ـ لم أحصل فيه على درجة النجاح .

ثم تابع وهو يضحك وقبل أن أرد بأى كلمة :

ـ أعدك بأن أحاول تحسين أدائى ثم انصرف الى أوراقه بطريقة جعلتنى أنصرف الى خارج الحجرة بلا تعليق ..

أظنك تفهمنى يا دكتور فلم يكن قلقى كله بشأن العمل أو بامكانية استغناء الدكتور ناجى عن مشروعى كله ، بل كان قلقى ينبع من سؤال بدأ يلح علي : ما الدور الحقيقى للقدرات التى أبحث عنها وأسعى الى تحديد حجمها فى ضوء هذه القدرات الأخرى التى تكشف عن تأثيرها المذهل لدى شخصية مثل الدكتور ناجى ؟؟ هل أنا مجرد طفل يلهو بما يعمل ؟ وما معنى حرص الدكتور ناجى على أن يلحق بمؤسسته روضة للأطفال من أمثالى ، وهل تصالحت العدالة والحرية صلحاً مشرفاً فى دولة الدكتور ناجى بعد جهودى المظفرة ؟

• • •

● لم يطل انتظارى يا دكتور للبحث عن أجوبة لتساؤلاتى ، ولعلنى أيضاً لم أجد أجوبة شافية لها ...

ذات يوم دعانى لمكتبه ، كانت ملامح وجهه هادئة ناعمة كأنه استيقظ لتوه من النوم . بدأ يحدثنى عن الاختبارات بلهجة مشبعة بالرضا والثقة ... لم يكن هناك أحد سوانا ، ويبدو أنه طلب الى مدير مكتبه ألا يدخل أحداً لبعض الوقت فمن النادر أن يخلو مكتبه لمثل هذه المدة ثم قال بنفس النبرة الهادئة الواثقة :

أعتقد أنه قد حان الوقت لنخرج كتاباً يضم نماذج من هذه الاختبارات مع مقدمة تشرح فكرتها وفلسفتها .. ثم أضاف دون أن ينتظر منى رداً .

ـ سوف يكون هذا الكتاب هو الأول فى سلسلة تحمل شعار المؤسسة ، وتحمل أفكارها فى مختلف مجالات نشاطاتها ، وتؤكد للرأى العام أننا نختار العاملين عندنا على أسس موضوعية . ثم التفت الي قائلا بلهجة اعترافية :

ـ يظل الانسان يعمل بلا هوادة وفجأة يكتشف أن الزمن يمضى ، ويترك آثاره على كل شيء لقد عانيت كثيراً ، ولكنى أصارحك أنت بأن عملا لم يأخذ من فكرى واهتمامى مثلما أخذ هذا المشروع .

ثم تابع وعيناه الصافيتان الهادئتان تحدقان في دون أن يطرف لهما جفن :

ـ قليلة هى الأشياء التى يمكن للمرء أن يعتز بانجازها ، ولكن قضية الاختبارات ستبقى واحدة من أعظم ما أعتز بانجازه. ثم أردف بنبرة ختامية ودون أن يرفع عينيه عن عينى .

ـ أما جهودك المستمرة فى خدمة هذا المشروع والاستمرار فى تطويره فستبقى دائماً موضع تقديرى الخاص .

مع كلماته كان قلبى يواصل سقوطه بين ضلوعى ، مرة أخرى أود أن تفهمنى جيداً يا دكتور لم أكن مأخوذاً بادعائه ، بقدر ما كنت مأخوذاً بالطريقة التى يمارس بها هذا الادعاء ، بعينيه الصافيتين المليئتين بالهدوء والثقة ، كأننى واحد من زواره ... يتحدث اليه عن المشروع .

شخصياته العديدة تذوب وتتوحد فى هذه الشخصية الاعترافية الواحدة ، التى تبوح بسرها أمامى فيما يشبه الهمس والنجوى ..

شخصية الرجل الذى أفنى كل عمره فى قضية الاختبارات ويبحث عمن يجد

والدعوة عامة



عنده روعة التصديق والمشاركة فلم يجد غيرى . أعترف لك يا دكتور أننى كنت مبهوراً بروعة أدائه ، كان قد بلغ قمة لا يتطلع اليها أحد حتى فى الخيال ، والغريب أننى لم أفكر لحظة أبداً فى تكذيبه أو الثورة فى وجهه ، كنت أتأمل فى تلك القدرة المذهلة التى هى من أخطر أسرار نجاحه ، القدرة على أن يصدق أكاذيبه من فرط القوة لا من فرط الضعف .

هذه القدرة التى تسوق أمامها كل القدرات الأخرى وتسخرها أين كانت على خريطة بحثى وتجريبى ؟

كان السباق بيننا فى هذه اللحظة متكافىء ، هو شخصية واحدة متلاحمة لها القدرة على أن تقفز فى الهواء فلا تتحطم وأنا شخصيات مبعثرة على الأرض تتحاور أجزاؤها دون أن تقدر على الحركة ... حين دق جرس التليفون فى مكتبه فى تلك اللحظة ، لم أكن أدرى وأنا أغادر الحجرة هل أنقذه منى أم أنقذنى من الموقف ؟ ..

بدأت الأحداث تجرى بأسرع من قدرتى على ملاحقتها قبل أن أقرر ماذا ينبغى أن أفعل لمواجهة الموقف كانت الاعلانات عن الكتاب قد برزت فى الصحف ويبدو أنه حين تحدث معى كان الكتاب قد تمت طباعته ولعله أراد أن يخفف من المفاجاة ، وفى الوقت الذى قررت فيه لأول مرة أن آخذ رأى زوجتى فى المشكلة فوجئت بالكتاب فى يدها ، وقبل أن أحصل على نسخة منه . قلت لها وأنا أدارى احساسى بالمفاجأة :

ـ ما رأيك ؟

ـ رائع ... تأمل تصميم الغلاف من كان يتصور أن يتحقق انجازنا بهذه الصورة ؟ .

ـ انجاز من ؟ لقد أصبح انجاز الدكتور ناجى .

ـ منذ متى أصبحت تفكر فى الشكليات ؟ ان وجود اسم الدكتور ناجى على الكتاب مثل وجود شعار المؤسسة . انه مجرد رمز ولكن الجميع يعرفون دورك وهو أولهم . ولا تنس أنه بدونه ما تحقق شىء من ذلك كله .

ـ وبدونى ما كان بمقدوره أن يفعل شيئاً ، هل جننت ؟

ـ الجنون هو أن نحطم كل شىء من أجل مسألة يمكن أن تحل بالحكمة .

ـ تلك هى الحكمة التى تعلمتها اذن ؟

ـ دائماً كنت تطالبنى بالنظر فى جوهر الأمور . ثم تابعت بلهجة حاولت أن تكون هادئة وحانية .

ـ الدكتور تهمه الدعاية للمشروع ولمؤسسته أما أنت فلايزال أمامك الكثير لتفعله ، فكر جيداً فيما كنا فيه وصرنا اليه ، فى جدوى دخولك فى معركة وهمية مع الدكتور ناجى من أجل لا شىء بينما قد تخسر مشروعك ؟ .

ـ لم أعد قادراً على التفكير ولا راغباً فيه .. انت لا تعرفين حتى ما أنا قلق بسببه .

ـ وانت أيضاً هناك أمور يجب أن تعرفها قبل أن تتسرع بقرار غير مدروس ، كنت دائماً مستغرقاً فى عملك ولم أحب أن أشغلك بمسائل كنت دائماً لا تعطيها الأهمية التى تستحق ، كانت أرباحنا كثيرة من العمل ، وقد شجعنى الدكتور ناجى على أن أساهم بمدخراتنا فى بعض شركاته ، نعم هذا ما كنت أنتظر الفرصة لأفاجئك به ، وقد أصبحنا ...

قلت لها وأنا أجلس على أقرب مقعد :

ـ كفى يا سيدتى فالمفاجآت أصبحت أكثر من احتمالى .

● لا تنظر فى ساعتك ، أعرف أن الوقت قد حان ، وقتك ووقتى ، ألم أقل لك يا دكتور أن الأحداث تجرى بأسرع من قدرتى على التفكير ...

لم أكن قد اتخذت قراراً بعد ، حين وصلتنى هذه الدعوة لأحضر الحفل الكبير الذى يقام على شرف المشروع فى فندق شيراتون ، وسيكون الدكتور ناجى ومعه زوجتى فى استقبال المدعوين لقد قررت هى أن تذهب نيابة عنى بعد أن اعتذرت بظروفى الصحية .

زوجتى أصبحت هى التى تتخذ القرارات الهامة ، والدكتور ناجى ليس فى حاجة الى أن أطلقها أو يتزوجها لتقف على يساره فى الحفل الكبير ..

● ● ●

● تقول ان القرار الأخير لايزال فى يدى . وانك أيضاً مدعو الى نفس الحفل وان كبار رجال الدولة سيكونون هناك لأن هذه هى دولة الدكتور ناجى السلامونى ..

وان المساعدة الوحيدة الممكنة التى يمكن أن يقدمها لي أى صديق مخلص هو أن يكف عن مساعدتى ، وأن كل هذا الذى يجرى هو أول اختبار يقدمه لي الدكتور ناجى الذى ضحك حين فشل فى اختبارى وان المهم هو أن يضحك أخيراً ، وأن هذه مبارزة عادلة بمفهومى للعدالة ، وانني لست فى حاجة إلا الى شاهد عادل محايد وأنك ستكون هذا الشاهد .

ـ اذن ماذا تنتظر يا صديقى ؟

● ● ●

خاتمـــــة :

تنتظر هذه القصة من يكتب خاتمتها فالراوى ذهب مع صديقه الى الحفل .. ومع أن الراوى لم ينتبه الى أن الدعوة كانت عامة وانه سيشهدها خلق كثير فان أحداً لم يقل ماذا حدث فيها وان كان هناك من يؤكد أن الحفل سيبقى ساهراً حتى الصباح .. أى صباح .

أبو المعاطى أبو النجا

مختارات من
رباعيات الخيام

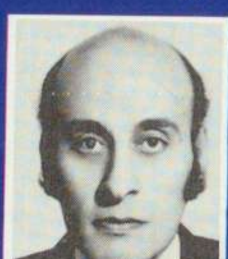




ترجمة الشاعر الكبير
ابراهيم العريض

رسم
حلمي التوني





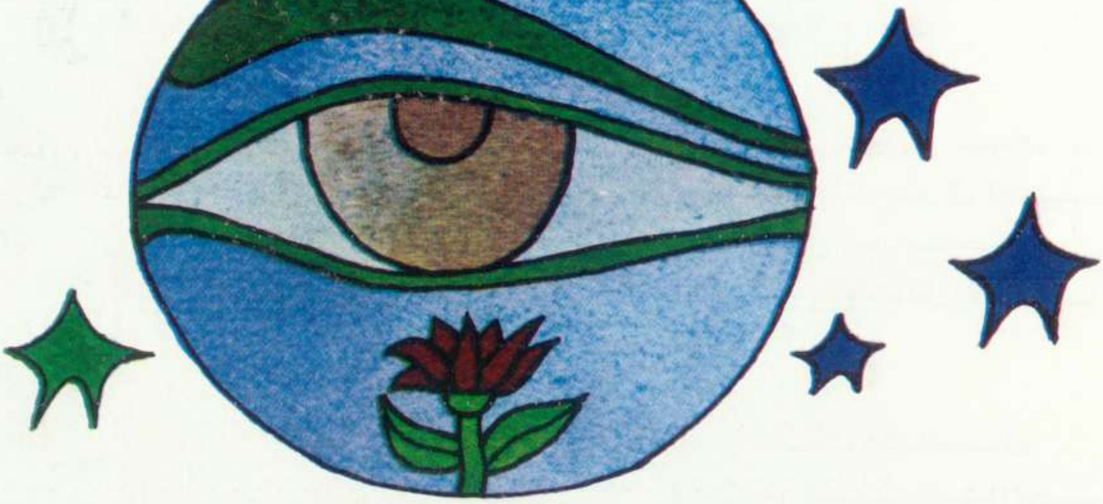
منذ العشرينات من هذا القرن والأدب العربي مهتم برباعيات الخيام بعد أن قام الشاعر الانجليزى « فيتز جيرالد » باكتشافها وترجمتها الى الانجليزية ، حيث خرجت هذه الرباعيات من اللغة الانجليزية لتنال شهرة عالمية واسعة النطاق ، وقد قامت محاولات عديدة لترجمة الرباعيات ، من بينها محاولات محمد السباعي ، والبستاني ، ورامي ، وأبو شادي ، بل لقد قامت محاولات لترجمة الرباعيات الى اللهجة العامية المصرية .

وهذه تجربة أخرى تضاف الى تراث الأدب العربي هي ترجمة الرباعيات بقلم الشاعر العربي البحريني الكبير ابراهيم العريض ، الذى عرف الرباعيات فى اصولها ودرسها دراسة عميقة وأضاف الى الترجمة من روحه الشعرية وتفسيره الخاص وفهمه المستقل ما جعل للرباعيات فى ترجمة العريض شخصية متميزة ، بين سائر الترجمات ، والدوحة تقدم فى «ملزمة» كاملة مختارات من هذه الرباعيات التى قام العريض بترجمتها مع لوحات من وحي هذه الترجمة للفنان العربي الكبير حلمي التوني .

إنّي لأَشْعُرُ ما قدْ كنتَ تَشْعُرُه
أَلسْتُ مِثْلَكَ في أُرجوحَةِ القَدَرِ؟
وما قَصَرْتُ يدًا عن بَثِّ مُعْتَقَدِي
إلَّا لِأَنِّيَ مَسْبوقٌ على الدُّرَرِ
أَيُتْرِعُ القَدَرُ الجَبَّارُ مِنْ دَمِنَا
كأسًا دهاقًا ونُسْقَاها على قَهَرِ؟
فأيْنَ رُوحُكَ ياخيّام تُسعِفُني
حتّى أُتَرْجِمَ ماخَلَّفْتَ مِنْ أَثَرِ؟

٣ شعبان ١٣٥٤ إبراهيم العريض





أَفِـقْ يانديـم ، استهلَّ الصّباح
وباكِرْ صبوحك نخبَ المِلاح
فمكثك بين الندامى قليل
ولا رجْعة لك بعد الرَّواح

مُغَنٍّ .. كسَفْرٍ على باب حانه
تململ يطرقه في استكانه
ألمْ يقضِ ليلته في العراء؟
وعمَّا قليلٍ سيمْضي وشانه

لقد صاح بي هاتفٌ في السُّبات :
أفيقوا لرشفِ الطِّلا ، ياغُفاة
فما حقّق الحلمَ مثلُ الحُباب
ولاجدّد العُمرَ غيرُ السُّقاة

وماذا تظن يبثُّ الهزار
مُفتَّحةً ، قد علاها اصفرار ؟
خذيها - فديتك - حمراء صرفًا
فما عالج السقم إلا العقار

وماكان مكثي هُنا ليطولا
فأنجُمُ ليلي تقِلُّ .. أُفُولا
ودَرْبي على طرفَيْه الفَناء
فعجِّل بها تَشْفِ منّي غليلا

بنيروز - إذ جاء - طاب الأثر
فها .. كل ذي صبوة منتظر
على كل غصن لموسى يدًا
وأنفاس عيسى تُزكِّي الزهر

هنالك .. في ظلِّ غصنٍ مديد
بقرص رغيف .. وكأس .. وعود
وصوتك حلوًا على عزفه
نعيش كلانا حياة الخلود

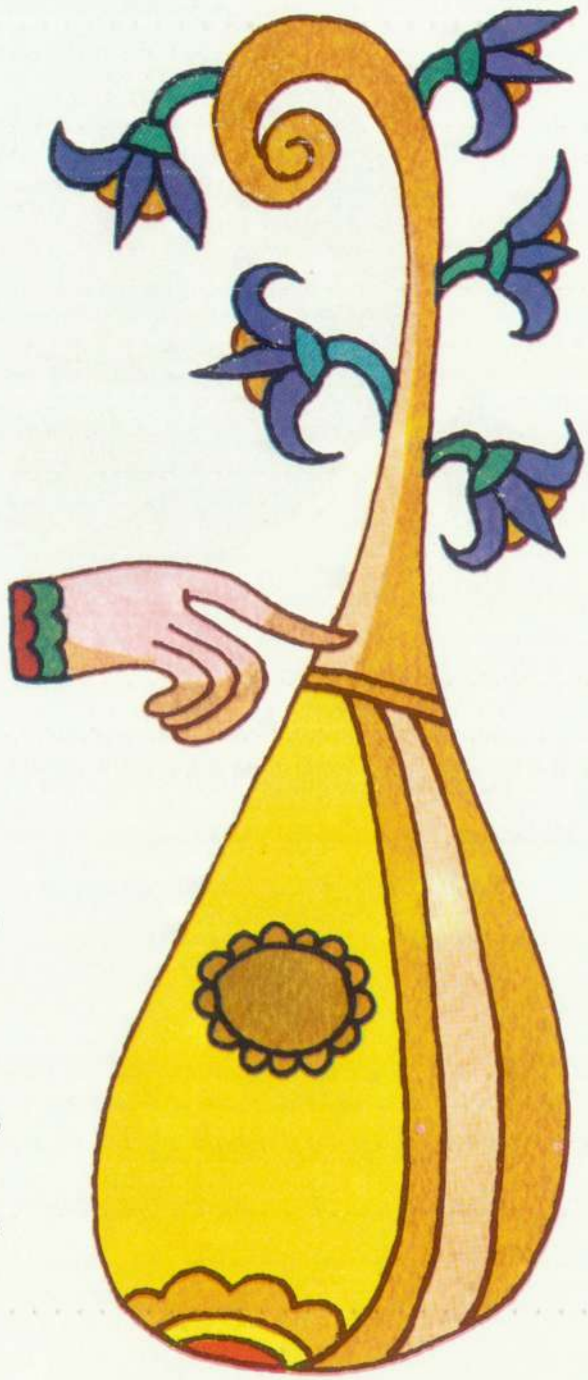
على الخلد يَقصر بعض مناه
ويسعى لها آخر في الحياه
خذ النقدَ، ياشيخ، مادمت حيًّا
فما ضخّم الطبلَ إلا الصداه

وكم زهرةٍ نشأت كالجنين
فقبّلت الشمسُ منها الجبين
فما للرياح تهبّ ببشرى
وتسرع في نعيها بعد حين؟

جلا الصبح رمقة عين الغزاله
كما لو تمدّ لصيدٍ حباله
وبين يديها مليك النهار
قد استمرأ الكأس حتى الثماله

وتمتم في الروض زهر الندى
لزائره: أنا ترب الندى
فخذ صُرّتي هذه فُضّها
جعلتُ لمن جاد مثلي فِدَى

حنانيك! كم في الثرى من ندامى
ترقرقُ أدمعُهم في الخُزامى
وهل نجم النرجس الغضُّ إلا
على طرف أحلى العيون ابتساما؟



ويا ليت شعري، أتلك الزهور
عرائس نعمى، جلتها الستور؟
فمن قُبْلَةِ الشمسِ هذا الحياءُ؟
ومن لؤلؤ الطلِّ ذاك السرور؟

سواء أعشتَ قريرًا بسجنك
لها، أوحملت القذى ملء جفنك
فمن مات فات .. وما أنت كنز
فتُنْبَشَ - ثانيةً - بعد دفنك

وشيكًا ستُرخى عليها السدل
كصبحٍ تألق - ثم اضمحل
فَلِمْ لا نقابل دهرًا جلانا
لتمثيل ملهاته، بالمثل

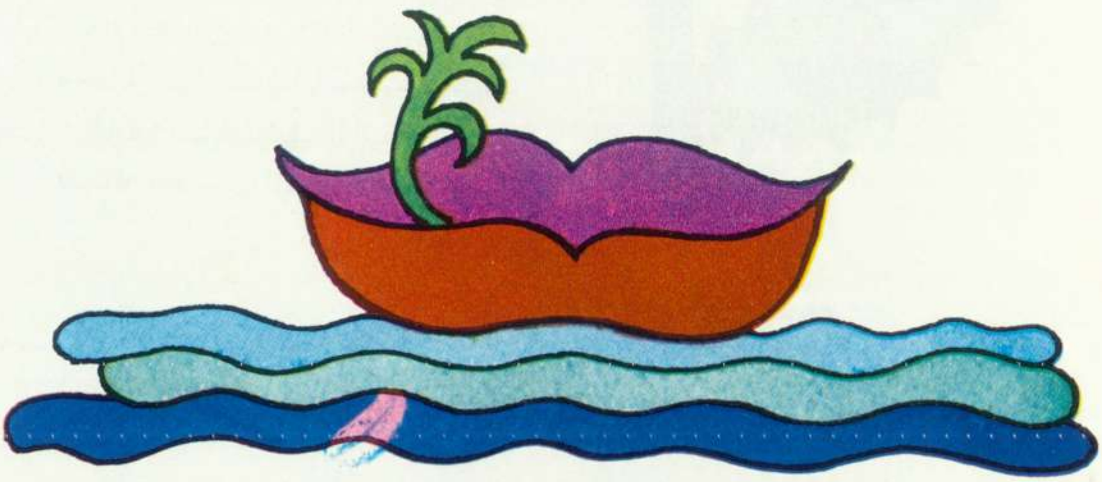
ودنياك دارُ القِرى للنُّزل
وللدار بابان - نورٌ وظل
فكم طارق إثْرَ آخرَ حَلَّ
ليرتاحَ يومين - ثم ارتحل

أتلك .. القصورُ التي في فِناها
عهِدْناك كسرى! تُذَلُّ الجِباها؟
وهذي .. مقاصيرُ أُنسك جمشيد!
شنَّف أذنيك صوتُ ظِباها

بروجٌ .. على حسنها في تداعي
فلا في الحقول، ولا في المراعي
خلَتْ للعصافير وجهَ النهار
وباتت مع الليل مأوى السباع

مضى عهدُها برُؤاهم حميدا
فيا رَسْمَها لا عدِمْتَ وفودا
خلت بعراصك ذاتُ هديل
كأنَّ لها في فضائِك عيدا

وهذا النباتُ الذي باخضرار
أطلّ على النهرِ - والنهرُجار
تسنّدْ عليه برفقٍ، أُخيّ
فقد قام من ثغرعذب الحِوار



ولا ازدهر الوردُ أحمرَ، إلّا
لأنَّ دمًا تحته قد أطلّا
لقتلى حروبٍ وكانوا كثارًا
وصرعى غرامٍ، وكانوا الأقلّا

صدقتُكَ! ما كلُّ ذرّاتِها
سوى الشمسِ تنظرُ في ذاتها
فلا تجلُ عن خدِّ حسناءَ ذرًّا
أما هو خدُّ نظيراتِها؟

فيا غازيًا ألْهته الحروبُ
فما الضحايالك فيها نصيبُ
ستغدو إلى حُفْرةٍ مثلهم
تواريك - عهْدُك منها قريبُ

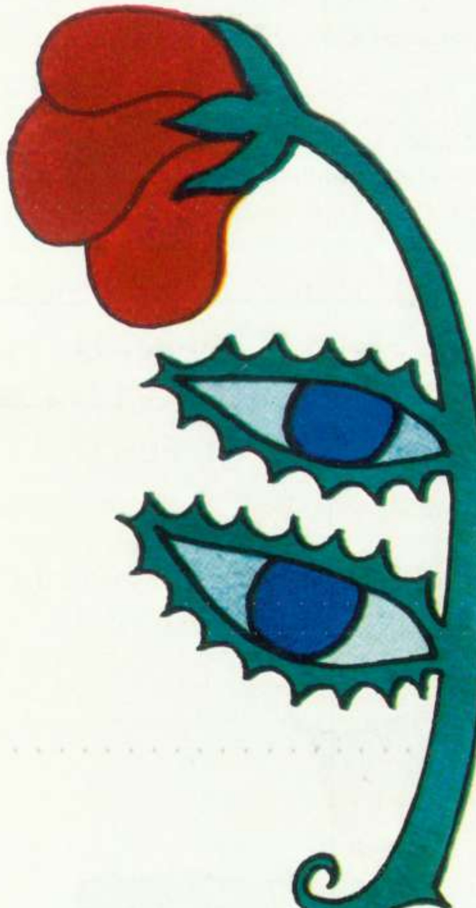
ويا مجريًا في السرادق خيله
سنابكُها.. تقدحُ النارَ حوْله
أما ضاق فترٌ عن السير، لمّا
حوالك مُقلبُّها.. إذ حَثوْا له

فجدّدْ مع الكأسِ عهدَ غرامِك
وحلِّ مرارتَها بابتسامك
وعجّل.. فجوقةُ هذي الطيور
قد لا تُطيل الطّوافَ بجامك

ثويتُ ببلخ والا بأخرى
وعذبًا جرى الكاسُ أو فاض مُرًّا
فليست حياتي سوى ورقات
تَساقطُ.. حاملةً ألفَ ذكرى

فهات حبيبي إليَ الكأسَ، هات
سأنسى لها كلَّ ماضٍ وآتِ
غدًا؟ وَيْحَ نفسي، غدًا قد أعود
وأعرقهم في البلى.. من لِداتي

سيَحيا الحُبّك قلبي المعنى
لجورك مادام وعدلك مَنّا
لطرفك يسقي مع الخمر خمرًا
فيُبدعَ فنًّا وأُبْدِعُ فنّا





وكم صاحبٍ كان رَيع النفوس
صَليتُ وإيّـاه نـارَ الكؤوس
أقـام معي بُرْهـةً ، رَيثـمـا
لهوْنـا .. فواريتُـه في الرّموس

ألا فاغنم العَيشَ ما دامَ رغـدا
فسوف تُبدَّلُ بالفـرشِ لَحـدا
وتُمسي ترابًا - ببطنِ التراب
فلا صوتَ يشجي .. ولا خمرَ تندى

ككلِّ الذين مضوْا فبقينـا
لنأنسَ في الرّوضِ بالورد حينـا
لمن - ليتَ شعري - سنغدُو وِطاءً
إذا مثلَهم بعدَ حِينٍ بلينا ؟

وأين الذيـنَ أثـارُوا الجِـدالْ
وكان الهُدَى بحثُهم والضّلالْ ؟
أشـارَ الرّدَى لهمُو بالسكوتِ
فَفَضّوا النزاعَ .. وشدّوا الرِّحالْ

فلا زلتُ أَحفـلُ بالصَّحبِ برّا
وساقيَّ يملأُ كاسِيَ دُرّا
أميـلُ من السُّكرِ إنْ هو غنّى
وأصْحو على همْسِهِ إنْ أسَرّا

وكم في شبابي تخايلتُ تِـيهَا
إذا جئتُ يومًا لبحثٍ ، فقيهَا
ولكنّني دائمًا كنتُ أُنـهي
بحوثي ، كما كنتُ أَشرَعُ فيـها

بذرتُ لديهم بذورَ الحِكَمْ
ووَاليتُ أسقي ثَراها بِدَمْ
فماذا جنيتُ من الغرسِ ذاك؟
مجيئيَ ماءً.. رَوَاحي نَسَمْ

أليسَ من الحتْم أنّي سأردَى؟
وهيهات أنعمُ بالعيشِ بعدا
فمَالِيَ مادمتُ حيَّ الشعورِ
أُقيمُ من الوهم حَوْلِيَ سَدّا؟

فمِلتُ إلى الكأسِ أجني جَناها
ولمّا رشفتُ بثغريَ فاها
أسرَّتْ وقالتْ: تمتّعْ! تمتّعْ!
فلا يقظةٌ تُرتجَى من كَراها

وكاسِي التي ناشدتني هَمْسا
ألمْ تكُ في الغيب مثليَ نفسا؟
فكَمْ جادَ لي ثغرُها قبلاتٍ
أعادتْ بها ذكرَ ما ليس يُنسَى

فإنّي سمعتُ بأذنيَّ كوزا
يقولُ: "أهنتَ بلَطْمي عزيزا
ألسْتَ كمِثْلِيَ - خزّافُ - طينًا؟
فتِلْكَ إذنْ قِسْمَةٌ لِيَ ضِيزَى"

حديثٌ.. رواهُ الثقاتُ سنينا
فأمْسَى لنا بالتّعاقُبِ دينا
بأنّ المهيْمِنَ لمّا استوَى
على عَرْشِهِ، أنْشأَ الخلقَ طينا





أخزّافُ! إنْ تشْكُ جَوْرَ الحياهْ
فإنّي رأيتك.. دونَ انتباهْ
تَخبِطُ في الطِّينِ.. تصنع كوزًا
بساقِ فقيرٍ، وقُلَّةِ شَاهْ

فما الرّوحُ عندي بهذا الجسَدْ
سوى خيمةٍ لمليكٍ ورد
يَحلُّ بها - بُرهةً - من يَحلّ
منهم، فيمضي.. وتبقى العَمَدْ

كما يرفع الزهرُ في الروض راسه
دوامًا ليملأ بالطلِّ كاسه
كذلك يجدُر بي أن أعيش
إلى أن يُذيقنيَ الموتُ باسه

فذَرْ عُقَدَ الرّزق من غير حلّ
أليسَ بأمتعَ من ذالك، قُلْ لي
مرورُ الأنامل في شعرِ خَوْدٍ
تصبُّ بِدَلٍّ وتسقي بِدَلّ؟

وإن لم تَدُمْ لي تلك القُبَل
وكان غريمَ حياتي الأجل
فقد كنتُ لاشيء، إذ كان أمسِ
و"لاشيء" أبقى غدًا - لا أقل

فما دامَ يُزهِرُ روضُ الأقاح
أَعِنِّي على رَشفِها بالمراح
فإن طاف ساقي المنايا بكأسٍ
جرعتُ قذاها بكل ارتياح

سل الروحَ ، إن صار جسمي هباء
أتَسْبحُ ثانيةً في السماء ؟
فواهًا لها ، كيف ترضى الهوانَ
لتبقى أليفةَ طينٍ وماء ؟

فإن كان أعياك متنُ الفسيح
وفيهِ الغِنَى عن جميع الشروح
وأنتَ على قيد هذي الحياة
فكيفَ إذا صِرْتَ من غير روح ؟

أأغترُّ بالذِّكرِ بعد الزوالِ ؟
وأزعمُ أني عزيزُ المثالِ ؟
وفي الكاسِ مثلي ألوفُ الحَباب
تولَّدُ من مَزْجِها بالتتالي

ودنياي - بعد فنائِيَ - تبقى
لينعمَ هذا .. وذلك يشقى
وهل يشعُرُ الموجُ - موجُ الخِضَمِّ -
بتلك الحصاةِ التي فيهِ تُلقى ؟

فقل للذي حيَّرَ الدَّرسُ فهمَه
حياتُكَ أقصرُ من أنْ تُتِمَّه
حياتكَ وَقْفٌ على شَعْرَةٍ
هي الحَدُّ ما بينَ نورٍ وظُلمه

خذ الألِفَ الفَرْدَ .. لُغْزَ وجودِكْ
ستَظْفَرُ من حَلِّه بخلودِكْ
أما هُوَ قائم عرشِ الإلٰهِ ؟
فكيفَ تعدَّيتَهُ بجُهودِكْ ؟





تمثّلَ وجهُكَ لي مُشرِقا
فما أغدَقَ الكونَ! ما أورَقا!
أأكفر بالحُسنِ؟ حَسْبُ وجوديَ
في الأرضِ معنًى بأن أعشقا

وأَسْرَيْتُ بالرّوحِ ذاتَ ليلَه
فجالتْ لها في السّمٰواتِ جَوْلَه
وقالَ لها مَلَكٌ أنتِ نورٌ!
فردّدَت الأنجُمُ الزُّهرُ قَوْلَه

أَدَأبُكَ في الأرضِ تسعى، أُخَيّا
كأنكَ سوفَ تنالُ الثريّا
وخيطُ حياتكَ لو جاذَبَتْهُ
أَقَلُّ الرّياحِ، لما عادَ شَيّا

إلَامَ تُبَدِّدُ وقتًا رعالكَ
بهذا - على غيرِ شَيْءٍ - وذالكَ
ألا تُؤْثِرُ الكَرْمَ يحلو جَنَاهُ
على الثمَرِ المُرِّ من مُجْتَنالكَ؟

وإنْ سَرَّني أَنْ بذَلْتُ الجُهودْ
لمَعْرِفةِ الكُنْهِ - كُنْهِ الوُجودْ
فما كنتُ قطُّ لأهتَمَّ حيًّا
كمِثْلِ اهتمامي بِرَشْفِ البرُودْ

أَلَا أَتْرِعِ الكاسَ .. نَخْبَ العَدَم
فمَنْ نامَ مِنّا، كَمَنْ لَمْ يَنَم
ولا أمسَ ظَلَّ .. ولا الغَدُ حلّ
فما يَمْنَعُ اليومَ أَنْ يُغْتَنَم؟

هي الرّاحُ، يجلو سَناها الظُّلَم
ويدفع إكسيرُها كلَّ سُم
فلوْ مسَّها الصُّفرُ صُفرُ الحياةِ
لحَالَ نُضَارًا .. بمعنًى أتَم

فقدِّرْ لزهرِ شبابكَ عُرفَه
ومُجَّ الطِّلا رَشْفَةً بعد رَشْفَه
فلابُدّ من ضجعةٍ في كراها
ستحضنُك الأمّ من غيرِ رأفَه

هنالِكَ .. في مُلتَقى الواديَيْنِ
كأفْجَعِ ما شاهَدَتْ قطُّ عَيْني
تهالُكُ فاخِتَةٍ، في خرائبِ
قَصْرٍ تُرَدِّدُ: أَيْنِيَ؟! .. أَيْنِي؟!

وكم شُرفةٍ من بقايا قلاعِ
رعى أهلُها خِصْبَ أزهى البِقاعِ
أمُرُّ بها موحِشًا .. في العراء
فلا ظِلَّ نامٍ ، ولا طيفَ ساعِ

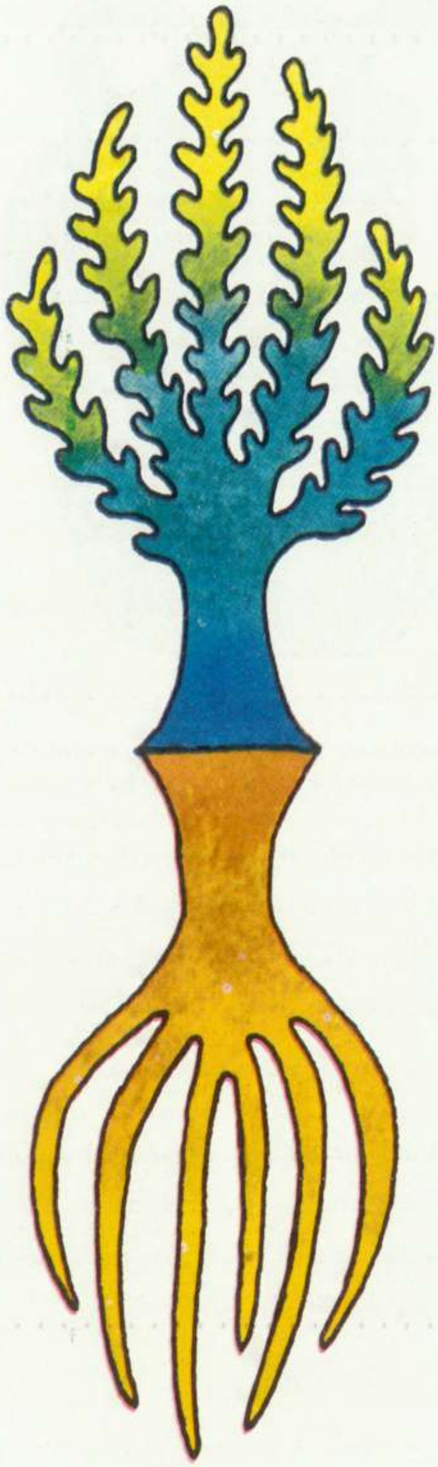
فيا مَنْ تُقيمُ على الأرضِ دولَه
ترِفُّ لها رايةُ المجدِ حولَه
سعى فوقَ سَعيكَ في الأرضِ قومٌ
فلا القومُ ظلُّوا ، ولا ما سعَوْا لَه

صهٍ !! .. فالذين مدَى الحق راموا
جميعًا بأوديةِ الجهلِ هاموا
أفاقوا سحابةَ يومٍ .. فقصُّوا
غرائبَ أحلامِهم .. ثمّ ناموا

لقد ضِقْتُ يا ربِّ ! بالعيشِ باعا
فلم أجْنِ من كلِّ عُمري انتفاعا
سوى أنْ هبطتُ بِسَيْلِ الوجود
فما ازداد تيّارُه بِي اندفاعا

فإنّ حوالَيّ من كلِّ صَوْبِ
رُسُومًا ، تُمَثِّلُ فَوْضى لُعَيْبِ
وفي الوَسطِ الشمسُ ، تُلقي الشُّعاعَ
فتظهرُ أشباحُها بعْدَ غَيْبِ

ولسنا سِوى حلَقاتِ اتِّصالْ
تَشَابَكَ آخِرُها بالأوَالْ
وكمْ مِثْلُ ليْلتِنا هذِهِ
ليالٍ مضَتْ .. وستأتي ليالْ



وفي اللوحِ أثبتَ فضْلي القَلَمْ
وجازَ إلى غيْرِهِ حينَ تَمْ
وهيهاتِ، لو ثُرْتُ حتّى الجُنون
لظَلَّتْ كما هيَ تِلْكَ الكَلِمْ

أتأملُ أنتَ بطُولِ وُقوفِكْ
إصابةَ مالَمْ يُرِدْ، منْ مُضيفِكْ؟
فهلْ مِنْ سَبيلٍ سِوى العَبَراتِ
لإعْجامِ مُهْمَلِها - في ظُروفِكْ؟

وبالأمسِ قُدِّرَ لي رِزقُ يومي
وما في غدي من شُعاعٍ وغَيْمِ
فهيِّءْ لِيَ الكأسَ، إذْ لسْتُ أدري
علامَ انتباهي.. ولا فيمَ نَوْمي

وطينَتُنا عجَنَتْها العُصورْ
فهذا الحَصادُ لِتِلْكَ البُذورْ
وما خُطَّ قبلَ بُزوغِ الحياةِ
سَيَقْرأُهُ الخَلْقُ يومَ النّشُورْ

دعُوني، لحالاتِ سُكري، دعُوني
تفيضُ عليَّ بشتّى الشُّؤونِ
لعلّي بمَعْدِنِيَ البَخْسِ أُفضي
إلى مُقْفَلٍ - هوَ بابُ اليقينِ

لَخَيْرٌ بأنْ تتجلّى لِعَيْني
ولو وَسْطَ كاسي وخمري تَيْنِ
ولا تُحْرَمُ النفسُ منها بتاتًا
بأدْعيَةٍ - ما لها رَحْبُ كوني

وقلَّدَ بعضُكُمو خَطْوَ بعْضْ
فما صُنْعُ أرْضٍ.. سوى صُنْعِ أرْضْ
وقمَّصَكُمْ كُلَّكُمْ روحُ ماضٍ
فما في الحَضاراتِ شيءٌ بمَحْضْ



كجهلك .. علمي بأسرارها
فأنّى لنا سبرُ أغوارها
كلانا رهينٌ بلطفِ الظهورِ
لهذا الدخانِ على نارها

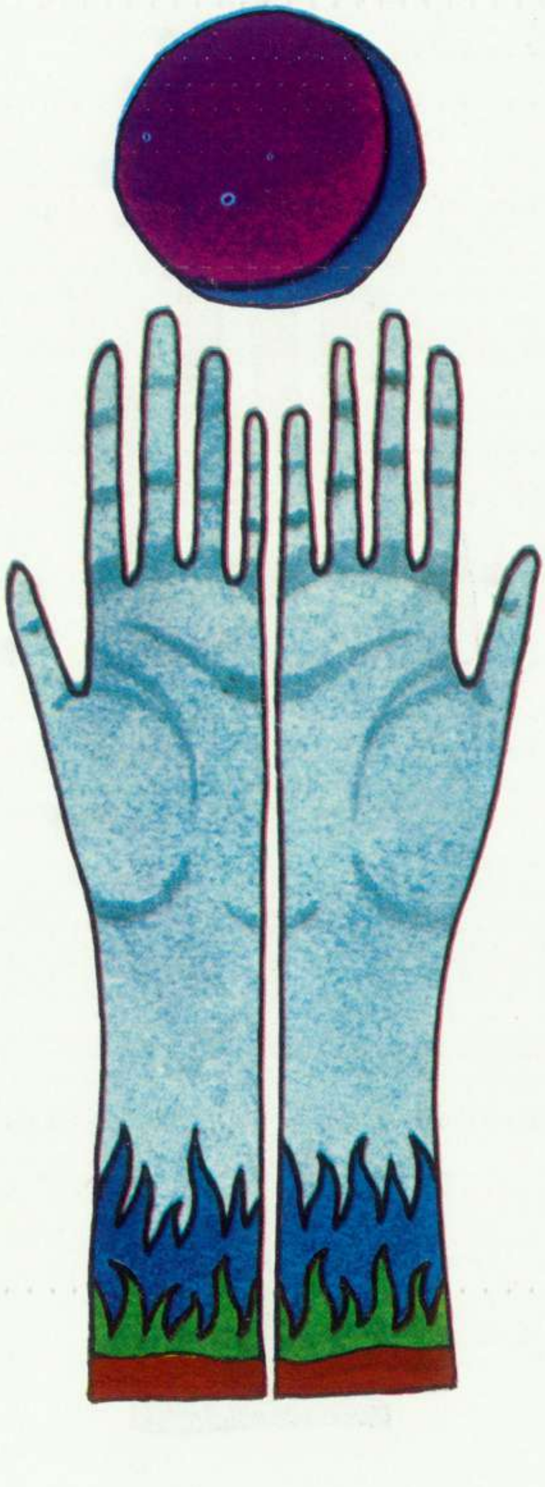
لئنْ قمتُ في البعثِ صِفرَ اليدينْ
وعطّلَ سِفْريَ من كل زينْ
فيشفعَ لي أنّني لمْ أكنْ
لأشركَ باللهِ طرفةَ عينْ

فلوْ كانَ لي بغريمي يدانِ
لناشدْتُه - قبلَ فوْتِ الأوانِ -
بأنْ يتركَ اسميَ غُفْلاً .. وألّا
يُقدّرَ لي عيشةً بالأماني

وصِحْتُ خبالاً بأرجائها :
ألا منْ دليلٍ لأحيائها
تسيرُ على هديهِ في الظلامِ ؟
فرَنَّ الصدى : خبطُ عشوائها !!

إلهي ! رُحماكَ ، أين الصباحْ ؟
فقلبي يكادُ أسىً يُستباحْ
وغُفْرًا .. لساقٍ سعتْ بي إليها
جنونًا .. وراحٍ تمادتْ براحْ

أخيّام ، ما في الورى منْ يعي
همُو سُخْرةُ الجاهلِ المدّعي
فلوْهُم يعونَ لما ضُلّلوا
ببدعةِ جيلٍ .. عن الأبدعِ



إلهي! عقدتُ رجائي عليكْ
وأطرقتُ رأسي بينَ يديْكْ
فإنْ أنتَ لمْ تعفُ عنّي هلكتُ
وهل مفزعٌ منكَ، إلّا إليكْ؟

حياتي، في الغيبِ فتحةُ بابْ
تعرّى به جانبٌ من ترابِ
ولا حولَ، في كلِّ ما تمَّ، لي
سوى أنّ ما بي تعشّقَ ما بي

حياتي سِلْكٌ لِوَعْيِ الزّمانْ
تكهربَ، بين فراغٍ.. وشانْ
أليسَ التحاقي بشَعبٍ.. وعصرٍ
على قدرٍ من قضائكَ كانْ؟

فيا شاعرًا لاذَ بالصّمتِ، مهلًا
صداكَ على ألسُنِ الطّيرِ أحلى
ويا عاشقًا دلّهتْهُ الحِسانُ
أقلبُكَ ذابَ على الوردِ طلّا؟

تولّتْ ليالي الرّبيعِ القصارْ
وأُسْدِلَ دونَ الشّبابِ السّتارْ
وعهدي بطيرِ الصِّبا شاديًا
ليَ اللهُ! أنّى أتى؟.. أينَ طارْ؟

نذرتُ لحُسنِكَ نجوى صلاتي
وفي غمرةِ العشقِ ضيّعتُ ذاتي
فلو خيّروني.. لم أرضَ إلّا
بتلكَ.. حياتي - فأنتَ حياتي

أيفترُّ حسنٌ لنا مُشرقا
ولا نتملّاهُ.. إلّا تُقى..؟
فواضيعةَ العُمرِ.. لو مرَّ بي
على رِسْلِهِ، دونَ أنْ أعشقا

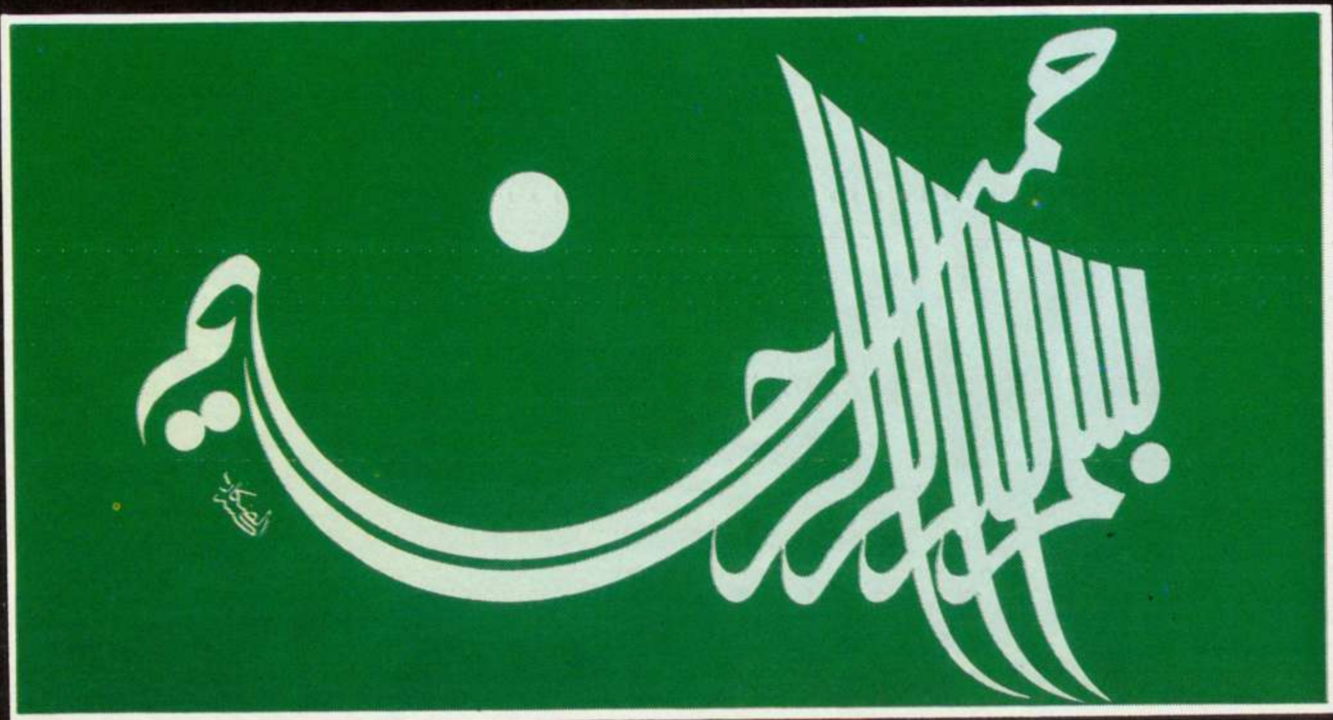
أيا بدرَ أُنسي! وُقيتَ السِّرارا
تأمّلْ، فذاكَ أخوكَ استنارا
وكم هُوَ بعدي سيجلو سناهُ
فيضنى.. من البحثِ عمّن توارى




حلمي التوني ١٩٨١

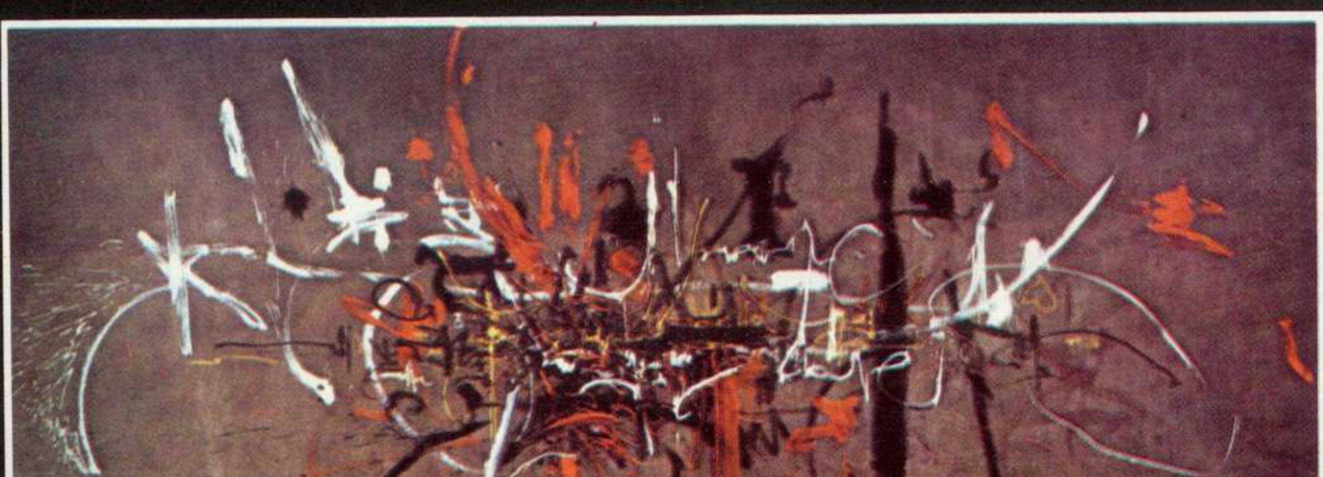


https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



إلى أعلى لوحة للخطاط الفنان محمد سعيد الصكار .. فى أحد المعارض الثلاثة . وبقية اللوحات من اعمال إثنين من الفنانين الأوروبيين تأثروا بالخط العربى .





الخط العربي
في ثلاثة معارض باريسية

رسالة باريس

بقلم :
نهى سمارة

باريس مدينة تعرف كيف تفتح نوافذها على كل حضارات العالم .
لذلك يأتى الفنانون من مختلف الجنسيات إليها ، يعتبرونها غاية ينتهى اليها تشوقهم وطموحهم الى الفن والجمال
وهى أيضاً صالة فن واسعة سواء باريس الرسمية أو الصالة الخاصة ، فتعرض لهم ، وتتذوق كل فنونهم وتنادى بواسطة ملصقاتها المنتشرة على أعمدة الكهرباء والجدران رواد الفن ليشاركوها متعة الاكتشاف والفن .

اهتمت باريس فى هذا الموسم بالفن الاسلامي عن طريق اقامة ثلاثة معارض تمثل الخط العربي كفن وتراث وزخرف فبعد المعرض الواسع الذى افتتح فى متحف الفن البريطانى عن الفن الاسلامى سنة ١٩٧٦ والذى افتتحته الملكة اليزابيت ، جيىء بقسم من هذا المعرض الى باحات اليونسكو ، وسمى المعرض بـ «روائع القرآن» وذلك بمناسبة مرور خمسة عشر قرناً على الهجرة — هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة — .

أما المعرض الثانى فكان للفنان والخطاط العراقى محمد سعيد الصقار فى صالة قياب ، والثالث للخطاط العراقى أيضاً حسن مسعود فى صالة آرتيكوريال .

• • •

الصالات الثلاث كانت حافلة بالرواد الفرنسيين والسياح الاجانب متذوقى الفنون الاسلامية ، لما للخط العربى من ايحاءات جمالية سكب فيها الفنان المسلم فى ألفى عام مضت كل مسارب ابداعه الفنى ، وأسقط فيه كل توتراته وهواجسه ورؤاه الجمالية بعد أن حرم عليه ممارسة كل الفنون التجسيدية

والخط العربى كما لاحظنا فى المعارض الثلاثة بالاضافة الى قيمته الجمالية ، له أسس حسابية وهندسية ورياضية ، وخلف هذه الأسس يحتوى قيماً فلسفية ذات أبعاد تعبدية ودينية.

الزخرفة فى الخط العربى

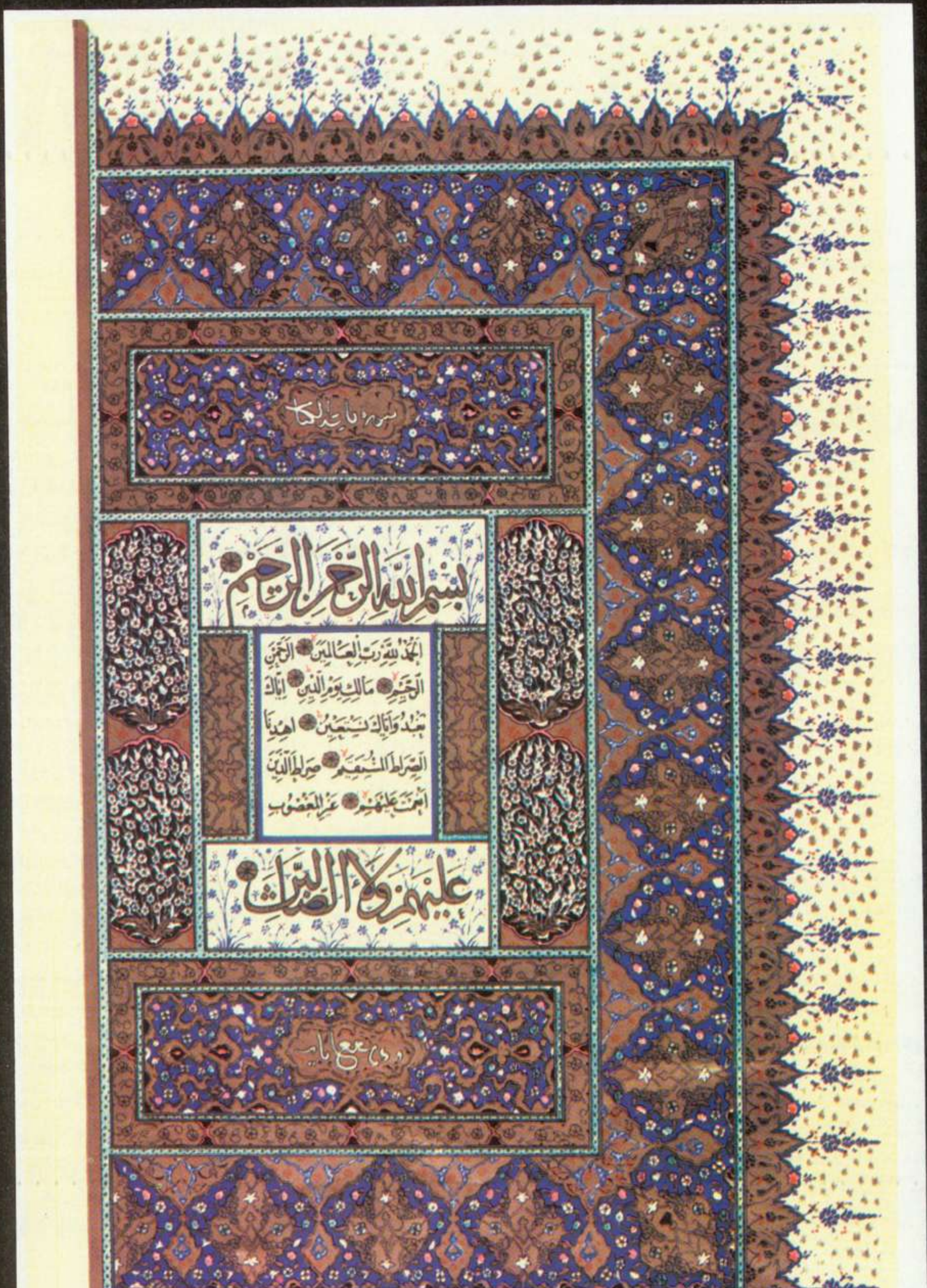
إن الزخارف فى الخط العربى كانت بديلا للألوان عند الفنان الخطاط المسلم فاستعمل الخطاط اللون استخداماً رمزياً ، فاكثر من الالوان الهادئة ، وهى ألوان السماء والماء والسهل ، أى الأزرق والأخضر والأصفر ، فهى ألوان الفضاء التى تعطى الاحساس باللانهاية ، ولم ينس الخطاط المسلم على مدى ألفى عام استعمال الظل والنور لتوضيح مستويات السطور المختلفة القليلة البروز .

وقد تاثر بالخط العربى الكثير من الفنانين الأوروبيين وأدخلوه فى لوحاتهم التشكيلية أمثال : بول كلى ، وماتيو ، وبيكاسو ، وهارتنغ وسولاج وكاندسكى وفاسارلى ، وسواهم ...

روائع القرآن فى اليونسكو

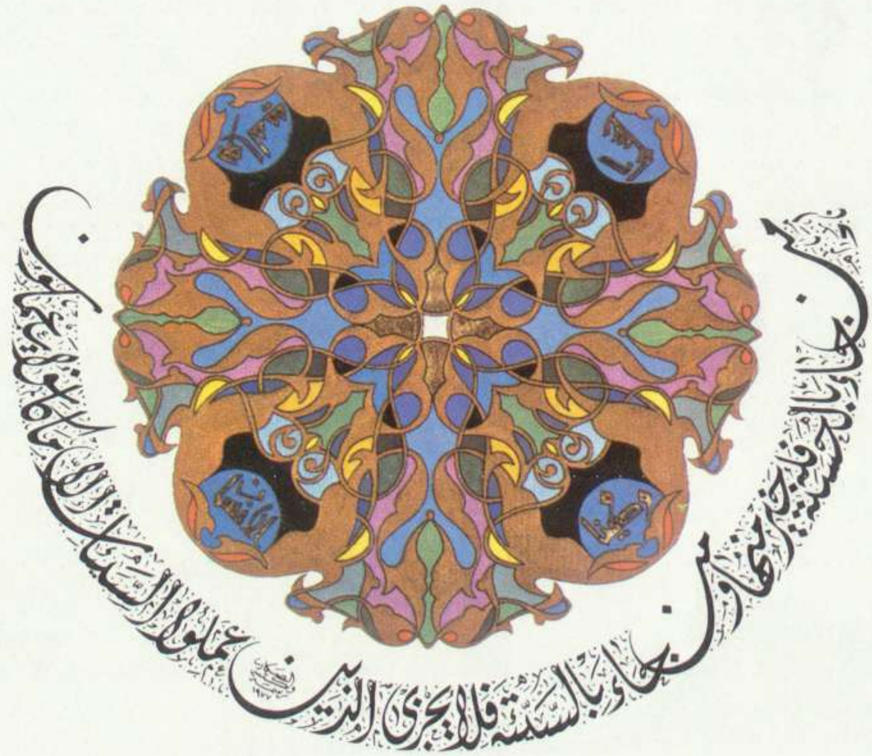
إن روائع القرآن المعلقة فى اليونسكو تزخر بالفن والجمال وفنون الزخرفة ، والخط العربى يرتبط فى أذهان المسلمين بالقرآن الكريم ، كتابة وتلاوة وتعبداً ، ومن هنا بدأت الابداعية فيه لما يحتويه من عاطفة دينية ويمكن ان نشبه الخط فى ذلك بالموسيقى والمسرح عند الغربيين إذ أنهما نشأ وتطورا متصلين بعاطفة دينية ، ومن ثم صار لهما متعة روحية الى جانب ما يثيرانه فى النفس من لذة .

فى معرض روائع القرآن باليونسكو شاهدنا مخطوطاً من احد أشهر المخطوطات للقرآن الكريم وهى للخطاط


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين إياك
نعبد وإياك نستعين اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين

قرآن مخطوط للخطاط قرة حصاري ، عرض فى اليونسكو تحت عنوان (روائع القرآن) وهو بالخط النسخي الثلث وقد دون سنة ٩٥٣هـ ـ ١٥٤٦م .

لوحة من تخطيط وزخرفة الفنان الخطاط محمد سعيد الصكار فى معرضه فى صالة (فياب) بباريس .



التركى قره حصارى وقد خط هذا القرآن بالخط النسخى الثلث ، وقد أهداه الخطاط يومها الى سليمان القانونى ، وهو من أعظم الشواهد على ما وصلت اليه الحضارة الاسلامية يومها ، وهو محفوظ اليوم فى متحف طوب قابى باسطنبول ، وقد غلف هذا القرآن منذ زمنه بجلد الماعز الذى تم تسويده بواسطة تراب جذور البلوط ، وقد صقل وقوى بواسطة عمليات التلميع بشمع النحل العذرى ، وحلي بالذهب الخالص وهو بالفعل متعة عين للنظر .

فى اليونسكو كان هناك مخطوطات قرآنية لها مناهج وأساليب تختلف من مدينة لأخرى حيث انتشر الاسلام وتواجد ، فهى تأخذ الكثير فى روحية ومزاجية البيئة التى جاء منها الخطاط الفنان ، فهناك القرآن الذى خطه سلاجقة الأناضول ، وقرآن الهند والشرق الأقصى ، ثم القرآن الذى خط فى اسبانيا الاسلامية ، وفى غرب افريقيا وايران ، والمغرب .

ولقد غلب الخط الكوفى فى هذا المعرض ، وقد سمى الكوفى نسبة الى مدينة الكوفة فى العراق ، وقد تفرع من هذا الخط سبعون خطاً وكان فى بدايته بلا نقط أو تنقيط ، ويعرف الصحابة الأربعة أنهم دونوا القرآن فيه وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبى طالب . وكان ابن مقلة من أهم الخطاطين الذين جاؤوا فى القرن الثالث وهندس الخط الكوفى الذى عرف بعدها بمقاييسه الهندسية الثابتة ، وبعد ثلاثة قرون جاءت خطوط كثيرة سميت بأسماء القلم ، وتعددت أنواعها كخط الثلث ، والثلثين ، وخط المصاحف المحقق ، والنسخ وغيرها ، وما تعدد أشكال الخطوط إلا دليل على الترف الحضارى الذى عاشه المسلمون ذلك الوقت .

والعالم العربى لا مبالى

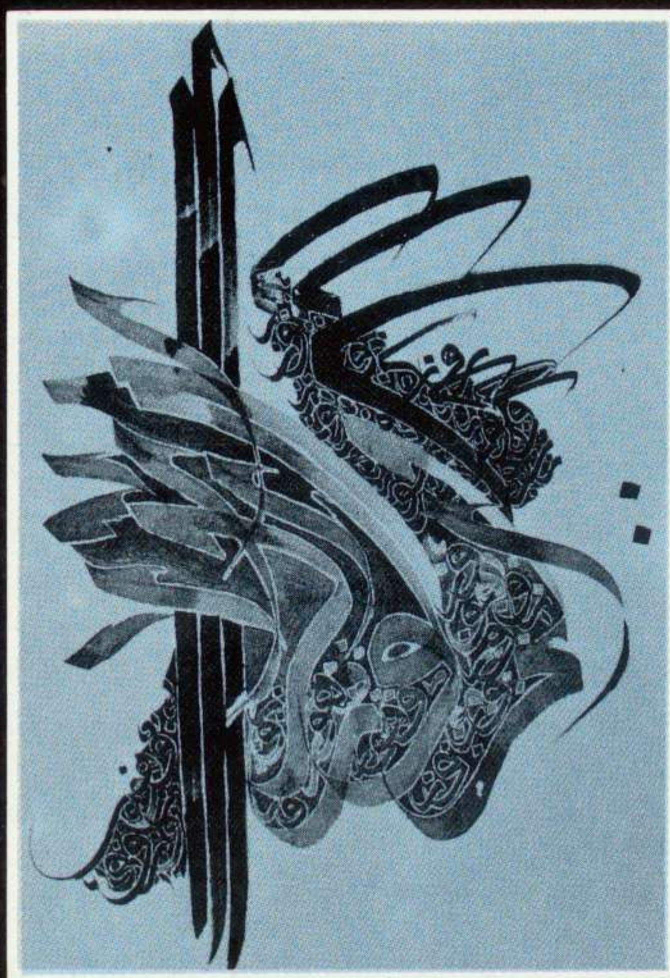
والخط العربى مع كل ما يحمل من جمالية لا توجد معاهد تدرس هذا الفن عدا معهد الفنون الجميلة فى بغداد وان كان يدرس على طريقة السلف الى حد تقديس الشكل دون النظر الى تحليل جماليات هذا الخط كفن .

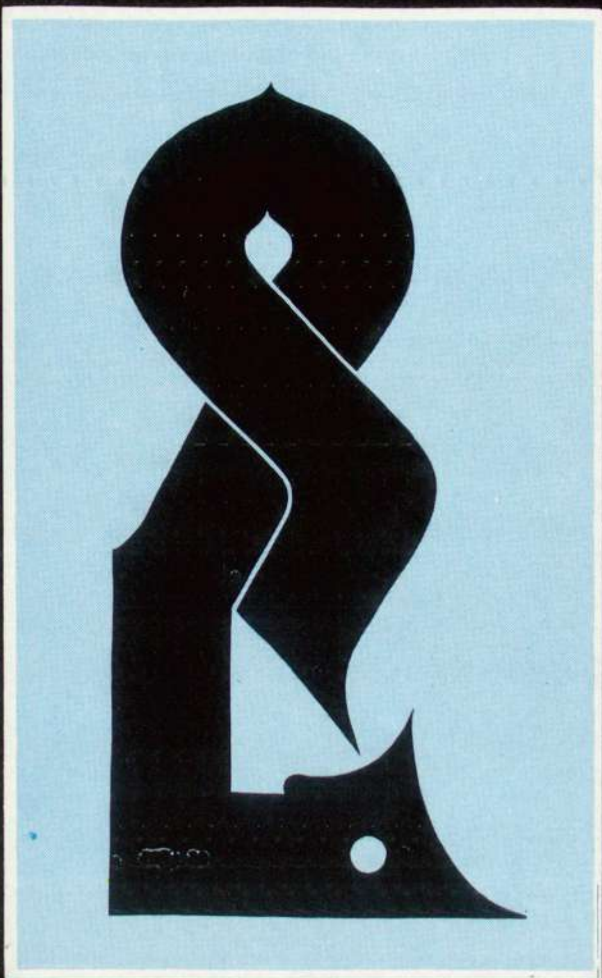
والفنان العراقى المعاصر محمد سعيد الصقار الذى عرض فى باريس واستقطب جمهوراً واسعاً لما فى خطه من عذوبة ، ولألوانه الزخرفية من عصرية ، ولقدرته المدهشة فى تطوير الخط بما يتلاءم مع مزاجية هذا العصر .

وقد سألت الخطاط الفنان الصقار أثناء معرضه :

● طالما أن الخط العربى «منبع أساسى» للفن الاسلامى ؛ لماذا لا نجد أكاديميات تدرس هذا الفن ؟

أجاب :
ـ كان هناك مثل هذه المعاهد فى القاهرة وبغداد ، ومازالت الأخيرة تدرسه ،







وسيجزي الله الشاكرين
وما كان لنفس
أن تموت إلا بإذن
الله كتابا مؤجلا
ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها ومن يرد
ثواب الآخرة نؤته

منها وسنجزي الشاكرين
وكأين من
نبي قاتل معه ربيون
كثير فما وهنوا
لما أصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا
وما استكانوا والله

لوحتان من معرض الخط العربي للخطاط الفنان حسن مسعودى فى صالة (أرتيكوريال) بباريس .

اللوحة الثالثة فى معرض (روائع القرآن) فى اليونسكو – باريس ، وهي بالخط المغربي فى القرن العاشر الهجرى .

ولكن المسألة لا تتعلق فقط بتدريس الخط رغم أهمية ذلك ، ولكنها تتعلق بالرؤية لهذا الفن ، فهذه المعاهد تدرس الخط على طريقة السلف الصالح وقلما تحاول أن تكتشف أبعاده وخصائصه الفنية ولا تشجع على الاضافات التى يقتضيها العصر .

● جمالية وغنى الخط العربى بمدارسه المتعددة قديماً وحديثاً حوله الى فن تجريدى ، ودخل الخط كعنصر جمالى فى الفن التشكيلى كما فعل شاكر حسن آل سعيد ، ورافع الناصرى ، وضياء العزاوى فى العراق ، وسعيد أعقل ، وفيصل سلطان ، ووجيه غله فى لبنان وكمال بلاطة فى فلسطين وغيرهم كثير ، فما رأيك بهذه المحاولات ؟

– فى معرضى أتعامل مع الخط كخطاط، لا كرسام حروفى ، ولئن وجدت بعض اللوحات التى تنسب الى اللوحة الحروفية . معنى ذلك أننى أختلف عن الذين ذكرتهم ، أننى أعتنى بالخط العربى من حيث هو استمرار لتاريخ طويل فى الممارسة والتطوير ، ومن حيث هو مجموعة من الأصول . والضوابط الفنية التى تشترط معرفتها من قبل الخطاط . وأحاول من خلال عملى أن أقترب من الخصائص الايمانية للخط وأقربه الى زمنى .

● فى لوحاتك المعروضة نلاحظ تحررك فى الخطوط المنهجية أو الذاتية اذا صح التعبير ، هل تريد من وراء ذلك أن تظهر جمالية الخط العربى كأداة تشكيلية ؟ والى ماذا بالتالى أن تصل ؟

– التحرر من المنهجية ، نعم ! أما الذاتية فلا ! لأننى بهذا التحرر من المنهجية أعطى بعداً ذاتيا لأعمالى ويمكن القول أننى أبحث عن جماليات اضافية من خلال استقصاء أبعاد الحروف وعلاقاتها ، والايغال فى استثمار ليونتها واستجاباتها ، والمزاوجة بين خط وآخر اعتماداً على النسق الموسيقى فيما بينها ، وقد قادنى ذلك الى لوحات من الخط الحر ، الخارج على الأصول التقليدية ، والمعتمد أساساً على وحدة الجو الفنى فى اللوحة الخطية .

وما أريده هو أن أكتب بحواسى كلها وأن أنتبه وأنبه الى العلاقات الشيئية فى الحياة التى يمكن للخط أن يأسرها ويطوعها .

كما أننى أطمح الى اخراج الخط من غيبوبة الأسرار والطقوس الوثنية ، وممارسته بأكثر قدر من الحرية ليكون أكثر قرباً من الحياة وأكثر تداخلا فى الزمن ، وأقدر على حمل ملامح عصرنا .

● الى ماذا تؤول تناقص عدد الخطاطين العرب فى العالم العربى ؟

– الى شروط الحياة الجديدة وكسل الخطاطين فظهور الطباعة عطل عمل الخطاطين وألغى مهنة الوراقة التى كانت تعتمد على الخط وتجويده .

وظهور الصحافة اشترط أبسط الخطوط وأوضحها ، وهذه شروط مهنية صحيحة ومقبولة .

ولكن غير المعقول هو بقاء الخطاطين قابعين فى مواقع متخلفة عن زمنهم . فالخط كحرفة صار أشبه بصناعة النماذج الصغيرة للتماثيل الأثرية التى تباع للسياح .

ومحمد سعيد الصقار الذى استقطب جمهوراً واسعاً فى صالة القباب فى باريس ليس أكثر من تاريخ طويل فى الممارسة والتطوير ، وخطوطه المعروضة تحمل كل ايحاءات هذا العصر وملامحه النابضة .

المسعودى .. خطاط آخر

حسن المسعودى فنان وخطاط عراقى أيضاً ، انتشر كتابه عن الخط العربى فى كل المكتبات الفرنسية ، وقد ألفه لأجل القارىء الفرنسى والعربى ، واضعاً شروحاته فى اللغتين .

قدم المسعودى مع كتابه معرضاً فى خطه ، وهو سواء فى كتابه أو معرضه ، لهو أشبه بالمعلم المنهجى المتسلح بتراثه القديم .

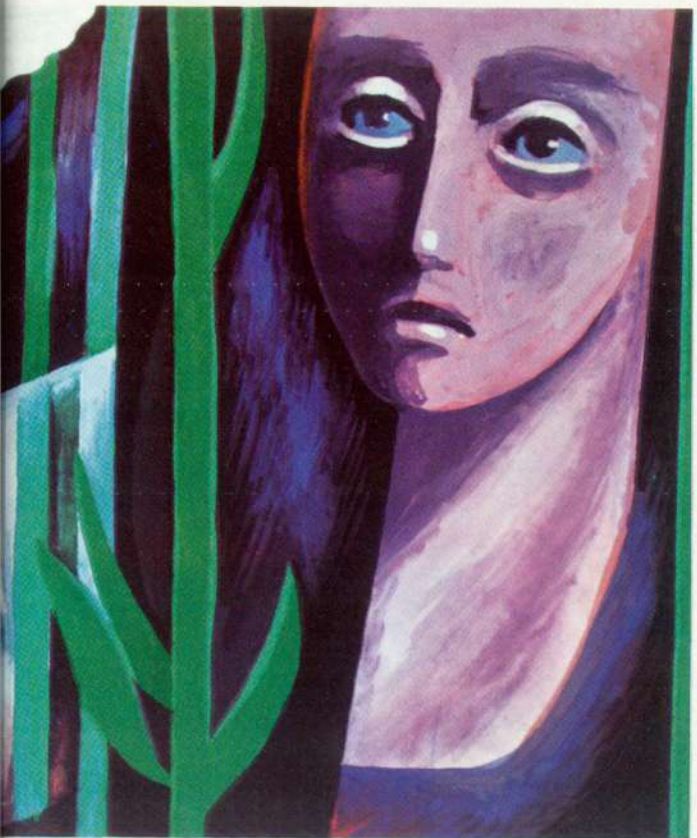
فهو كثير الحذر بتطوير أى خط من خطوطه ، ناسخاً السلف ومقلده .

كتاب المسعودى يحتوى على شروح لفن الخط : كيف يخط بالقصبة ، والمواد المطلوبة لبرى القصبة ، كما يشرح عن وضعية جسم الخطاط ، ووضعية يده ، وقواعد الخط العربى ، ويتحدث أيضاً عن النقطة كوحدة قياس أو كجزء من الحرف . وينهى كتابه عن بعض أعمال المؤلف .

ولوحاته المعروضة تمثل نماذجاً متعددة فى الخطوط الجميلة المطورة .

فى المعارض الثلاثة الباريسية كان الباريسيون يتذوقون جماليات الخط العربى ويدهشون لقدراته الايحائية وامكانياته التشكيلية المعاصرة .

نهى سمارة



حديقة الأسماك القاهرة

شعر:
محمد المهدي المجذوب

يزور حديقة الأسماك والأظلال تخلعها ..
عليه الدوحة الخضراء°،
شباك تحسن الاصغاء
ويهرب في مرايا الشمس تمسك حوله الأشياء
وأبصر وجهي المفضوح منفياً مع الصحراء
فيا نفسى متى انسى إذا لم ينس فى جسدى ..
عواء الليل ، والأسماك فى الغدران لم تعرف صباح الشوقِ والندمِ

●

صراخُ الطير في الأقفاص يحتدمُ
ملونةً وما ذاقت مدى الآفاق بالألوان
تَمنّى ريشها الآفاقَ فانحسرا
وفي الأقفاص آفاقُ
وريشيَ فيمَ ينبت بين أقيادى

●

أشاهد خلوة العشاق أزواجاً فابتسمُ ..
لآدم لا يعرى ما أضمرت حواء تأكله
وترضي نفسه البلهاء



فمــن ذا يبــرىء الأدواء مــن جســدي
وروحـــيَ قصــةٌ مجهولـــةُ الأصــداء°
وأضحــك من يــد الشرطــي مد بهــا فأنكرنــي بــلا إيمــان
يسائـل عــني الأسمـــاكَ يمسكها ويســأل عني الأقفــاصَ والعشــاقَ ..
يســأل عني الأظـــلال تخلَعُهــا عليَّ الدوحــة الخضراء
أمــا علمــتْ بــأني خــارج الأشيــاء

●

أقالـــوا غـــيرُ مُتَّزن   وكيف يكون متزنـــاً
يعانـــي الشــوك   والأزهــار والمحنـــا
ويخشى المـــوت والأحيـــاء لم يعــرف بهم وطنـــاً
أرافـــق ساخطـــاً بــــدني
وكم أحببتٍ من أنثى   فجاد الغيث بالصحراء
إذا أبصرتـــمُ شيئـــاً ،
فـــأني لا أرى بصـــري ســوى كــذبي وأهوائـــي

●

أحــب الخـــوف تعجـــز تحتـــه الحربـــاء°
وشبــاكي يــرد الفجــر والزبـــال يحملـــه الى الظلمـــاء

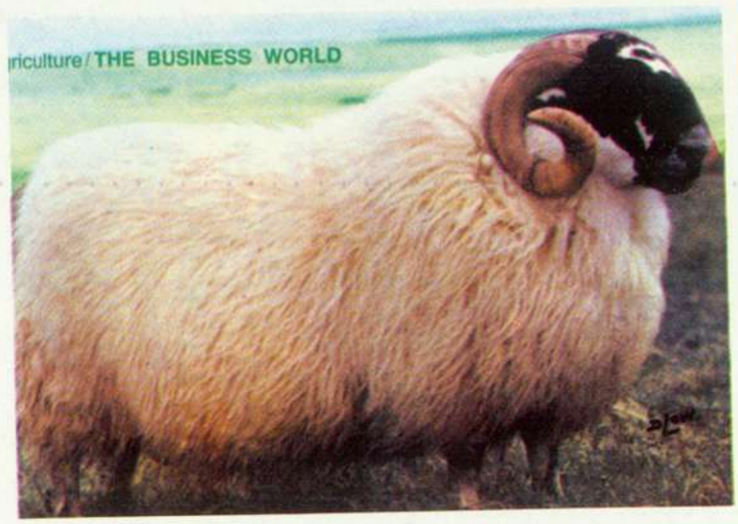
لقطات من الكون المثير

وللطيور امزجـــة

● كثيراً ما تضع الحياة ذكورها فى اختبارات عويصة وقاسية ، لتختار اقواهــا باساً واكثرها صبراً ، واشدها تحمــلا ، وتقدمه للأنثى المناسبة ، ليورث الأجيــال القادمة بعض صفاته الوراثية الممتازة ، ولكي يلبث هــذا الطائــر الاسترالي للاناث من نوعــه ، أنه جدير بهــا ، فلابد من إثبات ذلك باقامة خميلة أو تعريشه أو استراحـــة فخمة تروق لاناثه ، لتختاره دون سواه من ذكور أقل شاناً ، ولهذا يقضى اياماً طويلـــة وشاقة فى احضار الخامات التى يبنى بها « العريشة » ، ولقد احصى احد العلماء لواحد من ذكور هذا النوع من الطيور ، ما جلبه لانشاء عريشته ، فوجدها اكثر من ثلاثة آلاف عشب ، والف قطعة من الحصى أو الحجارة ، ليس ذلك فحسب ، بل عليه أن يفرش أرضية العريشة بما تيسر من زهور وثمار وأوراق مختلفة الألوان ، ولا مانع ايضاً من احضار شرائط وعلب واكواب وشوك وملاعق من ممتلكات الانسان او مخلفاته (تمعن فى الصورة جيداً ، تجد بعض ما ذكرنا) .. المهم كلما الديكورات كانت فخمة ومبهجة ، دل ذلك على قوة الذكر ، وجمال ذوقه ، وحسن استقباله .. عملا لا قولا ، ولهذا تفضله الاناث على سواه ، وفى ذلك لا يختلف إناث البشر ، عن إناث الطير ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون .!



اغلى خروف فى العالم :



● فى يوم ٤ اكتوبر عام ١٩٧٨ اقيم فى بريطانيا مزاد علنى لبيع هذا الخروف الغريب ، وفيه رسا المزاد على المستر و. شيدون ، ودفع فيه مبلغ ٢١ الفاً من الجنيهات الاسترلينية ، والصورة المنشورة توضح سلالة هذا الخروف النادرة ، ومع ان هذا الثمن يبدو خيالياً ، إلا انه اقل من الثمن الذى دفع فى خروف آخر بيع باستراليا عام ١٩٧٦ بمبلغ ٤٦ الف دولار استرالى ، أو ما يوازى وقتها مبلغ ٣٠ الف جنيه استرلينى ، وكان ذلك بحق اغلى ثمن دفع حتى الآن لخروف من سلالة ميرينو المشهورة بجودة أصوافها ، وجدير بالذكر هنا أن هواة ومحترفى تربية السلالات النادرة من النبات والحيوان يقدمون للبشرية كل ما هو مفيد ومثير ، وذلك عن طريق التزاوج والاختيار بين السلالات ذات الصفات الممتازة .. اى بتوجيه من الانسان ، لا بتركها للطبيعة تحت رحمة الصدفة او العشوائية .



اغرب شوارع فى العالم

● لو أسعدك الحظ وزرت مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا، لوجدتها مدينة ذات طابع خاص ، لكن أغرب ما فيها شوارعها التى ترتفع وتنخفض بدرجات تدعو احياناً الى الخوف والرهبة ، خاصة عندما تصعدها بسيارة ، والشارع الذى تراه فى الصورة على هيئة متعرجة يعرف باسم «لومبارد» ، ويعتبر واحداً من المعالم السياحية فى المدينة ، ولكى يتغلب الانسان على شدة انحدار الشارع ، فقد اعترض طريقه بجزر صغيرة من الزهور لتجعل منه أكثر الشوارع تعرجاً وانحداراً فى العالم ، وربما اجملها واغربها أيضاً .. بقى أن تعرف أن مدينة سان فرانسيسكو مشيدة على احد عشر تلا متجاوراً ولهذا ترتفع الشوارع وتنحدر بين هاماتها وسفوحها ، لتجعل منها مدينة فريدة ومتميزة بين مدن العالم .

وللذكر مثل حظ الأنثى

● لكى يشارك هذا الضفدع الذكر بنصيب فى مسئوليته تجاه الذرية المقبلة من نوعه ، ليحقق بذلك غريزة الأبوة ، فانه يقاسم أنثاه فترة حمل البويضات .. فله فيها شهر ، ولها شهر ، بمعنى أن الأنثى تحمل البويضات فى داخل بطنها شهراً ، حتى تنضج ، ثم تضعها ليلقحها الذكر ، وبعد ذلك يحث انثاه على تثبيت ما وضعت فوق الجزء الخلفى من ظهره ، وبالفعل تحقق له رغبته ، وكانما هو سعيد بما حمل ، ولايزال يتنقل ببويضاته يوماً بعد يوم ، حتى يكمل شهراً ، وعندئذ تفقس البويضات ، ويخرج الأنجال ، وينزلقون من ظهر أبيهم الى الماء ، حيث يسبحون الى غير رجعة ، وطبيعى أن هذا السلوك فريد وغريب بين انواع الضفادع ، لأن اناثها تضع بويضاتها على الأعشاب المائية ، ثم تتركها لقدرها حتى تفقس ، لكن ضفدعنا هذا قد شذ على القاعدة ، ومن اجل ذلك أطلق الناس عليه اسم «الضفدع الداية أو المولدة أو القابلة» ، لأنه يفعل مثلما تفعل الاناث .. ولله فى خلقه شئون .

ع . ص



نباتات شيطانية دخلت التاريخ

بقلم الدكتور
عبد المحسن صالح



عرف الهنود الحمر بعض النباتات السامة او التى تسبب الشلل فى الانسان والحيوان ، ومن أجل هذا كانوا يلوثون سهامهم بهذه السموم ، حتى إذا لم يقتل السهم ، يسري السم ، ويشل الضحية .. والصورة توضح أحدهم وهو يقوم بتسميم سهامه بمادة (الكورار) المستخرجة من أحد النباتات .

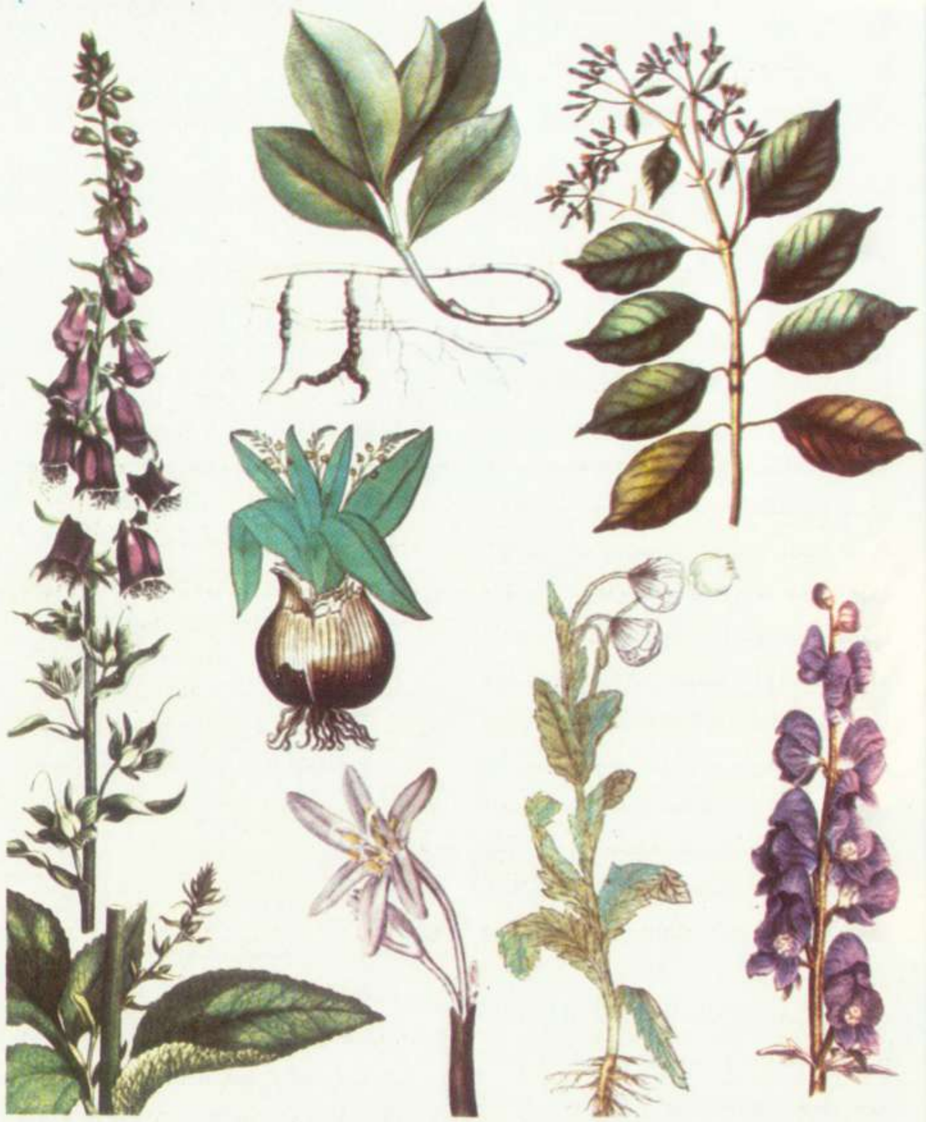
● «لقد رأيت أمام عينى قصوراً مشيدة من أحجار كريمة .. ولقد كانت زاهية الألوان ، متناسقة البنيان .. ومن أحد هذه القصور خرج حيوان غريب لا أستطيع له وصفاً ، وكان يجر عربة فخمة ، وبعد فترة تراءى لي وكأنما حوائط منزلي تذوب وتتلاشى وأن روحى قد انطلقت منى وطارت في الهواء ... ووجدت نفسى وكأنما أنا معلق فى الفضاء ، وبصرى شاخص على ما تحتى من مناظر طبيعية تتخللها جبال ووديان ومن على سفح الهضاب كانت تتقدم قافلة من الجمال هابطة ببطء نحو الوديان .. ثم رأيت الجبال ، وكأنما هي درجات ترقى كسلالم نحو السماء » !

إن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن انسان مخبول العقل ، أو فى حالة من حالات النوم المصحوبة بهواجس الأحلام .. لكن صاحب هذا الكلام بانكر جوردون واسون ، لم يكن مخبولا ولا حالماً ، بل كان هاذياً أو « مهلوساً » رغم أنه بصحة جيدة ، وفى حالة يقظة تامة ، ولقد تراءى له ما تراءى ، لأن عقله قد تأثر بمادة انسابت الى مخه ، بعد أن تناول « عيش الغراب المقدس » .. وهو واحد من نباتات فطرية تشبه المظلة ، ويهواها الناس كطعام معلب أو غير

معلب ، وهذا النوع من عيش الغراب عرفه الهنود الحمر منذ آلاف السنين ، وأطلقوا عليه اسم الفطر المقدس ، لأنه كان يلعب بعقولهم ، ويصور لهم أمورا غريبة يرونها رؤية العين ، ولكن غيرهم كان يراها هذياناً وهلوسة تهون بجوارها أحلام اليقظة !

ويقص علينا عالم النفس هيفليك ايليس تجربته الحية مع مادة أخرى نقية عزلها العلماء من أحد النباتات ، والمادة تعرف باسم « الميسكالين » .. ولقد تعاطاها بغرض الدخول فى تجربة على نفسه ، وبنفسه ، ليرى أثرها فى عقله ، وعندئذ كتب « لقد شاهدت حقولا كثيفة ، مرصعة بالجواهر النفيسة .. وعندما كنت أحملق فيها ، رأيت كأنما هذه الجواهر تتفتح على هيئة أشبه بالزهور، ثم إذ بالزهور تتحول الى فراشات رائعة تحلق فى شتى الاتجاهات» !

لكن أثر هذه المادة قد يختلف من شخص الى آخر .. فعندما تعاطاها الكاتب الشهير ألدوس هكسلى ، ونظر الى زهرية صغيرة بها بعض الزهور ، تجلت أمام عينيه «كما تجلى الخلق كله لآدم فى صباح اليوم الذى ظهر فيه الى الحياة .. انها المعجزة .. انه الوجود العارى المجرد .. الينبوع المقدس لكل الوجود .. لقد قفزت الى ذهنى كلمات مثل التجليات والنعم الالهية والرحمات ..» !



بعض النباتات الطبية التى عرفها الانسان منذ زمن طويل وهي من أعلى (من اليمين الى اليسار) : الكينا (ضد الألم) .. عرق الذهب (مقيء) القمعية (منبه للقلب) .. العنصل (فى وسط الصورة وهو منبه ومنشط) .. أسفل من اليمين الى اليسار : البيش (مخفف للألم) .. الخشخاش الأبيض (مسكن للألم) .. الصفرون أو الزعفران (للنقرس) .

بين القديم والحديث !

لكن يبدو أن لكل شىء وجهين : نافع وضار ، أو مقبض وسار ، أو داء ودواء .. الى آخر هذه المتناقضات التى نعرفها فى حياتنا تمام المعرفة .

فالنباتات معروفة من قديم الأزل على أنها واهبة الطعام والكساء والمأوى والدواء والعطور وما شابه ذلك .. وهى صانعة البروتينات والنشويات والزيوت والفيتامينات وكل ما يحتاجه الانسان والحيوان فى غذائه ، لكنها ــ فى الوقت ذاته ــ تقوم بتصنيع جيوش من مركبات أخرى سامة ، ومن هذه السموم قد ينبع الدواء ، ومنها ما يؤثر على الجهاز العصبى ، فينقله الى حالات جديدة وغريبة ، ويبعده عن واقع الحياة المليئة بالآلام والقلق والتوتر ، ويهيىء للانسان سعادة ، لكن لابد أن تتبعها تعاسة ، لأنه



نباتات شيطانية دخلت التاريخ

ـ فى هذه الحالة ـ لن يعيش دائماً فى أوهامه وتصوراته ، إذ لا مناص من عودته الى عالمه الواقعى ، فيعاود الكرة مرة ومرة ، عله يعود الى عالم الخيال ، والنتيجة الحتمية لذلك هى عادة الادمان وهى عادة محفوفة بالمخاطر والأهوال ، إذ يصبح الانسان أقرب الى عالم الأموات منه الى عالم الأحياء !

إن النباتات التى تصنع لنا الدواء المزوج بالسموم ، تعرف باسم النباتات أو الأعشاب الطبية ، ولقد عرفها الانسان من قديم الزمن ، فعندما كان الطبيب الكاهن فى عصر الفراعنة يصف منقوع جذور شجرة الرمان لمريض مصاب بالديدان الطفيلية ، لم يكن فى ذلك مجانباً للحقيقة ، لأن الجذور ـ فى الواقع ـ تحتوى على مادة طاردة للديدان .. أو عندما كان يصف لمريض مصاب بتوعك فى بطنه زيت الخروع المسهل والملين ، فانه لم يكن فى ذلك مخطئاً ، إذ لازالت هذه الوصفة سارية المفعول حتى اليوم ، رغم أنه قد مر عليها آلاف السنين !

ولقد استخدم الطب الفرعونى عصير أو افراز بعض النباتات فى تخفيف الآلام وكانوا يستخلصونه من نباتات الخشخاش (الذى يستخرج منه الأفيون) وكانت هذه المادة تستخدم الى عهد قريب ـ ولازالت ـ فى التخدير أثناء اجراء العمليات الجراحية ، أو لقتل الألم ، وجذب النوم ، وتهدئة النفس (مادة المورفين الشهيرة) .

ولاشك أن الأطباء العرب القدامى كان لهم طول وباع فى علاج كثير من الأمراض بواسطة الأعشاب الطبية ، ولقد نقل عنهم علماء الغرب هذه الصنعة ، لكنهم زادوا عليها ، وأضافوا اليها ، ثم ذهبوا الى أبعد من ذلك ، واستخلصوا المواد الفعالة التى تحتويها هذه النباتات ، وبدأوا فى تنقيتها وتحليلها ومعرفة تركيبها الدقيق علهم يستطيعون تجهيزها فى المعامل بالتخليق ، ثم تجربة كل مادة منها ـ على حدة ـ فى الحيوان والانسان ، ليعرفوا تأثيرها على الجسم عامة ، والجهاز العصبى خاصة ، وليفرقوا بين النافع منها والضار ، ويحددوا الجرعة المناسبة لأن معظم هذه المواد اذا أسيء استخدامها ، جاءت بنتائج عكسية ، وقد تورد الانسان موارد الهلاك ، إذ أنها تحتوى على سموم قاتلات .. ولهذا كان لابد أن نعترف أن بها الداء ، وبها الدواء .. مثلها فى ذلك كمثل السموم التى تفرزها ، وهذا ما تعرضنا له فى مقال سابق على صفحات هذه المجلة .

عائلة كبيرة من السموم النباتية

والواقع أن هناك مئات من المعامل التى تضم آلاف العلماء المهتمين بالتعرف على أنواع السموم النباتية ، وهذه تعد بالآلاف ، ومن أجل هذا دأب العلماء على تصنيفها وتقسيمها الى أنواع وعائلات ، وأكبر هذه العائلات على الاطلاق هي عائلة أشباه القلويات أو القلويدات ـ كما يعن للبعض تسميتها (الكالويـد) ، وهي جميعاً ذات مرارة فى المذاق ، لأنها تتشابه فى شق كيميائي يميزها عن غيرها ، ويعطيها صفتها التى تصبح بمثابة بصمة أو هوية ترشد الكيمائى الى طبيعتها !.

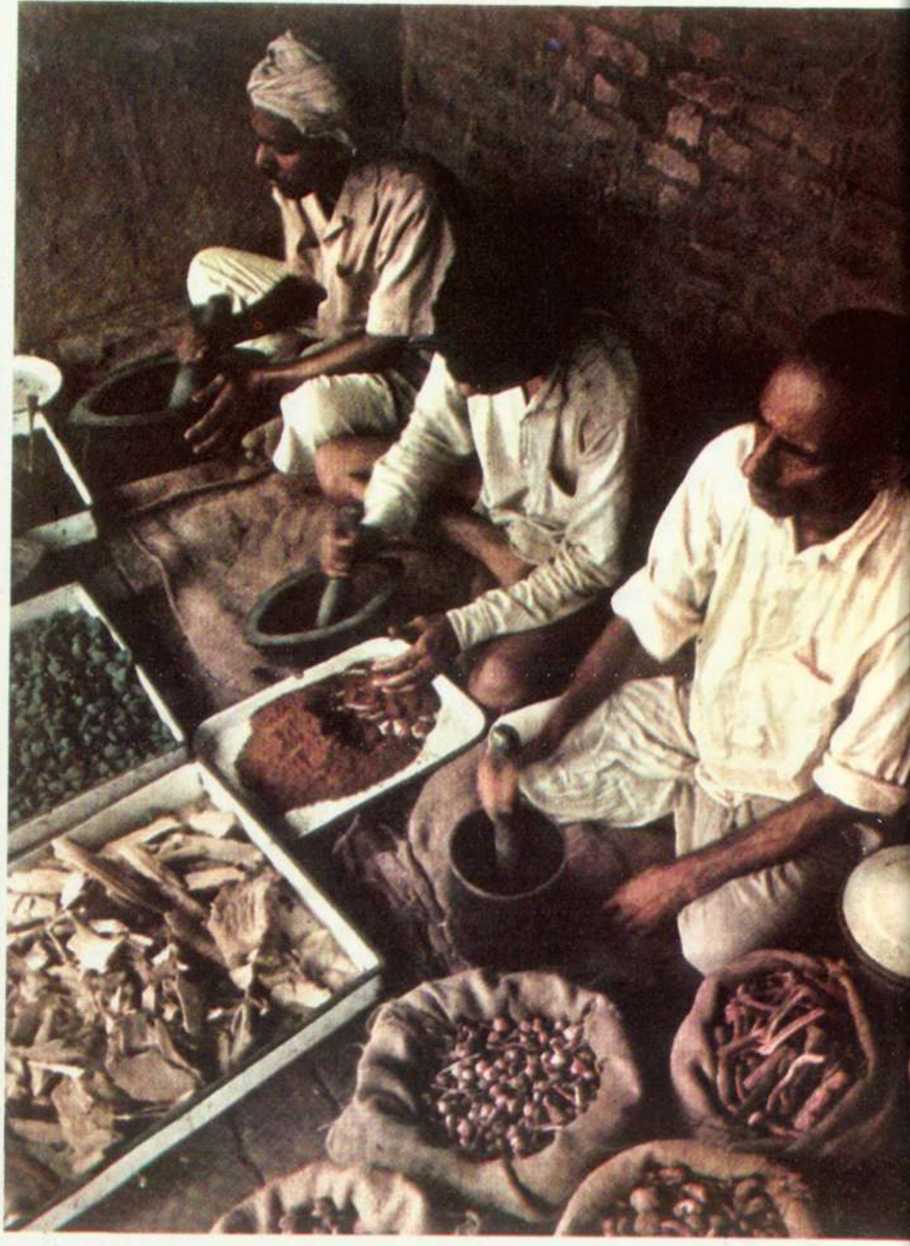
ولاشك أن معظم الناس يتناولون هذه القلويدات يومياً على هيئة نيكوتين في التبغ والسجائر ، أو كافيـن فى القهوة والشاى والكاكاو ، هذا ومما يذكر أن النيكوتين سام ، ويدخل أحياناً فى تجهيز بعض المبيدات الحشرية ، لكن الكافيـن منبه ومنشط وله فوائد طبية ، إذ قد يدخل فى تركيب الأدوية المستخدمة للصداع ، أو فى حالات الاسهال ، وضد بعض حالات التسمم الناتجة من المورفين (وهو أيضاً من القلويدات) .

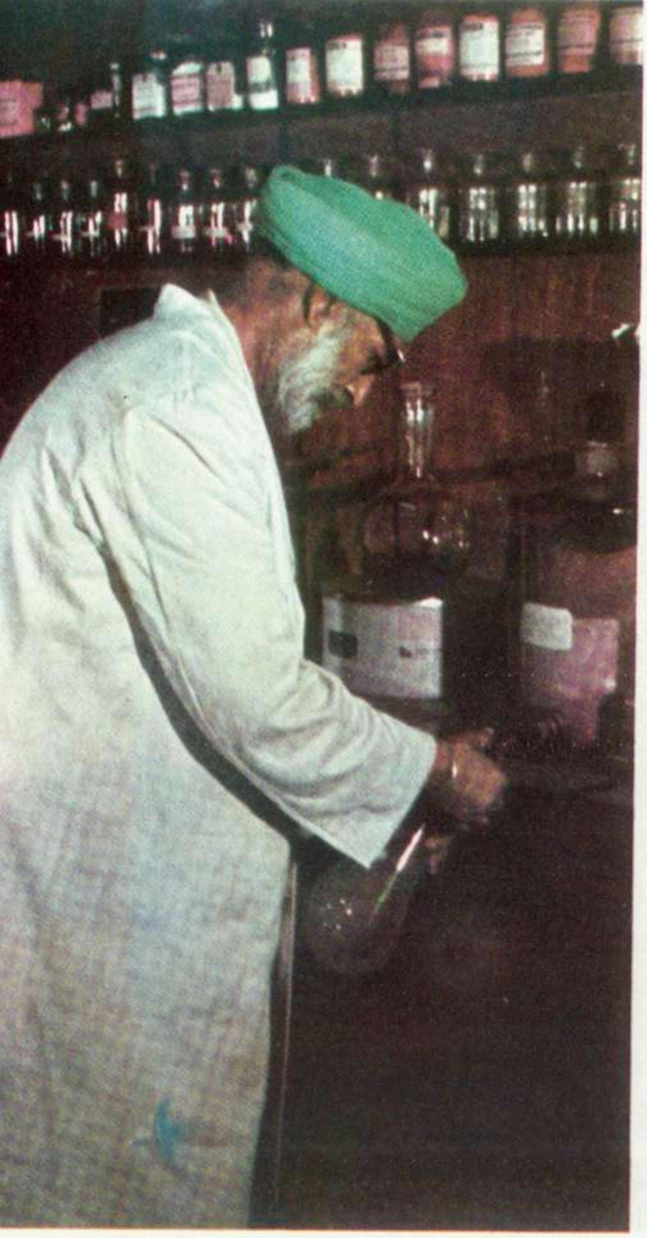
ولقد فصل العلماء حتى الآن أكثر من خمسة آلاف مادة من أشباه القلويات ، وتم عزلها من أكثر من ٩٧ عائلة نباتية زهرية تضم كل منها أجناساً وأنواعاً وسلالات شتى .. خذ على سبيل المثال العائلة الباذنجانية التى ينطوي تحت لوائها عشرات الأجناس ، ومئات الأنواع .. منها البطاطس والطماطم والباذنجان ، وهي تستخدم كطعام ، ومنها التبغ الذى يعدل المزاج (المدخنين بالطبع) والفلفل الأحمر الذى يدخل ضمن البهارات ، ومنها أيضاً نباتات برية مثل عنب الديب ، وسم الفراخ والعوسج ، ومنها نباتات الزينة مثل البيتونيا والسيسترام ومنها النباتات الطبية مثل نبات البلادونا والداتورة والسكران ، ورغم أن هذه النباتات الأخيرة سامة ، إلا أنها تحتوي على مواد طبية لتهدئة الأعصاب ، وعلاج الربو ، وتوسيع حدقة العين وجلب النوم وتخفيف آلام الروماتيزم .. الخ .

على أن بعض العائلات النباتية مثل العائلة الخشخاشية (سميت بهذا الاسم استناداً الى أشهر جنس فى العائلة وهو جنس الخشخاش أو الأفيون) تتميز عن غيرها بأن جميع أنواع النباتات التى تحتويها ضليعة فى تكوين أشباه القلويات ، ولم يكتشف العلماء حتى الآن نوعاً واحداً منها خالياً من هذه المواد .

وطبيعي أننا لا نستطيع أن نتعرض لآلاف السموم أو الأدوية التى تكونها النباتات الطبية ، فذلك يحتاج لمجلدات ، لكن يكفى أن نذكر أن طبيعة السم أو الدواء تختلف من نبات الى آخر فى التركيب والتأثير على الانسان والحيوان ولهذا أطلق الناس على بعضها مسميات تنبيء بحالها ، كنبات الشيطان ، أو نبات الجنون ، أو النار ، أو الملاك القاتل (وذلك لأن زهور النبات جميلة وقاتلة) أو الحريق .. الخ .. الخ .

فبعض هذه النباتات تحتوى قلويدات غير ضارة فى ثمارها غير الناضجة ، لكنها إذا أكلت ، تحولت فى عملية الهضم الى مركبات أخرى سامة ، ومنها





بين القديم والحديث .. الى اليمين يظهر بعض بائعي الأعشاب الطبية وهم يفترشون الأرض ، ويقومون بتحضير الدواء بطريقة بدائية مثل القدماء .. والى اليسار صيدلي فى معمله الحديث وهو يقوم باستخلاص المواد الفعالة من النباتات الطبية بطريقة حديثة ومتطورة .

على سبيل المثال مركب السيانور السام (فى اللوز المر) ، فتظهر أعراضه على هيئة تشنجات وصعوبة فى التنفس وانتفاخ قد يتبعه موت فى غضون ساعة واحدة ، خاصة إذا كانت الجرعة كبيرة .. وأحياناً ما يظهر أثر بعض هذه السموم على هيئة انسياب فى اللعاب أو صداع وقيء وغثيان ، أو أضطراب فى القلب ، أو تشنج في العضلات ، أو رعشة ، أو طفح جلدى أو شلل .. الخ .. الخ ..

وأيا كانت الأمور ، فان أشباه القلويات ـ مع ذلك ـ قد جاءت هدية من النبات للانسان .. لكنها هدية تحمل فى طياتها نعمة ونقمة ،، نعمة استخدام بعضها كدواء ، أو لتخفيف الآلام ، ونقمة لأنها قد تسم أو تتلاعب بعقول البشر ، وقد تؤدى الى الادمان ، وهنا تكمن الخطورة على مستقبل الانسان ، فكم من ملايين الضحايا قد أصبحوا عبيداً أذلاء ، بعد أن كانوا أحراراً شرفاء .. وكم من الجرائم قد ارتكبت من جراء بعض أشباه القلويات التى قد تسلب الانسان لبه ، وتسيطر على ارادته ، فلا تتركه إلا حطاماً .

نباتات لها تاريخ

والنباتات كالبشر .. أى منها المشهور ، ومنها المغمور ، ومن أشهر النباتات السامة نبات الشوكران ، وكان منقوعه أو عصيره يستخدم كأداة من أدوات الاعدام عند اليونانيين القدامى ، وقد شربه سقراط بعد محاكمته وإدانته ، تنفيذاً لحكم الاعدام .. ويصف لنا أفلاطون وصفاً دقيقاً موت أستاذه وصديقه عندما شرب سم الشوكران .. « ثم رفع الكأس الى شفتيه ، وأقدم على تجرع محتوياته بشجاعة وابتهاج ، ثم تمشى قليلا ، وبعدها ذكر أن ساقيه بدأتا فى الترنح والأعياء ، فنام على ظهره تنفيذاً للتعليمات ، وعندئذ ضغط الذى قدم له السم بشدة على قدمه ، وسأله إن كان يحس بشيء ، فأجاب سقراط انه لا يشعر ، وبدأت الأعراض تنتقل من قدميه الى ساقيه ، وأخذ يتحسسهما ، فشعر فيهما ببرودة وتصلب ، وعندئذ قال :

نباتات شيطانية دخلت التاريخ

عندما يصل السم إلى القلب ، فسوف تكون النهاية ، وقد زحفت البرودة الى أعلى الفخذين ... وبعد دقيقة أو دقيقتين أرتعد جسده ، وتحجرت عيناه وقام كريتو باسبال جفنيه على عينيه » !

لقد مات سقراط ميتة هادئة بدون تشنجات أو آلام ، ولقد اختاروا له هذا النوع من النباتات السامة رحمة به ، واحتراماً له ، لأن السم الموجود فى نبات آخر ، يعرف باسم الشوكران المائي (وهو من غير جنس ولا نوع الشوكران الذى مات به سقراط) يؤدى الى آلام رهيبة ، وتقلصات شديدة ، وعذاب أليم ، ولهذا لم يستخدموه احتراماً لشيخوخته (كان سقراط عند موته يبلغ من العمر حوالي ٧٠ عاماً) .

إن ذلك يعني أن النباتات السامة كانت معروفة من قديم الزمن ، وكانت أعراضها مدروسة ، ولقد مارستها حضارات قديمة مثل بلاد ما بين النهرين (العراق) والفراعنة والصينيون القدامى والرومان والعرب .. الخ ، ولم تتوقف معرفتهم عند أنواع النباتات السامة ولا أعراضها ، بل كانوا يلمون ببعض مبادىء أولية عن مقاومة سمومها .

ولقد عرف الهنود الحمر منذ زمن طويل بعض النباتات السامة التى كانت تنمو فى أمريكا الجنوبية ، وكانوا يستخدمون سمومها فى دهان أسنة الحراب والسهام ، فاذا أصاب السهم الانسان أو الحيوان فى غير مقتل ، سرى السم ليحدث ارتخاء فى العضلات فيؤدى الى توقف التنفس ، ثم موت أكيد والغريب أن هذا السم (يسمونه بلغاتهم « كورار ») لا يقتل الانسان إذا تناوله مع طعامه ، لأن القناة الهضمية تقف له بالمرصاد ولا تسمح بنفاذه الى الدم ، ولهذا كانت أكفأ وسيلة لانسيابه هى ماجاءت عن طريق جرح ، ومع أن هذا السم قاتل ، إلا أنه يستخدم أحياناً أثناء إجراء العمليات الجراحية بتركيزات جد ضئيلة ، فيسبب استرخاء فى العضلات المشدودة ، وكانما ينطبق عليه قول الشاعر (ودواني بالتى كانت هي الداء) !



سقراط

ومن اشهر النباتات التى جذبت اهتمام الناس من قديم الزمن ولا زالت ، نبات من عائلة الصبار موطنه المكسيك أساساً ، ويطلق عليه هناك اسم « البايوت » ، ولا أحد يعرف متى أكتشف الهنود الحمر هذا النبات الغريب ، لكن الرجل الأبيض – بعد غزوه لأمريكا – تعجب من الطقوس الدينية التى كان يقوم بها كهنة الهنود حول هذا النبات بالذات ، وفي أيام معدودة من كل عام ، وكانت بمثابة أعياد دينية ، لأن البايوت – فى عرفهم – هو (منحة الاله) التى يقدمها لهم ، ليرفع بها الهم عن المهمومين ، وييسر الحياة للمكدودين ، وكانوا يعتقدون كذلك أن من تعاطى جرعات من البايوت ، فان روحه تصعد – بعد موته – الى الاله مباشرة ، ولن تتوه وتتشرد كالارواح الأخرى ، ولهذا لم يظهر هندى أحمـر ، ولا هندية حمراء إلا وتذوقته ومارسته ، حتى الأطفال المواليد كانوا يباركون به على أيدى رجال الدين هناك ، ويرشونهم بماء البايوت فى طقوس أقرب بالتعميد عند المسيحيين ، وكان الكهنة يجمعون الناس حول الخيام بجوارها نار موقدة ، وكانوا يمارسون رقصات وحركات وابتهالات أشبه بحلقات الدراويش !

والقصص بعد ذلك كثيرة جداً ، ولا يتسع المجال هنا لأكثر من ذلك ، لكن الذى يهمنا فى الموضوع أن جذور هذا النوع من الصبار كانت تحتوى على عدد من أشباه القلويات ، وكان أهمها على الاطلاق مادة « الميسكالين » التى قدمناها فى صدر هذا المقال عندما تناولها عالم النفس هيفليك ايليس ، وجعلته يتصور أنه يعيش فى عالم آخر غير عالمه الحقيقى .

وإذا كان الهنود الحمر فى الغرب قد اكتشفوا فى الصبار وفي عيش الغراب مواداً لها تأثير فعال على العقل ، كذلك أكتشف الانسان في الشرق النباتات أو الأعشاب التى استخرج منها الأفيون والحشيش أو عشرات المشتقات من هذه المواد مثل الهيروويين والكوكايين والمورفين .. الخ لكن مما لا شك فيه أن شهرة هذه المواد قد طبقت الآفاق ، ولها تاريخ مسجل فى العقائد والمحاكم والطب والصيدلة .. الخ ..

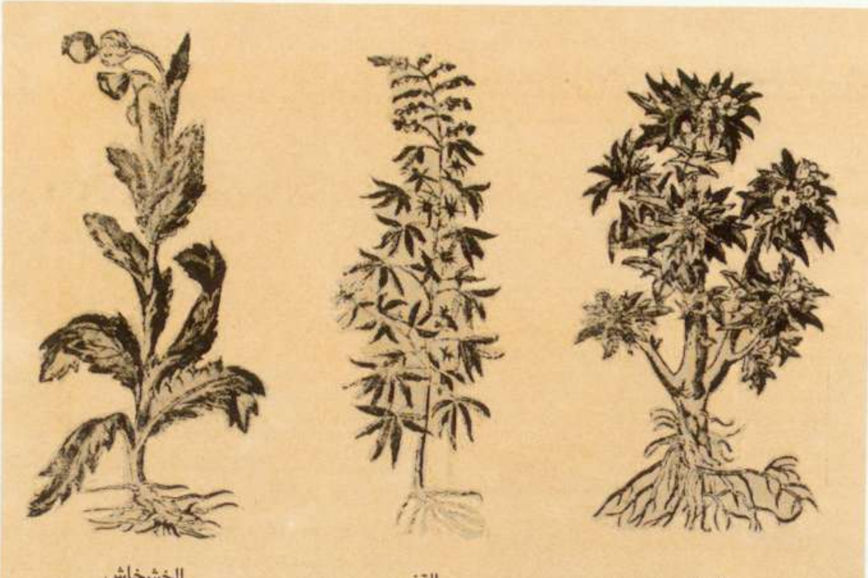
سلاح ذو حدين

والواقع أن المخدارات ليست كلها شراً وليست كلها خيراً ، فهي فى حين تستخدم كمنشط أو كمخدر أو كمهدىء أو كمنوم أو لمحاربة الآلام .. كل هذا يتوقف على نوع المادة الفعالة ، لكنها ليست علاجاً للأمراض التى يظن الانسان أنها تزول بتعاطى المخدر ، بل أن مفعولها وقتي ، بمعنى أن أعراض المرض سوف تظهر من جديد بزوال مفعول المخدر ، وقد يستمرىء الانسان هذه العادة ، ولا أحد يلومه على ذلك ، لأن الهدف كان في الأساس التخلص من حالات نفسية مقبضة ، أو التخفيف من آلام المرض ، لكن ذلك سيكون مجلبة للعذاب والنقم ، إذ كلما داوم الانسان على المخدر ، كلما داوم جهازه العصبي على طلب المزيد ، ومالم يمده المدمن بما يريد ، أعلنت الأعصاب عن تمردها ، وانعكس ذلك على تقلصات وآلام رهيبة ، ولابد – والحال كذلك – من الحصول على المخدر بأى ثمن حتى ولو تطلب ذلك عمليات سطو أو قتل

للحصول على المال اللازم ، لتمويل الجهاز العصبى بما يهوى .. لقد أصبح الانسان فى هذه الحالة مستعبداً فلا يستطيع أن يعصى لمخه أمراً ، فالجرعة التى قد أصبح في حاجة اليها ، لتخلصه من آلامه ، تكفي لقتل انسان عادي .. اي أن محاربة الألم والمرض ، قد جلب بدوره ألماً ومرضاً أشد وأنكى ! .

إن في عالمنا المعاصر عشرات الملايين من مدمني المخدرات التى يتم عزلها من بعض النباتات بحالة خام أو نقية .. ولا شك أن لكل واحد من هؤلاء ظروفه التى دفعته الى دخول هذا الميدان المدمر، وربما كان ذلك بدافع التخلص من ألم ، أو لمحاربة مرض عصبي ، أو لتهدئة النفس من قلق او توتر طاريء ، أو للحصول على لذة عارضة ، أو تقليداً لغيره ، أو لظنه أنها تهبه قوة وحيوية وخصوبة زائدة .. الخ .. الخ ، وأيا كانت الأمور ، فان الثمن فى النهاية باهظ ، والمستقبل مظلم ، واحترام النفس غير وارد ! .

ولا شك أن الحكايات التى يسردها الحشاشون ومدمنو المخدرات عن الأحاسيس الرائعة التى يشعرون بها فى أولى خطواتهم نحو هذا العالم المجهول ، لها ما يبررها ، لأنها تهييء للانسان حالة من النشوة ، خاصة إذا حلت النشوة محل الألم ، فها هو المدعو « دوكوينسي » يصف لنا شعوره فى أحد المراجع العلمية ، عندما أراد أن يتغلب على آلامه بتعاطي قطعة من الأفيون الخام ، فكتب فى مذكراته « لقد قدمت الي وتعاطيتها .. وبعد ساعة ، ياللسماء ! .. ما هذا التحول الجميل .. ما هذا البعث الروحي الذى نبع من الأعماق .. ما هذه الرؤى الرائعة الحالمة التى تتجلى لي من داخل نفسي .. لقد اختفت آلامي ، وأصبحت أثراً بعد عين ، لكن ذلك ليس مهماً عندي الآن ، فالذى ملك على نفسي هو ذلك الشعور بمتعة رائعة مقدسة انطلقت من أعماقي .. أنه البلسم الحقيقي لكل بلاء يحل بالبشرية .. وهو سر السعادة التى طالما جادل فيها الفلاسفة على مر العصور ، واكتشفتها فى نفسي فى لحظة خاطفة .. سعادة يمكن شراؤها ببنس ، والاحتفاظ بها فى



بعض النباتات الطبية التى عرفها الانسان من قديم الزمن .

جيب سترة صغير .. انها ينبوع النشوة والوجد » !

لكن دوكوينسي قال بعد سنوات قليلة من الادمان ، قال ما قاله مالك في الخمر ، أو أكثر مما قال مالك .. لقد كتب فى مذكراته « إذا لم تكن مخبولا أو مجنوناً بعد تعاطيها ، فلا شك أنك ستكون كذلك ، بعد ذلك » .. لقد تحول النعيم عنده الى جحيم ، والنشوة الى عذاب مقيم .. ولاشك أن كل مدمن سيكون على شاكلته ، ويشعر بشعوره .. جميل فى البداية ، محطم فى النهاية ، والأمور دائماً تقاس بخواتيمها ، والخاتمة هنا بلاء لا يعرف مداه إلا كل من دخل المصيدة بنفسه !

تحريم له مغزاه

ورغم أن معظم دول العالم عامة ، والدول العربية خاصة ، قد وضعت تشريعات دولية وعالمية بحظر تداول أمثال هذه المخدرات بين الناس ، حماية لهم ، وخوفاً على مستقبلهم ، وحرصاً على صحتهم وعقولهم ، ورغم العقوبات القاسية التى شرعت فى كثير من الدول ، إلا أن بعض الناس لا زالوا يسيرون على مبدأ « كل ممنوع مرغوب » .. ولو كان هذا الممنوع المرغوب لا يؤدى الى الادمان والاضمحلال ، لكان الأمر مقبولا ، لكن أن يدمر الادمان نسبة من سكان الدول ، لتصبح عالة على اقتصادها ، ومعطلة لانطلاقها ، وعار فى وجهها ، فهذا ما لا يقره منطق سليم ، ولا فكر حكيم .

إن نهضة الصين مثلا ما كان ليكتب لها النجاح والاستمرار ، لو لم تهجر عادة الادمان على المخدرات ، ويوم تخلت عن سيئاتها ، ظهرت حسناتها ، وانطلقت كعملاق هائل تعمل له المعسكرات الدولية ألف حساب وحساب .

ورغم أن بعض هذه القلويدات تستخدم بحذر (وتحت اشراف طبيب) فى الأغراض الطبية عامة ، والأمراض النفسية خاصة ، وأن بعضها ينشط الجهاز العصبي المركزي ، ويشعر المرء بانه أكثر حيوية ، وأعظم بهجة ، وأقوى ذهناً ، وأكفأ تفكيراً ، إلا أن الجهاز العصبي قد يعتمد عليها بعد ذلك ، وكانما هو لا يستطيع أن يشتغل بكفاءته المطلوبة إلا إذا أمددناه بالمزيد ، ليس ذلك فحسب ، بل لابد أن نزيد الجرعة بمرور الزمن ، ومالم يستجب الانسان لذلك بأية وسيلة ، فلا مناص من أن يحل به الاضطراب العصبي والعضلي المدمر ، وهنا يكون المدمن قد وصل الى حدود لا رجعة فيها ولا نكوص ، ولينتظر بعد ذلك أياماً عبوسة قمطريرة .

دكتور عبد المحسن صالح

بقلم: محمد فتحي

العمل الدرامي في الإذاعة والتليفزيون

ثورتان فى الاتصال ـ أو ما نصطلح على تسميته بالاعلام ـ أحدثتا آثاراً بعيدة المدى فى المجتمع الانسانى ، وفى أوضاعه الثقافية والسياسية والعلمية والتعليمية بوجه خاص ، وفى تطوره ومساره على وجه العموم . أولى هاتين الثورتين هى المطبعة . والثانية هى الاذاعة اللاسلكية .

قبل أن يخترع جوتنبرج المطبعة فى القرن السادس عشر ، كان التجمع هو واسطة الاتصال .. التجمع على النطاق الضيق أو على النطاق الكبير . نقل الرسالة كان أمراً عزيز المنال فالكتابة حرفة عظيمة القدر عالية الأجر .

الكتابة بالمعنيين ، الكاتب العمومى والكاتب المؤلف . وكان العلم وقفاً على سكان القصور ، وفى أوساط الكهان . فجاة ظهر الكتاب وتداولته الأيدى كما تداولت الرسالة السياسية فى شكل منشور سرى ، تطور فيما بعد الى صحيفة ، وانتشرت الكتاتيب والمدارس . واخذ الرعايا الاميون يشعرون أنهم ليسوا رعية من الأغنام يسوقها الراعى .

ثورة الاتصال المتمثلة فى ظهور المطبعة جرت فى ركابها الثورات السياسية والصناعية والثقافية والتعليمية . نودى بالحريات وبإباحة التعليم ـ كالماء والهواء ـ فلم يعد حقاً فحسب بل والتزاماً من قبل الدولة نحو المواطن ، والزامياً أيضاً واجبارياً بالنسبة للنشء .

ثورة الاتصال الثانية ـ ولعلها تخصنا فى هذا المقام بصورة ألصق من الأولى ـ هى الكشف عن قدرة نقل الصوت عبر اللاسلك أو ما أسمى فى وقت ما بالأثير . فما أن توصل ماركونى فى أعقاب سلسلة من العلماء والباحثين اليها عند منعطف القرن العشرين . حتى اختفت أسلاك التلغراف النحاسية وكابلات الغواصات وأصبحت الرسائل تنتقل عبر القارات والمسافات بالراديو ، ذلك الذى تطور فيما بعد بفارق زمنى لا يكاد يذكر فى أوائل العشرينات الى خدمة اجتماعية عامة فى شكل الرسائل الاذاعية ، مسموعة وبعد ذلك مرئية .

لست فى حاجة الى أن أذكركم بالآثار المتغلغلة التى أحدثتها ثورة الاتصال الثانية وهى الاذاعة ، فبعضنا عاصر ظهورها والشباب عاصرها آباؤهم وأمهاتهم . احسب اننا جميعاً نتفق على انها أحدثت ثورة ثقافية حقيقية فى المجتمعات . كانت الفنون تحيا فى ظل رعاية



(جوتنبرج)

الملك أو الأمير أو السراى .. الشعر والموسيقى والرسم على حد سواء . بل والكتاب كذلك . يجزل لهم الأمراء العطاء وينشرون كتبهم . لم يختلف الحال فى الشرق عنه فى الغرب . فى مصر كان كبار الموسيقيين والمطربين من حاشية الخديوى ، كما يذكر لنا التاريخ عن عبده الحامولى وألمظ . بل لقد غنى عبده الحمولى لسلطان آل عثمان فى الأستانة . وحتى عهد عبد الوهاب .. كانوا يسمونه مطرب الملوك والأمراء لأنه كان ينتقل من بلاط لبلاط يغنى للملك فيصل فى بغداد ولغيره من أمراء الشرق . أو فى كرمة ابن هانىء لصفوة الصفوة الطبقية لا للشعب . وكان الشعر أيضاً ترفاً لا يحل إلا للامراء . الشعراء فى معية الملك لا ينشدون إلا له . فلما دخلت الاذاعة القرية ـ لا كما يدخلها الملوك ! ـ أباحت لعامة الناس ما كان قصراً على الأمراء . «سلطانة الطرب» كما كانوا يسمون منيرة المهدية أصبحت «كوكب الشرق» كما أسمت الاذاعة أم كلثوم . ثم هؤلاء المفكرون فى الأعالى أصبحوا يخاطبون الفرد فى الكفر وفى الحى البلدى خطاباً مباشراً . نزل الفكر والفن والعلم من أبراجها العاجية الى جلاس المصطبة . أصبحت المعرفة والثقافة بشتى أشكالها الدينية والفكرية والخلقية والفنية مشاعاً للناس جميعاً . يستقون منها بلا حرج ولا ثمن ولا قيد . ثورة ثقافية حقيقية تجسم الديموقراطية كما تعمق فى نفس الوقت جذورها

هذه الثورة الاتصالية لا تتوقف ، بل تتشعب وتتكاثف ، وتزداد أبعادها اتساعاً بفضل اتصال



(عبده الحامولي)

الفضاء ومضاعفة الرسائل الى غير حدود عن طريق شتى أشكال التسجيل . ولعل أخطر أبعادها أثراً هو بعد التوحيد وهو مبدأ اسلامى جليل «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» عما قريب سوف ترتبط المجتمعات الانسانية برباط فكرى وثيق موحد ، نشاهد مذاقه فى القليل الذى تنقله الينا الأقمار تلك التى نطلقها فوق خط الاستواء لتستقبل الرسائل ثم ترسلها لكل مكان فوق سطح الكرة الأرضية .. بل وأصبح كوكبنا الأرضى يرتبط بالكواكب والأفلاك .

الثورة الاتصالية تلقي علينا مسئولية

هذه الثورة الاتصالية ، بأبعادها المشار اليها تفرض علينا أن نرقى الى مستواها ، فيما نخطط من برامج نذيعها على الخلق . ليست المسالة مسالة مجتمع من أشتات الناس نملأ وقت فراغه . وإنما هى قيم معينة ندين بها لمجتمعنا وللمجتمع الانسانى ، يتعين علينا أن نقدمها للناس سائغة محببة ، فيما يوائمها من شتى أشكال الفن الاذاعى .

الدراما الاذاعية على الأخص فى وقتنا هذا ، تعد شكلاً من أحب الأشكال الفنية التى تستأثر

(منيرة المهدية)



(عبد الوهاب)





(أم كلثوم)

باهتمام جماهير المستمعين والمشاهدين واقبالهم . وراجع أيضاً لأنها ـ ربما أكثر من غيرها من أشكال الفنون الاذاعية ـ تعانى معاناة شديدة من قصور فى المستوى يضيق به الجمهور ويضجر ويبرم ، ويشتد هذا الضيق والضجر والبرم إزاء حقيقة ينبغى الا يغفل عنها القائمون على الأجهزة وخاصة بالنسبة للتليفزيون ألا وهى أن الجمهور مرتبط ارتباطاً انجذابياً نحو جهاز الاستقبال ومن ثم يعتبر أن صرفه عن الجهاز بسبب المادة السيئة التى تقدم له ، إنما هو افتئات وتجن على حق أولى مقرر له . فقد نسمع بعض أصحاب المسئولية يقول ان أمام الجمهور فرص الاختيار فاذا لم يعجبه برنامج ، فلينصرف عنه الى القناة البديلة ! وهذا بالطبع تعلل غير مقبول . فالخدمة الجماهيرية الملتزمة لا يمكن أن تأخذ بمثل هذا القول . وهى ليست فى حاجة الى أن تنبه الى مبدأ أولى فى انتاج العمل الفنى وهو ألا يقدم عمل للجمهور ، لم يرق الى المستوى الفنى المعتمد .

العمل الدرامى فى الاذاعات ـ المرئية منها بنوع خاص ـ يستهوى أفئدة الجماهير . لا ينافسه فى ذلك من مصنفات البرامج اللهم إلا برامج الوقائع .. الأحداث محلية كانت أو عالمية . واذا كانت الوقائع تصويراً للواقع الحى بشحمه ولحمه وشوائبه ومرارته ، فان العمل الدرامى هو الآخر انعكاس مبلور لما يجرى فى موكب المجتمع من مسائل جوهرية لها طابع الاستمرار والهيمنة ولكنها تكتسى بغلالة من الجمال وكأنما نسجت من نسيج الأحلام ، فتستولى على المشاعر وتحدث تلك المناجاة فى ضمير الفرد المشاهد ، مخاطبة صميم انسانيته .

الكتابة لدراما التليفزيون

يقع كثيرون فريسة الوهم بأن الكتابة لدراما التليفزيون أمرها هين أى أنها ليست كالمسرحية أو كالرواية تخضع لقواعد أساسية من حيث الأسلوب والعرض والحبكة والعقدة والحل والحركة والفعل والتسلسل وتكوين الشخصية وبهاء الحوار . يظنون أن الكواكب المتألقة من ممثلين وممثلات والديكور البراق والأثاث العجيب والأزياء الخلابة والألوان الباهرة والمؤثرات الصوتية والموسيقية ـ أن فى ذلك كله الغناء كل الغناء عن التأليف .

وأحسبنا نلاحظ انه نتيجة هذا الوهم دخل فى حلبة التأليف أشتات من الناس لا صلة لهم بالتأليف فلا دراية ولا خبرة ولا أى نوع من أنواع التأهيل .

هذا فيما نرى هو العلة الكبرى فى القصور الملموس فى العمل الدرامى الجارى فى هذه الأيام وعلى الأخص فى مسلسلات التليفزيون .

والواقع الذى يعيشه الناس فى حياتهم وتجاربهم يراه الكاتب فى شكل رؤية يتأملها ويسجلها بقلمه ، مستعرضاً أحداثها ، متوقفاً عند هذه الأحداث ، غائصاً فى الأعماق ، منقباً فى السرائر ، محللا ، للتوصل الى البواعث والنوازع وأسرار الخليقة . الكاتب هو الذى يستطيع تجسيم هذه الرؤى وبلورتها وبعثها ليراها الناس . الكاتب هبة للمجتمع . ورسالته التى يدعمها بالعلم والمعرفة والتأمل وواسع الاطلاع هى أن يستخلص الرؤى التى يراها ببصيرته وعقله ووجدانه ، ويحررها من أسار ذلك المحيط الدنيوى الكبير ، ويعرضها على الناس فى الغلالة الجميلة ، تحرك ضمائرهم ، يرون فيها العبرة ، تزكى أرواحهم ..

بعض الناس ينعم بخيال جامح ، ولكن الخيال ـ دون توافر المتطلبات اللازمة لحرفة الكتابة ـ ينتج رؤى مشوشة تفتقد الصفاء والشفافية والصدق والبهاء . ربما ينتج حكاية . سرداً حكائياً ليس غير . لكن الحكاية بتعاقب احداثها ليست سوى الهيكل الذى يتعين ـ لكي يصبح دراما ـ أن يكتسي بالشحم واللحـم ، وأن تتدفق فيه الدماء ، وينبض فيه النبض ، هذا الشحم واللحم والدماء والنبض هو الفكر الوضاء ، وهو رسم الشخصيات المكورة لا المسطحة . وهو الحوار الحكيم الرشيق المشرق ، غير المستهلك وغير المبتذل ، وهو المواقف المرتسمة ، وهو العواطف المشبوبة ، وهو الاثارة والتشويق ، وهو الايقاع المناسب .

قد يجعلك تلهث وراءه ، أو يجعلك تتأمل وتتملى ، فى كلتا الحالتين دون سرف أو خروج على المعدل . هذه المقومات بالطبع تغيب عن ذهن اولئك المقتحمين لحرفة التأليف . ومن ثم يطلع على الناس ذلك الانتاج الذى يشبه العيش الذى لم يعهد به الى الخباز .

ليس معنى هذا أن نستبعد المؤلفين غير المحترفين بدعوة عدم الأهلية وإلا كان ذلك دعوة لحكر لا يستحب . لكن توخى جانب الحذر عند التعامل مع الكتاب غير المعتمدين أمر من الأهمية بمكان . فقد يكون العمل الجيد فى جزئية من جزئياته كالفكرة مثلا أو الحكاية أو الشخصيات . ومن هنا ، وتنمية للمواهب يبصر

هؤلاء لاستكمال اعمالهم . ولا باس من تبنى الأفكار التى قد نجد فيها بشارة ثم نعهد بها الى حرفيين فى تقنية الصياغة ، كما نفعل بالنسبة للسيناريست – في حالة التليفزيون – وكتاب الحوار .

بيد أن اقصر الطرق فيما يبدو هو اللجوء الى المؤلفين المتمرسين المعتمدين فى الرواية والمسرحية والسير ، ننتج من أعمالهم المنشورة ما هو ذائع وما هو فى طي النسيان . او نكلفهم بالكتابة طبقا للخطة التى يتعين ان تكون موضوعة للانتاج الدرامي .

واضح تماما ان الأجهزة الاذاعية العربية لا تعمل طبقا لخطة موضوعة – على الاقل للمدى الطويل . وان هذه الأجهزة تعمل على مبدأ « من اليد للفم » وقد يلتمس للأجهزة بعض العذر . فالطلب يفوق العرض . والاذاعة – المرئية بنوع خاص – غول نهم لا يشبع ، فاغر الفم على الدوام ، ونحن من جانبنا ، مع علمنا بهذه الحقيقة وبسوء الغذاء ، لا نكبح جماحه ، بل نطلق له العنان . نزيد فى حصته ، ونصب فيه من الزاد ، ما يحدث عنده تلبكاً فى المعدة وتشويشاً فى الدماغ . وحيث ينبغى – تحت الظروف القائمة أن نعطيه وجبة نعطيه ثلاثا او اربعا قوامها الأطباق الوطنية ، هذا عدا الاطباق الأجنبية ، وليست كلها من الحلوى ! .

المتاجرة فى الانتاج :

قد يظن ان هذا يرضى الجمهور . لكنه ظن خاطىء . فتلهية الجمهور شيء غير اشباع احتياجاته النفسية وتلهفات فؤاده ، وما يتطلبه من خدمته الوطنية الملتزمة . قد تكون الأجهزة مسافة فى هذا السبيل من جانب الباحثين عن الدولار ، الذين تقيدهم التبادلات وقيم البيع والشراء . لكننا نزرى بانفسنا وبنظمنا إذا نحن سخرنا اجهزة الارشاد والسلوكيات والثقافة والتعليم لقيم التجار من كسب مالي وخسارة . ليس فى هذا القول استهانة بعامل المال والاقتصاد . او دعوة لوقف التسوق والتسويق لسلعة الدراما . المثل الوارد من انجلترا ماثل امام اعيننا . فهاتان المسلسلتان الرائعتان عن الملك إدوارد السابع ورومانسية الملك ومسز سيمون لماذا تبيعهما – وعشرات غيرهما – الاذاعة البريطانية لكافة تلفزيونات العالم ، إن لم يكن للقيمة التاريخية والفنية الرائعة وللمعالجة الانسانية وللمستوى الذوقى والجمالي الذى بلغ درجة لا تبارى من الرفعة !؟ الجودة إذن تعلن عن نفسها وليست فى حاجة الى كثير من الجهد لتسوق .

التسويق عملية تعقب الانتاج المخطط له ، ولا تسبقه . هذا هو المبدأ الذى نسير عليه ويسير عليه أصحاب النظم الاذاعية المماثلة لنا مثل المملكة المتحدة . نظام الاذاعة المصرى لا يسلم المادة الاذاعية ليد التجارة الداخلية او الخارجية ، لا يسخرها لها ولقيمها باية صورة من الصور ، حتى يفرغ من انتاجها الاوصياء فى الأجهزة على قيم البلد وثقافتها لا ينبغى ان يكون للمتاجرين راي .

ولا حرج في أن ننبه الاقتصاديين المتعاملين فى برامج الدراما واستجلابها ، سواء من دول عربية أو غير عربية ، ان القيم تختلف ، لا القيم التقنية ، وإنما السلوكية والمزاجية والمذهبية ، فقد تكون عندنا سماحة ، يقابلها فى بلد اخر تزمت ، يقابلها فى بلد ثالث اباحية . امامنا مثال قريب وهو تلك المسلسلة الأمريكية التى اثارت انتباها واسع النطاق هنا . هذه المسلسلة شجبها المجتمع الأمريكي واعتبرها إحدى فواحش خمس من بين مائة مسلسلة اذيعت على الناس الذين دعوا من خلال حملة واسعة النطاق الى مقاطعة السلعة التى انتجتها . السلع التجارية فى امريكا هى التى تنفق على البرامج وتنتجها .

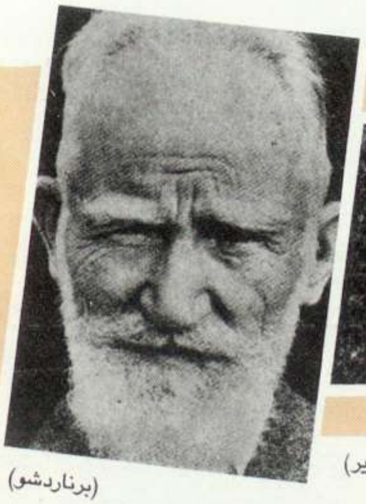
وحتى فى نطاق الثقافة الواحدة كالعربية مثلا تختلف ايضا المقاييس . فالذى يتذوقه المصرى ويبيحه قد يرفضه السعودى بل يرجمه . والعكس صحيح .

الاقتباس والترجمة

نهج اخر ينهجه المنتج الدرامي ، يدفعه اليه فى اغلب الظن ندرة التاليف المحلي الجيد .. ذلك هو ما يطلقون عليه الاقتباس .. من الآداب الأجنبية يتناول المقتبس رائعة من روائع الأدب



(شكسبير)



(برناردشو)

الأجنبى فيكسوها بلباس مصري . وياخذ يحور فى أسماء الأشخاص والأمكنة ، ويحذف ، ويعدل ويمسح هنا ويطمس هناك فى العادات والتقاليد ، ويبدل فى الأزياء والملامح والطوابع – عملية تشويه ومسخ متعمدة ! غير أن هذا النهج شائن . لا تقره الدوائر الاكاديمية ، وتنفر منه دوائر العامة .. لسبب بسيط وهو انه يفتقد الاصالة ، والجمهور ببداهته يحس ذلك ويصعب عليه أن يستشعر ذاته ، وان يتمثلها فى ذلك الاقتباس ، ومن ثم يتعذر عليه التجاوب ، بانفعال أو تلقى او حتى مجرد تقبل ! .

قد يقال اننا لجانا فى وقت من الأوقات الى الاقتباس للمسرح وللتمثيل . وكان ذلك عملا مقبولا لا اعتراض عليه . لجا اليه الريحاني وأنصار التمثيل وغيرهم من رواد المسرح . غير أن تلك كانت مرحلة تاريخية ، الدافع فيها للاقتباس هو تقريب الفن الجديد الى الناس ليتوطن . واليوم وقد تاصلت الدراما فى ادب البلاد وفنها لم تعد هناك حاجة الى الاقتباس – غير المشروع .

لا باس من أن نؤلف على نهج التجريد .. اى أن ياخذ الكاتب العريق ، القادر هو ذاته على الابداع جوهر أسطورة ادبية او رواية كلاسيكية من المشهورات العظيمات ، بنفس الاسم ودون ما اخفاء ، فيصوغ منها مخلوقاً جديداً تماماً . جديداً فى الزمان والمكان والفعل . هذا نهج مشروع ، طرق سبيله كثيرون من كتاب العصر .

وإذا نحن استهوتنا رائعة اجنبية ذات ثراء درامي ، وعن لنا أن نعرضها على الناس فلا حرج فى أن نفعل ذلك ، عن طريق الترجمة المباشرة بغير أن نسلب صاحب العمل الأصيل حقه الأدبي والقانوني . لكن علينا أن نتنبه لخطا نقع فيه فى الترجمات الدرامية .. إلا وهو الركاكة ،



(احمد زكي فى لقطة من مسلسل الأيام)

ركاكة العبارة العربية . فما لم يكن المترجم متفقها فى لغته العربية ، وفى اللغة التى يترجم عنها ، تعثر الحوار على السنة الممثلين ومن ثم ينتقل الى الجمهور كنص يطالع لا كحوار سلس طبيعي.

الاخــــراج

إذا كان هزال التاليف الدرامي فى المقام الأول هو العلة فى معظم الخلل المشاهد ، فان هناك علة اخرى تضجر وتضيق الانفاس .. تلك هى علة الاخراج . المخرج كما نعلم هو الذى يستطيع ان يدرك أبعاد النص بمجرد قراءته ويقلب فى ذهنه طاقاته الكامنة ، ويتصوره امام عينيه مجسماً نابضاً بالحيوية والكمال . عملية المخرج عملية خلق . فهو يجعل من الكلمات الجامدة على الورق اجساما حية تفكر وتنطق وتحب وتكره وتضحك وتبكي وتتصارع . انى له ان ينشيء ذلك الخلق بما فيه من مجالي ومرابع وبيوت ، مترفة وفقيرة ، صوفية وبوهيمية ، خلقية ولا اخلاقية ، ذات أبهة وذات وضاعة .. وشتى ما تعج به الحياة الدنيا من مسالك ونزعات وصراعات وخطوط ، مالم يكن عليما ناضجا متمرساً درس وراقب وحصل ، وجلس فى طرقات المجتمع ودهاليزه ، وغاص فى بؤره وانغمس فى بطون الكتب ، ونهل من بدائع الدراما ادبية ومسرحية وسينمائية وموسيقية ، فى سبيل التعرف على التجربة الانسانية الصادقة المتكاملة .

مثل هذا المخرج هو المحك الذى يكشف فى عملية الخلق والتجسيم والتنطيق الثغرات والهنات والابهامات . ومن هنا كان صاحب حق فى مناقشة المؤلف . قد يختلفان . والخلاف بينهما من عهد شكسبير الى عهد برنارد شو حتى اليوم لا يتوقف . لا حباً فى الخلاف وإنما اختلافاً فى التصور . مثل هذا الخلاف صحي لسلامة العمل الدرامي وتقييمه من قبل الجمهور . ليس من حق المخرج فحسب أن يناقش المؤلف ، بل من حقه ايضاً ان يكون مسموع الكلمة لدى المنتج . والمنتج كثيراً ما يقحم نفسه فيما ليس له من حيث اختيار الشخصيات والفنيين .

إن الذى يبث الحياة فى النص ويبدع عالما متكاملا ويترجم الاحاسيس والخلجات والخواطر والوساوس والترددات الى واقع ناصع تراه العين مجسماً . ملوناً متحركا ناطقا مبيناً لا ينبغى ان يكون آلة منعدمة الراي . بيد ان للمخرج اخطاء ذائعة.

عيب جوهرى يقع فيه المخرج الوطني ، ذلك هو إغفاله المناظر الخارجية فى المسلسل الدرامي التليفزيوني . غيبة المنظر الخارجي الطبيعي يزيد من حدة الشعور بالاصطناع والفبركة عند المشاهد . وهو شعور يولده أيضاً المغالاة فى الديكور ، وعدم توأومه مع واقع الحال . المشاهد يحس احساساً لا شعورياً انه سجين .. سجين المناظر الداخلية من غرف ومكاتب ومقاهي ! فى حين ينعشه الهواء الطلق ، والمجتمع الذى تدب فى رحباته الحيوية ، والحركة غير المحسوبة بميزان تلك التى يتحرك بها الممثلون ، والأفق الفسيح الذى ترتاده العين وترتاح اليه .

ربما كان ذلك شاهداً على أن اكثر المخرجين لا ينتمون لمذهب الواقعية . فالتليفزيون عندهم هو مصنع الاحلام ! والمحقق للرغائب الدفينة عندهم وعند المواطن المحروم ! وهذا هو السر الذى قامت عليه هوليود ! ولكن ذلك عهد مضى وانقضى . ودالت دولة هوليود . لم تعد السينما مصنع الأحلام وانما هى مراة عاكسة للواقع الكئيب القائم الذى يعيشه الانسان . بوارق الأمل لماحة من حين لحين .. ولكنه فى مجمله رمادى اللون ، غسقى الصبغة ، خريفى المزاج !

ما أسعد مخرج الراديو ! فهو لا يجسد ولا يصور الجمال ، أو القبح ، أو الرشاقة ، أو حسن الهندام . لا يؤثث المناظر .. لا يكسو الشخصيات ، ولا ينتقى الأزياء .. لا شيء مما يتعين على مخرج التليفزيون فعله . يكفى أن يجرى على لسان الشخصيات فى درامية .. ما اجمل هذا الوجه ! ما أملح هذا القد ! ما أبهى هذه الغرفة ! يالالفستان البديع ! .. حتى يقفز خيال المستمع ويكمل من خزانة ذاكرته وذهنه الصورة المرتسمة

الممثلـــون

العمود الفقرى فى ثالوث الدراما .. هم الممثلون ، وهو عمود من نور ، وضاء . يستوى فى ذلك طبقة الكبار ، وطبقة البراعم المتفتحة التى تشرق على شاشات التليفزيون .

الممثل الاجنبى الذى يعهد اليه باداء دور طه حسين فى سيرة الأيام لا يمكن ابداً أن يصل الى ما وصل إليه احمد زكي فى ادائه . لا لضعف حسه بالبيئة الاجتماعية فذلك يمكن التغلب عليه بالبحث والدرس وقوة التخيل ، وإنما لقلة رصيده من المخزون الوجداني المـــوروث الممثل الأوربي أو الأمريكي يعتمد علـى التجريد ، علـى البحــث والـدرس وتحليل جوانب الشخصية وادائها اداءً ذهنيا مجرداً . تشعر ان الرحيق ، والدم الذى يجرى فى العروق ، والمزاج ، والنبض ... أى العناصر التى هي فى الحقيقة قوام الشخصية ووجودها الذاتي لا تمس فؤادك ، ومن ثم لا تلهب فى نفسك شعلة التجاوب .

عدو الممثل عندنا ، الهابط بسمعته ، الخاسف لقدرته ، هو التاليف الرديء . يدخل فى ذلك رسم الشخصيات . فما لم تكن الشخصيات مرتسمة ارتساما دقيقاً ، متكرراً لا منسطحا ، يجد الممثل الموهوب نفسه عاجزاً عن اثبات ذاته ودوره . والحوار ايضاً من أعدى أعداء الممثل .. الحوار البليد المستهلك المبتذل . فى حين ان الحوار المشرق الرشيق المبلور للحكمة ، ساعد من اقوى السواعد لنجاح الدراما . المخرج هو الآخر قد يكون عاملا من عوامل الخسف للممثل .. هذا إذا كان من اصحاب المدرسة المتلكئة ، البطيئة الايقاع . الأداء التمثيلي يعتمد اعتماداً أساسياً على التوقيت الدقيق . فالتطويل الذى لا مبرر له من فن ، يسكب على المواقف فتوراً ويفقد الممثل لمعته وتالقه .

محمد فتحى

آراء حرة

● ● نشرت الدوحة فى العدد ٦٦ «يوليو ١٩٨١» مقالا تحت عنوان جبران خليل جبران لماذا بدأ ثائراً وانتهى مهادناً للاستعمار للأديب الناقد الاستاذ حارث طه الراوي ، وقد جاءنا ردان على هذا المقال أحدهما للاستاذ يوسف محمد سليمان والثاني للاستاذ فوزى معروف ننشرهما فيما يلي :

معركة حول جبران



وقفة مع جبران خليل جبران

بقلم : يوسف محمد سليمان

● أدب المهجر ثمرة طيبة في حديقة الأدب العربي وأطيب ما في هذه الثمرة غالباً جاءنا من كتاب الرابطة القلمية واسحر كتاب الرابطة جمالا واسلوباً وأفكاراً كان عميدها جبران خليل جبران لقد كانت كتابات أصحاب الرابطة القلمية ثورة أدبية في تاريخ أدبنا الحديث وأخص بالذكر عميد الرابطة جبران وناقدها ميخائيل نعيمة وقد أحب هؤلاء منذ البداية أن تكون رابطتهم نواة لأدب عربي جديد بعيد عن الصفة والتكلف . جاء في قانون الرابطة : « ليس كل ما سطر بمداد قرطاس أدباً ، ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة منظومة بالأديب ، فالأدب الذي نعتبره هو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها والأديب الذي نكرمه هو الذي خص رقه الحس ودقة الفكر وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها » . أما جبران فيرى أن « الشاعر هو أبو اللغة وأمها تسير حيث يسير وتربض حينما يربض والمقلد ناسج كفنها وحافر قبرها » . وينظر نحو المقلدين يخاطبهم « ليكن لكم من حماستكم القومية دافع الى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم وعجائب الفرح . فخير لكم وللغة العربية أن تنالوا أبسط ما يتمثل لكم من الحوادث في محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من أن تعربوا أجل وأجمل ما كتبه الغربيون » .

ولذلك نراه في معظم الأحيان يلتزم بالمواضيع الشرقية ويصور ماسي الشرق بقلمه وثورته على طريقته الخاصة حيث حاول فضح ما يراه فاسداً عند الشرقيين ، ومن مختلف النواحي ، ولم ينج من نقده رجال الدين ولا الاقطاعيون . كان يحاول أن يبني مجتمعاً جديداً وكان يرى نفسه غريباً في هذا العالم « أنا غريب في هذا العالم وقد جبت مشارق الأرض ومغاربها ولم أجد مسقط رأسي ، ولا لقيت من يعرفني ولا من يسمع بي » . ولم ينج جبران من نقد الناس له إلى درجة أن بعض النقاد اعتبره كافراً ملحداً وانه خيالي يكتب ليفسد أخلاق الناشئة . فرد عليهم وصور في رده التناقض في حياة الشرقيين « صحيح أنا متطرف حتى الجنون وفي قلبي كره لما يقدسه الناس وحب لما يابونه انا انـدب الشرق لأن الرقص امام نعش الميت جنون مطبق ، أنا أبكي على الشرقيين لأن الضحك على الأمراض جهل مركب ، أنا أرى الجيفة المنتنه فتشمئز نفسي ولا استطيع أن أجلس قبالتها وفي يميني كأس من الشراب وفي شمالي قطعة من الحلوى » .

لم يكن جبران محلياً في ثورته بل كان عالمياً وقد كتب النبي متأثراً بنيتشه وكان يخطط أن يبنى مدينته الفاضلة بالدعوة الى المحبة ، فقد كان يريد بنا أن نسمو عن الأمور المادية التافهة ونشبع غذاء الروح بالحب والخير والواقع . انه كان يمزج ثورته النفسية بثورة وطنية وعالميـــة .

وقد عاب السيد حارث طـه الراوي في عدد يوليو ١٩٨١ من الدوحة على جبران خليل جبران ، لماذا بدأ ثائـراً وانتهى مهادناً ؟ ، وانا أرى أن جبران مظلوم في هذه التهمة ، وإني احب أن يكون جواب السيد حارث طه الراوي على لسان جبران خليل جبران القائل « لا تحسبني جاهلا قبل أن تفحص ذاتي الخفية – لا تقل هو بخيل قابض الكف قبل أن ترى قلبي ، لا تعدني خلياً حتى تلمس جراحي الدامية » .

وأنا أقول لكاتب المحاكمة الأدبية أنك تظلم جبران وما عليك إلا أن تفحص ذاته الخفية وجراحه الدامية حتى تطلق عليه حكمك الجائر – أنا معك أن الحديث قد كثر حول جبران ، ولكن لست معك أن جبران أديب العربية المحبوب قد أصبح متامركاً كما تقول ولست معك أن جبران كان يمشي في اتجاهه الأدبي بتشجيع من قوى استعمارية . لقد كان جبران ثائراً بالكلمة وليس بالسلاح ياصاح . وأنا أعتقد أنه انتهى ثائراً مثلما بدأ ثائراً وأن الثورة تبدأ من النفس ، والايمان يبدأ من النفس كما قال أحد منتقدي الكنيسة في العصور الوسطى « أن الكنيسة في قلب المؤمن » . لقد كان جبران ثائراً حين صور المفاسد الشرقية وفضح القشور التي تسيطر على الشرقيين وأنا اعتبر أن جبران كاتب سبق زمانه ، وانه مفخرة للأدب العربي ولا يجوز أن نشوه صورته الحقيقية ، ويجب أن تبقى صورته ناصعة مشرقة في أدبنا .

أما أن يلعب دور غاندي الذي حارب مستعبدي بلده ، فأنا أرى أنه لا يستطيع أن يلعب هذا الدور لأن الهجمة الشرسة على الأمة العربية كانت ومازالت أقوى من طاقة صاحب النبي والأرواح المتمردة . لأن حجم الهجمة الامبريالية على بلادنا شرسة أكثر بكثير مما هي على الهند ، ولأن الاستعمار يغض الطرف عن الهند ، ولا يمكن أن يغض الطرف عن مصالحه الاستراتيجية والنفطية في بلادنا . لم يكن جبران عملاق الأدب العربي ياصاح ولم يكن صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في الأدب والمجتمع . بربك قل لي كيف يستطيع جبران أن يقود أمة اتهمه بعض أبنائها بالكفر والالحاد ؟ . وهل كان حجم جبران أكبر من حجم العقاد وطـه حسين .. و .. و .. الخ في

معركة حول جبران

حينه .. ؟ لقد كان جبران يخضع لدوافع ذاتية ومبادىء ، خاصة فى الحياة ، وانا أقول لصاحب المحاكمة الادبية فى الدوحـة (العدد ٦٧ يوليو) لاحظ معي مقالته الأضراس المسوسة لتعرف مبدأ جبران فى الثورة الذاتية والوطنية والعالمية : يضرب لنا جبران مثلا أن ضرسه آلمه فنزعه عند الطبيب ، وهذه أمور عادية فى دنيا الطب سواء كان العضو المريض ضرساً أم إصبعاً أحياناً ، ولكن لم يكتف الكاتب بقصة الضرس المسوس الذى يخصه ، بل ينقلنا الى الناس ، الى البشر ، كل البشر ، ليحل ضرسه المسوس محل العادات والمقاييس الخاطئة « في فم الجامعة البشرية أضراس مسوسة وقد نخرتها العلة حتى بلغت عظم الفك غير أن الجامعة البشرية لا تستاصلها لترتاح من أوجاعها ، بل تكتفى بتمريضها وتنظيف خارجها وملء ثقوبها بالذهب اللماع » . إنها الحقيقة ياصاح التى يبحث عنها عميد الرابطة القلمية لعلاج البشرية جمعاء ، ولكن احب أن أقول لك انه لم ينس سورية بالذات ، وكان يعتبرها بحدودها الطبيعية بلاد الشام التى تضـم (سورية الحالية ولبنان وفلسطين والأردن » ، لاحظ معي ألمه على الوطن « وفى فم الأمة السورية أضراس بالية سوداء قذرة ذات رائحة كريهة والأمة التى تكون أضراسها معتلة تكون معدتها ضعيفة ، وكم أمة ذهبت شهيدة عسر الهضم » . واتمنى أن ترى ما أراه أنا فى هذه المقالة أن جبران يمثل روح الثورة بكل معانيها فى قلب الواقع الفاسد أيا كان . لذا اكتسب أدب جبران صفة الخلود ولا يمكن لمحاكمة أدبية فى أية مجلة كانت فى الدنيا أن تنقص قيمة هذا الأدب الخالد وكلنا سمعنا ما قاله الرئيس الأمريكي روزفلت حين قرأ بعض مؤلفات جبران « أن جبران خليل جبران أول عاصفة تجتاح الغرب » . ويجب أن نعرف أن كلام جبران عن ثورته للجامعة البشرية وأضراسها المسوسة التى تستحق أن تنزع ، يجب أن نعرف أن هذا الكلام خالد ، ويصلح لكل زمان ومكان ..

واحب أن اذكر القارىء الكريم أن جبران كتب مقالته الخالدة حفار القبور ، وميز بين الحي والميت ، في قوله « الميت يرتعش أمام العاصفة ، أما الحي فيسير معها راكضاً ولا يقف إلا بوقوفها » . وهو يريد فى قوله السابق أن تنتقل سورية ومعها العرب مع العاصفة الى عرين الأسد وذروة النسر بدلا من أن تبقى مطروحة فى حظائر الخنازير ، وهنا أقول لصاحب المحاكمة الأدبية فى عدد يوليو من الدوحة ، أن مغاور الذئاب ، وحظائر الخنازير ، ياصاح هي وعود بلفور واتفاقات سايكس – بيكو والمستعمر الانكليزى والفرنسي والايطالى والصهيوني لبلادنا . وأرجو أن يتابع معي القارىء كلمات جبران ليرى بعينيه وكان جبران حي يرزق ، ويرد على مهاجميه فى موته كما رد عليهم فى حياته .

« مات أهلي جائعين ، ومن لم يمت منهم جوعاً ، قضى بحد السيف ، مات أهلي أذل ميتة ، وانا ههنا أعيش فى رغد وسلام ، وهذه هي المأساة المستتبة على مسرح نفسي .. انا ههنا وراء البحار السبعة أعيش فى ظل الطمانينة وخمول السلامة ، وماذا عسى يقدر المنفى البعيد أن يفعل لأهله الجائعين – مات أهلي على الصليب ، لم يمت أهلى متمردين ، ولا هلكوا محاربين ، ولا زعزع الزلزال بلادهم فانقرضوا مستسلمين » .

وانا أحب أن تكون السنة الدولية لجبران خليل جبران سنة عرفان بالجميل وسنة تقدير لجهود هذا الكاتب الكبير ، وأن يفخر أبناء العربية بكاتبهم العربي والعالمي لا أن تكون هذه السنة سنة محاكمات وعقاب لصاحب النبي والثائر الحقيقي عميد الرابطة القلمية . لقد قال ميخائيل نعيمة « لو سئل جبران هلقلت كلمتك ياجبران ؟ لأجاب لفظت منها مقاطع ، أما الكلمة الكاملة فما قلتها بعد » . لقد أراد جبران ثورة على العادات الشرقية فى الزواج والنظرة الاجتماعية ، كقصته الخالدة الأجنحة المتكسرة . واراد ثورة على التقاليد البالية والتحريف فى الدين مثل قصة خليل الكافر ويوحنا المجنون وغيرهما . ويكفى أن نقرأ هذا المقطع على لسان يوحنا المجنون « انظر يايسوع الناصري انظر أيها الراعي الصالح قد نهشت مخالب الوحوش ضلوع الحمل الضعيف – إن صراخ البائسين المتصاعد من هذه الظلمة لا يسمعه إلا الجالسون باسمك على العروش ونواح المحزونين لا تعيه آذان المتكلمين بتعاليمك فوق المنابر تعال ثانية يايسوع واطرد باعة الدين من هياكلك » . وانا اقول أن باعة الدين الذين يحكي عنهم جبران لا يمثلون الدين الحقيقي ، ومهما كثر القيل والقال ، لا يمكن أن ننسى أن مقالة جبران « المجاعة » ومقالته «لكم لبنانكم ولي لبناني » ، ورغم المحاكمات الأدبية هى حركة وطنية حقيقية .

والحديث عن جبران يطول ويطول . وأختم حديثي بكلماته « لا تحسبني جاهلا قبل أن تفحص ذاتي الخفية ، ولا تعدني خلياً حتى تلمس جراحي الدامية » . وأرجو أن تكون المحاكمات الأدبية عادلة بعد الآن .

يوسف محمد سليمان
سورية

هل كان جبران مهادناً للاستعمار؟

بقلم: فوزي معروف

والسؤال الذى جاء تحت كلمة «محاكمة ادبية» يدين جبران لانه لم يندد بوعد بلفور ولا ندد بالاستعمار البريطاني فى العراق . وكذلك بالاستعمار الفرنسي فى سوريا . والسؤال لا يخلو من الحيف كما نرى .

ولكن هل يجب علينا أن نقوم أسلافنا بهذا المعيار ؟ هل المطلوب من الأديب أن يكتب بياناً يدين فيه كل ما يمس وطنه ؟ أو يؤيد كل من يقف مع هذا الوطن ؟؟ لماذا لا نشن هجوماً على الكثير من مفكرينا المعاصرين عندما لم يدينوا عدوان حزيران لعام ١٩٦٧ صراحة ، وبعضهم لم يؤيد صراحة حرب عام ١٩٧٣م ؟



إذا كان هذا هو المعيار فجبران مدان ويجب أن يحاكم ، أما إذا أردنا أن نعامل الشوامخ فى تراثنا ، من خلال ما تركوه من آثار ، فالموقف يختلف ، لأن كل من يترك أثراً نبيلا فى قيمه وأهدافه هو مع وطنه ، ضد أعداء هذا الوطن . وإن كل من ينير زاوية مظلمة فى حياتنا ، فهو عدو لأعداء وطنه ، وان كل من يجدد فى زاوية من زوايا وجودنا بقصد نبيل ، يقف فى الصف المعادى للاستعمار ، وكل من يخترق حدود وطنه الصغير ، الى نطاق الانسانية ، ليكون سفيراً لجانب من جوانب حياتنا فينهل الآخرون من عطائه ويتأثرون بآرائه وأفكاره ، فهو فى النهاية ضد الاستعمار بكافة ألوانه وأشكاله .. ولا يمكن أن يقتصر النضال ضد الاستعمار ، وعدم مهادنته فقط على اصدار بيان ، أو حمل بندقية وإلا لماذا تركز الصهيونية العالمية – وهي أعنف ألوان الاستعمار – على أدمغة عربية ترسي قواعد الثقافة الانسانية التقدمية ؟ ثم ألا نعتبر العديد من المفكرين العرب فى صف العدو دون بيان منهم أو موقف معلن ؟ – من هذا المنطلق نرى بعض الحيف فى السؤال الذى كان عنواناً لمقال عن جبران الذى انتهى مهادنا للاستعمار بعد أن بدأ ثائراً . لأن قارىء جبران يراه فى معظم نتاجه ، مع المظلومين ضد ظالميهم مع الفقراء المستغلين (بالفتح) ضد الأغنياء المستغلين (بالكسر) . كما كان ضد الكثير من التقاليد القاسية ، ووقف صراحة ضد الاقطاع وضد التعصب وضد استغلال الدين . الأمر الذى جعل الكثير من المستغلين ، يحرضون عليه ويحرقون كتبه الداعية الى التمرد وإذا كان هذا التمرد هو طابع جبران فى عهده الأول كما يقول الاستاذ الراوي . فان هذه القيم نفسها بقيت مع جبران الى آخر كلماته ، وإن لم تكن بنفس التطرف والمغالاة . يقول مثلا في كتاب « حديقة النبي » وهو آخر كتاباته : أنا لا أعلمكم الاحجام بل الاقبال ، ولا أعلمكم الاستسلام بل الفهم والابتسامة تعلو شفاهكم أنا لا أعلمكم السكون بل أعلمكم أن تغنوا بصوت غير جهير ((ص ٦٥ حديقة النبي ترجمة الدكتور ثروت عكاشة)) كما يقول فى ص ٢٥ من نفس الكتاب « إذا كنتم اجساداً فحسب فان وقوفي أمامكم ، وحديثي اليكم ليس إلا هباء كما يهتف ميت بميت » ولا أدري أننا نحتاج لمواجهة كافة أعدائنا ، لسوى الاقدام ، والفهم والأمل والغناء والحديث بصوت هامس وأن لا تتضخم أجسادنا على حساب العقل والوجدان ..

إن القيم التى أرساها جبران ، وتأثر بها كل الشباب العربي فى مرحلة معينة من حياتهم – إذ قلما تخلو حياة شاب له صلة بالثقافة مما يسمى « بالمرحلة الجبرانية » فى قراءته ومطالعته – نقول ان القيم التى أرساها جبران جعلت حياتنا بعده تختلف عن حياتنا قبله .

ولقد مر وقت كان الناس يشعرون فيه أن تأثير جبران قد تناقص . ولكن القراءة المتأنية لما كتب جبران ، بعد خمسين عاماً على وفاته تشير الى أنه أكثر حداثة ومعاصرة من أكثر الذين يعيشون بيننا .. وما زلنا نعجب بقدرة جبران على

معركة حول جبران

تجاوز الجمل الجاهزة المسجوعة التى كانت تميز الكتابة فى زمنه . وقدرته على الغوص العميق وراء الينابيع الخفية للمعاني وكأن اللغة أصبحت على يديه مفجرة للمعاني والايحاءات كذلك قدرته على تجاوز الحدود اللغوية التى حدت من تحليق غير قليل من المواهب المبدعة ، التى وقف ابداعها عند الألفاظ القوية والصنعة المتقنة دون الغوص الى تفاصيل الحياة ودقائقها ، ولعل تكوينه الشرقي الروحاني ، وقد اصطدم بمادية الغرب ، وتجارب الواقع المؤلم ، قد فجر عند جبران هذه الامكانات التى ما زال الكثير منها الى يومنا هذا عجل القدرة على الادهاش وقيمة جبران مازالت تنبع من أفكاره التى تشعر وأنت تعيش مع الكثير منها إنها بنت أيامنا هذه . وبهذا يختلف عن معاصريه أو الذين جاءوا بعده في أن قيمتهم تستمد من كونهم عاشوا فى فترة معينة ، وكانوا مجددين فى تلك الفترة ، ولو حاولنا أن نبحث عن الذين بقى منهم لوجدناه قليلا ، مثلا لا حصراً كم يبقى من عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذى كان رائد ثورة التجديد فى فترة ما من تاريخنا المعاصر . إذاطبقنا المعيار الذى انطلق منه الاستاذ الراوي لمحاكمة جبران ؟؟ وكم يبقى من العقاد العملاق الذى كان أحد أعمدة ثورة التجديد عندما هاجم الشعر التقليدى ممثلا بشوقي ومدرسته الشعرية . وكم يبقى من شوقي أمير الشعراء إذا انطلقنا من المعيار نفسه ؟ إن المقارنة فى هذا المجال الى جانب جبران الذى نكتب اليوم بعد نصف قرن على وفاته ، وكأننا نحس أنه ليس بعيداً عن همومنا التى نعيشها وهنا يخطر سؤال : إذا صادف أن احتفلنا بمرور خمسين عاماً على ولادة أحد المفكرين بيننا فهل سنجد عنده من الأفكار المضيئة مثل ما يمكن أن نجده عند جبران ؟

كان كتاب « النبي » صرخة احتجاج ضد عالم يملؤه الشر . كما كان دعوة للتمسك بالأرض والحنين اليها ، وحب الوطن لأن البعد عنه موت بشكل ما . ولعل أروع صورة عن حب الوطن ينطق بها جبران عندما عاتبته « كريمة » شريكة صباه لماذا غاب عن وطنه هذه المدة الطويلة . أجاب قائلا : اننى لا أقيس شوقي بدورة النجوم فى أفلاكها ، ولا هكذا أسبر أغواره ، فان الحب اذا كان حنينا للوطن لن يحيط به الزمن ولن تبلغ غوره الأيام (ص ٨ الحديقة) لأن البعد لا يكون مع الحب .

وفى كتابات جبران الأخيرة نجده يؤمن بالقدرة على المواجهة مهما احلولك الظلام ، والانسان لا يجب أن يبقى فى مواقعه السلبية مهما اشتد عليه ضغط الظروف يقول: (ص٤ من حديقة النبي) ولسوف أترنم بكلماتي بينما اللهيب يحرق شفتي .. » وإن الطريق للحياة الكريمة هو النضال لاغير ..

ولعل المعنى الذى أراده جبران من مقالته الرائعة ــ أقول قصته القصيرة ــ البنفسجة الطموح رافقه الى نهاية حياته . حيث مجد فيها التمرد والحركة وتجاوز الواقع والحركة عليه . ولو عشنا بعدها فترة قصيرة ، لأن العمر عنده لا يقاس بعدد الأيام بقدر ما يقاس بعمقه واشواق التغيير الكامنة وأدب جبران يقوم فى معظمه على الرموز إذ نادراً ما تحدث عن قضية بشكل مباشر . وذلك لايمانه أن الفن العظيم هو الذى يقوم على الرمز الشفاف ويكون الايحاء والهمس أبرز عطاءاته .

وأسلوب جبران فى كتابيه الأخيرين « النبي » و « حديقة النبي » هو الحوار بين جانبين : أحدهما يعطى لمعرفة (جبران) والثاني يطلبها (الآخرون) . ويحاول من خلال الحوار أن يلقى الأضواء على القيم النبيلة داعيا الناس الى اتباعها ، ليكشف فى الوقت نفسه سلبيات القيم الفاسدة . فكان بذلك ناقداً اجتماعياً استلهم فى الكثير من نقده حرية الطبيعة وديمقراطيتها وتسامحها عندما افتقد هذه القيم فى مجتمعه . يقول، ص٩ ــ الحديقة « نسكن وغناء الحياة لا ينقطع .. وحين نبكي تظل الحياة باسمة غير عابسة وحين نرسف فى الأغلال تظل الحياة حرة طليقة .. » «ولسوف نبقى جادين فى طلب الشطآن علنا نغني ويسمع الناس غناءنا .. »

وتبقى مقارنة جبران نابضة بالحياة عندما يتحدث عن مدينة « أورفاليس » التى عاش فيها وعن بلاده التى غاب عنها اثني عشر عاماً . قـال :

ما أولاكم أن ترثوا لأمة زاخرة النفوس بالمعتقدات خاويتها من الايمان .

ما أولاكم أن ترثوا لأمة تلبس أردية لا تنسجها ، وتأكل خبزاً لا تحصده .

ماأولاكم أن ترثوا لأمة لا ترفع صوتاً إلا عندما تشيع ميتاً ، ولا تتفاخر إلا بالأطلال

ما أولاكم أن ترثوا لأمة فنها ، فن بني على الترميم والتقليد .

ما أولاكم أن ترثوا لأمة عقدت السنون ألسنة حكمائها وخلفت ذوي البأس من رجالها فى مهادهم .

ثم ما أولاكم أن ترثوا لأمة تفرقت أحزاباً ، وظن كل حزب أنه أمة وحدة .

إن جبران كان انساناً بالدرجة الأولى ، يحب ويكره ، يضعف ويتناقض ، أحب وطنه من خلال حبه للقيم النبيلة ودعوته اليها . وحارب الاستعمار القهر من خلال دعوته للعدل وإزالة الاستغلال وتطهير الأرواح من القبر والانانية . ويا حبذا لو أعدنا قراءة تراث بعض «الاسماء الثقافية البارزة فى حياتنا المعاصرة وفق مقاييس محددة لنعرف ماذا بقى منهم لأيامنا هذه . وحتى لا تبقى قيمة هؤلاء بين ناكر لها الى درجة الجحود ومؤيد لها الى درجة العبادة .

فوزى معروف
سوريا/السويداء

تـوارد علـى المعـاني أم
سرقـة أدبيـة
بين يوسف الشاروني و نصر الدين البحرة

بقلم : د. نسيب نشاوى

● ● اننى أجل الأديب العربي ، وأراه أرفع من أن يسرق نتاج زميله فى القطر العربي المجاور ، ولكنني لم اجد تفسيراً لهذه الواقعة التى سأتحدث عنها ، ولا شك أن الأديب العربي يوسف الشاروني بما يملكه من خلفية أدبية رصينة وقوية لا يمكن لأحد من النقاد أن يتهمه بسرقة زميله الأديب السوري نصر الدين البحرة بغية السبق الى النشر الابداعي فى مجلة « الدوحــة » المشهورة بدعمها للأدب الرفيع الأسمى ● ●

فقد قرأت في مجلة « الدوحة » الغراء – العدد ٦٢ – ربيع الثاني ١٤٠١هـ / فبراير ١٩٨١م – ص٥١ – « الثار » كتبها الأديب يوسف الشاروني . ولفتت نظري وأثارت دهشتي .. لا لان أسلوبها طلي جميل ملون ، وهدفها نبيل مشرق ، وموضوعها خصب غني بالأحداث .. بل لأنني تذكرت أننى قرأت القصة نفسها تحت عنوان « الجمرة الأولى » للكاتب السوري نصر الدين البحرة ، وذلك في المجموعة القصصية التى نشرتها عندنا وزارة الثقافة والارشاد القومي تحت عنوان « رمي الجمار » ١٩٨٠م ، وكان الكاتب نصر الدين بحرة قد نشرها فى أوائل السبعينات فى إحدى المجلات الفلسطينية .

وبما أن أسبقية الابداع الأدبي ينبغى لها أن تحفظ وتذكر لصاحبها ، ليعرف الناس فضله وأسبقيته ، ولئلا تختلط الأمور .. فقد كتبت هذه المقالةللتنويه بالموضوع ، لا للتعريض بالمؤلف .

إن يوسف الشاروني أديب بارع له شهرة فى الأوساط الأدبية ، وكذلك نصر الدين البحرة ، وصحيح أن لقصة «الثار» أصل تاريخي وهي مستوحاة من قصة مقتل ناقة البسوس على يد جساس وقيام « حرب البسوس » فى الجاهلية ، والتى استمرت أربعين عاماً .. ولكن كيف التقى الأديبان نصر الدين البحرة ويوسف الشاروني على فكرة واحدة .. وعقدة واحدة .. وحل واحد ؟ أهذا من باب توارد الأدباء على المعاني أم سرقة أدبية ؟ .

أما قصة «الثأر» للشاروني

فخلاصتها أن قرية جبلية قتل منها ٣٠ قتيلا خلال ٣٠ عاماً ، ثم قتل الصبي ، وبطل القصة المأسوي هو هذا الصبي «رفاعة» الذى كان مغرماً باصطياد العصافير فى الحقول المجاورة للقرية ، غير أنه أصاب عين طفل من الأسرة المجاورة ، فثار والد المصاب ، وحلف بالطلاق ليذبحن «رفاعة» ابن الثانية عشرة .. وحاول المتوسطون أن يقنعوا والد المصاب بالتراجع عن يمينه ، ولكن من دون جدوى .. ثم تدخل عمدة القرية ، ووضع حلا ، وهو أن يبر الرجل بيمينه على شرط أن يمر بالسكين على رقبة الصبي بحدها غير المسنون ، أي أن يمثل عملية الذبح تمثيلا من دون تنفيذ ، وبذلك ينفذ قسمه ولا يذبح الصبي .. وتضطر أسرة «رفاعة» للموافقة على هذا الحل ، وفى الموعد المحدد المتفق عليه تقدم «رفاعة» وسط حلقة الرجال ، ووقف أبناء الأسرتين فى صفين متقابلين .. ووضع «سالم» والد المصاب السكين على رقبة «رفاعة» ، ثم قلبها فجأة على حدها المرهف ، وذبح الصبي .. وعلى الفور انطلقت رصاصات من أسرة رفاعة رشقت جسد «سالم» القاتل الجديد الذى ذبح الصبى امام والده . تلك هي قصة الشاروني.

فهي أوسع بتفصيلاتها ومقدماتها ، ويتخللها شعر ومقدمة عن ناقة «البسوس» خالة «جساس» ، وفى المقدمة أن كليباً رأى الناقة فرمى ضرعها بسهم..

ثم تبدأ القصة :

وفيها أنه كانت لأبي ياسين بقرة مدللة لم يقبل أن يبيعها بأضعاف ثمنها ، وأقسم ليقتلن أي انسان تمتد يده بأذى نحوها ، فأصر الصبي «محمود بن خالد» على أن يتحداه ، وكان اعتاد قذف جمرات إبَرِهِ على الآخرين . وفى يوم فقئت عين البقرة على يد الصبي «محمود» .. وجاء وفد من وجوه الناس وكرامهم فى الضيعة للتوسط ، ووضعوا الحل : أن يمر صاحب البقرة بسكينه على رقبة الصبي من دون أن يؤذيه .. أما الأب فلم يعجبه الحل إلا أنه آثر السكوت ..

حضر الغلام .. كان يرتجف كعصفور ثم جثا على ركبتيه أمام أبي ياسين الذى استل مديته من زناره ، ثم هوى بها على عنق الغلام ... فاذا الدماء تنبجس حارة غزيرة .. ولم يدر أحد كيف أن الطلقات رشقت القاتل أبا ياسين ، واستقرت فى جسده .. فسقط غير بعيد عن الغلام .. وانفجر البركان ..

لقاء الكاتبين فى العمل القصصي والتعبير الفني

ينطلق العمل القصصي فى القصتين من وقوع حادثة قلع عين صبي عند الشاروني ، وقلع عين بقرة عند نصر

توارد على المعاني أم سرقة أدبية

الدين البحرة ثم تنمو احداث القصتين في اتجاهين متوازيين متشابهين .. وبخاصة فى الحبكة ، إذ يظهر رضى والد الصبي المصاب فى قصة الشاروني ، أو صاحب البقرة عند نصر الدين البحرة بامراره طرف السكين غير القاطع على عنق الغلام الذى قلع العين .. ثم ياتينا الحل فى نهاية القصتين واحداً ، وهو ان يذبح حامل السكين الصبي ، ويلي ذلك اطلاق الرصاص عليه .

ويتشابه أسلوب القاصين الى حد يجعل القاريء يشعر ان احدهما اخذ عن الآخر .. ! إذ يلتقيان فى عبارة تصور المشهد الحار الذى سبق عملية الثار المفجعة :

يقول نصر الدين البحرة:

«فحضر الغلام ، كان يرتجف كعصفور رمقه أبوه بنظرة قوية فتماسك ، ولكنه ظل خائفاً .. -رمي الجمار ص١٣-.

ويقول يوسف الشاروني فى تصويره المشهد نفسه :

« وادرك رفاعة أن دوره قد حان ، فَهَمّ بالبكاء فزعاً ، وتشبث بابيه ، لولا أن اخرسته نظرة منه ، فاستجمع شجاعته وتقدم وسط الحلقة » .

إن هذا اللقاء بين الكاتبين فى عنصر التعبير الفني ، والعنصر التصويرى ، والعمل الفني ومصدره وعقدته لا يمكن أن يفسره النقد الادبي بانه من باب «توارد الخواطر» لأن توارد الخواطر لا يمكن أن يكون فى المعاني ، والاسلوب ، والصورة الفنية .. وقد يصح أن يقع هذا فى بيت من الشعر .. أما فى القصة فلا يمكن أن يقع بهذا الشكل .

والذي اعتقده أن الاديب الشاروني أطلع على قصة «الجمرة الاولى» لنصر الدين البحرة قبل كتابة قصته ، أو انه سمع بها قبل ما يقرب من عشر سنوات يوم كان نصر الدين ينشر قصصه في الجرائد والمجلات ، وكان في جملتها القصة الآنفة الذكر.

لا استطيع أن اتهم الشاروني ، ولكن أمل أن يطلع على وجهة نظرى وإذا كان هناك من تفسير لهذه الظاهرة فان بيانه يقطع قول كل خطيب .

الدكتور نسيب نشاوي
سورية

المرأة لغوياً واجتماعياً



ورد في مجلة الدوحة الغراء عدد يونيو ١٩٨١م مقالا بعنوان « المرأة لغوياً واجتماعياً » للأستاذ محمد العدناني من بيروت ، تحدث الكاتب عن تعدد الزوجات في الاسلام واستشهد بالآيتين منسورة النساء . فكتب الآية الأولى « احل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » وليس نص الآية كما ذكر الكاتب ولكن النص الصحيح قوله تعالى « وأن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » وعليه لا اجتهاد ولا تحريف لكلام الله بل يجب أن تكتب الآيات كما انزلها الله وكما هي بين دفتي المصحف .

ثانياً ذكر الكاتب الآية الثانية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

ويرى الكاتب أن العدل الذى اشترطه الله فى الآيتين يستحيل تحقيقه لأن العدل هنا ليست هي المساواة فى النفقة والمسكن فحسب وإنما هو المساو اة فى الحب والميل القلبي وهذا يخرج عن نطاق استطاعة البشر وبالتالي لا يباح التعدد لأنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط ، وهذا الرأي هو أيضاً راى بعض المفكرين وركزوا على الآية الثانية هذا خلاصة رأي الكاتب .

والأمر ليس كذلك فى رأي جمهرة علماء المسلمين وعلى رأسهم الأمام الأكبر فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت وهو من كبار المفكرين والمجتهدين فى الأسلام وفى تفسير القرآن .

قال الأمام الأكبر فى كتابه « الاسلام عقيدة وشريعة » فى تفسير الآيتين ما معناه « وليس العدل الذى اشترطه الله فى الآية الأولى « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » هي نفس العدل الذى اشترطه فى الآية الثانية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » بل العدل فى الآية الأولى والمطالب به المسلم هي العدل بين الزوجات فى المسكن والمأكل والمبيت الخ من الأشياء التى هي فى مقدور البشر ، أما العدل فى الآية الثانية هو العدل فى الحب والميل القلبي وهذا ما لا يملكه الانسان وبالتالي لا يمنع من التعدد بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتوخى العدل بين زوجاته فى النفقة والمسكن والمبيت ثم يقول «اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك وتملك » ويقصد الميل القلب الخارج عن مقدور البشر .

وخلاصة القول ان الآية الثانية لا تنفى التعدد بل تنهى عن الميل الكلى لواحدة دون الأخريات حيث قال تعالى «فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة» والكاتب قد أهمل هذا الجزء الأخير من الآية ، وفقنا الله على الصواب فى فهم كتاب الله والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد الرحمن محمد علي الحاج
جمهورية السودان الديمقراطية

سهول الريح

عبد السلام جاد الله

افتش فى سهول الريح .. عن معنى
لموت الورد فـي صمـت .
بلا صـوتٍ ..
بلا ثمر يُمَنِّى النفس أن يجنى
واسال يـومي القـادم ..
أيشبـه موتـه مـوتى .. ؟
أمـد يـدى ..
لأقطـف برعمـا يحبـو ..
وازعـم ان لـي قلبـاً
لغيـر الحـب لا يصبـو

● ● ● ●

كـفى ياظلـي الكـاذب
.. كفـى ياقلـبي الكاذب
أعـذب الـف زنبقـة
واغمس ريشـة العصفـور
فـى دم وجههـا الشاحـب
لأكتـب للدنـا شعـراً ..
وارثـى زنبقـاً ميْتـاً
انـا .... بيـدى قاتلـه

● ● ● ●

يعلمنـى سكـون الـورد فى ميـلاده الدامـي
بـان البلبـل المأسـور لا يشـدو
... انـا اشـدو لدمعتـه
وألـقى عـبر نافـذتي بجثّتِـه
وابحـث فى سهـول الريـح عن معنـى
لمـوت الـورد والبلبـلْ ..
.. ولكـن .. فى رحاب الموت يمضي سِرٌّ مـا اجهـل
وتبقـى الريـح ساكنـة
فلا تـاتى لتخبـرني .
ويرحـل فى سمـاء البعـد ضـوء كان فى جيبي
يعاتبـني ...

سجنـت الضـوء فى المصباح .. فوق علامة القبـر
وفى رعشاتـه سري
واغنيـتي ..
ورحـت افلسـف الأشيـاء .. والأعمى يراقبـنى
وخـوف فيّ يسحقنـي

هـدوء الـورد فى موتـه
ومـوت البلبـل المأسور فى صمتـه
ايـدرك ذلـك المخلوق ما اجهـل ؟؟
ملأت فضائي الواسـع
بألـوان من الضجـه
صرخـت بصوتـي البـارد
لأثبـت للبحـار الخرس انى هاهنـا
... مـارد ...
أُسَيِّر عالمـاً مصفـود ..
يطيـع اشارة مـني
ولكـنـي ...
احس ضالـتى تكبـر
كانـي لست موجـوداً
وكـف الليـل يرسمنـى ..
خطوطـاً فـوق اشرعـةٍ
هـوى للقـاع مركبهـا

● ● ● ●

انـا وحـدي ..
افتـش في سهـول الريـح عـن وردة
تعلمـني عناق المـوت
تفسـر لي رحيـل الزنـبق المقتـول فى صمـتٍ
بـلا دمعـه ...
اجيبـي يا سهـول الريـح ...

● ● ● ●

اجيبـى ياسهـول الريـح



عندما تحجز تذكرتك لحضور عرض مسرحي ، فانك تضع بين أهدافك في الواقع ، وبصفة أساسية ، مطالعـــة الجهد الذهني والابداعي الذى عاناه الفنانون المسرحيون ليقدموا لك عرضاً متكاملا ، تستطيع أن تتبين فيه بوضوح ابداع المخرج ، وابـداع الفنانيــن التشكيليين الذين قاموا بتصميم الديكور والأزياء والاضاءة والماكياج ، وربما ابداع مؤلف الموسيقى وملحن الأغاني ، الى جانب ما تستمتع به من ابداع مجموعة الممثلين .

ولقد تكون قرأت النص قبل ذهابك الى المسرح ـ وأن جمهور المسرح ليفعل ذلك في كثير من البلدان ـ ولقد تكون شاهدت في السابق عرضاً أو عروضاً أخرى لنفس النص من مجموعات أخرى من الفنانين المسرحيين . وكثيراً ما نقرأ لناقد مسرحي يقارن بين عروض مسرحية مختلفة لنص واحد من فرق مسرحية مختلفة ، فى بلد واحد ، أو فى بلدان مختلفة .

ولا شك أنك مدرك أن عرضيـــن مسرحيين لنص مسرحي واحد ، ولنفس الكاتب ، لابد أن يكونا وجهين مختلفين لعملة أساسية واحدة ، هي ذلك النص القابع على صفحات كتاب فى أحد رفوف مكتبتك .

بين فنان وآخر

ولا شك أنك مدرك أيضاً أن هذا الاختلاف يتأتى من أن قراءة فنان المسرح للنص تختلف عن قراءة فنان مسرحي آخر له ، فاذا كان نص المؤلف يحمل فى نسيجه فكرة ، ومعاناته ، وأسلوبه ، وكلمته النابعة من واقعه الاجتماعي ، فان فنان المسرح يحمل في ذاته ـ بينما هو يقرأ نص الكاتب ـ فكره ، ومعاناته ، وأسلوبه ، وكلمته النابعة من واقعه الاجتماعي . بقدر ما يتقارب الفكران ، وبقدر ما تتقارب الكلمتان ، بقدر ما يسعد فنان المسرح باختيار ذلك الكاتب ليقدمه فى عرض مسرحي لجماهيره ، مهما كان البعد الزماني والمكاني بين المبدعين .

وعندما يقع اختيار فنان المسرح على نص أدبي ليقدم عرضاً لجماهيره ، فانه يبنى اختياره فى الواقع على كثير من المعطيات النابعة من العلاقة العضوية بين واقعه الاجتماعي ، والاطـار



كيف نقرأ النص المسرحي؟

بقلم: سعد أردش

الاجتماعي والفكرى الذى يطرحه النص

فأنا عندما أختار الآن ، وفى المناخ الاجتماعي والسياسي الذى تطرحه اللحظة العربية ، نصاً مثل « تاجر البندقية » لشيكسبير ، أو مثل «ساعول» لألفييري ، أو مثل «بيازيد» لراسين فلا شك أننى أضع فى اعتباري ما وصل اليه الصراع بين الأمة العربية ، والانسان اليهودى بعد أن صاغته اليهودية دولة زرعتها فى الأرض العربية لتشتت هذه الأمة وتقضى على البقية الباقية من حضارتها ومن أمجادها. وأنا عندما أختار احد نصوص تشيكوف مثل « الخال فانيا » أو « بستان الكرز » لأقدمه لجمهور المسرح الآن ، فلاشك اننى أضع في اعتباري كثيراً من الملابسات التى كان يتسم بها مجتمع روسيا القيصرية فى أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، ولا شك أننى سالتمس فى صرخات وزفرات شخصيات المسرحيتين صرخات وزفرات المتفرج المعاصر ، حسرة على ما كان يجب أن يتحقق ولكنه لسبب ما ، نابع منه أو من مجتمعه ، لم يتحقق ، ولن يتحقق إلا إذا تغيرت كل المعطيات فى واقعه الاجتماعي .

الكلمة .. والصدق فى التعبير

فالكلمة ، مهما بعد الزمان والمكان ، إذا كانت تعبر تعبيراً صادقاً عن واقعها الاجتماعي ، قادرة دائماً على التعبير عن واقع اجتماعي قريب الشبه حتى ولو لم يكن المجتمعان متطابقين فى كل ظروف بيئتهما .

ولعلنا ، لهذا السبب ، نؤكد دائماً أن مسرح الكلمة الحية ، سيظل دائماً أمل الانسانية فى عقد الحوار الديمقراطي الحي حول قضاياها ومشاكلها وآلامها

وآمالها ، مهما زرعت العقبات فى طريق المسرح ، ومهما تفوقت عليه اجهزة الاتصال بابداعاتها التكنولوجية الحديثة .

ومسرح الكلمة يلقى العبء على الكاتب أولا ، ثم يلقى عبئاً آخر ، على المخرج والممثلين والمصممين . والحقيقة أن أولئك الذين يطلقون على المخرج «مؤلف العرض» يلتمسون حجتهم فى عمليات الابداع التى تقوم بها مجموعة الفنانين المسرحيين تحت قيادة المخرج وهم ينحتون صوراً وتماثيل واحداثا كانت كامنة فى كلمات المؤلف ، بل إنها قد لا تخطر على بال المتفرج إذا اكتفى بقراءة النص المسرحي المطبوع فى بيته .

وموضوعنا هو البحث فى هذه المعاناة الابداعية المزدوجة : معاناة المؤلف ليكسو افكاره وخيالاته بالكلمات ومعاناة مجموعة الفنانين المسرحيين وهم يغوصون داخل هذه الكلمات ، فيضعونها تحت المجهر حيناً ، وفوق المشرحة حيناً آخر ، بغية التوصل الى ما هي هذه المادة ؟! ..لعل هي مجرد الألفاظ المخطوطة على الورق نكتفى بتحويلها الى أصوات .؟! .. هل هي مجرد الصور الظاهرة – أو السطحية – التى تنطبع فى اذهاننا بمجرد قراءة الكلمات .؟! .. قد تكون هذه نتيجة منطقية للقراءة الأولى ، ولكنها لن تكون باى حال النتيجة النهائية ، فالتركيبة المسرحية فى نص المؤلف ليست بهذه البساطة واليسر ، لأنها تضم فى نسيجها كل تعقيدات الحياة الاجتماعية ، بما يعترضها من علاقات وتناقضات فى العواطف ، وفى التقاليد ، وفى الثقافة ، وفى الاقتصاد والسياسة أيضاً . لذلك فان القراءت التالية للنص يجب أن تطبق منهجاً علمياً للبحث عن العناصر الآتية :

أولا : – الواقع الاجتماعي الذى يرصده المؤلف ، مسجلا ، أو رافضاً ، أو ساعياً الى تطويره ، أو مكرساً له ، وهذا ابعد الاحتمالات ، لأن الفنان طامح أبداً لما هو أفضل .

ثانياً : – التوجهات العقائدية أو الفكرية لشخصياته الفنية ، وما تطرحه من احداث ، وما تسعى اليه من طموحات .

ثالثاً : – المنهج أو الأسلوب الذى اختطه الكاتب لابداعه ، والذى لا مناص من انتهاجه فى ابداع العرض المسرحي .

رابعاً : – الدلالات التى يريد الكاتب ان يوحي بها الى القارىء أو الى المتفرج ، وهذا فى النهاية ما نستطيع أن نسميه فكر الكاتب .

هذه بوجه عام هى المرتكزات التي يتحتم على فنان المسرح أن يخرج بها من دراسته المتأنية لنص الكاتب، ولكنها ليست مع ذلك كل المرتكزات ،



فهنالك دائماً السؤال : لماذا هذا النص بالذات ، وليس نصاً آخر .؟! ..

فنان المسرح

هنا ياتي دور فنان المسرح ، وتاتي كلمته هو ، اياماً كانت قائمة ومؤسسة على دور الكاتب وعلى كلمته . هنا ياتى الهدف الانساني والفكري لاختيار نص بالذات ، فى زمان وفى مكان معينين ، وفي بيئة انسانية معينة . وفى اعتقادى أن فنان المسرح يختار نصاً معيناً ، في لحظة معينة ، لأنه يريد ان يقول لجماهيره كلمة يعينه هذا النص بالذات على أن يقولها : الكلمة يتضمنها النص حقاً ، ولكنها تتغير وتتشكل باختلاف الاطار الاجتماعي ، وباختلاف الواقع السياسي والاقتصادى والعسكرى الذى تعيشه الجماعة .

وعلى سبيل المثال ، لو ان مخرجاً فى مكان ما من العالم اختار مسرحية «الفرس» لأيسكيلوس ، ليعرضها على جمهوره الآن ، فهل يختارها ليقول لجماهير اليوم ما كان ايسكيلوس يقوله لجماهير المسرح الأغريقى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، عن حرب ماراثونا وعن هزيمة الفرس والحضارة الفارسية على أيدي اليونان والحضارة اليونانية ؟! لا بالتاكيد .. لابد ان فنان المسرح المعاصر قد وجد في نص «الفرس» كلمة جديدة يحاور بها جماهير اليوم ، لابد أن هذه الكلمة الجديدة ستكون نابعة من تصور فنان المسرح اليوم فى مواجهة الحرب الدائرة بين ايران والعراق ، وما يحيط بها من تعقيدات سياسية واقتصادية ودينية وعسكرية فى الشرق الأوسط ، وما تتصل به هذه التعقيدات من صراعات عالمية حول المنطقة وثرواتها . لهذا فان فنان المسرح اليوم عندما يتناول ايسكيلوس ، أو شكسبير ، أو راسين ، أو ابسن ، أو تشيكوف ، فانه لا يتناوله ناقلا ، وفى نيته ان يقول لجماهيره : هذا ماقاله هذا الكاتب الكلاسيكي العظيم ، بل ليقول من خلاله كلمة وجد مادتها فى هذا النص أو ذاك . وهذا ماجرى العرف على تسميته «التفسير» . ولو لم تكن هذه النصوص العظيمة خالدة وصالحة للتعبير عن المجتمع الانساني فى كل زمان ومكان ، لما اتيح لها هذا الخلود ، ولاندثرت مع غيرها من آلاف النصوص التى كتبها مؤلفوها ثم سقطت من حساب الزمان كان لم تكن .

وعلى ذلك فان فنان المسرح سيضع فى منهج بحثه – خلال قراءاته المتكررة للنص المسرحي الذى يتناوله – قضية « التفسير » المعاصر الذى سيطرحه على جماهيره ، والذى يجب أن يثير حواراً ساخناً فعالا بين الجماهير حول القضية « المعاصرة » التى يطرحها العرض المسرحي .

ومعنى ذلك ببساطة ان النص لم يكن يطرح هذه القضية المعاصرة عندما كتبه المؤلف ، ولا عندما عرضه فنان المسرح فى عصره القديم ، وان هذه القضية المعاصرة إنما هى نتاج فكري

« معاصر » للفنان المسرحي المعاصر ، نابع من مشاكل وقضايا عصره التى تختلف فى تحليلها عن مشاكل وقضايا العصور السالفة بشكل أو بآخر .

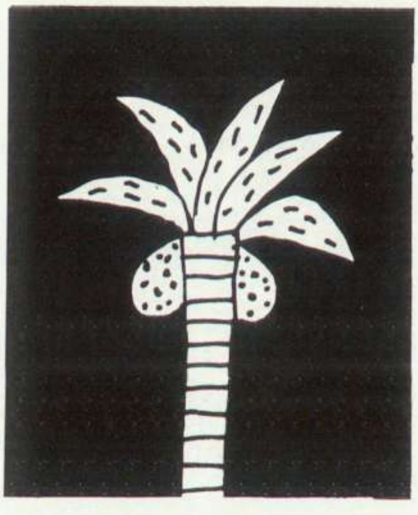
ولكن إذا صح هذا النص المسرحي القديم ، وهو صحيح ، بدليل التفسيرات الحديثة التى تطالعنا كل يوم على خشبات المسارح فى العالم لنصوص قديمة (ولعل من ابرزها وأعمقها اثراً هو آخر تفسير قدمه بيتر أوتول لمسرحية «ماكبث» لشيكسبير على مسرح الأولد فيك فى لندن) فماذا عن النص المعاصر أو الحديث ، ثم ماذا إذا كان كل من الكاتب المسرحي والفنان المسرحي ينتميان الى نفس الواقع الاجتماعي، ويعيشان نفس اللحظة الحضارية ، ؟! ... لا شك أن الأمر يطرح يشكلا مختلفاً للعلاقة بين الفنان المسرحي والنص ، فاذا كان الفنان المسرحى المعاصر يختار نصاً قديماً لأنه وجد فيه اطاراً تعبيريا صالحة لطرح قضية المعاصرة ، فانه يختار النص المعاصر أو الحديث لأنه أكثر مباشرة فى التعبير عن قضيته وقضية مجتمعه ومعنى ذلك أن القاعدة الفكرية واحدة عند الكاتب وعند الفنان المسرحى ، ولكنه يبقى دائماً ــ مع ذلك ــ مفسراً لنص الكاتب ، وليس ناقلا له : فلقد يتناول النص أكثر من واحد من الفنانين المعاصرين ، فى نفس البلد ، أو في بلدان مختلفة ، وفى نفس اللحظة أو في لحظات متقاربة ، ومع ذلك فان العروض المسرحية التى يقدمها هؤلاء الفنانون لم تكون نسخاً متكررة، ولن تقول نفس الكلمة ، وبنفس الشكل .

ونستطيع أن نخلص من كل هذا الى أن النص المسرحي الأدبي شيء مختلف تمام الاختلاف عن العرض المسرحي الذى يبتدعه فنان المسرح مستعيناً بهذا النص : إن النص المطبوع يبقى دائماً نوعاً من الأدب الجامد ، الراكد ، الفاقد **الحياة والحيوية ، وهو لا يكتسب الحياة والحركة ، ولا ينبض بالصراع الحقيقي إلا عندما يتنفسه ويعيشه ويجسده فنان المسرح على خشبة المسرح ، من خلال إبداعاته المتعددة النوعيات والأشكال .**

حقاً أن القارىء للنص ــ حتى **القارىء العادى الذى يتمتع بقليل من الثقافة وقليل من الخيال والقدرة على التصور ــ يستطيع أن يرى الشخصيات وهى تتحاور على مسرح خياله ، ولكن هذا يبقى فى اطار التصور القريب من احلام اليقظة ، ولا يرقى الى ادنى** درجات الابداع .

مراحل الابداع فى العرض المسرحي

إن قراءة فنان المسرح ، مخرجاً كان أو ممثلا أو تشكيلياً أو موسيقياً ، تستهدف التوصل الى مرتكزات الابداع وهي تتكون من : مرتكزات فكرية ــ



مرتكزات تعبيرية ــ مرتكزات تشكيلية ــ مرتكزات شاعرية أو فنية .

الأسس الفكرية

يندر أن يمسك كاتب المسرح قلمه ليحرك على الورق مجموعة من الشخصيات الفنية إلا إذا كانت هذه الشخصيات تطرح معاناتها تناقضات فكرية فى مواجهة بعضها البعض ، أو في مواجهة عدو فيزيقى أو ميتافيزيقى ، غائب أو حاضر . ومنذ القراءة الأولى يستطيع فنان المسرح أن يتبين الأسلوب الذى اتبعه الكاتب ، فاذا كان واقعياً كجوركى أو تشيكوف أو برنادرد شو أو نعمان عاشور ، كانت شخصياته تجمع بين صفتى الابداع والحقيقة ، فهي ابداع لأنها من مخلوقات الكاتب ، وهي حقيقة لأنها ترتدى من سلوكها و كلماتها رداء الحقيقة الاجتماعية ، وتكاد أن تكون كائنات أجتماعية شبيهة بالناس اللذين نعايشهم ، حتى لترى فيها فلاناً أو فلانة ممن تعاشر وتعرف ،وفى هذه الحالة فان الشخصيات تتحاور كما تتحاور فى الحياة ، حول مجموعة من الأفكار التى يضطرم بها خضم الحياة ، وهذه الأفكار تتناول بالطبع جانباً أو آخر من جوانب الحياة الاجتماعية : الأسرة ، الأخلاق ، الوظيفة ، الاقتصاد ، السياسة .. الخ . وعلى الفنان المسرحي أن يرصد خلال قراءاته العديدة ما نستطيع أن نطلق عليه (الكلمات المفاتيح) أو (الجمل المفاتيح) التى تكون الأساس الفكرى للعرض المسرحي ولنضرب لذلك مثلا مسرحية «بيت الدمية» لهنريك أبسن . سوف نلاحظ منذ الوهلة الأولى أن أحداث المسرحية تدور حول سؤال : هل تثابر « نورا » على معاملتها لزوجها « تورفالد هلمر » تلك المعاملة التى تنطوى على انكار الذات ، وهل يقابل هو هذه المعاملة بالمثل ؟! وبمعنى آخر : هل يضمر الزوج فكرة المساواة بينه وبين الزوجة فى الحقوق والواجبات ؟! إن ابسن يحرك شفاة الشخصيات بعبارات ترسم الطريق ، بحيث تؤدى فى النهاية الى الموقف الفاصل الذى يواجه فيه الزوج لحظة الكشف عن مكنون فكره الاجتماعي ، فاذا به يسقط كل الأقنعة ، ويتحول فجأة من رجل أوربي ناعم الملبس ، رقيق الحاشية ، الى انسان قبلي ــ بل بدئي ــ يختص نفسه بكل الحقوق ، ولا يلتزم فى مواجهة الآخرين بواجب ما ، انها الأنانية والغرور . أما نورا فانها حتى انفجار هذا الموقف كانت مفعمة بالثقة فى مساواتها للرجل ، وكانت تسلك هذا السلوك ، فتحمل نفسها التزامات الرجل في غيبته أو فى لحظات ضعفه أو مرضه ، وعندما تقع الواقعة ، وتتكشف لها حقيقته ، لا تملك إلا أن تهجر بيت الزوجية ، لتتعلم من جديد ...

إن فنان المسرح يقف عند تلك «الكلمات المفاتيح» التى تشكل أساس هذا التناقض ، ليستخلص منها القاعدة الفكرية للعرض .

لقد اخترت هذه المسرحية لبساطتها

ووضوحها ، ودلالتها الاجتماعية التى ماتزال حية فى كثير من مجتمعاتنا حتى اليوم ، ولكن الفكر يأخذ شكلا أكثر تعقيداً فى كثير من التراث المسرحي ، وخاصة فى المسرح الحديث ، الذى يضفى السمة الاقتصادية والسياسية على كل أحداث الحياة .

والقاعدة الفكرية للنص المسرحي تطرح مشكلة التفسير ، وتثور هذه المشكلة أساساً إذا لم يكن فنان المسرح مؤمناً كل الايمان بالتوجه الفكرى للكاتب فى اطار القضية التى يطرحها . فلقد يكون المخرج ، أو ممثل الزوج ، فى مسرحية إبسن ، نمطاً اجتماعياً انانياً ومتجبراً فى مواجهة المراة مثل «تورفالد هلمر» .. ولكن هذه مشكلة فرعية وقد نتعرض لها فى مقال آخر .

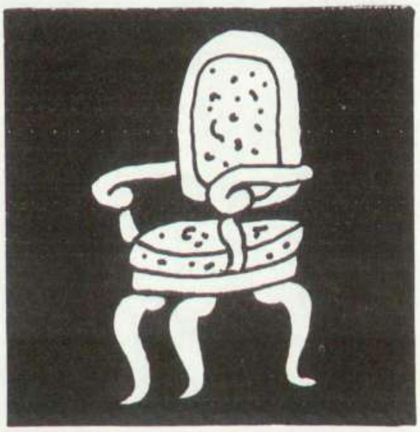
الأسس التعبيرية

إذا كانت اللوحة فى فن التصوير تتخذ لغتها من الخط واللون ، وإذا كان التمثال فى فن النحت يتخذ لغته من امكانيات التشكل في الكتلة ، فان فن العرض المسرحي يتخذ لغته أولا من صوت الممثل وحركاته واشاراته وإيماءاته ، وثانياً من مجموعة المؤثرات التشكيلية والضوئية والصوتية . وإذا كان كاتب المسرح يهتم فى معظم الأحوال بالتعرض لهذه السمات التعبيرية فيحددها فى ملاحظاته ، فانه عن وعي أو عن غير وعي ، يوردها بشكل غير مباشر فى حوار شخصياته . ولقد كان الكتاب فى المسرح الاغريقى يوردون هذه التفاصيل التعبيرية والتشكيلية فى متن الحوار ، ويقصرون ملاحظاتهم على دخول وخروج الممثلين والجوقة ، فهذا «أوديب» سوفوكليس مثلا يخاطب أفراد الجوقة الذين يمثلون شعب مدينة طيبة فيقول :

« لماذا تجثون أمامي هكذا ، وتتضرعون بأغصان تتوجها شرائط بيض ؟! بينما امتلأت المذابح بدخان البخور ، وارتفعت فيها أصوات التراتيل ، ودوت فى أرجائها آهات الحزن والآنين ؟! » .

ونحن نرى فى هذه العبارات التى ينطق بها أوديب اشارات صريحة لحركة الممثل وصوته ، بل وللأصوات التى نستمع اليها من الخارج « من المذابح » ، ونرى أيضاً اشارة صريحة لجزئية من جزئيات الاكسسوارات التى يحملها أفراد الجوقة ، وهى الأغصان التى تتوجها شرائط بيض ، بل إن ذكر المذابح ليؤكد لنا تفصيلة جوهرية من تفاصيل المنظر المسرحي .

غير أن هذه السمات التعبيرية والتشكيلية صريحة ومباشرة وواضحة ، بحيث لا يعاني فنان المسرح أدنى جهد فى التعرف عليها ، وإن كان بالطبع سيعاني فى ابداعها وتجسيدها كل المعاناة ، ففى ابداع الصوت مثلا كيف يبدع أصوات التراتيل ، وآهات الحزن



والآنين ؟! .. ولكن القضية تصبح أكثر صعوبة إذا انتقل بنا الكاتب من المباشر والصريح الى الصور المركبة المعقدة التى تجتاح نفس الانسان أفراداً ومجتمعات . ولنتامل مثلا هذه الصورة العسيرة التحقيق ، فى كلمات الجوقة ، فى مسرحية « انتيجون » سوفوكليس :

« إذا غضبت الآلهة على اسرة ، ألح الشر فى غير مهلة على ذريتها . كذلك موج البحار ، حين تدفعه الريح العاصفة من تراقيا ، فيكتسح سطح هوة البحر ويحرك فى الأعماق ذلك الرمل الأسود الذى يثيره الهواء ، فى حين يصخب الساحل ويئن حين يضربه

هذه صورة فيها من الابداعات التعبيرية والتشكيلية الكثير ، وإن كان صعب المراس ، وهي بالتاكيد إحدى الصور التى يتوقف عندها فنان المسرح كثيراً ، سواء كان مخرجاً أو ممثلا أو مصمماً للاطار التشكيلي .

ولكن مهمة التعبير تقع ــ كما قلنا ــ على عاتق الممثل بالدرجة الأولى ، ومن هنا فان على الممثل أن يضع أمامه هذه المفردات : غضب الآلهة . الشر . موج البحار حين تدفعه الريح العاصفة . يكتسح . يحرك فى الأعماق . الأسود . يصخب . يئن . يضربه الماء .

هذه ألفاظ وتعبيرات قد تمر على القارىء العادى مرور الكرام . وقد لا يبذل أقل القليل من الجهد توصلا الى إدراك معانيها ، أو حتى الالمام بالصور التى تنطوى عليها ، ولكنها بالنسبة للممثل شيء آخر ، إنها أدوات التعبير عنده ، وعليه دون شك أن يحقق فى تعبيراته الصوتية والحركية هذه الصور العاتية التى صاغها المؤلف فى مجموعة من الألفاظ .

ولكي يحقق الممثل المستوى الأمثل للتعبير عن دلالات هذه الألفاظ وهذه التعبيرات ، لابد أن يكون ملماً بتشريح اللغة ، وامكانيات التعبير داخل الكلمة المنطوقة ، فليست الكلمات فى اللغة مجرد حروف متراصة ، ولكن لكل حرف معناه ومنطوقه وقدراته التعبيرية ، وتقسيمات الحروف الى ساكنة ومتحركة ليست تقسيمات لغوية فقط ، ولكنها تقسيمات تشير الى قيم تعبيرية. وإذا أجتمع حرفان في مقطع فلابد أن يسأل فنان المسرح نفسه : لماذا هذان الحرفان بالذات ؟! ماهي وظيفة هذا الاجتماع ؟! ولماذا اختار الكاتب هذا المقطع في هذه اللحظة بالذات ؟! فاذا التقى مقطعان أو أكثر فى كلمة واحدة فان الأمر يصبح أكثر تعقيداً ، وربما طرح على فنان المسرح سؤالا حول مترادفات الكلمة فى اللغة ، فلماذا أختار الكاتب هذه الكلمة دون غيرها من المترادفات ، ولا شك أن الفنان كلما كان عليماً بتشريح اللغة ، كلما استطاع أن يكتشف فى يسر أن المترادفات إذا كانت متقاربة المعنى فليست متطابقة ، وأن كل مرادف يختلف عن غيره فى كثير من الصفات التى لا تقتصر على الشكل ، بل تنال المحتوى أيضاً .

الأسس التشكيلية

وما قلته عن البحث فى الأسس

التعبيرية فى كلمات النص ، يقال أيضاً عن الأسس التشكيلية ، فاذا كان تعبير الممثلين يقدم المعادل التعبيري للنص ، فان الاطار التشكيلي يجب أن يقدم المعادل التشكيلي للنص . ولا يقتصر الأمر هنا على الملاحظات التى يوردها المؤلف فى أول الفصل ، أو فى بداية المشهد ، فلقد يقول المؤلف أن الأحداث تجرى فى محكمة ، كما نرى مثلا فى شرح عبد الوهاب البياتي لمنظر الفصل الأول في مسرحية «محاكمة فى نيسابور» : عمر « الخيام » يدخل الى قاعة المحكمة وهو يرتدى البياض حداداً على ملك شاه السلطان ...

فالكاتب عادة ما يبسط تصوره للديكور فى هذه الملاحظات بسطاً تسجيلياً لمجرد تحديد المكان ، ولكنه يضع على لسان الشخصيات صوراً يستطيع فنان المسرح أن يتلمس فيها طبيعة هذا المجال ، واسلوب صياغته ، وفى نفس مسرحية البياتي يقول الخيام مخاطباً قضاته فى الفصل الأول بعد صفحات قليلة : « إننى لأرى خلل ليل نيسابور الذى يمطر دماً ، كتاب اقليدس ذا الغلاف الملون ، وغيره من الكتب ، التى تلعبون الليل لعبتكم الأخيرة على ضوء نارها ، تعاد كتابتها بحروف جديدة » . ولا شك أن الفنان التشكيلي فى المسرح سيتوقف كثيراً عند هذه العبارة ، وغيرها من العبارات التى تحمل هذه الصور النابعة من أحداث المسرحية ، ومن الصياغة النفسية الفردية والاجتماعية لهذه الأحداث ، قبل أن يتخذ قراراته النهائية فى خطوط تصميمه وألوانه وأشكاله .

الأسس الشاعرية والفنية

المسرح نوعية من أرقى أنواع الشعر بالمعنى العام في الأدب والفن ، وهو شعر نجد مفرداته فى الصياغة الدرامية بكل ما تنطوى عليه الدراما من أسرار الصياغة الأدبية . وكما اننا نرصد فى فن الشعر الكلاسيكى والحر ، ونرصد فى كل مذهب أساليب وأساليب تختلف باختلاف تقسيمات الشعراء وانتماءاتهم ، بل تخلف أحياناً داخل المذهب الواحد من شاعر الى آخر ، كذلك فان الصياغة الدرامية لا تقوم على قاعدة ثابتة : ففي المنهج الكلاسيكي تتعدد الأساليب ، وفى الواقعية نجد كثيراً من السمات الواقعية نجد كثيراً من السمات المختلفة المتضاربة ، وفى التعبيرية لا يتفق كاتبان فى صياغة واحدة . وعلى ذلك فان كل نص مسرحى يقوم على مقومات شعرية وفنية وتقنية خاصة ، أياً كان انتماؤه المنهجى أو المذهبى .

والفنان المسرحى فى قراءته للمسرحية يرصد الركائز الشعرية والسمات الفنية التى يعتمدها الكاتب فى بناء مسرحيته ، ليتخذ منها أرضية



شاعرية وفنية للعرض المسرحى ، وهذه الأرضية تبدأ من التفاصيل توصلا الى نسيج عام متوائم ، متوحد فى اطار مذهب واحد ، وأسلوب واحد ، فالنص على نهجه الشعرى وأسلوبه ، ونحن لا نستطيع أن نقدم عرضاً كلاسيكياً لنص واقعى ، أو عرضاً تجريدياً لنص رومانتيكى . إن مسرح راسين مثلا يقوم بالدرجة الأولى على العواطف المشتعلة التى تصل فى اشتعالها الى درجات دموية عالية ، بينما يقوم مسرح الشاعر الايطالى دانونزيو على نوعية أخرى من العاطفة ؛ عاطفة تدور حول الجنس وتتغذى عليه ، ومن غير المنطقى أن نتناول الأول نفس «تناول الثانى» . ولقد تبدو المقارنة أكثر وضوحاً بين كتاب العبث و «بيراندللو» : بيراندللو يصنع لحمة مسرحه من صميم الواقع . ولكنه يسمى واقعه «مسرح الاقنعة» أو «مسرح داخل المسرح» ، هذا نوع من تجريد الواقع ، أو مسرح الواقع ، وهى نسق شديد الاختلاف عن اتجاه العبثيين من أمثال «يونسكو» أو «بيكيت» ، فهؤلاء يكتفون فى صياغتهم عبث الحياة وعدميتها ، بينما بيراندللو ينعى على المجتمع الانسانى تعدد اقنعته الاجتماعية عن قصد ، وكل من ينادى صياغة عبثية ، ومسرح بيراندللو يصوغ الواقع فى مسرح داخل المسرح ، ونستطيع أن نجمل بحثنا فى هذه المقارنة فى نتيجة يقينية ، هى أن العرض العبثى يجب أن يقوم على اطار من الشعر العبثى ، وأن العرض البيراندللى يجب أن يقدم فى مسرح مجرد .

● ● ●

وأود أن أؤكد فى النهاية أن قراءة فنان المسرح للنص الأدبى تختلف اختلافاً جذرياً عن قراءة الناقد المسرحى له ، ولعل هذا أن يكون واضحاً فيما اتبعت من منهج للبحث ، فالناقد يقرأ النص بقصد تقويمه ، ويتخذ منهجه من واقع القياسات والمعايير التى استقر عليها علم النقد ، بينما فنان المسرح يضيف الى هذا البعد بعداً آخر ، هو العرض المسرحى الذى سيبدعه على أساس من النص . وربما كانت قراءته أقرب الى قراءة ناقد العرض المسرحى ، اذا توفرت له وسائل التعبير عن كل مقومات العرض .

لقد حاولت أن اقدم لك ايها القارىء العزيز تصوراً «نظرياً» للطريقة التى يقرأ بها فنان المسرح النص المسرحى بهدف تناوله فى عرض مسرحى . ولكنى أعدك بلقاءات أخرى أتجاوز فيها النظرية الى التطبيق ، فالتقى معك فى قراءات لبعض النصوص المسرحية المختارة ، بحيث نعانى معاً مرحلة البحث عن مقومات الابداع فى نص الكاتب المسرحى ، ولعل هذا أن يكون مسرحاً خيالياً نتفق على تاسيسه معاً ، تحدياً لكل الظروف التى تحول بيننا وبين تقديم مسرح حقيقى . فالى لقاء .

سعد أردش

د. يحيى الجمل

من خبايا النفوس

سيدى :

صدقنى اننى بعد كل هذا الزمن الطويل أو قل رغم هذا الزمن الطويل لم أعد أفهمك ، ولست أحملك وحدك مسئولية عدم فهمى لك فقد يرجع الأمر الى قصور فى امكانياتى كما قد يرجع، الى أن الأيام تمضى فلا تزيدك إلا اغراباً والتواء . وعلى اى حال فما أكثر ما لا يفهم الناس بعضهم بعضاً حتى بعد طول المعاشرة والاختبار ، وعلى ذلك فليس بغريب اننى لم أعد افهمك ولكن المؤسف حقاً والمؤلم حقاً ــ لي قبل- أن يكون لك ــ اننى لم أعد أحترمك .

وانت تعلم أن الانسان يحتاج فى حياته الى أن يحترم بعض الناس كما يحتاج الى أن يحب بعض الناس وأن يحبه بعض الناس . هى حاجة فى النفس كحاجتها الى كل القيم الفاضلة فى الحياة .

وقد مضى علينا حين من الدهر كان كلانا يشعر نحو الآخر بذلك الشعور بالاحترام وكان ذلك الشعور بالاحترام مقدمة لكثير من المشاعر الأخرى التى كانت تضفى على نفسى نوعاً من الغنى المعنوى احس بالحاجة اليه والرغبة فيه .

وألمت بك ــ وعلاقاتنا فى شبابهـا ــ محنة من أقسى ما يمتحن به الناس وأظن اننى وقفت الى جانبك فى تلك المحنة بكل ما أملك وعرضت نفسي لخطر انت تعلم أبعاده حتى أخرجك الله من محنتك وأعادك الينا سالما ، وقد تأثرت أيما تأثر إذ وجدتك شاعراً ومقدراً وسعيداً بموقفي منك فى محنتك وازداد ما كنت أحس نحوك من احترام ، ويقيني أن رصيدى فى نفسك قد زاد هو أيضاً .

ثم ذهبت أنت الى غرب وذهبت انا الى شرق وكانت بيننا على البعد بين الحين والحين بعض الرسائل نشكو فيها الى بعض ما نلقاه من عنت لا تخلو منه الحياة أو نعبر فيها عن آمال عراض فى المستقبل الذى نريده لبلدنـــا الحبيب

ولست أنسي ذلك اليوم الذى تلقيت فيه منك رسالة أحسست فيها أنك تصارع نفسك فى أمر العودة الى الوطن وأن رغبة قوية لم تعبر عنها صراحة ولكني لمستها خلال كلماتك تريدك على أن تبقى حيث أنت بعيداً عن تلك الأرض الطيبة التى نشأنا عليها وأحببناها وتعاهدنا على أن نعطيها كل ما نستطيع الى آخر رمق في الحياة .

وجدت على بلادنا أحداث .. وجيء بك لتجد نفسك فى مكان مرموق لم أشك لحظة أنك تستحقه وأن عطاءك فيه بين الأصدقاء .. ولكن ذلك لم يؤثر على شعوري نحوك فقد كنت أدرك مدى مشغولياتك ومسئولياتك وكنت أرجو لك دائماً كل توفيق .

وبدأت أسمع بعض زملائنا يتحدث عنك ما لا أحب أن أسمعه فكنت انبرى صادقاً للدفاع عنك حتى اتهمت عند بعضهم «بالطيبة» وانت تعرف ما الذى يعنيه هذا الوصف فى بعض المقامات .

ولكن الذى كان يحيرني حقاً اننى كنت أسمعك أحياناً تتكلم لغة غير تلك اللغة التى تعودت أن أسمعها منك . لغة تحرص فيها على انتقاء اللفظ الذى يرضى سامعيك وإن لم يتفق مع ما أعرف أنك تفتقده فى سريرة نفسكِ ، وانك تحرص الحرص كله على أن ترضي أطرافاً متناقضين فى حلبة الملعب حتى ليوشك أن لا يكون بينهم غير الصداقة وأنت بينهم تحرص الحرص كله على أن



تكسب ودهم جميعاً وأن ترضيهم جميعاً وأن تظفر بصداقتهم جميعاً على بعد ما بينهم وبين بعض من مشارب واتجاهات
وحملت الأمر كله فى البداية محمل حسن الظن ولكنى آثرت فى الوقت نفسه أن أبتعد قليلا وأن أرجع الى نفسي كثيراً وأن أفكر طويلا فى ذلك التطور الذى هيىء لي أنه جديد عليك وظل ما بيننا على ظاهر قوته وإن كنت قد بدأت أحس بفتور ما في الأعماق .

واعترتني محنة شديدة من محن الحياة والتفت إليك دون أن أحدثك بشيء وأبديت لي بالفاظك – وأنت ممن يحسنون اللفظ ويعرفون كيف يختارونه – أنك معي تشد أزرى وتذود عني وتعيش محنتي ، ولكن ماكان أبعد لفظك عن فعلك وماكان أشد حرصك وأنا فى محنتي على ذلك الموقف العجيب الذى تريد فيه أن ترضي كل الأطراف بغير اعتبار ولا أكتراث لما تعرف أنه الحق ، كان المعيار عندك هو مدى قوة الأطراف ومدى ماقد يعود عليك أنت نتيجة موقفك من نفع أجل أو عاجل على أية صورة كان ذلك النفع حتى وإن كان نوعاً من « راحة الدماغ » كما يقولون .

وانتهت المحنة وخرجت منها رافع الرأس مجبور الخاطر منتصراً على من كانوا يبدون لك أقوياء . ومن كانوا فى حقيقتهم – وأنت تعرف – صغار النفوس ولكنى خرجت من تلك المحنة وفي نفسي جرح غائر ليس الى اندماله من سبيل ، ذلك اننى شعرت إننى بسبيلي إلى أن أفقد كل ما كان لك فى نفسي من احترام .
وصدقنى إذا قلت لك أن ذلك الشعور لم يكن مصدره أنك لم تقف معي كما كنت أتصور أنك ستقف معي ولكن مصدره الحقيقي أنني ادركت أن قضية المبدأ لم تعد بالنسبة لك قضية يعبأ بها أو يهتم بها وأن الأمر لم يعد بالنسبة لك إلا موازنة بين أى المواقع وأى الأطراف قد يكون ذا فائدة أكبر لك ، كان هذا هو مصدر ألمي منك ورثائي لك وخوفي عليك فى وقت واحد .

ومرت أيام وإذا بالحياة تجمعنا من جديد وإذا بي أسمعك تتحدث كاكثر ما يكون المتحدثون من بلاغة وإذا بحديثك لا ينتهي الى تحديد واضح قط ذلك أن حرصك الأساسي كان يتجه الى أن لا تغضب أحداً وأن ترضي كل المتناقضات .. وهيهات .

وإذا النتيجة الحتمية أن أمرك يتضح للناس جميعاً : أنك رجل صاحب كلمة ولكنك لست صاحب رأي .
وجد ما جد من أمور وتغيرت أوضاع وتبدلت أماكن وفقد اناس بعض العرض الى حين واحتفظوا بجوهرهم ، واحتفظت انت بكثير من الهوان وفقدت نفسك وفقدت آمالا كانت ترجو منك خيراً وذهبت الى الأبد مع الذين يذهبون فى طريق موحش مقفر لا كرامة فيه رغم كل البهرج والزخرف والأضواء .. وما كان أغناك عن ذلك ..
ولكن هكذا أردت وهكذا اخترت السهل وفرطت فى النفيس الكريم .
وما أقصر نظرك – رغم ذكاء عقلك – ذلك أن الأمور تدور وأن لا شيء يستقر على حال وأن ما ينفع هو الذى يمكث في الأرض .

اعذرني إذا كنت لم أفهمك .
واعذرني إذا كان ذلك فى مقدورك – لأننى لم أعد استطيع أن أجد لك فى نفسي ولا فى نفوس كثيرة حولنا ما كان لك فيها من اعزاز واحترام .
والله يتولانا جميعا ويتولاك برحمته .

وقرأت ..

طلعت حسن جادالله

عجوز عربية لا تتكلم إلا بالقرآن

جلست عجوز عربية لا تتكلم إلا بالقرآن الى جذع شجرة فى طريق الحج فاقبل عليها عبد الله بن المبارك ، وهو في طريقه الى الحج ، وزيارة قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لها : السلام عليك ـ فقالت : سلام قولا من رب رحيم .
فقال لها : ماذا تصنعين هنا ؟
قالت له:ومن يضلل الله فلا هادي له .
فسألها عن وجهتها .
ـ قالت : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى .
فقال لها : وكم لبثت هنا ؟
ـ فقالت ثلاث ليال سويا
فقال لها : وأين طعامك ؟
ـ قالت : هو يطعمني ويسقين .
فقال لها : وأين ماء الوضوء ؟
ـ قالت فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً .
فقال لها : هذا كلام فكلي .
ـ قالت ثم اتموا الصيام الى الليل .
فقال لها : ليس هذا شهر رمضان .
ـ قالت : ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم .
فقال لها : ورخصة الأفطار فى السفر ؟
ـ قالت : وان تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون .
فقال لها : تكلمي بمثل لهجتي .
ـ قالت ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
فقال لها : ومن أي القبائل أنت ؟
ـ قالت لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا .
فقال لها : سامحينى فقد أخطأت .
ـ قالت : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم .
فقال لها : اتدركين القافلة على ناقتي ؟
ـ قالت : وما تفعلوا من خير يعلمه الله .
فقال : اركبي ، وقد أناخ الناقة
ـ قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، وسبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا الى ربنا لمنقلبون .
ولما أخذ بزمام الناقة وصاح .
ـ قالت : فاقرأوا ما تيسر من القرآن .
ولما قال لها : ياخالة هل لك زوج ؟
ـ قالت يأيها الذين أمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم .

ولما أدركوا القافلة سألها : هل من ولد أو قريب يمت لك فيها ؟
ـ فقالت : المال والبنون زينة الحياة الدنيا .
ولما سألها : وما عمل أولادك فى القافلة ؟
ـ فقالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون « أي أدلاء القافلة »
ولما سألها : عن أسماء أولادها .
ـ قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا ، وكلم الله موسى تكليماً ، يايحيى خذ الكتاب بقوة .
ولما نادى عليهم بأسمائهم لبوا مسرعين . وقالت لهم : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه : ولما جاءوا بالطعام قالت لابن المبارك : ـ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية .
والى هنا انتهى هذا الحوار الممتع ، وقال أولادها لابن المبارك : ان أمهم هذه تتكلم بالقرآن منذ أربعين سنة .

من غرائب اللغة العربية
شعر .. يُقرأ أفقيًا وراسيًا !

ألوم صديقي وهذا محال
صديقي احبه كلام يقال
وهذا كلام بليغ الجمال
محال يقال الجميل خيال

شعر .. يقرأ من اليمين ومن اليسار أيضا .. حرفيًا

مودته تدوم لكل هول   وهل كل مودته تدوم .

بيتا مدح يصيران هجاء بعكس ترتيب كلماتهما

حلموا فما ساءت لهم شيم
سمحوا فما شحت لهم منن
سلموا فما زلت لهم قدم
رشدوا فما ضلت لهم سنن

بعض العبارات يستطيع القارئ قراءتها
من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين أيضًا

١ ـ ركب القاضي الفاضل فرسه بقصد السفر ... فقال له العماد الأصفهاني : سر فلا كبا بك الفرس .
فقال له القاضي الفاضل :
دام علاء العماد
٢ ـ كمالك تحت كلامك
٣ ـ عقرب تحت برقع .

من دفاتر قديمة جداً

هجلة ثمانية
علمية أدبية
صناعية
زراعية

لمنشئها
ومحررها
صلاح الدين
المقريزي

أنظر إلى الماضي دون خجل

ماضينا الجليل
ليس عورة لنسترها
ولا جريمة فننكرها

مقتطفات مما كان
يقرأه منذ ١٠٠ عام
جد أبيك
أو جد جدك



تدخين الغليون لوحة من القرن الماضي ..

في هذا العدد

- مستقبل الشرق
- كلمة عاقل
- المعرض الكهربائي في باريز
- لمحات السعادة في فن الولادة

العدد الخامس - أكتوبر / تشرين ١٨٨١م

عزيزي القارىء ..

.. وانظر للمستقبل بلا يأس!!

الطاهر الشاذلى شاب مغربى يدرس فى باريس ، كتب يحتج علينا لاننا ننظر الى الخلف وليس الى الأمام ، ونكتب عن الأمس لا عن الغد ، ونبحث فى الماضى بدلا من التوجه الى المستقبل ، وهو يحذرنا من عثرة القدم التى لابد وان تصيب كل من يسير ورأسه عكس اقدامه ، ويصرخ : لقد عاش العرب يفخرون بالأنساب والاحساب وغزوات الأجداد ، وينوحون على الامبراطورية التى هزمت الفرس وورثت الرومان وداست سنابك خيولها قلب القارة الأوروبية ، ولامست أرض الهند والسند وبلاد تركب الأفيال . فما اغنى الفخر بالأمس العرب عن بؤس يومهم وغموض مستقبلهم ، وتفوق عليهم قوم لا حسب لهم ولا نسب ولا تاريخ ، فحلوا ـ يا عرب ـ عن اقدامكم اغلال الماضى ، ولا تنظروا اليه بخجل او بدونه ، ولكن انظروا الى المستقبل !

ونحن نؤكد للطاهر الشاذلى ان هذه المجلة تدعو للنظر الى الماضى دون خجل ، ليستطيع ان ينظر الى المستقبل بثقة ، فنحن نعلم اننا نعيش فى الخمس الأخير من القرن العشرين ، عصر التكنولوجيا والسبرناتيكا والروبوت والطاقة النووية وصراع الكيانات الكبرى . ولسنا بلهاء لنحاول اقناع الناس بان الناقة أسرع من الطائرة ، او أن ركوب الابل اكثر راحة من ركوب الأوبل .

ونحن نلاحظ ان الجيل العربى الجديد أصبح يضيق بعروبته أرضاً ومناخاً وتاريخاً وانتماء ، والأدلة على ذلك اكثر من أن تحصى ، منها هجرة العقول العربية ، كان وطنها لا يستحقها ، واتجاه السياحة العربية الى أوروبا بكثافة هائلة ، كان المناخ العربى على تنوعه واتساعه ـ لا يرضيها ، وسيادة النمط الاستهلاكى الأوروبى ، واستيراد التقاليد الأوروبية ، والأهم والأخطر من ذلك : الشعور بالنقص تجاه أوروبا ، واليقين باننا لا نستطيع أن نباريهم او نفعل شيئاً دونهم ، باختصار : تنظير التبعية وتبرير الانسحاق !

وهذا التنظير للتبعية ليس جديداً ، وهو لا يحدث مصادفة ، فمنذ بداية الغزو الأوروبى للوطن ، والمحاولات لا تكف لاقناعنا باننا لا نصلح إلا للزراعة والرعى ، أما الصناعة فهى من مهام الشعوب الراقية ، فنحن سلة الحبوب وسلة القطن وسلة اللؤلؤ وسلة النفط ، وكل ما لا يحتاج عقلا ولا يتطلب ذكاء ، أما بعد ذلك فهو مهمة من هم اكثر منا ذكاء واوفر عقلا واقل كسلا ! . ومن الطبيعى مع هذا التقسيم للادوار فى معمورتنا ، أن يقوم الأوروبيون بتوزيع عائد الرفاهية فى الكون ، بالطريقة «العادلة» التى قسم بها القرد قطعة الجبن فى النادرة المشهورة !

وفى ذلك كله كان الماضى مستهدفاً ، فالعرب لا يستطيعون أن يتقبلوا هذا التقسيم للادوار ، إلا اذا لووا جيدهم عن ماض شهد سنابك خيولهم تدوس فى قلب أوروبا ، وتذكروا فقط أن جيوشهم هزمت فى ست ساعات ، فاذا ما نظروا الى ذلك الماضى رأوه بعيون أوروبية : جهلا وتخلفاً وحمقاً وسفاهه ومهارة فى صنع الانشاء لا الأشياء !

ونحن ندعو الطاهر الشاذلى لكى ينظر الى الماضى العربى بعيون عربية ، أنذاك سوف يثق فى المستقبل ويتأكد أن العرب بالتفاؤل مع العالم لا بالانسحاق أمامه ، يستطيعون الانتصار ، حتى لو كانت الحرب ضد التخلف فهم قد انطلقوا من الجزيرة العربية وكانت اكثر أراضى الدنيا جدبا ، فبنوا حضارة عاش الأوروبيون عيالا عليها لزمن طويل ، وحتى لو كانت حرباً ضد كل جيوش أوروبا ، فهم قد حاربوا الصليبيين مائتى عام وانتصروا عليهم وأسروا لويس التاسع !

ويا عزيزى الطاهر الشاذلى : انظر الى الماضى دون خجل ، لتستطيع أن تتقدم الى المستقبل بثقة !

«صلاح الدين المقريزى»

باب المقالات المقتطف

مستقبل الشرق

لبعض رجال العلم والسياسة من الأوربيين ظنون كثيرة فى مستقبل المشرق يفضى اكثرها الى أن الأمم الشرقية قد ألقت مقاليد السيادة الى الأمم الغربية ولن تستردها وتصوبت فى مهاوى الخسف والذل ولن تتصعد منها . ولهم على ذلك دليلان تاخر المشرق الحاضر وقدم أرومة الشعوب القاطنة فيه الداعى الى انحطاطها بقياس التمثيل على غيرها من المخلوقات التى انقرضت أو كادت لما تقادم عهدها . ونحن لا نلتفت الآن الى الثانى من هذين الدليلين لأن الاستقراء فيه ناقص ولم يعدم اضداداً من الافرنج أنفسهم لا يحط رأيهم عن رأى انصاره ولكننا نلتفت الى الأول بعين البصيرة لأنه حقيقة حالنا وله فى نفوسنا وقع عظيم. فاننا والحق يشهد كلما تاملنا فى أحوال المشرق وشعوبه ولغاته يكاد يقضى علينا الأسى لولا تاسينا ولاسيما اذا قابلنا انفسنا باوربا واميركا وقد كادتا تطيران من عالم الوجود ونحن كالحجر الأصم لا نبدى حراكاً . ولكننا اذا قلبنا صفحة واحدة من تاريخهما تقشعت غيوم القنوط من أمام أعيننا وظهرت لنا تباشير شمس الرجاء ورأينا أن شرقنا فى حالته الحاضرة جنة بالنسبة الى ما كانتا عليه منذ قرنين أو ثلاثة . ويا حبذا لو سمحت لنا صحف جريدتنا أن نبين ذلك بما نريد من التفصيل ولكن قد يغنى القليل عن الكثير فننظر الآن نظرة عامة الى فصل واحد من تاريخ الأمم الغربية يدخل فيه احكم حكمائهم واعقل عقلائهم ونعتمد على شهادة كتبهم والفصل الذى اخذناه هو محاكمتهم للحيوانات .

من جملة مظاهر الغباوة التى تسلطت على الأمم الغربية فى ما يسمى بالقرون الوسطى وامتدت الى القرن الماضى محاكمة الحشرات التى تجتاح المزروعات والوحوش التى ترتكب الجرائم . فكانوا يقيمون لها وكيلا يحامى عنها فى المحكمة حتى اذا ثبتت الجناية التى اشتكى عليها بها افتت المحكمة بحرمها ونفيها أو بعقابها .

من ذلك محاكمة الجرذان التى حامى عنها شسنو فى أواخر القرن السادس عشر وفاز بالنصر وهى شهيرة فى الشرائع الفرنساوية . ذلك أن الجرذان كثرت فى أبرشية أوطون بفرنسا فدعيت للمحاكمة واقيم شسنو محامياً عنها ولما لم تحضر قال شسنو ان الدعوى على كل جرذان الأبرشية وبما أنها كلها مشتركة فى

المصلحة وجب أن تدعى كلها للمرافعة فقبل المجلس طلبه واوعز الى خوارنة القرى أن تدعو كل الجرذان للمحاكمة فى يوم معين . ولما جاء اليوم ولم تحضر قال شسنو انها لما كانت قد دعيت كلها من صغيرة وكبيرة لزم لها زمان طويل للتاهب وطلب تاجيل وقت حضورها الى يوم آخر فاجلوه ولكنها لم تحضر فى ذلك اليوم أيضاً فقال شسنو ان على المجلس أن يتكفل بحمايتها وهى آتية اليه وراجعة منه وانها هى لا تود أن تخالف أمر المجلس ولكنها تخاف من قطاط المشتكين عليها أن تفتك بها وهى آتية وراجعة فان تكفل أصحاب القطاط بأن قطاطهم لا توقع بها ضرراً قبل انتهاء المحاكمة فهى مستعدة للمجيء ولما رأى المجلس أن المدعين لا يمكنهم أن يتكفلوا بذلك أجل المرافعة الى وقت غير محدود .

ومنها المحاكمة الآتية وهى أنه فى سنة ١٥١٩ اشتكى رجل اسمه سمعان فلس للقاضى وليم هسلنجن فى تيرون بالنمسا ان جرذان الحقول أضرت بحقوله ضرراً بليغاً فعين رجال المجلس هنس كرنبنر محامياً عن المدعى عليه (الجرذان) وعين المدعى سكوارز منج محامياً عنه وشهد شهود كثيرون أن الجرذان أضرت بالحقول ضرراً بليغاً فخرج الحكم بهذه الصورة «بعد التشكى والمحاماة والتقرير والمعارضة والنظر فى كل ما تقتضيه العدالة صدر الحكم بان الهوام المدعوة جرذان الحقول يتوجب عليها أن ترتحل من حقول ستلف بعد أسبوعين من اعلان هذا الحكم . وأما الحوامل والعاجزات منها لصغرها فيباح لها أن تتاخر أسبوعين آخرين ثم ترتحل . هذا من قبيل محاكمة الحشرات أما محاكمة الوحوش المجرمة فكانت على هذا النمط . يقام للوحش المشكو عليه وكيل يحامى عنه فاذا ثبتت جريمته اقتصوا منه إما قتلا أو حبساً على حسب جرمه وكان أكثر الوحوش تعرضاً للشكوى منها الخنازير والثيران والذئاب . من ذلك أنه حكم على خنزير فى ١٤ حزيران سنة ١٤٩٤ بالقتل معلقاً لأنه خنق ولداً فى سريره وهذه صورة الحكم . اننا بناء على فظاعة هذا الذنب وتبعاً للعدل صدر حكمنا أن الخنزير المشار اليه يعلق ويخنق ... ختم بخاتمنا الخ . وكثيراً ما كانوا يلبسون الحيوان لبس انسان ويقضون عليه وهو على تلك الصورة . ولو شئنا تعداد الأمثلة لذلك لطال بنا المقال فوق الاحتمال . وفى ما ذكر كفاية لاقناع اللبيب أن البشر وان بلغوا الغاية القصوى من الجهل والغباوة لا يلزم عنه بقاؤهم على حالهم وإلا لما نفضت أوربا غبار الجهل عنها أبداً . والتمدن متى تم لقوم لا يصعب مده الى غيرهم فى بضع سنين ألا ترى بلاد يابان وقد كانت غائصة فى أعمق لجج الجهل منذ سنين قليلة أخذت فى هذه الأيام تجارى أوربا وأميركا فى تمدنهما . فلا تيأسن أهالى المشرق فانكم والحمد لله لم تبلغوا خطة أهالى الغرب التى أشرنا اليها ولا يتعذر عليكم مجاراتهم الآن اذا وطنتم نفوسكم على ذلك . كل من سار على الدرب وصل .

كلمة عاقل

عندما حضر الموسيو دلسبس لفتح قنال السويس قدم جملة من اخواننا الوطنيين ورفعوا اليه رقاعاً مكتوباً فيها « عبدكم فقير الحال ولي دراية بفني القراءة والكتابة والتمس الخدمة عند سعادتكم لكي اتحصل على معاشي » فلما قدمت له الرقاع قال إني لأعجب من امه تريد الخدمة والكسب بما هو من ضروريات الانسان وهو القراءة والكتابة واعجب من هذا قولهم فني القراءة والكتابة أيوجد فى هذه البلاد من يقرا ولا يكتب او يكتب ولا يقرا حتى عدوا المتلازمين فنين (التبكيت) إذا كنا لا نحسن النجارة ولا الحدادة ولا الهندسة ولا شيء من الصناعة وتركناها باهمالنا وتغافلنا عنها واقتصرنا على ارسال الأولاد الى كتبة الدواوين يجلسون بجوارهم اعواماً حتى يتعلموا ورد جوابكم والحال لا شك اننا نبكت بلسان هذا العالم الذى قال أن القراءة والكتابة من ضروريات الانسان لا من موجبات الخدمة فى سائر الأمور ولكن نشاتنا الحديثة تؤملنا بتغير الحالة واظهار الفضائل الانسانية وفى الأمة الأمل وبالحكومة العون وعلى الله المتكل .

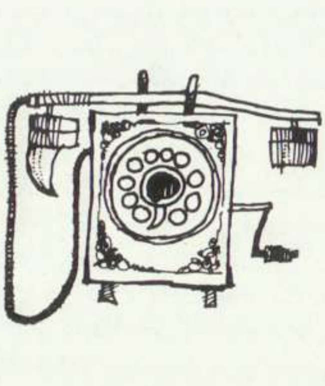
باب الأخبار العلمية

المعرض الكهربائي في باريز

قد كمل المعرض الكهربائى العام ونهار الخميس الماضي فتحت قاعاته الواسعة فى البالي دى اينودستري وازدحمت فيها الوف المتفرجين وفيها كلما يدهش الناظر ويذهله من مخترعات العنصر السري فينشده بحركاتها ويتحير بين مناظرها العجيبة فهناك آلات كثيرة حديثة الاختراع تجرى بلا بخار وتتحرك بغير يد محركة وترسم الخطوط والأشكال بلا راسم أو مخطط وتلغرافات تنقل رسم الخط بعينه بالفاظ مصرحة لا تعقيد فيها ولا ايهام وتلوفينات (آلة لايصال الصوت) متصلة بواسطة سلك تلغرافى ببعض المحلات الشهيرة فى المدينة إذا وضعها الناظر على أذانه سمع كل ما يقال بعيداً عنه ولو كان بصوت منخفض وفى إحدى القاعات فوانيس النور الكهربائي باشكالها المتنوعة وفيها جهاز إذا مسه الناظر تشتعل هذه الانوار جميعها بسرعة البرق ويظهر ضوءها الزاهي كبياض النهار ولا غاز هناك ولا زيت غير حكمة الصناعة ودقة الاختراع وهناك بطاريات من المدافع تقلقل الجبال بلا بارود أو ديناميت بل بقوة تلك الشرارة الكهربائية المحرقة وبالونات تطير نحو الأفق بلا جناحين وسفن تجرى فى المياه بلا مجذاف وساعات تقطع دقائق الزمان بحركات سرية ومنبهات تخبر بما جرى من الحوادث وهناك جميع الأعاجيب الصناعية التى جادت بها فكرة المتفننين فى جميع المسكونة فلكل دولة محل مخصوص تنافس علماؤها بارسال مخترعاتهم اليه ومن الأكثر عجباً ودهشة زيارة هذا المعرض ليلا فيخيل للناظر انه فى قصر من قصور الف ليلة وليلة موشى بالذهب والارجوان تدلت فيه النجوم الفضية والذهبية وطلعت عليه الكواكب الثاقبة وغير ذلك من المناظر البديعة التى لا يفي بوصفها غير العيان (البصير)

نجاح التليفون

لم تشع آلة اسرع مما شاع التلفون فانه انتشر فى كل المسكونة ولم يمر عليه منذ اخترع اكثر من خمس سنوات . وقد ربح صانعوه ارباحاً تفوق التصديق ومما يشهد بذلك ان اثنين اشتريا من شركة التلفون حق الوكالة عنها بثلاثة آلاف وخمس مئة ريال امريكاني فدفعت لهما الشركة الآن مئة وخمسين الف ريال لكي يتنزلا عن هذا الحق فلم يتنزلا . وقد طالت المسافة التى يمكن التكلم فيها بالتلفون تكلما واضحاً فقد تكلم به امام جول فري من ثور الى برث وبينهما اكثر من ٨٠٠ ميل وكان الكلام واضحاً كل الوضوح والمنتظر أن يقوم التلفون مقام التلغراف بعد زمان ليس بطويل .



إعلان

ديوان
أبي الفضل
العباس بن الأحنف
وفي آخره
ديوان ابن مطروح
ثمنه ١٢ قرشاً عثمانياً
يسأل عنه من إدارة الجوائب

نقل الموسيقى بالميكرفون

امتحن نقل الالحان الموسيقية بالمكريفون فى مرسح باريز الكبير فجاء الامتحان وافياً للغرض حتى قالت جريدة لاناتير لا يبعد ان ياتي وقت توزع فيه الالحان الموسيقية على البيوت بالأسلاك كما توزع المياه الآن بالاأنابيب .



آثـــار

فى السنة الماضية بعثت وزارة المعارف في باريز الى بلاد تونس برسالة مؤلفة من معلمي الآثار فاكتشف فيها على ما يترتب عنه متحف بديع فقد وقفت على بقايا هياكل وقطع أصنام وآثار بنايات تياترية وكمية عظيمة من أوان رومانية وعلى أمتعة مركبة من حجارة صغيرة مختلفة الالوان على اشكال رسوم متنوعة ذلك فضلا عما وجدت من الأسلحة والقوارير وقطع معدنية عليها صور مشكلة معروفة من ايام ابتداء تولي القياصرة .

باب التقريظ والانتقاد

لمحات السعادة في فن الولادة

تاليف الدكتور الشهير عيسى بك حمدى حكيم باشا العائلة الخديوية ومعلم الأمراض الباطنة بالمدرسة الطبية المصرية وحكيم باشا الامراض الباطنة بمستشفى القصر العينى . وهو كتاب نفيس جمع فاوعى من كل ما يدخل في فن الولادة. متنه موضح بمئة وستة وستين شكلا بديعاً تشخص كل طرق التوليد والآلات المستعملة فيه وكل ما يتعلق بفن الولادة من اشكال الحوض . وأوضاع الجنين الى وضع ذلك وهو مطبوع فى مطبعة الأهرام الزاهرة بحرف مثل حرف المقتطف . لازالت الدولة المصرية ورجالها العظام ركناً للعربية تهديها افاضل الرجال ونفائس التاليف وتجدد ما اندثر من علوم اهلها وتنقل اليها ما جد عند غيرهم .

كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم

تاليف الوزير الخطير ضياء الدين ابي الفتح نصر الله ابن محمد الشهير بابن الاثير . وهو مبنى على مقدمة وثلاثة فصول فالمقدمة فى ما يحتاج اليه الكاتب وهو على رأي المؤلف (حفظ القرآن الكريم وحفظ ما يقارب حجمه من الاخبار النبوية وحفظ الأشعار الكثيرة والفصل الأول فى حل الشعر والثاني فى حل آيات القرآن والثالث فى حل الاخبار النبوية . وقد نقحه وصحح طبعه الشاعر المشهور الشيخ ابراهيم افندى الأحدب وطبعه الفاضل رفعتلو السيد عبد القادر افندى قباني صاحب ثمرات الفنون فنثني على همتهما خير الثناء وكم فى مكتبة العرب من النفائس التى لا تحتاج إلا كريماً ينفق على طبعها فيخدم بها اللغة واهلها خير خدمة .

باب الاقتـراح والسـؤال

من حاصبيا . يوجد بجانب طريقنا من هنا الى صيدا قلعة كبيرة خربة مبنية على قمة جبل فوق نهر الليطاني فنرجوكم أن تخبرونا من بانيها وما جرى عليها حتى خربت ؟

الجواب . هذه القلعة قديمة ولا يعرف بانوها فالبعض يظنون أن النصارى بنوها كما بنوا قلعة تبنين وصفد والبعض يظنون ان المسيحيين بانوها . وقد اشتهرت فى أيام الصليبيين بما جرى لهم فيها من الحروب مع المسلمين وكل ما يعرف عنها أنها كانت فى يد الافرنج سنة ١١٧٩ ثم حاصرها صلاح الدين الأيوبى فى آخر نيسان ١١٨٩ وكان القائم فيها إذ ذاك رينلد الصيداوي فجاء الى صلاح الدين وعاهده على تسليمها اليه بشرط أن يعطيه فرصة ثلاثة اشهر حتى ينقل عياله وأمواله من صور الى دار أمان . فاجابه صلاح الدين الى ذلك ولما انتهى الأجل حاول رينلد أن يظفر من صلاح الدين باجل آخر فسئم صلاح الدين منه وبعثه مقيداً الى دمشق ورفع الحصار عن القلعة لضرورة ثم عاد فحاصرها حتى سلمت فى نيسان من السنة التالية على شرط تحرير رينلد وخروج حاميتها سالمين كما رواه بهاء الدين .

وفى معاهدة عقدت بين المسلمين والصليبيين سنة ١٢٤٠ ردت القلعة الى الصليبيين فاشتراها الهيكليون مع صيدا فى ١٢٦٠ وامتلكوها الى ١٢٦٨ فهاجمها بيبرس سلطان دولة المماليك بغته وكان قد خرج منها بعض حاميتها قبل مهاجمته لها بيوم فدافع الباقون أياماً حتى وهن عزمهم فسلموا بلا شروط . فاستعبد بيبرس وقومه الرجال منهم وبعثوا بالنساء والأطفال الى صور . ثم رممت وعين لها حامية وقاض وايمة وبنى فيها جامع كما ذكره المقريزى . ثم ذكرها أبو الفرج وغيره وانطفا خبرها من ثم واخنى عليها الدهر بكلكله فصارت أوكاراً للبوم وأوجرة لبنات آوى كما تعهدونها .

(ستاتي بقية المسائل)





عندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ، أحضرت معها العلماء والرسامين ..كانت مهمة الرسامين هي تسجيل كل مظاهر الحياة ، بما في ذلك المهن والحرف المختلفة .. وهذه اللوحة اسمها « مبيض النحاس » وهي حرفة مازالت جذورها باقية فى الأحياء الشعبية حتى يومنا هذا !

باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال

يعقوب صروف
١٨٥٢ – ١٩٢٧

● عالم فى الرياضات والطبيعة والكيمياء وصحفي وأديب . ولد فى لبنان ودرس فى المدرسة السورية (الجامعة الأمريكية ببيروت فيما بعد) ، وبعد تخرجه منها درس بها أحد عشر عاماً .

● خلال تلك المرحلة من حياته ألف في العلوم وترجم كثيراً من الكتب الأدبية ، واشترك مع صديق صباه فارس نمر فى تاليف وترجمة مجموعة من الكتب فى سير الأبطال ومشاهير العلماء .

● كان صاحب أسلوب متميز ، يجمع بين بساطة اللغة العلمية ، وبلاغة الكتابة الأدبية . وقد كتب الشعر ونشر من مؤلفاته (بسائط علم الفلك) و (صور السماء) و (رسائل الأرواح) و (فصول فى علم التاريخ الطبيعي من مملكتي الحيوان والنبات) . وله مجموعة من الروايات التاريخية المطولة منها (فتاة مصر) « ١٩٠٥ » و « فتاة الفيوم » (١٩٠٨) .

● أصدر مع فارس نمر (مجلة المقتطف) وانضم اليها (شاهين مكاريوس) صاحب مجلة (اللطائف) فأصدروا جريدة (المقطم) اليومية ، وكان يعقوب يحرر فى الصحف الثلاثة ، إلا أن جهده الأكبر كان موجهاً للمقتطف .

المقتطف
١٨٧٦ – ١٩٥٢

● مجلة شهرية أدبية علمية صناعية من أشهر وأهم الدوريات الثقافية فى تاريخ الفكر العربي الحديث ، ظلت تصدر ٧٦ عاماً منفصلة .

● صدر العدد الأول منها في يونيو ١٨٧٦ ببيروت ، ونقلت الى القاهرة عام ١٨٧٩ بسبب مضايقات الحكومة العثمانية ، وظلت تصدر منها الى أن توقفت عام ١٩٥٢ .

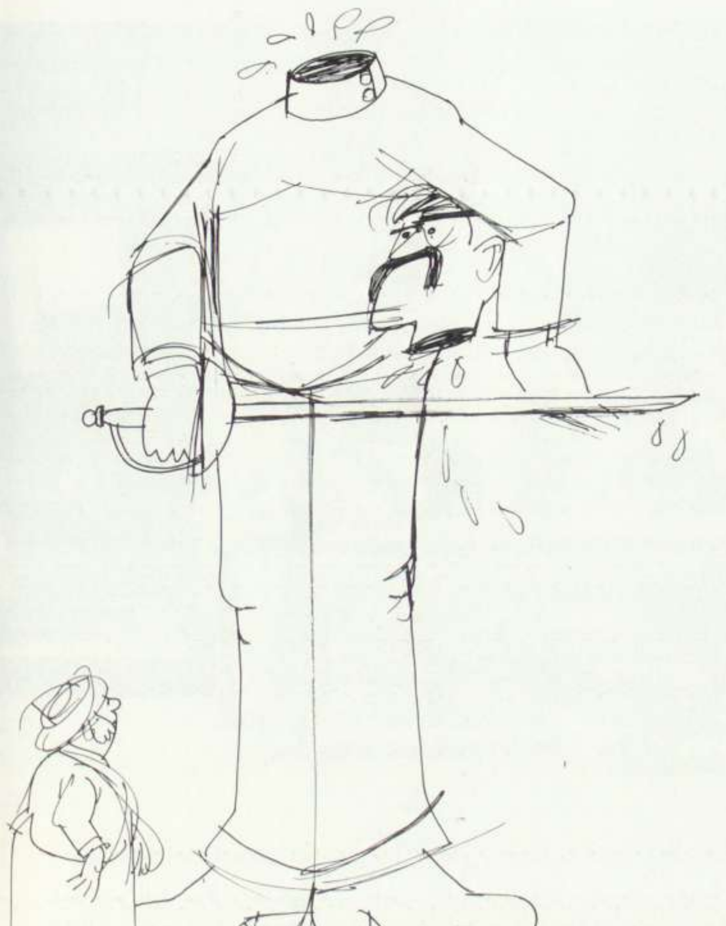
● اهتمت بالدراسات الاقتصادية والتاريخية وبالفلسفة واللغة ، وكانت قراءتها – كما جاء بافتتاحيتها – تتطلب (إمعان نظر .فاذا قرأته قراءة قصة لم تستفد منه شيئاً) .

● رأس تحريرها د. يعقوب صروف حتى وفاته (١٩٢٧) ، وتعاقب على رئاسة تحريرها فؤاد صروف (١٩٢٧ – ١٩٤٤) وبشر فارس (١٩٤٤ – ١٩٤٥) و اسماعيل مظهر (١٩٤٥ – ١٩٤٩) . ونقولا الحداد (١٩٤٩ – ١٩٥٠) و سبيرو الجسري (١٩٥٠ – ١٩٥٢) .

● جمع فؤاد صروف فهارسها فى ثلاث مجلدات صدرت عن الجامعة الأمريكية ببيروت فى السبعينات .

ضحكات الشهر

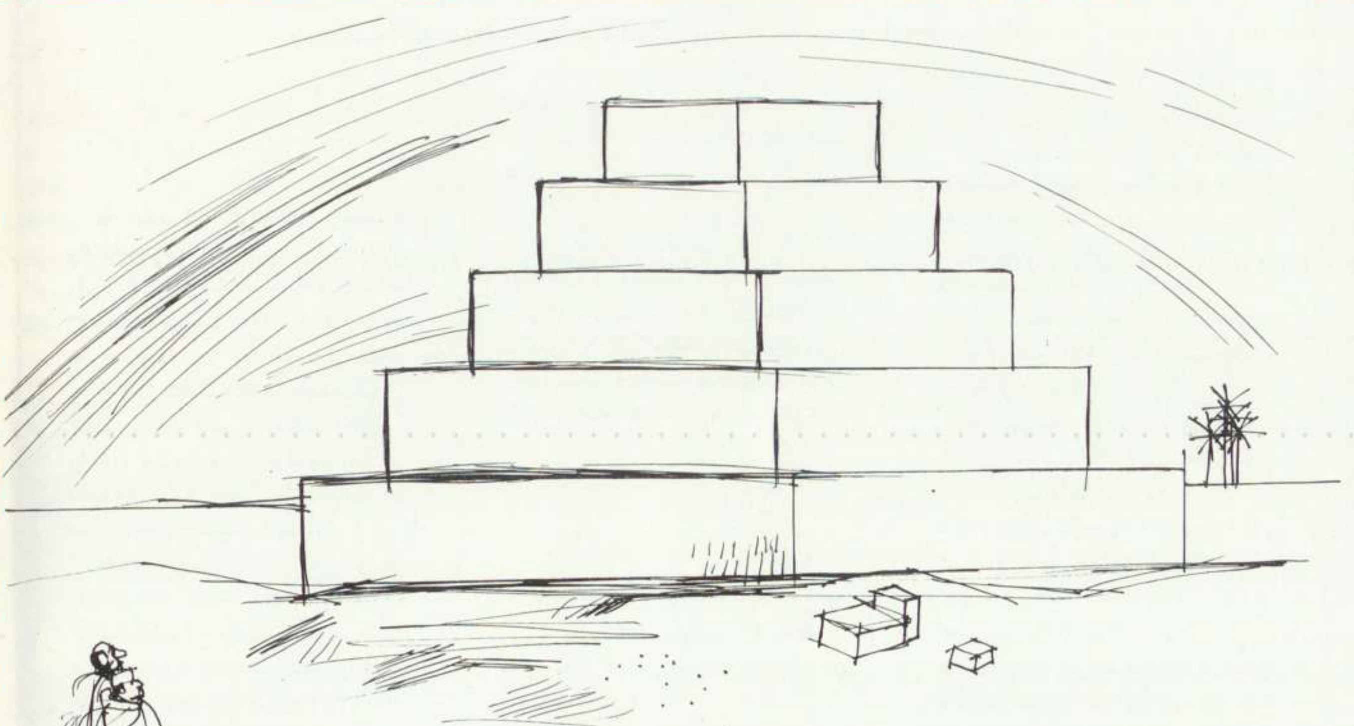




لاعب ـ اعطيني قطنة ومطهر .. !!



فراش ـ .. جعان اجيب لك .. سندوتش فاضي .. ؟!



الهرم ده .. بنوه مدرج للكورة !!


موظف ــ .. عندك اثبات إنك خرتيت ..؟؟


.. بدون كــلام .. !!


ــ المدير قالي .. خد الباب فى ايــدك .. !!


فراش ــ .. أنــا ... الـ (بوى) !!

دوحـــة القــراء

مســابقة الدوحــة

مَن ؟

احد شهداء الاسلام فى العصر الجاهلي الحديث اسمه من كلمتين فى ستة احرف :
٢ ـ ١ ـ ٤ ـ ٥ يقـع
٣ ـ ٦ حيوان ثديي مفترس

أيـن ؟

قطـر عربي اشتهر بالبحارة العباقرة الذين منهم على سبيل المثال ، احمد بن ماجد ، اسم ذلك القطر من أربعة احرف :
٤ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ ليس خشن الملمس

مـا ؟

فن راق عميق التاثير فى النفس البشرية السليمة اشتهر به العرب وفاقوا كل الأمم فى مضماره . اسمه من خمسة احرف :
٣ ـ ٥ ليس خيـراً
٤ ـ ٢ ـ ١ ارتفع وسمـا .

حـل مسـابقـة العـــدد ٦٨

من : الحجـج
أين : تشـاد
مـا : الحبوب
١ ـ الخديو اسماعيل باشـا .
٢ ـ المحيط الأطلنطي
٣ ـ وتفدى بالنفوس الرتبـا
حافظ ابراهيم شاعر النيل
٤ ـ السيروسايت ـ الجالينا
٥ ـ الثـور
٦ ـ تونـس
٧ ـ اللبـن
٨ ـ احمد لطفى السيـد
٩ ـ خطا لأن العناصر لا يتحول بعضها الى بعض بأى ضغط أو حرارة .
١٠ـ ملوك الطوائـف .

الإجـابـة الصحيحـة

١ ـ افتتح متحف قطر الوطني تحت رعاية سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر فى سنة : ١٣٨٥ ـ ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠ للهجرة .

٢ ـ وقعت حرب رمضان (المشهورة بحرب أكتوبر) فى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ (١٠ رمضان ١٣٩٣) وكان ذلك اليوم من الأسبوع هو :
الجمعة ـ السبت ـ الثلاثاء

٣ ـ خلايا الخميرة التى تستخدم فى صناعة الخبز تنتمى الى طائفة :
النباتات وحيدة الخلية ـ الحيوانات الجوفمعوية ـ المعادن الفلزية

٤ ـ نشأ يهود الدونمة (الذين اسهموا فى سقوط الخلافة الاسلامية) فى بلدة :
فيينا ـ أديس أبابا ـ الفيليبين ـ سالونيك

٥ ـ كان الاسم الذى تشتهر به (القدس) عند الفتح الاسلامي هو :
إيليم ـ إيلياء ـ إيلات

٦ ـ « يتكون صخر الجرانيت من فتات تترسب فى قاع المحيط »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

٧ ـ السيف أصدق انباء من الكتب ..
اكمل هذا البيت واذكر اسم قائله ومتى ولمن قاله؟

٨ ـ مؤلف كتاب (القانون) الذى ظل مرجعاً لعلوم الطب الى القرن التاسع عشر الميلادى ولازال الى الآن ، له قيمته العلمية العظمى : هو العالم المسلم العبقرى :
أبو على بن سينا ـ أبو الأعلى المودودى ـ أبو حيان التوحيدى

٩ ـ تتكون الأصداف من مادة :
كربونات الكالسيوم ـ كربونات الباريوم ـ كربونات الحديد .

١٠ـ ورد ذكر الزنجبيل فى القرآن الكريم :
مرة واحدة ـ ثلاث مرات ـ تسع عشرة مرة

أسـمـاء الفائـزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء المعزى العربي صالح ـ المعهد الفني ـ مدينة تونس

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء عادل محمد على النشار ـ العتبة الخضراء ـ القاهرة .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء صديق عبد الله الفكي ـ السودان ـ القطبية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ هنرى ممـدوح البجالي الأردن ص.ب ٢٠٥ مادبـا
٢ ـ بشارة نجيب بيطار أبو ظبي الامارات العربية ص . ب ٢٨٧١
٣ ـ ماجدة باجس على الدوحة ص.ب ١٦٤٨
٤ ـ محمد فائق سورية حلب ـ جامعة حلب مبنى الرئاسة الديوان
٥ ـ طلعت حسن محمد جادالله الوادى الجديد الخارجة شارع مصطفى كامل ـ مصـر
٦ ـ محمد يوسف بابكر صديق السودان وزارة الصحة الرئاسة ص.ب ٣٠٣ الخرطوم
٧ ـ محمد سعيد مسلماني الامارات العربية ص.ب ٦٣٠ أبو ظبي
٨ ـ طارق يوسف النونو السودان رئاسة مجلس منطقة أم درمان قسم المخازن
٩ ـ صلاح الدين عبد العزيز حسن منشية الصدر حارة المزلقان/٢ القاهرة ـ مصـر
١٠ ـ محمد صبيح الرفاعي سوريا ـ دمشق أبو رمانة شارع عطاء الأيوبي فناء ٤٨
١١ ـ نعيمة محمد المناعي البحرين ص.ب ٢٦٦
١٢ ـ زهير محمد الصالح الحجاوى قطرانه سيدى بو زيد ـ تونس

«ما الحياة»

كل انسان يجب أن يحقق شيئاً ما وحده .. شيئاً يعطيه الاحساس بانه قد اصبح فناناً فى هذا المجال كان يكتب ، أو يطير ، أو يغنى ، أو يرسم ، أو يخبز رغيفاً طيباً أو ينظف شارعاً ، أو يزرع شجرة ، .. فهذا الاحساس هو الذى يملؤه بالشعور بانه حي ، ويجعله يستمتع بالحياة .

«أديسون»

بن مولاى بوبكر - المغرب

الميراث الوحيد !

قال رجل الى زوجة صديقه المتوفى : كان زوجك من أعز أصدقائى فأرجو أن تعطينى شيئاً من تركته أحفظه كتذكار صداقة عندى .

فقالت له : للأسف المرحوم مات مفلساً .. ولم يترك من ميراثه شيئاً غيرى !

بشير محمد محمد ابراهيم

قنا - ج . م . ع

(من حكم الفيلسوف نبتشه)

● إذا أردتم بلوغ الذرى ، فتسلقوها بارجلكم ولا تطلبوا أن تحملوا اليها حملا على ظهور الغير ورؤوسهم .

● ليحذر الرجل المرأة عندما يستولى عليها الحب ، فهي تضحي بكل شىء فى سبيل حبها .

● إن من يملك القليل من حطام الدنيا ، لا يناله إلا اليسير من تحكم المتسلطين .

على عبد الله شمخي

مدينة جميلة - العراق

أقوال

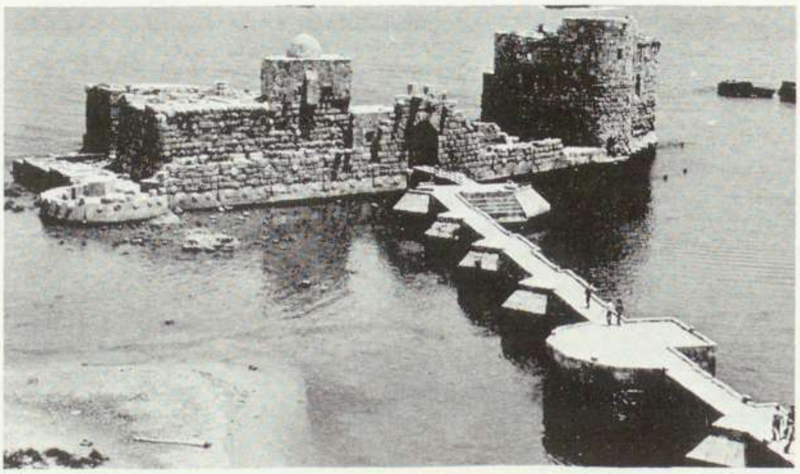
● «لو أن هناك كثيرين يريدون السعادة لأنفسهم أكثر مما يريدون التعاسة للغير لأقمنا فى سنوات قلائل الجنة على الأرض» .

● «ليس الأنانى من يسعى فقط وراء صالحه الشخصى وإنما هو من يتقاضى عن صالح غيره» .

«فرانسيس بيكون»

محمد الأمين حامد - جامعة الخرطوم

حـــاول أن تعـــرف •••



قلعة البحر ، أسسها الصليبيون على صخرة فى البحر تبعد عن الساحل ثمانين متراً تقريبا ، وكان الهدف من بنائها حماية مرفا المدينة ، وتتكون القلعة من برجين الأول ضخم يقع فى الجبهة الغربية وهو برج اسلامي يعتقد انه من عصر المماليك ، والثاني برج متوسط الحجم ، ترى فى أية مدينة عربية تقع هذه القلعة . ومتى تم بناؤها ؟



ولد هذا الزعيم الأمريكي العصامي فى ١٢ فبراير عام ١٨٠٩ ، وقد اشتغل بالمحاماه ، ثم تصدى بشجاعة لقضية التفرقة العنصرية ، أعلن بصراحة أن الشعب الامريكى لا يمكن أن يبقى منقسماً الى قسمين نصفه عبيد والنصف الآخر احراراً ، ومن اقواله المأثورة : «كما أننى لا أرضى أن أكون عبداً لأحد لا اقبل بالطبع أن أكون سيداً لأحد» .. وللأسف تم اغتياله على يد احد العنصريين إبان مشاهدته عرضاً مسرحياً! .

هل يمكنك التعرف على هذا الزعيم ، ومتى تم اغتياله ؟





حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٦٨

الصورة الأولى : مسجد السلطان أحمد فى مدينة اسطمبول بتركيا

فاز بالجائزة :

١ - أحمد عارف الغاني - لبنان

٢ - مويسيي دراجي - الجزائر

الصورة الثانية : جيمس وات حيث اخترع الآلة البخارية

فاز بالجائزة :

١ - مجدى محمد جاد كشك - مصر

٢ - رمضان مفتاح البكوري - ليبيا

عبـــاس خضـــر

الروّاد بهروا الأنظار
ومن تلاهم أنتجوا في صمت !

فى العدد ٦٧ نشرت «الدوحة» رسالة للأديب محمد نصر نوفل عقب فيها على حديث للدكتور عبد القادر القط قال انه نشر بجريدة الأخبار المصرية يقول فيه اننا نحب المبالغة بالنسبة للماضى فنبالغ فى تعظيم الرواد وتلقيبهم بألقاب لا معنى لها ، وضرب مثلا طه حسين وتلقيبه بعميد الأدب ، وتساءل عن معنى هذه العمادة ، وذهب الى انه يوجد جيل من الأدباء أفضل من طه حسين والعقاد والمازنى وأحمد أمين .

وأنكر كاتب الرسالة على القط أن يقول ذلك كل الانكار ...

ورأت «الدوحة» ــ فى تعقيب موجز على الرسالة ــ أن تفتح باب النقاش فى هذا الموضوع .

وأنا لم أقرأ حديث القط ، ولكن يلوح لى مرماه من بعيد . وفى الموضوع أذكر الحقائق التالية ، أو ما أراه حقائق ، ولكل حقيقته :

● ظهر الرواد كمصابيح فى ظلام ، إذ كانت الحياة الثقافية فى شبه ظلام ، فبهروا الأنظار بما هو غير مألوف لمعاصريهم ، أثاروا حولهم غبار الفرسان الغزة ، وجاء بعدهم جيل تأثر بهم وعمل فى صمت ، وجد فى التأصيل والتثبيت . لم يكن دور هؤلاء أقل شأناً من دور الرواد ، إن لم يكن فى الحقيقة أعظم ، وإن كان حظ الرواد من التاريخ والاشادة أكبر ، فقد بزوا الأوائل فى عمق التعبير والغوص على جواهر النفوس وأصدافها .

● مثلا ــ كانت رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل رائدة لفن الرواية العربى الحديث ــ ووقفت شامخة كمعلم من معالم التاريخ الأدبى . ولكن أين هى ــ من الناحية الفنية ــ مما جد بعدها من روايات ؟ أخشى أن أذكر بعض الأسماء دون بعض ، فروائيونا كثيرون جداً فى مصر وفى سائر الوطن العربى ، والمجيدون منهم ليسوا قلة ، ويقتضى الانصاف أن يكونوا فى مصاف العالميين .

● ومثلا أيضاً ــ كانت نظرات طه حسين النقدية ، وكذلك أفكار العقاد والمازنى ــ كانت رائدة ، وإن كان معظمها أو كلها نقلا من الغرب ، ثم جاء بعدهم نقاد امتازوا بالأصالة والموضوعية ولكنهم لم يأخذوا حق الأولين من نباهة الذكر ، على حين أخذ الأولون أكثر من حقهم .

ولدينا اليوم من يذكر المعارك الأدبية التى كان يخوضها الرواد ، ويبكى متحسراً عليها ، وأنا أحمد الله على وفاتها .. كانت معارك شخصية تسودها الشتائم والسباب وبلغ الأمر التعريض بالعاهات ــ اذ كان مصطفى صادق الرافعى يقول وهو مشتبك مع طه حسين : وما أنت بهادى العمى ! ويقول هذا لذاك : انك لا تسمع الصم ! كان الرافعى أصما .

وقد ألف الرافعى كتاباً فى سب العقاد ، اسمه «على السفود» والسفود هو ما يشوى عليه اللحم ، وما شوى المؤلف إلا نفسه ، وإن كان لم يذكر اسمه على الكتاب تجنباً للوصف بالبذاءة .

وثمة كتاب مشهور اسمه «الديوان» ألفه العقاد والمازنى وملآه بهجو شوقى وحافظ بما يشبه مضمون «على السفود» وسمى المؤلفان وانصارهما «مدرسة الديوان» نسبة الى هذا الكتاب ، وهى نسبة لا تشرف ..

وجاء بعد هؤلاء نقاد تعففوا عن مثل ذلك ، منهم سيد قطب (فى عهده الأول الأدبى) ومحمد مندور وكثير غيرهما ، ونشبت بين هؤلاء معارك أدبية كانت أكثر جدوى وموضوعية ، أذكر منها معركة الشعر المهموس بين مندور وقطب .

● من توفى من الجيل التالى للرواد أشيد به ، وكان فى حياته لا يجد كلمة طيبة تقال فيه . وأذكر بهذه المناسبة نكتة لأم كلثوم ، إذ قال أحد الشعراء أمامها أنه يود أن ينال ما يستحقه من التنويه والشهرة ، فقالت له : «لما تموت !» .

● اشتهر معظم الرواد باشياء خارجة عن الأدب ، طه حسين بكفاحه كرجل كفيف استطاع أن يسافر الى أوربا ويتعلم فى جامعة السوربون ، ثم كانت الشهرة الكاسحة بكتاب «الشعر الجاهلى» الذى حاد فيه عن جادة الدين .

واشتهر العقاد بأنه كاتب الوفد وبمقالاته الحزبية ، ثم بسجنه لسب الذات الملكية ..

● الجيل التالى عكف على الانتاج دون افتعال ، والانتاج الجيد وحده لا ينفع صاحبه فى بلادنا ولا ينيله ما هو أهله .

● الذين يشيدون بالرواد ويستهينون بمن تلاهم ، لم يقرؤا لهؤلاء كما ينبغى ، على حين سمعوا عن الأولين ما أحاط بهم من تهويل وأساطير .

● من كان مثلى مخضرماً ، رأى ما رأى ، ثم قرأ المبالغات والتهويلات ، يجعله هذا يتشكك فيما يتضمنه التاريخ : الأدبى والعام ، وخاصة ما ينسب الى الأعلام .

● ذكرت بعض السلبيات دون الايجابيات ، ولست غافلا عن الثانية ولا منكراً لها ، ولكنه رد الفعل ...


PEPSI



من وحي الطبيعة .. للفنان المصري: حسين الم

السنة السادسة العدد ٧١ ـ محرم ١٤٠٢هـ ـ نوفمبر ١٩٨١م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- في ذكرى كربلاء العظيمة : بقلم خالد محمد خالد
- قصيدة جديدة للدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الحياة والموت في بحر ملوّن




بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧١ - نوفمبر/تشرين ثاني ١٩٨١ م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي :
المجلة ـ الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر	٤ ريالات
البحرين	٢٥٠ فلسا
الامارات العربية	٤ دراهم
عمان	٢٠٠ بيسة
الكويت	٢٥ فلسا
السعودية	٤ ريالات
الجمهورية اليمنية	٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية	٢٥٠ فلسا
العراق	٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية	٢٠٠ فلس
سوريا	٢٠٠ قرش
لبنان	٢٠٠ قرش
مصر	١٥٠ مليما
ليبيا	٣٠٠ درهم
السودان	٢٠٠ مليم
تونس	٣٠٠ مليم
الجزائر	٣ دنانير
المغرب	٣ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن راى الوزارة أو المجلة

في هذا العدد

د. غازي القصيبي



محمد الفهد العيسى



عبد الله جفري



د. جابر الأنصاري



محمد فتحي



نبيل الألفي



●● أرجو أن يقرأ وزراء الثقافة العرب هذا المقال قبل أن يجتمعوا غدًا في بغداد ●●

مشكلة عاجلة اسمها:

الأمن الثقافي العربيّ

بقلم

رجاء النقاش

غداً وبالتحديد يوم ٢ نوفمبر ١٩٨١ م ، يعقد وزراء الثقافة العرب اجتماعاً هاماً لهم في بغداد . وسوف يعالج هذا الاجتماع عدداً من القضايا الأساسية التى تهم الثقافة العربية فى المرحلة الراهنة .

وأود بمناسبة هذا المؤتمر الهام أن أضع أمام وزراء الثقافة العرب مشكلة دقيقة لم تكن ـ حتى اليوم ـ موضع بحث أو دراسة فى أي مؤتمر من المؤتمرات الثقافية الرسمية أو الشعبية .

هذه المشكلة هي ما أسميه بالأمن الثقافي العربي .

فنحن نتحدث كثيراً عن الأمن العسكري للوطن العربي ، ونتحدث عن الأمن الغذائي ، ولكننا لم نتحدث أبداً عن الأمن الثقافي ، ولم ننظر الى هذا الأمن نظرة اهتمام وتقدير . بل لم نطرح على أنفسنا مشكلة بهذا الاسم على الاطلاق .

وإذا كان الأمن العسكري يعني حماية الأرض العربية ، وإذا كان الأمن الغذائي يعني حماية الانسان العربي من الجوع أو من مشكلات الغذاء التى تتزايد يوماً بعد يوم ، فان الأمن الثقافي يعني حماية العقل العربي من الضياع ، وحماية عقل الأمة أمر لا يقل خطراً عن حماية الأرض أو حماية الطعام ، بل أن الأمة التى يضيع عقلها أو يتبدد أو يتعرض للخطر ، لا يمكن أن تجد معنى بعد ذلك لحماية الأرض أو حماية لقمة الخبز ، لأن ضياع عقل الأمة معناه ضياع الأمة نفسها بأرضها وخبزها ومائها وكل ما فوقها من آثار الطبيعة أو آثار الانسان .

وللأسف فان مشكلة « الأمن الثقافي » فى الوطن العربي قائمة بصورة عنيفة ، ولكننا لم نلتفت إليها رغم تفاقم أعراضها يوماً بعد يوم ، ولم نعمل أبداً على حل هذه المشكلة

مشكلة عاجلة اسمها:

الأمن الثقافي العربيّ

بالصورة التى تتناسب مع أمة حية متحضرة. والحقيقة أننا أمام مشكلة يجب ألا نتهاون فى وصفها وعلاجها، وبدون أن نستخدم أية ألفاظ ضخمة تعتمد على المبالغة أو الاثارة، فاننا نقول إن هذه المشكلة خطيرة، وأنها تهدد العقل العربي تهديداً كاملا واسع النطاق.

وحتى لا نتوه فى المقدمات، فلنبدأ برصد ظواهر هذه المشكلة التى نسميها باسم مشكلة «الأمن الثقافي»، وأول مظاهر هذه المشكلة هو ما أصبح معروفاً باسم «تزوير الكتب» وقد أصبح لهذا التزوير مؤسسات كاملة تقوم به فى بيروت وغير بيروت، دون أن يصدر قانون عربي واحد يعاقب مؤسسات التزوير هذه على ما ترتكبه من جرائم فى حق العقل العربي والثقافة العربية، إننا نعاقب الذى يزور الأوراق المالية، وتضع الدولة القوانين التى تدفع بمثل هذا النوع من التزوير إلى القضاء والسجن، ونعاقب أى نوع آخر من أنواع التزوير، إلا التزوير الثقافي فهو حر طليق، وأصحابه أحراراً طلقاء، بل هم ناعمون فيما يكسبونه من ثروات طائلة من وراء هذه المهنة التى لا يطاردها أي قانون عربي فى أي مكان حتى الآن، والتى ينظر إليها الجميع فى ابتسام وسخرية، ويمرون بها مر الكرام، ولا يجدونها موضوعاً للبحث والمناقشة ووضع الحدود والقيود عليها حتى تتلاشى وتنتهي من الساحة الثقافية العربية.

إن مؤسسات تزوير الكتب تصدر كل يوم آلافاً من النسخ المزورة لمختلف الكتب الحديثة والقديمة، ورغم أن هذه المؤسسات قد بدأت وانتشرت فى الوطن العربي منذ أكثر من عشرين سنة، إلا أن أحداً لم ينهض حتى الآن لوضع حد لهذه الجريمة التى يتم ارتكابها كل يوم بأعصاب هادئة باردة، وهي جريمة أصبحت مألوفة ومعروفة، وأصبح الذين يرتكبونها يشعرون بالأمان الكامل، ويفتحون لها مكاتب علنية ويضعون عليها اللافتات البراقة، بغير خجل أو حياء، ويجمعون الثروات الطائلة من وراء عملية «تزوير الكتب» هذه جهاراً نهاراً، دون أن يجدوا من يحاسبهم، أو يطالبهم بالتزام الحدود الأخلاقية والقوانين المشروعة لعملية نشر الكتب وإصدارها.

لقد كان للتقدم الذى حققته الطباعة الحديثة أثر كبير فى ترويج عملية التزوير هذه، حيث أصبح من السهل عن طريق ما يسمى باسم «طباعة الأوفست» اختصار عملية الطباعة، بحيث يمكن طبع أى كتاب بسهولة ويسر، بشرط أن يكون هذا الكتاب مطبوعاً من قبل، فاذا كان هناك على سبيل المثال كتاب سبق طبعه فى القاهرة أو بغداد أو دمشق أو تونس، بكمية لا تتجاوز خمسة آلاف نسخة مثلا، فان تجار التزوير الثقافي، سرعان ما يطبعون من نفس الكتاب عشرين ألف نسخة أخرى، بتصوير الأصل المطبوع كما هو، ثم يطرحون النسخ المزورة فى الأسواق، فتختلط بالنسخ الأصلية، وتصبح الأسواق الثقافية مكدسة بالكتاب، مما يصعب معه إعادة طبعه، وينتج عنه ضياع كامل لحقوق المؤلف، هذه الحقوق التى كان من الممكن لو وجدت من يضمنها أن تخلق نهضة كاملة فى الحركة الثقافية والفكرية العربية، لأن نشاط حركة التوزيع للكتاب العربي، يعنى مزيداً من التفرغ والاجادة والعمق بالنسبة للمثقفين، ويعنى ظهور طبقة من رجال الفكر والعلم والأدب والفن يستطيعون أن يعيشوا على انتاجهم ويبدعوا فيه، فتنهض الأمة بنهوض رجال العقل فيها، ويتمكن رجال العقل هؤلاء من تحقيق استقلال اقتصادي يساعدهم على مزيد من العمل والانتاج والابداع، أما الوضع الراهن الذى يشهد زيادة ملموسة فى نسبة القراءة بين المواطنين العرب نتيجة لاتساع التعليم وازدياد عدد الجامعات العربية، وخروج آلاف من المتعلمين كل عام من هذه الجامعات ... أقول إن الوضع الراهن الذى يشهد نشاطاً وزيادة فى نسبة القراءة العربية كان لابد أن يعود على المفكرين والحركة الفكرية نفسها بالخير العميم، ولكن الذى يحدث هو أن الخير كله يعود على طبقة من التجار نشأت فى السنوات الأخيرة لا هم لها إلا امتصاص القارىء وسرقة حقوق المؤلفين والمثقفين، بحيث تحول أصحاب العقول إلى طبقة من الفقراء العاجزين عن التفرغ لعملهم الفكري، والعاجزين عن حضور مؤتمرات علمية هنا أو هناك فى شتى أنحاء العالم، والعاجزين عن شراء مراجع تناسبهم ويحتاجون إليها لاستمرار عملهم الفكري والابداعي، بينما أصبح الذين يتاجرون بالعقل والانتاج العقلي، يملكون أكبر الثروات، ويعيشون على أعلى المستويات الاقتصادية لا في الوطن العربي وحده بل في العالم كله، وأعرف عدداً من هؤلاء الناشرين المزورين، بدأوا من الصفر، وفى سنوات قليلة أصبحوا يملكون قصوراً فى أوروبا وأمريكا، وأصبحوا

● طبقة خطيرة من الذين حصلوا على الثراء غير المشروع عن طريق تزوير الكتب

« زبائن » دائمين على موائد القمار فى « مونت كارلو » أو فى « بـلاي بوي » فى لندن ، بينما نجد مفكرين كبارا يتوارون من شدة ضغط الحاجة عليهم ، وقلة ما يعود إليهم من عرق أفكارهم وعجزهم عن التفرغ للعطاء الصحيح ، فالعالم الأديب الدكتور جمال حمدان ، يعيش كريماً على نفسه وعقله وضميره فى القاهرة ، ولكنه يعيش فى ضنك ويعاني من ضيق ذات اليد وهو النابغة اللامع صاحب الانتاج الفكري الأصيل المتنوع كماً وكيفاً ، بينما تتعرض كتبه للتزوير ، وتباع بالآلاف فى أسواق « النخاسة » الفكرية والثقافية ، ويكسب من ورائها تجار العقل والفكر من المزورين أموالا طائلة يصرفونها على الهوى والعبث وموائد القمار فى ليالي لندن وباريس وأمريكا ، ولقد زرت الكاتب الكبير ابراهيم المصري فى أواخر أيامه فى شقته المتواضعة فى مصر الجديدة ، فوجدت الرجل وقد تجاوز السبعين يعيش على الكفاف ، حياة لاتليق بعمره ولا بكفاحه الثقافي الطويل ، ولا بعدد الكتب التى ألفها والمقالات التى كتبها ، كل ذلك فى الوقت الذى كانت كتبه ـ ومازالت ـ تتعرض للتزوير بآلاف النسخ وتباع فى الأسواق ليعود ربحها إلى طبقة المزورين من تجار العقل والفكر والثقافة .

وزرت أيضاً فى القاهـرة الكاتب الكبير على أدهم وكان قد تجاوز الثمانين قبل وفاته فى العام الماضى ، فاذا به هو الآخر يشكو من أنه لا ينال شيئاً من عائد كتبه العديدة والعميقة ، ومن جهاده الثقافى الذى استمر أكثر من ستين عاماً متواصلة ، بينما كان الرجل يسمع ويقرأ أن كتبه الثمينة تتعرض للتزوير ذات الشمال وذات اليمين .

ولا بأس من الاستطراد قليلا هنا للكشف عن خطورة ظاهرة تزوير الكتب هذه وأثرها السيىء على الحياة العقلية العربية .. وأذكر أن إحدى دور النشر المحترمة فى مصر ، والتى كانت تقيم تعاملها مع الكتاب والمثقفين على أساس من الأمانة والدقة ، قد تعرضت لأزمة وكساد كبيرين وكادت تنفض يدها من نشر الكتب الثقافية والأدبية وتقتصر على نشر الكتب المدرسية ، وذلك بسبب اتساع حركة التزوير فى منشوراتها الفكرية والفنية ، فاذا أصدرت هذه الدار ـ مثلا ـ رواية لنجيب محفوظ ، فان هذه الرواية سرعان ما تتعرض للتزوير ، ويصبح المطروح منها فى الأسواق العربية كميات كبيرة جداً ، بحيث لا تستطيع دار النشر الأصلية ، أن تطرح الرواية التى طبعتها فى الأسواق ، فان طرحتها ، لم تجد الرواية رواجاً ، ولم تحقق نجاحاً من أي نوع ، لأن عملية التزوير ، قد سبقت واستولت على القراء والأسواق ، وفي ذلك ضرر بالغ لدار النشر الأصلية ، ولكن الضرر الأكبر إنما يلحق بالكاتب ، فبدلا من أن يحصل الكاتب على حقوقه الصحيحة التى تعود عليه من انتشار كتبه ، فان عملية التزوير تأكل هذه الحقوق وتقضى عليها تماماً ، فاذا كان الناشر الأصلي قد طبع خمسة آلاف نسخة من الرواية فان الناشر الذى يقوم بالتزوير يطبع عشرين ألف نسخة ، ولا يستطيع الكاتب أن يحصل على حقوقه عن الآلاف المزورة ، بينما تتعثر الطبعة الأصلية بسبب إغراق السوق بالنسخ المزورة .

وأذكر فى هذا المجال أيضاً أن احد الناشرين الذين احترفوا عملية التزوير على نطاق واسع ، قد زار القاهـرة والتقى بكاتب وفنان كبير ، وقد حضرت هذا اللقاء بالصدفة لأنني كنت فى زيارة لهذا الكاتب الكبير فى مكتبه ، وسمعت ماقاله الناشر الذى يقوم بتزوير مؤلفات الكاتب الكبير .. سمعت ماقاله هذا الناشر للكاتب وأنا فى دهشة ، بل فى ذهول ... قال الناشر للكاتب : لقد نشرت لك عدداً كبيراً من الكتب بدون إذنك ، وبطريقة التزوير هذه ، وقد كسبت من وراء هذا التزوير مبالغ طائلة ، وأريد أن أقدم إليك بعض المال الذى كسبته من وراء كتبك . وتردد الكاتب الكبير فى البداية ، لأنه كان يرفض عملية التزوير رفضاً قاطعاً ، كما كان يريد أن تكون العلاقة بينه وبين ناشريه علاقة قانونية مبنية على أسس سليمة ، وقال الناشر بغير خجل للكاتب الكبير : أنت ليس لك حقوق قانونية عندي ، وإذا قبلت المبلغ الذى أعرضه عليك أو لم تقبله فأنت حر .. إننى أعمل خارج القانون وفوق القانون ، ولا أحد يستطيع أن يحاسبني ، فأنا أطبع من كتبك ما أشاء ، ومخازني التى أحفظ فيها هذه الكتب سرية لا تصل إليها يد قاض أو شرطي ، وأسواقى التى أبيع فيها الكتب حرة ـ بالرشوة والنفوذ الاقتصادي الذى أملكه ـ من كل ضريبة أو قيد أو رقابة ، والكميات التى أطبعها تخضع لارادتي وحاجة السوق التى لا تشبع ، فالقاريءالعربي قد زاد وأصبح راغباً فى القراءة مقبلا عليها أشد الاقبال ، وأنا أقوم بتوزيع كتبك فى شتى أنحاء الأرض بغير رقيب ولا حسيب ، وما تقدمت إليك بهذا المبلغ إلا من باب التعاطف معك أو العطف عليك .. وإذا لم تقبل هذا المبلغ مني فلن تستطيع محاسبتي ، وأنا غير مسئول أمامك أو أمام آخرين .. وخير لك أن تقبل هذا المبلغ مني ، وخير لك أن ترضى به .

وقبل الكاتب الكبير الأمر الواقع ، واستمر الناشر فى عملية التزوير ومازال يقوم بها حتى اليوم .

وناشر آخر يقوم بنشر مؤلفات كاتب عربي نال شهرة واسعة فى السنوات الأخيرة ، وأصبحت كتبه تبيع عشرات الألوف كل عام ، ولا أحب أن أذكر اسم هذا الكاتب الآن لأنه ينوي أن يدخل فى معركة قضائية ضد ناشره ، وأنا لا أريد أن أقطع عليه طريق القضاء ، وأخشى إن ذكرت اسمه علناً أن

مشكلة عاجلة اسمها :

الأمن الثقافي العربيّ

يسارع الناشر الذى يقوم بتزوير كتبه الى رفع قضية ضده وضدي ، وعملا بالنظرية المعروفة التى تقول إن الهجوم أسلم وسائل الدفاع » .

... قال لي هذا الكاتب الكبير يوماً : إننى كرهت الكتابة ولم أعد أرغب فى أن أمسك بالقلم مرة أخرى ، بسبب هذا الناشر الذى يقوم بتزوير كتبي وأعمالي الأدبية .. إنه يكسب من أعمالي أموالا طائلة ، وأنا لا أنال منها شيئاً على الاطلاق ، وكلما حاولت « محاسبة » الناشر اقتصادياً ، أظهر لى أوراقاً زائفة ، بل إنه إذا طبع الطبعة الخامسة من كتاب لي ، عاد فأصدر الطبعة السادسة ، وكتب عليها « الطبعة الرابعة » ... وهكذا .. لا محاسبة ولا مراقبة فى سوق التزوير الذى يتعرض له الكتاب العربي . وهذا الناشر بالذات ، بدأ عمله منذ خمسة عشر عاماً على التقريب ، وقد بدأ من الصفر ، وسرعان ما أصبح من أصحاب الثروات الطائلة ، وأصبح صاحب بيوت وثروة واسعة فى أمريكا وعواصم أوروبا المختلفة ، أما صاحبنا الكاتب الفنان الذى نال أعلى درجات الشهرة والنجاح الأدبي فى السنوات الأخيرة ، فهو يسعى فى الأرض ، تعباً وعرقاً ، بحثاً عن قوته وقوت أولاده ، وحرصاً على أن يجد مستقبلا متواضعاً فيه بعض الأمان و « الستر » له ولأهله كما نقول فى لغتنا الشعبية .

وما أكثر النماذج والمآسي التى يمكن أن نرويها عن التزوير والمزورين .

ولو أننا قارنا ما يحدث فى أسواق الثقافة العربية بما يحدث فى الغرب ، لوجدنا الفارق الكبير فى « الأمن الثقافي » بيننا وبين الآخرين .. ففى أواسط الخمسينات ظهر الكاتب الانجليزي « كولن ولسن » بكتابه الأول « اللامنتمي » ، وقد نجح هذا الكتاب نجاحاً كبيراً ، فاستطاع الكاتب أن ينتقل من حياة الفقر والتعاسة التى كان يعيشها الى حياة لائقة ، واستطاع من دخل كتابه الأول أن يتفرغ لعمله الفكري والفني وأن يواصل الانتاج وخلال مايقرب من ربع قرن .. بغير خوف أو اضطراب أو احساس بالضياع ، ذلك لأن « كولن ولسن » قد نال حقه عن كل نسخة بيعت أو تباع من كتبه المختلفة ، منذ كتابه الأول إلى الآن . وهناك أيضاً « دينس هيلي » صاحب رواية « الجذور » الشهيرة ، لقد انتقل هذا الكاتب من وضع الى وضع بعد نجاح « الجذور » ، وأصبح الآن كاتباً متفرغاً لقلمه ، لا يعاني من أي ضغط ، وهو يهيىء نفسه للكثير من الانتاج الجديد ، الرفيع ، لأنه استطاع أن يحصل على كافة حقوقه من خطوته الأولى الناجحة : « الجــذور » .

والمطلوب الآن من وزراء الثقافة العرب فى اجتماعهم فى بغداد أن يتخذوا قراراً واضحاً ضد عملية « التزوير » هذه ، وأن يمنعوا الناشرين المزورين من أن يكون لهم أي حق فى دخول الأسواق العربية ، وأن يضعوا قائمة سوداء بهؤلاء الناشرين ويوقفوا التعامل معهم ويطاردوهم فى كل مكان .

ومثل هذا الموقف وحده هو الذى يجعل الحركة الثقافية العربية تعيش فى مناخ صحي سليم ، يؤدى إلى ازدهار ثقافي حقيقي فى الانتاج والتأثير الفكري للمفكرين وكتبهم ، فلسوف يترتب على مثل هذا القرار الذى يطارد التزوير ويوقفه أن توجد عندنا طبقة من المثقفين والمفكرين المبدعين القادرين على التفرغ لارساء أسس صحيحة من النهضة الثقافية العالية .

ومن الغريب أن كتابنا العرب الذين تمت ترجمة أعمالهم إلى لغات أجنبية أخرى ، ينالون كل قرش لهم فيه حق عن هذه الترجمات ، وهم ينالون ذلك بدون عناء أو معاناة أو حتى مطالبة بحقوقهم ، ذلك لأن النظام الثقافي الغربي — والاعتراف بالحق فضيلة — إنما يقوم على أساس سليم من الأمن الثقافي الكامل وإعطاء الحقوق لأصحابها بغير نقص أو تقصير .

● أدباء وكتاب نابغون يعانون أشد المعاناة وكتبهم تكسب بالآلاف وتبني القصور لمؤسسات التزوير الثقافية !

● الآثار العربية في كل مكان تغرق .. تغرق .. فمَنْ لها قبل الضياع ؟

● المخطوطات العربية بالملايين في المكتبات الأجنبية .. وأرضنا منها خاوية ولا نعرف عنها شيئاً على الإطلاق

● ارتفاع جنوني في سعر الكتاب يهدد بانقراض ظاهرة القراءة وتحوّل الكتاب إلى سلعة "أرستقراطية" لا يملكها إلا من لا يحتاجون إليها !

على أن مشكلة « الأمن الثقافي » لا تقتصر على موضوع تزوير الكتب ، وإن كان هذا الموضوع فى تصوري ، يقف على رأس القائمة ، ويعمل عمله الفاسد الخطير فى تشويه المناخ الثقافي العربي تشويهاً بالغاً ، ولكن مسألة الأمن الثقافى تحتاج الى نظرة أخرى فى ميادين متعددة ، يمكن إجمال بعضها فيما يلي :

١ ـ لقد ازدادت أسعار الكتب وارتفعت بصورة خطيرة ، ويكفي أن أذكر نموذجين اثنين ، أولهما « الموسوعة العربية الميسرة » التى كانت تباع منذ أقل من عشر سنوات بثلاثة جنيهات ، وأصبحت تباع الآن بأربعين جنيهاً أو أكثر ، ومجموعة « قصة الحضارة » التى أشرفت على ترجمتها الجامعة العربية وكانت تباع منذ أقل من عشر سنوات « وقد بلغت مجلداتها حوالي ثلاثين مجلداً » بحوالي عشرين جنيهاً . وهي الآن تباع بمائة وخمسين جنيهاً .

هذا الارتفاع الجنوني فى أسعار الكتب يجب أن يتم إيقافه بقرار من وزراء الثقافة العرب ، لأن الكتاب ـ وهذه قضية مفروغ منها ـ سيظل هو أساس الثقافة وأداتها الأولى الفعالة التى لا تغنى عنها أية أداة أخرى ، وإذا كان الكتاب العربى يحتاج الى دعم ومساندة فيجب أن يتوفر هذا الدعم من جانب المؤسسات الثقافية العربية الرسمية ، فالكتاب لا يقل عن الغذاء الذى تقوم المؤسسات الرسمية بدعمه حتى لا ترتفع أسعاره بشكل يصعب على المواطنين معه أن يحصلوا على القدر الكافي من طعامهم .. كذلك الكتاب فانه يحتاج إلى الدعم ، وإلا فسوف يأتي يوم يصبح فيه الكتاب سلعة «ارستقراطية» لا يقدر على الحصول عليها إلا طبقة محدودة من الأثرياء الذين لا ينتفعون بهذه السلعة الثقافية ، أو يتحول الكتاب إلى سلعة تشتريها المؤسسات الحكومية لتضعها فى مخازنها ، ولا ينتفع بها القاريء الحقيقي .

ولابد من قرار يتخذه وزراء الثقافة العرب لايقاف الارتفاع الجنوني فى أسعار الكتب بهذه الصورة التى سوف تؤدى إلى تحويل عملية القراءة الى عملية مستحيلة .

٢ ـ هناك قضية أخرى بالغة الخطورة تستحق وحدها بحثاً طويلا مستقلا ، هي قضية المخطوطات المبعثرة فى مكتبات العالم فى أوروبا وآسيا وأمريكا ، إن هناك ملايين المخطوطات العربية فى تركيا وهولندا وألمانيا وانجلترا وفرنسا والهند وروسيا والولايات المتحدة ، ولم نفكر حتى الآن فى اصدار قرار جماعي عربي لاستعادة هذه المخطوطات الهامة بالطرق العلمية الحديثة مثل « الميكروفيلم » وغير ذلك ، وهذا قرار يتصل بالأمن الثقافي أعمق الاتصال لأنه يعالج وضعاً محرجاً وجارحاً لضميرنا الثقافي على أعنف صورة .

٣ ـ وقضية خطيرة أخرى ـ واعتذر عن تكرار كلمة خطيرة فأنا لا أرى غيرها وصفاً صائباً لما نعاني منه ... أقول قضية خطيرة أخرى هي قضية سرقة الآثار العربية ، فقد أصبح هناك عصابات دولية تسرق آثارنا ، فرعونية أو بابلية ، أو آشورية ، أو عربية ، من كل موقع لنا يمتد من الخليج الى المحيط .. فكيف نحمي هذه الآثار ، ونسترد المسروق منها ، ونعيد إلى أرضنا هذه الثروة الكبرى ، ونمنع ما بقي منها فوق الأرض من الضياع والتبديد .. تلك قضية أخرى من قضايا الأمن الثقافي تحتاج الى قرار من وزراء الثقافة العرب وتحتاج الى حزم وتدبير ، لكى لا نجد أنفسنا « عراة » حتى من تاريخنا الحضاري برموزه الأصيلة ، التى يسرقها الآخرون دون أن يكون لنا سوى موقف المتفرج الذى كأنه عن المشكلة غريب لا علاقة له بالأمر .

تلك بعض قضايا الأمن الثقافي .. نضعها أمام وزراء الثقافة العرب فى اجتماعهم غداً ، لعلهم يتخذون فيها قرارات تحمي العقل العربي والثقافة العربية ، وتفتح باباً لمزيد من المناقشة حول جوانب أخرى شديدة الأهمية والحساسية فى قضية الأمن الثقافي العربي الذى لم نناقشه حتى اليوم ولم نلتفت إليه .

رجـاء النقـاش

لماذا صدر قرار بحرمان الفلسطينيين من قراءة مقدمة ابن خلدون ؟

حاجة الثقافة العربية إلى نزعة التحليل الاجتماعي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

هناك اليوم ثقافة عربية متأزمة حائرة تقف أمام باب مسدود ، من ناحية . وهناك ـ من ناحية أخرى ـ واقع عربي متفاعل شديد التعقيد يسير فى طريق آخر لا تستوعبه هذه الثقافة ولا تبصر معالمه برؤية واضحة ..

فكيف السبيل الى وصل ما انقطع بين الثقافة العربية المعاصرة وبين واقعها العربي فى أبعاده الحقيقية والشمولية ؟

إن هذا الواقع قد أخذ يسير فى طريقه الصعب ، حسب قانونه ومنطقه الخاص ، نحو غاياته ، رغم السنوات العجاف الأخيرة .. أما الثقافة العربية فمازالت تحمل العبء الثقيل الذى ألقته على كاهلها هذه السنوات العجاف .

وقد حان الوقت لتنهض الثقافة العربية وتلحق بواقعها العربي فى تفاعلاته ومخاضاته ، وأن تنفض عن نفسها الشعور بالاحباط والعقم وعدم الجدوى ، وتتخلص من البكائيات الشعرية الغامضة ومذاهب الفكر المثقل بالتنظير البعيد عن واقع الأمة والعاجز عن الالتحام بقواها الحية ..

ونرى أن نزعة « التحليل الاجتماعي النقدى » ذات الحس التاريخي الواقعي هي حلقة الوصل الضرورية التى نحتاجها لنقيم الجسر بين الثقافة العربية الجديدة ، وبين واقعها العربي .

نزعة التفكير الاجتماعي ، أى التحليل العلمي ، المنطقي والواقعي ، لمسيرة تاريخنا وحاضرنا ، واحتمالات مستقبلنا .. هذه النزعة هي أشد ما افتقر إليها أدبنا وأدباؤنا فى أغلب مراحل النهضة العربية الحديثة .. وهي النزعة التى أشاح عنها الجمهور العربي فى سواده الأعظم عندما برزت فى كتابات عدد من كتابنا ومفكرينا القلائل .

إن جمهورنا ما يزال يطرب لنثر المنفلوطي ، الرومانسى العاطفي ، أكثر مما يستمع إلى أبحاث احمد أمين فى دراساته لتاريخ العقل فى الاسلام .

وإن هذا الجمهور مازال يصفق لنزار قباني فى غزلياته أكثر بكثير مما يتوجه الى دراسات الدكتور على الوردي فى تحليله الاجتماعي لتاريخ العرب وواقعهم ، بل انى على يقين من أن بعض « المثقفين » العرب سيفاجأ بهذه المقارنة بين على الوردي الذى لم يسمعوا به بعد ـ على جهوده المشهودة فى البحث الاجتماعي المبدع ـ وبين نزار قباني .

وهذا الخطأ الثقافي تاريخي ، ويعود



● طـه حسين
لماذا لم نهتم بدراسته الرائدة عن ابن خلدون

● علي الوردي
لاتوجد له صورة فى أرشيف الصحافة العربية رغم دراساته الاجتماعية اللامعة .



● نزار قباني
شعره الغزلي اكثر شهرة وانتشاراً من اى دراسة فكرية عربية .



● احمد امين
دراساته للعقل العربي اقل انتشاراً من اى قصة عاطفية رومانسية .



● المنفلوطي
أسلوبه العاطفي اكثر انتشاراً من اساليب العقلاء والحكماء العرب .

الى بداية النهضة . لقد انتشرت بين أيدي القراء العرب دواوين أبي نواس والمعري والمتنبي ، أكثر مما انتشرت مقدمة ابن خلدون ، على الرغم من أن الحاجة التاريخية الملحة للعرب كانت تتمثل فى نهج مقدمة ابن خلدون ، أكثر مما كانت تتمثل فى شعر النواسى والمعري والمتنبى ؛ على ما للاحياء الأدبي واللغوي من أهمية لا تنكر . ولكنها أهمية لا تتقدم بأي حال ، ويجب ألا تتقدم اليوم ، على أهمية الحاجة القصوى لوصل الثقافة العربية الحاضرة بالموقف المتقدم الذى وصل إليه فكر ابن خلدون فى نظرته العقلانية التحليلية المتزنة للتاريخ وللحاضر ولطبيعة المجتمع والحضارة وتحولاتهما

وإذا كانت الحضارة العربية قد توقف ابداعها بعد ابن خلدون مباشرة ، فلم تتواصل مدرسته ولم يتصاعد تياره ، فان الواجب التاريخي كان يتطلب أن تبدأ النهضة العربية الحديثة به ، قبل أن تتجه الى الشعراء الجاهليين والعباسيين ، أو أن تتجه على الأقل الى أحياء فكره الاجتماعي المبدع بقدر ما عملت فى مجال الاحياء الشعري واللغوي .. ولكن ذلك لم يتحقق للأسف مما أصاب الثقافة العربية المعاصرة بالترهل البلاغي ـ سواء كان ترهلا تقليدياً أو ترهلا يتزيا بالحداثة ـ وأفقدها الحس النقدى القادر على استشراف طبيعة المراحل التاريخية التى تمر بها الأمة فى هذا العصر الحافل بالتحديات ..

لقد واجه ابن خلدون انحطاطاً اجتماعياً وأخلاقياً فى عصره وشهد العديد من الهزائم والمظالم ، ولكنه لم يتجه الى نظم المرثيات والبكائيات ضد ذلك الواقع ـ كما يفعل شعراؤنا «الطليعيون» هذه الأيام ـ بل اتجه بعقله وقواه كلها لفهم ذلك الواقع على ضوء ارتباطه بالمراحل التاريخية السابقة ، واستخرج من هذا الدرس تلك القوانين والخلاصات والمبادىء التى جعلت فيلسوفاً حديثاً من فلاسفة التاريخ ، هو أرنولد توينبي ، يقول عن ابن خلدون إنه اعظم عقل فى كل زمان ومكان . والطريف المؤسف أن الكثيرين من المثقفين العرب حفظوا عن «توينبي» مقولته هذه عن ابن خلدون ، دون أن يعودوا الى ابن خلدون نفسه والى مقدمته ليكتشفوا بانفسهم كيف توصل «توينبي» الى ذلك الحكم الجليل ..

الأكثر من هذا ، أن أديباً عربياً مثل طه حسين ، الخالد فى عمق الضمير العربي وفى صلب الاهتمامات العربية ، كتب بحثاً رائداً عن ابن خلدون ، فلم ينتشر ولم يذع بين القراء العرب ، كما انتشرت كتب طه حسين الأدبية الأخرى

عن الشعر الجاهلي وعن المعري وعن المتنبي ؟

فلماذا استمعنا الى طه حسين عندما حدثنا عن الشعراء ولم نستمع إليه عندما حدثنا عن ابن خلدون ؟!

بل إن طه حسين ذهب الى أبعد من ذلك ـ من واقع ادراكه العميق لأهمية البعد الاجتماعي التاريخي فى الثقافة ـ فكتب لنا تاريخ صدور الاسلام على ضوء قوانين العلوم الاجتماعية في « الفتنة الكبرى » و « علي وبنوه » وغيرهما ولكن أمثال هذه الدراسات لطه حسين ظلت الأقل انتشاراً وذيوعاً بين الجمهور العربي لأنها حدثته بلغة عقلية لم يتعودها فى تمثله لتاريخه الذى اعتاد أن يتلقى أحداثه بعاطفية رومانسية لاتتسع إلا للاعجاب أو للاستنكار ، دون أن يكون فيها موقع وسط للنظرة المتزنة التى تحاول أن تفهم قبل أن تصدر الحكم إعجاباً أو استنكاراً .

وبقينا ننظر الى طه حسين من خلال رداء الأديب الضرير أبي العلاء المعري ، دون أن نستكشف الصورة الأعمق لطه حسين التى تمثلت فى تجسيده لشخصية ابن خلدون وفكره .

أما تاريخنا وواقعنا فقد ظللنا نتلقى اصداءهما من خلال روايات وأقاصيص كروايات جرجي زيدان التاريخية ؛ وقصص محمد عبد الحليم عبد الله المغرقة فى رومانسيتها ؛ وكلا النوعين أدب سردي لا يرقى الى مستوى التفسير والتحليل والاضاءة المستقبلية .

وصحيح أن الكثيرين من أدباء المدرسة الحديثة رفعوا شعار « الالتزام » بقضايا الواقع والأمة .. ولكن كيف جاء ذلك الالتزام ؟ .

لقد كان التزاماً عاطفياً أو أيدولوجياً بشعارات مغلقة محددة أكثر مما كان التزاماً نابعاً من الفهم الشمولي الناضج لحركة التاريخ فى صعودها وهبوطها ، لذلك تحول التزامهم ذاك الى بكائيات مفجعة عندما حلت الهزائم ، وانمحى التفاؤل الحتمي بانتصار حركة التاريخ ، وسمعنا منهم لوماً وتقريعاً للأمة أكثر مما تعلمنا منهم كيف يكون الصمود ، وكيف يكون التفاؤل بحتمية الانتصار مهما تعرجت مسيرة التاريخ ، وكيف يكون تصحيح هذه المسيرة .

كما أننا لا ننكر الأثر الاجتماعي العميق لأدب الشرقاوي ونجيب محفوظ وسواهما من أقطاب الرواية الاجتماعية التحليلية التى مثلت ربما الالتفاتة الوحيدة فى الأدب العربي لأهمية البعد الاجتماعي ـ التاريخي ؛ ولكن هذا التيار لم يتمكن من الاستمرار فى ظروف الهزيمة والتراجعات ، وتحولت هذه الرواية ذاتها على ايدي أصحابها أنفسهم الى اللامعقول والسوريالية والرمزية المظلمة .

أضف الى ذلك أن النظرة التحليلية النقدية الاجتماعية لم تنتشر ولم تطبع العقل العربي والكتابات العربية على اختلافها بطابعها وميسمها ؛ وهو ما نريده ونقصده بهذه الدعوة الى تعميق النزعة الاجتماعية فى أدبنا وثقافتنا كلها

أجل ان المطلوب ، ليس فقط نشر دراسات فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، وليس ظهور مدرسة أدبية معينة تهتم بالناحية الاجتماعية فى الأدب فشيء من هذا قد تحقق ، وانما المطلوب أن يستوعب العقل العربي أهمية النظرة التحليلية الاجتماعية فى معالجة كافة المسائل وفى مختلف أنواع النتاج الأدبي والفني والثقافي بحيث يبدع الشاعر قصيدته وهو مدرك لأبعاد تلك النظرة ، ويكتب الروائي قصته وهو مستوعب لروحها ، ويكتب الصحافي مقالته وهو ملم بأصولها ، ويرسم الفنان لوحته وهو عارف بماهيتها ، بل ويتخذ رجل الدولة العربي قراراته ومواقفه ، ويرسم نهجه ، وهو مطلع على قوانينها وأسسها .

المطلوب أن تضيء النظرة الاجتماعية دهاليز العقل العربي كله ، وتنفذ الى خلاياه وخفاياه ، فلم يعد من المناسب تفسير التاريخ والحاضر وواقع الأمم بمقياس الأقدار أو النوايا أو البطولات ، أو الأخيار والأشرار ، أو الحظ الحسن أو السيىء وإنما هناك قوانين تاريخية واجتماعية تنهض بمن تنهض من الأمم ، وتقعد بمن تقعد من الأمم ينهض من استطاع أن يفهمها ويعمل بمقتضاها ويتخلف من خالفها وعجز عن اللحاق بشروطها ومتطلباتها . وهذه هي «السنن» الكونية والتاريخية التى حدثنا عنها القرآن الكريم فى العديد من آياته الحكيمة .

إن التنمية لها شروطها ومستلزماتها .

وإن التقدم الحضاري له شروطه التى لا يمكن التحايل عليها أو التعويض عنها بالمال أو بغيره ..

وإن مواجهة العدو لها ضرورتها التى لا يمكن التهرب منها بأي وسيلة من وسائل التهدئة المصطنعة ..

وإن الوحدة العربية لها حتمياتها التى لا يمكن اخفاؤها تحت أية صيغة شكلية .. وهكذا ..

هذه هي القوانين التاريخية والاجتماعية التى نعنيها والتى لا يتوفر الادراك والعمل بها إلا من خلال الاستيعاب الناضج للفكر الاجتماعي المتحرك ، ومن خلال النظرة التحليلية النقدية لمسار التاريخ وواقع المجتمع وبذور الغد .

ونحن عندما ندعو الأدب والشعر والفن الى التزام هذه النظرة فلا نقصد أن يتحول الى مواعظ اجتماعية أو إلى مقولات فكرية جافة ؛ بل إلى استيعابها وهضمها وتمثلها ، وتحويلها الى مشاعر وأحاسيس ونبضات حية فى القصيدة والمقالة والرواية والمسرحية واللوحة . وليس صحيحاً ما يذهب اليه البعض من أن الأديب لا يستطيع التعبير ـ فنياً وجمالياً ـ إلا عن العواطف والانفعالات والتجارب الشعورية الخالصة وحدها ..

إن أدق الأفكار واعقد الفلسفات

● مطلوب من المال العربي طبع عدة ملايين من مقدمة ابن خلدون في إطار عصري وجذاب

والادراكات العقلية ، وأخطر القضايا الاجتماعية والقومية والحضارية يمكن التعبير عنها جمالياً وشعورياً إذا هضمها الأديب الفنان وحول مضمونها الفكري الى دم يجري في عروقه ، ونبض يتحرك مع قلبه ..

وهنا يتفوق الأديب الفنان على المفكر الذي أبدع تلك الأفكار ، لأن الأديب يحولها بالفن والشعور الى حياة نابضة في ضمير الأمة ؛ هذا إذا استطاع أن يهضمها ويوحدها بكيانه ويجعلها إيمانه الراسخ الذي لا يتزعزع .. وهذا الاستيعاب للمضامين الفكرية ينقذ الأديب بدوره من السطحية والبلاغة الشكلية ويمنحه الخلود بما يمده من حقائق صلبة تظل خالدة على العصور ، مهما تغيرت انماط البلاغة وأشكال التعبير .

بحثاً عن الخاصية العربية

والغاية المثلى لاضاءة الثقافة العربية بمناهج التحليل الاجتماعي ، ليس أن ننقل هذه المناهج حرفياً عن الغرب ونطبقها بالاقحام والتعسف على تاريخنا وواقعنا دون مراعاة لخصوصيتهما وتفردهما ؛ فذلك ما فعله بعض مفكرينا دون كبير فائدة ، ولكن المطلوب أن نستوعب «روح» النزعة التحليلية النقدية – دون مذاهبها الغربية ونتائجها الخاصة بالتجارب الأجنبية - فنستضيء بهذه الروح ، وبشيء غير قليل من ابداعنا الذاتي ، لفهم وادراك تاريخنا وواقعنا حسب قوانينهما الذاتية وحقائقهما الخاصة بهما .

لقد كرر المستشرقون ، مثل جب و روزنتال ، أن الثقافة العربية الحديثة قد خلت من أي كتاب بقلم مفكر عربي يفسر للعرب أنفسهم ماهية حضارتهم وشخصيتهم أو يفسر للعالم ماهية الشخصية العربية ، أي يقول للعرب «من أنتم » في الجوهر والصميم ، ويقول للآخرين « من هم العرب » قياساً بالأمم الأخرى ، ويلخص في التحليل النهائي تلك « الخاصية العربية » التي تجعل العرب عرباً ، فتميزهم من ناحية عن الآخرين ، وتجعلهم من ناحية أخرى إضافة متميزة ولكن مكملة للبناء الانساني الكبير .

هذا هو الهدف البعيد لاشاعة نزعة التحليل الاجتماعي في الثقافة العربية ؛ فضلا عما تقدمه هذه النزعة من فهم وإدراك للطبيعة الموضوعية لانعطافات الواقع العربي دون تفاؤل مسرف أو تشاؤم محبط ..

في البدء كانت «المقدمة»

ونقطة البدء هو أن نجعل من مقدمة ابن خلدون – هذا الأثر التراثي الخالد – كتاباً عربياً معاصراً يعايشه كل عربي في مكتبته وداره وخلوته ، كما يعايش أحب الكتب الى نفسه ..

وإذا كان للمال العربي من معنى حضاري ، فهو أن تقوم إحدى مؤسسات الثقافة في الوطن العربي بطبع عدة ملايين من « المقدمة » في طبعة عصرية شائقة والتقديم لها بشروح ميسرة ودافعة لمزيد من الاطلاع والفهم ، على ضوء ما حققه الفكر الانساني من تقدم في العلوم الاجتماعية ؛ ثم القيام بتوزيع هذه الطبعة في مختلف أرجاء العالم العربي مع ما يتطلبه ذلك من خلق اهتمام حقيقي لدى الانسان العربي بمضمونها والغاية منها كمنطلق نحو فهم عربي فعال لصنع التاريخ .

ولقد قيل الكثير عن «احياء التراث العربي » . ولكن هذا مثال لما يجب عمله وتحقيقه – فعلا وواقعاً – لاحياء التراث

ولمعلومات كل العرب فان ادارة الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية قد أصدرت قراراً هذا العام بحظر تدريس « مقدمة ابن خلدون » في الجامعات الفلسطينية الواقعة تحت سلطة الاحتلال . هذه الحقيقة أكدها المستشرق الانجليزي الراحل (دزموند ستيورت) الذي زار فلسطين المحتلة مؤخراً وذلك قبيل وفاته في شهر يوليو الماضي .

وإذا كان هذا القرار الاسرائيلي يكشف من ناحية طبيعة الحكم الذاتي الذي تريده اسرائيل لعرب الأرض المحتلة كاستعمار ثقافي مكشوف بالاضافة الى كونه استعماراً استيطانياً فان القرار يكشف من ناحية أخرى عن أن أسرائيل قد فهمت « خطورة » مقدمة ابن خلدون بالنسبة لاستنهاض العقل العربي .. مما جعل ابن خلدون في نظر ادارة الاحتلال الاسرائيلي « عنصراً متطرفاً » وخطراً على « الأمن » ! وهذا معناه أن الحظر الاسرائيلي على الوجود العربي قد أخذ يطال مفكراً عربياً عاش قبل خمسمائة سنة ..

يقول ابن خلدون في بداية المقدمة وهو يعلن تأسيسه لعلم الاجتماع الحديث الذي سماه حينئذ بطبائع العمران :

● « فالقانون في تمييز الحق من الباطل ... أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته ، وبمقتضى طبعه ، ومايكون عارضاً لايعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض له . وإذا فعلنا ذلك ، كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل ، والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه »

وهذا يعني ، فيما يعني ، دعوة العقل العربي اليوم الى التمييز – على ضوء قوانين الاجتماع البشري – بين الحق العربي و « ما يلحقه لذاته وبمقتضى طبعه » وبين الباطل الاسرائيلي وهو « ما يكون عارضاً لا يعتد به » من وجهة الحقيقة التاريخية الاجتماعية وطبائعها ومعاييرها التي وضعها ابن خلدون .

لهذا أدركت اسرائيل «خطورة» فكر ابن خلدون .. فياليت قوم ابن خلدون يدركون «خطورة» مواطنهم القديم وجدهم .. ذلك الحضرمي الأصل ، الاندلسي السلالة ، التونسي المولد والمنشأ ، المصري الاقامة والمدفن .. العالمي الشهرة والتقدير .

وياليت وفود الجامعة العربية ، قبل أن تعقد اجتماعاتها بتونس تمر على تمثاله الشامخ الذي اقامته العاصمة التونسية في القلب منها ، فتقتبس وفود العرب ، في عملها العربي المشترك شيئاً من ذلك القبس الخلدوني القائم على : «تمييز الحق من الباطل » على أساس الصدق التاريخي والاصالة الحضارية ، للعمل بما يتفق معهما ، ونبذ « ما يكون عارضاً لا يعتد به .. »

وما أروعك أيها الحضرمي والتونسي ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مفكراً «محظوراً» تحت الاحتلال الاسرائيلي ، وما أروع مقدمتك « وثيقة » ممنوعة من وثائق أدب المقاومة على ارض فلسطين .. وهذا هو التراث الحي أمام من أراد إحياء التراث ..

د. محمد جابر الأنصاري – باريس

نحن نظلم يوم «كربلاء» ظلماً كبيراً ، حين نجعل من ذكراه مناسبة لاجترار الأحزان والآلام والعويل .. إنه ليس كذلك أبداً إذا نحن تعمقنا جوهر الواقعة ، فرأينا عظمة الثبات ، وروعة البطولة ، وعزة الايمان ، وجلال التضحية فى مهرجان للحق هيهات أن يكون له نظير !!

فى ذكرى كربلاء العظيمة

بقلم
خالد محمد خالد

عندما تحمل بيمينك هذا العدد من المجلة يوم صدورها ، يكون بينك وبين اليوم العظيم الخالد بضعة أيام معدودة تهل بعدها ذكرى «كربلاء» المجيدة ..

تهل ذكرى اليوم العظيم بآلامه وبطولاته .. بعظمته ومأساته .. يوم تجلت فيه قداسة الحق وشرف التضحية واستحق أن يأخذ مكانه العالى بين أيام الاسلام الخالدة .

إنه يوم الثوار – أروع ما يكون الثوار .. يوم الحسين ورفاقه الأبرار .. يوم علم الدنيا أن الحق مثوبة نفسه ، وقيمة ذاته . فلا النصر مزية له ، ولا الهزيمة إزراء به .. يوم وقفت فيه قلة صامدة تؤمن بشرف الحق ، أمام كثرة كاثرة لا تحترم الحق .

أجل .. اثنان وسبعون مؤمناً من آل بيت الحسين عليه السلام وأنصاره برزوا لملاقاة جيش قوامه أربعة آلاف مقاتل فى حرب غير متكافئة . لنقل إذن إنهم برزوا لمناياهم وهم يعلمون ، ورفضوا كل فرص النجاة من تلك المنايا ، مؤثرين الموت على حياة تشهد غمط الحق ، وثلم شرف التضحية .. !!

رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه تاركين وراءهم ظهرياً مناعم العيش الرافه ، حاملين تبعات رشدهم وإيمانهم ، معلنين أن الاسلام لم تمت رجاله ، ولا نصلت أعلامه .. وأن آل بيت الرسول لا يزالون كما أريد لهم أن يكونوا . أساتذة للناس فى فن التضحية والفداء ، وبيت القرابين والشهداء .. !!

● ● ●

استشهد الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» رضى الله عنه فى ظروف حالكة ، وفتنة جامحة ، وبايع المسلمون فى المدينة أمير المؤمنين «علي بن أبى طالب» وأعرض «معاوية» والى الشام يومئذ عن البيعة ، مبرراً رفضه بان لابد أولا من الثار لدم عثمان . ورأى الامام ببصيرته المضاءة بنور الله انها كلمة حق أريد بها باطل ، وأن دولة «الطلقاء» على وشك أن تقوم ناشرة الفتنة ، والفساد .. من أجل ذلك لم يتخل الامام عن واجبه تجاه تمرد معاوية .. معاوية

الذى سنسمع أباه فيما بعد يقول موصياً أهل بيته : «لقد صار الأمر اليكم ، فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه تلقف الكرة فانما هو الملك . ولا أدرى ماجنة ولا نار» !! كما سنلتقى به وهو يمر بقبر «حمزة» فيقف مخاطباً الجدث الراقد تحت التراب : «يا أبا عمارة . إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيوف قد صار الى غلمان بنى أمية» !!

غلمان بنى أمية .. هذا ما كان يحاذره «علي» ويخشاه .. ولقد أبى معاوية إلا الحرب فخاضها الامام فى موقعتى «الجمل» و «صفين» وتلتها الأحداث التى انتهت باستشهاد الامام .. وخلا الجو لمعاوية . وكان الحسن عليه السلام قد خلف أباه فى الأمر ورأى الخير فى أن تضع الحرب أوزارها ، وأنهى الخلاف بصلح عقده مع معاوية .. طاب لمعاوية عيش الملك ، ولم يقنع بأن يذهب به وحده تاركاً للمسلمين من بعده حق اختيار من يرفع الراية ويجلى عنها رهق الرغام .. بل كأنه تذكر وصية أبى سفيان «لقد صار الأمر اليكم فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه كالكرة» .. وهكذا قرر معاوية أن يضع الكرة بين قدمى ولده «يزيد» فاخذ له البيعة بالسيف وبالقهر .. وبعد حين يموت معاوية ويخلفه يزيد ..

كان يسمى «يزيد القرود» وكان آخر من يصلح ، بل آخر من لا يصلح ليجلس من الأمة المسلمة حيث جلس من قبل أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي .. كان استخلافه فى الاسلام وعلى المسلمين كارثة لم يبتل بمثلها الاسلام .. أيكون يزيد القرود خليفة فى جيل لايزال يحيا فيه رجال شامخون من أمثال الحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة وغيرهم من أصحاب الرسول ؟!..

لقد كان ضمن بنود الصلح الذى عقده الحسن مع معاوية أن يكون الأمر من بعده للمسلمين . يختارون من يرضون دينه وأمانته وعدله ، لكن معاوية حنث بالعهد وخالف الميثاق . وبالسيف أخذ البيعة ليزيد !!

وأصبح يزيد خليفة بعد وفاة والده . وتلهى عن أمر الاسلام والمسلمين بفهوده وقروده ، وجعل له فى كل مصر من الأمصار والياً أعمىَ البصيرة قاسى الفؤاد .

وليس هناك ما يصور استئثار معاوية ويزيد بالخلافة بغير حق سوى شهادة «معاوية الثانى» ابن يزيد . فبعد موت يزيد خلفه معاوية الثانى . ولم يلبث فى الخلافة سوى بضعة أشهر ثم جمع المسلمين فى مؤتمر مشهود ووقف فيهم يقول : «أيها الناس : إن جدى معاوية نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الاسلام وهو «علي بن أبى طالب» ولقد ركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهين أعماله . ثم تقلد أبى «يزيد» الأمر من بعده ، فكان غير أهل له . ركب هواه ، وأخلفه الأمل ، وقصر به الأجل ثم صار فى قبره رهين ذنبه وأسير جرمه .. وإن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء منقلبه وقد قتل عِترة رسول الله ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة .. وما أنا بالمتقلد أمركم ، ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فاختاروا لأنفسكم والله لئن كانت الدنيا خيراً ، فقد نلنا منها حظاً . ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبى سفيان ما أصابوا .. ألا فليصل بالناس حسان بن مالك ، وشاوروا فى خلافتكم يرحمكم الله » .. وبعد هذه الكلمات المفعمة بالحق والورع غادر منبره الى داره ، وظل معتكفاً بها حتى لقي ربه راضياً مرضياً .

● ● ●

إن هذه الكلمات الصادقة التى قالها معاوية بن يزيد لتكشف عن عدالة القضية التى سيكرس الحسين حياته من أجلها ، لا طامعاً فى خلافة ، ولا مفتوناً بدنيا ، بل ذائداً عن الاسلام رجس يزيد وبغى الأمويين . ولقد رفض البيعة ليزيد أيام أخذها له معاوية ، وغادر المدينة الى مكة مدبراً خواطره وأفكاره حول القضية التى شغلته كما لم يشغله شيء سواها .. وذات يوم يأتيه رسل أهل الكوفة يدعونه الى زيارتهم ليبايعوه ، وليدفعوا معه عن الاسلام والمسلمين رهق يزيد ، وعار يزيد .. ولم يكن له أن يتخلف عن هذه الدعوة ، فسارع الى تلبيتها ، وأرسل ابن عمه «مسلم بن عقيل ابن أبى طالب» الى الكوفة لياخذ له البيعة ، ويوافيه بالأنباء .

لقد كان للحسين طبيعة نقية ، جياشة وثائرة . يربطها بالحق ولاء عجيب وتستمد من فضائل الاسلام العالية ومن تراث حسبه العريق زاداً لا يفنى من الصمود والمثابرة .. واذا كانت الطبول تدق اليوم معلنة قيام خلافة كاذبة لحفيد أبى سفيان ، فلابد ان يجد الاسلام من يدفع عنه الكارثة ، ولابد أن يجد المسلمون من يدرأ عنهم الطوفان.

كان الأمر نضالا شريفاً تتطلبه قداسة الاسلام .. لم يكن أمر مغنم ، أو سلطان ، ولم يكن طموحاً شخصياً يحتاج الى موازنة بين فرص النجاح واحتمالات الاخفاق . بل هى قضية الحق وحده . وللحق فى قلب حفيد النبى مكان لا يطاله رغب ولا رهب !! ومتى تكون التضحية من أجل هذا الحق إذا لم تكن اليوم وأمجاد الاسلام تتحول الى مزرعة أموية .. وتراث المسلمين يستحوذ عليه مخلوق عابث ، ومصايرهم الكبرى تمسك بها أيدى وصوليين جباة ، وجلادين طغاة ؟!! ..

وقرر الامام الحسين السير الى الكوفة .. بمن ..؟ بالذين اختاروا أن يخرجوا معه وعددهم اثنان وسبعون من أهل بيته وأصحابه .

في ذكرى كربلاء العظيمة

خرج بهذه القلة المؤمنة ، وهو يعلم أنه سيلاقى جيشا كثير العدد وافر العتاد . ولقد حاول نفر من أصحاب الرسول ثنيه عن الخروج . منهم عبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدرى . ولكنه يجيبهم جميعاً بعبارة واحدة وحازمة : «لقد عزمت على المسير ، وإنى ماض باذن الله» ..ومضى لغايته الجليلة ومهمته الثقيلة .. وفى الطريق تترى عليه الأنباء بانصراف أهل الكوفة عن نصرته بعد أن بطش بهم ابن زياد والى يزيد ، وأعمل فيهم سيوف القتل والازهاق .

لقيه فى الطريق الفرزدق الشاعر فسأله «الحسين» كيف تركت الناس ؟ فأجابه : «تركتهم قلوبهم معك ، وسيوفهم مع بنى أمية» فلا يزيد الحسين على أن يقول : «لله الأمر من قبل ومن بعد» !! ..

ثم يلقاه عبد الله بن مطيع فيتعلق بثيابه صارخاً وضارعاً وسائلا اياه أن يرجع الى مكة فليس فى انتظاره بالكوفة سوى الموت .. فلا يزيد على أن يقول : «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» !! ..

ويلقاه ثالث ، فيسأله الحسين عن الأنباء ، فيجيبه بأنها سيئة وأن ابن عمه مسلم بن عقيل قد قتله ابن زياد شر قتلة !!

كل ذلك وهو مصمم على أن يتم مسيرته . ذلك أنه لم يخرج ليحرز نصراً مضموناً . بل خرج ليؤكد حق الاسلام فى أن يحمى نفسه من الضلال والأفك ، وليكفر فى تضحية مجيدة عن خطيئة الصمت الذى لاذ به كثير من المسلمين .

لو كان الحسين قد خرج مستمداً شجاعته وجسارته من مساندة أهل الكوفة له لرجع من حيث جاء . ولكنه كان يستمد شجاعته من إيمانه بالحق إيماناً يهد الجبال .. وهكذا مضى لغايته . قاطعاً الصحارى المتلظية ، مجتازاً — فى مشقة وكبد — أغوارها ونجودها .. وفجأة يجد نفسه أمام قوة من الف مقاتل أرسلها ابن يزيد لتستطلع أنباء الحسين وصحبه ، ولتقودهم اليه أسرى اذا التقوا بهم . ويرفض الحسين أن يستسلم لهم ، ويمضى والقوة من خلفه حتى يبلغ مكاناً موحشاً فيحط ومن معه الرحال . ثم يسأل ماسم هذا المكان ، فقيل له : كربلاء .. فتذكر يوم كان مع أبيه وهو فى طريقه الى صفين . ولما شارف الامام على هذا المكان سأل عن اسمه ، فأجيب بأنه « كربلاء » فدمعت عيناه ، وقال « هنا محط رحالهم ، ومهراق دمائهم » !! ..

الآن يتذكر الحسين كلمات أبيه ويعرف سرها ومغزاها ..

كان بلوغه كربلاء فى غرة المحرم ، سنة إحدى وستين للهجرة .. وفى الأيام التالية وصل جيش ابن زياد . ثلاثة آلاف انضموا الى الألف السابقة فصار تعداده أربعة آلاف مقاتل ، هم الذين سيلقاهم «الحسين» فى اثنين وسبعين لا غير من رجاله !!! ..

وعلم ابن زياد فى الكوفة بما يجرى فى كربلاء ، فأرسل لقائد جيشه أن يطلب من الحسين البيعة ليزيد .. وكان جواب الحسين : «لا أجيب ابن زياد الى ذلك أبداً ، وإن يكن الموت فمرحباً به» .

وضحت نوايا المجرمين أمام الحسين .. إنهم يريدون إذلاله ، أو يريدون حياته، أو يريدونهما معاً .

أما الهوان فالممات دونه .. وأما حياته فحسبه شرفاً وخلوداً أن تذهب فى سبيل كرامة الدين الذى تربى فيه على أيدى جده وأبيه ..

واقترب جيش ابن زياد فحاصر الطريق الى شريعة الماء بخمسمائة فارس ، وذلك حتى يحرموا الحسين وأهله وصحبه شربة ماء !! ..

أمر يدعو الى الجزع . ولكن المؤمنين الصادقين لا يأسفون على خطر ولا يجزعون من قدر .

الآن لا أمل — أدنى أمل — فى نصر عسكرى . بيد أن الأمل معقود بنصر آخر. نصر يتمثل فى بذل الحياة من أجل الواجب . وفى إعطاء القدوة بروعة الثبات ، وفى اضاءة ضمير الحياة بجلال التضحية !! ..

ولهذا ، فنحن نظلم «يوم كربلاء» ظلماً كبيراً حين نجعل من ذكراه مناسبة لاجترار الأحزان والآلام والعويل .. إنه ليس كذلك أبداً اذا تعمقنا جوهر الواقعة فرأينا عظمة الثبات ، وروعة البطولة ، وعزة الايمان ، وجلال التضحية فى مهرجان للحق هيهات أن يكون له نظير !!!..

● ● ●

والآن تعالوا نسرع الى مكان المعركة الأليمة والعظيمة ، فان ساعاتها الحاسمة تقترب ..

نحن الآن مع اليوم التاسع من المحرم وقد ولى نهاره ودلف ليله ، حيث جمع الحسين أصحابه وقال لهم هذه الكلمات التى تشهد بعظمته : «إنكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيرى ، وإن يومى معهم غد .. وإنى قد أذنت لكم جميعاً ، فانطلقوا فى غير حرج . ليس عليكم منى ذمام .. هذا هو الليل قد غشيكم فانطلقوا فى سواده قبل أن يطلع النهار وانجوا بأنفسكم» .. وصاح الجميع فى مثل زئير الأسود : «معاذ الله . بل نحيا بحياتك ونموت معك» !! .. وتقدم منه ابنه «علي ابن الحسين» فتى لم يجاوز عمره تسعة عشر عاماً ، وسأل أباه : «ألسنا على الحق ياأبتاه؟؟» فأجابه : «بلى ، والذى أنفسنا بيده» فصاح فتاه العظيم : «إذن والله لا نبالى» !! وارتفع الأبطال جميعاً الى مستوى الموقف المجيد الذى سيجعلون منه درساً فريداً لأجيال البشرية فى الولاء الباهر للحق ، وفى التضحية الشاهقة من أجله . وعادوا الى مضاربهم وخيامهم يشحذون السيوف ، ويبرون السهام ، ويصقلون الرماح ...

● ● ●

وطلع الصباح . صباح العاشر من المحرم ، ووقف الحسين يعبىء رجاله . فتقدم شباب آل البيت ليأخذوا مكانهم

فى الصفوف الأولى ، فدفعهم أصحاب الحسين قائلين : «معاذ الله أن تموتوا ونحن أحياء نشهد مصارعكم .. بل نحن أولا ، ثم تجيئون على الأثر» !!!

وبرز الجمعان للقتال ـ أربعة آلاف فى جانب ، واثنان وسبعون فى الجانب الآخر .

ومن عجب أن جيش ابن زياد خرج للقتال بعد أن صلى بهم قائدهم صلاة الفجر ، وقرأوا فى التشهد : «اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد» ثم انفلتوا من صلاتهم يحصدون بسيوفهم الآثمة آل محمد !!!

بدأ القتال ضارياً رهيباً ؛ فجن جنونهم ، وهجم فرسانهم فى وحشية ، وبرز لهم فرسان الحسين الذين لم يزد عددهم عن اثنين وثلاثين فارساً .. فأحاطوا بفرسان عدوهم ، ثم انهالوا عليهم يطوحون رءوسهم كالذباب .. وكبر الحسين تكبيرة هزت الأرض والجبال ، وانقذف يضرب بسيفه ، وكأنه قدر يكتب المصارع وينزل المنايا .. وحين يرى جيش ابن زياد تفوق أصحاب الحسين يلجئون الى عملية قذرة ، فيضرمون النار فى الخيام التى يقيم فيها النساء والأطفال من آل بيت الحسين وعلى رأسهم السيدة العظيمة «زينب بنت علي» .. بيد أن ذلك لم يفت فى عضد المجاهدين الذين أحاطوا بالحسين يفتدونه ، وكلما رأى أحدهم منيته تقترب أسرع الى الحسين فقبله ثم صاح : موعدنا الجنة !! ..

لقد كان الواحد منهم يقاتل وكأنه جيش وحده ، ولا تكاد أعينهم المجهدة تقع على الحسين يقاتل وحده عشرات من الأعداء القساة حتى تنتفض فيهم كبرياء الأسود ، ويتضرم بأسهم ، وينهضون للنزال حتى يقع أجرهم على الله شهداء ممجدين !! ..

وقضوا نحبهم جميعاً واحداً إثر واحد فلنحن الجباه تحية للرجال !!...

وتقدم آل البيت ليكونوا فى المعركة مسك الختام .. تقدموا نحو مصايرهم العظيمة .. لم يعد الذى يضنيهم الظمأ الى الماء الذى حرمهم منه المجرمون ، بل الظمأ للشهادة والشوق الى الجنة .. وكان أولهم انطلاقاً الى صفوف العدو «علي بن الحسين» فتى ـ كما قلنا ـ لم يجاوز التاسع عشرة من سني عمره ، ووقف يصيح :

أنا علي بن الحسين بن علي
نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وفجأة تحيط به عشرات السيوف الباغية ، ممزقة جسده النضير ، والشريف . ويحمل الى الفسطاط فلا تكاد عمته «زينب» تراه حتى تعلو زفرات أساها ، وتنكب على الأشلاء الطاهرة تضمخها بدموعها وشجنها .. وها هو ذا أصغر آل البيت سناً تناله سيوف المجرمين فيهوى كالنجم وهو ينادى : يا عماه .. فينثنى الحسين على ابن أخيه ـ القاسم بن الحسن ـ ويتملى فى جسده المثخن رونق الزهور ، وعبير النبوة ، ولأول مرة تسيل عبرات الأسد ، ويقول مخاطباً الجثمان المسجى بالنور : «عزيز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك . أو يجيبك فلا ينفعك فى يوم كثر واتره ، وقل ناصره» .. ويحمله بين ذراعيه الى فسطاط أهله ويرقده الى جوار جثمان ابنه علي ، ثم يعود لهول المعركة من جديد .

لك الله ، أبا عبد الله !! ..

والآن فقد سقط آل بيته جميعاً شهداء ، وبقى وحده بين أنياب الثعابين .. ويواجه البطل أعداءه فى جولة أخيرة ، فتقع ضربة سيف على رأسه الشريف ، ويحمل سيفه ودماؤه تنزف .. ويحيط به القتلة ، وقد سمروا فى أماكنهم زائغة أبصارهم ، واجفة قلوبهم ، فقد كانوا على كثرة ما اقترفوا من جرم ، وسفكوا من دم ، يهولهم دم الحسين ويتفادى كل منهم وزر الاجهاز على حياته !!..

وفجأة يصيح فيهم «شمر بن ذى الجون» قائد الفرسان ورجس البشرية كلها . يصيح فيهم مهدداً ومتوعداً . فيتقدم أحد رجاله من الحسين ويضربه بالسيف على معصم يسراه ، فتطير كفه .. ويتقدم ثان فيضربه على عاتقه ، فيقع على الأرض ، ويحاول النهوض فيحيط به القتلة ويوجهون اليه الضربة الأخيرة والمميتة .. ويسارع نحو جثمانه «شمر بن ذى الجون» فيحتز رأس البطل ليحمله هدية ليزيد وابن زياد .. تماماً كما قدم من قبل رأس نبى الله يحيى عليه السلام هدية لسالومى ـ بغى من بغايا بنى اسرائيل !!!..

● ● ●

هكذا وقف الحسين وأهله وصحبه من أجل الحق موقفاً يستحق ببطولاته وتضحياته وبواعثه أن يكون عيداً ، لا مأتماً ..

لقد رفضوا الباطل ، واختاروا الحق .. ثم رفضوا الصمت ، وآثروا المقاومة .. ثم رفضوا المساومة ، وصمدوا مع ايمانهم . واقتحموا الهول فى مشهد فريد مقررين بمحض اختيارهم وارادتهم أن يمنحوا أمتهم ، بل والبشرية كلها هذه القدوة الباهرة فى التضحية ، وهذا الفداء المجيد للحق .. وكأنما هيأ القدر هذه المعركة وهؤلاء الرجال ليؤكد شرف التضحية ، وقداسة الحق .. وإنه مادام الحق بحاجة الى تضحيات تحميه وتفتديه ، فان التضحية إذن هى شرف الانسان ، وشرف الحياة .. ومادامت التضحية شرفاً ، فيجب أن يصرف النظر عن الشكل الذى يفرضه عليها الطغاة ، فليست التضحية حفلا ساهراً .. وسواء على البطل أن يستشهد وجسده سليم ، أو يقضى وجسده ممزق .. أن يبقى رأسه فى مكانه من الجسد ، أو يفصل الرأس ويمثل بالجسد .. فكل ذلك وأكثر منه يغطيه شرف التضحية وكرامتها .

وهنا أكثر من أى موقع آخر ، يتحول الأسى الى مجد ، والفواجع الى بطولات !!..

خالد محمد خالد ـ القاهرة

دار الحكمة العربيّة

بين الماضي والحاضر

د. حافظ الجمالي

منذ مدة غير بعيدة ، بدأ الناس يسمعون بوجود مؤسسة جديدة فى دنياهم ، هي اتحاد الادباء ، أو اتحاد الكتاب ، أو رابطة الكتاب والفنانين ، تبعاً للقطر الذى تقوم فيه مؤسسة من هذا النوع . أما فى سورية وحدها ، فقد أطلق على هذه المؤسسة اسم اتحاد الكتاب العرب ، لا الكتاب السوريين ، وهو يضم ما يزيد عن أربعمائة كاتب وشاعر وروائي وقصصي ، معترف بهم رسمياً ، بالاعتماد على الكتب المطبوعة لهم ، والتى وجد أصحاب الاختصاص أنها ترقى بهم الى منزلة العضو ، فى هذا الاتحاد . فاذا مر العربي يوماً في شارع المزة الكبير فى دمشق ، راعه أن يرى بناء ضخماً من ستة أدوار ، فى كل منها ما يعادل فى المساحة أربعا وعشرين غرفة . معقولة المساحة ، أو أكثر ، ولو أنها تضم بعضها الى بعض أحياناً لتصبح قاعة مكتبة أو قاعة اجتماع ، أو ما يشبه ذلك من حاجات النشاط الأدبي .

وكان يوم ١٩/٨/١٩٨١ موعداً للانتخابات الجديدة لمجلس الاتحاد ... فغصت القاعة الكبيرة بالكتاب والأدباء ، للتداول فى موضوع جلستهم ، وكانت الفرصة مناسبة لتوارد الخواطر ، بصورة عفوية ، وصحيح أن هذا المبنى الضخم يدعى باسم اتحاد الكتاب ، ولكن بيت الحكمة الذى أنشاه هارون الرشيد فى قول ، والمأمون فى قول أخر عام ٢١٧ هجرية ، يذكر باتحاد الكتاب العرب ، من وجوه شتى ، كل منهما مبنى ضخم ، وكل منهما أنشيء لوجه الله تعالى ، ولوجه الثقافة .

ولقد وصفت دار الحكمة ، أو بينتها فى كتب التاريخ ، المختلفة ، وجاء أخيراً الأستاذ سليم طه التكريتي فخصها بمقال نشرته مجلة المورد فى عدد ممتاز هو العدد الرابع لعام ١٩٧٩ ، وجاء فى وصفه لها « أنها كانت مقسمة الى عدد من الأقسام والقاعات والغرف ، فهناك غرف للتدريس ، يحضرها الطلاب من مختلف أو سائر أنحاء العالم لتلقى العلوم على أيدى اساتذة منتخبين لتدريس تلك العلوم . أما المكتبة فكانت تتألف هي الأخرى من عدد من الغرف ، مزودة برفوف تصف عليها الكتب . »

« وإلى جانب المكتبة وغرف التدريس كانت توجد قاعة واسعة مخصصة لالقاء المحاضرات ، وعقد المناظرات العلمية ، وفى هذه القاعة كان الجدال والنقاش يدور علانية — وبمنتهى الحرية — حول شتى الموضوعات المختلفة ، بما في ذلك جملة الموضوعات التى تخص العقيدة الاسلامية . »

« وهناك غرفة خاصة معدة للاستراحة يؤمها الدارسون والمدرسون والمطالعون والعاملون فى المكتبة ، ليستريحوا فيها من عناء العمل ، وهناك يشنفون اسماعهم بالاستماع الى الأنغام الشجية التى يعزفها جوق موسيقى فى القاعة ذاتها . »

« وأفردت في بيت الحكمة غرف اخرى للمترجمين ، وأخرى غيرها للذين

يقومون بمراجعة الترجمات وتنقيحها ، في حين تقوم غرف خاصة بالنساخين الذين يقومون بعملية النسخ اما لأنفسهم أو لحساب الغير ، وكذلك توجد غرف معدة لعمل المجلدين ، وأخرى للوراقين ، وخارمـي الكتب ، والمناولين الذين ينقلون الكتب من الرفوف الى المطالعين والنساخين والمجلدين . ولقد حفظ لنا التاريخ أسماء الكبار من مديري هذه الدار . مثل سلم وأبي منصور محمد الخازن ، وكبار المجلدين ، مثل أبي ابحـا الحريش ، وحتى أسماء بعض المناولات والمناولين ، مثل توفيق السوداء – وهذه أمراة لا رجل – وأسماء كبار المترجمين الذين ربما كانوا مديرين أيضاً ، مثل سهل بن هارون ، وحنين بن اسحق ، وثابت بن قرة ، ويوحنا بن ماسويه »

ويقال أن بيت الحكمة هذا قد انشيء عام ٢١٧هـ ، أو ٨٣٢م ، أو على الأقل هذا ما يراه : ديلاس أوليري في كتابه عن الفكر العربي ومكانته في التاريخ .

ومع كل هذا الوصف . فاني لا استطيع التاكيد بأن دار الحكمة المامونية كانت أضخم بناء من اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، أو أقل ضخامة . وإذا كان هنالك من فرق بين وظائف البنائين أو الدارين ، فهو في الترجمة التي تعهدتها دار الحكمة المأمونية ، على حين أن هذه الوظيفة قد أصبحت من أختصاص وزارة الثقافة ، والتعليم العالي ، واساتذة الجامعات ودور النشر الكثيرة ، ولا سيما في بيروت والقاهـرة .

غير أن التساؤل الآخر المتصل بداري الحكمة هاتين ، لا صلة له بالحجم المادي ، وحده ، بل بالأثر المعنوي ، بالدرجة الأولى ، وبالسمعة التاريخية . فاذا تحدثنا عن الثقافة العربية قبل دار الحكمة . لم نقل أنها ضئيلة الشأن ، أو ضعيفة القيمة ، ولكن قلنا انها عربية بالدرجة الأولى . أما بعد دار الحكمة ، فان الثقافة العربية مضت في طريقها الى تمثل الثقافة الأجنبية كلها ، والثقافة اليونانية بوجه خاص ، واضافتها الى الثقافة العربية ، وانشاء ثقافة عربية – اسلامية ، جديدة ، كانت ، خلال ثلاثة قرون على الأقل ، هي الأولى من نوعها في العالم ، ولعلها كانت هي «الثقافة» بالمعنى العالمي ، وعندما انحدر العرب سياسياً وثقافياً ، كانت هذه الثقافة هي الجسر الذي عبر عليه الغرب ليصل منه الى الحضارة المعاصرة . ومهما يكن حجم بيت الحكمة ، كبناء ، فان أثره في الثقافة كان أعظم منه بما لايقاس . ترى أيبلغ من شأن اتحاد الكتاب العرب ، أن يكون له هذا الشاو ، وأن يؤثر في الثقافة العربية على الأقل مثل ذلك التاثير ، أو نصفه ، أو ربعه ، أو ثمنه ، أو جزءاً لا على اليقين منه ؟ إني لأرجو ذلك بكل اخلاص .

إلا أن اتحاد الكتاب فتي جـداً ، فهو لما يستكمل العام الثاني عشر من عمره ، على حين أن بيت الحكمة عاش كما يقال حتى سقوط بغداد على يد هولاكو . فمن الظلم أن نتوقع منه ، وهو في طفولته هذه ، أن يكون له مثل الأثر الذي كان لمثيله البغدادي . إلا أن أثر بيت الحكمة لم يظهر بعد ثلاثـــة قرون من انشائه ، أو بعد سقوط بغداد ، ولكن منذ السنوات الأولى لوجوده . وأين في الدنيا مؤسسة يسجل التاريخ أسماء مديريها وخدمها معاً ؟ كما يسجل تفاصيل دقيقة عن صور نشاطها؟ إلا أن الأهم من ذلك كله انه قلما عرفت مؤسسة ثقافية . بهذا الوزن ، وهذا التاثير العميق ، وهذه السمعة .

وهنا يتساءل الانسان : ان دار الحكمة لم تكن جامعة بالمعنى الحديث، ولكنها كانت كانها جامعة ، لأن الطلاب كانوا يتلقون محاضرات كثيرة فيها ، ولأن النقاش الحر كان مفتوحاً فيها في مختلف المواضيع ، وحتى في الدين . وليس الأمر تماماً كذلك في اتحاد الكتاب . إلا أن هذا الاتحاد جزء من مؤسسات ثقافية كثيرة . منها الجامعات السورية وغير السورية ، ومنها وزارات الثقافة التي تمدنا بكثير من الترجمات العظيمة لكبار المؤلفين ، ومنها وزارات التعليم العالي ، وهي تطبع الكثير من الكتب العلمية . وكل هذه أقدم عهداً من اتحادات الكتاب كلها ، بزمن طويل . فالأزهر ، وجامعة القرويين ، وصور التدريس القديمة في المساجد ، كانت موجودة باستمرار . فلم أنقطع الابداع ، أو أنعدم المبدعون ، ولم يعرف أي وجود سليم للحركة الثقافية في الوطن العربي – والاسلامي ايضا ؟ أو كل هذه المؤسسات لا تعدل ، على قدمها الكبير أو الصغير ، مانشا من آثار عن وجود بيت الحكمة البغدادي ؟ إن ذلك حقاً لأمر غريب ، لاسيما إذا عرفنا أن رجال هذه المؤسسات ، كلهم أو اكثرهم ، من خريجي الجامعات الغربية ، ولم يحتاجوا الى مترجمي بيت الحكمة ، ليطلعوهم على مصادر الثقافة الغربية ، فكان هذا البيت قد تضاعف آلاف المرات وتكاثر عدد رواده آلاف الآلاف ، وكثرت محاضراته ، واغتنت مكتباته الى ما لا نهاية .. إلا انه مع ذلك ولا يزال عقيماً ، لايلد شيئاً .

إني أذكر الآن مقالا لوصفي حجاب في المجموعة التي نشرتها الجامعة الأمريكية ، عام ١٩٦٧ ، كسجل للمحاضرات التي القيت عن الفكر العربي ، منذ عام ١٨٦٦ حتى عام ١٩٦٦ (في بيروت طبعاً) . ومتعة هذا الكتاب أو بؤسه انه يقارن الانتاج العلمي العربي ، في سنة ٦٥ ، بما يجب أن يكون عليه ، لو أنه متناسب مع عدد المواطنين العرب ، فاذا به يجده في حدود ٣٪ من حصتهم الطبيعية .

دار الحكمة العربيّة

بين الماضي والحاضر

ويلاحظ الحجاب من جهة أخرى ، على ما أذكر ، أن هذا الانتاج يكون فى العادة أضخم ، كلما كان البحث العلمي فى البلد ، أكثر حداثة ، تماماً كما يحدث فى تنمية البلاد المتخلفة ، إذ أن استثمار الثروات المهدورة من قبل ، يرفع بسرعة من معدل التنمية الى مستوى أكبر من ذاك الذى تعرفه البلاد الراسخة القدم فى استثمار ثرواتها . لكن هذا القانون لم ينطبق على الحالة العربية « مما حملنى على الظن انى لم أفهم ما عناه الباحث منه بوضوح . وعلى كل حال فان بلاداً يفترض أن تنتج من الأبحاث ٣٪ ، ولا تنتج إلا واحداً بالمئة من هذه النسبة » لهي بلاد عجيبة حتى لكان تخلفها نفسه متخلف جداً .

ولكن الاحراج أكبر ، عندما تتنبأ ، بصورة أو باخرى ، عن مستقبل هذا الانتاج . أفيمكن مثلا أن يكون تافهاً اليوم وكبيراً غداً أو بعد غد ، أو فى الأفق المنظور لعام ٢٠٠٠ على الأقل . أظن أن أى باحث كالحجاب عاد الى هذا الموضوع من جديد ، لوجد فرقاً ضئيلا بين مستوى عام ٦٥ ومستوى عام ٨١ . ولكن من يعنيه هذا الأمر جدياً ، حتى يتناوله برصانة معقولة .

والمصيبة هنا هي أن نسبة القوة العلمية هي التى تعين نسبة قوتنا العسكرية ، وأن الأولى إذا ضعفت ، تنعكس ضعفاً على الثانية . ومتى ؟ تماماً فى الوقت الذى يجب أن تقوى هذه الى أبعد درجة ، لتعادل قوة عدونا الاسرائيلي . فماذا عسانا أن نصنع إذا ظلت قوتنا العلمية – وبالتالي العسكرية – تزداد هبوطاً ، وقوة عدونا تزداد صعوداً ؟.

ولربما قيل ان القضايا الاجتماعية متآزرة ، متاثرة ، ولابد أن يعم التخلف سائر وجوه حياتنا ، إذا كنا متخلفين . فكيف نطمع أن نكون أغنياء «ثقافيا» ، ونحن نعاني كل هذا التخلف الحضاري والسياسي والاجتماعي . إلا أن الأمور ليست بهذه البساطة ، فالشعر الجاهلى وهو من أرقى صور الشعر العربي ، عاش فى حضارة بدائية أو شبه بدائية . وإذا قيس الشعر اليوناني القديم بالشعر العربي ، لم يرجح عليه ، على شدة الاختلاف بين الحضارتين . ومع ذلك فان من الصعب على أي انسان عاقل ألا يرى فى الشعر الجاهلي ، صورة غنية جداً للروح الشعرية ، تعادل شاعرية اليونان وتفيض عنها ، بل اننا لا نعرف لأية أمة فى عهدها الجاهلي ، أدباً كالأدب العربي الجاهلي

ويلاحظ بلاشير فى كتابه عن أبي الطيب المتنبي ، قائلا :

« ومن التضاد المدهش ، والكثير الحدوث فى التاريخ مع ذلك ، انه فى اللحظة التى كان فيها سلطان العباسيين آخذاً فى الزوال ، وحين كانت القرمطية تحرض الناس على الثورة ، كانت الفعالية الفكرية والفنية، مازالت متالقة جداً فى الشرق » (١)

فهل حكم علينا إذن أن ننشيء مؤسسات ضخمة البناء هزيلة المضمون دوماً ، وأن تبقى كذلك باستمرار ؟ واترك هنا كل بحث عن الثقافة الغربية ، واقف عند الثقافة التقليدية فيما يتصل باللغة العربية ، فهل يعرف القراء أن استاذاً جامعياً من أى قطر عربي ، أنتج كتاباً فى مثل وزن «خصائص» ابن جـني ، أو قريباً من هذا الوزن ؟ وإنى أعرف ولاشك ، أن وطننا أنتج بعض الشعراء العظماء مثل شوقي ، حافظ ابراهيم ، خليل مطران ، بشارة الخورى وابراهيم ناجي ، بدوى الجبل ، عمر أبى ريشة ، نزار قباني ، سليمان العيسى ، وآخرين من الطراز الحديث مثل آدونيس ، وصلاح عبد الصبور ، وعلى الجندى ، وأمثالهم من العراق وسورية ومصر والمغرب ، كالسياب والبياتي .. عدا المبدعين من الوزن القديم ، وعلى رأسهم العراقي الجواهري. وأعرف كذلك أن بعض أعمال هؤلاء قد ترجمت الى اللغات الأجنبية ، مما يشير الى تقدمها على الصعيد العربي ... ولكن من قال إنها كذلك على الصعيد العالمي ؟ وهل يعرف المغرب ، أو الشارع فى المغرب اسماً عربياً متألقاً فى الأدب مثل طاغور الهندى ؟

لابد إذن لهذا القصور الأدبي ، وهذا العجز عن الابداع العالمي ، من سبب أو عدة أسباب مجتمعة ، فماذا عساها أن تكون ؟

ولابد لهذه الأسباب من أن تكون داخلية أو خارجية . فاذا كانت داخلية ، فهذا يعنى أن البنية العرقيـة لشعبنا عقيمة ، متخلفة ، قاصرة ، وإذن فلا يمكن أن نكون غير أولئك العرب الذين ندعي الانتساب إليهم . ترى هل حل فى الأرض شعب آخر ، أخذ بمكان أولئك العرب القدماء ، وأفنى كل من له بهم صلة ؟ ولماذا لم نع ذلك ، فنسمى أنفسنا باسم الشعب الذى أصبحناه ؟

الحق أن هذه الفرضية غير مقبولة ، لا علمياً ولا أخلاقياً . والمواهب الانسانية شائعة فى كل مكان .. بالنسبة نفسها من الوجهة السيكولوجية ... إن سانغور شاعر مبدع سنغالي ، ولا أظن أن أحداً سمي بغير اسمه كشاعر ، لكن اسمه عالمي ، وليس محلياً . وبالتالي فلا مجال لقبول أية فرضية فى عقم أصيل ، متصلة بانحطاط العرق .

لم يبق إذن إلا الأسباب الخارجية المتصلة بحرية الأديب أو الباحث أو

الكاتب ، أو بمدى التشجيع الذى يلقاه هؤلاء ، وصورة الحياة التى يعيشونها. ولكن جب الوطن العربي من أوله الى آخره ، وحاول أن تجد صورة للحياة يتمتع فيها الموهوبون من شعبنا بمستوى لائق من الكرامة الفردية ، أو بالقدرة على التصريح علنا بما يفكرون أو يرون أو يرتأون لشعبهم ، ومستقبله أو حاضره ؟ ولكن لننف هذه الفردية التى يقبلها أكثر الناس بما يشبه البداهة ، فبماذا نستطيع أن نعلل كل هذا التخلف العلمي والأدبي وحتى اللغوي ... إني أقرأ أكثر المجلات رصانة فى الوطن العربي ، وأرى فيما يكتب الكتاب اللامعون أخطاء لغوية فاحشة وفاضحة ، بغض النظر عن قمة الفكر الذى يعبرون عنه ، فبماذا نعلل هذا الواقع كله ، إن لم يكن لا بالعرق وخصائصه ، ولا بالظروف وأوهامها ؟ وأكثر من ذلك أن نتساءل : هل من بارقة أمل فى تغير هذه الأوضاع عما قريب ؟

وكثيراً ما ألقى الأصدقاء من كل الأعمار ، وأطرح عليهم أسئلة تشغلني وتؤرقني وتملؤني شعوراً بالبؤس واليأس . ومن هذه الأسئلة ما أعبر عنه بما يلي :

● ـ كم عدد الأيام التى فرحتم بها فرحاً قومياً ، بنصر وطني أو قومي ؟

● ـ كم عشتم صور الحزن القومي ؟

● ـ هل تعتقدون أن دولة عربية واحدة أو مجموعة دول عربية تستطيع إذا جد الجد ، أن تهزم اسرائيل الآن ؟

● ـ هل تعتقدون أن ذلك فى وسعها، فى المنظور القريب وحتى العام ٢٠٠٠ مثلا ؟

● ـ فى أى الشروط نستطيع أن نجابه اسرائيل بنجاح . وهل هذه الشروط هي هذه التى نعيش فى ظلها ؟ عربياً أولا ، ثم عربياً ودولياً معاً .

● ـ هل تظنون أن القوى العاملة ، من كل الأنواع ، مستثمرة استثماراً حسناً ، فى وطننا أو أن الهدر فيها كبير وبالتالى كم هو الفرق بين قدراتنا الكافية ، وقدراتنا الفعلية ، بين انتاجيتنا الواقعية ، وانتاجيتنا الممكنة

ولن أذكر جواب الناس الذين طرحت عليهم هذه الاسئلة ، ولا أجوبتي هنا ، لسبب معقول حتماً ، لا لسبب آخر يتصل بالنزوة ، أو الرغبة ، أو الهزل . إلا انى ألخص ذلك كله بالقول : إن الأكثرية الساحقة من المجيبين ترى أننا ننشيء مؤسسات ضخمة من كل نوع ، وحتى مؤسسات الطاقة النووية ، ونعرضها على الأنظار ، ولكنها جميعاً كاتحاد الكتاب العرب تشكو أمر الشكوى من عظمة المظهر ، وضآلة المضمون . ولابد أن القيادات العربية تعرف ذلك مثل كل الناس . أفلا ترى إذن أن هنالك خطأ ما فى أوضاعنا ، وأنه لابد له من تصحيح سريع ؟ وأظن أن أكبر ما يواجهه العرب فى واقعهم هذا هو الاعتقاد « الفوقـي » أن كل شيء على ما يرام . وأن الله لم يخلق حتى الآن أروع من هذا الواقع القائم وأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، فى الحين الذى نجد فيه القضية العربية مع عدوها الأول مافتئت تزداد تعقيداً منذ عام ١٩٢٠ حتى الآن . وأن خط القوة العدوة صاعد وخط القوة العربية هابط ، أفيمكن أن ينشأ عجزنا هذا عن سلامة السلوك العربي ، أو عن شيء آخر ربما كان فيه شيء ما غير سليم ؟

ولا أنسى طبعا القول : أن الكثيرين يلقون التهمة على الاستعمار والامبريالية ... وفى ذلك قول غير مرفوض ... لكن هل كل ما يصيبنا فى الداخل والخارج لا يأتي إلا من الاستعمار والامبريالية ، وما من شيء فينا نحن إلا وهو سليم ؟ إني أتمنى ذلك من كل قلبي ، أى أتمنى أن يكون المذنب هو «الآخر» لا «نحن» ... ولكن يجب أن يقتنع الناس بصحة هذه الدعوى .

ولقد روى لي الصديق ، القريب الراحل العزيز ، الدكتور سامي الدروبي حكاية خلاصتها أن رجلا حمل الى مستشفى المجانين لأنه كان يظن أنه حبة شعير أو قمح لا أدري ، وكان يخشى من كل دجاجة فى الطريق ، خوفاً من أن تأكله فضاق صدر الرجل بمنزله الجديد ، وأقنع الطبيب المداوي أنه شفى من وهمه ذاك ، وأنه يستطيع العودة الى بيته بسلام وأمان . وكان هذا ما يرجوه الطبيب . فأخذ بيده وسار معه فى فناء المستشفى ، فى الطريق الى الادارة ، لتنظيم شكليات الخروج . وفى ذلك الفناء وجد رجلنا هذا بعض الدجاجات . فامتلأ قلبه فزعا واحتمى وراء الطبيب مما يفزعه . فعجب الطبيب منه وسأله :

ـ أما قلت لي أنك شفيت ، وأنك لم تعد تعتقد أنك حبة شعير ؟

وأجاب الرجل :

ـ صحيح هذا أيها الطبيب . أنا أعرف وأنت تعرف أنني لست حبة شعير ، ولكن كيف نحمل هذا الدجاج اللعين على الاعتقاد مثلنا ، أننى لست حبة شعير ؟ .

وهكذا أنا ، فاني مقتنع بأن كل شيء فى دنيانا على أتم ما يكون ، وكذلك الذين تهمهم القضايا العربية من فوق، فانهم مثلى فى هذه القناعة . ولكن كيف نحمل الناس على التصديق بأن كل شيء سليم . على حين أن الواقع كله مريض ؟

د. حافظ الجمالي ـ دمشق

---

١) أبو الطيب المتنبي . بلاشير . ترجمة ابراهيم الكيلاني ، ج (١) ، ص (١٤)

أنتخب فرحي
في مناسبات الحزن

بقلم
عبدالله جفري

إني استأذن حين أتأهب .. فاطرح — فى البداية — هذا السؤال :

— هل أدخل هذه الساحة ، أم استمر خارجها مسمراً .. ثلجياً ، أحاور الأصداء وانكفىء ؟!

فى البداية — أيضاً — يراودني سؤال آخر أطرحه هنا :

— هل أصبح إدراك الانسان للمفاهيم ، وللفكر ، وللفن ، وللارتقاء الحسي والذوقي .. إدراكاً منكفئاً ، مصدوماً بالمتغيرات المسلطة على رؤية الانسان ووعيه وشجونه ؟!

— ما هو الفارق بين داخل الساحة وخارجها ؟!

إننى اتلفت في كل الجبهات .. إنساناً منتمياً الى هذا العصر بمشاكله ، وبمتناقضاته ، وبقشوره ، وبأنينه ، وضحكاته،اليوم يبدو الانسان محكوماً بالتلفت .. لأنه مرهون بالأصوات المفاجئة ، ومنساق بعد ذلك وراء الفجائية ذاتها !!

وسأجيب على السؤال الأول .. بأن آذن لنفسي بالدخول الى هذه الساحة !

سأجيب على سؤال — أفترضه منبثقاً منكم — عن المقصود بالساحة ، وأقول : ان كل قضية تهمنا هى ساحة يتبارز وسطها نقيضان متوالدان من احتياجاتنا ، ومن مفاهيمنا . وكل رغبة تتبلور فى داخلنا هي ساحة ستخلو بعد قليل من اهتماماتنا بقتلنا لتلك الرغبة أو قتلها لنا ! .. وكل هدف يتضح من طموحنا هو ساحة .. نحن فى الغالب لا نملك حدودها ، ولكننا نركض فى فراغها حتى الاغماء وحتى المــوت ! .

نحن رهائن « ساحة » ننزف فوقها عمرنا ، ونقطر اشجاننا ، ونتباغض ، ونتحاب ، ونحارب ونموت ، ونقتل ، وننتصر ، ونضيع ، ولكن ثمن وا د هذه الصراعات ، وهذه الأهداف ، وهذه الرغائب أن تكون لها جميعاً قيم ومضامين لحياة كريمة ، ومفاهيم لتشييد مجتمع راق وحضاري !!

وأجيب على السؤال الآخر فاقول :

● حينما ينكفىء الادراك يصبح الحظ أعمى ! .. وهذا قول اشتقه من الترسبات الموروثة من أجيال ماضية .. رغم قناعتي التامة أن الجهد لا يخضع للحظ ، وأن الاجتهاد لا يسمى حظاً ، وإنما هو متأرجح ما بين الخطأ والصواب . فالانسان — إذن — إما مخطىء ، وإما مصيب .. ولكنه لن يكون محظوظاً أو سيىء الحظ !

بعد ذلك .. لا يمكن أن نسلم وعينا لانكفاء الادراك .. فرغم أن العالم يضم

أمماً قطعت شوطاً باهراً وبعيداً على درب الحضارة ، لكنها ضعيفة أمام متغيراتها المتصادمة ، لكنها مضطربة بفعل انكفاء إدراكها لمصالح الانسان المشتركة .. لأنها تنحصر فى مصالحها الخاصة !!

لهذه الأسباب تتقوض حضارات ، وتتفجر حضارات ، وكما قال « شبنجلر » إن الانسان المليء بالشجون .. لابد أن يعرف أن ما يمتلىء به ليست شجونه ، وإنما هي شجون غيره التى يعاني منها

فأنت تبكي إذا فقدت شيئاً يخصك ، ولكنك تبكي أكثر إذا فقدت إنساناً تغليه، أو إذا هجرك من تحبه ، ولا تبكي إذا هجرت من يحبك !!

وأنت تتنازل لغيرك عن أشياء كثيرة ، ولكنك لن تتنازل من اجل نفسك عن أشياء تضرك لأنك تزاحم بها الآخرين ، فالآخرون هم شجونك ودموعك وابتسامتك ، والشاعر يفعل ذلك أيضاً بدون أن يدري .. فالخنساء تنازلت عن شبابها وأنوثتها من اجل اخيها «صخر» ، أو بسبب حزنها عليه ، ولكنها لم تتنازل عن حزنها ولوعتها على «صخر» من اجل أنوثتها وشبابها !!

وهذه النظرة قد تبدو متارجحة إذا انطلق جدل لمناقشتها ، وإذا تركز الجدل حول رفض التنازل عن أشيائنا الحميمة أو الخاصة بنا .. باعتبار أن الانسان أناني ، ولكن انانية الانسان ليست من أجله بل هي من أجل ما يريد ، وهو يريد لنفسه ، ولكن الذى يريده لنفسه يعطيه كل نفسه ، أو أغلى ما عنده !!

هنا .. اقترب من النقطة الأخرى التى تأملت جوانبها .. ولابد أن تكون مرتبطة بما طرحته من شواهد ، أو من حوار !

هذه النقطة هي مخاض لانطباع تشكل فى محتوى الجيل الذى يشهد لنا وعلينا ، وهي رؤية ـ محتدة ! ـ لحصيلة عاطفة انسانية تضيع فى غبار قبح الرغائب واحتياجاتها ، وهي معاناة ذات حين .. تقتل القاتل والقتيل ، ويبقى داخل الساحة لا اكثر من انقاض حضارية ، وتهدمات نفسية .. كانت «مرحلة» فى حياة الأجيال السابقة وأصبحت معاناة للجيل المعاصر !!

وسأستلهم دليلي من عاطفة الانسان ، ومن وسائل التعبير عن هذه العاطفة ، وأسأل :

ـ ما الذى تبقى من عاطفة الانسان ؟

ـ الجواب : عندما أراد الكاتب الأمريكي « همنجواى » أن ينتحر لم يقل للعالم : انتحرت لهذا السبب ، ولكنه قتل نفسه فى صمت ، وترك الضجيج لمن تحلقوا حول جثته ، ولكنه قبل أن يموت كان يكتب رواية لم تكتمل ، وتركها عند سطور قال فيها : إذا كان ما تبقى من الحياة هو مزيد من قبح المصالح ، ومن عاهات الوجدان .. فلابد ان يكون الموت إجابة رائعة على هذا السخف !

والانتحار ليس حلا ، ولكنه نتيجة ..

كذلك فان عواطف الناس لم تعد «وجداناً» ، ولكنها أصبحت لا اكثر من مضمون للوجدان ، واختلفت تلك المضامين وتلاحت !!

فالعاطفة موجودة ، ولكنها دائمة التلفت .. منساقة وراء الفجائية ذاتها .

وقد قال المؤرخ المعاصر « توينبي » وهو المؤرخ الذى لا دخل له بالشعر ، والفن :

● «في شبابي أردت أن اتعلم الرسم ، فكانت أولى محاولاتي انني رسمت سماء زرقاء . وغصن شجرة ، وطائراً يحلق فى المدى ، وقبل عام واحد فقط أردت أن أهرب الى الرسم ، فكانت أخر محاولاتي اننى رسمت مدفعاً ، ومساحة حمراء تعني اللهب ، وبوماً في داخله !! » .

وأراد المؤرخ أن يقول : لقد تبدلت الحياة ، ان المتغيرات هي حصيلة الرغائب المجنونة ، والمصالح القبيحة ، وهي تعبير لعصر القلق والخوف من الحروب ، ومن الأمراض ، ومن المجاعات، ومن الاكتشافات الفتاكـة !!

واستوقفتني عبارة قديمة صرح بها شاعر عربي معاصر لاحدى المجلات فقال:

● إننى متوتر ومجنون ، لا تسالوني عن شعري ، فمازلت مبدعاً وفناناً واكتب الشعر الجيد ، ولكنه ليس الشعر الوجداني .. بل هو الشعر المناضل ، أو الشعر القنبلة . إن هذا هو عصري وعالمي !!

وتجعلني هذه العبارة انكفىء ولا أرتد . أتقلص ولا أتمدد ، أنوح ولا أدري قضيتي !!

إننى انتحّب فرحي فى مناسبات الحزن !

إننى أرشح طموحي لخدمة مصالحـــي !

اننى عاطفي ومتسلخ ، بل إننى أرعرع شجوني وأصدمها !!

لقد قال ذلك الشاعر ما استهجنته بنفسية الانسان المتعب .. المبدد فى أصداء تلك المساحات !

وهل هناك داع للسؤال ؟!

وهل يصبح من الضروري انتظار الاجابة ؟!

أي سؤال .. وأية اجابة ؟!

إننى لا أحاور الفهم ، ولا أترصد الادراك .

إننى ـ فقط ـ أتفصد حزناً ويقهرني العالم !

لست شاعراً ، ولكنني ولدت فى دواعي الشعر !!

كان الشاعر «طرباً دوراً» ينثر أشعاره فى الطرقات على شعر حسناء فتغنى شعره كانها تشم زهوراً !

وكان الشاعر يدخل مسابقات «البراعة» من أجل الارتفاع بقيمة الكلمة فيأخذ جائزة ، أو جاهاً .. فكأنه يحول الدنيا الى معزوفة موسيقية !

وليست هذه قيمة الشاعر كلها ، ولكن المحتوى الوجداني كان هو القيمة . فما قيمة إنسان بلا مضمون وجداني ؟!

ان العالم يبدو بلا مضمون وجداني ..

أنتخب فرحي

في مناسبات الحزن

العالم يتحول الى سياسة ، والشعر يحترق فى هذا التحول .. فلابد أن يقترب الشاعر من آلام أمته ، وعندما اندلعت حركة المقاومة الفلسطينية انبثق عنها شعراء المقاومة : درويش ، والقاسم ، وكانت لهما ولادة أكبر من حجم معطياتها الشعرية أو الفنية .. كان الاعتبار لوظيفتهما أولا ، وعندما اضطربت دروب « محمود درويش » تحول الى شيء عادى ، أو تحدد كشيء سياسي ، ولكنه كشاعر ربما كان مبدعاً .. إنما هذا الابداع توقف عند محتوى وجداني محدد !

ومحمد الفيتوري ــ برغم شاعريته المبدعة ــ فقد تسلق صدور الناس وأذهانهم وشجونهم يوم غنى لافريقيـا ، ثم تحول غناؤه سياسياً فتحدد ، ثم توقف عند الصوفية أو أغرق نفسه فى محتوى وجداني محصور !

ويوم أصدر الفيتورى « معزوفة الى درويش متجول » ظن البعض انها بداية جديدة لمرحلة مغايرة للشاعر ، ولكنه لم يكن أكثر من متلفت متوتر !!

وبحث «أدونيس» عن ذلك المضمون الوجداني .. إنه ــ أيضاً ــ يعاني من التفاتاته المتوترة .. إنه يخاطب الحجر كزهرة ، ويعصف بالزهرة كبرق .. انه يتحدث عن عصره برؤية لا يمتلكها ، ويترافع عن قضايا مشروخة كانه «ديوجين» !

أما « صلاح عبد الصبور » فبعد مسرحيته الشعرية « ليلى والمجنون » حاول جاداً أن يصعد فوق تراكمات مضمونه الوجداني .. لكنه حدد رؤية معينة فى زمن ما ، ثم اختلطت المرئيات عنده حتى الصمت !

و «غادة السمان» لا تستطيع أن تصف شيئاً الآن ، ولكنها تحتد أمام أي شيء ، وكل شيء . إن هذه الحدة ليست بالضرورة هي مضمونها الوجداني ، ولكن مضمونها الأصيل متوتر متلفت ..

يهبط تارة ، ويحلق تارة اخرى ، وهذا التحليق هو تعبيرها ، فهي بارعة فى التعبير عن شيء غير معروف أو غير متواجد !!

وفى الصحف والمجلات العربية حملة متناقضة على «نزار قباني» .. لأنه شاعر يدخل قدماً واحدة ، ثم يخرجها ، ويجرب بالقدم الأخرى .. فهو يحاول أن يفتح طريقاً يجسد موته زمناً يعترف به غيره ، ولكن هذا الزمن يبهت فى الملامح التى يرسمها «نزار» لأنها ملامح مترددة ، أو لأن تأمله لتلك الملامح بعد رسمها تأمل متلفت متوترة !

وكل هؤلاء توقفوا عن اعطاء الجديد ، وعن ولادة رؤية جديدة لزمن مامول . انهم جديرون بالعذر ، ولكن المضمون الوجداني لكل جيل يتجاوز الأعذار .. فأما أن يقوى عليها ، وإما أن تهشمه !!

● وذات مرة جاء أحد النقاد العرب المعروفين ، وهو الناقد «غالي شكري» فقال :

ــ «واللحظة التى يدعونها الالهام أو الوحي ، والتى يقرر فيها الشاعر هذا الأسلوب أو ذاك هي نفسها اللحظة التى يقرر فيها إيصال هذه الفكرة أو تلك .. هذه اللحظة هي الابنة الشرعية لمجاهدات الفنان مع الحياة والثقافة ، وهي أيضاً الثمرة الموضوعة لتكوينه الذاتي المنفرد ، أو ما يجب أن ندعوه بالضمير الفني ، وهو لا يرادف الضمير الأخلاقي » !!

وهذا الناقد قد أراد أن يشتم شعراء معينين ، والفكر والفن ليسا فى حاجة الى شتامين ، أو فى حاجة الى من يحدد أن هذا الشاعر ذو ضمير اخلاقي ، أو ضمير فني ، ولكن المحور هنا أن نناقش فى ضمير القضايا التى تواجهنا ، وفى ضمير الأحداث التى تفاجئنا ، فالشاعر إنسان قبل كل شيء .. بل هو أكثر حساسية لأنه يستلهم المضمون الوجداني لأمته ، أو لجيله ، فهو ــ إذن ــ محكوم بالمتغيرات ، أو مصدوم بالمتغيرات التى تسلط على رؤية الانسان ووعيه وشجونه .. بمعنى انه إما أن يعبر ، وإما أن ينكفىء . بمعنى أنه إما أن يكون على صواب ، أو يكون على خطأ . وكيف يتحدد الصواب وكيف يتم الاعتراف بالخطأ ؟!

إن المحتوى العاطفي هو الآن لا أكثر من تلفت متوتر ..

وأن الأبعاد الثقافية .. لا تنفصل عن ذلك المحتوى الوجداني ... لأنها تستنهض رؤية جيل بكامله !!

وكلنا ننتمي الى هذا الجيل الباحث عن إدراكه بكل الوسائل والتصور أيضاً !

إننى أُدَجِّن عاطفتي لئلا تجمـــح .

إننى أعاني من إدراكي ووعيي ، وأتكسر فوق أرصفة الأسئلة العقيمة التى لاتلد الاجابات المنتظرة !

إننى جيل يختبىء فى غبار الحروب ، ويحترق بلهب القوى العالمية التى تصنع تلك الحروب !

إنني شاعر ، وسمسار .. انادى على حقوقي الانسانية من داخل محتواي الوجداني وأتهدم !!

لقد بات العشق فجائية التصور ، فالأنثى التى تعشقها إما متشائمة منك ، أو متفائلة بنفسها ، والحدث الذى تنتظره إما عن وعي متصادم أو شجن مكثف ، وأنت لاتعشق لتروي محتواك الوجداني وإنما لتغرقه !

إننى انحبس وانهمر وتشربني نفسي !!

عبد الله جفري ــ جده

قـــالواهـــذاالشهـــر...

أرضنا مقدسـة وهي ليست للبيـع ولا للايجـــار

غسان تويني مندوب لبنان فى الأمم المتحدة

لقد ضبطنا مع بعض الحجاج منشورات وصورا تخلط بين الدين والسياسة وتدعو لتأليه الأفراد وتعمل على تحريف العقيدة الاسلامية وهو أمر باطل ومسيء للاسلام ومرفوض شرعـــاً .

الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير مكة المكرمة

« روبرت ماردوخ » صاحب جريدتي « التايمز » و « الصنداى تايمز » ما هو إلا قرصـان استرالـي سيطر على شارع الصحافـة فى لندن عندمـا اشتـرى الصحيفتين ودفع ٦٥ مليون دولار .

جريدة الأخبار القاهريــة

ريجان هو أفضـل رئيـس لأمريـكا فى هـذا القـرن .. ويجـب أن نعطيـه فرصة !! .

هنكلي ــ الشاب الأمريكي الذى حاول اغتيال ريجان فى ٣٠ مارس الماضى

تم الاتفاق بين بنك دبي الاسلامي وجمعية دبي التعاونية وأكبر المصانـع المنتجة للدجاج فى الدانمرك على ذبح الدجاج المصدر منها الى الدول الاسلامية يدويـاً ووفق قواعد الشريعة الاسلاميـة ، وسيكتـب على الغـلاف الخارجي للدجاج باللغة العربية أنها ذبحت باليد وبحضور ممثل إسلامي .

وكالات الأنبـاء

إن اعتراف « تاتشر » بمنظمة التحرير الفلسطينية يجبرها فى النهاية على الاعتراف بالجيش الجمهوري الايرلندى كحركة من حركات التحرير وهو ما ترفضه تاتشر وتخشـاه على الدوام .

دبلوماسى بريطاني

باريس ليست وطني .. باريس تكفيها مشاكلها . أريد أرضاً تكون وطناً لي . أشعر بمسئوليتي تجاه الوطن وأحس بواجبات الوطن نحوى .. إن الوطن كالولد لا تستطيـع استبدالـــه .

الكاتب اللبناني ابراهيم سلامـة

إن القنبلة النيوترونية تقتل العاملين على الآلات الكاتبة أمام آلاتهم التى تبقى صالحة للعمل ، وتقتل العلماء دون أن تصيب « الكمبيوتر » أو العقل الالكتروني ، وهذه القنبلة تقضي على رجال الاعمـال فى مكاتبهم دون اتـلاف الملفـات ، وهي تقتل العمـال فى المصانع دون أن تتوقف الآلات .. إن جميع مؤيدي برنامج صنع قنبلة نيترونية هم من أكلة لحوم البشر .

من كتاب (فلتسقط الحرب) للكاتب الفرنسى مارك جينست

حقق شاب فى العشرين من عمره اسمه مارك راى « ٢٥ عاماً » رقماً قياسياً فى الصراخ عندمـا استطـاع أن يصرخ ٣٤ ساعـة متواصلـة .

جريدة الشرق الأوسط

أتمنى أن تسود الحرية إلى آخـر مداهـا فى حيـاة النـاس على اختـلاف أوضاعهـم وأعني بالحريـة هنـا : القانـون وليـس كسـره أو اختراقـــه .

زكي نجيب محمــود

الإنسان.. ومكاسب عصر الفضاء

بقلم : إبراهيم السمان

لقد شغل غزو الفضاء العالم فترة من الزمن فى الستينات وبلغ اهتمام الناس به ذروته عند هبوط الانسان على سطح القمر . وقد أنفق العالم شرقه وغربه أموالا طائلة فى طريق انتقاله الى عصر الفضاء . ومن الطبيعي أن يتبادر الى الأذهان السؤال التالي : « ما هي مكاسب عصر الفضاء التى تحققت بعد كل هذا الترقب والعناء ؟ »

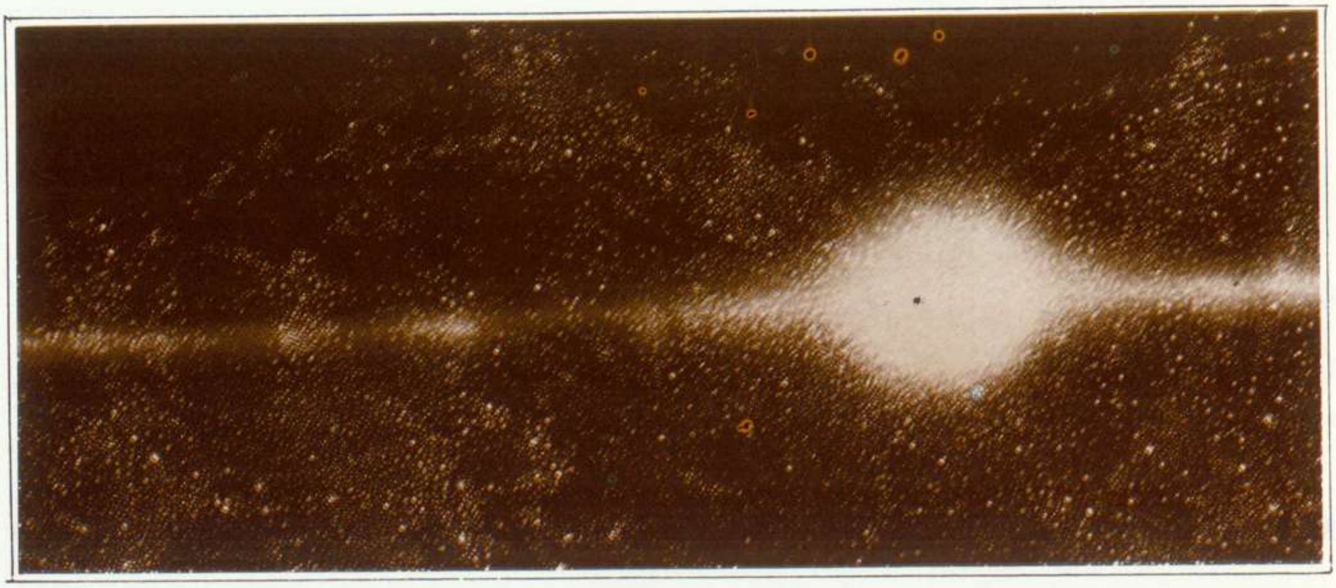
الشيء الثابت أن ما انفق على البحوث المتعلقة بغزو الفضاء لم يذهب سدى . فبعض مكاسب عصر الفضاء يبدو واضحاً للجماهير عامة . وبعضها لا يتضح لغير المختصين . وهناك أشياء مازالت فى عالم الغيب . وقد قرأت عشرات الكتب والمقالات التي تتناول ثمار عصر الفضاء إلى أن أطلعت على كتاب « مكاسب عصر الفضاء » لثلاثة من المؤلفين هم : فردريك أوردواى ، وكارسيبي آدامز ، ومتشل شارب . وهو كتاب يتميز عن غيره من المراجع باحتوائه الشامل لمكاسب عصر الفضاء فى معظم ميادين الحياة المعاصرة نعرض فى هذا المقال جوانب منها لأنه من المتعذر الاحاطة بها فى مقال واحد أو اثنين ..

فمن المنافع العلمية المنبثقة عن عصر الفضاء منتجات جديدة لاستعمال المنازل والصناعات . فحادث اشتعال النيران فى سفينة الفضاء أبوللو الذى راح ضحيته ثلاثة من رواد الفضاء عام ١٩٦٧ أدى إلى البحث عن مواد غير قابلة للاشتعال من أجل استخدامها فى سفن الفضاء التى تحمل الرواد . فتم انتاج أكثر من (٣٣٠٠٠) عينة لم يقبل سوى نسبة أقل من واحد فى المائة منها. وهذا كان سبباً فى اكتشاف أكثر من مادة مضادة للحريق . وفى تكنولوجيا الطعام تم إنتاج أغذية مركزة ذات كثافة عالية وخفيفة الوزن وتشغل أصغر حيز ممكن ولا تحتاج الى تبريد لحفظها من العطب .. وبدأت صناعة حفظ المأكولات ، فاذا بمخازن البقالة اليوم تعرض للبيع منتجات مجمدة بنزع المياه بالاضافة الى تطبيق أساليب التغليف الفنية التى وضعت خصيصاً لمأكولات الفضاء . واستفادت كذلك وسائل الطهي وحفظ الطعام من بحوث الفضاء الجوى ..

وتعتبر صناعة الملابس ميداناً هاماً آخر للاستخدام التجاري الناتج عن التحسينات التى توصل اليها هذا العلم وقد ارتبطت بحوث الفضاء بتصميم المنازل نتيجة الخبرة فى تخطيط أنظمة المحافظة على حياة رواد الفضاء . كما ظهرت أجيال جديدة – إذا جاز هذا التعبير – من مواد البناء المتناهية القوة والمتانة . وقد يكون من أغرب المعدات المستحدثة فى برامج الفضاء هي التى تصنع من الجليد ؟

وأما ثورة العقل الالكتروني فلا أجدنا بحاجة إلى التأكيد أن بحث الفضاء هو الأب الشرعي للعقل الحاسب الالكتروني وتطوره المتواصل .

وفى ميادين الصحة والطب ، فانه يتعذر تقييم الآثار التى احدثتها بحوث الفضاء فى بعض المعارف الأساسية فى علوم الاحياء ووظائف الأعضاء فى مقال محدود . فقد جنت العلوم الطبية الكثير من الثمار الفضائية فى مجالات عديدة مثل التحول الغذائي للاكسجين فى جسم الانسان وفائدته العلاجية بزيادة الضغط عليه عند سطح البحر ، وإذا



كان من أهم متطلبات رحلات الفضاء المأهولة هو إجراء قياسات فسيولوجية من مسافات متناهية البعد .. فكيف يستطيع طبيب على الأرض أن يعرف درجة حرارة أو سرعة نبض رائد الفضاء وهو فى مدار يبعد (١٢٠) ميلا عن الأرض أو يمشى على سطح القمر ؟ وبفضل البحوث تم تحقيق ماكان يبدو للناس ضرباً من الخيال ..

ويعتبر نظام مراجعة عمل القلب لعدد من المرضى فى آن « واحد » هو أيضاً نتيجة بحوث الفضاء ..

أما طب الأسنان فقد ظفر بنصيبه من مكاسب عصر الفضاء . فأحد تلك المكاسب هو جهاز يمكنه الكشف عن مناطق الاسنان التى لابد أن يبدأ تسويسها قبل أن يتحدد بالرؤية أو بأية وسيلة أخرى . وكان هذا الجهاز قد سبق انتاجه أصلا لتحليل عينات من تراب سطح القمر ؟ ومن الأشياء النموذجية لمثل هذه المكاسب هو حفار الأسنان ذو السرعة العالية ..

وامتدت أجنحة عصر الفضاء فأظلت المستشفيات والصيدليات ..

أجهزة رصد الكوارث

وأدرك رواد الفضاء أن وسائل الانطلاق المدارية سوف تكون منصات نموذجية للمشاهدة ومراقبة أحوال المحيطات والأرض والجو . فتحولت الأقمار الصناعية لخدمة الانسان . فمنها يمكن مشاهدة مساحات واسعة من الماء واليابسة . وبذلك تحقق تسخير الأقمار الصناعية لخدمة الأرصاد الجوية وإجراء الدراسات للكشف عن الموارد الطبيعية ورسم الخرائط الجغرافية .

فقد أصبح من السهل معرفة ملامح الكرة الأرضية من بصماتها فى الطيف الكهرومغناطيسى كما نعرف الانسان من بصمات أصابعه أو نبرات صوته ..

وأن معظم الصور التى تلتقطها الأقمار الصناعية واضحة ومفصلة بشكل يمكن معه تحديد موارد الأراضى والمحيطات بكنوزها المختلفة .

وقد استفادت صناعات عديدة من المعلومات الواردة من أقمار المحيطات كصناعة صيد السمك وصناعة شحن السفن وذلك عن طريق تحديد حجم الصيد المنتظر ومدى هدوء البحر فى مناطق صيد الأسماك ..

وأما الخدمات التى قدمتها أقمار المحيطات فى ميادين الشحن فقد شملت اختصار وقت السفر والاقتصاد فى استهلاك الوقود وتقديم المعلومات الدقيقة عن أحوال الطرق البحرية ومدى سلامة الملاحة فيها لاسيما المناطق التى تكثر فيها جبال الجليد الطافية فوق سطح ماء . وقد لا يصدق القارىء أن ما يعرف بجزيرة الثلج يصل طولها أحياناً الى أكثر من خمسة عشر ميـلا وسمكها الى مائتي قدم .

ومن مكاسب عصر الفضاء أجهزة رصد الكوارث الطبيعية وتقدير كميات المياه المخزونة فى الأنهار والبحيرات وتحديد مستوياتها .. والكشف عن التلوث وكذلك أجهزة الانذار باستهلاك كميات المياه محلياً واقليمياً وعالمياً .

وأما هذه المكاسب فى آفاق الاتصالات فكانت قمة الانجازات .. فأقمار الاتصالات تملأ أجواء العالم .. فقد جعلت منه فعلا لا قولا قرية صغيرة

• • •

لقد انهى عصر الفضاء عصور العزلة وجعل من العالم المختلف الألوان والأشكال اسرة واحدة فى ميدان الاتصالات الفضائية ..

وهكذا تتوالى انتصارات الانسان فى عصر الفضاء بحثاً عن حياة أفضل توفر السعادة للاجيال القادمة على حد ما تنشره وتذيعه وتعرضه وسائل الدعاية والاعلام ــ فهناك فرق ، كما نعلم جميعاً بين الدعاية والأعلام لا مجال للدخول فى تفاصيله ضمن هذا المقال ..

واليوم .. وبعد كل هذه المكاسب . هل الانسان سعيد حقاً على هذا الكوكب ؟ وهل هو صادق مع نفسه ؟ إن واقع العالم الملتهب ينفى ذلك .. فان جميع تلك المكاسب فى عصر الفضاء لاتوازى بحال من الأحوال الخسارة فى فضاء القيم والأخلاق والمثل العليا ؟ . فماذا يفيد الانسان ماله بعد حياته التى أصبحت رهينة أقذر أسلحة عصر الفضاء ، بل أنذل سلاح عرفته البشرية: نعم القنبلة النيوترونيـــة ؟؟

ابراهيم السمان ــ عمان

تعريب التعليم الجامعي
والبنـــــاء الحضـــــاري للأمّـــــة

بقلم الدكتور: محمد عاطف كشك

الحديث عن استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلوم حديث شائع على ألسنة الأفراد والجماعات والهيئات . لكنه شائع أيضاً أن يتم تناول القضية بشكل قاصر ومنهج غير ملائم وطريقة متسرعة لا تتناسب مع خطورة وأهمية قضية حيوية مثل قضية استعمال اللغة القومية . لذلك سوف نحاول فى هذه الدراسة القصيرة مناقشة عدد من الأبعاد التى تضع قضية تعريب التعليم فى الاطار الذى نعتقد أنه الاطار الملائم لتناولها .

وفى هذا الاطار يتم تناول تعريب التعليم باعتباره جزءاًمن قضية أشمل هى قضية استعمال اللغة القومية فى كافة المجالات . واستعمال اللغة القومية بدوره جزء من قضية أكبر وأشمل هى قضية التنمية وبناء الأمة . وسوف نناقش استعمال اللغة القومية باعتباره ليس مجرد دفاع عن النفس بل باعتباره وسيلة ضرورية لاكتشاف الجذور لكى نعرف بالضبط أين نقف حتى يمكن لنا أن نقتحم العالم المعاصر .

لذلك فاننا سوف نحاول فى البداية مناقشة بعض التناقضات والمغالطات الشائعة فى تناول قضية استعمال اللغة القومية ، ثم نحاول بعد ذلك ربط القضية بأبعادها الصحيحة فيما يتعلق بالتنمية والبناء الحضارى للأمة ، وتحقيق الوحدة الثقافية للشعوب ، وتحقيق الارتباط بالواقع ، ونقل العادات والقيم ، ونقل التكنولوجيا ، والتكامل العربى .

وفى عدد من الملاحظات الختامية سوف نشير الى بعض الوسائل التى يمكن بها تحقيق تقدم ملموس فى محاولات تعريب التعليم .

أولا : تناقضات ومغالطات

عند تامل الأبعاد المختلفة لقضية تعريب التعليم الجامعى فى وضعها الراهن يمكن اكتشاف عدد من التناقضات والمغالطات التى تحتاج الى وقفة لفحصها ونقدها . ويمكن مناقشة أهم هذه التناقضات والمغالطات فى النقاط التالية :

١) يمكن تقسيم الدول العربية فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية فى التعليم والحياة الى مجموعتين : مجموعة الدول التى استطاعت أن تحافظ على استعمال اللغة العربية فى معظم مراحل التعليم وفى الحياة والتعاملات الرسمية ، ثم مجموعة الدول التى استطاع المستعمر أن يفرض عليها لغته لدرجة انها وجدت نفسها بعد الاستقلال ومعظم افرادها لا يستطيعون أن يتكلموا أو يفهموا لغتهم القومية كما حدث فى الجزائر وتونس . ومن الغريب أن المجموعة الأخيرة تقدر ضرورة بذل جهود مضنية ومخلصة لاستعادة مكانة اللغة العربية ، فى حين ان مجموعة الدول التى حافظت على اللغة العربية طوال فترات الاحتلال هى التى تتصاعد فيها الآراء التى تشكك فى صلاحية اللغة العربية لاحتواء العلوم الحديثة وقدرتها على التعبير ومتابعة التغيرات العالمية السريعة وخاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا . والتفسير الوحيد الذى نستطيع أن نقدمه لهذا التناقض هو أن الدول التى سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد أتيحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لاهمال اللغة الأم وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الأجيال الجديدة بواقعها ، مما أدى الى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة ، فى حالة الاستمرار فى تجاهل اللغة القومية . والوقوع فى مثل هذا التناقض الغريب ليس نادر الحدوث فهو شائع على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول عندما تتجاهل قيمة ما تمتلكه بالفعل .

٢) مغالطة شائعة أيضاً فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية يرددها كثير من العلماء مؤداها أن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى والمصطلحات العلمية والحضارية التى نشأت فى لغات أخرى . ولن نرد على هذه المغالطة أو هذا الخطأ بمحاولة ترديد ما قيل كثيراً عن خصوبة اللغة العربية وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث عن طريق البحث فى

● لماذا يتهمون اللغة العربية بالعجز وعدم القدرة على استيعاب مصطلحات الحضارة الحديثة؟

● تدريس المواد في الجامعات باللغات الأجنبية يقضي على محاولات التأليف العلمي في اللغة العربية!

التراث أو عن طريق الاشتقاق أو نحت الفاظ جديدة . ولن نرد ايضاً على هذه المغالطة بالاستشهاد بعدد غير قليل من المحاولات العملية الناجحة سواء بذلت بواسطة أفراد أو جماعات أو هيئات (مثل مجامع اللغة العربية) والتى تم فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة الى اللغة العربية . واثبتت هذه المحاولات بالفعل – رغم وجود بعض نواحى النقص فيها – قدرة اللغة العربية – ربما أكثر من لغات اخرى كثيرة – على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة . كما اننا لن نرد على هذه المغالطة وهذا الخطا بمحاولة تذكير القائلين به بما كان عليه الحال فى عصور ازدهار الحضارة العربية او الاسلامية وازدهار العلم والفلسفة العربية عندما كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة وتمتلك من الغنى والخصوبة والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير والتاثير سواء فى العلوم التى نشات فى ظل الحضارة العربية أو التى نقلت اليها عن طريق الترجمة وخاصة العلوم والفلسفة الاغريقية .

كل ذلك ربما كان معروفاً تماماً للقائلين بعجز اللغة العربية . واذن ربما يكون مفيداً اكثر ان نحاول اكتشاف الأسباب الدافعة للوقوع فى هذا الخطا أو هذه المغالطة . واعتقد ان الأسباب لا تخرج عن احد الاحتمالات الآتية :

أ – أن يكون القائلون بعجز اللغة العربية لا يفهمون لغتهم الأم فهما جيداً ولا يعرفون قدرتها وامكاناتها الهائلة . لكنه يجب أن نذكرهم دائماً بانه مهما كان تعمقهم وتبحرهم فى اللغات الأجنبية التى يستعملونها فسوف يظلون عاجزين عن معرفة كل أسرارها لانها رغم كل شىء ليست لغتهم الأم .

ب – بعض الذين يحاولون باستمرار التشكيك فى قدرة اللغة العربية ويصرون على استعمال لغات اجنبية – رغم عجزهم الفاضح احياناً فى فهم أسرارها – انما يحاولون اخفاء تفاهة مضمون ما يقدمونه من مادة عن طريق تغريب الشكل الذى يضعونها فيه .

جـ – الاحتمال الثالث لتفسير هذه الظاهرة هو احتمال الكسل الذى يجعل البعض يقول : مادمنا ناخذ مضمون ومحتويات العلوم من الخارج فلماذا نتعب انفسنا ونبدد وقتنا فى محاولة نقلها الى العربية ؟ وخطر هذا الاتجاه – كما سوف نرى – انه لا يدل فقط على الكسل ولكنه يدل اكثر على تجاهل طبيعة التقدم العلمى وارتباطه الوثيق باللغة .

٣) المغالطة الثالثة الشائعة يقول اصحابها ان استعمال اللغة العربية يعزلنا عن العالم المتقدم – المنشىء للعلوم الحديثة – ويجعلنا غير قادرين على الاتصال بهذا العالم والتاثر به أو التاثير فيه . وهذه مغالطة من السهل فضحها فسوف نرى كيف ان التاثير فى العالم واحتلال مكان بارز فيه لن يكون إلا عن طريق بناء الوحدة الثقافية للأمة والارتباط بالجذور التاريخية لها . كما أن القائلين بهذا الادعاء إنما يخلطون بين استعمال اللغة العربية وتعلم اللغات الأجنبية الحية . فلا اعتقد ان احداً يمكن أن ينكر فائدة – بل وضرورة – تعليم اللغات الأجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة لكل الأجيال الجديدة ، لكن ذلك شىء واستعمال اللغة القومية شىء آخر . والأمثلة أمامنا عديدة فمعظم النتائج الهامة للعلم متاحة فى عدد محدود من اللغات الحية ولو أن الاتصال بالعالم المعاصر يحتم ضرورة التعليم بهذه اللغات لرأينا التعليم فى معظم بلاد أوربا يتم بالانجليزية او الفرنسية لكن ذلك لا يحدث فى الواقع ، والمثل الواضح الذى يمكن ان أسوقه هنا هو هولندا ، فالهولنديون يعرفون ان لغتهم ليست هامة حيث لا يتكلم بها اكثر من خمسة عشر مليوناً ، ولذلك لا يوجد شاب هولندى لا يعرف بجانب لغته الأم لغتين أو ثلاثاً من اللغات الحية . ولكن احداً لا يناقش بالمرة فى أن التعليم فى جميع مراحله يجب أن يكون باللغة الهولندية . فما بالك باللغة العربية وهى لغة أهم بكثير من اللغة الهولندية باعتبار عدد الناطقين بها ، وباعتبار تاريخها وتراثها ، وحتى باعتبار اعتراف العالم بها . هذه المغالطة أدت فى الواقع الى معضلة صعبة ، ففى مثل هذا الوضع المتردد والمهتز لا نحن حققنا الاتصال بالعالم ، ولا نحن حافظنا على وحدتنا الثقافية لأننا أهملنا لغتنا القومية ولم نتعمق فى تعلم اللغات الأجنبية الهامة . ثم ان هذه المغالطة جعلتنا ايضاً نقصر فى محاولات الترجمة والتعريب للمصطلحات العلمية والفاظ الحضارة باعتبار أنه لا مبرر لبذل الوقت والمال والجهد فى ذلك . فى حين أن كل الدول المتقدمة والتى تعتز بلغاتها القومية تعترف بالترجمة والنقل وسائل فعالة فى الاتصال والتبادل بين الحضارات واللغات المختلفة .

٤) المغالطة الرابعة تتعلق بالادعاء القائل بان التعليم فى المرحلة الجامعية وخاصة فى مرحلة الدراسات العليا لا يمكن أن يتم باللغة العربية، وهنا تجاهل واضح لنجاح التعليم باللغة العربية فى كل مراحل التعليم قبل الجامعة فى معظم الدول العربية . وخطورة هذه المغالطة انها ترتبط مباشرة بتدهور مستويات التعليم فى كثير من الجامعات ، فكثير من الأساتذة لا يجيدون اللغات الأجنبية التى يعلمون بها ،

ومعظم الطلاب يجهلونها جهلا تاماً ، وذلك يكون على حساب المادة العلمية والمستوى ويكون على حساب محاولات التاليف فى اللغة العربية ومحاولات الترجمة اليها ، ونحصل فى النهاية على اجيال غير قادرة على مواصلة التعلم ورفع المستوى العلمى وملاحقة تطورات العلم والتكنولوجيا لأنها لا تستطيع القراءة فى لغات اجنبية ولا تجد أو لا تؤمن بما هو متاح فى اللغة العربية .

ثانياً : الأبعاد التى ينبغى من خلالها تناول القضية

بعد أن ناقشنا بعض التناقضات والمغالطات الشائعة فى تناول قضية تعريب التعليم ، سوف نحاول هنا ربط القضية بالأبعاد التى نعتقد أن تناول هذه القضية بدونها يعتبر تناولا قاصراً يجرد هذه القضية الهامة من سياقها الذى يجب دائماً أن توضع فيه . ويمكن تناول هذه الأبعاد فى النقاط التالية :

تعريب التعليم الجامعي

● التنمية الحضارية : بُعْدٌ من أبعاد التنمية الشاملة

تسود المشاكل المتعلقة باستعمال اللغات القومية فى البلاد الفقيرة المتخلفة ومعظمها كانت محتلة لفترات طويلة وحصلت على استقلالها حديثاً جداً ، وجميع هذه الدول تحاول ـ بدرجات وطرق مختلفة ـ أن تعبر الفجوة الواسعة بينها وبين الدول المتقدمة عن طريق عمليات التنمية . ويصعب بالتالى تناول قضية استعمال اللغة القومية بمعزل عن قضية التنمية وعندما نتكلم عن التنمية فاننا نتكلم عن بناء الأمة بشكل كامل . وهذا البناء لا يمكن أن يكون احادى الجانب وإلا فقد التوازن والاستقرار اللازمين لأى بناء ، فعملية التنمية تتطلب تكامل الأبعاد العلمية والتكنولوجية والثقافية والجمالية للتنمية . ولذلك فليس هناك الآن فرد أو شعب أو حكومة على درجة من الوعي يمكن أن تعتبر الثقافة مجرد ترف أو ترفيه وتسلية ، بل يزداد الوعي باهمية الثقافة كخطوة كبرى وضرورية فى بناء الأمم ، ويزداد ادراك اهمية تحديد استراتيجية للتنمية فى الدول النامية باعتبار ان التنمية الفعالة لابد وأن تشمل على الأقل أربعة أبعاد أساسية هي : النمو الاقتصادى ، والتناسق مع البيئة ، والعدالة الاجتماعية ، والبناء الحضاري .

والوحدة الثقافية هي سبيل بناء الأمة حضارياً ، فالوحدة الثقافية هي الوسيلة الأساسية لتدعيم تماسك المجتمعات المستقلة حديثاً أو التى مازالت تناضل من أجل استقلالها ، وهى الوسيلة الوحيدة الفعالة للوقوف أمام محاولات التمزيق والتفرقة . ومن المستحيل بناء وحدة ثقافية فى مجتمع يعتبر نفسه مجرد سوق للثقافة وليس أمة . وطريق تحويل الأمة من مجرد سوق للتيارات الثقافية الى شريك فعال فى الحوار والتبادل بين الشعوب هو بناء وحدة ثقافية لها .

● الثقافة : احدى الاحتياجـــات الأساسية للبشر

ضمن استراتيجيات التنمية التى تجد قبولا عاماً واهتماماً متزايداً فى العالم كله تحتل استراتيجية اشباع الحاجات الأساسية للغالبية العظمى من أفراد المجتمع مكانة بارزة والاحتياجات الأساسية لا تشمل فقط الطعام والملبس والمسكن والعمل وكل وسائل الرخاء المادى ، لكنها تشمل أيضاً ـ أو لابد أن تشمل ـ وجود هدف للحياة ، وهذا بعد ثقافى . وقد يصاب البعض بالدهشة عندما يرى أو يسمع عن الاحباط واليأس والتعاسة لدى نسبة كبيرة من أفراد المجتمعات الصناعية المتقدمة والتى حققت قدراً كبيراً من الرخاء المادى لمعظم أفرادها ، لكنه لا يوجد فى الحقيقة أى مبرر لهذه الدهشة ، حيث أن الرخاء المادى ـ رغم ضرورة توفر حد ادنى منه ـ إلا انه وحده ليس كافياً لاشباع كل احتياجات الانسان . بل ان مستويات عالية من الرخاء المادى بدون التفات كاف الى ضرورة وجود هدف للحياة يهدد الانسان الفرد وكذلك المجتمعات بفقدان الاتزان لأنه يخاطب جانباً واحداً منها ويهمل الجانب الآخر الذى لا يقل أهمية عن الجانب المادى .

● الاخلاص للماضى وسيلة التأثير فى الحاضر والمستقبل

المعضلة التى تواجهها الثقافة العربية اليوم ـ مثلها فى ذلك مثل بعض الثقافات الأخرى ـ يمكن صياغتها فى السؤال التالى : أليس هناك أمل فى أن تلعب الثقافة العربية دورها فى العالم المعاصر فى نفس الوقت الذى تظل فيه مرتبطة بجذورها الحقيقية وقيم البيئة العربية ؟ بمعنى اخر : كيف نظل مخلصين لماضينا وكيف نستطيع أن نعطى من قيمنا للعالم ؟ هذه بالطبع مشكلة عسيرة ولا توجد معادلة جاهزة لحلها والجدل حولها مستمر ومتصاعد لفترة طويلة . لكننا فى المقام الأول يجب أن نحدد الهدف وراء محاولتنا الاخلاص لماضينا ، فلا يجب أن نفعل ذلك لمجرد بعث ماض قديم أو بدافع من التعصب أو الشعور بالنقص أو الخوف من التفاعل مع الثقافات العالمية المعاصرة ، بل يجب أن يكون مفهوماً اننا حين نخلص لماضينا فذلك لكى نعيش أكثر حرية وأكثر اعتماداً على النفس فى العالم الجديد الذى يتشكل أمام أنظارنا . ولا يجب أن نظل متفرجين حتى يتشكل العالم لنا ، بل يجب أن نساهم بفعالية فى تشكيل العالم ، وأن تكون مساهمتنا ـ فى الأخذ والعطاء ـ على قدر عظمة تراثنا وتاريخنا وعلى قدر ما نرجوه لحاضرنا ومستقبلنا من روعة .

الاستمرار التاريخى اذن ليس هدفه مجرد بعث الماضى بل هدفه الأساسى أن يكون لنا دور فى تشكيل الحاضر وصياغة المستقبل واذا تركنا النظام العالمى الجديد يتشكل تماماً بواسطة غيرنا فانه فى هذه الحالة سوف يهمل أو يتجاهل رغباتنا وقيمنا وأهدافنا . واذا كان لهذه الرغبات والقيم والأهداف أن تكون متضمنة وبارزة فى النظام العالمى الجديد فلابد لنا من الاغتراف من تاريخنا وتراثنا ، ولابد لنا من أن نعيد اكتشاف التاريخ ونعيد بناء الاستمرارية التاريخية .

● اللغة ونقل العادات والقيم

نحاول فى كثير من المناسبات أن ننتقد وأن نحارب انتشار العادات والقيم التى لا تناسبنا ولا تتفق مع تراثنا وتاريخنا والبيئة التى نعيش فيها . وهناك بعض من يعتقد أن مجرد ذكر جملة «قيم وعادات مستوردة» كفيل باقناع الناس برفض هذه العادات والقيم . وهنا مغالطة اخرى تحاول جعل كلمة «مستورد» مرادفة لكلمة ضار . وهذا فى الحقيقة اتجاه ـ فضلا عن أنه متناقض مع نفسه ـ فهو اتجاه خطر وهدام لأننا فى الواقع نستورد أشياء كثيرة نافعة ولن نستطيع أن نغلق أبوابنا وعقولنا عن العالم . لكن اذا أردنا الاتجاه الصحيح لتناول قضية نقل العادات والقيم واختيار ما يلائمنا ورفض ما لا يتفق معنا ، فيجب أن نربط ذلك بقضية استعمال اللغة القومية . فما هو غائب فى معظم المحاولات هو ربط اللغة بقضية انتقال العادات والقيم الاجتماعية وانتشارها .

لكن يجب أن يكون مفهوماً أن رفض كثير من نماذج الغرب التى لا تناسبنا ليس معناه رفض لغاتهم (أو سلعهم) ، لكن عندما تكون لغتنا القومية محترمة فاننا فى هذه الحالة يمكن أن نفصل بين اللغة كوعاء وبين ما تحتويه من مضامين .

● علم لا يصل للناس علم بلا قيمة

كيف يمكن توصيل نتائج العلم واكتشافاته وانجازاته الى الغالبية العظمى من الناس ؟ هذا هو اهم تحدٍّ يواجه العلم المعاصر فى الوقت الذى ينمو فيه العلم بسرعة خرافية ويزداد فيه التخصص ضيقاً بصورة تعجز معظم الناس عن متابعة أهم نتائجه ، فالعلم له لغته الخاصة التى يفهمها العلماء ، لكن العالم الأصيل يعتبر أن تبسيط العلم لكى يصل الى اكبر عدد ممكن من الناس هى أخطر واجهل مهمة ينبغى عليه أن يقوم بها . والعقبات فى سبيل قيام العلماء بهذه المهمة كثيرة وليس من المناسب أن نضيف اليها عقبة جديدة وخطيرة بأن نكتب العلم ونعلمه للطلاب بلغة أجنبية بعيدة عن متناول معظم الناس .

● اللغة والتكنولوجيا الملائمة

مصطلح التكنولوجيا الملائمة من أكثر المصطلحات استعمالا فى الوقت الراهن لأنه ثبت فى مناسبات وحالات عديدة للغاية فشل

التكنولوجيا فى حل المشاكل أو مساهمتها ربما فى تكثيف وزيادة حدة المشاكل القائمة لأنها تكنولوجيا غير ملائمة للظروف التى تستعمل فيها . فالوسائل والأساليب التكنولوجية التى تم اكتشافها فى ظروف بعينها (طبيعية – اقتصادية – اجتماعية – سياسية – ثقافية) لا يمكن نقلها نقلا ساذجاً واستعمالها فى ظروف مختلفة تماماً . لذلك تتصاعد فى العالم كله الدعوة الى ضرورة خلق التكنولوجيا الملائمة ، ويمكن أن يتم ذلك بعدة طرق لابد وأن تشمل اعادة اكتشاف وفحص وتنقية الأساليب التقليدية وتطويع الأساليب الحديثة للظروف المحلية وابتكار أساليب جديدة خاصة لتلائم هذه الظروف . لكن ذلك كله سوف يكون من الصعب جداً انجازه لو اننا لم نبذل جهوداً جادة وعميقة فى استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلم لأن التكنولوجيا – مثل العادات والقيم – يمكن أن تنتقل مع اللغة ، ولن نستطيع تطويع المضمون واكتشاف مضامين جديدة ما لم نستعمل اللغة القوميه كشكل لهذه المضامين . كما أن لغتنا تتخلف عن متابعة العصر ما لم ننقل اليها ونعبر بواسطتها عن التقدم العلمى والتكنولوجى حيث يعتبر العلم والتكنولوجيا فى الوقت الراهن من أهم الروافد التى تثرى اللغات وتساهم فى تطويرها وجعلها حية باستمرار – واللغة لم تكن أبداً – ولن تكون عائقاً فى سبيل انتشار العلم والتكنولوجيا بل ان العلم والتكنولوجيا يساهمان فى اثراء اللغة وتطويرها . وما لم نفهم هذه العلاقة جيداً فسوف نظل تابعين ومقصرين فيما يتعلق بنا من عطاء سواء فى العلم أو فى اللغة .

ارتباط العلماء والطلاب بالواقع

نسمع ونقرأ كثيراً عن ضرورة اهتمام العلم والتعليم بحل مشاكل الواقع والارتباط بالبيئة الطبيعية والحضارية . وأحياناً نسمع ذلك ممن لا يستطيعون أو لا يرغبون فى الحديث والكتابة بلغتهم القومية . وأى ادعاء عن الارتباط بالواقع سوف يكون سخيفاً وأية محاولة لذلك سوف تكون فاشلة مادامت اللغة القومية غير مستعملة فى التعليم وفى كتابة نتائج العلوم ونشر التكنولوجيا . فالعلماء عندما يكتبون أبحاثهم بلغة أجنبية والأساتذة عندما يعلمون طلابهم بلغة غير لغتهم القومية إنما يخلقون نوعاً من العزلة والتغريب عن المجتمع ويكونون قشرة تطفو فوق سطح الواقع غير متصلة به وغير قادرة على أن تؤثر فيه أو أن تتأثر به .

وفى هذه الحالات لا يصح لنا أن نستغرب ميل العلماء والأجيال الجديدة من الخريجين الى الهرب من مشاكل مجتمعاتهم ، أو حتى الهرب من مجتمعاتهم نفسها ، أو جهلهم الفاضح بمشاكل البيئة التى يعيشون فيها ، أو عدم ربطهم العلم والتكنولوجيا بالأبعاد الانسانية والفلسفية السائدة فى بيئتهم ، أو تعاليهم على المجتمع ككل وبحثهم باستمرار عما يستطيعون أخذه بدلا من بحثهم عما يستطيعون – أو ما يجب عليهم من عطاء للمجتمع الذى أعطاهم بلا حدود . صحيح أن لجميع هذه الأعراض أو الأمراض أسباباً أخرى كثيرة لكنه يستحيل تماماً حلها بمعزل عن قضية اللغة المستعملة فى العلم والتعليم .

اللغة والتكامل العربى

الكلام عن تكامل الدول والشعوب العربية أيضاً كثير جداً وشائع . لكن الانجازات فى هذا المجال مازالت مخيبة للآمال . والتكامل لن يكون تكاملا حقيقياً بغير أن يتضمن تبادل وتكامل المعرفة والثقافة وبخاصة العلم والتكنولوجيا ، واللغة العربية هى التى يمكن أن تكون القناة المناسبة لهذا التبادل والتكامل وتحقيق الوحدة الثقافية ليس فقط داخل كل دولة عربية بل بين الدول والشعوب العربية .

ثالثاً : ملاحظات ختامية

لا أعتقد أنه من المناسب أن أنزلق فى محاولة ساذجة لوصف عدد من التوصيات أو الحلول الجاهزة التى يمكن بها علاج المشاكل العديدة المتعلقة بتعريب التعليم الجامعى ، كأن نقول مثلا يجب على الجامعات كذا وكذا ويجب على الأساتذة كيت وكيت . فالقضية كما رأينا متشعبة متعددة الأبعاد عميقة الجذور . وقد أثبتت خبرة الأفراد والأمم أن الحلول البسيطة عندما يتم اقتراحها لعلاج مثل هذه المشاكل المعقدة غالباً ما تفشل ، أو تساهم فى تعقيد المشكلة بدلا من أن تساهم فى حلها . ومع ذلك فلا أستطيع أن أتنصل تماماً من المسئولية المفترضة فى الكاتب والمفكر – كما هى مفترضة فى الطبيب – من أنه بالاضافة الى محاولة التشخيص السليم لابد وأن يصف العلاج . غير أننى فى الملاحظات التالية سوف أركز على المنهج والأسلوب أكثر من تركيزى على المقترحات والاجراءات العملية :

● رأينا الارتباط الوثيق بين استعمال اللغة القومية والبناء الحضارى للأمة باعتباره بعداً هاماً من أبعاد التنمية الشاملة . وإذن فليس مناسباً بالمرة أن يتم تناول قضية تعريب التعليم أو استعمال اللغة القومية باعتبارها قضية هامشية قليلة الأهمية بل يجب أن يتاح لها ما هو مطلوب لعلاجها من جهد ووقت وأموال على كل المستويات .

● رأينا أيضاً كيف أن القضية معقدة متعددة الأبعاد وإذن فان تناولها وعلاجها يجب أن يتم بطريقة متأنية عميقة تستبعد من حساباتها الحلول السهلة غير المدروسة . وأول خطوة فى هذه الطريقة هى الدراسة والتقييم لكل أبعاد المشكلة وأسبابها – الظاهرة والخفية – وانتشارها ومدى تأثيرها .

● الجهود التى تبذلها الهيئات العلمية واللغوية يجب أن تتاح لها فرصة التناسق والتكامل والتبادل . كما يجب أن تتمتع بأكبر قدر من المرونة . فالتعصب والجمود هما أعدى أعداء التقدم فى مجال استعمال اللغات القومية .

● التأليف والترجمة والنشر كلها وسائل يجب أن ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً فلن نستطيع أن نؤلف بدون ترجمة ولن نستطيع أن نترجم بدون نشر . والنشر وخاصة فى مجال المصطلحات العلمية والتكنولوجية هو الذى يضمن شيوع المصطلح وقبوله بالتدريج ويفقده غرابته على الأذن ويساهم فى مشاركة الناس وملاحقتهم للتقدم العلمى والتكنولوجى . وللأسف فان غياب أو قصور وسائل النشر هو السبب الرئيسى الذى يقف حتى الآن عقبة عسيرة فى وجه بذل جهود قيمة فى التأليف والترجمة ويحجب نتائج الجهود القيمة التى بذلت بالفعل .

● تعليم اللغات سواء العربية أو اللغات الأجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة خطوة أولية وأساسية . ولن يمكن التقدم فى هذا المجال فى ظل القصور والتخبط فى نظم ومناهج التعليم السائدة فى معظم أنحاء العالم العربى .

وبعد . فان القضية أكبر وأعقد من قدرتى – على تغطية كل أبعادها وهى فى حاجة الى مواصلة البحث والجهد والوقت سواء على مستوى المفكرين والعلماء والأفراد أو الهيئات والجماعات . لكنها بكل تأكيد فى حاجة أيضاً الى بذل وتنسيق الجهود على مستوى الحكومات والشعوب .

د. محمد عاطف كشك

السينما التسجيلية في قطر
خطوات على الطريق

التجربة جديدة فى مدينة الدوحة .

وهو من الوجوه التى بدأت تأخذ دورها المستقبلي من أجل ايجاد قاعدة لاستخدام السينما كوسيلة للتعليم والتوجيه والاعلام ..

وهو لا ينسى ما قاله يوماً رائد السينما التسجيلية فى العالم « جون جريرسون » عن الفيلم التسجيلى : «إنه يخلق العزم والارادة القوية فى نفوس المتفرجين ، ويضفي على الشيء البسيط طابعاً من النبل والسمو » !

وعندما تطلب منه أن يقدم بطاقته الفنية ، فانه يقول لك فى تواضع شديد: اسماعيل خالد .. مشرف على وحدة الأفلام التسجيلية والوثائقية فى قطر .. قضيت عاماً فى دراسة الفنون المسرحية فى الكويت .. ثم اتجهت الى القاهرة مع صلاح درويش وأبو جسوم لدراسة المسرح فى أواخر عام ١٩٧٢ ، حيث التقيت بالفنان الكبير زكي طليمات ، الذى أخذني من يدى الى عميد المعهد العالي للسينما ـ وقتئذ ـ جمال مدكور ، لأواصل مشوار حياتي فى قسم الاخراج والسيناريو حتى عام ١٩٧٨ .. وعدت الى الدوحة لأعين مديراً مساعداً للمركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني ، ثم تم اختياري كرئيس لمركز الأفلام التسجيلية والوثائقية عقب صدور قرار بانشائه فى أول يوليو من هذا العام ..

أفلام قطرية

ولكن كيف بدأ ميلاد وحدة الأفلام التسجيلية والوثائقية فى قطر ؟ ..

يقول اسماعيل خالد : نظراً لأهمية الفيلم التسجيلي فى عالمنا المعاصر ، قررت وزارة الاعلام الاهتمام بهذا المجال فأنشأت هذه الوحدة خلال هذا العام ، وجعلت رسالتها تتلخص فى :

- انتاج أفلام تسجيلية تخاطب بها المتفرج فى الخارج ..
- دراسة المشروعات المقدمة من مؤسسات خارجية لانتاج الأفلام عن قطر ..
- متابعة أعمال فرق التصوير الأجنبية التى تأتي الى البلاد بهدف انتاج أفلام وثائقية وتسجيلية عن قطر
- عمل مكتبة أفلام تضم كل ما يتم تصويره عن دولة قطر قديماً وحديثاً
- انتاج أفلام وثائقية للاستخدام المستقبلي ، بحيث تحفظ ضمن أرشيف خاص حتى يمكن اعارتها للمؤسسات والشركات العالمية التى تحتاجها ..
- المعاونة فى انتاج أفلام سينمائية عن منطقة الخليج حسب حاجة هذه المنطقة وحسب قرارات مؤتمرات وزراء الاعلام لدول الخليج العربية وضمن الخطة المقترحة ..
- انتاج جريدة قطر الناطقة لتعرض فى دور السينما المحلية ..
- المعاونة فى انتاج أفلام المناسبات القومية لعرضها فى التليفزيون ..

نواة أرشيف الأفلام

ونسأله : إذن هل هناك لجان ستعد خطة للانتاج القطري فى كل عام ؟ ..

ويقول : نعم .. ستشكل لجنة برئاسة سعادة وزير الاعلام الاستاذ عيسى غانم الكواري ، لاقرار خطة الانتاج السنوية .. وتضم اللجنة فى عضويتها الاستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل الوزارة ، والاستاذ شاهين الكواري مساعد وكيل الوزارة .. وتضمني اللجنة باعتباري رئيساً للوحدة ، كما تضم بعض الخبراء ممن لديهم دراية وخبرة بهذا العمل الفني .. وستقدم لهذه اللجنة خطة عمل تطرح أفكار الأفلام المطلوب انتاجها لتنفذها على مراحل ، إضافة للأعمال الدورية المطلوبة مثل جريدة مصر الناطقة ، وستستعين اللجنة بمخرجين وكتاب من الخارج للقيام بعمل أفلام تحت أشراف الوحدة،



اسماعيل خالد رئيس مركز الأفلام التسجيلية أثناء حواره حول التجربة الجديدة في الدوحة

كما ستقوم بانتاج أفلام مشتركة مع شركات خارجية لها سمعتها وكفاءتها الطيبة في العالم ..

● ولكن كيف ستحصلون على الأفلام التسجيلية والوثائقية القديمة والنادرة بحيث تكون نواة لأرشيف الوحدة السينمائية ؟

ـ سنجمع أولا كل الأفلام الوثائقية التى لدى شركات البترول .. وهناك بعض أفلام وثائقية عن قطر فى بعض البلاد العربية .. وهناك مجموعة أفلام تسجيلية عن المنطقة فى الـ (بي-بي-سي) .. وهذا بالاضافة الى الحصول على بعض أفلام تسجيلية قديمة من بعض الشخصيات القطرية مثل الأستاذ يوسف درويش وحسن المعايرجي الاستاذ فى جامعة قطر الذى وجدنا لديه ٢٠ فيلماً وثائقياً من عام ١٩٥٠ حتى الآن .. وستجهز الوحدة بأحدث الأجهزة والفنيين والخبراء الذين لديهم دراية طويلة فى هذا المجال الفني الهام ..

أول الأفلام

ويقول اسماعيل خالد أن أول أعمال تقوم بها وحدة الأفلام التسجيلية خلال الفترة القادمة :

● فيلم تسجيلى عن قطر ، يجرى الاتفاق من أجله مع المخرج الكندى جون فيني الذى يعتبر من أهم مخرجي الأفلام القصيرة فى العالم ، والذى سبق أن أخرج فيلماً عظيماً عن نهر النيل بعنوان « ينابيع الشمس » ..

● فيلم عن صور الحياة فى قطر ، يعرض بمناسبة يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٨٣ ، ويخرجه المخرج الكندى الشهير « رالف كيرشن » ..

● فيلم «عشر سنوات مباركة» الذى سيعرض فى ٢٢ فبراير عام ١٩٨٢ ، وتقوم شركة أفلام الخليج ـ وهي شركة قطرية ـ بتنفيذه .

● فيلم « شاهين » الذى يمثل الغزوات الأجنبية للخليج ، ويصور مابين أوربا والخليج ، وتصل تكاليف انتاجه مابين ٥ الى ٦ ملايين دولار ، وهو فيلم مشترك مابين قطر والكويت ، ومن اخراج خالد الصديق .

● فيلم «الديمقراطية والشورى فى دولة قطر » وسينفذه المخرج المغربي أبو غالب عتيقي الذى يعيش فى ايطاليا ويعمل كرئيس للبرامج السياسية فى التليفزيون الايطالي .. ونفس هذا المخرج سيقوم بعمل فيلم عن تنمية الثروة الطبيعية لخدمة الانسان ، وسيصل الى الدوحة فى ديسمبر القادم لاجراء دراسات ومقابلات وزيارة الأماكن الهامة كالمصانع والجامعة والمدارس ..

الحرب الاعلامية

ويرى اسماعيل خالد أن الفيلم التسجيلي يربط الجهد الفردى بعجلة الهدف العام ، ويوسع من آفاق حجرة الدراسة ، ويمنح كل فرد فى مكانه وعمله فكرة حية عن المجتمع الذى يحظى بشرف الانتماء إليه ، وهذا بالاضافة الى أن السينما هي أقدر وسائل مخاطبة الجماهير على التقريب بين العناصر المختلفة فى هذا العالم الواسع والتعبير عن الطبيعة الحية لاعتماد أفراد المجتمع على بعضهم البعض ..

ويقول ان السينما التسجيلية من أهم الوسائل الاعلامية التى يمكنها أن تخدم قضايانا الكبرى وفى مقدمتها قضية الصراع العربي الصهيوني ، فهذا الصراع اعتمد على الاعلام منذ نشأته ، ومازال يقوم بدوره النشيط لتحسين صورة اليهودي فى العالم بطريقة غير مباشرة ولكسب عطف العالم والحصول على تأييده ، وقد نجح فى ذلك ووصل الى ذروة النجاح الاعلامي فى العالم أثناء حرب عام ١٩٦٧ ، واعتمد فى ذلك ـ فى المقام

السينما التسجيلية في قطر
خطوات على الطريق

● الحس القومي لا يتكون عند فناني السينما بمجرد أن يولد الإنسان على تراب أرضه!

الأول ـ على أجهزة الاعلام التى كان فى مقدمتها الفيلم التسجيلي!

● هل معنى هذا أننا فى حاجة الى توحيد الجهود وتقديم أفلام تسجيلية على مستوى كبير لخدمة قضايانا القومية ؟ ..

ـ نحن فى حاجة حقيقية الى هذا الاتجاه ، بشرط أن يكون العمل الفني غير مباشر ، وبحيث نقدم للذهن الأوربي والعالمي ما يقنعه وما يجعله مؤمناً بقضايا أمتنا وأهدافها الغالية ، وبحيث نبدأ أولا بدراسة ما قدموه للعالم حتى نتعرف على طبيعة العدو الذى نخوض معه الحرب الاعلامية الشرسة !

الحس القومي

وعندما نسأله عن تصوره عن ميلاد السينما التسجيلية فى قطر والأهداف التى يجب أن تسعى اليها ، فانه يقول : علينا أن نجعل السينما فى قطر ترتبط ارتباطاً مباشرا بالمثقفين سواء فى الأدب المحلي أو الأدب العربي أو العالمي ، وألا تعتمد على الفطرة التجارية لأنها رسالة تعبر عن نبض المجتمع ووجدانه وواقع الحياة والناس فمن أقوى أسباب أزمة الفكر فى السينما المصريـة أن هذه الصناعة دخلتها منذ البداية نسبة كبيرة من العناصر الأجنبية أمثال فريتز كرامب والفيزى أرفانيللي وأدمون توجا وغيرهم ، وكان طبيعياً ألا يفهم هؤلاء الحرفيون تراث وظروف المجتمع الذى يعملون من خلاله وأن تفقد السينما المصرية فى نشأتها كل صلة لها بالحياة والناس .. وقد قال أحد النقاد المعروفين ان الحس القومي لا يتكون عند فناني السينما بمجرد أن يولد الانسان على تراب الأرض ولكنه يولد بالتعرف على التاريخ القومي تعرفاً حقيقياً عميقاً ، حتى يستطيع الفنان أن يفهم شخصية بلده ويحس بشخصية الانسان فى بلده ويعرف طبيعة الشعب ونفسيته وتاريخه .. ولذا فان السينما فى قطر تحتاج الى جيل مدرب ، قارىء لتاريخ بلاده ، متحمس لمسيرتها على دروب التطور والنهضة الشاملة ..

حول السينما

ويتطرق الحديث مع اسماعيل خالد الى عدة نقاط حول السينما ، لنصل معه الى عدة حقائق :

● الفيلم الجزائري بدأ عالمياً وهو يتجه الآن ـ للأسف ـ اتجاهاً جماهيرياً يفقده الكثير من السمعة العالمية التى وصل اليها عبر رحلة من العمل والعرق.

● لماذا لا تشارك وزارات إعلام دول الخليج فى انتاج فيلم روائي يخدم القضية الفلسطينية ويشترك فيه كبار النجوم فى العالم ؟ ... إن هذا الفيلم يمكنه ، لو عولج بطريقة فنية ، بعيدة عن المخاطبة المباشرة ، أن يلعب دوراً إعلامياً فعالا فى العالم كله ..

● الانصراف عن انتاج فيلم أخناتون يعتبر نكسة للأفلام العربية النظيفة ، خاصة وأن مخرجه شادى عبد السلام سبق أن أذهل العالم بفيلمه العالمي «المومياء» .. فلماذا نحاول دائماً تعطيل وحجب الأشياء الساطعة فى حياتنا ؟!

● كان جريرسون رائد السينما التسجيلية يقول دائماً « تاريخ السينما حافل بالأفكار والأدوار التى بدأت طيبة ولكنها فقدت قيمتها واتجاهاتها نتيجة لتفاهة رجال العرض وتدخلهم فى الانتاج .. وهي عبارة تحتاج من كل السينمائيين فى العالم العربي إلى وقفة نتساءل فيها جميعاً عن الطريقة التى تمكننا من تنمية أدوارنا وتطوير فنوننا بصورة تخاطب عقل وضمير العالم كله !

● كانت أول مرة تظهر فيها كلمة الأفلام التسجيلية فى مقال كتبته مجلة « نيويورك صن » فى فبراير عام ١٩٢٦ ، وكانت مقتبسة عن تعبير فرنسى يطلقونه على أفلام الرحلات ، وقيل فى المقال ان الفيلم التسجيلي هو الذى يعالج الأحداث الواقعية الجارية بأسلوب فيه خلق فني .. غير أن هذا التعريف سرعان ما اتسع نطاقه لتصبح رسالة الفيلم التسجيلي أكبر وأوسع مجالا ..

● ● ●

وهكذا نرى أن الحديث مع اسماعيل خالد يمتد الى أكثر من موضوع .. بداية من التجربة الجديدة التى تعاصرها مدينة الدوحة .. الى رسالة السينما فى عالمنا العربي وأهمية دورها فى إبراز قضايانا ∴

دولة قطر
وزارة الإعلام
إدارة الثقافة والفنون

إعلان

٧
أصوات فى القصة القطرية الحديثة
« من أجل اكتشاف المواهب الابداعية ورعايتها »

تعلن ادارة الثقافة والفنون – عن تنظيم مسابقة فى كتابة القصة القصيرة :

شروط الاشتراك :

١ – الاشتراك مفتوح للقطريين من الجنسين .
٢ – للمشترك حرية اختيار الموضوع الأدبي
٣ – يحق لكل متسابق الاشتراك بقصة واحدة لا تتجاوز عشر صفحات فلوسكاب .
٤ – ألا تكون القصة قد سبق نشرها بأية وسيلة أخرى .
٥ – تقدم القصة على ثلاث نسخ مطبوعة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح – مع الانتباه الى ضرورة عدم كتابة اسم المشترك أو عنوانه على أية نسخة من النسخ المقدمة .
٦ – ترفق مع كل قصة – ورقة موضحاً بها اسم المتسابق وعنوانه كاملين – ثم توضع فى ظرف مغلق وترسل بالبريد المسجل – ويراعى أن يكتب على الظرف العنوان الآتي :

ادارة الثقافة والفنون – مسابقة القصة القصيرة
ص . ب ٣٣٣٢
الدوحة – قطر

٧ – تبدأ المسابقة اعتباراً من تاريخ نشر هذا الاعلان – وتنتهي بتاريخ ١٩٨١/١٢/٣١م .
٨ – سوف تشكل لجنة تحكيم من كبار الكتاب والنقاد فى الوطن العربي تتولى عملية التحكيم فى المسابقة وإعلان أسماء الفائزين .
٩ – الادارة غير مسئولة عن إرجاع القصص الى أصحابها سواء فازت أو لم تفز .
١٠– ستقوم الادارة باصدار القصص الفائزة بالمراكز السبعة الأولى فى كتاب بعنوان (٧ أصوات فى القصة القطرية الحديثة) .

الجوائز :

سوف تمنح القصص الفائزة بالمراكز السبعة الأولى الجوائز الآتية :
١ – الجائزة الأولى : ٦٠٠٠ ريال
٢ – الجائزة الثانية ٤٥٠٠ ريال
٣ – الجائزة الثالثة : ٣٥٠٠ ريال
٤ – الجائزة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة : ٢٥٠٠ ريال .

مع تحيات
إدارة الثقافة والفنون
وزارة الإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة المالية والبترول / ادارة شئون الموظفين / الدوحة/قطر ص.ب ٣٦

إعـــلان

تعلن ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول بدولة قطر عن حاجتها لشغل الوظائف التالية للعمل بالمجلس الأعلى لرعاية الشباب ووزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الزراعة والصناعة .

أولا : المجلس الأعلى :

اسم الوظيفة والراتب	الشروط الواجب توافرها فى المرشح
١) مشرف فنى (لبيوت الشباب) الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٢) مشرف فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تربية اجتماعية مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل بالهيئات الشبابية والخدمة العامة .
٣) مشرف تربية فنية : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تربية فنية مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٤) مشرف مسرحى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس المعهد العالى للفنون المسرحية أو التمثيل مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٥) مشرف موسيقى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس المعهد العالى للموسيقى مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات فى مجال العمل .
٦) مشرف فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة فى مجال الاشراف الفنى بالمنشآت الرياضية لا تقل عن ١٠ سنوات .
٧) مصور سينمائى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات فى مجال العمل .
٨) محرر صحفى : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطريا	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال العمل .
٩) مصور فتوغرافى : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطرياً.	مؤهل متوسط مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٠) محمض أفلام : الراتب الأساسى من ٢٨٥٠ الى ٣٢٥٠ ريالا قطرياً	مؤهل متوسط مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١١) أمين مكتبة فنية : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطرياً.	ليسانس آداب قسم مكتبات مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١٢) مترجم : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	ليسانس آداب قسم لغة انجليزية مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٣) محاسب ميزانية : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٤) محاسب : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١٥) احصائى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة قسم احصاء مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٦) باحث فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة فى اعداد البحوث الخاصة بالأنشطة الشبابية والرياضية لا تقل عن ١٠ سنوات .

ثانياً : وزارة العمل والشؤون الاجتماعية :

اسم الوظيفة والراتب	الشروط الواجب توافرها فى المرشح
١ ـ مدير عدد (٢) ومديرة عدد (٢) لمراكز اجتماعية : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع أو علم نفس على أن يكون قطرى الجنسية .

٢ ـ مرشد اجتماعى عدد (٢) ومرشدة اجتماعية عدد (٦) : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع أو علم نفس مع خبرة لا تقل عن (١٠) سنوات فى مجال العمل .
٣ ـ باحث اجتماعى عدد (٨) : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع أو علم نفس مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٤ ـ وكيلة مديرة المركز الاجتماعى : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعية خريجة اجتماع أو خدمة اجتماعية على أن تكون قطرية الجنسية .
٥ ـ مدربات فى فن التفصيل والخياطة وأشغال الابرة عدد (٣) : الراتب الشهرى من ٢٨٥٠ ـ ٣٢٥٠ ريالا قطريا	دبلوم أحد المعاهد المعترف بها مع خبرة لا تقل عن ٦ سنوات فى مجال العمل .

ثالثا : وزارة الصناعة والزراعة :

الوظيفة والراتب الأساسى	المؤهل والخبرة
اخصائى تراخيص صناعية : من ٤٥٠٠ ـ ٥٢٥٠ ريالا قطرياً.	بكالوريوس هندسة تخصص انتاج أو هندسة صناعية مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال التراخيص الصناعية وتقييم المشروعات
اخصائى رقابة صناعية : من ٤٥٠٠ ـ ٥٢٥٠ ريالا قطرياً.	بكالوريوس هندسة مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال الرقابة الصناعية .
باحث اقتصادى صناعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس اقتصاد مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال تقييم المشروعات الصناعية .
باحث أخصائى صناعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس احصاء مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال العمل الاحصائى وتنظيم المعلومات الصناعية .
مهندس وقاية صناعية : من : ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس هندسة انتاج مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال أعمال الوقاية الصناعية والسلامة المهنية .
مهندس زراعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس زراعة تخصص بساتين (فاكهة) مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال التخصص .
اخصائى مكافحة الحشرات الزراعية : من ٥٥٠٠ ـ ٦٢٥٠ ريالا قطرياً.	دكتوراه زراعة تخصص وقاية نباتات مع خبرة ميدانية حقلية لا تقل عن ٥ سنوات بعد الدكتوراه .
خبير زراعة غابات مناطق صحراوية : من ٥٥٠٠ ـ ٦٢٥٠ ريالا قطرياً	دكتوراه فى زراعة الغابات مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات بعد الدكتوراه فى العمل الحقلى ويفضل من لديه خبرة فى مجال المراعى أو دورات فى هذا المجال .
اخصائى تربية أغنام : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس فى الانتاج الحيوانى أو ما يعادلها من جامعة معترف بها مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال تربية الأغنام ورعايتها ويفضل من لديه اختصاص فى تربية الأغنام .
مساعد خبير محاصيل حقلية : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس زراعة تخصص محاصيل حقلية بالاضافة الى ماجستير فى نفس التخصص مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات وله خبرة ودراية بأعمال تصميم وتحليل التجارب وأن يكون له أبحاث علمية منشورة .

تقدم الطلبات باسم السيد / مدير ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول (قسم التعيينات ـ وحدة الاعلانات) ص.ب ٣٦ الدوحة / قطر وذلك خلال ٣٠ يوماً من تاريخ نشر هذا الاعلان على أن يتضمن الطلب جميع البيانات الخاصة بالطالب كالسن / الحالة الاجتماعية / المؤهل / العمل الحالى والسابق / التفاصيل الكاملة عن جواز السفر وصور عن المؤهلات العلمية والخبرة العملية معتمدة من السلطات المختصة غير قابلة للرد لصاحبها .

ملاحظة : ـ

يكتب على الظرف الخارجى (طلب وظيفة) .

لا يلتفت الى الطلبات غير المعتمدة وكذلك الطلبات غير المستوفاة .

● دراســة تــاريخيــة ●

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

عندما قالت إنجلترا لزعيم اليهود:

"إنه صبي يا دكتور وايزمان"

بقلم: عصام شريح

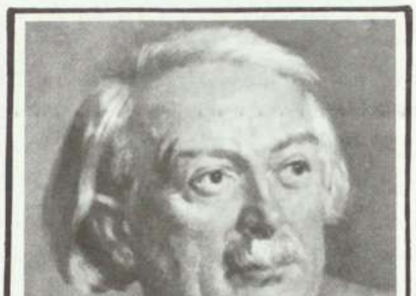
يمثل وعد بلفور فى التاريخ العربى الحديث ، أكبر طعنة غادرة تلقتها الأمة العربية ، ممن كانت تظن أنهم حلفاؤها، ويؤمنون حقاً بحق تقرير المصير للأمم والشعوب ، ويلتزمون بالوعود التى قطعوها على أنفسهم أكثر من مرة ، وفى أكثر من بيان أو وثيقة واحدة .

فبموجب هذا الوعد المشؤوم ، منحت دولة استعمارية هى بريطانيا ، أرضاً لا تملكها هى فلسطين ، الى جماعة لا حق لها فيها هى الصهاينة ، وذلك على حساب من يملكها إرثاً عن آبائه وأجداده منذ ألوف السنين ، ويملك حقاً مطلقاً فيها ، هو الشعب العربى الفلسطينى ، مما أسفر عن اغتصاب جزء من الوطن العربى ، هو بمثابة القلب من الجسم ، وتشريد شعب بكامله من أرضه ، فى سابقة لم يحدث لها مثيل فى التاريخ الانسانى . وقد علق الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر ، على وعد بلفور ساخراً ، فقال : «لقد أعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان : من لا يملك ومن لا يستحق ـ بالقوة والخديعة ـ أن يسلبا صاحب الحق الشرعى فيما يملك وفيما يستحق» .

الوعد المشؤوم

كان ذلك فى ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ١٩١٧ ، والوزارة البريطانية برئاسة «لويد جورج» تعقد جلسة حاسمة فى تلك اللحظات الحرجة وكان الدكتور حاييم وايزمن الناطق الرسمى باسم الحركة الصهيونية العالمية ، حاضراً تلك الجلسة ، وبعد مناقشة لم تستغرق طويلا ، اقترب المستر سايكس من الدكتور وايزمن ، وقدم له الوثيقة ـ وعد بلفور ـ قائلا : «إنه صبى يا دكتور وايزمن» .

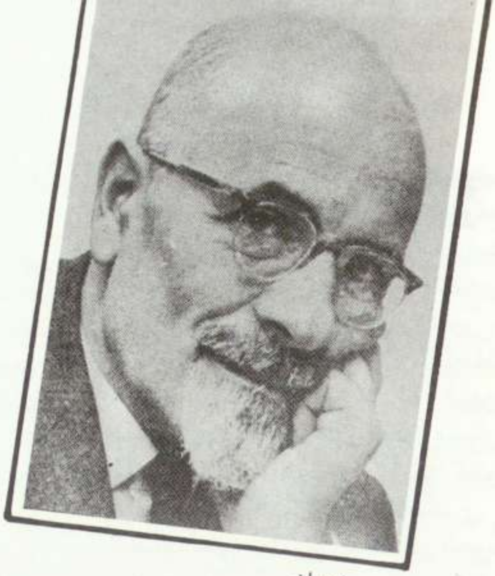
ومع أن وايزمن لم يحب «الصبى» كثيراً أول الأمر ، لأنه لم يكن «الصبى» الذى كان ينتظره ، فانه مع ذلك اعتبره حدثاً عظيماً ، فقام من مقعده ، وغادر قاعة الجلسة ، واتصل بزوجته مهنئاً إياها «بالمولود الصهيونى» ، ثم جرى بسرعة للاجتماع «بآحاد هاعام» أحد أقطاب الحركة الصهيونية ، حيث زف اليه البشرى «بوعد بلفور» ، الذى أصبح فيما بعد حجر الأساس الذى بني عليه الكيان الصهيونى على أرض فلسطين المغتصبة . لكن .. ما هو «وعد بلفور» هذا ؟؟



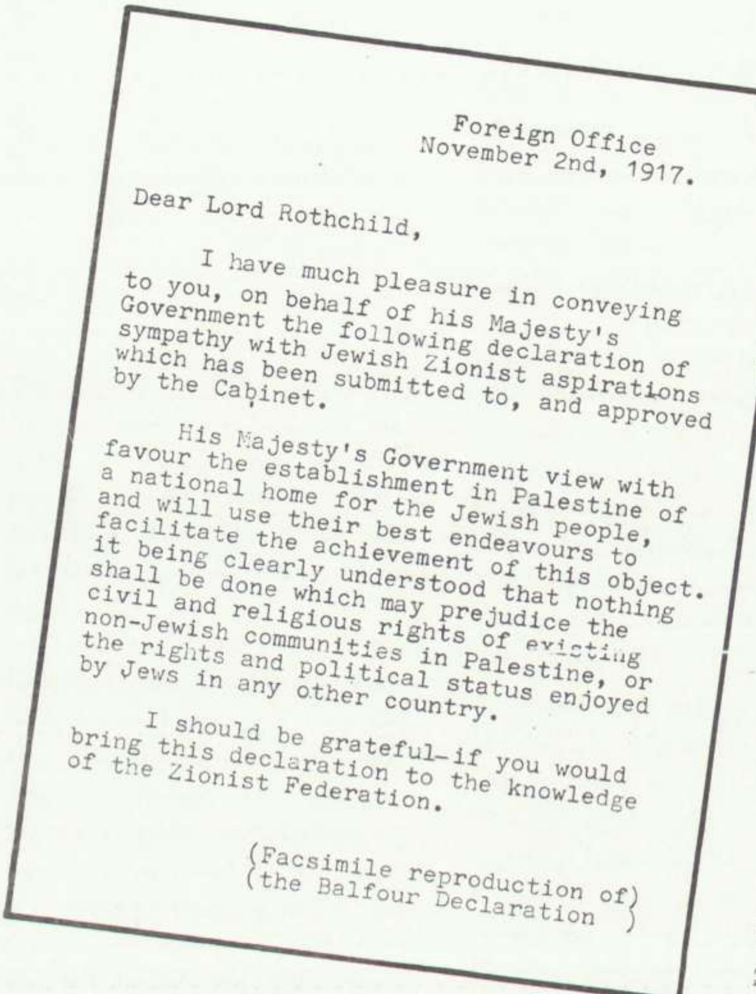
لويد جورج



بلفور



حاييم وايزمان



Foreign Office
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothchild,

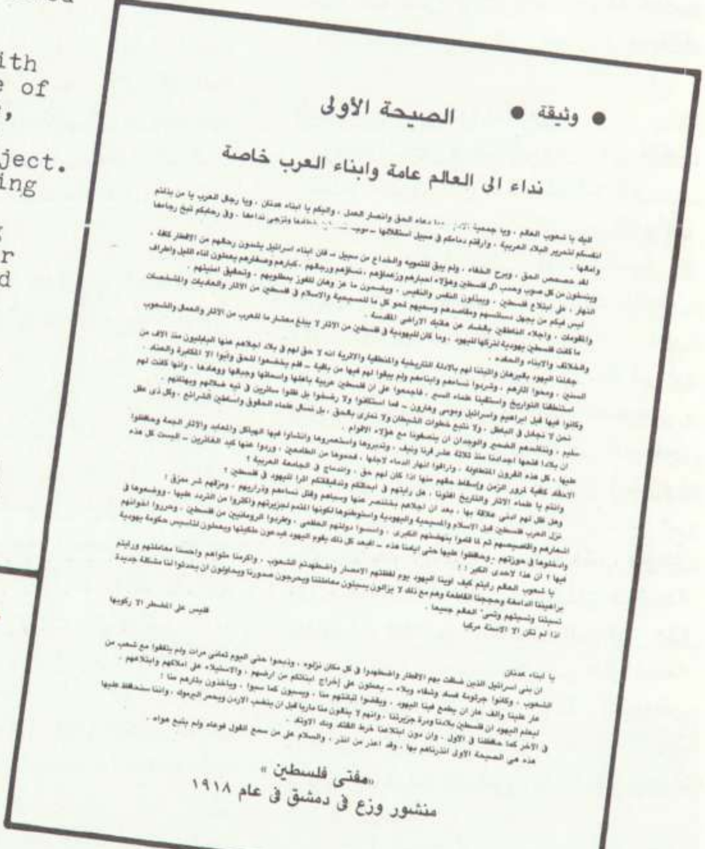
I have much pleasure in conveying to you, on behalf of his Majesty's Government the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by the Cabinet.

His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object. it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country.

I should be grateful-if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

(Facsimile reproduction of)
(the Balfour Declaration)

نص الخطاب الذى أرسله بلفور إلى اللورد روتشيلد



● وثيقة ● الصيحة الأولى

نداء الى العالم عامة وابناء العرب خاصة

«مفتى فلسطين»

منشور وزع فى دمشق فى عام ١٩١٨

الصيحة الأولى التى وزعت فى منشور عام ١٩١٨

لقد صدر الوعد المشؤوم بموافقة بريطانيا ، على اقامة «وطن قومى لليهود» فى فلسطين العربية ، باعتبارها الدولة المنتدبة عليها ، وقد جاء النص فى صيغة كتاب موجه من وزير خارجية بريطانيا اللورد آرثر بلفور الى البارون روتشيلد ، أحد زعماء الصهيونية ، وهذا هو نص الكتاب :

«يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح الآتى ، الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود القومية ، وقد عرض على الوزارة ، وأقرته :

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً ، أنه لن يؤتى بعمل من شانه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى» .

أسباب الوعد

وتعود قصة وعد بلفور المشؤوم الى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ حيث أثارت الروح الاستعمارية التى سيطرت على الدول الأوروبية فىأواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحالى ، بالاضافة الى خوض الامبراطورية العثمانية لغمار الحرب الى جانب المانيا

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

ضد الحلفاء (بريطانيا وفرنسا ثم الولايات المتحدة ...) أثارت آمالا لدى اليهود باغتصاب فلسطين العربية، وجعلها منطلقاً لتحقيق الفكرة الصهيونية الأساسية القائلة بان اسرائيل الكبرى، إنما تمتد من الفرات الى النيل.

وعندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين وبلاد الشام فى شباط (فبراير) ١٩١٧، فتح باب المفاوضات الرسمية بين زعماء الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية، وتلتها مفاوضات أخرى مع فرنسا وايطاليا، فتمت الموافقة رسمياً على المشروع الصهيونى فى كل من باريس وروما، كما فى لندن، وأرجىء نشر هذه الموافقة حتى وقت لاحق.

وعندما لاح فى الأفق، أن انتصار الجنرال اللنبى فى حملته على فلسطين ضد الجيوش العثمانية، قد أصبح أمراً محققاً، عمدت الحكومة البريطانية برئاسة لويد جورج، الى نشر وعد بلفور فى الثانى من تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ١٩١٧، وقد اقترن المشروع بموافقة الرئيس الأميركى ولسن قبل نشره، كما أيدته كل من فرنسا وايطاليا فى العام التالى (١٩١٨).

وفى محاولة لتبرير جريمة وعد بلفور قال رئيس الحكومة البريطانية آنذاك لويد جورج، ان الأسباب التى أدت الى اصدار هذا الوعد، إنما تعود «الى الأحوال الصعبة التى اجتازها الحلفاء، وانهزام الجيشين الروسى والايطالى أمام الألمان، وتفكك الجيش الفرنسى ونشاط الغواصات الألمانية الهائل، وتاخر وصول الفرق الأميركية الى الخنادق الأوروبية، وموجة العطف القوية على «أمانى اليهود القومية» فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية بصورة خاصة .. إن كل ذلك أدى الى الاعتقاد بأن كسب عطف اليهود أو مناوأتهم، قد يكون له أثره الفعال فى توجيه كفة الميزان نحو قضية الحلفاء أو ضدهم، كما أن عطف اليهود من شأنه أن يضمن على الأخص معاضدة يهود الولايات المتحدة الأميركية للحلفاء».

وتابع لويد جورج تبريره لاصدار وعد أو تصريح بلفور المشؤوم، فقال موجهاً كلامه الى الزعماء الطليان: «إن زعماء الصهيونيين قطعوا لنا وعداً أكيداً ماله أنه فى حال أخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، فانهم أى الزعماء الصهيونيين، سيفعلون كل ما بوسعهم لايقاظ عاطفة اليهود فى أنحاء العالم، وتأليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء، وقد بروا بوعدهم هذا» !!

فى الواقع هناك ظلال من الحقيقة فى هذه التبريرات التى قدمها لويد جورج، لكنها لا تفصح عن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء إصدار الحكومة البريطانية لوعد بلفور الفريد من نوعه فى التاريخ الانسانى. كما أن اليهود الصهيونيين أنفسهم حاولوا طمس الأسباب الحقيقية لاصدار الوعد المشؤوم، بالادعاء انه كان (أى الوعد) مكافأة للدكتور حاييم وايزمن على اختراعه نوعاً جديداً من المتفجرات آنذاك، ثم القول انه جاء نتيجة لاستغلال اليهود لنفوذهم المالى والسياسى ليجروا الولايات المتحدة الى الحرب فى جانب الحلفاء وضد دول المحور، فكان الوعد مكافأة لهم على الخدمات الفعلية التى قدموها، وأخيراً لا آخراً القول بان وعد بلفور صدر لقاء وعود بتقديم إعانات مالية كبيرة دفعتها المصادر اليهودية لشراء سندات ديون الحرب. لكن هذه الادعاءات والاقوال لم تخرج عن كونها مزاعم تستهدف حجب الاجابة الصحيحة فى جانب الأساطير والدعايات.

والحق ان الحكومة البريطانية (حكومة لويد جورج) إنما دفعت الى إصدار وعد بلفور بعاملين: أولهما سياسى، وهو أن تكسب العناصر الصهيونية القوية فى ألمانيا والنمسا ــ وهو ما ورد على لسان لويد جورج فيما تقدم ــ وكانت تلك العناصر تفاوض دول المحور فعلا، لكى تصدر تركيا وعداً ــ شبيهاً بوعد بلفور ــ فأرادت بريطانيا أن تصرف العناصر الصهيونية تلك عن دول المحور، وتضمها الى جانب الحلفاء، وتخفف فى نفس الوقت من عداء اليهود القاطنين فى بلاد الحلفاء نحو روسية، وتحفز أولئك اليهود الذين كانوا ضالعين فى قلب النظام القيصرى، ليعملوا على استمرار روسية فى الحرب وثانيهما دافع استعمارى، كان يرى فى اتخاذ فلسطين أو جزء منها درعاً تحمى مركز البريطانيين فى مصر، وحلقة وصل برية تربطها بالشرق.

ويقول «جورج أنطونيوس» فى كتابه «يقظة العرب» إن هذا الدافع كان أقوى العوامل، ومهما يكن دور العوامل الأخرى، مالية كانت أو سياسية أو دينية أو انسانية، فان ذلك العامل الاستعمارى كان وحده كافياً، دون ريب، لاصدار وعد بلفور. ولاشك فى أن وقوع فلسطين قريباً من قناة السويس، قد عزز المطامع البريطانية فى فلسطين من أجل تحويلها الى حاجز (بشرى) منيع، يحول دون المطامع الفرنسية فى بلاد الشام، والتى كانت تطالب بجعل فلسطين اضافة لسوريا ولبنان خاضعة للانتداب الفرنسى، اضافة الى كون هذا الحاجز البشرى سيشكل فى حال قيامه أداة مثالية لضرب حركة النهوض العربى، أو أى مسعى بين عرب المشرق وعرب المغرب للتحرر وتحقيق وحدة عربية شاملة.

وهكذا .. فان لويد جورج عمل على أن يكون الحاجز الذى يحمى قناة السويس من أى هجوم يأتى من الشرق عبر فلسطين، ويحول دون قيام وحدة عربية فى المستقبل، عمل على أن يكون هذا الحاجز بريطانى التبعية إن أمكن ذلك، ومن ثم صدر وعد بلفور، فمهد السبيل أمام بريطانيا لتقول من بعد عند إحراز الحلفاء النصر كاملا على دول المحور، إنها قد منحت الصهيونيين تعهداً جدياً فيما يتعلق «بوطن قومى» فى فلسطين، وأنها من أجل تحقيق ذلك التعهد، ترى من الأنسب أن تأخذ على عاتقها عبء حكم فلسطين.

ويؤيد «ابراهام ليون» فى كتابه

«تاريخ اليهود» ، كـون العامــل الاستعمارى لدى بريطانيا هو العامل الطاغى الذى فرض صدور وعد بلفور ، فيقول : «كانت الاتفاقات زمن الحرب (الأولى) تتغير بسرعة ، وكانت التعديلات ترافق كل حدث حربى ، والوعود لم تكن سوى حركات فى اللعبة الدبلوماسية ، فكل دولة كانت منهمكة بمناورات معقدة من وراء ظهر الأخرى ، فى محاولة لضمان مصالحها السياسية والاقتصادية ، ووسط هذه المؤامرات والمفاوضات أعلنت بريطانيا تأييدها للصهيونية ، وتحول الحلم الصهيونى فجأة الى حقيقة واقعة» .

وأضاف ليون قائلا : «إن بريطانيا كانت ستقدم على شطب وعد بلفور لو استدعت مصالحها إعادة النظر فى سياستها» .

وفى الواقع ، فانه الى جانب المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية البريطانية التى أملت اصدار وعد بلفور فان الحكومة البريطانية كانت تنظر الى البعيد ، وتحاول دق الأسافين فى وجه حركة التحرر العربية والوحدة العربية وقد رأت فى انشاء كيان صهيونى فى قلب العالم العربى – فلسطين – الوسيلة الأكثر فعالية لتحقيق هذه الغاية .

يقول ابراهام ليون : «إن المناداة بفيصل ملكاً على سوريا فى عام ١٩٢٠ (وهو ما بشر بنهوض كبير فى مجال حركة التحرر القومى العربية فى بلاد الشام) ، جعلت وعد بلفور حقيقة» .

ولذلك ، فمن المؤكد أن بريطانيا حين أصدرت وعد بلفور ، كانت قد أخذت فى عين الاعتبار امكانية استخدام الصهيونية فى مواجهة حركة التحرر القومى العربية التى كانت قد بدأت تتبلور بوضوح ، وتتحول الى حركة ذات جذور بين الجماهير العربية فى بلاد الشام والعراق وغيرها .

• • •

ونضيف الى ما تقدم ، إن الصحافة البريطانية نسجت فى تعليقاتها ومقالاتها خلال الفترة التى سبقت صدور وعد بلفور ثم خلال الفترة التى أعقبته : على هذا المنوال بكل وضوح .

فتحت عنوان «سياسة بريطانيا فى فلسطين – ضرورة عبرية بريطانية» ، كتبت صحيفة «صنداى كرونيكل» ما يلى :

«لا يوجد جنس آخر فى العالم كله ، يستطيع أن يقوم بهذه الخدمات لنا غير اليهود أنفسهم .. ولدينا فى الحركة الصهيونية القوة المحركة ، التى ستجعل امتداد الامبراطورية البريطانية الى فلسطين مصدر كبرياء وركن قوة» . كما كتبت صحيفة «إيفننغ ستاندرد» قائلة : «لقد أوضحت المصالح البريطانية منذ وقت طويل ضرورة قيام دولة حاجزة بين مصر وحكومة تركية معادية ، والصهيونية تزودنا بالحل» .

وبعد صدور وعد بلفور ، كتبت صحيفة «غلاسكو هيرالد» قائلة : «ومن وجهة النظر البريطانية ، فالدفاع عن قناة السويس يتم على أفضل وجه باقامة شعب فى فلسطين يكون ملتصقاً بنا ، وإعادة اليهود الى فلسطين تحت الرعاية البريطانية يضمن ذلك» .

أما الزعماء الصهاينة ، فقد دغدغت أحلامهم هذه المطامع البريطانية فى المنطقة العربية ، وهم الذين طرحوا أنفسهم أصلا منذ قيام الحركة الصهيونية فى عام ١٨٩٧ لأن يكونوا جزءاً من السور الذى يحمى الحضارة الأوروبية من أخطار «الهمجيــة والبربرية» المتدفقة من آسيا ، ولذلك نرى نورمان بنتويتش يقول – وهو أحـد الزعماء البارزين فى الحركة الصهيونية – أن حاييم وايزمن قد ربط عجلة الصهيونية بنجم بريطانيا ، معتقداً أن عملية بناء فلسطين يجب أن تكون شركـة بين بريطانيا واليهود ، وقد شرح زعيم صهيوني آخر هو «ماكس نوردو» مدلول ربط عجلة الصهيونية بنجم بريطانيا فى عام ١٩١٩ ، وبحضور كبار الزعماء البريطانيين بمن فيهم لويد جورج وآرثر جيمس بلفور ، فقال مخاطباً أولئك الزعماء البريطانيين : «نعرف أيها السادة ما تتوقعونه منا .. تريدون أن نكون حراس قناة السويس ، أن تكون حراس طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأدنى ... نحن على استعداد لأن نقوم بهذه الخدمة العسكرية ، ولكن من الضروري تمكيننا من أن نصبح قوة وحتى نقدر على القيام بهذه المهمة » .

وعصبة الأمم !!

ومن سخريات القدر فعلا أن جميع القوى الاستعمارية والشريرة قد تكالبت على الشعب الفلسطيني ، وعملت على إنزال كارثة تهجيره من أرضه ووطنه بالقوة الغاشمة ، من أجل إنشاء دولة يهودية تكون الذراع الضاربة فى المنطقة العربية لمصلحة الاستعمار الغربي . وكان بين هذه القوى ، عصبة الأمم ، التى كان مفترضاً فيها أن تكون



داخل الأرض المحتلة

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

صوت العدل والحق الذى يلجم الأطماع والنزوع الى ارتكاب الشرور من قبل الدول الأعضاء ، ولكن تلك العصبة ، لم تكن فى واقع الحال ، سوى عصابة من الدول الاستعمارية التى ربحت الحرب العالمية الأولى وأرادت اغتصاب العالم وثرواته لمصلحتها ولحسابها فقط .

ففى ٦ تموز (يوليو) ١٩٢١ ، أصدرت عصبة الأمم ، صك انتداب بريطانيا على فلسطين ، وقد صدق على هذا الصك فى ٢٤ تموز (يوليو) من العام التالي (١٩٢٢) ، ووضع موضع التنفيذ فى ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٣ ، وقد جاء فى مقدمة الصك : « ... إن دول الحلفاء الكبرى ، قد أقرت ماجاء فى تصريح بلفور وزير خارجية صاحب الجلالة ، واعتبرت نفسها مسؤولة عن تنفيذ مضمونه لمصلحة انشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين ، ولما كان قد اعترف بتلك الصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين ، وبالأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي فى تلك البلاد ، ولما كانت دول الحلفاء ، قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية ليكون مندوباً على فلسطين ، لذلك فان مجلس عصبة الأمم ، بعد تأييده الانتداب المذكور ، يحدد شروط نصوصه بما يلي:

● تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وادارية واقتصادية ، تضمن إنشاء الوطن القومي لليهود .

● يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية ، لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، وغير ذلك من الأمور التى قد تؤثر فى إنشاء الوطن القومي اليهودي ، ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ، ولتساعد وتشترك فى ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعاً دوماً لمراقبة الادارة .

● على ادارة فلسطين (الانكليزية) ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى !!! أن تسهل هجرة اليهود فى أحوال ملائمة ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها ، حشد اليهود فى الأراضي الأميرية (أراضى الدولة) ، والأراضي الموات (غير المستغلة) غير المطلوبة للمقاصد العمومية ، ولابد من الاشارة هنا ، الى أن مواد صك الانتداب على فلسطين العربية ، بلغت ٣٨ بنداً ، وقد اعترفت «لجنة التحقيق» البريطانية التى ارسلت الى فلسطين فى عام ١٩٣٧ ، للتحقيق فى أسباب ثورة عرب فلسطين ضد الانتداب البريطاني واليهود الوافدين على فلسطين من الخارج بقصدالاستيطان فيها ، اعترفت بأن فيليكس فرانكفورتر الصهيوني الأمريكى ، هو الذى وضع صيغة الانتداب بنداً بنداً ، ويتضح من معظم البنود التى أتينا على ذكرها ، أن الصك إنما وضع لأضفاء الصفة القانوية على عملية تهويد فلسطين ، وإكسابه صفة شرعية .

أما النص المتعلق بصيانة وحفظ الحقوق المدنية والدينية للسكان غير اليهود ـ أى للفلسطينيين سكان البلاد الشرعيين والذين كانوا يشكلون ٦/٥ من سكان فلسطين ـ فقد بقيت حبراً على ورق ، وهي فى الأصل انما وضعت للتعمية والتمويه وذر الرماد فى العيون فتعداد اليهود عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى ، لم يكن ليزيد فى فلسطين عن ٥٦ ألف نسمة فيما كان عدد العرب فيها ينوف على ٧٠٠ ألف نسمة ، ولعل من المفارقات المضحكة والمبكيةفي أن فى هذه المرحلة من عمر القضية الفلسطينية ، أن أول مندوب سام عين حاكما على فلسطين ، كان أحد الزعماء الصهاينة الانكليز ، وهو هربرت صموئيل .

بريطانيا تخدع العرب

لقد أقدمت الحكومة البريطانية على تقديم وعد بلفور لليهود الصهاينة ، فى الوقت الذى كانت قد قدمت وعداً للشريف حسين ـ شريف مكة ، وقائد الثورة العربية ـ التزمت بموجبه (في عام ١٩١٥) بأن تعترف بدولة عربية فى منطقة لم تستثن منها فلسطين ، وبأن تساند استقلال تلك الدولة .

ولذلك فان صدور وعد بلفور أثار حيرة وفزعاً فى العالم العربي ، أو بعض أجزائه ذات الاتصال المباشر



العائلات النازحة عند بداية الاحتلال



لوحة الغلاف عن وعد بلفور بعد ٦٤ سنة .. اللوحة للفنان حلمي التوني



القدس .. مدينة الأديان وزهرة المدائن

بالحلفاء ، فقد رأى العرب فى « وعد بلفور » البريطاني إنكاراً لحرية العرب السياسية فى فلسطين . وقد حاولت بريطانيا أول الأمر اخفاء نبأ الوعد ، لكن الشريف حسين ، وابنه فيصل عرفا به ، وطلب الشريف حسين تعريفاً لمعنى الوعد المشؤوم ومداه ، وهنا لجأت بريطانيا الى الخداع مرة أخرى ، فأوفدت مبعوثاً من لدنها الى جدة لتهدئة خواطر شريف مكة ، وكان مما قاله المبعوث البريطاني « إن الاستيطان اليهودى فى فلسطين لن يكون مسموحاً به إلا بقدر ما يتفق ذلك مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية» ، وبالطبع فان هذا التأكيد كان مجرد خداع وكذب مكشوف ، ليس لأنه لم يطبق كما حدث فيما بعد فحسب ، بل ولأنه يخالف أساساً نص وعد بلفور الذى لا يضمن للسكان العرب سوى « الحقوق المدنية والدينية » فقط ، ومن المؤسف فعلا أن الشريف حسين انطلت عليه هذه الخدعة ، بل أنه صدق ما قدم اليه من تفسير تماماً ، مما دفعه لأن يتعهد للمندوب البريطاني أن يبذل كل نفوذه لكي يساعد على تحقيق ملجا من الاضطهاد المزعوم لليهود فى فلسطين وسيوافق على كل تدبير مناسب لتامين وضع الأماكن المقدسة والاشراف عليها من قبل اتباع كل دين من الديانات التى لها معابد مقدسة فى فلسطين !! ، وأكثر من ذلك فانه أرسل الى قادة الثورة العربية فى بلاد الشام وفى مصر ، يبلغهم انه تلقى تأكيدات من الحكومة البريطانية بأن توطين اليهود فى فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب فيها !! ويحثهم فى نفس الوقت على الاستمرار فى تصديق الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها للعرب حول نيل الحرية وقيام دولة عربية مستقلة .

لكن الخداع لا يمكن ان يمتد طويلا ، فقد نسفت ثقة العرب بالتفسيرات البريطانية لوعد بلفور المشؤوم ، حين نشرت الحكومة السوفييتية الجديدة ـ بعد الاطاحة بالقيصر فى روسيا ـ نص اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية ، التى اتفقت بموجبها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا على تقاسم ممتلكات الامبراطورية العثمانية فيما بينها . ويقول المؤرخ البريطاني دزموند ستيوارت : « إنه بعد نشر تصريح بلفور واتفاقية سايكس ـ بيكو « لم يبق لبريطانيا أصدقاء من العرب بل عملاء فقط » .

ومع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين ، شرعت الحكومات البريطانية المتعاقبة فيما بين ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ ، فى تطبيق نص وروح وعد بلفور ، وتهويد فلسطين عن طريق استقدام المهاجرين اليهود الى فلسطين من جميع أصقاع الأرض ، حتى إذا جاء ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، انسحبت بريطانيا من فلسطين ، بعد أن تأكدت من قدرة اليهود على إعلان كيانهم الصهيوني على تلك الأرض العربية ، وهذا ما حدث فعلا ، وما يزال يهدد المصير العربي برمتـه .

عصام شريح

فيم العناء؟

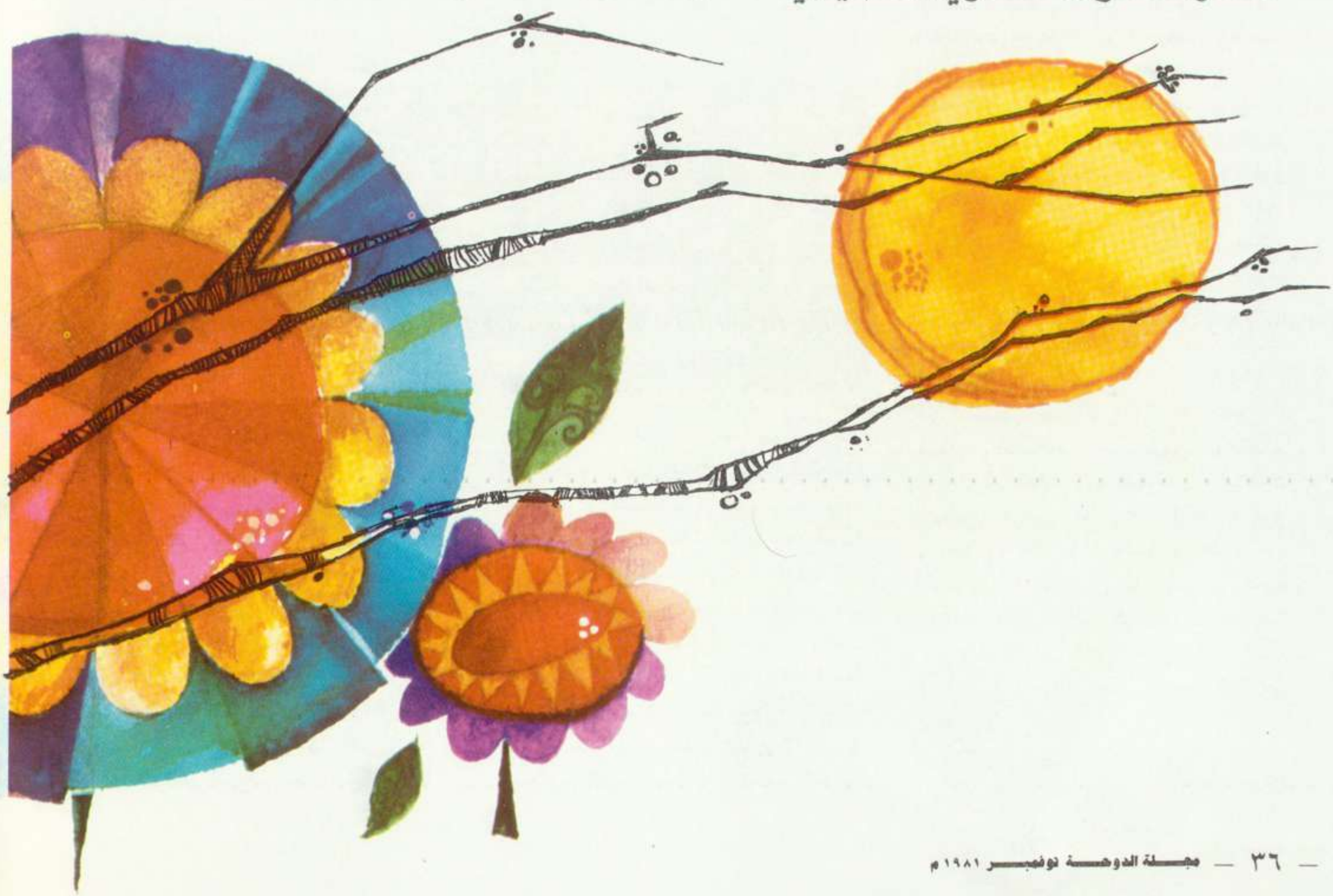


شعر الدكتور : غازي القصيبي

جميعُ المطاراتِ عندى سواءْ
جميعُ الفنادقِ عندى سواءْ
وكلُّ ارتحالٍ قُبَيْل الشروقِ
وبعد المساءِ
سوَاءْ
وكلُّ الوجوهِ
تطارِدُني عند كلّ وَداعٍ
تلاحقُني عند كلِّ لقاءٍ
سواءْ
ففيمَ العَنَاءْ ؟!

•

أفيقُ مع الفجر
أشرَبُ شايَ الصباح
أسيرُ الى غابةِ الأمسِ واليومِ
حيث تسيل الدماءْ
أصافحُ نفسَ الأيادى المليئةِ
بالعطرِ والمكرِ ... ألمحُ نفسَ الرياءْ
ونفسَ الخداعْ



ونفسَ الغبــاءْ
ففيم العنـــاءْ ؟
ففيـم العنــاءْ ؟

وألهـو بنفسِ القــراراتِ
أهـذي بنفــسِ الخطابــاتِ
أسمـعُ نفـسَ الغِنـاءْ
أطـوفُ بنفــسِ الجمـوعِ
وأبصرُ نفــسَ الدمـوع
وأضحــك حين يشــاءُ القضــاءْ
وأحــزنُ حين يشــاء القضــاءْ
ففـيم العنــاءْ ؟
ففيـم العنــاءْ ؟

ولا يعــرف القفــر أني
سكبــتُ دموعـي عليــهِ

ولا يعـرف الحــبُّ أني
ارتميــتُ .. لشَمْـتُ يديــهِ
ولا يعــرف الظلمُ أني
تململــت فى قبضتيــهِ
ولا يعـرف الناس أني
غضبــتُ وقد عُــذِّبَ الأبريــاءْ
وحاربــتُ حين طغــى الأدعيــاءْ
ففيــم العنــاءْ ؟
ففيــم العنــاءْ ؟

وحين أغيــبْ
وراء المغيــبْ
يقولـون كان عنيــدَا
وكـان يقــولُ القصيــدَا
وكان يحــاول شيئــاً جديــدَا
وراح وخلّــف هــذا الوجــودَا
كمـا كـان قبل غبيــًّا بليــدَا
ففيـم العنــاءْ ؟
ففيـم العنــاءْ ؟





الشيخ الذى يتولى تحفيظ القرآن للأطفال

دارفور

جسر إلى قلب إفريقيا

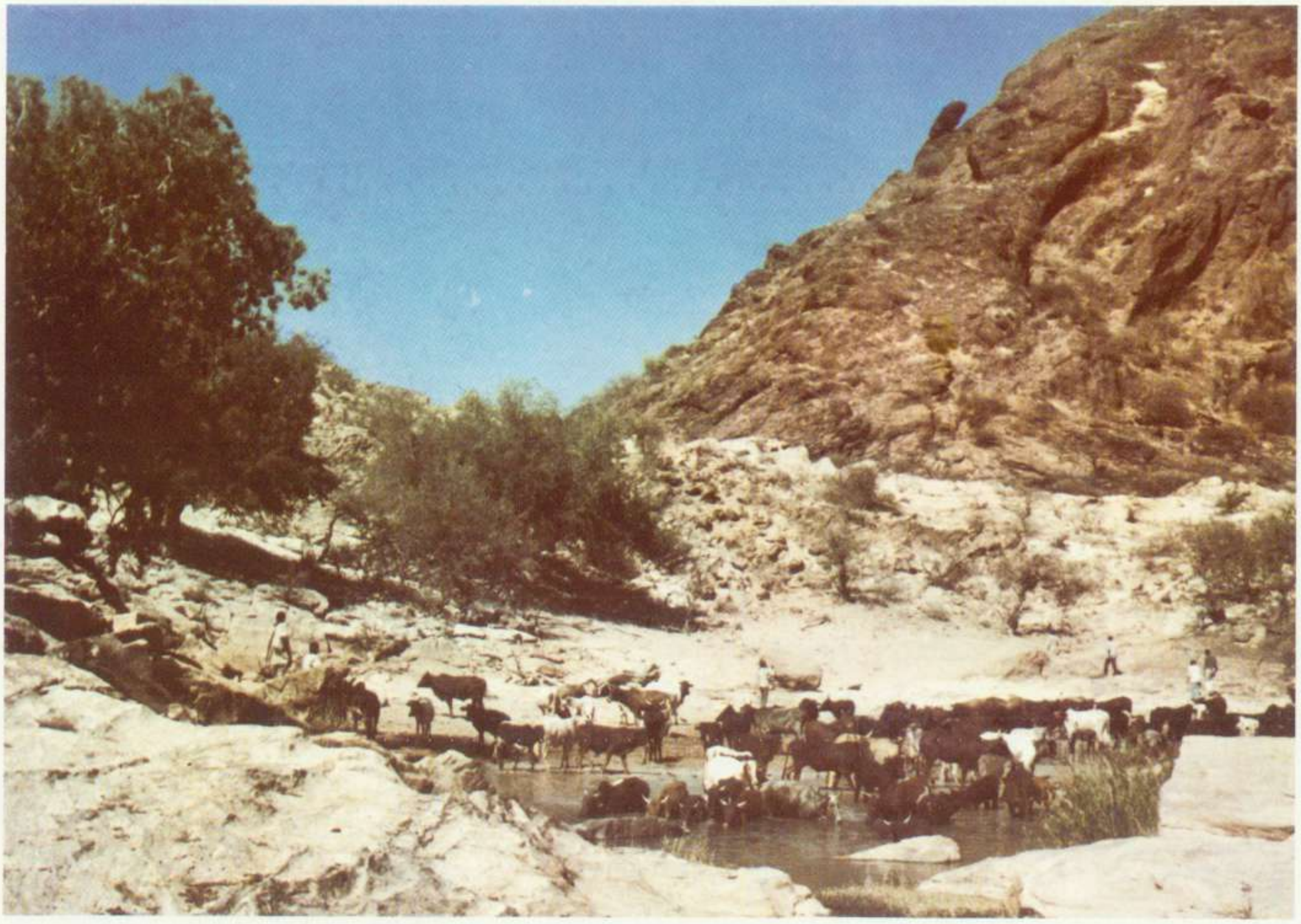
بقــلم :
إبراهيم إسحق إبراهيـم

دارفور هو واحد من ستة أقاليم تتمتع بالحكم اللامركزي فى التنظيم الاداري الجديد بالسودان . وهذا الاقليم الذى تبلغ مساحته حوالى ١٥٠ ألف ميلا مربعاً يقع بين خطي العرض ١٠ و ١٦ شمالا وخطي الطول ٢٧و٣٠ شرقاً ، وتحده الصحراء الليبية شمالا وجمهورية تشاد غرباً وجمهورية افريقيا الوسطى الى الجنوب الغربي ويجاوره جنوب السودان من الجنوب وكردفان من الجهة الشرقية . المعلم البارز فى طبوغرافيا الاقليم هو خطان من السلاسل الجبلية البركانية الأصل يحتلان القطاع الشمالي والأوسط وأشهرهما جبل مرة وامتداداته الشمالية . تغلب الأراضي الرملية فى كل من الحدود الشرقية والغربية بينما تغطي المنطقة الوسطى أراضي طينية خصبة تتخللها الوديان الموسمية الضخمة .

ممالك فى مجاهل القارة

حينما كانت أوربا منغلقة فى قرونها المظلمة كان وعي المسلمين العرب بشكل الأرض ومراميه وما فيه يتزايد باطراد . فلما وضع العلماء المسلمون فكرة «العالم المعمور» الأغريقية فى حيز التطبيق جاءت مترادفات كتب «المسالك والممالك» و «البلدان» و «أخبار الأمم» و «غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» لتعرف الدارس العربي المتمدين بهيئة الديار التى تجتاحها باستمرار طلائع الفتوحات وينساح فيها العربان والمهاجرون وتأتي منها قوافل التجار بالنفيس . ولعل أول ما ظهر من أخبار الأقليم الذى عرف مؤخراً باسم دارفور فى العربية ما ورد لدى اليعقوبي (ت ٨٩٧م) من أخبار عن وجود مملكة للزغاوة تمتد من شمال دارفور وتبلغ أطراف نهر النيجر غرباً . ولا يزيد المسعودى فى عصره (ت٩٥٦م) شيئاً يذكر على ماقاله اليعقوبي . لكن الشريف الادريسي (ت١١٦٥م) ذكر عاصمتهم مانان ووصف كثرتهم وحملهم التجارة على إبلهم وصناعتهم ومعايشتهم . وتعتبر اشارة الادريسي الى التاجوين كمملكة تجاور بلاد النوبة غرباً أول بادرة لتمكين فكر علماء التاريخ المحدثين بأن حكم شعب الداجو بدارفور كان معلوماً فى القرن الثاني عشر الميلادي على نطاق المغرب ◄





موقع عين فرح حيث يوجد قصر ضخم قديم وراء الجبل

العربي والمشرق الوسيط . ثم أن المعرفة بالاقليم زادت فى عهد ياقوت الحموي (ت١٢٢٩م) والذى لا يكتفي بضبط اسم وموقع بلاد الزغاوة ومدنهم وعاداتهم بل ويستشهد ببيت لأبي العلاء(ت١٠٥٧م) يقول فيه :

بسبع إماء مـن زغاوة زوجـت
من الروم فى نعماك سبعة أعبد

ولأننا لا نجد أمة لم يسترق منها خلال الحروب والمناوشات الوحشية التى تزحم التاريخ البشري فان وجود الأرقاء الزغاوة السبع فى بلاط الأمير الشامي فى القرن الحادي عشر لا يهم إلا كدليل على انفتاح المعابر الاسلامية واتصالاتها بمجاهل افريقيا فى بواكير تلك الأزمان . فى القرن الثالث عشر يكتب ابن عبد الظاهر (ت١٢٩٢م) عن مملكة فى المغارب لها علاقة ببلاد النوبة وتسمى « أري » . ويرجح علماء التاريخ أن هذه المدينة هى « أوري » التى كانت عاصمة أو محطة تجارية لشعب التنجر المتملكين على شمال دارفور . وبهذا تكتمل صورة الحلقات الأربع التى تتقاسم تاريخ الاقليم . فالزغاوة والداجو تعاصرا فى الحقبة الأولى وعلى الأرجح ما بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلادي . وربما قامت هيمنة التنجر على الجزء الشمالي من تلك المناطق فى القرن الحادي عشر . ثم انهم خلفوا على مقعدهم شعب الفور منذ القرن الخامس عشر أو القرن السابع عشر الميلادي .

التجارة مفتاح التعارف

لكن انفتاح دارفور أمام وعي الآخرين بعد القرن الخامس عشر الميلادي لا يقتصر على ادراك العرب لوحدهم . فالتجارة بعيدة المدى كانت قد كشفت عندئذ المنافذ الى داخل القارة الأفريقية عبر الصحراء الكبرى وازدحمت طرق القوافل المتقاطعة بالأحمال النادرة المطلوبة فى أوروبا المنتعشة اقتصادياً وصناعياً من دقيق وسن الفيل وريش النعام وقرن الخرتيت والصمغ والجلود والذهب . وهكذا فى هذه الأعصر تنجلى حجب الظلمات عن الأحوال بقلب أفريقيـا . بقدر ما أثارت معلومات الادريسي وحسن بن محمد الوزان (ت١٥٤٠م) الشهوة الأوربية لمزيد من التفاصيل عن أعماق القارة الأفريقية فانها فتحت الآفاق لمزيد من جمع المعلومات عن تلك البقاع حتى دون لجوء للمخاطرة بالذهاب اليها . ومن ذلك أن التقويم الجغرافي الذى نشر فى البندقية عام ١٥٨٢م لرجل يدعى لورنزو دانانيا يظهر معلومات جديدة ومثيرة عن دارفور . فالحاكم فى أوري والذى يتمتع بمكانة مثلما للامبراطور ، كان يخضع لأمره

ملوك صغار منهم القائمون على الزغاوة والميما و المساليت والداجو وجماعات أخرى لم يتم التعرف عليها . ويقول ذلك التقويم الجغرافي الايطالي ان حاكم أوري كانت له سطوة وكان حليفاً للاتراك وأن التجار من القاهـرة يمدونه بالسلاح الذى يقايضونه بالذهب . ولما كانت أوري واقعة فى نهاية الطريق التجارى الطويل المعروف تاريخياً بدرب الأربعين والممتد بين مصر ودارفور فالعلماء يرجحون أنها قد كانت وظيفياً خير سلف فى عصر التنجر لخليفتيها الشهيريين فى عهد الفور وهما السوينة و كوبى .

. ثم يؤكد اتساع علم الآخرين بما يصير اليه الحال فى دارفور فى القرن السادس عشر اكتشاف وثيقة تعاقد تجارية من محاكم القاهرة تؤرخ لما بين ١٥٦٣م و١٥٦٩م فحواها أن التجار الجلابـة يستوردون بضائع من « بر السودان وفزارة وغيره » .

الاشارة الى فزارة تلزم رصدنا هذا بتوضيح حول دخول العرب الى دارفور . ويبقى فى غاية الأهمية هذا الربط الجديد بين «بر السودان» والجماعات العربية . فالملاحظ أن الرحالة الفرنسي « بونسيه » فى القرن السابع عشر يشير الى دارفور باسم « مملكة السودان » . والرحالة الانجليزي « براون » فى القرن الثامن عشر يؤكد أن نهاية درب الأربعين تسمى « بر السودان » وهو اسم لا يطلق على موقع مماثل أو مغاير فى كردفان أو سنار . والوثائق السلطانية بدارفور كما يقول علماء التاريخ اعتادت فى القرن الثامن عشر على اطلاق اسم « مملكة العرب والسودان » على دارفور بدلا من الاستعانة بلفظ آخر . والرحالة العربي محمد بن عمر التونسي الذى زار دارفور عام ١٨٠٣م ومكث فيه ثمانية أعوام يكتب كتابه تشحيذ الأذهان فيشير فى عنوانه لدارفور باسم « بلاد العرب والسودان » .

المعتقد الساري هو أن شعب الداجو يرجع فى أصله الى نوبا كردفان . أما التنجر ففيهم ملامح ليبية ولسانهم عربي وفى أوسامهم وعاداتهم آثار من نوبة شمال السودان . ويبدو أن تاريخ الهجرات العربية غربي النيل وانسياحهم فى بلاد السودان ارتبط بعلاقة المماليك المصريـــة بالعربان المجتمعة فى صعيد مصـر . فمنذ عام ١٢٩٠م ساءت العلاقات بينهما وأدى ذلك الى تجريد المماليك لسلسة من الحملات العنيفة ضدهم وممتلكاتهم مما اضطرهم للجلاء جنوباً ومتابعة أخبار المسارح الواقعة فى أرض السود . ويخبرنا ابن عبد الظاهر وابن الفرات (ت١٤٠٥م) والمقريزى (ت١٤٤٥م) بأن الأعوام من ١٣٤٨ والى ١٣٦٥م شهدت المزيد من هذه الاحتكاكات بين عربان الصعيد وغالبيتها يمانية وبين المماليك .. ونعلم أن هذه الاحتكاكات ساقت هؤلاء الاعراب للتخلى عن سكنى الديار المصريـة واللجوء للانسياح بمحاذاة بلاد النوبة غرباً واتباع أودية الساحل الأفريقى الضخمة مثل « وادى الملك » و «وادى المقدم» حتى وصلوا وانتشروا فى المثلث الصحراوى وشبه الصحراوي الواقع بين جبل « العوينات » وجنوباً حتى شمال كردفان ودارفور وبين هضبتي الأندي والتبستي فى شمال تشاد وحدودها مع ليبيـا والنيجر .

وتدل وثيقة قدمها القلقشندى فى صبح الأعشى أن هذه التجمعات اليمانية وغيرها وأظهرها يومئذ جذام كانت من الضخامة والسطوة فى تلك الأصقاع من صحاري تشاد لدرجة أنها عاثت فساداً فى شمال سلطنة البرنو وحتى اضطر الماي عثمان بن ادريس



جامع طـره الذى بناه السلطان موسى بن سليمان فى جبل مرة

لارسال كتاب فى عام ١٣٩٢م للسلطان المملوكي برقوق يطلب منه فيه كبح جماحهم . وبالرجوع الى الوثائق الشحيحة فى تلك المناطق وهاته التواريخ مطعمة بدلائل من التراث الشفاهي نستطيع التعرف على أسماء أهم تلك التجمعات اليمانية وما دخل فيها من البطون القيسية . فهنالك بعض الهلاليين وبني سليم والاشراف وفزارة وجهينة والأزد وحمير ولخم .

انتجع هؤلاء العربان مواقع الكلأ وتتبعوا مظان المياه فدخلوا متوغلين فى شمال كردفان ودارفور وتشاد اللاتى أشبهت لهم مناخ البادية العربية فتفرعوا فيها وتشعبت عمائرهم وبطونهم وأضاعوا أسماء كثير من أصولهم وحرفوا بعضها وتمكنوا هنالك . ثم أن التأقلم على البيئة الجديدة فى منطقة السافانا وجنوبها سرعان ما غير مهنة طوائف عدة منهم وحتى غدا أهل الجنوب يسعون بالأبقار فعرفوا باسم «البقارة» . والذين فنيت بهائمهم فى الأمراض والحروب جنحوا للاستقرار فى الحزام الأوسط من كردفان ودارفور وتشاد ومارسوا الزراعة . وخالط الكل أهل السودان من القبائل الأصلية المستوطنة واندرجوا فيهم وكاثروهم وغيروا أنسابهم . وهكذا شهدت الأزمان من القرن الرابع عشر الميلادي وحتى الحاضر استمرار تداخل الأعراق النازلة بتلك المناطق من نوبيين وليبيين وأعراب ومن سواهم واندماجهم المستمر وتشكلهم الدائب اسلاماً واستعراباً حتى لم يعد هناك معنى للثنائية التى كانت فى عبارة « العرب والسودان » .

بلاد أمير المؤمنين

الأصل العربي والدين الاسلامي الصريحان اعلن عنهما فى دارفور فى عهد السلطان سليمان سولونق (١٦٦٠ – ١٦٨٠م) . وسولونق فى لغة الفور تعنى العربي أو الأحمر اللون . التراث الشفهي فى دارفور عامة يكاد يجمع على أن والد سليمان هذا ويدعى أحمد المعقور كان اعرابياً من بني هلال . وأن أمه المسماة (خيره) كانت من البيوتات المالكة عند التنجر أو الفور أصحاب الهيمنة يومئذ بتلك المناطق . ويقولون أن لسان غالبية

سكان جبل مرة غير العربي هو الذى حرف الاسم من (خيره) الى (كيرا) وهى صيغة النسبة التى سادت تاريخياً كلما ذكرت هذه العشيرة الفوراوية المالكة . وهذا الاسم والأصل العربي دفعا السلطان سليمان واخلافه لتشجيع تدفق الأعراب البدو والعرب المهاجرين غير البدو الى بلاده والعمل على نشر الاسلام على طول دارفور وعرضها .

وفى الوقت الذى توطنت فيه الاعراب البدو بشمال دارفور وأخذ بعضهم يتسرب الى الجنوب ويربى الأبقار أو تستقر كانت عملية الأسلمة تسير ببطء فى عصر السلطان سليمان ونسله وسط القبائل الوثنية شمالا وفى الوسط والجنوب . إلا أن سليمان استعان لمعالجة ذلك البطء باستجلاب العلماء وتوسيع نطاق المساجد والخلاوى أو كتاتيب القرآن والعلوم الدينية وعلوم العربيـــة .

بين أولى هذه البيوتات التى استجلبها السلطان سليمان وابنه السلطان موسى (١٦٨٠_١٦٨٢م) جاءت ثلة متوالية من فقهاء الجوامعة (قبيلة عربية بكردفان) حيث سعوا لنشر الاسلام فى وسط الاقليم من منطقة أراري وأزاقرفا شمال الفاشر الى قمة طرة فى جبل مرة . وفى عهد السلطان أحمد بكر (١٦٨٢_١٧٢٢م) بن موسي،كانت التجارة عامرة مع كل الاتجاهات الأربعة . وحينما جاء عهد السلطان تيراب (١٧٥٢_١٧٨١م) بن أحمد بكر كان الاسلام واضحاً فى التعريب الذى حدث للمناصب الادارية إذ أصبح هنالك وزير وأمير وقاضى بدلا من القاب الرطانة لهذه المناصب . فى هذا العصر المزدهر كثر استجلاب العلماء الى الاقليم ، فجاء من تونس الفقيه عمر التونسي والد الرحالة المذكور آنفاً . وجاء من فوتا جالون ومن فوتا تورو فى السنغال الفقيه على الفوتاوى والفقيه تمرو وهما من الفلاته وذلك فى عهد أحمد بكر . كذلك شارك الفقيه البرناوى طاهر أبو جاموس فى التعليم الديني خلال عهد السلطان عبد الحميد الرشيد (١٧٨٧ _ ١٨٠٢م) بن أحمد بكر . كما ظهر فى البلاط السلطاني بالفاشر فى عهد السلطان محمد الفضل (١٨٠٢_١٨٣٩م) بن عبد الرحمن



راية سلاطين دارفور التى ورثها السلطان على دينار

الرشيد الفقيه الأزهرى حسين العماري . ويظهر التراث الشفهي بالاقليم أن عصر عبد الرحمن الرشيد كان يمثل إعادة طيبة لحملة الأسلمة وتحسينها التى اجتاحت الدولة فى أيام جده سليمان سولونق . وعاصرت هذه الأنشطة قمة التوسع الذى ضم للسلطنة أجزاء من تشاد ، والجزء الأكبر من كردفان ، وحتى وصلت قوات دارفور الى أم درمان وحاددت نهر النيل .

من صلب التكوين الداخلى للسلطنة الفوراوية يجيء لقب سلطان السلاطين أو السلطان الأعظم الممنوح لحاكم دارفور فى خطاباته الرسمية . فالقبائل العربية كانت تحكم بالمشيخات وتدين بالولاء شبه الاسمى للسلطان . أما القبائل المستقرة فقد اختلفت ألقاب حكامها وتعددت مراتب تبعيتها وتشددت قبضة الحكام عليها .. فهنالك ملوك لدى بعض القبائل ، وسلاطين عند آخرين ، و(شراتي) وألقاب غيرها لدى الباقين . هذا الوضع أغرى السلطان الفوراوى بوضع صيغة مناسبة لسطوته على كل هؤلاء الحكام فأطلق عليه كتبته لقب سلطان السلاطين أو السلطان الأعظم . وكانت دارفور مثل سلطنة وداى تعترف بخليفة المسلمين فى الأستانة . ومن هذا الولاء نبعت فكرة الدور الذى يلعبه سلطان الفور كوكيل عن خليفة المسلمين فى أرضه الافريقية . ولهذا تعطيه سجلاته الرسمية لقب أمير المؤمنين(انظر الخطاب في اللوحة)هذا الترادف فى العروبة والاسلام ظل يزداد قوة طوال حكم هذه السلالة بدارفور (١٦٦٠_١٨٧٤م) . فلما حلت المهدية عام ١٨٨١م وجدت فى شيوع المذهب المالكي السني بدارفور وانعدام الأثر الصوفي خير سند لها . فالمحاربون والقادة والعارفون من كل قبائل دارفور اشتركوا فى مصائر الدعوة المهدية بهمة ولعبوا دورهم القومي بجدارة . ثم أن الدعوة المهدية اتخذت من دارفور معبراً مناسباً ونشطاً لنقل آرائها الى الغرب فى ديار الهوسا والتكرور .

استوى حظ سلطنتي سنار ودارفور مع حظوظ الديار الاسلامية المعتبرة فى الأهمية الدينية فكان لطلبتهما بالأزهر الشريف رواقان ، واحد للسناريين والآخر للدارفوريين . وكان هنالك محمل سنوي يقوم به أمير للحج من الفاشر عاصمة الفور ليعبر درب الأربعين يصحبه حجيج الاقليم ومن يلم فيهم من بلاد السودان الغربي حتى يصل الى القاهـرة . وهنالك ينضم الوفد السوداني للطوف المتزايد من بعثات وحجيج بلاد المغرب العربى فى طريقهم الى الحجاز . بعد ذلك شهد انتعاش موانىء البحر الأحمر فتح الطريق المباشر من بلاد السودان الى سواكن وغيرها فى القرن التاسع عشر . ثم أعقب انهيار الدولة المهدية عودة السلطنة بهيأتها القديمة الى دارفور ممثلة فى السلطان على دينار واستمرارها من عام

١٨٩٩ وحتى عام ١٩١٦ حين تم غزو الاقليم بواسطة قوات الحكم الثنائي وضمه نهائياً للمصير القومى الموحد .

وظائف الكتابة

يبذل العلماء وتلامذتهم المعنيون بالشئون الدارفورية حالياً أقصى جهدهم لاثراء المواد المتوفرة فى المصادر الدراسية عن المنطقة بمزيد من البحث عن المخطوطات والتنقيب الأثرى والجمع الشفهي للتراث . فكتب الرحالة الأجانب وملحوظات الاداريين الانجليز والمصريـين التى ورثوها لم تعد تفي بالمطالب العلمية للوعي التاريخي والثقافى بالمنطقة ، وفى السودان عامة . وفى اطار هذا الجهد تعد الآن رسائل جامعية وتجرى أبحاث وتنقيبات قد توسع المدارك قريباً حول الاقليم . ضمن هذه الحركة اشترك كاتب هذا المقال خلال فبراير ١٩٨١ فى رحلة لجمع التراث الاسلامي بدارفور وذلك بجلب مواد لمعرض المخطوطات والجماليات الاسلامية المصاحب لانعقاد المؤتمر العالمي للدعوة الاسلامية بالخرطوم فى مارس ١٩٨١م .

فى نسخة من شرح بهرام الدميري لكتاب المختصر فى الفقه المالكي لخليل ابن اسحق محفوظة بدار الكتب الوطنية بفرنسا ، يوجد تعليق يدل على أن ناسخها المسمى شعيب يوسف كان يعد تلك النسخة استجابة لطلب أحد سلاطين الفور والذى توفى عام ١٦٤٠/٤١م . وقد أظهرت رحلة جمع التراث لعام ١٩٨١ هذى شيوع مخطوطات ملفتة تضم ذخائر من العلوم الدينية وعلوم العربية بدارفور . ففى قرية أزاقرفا شمال الفاشر عاصمة الاقليم وجدت البعثة « تفسير الجلالين » و «توحيد السنوسية» وكتب أخرى الى جانب المصاحف ، وكلها ترجع فى تاريخ نسخها لأكثر من مائة عام . أما عن المصاحف فلا يكاد يخلو بيت بدارفور من مخطوطة قديمة للقرآن مزخرفة ومنمقة .

وفى جبل مرة وجدت « تفسير الجلالين » و « الأجرومية فى الاعراب » و «هدية السامعين فى سيرة سيد المرسلين » و «مختصر الأخضري فى العبادات» و «أرجوزة القرطبي» و « متن الجزرية » وهما فى علوم القرآن . كل هذه نسخت فى القرن التاسع عشر الميلادى ويغلب عليها خط الرقعة .

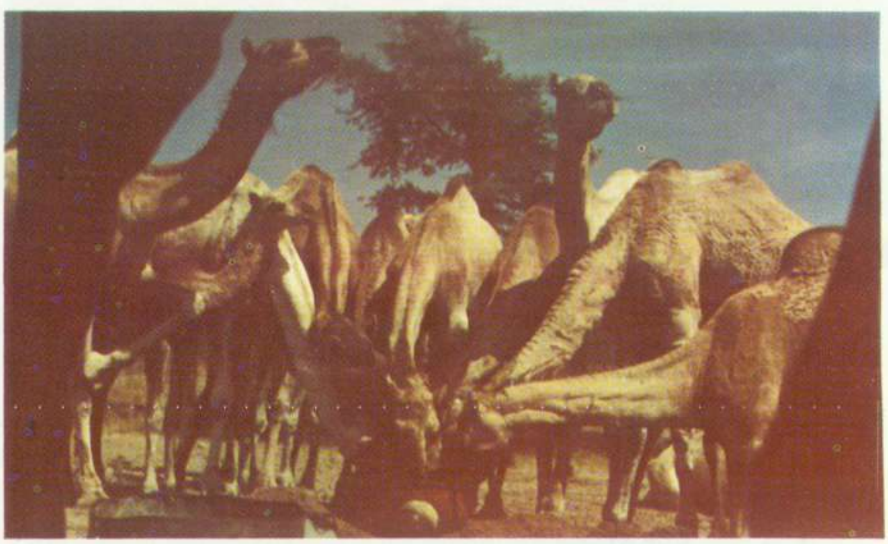
أمافى بلدة «ودعة» جنوب شرق الفاشر فقد وجدت الى جانب المصاحف والراتب للامام محمد أحمد المهدى نسخة من كتاب «تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام » للقاضى برهان الدين ابراهيم بن على المعروف بابن فرحون اليعمري المالكي .. وهو كتاب مشهور فى موضوعه شهرة « الأحكام السلطانية » للماوردى ويهدف لارشاد القضاة فى أداء واجبهم ، وقد طبع غير محقق بمصر عام ١٩٣٧ كحاشية لفتاوى الشيخ عليش . وهذه النسخة الفوراوية مؤرخة بعام ١٢٧٤هـ . ومن بلدة كريو ـ كتال جاءت مصاحف برواية ورش وبالخط المغربي ترجع للفترة بين ١٧٥٢ ـ ١٨٠٢م . وفى مدينة الجنينة فى الحدود مع تشاد علمت البعثة بوجود نسخة خطية قديمة من كتاب « بيان وجوب الهجرة على العباد » لعثمان بن فودى وهو كتاب لم ينشر محققاً إلا عام ١٩٧٧م حيث صدر من مطبعة جامعة الخرطوم . وفى الفاشر حصلت البعثة على مصحف برواية ورش وبخط مغربي ومزدان بالشرافات وقد نسخ منذ حوالي ١١٥ عاماً .

ومع هذا المصحف كتاب « شرح النهاية فى بدء الخير وغاية » المعروف بمختصر أبى حمزة فى الأحاديث وهذه النسخة مؤرخة بعام ١١٥٤ هـ . ومعهما أيضاً كتاب «شرح الشاطبية المسمى سراج القارىء المبتدىء وتذكرة المقرىء المنتهى» وهو متن وشرح فى التجويد وقد نسخ منذ عام ١٣٤١ هـ . هذه الحصائل من المخطوطات التى جمعت فى أقل من سبعة أيام فى منطقة لا تزيد على ثلث اقليم دافور وبامكانيات جد ضعيفة تقيم الدليل القوى والوافى على الغزارة العددية والنوعية لكتب القرآن والسنة والعقيدة والعبادات وعلوم العربية وما شاكلها ودورها الأساسى فى تسيير حياة الناس فى تلك النواحى .

لقد بقيت من تقاليد التعليم الدينى غير الرسمى فى دافور حتى الحاضر خلاوى القرآن الكريم العاملة فى كل مرامى المنطقة . والمؤسف أن المساجد التي بناها السلاطين الأوائل باتقان لما يناسب وضعهم الحضاري يومئذ لم تعد تتخذ أغلبها محلا للصلاة الجامعة نسبة لسقوط أسقفها وتهدم بعض جنباتهاوهجران القرى والمساكن لمواقع بعضها وهى خسارة لا تقدر بثمن ...

لكن مساجد جديدة تبنى فى دارفور وحركات الدعوة الدينية لاصلاح العقيدة والشريعة تسير فى الاقليم وعبره فى اتجاه مناطق بكره فى قلب القارة الأفريقية. ولعل خير ما يدل على هذا الدور الذى يلعبه الدارفوريون الآن هو مكانة علمائهم فى تأسيس وانعاش حلقات الدرس وبذور حقول جديدة للاسلام فى تشاد والكاميرون وافريقيا الوسطى

ابراهيم اسحق ابراهيم ـ الخرطوم



إبل العرب فى دارفور تشرب من عين المياه .

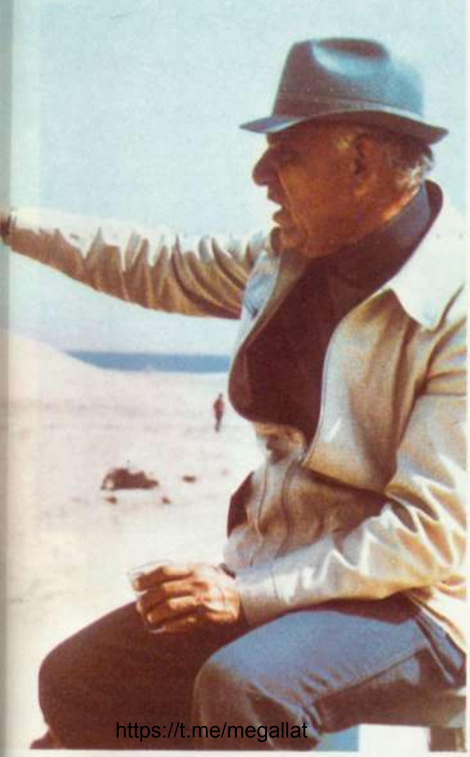
سينما

القادسية



فيلم عربي أثبت وجوده في مهرجانين عالميين

المخرج صلاح أبو سيف أثناء تصوير الفيلم

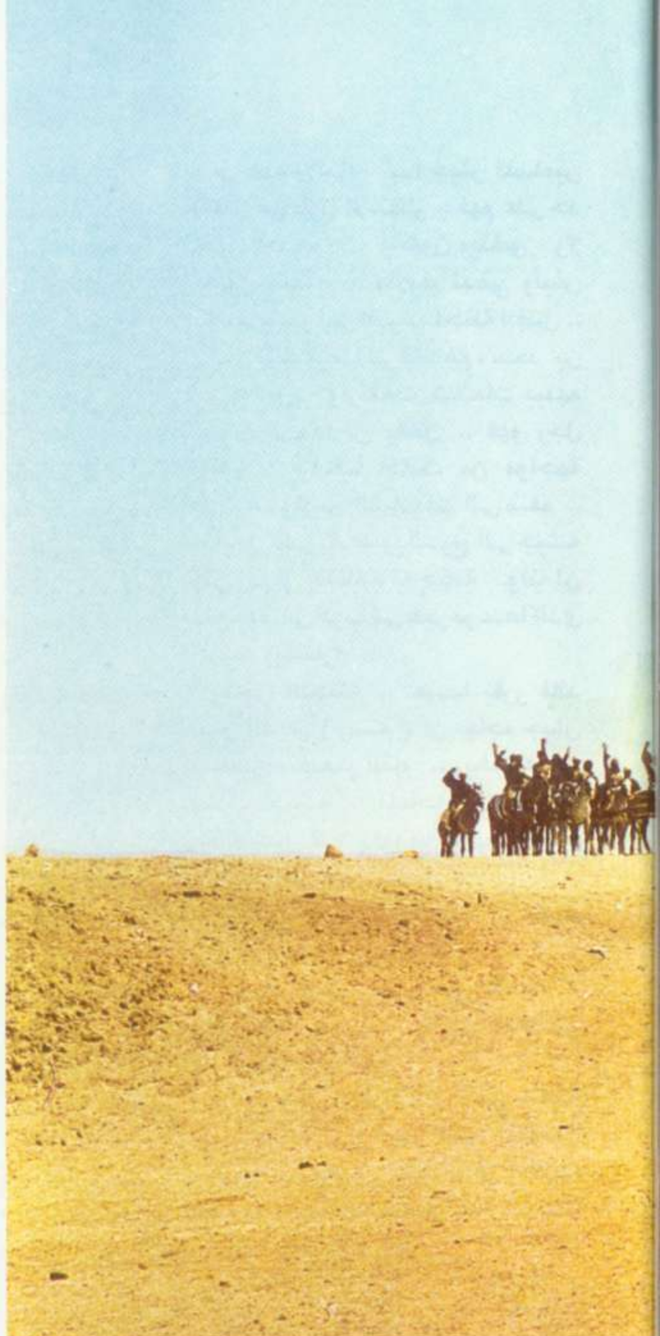


بقلم : رءوف توفيق

وسط أضخم حملة سينمائية .. قدمت العراق فيلمها «القادسية» .. وشاركت به فى أهم مهرجانين للسينما العالمية خلال الشهور الأخيرة .. (مهرجان كان ـ مايو ١٩٨١ .. ومهرجان موسكو ـ يوليو ١٩٨١)

واستطاعت مؤسسة السينما العراقية .. أن تثبت وجودها فى هذين المحفلين الدوليين ، من خلال نشاط وفدها السينمائي .. ومن خلال حملة دعاية مكثفة وذكية ، قامت على منطق الانتشار والابهار .. فارتفعت اللافتات المضيئة تحمل اسم الفيلم « القادسية » ... وكتبت صفحات كاملة فى أهم مجلات السينما العالمية عن الفيلم .. ووضعت في مكاتبها داخل أقسام المهرجان ، كميات ضخمة من المطبوعات الفاخرة التى توضح انتاج مؤسسة السينما العراقية وبالذات فيلم «القادسية» .. صور ملونة ونشرات





لقطتان .. الأولى لمشهد بانورامي فى الصحراء .. والثانية لمجموعة الممثلين الذين شاركوا فى الأدوار الرئيسية فى الفيلم

ومعلومات تهم كل ناقد وصحفي .. وأيضاً كل موزع يرغب فى شراء الفيلم .. هذا بالاضافة الى كمية متنوعة من الهدايا التذكارية التى تحمل اسم الفيلم .. بخلاف حفلات الاستقبال التي تشهد بالكرم والذوق العربي الأصيل .

وهكذا أصبح فيلم « القادسية » .. هو الابن المرموق للسينما العراقية .

وكيف لا يكون كذلك ، وهو الذى أنفق من أجله ، أضخم ميزانية لفيلم عربي .. وجندت من أجله خبرات فنية من مختلف البلاد العربية .. واستغرق الاعداد والتجهيز له أكثر من عامين ، بينهما تسعة شهور أستغرقها تصوير الفيلم في مدينة سينمائية أقيمت خصيصاً فى الصحراء بالقرب من بغداد .. ووسط درجات حرارة تتفاوت بين حدودها القصوى .. ما بين خمس درجات تحت الصفر فى ليل الشتاء .. وخمسين درجة مئوية تحت لهيب شمس الصيف .

وفى ظل هذا الاهتمام والجهد .. والرعاية والثراء أيضاً .. خرج فيلم «القادسية» الى الوجود .

ولكن .. هل جاء فيلم « القادسية » على نفس مستوى الأهمية التى أعطيت له..؟!

موضوع الفيلم

ولنبدأ أولا بالتعرف على موضوع الفيلم .

التاريخ السنة الرابعة عشرة هجرية (الموافق سنة ٦٣٦ ميلادية)

فى تلك السنة وقعت معركة القادسية فى خلافة « عمر بن الخطاب » الذى أعلن حالة الاستعداد لمقاتلة الفرس .. واختار « سعد بن أبي وقاص » لقيادة الجيوش الاسلامية .

فى هذه الأثناء يموت « المثنى بن حارثة الشيباني » قائد الجيوش الاسلامية فى عهد خلافة « أبو بكر الصديق » .. وبموت المثنى ، ترملت زوجته «سلمى» وترك حصانه «الشموس» .

ويتقدم سعد بن أبى وقاص للزواج من سلمى .. إكراماً لذكرى القائد العظيم الذى أوصاه قبل وفاته بمقاتلة الفرس

.. وحدد له أفضل الطرق لمحاربتهم : « أن يقاتل الفرس على حدود أرضهم .. وعلى أدنى حجر من أرض العرب .. لا أن يقاتلوهم بعقر دارهم .. فان يظهر الله المسلمين ، فلهم ماوراءهم .. وإن كانت الأخرى ، رجعوا الى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم » .

ويصل سعد بن ابي وقاص الى العراق .. وتتابع إليه الامدادات حتى صار جيشه ثلاثين ألفاً .

وينهمك سعد فى تنظيم جيشه وتدريبه .. ونزع الخوف الذى ترسب فى نفوس بعضهم من بأس وسؤدد الدولة الفارسية .

قضية سعد هى بث الشجاعة والاقدام .. ودفع الحماس فى قلب جنوده .. ووسيلته هي اقرار الحق والعدل والمساواة بين الجنود والقواد .. فالجميع يأكلون من طعام واحد ويلاقون نفس المعاملة .. ولهذا أحبه الجميع واحترموه وانتظموا خلف قيادته .

وهو يلتزم بوصية « المثنى » من أنه لا يدع الفرس يستدرجونه الى أرضهم .. ولهذا وضع جيشه على أهبة الاستعداد حتى ينفد صبر الفرس ، ويقومون بالهجوم الأول ، فيلاقيهم على أرضه هو . وطال الانتظار .. وكل طرف ينتظر الآخر .. جيش الفرس بقيادة « رستم » .

وجيش المسلمين بقيادة « سعد » ولكن يحدث ما لم يكن فى الحسبان .. تهاجم آلام مرض «عرق النسا» القائد سعد وتصيبه بقروح وبثور .. وتقعده عن الحركة .. ويصبح عذابه الأكبر أنه لا يستطيع الوقوف أو الحركة .. وهو القائد الذى يجب أن يكون بين جنوده – ودائماً – فى روح معنوية عالية !

ويرسل سعد وفداً من جنوده الى ملك الفرس (يزدجرد الثالث) يخيره بين الدخول فى الاسلام ، أو دفع الجزية ، أو الحرب ..

ويثور ملك الفرس على هذا الوفد .. ويسخر منه ، ويكاد يفتك به .. ويأمر أتباعه بأن يحملوا هذا الوفد مقاطف التراب والرمل على رءوسهم .. فهذا هو رده على رسالة سعد بن أبي وقاص !!

وينزعج قائد جيش الفرس (رستم) مما فعله الملك .. ويؤنبه لا لشيء .. إلا لأنه فال سيء .. فالتراب تراب أرضهم .. ومعنى ذلك أنه يفرط فى تراب أرضه !! ويفيق الملك على هذه الحقيقة .. ويجرى وراء الوفد الذى كان قد اختفى عن الأنظار !

وتتوالى الوفود بطلب من رستم .. وتتخذ المناقشات طابع المجادلات الكلامية بين الفرس والعرب المسلمين .. ولا جديد فى الأمر .. سوى مرور الأيام .. وكل يحاول اقناع الآخر والحط من شأنه

فى هذه الأثناء .. بدأ جيش المسلمين يتململ من طول الانتظار .. فهم على حد تعبير أحدهم .. « يأكلون وينامون ولا يفعلون شيئاً » .. فالأيام تمضى وليس هناك ما يشير الى اقتراب لحظة القتال .. بل بدأ الشك أيضاً في قائدهم « سعد بن أبى وقاص » وارتفعت شائعات بينهم تقول إن سعداً لن يقاتل .. فهو رجل مريض .. وأيضاً خائف من مواجهة الفرس ، وتصل الشائعات الى سعد .. فيتحامل على نفسه ويخرج الى جيشه يعلن لهم أن انتظاره له حكمة .. وانه لن يدفع بهم الى حرب فى غير موعدها الذى يحسبه وينتظره ..

وتأتي اللحظة .. عندما يقرر قائد جيش الفرس (رستم) أن يهاجم جيش المسلمين ..فيعبر النهر .. ويخبىء بين صفوف جيشه . المفاجأة المذهلة .. ثمانية عشر فيلا يقودها بعض جنوده المدربين على قتال الأفيال .

ويرصد جيش المسلمين .. تحرك الفرس نحوهم .

ويصعد سعد فوق سور قلعته .. ويكبر ثلاث مرات .. وتكون هذه هي اشارة بدء القتال ..

وبعد مبارزات فردية .. تظهر الفيلة التى تثير الفزع فى قلب المقاتلين المسلمين .. ويحدث الارتباك فى صفوف المقاتلين .. وينتهز العدو هذا الارتباك



الممثلون طعمه التميمي
وعزت العلايلي وشذى سالم



سعاد حسني فى لقطة
من فيلم القادسية

فيلحق خسائر جسيمة بجيس المسلمين الذى استمر يقاتل حتى غروب الشمس .. ويتساقط الضحايا من الجانبين ولكن خسائر جيش المسلمين كانت حوالي خمسمائة شهيد .

وعاشت معسكرات جيش المسلمين ، ليلة طويلة وقاسية مابين دفن الشهداء .. وتضميد جراح المصابين .

أما « سعد بن أبى وقاص » فقد كان يعلم أن الحرب ستطول ، وعليه أن يستعد لذلك .. فأرسل فى طلب المدد .. وانهمك فى وضع خطط الجولة التالية ، والاطمئنان على الروح المعنوية لجنوده التى ارتفعت الى أقصى حدودها رغبة فى النصر .

وفى صباح اليوم التالي (الذى يسمى يوم أغواث) ظهرت الامدادات القادمة من الشام .. وعلى رأسها هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو التميمي .

وبدأت المعركة بالمبارزات الفردية .. والتى قدم فيها القعقاع فصلا من فصول البطولة الرائعة حيث هزم منافسه من الفرس وقتله .. وتولى القعقاع تنفيذ مخطط ذكي .. حيث قسم جيشه الى كتائب أحاطت بجيش الفرس .. وألبس الأبل براقع سوداء وجلاجل أحدثت ارتباكاً فى صفوف المقاتلين الفرس .. وفعلت ما فعلته الفيلة فى الجيش الاسلامي .. وخرج الشاعر السكير «أبو محجن» من سجنه بمعونة سلمى زوجة سعد ، ليساهم بدوره فى المعركة ، وعلى حصان سعد «البلقاء» !!

وقد كانت مفاجأة مذهلة لسعد وهو فى مكانه راقد من آلام ساقيه .. أن يرى فى المعركة سجينه « أبو محجن » على فرسه الخاص يحارب بصلابة ورجولة وبراعة !

ويأتي اليوم الثالث (يوم عماس) والقعقاع لا يزال ينظم الجيش ، وإذ بالفرس يعودون بالفيلة .. ولكن سعداً كان قد اكتشف الأسلوب الذى يحارب به هذه الفيلة .. بأن يضرب السهام الى عيونها ، فتفقد الرؤية وترتبك .. ويطلب سعد من قائديه « القعقاع » و «عاصم بن عمرو» أن يتوليا أمر الأفيال .. وتنجح الخطة .. وتثور الفيلة .. وتقلب المقاتلين من على ظهورها وتدوسهم بأقدامها .. وتفر مذعورة داخل صفوف الفرس التى تحدث بينهم الرعب .

وتستمر المعارك طوال الليل .. وهذا شيء غير مألوف فى الحروب وقتها .. ولكن حماس جيش المسلمين كان لا يعرف الفرق بين النهار أو الليل .. فقد لاح النصر وعليهم ألا يتوقفوا .. وهكذا أمتد القتال طوال الليل (والتى تسمى ليلة الهدير) .. حتى وصل جنود المسلمين الى مقر قيادة جيش الفرس .. وتمكن « هلال بن علفة » من قتل رستم .. وبموت قائد الفرس ، انهارت عزائم الجيش .. وتشتتت صفوفه .. ونال المسلمون علم الفرس .

وهكذا تنتهي معركة القادسية .. بفوز جيش المسلمين بقيادة « سعد بن أبى وقاص » الذى أقام فى القادسية لمدة شهرين .. ثم سار الى المدائن ، حيث قصر الفرس الذى مازال يختبيء فيه الملك وعائلته .. ويحاول أن يتشبث بكرسيه وجواهره .. ولكن مع دخول أول كتيبة من جيش المسلمين الى قصره .. ينهار تماماً ..

ويأتي سعد بن أبي وقاص ليصلى فى ايوان كسرى .. وينتهي الفيلم بين تكبيرات الصلاة .

● أهم ما يحسب للفيلم

هذا هو ملخص فيلم القادسية ، الذى أخرجه واحد من أهم مخرجي السينما المصرية والعربية .. المخرج «صلاح أبو سيف » .

وما يحسب لهذا الفيلم أولا وقبل كل شيء .. هو اختيار تلك الفترة التاريخية الهامة ، ومحاولة إحيائها بكل مفاهيمها فى الحق والقوة والشجاعة ..

القادسية
فيلم عربي أثبت وجوده في مهرجانين عالميين

وبمضمونها الجوهري في وحدة الجيوش الاسلامية لمواجهة الخطر .

والفيلم يؤكد على معنى القيادة الواعية والحكيمة والعادلة .. والتى تنجح فى جمع الصفوف بالحب ، وعدم الاعتراف بالفوارق ، والايمان الكامل بالمساواة .. وأيضاً مواجهة الشكوك بقوة المنطق ، وليس بقوة القمع والسلاح (مشهد التشكيك فى نية القائد سعد بن أبي وقاص فى القتال نتيجة الانتظار الطويل) .

ولذلك فالفيلم يقوم على رسالة هامة يود أن يبلغها لنا .. والرسالة عبرة من الماضي .. ودرس للحاضر والمستقبل .

التطويل الشديد

ولكن هناك ملاحظتان حول الفيلم ، الأولى أن الفيلم يقدم هذه الرسالة بتطويل شديد (الفيلم مدته ثلاث ساعات) .. ولو تم اختصار بعض مشاهد المعارك المكررة .. لأحسست أكثر بالتركيز وبقوة الرسالة (ملحوظة .. قام باخراج المعارك .. المخرج الأسباني بينتو رابال) .

والملاحظة الثانية حول وجهة النظر التى يقدم فيها الفيلم صورة أعداء العرب والمسلمين فى شخصية مهزوزة ، جبانه ، تتصرف بطفولة وعصبية مبالغ فيها .

والرمز هنا لا يتفق أبداً مع شراسة المعارك ، واستمرارها طوال ثلاثة أيام وليلة . خاصة وأن كل المعلومات التاريخية تقول إن معركة القادسية .. كانت بين جيش الفرس الذى بلغ قوامه مائة وعشرين ألف مقاتل مجهزين بأحدث الأسلحة وقتها .. بينما جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثين ألف مقاتل . أى أن المعركة غير متكافئة عدداً وسلاحاً .. ومن هنا كان انتصار جيش المسلمين انتصاراً لقضية ورسالة .. وهذا الانتصار لم يأت بسهولة ، ودون مئات الشهداء وآلاف الجرحى .

ولا أدرى كيف وقع المخرج « صلاح أبو سيف » فى هذا الخطأ .. وهو المخرج الاستاذ صاحب المدرسة السينمائية المتميزة ، والتى قامت على « الواقعية » .. والواقعية لا تعني المكان سواء أكان حارة شعبية ، أو بيتاً متواضعاً .. ولكنها تعنى أساساً واقعية التفكير

السيناريو

وقد اشترك المخرج صلاح أبو سيف مع الكاتب محفوظ عبد الرحمن فى كتابة السيناريو .

ومحفوظ عبد الرحمن يخوض بهذا الفيلم التجربة الأولى فى كتابة السيناريو للسينما .. وهو صاحب الرصيد الواضح من الأعمال التليفزيونية التى كتبها وكانت على مستوى رائع .

ومن الواضح تماماً .. الجهد المبذول ، والدراسة المتعمقة فى البحث عن تفاصيل الوقائع التاريخية لمعركة القادسية .. ومن الواضح أيضاً التزام كاتبي السيناريو بسرد تلك الوقائع كاملة .. ولكن ما افتقدته فى سيناريو الفيلم كما عرض على الشاشة .. هو الجانب الانساني و الظروف الاجتماعية المرتبطة بتلك الفترة .. فالفيلم كما أفهم لا يقدم مجرد حركة .. ولكنه يقدم شريحة تاريخية يعيش فيها بشر .. بكل ما في حياتهم من تفاصيل ومعاملات .. وبكل مافي تكوينهم من أفكار وأحلام .. وكما أفهم فالفيلم موجه الى المشاهدين العرب وأيضاً الى المشاهدين الأجانب .. ومعنى هذا أن الفيلم يريد أن يعطى للعالم صورة عن التاريخ العربي الاسلامي .. وأن يوضح لمن لا يعلم .. من هم العرب .. وكيف يفكرون ؟!

مواقف انسانية

هناك على سبيل المثال أزمة القائد الذى يداهمه مرض يقعده عن الحركة فى أشد الأوقات احتياجاً للحركة .. هذه الأزمة كما يشعر بها .. وكما تنعكس على رفاقه .. ولكن ماشاهدناه أن هذا القائد (لعب الدور عزت العلايلي) يتلوى فجأة من الألم .. ثم يصبح غير



سعاد حسنى
امام الخيمة قبل المعركة



ليلى طاهر وكنعان حسني فى معسكر الفرس

قادر على الحركة ، دون أن نفهم بالضبط ماالذى أصابه وماهي حدود هذا المرض .. ثم نراه فى نهاية الفيلم يسترد صحته .. ويقف على قدميه

وهناك أيضاً العلاقة بين هذا القائد والمرأة التى تزوجـها بعد وفاة زوجها (لعبت الدور شذى سالم) .. انها علاقة غير واضحة !

وما أقصده هنا هو اعطاء بعض التفاصيل من داخل العلاقة .. لغة الحوار .. اسلوب التعامل .. نوع الحب فى تلك الظروف .. باعتبار أنها النموذج الوحيد فى الفيلم الذى يجمع بين الزوجين .

وعلى نفس المستوى .. أسرع السيناريو فى تقديم شخصية «الخنساء» الشاعرة (لعبت الدور سعدية الزيدى) والتى فقدت أبناءها الأربعة فى ليلة واحدة .. وكان من الممكن أن تكون نموذجاً رائعاً ومليئاً بالمشاعر للأم العربيـة الانسانـه .

معركة الأفيال

إن بعض التفاصيل الانسانية .. كان من الممكن أن تجعل نسيج الفيلم يشع أكثر بالحياة والنبض والمشاعر ..

لا أنكر أن الفيلم حاول أن يقدم هذه التفاصيل فى بعض المشاهد .. ولكن كان كمن يتعجل تقديمها والانتهاء منها ، حتى يفسح المجال والوقت لمشاهد الخيول والسيوف .

ورغم اعتراضي على تكرار مشاهد المعارك .. إلا اننى اتوقف بالاعجاب الشديد لتنفيذ معركة الأفيال .. فهي من أجمل مشاهد الفيلم تصويراً وإخراجاً ومونتاجاً .!

الاخراج

لا شك أن المخرج صلاح أبو سيف قد قدم جهداً عظيماً فى قيادة هذا العدد الكبير من الممثلين الذين اختارهم من مختلف البلاد العربية .

أنه هنا لا يتعامل مع وجوه مألوفة لديه .. أو سبق التعامل معها .. بل يضع نفسه فى امتحان صعب .. عندما يجد أمامه ممثلين من العراق ، وسوريا ، والكويت ، والمغرب ، وتونس ، بالاضافة الى الممثلين المصريين .. وكل منهم له



القائد سعد ابن أبي وقاص
عندما أقعده المرض

أسلوبه الخاص .. ولهجته الخاصة .. ثم يصهر كل هذه الاختلافات فى بوتقة واحدة ليخرج منها سبيكة متجانسة .. لا نشاز فيها .. انه أشبه بقائد الأوركسترا الذى يخرج لنا لحناً عذباً من آلات موسيقية كل منها جاء من بلد .

إن هذا يعنى جهداً خارقاً فى البروفات .. وصبر استاذ حريص على سمعته وتاريخه .

● الممثلون

لمع فى هذا الحشد من الممثلين .. الفنان عزت العلايلي ، الذى لعب دور القائد سعد بن أبي وقاص ، بتعبيرات وجهه الفنية الطيعة والتى تتراوح بين الصلابة والقوة والحزن .. والتى يعرف كيف يضعها فى خدمة الشخصية التى يتقمصها دون افتعال أو معاناة .. ولذلك نراه فى لحظة كمقاتل عنيد .. وفى لحظة أخرى كشاعر حزين .. ساعده أسلوبه المتميز في الالقاء ، وصوته المحدد النبرات والذى يتذوق الكلمة قبل أن ينطقها !

وقدمت الفنانة العراقية « شذى سالم » دورا بارزاً لا تخطئه العين .. ينم عن موهبة أصيلة ووجه سينمائى معبر ، أهم ما يميزه هذه النظرات المحددة . بينما توارت « سعاد حسني » فى دور ظلمهافيه السيناريو ، بحيث لم تستطع أن تثبت وجودها بما يليق مع خبراتها الطويلة والثرية فى التمثيل .

ولمع الممثل العراقي طعمة التميمي .. والممثل الكويتي محمد المنصور والممثلة المصريـة ليلى طاهـــر .

وأشار الفيلم الى موهبة الممثل المغربي حسن الجندى فى دور قائد جيش الفرس .. بالرغم من سيناريو الفيلم الذى ظلم كل شخصيات جانب الفرس فى محاولة تصويرهم بهذا المنظر الكاريكاتيري الساخر .

● الفنيـــون

وكما نجح صلاح أبو سيف فى قيادة هذا الحشد الضخم من الممثلين من مختلف البلاد العربية .. نجح أيضاً فى اختباراته لمن يقومون بالعمل خلف الكاميرا .

فى التصوير .. جمع بين المصور الفنان العراقي عبد اللطيف صالح .. و الفنان المصـري مصطفى امام .. واستطاع تعاون الاثنين أن يخلق عملا متميزاً خصوصاً في مشاهد المعارك (وبالذات معركة الأفيال) ومشاهد ساحة المعركة ليلا والتى تشهد بقدرة السيطرة على الاضاءة وتوظيفها درامياً .

وقدم الفنان (أنسي أبو سيف) استعراضاً رائعاً للملابس والاكسسوارات المرتبطة بتلك الفترة .. وبقدر تعمده البساطة والوضوح والخطوط المستقيمة وتوازن الألوان فى تصميمات ملابس جيش المسلمين .. تعمد أن يوضح البهرجة والابهار فى ملابس قادة الفرس والتى تدل على الثراء والترف والاسترخاء .

أما الديكور فقد صممه ونفذه الدكتور مختار عبد الجواد .. ورغم الجهد الشاق فى بناء ديكورات مدينة كاملة فى الصحراء .. إلا أن أهم ما كان يعيبها أنها توحي بأن عمال الطلاء رفعوا أيديهم عنها قبل التصوير بدقائق .. فكل شيء طازج ونظيف ولامع ، ولم يدخله بشر من قبل (خصوصاً ديوان إيوان كسرى) !

ولعب الماكياج (عبد الوهاب قطب وابراهيم عبد الفتاح) دوراً رئيسياً وهاماً فى الفيلم .

إن كل واحد من هؤلاء .. كان يساعده عشرات الفنيين والعمال ..

ولو تصورنا حجم العمل قبل البدء في التصوير .. والاستعدادات المطلوبة .. ثم ما يستجد منها أثناء التصوير .. ومرحلة تشطيب الفيلم .. لأدركنا مدى ضخامة هذا المشروع الفني ، وحجم الانفاق عليه .. ومدى مسئولية المخرج صلاح أبو سيف فى السيطرة على كل هذه التفاصيل !

رءوف توفيق

حيـــرة..



شعر: محمد الفهد العيسى



يؤرّقني الشّكُّ منكِ ..
ويغتال فى أضلعي .. انْثِيَالَ القصيدْ
ويحتار حَرْفِيَ بين الدّروب ..
أىّ طريق يؤدّى إليكِ ..؟!

أىّ غُيَيْمَة حُبٍّ ..
تناثرُ شوقاً .. عليكِ

● ●

هويتُ .. أتيتُ !!
بلغت السُّهىٰ .. والسُّهىٰ فى يَدَيَّ
احتضنت النُّجيْماتِ من حَوْلِها ..
همستُ بوابلِ (حبّي) وشِعري
وعلّقْتُهُ كما - جاهليّ -
ونامتْ ..
وقلتْ إليكِ انتهيتُ ..

● ●

يلفحني الشّكُّ منكِ ..
كحلمِ حَصَادٍ قتادٍ
وتجفل فى مرتعى شَرْنَقَاتُ القصائدْ
وبعد غدٍ
بعد عامٍ
تكونُ - شرائدْ -

● ●

يعذّبني الشكُّ منكِ .
وخوفاً عليكِ
وحبُّكِ غاباتُ نَخْلٍ بصدري
وترْوى بحُزني .
ومن نهرٍ .. « لا .. لستُ أدري »
ونبعُ تدفّقُه من يديكِ

● ●

دونَكِ اسمي :
مُذْ وُلدتُ ..
الى مِذْوَدِ الحُزنِ .. وفيه .. ومنه ..
رضَعْتُ ... رُبيتُ ..

قضيـــة..

نقـــل التكـــنولوجيا

التكنولوجيا ، أو التقنولوجيا ، أو التقنية كما كان يحلو لاستاذنا الدكتور أحمد زكي ، يرحمه الله ، أن يسميها ، اشتقاقاً فيما اعتقد ، من كلمة (تقن) بفتح التاء وتسكين القاف ، وهو الرجل (الحاذق الماهر) هي : فن تطبيق العلم : بمعنى ... الحذق والمهارة ، فى استخدام ما يتوصل اليه العلم من معرفة نظرية ، فى صفات المادة فزيائياً وكيمائياً ، لصناعة وانتاج احتياجات حضارية يواصل بها الانسان مسيرته الحياتية فى مراحل تاريخه على الأرض ... فعلى سبيل المثال ...

أكتشف الانسان أن خليطاً من الفحم والكبريت وملح البارود ، إذا احترق فى حيز محدود فانه ينفجر ، ويسمى بذلك (البارود) فذلك علم ، والتوصل الى النسب الصحيحة للخليط من المواد الثلاثة لصناعة بارود يمكنه توصيل قذيفة الى مكان بعيد أو نسف جبل للحصول على حجارة نافعة منه أو لشق نفق أو طريق فيه ، هو (تكنولوجيا) ...

وإذا أكتشف العلم أن جسماً ينطلق من سطح الأرض الى الفضاء بسرعة تزيد قليلا عن احد عشر ميلا فى الثانية الواحدة يمكنه أن يخرج من نطاق الجاذبية الأرضية وينفلت منها الى الفضاء الخارجى ، فان التكنولوجيا ، هي التوصل (بفن وحذق ومهارة) الى كيفية تحقيق ذلك الاكتشاف (النظرى) عملياً ، وصناعة صواريخ تحمل قنابل أو اقمارا صناعية الى الفضاء ... وهكذا فان التكنولوجيا هى قدرة ممتازة ، وفن صناعة ، فى كيفية الاستفادة مما يكتشفه العلم من خواص المادة ... أو هي تطبيقات عملية للمعرفة النظرية الاكاديمية ، وهما متلازمتان لا يمكن لأحداهما أن تنشا فى واد بعيد عن الوادى الذى تنشأ فيه الأخرى ، فالتكنولوجيا التطبيقية للعلم البحت ، كوجهى قطعة من العملة لا يمكن أن تكون تلك العملة نافذة المفعول مؤدية الغرض بوجه واحد فى المكان الواحد ...

ومن مسيرة العلم خلال القرون منذ العصور الحجرية الى يومنا هذا ، وجد العلماء أن أى تفاعل كيماوي ، على سبيل المثال ، لا يمكن أن يؤتي أكله ، بان نتوصل به لصناعة مادة ما ، إلا بعد أن تتوفر له شروط ثابتة لا مجال فيها للارتجال أو التحايل أو المماطلة أو الخداع ، من حيث درجة الحرارة ، ومقدار الضغط الواقع على المواد المتفاعلة ، وقدر تركيز المواد الأولية ونسب أوزانها لبعضها البعض ، وتركيز أيون الأيدروجين ، وطول موجات الضوء المؤثرة فى التفاعل ، ونوع الاناء الذى يجرى فيه التفاعل ، وأى إخلال مهما كان يسيرا أو ضئيلا ، فى أحد تلك الشروط ، سوف يؤدى بالتأكيد الى فشل محقق فى تلك الصناعة ... وكل عمل حضاري ، فى أى عصر من عصور التاريخ ، لكي يتسنى لجماعة من الناس ، في أي صقع من الأرض ، أن تنجزه لابد وأن تتوفر له شروط ، كثيرة ، كشروط أى تفاعل كيماوى أو فزيائي ، وتلك سنة من سنن الله تعالى فى خلقه لا تبديل لها ، حتى يرث سبحانه الأرض ومن وما عليها ... ولن يستطيع أحد من البشر ، بثورة أو مجرد مال وفير أو قرار سياسي ارتجالي ، أو رغبة فردية ، أو نزعة حزبية ، أن يوجد تحويلا لتلك السنة الكونية ، مهما علا صوته ، أو كبرت شعاراته ... فلكي ننقل (التكنولوجيا) للعالم الثالث لابد وأن يكون فيه قاعدة علمية ، ولكي تكون لدى العالم الثالث قاعدة علمية ، لابد من شروط ، وأى ثغرة فى تلك الشروط بعضها أو كلها ، سوف لا تكون محمودة العواقب ، وسوف تكون مجلبة للمتاعب والمصاعب والتعقيدات ، بدل الفوائد المرجوة والمرتقبة ... ولعل أهم الشروط ، التى ينبغي توافرها لدى أقطار العالم الثالث المتطلعة الى (نقل التكنولوجيا):

● أن تتطور فيها اساليب التعليم ، فى كل مراحلها ، دون مساس بقيمها وتراثها السليم ، بحيث تستطيع تربية (العلماء) وبالتالي (التقنيين) بطريقة صحيحة تتدارك الموضوعيات من أخطار الشكليات والرخص والجوازات ، وتفصل تماماً وبحزم فى قضية (ارتباط) الحصول على الرزق مع البحث العلمي ، وتجعل التقييم العلمي مبنياً على (الكيف) لا على (الكم) وتوفر للعلماء والتقنيين ، الذين يثبتون على مستوى

بقلم:
درويش مصطفى الفار

عالمي واضح المعالم ، قدرات صادقة فى مجالات اختصاصاتهم ، سبيل الرزق ، دون أن تحوجهم الى التحايل والالتفاف والوصولية ، ليعيشوا معيشة توفر لهم الانطلاق بلا هموم معوقة ، نحو الاستزادة من العلم والمعرفة والانتاج العلمي (الكيفي) السليم ، وهذا ما يسمى بايجاد (المناخ العلمي) ...

● أن يكون قريبا من سدة الحكم ، فى كل دولة من دول العالم الثالث ترغب صادقة فى (نقل التكنولوجيا) ، جماعة من (أفاضل) العلماء المشهود لهم (عالمياً) بالمستوى الرفيع ، للرجوع الى فتواهم فى كل أمر علمي وتكنولوجي ، وأن تؤخذ نصائحهم وأراؤهم المجردة عن الهوى ، مأخذ الجد ، وتمنح قوة القانون ، وتكون لهذه المجموعة التوجيهات المسموعة فى مجالات التعليم ، والصناعة والبحث العلمي ، ونشر الثقافة العلمية ...

● أن تكون هناك قناعة وعقلانية ، بانه ليس شرطاً أن يصنع كل قطر فى العالم كل شيء من مثل شعار (من الابرة الى الصاروخ) وأن لكل شعب قدرات معينة ، يمكن أن يبرز فيها ويمتاز ويفيد الاسرة البشرية كلها ، وأن أخطر ما تعانيه الأسرة الانسانية اليوم ناجم بالدرجة الأولى عن تحول (القدرات التكنولوجية) الى سعار ونهم ، اقتضتهما ظروف جعلت (السياسيين) يدفعون بعجلة الصناعة فى بلادهم دفعاً أدى الى (انتاج أكثر للتصدير) يواكبه عمل خفي وتخطيط شيطاني يمنع الآخرين من ولوج مضمار (الانتاج) لتظل أسواقهم مفتوحة الى يوم القيامة ، لما تنتجه مصانع تلك الأقطار (للتصدير) مهما كان ذلك الانتاج ، غثاً أو سميناً ...

● إعادة النظر بجدية وبصيرة ، فى أهميات منتجات (التكنولوجيا) المعاصرة ، من حيث حقيقة فوائدها ، وموقفها من نضوب الموارد الطبيعية من معادن وتربة زراعية وماء وحيوانات ومزروعات ومن تلويث البيئة جوا وبرا وبحراً ، والدعوة الملحة الجادة على كل المستويات الاجتماعية والسياسية ، للاتفاق عالمياً على نبذ ورفض وايقاف موضوعات تكنولوجية بعينها والاستزادة من موضوعات أخرى بعينها واعطاء أولويات لأبحاث وتكنولوجيات فى أمور كتحلية مياه البحار ، أو استنقاذ أراض قاحلة أو صحراويةلزراعتها واعمارها ...

●عدم الانطلاق من مبدأ القناعة ، لدى أهل العالم الثالث ، بأن كل ما صنعته وتصنعه الدول الصناعية التكنولوجية ، هو (غاية المراد من رب العباد) بل تكون لتلك الدول النامية فلسفة خاصة واضحة مؤداها استعمال العقل لا مجرد التقليد والنقل ....

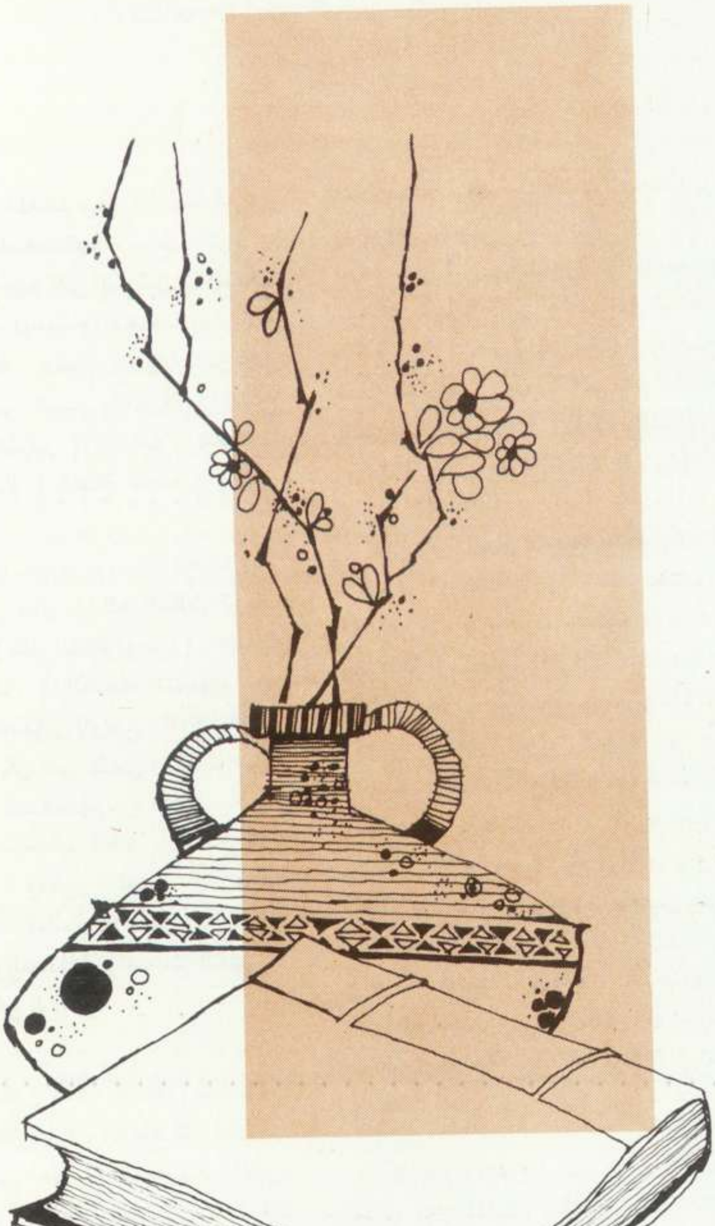
الدوحة

في العدد القادم والأعداد التالية

- محمد الفهد العيسى
- شفيق الكمالي
- نعمان عاشور
- محمود شيت خطاب
- عبد الرزاق البصير
- يوسف الشاروني
- م . نجراني
- محمد العزب موسى
- سهيل الخالدي
- د . الطاهر أحمد مكي
- د . عبد العزيز جادو
- سمير فريد
- عبد الوهاب داود
- أحمد عامر
- أحمد شفيق أبو عوف
- جمال الغيطاني

كتاب على الرف

بقلم : عباس خضر



قبل أن أوجد . وقبل أن أعرف باسمي «اللآلىء فى البحر الزاخر» ـ كنت أفكاراً سابحة فى ذهن مؤلفي ، طالما جلت فى خاطره ، وطالما أرقته أفكاري .. مسكين مؤلفي ! تعب كثيراً فى لم أشتاتي وتبويب أبوابي .. لم يكن يحفزه على ذلك كسب مادي أدره عليه كما تفعل المشاريع ، مع أن هذه ربما لا تأخذ من أصحابها جهدا كالذى يبذله المؤلفون ، وأي مشروع غير الكتب يسهر فيه صاحبه الليالي ويعتصر فيه أفكاره ويسجلها على الورق ! .

ومما كابده مؤلفي المسكين أن راح يبحث عن ناشر ينشرني .. ثم تمخض البحث والأخذ والرد عن مبلغ تافه من المال دفع اليه حقاً للنشر ، بعد أن ازدرد كل ما قاله الناشر من أن «الحال واقف» والكتاب يتكلف ورقاً وطباعة وتدبيساً وتغليفاً ، وما يقتضى ذلك من مواد غالية وعمال مرتفعي الأجور ، وأضاف هو فى نفسه : ومؤلف رخيص الثمن إن كان له ثمن !

ولم يهنأ بذلك المبلغ ، إذ لاحقته «الضرائب» وأخذت بتلابيبه بيد من «حرير» هي يد فتاة «مأمورة الضرائب» .

نهاية الأمر .. بعثت أنا برغم ذلك كتاباً سوياً ، فرح بي المؤلف كل الفرح ، صار له كتاب مطبوع غلافه محلى بصورة يرجى أن تجذب القاريء ، ووضع اسمه عليه ، ما أحلاه ، .. بل ما أعظمه !

اشترى من السوق نسخاً تضاف الى النسخ التى يجود بها الناشر ، كي تكون هدايا ، كأنه كان يعمل فى بلد نفطي وعاد .

النجار ـ مثلا ـ يصنع ما يصنع ، ولا يهدى الى أحد دولاباً ولا كرسياً ولا حتى «طبلية» مطبخ ، أما المؤلف فهم

يقولون له فى الظاهر : أيها المؤلف العظيم .. وفى الباطن : هات الكتاب ، فنحن لا ندفع مالا فى كتب !

ثم كانت نهاية المطاف أن أوضع على الرف ..

لم يقرأني صاحبى الذى أنا فى بيته ولا غيره ، لم يهتم أحد بأن أكون صديقه وخير جليس له ، كما قيل قديماً : الكتاب خير جليس وأخلص صديق ، وكم تحتوى دفتاي على كثير من هذه الأقوال ، ولكنه كلام يقال ويقرأ ولا يعمل به ، ولهذا يعرضون عنى ولا يأبهون بي .

الاهتمام كله موجه الى ذلك القابع المرابط فى ركن الردهة .. المسمى «تليفزيون» ، الكبير والصغير ، والرجل والمرأة ـ كلهم يتجهون اليه حينما يعمل : حينما يدار فتعكس شاشته الصور والمناظر ، ويتحدث به المتحدثون . فى أحيان قليلة يتحدثون فى ندوة من ندواته حديثاً خاطفاً عن كتاب ، ولكن من يقرأ ومن يسمع ، كما يقولون ..

على غلافي صورة جميلة ، قد تجتذب بعض الأنظار ، فتمتد الي اليد وأنا قابع على الرف ، فأقول فى نفسي : جاءك الفرج ، فهذا زبون فتح الله عليه فجاء يفتحنى ، ولكنه لا يفعل أكثر من النظر الشذر فى بعض صفحاتي ثم يطويني ويضعنى كما كنت ، وأحياناً يكون ذلك عندما يريد أحدهم أن يتسلى بأى شيء قبل إعداد المائدة .. ولتكرر هذا صرت لا أعبأ بهؤلاء ، وأكاد أقول لهم : دعوني !

● ●

بجواري زميل مجلد تجليداً فاخراً آل إلى صاحبنا بالميراث ، من مكتبة والده المرحوم ، تحدث الى مرة هذا الزميل قال: كان صاحبي الأول يقتني الكتب بعد تجليدها وكتابة اسمه على كعوبها بماء الذهب ، ويعرضها فى أناقة ، بحيث تكون كعوبها هي الظاهرة البارزة ، كي تراها العيون أول ما ترى .. وكان ذلك الصاحب يقرأ أحياناً ليتسلى ، فلم يكن هناك تليفزيون ، ولهذا كان يبدو على مستوى ثقافي لا بأس به ، كان يعرف من الاطلاع علينا ما لا يعرف الآن هذا الجيل ثم صرنا وصاروا الى هذا الحال كما ترى لا أحد يريد أن يتثقف بقراءتنا ، ولا نحن نتحرك من مواضعنا ، إلا عند التنفيض .

ثم يتنفس ذلك الزميل القديم ويقول : هيه .. رحم الله أيام زمان !

القوم جميعاً يجلسون الى التليفزيون الرجال والنساء والأولاد ، ضيوفاً أو أصحاب منزل . والنساء يثرثرن بالرغم من أنهن يسمعن ويشاهدن .. والغريب انهن يَعِينَ هذا وذاك .. كما تعي الواحدة منهن كلام اثنتين أو أكثر يتكلمن معاً ! وكثيرا ما يعلقن على ثياب الممثلات و «موداتها» و «الباروكات» وأنواعها وأثمانها ..

● ●

قد تمتد الأيدي الى الرف حيث نرقد ، وتنظر العين الى العنوان وبعض الصفحات ، ولكن سرعان ما يعاد الواحد منا الى مكانه ، ماعدا ولداً واحداً طالباً في الجامعة ، هو ابن أخت صاحب الشقة ، ولكنه بخلاف خاله يحب القراءة ، عندما يأتي الى هنا تكون عينه دائماً متجهة الى الرف حيث نرقد ، وكثيراً ما أخذني بين يديه وانشغل بقراءتي عن كل شيء ، قال مرة لصاحبنا :

ـ ياخالي ، أنا أبغى هذا الكتاب .

وكنت فى يده ، ولكن الخال رد عليه قائلا :

ـ اقرأ هنا ماشئت ، ولا تأخذ شيئاً معك .

ـ أعيده بعد أسبوع واحد ..

ـ لا ، كما قلت لك . إنني احتفظ به لأنه مهدى الي بخط المؤلف . وإذا أنت أخذته فلن تعيده .. كما حدث في كتب أخرى ..

صاحبي هذا صحفي محرر فى إحدى الصحف اليومية . وقد حرص المؤلف على اهدائي اليه ليكتب عني كلمة .. وبما أن هذا الصحفي ـ مثل كثير غيره من الصحفيين ـ ليس عنده وقت لقراءة الكتب ، بل يكتفى بتصفح الجرائد والمجلات ، كما ينشغل بالكتابة عن القراءة .. فقد نظر الى فهرسي، وجشم نفسه قراءة المقدمة ، ثم كتب عني كلمة فى ركن الثقافة ، مستمدا ما كتبه من المقدمة والفهرس !

● ●

الولد الطالب بالجامعة « سوسة القراءة » شغف بي حباً ولا فخر .. كان ينظر الي من طرف خفي ، أعرف هذه النظرة : خائنة الأعين .. فى محتوياتي كلام عنها وعن مثيلاتها ، اكتسبت معرفة من هذه المحتويات .

ـ يريد أن يأخذني ، ويتردد : أتكون هذه سرقة ؟ أما أنا شخصياً فلا مانع عندى ، بل إني أرحب ، وهو يقول في نفسه : إن خالي لا يقرأ فى هذا الكتاب وأنا أريد أن أقرأه ، فأنا أحق به ، أليس هذا مبرراً..؟ .

وبرغم ضيقي بهذا السجن ، وارتياحي الى أن ينقذني منه ، وجدت نفسي فجاة أصيح بصوت مبحوح : لا ...

فزع الزميل المجاور لي قائلا :

ـ ماذا .. ؟ مالك ياكتاب « اللآلىء فى البحر الزاخر » ؟ لم أرد عليه ، وقلت فى نفسي وقد هدأت :

ـ وأنا مالي !

تابع جاري الزميل على الرف :

ـ مالك ؟ ليس بعضك على بعض ..

أجبت مع شيء من التحفظ :

ـ ان شيئاً سيقع ..

ـ خير ان شاء الله ؟

ـ خير .. نعم خير . إفراج ..

ـ إفراج ؟ لا أفهم .

ـ لا يهم ، ربما فهمت .

انتهز الشاب فرصة انهماك الجميع فى مشاهدة ماجذبهم فى التليفزيون ، والظلام الذى تبدد الشاشة بعضه ، ودلف الى ناحيتي على بصيص الشاشة وفى لمح البصر خطفني ودسني فى حقيبة صغيرة معه ..

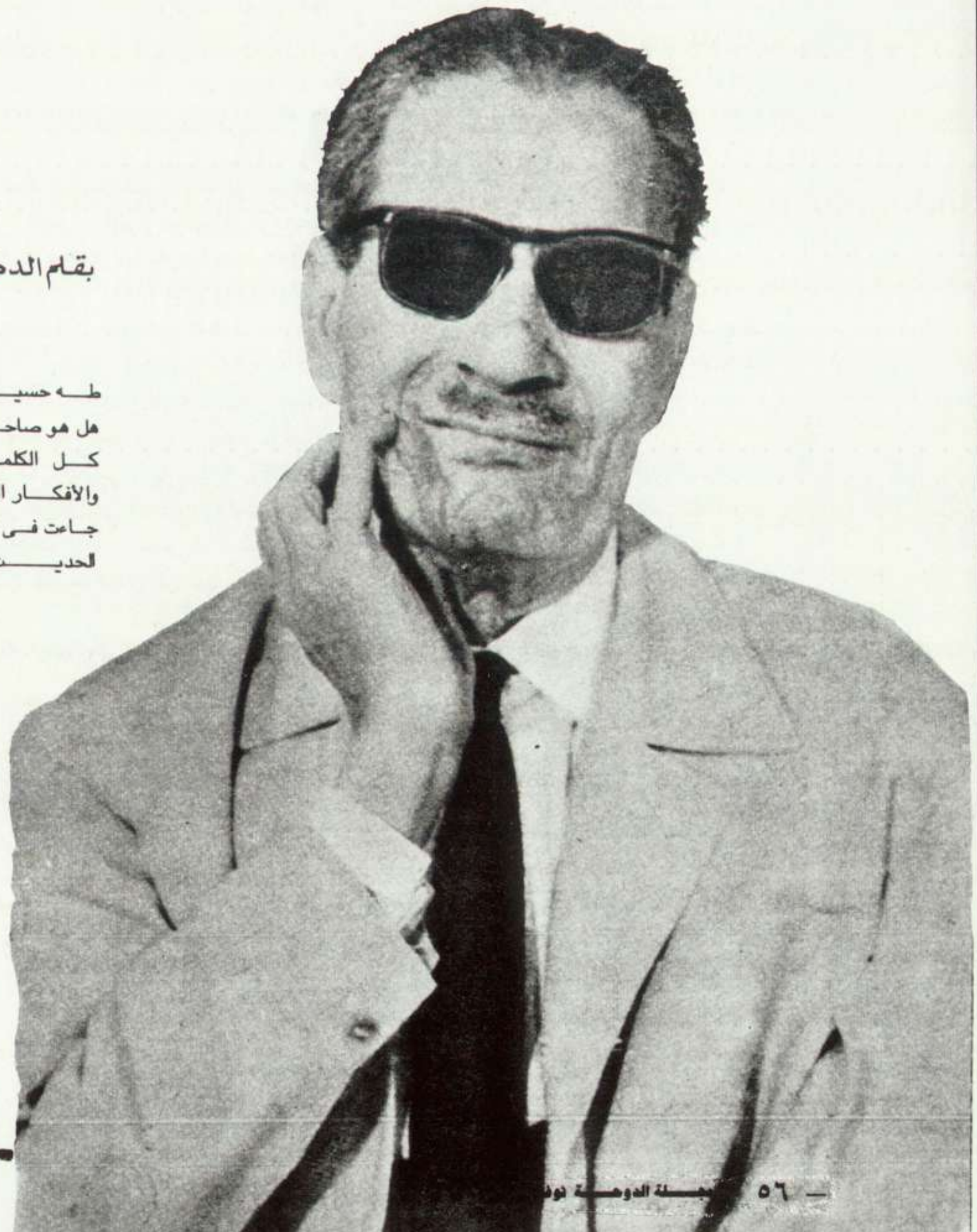
وافرحتاه .. عما قليل سأشم الهواء الطلق .. سأكون بحق : كتاب اللآلىء فى البحر الزاخر ..

عباس خضر

لمــــاذا يكــذبــون عــلــى تـاريـخ الأدب ؟!

هل تكلم طه حسين هكذا لآخر مــرّة ؟!

بقلم الدكتور : محـمـد الدســـوقي



طــه حسيـــن هل هو صاحـــب كـل الكلمــات والأفكــار التــي جـاءت فـى هــذا الحديـــث .

نشرت مجلة «الثقافة العربية» فى العدد التاسع من السنة الأولى حديثاً مع عميد الأدب العربي تحت عنوان «هكذا تكلم طه حسين لآخر مرة» ، وقد أجرى هذا الحديث الأستاذ غالي شكري ، وذكر فى مستهله انه جلس مع العميد نحو أربعين ساعة وتردد على «رامتان» يومياً لمدة ثلاثة أسابيع ، ودار الحديث بوجه عام حول نقطتين هما : قضية التراث والمعاصرة ، وقضية الديمقراطية .

وبعد نشر هذا الحديث فى تلك المجلة طلب مني أمين تحريرها وكان فى ذلك الوقت الأستاذ صالح أبو اصبع أن أعقب على ما نسبه الاستاذ غالي الى العميد ؛ لأن هيئة تحرير المجلة يساورها الشك فى صحة كل ما اشتمل عليه هذا الحديث من آراء وأقوال ، وأنها جميعها صدرت عن الدكتور طـه حسين .

وكتبت تعقيباً موجزاً أومات فيه الى بعض الحقائق التى أعرفها عن طـه حسين ، والتى تؤكد أن هذا الحديث ليس كله صحيحاً ، وبعثت إدارة المجلة بهذا التعقيب الى المطبعة ، بيد أن يداً مجهولة امتدت اليه فمزقته أو أحرقته ، ومن ثم لم ينشر .

وشغلت بعد ذلك عن الكتابة حول هذا الحديث ، وبيان قيمته العلمية والتاريخية ، وكنت أطمع فى أن أفرغ لكتابة تعقيب أكثر تفصيلا ، وأن أنشره كملحق لكتابي « أيام مع طـه حسين » غير أن هذا الكتاب طبع دون أن يشتمل على تعقيب أو رد .

ولما وجدت أن بعض الذين كتبوا عن طـه حسين اتخذوا من هذا الحديث مصدراً يعولون عليه فى استنباط الآراء ، واصدار الأحكام كما فعل الدكتور عبد المجيد المحتسب فى كتابه « طـه حسين مفكراً » والذى أرجو أن أكتب حوله دراسة تكشف عن مدى التجني ومجافاة الموضوعية ، وتلمس الشبهات وكأنها أمام المؤلف هدف أساسي يسعى اليه ويحرص عليه عزمت على كتابة رد على هذا الحديث كي لا يتخذ وثيقة أدبية عن طـه حسين فى آخـر أعوامه.

ويجدر قبل التعرض لمضمون ما نشره الأستاذ غالي أن أذكر طرفاً مما لا يعرفه الناس عن حياة عميد الأدب العربي فى العقد الأخير من عمره ؛ لأن لهذا علاقة وثيقة بتوضيح الحقيقة التى لا تعرف الافراط أو التفريط .

كان طـه حسين في العقد الأخير من عمره ـ وقد عرفته فيه نحو تسع سنوات قارئاً وسكرتيراً فى بعض الأحيان ـ يعيش حياة صحية مضطربة ومع هذا كان يعكف على القراءة ، وكان يطمع فى أن يمد الله فى أجله ، ويتم عليه نعمة العافية ؛ ليكمل الأيام .. والفتنة الكبرى .. ولكن لكل أجل كتاب .

وكان الرجل فى حياته فى هذا العقد يسير وفقاً لنظام ثابت لا يحيد عنه إلا لضرورة ، فهو يستيقظ من نومه غالباً فى نحو السابعة صباحاً ، وحتى العاشرة والنصف يتناول طعام الافطار ويغير ثيابه ، ثم تبدأ فى نحو الحادية عشرة فترة القراءة الأولى باللغة العربية ، وكانت هذه الفترة تمتد الى الواحدة والنصف ظهراً ، ويقرأ فيها الصحف القاهريـة اليومية وبعض المجلات الأسبوعية ، وما يتيسر من بعض الكتب إذا سمح الوقت بذلك .

وفى هذه الفترة الصباحية ما كان يستقبل زائراً اللهم إلا من كانت تربطهم به رابطة خاصة ، ويزورونه دون تحديد موعد معه ، ويلقاهم ولو كان نائماً فى فراشه ، ومن هؤلاء الدكتور محمد كامل حسين جراح العظام الشهير ، وعضو المجمع اللغوى ، وصاحب « قرية ظالمه » رحمه اللـــه .

ومن الواحدة والنصف وحتى الثالثة يتناول طعام الغذاء ، ويغفو قليلا أو يستريح ، ثم تبدأ من الثالثة وحتى الخامسة فترة القراءة الأولى باللغة الفرنسية . وما كانت زوجته تقرأ له فى هذه الفترة ، وإنما كانت تقوم بالقراءة سيدة مصرية تجيد الفرنسية .

وفيما بين الخامسة والسادسة يأوى الى فراشه نحو نصف ساعة ، ويحتسي قدحاً من القهوة المعدة على الطريقة الفرنسية ، وتبدأ من السادسة مساء الفترة الثانية للقراءة بالعربية ، وتمتد الى الثامنة والنصف ، وكان يقرأ فى هذه الفترة أمهات الكتب العربية القديمة كالكامل للمبـرد الذى قرأته معه أكثر من مرة ، وعيون الأخبار لابن قتيبـة ، والحيوان للجاحظ .. الخ ، وبعض المؤلفات المعاصرة .

وفى هذه الفترة المسائية كان العميد يستقبل زواره وأصدقاءه ، غير أنه ما كان يهش للزائر الذى يطيل المكث ، وكان يلوذ بالصمت لا يتكلم إلا لماما علامة على نفوره وضيقه بهذا الضيف الثقيل الذى اسرف فى الجلوس ، واضاع الوقت على حد قول العميد ، ومع هذا كان إذا هَمَّ الزائر بالخروج شد العميد على يديه قائلا : أرجو أن أراك كثيراً !

ويتناول طعام العشاء فى نحو التاسعة مساء ، وتقرأ له زوجته بعد ذلك نحو ساعة ، باللغة الفرنسية ، فما كانت تعرف العربية قراءة أو كتابة ، وكل ما تعرفه منها بعض الكلمات الدارجة تنطقها فى لكنة اعجمية ، وتستخدمها مع الذين يعملون في البيت كالطباخ وسائق السيـارة .

وفى نحو الحادية عشرة يأوى العميد الى فراشه للنوم . وكان إذا تاخر أو لم يحضر من يقرأ له فى الفترة الصباحية أو المسائية يستمع الى إذاعة القرآن الكريم ، وكان يروقه فى الترتيل الشيخ الحصري .

وكان إذا رغب احد الصحفيين أو الكتاب ، أو المذيعين فى لقاء العميد لمعرفة رأيه فى قضية من القضايا ، وأذن له بذلك فانه ماكان يتيح له فرصة الحضور الى «رامتان» أكثر من مرتين في الأسبوع مهما يكن موضوع القضية أو صلة هذا الكاتب أو الصحفي بالعميد ، على ألا يتجاوز كل لقاء نحو ساعة ، وكان هذا قبل عام ١٩٧٠ ، فقد كان العميد قبل هذا العام على الرغم من ضعف صحته يتمتع بقوة ذاكراته ، ولكنه قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام كان ينسى بصورة غريبة ، فقد يزوره من يعرفه معرفة حميمه وبعد خروجه مباشرة يسألني من كان هنا ؟ وكان هذا النسيان يسبب لي أحياناً مواقف حرجة كان يأتيه زائر فى المساء فيساله : هل قرأت اليوم فى الصحف خبر كذا وكذا ، فيجيب العميد : إن الدسوقي لم يقرأ لي هذا الخبر ، فاذا حاولت أن أذكره باننا قرأنا هذا الخبر ، أصر على موقفه وأحياناً يقسم باللـــه باننا لم نقرأه ، فلا أجد بدا من الصمت .

وازدادت صحة العميد فى العام

لمـــاذا يكـذبـون عـلى تاريـخ الأدب؟!

هل تكلم طه حسين هكذا لآخر مـرة؟!

الأخير من عمره سوءا كما ازدادت ذاكرته ضعفاً . وجاء فى رسالة تلقيتها من أستاذى الدكتور ابراهيم مدكور الذى خلف العميد فى رئاسة المجمع اللغوى بعد إعارتي للعمل بجامعة الفاتح : « يقاسي الأستاذ العميد آلام الشيخوخة فى صبر وجلد ، ويقاومها ما استطاع ، ويتيح لنا فرصة لقائه من حين لآخر ، وفى حديث له لمست تقديره للمدة التى قضيتها بجانبه ، ومعه الآن مرافق مسيحي أرجو أن يستقر به المقام حتى لا يضطر الشيخ المريض الى التغيير والتبديل .. » .

وهذا يؤكد ما أومأت اليه آنفاً من ضعف صحة العميد وضعف ذاكراته ، وأنه فى آخر أعوامه لم يكن يتيح لأقرب الناس اليه فرصة لقائه إلا حيناً بعد حين .

وفضلا عن كل ما أسلفته كانت زوجة العميد تتدخل فى لقائه مع الكتاب والصحفيين ، لكي لا يطول اللقاء ، وذلك خوفاً عليه من الارهاق والاغماء ، وكانت تنبه علي بألا نستخدم أجهزة التسجيل فى أى لقاء ، حتى لا يسجل بصوت زوجها ما قد يسيء إليه ، بسبب نسيانه وضعف ذاكرته .

على أن حالة النسيان التى ألمت بالعميد فى أعوامه الأخيرة لا تعنى أبداً أن الرجل قد اختلط عقله ، أو أنه كان يلبس فى آرائه وأفكاره ، وكل ما تدل عليه أن ذاكرته قد أصابها الوهن ، ولم تعد كما كانت لا تخرم حرفاً مما وعته ، والذى يثير الدهشة أني كنت إذا قرأت له خبراً فى كتاب قديم ، أو مطلع قصيدة لشاعر عباسي مثلا فانه كان يعلق على الخبر ، أو يتلو القصيدة كلها مع ذكر فروق الرواية بين كتب الأدب فى دقة تشهد للرجل بحافظة واعية لا تغيب عنها معلومات مضى على معرفتها أكثر من نصف قرن .

وبعد تلك الحقائق التى يعرفها كل من كان له صلة بالعميد ، كيف يصح ما قاله الأستاذ غالي بأنه جلس مع العميد أربعين ساعة ، وتردد على بيته ثلاثة أسابيع يومياً ، إن هذا يعنى أن لقاءه بالعميد كان يستغرق الفترة المسائية كلها نحو عشرين يوماً متتابعة وهو أمر لا يمكن قبوله أو التسليم به على ضوء ماذكرته من حقائق .

وإذا سلمنا جدلا بأن غالي شكرى لقى العميد كل تلك المدة ، وأنه عامله بما لم يكن يعامل به أحداً من الذين كانوا يسعون اليه لمعرفة رأيه فى قضية فكرية أو اجتماعية أو سياسية فان نظرة فاحصة موضوعية فى هذا الحديث الذى جاء ثمرة ذلك اللقاء الفريد فى زمنه وعدده تثير كثيراً من الشكوك والشبهات حوله ، فردود العميد على اسئلة الاستاذ غالى كما نسبها اليه تتسم بالافاضة وتشقيق الكلام ، وكثرة اسماء الاعلام من الأدباء والمفكرين العرب وغيرهم ، وما كان العميد فى اجاباته ـ وهو يتمتع بقوة ذاكرته ـ يجنح الى الاسهاب ، وانما كان يجتزىء فيما يسأل عنه بالاجمال دون التفصيل ، والايجاز دون الاطناب ، وما كان يعنيه الاشارة الى علم من الأعلام للتدليل على رأى ، أو دعم وجهة نظر .

وعزا الاستاذ غالي الى العميد عبارات وكلمات كان يضيق بها ، ولا تجرى على لسانه مثل « عدم التسليم الأعمى » و «الغوغائية» ، « ياناس ارحمونا وارحموا أنفسكم » « وأنا رجل فى الظل أطوى أوراقى وسأمضى قريباً » الى غير ذلك من العبارات والكلمات التى كان العميد ينفر منها ، ولا يستسيغ استعمالها .

وإذا تجاوزنا عن ذلك الاستطراد فى الاجابة ، وتلك العبارات التى عزيت الى العميد وما كانت تروقه ، وقلنا بأن الاستاذ غالي التقط الفكرة ثم صاغها صياغة أخرى ، وألبسها حلة قشيبة من التفصيلات الجزئية ، والعبارات المستحدثة ، وإن أخطاه التوفيق فى نسبة بعض هذا الى العميد ، فان ذلك الحديث اشتمل على عدة أخطاء تطعن فى سلامته ، أو تحكم على العميد باضطراب ذاكرته ، وهو ما يفقد الثقة بالحديث كله ، ومن تلك الأخطاء ما جاء على لسان العميد حول انتمائه الى حزب الوفد وعزوفه عن الأحرار الدستوريين بعد عمله معهم نحو عقد ونصف قال : كانت بينى وبين الوفد أشياء وأشياء منذ معركة « فى الشعر الجاهلى » ولاحظت على الأحرار الدستوريين فى كفاحهم الوطني طراوة أبناء الذوات ، وفى سلوكهم السياسى اجحافاً بحقوق الفقراء ، بينما كان الوفد أكثر صلابة وتعبيراً عن مطامح الجموع فآليت على نفسى أن أطوى صفحة وأفتح أخرى أكثر اتساقاً مع ضميرى ...

هذا التعليل لترك حزب الأحرار والألتحاق بحزب الوفد يناقض ما حدثنى به العميد حول هذا الموضوع ، وأثبته فى كتابه « طـه حسين يتحدث عن اعلام عصره » فقد قال وهو فى معرض حديثه عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس :

« فى عهد صدقي سنة ١٩٣٢ تعرضت لأزمة شديدة بسبب موقفى من الحكومة وعدم الاستجابة لها فى منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية وقد أحلت على المعاش دون أن يكون لي معاش ، ولم تكن كتاباتي السياسية تدر



مصطفى النحاس باشا مع أعضاء الوفد المصري



اسماعيل صدقى .. أحاله على المعاش دون معاش !!



مكرم عبيد .. وعرض برئاسة تحرير جريدة !!

علي شيئا فقد كنت أكتب مجاناً ، يضاف الى هذا أنه لم يكن لدي مال مدخر ، وتعرضت لأزمة شديدة حاولت التغلب عليها بالسلف من بعض الذين تربطني بهم صلة وثيقة مثل نجيب الهلالي .

فى هذه الظروف جاءني مصطفى النحاس ومعه مكرم عبيد وعرضا علي رئاسة تحرير جريدة كوكب الشرق ، وهى جريدة وفدية ، وكان راتبي فيها مائة جنية ، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار ، ونظراً لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقي وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة .

وكان عملى فى كوكب الشرق بداية العلاقة بينى وبين مصطفى النحاس ، وازدادت هذه العلاقة وثاقة بمرور الأيام وكنت أزوره كثيراً فى منزله ، وكنت إذا ذهبت اليه وانتظرته فى الطابق الأول وارتدى ثيابه ونزل من الطابق الثاني فانه يلقاني باشاً مداعبا قائلا : طـه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، وكان الرجل يستنصحنى فى بعض الأمور ، وكان يأخذ بما أشير عليه ، كما كان ينزل عند رأيي إذا اختلفنا ، ولما توليت الوزارة كنت دائماً اهدد بالاستقالة إذا لم يستجب مجلس الوزراء لطلباتي» ..

فما هو التعليل المقبول لذلك التحول السياسي فى حياة العميد ؟ هل هي طراوة أبناء الذوات فى مقابل صلابة التعبير عن مطامح الشعب ؟ أم أنها الظروف الصعبة التى تعرض لها العميد بعد احالته على المعاش ، وجعلته يعمل مع الوفد فى كوكب الشرق ، ثم تطورت الأحداث ، وتوثقت العلاقة بينه وبين زعيم الحزب ، فانتسب اليه وأصبح عضواً بارزاً من أعضائه ، ثم وزيرا فى آخر وزارة للوفد قبل ثورة ٢٣ يوليو ، ؟!

وما جاء عن الرومانتيكية فى أدب العميد ، ورأيه فى أدب نجيب محفوظ ، وبخاصة قصة « اللص والكلاب » و «ثرثرة على النيل» يخالف ما تحدث به العميد من قبل وأوردته فى كتابى «أيام مع طـه حسين» .

ولست هنا فى مجال الاستقراء الشامل لكل جزئية أو فكرة ، ومناقشتها وإنما هى بعض الأمثلة من الأخطاء العلمية المبثوثة فى تضاعيف ذلك الحوار ، والتى تذهب بدقته أو صحته .

وبعد فان المقبول والمعقول أن يكون الاستاذ غالي قد ذهب الى العميد مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر ، ودعواه بأنه تردد على رامتان نحو عشرين يوماً مردودة ، يردها صحة الشيخ المريض ، وموقف زوجته من الذين يسعون اليه ، وسنته فى إذنه لهؤلاء ، وعدم السماح لأحد مهما تكن صلته به بأن يستغرق فى لقائه معه ولو مرة واحدة الفترة المسائية كلها .

والمقبول والمعقول أيضاً أن يكون حديث العميد إشارات مقتضبة كعادته فى اجمال القول دون تفصيله ، ولأن صحته وذاكرته لا تتيح له التفصيل حتى لو أراده ، ولكن الاستاذ غالي أضاف الكثير من آرائه ومعارفه وأسلوبه الى ما أفضى به العميد اليه ، فماتت أو ضاعت آراء العميد وسط ضباب الثقافة الأدبية الخاصة لغالى شكرى ، وأصبح الحديث فى صورته التى نشر بها فى مجلة الثقافة العربية . أو فى كتيب بعد ذلك لا يمثل فكر العميد فى العام الأخير من عمره بمقدار ما يمثل عضلات الاستاذ غالى وآراءه الأدبية والسياسية ، وليس أدل على ذلك من تعليل ترك حزب الأحرار ، والعمل مع حزب الوفد ، فهو تعليل لم يتفوه به العميد ، وإنما هو رأي للاستاذ غالي وانعكاس لتحليله للاحزاب التى عرفتها مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، ومن ثم لا يعد ذلك الحديث أو الحوار كما نشر وثيقة أدبية كما لا يعد آخر حديث تحدث به العميد ، ولا يجوز – علمياً – أن يعول عليه فى معرفة آرائه ، أو دراسة فكره لكل ما سلف .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

دكتور محمد الدسوقي
جامعة الفاتح

لا بدّ من صنعا وإن طال السفر

شعر: مروان الخاطر - دمشق

أمضيت في صنعاء ثلاث سنوات ، وحين أزف الرحيل
كتبت هذه القصيدة في وداع مدينة أحببتها ...

بعض الغرام مذلة وشجونُ
وهواكِ عز دائمٌ وفتونُ
دنيا من السحر المولَّهِ ما ارتوَتْ
ودِنانُ كل العاشقين تدينُ
من أيِّها يحلو الشرابُ وخمرتي
لو تعلمين لواحظٌ وجفونُ
« غمقت » ما احتجَبَ النهارُ بلثمةٍ
أسفرت فاستبقَ الحنينَ حنينُ
وجه « تشرشف » بالمحبة ما اختفي
وأراه رغم الأسوَدَين يبينُ
عقداً سبائيّ النقوش كأنه
أقواسٌ من قزح الزمان تزينُ
برق يمانيٌّ إذا يرنو ، وإن
يغمضْ فغيم ماطرٌ وهتونُ
وإذا الحبيبة مثلما عرف الهوى
تحلو ، ويحلو مبسمٌ وعيونُ
من قبل « ذي يزن » وسحر المجد شا ..
مَتُها ، يوشي وجهَها ويصونُ
أمّ العقود وأنت عقد مفرد
حصن تسورَ بالجمال حصينُ
أمّ العقود وبيننا ما بيننا
كيف السبيل الى الوداع يكون

أحباب من زمن وما زلنا .
فكيف يغرق الأحبابَ مفترقُ
ولم الطريق تشعبت من دونها الطرقُ
في الحلم كنتِ حبيبتي
في الصحو أنتِ حبيبتي

وأنا الذي أحببت حتى هامتي
يحتلني الأرقُ
أبحرت في عينيك حتى هدّني الابحارُ والغرَقُ
لو تسألي عينيك يوماً
تسألي عينيّ يوماً
ينطق الصمت الذي في الصمت يختنق
لو تسألي ..

لعرفت سيدتي الذي لا تعرف الأقلام والورقُ
هذا الهوى
أيموت في تغريبة أخرى ؟
أيُنسى ذلك الاشراقُ والألقُ
في ليل عمر مدلهم الخطو مكسور
هل هالة تعلو على النور ؟

أم أنت آخر ماروت
أنباء عن دنيا الأساطير ؟!

••

لو أنني أفصحت أحترقُ
عز الهوى أن أكتم الأسرارَ في صدري
أصرح بالذى لا يجرح النساك إن عشقوا

• •

أحببت قبلك - ربما - لكنني
غسّلت من كل الهوى قبل السفرْ
وأتيت أحمل خافقاً متعطشاً
فرويت غلّته ، ولونت الصورْ
أحييت من ذكر الليالي حلوها
ونسجت وحدك فى الهوى أحلى الذكرْ
فاذا الذى للأربعين يعدها
يصبو ويرجع لليالي والسمرْ
غنيته « الدانا ودانا » مرة
فمضى يدندن « داندانا » واقمرْ :
ولّهتني ، وعلي المحبة والوفا
عوّدتني ، أيفرق الشملَ القدرْ ؟
إني أخاف واترك القلب الذى
فى قلب محبوبي تخفّى واستقرْ

• •

لو أن من أهوى كاي حبيبة
هان الفِراق على الأحبة والفكَرْ
لكنه صنعا ، ومن في حبها
يحيا ، يقدم عمرَه قبل المهَرْ
وأنا الذى في حبها متلبسٌ
ذنبي هواى ، وذنبها ذنب الشجرْ

• •

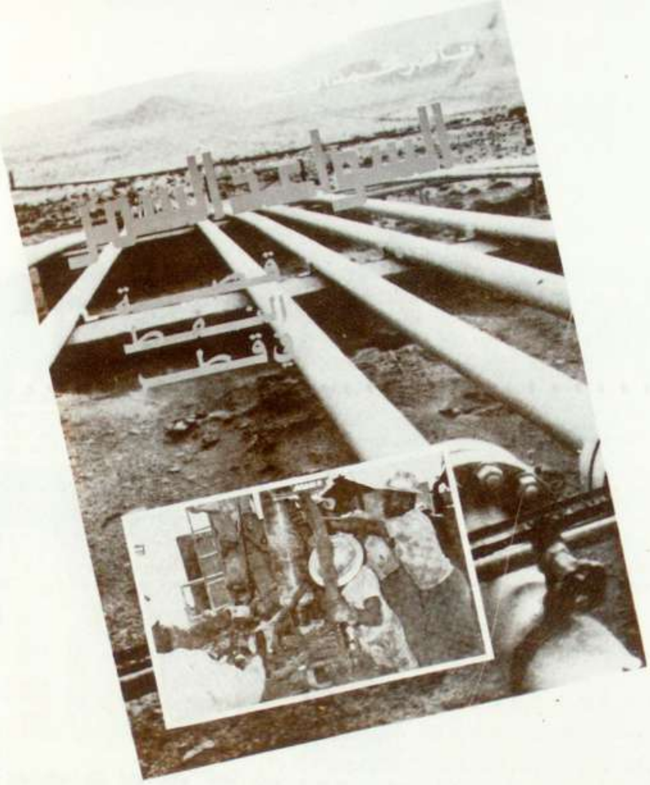
قرب الرحيل عن الأحبة ماانتهى
خل من الخلان أو بلغ الوطرْ
وكأن ما أمضيت مطلع ليلة
مازال أولها يدافع بالسحرْ

• •

تبقين في عينيّ عقداً زاهياً
« جنبيّة » فى الجنب تقدح بالشررْ
أبقي أردد ما حييت بلهفة
لابد من صنعا وإن طال السفرْ .



أنساك ؟!
إن نسي الهوى أحبابَه
أو فارق الأزهار يوماً
ذلك العبقُ
أنساك ..
أنسى أنني ..



قصة النفط في قطر

تأليف : ناصر محمد العثمان
عرض وتقديم : نبيل خالد الأغا

الى اولئك الرجال من أبناء بلدي ... الذين انتزعوا اللقمة من عباب البحر في أيام الغوص المجيدة وأكدوا أصالتهم باصرارهم على استمرار البقاء ، وانتزعوا الثروة من باطن الأرض بجدهم وعرقهم .

الى أصحاب السواعد السمر من أبناء قطر .. التي أحبوها وأحبتهم بكل ما يحمل الحب من إيمان وصفاء وصدق وعطاء : أهدي هذا العمل المتواضع ●●

● هذه هي الكلمات البسيطة البليغة الصادقة التي نقشها الأخ الاستاذ ناصر العثمان في صدر كتابه الأول « السواعد السمر : قصة النفط في قطر » ، والذي صدر مؤخراً عن منشورات « دانة للعلاقات العامة » في الدوحة .

والكتاب عبارة عن ملف كامل لقصة استخراج النفط القطري التي ظل معظمها – حتى الأمس – مطوياً في صدور أصحاب السواعد السمر من أبناء قطر الذين شيدت على أكتافهم وبعناقيد العرق المنهمر من جباههم لبنات النهضة القطرية المعاصرة .

ولعل أروع الاضاءات وأسطعها في هذا الكتاب تلك الحكايات التي كشفت لنا بعضاً من معاناة القطريين قبل اكتشاف النفط ، ودورهم الايجابي أثناء عملية الكشف ذاتها .

ولقد تنبه الأخ الاستاذ رجاء النقاش لقيمة هذا الجانب الانساني العظيم حين ذكر في مقدمة الكتاب بأن « ناصر نفسه قد عاصر أيام ما قبل استثمار البترول ، وعرف هو نفسه الحياة الشاقة التي لا تعطي رضاءها وهناءها لأحد إلا بأعظم الجهد ، وأكبر ألوان التضحية ، ورأى عظمة الانسان القطري مجردة تماماً من اطارها البترولي ، وأكل خبز المعاناة ، وشرب مياه التعب والحياة الصعبة ، ثم عاصر « ناصر » عصر التحول ، وما تبعه من تفجر للثروة ومظاهر التقدم الكبرى في بلاده ، ومن هنا كان ناصر العثمان قادراً على أن يكتب شهادته الصحيحة والأمينة للتاريخ » .

واستكمالا لميزة التواضع الجم التي يمتاز بها المؤلف في حياته الاعتيادية وتعامله مع الناس فهو يزعم انه ليس « مؤرخاً وإنما مستعرضاً لأحداث وتطورات هامة في حقبة من الحقب التاريخية الهامة التي مرت على بلدنا الحبيب » ، يقول هو ذلك برغم عرضه الأمين والواعي لكل ما استطاع الحصول عليه من معلومات مهمة استقاها من الوثائق والكتب وصدور الرواة الذين عملوا في صناعة النفط منذ خطواتها الأولى ! ولعمري فمن يكون المؤرخ إذن ؟ .

الدوحة عام ١٩٤٩

لقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : عبارة عن رسم دقيق للخارطتين الاجتماعية والجغرافية للعاصمة القطرية في عام ١٩٤٩م ، وهو العام الحاسم في تاريخ قطر حيث تم في نهايته شحن أول دفعة من الذهب الأسود والتي كانت فاتحة خير وبركة على هذا البلد العربي المعطاء ، وعلى الأمة العربية العريقة .

يصف المؤلف الدوحة في ذلك الوقت بأنها لم تكن أكثر من قرية كبيرة يقطنها ما يقارب الاثنتي عشرة ألف نسمة ، منازلها بسيطة متلاصقة مبنية بالحجارة والطين ، شوارعها ضيقة وكثيرة الانحناءات وغير معبدة ، وليست مضاءة بالكهرباء ، ولا يوجد بها سوى مدرسة واحدة شبه نظامية اضافة الى بعض الكتاتيب .

أما مطار الدوحة فقد كان مجرد مسطح من الأرض يصلح لهبوط طائرة صغيرة تأتي من البحرين من وقت لآخر ، وتحلق في سماء المدينة قبل هبوطها

لتعلن للناس عن وصولها ، وكان الأهالي يعانون كثيراً من قلة المياه الصالحة للشرب ، واضافة الى هذا الواقع الرمادي فقد كانت البلاد تعاني من ركود حاد في كافة المناحي الاقتصادية نتيجة لانحسار تجارة اللؤلؤ ، وسوء آثار الحرب العالمية الثانيــــة .

ولم ينس المؤلف في معرض تصويره لاحوال الدوحة في ذلك الوقت أن يبين للقارىء سبب اكتسابها لهذا الاسم لأنها « تقع على شاطىء خليج صغير واسع الانفتاح ، وأهل البلاد يطلقون على هذا النوع منه اسم « الدوحة » وانها قد أخذت اسمها من ذلك » .

وفي نهاية هذا الطرح السلس يدعم المؤلف حديثه ببضع وعشرين من الصور النادرة التي توضح مظاهر الحياة في « القرية الكبيرة » ، ولأوائل حكام قطر من اسرة آل ثاني الحاكمة .

• • •

وانتقل ناصر العثمان بعد ذلك للحديث عن « الصراع على امتيازات النفط » والمباحثات التي أدت الى التوقيع على امتياز نفط قطر الذي تضمن ٢٢ مادة ، وتم توقيعه من قبل الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر ، وتشارلس مايلس ممثل شركة النفط الانجليزية الايرانية المحدودة بتاريخ ١٧ من مايو عام ١٩٣٥م .

ناصر محمد العثمان



نماذج من الرجال

أما القسم الثاني من الكتاب فتتصدره صور نادرة للمرحوم منصور بن خليل الهاجري الذي يعتبر من الاعلام الأوائل الذين عملوا في صناعة النفط ، وعمل دليلا للشركة لما كان يتمتع به من حدة في البصر ، ومعرفة تامة لجميع الاراضي القطرية ، وأسماء المواقع وطبيعتها وتاريخها الى درجة أن أحد الجيولوجيين وصفه في كتاباته « بانه يحفظ خارطة عقلية لقطر ، وباستطاعته أن يجد طريقه في أي مكان ، في الطقس الدافىء ، وفي الضباب ، وحتى في الظلام ! » .

كل ذلك بدون أن يستعمل أي جهاز « حضاري » اللهم باستثناء عينيه الحادتين ، وحصافته الفطرية النافذة !

ويلتقي المؤلف في الصفحات التالية بمجموعة من الرجال البسطاء الشرفاء الذين أسهموا بامكاناتهم الواثقة في تشكيل نمط الحياة الجديدة في قطر ، وهؤلاء هم : ابراهيم بن صالح المطر ، جاسم النعمة ، ثامر مفتاح ، حسين أبو عباس ، جاسم بن قرون ، محمد مفتاح ، وحســن كلي .

ويعيش ناصر العثمان مع هذه النخبة ، يسألهم . ويحاورهم ، ويسجل للتاريخ ذكرياتهم ، ويروي على ألسنتهم ما تجود به عقولهم من أحداث عاصروها وصنعوها ، ابان مرحلة التحول من مرحلة الغوص والعوز والحاجة وصهد الحياة ، الى مرحلة الذهب الأسود والحضارة ومباهج الحياة الجديدة .

الغوص في الهواء !

ويروي العم ابراهيم المطر حادثة طريفة كان ضحيتها أحد العمال القطريين الأبرياء ممن كانت تشدهم عواطفهم الى أيام الغوص الأولى ، فلم يستطيعوا التأقلم بسهولة مع مرحلة التحول النفطي !

كان الرجل يستقل إحدى السيارات المكشوفة مع مجموعة من العمال في طريقهم الى « دخان » ، وبسبب سرعة السيارة « طار » عقاله من على رأسه ، فلم يكن منه إلا أن تصرف تصرفاً تلقائياً بأن سد أنفه ــ كما كان يفعل أيام الغوص ــ وقفز في الهواء ليأتي بكوفيته ! فمات المسكين فوراً !

وفي نهاية القسم الثاني يورد المؤلف أيضاً بضعاً وأربعين من الصور والوثائق النادرة تتصدرهـــا صـــورة للمغفـــور له الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني مع نجله أمير قطر الحالي سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وقد التقطت الصورة عام ١٩٤٧م .

وصورة لعملية تشييد أول بئر للنفط عام ١٩٣٨م ، وصورة لأول شيك لعائدات النفط بمبلغ ٥,٩١٦,١٠٨ روبية بتاريخ ١١أكتوبر عام ١٩٥١م ، وغير ذلك من الوثائق التاريخية المهمة .

أما القسم الثالث من الكتاب فيتضمن أهم مواد الاتفاقات النفطية المبرمة بين حاكم قطر وممثل الدولة البريطانية في البحرين ، والاتفاقية الخاصة بمناصفة الأرباح ، وامتياز التنقيب عن النفط في مياه البحر ، كما يشمل القسم أيضاً نص اتفاقية الحدود البحرية بين قطر وايران ، ونص اتفاقية تسوية الحدود وملكية الجزر بين قطر وأبو ظبي ، كذلك جدولا حسابياً بكميات انتاج النفط القطري منذ بداية استخراجه

أهمية الكتاب

وبعد .. فهذا عرض موجز « لقصة النفط في قطر » ، والتي سجلها «المؤرخ» ناصر محمد العثمان في هذا الكتاب الوثائقي القيم ، ولكن ــ كما ذكر الاستاذ رجاء النقاش ــ فان أهم مافي هذا الكتاب وأعمق ما فيه أنه يثبت بالدليل الناصع أن ثروة قطر أولا وقبل كل شيء هي : الانسان ، وهذا ما يجعل الكتاب فريداً في بابه ، ويجعل من صاحب الكتاب مكتشفاً للثروة الأعظم والأبقى في هذه الأرض العربية .

بقي أن نقـول للأخ الكريم ناصـــر العثمان نحن في حاجة الى مزيد من البحث والتنقيب في صدور البقية الباقية من أولئك « الأبطال » الذين دفعوا مقدماً فاتورة النعيم الذي يتمتع به الشعب القطري اليوم ! ولابد يوماً أن تظهر للباحثين نماذج جديدة من معاناة وجلد وصمود الانسان القطري في تلك الحقبة الحساسة من حياته .

نبيل خالـد الأغـا

كان مجال هذه الدراسة المتواضعة ، هو الدورة التدريبية التى نظمها مركز التدريب الاذاعي والتليفزيوني بالعاصمة القطرية اعتباراً من ١٧ أكتوبر الى ١٢ نوفمبر ١٩٨١ ، ولكن نظراً لأننا اعتدنا أن مناهج دراسة « الالقاء » فى الوطن العربي تقتحم مباشرة التناول التشريحي والعلمي للجهازين الصوتي والتنفسي فى تركيب الانسان ، ثم تنتقل بعد ذلك الى دراسة قواعد فن الالقاء على المستويين النظري والتطبيقي ، دونما اهتمام حقيقي بالقاء الضوء على أبعاد فن الكلام للناس فى حياة المجتمع باتساعها وتعدد مجالاتها .. لذلك ـ وحتى لا يسلب هذا الموضوع العام قسطاً كبيراً من الوقت المخصص لدراسة الالقاء فى الدورة المذكورة ـ أطرح هذه المقدمة العامة التى أراها ضرورية .

فن الكلام للناس

بقلم
نبيل الألفي

الواقع أن « الكلام فى حضور جمهور » فن عريض يتصل بمجالات عريضة فى حياة كل مجتمع ، فاليوم في واشنطن أو فى دمشق أو فى القاهرة ـ كما كان قديماً فى أثينا أو فى روما ـ الانسان مطالب بأن يتكلم ليعلّم ، ويتكلم ليتهم أو ليدافع عن نفسه ، ويتكلم للحصول على أصوات الناخبين ، ويتكلم من أجل الوصول الى السلطة كما يتكلم من أجل الاحتفاظ بها .

فالكلام فى حضور جمهور فن له أهميته البالغة فى الحاضر كما فى الماضي ، ولقد أهتم به القدماء بشغف شديد تشهد به معالجات البلاغة التى خلفوها لنا .

قد تكون هناك بعض الخصائص التقنية التى لم يعرفها القدماء ؛ فمخاطبة الجماهير مثلا من خلال «الراديو» ، تجعل المتكلم يصل الى المستمعين الذين لا حصر لهم ، والذين لا يراهم ولا يملك أن يتخيل ردود الفعل لديهم ... وفى الاجتماعات الدولية يتوجه المتكلم الى وفود تضع ما يشبه الخوذات على رؤوسها ، وإذا كانت لديك فكرة تود أن تصل اليهم فهي لن تصل إلا بواسطة مترجمين فوريين يجلسون فى غرف محكمة الغلق ، حيث تخرج من عندهم الفكرة التى تريد توصيلها مذاعة بعدة لغات فى اللحظة نفسها أثناء كلامك ... وإذا كنت تتوجه مباشرة الى

مجموعة من الناس تجمعوا خصيصاً للاستماع اليك ، فانك تستخدم « مكبر الصوت » الذى يمكن – نتيجة لخلل بسيط – أن يشوه صوتك ! .

إنه التطور الآلي يتغلغل بالضرورة الى ميدان هذا الفن ويفرض بعض الملامح التقنية الجديدة .

ولكن هذا التطور الآلي ، لم يحل بطبيعة الحال دون استمرار بعض القواعد التى مازالت تصلح لكل زمن ولكل البلاد ، ولا يلغى بعض الدروس الأساسية القديمة .

فعندما توجد اللحظة التى يتوجه فيها المتكلم الى مجموعة من الناس تتجمع لتكوّن هذا الموجود الجماعي المسمى الجمهور ، يكون أمام المتكلم عدة قواعد لا يستطيع إغفالها دون أن يعرض نفسه للفشل !

ذلك أن الكلام الى مستمعين ، له قوانينه الخاصة التى تختلف عن قوانين الأسلوب المكتوب ، فبرغم اننا نستخدم فى الحالين كلمات وجمل ، إلا أنه لا ينبغي أن نكتب كما نتكلم ، أو نتكلم كما نكتب .

فما الذى ينبغى عمله ليجيد الانسان الكلام ، ويجعل الناس يحسنون الإنصات إليه ؟

– هناك من يتكلم ليعلم
– وهناك من يتكلم ليقنع
– وهناك من يتكلم للاثارة .

وأمام اختلاف هذه الحالات مثلا ، يختلف المنهج والأسلوب والاستطيقا .. حتى القيمة المعنوية نفسها تختلف هي أيضاً بحسب الأحوال .

الكلام للتعليم

عندما يتكلم الانسان ليعلّم ، يختفى ع كلامه الاهتمام بالانتهاء الى مصلحة ستهدفة ، أو على الأقل يختفى الاهتمام جعل المستمع يميل الى اتخاذ حكم ، أو نعطف الى التصويت فى جانب معين . يفترض «جوتـه» أنه لا أمانة حقيقية لا لدى المتأمل .

وذلك الذى يعلم مرتبط فى جوهر همته بقوانين التأمل ، ومعنى ذلك أنه ستطيع – هو وحده – أن يجعل لحقيقة» شغله الشاغل ، فلا يهتم بغير كتشافها وعرضها ، دون أن تكون لديه حتى فرصة أن يسأل نفسه : ماذا سيفعل الآخرون بها ؟ انه موقف فنان ، الأصل فيه – على صعيد الفعل – هو أن يسعى المرء الى معرفة الحقيقة .

والاستثناء يكمن – بطبيعة الحال – فى أن تكون لدينا مصلحة فى قول هذه الحقيقة .

والواقع أن « التعليم » لم يسلم من ذلك الاستثناء المخل بموقف المعلم ! فالسلطات المنظمة لشئون التعليم تفرض رقابتها على المعلمين ، وعلى من يمارسون البحث العلمي ، ولا تميل هذه السلطات الى تركهم ينشرون بحرية نتائج بحوثهم . وتشهد الحرب العالمية الماضية على سبيل المثال ، بأن العلم قد وضع فى خدمة الحكومات ، ولم يعد يعتبر ملاحقة غير مغرضة للحقيقة ، وإنما أداة للقوة ... وفى حالات عديدة ، يلاحظ كذلك أن التعليم والاعلام قد أصبحا من المصطلحات التى تواجه خطر ترادف المعنى !

ولكن الديمقراطيات العريقة ، الخليقة فعلا بهذه التسمية ، تتيح للجامعات والمعاهد أن تكون متحررة ، ولا تمارس حيال « المدرس » رقابة تفرض عليه أن يخدم حقيقة موجهة . فكيف يكون إذن كلام المدرس فى هذه الحالة ؟

إن الكلام الذى يستهدف التعليم ينبغي أن يتسم بالنقاء . ونستطيع أن نشبه كلام المدرس بعملية الترشيح التى تتناول السائل المحمل بالشوائب فتجعله ماءً صافياً ورائقاً .

فالمتلقي يريد أن يفهم . ويطيب له أن يسمع . ولا يحلو له أن يبهر إلا بعامل الذكاء وحده .

والوضوح ينجم عن أسلوب بالغ التحديد ؛ كما ينجم أيضاً عن خطة محكمة جيدة البناء ؛ أو عن عرض ينمو ويتطور على نحو منطقي .

لأنه مما يخفف من جهد المتلقي أن يعرف الى أين يتجه المتكلم ، وأن يكون متابعاً فى كل لحظة لايقاع الحديث ولاطراد نمائه نحو خلاصته .

والانتباه يكون عادة أسهل ، إذا شعر المتلقي أن المتكلم محتفظ بسيطرته التامة على كلامه ، ويزن بدقة الزمن الذى في متناول يده .

على أن النصائح التى يمكن قولها فى هذا المجال يستعصى فى الواقع حصرها اذ تختلف مثلا معايير بلاغة المعلم من قاعة مشحونة بالطلاب ، الى رواق صغير يفرض طابع الألفة والحوار المثمر على العملية التعليمية .

فحسبنا ما أشرنا إليه فى هذا المقام بهذا الخصوص .

الكلام فى الناس للاقناع

يقترح استاذ فرنسي يدعى « توليه » : أنه يجب أن نتكلم كالرجال عندما نكون صادقين والحق فى جانبنا ، وكالنساء عندما نكون مخطئين !

واعتقد أن هذه مبالغة ، لأن الكلام للاقناع لا يستطيع فى الغالب أن يرتكز على فضيلة الحقيقة وحدها .

صحيح أنه إذا كان ما نريد الاقناع به عادلا ، عادلا تماماً ، فانه يكفي – للاقناع – عرض العناصر كما هي ، دون أدنى مواربة أو تحايل ، لأن الحقيقة هنا ستفرض نفسها كالضوء ... ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك ، أو حتى ليس كذلك بالضبط ، الا ينبغى فى هذه الحالة العمل على إرضاء الحقيقة ؟

إن الكلام فى الناس للاقناع – بكل أسف – يندرج تسعة أعشاره تحت هذه الحالة .

وتغيير مجال الانتباه – لدى رجال السياسة – يعتبر من انجح الوسائل . إنه « تكتيك » القواد الكبار الذين لا يقبلون دخول المعركة فى الوضع الذى يجدون أنفسهم فيه ضعافاً ، وإنما يستدرجون العدو الى نقطة تكون لهم فيها القوة ، وكل القدرة على تدميره .

غير انه لا يحسن استخدام هذا «التكتيك» مع الاساتذة الراسخين من المفكرين ، لأنهم على دراية واسعة بأسراره ؛ وإنما هو ينجح بالأحرى مع الشخصيات البرلمانية .

وحتى فى حالة ما إذا لم يكن هناك مجال للتغيير فيما يتعلق بالمسالة المطروحة ، فان المتحدث المهتم بالاقناع والانتصار على خصمه ، لا يستطيع أن يترك للأشياء وللملابسات أبعادها الدقيقة ، مادام الأمر يتعلق بالضبط باظهار هذه الأبعاد تحت ضوء يكون أكثر توافقاً مع النظرية التى يدور الدفاع عنها .

وللتأثير على الحاضرين ، يتطلب

فن الكلام للناس

فعل بلاغة الاقناع ، أن لا نكون مضطرين للتأكيد على العناصر التى تخدمنا فى الوقت الذى يشيع فيه بالقاعة جو الاستدارة الى الساعة .

الكلام فى الناس للاثارة

مع الكلام لتحريك المشاعر ، تكون البلاغة الحقيقية التى لا تكتسب بالتعليم . فالاعتبارات هنا خاصة جداً ، ويتحتم الاعتراف بانها تستعصي على التحليل والتحديد !

هناك عادة طابع معين للصوت فى مصدر هذه البلاغة ، ونحن نعلم جيداً الى أى مدى يمكن أن تكون ذبذبة الصوت الانساني قادرة على تحريك المشاعر !

ينبغى أن يكون هناك الكثير من التوافق بين جهاز المتكلم وبين الاسماع بالقاعة ، فالعامل العضوى يفرض نفسه على الفراغ فى المقام الأول .

وعلى هذا يمكن أن أضيف : أن ناتج الانفعال لا ينفصل عن قدر معين من الحضور ، محمل بالعاطفة ، يفرضه المتكلم وهو ينهض ليأخذ الكلمة . يكفيه أن يظهر ، ليكون الجو الجماعي الذى يثيره قد خلق ، ويستطيع الكلام مكتسباً صفة « المغناطيسية » بالمعنى الحرفى للكلمة .

فيجب ألا ننسى أن المتكلم ـ مهما تكن شخصيته ـ يعتبر واحداً فقط من العناصر المكونة للموقف ، ومن المكمل له يوجد خارجه جو القاعه بجمهورها . فمشاركة المكان ومشاركة المستمعين تحت تأثير حركة المتكلم ، هو ما سيجعل شعلة الانفعال تظهر . فالكلام هنا ليس مونولوجاً ـ وهذه ملاحظة جوهرية ـ وإنما حواراً ، أو بتعبير أكثر دقة : مشاركة بين فرد وجماعة . وبدون هذه المشاركة ، يسقط أكثر الكلام بلاغة فى الفراغ والموت ! ويمكن القول كذلك بانها مسألة « درجة حرارة » قبل كل شيء .

صحيح أننا أمام بلاغة الكلام هنا ـ كما نكون أمام الشعر ـ لا نستطيع القول بأن النص القابل للفهم لا أهمية له ؛ ولكنه ينبغى أن يكون واضحاً أن الجوهرى هنا يكمن فى التيار الذى يتحقق بين ذلك الذى يتكلم وبين أولئك الذين يستمعون .

وحسب تعبيــر نيتشــــه :

« من ناحية أذرع تمتد ، ومن الناحية الأخرى مخلوق ينتقل منه فيضان العواطف والقوة الى المستمعين » .

إن المتحدث المفطور يحس هذا النداء ومثل هذه الموهبة لا تكتسب ، وإنما يولد الانسان مكتسباً إياهـــا .

على أننا بعد الاستماع الى خطاب له قيمته البلاغية العالية ، يحسن ألا نحاول قراءته بعد ذلك ، لا لأن كتابته ستكون مفتقدة للدقة ، ولكن لأن الجمل المكتوبة ، كانت فى شعلة الانفعال شيئاً آخر مختلفاً تماماً عن هذه التى تُقرأ محددة فى أبيض وأسود على ورقة ميتة! وحتى إذا لجأنا فى الكتابة للاشارة الى ردود الفعل لدى المستمعين : التصفيق ، والهمهمة ، والضحك ، والابتسامة ... وغيرها ، فان ذلـك لا يكـــون إلا بمثابة إشـارة الى كل شيء كـان ، ولــم يعـد كائناً ، وأصبح من غير الممكن الاحتفاظ به فى وعاء مغلق .

لأن السحر وحده ـ إن جاز التعبير ـ هو الذى فى طوقه إعادة الحياة للحظة فريدة انتهى وجودها .

إن هذا الحضور الذى يعتبر شيئاً سحرياً بشكل ما ـ لا يرجع الفضل فيه مع ذلك كلية الى العوامل العضوية فحسب ، فالاشعاع الصادر عن المتكلم يرجع فى معظمه الى شخصية المتكلم ..، الى قدراته الصادرة عن شخصيته كانسان بكل اختصار .

إننا إذا عرفنا أن ذلك الذى ينهض ليأخذ الكلمة لديه شيء يقوله ، وأن مشاعره الشخصية هى مصدر إلهامه فانه يستفيد من هذا سيطرة فورية وهذا يتضمنه ما اتفقنا على تسميته حضوره .

حينما يكون الكلام للاثارة ، فا العواطف هي التى تقنع ، والرجل البسيط العادى الذى يتكلم منفعلا بعاطفة ، يكون مقنعاً أكثر من المتحدث البليغ فى تعبيره دون أن تكون لديه مث هذه العاطفة النابضة .

هذا ولابد أن يكون الانسان مقتنع بما يقول ، والقدماء كانوا يعرفون ذل جيداً عندما قالوا : إن الكلام فعل قبل أ يكون أى شيء آخر ، والبلاغة العضوي المثيرة يساء استقبالها إذا كانت مفتقد الايمان .

ومع ذلك فلا يتحتم تصور أن اعتنا المتكلم لما يقول يعتبر مسألة لا يمك تجاوزها ، فاحياناً قد لا يكون لدى المتكل هذا الاعتناق لما يقول ! ومن منا يستطي أن يزعم لنفسه وجود هذا الاقتنا الشخصي دائماً . ؟! لذلك ينبغى أ يتصرف المتكلم فى هذه الحالة كما لو كا لديه هذا الاقتناع الشخصي . فأصحا بلاغة الكلام الكبار ، ينبغى أن يكون فى هذا الموقف ـ كالممثلين الكبار متميزين بالقدرة على تمثيل اعتنا نظرية أو اعتناق عاطفة ، بحيث يشخ المستمع « الاقتناع الشخصي » للمتك على أنه اقتناع صادق .

ومن هذه الزاوية يمكن القول ب هناك سمة مشتركة بين الممثل الكب والخطيب الكبير . ونحن لا نقلل من ش أيهما بعقد هذه المقارنــة ، فلابد الموهبة عندما يتعلق الأمر بفنانين ولي بمجرد بشـــر .

نبيل الأل

جامعة قطر

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي

إلى الزملاء المتخصصين في دارسات التنمية

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي بجامعة قطر يهدف إلى ايجاد وحدة مختصة لبحث ودراسة قضايا التنمية من أجل تعميق الفهم حول طبيعة التغييرات الاقتصادية ـ الاجتماعية فى اقطار الخليج العربي وذلك سعياً لبلورة فكر تنموي شامل يمكنه تحديد الصعاب التى تواجه عملية التنمية فى هذه الأقطار واستشراف الحلول وتبني برامج البحث والتدريس والتدريب الملائمة من أجل المساهمة فى تمكين هذه الأقطار من تدعيم قدراتها التنموية .

ومشروع دراسات التنمية بحكم حداثة نشاته يفتقر الى وجود الكادر الاكاديمي والعلمي ويسعى الى التعرف على الزملاء المتخصصين فى حقل العلوم الاجتماعية والمهتمين بدراسات التنمية والمتوجهين الى بحث طبيعة التغييرات الاقتصادية الاجتماعية فى الأقطار المصدرة للنفط . واحتياجات المشروع فى الوقت الحاضر تتمثل في التالي :

١ ـ استاذ :

مختص فى علم الاقتصاد أو علم الاجتماع تتركز اهتماماته ودراساته وخبراته العملية فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ استاذ مساعد :

مختص فى علم الاقتصاد ومهتم بالحسابات القومية والاقتصاديات المالية ، والمالية العامة والتخطيط .

٣ ـ مدرس : مختص فى الادارة ومهتم بطبيعة ادارة التنمية ومشكلاتها .

٤ ـ مدرس :

مختص فى علم الاجتماع . علم الاقتصاد ، علم الديمغرافيا ومهتم بدارسات السكان وتنمية الموارد البشرية.

٥ ـ مدرس مساعد / باحث : حاصل على الماجستير فى أحد فروع الدراسات المتعلقة بالتنمية .. ولديه اهتمام بدراسات التنمية المتعلقة بأقطار ابخليج العربي .

٦ ـ مدير مشروع الرسائل الجامعية :

مختص في علم المكتبات والتوثيق لديه خبرة واهتمام بالتوثيق وكيفية جمع الرسائل الجامعية وادارة مكتبة متخصصة والاشراف على برنامج نشر الببلوجرافيا المختصة بالرسائل .

٧ ـ محرر / باحث :

مختص في تحرير الكتابات المتعلقة بالعلوم الاجتماعية .. لديه خبرة في الصحافة المتخصصة .

وبحكم ندرة الكفاءات المذكورة أعلاه فان المشروع يرغب في التعاون مع الزملاء بكافة الأشكال الممكنة سواء بالتفرغ للعمل في المشروع والتواجد في قطر لمن تسمح له ظروفه بذلك أو التعاون في مجال الندوات والدراسات المختصة لمن لا تسمح له ظروفه بالتفرغ التام .

يرجى من الزملاء الراغبين في التعاون مع المشروع الكتابة الينا على العنوان التالي :

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي
جامعة قطر (ص . ب ٢٧١٣ الدوحة ـ قطر)

أضـــواء

النور عثمان أبكر

آخر مسرحية لساroyan

كان وليام ساروبان قد قام بزيارة الى فيينا فى الصيف الماضى لحضور العرض الافتتاحي على المسرح الانجليزى بالمدينة لمسرحيته «الاعيب» فقضى بضعة أيام بالعاصمة النمساوية فى جولات مطولة عبر شوارعها ومنتزهاتها ، مسجلا كل ما يرى ويسمع . ولدى عودته الى باريس كتب مسرحية كوميدية فى إطار مدينة فيينا بث فيها حصيلة ملاحظاته .

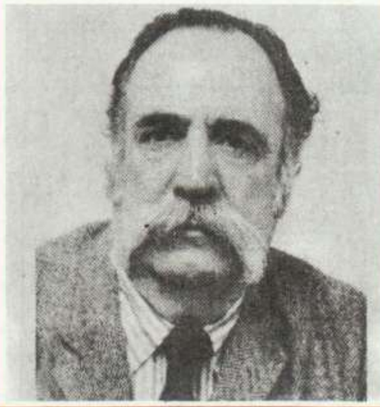
ولم تكن المسرحية قد نشرت عندما مات ساروبان فى شهر مايو المنصرم . وقد أدرجت فى برنامج الموسم القادم للمسرح الانجليزي بفيينا فالنص الذى كتبه مكتمل ، ولكن عبء اختيار الرقصات والاغاني ، «المايم» سيرثه مخرج المسرحية ، لأن الكاتب الراحل قد وجه بها ، ولم يحددها . وكانت تلك هي آخر أعمال ساروبان المسرحية .. وبعنوان «حكايات من شوارع فيينا» .

لم يهجر ساروبان عالم المسرح ، ولكن المسرح بعد الحرب الثانية تخلى عن ساروبان بالرغم من نجاح مسرحيته « قلبى فى الأعالي » التى كتبها قبل الحرب ، ومسرحياته الأخرى «أهل الجمال» و «أغنية الحب القديم الحلوة» و «سلام على من هناك» .

فقد واصل تاليف المسرحيات ، بجانب ما كان يدفق عنه من أعمال روائية ، وقصصية ، وتسجيل لسيرة حياته ؛ ولكنه فشل في العثور على من يمول اخراج تلك المسرحيات . كان خارج تيار تقليعات الموسم . لم يكن متخلفا عن حركة زمانه ، كان سابقاً سباقاً لها .

وكانت برودواى قد رفضت مسرحيته «لا تمض فى غضب» (١٩٤٨) وبشكل فظيع .. لأن خلفية المسرحية فى عنبر بمستشفى لمرضى السرطان ؛ ولم تكن تلك الأشياء مما يتسامح فيه المسرح وقتها . وربما كانت فرصة اظهارها أوسع هذه الأيام حيث الجمهور يقبل متحمساً على مسرحيات مثل «الأجنحة» و «حياة من هي على اية حال؟ » و «الرجل الفيل» .. ومع ذلك فالمسرحية الوحيدة التى بين المسرحيات التى كتبها ساروبان قبل الحرب ، التى وصلت مسارح نيويورك ، هي مسرحية «أهل الكهف» (١٩٥٧) .

ولكن ذاك الاهمال لم يثبط همة ساروبان اطلاقاً . وقبل عامين كانت ادراجه مكتظة بالمسرحيات ، وكان نشطاً فى كتابة غيرها ، حتى انه كان يكتب بمعدل مسرحية كل اسبوع .



وليم ساروبان

وعندما اقترح المسرح الانجليزى بفيينا إدراج اسمه فى قائمة المسرحيين الأمريكيين المرموقين الذين يقدمهم ــ ومنهم ثورنتون وايلدر ، وتنيسي وليامز ، وإدجار لي ماسترز ــ استجاب ساروبان بان أرسل اليهم نص مسرحيته «الاعيب» وهي عبارة عن «اسكتشات» يقوم فيها باضفاء الحياة على الأشياء المألوفة ويسبغ عليها قدرة الأفصاح عن ذاتها ، والنقاش والمحاورة فى امور مختلفة .

ومسرحيته الأخيرة تعبر عن قدرته المميزة التى يجتمع فيها الحلو والمر فى الدعابة ، والخروج الكامل عن اية قوانين ثابتة فى كتابة المسرحية . والمدينة ــ فيينا ــ التى يصور فيها هذه المسرحية هي من بنات خياله المبدع ، وان كان قد استخدم بعض لقطات من بين ملاحظاته العديدة . وتجرى احداث المسرحية فى مقهى على شارع (القرابن) وهو شارع عريض وممتد ، ويقع أمام كاتدرائية سنت استيفن . وصاحب المقهى السخي الفضولي أرمني مثل ساروبان ، يكثر الحديث الطري عن بلاده المفقودة ، وعن شعبها العظيم وآدابها الرفيعة . وهناك خمس شخصيات اخرى : «شميدت» الذى يمثل كل الناس المتحضرين وفى سن الرابعة والأربعين والثمانية والستين ، و«اليس» التى تمثل انماطا مختلفة من النساء ، وتفاخر بانها تتمتع بخصال ديزدمونا وسنت جوان ، وكليوباترا ، وفلورنس نايتينقيل ، وماتا هاري .. وهناك الفتاة التى ترمز الى اكتمال ابنة الجنس البشري ، والفتى الذى يمثل ابن الانسان ، والشرطي النمطي .

ويدور بين هؤلاء حوار فى المقهى حول أسرار الميلاد والحب والموت . وفى حديثهم الحكمة والحس الفكاهي والاستهبال ، ويقفزون من موضوع لآخر : بيتهوفن ، شوبارت ، فاجنر ، ليهار ، نيتشه ، فرويد ، يونج ، الدين ، الكتاب المقدس ، الولادة ، الاجهاض ، بضع نساء ورجال ، الشهية ، الجوع ، الطعام والشراب ، أونيل ومسرح الفقد والخسران والندم ، بيكيت ومسرح اليأس وانعدام المعنى ، بيرانديللو ومسرح الزام الذات ، شكسبير ومسرح الفيض والعطاء .

وبالمسرحية أفكار مثيرة للجدل تفوق ما تتضمنه مجموعة من عشرين مسرحية تعرض الآن في نيويورك ولندن ، وهناك حديث شجي عن الموت ، وكانما كان ساروبان يحدس دنو المنية منه حين كتب هذه المسرحية . وكل صفحة من نص المسرحية يعلوها تاريخ وساعة كتابتها . وهي كمسرحية أو دراما أو سمها ماشئت ، تنطوى على اسئلة لا حصر لها ، وتابى أن تقدم اجوبة أو حلولا ناجزة .. وتلك هى مهمة المسرح .

ويضمن ساروبان مسرحيته الأخيرة هذه صوتاً من خارج الخشبة للحركة الفعلية فى شوارع فيينا ، وهو صوت عازف هرم لآلة الاكورديون ، الذى يغنى بصوته الوهن الخافت انغاماً تغص بالتشوقات والحنين المتنامى . وقد أطلق عليه اسم «القبرة» .. ويمكن أن يصادفه المرء فى وقت متاخر من النهار فى شارع «الجرابن» بفيينا

ان هذا العمل الأخير لساروبان يفصح عن كل خصائص عبقريته . انه اغنيته الأخيرة .

٢ مليون استرليني للأدباء والمفكرين

اعتمدت حكومة تاتشر مبلغ مليوني جنيه استرليني سنوياً لتدفع للكتاب البريطانيين بواقع نصف بنس عن كل مرة يستعار فيها واحد من كتبهم من المكتبات العامة . وهذا القرار ثمرة لأخذ ورد بين الكتاب البريطانيين وحكومة بلادهم دام ثلاثين عاماً .

والمعروف أنه مقابل كل كتاب يباع فى السوق تتم استعارة عشر نسخ من كل مكتبة من أصل ٦٠٠٠ مكتبة عامة فى البلاد .

ويخضع هذا القرار فى تفاصيله لاجازة البرلمان البريطاني له .. ولكن المتفق عليه الا يمنح أى كاتب أكثر من ٥٠٠ جنيه استرليني فى العام الواحد من عائد كتبه المعارة .

جـــوردون هيـــث
يغـــني لبـــول روبصـــون



بول روبصون



جوردون هيث

يذكر جوردون هيث ان المغنى الزنجى بول روبصون دلف الى غرفة المكياج التى كان بها عندما كان يقوم بالتمثيل فى برودواى عام ١٩٤٧ فى مسرحية «عميقة هى الجذور» ، ويقول :

«كانت الغرفة صغيرة جداً ، وكان بول عملاقاً ضخماً . وكنت احلم باللقاء به ... وها هو كله امامى ، يقدم لي يداً ضخمة ، ويواصل ابتسامة سخية رحبت بى فى عالم من الاخاء العامر .

كان كلانا اسود ، وممثلا ، ويقف موقفاً يحتج على امور كثيرة تجرى فى هذا العالم . ولكنه كان قد قطع شوطاً بعيداً فى موقف الاحتجاج الذى كان ثابتاً عليه طيلة عمره ، وفى كل تصريحاته ..

ولم اكن انا سوى بوق لعدد من كتاب المسرح البيض الشماليين ذوى النوايا التقدمية الكريمة التى يسيجها حرص محسوب على ما يعود الى جيوبهم من شبابيك التذاكر . وكانت مواقف بول روبصون ذائعة على مستوى عالمى ، ولكنه وافق على القيام بدور فى المسرحية باعتبارها نقطة ضئيلة تتبلور حولها كل اشكال التحيز والأفكار المصاحبة له .

لم يقل الكثير .. واعتبر بشكل ضمنى اننا كنا نخوض نفس المعركة .. وان كنت انا المنافح الأقل وزناً فى الحلبة . واثناء اربعة عشر شهراً تالية واصلنا فيها تقديم المسرحية ، وجدنا اننا نقتسم خندقاً واحداً ، ونحرص على قيادة واحدة ، ونغنى ونظهر امام الجمهور محتجين للقضية نفسها وكنت حريصاً على ان اكون جديراً ومستحقاً لتلك اليد التى شدت على يدى، وتلك الابتسامة التى حيتنى مرحبة بى فى عالم بول روبصون» .

لقد كان بول روبصون ، ابن العبد الزنجى المعتوق ، فناناً لامعاً فى المسرح وفى صالات المسرح الموسيقى . وكان قد التقى «بكارل فان فشتين» وناشره «ألفريد كنوبف» فى حى هارلم أيام بوهميته فى العشرينات من هذا القرن ، وفعلوا الكثير لترقية حركة البعث الفنى والأدبى والموسيقى فى محيط الثقافة الزنجية الأمريكية . وفى حفلات الكوكتيل التى كان «فان فشتين» يقيمها فى بيته ويتم فيها اختلاط اجتماعى سليم بين البيض والسود فى زمان كان ينكر مثل ذاك الاختلاط ، التقى بول روبصون بعدد من الكتاب والفنانين ذوى الشهرة والصيت على المستوى العالمى .

وقد اختاره الكاتب أوجين اونيل ليقوم بدور المحامى الأسود الذى يتزوج امراة بيضاء فى مسرحية «كلنا احرار» ، والتى جوبهت بحملة منظمة عنيفة لمنع اخراجها ، ولكنها قدمت وحققت نجاحاً كبيراً . وقد تاثر «أوجين اونيل» باداء بول روبصون ، فحله محل الممثل «شارلز جيلبن» فى مسرحية «الامبراطور جونز» فى جولة قامت بها الفرقة . وفى عام ١٩٢٨ استضافت لندن المغنى الزنجى ليقوم بدور «جو» فى المسرحية الغنائية الأمريكية فى ثوبها الانجليزى ، مسرحية «شو بوت» . وظل فى انجلترا بضع سنوات كمغن مشهود له ، وممثل قادر ، تحرص ارستقراطية لندن على مصادقته.

ووجده عام ١٩٣٥ فى موسكو ، ولكن مشروع انتاج فيلم مع المخرج سيرجى اينشتاين اخفق . وعاد الى نيويورك فى عام ١٩٤٣ ، حيث قام بدور «عطيل» والذى كان قد قام به طيلة ثلاثة عشر عاماً بلندن ؛ ولكنه اصاب نجاحاً كاملا فى برودواى ، وسجل اطول مدة تستمرها مسرحية لشكسبير فى مانهاتن .

ثم هبط الظلام المكارثى فى دنيا الثقافة كما فى دنيا السياسة . يقول جوردون هيث :

«فى الفترة المكارثية تم كتم صوت بول روبصون واسكاته بشكل كامل وكانه قد اعتقل وسجن . وكان القلق يعذبنا لا لجزع على سلامة بول ، ولكن لاختفاء قدوتنا ، الذى كان فى نظر حملة القائمة السوداء وسدنتها «مناهضاً للفاشية» ، ولعلمنا التام بانه رفيق نضال ووطنى مخلص : وقد وجدت نفسى اقوم بادوار بول روبصون فى أوروبا .. فقدمت «الامبراطور جونز» اذاعياً وتلفزيونياً .. مرة . وقمت بدوره فى «عطيل» ، مرتين على خشبة المسرح ، ومرة فى التلفاز ، وغنيت اغانيه «اهبط يا موسى» و «اغنية حب افريقية» وغيرهما . وكان الناس فى انجلترا يشبهوننى به ، وتلك مفخرة لي ، لانهم كانوا يقدرون كلا منا ، ويدركون أن جيلا يفصل بيننا .

وعندما مات بول روبصون ، هيات له هارلم كل ما يستحق من تكريم وشرف ، وان جاءا متاخرين قليلا .. وفوق ذلك ، فان افضل ما قدم لذكرى روبصون هو السيرة التى جمعها «فيليب هيز دين» لتعريف هذا الجيل ببول روبصون ، وليذكر جيلنا نحن بما كان يعنيه بول بالنسبة لنا .

وما اريد القيام به مساهمة منى هو ان أروى قصة بول روبصون بنفسى تعبيراً عن حب واحترام واعجاب اكنه له .

لقد كان بول روبصون انساناً عظيماً ، ولا اريد لاسمه أو فعله النسيان» .

همنجواي في باريس

دونما جلبة او تكبد منصرفات دعاية باهظة افتتح فندق «الريتز» بباريس مشربا جانبياً أطلق عليه اسم الروائي الأمريكي الراحل أرنست همنجواي . وإعادة افتتاح هذا المشرب التاريخي ، بكل ما يحركه فى الفرنسيين من حنين وذكريات دافئة هي جزء من برنامج تجديد الفندق الباريسي الذى رصد له ملاكه الجدد ، المصريـون ، مبلغ ٢٥ مليون دولارا أمريكياً ..

وليس بالمكان ثمة ما يذكر بهمنجواي سوى الساقي كلود ديكوبير الذى كان وطيد الصداقة مـع الكاتـب الأمريـكي لفتـرة تزيـد عـن خمسـة عشر عاماً .. وقد قابلـه أول مـرة عـام ١٩٤٧، بعد الحرب الثانية أيام كان همنجواي فى قمة رغد عيشه ، ينزل «الريتز» فى طريقه الى أسبانيا لمشاهدة مصارعة الثيران ، أو يمضى للصيد فى أدغال افريقيا . لقد عرفه فى أوج مجده الأدبي .. بعد أن حاز على جائزة نوبل فى الأدب .

ويروي كلود ديكوبير أن همنجواي «كان ليثـا من الرجال .. يمنحك الاحساس بالقوة .. فاذا قال لك انك سترقى جبلا ، لصدقته وصعدت الى القمة »

وهو يذكره وقد استند بكوعه على طرف المشرب ، مكانه المفضل . « كان يكره الجلوس الى طاولة . وكان يمتثل لقوانين الفندق القاضية بارتداء بذلة كاملة وربط عنق .. وبالرغم من انه كان يعب من كل صنف من أصناف الشراب ، لم اره مخموراً .. قط » .

ويروى عنه انه كان حين ينزل الفندق مع زوجته ، يختلي بنفسه فى الحمام ليلا .. للكتابة .. كيلا يزعج زوجته .

« وكان يصحبني معه الى مباريات الملاكمة فى شارع سنت دنيس . ولم يكن ليذهب فى سيارة خاصة ، بل يركب المترو ، لأنه كان يريد الاختلاط بالناس » .

وقد أهداه همنجواي أربع بنادق .. وكان يقول له : « رمز هي هذه البندقية .. لأنك يجب أن تقاتل فى هذه الحياة . وعندما تجابه الصعاب ، تذكر أن عليك أن تقاتل » .

ويذكر ديكوبير همنجواي كانسان منفتح ، منشرح النفس . « كان يحلو له أن يخبطني برفق على بطني .. ثم يسالني عن احدث الالفاظ الشعبية .. وكان يتحدث الفرنسية .. بطلاقة »..



أرنست همنجواي

وكان همنجواي يقصد المشرب احياناً بصحبة الممثل «جاري كوبر» . ويحتفظ ديكوبيرباوتوجراف (توقيع) الممثل الكبير ، ولكنه لم يجرؤ ، كما قال ، أن يطلب توقيع الروائي طيلة فترة صداقتهما .

وذات مرة ابتاع رواية جديدة لهمنجواي فى طبعة أنيقة مغلفة ، فعنفه همنجواي قائلا : «لماذا بددت مالك بهذه الصورة الغبية ؟ اشتر نسخة جيب (نسخة شعبية) فى المرة القادمة .. فانك واجد بها نفس الشيء » .

ويروى ديكوبير أن حادثي طائرة وقعا للكاتب فى افريقيـا ، احدثا به تغييرا .. « كان موضوعه المفضل أن يتكلم عن الموت .. كان يتحدث عن الموت وكانه ينازله .. لكنه كان يخشاه ويهابه .. بشكل فظيع .»

وفى عام ١٩٦٢ سمع الساقي نبا انتحار الروائي .. فاحس كما يقول بانه فقد أهم شخص أثرى حياته ، وأثر فيه . « كان من عادته أن يقول لي (عليك أن تقاتل .. وألا تستسلم .. أبداً) ومازلت كلما واجهتني مشكلة أفكر به واذكره » .

لقد طلب الي بعضهم أن أكتب ذكرياتي .. ولكننى ، إن فعلت ، لن ياتمني احـد علـى اسراره» .

اتجـاه جـديـد في التصويـر الفوتوغـرافي

فى معرض التصوير الفوتوغرافي الذى أقيم فى مركز جورج بومبيدو بباريس فى منتصف الشهر الماضي ، سجل النقاد بروز ميل حاد لدى المصورين نحو اضاءة ذواتهم ومحاولة تحقيق هوية حقيقية او مستعارة فى العالم ؛ وابتداع أساليب جديدة فى تصوير الذات يغلب عليها طابع البحث عن مواقف يصب فيها المصور نفسه ، ويفرغ مشاعره ، ويحدد من ثمة نظرته الى العالم بطريقة أكثر مباشرة .

وبعد أن كان المعهود فى عين المصور اهتمامها بالقضايا الاجتماعية ورصد حركة العالم الخارجي ، ، أصبح المصور فيما يبدو من صور المعرض ، يستخدم الكاميرا كوسيلة لمعرفة ذاته فى تشكيل يطرح هواجس النفس ويستشف ايماءات المستقبل .



لقطة من المعرض



محاولة لمعرفة من خلال لقطة فوتوغرافية .

• قصــــة •

بقلم: يوسـف الشــاروني

الجد والحفيد



كنت أقص على حفيدي قصة الفيل الذى لم يسمع كلام أمه
ـ هل تعرف الفيل ؟
ـ نعم رأيته فى حديقــة الحيــوان .
ـ كيف شكلــه ؟
ـ له خرطوم طويـل يأخذ به القـروش من الأولاد ويعطيها للرجـل .
ـ تقصـد الحــارس ؟
ـ نعـم ، وأذنــاه كبيرتــان ، وجسمــه كبير أسـود .
ـ عندما كان صغيرا مثلك ، كان أنفه مثل أنفـك وأذنــاه مثل أذنيك . وقد نبهت عليه أمه ألا يذهب الى البحـر ( ) وحده لأن هناك التمســاح .
ـ وما التمســاح ؟
ـ سمكة كبيرة جداً لها أسنان كالمنشــار .
ـ جارنا عم جاد النجار رأيته يقطع الخشب بالمنشــار .
ـ مضبــوط .
ـ أنت لم تحـك لـي حكايــة الفيــل .
ـ لأنــك تقاطعــني .
ـ ماذا حدث بعد أن قالـت أم الفيـل لابنهـا أن التمساح فى البحــر ؟
ـ قالت أم الفيل أن التمساح يعيش مختبئاً تحت الماء فى انتظار الأفيال الصغيرة ، لكن الفيل قال إن أمه تضحك عليه وأنه لا يوجـد شيء اسمــه تماسيـح . كل ما هنالـك أنها تخــاف عليــه من الغــرق ، ولهــذا فهي تخيفــه بكلامها عن التمساح . وفى يوم من الأيام كانت أمه مشغولة فى المطبخ تعد له طعام الغداء ، فتسلـل على أطراف أقدامه نحو باب البيت ، وبحــذر شديد ، وبغير أن تحس الأم ، فتحــه دون أن يحدث صوتاً . وما أن رأى نفسه فــي الشارع حتى سار يقفز فرحاً مسرعاً نحو البحر . وهناك تذكر كلام أمه ، فوقف قليلا ليرى إن كان كلامها صحيحاً .

لكنه وجد سطح الماء هادئاً ، ولا توجد إلا مراكب بعيدة تشق البحر . فقال في نفسه مرة أخرى أن أمه لابد وأنها تضحك عليه . وتقدم نحو الماء يريد أن يستمتع بشرب الماء منه ، ويجرب ـ إن أمكن ـ أن يعوم فيه بعد ذلك . ولكن التمساح الماكر كان مختبئاً تحت المياه يراقب الفيل . وما أن مد الفيل رأسه ليشرب حتى هجم عليــه التمساح ، وكانت أنفــه أقــرب جــزء لأسنانــه ، فقبض عليهــا التمساح وظل يشدها محاولا أن يسحب الفيل كله الى الماء ليأكله . ولكن الفيل كان قوياً فقاوم التمساح ، وظل يتراجع الى الوراء بينما الفيل يشد أنفه . وأخــذت أنف الفيل تستطيل وتسطيل وكل منهما يشدها نحوه ، حتى استطاع الفيل في النهاية أن يفلت بمعجزة من التمساح ولكن بعد أن استطالت أنفه وأصبحت خرطوماً طويلا مدلى أمامه .

وعاد الفيل الصغير الى أمه خجلا خائفاً . ودخل البيت محاولا أن يخفى جريمته ولكن خرطومه كان يفضحه . فما أن رأته أمه حتى صاحت فيه : لماذا لم تسمع كلامي ، هــذا جزاؤك . ثم شدته من أذنيــه لتعاقبــه وظلت تشدهمــا وتشدهمــا وهو يبكي حتى كبرتــا .

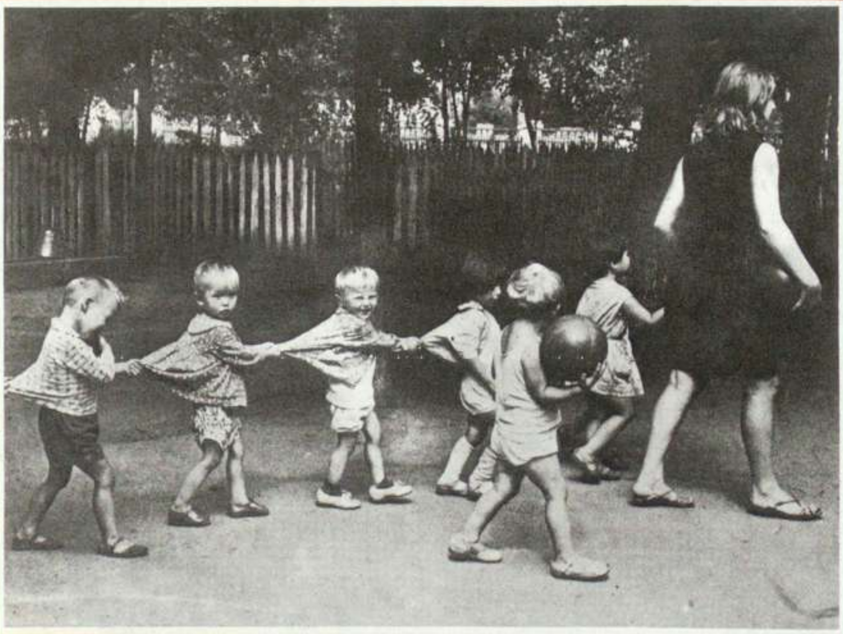
وهكذا كلما رأيت الفيل بخرطومه الطويل وأذنيــه الكبيرتين تذكر أن هذا جزاء من لا يسمـع كلام أمــه .

لكن حفيدي ـ ابن الخامسة ـ بدا عليه القلق ، وقــال في صوت يملــؤه الشــك .

ـ لكـن ياجدى أنــا أذهب مع بابــا وماما الــى بحــر اسكندرية كل صيف ونعوم فيــه ولا نجـد أية تماسيــح

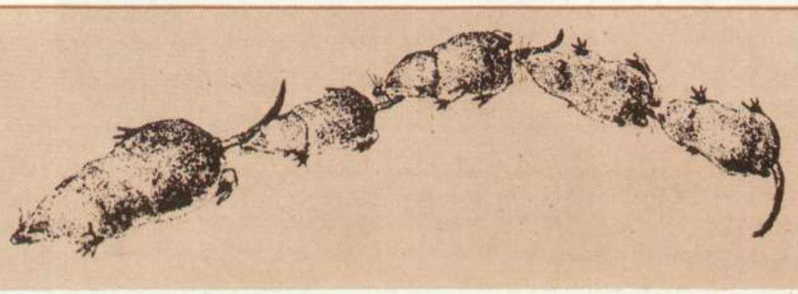
يوسف الشاروني

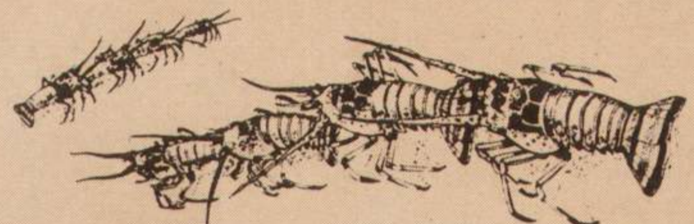
لقطات من الكون المثير



الأمان فى التماسك والترابط

يعتقد معظم العلماء الذين يدرسون سلوك الحيوان أن لبعض تصرفاتنا وحركاتنا وسلوكنا جذوراً قديمة مشتقة من عالم الحيوان ، فبعض أنواع الكائنات البحرية إذا سبحت وتحركت ، فانها تتحرك فى طوابير تشبه طوابير البشر ، وإذا انطلقت انثى حيوان الزباب (حيوان قريب الشبه بالفار) باطفالها الصغار ، امسك اولهم بذيل أمه ، ثم يمسك كل واحد بذيل اخيه ، حتى لا يضل الطريق ، وهذا السلوك الحيواني له ما يشبههفى السلوك الانساني ، إذ أن الصورة المنشورة هنا تعبر عن ذلك اطرف تعبير فلكي تضمن المربية الا يضل احد الصغار طريقه فقد أمرتهم أن يمسك كل منهم «بذيل» قميص صاحبه ، وسار «الكابتن» الصغير حاملا الكرة ، وعينه على الفريق .. لاحظ التعبيرات التى تبدو على وجوه الصغار ، تجدها مزيجاً من الجدية والكسوف والمزاح ، ذلك أن الانسان هو المخلوق الوحيد ذو الوجه المعبر ، لكن ما اجمل التعبيرات التى ترتسم على وجوه الأطفال !







رغم اللحية والشارب

من أول نظرة قد تظن أن الصورة لرجل ، لكنها ليست كذلك ، فرغم اللحية الكثيفة ، والشارب الواضح ، والصلعة التى بدأت تزحف على الجبهة ، والشعر النابت على الصدر ، رغم كل هذا ، فان الصورة لآنسة مكتملة الأنوثة ، وتدعى مس فرانسيس مورفي من مدينة نيويورك ، وترجع هذه الحالة الشاذة الى اضطراب في موازين هرمونات الجنس الذكرية ، نتيجة لنشاط زائد فى بعض الجينات أو المورثات المسئولة عن انتاج هذه الهرمونات ، وتعتبر مثل هذه الحالات شاذة ونادرة للغاية ، ولكن أغربها كانت لحية حملتها سيدة تدعى جانيس ديفيري من ولاية كنتوكي بالولايات المتحدة ، وقد توفيت فى نهاية القرن الماضي عن لحية بلغ طولها أكثر من ثلث المتر ، أو بالتحديد ٣٦ سنتيمتراً ، وما أغرب مفارقات الحياة ، خاصة عندما تنقلب فيها بعض المعايير .



وللناس فيما يعشقون مذاهب !

تامل فى الصورة جيداً ، علك تكتشف أن هذا الرجل يحمل فوق كتفيه وعلى ذراعه لحيته التى رعاها وحافظ عليها حتى استطالت ، وأرتكز طرفها على الارض عند قدميه .. هذا ويبلغ طول اللحية خمسة امتار وثلث المتر ، وقد يظن البعض أن هذا الرقم مبالغ فيه الى ابعد الحدود ، ولكن الحقيقة ان اللحية محفوظة فى معهد سميثونيان فى واشنجطن ، لتكون دليلا على ان اللحية بحق اطول من صاحبها بحوالي ثلاث مرات ، هذا ومما يذكر أن صاحب اللحية نرويجي الأصل ، ويدعى هانز لانجست ، ثم امضى فى الولايات المتحدة ١٥ عاماً، ومات بولاية أيوا عام ١٩٢٧ عن ٨١ عاماً ، تاركاً وراءه أطول لحية حملها بشر حتى الآن !



« أمسك الخشب »

تشير الاحصائيات الى أن عدد المواليد من الذكور يتساوى عموماً وبالتقريب مع عدد المواليد من الاناث ، لأن احتمالات عمليات الاخصاب لانتاج الجنسين تقع فى حدود ٥٠٪ للبنات والأولاد ، ومع ذلك فهناك حالات جد قليلة تشير الى ذرية من بنين صرف ، أو بنات صرف ، خاصة إذا كان عدد المواليد فى العائلة الواحدة لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة ، أو فى حالات نادرة لا يتجاوز عدد أصابع اليدين ، لكن وجه الغرابة فى الصورة المنشورة أن السيد م . هاريسون وزوجته (الواقفان الى أقصى اليمين) قد أنجبا دستة كاملة من ذكور تعرض نفسها فى طابور ، هذا بالاضافة الى المولود الثالث عشر المحمول بين ذراعيها ، وهو أيضاً ذكر ، ويرزق الله من يشاء بالبنين !

ع . ص



رفاعة رافع الطهطاوي

أستاذ التنوير في الفكر العربي الحديث

بقلم الدكتور: محمد عمارة

هو رفاعة بن بدوى بن على بن محمد ابن على بن رافع .. يتصل نسبه لأبيه ، بالحسين بن على بن أبى طالب ، رضي الله عنهما .. ولأمه بـ «الخزرج» ـ من الانصار ـ ..

وكان مولده بمدينة «طهطا» بمحافظة « سوهاج » ، بصعيد مصر فى ١٥ أكتوبر ١٨٠١م (٧ جمادى الثانية ١٢١٦هـ) فى ذات اليوم الذى جلت فيه حملة بونابرت عن الديار المصرية ! ..

وبسبب الاصلاحات الاقتصادية التى انجزتها حكومة محمد على باشا (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩) فقدت اسرة الطهطاوي امتيازات «الالتزام» ـ شكل الاستغلال الاقطاعي الزراعي الذى ساد حتى ذلك التاريخ ـ الأمر الذى اضطر والده الى النزوح عن طهطا ١٨١٣م ، عندما كان رفاعة فى الثانية عشرة من عمره ، فاقام بعدة قرى، بالصعيد طالباً العيش لأسرته ، ومهيئاً لولده السبيل لحفظ القرآن الكريم ..

وعندما انتقل الوالد الى جوار ربه عاد رفاعة الى «طهطا» ليواصل نشاته فى كفالة بيت من بيوت العلم هو بيت أخواله ـ آل الانصاري ـ .. حيث تعلم على يد علماء هذا البيت « المتون » التى كانت متداولة فى ذلك العصر ، فى الفقه والنحو وفنون المعقول والمنقول ! ..

وفى السادسة عشرة من عمره (١٨١٧م ، ١٢٣٢هـ) ركب النيل الى القاهرة فى رحلة شاقة ، استغرقت أسبوعين ، ليلتحق بالأزهر الشريف ، وفيه ظهرت أمارات نجابته ، تلك النجابة التى أعانته على اتمام التحصيل السريع فتخرج من الأزهر بعد ستِ سنوات ـ ١٨٢١ ـ وانتقل من موقع الطالب الى مكان المدرس فى نفس المعهد العتيد ! .. لقد تتلمذ الطهطاوي ، بالأزهر ، على شيوخ أجلاء كثيرين : الشيخ الفضالي ، الشيخ حسن القويسني ، والشيخ البخاري ، والشيخ البنا ، والشيخ الدمنهوري ، والشيخ محمد حبيش ، والشيخ البيجورى ، والشيخ احمد الدمهوجي الخ .. الخ .. ثم أصبح واحداً من هؤلاء الشيوخ .. لكن ابرز شيوخه وأكثرهم تأثيراً على فكره وعقله كان هو الشيخ حسن العطار (١١٨٠ ـ ١٢٥١هـ ١٧٦٦ ـ ١٨٣٥م) ذلك الذى أوصله العلم الى كرسي مشيخة الأزهر ، وأوصلته استنارته الى إدراك مافي الحضارة الأوربية القادمة مع علماء الحملة الفرنسية من أسباب للقوة العلمية تتطلب من الأمة أن تنهض وتترقى ، سالكة سبيل التغيير واليقظة والتجديد .. وكما كان للشيخ العطار عند الطهطاوي ـ التلميذ ـ مكانة خاصة ، كان للتلميذ ـ الطهطاوي ـ مكان متميز عند الشيخ العطار ! .. بل لقد استمرت هذه التلمذة الفكرية حتى بعد أن أصبح الطهطاوي واحداً من الشيوخ فى الأزهر الشريف ، إذ كانا يشتركان فى

مطالعة الكتب « الغربية » التى لا تتداولها أيدي الشيوخ ! ..

وبعد عامين من التدريس فى الأزهر (١٨٢٢ ـ ١٨٢٤م) دخل الطهطاوي سـلك الوظائـف « الميريـة » واعظاً واماماً فى الجيش .. فلما كانت ١٨٢٦م طلب محمد على من شيخ الأزهر حسن العطار ترشيح شيخ يتولى الامامة الدينية لأكبر بعثات مصر العلمية المسافرة الى باريس ، فرشح العطار تلميذه رفاعة ، وأوصاه أن يكتب مشاهداته فى باريس ، ليقدم لأبناء أمته كتاباً فى أدب الرحلات كما فعل من قبل ابن بطوطة وابن جبير ! ..

ومنذ اقلاع الباخرة بطلاب البعثة ، ومعهم رفاعة ، من الأسكندرية فى ٦ رمضان ١٢٤١هـ ـ ٢٤ ابريل ١٨٢٦م ـ شرع الشيخ فى تعلم اللغة الفرنسية ، فانبأ بذلك عن طموحه لما هو أكثر من إمامة البعثة فى الصلاة وتعليمها أمور الدين ! وفى باريس واصل دراسة الفرنسية ، فاقتطع من مخصصاته ، التى لم تتعد ٢٥٠ قرشاً ، أثمان الكتب والـدروس ، مـركزاً علـى إجـادة القراءة والفهم ، كي يترجم الى العربية التى كان يجيدها ، علوم الحضارة الأوربية التى تألقت فى الفكر الفرنسي فى ذلك التاريخ .. وعندما لفتت مبادرته هذه أنظار المشرفين على البعثة ، فكتبوا عنها الى الحكومة المصرية ، قـررت اضافته الى أعضاء البعثة ، كدارس ، فضلا عن إمامته لها فى أمور الدين ! ..

وبعد عشرين شهراً ـ فى ٢٨ فبراير ـ أول مارس ١٨٢٨م ـ اجتاز الطهطاوي ، بنجاح أول أمتحان ، وتقرر أن يتخصص فى الترجمة من الفرنسية الى العربية ، بل وأنجز ترجمة كتاب (مبادىء العلوم المعدنية) وتقويمـا لمصر وسورية ، وأرسلهما للحكومة المصريـة ليطبعا فى مطبعة بولاق ! .. ومنذ ذلك التاريخ قرر رفاعة أن ينهض فى حياة أمته بذات الدور الذى لعبه المترجمون فى العصر العباسى ، فهو يريد تجديد فكرة الأمة وحياتها باتاحة الفكر الحضاري الفرنسي لعقول أبنائها، كما فتح المترجمون الأوائل نوافذ للعقل العربي الاسلامي على مختلف الحضارات .. لقد تتلمذ فى باريس على علماء أجلاء، منهم «جومار» و «سلفستر دى ساسي» و «كوسان دى برسفال» .. الخ .. الخ .. وقرأ لأعلام بارزين ، من مثل « منتسكيو » و «جان جاك روسو» .. الخ .. الخ .. وترجم ، قبل أن يعود الى مصر سنة ١٨٣١م ، ١٢٤٧هـ ، أكثر من اثني عشر نصاً فرنسياً ، ما بين رسالة ومقالة وكتاب ، كما ألف كتابه الفذ (تخليص الابريز فى تلخيص باريز) فى صورة بحث اجتاز به الامتحان النهائي الذى عقد فى ١٩ أكتوبر ١٩٣٠م ، وهو الكتاب الذى أراد به ـ كما قال أحد اساتذته ـ « أن يوقظ أهل الاسلام ، ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ، ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الأفرنجي ، والترقى فى صنائع المعاش .. » ! .. أما هو فقد سأل الله فى مقدمته « أن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الاسلام ، من عرب وعجم ، إنه سميع مجيب ، وقاصده لا يخيب ! » ..

وبعد عودة الطهطاوي الى مصـر ، قدم الى استاذه الشيخ حسن العطار كتابه هذا ، فقرظه ، وقدمه الى محمد على باشا ، الذى أعجب به ، وأمر بقراءة نسخته المخطوطة فى «قصوره وسراياته » ، وبعد طبعه وترجمته الى التركية وزعت نسخة على الدواوين والوجوه والأعيان ، وترتبت مطالعته فى المدارس المصرية ، فكان بداية الريادة لذلك الجهد الفكري العملاق الذى أيقظ به الطهطاوي الأمة ، ونقلها به من العصور المظلمة الى أعتاب عصرها الحديث ! ..

ومن خلال المناصب العديدة التى تولاها الطهطاوى ، وبواسطة الأعمال الفكرية الكثيرة التى ترجمها أو أشرف على ترجمتها ، وكذلك المؤسسات التعليمية والمنابر الثقافية التى أنشأها أو أشرف عليها أو أسهم فيها ، من خلال كل هذه السبل والأدوات رسخت قدم الطهطاوي فى النهضة الفكرية والتعليمية والتحديثية ، كرائد لأمته فى العديد من الميادين ..

● فبعد أن عمل مترجماً فى مدرسة الطب واجهته مشكلة المصطلحات ، فنقب فى تراثنا العلمي عنها حتى بعثها وعند افتقادها كان يلجأ للعامية ، ثم كان يستعير المصطلحات الفرنسية إذا لم تسعفه العربية الفصحى ولا العامية .. ثم كانت «مدرسة الألسن» التى قامت بناء على اقتراحه ، سنة ١٨٣٥م ١٢٥١هـ ، والتى اقامها «جامعة» على غرار « مدرسة اللغات الشرقية » بباريس «لينتفع بها أبناء الوطن ، ويستغنى بها عن الدخيل ، ولتقليل التغرب فى بلاد أوربا .. » .. كانت هذه المدرسة مع «قلم الترجمة» الذى أنشأه سنة ١٨٤١م النافذتان اللتان أطل منهما العقل العربي على الحضارة الأوربية بعد علة استمرت عدة قرون ! ..

● وفى ميدان البعث الوطني والقومي كان الطهطاوي رائداً بما أبدع

منتسكيو



جان جاك روسو





رفاعة رافع الطهطاوي

أستاذ التنوير في الفكر العربي الحديث

من أناشيد وطنية ، وبما نظم من قصائد سجلت انتصارات الجيش الوطنى ضد الأتراك والأوربيين .. وبأول متحف للآثار الوطنية ، اقترحه وأقامه ، ليلفت نظر الأمة الى عمقها الحضاري ، وليجعل لآثارها دوراً فى شحن أجيالها الحاضرة بالكبرياء المشروع ، كي تنهض للبناء ، وتواجه التحديات ! ..

● وفى الصحافة ، تحول بـ (الوقائع المصرية) - رائدة الصحافة العربية ، من نشرة تركية ركيكة تترجم للعربية ، الى صحيفة عربية تترجم الى التركية ، عندما أشرف عليها سنة ١٨٤٢م ١٢٥٧هـ .. كما أشرف على مجلة (روضة المدارس) التى صدرت سنة ١٨٧٠ م ١٢٨٧هـ فجعل أسرة تحريرها أشبه ما تكون بالمجمع العلمي الذى ضم أبرز العلماء فى مختلف التخصصات .. هذا الى (المجلة العسكرية) التى أصدرها ، بالعربيـــة والفرنسيـــة ، كدوريــــة متخصصة للعسكريين ! ..

● وفى ميدان « صنع الرجال » رعى الطهطاوى تكوين أجيال ثلاثة ، تعلموا منه ، ثم عملوا معه ، وقدموا للحركة الفكرية ، بواسطة مطبعة بولاق كنوزاً فكرية بلغ عدد كتبها أكثر من ألفي كتاب خلال أربعين عاماً فقط .. على حين لم تقدم مطابع الامبراطورية العثمانية ، خلال قرن من الزمان - ١٧٢٨ - ١٨٣٠م - سوى أربعين كتاباً ، أغلبها شعوذة وخرافات ! ..

● وفى التاليف انعطف الطهطاوي الى ميادين كانت غريبة على المثقف والمفكر التقليدي يومئذ ، فكتب عن التمدن فى الميادين العملية ، زراعية وصناعية .. الخ .. الخ .. وفى التاريخ انتقل من «نمط الحوليات» الى التاريخ لحضارة الأمة فى ترابطها بغيرها من الأمم والحضارات ، وكذلك فعل عندما كتب مؤرخاً للاسلام ودولته ورسوله عليه الصلاة والسلام ! ..

فاذا علمنا أن الطهطاوي قد ترجم فى التاريخ والجغرافيا ، وفى الطب ، والعلوم ، والقانون ، والهندسة ، وايضاً فى الأدب والشعر ... كما ألف فى فنون شتى ، واتسمت مؤلفاته بالطابع الموسوعي ، وتحلت بما تميز به عصره من الترويح عن القارىء بالمِلَح والتنويع والاستطرادات ... وإذا علمنا أن مؤلفاته ومترجماته قد تعدت الستة والعشرين ، وأن بعضها قد اشتمل على عدة مجلدات ، أدركنا حجم التاثير الريادى الذى أحدثه الرجل فى هذا الميدان .

ويزيد من قيمة الطهطاوي ويؤكد عظمته التنبيه الى أن الطريق الذى سلكه الى النهضة والتجديد لم يكن ممهداً ، بل لقد حفل بالعديد من العقبات وتعاقبت على الرجل محـــن ومصاعــب كانت كفيلة ببعث اليأس فى نفسه من الاصلاح ! ..

لقد عاصر الطهطاوي خمسة من حكام مصر الحديثة محمد على باشا (١٧٦٩ - ١٨٤٩م) وابراهيم باشا (١٧٨٩ - ١٨٤٨م) وعباس باشا الأول (١٨١٣ - ١٨٥٤م) وسعيد باشا (١٨٢٢ - ١٨٦٣م) واسماعيل (١٨٣٠ - ١٨٩٥م) .. ورغم ملاحظاته الانتقادية لبعض التطبيقات فى تجربة محمد علي الاصلاحية إلا أن عهد محمد على ، بما شهد من تحولات عظمى انتقلت بمصر من العصور المظلمة الى العصر الحديث قد اتاح كل الفرص كي يحقق الطهطاوى الكثير مما فى عقله وقلبه من طموح .. ولم يختلف الأمر فى الشهور التى تولى الحكم فيها ابراهيم باشا .. لكن الأمر قد اختلف بعد تولى عباس باشا الأول خديوية مصر فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨م (٢٧ ذى الحجة ١٢٦٤هـ) لقد كان عباس حفيداً لمحمد على ، وليس ابناً له مثل سعيد .. لكنه كان أكبر سناً من سعيد ، فسبقه الى منصب الخديوية ، الأمر الذى كان موضع معارضة من كثير من رجالات الدولة الذين عملوا مع محمـد علي .. وكان عباس نفورا من الانفتاح على الحضارة الأوربية ، ومن ثم مجافياً لنهج الرجال الذين تربوا وعملوا فى إطار هذا الانفتاح .. ثم أنه قد تولى السلطة فى مرحلة الانكماش ، إن لم تكن التصفية ، لكثير من جوانب تجربة محمـد علـي الاصلاحية ، ومن ثم فلقد كان تولية السلطة إيذاناً بموقف عدائي من كثير من الكوادر الذين مثلوا أركان الاستنارة والاصلاح فيما تقدم حكمه من عقود .. وهكذا بدأت متاعب الطهطاوي مع النظام الجديد ! .. لقد أغلق عباس مدرسة الألسن ، وعطل الصحف ، وخفض حجم المدارس والبعثات العلمية .. فما كان من الطهطاوي إلا أن أعاد طبع كتابه (تخليص الأبريز فى تلخيص باريز) ؟! .. كموقف ضد هذا التحول الرجعي الذى يقوده عباس وعندما غضب عباس على الطهطاوى أنزله من مكانه البارز فى جهاز الدولة ، وجرده من مناصبه ، ونفاه الى السودان فى صورة ناظر مدرسة ابتدائية ومعه كوكبة من أبرز علماء مصر ، نفوا هم الآخرين ، فى صورة مدرسين فى هذه المدرسة الابتدائية ؟! فقضى رفاعة فى منفاه أربع سنوات (١٨٥٠ - ١٨٥٤م) غالب فيها عوامل اليأس والخمول والاحباط .. لقد حاول الهرب من المنفى ، فلما عز عليه ذلك تغلب على سلبيات واقعه بما قدم لأبناء السودان من خدمات تعليمية ، وبما عكف عليه من



أحمد شوقي



محمد علي باشا



سعيد باشا

المطالعة ، وبالعمل الفذ ، والموحي ، الذى ترجمه وهو (مغامرات تلماك) تلك الرواية الرمزية، التى ألفها القس الفرنسي «فنلون» بقصد تقويم الحاكم والنصح للأمير ! ... وفى المنفى تفجرت شاعرية الطهطاوى ، فتوجه بالقصيدة الى أولى الأمر حينا ، والى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حيناً آخر ، ولكنه عدل عن إرسال ما نظم الى الحكام ، بل لقد جاءت قصيدته التى توجه بها اليهم من نفس البحر وعلى نفس القافية التى نظمت عليه وعليها القصيدة الشهيرة التى مطلعها:

لقد أسمعت إذ ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادى ؟! ..

وعندما توفى الخديو عباس ، مقتولا وخلفه سعيد باشا فى ١٤ يوليو سنة ١٨٥٤ م أعاد الرجال الذين نفاهم عباس ، فرجع رفاعة الى القاهرة ، ليعاود نشاطه ، لكن دون كامل طاقاته .. لقد تولى عدداً من الوظائف ، فانتقل من وظيفة عضو ومترجم بمجلس المحافظة الى ناظر «المكاتب» الى ناظر ثان للمدرسة الحربية ، وناظر لمدرستى الهندسة الملكية والعمارة ، وتفتيش مصلحة الأبنية .. ومن أهم انجازاته فى تلك الفترة مشروعه لاحياء التراث العربى الاسلامى ...

لكن السلطة عادت فتنكرت له ، بل وفصلته من الخدمة فى ٧ مارس سنة ١٨٦١ م ؟! .. وظل الرجل عاطلا عن العمل لأكثر من عامين حتى رحل عهد الخديو سعيد ، وجاء عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٣ م فانفتحت الأبواب واسعة أمام الطهطاوى ، فى ظل حكم حاكم أراد مواصلة تجربة محمد على ، كى يواصل تحقيق مشروعاته الفكرية والتعليمية التى بدأها منذ سنوات .. لقد شغل وظيفة «قومسيون» ديوان المدارس — الذى كان بمثابة وزارة التربية والتعليم — .. ورأس مجلس المكاتب الأهلية .. وأنشأ قلم الترجمة ، وأصبح ناظراً له ، وأنجز ترجمة القانون المدنى والقانون التجارى .. ورأس تحرير مجلة (روضة المدارس) .. وتأكدت ريادته للحركة الفكرية بمؤلفاته التى ألفها فى تلك الفترة ، والتى مثلت نضجه الفكرى ، وفى مقدمتها كتابه (مناهج الألباب) الذى خصصه لمعالجة قضية «التمدن» ، وأودع فيه فكره الاجتماعى .. وكتابه (المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) الذى حوى فكره فى التربية ، والوطنية ، والمدنية .. ومشروعه الطموح لكتابة تاريخ الحضارات من خلال كتابته لتاريخ الحضارة المصرية ، فى علاقاتها بالحضارات التى احتكت بها وتفاعلت معها ، وهو المشروع الذى أنجز منه قسمين ، أولهما فى التاريخ القديم — (أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل) — ، وثانيهما فى سيرة الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وتاريخ الدولة الاسلامية الأولى — (نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز) — ...

لكن الأجل لم يمهل رفاعة الطهطاوى حتى يكمل مشروعه الطموح ، ويحقق كل أمانيه ، فاختاره ربه الى جواره يوم الثلاثاء غرة ربيع الثانى سنة ١٢٩٠ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٧٣ م ، عن اثنين وسبعين عاماً ، حقق فيها لمصر خاصة وللعروبة والاسلام عامة فتوحات مبينة فى ميادين الفكر والتربية والتعليم ، جعلت منه الرائد العملاق الذى لم يكذب أهله فى كل هذه الميادين ! ..

لقد أراد ايقاظ العرب والمسلمين من غفلة العصور المظلمة .. وحقق الكثير مما أراد .. حتى لقد أصبح الأب الشرعى لحركة اليقظة والاحياء التى أدخلت أمتنا الى عصرها الحديث .. وصدق أمير الشعراء عندما خاطب ابنه علي فهمى رفاعة ، قائلا :

ياإبن من أيقظت مصر معارفه
أبوك كان لأبناء البلاد أبا ؟! ..

د. محمد عمارة

• قصـــــة •

كلمات في المدن النائمة

بقلم: سعد مكاوي

فجاة تغير المكان والزمان . مات أبى بعد ولاية دامت فى مصر عشرين سنة ، فحزمت متاعى الغالى فى حمولة خمسين جملا ، عندما دعانى عمى الخليفة عبد الملك بن مروان الى الشام ، الى ترف أكثر ونعيم أكبر . بلغ دخلى السنوى من الأراضى ومن راتبى كأمير مروانى أربعين ألف دينار . حاول الشباب أن يحاكى طريقتى فى اختيار ملابسى وأناقة مظهرى ، وقلدوا مشيتى وأسموها المشية العمرية . ثم فى ليلة أنفق الخليفة على مباهجها ألوف الدنانير وجدت نفسى زوجاً لفاطمة الجميلة بنت عمى أمير المؤمنين . وهى محمولة على موجات النعيم والحب لم تكن تدرى فاطمة ماذا تكسب غداً . كانت طفلة النفس مدللة الوجود ، فلبست قميصاً من حرير العراق يكفى ثمنه لاعاشة ألف بيت فى ألف يوم ، وفى ليلة الزفاف استعرض كل منا أمام الآخر مجموعة عطوره النادرة قبل أن يحتوينا عناق صبية وصبى لا يزيد عمرهما معاً عن أربعين سنة .

تغير المكان والزمان . أين منى الآن أيام حلوان الزاهرة وليالى المدينة المنورة . فى حلوان التى أحياها أبى من العدم كان الفارس الصغير وجواده الأصيل كتلة واحدة منسجمة متدفقة عبر المساحات الخضراء التى تشكل وسط الرمال المترامية واحة فائقة الجمال . كنا فى فجر الصبا أنا وجوادى ، وعلينا نضرة النعيم . تتلفت الرياض عند مرورنا الخاطف لحسن منظرنا واكتمال أناقتنا ، وتنحنى بالتحية أغصان متوجة ببدائع الأزهار ، وإن يكن شذاها ينطوى فى الأريج العطر الذى يعبق به الصباح من عباءة الصبى الفارس . وعند العودة من رياضة الصباح المنعشة يستقبلنا عند باب حظائر الخيل سائس مصرى لطيف ، فامسح بيدى على عنق الجواد الجميل .

– إنه خير ما ركبت من الجياد .

ويقول السائس وهو يستلم العنان :

– هو أيضاً يا سيدى يكاد ينطق بزهوه بفارسه .

– أتحب الخيل مثلى يا بركات ؟

– إنى لسعيد بأن تكون هذه هى مهنتى ، رفيق الجياد .

– هى أجمل ما خلق الله .

– وسيدى أعظم الفرسان .

أرى الصبى يربط كفل الجواد ثم كتف السائس قبل أن يطوح بشعره الناعم الطويل وراء ظهره فى اختيال ، ثم يتبختر بمشيته الفريدة فى اتجاه القصر وأسمعه فى حمامه المترف يدندن بصوت حسن هانئاً بالماء الفاتر بعد الرياضة الى أن يدق عليه الباب من يخبره أن الوالد فى انتظاره ، ولا مفر من تصفيف شعرى على عجل حتى أنطلق نحو قاعة الحكم التى لا يكاد يغادرها أبى .

– هذا أنت يا عمر . كيف قضيت صباحك ؟ .

– مع جواد لا أخ له فى الدنيا يا أبى .

يتأمل الأب الماء المتدفق تحت نافذته .

– وماذا رأيت بعد من الدنيا حتى تصدر أحكاماً قاطعة ؟

– صدقت يا أبى ، هذا اندفاع الى الرأى قبل التروى ، لكنى أعدك أن أصلح هذا الخطأ .

– الاعتراف بالخطأ سمة الناضجين .

– إنى لا هدف لى غير النضج والرشد ، وأنا كما علمتنى دائم المناقشة لنفسى .

– هل صحيح أنك تصادق خدم حظائر الخيل والبساتين وتطيل الحديث معهم ؟

– نعم .

– وماذا يقولون ؟

– يقولون إن الناس يقولون .

– ماذا ؟

– يقولون إن عبد العزيز بن مروان الذى يحكم مصر والياً عليها لأخيه الخليفة عبد الملك إنسان ، وعاقل ، وعادل ، وقلما يجود بمثله بنو مروان .

أرى شفتى الأب ترتعشان ، وصوته يكاد يحتبس :

– يقولون هذا عنى ؟ ... إن المسئولية فادحة يا ولدى ... فادحة ... ما كان أغنانى عنها ... وددت لو أنى لم أكن شيئاً مذكوراً ... وددت أنى دفقة فى هذا الماء الجارى أو نبتة بأرض الحجاز !

– الى هذا الحد يا أبى تبهظك أمانة المسئولية ؟

– ماذا تفعل أنت يا ولدى لو أن أمانة كبيرة كهذه سيقت اليك يوماً ؟

يتفكر الصبى قبل أن يواتيه الرد :

– الحق يا أبى لم أسبر غورى كما أحب .. وفى سبيل امتلاك القدرة على الرد على مثل هذا السؤال الصعب سالتك أن أترك مصر فترة لاستكمال دراستى فى المدينة .

– لك هذا يا عمر ، تجهز للسفر الى منارة العلم وجامعة النبوغ وأرض الحكمة .

فى هذه الزيارة الأولى لها فتنت المدينة وفتنتنى بعد أن زالت عنى رهبتها الأولى . اقتحمتها بعطرى وتصفيفة شعرى وحللى المبتكرة ، واقتحمتنى بما تموج به من ألوان الاستمتاع والابداع . تكلم شبابها عن مشيتى «العمرية» كما تحدث أهل الأدب والفن فيها عن قدرتى على نقد الشعر

وتلحينه وغنائه ، جذبنى عم والدتى عبد الله بن عمر بن الخطاب الى مجالس الدارسين والباحثين والعلماء ، وقادنى مؤدبى صالح بن كيسان الى متاع الروح والعقل ، لكن فتوتى شدتنى الى عالم آخر متوهج بأهل الفنون من مغنين وعازفين وشعراء ، فالمبدعون يملأون الليالى .

هذه المدينة هى منبع سلالتى الأموية التى اغتصبت الخلافة ثم بهرتها الدنيا فاتخذت الترف صديقاً والقهر رفيقاً حتى تاهت عن النبعة الطاهرة فى بحور الضلالات .

وهنا كان جد والدتى عمر بن الخطاب ملء سمع الدنيا وبصرها ، يجتهد ويعدل ويحسم .

وهنا يا مشارق الأنوار كان النبي يمشي بالفضائل ويعلم الجهال ويتمم مكارم الأخلاق ويتكلم بالكمال .

• • •

دخلت علي فاطمة وفى يدها ورقة مطوية وفى وجهها قلق مطوى .

ـ يا عمر ! قد أقبلت عليك الدنيا فوليت أمر الحجاز وأنت دون الثلاثين من عمرك وحكمت المدينة ومكة والطائف أعواماً ، وما دخلت عليك مرة إلا وجدت فى صحبتك الهموم وقرأت فى عينيك هذا الحزن الذى لا أفهمه .

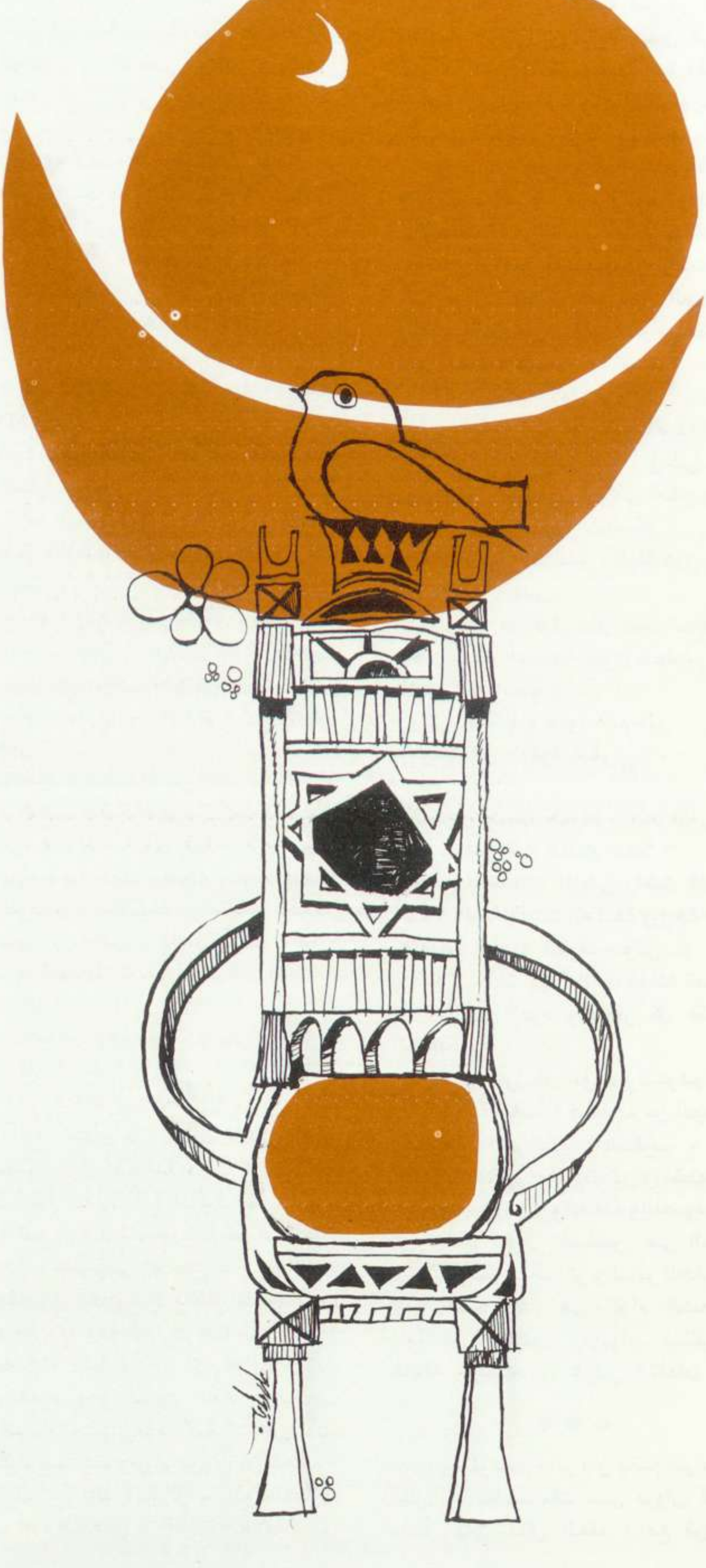
تأملت الورقة المطوية فى يدها وتبينت عليها ختم أخيها الخليفة الوليد ابن عبد الملك ، ثم نظرت بابتسامة فى وجهها اللطيف وأنا أبحث لها عن كلمات سهلة يبلغها معناها .

ـ يا فاطمة ! .. إنما يثقل على نفسى ما أجده حولى حيثما نشر أهلنا راياتهم من قهر وفساد وعسف ، وأنا أرى أن الدنيا يمكن أن تكون أفضل من هذا .

ـ كان أبى الخليفة يقول إن دنيا الناس لا تصلح بغير شىء من الشدة .

ـ كان أبوك الخليفة مسلماً قبل أن يكون حاكماً ، فلماذا لم يرد على خاطره أن الدنيا منذ عشرات قليلة من السنين صلحت وأشرقت وطابت بالصدق والاستقامة والأمن والعدل ؟

ـ معذرة يا أمير المؤمنين ، فانى لا أنسى حينما أخاطبك أنك رجل يقول عنه أهل العلم إن العلماء عنده تلامذة ، لكنى أرى أنك تشغل ليلك ونهارك بأدق



كلمات في المدن النائمة

تفصيلات الأمور ، ولم يعد لديك وقت لما تحب من الاستمتاع بما آتاك الله من فضل لعل فى طليعته أهلك ، أولادك وزوجتك ! ... الم يكن من الافضل أن تكتفى بالنظر فى الكليات وتترك لأعوانك الجزئيات وتنهل كما كان العهد بك من نعيم الدنيا ؟ .. هل أنت قبل كل شىء إلا رجل من الرجال وعنده امرأة من النساء !

ـ وهل هذا ممكن يا زوجتى الغالية ؟

ـ ما سمعت قبلك عن أمير من بنى مروان يعذبه هذا العذاب المقيم شوقه الى الكمال !

ـ أتريدين لي يا فاطمة أن أبيع ادراكى لمعنى الأمانة وفهمى لجوهر دينى بالمنهج الشرس الذى اختطته أسرتنا لحكمها ؟

ـ إن أهلنا المروانيين بدأوا يضيقون بما تقول فيهم فوق ضيقهم بفتورك فى تحصيل الأموال .

ـ إن الله بعث محمداً هادياً ، ولم يبعثه جابياً !

ـ يصفونك بالسذاجة التى لا تؤهلك للامارة كلما وصفتهم بالظلم والجبروت ... ما مصلحتنا فى هذا الصدام مع قومنا والدنيا مقبلة والزمان طائع ؟ ... انظر الى الحجاج بن يوسف الثقفى كيف اكتسب ودهم وأمن شرهم !

ـ آه ! ... هذا السفاح ! ... لو جاءت كل أمة بخطاياها يوم القيامة وجئنا نحن به وحده لرجحناها جميعاً ! ... بأى أسلوب يا فاطمة وطد لهم هذا المتجبر أركان ملكهم وافسح فى رقعته ؟ ... وأى ملك هذا الذى تنهض دعائمه على استلاب حقوق الناس بالبغى والجريمة ؟

سكتت لحظة قبل أن تهمس :

ـ لقد وشى بك هو وغيره عند أخى الوليد .

ـ كنت أعلم يا ابنة العم أنهم لن يطول احتمالهم لواحد منهم تنكشف كل عوراتهم بمجرد وجوده بينهم ... ما هذه الورقة فى يدك ؟

ـ ورقة من دار الخلافة فى الشام .

ـ أمر من أخيك الخليفة ؟

ـ نعم .

ـ أمر بعزلى من ولاية الحجاز ؟

ـ نعم .

ـ ليس هذا بالشىء الذى يستحق أن يمشى فى جمال محياك بهذه الغشاوة من الوجوم ... اجمعى حوائجك وتأهبى للسفر الى الشام .. ويل لهؤلاء الحمقى من الدنيا ومنى ... ما الذى يبقى من جوهر عقيدتنا إذا وضعنا الفساد فى مكان الاصلاح ، والظلم فى مكان العدل ، والأكذوبة فى مكان الحقيقة ؟

● ● ●

أنا أمير معزول فى الرواق المروانى تقول له زوجته المحزونة :

ـ امسك هنا لسانك .

أمسك لسانى ؟ وبأى وجه ألقى بعد هذا ضميرى ؟

أيها الناس ها أنذا عمر بن عبد العزيز أنادى عليكم .

إنه ليكفيكم لكى تواجهوا المصيبة على حقيقتها أن تتأملوا طراز الولاة الحاكمين فى أنحاء دولتنا .. الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وقرة بن شريك بمصر ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ويزيد بن أبى مسلم بالمغرب .. امتلأت الأرض والله جوراً !

ـ اسكت ، اسكت يا عمر وكفى ما أصابنا!

جاءت لحظة على ابن العم سليمان ابن عبد الملك الذى خلف أخاه الوليد واجه فيها الموت وحوله إخوته العتاه المتربصون بالأريكة وأولاده الصغار الذين لا يصلحون للاستخلاف .. ثم لا أدرى كيف قفز اسمى فجأة على لسانه !

أنا ؟

لا يا ابن العم ، واليكم عنى جميعاً ... أنا خليفة ؟

فى هذا الزمن الضال ؟ .

أنا أحمل كل هذه الأوزار فوق مسئولية كل هذه الملايين ؟ ... ألا يكفى كل هذا السرف ، والتزييف للحقائق وللقيم ، وهذا الضمور الشامل فى الروح وفى العقل وفى الضمير ، حتى أحمل فوقه وزر معاوية إذ يأخذ البيعة قسراً لولده يزيد وهو العارف بقماءته الروحية وغلظته الشاذة ؟ ... ألا يكفى وزر يزيد الغشوم وهو يسوم الناس العذاب والبطش حتى يعود الاسلام على يديه كالغريب ؟ ... وأوزار مروان بن الحكم ، وابنه عبد الملك ، ثم الوليد ، ثم سليمان ، ثم هذه القطعان من الولاة الغلاظ الذين اختاروهم على شاكلتهم ؟ ... لا ... لا ... أنا لست من هذه الدنيا التى يأكل بعضها بعضاً .. اعلموا أنى من طينة معاوية الثانى بن يزيد الذى فر من الخلافة حين جاءته بوصية أبيه ، فجمع الناس وقال لهم : «ما أنا بالمتقلد أمركم ولا المحتمل تبعاتكم ، فاختاروا لأنفسكم» !

مواكب من أطراف البلاد ، من الشام والحجاز والعراق ومصر واليمن والمغرب حشود كثيفة من الناس تنتظر كلمة أمير المؤمنين الجديد الذى يريدون أن يحملوه على قبول الأمانة وهو دون الخامسة والثلاثين من عمره ، ذلك الذى ترددت فى المدن أصداء كلماته .

واجهت الأمة لأول مرة :

ـ أيها الناس ! ... قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأى منى فيه ، وعلى غير مشورة من المسلمين ، وإنى أخلع بيعة من بايعنى فاختاروا لأنفسكم .

فى ذهول تهامس الطامعون فى الخلافة من أهلى :

ـ ما رأينا من قبل مثل هذه الغفلة ، يرفض بهذه البساطة أقوى صولجان فى الأرض فى زمانه !

لكن البسطاء هبوا صارخين .

وبالأمانة طوقوا عنقى .

قلت لهم :

ـ لكن ، ولست خيركم ، إنما أنا رجل منكم ، غير أنى أثقلكم حملا !

وفى الساعات الأولى راحت فاطمة بنت الخليفة وأخت الخليفة وزوجة أمير المؤمنين الجديد تطوف حولى ...

ـ تمهل .. أنت بهذا الذى تفعله تصفع كل مصادر القوة وتستفز كل مكامن العداوة !

رأتنى أعزل كل الولاة وأدعوهم الى دار الخلافة ليقدموا حسابهم عن الجياع والعرايا والمهزولين والمساليب ، عن مصارع المفكرين والمجتهدين والمتطهرين عن ارتقاء الأشرار والسفلة واللصوص ، عن إنفاق أموال المساكين على البذخ السفيه والترف الداعر والتآمر الحقير ، وعن حشو الدر فى أفواه الشعراء المداحين الواقفين بالأبواب ينتظرون العطايا ويسفحون عرض الكلمات .

● ● ●

أمير المؤمنين يأمر بأن يضم الى بيت المال كل مخصصات بنى مروان التى تشكل ثلث المال العام ، مع ثروتى

الشخصية وممتلكاتى ، فودعى يا فاطمة أبهى الثياب وأنفس العطور وأطيب الطعام وأعلى القصور !

الآن دقت ساعة معرفة المسافة الحقيقية بين الكلمة والفعل ، ووجب الاكتفاء بالخشن من الثياب والطعام والرياش والمركب ، وإنه ليكفى أن يفرش لمجلس أمير المؤمنين حصير يذكره فى كل لحظة بأن خادم الأمة لا راحة له قبل راحة الكل .

تأملت فاطمة هذه البلوى الجديدة ، وعلى أدبها الجم وحبها الكريم كشفت عن بعض الغضب .

ـ اذا كنت أنت تريد أن تنسى أيام المناعم والتألق والتعطر والطيبات كلها ، فما الذى يلزم أهل بيتك بكل هذا التقشف ؟

ـ مصدر الالتزام هو تجريد النفس للمسئولية .

ـ لكانك أمسيت فاصبحت رجلا غير الرجل !

ـ كيف يعرف طعم الراحة يا فاطمة مسئول يريد أن يكون كل الناس فى راحة ؟

ـ وهل ترى أن صحتك تحتمل كل هذا الجهد مع كل هذا الشظف ؟

ـ أنا فى عصمة خوفى من ضميرى ، أما أنت فكان الله فى عونك !

تناولت ورقتين من أمامى وتأملت السطور المكتوبة فيهما :

ـ من هى فرتونة السوداء هذه التى اهتممت بها كل هذا الاهتمام ؟

ـ هى امرأة من هذه الملايين التى لم نر وجوهها ولم تر وجوهنا ، ومع ذلك يسألنا الحق عنها ويحاسبنا على صدق خدمتنا لها .

ـ أرى كلاماً عن دجاج يسرق .. هل مثل هذه الأمور التافهة مما يصح أن يشغل بال أمير المؤمنين ؟

ـ وماذا يشغل أمير المؤمنين يا فاطمة غير شئون بسطاء الناس ؟ ... لقد كتبت الى فرتونة السوداء هذه من الجيزة فى مصر قائلة إن اللصوص يسرقون دجاجها وليس معها مال تصلح به حائط بيتها المتهدم ، فاستثار كتابها مكمن نفسى الداخلى حيث تقبع القيمة العليا ماثلة فى الضمير .

ـ فكتبت هذين الكتابين اليها والى واليك على مصر ؟

ـ نعم ، اقرئيهما .

قرأت : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أيوب بن شرحبيل . سلام الله عليكم . أما بعد ، فان فرتونة السوداء كتبت الى تشكو قصر حائطها ، وأن دجاجها يسرق منها ، وتسأل تحصينه لها ، فاذا جاءك كتابى هذا فاركب بنفسك وحصنه لها» .

ثم قرأت : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى فرتونة السوداء . سلام الله عليك . أما بعد ، فلقد بلغنى كتابك وما ذكرت فيه من قصر حائطك حيث يقتحم عليك ويسرق دجاجك . ولقد كتبت الى أيوب بن شرحبيل آمره أن يبنى لك الحائط حتى يحصنك مما تخافين إن شاء الله» .

ثم ألقت بالأوراق من يدها :

ـ أما بعد فان أمير المؤمنين يكاد يطير لي ما بقى من عقلي !

رقت لها نفسى :

ـ يا فاطمة ! .. رددى كل ليلة ذلك الدعاء الذى تسمعينه منى فى هدأة الفجر وأنا أنادى ربى : «اللهم انفعنى بعقلى» !

تنسحب معرضة ، وليست أول المعرضين ولا آخرهم فان كل من قلمت أظفاره ينفث دمدمات غضب ، لكن هناك أيضاً دعوات استبشار من المقهورين والضائعين الذين يتلقون من أميرهم كل حين كلمات تشرق بها أنفسهم ، فأنا أكتب الى الناس فى كل مكان : «إنى قد وليت عليكم رجالا لا أقول إنهم خياركم ، ولكنى أقول إنهم خير ممن هم شر منهم ... وأى عامل من عمالى رغب عن الحق فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره اليكم !» .

• • •

فى شوارع مدينة الخلافة وساحاتها وأسواقها ، وفى المدن المترامية والنجوع الضائعة والحقول النائية ، جموع تنتظر الخير وتستحقه ، وتتساءل عن المسافة بين الكلمات والأفعال .

وبين يدى امرأة أتأمل فى إشفاق شبابها النضر وهى تعاتبنى :

ـ لم يعد عندك وقت لنا نحن أهلك ! ... يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلت علينا !

تأملت كلمة «سرور» وعاد قلبى يرق لامرأتى ... واقفة أمام حصيرتى فى ثوبها البسيط الذى ألزمتها به ، هى التى حاولت مرة أن أحسب ما أنفق على ملبسها وزينتها منذ مولدها فاجتمع لي من الأرقام ما يصلح به حال مدينة !

ـ ألا يكفيك ثوبان فى السنة ؟

ـ وبهذه الخشونة ؟



كلمات في المدن النائمة

– يأتى عليك يوم يا فاطمة إن شاء الله تستطعمين فيه الخبز الجاف وأنت تفكرين فى الناس قبل أن تفكرى فى نفسك .

تأملتنى كما لو كانت تشك فى رجاحة عقلى :

– ماذا تريد آخر الأمر ؟

– الحق والعدل للكل .

– وهل من حق العدل للكل أن يأخذ فى وجهه حللى وحلل بناتى حتى يستقر بها هى الأخرى فى بيت المال ؟!

– اتفهمين إن شاء الله على مر الأيام .

– وراتبك كأمير للمؤمنين ؟ .. لماذا ترده هو الآخر الى بيت المال ؟ ... إن دخلك من قطعة الأرض الصغيرة التى اشتريتها بعرق الجبين لا يزيد عن مائتى دينار فى السنة ، أى ثلاثة أرباع الدينار فى اليوم يعيش عليها أمير المؤمنين وزوجته وأولاده وبناته ! ... وجواهرى المسكينة ما ذنبها هى الأخرى وهى هدية زفافى من أبى أمير المؤمنين ؟

– انك لتعلمين من أين أتاك أبوك بها ، وهو عبد الملك الذى لم يكن يصده شىء !

– الأمر لأمير المؤمنين عمر .

– بل الأمر لله من قبل ومن بعد .

• • •

رأسى فوق الوسادة المحشوة بالليف يكاد يتفجر من الألم ، وفى أحشائى وجع أكتمه ، وفاطمة وهى ترى اشتداد المرض بى تحوم حول مرقدى والهة حيرى .

– فعلها قومنا !

– هونى عليك يا فاطمة وجيئينى بالقلم فانى أريد أن أملي كلمات .

– لم يصبر بنو مروان إلا أقل من العامين ونصف العام على خلافتك الراشدة قبل أن يدسوا لك السم .

– الموت لا يخيف يا فاطمة ... إنه انتباه على المعرفة الكلية .

وضعت يدها على جبينى المحموم :

– ماذا تريد أن تكتب ؟

– أطمع فى أن يكون أمامى وقت أتم فيه ما حاولت أن أبدأ القول فيه مع أمتى .

– أراك قلت كل ما عندك ... طلبت من الحاكمين أن «يقاتلوا هواهم كما يقاتلون أعداءهم» ... وذكرت المحكومين بكتبك الى الولاة والقائمين على المال والقضاء وما قلت لهم فيها : «إذا أرسلت اليكم أمراً يخالف الحق فاضربوا به الأرض واستمسكوا بالحق وحده» .

– لك الله يا فاطمة ، كم أرهقك موقفى من الامارة وتجريد نفسى للمسئولية !

– الكلام يضنيك ، فاهدأ واسترح .

الآن أصغى ملء وجودى الى خرير الماء المتدفق تحت نافذتى وأنا أقول لزوجتى التى نسيت كل ما ألزمتها به من شظف وتقشف منذ خافت على حياتى :

– اتعرفين يا فاطمة ما الذى أرجو له أن لا يموت بموتى ؟ ... كلمة كتبتها فى يوم من الأيام لأحد ولاتى : «قد كثر شاكوك وقل شاكروك ، فاما اعتدلت وإما اعتزلت» ! .

سعد مكاوى

رسائل غير عادية

إلى تاجر شديد الطمع

بقلم : معروف رفيق

ليس كل تاجر طامعاً بمال ، فى كل الأحوال ...

فهناك تاجر يقنع بالمعقول .. وهناك آخر من أنصار اللامعقول ، حتى ولو كان بائع فلافل أو فول ..

ورغم أن الاستغلال .. وأكل الحرام دون الحلال .. ممنوع ومحظور بالنصوص السماوية والأرضية .. إلا أن البعض يغمض عينيه ويستعيض عن النظر الى السماء ، بالنظر الى الأرض ..

صاحب العيال .. أكثر الناس احساساً بعمليات النصب والاحتيال ..

ولكن الغريب العجيب .. أن التاجر الجشع .. يطمع فى جيب رب الأسرة ..

ويحاول دائماً سلبه وغدره .. ومطلوب من صاحب العيال .. أن يفتح على ألاعيبهم عينيه ، وعلى أفعالهم أذنيه .. وإلا ضاع بين أشداق الفك المفترس .. لأنه لم يحترس ..

بدأنا هذا المقال .. وقلنا ليس كل تاجر طماعاً فى كل الأحوال ... ولكن نماذج الطماعين كثيرة .. والأمثلة على غير ذلك وفيرة .. باع أحدهم كيلو واحداً من الجبن العكاوي .. بثلاثين ريالا وهو لا يساوي .. بينما يبيع تاجر آخر ، نفس النوع من الجبن بستة عشر ريالا .. الأول يربح .. والثاني يربح .. ولكن الأول طماع جشع .. والثاني تقي ورع .. وشتان بين الاثنين ...

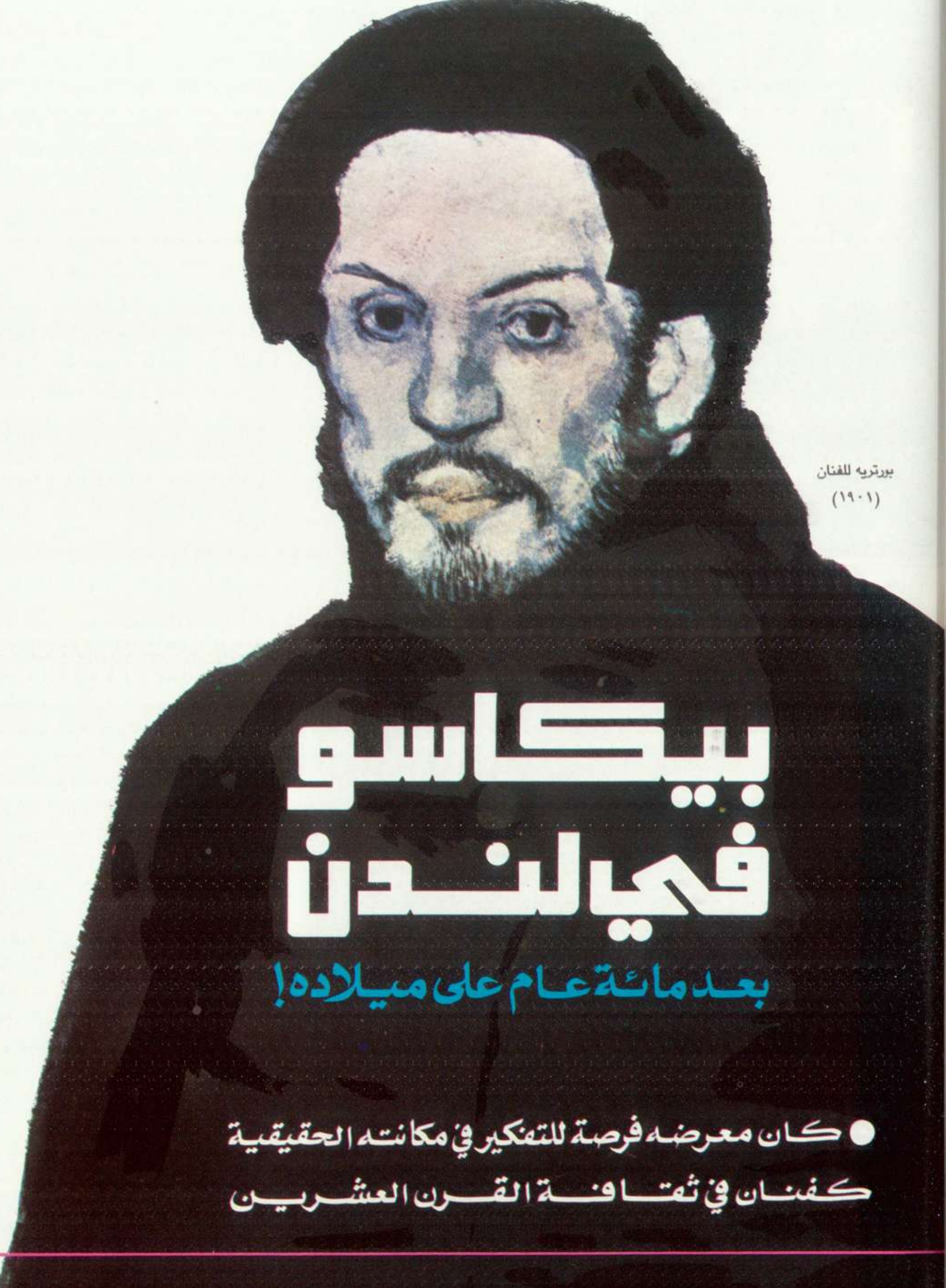
سألوا الأول .. لماذا يأيها الهمام .. لا تخش الكلام والملام .. ؟ قال : بضاعتى جاءت بالطيارة .. أما بضاعة زميلي فقد جاءت بالسيارة .. عذر أقبح من ذنب .. وضمير لا يخشى الرب .. قالوا للطماع : ولماذا ندفع الفرق ؟ ونغرم بدون حق ؟ .. قال سامحه الله : وهل أجبرتكم على الشراء .. يأيها المساكين من الاصدقاء .. قالوا له بكل صراحة : تبنا وندمنا .. وفى أموالنا فرطنا .. فلقد وثقنا بك كما وثق الصديق بالصديق .. حتى بعتنا الحصى على أنه عقيق ..

هذه واحدة من كثير .. وهي تغنى عن الشرح والتفسير .. ومالنا نحن أرباب العائلات .. ألا نعيد دراسة ما قرأناه من نظريات .. وأن نتقن كل أنواع الحسابات .. حتى لا نقع فى مثل هذه المطبات ..

صديقنا يا من تطمع .. بالله عليك كيف تنام عينك وكيف تهجع .. أما علمت أن الجشع ممقوت ، وأنه لا يلد إلا ثمرة الزقوم ..

سامحنا وإن كنا لن نسامحك .. فلعلك تخشى الله سبحانه ، انه يمهل ولا يهمل

رسالة لندن من : مجدي نصيف



بورتريه للفنان
(١٩٠١)

بيكاسو في لندن

بعد مائة عام على ميلاده!

● كان معرضه فرصة للتفكير في مكانته الحقيقية كفنان في ثقافة القرن العشرين

بيكاسو في لندن

«أعمال بيكاســو تساعدنى على البقاء على قيد الحيــاة»
بول إيلوار


المدخن (١٩١٤)

عندما مات الفنان العظيم بيكاسو فى ابريل ١٩٧٣ ، لم يترك وصية ! لكن كان هناك «وقف» بيكاسو الذى خلفه وراءه : عدد ضخم من أعماله التى اختارها بنفسه ، أخذته الحكومة الفرنسية طبقاً لقانون فرنسى جديد ، فلم يذهب الى «الورثة» .

وبمناسبة الاحتفال بالعيد المئوى لميلاده ، أقام «مجلس الفنون» البريطانى معرضاً له بلندن «بصالة هيوارد» ، حتى قبل أن يعرض بالمتحف الجديد الذى أسسته الحكومة الفرنسية خصيصاً بباريس والمعروف باسم «متحف بيكاسو» .. اختار المسئولون البريطانيون للمعرض اسم «بيكاسو يقدم بيكاسو» لأن الفنان اختار بنفسه هذه الأعمال على أساس أنها تشكل تطور حياته الفنية منذ البداية . واستمر هذا المعرض شهرى سبتمبر وأكتوبر من هذا العام .

يعتبر المعرض الذى أقامه «مجلس الفنون» البريطانى لأعمال بيكاسو مختلفاً تمام الاختلاف عما سبقه من معارض ، لأنه أولا هو اختيار الفنان نفسه ، وهو اختيار لأعمال تعتبر علامات على الطريق الطويل الذى سلكه خيال هذا الفنان العظيم الخصب . ضم المعرض مجموعة أعمال بما فى ذلك لوحات ورسوم بالألوان وبالرصاص ومطبوعات وتماثيل وأعمال نحت مختلفة .

وهكذا كان المعرض فرصة ذهبية لتفحص «بيكاسو» الأسطورة . وفرصة للتفكير فى مكانته الحقيقية كفنان فى ثقافة القرن العشرين .

وكانت لوحات بيكاسو هى الأعمال الدائمة التى يعرضها وتباع بسهولة ، أما تماثيله فكان يضن بها ، ونادراً ما كان يرضى بمفارقتها وبيعها ، وكان أول مرة يسمح فيها بعرض أعماله فى النحت عام ١٩٦٦ . ويبدو أن أعماله هذه كان يعتبرها أطفاله المدللة الذين يستمتع بوجودهم معه وحوله

ويطرح تاريخ حياة الفنان بيكاسو عدداً من الأسئلة الهامة ، أولها ، لماذا أعجب عديد من الناس من ذوى التيارات المختلفة ، بفترات مختلفة من حياته الفنية الطويلة ؟ ولماذا يوجد هذا التباين الغريب بين الشهرة التى أحاطت بحياته ، وبين حقيقة أعماله ؟ ولماذا تتفق الآراء ، على أنه يجب التسلح بنوع معين من المعرفة حتى يمكن تقييم لوحاته ؟ وفى النهاية ... لماذا يظل بيكاسو اسماً عظيماً كفنان هام وملهم ومدهش ؟

فلنبدأ باسم الفنان نفسه .. بيكاسو .

إن كل شخص قد سمع بهذا الاسم بهذه الطريقة أو تلك ، حتى هؤلاء الذين لا يهتمون كثيراً بالفن . ولقد شق اسمه وتوقيعه طريقاً صاعداً ، خلال حملة اعلامية مكثفة لما يزيد على نصف قرن من الزمان ، سواء كان ذلك فى المعارض أو قاعات بيع اللوحات ، أو محلات بيع الصور المطبوعة ، أو فى لوحاته التى توضع فى البنوك كضمان لقروض ، أو فى خزائن عشرات المطاعم عندما وافق بيكاسو عشرات المرات على دفع فاتورة حسابه عيناً وليس نقداً ، أى برسم صورة ما على مفرش المائدة ، ويتركها لادارة المطعم لتصبح بعد ذلك أغلى ثمناً من المطعم ذاته ! لقد تردد اسم بيكاسو على مدى نصف القرن ولحقته صفات عديدة متناقضة : «العبقرى» ... «فنان القرن» ... «البليونير» ... «الشيوعى» .. «العاشق الكبير» .. بل إن بيكاسو مازال فى الأخبار ، حتى بعد موته . وهو بذلك يظل محلا للجدل . ومع ذلك ، فمن المهم أن نفرق ما بين فنان «تصنعه»وسائل الاعلام ، وتدفع به الى عالم الشهرة مثله فى ذلك مثل نجوم هوليود تطارد الكاميرات حياتهم الخاصة ، وبين الفنان الذى «صنعته» «صناعة الفن» ذاتها . ومن خلال هذا كله يقسم مؤرخو الفن حياته الفنية الى فترات ومراحل ، انشغل فى كل منها بعدد من القضايا الاجتماعية .

الأيام المبكرة

وربما كان من الأفضل أن نبدأ



احدى لوحات بيكاسو التى احتلت أغلفة المجلات فى لندن



وجه امرأة (١٩٣٢)



الطفل والأم (١٩٠٧)

الحديث عن الفنان الذى نضج فى سن مبكرة، ووصل الى باريس عام ١٩٠٠ قادماً من برشلونة مسقط رأسه . كان بيكاسو غريباً لا منتمياً . على ثلاثة ابعاد على الأقل : كأجنبى ، وكمتعاطف مع الفوضويين ، وكرسام فى وقت اظلم فيه مستقبل الرسم . وخلال السنوات التى تلت ذلك تمكن بيكاسو أن يقدم تفسيراً لخبرته فى الحياة على حافة المجتمع الفرنسي ، من خلال رسمه لأنماط مختلفة ومتداخلة من اللوحات ، حجزها واقتناها مشترون أثرياء .

رسم بيكاسو الفلاحين ، واستثمر الفقراء بكل الدلالات الرائعة للشعر والرومانسية ، والتى أبدع فى انتقائها لمعرفته المكثفة بتاريخ الفنون والآداب الأوربية . وفى لوحته المسماة «الوردة والأوقات الزرقاء» نلاحظ أنه يلتزم بالتقاليد العامة للمدرسة الواقعية لفن القرن التاسع عشر ، والتى تؤكد وتبرز باستمرار ، مسألة الدلالات الاجتماعية للمادة موضع الاختيار .

يقول الناقد البريطانى «سيمون واتنى» مؤلف «الفن الانجليزى ما بعد التأثيرية» :

«كان أصحاب المدرسة الواقعية من أمثال «كوربين» و «دومييه» قد اعترفوا بانقسام المجتمع الى طبقات ، فأصروا على أن يتناول الرسم القيم والاتجاهات التى تخالف مجموع القيم والأنماط التى تجدها فى نظام طبقى سائد . وليس مفاجأة كذلك ان «السادة» ردوا على هذا بعنف ، لأن ذلك يواجه سلطتهم التقليدية لتحديد دور الفن ،

بيكاسو في لندن



موت مصارع الثيران (١٩٣٣)

بل وأحيانا طبيعة الفن ذاته. وكان أحد النتائج المترتبة على هذا التناقض الجديد بين المصالح، أن ظهر نوع جديد من الفنان الذى لم يعد «موظفاً» لدى سوق الفن فى المجتمع. وقد أجبر مثل هؤلاء الفنانين على أن يسلكوا سبلا ضيقة للوجود القلق المحفوف بالمخاطر على حافة البيئة الثقافية البورجوازية، واستمروا يبحثون دائماً عن كتاب ونقاد يتخذون نفس موقفهم حتى يقوموا بتقييم أعمالهم.

«وقد انتجت معظم أعمال بيكاسو الأولى، وأكثرها شعبية، وسط هذه الظروف. وهى أعمال صار بها الفنان حليفاً طبيعياً للطبقات الكادحة، فى حالة نفي من الأدوار والمؤسسات الاجتماعية التقليدية للرسم الأوربى».

الخروج على التقاليد

لم يكن بيكاسو راضياً ببساطة عن المضي فى التعبير الرمزى عن الحياة الاجتماعية الفرنسية، كأحد فنانى القرن التاسع عشر، من خلال مجموعة الرموز الارستقراطية والدينية أساساً. هذا رغم أن المرء كثيراً ما يراه يعود من خلال أعماله الفنية، الى الدور وذاتية الفنان فى مجتمع ضن عليه بمركزه وموقعه التقليديين.

ومن هذا المنظور يقدم بيكاسو صورة كلاسيكية للفنان المعاصر الذى يتعرض للنفي داخل مجتمعه. لكن فهم بيكاسو لحياة «حافة المجتمع» كان أكثر وعياً وراديكالية من فهم الفنانين من معاصريه: فبدلا من أن يستمر فى خوض معركة «الصراع الطبقى» على مستوى الرموز الثقافية والتشبيهات الفنية، واصل العمل على فكرة «التمثيلية» ذاتها، والتى تعتمد عليها الثقافة البورجوازية اعتماداً كبيراً. وما فعله بيكاسو هو أنه وضع علامة استفهام كبيرة على المفاهيم التى سيطرت على الفنون الجمالية الغربية لقرون. وربما اختلف الفنانون بشدة حول الأسلوب والموضوع الفني نفسه لكن لم يحاول أحدهم – قبل بيكاسو – طرح التساؤل حول فكرة الرؤية والادراك البصري نفسه.

وهذا هو ما تعنيه كلمة «تكعيبية» ومعناها كما يقول بيكاسو: «إن الفنان ليس مجرد مرآة، إنه معادل للطبيعة» لقد رفض بيكاسو فى أعماله، افتراض أن الفن يجب أن يكون بالضرورة «محاكاة للطبيعة»، وبرفضه هذا، أجبرنا على أن نفكر فيما نعنيه بمفاهيم «الفن» و «الطبيعة». وكما قال بيكاسو لأحد أصدقائه: «يجب على الفنان أن يراقب الطبيعة، وإن كان يجب عليه ألا يخلط بينها وبين الفن. إن الطبيعة يمكن ترجمتها الى فن، فقط عن طريق العلامات». والعلامات التى يعنيها بيكاسو هنا، هى العملية التى يمكن بواسطتها تحويل ما تخطه فرشاة الفنان، مقابل الأشياء المتواجدة فى الحياة الواقعية.

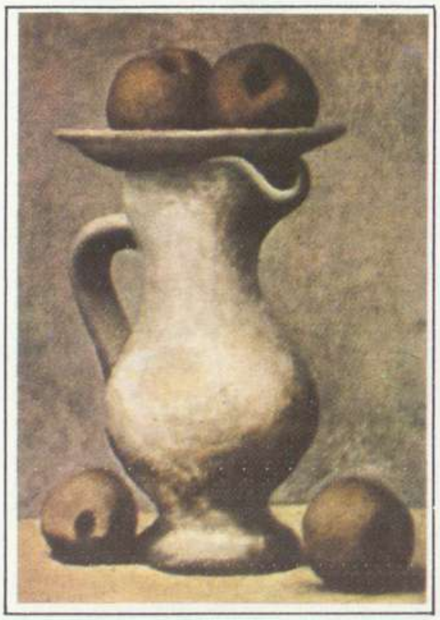
وبعبارة أخرى كان بيكاسو يستكشف القضايا التى من خلالها يمكننا أن «نقرأ» الصورة، وهى القضايا التى نعنيها عندما نتحدث ببساطة عن «التمثيلية» كما لو كانت أكثر الأشياء طبيعية، وأقلها تعقيداً.

تغيير الواقع

ومن ثم فان رسومات وتماثيل بيكاسو «التكعيبية»، هى عن عملية النظر مثلها فى ذلك مثل كونها عن «الأشياء» المفترض وجودها أمام أعيننا. فاذا نظرنا مثلا الى لوحة «آنسات أفينيون» فاننانفهم على الفور ما عناه بيكاسو عندما قال لأحد أصدقائه: «إن الوجه عبارة عن عينين وفم وأنف، يمكن توزيعها كما تحب، ويظل الوجه وجهاً». لكن ابتكار بيكاسو – ألا وهو تجزئة الجسم الانسانى الى عناصر، يمكن التعرف عليها رغم أنها أعضاء بدائية جداً – لم يكن مجرد بدعة، ذلك أن الوظيفة الاجتماعية للموضوع الفنى كانت لها أهمية حيوية بالنسبة له. ومن ثم فليس هناك مجال لرؤية أعمال بيكاسو على أنها «تجريدية». فحتى اذا ما وصلت رسوماته الى أبعد نقطة من التجزئة، فهو يهتم بالدور «النشط»



قراءة الخطاب (١٩٢١)



طبيعة صامتة (١٩١٩)

للمشاهد الذى يتفرج على اللوحة ، ولهذ السبب بدأ يدخل أجزاء من العالم الواقعى الى لوحاته وتماثيله ، حتى تكون أكثر شمولية . وقد استخدم بيكاسو فن «اللصق» من أوراق الاعلانات والصحف والتذاكر الخ — ومكنه هذا من أن يلعب سلسلة من الألعاب لأنماط ومفاهيم مختلفة من «التمثيلية» . فمثلا يمكن لقطعة من الورق المحبب أن تمثل المائدة ، مثلما يمكن أن تشير قطعة من ورق الحائط الى وجود الحائط كله ، ومن ثم الى وجود الغرفة بأجمعها . إن هذه الدلائل البسيطة ، بالاضافة الى زيادة الاعتماد على استخدام عناصر تقليدية يمكن التعرف عليها من العالم المرئى ، هى التى تمكننا من فك رموز المعانى الأساسية فى لوحاته . وفى الوقت نفسه فمن الأهمية بمكان أن نؤكد على أن لوحات بيكاسو ذات نهايات مفتوحة ثابتة ، بمعنى أنها تعتمد على ما تراه أنت نفسك فيها مثلما تعتمد على هدف بيكاسو نفسه من رسمها .

وبتحليل بيكاسو للعالم الى سلسلة لا نهاية لها من العلامات فى أعماله التكعيبية ، وبانفصاله الى الأبد عن طرق تصوير الفراغ التقليدية ، أصبح حراً منذ العشرينات فى أن يبدأ فى عملية اعادة بناء عالم جديد من صنعه ... عالم يمكن أن تحدث فيه للناس وللأشياء أكثر التحولات غرابة وخيالا . وكما فى التكعيبية ، فان الحياة ماتزال علامة دائرية واحدة ، يحتمل فى الوقت نفسه أن تشير الى سدادة زجاجة أو شريحة من الليمون ، ولذا ففى أعماله الأخيرة ، وجد سروراً عظيماً فى أن يلعب ألعاباً معقدة ، وإن كانت جادة ، مع تشريح الجسم الانسانى . وبهذه الطريقة نجد أنفسنا مواجهين — حرفياً — بعالم الرغبة الغريزية فى صورها المختلفة .

قضايا عصره

هكذا تعتبر أعمال بيكاسو مهمة من الناحية العقلانية وكأهميتها من ناحية ماتقدمه وما يمثله هو . فعلى خلاف العديدين من الفنانين الذين تأثروا بفنه ، لم يفقد هو نفسه الرؤية أبداً ، فى عالم الخبرة الاجتماعية . على العكس من ذلك تماماً ، فان عدداً قليلا جداً من فنانى القرن العشرين هم الذين ارتبطوا تماماً بقضايا عصرنا الكبرى . ومن هذا المنطلق تبدو حياة بيكاسو الفنية وكأنها انعكاس لكل مشاغل عصرنا السياسية والاجتماعية

وكما يقول «سيمون واتنى» فان : أكثر أعماله «العامة» وعياً ، هى أقلها نجاحاً ، إذ أنها تمتد بصعوبة بين اهتماماته الذاتية كفنان ، واحساسه بالالتزام تجاه جمهور متفرج دائماً ما انسلخ عنه .

ان اهتمامات بيكاسو السياسية تبدو فى أعماله ، ليس من خلال الاحساس الخشن بتصوير أحداث أو أفكار بعينها وكيف يقدم لنا عادة .

لقد حاول بيكاسو أن يغمس متفرجه بشكل مباشر فى مواقف ينظر اليها عادة على أنها «خاصة» أو «شخصية» . وقد حدث هذا بالتحديد فى الطريقة التى مثل بها احساساته الخاصة على المسرح العام من لوحاته مما يجعل منه فناناً ذا أهمية خاصة .

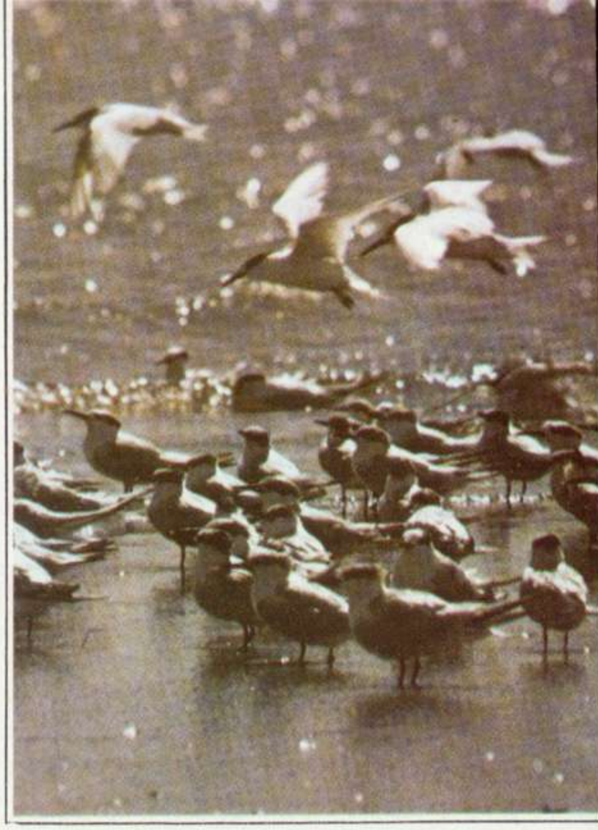
فقد كانت أعماله الأولى نتاجاً لاحساسه الخاص بالفقر والاستعباد الاجتماعى . واعتمدت سمعته بعد الحرب العالمية الأولى على نظام جديد تماماً لتأسيس الشهرة الفنية . ولم تكن القيمة الفنية لأعماله تعتمد على ما «يريده الجمهور» ، ولكن على تقدير النقاد والكتاب ومؤرخى الفن . ومن الناحية الأخرى ، بادل بيكاسو المجتمع التقليدى رفضاً برفض ! فقد قضى سنواته الأخيرة منفياً من هذا المجتمع المعادى بسبب ثروته وشهرته ! لذا ليس لنا أن نلوم الفنان بيكاسو اذا ما قدمت أعماله وكتب عنها بطريقة تؤدى الى ابتعاد معظم الناس عنها .

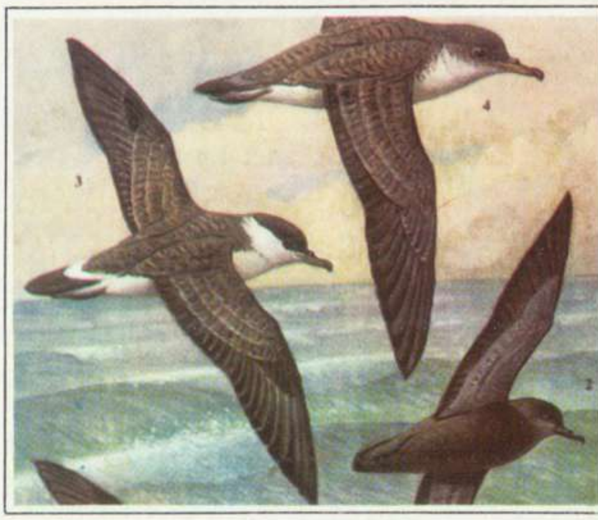
وحاول بيكاسو فى مطلع القرن أن يخلق فناً رمزياً عظيماً ، ليفسر ويكشف عن تناقضات العالم كما وجده . ولكن لغياب الموقع الاجتماعى الذى كان يمكن أن يحتله هذا الفن ، أحس أنه فشل . وفى نوبة غضب بدأ يعمل على تحطيم فكرة الفن كلية الى قطع صغيرة . ومن هذه الشظايا أخذ يعيد تجميع واحدة من أكثر لغات عصرنا الرمزية قوة وتأثيراً .

إن بيكاسو برفضه التام لمفهوم أن الفن يجب ، بل حتى يمكنه أن يكون مرآة للعالم ، فتح آفاقاً جديدة ومثيرة تماماً من الامكانيات : أمام الفنانين وأمام الناس على السواء .

مجدى نصيف — لندن







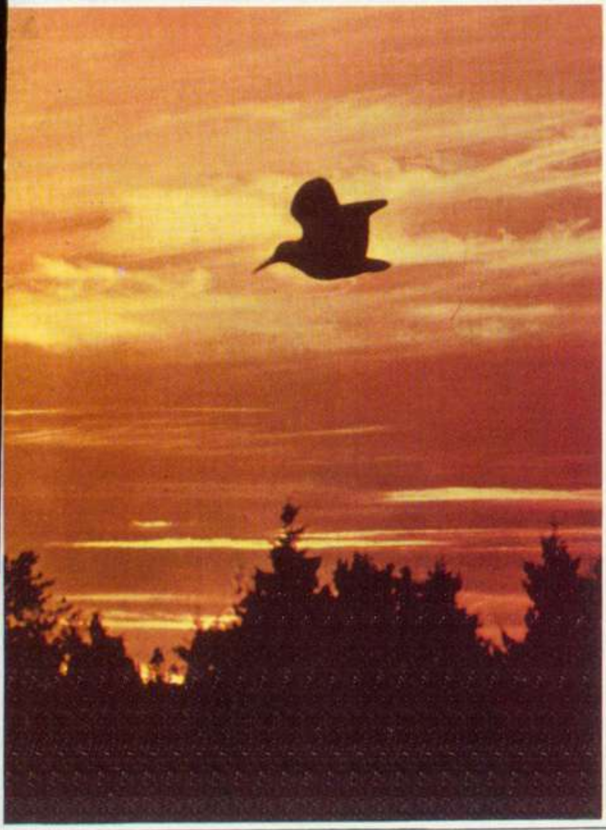
الطيور التى تهاجر فى الشتاء من بريطانيا الى أمريكا وأفريقيا .. ثم طائر المانكشيروتر أشهر الطيور المهاجرة .. و قافلة كبيرة من الطيور تهبط عقب رحلة شاقة !

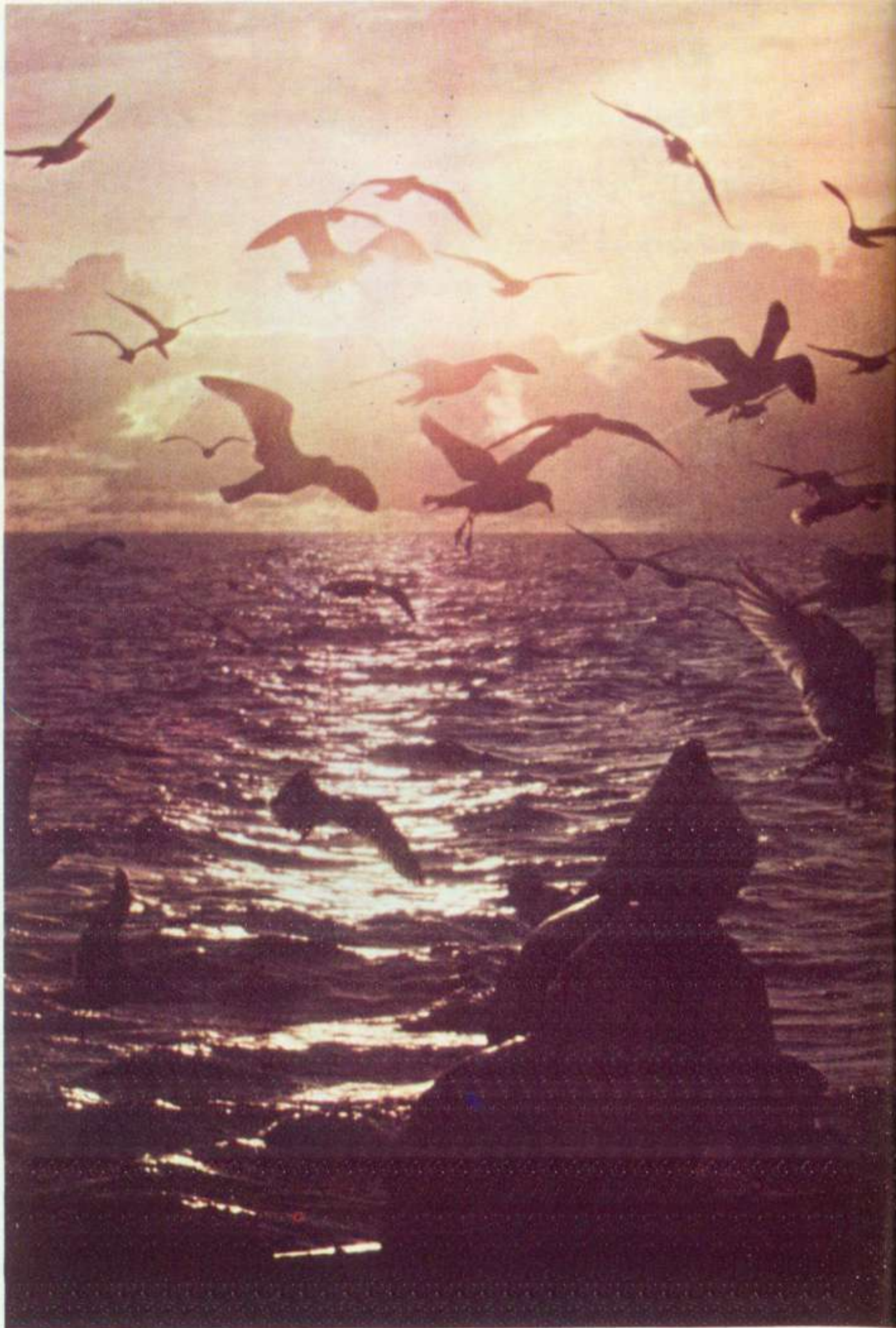
الطيور المهاجرة
بين الحقيقة والخيال

بقلم الدكتور: محمد الغباشى ربيع

تختلف الطيور عن سائر أعضاء المملكة الحيوانية بأنها لا تستطيع صبراً على الجوع والعطش أو الاكتفاء بالقليل من الغذاء لفترات طويلة - بل وان ارتفاع درجات الحرارة فى أجسامها والتى تصل فى الدرجات العادية من ٤٠ - ٤٥م - وذلك بخلاف الكائنات الحية الراقية الأخرى - جعل الاحتراق الزائد فى جسمها يؤدى بها الى الجوع والعطش أكثر مما تتعرض له غيرها من الحيوانات .

لذا كان لزاماً عليها أن تكون دائبة الأكل والشرب لتعويض هذا الاحتراق السريع الذى يتم بداخلها - وقد تموت بعض أنواع الطيور إذا ما تعرضت للجوع يوماً واحداً - وهكذا فان الطيور دائمة البحث عن الطعام وتنتقل اليه من مكان الى آخر أينما كان وحيثما وجدته .







طيور البحر المهاجرة أثناء الغروب على الشاطىء .. ثم لقطة نادرة لطائر يحاول اللحاق بمجموعته التى وصلت الى الأراضي الدافئة .. ولقطة أخرى للبط والأوز المهاجر



الصقور

فاذا كانت على قمم الجبال هبطت الى الوديان والمنخفضات وإذا كانت فى الغابات رحلت الى مشارف المناطق الآهلة بالسكان ــ كل ذلك بحثاً عن الطعام والشراب .

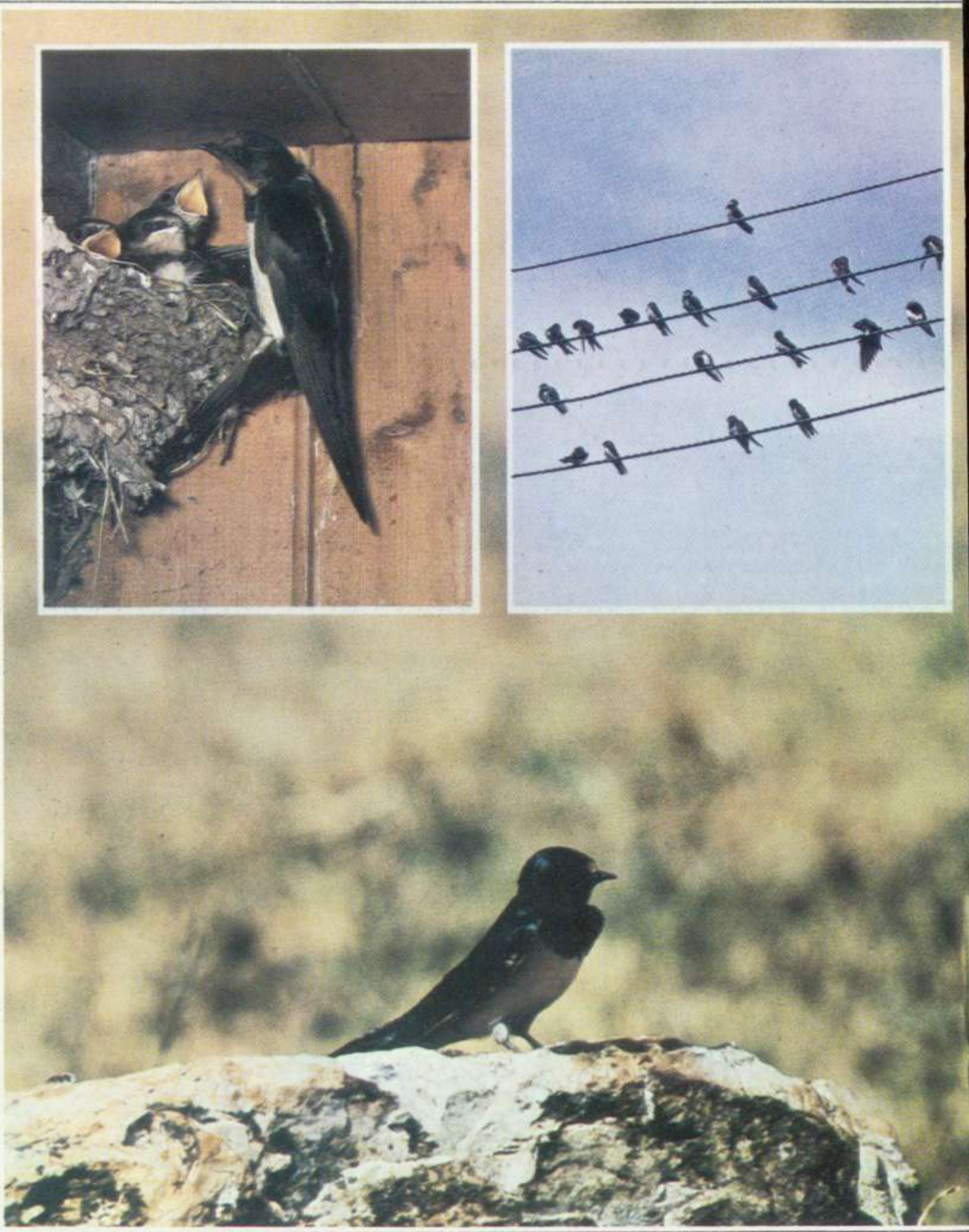
ولأن الطيور واجهت تلك المشكلات منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ومنذ أن كتبت لها الحياة كان لابد لها أن تصارع من أجل البقاء ومن أجل الحفاظ على أنواعها من الانقراض .. ومن هنا كانت هجرتها .

رحلات طويلة

ولقد وقف العلماء منذ القدم حيارى مكتوفي الأيدي أمام تلك الرحلات الطويلة الغريبة التى تقطعها الطيور ذهاباً وإياباً فى مواسم وفصول محددة على مدار السنة بل وأثارت تلك الهجرة اهتمام العلماء ، كل واحد يفسرها على هواه ، حتى أن تلك التفسيرات جاءت فى معظم الأحيان قريبة الى الخرافة منها الى الحقيقة . فاعتقد بعضهم أن الكوكبات تتحول فى الشتاء الى صقور ثم ترتد الى أصلها مرة أخرى فى الربيع وأن السنونـوات تقضى الشتاء كامنة فى جحور من الطين حتى الربيع ، وأن بعضاً من تلك الطيور يرحل الى القمر لقضاء الشتاء فيه ثم يعود أدراجه مرة أخرى عندما يحل الربيع .

ولما كان القرن الثالث عشر .. تنبه المهتمون بهجرات الطيور من العلماء الى حقيقة الأمر وأدركوا أنها قد تذهب لتفريخ الصغار فى جهة وتقضى الشتاء فى جهة أخرى من الكرة الأرضية .

الطيور المهاجرة
بين الحقيقة والخيال



زوار الصيف فى بريطانيا من الطيور المهاجرة .. وفى نهاية الموسم كما نرى تستعد الفراخ للتدريب على الطيران حتى تنضم الى المجموعة المسافرة .

وبالرغم من تقدم العلوم وتيسير السبل أمام علماء عصرنا لكشف كثير من الظواهر الغريبة فى هذا الكون العجيب إلا أنهم لم يأتوا بتفسير واضح ومقنع لهجرة الطيور

والأمر الذى لا جدال فيه أن الملاحين والطيارين يستعينون فى سفنهم وطائراتهم بأجهزة ومعدات وخرائط غاية فى الدقة لحساب الزمن والمسافات والاتجاهات الرئيسية والارتفاع وقياس درجات الحرارة والرطوبة واتجاه الرياح وعليهم أن يقوموا بأنفسهم أو بأجهزة الكترونية وعقول كذلك بحسابات كثيرة ومعقدة مطروحة ومضروبة ومقسومة لكي يهتدوا الى معرفة طريقهم والوصول بسفنهم أو طائراتهم الى المكان المنشود بأمن وأمان ... ولكن أين لتلك الطيور بكل هذا أو ذاك ؟!

ومن المؤكد أن لهجرة الطيور أهمية كبيرة فى حياتها تدفعها اليها وإلا ما حافظت عليها أجيال بعد أجيال تتوارثها بالرغم من أن ذلك يكلفها الكثير من الجهد وربما ذهب بأعداد كبيرة منها أثناء تلك الرحلة المضنية الى الفناء .

فمما لاشك فيه أن الهجرة تمكن الطيور من استغلال الامكانيات المتوفرة كالغذاء والجو المناسب للتكاثر والتفريخ فى منطقتين مختلفتين فى المواسم الملائمة لها .

وهجرة الطيور دائماً تصاحب التغيرات المناخية فكلما اتجهنا شمالا وجدنا تبايناً شديداً بين درجات الحرارة صيفاً وشتاء لذلك تكثر أنواع الطيور المهاجرة هناك .

ولقد وجد أنه مع اقتراب فصل الشتاء فى تلك المناطق وانخفاض درجة الحرارة يقل الغذاء وتختفي الحشرات التى تشكل عند بعض الطيور غذاء شهياً . ولهذا تبدأ بعض الطيور شد الرحال للهجرة الى أماكن أخرى بعيدة بحثاً عن الدفء والغذاء ـ وتلك هي صفات الكثير من الطيور المائية التى تستوطن المناطق الشمالية من الكرة الأرضية حيث عليها أن تهاجر الى الجنوب شتاء بسبب تجمد المياه مما تصعب معه الحياة وتختفى الحشرات ويقل الغذاء بحكم الظروف المناخية حيث يكون الحال على عكس ذلك فى الجنوب .

ولكن الأمر الذى حير الكثيرين أن معظم تلك الطيور المهاجرة تترك مواطنها والتى نشأت فيها قبل حلول الشتاء بفترات طويلة وفى الوقت الذى لا يزال فيه هناك رغد من العيش وربما كانت الثمار متوفرة والحشرات تغص بها تلك المناطق . كما أن كثيراً من الطيور تبكر بالعودة من المناطق التى كانت قد رحلت اليها بالرغم من توفر الظروف الملائمة لتسرع عائدة الى مواطن التفريخ الأصلية لها وربما جاءتها قبل أن تحل فيها الحشرات وتنضج الثمار والبذور .

وإذا كانت الدوافع الأساسية للهجرة هى البحث عن الطعام والظروف المناخية المعتدلة ، فلماذا تمتد تلك الرحلات فى كثير من الأحيان الى ما وراء تلك الحدود بكثير؟.

فخطاف البحر مثلا والذى يسكن الجزر البريطانية يغادرها الى افريقيا قبل نهاية أغسطس أى قبل حلول البرد فى بريطانيا بفترة طويلة ـ والسنونوات واللقالق تترك موطنها الأصلي فى أوربا فى أوائل الخريف أو نهاية الصيف متجهة الى جنوب أفريقيا وهى فى اتجاهها هذا تعرض نفسها للمخاطر بالرغم من أن بلادها مازالت تقدم لها الكثير من الغذاء والراحة .

ثم لماذا لم يكن الاتجاه نحو شمال القارة الأفريقية وليس الى جنوبها ؟

ومن المعروف أن « الصغير الأمريكي » Oriole لا يقضى فى موطنه الأصلى – أمريكا الشمالية – سوى شهرين فقط (من أوائل مايو الى أواسط يوليو) ثم يغادرها الى الجنوب فى الوقت الذى لا تزال فيه تلك المناطق هدفاً للطيور القادمة للتفريخ .

الهجرة دافع غريزى

ولقد ثبت للباحثين فى هذا المجال أنه عندما توضع بعض صغار الطيور المهاجرة والتى لم يسبق لها الهجرة من قبل فى أقفاص وتوفر لها الظروف الطبيعية والغذاء فانها تتأثر هي الأخرى فى مواسم الهجرة حين تتجه أنواعها نحو الجنوب فى هجرتها العادية فيبدو على هؤلاء الصغار حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار كما لو كانت تطالب بفتح تلك الاقفاص لتلحق بأقرانها من الطيور التى شدت الرحال – ومن هنا يتبين لنا أن الهجرة دافع غريزى تخضع له الطيور رغماً عن إرادتها .

ومن التجارب التى أجراها العلماء فى هذا المضمار وجدوا أن هناك ارتباطاً وثيق الصلة بين غريزة الهجرة والدورة التناسلية عند تلك الطيور حيث انهم وجدوا أن بعض الطيور المهاجرة ممن لم تبلغ النضج الجنسي فى الأعوام الأولى من حياتها لا تعود الى موطنها بانتظام كما هو الحال عند الطيور البالغة .

وفى إحدى التجارب لاثبات ذلك قام بعض العلماء الأمريكيين بأخذ عدد من الطيور التى جاءت من المنطقة الشمالية فى الخريف ووضعوها فى غرف خاصة ووفروا لها الدفء والاضاءة الكاملة لكي تحاكي أيام الربيع حتى فى طول النهار . وكانت تلك التجارب دقيقة للغاية فوجدوا أنه بعد ثلاثة الى أربعة أسابيع يتكون البيض فى مبايض تلك الطيور وتستعد لوضعه والقيام بتفريخه .

وفعلوا عكس ذلك فى الربيع بأن أخذوا طيوراً جاءت من الجنوب ووضعوها فى ظروف صناعية كفصل الشتاء من حيث درجات الحرارة وقصر طول النهار فاذا بها تختفى من المنطقة .

وهذه تجربة أخرى لبعض العلماء أجريت فى محطات المراقبة فى أوربا استؤصلت فيها الأعضاء التناسلية من بعض الطيور وتركوها تحت المراقبة فوجدوا أنها هاجرت الى المواطن الشتوية مثلها مثل الطيور التى لم تستاصل أعضاؤها التناسلية .



طائر الجل .. من الطيور التى تحب وطنها وتسعى دائماً للعودة إليه .

حب الوطن

ويبدو أن حب الوطن متاصل فى الطيور كما هو الحال عندنا نحن البشر – فالانسان الذى يعيش فى غربته يكون مشدوداً دائماً بالحنين الى وطنه مشتاقاً للعودة اليـــــه بين لحظة وأخرى . فلقد ثبت أن الطيور لا تعود الى نفس مواطن التفريخ فحسب بل في كثير من الأحيان الى نفس الحديقة وربما نفس الشجرة أو الى عشها الذى قامت ببنائه فى الأعوام السابقة – وحتى تلك الصغار التى كان مقدراً لها أن تضل الطريق اثناء رحلة العودة فانها تعود الى أماكن تفريخها وإن أخطأت فسوف يكون الخطأ ليس جسيماً وربما عادت الى حديقة أو شجرة مجاورة لتلك الحديقة أو الشجرة التى خرجت فيها فرخاً صغيراً من بيضتها فى العام السابق .

ومما اثبته العلماء بالتجارب أن الكثير من الطيور المهاجرة تسلك طريق الهجرة دون تعلم ومن غير خبرة سابقة ففى بعض الأنواع تهاجر الطيور التى تبلغ الحلم لأول مرة وعمرها لا يتجاوز الستة أشهر وذلك قبل أن تبدأ به الطيور التى سبقتها الى الهجرة مرات عديدة فى السنوات السابقة ومع ذلك فانها تعرف الطريق الى الهدف المنشود فى الميعاد المحدد وربما كان هذا المكان فى جزيرة بعيدة فى المحيط الهادى أو منطقة معينة فى سيبريا ، أو غابة من غابات افريقيا .

ولقد أجرى بعض العلماء الألمان تجربة عن معرفة الصغار لطريق الهجرة دون قيادة الكبار من تلك الطيور فاحتفظت ببعض صغار اللقالق بعد أخذها من العش والعناية بها فى أماكن فسيحة وأبقتها حتى رحلت كل اللقالق البالغة ثم اطلقتها – وبملاحظتها بفضل الرادارات وأجهزة المراقبة وجدوا أنها تطير نحو الجنوب وكأنها قد قامت برحلات الهجرة مرات عديدة من قبل .

وعلى الطيور المهاجرة أن تتبع أثناء رحلاتها خطوط سير معينة فطرت عليها بحكم الغريزة وقلما تحيد عنها . وإذا حدث أن حادت عن تلك الخطوط فان ذلك مرجعه الى بعض التعديلات الطبيعية التى تفرضها عليها المعالم الطوبوغرافية لكي تصل الى نقطة النهاية دون أن تتعرض للكثير من الأخطار .

للطيور حواس أخرى

ولقد أثبتت التجارب أن للطيور حواساً أخرى غير تلك التى تعرفها توجهها الى الطريق الصحيح عندما يصعب عليها أن تستعين بأية علامات أرضية أو أن يكون انطلاقها من مكان لأول مرة ولا دراية لها بمعالم الطريق على الاطلاق .

وضمن هذه التجارب تلك التى أجراها

الطيور المهاجرة بين الحقيقة والخيال

بعض العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية ويرويها لنا استاذ العلوم ومدير متحف التاريخ الطبيعي فى جامعة بغداد الدكتور بشير اللوس فى تلك التجارب أخذ عدد من خطاطيف البحر من نوعي سوتـــي و نـــودى - ووضعت فيها علامـــات خاصة ونقلت بالبواخر من مواطن تفريخها فى جـــزر من الساحل الجنوبي الغربي لفلوريدا الى مسافات واتجاهات مختلفة وبعد أن أطلقت عاد قسم منها فى خلال بضع ساعات من المسافات القصيرة (٥٥ ميلا) بينما عاد القسم الآخر من نقاط تبعد مئات الأميال عن مواطنها خلال بضعة أيام . وفى تجربة أخرى أخذ ٢٢٠ طائراً من طيور بحرية من أماكن تعشيشها فى جزيرة « كنت » فى شرق كندا الى انحاء مختلفة فعاد معظمها إلى أعشاشه الأصلية وبعضها كان على مسافة ٤٧٠ ميلا قطع منها مسافة ٣٦٠ ميلا فوق المحيط الأطلسى .

وفى تجربة أخرى على طيور بحرية من نوع « جانيتـــس » أطلقت من مناطق غير مألوفـــة لديها وأجرى تتبعها بالطائرة فظهر أنها تطير أولا على غير هدى حتى يقع بصرها على دليل تستعين به فى معرفة الجهة الصحيحة للطيران .

الأشعة الخفية

وعلى أية حال فهناك عدة تفسيرات لكيفية اختيار الطريق السليم الآمن أمام الطيور المهاجرة منها ما يفسر اعتمادها على الأشعة الخفية فى عيونها وبعضها يفسر اعتمـــادها على أشعة الشمس ، والبعض الآخر على ضوء القمر والنجوم الى آخر ذلك من التفسيرات . ولكن يمكن القول بأن هناك عوامل حقيقية مازالت خفية يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده تعتمد عليها الطيور في هجرتها بالاضافة الى الاندفاع الغريزي عندها .

والطيور القوية أمثال الكراكي واللقالق والصقور والبط والوز والخواضات يمكنها أن تجتاز أعلى الجبال بينما يصعب ذلك على معظم الطيور الأخرى التى تضطر الى المرور من خلال الوديان أو الدوران حول تلك الجبال والمرتفعات .

والحال أيضاً عند عبور الصحاري فان الجماعات الكبرى تسلك حدود الصحارى ووديان الأنهار أو سواحل البحار .

ومعظم الطيور المهاجرة تتجنب عبور البحار لتطير فوق سواحلها وإذا كان لابد لها من العبور فان عليها أن تختار أضيق المناطق لذا فاننا نجدها تعبرها فى منطقة جبل طارق ومضايق صقلية ومضيق البوسفور .

لكن الطيور الأخرى القوية الواثقة من نفسها ومن قوة جناحيها كالزقزاق الذهبي وخطاف البحر القطبي تشذ عن ذلك لتعبر المحيطات دون ملل أو تعب ودون أن تضل الطريق وكأنها طائرات مزودة بأحدث الأجهزة .

والخطاف القطبي يعتبر من أعظم الطيور المهاجرة ويبلغ طوله نحو أربعين سنتيمترا . وهو يضع البيض ويربى صغاره فى القطب الشمالي حيث لا تغرب الشمس ويقضى الشتاء فى القطب الجنوبى حيث الشمس وضوء النهار الدائم . لذا فانه يفوز بأكبر قدر من ضوء النهار فى حياته .

وطائر (دخلة الحدائق) الصغير الحجم يرحل من أوربا الى جنوب أفريقيا فى نصف الكرة الآخر لقضاء الشتاء هناك لكي يستمتع بفصلين دافئين فى كل عام - يتعرف على الحديقة التى أمضى فيها ربيعه الماضي ويعرف طريقه اليها دون خرائط أو آلات سدس لتحديد الارتفاع أو حتى بوصلة تعينه على معرفة الاتجاهات .

ودخلة الحدائق من الطيور التى تفضل الطيران ليلا لذا فانها تعتمد على ضوء القمر والنجوم فى توجيه نفسها - ولقد اثبتت جميع الاختبارات التى أجريت عليها أن تلك هي الحقيقة - ففى مدرسة (بريما) للملاحة البحرية حيث أقيمت قبة سماوية لتعليم الطلبة الملاحة وضعت مجموعة من دخلة الحدائق تحت نفس الاختبارات التى يتعرض لها الطلبة للتعرف على الاتجاه فجاءت النتائج المدهشة فى أن طيور دخلة الحدائق تجد طريقها للهجرة دون صعوبة إلا فى حالة واحدة وهي حالة الاظلام التام للقبة السماوية .

طريقان للهجرة

وهناك طريقان هامان للهجرة عرفها المتتبعون لها والقائمون بدراستها ومعرفة خطوط سيرها على المدى البعيد أحدهما يمتد بمحاذاة الشاطىء الغربي لأمريكا ، والثانى بمحاذاة الشاطىء الغربى لأوربا ثم لأفريقيا .

وللظروف المناخية أهمية كبيرة فى تحديد الطيور لأوقات الهجرة وساعات الطيران

وبعض الطيور تفضل الهجرة ليلا وبعضها يفضلها نهاراً والبعض لا يتقيد بالليل أو بالنهار فى هجرته .

ولكنه من الملاحظ أن الطيور الصغيرة تفضل الطيران ليلا وتستريح نهاراً طلباً للغذاء - ولكن الطيور الكبيرة والجوارح والطيور الصغيرة التى تستطيع أن تتغذى أثناء الطيران كالسنونوات والسمامة فتهاجر نهاراً وتستريح ليلا .

وهجرة الطيور ، تبدو للبعض منا ، وكأنها أمر ميسور . ولكن الواقع عكس ذلك تماماً . فهجرة الطيور مرتين على مدار السنة لاشك أنها تكلفها الكثير والكثير . لذلك قدر العلماء بأن ثلث الأنواع المهاجرة من الطيور يهلك سنوياً ، إما بسبب تعرضها لاعتداء البشر عليها أو الطيور والحيوانات المفترسة ، أو بسبب العطش وضياع الاتجاه بسبب التغير المفاجىء فى المناخ أثناء الرحلة والبعض الآخر يتعرض للاصطدام بالجبال العالية أو الانحراف نحو أعماق البحر بسبب سوء الأحوال الجوية ، ولكن ربما كان ذلك ضمن نواميـــس الحياة وقوانين حفظ توازن الحياة البيولوجية .

ولقد أثبتت الطيور أنها أكفأ مخلوقات الله من حيث الهجرة ، فقد كانت هناك منذ زمن بعيد هجرات للحيوانات ومازالت لبعض أنواعها حتى الآن ، وهذا موضوع آخر إلا أن تلك الحيوانات انقرض معظمها بسبب مخاطر الهجرة ودفعت حياتها ثمناً لتلك المغامرة .

د. محمد الغباشي ربيع

قصائد من اليونان

في الحياة والناس والطبيعة

أشعار: نيكيفوروس فريتاكوس ترجمة: د. نعيم عطية

● ولد الشاعر اليوناني المعاصر نيكيفوروس فريتاكوس عام ١٩١١ فى قرية « اسبرطة » من أسرة ريفية فقيرة .
● نشر أول دواوينه عام ١٩٢٩ .
● يعتبر من جيل الثلاثينيات فى الشعر اليوناني الحديث ، الذى قاده الشاعر اليوناني الكبير «سيفيري» ، لكنه لم يتأثر به ، ولم يأخذ باتجاهه فى الشعر ، إذ كان «سيفيري» ينحو الى التجريدية ، بينما التصق «فريتاكوس» بالانسان ونضاله من أجل الحيـــاة .
● كان واحداً من ثلاثة شعراء عارضوا النزعة غير الانسانية . الشاعران الآخران هما : « ريتسوس » و «تيميليس» .
● من دواوينه الشعرية : « النزول الى صمت الأزمان » صدر عام ١٩٣٣ ـ « الحرب » ١٩٣٦ ـ « رحلة كبير الملائكة » ١٩٣٩ ـ « مارغريتا » ١٩٣٩ . ثم طبعت أعماله الشعرية الكاملة فى مجلدين : المجلد الأول تضمن قصائدة حتى عام ١٩٥١ ، وتضمن المجلد الثاني قصائده التى كتبت بعد ذلك التاريخ .

لو لم تعطني الشعر يا سيدي



لو لم تعطنى الشعر ، ياسيـدى
لمـا أصبح لي شيء أحيا من أجلـه
هذه الحقـول ما كانـت ستصيـر ملكي
أمـا الآن ، فأنا سعيد بشجر الزيتـون
وبالأغصان تنبثـق مـن حَجَـري .
وتمتلىء راحتـاي شمسـاً ،
وصحـرائي أهـلا ،
وبساتيني عصافـير مغـردة .

● ● ●

الآن ، خبرنـى كيـف يبـدو لك كـل هـذا ؟
أرأيـت سنابلـي ، ياسيـدى ؟
أرأيـت كرومـي ؟
أرأيت كم هـو جميل الضـوء الساقط على وديانـي
ولا زال لـدى مـن الوقـت متسـع !
لـم استصلـح ياسيـدي بعـد كل أراضى .
يحفـر الألم بداخلـي ، ويتعاظـم قـدري .
أوزع ضحكاتـي مثـل كسرة مـن الخـبز .
ومـع ذلـك
لا أبدد شمسـك هبـاء
لا ألقـي ممـا تعطيـني أي فتـات مهمـا ضـؤل .
لأنـني أفكـر فى عزلـة الشتاء القـادم وبـرده ،
لأن ليلي سيجـيء . لأنه أضحى وشيكـاً ، ياسيدي ،
ويجب أن أكون قد أعـددت كوخـي قبل أن أرحـل
معبـداً لرعـاة الحـب .

قصائد من اليونان

أجمع الفتات المتساقط

خـذ أى طريق تشاء . أصعد إلى أية قمـة . أسأل أية شجرة تحلو لك .
أتسمعـني ؟ كل دروب الأرض توصـل الى قلبي .
لا يبهرنك النـور فتنسى نفسك . هل تسمع ؟ تعـال !

أجمـع الفتـات المتساقط كي أرسـل اليـك قليلا من الخـبز .
أجمـع بيـدي المكسورة ما بقي من الشمس ، كي أرسلـه اليك كسـاء
علمـت أنك تشكـو مـن البـرد .
أرتـد يـوم الفصـح ثوبـك الأخضر
سـوف يجري الأطفال حاملين زهـورا . ويطلع الحمـام .





لـولاك

لولاك ما وجـد الحمـام مـاء ليرتـوي
لـولاك لمـا فجـر اللـه النـور فى الينابيـع
تتناثـر الكلمـات في مهـب الريـح زهوراً ورياحين
وفـى حجـرك من السماوات مـاء تجلبيـن ،
وتتقاطـر الضيـاء .
ويجلـل هامتـك قمـر من العصافيـر .

مرثية من سبعة مقاطع

(١)

تارة بطيبة قلب ، وتارة بحماقة ، وتارة أخرى بذكاء ولباقة ، معتمداً على الكلمات أحياناً ، وأحياناً على الأحلام ، جرب كل أوجه النشاط فى عصره تقريبـــا .

كان شجرة عجوزاً ، ورأى أن الكثير مما جرب سيدينـه الزمان ، لو أن الأمطار المفاجئة جاءت هادئة . هكذا كانت الشجرة تقول . بينما هي نفسها لم تكن تعرف أي الأغصان من أعماقها ستتجدد ، وَتُعِدُّ زهـراً وأوراق .

على أن الشيء الذى لم يفهمه قط ، أنه مضت تتكون بداخله طبقة صلبة من الآلام ، راحت تتساقط ألماً ألماً ، وتتراكم رويداً ، رويداً ، وبلا انقطاع . شيء يشبه منجماً من فحم الخشب . سيذوب مثل الجليد يوماً . وعندئذ سوف تنبت بداخله ، وتغطى كل الأرجاء ، زهور سوداء .

ـ ٢ ـ

خطرت بباله أكثر من مرة ، أن ينهض من كرسيه ، ويهوي بقبضته على المنضدة ليحطمها بكـل قوة .

لكنه يعود ـ هو الشجرة العجوز ـ ويفكر . لماذا يفسد هذه التحفة البديعة الصغيرة ، ما ذنبها إن كانت قد ولدت ضعيفة لا تقوى أن تفعل الكثير ؟ مثلا ، لِمَ لَمْ تصنع كي تصبح خزاناً عند مسقط من مساقط عمرها ؟ إلا أنها على الدوام ستظل فى دنيا الله المخلوقَ الصغير ، ستظل على أية حالة تحفة من تحفه البديعة .

ـ ٣ ـ

كان يقول أنه سيصلح البستان . وكم من كلام فارغ قال !

كانت يداه معولين يهويان باصرار على ورق كسفوح الجرانيت .

يزرع شجراً من أجل الأطيار ، وزهوراً من أجل النحل .

كان يعرف أن البرقوق يروق للأطفال ، والبرتقال للملائكة العابرة فى الصباح .

كان يعرف ذلك . ولكن من أين له الماء والشمس والخزانات ؟

كانت الدناصير تمر ، وتمضي بالأشجار بين أنيابها . والمحاربون يحطون هناك .

كل شيء كان يمر فوقه ، وتنغرس فيه عجلات العربات التى تحمل جثث الأموات .

وكان يقول « ياشمسى ! » ويحفر ، حتى ارتطم معوله بحافة الليل الذى كان قد هبط . فَتَسَمَّرَ ، وظل فى مكانه هناك .

ـ ٤ ـ

يريد أن يتخيل العالم ، كما كان آنذاك ،

عندما كان يجري فى الغرف الفسيحة ، ذات النوافذ التى تجعلك تظن أنها الأفق ، متعقباً فراشة رقيقة ملونة ، تحس بدورها فى ذلك البيت بالسماء .

أو مقتفياً أحد الأطيار كان يزوره ـ ليس فى وقت محدد ، بل حينما يشاء ـ يطوف مثل ملاك صغير فى الغرف .

(جبال عالية متناسقة فى الأعماق ، وأدغال خضراء ، لا بيوت على الاطلاق. غربان أو سحب صغيرة عابرة ، وأجراس ترن من قطيع جديان يرعى هنا وهناك . ولا شيء غير ذلك) .

هـذا العالم تماماً ، كما كان آنذاك ، يريد أن يتخيلـه ،

ممسكاً رأسه بين يديـه ، مملوء بالذكريات والشمس والنغمات ،

مطلا على حيث تصطخب ، وتمور الهاوية المظلمة .

ـ ٥ ـ

بعد ذلك بكثير ، أدرك أن روحه مفرق طريق غريب ، وطأته آلاف الأقدام ، وطبعت عليه آثارها مسامير أحذية ثقال وحفرت شتى أنواع العربات بعجلاتها الضخام على أديمه الأخاديد .

مفرق طريق ، مليء بالطين المقيت ، معجون ببصاق خطباء ، ونفايات لاجئين عابرين ، ودموع شحاذين ، يقفون طوال النهار جامدين ، عميان يمدون صفائحهم الصدئة مستجدين ، والسماء تهيل عليهم أمطارها ، فيذوبون

بعد ذلك بكثير ، أدرك أنه كان بحاجة الى هذا الطين ، وأن كل ما حدث كان حسناً ان حدث ، وأنه ـ حمداً لله ـ عاش من العمر ستين ، وفعل أفضل ما بالامكان أن يفعل : أحب الناس حباً شديداً .

ولا يهم أن أخفق بسبب هذا الطين ، الطين الذى أنعم به عليـه ، كي يعجنه بضياء شمسه ، ويصنع نوعاً جديداً من الانسان ، على قمة جبل الأحزان .

ـ ٦ ـ

كتب حياته ، وسلم أوراقه للديـــان
لا يرفض الزمان ـ كما ترون ـ أن يتلقى من احد أوراق .

على ان الكثير مما يتلقاه ينبذه ، وإن كان بالبعض يحتفظ .

يدرسه باهتمام ، ويغربلـه ،
ثم يدلـي بحكمـه . لا يعرف احد ابتداء باي صفة سيستقبلـه ـ وذلك إن استقبله ـ متهما ، أم شاهداً ، أم مدعياً .

وعلى اي حال ، فهـو قد فـرغ .

كتب حياته على الورق . ووقع على ما كتب ثم نظر الى البحر والى الجبال . وانصرف يبحث عن مكان هادىء ينام فيه .

ـ ٧ ـ

مثل موجـــة تَمَـزَّقَ قلبهـــا
عنـد صخـرة عاليـــة ، لمـع لحظـة
ثم حـل الليـل محلـــه .

ترجمها عن اليونانية : د. نعيم عطية



الحركة والسكون

مع الفنان عبدالله يوسف

حركة الفن البحريني تبحث عن طريق!

أجرى الحوار: علوي الهاشمي

● : كيف كانت علاقتك الأولى مع اللوحة ؟

: يمكنني القول بأن علاقتي الأولى مع اللوحة بدأت منذ دخولي المرحلة الابتدائية وكانت تتسم بعفوية أو سذاجة كبيرة يفرضها صغر السن وضحالة التفكير في تلك الفترة طبعاً ... لكن تلك العلاقة العضوية تنامت وتتطورت مع تطور التفكير ، حتى وصلت الى لحظة الدهشة وبالتالي الاكتشاف ... ذلك حتى توثقت علاقتي بشكل جدي مع لوحة « الرفض » وكان ذلك في العام ١٩٦٨ . تلك اللوحة احتضنت فيما بين أضلاعها الأربعة أول فكرة وأول اسلوب تقني ضمن تجربتي الفنية الخاصة .. منذ تلك اللوحة أصبحت علاقتي باللوحة تعني شيئاً اخر يبتعد بكثير عن السذاجة وضحالة الادراك .

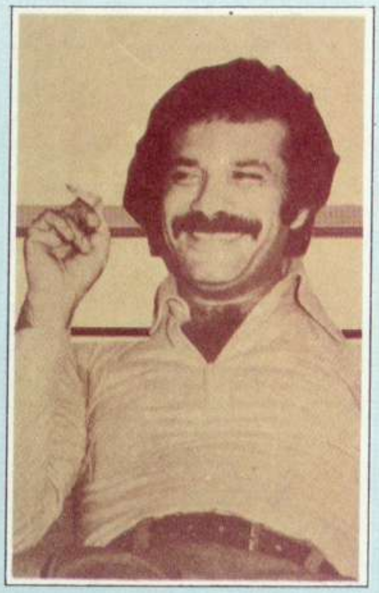
● : انت تضع قدميك بثبات وتوازن على ارضيتين : الفن التشكيلي والفن المسرحي .. ما هي الحدود المشتركة في نظرك بين الأرضيتين ؟ وما مدى ارتباط كل منهما بالاخرى ، في سياق تجربتك الفنية ، تأثراً وتأثيراً ؟ .

: الفن التشكيلي عنصر رئيسي وفعال ضمن مجموعة عناصر فنية تشكل فيما بينها الفن المسرحي بمعناه الشامل ــ فالمسرح كما قيل هو ابو الفنون ــ ومن خلال تجربتي المحدودة في الفن المسرحي أدركت أن المسرح ليس فقط ابا الفنون ، بل هو يتعدى ذلك الاصطلاح أو المفهوم الى آفاق أرحب وأوسع . والحدود المشتركة بين الفن التشكيلي والمسرح .. عديدة ومتنوعة ، تبدأ من شكل المسرح الخارجي كمعمار مروراً بصالة العرض وبرواز الخشبة وتكوينها ومروراً بالديكورات والاكسسوارات والملابس والالوان والممثلين والاضاءة والحركة .. وكل ما يمكن ان يندرج تحت ما ذكرته .. والارتباط بين كل جزء والآخر فيما أشرت اليه كارتباط الشكل بالمضمون في أي عمل فني خلاق كل جزء ينبع من الآخر ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً جداً .. وكل جزء يؤثر في الآخر ويتأثر به . واجزم بكل اقتناع بأن الفنان المسرحي المبدع هو ذلك الانسان الذي يمتلك جانباً كبيراً من القدرات والامكانيات والاحاسيس المذهلة التي يتيحها الفن التشكيلي بكل عوالمه السحرية المدهشة .

● : يلاحظ على معظم لوحاتك مباشرية الموضوع والفكرة ، بحيث تبدو عناصرها وابعادها واضحة كل الوضوح منذ الوهلة الأولى . مثلا : لوحة «مذكرات بحار» يتكون موضوعها من العناصر التالية : الغواص ، الدانة أو اللؤلؤة الكبيرة ، اليد ، العين ، المحارة الفارغة . ولوحة «تالف» تأتلف فكرتها من العناصر الموضوعية التالية : الصليب ، المئذنة ، السهم ، الشمس العتمة . هل تقصد من وراء كل ذلك الوضوح في طرح موضوعاتك وبسط أفكارك ؟ ولماذا ؟

● : الملاحظ أيضا على لوحاتك ، في معظمها ، قوة الحدث أو المناسبة التي ينطلق منها ذلك الموضوع أو الفكرة ... الى درجة أن أصبحت مثل تلك «المناسبة» شرطاً من شروط فهم لوحاتك والتفاعل معها بالنسبة للمشاهد فمثلا لوحة « تالف » تنطلق من حرب لبنان الطائفية . ولوحة

نبذة فنية عن الفنان عبدالله يوسف



منذ بدايته الأولى فى المرحلة الابتدائية ، كان اهتمامه يشمل عدة أنشطة فنية ضمن الاطار المدرسي .. فقد كان عضوا فعالا فى جمعية الرسم والخط والنجارة والأشغال اليدوية والجمعية التعاونية ، التى كانت تهتم وقتها برسم الخرائط الجغرافية بأحجام كبيرة

فى عام ١٩٦٣ تعرف على الأندية . ومارس نشاطه فى الرسم من خلال نادى الاتحاد الثقافي والرياضي بالمحرق والذى تحول فى العام ١٩٧٠ الى مسرح الاتحاد الشعبي . ومن خلال ذلك النادى تعرف على المسرح من أضيق ابوابه ..

ومنذ عام ١٩٦٣ تركز اهتمامه فى خطين متوازيين ـ الرسم والمسرح ـ ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٧٠ كانت هي الأعوام الحاسمة فى بلورة رغبته الجادة فى الممارسة الفنية .. فقد ركز جزءاً أساسياً من وقته فى البحث عن الصياغة التشكيلية فى اللوحة .. ونفذ مجموعة أعمال عرضها فى أول معرض علني أقامه فى نادى البحرين بالمحرق سنة ١٩٧١ .

وكانت تلك السنة بمثابة البداية الجادة والحقيقة له نحو الفن التشكيلي .

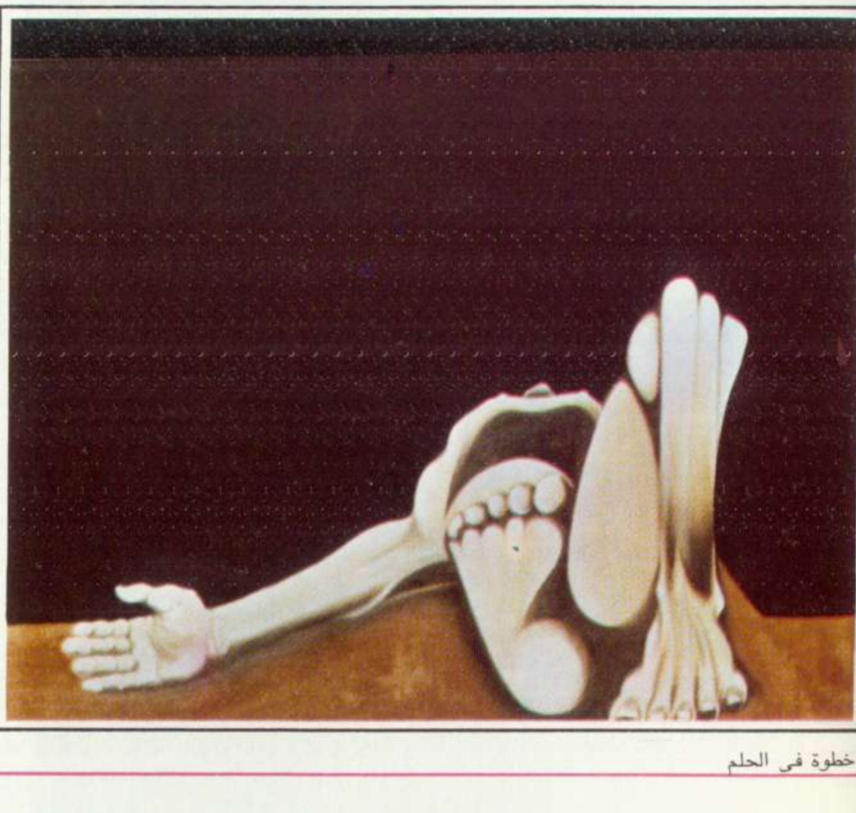
في عام ١٩٧٠ طرح فكرة تأسيس كيان يمارس العمل المسرحي بشكل منظم ويحصر جل اهتمامه فيه .. وبالفعل تم تحويل نادى الاتحاد الثقافى والرياضي الى مسرح الاتحاد الشعبي .

بعد عدة شهور لاتتجاوز الأربعة حدثت خلافات حادة بين الأعضاء وانقسموا الى مجموعتين .. مجموعة واصلت انتماءها لمسرح الاتحاد الشعبي ، وقسم أخر فضل الانسحاب معه .. فخرجوا وعقدوا اجتماعاً فيما بينهم فى نفس الليلة حيث طرح فيه فكرة تأسيس كيان مسرحي آخر ، وبالفعل تم الاتفاق على تأسيس ذلك الكيان تحت اسم «المسرح البحريني» الذى تبدلت تسميته بعد ذلك الى «مسرح أوال» .

ومنذ ذلك التاريخ واصل بأسلوب جاد ومركز اهتماماته بالمسرح والفن التشكيلي كل منهما يخدم الآخر ويلتحم به .

وقد شارك فى عدة معارض تشكيلية ، سواء فى البحرين أو خارجها .

ولا يـزال يواصل السير .



خطوة فى الحلم

«الحدث» تنطلق من استشهاد احد المناضلين . ولوحة «مذكرات بحار» تنطلق من حياة الغواص بتفاصيلها وشروطها . ألا ترى أن مثل هذا الربط «المناسبي» من شانه الحد من اتساع الأفق الانساني العام للوحة الفنية؟

: أنا أعتقد بان مباشرية الموضوع مع لوحاتي ، تستنتج فى أحيان كثيرة من عناوين اللوحات وفى بعض الأحيان من طبيعة وشكل التكوين الفنى فى اللوحة ، لذلك يشعر المشاهد للوحاتي منذ الوهلة الأولى بانه اكتشف ما تطرحه اللوحة من مضامين ـ من ناحيتي أحرص على ابراز الحس الجمالي فى اللوحة وعلى شد المشاهد من خلال ذلك الجمال وصدمه منذ الوهلة الأولى بحيث يشعر بانه امتلك اللوحة وسبر أغوارها . ويحدث ذلك الشد الذى أعنيه من العنوان أو من خلال الشكل والألوان بالدرجة الأولى . المهم أن يتوافر فى اللوحة كعمل فنى تشكيلي عنصر شد مباغت يتيح للوحة فرصة فرض نفسها على المشاهد الذى

حركة الفن البحريني تبحث عن طريق!

بالتالي يستهويه حب البحث والاكتشاف ، فيحاول التمعن كثيراً في الأشكال والألوان المعروضة أمامه ، وبناء على تكوينه النفسي والثقافي تبرز أمامه عدة استنتاجات وتحليلات تكون فى كثير من الاحايين ابعد بكثير عن المباشرية التى فوجىء بها فى البداية .

وفى رأيي بان اى عمل فني لا يتيح للمتلقى فى عالمنا الثالث تلك الفرصة فانه يظل فى حدود الشكل . كما اننى اعتقد بان قوة الحدث او المناسبة التى تنطلق منها مواضيع لوحاتي ، لاتحد من اتساع الأفق الانساني العام للوحة ـ ذلك أن الأساليب الفنية الحديثة تختزل الأفكار والاشكال فى رموز وتكوينات فنية ايحائية تحاكي العين والتفكير مجتمعين وليس العين فقط .

● : تتراوح لوحاتك فيما بينها من ناحية الأسلوب الفني والتصميم ، خاصة فيما يتصل بالخط واستخدام اللون . ماذا يعنى ذلك فى سياق تجربتك الفنية ؟ وهل هو يعكس حالة نفسية معينة ؟ .

: ذلك يعنى انه اول أسلوب تعرفت عليه ووضعت من خلاله لوحاتي . وكان جديداً على الحركة الفنية فى البحرين ... وقد بدا ذلك واضحاً من خلال اشتراكي لأول مرة فى المعرض السنوى الذى تقيمه الوزارة وكان ذلك في المعرض الثاني عام ١٩٧٣ . وقد كانت آراء الجمهور والزملاء الفنانين متفقة على ان اسلوبي كان جديداً ومغايراً لكل الأساليب المطروحة فى الساحة الفنية التشكيلية المحلية.

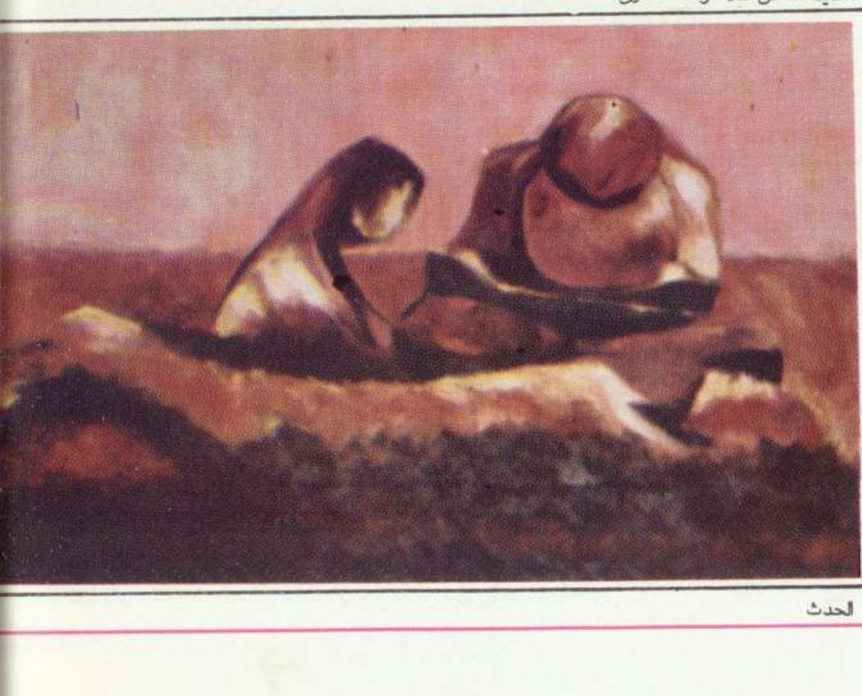
كان ذلك دافعاً مفرحاً وقوياً لي كي أواصل معالجتي التشكيلية بنفس الأسلوب الذى استطاع أن يكون حوله جمهوراً يناقش ويحلل ويطلب المزيد . ولقد توغلت زمناً يتجاوز العشر سنوات فى دهاليز ذلك الأسلوب ، حتى صرت أشعر حالياً برغبة عارمة فى الانطلاق من خلاله نحو أساليب ومعالجات أكثر زخماً وعطاء .

أما الجزء الثاني من السؤال والمتعلق بما إذا كان ذلك الأسلوب يعكس حالة نفسية معينة ... فانني اعتقد بأن النتاجات والأعمال الفنية فى أى مجال من مجالات الابداع الانساني الفني تكون بالضرورة انعكاساً لحالات نفسية صادقة بقدر ما فيها من صدق واصالة .. كما اننى اثق تماماً بأن كل عمل فني صادق وأصيل ، يتخلق نتيجة حالة شعورية ونفسية يعيشها ويعانى سوراتها اى فنان صادق ... وما عدى ذلك فهو محض ثرثرة .

● : فى نظرك هل هناك



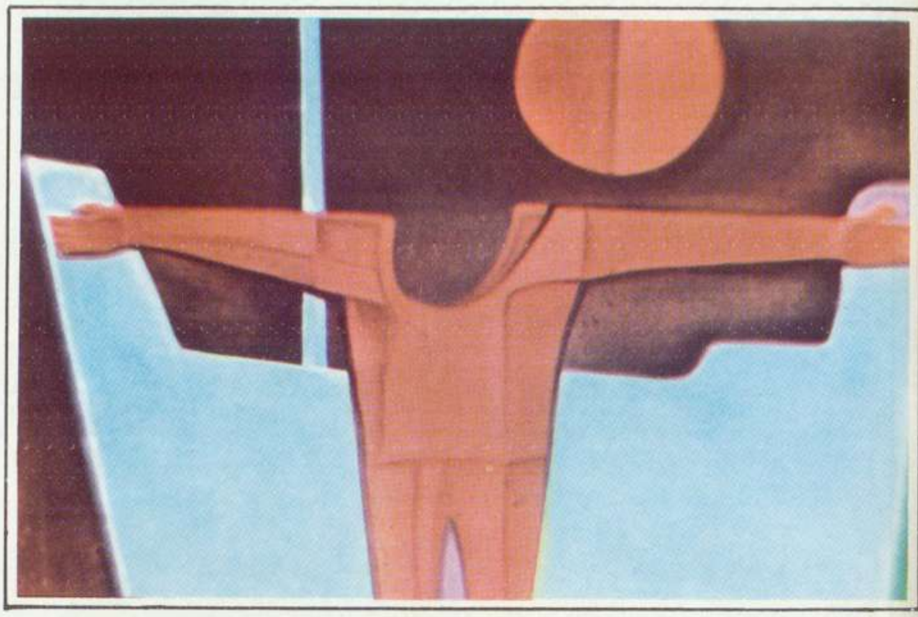
الحديد ساخن فلا توقف الطرق



الحدث



من مذكرات بحار .

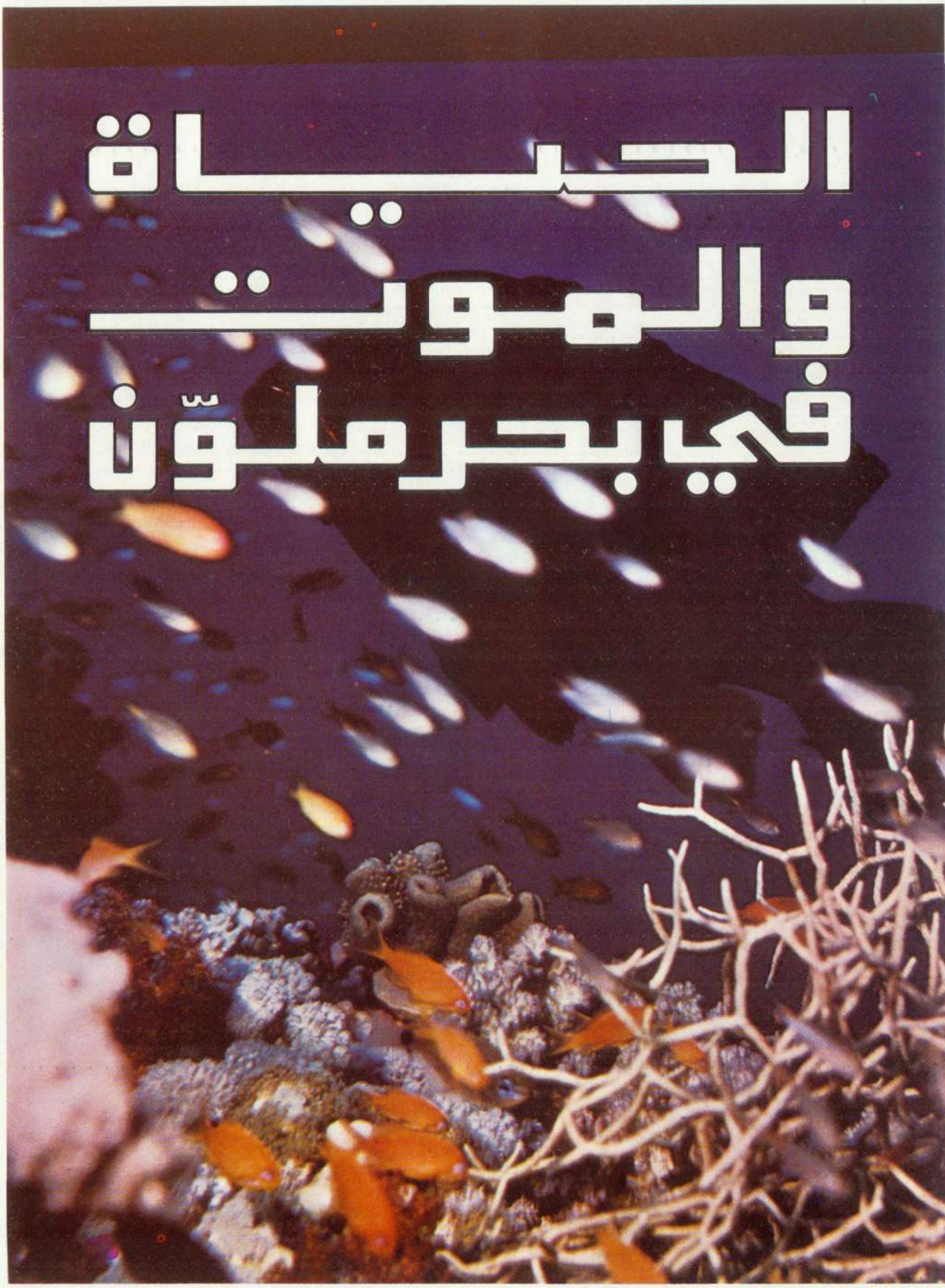


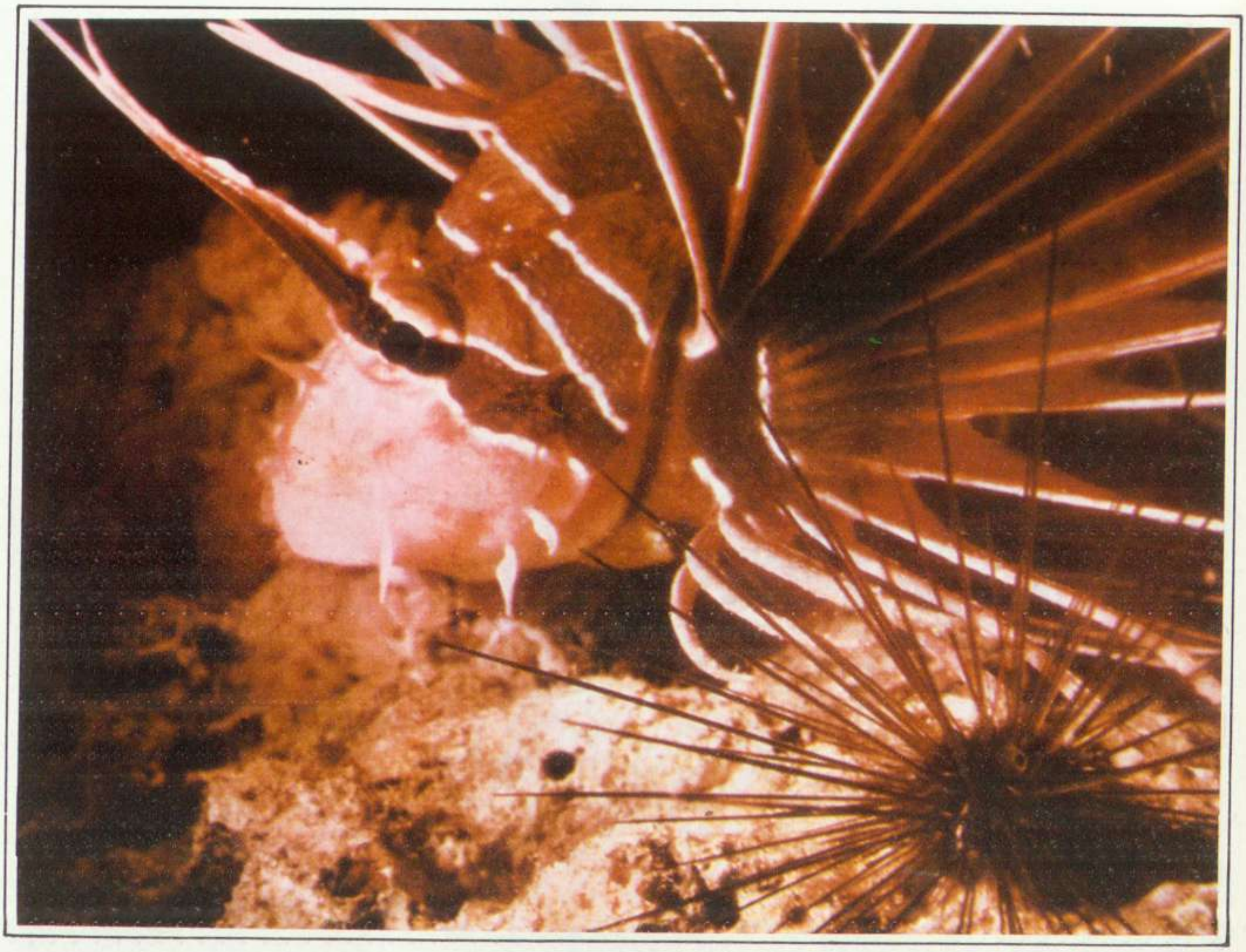
الراس

خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية فى البحرين ، وما هي ؟

: الحركة الفنية التشكيلية فى البحرين لازالت حتى اللحظة الراهنة تبحث لنفسها عن المستوى المطلوب سواء فى المضامين أو التقنيات . نحن فى البحرين لازلنا نناقش ونتساءل عن المستوى الذى توصل اليه الفنان التشكيلي من التجربة والحضور فى الساحة ، هل هو يقترب بمستواه الفني من العتبات الجيدة أو المتوسطة أو المتدنية ؟ بمعنى آخر أعتقد بأنه من المحال أن تتوحد خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية فى البحرين ما لم يستقر الفنانون بمستوياتهم عند العتبات الجيدة .... لازال كثير من الفنانين رغم التجربة الطويلة فى الممارسة الفنية والعرض تتعرض مستوياتهم فى معظم الأحيان للاهتزاز والضعف والهزال . إذا بوضع كهذا لا نستطيع أن نرصد بأى حال من الأحوال خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية فى البحرين ... فى رأيي ذلك مطمح بعيد جداً ، لا يمكن أن يتحقق مالم يتحقق للحركة التشكيلية مستوى راق من الابداع الفني فى المعالجة والطرح .... ومالم يتمكن الفنان التشكيلي من الارتقاء بمستواه الفني والثقافي والفكرى . أخيرا يمكنني الجزم بانه لا يمكن أن تتبلور خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية فى البحرين مالم تتبلور خصوصيات مميزة راقية لكل فنان تشكيلي يمتلك رصيداً زمنياً كبيراً من التجربة فى الممارسة العملية والعرض والشهرة

علوى الهاشمي البحرين


الحياة
والموت
في بحر ملوّن



قنفذ بحرى من ذوى الأشواك السوداء الطويلة وفوقه سمكة الجنخ الشهيرة التى تشبه الديك الرومى عندما تنشر اشواكها السامة .

بقلم : صنع الله إبراهيم

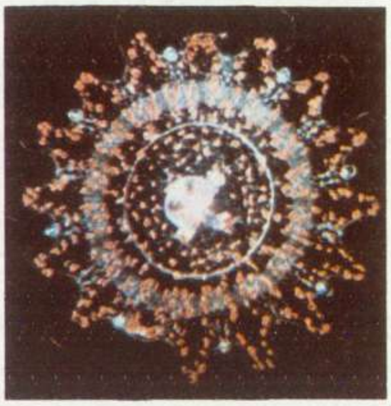
يعتبر البحر الأحمر ، الذى يقع فى قلب العالم العربي ، من أكثر البحار اثارة فى العالم ، سواء من حيث تاريخه السياسي أو تكوينه الجيولوجي أو موقعه الجغرافي .

هذه الخصائص بالذات جعلته ينفرد بثروة حيوانية نادرة ، ومتنوعة ، لم تحظ للأسف الى الآن بالاهتمام الكافي من جانب الأقلام العربيـــة .

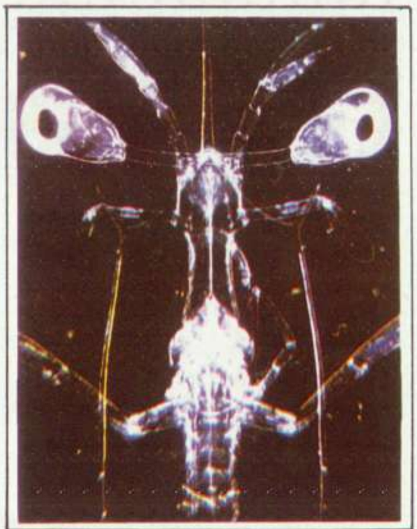
وفى هذا الموضوع والموضوعات القادمة تحاول «الدوحة» تلافي هذا النقص بمغامرة مثيرة ، تنقل عالم البحر الأحمر لأول مرة الى مجال الابداع الفني ، فى قصص شائقة ، تستند الى نتائج أحدث الدراسات العلمية .

وهو النهج الذى اتبعه كاتبها فيما نشر له حتى الآن من قصص علمي ، أصدرتها دار الفتى العربى البيروتية ، وتناولت عوالم العناكب والنحل واليرقات والحيتان والدلافين .

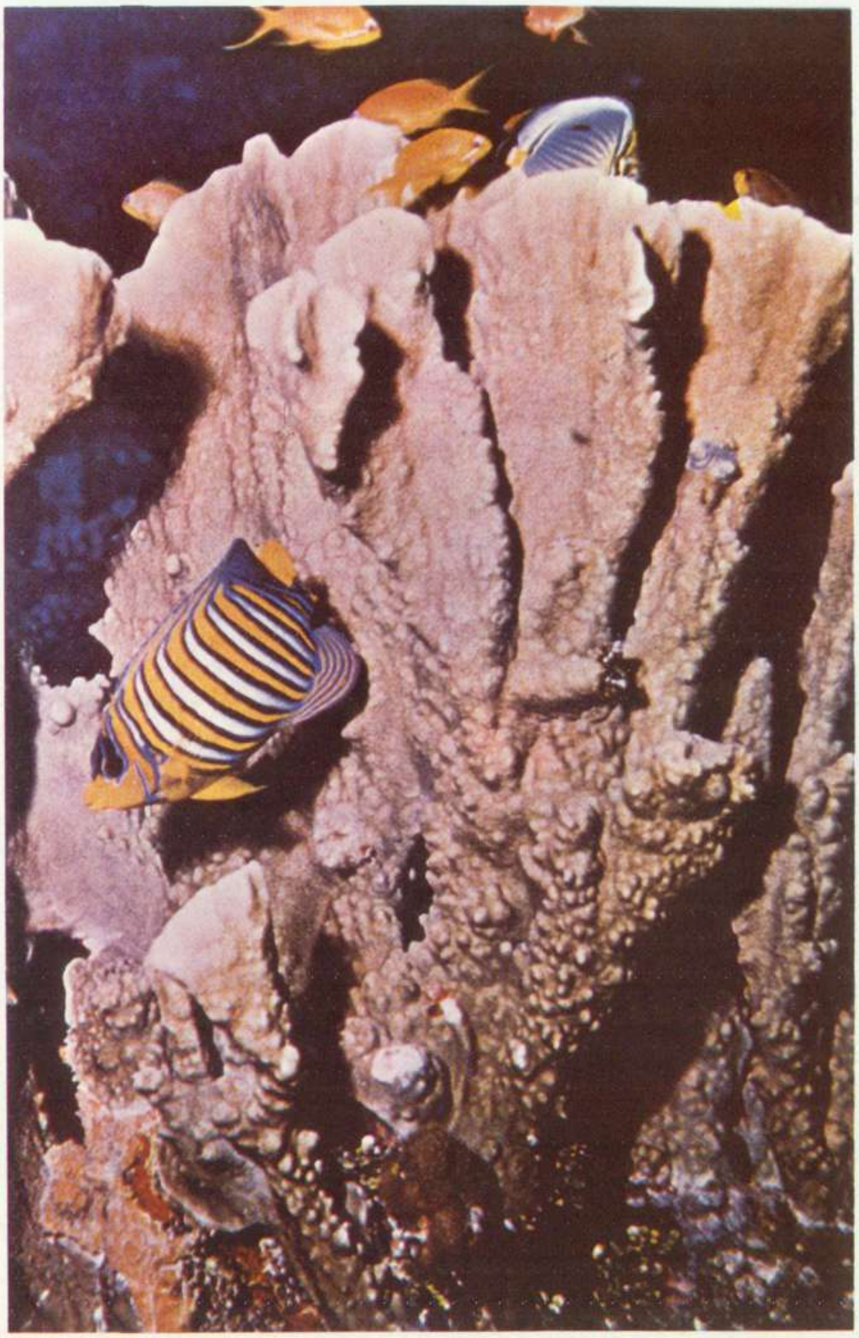
الحياة والموت في بحر ملون



عضو آخر من مملكة الحيوانات الدقيقة .



هذا الشبح المرعب ليس إلا أحد أعضاء المملكة الحيوانية الدقيقة .



جزء صغير من الجدران الملونة التى تمتد على شاطىء البحر الأحمر

الغـــزو

كانت مياه الشاطىء مغطاه بمادة لزجة منفرة ، خضراء اللون .

وتحت السطح ، أكتست الصخور المنحدرة نحو الأعماق ، لوناً غير مألوف هو اللون الرمادى .

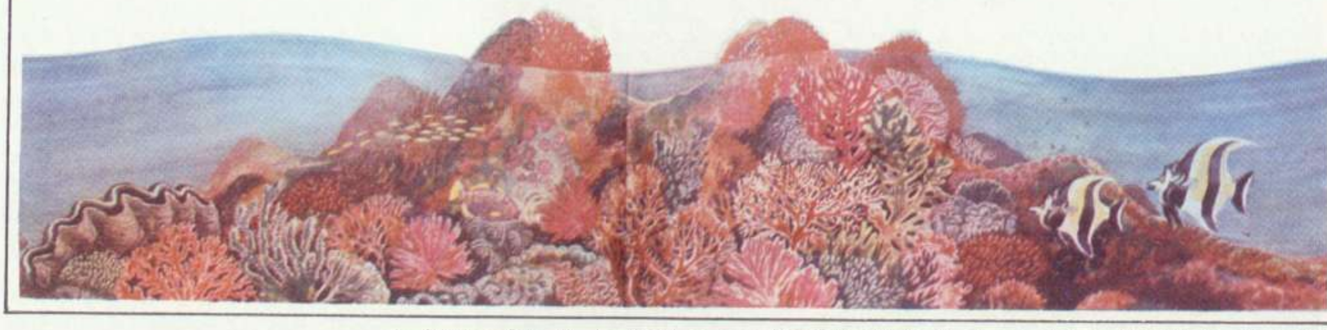
وبينها ، زحفت عدة مئات من السراطين فى بطء شديد . توقف بعضها عن الحركة تماماً ، عندما انفصلت سيقانه ووقعت في الماء .

وهنا وهناك تناثرت المحارات من ذوات الصدفتين ، وقد التصقت الطحالب بفتحاتها المنفرجة ، ونمت أنواع من بكتريا العفن على اللحم الميت داخلها .

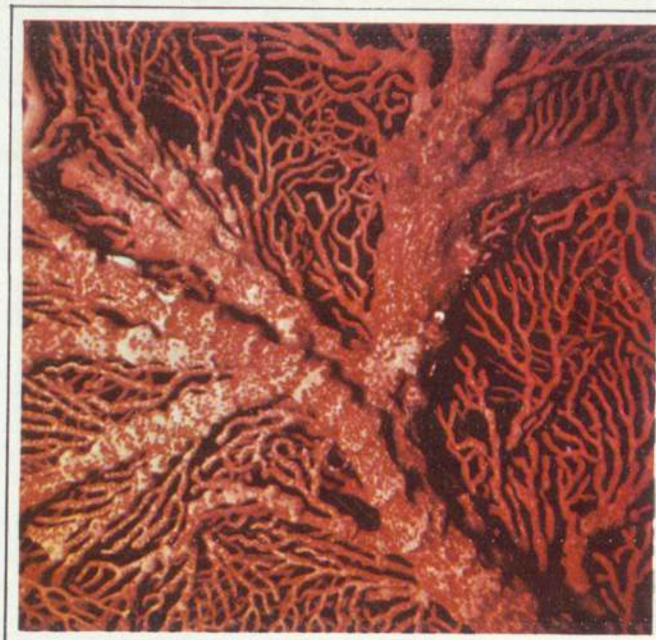
وبدت الطحالب ذاتها متجعدة مجردة من ألوانها اللامعة . وهو ما حدث أيضاً لنجوم البحر ، التى كانت منذ أسابيع قليلة تزهو بألوانها البرتقالية والحمراء والزرقاء ، وهي تتنقل فى نشاط بين الصخور ، فى حركات رشيقة ، تصل عند بعض أنواعها الى مرتبة الرقص .

وتساقطت يرقات الأسماك ميتة الى القاع . أما الأسماك فعامت الى جوار الشاطىء فاغرة الأفواه ، تتحرك خياشيمها بسرعة ، كأنها تجد صعوبة فى التنفس .

ووسط مظاهر الهلاك هذه ، لم يكن بوسع تلك الحيوانات الجميلة الشبيهة بالزهور ، أن تحيـــا .



الأشكال المتنوعة بألوانها الساحرة للمستعمرات المرجانية المختلفة هكذا تبدو تحت الماء الشعاب المرجانية وتحمل الأسماك المستوطنة ألوانا زاهية أيضا . ويظهر الى اليسار نموذج نادر من حيوان البصر العملاق ذو الصدفتين .





عندما تنكمش البوليبات فى مستعمرة المرجان المعروف باسم مروج البحر ، تبدو مثل النقط الحمراء فوق اللحم البرتقالى (الصورة الأولى) وفى الليل تتمدد لتتغذى ، فتبرز من مكامنها بأجسامها الشفافة لتخفف من اللون البرتقالى الساطع للحم المستعمرة (الصورة الثانية) .

عندئذ ، لم يعد أمام قنافذ البحر ذات الأشواك الطويلة السوداء ما يدعوها للبقاء ، وشرعت تزحف مبتعدة .

• • •

وقعت هذه المأساة الصغيرة عند مدخل خليج العقبة ، حيث تجمعت مع الزمن كتلة من النفايات الطافية ، استقطبت كل ما تقذفه السفن العابرة من زجاجات وفوارغ ومعلبات وأكياس بلاستيكية .

وذات يوم انضمت اليها طبقة من البترول التى تسربت من إحدى الناقلات . وتكونت من الاثنتين ملاءة سميكة ، حجبت الضوء والأوكسجين عن الكائنات الحية تحت سطح الماء .

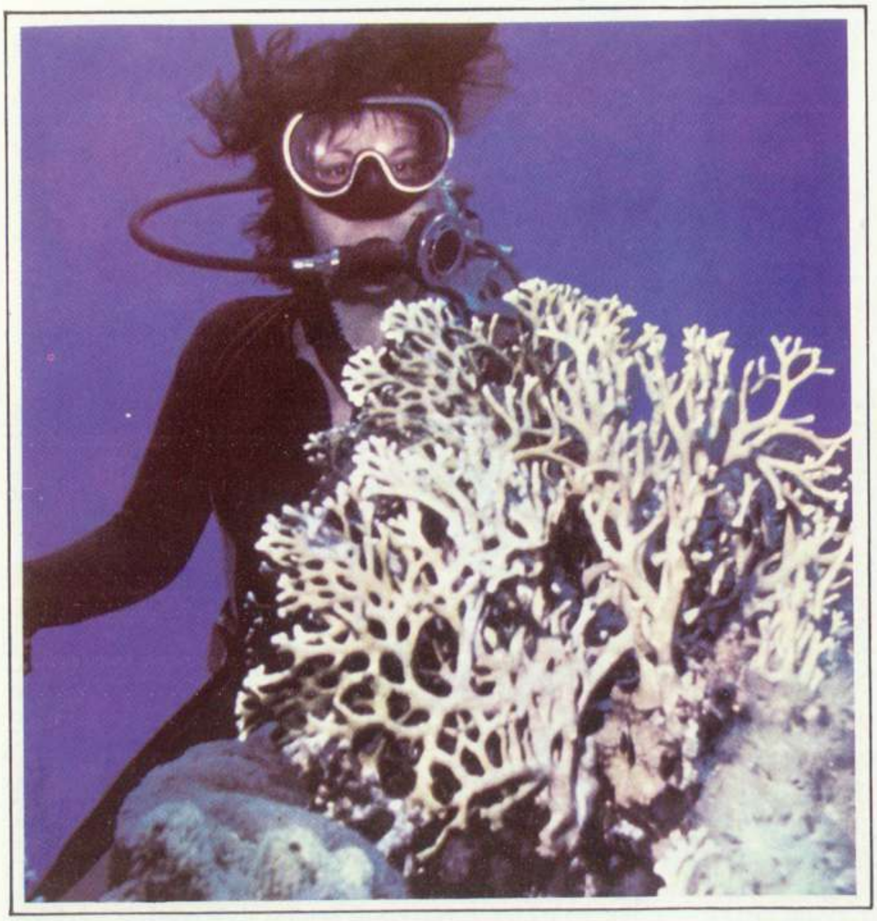
ولأن البحر الأحمر بحر شبه مغلق ، لم تتمكن تياراته من أن تجرف الكتلة المدمرة بعيداً نحو المحيط ، والتصقت بالشاطىء ناشرة الموت بين أحيائه .

إلا أن تأثيرها لم يكن قاصراً على مدخل الخليج وحده . فقد كانت مسئولة بشكل غير مباشر عن مأساة أخرى صغيرة جرت على امتداد الشاطىء العربي للبحر الأحمر نحو الجنوب ، على مبعدة ٢٥٠ كيلومترا .

• • •

اتجهت القنافذ جنوباً تبعاً لاتجاه

الحياة والموت في بحر ملوّن



مستعمرة من المرجان المعروف باسم النارى أو اللاسع ولا تظهر البوليبات فى الصورة

حركة الطبقات العليا من المياه ، التى تأثرت بدورها برياح صيفية تهب على طول البحرمن الخليجين الى باب المندب.

على أنها كانت تدرك أيضاً ـ بذلك الحدس الذى يتولد عند الحيوانات من الرغبة فى البقاء ، والمعرفة التى تتجمع عبر ملايين السنين ـ أن الاتجاه شمالا حيث الخليج المغلق الضيق ، الذى تقطعه السفن جيئة وذهاباً طول الوقت ، لن يعود بغير المزيد من التلوث .

وأثبتت الأيام التالية صدق حدس الحيوان الصغير .

كانت جماعاته تتحرك ليلا وتهجع نهاراً . فما إن تشرق الشمس ، حتى تهبط الى الأعماق البعيدة عن الضوء ، فتحفر لنفسها بين لب الرمال والصخور ، أو تنزوي فى الشقوق والفجوات . ثم تستانف السير مع حلول الظلام .

وبالتدريج أخذت المياه تصفو ، وتمتلىء بأشكال الحياة المتنوعة . ولكن القنافذ واصلت السير . فأحيانا لا تتوفر كميات كافية من ذلك الحيوان الجميل الشبيه بالزهرة ، الذى خرجت تبحث عنه لتتغذى على لحمه الرقيق .

وأحياناً أخرى تكون المياه ضحلة ، مرتفعة الحرارة .

وهو ما كان يدفع جماعات أخرى من القنافذ ـ ينتمي بعضها الى أنواع مختلفة تتميز بأشواكها القصيرة وألوانها الارجوانية ـ الى الهجرة والانضمام الى الجيش الزاحف .

وسواء كان الحماس نابعاً من كثافة جموعها أو شعورها المتزايد بالجوع ، فانها كانت تتحرك الآن بأقصى سرعتها بعضها كان يتقدم على أقدامه الأنبوبية الرفيعة . والبعض كان ـ بدافع الرغبة فى الاسراع ـ يلجأ الى أشواكه ، فيتدحرج فوق أطرافها .

والنتيجة أنها أصبحت تقطع قرابة نصف الكيلومتر فى الساعة الواحدة . وهي سرعة فريدة بالنسبة لحيوان بغير رأس أو عينين .

والواقع أن قنافذ البحر تنتمي الى واحدة من أكثر المجموعات اللافقرية تقدماً . وتتوفر أدلة قوية على أنها تمثل حلقة هامة فى العلاقة بين هذه المجموعات ، والسلالة الفقرية التى خرج منها الانسان .

فجسمه الصغير الذى لا يتجاوز فى حجمه أو شكله حبة من حبات الطماطم ، يتألف من كتلة من اللحم الطيب ، تحيط بها علبة جيرية ذات فتحتين : واحدة على السطح السفلى ، بين الأقدام ، هى فتحة الفم . والثانية تقابلها على السطح العلوى وهى فتحة الشرج .

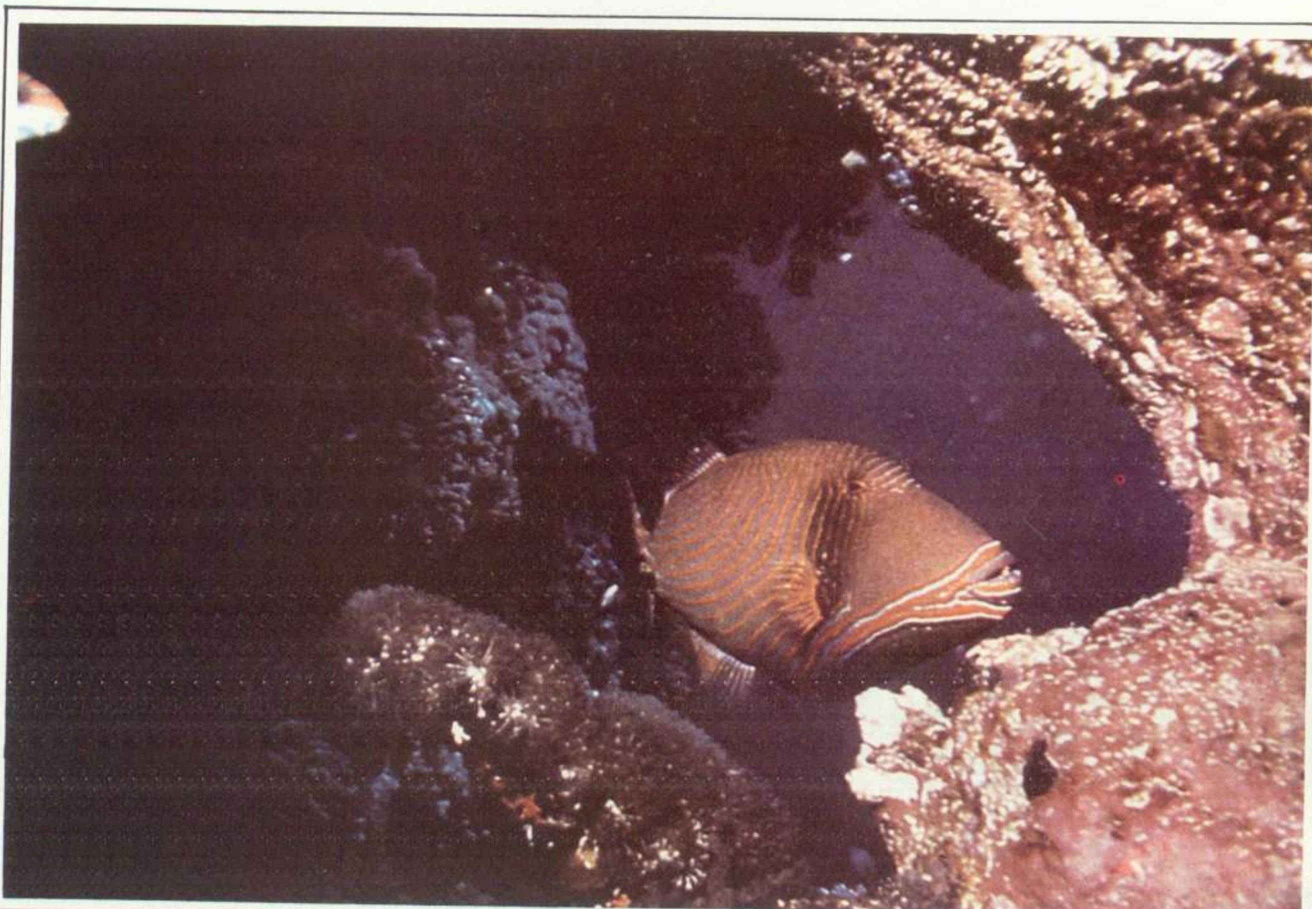
لكن غابة من الأجهزة المعقدة ، وأسلحة الدفاع والهجوم تنتشر على سطح هذه العلبة ، فتكذب منظرها البسيط .

فمن الفم تبرز الأطراف المدببة الصلبة لخمسة أسنان بيضاء مقوسة ، تصطف بصورة دائرية حول فتحته . وتحيط بالفم حلقة من الخياشيم ، ثم مجموعة من الملاقيط الصغيرة ، دائمة الحركة ، تنتهى بثلاثة فكوك صغيرة تماثل مناقير الطيور ، يحتوى بعضها على غدد سمية .

وتأتي بعد ذلك خمسة صفوف مزدوجة من أقدام أنبوبية مطاطية ، قادرة على التمدد ، تنتهي بممصات يمكن أن تلتصق بأى سطح صلب .

وعلى الجسم كله تنتشر أجسام مستديرة دقيقة ، كالعيون ، تحتوى على خلايا الاحساس المتصلة بشبكة عصبية

ويتخلل هذا كله ، عدد لا يحصى من الأشواك الاسطوانية المدببة ، ذات الصلابة البالغة ، يتراوح طولها فى بعض الأنواع ٢٥ و ٤٠ سنتيمترا ،



سمكة شائعة بالبحر الأحمر من عائلة الخنزير .. تستطيع أن تقضم أشواك القنفذ البحرى شوكة شوكة .

وترتكز على الجسم بمفاصل تسمح لها بالدوران فى قواعدها .

فاذا اقترب جسم ما من أية ناحية ، فانه يحدث تغيرا مفاجئاً فى درجة الضوء الذى تستقبله خلايا الاحساس على سطح القنفذ ، وعلى الفور تدور الأشواك حول محاوره . كالمدافع الصاروخية الحديثة ، لتتجه في ايماءة تهديدية نحو الجسم الغريب وتتابع أى حركة تبدر عنه .

• • •

على مبعدة نحو مائتين وخمسين كيلومتراً جنوباً ، كان الشاطىء الذى تحف به سلاسل جبلية ملونة بالأسود والأحمر ، ينحنى فى شبه مرفأ صغير ، يسمى بالشرم ، صنعه فى الماضى مصب واد من أودية الصحراء العربية .

وعندما تنحسر مياه الجزر ، تتكشف بالتدريج طبقة طينية قبيحة المنظر ، ملاصقة للشاطىء ، وتمتد فى البحر عدة مئات من الأمتار .

ولكن ما إن يصل هذا الامتداد الطيني الى اقصى نقطة له فى عرض البحر ، ويبدأ فى الانحدار نحو الأعماق ، حتى تتغير الصورة تماماً ، إذ يختفى الطين تحت أغطية من الألوان الارجوانية والذهبية والبنفسجية التى تمتزج مع زرقة البحر الشفافة فى لوحة رائعة التكوين .

ولا يستمر هذا الجدار الملون ، الذى تبرز منه شرفات هائلة تغطيها الأشجار الى أعمق من ستين متراً ، يواصل الشاطىء هبوطه بعدها فى صخور صماء فوق سلسلة من الدرجات يتراوح ارتفاع كل منها بين مائة وأربعمائة متر حتى الظلمات الباردة للبحر الساخن ، الذى يزيد أقصى عمق له على الألفي متر بقليل .

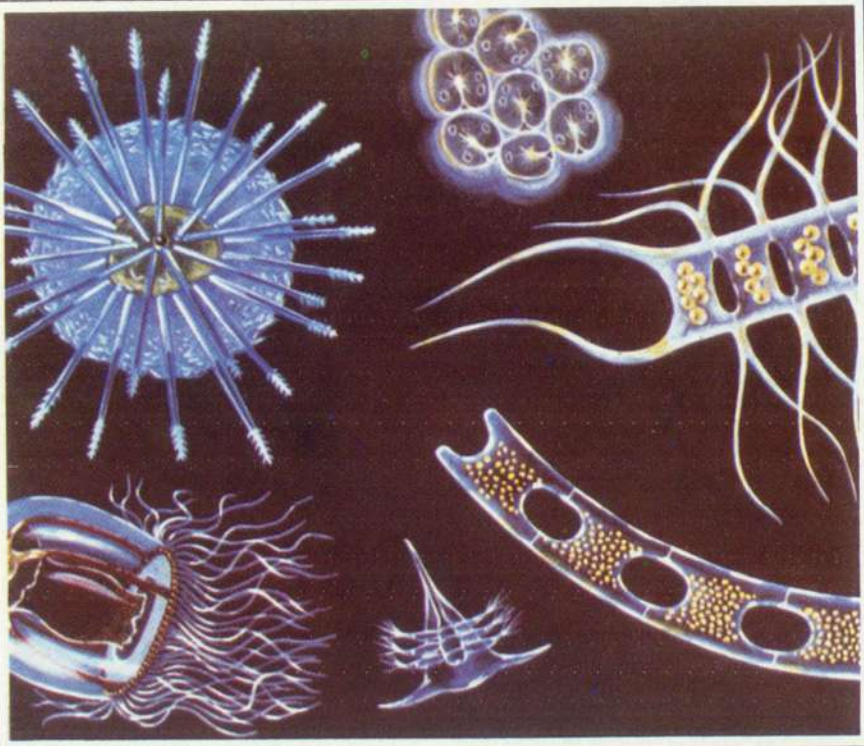
أما كتلة الجدار نفسها ، التى تشكل الطبقة الطينية سطحها العلوي ، فعبارة عن منصة هائلة تآلفت على مدى ملايين السنين من تراكم الهياكل الجيرية لعدد من الحيوانات التى تتمتع بالقدرة على امتصاص أملاح الكالسيوم الذائبة فى الماء وإعادة افرازها من جديد فى هياكل متنوعة السمك والشكل تحيط بها نفسها.

وأمثال هذا الجدران الجيرية الملونة التى تعرف باسم الشعاب المرجانية ، توجد فى أماكن كثيرة من عالمنا : حول استراليا ، وفى البحر الكاريبي . وعلى شواطىء المحيط الهندى ، بل وفى البحر الأبيض المتوسط .

إلا أن الطبيعة خصت البحر الأحمر ، وشاطئيه اللذين يمتدان أكثر من ألفى كيلو متر ، بعدد من أقدم هذه الجدران ، وأكثرها تنوعاً فى الألوان وأشكال الحياة

ويعود السبب الى ما تتمتع به مياه هذا البحر من خصائص فريدة على رأسها الدفء وثبات درجات الحرارة (التى لا تهبط عن ٢٠ درجة مئوية على مدار العام) ، والملوحة الزائدة وانعدام

الحياة والموت في بحر ملوّن



كل شكل من هذه الأشكال الغريبة عبارة عن «دياتوم» أونيات دقيق الحجم للغاية بحيث لا يرى بالعين المجردة ومع ذلك فهو أساس الحياة الحيوانية فى البحر .

الأمطار .

وهي الشروط التى تحتاج اليها أشكال الحياة بالشعاب ، المتحرك منها كالأسماك والسراطين ، والثابت في مكانه لا يريم كالاسفنج والمرجان .

وعلى أساسها قام هذا المجتمع المغلق الذى تربط بين أفراده عديد من العلاقات المعقدة المتشابكة ، سداها التعاون والتكافل حيناً ، ولحمتها الاستغلال الذى يصل الى درجة الافتراس فى الأحيان الغالبة .

• • •

ويحتل مركز الصدارة فى هذا المجتمع حيوان صغير الحجم للغاية ، حتى أن قطره لا يزيد أحياناً عن ملليمترات قليلة ، ولا يتجاوز ارتفاعه عدة سنتميترات ، يتواجد غالباً فى مستعمرات من عدة مئات أو آلاف ، لا يزيد حجم أغلبها عن ثمرة ناضجة من ثمار البطيخ . ويماثل الزهرة فى شكلها الخارجي وألوانها ، لكنه لا ينتمى الى مملكة النبات ، وهو فوق ذلك كله من أكلي اللحوم المفترسة ، رغم ضعفه الشديد ، إذ تكفى لمسة من انسان أو حفنة من رمال للقضاء عليه .



مستعمرة مرجانية كما تبدو بالليل وقد تمددت البوليبات واستطالت وانتشرت ملامسها المزودة بخلايا لاسعة . ووسط رأس كل بوليب تبدو فتحة الفم الدقيقة .

يطلق الناس على هذا الحيوان اسم «المرجان» ، ولكن الدقة العلمية تفرض علينا أن ندعوه باسمه : «البوليب» .

والبوليب كلمة فرنسية الأصل تعني «أقداماً كثيرة» . وهو وصف غير دقيق للحيوان البحري الذى لا يملك قدماً واحدة ، وينتهي جسمه الاسطوانى القصير من أسفل بقاعدة ملتصقة بالصخور . ومصدر الاسم فى الغالب هو الطرف الآخر لجسم الحيوان الذى ينتهي بقرص أفقى ـ كالزهرة ـ تتوسطه فتحة الفم (وهي فتحة الشرج فى نفس الوقت) ويحيط بها عدد من الأصابع القصيرة ، سهلة الحركة ، تشبه بتلات ممتلئة لزهرة ، يطلق عليها اسم اللوامس .

هذا الجسم المكون من مادة هلامية ، ليس أكثر من جهاز هضمي مجوف تحيط به طبقتان من الخلايا : واحدة داخلية تفرز العصائر الهاضمة ، والأخرى خارجية تفرز الجير ...أحياناً .

ذلك أن البوليب أنواع . بعضها ينتمي لحيوان مختلف تماماً هو المعروف باسم الشقائق البحرية . أما البقية فتتوزع على مجموعة من الحيوانات

البوليبات الجائعة المنتشرة على الشعاب ، والتى كانت لوامسها تخفق فى الماء وتتموج فى حركة دائرية ، الهدف منها هو التقاط أبناء مجتمع الكائنات الهائمة .

فأفراد هذا المجتمع - ويقدرون بمليارات الكائنات التى لا يرى أغلبها بالعين البشرية المجردة - يهبطون فى هذا الوقت بالذات من سطح البحر الى الأعماق بعد نهار كامل قرب الشمس .

ذلك أن الأعضاء الأساسيين لهذا المجتمع ينتمون الى عالم النبات ، ويحتاجون الى الشمس من أجل القيام بعملية التمثيل الضوئي ، أى يستعينون بضوئها لتحويل ثاني أوكسيد الكربون المذاب فى الماء الى سكريات وأوكسجين

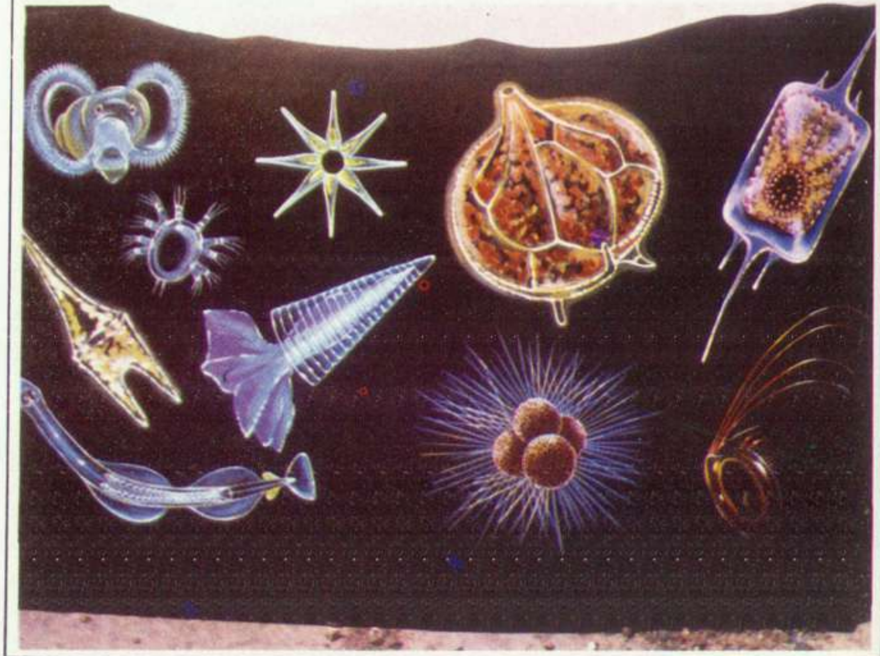
وهذه النباتات عبارة عن طحالب ، يتألف كل منها من خلية واحدة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكنها تتكدس فى قطرة الماء الواحدة بنفس الصورة التى توجد بها ذرات الغبار فى شعاع من أشعة الشمس .

والطحلب الواحد - أو الدياتوم كما يسمى علميا - عبارة عن مادة خضراء مغلفة بصبغة سمراء تحيط بها علبة زجاجية يكونها الكائن من المعادن المحيطة به . ويتخذ التكوين اشكالا ساحرة متنوعة .

وعلى الدياتومات ذاتها أو ما تخرجه من أوكسجين ، تتغذى بقية أعضاء مجتمع الكائنات الهائمة أو الدقيقة ، الذين ينتمي بعضهم الى عالم الحيوان مثل بيض ويرقات الأسماك والقشريات والقواقع ، ويتأرجح البعض الآخر بين العالمين ونعني به تلك الكائنات العضوية أو السوطية التى تتحرك بذيولها كالحيوان ، وتصنع طعامها بنفسها كالنبات .

ويتحرك الجميع فى سحابة كثيفة تجعل البحر مثل طبق هائل من الحساء ، تصعد محتوياته (التى لا يبدو منها سوى الاجسام الشفافة لليرقات والقشريات الصغيرة) الى السطح مع شروق الشمس وتهبط الى الأعماق مع غروبها .

وإذ تقترب جيوش الكائنات الدقيقة من الحائط الملون للشعاب ، تبدو أشبه



أشكال أخرى لا ترى بالعين المجردة للنباتات الدقيقة فى البحر .

مجتمع الشعاب ، فان الشمس هى حاكمه العسكري .

فالبوليب لا يتحمل البرد الشديد بمثل ما لا يتحمل الحرارة الشديدة أو الضوء المباشر لأشعة الشمس .

والنتيجة أن المملكة المرجانية الحية لا تغامر بالبروز فوق سطح الماء ، ولا تمتد نحو الأعماق أبعد من ٣٠٠ متر فى العادة ، عندما يتلاشى آخر أثر للأشعة فوق البنفسجية .

وطالما كانت الشمس ساطعة ، انكمشت البوليبات وغطت أجسامها بملامسها ، أو اختفت داخل كؤوسها الحجرية .

وعندما تغيب الشمس ، تدب الحياة فى ملايين البوليبات ، فتتمدد وتنتفخ ، وتبرز من كهوفها الصخرية ، وتنبسط لوامسها وتخفق : تستيقظ لتأكل وتتناسل وتموت .

انتشر الظلام فى الطبقات العليا للبحر ، انعدمت الرؤية بين الشعاب ، وهو أمر لا أهمية له فى عالم يعتمد سكانه على وسائل أخرى أكثر فعالية من الرؤية المباشرة .

مثلما كانت تفعل الآن ملايين

المتشابهة ، أحدهما فقط هو المرجان الحقيقي ، وهوالذى يفرز بوليبه هيكلا خارجياً من الحجر الجيرى ، ولا يعيش إلا فى مستعمرات من آلاف الأفراد أو البوليبات .

أما البوليبات الأخرى فمنها ما يتميز بلين الهياكل التى تكونها عندما تتفرع ، أو بمادتها القرنية التى تشبه مادة ظفر الانسان . وبعضها يعيش فى مستعمرات ، والبعض الآخر يعيش منعزلا عن الآخرين . وتدعى جميعاً بالمرجانيات . ومنها المرجان الأحمر الثمين الذى لا يوجد في البحر الأحمر ، وانما يتكاثر على شواطىء المغرب العربي .

وبقدر تعدد أنواع المرجانيات وألوانها ، تتعدد أيضاً أشكالها وتتباين ، فهناك مراوح البحر ، وأقلام البحر ، وقرن الغزال ، والمخ ، وعيش الغراب ، والكأس ، والكف ، والأرغن ، ودم الأخوين .

● ● ●

وإذا كان البوليب هو مركز الحياة فى

الحياة والموت في بحر ملوّن



ما أبعد الشبه بين هذه الكائنات وأنواع السراطين والجمبريات لكنها ليست إلا يرقات هذه القشريات المعروفة و هى بذلك من الأعضاء الأساسية بمجتمع الكائنات الهائمة فى البحار .

بأسطول من القوارب الصغيرة يجرب إنزالا ليلياً مفاجئاً على الشاطىء فى غفلة من حراسه .

وما يحدث لهذه الحيوانات الدقيقة عندما تلامس الأهداب المنتشرة فوق النتوءات البارزة المتموجة للبوليبات الضئيلة ، هو نفس مايمكن أن يحدث لأسطول الانزال الليلي إذا كان الحراس فى انتظاره .

فعلى أسطح هذه اللوامس تنفجر كبسولات دقيقة للغاية مخبأة تحت الجلد ، تحتوى على خطوط حلزونية ملفوفة ، ومشدودة .

وتنطلق هذه الخيوط بقوة ، شأنها شأن خطاطيف صيد الحيتان التى ترتد أثناء الاطلاق ، فتلتف حول الأشواك البارزة على سيقان القشرية أو اليرقة وتكبلها تكبيلا جيداً .

ومن كبسولات أخرى تنطلق خيوط مماثلة تغطيها أشواك مائلة فى عكس اتجاه اندفاع الخيط ، وتتميز عن الخيوط السابقة بأنها مجوفة ومتصلة بأكياس من السم فى قاع الكبسولة ، وأنها تنطلق بقوة تجعلها تخترق أجساد الضحايا .

والطبيعي ألا تستسلم الفرائس الدقيقة بسهولة ، وتقاوم باستماتة . لكن مقاومتها لا تؤدى إلا الى اشتراك المزيد من الخلايا اللاسعة فى المعركة . ولا يلبث أن يتدفق الى أجسادها عبر المجاري المجوفة للخيوط . وفى ثوان يكون الشلل قد أصابها .

عندئذ تحف اللوامس من حولها ، وتدفعها فى رفق نحو فم البوليب .

وتكون إحدى المواد الكيماوية فى سوائل أنسجة الحيوان المشلول قد تسربت الى الماء ، والتقطتها خلايا الاحساس البوليبية ، المنتشرة على سطوح اللوامس . وتنتقل الرسالة الىفم البوليب ، فينفرج استعدادا للوليمة القادمة . وتتأهب شعيرات طويلة فى مدخله ، وظيفتها تمرير الماء الى البوليب ، لدفع الفريسة داخلـه .

وتنضم اليها أهداب أخرى تعمل عادة في إخراج المياه المحملة بفضلات الهضم فتعكس اتجاه حركتها متخلية مؤقتاً عن وظيفتها الأساسية .

وما إن تنزل الفريسة من بلعوم البوليب الى كهفه الهضمي ، حتى يتقلص جداره الداخلى ليعصرها بين عضلاته ويغرقها فى فيض من الانزيمات الهاضمة .

وعندما تتحول الفريسة المطحونة الى سائل سميك ، وتمتصها عضلات الجدار لتستكمل عملية الهضم فى خلاياها ، ومنها تنتشر المادة المهضومة الى بقية خلايا البوليب ، ومنها الى بقية البوليبات فى المستعمرة .

ومن عجب أن هذه الحيوانات جيدة التسليح تقع فرائس سهلة لقنافذ البحر .

والأعجب من هذا أن غالبية المستعمرات المنتشرة على شعاب الشرم، جنوبي خليج العقبة بمائتي وخمسين كيلومتراً ، حيث ظهرت طلائع القنافذ بعد حوالى شهر ونصف من بدء هجرتها، تنتمى الى ما يعرف بالمرجان الناري أو اللاسع .

وتتميز مستعمرات هذا النوع ، فضلا عن الارتفاع الذى يبلغ المتر ونصف المتر أحياناً بتقسيم عمل واضح . فكل مستعمرة تتألف من نوعين من البوليبات نوع يقتصر على الصيد والقنص ، والنوع الثاني يتولى عملية الأكل والهضم ثم يقوم بتوزيع المادة المهضومة فى أنحاء المستعمرة كلها .

ولهذا السبب يمثل النوع الأول الأغلبية ، فكل ستة أو سبعة من أفراده تحيط بواحد من النوع الثاني . كما أنه أكثر نحافة واستطالة ، لأنه يمسك بالفريسة ثم يميل جانباً بحيث يقدمها الى بوليب مركزي ، قصير ، غليظ ، ذى فم وجهاز هضمي .

ولنفس السبب تحمل لوامس النوع الأول أعداداً كبيرة من خلايا لاسعة بالغة القوة ، قادرة على اختراق جسد الانسان نفسه ، الذى أطلق على الحيوان لقب النار .

لكن هذه الخلايا بالغة القوة ، كانت عاجزة تماماً عندما بدأ غزو القنافذ .

• • •

لم يكد آخر أثر للأشعة البنفسجية يختفى من الأعماق ، حتى برزت جموع

القنافذ من مكانها ، وبدأت رحلتها الى أعلى .

زحفت فوق صخور غطتها طحالب جيرية ، وبين اسفنجيات معلقة كالأيدى البشرية ، وتسلقت الهياكل اللينة لمستعمرات مرجانية على هيئة شجيرات ومرت خلال فروع قرنية تشبه الأقلام والمراوح .

وبينما عامت فى تكاسل أسماك بديعة التكوين ، تنطق عيونها بالدهشة الدائمة انكمشت السراطين والجمبريات بين ثنايا المستعمرات المرجانية ، وأوقف رتل من الكياتن الرحلة التى بدأها منذ شهر بالضبط قطع خلالها متراً كامل ، وجمدت الاستاكوزات الضخمة فى أماكنها وهى تحرك قرون استشعارها فى قلق ، وأغلقت محارات البصر العملاقة صدفاتها على أجسامها المنتفخة الملونة ، وتراجعت الثعابين الضخمة داخل جحورها بعد ساعات من التردد ، أطلت خلالها برؤوسها المرقطة ، التى لا يتفق شكلها المرعب مع جبن صاحباتها الشهير

لم تكن القنافذ بالحيوان الغريب على مجتمع الشعاب ، لكنها تتواجد دائماً فى أعداد محدودة لا تبعث على القلق .

أما هذا الحشد الهائل منها الذى انتشر على سطح الشعاب مثل سحابة سوداء ، فأمر يدعو للخوف .

وهو خوف بلا مبرر .

فرغم أن أغلب حيوانات الشعاب تصلح طعاماً دسماً للقنافذ الجائعة ، إلا أن هذه ماكانت لترضى بغير لحم البوليبات الرقيق ، وهو الهدف الأساسى لرحلتها الطويلة الشاقة .

ولهذا واصلت الصعود بلا هوادة الى أعلى ، حيث تنتشر المراجين الصخرية والنارية .

استولى الذعر على البوليبات .

فصواريخها المرعبة فشلت فى اصطياد الأجسام الزاحفة .

لقد نجحت فى تكبيلها ، لكن الرماح المسممة لم تتمكن من اختراق ترسانة الأسلحة التى تحملها الحيوانات السوداء فوق ظهورها .

والأدهى من ذلك ، أنها فشلت فى وقف زحفها ، وأصبحت عرضة للعضات القاتلة من اسنانها الحادة .

والواقع أن أغلب البوليبات تمكنت من التراجع فى الوقت المناسب ، إذ انقبضت لوامسها وانطوت متشابكة فوق رؤوسها ، ثم انكمشت أجسام البوليبات ذاتها أو انسحبت داخل غرفها الصخرية لكن مصيرها تحدد .

فالقنافذ قادرة على أن تحفر بأشواكها فى هياكل المرجان الصخرية مسافة لا تقل عن ١٤ سم ، وعلى أن تكشط بأسنانها جدران الغرف الحجرية للبوليبات حتى تبلغ أجسادها اللذيذة .

وفى أسابيع قليلة يمكن أن تهلك المراجين ، وتفقد الشعاب ، على مدى امتداد كيلومترين ، زهورها الملونة .

ولا يلبث الدمار أن يمتد الى بقية أشكال الحياة بالشعاب ، وهى الاشكال التى يعتمد كل منها على الآخر بدرجة أو بأخرى فى سلسلة معقدة متشابكة ، ينفرط عقدها إذا تحطمت إحدى حلقاتها.

لولا القانون الذى يسود عالم البحار.

فكما أن للمراجين عدواً منيعاً لا تؤثر فيه سهامها المسمومة ، تحظى القنافذ بعدو مشابه .

وسرعان ما تتوافد على جموعها أفواج من أسماك الشعرم والخنزير والدرمة .

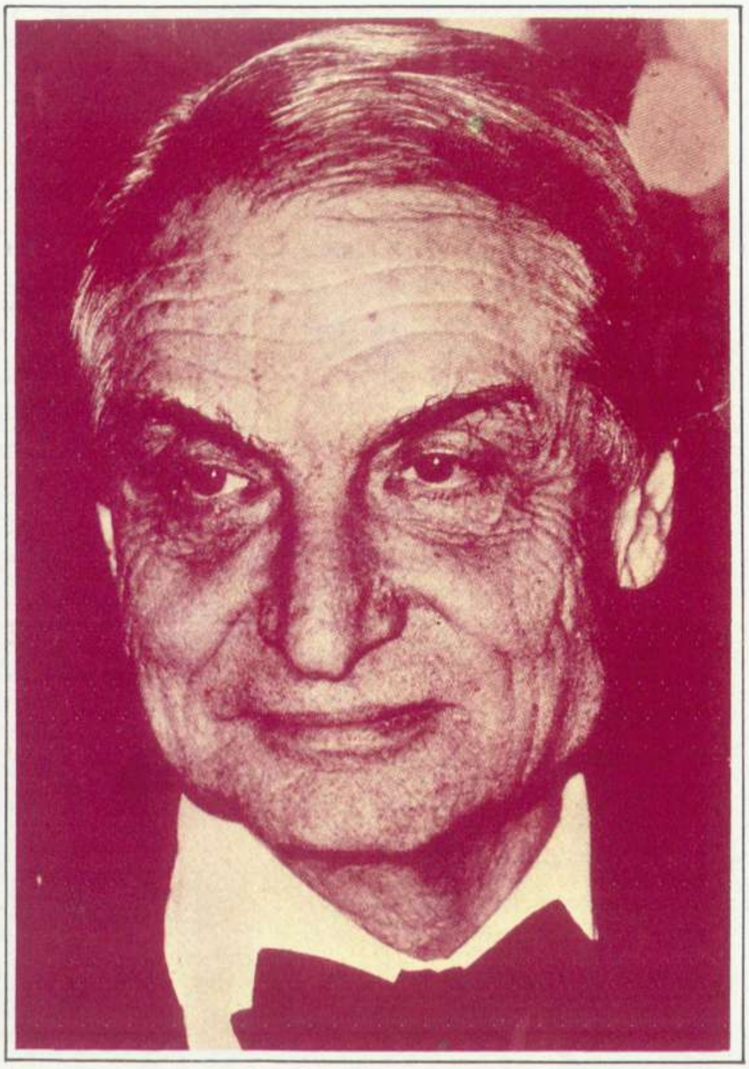
ودونا عن بقية الأسماك والحيوانات البحرية ، فان هذه الأسماك التى تتمتع بفكوك بارزة معقوفة وأسنان قوية ، وتتغطى أجساد بعضها بالأشواك حتى عرفت باسم العائلة القنفذية ، قادرة على أن تقضم أشواك القنافذ قطعة قطعة ، وشوكة شوكة ، إلى أن تعريها تماماً من اسلحتها ، وعندئذ تستمتع بالتهام لحمها الطيب .

فليس بالبحر من لا يقهر .!

صنع الله ابراهيم

عندما تحتل القنافذ أحد الشعاب لا يبرز منها غير أشواكها





ريتشارد إيتنجهاوزن .



مدارس التصوير العربى .

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

بقلم : جمال قطب

قصة اليوم .. هى قصة نبوغ ووفاء والتزام من نوع نادر ..

نعود الى صيف عام ١٩٧٦ ، لنرى حدثاً عالمياً مثيراً على ارض بريطانيا وفى رحاب عاصمتها لندن ؛ إذ أقيم «مهرجان العالم الاسلامى» الذى هز الضمير الانسانى بعنف ، وفتح بصائر العلماء والمثقفين على حقيقة واقعة ، وهى تلك العبقرية المعجزة للحضارة العربية الاسلامية ، ممثلة فى فنونها وآدابها وعلومها التى أيقظت وجدان البشرية على التفتح والمعرفة . وصدر بهذه المناسبة نحو سبعين مؤلفاً ، تتفاوت بين الموسوعات الضخمة والكتب العادية والنشرات



فنون الهند الاسلامية .

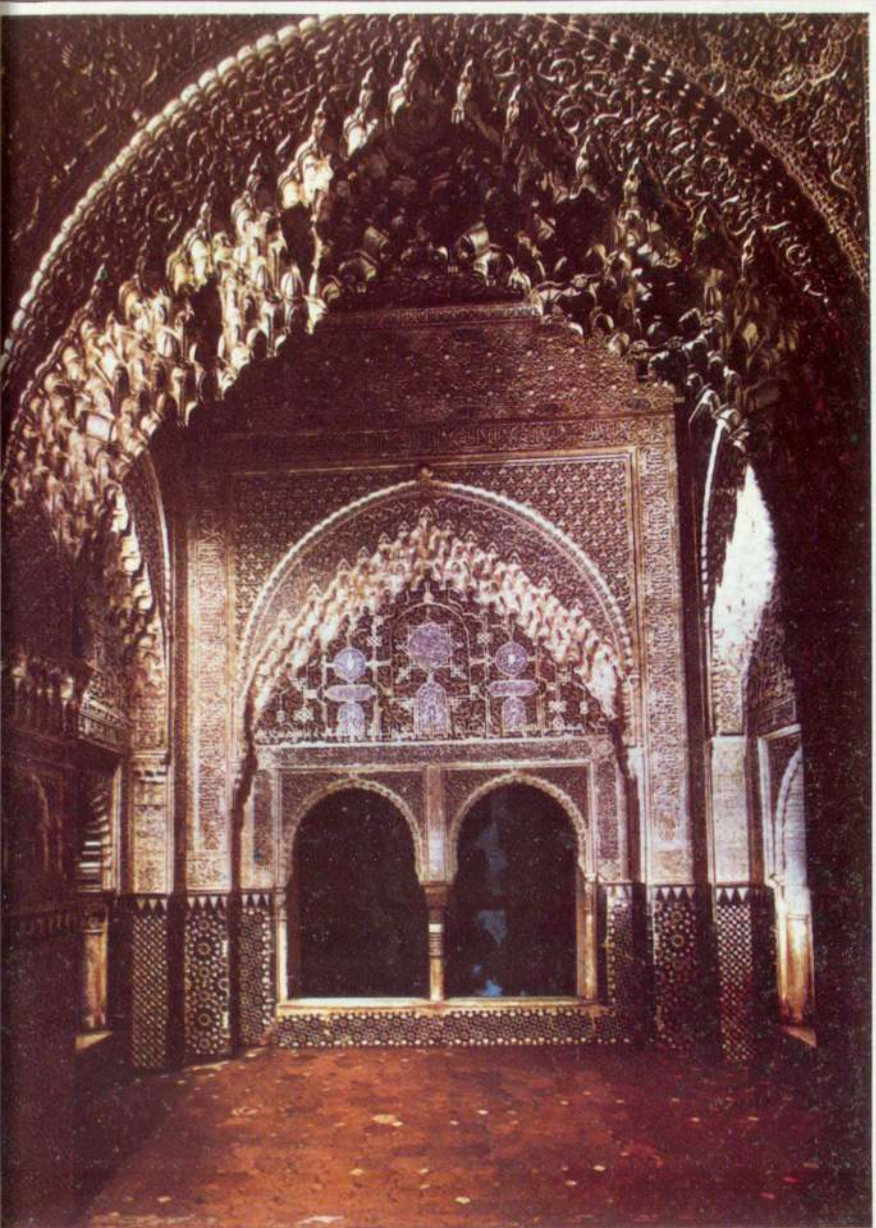
المصورة ، ولكنها تتفق فى غالبيتها من حيث معالجة شتى تخصصات الفنون الاسلامية . كما كان القاسم المشترك بين المؤلفين والباحثين والمؤرخين فى هذا الفيض من الدراسات التراثية

اسماً كبيراً يدوى فى أرجاء الفكر العالمى المعاصر هو (البروفيسور ريتشارد إتينجهاوزن) ! الرجل الذى أوقف حياته وعلمه على استجلاء الحقيقة وإعلاء شأن الحضارة الاسلامية عامة والعربية

بوجه خاص ، واتسمت أبحاثه بالموضوعية والتجرد ، ضارباً فى أعماق التاريخ البعيد قبل الرسالة المحمدية .. وصولا الى مشارف العصر الحديث . وعرف منهجه فى الكشف والاستقصاء

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي



روائع الفن العربى فى الأندلس .

بانه المرجع العلمى الذى لا يرقى اليه شك فيما يصدر من أحكام مدعمة بالأدلة والبراهين .. وما أن تعمق الرجل فى الدراسات الاسلامية حتى تغنى بها وتحول الى داعية لأمجادنا الابداعية وإيمانا لا يبارى فى اخلاصه وتفانيه وحبه الذى وصل الى درجة الهيام . وغمر مكتبات العالم ومحافلها الثقافية بالموسوعات والكتب والمنشورات والمقالات الصحفية والمحاضرات .. وكلها تبحث فى مجالات العبقرية الفنية عند العرب والمسلمين .

.. وأخيراً ، مات الرجل عن عمر يناهز الثالثة والسبعين ! وفجع المجتمع الدولى والمثقفون والمتخصصون فى الدراسات الاسلامية برحيله . وكتب اسمه فى سجل الخالدين ! وكنا نحن العرب — ومازلنا — فى صمت مطبق نحو هذا العالم الجليل ... ولا أدرى على وجه اليقين ما اذا كانت حكوماتنا العربية أو مؤسساتنا الثقافية قد عملت على استضافته فى حياته الطويلة ، أو قدمت اليه الأوسمة والدرجات التقديرية عرفانا له على عطائه الرائع ؟

وبعد أن رحل عن عالمنا وخلف للبشرية هذا الكم الهائل من نتاج فكره ، هل تفكر تلك المؤسسات الثقافية العربية فى أن تتبنى مشروعاً لترجمة مؤلفاته التى تزيد على مائتين وخمسين مؤلفاً بينها كثير من الموسوعات النادرة والمراجع النفيسة ؟ إن تخليد اسم الرجل واجب يفرض نفسه على الضمير الاسلامى فى كل بلاد الاسلام عامة ، وفى الوطن العربى خاصة ، ليبقى رمزاً للنزاهة العلمية المتالقة ، وقد أضافت للفكر الانسانى هذا الفيض من الروائع عن حضارتنا ومآثرنا الخالدة !

المستشرقون بين الأهواء والتجرد

ولكى نوقن بأن إتينجهاوزن ظاهرة فريدة بين علماء الغرب ممن تخصصوا فى مجالات البحث عن العرب والاسلام ، لابد أن نستعرض فى عجالة مناهج البحث عند هؤلاء المستشرقين والمستعربين ؛ فنرى الكثيرين منهم وقد توافدوا على بلادنا العربية منذ بدء حركة الاستشراق التى ظهرت بشكل مركز منذ نحو قرنين من الزمان حتى بلغت أوجها فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن . ويمكننا أن نقسمهم الى ثلاثة أقسام حسب مناهجهم وآرائهم : فريق دفعته أهواؤه ونوازعه الى الاساءة المتعمدة الى كل ما هو عربى أو اسلامى ؛ فقد رأينا — مثلا — راهباً يدعى (لامانس) ، كانت مؤلفاته تتفجر حقداً علينا — نحن العرب — إذ يقول فى أحد مؤلفاته عندما يتناول فن العمارة الاسلامية :

«إن أغنياء قريش ما كانوا يهتمون إلا بالطعام وبسعة القدور ، أما مساكنهم فلم تعرف الفن ، ولم تكن لهم مهابة ، ولم يعرفوا كلمة قصر ، بل كانوا يلجأون الى صناع أجانب إذا ما أرادوا ترميم الكعبة» !

وكان فى كتاباته الأخرى ، كثيراً ما يتعمد الاساءة الى العرب ويتهمهم — بمناسبة أو بغير مناسبة — بالتخلف والبداوة ، ويجردهم من كل جذور حضارية ، وبالتالى ينكر عليهم مجرد المشاركة فى بناء الحضارة الاسلامية !

● والفريق الثانى ، لاشك أنه أضاف الى العلم الشيء الكثير عن تراثنا ومساهماتنا الابداعية فى المسيرة الانسانية ، وذلك كتسجيل وثائقى وأمر واقع لا يمكن انكاره . ولكن علماء هذا الفريق لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى تالق العبقرية العربية تحت لواء الاسلام أو قبله (وقد أثبتت الحفريات والاكتشافات الحديثة أن حضارات مزدهرة تماثل الحضارة الفرعونية والرومانية والاغريقية وغيرها ، كانت تقوم على الأرض العربية قبل الاسلام) . لم يتكبدوا تلك المشاق ، لغياب التعاطف مع تراثنا وأمجادنا التى أقروا بها وانفعلوا باكتشافها ولكنهم لم يتفاعلوا معها تفاعلا وجدانياً من أعماقهم .. ومن هؤلاء ، وجدنا باحثاً مثل (كروزويل) الذى تربع على عرش التاليف فى مجال الفن الاسلامى (وبخاصة فنون العمارة الاسلامية) ، كما كان فى الوقت ذاته مديراً لمعهد الآثار الاسلامية بالقاهرة بعد أن كلف بانشائه عام ١٩٣٣ ، نراه وقد صارت مؤلفاته حينذاك مرجعاً لكل المهتمين بتراثنا وفنوننا وحضارتنا ، وللحقيقة ، فقد أضاف كروزويل للمكتبة العالمية عن العمارة الاسلامية موسوعات رائعة بالكلمة واللوحة والرسوم التفصيلية ، وأهم هذه المؤلفات القيمة أربعة مجلدات تناولت بالترتيب التاريخى : العمارة



فنون الحضارات القديمة للدول الاسلامية .



تأثير مدارس الفن الاسلامى على المدارس الأوروبية .

الاسلامية المبكرة ـ الفاطمية ـ الأيوبية ـ المملوكية .

ولكنه انجز هذه الأعمال الكبيرة من واقع الانبهار بما هو كائن ، ومن دافع ولعه بمتعة الاكتشاف والتالق .. ولم يكلف نفسه مشقة البحث فى مقومات العبقرية العربية الاسلامية أو الاشادة بالتفوق الابداعى للذهن والوجدان العربى فى تلك العصور الذهبية ، بل نراه على النقيض من ذلك ، يلجأ فى بعض الأحيان الى الايحاءات المغرضة ـ متأثراً بنفس النهج الذى سلكه من سبقه من المستشرقين ـ والغرض من هذه الايحاءات هو إنكار فضل العرب فى قيام الحضارة الاسلامية وفنونها المعجزة !

● أما الفريق الثالث ، وهم صفوة العلماء وأجلهم تجردوا فى سعيهم وراء الحقيقة بنزاهة وموضوعية ، حتى أظهروها فى صورتها المثلى ، وكان منهجهم فى البحث ينبع من قناعة شخصية وصلت الى درجة التعاطف والاعجاب ثم الحب لدرجة الهيام .. وكان على رأس هذا الفريق ـ ولقرابة نصف قرن ـ ريتشارد اتينجهاوزن ! فقد تغنى بالعبقرية العربية الاسلامية .. وتباهى بها من منطلق التفوق والريادة ، بعد أن تخطى موقع الدفاع عنها بعزم وإصرار وثقة ، وملأ أسماع العالم وبصره بروائع ابداعاتنا التاريخية النادرة !

الأستاذ ومآثره

نادراً ما نقرأ مؤلفاً لعلمائنا وباحثينا العرب فى العصر الحديث فى مجال الفنون والحضارة العربية الاسلامية ، إلا ونرى اسم إتينجهاوزن يتصدر قائمة المراجع والمصادر الموثوقة المحققة التى استمد منها المؤلف معلوماته ومناهله .

وعندما هممت بكتابة هذا المقال ، ورجعت الى مكتبتى ، وجدت بين مراجعى عن الفنون الاسلامية كثيراً من المؤلفات القيمة ، من بينها ما كتبه (الدكتور ثروت عكاشة) ، ويشيد الرجل باعزاز دائماً ـ ضمن مصادره ـ بالبروفيسور إتينجهاوزن . ومؤلفات (الدكتور عبد العزيز الدولاتى) عن عبقرية الفن الأندلسى والمآثر الابداعية العربية على أرض اسبانيا ، نرى أن اسم إتينجهاوزن يحظى بالقسط الأوفر من بين مصادره . أما (نعمت اسماعيل علام) تلك الباحثة الجادة الرائعة ، فنراها لم تكتف بذكر اسم أستاذها ضمن مصادرها ، بل تصدر بعض كتبها عن فنون الشرق الأوسط بكلمة تقدمة ثمينة من العالم الجليل ، وقد ذكر فى احداها اعتزازه بأن تكون (نعمت) من تلامذته المرموقين فى مجال الأبحاث الاسلامية .

وكذلك يفعل د. فريد شافعى ، د. حسن الباشا ، د. حسين مؤنس ، عبد الله عنان وغيرهم .. وغيرهم .. من الصفوة الذين برعوا فى الكتابة حول هذا التخصص الرفيع ! فالاسم الكبير قد فرض نفسه على العالم اجمع ، وعلى كل باحث عن الحقيقة فى مجال التراث العربى والاسلامى بشتى مراحله وتخصصاته .

النبوغ والعطاء

ومن حق القارىء علينا ، بل ومن واجبنا نحو هذا المفكر العظيم ، أن نورد شيئاً عن حياته ومناهل ثقافته ، ثم عن عطائه وانجازاته التى لم تتوقف للحظة واحدة ... الى أن رحل عن عالمنا فى الثانى من ابريل عام ١٩٧٩ .

● ولد ريتشارد إتينجهاوزن فى مدينة فرانكفورت على نهر الماين فى الخامس من فبراير عام ١٩٠٦ .

● تلقى علومه التاريخية والفنية فى جامعتى ميونخ وكامبردج ، واهتم بدراسة اللغة العربية وآدابها ، وتوج تلك الدراسات العميقة عام ١٩٣١

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

ببحث نال عليه درجة الدكتوراه ، وكان موضوع تلك الرسالة : «قدح الوثنية فى القرآن الكريم» . وطبعت فى فرانكفورت عام ١٩٣٤ ، وكانت من أولى اهتماماته وتفهمه لعالم الاسلام وللرسالة السماوية والاعجاز القرآنى .

● عنى حينذاك عناية خاصة بالدراسات الشرقية والاسلامية فى مجال الفن والآثار ، وتوالت مؤلفاته فى تلك السن المبكرة عن الحضارة الاسلامية وفنون العالم العربى .

● هاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٤ ، وما أن استقر به المقام حتى بدأ فى نشر الموسوعات الكبيرة عن الفن الاسلامي وتراث المنطقة العربية .

● من عام ١٩٣٤ الى ١٩٣٨ عمل إتينجهاوزن مساعداً فى المعهد الأمريكى للفن والآثار ثم عضواً فى (معهد الدراسات المتقدمة) ، ومن عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٤٤ عمل استاذاً للفن الاسلامى فى جامعة ميشيجان .

● وفى عام ١٩٤٤ أصبح عضواً عاملا فى رواق الفن فى واشنطن حتى صار اميناً عاماً للرواق عام ١٩٥١ ، وفى نفس العام تقلد منصب أستاذ الفنون الجميلة فى جامعة نيويورك حتى عام ١٩٦٧ مركزاً فى دراساته على الفنون الاسلامية وتخصصاتها التطبيقية المختلفة .

● وفى الأعوام التالية اخذ يهتم بقسم المعروضات الاسلامية فى متحف (متروبوليتان) فى نيويورك ، واخذ يطوره ويرعاه حتى وصل به الى ما هو عليه الآن من الضخامة والتنسيق واحتوائه للتحف الاسلامية النادرة !

● اعتمدته معظم المتاحف الامريكية مستشاراً وخبيراً لا مثيل له فى العالم لانشاء الأقسام الاسلامية فيها . وبفضل مشورته وتوجيهاته توسعت المتاحف الأمريكية فى اقتناء التحف الاسلامية من كل مكان ومهما كان ثمنها ، حتى أصبحت مراكز حقيقية لأبحاث الفن الاسلامي والتراث العربى ، وبفضل استاذيته وعمله الدائب فى البحث واستحداث الآراء فيما يتعلق بالتعليم الأكاديمى وحلقات الدراسات العليا ، خرج أجيالا من العلماء المهتمين بكل ما هو اسلامى فى ربوع الولايات المتحدة ومن يفدون عليها طلباً للمعرفة من أنحاء المعمورة .

ولم يكتف إتينجهاوزن بهذه المجهودات ، ولكنه أصدر العديد من المجلات المتخصصة مثل (فن الشرق - الفن الاسلامى - اسلاميات) وغيرها فى كثير من دول العالم المتقدم .

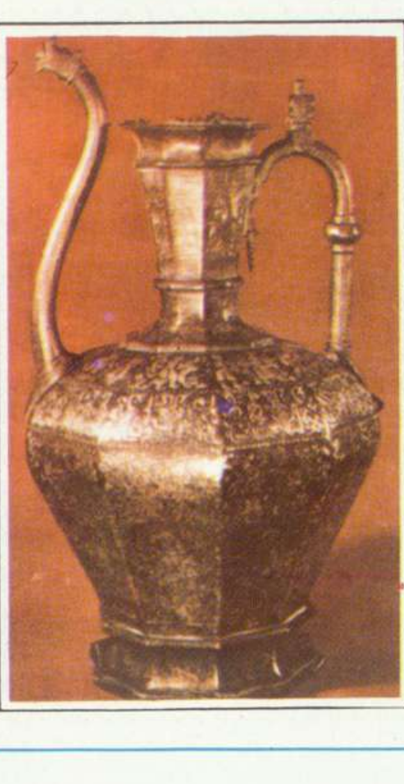
البحث وراء الجذور

وقد سعى (البروفيسور) الى جذور الحضارة العربية وحضارات الدول التى دخلت الاسلام وفنون الشرقين الادنى والأوسط والهند الاسلامية والأندلس ، فنرى موسوعاته تغطى كل العهود والأمصار . ومن مؤلفاته من المراجع الفذة فى المكتبات العالمية : إيران ما قبل العهد الاسلامى - البارثيون والساسانيون - الفترة الانتقالية من الفن الساسانى والبيزنطى الى أولى المدارس الفنية فى المعهد الاسلامى - الفن فى العصرين الوسيط واللاحق لايران ومصر وتركيا - الفن فى الهند الاسلامية - فنون الأندلس - وقد أصدر موسوعة أدبية رائعة عام ١٩٧٢ بعنوان :

«من بيزنطة الى ايران الساسانية والعالم الاسلامى : ثلاثة أشكال من التاثير الفنى» . وبديهى أن يتناهى فى أبحاثه هذه الى أدق التفاصيل من عمارة وزخارف ونقوش وخزف وسجاد ومنسوجات وتعدين وصناعات خشبية وايقونات وفنون الكتاب والمخطوطات وجماليات الخط العربى ... الى غير ذلك من التخصصات التطبيقية التى تتميز بها الفنون الاسلامية .

ومن موسوعاته التى حظيت بالشهرة الواسعة مؤلفه الرائع «فن الرسم العربى» ، وقد نشر على العالم فى عام ١٩٦٢ باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ، وذاع صيت هذا المرجع النادر بشكل مذهل ، وحتى اليوم ، لا يخلو محفل علمى أو وثائقى فى العالم أجمع من هذا المؤلف الثمين ، وسيظل منطلقاً أساسياً

من روائع الفنون التطبيقية الاسلامية



لكل باحث متخصص فى مثل هذه الدراسات الرفيعة .

وتعددت مجالات إتينجهاوزن فى التاليف والنشر وفى المتاحف والجامعات ، الى جانب عضويته فى عدد لا يحصى من الجمعيات العلمية : فنراه عضواً فى معظم الجمعيات الأمريكية وعضواً فى معهد مصر وفى معهد الآثار الألمانى ، وفى الأكاديمية الفرنسية .

وفى عام ١٩٧٣ اقامت له جامعة نيويورك حفلا تقديرياً ضخماً على هيئة ندوة للأبحاث اشترك فيها تلامذته وزملاؤه ، وقد تناولت تلك الأبحاث حياته ومجهوداته ومؤلفاته وأستاذيته ودرجاته العلمية وغير ذلك .. وقد طبعت هذه الأبحاث فى مجلد خاص ، أدرج فيه فهرساً يحتوى على مؤلفاته الكبيرة ، وكانت حتى ذلك العام مائتين وواحد وعشرين مؤلفاً .

وفى الخمس سنوات التالية - وهى التى سبقت وفاته (توفى فى الثانى من ابريل عام ١٩٧٩) ، لم يكف عن البحث والكتابة ليوم واحد وشهدت تلك السنوات الخمس العديد من مؤلفاته الثمينة نذكر منها النقوش العربية - المضمون الرمزى فى الفن الاسلامى - أوراق اللعب فى العصر المملوكى - اتجاهات الأساليب فى عصر شاه عباس - الخزفيات الايرانية والفخاريات الاسلامية المتاخرة - الفنون الزخرفية الاسلامية طبيعتها ومجالاتها - تاثير الفنون الاسلامية على الفن الأوروبى - تراث الاسلام - الفن التطبيقى وفن العمارة فى الاسلام - فى عالم الاسلام : التاريخ والحضارة على سنة الرسول - الحديقة الاسلامية وتاريخ المناظر الطبيعية - الخط الكوفى فى اليونان البيزنطية - الغرب اللاتينى والعالم الاسلامى - الأصالة والتقليد فى الفن الاسلامى - الفردية والتقليد فى الاسلام الكلاسيكى .

..... وهكذا كان ريتشارد إيتنجهاوزن ، عبقرية ناصعة أهداها الله للبشرية جمعاء ، لتنير العقل الانسانى بنور المعرفة الاسلامية الخالدة ..

وأخيراً ، أتساءل وكأنى أجيب على هذا التساؤل من واقع فكرنا العربى المترف :

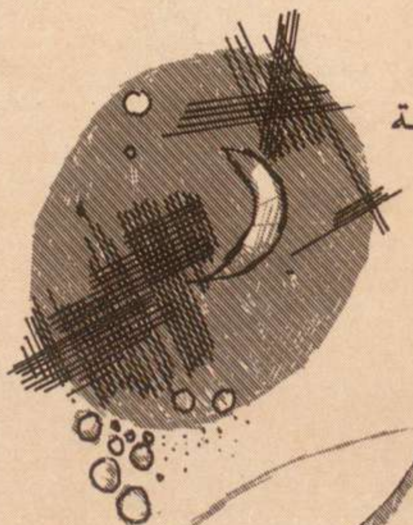
ماذا قدمنا للرجل فى حياته تقديراً لعطائه الفذ فى مجال البحث فى تراثنا وحضارتنا ؟ وبماذا نخلد ذكراه وماثره بعد أن رحل عنا ؟

واليوم .. أرجو أن تكون هذه السطور المتواضعة لمسة وفاء وعرفان لروح العالم الجليل علها تبعث ايحاءات خيرة فى ضمير الوجدان العربى المعاصر ، فنرى بعض حكوماتنا أو مؤسساتنا الثقافية وقد أقدمت على تبنى مشروع لترجمة مؤلفات الراحل العظيم ، لتكون فى متناول أيدينا نحن أصحاب التراث والتاريخ والأمجاد !

جمال قطب

أحبك..

شعر: محمد خليفة



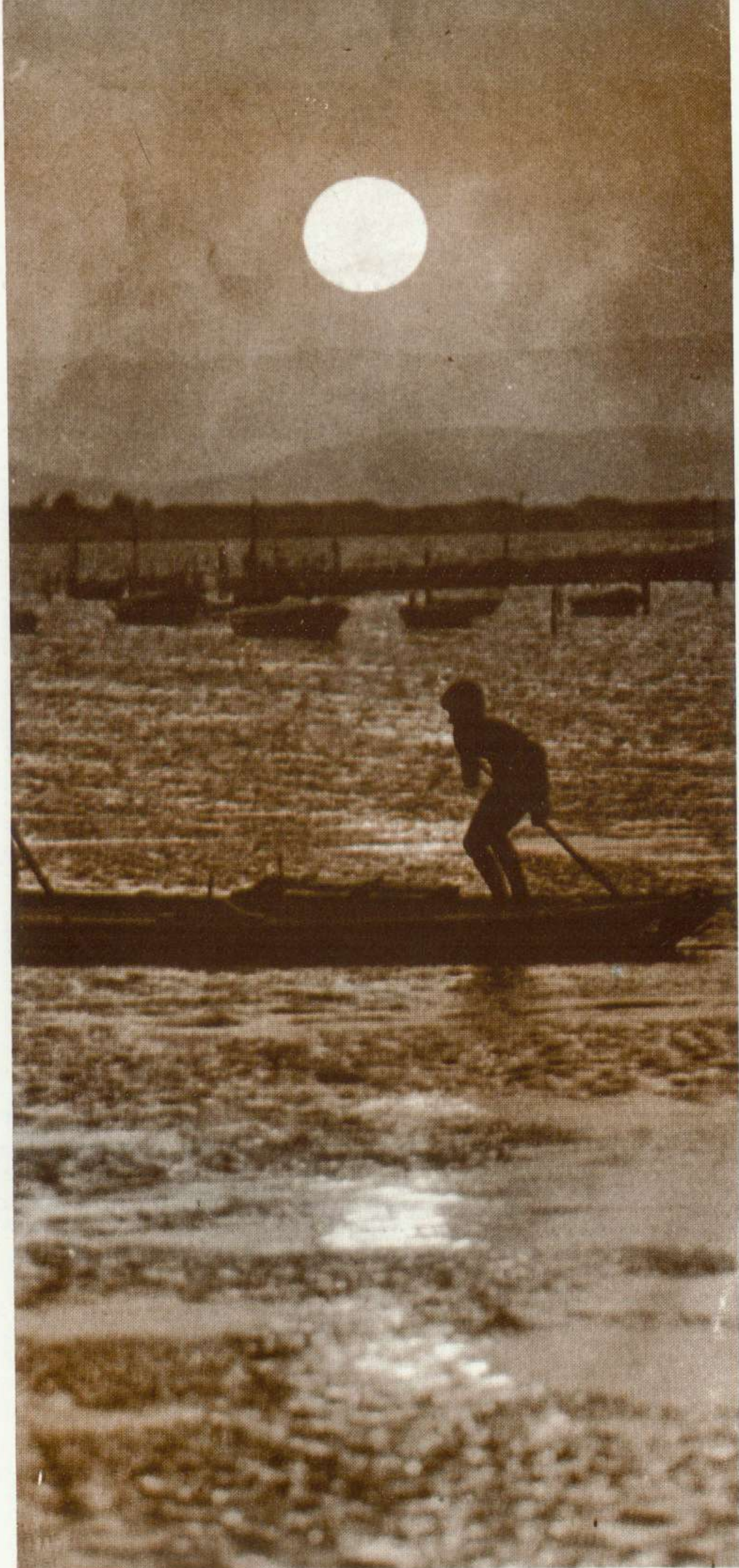


أُحِبُّكِ
فانتظريني على شرفة الصبحِ
آتيكِ
معشوشباً بالضياءْ
مثخناً بدم الليلِ
مُغْتَسِلا بندى الفجرِ
أحملَ خاتم حب
وأيقونة الانتصار
سآتيك
فانتظري
وانسجي بدلة العرسِ
حتى أجيء
غدا يبدأ العشق
والفرح العربي
وتشتعل الأرض
والعشب
والماء
في رقصة دامية
أنت أجمل عاشقة
وأنا أول العاشقينْ

●

أحبك
موعدنا ساعة الغسق العربي
على صهوة الصبح
آتٍ إليك
أشيلك بين يدي
الى ساحة العرس
اني اقتربت .. اقتربت
فكوني على أهبة الاستعداد
لنفتتح العرس
فى رقصة الانتصار

خواطر



عندما كنا طلاب علم فى الجامعة ، كان لنا أستاذ انجليزى ، لا يفتا يعيرنا ، كلما جدت المناسبة ، بأننا بلد الواجهات! واجهة ليس إلا ! عندنا جامعة .. أى نعم ! منظرها من بعيد باهر .. مبنى القبة العتيدة فى الوسط ، وعن جانبيه كليتا الآداب والحقوق ، بالعمارة الرصينة الأنيقة ، والمدخل اليها ، بين زينة حدائق مصر .. الأورمان والحيوان ، خلاب يأخذ بالألباب .! أشجار الكاسيا نودوزا بزهرها اللبني القرنفلي تحف بجانبيه ، والخضرة الأنيقة وأحواض الورد تغطى أديمه .. مشهد متالق مؤثر ينطبع فى الفؤاد ! فاذا ما اجتزت ذلك كله ، وبلغت عتبة الكليات ، وخطتها قدماك دالفاً فى قلعة العلم .. لم تجد من حياة الجامعة شيئاً ..

صخب ولغط ! لا طلاب يؤمون المكتبة ولا حلقات بحث ونقاش ، ولا أبحاث ينكب عليها الباحثون بالنهار وبالليل ، ولا جلسات ودية بين الطلاب وأساتذتهم يتناولون فيها شتى الاحاديث العلمية والاجتماعية ، ولا جولات صافية فى بساتين الجامعة ورياضها ، ولا مناظرات نابضة بالحيوية فى الشئون الفكرية العامة ، تجتذب وتستقطب ، تكون رأياً عاماً للجامعة ، وتنمي الأساليب السليمة

... من الشاطئ

بقلم : محمد فتحي

للنهج العلمي فى المناقشة وتبادل الرأي

لا شيء من ذلك ، لاشيء من فكرة الجامعة وروحها وغاياتها ؟!

هكذا كان الاستاذ الأجنبي يعيرنا فى مناسبات القصور من جانبنا . وكان بنقده المر اللاذع يستثيرنا . يثير فى صدورنا الضيق والغيرة والعزم ، وفى صدور البعض الاستفزاز والرغبة فى التشاجر .

لم تبرح مخيلتي ، على كر الأعوام ، هذه الدعوى ، أصحيح نحن بلد الواجهات ؟! واجهة ليس إلا ؟!

تدخل ذلك المبنى الحصين الرابض على النهر ببرجه الشاهق المشرف على الهضاب والجبال والوديان فتكاد تسمع فيه صوت الخواء ، إن كان للخواء صوت لا تستشعر بالنبض الذى ينبغي أن تستشعر به ، نبض البلد ، ماضيه وحاضره ومستقبله .. موكبه المصيري السائر فى طريقه .. يقينه وفكره وفلسفته ومزاجه وتطلعاته .. لا تجد خطة ، وإنما فتافيت خطة بلا نظم ولا نسق ولا ترابط ؟!

وما الدار إلا مثال من أمثلة متكررة ، سواء ربضت على النهر ، أو رسخت فى الحي القديم ، أو نهضت فى الشارع الجديد .. !

وإذا عَنّ لك أن تجوس بقدميك فيما وراء الشارع الفسيح الذى يزهو بعمائره الشاهقة وشجيراته الباسقة لهالك الهول وسيصدق لديك القول ، إن وراء الأكمة ما وراءها !

يصفعني هنا مرة أخرى قول الاستاذ الأجنبي ! أو اذهب الى الثغر الفتان ، وتعمق فى سيرك ، وراء الواجهة ، وراء المقاصير حيث يقطن الوجهاء ، لسوف تثور نفسك وتتساءل فى حدة. احقا هناك عدالة فى توزيع الرعاية والعناية على القصور وأهل القصور ، وعلى الأكواخ وساكني الأكواخ . ؟! ذلك أن التلال المرتفعة على طول الشوارع الخلفية وعرضها من القمامة تعترض طريق قدميك ونشّق انفك ، دعك من الطفح المختلف الينابيع الذى يلطف حدة القيظ

وإذا بالسائر هنا يتلقى صفعة إضافية إذ يقرأ فى لوحة إعلانية ضخمة أنيقة .. مرحباً بك في حي شرق ، أو حي غرب ، أو مع السلامة مع توقيع حي غرب .!؟

لا يملك المرء وهو مايفتا يصطدم بهذه الدعوى فى شتى المواقع أن يتساءل ..

هل نحن نؤخذ بالبريق والمظهر دون الجوهـــر ؟!

هل مانزال تجرى فى عروقنا أثارة من جاهلية فيستهوينا التباهي والتفاخر والأدعاء ؟!

هل نَقَلْنَا عن الغير فَصَلَ بيننا وبين أصالتنا ، وأنسانا أصولنا ، وأضلنا سبيلنا ؟!

هل ما نزال نخوض فى وحل النكسة ونكتفى من الغنيمة المتوهمة بالواجهة؟!

واجهة واحدة لا زيف فيها . لا تخدعك ولا تغشك . المخبر فيها لا يختلف عن المظهر . تلك هي التى صنعها الله . اذهب الى شاطىء البحر ، واجعله قبلتك أدر ظهرك للحضر . سيستغرقك جمال البحر وصفاؤه وعظمته وستأنس اليه نفسك ، وتقر عينك . ولسوف تنعم فى حضن الطبيعة التى صنعها الله باوقات من اللين والسماحة والرضا ، لا تعكرها أكدار الزيف وهمومه ..

أو اذهب الى حافة الصحراء وأقم خيمتك ، أو فوق الهضبة أو على سفح الجبل ..

ستجد هناك لفحات الشمس حامية ، وهَبّات الريح مزمجرة ، ولكنك لن تجد إلا الطهر والحق وبدائع صنع الباري .

محمد فتحي

هذا ما كان

قال الحاج « عناني » انه مسئول عن ديون رجاله ، كانت الرسالة قصيرة أرسلها الى الأستاذ « مدبولي » ناظر المدرسة الابتدائية ، وتسلمها فى صحن الجامع بعد صلاة الجمعة ، وكان يتاهب للخروج فوقف حائراً ، أن يختاره الحاج عناني من دون الأهالي جميعاً لتبليغه الرسالة ، وهو لم يلتق به أبداً فى حياته ، وليست له ديون طرف رجاله رآهم فى الجامع يتجمعون حول الرسالة . وظل واقفاً بجوار الباب وعيناه عالقتان بها حتى عادت اليه ، وطواها داخل الجيب المبطن بالحرير فى محفظته ، وغادرهم دون أن يقول كلمة .

استبشر الأهالي خيراً ، فرجال الحاج عناني ليسوا مثل خلق اللـه الطيبين . كان يتصيدهم واحداً واحداً من بلاد لم يروها أو يسمعوا عنها ، وكلما جاءت «ترحيلة» لتطهير النهر ، كانت تغادر البلـدة وقـد نقـص عددهـا ثلاثـة أنفار أو أربعة . وكان « خولي » عزبته كثيراً ما يعلن - بعد سهرة ثقيلة فى المقهى وهو يفتل شاربه ، وعيناه الحمراوان تنظران شمالا ويميناً ، وخلفه كوكبه من رجال العزبة - أن هؤلاء الرجال فى البلدة لا يصلحون إلا لتنقية الأحواض من الحشائش ، وجمع روث البهائم - ويبصق لاعنا ، ويركبون الحنطور الى العزبة .

كان ياتي مع الاسطوات الذين يعملون على الجرارات والمكينات فى العزبة لقضاء السهرة فى البلدة ، يتنقلون من مقهى الى مقهى ، ويخرج من جيبه منديلا ملفوفاً يضعه على سطح المنضدة ، ويفتحه فى بطء - والعيون تحدق اليه - عن قطعة حشيش فى حجم نصف الكف ، ويقطع منها بمطواه صغيرة على هيئة سمكة ، ويجمع « الفتافيت » ويلوكها فى فمه ، ويسيرون فى الشوارع صاخبين يقذفون الكلام نحو النوافذ المغلقة ، ثم يتجهون الى النهر . وينتهى بهم المطاف مبللين الى سيلج الجسر يلاحقون المارة بتعليقاتهم ، ويغادر أبناء البلدة السيلج واحداً وراء الآخـر .

وكانوا ياخذون ما يحتاجون اليه من الدكاكين «على الحساب» . وفى البداية كانوا يدفعون ، ثم ملأت ديونهم صفحات فى دفاتر التجار ، واستمر التجار يعطونهم ما يريدون .

كان الخولي يشرف على كل شؤون العزبة . وكان الحاج عناني ياتى لقضاء شهر في الصيف ثم يمضي . يرى الناس عربته الزرقاء تخترق شوارع البلدة والستائر مسدلة على النوافذ ، ويرونها مرة اخرى فى نهاية الشهر تمرق عائدة الى المدينة .

● ● ●

سمع عم «شاكر» البقال بما كان ، وخطف رجله الى عبد الستار تاجر القماش .

- هل سمعـت ؟

- آه سمعت .

وقفا على مصطبة الدكان . ودفع عم شاكر طاقيته إلى مؤخرة رأسه وقال :

- هل ذهب أحد الى هناك ؟

العلم عنـد اللـه .

كان عم شاكر يتفرس فى وجهه بعينين جاحظتين ثم قال :

- ومـاذا لـو ذهبنـا ؟

ونظر كل منهما فى عيني الآخـر .

كان الجو حاراً ، والشمس تغطى المصطبة ومدخل الدكان . وقال عبد السميع :

- ننتظـر قليـلا .

- وماذا ننتظـر ؟ الم يرسل الى الأستاذ مدبولي ؟

إنهما فى النهاية اتفقا على ان يذهبا إلى العزبة فى الصباح الباكر .

● ● ●

لبس كل منهما جلباباً نظيفاً وحذاء ، وحمل دفتره ملفوفاً فى فوطة تحت أبطه ، وكان عم شاكر يضع كوفية من قماش لامع حول رقبته . وخرجا الى الطريق الزراعي . وكانا يسيران فوق خط من الحشائش الجافة بعيداً عن التراب . وتوقف عبد السميع فجاة ومد رقبته النحيلة وقال عابساً :

- لم تقل إنك ستلبس كوفية ؟

توقف عم شاكر ايضاً ، وهربت عيناه بعيداً نحو قمم الأشجار ، وقال عبد السميع مزمجراً :

- لم أرها عليك من قبل . من أين جئت بهـا ؟

- كانـت عنـدي .

وعبرا جسراً يؤدى الى طريق ضيق وسط الحقول ، وسارا متجاورين . وقال عبد السميـع :

- كم مبلغـك ؟

- عشرون جنيهاً وثلاثة واربعون قرشاً .

- وماذا اشتروا بكل هذا المبلغ ؟

- سجائر . جبن . حلوى .. وكم مبلغك ؟

- كثيـر .

- كم ؟

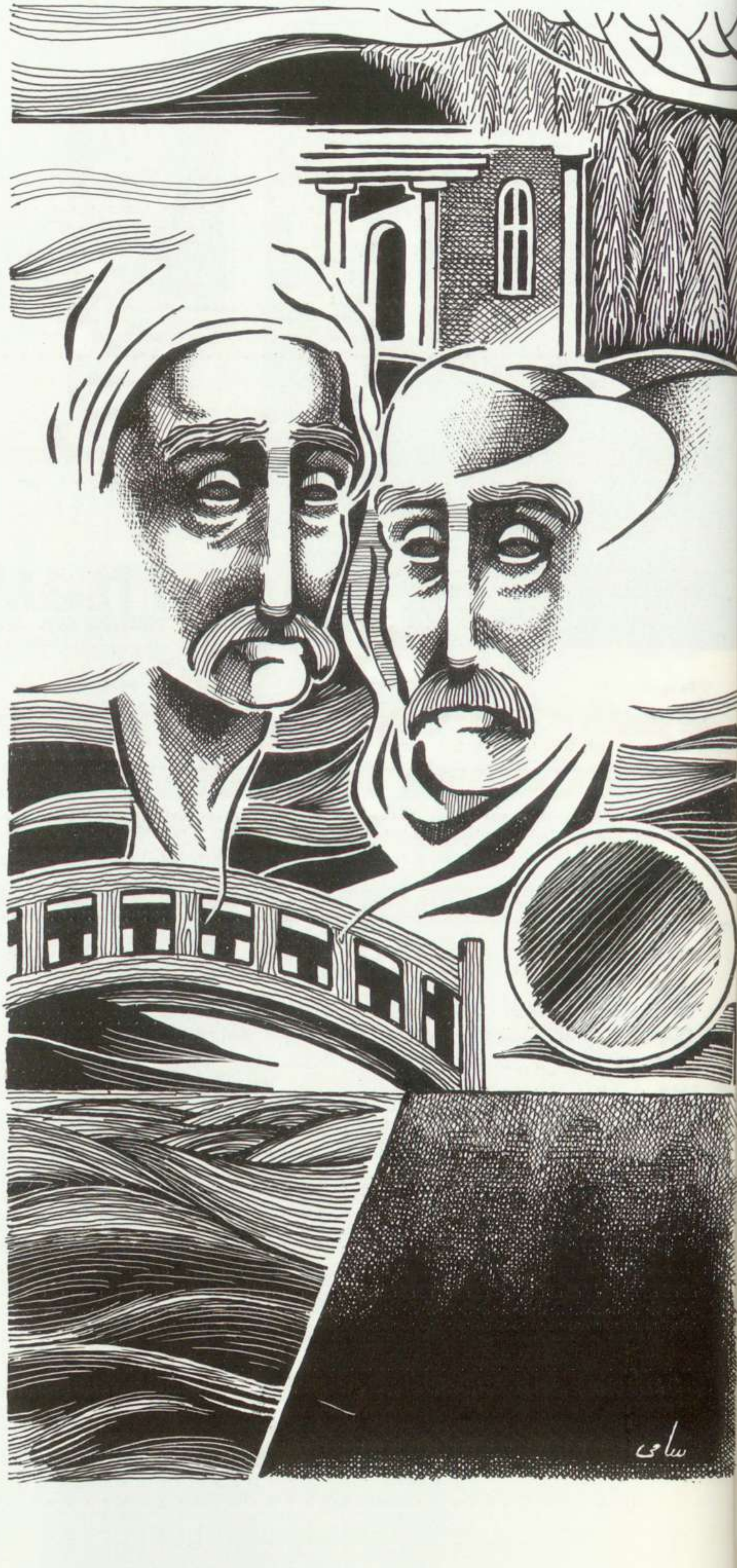
- خمسة وأربعون .

وصمتا، وقال عبد السميع :

- أتظنه يسدد المبلـغ كلـه ؟

- ولم لا ؟

بقلم : محمد البساطي



ـ ربما رأى مبلغى كبيراً ؟

وشربا من ماء زير تحت شجرة . ومسح عم شاكر العرق والتراب عن وجهه بمنديل نظيف اخرجه من جيبه ، وكان عبد السميع ينظر اليه صامتاً . ثم قال :

ـ أرني دفترك

نظر اليه عم شاكر متردداً . وقال عبد السميع :

ـ هاهو دفتري خذه .

اخذ كل منهما دفتر الآخر ، ووقفا فى ظل الشجرة . كان خط عبد السميع مائل الحروف ، والكلمات تنتهى بتقوسات ، وعلامة فوق حروف المد . وفى نهاية الصفحات وضع جملة المبلغ داخل مربع صغير بلون احمر ، وكتب ايضاً بالحروف . وفى دفتر عم شاكر بدت الكتابة غير واضحة ، كان يستخدم حبراً فاتح اللون ، والحروف مبتورة الأطراف ، والارقام محشورة وسط الكلمات . وقال عبد السميع :

ـ لنسرع قبل أن تسطع الشمس .

ولحق به عم شاكر :

ـ أتظنه يستطيع أن يقرأ الدفتر ؟

ـ وماذا يهم . اقرأه لـه .

كيف . وهل ينتظر حتى اقرأه ؟

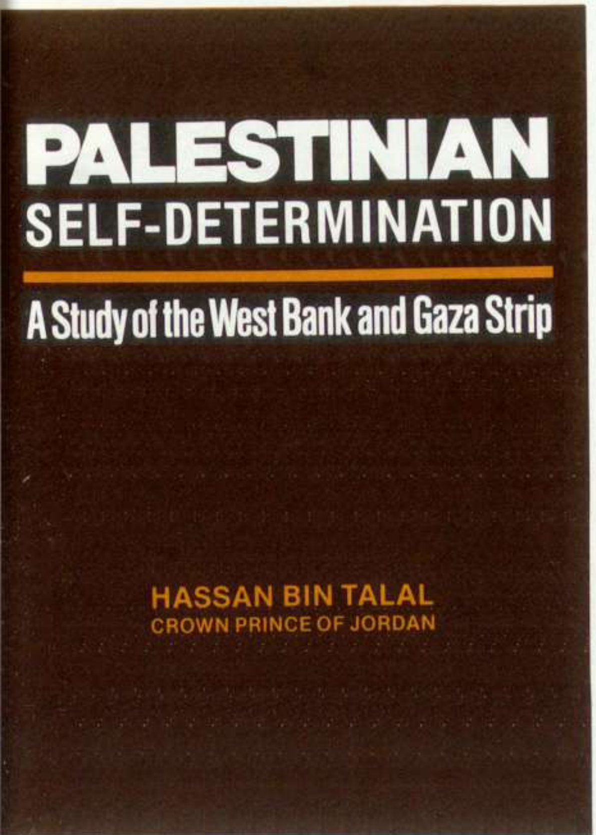
ضع علامة فى الدفتر من الآن .

ووضع كل منهما عوداً صغيراً من القش عند صفحة الدين .

بدا البيت الكبير أمامهما تحيط بـه أشجار الكافور العالية ، كانت له واجهة بيضاء وأعمدة وشرفة عريضة ، وأبراج صغيرة من الزجاج الملون فوق السطح تتوسطها قبة كبيرة كانت تعكس بريقاً ملوناً .

وقفا عند منحنى الطريق يحدقان فى صمت ، وتردد نباح الكلاب وسط الأشجار .

كتاب
الشهر




الأمير الحسن بن طلال

تقرير مصير الفلسطينيين

دراسة للضفة الغربية وقطاع غزة

تأليف : الحسن بن طلال ولي عهد الأردن
تقديم ومراجعة : أحمد العناني

يتمتع الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن بتقدير عميق فى الأوساط الثقافية والفكرية العالمية ، كباحث هادىء دؤوب ، ومثقف واسع الاطلاع ... وهو فى سائر انشطته الذهنية سواء على مستوى الحوار فى مجلسه الخاص أم على مستوى الندوات الفكرية التى اعتاد المساهمة فيها بفاعلية بارزة ، أم على مستوى التاليف فى قضايا محددة يعكس صفات العالم المتمسك بموضوعية الباحث عن الحقيقة ، وصبره وتباعده عن العواطف الفائرة والتعميمات المرتجلة ، وقد كان له وما يزال دوره الرائد والمؤثر فى سير الحركة العلمية والتقنية فى الأردن بكل ما حققته من انجازات واضحة فى نهضة ذلك البلد العربي الذى يواجه تحديات ضخمة ربما كانت عواقبها أهم العوامل المقررة لمصير الأمة بعامة ... وقد صدر فى لندن مؤخراً كتابه الذى نحن بصدده الآن ، ولا يفوتني قبل تقديم موضوعه الى القراء أن أنوه بالأسلوب الرصين المتمكن الذى يتمتع به المؤلف ولاسيما من حيث الدقة البالغة فى انتقاء المفردات وصياغة العبارات واصطناع الأسلوب العلمي المباشر المتخفف من الزخارف والحشو ، والالتزام بالمحتوى المنطقي القائم على الحجة الواضحة دون العواطف الفائرة ، بحيث يجب اعتبار هذا الكتاب بالذات انموذجاً رائعاً للكيفية المثلى فى مخاطبة سائر الأوساط المعنية بقضايانا فى الغرب، وإذا ما تعلق الأمر بأمور عاطفية كشقاء الرازحين تحت عذاب الاحتلال الاسرائيلي الباغى من العرب فان المؤلف يقدم مجموعة مختارة من الصور الفذة التى تعبر بذاتها عن الأبعاد الوحشية التى وصل لها الصهاينة المتعصبون فى استهتارهم وانغلاق بصائرهم .

فى الوقت الذى انطلقت فيه وسائل البغى الاسرائيلي ممعنة فى مصادرة الأرض ، وتشريد الناس ونفيهم وإحلال عتاة المهاويس من عصابات كاهانا فى أملاكهم جهاراً نهاراً ، اقول بالنظر لهذا كله جاء كتاب الأمير الأردني تماماً فى وقته ليضع النقاط على الحروف ، ويعرض حقيقة القضية كلها على ضوء الواقع التاريخي ، والموقف القانوني

الدولى كاشفاً كل غطاء عن حقيقة ماسّمي بالحكم الذاتي ، وعما تتذرع به اسرائيل بأسم الأمن والدفاع عن النفس للقضاء على أمن العرب وطمس حضارتهم فى الأرض .

فصول الكتاب

قبل أن أعالج تقسيمات الكتاب التى أملتها طبيعة البحث والأسلوب الذى اختير لعرضه ، أقول ان سائر ما فيه يدور حول محـور واحد وهو إقامة الدليل على صدق المقولة التى استهل بها الأمير مقدمة كتابه حيث يقول « لم يحدث إلا نادراً فى التاريخ أن شوهت مبادىء الوحدة وتقرير المصير ومعنى الدولة والضمانات الأمنية ذلك التشويه الشيطاني الذى وقع فى قضية فلسطين » وقبل أن يشرع المؤلف فى ايراد أدلته فانه يواصل فى المقدمة تصوير أبعاد الأزمة الناتجة عن ذلك التشويه الشيطانـــي حيـــث استكمـل ربـــط اقتصاديات الضفة الغربية والقطاع بالاقتصاد الاسرائيلي ، وتواصل احتلال الأراضي العربية وطرد سكانها وباتت حكومة بيجن تنادى علناً بيهودية الضفة والقطاع مستندة الى نفس النصوص التوراتية التى تجعل أرض اسرائيل من الفرات للنيل ، كما كانت اجراءاتها التعسفية فى القدس بالذات على مستوى من التحدى لكل الأعراف والقوانين والمقررات والرغبات الدولية بحيث لا سند له إلا هذه الادعاءات التوراتية التى يروجها بيجن وأمثاله من غلاة الصهاينة المتعصبين .

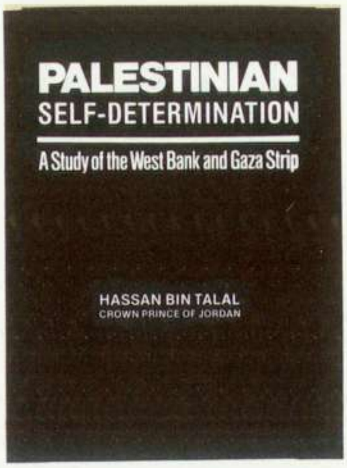
التسلسل التاريخى للمأساة

ما أن دخلت قوات اللنبى القدس فى ١١ ديسمبر ١٩١٧ فانتهت سيادة الخلافة العثمانية التى دامت قرابة أربعة قرون ، حتى تبين أن وزير خارجية بريطانيا اليهودى لورد بلفور قد أصدر الى اللورد روتشيلد اليهودى أيضاً رسالة تضمنت وعداً رسمياً من الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين مع مراعاة عدم الاضرار بالحقوق المدنية والدينية لطوائف السكان المقيمين بالأرض المقدسة ومراعاة لرغبة بريطانيا قرر أطراف معاهدة سيفر من الحلفاء الغربيين عام ١٩٢٠ اضفاء شرعية على الادارة العسكرية البريطانية فى فلسطين فعهدوا الى بريطانيا بالانتداب عليها دون أى اعتبار للدولة ذات الشرعية وهى تركيا الخاسرة للحرب أو لسكان البلاد من رعاياها السابقين ، وفى سبتمبر عام ١٩٢٢ وافقت عصبة الأمم المتاثرة جداً بالنفوذ البريطانى على اضفاء الشرعية على ذلك الحكم الشرعى بالموافقة على الانتداب اياه وفى عام ١٩٢٣ والأوضاع قد باتت فى تركيا مواتية لبريطانيا عقدت معاهدة لوزان التى تنازل فيها حكام تركيا المستجدون عن كل حقوق لهم فى السيادة على فلسطين فى جملة ما تنازلوا عنه ، وهكذا زالت كل الاعتراضات من طريق الانتداب الذى اقرته عصبة الأمم قبل ذلك بسنة ، والذى خولت مادته السادسة المؤسسة الصهيونية العالمية صلاحية مراقبة أعمال الادارة البريطانية فى فلسطين بما يكفل تنفيذ وعد بلفور الأمر الذى سارع بخطى الصهاينة فى الاستحواذ على أراضى الدولة أيام العثمانيين وشراء المساحات الضخمة من الأراضى التى كانت مسجلة لاقطاعيين معظمهم لبنانيون ووضح الخطر الكبير وبدأت مقاومة العرب فى فلسطين وبدأ سيل الهجرة اليهودية المتعاظم فى عهد النازية يخل بالنسبة السكانية فى فلسطين اخلالا واضحاً ، ثم كانت سلسلة الثورات العربية المتلاحقة التى جعلت بريطانيا فى مهب رياح الحرب العالمية الثانية تقترح ابتداء تقسيم فلسطين ثم تصدر الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ لتصرح فيه بانه لم يكن فى نيتها انشاء دولة يهودية أو فتح باب الهجرة اليهودية بلا حساب وما لبثت الحرب العالمية الثانية أن اشتعل أوارها .. ويواصل المؤلف استعراض الأحداث وانفجار حركة العنف الصهيونى وتخلى بريطانيا عن الانتداب وقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ (١١) بانشاء دولتين للعرب واليهود وتدويل القدس وتدخل الجيوش العربية والهزيمة التى حاقت بها عام ١٩٤٨ ثم قصة الوجود الأردنى فى القدس والضفة والوجود المصرى بغزة حتى عام ١٩٦٧ ثم اعلان اليهود القدس عاصمة لهم وادعاءاتهم بالحاجة للتواجد فى الأراضى العربية المحتلة لأغراض أمنهم ، ثم يختم هذا العرض التاريخى بوصف دقيق للوضع الراهن عام ١٩٨١ .

الجوانب القانونية

ثم يجـيء الفصل الثالث الذى اعتبره شخصياً أثمن ما فى الكتاب ألا وهو الاستعراض الوافى للمنطويات القانونية للاحتلال العسكرى البريطانى بعد زوال السيادة التركية ذلك الاحتلال الذى يبطل كل ادعاء بالشرعية حيال التصرف فى الأرض المحتلة عسكرياً ، وكذلك التلاعب المقصود الذى اغفل الاشارة الى استعادة السكان الوطنيين فى فلسطين حقوق سيادتهم لدى انتهاء الانتداب على غرار ما ورد فى حق الشعوب الأخرى المنتدب عليها . ويتدرج المؤلف بالموضوع القانونى تدرجاً منطقياً قائماً على حقائق القانون الدولى لكى يتوصل الى أن اسرائيل لا تتمتع باية أوضاع شرعية أو ادعاءات قائمة على أي أساس بالسيادة على الأراضي التى لم تكن مشمولة باشرافها لدى عقد الهدنة عام ١٩٤٩ .. كما أن من أكبر التناقضات أن تكون لاسرائيل ادعاءاتها المستندة لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ فيما هي تتجاهل ما يختص بالقدس من تلك المقررات .

ويفند الكاتب كل المعاذير التى تنتحلها اسرائيل سواء فيما يتعلق بأمنها المدعى ، أو الأمن فى داخل ما ابتدعت له اسم «المناطق المدارة» من الأراضى العربية المحتلة لمواصلة الاحتلال والتستر المؤقت على مطامع عدوانية مبيتة ، وهو يستخدم التفاسير الواضحة لنصوص ميثاقى عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة واتفاقات جنيف - أو مواثيق جنيف - ومقررات محكمة لاهاى الدولية ، ونصوص الانتداب على مختلف درجاته ، والمقررات المتلاحقة بصدد فلسطين فى المنظمة الدولية والقانون الدولى للحرب كما يقتبس نصاً صريح الدلالة من المادة ٤٢ من لوائح لاهاى لعام ١٩٠٧ يؤكد موقوتية الاحتلال العسكرى ومسئوليته عن إعادة حق المحتلين فى السيادة على أرضهم



تقرير مصير الفلسطينيين

وتقرير مصيرهم كما يقتبس من نص المادة ٤٩ (٦) من ميثاق جنيف الرابع النص المثبت بأن إنشاء اسرائيل مئة وست مستعمرات في الضفة الغربية وبعض المستعمرات في قطاع غزة لاينشىء أى وضع شرعي لها لمواصلة احتلالها، ولايعطى هذه المنشآت أى حق للبقاء.كذلك يفصل المؤلف المخالفات القانونية للمحتلين الصهاينة في مصادرة الاملاك العربية الخاصة واعتداءاتهم على مختلف أشكال المؤسسات الدينية والعلمية والجمعيات الخيرية خلافا للمادة ٤٦ من لوائح لاهاى لعام ١٩٠٧ . ويصف المؤلف ادعاء اسرائيل بانها انما تواصل العمل بقوانين الطوارىء المفروض من قبل الانجليز عهد الانتداب بانه استناد مبطل الى اجراءات لم تكن مسوغة اصلا حيث كان الانجليز يلجاون لنسف المنازل والاعتقال والتشريد ، وعلى كل حال فالانجليز كانوا يقتصرون على تلك النظم الجائرة فى احوال الطوارىء العارضة ولم تكن لها صفة الديمومة التى يمارسها الاسرائيليون ، ثم يناقش الامير الكاتب موضوع الجولان حيث الحجة ضد اجراءات اسرائيل اشد وضوحا وأدل على سوء نوايا هؤلاء الغزاة .

حقوق تقرير المصير

لقد تطور موضوع تقرير المصير حتى أصبح حقا أساسياً عاماً من حقوق البشر كافة وقد أكدت ذلك في الغرب وثيقة الاطلنطي لعام ١٩٤٢ وميثاق الأمم المتحدة حيث تضمنت المادة الأولى من ميثاق الحقوق المدنية والانسانية لعام ١٩٦٦ نصاً صريحاً يؤكد بان لسائر شعوب الأرض حق تقرير المصير ، وهو حق يعطى كل شعب حق تقرير وضعه السياسي وطريقته الخاصة في ترقية وتطوير شئونه الثقافية والاقتصادية والاجتماعية . وقد وقعت اسرائيل ذلك الميثاق ، ثم جاء اعلان حقوق الانسان الدولى لعام ١٩٧٠ الذى أكد الاجماع الدولى العالمى على احترام المبادىء الاساسية لميثاق الأمم المتحدة في أمر الحقوق الطبيعية لسائر شعوب الارض بلا استثناء . وقد نص قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة رقم ٢٧٦٧ الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٧٠ على أن لشعب فلسطين من الحق في تقرير مصيره ما لسائر شعوب الأرض قاطبة ، وقد تلاحقت احداث ناميبيا والصحراء الأفريقية جعلت من تقرير المصير حقا معترفاً به عمليا لكل شعب تحت الشمس

على أن الذى يجرى في اسرائيل مغاير لكل ما هو جار في العالم فهى تنقل مثلا رعاياها للسكن في أرض محتلة عسكرية على عكس المادة ٤٩ من ميثاق جنيف الخاص بالرعايا المدنيين الذى يحظر على كل محتل «أن ينقل أيا من سكان بلاده الى منطقة الاحتلال بغرض السكن فيها » .

الحكم الذاتى ـ والدفاع عن النفس

يحسم المؤلف تماماً كل شك في أن الحكم الذاتي شىء مختلف تماماً عن تقرير المصير فان نطاقه لايتعدى الشئون البلدية مع المساهمة في الابحاث الخاصة بموضوعات تهم المتقاعدين في تفاهم اتحادى كموضوعات الطاقة والماء ويؤكد الاهمية الحيوية للرفض المطلق من كل فئات الفلسطينيين والسواد الأعظم من الأمة العربية لموضوع الحكم الذاتي المقترح كما ينوه بنصوص قرارات فينيا للدول الأوروبية التسع التى اعترفت بحق تقرير المصير الفلسطينى ثم يعود الى توضيح المقاصد التوسعية الخفية لما تكرره اسرائيل بشأن الدفاع عن النفس وهو أمر غير متماثل ابدا مع الحاجات الأمنية كما أنه لاينشىء أى حق مستديم لاحتلال أراضى الغير بموجب النصوص الثابته لميثاق الأمم المتحدة ، كما أن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ و ٣٣٨ لعام ١٩٧٣ يؤكدان وسيلة الأمن الاسرائيلي عن طريق انسحابها من الاراضي العربية والتزام الكيان السياسي العربي المستقل بعدم الاعتداء .

قضية اللاجئين

يقدم المؤلف خلاصة رقمية سريعه عن المراحل المعروفة لتطور قضية اللاجئين واعدادهم المتزايدة ومهمة هيئة الاغاثة الدولية الخاصة بهم ومشكلاتها المالية واصرار اللاجئين على حق العودة المقرر لهم دولياً ، والتازم المستمر في الشرق الأوسط نتيجة استمرار معضلتهم وحتمية ربط قضيتهم بحل شامل في المنطقة وضرورة ايجاد جهاز دولى

فعال للاعداد للوفاء بحقوقهم ومطالبهم .

تثمين المطالب القانونية

الوضع الناشيء عن قضية فلسطين منذ عام ١٩١٧ وحتى الان هو وضع فريد لامثيل له في التاريخ، ولايمكن أن يكون له غير أحد حلين ـ الحل السياسي بالمفاوضة على أسس سلمية أو استمرار التأزم وانتظار الحرب التى بات يتدخل فيها توازن الرعب الذرى بين الدولتين الاعظم وقدرة الولايات المتحدة على التأثير في اسرائيل التى تجادل علنا بالتمسك بالاراضى العربية بحجة صيانة أمنها ، وتضرب عرض الحائط بسائر الاعتبارات والمواثيق والقوانين الدولية وتمعن في اصطناع اشد العنف لتحقيق عدوانها متجاهلة كل حق للاردن في السيادة ناشيء عن ظروف قبل عام ٦٧ مصرة على الاستمرار فى سياساتها الى أن يتقدم لها الاردن والفلسطينيون بطلب التفاوض ، منكرة كل حق للامم المتحدة أو أهمية لأى من مقرراتها ، وهى تتصرف في موضوع القدس وحقوق السكان العرب تصرف من لايحسب أدنى حساب لأمم متحدة أو سواها ، ومع انها تتصرف تصرف الذى ضم كل أراضى العرب لكنها تنكر انها فعلت ذلك وهكذا فان شرعية المطالب العربية مرتهنة بمن يتولى تنفيذها بالقوة .

الحلول المقترحة

يتعرض المؤلف لرأى اسرائيل فى الحكم الذاتي ورفضها لمشروع تطبيق صورة مقترحـة من ذلك الحكم فى غزة ، حيث هي تصر على الاحتفاظ بكل أمر ذى قيمة فى الصلاحيات الادارية لأى مجلس محلي .. ويقول إن الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية قد رفضتا كل حديث عن الحكم المحلي يضار به الحق الطبيعي للاجئين بالعودة وتقرير المصير، فالسياسة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل هي سياسة البقـاء وهـي عندها تقتضي التواجد الدائم فى سائر الأراضي المحتلة . ولقد فشل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى فتح الطريق أمام أى حل للقضية من جراء الاختلافات القائمة على تفسيره بما فى ذلك الخلاف بين التفسير الأمريكي والاسرائيلي الأمر الذى أفسح المجال لبيجن لطرح مفاهيمه العتيقة عن أرض اسرائيل كمفهوم سماوي حتمي ، وقد تستطيع الجمعية العمومية للامم المتحدة أن تلتمس استشارات تؤدى الى فهم حاسم لذلك القرار وذلك بموجب المادة ٩٦ (١) من ميثاقها . على أنه قد اصبح واضحاً للعالم كله استحالة التفاوض فى مستقبل الضفة وغزة والقدس وعودة اللاجئين بغير اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية الأمر الذى ترفضه اسرائيل أو تعترف بها المنظمة . وغنى عن القول أن مثل ذلك الاعتراف يكاد يدمر موقف الفلسطينيين فى أية مفاوضات ويدمر حقهم غير المنازع دولياً فى تقرير المصير ، ولا شك أن موقفاً خطيراً قد ينشأ إذا ظلت الأمور على ماهي عليه الى مابعد اتمام الانسحاب الاسرائيلي من سيناء فى ربيع ١٩٨٢ الأمر الذى يضاعف من مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية فى مواجهة الأطراف المعنية بما تتوصل هي اليه من قناعات مدروسة ومنصفة فان اسرائيل تعلم أنها فى نهاية المطاف ستواجه حتمية الانسحاب من الأراضي العربية فى مقابل السلام كما أن العرب سيرتضون بوجود كيان غير متوسع لاسرائيل كحياة طويلة سلمية فى جوارهم .

● ضرورة إعداد جهاز دولي للاجئين للوفـاء بحقوقهم ومطالبهـم

طوالـع السلام

يرى المؤلف أن على سائر الدول التى تنتفع بسيادة السلام فى الشرق الأوسط أن تتعاون بحزم مع سائر الجماعات الدولية لاحلال السلام العادل الذى بات الشرق الاوسط بحاجة ماسة اليه بعد حروبه الاربع . وهو سلام فى مصلحة العالم كله اقتصاديا وسياسيا بحيث يستاهل كل مشاق الوصول اليه . وينبغي الاشارة الى أن مؤتمرات القمة العربية فى بغداد وتونس وعمان قد أكدت أن الحاجة قائمة لسلام شامل مرتكز على اقرار حقوق الفلسطينيين فى العودة وتقرير مصيرهم بأنفسهم . ثم يفصل المؤلف فى تقديم تصريحات لمختلف زعماء العرب يقرون فيه السلام على مثل الأسس التى وردت آنفا من حيث الشمول والانصاف ، وستدعو الحاجة الى انشاء قوة سلام دولية كجزء من الضمانات المطلوبة للحل الشامل والتى قد يكون من بينها ضمانات من سائر الاعضاء الدائمين بمجلس الأمن بعدم لجوء أى من أطراف الحل المذكور الى التسلح لمقاصد عدوانية . إن اسرائيل تدرك أن من العبث التفكير فى أى حل عسكري وحيث هي تريد السلام كما ينشده الآخرون فانه لا مناص من الاقرار بحقوق الفلسطينيين والتعايش مع دولة فلسطينية مجاورة على أسس من السلام والحدود الواضحة ، وبحيث تتوافر الجهود لوضع الحلول المنصفة للجوانب الشائكة من القضية كالترتيبات الخاصة بضمان وسلامة سائر أهل الأديان السماوية فى الوصول الى الاماكن المقدسة مع ضمان الحقوق العربية فى القدس وضمان حق تقرير المصير للفلسطينيين ذلك بان استمرار الاحتلال اليهودى للأراضي العربيـة أربع عشرة سنة لا يغير شيئاً فى الوضع الشرعي لتلك الأراضي وأهلها ولن تجدى التسميات المستحدثة من نوع «الأراضي المدارة » أو غيرها فى زحزحة ذلك الوضع القانوني كما لن تؤدى الاعتداءات على املاك العرب الخاصة أوانشاء المستعمرات الى اى تاثير على الصورة الحقيقية الشرعية لسلام شامل عادل منصف فى نهاية المطاف . إن أمن جميع شعوب المنطقة هو أمن واحد لا يتجزأ كما أنها على قدم المساواة فى التمتع بحقوق تقرير المصير وكل ما يعطيه العدل والانصـاف ...

من أدب المـرأة في قطـر

الأدب النسائي فى قطر بل وفى الخليج كله يشهد نشاطاً وحيوية يلفتان النظر ، ويستحقان الاهتمام والدراسة والمتابعة ، فما أكثر ما تكتب المرأة القطرية والخليجية الجديدة ، فى محاولة صادقة للتعبير عن نفسها وأحلامها وطموحها ... والقصتان اللتان نقدمهما هنا هما نموذج حي لهذا الأدب النسائي ... الأولى هي قصة « ميلاد جديد » للأديبة كلثم جبر التى خطت خطوات جيدة فى هذا الميدان ونشرت من قبل عدداً من قصصها فى الصحف والمجلات .

كما أصدرت مجموعة قصصية رحب بها النقاد والدارسون .

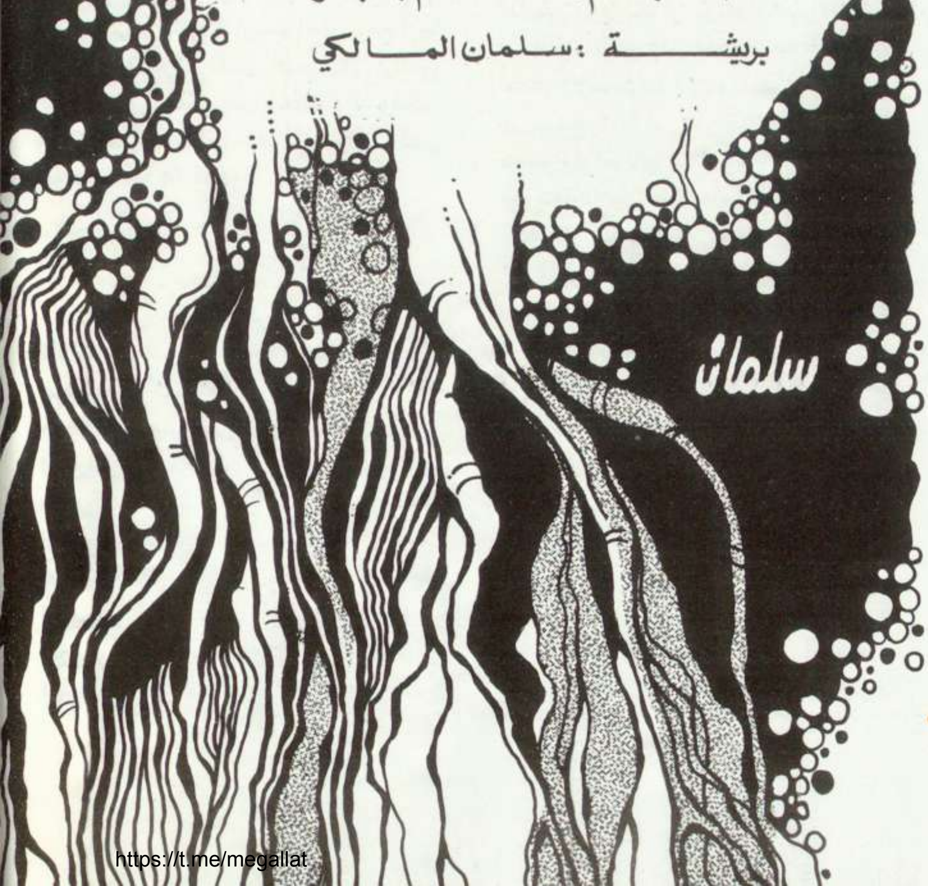
أما « نوره آل سعد » فهي كاتبة جديدة تشق طريقها وتضع أقدامها الأولى فى ميدان الابداع الأدبي والفني ، معتمدة على موهبة واضحة ، واجتهاد ثقافي ملموس . وقد قام برسم هاتين القصتين الفنان الشاب القطري الموهوب سلمان المالكي .

« الدوحـة »

ميلاد جديد

قصة بقلم : كلثم جبر

بريشة : سلمان المالكي



(١)

وكان علي كآبة مسافرة اخرى أن أعد حقيبة سفرى وأبحث عن أشيائي الصغيرة ... المهملة وغير المهملة أيضاً وبعض كتبي و .. و .. وأواريها فى الحقيبة ...

فتحت دولاب ملابسي .. نثرت كتبي .. وكومت أشيائي الصغيرة بعثرتها ... جمعتها بيدي ثم عدت فالقيتها تناثرت .. واستقرت فوق ارض الغرفة اشلاء مبعثرة ..

فرحت بمنظرها هكذا ...

وبلحظة أخرى قادمة شعرت إننى لا أريد التقاطها لا أود حملها معي .. لا أريد ...

لم على الانسان أن يحمل حقيبة سفر ويسافر بها .. لم .. ؟

وقررت أن اسافر بدون حقيبة .. وكان

(٢)

تلفتت الصغيرة حينما احتوانا بهو الفندق والحقائب تتراكم أمامنا والجميع منهمك فى البحث عن حقيبته ليضمن وجودها بجانبه وأنا وحدى صامته ...

ــ أين حقيبتك ؟

هززت رأسي نفياً .. العيون حاصرتنى فى دهشة وصوت أجش يخاطبنى .. هو أبي ..

ــ أين حقيبتك ؟

أطرقت صامتة .. خائفة .. العياذ بالله وهل مثلي يخاف ؟ .. ولكنى أكن لهذا الصوت أحتراماً شديداً يفوق احترامي لنفسى .. ولذا علي أن أشرح الأمر ...

ــ الحقيقة ...

وصوت « الخادم » سبقني ..

ــ يمكنكم اللحاق بي سادتي.

وتنهدت ... الحمد لله ...

سرت وراءهم وأنا أشعر براحة عجيبة .. راحة من نوع آخر .. لم أشعر بها قبل ذلك .إني لا أعني بشيء ما كأني ولدت من جديد .. لا شيء هناك على التفكير به لاشيء .. ! ليتنى بالفعل أولد من جديد . سأتخذ لنفسى اسماً آخر .. ماذا .. دانيا .. داليا .. دانه .. د .. وما فائدة الأسماء ولماذا التعلق بحرف «د» ربما له علاقة ما بصورة ذهنية مطبوعة ب .. اللاوعي .. وهو يخرجها بهيئة

اسماء تبدأ بحرف د .. ربما .. ولكن .. بالفعل لماذا أبحث لنفسي عن اسم آخر؟ لماذا لا أكون بلا اسم ، «أنا» فرد بدون اسم كما انني الآن بدون حقيبة ! .

(٣)

– ألن تنامي ؟
– سأفعل .
– لماذا لا تاتين بحقيبتك ؟
– لا توجد لدي حقيبة .
وهبت أختى مذعـورة ....
– هل فقـدت ؟
– لا
– إذن أين هي ؟
– لم آت بها من المدينة .
– مــاذا ؟

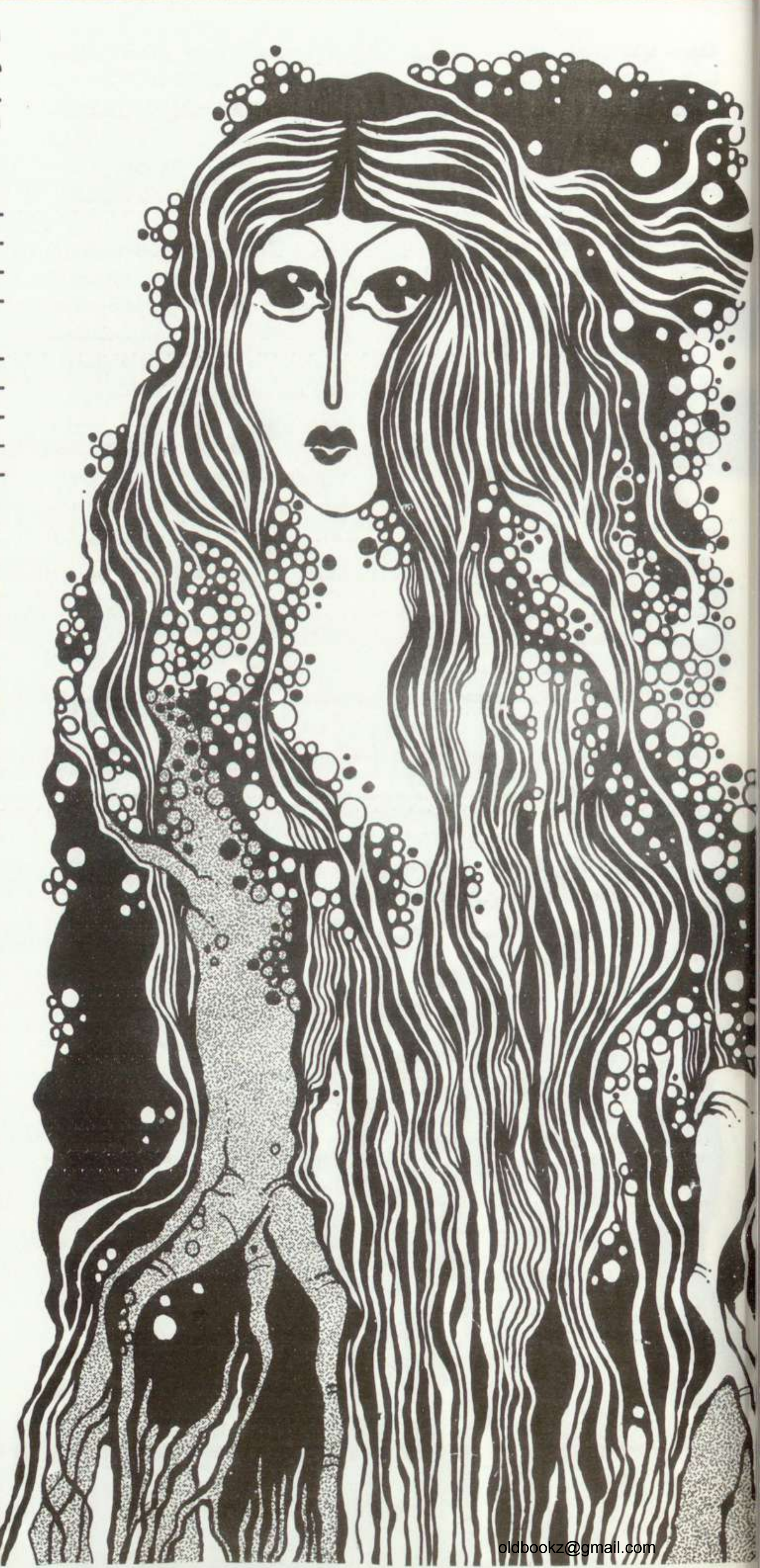
وفغرت فاها من الدهشة في حين شرعت أنا بخلع ملابسي .. ومن ثم طويتها بعناية ووضعتها فوق المقعد الخشبي واستلقيت على الفراش الملاصق لفراشها حيث تفصلني عنها – طاولة زجاجية – ويحتلها هاتف رمادى اللون يقارب بلونه «الأباجورة» المنسق اعلاها بخيوط مذهبة كيف يتماشى الخط الذهبى واللون الرمادى ..
غـداً لن يكون لي اسم أيضاً ...
وبهدوء انسللت تحت الأغطية وانا أهمس ...

(٤)

الساعة تشير الى البواكير الأولى من الصباح والشمس لا تزال بعد غافية فى خدرها .. ونشاط عجيب يسرى فى جسدى وانسللت بخفة حيث الستارة الكثيفة التى تستر الحاجز الزجاجي .. أزحتها ومن ثم فتحت الزجاج .. الهواء البارد لسعني فأخفيت صدرى بيدى والهواء يتلذذ ءأتنشقه « باريس » المدينة اللاهية غافية وضباب رمادى اللون كالهاتف يغطيها .. وأنا فرحة بهذا اليوم حيث انني بلا حقيبة .. وسوف أكون بلا اسم بعد ذلك .

(٥)

خطواتي المبكرة أثارت انتباه «موظف الاستقبال» النشط . من يراه يحسب انه قد بدأ دوامه منذ اللحظة فى حين انه



سوف يبادل زميله الواقف بجانبه العمل.

قبل أن تصل خطواتي الى الباب كانت يده أسرع منى فى فتح الباب الزجاجي ..

– صباح الخير ياسيدتي ، المدينة لاتزال غافية وخطواتك هي الأولى فى هذا الصباح .

رسمت ابتسامة فوق وجهي .. استقبلني الهواء باردا .. سرت طويلا .. طويلا .. وكنت اتبع الجهة اليمنى او الطريق المستقيم الذى يبدأ منه الفندق ولا أعلم الى أين ينتهى .. حتى لا اتوه حين العودة .. وانا عادة اكره العودة . أن أسير فحسن ؛ اما أن أعود فشيء لا أطيقه . ليتنى دائمة السير .. لماذا علينا العودة عندما نذهب ؟ لماذا لا نسير فقط ولا نعود الى الطريق الذى غادرناه لماذا؟

« باريس » تستيقظ مع خطواتي المنحدرة الى أسفل .. هل الفندق يقع فوق جبل وإلا ما سر هذا الانحدار ...

رائحة الخبز ملأت انفي . وقفت أمام المحل اه شعرت بالجوع .. الجوع نهشني .. انا لم اذق طعاماً منذ الأمس نظرت فى ساعتى لقد مضت مدة طويلة وأنا أسير واحساس عجيب بالسعادة يغمرني .. حيث لا احد هنا يعرفني .. لا أحد يعلم اسمي .. أو يمكنه مناداتي .. أو يعرف هويتي ومن أكون ..

ولكن هناك احساساً آخر إنه «الجوع»

حملق الرجل بي من خلف الزجاج حيث طالت وقفتى .. وأدار الباب وغرس عينيه فى عيني ..

– عربية أنت ؟

قالها بلكنة انجليزية ركيكة يغلب عليها الطابع الفرنسى .. عيناه سوداوان .. وبشرته سمراء .. ليست سمراء داكنة وليست أيضاً بيضاء ولكنها مزيج من ذلك .. شعره كثيف يغري بالعبث به ولكنه لا يعادل نعومة شعري وكثافته ! .

– اجائعة انت لقد استطالت وقفتك ؟

لكنته .. انه لا يجيد الانجليزية بقدر ما يجيد الفرنسية ولكنه ليس فرنسي الأصل بالطبع وقد يكون عربي الهوية هارباً من قدره هناك ...

– أنت لا تملكين نقوداً ، ومع ذلك فعيناك تشيران إنك تملكين بئراً من النفط .

النقود .. بحثت في جيبي عن النقود .. انا لا أملك بالفعل نقوداً ، وغزاني احساس جديد .. لقد تحررت من شيء آخر .. هو النقود .. فلم يعد المال يستعبدني .. وكانت قبضته قوية فوق ذراعي ..

– من انت ؟

أنفاسه ساخنة فوق وجهي «وبرد» باريس يتسلل فى ثنايا جلدى .. ويدى الأخرى تهوى فوق وجهه .. تراخت يداه فأدرت وجهي وزرعت خطوات قوية فوق الرصيف ..

بصق خلفى وصرخ ..

– عربية جائعة ستعودين بعد ذلك . جميعهن يفعلن ذلك وفى النهاية يركعن تحت الأقدام انه الجوع و ..

ولماذ أعود .. لماذا العودة .. المال .. والحقيبة .. والملابس .. والاسم .. لماذا الانتماء الى هوية واحدة .. أو وطن واحد .. أب واحد .. أم واحدة .. لماذا هذه الروابط .. لمـاذا ..

انها تخنقني كالسلاسل حول عنقي وأنا لا أود الانتماء .. ولا أريد العودة ..



(٦)

الجهة اليمنى من الطريق التى احتذيتها فى أول الأمر تركتها بلعتنى الأرصفة والشوارع الواسعة .. والطريق لم يعد منحدراً : اتسع واتسق وأصبحت له فروع والوجوه تسير مستقيمة .. والخطوات مسرعة .. وانا يمكنني الصراخ .. والبكاء ... والغناء .. دون أن يلتفت الي احد ما ويستفسر عن سر جنوني ويطالبنى بالكف والعودة .. ولكن الجوع يناوش سعادتي .. وهناك إحساس آخر إنه التعب ..

والوقت بعد الظهيرة .. قدماى ملتا من خطواتهما الواثقة فوق الطريق وباتتا تؤلماني .. الطريق .. والرصيف .. انتهى الرصيف .. وأنا جائعة ... المنازل هنا متناثرة .. وهناك بالقرب منها حديقة واسعة .. وخطواتي التعبة تقودني اليها .. المقاعد متناثرة .. احتللت أحدهـا خلعت حذائى مرغت قدمى بالعشب إنه مبلل .. القيت نفسى فوقه ومرغت وجهى به .. وجهي .. وشعري .. و .. نمت ..

لا لم أنم بعد .. انى اسمع .. خطوات .. همسات .. اسمع .. والجوع .. التعب .. الاحساس بالفرح .. لماذا يتلاشى .. أمي .. أجل أمي .. أبي .. أجل أبي .. إخوتي .. لا .. ماالذى اتى بهم ولماذا أفسد سعادتي .. أمي .. أبي .. والأصوات تقل من حولي .. أمي .. أخوتي .. أبي .. والتعب يجعل النوم لذيذاً فوق العشب .. و .. وأبي .. و ..

فجأة .. استيقظت . حفيف حولي .. حول قدمي .. فزعت .. الظلام يحيط بي وعيون تنظر الي .. انه المساء .. واغمضت عينى من جديد .. انى أحلم .. و .. لكن رجعت العيون البارزة فى الظلام افزعتنى فهببت واقفة ... أرعبنى الرجل الواقف .. أمامي .. ولغته فرنسية وانا لا أجيدها إلا قليلا .. وكذا لا أريد التحدث .. ولكنه مخيف ..

الخوف انتابني .. الخوف .. الخوف اكتسح الأحاسيس الأخرى .. الجوع .. التعب .. الخوف غزا لحظتي وتمسك بأهدابها وغمسني بأرجائها .. الظلام .. والخوف .. الخوف زعزع ثقتي المزروعة بي منذ ثلاثة وعشرين عاماً .. وصرخت .. أمي .. أبي .. الظلام .. أخوتي .. الظلام .. صدى صرختى تردد فى انحاء الحديقة الواسعة ..

تجمع البكاء فى صدرى .. صرخت .. الظلام .. أخاف الظلام والعيون البارزة فى الظلام تنقض علي ..

أريد العودة .. ركضت خطواتي راكضة .. مسرعة .. راكضة أريد العودة .. والخطوات ورائى مسرعة أيضاً ..

أريد العودة .. أخاف الظلام .. والخطوات المسرعة خلفي .. أمي .. أبي .. أريد العودة ..

« وباريس » لا يوجد بها طريق مستقيم يقود الى الفندق وأنا غريبة .. وجائعة .. وخائفة .. وأريد العودة !

كلثم جبر

الحلم والانتظار

قصة بقلم : نوره آل سعد



دخلت المدرسة . هذه المرة كان يداخلها إحساس غريب مبهم عجزت عن فهمه . كانت تحس الخوف وتنتظر حدوث شيء ما .. شيء ما.شيء أعظم ما ينفرها منه .. إنها لا تدريه .

في لسانها بقايا مذاق ذكريات بعيدة .. عذبة لكنها تؤلم القلب .

بالطبع كانت سعيدة .

رغم أنها لم تعترف بذلك وغمرت احاسيسها المتأججة بكتل ثقيلة من الاكتئاب النفسي والصداع الذى اعتادته كانت سعيدة .

ولكنها أخفت مشاعرها ببراعة لا مثيل لها ، كان الفرحة طير مسجون فى ضلوعها ويكاد يحطم قفصها الصدرى ويرفرف عالياً فوق القمم الخضراء ويزعق بحرية فقد شفي جناحه المكسور تواً .

كانت سعيدة .

رغم عينيها اللتين تخزانها كالأبر فقد أرقت حتى انبلاج الفجر (بين اليقظة وبين الحلم مساحة ضيقة لا تسمح بالتنفس بشكل مريح .. لذلك أصبحت لا تنام .. لا تحلم) .

لكن سحقاً لعينيها .. انها سعيدة وكفى .

تنفست الصعداء عندما دلفت الى حجرة المدرسات . ضجة الأحاديث واللغط الفارغ سوف تمنعها من التفكير فى «الأشياء اللامجدية » كما تدعوها هي منذ زمن وهي تقنع نفسها باشياء مماثلة .. زمن بعيد .. لم تعد تذكر منذ متى بالتحديد !

لكن ذاك زمن بعيد بالتاكيد .. زمن لم يكن فيه القمر يخبيء وجهه من النجوم خجلا .. ولم تكن هي تكف عن الرسم والتفكير .. وعادة صبغ عيون الأشخاص باللون الوردى فى لوحاتها .. ايضاً حينذاك كانت تمارس النوم كالأشخاص الآمنين .

أثاقلت الى مقعد ، رمت كراسات فوضوية كانت تحملها بعيداً .. بعيداً عن انظارها . وغرقت في تصحيح كراسات اخرى أمامها .. كالقدر لا مفر منه ومنها

دخلت الحجرة إحدى المعلمات وكانت تسب وتشتم فى عصبية وبصوت عال انتهك حرمة شرودها فرفعت ذقنها ببطء وراقبتها وهي تلقى نفسها على أول مقعد

أمامها وتنتفض غيظاً .. كسمكة اخرجت لتوها من البحر . قالت المعلمة وكأنها تبصق الكلمات :

ـ ظلم .. محض ظلم ومستحيل .

واضافت بسخرية :

ـ لو كان مستحيلاً .. لما حدث .

عاجلتها معلمة اخرى بالسؤال بينما واصلت قضم التفاحة التى بين أصابعها

ـ ماذا ؟ ماذا حدث ؟

اجابتها بمرارة :

ـ الذى حدث أن جهد شهور طويلة قد ضاع سدى .. انتهى فى غمضة عين .. منذ دقائق استدعتنى الناظرة ..

وابتسمت باشفاق وتابعت .

ـ وتاهبت لسماع كلمات الأطراء والثناء .. ولكن قاطعتها صاحبة التفاحة بفضول شره :

ـ وماذا حدث ؟ هيه .. ماذا ؟

توقفت هي عن تصحيح الكراسات . خلعت نظارتها فبدت عيناها متورمتين . ووجدت نفسها تصم اذانها باصابعها المتشنجة .

ما اشرس هذه الأفكار التى تهاجمها من كل صوب وهذا التمرد العرم .. المكبوت . يقاوم . يقاوم .

وبالم ممض مرت بخاطرها مقترحات مسكينة غرقت فى تراب النسيان .. فى احد الأدراج الخلفية لمكتب احد المسؤولين وقد ختم عليه « يؤجل حتى اشعار آخر » ودمتم .

كانت المدرستان لازالتا تتحدثان ، قالت احداهن وهي تلتهم القضمة الأخيرة من التفاحة .

ـ لكن ماذا فى أيدينا لنصنعه .

قالت الاخرى بنبرة الاستسلام ذاتها :

ـ أي والله . ماذا سنفعل ؟ .. هل نقتل انفسنا ونرتاح . هنا مشاكل وقرف .. وفي البيت ينتظرنا مليون شاغل ومشكلة . الله يلعن هكذا حياة .

أما هي .. فلا تزال تقاوم .

بالأمس كان زوجها يحزم امتعته . ودت لو تستطيع أن تساله البقاء هنا .. بجانبها .. صار يسافر كثيراً . أسندت رأسها الى الوراء . قلبها واهن شيخ . سمعته يهمس بلا وعي « أعصابي متوترة » .. لحظات ثم طفق يحدثها عن هموم عمله .. عن مستقبله ومصيره ، بل مصير العائلة كلها متعلق بيده .. أليس هو رب الأسرة .. ورجل البيت .

شدت على يده المحمومة مشجعة . سحبها بعنف ممتزج بخجل رجولي . لم يكن يدري انها تحصي كل ارتجافة عضلة فى جسده .. مهما حرص على إخفائها .

همت بالحديث .. فهي أيضاً لديها شيء أسمه هموم العمل .. لديها هموم صغيرة وتافهة .. وتحتاج أن يسمعها . لكن قاطعوها قبل أن تبدأ. بكاء مخيف انبعث من غرفة الأولاد . (انقطع الحبل وسقطت فى قاع البئر حيث السكون والظلمة .. والحلم الذى تحول الى كابوس حينما تنازلت .. يوماً ما) .

قالت تلك المدرسة بعد ما أنهت التفاحة وأخذت تمسح يديها :

ـ عندما اتذكر أيام الدراسة ألوم نفسي بشدة . لقد أضعت الكثير من الأوقات الحلوة .. تلك الأوقات التى لم أدرك قيمتها إلا الآن .. وبعد أن خبرت الزواج والأولاد والشغل والسام وبعد ان دفنت حية .



ـ نعم . آه .. كم كانت أياماً حلوة . كنا نحلم وننتظر .. ننتظر المستقبل .. وهاهو المستقبل المنتظر .. كومة دفاتر .. كومة مشاكل .. كومة غسيل ..

زوج .. عيال ومطالب لا تنتهي . ثم لا قيمة لمطالبك أنت .. لرغباتك أنت .. ولا كلمة تقدير واحدة على الأقل .

ـ حياتنا دوام متصل مستمر . ليل نهار . فى البيت وخارجه صدقيني .. أحياناً أمرض ولا أجد فرصة للذهاب الى الطبيب .

عادت تدفن رأسها فى الكراسات (أيتها النعامة .. العقي الطين حتى الأبد)

صرخ فى وجهها ذات يوم .

ـ وأولادك ؟ بيتك ؟ وأنا ؟ أنا ؟؟ هل تتجاهلين كل هذه الأساسيات من أجل نزوة فارغة ، من أجل أمر ثانوى .. تافه ؟؟

أجابته بغصة :

ـ الرسم ليس أمراً ثانوياً .. والمعرض يمثل لي حاجة ضرورية لأشباع رغبة لا بديل عنها ، من خلاله سوف احقق ذاتيتي . سوف أجد نفسي .. أجدك .. وسوف أجد العالم .. و ..

قاطعها بحدة :

ـ كلام فارغ .. لقد ضقت بلوحاتك وأصباغك .. وهذه القذارة التى أوجدتها فى بيتي .

أنذرك ألا تخلطي بين عملك خارج البيت .. وواجباتك المقدسة هنا .. كزوجة وأم وامرأة . وإذا حصل أى تعارض .. فلابد أن ترجحي أحد الأمرين على الآخر .

كان صدرها يعلو ويهبط بسرعة . أصطنعت الهدوء ، قالت :

ـ القضية .. القضية ليست الرسم .. ولا البيت ولا المدرسة .. القضية هي .. أنا . أريد أن أكتشف من أنا ؟ ماجدواي ؟ .. أريد أن ..

صفق الباب فى وجهها وخرج مسرعاً . لن يعود قبل منتصف الليل كعقاب لها . وفشل المعرض حينذاك . لأن الأشياء سائبة فى ذهنها .. لأن رائحة الألوان أصبحت تدفعها للتقيؤ .. كما تدفع زوجها الى الشجار .

قالت تلك المدرسة وهي تقشر البرتقالة لتتبعها بالتفاحة :

ـ لكن .. ما العمل ؟

قالت الأخرى بيأس تام :

ـ أي والله .. ما العمل ؟

أشاحت بوجهها بعيداً .. بعيداً . لكنها اصطدمت بمنظر (الفراشة) التى كانت تكنس الممر فى استرخاء وبرود . كانت تمضغ شيئاً ما في فمها . ربما كانت تدندن .. أيضاً . أما هي ففكرت « أن كلتيهما تجران ساقية خربة وتدوران كل يوم كجاموستين هرمتين .. بلا فائدة تذكر » هكذا فكرت .. لكن عادت تصحح لنفسها « إنها بالتأكيد أوفر حظاً مني .. إنها خاضعة لقدرها راضية به .. وربما كانت أكثر جدوى مني أيضاً » .

انتصبت واقفة . انها لا تستطيع أن تقف ساكنة بلا حراك .

ظلت طوال المساء تلوب أمام الهاتف . كانت تنتظر مكالمة من زوجها . لم يقل لها إنه سوف يخابرها لكنها على كل حال سوف تنتظر .

لسوف تنتظر .. ولسوف تخبره انها مرهقة للغاية .. وسعيدة . فالسعادة ـأحياناًـ شيء مرهق جداً .

سوف تقول له ما يوقر صدرها منذ الصباح .. بل سوف تصرخ بالخبر « إنهم يدعونني للاشتراك في معرض عالمي سيقام قريباً . إنها فرصة لطالما تمنيتها .. هل تعي ما معنى .. إننى تمنيتها ؟ »

لقد جهزت كلمات مطولة .. هي ذاتها تعرف انها لن تقولها . على كل حال سوف تقول إنها جائعة .. وتحس الفراغ بداخلها بئراً من العدم والحرمان . كم تساءلت : هل يمكن أن أكون قد مت وجسدي يتحرك دون ارادتي بسبب قوانين فسيولوجية غير مفهومة .. ترى هل يمكن هذا ؟ .

هامت على وجهها .. انتهى بها المطاف الى المخزن وفى ركن منزو رقدت أكوام كتب متربة .. ولوحات باهتة وذكريات يعجز القلب عن نسيانها ..

أو لايريد ذلك.نهضت مسرعة . انطلقت كالقذيفة الى الخارج .. وخرج صراخها الدفين « عبث .. عبث » رددتها مرات عديدة رغم انها لم تحتج لتاكيد ذلك .. لكنها أرادت فقط .. أن تعلنه بحرية .. فلقد سقط كل شيء .. علام تخاف ؟ .. فلقد سقط كل شيء.حياتها . طموحاتها.. قناعاتها .. كل الأقنعة عبث .. كل الشعارات عبث .. كل الأكاذيب عبث .

لا شيء حدث .. لاشيء يحدث.. لا شيء سوف يحدث . فعلام تخاف ؟

لفها حزام قاس من الصداع . صرخت بقوة غريبة :

ـ حتام الخوف ؟ التردد ؟ الهروب ؟ فلنشد الحبل بقوة .. حتى لو لم ينزل المن والسلوى فلنتوقف عن قرع الطبول البدائية .. فهذا لن يجبر الموت أن يقى أحلامنا .

هرولت الى المخزن .. التقطت الألوان غمست أظافرها فيها ، وعلى اللوحة بدأت الأشياء تتخذ صيغا ودلالات بعينها .

وانعدم العالم ليبعث من جديد فى اعماقها . لم تبال برنين الهاتف .. وبضجة غوغائية أخذت تقترب بطبول الحرب .. فقد عثرت على المرأة الأخرى التى تنازلت عنها .. ذات مرة .

نوره آل سعد

المثقف والقلق

أترى نحن أسرى للظروف والمقادير ؟ أم أننا رهن الأقدار والحياة والواقع ؟

ذاك هو السؤال الذى مازال يلح على ذهن الانسان المثقف .. أو الكائن الحقيقي الذى يرفض أن يتعاطى مجانية الأشياء حتى استنشاقه لجرعات الاكسجين .. ويتساءل :

إذا لم نكن قد منحنا وسائل الأعمال الجيدة أو الصالحة فلماذا نمنح الرغبة الدائمة فيها ؟

إن المتردد يعرف تردده ، لذا فهو يقوم بأفعال مفرطة وأكبر من طاقاته حتى يحقق الارتياح لنفسه .. والمرء الذى يتألم لعدم تحقيق ذاته يشعر بوجوده الى أبعد حد .. أما من يتخيل أن العالم يرفضه ويلفظه فهو يمارس أقصى التخيلات فى محاولة استعجال اعتراف الآخرين به .

ولكن المرء حين يشعر بالخوف من فقدان نفسه فهنا النهاية المحتومة التى تظل تراوده .. انه يتساءل « العالم كله ظلم فان قبلته أصبحت شريكاً فى الجزيمة ... وإن رفضته أصبحت جلاداً » هذا ما ورد على لسان احد أبطال المسرحيات السارترية .. إنى لا أملك إلا عقلى النابض فهو يعذبني ولا يتوقف اين أذهب منه ؟ وأفعالي .. آه .. تلك التى تخرج منى بسرعة دون أن اعرف إن كنت قد أردتها أو لم أردها .

وإن جاء الفعل منافياً لارادتنا علقناه على مشجب المصادفة . ثم انهم ينظرون الى تلك الفئة المعزولة عن عالمهم .. تلك التى تمثل من يسمونهم الطبقة الدنيا أو المسطحة بحقد لأنهم يرون رؤوسها ساكنة وهادئة تعج بالظلام والهدوء . يشمئزون من علاقات تفرض عليهم .. ويصابون بالغثيان والدوار أمام مواجهتهم بالرفض .. فالرفض ملك خاص لهم .. كما أن الواقع من حقهم .. وهم يتمنون لحظة الألم ويريدون أن يسلموا انفسهم لها .. وحين يسقطون فيه .. لا يعود الأمر بالنسبة لهم غير أنات وصيحات توجع .. وأمنية أن يسكت هذا الألم باى شكل ..

إذن ... ؟

فلنكف ياصديقى عن الخوف من التفكير باننا زائدون عن الحاجة .

ولنقتلع أنفسنا من مسرحية التحركات والتلاعب بالمفردات الى عالم اكثر واقعية .. لنفعل كل ما نعتقد أنه جيد حتى لو كان وسيلة لانهيار العالم .

نحن احرار .. احرار تماماً .. فافعالنا هي ملك لنا .. ولا حاجة للسقوط فى (مصيدة المواقف) .

لأن الانسان المثقف متميز .. وتمايزه ينبع من رؤيته الواضحة حتى ولو كان وضوح الرؤية اكثر عذاباً وشراسة من عدم الرؤية ؛ فنحن نساهم بأفعالنا فى تنمية وجودنا .. وحين نتوقف عن القيام بأفعال جديدة .. يقوم غيرنا بحيازة حياتنا . حينها لن نتمكن من فعل شيء .. وسوف يصل بنا الأمر الى الصمت حتى لو كان بامكاننا الكلام ..

ذلك أن كلامنا لن يفيد في شيء ، لأنه سيتحول الى أحتجاج ضعيف على الواقع ..

نحن وُجدنا .. سقطنا من أرحام أمهاتنا .. ولكن علينا بعد ذلك أن نوجد أنفسنا ونحقق وجودنا فى هذا الوجود .. ولن نستطيع التمسك بوجودنا مادمنا نفعل عكس ما نريد . لن يعود الخوف من النفوذ الى الآخرين والتأثير فيهم ..

لأننا سنجد الف طريقة للتسلل الى الجموع بدهاء وثقة . ولنتذكر أن بداخل كل منا رقابة .. فالرقابة تنبع من هنا .. من الداخل . والانسان المثقف الذى يصنع مواقفه انسان جديد يخلق نفسه كل يوم .. فلنعط وجودنا شرعية مادام أولئك الذين جاءوا الى العالم بدون شرعية يتمكنون من الانزلاق على سطح الأرض بحرية تامة دون النظر لانتمائهم

بشرى ناصر

أحمد فارس عبد المنعم

النظام الإذاعي في بريطانيا

يقوم النظام الاذاعي فى بريطانيا على دعامتين أساسيتين هما هيئة الاذاعة البريطانية، وهيئة الاذاعة المستقلة .

وفيما يلي تحليل لهما يتناول ظروف التكوين والهيكل التنظيمي وعلاقة كل منهما بالحكومة والبرلمان ومصدر التمويل .

أولا: هيئة الاذاعة البريطانية:

تعود أصول هيئة الاذاعة البريطانية الى شركة الاذاعة البريطانية التى انشئت عام ١٩٢٢ بواسطة ستة من منتجي الأجهزة الاذاعية ، وحصلت على رخصة لمدة سنتين من المدير العام للبريد الذى كانت بيده سلطة منح هذه الترخيصات آنذاك . وقد شكل المدير العام للبريد لجنة عرفت باسم « لجنة سايكس » لدراسة وضع الشركة وتطويره ، فأوصت اللجنة باخضاع الاذاعة لقدر كبير من سيطرة الحكومة عن طريق وزير يتحمل المسئولية عنها أمام البرلمان ، على ألا تقوم الحكومة نفسها بادارة الاذاعة بل يتم ذلك عن طريق مجلس خاص بها . كما أوصت اللجنة بانشاء عدد من المحطات المحلية تديرها مجالس محلية . وقد امتدت رخصة الشركة لمدة عامين تنتهى فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٦.

وفى أغسطس ١٩٢٥ تم تشكيل لجنة أخرى لدراسة تطوير وضع الاذاعة عرفت باسم « لجنة كروفورد » حيث أوصت في تقريرها بأن تتولى الاذاعة هيئة عامة يكون لها مجلس محافظين ، وذلك كحل وسط بين أن تتولاها شركة خاصة تبحث أساساً عن الربح وبين السيطرة الشاملة للحكومة عليها . وقد استجابت الحكومة لذلك فصدر الميثاق الملكي فى عام ١٩٢٧ متضمناً انشاء هيئة الاذاعة البريطانية التى حلت محل شركة الاذاعة البريطانية .

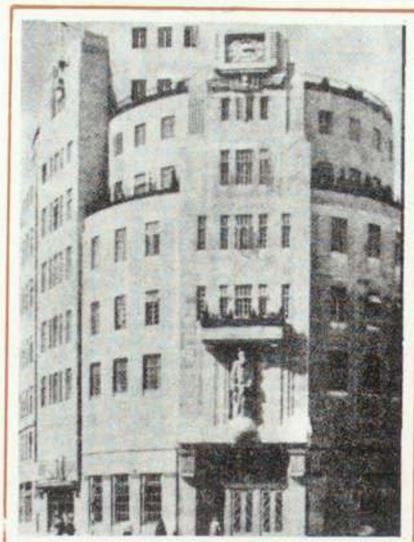
وقد استمرت هذه الهيئة فى احتكار الارسال الاذاعي بنوعيه (بدأت ارسالها التليفزيوني عام ١٩٣٦) حتى عام ١٩٥٤ حينما تم انشاء سلطة التليفزيون المستقل (I.T.A) مما انهى احتكارها للارسال التليفزيوني ، ولكن استمر احتكارها للارسال الاذاعى المسموع حتى عام ١٩٧٢ حينما تم تحويل هيئة التيلفزيون المستقل الى هيئة الاذاعة المستقلة (I.B.A) وتدير هيئة الاذاعة البريطانية الآن شبكتين قوميتين للتليفزيون ، وأربع شركات قومية للراديو ، وعشرين محطة راديو محلية فضلا عن الاذاعة الموجهة للعالم الخارجي .

ويحكم نظام هيئة الاذاعة البريطانية الميثاق الملكي الصادر عام ١٩٢٧ ، واتفاق الرخصة :

بين الهيئة والحكومة ، ورغم تشكيل العديد من اللجان لتطويرها فى سنوات ١٩٣٧ ، ١٩٥١ . ١٩٥٢ ، ١٩٦٤ ، ١٩٧٢ إلا أن الخطوط الأساسية لنظامها ظلت كما هي . فللهيئة مجلس محافظين من ١٢ عضواً (بما فيهم الرئيس ونائب الرئيس واعضاء من اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا) ، عضوية كل منهم لا تزيد عن ٥ سنوات تعينهم الملكة بناء على نصيحة الحكومة . ويستعين هذا المجلس بمجلس استشاري عام من ٦٠ عضواً فضلا عن مجالس استشارية اقليمية تعاون فى تحديد نوع البرامج المناسبة لكل منطقة . كما يقوم مجلس المحافظين بتعيين مدير عام هيئة الاذاعة البريطانية الذى يرأس مجلس ادارة الهيئة المكون من رؤساء الادارات المختلفة فى الراديو والتليفزيون .

أما عن العلاقة بين هيئة الاذاعة البريطانية والحكومة والبرلمان فانه حتى عام ١٩٦٩ كان المدير العام للبريد هو المسئول امام البرلمان عن الاذاعة . ولكن فى هذا العام الغي منصب المدير العام للبريد وحل محله وزير البريد والمواصلات . وفي عام ١٩٧٤ الغيت وزارة البريد والمواصلات وأصبحت مسئولية الاذاعة من اختصاص وزارة الداخلية .

ومن الناحية النظرية اعطى ميثاق الهيئة واتفاق الرخصة الحكومة سلطات كاملة على هيئة الاذاعة البريطانية ، حيث يستطيع التاج بناءاً على نصيحة الحكومة تغيير المحافظين في أى وقت . كما يستطيع الوزير المسئول سحب ترخيص الهيئة فى أى وقت إذا رأى انها تخل بواجباتها ، كما أن من حقه الاعتراض على أى مشروع إذاعي . فضلا عن ذلك من حق كل وزارات الحكومة إذاعة اية مواد تريدها . وقد يبدو من هذا أن الهيئة ليست سوى ادارة من ادارات الحكومة تحت اسم آخر . ولكن الواقع غير هذا ، حيث اتفقت الحكومات المتوالية على اعتبار هذه السلطات احتياطية وقت الضرورة فقط ، حيث احتفظت الهيئة بسلطاتها كاملة فى شئونها الادارية ومضمون البرامج التى تقدمها داخلياً وخارجياً . وقد ساعد على ذلك أن الشخصيات التى تولت منصب المدير العام للهيئة احتفظت باستقلالها السياسي وتحررها من ضغوط المصالح التجارية . فمنذ انشاء الهيئة لم يحدث أن صدر أى اعتراض من الحكومة على اذاعة أى موضوع ، فالتوجيهات العامة الوحيدة هى تلك التى تمنع الهيئة من اذاعة رأى خاص بها إزاء المسائل الجارية أو اذاعة مواد موصي عليها أو الامتناع عن اذاعة مواد بناءاً على توصية . فالميثاق الملكي وقانون ١٩٧٣ يعرف هيئة الاذاعة البريطانية بانها مرفق عام هدفها الاعلام والتعليم والتسلية ، ولها سلطة مستقلة فى ادارة شئونها اليومية وسياستها فى البرامج .



هيئة الاذاعة البريطانية .. كانت بدايتها عام ١٩٢٢م



ونستون تشرشل

أما الحكومة فتحتفظ بالكنترول النهائي من خلال وزير الداخلية الذى يعتبر المسئول عنها امام البرلمان بشأن القضايا الأساسية لها ، ويمكنه اصدار توجيهات لها وتعطيل رخصتها . وتلتزم الهيئه باعداد تقارير سنوية وحسابها المالي الى وزير الداخلية لعرضها أمام البرلمان .

أما عن التمويل ، فهناك أربعة مصادر أولها المبلغ الذى يقرره البرلمان للخدمات الاذاعية الداخلية يعادل المبلغ العائد من رسوم رخص اجهزة الاستقبال بعد خصم تكاليف جمعها ، ثانيها المبلغ الذى يقرره البرلمان للخدمات الاذاعية الخارجية ، ثالثهما عوائد ارباح مطبوعات الهيئة ورابعها عوائد المشروعات الأخرى للهيئة .

ثانياً : الاذاعة المستقلة :

تعود أصول انشاء الاذاعة التجارية المستقلة في بريطانيا الى النقاش الذى دار فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حول تقييم اداء هيئة الاذاعة البريطانية حيث دار جدل حاد فى البرلمان والصحافة حول الجوانب الايجابية والسلبية لاحتكار الهيئة للارسال الاذاعي بنوعيه ، وثار التساؤل حول أهمية كسر هذا الاحتكار بانشاء هيئة أخرى تجارية ، وقد أدى هذا النقاش الى تشكيل لجنة عرفت باسم لجنة بيفردج فى يونية ١٩٤٩ لدراسة الموضوع دراسة علمية ، ولكن هذه اللجنة أوصت فى تقريرها الذى قدمته الى البرلمان فى يناير ١٩٥١ باستمرار احتكار هيئة الاذاعة البريطانية للارسال الاذاعي بنوعيه .

ولكن وصول المحافظين الى السلطة عام ١٩٥١ أدى الى ترجيح الاتجاه المطالب بادخال الاذاعة التجارية خاصة وأن راديو لوكسمبرج والمحطات التجارية الأخرى جذبت جماهير بريطانية كبيرة ، وهو ما أسهم فى اقناع الحكومة الجديدة بتغيير اتجاهها حيال ادخال الاذاعة التجارية . وفي مايو ١٩٥٢ أعلنت حكومة المحافظين (تشرشل) أنها بينما تؤيد استمرار احتكار هيئة الاذاعة البريطانية للراديو إلا أنها ستؤيد ادخال بعض التنافس فى مجال التليفزيون . وفى الحوار الذى دار في مجلس اللوردات انتقد اللورد ريث — الذى كان من كبار العاملين فى هيئة الاذاعة البريطانية لمدة ١٦ سنة — بشدة المقترحات والحكومة التى قدمتها ، واتهم اللورد الحكومة بمحاولة تغيير النظام الذى حظى باعجاب العالم ، وعبرعن معارضته لادخال التمويل التجاري للتليفزيون بأى شكل من الاشكال لاعتباره أن ذلك سيعرض القيم المعنوية والثقافية للخطر.

ثم تقدمت الحكومة بمشروع قانون الى مجلس العموم ودافعت عنه بالقول أن ادخال التليفزيون التجارى سيحقق هدفين : أولهما ادخال عنصر التنافس مما يؤدى الى التطوير نحو الأفضل فى الخدمة الاذاعية ، وثانيهما تقليل الالتزامات المالية التى تتحملها الدولة . وقد استمر النقاش حول هذا الموضوع حتى عام ١٩٥٤ حينما وافق البرلمان على مشروع قانون انشاء هيئة أو سلطة التليفزيون المستقل (I.T.A.) فى ٣٠ يوليو من نفس العام . وفى عام ١٩٧٢ صدر قانون يتضمن السماح بادخال الراديو التجاري وتغير الأسم الى هيئة الاذاعة المستقلة (I.B.A.) والتى هي عبارة عن نظام فيدرالي مكون من مجلس يقوم بتعيين اعضائه الوزير المسئول عن الارسال الاذاعى ، وهذا المجلس لا يقوم بانتاج البرامج ، وانما يشرف على ١٥ شركة مسئولة عن إعداد البرامج منها ٥ شركات قومية وعشر شركات اقليمية .

ويتكون مجلس هيئة الاذاعة المستقلة من رئيس ونائب رئيس و ٨ أعضاء (ثلاثة منهم يمثلون اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا) وكل هؤلاء يقوم بتعيينهم الوزير المسئول عن الارسال الاذاعي (المدير العام للبريد قبل عام ١٩٦٩ ، ووزير البريد والمواصلات من هذا التاريخ حتى عام ١٩٧٤ ثم وزير الداخلية بعد ١٩٧٤) ، ويقوم بمعاونة هذا المجلس مجلس استشاري عام وثلاثة لجان متخصصة فضلا عن اللجان الاستشارية فى اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا .

ويقوم مجلس هيئة الاذاعة المستقلة بممارسة الكنترول على سياسة ومضمون البرامج التى تعدها الشركات ، وهو الذى يبرم العقود مع الشركات التى يقع عليها الاختيار وله الحق فى وقف والغاء هذه العقود فى حالة مخالفة شركات البرامج لسياسة مجلس الهيئة .

وتتشابه هيئة الاذاعة المستقلة مع هيئة الاذاعة البريطانية فى القواعد التى تحكم العلاقة بينها وبين الحكومة والبرلمان . أما من حيث التمويل فان هيئة الاذاعة المستقلة يتم تمويلها عن طريق الشركات المحلية ، وهي تدير الآن شبكة تليفزيونية واحدة وأكثر من ٢٠ محطة راديو محلية .

أحمد فارس عبد المنعم

من فات قديمه تاه

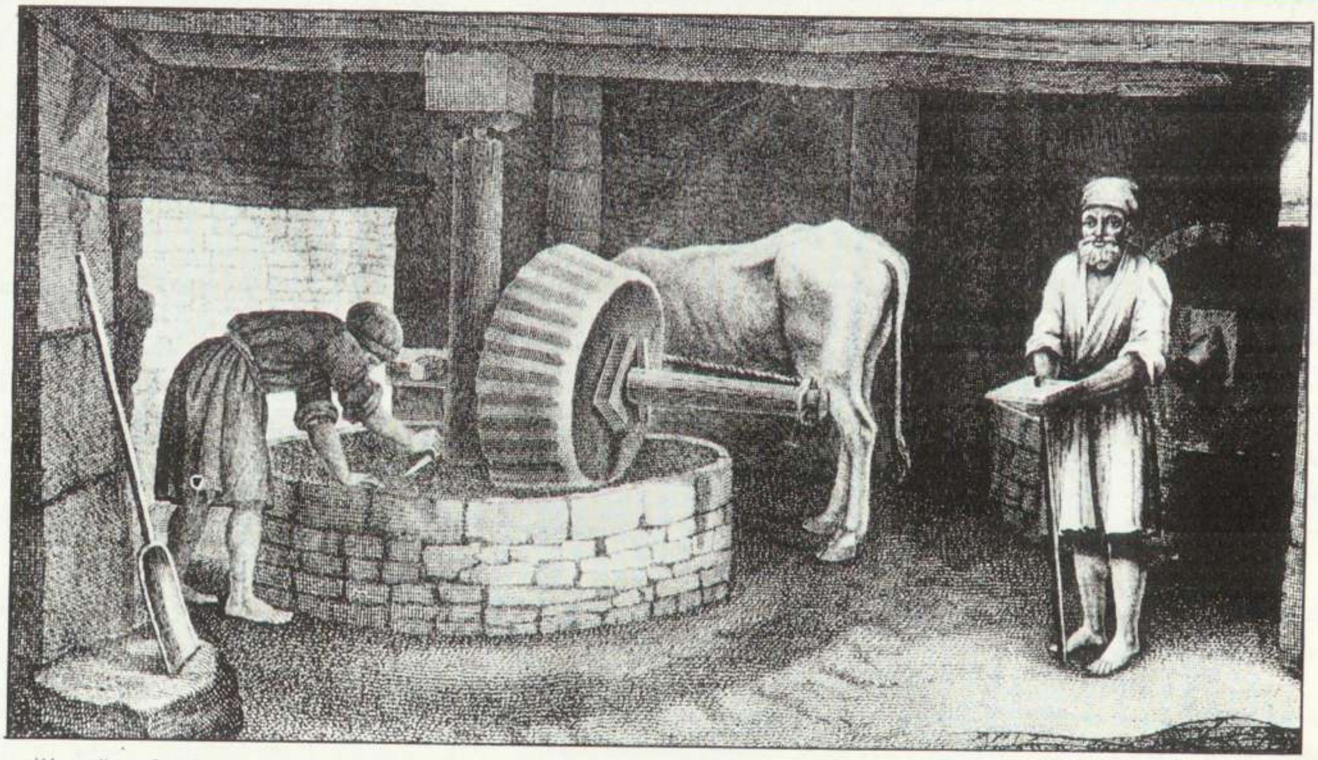
مجلة ثقافية
علمية أدبية
صناعية
زراعية

لمنشئها
ومحررها
صلاح الدين
المقريزي

أنظر إلى الماضي دون خجل

ماضينا الجليل
ليس عورة لنسترها
ولا جريمة فننكرها

مقتطفات مما كان
يقرأه منذ ١٠٠ عام
جد أبيك
أو جد جدك



أثناء عملية عصر الزيوت .. لوحة فنية من القرن الماضي

في هذا العدد:

- المصباح الكهربائي بدلا من الغاز!
- أشهر الحوادث وأعظم الرجال
- التراث للجميع
- الوطن
- الفانوس السحري

العدد السادس - نوفمبر/تشرين ثان ١٨٨١م

باب المقالات

الوطن

«الوطن فى اللغة محل الانسان مطلقاً ، فهو السكن بمعنى : استوطن القوم هذه الارض وتوطنوها : اى اتخذوها سكناً . وهو عند اهل السياسة مكانك الذى تنسب اليه . ويحفظ حقك فيه ، ويعلم حقه عليك ، وتامن فيه على نفسك وآلك ومالك . ومن اقوالهم فيه : لا وطن إلا مع الحرية . وقال لابرويز الحكيم الفرنساوى : لا وطن فى حالة الاستبداد ، ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية . وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية .

أما السكن الذى لا حق فيه للساكن ، ولا هو أمن فيه على المال والروح فغاية القول فى تعريفه انه ماوى العاجز ، ومستقر من لا يجد الى غيره سبيلا ، فان عظم فلا يسر ، وإن صغر فلا يسوء ، قال لابرويز السابق الذكر : ما الفائدة من أن يكون وطنى كبيراً إن كنت فيه حزيناً حقيراً ، أعيش فى الذل والشقاء خائفاً أسيراً .

على أن النسبة للوطن تصل بينه وبين الساكن صلة منوطة باهداب الشرف الذاتى . فهو يغار عليه ، ويذود عنه كما يذود عن والده الذى ينتمى اليه ، وإن كان سيء الخلق شديداً عليه . ولذلك قيل فى مثل هذا المقام : إن ياء النسبة فى قولنا مصرى وانجليزى وفرنسوى هى من موجبات غيرة المصرى على مصر ، والفرنساوى على فرنسا والانكليزى على انجلتره .. فاذا تقرر ذلك مما قلناه ، وجب حب الوطن من كل هذه الوجوه : فهو سكنه الذى ياكل فيه هنيئاً ويشرب مريئاً ويبيت فى الاهل أميناً . وهو مقامه الذى ينسب اليه ولا يجد فى النسبة عاراً ولا يخاف تعييراً . وهو الآن موضع حقوقه وواجباته التى حصلت له بما اوضحناه من دخوله فى دور الحياة السياسية .



الامام محمد عبده

ولقد كان بعض الناس يحاولون خلع الشعار الوطنى عن ذوى الحقوق والواجبات فى مصر ، وإلباسهم جميعاً لباس الجهالة والذل ، ولكن أبت الحوادث إلا أن تثبت لنا وجوداً وطنياً ورأياً عمومياً ولو كره المبطلون . على أن منهم فئة لايزالون يؤلمون اسماعنا بما يكررون من سفاسف القول ، من مثل اننا تعودنا احتمال الظلم والحيف ، وألفنا الخدمة والرق ، فلن يستقل لنا رأي أجمعين ولن نهتدى سبيل الحرية ، كانما هم لا يعلمون أن أهل الغرب أجمعين تعودوا مثل ذلك الحيف اعصاراً ، وكانوا فى قديم الايام على ضروب من الرق وانخفاض الجناح ، وان العالم بأسره كان فريقين : احرار يظلمون .. وعبيد يطيعون . اولم يكن فى بلاد الفرنسيس من قبل هذا العهد صنوف من الرقيق يشتغلون فى الارض لغيرهم ويباعون كما تباع العجماوات . اولم يقل كاتبهم فولتير فى وسط المائة السابعة : لايزال فى بلادنا ستون ألفاً أو سبعون ألفاً عبيداً للرهبان؟!

فما بال هذه العادة لم تمنع الفرنسيين من الوصول الى ما ادركوه من رفعة المقام وان يروا أمثال «ثيارس» و «جريفى» و «غامبتا» فى ابناء الذين كانوا من قبل عبداناً ارقاء ؟

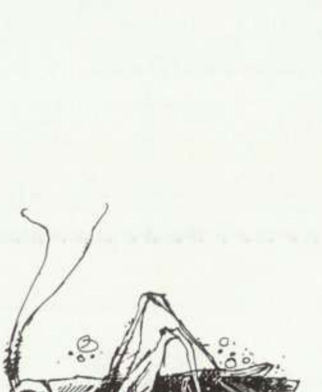
ولئن كان فضل هذه المائة ان يكتب فى صدر تاريخها تحرير أرقاء العصر السالف ، فقد رجونا – وحقق الله هذا الرجاء – ان يختم ذلك التاريخ بتحرير الذين كانوا ارقاء فى هذا العصر ، وحسن ذلك ابتداء ، وحسن ذلك ختاماً» .

«محمد عبده»

الوقائع المصرية ـ ٢٨ نوفمبر ١٨٨١

آفات الجراد

الجراد عدو العباد وآفة كل نبتة خضراء فى الأرض ولكن سبحان من لا يبقى فى الارض عاتياً فانه سلط حتى على الجراد آفة تلتهم بيضه كما يلتهم نبات الأرض . إذا جاءنا الجراد طلبنا له مجيء السمرمر فاذا لم يجيء السمرمر قابلناه بالجد وافنيناه بالمجاهدة . واما الآن فاذا شددنا الهمة ابدناه بقليل من التعب فان الأخبار التى التقطناها من نواحي الأناضول تبشرنا بظهور دودة هناك تقتات ببيض الجراد وقد قلت البيض الذى غرزه الجراد هناك فى العام الماضى تقليلا عظيماً حتى زال الخوف منه . والمظنون أن انقراض الجراد من تلك البلاد يكون بفتك هذه الدودة .



والظاهر أن هذه الدودة تستحيل الى فراش كما يستحيل دود القز . ويظن قنصل الأمريكان في الدردنيل أن هذا الفراش يتبع الجراد ويبيض في جسده فاذا باضت الجرادة خرج بيض الفراش مع بيضها وفقس دوداً يلتهم بيض الجراد . ولا يكون فى بيض الجراد الواحدة إلا دودة واحدة .

وقد وجد القنصل المذكور أن هذه الدودة كثيرة الوجود فى بر الأناضول ولولاها لاشتد الجوع هناك هذه السنة . ولما شعر هو وغيره من الأمريكانيين الذين هناك بما لها من النفع للفلاح وغيره بعثوا الى دولتهم منها ومن جراد الأناضول حتى إذا كانت تصلح لاهلاك جرادهم كما تهلك جراد الأناضول يربيها أهل اميركا لانها سريعة التوالد فتقى مزروعاتهم ومغروساتهم من شر الجراد .

ولما كان الجراد يجرد مزروعاتنا ومغروساتنا فلا يبقى منها ولا يذر وكان جرادنا من نوع جراد الأناضول فعلى أصحاب الهمم أن يوجهوا العناية الى استخدام هذه الدودة فانا أشد أهل الأرض احتياجاً اليها .

التراث للجميع

القاسم المشترك الأعظم بين الدوريات الثقافية العربية التى صدرت فى القرن الماضى هو ذلك الحرص على أن تكون المجلة لكل قارىء من قرائها مكتبة خاصة رفيعة المستوى رخيصة السعر ..

ومنذ اصدر العلامة «بطرس البستانى» مجلة «الجنان» فى عام ١٨٧٠ لتكون أول دورية ثقافية عربية ، وهى تقدم لقارئها مع كل عدد ملزمة منفصلة من كتب التراث ، فاذا اكتمل العام ، وجد القارىء بين يديه مجلداً للمجلة ذاتها ، وكتابا او اكثر من كتب التراث النادرة كرحلة ابن بطوطة او رحلة ابن جبير او موسوعة القلشقندى ، او حيوانات الجاحظ والدميرى !

ولم يقتصر هذا التقليد الحميد على الدوريات الثقافية ، فقد سبقتها به وواكبتها فى صنعه بعض الصحف ذات الطابع الرسمى كالوقائع المصرية ، ذات الطابع الاخبارى مثل «وادى النيل» ، ولم تكتف الدوريات الثقافية بنشر كتب التراث ـ وكان بعضها ينشر لأول مرة ـ فقدمت ايضا كتبا معاصرة ، تشبع الاحتياجات العقلية والمعرفية لقرائها ، عبر السنوات الثمانى التى صدرت خلالها مجلة «روضة المدارس» ـ التى انشاها العلامة «رفاعة رافع الطهطاوى» ـ قدمت لقرائها بهذه الطريقة اكثر من عشرين كتاباً فى الأدب واللغة والمسرح والتاريخ والطب والكيمياء والتراجم والتربية . منها كتب هامة للطهطاوى وعلي مبارك وعثمان جلال .

بالطريقة ذاتها قدم «الهلال» معظم اعمال محرره «جورجى زيدان» وعلى رأسها سلسلته الشهيرة عن تاريخ الاسلام ، التى سعت الى قراء فى الهند وأمريكا الجنوبية وافغانستان ، لأنها ببساطة كانت ملزمة ملحقة باعداد الهلال ذاتها . وصدرت مجلات تخصصت فى نشر الكتب بالتقسيط المريح للناشر الذى يقدم الكتاب على اجزاء ، وللقارىء الذى يدفع الثمن على اقساط ، وللمجلد الذى يروج عمله ، ومنها مجلة «سلسلة الروايات» وكانت تقدم اسبوعياً لقرائها أربع ملازم من أربع روايات مختلفة مترجمة وهى طريقة حفظت مخطوطات نادرة كانت مهددة بالضياع ، ووضعت كتب التراث بين يدى جمهرة المثقفين تغريهم بوجودها بين أيديهم بلا مجهود وبلا ثمن ، بقراءتها والاحتفاظ بها ..

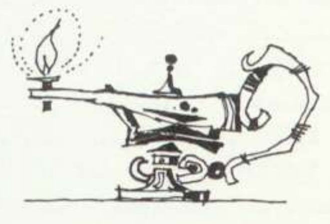
ذلك تقليد طيب ادركته الحرب الكونية الأولى بأزمة الورق ، فذهبت به ، وادركه الزمن الذى تلا الحرب بالمجلات المصورة التى نقلت القارىء الى صحافة يقل فيها الكلام الجاد وتكثر الرطانة فقضت عليه ، بل إن معظم المحاولات التى بذلت لاصدار كتب الموسوعات والتراث على شكل ملازم توقفت أو هى مهددة بالتوقف ، فمشروع اعادة طبع ترجمة دائرة المعارف الاسلامية قد توقف بعد أحد عشر مجلداً ، وتوقفت سلسلة ممتازة أصدرتها هيئة الكتاب بمصر بعنوان «التراث للجميع» ، بعد أن قدمت عدداً هاماً من الكتب .

لقد بات واضحاً أن قدرتنا على المثابرة فى مشروعات كهذه ، نفذت أو كادت ، وهى ظاهرة خطيرة ، فتلك واحدة من سبل كثيرة ينبغى أن نلجأ اليها لاجتذاب القارىء العربى الى الصفحات المشرقة فى تراثه ، بوضعه بين يديه وتقديمه اليه ، وتخليق الاهتمام به والسعى اليه لدى الجيل القائم .. والقادم !

اللهم قد بلغت !

«صلاح الدين المقريزى»

الفانوس السحري



فى ليلة الأربعاء الماضي ذهب الناس افواجاً الى قاعة استوراري للتفرج على التشخيص بالفانوس السحري فلما تمت الساعة الثالثة (عربي) لم يبق فى القاعة موضع خلي فخطب فى القوم حضرة اسكندر افندى دباك خطبة ضمنها المقصود بعبارات بسيطة لا تكلف فيها ثم طلب اطفاء النور فأطفىء وبعد ذلك بين كيفية دوران الأرض وسير الكواكب بما لا يمكن انكاره فكنت ترى الشمس فى الليل والمشتري وانت على الأرض ثم وضح اسباب الكسوف والخسوف وما يتبع ذلك من ظهور ذوات الأذناب وبعده انتقل الى الحيوان وطبائعة حتى وصل الى القرد فلستطرد حكاية انسان اساء عشرة اهله وقرد احسن السيرة فقال وهو مما يحسن فى النفوس وقعا

قولوا لمن داسوا النساء وغادروا
اجسام هاتيك الظباء ضعافا
لا يفخرن بصورة رجليه
فالقرد افضل منهم اضعافا

ثم ختم الحفلة بعد أربع ساعات بخطاب ضمنه مستقبل الكرة الأرضية بما يحقق الآمال ويلزم كل انسان البحث عما يقدمه وعلى ذلك تمت الحفلة فانصرف الجميع وهم شاكرون .

الحكومة ستوظفه

صدر قرار مجلس النظار بالغاء جريدة الحجاز لغواً مؤبداً ، وقال بيان المجلس ان صاحب الحجاز «كان يطعن فى الدول الأجنبية طعناً غير ادبى ، ويسقط عند الكلام فى شانها بما لا يليق ، وكثيراً ما طلبناه ونبهنا عليه وشددنا فى الأمر ، وحذرناه من الرجوع الى مثل ذلك ، فلم يرتدع ولم ينزجر .

ثم خالف المنشور العمومى الذى بعث اليه والى جميع اصحاب الجرائد العربية الى أن اتى فى عدده الأخير بأزيد مما حذرناه منه مراراً . فمن اجل هذا صدر قرار مجلس النظار بالغاء جريدته لغواً مؤبداً» .

ولكن سرنا أن الحكومة ستوظفه فى نظارة المعارف .

(الوطن ـ ١٢ نوفمبر ١٨٨١)

إعلان من إدارة الكوكب المصري

نشرت ادارة الكوكب المصرى اعلاناً مفاده انها شرعت فى طبع حاشية العلامة الشيخ عبد الله الشرقاوى على شرح التحرير وبهامشها تقرير العلامة الذهبي التحرير وكذا طبع قاموس اللغة العربية للفيروزبادي ومقامات البلاغة للعلامة ابي القاسم الحريري وفتاوي الحامدية للعلامة ابن عابدين خاتمة محققي الحنفية . وقد جعلت لمبيع تلك الكتب ثلاثة مواعيد . الأول من خمسة عشر شعبان الى غاية شوال سنة ١٢٩٨ . والثاني من ابتداء ذى القعدة من هذا العام الى نهايته . والثالث من بعد ذلك الى ماشاء الله . ولمن يدفع ثمن عشر نسخ نقداً من الصحافيين والكتبة فى كل مئة قرش خمسة قروش ودفع الثمن يكون إما بالمطبعة الكاستلية أو بمحل نجله نسيم كاستلي على يسار الذاهب الى الامام الحسين .

لغز

بقلم لسان الإنشاء وترجمان الأدب الشيخ حفني ناصف بمدرسة المعلمين المصرية

ماذا يقول ذوو الروية والنقد . وأهل الحل والعقد . فى اسم ثلاثى الحروف . شكله معروف من حسبه بأربعين . كان من الصادقين . وكم من فئة . تحسبه ستمائة . وهو فى حساب العرب . أعلى من الذهب . كما أنه الى الفرش . أقرب منه الى العرش . تهتف بذكره الأطفال . وتستميت فى طلبه الرجال . وضيء الفره . متساوى الطره . إلا انه جامد الطبع . مختلف الوضع . ان عاملته باللين فسد سيره . وبدون الضرب لا يستقيم أمره . يدركه الغربى فى الشرق . ويطير ثلثاه فى البرق . ومن رام تعريفه ، واستطلاع طلعته الشريفة . فانه علم يصرفه النحوى والشاعر . مع ان وزن الفعل فيه ظاهر . وهو لا يجهله احد . ولا يخلو منه بلد . بل يوجد فى اغلب الدور . وينتزع من القشور . ينفع لبكاء الصبيان . وتعاطيه مفرج للاحزان . من تناوله فى الصباح والمساء . هابته الأعداء وتناوله فى رمضان . غير مفطر للانسان. يحبس بلا ذنب . وكم يعنف بالضرب . يرسل عليه شواظ من نار ونحاس . تحرسه انت وهو لك من الحراس . اذا سوبق سبق . ومتى اطلق انطلق . وها انا قد صرحت به أو كدت . وبالغت فى بيانه وزدت . فتكرموا بالاجابة يا اخوان الاصابة .

(حفنى ناصف)

باب التقريظ والانتقاد

شكر القبول

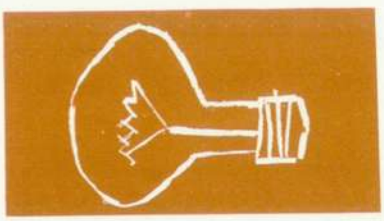
طبعنا من العدد الأول فوق الثلاثة آلاف ولم يرتجع الينا إلا خمسة أعداد فنشكر للمتفضلين بالقبول عنايتهم بصحبة هذا الخادم الضعيف وقد طلب منا العدد الأول جملة ممن لم يصلهم وسنجيب الطلب باعادة طبعه عندما يقف الطلب ونعلم المقدار اللازم لأهل الأدب أيدهم اللـــه .

رواية الكونت مونتغومـيري

رواية فريدة فى بابها قل أن ينسج ناسج على منوالها عربها من الفرنسوية الكاتب البليغ المتفنن حضرة قيصر افندى زينيه فنقلتها جريدة الاهرام الوضاء شذرات متتابعة ثم اعتنى حضرة صاحب الجريدة المذكورة بجمعها بعد ذاك التفريق فاكتست بذلك رونقاً جديداً وقد أهدانا منها نسخة فكررنا قراءتها علماً بأن المكرر احلى وعلى هذا نحث احباء الآداب على اقتنائها ومطالعتها ترويحاً للاذهان وتنبيهاً للأفكار .

باب الأخبار العلمية

المصباح الكهربائي



ورد فى المفيد

قالت صحيفة ريبوبليك ما مفاده من المحقق ان النور الكهربائي سيستعمل فى الاستضاءة بدل الغاز الجارى التنوير به فى الشوارع وفى الظن انه لا يمكن للانسان أن يستغنى به عن الغاز كلية لأن الضوء الكهربائى يستخرج من الجواهر القابلة للاحتراق واستخراجه من احتراق الغاز أوفر من استخراجه من غيره وإنما نشا تاخير كثرة اجراء تجاربه لما يلزم لذلك من المصاريف الكثيرة لأنه يستلزم احراق القدر الوافر من الجواهر القابلة لذلك .

واستخراج الكهرباء المذكور بواسطة المسمى جهاز جرام الذى تحركه آلة بخارية فبواسطة تحريك هذا الجهاز تستخرج الروح الكهربائية الكامنة فى الفحم الحجرى ولكن من الاجتهاد وتتابع التجارب ظهرت لاستخراجه قاعدة تقريبية وذلك انه اذا وجد جهاز جيد واف بالمرام جيد المتانة متقن التركيب لا يحتاج إلا لحرارة قليلة غير مستلزمة كثرة المصاريف بما أن قوة الحصان فى الآلات الجسيمة لا تحرق فى الساعة الواحدة إلا كيلو جراماً من الفحم ولاشك أن هذا النور سيكون قريب الاستعمال فى استضاءة المدن العظيمة باوربا لكن من الملاحظات التى يجب التنبه لها انه اذا أعدت آلة عظيمة للاستضاءة كالمزمع استعماله فى ربع مدينة لو ندرة يخشى من انقلاب النور ظلاماً دفعة واحدة متى حصل فى جهاز الآلة المذكورة أدنى حادث فانه ينشا عنه تعطيل فى الكهرباء فينقطع النور .

فلذا نقول ان الأحسن استبدال هذه الجهازات الجسيمة والآلات العظيمة التى هم شارعون فى أعمالها بغيرها صغيرة جداً يساعد بعضها بعضاً فى نشر الضوء بحيث انه اذا تعطل ضوء هذا الجهاز كان غيره موجوداً فلا يترتب على تعطيل هذه الآلة الصغيرة ما يترتب على تعطيل تلك الآلة الكبيرة .

وقد أراد المسيو ايرتون أن يعلم الفرق بين آلة الاستضاءة بالكهرباء التى يديرها البخار وبين آلة النور الكهربائى التى يديرها الغاز ومكث يشغلهما مدة ثلاثمائة يوم بحيث أن أوقات الشغل فى كل يوم كانت لا تزيد على عشر ساعات فمجموع مدة شغل الواحدة فى الثلاثمائة يوم ثلاثة آلاف ساعة وقد بلغ ما انفقه على آلة البخار ٩ آلاف وخمسمائة فرنك فى المدة المذكورة وما انفقه على آلة الغاز أحد عشر ألف فرنك ومائة فكانت زيادة نفقة آلة الغاز على آلة البخار ألفاً وستمائة فرنك .

الشاعر المفلق السيد صالح بك مجدي


السيد صالح مجدي بك ٤١٧

الهلال AL HILAL

الجزء الرابع عشر — السنة السابعة

(١٥ افريل (نيسان) سنة ١٨٩٦) (٥ ذي الحجة سنة ١٣١٦) (٨ برموده سنة ١٦١٥)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال

السيد صالح مجدي بك

غمنا جداً وفاة الشاعر المفلق السيد صالح بك مجدى .
وسنذكر ترجمته .

الوطن ١٢ نوفمبر ١٨٨١

يابني الأوطان هيا خيموا فوق الثريا
واهجروا النوم ملياً واطعنوا الضد الأبيا
واجدعوا انف الممانع واستعدوا للكفاح
فى مساها والصباح واطلقوا خيل الفلاح
فى ميادين النجاح وادفعوها فى المعامع .

السيد صالح مجدى

ترجمة الأستاذ وطسن

نعت الينا الجرائد الاميركانية وفاة الفلكي الشهير الاستاذ جمس وطسن استاذ الفلك فى المدرسة الدولية الجامعة بوسكنسن ومدير مرصد وشنطون .

ولد هذا الرجل العظيم فى كندا سنة ١٨٢٨ وكان أبواه أميركانيين فرجعا به الى الولايات المتحدة وهو صغير السن ووضعاه فى المدرسة الدولية الجامعة فى مشيغان وهو فى الخامسة عشرة من عمره فنال رتبة بكالوريوس فى التاسعة عشرة وصار استاذاً للفلك ومدرساً للرياضيات فى تلك المدرسة فى الحادية والعشرين . واكتشف وهو فيها ثلاثاً وعشرين نجيمة من السيارات الصغار . ورجح وجود السيار فلكان بل أثبته . ومما يدل على المنزلة التى كانت لهذا الرجل بين علماء الأرض المراتب والألقاب التى وجهت اليه جزاء لاكتشافاته ومبتكراته العلمية فانه جعل عضواً فى مجمع العلوم سنة ١٨٦٧ . ومنحته مدرسة ليبسك الجامعة لقب دكتور فى الفلسفة . واجازه مجمع العلوم الفرنساوي بنيشان الذهب وجعل عضوا فى مجمع العلوم الملكي الايطالي كل ذلك سنة ١٨٧٠ . ومنحته مدرسة يل الكلية لقب دكتور فى الفلسفة سنة ١٨٧١ ووجه اليه من الدولة العلية والدولة المصرية نيشان المجيدية العالى الشان سنة ١٨٧٥ . وعين حكماً على الجوائز فى معرض سنة ١٨٧٦ . وجعل عضواً فى مجمع الفلسفة الأميركاني سنة ١٨٧٧ . وكثيراً ما كانت الحكومة الأميركانية تسلم اليه إدارة الأعمال العظيمة مما يتعلق بعلم الهيئة . وقد أرسلته الى باكين فى الصين لمراقبة عبور الزهرة على وجه الشمس الذى حدث سنة ١٨٧٤ فمر على سوريا وزار مرصد المدرسة الكلية فاخلف لنا من الأسف أشده ، ومات بالنزلة فى ٢٣ ت سنة ١٨٨٠ وهو يبنى مرصداً بديعاً لرصد الشمس .

الإمام محمد عبده
١٨٤٥ - ١٩٠٥

● ألمع المجددين الاسلاميين فى القرن الثالث عشر الهجرى وأكثرهم شجاعة .

● ولد فى قرية مصرية ودرس فى الأزهر ، وجمع بين الاهتمام بالعلوم الدينية والعلوم الطبيعية والتاريخية .

● تعرف بالمصلح الاسلامي الكبير جمال الدين الأفغاني عام ١٨٧٢ وتوثقت صلته به ، فتاثر بافكاره التجديدية ، ووجهه الى الكتابة فى الصحف .

● تولى رئاسة تحرير مجلة « الوقائع المصرية » عام ١٨٨٠ ، فحولها من نشرة رسمية الى مجلة حية تحفل بالمقالات الفكرية والأدبية .

● اشترك فى الثورة العرابية ، ونفي على اثر فشلها الى بيروت ، ثم عاد ليعمل بالقضاء ، واصبح فى الحقبة الأخيرة من حياته مفتياً للديار المصريـــة .

● جمع الدكتور محمد عمارة أثاره فى ستة مجلدات نشرت فى السبعينيات .

الوقائع المصرية

● اقدم صحيفة عربية حية . أصدرها محمد على الكبير لتكون اللسان الرسمي للحكومة المصرية تنشر على صفحاتها قراراتها وقوانينها .

● صدرت فى البداية فى قسمين احدهما باللغة العربية والآخر باللغة التركية ، ثم ما لبث القسم التركي أن انكمش حتى اختفى .

● اهتمت فى فترات متفاوتة بنشر الاخبار والمقالات والفصول المترجمة ، فضلا عن قرارات الحكومة وتعليماتها .

● حددت شخصية رئيس تحريرها طابعها ، فحين يكون أديباً أو كاتباً يطغى القسم الأدبي على الجزء المخصص للقوانين ، وحين يكون موظفاً أو إدارياً تضمحل صفحات الأدب .

● من بين من تولوا رئاسة تحريرها الطهطاوي والشدياق ومحمد عبده وعبد الكريم سلمان وسعد زغلول وابراهيم الهلباوي!

● فى أعقاب الوحدة المصريـة السورية ، صدر قرار بتخصيصها لنشر القرارات الوزارية المحلية ، أما القوانين فقد استحدثت لها مجلة جديدة باسم « الجريدة الرسمية » .

لباب السؤال والاقتراح

جناب الخ ... ذكرتم فى مقالة حاسة السمع فى راس الصفحة ١٩٨ من السنة الماضية «إذا علقت ساعتان دقاقتان على حائط وكان رقاصاهما متساويين طولا وحرك رقاص الواحدة ولم يحرك رقاص الثانية لا يلبث طويلا حتى يشرع يتحرك من نفسه مجاراة لرقاص الأولى» فنرجوكم أن تعيدوا النظر فى هذه المسئلة لانها غريبة جداً ولم نسمع بها من قبل ولا شاهدناها قط مع اننا رأينا ساعات كثيرة معلقة بعضها متحرك وبعضها واقف والواقف لا يتحرك من تلقاء نفسه .

ساعاتي

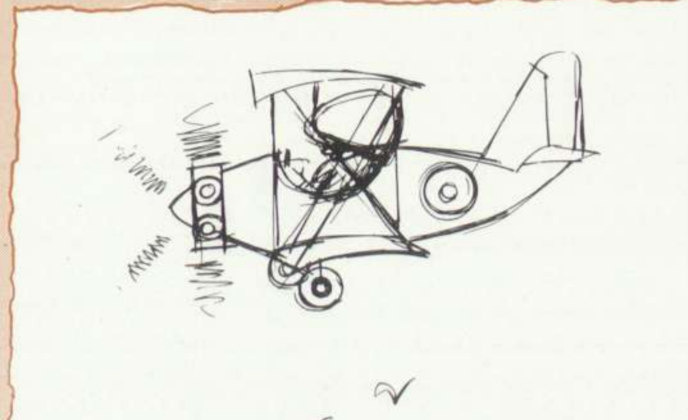
المقتطف : اننا اعتمدنا فى ما أثبتناه على عالم من أكبر علماء هذا الزمان فى فن الطبيعة وهو الاستاذ تندل الذائع الصيت ولا نرتاب فى صحته ذلك فضلا عن وضوح تعليله . أما قولكم انكم لم تشاهدوا ذلك مع انكم رأيتم ساعات كثيرة فالظاهر أن عدم مشاهدتكم له كان لتفاوت رقاصات تلك الساعات طولا .

ضحكات الشهر





(بساط الريح) .... !!



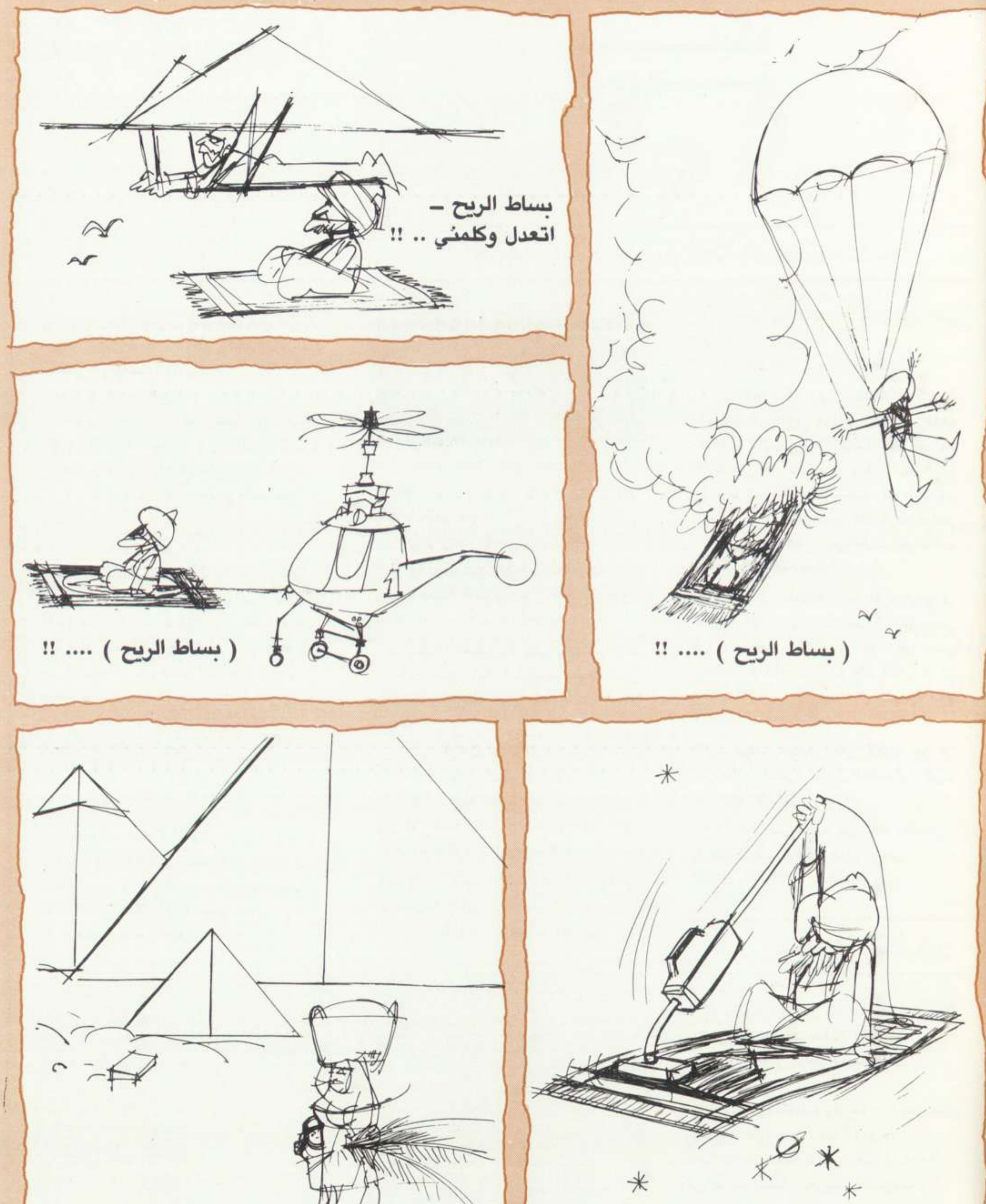
بساط الريح
ـ بعت البساط .. وأصبحت على الحديدة .. !!



ـ تشتري سمك .. في ميه .. ؟



أشتريت ناطحة سحاب .. أفريقيـة ... !!


(بساط الريح) .... !!
بساط الريح ـ
اتعدل وكلمني .. !!
(بساط الريح) .... !!
بساط الريـح
ـ .. اللـه يرحمهـم .. خوفـو وخفـرع
ومنقرع وسنفرو ومينا وجميع أفراد الأسرة
الرابعة والخامسة .. وجميع الأسرات
أجمعين .. !!

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

استولى على حكم مصر خيانة وغدراً وكان انموذجاً للبخل والخبث ، هجاه الشعراء وخاصة المتنبى .

اسمه من خمسة احرف :

٢ ـ ٤ ـ ٥ البلد التى هاجر منها ابو الانبياء عليه وعليهم السلام الى ارض كنعان بفلسطين ، لاجئا بدينه وعقيدته الى قدسها.

١ ـ ٣ راحة اليد ومجمع اصابعها .

أين ؟

بلدة جبلية ، اجتمع بها زعماء المسلمين اخيراً لمحاولة راب صدوعهم ، كانت هذه البلدة فى صدر الدعوة موطن عناء ورفض وحرب لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم .

اسمها من ستة احرف :

٣ ـ ١ ـ ٦ دار حول البيت العتيق .

٤ ـ ٢ ـ ٥ حرف جر .

ما ؟

أعدى أعداء الانسانية فى كل زمان ومكان يتخذ الوانا واشكالا متعددة ، ولكنه فى حقيقته شيء واحد ، لفظه من خمسة احرف :

٣ ـ ٥ ـ ٢ صفة خطب عظيم

١ ـ ٤ ـ ٢ عشيرة وقربى .

الإجابة الصحيحة



١ ـ السم القاتل الذى ينسب الى جزيرة سوقطرة ببحر العرب ، ويستخرج من ثمرة الجوز المقيء هو :

الزرنيخ ـ الاستركنين ـ الكلور

٢ ـ اول دينار عربى اسلامي ذهبي ضرب فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان سنة : ٥٧ ـ ٧٧ ـ ٩٧ هجرية .

٣ ـ النجمة السداسية التى يتخذها محتلو فلسطين اليوم شعاراً لرايتهم تشبه الدرع التى كان يلبسها نبي الله عليهم جميعا السلام :

صالح ـ موسي ـ داود

٤ ـ هذا اوان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم

وزن هذا الشعر العربى يسمي : المنسرح ـ الرجز ـ المتقارب ـ الوافر ـ الرمل ـ الطويل

٥ ـ يتكون اللون الاخضر من امتزاج اللون الاصفر مع اللون :

الازرق ـ الأحمر ـ النيلي

٦ ـ « يستخرج العنبر من شجرة معمرة تنمو فى ادغال الامازون »

هل هذه العبارة صحيحة ؟

٧ ـ فرقة ضالة ظهرت فى شرق الجزيرة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، خلعت الحجر الأسود من الكعبة المشرفة لترد المسلمين عن دينهم ، ولكن الله هزمهم ودمرهم كما يدمر عادة سبحانه كل من يعادى الاسلام ويحارب المسلمين طال الزمن أم قصر

تلك الفرقة هم : المزدكية ـ القرامطة ـ النصيرية ـ الخرمية

٨ ـ الثورة المنعوتة باسم ثورة الزنج فى التاريخ الاسلامي قامت على يد أفاق يدعى على بن محمد بن عبد الرحيم ، بين البصرة وواسط ، واستمرت اربعة عشر عاماً بدات من سنة : ١٥٥ ـ ٢٥٥ ـ ٣٥٥ لهجرة خاتم المرسلين .

٩ ـ مؤلف معجم لسان العرب هو :

ابن منظور المصرى ـ ابن الحافظ العراقى ـ ابن حزم الاندلسي .

١٠ـ المادة التى توجد فى لحاء الاشجار ، وتستخدم فى دباغة الجلود تسمى :

التانين ـ التولوين ـ الثيامين .

حل مسابقة العدد ٦٩

من : مناحم بيجن .

أين : دير ياسين

ما : العدوان

١ ـ لا لأن الزرافة تلد

٢ ـ أبو العلاء المعرى ـ اللزوميات

٣ ـ النمسا

٤ ـ أم القرى

٥ ـ ١٨٠٥

٦ ـ بغداد

٧ ـ الظليم

٨ ـ الكربون

٩ ـ عند خط الاستواء

١٠ ـ جمال الدين بن الجوزى

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :

بثينة وليد قنباز ـ سوريا حماه

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :

عبد الله راشد محمد الفيان ـ ص . ب ٩٠٨٤ ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :

فوزية عبد الجليل ـ مساكن حي الكويت رقم ١١٦ ـ بورسعيد ـ مصر .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ زهية محمود القطامي ـ ص.ب ٨٥٤٥ عمان الاردن
٢ ـ كمال الدين مبارك ـ جامعة أم درمان ص.ب ١٢٢١ السودان .
٣ ـ عبد الهادى منير الثقفى ـ ص.ب ٢٨٧١ ـ أبو ظبي ـ الامارات العربية المتحدة .
٤ ـ مصدق محمد ـ حي المحطة برج بوغريج ولاية سطيف ـ الجزائر .
٥ ـ عبد الله يوسف عبد الله ـ ص . ب ٥٤٤٩ الدوحـة / قطـر .
٦ ـ مـرح مروان مراد ـ الفروانية ص.ب ١٨١٦٥ ـ الكويـت .
٧ ـ توفيق بوسمه ـ ١٣ منهج رومه ـ تونس
٨ ـ نصرة أنور على مثالي ـ مدرسة نصر الاعدادية بورسعيد ـ مصر .
٩ ـ هويدة محمد اسماعيل ـ شندى التوراب ـ السـودان .
١٠ـ محمد ابراهيم الديسطى ـ كلية الطب ـ المنصـورة ـ مصـر .
١١ـ أيمن كمال دودين ـ ص.ب ٥٥٧ ـ الطائف السعوديـة .
١٢ـ حسان عارف الهيبان ـ ص.ب ٧٦٣٠ أبوظبي ـ الامارات العربية المتحدة .

قالوا عن الزواج

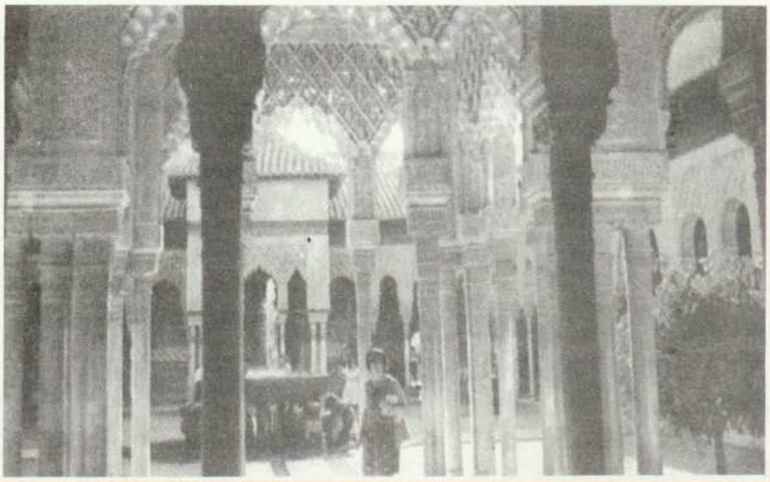
● قال سقراط لأحد تلاميذه « يجب أن تتزوج يابني ، فانك إن ظفرت بزوجة طيبة عاقلة صرت سعيداً ..
وإن اخذت زوجة طائشة مناكفة صرت فيلسوفاً »

● قال احد الشبان : الزوجة التى اريد ان اقترن بها هى التى تتوافر فيها ثلاثة شروط : الجمال والمال والغباء ..
فساله احدهم : ولم هذه الشروط الثلاثة ؟
فقال : الأمر بسيط .. يجب أن تكون جميلة وغنية لأقبل انا ان اتزوجها ، ويجب أن تكون غبية لتقبل هي أن تتزوجني .

● فى فترة الخطبة يتكلم الشاب وتصغى الفتاة .
عند الزواج تتكلم العروس ويصغى العريس
أما بعد ذلك فيتكلم الزوج والزوجة ويصغى الجيران .

محمد حسن الحصرى
طنطا ـ مصـر

حـاول أن تعـرف ...

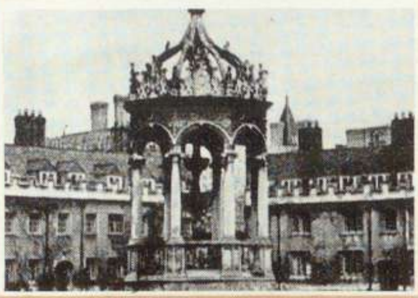


● ساحة الأسود بقصر الحمراء بغرناطة ، أحد امجاد المسلمين الأوائل فى أرض الأندلس . تتوسط الساحة نافورة الأسود التى يحمل حوضها اثنا عشر أسداً من الرخام الرمادى ، ويحيط بالساحة عروش محمولة على مائة وأربعة وعشرين عموداً من الرخام الأبيض .
في أي عام بدىء فى بناء هذه الساحة ؟



● روائي امريكي تطوع فى الحرب العالمية الأولى كسائق سيارة اسعاف حيث جرح فعمل كمراسل حربي لبعض الصحف فأفاده هذا العمل فى رواياته .
حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٤ عن قصته «العجوز والبحر» .
من هو هذا الروائى الكبير ؟ وفى اي عام توفى . وكيف ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف "العدد ٦٩"



الصورة الأولى : بـدأت الدراسـة فى جامعـة كمبـردج عـام ١٢٢٦م



الصورة الثانية : مدينة جبيل فى جنوب لبنان وكان اسمها قديماً « بايبلوس » واليها تنسب كلمة « بايبل » وهى التوراه

الفائـز : عبد اللـه أحمد على عبد اللـه ـ ص . ب ٣٦٣٥ الدوحـة قطـر .

دوحـــة القـــراء

قرأت

الإنســـان والـــدنـيـا



كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى يطلب منه الموعظة فكتب إليه الحسن رسالة مطولة جاء فيها :

«اعلم ياأمير المؤمنين ان الدنيا دار ظعن ، وليست بدار إقامة ، وانما أهبط اليها آدم من الجنة عقوبة ، وقد يحسب من لايدرى ما ثواب الله انها ثواب ، ومن لم يدر ما عقاب الله انها عقاب .

ولها فى كل حين صرعة ، وليست صرعة كصرعة ، هى تهين من اكرمها ، وتذل من أعزها، وتصرع من آثرها ، ولها فى كل حين قتلى ، فهى كالسم ياكله من لايعرفه ، وفيه حتفه ، فالزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها .

فكن فيها ياأمير المؤمنين كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ، فان أهل الفضائل كان منطقهم فيها بالصواب ومشيهم فيها بالتواضع ، مطعمهم الطيب من الرزق ، مغمضى ابصارهم عن المحارم فخوفهم في البر كخوفهم في البحر ، ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء» .

خالد صلاح خليفة

الـدوحة ـ قطـر

كلمات لهـــا معنى

● دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى يوم الساعـة .

« سعد زغلول »

● النميمة لا تقرب مودة إلا افسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا جماعةٍ إلا بددتها ..

« المامـون »

● ثلاثة راجعات الى أهلها : المكـر ، والنكـث ، والبغـى .

« على بن أبي طالب »

● قلب المراة اعظم مصدر للحنان والعطف إذا احبت ، واعظم مكمن للضغينة إذا كرهت .

« لوثـر »

● قال رجل لأبي الدرداء : مالنا نكره الموت ؟ فقال : لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

● قال ابن عباس : لجليسي علي ثلاث :

- أن ارميه بطرفى إذا اقبل .
- وأن أوسع له إذا جلس.
- وأن أصغى إليه إذا حـدث .

مجدى محمد فتحي

القاهـرة

سمعت

بـــين جعفـر والفضـل

كان جعفر بن يحيي البرمكي واخوه الفضل يلعبان يوماً وهما صبيان ، فدخل ابوهما الدار فقال لهما : اتلعبان بالشطرنج . فقال جعفر : نعم . قال : فهل لاعبت اخاك بها ؟ فقال جعفر لا . فقال أبوه : فالعبا بها بين يدى لأرى لمن الغلب .

وجيء بالشطرنج وضعت بينهما فاقبل عليها جعفر واعرض عنها الفضل رغم انه كان ابصر بها من اخيه ، فساله أبوه : مالك لاتلاعب اخاك . فقال : لااحب ذلك ، فقال جعفر لأبيه : إنه يرى انه اعلم بها منى فيانف من ملاعبتي ، فانا الاعبه مخاطرة (رهانا) فقال الفضل : لا افعل ، فقال له أبوه : لاعبه وانا معك فوافق جعفر ولكن الفضل ابى ذلك .

ولما سئلت امهما عن ذلك قالت : إن جعفر قد سقط اربع سقطات ، تنزه الفضل عنهن : سقط حين اعترف على نفسه بانه يلعب الشطرنج وكان ابوه صاحب جد ، وسقط في التزام ملاعبة اخيه وإظهار الشهوة لغلبه ، وسقط في طلب المخاطرة (الرهان) وإظهار الحرص على مال اخيه ، والرابعة قاصمة الظهر حين قال ابوه لأخيه لاعبه وانا معك فقال اخوه لا وقال هو نعم ، فناصب بذلك صـفاً فيه ابوه واخوه .

ثم قالت : ولقد خلوت بالفضل وسالته عما منعه من ادخال السرور على ابيه بملاعبة اخيه فقال : امران ، احدهما انى لو لاعبته لغلبته واخجلته وثانيهما قول ابى لاعبه وانا معك فما سرنى أن يكون ابى معى على اخي .

واستطردت أم جعفر ، ثم خلوت بجعفر فقلت له : يسال ابوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت اخوك وتعترف انت وابوك صاحب جد ، فقال : إنى سمعت ابى يقول نعم لهو البال المكدود وقد علم ابى ما نلقاه من كد التعليم والتادب ، ولم اكن آمن أن يكون قد بلغه انا نلعب بها أو أن يبادر اخي فينكر ، فبادرت بالاقرار إشفاقاً على نفسى وعليه ، وقلت : إن كان توبيخاً فديته من المواجهة به . واما عن لعبى مخاطرة (رهانا) فقد استحسن اخى الفضل الدواة ذات العقيق والياقوت التى وهبها لى أمير المؤمنين ، فعرضتها عليه فابى قبولها وطمعت ان يلاعبنى فاخاطر عليها وهو يغلبني ، فتطيب نفسه باخذها ...

محمد على محمد بابكر

الخرطوم ـ السودان

قالوا عن المرأة

● لعقل المرأة ما لجسمها من المزايا والعيوب .. فهو خلاب ولكنه ضعيف .

● إذا أردت أن تعرف نقائص امرأة فاعمد الى مدحها أمام امرأة أخرى .

● إذا استطعت فتجنب المناقشة مع المرأة لأنك إن انتصرت عليها أبغضتك .. وإذا انتصرت عليك احتقرتك .

● المرأة الحديثة إحدى اثنتين :
امرأة تصنع للرجل مسكناً ، أو امرأة تصنع للمسكن رجلاً .

● يحبك الرجل لما يظنه فيك من صفات طيبة ... وتحبك المرأة لما تظنه انت فيها من صفات طيبة

● إن المرأة تنتصر بالتشبث ، لا بالكفاح ولا بالشجاعة ، إنها كالاعلان تنال ما تريد بالتكرار

● المرأة القبيحة ترى وجهها فى المرآة .. والمرأة الجميلة ترى وجهها فى عيون الناس

● المرأة كالبحر .. مطيعة لمن يقوى عليها .. ولكنها جبارة معاندة لمن يخاف منها .

هشام محمد فخري
الاسكندرية

همسات ناعمة

ما أقسى الصمت وما أرقى أصوات البشر حتى ولو كانت ضجيجاً .

ما أقبح السكوت وما أجمل الحركة حتى ولو كانت معارك .

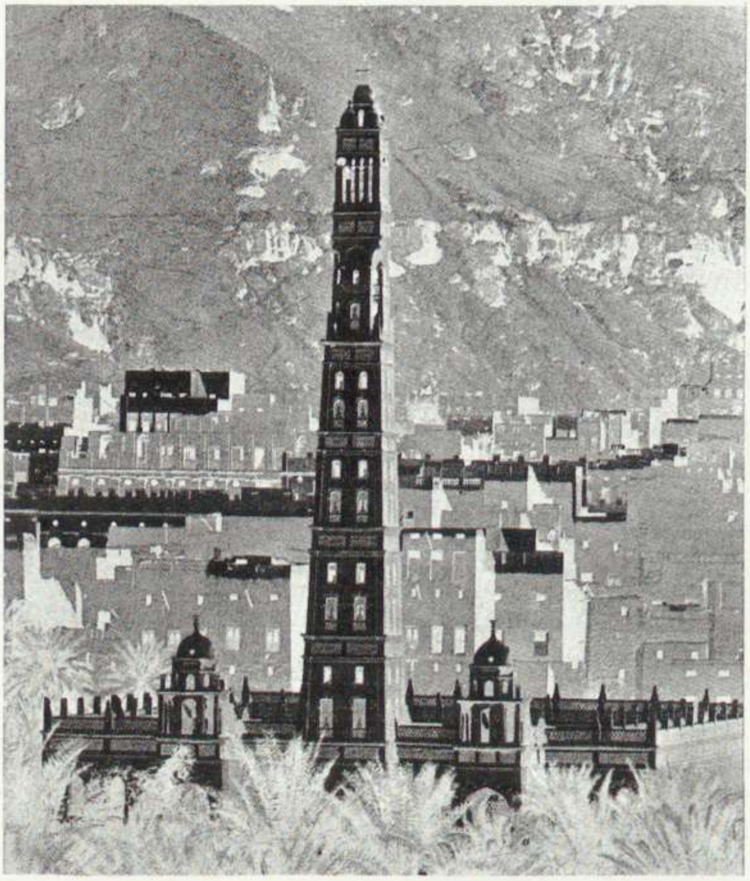
ما أبرد الوحدة وما أدفأ أنفاس الناس حتى ولو كانت مريضة .

ما أفظع الفراغ وما أحلى التفكير والعمل ولو بالفشل .

ما أجمل الصبر وما أحسن نهايته حتى ولو كان مـراً .

مريم خليل عثمان
السودان

لقطة الشهر



مسجد المحضار فى مدينة تريم بمحافظة حضرموت بجمهورية اليمن الديموقراطية .

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطري القاريء :
فهد هاشم أحمد محمد ـ الشيخ عثمان ـ عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

رأيت

المطاط

ظهر شجر المطاط أول ماظهر في أمريكا الجنوبية ومع أنه لم يستخدم كسلعة أو يتم تصنيعه الا منذ أقل من مائة عام الا انه عرف منذ ٤٥٠ عام عندما تنبه اليه بعض المستكشفين الأسبان الذين كانوا يجوسون خلال تلك البقاع بحثا عن الذهب والفضة ، فرأوا بعض الاطفال من الهنود الحمر يتقاذفون فيما بينهم كرة ما تكاد تقع على الأرض حتى ترتفع عنها من تلقاء نفسها فكانوا أول من رأى المطاط من ابناء العالم القديم .

وفي عام ١٨٧٠ استطاع رجل يدعى هنرى ويكهام أن ينقل بعض بذور شجر المطاط من أمريكا الجنوبية الى انجلترا ثم استنبتها فى مشتل خاص قام بتدفئته تدفئة صناعية حتى يلائم جو أمريكا الجنوبية ثم نقلت «الشتلات» الى سيلان والملايو حيث المناخ والتربة الملائمان فنجحت التجربة وأصبح معظم المطاط الذى يستهلكه العالم اليوم ينبت في الملايو ويصدر منها .

دانه ماجد سعد آل سعد
دولة قطــر

رسائل إلى المحرر



● المواهب الشابة ●

كم أود أن أرى على صفحات الدوحة باباً خاصاً بالشباب يخاطبهم ويفتح صدره لانتاجهم ويناقش مشكلاتهم خاصة أنها تختلف عن غيرها من المشكلات . وحبذا لو أضيف الى المجلة باب للرياضة وكذلك باب خاص يحمل اسم «مدينة عربية» يكتبه شباب من أبناء المدن العربية نفسها التى يتناولها الموضوع تحت اشراف احد محررى المجلة .

وأين تشجيعكم للمواهب الشابة فى مجالات القصة القصيرة والرواية ؟ نحب أن تبحث «الدوحة» عمن تقدمهم الى دنيا الأدب ليخلفوا عمالقة الكتابة الحاليين .

طارق محمد زقزوق
دمنهور ـ ج . م . ع

● تنشر المجلة كثيرا من الدراسات والأبحاث المتعلقة بالشباب ومشكلاته وكذلك تحقيقات مصورة عن البلاد العربية .

ونحن نرحب بأى انتاج جيد فى أى مجال من مجالات الأدب والفكر والثقافة والمجلة توسع صفحاتها دائماً للمبدعين .

● مكتبة عربية جامعة ●

لاشك أن لكل دولة مكتبتها العامة وفروعها التى تنتشر فى انحاء ذلك البلد . وتحاول كل دولة أن تجمع فيها أكبر قدر ممكن من المراجع والكتب والمخطوطات النفيسة .

وإني امل لو تخرج الى النور فكرة « مكتبة عربية جامعة » تساهم فيها كل دولنا العربية وتضم المخطوطات والكتب والمراجع الأثرية ذات القيمة العالية والتى لا يجوز أن تظل حبيسة بلد دون الآخر ، على أن يتبع هذه الدار قسم للترجمة والنشر يتولى ترجمة الكتب المختارة من العربية الى اللغات الأخرى وكذلك من اللغات الأجنبية الى العربية وتقوم بنشرها وبيعها بسعر زهيد يمكن أى قارىء من شرائها .

فارجو أن تتبنى إحدى الدول العربية التى تسمح ظروفها الاقتصادية والمالية ذلك المشروع لتقيم هذه المكتبة على ارضها .. وكل الدول العربية أرض للعرب جميعاً .

على جمال الكاف
عدن ـ اليمن الديمقراطية



● البحث عن مواهب الشعراء ●

أنا معجب بما يرد فى مجلتكم الدوحة ، خاصة هذا الزخم الهائل من المقالات المتنوعة فى عدد يناير ١٩٨١ ، حيث شدنى ما كتب عن الشعراء القدامى الذين خلدوا الشعر فى تراثنا العربى ، والذين درسنا ونحن طلبة بعض قصائدهم ، ليسرى الشعر فى عروقنا دون أن نعرف الكثير عن تفاصيل حياتهم ومشاكلهم فى العصر الذى عاشوا فيه .. ولهذا فان ما نجده عن هؤلاء الشعراء فى مجلة الدوحة يجعلنا دائماً على معرفة بما حدث لهؤلاء الشعراء ، فربما تنساب فينا غريزة الشعر ومواهب الشعراء والأدباء !

أحمد محمد البشير
أم روابة ـ السودان

● حول تبسيط اللغة العربية ●

وردتنا عدة رسائل تعليقاً على هذا الموضوع الذى استحوذ على اهتمام القراء .

فقد كتب الينا القارىء جمال شيشة من البليدة بالجزائر يقول إنه يعارض فكرة تبسيط اللغة العربية ، وينادى بان نبذل جهداً اكثر لمحاولة توضيح اللغة ، ويستطيع الاعلام العربي بكل اجهزته وقدراته أن يساهم فى ذلك . ويضرب مثالا لذلك بان اللغة اليابانية تضم في أبجديتها مائة وستين حرفاً ، ولكن لم يحدث أن خرج عالم من ابناء اليابان بنداء لتبسيط لغتهم أو اختصار ابجديتها او تغيير قواعدها .

اما القارىء عبد الباسط محمد قريصة من المعهد العالي للتقنية بالجماهيرية الليبية فيقول : إن اللغة العربية التى تتكون ابجديتها من ثمان وعشرين حرفاً قد انزل الله بها قرانه الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو تصفحنا القران لوجدناه سلساً جذاباً ، وهو مع ذلك يسير على قواعد النحو والصرف والبلاغة دون خروج .

ويضيف القارىء : إن العصر الحديث هو عصر التقنية الحديثة والكمبيوتر والذرة ، وهذا التطور لا يتعلق باللغة العربية أو غيرها من اللغات . فالتقدم العلمي لا يستخدم النحو أو الصرف ولا الادغام أو الاظهار أو الاقلاب .، ولكنه يستخدم الارقام والأعداد والقوانين والنظريات الرياضية والعلمية .

أما القارىء الحسينى عياد من الجزائر فيقول : إن صعوبة اللغة العربية ناشئة أساساً من عدم شرحها للدارسين بطريقة سهلة ميسورة وبالتالي عدم القدرة على استيعابها منذ الصغر .

ويستشهد برأي البشير الابراهيمي حيث يقول عنها :

« ومازالت صالحة لولا غبار من الاهمال علاها ، وعاق من الأبناء قلاها ، وضيم من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها » .

ويضيف القارىء الحسيني عياد « وعلى سبيل المثال فان مجلة الدوحة تصدر باللغة العربية ، ومع ذلك فهي نموذج للغة المفهومة الميسورة التى يقبل عليها القارىء فى كل مكان »

● الفنانون القطريون ●

تابعت من خلال قراءتى لمجلة الدوحة والمجلات العربية الأخرى ، ماشهده المسرح العربى عامة والخليجى خاصة من بوادر النهضة والتقدم ، وذلك لتوفر المجالات الفنية والقدرات وكذلك لوجود كوادر قادرة على حمل عبء تطوير المسرح الخليجى .

وانني إذ افخر بابن الخليج حين يخطو على المسرح ليضرب المثل على مواكبته للنهضة الفنية والمسرحية فى العالم ، لأرجو أن تساعد مجلة الدوحة فى إلقاء الضوء على الفنانين القطريين والخليجيين الذين أسهموا ويسهمون بجهودهم وخبرتهم فى هذا المجال .

بسام أحمد عبد ربه البدور
الشوبك ـ الأردن

● المتتبع لأعداد المجلة يجد بين صفحاتها موضوعات تتعلق بالفنانين الخليجيين والعرب وكذلك دراسات حول الفنون العربية والخليجية .



● أطماع اليهود فى الليطاني ●

قرات في العدد ٦٢ ـ فبراير ٨١ ـ موضوع نهر الليطاني واطماع اليهود فيه وفى جنوب لبنان .

وأود معرفة كيفية حصولكم على خطاب « حاييم وايزمان » الى اللورد «ديفيد لويد جورج» ، وهل من الممكن أن أحصل على صورة لهذا الخطاب .

واني ـ نيابة عن قراء المجلة ـ لأشكركم هذا الاهتمام بقضايانا المصيرية ، وقيامكم بهذا الدور الكبير لتوعية العرب نحو أطماع اليهود ، وعسى أن نفيق من غيبوبتنا .. !

سامي هندام
حدائق حلوان ـ القاهرة

● ما رأيكم في هذه الاقتراحات ●

اعجابي بمقالات الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور حسن عيسى عبد الظاهر وغيرهما . انني اقترح على مجلتكم أن تكتب في كل عدد عن سيرة احد الشعراء العرب القدامى مع الحكم الصائب على قيمة شعره ومافيه من جوانب فنية وجمالية .. وأن تكتب لنا عن مدينة «صحار» خاصة وانها المدينة الأولى التي دخل اليها الاسلام في سلطنة عمان عندما قدم إليها عمرو ابن العاص مبعوثاً للرسول ، كما أن هذه المدينة بالذات كانت أحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية وبعد الاسلام .

علي شنين خلفان
صحار – سلطنة عمان

● هذه الأخطاء المدمرة لقضايانا ●

قرأت في العدد ٦١ من مجلة الدوحة – باب رسائل الى المحرر – رسالة القارىء محمود جفلان من حلب بسورية ، يرد فيها على قارىء احتج على نبيل الآغا لذكره أن «اسرائيل دولة» ، في حواره مع الدكتور اليهودي الأمريكي «ألفريد ليلينتال» .

والسؤال الذي أريد أن أطرحه على الأخ جفلان وعلى جميع الكتاب في كافة وسائل الاعلام العربية ، وعلى كل عربي مخلص لعروبته يؤمن بأن فلسطين عربية هو : لماذا لا نستعمل بديلا عن كلمة «اسرائيل» ، «بفلسطين المحتلة» أو «ما يسمى بدولة اسرائيل» الخ ؟؟؟ لماذا لا نربي أجيالنا على تعلم الحقائق ؟ ولماذا نغرس في أذهانهم تسميات شاذة غريبة على واقعنا العربي ؟

الوطن العربي من محيطه الى خليجه مهدد بالاحتلال من جانب العدو الصهيوني لأنه الأقوى بين ضعفاء مفرقين .. فهل اذا احتل العدو الصهيوني أية مدينة عربية وفات على احتلالها سنوات ، وقدر لك يا أخ محمود جفلان أن تتكلم أو تكتب عن المدينة .. فهل تقول : تقع مدينة .. العربية في دولة اسرائيل .. بربك هل تفعل ذلك ؟!

العربي الفلسطيني أسعد حميد
ليبيا

● مشاكل المسلمين ●

لقد اعجبت كثيرا بالمجلة ومازلت من المتابعين لها لما فيها من مواضيع ذات قيم دقيقة . وعلى رأس هذه المواضيع المشاكل التي يعاني منها المسلمون في جميع انحاء العالم وبصفة خاصة في الدول العربية والتي أراها على الدوام في شقاق مستمر وتناحر . ناسين بذلك الدعوة الاسلامية . دعوة الفكر ، والعقل ، والعدالة ، والمساواة ، والتي حرمت دم المسلم على المسلم إلا بالحق . المهم انه من دواعي سروري أن تستمر هذه الاقلام الشريفة والمهتمة دائما وأبدا بشئون الاسلام والمسلمين في نضالها بالكلمة دفعاً للعمل على هدى الكتاب والسنة وتوعيتنا جميعا لما فيه الخير لنا كمسلمين .

واتمنى أن يجد الطفل العربي بصفة خاصة والطفل المسلم بصفة عامة اهتماما من مجلتكم واقترح أن يرفق ملحق خاص بالطفل مع كل عدد من المجلة .

محمد علي الطاهر
أم درمان – السودان

ردود سريعة

● القارىء رضا ابراهيم محمد سيد – المنيا – ج . م . ع :

– ارسل لك الشيك رقم ٨٠٧٥/٧ بتاريخ ١٩٨١/٣/٢٥ مسحوب على البنك الأهلي المصري فرع ثروت وذلك على عنوانك بكلية الطب البشري – جامعة أسيوط .

● القارىء ادريس ناصر عبد القادر – الخرطوم بحري – السودان :

– وصلت رسالتك وشكرا لك ولكن الصورة لم تصل .

● القارىء : مامون عثمان الفكي – أبو نعامة – مديرية النيل الأبيض – السودان :

– اقتراحاتك منفذة في المجلة أما عن القصص باللهجات المحلية فنحن نشجع على استعمال الفصحى فهي اللغة العربية الصحيحة وهي التي يفهمها العرب جميعاً . وأخيراً فنحن من دعاة الوحدة العربية الشاملة التي تقوم أول ما تقوم على اللغة الى جانب المقومات الأخرى .

"علوان .. ابنك عاد"

مهداة إلى روح الأستاذ فوزي العنتيل

يقولون أن الطريق الطويل هنا منتهاه
يقولون انك ما عدت تهمس في اذن الدهر بالامنيات – الحياه
يقولون انك لا بد تمضي ...
– وحق الذي في سماه –
هنا أول الدرب عندي وعندك
مازال « فوزي » أمامي أراه ..
هنا بينكم في اختلاج الصدور
وأبصره في انفراج الشفاه

● ● ●

فيا موئل العشق قرى عيونا
فكل المواسم في راحتيك ..
كما كل عام يجيء إليك
يزور الحقول ، ويخلع نعليه عند القدوم
ويلقى السلام . سلام عليك ..
ففي وحشة البعد كنت الصديق
وفي ظلمة الليل كنت القمر
وكان عبيرك بين الثياب
ووجهك ظل جواز السفر
وفي لحظة الصمت كانت حقولك ،
قمحك ، طينك ،
مدأ عتيا ..
يموج بعينيه لا يستقر

● ● ●

كما كل عام .. اتاك فتاك
فضميه .. ضميه .. القى عليه الدثارا
ففي دفء عينيك غني وغني ..
وما كان بعدك عنه اختيارا ..
ولا تشغلي البال ..
أي القطارات يركب ..
مل المسافر طعم الدوار .
وعاد إليك فضميه .. ضميه القى عليه الدثار
وغنيه « علوان » ما كان يهواه من اغنيات الحصاد ..
فابنك عاد ..

درويش الاسيوطي
أسيوط – مصر

(١) مسقط رأس الشاعر إحدى قرى مركز أسيوط – مصر .

الورقة الأخيرة

علمتني الحياة



عبد الله الشيتي
الكويت

● علمتني الحياة ، أن الناس اثنـان : ظالم ومظلوم . وأنا اخترت الثانيـة ، فليختر سوای الأولى !

● سألوني فى إحدى الاذاعات : من مطربتك المفضلة . فأجبت فيروز . قالوا : ثم من .. قلت لم انته بعد من سماع فيروز .... !

● لو سألتنى ما اجمل الأشياء ؟ .. لأجبتك جواب ناظم حكمت : أجمل الأيام التى لم نعشهـا بعد . وأجمل الزهور التى لم نقطفها بعد . وأجمل الأطفال الذين لم يولدوا بعد . وأجمل البحار التى لم نزرها بعد ..

ولو أصررت ياصديقى على معرفة رأيي انا ، لقلت : أجمل مافى الحياة الحب قبل أن ياخذ طريقه الى ... المأذون ؟

● أتدرون من هي المرأة الشرقيـة ..؟
انها فى هذا الزمان ، التى تقلد المرأة الغربيـة .

● حسنا ، قالت لي نفسي وجنازة تمر أمامي : كيف تفلسف الموت ...؟

قلت : عقاب ضروري للبشـر ، حتى لا يأكل بعضهم بعضاً !

● والصحة الجيدة ..
أقول : يتلفها الفقر كما يتلفها ... الغنى !

● هل تأملتم قليلا فى حكاية برناردشو مع حارس المقبرة ..؟
ذات يوم مر (شو) فى واحدة من مقابر لندن فرأى فى بابها حارساً مسلحاً يحرسها فسأله :
ــ ماذا تفعل هنا يافتى ؟
قال ــ أحرس المقبرة ياسيـدي ..!
فقال له ــ وممن تحرسها ؟ إن الذين فى داخلها لا يريـدون الخروج منها ، والذين هم خارجها لا يريدون الدخول اليها .. !!

● هل أدلكم على أقسى أنواع الطـلاق في الحياة الزوجية..؟
أنـه ولا مؤاخذة (الطـلاق العاطفي) ... !

● أدبـاء هذه الأيـام اثنان فى رأيي : واحد يكتب بصعوبة فنقرؤه بسهولة ، وآخر يكتب بسهولة فنقرؤه بصعوبـة !

● ظننى البعض ذات يوم اننى كاتـب مسرحي ! فسألوني : ماهي الدراما فى رأيك ؟
قلت ــ أن تزورك حماتك ! قالوا : والكوميديا .. قلت : أن تزورها أنت ؟

● أتدرى ما أجمـل تجربة تعلمتها من الناس ....؟
انها تجربة (ابعد عن الشر وغن له) ومن يومها وصوتي فى الغناء أجمل من صوت أم كلثوم أو (أبو كلثوم) وديع الصافي .!

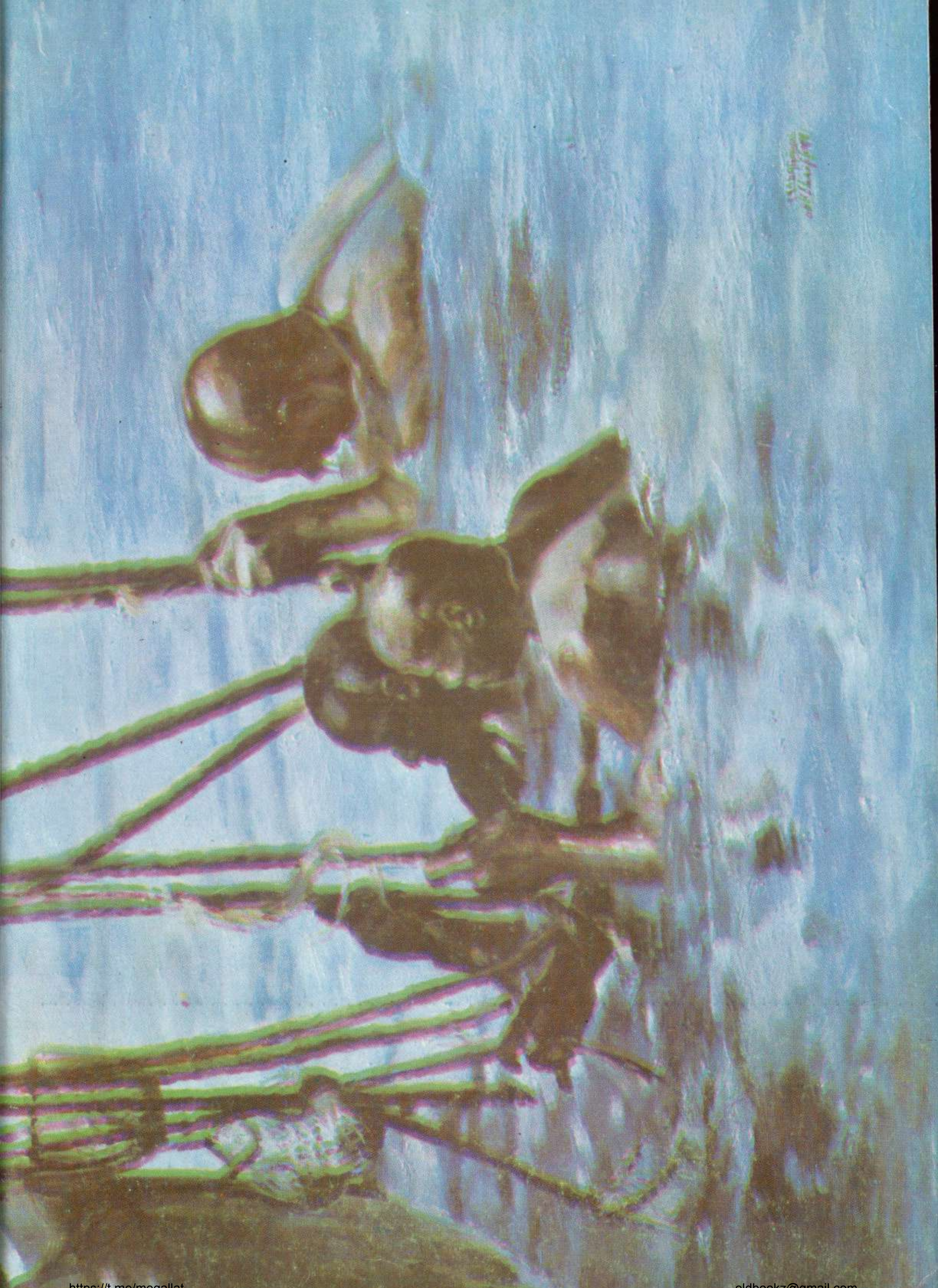
● البيت الذى تمارس فيه الدجاجـة عمل الديك يحل فيه الخراب ! انها حكمة ذهبية ــ مع ارتفاع اسعاره ــ مهداة الى كل دجاجة ، أعنى كل زوجة . !!

● كان الشاعر أحمد الصافي النجفي يقول : إذا ربح الأديب «بيانصيب» شككت بأنـه حقاً أديب . !



تيم

تيم



السنة السادسة ـ العدد ٧٢ ـ صفر ١٤٠٢ هـ ـ ديسمبر ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- التنمية في الخليج .. ظالمة أم مظلومة؟: د. غازي القصيبي
- الحرية .. لا التسامح: خالد محمد خالد
- أول حديث صحفي مع القمر!: عبد الله جفري

السيرة الشعبية
ونظرية التراكم الملحمي




MIRINDA

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٢ - صفر ١٤٠٢هـ - ديسمبر ١٩٨١م

المراسلات:

التحرير والادارة:
ص.ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر.
العنوان البرقي:
المجلة - الدوحة
تليكس:
4521 MAGDO DH

تليفونات:
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير: ٢١١٢١
التحرير: ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري: ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات:
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم:
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات:

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات:

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

فى هذا العدد



د. جابر الأنصاري



عبد الرزاق البصير



نعمان عاشور

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

كلمة

أمانة في أعناق هذا الجيل

فى منتصف الشهر الماضى افتتح السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام الاجتماع التأسيسى لمشروع «مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية» ، ثم استمرت الاجتماعات بعد ذلك برئاسة السيد محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام .

وقد قال وزير الاعلام فى كلمة الافتتاح إن هذا المركز الذى يتجه إلى رعاية وحماية تراثنا الشعبى إنما يعكس «رغبة أكيدة فى البحث عن منابع أصالتنا والتعرف إلى جوانب إبداعات أجدادنا وآبائنا لدراستها وتحليلها وتوظيف المناسب منها فى حياتنا وحفظها ذخيرة لأجيالنا القادمة» كما أكد وزير الاعلام بحق : «أن هذا الدور الوطنى أمانة فى أعناق هذا الجيل الذى يشهد التطورات الخطيرة فى مجتمعاتنا الحديثة ، ويعايش التحولات البالغة الأثر فى المفاهيم والقيم الحياتية ، وعلينا أن ندعم كل جهد للاضطلاع بهذا الدور أمانة وإخلاصاً لأنفسنا ، ولا يخفى عليكم ما بذلته الدول المتحضرة التى سبقتنا بنحو مائة عام من جهود وتضحيات فى هذا المجال» .

وفى ختام الاجتماعات ألقى السيد محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام كلمة قال فيها « .. إننا إذا كنا قد خطونا خطوة جديدة على صعيد العمل الجماعي الخليجي المشترك فاننا مطالبون فى نفس الوقت بمتابعة ما بدأناه ودعمه بكل عوامل النجاح حتى يصبح المركز صرحاً خليجياً شامخاً يحمي تراثنا الشعبي ويحفظه لأجيالنا القادمة » .

كما ألقى الشيخ « ناصر بن محمد الأحمد الجابر » رئيس وفد الكويت فى هذا الاجتماع كلمة قال فيها إنه يأمل « في أن يظهر مركز التراث إلى حيز الوجود فى أقرب فرصة ممكنة لتحقيق كافة الأهداف المرجوه من انشائه لخدمة شعوب المنطقة والشعوب العربية كافة وتطوير تراث المنطقة القومي والشعبي » .

وتحدث السيد « على عبد الله خليفة » المشرف على مشروع تأسيس « مركز التراث الشعبي » والمثقف العربي الذى قطع أرض الخليج طولا وعرضاً فى جهد دائب مخلص تمهيداً لاقامة هذا المركز ، فقال فى كلمته « إن أهم ما تم الاتفاق عليه خلال الاجتماع هو اعتبار الرقعة الجغرافية لدول الخليج العربية ساحة عمل ميداني واحد أمام أعمال المركز مع مراعاة النظم المتبعة فى كل دولة لتأكيد الوحدة الخليجية العربية » .

تلك هي الخطوط العامة لهذا الاجتماع الثقافي الهام الذى انعقد فى الدوحة فى منتصف الشهر الماضى وانتهى إلى إقرار مشروع « مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية » والبدء فى تنفيذه .

وقد كانت مجلة « الدوحة » أول مجلة عربية أشادت بفكرة هذا المركز فى افتتاحية عددها الصادر فى شهر ابريل عام ١٩٨١م ، ذلك لأن هذا المشروع يمثل بحق أحد المشروعات الحضارية والثقافية الكبرى التى تعتبر خطوة جديدة من خطوات البحث عن أصالة الشعب العربى فى الخليج ، وعن تراثه الفكرى والفنى ، فى الشعر والموسيقى والعمارة والأزياء والرسم ، وفى سائر المجالات الأخرى المختلفة ، وقد اتجهت فكرة المركز منذ البداية إلى أن تكون «فكرة خليجية عربية عامة» ، لا فكرة إقليمية محدودة ، تتصل فقط بقطر واحد من أقطار الخليج ، فالفكرة الاقليمية المحدودة ، نوع من التجاهل لحقيقة منطقة الخليج وحقيقة الوحدة الوجدانية والفكرية والحضارية التى تربط بين شعب المنطقة فى ماضيه وحاضره ومستقبله ، كما أن أى فكرة إقليمية محدودة فى إقامة «مركز التراث» يمكن أن تكون تجاهلا لارتباط أبناء الخليج بسائر أبناء الشعب العربى فى كل مكان ومهما كانت أصالة التراث الخليجي ، واستقلاله ، فان فى أعماق هذا التراث إنما تجرى دماء عربية أصيلة ، نرى فيها قرابة قوية بينها وبين أى تراث شعبى عربى فى أى مكان آخر من الأرض العربية . ولقد كان اختيار الدوحة مقراً لمشروع «مركز التراث الخليجي» تكريماً لهذه المدينة الناهضة ، التى أصبحت منطقة إشعاع فكرى ، تساهم بقوة وإخلاص فى تطوير الحركة الثقافية العربية تطويراً إيجابياً عميق الأثر و تفتح ذراعيها لكل فكرة جديدة يمكن أن تضيف إلى النهضة الخليجية العربية إضافة مثمرة ، ولاتبخل بشيء من جهدها الأدبى والمادى فى هذا المجال الكريم .

فمرحباً بمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ، وذلك المشروع الذى كان حلماً فتحول ، على أرض قطر إلى حقيقة ساطعة ، تعد بالكثير من الخير الثقافى والحضارى ، الذى سوف يعم بآثاره الطيبة على الخليج بل وعلى الوطن العربى فى كل مكان منه ، وكل جزء من أجزائه الغالية .

« الدوحـــة »



عيسى غانم الكواري
وزير الاعـلام



محمد عبد الرحمن الخليفي
وكيل وزارة الاعلام



علي عبد الله خليفة
المشرف على مشروع التأسيس

التنمية في الخليج.. ظالمة أم مظلومة؟



بقلم الدكتور
غازي
عبد الرحمن
القصيبي

● هل التنمية ـ فى حد ذاتها ـ سبب من أسباب عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي ؟

● هل كانت التنمية السريعة سبباً من الأسباب التى دفعت بايران إلى «أوضاع» لا يعرف مداها الا الله ؟

● هل التنمية اليوم سبب من أسباب حيرة المواطن الخليجي أو من أسباب شكـواه ؟

هذه أسئلة خطيرة ، لا بل إنها أخطر ما يمكن أن يتبادر الى الذهن فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الخليج . وهذه الأسئلة الخطيرة لا يمكن أن نناقشها همساً وتلميحاً ، أو أن يكون لنا فيها رأيان : رأي نقوله أمام المسؤولين ورأي نردده عندما نخلو الى أصحابنا وسمارنا .

أما أنا فأجيب على الأسئلة الثلاثة بالرفض القاطع الواضح الصريح !

● أقول ، أولا ، ان التنمية لم تكن ولن تكون عاملا من عوامل عدم الاستقرار فى أي مجتمع ؛ وأذهب أبعد من ذلك فأقول ان دول العالم الثالث تتحمل أقصى المشقات وأعظم التضحيات فى سبيل التنمية وباسم التنمية .

● وأقول ، ثانياً ، ان التنمية السريعة لم تكن مسؤولة بأي وجه عن أحداث إيران ، لا بل انني أذهب أبعد من ذلك فأقول انه لو نجحت التنمية فى إيران لتغير مجرى الأحداث السياسية ولما قامت الثورة .

● وأقول ، ثالثاً ، إن التنمية السريعة ليست المشكلة التى يعاني منها الانسان الخليجي اليوم . لا بل إنني أذهب أبعد من ذلك فأقول إن شكوى الانسان الخليجي هي أن التنمية لا تتم بالسرعة التى تواكب تطلعاته الجامحة . وهو يريد المستشفى الآن ؛ والماء الآن ؛ والكهرباء الآن ؛ والمدرسة الآن ؛ ولا يريد الانتظار حتى انتهاء الخطط المرسومة .

على أنه إذا كانت التنمية لا تشكل فى حد ذاتها مشكلة فلا شك أن السلبيات التى تقترن بالتنمية وكثيراً ما تختلط بها على نحو يجعل الانسان العادى عاجزاً عن التفرقة بين التنمية وأدوائها ، تشكل مشكلة بالغة الخطورة ، ينبغي علينا أن نواجهها ببسالة ونلتمس لها الحلول بشجاعة . وأول هذه السلبيات فى رأيي هو الفساد :

● فى كل مجتمع وكـل زمـــان

إن الفساد ، للأسف الشديد ، جزء من تجربة الانسان فى كل مجتمع وكل زمان . والقضاء على الفساد قضاء نهائياً لا يتأتى إلا باعادة صياغة الطبيعة البشرية وهو مطلب يفوق قدرة البشر . غير أن الفساد فى فترات التنمية السريعة ينمو ويستشري ويستفحل لأسباب عديدة . منها أن المبالغ الخيالية التى تنفق تجعل أشد الناس ورعاً وتقوى عرضة للاغراء والانحراف . ومنها أن الدول التى تمر بمرحلة التنمية لم تطور بعد مؤسساتها القضائية والصحفية والادارية والسياسية على نحو يشكل رقابة فعالة على التصرفات المالية المنحرفة ، وهذا يعني أن بوسع الفاسد أن يمارس فساده باطمئنان وثقة يستمدها من علمه أن فساده لن ينكشف . إن الفرق بين الفساد فى الدول المتقدمة والفساد فى الدول النامية أنه يتم فى الأولى بخوف وحذر ، وكثيراً ما يكشف ويعاقب صاحبه ، ويتم فى الثانية باستهتار وقحه ، ونادراً ما يكشف أو يعاقب صاحبه . ومنها أن المجتمعات التى تمر بتجربة التنمية السريعة تعاني فى العادة من نزعات استهلاكية متعطشة تجعل من الترف غاية عظمى تبرر كل وسيلة .

غير أن الفساد المستشري ، بعد ذلك كله ، ليس قدر التنمية المحتوم . بالامكان أن تتم التنمية بحد أدنى من الفساد . إن الطفيليات البشرية من سماسرة ووسطاء ومرتبي صفقات ليست بظاهرة صحية بل على العكس ظاهرة مرضية خطيرة يجب أن تختفي فى المستقبل . إن الفوارق الهائلة بين الدخول ليست أمراً متلازماً مع التنمية بل على العكس أمر يناقض روح التنمية . « الاتاوات » التى تفرض على المواطن العادي مقابل الحصول على الكهرباء والهاتف أو التاشيرة لم ترد فى خطة التنمية لاية دولة من الدول .

وعلاج الفساد ، نظرياً ، أمر سهل ، أما استئصاله ، واقعياً ، فأعسر من العسير ، وأخطر ما فى الفساد هو تحوله الى وباء لا يسلم منه أحد حتى أكثر الناس شكوى منه . إن المواطن العادي ، فى هذه الحالة ، يتحول الى جان ومجني عليه إلى ممارس للفساد وإلى ضحية له ، حتى ليكاد الفساد يصبح القاعدة السوية للسلوك . إن العلاج الناجح للفساد ، بجانب الوسائل التشريعية والادارية ، لن يظهر إلا بظهور وعي صادق عند كل مواطن . وهذا الوعي يتطلب أن نزرع فى المواطن روح الدين وروح المواطنة . أما روح الدين فتطلب أن يتشرب الطفل أن مفهوم التدين يتجاوز ممارسة الشعائر الى رحاب أوسع وأشمل تعني فيما تعنيه أن يراقب العبد الله فى كل حركة من حركاته وسكنة من سكناته . وتعني ، بالتالي ، تحول خصال الصدق والمسؤولية والأمانة الى طبيعة ثانية .

أما روح المواطنة فتعني ألا ينظر الواحد منا الى الوطن باعتباره بقرة حلوباً يمتص منها ما أستطاع مادام قادراً على الامتصاص . روح المواطنة تعني أن يدرك الواحد منا أن المصلحة لا تعني مصلحتي فحسب ، أو مصلحة أسرتي فحسب ، أو مصلحة قبيلتي فحسب ، أو مصلحة منطقتي فحسب ، بل خير كل إنسان داخل حدود الوطن ، وخير الأجيال القادمة التى لم تولد بعد .

التنمية في الخليج.. ظالمة أم مظلومة؟

● التضخم : هـذا الغول الرهيـب !

أما ثاني هذه السلبيات فى رأيي فهو التضخم :

وما أدراك ما التضخم ؟!

التضخم هو ذلك الغول الرهيب الذى يأكل لحم المواطن ويرشف دمه ويقضم عظامه . التضخم هو ذلك الوحش المخيف الذى ينقض على راتب الموظف أو العامل كل شهر فلا يترك له ما يكفيه ويكفي أولاده . والتضخم هو تلك الآلة الجهنمية التى يدخلها الريال فيخرج منها وقد تحول الى نصف ريال أو ربع ريال .

ومن أصعب العقبات التى تحول دون مكافحة التضخم أن أي مواطن ينتمي الى الفئة الموسرة يصبح بمنجاة من هذا الداء الوبيل فلا يعود يشعر بوجوده بل قد يحارب أي إجراء يتخذ لمقاومته . ان المواطن ذا الدخل الضخم لا يهمه أن يصل مستوى التضخم الى ٤٠٪ أو ٥٠٪ لأنه يستطيع أن يتعايش مع هذه النسبة . أما المواطن ذو الدخل المحدود فله قصة مؤلمة أخرى . ولكم شعرت بالألم والحسرة وأنا أستمع الى مواطنين خليجيين يفترض فيهم المسؤولية والوعي والالمام بأوليات الاقتصاد وهم ينتقدون بحدة أي إجراء يتخذ لمقاومة التضخم لأنهم ، شخصياً ، لا يعانون من المشكلة.

والتضخم علاوة على امتصاص دم المواطن العادي يحدث ردود فعل سلبية تتناول المجتمع من أوله الى آخره . التاجر ، فـي الفترات التضخمية ، لا يقنع بالربح المعقول بل يتطلع الى هوامش ربح خيالية . والعامل يتطلع إلى قفزات متزايدة فى أجره تتناسب مع زيادة التضخم . سائق سيارة الأجرة ، الخياط ، الحلاق ، السباك ، الكهربائي ، وهلم جرا حتى يكاد المجتمع بأسره أن يتحول الى غابة متصارعة أو إلى حارة دريد لحام الشهيرة « كل من أيدو اله » . ولا أظنني بحاجة الى استطراد مطول فى شرح ويلات التضخم بعد أن لمسناها بأنفسنا فى مجتمعات الخليج خلال الفترة التضخمية التى انتهت بلا رجعة إن شاء الله .

إن موقفنا من التضخم يجب أن يكون واضحاً لا لبس فيه ولا التواء . إذا تعارضت متطلبات التنمية مع متطلبات التضخم فيجب ، دون تردد ، أن نطرح التنمية جانباً . على أننا لسنا فى حاجة الى اتخاذ مثل هذا القرار الصعب فقد أثبتنا خلال السنوات الثلاث الماضية أن بامكان منطقة الخليج أن تشهد تنمية سريعة ضمن نسب معقولة من التضخم .

● أولويـات صارمة وحاسمـــة

وثالث السلبيات فى رأيي هو التخطيط وعدم وضوح الأولويـات :

إننا كمنطقة نامية ، نحتاج الى تطوير مرافق حياتنا بدون استثناء . ولكننا بطبيعة الحال لا نستطيع أن نحقق كل ما نريد فى نفس الوقت فلا الموارد المالية المتاحة تكفي ، ولا العناصر البشرية المؤهلة تكفي ، ولا السنوات المحددة لكل خطة تكفي ، لابد والحالة هذه من أولويات صارمة وحاسمة : أيهما أهم المستشفى أو مدينة الملاهي ؟ المجاري أم المباني الادارية الضخمة الفخمة ؟ الاعانات أم تطوير القطاعات الانتاجية ؟ بدون أولويات صارمة سنجد أنفسنا فى المنطقة وقد انزلقنا ، كما انزلق عدد من دول العالم الثالث ، فى مشاريع ذات أهمية ثانوية ننفق عليها البلايين بينما يبقى عدد كبير من مواطني الخليج محرومين من الخدمات الرئيسية الحيوية . إن المشكلة أعمق من أن تترك لوزارة تخطيط أو لخطة . إن أية خطة لن تنجح مالم ينظر كل مواطن، وكل مسؤول على وجه الخصوص ، اليها كأمانة غالية لا يجب أن يفرط فيها بدلا من أن يعتبرها قيداً يتقبله على مضض ، ويحاول التملص منه كلما سنحت الفرصة .

● الاصلاح الاداري ضرورة ومسئولية

أما رابع السلبيات فهو القصور الاداري :

إن موضوع التنمية الادارية فى الخليج حديث ذو شجون يطول شرحها ولا يمكن أن يتسع هذا المقال لها . يكفي أن أقول هنا ان كل مواطن خليجي يلمس خطورة القصور الاداري فى

كل مكان : الموظف الصغير الذى يحتاج الى أسابيع لانجاز معاملة لمواطن لا يستغرق انجازها سوى دقائق ؛ المسؤول الذى تمر السنوات وهو عاجز عن تنفيذ مشروع واحد ؛ المسؤول الذى يبصم على مواصفات الاستشاري الأجنبي فيسمح للمشروع أن ينفذ بتكلفة تتجاوز أضعاف تكلفته الحقيقية ؛ المسؤول الذى لا يتفضل على عمله كل يوم إلا ببضع دقائق من وقته الثمين .

إن الخطوة الأولى نحو أي اصلاح اداري فعال هي اتخاذ موقف حازم من كل مسؤول اثبتت التجربة ان ما لديه من مواهب وقدرات لا تؤهله لتولي منصب قيادي خلال فترة التنمية خاصة ومنطقة الخليج تعج بالآلاف من الشباب الكفء المؤهل . بدون ذلك يبقى أي حديث عن الاصلاح الاداري حديثاً فارغاً يتطاير كالفقاعات فى الهواء .

● تقاليد تتناقض وروح الاسلام !

وخامس السلبيات هو تاثير التنمية السريعة على العادات والتقاليد وأساليب التفكير والسلوك فى المجتمع :

وهنا يجب أن نجابه أنفسنا بصراحة وقسوة ونسألها هل جميع عاداتنا وتقاليدنا واتجاهات سلوكنا مبنية على العقيدة الاسلامية وبالتالي يجب أن تكون بمناى عن أي تغيير أو تطوير ؟

أما أنا فاقول إن العديد من عاداتنا وتقاليدنا واتجاهات سلوكنا تتناقض مع روح الاسلام ، فان غيرتها التنمية كان ذلك من حسناتها لا سيئاتها .

وعلى سبيل المثال ، أقول هل ما يفعله بعضنا من اعتبار المرأة مجرد قطعة من الأثاث أو مخلوقة من الدرجة الثانية لا تذكر إلا وقد سبقتها عبارة « كرمك الله » ـ هل هذا الموقف من العادات الحميدة الكريمة التى يجب أن نتمسك بها ؟

وعلى سبيل المثال ، أقول هل التعلق بالعنعنات القبلية والعصبية والأسرية التى أتى الاسلام لتحطيمها وصهر البشر فى بوتقة الأخوة الاسلامية ، هل مثل هذا الموقف عادة جميلة ينبغى أن نعض عليها بالنواجذ ؟ .

وعلى سبيل المثال ، أقول هل نظرة الاستعلاء والترفع الى الحرف اليدوية والمهنية عادة طيبة ينبغي التشبث بها ؟.

وعلى سبيل المثال ، هل المغالاة فى المهور وفى الأفراح والليالي الملاح وجنون البذخ والتسابق فى مظاهر الترف والبطر المقزز ـ هل هذه كلها عادات كريمة يجب الاستبسال فى الدفاع عنها ؟

أما أنا فاقول لا !

أما أنا فاقول إن كل أمر يتعلق بالعقيدة وانعقد عليه اجماع المسلمين فلا مجال لأن يمسه أى كان ، كبيراً أو صغيراً، بأى تعديل .

أما الأمور الفرعية والاجتهادية فيجب أن تكون مجالا لنقاش مستنير واسع يخلو من التطرف ومن التعصب . إن منطقة الخليج ، كأية منطقة أخرى فى العالم ، تحتوى على عناصر محافظة وعلى عناصر مجددة والحوار بين هؤلاء وأولئك ضروري لنمو المنطقة وازدهارها . على المحافظين أن يدركوا أنهم لا يستطيعون أن يكمموا كل الآراء التى تخالفهم بحجة الدفاع عن العادات والتقاليد . وعلى المجددين أن يدركوا أن آراءهم لا تمثل بالضرورة آراء الأغلبية ، وأن يفهموا أن الحقيقة ليست احتكاراً لأحد . ومن الحوار الهادى الموضوعي ينبثق النور وتتضح معالم الطريق .

● وبعـــد ..

فان التنمية كائن حي معرض لكل ما تتعرض له الكائنات الحية من جراثيم وفيروسات . ومهمة الشعب الحي أن يكون مفتوح العينين دائم الحذر حتى لا تسقط التنمية ضحية مرض خبيث يفترس الآمال المعلقة عليها . وما أحرانـــا نحن أبناء هذه المنطقة التى تشهد عملية تنموية لم يعرف التاريخ مثيلها أن نثبت أننا ، حكاماً ومحكومين ، على مستوى المسؤولية التاريخية وأن نسلم الأجيال القادمة ثمرات التنمية رفاهية وطمانينة و سعادة .

غازي عبد الرحمن القصيبي

الحرية .. لا التسامح

بقلم
خالد محمد خالد

لم تضح البشرية فى سبيل شيء كما ضحت فى سبيل الحرية ، ولم ترفع قبضتها فى وجه شيء ، كما رفعتها فى وجه الاستبداد .

ومنذ عهد بعيد بعيد ، وهي ماضية كالشهاب ترتاد لبنيها الطريق .. وإذ هي ماضية إلى غايتها دهمها الطغاة من كل فج ، يحملون المدى والرماح والسيوف ، ويصلونها من نقمتهم سعيراً .

انطلقت البشرية تحمل الأمانة الكبرى فى شجاعة وإيمان ، وتشق طريقها المحفوف بالمكاره والأخطار .

لقيتها الجيوش فى موج كالجبال ، فخاضت معها معارك الهول ، وقضى نحبه من أبنائها فريق ، وتدفق الباقون يثخنون فى الأرض المجهولة ، لا يلقون لهواتف اليأس سمعاً ولا بالا .

تصدت لها وتطاولت أمامها قصور الأباطرة والقياصرة ، تسد الطريق وتزحم الأفق . تطأ بقواعدها أرض الناس ، وتتحدى بأبراجها السماء ، فدمدمت عليها ، وتركتها كثباناً مهيلة .. رحلة الضنى والهول ـ كلما تقطعت دون غايتها أنفاس جيل ، أسلمها الى جيل .. وكلما أنجز تبعاته رعيل ، نهض فى أثره رعيل !! وكانت مسيرة فذة ، اختلفت مناظرها ، وتغير أبطالها ـ بيد أن موضوعها لم يتغير .. فما أروع هذا الذى حدث من أجل الحرية .. !!

أنظروا .. هذه مشاهد تغرى بالتشاؤم والقنوط ، وأخرى ترفع تجاه العيون منى عذاباً ، وآمالا رطاباً ..

مشاهد تتقاذف كهدير العاصفة ، وأخرى تنساب وديعة كاشعة القمر ..

فى بداية الطريق ظلام ويأس ، ثم محاولة وتردد، ثم اقتحام وتحد ، وعلى طوله أشلاء ، ودماء ، ومعاصم ، وأعاصير وعواصف .. ومن وراء ذلك كله عالم تشرق عليه من بعيد شمس الحياة ، والحرية ، والحضارة ..

وبعد أن كان الاقطاعي القديم يسيطر بوثيقة تقول : « نبايع صاحب الحق المطلق فى حياتنا » !! حل مكانها : « لكل انسان الحق فى الحرية وفى الحياة ، وفى العيش آمنا مطمئناً » ..

وبعد أن كان حسن الجوار بين اقطاعي واقطاعي يقوم على تبادل هذا النص المخزي : « أتعهد ألا أعتدي على أرضه ، ومواشيه ، ورعاياه العبيد » !! صرنا نقرأ بديلا لها : « لا يجوز أن يعيش إنسان فى الرق والاستعباد » .

وبعد أن «كان الناس .. كما يقول أوليفيه يُسَخَّرون لصيد الضفادع من الغدران كي لا تقلق الاقطاعي فى نومه ، ويجلدون بالسياط إذا نهروا كلاب سادتهم التى تخرب حقولهم ، ويقذفون فى السجون إذا عارضوا رغبة المستبد وبطانته فى الفجور بزوجاتهم وبناتهم ».

بعد أن كان ذلك كذلك إذا لواء السيادة ينعقد أخيراً لهؤلاء .. فلا يسخرون لصيد الضفادع (!) ، ولا يجلدون بالسياط ، ولا يستباح لهم عرض أو تنتهك لهم حرمات ...

لقد أبلت الحرية بلاء عظيماً عاملة وكادحة فى سبيل تطهير الروح الانساني من رواسب الماضي الرهيب ، و تطهير العقل من أوهامه ، وتطهير الارادة من أغلالها الغلاظ ..

وعلمت الحرية بني الانسان أن يحتقروا الطغاة الكبار الذين كانوا يخلعون عليهم صفات التمجيد ، وعلمتهم أن يدركوا أنهم فى أحسن وأفضل حالاتهم أشبه بتلك الأنهار التى تفيض فتبدو رائعة ، بينما هي تخرب الأرض التى كان عليها أن ترويها وتحييها !! .

كذلك علمت الذين قد تراودهم أنفسهم المريضة ، وتوحي اليهم بالانتقاص من حرية الشعوب .. علمتهم أن الاستبداد هو الأب الشرعي للمقاومة ، وأن الرأي المكبوت والمكظوم يتحول داخل النفس الى قذيفة مدمرة ، وعلمت الناس جميعاً أن أفضل الطرق لحضارة خصيبة ممرعه هو فتح منافذ الملاحة الفكرية . والقضاء

على كل بواعث التهيب فى الشعوب .

● ●

وبين الناس والحياة ميثاق لا مناص لهم من احترامه والوفاء به إذا أرادوا أن يحيوها .. ميثاق استمد نصوصه من ضرورات الوجود .. وأول سطور هذا الميثاق كلمات تقول : « أيها الناس ، عيشوا أحراراً » ..

والانسان هنا ، فوق أرضنا هذه ، ووسط عالمنا هذا ، ليس شيئاً عابراً ، ولا ضيفاً طارئاً ، ولا واحداً من أبناء السبيل .. إنما هو خليفة الله .. خليفة تلك القوة القادرة الحكيمة التى يحيا الكون كله فى كنفها ، ويمضي فى حركته وفق قوانينها .. هو استاذ حياته ، وصانعها ، والمسئول عنها .

وهو مسئول عن الكوكب الذى ساده وأمسك بزمامه .. مسئول عن الحياة التى حملت اسمه ، وصار اسمها « الحياة الانسانية » .. ومسئول عن مصيره كنوع متميز اختار طريقه ، ولن يسمح له بالتقهقر أو الهروب .

ومسئوليته الانسانية عن الحرية تتكون من مسئولية الجماعات الانسانية والفرد الانساني .

فكل أمة تسمح بالانتقاص من نفوذ الحرية فى داخلها تهدم صرحاً كبيراً من الحرية خارجها .

وكذلك كل فرد انساني يسمح بمقاومة الحرية داخل ذاته يهدم من الحرية بقدر ما تخلى عن حريته .

وصحيح أن الحفاظ على الحرية — سواء حرية الفرد أم حرية الشعوب يتطلب معاناة وكدأ ...

ولكن علينا أن نذكرأننا إذا لم نعان متاعب الصعود الى القمة ، فاننا سنعاني متاعب الانحدار الى السفح .. !!

ومن ثم كان واجب البشرية اليوم أن تبذل كل جهدها لتحافظ على ما أفاءه عليها جهاد آبائنا الماضين الذين شقوا فى سبيل رفع لواء الحرية وتعبيد طريقها .

● ●

والحرية هى الحرية .. بديهة تجل عن التعريف .. ونحن حيال البحث عن تعريف لها نقف موقف القديس أوغسطين حينما سئل عن الزمان ، فأجاب قائلا : « أنا أعرف الزمان مالم أسأل عنه ، فاذا سئلت عنه فاني لا أعرف عنه شيئاً » .. !!

أجل هناك بدائه تفرض نفسها على العقل الانساني ، ولا تكلفه عناء التفكير فى بحثها أو تعريفها .

والحرية إحدى هذه البدائه ، بل على رأسها ..

ولكن قوماً يخلطون بينها وبين التسامح . وأولئك هم المتخلفون حضارياً

فالتسامح ليس صنواً للحرية ، ولا بديلا عنها .. إن التسامح يعني أن الأمة تتسول حقها وتستجديه ، وهي آنئذ توقع وثيقة عبوديتها وتخلفها .

إن الحرية حق طبيعي ، بل دعوني أقل : انها حق إلاهي أعطاه الله لخلقه من بني الانسان .

وكل من يسلب الأمة حقها المقدس هذا ويمنحها بدلا عنه التسامح فهو طاغية شرير .

وتعالوا نستمع الى صديق عظيم من أصدقاء الحرية .. ذلكم هو «توم بين» الذى يرفض في يقين الحكماء ما تمن به السلطة — أى سلطة — من تسامح ، ويقول فى كلمات من نور : «ليس التسامح عكس التعصب . بل هو تلفيق له — وكلاهما تحكم واستبداد .. فالتسامح يزعم لنفسه حق — منح — الحرية والاستبداد والتعصب يزعمان لنفسيهما حق — منع — الحرية» .. !!

ويستطرد «توم بين» قائلا : « ان الحرية قبس من الله ترفض منة التسامح كما ترفض وقاحة الاستبداد والتعصب» .... !!!

ما اجدر هذه الكلمات ان يعيها الذين يضعون التسامح مكان الحرية ، والذين يتقبلون ذلك من الأمم والشعوب .

إن الحرية هي الحق المقدس للانسان. وبدونها يفقد كل معاني انسانيته .

وإن التسامح الذى تمنحه السلطة ليس إلا تلفيقاً للتعصب ، وقناعة للاستبداد . ومن ثم كان واجب الشعوب أن تطالب لنفسها بالحرية لا بالتسامح ..

واذا استنكف أحد أن يمكنها من حقها فى الحرية ، وتظاهر بالتسامح فهذا برهان على سوء نيته ، وخبث طويته ، وصغار نفسه !!

إن الحرية ملك للناس جميعاً بحق الولادة ، وهذا هو معنى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» .. ؟!

والحرية تعنى حق الشعوب فى حماية مصيرها ، ومساءلة مسئوليها ، وهذا معنى الموقف البهى العظيم الذى وقفه أمير المؤمنين «عمر» حين نادى الحشد الكبير من المسلمين الحافين به : «ما تقولون لو ملت برأسى عن الحق هكذا .. ؟ فهب واحد من الحضور ولوح بسيفه وقال : إذن نقول بالسيف هكذا .. فتألقت دموع الغبطة والفرح فى عينى «عمر» وصاح : الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه» .. !!!

إن جميع كنوز الأرض وطيباتها لايمكن أن تغرى شعباً كريماً بتقبل التسامح بديلا للحرية .

وان الأمة لتجعل من نفسها «غير شريفة» اذا دانت بالولاء لأحد يمن عليها ويتصدق عليها بتسامحه بعد أن يمنعها حقها الخالد فى الحرية .. !!

فيامن تحبون الجنس البشرى .. يامن تحترمون النعمة التى انعم الله عليكم .. يامن ولدتكم امهاتكم احرارا ، وخلقكم الله كذلك . انهضوا فهذا لكم ولأولادكم من بعدكم .. تشبثوا بالحق الذى مكنكم الله منه واعطاكموه .. عندئذ تنهضون لبناء عالم جديد ، وتكونون فى الأرض رجالا ، وعند الله عظماء .. !!

هذا نداء الحرية وهتافها لكل شعب يرسف فى أغلال التسامح .. لكل أمة لا تكون الحرية فيها حق مفاض .. ولكل فرد انساني يحترم انسانية الانسان فيه ولايرضى بالدنية فى دينه ولا بالدنية فى دنياه !!

واذا سألنا أنفسنا : لماذا نحيا .. ؟ فهذا هو ما نحيا لأجله .. واذا كان للحياة الانسانية أى معنى ، فهو هنا : فى كرامة الكائن البشرى وفى حريته المقررة منذ الأزل ، والى الأبد !!

إن التسامح بوصفه قناعاً للاستبداد يتحدى كل فضيلة ، ويورث الشعوب التى تبتلى به درجة من الانحطاط تكتسح أمامها كل شئ ...

فالحرية ، لا التسامح هى غاية كل شعب عزيز وطموح ، وهى فضيلة كل حاكم قوى وأمين ..

والشعوب التى تعيش مع سلطاتها فى ظل التسامح قرح متقيح فى جسد التقدم الانسانى ، واذا استشرى داء التسامح فيها تحولت الى وباء !!

هذه حقائق يقدمها لنا التاريخ وانها لجديرة بأن توقظ النوام ، وتطرد الأوهام ، وتهب الناس سداد النظرة ، وصدق الرؤية وجلال الروح ...

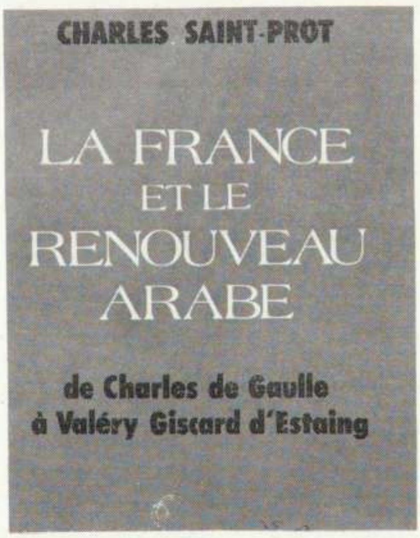
خالد محمد خالد

أخيرًا.. حقيقة العرب أمكن قولها في الغرب!

فى كتاب فرنسي صدر مؤخراً فى باريس بعنوان : « فرنسا والانبعاث العربي » نقرأ السطور التالية حيث يخاطب مؤلف الكتاب شارل سانت بروت ، مواطنيه الفرنسيين بقوله :

« إن رجل المستقبل العربي ليس هو ذلك المقيم فى كازينوهات الريفييرا ، ولا هو ذلك العامل المهاجر المقيم فى ضواحي مدننا الصناعية . رجل المستقبل العربي يدرس فى احسن الجامعات ، بالولايات المتحدة ، ببريطانيا ، بفرنسا ، وكذلك في جامعات بلاده المتزايدة عدداً . وهو يتخصص فى أكثر أنواع التكنولوجيا تطوراً ، كما يركز اهتمامه بشغف على قضايا التقدم الاقتصادي ـ الاجتماعي . وهو قد يكون سعودياً ، أو كويتياً ، أو عراقياً ، أو جزائرياً ، أو فلسطينياً . وهذا الرجل يجد من ورائه حضارة عريقة جداً يستمد منها العزة والمسئولية ، بينما يجد أمامه إمكانيات هائلة يستمد منها الأمل » .

كاتب هذا الكلام باحث فرنسي متخصص فى شئون الشرق الأوسط ومدير لاحدى مجلات العلاقات الدولية بباريس . وقد أسس مؤخراً جمعية السلام فى الشرق الأوسط على أساس الحق الفلسطيني الكامل فى الوطن والدولة .



غلاف الكتاب



شارل سانت بروت مؤلف الكتاب

ثم انه شاب في الثلاثين من عمره ، وهذا يعكس اتجاه الجيل الصاعد فى أوربا ، وفرنسا خاصة ، وطريقة نظرته الى العرب وقضاياهم .

إنه بذرة من البذور التى غرستها الديغولية على ساحة التفاعل الخصب بين أوربا والعرب .

ويضيف شارل سانت بروت فى كتابه هذا ، وكل همه أن يوقظ الوعي الأوربي بأسلوب الوخز ليخرج الانسان الأوربي من تجاهله المريب لحقائق العرب وقضاياهم ..

يقول : « وفى الحقيقة ، فان العربي لم يخرج لتوه من الصحراء ، وليس هو ذلك البدوي القابع فى خيمته منذ بداية

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

الزمن ، بانتظار مجيء مكتشفي البترول ليشعروه بوجوده ، فحتى قبل مطلع الاسلام الذى أسس حضارة عالمية لا تنكر ، كانت هناك عدة حضارات متطورة فى المنطقة العربية قبل الميلاد ، عندما كانت البلدان الغربية ما تزال فى طور البربرية . ولهذا ، فان العربي المعاصر ينظر بتهكم ـ وأحياناً ـ بغيظ الى كل أولئك الذين يبدو أنهم لم يكتشفوه إلا فى هذا النصف الثاني من القرن العشرين ، والذين احترفوا الاسراف فى مديحه دون أن يعرفوه معرفة حقيقية ، أو يتخلوا عن جهلهم به » .

وبعدها ينطلق المؤلف الى قضايا أكثر تحديداً ، فيتناول القرار الديغولي بالتوجه نحو العرب كقرار استراتيجي وحضاري لا تراجع عنه ، يعني فرنسا ومصالحها القومية ومصيرها ، مثلما يعني العرب وقضاياهم .

ثم يسرد تاريخ الدعم اليهودي الفرنسي لاسرائيل وكيف تجاوز قوانين الدولة الفرنسية ذاتها ، وأضر بمصالحها ؛ ملحقاً ذلك ببيان تاريخي لتجاوزات الكيان الاسرائيلي فى فلسطين ضد الفلسطينيين وضد الدول العربية .

إن هذا الكتاب يواجه الانحياز الأوربي التاريخي لاسرائيل بأسلوب جريء وشجاع ، بعيداً عن النهج الوسطي الذى يتبعه بعض الأوربيين هذه الأيام والذى يستند إلى مقولة الحياد والتوازن بين اسرائيل والعرب بحيث يقولون لاسرائيل ما تريد ويقولون للعرب بعض ما يودون سماعه !

ولو أنفق العرب على ترجمة هذا الكتاب الى كل لغات العالم الحية لما أوفوه حقه .. ومع هذا فقد أخبرني المؤلف في لقاء لي معه مؤخراً انه يواجه مصاعب فى ترجمة هذا الكتاب ليس الى لغات العالم الأخرى فقط ، وإنما إلى اللغة العربية أيضاً !! فأين نشاط الاعلام العربي على الصعيد الدولي ؟ .

المهم أن حقيقة العرب أصبح ممكناً قولها فى الغرب ، رغم كل شيء ، بصوت مرتفع وجريء . والأهم أن يكون العرب فى مستوى ما يقوله أصدقاؤهم عنهم .. سلوكاً وعملا .. خاصة فى معاملة العربي لأخيه العربي ...

حضارة التكنولوجيا تحت رحمة المنجمين

منذ شهور ، والرأي العام الفرنسي منشغل بكتاب لمنجم من القرون الوسطى اسمه نوسترا مدوس ، احتلت نبوءاته عناوين الصحف والمجلات الكبرى .

والكتاب ، الذى حققه ونشره مؤخراً باحث فرنسي ، مكتوب بأسلوب رمزي يحتمل شتى التفسيرات . ولكن الفرنسيين يقولون إن عدداً من نبوءاته ، كالثورة الفرنسية والحروب الأوربية ، قد تحقق على مدى الحقب الماضية ، ولابد من أخذ بقية نبوءاته على مأخذ الجد .

من أكثر النبوءات الدراماتيكية فى الكتاب أن باريس سيحتلها الروس .. والمسلمون .. حوالى سنة ألفين !

وهذا يعني بالنسبة للفرنسيين ، نهاية العالم وقيام القيامة .

ويقال أن بعض العجائز الارستقراطيات الباريسيات بدأن يشترين شققاً لهن فى الولايات المتحدة تحسباً لهذه النبوءة ..

أوساط اليسار الفرنسي الحاكم تتهم الباحث الذى نشر الكتاب ، بأنه تعمد نشره فى هذه الفترة ، فترة تولى الاشتراكيين الحكم فى فرنسا ، ليزيد فى نشر التخوف والقلق من المستقبل لدى الفرنسيين ، بهذه التنبؤات التى لن يخدم انتشارها سوى اليمين الفرنسي المتربص .

ومن الطريف أن شقيق الباحث المذكور قد رفع دعوى قضائية ضده ، لأنه تصرف فى مخطوطة الكتاب الموروثة من والدهما ـ الذى كان مهتماً أيضاً بتاريخ المنجم ومؤلفاته ـ دون أن يستشير بقية الورثة .

والدعوى الآن فى القضاء .. بينما ارتفعت مبيعات الكتاب الى أكثر من ربع مليون نسخة ، علماً بأن سعر النسخة الواحدة مئة وعشرون فرنكاً .

وصاحب الدعوى يقول إنه لم يقم هذه الدعوى ضد شقيقه لأنه يريد مشاركته فى هذه الأرباح ، ولكن لأنه أساء الى سمعة والدهما العلمية بنشره المخطوطة بهذه الطريقة ، وفى هذا الوقت بالذات .. أما إذا قررت المحكمة حقه فى الأرباح .. فلا مانع لديه بالطبع!

هذه كلها تفاصيل .. ولكن كيف نفسر انتشار كتاب تنجيم ومنجمين فى بلد صناعي متقدم مستنير بالعلم والتكنولوجيا والنظرة الموضوعية التى عرفت بها العقلية الأوربية ؟!

تكنولوجيا .. وتنجيم .. كيف يتفقان ؟ .

هل لأن العقل الأوربي أصابه الهرم فعاد فريسة للوهم ؟

أم لأن الأزمات المتلاحقة ، جعلت الفكر المستنير عاجزاً عن التصدى للحلول ، فلجأ الانسان الى نهج الأسطورة من جديد ؟ أم أن نهاية الحضارة تجعل المجتمع يستشعر الخوف بالغريزة فيبحث عن النبوءات التى تسمح له بالتعبير عن مخاوفه التى لا يسمح بها الكومبيوتر ؟ قد تكون هذه الأسباب مجتمعة .. ولكن يجب ألا نستبعد ، وألا نستغرب ، إذا وجدنا أن نشر كتاب أو نبوءة لمنجم متشائم فى بلد من البلدان قد يكون من عمل الاستخبارات الأجنبية المعادية لذلك البلد !

هذا ليس من قبيل التكهن .. فقد أثبتت دراسة عن الحرب النفسية فى الحرب العالمية الثانية نشرت فى لندن مؤخراً أن مخابرات الحلفاء نشرت فى عدد من صحف البلدان المحايدة تنبؤات فلكية تثير الذعر عن مصير هتلر والمتعاطفين معه ــ وهو فى عز انتصاره ــ دون أن يشعر أحد عندئذ أن ذلك من «اجتهاد» المخابرات وليس من اجتهاد أهل الفلك والنجوم !

وهذا قد ينطبق ، وقد لا ينطبق ، على كتاب نوسترامــــدوس الذى يهز فرنسا هذه الأيام .. ولكن علينا أن نتحفظ دائماً عندما نقرأ نبوءة من النبوءات فى بداية كل عام عن مصير بلد من البلدان أو رئيس من الرؤساء .. لنتأكد أين تنتهي الحرب النفسية لأجهزة التأثير الأجنبي .. وأين يبدأ التنجيم الخالص ..

ونحن كأمة ناهضة ، أحوج ما نكون الى العقل والعلم والحقائق الثابتة المؤكدة ، علينا أن نحذر الاثنين معاً .. الحرب النفسية .. وتنبوءات المنجمين .. لأن الذى يصنع التاريخ هو وعي الأمم وعملها أولا وأخيراً .. ولكن من الطريف رؤية أهل التكنولوجبا وهم يعودون الى منجمي القرون الوسطى .. ورؤية أهل العلم المادي وهم يتخوفون من كتاب تنجيم ولـــله فى خلقه شئون !





لماذا هضموا ولم نهضم ؟!

عندما بدأ الغرب نهضته الحديثة قبل خمسة قرون ، تسنى له أن يستوعب الأفكار الجديدة على مهل ، ويهضمها بالتدريج ، وعلى مراحل متباعدة ، دون أن يضطر لمواجهتها كلها دفعة واحدة فى «صدمة حضارية» تخلخل كيانه وتشوش عقله الجماعي .

ذلك أن الغرب كان هو المبدع لتلك الأفكار ، ولدها حسب حاجته إليها ، وحسبما كان يبلغه من تطور ، دون أن يفرضها عليه أحد من الخارج .

وكانت تلك الأفكار والمخترعات والنظم والفلسفات الجديدة ، تتوالد بشكل منطقي وطبيعي من رحم التجربة الحضارية الغربية كثمار طبيعية لها ، أو كبذور أصيلة فى دوحتها ، فتاتي سائغة الطعم لمذاق الشعوب الغربية منسجمة مع خطوط وألوان اللوحة الكبرى لمشهد الحضارة الغربية .

بدأت « الفكرة القومية » فى التبلور أولا لعهود طويلة ،وتشكلت المجتمعات الغربية حسب معاييرها ، واتخذت

بوتقتها ، واستقرت عليها .

ثم جاءت «الفكرة الاجتماعية» بعد ذلك بزمن ، والمجتمعات القومية الأوربية متبلورة ، فاقبلت على هذه الفكرة الجديدة تأخذ منها ما يلائمها من نظم حسب تكوينها القومي وظروفها التاريخية دون أن تكون الفكرة الاجتماعية نقضاً للفكرة القومية ، ودون أن تضطر المجتمعات الأوربية الى مواجهة الاختيار القاطع بين الرابط القومي والصراع الطبقي أو التمزق والانشطار بينهما . ثم جاءت « الفكرة الديمقراطية » والمجتمعات الغربية على درجة كبيرة من النضج السياسي والفكري والتفهم العقلاني للعلاقات والمصالح الاجتماعية جعلتها قادرة على ممارسة الديمقراطية وتعميقها دون تراجعات وانتكاسات وتخبط فى البحث عن صيغ سياسية أخرى .

وصحيح أن هذه التطورات الفكرية صحبها اختلاف وصراع ولكن هذا الصراع اتخذ ديالكتيكا منطقياً ، ولم يتخذ شكل الفوضى الفكرية أو التشوش العقلي أو الحلقات المفرغة التى لا تؤدى الى نتيجة حاسمة وواضحة ومفيدة .

فأبرز ما يتميز به تاريخ التطور الحديث فى الغرب ـ إذن ـ أن كل حلقة من تطوره تنتهي بنتائج وانجازات حضارية ثابتة تدخل فى صلب التجربة الحضارية وتمهد الطريق الى منجزات أخرى تنطلق منها ، ثم تتخطاها وتتجاوزها ، وهكذا دواليك ، صعوداً فى سلم التطور والارتقاء .

أما فى الوطن العربي ، وهذا ما نريد تأمله بعمق ، فان النهضة الحديثة بدأت بشكل مفاجىء واضطراري ، فكانت كالجمرة التى تصيب جسماً بارداً جمده الجليد ، فانقسم بين خلايا ساخنة ملتهبة ، وخلايا محتفظة بجمودها ، وخلايا من نوع ثالث مشدودة ، متوترة ، بين الثلج والنار .. ثم أن تلك الجمرة لم تتولد بشكل طبيعي داخل الجسم العربي نفسه وإنما اندفعت إليه كاسحة غازية متحدية من خارجه .. بل ومن عدوه التاريخي .. الغرب الأوربي .

كان الوطن العربي محاطاً بأسوار عزلته فى ظل السيطرة التركية وقد استقر على وجه من تقاليده لا يحيد عنه .

ولم يكن ذلك الوجه التراثي الذى استقر عليه هو الوجه المشرق لتراثه الحضاري الذى عرفه أيام المأمون والمعتزلة وعلى يد الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون .

وإنما كان الوجه التقليدى ، غير الأصيل ، الذى كان يفرضه عليه ويفسره له أمثال البطانة المحيطة بالسلطان التركي .

فى ظل هذا الركود هبت عليه العاصفة الغربية دفعة واحدة .. التحديث .. التصنيع .. القومية .. الديمقراطية .. المادية .. الأممية !

وكان من الطبيعي أن يصاب الجسم العربي بالاختلال ، وأن يصاب العقل العربي بالدوار ..

فما استوعبه الغرب على مدى خمسة قرون ، بالتدريج ، وباقتناع داخلي منبثق من تطوره الذاتي ، تحتم على العرب أن يهضموه دفعة واحدة ، وبضغط مندفع عليهم من الخارج ، ومن حضارة أخرى كانت ـ تاريخياً ـ معادية لهم ، مناقضة لعقيدتهم .

وليت هذه الأفكار قد جاءت بوجهها العلمي الحضاري ، إذن لهان الأمر ، ولاستوعب العرب ما يلائمهم منها ، كما استوعبوا من قبل بارادتهم الحرة مؤثرات الحضارات الأغريقية والرومانية والبيزنطية والفارسية وكما هضموا بعمق سقراط وارسطو وأفلاطون .

غير أن الأفكار الغربية الحديثة ، على اندفاعها وكثافتها وتناقض مراحلها وبذورها جاءتهم مع الاستعمار السياسي ومع الاحتلال العسكرى ومع الغزو الفكرى والدعاية المغرضة ، فاختلط الحابل بالنابل ، ولم تستطع المجتمعات العربية أن تميز بسهولة بين الفكرة الحضارية الانسانية ، وبين الفكرة الاستعمارية المغرضة . وعدم التمييز هذا يعتبر فى نظرنا من أهم المعضلات وأعسرها أمام الفكر العربي المعاصر .. وأكثر المهام الفكرية التى تتطلب بحثاً وحلا .

وتبقى الحقيقة الأساسية التى أردنا لفت الانتباه اليها من هذا الحديث ، حقيقة ان الغرب استوعب فى خمسة قرون ما تحتم على العرب استيعابه فى أقل من قرن ..

فعلينا ألا نظلم إنساننا ومفكرينا إذا رأينا ما نعانيه من ضياع فكرى وحيرة بين النظم والفلسفات .

هذه البلبلة طبيعية ، وناتجة عن حتمية تاريخية معينة .. ولكنها تتطلب حسماً ، كي لا تستمر إلى ما لا نهاية وتصبح فوضى دائمة . والحسم المطلوب أن يخرج لنا مفكر عربي ، أو أكثر ، لغربلة هذه العاصفة التى تهب علينا من الغرب منذ القرن الماضي ، ولتقرير الجوهرى الذى يلزمنا منها ، ونبذ القشوري والضار من تياراتها ، ثم لملائمة ذلك الجوهرى ـ بأمانة وصدق وعمق ـ مع الأصيل النافع الخالد من حضارتنا لتتولد الفكرة العربية الجديدة الفاعلة والقادرة على حسم البلبلة والضياع وفتح صفحة جديدة من التاريخ .

د. محمد جابر الأنصاري



أول حديث صحفي مع القمر!

بقلم: عبد الله جفري

على الدروب الطويلة يضيء القمر فيؤنس السارى !

فى ليالى الشوق ينعكس نور القمر، وفى ظله يتعاطف الصدى وتسهر العيون، وقد هرب عنها الكرى، مشرعة شاخصة الى «زورق الفضة» على صفحة السماء !

والقمر رقرق قلوب كثير من الناس .. كانت أشعته تغسل الشوائب فى النفس تغمر الذات بالطمأنينة والحب .. ويحتضن هو كل النظرات المتجهة اليه . وكلها نظرات ألم الحب .. ونظرات السارين فى دروب الوحدة .. ونظرات الذين فقدوا الهجوع !

ومن قديم .. وحتى الآن برغم الصورة البشعة التى نقلها علماء الفضاء عن القمر . لازال الناس ينطرحون تحت ضيائه شاردين فى تأمل عميق !

ولم يزل الاحتفاء بموكب القمر فى لياليه المعروفة .. احتفاء مستمراً لم يؤثر عليه حتى «منطق» العلماء .. والناس يستمرون يرددون مع أم كلثوم :

هلت ليالى القمر
تعال نسهر سوا
فى نور بهاه !

وفى الأغانى .. أحب الناس أغنية حديثة فى محيطنا وأقبلوا عليها .. كأنهم بذلك الاقبال يخرجون ألسنتهم لكل محاولات الوصول الى سطح القمر .. ويغنون :

يا قمر شوف الحبايب
كل واحد له رفيق
إلا قلبى ما لو صاحب
ماشي وحدى فى الطريق

لقد جعلوا من القمر محكمة استئناف للمحبين ، وملاذ «التعبانين» من الحب !

ومن قديم .. حفظ الناس على مر العصور بيتاً شعرياً تصويرياً للشاعر عبد الله بن المعتز القائل :

وانظر اليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

مساكين المحبون ، حتى الملهم الذى يحملونه القمر .. يصفونه بالعنبر ! وشعراء كثر تغزلوا فى القمر الحقيقى ، وفى القمر مجازاً !

ولكن هناك أيضاً من هجاه وذمه .. فقال ابن الرومى :

يا بدر أنت تغدر بالسا
رين وتزرى بزورة الحسناء
كلف فى شحوب وجهك يحكى
نكتاً فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق ثم يحليك
شيبة القلامة الحجناء
ويليك النقصاء فى آخر
الشهر فيمحوك من أديم السماء
فاذا البدر ينل بالهجو هل يا
من ذو الفضل ألسن الشعراء

أجل .. ابن الرومى أراد أن يرسل شؤمه الى القمر أيضاً .. لكنه لم يستطع فى النهاية ، فقال : هل يأمن ذو الفضل ألسن الشعراء ؟!

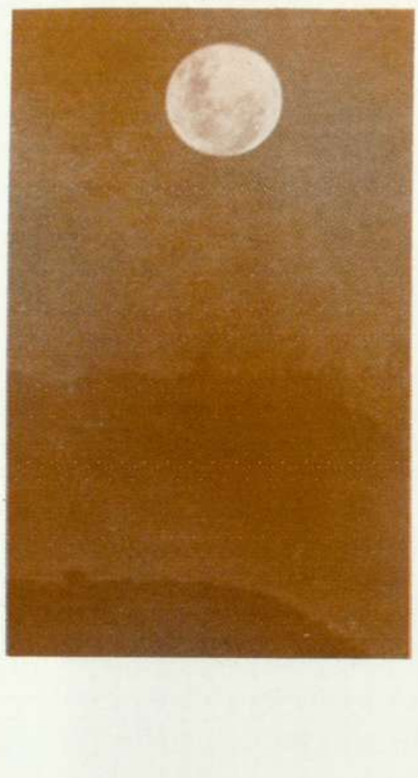
وكان بهذا يعترف أن القمر من ذوى الفضل !!

وجمعت معى بعض المعايب التى قيلت عن القمر ، وفيه ، والمشاكل الجديدة التى اكتنفته . وغمرتها فى نظراتى ذات ليلة من ليالى النصف ..

وجلست اتطلع الى القمر وهو فى موكب رائع فاتن .. كنت أريد أن أتحدث معه ، وأعرف منه أشياء كثيرة غامضة ، وأناقشه فى مشاكله مع سكان الأرض ومشاكل الناس على الأرض معه !

إنه لا يعرف ـ عندما سالته أول سؤال ـ ماذا أعنى بالتحقيق الصحفى ؟ .. إنه يعرف فقط التصوير العلمى الذى استخدمته واستفادت منه الصحافة يوم نشرت صوره .. وفضحته وكشفت سرائره وبواطنه .. كان يبدو غاضباً .. وعصبياً ، وكان يقول :

● هذه منكم يا سكان الأرض ؟ انا احنو عليكم ، أواسيكم فى وحدتكم .. أضيء دروبكم .. أمنحكم بوجهى راحة نفوسكم .. أرقرق قلوب من تحبونهم . وأنتم ـ بطبيعتكم ـ تجرون وراء الأسرار .. تعكسون الجوانب البشعة فى داخلى .. لماذا تبحثون عن الجوانب البشعة فقط؟؟!



ـ قلت له : بالعكس .. نحن نحبك أكثر ، وهذا الحب هو الذى دفعنا أن نرتاد الفضاء لنصل الى سطحك .. نعرفك أكثر وعن قرب وملامسة .. ألا تعرف يا قمر أن الذى يحب يصر أن يعرف كل شىء عن محبوبه . حياته . تصرفاته . سلوكه . جوانب الجمال فيه . معايبه . نفسيته .. أعماقه ؟!

● قال : هذا فضول الانسان ، مع أن السكان هنا على سطحى يقدرون كوكبكم . يتطلعون الى الأرض باعجاب .. والذى يحب هنا يقول لحبيبته متغزلا: أنت وجهك زى الأرض ... وبهذا يمتدح جمالها !

قلت فى سرى : أية أرض هذه؟

ورفعت صوتى اقول له :

ـ أريد أن تصف لي نفسك .. طبيعتك .. أعماقك .. ماذا فيك ؟

● قال : حتى تفضحني عند سكان الأرض ؟ .. ومع ذلك فقد أحسست أن جسمى يتألم بما وصل من صواريخ ومركبات .. ان القذائف العلمية أهلكتنى .. الم تقرأ ما قاله عالم امريكى لديكم على الأرض ؟!

ـ ماذا قال ؟!

● قال العالم : «ان القذائف العلمية الأساسية التى يمكن اطلاقها من الصاروخ «سنتور» تجعل من الممكن الحصول على نزول لين بالمعنى الصحيح الى سطح القمر» .

قلت ضاحكاً : هذا فال .. دليل أن الناس يحبونك لأنهم يريدون أن يكون النزول على سطحك «ليناً» .

● قال ساخراً : ان الناس يحبون أنفسهم .. ان النزول اللين يخدمهم هم حتى لا تتحطم مركباتهم ، ولا يفقدون



رجالهم .. وبذلك بدل أن يستعمرونى بعد خمس سنوات يستعمروننى بعد سنة .. صدقنى إن كل الذين يحاولون الوصول الى سطحى هم استعماريون .. انهم يضحكون عليكم فى الأرض بالأسلوب العلمي، وهذه أحدث موضة للاستعمار !

ـ قلت : دعنا من هذه الصورة فانا هارب اليك . الى هدوئك .. الى ضيائك فلا «تغم» نفسيتى !

● قال ضاحكاً : لا تهتم .. أنا متسامح، إنما قل لي .. أنت من سكان أية منطقة فى الأرض ؟!

ـ قلت : من منطقة الشرق الأوسط (!)

● قال : ها .. من أجل هذا نفرت من الحديث عن الاستعمار ، لأنكم تكتوون بناره فى المنطقة .

ـ قلت : أنت تقول أنك متسامح .. فما دليلك على ذلك ؟!

● قال : دليلى عندكم . ألم يقل أحدكم يا سكان الأرض : «ان يبغ عليك قومك فلا يبغ عليك القمر» ؟!

ـ قلت : هذا مثل عربى .. هذا دليل حبنا لك !

● قال : وقلتم مثلا آخر يختلف .. هو «أضيع من قمر الشتاء» لأنه لا يجلس فيه ، ولا اليه أحد !

ـ قلت : البرد قارس أحياناً .. والانسان لا يحتمل الارتعاشات القوية !

● قال : وهل هناك أقوى من ارتعاشة القلب عندما يحب ، ومع ذلك تتلاعبون بقلوبكم أحياناً حتى وهى ترتعش !

ـ قلت : لحظتها ـ يا قمر ـ لا نفكر إلا كيف نزيد تلك الارتعاشة !

● قال ضاحكاً : أنتم معذورون .. فكل أدوات التعبير الملموسة عندكم .. أول شيء تفعله : الارتعاشة !

ـ قلت : وبعدين معاك .. لتكن لطيفاً كعادتك !!

● قال : إذن غير الموضوع .. فانتم يا أرضيين لا تتحملون حقائقكم !

ـ قلت : يقولون ان طبيعة مناخك قاسية .. فماذا تقول ؟

● قال : «إن نهارى يبلغ الأسبوعين طولا ، ويتعرض سطحى فى هذا النهار لشمس ساخنة محرقة .. وهو السطح المضيء ، وترتفع درجة الحرارة عند خط استوائى الى أكثر من درجة غليان الماء عندكم» !

ـ قلت : ومتى يحدث عكس ذلك ؟!

● قال : (يحدث عكس ذلك أثناء الليل الطويل إذ يبرد السطح بسرعة كبيرة «فليس هناك طبقة عازلة من الهواء ، ولهذا تهبط درجة الحرارة الى ٢٤٠ ف وهذا المدى يبلغ نحو ضعف المدى الحرارى المطلق الذى سجل على سطح الأرض فى تاريخها الطويل) .

ـ قلت : على مهلك .. توقف . كيف عرفت هذه المعلومات عن نفسك ؟

● قال باسماً : ألم تقولوا أنتم رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ؟!

ـ قلت : صحيح .. ولكن هذه المعلومات وزعتها إدارة الأبحاث الأمريكية من سنوات !

● قال : تريد أن تقول انى أمريكى ؟!

ـ قلت : ليس هذا ... وإنما لعل معلوماتك عن نفسك أمريكية !

● قال : اذن اسمع وتعلم .. «القمر خال من الهواء الجوى .. لذا يتعرض الانسان الى أشعة الشمس المباشرة فيكون هناك اشعاع شديد من الأشعة فوق البنفسجية . وبعض الأشعة السينية الشمسية» !

ـ قلت : ماذا فى هذا الكلام ؟

● قال : كلام علماء الروس !

ـ قلت : إخيه ـ بتشديد الخاء ـ اذن فأنت شيوعى . حتى القمر يحاولون جعله شيوعياً ؟!

● قال : لا شيوعياً .. ولا أمريكياً ، ولكنى مشدود من الطرفين .. كل فريق يريد أن يأخذنى فى أحضانه قبل الآخر !

ـ قلت : وأنت ماذا تريد أن تكون ، أو الى حضن من تلوذ ؟

● قال : شوف .. الحضن الشيوعي يمحي الشخصية . وينكرني فى النهاية فلا يعد للناس قمر بعد ذلك ، والحضن الأمريكي يضعني فى فترينة بديكور ، ويكتب على وجهي U.S.A بحجة أنه يحمينى من الآخرين !

ـ قلت : قل لي ياقمر ، ما رأيك فى لجنة « سيتكس » التى كونتها أمريكا من سنوات لتبحث فى نتائج العدوى التى يخشى أن تصيب القمر والكواكب عن طريق البعثات الأرضية ؟!

● قال : والله هي عدوى بلا شك .. فأنتم ياسكان الأرض مشاهدتكم عن بعد أكثر سلامة من الاختلاط معكم ، ولهذا فانا فى داخلي عراقيل ستتعب رواد الفضاء وكذلك فى الكواكب الأخرى . والسبب أننا لا نأمنكم ونعتقد أن فيكم وباء لا يصح أن يصيبنا !

ـ قلت : على هونك ياقمر .. لرد عليك بحقيقة أخرى فلقد قالوا : « يجب حماية المكتشفين فى القمر ضد الأشعة الضارة .. ولذلك فان الآلات التى تسجل باستمرار فى المحطات القمرية ستعطينا المعلومات الضرورية عن هذه الأخطار قبل أن يضع الانسان قدمه فوق أرض القمر ! » .

● قال : ربما أعطتكم آلاتكم المعلومات .. لكن ذلك سيكلفكم كثيرا حتى تصلوا !!

ـ قلت : نغير الموضوع ، فحدثني عن

الحب على سطحك ؟!

● قال : عندنا جميلات مثل الأرض !

ـ قلت وبعدين معاك ؟ الأرض حجارة ومستنقعات وأتربة .

● قال : ألم تقولوا أن فى القمر أيضاً جبالا وحجارة واشعاعات قاتلة .. ومع ذلك أتيت إلي .. تتأملني وتسألني وأنت شحنة شجن ؟!

ـ قلت : علماء الأرض قالوا : « إن تحليل ترابك اذا لم تصبه عدوى من يد الانسان فهو هيدروكاربونات إنبعثت فى الفضاء الكوني » ! .

● قال : إن ترابي هو تاريخي ، وأنا لن اسمح لكم ياسكان الأرض أن تلوثوا تاريخي .

ـ قلت : ول ، أنت حمقان جداً !!

● قال : أنا أدافع عن تاريخي !

ـ قلت : طيب . قال العلماء إن الانسان على ارتفاع ٥٠ ألف قدم لا يفقد قابليته للحب .. فكيف يكون الحب عندك ؟!

● قال : الحب هنا التئام .. إن كل السكان متمرسون على أنواع الرياضة البدنية ، وعلى الانزلاق المستمر ، فخطوات السكان هنا كلها انزلاق !

ـ قلت : يا حلاوة ياقمر على الانزلاق فى الهواء !

● قال : أما فى الأرض فأنتم تنزلقون على أهوائكم ورغباتكم ، ولهذا فقد أرادت امرأة من عندكم مرة أن تهرب وترضى أن تصعد فى مركبة فضائية ، وتجرب انعدام الوزن ـ إنما على خفيف ـ ولو قدر لها أن تخرج فى الفضاء من مركبتها لأحبت الانزلاق فـي الهواء .. فهو يقرب الاثنين بعضهما الى بعض .. دائما ، أما انزلاقكم فى الأرض فهو يبعد الاثنين دائماً . وبسبب انزلاقكم تأتون .. وتتطلعون الى ضيائي . وتشكون قلة بختكم .. وهجران أحبائكم عنكم !

ـ قلت : لكن هذا لا يمنع من الاقتناع بحقيقة تقول : إننا نحب !

● قال : تحبون على طريقتكم ، ثم تتأوهون وتنوحون وتقولون غناء : ياقمر : إيش حصل بيني وبينك .. حتى عن عيني تغيب » فيا أيها الأرضي أنا أرفض الاستجداء فى الحب ، فكونوا سماويين !

ـ قلت : عندنا حب الروح .. ألا تعرف عنه شيئة ؟!

● قال : نعم نعم .. يذكرني هذا بحكاية طريفة شاهدتها من علوى ، فقد كان أحد المحبين طافشاً مهموماً حزيناً .. اختلف مع حبيبته ، أو هى تركته لتذيبه ، فجاء الى نافذته وجلس يتطلع إلي ، والدمع يترقرق فى عينيه ، فسطع نوري عليه .. منحه صبابة وطمأنينة .. وأخذ يفكر ، ويستغرق فى تأمله .. ونام على حافة النافذة . وفى الليلة الثانية رأيتهما معاً ـ هو وهي ـ وضحكاتهما تشوش على جلال الهواء من حول نوري على الأرض !

ـ قلت : ياسلام .. شيء حلو ؟

● قال : مبسوط ؟! مساكين .. فرحتكم مستعجلة ، وغضبكم عاجل !

ـ قلت : ومن الذى يحب يا قمر ؟!

● قال : الذى يبكي !

ـ قلت : إذن .. الدموع فى رأيك هي تعبير عن الحب ؟!

● قال : الدموع هى حدقات الوجدان ، فبعدما يبكي الانسان يرتاح ويبصر أكثر .

ـ قلت : عجيب .. ومتى يحب الانسان ؟

● قال : يحب .. عندما ينكر ذاته !

ـ قلت : ولكنهم يقولون : الذى يحب يترف نفسه ، والذى يترفها يحب نفسه .. وهو الاناني .

● قال : الأنانية عندكم فى كل شيء ، فقط .. تختلف ابعادها ، ومفعولها ، ودوافعها .. فهناك أنانية مضيئة !

ـ قلت : لا تجنني !

● قال : لقد جن غيرك ولكني عرفتكم جيداً يا سكان الأرض !

ـ قلت : والحب عندكم هنا .. أليس فيه أنانية ؟

● قال : عندنا الذى ينزلق على الهواء منفرداً دون أن يلتئم بمن يحبه أناني !

ـ قلت : عال !.. تعني أن الانزلاق على الهواء طموح ؟!

● قال : أبداً .. أنه طبيعة الحياة ، والذى لا يشارك فى هذه الطبيعة .. انسان أناني !

ـ قلت : ولماذا أناني ؟ .. هل الانزلاق على الهواء منفردا متعة ، ويجب أن يشترك من يحبه فى هذه المتعة ؟!

● قال : بالضبط !

ـ قلت : طيب .. أليس كل واحد يستطيع أن ينزلق بمفرده ؟

● قال : إذا لم يكن يحب لايستطيع(!)

ـ قلت عجيب !. إذن كلكم تحبون !!

● قال : أليس هذا موطن القمر ، والقمر هو ملاذ العشاق والمحبين ؟!

ـ قلت : ياقمر تسلم لي عينك !!

● قال : إذا أردت أن تعود الي ثانية فلا تحضر منفرداً ـ وحدك ، فسأرفضك !! لا أريد صحفياً بورق فقط !

ـ قلت : لكني جئت وفى صدري قلبي .. وفى قلبى وجداني كله !

● قال هذا لايكفيني .. فأنا أعبر عن « طموح » الحب والمحبين !

ـ قلت سأنادي الآن تحت ضيائك : هلت ليالي القمـر .. تعال نسهـر سوا .. فى نور بهـاه !

عبد الله جفري



أبو البهاء مُنقذاً !

بقلم الدكتور

عبد السلام العجيلى

قلت لصاحبى أبى البهاء :

ـ وعدتنى بأن تروى لي أحد فصولك القديمة ... حكاية الملهى فى بيروت . هل نسيت ؟

قال : لم أنس . اتهمتنى يومها بأنى دبرت ذلك الفصل لأستفيد منه شخصياً ، والحقيقة غير ذلك .

فسألته وأنا أبتسم : وما هى الحقيقة يا أبا البهاء ؟

قال : قد أكون فعلت ما فعلت ، كما قلت لك قبل اليوم ، لأنتقم من أصحاب ذلك الملهى الذين كانوا يفرغون جيوب رواده من محتوياتها بأكثر الأساليب بعداً عن الشرعية . وقد يكون السبب هو رغبتى فى انقاذ صديقنا مجد الدين من مأزق الافلاس الذى كان واقعاً فيه تلك الليلة . أنت تعرف مجد الدين ...

قلت : أعرفه بالشكل : رأس ضخم على قامة قصيرة وكرش مدورة ، وبشرة مغرقة فى السمرة . نقيضك فى لون البشرة وتكوين الجسم . وأحسب أنه نقيضك فى المزاج ، فهو لا يخلو من ثقل الدم . ما الذى جمعك به فى بيروت ؟

قال : لقيته فيها مصادفة فى احدى الأمسيات . كان ذلك منذ أعوام ، قبل خراب تلك المدينة الجميلة . قال لي حين التقينا انه يحب أن يسهر معى . لم يكن لدى ما يشغلنى فقلت له : نسهر إذن فى الكريزى هورس . قال : لا تمزح .. إنهم يسلخون جلود الزبائن سلخاً فى ذلك الملهى .. من ناحيتى أنا مفلس تماماً ، وما أظن فى جيبك أنت ألف ليرة لتدفعها ثمن السهرة ! قلت له لا تحمل هم تكاليف السهرة .. كل ما أريده أن تتبع تعليماتى على وجه الدقة . وكانت تعليماتى أن أسبقه الى صالة الملهى وأحتل احدى الطاولات ، فاذا دخل بعدى فليجل نظرة بين الحضور على موائدهم ثم ليقف على رأسى فيستأذننى فى الجلوس على مائدتى كأنه لا يعرفنى . والبقية علي ...

وهنا قاطعت أنا أبا البهاء بقولى : كأنك كنت تملك خطة جاهزة لغزو ذلك الملهى ...

قال : كانت خطة بنت ساعتها . لعلى استوحيتها من المعطف الفضفاض ، المهترىء الأكمام والحواشى ، الذى كان يرتديه آنذاك مجد الدين . كان الوقت شتاء ، وعلى أن جو بيروت دافىء فى الشتاء فقد كانت الأمسية باردة ، وكان الساهرون أمثالنا يرتدون معاطفهم تخوفاً من زمهرير آخر الليل . احتللت فى الصالة المزدحمة بروادها مائدة انتقيتها فى زاوية قليلة الانارة . وانقضت برهة قبل أن يلحق بى مجد الدين ، بعد أن تخفف من معطفه البغيض وسلمه ، كما فعلت أنا ، لفتاة المشلح المؤتمنة على معاطف الساهرين فى كوتها عند المدخل . تجول بين الموائد فى البدء كالحائر ، ثم مالبث أن استأذننى فى الجلوس معى متظاهراً بأنه لم يجد مكاناً آخر . هذه أول مرحلة فى الخطة ، وقد تمت على مايرام . ماذا أقول لك ... كانت سهرة رائعة . طعام شهى وشراب كما تتمنى ، وموسيقى ، ولوحات رقص مثيرة تؤديها أفتن فنانات علب الليل العالمية ! ومع ذلك فقد بدا مجد الدين وكان الخوف

سيقتله . كلما صفقت للغرسون أستزيده من الطعام أو ليعيد ملء كاسينا لكزنى بكوعه وهو يغص بلقمته قائلا : وآخرتها ؟! كيف نؤدى حساب كل هذا ؟ ولم أكن أجيبه ، منتظراً أن تحين الفرصة التى أريدها . وحانت تلك الفرصة حينما أطفئت أنوار الصالة على المتحلقين حول الموائد ، وأعلن مذيع السهرة عن مشهد تشترك فيه فنانات الملهى برقصة جماعية مثيرة على أنغام ملتهبة صاخبة . قلت لمجد الدين عندها : اذهب أنت الآن ودعنى هنا ، وعند الباب تصرف كما أقول لك . وأفهمته بما يجب أن يفعله عند خروجه ، فاسرع بالذهاب مسروراً بأن يبتعد عن مواجهة هو شديد التخوف من أن يكون طرفاً فيها ...

سالت أنا أبا البهاء : أنت تتكلم كالذى يطرح لغزاً . ما الذى كان على مجد الدين أن يفعله ؟

قال : اصبر قليلا . من ناحيتى صبرت نصف ساعة قبل أن أصفق للغرسون كى يأتينى بالحساب . جاءنى الرجل بورقة مطوية فى ثنايا منديل أحمر موضوع فى صحن ناصع البياض . كان الحساب مبلغاً كبيراً لا يحتوى جيبى عشره ، إلا أن ذلك لم يزعجنى . تظاهرت بأنى أفتش عن محفظتى فى جيوبى المختلفة ، وبأنى لم أجدها ، فطلبت من الغرسون أن يتبعنى الى مشلح الثياب عند المدخل ، حيث معطفى ، لأنى تركت محفظتى فيه . وامتثل هو لأمرى . وحين قدمت لفتاة المشلح القسيمة التى كانت بيدى ، تلك التى تحمل رقم المعطف المودع عندها ، ناولتنى معطفاً رددته اليها بسرعة مع الرجاء بأن تعيد قراءة القسيمة وتعطينى معطفى أنا . تطلعت الفتاة الى القسيمة وقالت مصرة : بل هذا رداؤك يا سيد . أفهمتها أنها مخطئة ، ولأبرهن لها على ذلك لبست الرداء الذى ناولتنى اياه فبدوت فيه كقضيب نحيل فى كيس عريض متهدل . كان معطفاً واسعاً وقصيراً ، واضح أنه لم يفصل ليرتديه انسان ممشوق القامة طويلها مثلى . ولا عجب فى ذلك ، فقد كان معطف مجد الدين الذى تركه فى المشلح مبادلا إياه بمعطفى ، حين أعطيته قسيمتى وأخذت منه قسيمته ، فغادر الملهى عندما كان خدمه ، مثل رواده ، مشدودى الأبصار الى المسرح المنار وراقصاته العرايا الفاتنات ...

ومن جديد قاطعت أبا البهاء ، وأنا ابتسم ، بقولى : وماذا كنت تقصد بذاك الذى فعلته ؟

قال : كنت أقصد أن يجرى الذى جرى بعد ذلك . حدثت ، عند مشلح الثياب ، مشادة بينى وبين فتاته ، بينما وقف الغرسون محرجاً لا يدرى ماذا يفعل . ورفعت صوتى فى تلك المشادة رافضاً أن اتحرك من مكانى قبل أن يأتى مدير الملهى ليعرف الصلة بين هذه الفتاة وبين الرجل القصير الضخم الذى أعطته هى قسيمتى كى يذهب بمعطفى الثمين ... ذهب بمعطفى الثمين وفيه محفظتى وأوراقى الشخصية وترك لي هذا الرداء الرخيص ، المزرى فى قماشه وخياطته ، والخالية جيوبه إلا من بقايا بزر فى قيعانها ! وتجمع علينا الخدم فى البداية ثم ما لبث مدير الملهى أن جاء الينا مسرعاً . ولما عرف المدير بتفاصيل الأمر كما رويته له لم يجد مجالا لارضائى ، ولصرفى عن طلب التعويض عما فقدته ، إلا بتقريع فتاة المشلح المسكينة بأقسى الألفاظ على أن آخذ المعطف البديل لأسلمه الى صديقى عادل بك ، مدير الشرطة السياحية ، لعل رجاله يهتدون الى صاحبه ويعرفون منه مصير معطفى. ولقد شكرنى مدير الملهى وأعطانى كل الحق لما قلت له ان المعطف لم يكن يهمنى بذاته ولا بما تحويه محفظتى فيه من نقود ، ولكنها أوراقى الثمينة ، أوراقى الشخصية هى التى تهمنى ...

وسكت أبو البهاء ، بينما تحولت ابتسامتى الى قهقهة وأنا أتصور الموقف عند مشلح الثياب : أبو البهاء متعنتراً يحتج ويطالب بمعطفه الفاخر الثمين والمدير يترضاه ويرجوه أن لا يحتد ويرفع صوته أمام جمهور مؤسسته الراقية ، والفتاة المسكينة تكفكف دمعها لهذا الخطأ الفادح الذى لا تدرى كيف وقعت فيه .

وسألت صاحبى :

ـ وبعد ذلك ؟

قال : بعد ذلك عدت الى فندقى حيث كان عبد المجيد ينتظرنى ، فتبادلنا معطفينا بكل بساطة . أعطيته معطفه وأخذت منه معطفى . ما أكلناه وشربناه فى الكريزى هورس تلك الليلة لم ينزل بميزانية ذلك الملهى عجزاً كبيراً . كل ما فعلته أنى أتحفت صاحبى السيد عبد المجيد بسهرة ممتعة وأنقذته من موقف الجائع المفلس . هل ترانى أخطأت فى هذا ؟

● ●

لم أفكر فيما اذا كان أبو البهاء أخطأ أو أصاب فيما فعل تلك الليلة . إلا أنى تذكرت لقوله انه أنقذ صاحبه من موقف الجائع المفلس فى بيروت حكاية له كان دوره الانقاذى فيها أوضح . لم يحدثنى هو بتلك الحكاية ، وإنما رواها لي فى حلب ابن بلدى ، صديقه وصديقى ، أحمد الحاج ابراهيم .

كنت فى حلب حين أبصرت أحمد الحاج ابراهيم يسير فى الشارع مسرعاً كأنه يسعى الى موعد يخشى أن يفوته . لم يكن يرانى . كانت على شفتيه ابتسامة عريضة كان كأنه يضاحك بها نفسه ، فاعترضت طريقه وأنا أقول : من يرى سرعة خطوك وسعة ابتسامتك يحزر أنك ذاهب الى ميعاد غرامى ! فوقف وقال : ليس الأمر ما تظن ، ولكنه مأزق خلصت منه الان ، فأنا أبتسم لغبطتى بالخلاص . سألته : أى مأزق ؟ قال : دائن ثقيل ما كنت أستطيع التملص منه ، وجاءنى أبو البهاء فأنقذنى . قلت : أبو البهاء ؟ أين هو ؟ قال تركته منذ قليل .. تعال لنجلس فى هذا المقهى وسأخبرك ...

وفى المقهى سمعت من أحمد حكاية مأزقه الذى خلص منه منذ دقائق ، قال :

ـ أنت تعرف الضائقة التى نعيش فيها ، نحن معشر المزارعين ، فى هذا الفصل من السنة . محاصيلنا فى هذا

فصول أبي البهاء

أبو البهاء مُنقذاً

العام سيئة ، ودائنونا كثيرون . غالبية الدائنين تعرف وضعنا فتمهلنا فى استيفاء حقها الى أن يفرجها الله علينا . إلا أن أحد أبناء أعمامى ، واسمه خميس ليس من هذه الغالبية المتفهمة . إنه انسان بسيط لا يخلو من الطيبة ، غير انه فى مطالبته فى استيفاء حسابه ملحاح لا يقبل عذراً منى على الرغم من قرابتى له . أنا فى هذه المدينة منذ أيام ، وكنت حسبت أنى ببعدى عن بلدتنا قد استرحت بعض الوقت من مطالبة خميس بما استحق له فى ذمتى . وفى هذا الصباح فوجئت به يقطع علي الطريق ليقول لي انه وصل لتوه من البلد وانه جاء ليستوفى دينه منى . حاولت اقناعه بتأجيل مطالبته الى أن نرجع الى أهلنا ، ولكنه لم يقتنع ، وظل متشبثاً بى حتى تعللت له ببعض المواعيد التى علي أن أذهب اليها . وهكذا كان ممسكاً بذراعى حين مر بقربنا أبو البهاء فتوقف لحظة ليحييني فيها . خطر لي عند ذاك خاطر ، فملت على أبى البهاء وقلت له بعجلة ، وبصوت خافت : «انه خميس ...

ابن عم لي ملحاح .. قدم الآن بالاوتوبيس من البلد ، وهو يضايقنى ..» . قلت هذه الكلمات ثم عدت الى خميس وحديثه المقيت المزعج ، بينما تابع أبو البهاء طريقه دون أن يظهر عليه أنه أولى ما قلته له اهتماماً . إلا أنه ما إن ابتعد خطوات حتى التفت الينا وقال يخاطبنى بصوت عال : أحمد .. أريد أن أسألك .

قلت ، وقد توقعت فرجاً مما أنا فيه : تفضل واسأل . قال بلدتك صغيرة ، ولاشك فى أنك تعرف أكثر ناسها . قلت : صحيح ... من تريد منها ؟ قال : أسأل عن شخص جاء منها صباح هذا اليوم بالاتوبيس . قلت : الذين جاءوا بالاتوبيس كثيرون ... من هو ذلك الشخص ؟ قال : هو رجل قصير القامة ، يلبس ثياباً بدوية ، واسمه خميس .. أنا لا أعرفه شخصياً ، ولكن شرطة المدينة كلها تبحث عنه هذه الساعة . فسألته أنا متظاهراً بالقلق : ولماذا تبحث الشرطة عن خميس ؟ قال : لجناية ارتكبها وهو فى طريقه الى هذه المدينة ... جناية يستحق عليها الحبس والجلد بالسياط ... ذلك اللعين لم يعرف أن الفتاة التى احتك بها فى الاوتوبيس وأساء الأدب بحقها هى ابنة أخ العقيد صالح قائد الشرطة فى البلد ، وأنها أخبرت عمها بما جرى لها حال وصولها فأصدر أمره بالبحث عن الرجل فى كل مكان .. يا ويلك يا خميس متى وقعت فى أيديهم !

لم أتمالك نفسى من الضحك لما رواه أحمد الحاج ابراهيم ، وقلت : هذا طابع أبى البهاء فى فصوله المشهورة . ما أسرع بديهته فى هذه المواقف !

فتابع أحمد الرواية بقوله : اسمع الخاتمة . فى هذه الأثناء أحسست بأن خميساً ، قريبى القصير القامة الذى كان يرتدى ثيابه البدوية ، قد اختبأ وراء ظهرى كأنه يخشى أن يتعرف محدثى فى شخصه على الجانى المطلوب . وسمعته يقول من ورائى بصوت مبحوح : أحمد ... صدقنى ، هذا غير صحيح ... نعم ، كانت فى الاوتوبيس فتاة مدنية ... ربما فتيات ولكنى والله ما مددت يدى الى واحدة منهن ... ما تعرضت لاحداهن بكلمة ! أما أبو البهاء فقد استمر فى وصف العقاب الأليم الذى يتوقعه للجانى المزعوم حين يقبض عليه زبانية العقيد ، مما زاد فى هلع خميس البسيط المعرفة والساذج التفكير . وعندما ابتعد أبو البهاء من جديد قال لي خميس بصوت مرتجف : أحمد .. اعلمنى ، ماذا افعل ؟ قلت : سمعت بأذنك .. عليك أن تعود الى البلد حالا . قال ، وقد نسي دينه الذى جاء من البلد ليطالبنى به : أعود ... حالا ... ولكن قد يكون رجال الشرطة فى موقف السيارات يبحثون عنى هناك ! قلت : لا أظنهم يتوقعون أن ترجع فى نفس اليوم الذى جئت فيه ... ومع ذلك فسأرافقك لأطمئن الى أن أحداً من الشرطة لم يتعرف عليك ! ... وهذا ما حصل . رافقته الى موقف السيارات واطمأننت من أنه استقل الاوتوبيس المتجه الى بلدتنا دون عودة . وكان كما قلت لك مأزقاً سلنى منه أبو البهاء كما تسل الشعرة من العجين ...

● ●

ذكرت أبا البهاء بحكايته القديمة هذه مع أحمد الحاج ابراهيم وقريبه ، وقلت له :

– يجب أن نضيف الى ألقابك الكثيرة لقب المعين أو المنقذ . أنقذت أحمد الحاج ابراهيم من مأزقه ، وواسيت مجد الدين فى افلاسه فسقيته وأطعمته دون أن يتكلف فلساً ...

فهز أبو البهاء رأسه موافقاً على مديحى له ، غير متكلف التواضع ، وقال: ولا تنس نفسك .

قلت : أنا ؟! بماذا اعنتنى ، أو من ماذا انقذتنى ؟

قال : من المحرجات التى تقع فيها أحياناً بصفتك كاتباً . أعرف أن قلمك فى الموضوعات التى تكتب فيها عادة يشتط أحياناً فيعود بالضرر ، اذا لم يكن عليك شخصياً فعلى الدوريات التى تنشر فيها. بينما أعطيك أنا مادة تكتبها وتسلى بها قراءك دون أن ينال أحد ضرراً بسببها ...

ابتسمت وقلت : قد يكون ما تقوله صحيحاً . يلزمنى اذن أن أشكرك .

قال ، وهو يشد على يدى مودعاً : لا شكر على واجب . أنا دوماً تحت تصرف أصحابي ، إذا لم يكن لانقاذهم فلاضحاكهم . الى اللقــاء ...

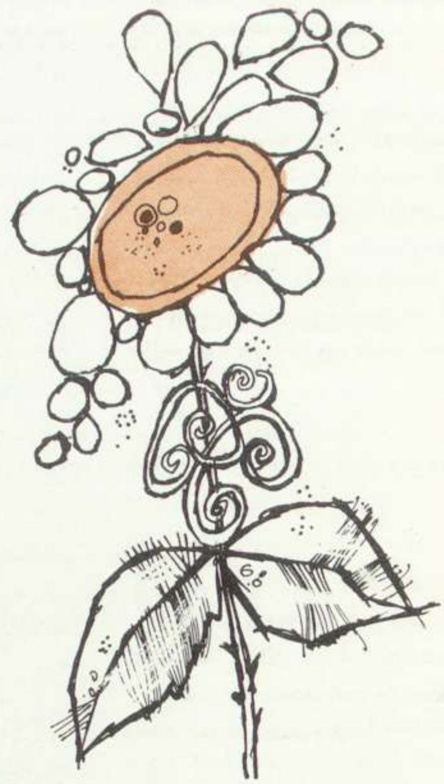
وابتعد وطابع الجد مرتسم على كل تصرفاته ، تلك التصرفات التى تملأ نفوسنا نحن أصحابه بالمرح وتبعث على شفاهنا أوسع البسمات .

د. عبد السلام العجيلى



محمد الفهد العيسى

في البدء كانت الحروف



بعد أن حطبتني الهموم والأحزان
بعد أن تطاولتْ بدربيَ الجدران
كم ألف ليلةٍ جفَّ فيها الدمعُ
وعز الصَّبرُ ..
كم جزعتُ من تهدُّج الحرمانْ

●●

بعد أن جدَّلت ليالي اليأسِ
لي أنشوطَة انكسارْ
جئت يا ...
إليكِ
جئتُ والنَّدَى فى راحتيْ كفَّيْكِ ..
والتقتْ عينايَ فى عَيْنَيْكِ
والتقَتْ راحتايَ واستقرتا
.... بين راحتَيْكِ

●●

فى حبك الدفيء بالحنانْ
تلاشتْ الأحزانْ
تهاوتْ الجدرانْ
احتوى شجون خوفيَ الأمانْ
من ـ حروفكِ ـ العِذابْ ...
عرفتُ الرِّى بعد أن ظمئتُ ألفَ عامْ
عرفت معنى أن ـ أحببتُ ـ
ماالهوى .. ما الحب .. ما الانسانْ ..

●●

فى البدء .. كانت الحروفُ
كيف لي .. أصوغُ عقداً من جُمَانْ
الصمت يا ....
(قس) عاشق مثلي
بليغ فى معاناة الحروف والبيانْ

طلعت حسن محمد جاد الله

قراءات

الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من ناحية «الصوت» فقط سنجده معجزاً أيما اعجاز فى معانيه وألفاظه ونظمه وصوته .

ولناخذ آية من سورة الاعراف «الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦» . هى قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين . ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » صدق الله العظيم .

فلننظر فى اختيار القرآن الكريم للكلمات ، ثم لننظر إلى أي حد عبرت هذه الكلمات عما وضعت له من معنى ، لننظر فى كلمة « يلهث » التى تكررت مرتين والتى هى وجه الشبه بين الكافر والكلب ، واللهاث سرعة ضربات القلب ، وسرعة الشهيق والزفير بسبب الحر أو التعب والكلب عندما يلهث ، يخرج لسانه خارج فمه ، ولكن لم اختار الله جلت حكمته « الكلب » ، من بين المخلوقات كلها ، ونحن نرى حيوانات كثيرة تخرج لسانها عند اللهاث مثل الحمير والخيل والبغال والبقر والجاموس والغنم عندما تشتد بها وطاة الحر أو الارهاق ؟ .

يحدثنا علم الطب والتشريح أن «الانسان» هو الحيوان الوحيد من بين الحيوانات جميعاً الذى بجسمه « مسام » يخرج منها العرق الذى يتطاير فى الجو حاملا معه بعض حرارة الجسم ، وينتج عن ذلك تلطيف درجة حرارة الجسم بما تناقص منها ، أما الكلب فليس له هذه المسام ، فهو يخرج لسانه خارج فمه ، فيتطاير لعابه فى الجو حاملا معه حرارة الجسم فتتناقص حرارة جسمه .

والآن لننظر إلى كلمة « يلهث » من حيث الصوت ومخارج الحروف ، فالكلب لسانه فى حركة دائبة وهو يلهث يخرج لسانه يعرضه للجـو ، فيجف ما عليه من لعاب حيث يتطاير حاملا بعض حرارة الجسم ، فاذا جف أدخله ثانية إلى فمه ليبلله باللعاب .

فكما ترى : هذه كلمة تتكون إن نحن قمنا بعملية اللهاث حتى وإن لم نقصد كلاماً ، وليجرب كل منا ان يدخل لسانه فى فمه ثم يخرجه مع حركتي الشهيق والزفير ، سيسمع بوضوح الحرفين « هث » بنفس الضبط ، والهاء مفتوحة ، والباء بالسكون وقبلهما « اللام » مضبوطة بالسكون عند اضطراب اللسان من التعب ــ داخل الفم بين طرفي الأسنان واللثة العليـا .

مسجد .. مواد بنائه خُلطت بالمسك

مسجد « كتبية » من الآثار الاسلامية المعروفة فى العالم الاسلامي ، شيد هذا المسجد فى الرباط وتفرد بمزايـا خاصة جذبت إليه السياح من جميع أرجاء المعمورة .

من أهم ما يميز هذا المسجد عن غيره منارته العالية التى تنشر حولها رائحة ذكية ، تنبعث من جدران المسجد وأبوابه لتغمر المنطقة المجاورة له بأريج تطيب له النفوس ، ومصدر تلك الرائحة العطرة أكياس من المسك خلطت مع مواد بناء المسجد عند تشييده قبل ستمائة عام ومايزال بعضها مرصوصاً فى أرجاء المسجد وممراته .

من الخواص الأخرى التى عرف بها مسجد كتبية حصر الأذان فى هذا المسجد بالمؤذنين المكفوفين رغم مرور ستة قرون على بنائه . ويعود السبب فى ذلك إلى أن منارته العالية تشرف على انحاء المدينة مما يتيح للمؤذن الصاعد الى المنارة كشف ما حوله من منازل . لهذا منع المؤذنون المبصرون من ارتقائها .

أحسن ما قرأت

من اراد صديقاً	فالله يكفيه
ومن اراد مؤنساً	فالقرآن يكفيه
ومن اراد غنى	فالقناعة تكفيه
ومن اراد واعظاً	فالموت يكفيه
ومن لم تكفه الأربع	فالنار تكفيه

قدم .. الخير

قدم لنفسك خيراً	وانت مالك .. مالك
قبل أن تصبح فرداً	ولون حالك .. حالك
ولست والله تدري	أي المسالك .. سالك
أما لجنة عدن	أو في المهالك.. هالك

الأحسن

احسن انيس	هو القرآن
احسن معلم	هو الزمن
احسن كتاب	هو الدنيا
احسن واعظ	هو الضمير

كلمات للحياة

عريان .. لا يخجل

قال العقوق : غطوني بورق التين
وقال الشر : البسوني ملابس الخير والصلاح
وقالت الرذيلة : زينوني برداء الفضيلة
وقال الخداع : ضعوا تاج الأمانة على هامي
وقالت الكراهية : البسوني ملابس الحب
وقال الظلم : اعطوني صولجان التسامح
وقال الاستبداد : البسوني رداء الحرية
وقال الاهمال : جملوني بثوب الواجب
وقالت الكبرياء : البسوني رداء التواضع
وعند ذلك قال الحق : اتركوني عريانا فانا لا اخجل !

« للشاعر الانجليزى روبنسون »

الرجال أربعة

قال الخليل بن احمد : الرجال اربعة .

رجل يدري ، ويدري انه يدري ، فسلوه.

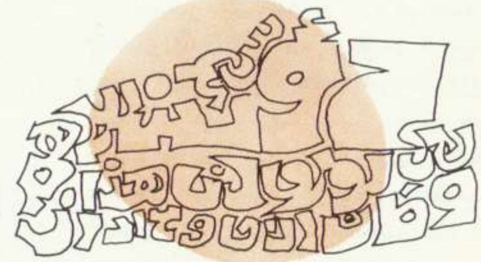
ورجل يدري ، ولا يدري انه يدري ، فذكروه

ورجل لا يدري ، ويدري انه لا يدري ، فذاك مسترشد فعلموه .

ورجل لا يدرى ، ولا يدري انه لا يدري ، فذاك جاهل ، فارفضوه .

كلمات في الأدب

أعظم كلمة هي الله
أعمق كلمة هي النفس
اطول كلمة هي الأبدية
أسرع كلمة هي الوقت
اقرب كلمة هي الآن
اقتم كلمة هي الخطيئة
احقر كلمة هي الربا
اقوى كلمة هي : الحق
أوسع كلمة هي : الصدق
ارق كلمة هي : المحبة
أعذب كلمة هي : الوطن
أعز كلمة هي الأمل



الدوحة

في العدد القادم والأعداد التالية

- د. جلال شوقي
- د. عيسى الناعوري
- د. مليسوم عبد الإله
- د. قاسم عبده قاسم
- أحمد العناني
- د. الطاهر أحمد مكي
- د. محمد عمارة
- ديزي الأمير
- عبد القادر عقيل
- محمود شيت خطاب
- سمير فريد
- حبيب صايغ
- عبد الوهاب داود
- أحمد شفيق أبو عوف
- أحمد عامر
- جمال الغيطاني
- فاروق منيب
- د. عبد العزيز جادو
- إبراهيم السمان
- محمد فتحي عبد الفتاح
- أحمد محمد غندور
- محمود الشرقاوي
- يوسف محمد سليمان
- كامل يوسف حسين

بدوي الجبل

آخر الراحلين
من عمالقة الشعر العربي المعاصر



بقلم : خيرى عبد ربه

هو ذا شاعر منحدر من الجبل البعيد ، يلبس عباءته وعقاله المقصب ، ويدخل المدن الكبيرة على حصان الشعر .. أول المدن : دمشق ، ثم بيروت ، فاستنبول ، وروما وفيينا ، وجنيف ، وذلك منذ أواخر ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٤ وآخر المدن كانت دمشق ..

التوقف عند بدوى الجبل ، الشاعر السورى الكبير ، يعنى بالضرورة التوقف عند أبرز شعراء اللغة العربية الذين ينتمون إلى الكلاسيكية الجديدة .. يعنى التوقف عند جموح القصيدة التى تنقلت من أصابع الشاعر لتثبت ذاتها وخصوصيتها إلى درجة يشعر المرء معها أنه أمام قصيدة خلقت نفسها بنفسها .

ربما لا نبالغ اذا قلنا إن لقب «بدوى الجبل» تجاوز إلى حد كبير اسم الشاعر نفسه ، عرفه الناس بلقب بدوى الجبل ، وغاب عن أذهان كثيرين اسمه الحقيقي . فمن أين جاءت التسمية ؟ :

« إسمي محمد سليمان الاحمد وبدوي الجبل لقب اطلق علي وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى ، اذ نظمت أبياتاً شعرية أرسلتها إلى جريدة «ألف باء» والتى كان يصدرها فى سوريا المرحوم يوسف العيسى ، فأعجب بها ونشرها بتوقيع «بدوى الجبل» وعندما سألته لماذا لم ينشرها باسمي قال : يا بني انك فى سن لا يقرأ الناس فيه شعرك ، واذا قرأوه

لا يقيمون له وزناً ، فاكتم بيني وبينك هذا السر ولا تقل انك بدوى الجبل وسنرى كيف يستقبل هذا الشعر . وهكذا بدأت انشر باسم بدوى الجبل .. وطغت على اسمي هذه التسمية » .

واتجاه بدوى الجبل فى تناول موضوعاته بدأ اتجاهاً صدامياً ، فهو لم يتوقف عن تعرية الاستعمار الفرنسى ، ومقاومته ، ودعوة الناس للتمرد عليه وإشعال روح الثورة ضده ، وضد كل من تحدثه نفسه بأن يسرق حق هذا الوطن من الحرية والاستقلال . فقد كانت قصائد مجموعته الأولى (البواكير) التى صدرت عام ١٩٢٥ ، تطرح بمجملها هموماً قومية وتتغنى بالأمجاد العربية والبطولات ، والمواقف التى تشحذ الهمم .

لنقرأ هذا المقطع من قصيدة « اني لأشمت بالجبار » :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا
رق الحديد وما رقوا لبلوانا
آمنت بالحق يذكي من عزائمنا
وأبعد الله اشفاقاً وتحنانا
ويل الشعوب التى لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر أحقاداً وأضغانا
هل فى الشآم وهل فى القدس والدة
لا تشتكى الثكل إعوالا وارنانا
يعطى الشهيد فلا والله ما شهدت
عيني كاحسانه في القوم إحسانا
إني لأشمت بالجبار يصرعه
طاغ ويرهقه ظلماً وطغيانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها
هلا تذكرت يا باريس شكوانا

هذه اللغة العاتبة حيناً ، والمتدفقة الصاخبة حيناً آخر ، نجدها تحمل تيارين شعوريين اثنين ، الأول يخاطب الضمير ولذا فهو ينطلق على عربة اللغة الوجدانية المؤطرة ، والتيار الثانى يخاطب الهمم ويدفع فيها شيئاً من بركان الشعر وجموحه ، وربما لا يخفى على القارىء النسيج الخاص الذى تتمتع به قصائد «البدوى» حيث يشكل المشهد الخلفى لشعره الشىء الأهم فى التواصل مع القارىء ، فالقصيدة لا تنتهى بمجرد انتهاء مفرداتها ، وانما على العكس تكون بدايتها ، وبداية إصابتنا بما يمكن تسميته بمس الشعر .

لنقرأ أيضاً هذا المقطع من قصيدة «الشهيد» التى قيلت فى المرحوم «ابراهيم هنانو» .

أنزّه آلامى عن الدمع والأسى
فتؤنسها فيَّ الطلاقة والبشر
وأضحك سخراً بالطغاة ورحمة
وفى كبدى جرح وفى أضلعى جمر
أبا طارق هذى سراياك أقبلت
يرف على أعلامها العز والنصر

ولبدوى الجبل وقفته الصقرية فى كل مناسبة قومية ، مهما يكن ثمن هذه الوقفة فهو لم يتخل لحظة عن تسجيل موقفه الذى ينسحب عليه موقف الشعب .

فحين قام الانتداب الفرنسى باقامة دويلات فى اللاذقية وحلب وجبل الدروز، وحاول نسف الجذور الوطنية والقومية التى تصل بينها حتى يعزز مواقعه .. قال البدوى :

تغنى وما أجدى الحسام ولا غنى
قواف من الأشعار تبقى ولا تغنى
أدرت على الأسماع منها سلافة
وأرضيت فيها الله والعرب والفنا
تحذرني قرض القريض مهذباً
عصابة شر لا تقيم له وزناً
وهددني بالسجن قوم سفاهة
فتى العرب الانجاد لا يرهب السجنا
سأبعث من شعرى جياداً مغيرة
عليها كماة تحسن الضرب والطعنا

ونجد فى هذا المقطع ، كما فى مقاطع أخرى ايمان الشاعر «البدوى» ، بأهمية الكلمة وقدرتها على الحياة .. قدرتها على نقل الموقف من الانفعال إلى الفعل ، من الموقع الذهنى إلى الموقع العملي الجاد .. من فكرة النضال ، كفكرة مجردة إلى مرحلة تحريك الأصبع على الزناد .. إلى مرحلة الاغارة والضرب والطعن .

وبدوى الجبل هو كما قال عنه الشاعر الكبير (بشارة الخورى) المعروف بلقب الأخطل الصغير :

« ما عرفت شاعراً لا يدل شعره عليه كبدوى الجبل أو محمد سليمان الأحمد . ان شعره أرجح من عمره ، وجزالة نظمه لا تناسب لطف نفسه ، إلا أحياناً . ان الشعراء فى سوريا كأصبع الكف الواحدة عدداً وحجماً ، وبدوى الجبل أحد هذه الأصابع . فى نفسه شاعران اذا انتصر أحدهما للقديم اعترضه نصير الجديد فما خرجت القصيدة من نفسها الا وعليها طابع الشاعرين .. هذا هو بدوى الجبل في شفق عمره فكيف به وهو فى رأد الضحى ..!؟ » .

جهد بدوى الجبل وخلال مسيرته كلها فى رحاب الشعر ، لتعميق مساراته ، وبلورة حنجرته الخاصة ، فغنى بصوته ولم يستعر حنجرة غيره ، وقد تميزت قصائده بصفة تكاد أن تكون متفردة إلى حد بعيد ، حيث اعتمدت في بنائيتها الشكل الكلاسيكى والمضمون الحديث ، فالبدوي طوال حياته لم يتخل عن شكل القصيدة الخليلى ، وإنما تخلى عن قوالب الصورة الشعرية ، فكتب القصيدة التى تنمو صورها من الداخل ، والتى تتعامل مع العالم من منظور حديث ومبتكر . ومع أنه استطاع — كما أشرت — أن يكون رائداً من رواد الكلاسيكية الجديدة . فهو فى مقاطع عديدة من شعره وأحاديثه ، ينظر إلى الشعر خارج سجون الأوزان والقوافى .

أنا أبكى لكل قيد فابكى
لقريضى تغله الاوزان

الا أن بكاء البدوى هنا لم يدفع به إلى كسر قيد الشكل الكلاسيكى وركوب موجة التيارات الجديدة ، على صعيد الشكل الفنى للقصيدة ، بل بقى مصرا على موقفه من الشعر الحديث ورافضاً الاعتراف بشرعية وجود مثل هذا الشعر ، فهو لا يؤمن بالشعر الحديث . ذلك أن هذا الشعر يفتقد إلى الطابع المميز في اللغة العربية . « ما يسمونه تجديداً نزوة سينتهى أمرها عندما يعود إلى اللغة العناية بها فى المدارس وعندها يخرج الطالب من المدرسة وقد تذوق لغته وفهم أسرارها » .

كان البدوى يبحث فى مسيرته كلها عن جزالة اللفظ ورقة المعنى ، وقد ساعده على تحقيق ذلك ثقافته الواسعة وخبرته بخفايا اللغة وكشفه كنوزها . الا أنه حاول وباستمرار أن يخرج بتجربته إلى معطيات العصر الحديث التى يعيشها وأن ينقل هذه التجربة إلى الشعر من خلال اللغة التى تنطلق غالباً من رقة وعذوبة يمكننا أن نطلق عليها اصطلاحاً «اللغة الوجدانية» . ولعل أوراق «البدوى» التى كان من المفروض

أن تخرج فى «مذكراته» قبل موته تكشف لنا بعض تلك الينابيع التي تنضح من مخزون الذاكرة .. ففى قصيدة قالها في (مي زيادة) ، نجد شفافية «البدوى» القادم من الجبل عندما يحب .. «البدوى» الذى يأخذ من الجبال نسيمها ، ومن الصحراء اتساعها ومن الأحراش وحشيتها ومن الأزاهير أريجها .. كل هذه العوالم تجتمع فى عالم بدوى الجبل فتكون القصائد ويكون الشعر . يقول فى مي :

أنا إن بعدت عن الديار فانني
يا مي قلبي في ديارك باق
لا ترقبوا مني تناسي عهدكم
إن الوفاء المحض من أخلاقي

البدوى عاشقا

ولقصة بدوى الجبل مع الشعر ما تفضحه لغة القلب ولغة العواطف المنسجمة مع الروح . فعلى الرغم من أن النساء اللواتى استوقفن الشاعر لم يستطعن متفرقات ولا مجتمعات اعتقاله أو جره إلى عزائمهن حيث ظل «بدوى الجبل» داخل قيود زوجته ، لم يحب غيرها . على الرغم من ذلك فقد افلتت بعض القصائد من بين يدى «البدوى» لتتجسد شعراً جميلا تتحدث عن اللواتي مارسن عليه فعل السحر . فقد أثارت احدى شقراوات «جنيف» قريحته فحركت فيه كوامن الغزل فقال :

هد هد همومك عندى
على حيائي وصدى
حسور النعيم تمنت
نعمى هواى ووجدى
هل عندهن رحيقي
وهل لديهن شهدى ؟
ومن معانيه عطرى
ومن قوافيه وردى
تأنق الله دهراً
يعد في ويبدى
حتى جلاني شعراً
يا حسرة الشعر بعدى

وتدل وجدانيات الشاعر وغزلياته على رقة كبيرة فى الاحساس ، وشفافية مفرطة إلى درجة نقرأ فيها ذوب روح الشاعر فى أحرفه ، وتوزعه فى قصائده فأصابع «البدوى» متواجدة دائماً ، بكل رقتها فى خلايا شعره تحرك فيه النبض ، وتلون صوره .. أصابع «البدوى» متربصة دائماً خلف الأحرف لتعتقل القارىء متلبساً بتهمة الدهشة ، والوقوف فى منطقة الغرابة .

يعرف الفجر أن دمعى أصفى من نداه ، ويعرف الريحان
يعرف الطيب أن دمعى أذكى منه عطراً وتعرف الأردان
تعرف الريح ان دمعى سلاف وجفونى كؤوسها والدنان
أدمعى فى السماء أنجمها الزهر وفي البحر دره والجمان

كتابة الشعر عند «البدوي» لون من ألوان التعبد ، والدخول المؤبد فى هالة الحب ، هى المصير الذى لا مفر منه ، إنها الحتمية التى تكاد تأخذ صورة القدرية .. أن تكون شاعراً فهذا يعنى بالضرورة أن تكون عاشقاً ومحباً .. يعنى أن ترسم بأنملتك وجه الغد القادم بكل الرؤى الخيرة ، ووجه الحلم المشع من الداخل .. الحلم الذى لا ينطفىء .. معنى ذلك أن تقامر بحريتك ليربح كثيرون حرياتهم ، وأن تذوب شعراً ، ليتكون الآخرون . لنقرأ هذا المقطع من قصيدة ـ اللهب القدسي ـ :

يحب قلبى خباياه ويعبدها
اذا تبرأ قلب من خباياه
طفولة الروح أغلى ما أدل به
والحب أعنفه عندى وأوفاه
ما الحسن الا لبانات منمقة
لكن يؤلهه انا عشقناه

ويطرح السؤال هنا نفسه : كيف الحب فى أعنف صوره وهو الرقيق ، الحالم الذى يدافع عن نفسه بروحه وشفافيته ووجده .. ؟ يجيبنا «بدوى الجبل» حول فكرة العنف فى الحب فهو أولا لا يقف موقف الوسط فى عواطفه فاما أن يكون عاشقاً متيماً ، وإما أن يكون جباراً محطماً بقبضته كل ما حوله . وهذا التناقض الحاد فى شعر البدوى ، أو لنقل فى موقفه الحياتى من الحب ، يضفى على قصائده خصوصيتها ، ويجعله متفرداً فى زحمة العشاق من الشعراء .

أيا دمية انشأتها وعبدتها
كما عبد الغاوون منحوت أحجار
سكبت بها روحى وأهواء صبوتى
وألوان أحلامى وبدعة أطوارى
ويا دمية انشأتها ثم حطمت
يداى الذى انشأت تحطيم جبار
أينكرنى حسن خلقت فتونه
فيخنقني عطرى وتحرقنى نارى
وكما يبقى الخالق أكبر من مخلوقاته



بدوي الجبل
شاعر الكلاسيكية الجديدة



بدوي الجبل مع أحفاده

وأروع ، يبقى « بدوى الجبل» على امتداد مسيرته ، أكبر من قصائده وما يطرحه من خلالها .. يبقى أكبر من المشهد الشعرى الذى تجسده عبقريته ، ولذا فهو دائماً يملك امكانية الخروج من حقل الغامه مخلفاً للقارىء مساحة من الدهشة . فتمرد اللوحة التى أبدعها «بدوى الجبل» عليه ، الى درجة أنكره حسن خلقه ، وحاول خنقه ، عطـــر كان قد قطره بنفسه ووضعه فى الموقف الضد .. موقف النقيض فكان أن أعاد الشاعر الحسن المبدع ـ بضم الميم ـ إلى طينته .

ردتك للطين الوضيع وما حنـــا
على روضك الهاني هبوبي واعصارى
وفارقت اذ فارقت الطين وحـــده
وعادت إلى نفسي عطورى وأنـــوارى

وجدانيـــات بدوى الجبل

الشاعر بدوى الجبل فى أغلب قصائده ان لم نقل فى جميعها يتعامل مع العالم بلغة وجدانية حالمة ، لانه يعرف جيداً أن الشعر هو لغة الوجدان ، ولغة القلب .. ولذا فان أولى مهامه أن يمس شغاف القلب ، ليؤثر بعد ذلك مع المفردات الذهنية . إلا أنه وعلى الرغم من أن «بدوى الجبل» ينكر أنه يعتبر بشكل أو بآخر من شعراء المناسبات فهو شاعر مناسبة دون شك ، وذلك أن عدداً لا بأس به من قصائده جاء إثر مناسبة قومية ، أو اجتماعية عاشها فخلدها شعراً . فاثناء هجرته فى «فيينا» مثلا كتب قصيدة لحفيده «محمد» الذى بلغ من العمر سنة واحدة ، نقرأ منها .

وسيما من الأطفـــال لولاه لم أخف
على ـ الشيب ـ أن أناى وأن أتغربا
تود النجوم الزهر لو أنهـا دمى
ليختار منها المترفات ويلعبـــــا
يزف لنـــا الأعياد عيداً إذا خطـــا
وعيداً إذا ناغى وعيداً اذا حبـــا
ويارب من أجـل الطفولة وحـــدها
أفض بركات الســـلم شرقاً ومغرباً

وفى قصيدة أخرى ـ وكان الشاعر قد كتبها بمناسبة زفاف ابنة قريبه قبل ستة أشهر من وفاته ـ يقول :

سميى بيننا قربى وحـــب
على الأيـــام معروف قـــديم
اذا مـــا راح يحبسنى ســـقام
فحبى لا الحبيس ولا السقيم
ترف على عروسينا صـــلاة
يسلسل طهرها ملك كـــريم

والشاعر «بدوى الجبل» كما هو معروف له مواقف «شعرية» مشهورة ، يقف من خلالها إلى جانب قدسية الشعر وينادى ضمناً ، بضرورة صون هذا الشعر ، وعدم التنازل عن تركيب حرف واحد منه ، عندما تكون ظروف خلقه لها خصوصيتها ، فهو يسرد لنا حادثة جرت بينه وبين المطربة الكبيرة أم كلثوم :

في الخمسينات جاءت أم كلثوم إلى دمشق ، وأحيت حفلتها الفنية فى مدرسة «اللاييك» وقد دعتنى إلى حضور الحفلة فذهبت إلى هناك ، على الرغم من أننى لا أحب مثل تلك الحفلات الغنائية الصاخبة .. فى اليوم التالى زارتنى فى المنزل يرافقها «محمود رياض» «سفير مصر بدمشق آنذاك» وطلبت مني أن أسمح لها بغناء قصيدتى المسماة «شقراء» التى نظمتها بفتاة «سويسرية» ومما قلته في تلك القصيدة :

شقراء يالون حسن
محـــبب مســـتبد

وقد طلبت «أم كلثوم» أن أبدل كلمة «شقراء» بـ «سمراء» فاعتذرت عن تحقيق طلبها لأن القصيدة بالاساس الهمتنى إياها فتاة (سويسرية) (شقراء) وليست (سمراء) !! ثم زارتني «أم كلثوم» أكثر من مرة بمنزلى بهدف أن أغير رأيي فباءت محاولتها بالاخفاق » .

هذه تقريباً أبرز ملامح شعر «بدوى الجبل» محمد سليمان الأحمد الذى ملأ الوطن العربي منذ حداثة سنه وحتى وفاته باشعاره ، فكان للكلمة بين شفتيه صفة الخلود ، وكان لعبقريته قدرة الخلق والابتكار والتفرد فى زحمة أسماء ونتاجات الشعراء العرب .

ويجدر بنا فى نهاية هذه القراءة النقدية ، أن نقف عند تعريف بدوى الجبل للشعر فهو يرى ان الشعر يرتكز على العاطفة والخيال وترف الروح ، وأن فى العالم صراعاً بين العقل والقلب ، ولابد أن ينتهى بانتصار القلب .

مات أخيراً بدوى الجبل بعد أن حقق فى جزء كبير من قصائده فكرة انتصار القلب ، فماذا رحل معه إلى المقبرة ؟ وماذا بقى منه فى قصائده التى أبدعها طوال رحلته الحياتية ؟

بدوى الجبل متغلغل فى قصائده وموزع بها ..

انه الآن يكتب قصيدته الجديدة ..

خيرى عبد ربه ـ دمشق

آراء حرة

في العدد ٦٦ « يوليو الماضي » نشرت الدوحة مقالا تحت عنوان « جبران خليل جبران لماذا بدأ ثائراً وانتهى مهادناً للاستعمار » بقلم الأديب الناقد الأستاذ حارث طه الراوي وفي العدد ٧٠ « أكتوبر الماضي » نشرنا ردين على هذا المقال ، أحدهما للأستاذ يوسف محمد سليمان ، والثانى للأستاذ فوزى معروف .

كذلك كتب الأستاذ سعيد فرحات فى جريدة الرأى العام الكويتية مقالا يرد فيه على مقال الأستاذ الراوى . وفي هذا المقال يرد الأستاذ الراوى على المقالات الثلاث ، مركزاً رده على مقال: الأستاذ سعيد فرحات ، حيث يجسد هذا المقال الأخير ما جاء فى المقالين السابقين :

المعركة مستمرة حول جبران

لم أحاكم جبران ولكني طالبت بدَيْن أمّته عليه

بقلم : حارث طه الراوي



قرأت فى العدد ٦٣٦٤ من جريدة «الرأى العام» الكويتية الغراء الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٨١ مقالا تحت عنوان «محاكمة جبران ما الهدف منها» للأستاذ سعيد فرحات يرد فيه على مقالى «جبران خليل جبران بين عهدين» الذى نشرته مجلة «الدوحة» القطرية الغراء بعنوان آخر هو «جبران خليل جبران .. لماذا بدأ ثائراً وانتهى مهادناً للاستعمار» . والظاهر أن العنوان الذى استبدلته المجلة للمقال قد استفز الأستاذ صاحب الرد فضلا عن المقال نفسه بدليل أنه جعل عنوان رده «محاكمة جبران ما الهدف منها» . فى حين أنى لم أقصد محاكمة جبران لا فى عنوان المقال ولا فى صلبه ، لأننى مهما اختلفت مع جبران فى هذا الرأى أو ذاك

أو هذا الموقف أو ذاك ، فلا أنكر أنني تتلمذت على الرجل منذ ما يقارب الأربعين سنة ، وللمعلم حرمة كبيرة عندي . ولكن جبران نفسه لا يرضى لتلاميذه أن يكونوا عبيداً له ، فهو القائل: «يقولون لي : من علمك حرفاً صرت له عبداً ، ولهذا بقيت جاهلا حراً ..» . وهكذا يفضل جبران الجهل مع الحرية على العلم مع العبودية . فاذا تصديت لموقف من مواقف جبران بالنقد وتمنيت لو كان له موقف آخر ، فأنا لا أستعمل حقي كباحث وناقد وحسب بل كتلميذ قديم من تلامذة هذا الرجل الذى يجل الحرية ويحترم الأحرار ...

● ● ●

قلت فى مقالى المشار اليه حول هفوات جبران اللغوية : «ويقتضينا الانصاف أن نقول ان هفوات جبران اللغوية وركاكته البيانية قد سلم منها الكثيرون من أدبائنا الذين هم من عيار جبران أو دون عياره» .

وقال الأستاذ فرحات معلقاً : «ولكن الكاتب لم يذكر لنا واحداً من هؤلاء الذين من عيار جبران ودون عياره سلم من هفوات جبران اللغوية وركاكته البيانية . وكان عليه ـ للأمانة ـ وهو يدين جبران ، أن يقدم مثلا ، خاصة ممن اعتبرهم من عيار جبران على الأقل . كما لم يذكر مثلا على هفوات جبران وركاكته اللغوية ، وهذا يقتضى البحث العلمى والموضوعى فهل اكتفى بما أشار اليه ولي الدين المعجب بجبران كما تقدم؟ كما لم يقدم مثلا على عثرات جبران اللغوية والنحوية ، وهذا أيضاً يتطلب منطق الاتهام فى سياق الموضوع» .

وأقول للأستاذ فرحات ان الاشارة فى موضوع الكتاب الذين هم من عيار جبران أو دون عياره تغنى عن ذكر الأسماء ، وهذا ما يجمل أن يكون فى المسائل الخلافية . لأن معاييرنا مهما كانت دقيقة فى تصنيف أدباء طبقة واحدة فلا يمكننا ـ مهما ادعينا الموضوعية ـ أن نتنصل ونتبرأ من الأمور المزاجية والذوقية .. فالاشارة اذن أولى ..

أما الأمثلة على عثرات جبران اللغوية وركاكته البيانية فهى من الوضوح بحيث تغنينا عن أتعاب التنقيب ومشقة التقصي والمراجعة الطويلة . وبيدى ، الآن ، طبعة سنة ١٩٢٣ من كتاب «العواصف» لجبران أعنى طبعة دار الهلال بالقاهرة ، أقلبه فأعثر على الكثير مما يسيء الى جمال لغة جبران وبيانه . وعلى سبيل المثال لا الحصر أقول : جاء فى مقال «حفار القبور» الذى استهل به جبران عواصفه السؤال التالى «وأى متى ولدت» ص ١٢ والصواب أن تقتلع «وأى» ليبقى السؤال الصحيح : «ومتى ولدت» . وفى الصفحة التالية أعنى ص ١٣ يقول جبران : «وفى المساء أسخر بالطبيعة» والصواب «أسخر من الطبيعة» وفى الصفحة نفسها يقول جبران «ثم أحدق بعينى» ، والصواب أن يقول : «ثم حدق بعينى» لأن أحدق تعنى أحاط وجبران يقصد نظر .

وفى مقال «الأضراس المسوسة» ص ١٠٤ قال جبران «... مثلما تلعب القطة بصيدتها» والصواب : بصيدها .

وفى مقال : «مات أهلى» ص ١١٨ يستهل جبران مقاله الجميل بهذه الجملة الركيكة : «مات أهلى وأنا قيد الحياة» والصحيح أن يقول : «ومازلت على قيد الحياة» .

وفى مسرحية أو حوارية «الصلبان» جاء فى ص ١٨٩ قول جبران : «وهو للآن لم يشكرنى» . فهل تعذر عليه أن يقول : «وهو لم يشكرنى حتى الآن» . وتحت هذه الجملة يقول على لسان يوسف مسرة «هذه بالحقيقة حكاية لذيذة» والصواب أن يقول : «هذه فى الحقيقة حكاية لذيذة» والأصوب والأصح أن يقول : «حقاً إنها لحكاية لذيذة» .

● أمثلة كثيرة على ركاكة جبران وعثراته اللغوية

وأكتفى بهذا القدر الضئيل من النثر الجبرانى المتعثر ، لأشير الى بعض ما ورد فى شعره من هفوات لا يصح أن تصدر من أمثاله . وأمامى ديوانه «المواكب» المطبوع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩٢٣ . فى ص ١٧ يقول جبران :

فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق العقل يدعى الباسل الخطر

والصواب أن يقول : «يدعى الباسل الخطرا» . وفى الصفحة نفسها ورد البيت التالى :

ففى العرينة ريح ليس يقربه
بنو الثعالب غاب الأسد أم حضروا

والصواب أن يقول : «ففى العرينة ريح ليس يقربها» لأن الريح مؤنث ولا يجوز فيها التذكير .

ويقول جبران فى ص ٢٩ من مواكبه :

هل تحممت بعطر
وتنشفت بنور

ولا يوجد «تحمم» فى العربية بل «استحم» . ولا تقنعنى حجة زميله الأستاذ ميخائيل نعيمة فى الدفاع عنه فى كتابه «الغربال» التى خلاصتها كيف يحق لبدوى فى الصحراء أن يقول استحم ولا يحق لجبران ابن المدنية والعبقرية أن يقول «تحمم» ؟! وهى حجة تنادى على نفسها بالضعف وتفضى الى فوضى لغوية لا أول لها ولا آخر ..

● ● ●

ويقول الأستاذ فرحات : «وأيضاً لم يخبرنا الكاتب كيف وصل جبران بأسلوبه ومعانيه بكتاباته بالعربية والانكليزية الى قمم الابداع الشاهقة ، وكيف ضاع أسلوبه العربى فى غير مستوى القمم ؟» .

وأقول للاستاذ فرحات ان التفاصيل التى يطلبها والشواهد التى يريدها لا يمكن أن تتوفر إلا فى دراسة مستفيضة عن جبران أو بمحاضرة طويلة عنه لا بمقال مركز عرض الدعائم الرئيسية للأدب الجبرانى كمقالى . ولا يخفى على

المعركة مستمرة حول جبران

الأستاذ فرحات ومعظم المطلعين على نتاج جبران انه كان ذا أسلوب شعرى يتميز بالصور المبتكرة والألوان الزاهية وقد أعانته فى ذلك مخيلة خصبة غنية بالصور والخيالات الجميلة التى تموج فى أذهان المصورين المبدعين ، فضلا عن تفكيره الشمولى ونزعته الانسانية الواضحة ، وهذه عدة أكثر الكتاب العالميين الذين وصلوا بنتاجهم الى مستوى القمم ، فلا عجب اذا ما وصل جبران الى ما وصلوا اليه من قمم بهذه العدة التى يملكها ويملكونها ، وإن كان جبراننا دون مستوى الكثيرين منهم فى مجالات القصة أو الرواية أو المسرحية .

إن أكثر مقالات «العواصف» ذات مستوى عالمى من حيث الأفكار الانسانية العالمية والأسلوب العالى فى العرض والتصوير . وفى طليعة هذه المقالات التى تترجم الى اللغات العالمية فتقف بمستوى مقالات الكتاب العالميين المبدعين : «العبودية» و «على باب الهيكل» و «الجنية الساحرة» و «يا بنى أمى» و «بين ليل وصباح» و «مساء العيد» و «الجبابرة» و «مات أهلى» وغيرها . ولا يتسع صدر هذا الرد للاستشهاد . وهذا لا ينفى أن نقول ان هذه المقالات الرائعة لو كتبت بأسلوب عربى رصين محكم لكانت أكثر روعة وأشد تأثيراً فى النفس العربية .

ويقتضينا الانصاف أن نقول : بالرغم من الهلهلة والركاكة فى بعض جوانب الأسلوب الجبراني فان قوة تعبيره الشعري وشدة تدفقه الوجداني وسرعة انطلاق خياله الجوال قد حققت لجبران فى مجال التجديد حضوراً متميزاً وفضلا لا ينكر ..

ويقول الأستاذ فرحات : «ومن الواضح أن الكاتب اتهم وأصدر حكمه فى نفس الوقت دون مناقشة لتطور الفكر الانسانى عند جبران الى المثالية الانسانية» .

وجوابى هو أن ما يسميه الكثيرون تطوراً للفكر الانسانى عند جبران الى المثالية الانسانية ، لا أراه كذلك ، لأن مثالية جبران عريقة فيه ، لم تفارقه حتى إبان ثورته فى عهده الأول ، إذ لم تكن ثورته ذات هوية علمية واقعية محددة . والمعروف عنه أنه وضع أصول كتاب « النبي » فى فجر شبابه وفجر حياته الأدبية ثم زاد عليها فيما بعد وصور ولون . فلماذا استقل بمثاليته بعد كتاب النبى وأبعد عنها ثورته ؟ هذا هو السؤال المهم الذى لا تكون الاجابة الصحيحة الصريحة عليه فى صالح جبران المهادن الذى أغلق عينيه أمام ماسي أمته وأغلق أذنيه لئلا يسمع صيحاتها واستغاثاتها . وهذه هى مهادنة الاستعمار . وكنت أود لو ان الأستاذ فرحات قد جاءنى ولو بشاهد واحد يثبت أن جبران لم يهادن الاستعمار وانه كان ذا موقف وطنى رافض مع الغزاة الجدد لوطنه الذين جثمت كوابيسهم الثقيلة على صدر لبنان بدلا من أن يخبرنى بما لا أجهل وهو ان جبران كان يقود ثورة ضد التعصب الدينى ، وهذا بعض ما تنطوى عليه ثورته التى أشرت اليها فى عهده الأول .

ولم يكن جبران ، فى عهده الثانى مهادناً للاستعمار وحسب،بل كان يفكر بعقلية المستعمرين وليس أدل على ذلك من أنه كان يعتقد أن الشعب السورى ، وكان يقصد به الشعب اللبنانى أيضاً ، ليس أهلا لأن يحكم نفسه بنفسه ولابد له من أن يوضع تحت رعاية دولة غربية كبرى لمدة لا تقل عن ١٥ سنة !! والدولة الكبرى التى كان يسعى بالحاح لهيمنتها على وطنه هى الولايات المتحدة الأمريكية وليس أدل على ذلك من الرسالة التى بعثها الى صديقه أميل زيدان رئيس تحرير مجلة «الهلال» مع مجموعة من الرسائل بين سنتى ١٩١٩ – ١٩٢٢ والتى نشرتها مجلة «الهلال» القاهرية فى عدد مارس ١٩٣٤ تحت عنوان «نثرات من رسائل لم تنشر لجبران خليل جبران بين سنة ١٩١٩ – ١٩٢٢» فقد جاء فى الرسالة المعنونة «مستقبل سورية» ما اليك نصه :

«أنا من القائلين بالمحافظة على وحدة سورية الجغرافية وباستقلال البلاد تحت حكم نيابى وطنى عندما يصبح السوريون أهلا لذلك . أى عندما تبلغ الناشئة الجديدة أشدها ، وقد يتم الأمر بعد مرور خمس عشرة سنة . وأنا من القائلين بان تكون اللغة العربية هى الأولية فى المدارس والرسمية فى جميع دوائر الحكومة .

أما وضع سورية تحت رعاية أميركا ففكرة جميلة الى درجة قصوى ، فاذا تحققت كنا أكثر شعوب الشرق حظاً ولكن لتعاستنا لن تتحقق لأن الحكومة الأميركية لا تريدها والصحافة الأميركية تعترض عليها والشعب الأميركى يتأفف منها . ولقد حادثت وكاتبت الكثيرين من وجهاء هذه البلاد ومفكريها فظهر لي أنهم لا يريدون دخول أميركا فى مشاكل أوربا اجمالا ولا فى مسألة الشرق الأدنى خصوصاً» .

● لم يكن جبران في عهده الثاني مهادناً للاستعمار فحسب.. بل كان يفكر بعقلية المستعمرين

• • •

وأقول أخيراً للأستاذ سعيد فرحات اننى لو كنت فى مجال محاكمة جبران لما أحجمت عن إيراد هذه الوثيقة التى أوردتها الآن للتدليل على العقلية السياسية المتخلفة لجبران . ولم أكتب مقالى عنه إلا للمطالبة بدين أمته عليه . وما أكثر ديون الأمة على الكثيرين من كبار أدبائنا المعاصرين ...

حارث طه الراوي – بغداد

لم يظلم النحاة المرأة العربية !

بقلم: عودة الله القيسي

في العدد (٧٠) من مجلة «الدوحة» .. قرأت كلمة السيد (محمد العدناني) عن «المرأة العربية والنحاة» .

ولقد لفت انتباهي «التطرف» في الأسلوب الذي استخدمه السيد العدناني ، واللهجة «الدرامية» التي خاطب القارىء بها . لقد تباكى على ما عد ظلماً من النحاة للمرأة ، ولم يعرض الأمر عرضاً علمياً مجرداً . من أمثلة هذا الأسلوب قوله :

ـ «فلماذا تجيز الفصحى ـ حرمان ـ الأم تاء تأنيثها التي تعتز بها ، والتي لها معنى كبير لدى الأبناء ولدى الجنس الخشن» .

ـ «ولكن النحاة لم ينسوا هنا إلحاق ـ الظلم ـ بحواء» . .

ـ «وإذا جاء طفل واحد مع مليون امرأة قلنا جاءوا ، ولم نقل : جئن . فيا للظلم ـ الفادح ـ الحال بأمهاتنا ، وأخواتنا ، وبناتنا ، وحفيداتنا» .

ـ مسكينة أنت يا أنثى البشر ويا أنثى الطير » ... الخ

يضاف الى ذلك أنني لا أوافقه ، من منطلق النحو واللغة ، على بعض ما جاء في كلمته ، وأوضح موقفي في النقاط التالية :

● يقول الكاتب : «فمن الظلم الذي تلحقه الفصحى بالمرأة ، أنها تحرمها تاء التأنيث ، التي تتحلى بها في آخر الكلمة ، عندما يكون الفعل خاصاً بالأناث دون الذكور ، فيقولون : هـذه مرضع ، وتلك حائض ، بدلا من مرضعة وحائضة . ولست أرى مسوغاً لغوياً لذلك» .

وأقول : إن المسوغ اللغوي لمثل هذه الحالات .. قائم . لماذا يؤتى بتاء التأنيث ـ أصلا ـ مع المؤنث . ؟ النحاة يقولون : يؤتى ـ أصلا ـ بتاء



التأنيث مع المؤنث للتفريق بينه وبين المذكر . فاذا قلت : رجل ذكي ، قلت : امرأة ذكية . ولكن ـ وهنا المسوغ ـ إذا كانت الصفة خاصة بالاناث دون الذكور انتفى لزوم تاء التأنيث ، لأن التمييز ـ في هذه الحالة ـ حاصل بين الذكور والاناث من حيث ان الصفة لا تلحق إلا الاناث ، فلا يعود هناك مجال للبس أو داع للتفريق بين الجنسين أو التمييز بينهما .

وهناك مسوغ آخر أكبر من هذا ، يعد من أصول «فلسفة» اللغة العربية . هو «الايجاز» . فالعربية لغة الايجاز في اللفظ والبنية والأسلوب حيث لا داعي للاطالة . يظهر ذلك جلياً في «بنية» الكلمة العربية ، إذ الكلمة ، في أساسها تقوم على الحروف دون الحركات ، بحيث لا نضبط في الكتابة للكبار ، إلا كلمات قليلة في كل ألف كلمة ، كلمات قليلة تشكل قراءتها .

وهذا يجعل الكتاب الأجنبي ـ واللغات الأجنبية تتكون الكلمة من الحروف والحركات معاً ـ الذي يقع في ألف صفحة يترجم الى العربية في خمسمئة صفحة أو ستمئة . ويجعل الكتاب الغربي الذي يقع في خمسمئة صفحة يترجم الى اللغة الانجليزية بألف صفحة أو حولها . والصفحة الواحدة تتسع لألفاظ من العربية أكثر مما تتسع له من الأجنبية .

فاذا نظرت الى هذا الفارق الهائل الذي يقرب من النصف .. أدركت ما «للايجاز» من فضل في العربية ، وأن ذلك يوفر ملايين الدنانير في الطبع في العالم العربي في العقد الواحد من السنين ، إذا عرفت أن مئات الآلاف من الكتب تطبع في عقد واحد .

والايجاز في النقطة التي نتناولها أن العربية تنظر في الكلمة ، فاذا كانت تلتبس بغيرها كأن تلتبس صفة المؤنث بالمذكر أضافت ما يزيل هذا اللبس ، وهو هنا تاء التأنيث . أما اذا لم تكن لتلتبس بغيرها كالصفات الخاصة بالاناث ، «أزالت» منها ما أضافته الى صفات المؤنث التي لا تخص الاناث وحدها بل تنسحب على الرجال أيضاً .

هذه الفلسفة عبر عنها النحاة ولم يوجدوها ، وإنما هي مكتنة في طبيعة اللغة . وفضل النحاة كان الكشف عنها.

قد يقال : وهل كان العرب ، في الجاهلية يدركون هذه الفلسفة ؟ فأقول : لا . وإنما هي سليقة مستسرة في أنفسهم أودعها الله فيهم .. الله الذي أراد للعربية أن تكون لغة كتابه المعجز : القرآن الكريم .

أرجو أن يكون المسوغ قد عرف الآن ! وأن العربية والنحاة كذلك .. لم يظلموا المرأة وإنما أعطوها حقها ،بالقسطاس المستقيم !

● ويقول الكاتب : «وتظلم الضاد الفتاة عندما تصبح يافعة ، فتنسبها الى الصبي ، وتقول : هذه صبية . لماذا لا نقول : هذه بنتية ، مادامت وحدها هنا ، دون أن يشاركها في النسبة صبي. يجعل النحاة يجدون لهم مخرجاً ، ويقولون : تغلب الذكر (الصبي) على الأنثى (البنت) فـكانت النسبة اليه لا اليها» .

لم يظلم النحاة المرأة العربية !

أولا – أما يعتقد الأستاذ العدنانى أن النسبة الى «بنت» بهذه الصورة الغريبة هو أقرب الى استعمال الأعاجم للغة العربية من استعمال العرب لها ؟

وثانياً – أنا أعتقد أن الكاتب لم يقرأ شيئاً من التعليل الذى أورده فى أى كتاب نحوى جدير بالاعتبار . وقد حمله على الاعتقاد أن هذا تعليل النحاة لهذه الحالة .. ظنه أن صبية حملت على صبى فى النسبة إذ تغلب الذكر على الأنثى . والصواب غير ذلك .

الصواب أن كلمة صبى وكلمة صبية ليست «نسبة» أساساً ، وإنما هى «صفة مشبهة» أخذت معنى الأسمية لطول الاستعمال دون الموصوف إذ الأصل : ولد صبى ، وبنت صبية . فاذا جاءت من الفعل : صبى يصبى ، فهى على وزن «فعيل وفعيلة» مثل قدير وقديرة . وإذا جاءت من الفعل : صبا يصبو – كما يرى بعض اللغويين – فهى جاءت على وزن «فعول وفعولة» مثل حمول وحمولة الأولى للجمل الذى يحمل أمتعة القوم والأخرى للناقة .

وفى كلتا الحالتين تضاف التاء المربوطة للمؤنث دلالة على التأنيث . وفى الحالة الأولى (على وزن فعيل) حدث للكلمة «إعلال» بأن سكنت الياء الأولى وأدغمت فى الياء الثانية . وفى الحالة الثانية حدث (إعلال وإبدال) إذ سكن الواو ثم قلب ياء أو أبدل بياء إذ الأصل هكذا «صبوى» دون تشديد .

مبدأ التغليب

● ويقول : «وإذا جاء طفل واحد مع مليون امرأة ، قلنا : جاءوا ، ولم نقل : جئن . فيا للظلم الفادح الحال بأمهاتنا» ! .

وهذه مبالغة ولاشك . فان المتكلم عادة – وفى النحو – لا يمكن أن ينظر الى وجود طفل بين مليون إمرأة ثم يخاطبهن بالتذكير ، بل الصحيح أنه يخاطبهن بالتأنيث فيقول : «جئن» لا جاءوا .

لأن مبدأ «التغليب» أصلا مبدأ نحوى بلاغى معـــاً . (بل إن الاستعمالات النحوية هى استعمالات بلاغية ، ويمكن أن يراجع فى ذلك كتاب «دلائل الاعجاز» لعبد القاهـــر الجرجانى) .

هو مبدأ بلاغى .. لأن الأصل أن المرء الذى يشاهد جمعاً من الرجال والنساء ، أمامه خياران : الأول أن يقول مثلا : (رأيت رجالا يهتفون ونساء يهتفن) فيأتى بالفعل مع كل فريق . والثانى أن يقول : (رأيت جمعاً من الرجال والنساء يهتفون – بصيغة المذكر) .

ولكن هذين الخيارين ليسا مطلقين من ناحية بلاغية . بل هما مقيدان بما يثير انفعاله ويتصل بنفسه ، فاذا كان النساء يهتفن كالرجال قوة وتأثيراً .. عبر بالخيار الأول . أما إذا كان تأثير الرجال فى هذا الموقف أشد عبر بالخيار الثانى ، وهو مبدأ «التغليب» .

الأصل فى الأمر ، إذن ، «التأثير» والتغليب يأتى من باب أن الرجال يعطون تأثيراً فى المواقف العملية ، وخاصة فى الحروب وما يستدعى القوة .. أكثر من النساء .

وإذن ، .. يتفرع عن هذا .. أنه لو حصل موقف اجتمع فيه رجال ونساء وأثر فيه النساء فى نفسك من حيث علاقتهن بالموقف أكثر من الرجال .. جاز أن تغلب النساء . ومثل ذلك الحالة التى عرضها الكاتب : إذا وجد طفل بين مليون امرأة .. بل إذا وجد عشرة رجال بين ألف امرأة ، وكن فاعلات فى الموقف أكثر منهم جاز تغليبهن .

بيد أن النحاة يحملون دائماً على «الأصل» وهو أن الرجال أكثر فاعلية فى المواقف من النساء .

● ويقول الكاتب : «ولست أدرى لماذا نقول : «رأت فيه رجل أحلامها» ولا نقول : «رأى فيها امرأة أحلامه»» ؟ .

وأجيب الكاتب أننا نقول ذلك ، أما سمع وقرأ فى القصص عشرات المرات قولهم : «ورأى فيها فتاة أحلامه»» ؟

كل ما فى الأمر أنهم لا يقول «امرأة» وإنما يقولون «فتاة» ، لأن امرأة قد توحى بالمتزوجة أما الفتاة فتوحى بالعذرية .

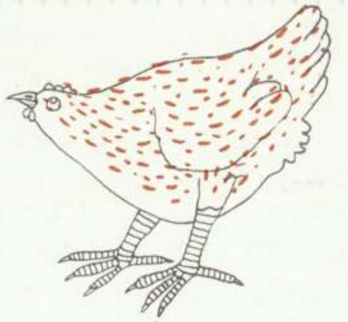
والمتزوجة ليست مجالا لأحلام الآخرين . أما بالنسبة لزوجها فلم تعد «حلماً» وإنما هى «واقع» .

● ويقول الكاتب : «وضمير الرفع المنفصل «أنْتُنَّ» قد نقرأه (أنْتَنَ) ، إذا لم يكن مضبوطاً بالشكل كجل المطبوعات العربية ، بينما الضمير (أنتم) لا يمكن أن نخطىء فى قراءته ، ولا تصبح رائحته كريهة منتنة» !

ونقول للأستاذ العدنانى : يمكن أن نغتفر ما تعثرت فيه مما سبق . ولكننا لا نغتفر لك أن تشكك فى أصول الكلمات ماذا تريد ؟ أتريد أن نسوى فى الضمائر بين الاناث والذكور ، شأن اللغات الغربية التى يعتبر ذلك نقصاً فيها ؟ أما تعتقد أن كل فرق فى المعنى يستدعى فرقاً فى اللغة ، عندما تكون حية ناضجة ؟ أليس من فرق – إذن – بين الرجل والمرأة ؟ إذن .. لابد ، أيها الأستاذ الكريم ، من الفرق فى استعمال الضمير بين المؤنث والمذكر .

أما ما تدعيه من خشية قراءة هذا الضمير قراء «أنتن» إذا لم يكن مشكولا .. فهى خشية فى غير محلها . لماذا ؟ لأننا عندما نكتب الكلمات للصغار نكتبها مشكولة عادة . أما عندما نكتب للكبار فنحن لا نكتب كلمات متفرقة وإنما نكتب كلمات مترابطة فى جمل ، وجملا مترابطة فى موضوعات ... وعندئذ يكون من السهل أن يدل «السياق» على المعنى المقصود ، فلا يلتبس الضمير (أنْتُنَّ) بالفعل (أنْتَنَ) . وهل يقرأ الضمير المذكور قراءة الفعل (أنتن) فى مثل هذه الجملة «أنتن نساء جميلات» غير مختلط العقل ، والعياذ بالله ؟!

وفى الختام تحياتى الى الأستاذ العدنانى والى مجلة «الدوحة» الغراء .



عودة الله القيسي – دبى

إخوان الصفاء

ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

بقلم: الحاج عبد الأمير علوش

لفت نظري المقال المنشور فى مجلة الدوحة الغراء بعددها ٦٩ سبتمبر ١٩٨١م بقلم الاستاذ خالد محمد خالد العالم الديني المشهور تحت عنوان « أنا أفكر إذن أنا مسلم » . وكان المقال يدور حول حرية الفكر فى الاسلام ، وقد جاء فيه عن جماعة « إخوان الصفاء » :

« سنختلف مع اخوان الصفاء كثيراً .. ولكن سيظل المغزى العظيم مائلا فيما كان للفكر من حرية فريدة فى ظل الاسلام » .

اقول : كم كنت اتمنى أن يتفضل الأستاذ بتوضيح وجهة نظره واختلافه مع اخوان الصفاء بعد أن أشاد بنشاطهم الفكري ومختلف أبحاثهم ولكنه أحجم عن ذكر وجهة اختلافه معهم ، مما دعاني إلى كشف بعض (حقيقة إخوان الصفاء) لنرى رأيه فيهم بعد أن يتبين انهم كانوا يدعون إلى غاية مقصودة وهي اقامة أمام بعينه وبصراحة ولكنهم أحاطوا هذه الصراحة بلون من دقة البحث ونعومة النسج واتقان الصقل .

وخلاصة أمرهم انهم أسسوا «جمعية سرية هدامة» فى مطلع القرن الرابع الهجري أفرغت على نفسها هذا اللقب البراق الخادع ، ظاهرها طلب المعرفة والانتصار لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وباطنها (هدم بيت محمد) أي دينه الشريف النظيف السمح وازالة دولته الموحدة من الوجود ، واقامة دولة لها دين مزيج من اسلام ووثنية بحيث لا يستطاع فصل أحدهما عن الآخر . لذلك كان الاقدام على البحث فى ذلك المزيج إقداماً على عمل خطير محفوف بكثير من المزالق وغير مأمون العاقبة .

وقد اصطلح أرباب هذه النحلة على تسمية تلك الدولة العاملين بجد والهادفين إلى خلقها مهما كلفهم الأمر (بالدولة ــ أو الخلافة الفاطمية) .

ومما تجدر الاشارة إليه أن بعض المؤرخين كانوا يطلقون على الخرمية أصحاب بابك الخرمي لفظ. (الفاطميين) نسبة إلى فاطمة بنت أبى مسلم الخراساني استغلالا لبعض الاسماء المقدسة لدى جمهور المسلمين .

وقد ألف هؤلاء الدجالون عدة رسائل أطلقوا عليها (رسائل إخوان الصفاء) وهي عبارة عن سياحة تنتقل بك من حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ، ومن منطق إلى سفسطة فهي سياحة متموجة ذات تعاريج وتضاريس وعرة ومنعطفات ملغمة بانماط من تعاليم مزدك وماني وزرادشت .

وإن السائح فى رسائلهم تجده بينما هو فى صحيح مكشوف إذا هو فى نفق مستور .. وإذا هو فى ذروة شاهق إذا به ساقط على أم رأسه فى واد سحيق لايعلم قراره إلا اللـه .

وهم قوم ملحدون وزنادقة يموهون بمظاهرة كل فرقة بينهم ويجرون فى ذلك مجرى المجوس والماسونية التى استهوت مختلف الطوائف والانماط فهم أعرف الناس بدس السم فى الدسم . تارة باسم المعرفة وأخرى باسم البركات والنفحات الروحانية.

والحق أن الانسان مهما كان فطناً يقظاً تستهويه هذه العبارات التى افتتحوا بها الرسالة الأولى :

« هذه فهرست رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء واهل العلم والعدل وابناء الحمد وهي اثنتان وخمسون رسالة فى فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الأدب وحقائق المعاني عن كلام الخلصاء من رجال الصوفية صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا فى البلاد » وحسبك أن قولهم (كلام الخلصاء

إخوان الصفاء

ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

الصوفية) ورط جمعاً كبيراً من رجال الدين والمنتسبين إلى التصوف . فبعد أن كانوا فى وداعة وبهاء أصبحوا من زملاء إخوان الشياطين من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون .

وقد انخدع فى أعمال هذه الجمعية السرية ورسائلها كثير من رجالات الفكر والأدب والدين . كما خدعت واستهوت الماسونية مثل هذا الجمع الغفير ومن ذوي الميول والغايات !! دون أن يعلموا أنها خدينة الصهيونية العالمية .

أقول إن الاستاذ خالد محمد خالد قد يتفق معي إذا قلت إن رسائل (إخوان الصفاء) التى تترجم عن أفكار (ابن ميمون) لم تخلص للاسلام ولا للفلسفة ولو أنها أخلصت لاعتذر عنها بأنها أرادت توجيه الاسلام توجهاً فلسفياً مع حفظ الجوهر ، ناظرة الى تطورات الزمن لكنها لم تكن كذلك بل لوثت الاسلام .... وأقل نتائجها أنها جرؤت على تحريف القرآن الكريم وإخراجه عن ظاهر التفصيل إلى بواطن التأويل . كل ذلك تحت ستار الزهد المبرقع والانقطاع إلى الله كما فعل الكثيرون من دعاتهم دون أن يُفطن إليهم وإلى مراميهم الهدمية . !

بين طه حسين والملاح

طبعت هذه الرسائل فى المطبعة العربية بمصر وعليها مقدمتان : مقدمة الدكتور طه حسين وأخرى للعلامة أحمد زكي باشا . ثم توالت البحوث حولها وعنهم فكتب الدكتور جميل صليبا ، والدكتور جبور عبد النور ، والاستاذ الفاضل عبد اللطيف الطيباوى ومما جاء في مقدمة الدكتور طه حسين فى الصفحة «٦» ما يلي :

« وإنما هم مفكرون مستقلون يحاولون أن يصبغوا ما انتهى إلى المسلمين من آثار الأمم الأخرى صبغة إسلامية . وكان من زعمائهم جماعة كالفارابي وابن سينا وغيرهم » .

وقد علق الاستاذ الشاعر المرحوم محمود الملاح كثيراً على هذه الرسائل وعلى مقدمة الدكتور طه حسين بقوله :

« إن هذه النحلة الهدامة تحاول صبغ الملة الاسلامية صبغة الأساليب الوثنية المتضمنة للشرك والعبودية والرجوع بالمسلمين إلى الوراء بعد أن ذاقوا نعمة التوحيد الحر الخالص .

ومما قاله الدكتور طه حسين فى صفحتي «١١» و «١٢» مايلي :

« ولسنا نقول شيئاً جديداً حين نقول إن رسائل اخوان الصفاء أشبه شيء بدائرة معارف فلسفية جمعت كل مالم يكن بد من تحصيله للرجل المثقف فى هذا العصر . »

« وإن هذه الرسائل ليست إلا مدخلا إلى «رسالة جامعة» هي خلاصة العلم وغاية الغايات .. »

« ومن يدري لعل قراءة هذا الكتاب فى عناية وتحقيق تكشف عن أشياء لم تظهر بعد . »

« فهل يبعد أن يكون رجل كالغزالي قد تأثر إلى حد قريب أو بعيد بفلسفة هذه الجماعة ولا سيما حين نلاحظ أنه نشأ فيلسوفاً وانتهى صوفياً ؟ .»

يرد الأستاذ المرحوم محمود الملاح بقوله :

● إن هذا الوصف صحيح لو خلا الموصوف مما أفسده الواصف باتخاذه وسيلة رخيصة إلى خدمة جهة مادية مزيفة .. فيكون ضررها أكثر من نفعها .

● كما وأن الدكتور لم يقرأ الكتاب (الرسالة الجامعة) بالشروط التى ذكرها (وهي العناية والتحقيق والتمحيص) بل قرأها قراءة عابرة وترك الجذوع والجذور ، وترك القاريء واقفاً على أصابع قدميه حائراً .

● أما المرحوم أبو حامد الغزالي فقد كان معروفاً بمحاربة الباطنية فيبعد أن يتأثر بفلسفة الجماعة المذكورة . نعم يجوز أن يكون تأثر بفلسفتهم الظاهرية العامة التى كانت مشاعاً بين الفلاسفة أو كانت بينهما نقطة التقاء مشتركة . وهناك فرق بين الفلسفة الظاهرية العامة وبين الفلسفة الباطنية الخاصة المتسترة بالفلسفة الظاهرية العامة .

ويلاحظ أن الدكتور طه حسين قد اغتر بالآفاق ولم يتوغل فى الأنفاق تلك الأنفاق الحلزونية وعدم توغله فيها سبب له صدور حكمه على الرسائل «حكماً سطحياً» .

وسرعان ما استأنف الدكتور البصير طه حسين هذا الحكم بنفسه عن نفسه فنقضه بسهولة حيث قال :

« على أن من الحق أن نلفت أنظار الناس إلى أن هذه الرسائل لم تقصد بها الفلسفة من حيث هي . ولا العلم من حيث هو . وانما أريد بها تكوين ثقافة معينة لنحو من السياسة معين ففيها من التأويل والدوران وفيها من الحيل والخيال ما يحسن الالتفات إليه ، والاحتياط منه » .

إن هذا الحكم الأخير الذى اصدره الدكتور لا يحتاج إلى تمييز . ولكن هل كان حكمه مقترناً بالجزم أم كان على

● وفرة الكتب التي ظفر بها ابن تيمية من غنائم المكتبة الفاطمية .. ساعدته على فضح سوءات الهدامين كإخوان الصفاء والقرامطة

● إذا وقع البسطاء تحت تأثير كتب إخوان الصفاء وشراكهم وحبائلهم فلهم عذرهم . لكن ماهو عذر بعض العلماء ورجال الفكر ؟!

● في تعاليم إخوان الصفاء رواسب من وثنيات مختلفة ، ومن الأدلة على ذلك مذهبهم في الكواكب والأفلاك !!

سبيل الاحتياط والتحفظ ؟!

لنقف قليلا عند أقوال الدكتور طه حسين وإطنابه وتهربه حيث يرى «أن هذه الرسائل كنز لم يقدر ثمنها إلا بعد معرفتها » .

ولم يعلم صاحب المعاني البصير أنه كنز مملوء بالأفاعي والعقارب وأن قيمة الرسائل تخس بخسة الغاية والهدف .

لذلك يتبين أن الدكتور طه حسين كان متموجاً في مقدمته وبحثه ، مع تطاول الأعناق المخدوعة إلى أحكامه الحاسمة في ميادين النثر والنظم ، وهو ممن يحسن ضبط «الفذالك» وصقلها ، فهو (صيقل) لا (فيصل) !

وكان من جملة اعتذاره عن أصحاب الرسائل قوله في آخر صفحة «١٤» :

« وقد كان إخوان الصفاء أنفسهم مخلصين ! فقدروا ذلك ولفتوا إليه ودعوا وألحوا ألا تعطى هذه الرسائل للناس إلا بمقدار ! »

وقال : « وكل ما يجب علينا لأنفسنا ولشبابنا إنما هو التنبيه إلى ما يجب من الاحتياط والحذر » .

ولهذا القول والاعتذار وجه لو كان أصحاب الرسائل أنفسهم معتقدين بما في رسائلهم ومؤمنين بها ومخلصين للفلسفة وهم ليسوا كذلك ـ كما يبدو ـ ولكنهم أذكياء ولا يجتمع الذكاء والهراء والمنطق والاسفاف وطلب الحق والعطف على نزعة سياسية آثمة بل كانوا متلاعبين ومأجورين لخدمة نحلتهم المسمومة والجهة التى يريدون خدمتها للوصول إلى الغاية وإلى معبودهم الآخر !

عرض تاريخي لاغير

أما مقدمة العلامة أحمد زكي باشا فهي بلاشك جمعت فأوعت من حيث التحقيق والتنقيب بما تيسر له . وعمله جيد مشكور وسعي مبرور ولكن الذى أخذناه من جهده كان عرضاً تاريخياً لا حكماً ايجابياً . قال رحمه الله فى صفحة « ١٨ » :

« اشتهر هذا الكتاب بين بنى الآداب وعلا قدره وطار صيته حتى صار موضوعاً لحديث القوم فى كل ناد ... يهيمون بالمذاكرة فى تاريخه وأصله فى كل واد وما تجلت عرائس الحقيقة إلا لنفر من نخبة الأفاضل المدققين فاستجلوها وضنوا بها على السائلين ».

ثم قال : « ولم يظهر بدر هذا الكتاب فى افق المعارف حتى تزاحم عليه الناس من جميع الطبقات والمذاهب وعنوا بقراءته والاعجاب به . وقد شغفوا بمعرفة مؤلفيه ـ لكونهم كتموا اسماءهم حتى بلغ صيته المشارق والمغارب .. وقد عرف حكماء الافرنج وجهابذتهم مقامها فأحلوها المحل الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها . ثم قال : ولا يغرب عن بال القاريء أن الأعمال العظام والتآليف المعتبرة ونوابغ الرجال قد كانت وستكون فى جميع الأزمان عرضة لسهام الطعن والانتقاد : ص ٢٠ » .

واعلم أن هذه الرسائل حازت قبولا كثيراً عند جماعة من الناس كما استوجبت لأصحابها السخط واللعنة عند فريق آخر » .

وبعد هذا الاغراق في المديح (لبدر هذه الرسائل ـ وتجلى عرائس الحقيقة) يقول (ونحن لا نتشيع لأحد المذهبين حول هذه الرسائل بل نترك الحكم عليها لمن يطلع عليه) .

أصل القرامطة

يقول المرحوم محمود الملاح :

« إن هذا الثناء والاطراء يدل على أن الباشا ـ طيب القلب ـ اطلع على حروفها دون كنهها واسرارها . ولا شك أن الباشا كان ذا عقل رزين ودين متين ـ ومن العجب أن أحدهما أو كليهما لم يوقفه على المقاصد التى تنافى العقل تارة والدين تارة أخرى . أما كتمان الأسماء فقد نفعهم من جهتين : انهم تضللوا بكهف التقية الكثيف لئلا تخترقها أشعة السيف . وأن الرسائل بكتم الأسماء تكون أكثر إغراء للناس وتشوقاً إلى رسائلهم » .

ثم نقل الباشا عدة كلمات عن القفطي وحديث ابى حيان التوحيدي وقع فيها بعدة أخطاء فى مصدر الحديث لم يشر إليه المصححون .

وننقل هنا بعض أقوال لأبي حيان التوحيدي حول أولئك الدجالين :

« وكانت أفراد هذه العصابة قد تآلفت فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله » .

وقال أبو حيان : « قد رأيت جملة من الرسائل وهي مبثوثة في كل فن وهي خرافات وكتابات وتلفيقات وتزييفات » .

قال عنها الشيخ أبو سليمان المنطقي « تعبوا وما أغفوا ونصبوا وما أجدوا ونسجوا فهلهلوا ».

ومما تجب الأشارة إليه أن الباشا قد توقف فى الحكم .. بعد أن اتضح له أنهم أصل القرامطة . فهل يشك الباشا فى أعمال القرامطة ؟!

وهل نسي الباشا وقائع القرامطة ومذابحهم فى المسلمين فى الشرق

إخوان الصفاء

ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

والغرب بل وحتى فى وسط الكعبة وسرقتهم للحجر الأسود وما إلى ذلك من المصائب والويلات ؟

والشيخ ابن تيمية بعيد الغور ممارس للأديان والملل والنحل مع خبرة واسعة فى مقاصد الهدامين المتظاهرين بالاسلام والرافضين لتعاليمه .

وصراحة ابن تيمية وفضحه لأساليب ولسوءات الهدامين المتبرقعين بالاسلام جلبت له بلاء كبيراً ومنكراً ونكيراً فقد حورب حياً وميتاً.

وقد ساعد ابن تيمية على فضح عورات الهدامين كاخوان الصفاء والقرامطة وفرة الكتب التى ظفر بها من غنائم المكتبة الفاطمية وغيرها .

وبلغ حقد هؤلاء وغيرهم من المتبرقعين بالاسلام دثاراً انهم ينذرون إلى الله إذا رزقوا بمولود ذكر يشترون أحد كتبه ويحرقونه حتى نفدت بعض كتبه القيمة من الأسواق .

ما عذر العلماء ؟

إذا وقع البسطاء تحت تأثير كتب إخوان الصفاء وشراكهم وحبائلهم فلهم عذرهم . ولكن المؤسف أن نرى بعض العلماء الأعلام والمتخصصين من رجال الفكر والدكتوراه يقعون فى شباك الهدامين وليس لهم من عذر لأن القراءة السريعة دون التعمق وسبر الأغوار توقع الناس فى المهالك . فالاستاذ الفاضل عبد اللطيف الطيباوي قد يكون معذوراً حينما يتناول آراء مطروحـه .. ولكن الدكتور جبور عبد النور ما عذره حينما يقول عنهم :

« نفوس متوقدة توارت وراء غيوم السياسة وبثت من خلالها أشعة العلم والمعرفة »ه

أما الحـقيقة فانها نفوس متلوثة توارت وراء غيوم الشعوذة وبثت من خلال أشعة العلم والمعرفة كلمات متراكمة لغايـات دنيئة فيها استعباد الانسان روحاً وجسماً وعقلا .

ثم يعود الدكتور فيناقض نفسه ، حيث يقول فى صفحة «٨٣» :

« فى تعاليم إخوان الصفاء رواسب من وثنيات قديمة مختلفة فتعاليمهم أشبه بقوس قزح من حيث تعدد الألوان ومن تلك الألوان مذهبهم فى الكواكب والأفلاك » .

ومنها قوله « اعتمد إخوان الصفاء على الغايات الظاهرية لتحقيق الغايات الباطنة . فتراهم يغتنمون فرصة الكلام عن الموسيقى ليدسوا فيه نغمات خافتة من ميلهم ».

أقول : وهل فى الاسلام والدين الحنيف ظاهر وباطن أو تأويل مبطن لكتاب فصلت آياته من لدن حكيم عليم .. لا يأتيه الباطل ؟

إننا لا نبخس الدكتور جميل بحثه فى صفحة «١٦» عندما تكلم عن (غايتهم الباطنية) ولا ماجاء فى ص ٢٤ حول معالم الوثنية فى مذهبهم حيث قال :

« إن في وسعنا القول إن إخوان الصفاء معتزلة . وفيثاغوريون . وأفلاطونيون ومجوس لأن لكل هذه النزعات أثراً بارزاً فى الرسائل ولأن هذا الخليط يتجاوز فيها على غير وفاق ...

ونحن واجدون فى نصوصهم فقرات مموهة تشير إلى أن فى قرارة نفوسهم ميلا إلى الوثنية معدلة ومخففة وهنات مكثفة بحيث يضيع على الدارس تعدد الأصداء ... »

أقف عند هذا الحد لأرى ما سيقوله الأستاذ خالد محمد خالد بعد مراجعته للرسائل وباب التأويلات والحكايات الواردة على لسان الحيوانات واتهام القرآن بسر النقط والحروف والبسملة ..وكذلك الأرقام وفواتح السور الكريمة وأسرارها التى تفوق ماورد فى كتاب مشارق اليقين لمؤلفة رحب البرسي الصادر عن دار الفكر فى بيروت عام ١٣٨٤هـ وآخر قولي كلمتين جامعتين أثرتا عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهما :

- الدين النصحـــة
- من غشنا ليس منـــا

وللبحث عود وإنا بانتظار رد العلامة الجليل وسائر الباحثين والمفكرين . والله من وراء القصد .

الحاج عبد الأمير علوش

بغداد

مصادر البحث

- الرسائل بالذات
- حقيقة أخوان الصفاء للمرحوم محمود الملاح (مطبوع)
- آراء الملاح فى اخوان الصفاء (مخطوط)
- تعليقات الاستاذ محمد جعفر مال الله حولهم (مخطوط)

تصـــــويـــب

تلقينا من الـكاتب الكبير خالد محمد خالد هذا التصويب لبعض ما ورد فى مقاله فى عدد أكتوبر ١٩٨١ من أخطاء مطبعية .

عزيزى رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ، فكل عام وانتم بخير ، وأرجو لكم دوام النعمة والتوفيق .

طلعت فى عدد أكتوبر من الدوحة مقالي عن الضمير الانساني، والفيت فيه بعض الأخطاء التى لا اعتبر خطي مسئولا عنها ، وهي أخطاء لا يمكن أن تلتبس على مصحح بصير .

وبالمقال خطا ارجو الا يمر بدون تصحيح له فى العدد التالي إن شاء الله .

في ص ١٠ العمود الثالث نلتقى بهذه الفقرة :

« إن اخناتون واحد من الأفذاذ الذين يختارهم الضمير الانساني لكي يقوموا بعمل جيل أو أجيال ، فيوم ذاك ، وقبل الميلاد بسبعين وثلاثمائة وألف عام يوجه الضمير عن طريق اخناتون ضربة للتعداد الذى رآه شركاً ، ويعلن أن اخناتون هو الاله الواحد ، وليس هناك إله آخر سواه الخ » .

كيف يستقيم هذا الكلام مع الكلام السابق له والتالي له ..؟

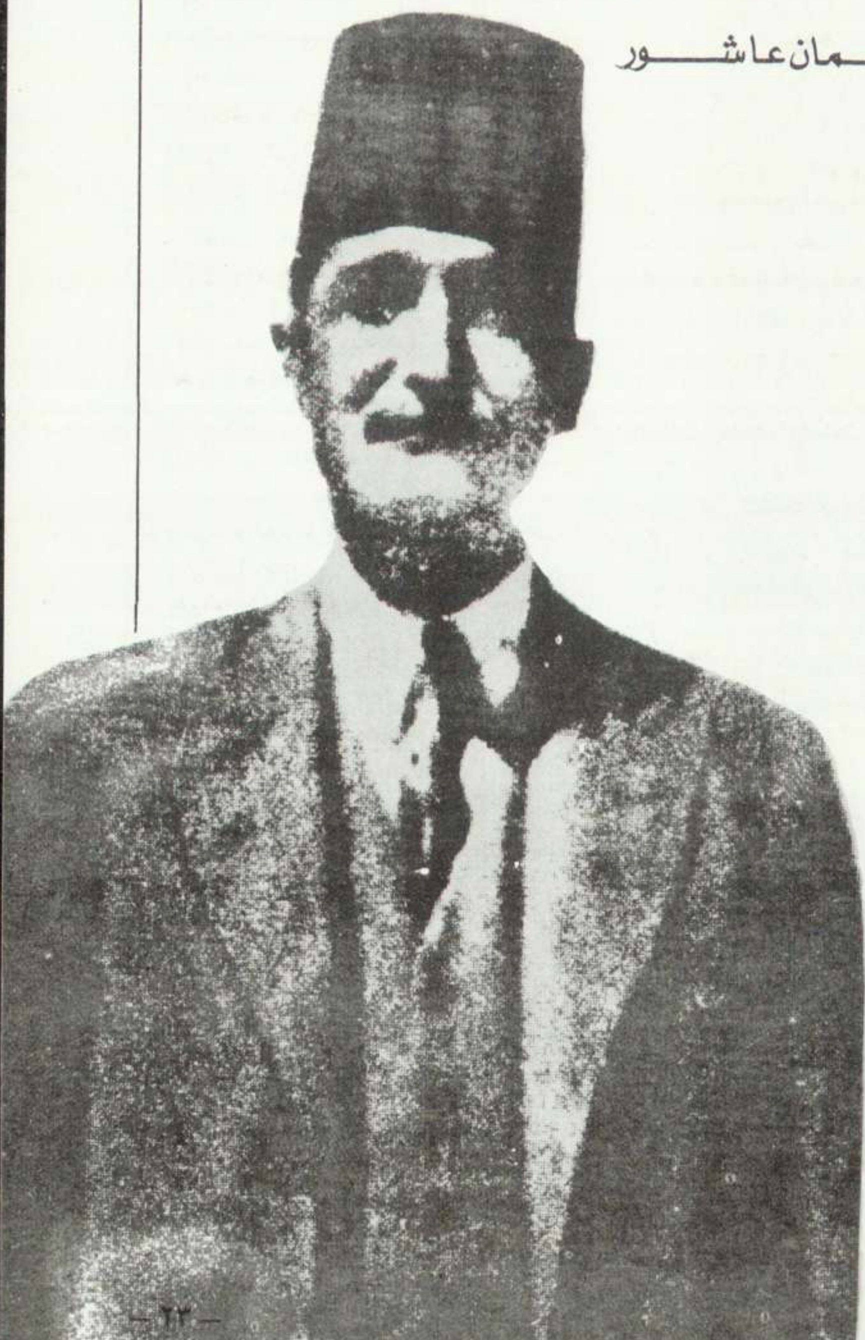
إن الصواب هو « ويعلن أن آتون هو الاله الواحد الخ . فما كان أخناتون سيكون من الرجال الأفذاذ إذا اصطنع من نفسه إلاهاً لا شريك له . وما كان سيبتهل إلى الالاه على النحو الذى تراه وتتلوه بعد هذه الفقرة من المقال .

لهذا أرجو شاكراً أن ينشر هذا التصحيح مع مقالي القادم ، وأرجو مخلصاً للأخوة المصححين أن يكونوا أكثر يقظة وأوفر اهتماماً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم : خالد محمد خالد

العقاد كما عرفته
ذكريات شخصية وأدبية

بقلم : نعمان عاشور



● لم يحاول العقاد أن يفرض عليّ رأياً.. وإنما أوصاني أن أتردد على ندوته لكي أعرفه على حقيقته

● جنحت به مواهبه وملكاته وطاقاته إلى الموسوعية ، وباعدت بينه وبين الخلق الابداعى ، ولهذا غلب الجانب الدراسى على مؤلفاته وكتاباته . ● اتجه فى مقارعة المتهوسين الدينيين وأعدائهم من الملحدين الخارجين إلى الكتابات التى يمكن أن نصفها بالاسلاميات البحته . فكما كتب عن «الله» عاد فكتب عن «إبليس» وفى كلا الكتابين تجلت براعته الاقناعية والمنطقية التى تميز بها أسلوبه اللغوى نفسه . ● كان يجمع بين الجدية الكاسحة والسخرية اللماحة التى تستند إلى الفكاهة الخالصة .

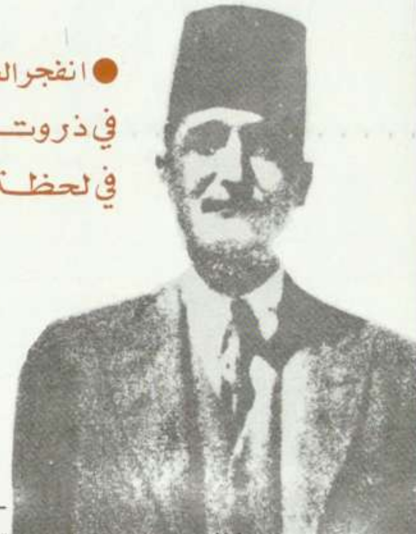
مكنة الساعة الخامسة .. أى القطار الذى يربط بلدنا بالقاهرة كان يصل دائماً عند الغروب .. وهو عبارة عن عربتين .. أحداهما للبضائع والأخرى للركاب .. ولهذا لم تكن تطاوعنى نفسى على الرقاد فى الظهيرة حتى ألحق بعربة البضائع وهم ينزلون منها جرائد المساء .. ويناولنى عم سيد الزنجى .. بائع الجرائد الوحيد فى بلدنا .. نسخاً من جريدة البلاغ أخذها منه وأنا أكاد أطير فى الهواء عائداً الى بيتنا .. واقبع فى ركن قصى من الغرفة المخصصة لي ولشقيقى وانفرد بنفسى لأقرأ أو على الأصح لأحفظ مقال العقاد اليومى ... فقد بلغ اعجابى بالعقاد أننى كنت أحفظ كتاباته عن ظهر قلب كما نفعل فى مادة المحفوظات المدرسية ولم يكن يعنينى كثيراً ما يطرقه فيها من موضوعات .. لأن مقالاته كانت كلها تدور حول السياسة .. إنما كان شغفى واعجابى ينصب على أسلوب الكتابة نفسها ... فقد سحرنى العقاد بأسلوبه لسنوات عديدة فلما اتسعت دائرة اهتماماتى .. وشرعت فى قراءة طه حسين والمازنى ثم توفيق الحكيم بدأت أزهد فى قراءة العقاد . لكنى على مدار الثلاثينات كنت أتعقب العقاد فى معظم كتاباته وكتبه ... وشيئاً فشيئاً بدأت تخف حدة اعجابى به وهوايتى له . ولم يكن ذلك بتأثير من أحد ... أعنى أننى لم أجد العقاد مفضلا عليه غيره .. ولكننى جحدت العقاد بسبب ما أخذ يتطور فى داخليتى وتكوينى من آراء ومثل وقيم ومبادىء كانت كلها تتناقض مع ما يكتبه ...

الاطار السياسى

على بداية الأربعينات كان العقاد قد وصل الى عدة مفاهيم ومواقف محددة فى كثير من القضايا الفكرية والاجتماعية بل والسياسية أيضاً ... لذلك برز فى كتاباته الكثير من الآراء المخالفة لما كان يكتب عنه وينادى به قبلا .. فقد تحول الى محافظ متعنت يتقيد بآراء جامدة بعد أن كان مفكراً حراً ينحاز للتيارات الشعبية .. ولعلنا نستطيع أن نلمس ذلك بوضوح كامل فى مواقفه السياسية .. ففى البداية انفرد بين الآخرين بمشايعته لحزب الأغلبية .. حزب الوفد - وكان كما وصفه سعد زغلول «جبار القلم» وبلغ به الأمر الى حد أن سجن بتهمة العيب فى الذات الملكية ... لكنه لم يلبث بعدها بسنوات أن تحول ليصبح أكثر الكتاب تطرفاً فى مناصرة السراى وحكم الأقليات وأكثرهم دفاعاً عن الديمقراطية على الصورة التى فرضها الانجليز بالذات فى جانبها المحافظ الذى يرجح حكم الارستقراطية عما عداها من فئات ، ووقعت الحرب العالمية الثانية والعقاد يقف على رأس التيار المعادى للفاشية فى دفاع محموم صارخ عن النمط الديمقراطى الغربى ، وبالذات أسلوب حكم المحافظين الانجليز ، فلما اقتربت قوات المحور من العلمين وأصبح روميل على مسيرة أميال من الاسكندرية هرب العقاد من مصر وارتحل الى السودان ... وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى يغادر فيها العقاد القاهرة

ظاهرة العقاد

فاذا خرجنا بكم عن هذا الاطار السياسى الذى كان يلف الحياة العامة للعقاد كاتباً ومفكراً ... فقد يلزم أن نرتد الى بدايات العقاد ... شاعراً وأديباً ورائداً من الرواد الكبار لحياتنا الثقافية .. وفى هذا أيضاً لا يمكن فصل العقاد عن السياسة لأنه مهما كانت قيمة الدور الذى لعبه العقاد ... وهو دور بارز لا شك ... فان هذا الدور تحدد دائماً بموقف العقاد السياسى .. ودعكم من أنه علم نفسه بنفسه وكان مثقفاً عصامياً لم يتابع الدراسة المنتظمة التى حظى بها بقية الرواد من معاصريه فهذه العصامية الثقافية التى دائماً ما تلصق به ليست بالشىء المستبعد على تكوينه ... وليست هى أيضاً التى ميزته عن الآخرين ... فقد كان العقاد من الأصل يتمتع بما يمكن أن نسميه مواصفات المثقف .. رجل كثير القراءة .. قادر على الكتابة وله أسلوبه المميز القوى ... لكن مواهبه وملكاته وطاقاته تجنح به جميعاً الى الموسوعية وتباعد بينه وبين الخلق الابداعى .. ولهذا غلب الجانب الدراسى على مؤلفاته وكتاباته ... فهو قد يكون باحثاً ودارساً ومنقباً وربما ناقداً .. أكثر منه روائياً أو شاعراً ... ولهذا فقد لا نجد له بين مؤلفاته الوافرة العديدة غير رواية واحدة يتيمة هى «سارة» وعمل بارز آخر تمتزج فيه الدراسة بالابداع هو



● انفجر العقاد ثائراً في ذروته ، ورماني في لحظة غضب بأقسى العبارات



المازني



سعد زغلول



روميل

كتابه عن «ابن الرومى» ولهذا أيضاً فان دواوينه الكثيرة من الشعر لم تشفع له أن يتبوأ ما كان يصبو اليه دائماً من مكانة بارزة كشاعر .. وقد وجد له خير متنفس لهذا الجانب الخابى من طاقاته الخلاقة فى كتابه ... «العبقريات» وهى تراجم كانت من ملكة الخلق الفنى الابداعى التى تطمرها قدرته على الدراسة والبحث وما تمده به قراءاته المنوعة من طاقات ومنطلقات .. فاذا أضفنا الى ذلك شخصية العقاد نفسه وهى شخصية يعرف صاحبها كيف يفرضها على الآخرين فى تسلط وهيمنة واعتداد لما استعصى علينا أن ندرك حقيقة التمايز الذى أوجد ما يمكن أن يسمى ظاهرة العقاد ذلك أن العقاد كان كاتباً ومفكراً وأديباً ... ولكن العقاد كان أيضاً شخصية ولهذا فان أغلب ما يكتب اليوم عن العقاد .. لا ينصب فى مجموعه على انتاجه الأدبى والفنى .. ناهيكم عن شعره.وانما يتركز فى الأعم الأغلب على شخصيته .. ثم ما كانت هذه الشخصية تمثله سواء فى كتاباته أو ندواته أو مواقفه كسند لمختلف الآراء والمفاهيم التى يتميز بها الفكر المحافظ ...

الطود الصامد

فى عام ١٩٤٩ كان العقاد ، وهو من ،سبق الكتاب فى المناداة بالحرية ... يتصدر الصفوف التى تقف فى وجه كل منطلق فكرى متقدم وحر ... بل كان قد نصب نفسه نهائياً وبحكم قامته الأدبية المديدة وكأنه السد الشامخ المانع لكل ما يعتقده ، انحرافاً عن النهج القويم ...



ابن الرومي

ويقصد بذلك نهجه المحافظ ... ولهذا غلبت على كتاباته استعمال ألفاظ قاطعة مانعة من ألفاظ الوجوب والحتم والالزام والمفخمات اللفظية التركيبية التى تميز أسلوبه عامة ... وفى تلك الفترة كانت مصر تموج بالتيارات اليسارية على صورة جارفة وتغلغل صارخ لم تعرفه من قبل ... وكان رد الفعل الطبيعى لذلك ظهور الجماعات الدينية المتطرفة التى نهضت لمقاومتها بالعنف .. وأصبح لابد للعقاد أن يختط لنفسه ، وفى مجال الصراع الفكرى والعقائدى الذى ولد قيام مثل هذه المتعارضات ، منهجاً واضحاً .. منهج يتفق مع ترفعه الثقافى وابتعاده الكلى عن مضمار النشاط السياسى ويحفظ له كيانه كشخصية لها تأثيرها المتصل فى المجال الواسع للرأى العام فكان أن رسخ فى ندوته يجمع من حوله الأشياع والأتباع والمعجبين يذود بالقول والفكر ... وباللسان والقلم عن كل ما يصدر عن الجانبين المتطرفين ... فى أقصى اليمين وفى أقصى اليسار من كتابات .. هى فى نظره «عين الضلال» لهذا اتجه فى مقارعة المتهوسين الدينيين وأعدائهم من الملحدين الخارجين الى الكتابات التى يمكن أن نصفها بالاسلاميات البحته .. فكما كتب عن «الله» عاد فكتب عن «ابليس» ... وفى كلا الكتابين تجلت براعته الاقناعية والمنطقية التى تميز بها أسلوبه اللغوى نفسه ...

جريمة نقد العقاد

أيامها كان العقاد اذا ظهر كتاب أو مقال أو رأى يخالف ما كتبه ينبرى فى عنف وسخط وسباب واضح مرتكناً على ما لصق بشخصه من اعتداد وتسلط أو ما كان يتصوره أنصاره من جبروت نتيجة لاعجابهم الصارخ به ... حدث أيامها أن صدر للعقاد نفسه كتيب عن برنارد شو ... ويظهر أنه كتبه بسرعة مستنداً الى قراءاته القديمة ومعلوماته العامة عن الكاتب الايرلندى .. وكنا أيامها (مجموعة من الشبان الأدباء) نصدر مجلة «الأديب المصرى» باشراف الاستاذ مفيد الشوباشى الذى كان من ألصق أصدقاء العقاد ومن أكثر الشعراء تأثراً بأسلوبه الشعرى «العقلانى» كما كان يسميه . ولم يعجبنى كتاب العقاد بعد أن قرأته واستفزنى فى اللهجة التى كتبه بها والمعلومات الأولية الساذجة التى اشتمل عليها .. وكنت حينذاك متشبعاً ببرنارد شو الى درجة اعداد أربع مسرحيات كاملة من أعماله وتقديمها فى الاذاعة مما يتعارض مع ما فى كتاب العقاد عنه من قدح وبالذات لما عرف عن برنارد شو من تسخيره لمسرحياته للترويج لآرائه ومذاهبه .. وقد انصب تسفيه العقاد لبرنارد شو فى كتابه عنه على هذا الجانب .

قدمت نقدى عن الكتاب الى المطبعة مباشرة ولم أستشر فيه الاستاذ مفيد وكنت بذلك أحاول وضعه أمام الأمر الواقع خشية أن يمنع المقال بحكم صلته بالعقاد ... ولكنه ما كاد يراجع بروفات العدد حتى أقبل يحيينى فى اطراء بالغ لأننى نقدت الكتاب وما فيه من معلومات وحقائق عن برنارد شو باتزان ودقة مع استنكار مبطون لأن يصدر مثل هذا الكتاب الساذج عن كاتب فى قامة العقاد .. وكان العقاد يقرأ المجلة لأننا نرسلها له ... وطبيعى أن ينفجر تأثيراً لما كتبته عنه ... وعلمت من بعض رواد ندوته الأسبوعية أنه يشتمني بأقذع العبارات واتهم الرابطة جميعها بأنها تضم مجموعة من « العيال الذين يلعبون » والعبارة رسخت فى ذهني لأنها لا تستبعد على لسان العقاد إذا غضب ...

مواجهة العملاق

لكن الذى حدث أكثر من ذلك أننى بعدها بأيام دخلت مكتبة الانجلو بغية الحصول على كتاب جديد فاذا بى وجهاً لوجه أمام العقاد وهو ينتقى عدة كتب من هناك كما كانت عادته .. ولم يكن العقاد يعرفنى بالطبع ... وأين أكون أنا منه ؟ كاتب شاب مجهول لم يبلغ الثلاثين ويتطاول على عملاق ! وبغتة ... أشار إلي أحد أتباعه المرافقين له «أهه» ... اللي هاجم كتابك عن برنارد شو ، ونظر إلي العقاد ... ولكن نظرته لم تكن تنم عن الغضب مع أنى توقعت وهو ينظر الي أنه على الأقل سيأمرهم باخراجى من مكتبة الانجلو . قال العقاد وهو يشير باصبعه وكان على غير المألوف لا يرتدى

نظارته وعيونه شديدة الاحمرار . ولم تكن الكوفية التقليدية تحيط بعنقه لأننا كنا فى الصيف ... كانت صورته مختلفة عن الصورة التى تعودت أن أراه عليها ..

ـ أنا شفتك قبل كده ؟ انت جيت الندوة ؟.

وكان يقصد ندوته الأسبوعية فى داره بمصر الجديدة ، وهى الندوة المشهورة التى ظل يعقدها حتى وفاته ... أجبته أننى حضرتها مرة واحدة .. فرد وفى صوته حشرجة ... «مش كفاية» ... وتقدم منى أحد الأتباع وأخبرنى أن الأستاذ يريدنى أن أتردد على الندوة ...

موقف العقاد

لم أكن محرجاً أبداً ... ولكننى كنت حانقاً على الطريقة التى عاملنى بها لأنه سرعان ما تجاهل وجودى حين جاءه موظف المكتبة باحدى المطبوعات ليعرضها عليه . من الواضح أن شيئاً كان قد أصاب عيونه لأنه لا يرتدى المنظار كما قلت .. وطلب الى أحد مرافقيه أن يقرأ له عنوان كتاب ثم أعاده الى موظف المكتبة وانا فى غاية الحرج .. لا شك أن العقاد يريد أن يظهر لي أننى تافه لا أستحق أن أواجهه ... لكنه لمحنى وأنا أغادر المكتبة بعدها بلحظات وكان قد جلس على أحد المقاعد وأمامه كوب من الماء وفنجان قهوة .. ونادانى .. فلم أتردد فى العودة رغم أنى كنت قد وصلت الى عتبة الباب الخارجى لمدخل مكتبة الانجلو وطلب لي مقعداً لأجلس ...

أشعلت سيجـارة وأنـا جالـس فى صمت والكل ينتظر أن يتكلم العقاد وتنحنح بحشرجته المعهودة .. «هه ... واضح أنك بتعرف انجليزى كويس» فأجبته بأننى خريج قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب .. وهز رأسه ... «انت مجتهد وعندك أسلوب» فلاحقته بأن الفضل له وأننى أخذت أسلوبى عنه .. وكنت صادقاً فيما أقول ...

ـ واضح جداً أنك مش «طه حسينى»

وكان يقصد فى أسلوب الكتابة .. واستطرد بعدها ..

ـ لكن انت متهجم ...

فأجبته الفضل لك يا استاذ ... فقهقه ضاحكاً ثم راح يوجه كلامه الى المحيطين به شارحاً .. بأن هذا الجيل الجديد من أمثالى ... مضلل ... لكنه مثقف بثقافة عاجزة وعقيمة تشل عقولهم وتكبل أرواحهم ومن المؤسف انها تدفعهم الى التطاول .. «فاهمين فى روحهم أكثر من اللازم» ... فقمت واقفاً محتجاً .. وهنا انقلبت سحنة العقاد وتخلى عن السماحة والتبسط الذى أظهره من قبل .. ثم انطلقت منه العبارات وكان يوجهها للآخرين ... مساكين مضللين تجردوا من أى منطق او معقولية ثم التفت الي وانا على وشك التحرك لانسحب متمماً ..

ـ اسمع يا ابنى ... هو الميزة الوحيدة فى الكلام اللى انت كتبته انك كنت مهذب ... لكن هذا لا يشفع لك تطاولك .. انت تعرف برنارد شو أكثر منى ؟ ..

فأجبته بأننى لم أدع ذلك ..

ـ لكن كلامك بيدل على كده ... ما أنا عارفكم .. كلكم دماغكو ناشفة ... كان العقاد يتكلم بحدة .. ولذلك انتهزت فرصة دعوة أحدهم له كى يشرب القهوة قبل أن تبرد .. وانسحبت ، وكان العقاد قد بدأ فى ارتشاف القهوة فلم يحاول حتى أن ينظر إلي وأنا أغادر المكتبة ... ولحق بى واحد من أتباعه على الباب ...

ـ ابقى تعال الندوة .. دى تعتبر دعوة مفتوحة ... عمر العقاد ما عملها . وأجبته موافقاً وأنا أقول ...

ـ عارف لو كان معاه العصايا .. كان حيضربنى بيها ...

ولكنه أنكر زعمى ..

ـ أبداً .. العقاد مش كده ... انتوا مش فاهمينه كويس ...

الرقة العاطفية

حين قابلت الأستاذ مفيد الشوباشى بعد ذلك أخبرته بما حدث فابتسم ضاحكاً وأفهمنى أن العقاد إنما يعاملنى بهذه البساطة ... اكراماً لخاطره .. والواقع أن هذا كان غير صحيح .. لأن العقاد على قدر تهجمه وعنفه وعلى قدر ما يبدو عليه فى صورته العملاقة التى كان يصوره بها أعوانه وأتباعه .. لم تكن تنقصه الرقة أو الليونة .. وهى رقة عاطفية كان يجتهد دائماً فى إخفائها وكأنها مسبة أو ضعف يتعارض مع ما يجب أن ترسخ عليه صورته فى أذهان الآخرين ... وهذا الجانب الخافى من شخصيته لم يكن يبرز إلا فى شعره ثم فى معاملاته الجانبية لمن يحيطون به من أهله واللاصقين بحياته .. وهذه الصفة تقابلها صفة أخرى للعقاد ... وهى صفة الجمع بين الجدية الكاسحة ... والسخرية اللماحة التى تستند الى الفكاهة الخالصة ... ولعل هذه من أبرز الصفات التى تتحلى بها كتاباته فى أبعادها الصحيحة اذا طرحنا عنها المفهومات السائدة عن التهجم المتسلط والجمود المتجبر الذى كان يلصقـه به عادة ... معظم المعجبين به البعيدين عنه ...

مع ذوى القربى

ذات مساء وكنت فى دعوة عشاء مع المرحوم الشاعر عبد الرحمن صدقى جرى الحديث عن العقاد فلم أستطع أن أكتم رأيى فى الكثير مما أثير خلال الأمسية . وكان اعتراضى فى مجمله ينصب على أن العقاد كظاهرة أدبية لها قوامها الشامخ الوطيد ... لا تستند مكانته الى كتاباته وحدها ... لأنها مكانة تعتمد على شخصيته أيضاً وأن العقاد فى أروع مواهبه ... كاتب مقال لا يشق له غبار حسب الوصف المعتاد ... ولم يعجب هذا الكلام معظم الموجودين فيما عدا عبد الرحمن صدقى رحمه الله ... فقد وافقنى على اننى لمست فى العقاد جانباً خافياً على معظم من يقدرونه وهو ما يتميز به من شخصية تجعله أقرب ما يكون من «فولتير» الفرنسى ... أو كما أضفت فى حوارى معه .. بل «دكتور جونسون» الانجليزى ... لأنه أقرب الى



● توالت المطاعن على "طه حسين" أمامه فقال : لا أسمح بهذه الأقوال على الدكتور العميد

ما يمكن أن يتمثله العقاد فى نفسه بحكم ثقافته .. وإزاء هذا التوافق كان لابد أن أستجيب لدعوة عبد الرحمن صدقى فأصحبه بعدها بأسبوع واحد الى ندوة العقاد ..

الندوة

ترددت طويلا قبل أن أستجيب للدعوة ... وسرعان ما وجدتنى فى صحبة عبد الرحمن صدقى رحمه الله .. وإذا بنا فى حضرة العقاد . مثل هؤلاء الناس ما دمنا أحياء معهم لابد أن نراهم طالما أننا نقرأ لهم ونتأثر بهم ... ولهذا كنت أسعى دائماً الى مثل هذه اللقاءات فى سعادة غامرة لأنها تحفر فى داخلية نفسى ذكريات لا تنسى خصوصاً وأننى تعودت أن أسجل ما يدور فيها بعد الانتهاء منها ...

لا أرانى فى حاجة لكى أصف لكم شقة العقاد أو أروى لكم الكثير عن ندوته .. لأنها أشياء استهلكتها الكتابات الصحفية العديدة ولا تزال تتحدث عنها الأقلام التى عاش أصحابها مع العقاد باتصال لا ينقطع فى ندوته الشهيرة الى درجة أن بعضهم يطالب بالعودة الى عقدها بعد العديد من السنين التى انصرمت على وفاة عملاقها ... جلست قبالة العقاد مع عبد الرحمن صدقى وكان يرتدى طاقية ويلتفح بالكوفية حول عنقه .. إذ كنا فى الشتاء .. وكانت صحته جيدة ومعنى هذا بالنسبة للعقاد أن مزاجه سيكون رائقاً .. وبالفعل كان العقاد يومها كذلك ... وحين حاول المرحوم عبد الرحمن صدقى أن يقدمنى له ابتسم وقال أنه يعرفنى لأننى هاجمته من سنوات . وخشى الرجل أن يهاجمنى العقاد فرجاه أن يسامحنى وأخبره بما جئنا من اجله وهو أننا نختلف فى تحديد شخصيته لأنى أرى أنه أقرب الى الدكتور جونسون منه الى فولتير كما يراه هو .. وتجهم العقاد قليلا ثم قال ...

ـ هذا تصور غير صحيح فلا أنا هذا ولا أنا ذاك ... أنا عباس محمود العقاد .. وكفى ...

ورد عليه أحد الأشياع فى اطراء ظاهر .. لم يسبقه أحد ولن يلحق به أحد ... قال العقاد وهو يتململ ..

ـ دعونا من مثل هذه الترهات .. فلا يجب أن ننغلق على أنفسنا. ونادى أحدهم فى طلب الشاى معلناً أن الندوة مفتوحة .

كنت أعرف بعض أصحاب الوجوه من الجالسين .. أعرفهم بأسمائهم كما كشف عنها الحوار الذى دار بعد ذلك حول عديد الموضوعات ولكنه انصب فى أغلبه على رأى لطه حسين كان قد ظهر فى حديث له مع أحد الجرائد خلال الأسبوع وهو رأى يحبذ فيه طه حسين ضرورة الاتجاه نحو ما يسمى أيامها بالاصلاح الاجتماعى .. وانبرى احدهم يستثير العقاد .. لكن العقاد لم يكن فى حاجة الى أدنى استثارة ... فسرعان ما انطلق ...

ـ هذا رأى طه حسين على الدوام .. يجارى الموجة وأحياناً ما يسبقها . طه حسين كان حراً دستورياً ... واليوم أصبح أكثر الوفديين تطرفاً ومع ذلك فانا لا أستبعد أن ينشق بعد ذلك على الوفد .. وتوالت المطاعن على طه حسين ... ولكن العقاد سرعان ما نادى بصوته المجلجل ...

ـ لا .. أنا لا أسمح بمثل هذه الأقوال فى الدكتور العميد ... ويبدو أن بعضهم أخذ كلمة الدكتور العميد على أنها عبارة تهكمية يسخر بها العقاد من طه حسين ... ولكن الواقع أن العقاد كان جاداً وحازماً فطالبهم بأن يحتفظ كل منهم برأيه لنفسه فى هذا الموضوع ثم بدأ يتحدث عن نيته فى الانتهاء من كتاب يعده للطبع عن الشيخ الامام محمد عبده .. ومع تشتت الحديث الى مختلف الموضوعات كان العقاد .. لا بوصفه صاحب الدار .. ولا بوصفه استاذاً للجالسين جميعاً ... يأخذ على امتداد الجلسة سمتاً عجيباً خيل لي معه أنه أشبه بتمثال فرعونى ضخم وضع على مدخل الكرنك وسط طريق الكباش المتراصة حوله على مختلف المقاعد ...

تمايز الرواد

وانفضت الندوة ... وخرجت كما جئت فى صحبة المرحوم عبد الرحمن صدقى ... ولم يحاول الرجل أن يفرض علي رأياً .. وإنما رجانى أن أتردد على الندوة لأدرس العقاد جيداً حتى أعرفه على حقيقته وهذا نوع من الاخلاص النادر الذى كان يتميز به كل من ارتبطوا بالعقاد أو داروا فى فلكه ... بعدها بسنوات قليلة مات العقاد ومنذ سنوات قليلة أيضاً كنت فى جلسة مع توفيق الحكيم فى رواقه بفندق سميراميس قبل هدمه . ودار الحديث حول العقاد وكانت المناسبة الاحتفال بانشاء قبر له فى مسقط رأسه بأسوان لتخليد ذكراه وكان الحكيم كعادته منطلقاً فى الحديث مستأثراً بالكلام يروى ذكرياته عن العقاد وطه حسين وعلاقته بهما ... وفجأة سأله أحدهم عن رأيه الصريح فيهما .. فلم يتوقف الحكيم وإنما راح يحدد مكانة العقاد ومكانة طه حسين وعلاقته بهما .. وفى صراحة عجيبة لا تستغرب أحياناً منه قال الحكيم ان كلاهما كان فذاً فى مجاله ولكن كلاهما توقف بانتاجه عند الحدود الفاصلة .. بين المقال الأدبى ... والابداع الفنى وأنه وحده الذى حمل عبء الابداع الفنى الخالص من دونهما ... ولكم أن تسألوا توفيق الحكيم عن ذلك وهو لن يتجنب الرد لأن ميزة هذا الجيل من الرواد مهما اختلفت نظرتنا اليهم .. .. ان كل منهم كان يبنى نفسه بنفسه ويحكم على الآخرين وهو يقف فوق قمة ما بناه بغض النظر عن أى خلاف أو اتفاق يمكن أن تكون قد أنبتته العلاقة الشخصية وهذا يصدق على العقاد مثلما يصدق على توفيق الحكيم ومثلما يصدق على طه حسين ... فلا مكان عندهم للحقد أو الغيرة أو الجحود ... وإنما كان يحركهم دائماً ... ما يمكن أن نسميه الاحساس بالتمايز الذى قد يربطهم بالمستقبل .

نعمان عاشور

محمد عبده



برناردشو



أدبـاؤنـا.. والبـاديـة

بقلم : درويش مصطفى الفـار

ظن كثيرون ، أن الجيل الذى إنتمى إليه جارفس ، وباركر ، وويلسون ، وبالمر ولورانس وستانلى ، وموررى ، وبيدنل ، وبرترام ، وفيلبى ، وفرايا ستارك ، وجلوب ، وبيرثون ، وعشرات غيرهم ممن جاسوا خلال البوادى العربية فيما بين المحيط غرباً والخليج شرقاً ، واندسوا بين البدو وخالطوهم ، وامتطوا ظهور الابل ، وشربوا ألبان النوق ، ومشوا حفاة على رمال القفر ، والتحفوا السماء ، وافترشوا الغبراء ، أعواماً طوالا ، يجمعون المعلومات ، ويدرسون العادات والتقاليد ، ويسجلون الأساطير والقصص ، ويؤلفون الكتب وينشرون المقالات والبحوث ، جيل قد انتهى وولى ، وانقضت مهمته ، ولم يعد في القوم بعد السيدة جوليان التى كانت قبل زواجها (مس جوان بلاودن) من يستطيع أن يتحمل مشقة السفر على ظهر بعير من عيون موسى قرب السويس عبر أوعر تضاريس سطح الأرض قاطبة فى جنوب شبه جزيرة سيناء ، إلى العقبة فوادى الرم فالقدس الشريف لتكتب بعد ذلك كتابها الضخم الفخم الذى سجلت فيه أحداث تلك الرحلة العجيبة تحت عنوان (مرة فى سيناء) ولكن من يهتم ، يجد القوم حتى الآن نشطين مولعين بالبدو والبادية يؤلفون الكتب عن الابل ، وطريق الحرير ، وطريق الملح وطريق البخور ، ويبكون ضياع معالم (البادية) الأزلية تحت وطأة مستحدثات العصر من السيارات والآلات ، ومنهم من يلعن حتى آبار وأنابيب البترول الى تمتد عبر الصحارى ، فتشوه (كما يزعمون) منظرها الذى فطرها الله عليه .. وتخرج المطابع حتى اليوم العديد من الكتب والمقالات الحسنة الاخراج والتبويب (بأقلام الأجانب) عن بدونا وباديتنا ..

وتتلفت باحثاً ، لاهثاً ، عن قلم أديب عربى ، غاص صاحبه فى أعماق الصحراء أو حتى قرب من مشارفها ، يستطلع البادية والبدو ، فلا تجد ... ولما كانت البادية ببدوها هى الرباط الذى لم تنل منه أحداث الزمان ، وظل عنواناً يجسد وحدة هذه الأمة الناطقة بالضاد عبر القرون ... ولما كنا «رغم كل شىء» نؤمن بأنها أمة واحدة ... فلا أقل من أن نعترف بالتقصير ، بترك أقلام غير العرب تحدث الناس عن بادية العرب ، وتكتب ما يحلو لها أن تكتب ، من مثال تلفيقات جارفس (محافظ شبه جزيرة سيناء بين سنة ١٩٢٣ و سنة ١٩٣٦) كقوله فى أسطورة من اختراعه ينسبها إلى بدو سيناء وفلسطين والأردن ، ان الله سبحانه حين خلق الكون ، اخذ قبضة من هواء الصحراء النقى ، وصنع منها الانسان البدوى ! ثم خلق من التراب جملا لمنفعة البدوى ، ومن بعر الجمل خلق بقية المخلوقات ، وهذه لاشك (اسرائيلية) صدقها جارفس ، حيث أن بنى اسرائيل يعتقدون أن الله خلق الخلق على ثلاث رتب ، أعلاها اليهود ، وتحتها البهائم والحيوانات العجماء ، وبعد ذلك بقية الناس ... فهل آن الآوان لنجد جيلا من أدبائنا الشبان يتجشمون مشاق السفر والعيش فى الصحراء ليكتبوا عن البدو والبادية فيما بين المحيط والخليج ، ويصنعوا لنا أدباً جديداً طريفاً ، من آلاف الأقاصيص والحكايات والأساطير التى تمتلىء بها البادية ... ويكفينى على سبيل تأكيد إمتلاء البادية بالقصص التى تحتاج إلى قلم أديب حاذق عميق الفهم ليخرجها إلى بنى قومه فى ثوب قشيب نافع ، أنه فيما أعلم عن بادية سيناء ، وهى رقعة

صغيرة من بادية الوطن العربى فى مصر لا تتعدى مساحتها واحداً وستين ألف كيلو متر مربع ، ان ليس هنالك جبل أو واد أكمة أو منخفض ومرتفع الا وله إسم وتسمية ، وان وراء كل تسمية قصة طريفة أو أسطورة يفوق خيالها ما نقرأ فى ألف ليلة وليلة ، هذا فضلا عن ما لدى البدو من أشعار وقصص لا تتعلق بالأمكنة والديار وحدها ، أشعار عذبه عميقة تحتاج إلى دراسة .. إن الاقتصار على ما تكتبه أقلام الأجانب ، وما تقدمه إذاعاتنا المسموعة والمرئية ـ أحياناً ـ عن البدو والبادية العربية ، وعدم إقدام أدبائنا على اقتحام البادية لاستخراج ما فيها من كنوز أدبية ، أمر يدعو إلى الأسى والأسف .. ولقد اعترانى نوع من الحزن والغيرة حين قرأت منذ أيام كتاب (جيمس ويلارد) عن رحلته عبر الصحراء الكبرى إلى مالى ثم عودته صوب موريتانيا ، وتمنيت لو أننى اقرأ مثل تلك الرحلة لكاتب عربى ، يكون بهذا العمق وتلك الدقة وقوة الملاحظة ...

فهل أطمع فى أن يحدث شىء يؤدى إلى :

- عمل (ببليوغرافيا) أو ثبت بكل ما كتبه الكتاب عن البدو والبادية ، تمهيداً لتجميع هذه الكتب فى مكتبة عربية فى أى قطر عربى ؟
- ترجمة بعض هذه الكتب ، مما يستحق الترجمة للاستفادة منها .
- قيام بعض شبابنا من الأدباء والباحثين بالتصدى لخوض مظان البوادى العربية واستقصاء ما فيها من أدب وقصص وتراث شعبى ؟

إننى أهيب بمجلة الدوحـــة ، أن تتبنى هذا الاقتراح ، لاسيما وأنها تصدر فى عاصمة دولة عربية فتية حريصة على المآثر العربية وما يعود بالنفع الفكرى أو المادى أو المعنوى على الانسان العربى بين المحيط والخليج ، وأهيب بكل قارىء عربى يسترعى اهتمامه هذا الموضوع ان يتفضل بالرأى والمشورة فى كيفية تحقيق هذا الأمل ، وذلك بالاتصال بمجلة الدوحة .

درويش مصطفى الفار

رسائل غير عادية

إليك أيها العربي

بقلم : معـــروف رفيـــق

أخي العربي .. سلام أرق من نسائم جبل لبنان ، وأحلى من حلاوة رمان الطائف ، وألذ من لذاذة المانجا المصريــة .. وأطيب من طعم الفستق الحلبى ، وأشهى من منّ السما العراقي ...

سلام ممزوج بعبق الكرمة فى الخليل ، وعسل النحل فى جبال الجليل ، وماء بردى فى غوطة دمشق ،...

وبعد السلام ياأخي العربي ، أرجو أن أحيطك علماً ، بأن عناية الله ، قد اختصت أرض أمتنا بالديانات الثلاث ، فجعلتها أرضاً مقدسة مباركة ، منعمة بالخيرات والثمرات ..

وإذا كـان الاستعمـار ، قـد قسم أرض العروبــة والاسلام ، فجعل من المشرق الواحد مشارق ، ومن المغرب الواحد مغارب ، وجعل من أمتنـــا شعوبا تخوض فى بحر لجي متلاطم الأمواج ، تاهت زوارقه ، ولهثت أنفاسه وراء شراع النجاة ، وخشبة الحياة .. فان الاستعمار قد رحل ، ولا ملامة على راحل ، وعليك يا أخى تقع الملامة الآن ، وعليك تقع مسئولية لم الشعث وجبر ما انكسر ...

لقد مات « سايكس » ورحل « بيكو » الى الأبد ، مضى عليهما وعلى اتفاقيتهما اكثر من ستين عاماً .. فلماذا لا تخلع الفواصل عن الحدود المصطنعة ؟ ولماذا لاتجتث أشجار الكراهية المزروعة فى النفوس والصدور ؟

ـ لقد رحل الاستعمار وبقيت له الظلال ... وانت وحدك يا أخى ، المسئول عن اقتلاع آثاره السيئة ، وفكره المسموم ..

عناية الله أرادت لوطننا الكبير ، أن يكون ذا خير وبركة ، غنياً فى روحانيته غنياً فى خيراته وماديته ، فمتى تتشابك الأيدى ولا تشتبك ؟ متى تصفو النظرة وتصفو الرؤية الشمولية ؟..

متى يا أخى تنقشع من سماء الوطن الكبير ، نذر الهزيمة وبوادر السقوط الحضارى ؟.. أما الاستعمار ، فقد لعناه سراً وجهراً وفى كل كتاب ... رحل وبقيت ظلاله .. فلنمح تلك الظلال بالارادة والعمل الذى لا يتوقف ..

ولتكن ياأخي مدارسنا طريقاً الى المجد.

ولتكن إرادتنا سلما الى التطوير والتحديث .. ولنبدأ البناء الذاتى ..... فما حك الجلد مثل الظفر .. ولا بدد الظلام مثل النور ، ولا قتل التخلف مثل الارادة ...

فى الوقت متسع ، وفى الوقت فسحة أمل .. فلا تيأس ...

لأنه لا حياة مع اليأس ... والى اللقاء ..

يهود معارضون للصهيونية

بقلم : عصام شريح



فالتسيا لا نغر

ليس المستشار النمساوى برونو كرايسكى هو اليهودى الوحيد المعادى للصهيونية ، إذ هناك يهود آخرون لهم مواقف مماثلة أو شبيهة بموقف كرايسكى من الصهيونية ، وهذا التناقض بين شخصيات يهودية بل واسرائيلية أيضاً يكشف فى الواقع عن مأزق حاد تواجهه الحركة الصهيونية ، لأن هذا التناقض يعبر أولا عن حالة عقائدية متصادمة مع العقيدة الصهيونية ، وثانياً لأن هذا التناقض مرشح لأن يكبر ويتحول الى التعبير عن نفسه بأساليب أخرى غير أسلوب الاحتجاج اللفظى ، وخاصة اذا عرف العرب كيف يغرقون «اسرائيل» بالأزمات فى ظهر الأزمات ، تماماً كما حدث فى أعقاب حرب عام ١٩٧٣ ، وبذلك يصب «نضال» هؤلاء المستنيرين فى المجرى التاريخى السليم ، الذى سوف يؤدى فى النهاية الى وضع نهاية وخاتمة لما يسمى «بدولة اسرائيل» ، وقيام دولة فلسطين الديمقراطية العربية .

ونتناول هنا بالعرض آراء ثلاثة من هؤلاء اليهود المعادين للصهيونية ، اضافة الى طائفة «ناطورى كارتا» السلفية .

يورى أفنيرى

كان أفنيرى الذى هاجر الى فلسطين المحتلة فى عام ١٩٣٣ ، قادماً مع أبويه من المانيا ، كان صهيونياً متحمساً ينظر الى فلسطين باعتبارها «أرض الأجداد» ، وكان قتل العرب والقاء المستعمرين الانجليز خارج فلسطين هو الأسلوب الوحيد الذى يلقى قبولا عنده ، لكن أفنيرى بدأ يسير فى طريق مختلف بعض الشىء منذ تركه منظمة الأرغون الارهابية إثر انشقاق حصل فيها ، وفى الشهور القليلة التى سبقت قيام اسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة فى عام ١٩٤٨ ، أنشأ منظمة سياسية صغيرة جعل لها هدفاً هو اقامة «جبهة سامية» تشمل العرب واليهود ، وتقود نضالا مشتركاً هدفه توحيد «المنطقة السامية» !

والمهم أن أفنيرى بدأ يطرح أفكاراً غير مألوفة بالنسبة للصهاينة ، ويصف نفسه بقوله انه تحول بعد قيام اسرائيل الى «داعية تفاهم مع العرب» . وكان لاصابته بجرح غير خطير فى حرب عام ١٩٤٨ فى جبهة سيناء ، أثر بالغ كما يقول فى حياته ،حيث ترك الجيش بعد ذلك وتفرغ للعمل السياسى بعد أن اشترى امتياز صحيفة مايزال يصدرها حتى الآن هى «هعولام هزه» (هذا العالم) ، لكن أهم انتاج فكرى له كان كتاباً نشره فى علم ١٩٦٨ تحت عنوان : «اسرائيل بلا صهيونية» .

ومن خلال قراءة أفكار وآراء أفنيرى يتضح أن هذا الصهيونى القديم ، أو اليهودى المعادى للصهيونية ، قد اخذت تتنازعه بعد قيام الكيان الصهيونى أفكار وهواجس مختلفة ، تصب كلها فى محاولة البحث عن تسوية للصراع العربى ــ الصهيونى ، ترضى العرب !! ولا تمس اسرائيل بكيانها الذى كان قائماً قبيل حرب عام ١٩٦٧ .

ولهذا نلحظ أن أفنيرى يحاول تقليص الصراع من صراع بين حركتين وقوتين لابد لاحداهما من الغلبة فى نهاية المطاف ، الى ترتيبات هامشية ، تمنع التمدد الصهيونى السرطانى فى الأراضى العربية ، وتعيد للعرب الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ليقيموا عليها دولة فلسطينية الى جانب «الدولة اليهودية» ، على أن يتعايش «الكيانان» ضمن صيغة سلام مدونة . ويقول أفنيرى فى هذا الصدد : «إن المناعة القومية فى البلاد تتحقق بايجاد دولتين : «دولة



البروفسور يسرائيل شاحاك

اسرائيل» ودولة فلسطين ، على أن تكونا مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية ، وعلى اسرائيل أن تشجع قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، شريطة أن تدخل هذه الدولة منذ البدء فى حلف سياسى ودفاعى مع اسرائيل» !

لكن النقطة الحاسمة فى تفكير أفنيرى هى دعوته «دولة اسرائيل» لأن تصبح «جزءاً لا يتجزأ من منطقة شرق آسيا وشمال أفريقيا» — أى المنطقة العربية — ثم تحديده الهدف الأساسى للجيل الحالى فى اسرائيل «بضمان الاندماج فى المنطقة كشريك مستقل ومتساو فى الجسم السياسى والاقتصادى لهذه المنطقة المتعددة القوميات» !! كما أن أفنيرى يكمل فكرته المتقدمة عن الاندماج ، بدعوة اسرائيل «الى التجاوب بشكل مبدئى مع رغبة العالم العربى فى التحرر القومى والتقدم الاجتماعى والنمو الاقتصادى» ، ويقول فى موضع آخر ، ان «على دولة اسرائيل ألا تمد يد المساعدة الى أى جسم عالمى أو من المنطقة يهدف الى سلب شعوب المنطقة حقوقها الكاملة فى كنوزها الطبيعية ، أو الى استعبادها للمصالح الاستعـ... ـو الرأسمالية» .

العقدة الصليبية

فى ضوء ما تقدم ، وبخاصة تركيز أفنيرى على اعتبار اسرائيل جزءاً لا يتجزأ من المنطقة العربية ، ودعوته اياها الى الاندماج فيها ، يطرح السؤال التالى: لماذا هذا الالحاح على مسألة الاندماج فى المنطقة لدى أفنيرى؟ وما هى رؤياه فى هذا النطاق ؟

فى الحقيقة تشكل العقدة الصليبية منعطفاً حاسماً فى تفكير أفنيرى . فهو يخشى أن يكون مصير اسرائيل فى نهاية المطاف كمصير الدولة الصليبية قبل حوالى ثمانمائة سنة أو أكثر ، وإن كان يحاول استبعاد هذه الكأس المرة عن اسرائيل بالاشارة الى فرضية تقول ان التاريخ لا يكرر نفسه بشكل حتمى أو بصورة ميكانيكية .

لكن القلق يبدو واضحاً فى كلام أفنيرى وهو يروى العبر التى استخلصها من قراءته لكتاب «ستيفان رونسيمان» بعنوان «تاريخ الحملات الصليبية» ، ويقول انه وصل الى الفصل المتعلق بتحصينات الصليبيين مقابل قطاع غزة ، والهادفة الى حماية «ممتلكاتهم» !! من العرب ، أصيب باضطراب شديد ، بسبب تفكير اسرائيل فى احتلال نفس المواقع عندما كان هو نفسه جندياً فى الجيش الاسرائيلى فى عام ١٩٤٨ .

ويضيف انه خلال قراءته لكتاب «رونسيمان» هذا ، كانت تبرز أمام ذهنه مئات التشابهات الصغيرة والكبيرة ، حتى بين الشخصيات الصهيونية المعاصرة ، وتلك الصليبية البائدة ، ويقول متسائلا : أى اسرائيلى يا ترى يطابق أمير الجليل الصليبى ، ومن هو الاسرائيلى الذى يشبه أمير الأردن الصليبى .. «إن التشابه مثير للغاية» .

ويقتبس أفنيرى عن «رونسيمان» فكرته القائلة بان الخطأ الاستراتيجى الذى وقع فيه الصليبيون إنما يكمن فى اعتمادهم على الامدادات المالية والتبرعات اضافة الى الهجرات من الغرب ، فى حين كان عليهم أن يقيموا قاعدة اقتصادية مستقلة فى الشرق ، وذلك لم يكن بالامكان تحقيقه إلا بالتفاهم مع جيرانهم ، وهو أمر أخفقوا فى تحقيقه تماماً ، فكانت لهم تلك النهاية المفجعة .

لقد تلقف أفنيرى هذه الفكرة ، وطلع بنظرية اندماج اسرائيل فى المنطقة ، ظناً منه انه يتحاشى بذلك الخطأ المميت الذى وقع فيه الصليبيون .

ولعل ما عزز هذه الفكرة لدى أفنيرى ، انه لمس أن هناك عاملين أساسيين قد لعبا دوراً حاسماً فى انهاء الاحتلال الصليبى واندثار الدولة الصليبية ، وهما : الرفض العربى لشرعية الاحتلال ثم منطق الاحتلال نفسه الذى لا يستطيع إلا معاداة العرب والتحالف مع الغرب — أوروبا .وفى هذا الاطار يلاحظ أفنيرى أن وضع اسرائيل منذ قيامها شبيه تماماً بوضع الدولة الصليبية فى هذه الناحية .

يسرائيل شاحاك

أما الشخصية الثانية المعادية للصهيونية والتى سنستعرض آراءها فيما يلى فهى «البروفسور يسرائيل شاحاك» . وشاحاك هو من مواليد وارسو عاصمة بولندا فى عام ١٩٣٣ ، وقد عاش فى ظل النازية من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥ ، وأمضى سنتين فى معسكر اعتقال نازى ، وهو متخصص فى

يهود معارضون للصهيونية



يوري أفنيري

الكيمياء العضوية وحصل على الدكتوراه فيها ، ثم تابع دراسات اضافية في جامعة ستانفورد بكليفورنيا بالولايات المتحدة ، وعاد الى الكيان الصهيوني ليحصل على لقب «أستاذ» في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة .

بدأ نشاطه مدافعاً عن حقوق الانسان في عام ١٩٦٨ ، وفي آذار (مارس) ١٩٧٠ انتخب رئيساً «للرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان» وكانت هذه الرابطة قد تأسست في عام ١٩٣٥ تحت شعار الدفاع عن الحقوق الانسانية لليهود والعرب . ومنذ بدأ البروفسور شاحاك نشاطه في حقل الحقوق الانسانية بدأ يلاقي اضطهاداً منظماً في كل مكان ، وبالرغم من أنه يصل أحياناً الى حافة اليأس من امكان احداث تغيير في مفاهيم وسلوك يهود اسرائيل نحو الفلسطينيين العرب ، فانه يبدو مصرا غاية الاصرار على المضي قدماً في مهمته كمدافع عن حقوق الانسان العربي في الكيان الصهيوني والأراضي العربية المحتلة .

على صعيد الاضطهاد الذي يلاقيه شاحاك يومياً ، يلقى ذلك في الصحافة الاسرائيلية التي لا تتوقف عن مهاجمته دون أن يعطى حق الرد على «التهم» المنسوبة اليه ، وليس هناك شك في أن التركيز الاعلامي في الصحف الاسرائيلية (جميعها تقريباً) وتكرار الشتائم ضده والدعوة الى قتله أحياناً وطرده من اسرائيل أحياناً أخرى . هو تصرف موحى به رسمياً من قبل السلطات العليا الاسرائيلية ، وكمثال على ذلك كتبت احدى الصهيونيات المتزمتات في صحيفة «الجيروزاليم بوست» تقول : «إذا كانت الجامعة العبرية في القدس تسمح لأساتذتها بالاشتراك في مؤتمرات منظمة التحرير الفلسطينية ، فانه يتوجب علينا أن نتساءل فيما إذا كنا نرغب فعلا في استمرار هذه الحرية الأكاديمية . إن شاحاك يتصرف كمجنون ، بل لابد أنه مجنون فعلا» .

وتضيف «الجيروزاليم بوست» متسائلة : ماذا نفعل بهذا الاستاذ البائس ؟ وهل ندخله المستشفى ؟ هل نستعمل ضده قليلا من الارهاب ؟ لماذا يبرر الارهاب ضدنا ؟ أليس من الأفضل أن نضع طرداً ملغوماً أمام منزله» ؟

أما الأطفال ، فهم يجتمعون أمام باب منزله ليوجهوا اليه شتائم وإهانات مختلفة ، والصراخ عالياً : «شاحاك فتح» .. «شاحاك خائن» . ومن الشتائم التي توجه ضده ، أن يصرخ أحدهم : لماذا وجه شاحاك مشوه ؟ (والمعروف أن وجه شاحاك أصيب بحروق خلال احدى تجاربه الكيميائية في المختبر) ، وتجيب المجموعة : لأن وجه شاحاك انتاج عربي !!

آراؤه

يصر شاحاك على أن المؤسسة الصهيونية سواء تمثلت بحزب الليكود أو حزب العمل ، ذات موقف عنصري ثابت ، بل انه يتهم اسرائيل بكونها دولة نازية . ويقدم شرحاً ضافياً عن عنصرية اسرائيل وسلوكها النازي نحو العرب (عرب ١٩٤٨) نقتطف منه ما يلي : «على الرغم من الوضع في المناطق المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) سيء للغاية ، فان المساس بحقوق الانسان والتفرقة العنصرية والعرقية في «اسرائيل نفسها» متأصل بشكل أشد ، وأذكر هنا بعض الأمثلة : ان أكثر المشكلات أهمية في «اسرائيل» هي مشكلة الأراضي ، فالأراضي العمومية هي اسرائيلية بصورة قانونية ورسمية ، وهي ليست مخصصة لفائدة مواطني أو سكان اسرائيل بل لفائدة واستخدام اليهود فقط ، لذلك تجرى ادارتهما قبل مؤسسة الكيرن كاييمت (الصندوق القومي اليهودي) ، ووفقاً لذلك توجد في اسرائيل مدن كاملة مثل كرميئيل والناصرة العليا وحاتسور وعراد وغيرها ، لا يمكن لمن هو ليس يهودياً أن يسكن فيها ، أو يزاول أي عمل بها . وفي مدن أخرى توجد أحياء مثل حي «رامات أشكول» في القطاع الشرقي من القدس . حيث يمنع بشكل قانوني على من كان غير يهودي أن يشتري مسكناً فيه . وأستخدم عبارة «من كان غير يهودي» عن قصد ، رغم أن المتضررين الأساسيين هم الفلسطينيون بالطبع ، وأفعل ذلك لسببين : أولا : لأن هذا المصطلح في اسرائيل هو مصطلح قانوني ، حيث كل شيء هنا مقسم ومصنف الى يهودي وغير يهودي ، وثانياً : لأنه يتوجب على الفلسطينيين أن يعرفوا أن هذه التفرقة العنصرية موجهة ضد كل من هو ليس يهودياً ، وهي جزء مما يسمى الطابع اليهودي «لدولة اسرائيل» ، وبالطبع فانا أعرف أن هذه الأراضي التي يستخدمونها ضمن تعريف عنصري كما في جنوب أفريقيا ، قد سلبت بالأساس من الفلسطينيين» .

ويمضي شاحاك قائلا : «إن المشكلة الثانية في «دولة اسرائيل» هي مصطلح «هتيشبوت» والترجمة الفعلية لهذا المصطلح هي «استيطان» ، فحكومة اسرائيل توصل مثلا الكهرباء والماء وتشق الطرق الى كل مستوطنة يهودية جديدة قبل أن يدخلها المستوطنون . في

حين أن معظم القرى العربية تفتقر لتلك الخدمات ، وإذا توفرت فى احدى القرى العربية ، فهى قد أقيمت بأموال سكانها العرب – ومن يعرف اللغة العبرية يعلم أن الاسرائيليين لا يقولون ان «عربياً يستوطن أو عربى مستوطن» ، بل يقولون «عربى يسكن ، لأن ذلك عندهم أمر مؤقت ، وبنفس الأسلوب يعلمون الأطفال الاسرائيليين ما يسمونه «بطهارة الأرض» ، وتعنى هذه العبارة أن كل قطعة أرض يملكها من هو غير يهودى (عربى) تعتبر غير مطهرة بعد ، ولا تصبح طاهرة إلا عندما تنتقل ملكيتها الى شخص يهودى ، وجدير بالذكر أن الاشتراكيين والرأسماليين بين الصهاينة يعترفون بهذا المبدأ ، وأى اشتراكى صهيونى ، وحتى الأكثر يسارية ، يردد ذلك عن أى حقل كان يملكه فلاح فلسطينى فقير ، وانتقلت ملكيته الى مليونير يهودى» .

ويمضى شاحاك فى ايراد عشرات الأمثلة على التميز العنصرى المطبق ضد العرب فى الكيان الصهيونى ، وليس آخرها منح أى يهودى أو متهود فى العالم حق الهجرة الى اسرائيل واكتساب جنسيتها حالا ، اضافة الى تقديم مسكن وقرض كبير اليه واعفاء من ضريبة الدخل لمدة ثلاث سنوات .. الخ فى حين يمنع على أى فلسطينى أن «يجمع الشمل» مع أحد أفراد عائلته ، أو حتى اذا تزوج من خارج اسرائيل ، فيمنع عليه احضار زوجته !! والهدف من كل ذلك هو خفض عدد العرب فى الكيان الصهيونى بقدر المستطاع ، وهذا بحد ذاته تصرف عنصرى .

ويحذر شاحاك أخيراً ، من أن اسرائيل قد تشعل حرباً خامسة فى المنطقة بهدف الاستيلاء على بعض منابع النفط العربى ، ويقول ان اسرائيل تطمع فى الاستيلاء على الكويت بالتحديد (مجلة الحوادث اللبنانية بتاريخ ١٩ – ١٢ – ١٩٨٠) .

فالتسيا لانغر

أما النموذج الثالث بين المعادين للصهيونية من اليهود فهو المحامية الاسرائيلية فالتسيا لانغر ، التى أخذت على عاتقها منذ سنوات طويلة (فى أعقاب حرب ١٩٦٧) الدفاع عن المعتقلين العرب ، وهناك محامية يهودية أخرى انضمت الى لانغر فى هذه المهمة هى «ليئا تساهل» .

تقول السيدة لانغر «دفاعاً» عن مهمتها فى الدفاع عن المعتقلين الفلسطينيين انها مؤمنة بحق الشعب الفلسطينى فى أن تكون له دولة مستقلة أولا ، لأن موكليها يحاربون المحتلين لأراضيهم ، وتضيف ان من حق الشعب المضطهد والواقع تحت الاحتلال الأجنبى ، أن يقاتل المحتلين بكل الوسائل المتوفرة لديه بما فيها أسلوب العنف ، وهى لذلك تطالب باعتبار المناضلين الفلسطينيين الذين يقعون فى أسر الاسرائيليين ، أسرى حرب .

وتقول السيدة لانغر انها كانت تضع مسئولية أعمال العنف التى يلجأ اليها الفدائيون الفلسطينيون على سياسات الحكومة الاسرائيلية ، لأن هذه الحكومة ترفض الاعتراف بشرعية النضال الفلسطينى ضد الاحتلال .

وتقول المحامية لانغر ان عملها فى الدفاع عن المعتقلين العرب هو عمل مكروه فى اسرائيل ، وتبرر قيامها بمهمتها بالقول انها تفعل ذلك بسبب معتقداتها السياسة (كيسارية) ، ثم بسبب فهمها وايمانها بمبادىء القانون ، ولكى يعرف الأطفال الفلسطينيون بأن فالتسيا لانغر تساعد أباءهم وأمهاتهم ، وتصف عملها بأنه نوع من الجسور الى السلام بين الاسرائيليين والعرب . (مجلة نيوزويك الاميركية – تموز (يوليو) ١٩٧٨) .

طائفة ناطورى كارتا (حراس المدينة)

تعارض هذه الطائفة التى تعيش فى «بنى براك» قرب تل أبيب وفى حى «مى شعاريم» بالقدس المحتلة ، تعارض

المؤسسة الصهيونية ذات موقف عنصرى ثابت

الصهيونية وتقاومها بشكل شرس ، وترجع معاداتها للصهيونية الى معتقداتها الدينية القائلة إن «اسرائيل» كدولة لن تقوم إلا عندما يأتى المسيح ليخلص «الشعب المختار» من آلامه ويقيم له دولته ، أما اقامة الدولة على أسس سياسية أو غيرها فهو عمل مخالف لتعاليم الدين اليهودى وللتوراة نفسها .

وقد طالب أبناء هذه الطائفة «الصغيرة العدد» بالانضمام الى الأردن قبل سنوات ، ولخص حاخام الطائفة «موشى ليب هيرش» مدى مقاومة طائفته للصهيونية السياسية بقوله : «لن نقبل بدولة صهيونية حتى ولو قبل العرب بها» وقد رفض اعضاء «ناطورى كارتا» منذ عام ١٩٤٨ ، أن يصبحوا مواطنين اسرائيليين ، وقد هددتهم السلطات الاسرائيلية بالغاء اعفاء طلاب المدارس الدينية الخاصة بهم من الخدمة العسكرية ، إلا أن هذا التهديد لم ينفذ حتى الآن . ويقوم انتقاد «ناطورى كارتا» للصهيونية ورفض الدولة اليهودية على أساس فهمهم لمعنى «اليهودى» :

«ولد الشعب اليهودى خلال تلقى الشريعة على جبل سيناء ، وان شريعتنا تبين لنا كيف يجب أن نتصرف كيهود فيما بيننا وتجاه الأمم» – هذا ما يقوله الحاخام أهارون كاتسينيلبوجن الزعيم الروحى للطائفة فى القدس ، والحياة كلها بالنسبة لهذه الطائفة اليهودية هى عبارة عن تقوى وورع ، والعيش وفقاً للشريعة اليهودية هو فى نظرهم ما يجعلهم يهوداً ، أما الصهيونية بالنسبة اليهم فهى ارتداد عن الدين اليهودى ، لأنها بتوكيدها على الهوية القومية والعرقية لليهود تنسف أهمية الشريعة اليهودية ، ودولة اسرائيل فى نظرهم تدمر الحياة اليهودية عن طريق العلمنة لأن العلمنة تؤدى بدورها الى الاندماج . وتصر «ناطورى كارتا» على أن الحكومة الاسرائيلية لا تمثلهم ولا تمثل اليهودية ككل ، وهى تريد أن تقيم جبهة مشتركة مع العرب الفلسطينيين ، وهم يرحبون باقامة دولة علمانية فى فلسطين كما تقترح ذلك منظمة التحرير الفلسطينية .

عصام شريح

● قصــــــة ●

الحب من بعيد

بقلم: عبـــاس خضـــر

نظرت إلي نظرة بليغة قالت لي بها كل شيء ،وعززتها بابتسامة فصيحة كان من فصاحتها ثنايا مرصوفة باقية برغم تقدم العمر ، وأكدت ذلك باستبقاء يدي في يدها مع ضغطة خفيفة ..

وماذا قالت تلك النظرة ؟

لم تتلجلج ، ولم تفافيء ، ولم تثاثيء ، كما يفعل اللسان ... لم تقل : لا أدري كيف قول ومن اين ابدأ .. ولم تتلفظ بما يمكن ان يكون فيه ما تندم عليه ، او ما لا ينبغي قوله ، او كان غيره احسن منه ، او ... الخ .

بل قالت :

ـ لقد ذهب العمر هباء ، الى متى نظل نتجاهل ؟ انا احبك واعلم انك تحبني ، ولكنا كتمنا الحب ، رأيناه اعظم من ان نبوح به .. كان الشباب قادراً على الكتمان المدل .. معتزاً بقوته . والآن ألم تضعف مثلي ؟ لماذا لم تتزوجني ؟ هل فكرت في زواجي ؟ لو حدث ذلك لكنت الآن زوجتك .. زوجة المهندس وام اولاده ، يعيش في المدينة ، كنت اصير «بندرية» بدلا من هذه الفلاحة زوجة الفلاح . طالما رأيتني اسوق البقرة الى الموردة لأسقيها او اعود بها ، ابتسامتان خفيتان من بعيد . او صباح الخير من قريب .

● ● ●

كان قد جاء الى القرية في إحدى زياراته ، وجاءت تسلم عليه كعادة الجيران التي جرى عليها أهل القرية ، تلبس جلباباً قاتم اللون محتشماً ، وعلى رأسها خمار أسود ، قد تغلف بطرفه يدها وهي تصافح رجلا غريباً ، ولكنها الآن لم تفعل ، بل صافحته كأنه ليس بغريب ..

احبها ، نعم صدقت . كانوا جيراناً ، وكانت الى هذا تذهب مثله وهما صغيران الى «الكتاب» مع الصبيان ، لكي يتعلموا ويقرءوا القرآن ، ولم يكن يحب في الكتاب غيرها ، كان كل شيء هناك قاتماً ، وكانت هي الاشراقة الوحيدة .

... وفجأة سمع امها تحادث امه ، جارتان تتحادثان ، كانتا تقولان : انها كبرت وصارت عروساً ، وستزف عما قريب !

خرطها خراط البنات ، فصار لها جسم الأنثى الفاتن ، النهدان برزا ، والقوام يتثنى كالغصن الرطيب يحمل اشهى الثمر سيأخذها العريس المحظوظ ، اما هو فما ابعد فكرة الزواج عن عالمه .. هو في مثل سنها ، ليس للذكور خراط ، فما زال يبدو صغيراً ، وليس الزواج لعب عيال !

وربما كان تطلعه الى حياة اخرى في المدينة يبعد عنه التفكير في الزواج ببنت من القرية ، فالعقل هناك مع التقدم في التعلم ، والوجدان هنا معها .

● ● ●

وهب اني تزوجتها ، تصور ذلك فقط ، انا لا استطيع ان اصنع «سيدتي الجميلة» كما تخيل صاحب القصة المشهورة والذين حاكوه او اقتبسوا منه .. لا استطيع صنع دجاجة فضلا عن امرأة . دع عنك هذا ، فهو ليس في الواقع ، ودع ما يقولونه عمن تزوج فتاة صغيرة : اخذها حتى يطبعها بطباعه ويعودها على عاداته . هذا كلام .. ومن يفعل يخدع نفسه قبل ان تخدعه الصغيرة !

وثانيا .. هل كان يمكن ان يتشرد قيس بن الملوح العامري ويهيم في الأودية والقفار وينشد الاشعار لو تزوج ليلى ؟ هل كان يصير مجنوناً .. مجنون ليلى ؟

وهل كان قيس الآخر يموت في حب لبنى لو لم يطلقها ؛ ارضاء لأبيه ، الذي جلس في الشمس وابى ان ينتقل الى الظل حتى يطلق ابنه زوجته الحبيبة ...

وهل كان روميو يروح شهيداً للغرام لو تزوج جولييت ؟

هل كانت توجد اصلا تلك القصص لو صارت الحبيبة حليلة او استمرت زوجة ؟ فقط كنت تستريح من قراءة هذا «الهذيان» لو تزوجتها !

إذن فليحيى الحب من بعيد ..

وهكذا كان .. ظللت عمرى احبها .. اغذي القلب بطيفها غائبة ، ورؤيتها حاضرة ، وساظل كذلك ما بقيت الحياة .

ولحسن الحظ تزوجت في الجيرة ، تخطر حاملة جرة الماء التي ملأتها من الترعة عائدة الى المنزل . وقد اذهب الى حيث تملأ الجرة كان الأمر صدفة .. واعاونها في حمل الجرة ، واظفر بابتسامتها الشاكرة ..

واحياناً اراها تسوق بقرتها الى مورد الماء لتسقيها ، ما احلى بقرتها ! صفراء فاقع لونها تسر الناظرين !

وأتذكر أياما من الطفولة ، اذ كنت أضع لها «قطرة» في عينيها وهي لا تزال صغيرة لم يتكور في صدرها شيء بعد .. كانت تضع رأسها في حجري مستلقية وأنا أسند الرأس الجميل وأشحذ سهام العينين بسقيهما بالقطارة . وكانت تأتي الى طائعة عندما أزعم لها أن عينيها تحتاجان إلى قطرة ! لا أعبأ بتهديد أمي وأنها ستبلغ أبي اني أحضر زجاجة القطرة من مكانها والعب بها مع العيال .. مع البنات «يابتاع البنات» هكذا تقول أمي وفي صوتها نبرة اعتزاز بي خفية !

وأياما من الشباب الأول إذ هي جالسة أمام الفرن في بيتنا تخبز .. كبرت ما شاء

الله .. ما أحلاها وقد حسرت عن ساعديها ولم يبق على رأسها الا المنديل «أبو أوية» . نسوة أخر يخبزن هكذا ، ولهن مثل ذراعيها البضتين ورقبتها البضة ، ولكن هى بالذات يشع منها ــ من جملتها ــ إشعاع لا يوصف .. ليس يشع من غيرها .

كانت قد عرفت أننا سنخبز . سنوقد الفرن . والخبر ينتشر بين الجارات ، فمنهن من تأتى ــ عند ما يعمل الفرن ــ حاملة فوق رأسها طبقاً كبيراً مسطحاً مصنوعا من سعف النخيل ، فيه أقراص خبز الذرة الذى لا يسوغ أكله باردا فصاحبته تأتي لتجمرد فى الفرن ، ومنهن من ترجو أن تضع فى الفرن بعد انتهاء الخبز قدراً من الفخار بها فول للتدميس ، ومنهن من تأتى ببعض العجين ترجو أن تخبزه ، وهكذا قالت نفيسة ــ اسمها ــ لأمى :

ــ صباح الخير يا خالتى أم على ــ اسمى على ــ هل يمكن أن أخبز عندكم قليلا من العجين ؟

ــ ولم لا يا بنتى ؟ تعالى اخبزى ، الفرن فرنك والبيت بيتك .

وأنا .. ما أسعدنى فى مثل هذا اليوم .. أجلس على «برش» هناك أو بردعة حمار موضوعة الى جدار قريب من الفرن ، قد ينطلق لسانى بكلمة أو أقول نكتة تبتسم لها نفيسة .. فأكاد أطير من الفرح !

غير مرة لم أفرح فيها ، بل على العكس شعرت بشىء من الانقباض .. عثرت على كتاب بيرم التونسى اسمه «سيد ومراته» وهو قصة مكتوبة باللغة العامية ، فيها حوار ظريف بين رجل وامرأته عائدين من باريس ، قلت فى نفسى : اقرؤه أمام الفرن لأسمع نفيسة هذا الحوار الظريف ، وجعلت أقرأ ، ولكن راعنى قولها :

ــ ولماذا هذه الدردشة الفارغة بعد أن عادا من السفر ؟

هل تقصد أني أقرأ كلاما فارغا لا داعي له ؟ هذا ما تبادر إلى فهمي ، فشعرت بالانقباض .. وطويت الكتاب .

فكرت فى الأمر بعد ذلك ، فاستقر فكرى على أنها لم تقصد ، إنما هى حساسية زائدة من جهتى ، ثم قلت فى نفسى :

ــ يا أخى ، وما الداعى لذلك ؟ تريد أن تقرأ شيئاً افعل بينك وبين نفسك .

الواقع أنى كنت غرا أو قل عبيطاً بصريح العبارة ، اذ ظننت أن ما أحبه لابد أن يحبه غيرى ..

بقيت هكذا مشغولا بحبها طول العمر ، أنتشى بذكراها وطيفها وأنا بعيد ، وأسعد برؤيتها وبحديثها وأنا قريب .

لم أنس حبها قط ، وان كان يغيب عنى فى فترات أنشغل فيها بشئون الأولاد ، ومطالب الزوجة ، وهموم الوظيفة من حيث الترقيات والعلاوات والاحتكاك فى العمل بمن يحسد ويحقد ويناوىء .

وكأن حب نفيسة واحة فى صحراء ، يأوى إليها فراراً من المتاعب والمشاغل ، فهي الظل الظليل الذى يعيد إليه سكينة نفسه ويشعل فى قلبه الشمعة الدائمة .

وفى خلال ذلك كبرت ، وصار لى شارب ، وجعلوا يخاطبوننى بعلى افندى ، فلم يعد لائقاً بي أن اجلس على البرش عند الحريم أمام الفرن .. وأحيانا أعوض عن هذا بدعوة الى الشاى من زوجها فى بيته ، حيث تقدم هى لنا الشاى وتقول :

آنستنا يا علي أفندى ، لقد زارنا النبى !

ــ شكراً لك يا نفيسة ، سلمت يداك اللتان صنعتا هذا الشاى المضبوط .

والنساء فى قريتنا لا يحتجبن عن الرجال ، بل يكفى أنهن محتشمات يدنين عليهن من جلابيبهن .

● ● ●

جلس لاستقبال الرجال الذين توافدوا على «المندرة» يسلمون عليه .

ولما انفض الجمع دنا منه زوج نفيسة قائلا فى شبه همس :

ــ الحقنى يا على أفندى ..

ــ ماذا جرى ؟

ــ نفيسة امرأتى !

قال وهو يكتم شعوراً بالانقباض :

ــ مالها ؟

ــ غضبت وتركت البيت وذهبت الى بيت أخيها .

أفرخ روعه فقال فى شىء من الارتياح :

ــ هيه ...

ــ كنت أتفاهم مع أبيها الله يرحمه ، كان رجلا طيباً ، أما أخوها فقد قلت فى نفسى ليس له الا أنت ، والحمد لله جئت فى الوقت المناسب .

عبـاس خضر



بنفسَجَة للوطن

وَطنٌ :

وطنٌ مُستَطاعٌ .. ونَهرٌ مُطيعٌ

بَلْدةٌ :

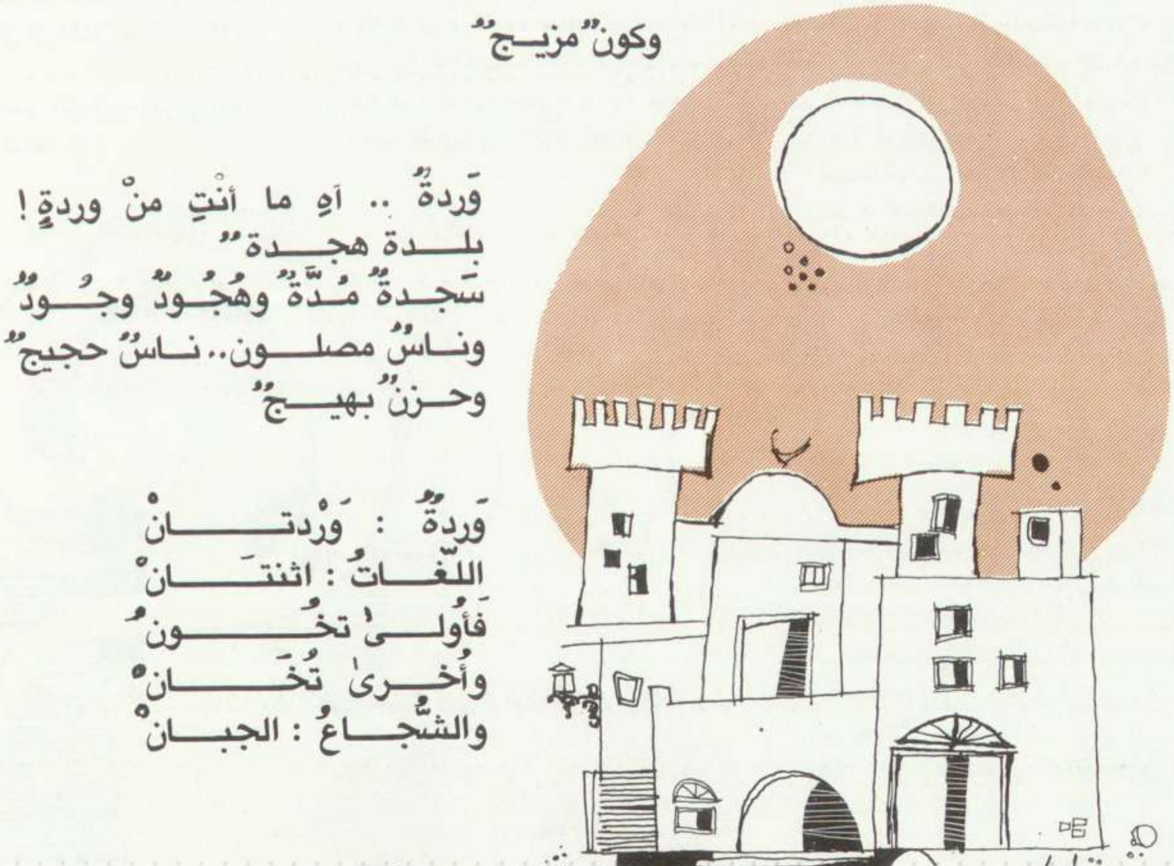
بَلدةٌ عِدّةٌ .. وقَطيعٌ جَميعٌ

وَرْدةٌ :

وردةٌ فَرْدَةٌ .. وأَريجٌ أجَيجٌ

ومَاءٌ فُراتٌ ومَاءٌ خليجٌ

وكونٌ مزيجٌ



وَردةٌ .. آهِ ما أنْتِ منْ وردةٍ !

بلدة هجدةٌ

سَجدةٌ مُدّةٌ وهُجُودٌ وجُودٌ

وناسٌ مصلون.. ناسٌ حجيجٌ

وحزنٌ بهيجٌ

وَردةٌ : وَرْدتان

اللّغاتُ : اثنتَانْ

فأولَى تخُون

وأُخرىٰ تُخَانْ

والشُّجاعُ : الجبانْ

تُخْجِلينَ المهَاهْ

حين تَبدينَ فى خُيلاءِ الهَواءِ

.. وفي شفتيكِ ندىٰ البُرْعُمِ

تحتمينَ بأوجِ المسافةِ ، والذّكرياتِ

شعر: حسن طلب

فَلا تحْتَمي
يا بنفسجتي المُشتَهَاه
واسْلَمي
إنَّما أنْتِ لي زهرةٌ
زهرةٌ كثرةٌ .. وأثيرٌ عبيرٌ
ومَنْظومةٌ حُرَّةٌ
أنتِ لي لغةٌ مُصْطفَاه
ومَواويلُ مأمورةٌ بالبكاءِ
وشعرٌ أميرٌ
وأنتِ شجًى بالغٌ مُنتهَاه

تُشبهينَ الوطنْ
حينَ تُزهِرُ في اسْميكُمَا وردةٌ من دمي
وردةٌ سُدَّةٌ .. وقصيدٌ رَصيدٌ
فلا تنْدمِي

يابنفسجَتي المُبتَلاه
إنَّ مِيعادَنا لم يَحِنْ



بلدةٌ .. آهِ ما أنتِ من بلدةٍ !
يابنفسَجَتي المرتجَاه
أنتِ لي وردةٌ فردةٌ
وأريجٌ مزيجٌ
وليسَ كجاهِكِ في القلبِ جَاه
فالنجَّاةَ .. النجَاه

وردةٌ : بلدتانْ
المدىٰ والأوَانْ
فيكِ يجتمعانْ
وعقيقُ الزمانْ
أينَما كُنتِ كانْ
بلدةٌ : وردتانْ

وردةٌ : وردتانْ
الهوَىٰ : هَيْلمانْ
صُبحُهُ مِهْرجَانْ
ليْلُهُ معمعانْ
والمُعِينُ : المعَانْ

بلدةٌ هجدةٌ عِدَّةٌ
وردةٌ فردةٌ سُدَّةٌ
سَجدةٌ مُدَّةٌ
شِدَّةٌ
حدةٌ
صَهْدةٌ
رِعدةٌ رِعدتانْ
....
الأمَانَ .. الأمَانْ

مؤرخ يهودي يشوّه سمعة كليوباترا

بقلم الدكتور أحمد عتمان

كثيرة هي المسلمات التى ينبغي أن نعيد النظر فيها ، ومنها القول بأن التاريخ يحفظ الحقائق دون سواها . فهذا القول ـ وإن صح فى مجمله ـ يغفل حقيقة أخرى ملموسة وهي أن التاريخ حفظ لنا أيضاً بعض الأكاذيب . والصورة التاريخية التقليدية لكليوباترا السابعة (٧٠/٦٩ ق.م ـ ٣٠ ق.م) ملكة مصر وآخر الملوك البطالمة هي اكذوبة كبرى . ولقد توارث المؤرخون والأدباء هذه الصورة جيلا بعد جيل وصرنا لا نرى فى كليوباترا سوى امرأة لا تجيد سوى فنون الهوى ونسي المؤرخون والأدباء أن هذه الصورة التقليدية لكليوباترا ـ أعني هذه الأكذوبة الكبرى ـ هى من صنع اجهزة الاعلام الامبراطورية المغرضة فى روما . فكليوباترا هى التى تحالفت مع أنطونيوس ووقفت فى وجه امبراطور روما أوغسطس فأوعز الأخير الى الدوائر الأدبية الرومانية بشن هجمة دعائية لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل على كليوباترا الملكة الشرقية المتمردة . ولقد قاد هذه الحملة الاعلامية فرجيليوس أمير الشعر اللاتينى وكذا هوراثيوس وبروبرتيوس.

ثم جاء بلوتارخوس وواصل الحملة مع بقية مؤرخى وأدباء الامبراطورية الرومانية . وسنترك أمر تفنيد هذه الادعاءات والافتراءات الرومانية الى دراسة مفصلة لا يتسع لها المجال هنا . ويهمنا الآن التنويه الى أن اليهود لم يتركوا هذه الفرصة السانحة فقد ساهموا مساهمة فعالة فى الحرب الاعلامية الرومانية وشاركوا فى تشويه سمعة كليوباترا .

هذا المؤرخ المغرض

كان نيكولاوس الدمشقى (المولود حوالى ٦٤ ق.م) مربياً لأبناء كليوباترا ، ثم ترك خدمتها وانضم الى حاشية الملك اليهودى هيرود (هيروديس) الكبير (حوالى ٧٣ ق.م ـ ٤ ق.م) . ونشر نيكولاوس الدمشقى هذا ترجمة ذاتية بالاضافة الى سيرة تمجيدية لشباب أوغسطس وتاريخ عالمي فى مائة وأربعة وأربعين كتاباً يبدأ من أقدم العصور وينتهى بموت الملك اليهودى سالف الذكر . ولقد وصف بالتفصيل الأحداث التى عاصرها وعاشها بنفسه مما يعطى لكتاباته أهمية كبرى لا يعوضنا عن فقدانها سوى ما اقتطفه منها المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس (٣٧ / ٣٨ م ـ ١٠٠ م) .

ولقد ألف هذا المؤرخ اليهودى كتاباً بعنوان «عن الحروب اليهودية» نشر عام ٧٤ ـ ٧٩ م . وله مؤلف آخر بعنوان «الآثار اليهودية» نشر عام ٩٣/٩٤ م . فى عشرين جزء . ولقد ضمن فلافيوس يوسيفوس الكتابين معلومات قيمة عن علاقة كليوباترا بالملك اليهودى هيرود الكبير . وبادىء ذي بدء كيف يمكن الاعتماد على رواية هذا المؤرخ الذى استمد معلوماته فى غالبيتها من مذكرات الملك اليهودى نفسه ومن نيكولاوس الدمشقى الحاقد على كليوباترا بعد أن فقد شرف خدمتها فصار من أخلص أتباع هيرود ؟ . وإذا أردنا أن ندلل على انحياز المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس انحيازاً تاماً لسيده ملك اليهود هيرود فلن نفعل أكثر من الاشارة الى مقالة بعنوان «فى الرد على أبيون» وفيها يهاجم هذا المؤرخ ويفند الآراء «المعادية للسامية» ـ إن صح التعبير ـ لدى مختلف الكتاب القدامى من القرن الثالث ق.م الى أبيون الذى تحمل المقالة اسمه وهو اغريقى متمصر عاش فى الاسكندرية ثم رحل عنها الى روما أيام الامبراطور

تيبريوس (١٤ م ـ ٣٧ م) وظل هناك حتى عصر كلاوديوس (٤١ م ـ ٥٤ م) . بقي أن نعرف سر هجوم فلافيوس يوسيفوس على أبيون : لقد نسب الى أبيون مقالا يمتدح فيه كليوباترا وينتقد اليهود ! فما كان من فلافيوس يوسيفوس إلا أن اتهمه بمعاداة السامية لأنه شايع كليوباترا . والسؤال الآن ماذا سيفعل هذا المؤرخ بكليوباترا نفسها ؟

لقد غطت توسعات كليوباترا فى الأرض ـ بفضل هدايا حليفها وعشيقها وزوجها أنطونيوس ـ مساحات شاسعة من منطقة الشرق الأوسط كما نسميها الآن . لقد أرادت هذه الملكة أن تحيي الامبراطورية البطلمية التى أسسها جدها بطليموس الأول المنقذ (حوالى ٣٦٦/٣٦٧ ـ ٢٨٢/٢٨٣ ق.م) . وهى امبراطورية ضمت أجزاء كبيرة من سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن ـ كما تسمى هذه المناطق الآن ـ بل وشملت أجزاء من آسيا الصغرى . وهذه الممتلكات التى استعادت كليوباترا معظمها غطت مناطق غنية بالغابات التى استغلت كمصدر أساسى للأخشاب فى عصر البطالمة الأوائل بل ومنذ العصر الفرعونى . ومن هنا نفهم حرص كليوباترا على ضم هذه الأراضى من ناحية ومدى أهمية أن تمتلك مصر هذا العمق الاستراتيجى اللازم لبناء الأساطيل من ناحية أخرى . ويمكن أيضاً أن نتفهم لماذا وهب أنطونيوس هذه الأراضى الى كليوباترا فلقد أراد أن تلعب مصر بأساطيلها القوية دور الشرطى فى شرق البحر الأبيض المتوسط، حيث توفرت لدى مصر القوة البشرية والخبرة الملاحية ولم يكن ينقصها سوى الأخشاب وها هو أنطونيوس يسد هذا النقص .

ما يهمنا الآن أن كليوباترا أخذت بعض الأراضى من ممتلكات هيرود ملك اليهود ، وكانت علاقاتها بهذا الملك من قبل مثار ضيق وحرج لأنطونيوس . فبعد أن كانت الملكة المصرية على علاقات ودية معه تغير الحال وصارا



كليوباترا : تناولتها اقلام الكتاب في العالم بالدراسة .. وأيضاً كاميرات السينما وخشـــبات المسرح .

مؤرخ يهودي يشوه سمعة

كليوباترا

عدوين لدودين . ذلك أنه بعد أن كان هيرود أميراً مناضلا فى المنفى أصبح الآن حاكماً فى جيروسالم (القدس) وهو المركز الذى جعله يمثل العقبة الكئود أمام طموحات كليوباترا فى احياء الامبراطورية البطلمية . وبالمنح التى وهبها أنطونيوس الى كليوباترا أصبحت الملكة المصرية تحكم أراض تحوط بالمملكة اليهودية من كل جانب مما دفع هيرود الى أن يحصن حدوده الجنوبية خوفاً من وقوع غزو مصرى مفاجىء .

أما أنطونيوس فقد تنازعه هدفان أراد أن يحققهما فى وقت واحد . إذ كان يزمع توسيع ممتلكات حبيبته وحليفته المصرية ولكنه بنى سياسته الشرقية على أساس قيام دولتين قويتين لا دولة واحدة إحداها مصر والأخرى تحت حكم هيرود . ويبدو أن المملكة اليهودية كانت تمثل بالنسبة له وفى حروبه القادمة سنداً قوياً وإلا فلماذا بذل جهوداً مضنية فيما بين (٤٠ و ٣٧ ق.م) ليجلس هيرود على عرش جيروسالم (القدس) ؟ خلاصة القول ان أنطونيوس لم يكن على استعداد لأن يضحى بالمملكة اليهودية من أجل عيون كليوباترا التى حاولت ذلك مراراً بالعتاب اللين حيناً وبالتضرعات العاطفية أحياناً ثم سعت بعد ذلك جاهدة بالسياسة والمكر وذهبت كل مساعيها سدى .

بيد أن أنطونيوس قد أجبر هيرود على تقديم بعض التضحيات وأولها أن يتنازل عن الشريط الساحلى لمملكته . ذلك أن يوليوس قيصر كان قد أعطى لليهود ميناء جوبا وهو الميناء الذى يسلمه أنطونيوس الآن الى كليوباترا مع بقية المدن الساحلية المجاورة باستثناء «عسقلون» التى بقيت مستقلة و «غزة» التى تركت لهيرود لتكون المخرج البحرى الوحيد لمملكته . وبذلك أصبح ساحل البحر المتوسط الشرقى حتى أقصى شمال لبنان الحديثة ملكاً لكليوباترا . ولكن الذى حز فى نفس هيرود بصفة خاصة هو أنه خسر بساتينه التى كانت تدر عليه أموالا طائلة . وهى بساتين تقع على مسافة ليست ببعيدة عن النهاية الشمالية للبحر الميت وتضم أشجار النخيل التى تنتج على مستوى اقتصادى مرتفع أجمل وألذ أنواع البلح المعروف فى العالم . وبها أيضاً مزارع البلسم والذى كانت أسعاره مرتفعة جداً لأنه كان يستخدم كعطر سحرى ودواء طبى ، يعالج الكثير من الأمراض ، ولقد تم التوصل الى ترتيبات معينة يستاجر بموجبها هيرود من كليوباترا هذه البساتين التى ضاعت منه على أن يدفع مبلغاً معيناً من المال كل عام . ولقد كان هيرود سعيداً بهذه الترتيبات الى أقصى حد فاخشى ما كان يخشاه حينئذ هو أن يتدفق الرسميون المصريون الى هذه المنطقة الغنية التى لم تكن تبعد عن جيروسالم سوى خمسة عشر ميلا . وجدير بالذكر أن كليوباترا كما يروى أخذت بعض الشتلات من شجيرات البلسم لكى تزرعها فى هيليوبوليس بمصر الوسطى !

وبأمر من أنطونيوس قدم العرب النبطيون (أو الأنباط) أيضاً بعض التنازلات فى الأرض الى كليوباترا . ولقد كانت دولتهم هى أكبر دولة عربية موجودة فى تلك الآونة . كما أنها لم تك تابعة للرومان بصفة واضحة وإن كانت تعتمد عليهم كثيراً وتخضع لنفوذهم . كانت أراضى هذه الدولة العربية تضم الأردن الحديث ثم تمتد جنوباً على ساحل البحر الأحمر فتشمل خليج العقبة وأجزاء من شبه جزيرة سيناء . وربما كانت كليوباترا تطمع فى ضم أراضى هذه الدولة برمتها الى ممتلكاتها ولكنها على أية حال لم تنل سوى قطعة صغيرة فى أقصى جنوب البحر الميت .



كليوباترا

وأهم من ذلك أنها حصلت على امتياز استغلال القار (أو الحمر) الذى كان يطفو على سطح هذا البحر ويستخدم كعقار طبى ، وكمادة حافظة ، ومبيد حشرى ، وملاط للبناء . وتم التوصل الى ترتيبات معينة تسمح للعرب النبطيين باستغلال القار نظير ايجار سنوى يدفعونه الى كليوباترا . ولكن هيرود ملك اليهود الذى لم تغمض له عين منذ فقد بساتينه الغنية رأى أن يعوض خسائره فتقدم بعرض بارع فيه كثير من المكر والدهاء . لقد عرض أن يكون الوسيط بين العرب وكليوباترا أى أن يكون هو المسئول عن المبالغ التى يدفعها العرب النبطيون لكليوباترا . ومع أن هذه المهمة تعرضه لكثير من المتاعب إلا أنها تمثل ضربة لعصفورين بحجر واحد . حقاً انه كان مرتبطاً بملوك العرب النبطيين عن طريق المصاهرة والتجارة إلا انه لم يكن مستريح البال فى تعامله معهم . ومن ثم كان يدبر عن طريق العرض المقدم منه للتدخل فى شئونهم الداخلية بهدف التخريب . ومن ناحية أخرى فعن طريق نفس العرض كان يجامل أنطونيوس بطريقة غير مباشرة لأنه كان يعلم أن إرضاء كليوباترا يدخل السرور على نفس أنطونيوس .

وإذا كان هيرود يظن انه بذلك قد

● عندما أخذت كليوباترا بعض الشتلات من شجيرات البلسم لتزرعها في مصر الوسطى

● قصة محاولة كليوباترا الايقاع بـ«هيرود» هي محض افتراء مغرض!

أشبع نهم كليوباترا فقد أخطأ لأنها كانت فى الحقيقة تحلم بازالته هو ومملكته من الوجود نهائياً ، وإلقائه فى البحر . ولقد برهنت كليوباترا على نواياها تلك بمحاولاتها المتكررة للتدخل فى شئون المملكة اليهودية الداخلية . فيحكى أن هيرود كان قد تزوج من ماريام (أو ميريام) أميرة الأسرة الملكية الهاسمونية القديمة عام ٣٧ ق.م . فحل فى الحكم محلها وكان الهاسمونيون السابقون كهنة يهود لهم مكانتهم كما كان بعضهم ملوكاً وامراء . أما هيرود الذى صار الآن ملكاً فلم يستطع أن يتولى منصب الكاهن الأعظم لأنه لم يسبق له أن تولى أية مناصب كهنوتية من قبل . وطفق يبحث عن شخص مناسب يتولى هذا المنصب فلم يجد سوى أخ ماريام ويدعى أريستوبولوس ، ولكنه فى اللحظة الأخيرة عدل عن هذا الاختيار واستبدله بشخص آخر متخذاً من صغر سن اريستوبولوس الذى لم يجاوز السادسة عشرة ذريعة . وهنا غضبت أم الأخير وتدعى ألكسندرا وأرسلت الى صديقتها العزيزة كليوباترا أحد المغنين لكى يطلعها على الموقف ويطلب منها أن تمد يد العون لها وبوصف كليوباترا «إيزيس الجديدة» رأت أنه من المناسب أن تتبنى قضية النساء وتدافع عنها أمام سيد المنطقة كلها أنطونيوس . ونجحت كليوباترا فى مسعاها مما اضطر هيرود ملك اليهود الى التراجع والرضوخ بتعيين اريستوبولوس فى منصب الكاهن الأعظم .

رواية مريبــة !

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن ننظر الآن دون أى تخوف الى صورة كليوباترا فى رواية المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس التى ساهمت دون شك فى تثبيت سمعة كليوباترا السيئة على صفحات التاريخ . لقد قامت الملكة المصرية ـ وفق هذه الرواية ـ بزيارة المملكة اليهودية بفضل وساطة نيكولاوس الدمشقى الذى كان عندئذ يقوم على تربية أطفالها والذى انتقل فيما بعد الى خدمة هيرود وأصبح مستشاره الخاص . ولقد حفظ لنا فلافيوس يوسيفوس بعض الفقرات المقتطفة من مؤلف نيكولاوس الدمشقى «تاريخ العالم» ومنها الفقرة التالية التى تعطى لنا رواية هيرود المريبة لزيارة كليوباترا الغريبة للمملكة اليهودية :

«عندما اجتمعت كليوباترا بهيرود عدة مرات حاولت إغراء الملك . وربما شعرت فعلا بشىء من الميل نحوه ولكنها على الأرجح كانت تدبر سراً للايقاع به فى فخها متظاهرة بأنها قد غلبت على أمرها . ولكن هيرود الذى لم يكن على علاقات ودية مع كليوباترا منذ أمد بعيد وكان يعرف الكثير عن غدرها بالرجال توفرت لديه الأسباب العديدة لكى يحتقر مغالاتها الى هذا الحد . فاذا كانت تسعى حقاً للايقاع به فى فخ الاغواء فمن الأولى أن تكون له غداء قبل أن تقدمه هى على مائدة العشاء . ولهذا السبب تحاشى عروضها واستشار خلصاءه فيما اذا كان عليه أن يقتلها وهى الآن فى قبضة يده . وقال انه بهذه الطريقة قد يخلص ليس فقط أولئك الذين أوقعتهم فى حبائلها المهلكة بل أيضاً الذين قد يقعون مستقبلا ضحايا لشرورها الكثيرة . ودلل على أن مثل هذا العمل سيكون لصالح أنطونيوس نفسه فهى لم تبد أية بادرة للوفاء له فى ساعات الحاجة وأوقات الشدة . ولكن أصدقاءه حالـوا بينه وبين تنفيذ خطته . وأشاروا عليه بأن الأمر أولا وقبل كل شىء لا يستحق أن يورط نفسه فى خطر داهم قد ينجم عن هذه الخطوة ثم توسلوا اليه ألا يتصرف فى هذا الموضوع بتهور ، وقالوا ان انطونيوس لن يصفح قط عن من يقدم على مثل هذا العمل ولو تبينت له المزايا المترتبة عليه مستقبلا . فمن جهة سيزداد حبه لها اشتعالا على اشتعال إذا تسرب الى ظنه أنه قد حرم منها بالقوة أو بالخيانة ومن جهة أخرى فلن يـكون هناك أى عذر مقبول لديه للتآمر ضد امرأة احتلت على أية حال المكانة العظمى بين أهل زمانها . وأما عن الفائدة المرجوة من مثل هذا العمل إذا كانت هناك حقاً أية فائدة فسوف تتلاشى إن قرنت بالطيش الواضح فى عدم تقدير موقف أنطونيوس . ومن ثم فان هذا الطريق ـ كما لا يصعب على أحد أن يرى ـ محفوف بالمخاطر وسيجلب شروراً لا نهاية لها على عرشه وأسرته (أى هيرود) ... وبعد أن زرعوا الخوف فى قلبه وبينوا له الأخطار الكامنة فى مثل هذه المحاولة منعوه من تنفيذها» .

ومن الجلي الذى لا يحتاج الى توضيح أن هذه الرواية اليهودية عن محاولة كليوباترا إغواء الملك اليهودى هيرود مختلقة ولا أساس لها من الصحة . لقد كان هدف هذا الملك متطابقاً مع هدف كليوباترا فى أن يظل كل منهما عند حسن ظن أنطونيوس وعلى وئام تام معه . وليس بقتل كليوباترا سيكسب هيرود رضى العاهل الرومانى كما أنه ليس باغواء هيرود ستحافظ كليوباترا على حب وحماية أنطونيوس لها . ومن المرجح أن الذى حدث هو أن الملك اليهودى بعد موت كليوباترا وأنطونيوس أراد أن يكسب ثقة عدوهما المنتصر أوغسطس فزعم ما زعم وأشاع أنه قد حاول مراراً أن ينصح أنطونيوس بالتخلص من كليوباترا والتخلى عنها وأنه نفسه كان يفكر فى قتلها لتخليص العالم من شرورها . إن قصة محاولة كليوباترا لاغواء هيرود هى محض افتراء مغرض من جانب هذا الملك اليهودى الداهية أريد بها تلطيخ سمعة كليوباترا وتشويه صورة هذه الملكة التى سيطرت على عقل وقلب أنطونيوس محرك الأحداث فى منطقة الشرق آنذاك .

د. أحمد عتمان

● نافذة على الأدب اليمني ●

محكمة في جنة الشعراء!

بقلم: عبد الرزاق البصير

تلقيت ، بكل ابتهاج ومسرة ، مسرحية كتبها الأديب اليمنى المعروف أحمد محمد الشامى بعنوان «محكمة فى جنة الشعراء» ، فاقبلت عليها بكل شوق وشغف لأن هذا الأديب من الذين يحترمون قراءهم حين يصدرون آثارهم .

فهو لا ينشر أثراً من آثاره ، شعراً كان أو نثراً ، إلا إذا اعتقد أن فى هذا الأثر اضافة جديدة ، بالاضافة الى أنه متفرغ للعطاء . حريص أشد الحرص على متابعة ما يجرى فى الساحة اليمنية من نشاط فكرى وأدبى ، بل هو يشارك مشاركة قوية فى هذا الميدان ، فله مؤلفات كثيرة تشهد له بذلك . وأنا من الذين يسألون أنفسهم عندما يفرغون من قراءة أى عمل أدبى : هل ظفرت بجديد ؟ فان كان الجواب بالايجاب زاد تقديرى لمن قام بذلك العمل واعتقدت أننى لم أضع وقتاً سدى . وإن لم أحس لذلك العمل أثراً فى نفسى ندمت على ما فرطت من وقت ، وما أكثر الأعمال التى تنسب الى الأدب والفكر وليست فى الواقع إلا فقاقيع لا تسمن ولا تغنى من جوع .

والحق انى كدت أنصرف عن هذه المسرحية حينما بدأت فى قراءة مقدمتها إذ أنها تقول بأن المؤلف استمد مسرحيته من مقالة للشاعر الأستاذ أحمد المعلمى عنوانها «كابوس مرعب» ، ومقالات للأستاذ علي بن علي صبرة تحت عنوان «الهبل : رافضاً ومرفوضاً» ، ومقالة للدكتور أبو بكر السقاف تحت عنوان «اللغة والثقافة» ، ومقالة للمؤلف تحت عنوان «جلد الشعراء وكابوس المعلمى»

ثم أتبع ذلك بقاموس ذكر فيه بعض المصطلحات اليمانية مثل لفظة : عيفط ، والعكفة ، وفايلين . وأنا أرى أن المؤلف لو أورد المقالات التى اعتمد عليها فى تاليف هذه المسرحية لكانت الفائدة أكبر وأعم لأن هذه المقالات نشرت فى صحف يمنية متفرقة لم يطلع عليها إلا من قدر له أن يتابع تلك الصحف ، ثم أنى متأكد بأن تلك المقالات غنية طريفة ينتفع بها كل من يطلع عليها .

ولكننى مع ذلك أقبلت على قراءة المسرحية ، فوجدت فيها تصويراً لما كان الأدباء والشعراء يعانونه أيام حكم يحيى حميد الدين . ومن المعلوم أن زمن ذلك النظام قد مضى وانقضى وأن الكثرة الكاثرة من المثقفين المتقدمين فى السن يملكون صورة لتلك الحقبة التى مر بها اليمن السعيد حتى ليخيل الى كثير من الناس أن إعادة رسم تلك الصورة من الأمور التى لا داعى لها ، غير أن الموهبة الفنية التى يتصف بها المؤلف تشد القارىء اليها . على أن فيها مواقف — وإن كانت مستوحاة من تلك الحقبة اليمانية البائدة — فانها كثيراً ما تنطبق على حالات مايزال الشعب العربى يعانى منها أشد المعاناة ، منها ضيق كثير من الذين يملكون زمام الأمور فى وطننا العربى بالشعراء والأدباء الذين لا هم لهم إلا تنبيه الجماهير وإثارتهم على ما يقع من تقصير فى حقوق الشعب . فلنقرأ قول المؤلف على لسان ذلك الملك المستبد :

«جلد الشعراء ، جلد الأدباء ، لله در البردونى انه لألمعى لدود وحصيف وداهية ، فالشعراء والأدباء هم الوباء وسبب البلاء ، وكل شر حل باليمن على مدى العصور هم صانعوه» .

وأنت اذا قرأت هذه الفقرة بطولها تجد أن المؤلف قد ضرب عصفورين بحجر فأما أحد العصفورين فهو ما أشرت اليه من ضيق المستبدين بالشعراء والأدباء المخلصين ، أما العصفور الثانى فانه ينتقد الشاعر اليمنى المعروف فى تعبيره فى احدى مقالاته أو قصائده بأن الشعراء يستحقون الجلد . والذين تابعوا آثار هذا الأديب يعرفون أن خصومة أدبية عنيفة قد اشتعلت بين المؤلف وبين الدكتور عبد العزيز مقالح من جهة وبين الشاعر البردونى من جهة أخرى ، ويبدو أنها ماتزال مشتعلة وكنت أتمنى لو أن المؤلف أوضح لقرائه الموقع الذى استعمل فيه البردونى جلد الشعراء والأدباء .

بين الأدباء والشعراء

ومهما يكن من أمر ، فان القارىء لا يكمل استمتاعه بهذه المسرحية إلا اذا كانت عنده خلفية لما يجرى بين الأدباء اليمانيين وشعرائهم من نشاط فكرى وأدبى وما يحدث من خصومات نشأت عن اختلاف فى الاتجاه والتفكير ، أعنى أن هناك رافداً ثرا من الأدب العربى لا يكاد يعرفه أحد غير اليمنيين مما يحتم على مؤلف هذه المسرحية أن يضع حواشي يبين فيها ملامح عن نشاط أدباء اليمن . فأنت حين تاخذ فى قراءة هذه المسرحية يتبين لك أن مقال «الكابوس المرعب» الذى كتبه الأستاذ الشاعر أحمد المعلمى وهو من أعلام الأدب اليمنى ، هذا المقال أحدث ضجة بين المثقفين اليمنيين ، فعقب عليه بعض الكتاب ، كما تجد أن ملك اليمن السابق أحمد حميد الدين قد خمّس قصيدة لأبى فراس وقصيدة أخرى لقطرى بن الفجاءة ، ولم يكن هو الذى خمّس هاتين القصيدتين ، وإنما الذى قام بتخميسهما أحمد الحضرانى ومؤلف هذه المسرحية . تجد ذلك كله فى حوار شيق يجريه المؤلف مع ابنته فى أول الأمر ومع ابراهيم الحضرانى ، أحد شعراء اليمن ، فيما بعد ، فى حضرة أمير الشعراء القدامى امرؤ القيس وهو يحمل المتحاورين على أشعة ملونة ربما يخترعها العلم الذى أوصل الناس الى القمر ، فان أكثر

المخترعات العلمية قد نشأت عن خيال شاعر أو حلم فنان ، وقد لا يخطىء من يظن أن تخيل مؤلف هذه المسرحية ناشىء من جو رسالة الغفران أو من رواية واق الواق التى أنشأها محمد محمود الزبيرى ، أحد نوابغ اليمن ، فقد كان امرؤ القيس جالساً فى محفل يضم أصحاب المعلقات وأبى الطيب المتنبى وأبى تمام والشريف الرضي والحسن الهبل وأبى نواس والبحترى ومهيار وعمارة اليمنى . أما مناخ هذا الحفل فانه مناخ مثالى تسوده المساواة والعدالة والحرية ومفاهيم انسانية خالصة ، بعيداً عن مفاهيم الساسة وأصحاب المذاهب الاقتصادية والفكرية التى أفرزتها ظلمات القهر والاستعباد فى دار الأحياء والتى تصطنع الفاظاً مزخرفة لا تعنى أكثر من المجاملة والخداع .. وهذه الدولة متكاملة الجوانب ، لها وزراء ولجان وأمناء سر للجان والوزراء ، على أن عمل هذه الدولة مقصور على القضايا الأدبية كالشعر الحديث واللهجات الدارجة التى كثيراً ما تكون مفرداتها من اللغة الفصحى دون أن يعرف أهلها ذلك . لهذا تجد فى هذه المحاكمة معظم ما حدث من خصومات بين شعراء اليمن وأدبائها كخصومة المؤلف وكثير من الشعراء للشاعر البردونى ، غير أن المؤلف يدفعه تجرده وانصافه بأن يعلن بأن قدم البردونى راسخة فى الشعر .

كما بين أن الدكتور عبد العزيز مقالح أديب فاضل باحث ، إلا أن المداراة تغلب عليه فتراه يثنى على أصدقائه بما لا يستحقون . وكمثال على ذلك ما كتبه المقالح من إطراء فى مقدمته لكتاب أبى بكر السقاف «دراسات فكرية وأدبية» مع ما فى هذا الكتاب من تراجم ركيكة التعبير ضعيفة الحبك لأشعار روسية وتهجمات مغرضة على المثل العليا والقضية الوطنية والزعماء الأحرار ، طبقاً لما يقوله الأستاذ الشامى مؤلف هذه المسرحية . ويتطرق المؤلف فى هذا المشهد الى أمور أدبية كثيرة يضيق المجال عن ذكرها ، إذ أنه اتخذ هذه المسرحية وسيلة لابداء آرائه وأحكامه على خصومه وأصدقائه ، فقد بلغ من شدة رفضه للشعر الحديث أنه تخيله صواريخ شدخ بها رأس محمد محمود الزبيرى ومن معه وهم فى طائرة أخروية. وقد لاحظ الدكتور عبده غانم أن قذائف تلك الصواريخ «ليست ذات نبرة عربية ، مما يدعو الى الريبة ، فربما أنهم قد استعانوا بخبراء أجانب ، وهم ــ مهما أتقنوا اللغة العربية تعبيراً وكتابة وقراءة ونحواً ــ لا يستطيعون أن ينسجموا مع أوزان الشعر وتفعيلات أبياته وقوافيها» . من هذه الفقرة يتبين مقدار رفض الأستاذ الشامى للشعر الجديد ، وقد كانت على لسان شاعر أشك فى أنه يشارك الشامى فى استبعاده للشعر الحديث ، وعلى كل فان هذه الفقرة قد قيلت لأمير الشعراء امرىء القيس وهى مبدأ حوار لتشكيل محكمة للبردونى وعلي صبرة وجماعة من الشعراء اليمانيين فى محاولة طويلة أراد منها المؤلف أن يثبت تجرده فى أحكامه لأنه لم يقبل أن يكون رئيساً لتلك المحكمة فهو معروف بخصوماته الأدبية للشعراء الذين يصطنعون الشعر الحر ، ثم انتهى الأمر بأن تكون غزال المقدشية رئيسة المحكمة وهى احدى شاعرات اليمن ، ولعل المؤلف قصد أن يوضح بأنه من الذين يناصرون المرأة ويعطونها ما تستحق من التكريم ، فانت تجد له أبياتاً يعرض بها رأى أبى العلاء المعرى فى المرأة معارضة شديدة . فأبو العلاء المعرى يقول :

علموهن الغزل والنسـج والردن
وخلـوا كتابـة وقـراءه
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص
تغنـى عـن يونس وبـراءه
يهتـك الستر بالجلوس أمـام
الستر إن غنـت القيـان وراءه

ويرد عليه المؤلف قائلا :

تفسـد المرأة الذكيـة إن لـم
تـك تـدرى كتابـة وقـراءه
جهلها لا يصونهـا واذا تفقـه
تـزداد حكمـة وجـراءه
زهـرة بالخمـول والجهل تذوى
وبغيث العرفان تزهـو طـراءه
هـى خير من الغـلام ذكـاء
وحنانـاً وعفـة وبـراءه

أعضاء المحكمة

أما أعضاء المحكمة فانهم كانوا من مشاهير الشعراء المعاصرين أمثال الجواهرى ، وعلي محمود طه ، وفدوى طوقان ، على أن يكون المراقبون من الأكفاء وهم بشار بن برد وأبو العلاء المعرى ومحمد سالم البيحانى وكاتب هذه السطور لاعتقاد المؤلف أنى خبير بآداب اليمن ، وهذا شرف ليتنى أستطيع أن أبلغه . والأمانة العلمية تفرض علي أن أعترف بأنى ــ وإن كنت معجباً بالأدب اليمنى ، معتقداً بأنه رافد من روافد الأدب العربى السخية ، ولكننى مع هذا كله لم أستطع أن أواكب هذا الرافد مواكبة تجعلنى قادراً أن أبدى رأياً فيه أو أن أصدر حكماً عليه . وقد أنصف الشامى حين قال عن الشاعر البردونى بأنه لا يستجدى عطف أحد وإنما يسعى ليبدى النقاد آراءهم فيه ، سواء كانت له أو عليه . فقد أصبح هذا الشاعر الضرير علماً من أعلام الشعر العربى . أما اذا كان أصدر أحكاماً قياسية على فئة كبيرة من أدباء اليمن ، فانه حر فيما يبدى من آراء ، إذ انه كان بما أصدر من احكام محور نشاط فى الميدان الأدبى ، على أن المؤلف قد أوضح بأن البردونى كان وجماعة من الشعراء المجددين فى جزيرة اللامبالاة ، فكأنه يريد أن يقول بأن هذه الجماعة من الأدباء مقتنعون بآرائهم المتطورة فى الشعر والأدب ينشرونها غير مكترثين بسخط من يسخط عليهم أو رضا من يرضى عنهم .

وبما أن المؤلف قد جمعنى مع زمرة من فحول الشعراء ، فانه لابد لي من أن أهمس فى أذنه بأنى لا أرفض الشعر الحديث رفضاً قاطعاً ، فكثيراً ما أستمتع ببعضه وأجد فيه غذاء لعقلى ، ولاسيما ذلك الشعر الذى يكون رمزه مضيئاً فهو عندى لون من ألوان الأدب فيه الغث والسمين .

وبالجملة ، فان هذه الرواية تعتبر ــ فى رأيى ــ نافذة واسعة تمكن نسائم الأدب اليمنى الفواح من أن يهب على كل من يريد أن يتعرف على ذلك النبع السخى . وكم كنت أتمنى لو وضع أديبنا الشامى لمسرحيته هذه هوامش يوضح فيها مواقع القضايا الأدبية التى أشار اليها فى مسرحيته ، كما ذكرنا من قبل ، إذ أنها قضايا رفيعة المستوى تثرى من يطلع عليها ، وتعطيه متعة وفوائد أدبية وفكرية جليلة .

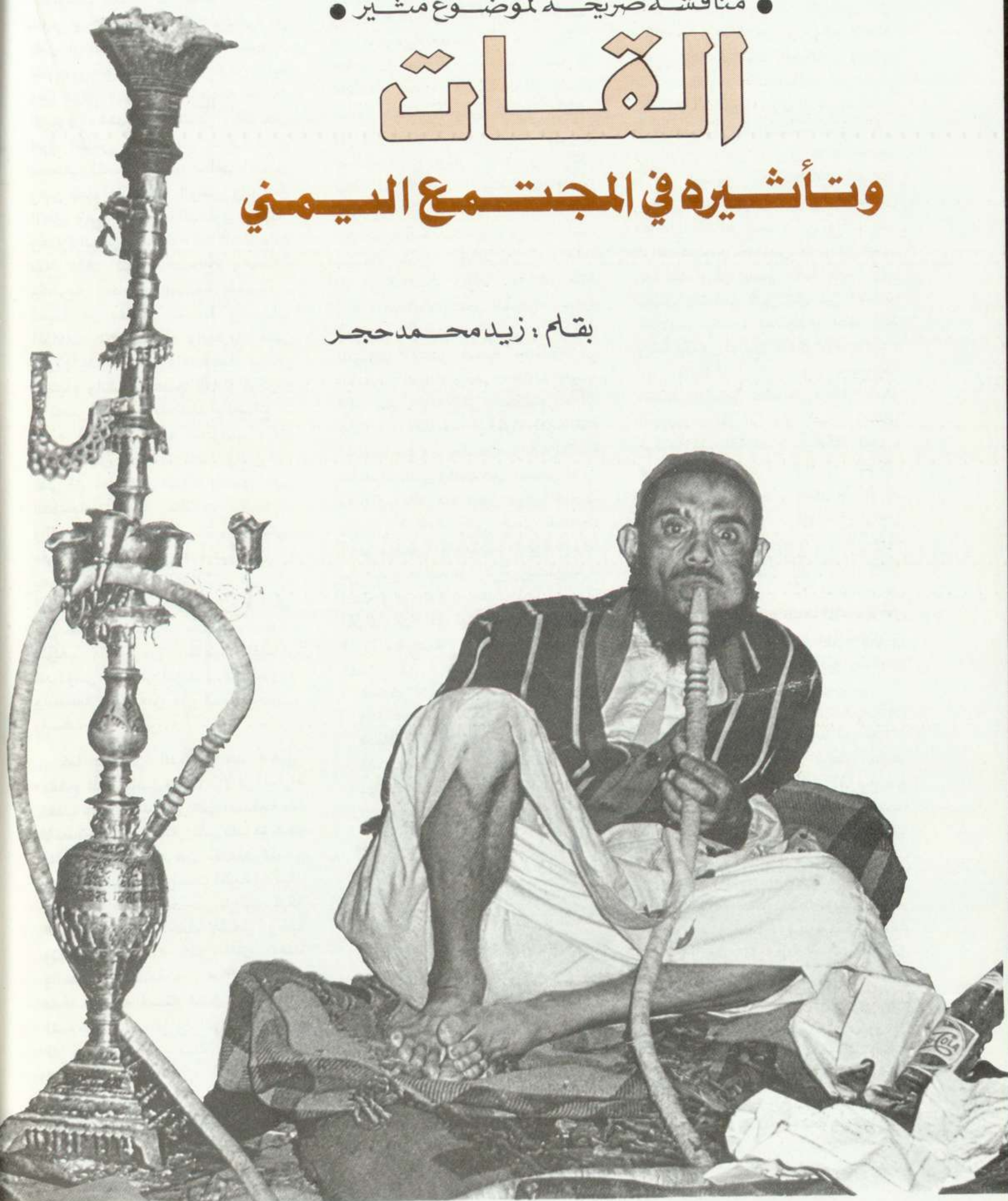
عبد الرزاق البصير ــ الكويت

• مناقشة صريحة لموضوع مثير •

القات

وتأثيره في المجتمع اليمني

بقلم : زيد محمد حجر



القات نبات يقال له بالانكليزية « كاثا ايدوليس فورسكال » ، ويدعى باسم آخر «شاي العرب» ويسميه اليمنيون «أكسير الحياة».

يزرع فى الهضبة العليا من المناطق اليمنية على ارتفاع ٨٠٠ متر من سطح البحر ويصل طول الشجرة إلى ستة اقدام . وهي شجرة معمرة دائمة الخضرة صيفاً وشتاء . وتتحمل البرد والرياح . كما أن التربة اليمنية ومناخها ملائمة لطبيعة نمو تلك الشجرة ، وتشغل مساحة كبيرة فى المناطق المذكورة سابقا ، وتبعد كل شجرة عن الأخرى بحوالي ستة أقدام وأحياناً ثمانية أقدام .

ونبات القات شجرة لا تزهر غالباً وأوراقها فاتحة الخضرة وتقطف الأوراق الطازجة وتجمع فى ربط ثم تلف بالأعشاب لكي تحتفظ بطراوتها ونضارتها وتنقل إلى الأسواق . وتوجد أنواع مختلفة تختلف أسماؤ باختلاف المكان الذى تغرس فيه . فهناك قات الوادي ، والظلاعي ، والتعزي ، والصبري ، والبرعي ، والريمي . وأجود أنواع القات هو النوع الظلاعي ، ولاشك أن اليمنيين يحسنون التمييز بين تلك الأصناف .

والقات هو الاداة أو الوسيلة لجمع عدد من الناس فى جلسات لقضاء فترة بعد الظهر ابتداء من الساعة الثالثة — تقريباً — إلى غروب الشمس وقد وصف نزيه العظم مجلس القات أثناء زيارته إلى صنعاء فى أوائل العقد الرابع ، إلا أن وصفه كان قاصراً ، وسنورد وصفاً آخر لمجلس القات على لسان أحد أبناء اليمن فيقول :

يجتمع عدد من الأصدقاء أو الجيران دون سابق موعد أحياناً فى «مكان نظيف أبيض مفروش بالسجاد ويحيط جميع جدرانه بوسائد قطنية ، ويترك وسط الغرفة خالياً وتتخلل ماضغي القات وسائد صغيرة يتكئون عليها ،



حقل من حقول نبات القات

لعل القاريء يدرك أن موضوع القات وأثره على المجتمع له أوجه ومسائل لم يتناولها البحث العلمي من قبل ومن أهم المسائل التى سنتناولها فى هذه الدراسة الموجزة هي :

ما هو القات .. ؟ أين ينبت .. ؟ وكيف يسوق .. ؟ وما هي أنواعه .. ؟ وما هي مجالس القات .. ؟ وما مفعوله على الجسم .. ؟ وما هو تركيبه الكيمائي .. ؟

وبعد ذلك نطرق الناحية التاريخية ونبحث عن منشأ القات وكيفية دخوله اليمن إلى حين ظهر أدب القات وقبل الختام نستعرض أسباب سيطرة القات على المجتمع اليمني ، وفى النهاية نوضح الخلاف حول الدور السياسي لتشجيع عادة مضغ القات .

والقاريء يدرك ولا شك أن هذا الموضوع له جوانب عديدة ولكننا قد اعتمدنا كثيراً على السير فى منهج البحث حيث توجد كثير من المصادر التى لا يعتمد عليها إذا ما وضعت تحت التحليل التاريخي ونظراً لقلتها .

القات
وتأثيره في المجتمع اليمني

وأمام كل شخص يمضغ القات ثلاجة صغيرة مليئة بالمياه المثلجة تنبعث منها ريحة عطرية ، وفى وسط المكان توجد المداعة (الأرجيلة) لتداول التدخين أثناء مضغ القات ، وأحياناً توجد بعض المرطبات لشربها مع القات. ويفضل بعض الماضغين للقات تناول قطعة صغيرة من النعنع ليلطف مذاق القات القلوي فى فترات متقطعة والبعض الآخر يفضل شرب قهوة القشر المرسخة بقليل من السكر .

وتبدأ جلسة القات وتنشر ربط القات وتوضع فى وضع منظم داخل منشفة مبللة أو قطعة مشمع صغيرة لتحفظ طراوة القات لتلك الفترة ، وجميع منافذ الهواء فى تلك الغرفة مغلقة خشية الاصابة بالبرد . وتمضغ الجرعة الأولى من أوراق القات الطازجة وتترك الكفته أى الأوراق الخشنة وتمضغ الأخرى . وفى النهاية يصبح أحد خدي ماضغ القات بارزاً عن وضعه الطبيعي بمقدار بوصة . وفى أثناء جلسة القات يشرب (المخزن) ماضغ القات قليلا من الماء لفترات متقطعة لتبليل أوراق القات وسهولة مضغها . ومن خواص القات الميل المتزايد لشرب المياه بصورة غير عادية كما أنه يتخلل مجالس القات بعض النكت الطريفة والقصص الجميلة . وفى مجالس الولائم يتخلل مجالس القات بعض التواشيح الدينية، ويقوم المضيف بوضع العطور على أيدي ما ضغي القات كما تدور فى هذه المجالس مناقشات أدبية وأحياناً تتنوع موضوعاتها من اخبار الساعة الى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية .. الخ

ويلاحظ فى مجالس القات أنها تضم مجموعة من الناس تنتمي إلى مختلف الطبقات والمكانة الاجتماعية .

ومفعول القات يرجع الى مركباته الكيمائية المكونة من :
الكاتين ـ والكولون ـ وحامض الأمينين ـ وحامض التنيك وبعض الفيتامينات والمواد المعدنية وله خاصة متوسطة بين الكوكائين والأفيون ويصف ماضغ القات مفعوله بأنه فى البداية يجد حدة فى الطعم يجعله فى حالة دوار ويلى ذلك وجود شعور بالتفاؤل حيث تبدو جميع المشاكل سهلة الحل . ويرجع ذلك إلى تولد الكثير من الأفكار والخيال الخصب ويشعر الانسان بتفتح العقل ونشاطه الذى يستمر لمدة ساعتين أو اكثر ، وكذلك تزداد رغبة ماضغ القات أثناء العمل ، ولكن بعد فترة مضغ القات يشعر الماضغ للقات بالبرد فى أطرافه ويميل إلى الصمت وتخيم عليه الكآبة لفترة طويلة من الليل.

وبعد أن استعرضنا بايجاز تعريف القات وخواصه ومجالسه ومفعوله ننقل القارىء الى نقطة أخرى وهي منشأ القات ودخوله الى اليمن .

الموطن الأصلي والظروف الأولى

يرجح كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن القات أن موطنه الأصلي هو الحبشة ويعود فضل اكتشافه الى الأسطورة القائلة : فى أحد الأيام لاحظ أحد رعاة الماعز أن إحداها يزداد نشاطها دون سبب ظاهر وأنها تأخذ فى القفز والجري بصورة طبيعية . وأخذ يدرس هذه الظاهرة . واكتشف أن العنزة يبدو عليها النشاط بعد تناولها وجبة من أوراق هذا النبات . وقد جرب الراعي أوراقه فوجد أنه يصبح منطلقاً بعد تناوله . وسارع بالرجوع الى بلدته وكان أول من لقيه بعد ذلك أحد الشعراء فشاركه اكتشافه ومضى الشاعر الى التلال فأيقن من صدق رواية الراعي بعد أن جرب أوراق النبات بنفسه .

وأما حادثة تاريخ دخول القات إلى اليمن فأغلب الظن أنه دخل مع حملة الحبشة على اليمن فى عام ٥٢٥ ميلادية .

وهناك قصة أخرى لطيفة عن اكتشاف القات ودخوله الى اليمن .
تقول القصة : أن الذى أدخل القات إلى اليمن متصوف حضرمي يدعى ابراهيم أبو زربين .. سافر الى بلاد الحبشة .. وفى يوم من الأيام فى أثناء تجوله رأى قطيعاً من الماعز مستسلماً لنوم عميق وفى فم كل شاة بقايا ورق أخضر من أشجار مجاورة . فجرب الشيخ ابراهيم هذا النبات وكان هو القات فاستعذبه وقرر نقله إلى بلاده . وفيه يقول الشاعر :

أمس يجمع منه
حتى تملى الجراب
مشى يحدث عنه
وفي الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوا
من مثله واستطابوا

ولكننا نرى أنه إذا وضعت تلكما الحادثتان تحت مجهر الفحص التاريخي فاننا لا نجد أثراً فى المصادر الأصلية والنقوش أو غير ذلك .. ولعل ذلك راجع إلى الاهتمام بالقات واقتصار همة الباحثين للبحث عن خواصه وتاثيراته الصحية دون أن يبذلوا الجهد الكبير فى تقصي موطنه وتاريخ انتشاره .

وأول اشارة تاريخية كتبت عن القات ، جاءت فى الموسوعة المسماة «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري (١٣٠١ ـ ١٣٤٨) الذى نشر مجلده الأول عام ١٩٢٠ . وتوجد وصفة طبية عن القات فى كتاب الأقرباذين «العقاقير المركبة» نسخت تلك الوصفة الطبية من ذلك المخطوط الفريد السابق الذكر عام ١٢٣٧م للمؤلف نجيب السمرقندي .

وإذا سلمنا بحادثة دخول القات الي اليمن التى سبق الكلام عنها عن طريق الشيخ ابراهيم أبو زربين الحضرمي المتصوف فى بداية القرن السادس الميلادى فان احتمال زراعته كانت فى المناطق المرتفعة وأغلب الظن أن موطنه



قاعة المجلس فى بيت يمني

الأول فى اليمن كان فى لواء اب .

ويبدو أن ظروف البلاد فى تلك الحقبة التاريخية لم تساعد على انتشار القات لصعوبة المواصلات وغير ذلك مما حالت دون انتشاره، وكما هو معروف أن أية ظاهرة اجتماعية كالقات لابد لها من فترة تطول أو تقصر إلى أن يطمئن الناس اليها ويبدأ المجتمع فى تداولها واستعمالها وقد بدأ استعمال القات قديماً كمشروب قبل أن تصبح عادة مضغه هى السائدة .

فى مدح القات

ونعتقد أن استعمال القات فى عصر الأمام شرف الدين – أي قبل أربعمائة سنة – قد بلغ شأناً عظيماً فى نفوس أبناء اليمن . والقصيدة الآتية تبين روعة أدب القات وإلى أي حد وصل إليه فى تلك الفترة . وهي تؤكد لنا أيضاً أن القات قد ظهر فى اليمن قبل هذا العصر (أي قبل فترة الامام شرف الدين) . غير أن تحديد مكان وزمان ظهور القات غير معروفة وفى حاجة إلى همة الباحثين التاريخيين*. والقصيدة هذه للعلامة عبد الله بن الامام شرف الدين يمدح القات ويبين فيها إلى أي حد بلغ نفوس الناس :

أدر غصون يواقيت من القات
زبر جديات أوراق وريقات
يجلو تناوله قلبي ورؤيته
طرفي وتجلو به حالي وأوقاتي
قلوبه تحمل الاسرار تودعها
قلوبنا ثم تسري فى السريرات
براج معراج قلبي حين يصعده
جزيل قلبي إلى أعلا سماواتي
زيتونة زيتها الأضوا بها اتقدت
فتيلة النور فى مصباح مشكاتي
كل المرادات فيه جمعت فلذا
توجهت نحوه كل الارادات
لين القدود وتلوين الخدود وتنعيم
الورود ولذات المذاقات
كله لما شئت من دنيا وآخره
وجلب نفع ودفع للمضرات
وأكله منه قال الراشدون بها
تنوير سر اعتكاف الأربعينات
فما أردت ارتقاء فى سما نظري
في الكون إلا جعلت القات مرقاتي

وفى هذه الحقبة من التاريخ تبين القصيدة السابقة للقاريء مميزات القات التى كان الناس يعتقدون بفوائد شجرة القات وتأثيراتها الصوفية وجدال فقهاء الدين حول تحليله وتحريمه وهذا الجدل بلاشك قد لعب دوراً فكرياً كبيراً وبلغت شجرة القات من نفوسهم مرتبة التقدير والاجلال كما يصوره الشاعر على بن الامام شرف الدين فى القرن العاشر للهجرة .

ولابد من النظرة الفاحصة لأسباب سيطرة القات على المجتمع اليمني كظاهرة فريدة لتزيد القاريء توضيحاً بأن أية هيئة رسمية بيدها القوة على تصريف الأمور لا تستطيع أن تقوم فى ليلة وضحاها بمنع القات لما يعتقده الكثيرون من آثاره السلبية أو الايجابية فى المجتمع اليمني . فالقات يكاد أن يكون مؤسسة اجتماعية فرضتها ظروف كثيرة ، قد يكون من أبرزها عزلة اليمن عن العالم الخارجي واحتفاظه بعادات فريدة فرضت عليه منذ زمن بعيد . ويمكن القول أيضاً بأنه نتيجة لتلك العزلة الطويلة التى عاشتها اليمن لم تجد فرصة للتبادل التجاري مع العالم لتؤمن لمحاصيلها الزراعية الفائضة عن حاجتها سوقاً تجارية . فكان للقات

القات
وتأثيره في المجتمع اليمني

مجال واسع للزراعة على حساب المحاصيل الأخرى المربحة والتى تناسبها الظروف المناخية ونوعية التربة كالبن مثلا .

ونتيجة أخرى للعزلة أثرت لسيطرة القات على المجتمع اليمني بانه ظل منغلقاً على نفسه غير متطلع إلى مجالات الحياة الواسعة الأخرى وغير واقف على ما توصل إليه العالم من أسباب لتحسين مستواه الاقتصادى والاجتماعي . وبحكم تكوين المجتمع اليمني القبلي العشائري فقد وجدت نزعة التجمعات الحذرة المتحفزة للصراع، كما أثر ذلك بالنسبة لسكان المدن الذين تعرضوا لغزوات كبيرة من قبل القبائل المغيرة الطامعة إلى ما فى المدينة من خيرات حرموا منها ، وقد يكون هذا الأثر ذا طابع نفسي (سيكلوجي) هيأ للقات مناخاً لأولئك المجتمعين المترقبين لأي حادث يطرأ بصفته الملهاة البريئة الوحيدة فى نظر المجتمع لتقضية مثل تلك الأوقات الحرجة . فعدم الاستقرار قد ساهم مساهمة كبيرة فى غرس مثل هذه العادة . وقد يكون من المفيد شرح هذه النقطة لأهميتها . فسلوك المجتمع المحافظ الذى تحكمه القوانين الدينية لم تترك للفرد اللجوء إلى وسائل أخرى مثل المسكرات وغيرها فى حالات اليأس والخوف مثلما يجري فى مجتمعات أخرى غير مقيدة بمثل هذه القيم .

تلك هي لمحة موجزة للظروف الأولى التى وجد فيها القات بيئة صالحة لزيادة تناوله .

ومازالت هذه العادة تقوى مع مرور الزمن ، وتعزز فى نفوس الناس بمفاهيم قد تشابه أسباب انتشار تلك العادة فى مراحلها الأولى مع أخذها مسوغات جديدة كما يظهر فى الاجابات الآتية التى حصل عليها أحد المهتمين بدراسة عادة مضغ القات من فريق قام بتقديم اسئلة حول الأسباب التى دفعت أفراده لتناول القات :

أجابت الفئة الأولى وتمثل ٤٩٪ بأن القات يعطي القوة والنشاط .

وأجابت الفئة الثانية وتمثل ٢٠٪ بأنها تمضغ القات لقضاء الوقت والهروب من الملل .

وأجابت الفئة الثالثة وتمثل ١١٪ بأن مضغ القات هو الطريقة الوحيدة للاجتماع .

وأجابت الفئة الرابعة وتمثل ٥٪ أنها تمضغ القات لتتجنب النوم بعد الظهر .

وأجابت الفئة الخامسة وتمثل ٥٪ انها تمضغ القات لأنه يعطيها راحة وسعادة .

وأجابت الفئة السادسة وتمثل ٤٪ أنها تمضغ القات لأنه يلهم الانسان ليعمل عملا جيداً .

وأجابت الفئة السابعة وتمثل ٣٪ انها تمضغ القات لأنه يهدىء الأعصاب

وأجابت الفئة الثامنة وتمثل ١٪ انها تمضغ القات لأنه ليس محرماً كالحشيش وغيره .

وأجابت الفئة التاسعة وتمثل ٢٪ انها تمضغ القات ولا تعطى أسباباً لماذا تمضغ القات .

وقد قمنا بمسح لبعض مجالس القات فى صنعاء ووجدنا تقارباً كبيراً للأسباب والدوافع المشار إليها سابقاً .

القات .. سياسياً

وإذا أتينا الى موضوع الدور السياسي لتأسيس القات فى المجتمع نصادف رأيين متعارضين أحدهما يرى أن عهد الامامة قد شجع انتشار هذه العادة فى المجتمع اليمني ليتسنى له الحكم بمصيره ومقدراته ، وليشغله عن التفكير فى محاولته التغيير والثورة . ويرى الفريق الآخر أنه ليس للقات أثر سلبي إن لم يكن ايجابياً على نشاط الحركة الوطنية منذ ظهور القات ونورد لكل من الفريقين رأيه حول هذا الموضوع .

● يرى الفريق الأول من الذين عاصروا حكم الامامة «يحيى وأحمد» أن القات هو أفيون الشعب اليمني ودليله (أي هذا الفريق) أنه كان يشجع من قبل السلطة الحاكمة فى البلاد منذ زمن طويل ولأنه يقلل من إحداث الشغب والمنازعات التى قد تؤدى فى النهاية إلى قلب السلطة ، ولأن الفراغ الكبير سيؤدى فى النهاية الى تزايد الغضب واشتداد المطالبة بتغيير الواقع المعاش حينذاك الى مستقبل افضل ، وقد كان الامام أحمد يطارد الذين يحاربون القات بل ان هذا الفريق من الناس يرى أن القات يسيطر على تفكير الفرد فى كيفية الحصول عليه وقضاء الوقت الثمين الذى هو فى حاجة ماسة له لرفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي .. الخ

وهذا الفريق يعتبر القات مصيبة وكارثة وبلية أصابت اليمن وعاقت نموه وتطوره ، وكانت ترى هذه الفئة من الناس أن أية مهاجمة للقات هو بمثابة متنفس لها ، ولكنها أصيبت بخيبة الأمل لتلك الحجج التى سردها الامام يحيى فى قصيدته المشهورة وقد وجدت حينذاك كثيرا من المؤيدين فى تلك الفترة للرد على قسطنطين الذى زار اليمن مع أمين الريحاني :

للثغور صباغ
زمردي مذاب
أحسن بثغر مليح
له المذاب رضاب
ياما احيلاه ظلما
تشفي به الأحباب
وللنفوس مريح
وللنشاط انجذاب
ويشحذ الفكر حتى
يخاف منه التهاب
ويطرد النوم عمن
له الجليس كتاب

أما الذى قاله قسطنطين فهو سراب :

أليس مُرّهُ جاوزَ الحد
أكلُه والشرابُ
يكون عرضة حصر
ويعتريه اكتئابُ
والأكل والشرب مالا
به الكرام تعابُ
وإنما العيب إسراف

منـه يبدو العجـــابْ
هـذا الملغق يا قسطنطين
منـا الجـــوابْ
يهـدى اليـك عليـه
مـن الحيـاة ثقـابْ
لأنـه ليـس كفــؤا
للـدر وهـو تـرابْ
فاستر ملغق يمحـى
فالستـر فيـه ثـراب

● وأما الفريق الآخر من الناس فيرى أن مجالس القات كانت فى المدينة تمثل الخلايا الأولى لتطوير الفكر السياسي حسب مفهوم ذلك الوقت ومحاولة تغيير الواقع إلى الأفضل فتعززت تلك الروابط وأصبحت مفاهيم مجتمع جلسات القات قريبة من بعضها ، ونتج من تلك الاجتماعات أحاسيس موحدة وآمال مشتركة لتغيير الواقع المعاش آنذاك .

ويقول هذا الفريق أنه إذا أمعنا النظر الى تاريخ الثورات اليمنية نجد أن النواة الأولى كانت بدورها مجالس القات التى زادت أحاسيسها وآلامها الشديدة وآمالها فى تغيير ذلك الواقع إلى الأفضل . فمثلا ثورة ٤٨ كانت من مجتمعات القات . وكذلك ثورة الثلاثاء .

ويذهب هذا الفريق أكثر من ذلك لينفى بأن القات هو أفيون الشعب اليمني . فالقات ليس له التأثير الجسمي والفكرى الذى يصاب به مدمن الأفيون والحشيش . ودليلها أن الشعب اليمني هو من أنشط المجتمعات العربية المجاورة وطاقته الانتاجية تفوق كثيرا من إنتاج متوسط الانتاجية لعمال البلدان المجاورة ، يذكر ذلك كثير من خبراء الأمم المتحدة . وأن أسباب



لم يمنعه اداء العمل من « التقييت »

التخلف هو الفراغ والعزلة وعدم وجود المصادر الطبيعية الغنية فى البلاد . فهذه الأسباب لم تتح للمجتمع فرص العمل والحياة فى رغد وسعة . وكما ذكر سابقاً بأن الشعب اليمني قد قدم الكثير من التضحيات فى سبيل الخروج من النظام القائم فى تلك الفترات وكانت منطلقاتها مجالس القات البريئة .
وتسترسل هذه الفئة من الناس فتقول :

إن إمكانات البلاد محدودة بل إن موقعها الاستراتيجي (اليمن الشمالية) لم يجعلها تدخل ضمن البلدان التى تطمع فيها الدول الكبرى لتصبح ضمن إطار مناطق نفوذها . فهي أي اليمن لم تحتك بدول أخرى تكسب من حضارتها لكي يستطيع أن يتطور فى مجالات عديدة كان يأمل ويحلم بها .

أخيراً ترى هذه الفئة أنه لم يكن للقات الأثر الكبير فى محاولات الشعب اليمني للتخلص من الأنظمة السياسية منـذ ظهـور القـات ، ولـم يكـن عائقـاً للشعـب اليمـنـي أمـام مقاومتـه للاحتـلال التركي . فالشعـب اليمني ممثل فى مقاومته القوية كان يدافع بكل امكانياته أمام الجيش التركي المدجج بالسلاح وغير ذلك من الوسائل الحربية التى تضمن له النصر

وأخيـراً ..

من كل ما تقدم نرى أن عادة مضغ القات هي ملهاة مضرة ولكنها ليست بالصورة التى يعتقدها كثير من المحاربين لهذه العادة . وستزول فى نظرنا بزوال الأسباب والظروف التى أدت الى نشأتها . فنحن نرى أن كثيرا من الشباب اليمني يميل الى ترك مثل هذه العادة بسبب انعدام الفراغ ووجود الأعمال التى تشغل كل وقته ، ولانفتاح اليمن على العالم الخارجي ، وتحطيم العزلة التى عاشها وللاستقرار الذى بدأ ينعم به لوجود الملاهي البريئة التى يرى فيها الشباب متنفساً لقضاء أوقات فراغـه كالسينما والنوادى الرياضية والتليفزيون . والوقت كفيل بالقضاء على مثل هذه العادة . ونرى أن فى التوصيات الآتية فائدة كبيرة مساعدة للقضاء على مثل هذه العادة تدريجياً :

● على الحكومة أن تفرض ضريبة تصاعدية على البائع .
● فتح وتشجيع النوادي الرياضية
● تشجيع المزارعين على زراعة المحاصيل المربحة مثل البن ومحاولة ايجاد أسواق لها .
● منع موظفى المؤسسات الرسمية وغيرها من مضغ القات أثناء الدوام .
● منع رواد السينما والنوادي الرياضية من مضغ القات
● التوجيه والحملات الاعلامية المنظمة .

زيد محمد حجر

سكرتير أول سفارة الجمهورية العربية اليمنية بدولة قطـر .

ملاحظة :

● لقد تم اعداد البحث قبل صدور قرار مجلس الوزراء بمنع مضغ القات ، ونامل استكماله فى المستقبل من الناحية الاقتصادية ،

المراجـع :

(١) نزيه العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة من صنعاء إلى مصر – ص ٦٣ .
(٢) هانز هولفريستر : اليمن من الباب الخلفى – ص ٩٩ .
(٣) محمد سعيد العطار : التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى اليمن ص ١٣٩ – ١٤٠ .
(٤) المصدر السابق والصفحات .
(٥) نفس المصدر ص ١٤٠ .
(٦) هانز هولفريستر : اليمن من الباب الخلفى – ص ١٠١ .
(٧) سليم الزبال : مجلة العربى الكويتية عدد ١٤٨ – ص ١٠٢ – ١٠٣ .
(٨) امين محمد سعيد : ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم ج/١ ص ١٧٠ – ١٧١ .

REFERENCES:

1. AKIL, A.E. : COMMUNITY PEOPLE OF HOJJORYYA Y.A.R., A.U.B.,1971 P. 128.

2. LOUGMAN, F.M.: YEMEN 1970, ADEN, P. 150

3. AI-ATTAS, O.M.: FINAL REPORT ON UNITED NATIONS FEL. AT THE UNITED NATIONS NARCOTICS LAB., GENEVE, G71/13930.

4. DR. EL MABI,T. : A PRELIMINARY STUDY ON KHAT " CATHA EDULIS FORSKAL" WHO, MARCH 1962, EM/MENT/29/4.

قـــالواهـــذاالشهـــر...

● لي معارف كثيرة فـــى جميع الدول العربيـــة .. حتى فى دول الرفـــض لي أصدقـــاء ، ومـــن جانبي أحس بأن الموقـف بين مصـــر وبين العالم العربي أفضل ، خاصة وإننى أقفلـت سجـل الهجـوم الاعـلامي ضـد العـرب نهائياً ، وحتى لو هاجمني البعض فاني أشعر بأن قلوبهم معنـــا .

الرئيس المصري حسني مبـارك

● سأقاتل بكل ما تبقى من عمـري إلى جوار الرئيس حسني مبارك .

د. يوسف إدريس

● اسرائيل جزء من الغرب ، ولذلك فانها مثل الغرب تماماً تهتم بأمرين أساسيين : الاعلام المنظم والعلمي ، والمخابرات المنظمة والعلمية .

د. محمد الرميحي

● إن الحريق العربي إذا اشتعـل فسيكون غير قابل للاخمـاد ولا بواسطة مائة قوة من قوات التدخل السريـع ذات القيمة المسرحيـة فقط .

أحمد بهاء الدين

● الطلبة العرب فى انجلترا هم أقل الطلبة الأجانب زواجاً من فتيات انجليزيات أثناء دراستهم الجامعية أو بعدها . كما أن الطلبة العرب هم أقل نسبة من الطلبة الأجانب الذين يعيشون مع زوجاتهم داخل الحرم الجامعي .

« جريدة الشرق الأوسط »

● إن مشروع السلام السعودى المؤلف من ثماني نقاط قـد صيغ بأسلوب « محنـك » ولكنه يهدف فى الحقيقة للقضاء على اسرائيل تدريجياً .

« مناحيم بيجن »

● لقد برهنت اسرائيل برفضها مشروع السلام السعودي أنها لا تريد السلام بل على العكس من ذلك تريد حلولا استسلاميـة .

محمد عبده يماني

وزير الاعلام السعودي

● إن محاولة نزع صفحات البطولة من تاريخ أية أمة ينزع قلب الأمة ويمزق روحهـا ولا يبقى منها إلا السلبيات .

أحمد بهاء الدين

● على رأي أنطون تشيكوف نحن بحاجة إلى كاتب لكل ألف إنسان . والمفروض أن يكون فى بلد مثل مصـر ٤٢ ألف كاتب ومع ذلك إذا اقتربنا من الواقع سنجد أن الكتاب الموجودين وينشرون فعلا لا يتعدون ٤٠ كاتباً فقط .

د . يوسف إدريس

● أزمة النقد الأدبي عندنا هي جزء من المأزق العربي العام فى الفكر والسياسة والاجتماع والاقتصاد .

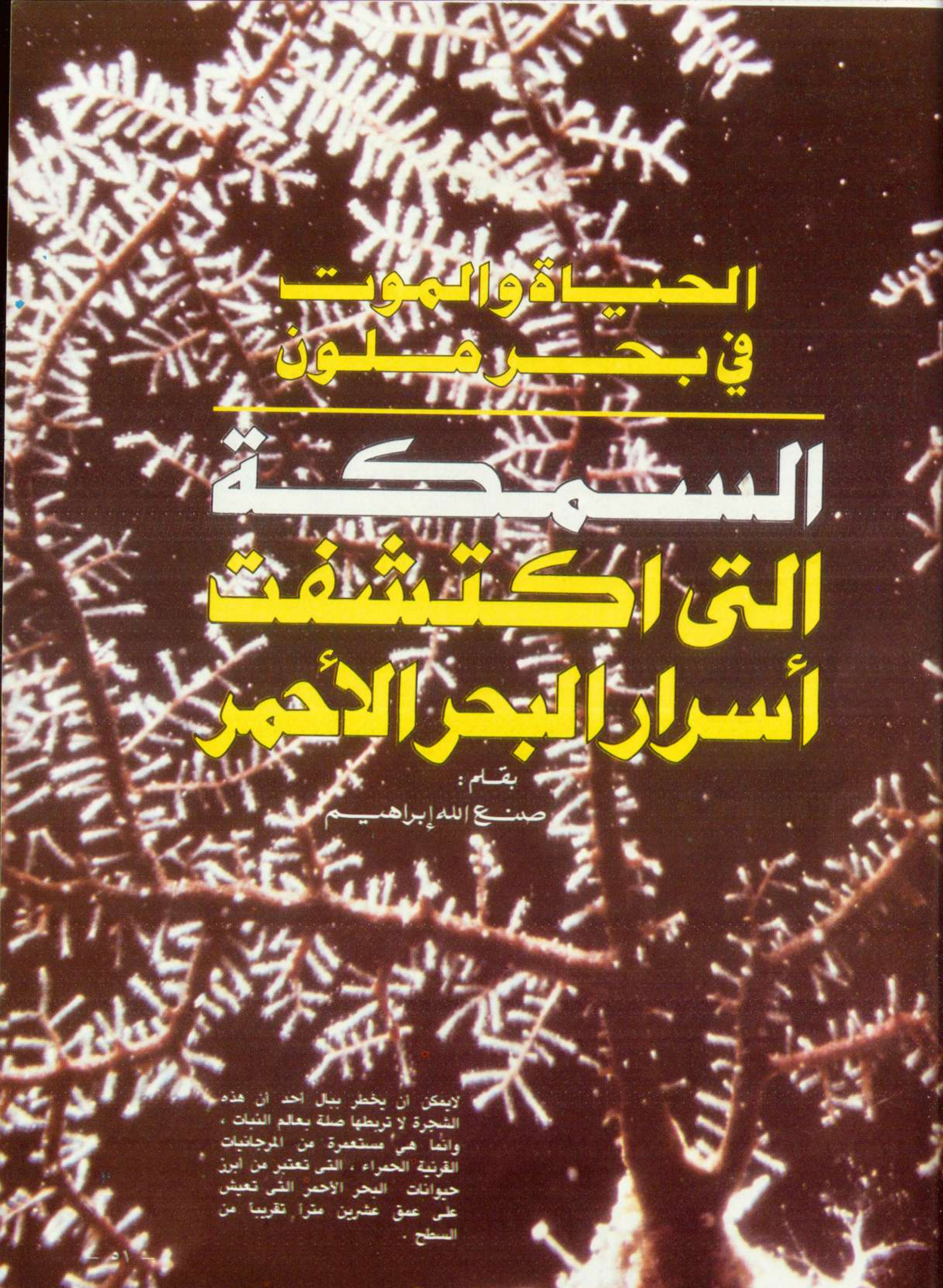
محمد على شمس الدين

● السينما العربية تمر بحالة اكتئـاب نفسي !

المخرج السينمائي
حسين كمال

● إن معاملـة اسرائيـل لأهل الضفة الغربية تشبه معاملة النازية لليهـود .

لورد كارينجتون
وزير الخارجية البريطانيـة

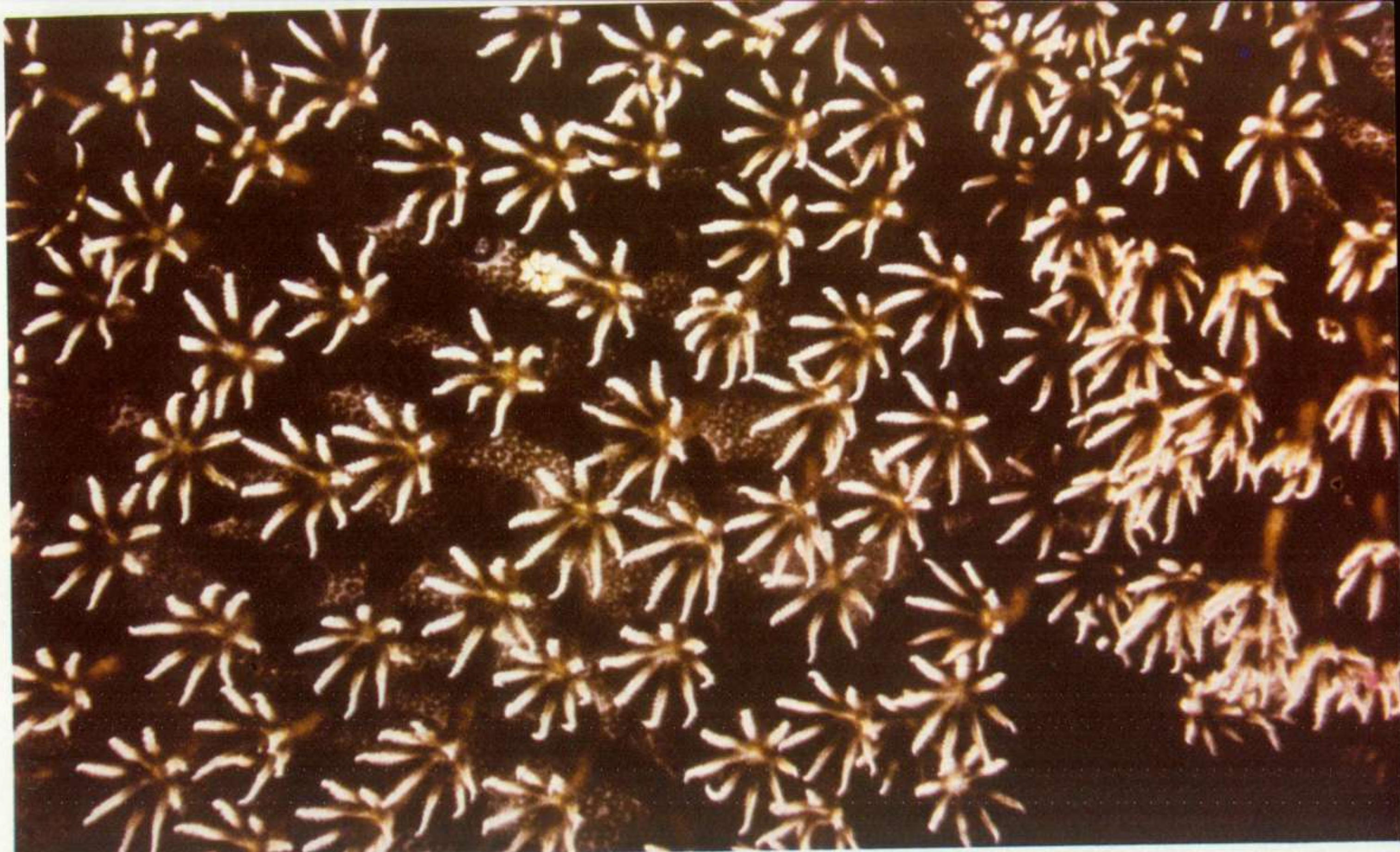


الحياة والموت في بحر ملون

السمكة التى اكتشفت أسرار البحر الأحمر

بقلم :
صنع الله إبراهيم

لايمكن ان يخطر ببال احد ان هذه الشجرة لا تربطها صلة بعالم النبات ، وانما هي مستعمرة من المرجانيات القرنية الحمراء ، التى تعتبر من أبرز حيوانات البحر الأحمر التى تعيش على عمق عشرين متراً تقريباً من السطح .



مثل هذه الصورة لا يمكن التقاطها بالنهار . ففى الليل فقط تتمدد البوليبات المرجانية (تظهر بوضوح الى يمين الصورة) ، وتتبسط لوامسها التى تبدو كبتلات الزهور ، وتنشط لتتصيد الكائنات الدقيقة الهائمة .

الحياة والموت في بحر ملون

السمكة التى اكتشفت أسرار البحر الأحمر

ليس بوسع أحد أن يجزم بشأن جذور السلوك الذى انفردت به سمكة «أبو دقن» الصغيرة رقم ٢٩٩٩ .

فما اتسمت به هذه السمكة بالذات من طباع ، لا يعتبر من خصائص النوع كله، الذى ينتشر بين الشعاب المرجانية فى البحر الأحمر ، ويكتسي أفراده لوناً أصفر يتحول الى الوردى إذا ما توغلت السمكة فى الأعماق ، كما يتميزون برؤوسهم المسحوبة على شكل رأس العنزة ، وبالزائدتين اللتين مثل اللحية من مقدمة الفك السفلي لكل منها .

ومن ناحية أخرى ، فان التجارب القليلة التى مرت بها منذ تحولها من بيضة الى سمكة بالغة ، لا يمكن أن تكون وحدها المسئولة عن تميزها بطباع خاصة عن آلاف غيرها من أبناء وبنات نفس الأم والأب . فهي تجارب مشتركة ، تتعرض لها أغلب الأسماك الصغيرة .

ولعل من الأوفق القول بأن البيضة التى وضعتها «أم دقن» الأم فى شق بين الشعاب ، داخل شريط طوله عدة أقدام يحتوى على ٤٩,٩٩٩ بيضة ، تشكلت المواد المكونة لخلاياها بنسب معينة ، جعلتها تستجيب بصورة معينة لما تعرضت له من مواقف مفعمة بالأخطار !

أول وجبة

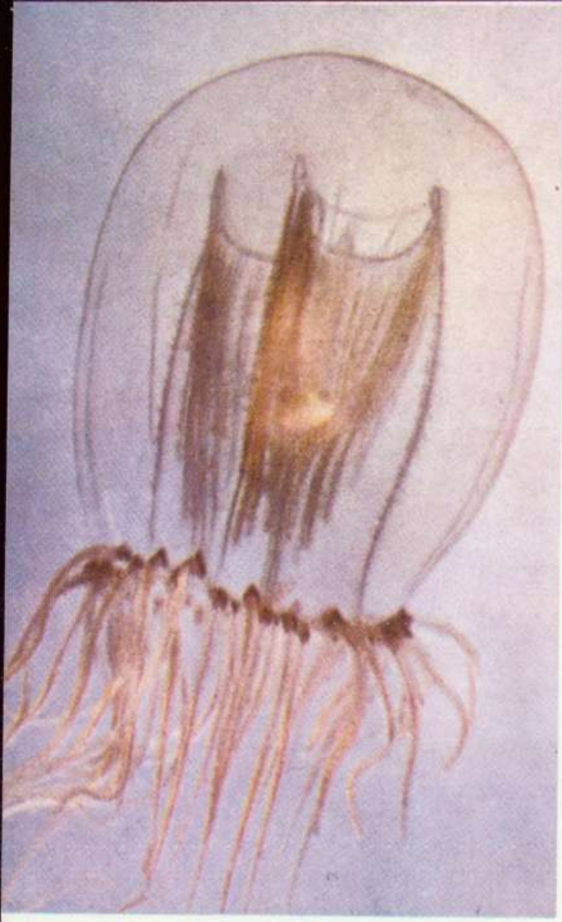
وقد تلاحقت هذه الأخطار من الوهلة الأولى .

فلم تمض دقائق على وضع البيض ، حتى جرفت المياه عدة آلاف منه ، انضمت الى مجتمع الكائنات الدقيقة الهائمة ، تصعد وتهبط معها فى حركتها اليومية التى تنظمها حركة الشمس .

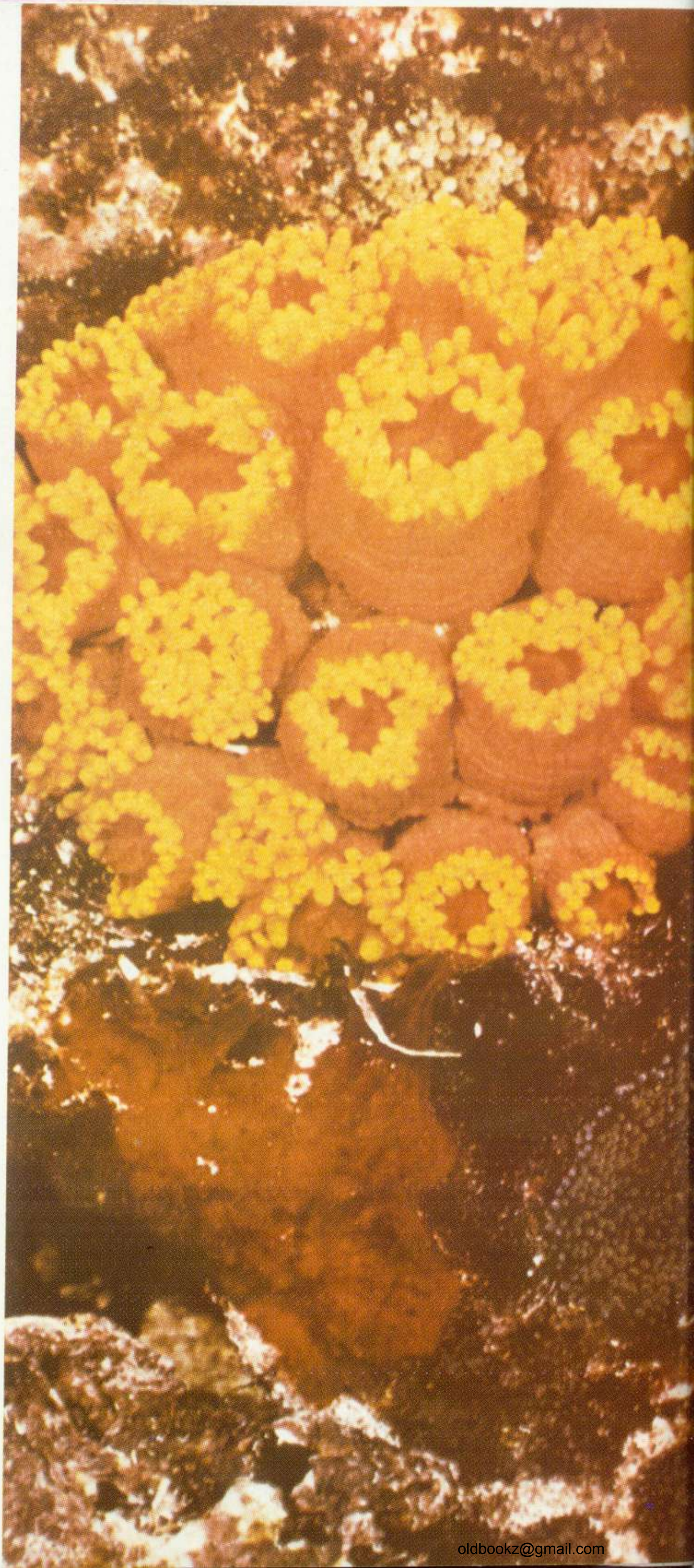
وبين عدة ملايين بيضة من نفس النوع ، قضت البيضة رقم ٢٩٩٩ عشرة أيام من الحياة الحرة ، متخبطة هنا وهناك ، مفلتة بمعجزات حقيقية من عمليات الافتراس التى أودت بعدة آلاف من أخواتها .

وخلال ذلك تكونت السمكة الصغيرة داخل كيس المح ، الذى أبقاها طافية فوق ظهرها ، الى أن اكتمل نموها ، فانكمش الكيس وتقلص ثم انفصل . وعندئذ استطاعت السمكة الصغيرة التى لا يتجاوز طولها سنتيمترين أن تعتدل لتستقر ببطنها فوق المياه ، فى الوضع الذى سيرافقها حتى النهاية .

وعلى الفور انفرج فمها ثم انغلق ، مبتلعاً المياه فى بحث غريزى عن الأوكسجين اللازم للتنفس . فقد مرت المياه فوق صفوف من خيوط تحتوي على



احد أنواع الأسماك الهلامية وهي من اقارب البوليبات المرجانية .



لقطة نادرة لمجموعة من البوليبات المرجانية وقد بدت مثل باقة من الزهور. وترجع الوانها الزاهية الى تاثير النباتات الدقيقة التى تعيش داخل الكؤوس المرجانية . وتبدو فى الصورة أفواه البوليبات وقد احاطت بها اللوامس المتعددة .

شعيرات دموية ، امتصت الأوكسجين الذائب فيها ثم شحنتها بما لديها من ثاني أوكسيد الكربون . واتجهت المياه مباشرة الى فتحتين مغلقتين على جانبي السمكة هما فتحتا الخياشيم . فما إن بلغتهما حتى ارتفع الغطاء العظمي لكل منهما ، سامحاً للمياه بالعودة الى البحر

أحدثت هذه الحركات البسيطة تموجات خفيفة للغاية وسط المياه المحيطة بالسمكة ، ضغطت عليها ، فتطلبت منها ضغطاً مضاداً . هكذا بذلت ٢٩٩٩ أول محاولة لتحريك عضلاتها وزعانفها ، فعامت .

وفى الحال تبينت أنه لابد من دفع المياه .، وأنها لهذا يجب أن تتلوى يساراً ويميناً الى الأمام كالأفعى ، فتزيح المياه جانباً برأسها وانثناءة جسدها وذيلها المرن ، وتوجهها الى الخلف ، حيث



يعيش هذا الدود داخل أنابيب جيرية من افرازاته ، بينما يلتقط طعامه ويتنفس بواسطة لوامس مروحية يمكن سحبها داخل الأنابيب عند أي خطر

تتجمع عند الذيل ، ضاغطة على جسدها ، دافعة إياه إلى الأمام .

لكن الزعينفات البارزة من ظهرها ، وجوانبها كانت أضعف من أن تواجه تيارات الماء ، فكفت عن محاولة الحركة ، وتركت نفسها للماء ، فطفت قريباً من سطحه بين جيرانها من سكان مجتمع الكائنات الدقيقة .

وجعلها المجهود تشعر بالجوع . ولم تجد أية صعوبة فى العثور على ما يؤكل. فالمياه الجارية فى فمها فوق خياشيمها ، حاشدة بالنباتات وحيدة الخلية ـ وهي الطحالب المسماه بالدياتومات ـ وباعداد غفيرة من بيض الأسماك الأخرى والقواقع والقشريات . وقد قامت مصفاه خاصة تقع قرب البلعوم ، باحتجاز هذه الكائنات الدقيقة ومنعها من الانسياب الى الخارج . وسرعان ما انزلقت الى معدة السمكة .

طعم الدماء

كان الطعام متوفراً للغاية ، لا يتطلب من السمكة ٢٩٩٩ سوى جهد الالتقاط .

لكن المائدة الحافلة حوت ، بالاضافة الى الطحالب الدقيقة ، يرقات شفافة وجمبريات صغيرة ، وقشريات غيرها فى حجم البرغوث .

وكان ثمة جاذبية خاصة فى هذه القشريات ، بسبب أجسامها المستديرة وسيقانها الشبيهة بالمجاذيف ، التى تخفق فى ارتعاشات متتابعة أثارت اهتمام السمكة الصغيرة وفضولها . وكان لها مذاق متميز رائع .

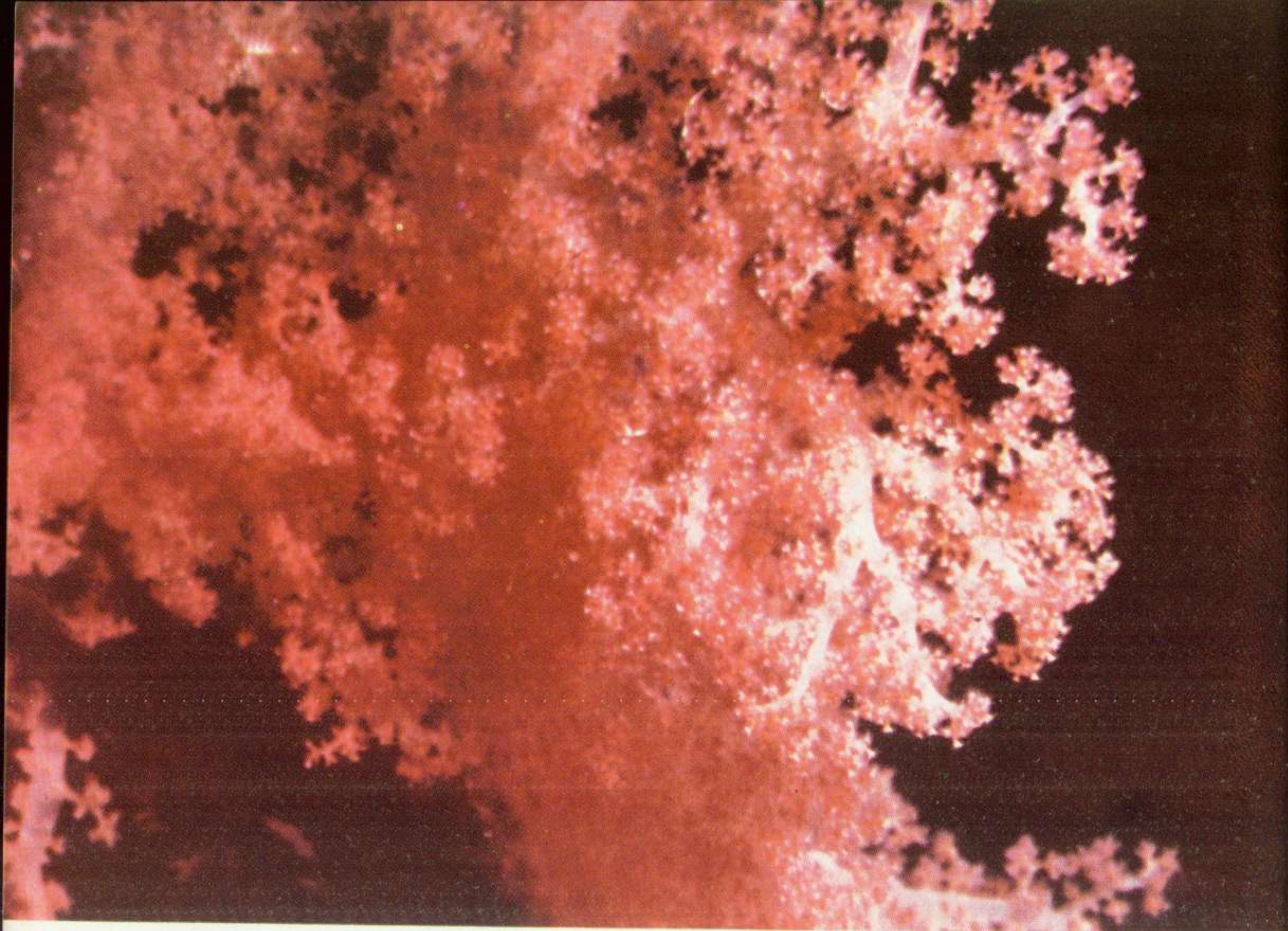
ونسارع بالقول ان السمك لا يملك حاسة للذوق بالمعنى الانسانى ، وإنما تنتشر براعم التذوق الدقيقة على الرأس والجسد الخارجى والذيل والزعانف ، فتميز بين أنواع الأطعمة من قبل أن يبتلعها الفم .

كانت القشريات اللذيذة ، دائبة الحركة ، واضطرت السمكة ٢٩٩٩ لأن تندفع خلفها . وبالتدريج اكتشفت أنها لو حركت زعنفتيها الصدريتين قليلا أمكنها أن تتقدم الى الأمام ، وإذا مدتهما فى زاوية قائمة مع جسدها توقفت فجأة . وأن الزعنفة البطنية هى التى تساعدها على الانثناء فى الماء ، وكل من الزعنفتين الظهرية والحوضية أو الشرجية ، تحميها من التعرج أثناء العوم .

وتتابعت الاكتشافات المثيرة .

فثمة كيس بداخلها ، اذا امتلأ بالهواء ثقل جسدها وغاصت الى أسفل ، واذا خف صعدت .

وعلى جانب جسدها خط من الخلايا الحساسة ، القادرة على التقاط أدق الذبذبات البعيدة فى الماء ، والتمييز ـ بالتعاون مع الخياشيم ـ بين درجات



مستعمرة كبيرة بعض الشيء من المرجان اللين . وتظهر الفروع البيضاء للمستعمرة يمين الصورة ومنها تدلت البوليبات الدقيقة التى تنتهي بلوامس كالأهداب .

الملوحة والحرارة ، والأماكن المختلفة بالتالى .

ولم تقتصر اكتشافاتها على امكانيات جسدها وأعضاء مجتمع الكائنات الدقيقة ، فسرعان ما تعرفت على سكان البحر الكبار .

فقد اندفعت تطارد جمبرية صغيرة ، عندما ألفت نفسها وجهاً لوجه أمام كائن ضخم ، تخطف ألوانه البصر .

وما بدا لها كائناً ضخماً ، لم يكن سوى واحد من سمك الصندوق الذى ينفرد بين أسماك الشعاب المرجانية بهيكل عظمى على هيئة الصندوق يحيط بكل جسمه ، ويكبله بحيث لا يسمح بالحركة إلا للزعانف وقاعدة الذيل .

كان ثمة ما يبعث على الخوف فى فم الصندوق الذى انفرج كاشفاً عن عشر أسنان فى كل فك . لكن السمكة ٢٩٩٩ لم تفكر فى الابتعاد ، وأوشكت أن تنزلق بين فكى الصندوق لولا أن حملته موجة قوية مفاجئة بعيداً .

وتلاحقت الأحداث بسرعة .

فقد ألفت السمكة ٢٩٩٩ نفسها محاطة بسحابة كثيفة من الحيوان القشرى شبيه الجمبرى الذى يعرف باسم الروبيان ويتميز بعيونه الكبيرة . ولم يكن الروبيان يتغذى على الكائنات الدقيقة ، ولا كان طافياً فى طمأنينة ودعة ، وإنما كان يندفع الى الامام بأقصى ما يملك من سرعة مستعيناً بأرجله السابحة التى تفلطحت وتحولت الى شفرات مجاذيف ، هرباً من الأفواه الفاغرة لفوج من أسماك الرنجة الجائعة وبعضه كان يقفز خارج الماء فتتلقفه طيور النورس المنتظرة .

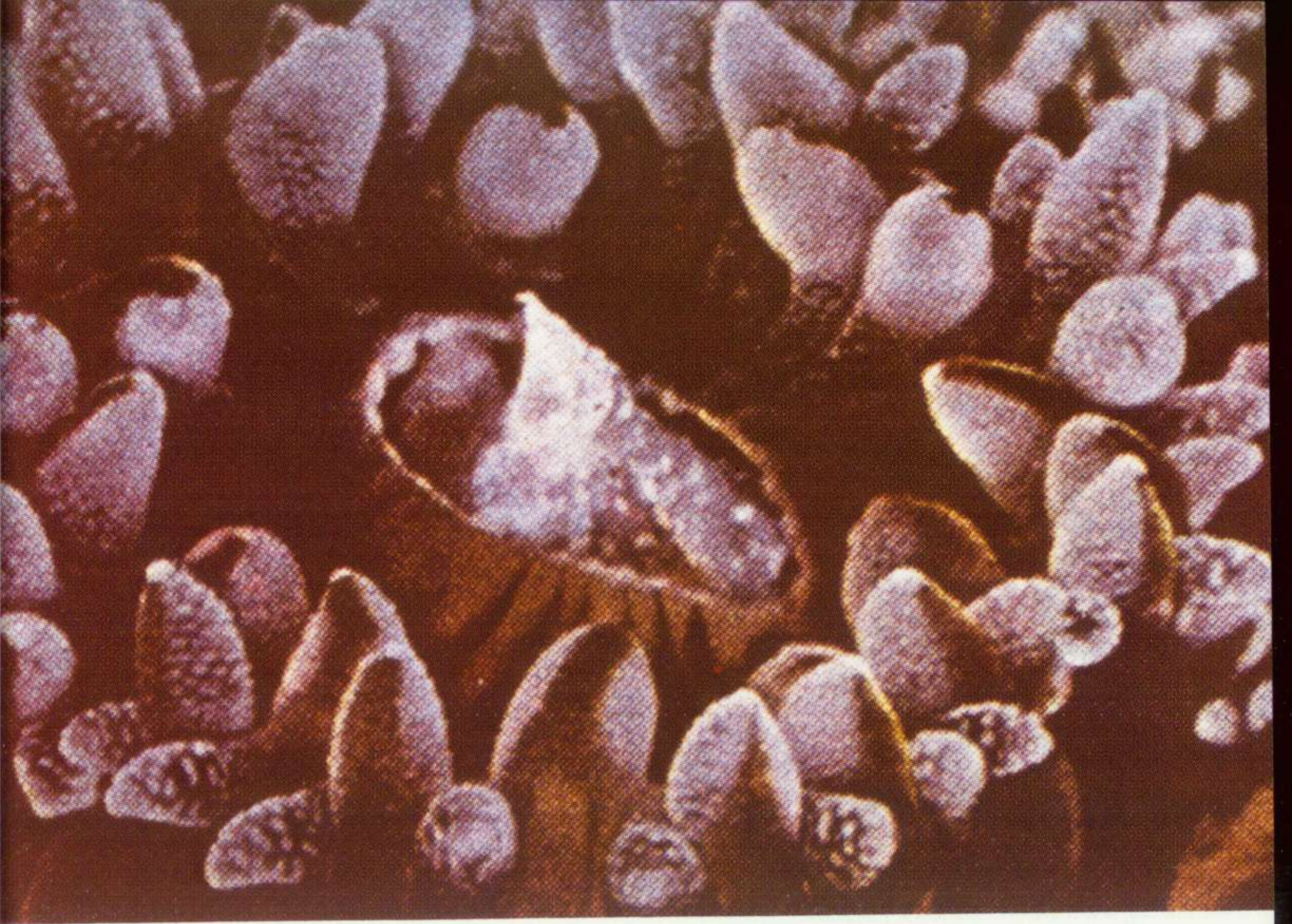
ومن الطبيعى أن السمكة ٢٩٩٩ لم تتبين شيئاً من هذا كله وسط الاضطراب العنيف الذى ساد المياه ، لكنها أصيبت بذعر حقيقى عندما أبصرت احدى أسماك الرنجة ، الفاغرة الفاه ، تشق المياه نحوها بسرعة فائقة .

وضاعف من ذعرها أنها كانت منساقة نحو الفم الفاغر ، عاجزة عن المقاومة .

أصبحت أخيراً على بعد سنتيمترات من فم الرنجة ، وكادت تنزلق اليه مع تيار ماء امتصته السمكة ، لولا أن الأخيرة تعرضت الى لطمة عنيفة من زميلة لها كانت مندفعة فى رعب ، ومن خلفها بقية الفوج .

وما حدث بالضبط لم تعلمه غير النوارس التى حلقت على مقربة من سطح البحر .

فهى أول من لمح السمكة الكبيرة التى تجاوز طولها المترين ، وخلا جلدها من الحراشيف ، وهى تمرق تحت سطح الماء دون أن يبرز منها خارجه سوى الزعنفة الخلفية الطويلة ، والفص العلوى من



لقطة مكبرة لبوليب مورجاني يلتهم قطعة من الطعام .

زعنفة الذيل .

وهى التى ميزت السيف الطويل الذى يمتد من رأس السمكة مسافة المتر . وتابعت صاحبته وهى تقتحم صفوف الرنجة .

لكنها لم تر شيئاً مما حدث بعد ذلك بسبب الاضطراب العنيف الذى ساد المياه والرذاذ الذى ارتفع فوقها حاجباً الرؤية . واضطرت النوارس للاقتراب ، وقد أثارت المذبحة المرتقبة انفعالها ، فاستقر بعضها بأرجله فوق سطح الماء . وعندئذ رأت السيف تهاجم وتدور وتطعن ، يساراً ويميناً ، فى حركات مجنونة ، وسط صفوف الرنجة الهاربة .

هدأت المياه التى غطتها الرغاوى البيضاء بعد قليل ، فطفت على السطح عشرات من أسماك الرنجة الجريحة ، والأخرى التى لم تصب بشىء وإنما شلها الخوف ، فعامت فى ذهول لتمسكها «السيف» بسهولة ويسر .

اصطبغ الماء بلون الدم الذى انتشر فى ثناياه على هيئة بقع داكنة . وتسلل الى فم وخياشيم السمكة ٢٩٩٩ طعم جديد هو طعم الدماء !

داخل الفم المفترس

كان أول رد فعل غريزى لمذبحة الرنجة من جانب السمكة ٢٩٩٩ ، هو الابتعاد بسرعة عن المكان الذى انتشر به مذاق الدم .

ورد الفعل الغريزى الثانى هو الانكماش فى مكان آمن .

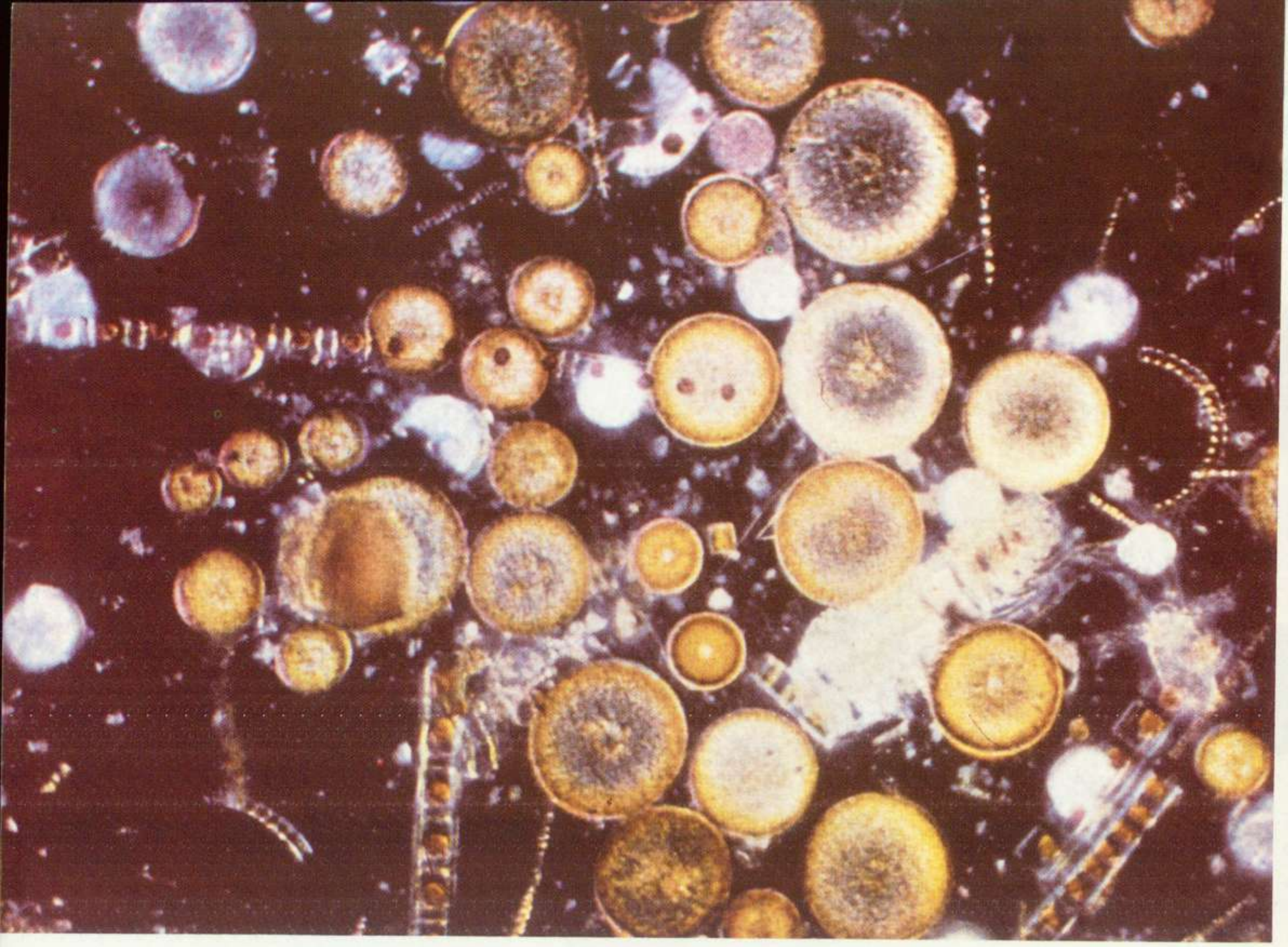
وقد اعتمدت فى بحثها عن هذا المكان الذى قادها الى أسفل بعيداً عن الضوء ، على ما يحمله اليها الخط الجانبى من أحاسيس ، أكثر مما اعتمدت على عينيها المحدودتى الرؤية ، اللتين لا يتجاوز مدى ابصارهما أمتاراً قليلة .

هبطت فى محاذاة حقل عمودى من كائنات لينة على شكل نباتات ، اتخذ كل ساق منها لوناً مختلفاً . ومرت أسفل حدائق معلقة كالمظلات ، من مراجين صخرية ، وسفنجيات على شكل أقماع متشابكة ، وكرات من الطحالب الخضراء فى حجم قبضة يد الانسان ، وأسماك متنوعة الزخارف والألوان .

كانت تسبح فى عالم أزرق ذى صبغة خضراء . ولم تكن لتميز اللون الأحمر ، فهو والظلام الكثيف ، بالنسبة لها ، سواء . لكنها تبينت اللونين الأصفر والأخضر بسهولة .

استقرت فوق درجة بارزة من درجات الشعاب ، ودفنت نفسها فى أول شق قابلها .

كان الخوف مازال مستولياً عليها . فقد أيقظت تجربة المذبحة ذكرى إحساسات مبهمة بالخطر ، اختزنها الجهاز العصبي الرقيق عندما كان أسيرا لكيس المح ، تتلاطمه الأمواج وتدفعه



(تحت المجهر تبدو القطرة الواحدة من مياه البحر أشبه بلوحة تجريدية من أشكال هندسية ليست سوى دياتومات أو طحالب دقيقة للغاية).

هنا وهناك، معرضة إياه للالتهام فى أية لحظة.

تركزت كل أحاسيسها فى محاولة تحديد ما يجرى خارج الشق. وعند أية حركة مفاجئة، كانت تدفن نفسها أكثر.

لكن الانفعال الذى تعرضت له ضاعف من نشاط جهازها الهضمي. وعجزت الكائنات الهائمة التى تحملها المياه الى الشق بين الحين والآخر، عن إشباع جوعها.

وبعد ساعات طويلة لم تعد تحتمل الجوع، فجازفت بالخروج من مكمنها.

كان الظلام الكثيف يسود الماء، فعامت الى جوار حائط الصخور والمراجين الذى بدا ممتدا الى ما لا نهاية. وعندما التقطت حواسها ذبذبات مألوفة، اتجهت نحو مصدرها.

عامت الى جوار كتلة من الصخور المتلاحمة تغطيها مرجانيات متفرعة حتى أشرفت على مجموعة من الديدان، تعلقت فى الصخور بمؤخراتها، ودلت رؤوسها فى الماء وقد انفرجت أفواهها تلتقط الدياتومات الميكروسكوبية بواسطة مراوح دائبة الحركة من الريش تحيط برؤوسها.

أجفلت السمكة ٢٩٩٩ من حركة المراوح، فابتعدت عنها، واتجهت نحو حشد من القشريات الصغيرة، فالتقطت احداها وسحقت جسدها الشفاف على سقف فمها قبل أن تبتلعها. ثم التقطت قشرية ثانية وثالثة.

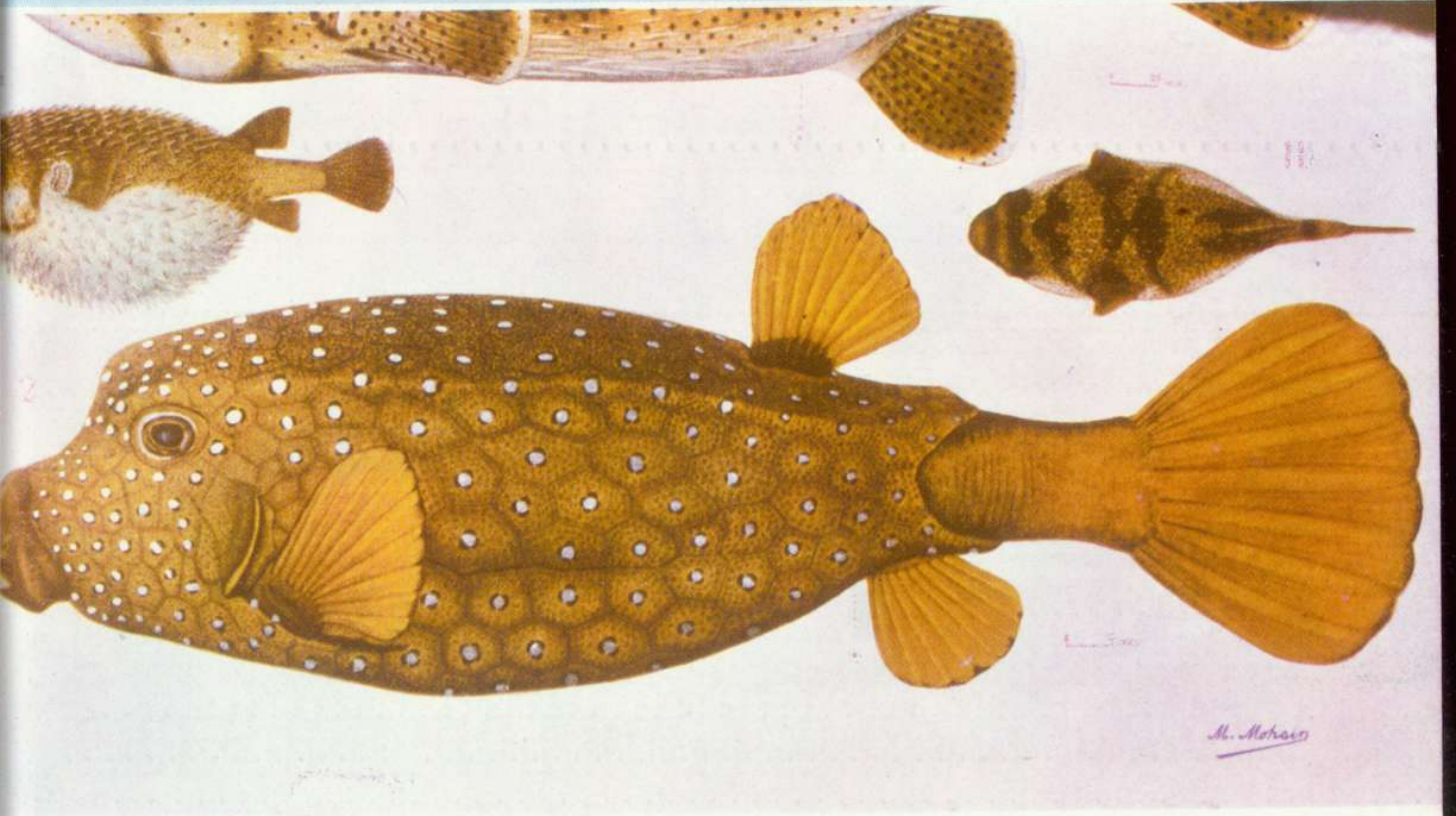
شجعها هذا الصيد السهل على مطاردة واحدة ممتلئة، فاندفعت خلفها الى أعلى حتى اقتربت من سطح البحر. وفجأة ومض أمام عينيها ضوء ساطع اكتسح الماء ثم تلاشى. وتبعه على الفور وهج فى ألوان قوس قزح، استقرت فى أعلاه كرة بيضاوية، يصدر عنها وميض فسفورى واهن.

اجتذبها الضواء فتقدمت منه فى فضول دون أن تعرف، بالطبع، أنها فى حضرة واحدة من أخطر الكائنات المفترسة على سطح البحر.

كان ثمة جماعة كبيرة من هذه الحيوانات الطافية، التى تسمى أحياناً بعنب البحر، لأن الواحدة منها تشبه فى شكلها وحجمها حبة من حبات هذه الفاكهة.

لكن الاسم الذى تعرف به عادة هو الهلاميات المشطية، أو حاملات الأمشاط. ذلك أن حبة العنب التى يتألف منها جسد الحيوان، تعوم بواسطة ثمانية صفوف من أهداب متلاحمة على هيئة الأمشاط، تتحرك فى الماء كما تفعل مجاذيف السفن الشراعية القديمة.

أصبحت السمكة ٢٩٩٩ على مبعدة نصف متر من الحيوان الغريب، الذى كان يتحرك ببطء بالدوران حول نفسه الى



توجد فى البحر الأحمر عدة انواع من سمكة الصندوق اشهرها هذا النوع المعروف باسم ابو صندوق النجم .

الخلف ثم الأمام ، وهو يصدر ضوءاً أخضر اللون .

ومن السطح العلوى لجسم الحيوان ـ الذى لا يزيد طوله عن سنتيمترين ـ امتد فجأة لامسان رفيعان ، فى سمك الشعر ، أخذا يستطيلان حتى بلغا السمكة الصغيرة فالتفا حول ذيلها .

جذبت السمكة ٢٩٩٩ جسدها بعيداً ، لكن هذه الحركة ضاعفت من قبضة اللامسين ، فقد كانا مغطيين بخلايا دقيقة تفرز سائلا صمغياً ، يلزق بالفريسة ، فلا تملك منه فكاكاً .

وعلى حين غرة ، أخذ اللامسان يتقلصان ، ويتضخمان فى الوقت نفسه ، حتى أصبحا فى سمك خيط سنارة الصيد ، جاذبين السمكة العزلاء الى الفم المفترس الذى توسط سطح الحيوان السفلى ، مستقرا فوق الماء .

وتعلقت عينا السمكة ٢٩٩٩ بوهج فوسفورى ، كاد يعميهما ، انبعث من الأمشاط الممتدة على جسد الهلام ، بالصورة التى تمتد بها خطوط الطول على سطح الكرة الأرضية .

وللمرة الثانية خلال ساعات قليلة ، كانت السمكة ٢٩٩٩ على شفا الهلاك .

ومن حسن حظها ، أن الهلام المفترس كان قد أمسك بسمكة أخرى قبل نصف ساعة فحسب . ولم يكن قد تمكن بعد من ابتلاعها كلها ، فظل ذيلها بارزاً من فمه . وكان على السمكة ٢٩٩٩ أن تنتظر بين طيات الملامس حتى ينتهى من هضم السمكة الأولى بالتدريج .

هكذا كانت على قيد الحياة ماتزال ، عندما ظهرت سمكة سوداء مندفعة كالطوربيد ، فتحت فمها لتبتلع الكتلة المؤلفة من الحيوانات الثلاثة ، ثم فتحته مرة أخرى فى تقزز لتلفظ الهلام المشطى ، وقد تقطعت أوصاله ، بحيث انفصل اللامس المحيط بأم ذقن وفقد لزوجته ، فتحررت سجينته !

مصادفات البحر

خرجت السمكة ٢٩٩٩ من هذه التجربة برضوض عديدة فى زعانفها ، فشقت طريقها فى إعياء ، باذلة جهداً بالغاً للمحافظة على توازنها ، هابطة الى حيث يوجد الشق الذى اكتشفته بين الشعاب .

لم تجد مشقة فى الاهتداء اليه ، مسترشدة بشبكة من المعالم الدقيقة المختزنة فى ذاكرتها الضئيلة ، تتألف من ذبذبات وتيارات معينة ، وتغيرات طفيفة فى درجات الحرارة والملوحة . وما إن بلغته حتى ولجته فى حذر ، واستلقت على جانبها وهى تتنفس بسرعة .

ظلت فى مكانها طوال اليومين التاليين ، لم تغادره إلا مرة واحدة كى تعتدل على جانبها الآخر . وتحسنت صحتها بالتدريج فاستعادت شهيتها للأكل . وقنعت فى البداية بالكائنات



مجموعة من اسماك البحر الأحمر تضم سمكة السيف الشهيرة ، وفوقها ثلاث سمكات كبيرة من نوع التونة ، وتظهر ثلاث من اسماك الرنجة الصغيرة الى اقصى اليسار .

الشاردة التى تحملها المياه الى الشق بين الحين والآخر . وأسعفها الحظ فعثرت بكتلة متماسكة من بيض القواقع ذات مرة ، وفى مرة أخرى أمكنها أن تلتقط جماعة من الدود السمين غادرت مكامنها فى انفعال عندما اشتمت رائحة ثعبان بحرى جريح .

لكن هذه المصادفات السعيدة لم تكن تتكرر كثيراً ؛ واضطرت أن تلجأ الى الطين الناعم الذى يحيط بها ، فتأخذ منه ملء فمها ، وتطحنه على مهل بين فكيها مثل البقرة ، الى أن تستخرج ما به من طحالب دقيقة لا تغنى أو تسمن .

وفى صباح اليوم الرابع لحادث الهلام المشطى ، أحست بموجة مفاجئة تصطدم بخطوطها الجانبية . وتبعتها موجات أخرى متباينة الأثر . وبدا للسمكة المنكمشة فى شقها ، وجه شبه بين الضغط الناشىء عن هذه الموجات ، وذلك الذى أحدثته المعارك التى شهدتها فى الأيام القليلة الماضية .

استولى عليها انفعالان متعارضان . فبقدر ما أوحت ذبذبات المياه بالخطر ، أوحت أيضا بالطعام بفريسة مبتعدة أو تصارع صائدها .

وتغلب شعورها بالجوع على خوفها ، فأبرزت رأسها من الشق وهى تمتص المياه يميناً ويساراً ، لتتعرف على مصدر «الأصوات» التى تتلقاها . ولم تلبث أن غامرت بالخروج ، وعامت نحوه فى فضول .

اعترضتها صخرة بارزة تغطيها اسفنجيات داكنة ، فدارت حولها فى بطء ، ثم جمدت مكانها .

ألفت نفسها أمام جماعة من الأسماك المختلفة الأحجام والألوان يغلب عليها اللون الأصفر ، وتتدلى من ذقونها تلك الزوائد الجلدية التى تملك السمكة ٢٩٩٩ اثنتين منها .

أحاطت بها الأسماك الملونة ، وهى ترمقها بفضول ، ثم اقتربت منها فاغرة الأفواه .

لم يطرأ أى تغيير على عينى السمكة ٢٩٩٩ ، اللتين تشبه حدقتاهما حلقتين معدنيتين تدوران ببؤبىء العينين . لكن العدستين انتقلتا قليلا الى الأمام ، حتى أمكنهما التركيز على الأفواه المقتربة .

شعرت بعدد منها يستقر فوق أطرافها ثم ينطبق عليها ، كأنما يهم بالتهامها .

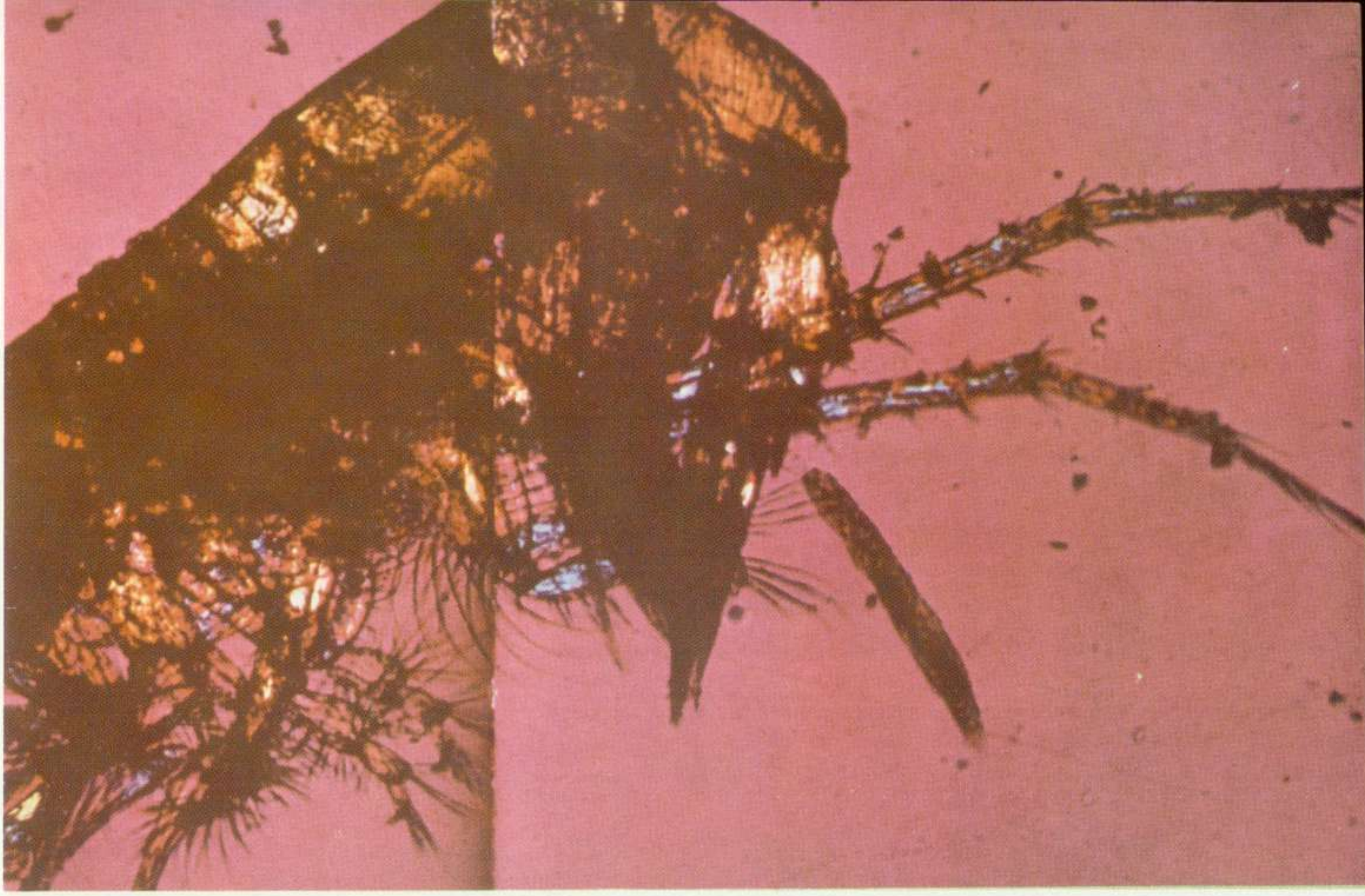
وصدرت عن كل فك ضغطة خفيفة ، استمرت لحظات ، ثم توقفت .

وتكررت الضغطة عدة مرات .

وتبينت السمكة ٢٩٩٩ ، أخيراً ، أن الأسماك الملونة تلعق جسدها .

وحقيقة الأمر أنها كانت تمتص الافراز الرغوى الذى يغطى أجساد الأسماك ، ليحميها من الصدمات ويساعدها على العوم .

وسواء تبينت الأسماك أمر السمكة ٢٩٩٩ عندذاك ، أو أنها عرفت فيها ، من



صورة مكبرة لاحدى القشريات الصغيرة التى لا يزيد حجمها الطبيعي عن حبة ارز ، وتعرف باسم برغوث البحـر .

الوهلة الأولى ، قرينة من نفس النوع بل والجماعة ، فانها كفت فجاة عن امتصاصها ، ثم استدارت مبتعدة .

سكن روع السمكة ٢٩٩٩ ، وبدأت خياشيمها تعمل فى قوة ، واذا بها تشعر باضطراب عنيف فى المياه . وبطرف عينها رأت احدى سمكات «أم دقن» الصغيرة تندفع نحوها فى سرعة البرق .

لم يكن ثمة شك فى أن هدف السمكة الأخرى هو الاصطدام بجانبها . لكن السمكة ٢٩٩٩ بوغتت بالأمر فلم تتمكن من الابتعاد ولو قليلا . وكانت السمكة الأخرى هى التى انحرفت فى الوقت المناسب ، دون أن تنقص من سرعتها ، فمرقت أسفلها ، محدثة موجة صغيرة لطمتها بشدة .

دارت رأس السمكة ٢٩٩٩ من الصدمة ومضت لحظات فقدت فيها كل قدرة على الادراك ، حتى شعرت بالسمكة الأخرى تدفعها برأسها فى جانبها ثم تقرض طرف ذيلها .

أيقنت السمكة ٢٩٩٩ بعد قليل أن السمكة الأخرى لا تبغى بها شراً ، وأن كل ما تسعى اليه هو قليل من المداعبات التى لا تؤذى ولا تضر . ولم تعرف – بالطبع – انها أمام أخت لها من أمها وأبيها ، تتقدمها قليلا فى العمر ، ويجعلها ترتيبها فى الخروج من البيضة جديرة برقم ٣٧٥ .

ولابد أن نذكر هنا أن الاشارة الى السمكتين بصفة التأنيث لا يعين حقيقة جنس كل منهما . ففى مقتبل العمر يستحيل تحديد جنس السمك ، إذ تحتفظ أفراده بمكونات كل من الذكر والأنثى ، الى أن تبلغ مرحلة النضج ، فتتغلب احداهما على الأخرى .

غريزة الجماعة

استجابت السمكة ٢٩٩٩ لدعوة ٣٧٥ مستسلمة لحاجة غريزية لدى كافة الحيوانات فدفعتها برأسها فى جانبها ، وحاولت أن تجذبها من زائدتى ذقنها ، ثم جرت أمامها ، واختفت منها خلف احدى الاسفنجيات ، وأخيراً طاردتها بين المرجان إلى أن شعرت ٣٧٥ بالضجر فانسحبت من اللعب . وانطلقت تلحق بجماعتها .

وما إن قطعت ٣٧٥ عدة أمتار ، حتى شعرت بمن ينزلق الى جوارها ، صوبت ذيلها نحوه فى ضيق ، وحاولت الابتعاد. وتراجع الغريب الى الخلف قليلا ، ثم عاود الاقتراب وهو يهز ذيله متودداً .

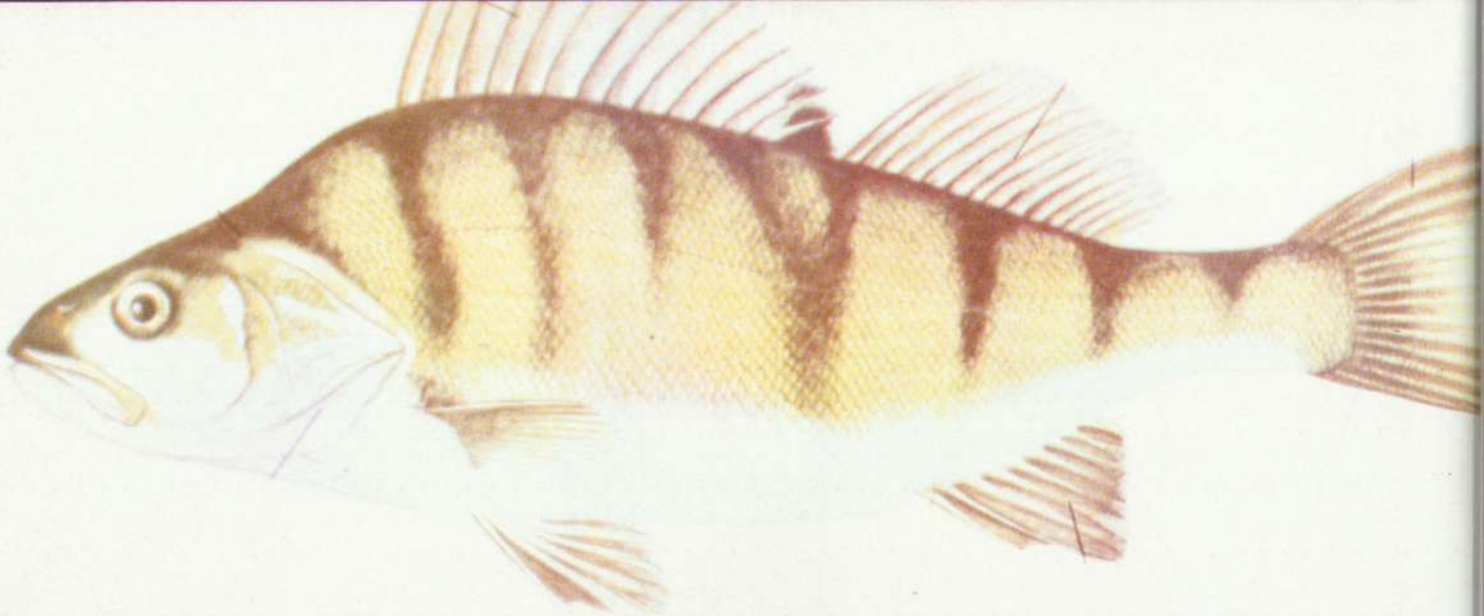
لوت ٣٧٥ جسدها قليلا ، وبطرف عينها تبينت فى الغريب السمكة رقم ٢٩٩٩ .

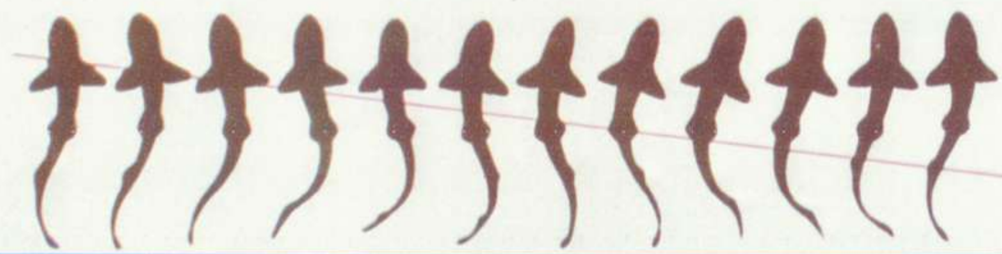
لم تفهم ما يدفع الأخرى لملاحقتها ، ومن عدم الفهم نبع احساس بالخوف ، فحاولت أن تتخلص منها .

لوحت لها بذيلها مهددة ، فابتعدت الأخرى بسرعة . واستأنفت ٣٧٥ طريقها . وتبينت بعد لحظات أن الأخرى تقتفى أثرها .

لم تكن السمكة ٢٩٩٩ تضمر شراً . كل ما هنالك ، أنها التمست شيئاً من الطمأنينة والتسلية فى رفقة السمكة الأخرى . وهو شعور يبلغ درجة الحاجة الغريزية لدى أفراد الأنواع التى تعيش عادة فى جماعات .

لكن ٣٧٥ ضاقت بالحاحها رغم أنها تبينت فيها واحدة من نفس جماعتها ، بحكم اللحية المدلاة من ذقنها ، والظلال





(تشكل جسد السمكة بحيث يساعدها على الانزلاق بخفة وسط الماء) .

اللونية المشتركة بين جميع الصغار ، والتى ستتحول فى الوقت المناسب الى غطاء كامل من اللون الأصفر الزاهى

ولعلها حنقت عليها لهذا السبب بالذات . فغالباً ما تكون العلاقات بين أبناء نفس الجماعة من الأسماك ، متوترة أكثر منها بين أفراد الجماعات والأنواع المختلفة . وسبب ذلك هو الصراع الذى لا يتوقف بين أبناء نفس الجماعة على توزيع المساكن والمناطق .

لم يكن ثمة مفر من الاشتباك مع السمكة ٢٩٩٩ ، فاندفعت نحوها فى غضب ، وطاردتها عدة أمتار حتى أجبرتها على الاختفاء بين الشعاب .

لكنها لم تكد تبتعد قليلا ، حتى شعرت بها تتبعها عن كثب .

جربت الافلات منها بأن عامت بأقصى ما تملك من سرعة ، لكن السمكة ٢٩٩٩ لاحقتها ، ونجحت فى أن تبقيها فى مجال حواسها .

ولم يلبث اليأس أن انتاب ٣٧٥ ، فاستسلمت للأمر .

وكأنما شعرت السمكة ٢٩٩٩ بما طرأ على موقف الأخرى من تغير ، فتشجعت على الاقتراب منها حتى أوشك رأسها أن يلمس ذيل ٣٧٥ .

فى المستعمرات المرجانية

استقبلتها الجماعة فى غير مبالاة ، بل بشىء من العداء الذى تجلى واضحاً عندما احتلت أحد الشقوق ، فطردتها منه سمكة أخرى أكبر منها ، بعد أن أوشكت أن تمزق لها زعنفتها الظهرية .

وفيما عدا هذا الحادث ، بدا أن الجماعة قد قبلتها بين صفوفها ، وسمحت لها أن تستقل بشق خاص ، وإن كان ضيقاً بعض الشىء ، قريباً من تيارات الماء ، مما يضعها فى طريق المفترسين .

ولم يمض وقت قليل حتى تجلت لها فوائد الحياة الجماعية . فلم تكن مضطرة لركوب المخاطر سعياً وراء الطعام ، إذ كان عبء اتخاذ القرار يقع على عاتق الجماعة ، الذى يعرف أماكن الطعام وأسرار الشعاب .

لهذا تسبح الجماعة كلها ككتلة واحدة وقد تلاصقت رؤوس البعض بذيول غيرهم ، واتجه انتباه الجميع الى القائد فمن تصرفاته يدركون ما يحدث ، وما يتعين عمله . فهم يعرفون اندفاعاته السريعة عندما يرى شيئاً ذا بال ، والتماع زعانفه الصدرية وخطه الجانبى عندما يستدير على جانبه ليضرب عدواً ، والحركة السهلة لذيله المتأرجح عندما يركب التيار فى ظل صخرة منتظراً ، أو بروز زعنفته الصدرية الى الأمام اشارة الى أنه رأى عدواً ، وأنه يستعد للاختفاء فى حفرة يعرفها الكل .

وأهم ما فى الأمر ، أن التجمع المشترك يحمى الأفراد جميعاً من المفترسين . إذ أن السمكة المفترسة ترتبك فى مواجهة كتلة من الأسماك المتراصة ، ولا تتمكن من فريستها ــ عادة ــ إلا اذا انفردت بها.

مما جعل أسماك الشعاب المرجانية تفضل الحياة الجماعية ، نظراً لكثرة المفترسين المحليين والعابرين ، ولامكانيات الاستقرار المتاحة ، وإن كان بعض الأفراد يميلون للانفصال عن الجماعة والاستقلال بذواتهم ، حالما يتجاوزون أطوار الطفولة والصبا .

على أن ما أثار اهتمام السمكة ٢٩٩٩



فوج صغير من أسماك « أبو دقن » المعروفة باسماك العنزة .

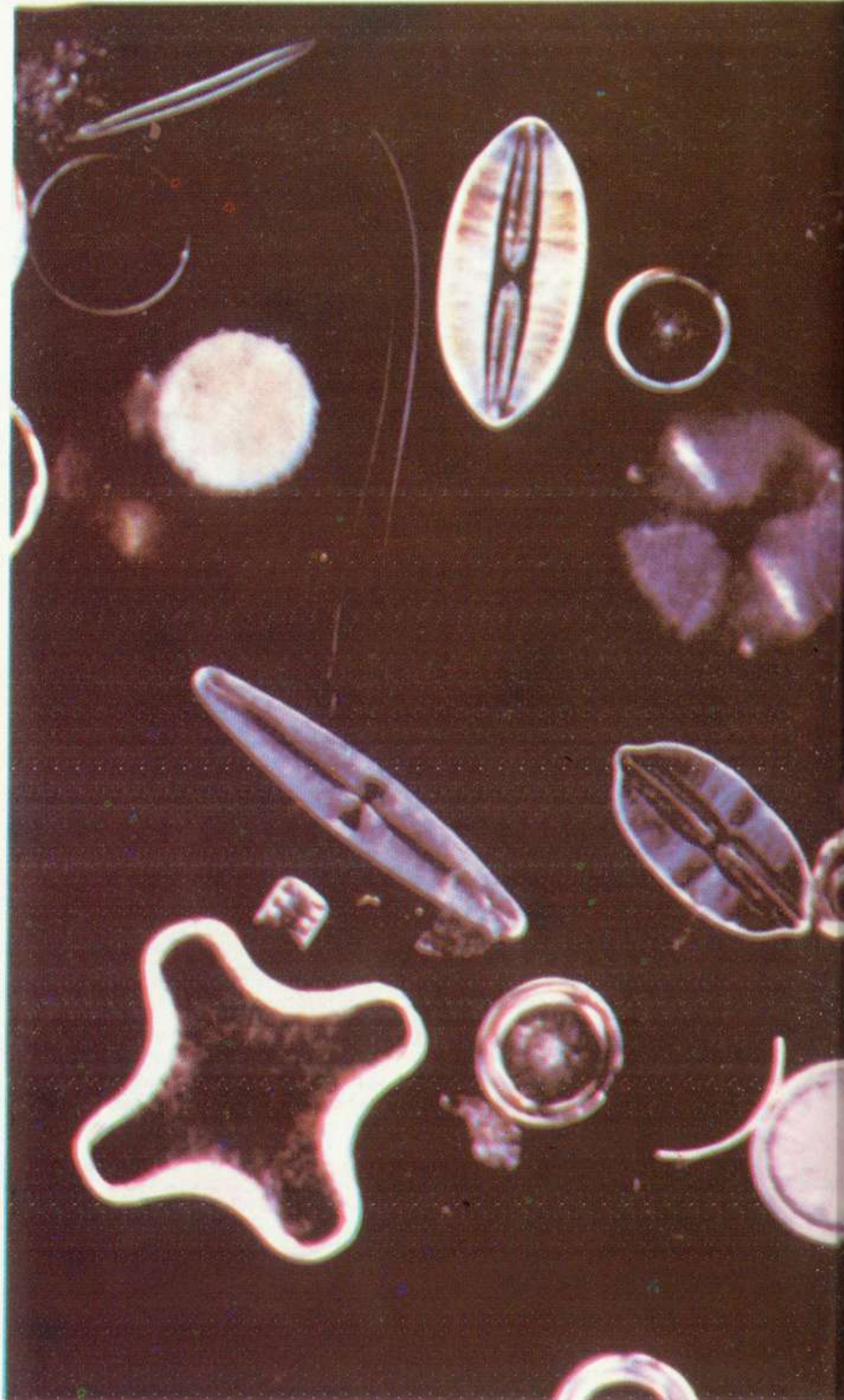
بالحياة وسط الفوج ، هو ما أتاحته لها من فرص اللهو والعبث .

فقد كان أفراده ، فيما يبدو ، مغرمين بلعبة الاستخفاء ، فكثيراً ما ينطلقون خلف بعضهم البعض ، فى مطاردة طويلة بين الفروع الصخرية ، يتعمد اسرعهم خلالها الابطاء حتى يلحق به الآخرون ، فيغافلهم فجأة ، ويتقدم عنهم ثم يختبىء فى أحد الشقوق أو خلف فرع مرجانى وينتظر أن يعثروا عليه ، أو يثير دخاناً كاذباً من الرمال البيضاء المتناثرة فى أكوام فوق درجات الشعاب وأسفل المستعمرات المرجانية ، ويستغله فى الاختفاء عن زملائه .

خطوة جريئة

مضت الحياة بالسمكة ٢٩٩٩ هنيئة وادعة ، لا يعكر صفوها غير شىء واحد .

وسواء كان الأمر راجعاً لما خلفته التجارب الأولى فى الحياة من خوف وذعر ، أو أن وجودها وسط الجماعة قد كشف عن استعداد طبيعى عندها للتواكل والاعتماد على الآخرين ، أو أن تكوين جسدها ذاته جعلها ثقيلة الحركة بطيئة التصرف ، فان أقرانها كانوا يسبقونها دائماً الى الصيد والتهام ثماره .



صورة أخرى للنباتات الدقيقة الهائمة مما تبدو تحت المجهر .

فاذا لمحت احدى القشريات واتجهت نحوها ، كانوا أسرع منها الى التقاطها ، واذا خرجوا فى رحلة جماعية للصيد ، أوقعوا بالفرائس والتهموها قبل أن تتمكن من الاشتراك معهم ، ولا تجد أمامها حينما تفعل سوى الدماء والقشور والعظام المتناثرة .

وبالتدريج أقلعت عن الاشتراك فى حملات الصيد الجماعية ، بل وعن أى مغامرات فردية فى هذا الشأن ، اللهم إلا اذا كانت الفريسة فى متناول فكيها ، ولم يكن هناك خطر ، وكان بعض الأفراد على مقربة ، تفصلها عنهم مسافة كافية ، تجعلها بمأمن من شرهم ، وتتيح لها فى الوقت نفسه أن تحتمى بهم عند اللزوم .

والنتيجة أنها بدأت تعانى من الجوع .

وكانت منذ التحاقها بالفوج ، حريصة على أن تكون قريبة من السمكة رقم ٣٧٥ التى قادتها اليه ، رغم التناقض الذى تجلى بمرور الوقت بين «شخصيتيهما» ، أو ربما بسببه . فبقدر ما كانت السمكة ٢٩٩٩ خاملة ، وادعة تهاب المغامرة ، لا يساورها فضول أو رغبة فى المعرفة ، كانت السمكة ٣٧٥ على عكسها ، متوثبة نشاطاً وحيوية ، دائبة الحركة ، لا تتوقف عن محاولات الاستكشاف ، ولا تتراجع أمام الخطر .

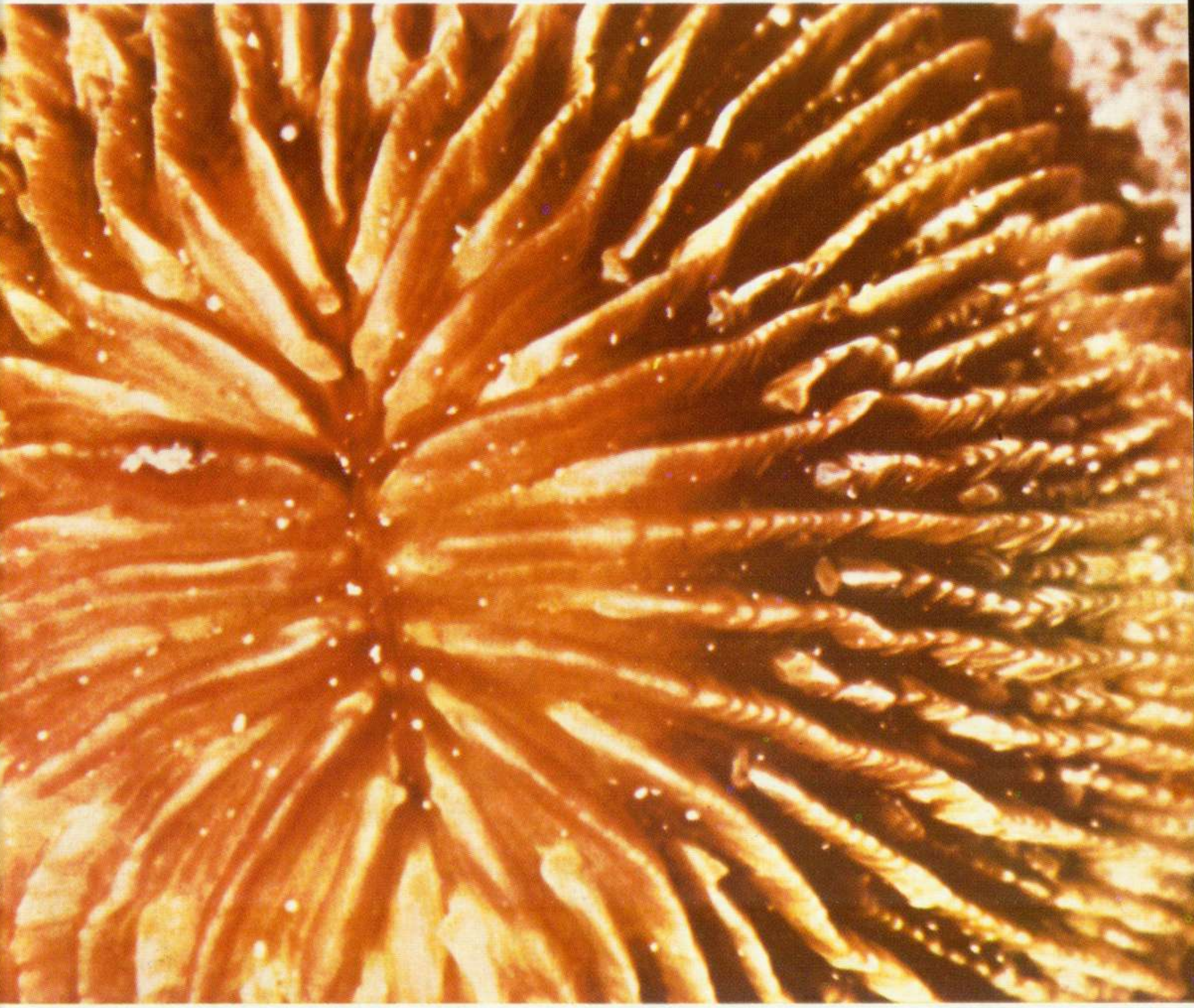
وكثيراً ما كانت السمكة ٣٧٥ تغادر الجماعة ليوم أو بعضه ، كأنما تستعد للحظة قريبة تستقل فيها بنفسها ، فتطارد سرطاناً وحيداً أو تستكشف كهفاً مجهولا . وساعدتها هذه المغامرات اليومية على الاحتفاظ برشاقتها ، وخفتها ، وسرعة بديهتها . فبغير زملاء يمكن أن يساهموا فى ارباك العدو ، كان مصيرها يتوقف على مقدار ما تبدى من دقة فى الملاحظة ، وسرعة فى التصرف .

ودفع الجوع السمكة ٢٩٩٩ ذات يوم للاقدام على خطوة جريئة للغاية . فقد تبعت السمكة ٣٧٥ عندما رأتها تبتعد عن الفوج . وحالفها الحظ ، إذ قادتها السمكة ٣٧٥ الى فجوة بين الصخور ، اختفت مياهها تحت ستار من الجمبريات الصغيرة الشهية .

انتظرت السمكة ٢٩٩٩ حتى تقدمت السمكة ٣٧٥ من الفوج وبدأت فى التهام أفراده . وعندما اطمأنت الى أنه ليس هناك خطر ما ، تشجعت على الاقتراب ثم التقطت أقرب الجمبريات اليها .

ملأت السمكة ٢٩٩٩ بطنها لأول مرة منذ زمن بعيد . وعادت الى مسكنها راضية .

ومنذ تلك المغامرة ، لم تدع السمكة الأخرى بعيداً عن ناظريها لحظة واحدة ،



يشبه هذا المرجان نبات الفطر المعروف ولهذا يسمى باسمه . ،هو لا يفرز جيراً ، كما أنه يعيش فى مستعمرات . ولا تظهر البوليبات فى هذه الصورة

ولزمتها فى حلها وترحالها ، بعد أن وجدت فى مرافقتها حلا مثالياً لمشكلتها .

لكن السمكة ٣٧٥ التى لم تبد اهتماماً بالأمر فى البداية ، لم تلبث أن ضاقت ذرعاً بوجود السمكة ٢٩٩٩ دائماً قرب ذيلها ، ومشاركتها إياها فيما تجنيه من صيد . وفى أكثر من مناسبة ثار غضبها ، فاندفعت اليها ، وصوبت اليها لطمة برأسها ، تلقتها الأخرى فى هدوء واستسلام دون أن تبتعد عنها ، أو تقلع عن تتبعها .

وما وقع بعد ذلك كان نتيجة محتومة للشخصية التى كونتها الظروف للسمكة ٢٩٩٩ ، وإن بدا كأنه مكيدة من تدبير السمكة ٣٧٥ ، (وهو أمر غير صحيح بحكم القدرات العقلية المحدودة للأسماك عامة) .

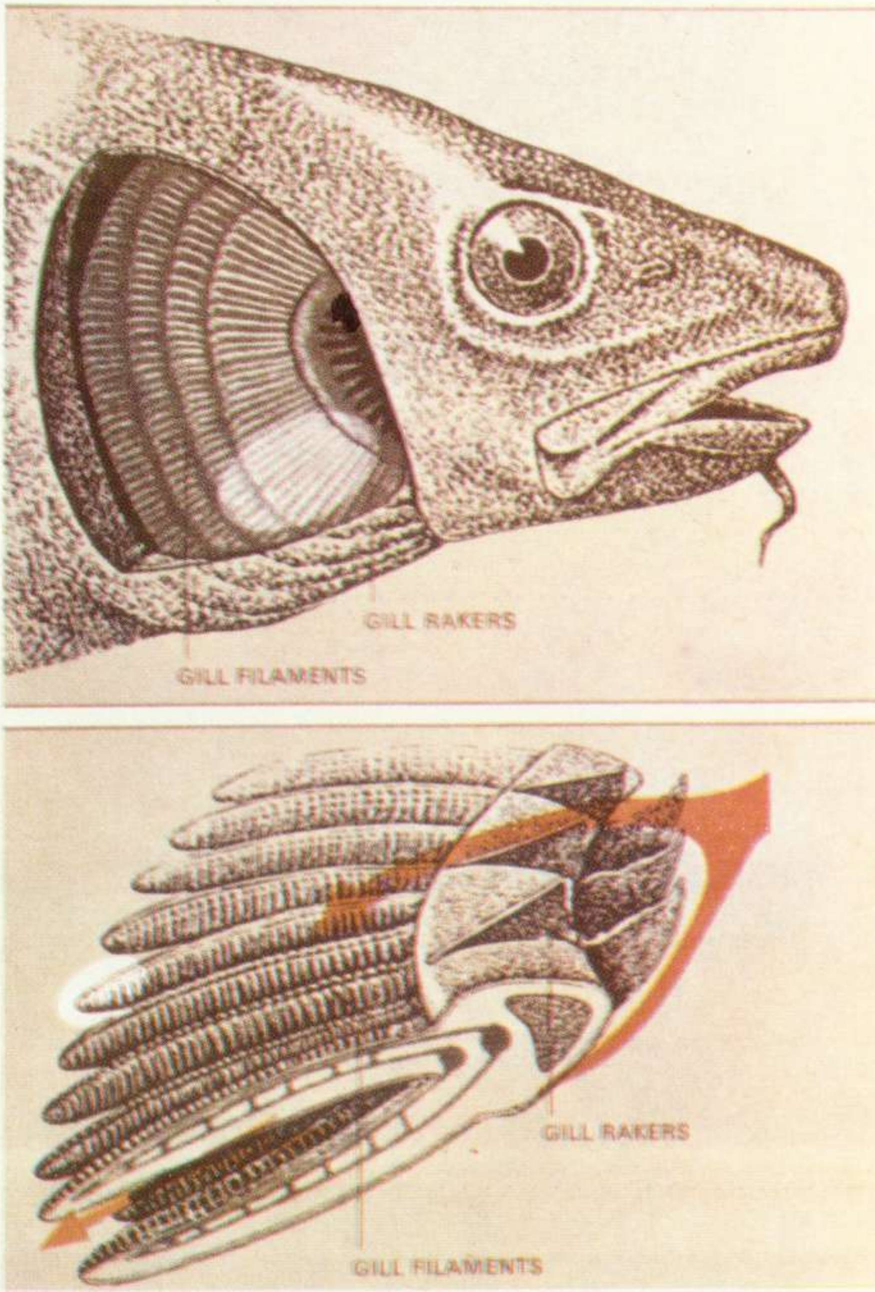
الأسماك الشفافة

فقد كانت السمكة ٣٧٥ تعوم ذات مساء على عمق عشرين متراً من سطح الشعاب ، فى الطريق الى مساكن الفوج ـ تتبعها السمكة ٢٩٩٩ كالعادة ـ عندما أشرفت على عدة مستعمرات من المرجانيات اللينة تجمعت فوق قطعة صخر لا يتجاوز قطرها القدم .

وتختلف هذه المرجانيات عن غيرها بأن بوليباتها (أى أجسادها الصغيرة العمودية التى تنتهى من أعلى بقرص عمودى يتوسطه فم دقيق وتحيط به لوامس متفرعة) لا تفرز هياكل صخرية ، وان كلا منها يملك ثمانية لوامس أو مضاعفاتها بدلا من ستة ومضاعفاتها فى حالة المرجانيات الأصلية ذات الهياكل الصخرية .

وبسبب الظلام السائد ، كانت البوليبات متمددة ، تتدلى بلوامسها المنبسطة من فروع المستعمرة ، التى لا يزيد قطر كل فرع منها عن سنتيمتر ونصف سنتيمتر ، ولا يتجاوز طوله ثمانية سنتيمترات . أما البوليبات نفسها فلا يزيد طول الواحد منها ـ دون اللوامس ـ عن سنتيمترين ، ويبعد عن أقرب زميل له عدة ملليمترات .

وفى قليل من الضوء ، تكشف هذه



رسم توضيحى لخياشيم السمكة وتركيبها . وفى القسم الأعلى من الرسم تظهر الفتحة الخيشومية عارية بعد نزع غطائها ، وداخلها المصفاة التى تحتجز جزئيات الطعام ، وشبكة الخيشومية التى تظهر فى الجزء الثانى من الصورة تتخللها شعيرات دموية (السهم الأحمر) هى التى تمتص الأوكسجين من المياه المتدفقة .

البوليبات عن أجساد شفافة داخل البعض منها ذرات مستديرة سمراء اللون ، عبارة عن نباتات دقيقة ، ليس لها جذور أو سيقان أو أوراق ، لكنها تستطيع القيام بعملية كيميائية معقدة ، فتحول ثانى أكسيد الكربون والأملاح التى يتخلص منها جسد البوليب الى ما يحتاج اليه من سكريات وبروتينات .

اقتربت السمكة ٣٧٥ من احدى المستعمرات التى تضم بضعة عشرات من البوليبات ، ودارت حولها ، وهى تدرس الحيوانات الصغيرة التى كانت لوامسها تنطوى وتنبسط فى ايقاع متسق .

كانت تعرف من تجاربها ، أن هذا النوع من البوليبات لا يؤذى أحداً ، لأنه يعتمد فى طعامه على الطحلب المزروع داخل أنسجته . لكن لوامسه لم تفقد الخاصية الوظيفية التى تتمتع بها كافة لوامس الحيوانات المرجانية الأخرى وأشباهها من الحيوانات البحرية ، من الشقائق الى الأسماك الهلامية . فما أن يقترب منها كائن حي حتى تنطوى فوقه وتحتجزه فوق سطح القرص الذى تتوسطه فتحة الفم الدقيقة .

وهنا لا يسع الحيوان المسالم إلا أن يحاول التخلص من هذا الكائن ، فيضخه بفمه الى الخارج فى قوة . وفى أغلب الحالات لا ينجح فى ذلك من أول محاولة ويضطر الى تكرارها عدة مرات ، يتحول خلالها الكائن الغريب الى عجينة دائرية على شكل القرص .

وخلف هذه العجينة الجاهزة للهضم كانت السمكة ٣٧٥ تسعى .

وقد وجدت بغيتها بسهولة لدى أحد البوليبات ، لكنها لم تكد تهم بالتقاط العجينة الشهية من بين اللوامس المنطوية ، حتى كان البوليب قد ضاق ذرعاً بفشل محاولاته فى التخلص منها ، فمال بجسده كله جانباً ، وانبسطت اللوامس مرة واحدة ، فسقطت العجينة فى الماء .

التقطت السمكة ٣٧٥ العجينة الدائرية من الماء ، فابتلعتها ثم مضت بين البوليبات ، تلتقط العجائن المماثلة . وعندما اكتفت لجأت الى معابثة البوليبات بأن ترقد بين لوامسها ، فتنطوى هذه فوقها على الفور وتحاول جذبها الى الفم ، بينما ينكمش البوليب ذاته . وبعد لحظات تنبسط اللوامس من جديد ، ويتمدد البوليب ثم يميل جانباً ، وبخفقات متسارعة من اللوامس يلقى بالسمكة بعيداً ، دون أن يمسها أذى .

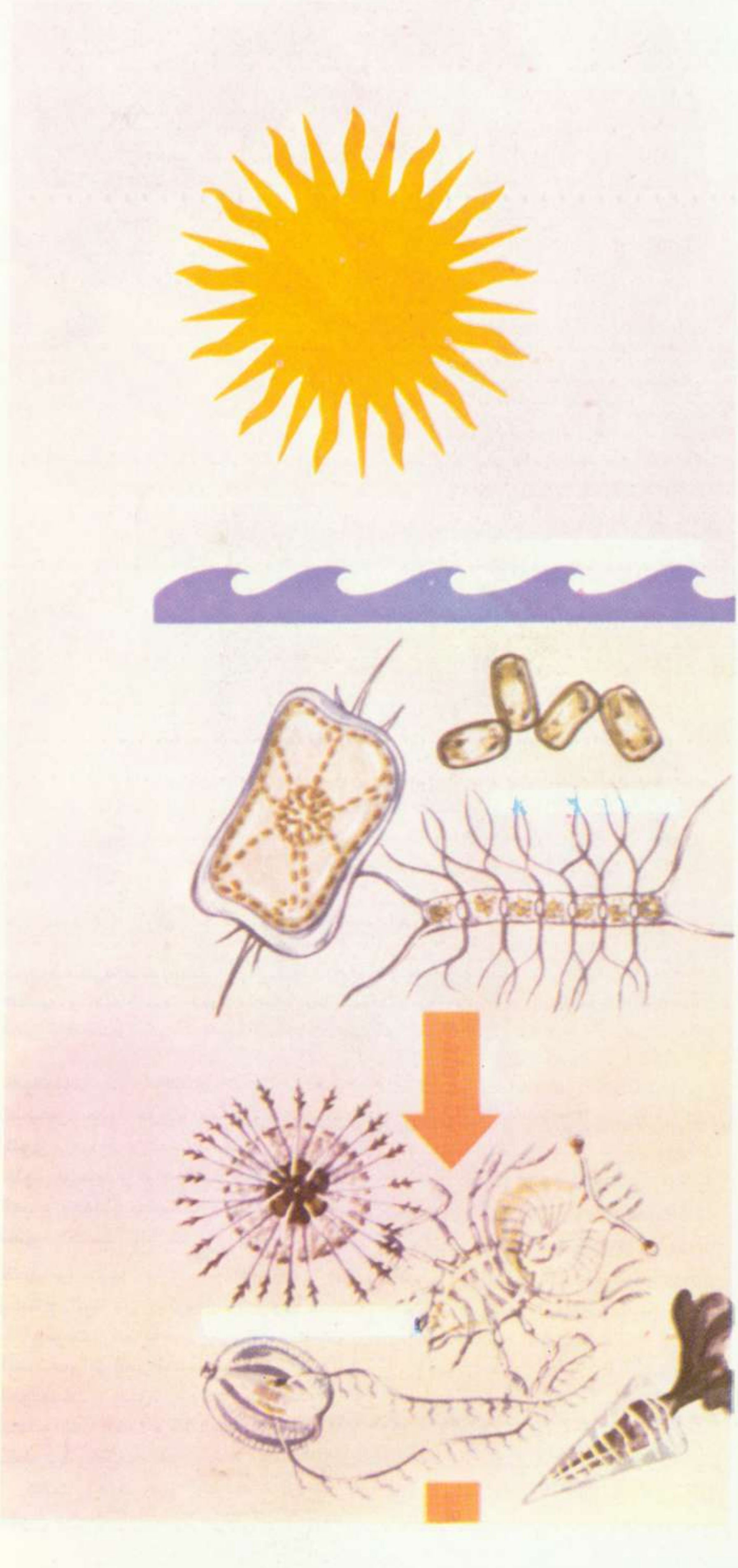
الحادث

تابعت السمكة ٢٩٩٩ كل هذا وهى على مسافة آمنة تكفيها شر كل من السمكة ٣٧٥ التى قد يثور غضبها فجأة فتنقض عليها ، والحيوانات الغريبة التى لم تصادف مثلها من قبل فى حياتها المحدودة بعالم الفوج الآمن .

وسرعان ما اطمأنت الى هذه الحيوانات عندما رأت كيف تتحرك السمكة ٣٧٥ بينها فى حرية دون أن يصيبها شىء ، بالاضافة الى ما تلتقطه بفمها بين الحين والآخر .

تحاشت الدنو من السمكة الأخرى ، فاتجهت الى مستعمرة بعيدة بعض الشىء ، وتقدمت فى جرأة من رأس أحد بوليباتها ، فاستقرت فوق قرصه العلوى بين اللوامس ، كما فعلت زميلتها .

لكنها ارتكبت خطأ فادحاً كانت له نتائج بعيدة المدى .



رسم توضيحي لمجتمع الكائنات الدقيقة الهائمة فى البحر . تحت سطح البحر مباشرة نماذج من الكائنات النباتية الدقيقة واسفلها نماذج اخرى من عالم الحيوان تضم الهلام المشطي أو عنب البحر وقد امتد لامساه أسفله .

فبسبب ضالة معارفها ، النابعة من محدودية تجاربها ، كانت تجهل أن هذه المستعمرات المتشابهة يمكن أن تنتمى الى نوعين مختلفين ، يعيش أحدهما فى اكتفاء ذاتى بالطحالب المزروعة داخله ، بينما يتغذى الثانى على الكائنات الهائمة بين طيات المياه .

ولم تكد لوامس البوليب تنطوى فوق جسدها ، دافعة إياها نحو الفم ، حتى انفرجت فتحته فى شبه دائرة لابتلاعها .

استيعاب الدرس

إلا أن كاتب هذه الأحداث لا يعرف مصير السمكة ٢٩٩٩ على وجه الدقة .

والغالب أنها لم تفقد حياتها على يد البوليب القاتل .

ففتحة فمه التى لا تزيد عن جزء من المليمتر فى الأحوال العادية ، يمكن أن تتسع لقطع من الطعام أكثر سمكاً من جسد البوليب نفسه الذى لا يتجاوز عدة مليمترات ، تتضاعف عدة مرات اذا ما جن الليل .

لكنها قد تعجز عن ابتلاع السمكة ٢٩٩٩ ، التى نما جسدها الصغير فى الآونة الأخيرة ، وأصبح عرضه لا يقل عن سنتيمتر كامل .

وفى هذه الحالة لابد أن تكون قد تعرضت لاصابات خطيرة ، استغرق الشفاء منها بعض الوقت .

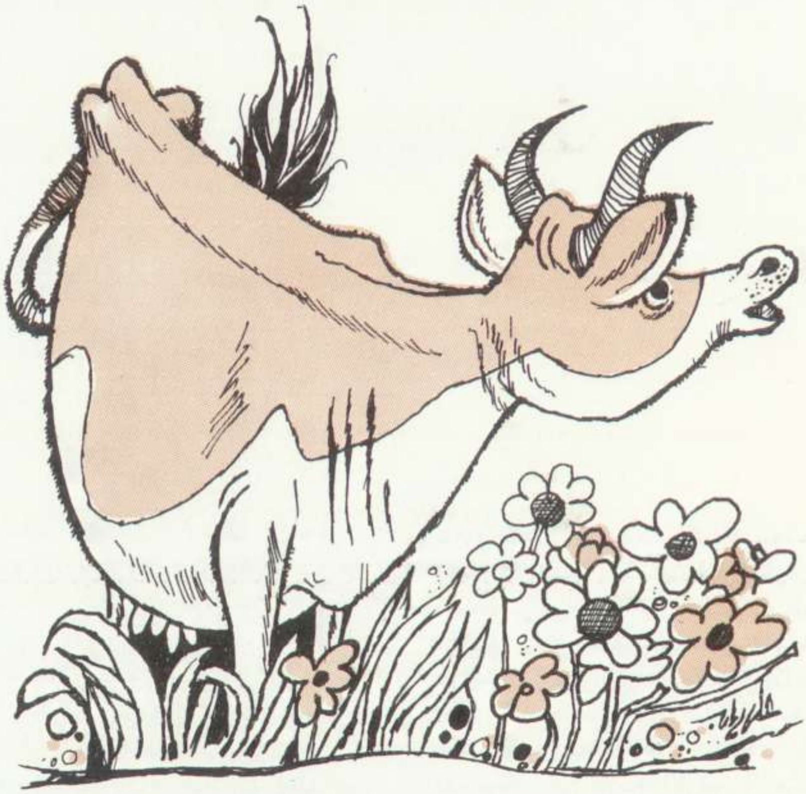
أما الشىء الذى يستعصى على الحدس ، فهو ما اذا كانت السمكة ٢٩٩٩ بملكاتها الذهنية المحدودة ، قد تمكنت من استيعاب الدرس جيداً ، أو أنها ظلت أسيرة الشخصية الضعيفة التى تكونت لها !

صنع الله ابراهيم

من عجائب العلم

ثمانون عجلا من بقرة واحدة في عام واحد!

بقلم: د. توما شماني



الطفلة (لويز براون) طفلة أنبوبة الاختبار ، ليست المخلوق الأول الذى جاء بطريقة زرع البويضة الملقحة فى الرحم .

لأن أول مخلوق يعتبر بحق نتاجاً للانبوبة المختبرية كان قرداً من نوع البابون يسمى (بريميرو) والذى جاء إثر ٤١ عملية زرع فاشلة .

لهذا يمكن القول إن عالم الحيوان قد عرف عملية تلقيح البويضة فى الأنبوبة ومن ثم زرعها في الرحم بعد تخصيبها ، ولكن الفارق بين العملية فى الانسان والحيوان هو أن طفلة الانبوبة (لويز براون) قد أخذت بويضتها التى تدرجت منها ، من أمها ثم لقحت بحياض والدها ثم ردت الى رحم أمها بالزرع. وكان من الممكن أن تزرع فى رحم أم مضيفة أخرى . أما فى الحيوان فليس هناك ثمة ضرورة للتقيد بالنواميس الاجتماعية بل إن الواقعية الاقتصادية تقتضي أخذ أكبر عدد ممكن من البويضات من الأنثى ذات الأرومة الرفيعة ثم تخصيبها من آباء جيدى الصفات ثم زرعها فى أرحام أخرى أقل رفعة . والواقع أن أولى الأبحاث فى هذا الباب كانت قد دارت على الأرانب فى جامعة تكساس ، وكانت أبحاث مشابهة أخرى قد مورست منذ عام ١٨٩٠ .

وقد تدرجت هذه الأبحاث حتى شاهدت أعوام السبعينات أعداداً هائلة من الأبقار تأتى بطريقة «زرع الأجنة» .

والتقنية فى الأبقار تقوم على أساس زرقها بهرمون يدفعها الى الخصوبة وحيث يؤدى ذلك الى انضاج عدد من البويضات دفعة واحدة أى (انطلاق بويضى متعدد) ويكون معدل الانطلاق ٦ بويضات، يمكن أن تعطى ثلاثة عجول على الأقل ، فى وقت لا تستطيع فيه البقرة الواحدة انتاج أكثر من بويضة واحدة وبالتالى ولادة عجل واحد . ولقد حدث أن أنتجت احدى البقرات ٢١ بويضة دفعة واحدة ، واستطاع أحد القائمين بتربية الأبقار إنتاج ٨٠ عجلا من بقرة واحدة فى مدى عام واحد .

واذا انتجت البقرة انتاجها من البويضات ، فإنها تلقح بالتلقيح الاصطناعى بحياض ثور مختار، ثم يسمح للأجنة بالنمو داخل رحم فى وسط يسمح للأجنة بالنمو داخل رحم الأم لمدة ٦ ــ ٨ أيام . ومن ثم تغسل من الرحم وتخزن فى وسط سائلى ملائم لمدة ٢٤ ساعة . الواقع أن كل جنينين من هذه الأجنة المخزونة يمكن أن يزرع فى بقرة أخرى مضيفة وذلك عن طريق اجراء شق صغير فى الخاصرة ثم الرحم . وهناك دراسات قائمة لتبسيط هذه العملية الجراحية .

وبسبب وجود إمكانية تجميد الأجنة فانه يقوم الآن نظام مصرفى للأجنة وبالطريقة التى تقوم فيها (مصارف حياض الثيران) .

إن الزرق بهرمون الخصوبة ينبغى أن يكون بضوابط خاصة وإلا أصيبت المبايض بالانهاك . كما أن زرع الأجنة فى أرحام مضيفات غريبات لا يستدعى ظهور ظاهرة (الرفض) الموجودة فى عمليات زرع الأعضاء لأن الجنين ينتج المادة النوعية الواقعية له والتى تحميه من النظام المناعى للأم .

إن عملية نقل الأجنة تفتح أمام القائمين بتربية الماشية آفاقاً رحبة جداً . ففى الوقت الذى يستطاع فيه زيادة القطعان الحيوانية فانه سيكون بالوسع أيضاً تحسين العديد من الأنواع الحيوانية واكثار الضروب جيدة الأرومة منها والتخلص من السلالات الرديئة .

د. توما شمانى

●● على هامش دورة الشباب الكروية في استراليا، والتي بلغت أوجها في لقاء مجيد بين شباب قطر وألمانيا ●●

يا شباب العالم اتحدوا

بقلم: محمد فتحي

يخلع صاحب الرداء الأبيض رداءه الأبيض، ويخلع صاحب الرداء الخمرى رداءه الخمرى، وتلتحم الأجسام الوردية بالأجسام البرونزية، وتتعانق. يمتزج العرقان، لا أحسب ولا يحسب أحد أن ماء هذا العرق أو ذاك ملون. ويخلع كل على صاحبه رداءه فيرتديه، فلا نعرف من هو الألمانى ومن هو القطرى.

لا منتصر ولا مهزوم.

مشهد يهز الوجدان .. وجدان كل إنسان. كما الأنشودة؛ أو الأمنية السابحة فى آفاق الخيال يعز إدراكها! ومع ذلك فهى واقع ماثل للعيان. عيان الخلق فى كل الدنيا.

شباب القارة الاسترالية، وشباب العالم كله يشهد، عن طريق الأقمار المزروعة فى الفضاء فوق خط استواء كوكب الأرض. هذه المظاهرة الربانية، ذات الرداء، وذات البهاء، وذات الجلال ..

التحام شبابى بريء، مطهر من كل غاية ـ عقائدية أو فلسفية أو نظرية ـ اللهم إلا غاية الأخوة، أخوة الانسان وصداقة الانسان وتعارف الانسان، وربما من أجل وحدانية مقدرة فى ظل مجتمع انسانى فاضل قوامه الاخاء والتكافؤ والمساواة.

ما هذه العصا السحرية التى تحقق ما لا تقدر على تحقيقه الأبواق والطبول والكلام المنمق المعسول، والتى تحشد ألوان الملايين حول شاشات التلفزيون ليذوبوا فى مشهد واحد وحس واحد .. حس ببهاء الانسان، وجلال الانسان، حين ينازل، على ساحة التكافؤ بعضه بعضاً .. بتجرد تام .. تجرد من الانتماءات الكتلية أو العرقية أو العنصرية أو اللونية، أو غيرها من تلك الحواجز التى بدعها أبناء آدم، وعزلوا بها أنفسهم عن ساحة التوحيد الفاضلة التى قوامها الاخاء والتكافؤ والمساواة ؟!

مهما قيل فى الأداة، أداة التلفزيون العالمى الناقل للكوكب الأرضى عن طريق قمر الاتصال، فما الأداة إلا أداة، واسطة إنما الحدث والمضمون هو الذى يحشد ويجمع على هذا الصعيد الكوكبى. فما هو سحر الرياضة الكروية، ذات القدرة على هذا التجميع الهائل، شباباً فى المقام الأول، وشيوخاً وكهولا، ونساء أيضاً ؟! عندما اجتمعت فرق الكرة فى الأرجنتين من أجل كأس العالم، وعندما اجتمعت فرق الناشئين هذا الاجتماع الزاهر فى استراليا، رأينا هذا التظاهر الأممى، بصورته الآخاذة وأبعاده الخارقة .. مشهد من المشاهد غير المسبوقة فى تاريخ الأرض .. مشهد أقرب الى مشاهد السماء المذكورة ..

مشهد يقرب الى الذهن معنى التوحيد والوحدانية فى الله، لأنه ينطوى على تجرد تام من معانى الأثرة المقيتة والتفاضل الجاهلى وشتى الادعاءات.

لابد أن فى كرة القدم، دون غيرها من رياضات، سحراً خاصاً هو الذى يجعل لها هذه المكانة المتزايدة على الأيام بين البشر .. لا السباحة ولا التنس ولا حمل الأثقال ولا ألعاب القوى ولا كمال الأجسام، ولا غيرها من رياضات تجتذب هذه الجماهير الهائلة، من السائرين فى ركب الانسان، المتقدمين منهم والمتخلفين على حد سواء، تذيبها



فريق الشباب القطرى الذى فاز بالمركز الثاني فى مباريات كرة القدم لدورة الشباب الكروية فى استراليا ، وحقق نصراً عالمياً لبلاده .

وتوحدها فى الحدث وفى المشاعر المتسامية .

أهذا السحر نابع من المعنى الرمزى المتمثل فى المشهد الكبير ؟! يرى الخلق فيه رمزاً وبشارة . ؟! الساحة الكبيرة الخضراء يحيط بها عشرات الألوف من الشهود ، أتوا من كل فج وصوب ، ومن ورائهم ألوف الملايين ، عيونهم محدقة ووجدانهم يهتز وأرواحهم تهفو .. أهذه الساحة وهذا الموقف رمز للقاء عصيب موعود .. أو لقاء مرتجى من الضمير البشرى التواق الى ما أسماه المدينة الفاضلة ؟!

وهؤلاء اللاعبون الكثر ، المؤدون ، الممثلون لشعوبهم الكبيرة وقبائلهم الصغيرة فى تكافؤ يتبارون .. يسّاقط عليهم وابل ، أو يشوى أبدانهم القيظ ، أو تخنق أنفاسهم الرطوبة .. كل فريق يكشف عما قدمت يداه أو رجلاه ، وكأنما يقول هاكم اقرأوا كتابيه .. والحكم مسيطر فى الساحة ينفخ فى الصفارة ويقضي فى الأمر ..

أهذا السحر نابع من هذا الرمز ؟!

أهو كامن فى معانى البطولة والجهاد والمشقة التى تتجاوز حدود الممكن الى حدود المستحيل ؟! أهو فى روح التسامى والتكاتف والبذل والتفانى فى الفريق ؟! أهو فى التطوير الدائم للرياضة من تنقيتها من كل مظاهر الخسة والتسلل والتهجم والعنف .. والتسامى بها الى قيم النبل والذكاء وسعة الحيلة والألمعية . ؟! أهو فى هذا التجاوب العجيب المحير من جانب الجماهير نحو المؤدين ، مؤازرين داعين مبتهلين ؟!

ثم ما مظاهر القداسة هذه التى تشهدها ساحات الرياضة الكروية . ؟! المؤدى الموفق يقبل التربة .. يركع لله .. يضعون أيديهم بعضها فوق بعض .. يقرأون الفاتحة .. وهؤلاء المؤدون الأفارقة .. يحملون تمائمهم السحرية وأحجبتهم ويودعونها العرين حماية وحجبا .. عن الشياطين ؟!

هل هذا هو مغزى التظاهر العالمى الكبير ؟ إن يكن ذلك فهو مغزى إنسانى عظيم ، يضفى على الدورات العالمية لرياضة الكرة بالذات أبعاداً ، لم تكن قبل اتصال الفضاء تؤخذ فى الحسبان .

فى بداية العشرينات من هذا القرن دعا رجل انجليزى ثاقب البصيرة اسمه «بادن باول» ، شباب العالم للانتظام فى حركة رائدة اسماها الكشافة . وراحت الفكرة اللماحة تدرج وتقوى ، دون سند من حكومات أو نظم سياسية . غير أن الدفع الايديولوجى السياسى القوى الذى عرفته الثلاثينات ، من فاشية ونازية وغيرها أنشأ ، بدعم شديد من الحكومات ، أنظمة شبابية سرعان ما خسفت بحركة الكشافة ثم ذوت هى الأخرى وأضحت رماداً مع رماد الحرب العالمية الثانية .

وفجأة ، مع اتصال الفضاء الموحد ، قبت تلك التجمعات الكوكبية الهائلة حول دورات رياضة الكرة ، فى قوة جارفة مستقطبة ، ومزرية بالانتماءات الصغيرة العديدة التى أشرت اليها ــ ايديولوجية وعنصرية وغير ذلك . بريئة مبرأة من غايات الأثرة والتعالى والعسف . دعوة للتعارف وللتآلف والتضامن والود ..

نداء يدوى فى الأرجاء ..
يا شباب العالم اتحدوا !

محمد فتحى

دكتور زين محمد النيل
أخصائي استشاري أمراض النساء والولادة



أيتها الأم الحامل

أوقفي التدخين فورًا.. حفاظًا على طفلك القادم

فى الماضي .. تركز البحث العلمي فى مجال أضرار التدخين على المدخنين فقط من الرجال ، حيث كان الرجال يمثلون النسبة الغالبة من المدخنين . لكنه لوحظ فى السنوات الأخيرة أن المرأة بدأت تشارك الرجل هذه العادة الضارة ، الأمر الذى حدا بالباحثين الى التفكير فى آثار التدخين على المرأة الحامل ، ابتداء من صحتها وانتهاء بالتأثيرات الضارة التى يتعرض لها الجنين .

وقد تبين من خلاصة البحوث العلمية المتعلقة بأضرار التدخين على المرأة الحامل أن التدخين أثناء الحمل يكون مصحوباً بـ :

- انخفاض فى وزن المواليد.
- ارتفاع فى نسبة الولادة المبكرة قبل الموعد.
- ارتفاع نسبة الاجهاض فى الشهور الأخيرة .
- زيادة المضاعفات أثناء الحمل والولادة .
- ازدياد نسبة وفيات المواليد فى الأسبوع الأول .
- ظهور التشوهات الخلقية فى المواليد .

وقد أشارت هذه البحوث إلى أن الأم في سن العشرين ، إذا كانت مدخنة بصورة متوسطة أثناء الحمل - مع الغذاء الكافي ، والرعاية الطبية المتوفرة - فان نسبة الاجهاض تزيد على ٢٠٪ عن مثيلاتها ممن لا يمارسن عادة التدخين ، كما أن السيدة التى تدمن عادة التدخين فى سن الثلاثين ، ولاتتوفر لها الرعاية الصحية والغذاء الكافي ، تصل نسبة فقدانها للطفل إلى ٩٠٪ أو ١٠٠٪. ففى بنجلاديش مثلا كانت نسبة موت الأطفال فى الأسبوع الأول من الحياة عند المدخنات الفقيرات غير المتعلمات قد بلغت ضعف نسبتها عند غير المدخنات من نفس الطبقة ، وبالرغم من عدم المعرفة بالتحديد للطريقة التى يموت بها هؤلاء الأطفال ، إلا أن ارتفاع نسبة أول أوكسيد الكربون والنيكوتين فى دم الأم والطفل ، تكون العامل الأساسي فى هذه النتيجة . هذا وقد لوحظ أيضاً أن الأطفال البريطانيين من الأمهات المدخنات أقصر طولا وأقل مقدرة على القراءة ومعرفة الرياضيات والقدرات العامة من الأطفال المولودين من أمهات غير مدخنات ، ولو أنه من الصعب الحكم على أن التدخين هو السبب الوحيد لذلك التخلف .

انخفاض وزن المواليد

أصدرت الحكومة الأمريكية تقريراً فى عام ١٩٧٩م ، عن التدخين والصحة ، يتضمن ملخصاً لـ ٤٥ بحثاً علمياً لما يزيد عن نصف مليون مولود ، وقد برهنت هذه البحوث على انخفاض وزن مواليد المدخنات فى جميع أنحاء امريكا ، بالرغم من الفروق فى المستوى الاجتماعي والاقتصادى ، ومستوى المعيشة ، والموقع الجغرافي ، بما فى ذلك اختلاف عوامل البيئة . كما لوحظ هذا الانخفاض فى الوزن بالنسبة للأطفال مكتملي النمو وغير مكتملي النمو بما يعادل ٢٠٠ جرام عن متوسط وزن الأطفال المولودين من أمهات غير مدخنات . كما أن كثيراً من أطفال المدخنات يزنون أقل من ٢٥٠٠ جرام ، وهو الحد الأدنى للطفل المكتمل النمو . وهناك ارتباط وثيق بين نسبة انخفاض الوزن وكمية التدخين التى تدخنها الأم أثناء الحمل ، حيث يزيد انخفاض الوزن كلما زاد عدد السجائر المدخنة ، بالاضافة لعدة عوامل أخرى تؤثر فى وزن الجنين مثل الوراثة وعمر الأم وحجمها وجنس المولود ، ولكن تبين أن أثر التدخين أكثر وضوحاً من كل العوامل السابقة .

ويعتبر ايقاف التدخين فى الشهر الأول من الحمل انتصاراً كبيراً ، حيث يزيد وزن الطفل . فقد ثبت أن أهم سبب لانخفاض الوزن هو حرمان الطفل من الاكسجين نتيجة لتكاثر غاز أول أكسيد الكربون فى دم الأم والطفل ، كما أن مادة النيكوتين والسيانيد الموجودة فى التبغ لها أثر فى انخفاض الوزن .

الولادة المبكرة

لا يفوتنا أن نذكر أن الولادة المبكرة قبل نهاية الأسبوع السابع والثلاثين ، ترتفع بالنسبة للمدخنات مما يزيد من احتمالات انخفاض الوزن ، وتوجد هذه الظاهرة بوضوح بالنسبة للسيدات اللاتي يدخن عشرين سيجارة أو أكثر فى اليوم .

مضاعفات الحمل والولادة

تزيد نسبة مضاعفات الحمل والولادة عند الأمهات المدخنات ، ومن أهمها النزول المبكر للماء المصاحب للجنين ، والأنزمة الدموية من المشيمة ، وانفصال المشيمة المبكر ، ونزو ل الماء المبكر يؤدى الى الولادة المبكرة ، والتهابات الرحم ، كما أن الأنزمة الدموية الشديدة تؤثر على صحة الأم والمولود مثلما تؤدى الى زيادة فى نسبة المواليد والأمهات ، وهذه النسبة تزداد كلما زادت كمية التدخين أثناء الحمل .

الاجهاض المفاجيء

ترتفع نسبة الاجهاض المفاجيء عند المدخنات بشكل مذهل ، إذ تبلغ حوالى ٨٠٪ فيما بين الثامنة عشرة والسادسة والعشرين ، وما بين الثامنة والثلاثين والأربعين .

والاسباب هى نفس الأسباب التى تدعو إلى الولادة المبكرة والموت المبكر للأطفال .

الموت المبكر

لوحظ فى هذه البحوث أن موت الأطفال المبكر يزيد عند المدخنات لأقل من عشرين سيجارة بنسبة ٢٠٪ ، وترتفع هذه النسبة إلى ٣٥٪ عند المدخنات لأكثر من عشرين سيجارة فى اليوم كما تبين أن التدخين يرتفع الى السبب الرابع لوفيات الأطفال وتزداد نسبة وفيات الأطفال بصورة أوضح إذا تلاقت أضرار التدخين على الجنين ، مع عوامل أخرى مثل الولادة دون العشرين سنة وبعد سن الثلاثين ، وعند ولادة الطفل الأول وما بعد الطفل الخامس ، وانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي المصحوب بفقر الدم . أما عن العوامل التى تتسبب فى موت الأطفال فانها تشمل الوزن المنخفض ، وصعوبة التنفس ، والالتهاب الرئوي ، والعاهات الخلقية التى ترتفع نسبتها عند أطفال الأمهات المدخنات .

الرضاعة والتدخين

يحتوى لبن الأم التى تدخن على كمية من النيكوتين الذى يسبب القيء والاسهال عند الأطفال الرضع ، كما أن نمو الطفل فى عائلة مدخنة يرفع نسبة الالتهاب الرؤي والنزلات الشعبية عند الأطفال مما يرفع نسبة وفاة الأطفال فى السنة الأولى من حياتهم .

والآن يبقى الخيار لك ياسيدتي بين التدخين أو الصحة والسلامة لك ولأطفالك .

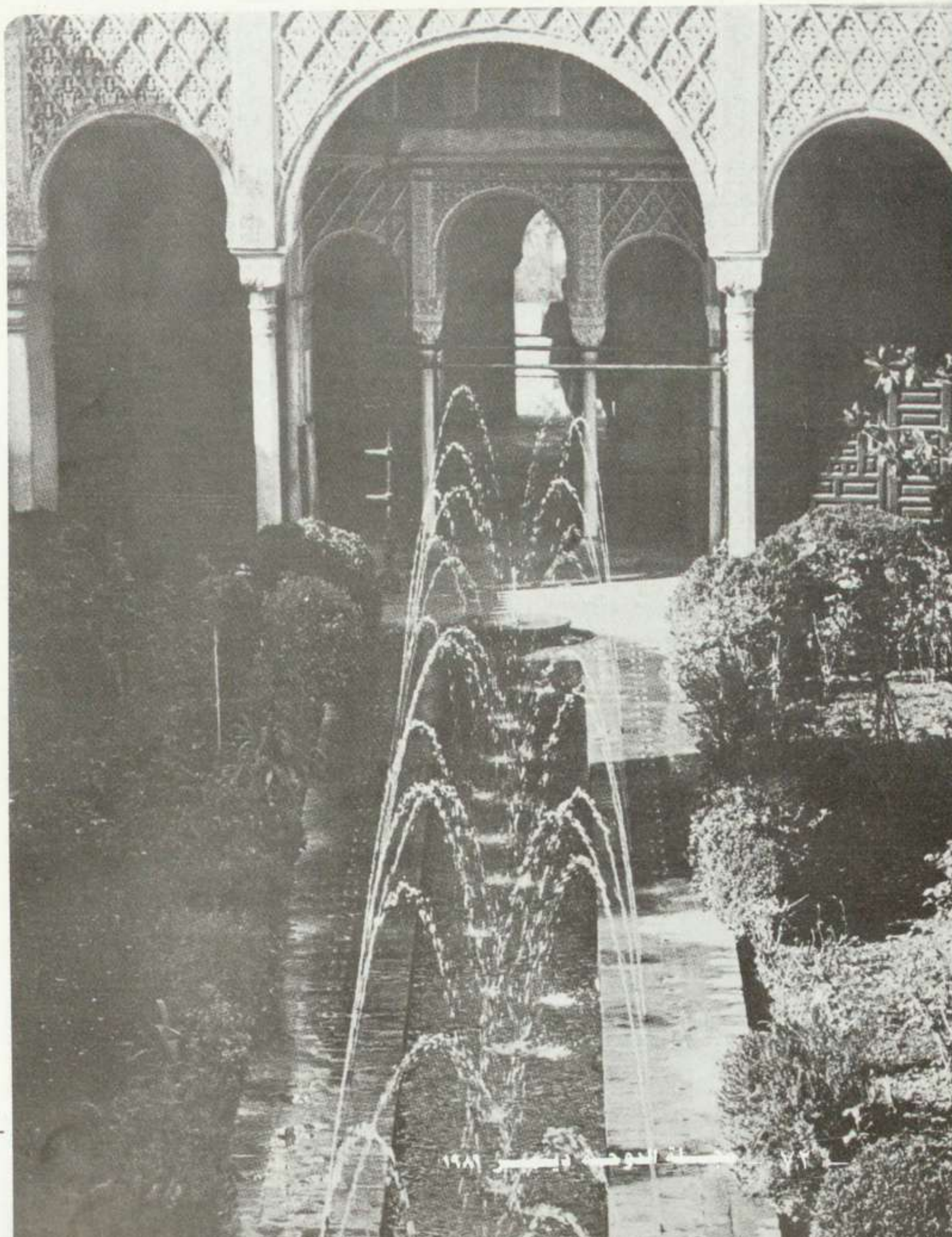
تحت ظلال غرناطة الحمراء

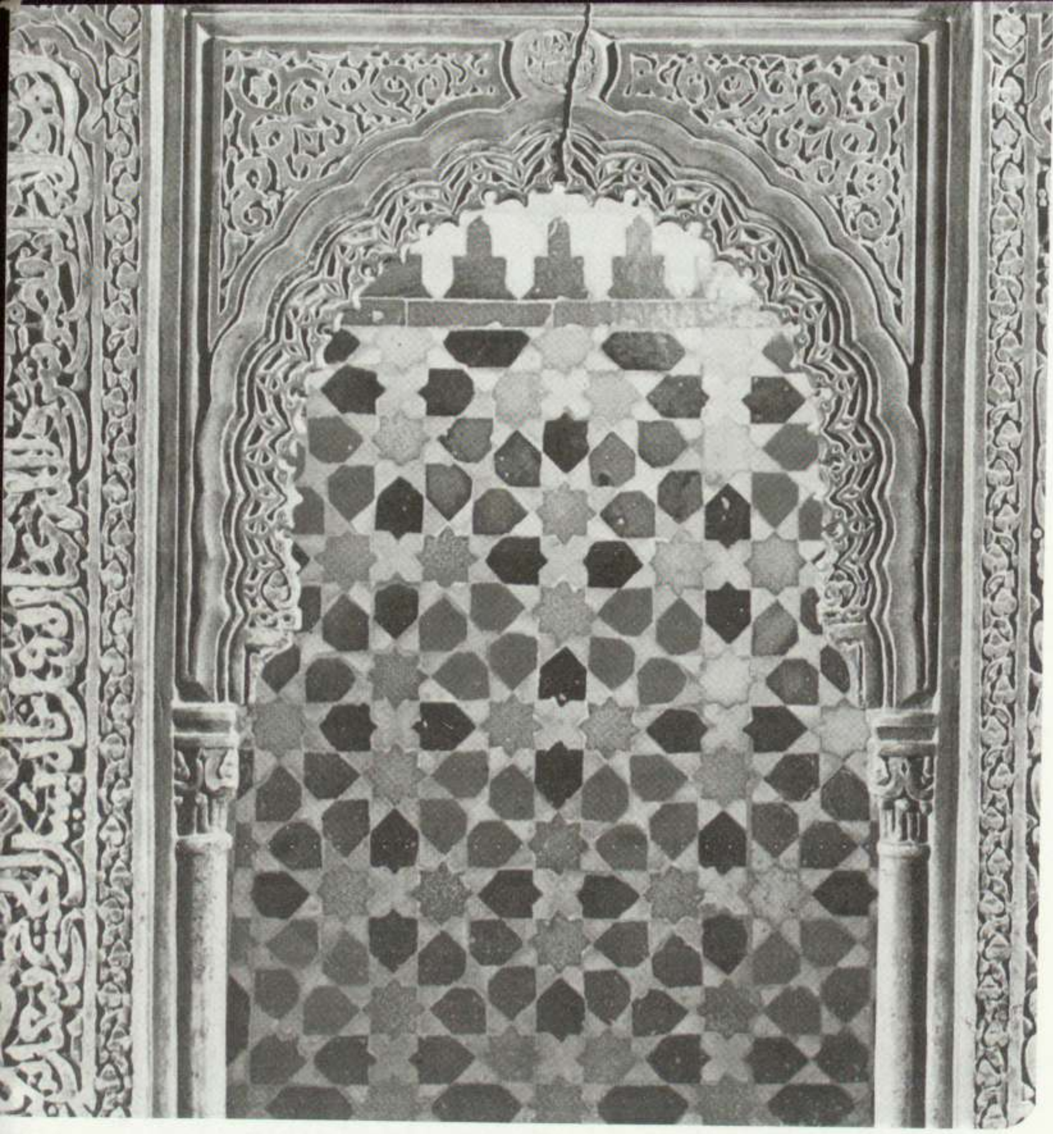
بقلم : محمّد محمّد الخطابى

سموه فردوسا ولكنه ليس مفقوداً كما وهموا ، إنه هنا حاضر الكيان ، قائم الذات ، إنه هنا بسيره وأسواره ، وبقاياه وآثاره ، ونفائسه وذخائره ، إنه هنا فى عاداته وطبائعه ، فى عوائده وأهوائه ، إنه هنا فى البريق المشع ، فى المدائن والضيع والوديان ، فى اللغة والأدب والعلم ، بل فى لهجة القروى النائى والفلاح المغمور ، إنه هنا فى الاباء العربى والحزازات القديمة التى ماتزال تفعل فى ذويها فعل العجب .

الأندلس ،،، أى سر أنت كائن فينا وبيننا ؟ أى سحر أنت تائه فى طيات الألسن ومخادع القلوب ؟ .

يتساءلون وقد علت جباههم علائم الشدوه وأمارات السؤ ل كيف حدث ؟ كيف استطاعت سنابك خيولهم المسوقة بقيادة طارق الفاتح أن تطأ هذه الأرض البكر ، وتقام أسس حضارة عريقة أشعت على العالم المعروف فى ذلك الآبّان ، وأنارت دياجى الظلام فى أوربا دهرئذ ، إنهم يتساءلون كيف تسنى لهؤلاء القوم الغبر الوشاح ، البداة الجفاة أن يضطلعوا بكل ذلك ؟ كيف أمكن لهم أن يروعوا كسرى فى إيوانه ؟ ويجعلوا الرومان يفرون تحت وخزات الرماح وثقل الصفاح ؟ إنهم ليسوا قوماً قساة جفاة عناة كما وهموا ، بل إنهم قوم فاتحون مبشرون بحضارة وعلم وعمران وتاريخ .





العادات الشرقية

هذه الجزيرة المحروسة التى هاموا بعقيانها هياماً ثم سرعان ما خبت الضياء وجفت المآقى ، هذه الواسطة فى عقد من جمان مرصعة فى جيد الزمان كيف وهنت قلادتها ، وتناثرت حباتها ، وتحولت الى عبرات تبكى العهد والجد والدار .

هكذا كانت البداية ثم أفلت الشمس بدون شروق قريب وغاض النبع الرقراق ولم يبق سوى وميض خافت تتلمسه هنا وهناك ، سرعان ما يتحول الى بريق مشع قوى نفاذ تراه فى هذه الأعين النجل ذات الملامح العربية الدقيقة التى تحملك فى رمشة الى أعماق الجزيرة الأولى أو الى جنان الرصافة والجسر ، أو تتيه بك فى غياهب المسافات اللامرئية ،،،

إنها هنا فى هذه العادات الشرقية الجميلة فى رعشات الأنامل وانحناءاتها فى ضربات الأكف والأرجل المتوالية التى تذكرك بمراكش الحمراء وزحلة الأرز وحماة القاهرة ، إنها هنا فى هذه الأقراط العربية المدلاة عبر جيد ناصع وذوائب فاحمة . إنها هنا فى هذه الراح التى لا تلبث أن تتحول الى روح حية قائمة محاورة .

أيها النائى القريب إنهم يحنون اليك ويتغنون باسمك الآن ، حسدوك زمناً ولكنهم سرعان ما فاقوا من نكرانهم فراحوا يشيدون لك الأبنية والتماثيل المخلدة ، ولكنهم فى خبل من أمرهم ، ذلك أن ربيعك دائم متجدد لا تراه الأعين فى الحدائق والجنان أو على ضفاف الأنهار المنسكبة بل إنه فى النغمات والخطى والعيون والحواريات إنه ربيع لا يعقبه صيف قائظ بل يتولد منه ربيع تلو ربيع !

مازالت فى العيون

إنهم يتأوربون أحياناً أكثر من الأوربيين أنفسهم ، وأحياناً أخرى تشط بهم الأحلام بعيداً ولكنهم أبداً ملتصقون بأرضهم (العربية) وتاريخهم (الحافل) وعاداتهم (الدخيلة) وتقاليدهم (العريقة) !

يضحكون عنك وهم فيك ومنك واليك، ينكرون طبائعك وعوائدك وهم الزائذون عنها ! . هنا حط الشاعر يوماً رحله ليهجر الشعر ولغوه ويقرر أن يبنى له محراباً للصلاة ففعل وكانت له جنة الخلد فى هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة .

إنها تعد عداً ، ثمانية من الرواسي الراسخات فى عمق التاريخ تعلو فى عنان الأفق معلنة للملأ أجمعين أنها هنا ماتزال قائمة ثابتة فى الصور والمنقوشات والعيون والرقصات ، والعقل واللسان والجنان .

إنها هنا تسلب لب العاشقين وتروي صدى الهائمين، من دوحها انطلق صوت حمامة ذات مساء حزيناً باكياً شاكياً يعلم المحبين أصول الهـوى والصبابة، إنهم لا يمقتونك إنهم معجبون ، إنهم يفرون منك ولكنهم ينتهون اليك .

الأندلس : هذه الفاكهة المحرمة المعلقة فى شجرة ليس لها جذع قائم من يطولها عادت إليه الحياة فى ثوب جديد متجدد ! .

الأندلس : هذا النهر الجارف من يستطيع الغوص فيه أو الدنو منه لأب الى النبع الأول بعد أن طالت به المسافات وشحط المزار !

الأندلس : هذه الأغرودة الحالمة الحلوة تنطلق عند الأصيل على ضفاف العيون فلا يمل السمع منها ولا يتعب اللحظ ،،، هذه الأنثى الهائمة المخصاب التى شق النسيم عليها يوماً جيب قميصها فانسابت من شطيها تطلب ثأرها ، وما أن تضاحكت ورق الحمام بالأدواح الشاهقة هزءاً حتى ضمت من الحياء إزارها !

كيف حدث ؟!

ولكن .. قل لي بربك أيها الصديق كيف أمكن لهم ؟ كيف أمكن لهم أن يغيروا وجهة التاريخ ؟ كيف استطاعوا

تحت ظلال غرناطة الحمراء

الاضطلاع بذلك الدور القيادى ؟ لأنهم كانوا أصحاب إرادة وإيمان ، ومن توفر فيه هذان الشرطان كان له دائما ما أراد ولكنهم أخفقوا فى النهاية ، إن الاخفاق من صفات البشر ، وهذا ليس عيبا بقدر ما يكمن العيب فى ألا يعمل الانسان شيئاً ، ولكنهم بعدما كانوا مفخرة فى جبين التاريخ وذرة فى أعين الناس غدوا مهزلة أمام ناظريهم حتى أصبح أمرهم يثير الشفقة ، كيف تجرؤ على قول مثل هذه الترهات وهم بناة أعمدة ضخام مزركشة ، ورافعو أقواس عظام منمقة ، ولكن البلى قد أتى عليها كما يأتى على كل شىء ، إنه شان الحياة ، إننا اذا أخذنا بهذا المبدأ فلنترك كل شىء على عواهنه ونمضى ، إنهم قد عملوا جهدهم وبذلوا كل ما فى وسعهم ليتركوا لنا شيئاً نتملى بالنظر اليه والتأمل فيه وإعمال الفكر والعقل وكل الحواس من أجله ، ترى ماذا فعلتم أنتم بالمقابل الآن ، إنكم لم تفعلوا شيئاً ، كيف لم نفعل شيئاً وقد قمنا بترميم كل ما تركوه لنا ، ووضعنا حارسا على الباب والآخر فى الداخل يسهران على تلك الكنوز المتبقية ، حسنا فعلتم فتلك شيمة من شيم الأمم الراقية ، وإن من يحافظ على ماضيه إنما يبنى مستقبله ، إننى أصاب أحياناً بالشدوه فيراودنى نفس السؤال الأبدى المؤلم .. كيف حدث ؟ بل كيف أمكن أن يحدث ... ؟

لا غالب إلا الله

كيف أمكن للدهر أن يأتى على جنس بأسره من على سطح الخريطة ؟ ولم يبقِ سوى على اسماء بعض العوائل والمدن والقرى والمداثر والأنهار وجملة مصطلحات وأسماء أصابتها العجمة واللكنة ، على كل حال إن الذى يقوم به علماء البيئة من أجل المحافظة على جنس بعض الحيوانات سواء البرية أو البرمائية أو المستأنسة أو المتوحشة شىء مفيد ويستحق التصنيف ، ولكن كيف حدث إذن ؟ أنا شخصياً لا أدرى ، ومن يدرى ، كفى هراء وقل كيف حدث وإن لم يكن لديك الجواب فالقِ السؤال على سواك ، وإن تعذر عليه الجواب فاطلب منه أن يجول به فى الأسواق العامة أيام الجمع والآحاد ويسأل الناس علناً عن ذلك ، ومن كانت لديه الاجابة فليقدمها فى أقرب الآجال ، إننى جاد ومتى لم أكن جاداً معك ، وإن خلتنى أمزح فاطرد هذه الفكرة الخاطئة فوراً من رأسك ، واعمل ما انهيت به اليك واسأل القوم عن سر ذلك اللمعان الغريب ، وكيف استطاعوا أن يمزجوه بالعطر والكافور ويصيروا منه بخاراً رقيقاً أو رذاذاً منعشاً يتطاير بين الناس ويحدث فى الأبدان القشعريرة ويضفى عليها ذلك البريق العجيب الذى مازالت آثاره بادية ماثلة للعيان حتى الآن ، إسأل القوم عن سر تلك التعاريج المائية الملتوية المحيرة التى أذهلت الأذهان والتى تشق طريقها فى باطن الأرض بشكل يثير الاعجاب ويبعث على الحيرة ، ثم تَجول فى القصور والبساتين وفى الأزقة والدروب فتسقى الأشجار وتورق الأزهار ، وتحيى الأنفس وتنعش القلوب وتجعل الجو ربيعاً فى قيظ الصيف ، وصيفاً فى عز الشتاء ، وتؤتى من كل فن غرابة وعجباً !

زيد أم عمرو ؟!

سواء كان الذى أمَرَ بذلك عمرو أو زيد فقد أحسنا صنعاً هما الاثنان معاً ، ولكننى أفضل عمل عمرو فقد كان أكثر ذكاء وفطنة،وعلم مسبقاً انه قد يتدحرج نحو أسفل السفح حيث المنحدر سحيق بعيد الغور ، أما زيد فقد صعد الى قمة الهضبة ، وفضل أن يعتصم هناك ظاناً انه قد بلغ الجوزاء علواً ، إلا أن التاريخ أثبت أنهما كانا مخطئين الاثنين معاً ، فلا الذى كان فى أعلى الأكمة نجا من الطوفان ، ولا الذى كان فى الأسفل احتمى من الآتى المنهمر من الأعالى الشاهقة ، أجل انك الآن قد أصبت عين الصواب .

ولماذا تتسرع فى الأحكام ،فانت تلقى اللوم على الجميع ، وهذا ليس صحيحاً خاصة وأنت تعلم أن الأمر كان يتعلق بالسادة العارفين وليس بسواد القوم ، إننى لا أتسرع كما وهمت بل إننى أقول ما يعنُّ لي صحيحاً غير خاف على أحد .

إننى أخشى أن يكون القارىء قد مل هذا اللغط، فما أكثر ما يمل القراء فى هذه الأيام ، ولكن لا عليك ثق أن قارئنا لا يمل إنه قوى الشكيمة عالى الهمة فلا تيأس وأعدك أننى سأطلب منه أن يستمر معنا حتى النهاية ، بل ولماذا لا نستعين بحكمته ولباقته ومعارفه ، ولكن كيف يمكن ذلك ، الأمر هين ، توقف قليلا ريثما يسترجع القارىء أنفاسه ويزم شفتيه ويدرس اقتراحنا ، دعه يسرح بفكره بعيداً وله أن يحكم بما يشاء ، حينئذ سيجد نفسه مشتركاً .

جنة العريف

ولكن كم الساعة الآن ، لعلنا تأخرنا عن موعد الوصول الى الجنة ! أية جنة تعنى ؟ جنة العريف أم جنة العرفان أم كليهما ... الاختيار لا يهم ، المهم أنها جنة وكفى .. لا عليك لدينا الوقت الكافى للحديث ، فالساعة لم تقم بعد ، ومازال أمامنا متسع من الوقت لنسترسل فى الحديث كما نشاء ، ولكن أليس من الخير أن نضع ضوابط لحديثنا .

على كل حال إن اللوم لا يقع عليك بقدر ما يقع على أهل العصر فقد عدوك بعد أن أصيبوا جميعاً بالاسهال اللفظى تعرف كم من اذاعة وتلفزة ومحطة ارسال أو التقاط وكم من جهاز وأشرطة تعمل فى هذه اللحظة لاشك أن العدد كبير بل وهل تتخيل بكم لغة تعمل هذه المخترعات جميعاً ؟ الكل يصيح ويحتج

ويلعن أو يغنى ويتأوه أو يمزح وكأنى بالأسطورة قد تحققت أمام الملأ أجمعين فاذا بالقوم قد بلبل الله ألسنتهم ، ألم يريدوا الصعود الى البرج الشاهق ، انك مازلت تتعلق بأهداب الخرافات والأساطير ألم تر كيف فعل أصحاب كولومبيا،فبعد كولومبوس المغامر الذى شق عباب البحار ، وذلل الجبال المائية حتى اكتشف القارة البكر ها هى ذى كولومبيا تشق على نفس النسق عباب الضباب والسحاب فى الفضاءات المرئية واللامرئية لتكتشف فى آخر المطاف ضآلة الانسان إزاء الكون ، وعظمة الخالق وسعة ولامحدودية ملكوته ، ويحك أتسخر من العلم؟ لقد استطاعت كولومبيا بالفعل الوصول الى قمة البرج وحومت حوله واستطاع ربابنتها العودة الى الأرض سليمين معافين طليقى اللسان تماماً كما انطلقا منها ، أى هذر وهذيان هذا الذى تروم تخلط العلم والتاريخ بالأسطورة والأحلام والخرافات. ؟ وهل هناك فرق بين هذه المعانى ، ألا يكمل بعضها الآخر ، ولكن تأن فأنت تعلم أن العلم إن هو إلا انعكاس وتجسيد لما سبق أن تخيله أجدادنا وأسلافنا الأولون ، فما الطيور الجارحة والغيلان المرعبة والجنيات المسحورة والوحوش الضارية وسواها سوى هذه المخترعات الغريبة من طائرات وغواصات ومدرعات ومصفحات وصواريخ ومراكب فضائية إن ما كان يبدو للناس بالأمس خرافة قد غدا حقائق علمية مدهشة ، ألم يقل العلماء اننا بعد لأى من الأعوام قد نستطيع القيام بنزهة فضائية ما بين زحل وعطارد بل نستطيع الاصطياف فى الزهرة ونقضى وقت الظهيرة عند سطح القمر ، ألست على وفاق معى إذن ؟ أجل إننى متفق معك؛ أما الوفاق فموطنه لبنان وهيئة الأمم وهلسنكي والمؤتمرات التى تلته ، إنه مصطلح خاص بالبلدان التى تعيش أزمة ما تشعر أنها على حافة أزمة ما أو تنوى الدمار أو تخشى الدمار ، فهذا هو المجال الذى تستعمل فيه هذه الكلمة ، على كل حال إنها كلمة تتمتع بجاذبية خاصة لدى البلدان التى تجيد اللعبة ، أما الاتفاق فهو من شأن البلدان التى ماتزال فى طريق تعلم اللعبة !

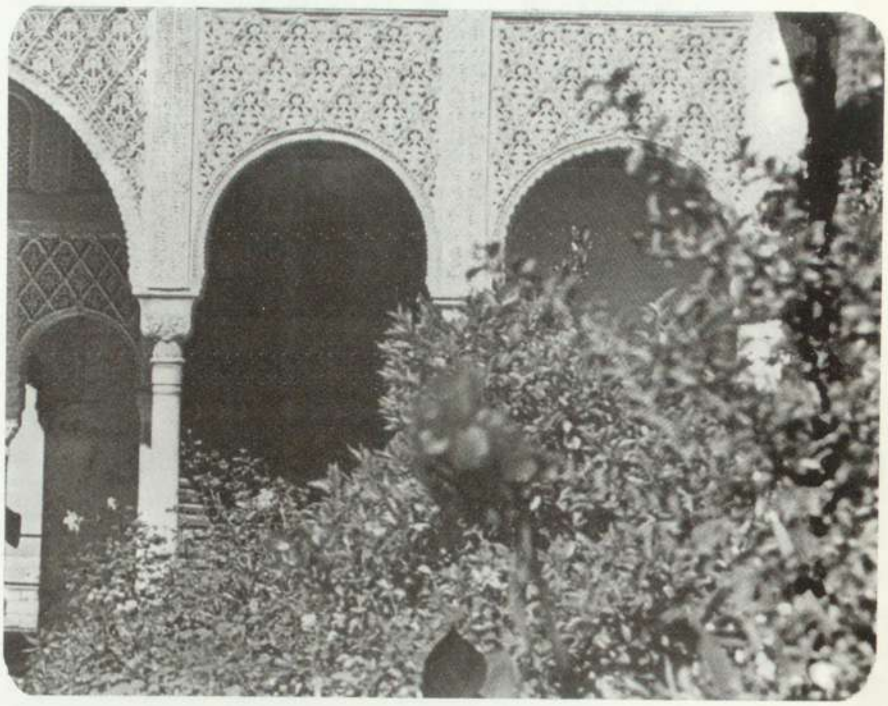
الصدق مفتاح للقلب

ألا تظن أن القلم قد جنح بنا قليلا فمزجنا شعبان برمضان كما يقال فى الأمثال ، بل إننا ننقل ما يختلج فى صدورنا وما يطفو على هامش الشعور كما يقول النفسانيون ، إذ أنت تعلم أننا اذا لم نكن صادقين فان القارىء سيعود لله وسيفطن سريعاً لادعاءاتنا وينصرف عنا ، الصدق إذن هو مفتاح قلب هذا القارىء الذى يريد أن يستحوذ عليه جميع الكتاب فى كل عصر ، مسكين إذن هذا القارىء خاصة القارىء الصبور الدؤوب الذى يسهر الليالى فى التحصيل والاطلاع ولم يفكر أحد بعد فيما يعانيه هو الآخر ، أليست القراءة الجيدة نوعاً من المعاناة كذلك ، ثم انك تعلم أن القراءة والتحصيل كنز وفضيلة واستفادة وغذاء للعقل والروح معاً ، ولماذا لا تقول للبطن أيضا.أليس هناك قراء رغم أنوفهم يتلقون أجوراً نظير قراءاتهم،أنت تعرفهم وأنا وقارىء هذه السطور كذلك ، ألم أقل لك ان القراءة تحصيل أى أن يحصل الانسان من جرائها على علم ومال وإلا فلماذا عندما وضع أجدادنا النحاة قواعد الاسماء الخمسة المعروفة ختموها بذى مال . والختام دائماً مسك كما تعلم ، أرأيت لم يقولوا ذا علم أو فطنة بل (ذو مال) نعم مال،أفهمت ؟

أرأيت ما أصغر حجم هذا الجهاز الذى ينطلق منه ذلك الصوت اللعين وما أكبر ذبذباته ، ان موجاته تغرقنا فى بحرها وتنهمر علينا انهماراً ، إنه لا يتوقف برهة ليلا ونهاراً ليس فى الأمر أى عجب فتلك علامة من علائم العصر فدعه يصرخ كما يشاء فان الضوضاء والصخب واللجب والهرج والمرج أمور اعتادت عليها آذاننا وألفتها طبائعنا فلا تعجب كذلك إن طالت خطب هذا الهذر .

صح ..

لقد غاض النبع الرقراق ولم يبق سوى هذا الوميض الخافت الذى تتلمسه هنا وهنالك ، وتراه فى هذه الأعين النجل ذات الملامح العريقة الدقيقة التى تحملك فى رمشة عين الى أعماق الجزيرة الأولى أو الى جنات الرصافة والجسر .. وصدقت أيها الشاعر المكلوم، وصدق حبك للارض الفردوس وللمرأة الولود،كيف لا وحولك ماء وظل وأنهار وأشجار .



محمد محمد الخطابى

عذاب كل عام

شعر: فتحي سعيد



باسم الربيع أبتدى الكلامْ
أيار .. شاعر الفصول طفلها البسامْ
ياوجهَنَا الجميلَ يامهاجر الغمامْ
أغدق على الغلام الكهل .. ،
نفحــةً من الشآم
وكن دوائي فى الصقيع والهجيرِ ..،
فى مواسم السقامْ
وفضلة الرداء حين تَعْرَى
فى خريفـك الأنسـامْ ..
جاء الشتاءُ فاسقني
وعلنــى .. لعلني أنــامْ
الليل لحيةٌ بيضاءُ والجبينُ البدرُ
فى التمـامْ
والوجهُ وجهه الجميلُ .. والعينان ،
والتفاتة السـلامْ
والسحب حُبْلَى ..
والربا شبت عن الفطامْ
ولم يزلْ على جبينها الصباحُ
لاهثَ الأنسامْ
وفى دروبهـا الوجوه لم تـزلْ غريبةَ
الأفواهِ والأقـدامْ ..
مجهولةَ الأسماءِ والمقامْ
جاء الشتاءُ ياقصيدتي
فأشعلي مجامرَ الحـروفِ والأنغامْ ..

••

ياشعر .. كن لي كنز هذا العامْ
وسائرِ الأعـوامْ
وكن جوادَ الريح للمسافر الغريبِ .. ،
فى عواصِمِ الضبـابِ والظلام
وهتفةَ النشيد للفقيرِ والشريـدِ .. ،
فى مدائِـنِ الزحــامْ
ولليتيـم في موائدِ اللئــامْ ..

••

يــا شعرُ يا عذابَ كـلِّ عـــامْ
فى الدار لا ديـارِ أو حــوامْ
فكـن لى الـدواةَ والمشكـاةَ والأقلامْ
وكـن لي الكليمَ والنديـمَ والمدامْ ..

كوتسيراس
شاعر الصخرة المتدحرجة

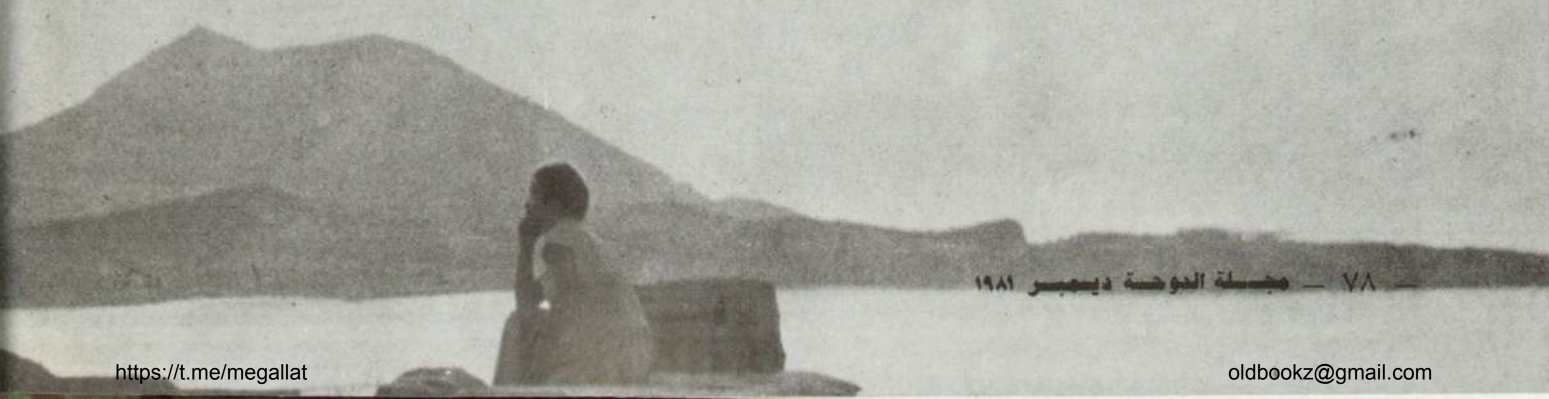
بقلم : د . نعيـم عطيـة

ولد الشاعر اليوناني المعاصر جورج كوتسيراس بأثينا عام ١٩٢١ ودرس الحقوق . بدأ ينشر كتاباته الأدبية عام ١٩٤٢م ، فقدم قصائد ودراسات ومقالات وقصصاً وترجمات على صفحات مجلات أدبية بأثينا وبيريه وثيسالونيك . ومما ترجمه « عالم دون كاميللو الصغير » للكاتب الايطالي جيوفاني جواريسكي و «الغريب» لألبير كامو . وفى عام ١٩٤٧ أصدر روايته القصيرة «البيت» ثم انصرف الى الشعر ، فأصدر عام ١٩٤٩ ديوانه «بلد آكلي اللوتس» ثم ديوانه«حراس الصمت» عام ١٩٥٠ وديوانه «حصار الزمن» عام ١٩٥٥ و «أسطورة الأشياء » عام ١٩٦٨م .

يقول جورج كوتسيراس « تبدو الأشياء والأحداث خاوية قبل أن يلقى الشاعر من ضميره ضوءا على الواقع المعاش .

عندئذ فحسب يبدأ الوجود يتنفس . ومن دفء الأنفاس تكتسي الحقائق وضاءة تحيلها الى كائنات ذات مضامين رمزية ، تومىء الى ما هو أبعد بكثير من اطار كيانها المحدود . وتقترب الأشياء بالتالي من الانسان بألفة بالغة وحيوية لم تكن معروفة له من قبل ، لأن القلب يكون قد نجح بذلك فى أن يبسط على الوجود جناحيه . لقد أصبح الحجر ذهبا » .

ويتسم شعر كوتسيراس بأنه شعر خشن . فقد استقى عطاءه منذ بداياته الأولى من منابع الفكر وليس من منابع الحلم . ومع ذلك يرقى شعره الى أن يكون روحيا ، ولا يقف عند عتبة العقلانية فحسب . وقد تأتى له ذلك من تسليط الفكر على أعماق الانسان بدلا من متابعة الظواهر الخارجية ، فتوصل بذلك الى ما يمكن أن نسميه « بالمشاهد النفسية » وهو ما يجعلنا نعتبر أن الشاعر قد بلغ الى مايعد « صعباً » ، بل وربما « عسير المنال » على غيره . وقد صدمت قصائد كوتسيراس متذوقي الشعر منذ البداية ، فقد اكتسح العطاءات الشعرية الوديعة المتزنة الرزينة التى سادت فى أيامه . وبقفزة تحتاج الى جهد ودربة تجاوز كوتسيراس منذ ديوانه الأول « بلد آكلي اللوتس » الواقعية المألوفة ، ولفت إليه بذلك أنظار النقاد .



لوحات مرسومة

ويعتمدكوتسيراس فيما كتب على ذكرياته وانطباعاته عن الحياةأكثر مما يعتمد على الخيالات والأحلام . ويشبه كوتسيراس رحالا ، يجوب العالم ، يلتقط منه مشاهد يختزنها بداخله ثم يعود فيعكسها فى أشعاره ، بألوانها وضيائها وظلالها ، ولكنك ستتبين أن هذا الرحالة ليس مجرد سائح يلتقط ما يسره من مناظر ، بل إنه ناسك فى رحلة حجيج ينظر الى العالم من حوله نظرة شجنية تروي مشاهده بعواطف وأحاسيس داخلية تكسب قصائده لمسات انسانية لا تقصرها الوقوف عند السطح ، بل تدفعها متغلغلة الى الأعماق . ولهذا فقد قال النقاد عن قصائد كوتسيراس الوصفية بأنها ليست مجرد « كروت بستال » سياحية بل لوحات مرسومة بريشة مصور مرهف الحس ومغموسة فى دماء العالم . ويشبه كوتسيراس فى هذا المقام أفلاطون الذى كان يجمل محاوراته عن الموت بسماوات صافية زرقاء ، ومياه شفافة رائقة . وانه لشاعر غريب حقاً جورج كوتسيراس، فهو ولئن كان يرتدي فى قصائده أنفس الثياب ، إلا انه يخفى تحتها كيان راهب شديد الزهد والقناعة .

حوى هذا الجوهر أيضاً البذور الأولى التى راحت تتفتح بعد ذلك ، وتعطي ثماراً سخية . ومن الطريف أن نذكر عن كوتسيراس أن من رفاقه الشعراء من تحمسوا له أشد الحماس ، فأخذوا على عاتقهم أن يفندوا ما التبس على بعض النقاد تفسيره من عطاء زميلهم . ولعل ما من أحد يفهم شاعراً حق الفهم قدر شاعر مثله . ولندخل الى عالم كوتسيراس من خلال قصيدته « أحاديث مع سيزيف » وفيها يقول :

وهكذا أمكننى أن أعرف أن أعلى القمم
فى لحظات الحياة هي الموت .
ومن أجل هذا ، فان البجع ، ذلك الطائر شامخ الكبرياء ،
لا يموت أبداً دون أن يشدو بالغناء . نحن اليوم
تجاوزنا الموت دون أن نبعث أحياء .

نحن اليوم نشق طريقنا بين « النعم » و « اللا » .
مثلما تمضي فى النور حشرات عمياء .
مثلما تجوس طيور الليل فى الظلام
لأن الانسان ـ مثلما تطارد الرياح السحب ـ لن يكف عن

مطاردة الأوهام .
نحاول أن نقيم التوازن بين شيئين من الصعب أن
يتحقق بينهما توازن ،
بين « النعم و اللا » .
أعنى نحاول أن نحقق ذواتنا بالطريقة التى ليس لغيرها
وجود .

الحفر في الأعماق

ويعمد كوتسيراس بشعره الى «الحفر فى الأعماق» ، فيصل الى أغوار سحيقة من الصمت ، والحوار مع النفس ، والانفتاح على الروح . وبسبب ذلك تتسلل الى قصائده نبرات من « الانبهار » بما ينكشف له بعد أن انهتكت من أمامه السحب ، فهو يتبين أن الحياة ليست على الدوام «حضوراً» بل هي في بعض الأحيان « غياب » إنها ليست في كل الأحوال امتلاء بل هي أيضاً « زهد » و « قربان » . إنك تكون أقدر على الحركة أحياناً وأنت « خاوى الوفاض » من أن تكون مثقلا بالعطايا والأحمال . وكم تعبر عن ذلك أصدق تعبير لوحة المصور الفرنسي « هنري روسو » بعنوان «البوهيمية النائمة» فان الأسد القوي عندما يقترب فى هذه اللوحة من البوهيمية الحافية التى لا تملك من متاع الدنيا سوى قيثارة وجرة ماء وضعتهما الى جوارها وراحت آمنة فى الأحلام ، يتشممها دهشاً ولا يمسسها بالأذى ، وسط الصحراء القاحلة التى يطل عليها من السماء قمر فضي يكشف بضوئه الحاني ماذا يعنى أن الحياة ليست بلازم أن تكون امتلاء . وهذا ما نجده أيضاً فى ديوان جورج كوتسيراس بعنوان « حراس الصمت » والقصيدة الرئيسة فيه التى تحمل عنوان « الصمت » حيث يكتسي الايقاع برحابة تواكب حاجة الروح الى أن ترفرف جناحيها وتطير فى أرجاء عالمنا الداخلي . ولنستمع الى الشاعر فى قصيدته يقول :

النجوم دمـــوع
ليلة نـزل الصمت فيهـا
مثل امرأة جلست على الرصيف
اسندت ذقنها الى راحتيها
هيكل لا حراك فيه من وطأة النسيـان
طيف شبه منطفىء ، لاتكاد تبدو فى الضوء الخفيض
معالمهـا .

لا قائمـة لصـوت ، ولا كلمـة تصدر عنهـا
فى الوضـع الأبـدي للمنسيين تنـام
صمـت وتجاهـل
ومع ذلك فالاحساس موجـــود
والألـم أيضـاً موجـــود
ويضحـى الحب فى غابة النوم حلماً مهشمـاً
صمـتوليل ـ شجـن وصمت
الناس لا تنبس بكلمة
لا ينعمـون بأيام مشمسة
وساعة الظهيرة مملكة حزن وألم
هنالك تتدلى الخفافيش مقلوبة باحثة عن دفء الظلمة
هناك لا يجد المنسيون الضوء، فتتخبط خطواتهم فـــي
العتمــة

الإنســـان والزمـــن

وفى غمرة الصمت يجرى التساؤل عن معنى الزمن الذى يتلفنا ويبددنا ، ولكن معنى الزمن لا يتجلى تبدد اللحظة تلو اللحظة ، بقدر ما يبدو فى إدراك ما يفعله الزمن بنا ، وفى هذا يتمثل جوهره الانساني والمأساوي . ومع الصمت يتحقق هذا الادراك الذى يخفى علينا فى الصخب الذى يلف حياتنا ويجرفنا بعيداً عن ذلك الادراك الذى لا يتأتى إلا بموقف الشعر من الوجود ، فهو موقف صمت وتأمل ، ينفتح أمام ناظريه معنى الزمن ، عدو الانسان الأكبر .

وفى ديوانه « حصار الزمن » نقرأ على الأخص « مرثيات » للانسان ، تعتبر من أقوى ما عرفه الشعر اليوناني الحديث فى هذا المقام . ونجد فيها أن الانسان قد وضع فى مواجهة أخطر أعدائه وهو « الزمن » . والانسان فى هذه المواجهة يعرف بأس عدوه وعجزه أمامه ، ومع ذلك لا يكف عن النضال الصعب ، عارفاً منذ البداية مصيره الذى لا مفر منه . ومن وقت لآخر « يومض فى الظلمة بصيص من نور » وتهب فى بيداء النسيان نسمة من ذكرى بعيدة . ولهذا فقد لقب يانيس سفاكيناكيس صديقه كوتسيراس فى دراسته النقدية عنه بأنه « شاعر الأمل المر » ولنستمع الى جورج كوتسيراس يقول :

نمضى قدماً بلا صوت فى خضم من صخب أصواتنا
وبلا أمل فى خضم آمالنا .
تعزف الريح بين الأغصان مواويل يأس حزينة .
وتشق أوراق الأحراش أصابع مرتعشة
وتزرع همهمـات الأمطار فى الطين حكايات مريبة
الليلة تزهر الذكرى مثل زنبقة على شط دافىء ، ويفوح
أريجها بشكوى مسمومة .

على أن الفكر الانساني يجرؤ ، رغم كل شيء ، أن يوقف جريان الزمن ، وذلك بتحويل اللحظة الفالتة المناسبة الى «شيء» له ثباته وبقاؤه . ويقف الزمن مكتوف اليدين ، وذلك لأن الشاعر يعرف أيضاً « اللحظة الأبدية » ومهما ندرت ، فمثل هذه اللحظة موجودة ، ويقف الزمن متسمراً ازاءها . وفى ديوانه « حصار الزمن » الذى يبدو كوتسيراس متأثراً فى بعض قصائده « بجحيم » دانتي نسمعه يقول :

الموت ببرده وصمته فى الزمان ساكن
روح الخراب يسود الوديان المترامية الفسيحة
تغرق اللحظات ، تغوص خاوية
تنفتح مصاريع نوافذ على ممرات تيه
يصعد فيه وينزل الدرجات موتى متغيرون
وتفد أصوات لغير أصحابها ، كما لو كانت ذكريات من
من حيوات أخــرى
فيندمج الحاضر بالماضي ، ويختلطان بالمستقبل .

يجدل الشاعر فى أبياته الماضي بالحاضر ليقدمها قرباناً للمستقبل . والزمن القائم على الدوام وفى كل مكان يترك آثار خطواته على وجودنا الهزيل كله . ويقول الشاعر « بني الزمن أسواره من حولنا ، وحوطنا بها » كما يقول « وها هي الأجيال جذوة من نار ملتهبة فى الليل اللانهائي » ثم يمضي فيقول فى قصيدته :

بين الأسوار الحجرية ، الليل أسود ،
فى جحيم أسود
ليلة بعد ليلة ، سنة بعد سنة ، لحظة بعد أخرى
ما يفقد قصة اليمة
مغامرة لا مفر من أن تقع فى قبضة الليل
ترتدي ثياباً جنزية ، وعلى وجهها قناع النسيان
تنزل بلباس الغواصين الى أعماق بحر من الصلب المنصهر
وتحتمي بعجلة نجاة تعجز أن تطفو
تغوص وتضيع خلف أعمدة الظلمة
بعيداً ـ بعيداً وراء أحزان الضياء
عميقاً ـ عميقاً ـ حتى مولد النجوم .

ثم يمضي جورج كوتسيراس فيجرى « حوارا مع سيزيف » ليواجه الضعف الانساني ازاء القدر . ويكاد يهتف الشاعر فى حواره الطويل هذا « ما أعظم الضعفاء لحظة قوتهم » ولنستمع إليه يخاطب سيزيف فيقول :

انتظرتـــك
وتنتظـــرني
اعـرف اني سألتـقي بـك
وستجدنـي كما كنت منـذ آلاف السنين
خلف اللحظة الأبدية اختبـىء ، فى انتظارك .
سيزيـف
سيزيـف
لماذا لم تعـرف للسعادة طعمة ؟
وماذا يهم حتى لو كنت نهابـاً ، وقاطع طريق ؟
بالنسبة لك تحلل البحر الى آلاف القطـرات
ونـام المـوت نومـة البشر
أخـذت الحياة البحـر فى أحضانها ورحلـت .

إعـــادة بنـــاء الأســطورة

ولقد أحب الشاعر سيزيف كثيرا ، فنفخ فى صورته الأسطورية أنفاساً بشرية ، وجعلها تنبض بآلام الوضع الانساني ، بكل صموده واحباطاته .

سيزيــف
سيزيــف

حتى لو أنك ميت ، فانــي أراك الآن حياً
وراء الموت تقبع منتظراً فى اصرار
وراء الحياة تختبــئ ولا تتــزعــزع
تهيب بضمائرنـــا أن تفتــح عيونــاً عادلـــة
لأنــي أراك بسيــف الظلم المشرع عاريــاً
واسمــع صوتــك مثل حجــارة تتدحــرج
أراك
أسمعــك
وأشعر بك حيــاً
هنـــا
عبر الضفة الأخــرى لصوتي
سيزيـف
سيزيـف

ومن هنا يبدأ الشاعر فى اعادة تشييد الأسطورة المزلزلة على صورة جديدة ، ينفث فيها رؤيته وفكره . وقد سجل ذلك بعض النقاد الذين درسوا شعر كوتسيراس وفى مقدمتهم ثيميليس وسباندينوديس وميخائيل سيراكليس . وكم من صدق وثراء تضمنته أسطورة سيزيف . وقد أدرك كوتسيراس ذلك ، ورفض أن يعتبر هذه الاسطورة قد طواها ضمن ما طواه النسيان ، بل عمد الى نفض ما تراكم عليها من تراب . وأبرز سيزيف على أنه رمز العصر الذى نعيش فيه ، وقدم معاناته على أنها معاناة الانسان الحديث . وقد وجد فى كفاحه تعبيراً عن أمل الانسان فى غد أفضل ، تنتهي فيه كل الآلام . ويقول الشاعر :

الظــلام فى أعماق العقــل يضيء
فينعكــس على سطــح البحــيرة
طيــف وضيء
لبطــل جديـــد
يسير الموتى الذين لايرحمون ، هائمين ، فى ضياء النجوم .
ينزل الدرجات على مهل عجــوز لم يحــظ بالتوبـــة
هنـــا ، حيـث لم يعد الزمــن يــروح ويجيء
هنـــا ، حيث احتفظت الوديان بذكريات فضية
من الصينية الكبيرة للقمر صاحب السيـادة .

أحياء كالأموات يرحلون . ينزلقون الى أمل كالسراب . يطأون بأقدامهم الذكريات كأوراق شجر جافة ، ومع ذلك يحيون ، ويتحركون ، يجاهدون ويشقون ، يحيا الانسان ، ويؤمن ، ويأمل . ويمضي بأصرار يجاهد وقد ركبه وهم كاليقين بانه ربما غير مصيره . ولنستمع الى الشاعر اليوناني يعبر عن ذلك بقوله :

أولئك الذين يحيون يكسبون الحياة
أولئك الذين يموتون يكسبون المــوت
يجتاز الأحياء الضوء الباهر ، مهذبين ، مؤملين ، يحدوهم
فضول أن يعرفوا
ويجوس الموتى الظلمة التى لا فجر لها ،
ويمضون فى مخيلة الدهر الذى لا ينقضي
يحيون من جديد لحظة ميلادهم
يحتفلون بذكريات ماضية تحللت فى التراب
أما الأحياء فيظلون يرسمون الأسطورة الوضيئة ، فى
انعكاسات المرآة .
ويضخمون فى مكبرات الصوت الكلام الذى سيبتلعه
الصمــت
ويسابقون الصوت فى سرعته ليلغوا المسافة بين الصمت
والصــدى
يغرقـــون الظـــلام فى لجة مــن الضيـــاء
تنحدر نازلة خلف بوابات الشمس ، وتختفي
بعيداً ـ بعيداً فيما وراء أحـزان الضيـاء
عميقاً ـ عميقاً حتى مولد النجوم .

●●

إن ما يضيع هو بالنسبة للجميع اقاصيص احزان فى سيرة الزمن غير المفهوم . وتضحى هذه القصص مأساوية الى حد الجنون ، وعندما ننظر اليها من زاوية العدم الذى لا مفر منـه.ويمضي كوتسيراس فيقول :

لم أكن أعرف ، يا سيزيــف
أنــك تدحــرج صخــرتك
فى الموت كما كنت تدحرجهـا فى الحيـــاة .
رأيتــك تحــت الشمــس الحارقة فى نهــار الحيـاة
يتصبب عرقــك ، وأنــت تدحــرج صخــرتك .
وتمنيــت لــك قطــرة رطيبـــة
تبلــل من لظــاك .
ثم رأيتــك فى الظلمـــة الطينيـــة
تلعق الديــدان قدميــك
وتمنيــت أن تهب ريح حارقـــة
تزيل من على جســدك الأدران .

معـنى كـفاح الإنـســان

إن الحياة مزدوجة المعنى . هي صراع وغاية ، جهد يبذل ، وغنم ينال . هل هذا صحيح ؟ أليس الألم هو الطريق الوحيد للخلاص ؟ ولكن كوتسيراس فى «حواره مع سيزيف» يبقى أيضاً على عزيمة القوة ، على ارادة الكفاح من أجل الكفاح .

ولا يتخلى سيزيف عن دفع الصخرة الى أعلى مهما تدحرجت نازلة سفح الجبل . إنه العناد والاصرار اللذان يجعلان لكفاح الانسان معنى مأساوياً . ان البطل الأسطوري لا يكف عن السعي الى هدفه ، ولا تثنيه عن ذلك أي صعاب . ألم يكن بامكان سيزيف أن يكف عن دحرجة الصخرة ؟ كان بامكانه ذلك ، لكنه كان سيفقد معنى وجوده ذاته . إن النكوص والتراجع ليسا قيمةانسانية بل ضعفاً . وقد أراد كوتسيراس من خلال مرثيته لسيزيف أن يمجد الجهاد من أجل الجهاد ،

حتى ولو لم يكن تثبيت الصخرة فى مكانها بأعلى الجبل شيئاً ذا بال . وما الذى كان يعني سيزيف فى النهاية أن تظل الصخرة بالقمة أو أن تستقر عند أخمص الجبل ؟ ان المهم فى الأمر هو الاصرار والصمود . وهذا هو معنى سيزيف ، وهذا أيضاً مضمون حوار كوتسيراس مع بطله الأسطورى الحبيب الذى جعل منه نداء الى بني عصره ، ودعوة الى الكفاح من أجل ما هو شامخ ونبيل . إن المطلوب من الانسان هو أن يجعل حياته صعوداً متصلا الى القمم ، ولن تكون خاتمة

المطاف بالنسبة للانسان أن يبلغ قمة ، لأنه لا زال عليه أن يحافظ على وجوده بتلك القمة ، ولن يكون ذلك إلا بمواصلة صعوده الى قمة أعلى . ولا نهاية للقمم فى مسيرة الانسان النضالية . ويقول الشاعر اليوناني فى قصيدته :

جسـدك ممــزق ، يدمــي ،
روحـك متآكـل .
نصفــه غارق فى الظلمــة
ونصفـه الآخـر فى الضــوء الباهر
والزهـرة المسمومـة
بين الصخور الجدباء تنمو ،
سواء فى النور أو فى الظلمة
وبأعماقها ينضج
طعـم الحيــاة المــرة .

عــذاب الســعـادة

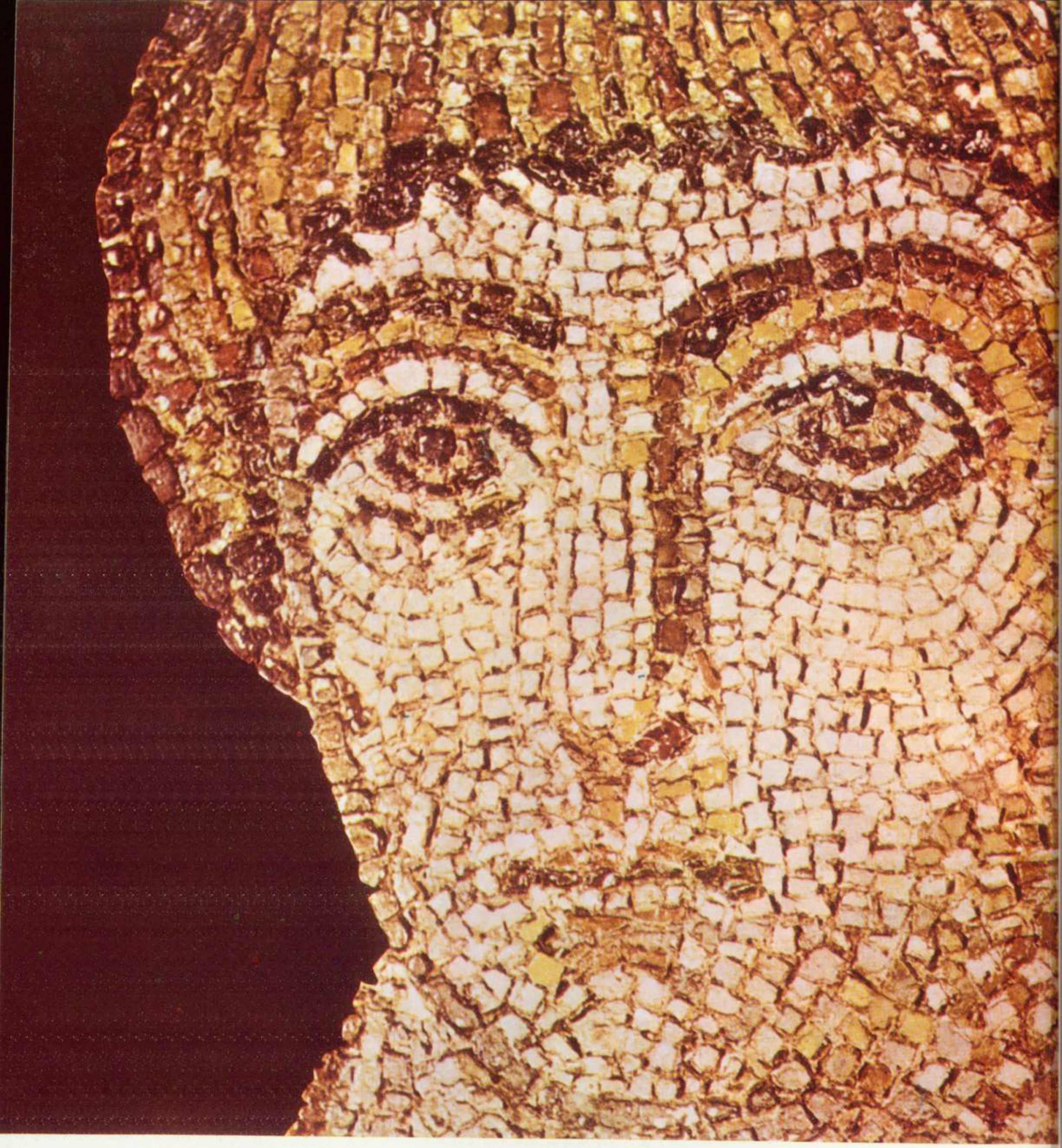
إن الحيــاة الانسانية تمضي تحت وطأة لعنة أبدية بالكفاح المرير من أجل سعادة عسيرة المنال . ومع ذلك توجد هذه السعادة ، ومن أجل الظفر بها يمضي الانسان فى تحمل العذاب :

سيزيــف
التقى بك الآن فى الحياة الأخرى
ينتقل صوتي الى الضفة الأخرى
ألقاك مجهداً ، يائساً ، معذبــاً
فى الحيــاة تموت
وفى المــوت تحيــا
ألقاك فى كل حركة هنا للانسان
ألقاك فى الشقاء اليومي هنا لزميلك الانســان
سيزيــف
كيف تدحـرج صخرتــك هنــاك .
بين النــور وبين الظلمـة فى الأعمـاق ؟

أهي السعادة تلك الصخرة دائبة التدحرج ولا تثبت فى مكان ؟ وما تلك اليد التي تعبث بنا ، ولا تترك صخرة السعادة فى مكانها ؟ ولنستمع الى جورج كوتسيراس فى هذه الأبيـات الأخيرة :

أي يــد تجـذب الآن
الستــار فى السمـاء ؟
منذا الــذى يسرق النــور
ليبيعـه ليلـة الشتـاء
عندمـا لن يبقى وجود
لنجمة واحدة تضيء منسية
ولا حتى لنجيمة مزيفة
مثـل وسام صدىء على صـدر السمــاء ؟
امتـلأ أديم السماء بالثقوب وتسلل البلل
مطر حزين ينهمـر
مثــل دمــوع
أين الشفاه التى ستنفخ ريحاً
تكفكف هذه الدمــوع
وتجفف النشــع ؟
إنها تمطر ، تمطر ، فى الظلمات





« الصمت والتأمل » ينبغى أن يكون موقف الشعر من الوجود لكى ينفتح معنى الزمن أمام الشاعر .

ترتج الأبواب
تسلل البلل الى كل مكان
انتفخ الوجود تعيساً
مثل خشبة
بين مياه البحار دب اليها العطن .
هذا قدر الانسان ،كمايراه «حراس الصمت» فى عطاء جورج كوتسيراس شاعر اليونان »،،

ترجمة د. نعيم عطية



فرسان الصحراء



الفنان القطرى علي الشريف

للفنان القطري على الشريف رأي:

الجيوكندا لا تستحق كل هذا الصخب

بشرى ناصر

قال لي وهو يقف أمام لوحاته : أريد الآخرين أن ينظروا إلى اللوحة على أنها فعل قادر على الوصول .. وعالم سهل الولوج .. الرسم عندى عملية خلق .. ثم ولادة .. ولادة ليست متعسرة ـ ولوحاتي ليست أمسلخا ولا قاصرة النمو .. أراها متعافية تتحدث بأصالة وواقعية .. حين انجز عملا وانتهي منه أقيم معه احتفالا وديا وأقول له : هاقد صرت يافعا فانطلق .. وحين يجد طريقه على جدار مبنى ضخم أو فى حوزة شخص ما .. أستعيد الذكرى معه .. وأود لو أعود إليه أو يعود .

قدمت «لسيتي بنك» مايقارب الأربع عشرة لوحة .. وساهمت فى إحياء



الدشة



المها

معرض « رامادا » قبل عامين بأربعة أعمال .. كان اثنان منهما بحريين .. واللوحات الأخرى لموضوعات صحراوية

وسأشارك قريباً فى معرض يقام فى بريطانيا .. عرضت على الفكرة إحدى المتاحف الانجليزية .. وبصدد إنجاز ثلاثين لوحة .

وقال لي أيضاً أثناء حواري معه :

أحدد مراحل عدة لقيامي بأي عمل . أبحث عن الموضوع .. أعمل الاسكتشات .. ثم أحولها الى التكوين الذى أريد .. ثم انتهى الى العمل المدروس الذى يكون بالطبع من الأعمال العشوائية . فموضوعاتي تقريباً تسجيلية .. كثيراً ما تفتقد ضبابية الخيال .

من أنت ؟

أنا علي محمد الشريف .. من مواليد ١٩٥٣م .. بدأ اكتشافي للـون ولذة «الخربشات» والخطوط المدهشة حين كنت فى السابعة .. وبدأت عملياً في الفن بعد تخرجي .. تخصصي تسويق .. ولكني أيضاً درست الرسم فى بريطانيا .. كثيراً ما استخدم موديلا فى أعمالي لأنه يخدمني .

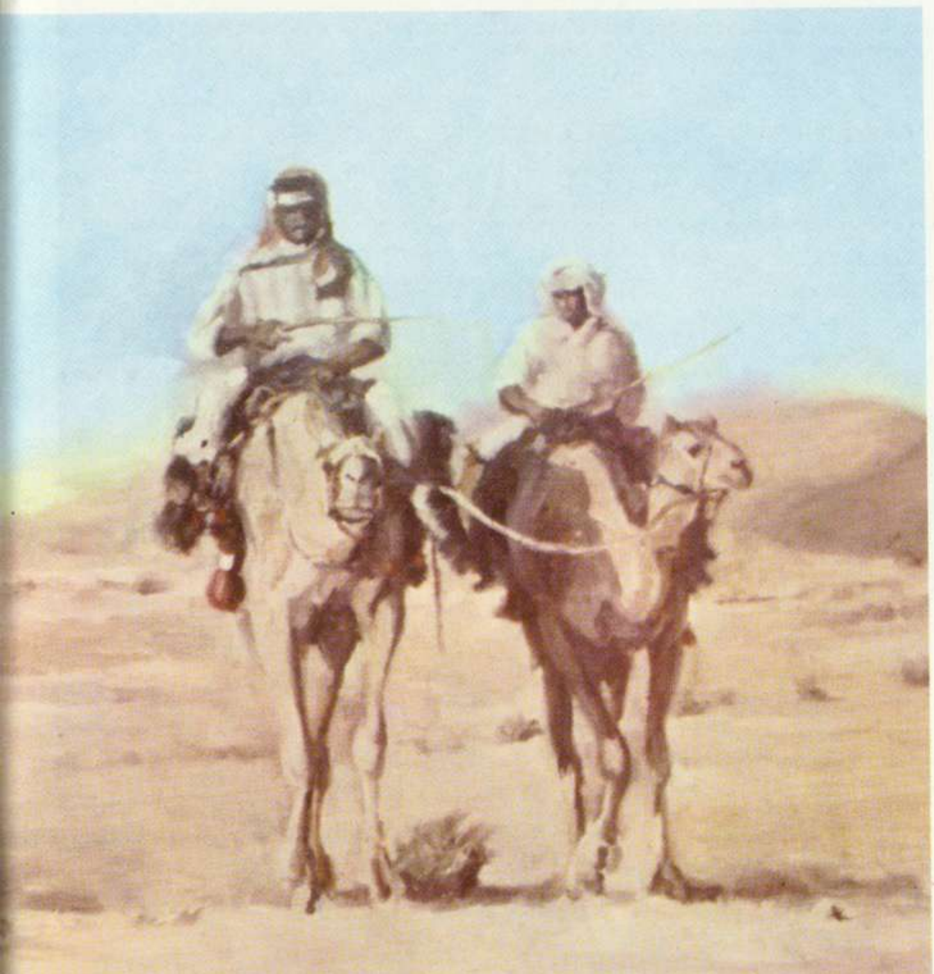
ـ ترى ماالذى يجعل للوحة فنية قيمة عالية عن غيرها ؟ . وماذا تعني القضية الجمالية فى اللوحة .. ؟

● الاختيار الفردى فى أسلوب التذوق له أهميته فى عملية التقييم الفني ، فكل شخص له انطباعات معينة وإحساس مختلف .. ولعل هذا هو العامل الأساسي فى كون لوحة ما تختلف فى تقييمها الأدبي والمادي عن لوحة أخرى .



انتظار الربيع

البحث عن حياة



الفنان القطري
على الشريف

ولعل العوامل الموجودة فى لوحة معينة اتقنت بشكل لم يستطرق من قبل حتى إن كان الموضوع مكرراً .. ولكن المعالجة الفنية والمهارة اليدوية أبدعت بصورة خيالية .. ومن المحتمل أيضاً في حالات التفضيل بين لوحة وأخرى هى عملية الدعاية نفسها ، فمثال ذلك لوحة الموناليزا .. للفنان ليوناردو دافنشي . مع أن هناك فنانين أجادوا وأبدعوا فى كثير من الأعمال الفنية التى هي فى نظري أرقى بكثير من الجيوكندا .. ولكن الدعاية الاعلامية جعلتها واحدة من الروائع الفنية التى لاتقدر بثمن .

أما القضية الجمالية .. فان الجمال



الرحيل

فى مضمونه يعني الجميل .. ولكنهما أبعدتا عن بعضهما البعض باعتبار ان علم الجمال لا يتضمن قيمة علمية لأنه يبدأ من تجربة معينة .. فالجمال ليس بنموذج أبدي .. أو بقانون قائم مسبقاً .. بل انه يجب إعداده .. والفكرة الجمالية تتضح وتتنوع وتتبلور بحسب كيفية التأمل الفني نفسه .. وكيفما أبدع الفنان فى الاختيار .. فالابداع هو الرقي بالجمال ـ والجمال لدى معظم الناس هو وعد بالسعادة .. والسعادة باختلاف أنواعها مبنية على تذوقات جمالية معينة .

التواصل مع البيئة

ـ ماذا تعني اللوحة بالنسبة لك ..؟

● وظيفة العمل الفني بصورة عامة هي تكرار للطبيعة ولكن بتعبير آخر وبمعالجات مختلفة .. وبحسب الاندفاع الحسي لكل فنان .. والهدف من اللوحة هو إيصال المتعة الى النظر أولا .. فلابد لنا أن نميز فى كل عمل تصويري بين الموضوع والقطعة .. ومن الممكن معالجة الموضوع بمهارة فائقة في حين تظل القطعة عديمة القيمة .. فان اللوحة شيء يتضمن قيمة وبناء ووجوداً قائماً بذاته وتختلف كل الاختلاف عن مواضيعها ..

فقيمة اللوحة لا ترجع إلى موضوعها .. لأنه من الممكن الحكم على اللوحة الفنية بمدى المهارة التى طرق بها الموضوع ..

ـ ما هي علاقتك كفنان بالطبيعة والبيئة ؟

● أنا لست فنان مناسبة .. أرسم دائماً .. والفنان الجاد ـ المجدد هو الباقي .. بيئتنا مجال خصب للرسم ويبقى على الفنان البحث والقدرة على الاستشفاف ـ فعناصر الطبيعة لا تنتهي ولا تتوقف .. وأنا لا استطيع إلا أن أتواصل مع بيئتي تواصلا عاطفياً .. وأترك ألواني حرة .. فرحانة ببساطتها وقوتها ..

إنني لا أملك طموحاً واسعاً .. أعرف أنني كبقية اخواني من البشر الذين يملؤون وجه الكرة الأرضية لا نملك إلا الادعاء والتداعي .. ولكني اثق بهذا الطموح .. واتركه يغني لي دائماً حتى أقف .. وكثيراً ما أناديه ليشاركني طعامي ...

الهوية الفنية

ـ ما هو موقفك من الفن التجريدي ؟

● الفنان التجريدي حين يكون تجريدياً لابد أن يمر بمراحل عديدة منها الواقعية التأثيرية إلى أن يصل إلى أسلوب خاص .. وأنا من مدرسة الواقعية التأثيرية .. وهي برأيي مرحلة سليمة لايجاد هوية خاصة بي .

وعند ذلك الحد ينتهي حواري مع الفنان القطري علي الشريف الذى يطل على العالم بعينين باحثتين .. ترتبط أصابعه بعلاقة مع الرمل والصحراء .. ويرتبط هو مع اللون والمساحة والواقع .. بحيث لا تضيع أحلامه فى عبثية مع اللون ومداعبات الريشة .

بشرى ناصر

لقطات من الكون المثير

« وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون » !

فى جولتنا هذه المرة مع لقطات من الكون المثير ، سوف نطلعك على « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .. ذلك أن عيوننا قاصرة عـن توضيح تفاصيل عالمنا ، ولو رأينا هذه التفاصيل بعين غير عيوننا ، لتجلت لنا فيها عوالم غريبة على السمع والحس والبصر والفؤاد ، فاللقطات المنشورة على هاتين الصفحتين توضح لنا بعض ما خفى علينا من تكوين أجسامنا ، وكأنما يحق عليها قول الشاعر الملهم :

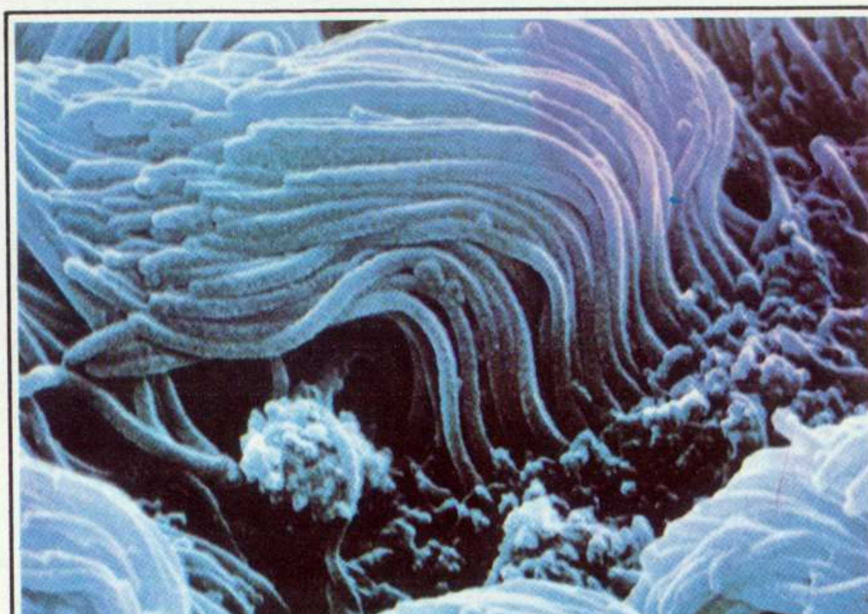
أتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطـوى العالم الأكبر

تأمل قليلا فى هذه الصور ، علك تعرف هويتها .. انها تكوينات سطحية من بشرتنا وآذاننا وألسنتنا وأنوفنا ، فهل تستطيع أن تعيد كل صورة الى أصلها ؟ .. إذا لم تستطع ، فالجواب جاهز مع كل صورة التقطها العلماء بالميكروسكوب المجسم ، وكبرها لنا مئات أو آلاف المرات .

ليست اعشاباً جافة !

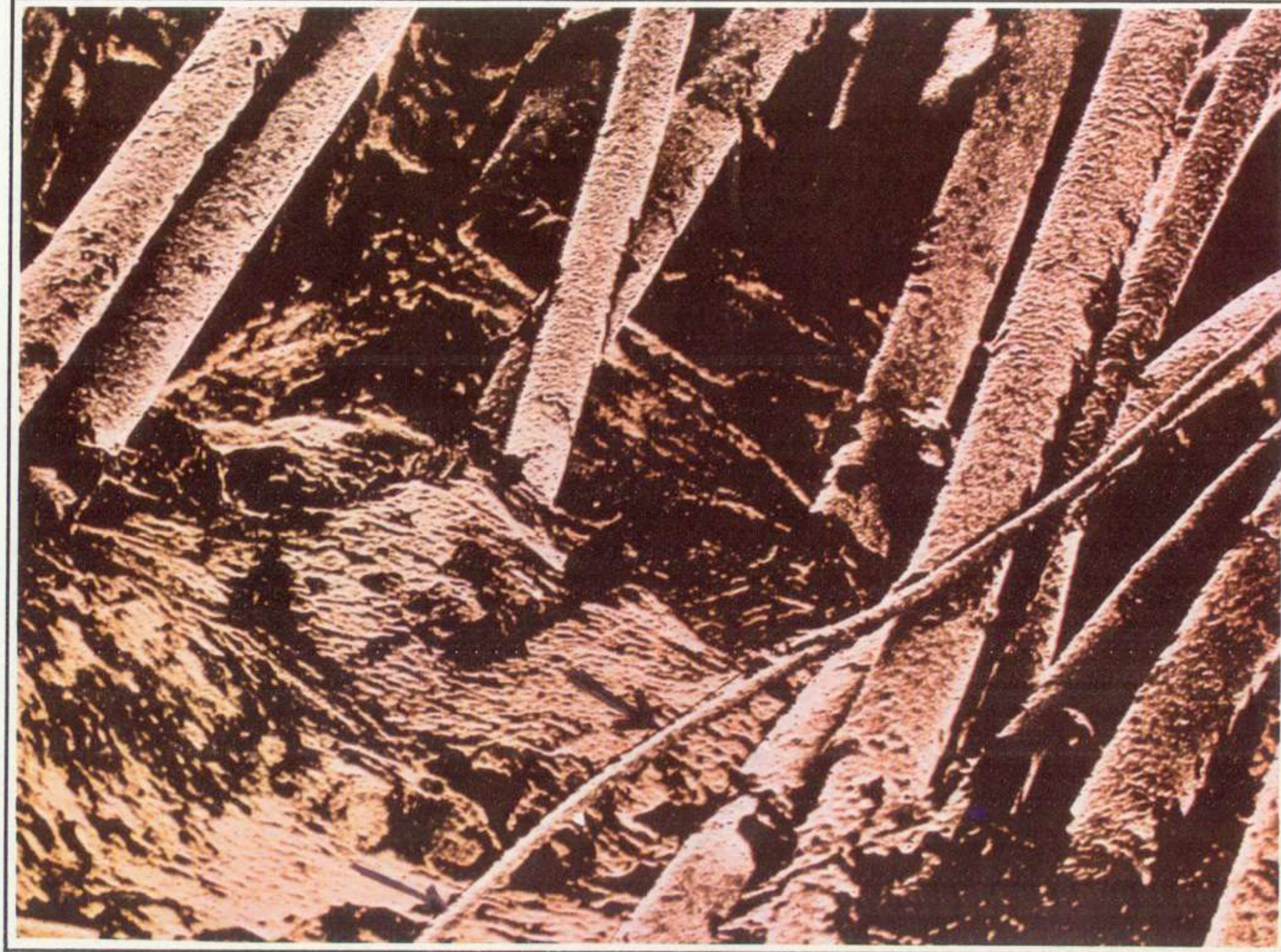
● تبدو الصورة وكأنما هي لأعشاب جافة نامية على فوهة مغارة ، لكنها فى الحقيقة شعيرات نامية فى مدخل الأذن الخارجية ، والسر فى عدم انتظامها يرجع الى طلائها بالمادة الشمعية التى تفرزها خلايا الأذن ، لتصبح مصيدة للغبار والميكروبات والحشرات الصغيرة وكأنما هى بمثابة الحارس الامين .





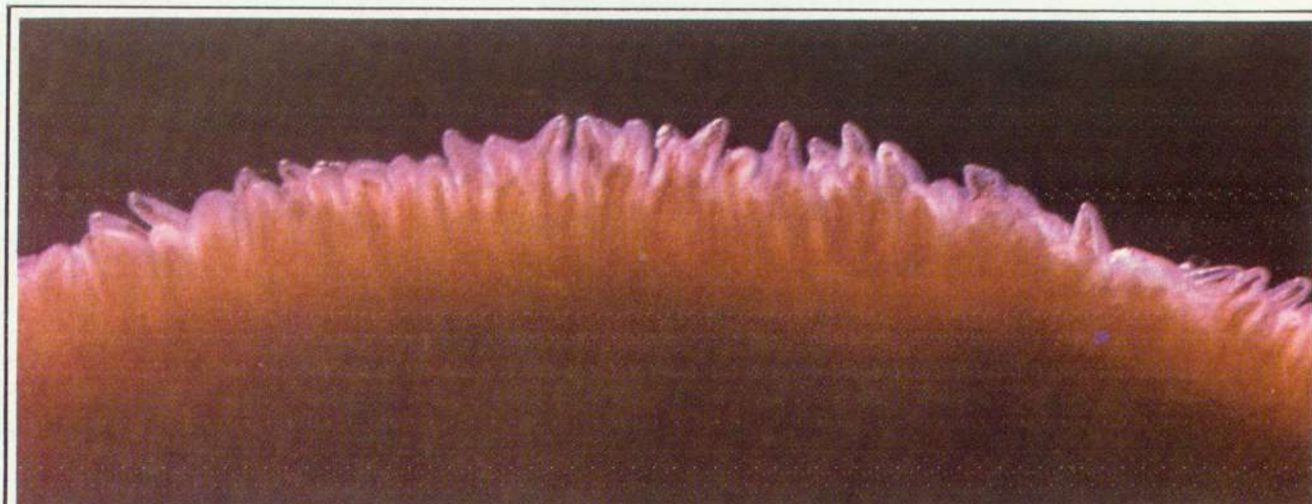
محطات استقبال وارسال

● فى داخل الأنف تحتشد جيوش من التكوينات والاستحكامات التى نرى منها جـزءاً ضئيـلا فى هذه الصورة ، فمن الطبقة الخارجية للخلايا المبطنة للأنف تمتد هذه الأهداب التى تنتشر عليها بالملايين والبلايين ، وهي دائما تتماوج كأنما هي حقول من القمح تداعب النسمات أعواده ، ويعتبر كل هدب هنا بمثابة محطة استقبال وارسال : استقبال الجزيئات العطرية ، فتحولها الى نبضات عصبية ، وترسلها الى مراكز الشم فى المخ ، فتحدد كل رائحة من آلاف الروائح التى تستقبلها أنوفنا .



هل هى جذوع اشجار ؟

كانما هي جذوع اشجار تنمو على أرض غير مستوية ، ولكن ما نراه هنا صورة مكبرة مئات المرات للشعر الذى ينبت على جلودنا ، أما البشرة الناعمة فقد حولها التكبير الى شيء أشبه بالمطبات .. لاحظ أن الشعرة الرفيعة (المشار إليها بالسهم) هي ما نعرفه باسم الزغب (أو الشعر الخفيف الناعم) .



براعم التذوق

● طرف لسان طفل صغير ، ومنه تبرز « براعم » التذوق ، وكل برعم بمثابة حلمة جد دقيقة ممتدة من الخلايا السطحية للسان ، وهذه البراعم ـ التى تنتشر بالملايين مزودة بتصميمات فذة ، لتتعامل مع جزيئات عالمنا ، فتعرف منها الحلو والمر والقلوي والحامض ... الخ .

ع . ص



المجتمع الأسطورى كما تخيله الفنان فرانك فرايت

الفن بين روح العصر وعالم الأساطير والخيال

بقلم : جمـــال قطـــب

فى عام ١٩٢١ ، انتهت الدادية كمذهب فني انعكست على أساليبه كل أهوال الدمار ومآسي الحرب العالمية الأولى ، التى داهمت الحضارة الأوربية كشبح كئيب ألقى بظلاله وظلامه على المدنية وعلى الأذهان والنفوس البشرية، فحطمت كل شيء ، حتى اصطبغ الفن بهذا اللون القاتم المأساوي .. وأفرز تعبيراً (سيكولوجياً) كئيباً أطلق عليه آنذاك الدادية .. أو (فن ضد الفن) ، وذلك لكي يواكب الدمار الذى استشرى فى ربوع البلاد الأوربية من جراء تلك الحرب المدمرة ! ثم لجأ الفنانون بعد ذلك إلى الهروب من الواقع بأسره ، وانتهجوا (السيريالية) .

وكما جاء فى بيانهم الأول فانها مذهب يتلخص فى التعبير عن خواطر النفس فى مجراها الحقيقي ، بعيداً عن كل رقابة يفرضها العقل ، ودون أى حساب للاعتبارات الجمالية ؛ ثم الارتماء نحو سلطان الأحلام المطلق ، والعمل على إحلال هذا المذهب مكان كل المذاهب الأخرى كحل جوهري وجذري هروباً من مشكلات الحياة !

ويتضح من ذلك ، أن انتهاج السيريالية ، لم يقصد به ابتكار أسلوب مستحدث فى الفنون الجميلة ، ولكنه كان سلوكاً جديداً فى الفكر والحياة .

ولعل رسم الخيالات والأحلام والرؤى الخاصة ، مذهب قديم كان يلجأ إليه كثير



انطلاقة الخيال الفنى فى العصر الحديث .. عندما لا تقاس حياة الانسان إلا بقدرته على تحويل الآلة الى بطل اسطورى .

من الفنانين كتعبير عن انطلاقة الفكر فيما وراء الواقع ، وكان ذلك قبل ظهور السيريالية عام ١٩٢٤ ، حيث نلمس تلك الرؤى الذاتية بوضوح فى أعمال (أركمبولدو) و (فوسلي) و (وليم بليك) و (بروجل) و (شاجال) وغيرهم ، وجميع هذه الأعمال تبدو سيريالية تجمع (على حد تعبير أندريه بريتون ، زعيم السيرياليين) بين حالتين متناقضتين هما : الحلم والواقع .

وتنقسم اللوحات السيريالية إلى نوعين من حيث طريقة الأداء : نوع يعتمد على التجسيد الواقعى ، ونوع آخر يميل إلى التجريد ويكاد أن يخلو من البعد الثالث . والنوع الأول يمتاز بأنه يجمع بين الخيال والواقع فى صورة واحدة ، ويعالج الفنان أشكاله بدقة واقعية لكي يبرز الكائنات التى يرسمها ، سواء أكانت واقعية مقتبسة من الطبيعة ، أو وهمية من عالم الجن والأساطير والأحلام . أما النوع الثاني فهو إطلاق الفكر بحرية كاملة لكي يملي خواطره وشوارده ونزواته وشطحاته ، بدون رقابة من العقل المقيد بقواعد المنطق والحساب ، فتأتي هذه الأفكار لتسجل تسجيلا مباشراً خلجات النفس وومضات الخيال ، دون أية مبالاة بالصورة التى ينتهي إليها هذا التسجيل أو بقيمتها الفنية أو الجمالية .

وقد ظلت السيريالية ــ كحركة منظمة

ـ تسيطر على عالم الابداع منذ عام ١٩٢٤ ، وكان آخر معارض السرياليين هو ما أقيم فى باريس عام ١٩٤٧ عقب الحرب العالمية الأخيرة .

السريالية المعاصرة

واذا كانت نظريات (سيجموند فرويد) فى التحليل النفسى التى ذاع صيتها فى أوائل هذا القرن ، والتى اتخذ منها السيرياليون ركيزة ومنطلقاً نحو عالم الأحلام الفسيح ، قد تفرغت بدورها الى عوالم إبداعية شتى تعنى بالشكل تارة وبالمضمون تارة أخرى ، إلا أن العصر الحديث ـ ولاسيما النصف الثانى من هذا القرن ـ قد فرض على الابداع أساليب وأنماط أخرى ، عززت انطلاقة الفكر والخيال بآفاق علمية وأكتشافات جديدة ، وجد الفنانون فيها مادة غزيرة لشطحات عبقرياتهم نحو عالم المجهول الذى يرتكز على دعائم علمية مفرطة فى الغرابة والتعقيد : غزو الفضاء ـ أعماق البحار ـ أسلحة الدمار ـ عجائب المخلوقات على الكواكب الأخرى ـ القوة المذهلة للذرة والالكترونات .... الى آخر الاكتشافات العلمية فى عالم اليوم !

وصار طبيعياً أن نرى العديد من الفنانين المعاصرين ينتهجون المذهب السيريالى العلمى الحديث ، ويشتط بهم خيالهم لينقلنا الى عالم المجهول ، وكأنه حقيقة ماثلة أمامنا بكل أسراره وخباياه المثيرة !

ولم يقتصر فنانو اليوم على رسم اللوحات كما كان يفعل الفنانون فى الماضى ، بل تعدت نشاطاتهم الى عالم السينما والمسرح والكتب ومختلف وسائل الأعلام ....

وأصبح الفنان ـ بالرغم من اشتغاله بهذه الاهتمامات (الجماهيرية) ـ نجماً له جمهوره الذى يعد بالملايين ، يتلقفون ما ينتجه بالاعجاب والتهافت والتقدير أى أن الفنان من هذا الطراز قد أصبح اليوم فناناً جماهيرياً يسابق الزمن ليلم بأطراف البحث العلمى الذى يسبق لغة الألوان والخطوط وفنون الرفاهية .

الغابة .. نرى فيها كل الكائنات تتشكل بقوانين الفنان الخاصة .



وكما وجد الفنانون الأوربيون فى أواخر الربع الأول من هذا القرن ، ان اللجوء الى الخيال والأحلام هو الملاذ بعد أن اصطلوا بنار الحرب والواقع المؤلم فى الحرب العالمية الأولى ، كذلك فعل هؤلاء (الخياليون الحالمون) من الفنانين الغربيين ، حيث وجدوا فى هذه العوالم الغامضة فرصة رحبة لايحدها المنطق ولا المعقول ولا الحساب ! .. جموح اتخذ من الاكتشافات العلمية ركيزة ثم انطلق بعدها الى عالم لا نهائى من مغامرات الخيال ! ومن الغريب أن هذه (الشطحات الفنية) قد سبقت العلم الى غاياته ، وكثيراً ما نجد أن الاختراعات الحديثة اللاحقة تتشابه الى حد كبير مر ما تصوره المفكرون فى عهود سابقة ! يتساوى فى ذلك الرسام والشاعر والأديب ، فكما سبق (ليوناردو دافنشى) عصره ، وتنبأ باختراعات والآت قبل تحقيق صنعها بمئات السنين ، نرى أن هـ . ج . ويلز وغيره ممن تخصصوا فى القصص العلمى ، قد تخيلوا عوالم وكائنات ومبتكرات مثيرة ، ربما حقق العلم مثلها أو بعضها فى العصر الحديث !

كما اننا نلاحظ إقبالا غير عادى على تلك الابداعات الغارقة فى الخيال ، وكأن الانسان الذى ألف الواقع منذ مئات وآلاف السنين قد تحرر فجأة من كل ما هو معقول تحكمه الروابط المنطقية وانطلق الى أطياف المجهول ، ليتصور عالماً من وحيه هو ويعيش فيه بوجدانه وكأنه يتمرد على الواقع ليحيا فى مدينة الأحلام التى لم يكن ليراها إلا فى خيال الفنان !

الهروب من الواقع

وكثيراً مانرى أن الفنان بنزوحه عن الواقع المأساوى للحياة ، يلجأ الى عالم الحيوان ويتعايش معه فى ود وتعاطف يبلغ درجة الهيام ، فقد شاهدنا أعمال فنان ألمانى جماهيري مثل (هنريش كلاى) الذى عمر نحو تسعين عاماً (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢) قضاها فى انطوائية وتأمل فى ملهاة المأساة الانسانية ومحنة البشرية المتجددة دائماً ، وآثر أن يبتدع عالماً خاصاً مليئاً بالشخوص الاسطورية والأحلام والرؤى الذاتية ، فكما أن الأحلام



الوحوش الاسطورية التى انقرضت من على سطح الكرة الأرضية .. هل تعود فى عصر العلم لتزيد اسلحة الدمار فى العالم من حولنا ؟

ـ كما يقول داروين ـ هى خلاصة رغبات ونوازع نفسية وجسدية لاتجد متنفساً لها الا فى عالم الموت الاصغر وهو النوم ، فان الفن يقوم بنفس الدور فى الحياة الواعية ! وبالرغم من أن هذا المجال الخرافى هو عالم خاص بالفنان ، إلا أن ملايين الناس تتفاعل معه وتعيش وجدانياً مع تلك الرؤى الغامضة وقد اختار (هنريش كلاى) عالمه الخاص على هيئة غابة أسطورية تسكنها الاشباح والشياطين ، خليط من الحيوانات والآدميين ، ولعل هذا التعبير القاسى والخيالى في أعيننا ، هو تعبير منطقى عند الفنان عن روح العصر الذى غلبت عليه نزعات الشر والبوهيمية البدائية ممثلة فى سيطرة المادة وويلات الحرب والدمار !

وفى بعض حقبات التاريخ نرى أن هذا الاتجاه يسود كمذهب عام كما رأينا فى اليابان فى القرن الثالث عشر ، حيث تميزت تلك الفترة من تاريخ الفن اليابانى بهذه الملامح الخرافية ، وبالقطع لابد انها ترجع الى عوامل نفسية سيطرت على روح الفنان وحولت تفكيره وابداعاته الى تلك الاتجاهات العبقرية الغامضة .

العالم الخاص

وعلى هذه الصفحات ـ فى الشهور الماضية ـ استعرضنا بعض الفنانين الذين نالوا أكبر قسط من الشهرة والانتشار فى العصر الحديث ، وتهافت الملايين على أعمالهم وكأنها متنفس لهم هروباً من الواقع ولجوءاً الى عالم الفنان الخيالى ، فرأينا فنان الاساطير (فرانك فرازيت) الحائز على جائزة التقدير الكبرى من أكاديمية الفنون الجميلة فى نيويورك ، وقد أصبح الشعب الأمريكى ، وكثير من شعوب العالم الأخرى ، يتلقفون لوحاته الاسطورية التى اشتهر بها فى تسابق غريب .

وكذلك شاهدنا أعمال الفنان البريطانى الأشهر (دافيد شبرد) ، وهو لم يحلم أحلام اليقظة كما فعل (هنريش كلاى) أو (فرانك فرازيت) ولم ينتهج منهج فنانى السيريالية كما فعل سلفادور دالى وغيره ، ولكنه بلغ قمة الشهرة والتألق الجماهيرى ، لنزوعه الى رسم حيوانات الغابة الأفريقية ، وكان نجم لوحاته صديقه (جامبو) ... وهو الفيل الأفريقى المهيب !

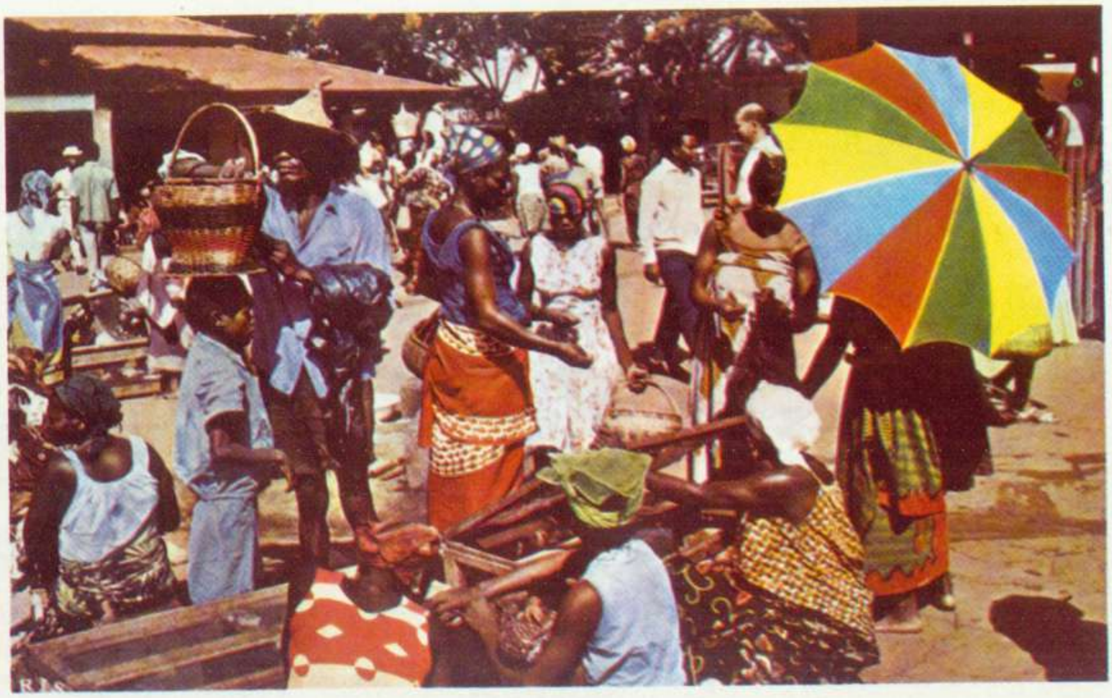
الفنان وعلوم العصر

... الخيال ... والحلم ... والأساطير ... وعالم الحيوانات والأدغال ... وجد الفنان فيها بغيته فى انطلاقة فكره حراً طليقاً بعيداً عن قيود الواقع المرير !!! أما عالم الفضاء واكتشافاته العلمية المثيرة فقد وجد فيه مئات الفنانين أرحب المجالات الفكرية وأخصبها ... فتباروا فى الكشف عن خباياها ، وسبقوا العلم الى غاياته بخيالهم الحالم ، وتعايشوا مع كائنات الكواكب الأخرى ، وأقاموا مجتمعاتهم الأسطورية المتعاونة حينا ، والمتخاصمة المتحاربة أحياناً أخرى ، وابتكروا أسلحة الدمار الرهيبة التى تغزو الفضاء والأجرام والكواكب بأنواع من الاشعاعات التى لم يتوصل اليها العلماء بعد ، وصوروا علماء الفضاء وقادته على هيئة مستقبلية ممعنة من التطور والذكاء والمعرفة الكونية الخارقة

ولا عجب أن تتلقف دور النشر وأجهزة الاعلام هذا الفيض من الابداع الخيالى ، وتغمر به العالم على هيئة مستنسخات فنية وكتب ومنشورات وأفلام وصور وشرائح وغيرها ، وتداخلت الحقائق العلمية بأوهام الأحلام الممتعة فى الخيال والتصور !

فاصبح (الفن) وسيلة عصرية تشد انتباه الناس الى نوع جديد من الرومانسية التى لم يألفها العالم من قبل ... وتغير مضمون العمل الفنى ، وتغيرت ـ بالتالى ـ رسالة الفنان فى عالم اليوم ، واختلفت الآراء ، وتضاربت المقاييس والمعايير ، وأصبح الحكم فى ذلك كله نسبياً تتحكم فيه العوامل النفسية والأحداث والمتغيرات اللاهثة ... وهذه هى طبيعة العصر .. وفى نفس الوقت ، فانها عظمة الفن الجميل وحيويته المتجددة التى لاتعرف السكون !

جمال قطب

سوق «اليوربا» .. حيث يلتقون فى ازياء كرنفالية فى غرب افريقيا .. والمعروف عنهم انهم تجار نشيطون

قبائل "اليوربا"

بين الكبش والفيل والقرد

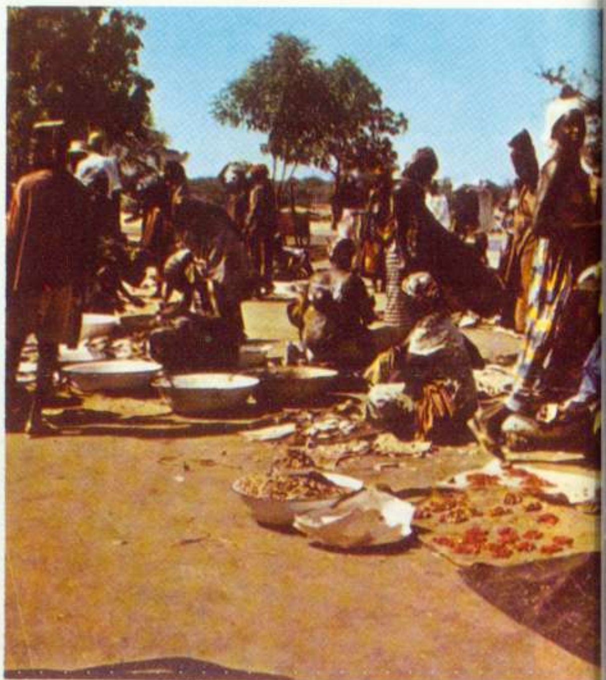
بقلم : د. حسن عيسى عبد الظاهر

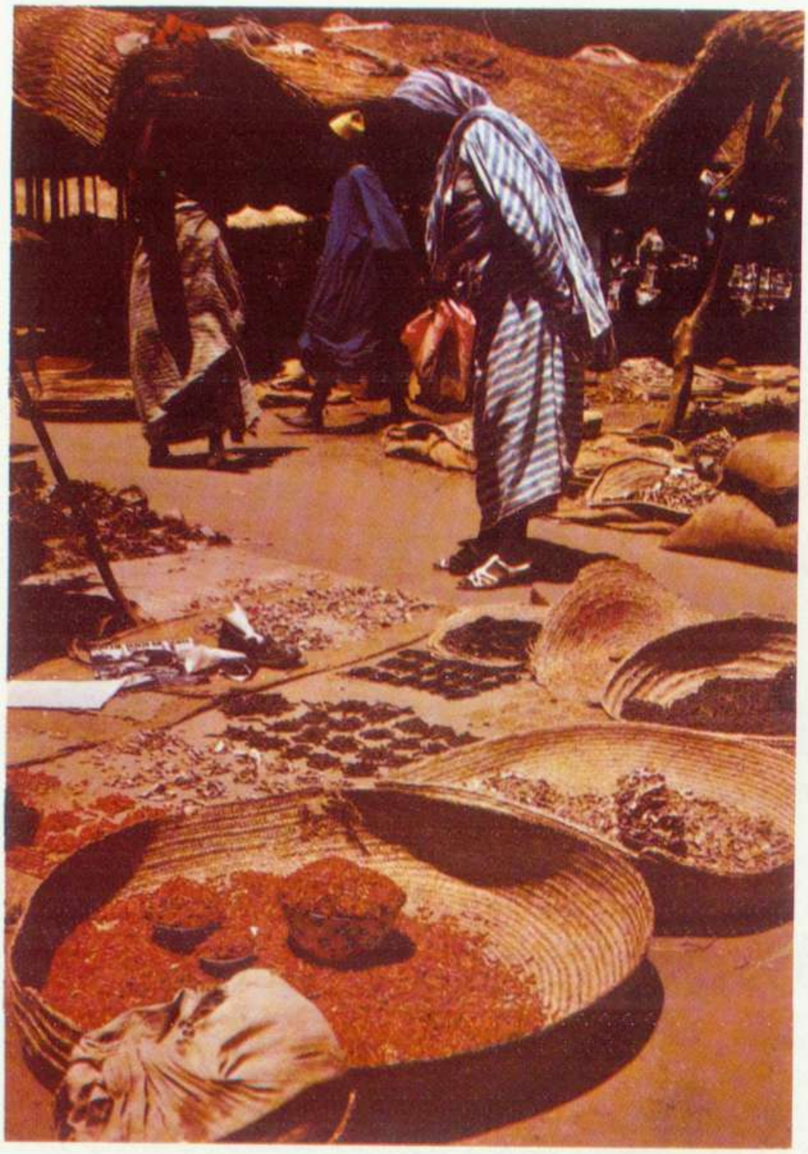
قبيلة مشهورة وقديمة فى غرب افريقيا .. وفى هذه القبيلة يتزوج زعيمها مائة زوجة ... يرسلهن الى الأسواق للبيع والتجارة !

لقاؤنا هذه المرة فى (غرب افريقية) مع (اليوربا) مجموعة من أهم المجموعات الزنجية الكبيرة هناك ، وبالتحديد فى (نيجيريا) ، وبالأخص فى الولاية الغربية ، وولاية (كوارا) منها ، وسوف نلتقى بهم بعامة فى حزام (السڤانا) ، ثم فى منطقة الغابات الجنوبية التى تغطى أكثر من ثلث مساحة البلاد ، وفى غرب مصب نهر النيجر بما فيه الشريط الساحلى المطل على مياه المحيط الأطلسى ، غير أن معظم معيشتهم فى الداخل ، وليس لهم نشاط ساحلى كبير .

اختلف الكتاب من مؤرخين ، واجتماعيين ، وعلماء أجناس ولغات فى شأنهم . فمنهم من يعدهم من أهم المجموعات الزنجية الكبيرة ، وإن كانوا يختلفون قليلا فى النسبة الرأسية عن قبائل ساحل (غانة) . ومنهم من يجعل كلا من (يوربا ، وبرنو ، ونوبة) أبناء عمومة ، أو أبناء إخوة ، هاجروا سوياً من (آسيا) الى السودان – بمفهومه القديم غرب افريقية كله تقريباً – فتخلف النوبة فى أرض (دنقلا) شمال سودان وادى النيل ، واستمر الباقون فى هجرتهم حتى استقروا فى هذه المنطقة ، كل منهم بالجهة المعروفة به حتى اليوم . ويؤيد هذا القول بوجوه الشبه القائمة بين هذه الأجناس من ملامح وجوههم ورسماتها التى يرسمونها على أصداغهم ، وتُرى فى وجوههم على سواء .

والأمير (محمد بلّ) – من علماء الفولانى فى غرب افريقية فى القرن التاسع عشر.م – يذكر فى كتابه (إنفاق الميسور) : «أن أهل هذا البلد (يوربا) – على ما يقال – من بقايا (كنعان) وأنهم قدموا من جهة مصر والحبشة حتى وصلوا الى (يوربا) – باعتبار أنها سميت باسمهم ، أو سموا باسمها – وكانوا يخلفون فى كل بلدة طائفة منهم .





مجموعات «اليوربا» اختلفوا حول اصلها، وقال بعضهم انهم جاءوا من مصر والحبشة .

الأحمر

اليوربا وقدماء المصريين

وروايات تواريخ (يوربا) الشفوية تفيد أنهم وفدوا من (حوض النيل) وبالذات من (مصر) ــ غالباً ــ منذ قرابة ألف سنة . كما تذكر أن مدينة (إيفى) قد غزتها جماعات من الشمال ، وأن عاصمة (اليوربا) انتقلت بعد ذلك الى (أويو) . ويستأنس لهذا القول : بانه وجد فى مدينة (أليفى) أقدم مدن (اليوربا) آثار الفن الفرعونى من المسلة الحجرية ، وتمثال الرءوس المصورة من الخزف ، وبعضها من النحاس ، وبعضها من الحجارة ، كما وجد على الجدران ، وألواح الأبواب القديمة كتابات هيروغليفية .

بين اللغة المصرية ولغة اليوربا القديمة

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة الصلة اللغوية بين اللغة المصرية القديمة ولغة (اليوربا) من مثل ما كتبته المستفرقة الفرنسية (ل همبورجيه) فى كتابها (اللغات الزنجية الافريقية) وأثبتت فيه وجود ألفاظ مصرية قديمة في ديانة شعب (اليوربا) الوثنية فى غرب افريقية ، ومن مثل ما ذهب اليه (لوكاس) بمعجم ضخم لهذه الألفاظ المصرية التى لاتزال متداولة بين (اليوربا) الى اليوم ، فاذا ما عرفنا أن مصر ــ قديماً ــ كانت على اتصال دائم بسائر أجزاء القارة عن طريق مجرى نهر النيل وعن طريق الصحارى التى كانت أكثر رطوبة وأقل جفافاً فى الماضى البعيد مما هى عليه الآن أمكن وضع ذلك كله فى الاعتبار .

ويرجح (آدم عبد الله الألورى) ــ من علماء اليوربا ومؤرخيهم المعاصرين ــ أن قبائل (اليوربا) ينتسبون الى (يعرب) ، وأن هذا الاسم وحده كاف لاثبات هذه النسبة ، وأن مدينة (أليفى) أقدم مدن (اليوربا) يحتمل أن يكون سكانها الأولون من الزنوج ثم نزل بها المصريون ، ثم (يُرب = يعرب) الذين غزوهم من



المساجد ترتفع فى مناطق «اليوربا» بعد انتشار الدعوة الاسلامية على ايدى خير الدعاة .

قبائل "اليوربا"

(أويو) واستعمروهم .

غير أن هذه الآراء يعارضها بعض الباحثين وعلى رأسهم المستفرق الأمريكى اليهودى (يوسف هـ جرينبرج) رئيس قسم البشريات فى جامعة ستانفورد فى كاليفورنيا بأمريكا وهو صاحب مدرسة جديدة فى دراسة اللغات الافريقية إذ يرى أن لغة (اليوربا) أكبر وحدة من مجموعة لغات (كوا) تلك المجموعة العظيمة التى تسود بعامة الأقطار الحافة بخليج غينيا .

خصائص حياة اليوربا

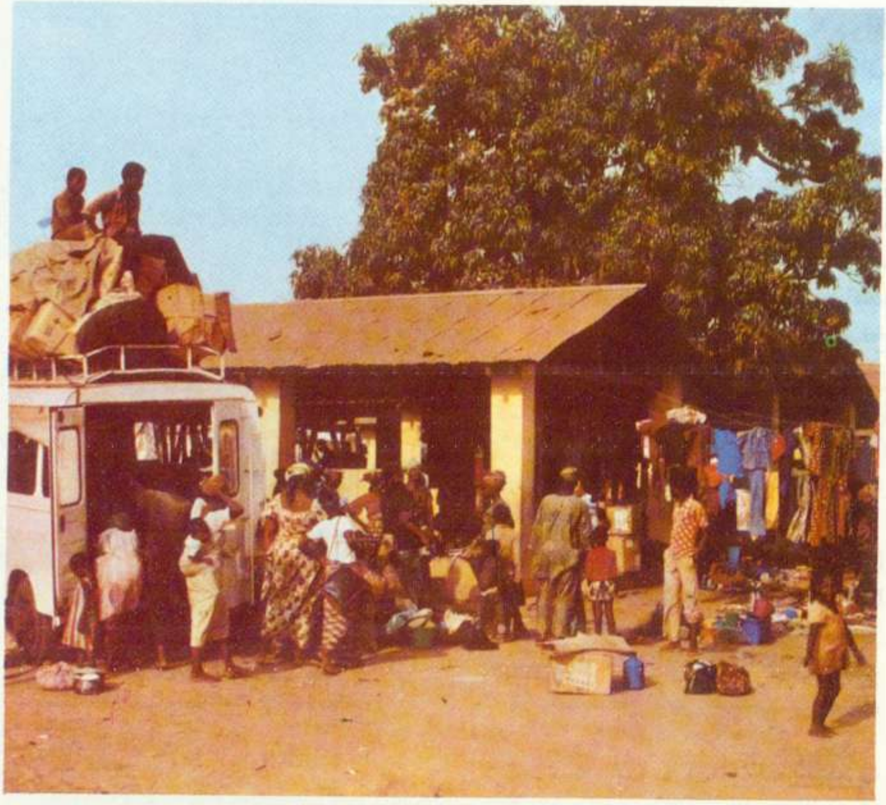
تتسم حياة (اليوربا) بالنشاط والجد وبخاصة فى التجارة ، فهم تجار نشطون بل إن التجارة تحتل مكانة كبيرة فى حياتهم الاقتصادية ، وتشارك فيها نساؤهم بقدر كبير إذ يقمن بعبء تجارة التجزئة بخاصة . وكذلك هم نشطون فى الزراعة ، والصناعة ، والمهن اليدوية ، ومع أن النشاط الزراعى له المكان الأول عند (اليوربا) فان هناك حرفاً عديدة يقوم بها المتخصصون مثل النسيج والصباغة والحدادة ، وصب النحاس ، ونحت الخشب ، والعاج ، والقرع ، وصناعة العقود ، والصناعات الجلدية ، وعمل الحلى والتمائم وغير ذلك من الصناعات الدقيقة ، وقد اشتهرت كل من (بنين) و (إيفى) العاصمة الدينية بما اشتملت عليه من ذخائر فنية ، ومن تماثيل منحوتة من الخشب أو مصنوعة من القرميد ، ومن الحديد ، والبرنز ، وقد نقل كثير من التحف الى خارج البلاد حتى امتلأت بها المتاحف فى أوربا وأمريكا ، وكان ملوك (اليوربا) ورؤساؤهم يشجعون هذه الصناعات والمهارات الفنية الى أن جاء الغزو البريطانى وغلبوا على أمرهم وفر الفنانون والصناع الى الغابات هرباً من المستعمرين ، وبعد فترة تنبه المسئولون الى هذه الظاهرة فأخذوا يشجعونهم على العودة ، وعادت معهم فنونهم وصناعاتهم الى الانتعاش . وهذا النشاط على اختلاف أنواعه يتركز حول المدن التى طالما كانت أيضاً مركزاً للنشاط السياسى ، كما أن الفرد يتمتع فى سلوكه بقسط كبير من الحرية .

و (اليوربا) بعامة يعدون فى طليعة الشعوب الافريقية وأكثرها تقدماً .

الأسرة عند اليوربا

أما عن حياتهم الأسرية فتقوم على تعدد الزوجات وبكثرة ، والزوجة الأولى هى رئيسة بقية الزوجات ، ويلقى عليها مسئولية إقرار النظام بين النساء ، وتلقب بربة البيت ، بينما تلقب الأخريات (بزوجات التجارة) ، ولعل ذلك راجع الى أنهن يمارسن البيع فى الأسواق بصورة كبيرة ومنتشرة ، ويقول أحد الباحثين (الأستاذ لاندر) ـ وقد زار بلاد اليوربا عام ١٨٣٠ م ـ : إن أحد ملوك (أويو) كانت له مائة زوجة يرسلهن لبيع الغلات الزراعية .

وقد مارس (اليوربا) قديماً تجارة



إنهم يبنون المدن على اساس التوسع التجارى .. وفى كل مدينة من مدنهم رئيس مطاع .

الرقيق ، وكانوا يجلبونه – غالباً – من الشمال – حيث بلاد الهوسا – ويبيعونهم على الساحل للمستعمرين من الأوربيين ، وهم بدورهم يرسلونهم الى أوربا وأمريكا ، ويذكر عنهم الأمير (محمد بل) فى (إنفاق الميسور) : (وكان أهل هذا البلد – (يوربا) – يجلب لهم العبيد من بلادنا هذه – دولة الفولانى فى بلاد الهوسا – ويبيعونهم للنصارى أصحاب المرسى – الساحل – وإنما ذكرت لك هذه القضية لئلا تبيع عبداً مسلماً لمن يجلبه اليها ، وقد عمت البلوى بذلك) .

اشتهر (اليوربا) بانشاء المدن ذات الحجم الكبير ، وكلها فى الداخل ، ويفضلون السكنى بها والحياة فيها ، حتى المشتغلين بالزراعة منهم يسكنونها معظم السنة ، وكل مدينة مقسمة الى أقسام يسكنها فى العادة أناس من بطن واحد ، ولهم مجلس يسهر على مصالحهم له رئيس مطاع ، وهذا من أهم عناصر الاستقرار الذى يتميزون به .

ومن أعظم مدنهم « أبادان » وهـى : مدينة يوربية خالصة ، وتبعد عن العاصمة (لاجوس) قرابة ١٥٠ كم ، وهى عاصمة الاقليم الغربى من (نيجيريا) الاتحادية حالياً ، وتعد من أكثر المدن الافريقية نشاطاً ، وأكبر مدينة فى (نيجيريا) ويزيد عدد سكانها على المليون عدا من تعج بهم من وافدين ، ويرجع التوسع المستمر فيها الى موقعها كمركز تجارى لكل ما يتعلق بمحصول الكاكاو النيجيرى .

بين المعرفة والخرافة

وتجمع (إبادان) بين مراكز المعرفة والخرافة معاً ، ففيها مجموعة من المدارس ، وفيها المعهد العربى وهو قلعة للثقافة العربية والاسلامية – وقد قامت عدة محاولات من المبشرين لاغلاقه ولم تفلح – وفيها جامعة علمية من كبرى جامعات غرب افريقية ، ويقوم بجانبها سوق للسحر والسحرة بكل مستلزماته وأدواته وشعوذته ، فمن أكاذيب وتهاويل الى جماجم قرود وحمير ولن تعدم فيها جمجمة آدمى الى أرجل حيوانات بجلدها وشعرها مشدودة فى حُزَم الى نباتات ، وأعشاب ، وأوراق وأقلام الى كتبة ومشعوذين .. الخ .. عالم له سطوته وسلطانه ودولته على البسطاء وغيرهم .

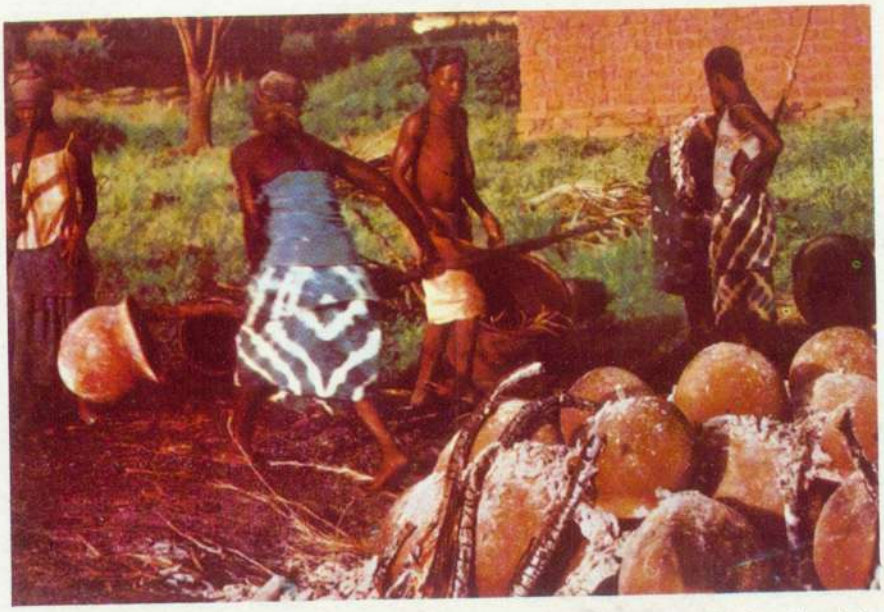
ويقوم التبشير بنشاط واسع بين اليوربا وبخاصة فى المدن ، ولمختلف المذاهب المسيحية كما أن له دوره فى إثارة الفرقة والنزعات العصبية بين القبائل ، وتغذية الحركات الانفصالية وبخاصة فى الشرق – فى الايبو – وله نفوذ كبير مستمد من أكثر من جهة .

الديانات القديمة والعادات الجاهلية

كان – ومازال – الكثير منها قائماً وحتى الآن ، ومن مظاهرها فى بعض البطون التمييز بين ثلاث أنفس ، من بينها نفس تسمى (نفس الطير) وتفارق البدن وقت السبات ، ويمكن اقتناصها عن طريق السحر . كما أن الصلة بين الانسان والحيوان وثيقة إذ يزعمون أن لكل انسان شبيهاً وصنواً من الحيوان ، فاذا قتل حيوان قتل صنوه .

وبعض عشائرهم تسمى نفسها بالكبش ، أو الفيل ، أو القرد الأحمر ، حيث تربط الأساطير بين أجداد العشيرة وبين الحيوان المعين ، الى كثير من مظاهر (الطوطمية) : ... وتبلغ عدد الالهة المزعومة عند (الوثنيين) قرابة أربعمائة ، أكبرها (أولورن) وهم – فى زعمهم – ينشرون الحماية على القرى والعشائر . كما تنتشر عندهم الجمعيات الدينية وهى عبارة عن أندية خاصة ، ونفوذها سياسى واجتماعى وعلى جانب عظيم من الأهمية والخطورة ، وهى أقرب الى التنظيمات السرية ، ومنها جمعية (أورو) وهى تمثل أرواح الآباء والأجداد ، وتعبر عن ارادتهم ويحكم أعضاؤها بالاعدام – أحياناً – على من ينتهك عادات القبيلة ومقدساتها ، ويخرجون فى الليل لينفذوا هذه الأحكام سراً ، وعلى النساء أن يبقين فى بيوتهن إذ ذاك حتى لا يرين هذه المشاهد .

وينتشر فيهم نوع من السحر يتكهن



يشتهر «اليوربا» باتقان الحرف العديدة ومن بينها صناعة الفخار والنسيج والحلى والجلود .. وتشترك النساء مع الرجال فى هذه الصناعات .

قبائل "اليوربا"

أصحابه بواسطة ضرب الرمل وهو من تعاليم إله المستقبل عندهم (فا) وهو الكاشف عن أسرار الوجود والمعبر عن ارادة الاله الأعظم ويعرف كهنة (فا) هذا باسم (بوكونون) .

ومن العادات كذلك أنه يوجد يوم ـ من أيام السنة ـ تختفى فيه كل النساء من شوارع مدينة (إبادان) ، ليس من الشوارع فحسب ، بل تخلو منهن المدارس والأسواق والمتاجر والمكاتب ، إنه يوم (ظهور الغول) ، وإنه ـ كما يزعمون ـ لغول خطير يظهر مرة فى السنة ، ويسير فى المدينة ، وكل امرأة يراها ، أو يقع نظره عليها لابد أن تموت فى سنتها هذه ، ومن هنا كان لابد لهن أن يختفين فى ذلك اليوم منه .

أما هذا الغول ماهو ؟ إنه فى حقيقته عبارة عن رجل ما يظهر فى يوم معين ويلبس لباساً ملوناً ومخيفاً ، ويضع فوق رأسه جمجمة لامرأة ، يقال إنه نظر اليها فلم تختف منه فماتت ، وأخذ جمجمتها وأنه يضعها على رأسه كل سنة ويسير بها فى المدينة لتعتبر النساء وتخافه ، وتخاف سطوته وتأثيره الخ ...

ومن الرياضة العنيفة والمألوفة فى (إبادان) ويتجمع حولها الجموع أن ينزل شابان الى حلبة اللعب يحملان العصي ويظل يضرب كل منهما صاحبه ضرباً شديداً على الصدر والظهر متجنباً الرأس حتى تسيل الدماء منهما وهما يتضاحكان !

وقد يكون لهذه اللعبة هدف ـ أحياناً ـ وهو امتحان من يريد الزواج ، فان صبر على هذا الامتحان القاسى زوجوه ، وإلا فليستعد لجولة أخرى بل جولات .

الاسلام فى اليوربا

ظلت مناطق اليوربا محرومة من نور الاسلام فترة طويلة رغم انتشاره فى شمالها فى (السفانا) لكن وقفت أمامه فى الطريق اليهم قسوة الجو المشبع بالرطوبة على الساحل ، وكثرة الغابات الملتفة التى لا مسالك فيها ، والمستنقعات المنتشرة فى تلك الأرجاء ، وكثرة الجماعات الوثنية ، وعداؤها لكل قادم عليها . لكن بعد أن قامت فى بلاد الهوسا فى القرن الثانى عشر الهجرى ـ التاسع عشر الميلادى ـ دولة اسلامية قوية على يد (الفولانيين) استطاعت أن تمتد بالفتوح الاسلامية الى جهة الجنوب حيث مناطق الوثنية قديماً من (يوربا) وغيرهم فى (إيلورين) وما يليها ، وظل يواصل امتداده حتى وصل (إبادان) واتسع انتشاره فيها .

ومن الدعاة الأوائل الذين قاموا بعبء الدعوة الاسلامية فى تلك المنطقة نذكر منهم : الشيخ العلامة : ابراهيم البيغورى الفولانى ، والشيخ أحمد التاختى التفاوى ، والشيخ ابراهيم الملقب بقبر العلوم الهوساوى ، والشيخ أبو بكر المدعو (بوبى) الفولانى ، والشيخ ابراهيم بتورى الذى جاء من (أغاديس) والامام موسى الكبير الذى جاء من (أبج) وأمثالهم ممن هاجر من (أهير) و (أويولى) وغيرها .

ومن هذا يبدو أثر (الفولانى) و (الهوسا) فى نشر الاسلام فى (اليوربا) وكيف أنه تم ذلك كله على يد عناصر افريقية دخلت الاسلام مبكراً وحملت أمانة نشره بين بنى جنسهم من أبناء القارة .

وقد سهل انتشار الاسلام فى اليوربا ـ وفى غيرهم ـ أنه دين الفطرة ، سهل التناول لا لبس فيه ، ولا تعقيد ، ولا غموض ، ولا تناقض ، ميسر الشعائر والتكاليف وتبدو آثاره فى معتنقيه طهراً وسلوكاً كريماً ، متميزاً .

وقد خطا الاسلام فى (اليوربا) الآن خطوات كبيرة وواسعة رغم ما يقام فى طريقه من صعوبات جمة ، وتحمل أجيال (اليوربا) أمانة الدعوة اليه ونشره فيما بينهم وفيما حولهم ، ويأتى الكثير منهم الى الجامعات والمعاهد فى العالم العربى دارسين ومتعلمين ، كما أنه ينتشر فيهم الآن المعاهد التى تعنى بالدراسات الاسلامية واللغة العربية فى (إبادان) و (إيلورين) وغيرهما .

والناظر الى المسجد الكبير فى (إبادان) يبدو له معلمة اسلامية ومنارة تشع بالهدى وسط الغابة فى غرب افريقية ، وهو مكون من خمسة طوابق خصص الأول منها للنساء ، وتراه يوم الجمعة ، وقد توافد عليه المصلون زرافات ووحداناً ، واحتشدوا فيه وخارجه حتى لتموج الميادين والشوارع من حوله بهذه الجموع البشرية المسلمة فى ملابسها البيضاء ونور الاسلام يغمرها ، ويضيء جوانب الغابة من حولها ، وسيظل ما بقى الليل والنهار .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

عبـــد الله الشـــيتي

رينيه كاسبار
فنانـة فرنسـية
تـرسـم مظاهر الحياة في منطقة الخليـج



فى السوق .. لوحة من لوحات الفنانه الفرنسية التى تزور منطقة الخليج العربي .

الفنانة الفرنسية « رينيه كاسبار »



لقيتها فى الكويت مؤخراً .

وبالتحديد خلال اقامتها معرضها الفنى الباهر فى (البيت الفرنسى) ، ثم فى صالات نادى الصيد والفروسية الشهير فى الكويت حيث عرضت آخر ما أبدعته ريشتها الذكية اللماحة من لوحات ومرايا ، تداخلت فيها معانى الاصالة بملامح التراث ، فبدت وهى تتعايش مع لوحاتها كما لو أنها عاشت فى صحراء الخليج وعلى شطانه سنين طويلة مضت ...

إنها الفنانة الفرنسية المعروفة «رينيه كاسبار) وهى تصف معطياتها الفذة ، من خلال لصوقها بريشتها ـ رفيقة حياتها ـ فتقول «للـــدوحـــة» :

ـ اننى متصلة بريشتى اتصال الروح بالجسد ...

وأطلعتنى على جملة من اللوحات النادرة التى تعتز بها من بينها صورة





لوحة لجلالة الملك خالد بن عبد العزيز واخرى لسمو الأمير الراحل الشيخ احمد الجابر الصباح .



« ثلاثي الحي القديم » .. من واقع الحياة القديمة فى المنطقة .

للرئيس الراحل أنور السادات قبل مقتله يطالع لوحته بريشتها ! ولوحة أخرى نادرة لسمو أمير الكويت الراحل الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح وهو يدشن إسالة النفط من أرض الكويت فى عهده آنذاك . ولوحة للملك خالد بن عبد العزيز . وبعض اللوحات البيئية المعبرة عن ظواهر الحياة الخليجية وبعض تقاليدها وعاداتها الموروثة. ولاتملك إزاء سلاسة ريشتها وعذوبة ألوانها ورقة تعبيرها فى خطوطها الأليفة الحانية ، الا أن تزداد إعجاباً بريشة (رينيه كاسبار) وهى تقول لى :

— انها شديدة الاعتزاز لزيارتها منطقة الخليج العربى ، وسعادتها بالغة لأنها عرضت جانباً من أعمالها التى تعتز بها وتطرى باعجاب ظاهر مستوى الذوق الفنى الذى يطبع الكثيرين من أهل الخليج ومثقفيهم وشبانهم بطابعه المتميز بالوعى والاصالة والاحاطة بالتطور الحضارى والانسانى .

وتقول الفنانة الفرنسية (رينية كاسبار) :

— لقد ولدت في عام ١٩٤٨ فى جنوب غرب فرنسا ، واذا كنت اصبت مجداً فنياً فقد تحقق لى ذلك فى الثلاثين من عمرى . (ورينيه تنتمى الى مجموعة الفنانين المبدعين الذين لم يتعرفوا على (ستديو) معين ! ولا تأثروا بأية مدرسة فنية ، ولكنهم تمكنوا بقدرتهم على اختيار التكوين من إجبار الناقد على تسليط الضوء على عبقرية هؤلاء الذين يكافحون للوصول إلى قمة التعبير المصور فوراً ، بمساعدة حواسهم ، وبمعلوماتهم عن نوعية «العالم المعقول»)

وتحمل رينية كاسبار جائزة خاصة فى مسابقة أوروبا الكبرى عام ١٩٧٥ ، ودبلوم شرف فى صالون الخريف .. عام ١٩٧٥ لأكاديمية مارش :(مدينة بوردو — فرنسا) . وجائزة أولى وميدالية ذهبية فى الصالون الدولى للفنون عام ١٩٧٦ . ودبلوم شرف الفنانين المتحدين .. ١٩٧٧ . وهى عضو صالون الفنانين المستقلين فى باريس وسبق لها أن اقامت معارض عدة ، فى بعض العواصم الأجنبية .

ومما قاله فيها بعض النقاد والكتاب العالميين :

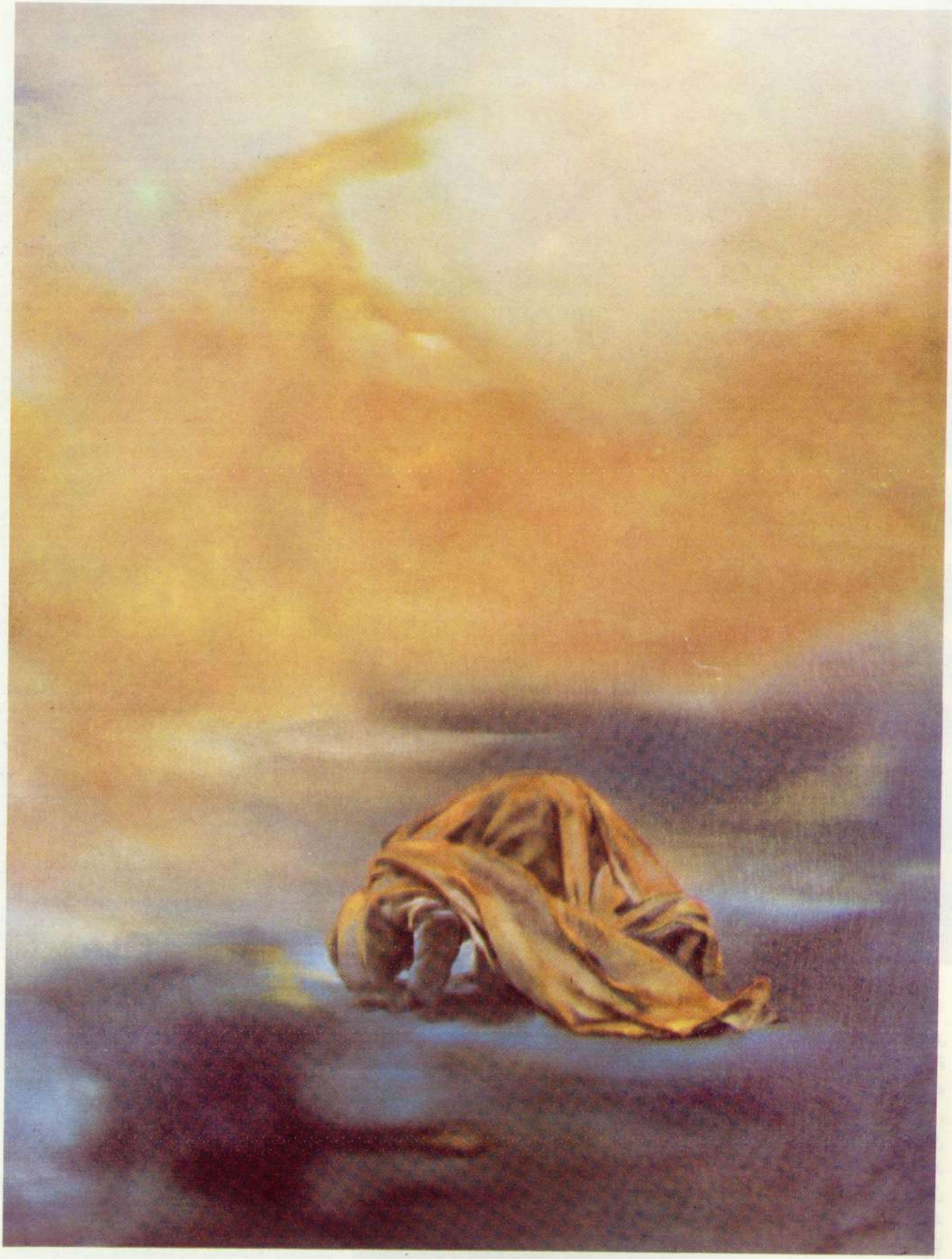
— رينيه كاسبار هى فى كل أعمالها ، ولاسيما التى تنتمى الى الفترة الشرقية من حياتها ، تحرص أن تبدو الرؤية عندها مفصلة لكل ما فيها من صدق في التعبير ، فضلا عن تميزها بالترجمة الحقيقية والاختلافات الناعمة فى التصميم !

خلال التصرفات الرفيعة والسيكولوجية والوجودية «للموديل» يصل العمل عادة الى التصوير المبدع الكامل مع قالب شبيه بالحلم .

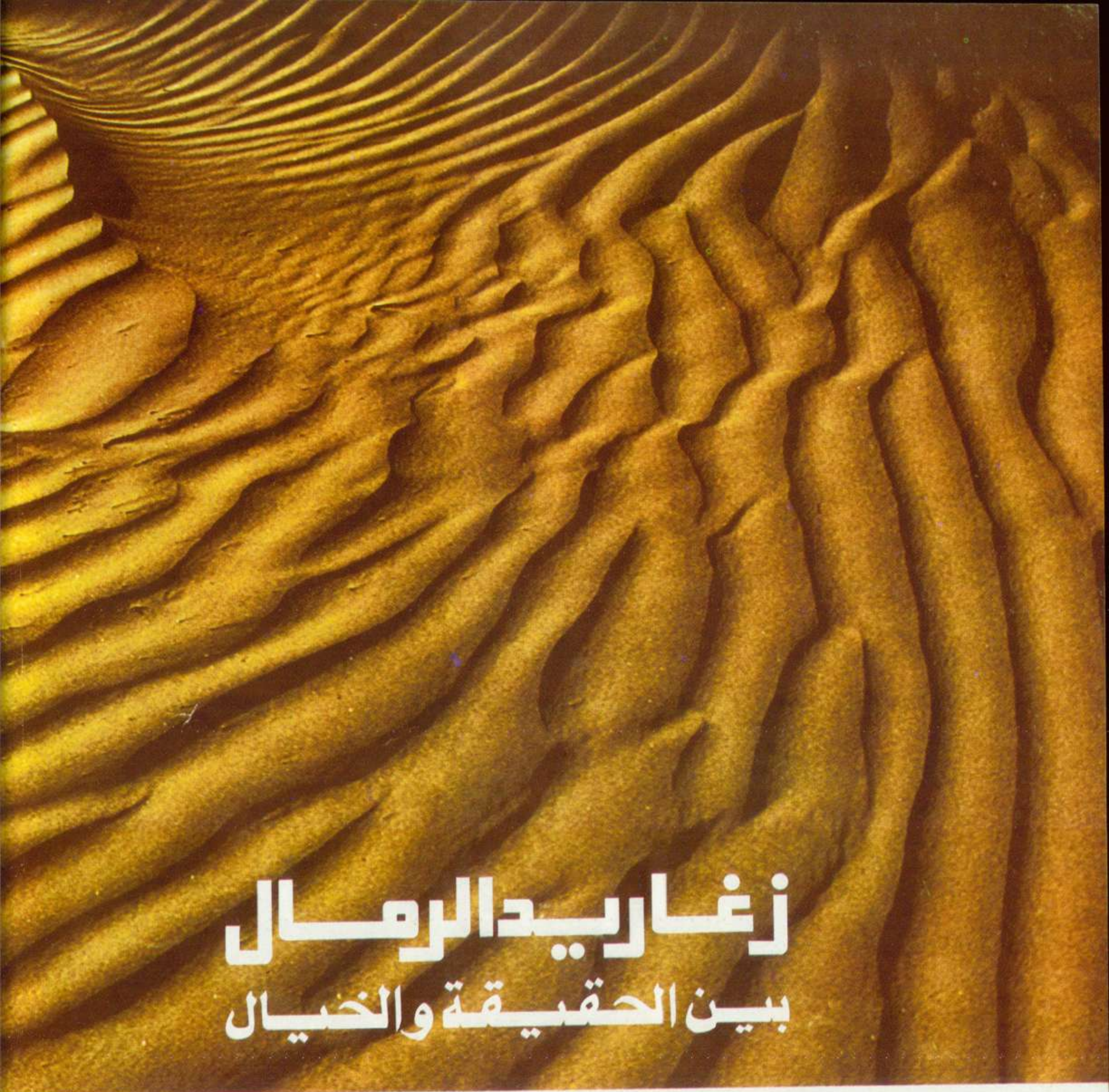
— هذا هو فن رينيه كاسبار ، والتى برسومها المليئة بالاحساس لاتحدد نفسها فقط لهذا النوع فهى ايضاً رسامة للمناظر الطبيعية ، تترجم بروح من الشعر حيث نرى حدة بصيرتها ، والدقة فى تكوينها وشخصيتها الفريدة

— رينيه كاسبار ، هى واحدة من هؤلاء ! مولودة لتكون فنانة . فنها الشخصى يعجب به الشخص لصدقه العميق ، وهذا الاعجاب الشديد الذى ينبع ، يأتى الى العقل بمناظر بلاتو فى كل اعماله العملاقة لتربط المعرفة بروعة الجمال ... !

وبعد فان لوحات رينيه الفنية ، تدل عليها ريشة وإنسانة !



صلاة فى الفجر .. لوحة معبرة للفنانة الحاصلة على عدة جوائز عالمية .

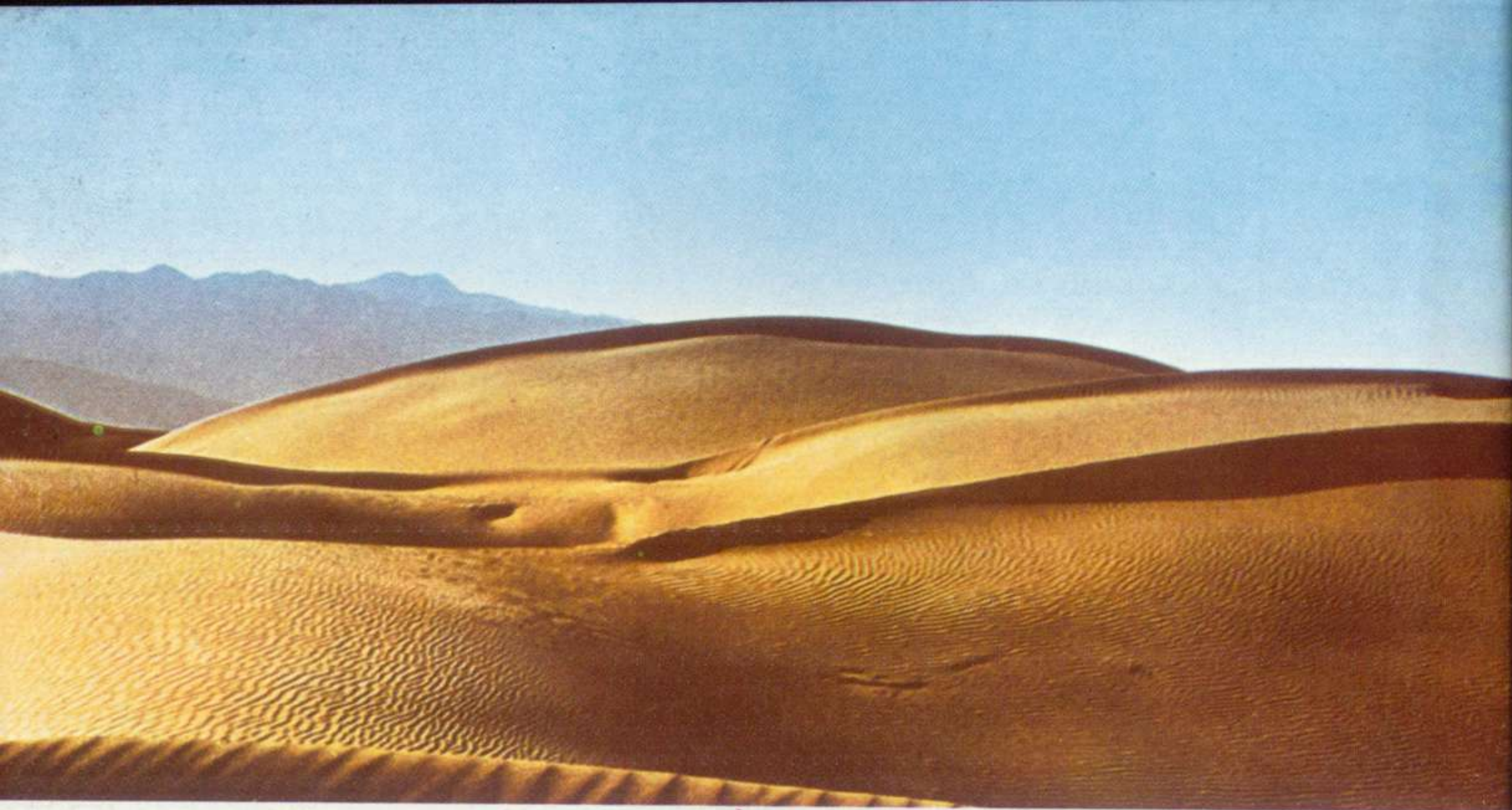


زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال

بقلم : د. عبد المحسن صالح

عندما تتجلى بعض الظواهر الطبيعية لعامة الناس ، ثم لا يستطيعون لها تعليلا ، ولا لمسبباتها تفسيراً ، فان أيسر ما يشرحون به هذه الظاهرة أو تلك ، هو تصور قصص خيالية ، أو حكايات خرافية ، تنطوي عادة على خوارق ومعجزات ، أحياناً تسيطر عليها قوى غيبية ، فتريح العقل من عناء الفكر ، وشقاء البحث ، فيهجر الحقيقة ، ويستكين لتصورات مريحة ، وأوهام سقيمة قد تضر ولا تنفع .

ولعل أغرب هذه الأساطير ـ والتى لها صلة بموضوعنا هذا ـ تلك الأسطورة التى تتلخص فى صدور أصوات تشبه دقات الطبول ، وصليل السيوف ، وزغاريد النساء ، من بين تلال الرمال التى تنتشر غرب قرية «البربا» بصعيد مصر ، ولازالت هذه الظاهرة تتكرر بين الحين والحين ، ولقد فسرها الناس هناك بأنها معجزة تعلن عن نفسها ، وتذكرنا بأن الذين استشهدوا فى سبيل الله ، لم



الى اليمين رمال ذات أمواج متناسقة ومتداخلة ، ولقد شكلتها الرياح الى قطاعات متتابعة ، لتصنع منها كثباناً رملية قد تمتد كبحار فوق الصحارى الشاسعة ، لكنها بحار ذات أمواج متجمدة .. والى اعلى كثبان رملية تكون مجموعة من التلال

صورة من الجو للكثبان الرملية العالية فى جوف الصحراء الليبية .





قافلة من الجمال تسير على كثيب رملي يعرف باسم «ظهر الحوت» فى بحر الرمال الأعظم بجمهورية مصر

يموتوا حقاً ، بل هم أحياء يرزقون ، وبطبولهم وسيوفهم يظهرون ، وبين الرمال يحاربون ، ليذكروا الناس بالمجاهدين الأوائل .

هذا يعني ــ وكما يفسر عامة الناس هذه الظاهرة ــ أن هناك موقعة قد حدثت فى هذه التلال إبان الفتح الاسلامي لمصر ، وفيها استشهد عدد كبير من المجاهدين الأوائل ، ودفنوا بين هذه الرمال بطبولهم وسيوفهم ، ولكنهم مع ذلك يعودون كل فترة زمنية ، ليذكروا الناس بشرف الموقعة ، وجلال الاستشهاد ، ولذة الانتصار ، وما هذه الأصوات الصادرة إلا أصوات سيوفهم ، ودقات طبولهم ، تختلط بزغاريد الانتصار .

وطبيعي أن أحداً لم يشهد معركة قائمة ، ولا سيوفاً ضاربة ، ولا نساء مزغردة ، ومع ذلك فالأصوات من بين الرمال قادمة ، وهذا دليل على صدق المعجزة ، ولا شيء غير المعجزة ! .

القصة ــ بلا شك ــ جميلة ، وهي للنفس مريحة ، ولكن العقل الناضج قد لا يرتاح لها كثيراً ، فما أكثر المواقع الحربية التى استشهد فيها عظماء الاسلام ، ومع ذلك ، لم يعلنوا عن استشهادهم ــ كما فعل الذين استشهدوا فى تلال الصحراء الغربية المتاخمة لصعيد مصر ، فلماذا يعود هؤلاء دون غيرهم من الشهداء ؟ سوال منطقى يبحث عن جواب !

الظاهرة صحيحة .. والتفسير خاطىء !

وطبيعي أن عامة الناس معذورون فيما يعللون ، إذ ليست لديهم ملكة التقصي والبحث عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الظواهر الطبيعية ، فهذه تحتاج الى مؤهلات عقلية خاصة ، ومناهج علمية مقننة ، وفى أغلب الأحيان يعيدون كل ما عجز العقل عن تعليله الى ما يسمونه بالمعجزة .

إن ما يتحدث عنه الناس من أصوات صادرة من الرمال صحيح من حيث المبدأ ، لكنه خاطىء فى المنهج ، ومضلل فى التعليل ، ولقد ذكرت المراجع العلمية مثل هذه الحالات ، وعرفت أسبابها ، واعادتها الى عوامل طبيعية تتمشى مع

زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال



تكوينات رملية ترتفع وتنخفض وتنثني وتتماوج وتتخللها ظلال تكسب الكثبان لمسة جمال ، وقد تثير فى الانسان الرهبة والخيال .

أسس النواميس الكونية ، وعندئذ لابد أن تنتفي معجزاتها ، أو يتوارى منها عنصرا الخيال والأسطورة اللذان يرتاح العامة لهما كثيراً .

ففى الثلاثينيات من هذا القرن جاء الى مصر العالم الفيزيائي البريطاني رالف باجنولد ، وتجول فى صحاريها ، ودرس رمالها ، ووصف كثبانها ، وسمع بنفسه ما سمعه الناس من أصوات أشبه بصدى الطبول ، وفى هذا كتب يقول : « لقد سمعت أصواتاً غريبة منبعثة من الرمال الواقعة فى جنوب غرب مصر ، حيث لا يوجد انسان ولا حيوان .. سمعتها مرتين فى ليلة ساكنة على هيئة دوي يتردد فجأة بين التلال بقوة ، لدرجة اننى كنت اتكلم بصوت عال مع مرافقى ليستطيع سماعي ، وتبع ذلك — فى التو واللحظة — جلجلة أصوات أخرى تداخلت مع الدوي الذى يشبه صدى الطبول ، وبحيث كان من الممكن تمييز دقاتها بوضوح ، وكأنها صادرة من مكان قريب ، ولقد استمر هذا « الكورس » أو الترنيم الغريب فترة تجاوزت الخمس دقائق ، وبعدها ران على المكان هدوء مثير ، وتوقفت الأرض عند ذلك عن اهتزازها » !

ونفس هذه الظاهرة أيضاً يتحدث عنها بدو واحة سيوه بمصر ، فلقد أخبرني أحد ضباط الجيش أنه سمع جلجلة ودمدمة وأصواتاً غريبة تصدر من الكثبان الرملية المنتشرة حول الواحة أثناء خدمته هناك ، وعندما استفسر من الأهالي عن سر هذه الضوضاء العالية ، أرجعوها الى أرواح الجنود الذين قتلوا فى معركة من معارك الحرب العالمية الثانية ، ولكنها تعود أحياناً ، وكأنما هي تحارب وتصول وتجول ، ثم يخيم على المنطقة السكون !

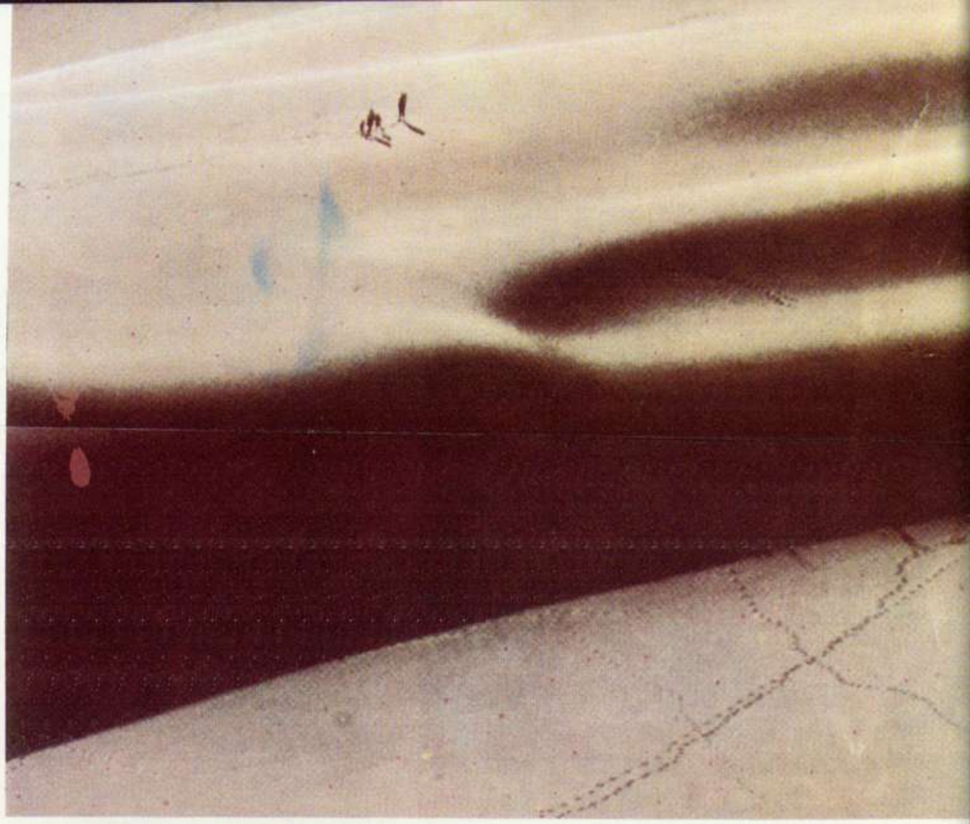
ولقد تحير باجنولد فى تعليل هذه الظاهرة أعظم حيرة ، رغم أنه درس هذا الموضوع دراسة وافية ، عله يعرف سر الميكانيكية التي تتحول فيها بركة الرمال أو انهيارها إلى أصوات تشبه دقات الطبول وصليل الأجراس ، أو الأنغام التى تصدر عن بعض الآلات الموسيقية ، أو غير ذلك من أصوات تشبه الصيحات أو الأزيز أو الهدير أو الزغاريد أو الدمدمة أو الجلجلة .. الخ ، ولما فشل فى الوصول الى تعليل معقول ، ترك الموضوع بكلمة يذكر فيها « إنه لم يتوصل حتى الآن الى شرح علمي مقبول لمثل هذه الظاهرة المحيرة » !

لكن باجنولد لم يغلق الباب ، بل تركه لغيره ، عله يتخذه مدخلا لتعليل ما لم يستطع باجنولد له تعليلا ، سنعود الى ذلك بعد أن نقدم المزيد عن هذه الظاهرة.

بين رمال سيناء وجبل الناقوس

وليست هذه الظاهرة مقصورة فقط على صحارى مصر ورمالها ، بل تتخذ انماطاً شتى فى صحارى العالم التى تتميز بوفرة فى الكثبان الرملية المتحركة والواقع أن الصحراء الكبرى التى تمتد من المحيط الأطلسي غربا الى الخليج العربي شرقاً (لأن شبه جزيرة العرب كانت في الماضى السحيق جزءاً من هذه الصحراء ، ثم حدث شق عميق فى الأرض تمخض عن البحر الأحمر كما نعرفه اليوم) ، هذه الصحراء مسرح كبير لكل ما هو مثير وغريب من ظواهر طبيعية أعادها الانسان غالباً الى قوى غيبية أو أشباح وغيلان وجن وأرواح شريرة وغير ذلك من تفسيرات لازالت تنتشر بيننا حتى الآن كإرثٍ ثقيل على العقل والنفس .

ففى المملكة العربية السعودية توجد منطقة يطلقون عليها اسم جبل الناقوس ، ولهذه التسمية ما يبررها ، لأن البدو



كثبان رملية من النوع المعروف باسم « السيف » .. وعلى سطحها (اسفل الصورة) ترى آثار اقدام ، وفوقها يبدو الانسان كريشة تذروها الرياح .



واحد من سكان الجزيرة العربية يستخدم هاتفاً يعمل بالطاقة الشمسية ، وبهذا يتحول تيه الصحراء الى نوع من الأمان .

الرحل سمعوا من هذه المنطقة فى الأزمنة الغابرة (ولا زالوا) أصواتاً تشبه دقات مجموعة الأجراس التى تنتهي بجلجلة عالية . ولقد تحيروا هم أيضاً فى تعليل هذه الظاهرة أعظم حيرة ، ولكنهم مع ذلك عللوها تعليلا يلائم مقتضى الحال ، وقالوا ان هذه الأجراس لكنيسة دفنها الله تحت الرمال ، بعد أن أشرق على جزيرة العرب نور الاسلام . ولازالت نواقيسها تدق الى اليوم على فترات زمنية متباعدة ، حتى يؤمن الناس بتلك المعجزة ، ولكن العلم لا يعترف كثيراً بالمعجزات ، لأنها ـ أى المعجزات ـ شيء مخالف ومخل ومحطم للقوانين الكونية ، والشرائح الطبيعية ، إذ عندما تفسر المعجزة تفسيراً علمياً منظماً ، ينتفي منها عنصر المعجزة ، وتصبح ظاهرة طبيعية لها مقومات وأصول .

إن جلجلة جبل الناقوس بالسعودية هو نتيجة طبيعية لانهيار تكوينات خاصة من الكثبان الرملية ، فتصدر منها أصوات تشبه جلجلة الأجراس .

وقد تتخذ هذه الأصوات نغمة أخرى مختلفة ، فالذين ساروا فوق رمال شبه جزيرة سيناء ، أو قضوا بعض الليالى الهادئة بين كثبانها ، قالوا انهم سمعوا أصواتاً كأنما هى الزغاريد أو الترانيم أو الألحان الغامضة ، ولهذا أطلقوا عليها اسم الرمال الشادية أو المزغردة أو المغنية أو أي تعبير آخر يؤدى الى نفس المعنى ، لأن الأصوات الصادرة عن حركة الرمال ، لاشك تختلف باختلاف العوامل التى تؤثر عليها ، والتكوينات التى تتشكل بواسطة الرياح وشدتها واتجاهها .. الخ ، وللناس فى هذه الأصوات حكايات وشطحات وأساطير ، وكل يعللها بعقيدته التى يرتاح اليها ، ولا أحد يلومه على ذلك ، ولكن الحقيقة أن هذه الأصوات ليست صادرة من قوى غيبية ، بل ان لها أسبابها التي درسها العلماء دراسة وافية ، إما فى معاملهم ، أو على الطبيعة ، وقدموا لنا حصيلة علمية توضح لنا الغث من السمين ، أو الخرافة من الحقيقة .

الرياح ترسم بالرمال

وسر اختلاف الأصوات الصادرة من الرمال ، يرجع أساساً الى طبيعة هذه الرمال ، وإلى الأشكال أو التكوينات التى تتخذ أنماطاً شتى على أماكن متفرقة من صحارى العالم ، وتعتبر الصحراء الكبرى أكبر الصحارى على الاطلاق ، وفى هذه الصحراء تقع معظم الدول العربية الكائنة فى شمال القارة الأفريقية .. هذا وتبلغ مساحة هذه الصحراء حوالي ٢,٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ فدان (أو حوالي ٣,٥ مليون ميل مربع) وعلى هذه المساحة الهائلة يستطيع الانسان أن يرى كل ما هو مثير وغريب ، فمن هضاب قائمة ، الى جبال ذات ألوان متباينة ، الى تلال مترامية ، الى وديان غائرة ، الى واحات متناثرة ، الى خضرة وحياة نادرة ، الى ظروف جوية قاسية ، الى بحور من الرمال ذات تموجات قد لا تختلف كثيراً عن التموجات التى نراها على المسطحات المائية فى بحار العالم ومحيطاته ، إذ أن كليهما ـ أي تموجات بحار الرمال والمياه ـ ينشأ نتيجة للرياح السارية ، لكن تموجات الرمال أكثر تنوعاً ، وأزهى منظراً ، وأروع تشكيلا من تموجات البحار أو المحيطات ، ولهذا كان للشعراء فى وصفها صولات وجولات ، وكأنما هي على قسوتها وجمودها ، وكلاحتها ، قد أصبحت مصدراً من مصادر الجمال ، ومنبعاً للوحي والالهام !

لكن أهم ما يميز بحور الرمال هو تنوع كثبانها ، وتعدد ألوانها ، واختلاف تموجاتها ، وتباين أحجامها ، ومن أجل هذا قسمها العلماء الى تكوينات شتى ، فمن الكثبان الرملية ماهو هلالي ، أو نجمي ، أو هرمي ، أو ما يشبه الرمح أو

السيف ، فمن تموجات معقدة تختلف باختلاف نوع الرمال ووفرتها ، وشدة الرياح التى توجهها وتحركها فى أشكال منمقة ومنظمة ، كأنما هناك قوى خفية ترسم وتشكل وتجسد الرمال فى طرازات تثير الفكر ، وتدعو الى الخشوع والتأمل لكل من يعشق الطبيعة فى أية صورة من صورها (انظر الأشكال الدالة على ذلك ، فهي تغنى عن أي وصف يمكن أن نقدمه فى هذا المجال) .

ومع ذلك ، فليس هناك ما هو أجمل ولا أبسط من الوصف الذى قدمه لنا عالم الفيزياء البريطاني رالف باجنولد عن بحور الرمال التى تمتد بغير حدود فى الصحراء الكبرى إذ كتب عن الكثبان الرملية ، ووصف ما رآه بقوله : « فبدلا من توقعي رؤية مناظر مشوشة أو فوضوية وغير منسقة ، بدلا من ذلك ، فقد أصبت بدهشة وذهول عندما رأيت بساطة فى التكوين ، ودقة وانضباطا فى التكرار ، وهندسة فى التنظيم غير معروفة فى الطبيعة على مستوى أكبر من مستوى التكوين البلوري الدقيق ، ففى بعض المناطق توجد تجمعات هائلة من الرمال تزن ملايين الأطنان ، تتحرك على سطح الصحراء بعناد وبتكوينات منتظمة ، وقد تراها تكبر وتنمو مع الاحتفاظ بشكلها ، كأنما هي تتوالد بطريقة تقلدبها النمو والتكاثر الذى نراه فى صور الحياة ، ولاشك أن ذلك ليثير فى العقل ارتباكا وتشويشا ، حتى ولو تمتع هذا العقل بقسط وافر من الخيال »!

والواقع أن هذا الوصف ليس خيالا محضا ، بل هو يحمل بذور الحقيقة ، لأن باجنولد قضى سنين طويلة وهو يدرس تكوين الكثبان الرملية ، سواء على سطح الصحراء ، أو فى داخل معمله ، حيث كان يحضر عينات من الرمال المختلفة ، ويسلط عليها تيارات مختلفة من الهواء ، ويسجل حركة وأصوات حبيبات الرمل ، وكيف تتجمع فى تكوينات ، ثم كيف تتحرك هذه التكوينات من مكان الى آخر ، ولقد وجد أن العملية كلها محكومة بعوامل عدة ، فاذا اشتغلت ، شكلت ونظمت وحركت ! .

الكثبات الرملية الهلالية ، وهي من النوع المتحرك ، وتوجد فى الصحراء الكبرى



حركة الكثبان

ولقد أتيحت لكاتب هذا المقال فرصة اختراق جزء من الصحراء الغربية الى الوادي الجديد بمصر (واحات الداخلة والخارجة) لاجراء بعض البحوث على المياه الجوفية ، وعلى الطريق المرصوف اعترضنا كثيب رملي يتخذ شكلا هلاليا منتظما فى واجهته الأمامية (أي من ناحية الطريق) أما ظهره فكان مقوسا أو محدبا ، ولقد تساءل الذين لم يروا هذه الظاهرة قبل ذلك عن سر وجود هذا التل من الرمال على الطريق ، وقال من يعرف لمن لا يعرف : إن هذه الكثبان من النوع المسافر أو المتحرك ، وقد يستغرق الكثيب منها بضعة شهور أو سنين _ يتوقف ذلك على حجمه وامتداده _ لكي يعبر الطريق المرصوف ، ثم يأتي غيره وغيره ، وهكذا تستمر حركتها ، مادامت هناك رياح سارية ، ورمال متجمعة ، وصحارى قائمة

وعلى مدى البصر ، رأينا هذه الكثبان الهلالية وهي تنتشر على ساحات واسعة ، وتتخذ فى أسفارها اتجاهات محددة ، فعندما تكون واجهتها الهلالية صوب الجنوب ، وظهورها أو واجهتها الخلفية صوب الشمال ، فان ذلك يعني أن اتجاه الرياح التى رسمتها ونمقتها ، تسري من الشمال الى الجنوب ، ومع سريانها ، تتحرك حبيبات الرمل معها ، صاعدة من أسفل الظهر الى قمة الحافة الهلالية ، فتنزلق منها الى أسفل ، وتحتل قاع الواجهة الهلالية ، ومن خلال هذه العملية ، تتقدم الكثبان مع اتجاه الريح .. صحيح أن عملية سفي الرمال عملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمرا طويلا ، تعطك الدليل القاطع على أن الكثيب يتحرك خلف الكثيب مئات وآلاف الكيلومترات ، مالم يوقف زحفه عائق طبيعي أو صناعي ، فيثبته فى مكانه ، ويخلص الكائنات الحية _ بما فى ذلك الانسان _ من شروره وآثامه !

ولقد حدد الدارسون سرعة هذه الكثبان ، فوجدوها تختلف باختلاف شدة الرياح ، وطبيعة الأرض ، ونوع حبيبات الرمل ، وحجم الكثيب نفسه .. الخ ، ففى عام واحد قد يتحرك الكثيب عدة أمتار تعد على اصابع اليد الواحدة أو قد ترتفع الحركة مع ارتفاع سرعة الرياح ، فيسافر الكثيب بمعدل قد يزيد عن الثلاثين مترا فى العام ، وهي فى مسيرتها تدفن تحتها كل ما يعترض طريقها من طرق ومنشآت ونخيل وأشجار وواحات وينابيع مائية .. الخ ، ولهذا يحاول العلماء محاولات مضنية لاستنباط وسائل فعالة واقتصادية لتجميد هذه الكثبان فى أماكنها ، حتى لا تبيد الزرع والضرع ، لكن ذلك موضوع آخر طويل ، وقد نتعرض له فى دراسة أخرى قادمة .

وتختلف كثافة الكثبان الرملية وانتشارها ووفرتها من صحراء لأخرى . فثلث مساحة المملكة العربية السعودية مثلا مغطى بتلال من الرمال من كل شكل

وحجم ونوع ، ولهذا تعتبر من أغنى صحارى العالم بهذه الكثبان ، ويليها فى هذا المضمار الصحراء الكبرى ، إذ تحتل الرمال حوالي ١٠٪ فقط من مساحتها الكلية ، وأحياناً ماترتفع هذه الكثبان الى أكثر من مائتي متر ، خاصة فى الربع الخالي من المملكة العربية السعودية ، وقد يمتد الكثيب الى أطوال تصل ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ كيلومتر ، وبعرض يصل الى حوالي كيلومتر ، ويطلق العرب على هذه الكثبان اسم « السيف » ، لأنها تدق وتدق عند اطرافها كما يدق نصل السيف عند طرفه .

وثمة كثبان رملية أخرى توجد فى بحر الرمال الأعظم بمصر ، ويطلق عليها اسم « ظهر الحوت » ، وهي أضخم أنواع الكثبان طولا وعرضاً ، كما أنها ليست من الكثبان المتحركة (على الأقل ظاهراً) ، ولهذا اتخذها مرشدو الصحارى بمثابة علامات شبه ثابتة ، خاصة فى هذا التيه الواسع من الرمال التى تمتد فى كل الاتجاهات ، وكأنما هى تبدو للعين البشرية بدون بداية أو نهاية ، ولهذا يعبر عنها الرحالة ج . رولاند بقوله « إن المسافر عبر هذه الكثبان ، يحسب نفسه أنه فى قلب متاهات رهيبة لا سبيل الى الخلاص منها على الاطلاق ، فاذا صعد الى قمة كثيب عال ، والقى من فوقه نظرة فاحصة على ماحوله ، فسوف يذهل عندما يرى الكثبان تحيط به من كل اتجاه وكأنما هي أمواج بحر عاصف تجمدت فى مكانها ، وامتدت فى كل الآفاق » !

عود على بدء

والحديث عن نشأة الصحارى عامة ، والكثبان الرملية خاصة ، حديث لا ينضب له معين ، كما أن البيئة الصحراوية من أقسى البيئات التى تتعرض لها الكائنات الحية (بما في ذلك الانسان) ، وغالباً ما تتكيف مخلوقاتها بظروفها الصعبة ، وتتشكل على اساسها ، ولهذا فان لساكني الصحارى طباعاً وعادات تختلف عن ساكني الوديان والسهول والمدن والواحات . وكل هذه مواضيع شيقة ، وقد نتعرض لها فيما بعد لنوفيها حقها . وعلينا الآن أن نعود لسؤالنا الأول : ما هو التعليل العلمي لسر الأصوات والنغمات



تشكيلات من كثبــان الرمل ، تحير العقل ، وتثير الخيال .

والضوضاء التى تنشأ من الرمال ؟

إن ذلك يرجع الى انهيارات مفاجئة فى الكثبان الرملية بفعل رياح أو انسان أو حيوان .. الخ ، وفيها تحتك بلايين من حبيبات الرمل ببعضها البعض ، فتعطى أصواتاً تختلف باختلاف طبيعة الحبيبات ، وكمية الرمال المنهارة ، وسرعة ومدى انحدارها .. الخ ، هذا ويعتقد دكتور ج . رامسدن أن هذه الأصوات ترجع كذلك الى كهربية استاتيكية تحملها حبيبات الرمل الشديدة الجفاف ، وعندما تصطدم ببعضها عند انهيارها ، تفرغ شحناتها «بفرقعات» قد تتضخم لتصبح كدوي رصاصات ، أو دقات طبول ، أو صليل أجراس ، أو جلجلة رعود ... الخ .

ومنذ سنوات قليلة قام فريق من العلماء الأمريكيين باجراء تجارب على بعض الكثبان الرملية بصحراء نيفادا ، ونشروا بحوثهم فى مجلة بحوث الفيزياء الأرضية وذكروا ــ ضمن ما ذكروا ــ أن العين البشرية لا تستطيع التمييز بين كثبان موسيقية (أي تصدر عند انهيارها أصواتاً ايقاعية) ، وأخرى صامتة ، لكن فحص حبيبات الرمل بالميكروسكوب الاليكتروني المجسم يوضح أن حبيبات الكثيب الرملي المجلجل لها سطوح أعظم صقلا من الكثيب الصامت ، كما أن الأصوات الصادرة منها تختلف باختلاف المؤثر الذى يؤثر عليها ، فاختراق الكثيب بجاروف غائر ، يحدث أصواتاً أشبه بالنغمات الصادرة من أرغن أو كمنجة كبيرة ، وقد يكون الصوت الصادر من الكثبان أعلى من صوت الأرغن بمرات عديدة ، لكن لمس الرمال بكف اليد وتحريكها يؤدى الى اصدار أصوات أقل حدة ، ولقد تم تسجيل مثل هذه الموجات الصوتية من خلال ميكروفونات حساسة أو مسجلات لقياس اهتزاز الرمال ، أو غير ذلك من أجهزة لازمة لمثل هذه البحوث التى توضح لنا الغث من السمين ، أو التعليل العلمي السليم ، من التعليل الأسطوري السقيم ، وفي ذلك الكفاية لقوم يتدبرون ويفقهون .

د. عبد المحسن صالح



وسط عالم حافل برائحة النقود تجرى أحداث فيلم « أمهات فى المنفى .. وفى الفيلـ
نرى عادل امام وإسعاد يونس عندما يضعان اقدامهما على طريق الثرا

أهل القمّة

الحب وحده لايكفي

أمّهات في المنفى

ثلاثة أفلام عربية جديدة تناقش موضوعًا هامًّا

بقلم : رءوف توفيق

شهدت السينما المصرية فى النصف الاخير من عام ١٩٨١ .. ظهور ثلاثة افلام على جانب كبير من الأهمية .

والأفلام (حسب ترتيب عرضها بالقاهرة) هى : أهل القمة ـ الحب وحده لا يكفى ـ أمهات فى المنفى .

واهمية هذه الافلام ترجع اساسا الى القضايا التى تبنتها .. فضلا عن المستوى الفنى الجيد التى قدمت به .

والخيط الرئيسى الذى يجمع بين هذه الأفلام ، انها تتناول الظروف التى تحيط بواقع الشباب المصرى والتحديات الصعبة ، والمعاناة التى يخوضها يوميا فى الصراع الدائر بين مفاهيم الشرف والأخلاق والعمل والأحلام والطموح المشروع .. وبين مفاهيم التجار والسماسرة والذين استفادوا من قوانين الانفتاح الاقتصادى .. ففرضوا كابوسا ثقيلا من اهتزاز القيم ، والثراء الفاحش السريع ، وأخلاق القنص والانتهازية !

وافلام النقد الاجتماعى لهذه الظاهرة بدأت تسري فى السينما المصرية فى السنوات الاخيرة .. احيانا بشكل سطحى .. واحيانا بنوع من المبالغة .. وتحولت احيانا الى المتاجرة . وهذا اسوأ اشكال الفن واكثرها خطورة ، لأن الذين صنعوا مثل هذه الافلام ، هم ايضا من نفس التركيبة الفاسدة التى استغلت كل الظروف من اجل التجارة والكسب السريع !!

● أول محاولة جادة

ولكن يمكن التوقف امام فيلم «انتبهوا



حوار ساخن فى فيلم أهل القمة بين عزت العلايلي وسعاد حسنى .. يحاول اقناع اخته بالابتعاد عن طريق النشال الذى يغريها بثروته

أحلام العمل والبحث عن وظيفة محترمة فى فيلم (الحب وحده لا يكفي) .. اللقطة هنا لنور الشريف وميرفت أمين .



أيها السادة» للمخرج محمد عبد العزيز .. كأول محاولة جادة ، قدم فيها كاتب السيناريو الشاب «أحمد عبد الوهاب» المفارقة الساخرة المؤلمة بين جامع قمامة ومدرس جامعى .. حيث يستطيع جامع القمامة أن يستغل ظروف سوق العمل الحر . فيتنقل مقتنصاً أية فرصة للثراء .. ويتحول من جامع قمامة صغير الى صاحب مزرعة لتربية المواشى .. الى مقاول كبير يتاجر فى بناء العمارات ، وله أسطول من سيارات النقل الخاصة ، ويعيش فى ثراء بلا حدود .. وينفق الألوف فى الملاهى الليلية وتحت أقدام الراقصات .. بينما المدرس الجامعى ينحت طريقه فى الصخر .. رافعاً مبادىء الشرف والأخلاق والقيم الفاضلة .. وتكون نهايته ، ونهاية الفيلم أيضاً .. هذا الهذيان المحموم ، بعد أن فقد حبيبته .. وفقد توازنه .. واختلطت الأمور بالنسبة له .. ولم يعد يحتمل هذه المعركة الشرسة .. فكان الانهيار !

وقد فاز هذا الفيلم فى جوائز الدولة للسينما المصرية ، هذا العام .. بجائزة أحسن اخراج ، وأحسن سيناريو ، وأحسن ممثل (حسين فهمى فى دور المدرس الجامعى) .

وحقق فيلم «انتبهوا أيها السادة» صدمة المفاجأة .. ان السينما المصرية تستطيع أن تقول أشياء جادة وخطيرة .. لو أرادت !

● ولايزال التحقيق مستمراً

وفى نفس ذلك العام – عام ٨٠ – والذى عرض فيه «انتبهوا أيها السادة» .. عرض أيضاً فيلم «ولايزال التحقيق مستمراً» للمخرج أشرف فهمى .. والذى استطاع مع كاتب السيناريو الشاب «مصطفى محرم» أن يستفيدا من قصة قصيرة منشورة للكاتب احسان عبد القدوس .. ويحولاها الى قضية تقوم على موقف الزوجة بين زوج يؤمن بالمثاليات والقيم .. وبين عشيق يبهرها بالثراء وكل ما تحلم به كامرأة جشعة !

وينتهى الفيلم باكتشاف الزوج للخدعة .. واكتشاف الزوجة للحلم الكاذب والذى تورطت فيه .. فتقتل الزوجة عشيقها .. ثم يقتلها الزوج تخلصاً من هذا الفساد الذى ألحقته بحياته !

وقد فاز هذا الفيلم أيضا بعدة جوائز هامة .. منها جائزة الاخراج .

● أهل القمة

وتتعاقب الأفلام .. حتى يعرض فيلم «أهل القمة» للمخرج علي بدرخان .. ليفجر من جديد نفس القضية فى عمل سينمائى متميز فنياً .

و «أهل القمة» هى فى الأصل قصة قصيرة للكاتب نجيب محفوظ .. وقد اشترك المخرج علي بدرخان مع كاتب السيناريو «مصطفى محرم» فى تحويلها الى فيلم يموج بالحركة والحيوية والفن .. وأيضاً بالتساؤلات والأفكار .

فأهل القمة هنا .. هم اللصوص الجدد الذين استفادوا من قوانين الانفتاح الاقتصادى .. وتحولوا الى فئة شديدة الثراء ، باهرة الشكل ، ترتدى أحدث الثياب ، وتستخدم أفخم السيارات .. وتتستر أحياناً وراء مظاهر التدين .. فهناك هذا المهرب الكبير الذى يرتاد المساجد ويتصدق على الفقراء ، وأصابعه لا تفارق حبات المسبحة .. بينما فى حقيقته أفعى ضخمة تنفث سمومها ، وتقاتل فى معركة البقاء فى هذه الغابة المتوحشة .. حيث المبدأ السائد .. اقطع اليد التى امتدت اليك حتى تنفرد بكل شىء !!

والفيلم .. وكما أراد نجيب محفوظ فى قصته .. يضع المواجهة بين ضابط شرطة شاب (عزت العلايلي) ونشال (نور الشريف) طالما تعقبه الضابط ، وقبض عليه ، وطالما استخدمه للارشاد عن المسروقات وبينهما علاقة مشوبة بالحذر .. أشبه ما تكون بعلاقة القط والفار .

ويفاجأ الضابط ذات يوم باختفاء النشال من الوكر الذى تعود أن يجلس فيه مع زملائه النشالين .. ويتساءل الضابط عما حدث ؟ .. لقد انخفضت جرائم النشل فى منطقته .. ولكن هذا لا



امينة رزق .. الأم التى تحولت إلى لاجئة مشردة بين بيتي إبنتيها ... في فيلم امهات في المنفى



قفص دجاج يحمله السيد راضي الى ماجدة الخطيب فى لقطة تكشف اللهفة على تحقيق كل الطموحات فى أسرع وقت ممكن فى فيلم أمهات فى المنفى .

يبعث على الطمأنينة ! . فما هو تفسير اختفاء النشالين ؟! .. ويأتيه الرد من صاحب المقهى العجوز ، الذى أصبح وحيداً بعد أن هجره زبائنه من النشالين: «انهم يعملون فى ضوء النهار .. وتحت حماية الشرطة» !!

ويكتشف الضابط الحقيقة .. لقد تحول النشالون الى التجارة .. تجارة المهربات .. وأصبحوا جزءاً من عصابة الرجل الكبير (يلعب الدور عمر الحريرى) الذى يتمسح بالدين .. والعصابة تقوم على تهريب البضائع من بورسعيد .. ثم عرضها للبيع فى أحد أسواق القاهرة المزدحمة ، حيث تتكدس فى حوانيتهم الصغيرة كل أنواع البضائع وأغربها .. من الثلاجات الى التليفزيونات الملونة الى الصابون وشامبوه الشعر !! .

ويصف نجيب محفوظ هذه المأساة فى تلك العبارة من قصته : «أصبح هؤلاء من الأغنياء .. أما هو وأعوانه فيغوصون فى غمار الفقراء» !

ويجسد الفيلم هذا الصراع من داخل بيت الضابط الشاب حيث يعيش مع زوجته وأطفاله ، وأيضاً مع شقيقته وابنتها (سعاد حسنى) .. وحيث يصبح عليه أن يحقق لهم المستوى المعقول من الحياة ، وأن يلبى كل طلباتهم .. فى ظروف صعبة .. وبدخل محدود .. ومشاكل لا تنتهى .. وتأتى الصدمة القاسية عندما يعرف أن ابنة شقيقته على علاقة عاطفية بالنشال التاجر حالياً .. وهو الذى وقف حائراً ومشفقاً عليها عندما تقدم لخطبتها شاب متعلم لا يملك إلا مرتبه الضئيل وأحلامه الصغيرة .. ونصحها وقتها بأن تتريث فى الموافقة .. لأن الحياة بهذا الدخل المحدود لا يمكن أن تستمر أو تنمو .. وارتضت الفتاة بقراره .. أما حبيبها الشاب فقد قرر السفر للخارج بحثاً عن العمل المربح .. وهكذا يحدث الشرخ فى حياة الفتاة .. وتصب عليها كل هموم البيت الصغير .. حتى تجد هذا النشال – وهى لا تعرف حقيقته – يمد لها يده بالحب والحنان .. وتتشبث بهذه اليد .. وتصر عليه حتى بعد أن عرفت حقيقته .. فلما لا ؟ مادام سيحقق لها الحياة المريحة وينقذها من هذه الهموم والمتاعب !! .



عقيلة راتب لا تتصور أن ابنتها الجامعية تتزوج عامل بناء .. واللقطة أثناء محاولة لارضاء (سعيد صالح) وإلى جوارها وحيد سيف يحاول تقديم النصيحة .

وهكذا يجد هذا الضابط نفسه داخل معركة مع جميع الأطراف .. المعركة فى بيته .. وفى عمله حيث يحاول المهرب الكبير الافلات من قبضة القانون ، بل ويسعى لاستصدار قرار بنقل الضابط الى صعيد مصر عقاباً له !

وينتهى الفيلم .. بهزيمة المبادىء والمثاليات .. وانتصار أهل القمة الجدد من اللصوص والمهربين والنشالين !!

● فى مواجهة الاعصار

ويمكننا أن نلاحظ تشابه نهاية فيلم «انتبهوا أيها السادة» مع نهاية فيلم «أهل القمة» حيث يصبح على الفرد المؤمن بالشرف والأخلاق أن يدخل فى امتحان صعب ، وفى ظروف اهتزت فيها الكثير من القيم والمبادىء .. وفى كلا الفيلمين نجد هذا الفرد الشريف يواجه بحصار داخل بيته وفى مستقبله .. فالمدرس الجامعى فى فيلم (انتبهوا أيها السادة) تتضاعف مأساته عندما تنهار خطيبته أمام إغراء جامع القمامة الذى يصبح ثرياً ، وترضى بأن ترتبط به بدلا منه .. والضابط الشاب فى فيلم (أهل القمة) يواجه نفس المأساة عندما يجد ابنة شقيقته ترتبط بالنشال الذى طالما طارده وقبض عليه ، والذى يمثل له فى النهاية النقيض الأخلاقى !!

وكلا الفيلمين يصلان الى نفس النتيجة .. حيث لا يمكن للفرد الواحد أن يواجه هذا الاعصار الهائل الذى يهز كل ما حوله !

ويعتمد كلا الفيلمين على براعة الممثلين الذين يقومون بأدوار المواجهة بينهم ..

فى فيلم «انتبهوا أيها السادة» يتألق كل من محمود ياسين وحسين فهمى .. وفى فيلم «أهل القمة» يتبارى نور الشريف وعزت العلايلى فى أداء متميز وعلى قدر كبير من فهم طبيعة الدور وأبعاده النفسية .

وإن كان فيلم أهل القمة يحقق مستوى فنياً عالياً .. فى التصوير (محسن نصر) والمونتاج (سعيد الشيخ) .. وفى براعة المخرج (علي بدرخان) بالالمام بكل تفاصيل الموضوع والاحتفاظ بسخونة القضية منذ بداية الفيلم وحتى نهايته !

● الحب وحده لا يكفى

ويظهر فيلم «الحب وحده لا يكفى» للمخرج الشاب علي عبد الخالق .. وعن قصة لأحمد فريد .. ومعالجة سينمائية لأحمد عبد الوهاب ، وسيناريو وحوار مصطفى محرم .. ليقولوا كلمتهم فى نفس القضية .

حيث يتعرض الفيلم لشاب وفتاة يتخرجان من الجامعة ، ويرتبطان ببعضهما فى قصة حب .. ويصبح

عليهما الانتظار لحين وصول خطابات القوى العاملة ، والتى تحدد لهما الوظيفة التى سيلتحق بها كل منهما .. ويطول الانتظار .. سنة .. وسنتين .. وثلاثا .. وتضطر الفتاة (ميرفت امين) أن تعمل فى محل كوافير لتقلم أظافر اقدام النساء .. وارتضى هو (نور الشريف) – بناء على نصيحة من جاره عامل البناء (سعيد صالح) – أن يلتحق بنفس العمل كعامل بناء !

وهكذا وضعا جانبا شهادتيهما الجامعية ، وكل سنوات العلم والتحصيل ، وكل أحلام العمل فى التخصص الذى درساه .. فى مقابل أن يجدا مبلغا من المال ، ليسدا احتياجاتهما اليومية .. وليدخرا منه ما يصلح لبداية تأثيث بيت الزوجية .. ولكن أم الفتاة (عقيلة راتب) لا تتصور أن ابنتها من الممكن أن تتزوج عامل بناء .. وتضغط عليها : إما أن تتخلى عنه .. أو أن يبحث هو عن «وظيفة محترمة» !

وتحاول الفتاة أن تنقذ حبها .. وتستجيب لاقتراح زميلتها السابقة فى الجامعة (ناهد شريف) بأن تسعى لها فى الإلتحاق كسكرتيرة احدى شركات تقسيم الأراضى وبناء العمارات .. وبالفعل يتم تعيينها فى هذه الشركة .. وبعد فترة تقنع الفتاة خطيبها بأن يلتحق بنفس الشركة .. وأيضاً بواسطة هذه الزميلة الجامعية السابقة ..

ولكنهما يكتشفان فى النهاية .. أنها شركة وهمية تقوم على النصب والاحتيال .. وانها كسكرتيرة عليها أن تبيع جسدها مع الشقق التى تعرضها للبيع .. ويكتشف هو أنه تورط فى عملية احتيال راح ضحيتها عشرات العمال الذين أقنعهم بحلم السفر للعمل فى البلاد العربية بأجور خيالية .. فذهبوا الى هناك ، ليفاجأوا بأن عقود العمل مزيفة !!

وتأتى النهاية بعد رحلة طويلة من المعاناة والضغوط .. والفتاة تتسلم خطاب القوى العاملة .. بينما الشاب يرفض العمل الحكومى .. ويختار أن يبقى كما هو بين السقالات كعامل بناء !

والفيلم فى مجموعه يقدم مأساة شباب بأحلامه المشروعة فى العمل والحب والاستقرار ... ولكن يواجه بكل التحديات اللاأخلاقية ، والتى يفرضها أصحاب الدخول الطفيلية .. فالعمل أحيانا محسوبية .. وأحيانا ورطة يدفع ثمنها الشباب صغير السن ، القليل الخبرة .. ويفلت منها الكبار الدهاة الذين لا يتورعون عن فعل أى شىء فى سبيل زيادة مكاسبهم !

وقد برع الفيلم فى تقديم العالم من وجهة نظر فتاة تتعامل مع أقدام السيدات الفارغات عقلا ، والمتكبرات ، واللاتى يتباهين بصلاتهن وأموالهن .. كما برع فى تقديم عالم النصب والاحتيال فى الشركات الوهمية حيث تدار الصفقات على موائد القمار ، وحيث يصبح كل شىء مباحا من أجل إتمام الصفقات !! .. وبنفس البراعة قدم الفيلم عالم الحارة المصرية وأخلاقيات ابن البلد الاصيل الشهم الذى لا يرضى بالحال المايل ، حيث لعب «سعيد صالح» واحدا من أفضل أدواره الفنية .

وإن كان يعيب الفيلم بعض الاستطرادات إلا أنه فى النهاية يحسب للمخرج علي عبد الخالق .. أنه استعاد مكانته الفنية حينما قدم عام ٧٢ فيلم (أغنية على الممر) كأول فيلم من انتاج جماعة السينما الجديدة والتى ظهرت لتغير وجه السينما المصرية .. فها هو فى فيلم «الحب وحده لا يكفى» يعلن من جديد أنه مازال موجودا على خريطة السينما التى تستطيع أن تقول أشياء جادة !



عمر الحريرى «المهرب الكبير» ونور الشريف الذى أصبح فجأة من كبار التجار فى فيلم أهل القمة .

● أمهات فى المنفى

وهذا ما حدث أيضا للمخرج محمد راضى بفيلمه الجديد (أمهات فى المنفى) قصة وسيناريو الكاتب يوسف جوهر .

هنا محمد راضى يستعيد نفسه .. ويدخل تجربة الانتاج بقلب جرىء ليقدم موضوعا يحشد فيه العديد من النماذج التى استغلت الانفتاح الاقتصادى فى مصر ، لتحقيق طموحاتها الشخصية .

والأم فى هذا الفيلم هى امينة رزق ، لها ابنتان متزوجتان (ماجدة الخطيب وزوجها السيد راضى – وإسعاد يونس وزوجها عادل امام) .. والأم لها شقة فى وسط البلد ، تعيش فيها بمفردها .. ومن هنا يتفق الزوجان بمساعدة زوجاتهما فى اقناع الام بقبول عرض بيع الشقة بمبلغ ضخم على أن يأخذا أنصبتهما .. وأن يتبادلا بعد ذلك استضافة الام فى منزليهما .. وأمام الالحاح والكلمات المعسولة والوعود البراقة بكرم الضيافة .. توافق الأم .. ويتم البيع ويأخذ كل

ثلاثة أفلام عربية جديدة تناقش موضوعاً هاماً



أشرف فهمي..مخرج فيلم وما زال التحقيق مستمرا .

منهما نصيبه .. لتبدأ الكارثة !

فالنقود تغرى بالاستثمار .. وكل المشاريع تبدو جذابة ومربحة ! .

ويقدم الفيلم بانوراما هائلة لكل الطموحات الملهوفة على الثراء .. وعالم اصحاب المشاريع واساليب الربح السريع .. من بيوت تدار للقمار .. الى التهريب .. الى اصحاب البوتيكات .. الى مشاريع استيراد السيارات .. الى المكاتب الوهمية والصفقات التى تتم على انفاس المخدرات .

عالم حافل برائحة النقود .. والعفن ايضاً !

بينما الام تحولت الى لاجئة مشردة بين بيتى ابنتيها .. ترى العجب وتتالم .. وتعتصر حزنا على ما جرى .. فكل شىء ينهار ويتهدم حولها .. والجميع غارق فى المستنقع لا يسمع إلا صوته فقط !

إنها مرثية بالغة المرارة .. لما تفعله النقود بالبشر ..

ولعل اكثر الخيوط ايلاماً وقوة فى هذا الفيلم .. هذا الخيط الذى يمثله (عادل امام) كموظف جمرك ميناء الاسكندرية ، حيث اشتهر بين زملائه والعملاء .. بانه الموظف الامين المتشدد فى حق الحكومة والذى لا يترك قشة تمر من باب الجمرك دون حساب .. وتتم المحاولات من جانب احد المهربين الكبار (جلال الشرقاوى) لرشوته .. احيانا فى شكل وظيفة استشارية .. واحياناً فى شكل مشروع استثمارى .. ولكن هذا الموظف بذكائه وحرصه يرفض كل هذه المحاولات .. والمهرب الكبير لا ييأس .. حتى يورطه فى علاقة نسائية ويهدده بالفضيحة .. وينهار موظف الجمرك .. ويدخل اللعبة .. ويلعب بقسوة وشراسة .. حتى يسقط ضحيته زميله الشاب فى الجمرك .. ويتهم بتهمة هو يدرى تماماً انه برىء منها .. ولكنه لا يستطيع ان يدافع عنه .. أو يقدم دليل براءته .. وينتحر زميله الشاب فى السجن لاحساسه بالظلـم .. وهنا يشعر بفداحة جريمته .. ويبدأ فى الانتقام من الذين ورطوه فى هذه اللعبة القذرة .. ولكن بعد فوات الأوان .. وفى قفص الاتهام داخل المحكمة يطلق صرخته الممزوجة بالسخرية .. وكأنه ينعى نفسه !

وبلغ عادل امام فى هذا الدور قمته الفنية .

والفيلم يزيد طوله الزمنى عن الساعتين والنصف .. وكأنما أراد المخرج أن يقول كل شىء عن الجنون المادى .. ولهذا وقع فى مصيدة التشعب والتفاصيل الكثيرة .. ولكن ما يبقى من هذا الفيلم جرأته البالغة .. وقيمته الفنية التى أثراها مدير التصوير الفنان عبد العزيز فهمى .

إن هذه الأفلام .. وهؤلاء المخرجين الشبان ، واتفاق الرؤية على تناول المشكلة الاقتصادية كسبب رئيسى فى اهتزاز القيم .. واختلال الموازين .. وحيرة الشباب .. ما هو إلا دليل على يقظة بعض صناع السينما المصرية .. وبداية استرداد هذه السينما لموقعها الاجتماعى المؤثر .. وأيضاً موقف يحسب للرقابة على السينما المصرية – حتى ولو حذفت مشهدا أو عبارة هنا أو هناك – ويكفى انها سمحت بهذا الموضوع الحساس لأن يطرح للعرض والمناقشة .

وقد كتبت فى ابريل الماضى بمجلة «الدوحة» مقالا بعنوان (مازق المخرجين الشبان فى السينما المصرية) ..

وتعرضت فيه لاسماء بعض المخرجين الشبان وخط الصعود والهبوط بينهم .. إلا اننى هنا اتوقف مستدركاً أمام أسماء ثلاثة من المخرجين الشبان .. علي بدرخان بعد أن قدم فيلم «أهل القمة» – وعلي عبد الخالق بعد فيلم «الحب وحده لا يكفي» – ومحمد راضى بعد فيلم «أمهات فى المنفى» .

إن هذه الافلام .. تعنى عودة هؤلاء المخرجين الى دورهم المامول فى قيام سينما واعية تدعونا للتفكير .. وتدق ناقوس التحذير عند الضرورة .

رءوف توفيق

محمد العزب موسى

علم جديد.. أم نظرية متخلفة؟

انقسم المفكرون والفلاسفة ورجال القانون وعلم النفس والاجتماع بين معسكرين كبيرين فيما يتعلق بتحديد القوة الغالبة والأساسية فى الحياة الانسانية هل هي الجينات أم البيئة.؟ أو بمعنى آخر هل هي عوامل الوراثة والميول الفطرية الكامنة فى الانسان أم هي الظروف الخارجية التى تحيط بالانسان من طفولته الى هرمه ؟.

وفى السنوات الأخيرة ، أو بالتحديد خلال السبعينات ، ظهر فى معسكر القائلين بغلبة العوامل الجينية أو الوراثية عالم احياء امريكى يدعى ادوارد ويلسون القى حجراً ضخماً فى بحيرة هذا الخلاف سيظل يثير دوائر متواسعة من النقاش لسنوات كثيرة قادمة .

هذا الحجر يدعى «السوسيوبيولوجيا» أو علم الأحياء الاجتماعى ، وهو علم مبتكر ، ينظر اليه الكثيرون لا باعتباره حدثاً علمياً فحسب وإنما أيضاً كدعوى تثير الاهتمام من النواحى السياسية والاجتماعية والايديولوجية .

هذا العلم يختص بدراسة التاثير الوراثى فى السلوك الاجتماعى للحشرات والحيوان والبشر ، ويعطى انطباعاً بان الأخلاق والمؤسسات الاجتماعية ليست نتيجة للتقاليد أو الصدفة التاريخية أو المذاهب الأيديولوجية أو تاثير الطبقات الحاكمة فحسب ، وإنما هى فى المحل الأول نتاج للميول والنشاطات الكامنة فى الطبيعة الحيوانية للانسان والتى تكونت عبر عملية التطور البيولوجى للجنس البشرى وتنتمى للتراث الوراثى للنوع الحيوانى .

وادوارد ويلسون ، صاحب هذه النظرية الجديدة ، يعمل أستاذاً للعلوم البيولوجية بجامعة هارفارد ، وقد بدأ ويلسون كدارس فى علم الحشرات ووضع كتاباً بعنوان «المجتمعات الحشرية» عام ١٩٧١ تكهن فى خاتمته بأن نفس مبادىء البيولوجيا وعلم الأحياء المقارن التى أظهرت كفاءتها فى تفسير «النظم الاجتماعية الجامدة» للحشرات يمكن تطبيقها بحذافيرها على الحيوانات الفقارية ، ولم يلبث أن طور هذه الفكرة فى كتابه الثانى «علم الأحياء الاجتماعى» ثم فى كتابه الاخير «حول الطبيعة البشرية» .

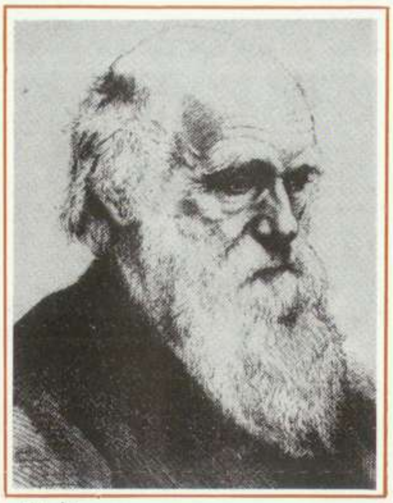
ويعرف ويلسون «العلم الجديد» بانه «الدراسة المنهجية للأساس البيولوجى لكل انواع السلوك الاجتماعى» وهو وإن كان لايزال فى الوقت الحالى يركز على المجتمعات الحيوانية إلا انه يوحى بشدة ويكاد يزعم صراحة بان نفس هذه المبادىء تنطبق أيضاً على السلوك الاجتماعى للانسان البدائى سواء فيما قبل التاريخ أو فى المجتمعات البشرية البسيطة المعاصرة .

وبهذا جدد ويلسون الصدمة الداروينية وزادها تعميقاً ، فها نحن يجرى تذكيرنا مرة أخرى بالاستمرارية الطبيعية بين الانسان والحيوان ، ولكنه هنا لا يذكرنا فحسب بالحيوان فى الانسان ، وإنما بالانسان فى الحيوان ، أو بمعنى آخر يذكرنا بان الحيوانات تتمتع بخصائص ومزايا كنا نعتقد تقليدياً انها مقتصرة على الانسان فحسب اى بقدرة الحيوانات على تكوين مؤسسات ونظم وتقاليد اجتماعية . فالغزلان والذئاب والقرود وانواع اخرى لا حصر لها من الحيوان تعيش داخل نظم اجتماعية تشبه فى بعض سماتها بل وفى كثير منها النظم الاجتماعية للانسان مثل علاقات القربى ووسائل الاتصال وتقسيم العمل ونظام الطبقات ، ووسائل الحب والمنافسة والخصومة وكيفية معاملة أعضاء الجماعة والخارجين عنها والتعاون فى الانتاج .. الخ .

واكثر من ذلك فالحيوانات تغير من طرق سلوكها استجابة للتغيرات فى الوسط الاجتماعى مثلما يفعل الانسان ، فالسلوك الاجتماعى للحيوان يتغير بفعل الظروف الخارجية كمدى الكثافة السكانية للجماعة الحيوانية ومدى وفرة أو ندرة الطعام المتاح ، بل انه لا يتاثر بمثل هذه الظروف الخارجية فحسب وإنما هناك أيضاً دور للفرد المتميز فى المجتمع الحيوانى وقدرة هذا الفرد على ادخال المخترعات والتكنولوجيا فى المجتمع الذى ينتمى اليه ، ويقدم ويلسون فى هذا الصدد حالة قردة «عبقرية» تدعى إيمو كانت عضواً فى قبيلة من القرود فى جزيرة كوشيما اليابانية ، هذه القردة استطاعت وعمرها ١٨ شهراً أن تخترع طريقة غسل البطاطس فى البحر ، وعندما بلغ عمرها ٤ سنوات اخترعت طريقة فصل الحبوب عن الرمال بواسطة الطفو ، إذ كانت تحمل اكوام الحبوب المختلطة بالتراب الى الماء فتهبط الرمال وتطفو الحبوب وعندئذ يلتهمها القرود وقد طبقت جماعتها الاختراعين بعد موت القردة ايمو فى حين أن مجتمعات القرود الأخرى لا تعرف شيئاً عن ذلك .

وبين ويلسون فى كتابه «سوسيوبيولوجى» وفى ضوء مئات الملاحظات والتجارب والأمثلة أن سلوك المجتمعات الحشرية والحيوانية يتغير عبر الأجيال المتعاقبة طبقاً لمقتضيات البيئة والظروف الخارجية ، فمثلا تصبح فترات الخصوبة الجنسية أطول أو اقصر ، كما تتغير النسبة بين الكبار والصغار ، وتتغير طرق توزيع الطعام والعمل والتزاوج ، وتتبدل العلاقة بين الجماعة الحيوانية والبيئة التى تعيش فيها الأجناس الحيوانية الأخرى ، وأحيانا تكون هذه التغيرات عميقة جداً بحيث تنقلب مثلا علاقات العداء الشديد الى تعايش أو العكس ، ويختلف السلوك الاجتماعى للأجناس الحيوانية إزاء

علم جديد.. أم نظرية متخلفة؟



داروين



البير كامي

الظروف الخارجية طبقا لتجاربها الخاصة ، بمعنى أن نفس الظرف الخارجي لا يؤدى الى نفس رد الفعل من جانب الأجناس الحيوانية المختلفة ، فمثلا تحت تأثير الكثافة السكانية تتقاتل الخراتيت ولكن هناك أنواعا من الطيور إذا تعرضت لهذا العامل أى الكثافة السكانية فانها تتعاون ، إذ تعيش الاناث سويا فى أعشاش مشتركة وتتعاون فى تربية صغارها معا . ويرى ويلسون أن علم الأحياء الاجتماعى يجب أن يتناول بالدراسة عمليات التطور التى تؤثر فى هذه التغييرات والتعديلات عبر الوراثة ، ويأمل أن يؤدى البحث اذا تقدم بما فيه الكفاية الى إلقاء أضواء جديدة لا على تطور الكائنات غير الانسانية فحسب وإنما على تطور الجنس الانسانى أيضا ، ويقول ان الهدف الرئيسى **للنظرية العامة للسوسيوبيولوجي هو التنبؤ** بسمات المنظمات الاجتماعية فى المستقبل عن طريق معرفة السلوك الوراثى للمجتمعات الحية وأن هذه المشكلة سوف تشغل بال علم البيولوجيا خلال العشرين أو الثلاثين عاما القادمة .

حملات الهجوم

هذه هى الفكرة الرئيسية لعلم الأحياء الاجتماعى الذى ينادى به ويلسون ، والفكرة فى حد ذاتها ليست بالجديدة ، إذ يمكن أن نجدها فى مؤلفات الفلاسفة الاغريق ، كما أنها تتفق فى خطوطها العريضة مع مشاهدات الحياة اليومية فان تأثير الوراثة فى الاجتماع أوضح من أن ينكر فالانسان يولد ضعيفا ويظل لفترة طويلة عاجزا بذاته ومعتمدا على العالم الخارجي من ناحية وعلى الدوافع الغريزية الوراثية من ناحية أخرى ، وبفعل هذه الدوافع تنبت للناس لحى أو تنمو أثداء دون أن يكونوا قد فكروا فى ذلك أو اتخذوا به قرارا ، وهم فى حياتهم العامة يتمتعون بفترة من القوة والنشاط ثم يتقدمون فى السن ويصابون بالضعف ويموتون ، وكل المجتمعات سواء كانت حيوانية أو انسانية تخضع لمثل هذه القوانين الطبيعية الصارمة ويتبعونها صاغرين.

فى ضوء مثل هذه الاعتبارات العادية المعترف بها كان من المتصور أن يلقى مقدم علم الأحياء الاجتماعى ترحيبا ، فمن المفروض ان مثل هذا العلم يوسع معرفتنا بالطريقة التى تعمل بها الحقائق البيولوجية وكيف تؤثر فى المؤسسات الاجتماعية ، ولكن على العكس لقي مقدم هذا «العلم» اختصاما شديدا وأثار اضطرابا ورفضا ربما أكثر من أى علم آخر فى العصر الحديث ، فقد ولد فى حضارة مشبعة بفكرة النسبية التاريخية حضارة تشعر بعمق الاختلافات العنصرية وتؤمن بليونة السلوك الانسانى وتأمل عن طريق التأثير الملائم فى البيئة الانسانية أن تتمكن من التقليل من الأدواء الاجتماعية كالعنف والجريمة والفقر والظلم وسوء العدالة والقسوة. ولكن ها هو هذا العلم يأتى ليقول ان المؤسسات والعواطف والنوازع الانسانية كافية فيما هو أعمق من البيئة الخارجية ، وبالتالى لا يمكن تغييرها بتغيير ظاهرى وخارجى فى البيئة وإنما بالتأثير فى عوامل الوراثة نفسها .

ولذا فقد هوجمت نظرية ويلسون بشدة ورفض الكثيرون الاعتراف بها كعلم جديد وقالوا انها احياء لأبشع النزعات الفردية ، ووصفة لهندسة المجتمع تكنوقراطيا ، ودفاع عن عدم المساواة ، وتعصب للذكورة ، واعادة صياغة للنظرية العنصرية فى قالب جديد .

ولكن ليت ويلسون قد اقتصر على هذا الجانب العلمى البحت دون أن يربط نظريته بالنواحى الايديولوجية ربطا غير خال من الاعتساف احيانا ، وهذه فى الواقع هى الثغرة التى نفذ منها المهاجمون، فقد بدأ كتابه «سوسيوبيولوجي» بفصل أسماه بطريقة استفزازية «أخلاق الجينات» ضمنه تكهنات حول المنبع الجينى للقضايا الأخلاقية الكبرى ــ كتلك التى أثارها مثلا البيركامى فى كتاباته ! ــ مثل الانتحار والايثار وطبيعة الخير والشر ، فهو يقول مثلا ان الجينات كما تحمل خصائص تدعو للصراع على البقاء فانها تحمل أيضا خصائص تدفع على ايثار الغير وتحمل صاحبها على التضحية بنفسه فى سبيل الغير أو الجماعة التى ينتمى اليها ، وهكذا فان موت الذكر فى بعض الحشرات بعد أن يلقح الأنثى أو البيض يعزوه ويلسون الى جنيات تحمل خصائص التضحية فى سبيل الجماعة تماما كسلوك الشهيد أو البطل الذى يموت فى ساحة القتال ، فالمقارنة هنا ليست صحيحة إذ لا يمكن أن نقارن موقف الحشرة التى تقدم على هذا السلوك طائعة وغير عالمة بمصيرها بموقف الانسان الواعى بطبيعة الموت فالمقارنة هنا غير علمية وهى أقرب ما تكون الى سوء استخدام الكلمات .

وكذلك فانه ينهى كتابه بفصل يتكهن فيه عن «المنابع الجينية للدين والأخلاق والفنون» تحدث فيه عن مستقبل الانسان ، حالما بمجتمع سعيد

فى المستقبل يقوم بفضل تقدم علم النيوروبيولوجي أو علم البيولوجيا العصابية ، وذلك عندما نفهم اسرار خلايا المخ فهما جيدا ونستطيع التأثير فيها بما يؤدى الى نتائج أخلاقية ! وفى هذا الفصل يتحدث أيضا عن حتمية «المجتمع المخطط » فى القرن الحادي والعشرين ، وينتقد ما تم فى الماضي من تطورات اجتماعية ذاتية غير واعية يرى أنها السبب فى التناقض الحالي بين حوافز الانسان الطبيعية والأوضاع الاجتماعية التى يعيش فيها .

تقييم هادىء

لقد ظهرت في العصر الحديث نظريات ومذاهب فلسفية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال السلوكية واليوجينية (علم تحسين النسل) والبرجماتية والماركسية والوجودية والوضعية المنطقية والبنيوية والمراجعة ،



لامارك

والانصار الاكاديميون لكل مذهب يتصورون أن مذهبهم جاء ليقضي على الأوهام ولينظف العالم تماماً من الخرافة والغباء ويفتح الطريق أمام الفهم الكامل للانسان والمجتمع والكون .

ولاشك أن كثيراً من هذه الأفكار والنظريات والمذاهب قد أحدث ولا يزال يحدث تأثيراً ثورياً كبيراً فى المجتمع ، ولكن السؤال يظل قائماً : الى أى مدى يعد هذا المذهب أو ذاك اضافة حقيقية وشيئاً جديداً وليس مجرد فورة فكرية .

وبالنسبة لعلم الأحياء الاجتماعي أو السوسيوبيولوجي الذى يقترحه ويلسون نرى أنه يمثل احد حدين يحاول بهما العلم الحديث أن يفحص النظرية الداروينية على مستوى جديد من الشمول والدقة ، أنه الحد التلسكوبي فى مواجهة الحد الميكرسكوبي الذى يمثله علم البيولوجيا الجزيئية وعلم الفسيولوجيا العصابية ، وهو باعتباره حداً تلسكوبيا يحاول أن يتنبأ بالمستقبل من حيث أن الحد الميكرسكوبي يقتصر على الغوص فى الماضي .

من المفروض إذن أن يكون علم السوسيوبيولوجيا علماً تنبؤياً . فهذا هو هدفه الرئيسي ومبرر وجوده كعلم مستقل ، أى أن نستطيع أن نتنبأ بواسطته بالمؤسسات والنظم الاجتماعية المقبلة وأن نؤثر فيها عن طريق هندسة الجينات وعلم الوراثة فهل يمكن أن يقوم علم الأحياء الاجتماعي فعلا بهذا الدور ؟

ينبغي أولا أن نلاحظ أن كلمة «التنبؤ» هذه غامضة وغير دقيقة ، إذ أن التغيرات التى تحدث فى الأخلاق والمنظمات الاجتماعية لا تحدث فى الواقع فى مجرى مغلق ومنعزل من التطورات وإنما هي تغيرات فى نظم مفتوحة على اتساعها للتأثيرات الخارجية الكثيرة التى لا يمكن توقعها أو التنبؤ بهاء

وفى حالة المجتمع الانساني والسلوك الاجتماعي البشري تكون الصعوبات فى وجه «التنبؤ» أكبر بالتأكيد ، وحتى إذا افترضنا امكان التنبؤ بمستقبل المشاعر الانسانية كالحب والكراهية والعداء والحسد .. الخ فانه لن يمكن التنبؤ بالأفكار الجديدة التى تغير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

ومن الطبيعي أن ويلسون لم يكن غافلا عن مثل هذه الاعتبارات وليس من العدل أن نفترض أنه يقصد بعلم الاحياء الاجتماعي أن يكون شكلا آخر من اشكال التنجيم ، إن كل ما يهدف اليه فى الواقع هو التوصل الى نظرية عامة تساعد على اكتشاف الاحتمالات الخيارية الكبرى فى التطور الانساني وتحديد مداها واتجاهها بشكل عام .

وعلم الأحياء الاجتماعي كما وضعه ويلسون يتكون فى الواقع من شيئين ١ ـ نظرية أساسية هي عبارة عن برنامج عملي لتركيبة جديدة لأفكار التطور . ٢ ـ نظريات فرعية تحاول التوحيد بين البيولوجيا والعلوم الاجتماعية والانسانيات . وهو يعتقد أن الحياة والذهن لهما أساس مادى طبيعي ، وأن العالم كما نعرفه قد تطور عن عوالم أسبق تخضع لنفس القوانين ، ولذا سيكون شيئاً مثيراً للدهشة لو أن قوانين الاقتصاد مثلا انتهكت قوانين الطبيعة ، أو لو أن قوانين الاجتماع تعارضت مع قوانين الوراثة ، أو لو أن قوانين السياسة نقضت قوانين الجغرافيا ، وإذا قبلنا أن الانسان جزء من الطبيعة وأنه لا يمكن أن نستخدم فى دراسته منطقاً يخالف المنطق العام الذى يحكم علوم الطبيعة والبيولوجيا بهذا المعنى يمكن أن نقول بأن العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والانسانيات موحدة .

أفكار تقليديـــة

ولكن ويلسون لا يقف عند هذا الحد بل نجده فى كتابه الأخير « حول الطبيعة البشرية » يدعو الى فحص أعمق وأشجع للطبيعة البشرية ترتبط فيها نتائج البيولوجيا والعلوم الاجتماعية ويشرح ما يعنيه فورا بقوله ان الذهن سوف يفهم على نحو أفضل إذا نظرنا اليه كظاهرة ثانوية مصاحبة للآلة العصابية التى يتكون منها المخ .

ويضيف ويلسون « أن مراكز التحكم فى العواطف البشرية توجد فى تلافيف معينة من المخ وخلالها يتدفق شعورنا بمختلف العواطف ومع أن هذه العواطف هي الميدان المفضل للفلاسفة الأخلاقيين الذين يحاولون أن يحدسوا معنى الخير والشر والفضائل والرذائل إلا أننا يجب أن نتساءل : ماالذى صنع هذه الخلايا المخية المعينة ؟ . الجواب أنها تطورت نتيجة لمبدأ الانتخاب الطبيعي .. هذه العبارة البيولوجية البسيطة هي التى يجب أن نتتبعها كي نفسر الأخلاق فى العمق » .

من الواضح بما فيه الكفاية أن ادوارد ويلسون من عتاة الماديين فى نظرته الفلسفية ، وأن نظريته فى السوسيوبيولوجيا محاولة لاعطاء دفعة جديدة للفلسفة المادية التى تلقت ضربات قوية فى الآو نة الأخيرة ، ولكن هناك منطقاً بسيطاً للرد عليه يبين كيف أنه لا يمكن الربط بين العلوم الاجتماعية والانسانيات على النحو الذى يقول به ويلسون ، فالخلايا المعينة الموجودة فى المخ والتى تتحكم في العواطف لا تحوي تعبيرات مثل الحب والكراهية والخير والشر ولكن لها منطقها المادى الخاص الذى يتعلق بالشحنات الكهربائية التى تصدر عنها .
أما التعبيرات الأخلاقية فيمكن دراستها على نحو مستقل عن دراسة المخ من الناحية التشريحية والبيولوجية والكيماوية ، تماماً كما ندرس الخطط والمشروعات والأفكار دراسة مستقلة عن العلوم الطبيعية رغم أنها أيضاً من نتاج المخ البشري ، فان لدينا وسائل عادية لدراسة ومعالجة مختلف الظواهر فى الحياة البشرية كالزواج والكتب والمدارس والفن وتذوق الموسيقى ، وبهذه الوسائل يمكننا الحكم عما إذا كانت هذه الأشياء حقيقية أم زائفة ، معقولة أم حمقاء ، عظيمة أم منحلة وذلك دون حاجة للرجوع الى خلايا المخ وتلافيفه وعصاراته وكهربيته . وإذا كانت « المادية العلمية » التى يرفع لواءها ويلسون وزملاؤه تعنى أن تقدم العلم يجب أن يجعل من انماط التفكير والقول والفعل التى ابتدعتها البشرية وحسنتها عبر تاريخها الطويل مجرد خرافة واخطاء وأوهام فهي إذن تتخلى عن أشكال لا بديل لها قامت عليها الحكمة والمعرفة البشرية دون أن تستطيع أن تملأ فراغها بحال . يضاف الى ذلك أن الفلسفة الأخلاقية بالذات لا يمكن حصرها فى نطاق دراسة الجينات لأن حضارتنا أكثر تقدماً وتعقيداً من أن تسمح بذلك ، مما يجعل تفكير ويلسون فى استخدام البيولوجيا كقاعدة وحيدة أو رئيسية للأخلاق تفكيراً متخلفاً يعود الى القرن التاسع عشر .

باختصار يمكن القول بأن آراء ويلسون هي عادة أفكار تقليدية فى ثياب بيولوجية عصرية ، ولكن ذلك لا يقلل من المساهمة الكبرى لويلسون فى مجال علم الأحياء بالذات ، فهنا قدم ويلسون أجل خدماته للعلم عن طريق جمع وفحص وتحليل كميات هائلة من المعلومات المتعلقة بعالم الحيوان والحشرات ووصل فيها الى نتائج يصعب تخطيئها ، أما محاولة دفع هذا العلم ليشمل الانسان كذلك فهنا القصور ومحور الخلاف .

محمد العزب موسى

سِيَرُنَا الشعبيّة..


حلمي التوني

نظرية التراكم الملحمى أو تراكم الطبقات هى نظرية استخلصها علماء الميثولوجيا من دراستهم للملاحم الهومورية ، وطبقها المستشرقون أولا على «ألف ليلة» ، ثم طبقها غيرهم من الدارسين على سيرنا الشعبية . وملخص هذه النظرية أن السيرة تبدأ بنواة قد تكون على الأرجح ذات أصل تاريخى ، وكلما تعاقبت العصور أضاف اليها المؤلفون أو المترجمون أو المقتبسون أو الرواة بما يوافق حضاراتهم ، بل ربما حذفوا منها وأضافوا اليها ما يتفق وذوقهم وما يعتقدون أنه يتفق وذوق جمهورهم . ولهذا تتجاور الملاحم الأسطورية والملحمية والتراجيدية فى السيرة الواحدة مما لا يجعلها أسطورة ولا ملحمة ولا تراجيديا وان كانت كل ذلك جميعاً .

ولعل الدكتور لويس عوض فى كتابه «أسطورة أوريست والملاحم العربية» هو أبرز من طبق هذا المنهج على سيرة «الزير سالم أبو ليلى المهلهل» ، فهو يرى أن هذه السيرة — على النحو الذى وصلتنا به — قد خضعت لتحولات فولكلورية . فقصة «هجرس» الذى ربته أمه لينتقم فى النهاية من «جساس» الذى قتل أباه «كليب» والتى تستغرق ثلاثة أرباع قصة «الزير سالم» ذات وشائج قوية وأسطورة «أوريست» حين عاد الى «ارجوس» ليلتقى باخته «اليكترا» عند قبر ابيهما ، وهناك يتعرف كل منهما على الآخر ويدبران انتقامهما الرهيب من أمهما «كليتمنسترا» وزوجها «ايجيست» لأنهما تآمرا على أبيهما «أجا ممنون» وذبحاه فى الحمام ليعتلى «ايجيست» عرش «أجا ممنون» المغتصب ، وهو موقف نراه يتكرر فى «هاملت» حين أراد أن ينتقم من عمه «كلوديس» الذى قتل أباه بتحريض من أمه «جروتورد» ليتزوجها ويعتلى عرشه .

ويرى الدكتور لويس عوض أن

ونظرية التراكم الملحمي

بقلم : يوسف الشاروني

الينبوع الأصلى الذى انبثقت منه كل هذه الأشكال المختلفة لهذه الأسطورة الأساسية فى كل العصور والبلاد هى اسطورة «ايزيس واوزوريس» وابنهما «حورس» المنتقم لأبيه من عمه «ست» اله الصحراء او الشر والذى احتال على ابيه «اوزوريس» إله الخير أو الخصب فقتله حسدا منه وحقدا عليه . كما أن الطريقة التى بها ارغم التبع حسان ملك اليمن أو عرب الجنوب الأميرين ربيعة ومرة سيدى الشام أو عرب الشمال على أن يزوجاه من الجليلة بنت مرة – والتى كانت مخطوبة لكليب – أشبه ما تكون **بخطف « باريس » أمير طروادة لهيلانة من زوجها فى الياذة هوميروس. كما أن الطريقة التى أفسد بها كليب – زوج جليلة فيما بعد – دخول حسان اليماني بجليلة أشبه ما تكون بحيلة حصان طروادة .** فقد استقر الرأى أن يتظاهر كليب بالموافقة على طلب التبع حسان ويقود بنفسه قافلة جليلة بعد أن يختفى فى زى مهرج الأميرة حتى ينفذ الى قصر الملك حسان وينال منه غرضه ، وكانت القافلة التى حملت جهاز جليلة بنت مرة الى مختطفها تتكون من مائة من الفرسان موضوعة فى صناديق على ظهور الجمال وكل صندوق يتكون من طابقين . طابق علوى يحتوى على كنوز جليلة وطابق اختفى فيه فارس كامل السلاح ، وتقلد كليب بالسيف من تحت ثيابه ، ولبس فروا من جلد الثعالب والذئاب وأرخى له سوالف طوالا من أذناب الكبش والبغال ، وركب على قطعة من قصب وحمل دبوسا من خشب وكان يقود زمام الجليلة أمام فرسان القبيلة ، فلما رآه الوزير نبهان قال لبعض الفرسان من يكون هذا الانسان فان زيه عجيب وحاله غريب ، فقالوا : هذا مهرج الجليلة بنت مرة واسمه قشمر ابن غرة (١) . وقد حذر رمال الملك أو عرافه من هذه القافلة المشئومة فأرسل من يكشف أمرها إلا أنهم لم يجدوا غير جهاز الجليلة فجازت عليهم الحيلة ، فارسل الملك عرافة كانت هى استاذة العراف الأول فاستطاعت أن تكشف الحقيقة لكنهم استطاعوا اسكاتها بشرائها بثلاث بدلات حرير ، فضرب الملك عنق العراف بينما دخلت العرافة على الملك حسان تصور بهاء هذه الأميرة القادمة عليه وكانها – على حد قول الدكتور لويس عوض – بهاء هيلانة أو باندورا حواء اليونان التى قالوا إن الالهة خلقتها فى أحسن تكوين وزينتها بأجمل زينة وأوفدتها الى الانسان هدية من كل الآلهة وغواية ، ليكون بها سقوطه وشقاؤه . وهكذا فتحت أبواب القصر ودخلت جليلة وقافلتها فأجلسها الملك على العرش ودار الشراب حتى غاب الملك حسان عن الوعى ، وغنت المغنيات ورقصت الراقصات وطلبت جليلة من الملك أن يلعب امامها مهرجها قشمر بن غرة ، فاقبل يمزح أمامها ويلعب بسيفه الخشب وهو فى زيه المضحك «فكان تارة يبحلق عينيه ويرفص الأرض بيديه ورجليه ، وتارة يقول أين الفرسان الفحول ، وأين أبو عطبول ، وأحيانا يرقص ويضحك بلا سبب ، وهو راكب الفرس القصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب .. فاندهش تبع من أعماله ، واستغرب من احواله واقواله» (٢) ... ثم قال قشمر – وهو كليب – للتبع حسان ان كنت تريد أن تطرب الآن فاجعل الجليلة تغنيك بأبيات من الشعر لأن صوتها مليح ولفظها فصيح ، فلما طلب منها حسان الغناء طلبت أن يأمر قشمر بقفل الباب لئلا يسمعها أحد من الخدم والحجاب ، فاستصوب الملك كلامها وبذلك عزلاه – الجليلة وكليب – عن حرسه . فلما انتهت الجليلة من هذا الشعر طرب ، فأخذ كليب يرقص أمامه ، ولكن الملك قال له : عيب عليك أن ترقص أمامى بهذا السيف الخشب . فأمره الملك أن يدخل الى قاعة السلاح ليأخذ السيف ويرجع بالعجل ، فدخل ولبس الدرع وتقلد بالسيف ووضع الخوذة على رأسه بعد أن فتح صناديق الأحمال وأخرج الفرسان والأبطال ، فبقوا فى ساحة الدار وقاموا له بالانتظار . وكان قد سل الحسام من غمده وهو يهزه فى يديه ، ثم دخل على الملك وقد احمرت عيناه ، وتذكر أباه ، فصال وجال ولعب بالسيف كما تلعب الأبطال فى ساحة القتال ، وبعده تقدم وهجم عليه . فعرفه حينئذ الملك حسان وأيقن بالهلاك وطلب منه أن يعفو عنه فقال له كليب لابد من قتلك كما قتلت أبى (٣) ... ثم ضربه بالسيف ، فوقع على الأرض قتيلا وفى دمه جديلا . ثم خرج من المخدع وأعلم الفرسان بقتل الملك حسان وقال لهم لقد بلغنا المراد فكونوا على حذر واستعداد لامتلاك البلاد ، ثم وضع رأس الملك على رأس السنان وخرج الأبطال والفرسان وطافوا فى شوارع البلدة وضربوا من وجدوه بالسيف .

● الينبوع الذي انبثقت منه الأشكال المختلفة لهذه الأسطورة الأساسية في كل العصور والبلاد هو أسطورة "إيزيس وأوزوريس"

سِيَرُنَا الشعبيّة.. ونظرية التراكم الملحمي

● ليس هناك مايمنع أن يكون النص الأصلي لقصة "الزير سالم" سابقاً في إنشائه على العصر الإسلامي.. أي في الجاهلية البعيدة

تشابه الظروف والأفكار

وتشابه الأساطير والملاحم والقصص الشعبية ليس بالضرورة معناه أن احدهما منقول عن الآخر ، ذلك لأن تشابه الظروف يؤدى الى تشابه الأفكار . ولكن أصحاب منهج التراكم الملحمى يؤيدون رأيهم بأكثر من وسيلة منها تشابه اسماء الأبطال وما حدث من تحوير فيها ، والتيمات أى الموضوعات والباترونيميات أى الأنساب والموتيفات أى الأفكار الرئيسية ، ثم أدوات الشاعر من لغة وعروض ، ثم صور البيئة والحياة والتاريخ .

وتطبيقاً لهذا المنهج يرى الدكتور لويس عوض أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون النص الأصلى لقصة الزير سالم سابقاً فى انشائه على العصر الاسلامى ، أى فى الجاهلية البعيدة . بل انه يمضى الى أبعد من هذا الاحتمال قائلا انه قد يكون انشىء فى لغة غير اللغة العربية ثم نقل الى هذه اللغة . وتقف نهاية القصة عند مصرع الزير سالم . ثم تورد ذريته من أخيه كليب حتى الجيل الخامس بعده الذى تشرف بمقابلة «النبى المختار» ، ومع ذلك فاننا نقرأ فى صلبها عن حروب مع الصليبيين ، ولا تفسير لهذا إلا أن المؤلفين الذين أضافوا أحداث عصرهم الى الأحداث الغابرة نسوا أو لم يعبأوا بأن يجعلوا ما



أضافوه فى وسط القصة غير متناقض مع نهايتها . كما أن فى ملحمة الزير سالم عبارات توحى بأن الاتصال بين عرب الشمال وعرب الجنوب تم عن طريق البحر ، والمعروف أنه كان لا يمكن الاتصال بحراً بين اليمن والشام إلا عن طريق رأس الرجاء الصالح قبل حفر قناة السويس . فالملك حسان اليمانى يأمر وزيره نبهان باعداد ألف مركب للحملة على الشام :

أيا نبهــان اجمــع لــي العســاكر
فيأتــوا فــوق الخيــل كالنســورا
وجهــز ألف مركــب يا وزيــــرى
وأوسقهن فى وســط البحــورا (٣)

بل انه عرج فى طريقه الى الشام على بلاد الحبش والسودان (٤) ، ولا يمكن الوصول اليهما من الجزيرة العربية إلا عن طريق البحر . كما أن حملة كليب وفرسانه المختفين داخل الصناديق على ظهور الجمال كانت عن طريق البحر «فلما فرغ الرمال من كلامه وتبع يسمع نظامه نادى على العبيد فحضروا مائة عبد فقال لهم : روحوا العمارة وكل صندوق تلاقوا فيه رجال كسروه ، فانطلق العبيد الى العمارة وهم أسعد وسعيد وبقية المائة عبد» (٥) . ومعروف ان العمارة معناها القطع البحرية . ويخلص الدكتور لويس عوض الى أن هذه القرائن توحى باحتمال وجود نص أصلى قديم يتم فيه الحصار بحراً أشبه بحصار طروادة فى الياذة هوميروس ، ولكن اعادة نسج النص واعادة صياغته بحيث تكون المدينة المحاصرة هى دمشق ، قد أدى الى ظهور هذا النص المختلط الذى تجاوزت فيه اصطلاحات الحوار الكبرى مع اصطلاحات الحوار البحرى دون أن يلقى الشاعر بالا الى ضرورة تنقية نصه تماماً من رواسب النص الأصلى (٦) .

فيبدو اذن أن حلقة حسان اليمانى فى ملحمة الزير سالم تمثل ادماجــاً لاسطورتين نابعتين من أسطورة اختطاف هيلانة وحرب طروادة : احداهما انتقام الزوج وآله من خاطف الزوجة (انتقام أجا ممنون من باريس) والأخرى هى انتقام الابن من قاتل أبيه ومغتصب فراشه (انتقام أوريست ـ هاملت من ايجيست ـ كلوديوس) (٧) .

وقد ردد الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف الرأى نفسه فى دراسته عن «أبو زيد الهلالى» التى نشرها قبل عشر سنوات من نشر الدكتور لويس عوض لدراسته عن «الزير سالم» . إذ أعلن أن فى أبطال السيرة الهلالية «مشابه كثيرة من صور الأبطال عند اليونان ، وكثير من تاريخ هؤلاء وسيرهم يشبه تاريخ أولئك . فالبطل عند اليونان كان نصف إله فى وسعه أن يفعل الخير والشر كما يشاء ... وهذا يشبه الى حد كبير ما تذكره القصة عن الزناتى من أنه كان ابن جنية فكان اذا طعن بالسيف ووضع ماء الحياة على الجرح التأم وعاد فى اليوم التالى صحيح البدن سليم الجسم .. حتى فى الناحية التاريخية الاسطورية لوجود الابطال ووضعهم القصصى يلاحظ المتأمل مقارنة عجيبة (٨) . ثم يستطرد قائلا ان «نظرة فى المقارنة بين مواقع القصة الهلالية وما يروى من المواقع عن حروب طروادة لتدل الباحث على مشابهة كبيرة ومظاهر متفقة ، وإن قصة حصار الهلاليين للقيروان ... لتشبه قصة حصار أجا ممنون لمدينة طروادة ، فكل منهما دام مدة طويلة من الزمان وجرت فيه حروب ووقائع رهيبة مفزعة ، ثم انتهى كل منهما بالحيلة وتم الكسب فيها بالدس والوقيعة . فهذه كلها مشابهات ـ وغيرها كثير ـ يلاحظها الباحث إذا ما قارن بين الأبطال هنا وهناك ، بل انه

فى هذا الصدد ليقف على مشابهات أخرى بين سير الأبطال فى القصة الهلالية وبين مثيلاتها فى أساطير الفرس وخرافاتهم التى تحكيها الشاهنامة ، وكذلك يستطيع أن يجد مثل هذا ولو الى حد ما فيما يروى فى القصص المصرى القديم» (٩) .

العرب .. واليونان

ويجزم الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف بأن العرب قد عرفوا اليونان وتأثروا بفلسفتهم وأدبهم كما أن اليونان قد سبق أن عرفوا المصريين . أما عن الفرس فقد نقل كثير من أساطيرهم عن طريق العراق الى اللغة العربية . وقد انتشر كثير من القصاصين فى مصر وغير مصر بعد سقوط بغداد . ومع ذلك فلسنا نستطيع أن نجزم جزماً علمياً بأن القصاص الذين رووا قصص الهلاليين قد استلهموا القصص اليونانى أو الفارسى .. لأن المشابهات لا تبدو إلا فى أمور عامة ووقائع شائعة تفطن اليها الأمم وتهتدى اليها بغرائزها وميولها (١٠) . ثم يعود فيعقد مقارنة بين البطولة فى الملاحم اليونانية والبطولة فى السير الشعبية ، فيرى أن البطولة الأولى ينظر اليها نظرة تقديس ، أما البطولة الثانية فينظر اليها نظرة اعجاب ، لأن البطل فى القصة الهلالية انسان معقول يجوز عليه ما يجوز على كل انسان ، وكل أعماله مما يدخل فى الطاقة البشرية على وضع من المبالغة والتهويل ، لأن قصاص الهلالية كانوا فى زمن اتجهوا فيه بالعبادة الى الله سبحانه وتعالى كما يقرره الدين ويفرضه الاسلام (١١) .

وقد استفاد بهذا المنهج أيضاً الدكتور عبد الحميد يونس الذى تبين له من دراسته لسيرة بنى هلال أنها مرت بطورين ، أولهما الطور الغنائى الخالص وكان قبل القرن السادس الهجرى ، ودليله على ذلك الشواهد التى أوردها ابن خلدون فى ختام مقدمته والتى تعتبر أول خيط جدى يتصل بسيرة بنى هلال من الناحيتين الأدبية والفنية . فهذه الشواهد تنطق بأن السيرة كانت فى أول أمرها عبارة عن قصائد غنائية توزعتها أجيال مختلفة وبيئات شتى بعيداً عن اللسان الفصيح . وثانيهما الطور القصصى ، وقد بدت أماراته أيام ابن خلدون فى القرن الثامن الهجرى ، تؤيد ذلك الشواهد التى أوردها فى مقدمته عن ماضى بن مقرب وخليفة الزناتى وهما من أبطال السيرة الهلالية . ولم يحدث التحول طفرة وإنما حدث فى أناة وبطء . ولا يمكن أن يقال ان فرداً معيناً أو أفراداً معينين قاموا بالعبث فيه .

كما أعلن الدكتور عبد الحميد يونس فى دراسته لسيرة الظاهر بيبرس أن هناك أربع طبقات فى هذه السيرة هى : الطبقة التاريخية والطبقة المصرية والطبقة الخاصة بالفداوية ثم الطبقة الخرافية التى تنحو نحو ألف ليلة وليلة . فمثلا فيما يتعلق بالطبقة الفداوية يقول : ونحن نستخلص من الدليل الأسلوبى أن هذا الجزء الخاص بالفداوية كان – فيما ترجح – مجموعة من الأخبار قد اندمج فى السيرة وخضع لما تخضع له السيرة من سنن الجهر والاشارة ، وأضيف اليها ما رسب فى خيال العامة عن فعال هؤلاء القوم (١٢) .

التراكم الملحمى وسيرة عنترة

ويتفاوت انطباق هذا المنهج على السير الشعبية ابتداء من سيرة عنترة التى تعتبر أقدم هذه السير نشأة بدليل أن معظم السير تشير اليها وتستشهد ببطلها بينما لا يحدث العكس فى سيرة عنترة ، ومع ذلك فان بعض الدارسين – مثل فاروق خورشيد ومحمود ذهنى – يرون أن كاتب سيرة عنترة فرد واحد . وان جاز القول بأن المادة العلمية والتاريخية فى هذه السيرة يرجع الفضل فيها الى الأصمعى (الذى ولد عام ١٢٣ هـ وتوفى عام ٢١٠ هـ) . أما الصورة الروائية للسيرة فانها ليست للأصمعى وانما هى لشخص متأخر عنه زمنياً اطلع على تراث الأصمعى واستغله فى صياغة روايته القصصية . والدليل على أن كاتب سيرة عنترة فرد واحد يكمن أولا فى البناء القصصى الذى تتسلسل فيه الأحداث تسلسلا سليماً من أول فصول السيرة حتى الفصل الأخير منها . وليس أدل على ذلك من تلك الاحالات التى يلجأ اليها الكاتب . ففى الفصل الأول مثلا يقدم لنا زبيبة – أم عنترة – ويبرر عدم انقيادها لبقية الفرسان الذين أسروها مع شداد بقوله : وقد أنكرت منهم تلك الأحوال لأنها من نسل قوم كرام ، وسوف نذكرها فى تأصل نسبتها ، ونذكر سبب غربتها وفرقتها . ولكن نذكر كل شىء فى مكانه ، بعون الله وسلطانه ، اذا ما وصلنا اليه . وبعد ذلك يستمر المؤلف فى كتابة السيرة حتى يصل الى الفصل الرابع والثلاثين بالمجلد الخامس حيث ينتقل بفارسه الى بلاد الأحباش ليقوم بسلسلة من المغامرات . وهنا يفى المؤلف بوعده فيذكر لنا نسب زبيبة وأصلها وسبب غربتها وهى انها بنت النجاشى ملك الحبشان ويرجع نسبها الى حام ابن نوح عليه السلام . وقد غدر بزبيبة الزمان ، وحكم عليها القدر أن تقع فى يد العربان ، وأرسلها الى بنى عبس وعدنان فأخذها شداد وأتت منه بعنتر (١٣) .

ومع الاقتناع بوحدة مؤلف السيرة فقد أقحم النساخ خيالاتهم ورغباتهم للتزيد والحصول على رضى العامة . يثبت ذلك اختلاف نصوص السيرة ما بين حجازية وشامية وعراقية .

معنى هذا أن نظرية التراكم الملحمى يتفاوت انطباقها من سيرة الى أخرى **بحيث يمكن تطبيقها تطبيقاً واسعاً على سيرة مثل الزير سالم ، بينما قد لا يتاح تطبيقها إلا فى أضيق الحدود على سيرة مثل سيرة عنترة .**

يوسف الشارونى

هـــــوامـــــش

(١) قصة الزير سالم الكبرى « أبو ليلى المهلهل » . مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد صبيح . القاهرة . « ص ١٧ » .
(٢) المرجع السابق « ص ٢٢ » .
(٣) المرجع السابق « ص ٢٣ » .
(٤) المرجع السابق « ص ٥ » .
(٥) المرجع السابق « ص ٧ » .
(٦) المرجع السابق « ص ١٨ » .
(٧) المرجع السابق « ص ٣٩ » .
(٨) د. لويس عوض : « اسطورة أوريست والملاحم العربية » ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ « ص ٣٣ » .
(٩) المرجع السابق « ص ٣٣ » .
(١٠) محمد فهمي عبد اللطيف : « أبو زيد الهلالي » ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة إقرا ١٩٤٦ . « ص ٩٩ – ١٠٠ » .
(١١) المرجع السابق « ص ١٠٠ – ١٠١ » .
(١٢) المرجع السابق « ص ١٠٢ – ١٠٣ » .
(١٣) المرجع السابق « ص ١٠٤ – ١٠٥ » .
(١٤) فن كتابة السيرة الشعبية . « ص ٨١ – ٨٢ » .



أزمة الصّحافة الغربية

بقلم: مجـدي نصيـف

● سماسرة العقارات وتجـار الخردة يسيطرون على صناعة الرأى العام .

● الصحافة تدخل مرحلـة الاحتكارات المتعددة الجنسية وتبتعد عن صناعتها الأصلية!

(١) عندما اشترى المليونير الأسترالى روبرت مردوخ صحيفة التايمز ، قالت صحيفة الأوبزرفر الأسبوعية البريطانية «إن هذا أكبر تركز لسلطة الصحافة فى تاريخ بريطانيا» ذلك أن مردوخ يطلق عليه اسم ملك «صحف الزبالة» ومنها فى بريطانيا وحدها «الصن» اليومية و «نيوز أوف ذى وورلد» الأسبوعية ، الواسعة الانتشار . وتساءلت صحيفة الأوبزرفر : «هل من حق رجل واحد أن يسيطر وحده على ثلث الصحف القومية» ؟ .

بعدها بشهر واحد فقط أعلن عن بيع

صحيفة «الأوبزرفر» نفسها لرونالد لونرو المليونير البريطاني السيىء السمعة ، الذى قال عنه ادوارد هيث عندما كان رئيسا لوزراء بريطانيا فى حكومة المحافظين السابقة : «إنه يمثل الوجه القبيح للرأسمالية» .

والرجلان لهما شهرتهما فى عالم المال والتجارة . فروبرت مردوخ يمتلك شركات هائلة لوسائل الاعلام من صحف وتليفزيون فى أستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة ، ومعظم الصحف من التى يطلق عليها اسم «صحافة التابلويد» التى تنشر الصور العارية وتعتمد فى مادتها على الفضائح وقصص الجريمة والجنس . أما لونرو فهو «ملك المضاربة» الذى تمتد أملاكه الى مناجم فى النظام العنصرى بجنوب افريقيا . وقد حاول فى نفس الوقت الذى اشترى فيه «الأوبزرفر» أن يشترى محلات هارودز البريطانية وعرض ثمناً لها ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى .

التركز والتمركز

والقضية الأساسية المطروحة على بساط البحث هى تركز وتمركز الصحف الواسعة الانتشار ، فى أيدى قلة لا تعمل بالصحف ولا بالفكر ، إنما الفكرة الأساسية لديها هى تملك «صناعة» رابحة ومؤثرة فى المجتمع وفى السياسات بشكل عام . واذا أخذنا بريطانيا كمثال ، فان هناك ثلاث مؤسسات صحفية بريطانية تحتكر ٨٠٪ من توزيع الصحف :

(١) الميرور : (ريد انترناشيونال) : وتمتلك «الديلى ميرور» و «الصنداى ميرور» و «الصنداى بيبول» . توزيعها يزيد عن ١١ مليون نسخة .

(٢) مردوخ (نيوز انترناشيونال) : ويمتلك «الصن» و «نيوز أوف ذى وورلد» وصحف «التايمز» و «الصنداى تايمز» وملاحقها . توزيعها فوق التسعة ملايين ونصف النسخـــة .

(٣) الاكسبريس : (ترافالجار هاوس) تمتلك «الديلى اكسبريس» و «الديلى ستار» و «الصنداى اكسبريس» . توزيعها قرابة ست ملايين وربع نسخة .

(٤) التلجراف : وتمتلك «الديلى تلجراف» و «الصنداى تلجراف» ويصل توزيعها الى مليونين ونصف نسخة .

(٥) الميل : (اسوشيتد نيوز بيبر) وتوزيعها قرابة مليونى نسخة .

(٦) الأوبزرفر : (لورنو) وتوزيعها أكثر من مليون نسخة .

(٧) الجارديان : وتوزيعها ٣٧٨,٨٥٢ نسخة .

(٨) الفايننشيال تايمز : وتوزيعها ١٩٦,٤٩٥ نسخة .

من هذا يتضح أن المؤسسات الثلاث الكبرى الأولى ، يصل توزيع صحفها الى حوالى ٢٧ مليون نسخة ، من التوزيع الاجمالى للصحف البريطانية ، الذى يبلغ ٣٣ مليون نسخة . أى أنها تسيطر على ٨٠٪ من الصحف التى تشكل الرأى العام .

شارع الصحافة

و «فليت ستريت» هو شارع الصحافة فى بريطانيا ، حيث مبانى معظم الصحف العملاقة ، الذى يدور فيها الصراع الآن . ولأن الصحافة أصبحت «صناعة» بالمعنى الاقتصادى الحرفى للكلمة ، فقد أصبح الصراع الدائر الآن هو بين أصحاب الصحف وبين النقابات القوية التى تضم الصحفيين والموظفين والفنيين والمصوريـــن وعمـــال الطباعة الخ .

والسمة السائدة الآن ، هو محاولة ضرب هذه النقابات القوية التى اكتسبت قوتها من الصراع الطويل مع أصحاب الأعمال ، ومن الحقوق التى اكتسبتها بالتالى على مدى هذا الصراع .

مارجريت تاتشر



والحقيقة أنها تحولت الى «حرب شاملة» حرب تشنها دور الصحف العملاقة ضد النقابات كلها بشكل عام ، حرب تنبأت صحيفة الفايننشيال تايمز بأنها «تنشأ من معالجة علاقة العمال بالادارة كمصارعة الثيران» .

وبتفاقم الأزمة الاقتصادية التى تمر بها بريطانيا منذ جاءت السيدة مرجريت تاتشر على رأس حكومة المحافظين الأخيرة ، تناقص العائد من الاعلانات بشكل لم يسبق له مثيل منذ الثلاثينات . ويتجه رأس المال فى الصحافة الى العودة بسرعة الى طريق الربح ... الكلمة الأخيرة لشريعة الغاب وليس لها علاقة بالصحافة كحرفة ولا بحرية التعبير ، ولا بخطورة تشكيل الرأى العام . شريعة الغاب التى افترست العديد من الصحف المستقلة .

إن الحرية الوحيدة التى يعترف بها «فليت ستريت» هى حرية الأرباح . كتبت صحيفة الديلى اكسبريس فى احدى افتتاحياتها ذات مرة : «إن حرية الصحيفة تكمن فى حريتها لايجاد المال اللازم . يجب عليها أن تصبح حرة فى الطريقة التى تستغل بها الفرص المتاحة أمامها فى سوق المنافسة القديم الخشن» كتبت هذه الافتتاحية ، بعد أسبوع واحد من اضطرار «الديلى اكسبريس» نفسها الى الخضوع لشريعة الغاب فى سوق المنافسة ، والانضواء تحت لواء مؤسسة «ترافالجار هاوس» التى قامت بشرائها . وأصحاب هذه المؤسسة وكلاء شحن وسماسرة عقارات يمتلكون فندق «ريتـز» وشركة ملاحة .

إن هذا النوع من الملاك الجدد للصحف (الغربية عموماً) هم السمة الغالبة الآن فى «موقف» لعبة النهاية الذى وصلت اليه «مبارزة» التملك والاستيلاء ، التى يشكل فيها عالم لندن «المالى» و «فليت ستريت» كياناً واحداً جديداً ، فى الوقت الذى تختفى فيه امبراطوريات الصحافة التقليدية وتختفى تحت سطح البنايات الضخمة للمؤسسات المتعددة الجنسية ، لتصبح احدى الوحدات فى «الأصول الثابتة» للمؤسسة !

وعندما يصرح «مردوخ» و «رولاند لونرو» بأنهما سيبقيان على تقاليد ممتلكاتهما الجديدة من الصحف

أزمة الصّحافة الغربية

«المحترمة» ، فانهما أيضاً يفصحان عن رغبتهما فى أن تدر ما يكفى من الدخل والأرباح .. كان هذا الخليط الغريب من القضايا هو الأصل فى عرض مجموعة طومسون (التايمز) لبيع أفضل ما فى السوق . فاذا لم تبع صحف «التايمز» ، فسوف تغلق ! لقد رفض مردوخ أن يستمر فى الوعد الذى قطعه اللورد طومسون على نفسه بأن تستمر التايمز خمساً وعشرين سنة أخرى فى الصدور .

لكن أحداً لم يصدق التأكيد باستمرار على ملامح المؤسسات القومية ، واحترام التقاليد الصحفية ، والحفاظ على استقلالية رئيس التحرير (الاجير لدى التجار والسماسرة) . ولازال القراء البريطانيون يذكرون كيف استغل حزب المحافظين رؤساء تحرير معظم الصحف القومية خلال العام الأول من حكم حزب العمال ، عام ١٩٧٤ ، فى محاولة لانقاذ قانون علاقات العمل الذى قدمه رئيس وزراء حكومة المحافظين ادوارد هيث ، قبل ذلك بعام واحد . ذلك أن رؤساء التحرير «الذين يتمتعون بالاستقلالية» بذلوا كل ما فى وسعهم لوضع العقبات فى طريق الممارسات الديموقراطية داخل المؤسسات الصحفية .

السياسة المالية

وتختلف الصورة اليوم تماماً بسبب سياسة السيدة مرجريت تاتشر ، والتى أدت الى المزيد من التركز والتمركز فى الصناعة ، اذ أصبحت السلطة المطلقة للمليونيرات الذين يحتكرون الصحافة بعلاقاتهم مع الشركات الكبرى . لقد أصبح ذلك يشكل خطورة أعظم مما كان يشكل فى الماضى . وتزداد هذه الخطورة بتأثير المؤسسات الصحفية الهائل على تشكيل الرأى العام .

وقد خاض رئيس تحرير صحيفة «الأوبزرفر» معركة ، بعد أن شعر بالحرج من انتقال ملكية الصحيفة من يد شركة اركو الأمريكية للبترول ، الى «لونرو» ذات السمعة السيئة .

ولقد روجت صحيفة التايمز لأسطورة حريتها منذ عام ١٨٥٢ ، وأصبحت الفكرة الراسخة «أن الصحف التى تحقق أرباحاً هى وحدها التى لها حق البقاء والاستمرار» . لكن صحافة «السوق الحر» تحولت فى مضمونها الى العكس تماماً . وفى تعليق لمحرر «الأوبزرفر» على مصيرها هى نفسها قال : « كان التأثير المزعج لفتنة شارع الصحافة ، هو الذخيرة التى أمدت تدعيم فكرة مغزاها أن تنافس الصحف هو أفضل سبل الحصول على مصادر نظيفة للمعلومات ، وذلك بدلا من انكار ملكية الدولة للصحافة ، أو المؤسسات للصحافة ، أو المؤسسات الصحفية المستقلة المدعومة من قبل الحكومة» .

لقد كانت الفضائح ، سواء أكانت حقيقية أم مزيفة ، هى السلعة التى تاجرت فيها «الصحافة» الغربية لأمد طويل . لكن أطول الفضائح عمراً هى حالة الصحافة نفسها . لقد انكشف حال الصحافة على مدى عشرات السنين الماضية فى الغرب ، المرة بعد الأخرى ، إن قاعدتها الأساسية هى المناورات والخسة ، وذلك بالرغم من القناع الذى ترتديه «كمؤسسة محترمة مبجلة» ، وحلة الحرية التى ترتديها !

والسؤال الذى يطرحه المثقفون فى الغرب الآن هو : لماذا لم يحدث تغير ما ؟ ولماذا ظلت الصحافة على ما هى عليه الآن ؟ ولماذا لم تحاسب على أفعالها ؟ ولماذا تبدو دائماً «منيعة» ضد أى تطور ديموقراطى ؟

لا يذكر التاريخ الغربى سلطة طاغية مثل سلطة «فليت ستريت» . ويدعى شارع الصحافة هذا أن لا بديل فى الساحة عن حريته المبنية على قاعدة «السوق الحر» ، إلا الصحف التى تمتلكها الدولة . أى إما «الحرية الكاملة» أو التبعية الكاملة للدولة ، ويضربون على ذلك الأمثلة بالصحافة فى الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث التى أممت كل شىء من وسائل الانتاج ، بما فى ذلك المؤسسات الصحفية . والغريب أن هذا الادعاء قد تمكن من الرأى العام بقوة وبتدعيم الحكومات المتتالية ، بما فى ذلك الحكومات العمالية (جيستيكل وويلسون وكالاهان) .

لكن اليسار البريطانى قدم مشروعاً لحل قضية الصحف وملكيتها ومشاكلها ، لأعضاء «اللجنة الملكية للتحقيق فى مشاكل الصحافة» .

ويتلخص هذا المشروع فى سبع نقاط:

أولا : منع سياسة دمج المؤسسات الصحفية (وهو ما يحدث الآن) .

ثانياً : اصدار ما يلزم من تشريعات جديدة لكسر الاحتكارات الحالية التى تركز الصحف فى أيدى قلة . واقتراح باصدار قانون يحول دون تملك مؤسسة واحدة أو فرد واحد لأكثر من صحيفة واحدة .

ثالثاً : تقديم دعم مالى حكومى ، منظم ومدروس ، لمساعدة الصحف على مواجهة المشاكل المالية ، خاصة الصحف ذات التوزيع المنخفض .

رابعاً : يقاف سياسة التفرقة التى تتبعها الحكومة فى منح الاعلانات .

خامساً : وضع حد أقصى لما تحصل عليه صحيفة واحدة من الاعلانات من المؤسسات والشركات التجارية والصناعية الكبرى .

سادساً : انشاء مؤسسة وطنية للطباعة تقوم الدولة بتمويلها ، بغرض تقديم وسائل الطباعة السهلة والرخيصة للمؤسسات والهيئات الديموقراطية لاصدار صحفها ، حتى لا تحول الموانع المادية دون ذلك .

سابعاً : فصل الصحافة عن محطات الاذاعة والتليفزيون المملوكة لشركات تجارية .

(والآن ... نظرة فاحصة الى الصحافة البريطانية من الداخل ، من خلال عملى كمراسل فى لندن مقيم بصحيفة التايمز البريطانية مما يتيح نظرة موضوعية على البنية الداخلية ، ومن خلال علاقاتى بالزملاء الصحفيين) .

عندما بدأ الشاعر الانجليزى الشهير صمويل تيلور كولريدج اصدار صحيفته «كلب الحراسة» منذ حوالى مائتى عام ، استهلها بتحذير كئيب يقول : «فى دولة مستعبدة ، تجد الحكام فى موقع تشكيل وجهة نظر الشعب» . وأدان نوعاً من الصحف فى المقاطعات ، يتسلم «رؤساء تحريرها هدايا أوراق البنكنوت من وزارة الخزانة ، ومعها بعض التعليمات التى يدسونها على القارىء بين أسطر مقالاتهم» !

إن هذا الوضع موجود بهذا الشكل أو

ذاك حتى الآن ، وإن كان ليس بالضرورة كما وصفه صمويل كولريدج .

إن عدد قراء الصحف فى بريطانيا يفوق مثيله فى أى مكان آخر فى العالم .

إن ملوك الصحافة يجرون وراء الأرباح ، ولا شىء غير الأرباح .

● فيكتور ماثيوز الذى يمتلك مؤسسة ضخمة للسفن والشحن اسمها «ترافالجار هاوس» (دار الطرف الأغر) تمتلك مجموعة صحف الاكسبريس . والمليونير فيكتور ماثيوز له مكتبه الخاص به بمبنى صحيفة الديلى اكسبريس حيث يمارس منه بيد من حديد شئون «التحرير» وسط كل مشاغله المادية والتجارية .

● اللورد روثيرمير ويعيش فى باريس هرباً من ارتفاع الضرائب فى لندن . يجلس هو الآخر فى مكتبه «ليشرف ويراقب الصحف المملوكة لمجموعة «الصحف المتحدة» والتى تمتلك ، أيضاً ، نصيباً لابأس به فى بترول بحر الشمال» .

● ومازال المليونير اللورد هارتويل «رئيساً لتحرير» صحيفة الديلى تلجراف وكذلك «الصنداى تلجراف» الأسبوعية ، اللتين يمتلكهما أيضاً .

● أما روبرت مردوخ ، فقد قطع شوطاً بعيداً عن «نادى حزب العمال» بجامعة اكسفورد . وهو يقوم الآن بالاشراف على امبراطورية معقدة من الاعلام والمعلومات . وهو يقضى معظم وقته فى نيويورك ، ومع ذلك فلديه من الوقت ما يكفى ليتدخل تدخلا مباشراً فى تحرير «أوزتيه اللتين تبيضان ذهباً» : وهما «الصن» و «نيوز أوف ذى وورلد» .

إن جميع الصحف البريطانية تتكون من التوظيف الهرمى ، ووفق هذا التصنيف الكهنوتى يقوم صاحب الجريدة بتعيين رئيس التحرير الذى يقوم بدوره بتعيين مدير التحرير ورؤساء الأقسام الخ من أعلى الى أسفل . أما ممارسة العمل نفسه ، فهى بدورها تاتى من أعلى الى أسفل . وكان الله فى عون الصحفى الذى يتجرأ على هذا البنيان الكهنوتى ، مهما بلغ احترام هذا الصحفى بين قرائه وزملائه .

والأمثلة كثيرة :

● فى عام ١٩٧٠ فصل الصحفى برنارد ليفين من عمله كمحرر صحيفة «الديلى ميل» عندما تجرأ وتضمن مقاله جدلا عن أهمية عودة حزب العمال الى الحكم لعدم صلاحية حزب المحافظين فى ادارة شئون البلاد . هذا رغم أن نتيجة تحليل استمارة استطلاع الرأى العام بين صحفيى الديلى ميل ، جاءت مؤيدة لوجهة نظر برنارد ليفن .

● وفى بداية العام الماضى ،طلبت قمة «النظام الكهنوتى» من الصحفى جيرمى كامبل مراسل «الايفننج ستاندرد» بواشنطن ، أن يستطلع وجهات نظر الساسة ورجال الأعمال الأمريكيين فى الانتخابات البريطانية . وقد عبر معظمهم عن عدم ارتياحهم لنجاح السيدة مرجريت تاتشر ، وظهر «مانشيت» بهذا المعنى فى الطبعة الأولى . لكن فى الطبعة الثانية تعرض المقال لعملية تشويه فظيعة ، وتحول الى ملخص لوجهة نظر رجال الأعمال الأمريكيين فى النظام الضرائبى البريطانى ، وتم استئصال كل التعليقات المعادية للسيدة تاتشر . وبعبارة أخرى فان التحيز لصالح المحافظين «قضى» على أسس قواعد عمل مضن قام به واحد من أفضل وأصدق مراسلى الصحيفة وأكثرهم استقلالية .

● وبنفس الطريقة ، لا تتاح لرؤساء التحرير أنفسهم فرصة نشر أو ممارسة العمل الصحفى اذا كانت هناك معلومات لا يرضى عنها صاحب الصحيفة . ومن القصص الطريفة المعروفة ما حدث قبيل بداية الحملة الانتخابية للمعركة الأخيرة التى انتصر فيها حزب المحافظين بقيادة السيدة مرجريت تاتشر حدثت مناقشة اشترك فيها كل من ديريك جيمسون رئيس تحرير الديلى اكسبريس الذى يصف نفسه بأنه «رجل حزب العمال» ، وبيتر جريمسديتسن رئيس تحرير الصحيفة التى صدرت حديثاً آنذاك واسمها «ستار» وصاحبها فيكتور ماثيوز . أصر جيمسون وجريمسديتسن على أن تؤيد صحيفة «الستار» الجديدة حزب العمال ، لسبب تجارى خبيث بحت لا علاقة له بسياسة حزب العمال ولا مصلحة الناس ولا وجهة نظر أيهما . وشرح الرجلان رأيهما : «إن صحيفة «الصن» اليومية المنافسة تلقى بثقلها وراء حزب المحافظين ، ومن ثم فان تأييد صحيفة الـ «ستار» الجديدة لحزب العمال سوف يجعلها تحقق شعبية لأنها ستكسب قراءها من العمال . لكن فيكتور ماثيوز الذى لا يخفى «عبادته» للسيدة مرجريت تاتشر ، لم تهضم معدته أمر امتلاكه لصحيفة «عمالية» . وبعد مناقشات ومداولات أخذت صحيفة الـ «ستار» الجديدة موقفاً «وسطاً» .

إن أزمة الصحافة الغربية أزمة عميقة . إنها أزمة مرتبطة بالنظام السائد والبنية الاقتصادية والاجتماعية المكونة للمجتمع . والصراع الدائر فيها أيضاً هو نفس الصراع الدائر فى المجتمع أيضاً ، بكل مكوناته وطبقاته وفئاته وتقسيماته .

مجدى نصيف ـ لندن

روبرت ميردوخ بين هارولد إيفانز رئيس تحرير الصنداي تايمز الأسبوعية ووليم ريزموغ رئيس تحرير التايمز اليومية .



إلى متى يظل الطفل العربي مهملا وضائعاً في عالم الكبار ؟ الفضول .. والترقب .. وأصوات الأسئلة الكثيرة بداخله ، بحثاً عن اجابة لكل ما تقع عليه عيناه ، وتلمسه يداه ، وتستقبله أذناه . من يجيب للطفل على كل أسئلته ؟ ومن يخاطب عقله ؟ وأين هو الكتاب الذى يأخذ بهذا العقل البكر رويداً رويداً ، لكي يكتشف عالمه الحقيقى ، وطريقه الصحيح نحو المعرفة والحقيقة ؟ .

الطفل العربي وأزمة القراءة

بقلم : عبدالتواب يوسف

نحن فى حاجة الى مكتبات للاطفال .. مكتبات عامة ، مكتبات مدرسية ، مكتبات فى الفصول ، مكتبات فى البيوت ، أقسام فى مكتبات الكبار مخصصة للاطفال .. لكن السؤال الذى يواجهنا :

– ماذا سوف نضع فوق هذه الرفوف ؟!

فى دور الرياض قد نضع لعباً ومكعبات فى المكتبات ، وفى المكتبات المدرسية قد نضع بجانب الكتب الشرائح ، والأفلام ، والخرائط ، واللعب التعليمية ووسائل الايضاح .. لكن «الكتب» هى الأساس .. والسؤال :

– ماذا لدينا من هذه الكتب لنضعه فوق رفوف المكتبات ؟

وهذه محاولة لمعرفة كتب الأطفال العربية التى يمكننا أن نفيد منها ، بجانب ذلك الحشد الضخم من الكتب الأجنبية .

والكتاب عندنا نحن العرب والمسلمين شىء مقدس ..

إذ عندما أراد الله أن يهدى البشرية فى طفولتها بعث اليها «صحفاً» و «كتباً» والصحف والكتاب : هداية ورشاد ، معرفة وتعليم ، ثقافة وتوجيه .. واذا شعرت أمة بازمة فكر ، فان ذلك وراءه غيبة الكتاب ، ويعنى أن هذه الأمة لم تدرب أطفالها على صحبته منذ نعومة أظفارهم ، ولم تغرس فى نفوسهم أن الكتاب غذاء ورغيف للعقول .. وهذه مسئولية : المجتمع ، والمدرسة ، والأسرة معاً ، متلازمين .. ونحن العرب لا نعانى أزمة فى مجال كتب الأطفال .. ما نعانيه شىء أكبر من الأزمة .. إنها «مجاعة» حقيقية ، تلك التى يعانيها أطفالنا وما يصدر لهم وجبة لا تشبع ، بل تثير نهمهم ، وتنبههم الى السغب الذى يعيشونه ، حين يقارنون بين ما يقدم لهم وبين ما يرونه من كتب أجنبية ، خاصة الشوامخ التى لم تترجم بعد الى العربية ، فى مجالى المعرفة والأدب .

نصيب الطفل عالمياً

الموقف الراهن للثقافة عامة ، والكتاب خاصة ، على مستوى الوطن العربى موقف مؤسف محزن .. تكفى احصائية صغيرة لكى تثير فينا مشاعر الذعر والقلق .. تلك هى : «أن بلادنا قد استهلكت من ورق المطبوعات والكتب فى عام كامل ما لا يزيد على عشرة فى المائة مما استهلكته بلجيكا وسكانها لا يتجاوزون عشرة بالمائة من العرب» وأعرف مسبقاً أن البعض سوف يزيد الصورة اظلاماً وقتامة بقوله ...

– وماذا طبعنا على هذا الورق ؟ ما قيمته الحقيقية ؟

وبدورى أتساءل فى أسى :

– ترى ، ماذا كان نصيب الطفولة فى عامها الدولى – من هذا الورق ؟ والجواب أقل القليل .. النذر اليسير .. ربما كان أقل من خمسة بالمائة بينما عدد الأطفال يصل الى خمسة وعشرين بالمائة من عدد السكان !! والاحصائيات لغة العصر ، لذلك تضع الدول أمامها سؤالا هاماً ، عاماً بعد عام ...

– كم كان نصيب الطفل من الكتب فى هذه السنة؟

ويجيب الاتحاد السوفيتى فى فخر : ٤،٧ كتاب ..

وتقول الولايات المتحدة الأميركية ٣،٩ كتاب.

وتأسف انجلترا ، وهى تضع هذا الرقم : ٢،٦ كتاب ...

إنهم يقسمون عدد نسخ الكتب المطبوعة سنوياً على عدد الأطفال القراء .. واذا ما حاولنا لن نضع نفس الشىء لقلبنا أيدينا فى حسرة : إن نصيب الطفل العربى من الكتب سنوياً لا يزيد على سطر فى كتاب .. أو ربما كلمة !! وليست لدينا قوائم لكتب الأطفال الصادرة لهم على مدى السنوات التى حاولنا خلالها أن نقدم كتبا خاصة بهم ، وقد نادينا بضرورة حصر الصالح منها ، وذلك خلال الحلقة التى عقدت عام ١٩٧٠ فى بيروت تحت شعار «الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربى» ولكن ما من توصية واحدة من توصيات هذه الحلقة وجدت طريقها الى النور .. لذلك اعتمد على مصدر أجنبى لعرض مكاننا على خريطة العالم فى مجال كتب الأطفال ، وأتوقف عند أحدث ما صدر من قوائم ، تلك هى القائمة التى صدرت مع عقد معرض فرانكفورت الدولى للكتاب (١٩٧٨) تحت عنوان «طبع للاطفال» ..

كتب الأطفال العربية

والحقيقة أنه من الصعوبة البالغة أن نحاول حصر واحصاء كل ما صدر للاطفال العرب من كتب – غير مدرسية – وذلك لغيبة القوائم الخاصة بهذه الكتب ، لكن المسالة ضرورية ، وحتمية ، ولعل هذه المحاولة تدفع بعض الأجهزة الى تقديم جهد أكبر فى هذا المجال الذى نعتمد فيه على بعض المصادر غير العربية .. وتحت يدى أحدث قائمة عالمية لكتب الأطفال ، وقد صدرت فى عام ١٩٧٨ مع معرض فرانكفورت الدولى للكتاب تحت عنوان (طبع للاطفال) وتضم عرضاً عن كتب الأطفال فى ٧٩ دولة .. وعلى الرغم من أن ما جاء فيها من كتب الأطفال فى مصر لا يتسم بالموضوعية أو الدقة أو الامانة إلا انها أحدث مصدر يمكن الرجوع اليه بالنسبة لكتب الأطفال فى لبنان والعراق والسعودية ومصر .

ونستطيع أن نقول ان الاهتمام بكتب الاطفال يتفاوت فى بلدان وطننا وفى مقدورنا أن نجد ثلاث مجموعات متباينة فى مجال نشر كتب الأطفال :

● بلدان لم تقتحم هذا المجال بعد ، وتتركز فى الجزيرة العربية والخليج .. ومعها الصومال وموريتانيا وجيبوتى .. إن أغلب هذه البلدان إما لديها امكانات مالية ضخمة وتعتمد على استيراد كتاب الطفل من مصر ولبنان ، وإما تعوزها الامكانات بالكامل .

● بلدان لها محاولات متواضعة .. مثل الجزائر والمغرب ، وقد اعتمدا طويلا على الكتاب الفرنسى للطفل ، الأمر الذى جعل انتاجها لكتب الأطفال قليلا وجعل اعتمادها (بعد التعريب) على تونس كبيراً .. ومن هذه المجموعة أيضاً الأردن والكويت وليبيا ، وعدد الكتب الصادرة للاطفال فيها تعد بالآحاد (تهتم الكويت بكتب الرياض . وصدرت عدة مجموعات أخيراً فى ليبيا) .

● أكثر بلدان الوطن العربى اهتماماً بكتب الأطفال هى – وبترتيب الكتب الصادرة فيها – مصر ، لبنان . (باصداراتها التجارية العريضة) السودان ، سوريا ، العراق ، تونس ...

هذا ، ولا يفوتنا أن نشيد بالدور الرائع والبناء الذى قامت به دار الفتى العربى فهى بعد مكتبة كامل كيلانى – الدار التى تخصصت فى اصدار كتب الأطفال .

ويزيد عدد كتب الأطفال فى مصر على الفى كتاب .. وتتجاوز كتب لبنان الألف كتاب ، وصدر فى السودان نحو ٤٠٠ ، وفى سوريا نحو ٣٠٠ ، والعراق نحو مائتين ومائة كتاب فى تونس .. أى أن كتب الأطفال فى وطننا العربى كله لا تزيد على أربعة آلاف كتاب .

وأكثر الكتاب انتاجاً فى مجال الكتاب فى سوريا شاعرها الكبير سليمان العيسى وزكريا تامر وعادل أبو شنب ، وفى العراق فاروق سلوم وشريف الراسى وجعفر صادق ، وفى السودان حسين حسون وعوض حاج حامد ، وفى مصر أحمد نجيب ونتيلة راشد (ماما لبنى) ووصفى آل وصفى وعصمت والى ، وراجى عنايت ، و (صاحب هذا البحث) .

ماذا فوق رفوف المكتبات ؟

هذا التساؤل طرحته على نفسى ، وحاولت أن اجيب عليه ببساطة .. إن فوق رفوف مكتبات الأطفال : الخاصة ، والعامة ، والمدرسية : كتباً ومراجع ومجلات وقد تكون هناك بعض الخرائط والمصورات والوسائل التعليمية ، وربما توجد بعض أشرطة الكاسيت ، والشرائح المصورة ، والأفلام ... وهذه هى التى يسمونها المكتبة الشاملة ..

وفجاة تذكرت دولاب الكتب القديم ، المتهالك ، المغلق لسنوات طويلة والقابع فى الظلام فى ركن من أركان مدرسة (...) الابتدائية ، ومفتاحه قد يكون مع السيد المدير ، أو السيد السكرتير ، أو السيد أمين العهدة .. وتلاميذ هذه المدرسة عددهم نحو خمسمائة طفل ، وميزانية المكتبة سنوياً خمس جنيهات – فى مصر – أى نصيب الفرد منهم قرشاً لتزويد المكتبة بالجديد مما صدر فى دنيا العلم والمعرفة والأدب والفن وكانت لنا فى فصولنا – يوماً ما – مكتبة .. لكل فصل من التبرعات .. وتذكرت أن بلادنا تكاد تخلو من المكتبات العامة للاطفال (هناك مكتبة واحدة بالقاهرة ، وأخرى فى بغداد) . ربما تفرد بعض دور الكتب جانباً للاطفال ، وقلما يجدون فيه ما يناسبهم ، وسرعان ما ينصرفون عن المكتبة ولا يعودون للتردد عليها ... ولكن هناك محاولات من جانب قصور الثقافة ونوادى الشباب لخلق «نواة مكتبة» حيثما وجد القصر أو النادى ... وتذكرت أن «غرفة المكتبة» ليست ضمن غرفة «جهاز العروسة» وأن بيوتنا غالباً لا تعرف المكتبات الخاصة ، وبالتالى فلا رفوف لأطفالنا ، خاصة بهم ، يضعون من فوقها كتبهم ، والأب يفضل علبة السجائر على الكتاب ، والابن يفضل عليه قطعة الشيكولاته ويتوارث الأبناء عادات الآباء ... وعلى هذا تتناثر كتب الأطفال ومجلاتهم فى البيوت وقلما يكون لهم رف هو النواة الحقيقية ليكون بنفسه مكتبة فى المستقبل .

ومن الضرورى أن نفرق بين لونين من كتب الأطفال :

أولا – كتب المعرفة : وهى تدور حول كافة الوانها ، والكثير منها تعليمى مدرسى ولكنه اقترب فى السنوات الأخيرة الى شكل كتب الأطفال الملونة البراقة ، وحفل بالصور والرسوم .

ثانياً – كتب الأدب : وهى في شكل رواية أو مجموعة قصص قصيرة ، أو تصاغ فى صورة مسرحية ، بجانب الشعر والأناشيد والأغنيات .. وهى لا تستهدف المعرفة فى المرتبة الأولى ، بل تسعى للثقافة ، وتترك فى نفوس قرائها انطباعاً ، ترمى به الى إثراء الوجدان وتغيير المفاهيم وتثبيت القيم الأخلاقية الايجابية .

والخلط بين الشكل والمضمون ، يأتى من أن كتب الجغرافيا أصبحت (أدب رحلات) ، والمواد التاريخية تصاغ فى شكل قصصى أو مسرحى ، كما أن الروايات العلمية تحتوى على قدر كبير من المواد العلمية ، أى أن كتب الأطفال كثيراً ما تمزج بين الأمرين ، والحكم على الكتاب بانه من كتب المعرفة أو الأدب يتوقف على ما توخاه منه مؤلفه وما قصد اليه واستهدفه .. وقد لوحظ فى الفترة الأخيرة محاولة من جانب الكتاب المدرسى للاقتراب شكلا ومضموناً من كتب الاطفال والعكس صحيح بالنسبة لكتب المعرفة والمعلومات ، إذ أن إلغاء الكتاب المدرسى المقرر جعل من الضرورى وضع هذه الكتب بين أيدى الأطفال كمراجع للبحث والدراسة والتحصيل .

كتب الجريمة

وعلى رفوف مكتبات الأطفال – فى البيت والمدرسة – نعثر على كثير من قصص الجريمة ،

الطفل العربي وأزمة القراءة

لقد شهدت نهاية الستينات وبداية السبعينات ــ والى الآن ــ هذه الجرائم التى ترتكب فى وضح النهار وتحت أنظار السلطات الثقافية ــ إن كان هناك شيء يمكن أن يطلق عليه هذا التعبير ــ وأمام بصر الرأى العام ، كم رهيب من الروايات البوليسية التى تغمر الأسواق بأعمال رخيصة ، أغلبها مترجم من اللغات الأجنبية على ورق رخيص ، ورسومها سخيفة ، وموضوعاتها أشد رخصاً وسخافة .. وهى أعمال لاتمت بصلة لا الى ثقافة الأطفال ، أو أدبهم ، أو كتبهم (الأصل فيها مجموعة من روايات الكاتبة الانجليزية ايند بلايتون التى لا يشير اليها قط أى كتاب من تاريخ أدب الأطفال فى العالم على الرغم من أنها تاتى الثالثة فى قائمة الكتب المترجمة على مستوى العالم بعد الانجيل وشكسبير .. وبعد النجاح المادى الذى حصل عليه أصحاب هذه الترجمات ــ ونخرجهم من عداد كتاب الأطفال ــ زادت هذه البوليسيات وتجاوزت الحد المعقول ، وراحت تنضم اليها سلاسل جديدة كالشياطين تصدر من القاهرة وبيروت . (بعض البلدان العربية كالسعودية والعراق تمنعها من دخول أسواقها) ، والمؤسف أن دارين للنشر عريقتين ، فى القاهرة تساهمان فى هذا العمل :

● دار المعارف التى احتضنت أقلام كامل كيلانى وسعيد العريان وبرانق وزهران .

● دار الهلال التى أصدرت كتب ماما لبنى وحجازى واللباد .

وذلك بجانب دار اللطائف المصورة فى بيروت التى تصدر سبع مجلات (سوبرمان ، الوطواط ... الخ) وهى مجلات ــ مثل الشياطين ــ لا تستهدف غير تخريب نفوس الأطفال .

والعالم كله يخرج الروايات البوليسية من دائرة الأدب ، ولا تضم قائمة الكتب الكلاسيكية للاطفال ــ أو الكبار ــ أى عمل من الأعمال البوليسية ، ولم ترق أى من هذه الأعمال الى مرتبة اعتبارها أدباً (فيما عدا ما كتبه الألمانى ليريك كيسلر فى روايته أميل والبوليس السرى) والسؤال الذى يطرح نفسه :

ــ هل نرضى غرائز الأطفال ورغباتهم ، أم نعطيهم احتياجاتهم الضرورية ؟!

● إن الاجابة على السؤال تكمن فى أن الطفل يحب الشيكولاته لكنه لا يمكن أن يعيش عليها ، ويجب على الأدباء ألا ينقادوا لأبنائهم فى هذا السبيل الضار ، لأن من «الحب ما قتل» ! والانسياق وراء إرضاء الغرائز خطأ كبير .

والبعض يتهمون أدباء الأطفال بأنهم يغارون من النجاح الذى تحققه هذه الأعمال البوليسية ، وما أظن أديباً حقيقياً فى العالم كله يشعر بالغيرة من موريس لبلان أو كونان دويل أو أجاثا كريستى .. إنه لون من الكتابة يمتع خلال قراءته ولا يترك بصمة أو أثراً والقول بان هذه البوليسيات تضيف الكثير من المعلومات للاطفال غير صحيح لأن القارىء خلالها مشغول بالحدث متتبع للوقائع الأمر الذى يجعله غافلا تماماً عن كل ما يرد من معرفة ... كما أن القول بانها تدرب الطفل على القراءة أمر غير صحيح : إن قراء البوليسيات لا يتجاوزونها الى غيرها إلا إذا كانوا من قراء الكتب أصلا .. ويكفى ما تعالجه من أعمال مثيرة ، يتوتر لها الطفل ، كان ما حوله لا يكفى ! ، وكم تسبب له المخاوف ، فالأمم المتحدة وتقرير فيليب بوشار ، وكل دساتير الكتابة للاطفال فى العالم تحرم التعرض لحوادث الاختطاف ، ولدينا (الطفل المخطوف) و (الأمير المخطوف) ، وغيره .. كما تحرم (التهديد) الذى يخل بأمن الطفل وطمأنينته ، وعندنا (الرسائل الغامضة) وقد قلدها أطفال احدى المحافظات وبعثوا برسائل تهديد الى المسئولين فى المحافظة واعترفوا خلال التحقيق أنهم تعلموها من الرواية التى حرزت مع أوراق القضية .. ان هذه الأعمال الرخيصة الضارة يجب أن نتصدى لها بقوة .

ولقد أن الأوان لكى تنتبه بلادنا والرأى العام الى هذا اللون البشع من الغزو الثقافى الذى لا يستهدف غير الربح المادى على حساب ثقافة أطفالنا ، وأدبهم .. إن الأعمال العالمية للاطفال ، والتى حازت أكبر الجوائز لم تترجم الى العربية .. الفائزون ، جوائز كارنيجى ، تيوبرى ، هانز أندرسون لا يعرف الحقل الثقافى للأطفال أسماءهم ، ولا كتبهم ، لأن هذا السيل المتدفق من البوليسيات يغمر الأسواق ويطرد العملة الجيدة منها .

كتب الأطفال

الكتاب ــ فضلا عما فيه من قيم ثقافية ــ سلعة تمر بعدة مراحل حتى يتم تصنيعها ، وهى تحتاج بجانب المؤلف والرسام الى ورق ، وحبر وطباعة والوان ، وغير ذلك من الخامات التى تتكلف كثيراً ، وخاصة كتب الأطفال فى حاجة الى لون جيد من الورق والأغلفة بجانب الدقة فى الطباعة واستخدام الألوان ..ثم أن الكتاب كسلعة يعانى من منافسة سلع أخرى ــ غير الاذاعة والتليفزيون ــ مثل اللعبة والحلوى ، وارتياد السينما والمسرح .. وقد ارتفعت أسعار الخامات ، وبالتالى أثمان الكتب ، وخضع سوقها للعرض والطلب .. ونتيجة لضعف القوة الشرائية لم يعد الاقبال على الكتاب عامة ــ وكتب الأطفال خاصة ــ يغطى مساهمة بعض الهيئات فى شراء هذا اللون من الكتب لكساد سوقه بالكامل ، خاصة والاعلان عنها يكلف الكثير مما يزيد فى النفقات وبالتالى فى سعر الكتاب ، وإن كانت هذه الهيئات ــ كوزارة التربية ــ لا تشترى كميات كافية لتغطية المصروفات .. وليس لدى الأطفال مصروف كاف لاقتناء كل ما يرغبون فيه من كتب ، اذا كانوا ممن يقبلون على القراءة .

(كان توزيع كتب الأطفال فى فرنسا فى عام ١٩٧٨ يشكل ٨,٤٧ بالمائة من الكتب الموزعة ، ارتفع عام ١٩٧٩الى ٩,٩٠ فى المائة) .

والحقيقة أنه ما من حل لأزمة كتاب الطفل إلا بتوزيعه على نطاق واسع فى شتى أرجاء الوطن العربى ، وإن كان هناك الكثير مما يحول بيننا وبين هذا،مثل الاجراءات الجمركية ، والقيود النقدية المفروضة داخل كل قطر عربى .. والحق أن كتاب الطفل يحتاج الى مزيد من الرعاية ، فلابد من أن يتم توزيعه بلا عوائق ، من اى لون كانت ... يجب أن ترفع عنه الرقابة ، والجمارك ، وكافة القيود التى تمنع تداوله .. بل يجب أن تتدخل الحكومات ذاتها فتستورده مهما كان ثمنه لتضعه فوق رفوف المكتبات العامة والمكتبات المدرسية ، بل لتضعه فى الأسواق بأرخص سعر ممكن .. كمحاولة لخلق لون من ألوان وحدة الثقافة بين أبناء الوطن العربى .

ترجمة كتب الأطفال

مما لا شك فيه أن أدبنا الحديث كله مر فى البداية بمرحلة الترجمة والنقل والاقتباس وقد حاول الرائد كامل كيلانى أن يجتاز بنا هذه المرحلة بسرعة ، كما حاول سعيد العريان أن يقفز

بمرحلة التأليف ، ولكن هناك فجوة كانت تحتاج لبعض الوقت .. وكان لابد من عبور مرحلة ترجمة أمهات كتب الأطفال العالمية التى تشكل معالم حقيقية فى تاريخ أدب الأطفال عالمياً ، لكن هذا التراث الانسانى الرائع غاب عنا ولم يصل الى أيدينا وأيدى أطفالنا بالتالى ، إذ امتلأت الساحة بالردىء من المترجمات فى بيروت ، والفاسد من البوليسيات بجانب الطبعات العربية من المجلات السخيفة الأجنبية .. وبات من الضرورى وضع منهج متكامل لترجمة الشوامخ التى استمتع بها أطفال العالم ، جنباً الى جنب تشجيع المؤلفين لكى يستعيضوا عنها أعمالا جديدة تقودنا الى مرحلة الخلق والابتكار الكاملين .. وقوائم الكلاسيكيات والمؤلفين الحائزين على الجوائز العالمية فى أدب الأطفال خير ما يمكن أن يهدينا فى هذا السبيل لنفتح لأطفالنا نافذة على الأدب العالمى الجيد .. كما أننا نطالب اساتذة الجامعات بضرورة التصدى لكتاب تاريخ أدب الأطفال ، حديثاً ، لأن الذى وصل الى أيدى كتابنا قديم ، بل ان أغلبهم وقف عند هانز أندرسون والحكايات الشعبية وما من سبيل الى التطور إلا بمواكبة ما يجرى على الساحة العالمية بعد تجاوز مرحلة النقل والاقتباس التى مازلنا نعيشها مع الأسف .

وثمة ملاحظة ذكية أبدتها السيدة أمل الشرقى – مديرة دائرة ثقافة الطفل بالعراق – أن بعض الكتب المنقولة لأطفالنا تعرب لكن رسومها تبقى أجنبية ، وبذلك تفقد نسبة كبيرة من تأثيرها على القراء ، وتكشف نفسها رغم تبديل أسماء أبطالها واختيار أسماء عربية لهم ..

والترجمة ليست عيباً ، ان الاتحاد السوفيتى يترجم سنوياً بمعدل ٢٠٠ كتاب وتترجم الولايات المتحدة قرابة خمسين كتاباً ، وتترجم انجلترا نحو ٢٥ كتاباً .. كل منهم يريد أن يفتح النوافذ لأطفاله على ما يدور فى العالم ، كما أن هناك كماً كبيراً من كتب النشر المشترك التى تتعاون دور النشر فى اصدارها بلغات مختلفة ، وإن اتفقت فى رسومها وشكلها ، وذلك تخفيضاً للنفقات .. وهاملين فى انجلترا ، مثلا تصدر كتبها بخمس لغات فى وقت واحد : الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والايطالية .

والمشكلة الحقيقية اننا نختار أسوأ الأعمال العالمية لترجمتها .. ودور بيروت فى هذا المجال يجب أن يذكر ، بجانب الطبعات العربية من المجلات الأجنبية (ميكى وتان تان ، وسوبر مان ، والوطواط ...) ويكفى أن نشير الى كم الكتب التى تصدر تحت اسم النشر المشترك ، وهى لا تتجاوز نقلها الى العربية برسومها دون أن يكون هناك أى لون من التبادل فينشرون باللغات الأجنبية جانباً من انتاجنا العربى للاطفال .. وقد تكون بعض الأعمال التى ترجمت فى هيئة الكتاب من الايطالية (دائرة معارف الحيوان ، قصص الحيوان الحديثة ، ... الخ) بجانب الكتب العلمية التى سبق أن أصدرها ماكميلان من أفضل الاختيارات فى الناحية المعرفية ، أما فى مجال الأدب فمازالت أيدينا قاصرة عن ترجمة الشوامخ ، وبالتحديد كتب الحاصلين على جائزة هانز أندرسون العالمية .

ترجمة كتبنا للأطفال

ما من بلد صغير فى عالمنا إلا ويحاول أن ينقل أدبه الى كل الدنيا ، بترجمته الى اللغات الأجنبية .. ثم هو يحاول أن يقدم تعريفاً بنفسه إلى أطفال العالم ..



ويكفى أن أذكر اننى أحصيت منذ سنوات ما لا يقل عن سبعين كتاباً بالانجليزية للاطفال عن اسرائيل ! ..

ولقد تنبه المرحوم كامل كيلاني – رائد أدب الأطفال – الى ذلك فى وقت مبكر ، لذلك قدم ترجمات لبعض أعماله كانت سبيلاً للكثيرين لتعلم العربية ، وهم يعرفونه جيداً فى (طشقند) نتيجة لذلـك ..

كما أن دار الفتى العربي قدمت بعض قصصها وكتبها باكثر من لغة ولقيت اهتماماً كبيراً على مستوى العالم ..

ونحن نعرف أن الكتاب الغربي تقف وراءه مؤسسات ضخمة ، ودور نشر كبيرة .. بل هم الآن ينشرون فى لندن كتباً بالعربية .. وقصصاً لهم مترجمة للعربية .. وكانت مؤسسة فرانكلين الى عهد قريب تنشر عشرات الأعمال الأدبية لكتاب الأطفال الأمريكيين .. بعضها نشر فى القاهرة وبعضها فى بيروت وبغداد ..

كما أننا نعرف ، وسبق أن ذكرنا أن الكتلة الشرقية تقف وراء كتبها وكتابها ، وترجموا عشرات من الأعمال من بينها كتب تولستوى وماكسيم جوركي ومارشاك وغيرهم الى العربية وهي تباع بأسعار رمزية وتلقى إقبالا كبيراً ...

والسـؤال ...

– من يقف بجانب الكتاب العربي ؟ أين هي الهيئة القومية التى تساند الكتاب العربي من اجل أن يظهر ؟ ثم من يقف معه لكي يترجم وينتشر على مستوى العالم كله ؟!

لسنا نملك الاجابة الصريحة على مثل هذه الأسئلة ، لأننا نحس من الأجهزة القومية والوطنية تقاعساً وإهمالا يحزننا ويقلقنا .. فلا نحن أقمنا دارا مشتركة لنشر كتب الأطفال ولا نهضت بلد بترولي بهذه المهمة الجليلة .

.... وبعـــد ..

إن الأهداف واضحة والامكانات والموارد المتاحة ليست بقليلة ومن الميسور رسم استراتيجية لكتب الأطفال على مستوى الوطن العربي ، ومنها نضع الخطط والبرامج القومية والوطنية ، ونستطيع فى يسر تنفيذها إذا ما تضافرت عناصر الوحدة والتعاون ..

إن الطفولة صانعة المستقبل ..

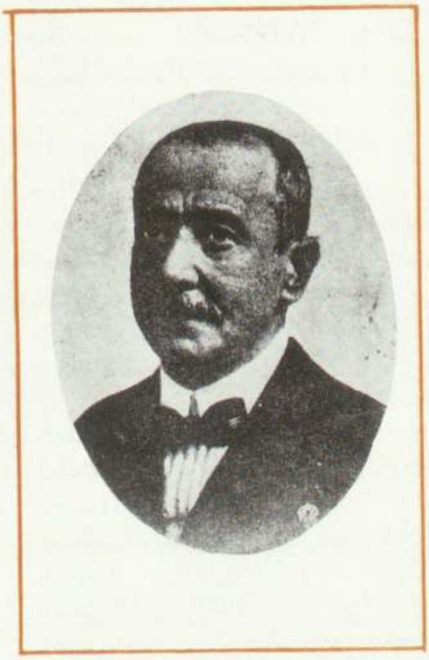
والكتاب هو صانع الطفولـــة ...

عبد التواب يوسف

شوقي .. شاعراً مسرحياً

بقلم : حسين عثمان

مهما يكن اختلاف النقاد والمؤرخين حول مكانة أمير الشعراء أحمد شوقي ككاتب مسرحي .. وأياً كانت الاجابة على اسئلة من نوع : هل أضاف أمير الشعراء الى المسرح العربي جديداً بمسرحياته التى كتبها ؟ أو هل كان المسرح سيفقد شيئاً هاماً لو لم يكتب شوقي تلك المسرحيات ؟ إلا أن النقاد والمؤرخين والجمهور المتذوق للمسرح لم ولن يختلفوا على ان شوقي كان له فضل الريادة الشعرية على خشبة المسرح العربي . وأنه الشاعر الذى ارتقى بالمسرحية العربية من مرحلة الركاكة والسجع والحشو السقيم بالمبالغات والمحسنات والاستعارات ، والتذييل المطوط بمأثورة القول والاستشهادات .. ارتقى بها من تلك الصياغة الهابطة الى نوع من السبك بالشعر الرصين ، والبناء اللغوى المحكم ، والكلمة ذات الشموخ والأناقة ، دون تكلف أو افتعال أو شطط .



احمد شوقى



احمد شوقى مع سعد زغلول

●●

ولقد عرف أحمد شوقي طريقه الى المسرحية الشعرية فى أوائل عام ١٩٢٨ ، عندما نشرت الصحف أنه شرع فى كتابة مسرحية عن حياة « كليوباترا » ملكة مصر . وكانت فكرة الكتابة للمسرح تلح عليه منذ أن عاد الى مصر فى عام ١٩٠٠م ، حيث بدأ يكتب مسرحية « على بك الكبير » حينذاك . لكنه وجد أن الجو العام المحيط به لا يشجعه على الاستمرار فيما بدأه ، فطوى مسوداته ، وآثر أن يستجيب لتقاليد البلاط ، ضارباً صفحاً عن التأليف المسرحي ، وإن يكن فى ذات الوقت انصرف الى التأليف الغنائي حيث غنى له عبده الحامولي بعض القصائد التى تتضمن قصصاً خرافية على ألسنة الطيور والحيوانات . كما استوحى التاريخ بعض قصائده مستهدفاً منها استخلاص العبرة والعظة

لكن فكرة الكتابة للمسرح ظلت عالقة بطموحه الفني . عاودها عندما لمس نمو الوعي القومي ، وارتقاء ذوق الجمهور ، وارتفاع مستوى المسرح ، واتساع نفوذه ونشاطه وكثرة الاقبال عليه ، وتزايد حركة الدعوة للتجديد الأدبي ، والتصدى للتقاليد الغثة فى عالم التأليف . كان عليه ـ وهو الذى دانت له إمارة الشعر العربى ـ أن يضرب بسهم فى هذا الميدان . لقد استهواه من المسرح الانجليزي السلسلة التاريخية التى كتبها شكسبير مشيداً بأعمال الملوك ، وتقديمهم فى إطار من الأبهة والجلال ، وتغليب عنصر الخير على الشر ، والفضيلة على الرذيلة . وهكذا اتجه شوقي الى كتابة مسرحيات يستلهمها من التاريخ الفرعوني ، والعربي ، والاسلامي ، مستهدياً بتقاليد المسرح الأوروبي ، وبخاصة مؤلفات شكسبير التاريخية .

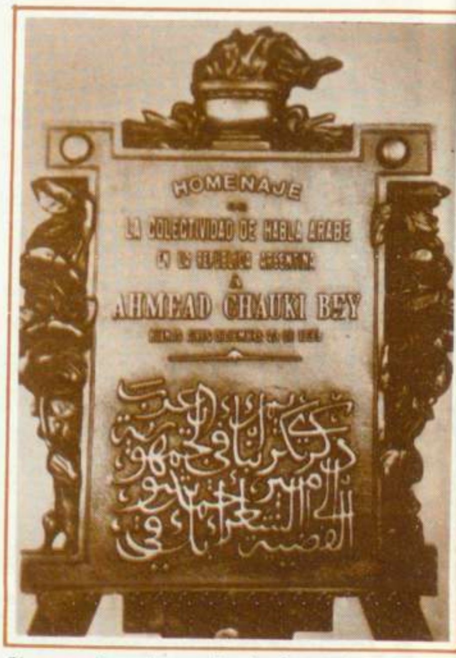
●●

أول ما كان يعنى به أحمد شوقي ،


وليم شكسبير


فاطمة رشدى


يوسف وهبى



لوحة على قبر شوقى مهداة من جمهورية الأرجنتين

هو : اختيار الموضوع . فاذا اهتدى إليه هرع الى أهم المراجع التى يستقي منها بناء هيكل المسرحية . فاذا انتهى من بناء الهيكل ، اسرع الى سكرتيره الخاص يملي عليه سياق المسرحية .

ولم يكن شوقى يقيد نفسه أثناء الكتابة بتسلسل المشاهد فى الصورة التى سوف تتتابع بها على خشبة المسرح . كان يستجيب لومض المشاهد فى رأسه ـ بغض النظر عن ترتيبها المنطقي ـ فيكتب الفصل الثاني ـ مثلاً ـ قبل الفصل الأول ، أو المشهد الأخير فى فصل من الفصول دون أن يكتب بدايته . فاذا أتم المسرحية كتابة ، قام بترتيب الفصول والمشاهد بعد الحذف والتعديل والاضافة . وحين يطمئن الى ما انتهى من كتابته ، يدفع بالنص الى المطبعة ، حريصاً على أن يقوم بنفسه بعملية التصحيح ، ومراجعة البروفات النهائية قبل الطبع . ثم يأمر بطبع مائتي أو ثلاثمائة نسخة . وكان فى معظم الأحيان يقضى اليوم كله داخل أقسام المطبعة لمراقبة عملية إعداد النسخ وتغليفها ، إذ كان لا يسمح أن تتسرب نسخة واحدة منها . ثم هو بعد ذلك يحمل الكمية المطبوعة الى مكتبه « فى بناية الدائرة الشوقية » الذى يدير منه أملاكه الواسعة ، ويلتقى فيه كذلك بالأصدقاء من الأدباء والشعراء والنقاد. وكان يحتفظ بالكمية المطبوعة من المسرحية ، الى أن يقع اختياره على الفرقة التى ستمثلها ، وهي عادة واحدة من فرقتين : فرقة فاطمة رشدى أو فرقة يوسف وهبي . وبنفسه يقوم بتوزيع النسخ على الممثلين . ولا يترك بروفة واحدة دون أن يشاهدها متقصياً كل ما تتطلبه المسرحية من إعداد فني .. الملابس ، والديكور ، والاضاءة ، وتدريب الممثلين على النطق السليم . وقد حدث فى مسرحية « قمبيز » أن بلغت ميزانية الملابس فقط ألفي جنيه ، ولاحظ أن يوسف وهبي يحاول اختصار هذه الميزانية ، فقام بدفع المبلغ كاملا حتى يتم إخراج المسرحية فى الصورة التى تخيلها كمؤلف .

● ●

فى عام ١٩٣١م أقيمت مباراة للتأليف المسرحي ، فتقدم شوقي لهذه المباراة بثلاث مسرحيات هي « علي بك الكبير » وكان قد أعاد كتابتها بعد أن نضج كمؤلف مسرحي . كما تقدم بمسرحيتي « قمبيز » و « أمير الأندلس » والأخيرة كتبها بالنثر خصيصاً لفاطمة رشدى . وقد وضع لنفس الممثلة مسرحية فكاهية واحدة هي « الست هدى » . وكان شوقي يذكر للمحيطين به ولأبطال المسرحية أنها واقعية ، وانه شاهد حوادثها بنفسه فى طفولته ، وأن بطلتها كانت تسكن بجوار منزل والده فى حي « الحنفي » القريب من حي السيدة زينب ، وأن تلك البطلة كانت تحب شوقي وتخصه بالهدايا كلما جلس إليها فى بيتها حيث وقعت حوادث المسرحية .

● ●

والمعروف أن بعض المسرحيات التى كتبها شوقي للمسرح ، ترجمت الى اللغة الانجليزية مثل « مصرع كليوباترا » التى قامت بترجمتها المستشرقة الانجليزية « مسز ريكن » كما ترجم مستشرق انجليزى أيضاً مسرحية « مجنون ليلى » عقب أن شاهدها خلال زيارته لمصر سنة ١٩٣١ ، وطبعها فى كتاب ، وكتب لها مقدمة ضمنها تاريخ مؤلفها أحمد شوقي وحلل قصة المجنون ، وقارنها بما ورد عن المجنون فى كتاب «الأغاني» ، ورجح اعتماد شوقي على هذا الكتاب ، ومدللا على رأيه ببعض حوادث مسرحية « مجنون ليلى » ومطابقتها بما جاء فى قصة المجنون فى كتاب « الأغاني » . وقد جاء فى هذه المقدمة « أن لقصة المجنون وليلى شهرة فى العالم العربي، وأنها رويت من زوايا كثيرة ، وكتبت بأساليب مختلفة ، ولكن أحمد شوقي

تميز عن غيره ممن كتبوا هذه القصة بقوة الابتكار» . وذكر المترجم أيضاً في هذه المقدمة «أن بعض المستشرقين الذين بحثوا في أضابير التاريخ العربي يميلون إلى أن قصة ليلى والمجنون خرافة لا أساس لها من الصحة . كما أن «الأصفهاني» صاحب كتاب «الأغاني» يصر على أن جمهرة من الثقات تجزم بأنها قصة من نسج الوهم وصنع الخيال . ولكن الشاعر أحمد شوقي يؤمن بصحتها ويؤيدها بالحوادث والأشخاص» .

وقد قوبلت «مجنون ليلى» باعجاب كبير من المشاهدين خاصة عندما مثلتها فرقة رمسيس في رحلة فنية قامت بها الى البلاد العربية . كما أن فرقة فاطمة رشدي أعادت تمثيل «مجنون ليلى» بعد أن وقع خلاف بينها وبين يوسف وهبي وقدمت عروضاً لها في العراق وسوريا ولبنان والمغرب وتونس .

وفي تونس شاهدها المخرج السينمائي القديم ركسي انجرام فأعجب بها ، وأبدى رغبته في أن يحولها الى فيلم سينمائي ، وقد زار مصر خصيصاً لمقابلة «شوقي بك» لكن المنية كانت قد وافت شوقي قبل وصول المخرج السينمائي بأسابيع قليلة !

ومن طريف مارواه المرحوم الدكتور زكي مبارك عن مسرحية «مجنون ليلى» أن شوقي كان يؤلفها بينما يده في يد الدكتور زكي مبارك وهما يسيران من شارع جلال المتفرع من شارع عماد الدين حيث كان يقع مكتب «دائرة شوقي بك» الى شارع شبرا ، الى شارع روض الفرج ، إلى شارع قصر النيـل .

ويقول الدكتور زكي مبارك أيضاً :

« كان شوقي بك يسمعني ما ينظمه ، فأصحح ، وكان يغتاظ من التصحيح . وإن اقتنع بأنه مخطىء حين أطلق على غريم المجنون اسم «ورد» ، فقد قلت له ان «الورد» ليس زهرة وإنما هو أحد أسماء الأسد . وذكرت له بيت البحترى الذى يقول فيه :

ماالكلب محموماً وإن طال عمره
ولكنها الحمى على الأسد الورد

وعندئذ قال شوقي : لقد أفحمتني ولكنني لن أسمع لك ، فأنا أمير الشعراء

فقلت وأنا مبتسم : الأمر أمرك يامولاى .

فقال : الأمر للـه من قبل ومن بعد ، وإلى الله وحده المصير .

● ●

كان أقصى ما بلغه المسرح الشعري حين بدأ شوقي يكتب مسرحياته الشعرية ، نوعاً من « الأوبريتات » التى نظمت شعراً باللهجة العامية ، ومسرحيات أخرى نظمها كاتبوها بأسلوب ركيك ، لا يهتم بغير إظهار الموسيقى والألحان والديكورات والملابس ، دون العناية بابراز المعاني ، وجماليات اللغـة .

فلما قدم شوقي مسرحياته بأسلوبه الناصع الجميل ، انتقل جمهور المسرح إليه ، على الرغم مما حملته مسرحياته من طفرة كبيرة في الارتفاع بمستوى الفكرة عند المتفرجين .

أحمد علام «مجنون ليلى»



● ●

بعض مسرحيات شوقي لم تصادف النجاح الذى صادفته مسرحياته الأخرى ، مثل «مجنون ليلى» و «مصرع كليوباترا» و «قمبيز» و «على بك الكبير» و «الست هدى» .

والذين عاصروا عرض مسرحيتي «مجنون ليلى» و «كليوباترا» يؤكدون أنهما بلغا أقصى درجات النجاح الجماهيري .

ومما يذكر أن مسرحية «قمبيز» عندما عرضت بعد «مصرع كليوباترا» واجه شوقي هجوماً عنيفاً من بعض النقاد . فقد لاحظ هؤلاء النقاد أن شوقي لم يقدم في هاتين المسرحيتين «مصـر» الفاتحة المنتصرة القاهرة . وإنما قدمها في صورة الدولة مهيضة الجناح ، التى تستقبل الغزاة من الرومان والفرس ، وهي تجأر بالشكوى وتستصرخ من ينقذها مما تردت فيه من هوان .

كانت «مصر» أيامها تعاني من الاستعمار .. وقد دافع شوقي عن وجهة نظره في المسرحيتين ، بانه يريد أن يستحث الشباب على مواصلة الجهاد والكفاح .

ومن الواضح أن شوقي إنما يريد أن يربط بين الماضى وبين كفاح المصريين ضد الانجليز في الزمن الذى ظهرت فيه هاتان المسرحيتان .

● ●

بقى أن نقول إن مسرحيات شوقي جميعها كانت تشق أفقاً جديداً للشعر العربي وللمسرحية العربية . وقد يسدل النسيان ستائره على بعض قصائده في المراثى والمدائح .. لكن شعره المسرحي لن ينسى أبداً ، لأنه أول تراث قومي في عالم المسرح الشعري العربي .

حسين عثمان

من فات قديمه تاه

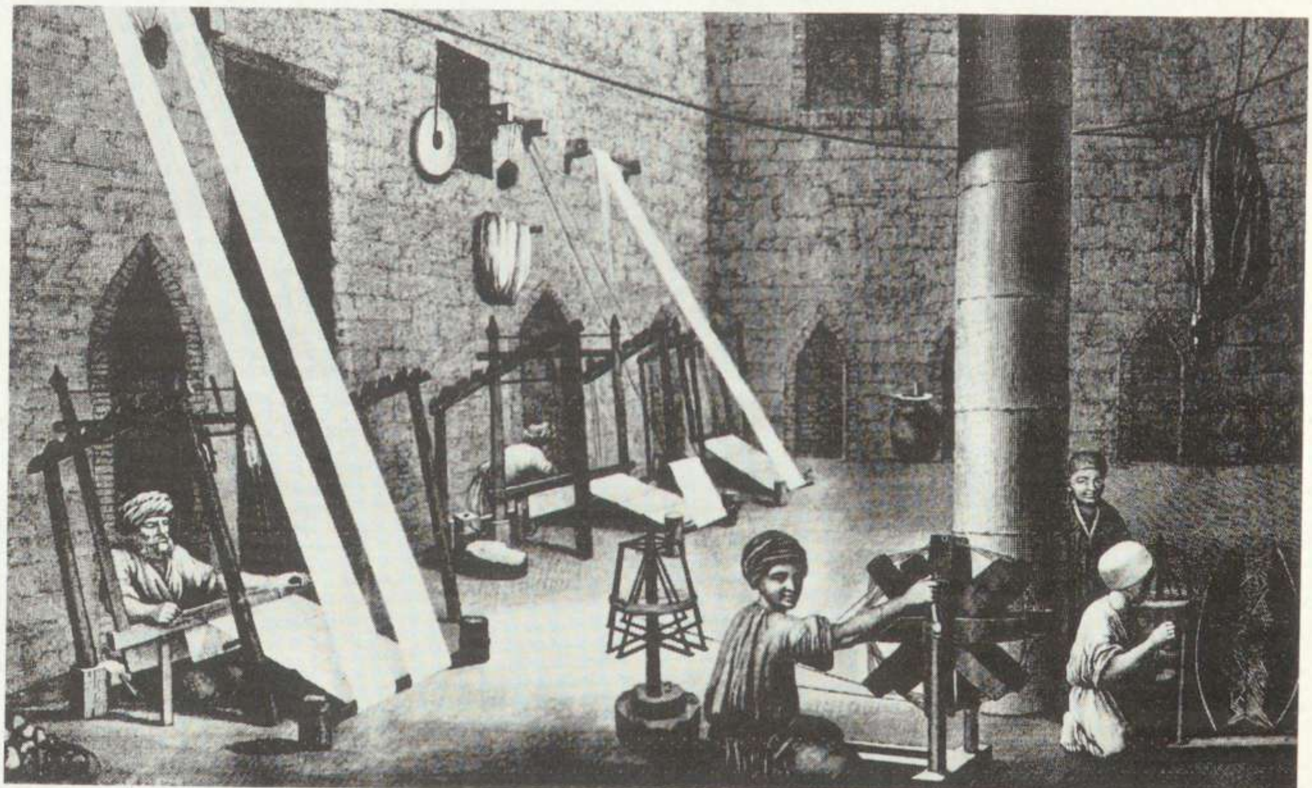
مجلة ثقافية
علمية أدبية
صناعية
زراعية

لمنشئها
ومحررها
صلاح الدين
المقريزي

انظر إلى الماضي دون خجل

ماضينا الجليل
ليس عورة
فنسترها
ولاجريمة فننكرها

مقتطفات مما كان
يقرؤه منذ ١٠٠ عام
جد أبيك
أوجد جدك



مصنع للغزل والنسيج فى القاهرة فى القرن التاسع عشر .

في هذا العدد:

- تاريخ بابل وآشور
- باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال
- المدافع لاتقرأ القرآن
- باب الأخبار العلمية

العدد السابع - ديسمبر/كانون أول ١٨٨١م

عزيزي القارئ..

المدافع لا تقرأ القرآن

فى ديسمبر عام ١٨٩٨ زار المؤرخ العربي المعروف عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، المقر العلمي للحملة الفرنسية ، حيث احتشد « عقل فرنسا » الذى أحضره الغازي نابليون بونابرت معه ، يضم علماء فى التاريخ والأدب والحشرات واللغات والطب والهندسة والكيمياء ، ومصورين وجغرافيين ومهندسين وفلاسفة ، وكأنه يعلن أن الشعوب لا تقهر بالخيول فقط ، ولكن أساساً باحتلال العقول !

وتجول الشيخ الأزهري ، فى أبهاء المجمع العلمي الفرنسي ، يتأمل المكتبة التى نظمت فيها الكتب على الرفوف ، والقراء على المناضد ، يتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العسكر ، واستقبله المشرفون على البعثة بالبشاشة والضحك ، وأطلعوه على ما لديهم من كتب ، وأجروا أمامه تجربة كيميائية نتجت عنها فرقعة ارتجف لها المؤرخ العربي ، فخرج ليكتب أن الفرنسيين « لهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضية ، ومعرفة اللغات والمنطق ، ويدأبون فى ذلك الليل والنهار » . وتحدث بدهشة عن تفوقهم فى العلوم الطبيعية ، وختم تعليقه قائلا بتواضع – وبعض تضاؤل – إن للفرنسيين فى تلك العلوم : أموراً وأحوالاوتراكيب غريبة ينتج عنها نتائج لا تسعها عقول أمثالنا » !

وبعد هذا التاريخ بعامين ، كان الجبرتي عضواً فى الديوان ، أو مجلس النواب المصري الذى عينه الفرنسيون ، ورفع التجار الأسعار ، فدعا المشرف الفرنسى على الديوان ، الأعضاء لمناقشة الأمر ، وهددهم بأنهم سيكونون مسئولين إذا لم تنخفض الأسعار ، وقرأ منشوراً يهدد بعقوبات وغرامات عامة إذا تحرك المصريون أو ثاروا على الجيش الفرنسي الذى كان يستعد – آنذاك – للجلاء عن مصر !

وحول موضوع « العقوبات العامة » – دار الحوار بين أعضاء الديوان من العرب المصريين ، المتخلفين ، الذين لا تتسع عقولهم لادراك ما يجري فى مقر البعثة العلمية ، وبين الجنرال الفرنسي الذى جاء يرفع أعلام الحرية والأخاء والمساواة ، والقانون والديمقراطية..

قال بعض الحاضرين :

– العقلاء لا يسعون فى الفساد .. وإذا قامت الفتنة لزموا بيوتهم !

فقال الوكيل :

– ينبغي للعقلاء ولأمثالهم نصيحة المفسد وغيره .

قال بعضهم :

– هذا ليس بجيد ، بل العقاب لا يكون إلا على المذنب .. فقد قال تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة !

وقال آخر من أهل المجلس :

– ولا تزر وازرة وزر أخرى !

فقال الوكيل مشيراً الى ما جرى فى ثورتي القاهرة ضد الفرنسيين :

– المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات – أى القنابل – ليس لها عقل حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فانها لا تقرأ القرآن . ! .

وهكذا انتهى هذا الحوار العجيب ، بين الذين جاءوا بكل شعارات العصر : الحرية والديمقراطية وشخصية العقوبة وأعاجيب الكيمياء ، فخانوا فى اللحظة الأولى لتحولهم الى مستعمرين . كل هذا .. وبين مجموعة من المشايخ لا تسع عقولهم الكثير مما جاء به الغزاة ، لكنها استطاعت أن تعلمهم !

صلاح الدين المقريزى

باب المقالات المقتطف

● ماضرر زعماء هذه الأمة ، لو سارت بينهم الرسائل بتعيين الوسائل ، ثم حشدوا إلى مكان يتذاكرون فيه ويتحاورون ثم ينادون بأصوات متفقة المقاصد كأنها من فم واحد .. هلم ننشد الضالة ونطلب المنشود ، فلا يقوم بأمر ذلك فئة دون فئة ، ولا نتعصب لمذهب دون مذهب ، فنحن فى الوطن إخوان تجمعنا جامعة اللسان. فلنحتشد فى اجتماع منزه عن المقاصد الدينية .. منحصر فى العصبية الجنسية والوطنية ، مؤلف من أكثر النحل العربية ، يزلزل الدنيا اضطرابا ، ويستميل الدول جذبا وإرهاباً ، فيعود للعرب الضالة التى ينشدون ، والحقوق التى يطلبون ولا خوف على زعمائهم ولا يحزنون !

أديب اسحاق

وأأســــفاه ....

أين كنا .. وأين صرنا الآن ؟ أين مدارسنا ، أين علومنا ، أين كتبنا ، أين مكاتبنا ، أين تجارتنا ، أين زراعتنا ، أين صناعتنا ، أين ثروتنا ، أين قوادنا ، أين أكابر رجالنا ، أين محبو أوطاننا ، أين الرغد والراحة والكرامة التى كنا فيها ..

لقد صار ماكان أثراً بعد عين ..

وكثير منه صار لا أثر ولا عين !

هل يصطلح العرب ؟ . هل يقيم لهم الدهر عزاء ، هل يكلل النجاح جباههم ، وهل يطلع فى مشرقهم بدر العلم .. لابد من أن يرجع بنا الزمان الى الأفق الذى حجبته عنا غيوم السياسة ، ودفعتنا عنه صواعق القوة والانشقاق ، إن من ينتبه يسمع دمدمة وغطيطا وزئيراً بعيداً . يكاد لا يسمعه من انهمك بالترحيب ببلابل الحرية وبروق التمدن ، فالأمة كمريض سئمت نفسه الأمل بحيث صار يتغذى من شحمه ولحمه ، وقد كثر فينا الوعاظ والمنذرون ، ولكن ماذا ينفع الوعظ من دون عمل .. وماذا يفيد الانذار إن كنا كمن يضرب فى حديد بارد .

بطرس البستاني

الجنان – بيروت – مارس (آذار) ١٨٧٠

عادة شرقية ومقابلها غربية

بقلم أحد أبنائنا النجباء

من عادة الشرقيين انهم عندما يتداعون لوليمة يجتمعون حول المائدة ويأكلون قل عددهم أو كثر لايراعون فى ذلك اعتقاداً فاسداً إذ ليس ثم ما يمنعهم من تناول الطعام .

أما حضرات السادة الاوربيين الذين نتعلم لغتهم لنجد بها فضل لغتنا المهجورة على ما

يقول بعض الـ ... فان لغاتهم هي الفصحى وبدونها لا يمكننا ان نتقدم ولا نحصل التمدن فنجيبهم اننا لا ننكر ان أغلب العلوم تؤخذ الآن من لغاتهم لكن من تامل فى ماضيهم وعرف تاريخهم علم انهم كانوا جهلاء يتخذون من الجبال بيوتاً فكان من المستحيل عليهم أن يفهموا حتى كلمة علوم وحينئذ كان الشرق صاحب المقام الاعلى على وجه الكرة وكانت

اللغة العربية هي المالكة وكانت بها تدرس العلوم فى جميع انحاء الممالك ولم تزل صاحبة الصولة إلى أن فقد بعضها من الاهمال وغيره فكانت على كل حال هي المتقدمة والفضل للمتقدم ولا ينكر فضل اللغة العربية إلا من طمس على عينيه وكان على بصره غشاوة وعمى عن طريق الحق فلو زلق لسانه بالقدح فى لغتنا وجحد حقوقها فهو معافي من الملام إذ ليس على الأعمى حرج .

أما من عرف الحقيقة فانه لا ينكر اننا لو اتبعنا كل نصائح العرب ما ضللنا عن سواء السبيل وما لحقنا احد فى التمدن . أما

الأورباويون فانهم رغماً عن كونهم عرفوا كل لغتهم وعلموها وتمدنوا لم تزل التخاريف ببلادهم فانهم مع ادعائهم التمدن لم يجتنبوا بعض الاعتقادات الفاسدة التى تنزه الشرق عن مثلها ومن انكر هذا القول نقص عليه العادة الغربية المقابلة للعادة الشرقية التى اسلفنا نكرها وهي :

إذا عمل أحد الغربيين وليمة ودعا اليها أحداً ابتدأ قبل الأكل بتعدادهم فان كان عددهم اقل أو أكثر من ثلاثة عشر تقدموا وأكلوا وإن كان ثلاثة عشر تماماً لا يتقدمون للأكل حتى ينقصوا أو يزيدوا فاذا رأى صاحب الوليمة انه لا يمكنه أن يخرج أحد المدعوين التزم بالجلوس فى محل أخر بعيد عن مكانهم حتى ياكلوا وليس عندهم من يؤنسهم والسبب فى عدم تقدمهم كلهم للأكل عند ذلك انهم يعتقدون حلول المصائب بمن دعاهم إذا كان العدد ثلاثة عشر فهل لا نجل الشرقيين عن مثل هذه العادة القبيحة نعم نعم فانهم لو سمعوا بها لاشمازت نفوسهم من هذا الاعتقاد الباطل إذ أنهم يعلمون انه إذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون .

فانظر أيها الانسان الكامل الى هاتين العادتين وحدثنا أيهما تستحسن لنكون مشاركين لك فى أي الصفتين تشاء فالتمدن اليوم هكذا هكذا وإلا فلا لا .

كتبه ولدكم
مصطفى ماهر

عـــــادة شـــرقـيـــة

من المعتاد بين رجال الشرق انه إذا تخاصم اثنان وتشاجرا وجدا فى الحال من يصلح بينهما ويقطع الشقاق الحاصل بحيث يعودان للاخاء والصفاء كأن لم يكن بينهما أدنى نزاع ولا شقاق .

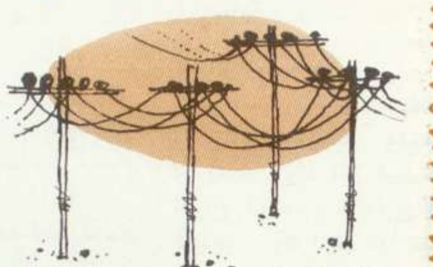
وعادة الغربيين : (الأوروباويين) إذا تشاجر اثنان أعلن أحدهما الآخر (بالبراز الدوبل) وعينا نوعاً من السلاح ووقتاً يقتل فيه أحدهما صاحبه أو يجرحه واقبح براز براز الدولة المتمدنة العظيمة (أمريقا) فانه عند اتفاق الخصمين على البراز يحضر احد رجال الحكومة ويربط عينيهما بحيث لا يبصران شيئاً ثم يضع آلة نارية (ليفرفير) جهة اليمين وأخرى جهة اليسار ويضع فى أحداهما رصاصاً وكبسوناً ويرفع الزناد وفم العيار فى فمه فيموت صاحب الرصاص وينجو الآخر وإن كان هو الجاني . فاي تمدن بعد هذه الأفعال التى

تاباها الطباع . نعم ان هذه العادة كانت فى الشرق قبل وجود الممالك والشرائع ووضع القوانين ثم نسخت كأن لم تكن فما بال الغربيين لا يقلدوننا فى تركها كما قلدونا فى فعلها أيام جاهليتنا الأولى على أن عادة جاهليتنا كانت المبارزة بالسيف أو الرمح على ظهر الخيل أو الأرض فلا يتمكن احد من رفيقه

إلا بالشجاعة واتقان الرمي أو الضرب لا أن تربط عيناه ويعطي له قاطع أجله يزدرده كما يزدرد الشراب ثم بعد هذا كله نحن المتوحشون وهم المتمدنون ولا نقدر على دفع الدعوى لاستحساننا كل ما أتوا به وإن كان قبيحاً فى الواقع وننسى الأمر .

● بـــاب الأخـبــار الـعــــلـمـيـــــة

مسافات أسلاك الأخبار



ورد فى النشرة

بلغت مسافة اسلاك الأخبار فى الولايات المتحدة فى أمريكا مائة وسبعين الف ميل ومائة وثلثة اميال وأرسل بها فى تلك السنة ثلثة وثلثون الف ومائة وخمسة وخمسون الفاً وتسعمائة وواحد وتسعون خبراً وغير ذلك أسلاك كثيرة مختصة ببعض الأمكنة بلغ مجموع مسافلتها ثلث مائة الف ميل . هذا سوى الأسلاك المعلقة باعمال الطرق الحديدية . وبلغت مسافات أسلاك روسيا ستة وخمسين الفاً ومائة وسبعين ميلا . واسلاك جرمانيا واحداً واربعين الفاً ومائتين وواحداً وثلثين ميلا واسلاك فرنسا ستة وثلثين الفاً وتسع مائة وسبعين ميلا . واسلاك هنكاريا اوستريا ثلثين الفاً وأربع مائة وثلثة اميال . واسلاك أوستراليا ستة وعشرين الفاً وثماني مائة واثنين وأربعين ميلا . واسلاك بريطانيا العظمى ثلثة وعشرين الفاً ومائة وستة وخمسين ميلا . واسلاك أملاك الانكليز فى الهند ثمانية عشر الفاً ومائتين وتسعة أميال . واسلاك بلاد الترك سبعة عشر الفاً وخمسة وثمانين ميلا . وأسلاك ايطاليا خمسة عشر الفاً وثماني مائة وأربعة وستين ميلا .

فـــوائـــد الـتــلـيـفـــون

قد استعملت الة التليفون فى أعمال العدلية بالولايات المتحدة استطلاعاً لكلام المحابيس وهم فى الخلوة وقد ظهرت فوائد هذه الآلة فى نيويورك فان الممتحنين قد وضعوا (الميكروفون) داخل حائط مكان من السجون وسدوا المنفذ اليه بورقة ملساء دقيقة المسام لا تكاد ترى ولم يحتج في وصول الصوت الى وضع فم المتكلم على طرف الآلة ثم جيء بالمشكيين الى المكان المذكور وخلي بينهم وبين أهليهم فاخذوا يكاشفون باعمال الجناية ويوضحون كيفية ارتكابها ولم يدروا أن خلف الجدار خفيراً يتسمع عليهم بواسطة التليفون وهكذا أطلعت الحكومة على خفايا يتعذر الاطلاع عليها بدون هذه الآلة .

(المصباح)

إعلان

الأجزاخانة المصرية الكائنة بالأزبكية بمنزل منشا امام شارع كلوت بك موجود بها كافة أصناف الأدوية العال الجديدة وإذا لزم لأحد أدوية خصوصية فيصير احضارها من العال وباقل الأثمان .

٩/٤/١٨٨١م

التنكيت والتبكيت

صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية . صاحبها ومحررها الأديب عبد الله افندي نديم ومكتب ادارتها مكتب جريدتي العصر الجديد والمحروسة بالأسكندرية وقد رأينا فى العدد الأول الذى ورد علينا منها المقالات الأدبية والهزلية الانتقادية ما نقدر له كبير الفائدة لأن اسلوبه خير اسلوب يدعو الوطنيين الى الاقلاع عما به ضيرهم والتمسك بما به خيرهم . ومما سرنا فيها بنوع خاص شروط الاشتراك . وفق الله محررها الفاضل الى بلوغ امانيه .

الآثار المصرية الجديدة

وجدت هذه الآثار فى ناحية القرنة التى على رأس الجبل الغربي ناحية «ثيبثة» القديمة أو (الأقصر) الحالية ضمن منزل بعائلة فلاحية تعرف بعائلة بيت الرسول . اما كيفية الوصول اليها فكانت ان صاحب العائلة المحكي عنها اكتشف من مدة سنوات على بعض الأثر فكتم الأمر عن الغير وأخذ ان يتصرف بمبيع بعض ما يجده من الآثار الى السياح وخلافهم على علم من اخيه المدعي احمد محمد فصودف ان وقع خلاف بين الأخوين فشكا هذا امر ذاك لمديرية قنا والمديرية أرسلت تواً من قبلها المندوبين اللازمين الى المحل المعين للتحفظ على ما هناك حتى يقدم مندوب المتحف حسبما طلبت منها فاتى حضرة بيركش بك وكيل المتحف وفتح أبواب المحل المذكور فرأى حفرة كالبئر عمقها عن وجه الأرض نحو ١٥ متراً وفى قعرها باب ضيق داخله محل يضاهي اتساعه نحو ٧٠ متراً فى جوف الجبل يحتوي زهاء ٤٣ صندوق خشب فى غالبيتها جثث أموات .

اما هذه الصناديق فمنها ٢٨ مزخرفة من الخارج بالرسوم الغريبة والصور البديعة مموهة بالادهان الذهبية والمختلفة الألوان وضمنها جثث ملوك أربع عائلات من ملوك الدولة الثامنة والعشرين فى جملتها جثث الملوك رمسيس الثالث و تمسس وبانيونيتم وزوجاتهم ونحوها وكلها محنطة محفوظة كما هي .

اما بقية الصناديق فمنها ما فيه جثث بعض رجال الدولة المذكورة ومنها ما فيه بعض أشياء كلية وقطع تصاوير من حجارة وخزف وخشب .

ولقد اكتشف أيضاً على اربعة كتب تاريخية بالخط المصري القديم تتضمن اخبار واحوال رجال الدول المنوه عنها وهي من ورق الأبيروس المصنوع من ورق الموز والبردي . وكل كتاب من هذه الأربعة ورقة واحدة يساوي طولها عشرة أذرع تقريباً وعرضها مقياس شبرين ووجد كذلك ستارة من جلد ملونة بالأشكال المنوعة ومرسوم عليها صور غريبة وكلها مسطرة بالكتابة والوان الخط المحرر فى الكتب والستارة حمراء وسوداء

ومما شوهد من الآثار علب عديدة مجعولة من الأبنوس وسن الفيل معاً محكمة الصناعة والاتقان مزخرفة مزدانة باختلاف الأشكال فيها احشاء الملوك التى كانت تستخرج أجوافهم لفعل التحنيط .

(الأهرام)

باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال

بطرس البستاني
١٨١٩ - ١٨٨٣

● عالم لغوى وأديب ومترجم وصحفى .

● ولد فى لبنان وعمل بالتدريس والترجمة

● فى عام ١٨٦٠ اصدر أول صحيفة عربية فى الشام هى «نفير سوريا» .

● اصدر مع ابنه سليم مجلات وصحف الجنان (علمية ادبية) والجنة (سياسية) «والجنينة» (تجارية اقتصادية) .

● كان موسوعى الثقافة ، أهم أعماله : محيط المحيط (جزءان) وهو معجم لغوى ادخل فيه بعض المصطلحات العلمية التى جدت في اللغة العربية . ودائرة معارف البستانى ، وهى الأولى من نوعها فى اللغة العربية ، وقد ألف منها ستة مجلدات وأكملها أبناؤه الى احد عشر مجلدا . فضلا عن تحقيق لديوان المتنبى .

● الجنان : ١٨٧٠ – ١٨٨٧م ●

● مجلة علمية أدبية سياسية تاريخية نصف شهرية .

● صدر العدد الأول منها فى يناير ١٨٧٠ ببيروت واتخذت لها شعاراً «حب الوطن من الايمان» .

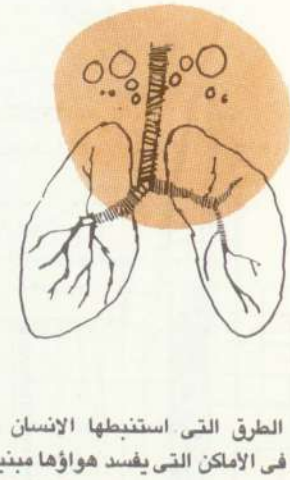
● نالت الجنان عناية احمد مدحت باشا المعروف ببطل الدستور العثمانى حين كان واليا على سوريا فكان يزور بطرس البستانى فى مجلته ويبث أفكاره الاصلاحية بواسطتها .

● كانت تبشر بالأفكار العلمانية والديمقراطية وتدعو للأخذ بالعلم والصناعة .

● كان سليم البستانى – الابن الاكبر لبطرس – ينشيء اكثر مقالاتها ولاسيما التاريخية والسياسية والروائية ، وقد نشر فيها كتابيه «تاريخ عام قديم» و «تاريخ فرنسا الحديث» . وقد انتقل اليه امتيازها عقب وفاة والده ، ثم انتقل لشقيقه نجيب البستانى . حتى توقفت الجنان بعد أن عاشت ١٧ سنة .

● نشرت مقالات وأبحاثاً لكل علماء العصر ومنهم : اليازجى والدحداح وأديب اسحق وجميل مدور .

رئــــة كيمــاويــة



كل الطرق التى استنبطها الانسان لتنقية الهواء فى الاماكن التى يفسد هواؤها مبنية على مبدأ إبدال الهواء الفاسد بهواء نقي كما يحصل من فتح النوافذ التى يجري الهواء فيها جرياً مستديماً . وقد جاء فى جريدة اللنست حديثاً أن الدكتور نيل ارتاى تنقية الهواء باستنباط طرق كيماوية لا ميكانيكية مثل التى سبقت الاشارة إليها . واستنبط طريقة تشبه الرئة فى عملها . ووجه الشبه بينهما أن الرئة تتناول الاكسجين من الهواء وطريقته تتناول الغازات السامة اي الحامض الكربونيك والغازات الكبريتية من الهواء ولذلك سميت رئة كيماوية . إلا أن الرئة الحيوانية تتناول الاكسجين من الهواء وترد إليه الحامض الكربونيك واما هذه الرئة الكيماوية فتتناول الغاز السام من الهواء ولا ترد شيئاً إليه .

وتحرير العبارة أن الدكتور نيل المذكور مزج الحامض الكبريتوس بالماء فى قارورة فمثل بذلك الهواء الفاسد فى بعض الاماكن . ثم صب على هذا المزيج قليلا من مذوب الصودا الكاوية وهزه بضع ثوان فزالت رائحة الكبريت منه . ثم عاد فاجرى فى القارورة مجرى من غاز الحامض الكربونيك حتى صارت إذا ادخلت شمعة إليها تنطفىء حالا من كثرة الحامض الكربونيك فيها وهزها قليلا فتناولت الصودا الكاوية الحامض الكربونيك من القارورة حتى صارت إذا ادخلت اليها الشمعة لا يبقى ضوؤها لامعاً . ثم ابدل الصودا الكاوية بمذوب الكلس الكاوي فكانت النتيجة واحدة فى الاثنين . وعلى ذلك اشار بأن كل قطار من قطارات السكك الحديدية التى تحت الارض يصحب بحوض أو حياض فيها مذوب الصودا أو الكلس الكاويين بحيث يمر دخانه فيها قبلما يخرج الى الهواء فيتنقى من كبريتــه والحــامض الكربونيــــك الــــذى فيه فلايسمم الهواء فى الطرق الضيقة التى يمر القطار فيها تحت الارض ولا يلحق بالركاب ضرراً .

بــاب التقــريــظ والانتـــــــــــــقاد

تـــنبيه

لقد بعثنا الى أوربا بطلب ورق للجنان اجود من ورقه الحالي فكان من مأمولنا وروده قبل صدور هذا الجزء فابطا ولذلك اضطررنا ان نصدره قبل فوات تاريخه على رجاء ان يصدر فى أول السنة متحلياً بالــورق الجديــد وبغاية الاتقــان والترتيب .

ثم اننا نسال فضل علمائنا وادبائنا فى ثغر بيروت وفى الشام وحلب والعراق ومصــر وبقي البلاد العربية أن يطرفونا بنفائس اقلامهم وبدائع كلامهم على اختلاف الموضوع من منظوم أدبي ومنثور لأن الجنان على اكمل استعداد واتم مراد لتلقى مكاتباتهم العالية القدر والبالغة من النفاسة در البحر ومن الرونق والطلاوة وجه البدر بواجب الثناء والشكر لا برحــوا للفضل سواد عينه وللعلم مبعث نوره ومجلي ظهوره .

المفيــــــد

بدائع آداب ابرزتها الأفكار الحرة بعد الاستتار وآيات بينات نطقت بها السنة الوطنية الحقة فتقلدتها الطروس عقوداً . تلك صحيفة عربية وطنية وجريدة ادبية سياسية تطبع في محروسة مصر يحررها صديقنا الفاضل حسن افندي الشمسي وصاحب امتيازها الكامل الأريحي مصطفى افندى ثاقب وقد اشرق علينا طالع العدد الأول منها فاستضأنا بنور مطالعته فاذا هو كاسمه (المفيد) فلا نلبث أن نراها إن شاء الله تعالى رافلة فى حلل النجاح سائرة بابناء الوطن مسري الهداية الى سواء السبيل فقد دعا داعي الجنسية إليها حي على الفلاح فخير الكلام المفيد .

دســتورجمعيــة باكورة ســوريــة وخطــب بعـــض أعضــائــها

هي رسالة انيقة تحوي قوانين هذه الجمعية الأساسية والفرعية وست خطب مما انشاه بعض اعضائها . الأولى فى الغاية التى خلق الانسان لأجلها والثانية فى تهذيب العقل والثالثة فى الكتب ومطالعتها والرابعة فى الارتقاء والخامسة فى حياة الانسان وواجباته والسادسة فى حقوق النساء .

والحق يقال إن منشئات هذه الخطب قد سابقن اكثر رجال سورية فى مضمار العلم والتهذيب فاحرزن قصب السبق . فنهنىء البلاد بهن ونتمنى لجمعيتهن دوام الارتقاء .

تــــاريــــخ بـــابـــل وآشـــور

قد سرنا ما لقيه تاريخ بابل وآشور لجميل افندي مدور من حسن القبول عند العموم كما يشهد به لسان حال الجرائد المحلية والاجنبية . اما فوائد هذا الكتاب فقد لمحنا اليها قبل طبعه فى المقتطف وبراعة مؤلفه تشهد لها صفحات الكتاب نفسه . وحسبنا شهادة على ذلك بعض ما قالته جريدة التقدم الغراء وهو :

وليس نفع هذا الكتاب مقصوراً على الموضوع التاريخي فقد وقف عليه صديقنا الفاضل اللغوي الشيخ ابراهيم اليازجي ايده الله فهذب عبارته وصحح مبانيه فجاء نقياً من الكلف بريا من الكلف قريب اللفظ على بعد مرامه كثير الفرائد على استمرار نظامه لا يمله القاريء لفظا ولا يالوه الطالب حفظاً فما ندري ونحن بين فوائد تاليفه وفرائد تحريره أهو كتاب تاريخ لبيان حوادث الزمان أم كتاب ادب لا يبلى جدته الجديدان . اجل لقد نظمت فيه الحاشيتان وأدركت الغايتان فليطلبه من رام من التاريخ بيان علم وليلتمسه من رام من الأدب علم بيان .

وهذا الكتاب مطبوع فى مطبعة الأمريكان وهو يباع ثم بنصف ريال مجيدي .

ضحكات الشهر





.. بدون كلام .. !!



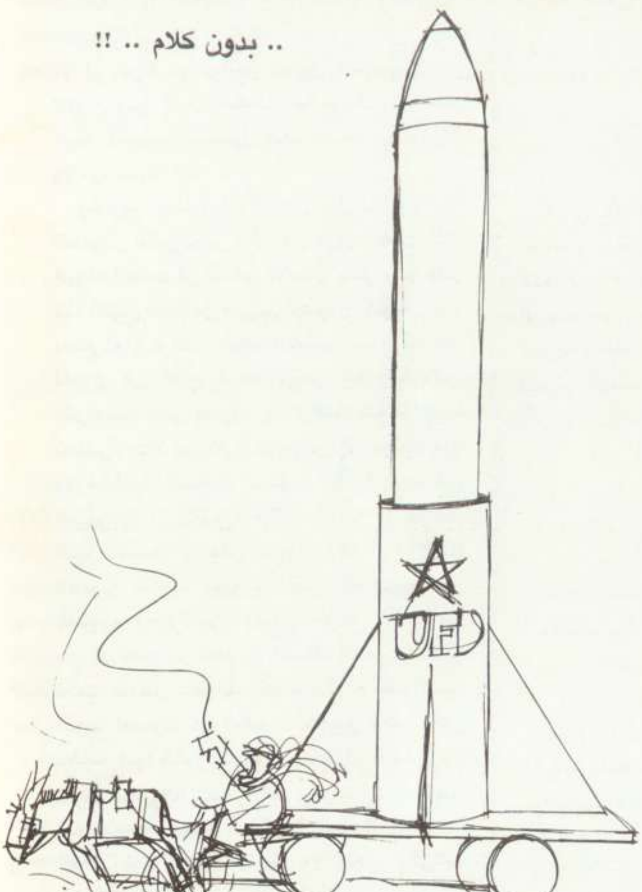


شمسية ... صيفي .. !!

.. بدون كلام .. !!



.. بدون كلام .. !!





WATER PROOF



استعمال الطاقة الشمسية فى بعض بلدان الشرق الأوسط !!



شاري لبائع - عندك دوش أجرب الشمسيـة قبل ما اشتريها



طبيب - افتح بقك وطلع لسانـك .. واكدب .. !!

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

من ؟

الصحابي الذى قال « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما قال لي خلالها « اف » . اسمه من ثلاث كلمات فى تسعة احرف :

١ ـ ٨ ـ ٧ ـ ٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٤ ـ صلات القربى

٩ ـ ٦ ـ ٢ اختبأ تربصاً لعدو

أين ؟

منطقة عربية فريدة على سطح الأرض ، يسعى غير العرب لكشف اسرارها وسبر اغوارها ،اسمها من احد عشر حرفاً فى كلمتين :

٦ ـ ١٠ ـ ٣ ـ ٥ ـ ٤ شدة الخوف .

٩ ـ ٢ ـ ٨ ـ ١ ـ ٧ ـ ١١ الفارغ

ما ؟

مادة تتميز بها صحارى الوطن العربي ، بها فى بعض الأحيان منافع شتى واحياناً تضر ولا تنفع إذا لم يكبح جماحها . اسمها من ستة احرف :

٣ ـ ٤ ـ ٢ ـ احد بحور الشعر

١ ـ ٦ ـ ٥ للاستثناء

الإجابة الصحيحة



١) اكتشف المهندس الانجليزي وليم سميث اهمية الحفريات المستحجرة من بقايا النبات والحيوانات البائدة فى تصنيف طبقات الأرض زمانيا فى سنه :

١٧١٥ ـ ١٨١٥ ـ ١٩١٥ ميلادية

٢) الحقول البحرية للنفط فى دولة قطر يصدر انتاجها من جزيرة :

تيران ـ حالول ـ حوار ـ الكناري ـ سوقطرة

٣) ينتمى الحمار الى مجموعة الحيوانات :

المجترة ـ وحيد الخلية ـ اللافقارية ـ الثديية

٤) مؤلف القصة الفلسفية الخالدة ، حي بن يقظان ، هو العلامة العربي المسلم :

ابن طفيل ـ ابن رشد ـ ابن عباد

٥) كان البطل سليمان الحلبي الذى قتل الجنرال كليبر رداً على احتلال مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠٠) طالبا في :

الأزهر الشريف ـ دار العلوم ـ معهد طنطا

٦) يوجد قبر الصحابي الجليل وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب فى :

أسيوط ـ المدينة المنورة ـ تونس ـ دمشق ـ حماة .

٧) « تبلغ مساحة الصحاري الحارة على سطح الأرض (١١) مليون ميلا مربعا »

هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

٨) اول من اكتشف الدورة الدموية هو :

العربي ابن النفيس ـ ليوناردو دافنشي ـ الامريكي توماس إديسون

٩) كان الشعراء العرب الكبار قبل الاسلام يكتبون قصائدهم على نسيج رقيق من الحرير ويعرضونها حول الكعبة المشرفة ويسمونها :

المعلقات ـ الاراجيز ـ الموشحات

١٠) اكتشف العلماء الصينيون أن العصفور يموت لو اضطر للطيران المستمر بدون توقف لمدة

٣٥ ساعة ـ ١٥ ساعة ـ ٥ ساعات

حل مسابقة « العدد ٧٠ »

من ؟ : سيد قطب

اين ؟ : عمان

ما ؟ : الشعر .

الاجابة الصحيحة

١ ـ ١٣٩٥ هـ

٢ ـ يوم السبت

٣ ـ النباتات وحيدة الخلية

٤ ـ سالونيك

٥ ـ ايلياء

٦ ـ ليست صحيحة علميا

٧ ـ « فى حده الحد بين الجد واللعب »

قاله ابو تمام فى فتح عمورية

٨ ـ ابو علي ابن سينا

٩ ـ كربونات الكلسيوم

١٠ ـ مرة واحدة .

أسماء الفائزين

الجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة فاز بها القارئ :

محمد اكرام المغربي ـ قصر عليم ١ ـ اي ـ ١٢/٢/ ناظم اباد رقم ١ ـ ناظم اباد / كراتشي / باكستان

الجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة فاز بها القارئ :

محمد عبد الله بن محمد محمود ـ الادارة الجمهورية للتعليم الاساسي . مدينة اطار / آدرار موريتانيا .

الجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة فاز بها القارى :

عبد السلام عباس على الوجيه ـ ص . ب (٤٤٩) صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ صديقة عيسى على عيسى الجمعة ـ الكويت
٢ ـ مجدى محمد جاد كشك مصـر
٣ ـ رقيب كاتب/ عماد عبد العزيز خلف دبي
٤ ـ عمر احمد عوض ابو الهيجاء الأردن
٥ ـ سيد النوبي عبد الحليم مصـر
٦ ـ عائشة مبارك السليطي الدوحـة
٧ ـ كمال محمود كايد لبنـان
٨ ـ محمد احمد محمد شقير الكويـت
٩ ـ خديجة فارس مـالك الدوحـة
١٠ ـ وسام محمد كاظم حسن آل شهاب البحرين
١١ ـ عبد الخالق يحيى عبد الله الاكوع ـ اليمن
١٢ ـ منصور محمد الزباني نيودلـهي

احـذر هـؤلاء

من أقوال الامام علي بن أبي طالب :

يابني .. إياك ومصادقة الأحمق ، فانه يريد ان ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه ، وإياك ومصادقة الكاذب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب .

عز الدين أحمد بهجت
الكويت

اختيـار الأصدقـاء

قال العلامة صالح بن عبد القدوس المتوفي عام ٨٥٥هـ فى اختيار الأصدقاء :

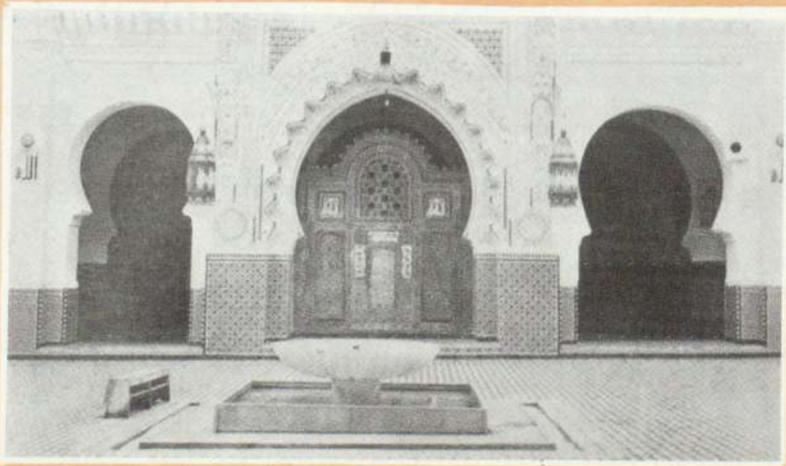
واختر صديقك واصطفيه تفاخـراً
إن القرين إلى المقارن ينسـب
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحبـاً
إن الكذوب لبئس خلا يصحـب
وذر الحسود وإن تقادم عهـده
فالحقد باق في الصدور مغيـب

وقال ايضا تحت نفس العنوان :

لا خير في ود امرئ متملـق
حلو اللسان وقلبـه يتلهـب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثـق
وإذا توارى عنك فهو العقرب

كريمة إدريس حسنين
السودان

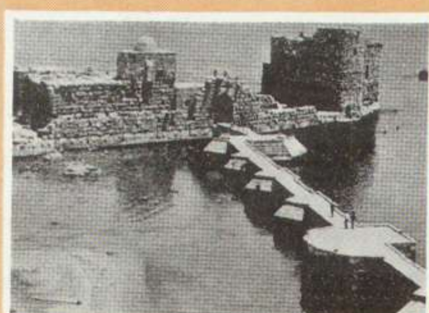
حـاول أن تعـرف ...



الصورة الأولى
يقع هذا المسجد فى مدينة تعد العاصمة الدينية والثقافية لبلد عربي ، بني حول المسجد الجامعة الاسلامية المشهورة .
ماسم هذا المسجد ؟ وفي أية مدينة يوجد ؟ .



الصورة الثانيـة :
ممثل كوميدي عالمي ، بنى شهرته على استغلال قسمات وجهه فى التعبير ، بدأ حياته العملية ممثلا مسرحيا ، ثم اتجه فى الثلاثينات إلى السينما ، واشتهر بتمثيل سلسلة من الأفلام تعرف باسم « دون كاميلو » .
من هو هذا الممثل ؟ وما هي جنسيته ؟ .





الصورة الأولى :
تقع قلعة البحر التى أسسها الصليبيون على صخرة فى مدينة صيدا اللبنانية ، وتم بناؤها عام ١٢٢٨م .
فاز بالجائزة :
١ ـ احمد ممدوح ملحيس ـ سوريا .
٢ ـ سالم السيد محمد عبد الله ـ مصـر .

الصورة الثانية :
الرئيس الأمريكي ابراهام لنكولن وقد اغتيل فى عام ١٨٦٥م .
فاز بالجائزة :
١ ـ غادة عيد الحموي ـ بيروت ـ لبنان .
٢ ـ احمد حمامي ـ حلب ـ سوريا

دوحة القراء

قرأت

حبّ الحياة



وصف الموسيقار الألماني الشهير جوهان باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) حياته بعد ان فقد نور عينيه بقوله :

« كان صوت الطيور فى الصباح هو الشيء الوحيد الذى يذكرني بان الظلام قد انقشع ، كنت اقوم من فراشي واتجه صوب نافذة غرفتى واقف وراءها فاحس بدفء الشمس وهي تتسلل فى رفق الى حيث كنت امضي ايام الظلام .

إننى لم اغادر هذه الغرفة منذ ان اختفى امامي اخر خيط من الضوء ، فقد كنت لا احتمل ان امسك بيد تقودنى ، لا احتمل ان اشعر بالصمت الذى يحتوى المكان الذى اظهر فيه فجاة ، فتتحول الضحكات الى همس ، وهي التى كانت تدوي منذ لحظات قبل وصولي إليه .

لقد أحببت الحياة ، واحببت الناس ، واحببت الطبيعة ، وعشقت الموسيقى ، وكان الشيء الوحيد الذى يذكرني باننى مازلت حيـــا ، هو صوت موسيقاي ، فكنت احس كلما سمعت نغما جديداً أن أبواب السماء تفتح لي ذراعيها لتستقبلني وتخلصنى من الالم الذى أعانيه على الارض بعد ان كساها الظلام » .

عليلوش محمد ـ المغرب

أكبر الأشياء

● اكبر المدمرات التى بنيت يابانية الأصل وهي تزن ٧٣ الف طن واسمها (ياماتو) ، وكذلك البارجة (موشاي) اليابانية ، ولقد دمرتا بواسطة امريكا فى الحرب العالمية الثانية

● أن التنين لا يزال حيا فى « بالي » باندونيسيا وهو سحلية ضخمة يبلغ طولها ٣ امتار ولها لسان مشقوق كالشوكة ، ويعيش وسط الغابات الكثيفة على الخنازير البرية والماعز الميتة .

● اكبر الحيوانات مخاً هو الحوت (العنبر) ويصل الى ٧ كجم .

● اكبر أشجار العالم هو شجر (السيكويا) ويصل ارتفاع سيقانه الى ١١٢ م وقطره الى ٢٤م .

● اكبر تجمع للجراد عبر البحر الاحمر عام ١٨٨٩م وبلغت مساحته خمسة آلاف كيلومترا مربعاً .

طبيب علاء الدين عبد الفتاح غنيم
الاسكندريـة

زيـارة قصـيرة



هاجر احد المتصوفين الى بلدة ، وحين دخلها بادر بزيارة مقبرتها ، فقرا على احد شواهدها : هذا قبر فلان ، كان عالما فاضلا ومات وعمره يومان .

ورأى على قبر اخر : هذا قبر فلان القائد العظيم الذى لم يعرف جيشه هزيمة منذ ان تولى القيادة ، مات وعمره ثلاثة ايام .

فعجب من هذا كله ، وتوجه الى خبير بالبلدة ، وساله عن ذلك اللغز الذى لم يفهمه .

فقال : إننا لا نعد من حياتنا إلا ما نعيشه من الأيام السعيدة .

فقال الصوفي : إني اود ان اموت ببلدكم وأرجو ان تكتبوا على قبرى : (هذا قبر صوفي رحالة جاب الأقطار ، وزار الأمصار ومات قبل ان يولد)

(عن أحمد أمين)
درويش محمد
الجزائر

حِكَم وَأمْثَال

ح : حاول أن تملك ثلاثة لثلاثة : العلم لتفيد وتستفيد ، والصبر لتحمل الشدائد والشجاعة لتقابل بها الصعاب .

ك : كن حاضراً عند ثلاثة : صاحب حاجة ، وضال طريقه ، ومنكوب دهر .

م : متع نظرك بثلاثة : الشروق والغروب والكواكب .

و : وسع صدرك لثلاثة : راي ، وسائل ، وحاقد .

ا : افتح قلبك لثلاثة : محب ، وابن ، وصديق وفي .

م : مع كل فكرة .. جديد ، ومع كل عاقل .. حكمة ، ومع كل ربيع .. نسمة .

ث : ثلاثة لا تقربها : دار شر ، ومجلس اشرار وعيون يتطاير منها الشرر .

ا : احسن لمن أساء إليك ، واعترف بذنب اقترفته ، وانفق من مال ملكته .

ل : لازم المريض حتى يشفى ، والفقير حتى يغنى .

صالح مبارك عصبان
تريم ـ م/حضرموت ـ اليمن

لقطة الشهر



بائع المـــاء

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريـال القاريء : قديرى عبد الرحيم ـ المغرب

قـــالوا في الضحك



● إن يوماً لا يضحك المرء فيه ليوم ضائع

(مثـــل فرنسي)

● الانسان الذى يحب الضحك له أسنان بيضاء .

(مثل روسي)

● الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يضحك ويبكي ، لأنه وحده الذى يصدمه الفرق بين ما الأشياء عليه ، وما كان من المحتمل ان تكون عليه .

(وليم هازلت)

● إذا ضحكت على شيء زائل فذلك لكي لا ابكي .

(لورد بيرون)

● إذا أردت أن تضحك الناس عليك ، فيجب أن يظل وجهك صارماً جداً .

(كازانوفـــا)

● الضحك هو الوظيفة الطبيعية للانسان

(رابيليـــه)

● لو منحت الحيوانات موهبة الضحك فجأة ، لضحكت حتى الأغماء من الانسان الذى هو أكثر الحيوانات جميعا سخفاً وحمقاً .

(ايجول فرايدل)

حمدوني عزيز محمد
المغرب

من أقـــوال الحكـماء

ـ خير لك ان تبلي بالعمل ، من أن تصدأ بالراحة !

ـ ساعة الغضب ليس لها عقارب .

ـ البكاء ضرورة .. ولكنه ليس حـــلا .

ـ تب قبل موتك بيوم واحد ، ولأنك لا تعلم متى تموت ، فكن تائباً على الدوام .

ـ الذى يلتمس من الآخرين العدل ، ينبغي أن يكون عادلا .

أحمد عبد العزيز أحمد فتوح
القاهـــرة

ماهي البلاغـــة ؟

عرف مجموعة من الحكماء البلاغة . فقال حكيم يوناني :

البلاغة : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة ، وحسن الاشارة .

وقال حكيم هندى : البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

ويسال معاوية بن ابى سفيان عمرو بن العاص من أبلغ الناس ؟ .. فقال اقلهم لفظاً وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة .

وقال أبو عبد الله وزير المهدى : البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة .

أما البحترى الشاعر فيقول : خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل .

ويقول الثعالبي : البليغ من يحول الكلام على حسب الأماني ويخيط الألفاظ على قدر المعاني ، والكلام البليغ هو ما كان لفظه فحلا ومعناه بكراً .

أما الامام فخر الدين الرازي فيقول : إن البلاغة هى بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل .

جمال محمود شهاب الاردن



حدث في ليلة شتائية

شعر: م. كجراي

عدتُ من الرحلةِ محمولاً على مَحَفَّةِ الأثيرْ
كنت كمن يصعدُ فوق سُلَّم المعراجْ
قال لسان الحالْ
« الليل لَيْلٌ داجْ »
إزدانت السَّماء بالأبراجْ
أحسستُ بالهدير من تلاطم الأمواجْ
في حلُمي رأيتُ مَنْ عَرَفْتُه
على دروبِ الزَهْو يمشي مَرِحاً منتفخ الأوداجْ
يحمل عَيْناً مثل عين الصقر أمَّا عينُه الأخرى فمن زجاجْ
قال لسان الحالْ
سِيَّانَ عندى أن أرى خيالَ « دون كيشوت » أو خيال « هانيبال »
يختال كالمبهور خلف سيفه المظفَّر العظيمْ
ولم يكن في ناظِرَيَّ غير ظلٍّ عابرٍ
وقبضةٍ من باطل الزيف ومن مناجم السَّديمْ
وجاء من يهمس لي
بأنني الثالث فى برنامج الحفلِ
وأني الأولُ السعيدُ فى قائمة التكريمْ
نصحني أن أترك الصراحةَ الجارحةَ العقيمهْ
على جيوب معطفي الممزق القديمْ
وارتاحَ حين ظَنَّ أن صوتَهُ
يقودني إلى انتهاج مسلك المثقَّفِ المهذَّبِ القويمْ
يا للضمير الحر حين تجدب الحياةُ
لا يبقى سوى منحنيات الجدل المدمر العقيمْ
وحينما عَبَرْتُ في جلبابي الأبيض كالصقيعْ
انتفض الجميعْ



لعلهـم تخيلـوا بأننى مُضَرَّجٌ بحمـرةِ النجيـعْ
وحينمـا بدأت فى تـلاوة القصيـده
وقلـت قـال الشاعـر العظيم ذو الارادة النافذةِ العنيده
انطلقـتْ هَمْهَمَـةٌ قريبـةٌ بعيـده
وصـاح مـن يُدْعـى بتـاج الديـن
مـاذا تقول أيهـا الضالع فى مكيدة الشيطـان
قلـت لـه ياسيـدي أقـول ما أقـولْ
أقـول أنى واحـد مـن فرعكم
أَمُتُّ لا أدري إلـى عدنـانَ أم قحطـانْ
أقول ان العـدل قـد يورقُ أو يَذْبـُلُ فى حديقـةِ السلطـانْ
ياسيـدي أقـولْ
بـأن ما تنبتـه أصابـع القهـر على مفـازةِ الفصـولْ
يمـوت مثلمـا يمـوت صوتك الضائع بين ضَجَّةِ الطبـولْ
فصاح بي اخْـرسْ فهـذا منطـقِ العمالـةِ الغارقِ تحـتَ لُجَّـةِ الهَـوانْ
هَيَّـا ابتعد فاننا نشجُـب من يخطـر فى ثياب بهلـوانْ
سمعتُ مَـنْ يقـول هـذا شاعـرُ مُثَرْثِـرُ مسكينْ
قضى عليـه عـارض الجنـون كـي ينام فـوق حافَّـةِ السِكِّيـنْ
تفـرق الجميـعْ
كأنمـا انشـق فـم الأرض وَحَـلَّ الصمـت في حضـوره المكثف المريـعْ
وحينمـا صحوت من غـاشيـة الذعـر رأيت غرفتي تسبـح فى الظـلامْ
تحسسـت يـدى مكـان الجـرح فـوق عنقـي
فاستيقنـت بـأن ظل الجـوع يُفضى دائمـاً الى دروب الشـوك والآلام
حـاولت أن أجهـر بالنطـق ولكـن
فَـرَّ مـن لسانـي الكـلام !

الورقة الأخيرة

اعترافات لص

في العدد الماضي من الدوحة كتب الدكتور نسيب النشاوى مقالا يتهم فيه الاستاذ يوسف الشاروني بأنه سرق قصة « الثأر » المنشورة في العدد ٦٢ من الدوحة « فبراير ١٩٨١م » من قصة «الجمرة الأولى» للأديب السوري الاستاذ نصر الدين البحرة ، وقد جاءنا هذا الرد من الأستاذ يوسف الشاروني ، الذى اثر أن يكتب رده على شكل حوار ساخر :

ـ أخيراً ضبطتك شرطة الأدب متلبساً بجريمة السرقة ؟

ـ أية سرقة ؟

ـ للأسف غفلت عنك أعينهم طوال ثلاثين عاماً تكتب فيها القصة والدراسة الأدبية وأنت تجيد اخفاء مسروقاتك حتى فضحتك أخيراً أعينهم الذكية . والآن عليك أن تدافع عن نفسك

ـ لقد اكتشفوا إذن جريمتي وأنا على مشارف الستين ما حسبت انني أفلت منه وأنا ابن العشرين .

ـ اللص لص سواء كان في العشرين أو الستين أو الثمانين .

ـ ولكن أليس من حقي أن أعرف تفاصيل الجريمة ؟

ـ لا شك أنه من حقك . لقد نشر كاتب سورى أن مواطنه الأديب نصر الدين البحرة .. .

ـ يؤسفنى ...

ـ لا تقاطعنى ، ليس عندك صبر . دعنى أكمل حديثى وستكون لديك الفرصة للرد والدفاع عن نفسك .

ـ هذه ثانى مرة تذكر فيها مسألة الدفاع عن النفس .

ـ لا تفقد أعصابك ولا تضخم الموضوع . مادمت قد عرضت نفسك للحياة العامة فيجب أن تتوقع كل شيء .
هل يمكن أن أواصل كلماتى ؟

ـ تفضل .

ـ نشر الأديب السورى نصر الدين البحرة قصة منذ حوالى عشر سنوات بعنوان «الجمرة الأولى» .

ـ أين ؟

ـ لم يذكر صاحب الاتهام اسم المجلة ولا تاريخها لكنه لاشك يعرفهما . المهم أنه أعاد نشرها في مجموعة قصصية عام ١٩٨٠ بعنوان «رمى الجمار» ، وأن قصتك المنشورة بالدوحة فى عدد فبراير من هذا العام ـ بصراحة وبلا لف ولا دوران ـ مسروقة من الأديب السورى .
« إن هذا اللقاء بين الكاتبين فى عنصر التعبير الفنى والعنصر التصويرى والعمل الفنى ومصدره وعقدته لا يمكن (لاحظ لا يمكن هذه) أن يفسره النقد الأدبى أنه من باب توارد الخواطر لأن توارد الخواطر لا يمكن (مرة أخرى) أن يكون فى المعانى والأسلوب والصورة . وقد يصح أن يقع هذا فى بيت من الشعر، أما فى القصة فلا يمكن (مرة ثالثة) أن يقع بهذا الشكل» .

سيدى ، يؤسفنى أننى لم أسمع باسم الأديب الفاضل نصر الدين البحرة إلا منك الآن ، ويمكن أن تسأل كل كتاب مصر إن كانوا قد سمعوا به أو قرأوا له قصة واحدة ـ مع احترامى الشديد له ـ وأن مواطنه الذى لم أتشرف بالقراءة له قبل الآن هو الذى يعرضه لهذه الحقيقة .

ـ ربما هذا هو الذى أغراك بالسرقة منه .

ـ بل هذا لعله جهل منى . ولكنى بشر لا أستطيع أن أتابع كل كاتب فى الدنيا . فأنت تعرف أنى أتابع ـ بقدر ما يسع وقتى وجهدى ـ ما ينشره الكتاب المصريون : شيوخهم وشبابهم ، وما يكتبه كتاب العالم العربى ممن يتفضلون باهدائى انتاجهم ، ولم يكن من بينهم الأستاذ نصر الدين البحرة . كما أتابع الانتاج العالمى ـ بقدر جهدى ـ وأكتب الدراسة الأدبية والقصة . ويشاء سوء حظى ألا أسمع باسم نصر الدين البحرة ولا قرأت له كلمة واحدة ، رغم أنى سرقت منه والتقيت به مع سبق الاصرار والترصد فى التعبير الفنى والعنصر التصويرى والأسلوب والصورة الفنية ... الخ

ـ إذن فكيف تفسر ...

ـ دعنى أكمل كلامى ، فلاشك أنك حريص أن تعرف مصدر قصتى .

ـ بلاشك .

ـ ان أحد مصادر قصصي هو ما يرويه الآخرون . وقد كنت مهتماً ذات مرحلة بموضوع الثأر فاستجمعت عدداً من قصصه من أفواه الذين أتصل بهم ونشرت احداها فى جريدة الأهرام القاهرية . والقصة المنشورة فى مجلة الدوحة مصدرها زميل بالعمل من أبناء دراو محافظة أسوان بأقصى صعيد مصر . هذه القصة كان هو شاهد عيان لها أثناء طفولته منذ ثلاثين عاماً ...

ـ ها قد وقفنا على الصلة . فزميلك لابد أن يكون قد قرأ للبحرة وادعى القصة لنفسه .

ـ من حسن الحظ أو سوئه أن زميلى لا يقرأ لا نصر الدين البحرة ولا يوسف الشارونى وقد ضحك عندما قرأ صحيفة الاتهام المنشورة فى الدوحة ولعلك معى فى أن هذه الضحكة أبلغ رد .

يوسف الشارونى


PEPSI
بيبسى
مشروب الجيل الصاعد



سوالف الماضي
للفنان القطري: محمد الكواري